تأويلات اهل السنة للامام ابي منصور محمد بن محمد الماتريدي الحنفي المتوفى سنة ثلث وثلثين وثلثمائة قال الشيخ عبد القادر في الجواهر المضيئة وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن انتهى اسامي كتب كاتب جلبي

محمد بن محمد بن محمود ابو منصور الماتريدي من كبار العلماء تخرج بابي نصر العياض كان يلقب بامام الهدى له كتاب التوحيد وكتاب المعاملات وكتاب رد اوائل الادلة للكعبي وكتاب بيان وهم المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن وهو كتاب لا يوازيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه وله كتب شتى مات سنة ثلث وثلثين وثلثمائة من طبقات الحنفية للحلبي

محمد بن محمد بن محمود ابو منصور فاق الاقران وتجمل به الزمان وشاعت مؤلفاته وسادت مصنفاته واتفق الموافق والمخالف على علو قدره وعظم محله وطيب نشره فانه كان من كبار العلماء والاعلام الذين بعلمهم يقتدى وبنور فضلهم يهتدى ولذلك كان يعرف عند الايمة بامام الهدى وذكره صاحب الهداية وغيره والف وصنف وكان اية في علم الكلام وسيفا مسلولا لقطع الاخصام ومن تصانيفه كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب رد اوائل الادلة للكعبي وكتاب بيان وهم المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن العظيم وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن وله كتب شتى غير ذلك مات رحمه الله سنة ثلث او اثنين وثلثين وثلثمائة بعد وفاة ابي الحسن الاشعري بقليل وقبره بسمرقند وذكر ابن طولون ومن خطه نقلت ان من مصنفاته ايضا كتاب تهذيب الجدل للكعبي وكتاب رد وعيد الفساق له ايضا ورد الاصول الخمسة للباهلي وكتاب رد الامامة لبعض الروافض وكتاب الرد على اصول القرامطة وكتاب مأخذ الشرايع في اصول الفقه ايضا وله غير ذلك رحمه الله تعالى من طبقات الحنفية للتميمي

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير اغا دار السعادة
الشريفة لسنة ثمان وخمسين ومائة
والف

هذا الكتاب المكمل من وقف حضرة مولانا صاحب الخيرات الحسان صاحب ذيل الجود والاحسان
منور مصابيح المقاصد مفتح معاقد المراصد مصلح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل
حائز مجامع البر الاكمل الا وهو اغا دار السعادة الحاج بشير وفقه للخير المزيد وللبر الكثير
من هو على كل شيء قدير حرره العبد الفقير الى الله تعالى محمد امين المفتش باوقاف
الحرمين المحترمين عفي له

قال الشيخ الامام ابو منصور رضي الله عنه الفرق بين التاويل والتفسير هو ما قيل التفسير للصحابة والتاويل
للفقهاء ومعنى ذلك ان الصحابة شهدوا المشاهد وعلموا الامر الذي نزل فيه القرآن فتفسير الآية منهم لما عاينوا
وشهدوا انه حقيقة المراد منه وهو كالمشاهدة لا تسع الا لمن علم ومنه قيل ومن فسر القرآن برأيه فليتبوأ الا انه فيما فسر
يشهد على الله واما التاويل فهو بيان منتهى الامر ماخوذ من الاول اي يرجع ومعناه كما قال ابو يزيد لو كان
هذا كلام غيره توجه الى كذا وكذا من الوجوه فهو توجيه الكلام الى ما يتوجه اليه ولا يقع التشديد في هذا مثل
ما يقع في التفسير اذ ليس فيه الشهادة على الله لانه لا يخبر عن المراد ولا يقول اراد الله به كذا وعنى ولكن يقول
يتوجه هذا الى كذا وكذا من الوجوه هذا مما تكلم به البشر والله اعلم ما صحته من الحكمة ومثاله ان اهل التفسير
اختلفوا في قوله الحمد لله قال بعضهم ان الله حمد نفسه وقال بعضهم امر ان يحمد فمن قال عنى هذا دون هذا
فهو المفسر له واما التاويل فهو ان يقول يتوجه الحمد الى الثناء والمدح له والى الامر بالشكر لله
والله اعلم بما اراد فالتفسير ذو وجه واحد والتاويل ذو وجوه

سورة فاتحة الكتاب مكية ومدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله احتمل ان يكون جل ثناؤه حمد نفسه ليعلم الخلق استحقاق الحمد بذاته فيحمدوه فان قيل
كيف يجوز ان يحمد نفسه ومثله في الخلق غير محمود قيل له لوجهين احدهما انه استحق الحمد بذاته لا باحد فيكون
في ذلك تعريف الخلق لما له لديه بما اثنى على نفسه ليثنوا عليه وغيره انما يكون ذلك له به جل وعز فعليه
توجيه الحمد اليه لا الى نفسه اذ نفسه لا يستوجبه بها بل بالله تعالى والثاني ان الله تعالى الحقيق لذلك
اذ لا عيب فيه ولا آفة تحل به فيدخل نقصانا في ذلك ولا هو مأمور بشئ والعبد لا يخلو عن عيوب في نفسه
وآفات تحل به ويمدح بالايتمار ويذم بتركه وفي ذلك تمكن النقصان وحق مثله الفزع الى الله تعالى والتضرع اليه
ليتعهده برحمته ويتجاوز عن صنيعه وعلى ذلك معنى التكبر يحمد به ربنا ولا يحمد غيره اذ ليس للعبد معنى يستفيد
بكبره اذ هم جميعا اكفاء من طريق المحنة والخلقة وما ادرك احدهم منهم من فضيلة او رفعة فبالله ادركه لا بنفسه
تنزيه الرب والفزع اليه بالشكر لا بالتكبر على امثاله والله تعالى عن هذا الوصف متعال ويحتمل ان يكون قوله
الحمد لله على اضمار الامر اي قولوا الحمد لله لان الحمد يضاف الى الله فلا بد من ان يكون له علينا فامر بالحمد لذلك
ثم يخرج ذلك على وجهين احدهما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الحمد لله اي الشكر لله بما صنع
الى خلقه فيخرج تاويل الآية على هذا الترتيب على الامر بتوجيه الشكر اليه وذلك يتضمن الامر ايضا بكل الممكن من الطاعة
على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت قدماه فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا فصير انواع الطاعات شكرا له فمن اطاع الله تعالى فقد شكر له فيخرج تاويل
الآية على هذا والوجه الثاني ان يخرج مخرج الثناء على الله عز وجل والمدح له والوصف بما يستحقه والتنزيه عما لا يليق

من التوجيه النعم اليه وقطع الشركة عنه في الانعام والافضال على عباده وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل يقول قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله
سبحانه وتعالى حمدني عبدي فجعل الحمد هذا العبد وصيره منه ثناء لوجهين احدهما انه نسب الربوبية اليه في جميع العالم
وقطعها عن غيره والثاني انه جعل ذلك صلوة والصلوة اسم للثناء والدعاء وفي ذلك خلاف الذم ونقيضه وفي الوصف
بالبراءة من الذم مدح وثناء بغاية المدح والثناء ولذلك يفرق القول بين الشكر والحمد اذا امرنا بالشكر للناس على ما جاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من لم يشكر الناس لم يشكر الله فصيره بمعنى المجازات والحمد بمعنى الوصف بما هو اهله
فلم يستحق الحمد الا الله وبالله التوفيق وقوله رب العالمين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سيد العالمين والعالم
كل من دب على وجه الارض وقد يتوجه الرب الى الربوبية لا الى السودد يستقيم القول برب كل شئ من بني آدم وغيره نحو
رب السموات والارض من البرية ورب العرش ونحوه وغير مستقيم القول لسيد السموات ونحوه وقد يتوجه اسم الرب
الى المالك اذ كل من ينسب اليه الملك يسمى به مالكه ولا يسمى انه سيد الا في بني آدم خاصة وانه الرب لجميع ذلك كله لذلك كان
التوجيه الى المالك اقرب وان احتمل المروي عن ابن عباس رضي الله عنه اذ هو في الحقيقة سيد من ذكر وربهم والله الموفق
ثم اختلف اهل التفسير في العالمين فمنهم من رده الى كل ذي روح دب على وجه الارض ومنهم من رده الى كل ذي روح في الارض
وغيرها ومنهم من قال لله كذا وكذا عالم والتاويل عندنا ما اجمع اهل الكلام ان العالمين اسم لجميع الانام والخلق جميعا و
اهل التفسير يرجع الى مثله الا انهم ذكروا اسماء الاعلام واهل الكلام ما جمع ذلك وغيرهم ثم العالم اسم الجميع وكذلك
الخلق ثم تعريف ذلك بالعالمين والخلائق يتوجه الى الجمع للجميع من غير ان يكون في التحقيق تفاوت وقد يتوجه الى عالم
كل زمان وكذا خلق كل زمان على حكم تجدد العالم وبالله التوفيق وفي ذلك ان الله عز وجل ادعى لنفسه العالمين كلهم من تقدم
وتأخر ومن كان ويكون لم يقدر احد ان ينطق بالتكذيب يدعي شيئا من ذلك لنفسه دل ذلك ان لا رب غيره ولا خالق لشئ
من ذلك سواه اذ لا يجوز ان يكون حكيما او الها ينشئ ويبدع ولا يدعيه ولا يفصل ما كان منه فما كان لغيره وينفسد قام
ذلك لا بغيره وعلى ذلك معنى قوله تعالى وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق فهذا معنى في انسا في التدبير واجتماع
التضاد ويعلق حوائج بعض ببعض وقيام منافع قوله ببعض على تباعد بعض من بعض وتضادها دليل واضح
على ان مدبر ذلك كله واحد وانه لا يجوز ان يكون مثل ذلك من غير مدبر عليم والله المستعان وقوله الرحمن الرحيم
اسمان ماخوذان من الرحمة لكنه روي فيهما رقيقان احدهما ارق من الآخر وكان الذي روي عنه هذا اراد به لطيفان احدهما
الطف من الآخر دليل في ذلك وجهان احدهما يجئ الاثر في ذلك اللطيف في اسماء الله تعالى مما نطق به الكتاب ولم يذكر
في شئ من ذلك رقيق ومعنى اللطيف في استخراج الامور الخفية وظهور ما له كقوله ان تك مثقال حبة من خردل فتكون في صخرة
الى قوله لطيف خبير وبالله التوفيق والثاني ان اللطيف حرف يدل على البر والعطف والرقة على رقة الشئ التي هي نقيض الغلظ
والكثافة كما يقال فلان رقيق القلب واذا قيل فلان لطيف فانما يراد به انه عاطف فلذلك يجوز لطيف ولا يجوز رقيق وكذلك
فسر من فسر الرحمن العاطف على خلقه بالرزق وذهب وهم الاول الى اللطافة وذلك بعيد وانما هو من اللطف وقوله
احدهما ارق من الآخر معنى اللطف يحمل على وجهين احدهما التحقيق بان اللطف احد الحرفين احضر والبقوا وفرو كمل فذلك
رحمته بالمؤمنين انه يقال رحيم بالمؤمنين على تخصيصهم بالهداية لدينه ولذا ذكر امته وان اشركهم في الرزق فيما يرحم غيرهم
الا ترى انه لا يقال رحمان بالمؤمنين وجائز القول رحيم بهم وكذلك لا يقال رحيم بالكافر مطلقا وبالله التوفيق ووجه آخر
ان احدهما الطف من الآخر كانه وصف الغاية في اللطف حتى يعجز وجه ادراك ما في كل واحد منهما من اللطف او يوصف بقطع
الغاية عما يتضمنه كل حرف وبالله التوفيق ثم في هذا ان اسم الرحمن هو المخصوص به الله لا يسمى به غيره والرحيم يجوز تسمية غيره
فلذلك يوصفان الرحمن اسم ذاتي والرحيم فعلي وان احتمل ان يكونا مشتقين من الرحمة ودليل ذلك انكار العرب الرحمن
ولا احد منهم انكر الرحيم حيث قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وذلك قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا
يدل على انه ذاتي لا فعلي وان كان الفعل صفة الذات انما الصفة بعينه لما يوجب ذلك الحاجة الى غيره ليحدث له الشاء

والمدح وفي ذلك خلو الخلق لنفع وقوله وهو عن ذلك متعال بل بنفسه مستحق لكل حمد ومدح ولا قوة الا بالله
وروي في خبر القسمة ان العبد اذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني
عبدي وذكر انه قال في الاول بالتمجيد وفي الثاني بالثنا وذلك واحد لان معنى الثنا الوصف بالمجد والكرم والجود
والتمجيد هو الوصف بذلك وبالله التوفيق ثم اجمع ان قوله مالك يوم الدين انه يوم الحساب والجزاء وعلى ذلك القول
انا لمدينون وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق وهو الجزاء ومن ذلك قول الناس كما تدين تدان وجايز ان يكون
مالك يوم الدين على جعل ذلك اليوم لما يذان اليوم اذ به يظهر حقيقته وعظم مرتبته وجليل موقعه عنده به وفي ذلك
دلالة وصف الرب بملك ما ليس بموجود لوقت الوصف بملكه وهو يوم القيمة ثبت ان الله بجميع ما يستحق الوصف به
يستحقه بنفسه لا بغيره ولذلك قلنا نحن هو خالق لم يزل ورحيم لم يزل وسميع لم يزل وان كان ما عليه وقع ذلك
لم يكن وكذلك نقول هو رب كل شيء واله كل شيء في الازل وان كانت الاشيا حادثة كما قال مالك يوم الدين اليوم وان كان
اليوم بعد غير حادث وبالله التوفيق وقوله اياك نعبد فهو الله اعلم على اضمار الامر اي قل ثم لم يجعل له ان يستثني
في القول به بل الزمه القول بالقول فيه ثم هو يتوجه وجهين احدهما ابطال القول به على الخبر عن حاله فيجب ان لا يشتى
في التوحيد وان من يستثني فيه عن شك يستثني والله تعالى وصف المومنين بقوله انما المومنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا الاية وكذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افضل الاعمال فقال ايمان لا شك فيه وتعالى
عن احوال التي تردد في ذلك لكنه اذا كان ذلك على اعتقاد المذهب لم يجز الشك فيه اذ المذهب لا يعتقد لاوقات
انما يعتقد للابد لذلك لم يجز الثنيا في الابد وبالله التوفيق ثم قوله اياك نعبد يتوجه وجهين احدهما الى التوحيد وكذا
روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كل عبادة في القرآن فهو توحيد والوجه الآخر ان يكون على كل طاعة ان نعبد له
بها واصلها يرجع الى واحد اعلى العبد ان يوحد الله تعالى في كل عبادة لا يشرك فيها احدا بل يخلصها فيكون موحدا لله تعالى
بالعبادة والدين جميعا وعلى ذلك قطع الطمع والخوف والحوايج كلها عن الخلق وتوجيه ذلك الى الله تعالى بقوله انتم الفقرا
الى الله والله هو الغني الحميد وعلى ذلك المومن لا يطمع في الحقيقة باحد غير الله ولا يرفع اليه الحوايج ولا يخاف الا
من الوجه الذي يخشى ان الله جعله سببا الوصول بلاء من بلاياه اليه على يديه فعلى ذلك يخاف او يرجوا ان يكون الله تعالى
جعل سببا دفعه اليه على يديه فبذلك يرجوا ويطمع فيكون ذلك من الضالين فيكون في ذلك التعوذ من جميع
انواع الذنوب والاستهداء الى كل انواع البر ثم التسمية هي اية من القرآن وليست من فاتحة القرآن دليل جعلها آية
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب لاعلمنك اية لم تنزل على احد قبلي الا على سليمان بن داود فاخرج
احد قدميه ثم قال له باي اية يفتتح بها القرآن قال ببسم الله الرحمن الرحيم فقال هي هي ففي هذا انها اية من القرآن
وانها لو كانت من السور لكان نعلمه نيفا ومائة اية واحدة ولو كانت منها ايضا لكان لا يجعلها مفتاح القرآن بل يجعلها
من السور ثم الظاهر ان من لم يتكلف تفسيرها عند ابتداء السور ثبت انها ليست منها ولذلك ترك الامة الجهر بها
على العلم بانه لا يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بها ثم يخفى ذلك على من معه وان يكونوا فعلوا ثم يضيعون
سنة بلا نفع يحصل لهم حتى توارث الامة تركها فيما يحتمل ان يكون الجهر سنة ثم يخفى فيكون في فضل الناس دليل واضح
انها ليست من السور ودليل اخر على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله انه قال قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله الى قوله مالك يوم الدين فقال هذا لي وهي ثلث ايات وقال بعد قوله اهدنا الى اخرها
هذا لعبدي ثبت انها ثلاث ايات لتستوي القسمة ثم قال في قوله اياك نعبد واياك نستعين هذا بيني وبين عبدي نصفين
فثبت انها اية واحدة فصارت بغير التسمية سبعا وذلك قول الجميع انها سبع ايات معا لم يذكر في خبر القسمة فثبت انها دونها
سبع ايات وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر
وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلم يكونوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وعبد الله
بن عمر وجماعة وهو الامر المعروف في الامة مع ما جا في قصة سحران العقد كانت احدى عشرة وقرا عليها المعوذتين

دون التسمية

دون التسمية فكذا غيرها من السور ربما اذ جعلت مفتاحا كانت كالتعوذ والله الموفق والاصل عندنا ان المعنى
الذي تضمنه فاتحة القرآن فرض على جميع البشر اذ فيه الحمد والوصف له بالمجد والتوحيد له والاستعانة به
وطلب الهداية وذلك كله يلزم كافة العقلاء من البشر اذ فيه معرفة الصانع على ما هو معروف والحمد له على ما يستحق
اذ هو المبتدي بنعمه على جميع خلقه واليه فقر كل عبد وحاجة كل محتاج فصارت لنفسها بما جمعت الخصال التي بينا فريضة
على عباد الله ثم ليست هي في حق الصلوة فريضة وذلك نحو التسبيحات بما فيها من تنزيه الله والتكبير اذ بما فيها
من تعظيم فريضة لنفسها اذ ليس لاحد ان لا ينزه ربه ولا يعظمه من غير ان يوجب ذلك فرضيتها في حق الصلوة
وفي حق كل مجعول هي فيه لا من طريق توضيح الفريضة من غير طريق الذي ذكرت ثم ليست هي بفريضة في حق
القراة وفي حق القراة في الصلوة لوجوه احدها ان فريضة القراة عرفنا بقوله فاقروا ما تيسر من القرآن وفيه
الدلالة من وجهين احدهما انه قد يكون غيرها ايسر والثاني ان فريضة القراة في هذه الاية من حيث الامتنان
بالتخفيف علينا والتيسير ولو لم يكن فريضة لم يكن علينا في التخفيف منه اذ لنا الترك ثم لا يجوز في فاتحة القرآن
والاية التي بها عرفنا الفريضة فيما تخير ما اختار من الايسر ثبت انها رجعت الى غيرها وبالله التوفيق وبالله ان نبي الله
اخبر عن الله انه جعل بها في حق الثنا وهو ما ذكر في خبر القسمة فصارت تقرا بذلك الحق فلم يخلص لها حق القراة
بل الحق بها حق الدعا والثنا وليس ذلك من فرايض الصلوة وبالله التوفيق والثالث ما روي عن عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم احيى ليلة بقوله ان تعذبهم فانهم عبادك الاية بها كان
يقوم وبه كان يركع وبه يسجد وبه يقعد فثبت انه لا يتعين قراتها في الصلوة مع ما ايد الخبر الذي فيه ان رجع
فصل فانك لم تصل ان قال له وقت التعليم اقرا ما تيسر عليك فثبت ان المفروض ذلك وايضا روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلوة الا بفاتحة الكتاب ثم روي عنه بيان محلها ان كل صلوة لم تقرا فيه بفاتحة
الكتاب فهي خداج نقصان غير تمام والفاسد لا يوصف بالنقصان وانما الموصوف بمثله ما جاز مع النقصان وبالله
التوفيق ثم خص فاتحة القرآن بالكتابين بما سمي بالذي ذكر من خبر القسمة وغير الفاتحة وان كان فيه الدعا
فانه لم يخص بهذا الاسم لذلك لم يجهر به فالسبيل فيه ما ذكرنا في التسمية مع ما كان هو خاص بمعنى الدعا انها
ثم السنة في جميع الدعوات المخافتة والاصل ان كل ذكر يشترك فيه الامام والقوم فسنته المخافتة الا لحاجة
الاعلام وهذا يعلم قوله ولا الضالين فيقول معا ويستل مثله المخافتة معما جاء به مرفوعا ومتوارثا وخبر
الجهر يحتمل السبق كما كان يسمعهم في صلوة في الفتها احيانا ويحتمل الاعلام انه كان يقرا به وبالله التوفيق ثم جمعت
هذه خصالا من الخير ثم كل خصلة منها يجمع جميع خصال الخير منها ان في الحرف الاول من قوله الحمد لله رب العالمين
شكر لجميع النعم وتوجيهها الى الله لا شريك له ومدحا له باعلى ما يحتمل المدح وهو ما ذكرنا من عموم نعمه
والايه جميع بريته ثم فيه الاقرار بوحدانيته في انشاء البرية كلها وتحقيق الربوبية له عليها بقوله رب
العالمين وكل واحد منها مما يجمع خصال خير الدارين ويوجب للقايل به عن صدق القلب درك الدارين
ثم الوصف لله عز وجل بالاسمين يتعالى عن ان يكون لاحد من معناهما حقيقة او يجوز ان يكون تسميته لاستحقاق
نحو الله والرحمن ثم الوصف له بالرحمة التي بها نجاة كل ناج وسعادة كل سعيد وبها يتقي المهالك كلها معما
من رحمته خلق الرحمة التي بها تعاطف بينهم وتراحمهم ثم الايمان بالقيمة بقوله مالك يوم الدين مع الوصف بالحق
وحسن الثنا عليه ثم التوحيد وما يلزم العباد من اخلاص العبادة له والصدق فيها مع جعل كل رغبة وشرف
منالا به جل وعز ثم رفع جميع الحوايج اليه والاستعانة به على قضائها والظفر بها على طمانينة القلب وسكونه
ان لا خيبة عنه معونته ولا زيغ عند عصمته ثم الاستهداء الى ما يرضيه والعصمة عما يغويه في حادث الوقت
على العلم بانه لا ضلال لاحد مع هدايته في التحقيق الرجاء والخوف من الله لا من غيره وعلى ذلك جميع معاملات
العباد ومكاسبهم على الرجاء من الله تعالى ان يكون جعل ذلك سببا به يصل الى مقصوده ويظفر بمراده ولا قوة

الا بالله وقوله واياك نستعين فذلك طلب المعونة من الله تعالى على جميع قضاء حوايجه دينا ودنيا ويحتمل ان يكون هو
على اثر الفزع الى الله بقوله اياك نعبد على طلب التوفيق لما امر به والعصمة عما حذر عنه وكذلك الامر البين في الخلق من طلب
التوفيق والمعونة عن الله والعصمة عن المنهي عنه جرت به سنة الاخيار والله الموفق ثم لا يصلح هذا على قول المعتزلة لان
تلك المعونة على اداء ما كلف قد اعطى اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا قد بقي شيء مما به اداء ما كلف عند الله وطلب ما اعطى
كتمان العطية كفران فيصير كان الله امر ان يكفر نعمه ويكتمها ويطلبها ممن تعنتا وظن مثله بالله كفر ثم لا يخلو من ان يكون عند الله
ما يطلب فلم يعطه التمام اذا او ليس عنده فيكون طلبه استهزاء به اذ من طلب الى اخر ما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ به
في الوجه مما كان الذي يطلبا ما ان يكون لله اذ لا يعطيه مع التكليف فيبطل قولهم اذ لا يجوز ان يكلف وعنده ما به الصلاح
في الدين فلا يعطي او ليس له ان لا يعطي فكانه قال اللهم لا تجر ومن هذا علمه بربه فالاسلام اولى به وهذا معما كان
لا يدعو الله احد بالمعونة الا ويطمئن قلبه انه لا يبذل عند المعونة ولا يرفع عند العصمة وليس مثله يملك الله عند
المعتزلة ولا قوة الا بالله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فجز القسمة الله يقول هذا بيني وبين عبدي
نصفين وذلك يحتمل ان يكون كل حرف من ذلك بما فيها جميعا الفزع الى الله بالعبادة والاستعانة ودفع الحاجة اليه واظهار
غناه جل وعلا عنه فيتضمن ذلك الثناء عليه وطلب الحاجة اليه ويحتمل ان يكون الحرف الاول لله بما فيه عبادة وتوحيد
والثاني للعبد بما فيه طلب معونته وقضاء حاجته ويؤيد ذلك بقية السورة انه اخرج على الدعاء وقال الله عز وجل هذا
لعبدي ولعبدي ما يسال وقوله اهدنا قال ابن عباس رضي الله عنه ارشدنا والارشاد والهداية واحد بل الهداية في حق
التوفيق اقرب الى فهم الخلق من الارشاد بما هو اعم في تعارفهم ثم القول بالهداية يخرج على وجوه ثلاثة احدها البيان ومعلوم
ان البيان قد تقدم من الله لا احد يريد به ذلك لمضي ما به البيان من كتاب وسنة والى هذا تذهب المعتزلة والثاني التوفيق
والعصمة عن زيغه وذلك معنى قولهم اللهم اهدنا فيمن هديت وقوله اهدنا الصراط صراط الذين وصفهم الى اخر السورة ولو كان
على البيان على ما قالت المعتزلة فهو والمغضوب عليهم في ذلك سواء ثبت انه على ما قلنا دون ما ذهبوا اليه والثالث ان يكون على طلب
خلق الهداية لنا اذ نسبا اليه من جهة الفعل وكلما يفعله خلق كانه قال اخلق هدايتنا وهو الاهتداء امنا وبالله التوفيق ثم تاويل
طلب الهداية ممن قد هدا الله يتوجه وجهين احدهما طلب الثبات على ما هداه الله وعلى هذا معنى زيادات الايمان انها بمعنى الثبات
عليه وذلك كرجلين نظرا الى شيء فيرفع احدهما بصره عنه جاز القول بازديا د نظر الاخر وجه اخر على ان في كل حال يخاف على المرء
ضد الهدى فهديه مكانه ابدا فيكون له حكم الابتداء اذ في كل وقت ايمان منه دفع به ضده وعلى ذلك قوله يا ايها الذين امنوا امنوا
بالله الاية ونحو ذلك من الايات وقد يحتمل ايضا معنى الزيادة هذا النوع وبالله التوفيق واما الصراط فهو الطريق والسبيل
في جميع التاويل وهو قوله وان هذا صراطي الاية وقوله قل هذه سبيلي ثم اختلفوا فيما اريد به فقال بعضهم هو القران وقال بعضهم
هو الايمان وانما كان هو القايم الذي لا اعوج له والقيم الذي لا اختلاف فيه من لزمه وصل الى ما ذكر وبالله التوفيق وقوله
المستقيم قيل هو القايم بمعنى الثابت بالبراهين والادلة لا يزيله شيء ولا ينقض حججه كيد الكايدين ولا حيل المرتابين وقيل
المستقيم الذي من تمسك به حتى يجيئه ويدخل الجنة وقيل المستقيم بمعنى يستقام به كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به وتعليم
قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية فالمستقيم هو المتبع له وبالله التوفيق ثم ذكر من ذكر من النعم عليهم ولله على كل
مؤمن نعم بالهداية وما ذكر دليل على ان الصراط هو الدين لانا نعم به على جميع المومنين لكن تاويل من يرد الى الخصوص يتوجه
وجهين احدهما انه انعم عليهم بمعرفة الكتب والبراهين فيكون على التاويل الثاني من القران والادلة والثاني ان يكون لهم خصوص
في الدين قدموا على جميع المومنين كقول داود وسليمان الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وعلى هذا الوجه
يكون اهدنا وجه اخر وهو المخصوص الذي خص به كثيرا من المومنين من بين غيرهم لكن الثنا يدل على صرف الارادة الى جملة
المومنين اذ انصرف الى غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله انعمت عليهم على قول المعتزلة ليس لله على احد من المومنين
نعمة ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين اذ لا نعمة من الله على احد الا الاصلح في الدين والبيان للسبيل المرضي وتلك قد كانت
على جميع الكفرة فيبطل على قولهم الثنا والله الموفق ثم اختلف في المغضوب عليهم ولا الضالين منهم من قال هو واحد ذكل صناف

قد استحق الغضب عليه وكل مغضوب عليه استحق الوصف بالضلال ومنهم من قال المغضوب عليهم هم اليهود وانما خص
بهذا بما كان نعتهم من فضل تمرد وعتو لم يكن ذلك من النصارى نحو انكارهم بعيسى وقصدهم قتله مما لم يكن ذلك من النصارى
ثم توهمهم في الله يد الله مغلولة الاية وقولهم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير الاية وقوله لتجدن اشد الناس الاية
وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استفتاحهم وشدة تعنتهم وظهور النفاق فاستحقوا بذلك اسم الغضب عليهم وان كانوا
شركاء غيرهم في اسم الضلال وبالله التوفيق وفي هذا وجه اخر ان نحمل الذنوب على وجهين عنها ما يوجب الغضب وهو الكفر
ومنها ما يوجب اسم الضلال وهو ما دونه كقول موسى فعلتها اذا وانا ورؤية الهداية لاصلها والتعوذ به من كل ضلال ومن جميع
ما يوجب مقته وغضبه وبالله النجاة والخلاص مما في حيز القسمة وعد جليل من رب العالمين في اجابة العبد مما يرفع اليه
من الحوايج اذ قال قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين ثم صير اخر السورة لعبده وليس في صلوته سوى اظهار الفقر
ودفع الحاجة وطلب المعونة والاستهداء الى ما ذكر من التعوذ عما وصف وليس ذلك مما يوصف العبد انه له فثبت انه في ذلك
اجابة ربه فيما امر به ووعد ذلك وهو لا يخلف وعده فان يحتمل بعد امر العبد بالذي تضمنه اول السورة فقام به العبد مع
لومه وجفائه والله بكرمه وجوده لا يخلف له ما وعد لا يكون هذا البتة وقد قال ادعوني استجب لكم وغير ذلك مما فيه الايجاب
وانه لا يخلف الميعاد ثم قد جعل بما جاء من الحديث في تلاوته ان قدمه على التورية والانجيل وعدله ثلثي القران وجعله
شفاء من انواع الادواء للدين والنفس والدنيا وجعله معاذا من كل ضلال وملجاء الى كل نعمة وبالله نستعين مما اوضح
في الاسماء التي اعتبر فيها فاتحة القران عظيم موقعه وجليل قدره وهو ان تسماه فاتحة القران بما به يفتتح القران وكذلك
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يفتتح القراءة به وسمي فاتحة الكتاب بما به يفتتح كتابة المصاحف والقراءة
وسمي ام القران لما يام غيره في القراءة وقيل الام بمعنى الاصل وهو ان لا يحتمل شيء مما فيه النسخ ولا الرفع فصار
اصلا وسمي المثاني لما يثنى في الركعات ولا قوة الا بالله وفي قوله اهدنا الى اخره وجهان سوى ما ذكرنا ان قوله
اهدنا الصراط المستقيم دعاء كاف عما تضمن الى اخر السورة اذ ليس فيها غير تفسير هذه الجملة احدهما تذكير نعم الله
على الذين يقبلون دينه في قلوبهم والتوفيق بهم بذلك وافضاله عليهم بما ليس لهم عليه والثاني تعوذهم عن كل زيغ
ومقت وضلال وذنب والتجاؤهم اليه في ذلك بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

سورة البقرة مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على القوم الكافرين

قوله الم قيل فيه وجوه روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال هو قوله الم انا الله اعلم وقيل انه قسم اقسم بها وقيل ان هذه الحروف
المقطعة مفتاح السورة وقيل ان كل حرف من هذه الحروف كناية اسم من اسماء الله الالف الله واللام لطفه والميم ملكه
وقيل ان اللام لا وه والميم مجده وقيل ان الالف هو الله واللام جبريل والميم محمد وقيل هو على التشبيب ليفصل بين
المنظوم من الكلام والمنثور من نحو الشعر ونحوه وقيل ان تفسير هذه الحروف المقطعة ما الحق ذكرها بها على اثرها نحو قوله الم
ذلك الكتاب هو تفسير الم والمر الله لا اله الا هو والمص كتاب انزل اليك والر كتاب والمر تلك ايات كل يلحق بها
فهو تفسيرها وقيل انه ينتهي بها ان غاية ملك هذه الامة من حساب الجمل لكنهم عدوا بعضها وتركوا البعض وقيل انه من المتشابه
الذي لم يطلع الله خلقه علم ذلك ولله ان يمتحن عباده بما شاء من المحن وقيل انهم كانوا لا يستمعون بهذا القران كقولهم لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه وكقوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فانزل الله عز وجل هذه الحروف المقطعة
ليستمعوا اليها فيلزمهم الحجة والاصل في الحروف المقطعة انه يجوز ان يكون على القسم بها على ما ذكرنا واريد بالقدر ذكر كلية
الحروف بما كان من شان العرب القسم بالذي جل قدره وعظم خطره وهي مما بها قوام الدارين وبها يتصل الى المنافع لجميع
مما دلت على نعمتين عظيمتين اللسان والسمع وهما يجري كل انواع الحكمة فاقسم بها على اضمار دهرها وعلى ما اجل قدرها
في اعين الخلق فيقسم بها والله ذلك ولا قوة الا بالله ويحتمل ان يكون بمعنى الرمز والتضمين في كل حرف منها امر جليل

يعظم خطره على ما عند الناس في امر حساب الجمل ثم يخرج على الرمز بها عن اسماء الله وصفاته ونعمه على خلقه او على بيان منتهى هذه الامة او عدد اعمارها وملوكها والبقاع التي ينتهي امرها وذلك هو في نهاية الايجاز بل بالاكتفا بالرمز عن الكلام وبما هو بمعنى من الاشارة في الاكتفاء بهاء عن البسط ولا قوة الا بالله ليعلم الخلايق قدرة الله وان له او يضمن ما شاء فيما شاء على ما عليه اثر الخلايق من الاشياء التي كادت العقول واسباب الادراك تقصر عنها وكونها التي يدركها كل احد وبين الامرين فعلى ذلك امر تركيب الكلام ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون بمعنى اسم السور ولله تسميتها بما شاء كما سمى كتبه وعلى ذلك منتهى اسماء الاجناس خمسة احرف وكذلك امر السور دليل ذلك وصل كل سورة فتحت بها اليها كانه نبى بها ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون على التشبيب على ما ذكرنا التفصيل بين المنظوم عن الكلام والمنثور في المتعارف فان المنظوم في الشاهد يشبب فيخرج عن المقصود بذلك الكلام فعلى ذلك امر الكلام المنزل الا ترى انه خرج على ما عليه فنون الكلام في الشاهد الا انه على وجه ينقطع له المثال عن كلامهم فمثله امر التشبيب ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون الله انزلها على ما اراد ليمتحن عباده بالوقف فيها وتسليم المراد في حقيقة معناه والذي له يزول ذلك ويعترفا بنزع المتشابه وفيها جاء تعلق الملحدة ولا قوة الا بالله ويحتمل ان يكون اذ علم الله من تعنت قوم واعراضهم عنه وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه انزل على وجه يبعثهم على التامل في ذلك بما جاء في العجيب الذي لم يكونوا يعرفون ذلك اما العندهم انه كاحدهم اولسبيل الطعن اذ خرج عن المعهود عندهم فتلا عليهم ما يضطرهم الى العلم بالنزول لمن عنده ممن يملك تدبير الاشياء ولذلك اعترضوا لهذا الاحرف بالتامل فيها انه بيان الجميع ولا قوة الا بالله وقيل انه دعا خلقه الى ذلك والله اعلم اراد **وقوله** ذلك الكتاب اي ذلك الكتاب اشارة الى ما عنده وذلك شايع في اللغة جايز بمعنى هذا وقيل ذلك بمعنى ذلك اشارة الى ما في ايدي السفرة والبررة **وقوله** لا ريب فيه قيل فيه وجوه لكن الحاصل يرجع الى وجهين اي لا يرتابوا فيه انه من عند الله وقيل لا ريب فيه انه منزل على ايدي الامنا والثقات **وقوله** هدى فيه بوجهين هدى اي بيانا ووضوحا فلو كان المراد هذا فالتقي وغير التقي سواء والثاني هدى اي رشدا وحجة ودليلا ثم اختلفوا في الدليل فقال الدويدي الدليل انما يكون دليلا بالاستدلال لانه فعل المستدل مشتق من الاستدلال كالضرب من الضارب وغيره وقال غير هؤلاء الدليل بنفسه دليل وان لم يستدل به لانه حجة والحجة حجة وان لم يحتج بها غير ان الدليل يكون دليلا بالاستدلال ومن لم يستدل به فلا يكون له دليلا وان كان بنفسه دليلا بل يكون عليه عمى وحيرة كقوله واذا ما انزلت سورة فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا **وقوله** للمتقين قيل فيه بوجهين يؤمنون بالله غيبا ولم يطلبوا منه ما طلب الامم السالفة من انبيائهم كقول بني اسرائيل لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة والثاني يؤمنون بغيب القرآن وبما يخبرهم القرآن من الوعد والوعيد والامر والنهي والبعث والجنة والنار والايمان انما يكون بالغيب لانه تصديق والتصديق والتكذيب انما يكونان عن الخبر والخبر يكون عن غيب لا عن مشاهد والآية تنقض قول من يقول بان جميع الطاعات ايمان لانه اشتمل اسم الايمان دون اقامة الصلوة والزكوة بقوله الذين يؤمنون بالغيب **وقوله** ويقيمون الصلوة يحتمل وجهين يحتمل الصلوة المعروفة يقيمونها بتمام ركوعها وسجودها والخشوع والخضوع فيها واخلاص القلب في النية على ما جاء في الخبر انظر من تناجي ويحتمل الحمد له والثناء عليه فان كان المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع في الدنيا والآخرة **وقوله** ومما رزقناهم ينفقون من الاموال يحتمل فرضا ونفلا ويحتمل ومما رزقناهم من القوى في الانفس وسلامة الجوارح ينفقون يعينون والله اعلم **وقوله** والذين يؤمنون بما انزل اليك يحتمل وجهين اما انزل اليك من القرآن ويحتمل ما انزل اليك من الاحكام والشرايع التي ليس ذكرها في القرآن **وقوله** وما انزل من قبلك يحتمل وجهين ايضا يعني الكتب التي انزلت على ساير الانبياء عليهم السلام ويحتمل الشرايع والاخبار سوى الكتب والله اعلم **وقوله** وبالآخرة هم يوقنون بمعنى يؤمنون والايقان بالشيء هو العلم به والايمان هو التصديق لكنه اذا ايقن آمن به وصدق لعلمه به لان طايفة من الكفار كانوا على ظن من البعث كقوله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين فاخبر عز وجل عن حال هؤلاء انهم على يقين ليسوا على الظن والشك كاولئك **وقوله** اولئك على هدى من ربهم قيل على صواب ورشد من ربهم وقيل انهم على بيان من ربهم لكن البيان ليس المؤمن احق به من الكافر لانه بين للكافر جميع ما يحتاج اليه امام جهد العقل

واما من جهة السمع فظهر بهذا ان الاول اقرب الى الاحتمال من الثاني **وقوله** واولئك هم المفلحون قيل فيه بوجوه قيل الباقون في نعم الله والخير وقيل الفائزون بحاجتهم يقال افلح اي ظفر بحاجته وقيل المفلحون هم السعداء يقال افلح اي سعد وقيل المفلحون الناجون فقال افلح اي نجا وكله يرجع الى كل واحد كقوله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ومن دخل الجنة فقد فاز فكذلك الاول **وقوله** ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هذا والله اعلم في قوم خاص علم الله انهم لا يؤمنون فاخبر عز وجل رسوله بذلك فكان كما قال وفيه آية النبوة ويحتمل ايضا انهم لا يؤمنون ما داموا في كفرهم كقوله والله لا يهدي القوم الظالمين والكافرين ما داموا كافرين ظالمين **وقوله** ختم الله على قلوبهم روي عن الحسن ان للكافر حدا اذا بلغ ذلك الحد وعلم الله منه انه لا يؤمن طبع على قلبه حتى لا يؤمن وهذا فاسد على مذهب المعتزلة لوجهين احدهما ان مذهبهم ان الكافر مكلف وان كان قلبه مطبوعا عليه والثاني ان الله عز وجل عالم بكل من يؤمن في آخر عمره وبكل من لا يؤمن ابدا بلغ ذلك الحد او لم يبلغ فعلى ما يقوله الحسن ايهام انه لا يعلم ما لم يبلغ ذلك والمعتزلة يقولون ان قوله وطبع وختم يعلم علامة في قلبه انه لا يؤمن كاعلام الكتب والرسايل ولكن عندنا خلق ظلمة الكفر في قلبه والثاني خلق الختم والطبع على قلبه اذا فعل فعل الكفر لان فعل الكفر من الكافر مخلوق عندنا فخلق ذلك الختم عليه وهو كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي خلق الاكنة وغيره من الآيات والاصل في ذلك انه ختم على قلوبهم لما تركوا التامل والتفكر في قلوبهم فلم يقع وعلى سمعهم لم يسمعوا قول الحق والعدل لخلق الثقل عليه وخلق على ابصارهم لفظا لما لم ينظروا في انفسهم ولا في خلق الله ليعرفوا زوالها وفناها وتغير الاحوال ليعلموا ان الذي خلق هذا دايم لا يزول ابدا **وقوله** ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لخبار منهم انهم قالوا ذلك بالسنتهم قولا واظهروا خلاف ما في قلوبهم فاخبر عز وجل نبيه عليه الصلوة والسلام انهم ليسوا بمؤمنين اي بمصدقين بقلوبهم وكذلك قوله من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وكذلك قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية هذه الآيات كلها تنقض على الكرامية لانهم يقولون الايمان قول باللسان دون التصديق فاخبر الله عز وجل عن جملة المنافقين انهم ليسوا بمؤمنين لما لم ياتوا بالتصديق وهذا يدل على ان الايمان تصديق القلب والكرامية يقولون بل هم يؤمنون **وقوله** يخادعون الله اي لا يقصد احد قصد مخادعة الله لكنهم كانوا يقصدون مخادعة المؤمنين واولياء الله فاضاف الله عز وجل ذلك الى نفسه لعظيم قدرهم وارتفاع منزلتهم عند الله وهو كقوله ان تنصروا الله ينصركم والله لا يحتاج ان ينصر ولكن كانه قال ان تنصروا اولياء الله ينصركم وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله والله لا يبايع ولكن اضاف ذلك الى نفسه لعظيم قدر رتبته وعلو منزلته عند الله تعالى فكذلك الاول اضاف مخادعتهم اولياءه الى نفسه لعلو منزلتهم عند الله وقدرهم لديه والمخادعة هو فعل اشين لخداع هؤلاء ويجتنبوا للمؤمنين لذلك معنى ذكر المفاعلة والله اعلم **وقوله** وما يخدعون الا انفسهم اي حاصل خداعهم ووباله يرجع اليهم والثاني انهم يحصنون لهم الموافقة ليامنوا فالحقتهم خوف دايم بذلك الخداع في الدنيا وما يشعرون اي ما يشعرون ان حاصل الخداع يرجع اليهم في الآخرة والثاني ما يشعرون ان الله يظهر ويطلع نبيه ما اضمروا في قلوبهم والله اعلم **وقوله** في قلوبهم مرض قال شك ونفاق سمى عز وجل المنافقين مرضى لاضطرابهم في الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول ويضمرون الخلاف لهم بالقلب فكان حالهم كحال المريض هو مضطرب بين الموت والحيوة اذ المريض يشرف ربما على الموت ويرجو الاقبال منه ثانيا فهو مضطرب بين ذلك فكذلك هم لما كانوا مضطربين في دينهم سماهم مرضى واما ساير الكفرة فانهم لم يضطربوا في الدين بل اظهروا بالقول على ما اضمروا بالقلب فسماهم موتى لما لم ينتفعوا بحيوتهم ولم يكتسبوا الحيوة الدايمة وسمى المؤمنين احياء لما انتفعوا بحيوتهم واكتسبوا الحيوة الدايمة لموافقتهم باللسان والقلب جميعا لدين الله عز وجل والله اعلم **وقوله** فزادهم الله مرضا اختلف في تاويله قالت المعتزلة هو التخلية بينهم وبينها اختاروا واما عندنا على خلق فعال زيادة الكفر والنفاق في قلوبهم لما زادوهم في كل وقت

من اظهار الموافقة للمؤمنين بالقول واضمار الخلاف لهم بالقلب خلق عز وجل تلك الزيادة من المرض في قلوبهم
باختيارهم وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم في قوله اهدنا **وقوله** ولهم عذاب اليم لان عذاب الدنيا قد يكون لا الم فيه
فاخبر الله عز وجل ان عذاب الاخرة عذاب شديد عظيم ليس كعذاب الدنيا **وقوله** واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض
بالمخادعة للمؤمنين واظهار الموافقة لهم بالقول واضمار الخلاف لهم بالقلب والاستهزاء بهم عند الخلوة والقول فيهم
بما يليق بهم وعبادة غير الله واى فساد اكبر انهم هم المفسدون لما اضمروا من الخلاف لهم والمخادعة والاستهزاء بهم
وقوله ولكن لا يشعرون اى لا يشعرون ان حاصل ذلك لا يرجع اليهم والثاني لا يشعرون ان ما كانوا يفعلون
الفساد فان كان هذا فهو ينقض قول من يقول بان الحجة لا يلزم الا بالمعرفة وهو قول الناشي لانه عز وجل اخبر
لفساد صنيعهم وان لم يشعروا به وهو كقوله ايضا ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون لحبه تحبط الاعمال وان كانوا
لا يعلمونه **وقوله** واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس يحتمل الاية ان يكون في المنافقين ويحتمل في اهل الكتاب فان كانت
في المنافقين فكان قوله امنوا يا اهل النفاق في السر والعلانية كما امن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في السر والعلانية
جميعا وهو كقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان كان في اهل الكتاب ففيه الامر بالايمان الذي هو ايمان
وهو التصديق والايمان عندنا هو التصديق بالقلب دليله قول جميع اهل التاويل والادب انهم فسروا امنوا ان
صدقوا في جميع القران **وقوله** انؤمن كما امن السفهاء الاية السفه هو ضد الحكمة وهو العمل بالجهل على العلم انه
يبطل والجهل هو ضد العلم والسفه هو الشتم يقول الرجل لاخر يا سفيه **وقوله** الا انهم هم السفهاء يقول
بعض المتكلمين ان هذا شتم من الله لهم جوابا عن المؤمنين ويستجيزون ذلك على الجواب وان لم يجز على الابتداء
كالمكر والكيد والاستهزاء والخداع ونحوه فعلى ذلك هذا واما عندنا فهو غير جائز لان من شتم اخر يذم عليه وهو
عمل السفهاء فاخبر عز وجل انهم هم الذين يعملون بالجهل على علمهم ان دينهم الذي يدينون به باطل وان الدين
الذي يدين به المؤمنون حق **وقوله** ولكن لا يعلمون قيل فيه بوجهين احدهما لا يعلمون انهم هم السفهاء والثاني لا يعلمون
ما يحل بهم من العذاب لذلك والله اعلم **وقوله** واذا لقوا الذين امنوا يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
امنا اظهروا انهم الموافقة في العلانية ويضمرون لهم الخلاف في السر واذا خلوا الى شياطينهم قيل فيه باوجه
قيل ان شياطينهم يعني الكهنة سموا بذلك لبعدهم عن الحق يقال شطن اى بعد وقيل ان كل عات ومتمرد يسمى
شيطانا لعتوه وتمرده كقوله شياطين الانس والجن سموا بذلك لعتوهم وتمردهم اذ من قولهم ان الشياطين
اضلهم من الجن وقيل سموا شياطين لانه كان مع كل كاهن شيطان يعمل بامره فسموا باسمائهم وذلك جائز في اللغة
والله اعلم **وقوله** انا معكم قيل فيه وجهان اى معكم في النصر والمعونة والثاني انا معكم اى على دينكم لا على دين
اولئك والله اعلم **وقوله** انما نحن مستهزءون باظهار الموافقة لهم في العلانية واظهار الخلاف لهم في السر **وقوله**
الله يستهزئ بهم قيل فيه بوجوه قيل اى يجزيهم جزاء الاستهزاء وكذلك قوله يخادعون الله وهو خادعهم اى يجزيهم
جزاء المخادعة وكذلك قوله ومكروا ومكر الله اى يجزيهم جزاء المكر يحمل على الجزاء لما لا يجوز اضافة المكر والخداع
والاستهزاء مبتدا الى الله لانه مذموم من الخلق الا على المجازاة فكيف من الله جل وعز وقال بعضهم يجوز اضافة
الاستهزاء الى الله وان كان لا يجوز من الخلق ان يستهزئ بعضهم بعضا كالتكبر يجوز لله ولا يجوز للخلق لان الخلق
اشكال بعضهم لبعض وامثال والله عز وجل لا شكل له ولا مثل وكذلك الاستهزاء يجوز له ولا يجوز لغيره لان
الاستهزاء هو الاستخفاف فلا يجوز ان يستخف عمن هو مثله في الخلقة وما خلق له من الاحداث والعبر والله تعالى
يتعالى عن ذلك والاول اقرب والله اعلم او اضاف استهزاء المؤمنين بهم الى نفسه كما ذكرنا في المخادعة ثم اختلف
في كيفية الاستهزاء فقال الكلبي هو ان يفتح لهم باب من الجنة فيدنوا منه ثم يغلق دونهم فان ثبت ذا فهو كما قال
وقيل انه يرفع لاهل الجنة نور يمشون به فيقصد اولئك المضي معهم بذلك النور ثم يطفئوا ذلك النور فيتحيرون
وهو قولهم انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقيل ان يعطيهم في الدنيا ما ينتفعون به

من انواع النعم ظاهرا على ما اظهروا لهم الموافقة في العلانية ويحرم ذلك لهم في الاخرة باضمارهم الخلاف في السر **وقوله**
ويمدهم في طغيانهم يعمهون الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون كقوله ان الذين حقت عليهم ... ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون غير انه في المنافقين
والاولى في الكفرة وهي تنقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان الله لا يقدر ان يستنقذهم في حال الاختيار وانما يقدر
الاستنقاذ منهم في حال الاضطرار فاخبر عز وجل ان يستنقذهم على فعل الطغيان **وقوله** ويمدهم اى يخلق فعل الطغيان
فيهم ويحتمل ان يخذلهم ويتركهم لما اختاروا على الطغيان الى اخر عمرهم ويحتمل انه لم يهديهم ولم يوفقهم وفي هذا اضافة
المد الى الله واضافة المد على الطغيان لا يضاف اليه الا المدح والمدح يكون بالاوجه الثلاثة التي بينا وفي هذا انه
اذا كان هو الذي يمدهم في الطغيان قدر على ضده من فعل الايمان فدل ان الله خالق فعل العباد اذ من قولهم ان القدرة
التامة هي التي اذا قدر على شيء قدر على ضده والعمه الحيرة في اللغة **وقوله** اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
اى اختاروا الضلالة على المدعو اليه وهو الهدى من غير ان كان عندهم الهدى فتركوه بالضلالة وهو كقوله يخرجهم
من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات من غير ان كانوا فيه فكذلك الاول تركوا الهدى بالضلالة ابتداء
وقيل الضلالة الهلاك اى اختاروا ما به يهلكون على ما به نجاتهم وان كانوا لا يقصدون شراء الهلاك بما به النجاة
كقوله فما اصبرهم على النار ولا يقدر احد ان يصبر على النار ولكن فما اصبرهم على عمل يستوجبون به النار وكذلك قوله
بئسما اشتروا به انفسهم اى بئسما اختاروا ما به هلاك انفسهم على ما به نجاتهم وفي هذه الاية دلالة لتجواز البيع
بغير لفظة البيع لانهم كانوا لا يتلفظون باسم البيع ولكن كانوا يتركون الهدى بالضلالة وكل من ترك لاخر شيئا اليه بدلا
باخذه منه فهو بيع فان لم يتكلموا بكلام البيع وكذلك قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية وهو على بدل
الاموال والانفس بالموعود الذي وعدهم وهو الجنة **وقوله** فما ربحت تجارتهم اى ما ربحوا بتجارتهم لان التجارة
لا تربح وقد يسمى الشيء باسم سببه وهو كقوله وجعل النهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن بالنهار يبصر وذلك شائع
في اللغة جائز تسمية الشيء باسم سببه ثم في قوله فما ربحت تجارتهم نفي الربح دون الاصل في الظاهر غير ان النفي
على وجهين نفي شيء يوجب اثبات ضده وهو نفي الصفة كقولك فلان عالم نفيت الجهل عنه وفلان جاهل
نفيت العلم عنه ونفي شيء لا يوجب اثبات ضده وهو نفي الاعراض لانك اذا نفيت لونا لم يوجب ضد ذلك اللون
وقوله فما ربحت تجارتهم نفي الاصل كانه قال بل خسرت تجارتهم اوجب اثبات ضده دليله قوله بئسما اشتروا به
انفسهم وبئسما كانوا يعملون **وقوله** مثلهم كمثل الذي استوقد نارا اختلف فيه قيل انها نزلت في المنافقين لانها
على اثر ذكر المنافقين وهو قوله واذا لقوا الذين الاية وقيل انها نزلت في اليهود لانه سبق ذكر اليهود وهو قوله
ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون الاية ويحتمل نزولها في الفريقين جميعا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال ان هذا من المكتوم فلا يحتمل ما قال لانه مثل ضربه الله والامثال انما تضرب لتفهم وتقربا الى الفهم ما بعد منه
فلو حمل على ما قال لم يفهم مراده وما قرب الى الفهم شيئا الا ان يريد من المكتوم انه لم يعلم فيمن نزل فهو محتمل والله اعلم
وقوله عز وجل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الاية يحتمل ان يكون الاضافة الى من ذكر من المنافقين بقوله ومن الناس
من يقول امنا بالله الاية وقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا الاية وذلك يخرج على وجوه احدها انهم قصدوا
قصد المخادعة باولياء الله والاستهزاء بهم ففضحهم الله بذلك في الدنيا والاخرة فاما في الدنيا هتك سترهم واطلع
على ذلك اولياءه فعادت اليهم المخادعة وعوقبوا بما اطلع على ضميرهم وبما ارادوا بذلك الامن فاعقبهم الله خوفا
دائما كما وصفهم الله يخشون الناس الاية وقال يحسبون كل صيحة عليهم وقال رايت الذين في قلوبهم مرض
ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت وقال فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك الاية وقد يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم الاية وانهم كانوا طلبوا باظهار الموافقة في الدين الشرف فيهم والعز وكذلك عند الكفرة بما اظهروا
انهم يخادعون بذلك المؤمنين ويستهزءون بهم فعلموا انهم كذلك يظهرون للمؤمنين حالهم معهم فطردوا منهم
فقال الله ما هم منكم ولا منهم وقال مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء الاية فزال عنهم ما التمسوا من الشرف والعز

وابدل لهم به الهوان والذل فمثلهم في ذلك مثل مستوقد نارا ليستضيء بضوئها وينتفع بحرها فاذهب الله بضوئه
حتى ذهب ما كان يأمل من الاستنارة بها والانتفاع واعقبه الله تعالى خوف الاحتراق لو دنا منها وذهب عنه ما طلب
بذلك من شرف الوقود في الايام الشاتية وما يصلح بها من الاغذية بذهاب البصر فيكون ذلك معنى قوله وهو خادعهم والله
يستهزئ بهم اذا عوقبوا بالخوف بما قصدوا به الامن والذل بما طلبوا به العز وكذلك مستوقد النار الذاهب نوره
والله اعلم وعلى ذلك قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروا الضلالة لما رجعوا الى شياطينهم بالهدى
الذي قد اظهروه عند المؤمنين فيكون تحقيق استهزاء الله بهم ومخادعته اياهم خذل اوليائه بهم بما الخبر وامن شرارهم
ويحبطوا اقدارهم وذلوا في اعينهم • فاضيف ذلك الى الله اذ به فعلوا كما اضيفت مخادعتهم المؤمنين اليه اذ عن دينه
خادعوهم والله اعلم وعلى هذا التاويل يمكن ان يخرج قول من زعم ان الاية نزلت في الكافرين انهم كانوا يعرفون رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما وجدوا نعته في التورية والانجيل انه يامرهم بالمعروف الاية وقوله محمد رسول الله الى اخر السورة
وقال عز وجل يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقوله كانوا يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كانوا
كمستوقد النار راى طالب الوقود ليستضيء به فلما ظفر به اذهب الله نوره بعد معرفتهم بمنفعة نور النار فلم ينتفع به
فكذلك لما كفروا عند بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدا من انفسهم وبغيا اذ كان من غيرهم او خشية منهم على ملكهم
ومأكلتهم بعد العلم منهم بعظم المنفعة فيه ولا قوة الا بالله • واما في الاخرة فقصدوا بمخادعة المؤمنين وموالاتهم في الظاهر
ومشاركتهم اياهم في المنافع نحو المغانم والتوارث والتناكح وخالفوهم في الباطن فكذلك الله اشركهم في المنافع الظاهرة
الحاضرة في الدنيا وخالفهم بمنافع دينه في الباطن الغايب وفي الاخرة اراهم المشاركة مع المؤمنين في الدنيا وصرفها عنها
وكانوا روموا الموافقة في الظاهر مع المخالفة في الباطن فكذلك مستوقد النار اظهر من نفسه الرغبة في ضوئها بالايقاد
وقد اذهب الله بضوء بصره فذهب عنه منفعته عند ظنه انه يصل اليها كالمنافقين في الاخرة اذ ظنوا في الدنيا انهم
شركاؤهم في الاخرة لو كانت ولذلك قالوا انظرونا نقتبس من نوركم وقوله الم نكن معكم الاية فذلك وجه الاستهزاء بهم
والمخادعة انه اشركهم في احكام الدنيا وخالفهم في احكام الاخرة وذلك اشتراء الضلالة بالهدى على معنى اختيارهم
ما فيه الهلاك على ما فيه نجاتهم وعلى ذلك يخرج تاويل من صرفها الى اهل الكتاب لانهم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ امنوا
بكتبهم وقد كان فيها نعته الشريف فلما وصلوا الى منافع الايمان بالبعث اليهم وشاهدوا كفروا به فعوقبوا بحرمان منافع
كتبهم وايمانهم عند معاينة الجزاء كما ردوا ايمانهم به عند المشاهدة والله اعلم • وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه
ضم تاويل هذه الاية والتي تتلوها من قوله او كصيب من السماء الى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وذلك انه علم
انهم قوم لا يعرفون الله حق المعرفة فيعبدونه ويحقق الربوبية له بقلبهم ولا يؤمنون بالاخرة فيكون عملهم للعواقب
ولا يعرفون غير الدنيا ومنافعها فجعلوا دينهم وعبادتهم ثمنا لها فاذا راوا في دين الاسلام الغنايم والسلوة او تجارتهم
مربحة فاطمأنوا بها واجتهدوا بالسعي فيها واذا اصابتهم الشدة والبلايا او اتجارتهم محنة قصروا الى غيرها لذلك الذين
فمثلهم مثل المستوقد نارا انه يجتهد في الايقاد ما دام يطمع في نور النار ومنافع حرها المصالح الاطعمة فاذا ذهب نورها
ابغض النار وبما يخشى من الاحتراق بالدنو منها • وبما يذهب من منافع خفية ان لم يكن استوقد كالمنافق فيما استقبله المكروه
في الاسلام تمنى انه لم يكن اسلم قط وذلك قوله وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب وقوله لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وقولهم قد اخذنا امرنا من قبل وقوله قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وكذلك البرق الذي يمشي
يمشي المرء في ضوئه وكذلك المنافق اذا راى خيرا في الاسلام يمشي اليه واذا اظلم عليه قام متحيرا حزينا ان لا يكون اختار السلو
والله الموفق قال ابو بكر الاصم مثل من يظهر الايمان نفيا يتزين به في الناس مثل مستوقد النار فيما يستضيء حول النار بنورها
ثم يذهب الله نوره في الاخرة كما ذهب هو في السر وكذلك اذهب الله نور المستوقد فيذهب به التزين بالنور حول النار
قال وقيل ان المعنى كما يقال اذهب الله نوره اي الذي كان يظهره فيبقى المنافق في ظلمات الاخرة والمستوقد في ظلمات العمى والليل
ثم قال جعل الدعا الى الاسلام كالصيب وما فيه من الجهاد كظلمة الليل وما فيه من الغنيمة كالبرق وجعل اصابعهم في الاذان

من سماع

من سماع ما في الاسلام من الشدايد نحو جعل ذلك من الصواعق يكاد البرق يخطف ابصارهم اي ما في الاسلام من الغنيمة يدعوه
اليه واذا اظلم عليهم بالشدايد قاموا وصدوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لذهب بما ذكر اي اصمهم واعماهم
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ضوء البرق والنار ليسا بدايمين فشبه بايمان المنافق انه عن سريع يزول وقال القتبي
كان المنافق في ظلمة الكفر فاهتدى بما اعطى من النور كمستوقد النار بنورها في ظلمة الليل وكذلك كسالك في ظلمة الليل فلما ذهب
نوره وسكن لمعان البرق رجع الى ما فيه من الظلمة والاصل في هذا الباب ان الله تعالى خلق هذه الدار للمحنة اهلها وجعل لهم دارا
يجزيهم فيها لولا هي لكان يكون خلق هذه الدار بما فيها عبثا اذ يكون خلق الخلق للفنا بلا عواقب لهم وذلك عبث في العقول
لان كل سارع فيما لا عاقبة له عابث وفيما لا يريد يكون معنى في العقل هازل ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون فاذا كان كذلك صارت هذه الدار دليل الاخرى فعلى ذلك ضرب للاخرى مثلا بالمعروف من هذه اذ بهذه عرفت
تلك ولهذا خلق الله الممتحنين بحيث يالمون ويتلذذون ليعرفوا قدر الالام التي بها اوعدوا واللذات التي فيها رغبوا
فعلى ذلك ضرب الله مثل من عمي عن الاخرة وصم عن سماع ما يرغب فيها او عمي عن امر الله ونهيه والحق بالاعمى والاصم والميت
ونحو ذلك لذهاب منافع البصر والسمع والحيوة اذ هي مخلوقة ليعرف بها ما غاب عنها بالتامل والتدبر فاذا اعقل عن ذلك
سمي بالذي ذكرنا وبينا انه لولا الاخرة ودار الجزاء لم يكن يخلق شيء من ذلك حكمة نعقلها نحن فعلى ذلك ضرب لذهاب
نور القلب الذي به يبصر العواقب وينتفع فيها بذهاب نور البصر في زوال منافع الدنيا مما يتصل بنوره وكذلك امر السمع غيره
فكان على ذلك امكن اخراج المثلين جميعا على الكفرة والمنافقين انما المنافق فاذا ذهب نور حقيقته عنه وهو نور البصر
لم ينتفع بنور النار على قيام النار بنورها لكل ذي بصر وكذلك ساير منافع النار ومثله اذا ذهب عنه نور بصر القلب
وحيوته لم ينتفع بنور الاخرة وجزائها وكذلك الذي ذهب عنه ضوء البرق بقي متحيرا اذ به يبصر الطريق لكن يذهب
عنه بصر القلب اذ به يبصر عواقب الاشياء الذي قصد قصد السلوك بالبرق والاستضاءة بنور النار واذا ذهب
كان اعظم حسرة واشد خوفا من النار وشدة المطر وخبث الطريق من الذي لم يعرف في الابتداء نفع النار والبرق
ويكره المطر على شدة رغبته فيه والنار ربما ذهب منه وكذلك المنافق في الاخرة ان لم يكن منه ما اظهر اذ يرد الى الدرك
الاسفل ولا قوة الا بالله وكذلك الكافر لم يبصر بما اعطاه من البصر عواقب البصر الظاهر ولا يسمع بما انعم عليه من السمع
عواقب السمع اذ حق ذلك ان يؤدي ذلك ما ادركه الى العقل ليعتبر به انه لم يخلق شيء من ذلك بلا استحقاق لا يحتمل عقله
الاحاطة بكنه ما فيه من الحكمة فيعلم عظم نعمة الله وخروج مثله عن العبث فيقوم باداء شكره وبذلك يصير به الى الجزاء
في العواقب ولا قوة الا بالله • وقوله عز وجل صم بكم عمي فهم لا يرجعون يحتمل وجهين احدهما ختم لانه ختم على اذانهم
وعلى سمعهم وعلى قلوبهم فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ويحتمل انه صم بكم عمي لما لم ينتفعوا باسماعهم وابصارهم
وقلوبهم ثم اختلف في جواز اضافة لفظ الاستهزاء الى الله تعالى فاجاز قوم وان كان ذلك قبيحا من الخلق لما قبح
منهم بما لا احد يستهزئ باحد اما بجهله او لقبح في الخلقة الا والمستهزئ بنحو هذه قد يحتمل ذلك او لا انعام الله عليه
الذي قد اغفل عنه باشتغاله بما ذكر مما لعل الاغفال من هذا او احش واقبح به من حال المستهزئ به ولذلك قال
عز وجل لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم الاية وذلك نحو التكبر انه قبيح من الخلق بما لهم اشكال في الحدث
واثار الصنعة واحتمال كل منهم بما احتمل غيره وجايز اضافته الى الله تعالى بتعاليه عن الاشباه والاشكال واحاطة
احتمال ما احتمل غيره وبه يقول الحسين النجار وابى قوم ذلك الا على اثر حال تصرف فهم السامع الى معنى الاستهزاء
نحو ان يذكر على اثره جزاء يفهم منه جزاء الاستهزاء كذكر السيئة في الجزاء والمكر ونحو ذلك ثم يخرج فيما نحن فيه
على اوجه احدها ما بينا والثاني ما ينسب اليه فعل المأمور ونحو قول المؤمنين للمنافقين في الاخرة ارجعوا وراءكم
وقول اهل الجنة ودعائهم اهل النار بالخروج لو ثبت ما ذكره الكلبي وقول الملائكة فادعوا وما دعاء الكافرين
الا في ضلال وغير ذلك ثم ما ذكر من الظلمات يخرج على وجوه ثلثة احدها ظلمات كفرهم بقلوبهم ان اظهروا الايمان
اولا والثاني المتشابه في القرآن وهو الذي تعلق به كثير من المشركين حتى نزل قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ

الاية والثالث ما فى الاسلام من الشدايد وكلا قراع من الجهاد والحدود وغير ذلك وامكن صرف الاول والاخر الى الفريقين
الكافر والمنافق وصرف تأويل المشايه الى الكافر على انا بينا ان لكل من ذلك خطا ويدل اخر الاية وهو قوله والله محيط
بالكافرين على ان المثل لهم لان المنافق شريكهم فى الكفر والله الموفق وجايز ان يكون المثل المضروب بالاية انما هو للقوم
الذين شهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا قبل بعثه صنفين صنف ينتحل الكتاب الذى هو عندهم مما جاء به
الرسل لكنهم قد غيروا واما فى كتبهم من دين الله واحكامه حتى خلطوا ذلك وابدعوا غير الذى جاءت به الرسل من الدين
والاحكام بين ذلك قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا الاية وقوله قد جاءكم رسولنا يبين لكم وقوله ان الذين فرقوا
دينهم الاية ومنهم من ابدع الكتاب ونسبه اليهم كقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الاية تبين ما ظهر
من التفرق فيهم ومن القول فى انبيائهم وفى الله سبحانه ومعلوم ان دين الرسل واحد غير مختلف وعما كان من الفترة
اندرست الكتب وذهبت الرسوم فصاروا فى ظلمة الضلالة وحيرة الزيغ وتاهوا فى سبيل الشيطان وانقطع من بين
اظهرهم الائمة الذين يوثق بهم فى الدين بما ليس لاحد برهان يشهد له بالتمسك بسبيل الانبياء والاعتصام بكتبهم
اذ كلهم يدعى ذلك وقد ظهر فيهم القول المختلف والمتناقض الذى لا يحتمله الحكم ولا يصبر عليه العقل وصنف لا يحتمل
الكتاب ولا يؤمن بنبى من الانبياء بل يعبدون الاوثان والنيران والاحجار وما يهولون مما لا يملك الضر ولا النفع
لهم شرع بل هم حيارى لا يعرفون معبودا ولا يبصرون طريقا وليس فيهم اذا فزعوا اليه دلهم على المحجة ولا اطلعهم
على الحق بل هم فى الضلالة تايهين وفى الظلمات متحيرين فاحوج الفريقين جميعا ما حل بهم من الحيرة والتيه الى نشفيهم
من داء الضلالة بنور الهدى ومن ظلمة الاختلاف بضياء الايتلاف ويخرجهم من سبل الشيطان الى سبيل الله
ويدلهم على معرفة المعبود الحق لئلا يتخذوا من دونه اربابا فبعث اليهم عند شدة حاجتهم رسولا واكرمهم بما اراهم من
الايات التى يعلمهم انه انعم به عليهم ليستنقذهم من الضلالة ان هم اطاعوه وشكروا نعمة الله فكانوا كقوم بلوا بظلمات الليل
والسحاب فتحيروا فيها بما حالت الظلمة بينهم وبين حاجاتهم وتعذر عليهم الوجه فى وضع قدامهم فتاهوا فدفعهم التيه
الى استيقاد النار ليبلغوا حوايجهم ويامنوا العطب فى وضع الاقدام وكقوم بلوا فى شدة الجوع والعطش لضيق الزمان
وحيد به فاستغاثوا بمن يملك كشف ذلك عنهم فاغاثهم بالمطر ثم منهم من عرف نعمة من انعم عليهم بالوقود واغاثهم
بالمطر فتلقوا النعمة بالشكر فنجوا بذلك مما خشوا من الهلاك ووصلوا الى حوايجهم بالنار والمطر وذلك مثل من اتبع محمدا
صلى الله عليه وسلم وعرف نعم الله وشكره ومنهم من تلقى نور النار بالكفران والجهل بالمنعم به عليه ونسى ما كان عليه وهو
قوله واذا مس الانسان ضر الايات فيها ذكر ما شيت وقوله واذا مسكم الضر فى البحر الاية فاذهب الله نوره فلم ينتفع بنور النار
ولا وصل الى حاجته التى بها يقضى وذلك مثل الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم انهم لم ينتفعوا به ولا قضوا حاجاتهم
بل زادهم ذلك ظلمة وحيرة كمستوقد النار اذا ذهب بصره وكذلك قوم بلوا فى الشكوك فى الطريق عند شدة الظلمة
ولم يتلقوا النعمة بالشكر من الوجه الذى جعل لهم لوضع بنور البرق فاذهب نوره وسكن لمعان البرق فعاد العنا ثانيه هلاكا
والمطر الذى رحمة عليه بلاء فمثله من كان برسول الله صلى الله عليه وسلم واعترض على الاستماع اليه ولا قوة الا بالله
وقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم فالخطاب يحتمل الخصوص والعموم وقوله اعبدوا وحدوا ربكم جعل العبادة عبارة
عن التوحيد لان العبادة التى هى لله لا يكون ولا يخلص له الا بالتوحيد ويقال اعبدوا اى اجعلوا عبادتكم لله لا تعبدوا
غيره فى كلا التاويلين يرجع الى الكفرة ويقال اعبدوا اى اطيعوا له والعبادة جعل العبد كليته لله قولا وعملا وعقدا
وعقدا وكذلك التوحيد والاسلام والطاعة يرجع الى الايتمار لانه يجوز ان يطاع غير الله ولا يجوز ان يعبد غير الله
لان كل من عمل بامر اخر فقد اطاعه كقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا كل من عمل بامر اخر فهو عابد له وبالله نستعين
ثم بين الذى امر بالتوحيد اياه والعبادة له خالصا فقال الذى خلقكم وخلق الذين من قبلكم والذين تعبدونه لم يخلقكم
ولا خلق الذين من قبلكم فكيف تعبدونهم دون الذى خلقكم وبالله التوفيق وقوله لعلكم تتقون يحتمل وجهين
يحتمل يتقون المعاصى والمناهى والمحارم التى حرم الله عليكم فان كان هذا هو المراد فذلك راجع الى المؤمنين ويحتمل

قوله تتقون الشرك وعبادة غير الله فذلك راجع الى الكفرة قال الشيخ الاحسن فى الامر التقوى والتوحيد ان يجعل عاما
وفى الخبر عن التقوى خاصا لعلكم اى كى تتقون وقوله الذى جعل لكم الارض فراشا بين انقاء الذى امر بالتوحيد له وتوجيه
العبادة اليه واخلاص النية له فقال الذى فرش لكم الارض فتنتفعوا بها وتقضوا حوايجكم فيها من انواع المنافع من المنام عليها
واتخاذ المستقر والمسكن فيها والسماء بناء والسماء كل ما علا وارتفع كما يقال لسقف البيت سماء لارتفاعه وسماه السماء بناء
وان كان لا يشبه بناء الخلق حتى يعلم ان البناء ليس اسم ما يبنى الناس خاصة ثم بين بقوله وانزل من السماء ماء اى وجه العبادة
الى الذى ينزل لكم من السماء ماء عند حوايجكم ولا تعبدوا من تعلمون انه لم يخلقكم ولا انزل لكم من السماء ماء ولا اخرج لكم
من ذلك الماء ثمرات تكون رزقا لكم بل هو الله الواحد الذى لا شريك له ولانه يخلقكم ويرزقكم ويخرج لكم من ذلك الماء
المنزل من السماء رزقا تاكلونه وما عند باشرتموه وفى الاية دلالة ان المقصود فى خلق السماء والارض وانزال الماء
منها واخراج هذه الثمرات وانواع المنافع بنو ادم وهم المخصوصون بها بدلالة قوله جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وما ذكر
من المخرج والمنزل منها وما ذكر فى اية اخرى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ومنه سخر لكم الليل والنهار وسخر لكم
الفلك مما يكثر ذلك من الايات اضاف ذلك كله الينا ثم جعل عز وجل بلطفه منافع السماء متصلة بمنافع الارض على ما بعد
ما بينهما من المسافة حتى لا يخرج الارض شيئا الا بما ينزل من السماء من الماء ليعلم ان منشى السماء من منشى الارض لانه لو كان
منشى هذا غير منشى الاخر لكان لا معنى لاتصال منافع هذا بمنافع الاخر على ما بعد ما بينهما ولتوهم كون الاختلاف
من احدهما للاخر فاذا كان كذلك دل على منشئهما واحد لا شريك له ولا ند ثم زعم قوم ان الاشياء كلها حل لنا طلق
غير محظور علينا حتى يجئ ما يحظر فاستدلوا بظاهر هذه الاية بقوله رزقا لكم وبقوله كلوا مما فى الارض حلالا طيبا وقال
اخرون لا يدل ذلك على الاباحة وذلك ان الاشياء لم تصر لنا من كل الوجوه فهو على الحظر حتى يجئ الاباحة ولان الاشياء
لا تحل الا باسباب تتقدم فظهر الحظر قبل وجود الاسباب فهو على ذلك حتى يجئ ما يحل ويبيح او ان يقال خلق هذه
الاشياء لنا محنة امتحانا بها او فتنة فتنا بها كقوله انما اموالكم واولادكم فتنة وكقوله ولنبلونكم بشئ من الخوف الاية
ولان فى العقل لما يدفع حمل الاشياء كلها على الاباحة لما فى ذلك فساد الخلق وتفانيهم فيبين بكل منهم ملكا على حدة
بسبب يكتسبه لئلا يحملهم على التفانى والفساد وبالله نستعين وقوله فلا تجعلوا لله اندادا اى اعدالا واشكالا
فى العبادة وكله واحد ند الشئ هو عدله وشكله هو مثله وقوله وانتم تعلمون ان لا ند ولا عدل ولا شكل لما ادركم
من انشاء هذه الاشياء ولم تروا ذلك ممن تعبدونه شيئا والثانى وانتم تعلمون لما انشا فيكم من الاشياء ما لو تدبرتم
وتفكرتم وتاملتم علمتم انه لا ند له ولا شكل له كقوله وفى انفسكم افلا تبصرون وقوله عز وجل وان كنتم فى ريب
مما نزلنا على عبدنا من القران انه مختلف مفترى وانه ليس منهم كقولهم ان هذا الا اختلاق وقولهم ما هذا الا افك مفترى
وما هذا الا سحر وقوله فاتوا بسورة من مثله اى ايتوا انتم بمثل ما اتى هو اذ انتم وهو سواء فى الجوهر والخلقة واللسان
ليس هو اولى بذلك منكم اعنى فى الاختلاف وقوله وادعوا شهداءكم من دون الله اى استعينوا بالهتكم الذين تعبدون
من دون الله حتى يعينكم على ايتان مثله ان كنتم صادقين فى مقالتكم انه مختلق مفترى ويقال ادعوا شهداءكم يعنى شعراءكم
وخطباءكم ليعينوكم على ايتان مثله ويقال ادعوا شهداءكم من التورية والانجيل والزبور وساير الكتب المنزلة على الرسل
السالفة انه مختلق مفترى وقوله فان لم تفعلوا يحتمل وجوها يحتمل انهم اقروا على اثر ذلك العجز عن ايتان مثله من غير
تكلف ولا اشتغال كانتهم لما دفع عز وجل عن اطماعهم ايتان مثله تظاهر الاجتهاد واكل جهدهم وتكلفوا كل طاقتهم
على اطفاء النور ليخرج قولهم على الصدق بانه مختلق مفترى ويظهر كذب الرسول صلى الله عليه وسلم انه كلام رب العالمين
فدل اقرارهم بالعجز عن ايتان مثله وترك اشتغالهم يدل انه كلام رب العالمين منزل على نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم
وقوله فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة الوقود بالنصب هو الحطب وبالرفع هو النار لحبه عز وجل انه حطبها
الناس كلما احترقوا اعيدوا وبدلوا كقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها والحجارة فيه وجهان قيل هى الكبريت
وقيل الحجارة بعينها الصلابتها وشدتها اشد احتراقا واكثر احما وقوله اعدت للكافرين فى الاية دلالة انها لم تعد

لغير الكافرين وهي تنقض على المعتزلة قولهم حيث خلدوا اصحاب الكبيرة في النار ولم يطلقوا له اسم الكفر انها اعدت للكافرين
ايضا وان كان تعذيب المؤمن بمعاص يرتكبها واوزار يحملها وفواحش يتعاطاها وذلك ان الله يعذب من يشاء بما شاء
وليس للخلق الحكم في ذلك كقوله ولا يشرك في حكمه احدا فان قالوا ان اطفال المشركين في الجنة والجنة لم تعد لهم وانما اعدت
للمؤمنين ثم جاز دخول غيرهم فيها وتخليدهم وكذلك النار وان كانت معدة للكافرين جاز لغير الكافر التعذيب والتخليد
فيها كقوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم الاية شرط الكفر بعد الايمان ثم من يشاء على الكفر والذي كفر
بعد الايمان سواء في التخليد فكذلك مرتكب الكبيرة والكافر سواء في التخليد فيقال لهم ان كل كافر يشهد خلقته على وحدانية
ربه فاذا ترك النظر في نفسه واختار الاعتقاد فصار كفر بعد الايمان لانه لم يكن مؤمنا ثم كفر واما قولهم في الاطفال
فانهم انما اخلد والجنة جزا لهم من ربه ولله ان يعطي الجزاء من شاء بلا فعل ولا صنع كان منه فضلا وكرامة وذلك في العقل
جائز اعطاء الثواب بلا فعل على الافضال والاكرام فاما التعذيب فانه غير جائز في العقل بلا ذنب يرتكبه والله اعلم **وقوله**
وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية تنقض قول من جعل جميع الطاعات ايمانا لما اثبت لهم اسم الايمان دون الاعمال
الصالحات غير ان البشارة لهم وذهاب الخوف عنهم انما اثبت بالاعمال الصالحات ويحتمل الاعمال الصالحات عمل القلب
وهو ان ياتي بايمان خالص لله لا كايمان المنافق بالقول دون القلب **وقوله** ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار
يعني بساتين وقوله من تحتها الانهار قيل فيه بوجوه قيل ان البساتين ليست هي اسم الارض والبقعة خاصة ولكن اسم
من الاشجار وما نبت فيها من الوان الغروس المثمرة عند ذلك يسمى بستانا وقوله تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها
واغراسها الانهار وقيل من تحتها مما يقع البصر عليها وذلك انزه على الناس واحلى وانبل وقيل ايضا من تحتها اي من تحت اعلا
لا تحت الجلد فكذلك الاول من تحت ما علا من القصور والغرف والله اعلم **وقوله** كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا
الذي رزقنا من قبل قيل هو بوجوه رزقنا من قبل في الدنيا اي هذا الذي وعدنا في الدنيا اي في الجنة هذا وقيل رزقنا
من قبلهم في الجنة قبل هذا **وقوله** واتوا به متشابها قيل فيه وجوها قيل متشابها في المنظر مختلفا في الطعم قيل متشابها
في الطعم مختلفا في راي العين والالوان لان من الفواكه ما يستلذ بالنظر اليها دون التناول منها وقيل متشابها في الحسن والبهاء
وقوله ولهم فيها ازواج مطهرة قيل فيه بوجوه مطهرة من سوء الخلق والدناءة كنساء الدنيا لا يسلمن عن ذلك وقيل
مطهرة من الامراض والاسقام وانواع ما يبلي به في الدنيا من الدرن والوسخ والحيض وقيل مطهرة لصفاء جوهرها كما يقال
يرى مخ ساقها من كذا وكذا وقيل مطهرة مختارة مهذبة **وقوله** وهم فيها خالدون اي مقيمون ابدا فالاية ترد على الجهمية قولهم
لانهم يقولون بفناء الجنة وفناء ما فيها يذهبون الى ان الله تعالى هو الاول والاخر والباقي ولو كانت الجنة باقية غير
فانية لكان ذلك تشبيها لكن ذلك وهم عندنا لان الله تعالى هو الاول بذاته والاخر بذاته والباقي بذاته والجنة
وما فيها باقية بغيرها ولو كان فيما ذكر تشبيه لكان في العالم والسميع والبصير تشبيه ولكان في الخلق ايضا في حال البقاء
تشبيه فاذا لم يكن فيما ذكرنا تشبيه لم يكن فيما تقدم تشبيه وايضا فان الله تعالى جعل الجنة دارا مطهرة من المعايب كلها
لما سماها دار قدس ودار سلام ولو كان اخرها للفناء كان فيها اعظم المعايب اذ المرء لا يهنأ بعيش اذا نغص عليه بزواله
ولو كان اخره للزوال كان نعمة منغصة على اهلها فلما نزه عن العيوب كلها وهذا اعظم العيوب لذلك كان كان التخليد
لاهلها اولى بها **وقوله** ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها كان هذا والله اعلم يخرج جوابا على اثر قول
قالته الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره بعض اهل التاويل فقالوا اما يستحيي ربك ان يذكر البعوض والذباب
ونحوها مما يصغر في نفسه وملوك الارض ويذكرون ذلك ويستحيون فقال عز وجل جوابا لقولهم ان الله لا يستحيي الاية
لان ملوك الارض انما ينظرون الى هذه الاشياء بالاستحقار لها والاستذلال فيستحيون ذكرها على الانكاف والانفة والله
عز وجل لا يستحيي عن ذلك لان الاعجوبة في الدلالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته في خلق الصغير من الجثة والجسم اكبر
من الكبار منها والعظام لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب ما يحتاج اليه الفم والانف
والرجل واليد والمدخل والمخرج ما قدروا ولعلهم يقدرون ذلك في العظام من الاجسام والكبار منها فاولئك لم ينظروا اليها

لما فيه

لما فيه من الاعجوبة واللطافة ولكن نظروا الحقارة والخساسة انفاسهم وانكافا ثم اختلف اهل الكلام في اضافة
الحياء الى الله تعالى فقال قوم يجوز ذلك بما روي في الخبر ان الله تعالى يستحيي ان يعذب من شاب في الاسلام
ولا يجوز كالتكبر والاستهزاء والمخادعة وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم وقال الاخرون لا يجوز اضافته الى الله تعالى
لان تحته الانكاف والانف وذلك عن الله تعالى منفي ولكن الحياء هو الرضاء ههنا والحياء الترك اي لا يترك ولا يدع
وقوله فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اي علموا ان ضرب المثل بما ذكر من صغار الاجسام والجثة حق لما نظروا
الى ما فيها من الاعجوبة والحكمة واللطافة واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا لم ينظروا فيها الى ما فيها
من الاعجوبة والحكمة ولكن نظروا الخساسة والحقارة **وقوله** يضل به كثيرا الاية تنقض على المعتزلة قولهم لانه جواب
قولهم ماذا اراد الله مثلا فقال اراد ان يضل بهذا المثل كثيرا واراد ان يهدي به كثيرا اضل به من علم انه يختار
الضلالة ويهدي به من علم انه يختار الهدى اراد من كل ما علم انه يختار ويؤثر والله اعلم وهم يقولون بل اراده
ان يهدي به الكل ولكنهم لم يهتدوا والثاني يضل به كثيرا اي خلق فعل الضلالة من الضال وخلق فعل الاهتداء من
المهتدي وقد ذكرنا فيما تقدم **وقوله** وما يضل به الا الفاسقين اي ما يضل بهذا المثل الا الفاسق الذي لا ينظر الى ما فيها
من الاعجوبة واللطافة في الدلالة **وقوله** الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه عهد الله يكون على وجهين عهد خلقة
ما يشهد خلقة كل احد على وحدانية الرب كقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وكقوله اولم يتفكروا في انفسهم الاية انه
ان نظر في نفسه وتامل عرف ان له صانعا وانه واحد لا شريك له وعهد رسالة الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام
كقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية وكقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب الاية فنقضوا العهدين جميعا عهد الخلقة وعهد الرسالة **وقوله** ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل
وجهين يقطعون الايمان ببعض الرسل وقد امروا بالوصل كقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقيل يقطعون ما امر الله
ان يوصل من صلة الارحام **وقوله** ويفسدون في الارض قيل بوجهين يفسدون بما يامرون في الارض وكقوله يامرون
بالمنكر وينهون عن المعروف وقيل يفسدون اي يتعاطون بانفسهم في الارض بالفساد كقوله ويسعون في الارض
فسادا **وقوله** اولئك هم الخاسرون يحتمل ايضا وجهين خسروا ما فات عنهم وذهب من المنى والاماني في الدنيا وروي
عن الحسن انه قال في قوله هم الخاسرون اي قذفوا انفسهم باختيارهم الكفر بين اطباق النار فذلك هو الخسران المبين
وقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم يحتمل وجوها كيف من ابن ظهر لكم الحجة ان تعبدوا من دون الله من
الاصنام وغيرها انه حق ولم يظهر لكم منها الانشاء بعد الموت ولا الاماتة بعد الاحياء وقيل كيف تكفرون بالبعث
بعد الموت وكنتم امواتا يعني نطفا فاحياكم وانتم لا تنكرون انشاء الاول فكيف تنكرون البعث والاحياء بعد الموت
وقيل وكيف تكفرون بالاحياء والبعث بعد الموت وفي العقل اذ خلق الخلق للافناء والاماتة من غير قصد العاقبة
عبث ولعب لان كل بان بنى للنقض فهو عابث وكذلك كل ساع فيما لا عاقبة له فهو عابث هازل فكيف تجعلون فعله
عز وجل اذ لم يجعل للخلق دارا للجزاء والعقاب كما في خلقهم اياهم عابثا هازلا خارجا من الحكمة تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا **وقوله** ثم اليه ترجعون اي تعلمون انكم ترجعون اليه وكذلك المصير والمآب والثاني ترجعون الى
ما اعد لكم من العذاب احتج عليهم بما اخبرهم الله انه انشاءهم بعد الموتة الاولى ان يبعثهم بعد الموتة الاخرى ثم اليه ترجعون
كانه يقول لهم اعلموا انكم اليه ترجعون **وقوله** هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا قيل انه صلة قوله كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا اي كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الارض ما يدلكم على وحدانيته ليس شيء على الارض الا وفيه دلالة وحدانيته
ويحتمل كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الارض نعما من غير ان كان وجب لكم عليه حق من ذلك لتشكروا له عليها فكيف
وجهتم انتم الشكر فيها الى غيره ويحتمل خلق لكم ما في الارض محنة يمتحنكم بها في الدنيا كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا
ثم لتجزون في دار الجزاء فكيف انكرتم البعث وفي بيان حكمة خلق الخلق في الدنيا للفناء والاحياء للاخرة حكمة
وفي انكارها ذهاب الحكمة **وقوله** ثم استوى الى السماء قيل فيه وجوها قيل استوى الدخان كقوله استوى الى السماء

وهي دخان وقيل استوى ثم كقوله بلغ اشده واستوى اي تم وقيل استوى اي استولى والاصل عندنا في قوله ثم استوى
الى السماء واستوى على العرش وغيرها من الايات من قوله وجاء ربك الاية وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الاية
من الايات التي ظنت المشبهة ان فيها تحقيق وصف الله تعالى بما يستحق كثير من الخلق الوصف به على التشابه
في الحقيقة انها تحتمل وجوها احدها ان نصفه بالذي جاء به التنزيل على ما جاء ونعلم انه لا يشبه على ما ذكر
من العقل فيه بعينه لانك بالجملة تعتقد ان الله ليس كمثله شيء وانه لا يجوز ان يكون له مثلا في شيء اذ لا يوجب
حدثه فيه او قدم ذلك الشيء من الوجه الذي اشبه الله وذلك مدفوع بالعقل والسمع جميعا مع ما لم يجز ان يقدر
الصانع عند الوصف بالفعل كغيره وانه حي قدير سميع بصير نفي ما عليه امر الخلق لما يصير بذلك احد الخلايق واذا بطل
هذا بطل التشابه وانتفى ولزم امر السمع والتنزيل على ما اراد الله وبالله التوفيق والثاني ان يمكن فيه معان تخرج
الكلام مخرج الاختصار والاكتفاء بمواضع افهام في تلك المواضع على تمام البيان وذلك نحو قوله وجاء ربك والملك
اي بالملك وذلك كقوله اذهب انت وربك اي بربك فقاتلا ان معلوم انه يقاتل بربه فيفهم منه ذلك وكذلك
معلوم ان الملائكة ياتون فكانه بين ذلك يدل عليه قوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وكذلك هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله الاية ومما يوضح انه لم يكن لاحد اعتقاد او تصور في وجه النظر لاتيان الرب ومجيئه والا كان
بنزوله وعد ينتظر وكان ينزل الملائكة كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى الاية وقوله ما تنزل الملائكة الا بالحق
وما كانوا اذا منظرين فيما ذكرنا عظيم امرهم وجليل شانهم ومثله في قوله الرحمن على العرش استوى معناه وجهان
احدهما ان يكون معنى العرش الملك والاستواء التام الذي لا يوصف بنقصان في ملكه والاستيلاء عليه وان لا سلطان
لغيره ولا تدبير لاحد فيه والثاني ان يكون العرش اعلى الخلق وارفعه وكذلك تقدره الاوهام فيكون موصوفا
بعلوه على التعالي عن الامكنة وانه على ما كان قبل كون الامكنة وهو فوق كل شيء اي بالغلبة والقدرة والجلال
عن الامكنة ولا قوة الا بالله واصله ما ذكرنا ان لا تقدر فعله بفعل الخلق ولا وصفه بوصف الخلق لانه اخبر انه
ليس كمثله شيء وقوله فسويهن سبع سموات مرة قال فسواهن ومرة قال خلق سبع سموات ومرة قال فقضاهن سبع
سموات الاية ومرة قال بديع السموات وكله يرجع الى واحد قال الشيخ رضي الله عنه القول فيما يوجبه ليه مما تضمن
قصة آدم عليه السلام من سورة البقرة والكشف عما قال فيها اهل التفسير من غير شهادة لاحد منا لاصابة جميع ما فيه
من الحكمة او القطع على تحقيق شيء ووجوه اليه بالاحاطة ولكن الغالب مما يحتمله تدبير البشر وبلغه مبلغ علمنا مما يجوز
ان يوصف به اهل الجنة وان كان تنزيه الملائكة عن كل معنى فيه وحشة اولى بما وصفهم الله من الطاعة له بقوله لا يعصون
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الى قوله لا يسبقونه بالقول الاية وقوله يخافون ربهم
من فوقهم الاية وقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويفعلون ما يؤمرون وما جاءت به الاثار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من وصف طاعتهم لله ومواظبتهم على العبادة وما لا يذكر من احد من الرسل ووصف ملك بالمعصية بل ما ذلك
يذكر عن بعض السلف مما لا لوم في مخالفته في فروع الدين فضلا من ان يبسط اللسان في ملائكة الله سبحانه وبالله
المعونة والعصمة قال الله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية
زعم قوم ان هذا زلة منهم لم يكن ينبغي لهم ان يقابلوا قوله اني جاعل في الارض خليفة بهذا لما يخرج مخرج الاستغناء بقولهم افعل
ونحن نفعل كذا كالمنكر لفعله وايد ذلك بقوله عز وجل اني اعلم ما لا تعلمون انه لو كان في ذلك طرف من الجهل يحذر مثله
قايله لم يتبع قولهم هذا ومعلوم عندهم انه هو يعلم ما لا يعلمون وايد ذلك بما امتحنهم بالانباء عن اسماء الاشياء
مقرونا بقوله ان كنتم صادقين ولولا انه سبق منهم ما استحقوا عليه التوعد لم يكن لذلك الشرط عند القول انبئوني باسماء هؤلاء
فايدة معنا يوضع موضع التوبيخ والتهدد ومنهم من قال ان قوله اتجعل فيها من يفسد فيها قول ابليس هو الذي تعرض بهذا
القول وان كان الكلام مذكورا باسم الجماعة لانه جايز خطاب الواحد على ارادة الجماعة وذكر الجماعة على ارادة الواحد وكان
خطابا لله تعالى بجملة ملائكته حيث قال ربك واذ قال ربك للملائكة الاية قوله انبئوني بكذا وهو يعلم انهم لا يعلمون

ذلك ولا يحتمل ان يامرهم بذلك وهم لا يعلمون ولو تكلفوا الاخبار لحقتهم الكذب في ذلك ثبت ان ذلك على التوبيخ
والتهدد لما فرط منهم وكشف عن ذلك ايضا عند اعتراضهم بان لا علم لهم الا ما علمهم الله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض الاية ولو لم يكن منهم ما استحقوا به التاديب والتنبيه عن غفلة سبقت منهم لم يكن لذلك كثير معنى اذ لا يخفى
على الله عز وجل بعلم ما ذكر من الكفرة الاشقياء فضلا من كرام البررة ولكن قديما سبيل الاخيار عند الهفوة والزلة
بما يجل من خوف التنبيه والتوبيخ نحو قوله اتقوا النار التي اعدت للكافرين وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
لاذقناك ضعف الحيوة الاية وملائكته ومن يقل منهم اني اله من دونه واستجار وامكان العصيان عند المحنة ودليل المحنة
ما بينا من العقل بالامن والخوف المذكور وما مدحوا بعبادتهم لله تعالى وما اوعد والوادعوا الالوهية ولما لم يحتمل ان يحمد
على العبادة والطاعة فيما كان فعلهم على الخير والشر ولا يعظم المحنة فيما لا يمكن للمعصية ولا يحتملها البنية اذ الطاعة هي
اتقاء المعصية وقال ايضا لا يعصون الله ولا يقال مثله لمن لا يحتمل فعل المعصية فثبت ان المعاصي منهم ممكنة وكذلك
خطر طاعاتهم وعظم قدر عباداتهم والممتحن يخوف منه الزلة والهفوة بل المعصية وكل بلاء الا ان يعصمه الله تعالى ويحفظه
وذلك من الله افضال واحسان لا يستحق قبله ولا يلزمه لاحد من خلقه بجائز الابتلاء بر معها في زلة امثالهم من ترك
الرجاء بالخلق وقطع الاياس والحث على الفزاع الى الله تعالى بالعصمة والمعونة اذ لم يتم لطاعته احد وان جل قدره عند
ما وكل الى نفسه بما يعلم الله ان يختار شيء لخلاف لا الا ان يفزع اليه ويتضرع اليه وعلى ذلك معنى زلات الرسل
عليهم الصلوة والسلام وزعم قوم ان ذلك ليس منهم بالزلة بل الله تعالى عصمهم عنها ولكن قوله اتجعل فيها من يفسد فيها
يخرج على وجهين احدهما على السؤال بعد ان علمهم الله انهم يفعلون فقالوا كيف تفعلون ذلك وقد خلقتهم ورزقتهم
واكرمتهم بانواع النعم ونحن اذ خلقتنا نسبح بذلك ونقدس لك وكيف تحتمل عقولهم عصيانا مع عظم نعمتك عليهم
ونحن معاشر الملائكة يابى علينا العقول ذلك فقال الله عز وجل اني اعلم ما لا تعلمون اي امتحنهم مع ما ركب فيهم الشهوات
التي تغلبها على انفسهم تعتريهم على انواع الغفلة ويصعب عليهم التيقظ لكثرة الاعداء لهم وغلبة الشهوات فلما عظمت المحنة
عليهم يكون منهم ذلك وهذا الوجه يخرج على سؤال الحكمة في خلق من يعصيه فاخبر انه يعلم ما لا يعلمون ان بذلك بيان
الاولياء والاعداء وبيان ان الله لا يخلق من يخلق لحاجة له او لمنفعة له اذ لو كان كذلك لم يخلق من يخالفه في القول الذي
امر به وانما خلق الخلق بعضهم لبعض عبرا وعظة فيكون في عقوبة العصاة ووعيدهم مزجر لغيرهم وموعظة ولغير ذلك
من الوجوه والوجه الاخر ان يكون المعنى من قوله اتجعل فيها على الايجاب اي انت تفعل ذلك اذ ليس عليك في خلق من يعطيك
ضرر ولا لك في خلق من يطيعك نفع جل ثناؤك من ان يكون فعلك لاحد هذين وذلك كقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون
ان يحيف الله الاية على ايجاب ذلك لا على استفهام ومما يحتمل ان الالف زايدة كقوله اتقتلني كما قتلت نفسا بالامس وقوله انكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين بمعنى انكم وتريد وذلك يرجع الى الاول كان ومعنى قوله اني اعلم ما لا تعلمون من الاختيار
فيهم ولذلك ذكرهم عند سؤال الانباء بما اعلمهم من عظيم امتنانه على آدم ان جعله بمعنى نبي الى الملائكة بما علمهم الاسماء ولم يكن
يبلغ توهمهم ان في البشر ما يحتاج المخلوقين من النور الذي هو سبب رفع الاستار عن الاشياء وجلاء الاشياء به يحتاجون
في اقتباس العلم الى من جوهر التراب والماء الذي هو اصل الستر والظلمة فاراهم الله بذلك ليعلموا ان ليس طريق المعرفة
والعلم بالاشياء الخلقة ولكن لطف الله وامتنانه ولا قوة الا بالله وقال قوم كان منهم من استحق العتاب من طريق الخطر
بالقلوب لا من طريق الزلة التي هي العصيان ولكنهم يعاتبون على امثال ذلك واذا لم تبلغ بهم المعصية لعلو شانهم ولعظم قدرهم
كما قد عاتب الله تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام في اشياء وان لم يكن ذلك منه معصية وكقوله تعالى عفا الله عنك الاية
وقوله ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم قوله واذ تقول للذي انعم الله عليه الاية ولم يكن اثم في ذلك وقال يا ايها النبي
لم تحرم ما احل الله لك الاية لانه من غير ان كان منه عصيان فمثل ذلك امر الملائكة ثم تكلموا في معنى ذلك فمنهم من يقول
ظنوا انهم اكرم الخلق على الله وانه لا يفضل احد عليهم ومنهم من يقول ظنوا انهم اعلم من جميع من يخلق من جوهر النار والريح
من حيث ذكرت من جوهرهم ولعظم عبادتهم لله وعلمهم بان في الجن والانس عصاة فلهذا امتحنهم بالعلم ثم بالسجود لاظهار

علو البشر وشرفه وعظم ما اكرموا من العلم ومنهم من قالوا بقوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قيل بامرك وقيل بمعرفتك وقيل بالثناء عليك ان كانوا اضافوا ذلك الى انفسهم دونه ان يذكروا اعظم منة الله عليهم بذلك واختصاصه اياهم بالتوفيق له اذ كيف ذكروا من نعوت البشر شرا فيهم دون ان يحمدوا الله بما وفقوا له او يدعوا للبشر بالعصمة والمغفرة مما ابتلوا ولذلك والله اعلم صرفوا شغلهم من بعد الى الاستغفار من في الارض ونصر اولياء الله ولا قوة الا بالله ومن الناس من اجرى في ذلك ان ابليس سالهم لو فضل آدم عليهم وامروا بالطاعة له ما يصنعون فاظهر الله عز وجل انه علم ما كتم ابليس من العصيان واظهروا هم من الطاعة وهذا شيء لا يعلم حقيقته لان المعاتبة كانت في جملة الملائكة والمخاطبة بالانباء وما الحق به وامر بالسجود كان في غيره ولم يحتمل ان يكونوا يؤاخذون بسؤال ابليس اللعين ولكنه يحتمل وجوه العتاب لا اخبار فيما لم يبلغوا العصيان والله الموفق وقوله انبئوني باسماء هؤلاء ظاهره امر ولكنه يحتمل التوعد والمعاتبة على ما بينا وذلك في القرآن كثير وان كان في الحقيقة امر ففيه دلالة جواز الامر فيما لا يعلمه المأمور اذا كان بحيث يحتمل العلم به الى دنى العلم به بتبين له اذا طلب واستوجب رتبة التعلم والبحث ويحتمل ان يكونوا نبهوا حتى لا يسبق اليهم عند اعلام ان ذلك من حيث يدركونه لو تكلفوا واراد ان يريهم آية عجيبة تدل على نبوته ذكرهم عجزهم عن ذلك والزمهم الخضوع لآدم عليه السلام في افادة ذلك العلم له كما قال عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى ذكره اولا حاله وحال العصا ليعلم ما اراه مما في يده من آية نبوته على نبينا عليه الصلوة والسلام وقوله اني جاعل في الارض خليفة وقال قوم يريد به آدم عليه السلام يخلف الملائكة في الارض ومن تقدمه من الجان وذلك بعيد لانهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ولم يكن آدم عليه السلام بالذي كان يفسد في الارض ويسفك الدماء بل كان يسبح بحمده ويقدس له ولكن يحتمل ان يريد آدم وولده الى يوم القيمة ان يجعل بعضهم خلفاء لبعض كقوله ويجعلكم خلفاء الارض ويجعلكم خلفاء من ذكروا ان يحتج الذي قالوا وجائز ان يكونوا على وجه الارض اذ هي تخلو فلم تزل اولادهم ومعادلوهم جعلوا اشكالها وعمارها ان يكونوا خلفاء في اظهار احكام الله تعالى ودينه كقوله لداود عليه السلام انا جعلناك خليفة في الارض نجعله كذلك ليحكم بين اهلها بحكم الله ولا يتبع الهوى وبذلك امر بنو آدم وقوله وعلم آدم الاسماء كلها يحتمل ان يكون علم الهم ويحتمل ان يكون علم بارسال الملك من غير الذين امتحنوا به وفي ذلك تثبيت احد وجهين اما ان يكون العلم بالاشياء حقيقة ضرورية يقع عند النظر في الاسباب التي هي دلة وهو عند التامل فيها نحو وقوع الدرك بالبصر عند النظر وفتح العين واما ان كان الله تعالى خلق فعل التعلم الذي يعلم المرء فيما يضاف فيه الى الله تعالى انه علم وكذا قوله علم البيان وكذا قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولا يحتمل هذه الاشياء لما كانت له كلها ولم يكن تعلم حقيقة ليؤذنه وكذلك قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا والله الموفق وقوله ان كنتم صادقين في المعاني التي ذكروا واذ كنتم منذ خلقتم موصوفين بالصدق وعلى تحذير القول بلا علم وكانه قال واصدقوا واحذروا القول بالجهل وفي ذلك انهم لم يتكلفوا بالقول في شيء ولم يعلمهم الله تعالى قال ابو بكر عبد الرحمن بن كيسان هذا يبطل قول المنجمة والقافة بدعواهم علم الغيب بلا تعليم دعواهم من الله تعالى وفي قصة آدم عليه السلام دلالة نبوة محمد صلى الله تعالى وسلم اذ اخبرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بما علم في غير القرآن من الكتب السماوية من غير ان عرف لاختلافه اليهم ومعرفة الالسن التي بها ذكرت في كتبهم ذكرها على ما لم يدع احد له العلم بها النكير عليه ليعلم انه بالله علم ذلك وفيها دلالة فضل آدم عليه السلام ابي البشر اذ احوج الملائكة اليه لاقتباس اصل الاشياء وهو العلم الذي كل خير له كالتابع به يصلح وينفع ولا قوة الا بالله وفيها دلالة محنة الملائكة بوجهين احدهما تعليمهم العلم الذي هو احق شيء يحتمل الخير اذ قد يلهم المرء ربما من غير تكلف وهم قد امروا به معا قدم مخرج مخرج التهدد في القول من قوله انبئوني وذلك فيما لا محنة فاسد مما سبق دليل المحنة والثاني فيما امرهم بالسجود لآدم عليه السلام حتى صبر من ابى كافرا ابليسا وفي ذلك ايضا دليل فضل آدم عليه السلام اذ جعل موضع عبادة خيار خلق الله لله وبالله التوفيق وفي ذلك ان السجود ليس بنفسه عبادة اذ قد يجوز السجود لاحد من الخلق كما امر به لآدم عليه السلام كقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولم يجز الامر بالعبادة لآدم والله اسم المعبود ولو جاز لاحد ذلك لكان غير الله الهه دليل ذلك تسمية العرب كل شيء يعبدونه الها ولا قوة الا بالله ثم السجود يحتمل الخضوع كما قال الله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض الآية وقوله والنجم والشجر يسجدان فان كان المراد منه الخضوع له والتعظيم فذلك يحتمل وجهين احدهما ان الله تعالى اذا فضله عليهم

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العزيز الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون الآية

تقدم

بما اطلعه

بما اطلعه على علوم خصه بها امرهم بالخضوع والتعظيم وذلك الحق على كل محتاج الى آخر ما به رجاء النجاة او ادراك العلو والكرامة ان يعظمه ويجله ويخضع له والثاني انه امتحنهم بوجه يظهر قدر الطاعة لان الخضوع لمن يعلو امره ويجل قدره امر سهل عليه طبع الخلق فاذا كان في تقدير المأمور بالخضوع انه دونه في الرتبة او شكله ولم يكن بينهم كثير تفاوت اشتدت المحنة في مثله بالطاعة له والخضوع فامتحنهم الله به حتى ظهر الخاضع لله والمستسلم لحقه والمتكبر في نفسه وهو ابليس على ذلك الغالب من اتباع الانبياء عليهم الصلوة والسلام والذين يابون ذلك ان الذي يحملهم على الاباء عظمهم في انفسهم وظنهم انهم احق بان يكونوا متبوعين والله اعلم والوجه الثاني ان يكون المراد من ذكر السجود فهو يخرج على وجهين احدهما ان يجعل السجود تحية الزم الملائكة تحية آدم به وهو ابتداء ما اكرم به اصل الانس واليه مرجع جملة المؤمنين في الجنة انه يأتيهم الملائكة بالتحيات والتحف وان اختلف نفس التحيات وفي ذلك دليل بين ان السجود ليس بعبادة في نفسه اذ قد يؤمر به للبشر ولا يجوز الامر بعبادة غير الله فيكون السجود لغيره من حيث الفعل والعبادة به لله كغيره من المعروف يصنع الى الخلق ومثله امر سجود يسجود يعقوب واولاده ليوسف عليه السلام والله اعلم والثالث ان يكون السجود له بمعنى التوجه اليه وهي في الحقيقة لله تعالى نحو السجود الى الكعبة لله تعالى تعظيما له وتبجيلا للكعبة وتخصيصا من بين البقاع كذلك امر السجود لآدم عليه السلام تعظيما له وتبجيلا من بين ساير البشر كلاهما سيان ثم قد ثبت نسخ السجود للخلق بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان يحل لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها ولما جعل السجود في العبادة عبادة للمسجود له واعترافا بعرفا لاشراد بعبادة عظمائهم ومن يعبدونه من دون الله فيصير ذلك المعنى هو السابق في القلوب وذلك مما لا يحتمل لاحد دون الله فهي كذلك وان لم يكن بنفسه عبادة للمسجود له في الحقيقة كما نهى عن اشياء بما يتصل بها من الوحشة وان لم يكن ذلك في الحقيقة محتملا له فكذلك الامر الاول كما نهى عن سب من يعبد من دون الله حتى قال فيسبوا الله ويؤمر بامور ليست بنفسها بقربة ليتوصل بها الى القربة كالسعي الى الحج والجمعة ونحو ذلك وفيه ان السنة تنسخ الكتاب لان السجود لآدم عليه السلام في الكتاب وكذا السجود ليوسف ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك تحريم فدل ان السنة تنسخ الكتاب وقول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم يشبه ان يكون السابق الى وهمهم معنى وخطر فعل مما كان بالله خرج من ان يعقلوا حكمته الا بما لم يبلغهم العلم بها وخطر ببالهم انه تعالى كيف امرهم وهو يعلم انهم لا يعلمون بها وخطر ببالهم من غير تحقيق ذلك ولكن على ما يبلى به الاخيار كقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الآية وكما لا يخلوا به المتقي من الخواطر التي تبلغ المحنة بهم المجاهدة بها في دفعها وان لم يكن لهم بما يخطر ببالهم صنع فقالوا سبحانك نزهوا ما خطر ببالهم وسبق به الى وهمهم ووصفوا انه عليم لا يخفى عليه شيء حكيم لا يخطئ في شيء ولا يخرج فعله عن الحكمة وبالله التوفيق والعصمة وفي الآية منع التكلم في الشيء الا بعد العلم به والفزع به الى الله عن القول بما لا يعلم وهذا هو الحق الذي يلزم كل من عرف الله وبه امر تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام فقال ولا تقف ما ليس لك به علم الآية وسئل ابو حنيفة رضي الله عنه عن الارجاء ما بدوه فقال من الملائكة اذ سئلوا عن امر لم يعلموا فوضوا ذلك الى الله تعالى ومعنى الارجاء نوعان احدهما محمود وهو ارجاء صاحب الكباير ليحكم الله تعالى فيهم بما يشاء ولا ينزلهم نارا ولا جنة لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والارجاء المذموم هو الجبر ارجاء الافعال الى الله لا يجعل للعبد فيه فعلا ولا تدبير شيء من ذلك وعلى ذلك المروي حيث قال صنفان من امتي لا ينالهم شفاعتي القدرية والمرجئة والقدرية هي التي لم تر الله في فعل الخلق تدبيرا ولا له عليه قدرة التقدير والمرجية هي التي لم تر للعبد فيما ينسب اليه من الطاعة والمعصية فعلا البتة فابطلت الشفاعة لهما وجعلت للمذهب الاوسط بينهما وهو الذي يحقق للعبد فعلا ولله تقديرا ومن العبد تحركا بخير وشر ومن الله خلقه وذلك على المعقول انما طريق العدل والحق انه بين التفريط والتقصير وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وكذلك قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية ولا قوة الا بالله قال ابن جريج قال سجود الملائكة لآدم ايماؤهم ولم يجعل وضع الوجه بالارض لاحد وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان سجود الملائكة سجود تحية ولم يكن سجود عبادة

وعن قتادة قال كانت الطاعة لله والسجدة لادم عليه السلام اكراما له به والله اعلم ثم اختلف في ابليس فقال بعضهم هو
من الملائكة وقال الآخرون لم يكن من الملائكة وهو قول الحسن والاصم ذهبوا الى ذلك الى وجوه احدها ما ذكر عز وجل عن طاعة الملائكة
له بقوله لا يعصون الله ما امرهم الآية وقال لا يسبقونه بالقول الآية وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الآية
وصف الله عز وجل طاعتهم له وايتمارهم اياه فلو كان اللعين الرجيم منهم لاطاعه كما اطاعوه له والثاني قوله خلقتني من نار
وخلقته من طين والملائكة انما خلقوا من النور والثالث قوله تعالى كان من الجن ولم يقل من الملائكة فدل هذه الآيات
انه لم يكن من الملائكة ثم قال في قوله فسجدوا الا ابليس انه قد يجوز الاستثناء من غير نوع المستثنى منه نحو ما يقال دخل اهل
الكوفة هذه الدار الا رجلا من اهل المدينة وذلك جائز في اللغة ويستدل للاستثناء ان الامر كان عليهم جميعا في الاصل وكان الامر
بالسجود له وللملائكة جميعا كقوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس دل ان كان هنالك امر للناس بالافاضة فكذا الاول والله اعلم
وذهب من قال انه من الملائكة انه لما لم يذكر في قصته من القصص مع كثرة التكرار لها في القرآن وغيره من الكتب السالفة انه
ليس منهم وليس فيما ذكر من الآيات ما يدل انه لم يكن منهم لان قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ولو لم يتوهم منهم
العصيان والخلاف لله تعالى لم يكن للمدح بالطاعة والخضوع له معنى الا ترى الى قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
الآية مع ما ذكرنا انهم يمتحنون الممتحنون بانواع المحن وكل ممتحن في شيء يجوز كون المعصية منه والخلاف لديه واما قوله وكان من الجن
يحتمل اي صار من الجن وقيل من الجن اراد به الملائكة سموا جنا لاستتارهم على الابصار كقوله واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم واما قوله
خلق الملائكة من النور وابليس من النار فهو واحد لانه اخبر عز وجل انه خلقه من مارج من نار وقيل المارج هو لهبها معنا ليس في القرآن
ولا في الخبر انهم انما خلقوا من النور ولم يخلقوا من غيره ثم اختلف في ابليس انه لم كفر بالله قيل انه كفر لما امر بالامر بسجود من فوقه لمن هو
دونه حكمة وقيل كفر لما رأى تعالى وضع الامر في غير موضع الامر وراه جورا فكفر به وقيل كفر لما ابى الايتمار بالسجود واستكبر
فكفر وقيل كفر لما اضمر اضلال الخلق وقيل ابى الطاعة فيما امر به واستكبر على آدم لما رأى لنفسه فضلا عليه بقوله خلقتني من نار
وخلقته من طين وقوله وكان من الكافرين اي صار كقوله انه كان فاحشة وكقوله وكان من الغاوين اي صار وقيل كان في علم الله تعالى
انه سيكفر وقوله قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة قد ذكرنا فيما تقدم ان الجنة هي اسم البقعة التي حفت بالاشجار والغروس
وانواع النبات دليله قوله وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وكذلك ايضا ظاهر معروف عند الناس انه لا يسمى كل بقعة
من الارض بستانا ولا جنة حتى تجتمع فيها ما ذكرنا ثم لا يدرى ما تلك الجنة التي امر آدم وحوا بالكون والمقام فيها اهي التي وعد المتقون او جنة
من جنات الدنيا اذ ليس في الآية بيان ذلك وفي الآية دلالة ان الشرط في الذكر قد يضمر ويكون شرطا بلا ذكر لانه قال لا تجوع فيها
ولا تعرى ثم قد جاع وعري حين عصى فدل ان ترك المعصية كان شرطا فيه ثم معنى الامر من الله تعالى لادم وزوجه بالسكنى في الجنة والمقام
فيها وامرهما بالتناول من جميع ما فيها الا الشجرة نهيا عن التناول منها وامرا بالاجتناب عنها فقوله ولا تقربا هذه الشجرة وذي صورة الممتحن
ان يؤمر بشيء وينهى عن شيء وقوله رغدا اي سعة يقال ارغد فلان اذا وسع عليه وكثر ماله وقوله ولا تقربا هذه الشجرة اي لا تأكلا
دليله قوله فكلا منها ولانه بالقرب ان ما يوصل الى التناول واللغة لا تأبى تسمية الشيء باسم سببه ثم اختلف في تلك الشجرة فقال بعضهم
هي شجرة العنب ولذلك جعل للشيطان فيها حظا لما عصيا بسببها وقيل انها كانت شجرة الحنطة ولذلك لم تجعل غذاء آدم وحوا عليهما السلام
وغذاء اولادهما منه الى يوم القيامة ليقاسوا جزاء العصيان والخلاف له وقيل انها شجرة العلم لما علموا من ظهور عوراتهما ولم يكونا يعلمان قبل
ذلك وهو قوله بدت لهما سوآتهما والله اعلم والقول فيما بيننا لا يجوز الا من طريق الوحي ولا وحي فيها ولا نتهما ولا يجوز القطع على شيء من ذلك
ثم احتمل معنى النهي عن التناول منها وجوها احدها ايثار الضر عليه وقد يكون هذا النهي الرجل عن التناول عن شيء ايثار الآخر عليه
ويحتمل النهي عن التناول منها الشيء لدا يكون فيه لما يخاف الضرر به لا على جهة الايثار ولكن اشفاقا عليه ورحمة ويحتمل ايضا عن التناول
من الشيء على جهة الحرمة فاذا كان ممكنا هذا محتملا احتمل آدم وحوا على التناول منها لما اشتبه عليهما ولم يعرفا معنى النهي انه نهي حرمة
او نهي ايثار غيره عليهما او نهي داء لانهما لو كانا يعلمان ان ذلك النهي نهي حرمة لكان لا يأتيان ولا يتناولان وبالله التوفيق
ثم في الآية دلالة على ان الحال التي يكون فيه الانسان في سعة ورغد يشتد على الشيطان اللعين لانه انما تعرض لادم وحوا
بالوسوسة التي وسوس اليهما ليزيل تلك الحال عنهما وانما بلي بالسعة والرخاء ثم لما لحقته من الشدائد والبلايا بما كسبت ايدينا

لقوله

لقوله ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم الآية ترد على بعض المتقشفة قولهم بتحريم الطيبات والزينة وقوله فتكونا
من الظالمين اي ضارين لان كل ظالم ضار بنفسه في الدارين جميعا وقوله فازلهما الشيطان عنها اي دعاهما وزين لهما الى سبب
الزلة والاخراج منها الى ان تولى اخراجهما وان لا لهما وقد ذكرنا ان الاشياء باسم اسبابهم بها والاسباب باسم الاشياء وذلك ظاهر
معروف في اللغة غير ممتنع تسمية الشيء باسم سببه ثم تكلموا فيما اصاب آدم من الشجرة وفيما بينهما وفي جهة النهي عنها فقال قوم
اكل منها وهو ناس لعهد الله نسيانا ان ترك الذكر وابى ذلك قوم واحتج الحسن بان نسيانه تضييع واتباع الهوى لا النسيان
الذكر بالوجهين احدهما ما جرى في حكم الله تعالى من العفو عن النسيان الذي هو ترك الذكر وان لا يلحق صاحبه اسم العصيان
والتعوقب هو به ونسبه الى العصيان بقوله وعصى آدم ربه فغوى مع ما تقدم القول فيه ان تكونا من الظالمين والثاني ان عدو
قد ذكره لو كان ناسيا حيث قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الآية وقوله وقاسمهما وقوله فدلاهما بغرور ولو كان نسيان
الذكر لم يكونا ليغترا بالقسم والاغراء عن ذلك ولا وصفا بان استزلهما الشيطان ونحو ذلك فثبت انه كان نسيان تضييع
وذلك كقوله وكذلك اليوم تنسى وقوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وغير ذلك مما ذكر فيه النسيان ومعناه.
التضييع سمي به لما كان كل منسي متروك وترك اللازم تضييع او بما ينسى به ويغفل عما يحل به من نقمة الله فسمي به كما وصف
ذنب المؤمن بجهالة الجهلة بما يحل به لا بجهله بحقيقة فعله او سمي به من حيث لا يقصد بذلك عصيان الرب وطاعة الشيطان
والى ذلك يصرف بعض وجوه النسيان لا حقيقة ومن يقول انه كان على النسيان فهو يخرج النسيان على وجوه احدها
انه لكثرة ما كان بينه وبين عدوه من التراجع اشتغل قلبه بوجوه الدفاع له والفكر في الاسباب التي بها النجاة والتخلص
من مكائده حتى انساه ذلك عن ذكر العهد والتسبب الذي يدفع الاشياء عن الاوهام في الشاهد كثرة الاشتغال وانما كان النسيان
عذرا في الامور وسببا للعفو لانه لا يخرج لاخذ به عن الحكمة وذلك معلوم في الشاهد ان من اقبل على امر واخذ في تحفظه وتذكره
سهل عليه ذلك واذا احب ذلك مع الاشتغال بغيره من الامور صعب عليه بل الغالب في مثله الخفاء وجائز معاتبة آدم
مع ذلك وتسميته عصيانا بالوجه الذي احدها انه لم يكن امتحن بانواع مختلفة يتعذر عليه وجه الحفظ في ذلك انما وانما امتحن بالانتهاء
عن شجرة واحدة بالاشارة اليها بما جاز ان لا يعذر في مثله وكذلك النسيان فيما نعذر في الشاهد انما نعذر في النوع الذي يبلى به
ويكثر به النوازل الا ترى انه يعذر بالسلام في الصلوة وترك التسمية في الذبيحة ونحو ذلك ولا يعذر في الاكل في الصلوة
وفي الجماع في الحج ونحو ذلك فمثله الامر الذي نحن فيه والثاني انه جائز اخذ الاخيار ومعاتبة الرسول بالامر الخفيف اليسير
الذي لا يؤخذ بمثله غيره لكثرة نعم الله عليهم وعظم منه عندهم كما اوعد والتضاعف في العذاب على ما كان من غيره وعلى ما ذكر
في امر يونس عليه السلام من العقوبة بما لعل ذلك من عظيم حسنات غيره اذ فارق قومه عما عاين من المناكير فيهم وفعل مثله من احد
ما يوصف به غيره وكذلك ما عوتب محمد صلى الله عليه وسلم فيما خطر بباله من تقريب اجلة الكفرة اشفاقا عليهم وحرصا على اسلامهم
ومن يتبعهم على ذلك مما لعل من دونه لا يعد لشيء من حسناته بالذي عوتب به وبالله التوفيق والثالث انه عوتب بالذي يجوز ابتداء
المحنة به ولمثله خلقه حيث قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة لكنه يكرمه وبالذي عود خلقه من تقديم احسانه وانعامه
في الابتداء على الشدائد والتشدد وان كان له التقديم بالثاني وذلك في جملة قوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وبالله التوفيق وعلى ما في ذلك من بيان تعظيم الزجر عن المعاصي وتعظيم خطرها في القلوب
اذ جوزي بها ابو البشر واول الرسل منهم على ما فضله بما امتحن الملائكة بالتعلم منه والسجود بذلك القدر من الزلة ليعلم الخلق
انه ليس في امره هوادة ولا في حكمه محاباة فيكونون ابدا على حذر من عقوبته والفزع اليه بالعصمة عما يوجب مقته وان لا يكلهم
الى انفسهم اذ علموا بابتلاء من الذي ذكرت محله في قلوبهم بذلك القدر من الزلة ولا قوة الا بالله والثاني ان يكون حفظ النهي
عنه لكنه خطر بباله لا يلحقه فيه وصف العصيان او نسي قوله فتكونا من الظالمين وقد ذكرنا النهي في وقت الفعل ولكن يسبق
الوصف بالفعل من النهي لعله سبق الى وهمه غير جهة التحريم اذ يكون النهي على اوجه احدها الحرمة والثاني نهي لما فيه من الداء
وعليه في اكله ضرر وهذا معروف في الشاهد بما عليه الطباع نهي قوم عن شيء لعله هي لهم ما يؤذي ويضر فيحتمل ان يسبق
الى وهمه ذلك لما وعد له في ذلك من عظيم النفع تحمل ما خوف به ليصل الى ما وعد فلما سبق وهمه النهي الى ما وجه من جهة الضرر والمشقة

وبين قوله فتكونا من الظالمين او ذكرا وعرفا ان الظلم قد يقع على الضرر كقوله كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص
والنقصان في النفس ضرر وعلى ذلك عامة اهل التفسير الظلم في القرآن انه الضرر واسم الضرر يأخذ من الداء وضد المأثم
وان كان حقيقته وضع الشيء في غير موضعه ولا قوة الا بالله • وقيل يحتمل النهي ان يخرج مخرج المنع ليكون عنه هو الذي يدل به
ويحضر ذلك لغيره لا على التحريم نحو الامر بالمعروف فيما منع الرجل ولده عن التناول لما يريد به غيره لا على التحريم واذا احتمل ذلك ثم بين
عظيم ما في ذلك من البركة من غير ان يعاين عدوه ليعلم ان ذلك صنيعه وجايز ان يسبق اليه ان ذلك اشارة ملك او الهام في النفس
على ما يكون لكثير من الاخيار الا انه من وحي عدوه فدعته نفسه الى الاكل فيكون كالناسي والجاهل بحقيقة وجه النهي وان كان نهي عن
اكله ولا قوة الا بالله والاصل في هذا ان فعله عليه السلام ان كان على نسيان العهد او على الذكر لم فان الذي اصابه عقوبة وان كان
بالذي يكون به المحنة فلولا ان الله يعاقبه على ما فعله لم يكن ليغير عليه نعمة بعذاب انعم عليه وقد قال انه لا يغير نعمه التي انعمها
على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وما لا يحتمل العقوبة بالتغير لم يكن ليفعل بعد وعده ذلك مع ما قد اعترفا بالظلم اذ قالا ربنا ظلمنا
انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الاية وقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقد كان قال لهما فتكونا من الظالمين فكان فيما بين
وجهان احدهما ان ذلك لم يزل عنهما اسم الايمان ولا دعيا اليه بعد فعلهما ذلك ثبت انه لا كل ذنب يزيل اسم الايمان
وان الذنوب لا يتحقق فيه الكذب فيما اعتقد ان لا يعصي الله في شيء وفي ذلك فساد اهل الخوارج والمعتزلة وبيان ان قوله
ومن يعص الله ورسوله يدخله نارا ليس على كل عصيان ولا الوعيد بالظلم المطلق يوجب كل ظلم وكل عصيان وغواية بل يلزم به
تقسيم هذه الحروف على ما يليق به ومن يريد بها الجمع في كل الايام خارج على المعروف من احكام الله في اهل المأثم والثاني انه
قد عوقب بوجه لا يجب جزمها ما يسميه المعتزلة كبيرة بل يزيل اسم الايمان من يخوض بشرب قطرة من الخمر لو قذف محصنة
او اخذ عشرة دراهم من مال الاخر وكذلك فعل اولاد يعقوب ثم يجترئ احد على دعوى خروج من ذكرت من دين الله لزم بطلان
قولهم معا كان من قولهم ان الصغيرة لا يجوز في الحكمة التعذيب عليها ولا الكبيرة العفو عنها وقد كان عذب آدم عليه السلام
بانواع العذاب لما لو لم يكن سوى ما اظهر فعلهما على رؤوس الخلايق لكان عظيما • ثم اختلف في الوجه الذي بلي منهم من يقول للمكان
من صلبه من الكفرة وهم ليسوا باهل الجنة وقيل رحمة للخلق ليلا ييأسوا ولا يزيلا الولاية بكل ذنب وقيل بليا لتنبه الخلق بهما
الا يقوم احد يتعاهد عما يذم اليه اذا وكل نفسه اليه فيكون ذلك سببا لزجر الخلق عن النظر الى انفسهم في شيء من الحيرة والفزع اليه
بالعصمة عن كل شيء وقيل بلي بحق المحنة اذ هي تردد صاحبها بين اللذات والآلام وبين احوال مختلفة لا يحتمل ان يصير بحيث يأمن
الزلل وانما ذلك بحفظ الله ومنه لا يتدبر احد وجهده وان كان الله تعالى الى يوفق على قدر الجهد ويعصم على قدر الرغبة اليه
والاعتصام به ولا قوة الا بالله وليس بنا حاجة الى ذكر حكمة الزلة اذا كانت نفسه مجبولة على حب باعثة الى مثله لولا نعمة ربه
كما قال يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الآية وقال لا تكسب كل نفس الا عليها • ثم اختلف
ماهية الشجرة قيل بانه شجرة العنب وجعل للشيطان فيها نصيبا بما بلي ابو البشر وامهم وقيل حنطة فيما جعل غذاء ولد ليبدل
بالراحة الكد وبالنعم البؤس وقيل شجرة العلم اذ بدت لهما سوآتهما فعلما بذلك ما لم يسبق لهما في ذلك وفزعا الى ما يستران به
من الورق والاصل ان هذا نوع ما يعلم بالخبر من عند عالم الغيب وليس بنا الى تعرف حقيقته حاجة وانما علينا معرفة قدر المعصية
فنعتصم بالله عنها والطاعة فنرغب وبالله العصمة • والاصل فيه ان الله تعالى فرق بين دار المحنة ودار الجزاء اذ الجمع بينهما تزيل
البلوى ويكشف الغطاء فجعل الدنيا الذي لا راحة فيه والمؤلم الذي لا تنغيص فيه جزاء والتردد منهما محنة ولا قوة الا بالله
وقوله تعالى فتكونا من الظالمين اي تصيران منهم وكذلك القول في ابليس وكان من الكافرين اي صار منهم ويحتمل من يكون
كذلك اذ في علم الله انهم يصيرون ممن في علم الله كذلك مع جواز القول بلا تحقيق آخر كقوله تبارك الله احسن الخالقين لان ثم
خالق غيره • ثم اختلف في الوجه الذي وصل ابليس اليه الوسوسة فقال الحسن كان آدم عليه السلام في السماء وابليس في الارض
ولكنه اوصل اليه بالسبب الذي جعل الله له ذلك وقال قوم كان خاطبه في راس الحية وقيل كان يتصور بغير صورته كان عنده قوله
ان هذا عدو لك الآية فاغتر به ولو فهم لما اغتر به بعدما حذره الله عنه والله اعلم كيف كان ذلك اختلف في الوجوه
التي يوسوس الى بني آدم منهم من يقول يجري بين الجلد واللحم كما يجري فيقابل وجه بصره بقلبه فيقذف فيه ومنهم يقول

هو بحيث

هو بحيث جعلت له قوة ايصال الخطر بباله والقذف في قلبه من الوجه الذي جعل له وذلك لا يعلمه البشر ومنهم
من يقول ان النفس كانها سيالة في الجسد دايرة في جميع الآفاق لولا الجسد الذي يحبسه لكان له الانتشار
على ما يظهر في حال النوم عند سكون جسده ومن ذلك سلطان فكر الرجل من نفسه اقصى بقاع الارض حتى يصير
كالمعاين فمن ذلك يكون قذفه وقد فرو نحن نقول وبالله التوفيق • انا لا نعلم حقيقة كيفية ذلك لكن الله تعالى
جعل للحق اعلاما وكذلك للباطل وكل معنى يدعو الى الباطل ويحجب عن الحق وعمل الشيطان يجب التعوذ عنه والفزع
اليه وان لم يعلم حقيقة كيفية ذلك قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال الله
عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا وقال الحسن في قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقد علم آدم ان الملائكة افضل وقد علم ان لا خلود يكون معه وقد اخبر
انه يموت وقد علم انه لا يكون ملكا وقد خلق من طين والملائكة من نور ولكن يكون على فضل الملائكة وقاسمهما
حلف لهما في وسوسته انه يقول ذلك على نصيحة فتابعاه في الاكل لا على القبول عنه ما ذكر اذ لو كان عن قبول كان ذلك
اعظم من الاكل ولكن اكلا على الشهوة واتباع الهوى ولو صدقاه في ذلك لكفرا وكان هذا اعظم من الاكل ولم يقل لهما
ذلك فيهما لاجل ذلك الشيء وذلك كما يقول الرجل لآخر في شيء يقبل عليه ويقطع لو فعلت لا تفعل بك ولك فيقدم
عليه انه يقدم لشهوته لا على التصديق له في ذلك وكذا من يذكر احدا مثل امرأة يحبها وايثارها اياه فيأتيها بشهوة
لا بتصديق الآخر فمثله امر آدم فيما وسوس اليه الشيطان وهذا الذي يذكر الحسن يوجب ان يكون آدم كان يعلم
ان ذلك كان من الشيطان عدوه وذلك لا اقدام اقدام على اثر ما ذكر على ما يصف انه كان يعلم امرا قطع يوجب
فعله على العلم بالنهي انه لا ينال به خيرا ولا يصل بذلك الى فضل بل اتبع الشيطان بما هوى واشتهى وهذا لو كان
شهدت كان قطيعا ان يدعيه على ابي البشر ومن عد فضل الله بالذي سبق ذكره بل لو قيل له انه لم يكن علم انه من عدوه
او الهام على ما يكون للاخيار وكان اسمع عن الصورة التي اراها من قبل كان اقرب واحق ان يظن به من ان يذكر الذي ذكر
ومتى يكون الاقدام لجهته بحرز لا على طمع في ذلك بل يتكرر ان يكون له ولكن على ما بينا وليس من ذلك الوجه الوحشة في الدين
ثم قد ذكر ملكين والكلام في الفضل ومن الفضل على قوله لا معنى له لانه يجعل فعلهم خيرا ومن فعله حتى لا يرتفع درجته
ولا يعلو قدره ثم يجعل الفضل لهم بالخلقة فكيف كان ينطمع في ذلك ولم يكن هو بخلقهم ولهذا انكر ان يكون نسبهم
عصيانا اذ خلقوا من نور ومن لا يعصي بالخلقة فانه لا يحمد ولو كان يجب الحمد ليجب في كل موات وكل حيوان لا يعصي بالخلقة
وذلك بعيد وجايز ان يكون آدم عليه السلام طمع ان يكون ملكين بان يجعل على ما عليه صنيعهم من العصمة والاكتفاء بذكره
وطاعته عن جميع الشهوات والله قادر على ان يجعل البشر على ذلك وذلك على ما يوجد فيهم من معصوم ومخذول ليعلم ان الخلقة
لا توجب شيئا مما ذكر ولا قوة الا بالله • ثم الاصل انه عرف موت البشر وما عنه خلق كل شيء انما هو سمعي ليس
هو حسي ولا في الجوهر دليل الفناء والله ان يميت من شاء ويبقي من شاء فقول الحسن انه علم ذلك يجب بثبات الخبر عن الله
ينتهي اليه انه كان بلغه في ذلك الوقت وكذلك امر الملائكة وحال الاضداد دعته الذكر وظهور العصمة تعرف بالحجة
والمشاهدة بينها ولا قوة الا بالله ثم ذكر الحسن في خلال ذلك ان آدم عليه السلام قد علم ان الملائكة لا يموتون
لا ادري ما هذا هو عقد اعتقد او جرى على لسانه لان مثله لا يعلم الا بما لا يرتاب في ذلك انه جاء عن الله ولا قوة
الا بالله وقوله فازلهما الشيطان عنها اي دعاهما وزين لهما الى سبب الزلة والاخراج منها لا ان تولى هو اخراجهما
وازلالهما وقد ذكرنا ان قد يسمى الاشياء باسم اسبابها والاسباب باسم الاشياء وذلك ظاهر معروف في اللغة غير ممتنع
تسمية الشيء باسم سببه والله اعلم وقوله مما كانا فيه من الخصب والسعة والنعيم التي انزلهما الله تعالى فيها واباح لهما
التناول فيما فيه ثم اختلف في وسوسة الشيطان لآدم وحوا عليهما السلام فيم كان ومن اين كان ولماذا كان
قيل انه كان في السماء فوسوس اليهما من راس الحية حسدا منه لما رآهما يتقلبان في نعم الله ويتنعمان فيه فاشتد
ذلك عليه وقيل انه كان في الدنيا فوسوس لهما من بعد والله اعلم • ثم اختلف في الشيطان الهه سلطان على القلوب

او يوسوس في صدورهم من بعيد فقال بعضهم له سلطان على القلب على ما جاء انه يجري من الانسان بين الجلد واللحم مجرى الدم
وقيل انه لا سلطان له على القلوب ولكنه نقذفيهم من البعد ويدعوهم الى الشر بانما ترى من الانسان من الاحوال من حال الخير
والشر وكان تلك الاحوال الظاهرة من اثر الخير والشر فاذا راى ذلك فعند ذلك يوسوس ويدعوه الى الشر وعلى ذلك قوله عز وجل
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم اخبر انه لا سلطان له علينا سوى الدعاء لنا وهو لا شبهة والله اعلم ثم قيل فيمن عصى ربه
ابليس قد اطاع الشيطان فقيل بلى فان قال فاذا اطاع ان لا كفر قيل لا انه ليس يقصد قصد طاعة الشيطان وانما يكفر بقصد
طاعة الشيطان وان كان في عصيان الرب طاعته وكذلك روى عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه سئل عن ذلك فاجابه بمثل هذا
الجواب والاصل ان الفعل الذي يبلى له ليس هو لنفسه فعل الطاعة للشيطان ليصير به مطيعا انما يجعله طاعة القصد بان يجعله
طاعة له وقد زال ذلك وان سر هوا به وفرح كما يسر والسرور عنهما واللذة وان كان ذلك يفعل من لا يجوز وصفه من فعل
ذلك بطاعة الشيطان ولا قوة الا بالله وقوله وقلنا اهبطوا قيل الهبوط هو النزول في موضع كقوله اهبطوا مصرا اي انزلوا
فيه ويحتمل الهبوط منها هو النزول من المكان المرتفع الى المنحدر والدون من المكان وقوله بعضكم لبعض عدو قيل يعني ابليس والحية
وادم واولاده بعضهم لبعض عدو والعداوة فيما بيننا وبينهم ظاهرة وقيل بيننا وبين الحيات عداوة طبع والعداوة التي
بيننا وبين ابليس عداوة اختيار وامر اذ الطبع ينفر عن كل موذ ومضر وبالله التوفيق وقوله ولكم في الارض مستقر تقرون فيها
كقوله وجعل لكم الارض قرارا وقوله ومتاع الى حين اي متاعكم الى انقضاء اجالكم ويحتمل متاعا لكم لانقضاء الدنيا وانقطاعها
وقوله فتلقى ادم من ربه كلمات اي اخذ وقبل من ربه كلمات فتاب عليه قيل فيه وجوها قيل فتاب به عليه اي وفقه للتوبة
وهداه اليها فتاب كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم التوبة فتابوا وقيل خلق فعل التوبة منه فتاب كما قلنا في قوله
هداه اليها فتاب اي خلق فعل الاهتداء فاهتدى وقيل تاب عليه اي تجاوز وقيل ان التوبة هي الرجوع رجع ادم عن عصيانه
فرجع هو اليه بالغفران والتجاوز وبعضه قريب من بعض وفي الاية انه انما تاب عليه لكلمات تلقاها من ربه والاية تنقض على المعتزلة
قولهم لانهم يقولون ان من ارتكب صغيرة فهي مغفورة له لا يحتاج الى الدعاء ولا الى التوبة فادم عليه السلام دعا بكلمات
تلقاها عنه فتاب عليه ولو كان مغفورا له لكان الدعاء فضلا وتكلفا وبالله التوفيق والكلمات هي ما ذكرت في سورة
اخرى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الاية وقوله انه هو التواب الرحيم اي قابل التوبة وقيل اي موفق التوبة
وهادي بها كقوله غافر الذنب وقابل التوب وقد ذكرنا في قوله فتاب عليه ما احتمل فيه الرحيم بالمومنين ورحيم بالتائبين
وقوله قلنا اهبطوا منها جميعا ذكر هبوطهم جميعا فاذا اهبطوا افرادى لم يخرجوا من الامر بل كانوا في الامر والذكر لا يصير الجمع
في الفعل شرطا وقوله فاما ياتينكم مني هدى اي لياتينكم وهذا جائز في اللغة وقوله فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون اي من تبع هداى ودام عليه حتى مات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكذلك قوله فمن اتبع هداى فلا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الاخرة اذا مات عليه وهذه الاية والتي تليها والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ينقض على الجهمية لانهم يقولون بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيهما فلو كانت الجنة تفنى وينقطع ما فيها لكان فيها
خوف وحزن لان من خاف في الدنيا زوال النعمة عنه وفوتها يحزن عليه ويتغصه ذلك ولهذا وصف الدنيا بالخوف
والحزن المانع ولا يبقى فاخبر عز وجل ان لا خوف عليهم فيها خوفا لتبعة ولا حزنا لحزن فوات النعمة ولا هم يحزنون
ذلك باقية وان نعيمها دائمة لا يبيد ولا يزول وكذلك اخبر عز وجل الكفار في النار خالدون وان عذابها اليم شديد لا يفتر
لهم رجاء النجاة منها هذه ذلك عليه وبالله التوفيق وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم يحتمل وجوها يحتمل قوله
اذكروا نعمتي التي خصصتكم بها دون غيركم من نحو ما جعل منكم الانبياء والملوك كقوله وجعلكم ملوكا واتيكم ما لم يؤت
احدا من العالمين ويحتمل اذكروا نعمتي التي بعني النجاة من فرعون حيث كان يستعبدكم ويستخدمكم ويستحيي نساءكم
كقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم الاية ويحتمل اذكروا نعمتي من نحو ما اطعم عز وجل المن والسلوى وتظليل
الغمام وغير ذلك منعوا نعمتهم وقيل نعمتي نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه وقت اختلافهم في الدين وتفرقهم فبما كان
عليه من معنى البيان بينهم على الحق من ذلك ويؤلف بينهم بالبيان كما احوجهم الاختلاف الى من يقوم بذلك منهم

يعلم

ليعلم صدقه في ذلك فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نعمة منه عليهم ان طاعته نجاتهم ولا قوة الا بالله ويحتمل
اذكروا نعمتي اي وجهوا شكر نعمتي الي ولا توجهوها الى غيري فان كان هذا المراد فيهم وغيرهم فيه اذ على كل منعم عليه ان يوجه
شكر نعمه الى ربه وكان الامر بذكر النعمة والله اعلم امرا بعرفانها في القلب انها منه لا الذكر باللسان اذ لا سبيل الى ذكر كل ما انعم عليه
سوى الاعتراف بالعجز عن اداء شكر واحدة منها طول عمره وقوله واوفوا بعهدي قد ذكرنا فيما تقدم ان عهد الله على وجهين
عهد خلقة لما جعل في خلقة كل احد دلائل تدل على معرفته وتوحيده وانه لم يخلقه للعبث ولا يتركه سدى وعهد
رسالة على السن الرسل كقوله تعالى اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وكقوله واذ اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية وقوله اوف بعهدكم الذي وعدتكم وهو الجنة كقوله لاكفرن عنكم سيئاتكم
ولادخلنكم جنات الاية ويقال اوفوا بعهدي الذي اخذ على النبيين بقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس فيكون عهده تبليغ ما بين في كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم والاقرار
والنصر له اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقوله واياي فارهبون اي اخشوا سلطاني وقدرتي وقيل اخشوا عذابي
ونقمتي وقيل اخشوا نقض عهدي وكتمان نعت نبيي محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وامنوا بما انزلت على نبيي محمد صلى الله
عليه وسلم من القرآن مصدقا لما معكم اي موافقا لما معكم من الكتب من التورية والانجيل وغيرهما وقد عرفوا موافقته
كتبهم اذ لم يتكلفوا جمع هذا الى كتبهم ومقابلة بعض ببعض او يحتمل قوله مصدقا اي موافقا لما معكم من الكتب وليس
كما قال صنف من الكفرة وهم الصابئون ان الانجيل نزل بالرخص والتورية نزلت بالشدايد فقالوا باثنين
لما لم يروا نزول الكتب بعضها على الرخص وبعضها الشدائد من واحد حكمة فقال عز وجل مصدقا اي موافقا الكتب
وانها انما نزلت من واحد لا شريك له وان كان فيه شدايد ورخص ان الله ان ينهى هذا عن شيء ويامر اخر وينهى
في وقت ويامر به في وقت وليس فيه خروج عن الحكمة ان يامر احدا وينهاه في وقت واحد وفي حال واحدة وفي شيء
واحد ثم في الاية دلالة ان المنسوخ موافق للناسخ غير مخالف له لان من الاحكام والشرايع ما كانت في كتبهم ثم نسخت لنا
فلو كان فيها خلاف لاظهروا القول منهم انه مخالف وانه غير موافق وكذلك في القرآن ناسخ ومنسوخ فلو لم يكن بعضه مخالفا
لبعض كقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله ولا تكونوا اول كافر به قيل فيه بوجهين قيل لا تكونوا
اول قدوة يقتدى بكم في الكفر وقيل اي لا تكونوا اول كافر فيما امنتم به لانهم كانوا امنوا به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به
فيلحقهم ما يلحق من سن السنن لقوم مما يكونون هم بمعنى الحجة لغيرهم اذ كانوا اعرف به واوانه بما معهم من الادلة والبراهين فيقتدى
بهم من لم يشهد ولا علم فيكون عليهم وكفروا اما على اول من كفر ولا قوة الا بالله مما يلحقهم فيه وصف التعنت والتمرد والله
الموفق وقوله ولا تشتروا باياتي قيل يحتمل ان الحسن الايات في جميع القرآن هي الدين كقوله اشتروا الضلالة بالهدى
واما عندنا فهي الحجج وقد ذكرنا ان اسم الشراء قد يقع من اختيار شيء بشيء ان لم يتلفظ بلفظ الشراء وقوله واياي فاتقون اي اتقوا
عذابي ونقمتي ويحتمل سلطاني وقدرتي وقد ذكرناه وقوله ولا تلبسوا يحتمل وجوها يحتمل لا تشتروا بالحق بالباطل
ويحتمل لا تلبسوا اي لا تلبسوا هو تلبيس الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا اي لا تشبهوا الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوه
اي لا تكتموا ويحتمل لا تلبسوا اي لا تمحوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم ولا تثبتوا غيره وكله يرجع الى واحد ثم الحق يحتمل وجوها
يحتمل محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته ويحتمل الحق القرآن ويحتمل الحق الايمان والباطل هو الظلم والكفر والله اعلم وقوله
وانتم تعلمون لما ذكر هو ونعته في كتابهم انه حق وان كان محمدا عليه افضل الصلوات واكمل التحيات والقرآن او الايمان
لكن تعاندون وتكابرون وقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يحتمل وجوها يحتمل الامر باقامة الصلوة وايتاء الزكوة
امرا بقبول الصلوات المعروفة والزكوة المعروفة المدعوة اليهما كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم
ليس هو اخبار عن اقامة فعلهما ولكن القبول لهما والايمان بهما ويحتمل ان يكون الامر باقامة الصلوة والزكوة امرا
بكونهم على حال تكون صلوتهم وزكوتهم زكوة قال كونوا في حال تكون صلاتكم صلاتا وزكوتكم زكوة في الحقيقة
لان الاية نزلت في بني اسرائيل وهم كانوا اهل كتاب وكانوا يصلون ويتصدقون ولكن صلاتهم وزكاتهم لم تكن لله

لما لم يأتوا بايمانهم فامروا ان يأتوا بالايمان ليكون صلاتهم تلك صلاة في حقيقة ويحتمل الامر باقامة الصلوة والزكوة امر
باقامتها باسبابها وشرائطها من نحو الطهارة واللباس واخلاص النية وذلك لنية له وذلك راجع الى المؤمنين ويحتمل الامر
بالصلوة والزكوة امر المعنى فيهما وهو الخضوع والطاعة والثناء عليه وذلك على كل احد ان يخضع لربه ويطيعه ولا يعصيه فكذلك
الزكوة على كل ان يزكي نفسه عن جميع القاذورات ويحفظها ويصونها عن جميع ما يفرق به وذلك فرض على كل احد وقوله واركعوا
مع الراكعين قيل فيه بوجوه قيل ان اليهود كانوا يصلون وحدانا فامر الله فامروا بالصلوة مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
بالجماعة وفيه امر بحضور الجماعة وقيل اركعوا مع الراكعين اي كونوا مع المصلين يعني المسلمين ولا تخالفوهم في الدين بالمذاهب
اي اعتقادا وقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم قيل فيه بوجوه تامرون الناس يعني الاتباع والسفلة باتباعكم
وتعظيمكم لعلمكم وتلاوتكم الكتاب وتنسون انفسكم ولا تامرونها باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لعلمه ونبوته
وكفضل منزلته عند الله وانتم تتلون الكتاب اي تجدون في كتابكم انه كذلك فلا تعقلون ان ذا لا يصلح وقيل اتامرون
الناس يعني الفقراء والضعفة بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تامرون الاغنياء واهل الثروة بالايمان به لما تخافون
فوت المأكلة والبر وانقطاعه عنكم ويحتمل ان الخطاب لهم ولجميع المسلمين ان لا يأمر احد لاحد بمعروف الا ويأمر نفسه بمثله
بل الوجوب ان يبدأ بنفسه ثم بغيره فذلك انفع واسرع الى القبول افلا تعقلون ان في ذلك في العقل لازم ان يجعل اول السعي
في اصلاح نفسه ثم الامر لغيره والله اعلم وقوله واستعينوا بالصبر والصلوة يحتمل وجوها يحتمل ان اي استعينوا بالصبر
على ترك الرياسة والمأكلة في الدنيا لان الخطاب كان للرؤساء منهم بقوله اتامرون الناس بالبر الى قوله وانتم تتلون الكتاب
والله اعلم ويحتمل ان اصبروا على ترك الرياسة لمحمد صلى الله عليه وسلم والانقياد والخضوع له لما بين لكم من الثواب في الآخرة
لمن آمن به واطاعه وترك الرياسة له ويحتمل ان اصبروا على المكاره وترك الشهوات بان الجنة لا تدرك الا بذلك لما جاء
حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ويحتمل ان استعينوا بالصوم والصلوة على دائهما لكن هذا يرجع الى المؤمنين والآية نزلت
في رؤساء بني اسرائيل دليله قوله وهم يتلون الكتاب وانما يصلح هذا التاويل في قوله يا ايها الذين آمنوا استعينوا الآية
وقوله عز وجل وانها لكبيرة يخرج والله اعلم على ما ذكرنا من ترك الرياسة والمأكلة في الدنيا انها لكبيرة عليهم الا على الخاشعين
فانها غير كبيرة ولا عظيمة عليهم ويحتمل ان ترك الرياسة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والانقياد له والخضوع لثقيل الا على الخاشعين فانه
لا يثقل ذلك عليهم ولا يكبر وقيل ان تحويل القبلة الى الكعبة لثقيل ويحتمل ان يقال ان الصبر على الطاعة واداء هذه الفرايض
لكبيرة على المنافقين الا على المؤمنين خاصة فانه لا يتعاظم ذلك عليهم وقيل ان تحويل القبلة الى الكعبة لثقيل على اليهود والله اعلم
وقوله الا على الخاشعين قيل فيه بوجوه قيل الخاشع هو الخائف بالقلب وقيل الخاشع المتواضع وقيل الخاشع ههنا المؤمن وقال
الحسن الخشوع هو الخوف اللازم بالقلب وقوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم يعني يعلمون ويستيقنون انهم ملاقوا
ربهم بكتبهم وصنيعهم وانهم اليه راجعون اي سيعلمون يومئذ انهم راجعون اليه قال صاحب المنطق الظن هو الوقف على احد
طرفي اليقين والشك هو الوقوف على احد طرفي الظن والوهم بين حدين وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
يحتمل وجوها يحتمل انعمت عليكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ان الناس كانوا على فترة من الرسل وانقطاع من الوحي واختلاف
من الاديان والمذاهب فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ليجمعهم ويدعوهم الى دين الله ويؤلف بينهم ويخرجهم من الحيرة
والتيه وذلك من اعظم نعمة انعمها عليهم وبالله التوفيق وذلك ايضا يحتمل فيما تقدم من الآيات وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي الآية وقوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وعهده في الارض سورته
كقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي وعلى ذلك قوله
ولا تكونوا اول كافر به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين امكن تخريج هذه الآيات كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ايضا قوله نعمتي التي
انعمت عليكم الوجوه التي ذكرنا احدها ان جعل منكم الانبياء والملوك كقوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله اذ جعل فيكم
انبياء وجعلكم ملوكا كما قيل ان كل نبي من لدن يعقوب الى زمن عيسى عليه السلام كان من بني اسرائيل ويحتمل ما آتاهم عز وجل

من انواع النعم ما لم يؤت احدا من العالمين كقوله وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من المن والسلوى وتظليل الغمام وامتداد
اللباس على قدر القامة والطول كما قيل ان ثيابهم كانت تزداد وتمتد عليهم على قدر ما تزداد قامتهم وكانت لا تبلى عليهم ولا تتسخ
وذلك مما لم يؤت احدا سواهم ويحتمل ايضا قوله نعمتي اي النجاة من فرعون وآله كقوله واذ نجيناكم من آل فرعون الآية وقوله
واني فضلتكم على العالمين قيل فضلوا على جميع من على وجه الارض على الدواب بالجوهر وعلى الجوهر بالرسل وعلى البشر بالايمان
ويحتمل تفضيلهم على العالمين وجوها ايضا ما ذكرنا من بعث الانبياء منهم والنجاة من ايدي العدو واهلاك العدو وهم يرونه
وفرق البحر بهم والنجاة منه واهلاك العدو فيه وذلك من اعظم النعم ان ترى عدوك في الهلاك وانت بمعزل منه آمن
وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الى قوله فضلتكم على العالمين يحتمل فضل آبائهم وفي الآية وجهان على المعتزلة
احدهما قوله اذكروا نعمتي عليكم وعندهم ان جميع ما فعل بهم ما عليه الفعل ولو فعل غيره لكان يكون به جائرا فاذا كان تركه
يفعله جائرا وفعله حق عليه ولا احد يكون يفعل ما يجوز له الترك منتهيا على احد فثبت ان كان ثم منة زايدا خصهم بها وان ليس
التخصيص محاباة كما زعمت المعتزلة ولا ترك الانعام بخل كما قالوا والثاني قوله فضلتكم على العالمين فلو لم يكن منهم اليهم فضل
معنى لم يكن تفضيل على غيرهم فثبت ان كان فيهم ذلك لنقض قول المعتزلة ان ليس لله ان يخص احدا بشيء الا باستحقاق بفعله
وبذلك هم فضلوا انفسهم على العالمين لا هو فكيف يمن عليهم بذلك ولا قوة الا بالله معما لا يخلو تفضيله اياهم على غيرهم
ومن ان يكون لهم الفضل في الدين اولا فان لم يكن فليس في ذلك تفضيل فان كانت ثبت ان ليس من الحق عليه التسوية بين
الجميع في اسباب الدين وقوله عز وجل واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الآية والله اعلم كانها مؤخرة في المعنى وان كانت
في الذكر مقدمة لانه قال واني فضلتكم على العالمين ثم ذكر الافضال والمنن فقال واذ نجيناكم من آل فرعون الآية وقوله
واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وقوله فاغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون ذكرهم عز وجل عظيم نعمه ومننه عليهم ليشكروا له
وليعرفوا انها منه وانه فضل منه ثم حذرهم عز وجل فقال واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الآية ليكونوا على حذر كي
لئلا يصيبهم ما اصاب الامم السالفة من الهلاك وانواع العذاب والتوسع عليهم كقوله فلولا اذ جاءهم باسنا الى قوله فلما نسوا
ما ذكروا به الآية ثم في الآية دليل القول لابي حنيفة واصحابه ان الولد يصير مشتوما مقذوفا بشتم والديه لما عيرهم عز وجل بصنيع
آبائهم بقوله ثم اتخذتم العجل من بعده وهم لم يتخذوا العجل وانما اتخذوا ذلك آباؤهم وكذلك عز وجل صنعه ومننه عليهم
من نحو النجاة من الغرق واخراجهم من ايدي العدو وفرق البحر بهم واهلاك العدو وانما كان ذلك لآبائهم دونهم لكن
ذكرهم عز وجل عظيم منته على آبائهم ليشكروا له على ذلك وكذلك عيرهم بصنيع آبائهم من اتخاذ العجل واظهار الظلم ليكونوا
على حذر من ذلك والله اعلم وفي قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بما كان انعامي عليهم باتباعهم الرسول
موسى عليه السلام وطاعتهم فاتبعوا انتم الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم واطيعوا له ولا تتركوا اتباعه وقوله واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا قيل اي لا تؤدي نفس عن نفس شيئا كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الآية وقوله ولا يقبل
منها شفاعة قيل فيه بوجهين قيل لا يكون لهم شفعاء يشفعون كقوله فما لهم من شافعين وكقوله ما لكم من ولي ولا شفيع
وقيل لو كان لهم شفعاء لا تقبل شفاعتهم كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لا يؤذن لهم بالشفاعة كقوله ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وقوله لا يؤخذ منها عدل والعدل هو الفداء اما من المال واما من النفس وذلك ايضا يحتمل وجهين يحتمل
ان لا يكون لهم الفداء على ما ذكرنا في الشفيع ويحتمل ان لو كان لا يقبل منهم كقوله ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ثم الوجوه التي يتخلص المرء في الدنيا اذا اصابته نكبة بثلاث
اما بفداء يفدي عنه مالا او نفسا او بشفعاء يشفعون له واما بانصار ينصرونه فيتخلص من ذلك فقطع عز وجل
عنهم جميع وجوه التخلص في الآخرة والآية نزلت والله اعلم في اليهود والنصارى وهم كانوا يؤمنون بالبعث والجنة والنار
كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقوله لن تمسنا النار الا اياما معدودة ولذلك ذكر اسم
الفداء والشفيع وما ذكر واما من لم يؤمن بالآخرة فلا معنى لذكر ذلك وقوله واذ نجيناكم من آل فرعون قيل آل الرجل
شيعته ولذلك قيل آل رسول الله قرابته وقيل كل مؤمن فهو من آله وعلى ذلك الامر بالصلاة عليه وعلى جميع من تبعه

وقوله يسومونكم سوء العذاب قيل فيه بوجهين قيل يقصدونكم اشد العذاب وذلك يرجع الى الاستعباد والاستخدام بعنهم
وقيل يسومونكم يذيقونكم اشد العذاب وذلك يرجع الى ما يسومهم من تذبيح الابناء وتقتيلهم كقوله يذبحون ابناءكم او يقتلون
ابناءكم وقوله ويستحيون نساءكم يحتمل ايضا وجهين يحتمل ايضا يستحيون من الحياء اى يستحيوا قتل النساء لما لا يخافوهن ويحتمل
من الاحياء اى تركوهن احياء فلم تقتلوهن وقوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل البلاء ممدود وهو النعم كانه قال فيما نجيكم من عدوكم
والاء نعمه عظيمة وقيل البلاء مقصور وهو الابتلاء والامتحان كانه قال فى استعباده اياكم واستخدامه امتحان عظيم وقوله واذ فرقنا بكم البحر
قيل فرقنا اى جعلنا لكم البحر فرقا اى طرقا تمرون فيه وقيل فرقنا اى جاوزنا بكم البحر وقوله عز وجل واذ واعدنا موسى اربعين كان
الوعد لهم والله اعلم وهذا ان احدهما من الله عز وجل بصرف موسى اليهم مع التورية كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اى صدقا
ووعد اخر كان من موسى بانصرافه اليهم بالتورية على راس اربعين ليلة كقوله فاخلفتم موعدى وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده
يحتمل اتخذتم اى عبدتم فاستوجبوا ذلك التعيير واللائمة بعبادة العجل لا باتخاذ نفسه ويحتمل اتخذتم العجل الها فاستوجبوا
ذلك باتخاذهم الها كقوله واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى وهذا كانه اقرب
وقيل اتخذتم اى صنعتم والله اعلم وقوله وانتم ظالمون قيل فى الظلم بوجوه قيل ان كل فعل يستوجب الفاعل عقوبته فهو ظلم
وقيل ان كل عمل لم يؤذن له فهو ظلم وههنا حيث فعلوا ما لم يؤذن لهم نسبهم الى الظلم لانهم ظلموا انفسهم وقيل ان الظلم هو
وضع الشئ فى غير موضعه فسموا بذلك لانهم وضعوا الالوهية فى غير موضعها وهذا كانه والله اعلم اقرب قوله عز وجل
ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لانه ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يزعمون ان الله اذا علم من احد انه يؤمن به فى اخر عمره وان طال
او يكون من نسله من يؤمن الى اخر الابد لم يكن له ان يميته ولا له ان يقطع نسله فاذا كان على الله ان يبقيهم ولا يقطع نسلهم لم يكن
للامتنان عليهم ولا للافضال وطلب الشكر منهم معنى اذ فعل عز وجل ما عليه ان يفعل وكل من فعل ما عليه ان يفعل لم يكن فعله فعل
امتنان ولا فعل افضال لانه عز وجل من عليهم بالعفو لا بانهم لانه لو اهلكنا باوهم وقطع تناسلهم انقرضوا وتفانوا ولم يتوالدوا
فالمنة عليهم حصلت لذلك طلبهم بالشكر له والله اعلم فاذا كان هذا ما وصفنا دل ان ليس على الله ان يفعل الاصلح لهم فى الدين وبالله
التوفيق وقوله لعلكم تشكرون اى لكى تشكروا وكذلك قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى لكى يوحدون وذلك
وذلك يحتمل ان يشهد خلقته كل احد على وحدانيته وكذلك يشكر خلقه كل احد له ويحتمل عبادة الاختيار بوحدانيته والشكر له
بما انعم وافضل عليه وذلك يرجع الى من يعبد ويوحد ويحتمل خلقهم ليامرهم بالعبادة والشكر له من احتمل منهم الامر بذلك
واذ اتينا موسى الكتاب يعنى التورية والكتاب اسم كل مكتوب وقوله والفرقان قيل سميت فرقانا لما فرق وبين فيها الحلال والحرام
وكل كتاب يفرق فيه بين الحلال والحرام فهو فرقان وقيل يسمى فرقانا لما فرق فيه بين الحق والباطل وهما واحد وقيل سميت التورية
فرقانا لما فيها المخرج من الشبهات وقيل لانه على الاضمار كانه قال واذ اتينا موسى الكتاب يعنى التورية ومحمدا صلى الله عليه وسلم
الفرقان كقوله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده وقوله لعلكم تهتدون فالكلام فيه كالكلام فى قوله لعلكم تشكرون وقد ذكرنا
فيه ما امكن والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم بعبادتكم العجل الى عبادة ربكم وقيل ارجعوا
عن اتخاذ العجل الها الى اتخاذ خالقكم الها وقوله عز وجل فاقتلوا انفسكم قال الفقيه ابو منصور رحمه الله لولا اجماع اهل التاويل
والتفسير على صرف ما امر الله تعالى اياهم بقتل انفسهم على حقيقة والا لم تكن نصرف الامر بقتل انفسهم على حقيقة القتل وذلك
لان الامر بالقتل كان بعد التوبة ورجوعهم الى عبادة الله والطاعة له والخضوع دليله قوله عز وجل ولما سقط فى ايديهم
وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ظهر بهذا انهم تابوا قبل ان يؤمروا بالقتل وقد شرع
على السنن المرسل قتال الكفرة حتى يسلموا فلا يجوز ذلك ان اسلموا فيحصل الارسال للقتل خاصة لا الدين والله اعلم ولان القتل
هو عقوبة الكفر لا عقوبة الاسلام وخاصة على استيصال على ما روى فى الخبر انه قتل سبعون الفا فى يوم واحد وذلك
استيصال واهلاك ولم يهلك الله قوما الا فى حال الكفر والعناد اذ الاسلام سبب درء القتل واسقاطه لان من يقتل
لكفره اذا اسلم سقط القتل عنه وزال وكذلك اذا اسلم وتاب ومات عليه لم يعاقب فى الاخرة لكفره فى الدنيا فعل ذلك
يجب ان لا يعاقب هؤلاء فى الدنيا بالقتل بعد التوبة والرجوع الى عبادة الله وطاعته ونصرف الامر بالقتل الى اجتهاد

انفسهم بالعبادة لله والطاعة له واحتمال الشدايد والمشقة لتفريطهم فى عصيان ربهم باتخاذهم العجل الها وبعبادتهم اياه
دون الله وذلك جائز فى الناس يقال لفلان يقتل نفسه فى كذا لا يعنون تحقيقه الامر ولكن اجتهاده نفسه فى ذلك واتعابه اياها
واحتمال الشدايد والمشقة فيه فعلى ذلك نصرف الامر بقتل انفسهم الى ما ذكر بالمعنى الذى وصفنا والله اعلم ثم اصرف ذلك الى حقيقة
القتل ان احتمل وجهان احدهما ان يجعل ذلك ابتداء محنة من الله تعالى لهم بالقتل لا عقوبة لما سبق من العصيان ولله ان يمتحنهم
ابتداء بقتل انفسهم كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم الاية على تاويل كثير من المتاولين فى ذلك اذ له
ان يميتهم فى جميع انواع الاماتة فعل ذلك له ان يامر بقتل انفسهم وفيه اماتة مع ما فيه الاستسلام لعظيم ما دعوا اليه من بذل النفس
بما فى مثله جعل وفاء ابراهيم الامر بالذبح وبذل ولده النفس له فيكون فى ذلك القدر وفاء وتوبة لا حقيقة القتل والله اعلم
والثانى يجوز ذلك لانه عقوبة الدنيا وعقوبات الدنيا وثوابها محنة فجاز الامتحان بعد التوبة والرجوع الى طاعة الله لانها
دار محنة واما عقوبات الاخرة وثوابها ليست بمحنة لانها ليست بدار امتحان لذلك جاز التعذيب فى الدنيا بعد التوبة ولم يجز
فى الاخرة اذا مات على التوبة والله اعلم ثم قيل فى قوله اقتلوا انفسكم بوجوه قيل امروا ببذل الانفس بالقتل والتسليم لمن دار
كان قد قتلوا انفسهم ويجوز ان يكون الامر بقتل انفسهم امر بمجاهدة الاعداء وان كان فيما تلفهم على ما قال ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم الاية مذكور ذلك فى التورية وكذا قوله لا يسفكون دماءكم نهى عن القتل الذى فيه قتل انفسهم وقد قيل فى قوله لا تقتلوا
انفسكم بمعنى اى لا تقتلوا فكانما قتلتم انفسكم وعلى هذا التاويل خرج ابو بكر قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم والله الموفق
وقيل امر بعضا بقتل بعض كقوله سلموا على انفسكم تحية اى يسلم بعضهم على بعض وقيل امر كل من عبد العجل بقتل والله اعلم
وقوله ذلكم خير لكم قيل ان التوبة خير لكم عند خالقكم وقيل قتل انفسكم خير لكم من لزوم عبادة العجل ويحتمل عبادة الرب
عز وجل خير لكم من عبادة العجل والله اعلم وقوله فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقد ذكرنا المعنى فى ذلك فيما تقدم
وفى بذل انفسهم للقتل والصبر عليه وكفا يديهم عن الدفع والممارسة فيه وجهان احدهما انهم كانوا طبعوا على اخلاق
البهايم والدواب وذلك ان موسى عليه السلام استنقذهم من خدمة فرعون واله ونجاهم من الشدايد التى كانت عليهم
ولحوق الوعيد بهم واراهم من الايات العجيبة من اية العصا واليد البيضاء وخرق البحر واهلاك العدو فيه وتنجية الاشهاد
من حجر واحد وغير ذلك من الايات ما يكثر ذكرها ان لو كانت واحدة منها لكفتهم ودلتهم على صدقه ونبوته ثم مع ما اراهم
من الايات اذا فارقهم دعاهم السامرى الى عبادة العجل واتخاذه الها كقوله هذا الهكم واله موسى فنسى فاجابوه الى ذلك
واطاعوه وكان هرون صلوات الله على نبينا وعليه فيهم يقول يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى
فلم يجيبوه ولا صدقوه ولا اكترثوا اليه مع ما كان هرون من احب الناس اليهم فلولا انهم كانوا مطبوعين على اخلاق البهايم
والدواب والا لما تركوا اجابته ولا عبدوا العجل مع ما راوا من الايات التى ذكرنا فاذا كان الى هذا يرجع اخلاقهم لم يبالوا
الى بذل انفسهم للقتل والله اعلم ونحو ذلك قوله قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وعلى ذلك جعلت ايات موسى
كلها حسية لا عقلية اذ عقولهم كادت تقصر عن فهم المحسوس ودركه فضلا من المستدل عليه والله اعلم والثانى
يحتمل اذ راوا ثواب صبرهم فى الاخرة وجزيل جزائهم وكثير مابهم فهان ذلك عليهم وخف كما روى ان امرأة فرعون
لما علم فرعون بعبادتها ربها وطاعتها له امر ان يعاقب باشد العقوبات ففعل بها فضحكت فى تلك الحال لما اريت
مقامها فى الجنة وكريم مابها فهان ذلك عليها وسهل فعلى ذلك يحتمل بذل هؤلاء انفسهم والصبر عليه لذلك والله اعلم وقوله
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال بعضهم قال الذين اختارهم موسى سبعين رجلا لن نصدقك بالرسالة
والتورية حتى نرى الله جهرة يخبرنا انه انزل عليك ويحتمل لن نؤمن لك انه اله ولا نعبده حتى نراه جهرة عيانا
فاحتج بعض من ينفى الرؤية فى الاخرة بهذه الاية حيث اخذتهم الصاعقة لما سالوا الرؤية قالوا فلو كان يجوز ان يرى
لكان لا تاخذهم الصاعقة ولا استوجبوا بذلك العذاب والعقوبة واما عندنا فليس فى الاية دليل بنفى الرؤية بل فيها
اثباتها وذلك ان موسى عليه السلام لما سالوا الرؤية لم ينههم عن ذلك ولا قال لهم لا تسالوا هذا وكذلك سال هو ربه
الرؤية فلم ينهه عنها بل قال ان استقر مكانه فسوف ترانى وذا حرف الوعد لا يجوز ذلك لو كان لا يحتمل لانه كفر

ومحال ترك النهي عنه وكذلك ما روي في الاخبار من سوال الروية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا انرى ربنا لم يات
عنه النهي عن ذلك ولا الرد عليهم فلو كان لا يكون لنهوا عن ذلك ومنعوا وانما ما اخذ هولاء الصاعقة لنسوا لهم الروية لانهم
لانهم لم يسالوا سوال استرشاد وانما سالوا سوال التعنت دليل التعنت فيما جاء من الايات من وجه الكفاية لم يصف لذلك
اخذتهم الصاعقة والله اعلم او ان يقال اخذتهم الصاعقة بقولهم لن نومن لك لا بقولهم حتى نرى الله جهرة وسنذكر هذه المسئلة
في موضعها ان شاء الله تعالى قوله الصاعقة قيل الصاعقة كل عذاب فيه هلاك لكن الهلاك على ضربين هلاك الابدان والانفس
وهلاك العقل والذهن كقوله وخر موسى صعقا اي مغشيا وفيه هلاك الذهن والعقل وكذلك قوله فصعق من في السموات
ومن في الارض اي غشي والله اعلم وقيل الصعقة صياح شديد وقوله وانتم تنظرون قيل بوجهين قيل يعلمون ان الصاعقة
قد اخذتهم واهلكتهم بقولهم الذي قالوا فكونوا انتم على حذر من ذلك القول وقيل وانتم تنظرون الخطاب لاولئك الذين
اخذتهم الصاعقة اي تنظرون الى الصاعقة وقت اخذتها لكم اي لم تاخذكم فجاة ولا بغتة ولكن عيانا جهارا والله اعلم
وقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون يذكرهم عز وجل عظيم منته عليهم وجزيل عطائه لهم ببعثهم بعد الموت
وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى من السماء لهم وذلك مما خصوا به دون غيرهم ثم ما كان لنا من الموعود في الجنة
فكان ذلك لهم في الدنيا معاينة من نحو البعث بعد الموت ومن الظل الممدود والطير المشوي والثياب التي كانت لا تبلى عليهم
ولا تتوسخ فذلك كله وعد لنا في الجنة وكان لهم في الدنيا معاينة يعاينون مما كان لهم هذا لم يجيبوا الى ما دعوا ولا يثبتوا على
ما عهدوا وذلك لقلة عقولهم وغلظ افهامهم وتشبههم على اخلاق البهايم والدواب والله اعلم وقوله كلوا من الطيبات
ما رزقناكم يحتمل وجهين يحتمل ما لم يحل لهم الفضل على حاجتهم فاباح لهم القدر الذي هم اليه حاجة وسماه طيبات ويحتمل انه
سماه طيبات لما لا يشوبهم داء يوذيهم ولا اذى يصيبهم ليس كطعام الدنيا مما لا يسلم عن ذلك والله اعلم وقد قيل الطيب هو
المباح الذي يستطيبه الطبع ويتلذذ به النفس وقوله وما ظلمونا هم الاية وقد ذكرنا معنى الظلم فيما تقدم وقد يحتمل وجها اخر
وهو النقصان كقوله كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم ينقص منه وحاصله ما ذكرنا ان الظلم هو وضع الشئ
في غير موضعه وكلها ذكرنا الى واحد وقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية اختلف في تلك القرية قيل انها بيت المقدس
كقوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم امروا بالدخول فيها والمقام هنالك لسعة عيشهم ورزقهم اذ هو
الموصوف بالسعة والخصب وقيل ان تلك القرية التي امروا بالدخول والمقام هنالك هي قرية على انقضاء التيه والخروج منها
غير انا ليس لنا الى معرفة تلك القرية حاجة وانما الحاجة الى تعرف الخلاف الذي كان منهم وما لحقهم بترك الطاعة له والاتمام
والله اعلم وقوله وكلوا منها حيث شئتم رغدا والرغد قد ذكرنا فيما تقدم انه سعة العيش وكثرة المال وقوله وادخلوا
الباب سجدا يحتمل المراد من الباب حقيقة الباب وهو الباب التي امروا بالدخول فيها ويحتمل من الباب القرية نفسها لا حقيقة
الباب كقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية ولم يذكر الباب وذلك في اللغة شايع جايز يقال فلان دخل في باب كذا لا يعنون
حقيقة الباب ولكن كونه في امر هو فيه وقوله سجدا يحتمل المراد من السجود حقيقة السجود فيخرج على وجه يخرج على التحية لذلك
المكان ويحتمل على الشكر له لما اهلك اعداءهم الذين كانوا فيها كقوله ان فيها قوما جبارين ويحتمل حقيقة لما روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بني اسرائيل امروا بالدخول سجدا فدخلوا متحرفين فاصابهم ما اصاب
بخلافهم امر الله ويحتمل الكناية عن الصلوة اذ العرب قد تسمي السجود صلوة كانهم امروا بالصلوة فيها ويحتمل الامر بالسجود لا حقيقة
السجود ولكن امر بالخضوع له والطاعة والشكر على اياديه التي اسداها اليهم وازال من سعة العيش والتصرف فيها في كل حال والله اعلم
وقوله وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم قيل بوجهين قيل الحطة هو قول لا اله الا الله سميت حطة لانها تحط كل خطيئة كانت
من الشرك وغيره فكانهم امروا بالايمان والاسلام وقيل قولوا حطة اي اطلبوا المغفرة والتجاوز عما ارتكبوه من المآثم والخطاء
والندامة على ما كان منهم فكانهم امروا ان ياتوا بالسبب الذي به يغفر الذنوب وهو الاستغفار والتوبة والندامة على ذلك
والله اعلم وذلك يحتمل ان الشرك والكباير وما دونها ذكر عز وجل مرة خطايا ومرة خطيئات ومرة قال ادخلوا ومرة قال
اسكنوا فانزلنا ومرة قال فارسلنا والقصد واحدة حتى يعلم ان ليس في اختلاف الالفاظ ولكن للمعاني المدرجة والالسن

تغيير المعنى

تغيير المعنى والمراد ان الاحكام والشرايع التي وضعت لم توضع للاسامي والالفاظ ولكن للمعاني المدرجة والمودعة فيها والله اعلم
وقوله وسنزيد المحسنين يحتمل المراد من المحسنين المعلم الذي كان اسلم قبل ذلك ويحتمل الذي اسلم بعد قوله حطة وكان كافرا
الى ذلك الوقت والزيادة تحتمل التوفيق بالاحسان من بعد كقوله فاما من اعطى واتقى الاية ويحتمل الثواب على ما ذكر من قوله اولئك
يوتون اجرهم مرتين الاية وقوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم قوله بدل يحتمل احداث ظلم بعدما لم يكن والخلاف لما امر الله
عز وجل ويحتمل تشوهم على غير الذي قيل لهم ولم يبين ما ذلك القول الذي بدلوا وليس لنا الى معرفة ذلك القول حاجة انما الحاجة
الى معرفة ما يكون منهم بالتبديل وترك العمل بامره واظهار الخلاف له فقد تولى الله بيان ذلك بفضله وبالله التوفيق وقوله فانزلنا
على الذين ظلموا رجزا من السماء قيل الرجز هو العذاب المنزل من السماء على ايدي الملائكة كعذاب قوم لوط وغيرهم وعذاب ينزل من السماء
لا على ايدي احد من نحو الصاعقة والصيحة ونحوهما وقوله بما كانوا يفسقون مرة ذكر يفسقون ومرة ذكر يظلمون وهو واحد وفي هذه
الايات التي ذكرنا والانباء التي وصفنا دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم واثبات نبوته وذلك ان اهل الكتاب كانوا عرفوا هذه
الانباء بكتبهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك بمشهدهم كما في كتابهم ولم يكن ظهر منه اختلاف اليهم ولا درس كتابهم
فدل انه بالله عرف وكان فيها تسكين قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصبر عليه لظهور الخلاف له من قومه وترك طاعتهم اياه
وان ذلك ليس باول خلاف كان له من قومه ولا اول تكذيب بل كان من الامم السالفة للانبياء ثم ذلك فصبروا عليه فاصبر انت
كما صبروا هم كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم الاية وقوله واذ استسقى موسى لقومه يعني طلب الماء لقومه
عند حاجتهم اليه فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك الحجر قد ذكرنا فيما تقدم ان الله عز وجل قد اراهم من عصاه ايات عجيبة
من نحو الثعبان الذي كان يتلقف ما يافكون كقوله فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون وقوله فاذا هي ثعبان مبين ومن ضربه
البحر بها حتى انفلق كقوله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ومن ضربه الحجر بها وانفجار العيون منه وغير ذلك من الايات
مما يكثر ذكرها عز وجل من ايات رسالته وايات نبوته وفيما ارى منها من عجيب اياته دلالة حدث العالم وابداعه لا من شئ
لانه عز وجل قد اخرج بلفظه من حجر يصغر في نفسه مما يحمل من مكان الى مكان من الماء ما يكون للخلق لا يحصى عددهم وتجري منه
انهار لكل فريق نهر على حدة ثم لا يحتمل كون ذلك الماء بكليته فيه لصغره وخفته ولا كان ينبغي ذلك من اسفله فاذا كان هذا
كما ذكرنا اظهر ان الله عز وجل كان ينشئ في ذلك الماء فيه ويحدث من لا شئ لان ذلك الحجر لم يكن من جوهر الماء ولا من اصله فاذا كان
قادرا على هذا القادر على انشاء العالم لا من شئ سبق ولا اصل تقدم وكذلك ما اراهم عز وجل من العصا والثعبان والحية لم يكن من جوهرها
ولا من اصلها ولا تولدها منها بل انشاء ذلك وابدع بلطفه والله الموفق وقوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قيل كانوا اثني عشر
سبطا بقوله اثني عشر نقيبا وهم بنو يعقوب فجعل لكل سبط نهرا على حدة فانقسم كل فريق الى اليم الذي كانوا فيه ولم ينفجوا
الى اعمامهم ففيه ان المواريث لا تنصرف الى غير الاباء الا بعد انقطاع اهل الاتصال بالاباء وفيه دلالة ان القوم في الصحارى والبراري
يتولون مجموعين غير متفرقين ولا متباعدين بعضهم عن بعض عونا للبعض وظهيرا الا انهم نزلوا جميعا في موضع واحد مجموعين
مع كثرتهم وازدحامهم غير متفرقين ولا متباعدين وان كان ذلك انفع لهم واهون عليهم من جهة الرعي والريع وسعة المنازل وفي الاول
سبق المعنى الذي وصفنا والله اعلم وقوله قد علم كل اناس مشربهم اي موردهم وفيه دلالة قطع التنازع ورفع الاختلاف بينهم
لما بين لكل فريق منهم موردا على حدة ولو كان مشتركا لحيف وقوع التنازع والاختلاف بينهم وفي وقوع ذلك بينهم قطع الانساب
والارحام وبالله التوفيق وقوله كلوا من المن والسلوى وقوله واشربوا من الماء الذي اخرج لهم من الحجر وكلاهما رزق الله الذي
ساقه اليهم من غير تكلف ولا مشقة وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل لا تسعوا في الارض بالفساد ويحتمل لا تعثوا اي لا تفسدوا
لان العثو هو الفساد نفسه كانه قال لا تفسدوا في الارض فتكونوا مفسدين وقوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد قيل فيه
بوجوه قيل اول ما انزل المن فعند ذلك قالوا لن نصبر على طعام واحد ثم انزل السلوى وقيل كانوا يتخذون من المن قرصا فياكلون
مع السلوى فهو طعام واحد فقالوا لن نصبر عليه ويحتمل ان يكون طعامهم في اليوم مرة فطلبوا الاطعمة المختلفة والله اعلم وقوله
فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال يبين لنا معنى اضافة الاشياء الى الله عز وجل
يخرج لنا مخرج التعظيم لذلك الشئ المخصوص من ذلك نحو قوله بيت الله ورسول الله وناقة الله هذا كله يخرج مخرج التعظيم بهذه الاشياء

العثو والعثي والعيث اشد الفساد
واصل عثي عثو نحو رضي رضو
عن الكشا

واضافة كلية الاشياء الى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم الرب وجلاله نحو ما قال رب كل شيء وخالق كل شيء ورب السموات والارض ونحوه
هذا كله وصف تعظيم الرب وجلاله وقد اختلف في الفوم قيل الفوم هو الثوم وكذلك روي في قراءة عبد الله انه قرأ وثومها وقيل الفوم
هو البر وقوله اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قيل في ادنى بوجوه قيل ادنى في القيمة وقيل ادنى في الخطر والرغبة وقيل ادنى
في المنافع وقيل ادنى لما لا يصل هذا اليهم الا بالمؤنة والمشقة وذلك لهم بلا مؤنة ولا مشقة فهو خير وكل يرجع الى واحد والله اعلم ويحتمل
ادنى اي ادون واقل ولا شك انما طلبوا وسألوا دون الذي كان لهم ويحتمل اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قد اعطوا ولو كان
ذلك اصلح لهم في الدين لم يكن موسى ليلومهم عليه ثبت انه لم يكن ثم اعطوه لك ثبت ان الله تعالى قد يجوز له في الحكمة فعل ما كان غير اصلح لهم
في الدين ولا قوة الا بالله وقيل اهبطوا مصرا قيل المصر المعروف وقيل مصر من الامصار لانما طلبوا لا يوجد الا في الامصار والله الموفق
وقوله فان لكم ما سألتم من الاطعمة المختلفة ان كان المراد منه المراد وان كان الاطعمة المختلفة فهو كما قال وقوله فضربت عليهم الذلة
قيل فيه بوجوه قيل الذلة ذلة احتمال المؤنة والشدائد لما سألوا من الاطعمة المختلفة وقيل الذلة ذلة الجزية والصغار بعصيانهم
ربهم وقيل ذلة الكسب والعمل لانه لا وكان يأتيهم من غير كسب ولا مؤنة والمسكنة قيل ذي الفقر والحاجة وقيل قطع رجائهم عن الاخرة
لما عصوا ربهم وقوله وباؤا بغضب من الله قيل فيه بوجوه قيل باؤا رجعوا وقيل استوجبوا وقيل اقروا وكله يرجع الى واحد وقوله
ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله قد ذكرنا فيما تقدم ان الآيات هي الحجج التي اعطى الرسل واجراها على ايديهم وقال الحسن هي دين الله
وقوله ويقتلون النبيين بغير الحق يحتمل ان يكون هذا في غيرهم لانه لم يكن في زمن موسى نبي سوى هرون وهم لم يقتلوه الا ان يقال ان ذلك
كان في اولادهم بعد موسى وكان ذلك من غيرهم سوى هؤلاء واولادهم على ان قتل الانبياء في بني اسرائيل كان ظاهرا حتى قتل في يوم كذا
كذا نبيا ولم يذكر قتل رسول من الرسل وذلك والله اعلم لقوله انا لننصر رسلنا ولقوله انهم لهم المنصورون وجندنا لم يضرهم وانهم هم
منصورون ومن كان الله ناصره فهو المنصور ابدا ولان الرسل هم الذين اوتوا الآيات من المعجزة فلم يكن لهم استقبال الرسل بذلك الآيات
التي كانت معهم واما الانبياء فلم يكن معهم تلك الآيات المعجزة وانما كانوا يدعون الخلق الى دين الله بالآيات التي كانت معهم بذلك كان ما ذكر
والله اعلم قال القوم لم يقتل احد من الرسل وانما قتل الانبياء ورسل الرسل فان كان كذلك فعلى ذلك يخرج ما ذكرنا من الآيات انه لم يكن
فالنصر كان بالحجج والآيات فكانت تلك الكل وعلى ذلك الادلة في كون الآيات مع الانبياء وغير كونها فانه لم يكن لهم ابتداء شرع ولا نسخ
بل على الدعاء الى ما سبق من الشرائع وكانت آياتهم كآيات الرسل او دلالات العصمة مع كانه حفظ الكتب السماوية بلا تبديل والله اعلم
بالحق في ذلك ونعتصم بالله عن بسط اللسان في ذلك بالتدبير دون شيء ظهر على السن الرسل او العقول فيهم بشيء ان كانت آية لكل او لا
لكن الله تعالى قد اقام حجته لكل على قدر الكفاية والتمام وقوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الآية قيل ان لليهود والنصارى
وهؤلاء جايز ان يكون لهم تعلق بظاهر هذه الآية لانهم يقولون انا آمنا بالله وآمنا باليوم الآخر فليس علينا خوف ولا حزن لكن الجواب
لهذا وجوه احدها انه ذكر المؤمنين بقوله ان الذين آمنوا وايمانهم ما ذكر في آية اخرى وهو قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد منهم وهم قد فرقوا بين الرسل بقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض وفرقوا بين الكتب
ايضا آمنوا ببعض وكفروا ببعض فهؤلاء الذين ذكرهم عز وجل في هذه الآية هم الذين آمنوا بجميع الرسل وآمنوا بجميع الكتب ايضا فاذا كان
هذا ايمانهم لم يكن عليهم خوف ولا حزن والثاني ذكر الايمان بالله هو الايمان بجميع الرسل وجميع الكتب ولكنهم لا يؤمنون بالله
ولا يعرفونه في الحقيقة او ان يقال ذكر عمل الصالحات والكفر ببعض الرسل ليس من عمل الصالحات لذلك بطل تعلقهم بهذا والله اعلم
وقيل في ذلك على التقديم والتأخير كانه قال ان الذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر والذين آمنوا الآية وللمعتزلة
تعلق ايضا بظاهر قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وصاحب الكبيرة عليه خوف وحزن فلو كان مؤمنا لكان لا خوف عليه ولا حزن
لانه اخبر ان المؤمن لا خوف عليه ولا حزن فدل انه يخرج من ايمانه اذا ارتكب كبيرة فقال لهم لم ينف عنهم الخوف والحزن في كل الوقت
فيحتمل ان يكون عليه خوف في وقت ولا خوف عليه في وقت آخر لان لكل مؤمن خوفا لبعث وفزعا حتى الرسل بقوله يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا لشدة فزعهم من هول ذلك اليوم فاذا دخلوا الجنة ونزلوا منازلهم ذهب ذلك الخوف
والفزع عنهم فعلى ذلك المؤمن يكون له خوف في وقت ولا خوف عليه في وقت آخر والله اعلم واختلف في الصابئين قيل الصابئون
قوم يعبدون الملائكة ويقرؤن الزبور وقيل انهم قوم يعبدون الكواكب وقيل هم قوم بين المجوس والنصارى وقيل هم قوم

والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية

بين اليهود والمجوس وقيل هم قوم يذهبون مذهب الزنادقة يقولون باثنين لا كتاب لهم ولا علم لنا بهم وقوله واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور قد ذكرنا فيما تقدم ان ميثاق الله وعهده على وجهين عهد خلقة وعهد فطرة وعهد رسالة ونبوة وقوله
واذ اخذنا ميثاقكم في التورية انهم لما ابوا ان يقبلوها فنقضوا ذلك العهد لما رأوا فيها الحدود والاحكام والشرايع كرهوا فرفع الله الجبل
فوقهم فقبلوا ذلك ويحتمل ما ذكرنا من عهد خلقة وفطرة فنقضوا ذلك وقوله خذوا ما آتيناكم بقوة قيل خذوا التورية
بالجد والمواظبة وقيل بقوة يعني بالطاعة له والخضوع ثم احتج بعض المعتزلة بهذه الآية على تقدم القدرة الفعل لانه امرهم
عز وجل ان يقبلوه ولا يأخذوا والعمل بما فيها فلو لم يعطهم قوة الاخذ والقبول له قبل الاخذ الفعل كان لا يأمرهم به لانهم
يقولون لا قوة لنا على ذلك فدل انه قد اعطاهم قبل ذلك لكنه غلط عندنا لانه لو اعطاهم القوة قبل الفعل ووقت الامر
ثم تذهب عنهم تلك القوة وقت الفعل لكان الفعل بلا قوة اذ من قولهم ان القوة لا تبقى وقتين فدل انها تحدث بحدوث الفعل
لا تتقدم ولا تتأخر ولكن يكون معها ولا نهاية بقدرته قدرة الفعل فلو كانت تتقدم الفعل لم يكن لاضافة الفعل اليها معنى ولانهم
ولا اصل له في ذلك ان الله تعالى قال خذوا ما آتيناكم بقوة ومعلوم ان المراد من تلك الاخذ بقوة الاخذ ثم فيه وجهان
احدهما الاخذ قوة عن الترك والثاني ان ذكر الاخذ بقوة فاذا لم يكن معه لم يكن بها فان يرى ان قوته اذا تباعد
لم يحتمل بما تقدم من القوة وقاتا قتله وقت واحد وقوله واذكروا ما فيه قيل فيه بوجوه قيل اذكروا واحفظوا ما فيه
من امره ونهيه ولا تضيعوه لعلكم تتقون المعاصي والمآثم ويحتمل اذكروا ما فيه من التوحيد والايمان لعلكم تتقون
الشرك والكفر ويحتمل اذكروا ما فيه من الاحكام والشرايع ويحتمل الثواب والعقاب والوعد والوعيد وكله واحد
وقوله ثم توليتم من بعد ذلك معناه والله اعلم ان هذا اعلام انهم كانوا قبلوا ذلك مرة قبل ان يأتيهم موسى عليه السلام بها
فلما اتاهم رأوا الشدة بدوا المشقة ابوا قبولها وتركوا العمل بما فيها من الاحكام والشرايع حتى رفع الجبل فوقهم فقبلوا ذلك
والله اعلم وقوله فلولا فضل الله عليكم ورحمته يحتمل وجوها فضل الله عليكم الاسلام ورحمته القرآن قيل فضل الله عليكم
محمد صلى الله عليه وسلم بعث اليكم رسولا يحكم وبيان بينكم ويدعوكم الى دين الله الحق بعد ما كنتم في فترة من الرسل وانقطاع الوحي
والعمل ويحتمل فضل الله عليكم لما اتخذ لكم من العذاب ولم يرسل عليكم الجبل … ثم وقيل فضل الله عليكم لما اعطاكم
التوبة ورفقهم على قبولها ولا بكتكم من الخاسرين بعضه قريب من بعض وقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت
فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه قال ولقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم الذين اعتدوا منكم في السبت
ولا كان عالما فعلى انهم علم ذلك فانما علم بالله عز وجل لانه لم يكن … ولا كان يختلف الى احد منهم يعرف ذلك فانه عز وجل
عرف ذلك وبه علم فدل انه رسول الله اليكم ويحتمل قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
اي علم ما اصابوا ولذلك انهم اعتدوا بهم يوم السبت لاصطيادها وكنتم تقولون بعدها كان ابناء الله واحباؤه يعني ابناء رسل الله واحباؤه
فلو كان كما تقولون لم يكن يجعلهم قردة وهي اقبح خلق الله واوحشه لان مثل ذلك لا يفعل بالاحباء والابناء وان يجعل على التحذير
لهؤلاء ليلا يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يعصوه في امره فيصيبكم ما اصاب اولئك بتكذيبهم موسى وعصيانهم امره والله اعلم
ثم سبب تحريم الاصطياد في السبت كان والله اعلم لما قيل ان موسى اراد ان يجعل يوما لله خالصا للطاعة له والعبادة فيه وهو يوم
الجمعة فخالفوه امره ونهيه وقالوا نجعل ذلك اليوم السبت لانه لم يخلق لعمل فحرم الاصطياد في ذلك اليوم لذلك وحولوا قردة
عقوبة لهم لما نهوا عن الاصطياد في ذلك اليوم فاصطادوا وعلى ذلك تأويل قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يعني يوم الجمعة
وقيل اختلفوا فيه يعني في الله ثم اختلف في قوله كونوا قردة قال القوم قوله كونوا قردة من الاصل على ذهاب الانسانية وقيل حول
جوهرهم الى جوهر القردة على ابقاء الانسانية فيهم من الفهم والعقل لانه قيل ان الذين كانوا نهوهم عن الاصطياد في ذلك اليوم
دخلوا عليهم فيقولون لهم الم ننهكم عن ذلك ونزجركم فاوموا اي نعم ودموعهم تفيض على خدودهم فلو كان التحويل على ذهاب
جميع الانسانية منهم لكانوا لا يفهمون ذلك ولا حزنوا على ما اصابهم لان كل ذي جوهر راض بجوهره الذي خلقه الله سبحانه
ليس بمر ولا بتحويله اياهم قردة عقوبة لتمردهم في التكذيب وجراءتهم على الله ليعلموا ذلك ويروا انفسهم اقبح خلق الله واوحش
وفيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ليس في خلق الله قبيح فلو لم يكن في خلق الله قبيح لم يكن لتحويل صورتهم من صورة الانسان

الى قبح صورة معنى ليرو اقبح انفسهم عقوبة لهم بما عصوا امر الله ودخلوا في نهيه **وقوله** فجعلناها نكالا قيل الهاء راجعة الى القرية التى كانوا فيها **وقوله** لما بين يديها من اهل القرية وما خلفها حواليها وقيل ارادبالهاء القرية لما بين يديها من القرى وما خلفها من العرى وقيل اراد بالهاء العقوبة والنكال لما بين يديها يعنى لما مضى من الذنوب وما خلفها يعنى ما بقى والله اعلم **وقوله** خاسئين يعنى قبل الكلام الصاغر وقيل الخاسى الذليل وقيل البعيد وكله يرجع الى واحد والله اعلم **وقوله** واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قيل قتيل قتل في بنى اسرائيل والقى على باب غيرهم فتنازعوا فيه واختلفوا فامر الله نبيه موسى عليه السلام ان يذبحوا بقرة فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فاضربوا ببعضها ذلك الميت فيحيى فيقول من قتلنى قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قال بعضهم كفروا بهذا القول لانهم سموه هازيا ومن سمى رسولا من الرسل هازيا كفر الا ترى انهم قالوا فى الاخر الان جئت بالحق دل انما قال لهم اوله ليس بحق عندهم وليس هذا بشئ ولا يحتمل ما قالوا ولكن يحمل على المجازاة كانهم قالوا اتجازينا بهذا المعصية ما سبق من العصيان بك وخلاف لك لم يعلموا انه من عند الله يامر بذلك وهذا وامثاله على المجازاة جاير على ما ذكرنا من الاستهزاء والمخادعة والمكر كله على المجازاة جاير وكقول نوح لقومه انا نسخر منكم كما تسخرون على المجازاة فكذلك الاول واما الاستهزاء فيما بين الخلق فهو جهل يسخر بعضهم ببعض لجهل باحوال انفسهم اذكلهم سواء من جهة الجوهر والخلقة وتركيب الجوارح وتصوير الصور وتمثيلها الا ترى ان موسى اجابهم عن الهزو بالجهل فقال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين دل ان الهزو فى الخلق جهل فيهم وبالله التوفيق ثم استدل قوم بهذه الاية على عموم الخطاب وقرع السمع لانه امرهم بذبح بقرة لم يبين لهم كيفيتها وماهيتها ووقت الخطاب لا بعد البحث والسوال عنها فثبت انه على العموم الا ترى ما روى فى الخبر لو عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم لكن هذا لا يصح لانه دعوى على الله حدوث شئ فى امره وبدو فى حكمه فذلك كفر لا يتوهم مسلم فضلا عن ان يقوله رسول من الرسل تاويل هذا انه قال انه يقول كذا فلو كان الاول على ذلك لكان قد اله فيما على عم وضربها لم يكن ارادو ذلك معنى البدا بل معنى الرجوع عن الاول بما ارادوا التفسير بغيره ولا قوة الا بالله ثم فى الاية دليل خصوص الخطاب من وجهين احدهما ان كل اية خرجت فى الظاهر على العموم وهو مرادها ثم ظهر الخصوص فهو بيد وحدوث فى الاحكام والشرايع فذلك محال من جهل العواقب والنهايات تعالى الله عن ذلك ومعنى سوالهم بدعاء لربهم البيان بما اريد جعل ذلك اية وقع عندهم ان لا كل بقرة تصلح للايات ولذلك لم يسالوا موسى عن تفسيرها اذ الله تعالى هو الذى يعلم الايات والحرف الثانى هو الاول لانا قلنا الاصرف المراد فى الابتدا لما يوجبه والامر بالذبح فى الابتداء كان على ما امرها اليه وظهر لكنهم امروا بالسوال عنها والبحث عن احوالها ليصلوا الى المراد فيه لا انه احدث لهم ذلك بالسوال وعلى ذلك ما روى فى الخبر ان صلة الرحم تزيد فى العمر لما علم من عبده انه يصل رحمه جعل مدة عمره اكثر مما لو علم انه لا يصل لا انه يجعل اجله الى وقت فاذا وصل رحمه زاد على ذلك لا على ما يقوله المعتزلة ان الله تعالى يجعل لكل احد اجلين فاذا وصل اماته فى ابعد الاجلين واذا لم يصل جعل اجله الاول فهذا امر من يجهل العواقب فاما من كان عالما بالعواقب فلا انه يريد ورجوع عما تقدم من الامر ثم استدل بهذه الاية بقبول قول اولياء المقتول وهم لا وجه لاحدها ما لا يقبل قول القتيل قبل خروج الروح منه فلان قتلنى فى قطع حق الميراث واغرام الدية والثانى ان ذلك كان اية عظيمة لهم لم يكن ذلك لغيرهم والثالث ان اولياء المقتول قد كانوا قبل ان يحيى يدعون عليهم القتل فلو كان لهم حق القبول لم يحتج الى تلك الاية والرابع ان قبول قول الميت احق من قبول قول الولى لان الولى ينتفع بقوله شيئا ثم القتيل لا يقبل قوله فى شريعتنا فكذلك الولى والله الموفق ثم وجه حكمة جعل البقرة اية دون غيرها من البهايم وجهان احدهما ما روى ان رجلا كان بارا بوالديه محسنا اليهما عاطفا اليهما وكانت له بقرة على تلك الصفة والشبه فاراد الله عز وجل ان يوصل اليه فى الدنيا جزاء ما كان منه بمكانه الى الديه والثانى انهم كانوا يعبدون البقور والعجاجيل وحبب ذلك اليهم كقوله واشربوا فى قلوبهم العجل ثم تابوا وعادوا الى عبادة الله وطاعته فاراد الله ان يمتحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة والاقلاع ما كان فى قلوبهم من حب البقور والعجاجيل والله اعلم **وقوله** لا فارض يقول ليست بكبيرة ولا بكر ولا شابة عوان بين ذلك بين الشابة والكبيرة وقيل لا فارض لا كبيرة على ما ذكرنا ولا بكر اى ولا ما انه عوان بين ذلك اى قد ولدت بطنا او بطنين **وقوله** صفراء قيل الصفر الذى تضرب الى السواد وذلك لشدته وقيل الصفر من الصفر المعروف **وقوله** فاقع لونها قيل صاد تسر الناظرين تعجب الناظرين وقيل لونه فاقع لونها صفراء الظليف والقرن والله اعلم **وقوله** لا ذلول تثير الارض قيل لم يذللها العمل اى لم يزرع عليها ولا هى ما يستقى عليها اى بقرة وحشية صعبة تثير الارض ولا تسقى الحرث وقيل لا ذلول لا الارض

قال انه بقرة

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة

فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة

اى بقرة وحشية

اى بقرة وحشية تثير الارض ولكن اثارتها الارض لم تذللها لصعوبتها وشدتها **وقوله** وما كادوا يفعلون قيل فيه بوجوه ما كادوا يفعلون تخوفا على انفسهم ان يفتضحوا الظهور القاتل وقيل وما كانوا يفعلون لغلاء ثمنها والاول قريب والله اعلم وقيل انهم استقصوا فى تلك البقرة والسوال عن احوالها والاستقصاء فى الشئ ربما يكون للمدافعة والله الموفق **وقوله** وانا ان شاء الله لمهتدون وهو قوم موسى مع غلظ افهامهم ورقة عقولهم اعرف الله واجهل توحيدا من المعتزلة لانهم قالوا ان شاء الله لكنا من المهتدين والمعتزلة يقولون قد شاء الله ان يهتدوا وشاؤا هم ان لا يهتدوا فغلبت مشيتهم على مشية الله تعالى على قلوبهم فنعوذ بالله من السرف فى القول والجهل فى الدين وفى قوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة دليل لابى حنيفة رضى الله عنه واصحابه ان من حلف لا ياكل لحم بقرة فاكل لحم ثور حنث لان الله تعالى ذكر البقرة ثم بين فى اخره ما يدل انه اراد به الثور بقوله لا ذلول تثير الارض والثور هو الذى يثير الارض ويسقى الحرث دون الانثى منها لذلك كان الجواب على ما ذكرنا الا ان يكون نواهم كانوا يحرثون بالانثى منها كما يحرث اهل الزمان بالذكر فحينئذ لا يكون فيه دليل لما ذكرنا والله اعلم واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فى الاية دليل مراد الخصوص وان خرجت فى الظاهر مخرج العموم لانه قال عز وجل فقتلتم وانما قتله واحد وقال والله مخرج ما كنتم تكتمون وانما كان كتمه الذى قتله لذلك قلنا ان لا تصرف مراد الاية الى العموم بلفظ العموم ولا الى الخصوص بلفظ الخصوص الا بعد قيام الدليل والبرهان على ذلك والله الموفق **وقوله** فقلنا اضربوه ببعضها قال بعضهم يعنى بفخذها الايمن لكن هذا لا يعلم الا بخبر عن الله تعالى ولكن يقال ببعضها يقدر ما فى الكتاب **وقوله** كذلك يحيى الله الموتى اى هكذا يحيى الله الموتى من الوجه الذى لا يتوهمون احياء بضربه بعض البقرة عليه وكذلك قوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور فكما احياء الارض بعد موتها بالمطر المنزل من السماء يقدر على احياء الموتى وبعثهم على الوجه الذى لا يظنون ولا يتوهمونه والله اعلم ويحتمل احياء ذلك القتيل لهم لما لم يكونوا اطمانوا على احياء الموتى فاراهم الله عز وجل ذلك ليطمانوا وليستقروا على ذلك ولا يضطرب بواقيه والله اعلم ويريكم اياته يحتمل يريكم آيات وحدانيته ويحتمل يريكم آيات احياء الموتى وآيات البعث ويحتمل آياته فيما يحتاجون اليه كما ارى من تقدمكم عند حاجاتهم ويحتمل يريكم اياته آيات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو خبر عن الغيب واوضح آيات الرسالة الخبر عن الغيب وذكر القصة على الوجه الذى يعلم ان الاختراع لا يبلغ ذلك ليعلموا انه بالله علم انه اذ لم يذكر له خط كتاب ولا الاختلاف الى من عنده علم انه لو كان مسموعا منهم ليجرى على مثله القول بالزيادة والنقصان ولكن منعهم الله تعالى عن ذلك ذلوا واصدقوا اشفاقا على انفسهم ان تنزل عليهم نقمة الله **وقوله** لعلكم تعقلون لكى تعقلوا آيات وحدانيته وتعقلوا انه قادر على احياء الموتى بعد الموت **وقوله** ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة ضرب الله لقلوبهم مثلا بالحجارة وشبهها بها لتساويها وشدة صلابتها وانها اشد قسوة من الحجارة وذلك ان من الحجارة مع صلابتها وشدتها مع فقد اسباب الفهم والعقل وزوال الخطاب منها تخضع له وتتصدع لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله **وقوله** فلما تجلى ربه للجبل الاية وقلب الكافر مع وجود اسباب الفهم والعقل وسعته سببا للقبول لا يخضع له ولا يلين وكذلك اخبر الله عز وجل عن الجبال انها فعالة مع صلابتها وشدتها حتى يتفجر منه الانهار والمياه وقلب الكافر مع احتمال ذلك امكانه لا منفعة منه لاحد وبالله التوفيق ثم وجه حكمة ضرب قلوبهم مثلا بالحجارة وتشبيهها بها دون غيرها من الاشياء الصلبة من الحديد والصفر وغيرهما وذلك والله اعلم ان الحديد يلين بالنار وكذلك الصفر حتى يضرب منها الاوانى والحجر لا يلينه النار ولا شئ لذلك شبه قلب الكافر بها وهذا والله اعلم فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا **وقوله** وما الله بغافل عما يعملون خرجت على الوعيد ابلغ الوعيد والوعظ حين ذكرهم علمه بما يعملون **وقوله** افتطمعون ان يؤمنوا لكم قيل الاية وان خرجت على عموم الخطاب فالمراد منها الخصوص وهو الرسول صلى الله عليه وسلم واليه يذهب اكثر اهل التفسير وقيل ان المراد بها بعموم الخطاب العموم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانها خرجت على النهى عن الطمع فى الايمان منهم كانه قال لا تطمعوا فى ايمانهم كقوله فانت تنقذ من فى النار اى لا تنقذ وكقوله افانت تسمع الموتى اى لا تسمع الموتى **وقوله** وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه الاية لقايل ان يقول ايش فيما كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ما يجب ان يدفع الطمع عن ايمان هؤلاء فهو والله اعلم لوجهين احدهما انهم كانوا اصحاب تقليد كقوله انا وجدنا

وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله

ابائنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فاخبر عز وجل ان هؤلاء وان راوا الايات العجيبة فانهم لا يؤمنون ابدا لانهم اصحاب تقليد
لا ينظرون الى الحجج والايات والثاني انهم مع كثرة ما عاينوا من الايات وشاهدوا من العجايب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يطمع في ايمانهم فكيف طمعتم انتم في ايمان هؤلاء وهم اتباعهم والله اعلم ولهذا وجهان اخر ان احدهما كانه قال لا تطمع في ايمانهم لانهم
في علم الله على ما عليه من ذكر والثاني لان اولئك كانوا اخيرا من هؤلاء وارغب في الحق منهم ثم لم يؤمنوا مع سماع الحجج ويجب به
الايمان فكيف تطمع في ايمان هؤلاء وقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه انه من عند الله ويعلمون انه وهم يعلمون رسول الله وانه حق
وقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا قد ذكرنا فيما تقدم انها في المنافقين نزلت وقوله واذا خلا بعضهم الى بعض يحتمل وجهين
خلا بعض المنافقين الى بعض قالوا اتحدثونهم بكذا ويحتمل خلا المنافقون الى اليهود وقوله اتحدثونهم بما فتح الله قص الله وقيل
فتح الله قضى الله وقيل من الله عليكم في التورية وكله يرجع الى واحد وقوله ليحاجوكم به اي باعترافكم عند هؤلاء ويحتمل على انهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال ليحاجوكم باقراركم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل على معنى ليحاجوكم به
عند ربكم اي في ربكم اذ العرب يستعمل حروف الخفض بعضها في موضع بعض ويحتمل عند ربكم اي يوم القيمة ويكون ليحاجوك بما عند الله
اي بالذي جاءكم من عند الله لكن لقائل ان يقول لا معنى لذكر المحاجة عند ربكم والمحاجة يومئذ لا يكون الا عنده ولا يكون يحاجوكم به
عند الله اي بالذي جاءكم من عند الله قيل لان ذلك اشد اظهارا واقل كتمانا لما سبق منهم الاقرار بذلك ولذلك تهواتوا
لانهم كانوا انهوا اولئك عن الاقرار بالايمان عند المؤمنين واظهار ما في التورية من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته
وقوله افلا تعقلون ان هذه حجة لهم عليكم حيث تعترفون به وتظهرون نعته وصفته ثم لا تتابعوه ويحتمل افلا تعقلون انه حق
وقوله اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون قيل ما يسرون وما يعلنون قيل ما يسرون في الخلوة من الكفر به والتكذيب
وما يعلنون لاصحابه من التصديق له والايمان به وقيل ما يسرون من كتمان نعته وصفته وما تظهرون من اظهار نعته وصفته
الذي في التورية ويحتمل ما يسر هؤلاء لهم من النهي عن اظهار ما في التورية وما يعلن هؤلاء للمؤمنين من اظهار نعته وصفته والله اعلم
وقوله ومنهم اميون لا يعلمون يقول من اليهود من لا يقرأ التورية ولا يعرفها الا ان يحدثهم العلماء والرؤساء منها والامي
الذي لا يكتب ولا يقرأ عن كتابة لكنه يقرأ لا عن كتابة كالنبي صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولا يقرأ عن كتاب كقوله تعالى
ولا تخطه بيمينك ويقال الامي ايضا الذي لا يقرأ ولا يكتب لا عن كتابة ولا عن غير كتابة وقوله الا اماني قيل احاديث باطلة تحدثهم
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل الاماني يعني الاكاذيب وقال الكسائي الاماني الا تلاوة كقوله الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته يعني في تلاوته وقوله وان هم الا يظنون يقول ما هم الا ظن يظنون في غير يقين واصله اي لا يعلمون علم الكتاب
انما عندهم اماني النفس وشهواتها كقوله ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم قيل الويل
الشدة وقيل الويل واد في جهنم وقيل الويل هو قول كل مكروب وملهوف تقول له ويل له بكذا وقوله يكتبون الكتاب بايديهم
يحتمل وجهين يحتمل يكتبون يحولون نعته وصفته عن التورية ويحتمل يكتبون يحدثون كتابة على خلاف نعته وصفته ثم يقولون هذا
من عند الله فيكون الكتابة في هذا اثبات كقوله كتب في قلوبهم الايمان والمثبت هو ذلك الملحق ليظن انه كذلك في الاصل وقوله
ليشتروا به ثمنا قليلا قد ذكرناه فيما تقدم وقوله فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ذكر لهم ثلاث ويلات ويل باحداث
كتابة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحوه وتغييره والثاني بقولهم هذا من عند الله والثالث ويل لهم مما يكسبون من المأكلة والهدايا
وقوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اجمع اهل التفسير والكلام على صرف الايام المعدودة المذكورة في هذه الاية الى ايام عبادة
العجل وذلك لا معنى له لوجهين احدهما ان هؤلاء لم يعبدوا العجل وانما عبد اباؤهم ولا معنى لصرف ذلك الى هؤلاء والثاني لو صرف ذلك
الى ابائهم الذين عبدوا العجل لم يحتمل ايضا لانهم قد تابوا ورجعوا عن ذلك فلا معنى للتعذيب على عبادة العجل بعد التوبة والرجوع الى عبادة
الله كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ويصرف الايام المعدودة الى العمر الذي عصوا فيه لما لم يروا التعذيب الا على قدر
وقت العصيان والذنب ولما لم يكونوا يرون التخليد في النار ابدا او لما هم عند انفسهم كما اخبر الله عنهم بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى وكقولهم نحن ابناء الله واحباؤه يقولون انا لا نعذب ابدا انما نعذب تعذيب الاب ابنه والحبيب حبيبه يعذب في وقت
قليل ثم يرضى ويدخل الجنة ولكن عقوبة الكفر ابدا والتخليد فيها لا لوقت وكذلك ثواب الايمان للابد لا لوقت لان من اعتقد دينا

انما يعتقده

انما يعتقده للابد لا لوقت فعلى ذلك الجزاء للابد لا لوقته واما من ارتكب ذنبا من المسلمين بشهوة تغلبه في وقت ثم يتركه
فانما يعاقب على قدر ما ارتكب في وقت لانه لم يرتكبه للابد لذلك افترقا والله اعلم وقوله قل اتخذتم عند الله عهدا والعهد يحتمل
هل عندكم خبر عن الله تعالى بانكم لا تعذبون ابدا ولكن اياما معدودة فان كان لكم هذا فهو لا يخلف عهده والثاني اتخذتم عند الله
عهدا اي لكم اعمال صالحة عند الله هو وعدكم بها الجنة فهو لا يخلف وعده اي ليس لكم واحد من هذين لا خبر عن الله بانه لا يعذبكم ولا اعمال صالحة
وعدكم بها الجنة وقوله ام تقولون على الله ما لا تعلمون هذا اكذاب من الله عز وجل اياهم بتلك القول كانه قال بل تقولون على الله
ما لا تعلمونه الا ترى انه قال بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته يقول من كسب يعني شركا واحاطت به اي مات عليها فاولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها وقيل احاطت به بقلبه وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لانه قد ذكرنا هذا فيما تقدم
وقوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل قد ذكرنا عهد الله وميثاقه انه يكون على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد رسالة ونبوة وقوله
لا تعبدون الا الله يحتمل وجهين يحتمل لا تجعلون الالوهية الا لله ويحتمل نفس العبادة اي لا تعبدون الا الله ولا تعبدوا الاصنام
والاوثان ونحوها وقوله وبالوالدين احسانا اي برا بهما وعطفا عليهما والطافا لهما وخفض الجناح ولين القول لهما كقوله ولا تقل لهما
اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة الاية وكقوله وصاحبهما في الدنيا معروفا فان قيل
ان الامر بالاحسان فيما بين الخلق يخرج مخرج الافضال والتبرع لا على الوجوب واللزوم وعندنا ان الاحسان يجوز ان يكون
الفعل الحسن نفسه كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين استوجبوا هذا بالفعل الحسن لا بالاحسان الى الله تعالى وفعل الحسن
فرض واجب على كل احد والثاني ان الاحسان اليهم يجوز ان يكون من حق الله عليهم وحق الله عليهم لازم وعلى ذلك صلة الرحم
والمحارم والانفاق عليهم من حق الله عليهم وهو لازم فهذا ينقض على الشافعي قوله انه لا يوجب النفقة الا على الوالدين
ولا يتكلم في الاباء والامهات بالقرابة ولا سموا بهذا الاسم فدل انه اراد به غير الوالدين والله اعلم وقوله واليتامى والمساكين
يحتمل على النفل من الصدقة والفرض جميعا وقوله وقولوا للناس حسنا يحتمل وجها يحتمل لا تكتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته وصفته ولكن اظهروها ويحتمل الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله ويحتمل اقامتها في مواقيتها بتمام ركوعها وسجودها
وخشوعها ويحتمل ان كونوا في حال يكون لكم الصلوة والتزكية وقوله واتوا الزكوة يحتمل الوجوه التي ذكرناها في الصلوة وقوله
ثم توليتم الا قليلا منكم الاية ظاهره وقوله واذ اخذنا ميثاقكم قد ذكرنا الميثاق والعهد في غير موضع وقوله لا تسفكون
دماءكم يحتمل وجهين اي لا تسفكون دماء غيركم فيسفك دماءكم فتصيرون كانكم سفكتم دماءكم ويحتمل لا يسفك بعضكم
دماء بعض كقوله فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض وذكر نقض العهد في هؤلاء وان كان في اوليهم بوجهين احدهما
لما رضي هؤلاء بفعل ابائهم والثاني بقولهم انا وجدنا اباءنا على امة الاية وقوله ولا تخرجون انفسكم يحتمل ايضا وجهين يحتمل
ولا يخرج بعضكم بعضا ويحتمل لا تخرجوا غيركم من ديارهم فيخرجون من دياركم على ما ذكرنا في قوله لا تسفكون دماءكم والله اعلم وقوله
ثم اقررتم وانتم تشهدون يحتمل ثم اقررتم بالعهد والميثاق وتشهدون في التورية وقوله ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء تقتلون انفسكم
يحتمل الوجهين اللذين ذكرتهما في قوله لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم وقوله تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اي تعاونون
عليهم يعاون بعضكم بعضا بالاخراج وهو الظلم والعدوان وهو محرم عليكم اي ذلك الاخراج محرم عليكم وقوله وان ياتوكم
اسارى تفدوهم الاية وان كانت مؤخرة في الذكر فهي مقدمة كانه قال لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم وان ياتوكم اسارى
تفادوهم وقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض امنوا بالمفادات من الاسارى وكفروا بالاخراج وسفك الدماء
ويحتمل الايمان ببعض ما في التورية وكفروا ببعضها وهو نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته اذ لم يكن على موافقة مرادهم ويحتمل
ان فادوا اسراهم من غيرهم وسبوا ذراري غيرهم وقوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا قيل الخزي في الدنيا
اجلاء بني النضير من ديارهم واخراجهم الى الشام وقيل مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم وذلك الحرب وقع بينهم والله اعلم
ويحتمل قوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ولكن لا يعاقبون في الدنيا بل تردون الى اشد العذاب في الاخرة
وان استوجبوا ذلك في الدنيا كقوله انما نؤخرهم ليوم الاية وقوله وما الله بغافل عما تعملون وعيد قد ذكرنا ذلك فيما تقدم
وقوله اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة يحتمل انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل خروجه وبعثه

اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

وذي القربى

وانتم معرضون

وتخرجون فريقا منكم من ديارهم

وهو محرم عليكم اخراجهم

ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب

فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون

فلما بعث على خلاف مرادهم كفروا به فذلك اشتراء الحيوة الدنيا بالاخرة ويحتمل ابتداء اختيار الضلالة على الهدى والحيوة الدنيا
على الاخرة من غير ان امنوا به والله اعلم وقوله ولقد اتينا موسى الكتاب يعنى التورية وهو ظاهر وقوله وقفينا من بعده بالرسل قيل
وقفينا اردفنا وهو من القفا قفا يقفو وقيل اتبعنا رسولا على اثر رسول كقوله واتبعنا بعضهم بعضا واحدا على اثر واحد وقوله
واتينا عيسى ابن مريم البينات قيل البينات الحجج التى كانت تجرى على يديه من خلق الطين واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وانبائهم بما ياكلون وما يدخرون وقيل البينات الحلال والحرام ثم الرسل فى انفسهم حفظوا الحجج فلم يحتج الى كل ما يقولون بدليل
وبيان على صدقهم لانهم فى انفسهم حجة واما ساير الناس فليسوا الحجج فى انفسهم فلا بد لكل قول يقولون ان ياتوا بدليل يدل على صدقهم
وبيان يظهر الحق من الباطل والصواب من الخطا والصدق من الكذب وبالله التوفيق وقوله وايدناه قويناه بروح القدس اختلف
فيه قيل روح القدس جبريل وفى الاصل القدوس لكن طرحتا الواو للتخفيف وتاييده هو ان عصمه على حفظه حتى لم يدنوا
منه شيطان فضلا ان يدنوا بشىء والله اعلم وقيل ايدناه بروح القدس يعنى بالروح روح الله وجبرا اضافة روح عيسى
الى الله عز وجل تعظيما له وتخصيصا وذلك ان كل خاص يضيف الى الله عز وجل اضيف تعظيما لذلك الشىء وتفضيلا له كما يقال
لموسى كليم الله ولعيسى روح الله ولابراهيم خليل الله على التعظيم والتفضيل واذا اضيف الجمل الى الله عز وجل فانما يضاف
تعظيما له عز وجل كقوله رب السموات والارض اضيف جمل الاشياء الى الله فهو خرج على تعظيم الرب تعالى والتبجيل له وقوله
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون فى ظاهر الاية انهم كذبوا فريقا من الرسل
وقتلوا فريقا منهم ويقول بعض الناس انهم قتلوا الانبياء ولم يقتلوا الرسل يقول انا لننصر رسلنا ويقول انهم لهم المنصورون
لعتبرا ان ينصرهم ومن كان الله ناصره فهو لا يقتل من يقول انهم قتلوا الرسل والانبياء فنقول يحتمل قوله انا لننصر رسلنا
فى رسول دون رسول فمن نصره الله فهو لم يقتل وكان ما ذكر من النصرة لهم كان بالحجج والايات ثم فى الاية دلالة رسالة محمد
عليه افضل الصلوات واكمل التحيات ونبوته لانه اخبرهم بتكذيب بعض الرسل وقتل بعضهم فسكتوا عن ذلك فلولا انهم عرفوا
انه رسول عرف ذلك بالله والا لم يسكتوا عن ذلك وقوله وقالوا قلوبنا غلف يعنى فى اكنة تحيلها الغطا فلا نفهم ما يقول
ولا نفقه ما تحدث يدعون بذلك الخطاب عن انفسهم كراهية لما سمعوا فاكذبهم الله تعالى بقوله بل لعنهم الله اى طردهم الله
بكفرهم وعتوهم وتفريطهم فى تكذيب الرسول واعتنادهم اياه لا ان قلوبهم بمحل لا يفهمون على ما يخاطبون كما يزعمون ولكن ذلك
لترك التفكر والتدبر فيها وقيل قلوبنا غلف يعنى اوعية تفهم وتعى ما يقال ونخاطب ولكن لا نفهم ما تقول ولا نفقه
ما تحدث فلو كان حقا وصدقا فهمت ولفقهت عليه يدعون بطلان ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وذلك نحو ما قال
لشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وقوله فقليلا ما يؤمنون قيل فيه بوجهين قيل فقليلا اى قليلا منهم يؤمنون بالرسل عليهم
السلام وقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم فلولا انهم عرفوا ان هذا الكتاب هو موافق لما معهم من الكتاب
عن مخالفة له والا لاظهروا الخلاف لو عرفوا ذلك وليكلفوا على اطفاء هذا النور ورفعه فدل سكوتهم عن ذلك وترك
اشتغالهم بذلك انهم عرفوا موافقته لما معهم من التورية فقيه اية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا يستفتحون يستنصرون على الذين كفروا قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم
انصرنا بحق نبيك الذى تبعث فلما لم يجيئهم على هواهم ومرادهم كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقوله بئسما اشتروا به
انفسهم يقول اشتروا به يقول لها اشتروا به ما هلاكهم بما به نجاتهم وذلك انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فكان
ايمانهم به نجاتهم فى الاخرة فكفروا به وذلك هلاكهم وبالله التوفيق وقيل بئسما باعوا به انفسهم بعرض يسير من الدنيا بعذ
اب الاخرة ابدا وقوله بغيا قيل حسدا منهم وذلك قد هوا ان يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم من اولاد اسرائيل لانهم كانوا امته
فلما بعث من اولاد اسمعيل عليه الصلوة والسلام والعرب كانت من اولاده كفروا به وكتموا نعته حسدا منهم ما انزل الله من فضله
يعنى النبوة والكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل بغيا اى ظلما ظلموا انفسهم بكفرهم بمحمد عليه الصلوة والسلام وتكذيبهم
اياه وقوله فباءوا قد ذكرنا فيما تقدم قوله بغضب على غضب يحتمل وجهين قيل استوجبوا الغضب من الله بكفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم على اثر غضب بكفرهم بعيسى عليه السلام وبما جاء به وقيل استحقوا اللعنة على اثر اللعنة بعصيان بعد عصيان وبذنب

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده
وللكافرين عذاب مهين

على اثر الذنب

على اثر الذنب والله اعلم وقوله واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من القران قالوا نؤمن بما انزل علينا
يعنى التورية وهم لم يكونوا امنوا بالتورية لانهم لو كانوا امنوا بها لكان فى الايمان بها ايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما انزل عليه
وايمان بجميع الانبياء عليهم السلام والرسل وبجميع ما انزل عليهم عليهم السلام لان فيها الامر بالايمان بجميع الرسل وكتبهم لانه قال
مصدقا لما معهم وموافقا له فالايمان بواحد منهم ايمان بجميع الكتب لان بعضها موافق لبعض وقوله ويكفرون بما وراءه موسى
بعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه كانه قال عن وراءه صلى الله عليه وسلم وقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين
فان قالوا انا لم نقتل الانبياء ونحن مؤمنون قيل لهم انكم وان لم تتولوا القتل فقد رضيتم بصنيع اولئك واتبعتم لهم مما قد هموا
بقتل محمد صلى الله عليه وسلم مرارا لذلك اضيف اليهم وقيل اخبر عز وجل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم غاية سفههم وعتوهم
ومكابرتهم فى تكذيبه وذلك ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا اليهود الى الايمان به وبما انزل عليه فقالوا ائتنا بالايات
والقربان كما كانت الانبياء من قبل ياتون بها قومهم يقول الله عز وجل قد كانت الانبياء من قبل يجىء بما تقولون الى ابائكم من الايات
والقربان فكانوا يقتلونهم فيقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لهم لم يقتلون يقول لم قتل اباؤكم انبياء الله قبل محمد صلى الله
عليه وسلم وقد جاءوا بالايات والقربان ان كنتم صادقين بان الله تعالى عهد الينا بالتوراة ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان
تاكله النار وقد جاؤا به فلم قتلوهم فهو والله اعلم انهم اخذوا واهد الحاجة منا واياهم وان علموا بما ظهرت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وانه مبعوث وانتم تقلدونهم فيقلدونهم لو اوتيتم كما قلدتموهم وان علمتم بها عاينتم اذ لا حجة لكم والله اعلم وقوله ولقد جاءكم موسى
بالبينات والبينات ما ذكرنا فيما تقدم من الايات المعجزة والحجج العجيبة والبراهين الظاهرة على رسالته ونبوته وصدق ما يدعوهم اليه
مما يدل كله انه من عند الله ثم مع ما جاءهم موسى بها عبدوا العجل واتخذوه الها وكفروا بالله يعزى نبيه عليه الصلوة والسلام
لئلا يضيق انه ولكذبتم الرسل ولا اول من كذبه حتى لا يضيق صدره بما يقولون ويستقبلونه بما يكره وبالله التوفيق كقوله
وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ما فيه مقنع ان شاء الله تعالى وقوله واسمعوا يحتمل وجهين يحتمل اسمعوا اى اجيبوا ويحتمل اسمعوا اطيعوا
لكن هذا فيما بين الخلق جائز السمع والطاعة واما اضافة الطاعة الى الله عز وجل لا يجوز ان يقال اطاع الله واما السمع فانه يجوز
لقوله سمع الله لمن حمده قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك لكن قوله وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا ولكن بعد ذلك باوقات لانه قيل
ابوا قبول التورية لما فيها من الشدايد والاحكام رفع الله الجبل عليهم فقبلوا خوفا عن ان يرسل عليهم الجبل وقالوا اطعنا فلما
زايل الجبل وعاد الى مكانه فعند ذلك قالوا وعصينا وهو كقوله ثم توليتم من بعد ذلك فالتولى منهم كان بعد ذلك باوقات
وقوله واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قيل اشربوا اى جعل فى قلوبهم حب عبادة العجل بكفرهم عز وجل وقيل سقوا حب العجل
وقيل ان موسى لما احرق العجل ونسفه فى البحر جعلوا يشربون منه حبهم العجل وقيل لما احرق ونسف فى البحر جعلوا يحسون
الماء حتى اصفرت وجوههم وقيل انهم لما راوا فى التورية ما فيها من الشدايد قالوا عند ذلك عبادة العجل اهون مما فيها
من الشرايع وكله يرجع الى واحد وذلك كله اثار الحب وقوله قل بئسما يامركم به ايمانكم قيل قل لهم بئسما يامركم به ايمانكم
بالعجل الكفر بالله عز وجل وقيل ان اليهود ادعوا انهم مؤمنون بالتورية فقال قل بئسما يامركم اى بالتورية اذ كفرتم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وقد وجدتموه فيها نعته وصفته وقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا
الموت وذلك ان اعداء الله تعالى كانوا يقولون ان الجنة لنا فى الاخرة بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وكقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا وكقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم
ان كانت لكم الدار الاخرة كما تزعمون وانكم ابناء الله واحباؤه كما تقولون فتمنوا الموت وذلك ان المرء لا يكره الانتقال الى داره
والى بستانه بل يتمنى ذلك وكذلك المرء لا يكره القدوم على ابيه ولا على ابنه ولا على حبيبه ولا يخاف نقمته ولا عذابه
بل يحب عنده الكرامات والهدايا فان كان كما تقولون فتمنوا الموت حتى تنجوا من غم الدنيا ومن تحمل الشدايد التى فيها
ان كنتم صادقين فى زعمكم بان الاخرة لكم وانكم ابناء الله واحباؤه فان قيل انكم تقولون ان الاخرة للمؤمنين ثم لا احد منهم
يتمنى الموت اذا قيل له تمنى الموت فما معنى الاحتجاج عليهم بذلك وذلك على المؤمنين كهو عليهم قيل لوجهين احدهما ان المؤمنين

وهو الحق مصدقا لما معهم
ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون
ان كنتم مؤمنين

لم يجعلوا لانفسهم من الفضل والمنزلة عند الله على ما جعلوه لانفسهم فكان في تمنيهم صدق ما ادعوا لانفسهم وفي الامتناع عن ذلك
ظهور صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ما ذكرنا انهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه وفي تمنيهم الموت ردهم وصولهم الى الحبيب
والاب الذي ادعوه ولا احد يرغب وينفر عن حبيبه وابيه فدل امتناعهم عن ذلك على كذبهم في دعاويهم وبالله نستعين فان سالونا عن
عن قوله فتمنوا الموت انهم اذا تمنوا اليس كان انقضاء عمرهم بدون الاجل الذي جعل لهم وفي ذلك تقديم الآجال عن الوقت الذي كان اجل لهم قال الله تعالى
لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون قيل ان علم الله منهم في سابق علمه وازليته انهم لا يتمنون جعل اجلهم ذلك ولو علم منهم انهم يتمنون
الموت لكان يجعل اجلهم ذلك في الابتداء وكذلك هذا الجواب لما روي ان صلة الرحم تزيد في العمر انه كذلك يحتمل في الابتداء لان يجعل
اجله الى وقت ثم اذا وصل رحمه يزيد على ذلك الاجل او ينقص بتمني الموت عن الاجل المجعول المضروب له وبالله التوفيق **وقوله** ولن يتمنوه ابدا
فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه اخبر عز وجل انهم لا يتمنون ابدا فكان كما قال فدل انه من عند الله علم ذلك
وقوله بما قدمت ايديهم من الذنوب والعصيان والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحسد لروحهم والله علم قد عرفوا عن صنيعهم وما لهم
عند الله من العذاب والجزاء لكنهم قالوا ذلك على التعنت والمكابرة والسفه لذلك لم يتمنوا والله الموفق **وقوله** والله عليم بالظالمين
هو على الوعيد كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما نؤخرهم ليوم ويحتمل عليم بالظالمين بما يقضيهم بالحجج ونظهر كذبهم
في الدنيا دليلا يظن احد انه عن غفلة بما يعملون خلقهم على علم منه بما يعملون خلقهم ليعلم انه لا نفع له بخلقهم خلقهم وان ذلك لا يضع
وقوله ولتجدنهم يعني اليهود احرص الناس على حيوة وعلى كراهية الموت فدل حرصهم على حيوة الدنيا انهم كذبة فيما يدعون ويزعمون
وقوله ومن الذين اشركوا يعني المجوس اي هم احرص الناس على حيوة الدنيا من المجوس لان المجوس لا يؤمنون بالبعث وبالقيامة وهم يؤمنون
بهما فهم مع ايمانهم بالبعث وتصديقهم بالقيمة احرص على حيوة الدنيا من المجوس الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالقيمة وقيل انه على الابتداء
ولا ينتاف بقول ومن الذين اشركوا يعني المجوس يود احدهم لو يعمر الف سنة لانهم يقولون فيما بينهم الف سنة تاكل النيروز والمهرجان
ويقولون بالفارسية هزار سال بزه فاخبر الله تعالى ان طول العمر في الدنيا لا ينجيه من العذاب في الآخرة ولا يباعده عنه وهو قوله
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر وهو كقوله افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
وقوله والله بصير بما يعملون هو الوعيد ايضا **وقوله** قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا وذلك ان اليهود
قالوا لو كان الذي ينزل على محمد بالوحي ميكائيل هو الذي ينزل بالغيث والرحمة وجبريل هو المنزل بالعذاب والحرب والشدائد فهو عدو لنا
لذلك لا نتبعه وفي جهة العداوة بينهم وبين جبريل وجه آخر وهو انهم قالوا ان جبريل ارسل بالوحي والرسالة في ولد اسرائيل لكنه نزلها
في ولد اسماعيل عداوة لنا وبغضا لنا لذلك بغضوا العداوة بينه وبينهم والله اعلم بذلك فاكذبهم الله تعالى في زعمهم فقال نزله
على قلبك باذن الله لا كما يقول اليهود وما ينزل من العذاب والشدائد انما ينزل بامره لا من تلقاء نفسه وذاته ثم كان اظهارهم عداوة
جبريل لاعتقادهم عداوة الله عز وجل لكنهم لم يجترؤا على عداوة الله على التصريح فدل انه على الكناية عن عداوة الله تبارك وتعالى
ويدل هذا على ان الروافض طعنوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث طعنوا **وقوله** نزله على قلبك باذن الله يقول الباطنية
ان القرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحرف التي نقراها ولكنه الهام نزل على قلبه ثم هو يصور ويرسم الحروف
ويعبر به ويعبر بالمعبرة التي نقراها فلو كان على ما تقولون لزال موضع الاحتجاج عليهم بما اتى به معجزا كقوله انما يعلمه بشر لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اذ كان لهم ان يقولوا انزل على لسان العجمي لكنه عبر ذلك بلسانه وكذلك قوله
لا تحرك به لسانك لتعجل به مخافة النسيان والذهاب وكذلك قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه فدلت هذه
الآيات كلها على بطلان قولهم وفساد مذهبهم وبعدهم عن دين الله المستقيم **وقوله** وهدى وبشرى للمؤمنين هدى من الضلالة
وبشرى للمؤمنين بالجنة **وقوله** من كان عدوا لله وملائكته ورسله الآية يحتمل وجهين يحتمل من كان عدوا لله وملائكته
او رسله ويحتمل افتتاح العداوة به دون هؤلاء على التعظيم لهم وفضل المنزلة عند الله وحسن المآب لديه كقوله واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول لمعنى اضافة ذلك اليه على التعظيم له والافضال لله لا على جعل ذلك لله مفردا على
ذلك افتتاح العداوة به على ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** ولقد انزلنا اليك آيات بينات ما بين فيها من الحلال والحرام وما يؤتى
وما يتقى وما ينهى وما يؤمر ويحتمل الآيات التي نزلها عليه لينصرها على المعاندين له والمكابرين والله اعلم **وقوله** او كلما عاهدوا

علي نجح

مصدقا لما بين يديه

وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين

وما يكفر بها الا الفاسقون

عهدا

عهدا يقول كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ويحتمل العهود التي اخذت عليهم في التورية ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يكفروا
بعد الايمان او اخذ عليهم ان لا يكتموا نعته وصفته الذي في التورية لاحد فنبذوا ذلك ونقضوا تلك المواثيق والعهود التي اخذت
عليهم ثم في الآية دلالة جعل القرآن حجة لانه قال نبذه فريق منهم ولو كان في كتبهم ما ادعوا من الحجة والاتباع لاتوا به معارضا للدفع ما احتج
عليهم فثبت انهم كانوا كذبة في دعاويهم حيث امتنعوا عن معارضته **وقوله** وما يكفر بها اي ما يكفر بتلك الآيات الا الفاسقون ٥
وقوله ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم من الكتاب اي بعثه الذي في التورية موافق لمحمد صلى الله عليه
وسلم وقيل لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوا بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقرآن فنبذوا التورية والقرآن
واخذوا بكتاب السحر الذي كتبه الشياطين ويحتمل ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم كان موافقا لما مضى من الرسل غير مخالف لهم
لان الرسل كلهم آمنوا به وصدق بعضهم بعضا **وقوله** نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يحتمل كتاب الله التورية على ما ذكرنا
ويحتمل كتاب الله القرآن العظيم والله اعلم **وقوله** كانهم لا يعلمون ولكن تركوا العمل به والايمان بما معهم كانهم لا يعلمون لما لم ينتفعوا
بعلمهم خرج فعلهم فعل من لا يعلم اخبر انهم نبذوا من لا يعلم لا انهم لم يعلموا ولكن نبذوه سفها وتعنتا والله اعلم **وقوله**
واتبعوا ما تتلوا الشياطين قيل تتلوا ما كتبت الشياطين من السحر وقيل تتلوا من التلاوة وقيل ما تتلو ما يروي الشياطين من السحر وهو
قول ابن عباس رضي الله عنه وهو يرجع الى واحد ولانه في موضع الاحتجاج على اليهود لانهم ادعوا ان الذي هم عليه اخذ عن سليمان
عليه السلام فان كان كفرا فهذا كفر سليمان فاخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان سليمان ما كفر ولكن الشياطين كفروا ابا علموا
الناس من السحر ويحتمل لكن اتباع الشياطين كفروا باعتقادهم السحر وعلمهم به بتعليم الشياطين فتنسب ذلك الى الشياطين بما بهم
كفروا كما نسبت عبادة الاصنام الى الشياطين بما بهم عبدوا والله اعلم ٥ وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان آصف كاتب
سليمان وكان يعلم الاسم الاعظم فكان يكتب كل شيء بامر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان اخرجته الشياطين فكتبوا
بين كل سطرين سحرا وكفرا وكذبا فقالوا هذا الذي كان يعمل به سليمان فاكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم
يسبونه حتى نزل الله عز وجل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية ٥ وقال بعضهم ان الشياطين ابتدعت
كتابا من السحر والاسم الاعظم ثم افشته في الناس وعلمته اياهم فلما سمع بذلك سليمان تتبع تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه كراهية
ان يتعلمها الناس ٥ فلما قبض نبي الله سليمان عليه السلام عهدت الشياطين الى تلك الكتب فاستخرجتها من مكانها وعلموها الناس
واخبروهم انه علم كان سليمان يكتمه ويستأثره فعذر الله تعالى نبيه سليمان وبرأه من ذلك على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى ما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر الآية وقيل ايضا لما مات سليمان عليه السلام وقع في الناس
اوصاب واوجاع فقال الناس لو كان سليمان عليه الصلوة والسلام حيا عندنا فرج وظهرت الشياطين فقالوا الحق تدلكم
على ما كان يعمل به سليمان عليه السلام فكتبوا كتبا فجعلوها في البيوت فاستخرجوا الكتب التي كتبت لهم الشياطين من السحر والتسجيع
فقالوا هذا ما كان يعمل به سليمان فانزل الله عز وجل وما كفر سليمان الآية فلا ندري كيف كانت القصة غير ان اليهود تركت
كتب الانبياء والرسل واتبعوا كتب الشياطين وما دعوهم اليه من السحر والكفر وبالله التوفيق ٥ وفيه دلالة رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم بما اخبرهم عن قصتهم على ما كان فدل انه كان لا يعرف ذلك الا بالله عز وجل وفي ذلك ان قد نسبا الى سليمان
عليه السلام ما برأه الله من غير ان يبين ما بينه ذكره الله عز وجل لوجهين دلالة لرسوله وتكذيبا للذين ينحلونه بما هو
كفر **وقوله** على ملك سليمان اي في ملكه اذ كان ذلك الوقت هو وقت ظهورهم ثم سخرهم الله عز وجل لسليمان فامكن
ذلك منهم القاه على الالسن المعاندين لسليمان في السحر ووه عنه بعد الوفاة فكذبهم الله عز وجل وبرأه نبيه عليه السلام
عن ذلك وبين كيف كان بدؤه فانما بينها للخلق لئلا يتبعوا في الرواية كل من لقي السمع اذ قد يكون من امثال اختراع
الرواية والزام السامعين الامور المعتادة من الرسل ورد ما لا يوافق ذلك في الرواية ولذلك ابطل اصحابنا خبر الخاص
فيما يبلى به العام **وقوله** وما انزل على الملكين قيل وما انزل على النبي والجحد معطوفا على قوله وما كفر سليمان وقيل وما انزل
على الملكين والذي انزل على الملكين ببابل وقيل سمي بابل لما تبلبلت بها الالسن يعني اختلفت فلا يعلم ذلك الا بالسمع
ثم اختلف في هاروت وماروت فقال الحسن لم يكونا ملكين ولكنهما كانا رجلين فاسقين متمردين وذلك ان الله عز وجل

على ملك سليمان وما كفر سليمان

وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما ارى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وكذا اعتقاد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان وروي عن الشافعي يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل وقيل ان السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام تأثيرا في الطبايع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان
لباب ابن خازن

تخبل فساد الاعضاء والفالج
قاموس

ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء وزوجه

وصف الملائكة بالطاعة له والايتمار بامره بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية وكقوله لا يسبقونه بالقول الاية وكذلك يقول
الحسن انه لم يكن من الملائكة وقد ذكرنا هذه المسئلة فيما تقدم ثم عارض نفسه بقولهما فلا تكفر فقال ان الخبر بمثله اذا عرف ونوع
السامع له وبما يعرض مثله على العلم منه انه يفعل ولا يرتدع عن ذلك يقال ذلك ترغيبا منه والله اعلم ومنهم من يقول كانا ملكين
لكنهما علما الاسم الاعظم فيقضيان به الحوائج الى ان حل بهما ما حل وعنده يحتج في بلعم بقوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه اياتنا فانسلخ منها
فاتبعه الشيطان الاية ثم اختلف بعد هذا على وجه قال بعضهم لم يكن ذلك منهما سحرا بل هو تعويذ العزيمة يعقد عليه وقال قايلون
ما انزل على الملكين انزل كلاما حسنا صوابا لكنه خلط بالذي لقنهم الشيطان فصار سحرا وقال الاخرون بل كان هو في نفسه سحرا يعلمان
الناس في ذلك لكنه لا ينهى عن تعليمه ولا يكفر الذي يعلم انما ينهى عن الاعتقاد له فكان الكفر الذي يعلم لا ينهى عن ذلك لانه ما لم يعلم لم يعلم
قبحه وفساده ولكن انما ينهى عن الاعتقاد في تعلمه والله اعلم ثم تقول انه قولهما لا تكفر على الاختيار وكلمة السحر جار عليهما في [illegible]
من غير صنع لهما فيه والله اعلم وقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله قيل الا بعلم الله بعقبانه وقيل بخذلانه وتخليه وقيل
بمشية الله وارادته واما ظاهر الاذن فهو يخرج على الاباحة فالعقل يدفعه وقيل انه لا يتصل الى هاروت وماروت احد من بني ادم
وانما يختلف بينهم شيطان في كل مسئلة والله اعلم ثم السحر يكون على وجهين سحر يكفر به صاحبه فان كان ذلك منه بعد الاسلام فقتل
صاحبه لانه ارتداد منه وسحر لا يكفر به صاحبه فلا يقتل به الا ان يسعى في الارض بالفساد من قتل الناس واخذ الاموال فهو كقاطع الطريق
يحكم بحكمهم من القتل وساير العقوبات واذا تاب قبلت توبته الا ترى ان سحرة فرعون لما راوا الايات امنوا بالله تعالى وتابوا
توبة لا يطمع مثل تلك التوبة من المسلم الذي نشأ على الاسلام حينا وعدهم فرعون بقطع الايدي والارجل والصلب وانواع العذاب
فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون وذكر عن ابي حنيفة رضي الله عنه في الساحرة انها لا تقتل مرة وذكر عنه مرة انها تقتل وقال
في الساحر بالقولين فاما ما روي عنه بالقتل بعمل السحر فهو على ما ذكرنا من قتل الناس بالسحر فهو كالساعي في الارض بالفساد لا بنفس
السحر او كفر بسحره بعد الاسلام فيقتل كالمرتد عن الاسلام وما ذكر عنه انه لا يقتل فهو اذا لم يكن سحره سحر كفر ولا يسعى بالقتل
في الارض لم يقتل به ثم قوله في الساعي في الارض بالفساد انه اذا تاب قبل ان يقدر عليه سقط عنه القتل فكذا الساحر واما الذي
لاجل الكفر يلزم القتل يحل التوبة بعد القدرة عليه وعلى هذا يخرج قوله في الساحرة ايضا فيما قال انها لا تقتل لما كان سحرها سحر
كفر والنساء لا يقتلن للكفر وفيما قال يقتلن فلانهن يقتلن للسعي في الارض بالفساد كالرجل والله اعلم وقال
بعض الناس لا يقبل توبة الساحر وهو غلط والحق ان تقبل توبة الساحر اذ هو ابلغ في تمييز ما هو حجة مما لا حجة وهذا هو الاصل
ان المدعي لشيء على عهد الانبياء اذا استقبلهم بمثله الانبياء عليهم السلام فهو احق من يلزمهم الايمان به لعلمهم بالحق منه والعوام
منهم لا يعرفون الا ظاهر ما يلزمهم من تصديق الحجج والله اعلم وقوله ويتعلمون ما يضرهم في الدنيا ولا ينفعهم في اخرتهم وقوله ولقد علموا
يعني اليهود في التورية لمن اشتراه يعني اختاره في السحر وقيل يتعلمون ما يضرهم في اخرتهم ولا ينفعهم ان علموه ولقد علموا لمن اشتراه
يقول لقد علمت اليهود ان في التورية انه لمن اختار السحر وقوله في الاخرة من خلاق يقول نصيب في الثواب وقيل ما له في الاخرة
اي ما له عند الله وجه وقوله ولبئس ما شروا به انفسهم اي بئس ما باعوا به انفسهم يعني اليهود الذين يعملون الفرقة والسحر وقيل
ما شروا به يقول ما باعوا به انفسهم ولكنهم لا يعلمون اي لو علموا انهم بم باعوا انفسهم من العذاب الاليم لعلموا انهم بئس ما باعوا به ولو انهم
امنوا بتوحيد الله واتقوا الشرك لمثوبة يقول لو كان ثوابهم يقول لكان ثوابهم عند الله خيرا من السحر والكفر لو كانوا يعلمون ولكنهم
لا يعلمون علم الانتفاع به وهو كقوله صم بكم عمي ليسوا بصم ولا بكم ولا عمي في الحقيقة ولكنهم صم من حيث لا ينتفعون به اذ الحاجة
من العلم والبصر والسمع الانتفاع به فاذا ذهبت المنافع بهما فكانه لا علم معه ولا بصر له ولا سمع حيث لا ينتفع ولا عمل به والله اعلم
وقوله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا قيل كانت الانصار في الجاهلية يقولون هذا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فنهاهم الله تعالى ان يقولوها وقيل كانت اليهود تقول للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا من الرعونة من قولك للرجل
يا ارعن وللمراة يا رعنا وكان الحسن يقرأها راعنا بالتنوين وقال الكلبي كان في كلام اليهود راعنا سبا قبيحا يسب بعضهم بعضا
وكانوا يأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون راعنا ويضحكون فنهى المؤمنين عن ذلك الكلام وقوله وقولوا انظرنا قيل فهمنا
يقول بين لنا وقال مقاتل اي احفظنا وقيل ان الامر بالانتظار يقع موقع التشفع في النظرة لوجهين بالصحبة مرة وبالخطاب

والسحر على قسمين احدهما يكفر به صاحبه وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه وذلك هو المؤثر او يعتقد ان الكواكب هي المؤثرة، التي انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله ووجب قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف، اخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر هو التخييل الذي يشاكل النيرنجات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فبهذا القدر لا يكفر صاحبه ولكنه معصية وهو من الكباير ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روي عن مالك انه بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت، اخرجه في الموطاء لباب الخازن

ثانيا

ثانيا فقولهم انظرنا لما لا يبلغ افهامنا [illegible] والذي يعني [illegible] به والثاني على قصور عقولهم عما يستحقه من الصحبة
والايجاب له صلى الله عليه وسلم وقيل فاما الامر براعنا فهو استهال في الظاهر بالمراعاة وذلك يخرج على التكبر عليه والترفع
والمفهوم وقوله واسمعوا اي اجيبوا وقيل اطيعوا وقيل واسمعوا اي اسمعوا وعوا وقوله ما يود الذين كفروا
من اهل الكتاب اليهود والنصارى ولا المشركين ما يود هؤلاء ان ينزل عليكم من خير من ربكم [illegible] حسدا منهم لما كانوا [illegible]
ويحبون ان يبعث الرسول منهم [illegible] اسرائيل [illegible] من نسل اسمعيل عليه السلام [illegible] على خلاف ما احبوا
[illegible] ابت لاشد الاباء والكراهية والثاني لم يحبوا ذلك لما كانت تذهب منافعهم التي كانت لهم
والرياسة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله من خير قيل الخير النبوة وقيل الخير الاسلام وقيل الخير الرسول [illegible]
وقوله والله يختص برحمته من يشاء الاية ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان على الله تعالى ان يعطي لكل الاصلح في الدين
في كل وقت [illegible] فلو كان عليه ذلك لم يكن للاختصاص معنى ولا وجه والثاني قال والله ذو الفضل العظيم والمفضل عند الخلق هو الذي
يعطي ويبذل ما ليس عليه لا ما عليه لانه من عليه شيء فاعطاه وقضى ما عليه من الدين لا يوصف بالافضال فدل انه [illegible]
ذلك الاختصاص وذلك الفضل [illegible] عليه ذلك ولو كان عليه لكان يقول ذو العدل لا ذو الفضل وبالله التوفيق وقوله ما ننسخ
من اية او ننسها قال بعض اهل الكلام ما ننسخ من اللوح المحفوظ او ننسها ندعها في اللوح وقيل ما ننسخ اي [illegible]
او نتركها في الاخرى وقيل ما ننسخ من اية فنرفع حكمها والعمل بها وننساها فنترك قراءتها وتلاوتها [illegible]
حكمها وابقاء عينها [illegible] المنسوخ [illegible] النسخ [illegible] المنسوخ لان
النسخ بيان الحكم الى وقت [illegible] على البداء [illegible] اليهود والثاني ان التلاوة [illegible] فضل للعمل فيجوز رفع فضل العمل وبقاء فضل
التلاوة والثالث [illegible] الاضطرار والثانية [illegible] حرمت عليكم الميتة ثم يجوزان برفعها
[illegible] كما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال كنا نقرأ سورة الاحزاب [illegible] سورة البقرة حتى رفع ايات منها الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة واما قوله نأت بخير منها فاختلف فيه قيل نأت بخير منها اي اخف واهون على الابدان كقوله وعلى الذين يطيقونه
ان الامر بالصوم كان توقت دون وقت اذ رجع الحكم عند الطاقة الى عزيمة وكذا ما كان من الحكم في تحريم الاكل عند النوم والجماع وكذا تحريم
الميتة لم يرد فيهما الاباحة والحل عند الضرورة لكنا نعرفه بالحرمة وذلك اخف واهون والله اعلم وقيل نأت بخير منها في الثواب لنا
وقيل نأت بخير منها في المنفعة او مثلها في المنفعة وقيل نأت بخير منها وهو ان يظهر لكم الخير وهو كالصلوة الى بيت المقدس كان لهم
مثل ما لليهود في حق الايتمار ما كان يظهر لهم الاجتهاد وقت ظهور الامر وابهم الخير وظهر عند من ابى ذا اتباعه لم يكن لاجل حق المتابعة
بل لما كان عنده الحجة فاما من جعله خيرا على البدل فاستدل بهما الاخر رخصة واباحة والاباحة وردها التخفيف ومن استدل
على ان النسخ ابدا يرد على ما هو غلط فهو رخص بقوله فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت فابدل بعقوبة اشد من الاول وهو الرجم
بقوله خذوا عني خذوا عني ويحتمل قوله نأت بخير منها يعني اقوى منها في الزام الحجة او مثلها ولا شك انها يعترض هو اقوى حالة
الاعتراض في لزوم الحجة على ما غاب عن الابصار فيكون قوله نأت بخير منها على هذا الوزن اي نأت بحجة هي اقوى واكثر من الاولى
او مثلها في القوة فان قيل ما الحكمة في النسخ وما وجهه قيل محنة يمتحن بها الخلق ولله ان يمتحن خلقه بما يشاء في اي وقت شاء
يأمر بامر في وقت ثم ينهى عنه ذلك ويأمر باخر وليس في ذلك خروج عن الحكمة ولا كان ذلك منه لبداء بدا له بل لم يزل عالما بما كان
ويكون حكيما يحكم بالحق والعدل ونعوذ بالله من السرف في القول وقوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير يحتمل ان يكون الخطاب له
صلى الله عليه وسلم والمراد بالخطاب الذين سبق ذكرهم في قوله ما يود الذين كفروا الاية انه قادر على انزال الخير على من يشاء واختصاص
بعض على بعض وتفضيل بعضهم على بعض ويحتمل ان يكون المراد في الخطاب له عليه الصلوة والسلام على حقيقة العلم على التذكير
والتنبيه اي تعلم انت ان الله على كل شيء قدير وهو كقوله فاعلم انه لا اله الا الله على حقيقة العلم ويحتمل على الاعلام والاخبار بقوله
وقد ذكرنا وعلى ذلك يخرج قوله الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض اي من كان يملك ملك السموات وملك الارض يملك تخصيص
بعض على بعض وتفضيلهم فيهما ويحكم فيهما ما يشاء ويحدث الامر ما اراد والله اعلم ويحتمل نزوله على ان لو اذ لم تذكر فيه
وذلك في القران كثير وانما يقال هذا الحرف عند ضيق القلب تسكينا له ومعنى تخصيص السموات والارض بالملك له لمنتهى علم الخلق

وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم

وان كان له ملك الدنيا والآخرة وبالله التوفيق وقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يدل هذا على انه لخرج على اثر نوازل
وان لم تذكر وقوله ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل سؤال التعنت لن نؤمن لك تعنتا حتى نرى الله جهرة وقيل
انهم سألوا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سأل قوم موسى وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل الصفا لهم ذهبا
ان كان نبيا بقوله حقا وقيل سؤالهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكانوا يسألون سؤال التعنت لا سؤال الاسترشاد واهتدا
وقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان قيل لختار الكفر بالايمان وقيل ومن يختار رشدة الآخرة على رخائها وسعتها وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنه ومن يشتري الكفر بالايمان وذلك كله واحد وقوله فقد ضل سواء السبيل قيل عدل عن الطريق وقيل عدل عن قطع
الطريق وقيل اخطا قصد طريق الهدى وكله واحد وقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا انهم كانوا
يجهدون كل جهدهم حتى يصرفوا ويردوا اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن دين الله الاسلام الى ما هم عليه كقوله تعالى ودت طائفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وكقوله ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وقوله
يردوكم على اعقابكم الآية وذلك والله اعلم لخوف فوت رياستهم التي كانت لهم وذهاب منافع التي ينالون من الاتباع والسفلة
هو دوا ودهم وصرفهم الى دينهم ثم احتجت المعتزلة علينا بظاهر قوله تعالى حسدا من عند انفسهم قالوا دلت الآية على ان الحسد ليس
من عند الله بما نفاه عز وجل عنه واضافه الى انفسهم بقوله حسدا من عند انفسهم قيل صدقتم في زعمكم بان الحسد ليس من عند الله وكذلك
نقول ولا نجيز اضافة الحسد اليه بما ل ولكن نقول لخلق فعل الحسد من الخلق وكذلك يقال في الانجاس والاقذار والحيات والعقارب
ونحوها انه لا يجوز ان يضاف الى الله تعالى فيقال يا خالق الانجاس والحيات والعقارب وان كان ذلك كله خلقه وهو خالق كل شيء فعلى ذلك
نقول يخلق فعل الحسد وفعل الكفر من العبد ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى ثم يقولون في الطاعات والخيرات كلها انها من عند الله غير مخلوقة
فلئن كانت العلة في الذي لا يكون مخلوقا انه ليس هو من عنده ليجب القول من عنده بخلقه ما هو من عنده ثم لم يقولوا به فبان انما يقولون
فاسد باطل ليس بشيء ثم جهة الحسد ما ذكرنا انهم احبوا ان تكون الرسالة فيهم او ان تكون من عنده سعة كقوله لولا انزل عليه كنز وكقوله
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فلهذين الوجهين خرج حسدهم وقوله من عند انفسهم اي من قبلها لا ان الله تعالى امرهم وليس
يضاف الى الله تعالى انه من عنده بما يخلق ولكن بما يامر ويلزم ويلزم الا ترى ان الانجاس كلها والخبائث والشياطين كلهم مخلوقة وانه لم يجز
نسبتها الى الله تعالى بمعنى انه من عنده كذلك ما ذكر من الحسد على انه معلوم انهم لم يكونوا يدعون من عند الله خلقا فبذلك لوجه تشكو عليهم
بل كانوا يدعون لانه في كل ما نسبوا الى الله تعالى فعلى ذلك نورد العتاب والله اعلم وقوله من بعد ما تبين لهم الحق اي بين لهم في التورية
ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي وان دينه الاسلام كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاعفوا واصفحوا يحتمل النهي عن مكافاة ما يؤذونه
في الدنيا ثم لم ينسخ وقيل فيه نهي عن قتالهم حتى يأتي امر الله فذلك ثم جاء بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية وقيل حتى يأتي الله
بامره اي بعذابه والله اعلم وقوله ان الله على كل شيء قدير من التعذيب والانتقام وبكل شيء ولم ينسخ هذا وقوله واقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة كرر الله عز وجل الامر باقامة الصلوة وايتاء الزكوة في القرآن تكرارا كثيرا حتى كانت لا تخلوا سورة الا وذكرهما فيها في غير موضع
وذلك لعظم شانهما ولامرهما وعلو منزلتهما عند الله وفضل قدرهما وعلى ذلك جعلهما شريعة في الرسل صلوات الله عليهم وسلامه
الا ترى الى قول ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وقوله لموسى وهرون ان تبوآ لقومكما
بمصر بيوتا الى قوله واقيموا الصلوة وقول عيسى واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وذلك والله اعلم ان الصلوة قربة فيما بين العبد وبين ربه يجمع جميع افعال الخير وفيها غاية منتهى الخضوع له والثناء
من القيام بين يديه والمناجاة فيه والركوع له والسجود على الارض وتعفير الوجه فيها حتى لو ان احدا ممن خلص دينه لله لو اعطي ما في الدنيا
ان يعفر وجهه بالارض لاحد من الخلق ما فعل وبالله التوفيق والزكوة فيما بين العبد وبين الخلق لتالف القلوب واجتماعها
وفيها اظهار الشفقة لهم والرحمة لذلك عظم الله شانهما وشرفهما واعلى منزلتهما وعلى ذلك قرنهما بالايمان في المواضع كلها واثبت
بين الخلق الاخوة بهما بقوله فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ثم هما مكرمان بالعقل لان الصلوة تجمع جميع
انواع خيرات الافعال وفيها غاية الخضوع له والخشوع على ما ذكرنا وذلك مما يوجبه العقل وان لم يرد فيه السمع وكذلك الزكوة
فيها تزكية الانفس وتطهيرها وذلك مما في العقل واجب فان قيل ما الحكمة في وجوبهما قيل اظهار ما انعم الله على العبد من الاموال

والسعة فيها

والسعة فيها وما اعطاهم من سلامة الجوارح عن جميع الآفات يخرج مخرج الامر باداء شكر ما انعم عليهم عز وجل فان قيل في وجوبهما
فيما اعطى منهما يعني من النفس والمال دون غيره قيل لان الوجوب من غيره يخرج مخرج المعاوضة والمبادلة لا مخرج اداء الشكر
والله اعلم ثم الحكمة في ايجاب الصلوة وغيرهما من العبادات ان الله تعالى اذ عمهم بنعم فيما فضلهم بالجوهر وسخر لهم جميع ما في الارض وبسط
عليهم النعم حتى صار كل منهم لا يبصر غير نعم من غير استحقاق منهم شيئا من ذلك الزمهم الشكر عليها ثم كانت الصلوة تجمع استعمال جميع الجوارح
فيما لله فيها القيام بشكر الله معا فيها تو فرا لحوال نفسه لا الاختيار بما هي عليه بالاضطرار والخلقة والقلب بالنية والخوف والرجاء واحضار
الذهن والعقل بالتعظيم والتبجيل ليكون كل شيء منه في شكره لما له فيه من سبوغ النعمة والله اعلم وكذلك بالاموال فضلوا في هذه الدنيا
واستمتعوا بلذيذ العيش فامروا بالاخراج لله مما ازسخرت هذه الارض بما فيها لجميع البشر الزم من ذلك صلة من لم يملك ليستووا
في الاستمتاع بالتسخير لهم من الوجه الذي علم الله لهم في ذلك صلاح الدارين ولا قوة الا بالله وقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله الآية تخرج على خلاف قول المعتزلة لانهم يقولون ان من ارتكب كبيرة ثم اقام الصلوة وآتى الزكوة وجاهد في سبيل الله وحج
بيت الله الحرام وقدم خيرات نفسه على خلاف ما وصفوهم فقالوا اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وهم يقولون
لا يتقبل عنهم ما قدموا من الخيرات ولا يتجاوز عن سيئاتهم وذلك سرف في القول فنعوذ بالله من السرف في القول والحكم على الله وبالله
التوفيق وقوله ان الله بما تعملون بصير بما قدمتم من الخير والشر تنبيه منه عز وجل ليكونوا على حذر من الشر وترغيب منه لهم بالخيرات
والله اعلم وقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى يحتمل وجهين ان قالوا ذلك جميعا لما ارادوا ان يروا الناس الموافقة
تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
فيما بينهم ليرغبوا في دينهم وينفروا عن دين الاسلام وان كانوا هم في الباطن على الخلاف والعداوة ويحتمل ان يكون ذلك القول من كل فريق
في نفسه لا عن كل الفريقين جميعا على الموافقة دليله قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
دلت الآية ان ذلك القول لم يكن من الفريقين جميعا على الموافقة ولكن كان من كل في نفسه على غير موافقتهم ولا مساعدة والله اعلم
ثم في الآية دليل لزوم الدليل على النافي لانهم نفوا دخول غيرهم الجنة بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فطولبوا
بالبرهان بقوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين انه لا يدخل فيها سواكم فان قيل انهم اذا نفوا قيل غيرهم فيها ادعوا لانفسهم
الدخول فانما طولبوا بالبرهان على ما ادعوا ليس على ما نفوا لا يحتمل قيل ذا لانهم لم يذكروا دخول انفسهم نصريحا انما نفوا دخول غيرهم
وهو كمن يقول لا يدخل هذه الدار الا فلان وفلان ليس فيه ان فلانا وفلانا يدخلان ولكنه فيه نفي دخول غيرهما او تقول نفوا دخول غيرهم
نصريحا وادعوا لانفسهم الدخول مستدلا وانما يطلب الحجة على صحة قولهم لا على مستدلهم الا ترى ان الجواب من الله عز وجل
بالاكذاب والرد عليهم خرج على ما نفوا دخول غيرهم وهو قوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن الا ترى الى ما روي عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا نكاح الا بشهود ليس فيه اثبات النكاح اذا كان ثم شهود ولكن فيه نفي النكاح بغير شهود نصريحا
الا ترى انه لو قال لا نكاح الا بشهود لا يسأل انه لم قلت ان النكاح يجوز بالشهود ولكن يسأل انه لم قلت انه لا يجوز بغير شهود
فعلى ذلك قوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ليس فيه اثبات الدخول لهم نصريحا وفيه نفي دخول غيرهم نصريحا والله اعلم
وقوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن قد قلنا انه خرج مخرج الرد عليهم والانكار بحكمهم على الله فقال بلى يدخلها من اسلم وجهه لله
وهو محسن ثم اختلف في قوله اسلم وجهه لله قيل اخلص لله دينه وعمله وقيل اسلم نفسه لله وقد يجوز ان يذكر الوجه على ارادة
الذات كقوله كل شيء هالك الا وجهه يعني الا هو وقيل اسلم اي وجه امره الى دينه فاخلص وبعضه قريب من بعض اسلم نفسه
لله اي بالعبودية كقوله ورجلا سلما لرجل وذلك معنى الاسلام ان تخلص نفسك لله لا تجعل لاحد شركا من عبودية ولا دعاء
وقوله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد ذكرنا متضمنها فيما تقدم وقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فان قيل كيف عابهم بهذا القول وقد اخبر نبيه عليه السلام في آية
اخرى ان يقول لهم ذلك قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية قيل امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم انهم
ليسوا على شيء اذا لم يقيموا التورية فاما اذا اقاموا التورية وفيها امرهم بالاسلام واتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
فهم على شيء ومعنى هذا الكلام والله اعلم ان قال لهم كيف قلتم ذلك وعندكم الكتاب ما يبين لكم ويميز الحق من الباطل
ويرفع من بينكم الاختلاف لو تاملتم فيه وتدبرتم ويحتمل ان كل فريق منهم لما قال لفريق آخر ذلك انهم ليسوا على شيء كذبهم الله

وردّ عليهم بلى من اسلم منهم فهو على شيء لانه كان اسلم منهم فهم على شيء لانه كان اسلم من اوائلهم ويحتمل انهم ليسوا على شيء على تفسير دعاويهم وقولهم في الله بما لا يليق فهم على شيء في تكذيب بعضهم بعضا بما قالوا وقيل لما قالت اليهود ليست النصارى على شيء والذين قالت لهم يا محمد اتبع ديننا فانهم ليسوا على شيء وكذلك قول الفريق الآخر لاولئك ❊ ثم اختلف في الاسلام وقيل الاسلام هو الخضوع وقيل الاسلام هو الاخلاص بالافعال وهو ان يسلم نفسه لله او يسلم دينه لا يشرك فيه وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قيل لا يعلمون الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب ❊ وقيل الذين لا يعلمون هم الذين لا يقدرون على تلاوة القرآن والكتاب وتمييز ما فيه وهم جهال لهم سوى عز وجل بينهم في القول من علم منهم ومن لم يعلم لان من علم منهم لم ينتفع بعلمه فكان كالذي لم يعلم شيئا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في قوله صم بكم عمي انه سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بالآيات والاسباب التي اعطاهم الله عز وجل والله اعلم وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة بالعذاب لاختلافهم فيما بينهم وبقولهم في الله بما لا يليق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله ومن اظلم من يقول لا احد اظلم لنفسه ولا اوضع لها ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه ❊ اختلف فيه قيل مساجد الله الارض كلها لان الارض مساجد الله كقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي مسجدا وطهورا منع اهل الكفر اهل الاسلام ان يذكروا فيها اسم الله وان يظهروا فيها دينه وقوله وسعى في خرابها وهو كقوله يسعون في الارض فسادا ويخرج قوله ما كان لهم ان يدخلوها اي لا يدخلون البلدان والامصار الا بالخوف او بالعهد كقوله الا بحبل من الله وهو العهد ❊ ويحتمل قوله ما كان لهم ان يدخلوها ما كان ينبغي لهم بما عليهم من حق الله وتعظيمه ان يدخلوا المساجد الا خائفين وجلين لما كانت هي بقاع اتخذت لعبادة الله ونسبت اليه تعظيما لها فتخلوا لتخريبها ما بغين اهلها عن عبادة الله فيها وقيل مساجد الله مسجد الحرام وذلك انهم حالوا بينها وبين دخول مسجد محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فيها حتى رجعوا من عامهم ذلك ثم فتح الله عز وجل مكة لهم فصار لا يدخل مشرك فيها الا خائفا كقوله عز وجل انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل اراد بمساجد الله بيت المقدس قيل ان النصارى استعانوا ببخت نصر وهو رئيس المجوس حتى خربوا المساجد وقتلوا من فيها من اهل الاسلام ثم بنى اهل الاسلام بعد ذلك بزمان مساجد وكان لا يدخل نصراني فيها الا خائفا مستخفيا والله اعلم وقوله لهم في الدنيا خزي قيل الخزي الجزية ويحتمل القتال ولهم في الآخرة عذاب عظيم وقوله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله قيل ان رهطا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا سفرا وذلك قبل ان يصرف القبلة الى الكعبة فحضر وقت الصلوة فاشتبه عليهم فتحروا فمنهم من صلى الى المشرق ومنهم من صلى الى المغرب صلوا الى الجهات مختلفة فلما بان لهم ذلك قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوا عن ذلك فنزلت الآية فاينما تولوا فثم وجه الله وهذا يرد على الشافعي قوله لانه يقول لا تصلي الى جهة القبلة يجوز والا فلا وليس في الآية ذكر جهة دون جهة بل فيها ذكر المشرق والمغرب وكذلك في الخبر ذكر المشرق والمغرب فخرج قوله على ظاهر الآية وهذا عندنا في الاشتباه والتحري ❊ واما عند القصد فهو قوله فولوا وجوهكم شطره وروي عن ابن عمر رضي الله عنه ان قوله ولله المشرق والمغرب الآية نزلت في النوافل في الاسفار ولكن عندنا على ما ذكرنا في الكل والله اعلم وقوله فثم وجه الله اختلف فيه قيل ثم وجه يعني ثم ما قصدتم وجه الله وقيل ثمه قبلة الله وقيل ثم وجه الله ثم الله على ما ذكرنا من جواز التكلم على ارادة الذات اي ليس هو عنهم بغائب وقيل ثم رضاء الله وقيل ما ابتغيتم به وجه الله وقيل ثم وجه الذي وجهكم اليه اذ لم يجيء منكم التقصير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكل الناسي انما اطعمك الله وسقاك وقيل فيه ثم بلوغكم مما قصدتم بفعل الصلوة من وجه الله ورضائه اي ظفرتم به ثم الفرض في القبلة ليس اصابة عينها ولكن اغلب الظن واكبر الراي لانه ليس لنا الى اصابة عينها سبيل اذ سبيل معرفتها بالاجتهاد ولا باليقين والاحاطة ليس كالمياه والاثواب وغيرها من الاشياء لان هذه الاشياء في الاصل طاهرة والنجاسة عارضة فيظفر باعيانها على ما هي في الاصل واما امر القبلة فانما بني على الاجتهاد والقصد دون اصابة عينها والله اعلم وقوله ان الله واسع عليم قيل الواسع الغني وقيل الواسع الجواد حيث جاد عليهم بقبول ما ابتغوا به وجه الله وحيث وسع عليهم امر القبلة عليم بما قصدوا او نووا وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه فيه تنزيه نزه به نفسه عما قالوا فيه بما لا يليق ورد عليهم وعنا والله اعلم ان اتخاذ الولد في الشاهد انما يكون لاحد وجوه ثلاثة اما لحاجة الى ذلك لما الشهوات تغلبه فيقضيها به واما الوحشة تاخذه فيحتاج الى من يستانس به او لدفع عدو يقهره فيحتاج الى من يستنصر به ويستغيث فاذا كان الله عز وجل يتعالى عن ان يمسه

فيما كانوا فيه يختلفون

وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين

حاجة او يا خذه

25

حاجة او يا خذه وحشة او يقهره عدو فلاي شيء يتخذ ولدا وقوله بل له ما في السموات والارض ردا على ما قالوا بان من ملك السموات وما فيها وملك الارض وما فيها لا يمسه حاجة ولا يقهره عدو اذ كان ذلك ملكه يجري فيهم تقديره ويمضي عليهم امره وتدبيره ولا يمانع في ملكه اذا اعترض له شيء مما ذكرنا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فان عورض بالخلة قيل ان الخلة تقع على غير جوهر من هيئة للخلة والولد لا يكون الا من جوهره والى هذا يذهب الحسين ❊ والثاني ان الخلة تقع لافعال تكتسب وتستوهب فيفعلوا امره ويرتفع مرتبته فيستوجب بذلك الخلة بمعنى الجزاء واما الولد فانه لا يقع عن افعال تكتسب بل بذو ما به استحقاقه يكون من مولده وقد نفى عن نفسه ما به يكون بقوله اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة والثالث ما قاله الروندي جاز لابيه ان يدعى الى التسمي او الى التحقيق اذ في الخلة تحقيق ما به سمي فلم يحتمل قوله بل له ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماؤه فانتم مع شدة حاجتكم الى الاولاد لا يستحسنون ان تتخذوا عبيدكم واماءكم اولادا فكيف يستحسنون ذلك لله عز وجل وتنسبون اليه مع غنائه عنه وبالله التوفيق وقوله كل له قانتون قيل فيه بوجوه وقيل ان كل من في السموات والارض من الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الذين قلتم انه اتخذهم ولدا قانتون له مقرون له بالربوبية له والعبودية لانفسهم له وقيل قانتون مطيعون متواضعون وقيل القانت هو القائم لكن القائم يكون على وجهين يكون القائم المنتصب على الاقدام ويكون القائم بالامر والحفظ ثم لا يحتمل ان يراد بالقانت ههنا المنتصب بالقدم فرجع الى الطاعة له وحفظ ما عليه وهو كقوله وهو القائم على كل نفس بما كسبت من الحفظ والرزق ويحتمل تنزيه الخلقة لان خلقه كل احد تنزه ربه عن جميع ما يقولون فيه وان يقال كل له قانتون في الجملة كقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله بديع السموات والارض ابتدعهما ولم يكونا شيئا والبديع والمبدع واحد والذي لم يسبقه احد فانشا مثله وكذلك سمي صاحب الهوى مبتدعا لما لم يسبقه في مثل فعله احد ثم فيه الحجة على هؤلاء الذين قالوا اتخذ الله ولدا يقول ان من قدر على خلق السموات والارض من غير شيء ولا سبب كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب والثاني ان يقال ان من له القدرة على خلق ما يصعب ويعظم في اعينكم باقل الاحرف عندكم كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب وقوله واذا قضى امرا قيل واذا حكم حكما فانما يقول له كن فيكون ❊ وقيل واذا قضى امرا يعني قضى باهلاك قوم واستيصالهم فانما يقول له كن فيكون ❊ ثم قوله كن فيكون ليس هو قول من الله ان كن بالكاف والنون ولكنه عبارة باوجز كلام يؤدي المعنى التام المفهوم اذ ليس في لغة العرب كلام التحقيق بحرفين يؤدي المعنى المفهوم واخر من هذا وما سوى فهو من الصلات والادوات فلا يتم معناها والله اعلم ❊ ثم الآية ترد على من يقول بان خلق الشيء هو ذلك الشيء بنفسه لانه قال اذا قضى امرا ذكر قضى وذكر له او ذكر كن فيكون ولو كان التكوين والمكون واحدا لم يحتج الى ذكر كن في موضع العبارة عن التكوين فالكن تكوينه فيكون المكون فيدل انه غيره ثم لا يخلو التكوين ❊ اما ان لم يكن محدثا وكان في الازل فان لم يكن محدثا فاما ان حدث بنفسه ولو جاز ذلك في شيء لجاز في كل شيء او باحداث آخر فيكون احداث باحداث الى ما لا نهاية له وذلك فاسد ثبت ان الاحداث والتكوين ليس بحادث وان الله تعالى موصوف في الازل انه محدث مكون ليكون كل شيء في الوقت الذي اراد كونه فيه وبالله التوفيق وقوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية قيل فيه بوجوه قيل الذين لا يعلمون يعلمون في الحقيقة ولكن سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بعلمهم وقيل لا يعلمون توحيد ربهم وهم مشركو العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هلا يكلمنا الله او تاتينا آية فيخبرنا بانك رسوله وقيل الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله اي لا يعلمون انهم لم يبلغوا المبلغ الذي يتمنون ان يكلمهم الله اياهم وقيل لا يعلمون انهم قد كلمهم واخبرهم بالوحي وابوا مثل قولهم قيل الذين من قبلهم رسوله صلى الله عليه وسلم آيات على رسالته لكنهم يعاندون وقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم قيل الذين من قبلهم بنو اسرائيل قالوا لموسى مثل ما قال مشركو العرب لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقيل اليهود سالوا مثل سؤال النصارى وقيل النصارى سالوا مثل سؤال اليهود والله اعلم وقوله تشابهت قلوبهم قيل تشابهت قلوبهم بالكفر والسفه وقيل تشابهت قلوبهم في المقالة يشبه بعضها بعضا في السؤال لانهم سالوا سؤال التعنت لا سؤال المسترشد وقوله كذلك قال الذين من قبلهم يحتمل وجهين احدهما هذا القول والثاني انهم سالوا سؤال التعنت والعتو لا سؤال المسترشد اذ الله تعالى قد اتى بآيات الارشاد لمن يبتغي الرشد ولا قوة الا بالله وقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون قيل بينا امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالآيات والحجج التي اقامها

انه رسول لمن آمن به وصدقه ولم يعانده وقوله انا ارسلناك بالحق قيل انا ارسلناك يا محمد لتدعوهم الى الحق وهو التوحيد وقيل
بالحق بالحجج والآيات بشيرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا لمن عصاه وخالف امره بالنار • وقيل الحق الذي لله على الخلق والحق الذي لبعض
لتدعوهم اليه وتدلهم عليه وقوله ولا تسأل عن اصحاب الجحيم وجائز ان يكون بمعنى لا تسأل بعد هذا عنهم بعلة فيكون ذلك آية له
بما هو خبر عن علم الغيب قيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواي فانزل الله تعالى هذه الآية وفيها لغتان لا تسأل
بنصب اللام وهو ما ذكرنا ويحتمل وجها آخر اي لا تشتغل باصحاب الجحيم فان ذلك تكلف عنك وشغل وفيها لغة اخرى برفع التاء لا تسأل
عن اصحاب الجحيم اي لا تسأل انت يا محمد عن ذنوب اصحاب الجحيم وهو كقوله ولا تسألون عما كانوا يعملون • وكقوله عليه ما حمل وعليكم
ما حملتم وكقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ونحوه وقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اختلف في الملة قيل
الملة السنة كقوله بسم الله وعلى ملة رسول الله • وكقوله تعالى واتبع ملة ابراهيم حنيفا وقيل الملة الدين كقوله عليه السلام لا يتوارث
اهل الملتين • وقيل الملة هاهنا القبلة وهو كقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم
انه عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن اتباع اولئك دينه وقبلته لانهم يختارون الدين والقبلة بهوى انفسهم لا لطلب الحق وظهور
ولزوم الحجة وذلك ان النصارى انما اختاروا قبلتهم المشرق لان مكان الحبل الذي كان فيه عيسى في ناحية المشرق يقوله اذ انتبذت
من اهلها مكانا شرقيا واليهود اختاروا قبلتهم ناحية المغرب لان موسى عليه السلام كان بناحية الغرب لما اعطى الرسالة • وكلمه ربه
كقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر واما اهل الاسلام فانما اختاروا الكعبة شرفها الله قبلة بالامر لا اتباعا لهواهم
والعقل يوجب ان تكون الكعبة اذ هي مقصد الخلق من آفاق الدنيا فلما احتيج في الصلوة الى التوجه كان احق ذلك الموضع الذي جعل الخلق
مقصدا اجرى ثم قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اخبر عز وجل رسوله انه ليس في وسعك ارضاء
هؤلاء لاختلافهم في الدعاوى في الملل • فان قيل كيف نهى رسوله عن اتباع ملتهم على علم منه انه لا يتبع قيل لان العصمة لا تزيل المحنة
ولا تدفعها بل المحنة انما تقع في العصمة لوجهين احدهما ان عصمته لما مضى لا توجب عصمته في الحادث والثاني انه من ينهى عن الاشياء
ثم اكرم بالعصمة اذ على زوال النهي يرتفع عنه جهة العصمة لانه يصير برفع النهي مباحا فلهذا دل القول على نهي ما فيه ارضاؤهم وان كان
في الاصل معصوما عنه وبالله التوفيق • وفي ازالة الامر والنهي ازالة فائدة العصمة لان العصمة هو ان يعصم في الامر حتى يؤديه وفي النهي
حتى ينتهي عنه وبالله التوفيق وقوله قل ان هدى الله هو الهدى قيل ان دين الله الذي اختاره اهل الاسلام بالامر واتباع الآيات
والحجج هو الدين لا كما اختاره اولئك بهوى انفسهم واستقبال الآيات والحجج بالرد والانكار والمعاندة ويحتمل ان يكون الخطاب
في قوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم والبيان اصحابه ومن دخل في دينه وصدقه لا هو وذلك كثير في القرآن
يخاطب هو والمراد غيره وقوله ما لك من الله من ولي ولا نصير ظاهره من يتولى الدفاع عنك ولا نصير يمنعك من العذاب ويحتمل
ينصرك فتغلب به سلطان الله فيما يريد تعذيبك وقوله الذين آتيناهم الكتاب قيل الكتاب اراد به التوراة والانجيل وقيل
اراد به القرآن ومن حمله على التوراة والانجيل قال فيه اضمار وكانه قال الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك
يؤمنون به اي اذا تلوا حق التلاوة فحينئذ يؤمنون به وقيل يتلونه حق تلاوته يعني يعملون به حق عمله ولا يكتمون نعته صلى الله
عليه وسلم ولا يحرفونه اولئك يؤمنون به وهم الذين اسلموا منهم وقيل يتبعونه حق اتباعه وهو واحد ومن حمله على القرآن
فالذين يتلونه حق تلاوته اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قيل الابتلاء والامتحان
في الشاهد استفادة علم خفي عليه من الممتحن والمبتلى به ليقع عنه علم ما كان ملتبسا عليه وفي الغائب لا يحتمل ذلك اذ الله عز وجل
في الازل عالم بما كان وبما يكون في اوقاته ابدا ثم يرجع الابتلاء منه الى وجوه احدها انه يخرج مخرج الامر بالشيء والنهي عنه لكن
الذي ذكر يظهر بالامر والنهي وسمي ابتلاء من الله والثاني ليوجد ما قد علم الغيب والشهادة على علم الله انه يوجد موجود
او ليكون ما قد علم انه سيكون كائنا وعلى هذا يخرج قوله حتى نعلم المجاهدين منكم حتى نعلمه موجودا كما علم انه يوجد كما قال عالم الغيب
والشهادة علم الغيب علم انه موجد وعلم الشهادة علم به موجودا حتى يوجد الذي علم انه يجاهد منهم مجاهدا وبصير منهم صابرا
ثم اختلف في الكلمات التي ابتلاه بها فقال بعضهم الكلمات هي التي ذكرت في سورة الانعام وهو قوله فلما جن عليه الليل رأى كوكبا
ورأى القمر بازغا ورأى الشمس بازغة هي الحجج التي اقامها على قومه بقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وقيل الابتلاء

قوله سبحانه وتعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم فيه لغتان بنصب التاء وضمها اما النصب قد قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن ابويه ذات يوم فقال ليت شعري ما فعل ابواي فاوحى الله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم بمعنى النهي عن السؤال عن اصحاب الجحيم واما الضم فيحتمل وجهين احدهما اي لا تسأل انت يا محمد عن ذنوب اصحاب الجحيم وهو كقوله تعالى ولا يسألون عما كانوا يعملون وكقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ونحوه والثاني اي لا تسأل بعد هذا عن اصحاب الجحيم ولم نذكر انه سئل عليهم بعده فان كان على هذا الوجه فهو اثر ودلالة على اثبات رسالته عليه السلام فانه اخبر عن الغيب ولا يعرف الغيب الا بطريق الوحي والله اعلم شرح

ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ٥ ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون

بعثه فعقلهن

بعثه فعقلهن خمسة في الراس وخمسة في الجسد كثيرة هذا ليس بكثير حكتاد يعقل هذا كل واحد ولكن الحكمة فيه هو ما قيل انا نازله
بالتراب حيث الح فيها فصبر حتى قال لجبريل استشفيتني فقال اما منك فلا وابتلى باسكان ذريته الوادي الذي لا ماء فيه ولا زرع
ولا عرس وابتلى بالهجرة منعد هو وتركهم هنالك وهم صغار ولا ماء معهم ولا زرع ولا عرش وابتلى بالهجرة الى الشام وابتلى بذبح
ولده ابتلي باشيا لم يبتل احد منها مثل الاشياء بمثله فصبر حتى قال هنا كيف تكون وجه الحكمة وفيه لغة اخرى وان ابتلى ابراهيم بالرفع
ربه بنصبها لباء ومعناه والله اعلم انه سال ربه كلمات فاعطاهن وهو تاويل مقاتل وهو ان قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي واجعل هذا
المكان امنا لنا ولهم واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم
قال ابراهيم واجعل هذا البلد امنا قال نعم وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال نعم مثل ما سال ربه فاعطاه
اياه وقوله اني جاعلك للناس اماما يحتمل جعله رسولا يقتدى به لان اهل الاديان مع اختلافهم يدينون به ويعني بنبوته ويحتمل
اماما من الامامة والخلافة وقوله ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين • فان قيل كيف قال لا ينال عهدي الظالمين تجوزوا قوله
ومن ذريتي وكان سال الرسالة في ذريته ابدا حتى كقوله وجعلها كلمة باقية في عقبه فقيل في قوله ومن ذريتي لجيب ان تكون الرسالة تدوم
في ذريته ابدا لا يكون بين الرسالة فترات فاخبر انه في ذريته من هو ظالم فلا ينال الظالم عهده ويحتمل ان يكون سوال جعل الرسالة
في اولاد اسماعيل لان العرب من اولاد اسماعيل عليه السلام فاخبر انه في اولاده ظالم فلا ينال العهد ما ذكرناه والرسالة والوحي
وقال الحسن لا ينال الظالم في الاخرة العهد ويحتمل ان يكون المراد من قوله ومن ذريتي من اخبر انه فيهم من لا يصلح لذلك ويحتمل الانبة
الاملاكية لا النبوة وقد كانت فيه شكل الفرق لان النبوة كانت فيهم ويحتمل ان يكون قصد خصوصا من ذريته من علم الله ان فيهم
من لا يصلح لذلك ولا يحتمل ان يريد به كلا مانعا لان النبوة وقد كان وقوعها كلا الانسان قيل له انه من ذريتك لكن لا ينال انه يذكر فهذا حصر
بالدعاء من امن منهم دون من كفر وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا قيل المثابة المجمع وقيل المثابة المرجع يثوبون
ويرجعون وقيل يحجون وقوله مثابة للناس وامنا هو فعل العباد لانهم يأمنون ويثوبون اخبر انه جعل ذلك ففيه دلالة
خلق افعال العباد ثم بين فيه عز وجل شدة استباق الناس اليه وتمنيهم الحضور بها مع احتمال الشدائد والمشقة ويحتمل المؤن
مع بعد المسافة والخطرات فدل ان الله تعالى بلطفه وكرمه حبب ذلك الى قلوب الخلق وانه جعل من آيات الربوبية والوحدانية
وتدبير سماوي لا بالبشرية وفيه دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ اخبر بما قد كان فثبت انه اخبر عن الله عز وجل وقوله
وامنا لمن دخله عن عذاب الاخرة وقيل امنا لكل محترم اوى بها اوى اليه من القتل وغيره كقوله ومن دخله كان آمنا من كل
ما ارتكب • واما عندنا فانه ان قتل قتيلا ثم التجأ اليه فانه لا يقتل ما دام فيه لانه لا يقتل الكفر هنالك فعلى ذلك القصاص لقوله
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام • وما روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان مكة حرام بتحريم الله اياها يوم
خلق الله السموات والارض لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها
ولا ينفر صيدها وما روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لو ظفرت بقاتل عمر في الحرم ما قتلته واذا قتل في الحرم يقتل به هنالك
والوجه فيه ان اقامته مثله عليه فيما ارتكبه في الحرم لحق اذ هي كفارة ليزجر عما ارتكب والحق ما يقع فيه الزجر بمثله ما هو فيه من المكان
واذا قتل في غير الحرم ثم التجأ الى الحرم قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يخرج من الحرم وابو يوسف رضي الله عنه جعل ذلك للسلطان
ذهب الى انه قال واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل كما قال وان قاتلوكم فيه فاوجب الاخراج من حيث
قتل فقيل لم يخرج من الحرم اذا لم يخرج منه كما لم يقتل في الحرام اذا لم يقتل فيه ونقول لا الاخراج للقتل وقصدها لم يسع قتله
فيه كان كالصيد يخرج يلزم فيه ما يجب بالقتل فتله في موضع الحظر • وبعد فاذا لو اخرج لم يأمن بالحرم بل زيد في عقوبته
اذ الاخراج عقوبة فقد زيد عليه مما لم يجز في الكفار الذين تواترت قتلهم اخراجهم للقتل كذلك القاتل وذهب الاخر الى انه
يخرج لاقامة الحد عند ابي حنيفة رضي الله عنه وان لم يرتكب فيه واخراج المرتكب له اقل في الحكم من اقامته عليه غير انه
غلط لان اخراجه للقتل لم يرفع من الحد لانه يصل الى قتله وليلا في القتل عقوبة واحدة • وفي الاخراج عقوبتان ثم لم يلزمه
العقوبة الواحدة وهي القتل اذا لم يقتل فيه كان من ان لا يلزمه العقوبتان احق وقوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى اختلف
في مقام ابراهيم عليه الصلوة والسلام منهم من جعل الحرم كله مقامه يصلي اليه لمقامه هنالك باولاده ومنهم من جعل المسجد

اختلى الخلا اي قطع الحشيش ولا يختلى الحشيش الرطب

مقامه لانه كان مكان عبادته فهو المصلى ومنهم من جعل ما ظهر من مقامه وهو موضع ركوبه ونزوله لما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما قدم مكة قام الى الركن اليماني فقال عمر يا رسول الله الا نتخذ مقام ابراهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى وعندنا القبلة البيت كقوله تعالى فولوا وجوهكم شطره ٠ وقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس
اي مقاما لقيام العبادات وقوله وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل فيه الامر بيانه وقوله ان طهرا بيتي يحتمل التطهير لوجهين احدهما
عن الاصنام والاوثان التي كانت هنالك وعبادة غير الله والانجاس ويحتمل التطهير عن كل انواع الاقذار وعن كل انواع المكاسب
على ما روي في جملة المساجد وقوله للطائفين قيل الطائف هو القادم سمي طائفا لدخوله بطوافه وقيل لاستحباب الطواف لذلك
قال اصحابنا الطواف للقادم افضل من الصلوة والصلوة للمقيم افضل والعاكف المقيم ٠ والركع السجود منهما جميعا وقيل العاكفون
المجاورون وقوله واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا فقد ذكرنا الوجه في قوله آمنا وقوله وارزق اهله من الثمرات لما علم
ان المكان ليس بمكان ثمر ولا عشب دعا وسأل ربه ان يرزق اهله عطفا على اهله وعلى كل من ينتاب اليه من الآفاق ثم خص المؤمنين
بذلك لوجوه احدها انه لما امر بتطهير البيت عن الاصنام والاوثان ظن انه لا يجعل لسوى اهل الايمان هنالك مقاما فخصهم
بالدعاء وسؤال الرزق والثاني انه اراد ان يجعل آية من آيات الله ليرغب الكفار الى دين الله فيصيروا امة واحدة فكان
كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الآية ووجه آخر قيل لما كان قيل له لا ينال عهدي الظالمين
فلعله خشي ان يخرج ذلك المعونة لهم على ما فيه العصيان وفي ذلك ان لا بأس ببيع الطعام من الكفرة ولا يصير ذلك كالمعونة
على ما هم عليه ويحتمل الدعاء المبهم للكفرة القبيح اذ ذلك اسم من يعبد غير الله وقوله ومن كفر فامتعه قليلا النعم لان الدنيا دار
لا توجب النظر الى المستحق النعم من غير المستحق ولا الى الولي من العدو ونذا الدنيا واما الآخرة فهي دار جزاء ليست بدار محنة فتوجب
النظر الى المستحق للنعم من غير المستحق ومعنى قوله قليلا لان الدنيا كله قليل ثم الامتحان على وجهين امتحان بالنعم وامتحان بالشدايد
وقد قرئ فامتعه على معنى دعاء ابراهيم عليه السلام ومن كفر فامتعه بالجزم فان قيل لم لا كان تفاضل الامتحان بتفاضل النعم
وانما يعقل فضل الامتحان بفضل العقل ويعلم ان المؤمن هو المفضل بالعقل كيف لا وقع فضل ما به يمتحن وهو النعم لان العقل الذي
به درك الحق واحد لا تفاضل فيه لاحد ثم العقل الذي به يمتحن واحد منهما متساويان فيما به درك الحق لان احدهما يدركه فيتبعه
والآخر يدركه فيعانده فهو من حيث عرفه قد زوعقل اعرض عنه فسمى معاندا اذ من لا عقل له يسمى مجنونا وقوله ثم اضطره الى عذاب
النار ذكر الاضطرار وهو كقوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم وهو السوق وكقوله ونسوق المجرمين انهم يساقون اليها
ويدعون لانهم لا يأتونها طوعا واختيارا وقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا امر برفع البيت
وبنائه ففعلا ثم سألا ربهما ان يتقبل منهما فهكذا الواجب على كل مأمور بعبادة او قربة اذا فرغ منها واداها ان يتضرع الى الله
ويبتهل ليقبل منه وان لا يرد عليه ليضيع سعيه وقوله وبئس المصير اي بئس ما صاروا اليه وقوله انك انت السميع العليم
لدعائهم العليم بما نووا واضمروا وقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك والاسلام قد ذكرنا فيما تقدم انه يتوجه الى وجوه احدها
هو الخضوع والتذلل والثاني هو الاخلاص ٠ ثم اختلف اهل الكلام في الاسلام فقال بعضهم انه يتجدد في كل وقت لذلك
وهو كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله معناه آمنوا بالله في حادث الوقت لانه تارك فعل الكفر في كل وقت غير تارك
الكفر يجدد له الايمان وعلى ذلك يخرج تأويلنا في الزيادة بقولهم زادته ايمانا يتجدد له ويزداد في حادث الوقت وقال آخرون
كان سؤالهم الاسلام سؤال الثبات عليه والدوام وقد ذكر ان العصمة لا ترفع خوف الزوال ومثل هذا الدعاء والسؤال على قول المعتزلة
يكون عبثا لانه لا يملك اعطاء ما سألوا عندهم بل هم الذين يملكون ذلك فيخرج السؤال في هذا عندهم مخرج اللعب والعبث نعوذ بالله
من السرف في القول والزيغ عن الهدى ٠ ثم الايمان هو التصديق بالقلب يتجدد في كل وقت فلا وقت يخلو القلب عنه في حال السكون
او حال الحركة والله اعلم وقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك يحتمل ان الامة المسلمة هي امة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لم يكن
من اولاد اسماعيل رسول سوى محمد صلى الله عليه وسلم فسألا ان يجعلا من ذريتهما رسولا وامة مسلمة خالصة له واما الرسل
كانوا من اولاد اسحاق ومن نسله والله اعلم وقوله وارنا مناسكنا وقيل في قوله وارنا مناسكنا يريد الارادة الى اليوم لعينه تدل
عليه قراءة عبد الله وارهم مناسكهم وفي قراءة غيره على ضم الرؤية الى نفسه والنسك هو القربة وافعال الحج سمي مناسكا لانه يعمل

والعاكفون والركع السجود المقيمون من اهل مكة والقادمين اليها

من آمن منهم بالله واليوم الآخر

ولا يصير كالمعونة على ما هم عليه صح

للنعم ع

وبئس المصير

ان يسألا ذلك من غير امر سبق منه عز وجل بذلك لانه ليس من الحكمة سؤال الايجاب فضل عبادة او قربة بغير امر فدل انه قد سبق
منه بذلك امر لكنه لم يتبين لهما فسألا تعليم ماهيتها وكيفيتها فعلما جابه في ذلك فيه دلالة ان الخطاب بيانه وقت قرع السمع الخطاب
الا ترى انه امر بالابتداء بالحج وهو بيان والثاني آدم والملائكة وقد كانوا حجوا هذا البيت قبل ابراهيم عليه السلام فدل ان الامر قد سبق
والثالث قوله في تفسير الحج ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا من لزوم الكلفة بالخروج قبل وجوب الحج بالامر
بفضل الله لبيان الحقوق والفرائض لكونها واجبة شكرا لما انعم عليه فقد لا يجب كان وجابه قبل الحج وجب وقد قلنا لا مكان قصد انما
واحتج بقوله اقيموا الصلوة ونحوه بظاهره يوجب خطوع الزرع به ما اداه السمع على الاخر باعيانه وكذا الزكاة وكذا ظاهر قوله ولله على الناس
حج البيت وليتخرج تبصاعنه القابل وسؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اوقات الصلوة فقعد في يومين وكذا كان يمكنه تعليمه
وقت السؤال لكنه اخر فهذا ان البيان يجوز تاخره عن وقت قرع الخطاب السمع ثم في تاخير البيان محنة للخطاب بها من التعلم ما لا ينفتق
للخطاب والله اعلم وذكر وارهم بحج عند كل نسك من المناسك ومعاينة لها كما ذكرنا الاحوال كانت في شان الامر ابراهيم وسمعيل عليهما الصلوة
والسلام وقد كان الحج قبلهم وقد ذكر في الخبر انه كان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه يعلم بها تم حتى قال عمر رضي الله عنه
على اهل تكفي وليس احدا الا ولكني اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما قال عمر رضي الله عنه وقد ذكر ذلك في قصة ابراهيم عليه السلام
انه دعا لهم بكليته وقد حين كان العقل لاجل وكذلك غيره من الانبياء عليهم السلام كما انه تعود لجعل الله كذلك لعله بالحاجة اليها ذلك
في وقت فجعل للنسك مخففا ذلك على حال النسك والام يكن المعنى مقارنة له كلو قت عليها في انصله الرحم ترد به في العمر يعني
جعل الله اجلد لك بها علما به تبصل الرحم فيكون صرف ذلك الى اللذة الدلالة وكما كثيب شقيا وسعيدا في الازل الوقت الذي ينبغي يكون كان له
ونحو ذلك والله الموفق ثم الاصل ان يتحمل شاوه جعل على عباده في كل الانواع التي تقلب البشر بها في المعاش وكان انواع اللذات لتكون العبادة
منهم في كل نوع مقابل ما يختار ذلك الشكر لما امكن غير مثله لما يتلذذ به ويتعيش له ذلك اللذة وكل ما يتعيش به حتى خص له بها صاحبها بلا تقدم
سبب يستوجبها العبد فلزمه في الحكمة الشكر لما اسدى اليه تلك النعم وعلى ذلك يجد التقلب من حال القيام الى حال القعود والاضطجاع من عام
في البشر من انواع اللذات فمثله يكون العبادة بتلك النوع عامة نحو الصلوات وعلى ذلك معنى الركوع والسجود لازم لا يفارق فمثله لا اعتراض
والاعتقاد دايم لا محالة لا يخلو منه وعلى ذلك امر اعطاء النفس شهواتها من المطاعم ونحو ذلك لا يعلم الاوقات عموم التقلب من حال الى حال
اذ لا يخلو عنها المرء وان كانت مختلفة فجعلت عبادات الصيام في خاص الاوقات ثم لم يمتد ما بين الاوقات امتدادا امتزاجا فعلى ذلك جعل
العفو عن الصيام لم يجعل كذلك بل في كل سنة مهما قد يدخل الصيام في كثير الامور ثم للناس في الاموال معاش وبها تلذذ منها قوت لا بد منه
فلا يفارق بمثله لازم لا يحتمل جعل القربة فيه سوى ان جعل بعينه قربة اذ فرض على المرء الاستمتاع به ومنها فضل فيه جعلت قرب
التصدق لانه له نحو التلذذ لا يحيى بها الا بنية ٠ وكذلك نوع تقلب الاموال في النفس التي هي نحو الضرورة لم يجعل الشاق للفضل وتربية
يؤديها سوى ما به حيوته وذلك يجعل بحكم الفرض عليه ولا تدبير ٠ وكذلك امر الصيام لم يجعل ما لا بد من القوة ولكن فضل قوة في الاحتمال لكن
الزكوات هي من حقوق ما يجوز ان يكون في نعمة عليه فرض عليه البذل الى غيره وحقوق الافعال لا تحتمل ان يصير السبب الذي له يجب
ان يكون لغيره يجب عليه فجعل فرض ذلك الفعل في نفسه وهي بحسب الاحوال الوجهين احدهما فيها حقوق شايع على نحو النفقات فالحق هي
الى الحول تخفيفا والما هي يجب فيما له حكم الفضل والفضل ما يفضل عن الحاجة والحاجات يجدد في اوقات لا انها تتابع لا تظهر في مثله الفضل
الا مبلغ بينة اكثرها حول ثم فرض الحج في العمر مرة لانه في حق الاسفار المديدة التي لا يختار مثلها اللذات الا في النوادر فلم يوجب مثله
الا خالصا فاوجب في جميع العمر مرة وقد وجب في الاموال في كل سنة لان ارباب الاموال قد يتقلبون في البلاد النائية ذهبا في فنون
اللذات فلذلك لم يجز فرض مثل ذلك امر الجهاد على ان الجبال كالذي لا يديم الاقوات اذ في ترك ذلك خوف غلبة الاعداء وفيها تلف الابدان
والاديان ففرض على قدر ما فرض في الاوقات لما بينت من الخلل ثم كانت احوال اهل السفر يكون على غير المعروف من احوال المقيمين في حق الرزانة
والوقار وحق الانبساط والنشاط فعلى ذلك شرائع الامر نحو الجهاد فيه انواع ما وجد في غيره من العبيد وكذلك امر الحج وعلى مثل هذا يخرج
رمي الجمار والرمل والسعي ونحو ذلك فجعل ذلك في حق الاسفار يستر وان كان مثل ذلك عدلا في غير ذلك عبثا اذ قد بينا مخرج العبادات
على ما عليه احوال العباد بانفسهم لولا العبادات والله اعلم ٠ ثم جعل ذلك في امكنة متباعدة الاطراف اذ هو نحو امر الاسفار بحيث المعهود
فجعل النسك في نفسه بالذي به يقطع الاسفار ولا قوة الا بالله ٠ ووجه آخر من المعتبرات ان العبادات جعلت انواعا منها ما يبلغ القيام

ثم حكم في تاخير البيان عن الخطاب المجمل هو ابتلاء المخاطب به ليطلب منه اذ ربه بالتأمل شرح

بعقبها العام فصاعدا لم يجز ان يجعل وقته ينتقص عن احتمال الفعل ولا وقت من طريق الاشارة اجمع لمختلف الاحوال البعيد سقوط اعتبار
العمر من السنة ثم فعل الحج قد يمتد ذلك ويجاوز لم يجعل ذلك وقتا له • واما جعل العمر كلا وقت يشار اليه لا وجميع ما فيه مما يحتمله العام
الاخر وما يعقبه وما يلحقه ثم في العمر احوال لا يحتمل اضافتها الى الاعوام لان ما يضاف الى عام فذلك لكل عام وليس ما يضاف الى العمر موجود
بحق الاعوام فجعل له التوقيت والله اعلم • ثم الزكوات هي يجب الاموال اصولها الكسب عدد وفضل غنى ولكن على ذلك يكسب احوال الحقوق
لا لما يختلف فلم يمتد امرها الى العمر على انها جعلت حقا للفقراء ومتى اريد يجعل الوقت له العمر يصير لغيره ويجب فيه ما يجب في الاول فتبطل
الزكوة ويبقى الفقراء بلا عيش اذ الله بفضله قدر اقوات الخلق ثم فضل الخلق في الاملاك حتى كان بعضهم بحيث لا يملك شيئا وبعضهم يجاوز
ما ينال الاضعاف عمره شيئا ذلك لما بها يقتضي به كفاية الفقراء فلا بد ان يجعل لذلك مدة يتوسع في ذلك الفريقان جميعا ثم كانت الاقوات
التي هي مجعولة للخلق يتجدد في كل عام على ذلك ان جعلت اقوات الفقراء في اموال الاغنياء جعلت في كل عام على ذلك ان جعلت اقوات الفقراء
في اموال الاغنياء على انه اذ جعلت اقوات الخلق في بركات السماء والارض جعلها الله متجددة يتجدد الاعوام ولا قوة الا بالله • والصلوة
والصيام عبادتان تلزم قوى الابدان فعلى ما يختلف قواهما اختلفا في الامر بهما والترك وفي انواع الرخص لكن الصلوة ليس فيها مكابدة
ولا مدافعة اللذات اذ لا سبيل الى مثلها متتابعا لما يعقبه اللذة المأكول والشهوة وجميعا فيبطل حق التتابع وقدر المفروض من الصلوة لا تشغل
عما يقوم بها النفس والصيام يضاد ذلك ويمنع البدن فجعل في عبادة الصلوات في كل يوم عبادة الصيام في اوقات متراخية ذي ما
معنى المجهول لها لاغذية بلين اقامة الابدان وفي الصيام خوف فنائها لذلك استغني بطول الاغتذاء على اوقات الصيام ولا قوة
الا بالله • وان شيت قلت ان الله انعم على البشر بما هو غذاء وقوام وما هو لذة وشهوة ثم انعم عليهم بما هو لهم به رفعة وجاه عند الخلق
وهي الاموال فالزمهم في كل نوع من هذه الانواع وعلى ذلك وقع كل نوع منها لفوت النعمة التي هي المرغوبة المختارة في الطبيعة
والى ما يدوم تلك يدعوا العقل بذل ما يستطيع منه ثم جعلت قوى النفس بشهواتها ونعم الاموال بانواع الكد والجهد فعلى ذلك خفف
حقوق الاموال فلم يجعل الا في الفضل الذي لا احتياج لهم ان لا يبلغوا بالجهد ذلك ففي ذلك جعلت الحقوق على ما يحتمل الوسع لهم من الترتيب
مع اليسر الذي اخبر الله ان يريد بهم ذلك لا العسر والله اعلم • وقوله وتب علينا انك انت التواب الرحيم دل سؤال التوبة ان الانبياء
عليهم السلام قد يكون منهم الزلات والعثرات على غير قصد منهم ثم فيه الدليل على ان العبد قد يسال عن زلة لم يتعمدها ولم يقصدها لانهم
سالوا التوبة مجملا • ولو كان سبق منهم شيء علموا به وعرفوه لذكروه فدل سؤالهم التوبة مجملا على ان العبد مسؤول عن زلات لم يتعمدها
وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا من جنسهم من البشر لان ذلك اقرب الى المعرفة والصدق ممن كان من غير جنسهم كقوله تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا الاية ويحتمل رسولا منهم اي من قومهم ومن جنسهم وبلسانهم لا من غيرهم ولا بغير لسانهم والله اعلم كقوله لقد جاءكم
رسول من انفسكم عزيز عليه • وقوله يتلوا عليهم اياتك قيل الايات هي الحجج وقيل الايات هي الدين ويحتمل يدعوهم الى توحيدك والله اعلم
وقوله ويعلمهم الكتاب يعني القران ما امرهم به ونهاهم عنها ونحو ذلك • والحكمة قيل الفقه يقول يعلمهم الكتاب وما فيه من الفقه وقيل
الحكمة ما فيه من الاحكام من الحلال والحرام وقيل الحكمة هي السنة ههنا وقيل الحكمة هي الاصابة وبعض هذا قريب بعض وبالله التوفيق وقال الحسن
الحكمة هي القران عاد القول به يعني تكرارا وقال ابن عباس رضي الله عنه الحكمة الفقه • وقوله ويزكيهم قال ابن عباس رضي الله عنه ياخذ
زكوة اموالهم فذلك يزكيهم كقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقيل يزكيهم الى ما به زكوة انفسهم وقيل يزكيهم بعمل الصالح
فان قال قائل ممن ينتحل مذهب الاعتزال اليس الله عز وجل اضاف التزكية والهداية الى رسوله ولم يكن منه حقيقة فعل التزكية
والهداية ولا خلق ذلك منه كيف لا قلتم ايضا فيما اضاف ذلك الى نفسه انه ليس فيه منه خلق ولا حقيقة سوى الدعاء والبيان
على ما لم يكن في اضافة ذلك الى رسوله سوى الدعاء والبيان • قيل كذلك على ما قلتم انما اضاف ذلك الى رسوله بقوله ويزكيهم وبقوله
وانك لتهدي الى صراط مستقيم وكقوله ولكل قوم هاد غير ان جعل الى نفسه فضل هداية لم يجعل ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم ذلك ثبت
زيادة تزكية لم تثبت ذلك لرسوله عليه السلام كقوله انك لا تهدي من احببت ولكن يزكي من يشاء فدل اضافة تلك الزيادة الى نفسه
على ان له فضل فعل ليس ذلك لرسوله وهو خلق فعل الاهتداء وفعل التزكية وبالله التوفيق • وبعد فان الرسول لا يحتمل ان يملك
قدرة فعل احد يقدر عليه لو اراده بما اقدرهم الله على الفعل حتى قدروا والجائز ان يكون له عليه قدرة وتحقيقها جواز خلق ذلك
ومثله في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل ولا قوة الا بالله • وقوله انك انت العزيز الحكيم اي لا شيء يعجزه والعزيز بذاته

لا مرهم به ونهيهم عند ونحو ذلك كما قال الله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا

وكل شيء دونه

وكل شيء دونه عزيز بدليل وقيل العزيز المنيع وقيل العزيز المنتقم من اعدائه • والحكيم هو المصيب في فعله والحكيم قادر ومنهيه
والحكيم هو الذي يحكم كل شيء حكمه لا يلاعل وحدانيته • ثم ذكر بعض المفسرين على المناسك فقال سميت العرفات لانه قيل تعرفت ومنا
لما قيل لهم ثمة وددي لما استقبل لابراهيم الشيطان فرمى فهذه العلامات تعلقن من العلا القلوب وتنزعها الطباع الانه تذكر وتقاتهم
فضل الخلة فرالعنق الذي ذكر في ابراهيم عليه السلام • ثم قد ذكر شرف الخيرات الملائكة قالت لادم حججنا قبلك بالفي عام فيثبت انه من قبلنا
هذا كلهم لم يكن فضل الحكمة فيه من طريق العقل وهو الحج قصد لزيادة ذلك كاحادم مختلف الافعال الواقع بالزيادة كالصلوات الخشوع
لعينه امر بها لاحضار الافعال المختلفة حال الخشوع ثم المرتقب بالخشوع مرة بالقيام ومرة بالركوع ومرة بالسجود امر باحضار مختلف الافعال
التي فيها المزور يعتز له الصلوات تخالف الحج افعالها اجل المعاش امر باحضار حالة تذكره الوقوف والخشوع لله معترفا بين يديه
وحالة المعاش ولهذا يفتض كلما نقل افعال الحج فيظاهرها الى افعال المعاش وما اليه وقع العقد لاعنها عن اراده فيه
ولهذا ما لا يعقل شكل مكان • وقوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم ثم اختلف في الملة قيل الملة والدين والسنة وقيل الاسلام كله والعهد
وقد ذكرناه فيما تقدم • وقوله الا من سفه نفسه بما يحل من عمل السفه بجهل الاسعد بنفسه بالسفه نفسه وكان انتصابه لانتزاع
حرف الخافض وقيل جهل نفسه فيفسه فيما فارغ من صنعها ولقد اصطفيناه في الدنيا بالنبوة والرسالة والعصمة ويحتمل باجرام في الدنيا
ثناء حسنا لم ينقص من جزائهم في الاخرة وانه في الاخرة لمن الصالحين في المنزلة والثواب ويحتمل من الصالحين لمن سلف ويحتمل
بشر في الدنيا انه كان من الصالحين في الاخرة فيكون ذلك وعدا له بصلاح الخاتمة كما وعد محمدا صلى الله عليه وسلم مغفرة ما تقدم من ذنبه
من الذنب وما تاخر وقد في الدنيا وعد بصلاح الخاتمة والله اعلم فاخبر بما كان بشره ويجوز ان يقال هم في الاخرة على ما كانوا عليه
وقوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين قيل اخلص ويحتمل ان يراد ابتداء اسلام على ما في ذكر تجدده في كل وقت يحتمل
ان يكون وحيا او من اليه ان قل كذا فقال به فان كان وحيا فهو على ان يسلم نفسه لله ويحتمل ان يكون اسلام العقب يقتضي الخلقة بالاسلام
فان كان على هذا فهو على الاسلام دون التوحيد ويحتمل اسلام خلقة كقوله الست بربكم قالوا بلى بخلقة وعلى ذلك يخرج قوله لابراهيم واذن
في الناس بالحج فدعاهم فاجابوه في اصلاب ابائهم لاجابة الخلقة وقت كونهم وقيل يحتمل امرا بابتداء الاسلام كقوله فلما جن عليه الليل راى
كوكبا الى اخره ثم قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا يكون جوابه قوله اسلم والله اعلم • وقوله ووصى بها يعني بالملة
والملة تحتمل ما ذكرنا ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين وهو الاسلام ردا على قول اولئك الكفرة ان ابراهيم كان
على دينهم لان اليهود زعمت انه كان على دينهم يهوديا وقالت النصارى بل كان على النصرانية وعلى ذلك كانوا يقولون كونوا هودا او نصارى تهتدوا
فلما ادعى كل واحد من الفريقين انه كان على دينهم اكذبهم الله عز وجل في قولهم ورد عليهم ذلك فقال قل يا محمد ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما على ذلك قوله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون اخبر عز وجل انه دين كان دين الاسلام وهو الذي اصطفا
والدين الذي اختاروهم من اليهودية والنصرانية لقوله تعالى ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى اي ليس له • وقوله ام كنتم شهداء
يقول اكنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اي ما كنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت قيل ويحتمل ان يكون ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه بدين اليهودية فانزل الله تعالى ام كنتم شهداء اي كنتم شهداء وصية يعقوب بنيه اي لم يشهدوا
وصية فكيف قلتم ذلك • ثم اخبر عز وجل عن وصية يعقوب بنيه فقال ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك الاية
ونحن له مسلمون يعني مخلصين بالتوحيد وبجميع الكتب والرسل ليس كاليهود والنصارى يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ثم يدعون
ان دليل دين ابراهيم ودين بنيه ثم في الاية دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الاخبار التي قالوا من غير نظر منه في كتبهم
ولو سماع منهم ولا يعلم ذلك الا بالله علم وعنه اخبر • وقوله قولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية فالاية تنقض على من يستثني
في ايمانه لانه امرهم ان يقولوا قولا بانا لا استثناء فيه ولا شك وكذلك قوله فان امنوا بمثل ما امنتم به الاية • ثم يحتمل ان يكون نعمد دا
على اولئك الكفرة حيث فرقوا بين الرسل امنوا ببعضهم وكفروا ببعض وكذلك امنوا ببعض الكتب وكفروا ببعضها فامر الله عز وجل
المؤمنين ودعاهم الى ان يؤمنوا بالرسل كلهم والكتب جميعا لا يفرقون بين احد منهم كما فرقا اولئك الكفرة ويحتمل ان يكون ابتداء تعليم
الايمان من الله عز وجل لهم بما ذكرنا للجملة • ثم اختلف في الحنيف قيل الحنيف المسلم وقيل الحنيف الحاج • وقيل كل حنيف ذكر بعده
مسلم فهو الحاج وكل حنيف لم يذكر بعده مسلم فهو مسلم وقال الحنيف المائل الى الحق والاسلام • وقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به

تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين

وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون

روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا تقرا فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فان الله ليس له مثل ولكن اقرا فان آمنوا بالذي آمنتم به
او بما آمنتم به وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه فان آمنوا بمثل ما آمنتم به تصديقا لذلك وعلى ذلك قوله ليس كمثله شيء
ان الكاف زايدة اي ليس مثله شيء وهو في حرف ابن مسعود رضي الله عنه كذلك ويحتمل آمنوا بلسانهم بمثل ما آمنتم بلسانكم
من الرسل والكتب جميعا فقد اهتدوا ويحتمل بمثل ما آمنتم به اي بلسانه بغير لسانهم فقد اهتدوا وقوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون كانه والله اعلم لما ادعوا ان ابراهيم ومن ذكر من الانبياء كانوا على دينهم فقال عند ذلك لا تسالون
انتم عن دينهم واعمالهم ولا هم يسالون عن دينكم واعمالكم بل كل يسال عن دينه وما يعمل به وقوله فانما هم في شقاق قيل الشقاق
هو الخلاف وقيل الشقاق هو الخلاف الذي فيه العداوة والله اعلم وقوله فسيكفيكهم الله هذا وعيد من الله عز وجل لهم ووعد
وعد نبيه بالصبر له لان اولئك كانوا يتناصرون بعضهم ببعض فوعد له عز وجل النصرة بقتل بعضهم واجلاء
آخرين الى الشام وغيره وقوله صبغة الله قيل دين الله وقيل فطرة الله كقوله كل مولود يولد على الفطرة وقيل فطرة الله وقيل صبغة الله
حجة الله التي اقامها على اولئك وقيل صبغة الله سنة الله ثم يرجع قوله ومن احسن من الله صبغة اي دينا وسنة وحجة
تدرك بالدلايل التي نصبها واقامها فيه ليس كدين اولئك الذين اسسوا على الحيرة والغفلة بلا حجة ولا دليل وقيل
ان النصارى كانوا يصبغون اولادهم في ماء ليطهرهم بذلك فقال الله عز وجل صبغة الله يعني الاسلام هو الذي يطهرهم لا الماء
وقوله ونحن له عابدون قيل موحدون وقيل مسلمون مخلصون ويحتمل ونحن عبيده وقوله قل اتحاجوننا في الله روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اولى بالله منكم فانزل الله في ذلك
قل اتحاجوننا في الله وقيل في الله يعني في دين الله اي اتحاجوننا وتخاصموننا في دين الله وقوله وهو ربنا وربكم اي اتحاجون
في الله مع علمكم واقراركم انه ربنا وربكم بقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم قيل لنا
ديننا ولكم دينكم كقوله لكم دينكم ولي دين ويحتمل لنا اعمالنا لا تسالون انتم عنها ولكم اعمالكم ولا نسال نحن عن اعمالكم
كقوله ولا تسالون عما كانوا يعملون ونحن له مخلصون دينا وعملا لا نشرك فيه غيره وقوله ام يقولون قيل يقولون وقيل
على الاستفهام في الظاهر يقولون لكنه على الرد والانكار عليهم وذلك انهم قالوا ان ابراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه كانوا
هودا او نصارى فقال الله تعالى قل انتم اعلم ام الله مع اقراركم انه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
ومعنى الاستفهام وهو تقرير ما قالوه كالرد عليهم والانكار ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قيل الشهادة التي عنده
علمهم انهم كانوا مسلمين ولم يكونوا على دينهم وقيل الشهادة التي عندهم بالاسلام انه دين الله وانه الحق وقيل الشهادة التي كتموها
محمد صلى الله عليه وسلم بينه الله في كتابهم واخذ عليهم المواثيق والعهود ليبيننه للناس ولا يكتمونه فكتموه وكذبوه
وقيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله في قول ابراهيم عليه السلام وما ذكر من الانبياء انهم لم يكونوا هودا ولا نصارى
فيقول الله عز وجل لا تكتموا الشهادة ان كان عندكم علم بذلك وقد علم الله انهم كاذبون • وقيل الاسباط بنو يعقوب سموا
اسباطا لانه ولد لكل رجل منهم امة وقوله وما الله بغافل عما تعملون خرج على الوعيد اي لا تحسبوا انه غافل عما يعملون ويجوز ان يكون
لم يبتليهم على غفلة مما يعملون بل على علم بما يعملون خلقهم ليعلم ان ليس له في شيء من عمل الخلق له حاجة لخلقهم على رجاء النفع له
ولا قوة الا بالله خلقهم وهو يعلم بعصونه وقوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الاية قد ذكرنا هذا بتمامه وقوله
سيقول السفهاء من الناس والله اعلم هذا وعد كان وعده عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحوله الى الكعبة من بيت المقدس
ولجابر عما يقوله اليهود قبل ان يحول وقيل ان يقولوا له شيئا • الا ترى الى قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء انه لو لم يكن فيها
وعد بتحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة لكان تقلب وجهه الى السماء بذلك تحكيما منه والحكم عليه وليس لاحد على الله التحكيم
والتحكم عليه في الاحكام والشرايع ولا في غيرها فدل انه على الوعد له ما فعل والله اعلم ثم فيه اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان
اخبره على ما اخبر من التحويل الى الكعبة وذلك انهم لا يرون نسخ الشرايع والاحكام لانه كالبدا والرجوع عنها وذلك فعل من يجهل
عواقب الامور كباني بنا ثم نقضه لجهل منه به لكن ذلك منهم جهل بمعرفة النسخ وقدره ولو عرفوا ما النسخ ما انكروا نسخ الشرايع
والاحكام واما النسخ عندنا فهو بيان منتهى الحكم الى وقت ليس فيه بدا ولا نقض لما مضى بل تجديد حكم في وقت بعد انقضا حكم

ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها

على بقاء الاولى لوقت كونه ليس على ما فهمت اليهود من البدا والنقض لما مضى كالبناء الذي وصفوا وبالله التوفيق وان كانت الاية
في غير اليهود من اهل مكة على ما يقوله بعض اهل التفسير فقالوا لما رجع محمد الى قبلتنا من القبلة الاولى يرجع الى ديننا قال الله عز وجل قل لله
لله المشرق والمغرب والامكنة كلها والنواحي يامر بالتوجه الى اي ناحية شاء شرقا وغربا فالطاعة له في الايتمار لامره والقبول لدعايه للتوجه
نحو المشرق او نحو المغرب بهواهم وا وتمنيهم تمنوا لان اليهود جعلوا قبلتهم المغرب بناء على هواهم لا بناء على امره وايه وكذلك النصارى اتخذوا
المشرق قبلة لهوى انفسهم فاخبر الله تعالى عن المومنين انهم ياتمرون بامر الله حيث ما امروا وتوجهوا نحوه وقوله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم هذا على المعتزلة لانه اخبر عز وجل انه يهدي من يشاء ولا جايز ان يهدي وهو لا يهتدي وهم يقولون شاء ان يهدي
ولكنهم لم يهتدون فوقوله من يشاء على ان مشية الهداية ليست لكل على ما قالت المعتزلة ان هدايته بيان وذلك الجميع وفيه دليل نسخ
السنة بالكتاب لان القبلة الى بيت المقدس لم تكن مذكورة في الكتاب بل عملوا على سنة الاولين للناسخين وهذا على الشافعي لانه لا يرى
نسخ السنة بالكتاب لا بعد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم به فاذا عمل به صار سنة فهو نسخ السنة بالسنة لا نسخ السنة بالكتاب
فهذا منه قبيح فاحش وفيه نبذ الكتاب وهجره وقد نهينا عنه والتحكم على الله عز وجل لانه لم يجعل للكتاب من القدر ما يقع فيه الزجر
على ما كان عليه انقالوا لا عمل صلى الله عليه وسلم فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الهدى ولكن لم يعرف ما النسخ وما قدره
ولو علم لما قال بمثله وهو عندنا ما ذكرنا بيان منتهى الحكم الى وقته والله جل جلاله نصب الاحكام والشرايع فكل وقت بين ذلك مرة
بالكتاب ومرة على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم وبالله التوفيق ولما جعل له صلى الله عليه وسلم ان يعمل به فنسخ الكتاب فيه تلك الشريعة
فكذلك في غيره من الناس والله اعلم وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا وكذلك لا يستقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على العطف على ما
من الخطاب وهو والله اعلم معطوف على قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية كانه قال كما وفقكم على الايمان
بما ذكر وهداكم للاسلام كذلك جعلكم امة وسطا يعني عدلا لتكونوا شهداء على الناس ثم اختلف في قوله على الناس قيل على بمعنى اللام اي للناس
وهذا جايز في اللغة سايغ كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب وقيل على بمعنى على ان تشهدوا على الامم للانبياء على تبليغ الرسالة ويشهد الرسول
لهم بالعدالة وفيه دليل قبول شهادة اهل الاسلام على اهل الكفر ورد شهادتهم علينا لانه لو قبلت شهادتنا عليهم على التبليغ ثم شهدوا لنا
بانهم لم يبلغوا لكان فيه تناقض فدل ان شهادتنا تقبل عليهم ولا تقبل شهادتهم علينا والله اعلم وقوله لتكونوا شهداء على الناس الذين
ابوا اجابة الرسل ويكون الرسول شهيدا عليكم انكم اجبتم الرسالة وذلك قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية اضاف الله اليه
جعلهم امة وسطا ثبت ان لله في فعل ذلك فعلا به ذكر منه والله اعلم قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا فالوسط العدل الخير عز وجل
انه جعل هذه الامة عدلا فالعدل هو المستحق للشهادة والقبول لها ففيه الدلالة على جعل هذه الاجماع حجة لانه وصفها بالعدالة ومن صيرها
من اهل الشهادة فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبول ذلك والحكم بما شهدوا والشهادة فيه انه من عند الله وقع لهم ذلك والثاني
قال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين لحجة انه فيهم صدقة يلزم اتباعهم والثالث ما قال عز وجل ومن يتبع غير سبيل المومنين قوله
ما تولى ولا يجوز الوعيد في مثله اذا لم يكن ذلك هو الحق عند الله • والرابع قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول امر عز وجل
عند التنازع الرد الى كتاب الله والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فدل انه اذا لم يتنازعوا لم يجب الرد الى ما ذكر والله اعلم وقوله لتكونوا
شهداء على الناس روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يسال الله تعالى يوم القيامة الامم عن تبليغ الانبياء رسالته اليهم فينكرون
ثم يؤتى بهذه الامة يشهدون عليهم بالتبليغ فذلك قوله لتكونوا شهداء على الناس ويشهد الرسول عليهم يعني لهم بالعدالة والتزكية
والله اعلم • قال الشيخ رضي الله عنه وفي قوله لتكونوا شهداء على الناس وجهان احدهما على الكفرة وفي ذلك دليل قبول شهادة المسلمين
عليهم ورد شهادتهم عليهم لما بينا من التناقض فيه ولمنفعة الشهادة عليهم • والثاني يكون فيمن شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهود على حكم يكونوا
بعدهم وفي ذلك دليل نهي من تاخر الصحابة رضوان الله عليهم عن خلافهم ويكون الرسول شهيدا عليكم اذا خالفتموه وعصيتموه
وقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول فهذا والله اعلم لما كانوا في المتابعة على قسمين منهم من يتبعه لما وافق
هواه ومنهم من يتبعه لما علم انه الحق من عند الله فامتحنهم الله عز وجل ليتبين لهم ويقع علم ذلك عندهم من المتبع له بهواه ومن المتبع
بالامر والطاعة • وقيل ايضا في قوله الا لنعلم من يتبع الرسول قيل لنعلم ما قد علم انه يكون كاينا وليعلم ما قد علم انه يوجد او قيل انه
يجوز ان يراد بالعلم المعلوم معناه والله اعلم الا ليكون المتبع له والمنقلب على عقبيه • ثم الاصل في هذا ونحوه من قوله حتى نعلم المجاهدين

منكم انا لا نصف الله تعالى بالعلم فى الخلق على غير الحال التى الخلق عليها لان وصفنا اياه بالعلم على غير الحال الذى عليها الخلق يومى
الى وصفه بالجهل لانه لا يجوز ان يقال يعلم من الساكن فى حال السكون متحركا او الساكن فى حال الحركة او يعلم من الجالس قياما او القيام
جلوسا وكذلك لا يجوز ان يقال يعلم من العدم موجودا او من الموجود معدوما فى حال وجوده لانه وصف بعلم ما ليس هو بحال
وبالله العصمة وقيل انه كل علم يذكر على حدوث المعلوم يذكر بذكر الوقت للمحدث لان لا يوهم بذكره قدم المعلوم فى الازل و اراد
بما هو حقيقة بلا ذكر الخلق مع ذلك نصفه به فى الازل لتعاليه عن التغير والزوال وعن الانتقال من حال الى حال ولا قوة الا بالله وقوله
وان كانت لكبيرة يعنى تحويل القبلة لكبيرة ثقيلة على من كان اتباعه لهواه دون امر امر به الا على الذى يتبع امر الله فيها ويعتقد طاعته
فانها ليست بثقيلة عليه ولا كبيرة وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم قال بعض اهل التفسير ان قوما صلوا الى بيت المقدس ثم ماتوا
على ذلك فلما حولت القبلة الى الكعبة قالوا اضاعت صلوتهم التى صلوا اليها اشفاقا عليهم لكن هذا بعيد لا يحتمل لان الذى اعتقد
الاسلام من الصحابة رضى الله عنهم وعرف موقع امر الله وامر رسوله لا يجوز ان يخطر ببالهم هذا او يعملون لو خطر ببالهم حتى يسالوا
عن ذلك بل كانوا اعلم بالله من ان يجد عدو الله فيهم ذلك ولانهم قوم ياتمرون بامر الله وطاعته ويموتون على التصديق وعلموا
انهم مؤمنون ثم يشكون فى احوالهم لكن ان كان ثم سؤال فهو من اليهود الذين اعتقدوا ابطال التناسخ فى الاحكام والشرائع
فكانوا يحتجون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه نهى عن التفريق والاختلاف ثم تبعوهم الى ذلك او هم من الكفر اذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وافرطوا فى التكذيب له والخلاف والمعاداة فارادوا الاسلام فظنوا ان ما كان منهم من العصيان
والتكذيب يمنع قبول الاسلام فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم لما كان منكم فى حال الكفر الا ترى ان اخر الاية يدل عليه
وقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم لحقيرانه رحيم يتجاوز عمن تاب وهم علموا ان لا تناسخ فى الدين ولا اختلاف فيه فظنوا ان النسخ
للاحكام وتبديلها يوجب اختلافا فى الدين وتفرقا فيه فنقول ان الايمان فى الاصل بالذى لا يقع على اعتقاد الصلوة الى جهة
دون جهة بل يقع على الايتمار فالايمان من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الذين ماتوا على اعتقاد الايتمار فهم مؤمنون باعتقاد
الايتمار الى بيت المقدس مؤمنون باعتقاد الايتمار الى الكعبة فلا تفرق ولا اختلاف فى الايمان اذ فى الاصل به وقع الاعتقاد للايتمار
وبالله التوفيق ثم وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم تاويله اى لا يضيع ايمانكم بالصلوة الى بيت المقدس ولو كان على الصلوة فهو
لوجهين احدهما انها انما قامت بالايمان فهو سبب لها وقد يذكر الشئ باسم سببه والثانى ان اليهود عيروهم بانا فور د الخطا-
على ما عندهم معروف كقوله فراغ الى الهتهم لان كان ثم الهة لكن لما عندهم وكذلك قوله فتبارك الله احسن الخالقين لا ان كان
ثم خالق سواه ولكن لما عرفوا كل صانع خالقا فخرج الخطاب على ما عرفوا هم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله قد نرى تقلب وجهك
فى السماء قد ذكرنا انه يخرج على الوعد له وقوله قبلة ترضيها قال بعض المفسرين انه كان يقلب بصره الى السماء لما كان يكره ان يكون
قبلته قبلة اليهود ولكن هذا بعيد لانه مثل هذا لا يظن باحد من المسلمين فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يقال كره
كراهة الطبع والنفس واما كراهة الاختيار فلا يحتمل ويقال انه كان حبب اليه الصلوة حتى لا يصبر عنها وقد نهى عن الصلوة ٥
الى بيت المقدس ولم يؤمر بعد بالتوجه الى غيرها فكان يقلب وجهه الى السماء رجاء ان يؤمر بالتوجه الى غيرها او ان يقال قبلة ترضاها
لانها كانت قبلة الانبياء من قبل فلا شك انه كان يرضاها وهذا جائز فى الكلام يقول الرجل لاخر اعطيك شيئا ترضاه وانه لم تظهر
منه الكراهة فى ذلك لا الرد وقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وقد ذكرنا القول فى القبلة والاختلاف فيه ما تقدم وقوله
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يحتمل قوله انه الحق وجهين اى علموا ان تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة حق
لكنهم يعاندون ويتبعون هواهم ويحتمل ان علموا بما بين لهم فى كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول وانه حق وما الله بغافل عما يعملون
وهو على ما ذكرنا انه على الوعيد والتهديد والله اعلم وقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك الاية فى قوم علم الله
انهم لا يؤمنون ولا يتابعون محمدا صلى الله عليه وسلم فى قبلته حيث لا ييأس عن متابعتهم اياه لانها لو كانت فى اهل الكتاب كلهم
لكان لهم الاحتجاج على رسوله صلى الله عليه وسلم ودعوى الكذب عليه لان من اهل الكتاب من قد امن فدل انهم لم يفهموا من عموم
اللفظ عموم المراد ولكن فهموا من عموم اللفظ خصوصا وكان ظاهرا فى اهل الاسلام واهل الكفر جميعا المعنى الذى وصفنا لك
فظهر انه لا يجوز ان يفهم من مخرج عموم اللفظ عموم المراد وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه فى موضع

صح يتضح الدلالة التى يستند علمه الى الحدث بذكر الوقت

فلنولينك

وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره

الاختيار لا ياس عن الاتباع له ولا يوصل الى مثله الا بالوحى عن الله عز وجل وفيه ان كثرة الايات وعظمها فى نفسها لا يغنى المعاند
عن اتباع هواه والاعتقاد لما يخالف هواه وقوله وما انت بتابع قبلتهم فيه الوعد له بالعصمة فى حادث الوقت وما يتلوه
ويحتمل قوله وما انت بتابع قبلتهم اى وما انت تابعهم فى القبلة هذا التاويل كالنهى لا يوجب الخروج الا على الوعيد بقوة
ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم الاية وقد ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهى ويحتمل ان يكون الخطاب لغيره وقوله الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم لان الاولاد انما عرفوا بالاعلام والاسباب تتقدم فصلى الله على الرسل عليهم السلام
انما تكون بالدلايل والاعلام وقد كانت الدلايل والايات فى رسول الله ظاهرة لكنهم تعاندوا وتناكروا وكتموا بعد معرفتهم
انه الحق بدليله وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون والكتمان ابدا انما يكون بعد العلم بالشئ لان الجاهل بالشئ لا يوصف
بالكتمان وروى عن عبد الله بن سلام انه قال انا اعرف به منى بابنى لانى لا ادرى ما احدثت النساء بعدى وفيه الدلالة ان نعته
وصفته كانت معتبرة يومئذ وانما غيرت بعد ذلك احبارهم كتموا ذلك فبذلك يعلمون لا يؤمنون وهو على ما بينا من نعته
نعته تجاليان يكون عرفوه بما وجدوه فكيتهم كما قال الله عز وجل الرسول النبى الامى الذى يجدونه الاية وقوله فلا تكونن
من الممترين يحتمل ان يكون الخطاب له والمراد غيره ويحتمل هو وان كان يعلم انه لا يمترى لما كان فيه من وضع العصمة لا تمنع النهى
عن الشئ وقوله ولكل وجهة هو موليها قيل فيه بوجوه قيل وهو موليها يعنى الله موليها ومحولها وقيل هو يعنى المصلى هو موليها
وقيل ولى ابتل وهو موليها فيقال فى قوله ولكل وجهة هو موليها اى لكل اهل ملة من المسلمين قبلة يجعلت قبلتها الكعبة
وقوله فاستبقوا الخيرات قيل فيه بوجوه قيل بادروا الى الامر الساعة فى الخيرات والطاعات وقيل استبقوا اى اسم الازدحام
يعنى تبادروا بعضكم بعضا بالخيرات ويحتمل الى ان تسبقوا فى امر القبلة والتوحيد ما غيركم من الكفرة والله اعلم وسوله وقوله
اينما تكونوا يات بكم الله جميعا قيل اينما كنتم يقبض الله ارواحكم من البقاع البعيدة والامكنة الخصيبة وقيل اينما تكونوا فى اى حال كنتم
عظاما ناخرة او بالية او رفاتا يجمعكم الله ويحييكم ولا يتعذر عليه ذلك وهو كقوله انذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا
قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة احتمل شدة الحال عندكم
لا يتعذر عليه ولا يشتد عليه الاحياء والاماتة وقوله ان الله على كل شئ قدير من جمع ما ذكرنا من الاشياء المتفرقة واحيا العظام
البالية وقوله ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام نقول والله اعلم حيث ما كنت من المداين والبلدان فول وجهك
شطر المسجد الحرام شطره تلقاءه ونحوه وجهته وهذا يبطل قول من يقول ان الحرم قبلة لمن نأى عن البيت وبعيته اهل الافاق حيث امر نبيه
صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى شطر المسجد الحرام حيثما كانت من البلدان وبالله العصمة والتوفيق قال الشيخ رحمه الله ذكر المسجد و معناه
موضعا منه عرف ذلك بالفحص عنه من البقاع البعيدة والامكنة الخفية لا بالظاهر ولا ذكر وصل البيان به وقوله وانه للحق من ربك
قيل وانه تحويل القبلة هو الحق من ربك وقيل وانه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم هو الحق من ربك ويحتمل وانه يعنى القرآن هو الحق
من ربك وقوله ومن حيث خرجت على ما ذكرنا وقوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خاطب الكل وامرهم بالتوجه اليه حيثما كانوا لئلا
لا يكون هو المخصوص به دونهم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة تاويل هذا الكلام والله اعلم انه لما اختار اليهود ناحية المغرب
قبلة والنصارى ناحية المشرق بهواهم فانزل الله عز وجل ولله المشرق والمغرب الاية يهدى من يشاء وقال فاينما تولوا فولوا وجوهكم
شطره فثم وجه الله لينقطع عذرهم وحجاجهم بما بين فى كتبهم انه يحولهم وذلك معنى قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ثم اختلف فى قوله
الا الذين ظلموا قيل اراد بالناس اهل الكتاب واراد بالذين ظلموا غيرهم من الكفرة وتاويله لئلا يكون لاهل الكتاب عليكم حجة ولا الذين
ظلموا وقيل لئلا يكون للناس يعنى اهل الكتاب عليكم حجة فيقولوا اليس هذا الوصف فى كتبهم انه يصلى الى بيت المقدس وقتا ثم يتحول
الى الكعبة الا الذين ظلموا منهم يقول الا من ظلم منهم عليكم فى الكلام بلا حجة ولا دليل ومثل هذا جائز فى الكلام يقول لاخر ليس لك على حجة
الا ان تظلمنى بلا حجة وقال الفراء هذا كما يقول الرجل لاخر الناس لك حامدون الا الظالم المعتدى عليك صواب فى المعنى خطا
فى العربية وذكر بيتا يدل على الجواز ٥ ما بالمدينة دار غير واحدة ٥ دار الخليفة الا دار مروان ٥ بمعنى ولا دار مروان وقيل
ايضا الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم على القطع من الاول والابتداء وبهذا اى لا تخشوا الذين ظلموا فى الصد لكم ولكن اخشونى فى ترككم
اياها او ان يقال لا تخشوهم بالقتال والغلبة فذلك لهم منه امن عن الاعداء وعلى هذا يخرج قوله ولاتم نعمتى عليكم يعنى لامن

وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين

وان فريقا ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك

اى ولكل اهل دين وجهة اى قبلة والوجهة اسم لكل متوجه هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين فان تولى يتعدى الى مفعولين احدهما الذى اضيف مولى اليهما والاخر محذوف وقيل هو الله اى الله موليها اياه اصفهانى

وما الله بغافل عما تعملون

فول وجهك شطر المسجد الحرام

يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم

من الاعداء او اراد بالنعمة كل نعمة من الاسلام والنصر وغيره ولعلكم تهتدون الى القبلة وتهتدون الى الارشاد والصواب وقوله
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم كما حرف لا يتم ذكره الا على تقدير كلام اذ هو حرف عطف ونسق وهو والله اعلم كما ارسلنا اليكم
رسولا وانعم عليكم بمعرفة وحدانيته وبمعرفة محاجة الكفرة وانعم عليكم باكرامه اياكم بمحمد صلى الله عليه وسلم كذلك يجب
عليكم ان تذكروه وتشكروا له ويحتمل على التقديم والتاخير على ما قاله اهل التفسير كانه قال فاذكروني كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
وذلك في القرآن كثير قال الفراء يحتمل كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اذكركم فيكون فيه جوابا له فلذلك جزم وهذا كقول الرجل كما احسنت
فاحسن وقوله ويعلمكم الكتاب وهو القرآن والحكمة قيل فيه بوجوه قيل الحكمة الفقه وقيل الحكمة الحلال والحرام وقيل السنة
وقيل الحكمة المواعظ وقيل الحكمة هي الاصابة ومنه سمي الحكيم حكيما لانه مصيب وقال الحسن الكتاب والحكمة واحد وهو على التكرار
كقوله تلك آيات القرآن وكتاب مبين وهما واحد وقوله ويزكيكم قال ابن عباس رضي الله عنه ياخذ زكوة اموالكم ففيه زكوتهم
وقيل يزكيهم يدعوهم الى ما به زكوة انفسهم وصلاحها وهو التوحيد وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون من التوحيد والشرايع والمحاجة مع الكفرة وما اكرمهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما انعم عليهم من انواع النعم وقوله
رسولا منكم خاطب العرب وذكرهم بما انعم عليهم من بعث الرسول فيهم ومنهم وانزال الكتاب بلسانهم وهم كانوا يتمنون ذلك
كقولهم او يقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فمن عليهم بذلك وبه استوجبوا الفضيلة على غيرهم وكفى بهم فضلا
وقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير الآية وقوله فاذكروني قيل بالطاعة في الدنيا اذكركم في الآخرة بالتجاوز
عن سيئاتكم وقيل اذكروني في الرخاء والسعة اذكركم في الضيق والشدة وقيل اذكروني في الخلوات اذكركم في ملاء الناس
من الملائكة ويحتمل اذكروني بالشكر بما انعمت عليكم اذكركم بالزيادة عليها والله اعلم وقوله واشكروا لي ولا تكفرون اي وجهوا
شكر نعمتي ولا تشكروا غيري ويحتمل اشكروا اي وجهوا العبادة الي ولا تعبدوا غيري والله اعلم وقوله يا ايها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر والصلوة الآية قد ذكرنا تاويل هذه الآية فيما تقدم وقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء
قيل فيه بوجوه قيل ان العرب كانت تعرف الموتى بما ينقطع ذكره اذا لم يبق له احد يذكر به من الولد وغيره فيقولون عند موت
هولاء ان ذكرهم قد انقطع فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم انهم مذكورون في ملاء الملائكة وقال الحسن ان ارواح المؤمنين
تعرض على الجنان وتعرض ارواح الكفرة على النيران فيكون لارواح الشهداء فضل لذة ما لا يكون لغيرهم من الارواح ويكون لارواح
آل فرعون فضل الم بعرضها على النار ما لا يكون لغيرهم من الكفرة ذلك فاستوجبوا اسم الحياة بفضل لذة ما يجدون من الله على غيرهم
اخبر عز وجل ان ارواحهم في العيش تلتذ مثل تلذذهم على ما كانوا عليه في الاجساد في دنياهم هذه وقيل ان الشهيد حي عند ربه
كما عرف في اللغة ان الشهيد هو الحاضر اخبر عز وجل انهم حضور عند ربهم وان غابوا عنكم وقيل ان الحيوة والموت على ضروب فمنها
الحيوة الطبيعي والحيوة العرضي والموت العرضي فالحيوة العرضي هو اليقظة وهو الحيوة بالدين كقوله ومن كان ميتا فاحييناه وكقوله
في الحيوة بالعلم انه ميت بالجهل والحيوة الطبعي هو الذي به قوام النفس والموت الطبيعي هو الذي به فوات النفس والشهيد هو الذي به
اكتساب الحيوة في الآخرة سمي به حيا والله اعلم ويحتمل قوله ولا تقولوا اموات لما ينفر طبعكم عن الموت ولكن قولوا احياء لترغيب
انفسكم في الجهاد اذ هو يريد بحيوة الدنيا والدين معا ويحتمل ان يكون الله بفضله يجعل لهم ما كان لهم لو كانوا احياء يعطون كانهم
احياء فيما جعل لهم حيوة الدنيا والله اعلم وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وما ذكر فيه تذكير من الله عز وجل الخلق
لئلا يجزعوا على ما يصيبهم من انواع ما ذكر من المصايب وفي كل نوع ما ذكر من المصايب وفي كل نوع من ذلك اضمار شيء من هو
بشيء من الخوف وبشيء من الجوع والله اعلم لان الله عز وجل اخبر في غير آية من القرآن انه خلقهم للموت والفناء وان ما اعطاهم من الدنيا
والزينة فيها كله للفناء والفوات بقوله خلق الموت والحيوة ليبلوكم الآية وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها الى قوله
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اخبر ان الدنيا وزينتها للفناء فمن عرف ان ذلك كله دون ما ذكر وليعلموا ان ما اعطاهم
من الحيوة والصحة والسلامة لم يكن اعطاهم تحولهم بل الافضال والاحسان وقد جعل ذلك المنة لا للابد فكانها في غيره تلك المنة
لغيرهم لا لهم فهو والله منته لوقت وحقه وقت الاخذ ثم يحتمل ما ذكر من الخوف وجهين على جهة العبادة من نحو الامر بمجاهدة
العدو والقتال معه ويحتمل لا على جهة العبادة وكذلك الجوع يحتمل الجوع الذي فيه عبادة وهو الصوم ويحتمل ما يصيبهم

ان الله مع الصابرين

والجهاد يراد به اما المنافع الدنيا من احراز الغنايم ودفع الاعداء والثواب في الآخرة

من الجاعة

والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة

من الجاعة في القحط مما اصاب اهل مكة سنين وكذلك قوله ونقص من الاموال يحتمل باداء الزكوة والصدقة ويحتمل الهلاك
بتعنتها وكذلك الانفس يحتمل التصرف على الوجهين الذين ذكرهما وكذلك الثمرات الا انه يحتمل خصوص الامتحان بما ذكر دون
غيره لانه كلهم عبيده له ان يمتحنهم باجمعهم بجميع انواع المحن لكن الوجه فيه ما ذكرنا ان العالم مفطور في كل ذلك انما خلق
للفناء فالبعض منه كذلك يختلف ذلك للعلم والله اعلم ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبشر الذين صبروا على المصائب التي
امتحنهم بها عز وجل ولم يجزعوا عليها قالوا انا لله وانا اليه راجعون فقه كالاقرار بوحدانيته عز وجل وبالبعث بعد الموت
وقيل ان هذا الحرف خص به هذه الامة دون غيرهم من الامم لانه لم يذكر هذا الحرف عن الامم السالفة الا ترى يعقوب
عليه السلام على كثرة ما اصابه من المحن والمصائب والمحن على يوسف لم يذكر هذا الحرف عنه ولكن قال يا اسفى على يوسف
ولو كان لهم هذا لظهر منهم على ما ظهر عنهم فدل انه مخصوص لهذه الامة والله اعلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال من استرجع جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضى به ثم الصبر هو حبس النفس عن الجزع على ما يفوت
اذ هو كله عز وجل مستعاد عند الخلق والجزع على فوت ما لغير محال الا ترى الى قوله عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم نهانا ان نحزن عليها يفوت عنا اذ هو في الحقيقة ليس لنا وان نفرح بما آتانا اذ هو في الحقيقة لغيرنا والقوة
وقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم قيل الصلوة من الله عز وجل يحتمل وجوها يحتمل الرحمة والمغفرة ويحتمل الصلوة منه
مباهاة الملائكة بهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الآية فاما كيف قلتم هذا ومنهم من يقول كذا وقيل الصلوة منه الثناء عليهم
والبركة لهم تبلغ كرامته ثناه الله عليهم وقوله ورحمة قال بعضهم الرحمة والصلوة واحد وهو على التكرار وقيل الرحمة النعمة
وهي الجنة وقوله واولئك هم المهتدون شهد الله عز وجل لهم بالاهتداء لمن فوض امره الى الله وسلم لقضائه وتقديره لسابق
وهو كان لا يخلو كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها قال الشيخ رحمه الله قوله
ولنبلونكم بشيء من الخوف ولنبلوكم بالذي كان به عالما ليكون به ما علم يكون الامر والنهي بمحنة المحنة وهو كان يستخرج ما هو خفي
معما كانت المحنة في الشاهد لاستخراج الخفيات يكون بالامر والنهي فاستعملت في الامر والنهي وان كان لا يخفى عليه شيء بل هو كما
عالم الغيب والشهادة ثم انه جعل الغيب شاهدا لجزيت به المحنة ليعلم ما قد علمه غائبا شاهدا اذ هو موصوف بذلك في الازل وبالله
التوفيق ثم كان العبد بجميع ما هو له من السعة والسلامة هو لله في الحقيقة لكنه بفضله وكرمه يعامل عبيده معاملة من ليس له ما
يطلب منه ويامر به فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الآية وقال واقرضوا الله قرضا حسنا الآية ليكون ذلك اطيب لانفسهم
وارغب لهم في البذل لما طلب منهم وان كان له اخذ ذلك منهم بلا شيء بعدهم عليه فعلى ذلك قال عز وجل لنبلونكم بالذي ذكر
بدلهم على ان ذلك منه ليعلموا انه فيما كان وعد الاشتراء منهم وطلب منهم البذل لجزيل العوض لهم ليخف ذلك عليهم ويطيب به
انفسهم وان يكون لذكرهم اولانه يبتليهم بالذي ذكر ليطيبوا انفسهم به ولا يستكلفوا ذلك من قلوبهم فيضجرون عنه لا بتلاء
بذلك وكذلك وكذا كل خلاف الطبع اذا كان عن رياضة اياه واشعار به قبل النزول كان ذلك ايسر عليهم من ان ياتيه ذلك من حيث
لم يعلم به معما كان في ذلك خطر بالقلوب نسبة مثله الى المخلوق والتشام بهم فقدم الله في ذلك البيان ليعلموا ان ذلك بالذي
جرى به للوعد وذلك كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الآية فبين ان ذلك مكتوب عليهم لتطيب الانفس
وتطمئن القلوب عليه والاصل في هذا ان جميع ما ذكر المبلوى به في التحقيق ليس بحق للعبد بل هو امتنان من الله وافضال منه
وانزلهم ينشئه ولا احياه نشوء الابدية ولا حيوة السرمدية فعلى ذلك جميع ما انعم عليه واذا سكن العبد على هذا الذي جبل
عليه امر نفسه وما ملك عليه سهل عليه ذهابه وطابت نفسه معما يعلم انه انعم عليه لوقت ثم هو نعمه ولغيره فيكون الماخوذ
منه في الحقيقة لغيره وان كان الله عز وجل ذكره في الابتلاء والمصايب فهو على ما اخبرت من كرمه فيما يعامل عبيده عز وجل
ولا قوة الا بالله وقوله بشيء من الخوف والجوع فهو على اضمار الشيء في كل حرف اذ هو بحق العطف على ما تقدم فكانه قال بشيء من الخوف
وبشيء من الجوع ولا قوة الا بالله ثم يتوجه ما اخبر من البلوى الى وجهين احدهما ان يبلوه بعباده فيما ذكر والثاني ان يبلوه
بالذي ذكر لا على عبادة يدفع البدو للشعران يبلوه بالجهاد وفيه الخوف ويبلوه بانواع او صاب يحل به فيخاف عند ذلك
على نفسه والجوع ان يبلوه بالصيام الذي عليه ذلك او بقلة الاتراب وغلاء الاسعار ونقص من الاموال يكون في الجهاد والحج

والزكوة والمؤن المجعولة في الاموال ويكون في الخسران في التجارات وما يلحق انواع المكاسب من الجوائح والانفس يكون بالجهاد
ومحاربة الاعداء ويكون بانواع الامراض والثمرات ترجع الى قلة الانزال وقصور الايدي عما به ينال ومفارقة الاوطان للجهاد
والحج ونحو ذلك مما فيه ❊ ثم ان الله سبحانه اخبر انه يبلوهم بشيء مما ذكرنا لا بالكل دل انه عز وجل لم يقطع عليهم كل المخارج بل جعل لهم
في كل نوع من ذلك مسلكا وان كان في ذلك نقصا وضررا وجاز بلوغ ذلك تمام ما في كل نوع لكنه بلطفه قرب اليهم فيما يلحقهم وجه
الرجاء وعلى الجميع افعال في المحن انها مقرونة بالخوف والرجاء وكذلك هم في انفسهم ولا قوة الا بالله ❊ ثم ان الله ولهم على ما عليهم من الحق فيما اخبر
انه يبلوهم به بحرف البشارة والوعد الجزيل الذي يسهل بمثله البذل بمن لا حق له فكيف ومن له كليته ذلك فقال الله تعالى وبشر الصابرين
ثم وصف الصابرين فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون هدى الله عبده على الاعتماد بحرف التوحيد عند
المصيبة اذ جل التوحيد داخل في تلك الحرف وفيه التبري من ان يكون له في حكم الله او راي وتبذل النفس له ليحكم فيها بما شاء ❊ وقوله انا لله
كانه قال اما انا فيما ليس لنا حكم ولا تدبير وابدا يكون الحكم في كل ملك لمن يملكه ومثل هذا يقدر على كف النفس عن الجزع وحملها على ما يكره
وقوله وانا اليه راجعون فكانه اذ اليه مرجعنا لا فرق ان نرجع اليه جملة او بالتفاريق بل في التفريق علينا الابقاء وفضل القبول لما
البعض دون الكل وفي ذلك تذكير النفس عاقبتها ليكون كمن تقدم شيئا مما به قوامه الى مكان قراره وقد انتهى الخبر بالبلوغ فمعلوم
ان ذلك اطيب لنفسه واسكن بقلبه ان يكون جميع ذلك معه وبالله التوفيق وجملة ذلك ان هذه الدنيا انشئت لا لها ولكن ليكتسب
بها الآخرة وجعل كل شيء منها زايلا فانيا لينال به الدائم الباقي فهذا لان حق كل فيما يصيبه ان يرى الذي انشي وماله يسعى فيعلم
انه يلغ في تجارته غاية تمام الربح وانه باع الشيء الفاني بالباقي ومع ما كان كل شيء من الدنيا ما وقف باقي الفنا والهلاك فابدل الماوف
بالذي لا آفة فيه فيجب في التدبير ان لا يعد ذا مصيبة بل هو على السرور وارفع الربح لكن البشر جبل على طباع نافرة عن كل الاجل
بالعواقب التي لعلها يرغب فيها كل احد لان ينفر عنها والله المستعان ❊ فان قال قايل هذا الاسترجاع خص به هذه الامة اذ قال
يعقوب يا اسفى على يوسف الاية والله اعلم ان كان فهو موضع التلقين والتعليم ان قولوا ذلك لان هذا المعنى مما يحتمل ان يكون
يعقوب لا يحققه بقوله فصبر جميل الاية وقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وهو مع ذلك فلكان بما اخبر يوسف وبما اوحي اليه
انه قد علم انه لم يهلك بعد ولم يوجد منه الى حيث يرجع هو اليه من البعث بعد الموت ولا قوة الا بالله ثم بين الله عز وجل ما يكرمهم
اذ خضعوا للحكم ورضوا بالقضاء انه معاد لعليه ايضا بقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله الاية فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة واولئك هم المهتدون ❊ وقال في موضع آخر انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فكان من فضله ان سمى ما وعدهم على الصبر
اجرا ومعلوم ان كان ذلك لحقا الله عليهم بالسابق من نعمه مع عظم منته لكنه سمى ما افضل به اجرا مع كان العهد يعمل لنفسه ولا يحتمل
ان يستحق به اجرا لولا الانعام منه جل ثناؤه ثم وعد له في حال الفعل بخصال ثلثة احدها ان عليه صلاته وصلوته يحتمل مباهاته بالملائكة
تعظيما لما بذل لعبده له وخضع لحكمه عليه وهوان قالوا ونحن نسبح بحمدك الاية فيخبرهم ان هذا قد سبح حضرة المصيبة وخضع لحكمه
بالاسترجاع ويحتمل مغفرته والايجاب الثواب الجزيل له بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة الاية وقوله يرزقون
فرحين بما آتيهم الله من فضله وقوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ما ذكر من الافضال والله الموفق ويحتمل ثناؤه وذكرهم في اخيار عباده
كقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله الاية وقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية مما يرجى له من زيادة الهدى في الدنيا
بقوله والذين جاهدوا فينا الاية وقوله الذين اهتدوا زادهم هدى والرحمة قد يرجع رحمته هي التي كرمته بذلك الاسترجاع ويحتمل
النعم او رحمة يلقيها في قلوب العباد حتى يحبونه بها وخلف يعطيه في الدنيا ثم شهد الله لهم بالهداية وذلك يحتمل اهتدوا للدين وللمحنة عليهم
في المصيبة من التسليم لله ويحتمل الاهتداء لطريق الجنة على ما بينا انه وعد الشهداء ولا قوة الا بالله ❊ وقوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه
للاسترجاع وقد روي عن نبي الله انه قال لم تعط الاسترجاع من كان قبلكم فهو على ما بينا من القول به واما حق التسليم فقد كان
في الوقت وقت الصبر ❊ ثم روي رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر عند الصدمة الاولى وقد روي عن انس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مصيبة وان طال العهد بها فيجدد لها العبد الاسترجاع الا جدد الله ثوابها كما استرجع
فلعل هذا من حسن القبول وقت المصيبة او رجع عما كان من طعنه وتاب والاول في غير ذلك والله الموفق ثم في الآية وجوه من المعتبر
احدها ما يلزم العبد من المصايب وما يستوجبه اذا وفى بما عليه ❊ والثاني في ذلك بيان ان الصحة والامن وحفظ القدر لاحد ليس بلازم

في الحكمة لكنها

في الحكمة لكنها انعام من الله وله الابتلاء بالشدة اذ لو كان عليه الاول لم يكن يلزمه الشكر في ذلك والله الموفق والثالث
ان الله تعالى ذكر انه يبلو العباد بالذي ذكر ❊ ومعلوم ان ذلك يجري على ايدي العباد بهم فاضاف ذلك الى نفسه ثبت ان له
في ذلك تدبيرا حتى يبلوهم به والله اعلم. وفيه ان الله تعالى قال ونبلوكم بكذا ولم يكن كان يومئذ ثم كان ذلك وكذلك قوله
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم الاية ثم بلوا بذلك ليعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بالله ويتبين ايضا
انه بموضع البشارة بما يعظم على الخلق ويقتضي الفرار في الطبع لم يحتمل ان يخبرهم به لولا الامر به وطاعة الله في ذلك وايضا
الله ذكر بخوف فيعلم ان الخوف عن الخلق لا يؤمن الاعتقاد وكذلك قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واصل ذلك الرجاء والطمع
وجملته ان امر الدنيا محمول كله على الاسباب لا انها توجب ولكن الله تعالى اجرى احكامه عليها فيكون الخوف والرجاء في التحقيق من الله
ان يكون جعل ذلك سببا والله الموفق ❊ وايضا ان يعلم ان المصايب في الدنيا ليست كلها عقيب الاثام بل لله تعالى الابتلاء بالحسنات والسيئات
ايضا الا يدل على وهن عقد المصاب ولا زلة يبلى بها وعلى ذلك امر الانبياء والرسل عليهم السلام ولكن على وجهين احدهما ان يكون الله يريد
ان يحيي ولية لذات الدنيا لينالها موفرة في الاخرة والثاني ان يكون علم بعد زلات لا يسلم عنها البشر فيبتلى ليبعثوا يوم القيامة ولا زلة بقية
مما يجزيهم بتلك ولا قوة الا بالله وانما كذلك جعلت المحنة قال دل ❊ وقوله ان الصفا والمروة من شعاير الله ان صعودهما من اللازم
في نسكه وكذلك صعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا وقال نبدأ بما بدأ الله وقد قال الله تبارك وتعالى لا جناح عليه
ان يطوف بهما الاية ولم يقل بينهما فمن لم يصعد الصفا والمروة فلم يطف بهما معا قال الله تعالى لا تحلوا شعاير الله وفي ترك صعودهما
احلال لشعاير الله اذ قد بين الله انهما من شعايره وما روي انه رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بينهما على ناقته ومعلوم ان ناقته
لا يصعدهما هو عندنا للعذر فعل ذلك والا فانه قد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم انه صعدهما واستقبل البيت وقال نبدأ
بما بدأ الله دليل ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه طاف بينهما على ناقته وبالبيت لعذر به ولا يحتمل ايضا ان يكون بغير عذر
وهو الملقب بالسعي لما فيه من فعل السعي والراكب لا يسعى وقال الشافعي روي عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف
بالبيت وبين الصفا والمروة على ناقته ليرى الناس وقال خبر جابر اولى من خبر ابن جبير فكانه وقع عنده انه عن ابن جبير وذلك
عن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه وهو اولى لان العذر كامن لا يعرف بالنظر من بعد وانما يعرف بالتأمل او بالخبر من عنده ذو
العذر وعلى هذا اخرج خبر ابن عباس رضي الله عنه على ان خبر جابر لو صح على ما يروى فهو لما ذكر انه يرى الناس فكانه اراد ان يعلمهم
وذلك عندنا له صلى الله عليه وسلم اذ خرج مخرج التبليغ وذلك التعليم منه والتعليم عليه لازم فهو بتركه يلام عليه فذلك
عذر والله اعلم والثاني انه يجوز ان يكون فعله ذلك ليس هو فضل ما كان عليه اذ قد ذكر الذي كان عليه انه كيف كان يفعله فكان ذلك
لمكان الثلاثة للخلق بذلك هو الامر المتوارث من صنيع الحج والعمرة ان الآحاد لا يفعلون ما يفعل الحاج لا على فضل الحج ولكن على التعليم فعل
ذلك لما المروي عنه صلى الله عليه وسلم والله اعلم ❊ وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم اي اشباها في التسمية واعلاها
في العبادة او شركاء في الحقوق بقوله هذا لله بزعمهم الاية يسفههم بما عبدوا وما قد صنعوه بالصناعة او النحت وزينوا بانواع الزينة
واعرضوا بذلك عن عبادة من عرفوه بشهادة جميع العالم بهم وعلموا ان الله لا يملك شيئا مما عبدوه ضرا ولا نفعا واعرضوا بذلك عن عبادة من عرفوه
بشهادة جميع العالم بهم بل كانوا يجوزون العبادة لغير الله لكان اولئك الذين اتخذوا اولى من المتخذين ثم بين عظم سفههم علمهم بجهلهم بعبادتهم
وعجزها عن الدفع عنها ثم قاموا ينصرها والدفع عنها سفها بغير علم يحبونهم كحب الله يتوجه وجهين اي كحبهم لله بما ادعوا انهم بذلك يتقربون
الى الله ويكون كحب المؤمنين الله معناه يحبونهم عبادتهم كما يحب المؤمن عبادة الله والذين آمنوا اشد حبا لله اي لعبادته منهم لعباد
الاوثان من حيث لا يؤثر المؤمن على عبادة الله اعني في الاختيار لا فيما لا يوجد من ظاهر الاحوال في الدارين جميعا وهم يتركون عبادة وثن
بوجود ما هو اعجب منها او بادني شيء من متاع الدنيا وبعد فان الحب يخرج على الثناء وعلى العبادة والطاعة وعلى التبجيل والتعظيم يخرج على
القلوب بحب الكثرة هذا وهو حب الجسد التي به الذي يولده الشهوة او يستحسنه البصر وحب الله من المؤمنين من هذين الوجهين فاسد
بل هو من الوجوه التي ذكرنا وقد كان حب الهيبة والرغبة اذ علموا النعم كلها من الله تعالى وعلموا ان السلطان والعزة لله ولا احد ينال شيئا
من ذلك الا بالله فاوجب ما عنده من النعم الرغبة وما له من السلطان الهيبة فذلك طريق حب المؤمنين مع ما ظهر من ايادي التي لا تحصى وفضائله
التي لا تحاط والعلم بهما موجبا تعظيم الامور والمبادرة بالقيام بها مع الادلة المظهرة تعاليه عن تقدير العقول وتصوير الاوهام

فيكون حبه في الحقيقة في تعظيم اموره وحسن صحبة نعمه ومعرفة حقوقه لا في توهم ذاته واشعار القلب ما يعقله ليرجع المحبة الى ذلك
بل هو فيما ذكرت ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وهو ان من احب آخر محبة الجلال والرفعة
عظم رسوله صلى الله عليه وسلم وانقاد لما يدعوه اليه وان كان في ذلك هلاكه وتعظيما لامره وتبجيلا فكيف فيما نجاته وفوزه في الدارين
والله الموفق وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم يتوجه وجهين احدهما الاذن في الاكل ما يستطيبه النفس ويتلذذ به ليكون ارضى واشكر
فيما انعم عليه ويكون على ارادة الحلال بقوله الطيبات فيكون في الآية دليل كون المرزوق حلالا او حراما اذ قيل من ذا ولم يقل كلوا ذا ولو كان
كل الرزق حلالا لكان يقول كلوا مما رزقناكم والله اعلم ثم حق المحنة التمكين مما يحرم ويحل ومما ترغب اليه النفس ويزهد فجائز جميع ذلك
كله في الملك وفي الرزق ليمكن من الامرين بالمحنة اذ ذلك حق المحنة والله الموفق وقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد ويحتمل غير باغ في اكله
ولا عاد على حد الله ذو حرمه عليه في غير حال الاضطرار فيصير باغيا في الاكل عاديا على حد الله ويحتمل ان يكون غير باغ ولا عاد تفسير القوله
فمن اضطر كقوله محصنات غير مسافحات الآية ويحتمل غير باغ ولا عاد في مجاوزته في اكل الحد المجعول له من اقامة المهجة ودفع الضرورة
فاكل لشهوة او لحاجة غير حاجة الجوع خاصة ويحتمل غير باغ على المسلمين ولا عاد عليهم لكن تصريح النهي عن الانتفاع بالشيء حرمة
هتكها صاحبها نهي عما هتك لا عما نصاحا له كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم لا صلوة للمرأة الناشزة ولا للعبد الآبق وذلك
نهي عن الاباق والنشوز لا عن الصلوة فمثله لو كان نهيا فكيف ولا نهي ولكن ذكر اباحة على صفة لم يذكر الحل والتحريم في الابتداء مع تلك
الصفة وجملته ان يقيه لا يحرم ما قد احل بالجوهر بالاتفاق فكذلك ما احل بالسبب دليل ذلك اهل الكفرة وساير الفسقة انه لم يحرم
عليهم شيء من ذلك والثاني النهي عن قتله وقوله ان الصفا والمروة من شعائر الله فيه دلالة ان الصعود على الصفا والمروة من شعائر الله
لا الطواف بينهما خاصة على ما قاله قوم دليله قوله لا جناح عليه ان يطوف بهما ولم يقل ان يطوف بينهما ولما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ابدأ بما بدأ الله ثم صعد الصفا فان عورض بما روي انه طاف على ناقته ولم يصعد قيل له يحتمل انه
لم يصعد لما كانت الناقة لا تقدر الارتقاء بهما والا الصعود او كان به عذر يمنع للصعود للعذر وقد يباح الاشياء في حال العذر
ما لا يباح في غير تلك الحالة ثم اختلف في الطواف بينهما بعد ما قيل ان الجناح فيه لوجهين احدهما ما قيل كان بالصفا صنم وبالمروة
صنم فتحرجوا لمكانهما وقيل كان بينهما اصنام لذلك كانوا تحرجوا ثم قال الشافعي ان السعي بينهما مفروض حتى لو ترك الحاج خطوة منه
والى اقصى بلاد المسلمين امر بالعود ليضع قدمه موضعها ويخطو تلك الخطوة واحتج بما روت صفية بنت فلان انها سمعت امرأة
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ان الله كتب عليكم السعي بين الصفا والمروة فاسعوا وهو باي عبرة قبول المراسيل
لتوهم الغلط وترك يحتج بامرأة لا يعرف ولا يذكر اسمها والوجه فيه ان ثبت وصح ان الكتاب يحتمل غير ما قاله وهو ان يقال كتب اي حكم كقوله
في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين في كتاب الله عليكم قيل به حكم الله عليكم وقال آخرون ليس بفرض ولا لازم واحتجوا بما ذكر في حرف
ابي لا جناح عليه ان لا يطوف بهما ولا يذكر ذلك في شيء واجب والثاني انه ذكر اللفظة لفظة رخصة ولا يرخص بترك ما فرض
او لازم ثم الجواب عن الحرف الاول انه الذات ربما تزاد وتنقص ولا يوجب زيادتها ولا انتقاصها تغير حكمها كقوله يبين الله لكم ان تضلوا
اي لا تضلوا ومثل هذا كثير في القرآن والثاني ما ذكرنا ان المسلمين كانوا يتحرجون عن الطوف بينهما لمكان الاصنام فبين عز وجل ان لا حرج
عليهم في ذلك لان ليس الجناح بدفع الحرج في تركه واما عندنا فهو لازم لانه نوع ما لا يتبرع به والاصل عندنا ان ما لا يتبرع به يخرج الامر
مخرج الوجوب واللزوم كالطواف وسجدة التلاوة وكالوتر والاضحية وغيره وقد روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما تم حج امرئ
قط الا بالسعي فهو وصف بالنقصان لا وصف بالفساد وفرق بين التمام في النقص وبين الجواز في الفساد وقوله فان الله شاكر عليم
عامل الله عز وجل بكرمه ولطفه عباده معاملة من لا حق له في اموالهم وانفسهم حيث وعد قبول اليسير من العمل واعطاء الجزيل من الثواب
وحيث طلب منهم الاقراض ووعد لهم العظيم من الجزاء بكون لا حق له فيها بقوله واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا وحيث خرج القول منه في الابتلاء والامتحان مخرج الاعتذار لهم كان لا حق له فيه بقوله ولنبلونكم
بشيء من الخوف الآية ثم بشرهم بالجنة بما صبروا على اخذ ما له اخذه وذلك من غاية اللطف والكرم قيل شاكر اي يجزيهم جزاء الخطير
بعمل اليسير وقيل يقبل القليل ويعطي الجزيل وهو واحد وقوله ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات قيل البينات هي الحجج اي كتموا
ما انزل الله من الحجج التي كانت في كتبهم وقيل كتموا ما بين في كتبهم من نعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته وجائز ان يكون البينات

اي جزاء العمل الخطير

ما بين الخلق مما عليهم ان يأتوا ويتقوا من الاحكام من الحلال والحرام وقوله والهدى قيل الصواب والرشد وقيل الهدى ما جاءت به
انبياؤهم من شان محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل وقوله من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب اختلف في الناس قيل هم اليهود كتموا بعد ما بين لهم وقيل بينا للمؤمنين ما كتمهم اليهود من نعته ودينه ويحتمل البيان
بالحجج والبراهين ويحتمل البيان بالخبر اخبر المؤمنين بذلك وقوله اولئك يلعنهم الله قال بعض اهل الكلام اللعن هو الشتم
من الله تعالى لكنه لا نستحسن اضافة لفظ الشتم اليه لان المضاف اليه الشتم يكون مذموما به في المعروف مما جبل عليه
الخلق ونقول اللعن هو الطرد في اللغة طردهم عز وجل عن ابواب الخير وقوله ويلعنهم اللاعنون يعني الداعين عليهم باللعن
سموا بذلك اللاعنين ويحتمل يستبعدهم عن الخيرات وانواع البر وقيل هم البهايم اذا قحطت السماء واسنتت الارض قالت
البهايم منعنا القطر بذنوب بني آدم لعن الله عصاة بني آدم وقوله الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا قيل تابوا عن الشرك واصلحوا
اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم وبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين تابوا عن الكتمان واصلحوا ما افسدوا
بالكتمان وبينوا ما كتموا فاولئك اتوب عليهم قيل يتوب عليهم يقبل توبة من يتوب وقيل يتوب عليهم اي يوفقهم على التوبة
وقيل الرحيم هو المتجاوز عن ذنبهم في هذا الموضع وقيل الكاشف عن كربهم وقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك
عليهم لعنة الله قيل لعنة الله هو ادخاله اياهم النار واخلادهم فيها ولعنة الملائكة قولهم ولم تك يأتيكم رسلكم بالبينات
جوابا لما سألوهم من تخفيف العذاب بقولهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب وكقوله ربنا اخرجنا منها فان عدنا الآية
فتقول لهم الملائكة اخسئوا فيها ولا تكلمون هذا ما قيل من لعنة الملائكة وقيل لعنة الناس اجمعين انهم لما طلبوا من اهل الجنة
الماء بقولهم ان افيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين هذا لعنة الناس والله اعلم وقوله ولا هم
ينظرون قيل لا يمهلون ولا يردون الى ما تمنوا كقوله او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل وقيل لا ينظرون لا يوجلون وقيل لا ينظر اليهم
خزان النار بالعذاب وقوله والهكم اله واحد ذكر هذا الاسم لان كل معبود دون الله عند العرب يسمى الها كقوله فراغ الى آلهتهم
وكقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه لهذا ذكر ان الهكم الذي يستحق الالوهية والعبادة واحد بذاته لا واحد
من جهة العدد كالخلق ذو اعداد وازواج واشكال بل واحد بذاته وبجلاله وعظمته وارتفاعه وتوحده عن شبه
الخلق وجميع معانيهم يقال فلان واحد زمانه يراد لارتفاع امره وعلو مرتبته لا بحيث العدد اذ بحيث العدد مثله
كثير وقوله والهكم اله واحد وفي قوله لا اله الا هو نفي غيره من الآلهة فان قيل كان هذا دليلا وهو في الظاهر
دعوى قيل له دليل وحدانيته في قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار خلق السموات وجعل فيها
منافعا وخلق الارض وجعل فيها منافعا للخلق ثم جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض لبعد ما بينهما اذ لا استقامة
للخلق في منافع احديهما الا باتصال منافع الاخرى بها من نحو ما جعل من معرفة الطرق في الارض بالكواكب وانفتاح
الاعناب والثمار ونضجها بالشمس والقمر وجعل احياء الارض واخراج ما فيها من النبات من المأكول والمشروب
والملبوس بالامطار فدل اتصال منافع احدهما بالآخر وتعلقها به على ان منشئهما واحد لانه لو كان من اثنين لكان
اذا قطع هذا وصل الآخر واذا وصل هذا قطع الآخر فاذا لم يكن ولكنه اتصل دل انه فعل واحد فهو ينقض على الثنوية
والزنادقة قولهم وكذلك يدل اختلاف الليل والنهار على ان خالقهما واحد لانه لو كان اثنان لكان اذا اتى هذا بالليل
منع الآخر بالنهار واذا اتى احدهما بالنهار منع الآخر الليل وفيه ذهاب عيش الخلق وفي ذهابه فناؤهم وفسادهم
فدل انه واحد والثاني انه جعل للخلق في الليل والنهار منافعا وجعل بعضها متصلا ببعض متعلقه مع تضادهما
كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فدل اتصال منافع احدهما بالآخر
مع اختلافهما وتضادهما ان محدثهما واحد وفيه دلالة حدث العالم لما ذكرنا من تغييرها وزوالها من حال الى حال
فدل تغييرها وزوالها على انه حدث ودل انه جعل هذه الاشياء بابتدائها وعجزها على قدرة منشئها على انها
محدث والثاني ان كل واحد منهما اعني الليل والنهار يصير يجيء الآخر مغلوبا فلو ان كان ثم لعيه فيه تدبير ولا احتمل
ان يصير مغلوبا بعد ما كان غالبا فدل انهما محدث وانه واحد وفيه دلالة البعث والحيوة بعد الموت لان الليل

وانا التواب الرحيم

والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب

الرحمن الرحيم

يأتي على النهار فيتلفه ويذهب به حتى لا يبقى فيه من اثر النهار شي وكذلك النهار يأتي على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من اثر الليل
شي ثم وجد بعد ذلك كل واحد منهما على ما وجد في البدو من غير نقصان ولا تفاوت فدل انه قادر على انشاء ما اماته واتلفه
وان لم يبق له اثر على ما قدر من الجاد ما اتلفت وانشا ما اذهب من الليل بالنهار ومن النهار بالليل وان لم يبق له اثر وقوله واختلاف
الليل والنهار قيل اختلافهما ان جعل احدهما مظلما والآخر مضيئا وقيل اختلافهما انتقاصهما وزيادتهما اذ ما ينتقص من احدهما
يزداد في الآخر فدل انتقاصهما وزيادتهما على ان مشيئتهما واحد لانه لو كان من اثنين يمنع كل واحد منهما صاحبه من الزيادة والنقصان
وبالله التوفيق ولتغير التدبير ولا يجري كل عام الامر فيه على ما جرى عليه في العام الاول وقوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس فالآية تنقض على المعتزلة قولهم لانه عز وجل جعل الفلك في البحر من آياته والمعتزلة جعلوها من آيات النجارين لان الفلك قبل
ان يعمل فيها ويخت لا يسمى فلكا ولكن يسمى خشبا فلو لم يكن عمل العباد وفعلهم فيها من مصنوعه ومخلوقه لزال به موضع الحجاج وتسمية
باسم الآيات فدل ان له فيها صنعا وتقديرا حيث صار من عجيب آياته ثم فيه اعجوبة وهو ان الطباع تنفر عن معالجة البحر بالاطلاع
على امواجه واهواله وارام من عظم آياته مما يجري في البحر على الحفظ والامر الواقع لهم فدل انه من عند قادر لطيف خبير وفيه ايضا
دلالة وحدانيته وذلك ان اهل البر لهم الانتفاع باهل البحر ولاهل البحر الانتفاع باهل البر على بعد ما بينهما وتضادهما فدل انه مدبر
واحد ثم فيه دلالة اباحة التجارات مع الخطرات على احتمال المشقات وتحمل المؤنات وفي ذلك دلالة النبوة لانه يعلم ان اتخاذ السفن
وبما فيه من المنافع لا يقوم له تدبير البشر حيث انه علم ذلك بمن علم جواهر الاشياء وما يصلح الاشياء وما لا يصلح وفي الحاجة الى ذلك
ايجاب القول بالرسالة للبشر وقوله وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض فيه دلالة فضل العلوي على السفلي لانه ينزل
من السماء من الماء ينزل عذبا وما يخرج من الارض يخرج مختلفا منه ما هو عذب ومنه ما هو اجاج وما هو مر فدل ذا فضل العلوي
على السفلي وقوله فاحيا به الارض بعد موتها قد ذكرنا هذا ان فيه دلالة البعث وقوله وبث فيها قيل خلق وقيل بسط وقيل
فرق من كل دابة قيل جعل فيها من كل جوهر الدابة منها ما جعل ماكولا منتفعا بها من كل انواع المنافع ليدلهم ويبرهنهم على ما وعد لهم في الجنة
ومنها ما جعل غير ماكول ولا منتفع بها بل جعلها اعلاما ليدلهم على تحذير ما اوعدوا وحذروا في النار وقوله وتصريف الرياح
يحتمل وجهين يحتمل تصريفها مرة للعذاب ومرة للمنافع لانه جعل فيها منافع كثيرة للخلق بها تجري السفن في البحار وبها تنتشر السحاب
في الهواء وبها يتنوع الاشياء وبها يتميز ما للخلق مما للدواب مما يكثر ذلك ثم يعلم من عظم لطفه انه جعل الهواء بحال لا يقر فيها شي

والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون

وان لطف والسحاب مع غلظه وكثافته جعل الهواء مع لطافتها ورقتها مقرا للسحاب حتى يعلم ان ليس لغير الله فيه تدبير ويحتمل
تصريف الرياح صرفها اياها مرة صبا ومرة دبورا ومرة جنوبا ومرة نسيما ومرة يمينا ومرة شمالا للمنافع ثم فيه دلالة انه خلق الاجسام
لا من الاعراض لانه جعل وعز جعلها ماسة مانعة لاصارعه من قام في وجهها وذلك صفة الاجسام لا صفة الاعراض لكن لا ترى لطافتها
فدل انه من الاجسام ما يرى ولا يمس كالهواء لا يرى ولا يمس وهو من الاجسام وكالذرة التي في الشمس ترى ولا تمس ثم دلهم عز وجل
ان الذي سخر السحاب بالرياح التي جعلها في الهواء ومما فيها من المنافع التي تقدم ذكرها على ان مدبرهما واحد اذ لو كان التدبير
من عند اثنين لاوجب التناقض في التدبير اذ يجعل كل منهما على خلاف ما جعله الآخر ويدبر كل منهما لينقص تدبير الآخر وفي اتساق
التدبير واتقان الصنعة واحكامها دليل ان الحكم هو الواحد الذي دعتكم هذه الاشياء الى الاقرار بوحدانيته والزمتكم
العبودية له بما اودع له في كل هذه المصنوعات من ادلة وحدانيته وآيات ربوبيته ولهذا قال لآيات لقوم يعقلون ليعتبروا
ما فيها من الادلة والحجج اذ من لا يعقل جهة الحكمة في خلق هذه الاشياء ثم خلقت ولماذا خلقت وما الحكمة فيها لا يستوي عليه خلقها
وعن خلقها ثم فيه دلالة ان ما خلق من السموات والارض والليل والنهار والرياح والسحاب خلقها ليدلهم على وحدانيته وربوبيته
وجعلها مسخرة مذللة لهم وبالله التوفيق وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا قيل فيه بوجوه قيل يتخذ يعبد
من دون الله اندادا وقيل يتخذ من دون الله اندادا في التسمية ومعنى يتخذ الجواهر التي تصاغ او تنحت ونحو ذلك مما يتعلق بالقوم
بصنيعهم بسيفهم بهذا انهم تركوا عبادة من به قامت لهم كل نعمة وسلم لهم كل خير وعبدوا ما قد اتخذوه بالمعالجات ولا قوة
الا بالله وقوله يحبونهم كحب الله قيل يحبون عبادة الانداد وطاعتهم كحبهم كعبادة الله وطاعته لانهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يحبون عبادة الانداد كحب المؤمنين عبادة ربهم وقيل يحبون آلهتهم

كما يحب الذين آمنوا ربهم ثم قال والذين آمنوا اشد حبا لله منهم لآلهتهم قيل والذين آمنوا اشد حبا لله اي اشد حبا لاجل الله
وقيل والذين آمنوا اشد حبا لله اي اشد اختيارا لطاعته واكثر ايثارا واعظاما واجلالا لامره من اعظامهم واجلالهم آلهتهم والله اعلم
ثم المحبة محبة الشهوة والميل اليه وهو في الخلق لا يحتمل في الله ومحبة الطاعة وايثار الامر والاعظام فهو في الله يحتمل وقوله

اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب

ولو يرى الذين ظلموا قرئ بالياء والتاء جميعا ومن قرأ بالتاء جعل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ولو ترى الذين ظلموا
يا محمد شهدوا ان القوة لله جميعا ومن قرأ بالياء يقول ولو يرى الذين ظلموا في الدنيا اذا راوا العذاب يعلمون ان القوة لله جميعا
ويحتمل لو علم الذين ظلموا اذ علموا عذاب الآخرة يعلمون ان القوة لله جميعا ويحتمل الرؤية من قوله يرى اي يبصر كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى
اي لمن يدخلها ويصليها وقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا يعني الرؤساء من الذين اتبعوا يعني الاتباع والسفلة تبرأ بعضهم من بعض القادة

من الذين اتبعوا وراوا العذاب

من الاتباع والاتباع من القادة وهو كقوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا الآية وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا
من فضل الآية وكقوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا والذين استضعفوا للذين استكبروا وامثال هذا وكقوله يوم القيامة
يكفر بعضكم ببعض الآية وقيل اذ تبرأ الذين اتبعوا يعني الشياطين من الذين اتبعوا الانس وقيل يبرئ الله كلا عن الاوثان لن تغني عنهم
شيئا ولا شركاؤهم الذين اضلوهم ولا اشرارهم شغلوا منهم حين عاينوا النار وقوله وتقطعت بهم الاسباب قيل الارحام والانساب كقوله

وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

فلا انساب بينهم وكقوله يوم يفر المرء من اخيه الآية وقيل تقطعت بهم الاسباب يعني العهود والايمان التي كانت بينهم في الدنيا
وقيل تواصلهم في الدنيا وتوادهم لم ينفعهم شيئا لانهم كانوا يتواصلون ويتوادون في الدنيا رجاء ان ينفع بعضهم بعضا كقوله
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وكذلك قوله يريهم الله اعمالهم قيل يريهم الله اعمالهم التي يريد بها الله حسرات
عليهم اي حسرة عليهم وندامة وقيل كل عمل عملوه ارادوا به غير وجه الله كان ذلك عليهم حسرة يوم القيامة وقيل اعمالهم التي عملوها
في الدنيا تصير حسرات عليهم حين يرفع الله لهم الجنة فينظرون الى مساكنهم التي كانت لهم وباسمائهم لغيرهم باسمائهم ثم قال
وهذا عندي لا يصح ان يجعل الله لاحد نصيبا في الجنة ثم يحرمه ولكن هذا على اصل الوعد وعد من اطاع الله الجنة ومن عصاه النار
فهو على ان هؤلاء لو اطاعوا كان لهم نصيبا في الجنة وهؤلاء لو عصوا كان لهم نصيبا في النار او يكون ذكر النصيب لهؤلاء في الجنة
هو الذي ادعوه لانفسهم كما قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فيحرمون ويورث عنهم ما ذكروا انهم لهم في الجنة كما قال
ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وقوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا قيل فيه بوجوه قيل انهم كانوا يحرمون التناول
من اشياء والانتفاع من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي فيقولون حرم الانتفاع بها فانزل الله تعالى فقال كلوا مما في الارض
حلالا طيبا وانتفعوا بها فان الله لم يحرمها عليكم كقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الآية وقيل خلق في الارض ما هو حلال
وما هو حرام فاباح التناول من الحلال ونهى عن الحرام وقيل انهم كانوا يحرمون التناول من الرفيع من الطعام والرفيع من الملبوس
ويتناولون من الدون والرث فنهوا عن ذلك ولا يحتمل ان يراد بالطيبات الحلال منها ولكن ما تطيب النفس من التناول لان النفس
لا تتلذذ بالتناول من كل حلال ولكن بما تطيب مما هو لها الذ واوفق والله اعلم وعلى ذلك قوله قل من حرم زينة الله الآية فيكون
كان الذي في الارض حلالا وحراما ثم ما حل طيب ودون فامر بأكل ما طاب من ذلك اذ قدر عليه لانه على قدر طيبه يعظم محله
في القلب وعلى ذلك يرغب نفسه بالشكر لمن انعم به عليه والتعظيم لمن اكرمه بالذي طابت له به النفس والله اعلم وقوله
ولا تتبعوا خطوات الشيطان قيل آثار الشيطان وقيل وساوس الشيطان وقيل سبيل الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل
فهو يرجع الى واحد وقوله انه لكم عدو مبين وذكر في موضع آخر وسماه وليا بقوله اولياؤهم الطاغوت فالوجه انه يريهم
في الظاهر الموالاة ولكنه يريد في الباطن اهلاكهم فاذا كان كذلك فهو في الحقيقة عدو وجائز ان يكون اولياؤهم اي هم
اولى بهم ادعوا ما علموا بامره او اولياؤهم بما وافقوهم في الفعل وشاركهم في الشر وكانوا في الحقيقة لهم اعداء اذ ذلك هلاكهم
ولا قوة الا بالله وقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا لانه يوسوس ويدعو فان اطاعه والا ليس له عليه سلطان سوى
ذلك فهو ضعيف لان من لا ينفذ على رعيته سوى قوله فهو ضعيف يوصف بالضعف والله اعلم ويكون ضعيفا على ما عمل
مكايده ويحفظ احوالهم وقوله انما يامركم بالسوء والفحشاء قيل يحتمل ان يكون السوء هو الفحشاء والفحشاء هو السوء
لما ان كل واحد منهما يشتمل على كل نوع من الآثام ويحتمل ان يكون السوء ما خفي من المعاصي والفحشاء ما ظهر منها وقيل السوء

ملاحة فيه والفحشاء ما فيه حد من نحو الزنا وشرب الخمر وغيره • وقيل الفحشاء ما فحش في العقل والسوء ما ينتهي بالنهي عنه
وقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يخرج على الاول وهو السوء والفحشاء يامرهم بذلك فيقولوا الله امرنا بها ويحتمل قوله
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون • قالوا ان الله حرم هذه الاشياء والقول على الله ما لا يعلمون بما لا يليق به من الولد والشريك وغيره
في عبادته والله اعلم وقوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يحتمل هذا وجهين يحتمل ان اباءهم
كانوا اصولهم ان لا يفارقوا دينهم الذي هم عليه فقالوا عند ذلك لا ندع وصية اباءنا كقوله اتواصوا به بل هم قوم طاغون او كانوا
قوما سفهاء اصحاب التقليد فقالوا انا قلدنا اباءنا فلا نقلد غيرهم وقوله اوكان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
يخرج هذا الكلام على وجهين اي تقلدون انتم اباءكم وان كانوا لا يعقلون شيئا ويحتمل ولو كانوا اي وقد كان اباؤكم لا يعقلون
شيئا فكيف تقلدونهم وهو كقوله قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي وقد جئتكم او ان يقال لمن جعل اباءكم قدوة
يقتدى بهم وقوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع قيل فيه بوجهين قيل مثلنا ومثل الذين كفروا ينعوي بعوث
بما لا يسمع الا دعاء ونداء يسمعون الصوت ولا يفقهون ما فيه وقيل ينعق بمعنى ينعق ذكر الفاعل على ارادة المفعول كقوله
فهو في عيشة راضية اي مرضية فعلى ذلك الاولى وهو في اللغة جائز جار وقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون سماهم بذلك
وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك لما لم ينتفعوا بها اذ الحاجة من هذه الاشياء الانتفاع بها ولذلك سماهم سفهاء لما لم ينتفعوا بعلمهم
وعقلهم وقوله يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم دل ان الذي كان لهم الاكل وامرهم بالتناول منه هو الحلال
ثم فيه الدليل على ان من الرزق ما هو طيب حلال وما هو خبيث حرام اذ لو لم يكن منه طيبا وخبيثا لكان لا يشترط فيه ذكر الطيب
بل يقول كلوا مما رزقناكم فان قيل فاوجه الحكمة في الامتحان بجعل الخبيث رزقا لهم قيل هذا اصل المحنة في كل شيء يجعل لهم الغذا فيامرهم
بالامتناع عنه ويجعل لهم قضاء الشهوة في المحرم يامرهم بالكف وهو الظاهر من الحق وقوله واشكروا الله على ما اباح لكم من الطيبات
ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم منه تروون ذلك ويحتمل ان كنتم اياه تعبدون اي اياه توحدون • ويحتمل ان كنتم بمن تعبدونه اياه
تقصدون فاجعلوا عبادتكم له خالصة لا تعبدوا غيره ليكون له ولا قوة الا بالله وقيل ان بمعنى اذ اي اذ انتم عباد له فاشكروا
ويحتمل قوله فاشكروا الله على جميع ما انعم عليكم من الدين والنبي والقران وغير ذلك من النعم اي كونوا شاكرين وقوله انما حرم
عليكم الميتة ذكر الميتة فمعناه حرم عليكم الاكل من الميتة والتناول منها فاذا كان كذلك فليس فيه حرمة ما لا يؤكل والانتفاع به من نحو
الصوف والشعر والعظم ونحوه • الا ترى ان هذا اذا ابين من الشاة وهي حية وابين منها لم تصر ميتة لا يجوز الانتفاع به ونحو من اللحم
اذا ابين منها صار ميتة لما روي في الخبر ما ابين من الحي فهو ميت ولان الصوف واللبن وغيرهما ليس بذي روح فيموت باستخراج الروح
منها كالحيوان على ما ذكرنا من اللبن وروي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الانفحة تستخرج من الميتة فقال انها دم فقيل له فقال لا باس
كلوا فان اللبن على ذكاته فيه وكلام نحو هذا وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال لا باس فان قيل الا تفسد بنجاسة الضرع كالوعاء
النجس يكون فيه اللبن يفسد بفساده • قيل ان الشيء اذا كان موضعا للشيء ومعدنه في الاصل فان فساد ذلك الموضع لا يوجب فساد
ما فيه الا ترى ان الدم الذي يجري بين الجلد واللحم اذا ذبح لا يفسد اللحم لما كان ذلك موضعه ومظانه فعلى ذلك اللبن في الضرع واما
الاهاب فانه اذا دبغ فقد طهر لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما اهاب دبغ فقد طهر والدم المذكور في هذه الاية
هو الدم المسفوح دليله قوله تعالى او دما مسفوحا فالمحرم من الدماء هو السايل الا ترى ان الشاة اذا ماتت صارت ميتة بهلاك ذلك
المحرم من الدم فيه وقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد اختلف فيه على وجه قيل قوله غير باغ ولا عاد وهو تفسير قوله فمن اضطر وهو كقوله
محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان • فصار قوله غير مسافحات ولا متخذات اخدان تفسير قوله محصنات لانها اذا كانت محصنة
كانت غير مسافحة ولا متخذة الاخدان فعلى ذلك اذا كان غير مضطر اكان غير باغ ولا عاد والله اعلم • وقيل فمن اضطر غير باغ اي غير مستحل
لتناوله ولا عاد يعدو على اكله للجوع وقيل قوله فمن اضطر غير باغ غير مجاوز رخصته ولا عاد ولا مقتصر نهايته • ثم اختلف في حرمة
عين الميتة في حال الاضطرار وحلها قال بعضهم عينها حلال ليس بمحرم • وقال الاخرون عينها محرمة لكن التناول منها مباح وهو قول
اصحابنا رحمهم الله فمن قال بحل عينها للضرورة ذهب الى ان الحظر والاباحة لا يقع في الاصل لعين الشيء ولا يتكلم فيها بحل ولا حرمة بحيث
العين بل الحل والحرمة هي الواردة عليها موجبة حتى لحرمة ثم الحرمة ترتفع بالضرورة فيبقى عينه على ما كان في الاصل ومن قال

والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله

بحرمة عينها وبحل التناول منها ذهب الى ان الحرمة حدثت لما كانت ميتة ومهلا لغير وجه الله فحدوث الحل للضرورة يدل
على ان العلة كانت هي الضرورة في حق رفع حرمة التناول ولم ترفع حرمة عينها الا انه ابيح التناول منها للضرورة على بقاء الحرمة
ولكن يجب ان لا يتكلم في هذا ومثله بحرمة العين وحلها بعد ان يكون الاباحة للضرورة اذ لله ان يحل عينا محرمة في حال الاضطرار
وله ان يحرم عينها ويحل التناول منها للاضطرار فالتكلم فيه فضل وتكلف وبالله التوفيق ثم المسئلة في الباغي والعادي يحرم عليه
التناول منها في حال الاضطرار ام لا قال بعض اهل العلم يحرم ذلك عليه لانه خرج لصدها لامر ظالم وفي المنع عن التناول منها زجر
عن الظلم وفي الاباحة عن التناول منها اعانة على الظلم لذلك يحرم عليه • والثاني ان القاتل عوقب عندنا يا وعلى الحرم بترك
المواكلة والمشاربة والمجالسة الى ان يضطر فيخرج عقوبة له فكذا هذا يحرم عليه التناول منه عقوبة له الى ان ينزجر وقال الاخر
قد استحق بالبغي على اهل الاسلام العقوبة العظيمة وبما قبيهذا ايضا من قول هذا الرجل ان الباغي اذا اتلف اموال اهل العدل
لا يتعرض له بها ولا يغرم وكذلك العادل اذا اتلف اموال اهل البغي لا غرامة عليه والغرامة نوع من العقوبات فاذا استويا
في سقوط الغرامة وان كان احدهما ظالما كيف لا استويا ايضا في هذا وما الذي يوجب التفرقة بينهما ثم نقول لهذا الخائف لنا
ان الباغي المقيم يمسح يوما واذا سافر لم ترخص له المسح وهو في الحضر رخصة كهي في السفر فاباله حرم احدى الرخصتين
على باحة الاخر مع وجود الظلم والبغي فقال لان الضرورة طريق التناول فيه رخصة لا ترخص الظالم اذ هو تخفيف
والاصل في المسئلة ان الباغي على اهل الاسلام لا ياتم باحكام اهل الاسلام اذ لو يتمر امرها بالكف عن بغيه واذا لم يتم في ذا الامثك
انه لا يأتمر في الثاني ولا يؤمر بما فيه البعث ولا يزجره التحريم عن التناول اذ على العلم بحرمة البغي بغى ما اشتهت نفسه فكيف
ينتهي بالحرمة بما اضطرت اليه نفسه ولم يملك الغلبة عليها في شهوتها ايثارا لها كذلك نظارا لها لكف لا معنى لاحداث الحرمة
عليه بعينه واصله قوله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم وقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة حرم عليهم القاء انفسهم الى المهالك
وقتلهم الانفس وفي دفع هذه الرخصة عنه اباحة محرم وهو اعظم منه عليه فلم يفعل واما قال ان من قتل فاوى الى الحرم
فانا امرنا بهوا عن مواكلته ومشاربته ولم نمنعه هو في نفسه الاكل والشرب اذ لا يقدر احد منعه عن ذلك فالقول في مثله تكلف
فكذا الاول والله اعلم ثم المسئلة في القدر الذي يجوز ان يتناول منها فعندنا ان الاباحة كانت للاضطرار فهو على القدر الذي
له الدفع والازالة ويدفعون ما فيه شدة المجاعة وذلك الاصل في انتفاء الضرورة وقوله ان الذين يكتمون ما انزل الله
من الكتاب اي في الكتاب يحتمل وجهين يحتمل الكتموا ما في كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وعلى اله وصفته ويحتمل ما كتموا من الاحكام
والشرائع من نحو الحدود والرجم وغير ذلك من الاحكام وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ويشترون به ثمنا قليلا قد ذكرنا
تاويل هذا فيما تقدم وقوله اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار يحتمل وجهين اي ما ياكلون في دنياهم الا اوجب ذلك لهم
في الاخرة اكل النار ويحتمل ما ياكلون في دنياهم اكلوا في الاخرة عين النار وقوله ولا يكلمهم الله قيل لا يكلمهم بكلام خير ولكن
يكلمهم بغيره كقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل لا يكلمهم غضبا عليهم يقال فلان لا يكلم فلانا لما غضب عليه وقوله اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى • قيل استحبوا الضلالة على الهدى • وقيل اختاروا العذاب على المغفرة وما قاله الكلبي فهو
احسن انهم اشتروا اليهودية التي هي تحصل عذابا بالايمان الذي يحصل مغفرة وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ايضا وقوله فما اصبرهم
على النار قيل وما ادومهم في النار • وقيل فما اصبرهم على عمل الذي يوجب لهم النار • وقيل فما اجراهم على عمل اهل النار • وقيل
ما اعملهم باعمال اهل النار • وقال الحسن فالهم عليها اصبر ولكن ما اجراهم على النار وقد يقال لمن يطول حبسه فما اصبرك
على الحبس لا على حقيقة الصبر لكن على وجوده فيه وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب اي خالفوا والا فقد اختلف اهل الايمان
والكفر ولكن ارادوا والله اعلم بالاختلاف الخلاف اي خالفوا الكتاب ولم يعملوا به • لفي شقاق بعيد قيل لفي خلاف بعيد وقيل
لفي ضلال طويل وقيل لفي عداوة بعيدة قيل حرف البعيد في الوعيد اياس كانه قال لا انقطاع له وقوله ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب • قيل ليس البر في نفس التوجه الى ما ذكر دون الايمان ويحتمل ليس البر في ذلك ولكن البر في
ما يقصد اليه اذ قد يقع ذلك للخوارج تعرض حتى تخرج عن القرية • ويحتمل ليس البر في التوجه الى كذا ولكن في الايتمار
للامر والطاعة له والبر هو الطاعة في الحقيقة • وقيل ليس البر التحول بالوجه الى المشرق والمغرب ولكن البر ما ثبت في القلب

يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم

والعذاب بالمغفرة

من طاعة وصدقه الجوارح وقيل ليس البر ان تصلوا ولا ان تعملوا غير الصلوة كل ذلك يرجع الى واحد وجملته ان يقال ليس البر
كله ذلك لكن ما ذكر اذ ذلك الوجه ستعظموا هم حتى قال الله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك • والثاني
ان يكون ذلك بنفسه ليس برا وانما صار برا بالامر به او بما ذكر من الايمان والخيرات فلا زال عنه الوجهان سقط فضله ان يكون برا
وقوله ولكن البر من امن بالله بانه واحد لا شريك له يعني صدق بالله بانه واحد لا شريك له واليوم الاخر وصدق بالبعث الذي
جزاء الاعمال وصدق بالكتب والملائكة والنبيين والبر تاويلان احدهما ما قيل والثاني على الاضمار كانه قال ليس البر بر من يولي وجهه
ولكن البر بر من امن بالله كما قال اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن بالله وقيل اجعلتم صاحب السقاية كمن امن بالله • وقيل ان البر
بمعنى البار من يحول وجهه قبل كذا ولكن البار من امن بالله الاية وقوله واتى المال على حبه قيل اعطى على حاجته • وقيل على قلته
اثره على نفسه كقوله ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل حبه اي ذو قرابته • وفيه دلالة ان الافضل ان يبداء
بالصلة قرابته ثم باليتامى لان على جميع المسلمين حفظهم ولانهم اضعف فيبدا بهم قبل المساكين • روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ليس المسكين الذي يرده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد ما يغنيه
ولا يسال الناس ولا يفطن به فيتصدق عليه وابن السبيل قيل هو الضيف ينزل وقيل هو المنقطع حاج او غاز • وقيل هو المختار
وهو واحد • وفي الرقاب قيل هم المكاتبون واقام الصلوة واتى الزكوة ظاهر • والموفون بعهدهم اذا عاهدوا يحتمل عهودا التي بينهم
وبين الناس • ويحتمل العهود التي فيما بينهم وبين ربهم • وقد ذكرنا العهد من الله تعالى ما هو فيما مضى وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنه والموفين على النسق على الاول قيل اذا عاهدت عهدا بلسانك تفي به بعملك وفعلك ثم ليس في القرآن اية اجمع لشرائط الايمان
من هذه وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • انه سئل عن الايمان فقرا هذه الاية وهكذا روي عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه انه سئل عن الايمان فقرا هذه الاية وقوله والصابرين في الباساء والضراء قيل في الاية تقديم وتاخير السائلين
وفي الرقاب والصابرين وعلى هذا يخرج حرف ابن مسعود رضي الله عنه والموفون بعهدهم وقوله الباساء من الباس وهو الفقر
والضراء قيل هو المرض وحين الباس قيل عند القتال وقوله اولئك الذين صدقوا في ايمانهم انهم مومنون وصبروا على طاعة
ربهم واولئك هم المتقون • وقيل الذين صدقوا في ايمانهم واولئك هم المتقون • روي عن عمرو بن شرحبيل انه قال من عمل
بهذه الاية فهو مستكمل الايمان قال الفقيه تمام كل شيء باجتماع ما يزينه الا ترى ان المصلي اذا اقتصر على فرايضها لم يتم له
وقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الاية قيل نزلت الاية في حيين من العرب كان وقع بينهما حرب وقتال
وكان لاحدهما فضل وشرف على الاخرى فارادوا بالعبد منهم الحر اولئك وبالانثى منهم الذكر فانزل الله تعالى الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى وهي منسوخة لان فيها قتل غير القاتل نسخها قوله • ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف
في القتل قيل لا تسرف اي لا تقتل غير قاتل وليك وقيل لا تسرف اي لا تمثل وقيل لا تسرف في القتل اي لا تقتل استاذ هو مقصود
فثبت بهذا نسخها اذ لم يوذن بقتل غير القاتل وقوله ايضا وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس ولا يحتمل نفسا غير القاتل يقتل
بنفس دليله قوله فمن تصدق به فهو كفارة له ولا يتصدق على غير القاتل ثبت انها منسوخة بما ذكرنا والثاني قال ولكم في القصاص
حيوة لما اذا هم بقتل اخر يتذكر قتل نفسه به فيرتدع عن قتله فيحيى به النفسان جميعا فلو لزم قتل غير القاتل لم يكن فيه حيوة
اذ لا يخشى تلف نفسه ثم هذا يدل على وجوب القصاص بين الحر والعبد وبين الكافر والمسلم اذ لو لم يجعل بينهما قصاص لم يرتدع
احد عن قتلهم • اذ لا يخشى تلف نفسه بهم فدل انهم يقتلون بهم والله اعلم هذا فيما يجعل الاية ابتداء لا في الحيين الذين
ذكرناهم ثم يقال ليس في ذكر شكل بشكل تخصيص الحكم فيه وجعله شرطا ونفيه في غير شكله دليله ما روي عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة
ورجم بالحجارة • ثم اذا زنى البكر بالثيب وجب ذلك الحكم فدل ان ليس في ذكر شكل بشكل تخصيص في الحكم ولكن فيه ايجاب الحكم
في كل شكل اذا ارتكب ذلك وهو ان يقتل الحر اذا قتل الحر والحرية لا تمنع الاقتصاص لفضله وكذلك العبد اذا قتل اخر يقتل به
والرق لا يمنع ذلك الذل الذي فيه وكذلك الانثى بالانثى من الاناث اماء • وقد امر بالاقتصاص بينهن فلئن وجب تخصيص
ما ذكر خاصا وجب ان يذكر عاما ذكر فيه العموم فان قيل على العموم الاسم في احدهما وخصوص القول في الاخر قيل ليس هكذا

وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا

لو كان فيه ذكر الوفاق

لو كان فيه ذكر الوفاق في الاسم منع الحق عن ذلك الوجه المذكور واذ ذكر فيه الخلاف لم يدخل فيما ذكر في الوفاق في السر منه فاذا دخل
علم ان ذكر الوفاق في الخلاف في حق دخال ما ليس فيه شكله بمحال واحد ثم يقال ان نفس العبد بالعبد في حق الجناية لا للمولى فالمولى
في نفسه الملك والمالية • الا ترى ان العبد لو اقر على نفسه بالقصاص اخذ به ولو اقر عليه مولاه لم يوخذ به فدل ان نفسه
لا للمولى فكان كنفس الحر فيجب ان يقتل الحر به اذ هو ساوى الحر في حق النفس فيجب ان يستوي بينهما في حق القصاص وقال بعض
الناس لا يقتل الحر بالعبد لانه افضل منه ثم هو يقول انه يقتل الذكر بالانثى وهو افضل • وقال ان القصاص انما ذكر في المومنين
ثم قال بالعموم • والمحرم قتل الكافر بالمومن ولم يذكر في القصاص الكافر وترك الاقتصاص الكافر من المومن على عموم ايجاب القصاص
على المومنين فاذا جاز ترك القصاص عليها ذكر فيه واذا قال تعالى لم يذكر في حق الا قصاص ما يجب الا ما مثله في الذي ذكر عقيب
ذكر المحق وهو ايجابهم تحت الايجاب مذكورين • ثم الانثى بالانثى اختلاف الاحوال يلزم القصاص كيف لا لزم مثله
في الايجاد ولا اصل في هذا ان لا يعتبر فيه الانفس المساواة الا ترى ان الانفس تقتل بنفس واحدة وهكذا روى عن عمر
رضي الله عنه انه قتل رجالا بامرأة • وروى انه قتل سبعة نفر بامرأة وقال لو تمالا عليه اهل صنعاء لقتلتهم وقال روي
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يقتل مسلم بكافر ثم قال صاحب هذا القول ان الكافر اذا قتل مسلم
القاتل يقتل به فهو قتل مسلما نقابه بالكافر كالاسلام يطهره ولم يقتل مسلما فاسقا بارتكاب الكبيرة بالكافر فاذا قتل
بفسقه والمسلم احق ان يقتل بالكافر من الكافر بالمسلم ويحقق ان المسلم هتك حرمة الاسلام بقتل الكافر لانه اعتقد
باعتقاد دين الاسلام حرمة دم الذمي وهو بقتله كالمستخف بمذهبه • واما الذمي فانه لا اعتقد باعتقاد مذهبه حرمة دماء
اهل الاسلام فهو ليس بقتل المسلم كالمستخف بمذهبه والمسلم كالمستخف بدينه على ما ذكرنا فلذلك كان احق بالقصاص من الكافر
الا ترى ان من قتل في الحرم قتل به لانه هتك حرمة الحرم كالمستخف به • واذا قتل خارجا منه ثم التجا اليه لم يقتل اليه حتى
يخرج منه لانه ليس كالمستخف له والاول مستخف لذلك افترقا فكذلك الاول والله اعلم والخبر عندنا يحتمل وجهين احدهما قيل
ان قوما قتل بعضهم بعضا في الجاهلية فاسلم بعضهم فارادوا اولئك ان ياخذوا من اسلم منهم بالقصاص فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر كما قال كل دم كان في الجاهلية فهو موضوع تحت قدمي هذا والثاني انه
اراد بالكافر المستامن لانه قال لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده فنسق قوله ذو عهد على المسلم فكان معناه لا يقتل
مسلم بكافر ولا ذو عهد به فكل كافر لا يقتل به ذو عهد في عهده لم يقتل به المسلم فالذمي يقتل به ذو العهد لذلك يقتل به
المسلم والمسلم اذا قتل مستامنا لم يقتل به وكذلك الذمي فدل بما ذكرنا انه اراد بالكافر المستامن لا الذمي والله اعلم وقوله
فمن عفي له من اخيه شيء اختلف في تاويله قال بعضهم هو القاتل اذا عفي له معناه عنه فليتبع الولي باخذ الدية بالمعروف
شاء القاتل وابى • احتج بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل اختصم اليه في قاتل اخيه فقال اتعفوا عنه قال
لا قال اتاخذ الدية قال لا قال اتقتله قال نعم عرض عليه الدية ولو كان غير حقه لم يعرض عليه • وقال في بعض الاخبار
ولي القتيل بين خيرتين بين قتل واخذ دية واما عندنا تاويل قوله فمن عفي له من اخيه شيء ليس هو القاتل لانه يكون
معفوا عنه ولانه لا يتبع احدا وهو المتبع بل هو الولي لانه هو المعفو له لا القاتل حيث امر بالاتباع بالمعروف كانه قال
من بذل له واعطي من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وذلك جائز في اللغة العفو بمعنى البذل والاعطاء على ما قيل خذ ما اتاك
عفوا صفوا اي فضلا • وكذلك روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه انه قال فمن عفي له اي اعطي له والحق عندنا هو القود
لا غير على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العمد قود الا ان يعفو • وقد روي في بعض الاخبار الا ان يتفادى
والمفاداة هو فعل اثنين فلا ياخذه الا عن تراض واصطلاح منهما جميعا • وفي الاية دلالة ان الحق هو القصاص لا غير بقوله
كتب عليكم القصاص اخبر ان المكتوب عليه والمحكوم القصاص فلو كان له الخيار من القصاص والعفو واخذ الدية شاء او ابى
لكان لا يكون مكتوبا عليه القصاص ويذهب فائدة قوله كتب عليكم القصاص انما كان يكون عليه احدهما كما لا يقال في الكفارة
بان المكتوب عليه العتق بل احد الثلاثة فلما قال كتب القصاص دل ان اخذ الدية كان كالخلف عنه • وما روي عنه صلى الله
عليه وسلم حيث قال لولي القتيل اتعفو عنه قال لا فقال اتاخذ الدية قال لا انما عرض عليه الدية لما علم ان القاتل

فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان

يرضى بذلك على ما روي ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته ببغض زوجها فقال لها اتردين عليه
حديقته قالت نعم وزيادة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا وانما قال لها ذلك لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه يرضى بطلاقها اذا ردت عليه حديقته فعلى ذلك الاول ولو كانت لفظة العفو عبارة عن الزام الدية ما اوجبه المذكر
الاشارة الى العفو مرة والى اخذ الدية ثانيا فثبت انه ليس للذي يعفو ان يأخذ الدية بالعفو وقيل في قوله فمن عفي له من اخيه شيء
فاتباع بالمعروف اصلها انها نزلت في دم بين نفر يعفو احدهم عن القاتل ويتبع الآخرون بالمعروف في نصيبهم لانه ذكر الشيء
والشيء هو العفو عن بعض الحق فالزم الاتباع للآخرين عند عفو بعض حقه فثبت ان العفو لا يلزم الدية وروي عن عمر وعبد الله
بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم انهم اوجبوا في بعض عفو الاولياء للذين لم يعفوا الدية على ترك السؤال عمن عفى انك
عفوت بدية ولو كان ثم حق ذكروه له فدل ان العفو لا يوجب الدية والله اعلم • ثم لا يخلو اما ان يكون حقه القصاص ثم له
تركه بالدية فهو الزام بدل حق قبل آخر من غير رضاه وذلك مما لم يعقل له شيء او كلاهما فهو ايضا كذلك لا يكون لاحدهما
الا باجتماعهما او احدهما وهو مجهول فالعفو عنه يبطل حقه اذ العفو ترك وقالوا ان في اخذ الدية احياء النفس التي امر الله
باحيائها وفي الامتناع عن اداء الدية اليه والبذل له اذن بالقتل ومن قول الجميع ان احدا لو قال لآخر اقتلني انه لا يحل
اذنه فاذا كان معنى الامتناع عن اداء الدية هو اذن بالقتل لم يأذن له يقال له ابعدت القياس والتشبيه لان فيما ذكرت فيه
اذن بالقتل وظهر الامر به وفيما ذكرت لم يظهر حيث قال كتب عليكم القصاص فاني يشبه هذا بذاك ويقاس عليه
وان يقال لو كان لا كما ذكرت لكان يجيء ان يكون الصلح على كل شيء ماله وفيه تلف نفسه انه ليس له منعه ومن قول الجميع
ان له المنع وجائز وقوع الصلح على ما فيه تلف ماله ثبت ان ما يقوم له وهم وبعد فان الذي ذكرت تدبير الحق عليه
ان يفعل لا تدبير الالزام ولو كان ذلك لازما لكان يقتله ببذل نفسه فيغرم فاعل ذلك وهذا كما يفتي الرجل شيئا به
قوام نفسه عند الضرورة الا انه يلزم لو ابى ذلك قتله ديته بمعنى ان في ذلك تلف نفس تلك قيمته قتله الاول
وما روي في التخيير بين اخذ الدية وما ذكرتم والله اعلم على بيان الحل والرخصة على ما قيل انه من حكم التورية القتل ولا يجوز لهم
العفو ولا اخذ الدية ومن حكم اهل الانجيل العفو لا يقتل بالقصاص ولا تؤخذ الدية فحكم الله عز وجل على اهل القرآن ان جعل
لهم القتل مرة والعفو ثانيا واخذ الدية ثالثة فدل انه يخرج مخرج بيان الحل والرخصة اذا طابت به نفس من عليه ذلك
ببذله اذا طلب ولا يوجب قطع الخيار من الآخر ولهذا ما نقول ففدية من صيام او صدقة وقوله في التخيير في الكفارة ان ذلك
الى من عليه لا الى من يأخذ الحق هاهنا من جانب واحد فجعل الخيار الى من عليه اذ كان من كل الجانبين يعتبر رضاهما جميعا
والله اعلم وقوله ذلك تخفيف من ربكم ورحمة لما ذكر من اباحة العفو في حكم القرآن ولم يكن في حكم غيره من الكتب واخذ الدية او القتل
ولم يكن في حكم التورية والانجيل الا واحد ويحتمل ان كان في التورية هذا وهذا كما قال فمن تصدق به فهو كفارة له ويحتمل انه
ذكر العفو شرعا لنا وقوله فمن تصدق لنا خاصة وقوله ورحمة فيه دلالة ان لا يقطع صاحب الكبيرة عن رحمة الله لانه اخبر
ان التخفيف رحمة في الدنيا فاذا لم يؤيسهم في الدنيا عن رحمته فلا يؤيسهم في الآخرة عنها وقوله فمن عفي له من اخيه شيء دلالة انه لا يزول
اسم الايمان بارتكابه الكبيرة من غير اخوة نسب دل انه اخوه في الدين لانه سماه اخا وكذلك قوله وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا فاصلحوا بينهما ابقى لهم اسم الايمان بعد البغي والقتل دل ان ارتكاب الكبيرة لا يخرجه من الايمان وهذا يرد على المعتزلة
قولهم لانهم يقولون ان من ارتكب كبيرة اخرجه من الايمان وما ذكر من التخليد في قتل العمد يخرج على وجهين احدهما الاستحلال
قتله او يتعمد دينه والا فيخرج الآيتان على التناقض في الظاهر لو لم يحمل على ما ذكرنا والله اعلم وقوله فمن اعتدى بعد ذلك
قيل من اعتدى على القاتل بعد ما عفي عنه او بعد ما اخذ الدية وقيل بعد ذلك اي من بعد النهي عن قتله وقيل اذا رجع من نفسه
العفو ثم اخذ الدية ثم اراد قتله فهو الاعتداء • ثم اختلف بعد هذا بوجهين قال قوم اذا فعل ذلك يترك القصاص فيه
للعذاب المذكور في الآخرة اذا اقتص ارتفع عنه العذاب الاليم وان لم يقتص فلا وجائز عندنا ان يكون العذاب الاليم في الدنيا
اذ لم يخلو شيء من العذاب في القتل هو الغاية من الالم والوجع والله اعلم وقوله ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب قيل فيه
بوجهين ولا في ظاهر القصاص لا يكون حياة لكن قيل من تفكر في نفسه قتلها انه اذا قتل آخر ارتدع عن قتله فيحيى النفسان جميعا

والثاني من نظر فرأى آخر يقتل بغيره امتنع عن قتل كل احد ففيه الحيوة للانفس جميعا ولهذا نقول بوجوب القصاص
بالانفس كلها وان اختلفت احوالها اذ لو لم يجعل بين الانفس على اختلاف الاحوال قصاص لم يكن في القصاص حيوة فاحق من يجعل
فيه القصاص عند مختلف الاحوال لما يغضب الشريف على الوضيع فيحمله غضبه على قتله فجعل القصاص لما يستخف به • واما الوارث
لما يطمع وصوله الى مال مورثه فيحمله على قتله فسبب القتل ليس ما يذكر لكنه شدة الغضب الى وفي المواريث زيادة وهو ما يصل الامله
وفي الكافر من استحقاقه بذنبه من المقتول لخطب فيه المعنى الذي فيه الاحيا وهو حرمان الميراث فعلى هذا التقدير يقتل المسلم
بالكافر لان المسلم قد يستخف بالكافر في دار سلمه فيحمله استخفافه اياه على قتله ففيه معنى يدعو الى الفناء فيجب ان يقتص من المسلم
بالكافر لتحقيق معنى الحيوة • وعلى هذا التقدير يقتل الحر بالعبد لان الحر يستخف بالعبد فيدعوه استخفافه به فهو يقتل ونقول يقتل
الولد بالوالد لما يستعجل الوصول الى ملكه فيحمله على قتله فلزم حفظ ما لاجله الحيوة ثم في الوالد شفقة ومحبة تمنع الوالد عن قتل
ولده لذلك انتهى عنه القصاص وهذا معنى قوله عليه الصلوة والسلام لا يقاد والد عن ولده وبالله التوفيق قال الشيخ
رضي الله عنه يحب ولده لولده لانه يرغب ان يكون له ولد واما الولد فانما يحب والده لنفسه ومنافع له فاذا كان
الولد له لم يقتص منه وقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين تكلموا فيه باوجه
قيل انه منسوخ بما بين عز وجل في آية اخرى من حق الميراث ومنهم من قال لم ينسخ ثم قيل فيه بوجهين قيل انه قد كان ذلك لان
الناس كانوا حديث عهد في الاسلام فيسلم الرجل ولا يسلم ابواه فقوله كتب انما وقع على من كان لا يرث ومنهم من يقول بانها كانت
للوارث ولم ينسخ وانما يقع لاخرى غير من يرث ممن ذكر لكن في ذلك ذكر كتب وذلك ايجاب ولا يحتمل ان يفرض عليهم صلتهم
مع التحذير عن اتخاذهم اولياء بقوله لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء وقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون الآية
وفي الزام الوصية من حيث المعروف ابقاء الموالاة والزام المحبة وقد حذر وجود ذلك فثبت ان الآية فيمن يتوارثون اليوم
لكنها نسخت والله اعلم • ومنهم من يقول لا ولكنه وقع على من كان يرث وعلى من كان لا يرث بقوله كتب عليكم فهو كان مكتوبا
عليهم مفروضا في حق الوصاية • ثم من رأى نسخه استدل بقوله يوصيكم الله في اولادكم ذكر فيه الوصاية على بيان كل ذي حق حقه
فليس الذي وصى الله بمنع وصايته التي كتب عليهم لكن في الآية دليل لم ينسخ بهذه الوجهين احدهما قوله يوصيكم الله فهو وصية
ذكره كذكر الوصاية في الاول ففيه جعل حق كالحق المجعول لهم انا لم يذكر ذلك للوصية مع الميراث ثم نفاه والوجه الآخر انه
قال من بعد وصية توصون بها او دين فجعل حكم الارث على ذكر الوصية والارث بعد الوصية فبان ان لهما حكم البقاء ثم قيل فيه
بوجهين قال قائلون قوله يوصيكم الله في اولادكم لم يكن غيرا لها ولا هو من اهل الميراث فحدوث الارث لا يمنع حق القطع عنه
بالمكتوب الاول ومنهم من جعل ذلك فيمن كان وارثا فورود البيان من بعد يقطع عنه المكتوب له ثم من الناس من ادعى نسخ
هذا بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا ولو جعل الوصية له مع ما جعل الله
لهم فيه من النصيب خص به الكثير دون القليل • فثبت ان ذلك الكتاب رفع عنهم مما جعل لهم الحق في الذي قل او كثر • ثم الوجه
فيه عندنا فهو انه ان لم يكن نسخ بهذه الآيات على ما قاله بعض الناس فهو منسوخ بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى
كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فتبين انه قد كان اعطى ذا حق حقه على رفع ما كانت لهم من الوصاية فيه • ثم اختلفوا في الخبر الذي
روي ان الله تبارك وتعالى قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث قال قائلون لا يجوز ورود النسخ على الآية لان السنة
لا ترد على نسخ الكتاب وقال الآخرون لا ولكنه من اخبار الآحاد واخبار الآحاد على قولكم لا يرد على نسخ خبر مثله فكيف على كتاب
رب العالمين فاما الاول في ان السنة لا تعمل في نسخ الكتاب فقد سبق القول فيه ان الذي حملهم على هذا هو جهلهم بموقع النسخ
ولا لو علموه ما انكروه وهو ما قلنا ان النسخ بيان منتهى الحكم الى وقت المجعول له • واما من قال بانه من اخبار الآحاد فان الاصل
في هذا ان يقال انه من حيث الرواية من الآحاد ومن حيث عمل العمل به متواتر ومن اصلنا ان المتواتر بالعمل هو ارفع خبر يعمل الدليل
المتعارف فرايعرف مما عمل الناس به لم يعملوا به الا لظهوره وظهوره يغني الناس عن روايته لما علموا واخلوه عن الخفاء ولهذا
يقول في الخبر جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كل ذي ناب من السباع فتردد في الخبر المروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه من اخبار الآحاد هو من حيث الرواية من الآحاد ولكنه من حيث تواتر الناس العمل به صار بحيث يوجب

فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم

علم العمل فما لم يجز ان يجتمع الامة على شيء علموا كله من كتاب او سنة غيرها ورد فيكون قد اجتمعوا على تضييع كتاب او سنة
فكذا هذا لا يجوز ان يجتمع الناس على ترك الوصية للوارث وثم كتاب نسخه او سنة اخرى يلزم العمل به فلهذا تعيّنا بالنسخ والله اعلم
وقوله فمن بدله بعد ما سمعه قيل فيه بوجهين. فمن بدل هذه الوصاية المكتوبة للوالدين كان هذا اراد بقوله كتب عليكم اذا حضر
احدكم الموت الاية فانما اثمه عليه ويحتمل من بدل الوصية بعد ما سمعه من الموصي فانما اثمه على الذين يبدلونه ثم يحتمل بعد هذا
وجهين يحتمل انه اراد تبديل الوصي بعد موت الموصي ويحتمل تبديل من حضر الموصي في ذلك الوقت من الشهود وغيره وقوله فمن خاف
من موص جنفا او اثما قيل فيه بوجهين فمن خاف اي علم من الموصي ظلما وجورا على الورثة بالزيادة على الثلث فلا اثم عليه في تبديله
ومنعه ورده الى الثلث وقت وصاية الموصي ويحتمل فمن خاف اي علم من الموصي خطأ وجورا بعد وفاته بالوصية فلا اثم عليه
في تبديله ورده الى ما يجوز من ذلك ويصح وهو الواجب على الاوصياء ان يعملوا بما يجوز في الحكم وان كان الموصي وصى بخلاف
ما يجيزه الحكم ويوجبه قال الشيخ رحمه الله وكان صرف الخوف الى العلم اولى اذ هو تبديل الوصية وقد نهى عنه واذن به لجور
فاذا لم يعلم فهو تبديل بلا عذر وقد يخف الجور فحقا العلم اذا غلب الوجه فيه كما ان اذن للاكراه اظهار الكفر وذلك في حقيقته
خوف عما في التحقيق على العلم بغلبته وجد الوفاء في ذلك وقوله ان الله سميع اي سميع لمقالته ووصايته وعليم بجوره وظلمه
او عليم بتبديله والله اعلم وقوله فاصلح بينهم يعني بين الورثة بعد موت الموصي ورد ما زاد على الثلث بين الورثة على قدر انصبائهم
وقوله ان الله غفور رحيم لجور الموصي وظلمه اذا بدل الوصي ذلك ورده الى الحق ويحتمل غفور رحيم لمن رد على الوصي حيفه
وميله في حال وصايته والله اعلم والاصل في امر الوصاية للوارث ان ايات المواريث لم تكن نزلت في اول ما بهم حاجة الى معرفة
ذلك فيجوز ان يكون بالابتداء كانت الوصايا بالحق الذي اليوم هو ميراث يبين ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ابني سعد قتل باحد وقد كان استولى عمهما على ميراثه فسالتاه بهما عن ذلك فقال لم ينزل فيه شيء ثم دعا عمهما واعطاهما ما بين الله
في كتابه في قوله يوصيكم الله الاية وكذلك كان للنساء الحول في تركة الازواج وصية لهن فعلى ذلك كان الامر بالوصية فقال الله
عز وجل يوصيكم الله كالمبين بما كان قد اوجب اليتيمين على الميت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعطى كل
ذي حق حقه فلا وصية لوارث ومما يبين ذلك انه معلوم ان تكون الوصية للوارث ليست تثبت فيما هي له لانه اليوم فيكون
حصول الوصية بنصيب بعض الورثة وعلى ذلك الوجه لا يجوز وصية الميت لاحد فكذلك للورثة وهذا يبين انها كانت في وقت
لم يبين الميراث فلا يكون الوصية لمن ثبت له وصية بنصيب غيره في التحقيق فكان يجوز ثم بطل ببيان السنة اذ ليس في متلو
القرآن حقيقة ذلك وانما يكون ذلك بحق الانتزاع منه والفسخ ومعناه بالانتزاع ابعد عن الاحتمال عنه بالسنة ولا قوة الا بالله
ثم حق التواتر عندنا يقع بظهور العمل بالشيء على غير ظهور المنع منهم والنكير عليهم في الفعل وفي هذا وجود ذلك من طريق الفعل
ثم القول انه يصلح للامة بالفتوى به بلا تنازع ظهر فيهم مع ما قد ذكر الله في المواريث غير مضار وصية من الله وتخصيص الورثة قصد
مضارة بغيره واستعمال الراي فيما قد تولى قسمه على غير الذي قسم والله اعلم وقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام هؤلاء
الآيات فيهن فرضية بقوله كتب وايد ذلك لا بدل فيها الافطار لعذر والامر بالقضاء وذلك ليس بشرط الاداء مع الامتنان
علينا بقوله عز وجل يريد الله بكم اليسر اي يريد بكم الاذن لكم في الفطر للعذر ولو كان غير فرض بدؤه لم يكن الفطر للعذر
بموضع الرخصة مع شرطه اكمال العدة في القضاء معنى وفي ذلك لزوم حفظ للمتروك لئلا يدخل التقصير في القضاء وعلى ذلك
اجماع الامة ثم بين عز وجل انه لم يكن هذه الامة مخصوصة في الصيام بل هي حق من فيهم استعمل العفو والصفح بما خصهم بان جعلهم
خير امة اخرجت للناس واخبر انه لم يجعل عليهم في الدين حرج ولا الزمهم العبادات الشاقة فضلا منه عليهم وتخصيصا لهم
ان جعلهم شهداء على الناس فقال عز وجل كتب عليكم كما كتب على الذين من قبلكم لكن كما يحتمل وجهين يحتمل العدد الذي كتب عليهم
ويحتمل الفرضية في الجملة لا عين ما فرض عليهم من حيث الاشارة الى ذلك ولذلك اختلف في الكاف في قوله كما انها زائدة وحقيقة
ثم اختلف في ماهية ذلك الصيام فمن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من جعله صوم عاشوراء وايام البيض ثم استعملوا
نسخ ذلك بصيام الشهر وقد روي مرفوعا ان صوم شهر رمضان نسخ كل صيام كان وروي عن جماعة في امر صوم عاشوراء انا كنا
نصومه حتى نزل صوم الشهر فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا به ولا ينهانا واصل هذا انه كان يصام لو كان

ابتداء الآية

ابتداء الآية عليه بحق الفرض فابدل ذلك بصوم الشهر فارتفع عنه الفرضية على ما اذا كان يخرج منه بالفداء لم يكن معه
فرضية القضاء وبقي الفضل فيه اذ النسخ لم يكن من حيث نفس الصوم اذ مثله من النسخ يكون بغير الصوم ولا بصوم فثبت انه في نسخ
الفرضية فبقي فيه حق الادب والفضل وتبين النسخ وان ذلك غير صوم الشهر المذكور في صوم الشهر بقوله فمن كان منكم مريضا
الآية ولو كان الكل واحدا لكان الذكر في موضع منه كافيا عن الاعادة فثبت انه على تناسخ الصيام وقد روي معاذ رضي الله عنه
انه قال احيل الصيام ثلثة احوال وبين الخبر على وجهه في ذلك ويحتمل ان يكون المراد منه صوم الشهر ويكون تكرار الذكر في الرخصة
لمكان رفع الفداء او لمكان ذكر حق الامتنان بالتيسير او للتحريض على حفظ العدد والله الموفق واي ذلك كان فليس بنا حاجة
الى معرفة حقيقة ذلك لان كيفية الابتداء لم نكلف وانما كلفنا ما اتى فرضه وهو صيام الشهر الذي لم يختلف في ذلك ثم قد خاطب
جل ثناؤه بالصيام من قد آمن بقوله يا ايها الذين آمنوا فكان فيما خاطب وجهان احدهما انه خاطب من المؤمنين من في المخاطبون انه لم
يا خذهم اذ لم يذكر عن احد انه ظن خروجه من حكم الاية من حيث لم يكن وفاء بما به يستحق الاسم وكذلك ساير عبادات الافعال وهذا
من اوضح ما يجب به العلم ان الايمان ليس باسم لجميع القرب بل بحقيقته يصير افعال القرب قربا وفيه انه لم يقل يا ايها الذين قلتم نحن
مؤمنون به صلى الله تعالى عليه وسلم دلالة ظاهرة على هجر هذا القول وانه من تلقين الشيطان ليبطل عليهم عقدهم كما يبطل
كل عقد يستعمله فيه صاحبه عما اراد الزامه العقد والله اعلم والثاني ان الله تحض بالعبادات المؤمنين وانهن لا يلزم من غيرهم
فيها الاعتقاد لا الافعال التي هي تقوم بالاعتقاد وليس الاعتقاد بواجب لمكان تلك الافعال حتى يكون كالاسباب التي
توجب باجاب افعال بها تقوم بل لها وجب غيره الا ترى انه لا يجوز ان يرتفع ذلك عن الخلايق بحال من الافعال في الدنيا والآخرة مع
ارتفاع غير ذلك من العبادات ثبت ان الامر بذلك بحيث نفسه لا لغيره ثم لا قيام لغيره مع عدمه ثبت ان المعنى الذي يصير له والا
لاحتمال الفعل العبادات لذلك لا يجوز الامر بشيء منها دون ذلك وله وجهان يحيلان الامر ايضا احدهما العقل انه من البعيد
ان يكون من لم يقبل العبودة ولا اقر بالرسالة توقره بالعبادة وباتباع الرسول بحق الرسالة بل يقول الزموا الاول حتى يكون الثاني
وهو كما احال الناس المناظرة في الرسل مع منكري الصانع والرسل قبله الاول بل يجب كل عريقة به اذ لا يكون الاية والله اعلم والثاني
القول بان من اسلم بعدما فات العبادات لا يلزمه القضاء ثم لذلك وجهان عن المعتبر احدهما انهم اذا لم يدخلوا في خطاب
القضاء بما ليس معهم في الحال ما يحتمل معه القضاء فكذلك الخطاب لابتداء اذ هو الذي به لزم القضاء في الاسلام والله اعلم والثاني
انه لا يلزم القضاء بعد الاسلام ولا يجوز الابتداء في حاله فكان ذا تكليف لم يجعل الله للمكلف وجه القيام وقد برا الله عن هذا النوع
من التكليف بقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها مع ما بين الله تعالى بقوله فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار انه للكافر
التمتع في الدنيا لا للعبادات في ذلك والله الموفق فثبت بالاية التي ذكرنا دخول جميع المؤمنين في الخطاب اذ بين الرخصة الذي العذر
في الافطار على وجوب القضاء فاذا لم يحتمل خروج من لا عذر له في الفطر عن ان تضمنه الخطاب وجب الزم القضاء بشرط لا عذر
داخل فيه ولا يسع الفطر وعلى هذا جاء وممن ابتلي بالجماع نهارا انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكد عليه الامر والزمه الكفارة على غير سؤال
عن احوال سوى ما علم من حاله انه ليس بمريض ولا مسافر فكان في ذلك دليل تاكيد الفرض وفي ذلك ايجاب الكفارة لتعديه على الصيام على حال
لا يحتمل الارخاص اذ قد كان تلك البلية في الليالي فلم يؤمروا بها من حيث كانوا يملكون ابقاء الرخصة لا نفسهم لولا النوم وفي ذلك ان فرض
الصيام يعم المؤمنين ثم قال الله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه والشهر اسم للكل ولو كان المراد راجعا اليه لكان الصيام في غيره
لانه عند هجوم غيره يتم شهوده ثم يتناقض لانه قال فليصمه ومحال ان نصوم في غيره ابتداء فرجع التاويل الى ان من شهد منكم
شيئا من الشهر فليصمه ممن اعترضه الجنون فيه فهو ممن قد تضمنه الخطاب ويجوز في حالة الفرض ايضا اذ لو شهد ليلة الصيام فعزم
على الصيام يجوز له فرضه فدخل في حق الخطاب ثم اعترضه في ساير الليالي عذر منع النية لا عذر منع الصيام فيقتضيه اذ هو
اهل لحكم الاية التي ذكرنا والقيام بذلك على ما وصفنا فقاته بفوت النية لمن كان فوت لعذر المرض والسفر والحيض ونحو
ذلك بعد ان علم انه ممن تضمنته الاية فعليه قضاؤه وعلى ذلك في الصبي والكافر لم يدخلا في معنى الاية ولا كانا يحتملان في حال
قضاء فرض الصيام فالقضاء في غيره عن ذلك لا يعمل في حق الفرض لذلك لم يلزم وقد روي عن محمد رحمه الله على هذا ان اذا دام
مجنونا ثم افاق في بعض الشهر انه لا يقضي ما مضى على ما ذكرت وعن ابي حنيفة رضي الله عنه في هذا انه يقضي ان كان في اول الشهر

بالقضا لما اجنت ان صيامه لم يجز لعدم النية والصبي والكافر بنفسه ومن فوته لعدم النية فهو داخل في حكم فرضه فعليه
القضاء والله الموفق • ومن جن الشهر كله لا يقضي لشرط الشهود وهو لم يشهد شيئا منه مع امكان الاسقاط بدليل آخر
وان كان نحو الخطاب في الظاهر قد اقتضاه على مثل المريض الذي لا يصح والمسافر الذي لا يقيم والله الموفق • وقوله اياما معدودات
دلالة ان ابتداء الآية في غير صوم الشهر اذ صوم الشهر يحفظ بالاهلة لا بالايام لكن الله تعالى اذ علم الامر الظاهر في الخلق انهم يعدونه
بالايام وان كان لهم عن ذلك غنى • وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الشهر هكذا وهكذا وهكذا باصابع يديه
كلتاهما وعقد اصبعا منها في الآخر المرات وجاء عن غير واحد انهم قالوا ما كنا نصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة
وعشرين اكثر مما نصوم ثلاثين مجاز ذكر قوله اياما معدودات يعني يعدها الخلق والله الموفق وقوله لعلكم تتقون ما حرم
عليكم من انواع اللذات بكف الانفس عن الذي يدعوا اليه من الاغذية او تتقون نقمة الله في الآخرة ومخالفته في العمل في الدنيا
وقد جعل الله جل ثناؤه عبادات اعوانا للعبادة دينا بها على الكف عن المعاصي والخلاف لله في الشهوات فقال استعينوا بالصبر
والصلوة وقال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وغير ذلك والله الموفق • والاصل ان العبادات تذكر اصحابها اعظم الاحوال
في اوقات فيها من المقام بين يدي الجبار وتطلعهم على الموعود لهم في المعاد وهما امران عظيمان احدهما في الزجر بما يعلم من عظم المقام
واطلاع الواحد القهار عليه والثاني في الترغيب بما يشعر قلبه من لذة الموعود ما يضمحل لديه كل لذة دونه وتنقطع شهواته
التي تحول بينه وبين ما وعد الله والله اعلم • ثم قال فمن كان منكم مريضا الآية من غير ان ذكر فطرا ولا اشار الى ما ذكر من السفر والمرض
اللذين جعلا له تاخير الصيام الى ايام اخر ولا اشار الى اعيان تلك الايام وكذلك قال مثله فيما كان عرف الوقت لابتداء الصيام
بقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر على اثر المعرف له بقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه لكن الفطر يعرف انه مضمر فيه بالعقل
والسمع • واما السمع فما جاء من الآثار في الاذن بالافطار للسفر والمرض ولان في ذكر العدة من ايام اخر اضمار فطر والله اعلم والعقل
ان الله تعالى جعل المرض والسفر سببي الرخص فلا يجوز ان يصير سببي زيادة فرض على ما كان قبل اعتراضهما على ان قوله يريد الله
بكم اليسر دليل انه لو كان يلزم القضاء مع فرض فعل الصوم لكان ذلك عسرا وحرجا في الدين وقد اخبر الله تعالى انه لم يجعل علينا
الحرج في الدين وعلى ذلك قال بعض الناس يلزمهما القضاء افطرا او لا محتجا بما لم يذكر في القرآن الافطار وذكر عدة من ايام اخر
كان جعل الوقت لهما غير الذي هو لغيرهما يؤيد ذلك المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصائم في السفر كالمفطر
في الحضر ومعلوم ان على المفطر في الحضر القضاء فكذلك الصائم في السفر ولكن الآية عندنا على الاضمار وعلى ذلك يجري ذكر
الرخص على اثر ذكر الحظر كقوله عز وجل حرمت عليكم الميتة الى قوله عز وجل فمن اضطر غير باغ ولا عاد الآية من غير ذكر الاكل انه على اباحته
وقال الله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله • ثم قال الله عز وجل فان احصرتم ولم يذكر منه الاحلال لكنه معلوم انه على الشك ما لم يوجد
اذ لا يكون العذر سبب الزيادة في الفرض وكذلك قوله عز وجل ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله ثم قال عز وجل فمن كان منكم
مريضا الآية وذلك على اطلاق الحلق ثم يلزمه الفداء لان الاذى والمرض يلزمانه فكذلك الاول • ثم الاصل انه لا احد يلزم فرض صيام الشهر
في غير ما لم يدرك الشهر وقد امر من عنيت ذكره فبان انه لزمه بادراك الشهر لادراك وقت الامكان بلا عذر وقال فعدة من ايام اخر
وقال ولتكملوا العدة ليعلم ان الذي يلزمه بالشهر في اوقات الامكان وذلك على ما يلزم الاحداث الطهارة لاوقات عباده لا تقوم دونها
وفضل الجنايات لاوقات الحلول وان تاخرت فكذلك امر الشهر دليله ما بينا وما ثبت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن صحابته
فعل الصيام في ذلك الوقت والفطر جميعا ثبت ان الصوم يجوز على المرض والسفر اذ هما لا ينفيان امكان الصيام بما جاز معهما
وقد امر به المتمتع وهو مسافر اذ ليس ذلك على حاضري المسجد الحرام وذابح الصيد والمتاذي بهما لا يضادان الصيام ثم كان القضاء عن الشهر
بظاهر التلاوة فبان انه يجوز فيهما واذا جاز ثبت ان التاخير رخصة والفضل في الفعل والله اعلم • والخبر على من جهده الصيام
حتى خنف عليه وكذلك ما جاء من الآثار ان ليس من البر الصيام في السفر والله اعلم • وعلى هذا يخرج قول اصحابنا في المكره على الفطر انه
ان كان مريضا او مسافرا لا يسعه ان لا يفطر لما جاء في ذلك من الوعيد في الفعل في السفر في حال الضرورة ويسعه لو كان صحيحا
مقيما لما لم يذكر له الرخصة ويلزمه فيه القضاء معافيه اذ لم يكن ظهر له ذلك في تلك الحال كان كف عنه تعظيما لامر دينه من غير ذكر
في الدين النهي عنه فهو في سعة وليس على اكل الميتة ما ليس في ذلك بذي بدل وقد فرق بين ذي بدل ولا بدل له فهاتلاف

مال آخر

مال آخر واكل الميتة ولان علته الاضطرار وليست علة الفطر في السفر تلك اذ قد يجوز لا لذلك فهو عذر النفس لا ضرورة
النفس فكانه غير معقول العلة وفيه تعظيم الدين وليس في اكل الميتة وما ذكر ولا قوة الا بالله • ثم السفر الذي له الرخص انه لم يرد به
المكان لما جاء الفطر في الامصار ثبت انه لنفس السفر ثم كان السفر حقيقة الظهور والخروج عن الاوطان • وقد تكون مثله في
في الخروج الى الضياع ونحوه ولم يؤذن في الفطر ثبت انه راجع الى الحد وعلى ذلك متفق القول ثم كان الحد المرخص عندنا الخروج
على قصد سفر ثلاثة ايام لخصال ثلث احدها الاجماع على ان هذا الحد مرخص ودونه تنازع والتنازع يوجب النظر لان الفتوى بالترخص
وفي ذلك امر بفعل الصيام والثاني مجيء الخبر من وجهين احدهما في تقدير مسح السفر بثلاثة ايام • ومعلوم انه جعل السفر حدا
ووقتا لفعل رخصته المسح واوقات الافعال على اختلافها يتفق على انها لا تقصر عن احتمال الافعال على الوفاء وليس على ما دون
الليالي في حق السفر عبرة لان الاسفار وان كانت مؤسسة على قطع الطرق والسير فيها فان دوام السير يجحف صاحبه
ويهلكه وفي ذلك منع السفر ثبت ان اوقات السعي والسير مشترطة داخلة في حق السفر لذلك صارت الليالي كالمعفوة فتكون
محيطة بما فيها من فضل المسح والثاني ما جاء من الاثر في النهي عن سفر ثلاثة ايام الا بمحرم وهو المنهي لما جاء به النهي وفيما دونه تنازع
لم يوجبا رخصة للاشكال انه حق لتمام ما له الرخصة على ما كان لما له النهي والله اعلم • والوجه الثالث ان السفر عذر والنهايات
في الاعذار الثلاث كذلك الايام اذ بها يسافر وقال موسى عليه السلام ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرا واما المرض فلم يجز ان يكون باسمه سببا للرخصة اذ ربما كان المرض يخفف الصيام ويسهل عليه سبيل فعله ومن البعيد
الترخيص بما يسهل فيه الفعل والتضييق لما يشتد فثبت انه ليس لاسم المرض وعلى ذلك الاجماع فهو والله اعلم لما يخاف انه يزداد
بترك الاكل الداء • ويتبع على المرء اكتساب الداء وتعاطي الضار به فرخص له الفطر بذلك وذلك معنى اليسر اذ به تخفيف ما به
او منع ما يعتريه من الضرر ولهذا ما رخص اصحابنا لمن به رمد يخاف الزيادة فيه • وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال للعطش المريض والحبلى اذا خافتا ان تضع ولدها والمرضع اذا خافت الفساد على ولدها ثبت ان الرخصة لما يخاف
من فساد يترك ولا قوة الا بالله وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مات من طعام
او شراب وهو يقدر فله النار وبالله المعونة • وقوله وعلى الذين يطيقونه قال قايلون يطيقون الفداء وذلك في الامر الاول
في المسافر والمريض ان لهما ان يقضيا في ايام اخر وان يفديا وفيه وان تصوموا خير لكم اي تقضوا الصيام والله اعلم اذ قد يحتمل
ايضا ان كانت الرخصة من قبل فيمن عليه الصيام بالخيار بين ان يصوم وبين ان يفدي وان تصوم خير على ما ذكر في الآية ثم نسخ
ذلك ان كان على التاويل الاول بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الآية انه لزم القضاء على كل حال • وان كان الثاني فقوله
فليصمه انه الزم الفعل على حال ويمثل ذلك خبر معاذ في احالة الصيام انه كان للمرء خيار بين الفطر والفداء وبين الصيام
ثم نسخ في قوله وان تصوموا خير لكم على اثر ذكر السفر والمرض لانه جعل الصيام في السفر خيرا من الفطر والفداء او القضاء في غيره
وان احتمل الذي ذكرت والله اعلم • ثم الدلالة على النسخ في الوجه الذي ذكرت متفق القول على ان المطلق لم يكن له الخروج من ذلك
بالفداء فبذلك عرف النسخ مع ما ثبت من قطع الآية على القضاء في احد الوجهين وفعل الصيام في الآخر وعلى ذلك معتبر القوم في الشيخ
الفاني الذي لا يقوم للقضاء ان له الفطر والفداء لان الصوم قد ثبت انه يحتمل الوفاء بالفداء لكن نسخ بالصيام فاذا رفع
الصيام بالعجز عمن يحتمل الخطاب بعبادات الاموال وهم المشايخ جاز ان يخاطبوا بالصيام ليخرجوا عنه بالفداء وعلى ذلك ما جاء عن
الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بالصيام عن الميت ان الصيام هو صيام من لا يحتمل فعله وهو الفداء والله اعلم وقد قرئ
يطوقونه بمعنى يكلفونه ولا يطيقونه لكن في الآية وان تصوموا خير لكم ولو كان لا يطيقونه لا يرغبون فيه الا ان يشترط فيه طاقة
الجهد والله اعلم وقوله عز وجل فمن تطوع خيرا من زيادة فداء او ما يستزيد من الخيرات التي لم يعترض ليعود به الخير او تطوع فيما اذنه
في الفداء بالصوم والله اعلم وروي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسموا شهر رمضان رمضان
فانما هو اسم من اسماء الله تعالى تسبوه الى ما نسبه لكم القرآن وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه اضاف عز وجل الفعل الى الشهر
بقوله فليصمه فلذلك اذا قصد به صوم الشهر جاز الصوم وان لم ينو الفرض سوى ما ذكرنا وكذلك ساير الفرايض نحو الظهر والعصر
ينوي ذلك فيكون ذلك على ما جعله الله من فرض وان لم ينو الفرض ولا قوة الا بالله • وعلى ذلك من نوى بالصيام غير صيام الشهر

انه لم يختص بالمكان الخاص وهو الفلا وزمانه رخص في الامصار حالة السفر

ولهذا رخص اصحابنا لمن به علة يخاف الزيادة فيه بالمرض ترك الصوم شرح

عن صيام الشهر لما امرنا بصيام الشهر ولم نؤمر بان نجعل ذلك لشيء سواه والشهر موجود لنفسه لا يحتاج صاحبه الى ان يوجب كان
من ذلك الفعل كل حال وكذلك كل حق معين في شيء لم يزل عنه نيته الى غيره كمن امر انسانا بشرى شيء بعينه لم يتحول عنه بالنية على ان ذلك
كالظهر والعصر ونحو ذلك فحال على تحقيق ذلك التعقد بعين وبعد فان كلا يجمع ان لا يجوز غيره فثبت ان استحقاق الشهر بصومه لا يستحق
عليه غيره من الصيام فجاز عنه وعلى ذلك اجاز ابو حنيفة في السفر غيره من حيث ان له في تاخيره هذا وغيره فرض عليه نحو صوم الظهار
والقتل ولا رخصة له في تاخيرهذا وغيره فرض عليه نحو صوم الظهار والقتل ولا رخصة له في تاخيره فجاز فيه اذ هو وقت صيام حول
الموقت غيره فصار هذا الوقت بالحكم لغيره وليس كنية المتطوع لانه في موضع الرخصة وفي العمل به قد يكون لها مقدار التطوع و
من الفضل على غيره فهو اولى به ولما فيجوز الفعل بلا نية نفل فكانه لم ينو النفل فهو رجل لم يعمل برخصة الله بل عمل بوجه العزم
ولا قوة الا بالله **وقوله** لعلكم تتقون قيل تتقون الاكل والشرب والجماع ويحتمل تتقون المعاصي لان النفس اذا جاعت شبعت عن جميع
ما تهوى وتشتهي واذا شبعت تمنت الشهوات وتمنى ما تهوى ويحتمل تتقون عذاب الله وعقابه **وقوله** فمن كان منكم مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر الزم بعض الناس على المريض والمسافر قضاء عدة الايام وان صاموا فاستدلوا بظاهر الاية فقالوا اوجب
عليهم القضاء على غير ذكر الافطار فيها واحتجوا ايضا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصايم في السفر كالمفطر
في الحضر فقد حقق له حكم الافطار في ان لا صوم له فدل انه لم يجز فكان كالتقديم الصوم عن وقته واما عندنا فهو على اضمار الافطار
كانه قال فمن كان منكم مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر وهو كما ذكر عز وجل في المتاذي من كان به اذى من راسه
ففدية اي من كان اذى فرفع من راسه ففدية وكما قال في المضطر فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ومثله كثير في القرآن
فلا يجوز لاحد ان ياتي ذلك ولان المرض والسفر اعذار رخص الافطار فيها تخفيفا وتوسيعا على اربابها فلو كان على ما قال هو
لكان فيه تضييق عليهم ولانه اذا قضى في عدة من الايام انما يقضي عن ذلك الوقت فلو لم يجز الفعل في ذلك الوقت وفي تلك
الحال لكان لا يامر بالقضاء عن ذلك الوقت ولا عن تلك الحال فدل انه على ما ذكرنا والله اعلم واصله ما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه صام في السفر وروي انه افطر وروي عن الصحابة انهم صاموا في السفر ولو كان لا يجوز لكان لا معنى لصومهم
واما قوله الصايم في السفر كالمفطر في الحضر فهو عندنا اذا كان الصوم اجهده وضعفه لزمه ان يفطر صار كالذي
افطر في الحضر والله اعلم وروي عن انس رضي الله عنه انه قال الصوم افضل والفطر رخصة وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه
قرا بعضهم وعلى الذين يطيقونه معناه يكلفونه وقال بعضهم لا يطيقونه لكن هذا لا يحتمل وذلك انه قال وان تصوموا خير لكم
دل ان قوله لا يطيقونه لا يحتمل وقيل كان اول ما نزل الصوم كان من شاء صام ومن شاء افطر واطعم مسكينا كل يوم فلما نزل
صوم شهر رمضان نسخ ما كان قبله عمن يطيق الصوم وبقيت الرخصة لمن لا يطيق نحو الشيخ الفاني والحبلى والمرضع اذا خافت
على ولدها وقيل وعلى الذين يطيقونه اي الفدية وقيل وعلى الذين يطيقونه ثم عجزوا فدية طعام مسكين كل يوم وقيل انها في المريض
والمسافر ان شاء افطر وقضيا وان شاء افطر وفديا لكن ذلك كله منسوخ بما ذكرنا بنزول شهر رمضان وروي عن انس
رضي الله عنه انه قال احيل الصوم احوال ثلاثة مرة يقضي ومرة يطعم ومرة يصام ثم نسخ هذا كله ثم الاصل في هذا ان من عجز
عن قضائه جعل له الخروج بالفداء بعجزه عن ابتداء نحو الشيخ الفاني وغيره ومن لم يعجز عن قضائه لم يجعل له الخروج بالفداء نحو
المرضع والحبلى والمريض والمسافر لانهم لم يعجزوا عن غير المفروض والبدل انما يجب اذا عجزوا عن اتيان الاصل والله اعلم وقوله
فمن تطوع خيرا يحتمل زيادة الطواف ويحتمل نفس الحج ويحتمل اصل التطوع ان كل ما يتطوع به فهو خير له اذا تطوع في الاصل خير
وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وقوله عز وجل والفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان المخرج
في الدين من الشبهة والضلالة قال ابن عباس رضي الله عنه نزل الى السماء الدنيا من اللوح جملة في شهر رمضان في ليلة القدر
في ليلة مباركة جملة واحدة ثم انزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلا في الشهور والايام على قدر الحاجات **وقوله** عز وجل هدى
للناس يهتدون به الى الطريق المستقيم وقيل بيان للناس من الضلالة وبينات قيل حجج للناس اذا تاملوه وقيل البينات اي فيه
الحلال والحرام والاحكام والشرايع وقوله تعالى والفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان المخرج في الدين من الشبهة
والضلالة **وقوله** عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه يحتمل قوله فمن شهد منكم الشهر وهو مقيم صحيح فليصمه ثم رخص للمريض

يحتمل فمن تطوع زيادة على ما يجب عليه من الفداء عن صومه فهو خير له

اي الناس دخلوا عليه بعد موته ارسالا يصلون عليه الافواج يتبع بعضهم بعضا الواحد برسل

اي انزل على حسب الحوادث نجما نجما على طريق التتابع في كل اعتبار ووقت الحادثة

والمسافرالافطار

والمسافر الافطار بقوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ويحتمل قوله فمن شهد منكم الشهر اي من شهد
منكم بعقله الشهر فليصمه فلا يدخل في الخطاب المجانين ولا الصبيان الا ترى ان اول الخطاب خرج للمومنين بقوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام فهولاء لم يدخلوا فيه فدل ان قوله فمن شهد منكم الشهر اي شهد منكم بعقله فليصمه
ثم يحتمل ان يكون فرضية الصوم بقوله عز وجل فليصمه فيحتمل لا بهذا ولكن بقوله ولتكملوا العدة اذ لا يجب اكمال العدة لما يمحى
الا على حق الفرضية والثاني قال يريد الله بكم اليسر بما رخص للمريض والمسافر الافطار ولو كان غير فرض لم يكن لما ذكر
من الامتنان علينا بالتيسير معنى لان المنة لا تذكر فيما له تركه فدل انه فرض ويحتمل ان يكون فرضيته بقوله عز وجل كتب
عليكم الصيام لان قوله كتب قيل فرض فدلت هذه الايات على انه فرض ثم اختلف في قضاء ما فات منه برخصة الافطار
في السفر او في المرض قال بعضهم لا يجوز الا متتابعا وكذلك روي في حرف ابي بن كعب في قوله فعدة من ايام اخر متتابعات
واما عندنا فانه يجوز متتابعا ومتفرقا اتباعا بما روي عن خمسة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا ان شاء
تابع وان شاء فرق سوى ان عليا رضي الله عنه قال يتابع لكنه ان فرق جاز ثم من علي وعبد الله بن عباس وابي سعيد
الخدري وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم واخر لست اذكره انهم قالوا يجوز ذلك ولا يحتمل ان كان التتابع شرطا فيه خفي
ذلك على هولاء او تركوه ان عرفوه فدل انه لا يصح ذكر التتابع شرطا فيه وليس كالذكر التتابع في صوم كفارة اليمين في حرف
ابن مسعود رضي الله عنه لانه لم يخالفه احد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين في ذلك فصار كالمتلو وها هنا قد خالف
ابيا في حرفه فلم يصر كالمتلو لذلك افترقا والله اعلم وافترقا وقراة ابي ان ثبت عنه فهو على الادب لما ذكر من اجماع الصحابة
رضي الله عنهم وبما انه وجب بوقت وكل ذي وقت فليس التتابع بشرط فيه في غير ذلك الوقت ولو كان التتابع شرطا لكان
حق الافطار يلزم الكل حتى يكون القضاء موصولا او الابتداء فاما اذا جاز التفريق بين بعض له حكم الابتداء وبعض له حكم القضاء
جاز في غيره من الابعاض اذ كل ذلك له في الابتداء جاز الفعل والترك فصار حق كل يوم في القضاء لنفسه لا لغيره اذ كذلك
حقه في الترك القضاء وفي الفعل الابتداء ولا قوة الا بالله وما ذكر من المسايل فهو مبنية على هذا الذي ذكرت ان التتابع
للفعل لا يحتمل اعتراض رخصة التفريق على امكان الجمع شرط فيه يحتمل صوم كل يوم على الانفراد ان يوخر فعله في الشهر
بالرخصة عن غيره كذلك القضاء والله اعلم وبعد لو كان التتابع شرطا لم يكن لقوله فعدة من ايام اخر وقوله عز وجل ولتكملوا
العدة كبير فايدة لان في التتابع شرط الجملة لا ان يتكلف له العدد وعلى الرجل ان يتم المدة التي للقضاء الا ان يحفظ الحساب
لاكمال العدة والله اعلم والاصل ان كل صيام يومر بالتتابع بحيث الفعل يكون التتابع شرطا فيه حيث امكان الفعل وكل صوم
يكون التتابع فيه بحيث الوقت ففوت ذلك الوقت يسقط حق التتابع ولهم على هذا مسايل اذا قال لله علي ان اصوم شعبان
فلزمه ان يصوم متتابعا لكنه اذا فات شيء منه يقضي ان شاء متتابعا وان شاء متفرقا لان التتابع بحيث الوقت تسقط لسقوطه
ولو قال لله علي ان اصوم شهرا متتابعا يلزمه ان يصوم متتابعا لا يخرج من نذره الا به لان التتابع ذكر للصوم فهو لا يسقط
عنه ابدا والثاني ما قال عز وجل يريد الله بكم اليسر واليسر رخصة لم يجز ان يجعل فيه ما هو والله اعلم
ثم في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه دلالة انه اذا صام عن غيره الى غيره حرف اعتراض لامر واشتراك
في حكمه ونسال الله العصمة عن الزيغ عن الحق واما قوله عز وجل يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قالت المعتزلة من صام
في السفر او في المرض فعل ما لم يرد الله لان الله عز وجل اخبر انه لم يرد العسر وانما اراد اليسر فاذا صام في المرض او في السفر اراد
العسر والله تعالى اخبر انه لم يرد فدل انه فعل ما لم يرد الله لكن الوجه عندنا ان قوله يريد الله معناه اراد الله بكم اليسر لما رخص لكم
الافطار في السفر لانهم اجمعوا على ان الصوم في السفر افضل والافطار رخصة ولا جايز ان يقال لم يرد الله ما هو افضل
واراد ما هو دونه على توهمهم ولكن يقال اراد لمن افطر اليسر واراد لمن ترك الافطار العسر واراد به نافذة فلا جايز ان ينفذ
في وجه ولا ينفذ في وجه اخر **وقوله** عز وجل يريد الله بكم اليسر اي يريد ان تيسر عليكم بالاذن في الفطر لا ان يعسر عليكم
بالنهي عنه وقد يحتمل الفعل لكنه لم يذكر عن احد ان الله تعالى اراد به اليسر فصام فثبت ان الارادة موجبة معها لا يحتمل على توهمهم
ان يكون الصايم في السفر غير مراد وقد قضى فرض الله واطاع الله فيه والمعتزلة يقولون بالارادة في كل فعل الطاعة فصار

عن العزيمة **وقوله** ولتكبروا الله على ما هداكم قيل يعني تعظموا الله على ما هداكم لامر دينه ويجوز ان يريد بالتعظيم الامر
بالشكر لما انعم عليهم من انواع النعم من التوحيد والاسلام وغيره ولعلكم تشكرون ربكم بهذه النعم التي انعمها عليكم ويحتمل
امرا بالتعظيم لله والشكر لما رخص لهم الافطار في السفر والمرض والله اعلم **وقوله** واذا سالك عبادي عني فاني قريب هو
على الاضمار والله اعلم كانه قال واذا سالك عبادي اين انا عن اجابتهم فقل لهم اني قريب يحتمل قوله اني قريب وجوها يحتمل
قريب الاحسان والبر والكرامة لمن اطاعني ويحتمل اني قريب قرب العلم والاجابة لا قرب المكان والذات كقرب بعضهم من بعض
في المكان لانه كان ولا مكان ويكون على ما كان وكذلك قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الاية وكقوله ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون كل ذلك يرجع الى قرب العلم والاحاطة وارتفاع الجهات
لا قرب الذات على ما ذكرنا وان كانت القصة على ما قاله بعض اهل التفسير بان اليهود قالوا كيف يسمع ربك دعانا
وانت تزعم ان بيننا وبين السماء مسيرة خمس مائة عام وان غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام فنزل قوله فاذا سالك عبادي
عني فاني قريب هذا لما لم يعرفوا الصانع الا ترام حيث جعلوا لله الولد وجعلوا لله شركاء مخرج سؤالهم ان كان مخرج سؤال المتعنت
لا سؤال المسترشد **وقوله** اجيب اي قيل دعوة الداع يعني توحيد الموحد وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله
ادعوني استجب لكم اي وحدوني اغفر لكم وقيل اجيب دعوة الداع على حقيقة الاجابة **وقوله** فليستجيبوا لي اي الى ما دعوتهم
يحتمل على ما ذكرنا في قوله اجيب لكم اذا استجبتم لي بالطاعة والايتمار ويحتمل اجيب لكم اذا اخلصتم الدعاء لي ويحتمل على ابتداء
الامر بالتوحيد كانه قال وحدوني الا ترى انه قال وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون اذا فعلوا ذلك **وقوله** احل لكم ليلة الصيام
سماه ليلة الصيام الليل يضاف الى يومه كانه قال ليلة يوم الصوم وان لم يكن فيها صوم في الحقيقة لانتظار الصيام فيها بالنهار
على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال المنتظر الصلاة ما دام ينتظرها وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
اضاف الصوم الى الشهر يدخل فيه الليل والنهار لان اسم الشهر يجمع الليل والنهار جميعا **وقوله** الرفث الى نسائكم قيل الرفث الجماع
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل الرفث هو حاجات الرجال الى النساء من نحو الجماع والمس والتقبيل وغيره **وقوله** هن لباس لكم
وانتم لباس لهن قيل هن ستر لكم عما لا يحل وانتم ستر لهن ايضا يعف الرجل بالمراة والمراة بالرجل وقيل سكن لكم وانتم سكن لهن
يسكن الزوج بالزوجة والزوجة بالزوج وهو كقوله وجعلنا الليل لباسا اي سكنا لكم الليل لتسكنوا فيه ويحتمل ان يكون
احدهما لباس الاخر بالليالي والله اعلم **وقوله** علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تختانون وتخونون واحد قيل نزلت الاية
في شان عمر رضي الله عنه وذلك ان الناس اذا صاموا ثم نام احد منهم حرم عليهم الطعام والجماع حتى يفطر من الغد فواقع
عمر رضي الله عنه امراته بعد ما نام او نامت فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فنزل قوله علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم اي تظلمون لان كل خاين ظالم نفسه فتاب الله عليه وعفا عنه ثم رخص لهم المباشرة بقوله فالان باشروهن
على الرخصة وهو على الاباحة لا على الامر به **وقوله** وابتغوا اي ابتغوا ما كتب الله لكم قيل فيه بوجوه قيل ما كتب الله لكم من الولد وقيل
ما كتب الله لكم من ليلة القدر وما فيه من نزول الرحمة وقيل ابتغوا اي ابتغوا ما كتب الله لكم من الرخصة والاباحة في الجماع في ليلة الصيام
والاكل بعد النوم وهو كما جاء ان الله يحب ان تقبل رخصه كما يحب ان تقبل عزايمه فليس منا **وقوله** وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود من الفجر ذكر عن عدي بن حاتم انه قال كنت اضع خيطين تحت وسادتي بعد نزول هذه الاية احدهما ابيض والاخر اسود
فكنت انظر فيه متى ما يتبين لي الى ان اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فقال ان وسادتك لعريض يعني ان الفجر
هو المعترض في الافق وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يغرنكم الفجر المستطيل انما الفجر المستطير في الافق
وروي انه قال الفجر فجران فجر مستطيل في السماء وفجر مستطير في الافق وهو الذي يحرم الطعام على الصايم ويحل الصلوة
وروي انه قال لا يغرنكم اذان بلال فانه انما يؤذن بالليل ليوقظ نايمكم ويرجع قايمكم وفي بعض الاخبار قال لا يغرنكم اذان
بلال عن سحوركم فانه انما يؤذن بليل وكلام نحو هذا والاصل في هذا ان الله عز وجل جعل حد الصيام من وقت تبين وقت
النهار الى وقت غيبوبة الشمس واباح من وقت غيبوبة الشمس الى وقت تبين النهار الطعام والشراب والجماع تحقيقا منه
وقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اختلف في المباشرة قيل المباشرة عني به الجماع وما دون الجماع فانما نهوا عنها

كني بذلك عن عرض قفاه وعظم راسه وذلك دليل الغباوة من الغايت

وفي رواية انك لعريض القفا هو الليل من النهار وهو كناية عن قلة العلم

وقيل المباشرة

وقيل المباشرة كناية عن الجماع ثم قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فيه دلالة ... الاية كما نزلت في بلوتها
لان كانوا يباشرون نساءهم في المساجد لان المساجد كان اجل عندهم من ان يجعلوها مكانا للوطء النساء ولكنه والله اعلم لان الاعتكاف
هو اللبث في مكان ياخذ الحق فيه نفسه عند كونه في المسجد وخروجه منه فذكر ان العكوف نفسه يحرم الجماع في الاحوال كلها
ليس كالصوم الذي يحرم حالا دون حال في الوقت الذي لم يكونوا يعلمون ان حكم المقام في المساجد ... لهم والسوام فيها
ولو لم يكن شرطا في ذلك لان قوله وانتم عاكفون في المساجد ... في المساجد ... المباشرة والله اعلم وفيه دليل
ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد يخص المساجد دون غيرها من الامكنة وفيه دليل ان المعتكف لا يخرج من معتكفه
لكنه لا يخرج الا لما لا بد منه على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يخرج الا لحاجة الانسان وحاجة
الانسان يحتمل وجهين يحتمل البول وما يرفع اليه من الحوائج ويحتمل حاجته لان الانسان للحاجة المعروفة التي لا يحتمل قضاؤها في المسجد
ثم الصنوف ... بالخروج في العكوف بوجهين مرة في نفسه ومرة في ... وبهذا يقول اصحابنا رحمهم الله وفي فرضية
الخروج الى الجمعة لانه اعتكف على ... لا يشهد الجمعة لا يؤذن له في ذلك لما جاز ان يؤذن ... بايجاب قربة ليست عليه بتضييع
اخرى هي عليه لذلك كان ما ذكرنا فان قيل وروي انه كان يخرج لاتباع الجنائز وعيادة المريض قيل ان ثبت هذا فهو
انه يخرج لوجه اذن له بالخروج لذلك الوجه فخرج عاد مريضا وشهد جنازة ... ولو كان يؤذن لذلك
لكان يؤذن له لكل قربة اذا شيعها الجنازة الكافي فسقط ... التشييع فاذن ... ونحو هذا وهذا مثل ما اذن
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك دليل ان الخبر على ثبت والله اعلم وروي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
من السنة ان لا يخرج المعتكف من معتكفه ... عن عايشة رضي الله عنها من خبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه على انه
ان ثبت وقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فيه دليل ان الاعتكاف يكون في جميع المساجد لانه عم المساجد
وما روي عن لا اعتكاف الا في المسجد الحرام ان ثبت فهو على التناسخ لان النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف في مسجد
المدينة فدل فعله انه منسوخ والله اعلم **وقوله** تلك حدود الله فلا تقربوها قيل تلك المباشرة معصية فلا تقربوها في
في الاعتكاف نحو الامر ان لا تقربوها وقيل انه جعل لكل طاعة وامر ونهي حدا وغاية فلا يجاوز ولا ينقص عنه وقيل تلك
فرايض الله وقيل تلك سنن الله وكان الاول اقرب **وقوله** ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام قيل لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل ولا تدلوا بها الى الحكام وقراءة ابي فلا تدلوا بها الى الحكام وجهان على اضمار لا كقوله ولا تلبسوا الحق
بالباطل وتكتموا الحق اي ولا تكتموا اموالكم بينكم بالباطل بما تلبسوا على الحكام وتقيموا على ذلك حججا باطلة على ما جاء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق اخيه المسلم فكانما قضيت له
بقطعة من النار **وقوله** ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل جعل مال اخيه كماله وتفس اخيه كنفسه لقوله تعالى ولا تقتلوا
انفسكم فاذا اكل مال اخيه بالباطل لزمه مثله جعل كاكل ماله بباطل وجعل قتل نفس اخيه بالباطل كقتل نفسه بالباطل
لانه اذا قتله بباطل قتل به ثم من الناس من استدل بهذا على ابي حنيفة رضي الله عنه فيما يقول بمضي العقد اذا شهد الشهود
على ذلك عند الحاكم وقضى به ثم ظهر ان الشهود شهود زور حيث قال ولا تاكلوا وما روي من التوعيد للاخذ مكان ما اخذ
قطعة من نار فاذا لم يحل ذلك لم يمض العقد غير ان الاصل عندنا في كل ما لو اجتمع الخصمان على ذلك السبب جعل ذلك لهما فاذا قضى
الحاكم بذلك السبب نفذ **وقوله** لتاكلوا فريقا من اموال الناس يعني طايفة من اموال الناس **وقوله** يسالونك عن الاهلة يحتمل
قوله يسالونك اي سالوك عن الاهلة والله اعلم هو انهم لما راوا الشمس تطلع دايما على حالة واحدة وراوا القمر يختلف الاحوال
من الزيادة والنقصان فحملهم ذلك على السؤال عن حال القمر فاخبر عز وجل انه جعل الهلال معرفة الخلق الاوقات والاجال
والمدد ومعرفة وقت الحج لانه لو جعل معرفة ذلك بالايام لاشتد حساب ذلك عليهم ولتعذر معرفة السنين والاوقات
بالايام فجعل عز وجل بلطفه ورحمته الاهلة ليعرفوا بذلك الاوقات والاجال ويعرفوا وقت الحج ووقت الزكوة طلبا للتخفيف
والتيسير عليهم ثم قال هي مواقيت والحج جعل الاهلة كلها وقتا للحج ولهذا ما قال اصحابنا انه يجوز الاحرام في الاوقات كلها على يجوز
بقاء الاحرام في الاوقات كلها واما افعال الحج فانها لا يجوز الا في وقت فعل الحج وهو قوله الحج اشهر معلومات فانما هي على افعال

لان الاية نزلت في قوم كانوا معتكفين في المساجد وكانوا يخرجون ويقضون حاجتهم في الجماع ثم يغتسلون ويرجعون الى معتكفهم لا انهم كانوا يفعلون في المساجد لينتهوا عن ذلك حيث ان النهي ورد عن المباشرة في حال الاعتكاف مطلقا شرح

اذ ذاك فرض كفاية يسقط باداء البعض

والاية والحديث في القضاء ... وبه نقول شرح

فيه دليله قوله فمن فرض فيهن الحج ولا تعرض من الحج فى غير الاحرام دل انه عنى به افعال الحج وقد جاء انه سمى الاحرام على الانفراد حجا سمى الطواف بالبيت حجا والوقوف حجا وقال الحج عرفة وسمى الذبح حجا حيث قال افضل الحج العج والثج وانما سمى كلا منها حجا لما جعل لها اوقاتا معلومة يؤدى فيها واما الاحرام فانه جعل الاشهر كلها وقتا له بقوله يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج وقوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها لان معنى لعطف هذا على الاول الا على اضمار السؤال كانهم سألوا عن الاهلة وعن اتيان البيوت من ظهورها فاخبر ان ليس البر فى اتيان البيوت من ظهورها ولكن البر فى التقى ثم اختلف فى قصة هذا الكلام قال بعضهم ان بعض العرب اذا احرم احدهم لم يدخل بيته من بابه ولكن يدخل من ظهر البيت مخافة تغطية الراس اذا دخل من بابه وقيل ان بعض العرب اذا خرج احدهم لحاجة فلم يقض حاجته فرجع لم يدخل البيت من بابه ولكن كان يدخل من وراء ظهره يكره دخول بيت من مخرج يتطيرون به ويتالفون قضاها ثانيا فقال الله عز وجل ليس البر فيما تصنعون ولكن البر من اتقى واتبع امر الله وانتهى عما نهى عنه وياتى البيوت من ابوابها ويحتمل ان يكون على التمثيل والرمز ليس على التحقيق كقوله فنبذوه وراء ظهورهم وكقوله فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فهو ليس على حقيقة الطرح وراء الظهر ولكن كانوا لا يسمعون كلام الله ولا يعبؤن به وكذلك كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمعونه ولا يكترثون اليه فاخبر انه كالمنبوذ والمطروح وراء الظهر لما لم يعملوا به فعلى ذلك الاول اخبر ان ليس البر فى ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والايتمار بامره اى ليس فعل البر مخالفة محمد عليه الصلوة والسلام ولكن البر فى الاتباع له والايتمار بامره وقال القرامطة ان المراد من الابواب هو على بن ابى طالب رضى الله عنه والبيوت هو رسول الله صلى الله عليه وسلم امروا باتيان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من عند على رضى الله عنه على ما جاء انه قال انا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد الدخول فى البيت لا بد من ان ياتى الباب فيدخل من الباب لكن الجواب لقولهم على قدر ما تأولوا انه ذكر البيوت وذكر الابواب ايضا والبيوت كثيرة والابواب كذلك ايضا فعلى وغيره من الصحابة من نحو ابى بكر وعمر وعثمان رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فيه شرع سواء الا ترى انه قال انا مدينة الحكمة والمدينة لا يعرف لها باب واحد بل يكون لها ابواب فدل ان تاويلهم فى على رضى الله عنهم خاصة لا يصح وبالله العصمة وقوله واتقوا الله اى اتقوه ولا تعصوه ولا تتركوا امره وانتهوا عن مناهيه وقوله وقاتلوا فى سبيل الله سبيل الله دينه وطاعته اى فى اظهار دينه قيل هى اول آية نزلت فى الامر بالقتال وقيل اول آية نزلت فى الامر بالقتال قوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ويحتمل انه اخبر كانهم نهوا الا ثم اذن لهم فقاتلوا فانكر عليهم فانزل الله انه اذن لهم اخبارا فلا ندرى ايهما اول ولكن فيه الامر بالقتال والنهى عن الاعتداء هاهنا قيل هو نهى عن قتل الذرارى والنساء والشيخ الفانى على ما جاء انه بعث سرية اوصى لهم ان لا يقتلوا وليدا ولا شيخا وقيل نهاهم ان يقاتلوهم فى الشهر الحرام الا ان يبدؤهم المشركون بالقتال والله اعلم وقوله ان الله لا يحب المعتدين انه لا يحب الاعتدا لم يحب من اعتدى وقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم قيل لفظ الحيث يعتبر عن المكان ففيه اذن بقتلهم فى جميع الامكنة وفى تعميم الامكنة تعميم الاوقات فهو على عموم المكان الا فيما استثنى من المسجد الحرام مطلقا واما قوله يسئلونك عن الشهر الحرام فالاستثناء فيه مقيد فلا يخرج عن ذلك العام والله اعلم ثم منهم من جعل لهم القتل فى الحرم وفى اشهر الحج بظاهر هذه الآية ومنهم من قال لا يقتل فيهما جميعا وقال اصحابنا رحمهم الله يقتل فى اشهر الحرم ولا يقتل فى الحرم الا ان يبدأهم بالقتال فحينئذ تقتلهم وكذلك يقولون فيمن قتل آخر ثم التجا الى الحرم لم يقتل فيه ولكن لا يؤاكل ولا يشارب ولا يجالس حتى يضطر فيخرج فيقتل واذا قتل فى الحرم يقتل فعلى ذلك لا يقاتل فى الحرم الا ان يبدأوهم بالقتال فعند ذلك يحل القتل وانما لم يحل القتال فى الحرم الا ان يبدؤهم بالقتال فعند ذلك يحل القتل وانما لم يحل القتال فى الحرم الا ان يبدؤهم به وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل فى الامكنة كلها بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه استثنى الحرم دون غيره من الاماكن واما قوله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ظاهر هذه الآية يحرم القتال فى اشهر الحج لكن فيه دليل حل القتال بقوله والفتنة اكبر من القتل يعنى بالفتنة الشرك جعل القتل فيه كبيرا ثم اخبر ان الشرك فيه اكبر واعظم من القتل

فلما قدموا على ذلك انكر عليهم الكفر محتجا عليهم بان القتال حرام فى شهر نعتكم فانزل الله

فاما قوله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ليس باستثناء للقتال فى الشهر الحرام مطلقا بل مقيد كانه قال قل قتال فيه كبير او لا صد المشركين المسلمين عن سبيل الله والكفر بالله تعالى واخراج اهل مكة عنها فاذا فعلوا ذلك فليس بكبير بل ذلك اكبر عند الله من قتلهم واذا كان مقيدا فلا يخرج من العموم شرح

فالاصل عندنا

فالاصل عندنا ان الابتلاء اذا كان من وجهين يختار الايسر منهما والاخف فلذلك قلنا انه يختار القتل فى الحرم على بقاء الفتنة وهو الشرك انه اكبر واعظم والله اعلم وقوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم يحتمل قوله اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم عام الحديبية ويحتمل ان امرهم بان يضيقوا عليهم ويضطروهم الى الخروج كما فعل اهل مكة بهم ويحتمل الاخراج على ما جاء الا لا يحجن مشرك بعد عامى هذا ويحتمل ان يمنعوهم عن الدخول فيه كقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور المنع عن الشرك اخراجا وقوله والفتنة اشد من القتل اى الشرك اعظم جرما عند الله من القتل فيه وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كما ذكرنا ان هذا وقوله واقتلوهم كله يخرج من المجازاة لهم وفيه لغة اخرى ولا يقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فاذا قتلونا لا سبيل لنا ان نقتلهم فما معنى هذا قيل يحتمل قوله ولا تقتلوهم حيث يقتلوكم اى اذا قتلوا واحدا منكم فحينئذ تقتلونهم او لا تقتلوهم حتى يبدؤهم بقتلكم او ان يقول لا تقتلوهم حتى يقتلوا بعضكم فاذا فعلوا ذلك فحينئذ تقتلونهم والله اعلم وقوله كذلك جزاء الكافرين اى هكذا جزاء من لم يقبل نعم الله ولم يستقبلها بالشكر ويحتمل كذلك جزاء من بدأ بالقتال فى الحرم ان يقتل وقوله فان انتهوا فان الله غفور رحيم يحتمل وجهين فان انتهوا عن الشرك واسلموا يتغمدهم الله برحمته ويحتمل فان انتهوا عن بدء القتال واسلموا فان الله يرحمهم ويغفر ذنوبهم وقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة انما امرنا بالقتال مع الكفرة ليسلموا فان قيل ايش الحكمة فى قتل الكفرة وهو فى الظاهر غير مستحسن فى العقل قيل انا نقاتلهم ليسلموا ولا نقتلهم الا ان يأبوا الاسلام فاذا ابوا ذلك ثم لم نقتلهم لا يسلمون ابدا لذلك قتلناهم اذ فى القتل ذهاب الفتنة ويحتمل قاتلوهم حتى لا تكون فتنة على وجه الارض اى تطهر من الشرك وقال قوم الفتنة هاهنا العذاب اى قاتلوا حتى لا يقدروا عليه كفار وقوله ويكون الدين لله اى يكون الدين دين الله فى الارض لا الشرك والدين الحكم

حتى لا يقدر الكفار على عذاب المسلمين

وقوله فلا عدوان الا على الظالمين فان قيل فاذا صار الدين كله لله فلا ظالم هنالك فما معنى هذا الكلام قيل يحتمل لا عدوان الا على الظالم الذى احدث الظلم من بعد ويحتمل ان لا عدوان الا على من بقى منهم مع الظلم فان قيل فلم سمى عدوانا والعدوان هو ما لا يحل قيل لانه جزاء العدوان لم يكن هو فى الحقيقة عدوانا فسمى باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة وان لم يكن هو سيئة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وكما سمى جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن فى الحقيقة اعتداء فكذلك الاول وقوله الشهر الحرام بالشهر الحرام قيل خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى الشهر الحرام يريد مكة فصده المشركون عن دخولها فجاء من عام قابل فى الشهر الحرام فدخلها واقام ثلاثا وقضى عمرته التى فاتته فى العام الاول وسميت عمرة القضاء فذلك تاويل قوله والحرمات قصاص هذه الثانية صارت قصاصا بالاول وقيل ان اهل الجاهلية كانوا يعظمون الشهر الحرام ولا يقاتلون فيه فلما ان ظهر الاسلام عظم اهل الاسلام ايضا ولم يقاتلوا فيه حتى جعل الكفار يغيرون على اهل الاسلام ويستنصرون عليهم حتى نسخ ذلك وامروا بالقتال فيه بقوله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم كما تدل لما هتكتم من حرمة الشهر قصاص لما هتكوا وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله واتقوا الله يحتمل اتقوا مخالفة الله او اتقوا عذاب الله وقوله واعلموا ان الله مع المتقين يعنى مع المؤمنين جملة ويحتمل اتقوا القتال فى الحرم قيل ان يبدؤهم فان الله مع المتقين فى النصر والمعونة لهم وقوله وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل فيه بوجوه قيل بالانفاق ترغيبا بالخروج الى الجهاد والا فكل منفق على نفسه بما يعلم حاجته اليه ولا يلقى نفسه فى الهلاك من حيث منع الانفاق وقيل فى قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هو ان يذنب ذنبا ثم ييأس عن العفو عنه وقيل وانفقوا اى لا تظنوا بالانفاق مخافة الفوت فى الوقت الثانى فانه يخلف لكم ما انفقتم وقيل انفقوا اى اعينوا اصحابكم ولا تلقوهم الى التهلكة بترك المعونة لهم بالانفاق والتجهيز لهم وقيل تصدقوا فان فيه حياة ابدانكم وانفسكم وقوله واحسنوا قيل احسنوا الى اصحابكم بالاعانة والتصدق وقيل احسنوا الظن بالله فى الانفاق وقيل احسنوا الظن بربكم فى الخروج الى الغزو ويحتمل واحسنوا اى اسلموا وعلى ذلك يخرج قوله ان الله يحب المحسنين يعنى المؤمنين وقوله واتموا الحج والعمرة لله

اختلفوا في تاويله وفي قراءته قال بعض الناس العمرة فريضة بهذه الآية لانه امر باتمامها كما امر باتمام الحج وقيل هي الحجة الصغرى واما عندنا فهي ليست بفريضة وليس في قوله اتموا الحج والعمرة لله دليل فرضيته لانا لم نعرف فرضية الحج بهذه الآية ولكن انما عرفناه بقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ثم في الامر بالاتمام وجوه احدها انهم كانوا يفسخون الحج بالعمرة فامروا باتمامها على ما روي عن عمر رضي الله عنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء والثاني انهم كانوا لا يجعلون العمرة لله فامروا بجعلها لله وعلى ذلك روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا واقيموا الحج والعمرة لله فالامر باتمامها ان تحرم من دويرة اهلك • واحتج اصحابنا رحمهم الله ايضا بما روي عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله العمرة واجبة هي قال لا وان تعتمر خير لك • وروي ايضا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الحج مكتوب والعمرة تطوع وفي بعضها قال الحج جهاد والعمرة تطوع وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الحج فريضة والعمرة تطوع وعن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله كل اهلك يرجع بحجة وعمرة غيري قال انفري فانه يكفيك الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا والاصل احتج اصحابنا ايضا بشيء من النظر وذلك ان الله فرض الصلوة والزكوة والصيام في اوقات خصها بها واجمع اهل العلم ان المتطوع بالصدقة والصلاة والصيام يفعل ذلك متى شاء ثم اجمعوا ان العمرة لا وقت لها فدل ذلك على انها تطوع اذ لو كانت فريضة كان لها وقت مخصوصا يفعل فيه كغيرها من الفرايض فان قيل ان الحج التطوع مخصوص بوقت كمخصوص المفروض منه فكما لا يدل الخصوص الذي في الحج التطوع على وجوبه فكذلك العموم الذي في العمرة لا يدل انها تطوع قيل وجدنا الفرض كله مخصوصا بوقت ووجدنا التطوع على ضربين منه ما هو مخصوص كالحج ومنه ما هو غير مخصوص كالصلوة والصيام والصدقة فلم نجد في الفرض ما ليس بمخصوص بوقت تطوعا غير فرض ونحتج ايضا بانا وجدنا العمرة تفعل في اشهر الحج ولم نجد صلوتين يفعلان في وقت واحد فرضيتين ولكن يفعل الصلوة التطوع في وقت الفريضة فثبت لما جاز ان يجمع بين فعل الحج والعمرة في وقت واحد انها تطوع كالصلوة التي تفعل في وقت الظهر وغيرها واحتج من جعلها فرضا بان قال لم نجد شيئا يتطوع به الا وله اصل في الفرض فلو كانت العمرة تطوعا كان لها اصل في الفرض قيل العمرة انما هي الطواف والسعي ولذلك اصل في الفرض في فرض الحج معها انا وجدنا الاعتكاف تطوعا وليس له اصل في الفرض فعلى ذلك العمرة والاصل ان كل ما يبتدي الله ايجابه على عباده فانه يوجب فعلها باوقات ويجعل لادائها اوقات والعمرة ليس لوجوبها وقت ولا لادائها ثبت انها ليست بما اوجبها الله وقوله فان احصرتم فما استيسر من الهدى الآية على الاضمار كانه قال والله اعلم فان احصرتم عن الحج فاردتم ان تحلوا فاذبحوا ما استيسر من الهدي اذ الاحصار نفسه لا يوجب الهدي لكنه اذا اراد الخروج منه يخرج بهدي وعلى ذلك يخرج قوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر كانه قال والله اعلم من كان منكم مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر وكقوله او به اذى من راسه ففدية من صيام معناه والله اعلم او به اذى من راسه ففدية والاكون الاذى في راسه لا يوجب عليه الفداء حتى تزيل كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه اي من اضطر فاكل منها غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه والاضطرار نفسه لا يوجب الاثم ثم اختلف اهل العلم في الاحصار ما هو وبم يكون وبم يحل روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اذا احصر الرجل من مرض او حبس او كسر او شبه ذلك بعث الهدي وواعد يوم النحر مكث على احرامه الى ان يبلغ الهدي محله وعليه الحج والعمرة جميعا من قابل وعن ابن الزبير وعروة بن الزبير قالا المحصر من كل شيء يحبسه عدو ومرض • وروي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل ومعنى قوله فقد حل اي جاز له ان يحل لا ان يحل بغير دم لان الله تعالى اذن له في الاحلال بدم وهذا عندنا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل وادبر النهار وغابت الشمس فقد افطر معناه فقد حل له الافطار فعلى ذلك الاول حل له ان يحل ثم قال بعض اهل اللغة من نحو الكسائي وابي معاذ قالوا ان الاحصار من المرض والحصر من العدو • فان قيل روي عن ابن عباس رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنهما انهما قالا لا حصر الا عن حصار العدو ولكن في هذا نسخ الكتاب بقولهما ان ثبت وهو لا يرى نسخ الكتاب بالسنة فضلا ان يراه بقول واحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع ان ترك قولهما لانه روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال ذهب الحصر ثم يقال للشافعي رحمه الله اذا جاز ان تجعل المراة بمنزلة المحصر من غير ان يخاف عدوا لكنها لما سمحها لزوجها ان يمنعها جعلتها محصرة فهلا جعلت المريض مثلها

عرج يعرج عرجانا اذا غمز من عارض اصابه وعرج عرجا اذا كان ذلك خلقة

اراد ان ذلك في الابتداء حيث كان في الاعداء كثرة وقد صار دين الاسلام ظاهرا على الاديان شرح

وان كان النص

43

وان كان النص في القرآن جاء في المحصر من العدو على زعمك فقال لان المراة حبسها من له ان يحبسها فهي اشد حالا ممن حبسه عدو وليس له ان يحبسه فيقال له المريض امرضه من له ان يمرضه فاجعله اشد حالا من الذي حبسه عدو وليس له ان يحبسه او فرق بين المراة والمريض فقال بل بينهما فرق • وذلك ان الخائف يعد ويخاف القتل على نفسه وقد ابيح للخايف في القتال ان يتحيز الى فئة فينتقل بذلك من الخوف الى الامن قيل له كما رخص للخايف في ذلك فقد رخص للمريض ان لا يحضر القتال فالرخصة له اكثر من الرخصة للخايف • فان قال ان المريض لا يبرا بالقعود والخايف يامن قيل له ان الرخص التي جعلت للاعذار لا تجعل لترفعها ولكن الرخصة لترفيه المشقة فيقال له ايضا قد جعلت المراة محصرة اذا منعها زوجها وهي لا تخاف القتل على نفسها فبطلت علته وانتقضت فان قال انكم لم تجعلوا من ضل الطريق محصرا وهو ممنوع من المضي على حجته فما الفرق بينه وبين المريض فيقال لو جعلنا الضال عن الطريق محصرا لم يجز له ان يحل من احرامه الا بدم يوجهه الى الحرم فيذبح عنه واذا وجد من يذهب الى الحرم فيذبح هديه فليس بضال لانه قد وجد دليلا يدله على طريقه لذلك فترقا وبعد فان المرض احق ان يكون عذرا في ذلك من العدو وغيره لانه يقاتل العدو والسباع فيدفع عن نفسه الاحصار والمرض لا سبيل له الى دفعه دل انه احق ان يجعل عذرا وقال بعضهم يكون محصرا من الحج ولا يكون من العمرة لان الحج مما يحتمل الفوت والعمرة لا • واما عندنا فانه يكون محصرا منهما جميعا لان الله عز وجل ذكر الاحصار على اثر ذكر العمرة بقوله واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى • وروي في الخبر يرويه ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت الشريف فنحر هديه وحلق راسه بالحديبية وقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فيه دلالة ان المحصر يبقى حراما على حاله لا يحل حتى ينحر عنه الهدي واختلف اهل العلم اين يذبح الهدي فعندنا انه لا يجوز ان يذبح الا في الحرم روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يبعث بهدي ويواعدهم يوما فاذا نحر عنه حل وعن ابن عباس رضي الله عنه مثل ذلك وعن ابن الزبير رضي الله عنه • وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه ان المحصر يبعث بالهدي فاذا نحر عنه حلق وظاهر القرآن يدل على ما روي عن هؤلاء لان الله تعالى قال ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فجعل للهدي محلا يبلغه وبين موضع محله فقال هديا بالغ الكعبة وكانت الكعبة محلا لجزاء الصيد ودم المحصر • قال الشيخ رضي الله عنه المحل اسم الموضع الذي يحل فيه ولو كان كل موضع له محلا لم يكن لذكر المحل فايدة • واحتج من خالف اصحابنا رحمهم الله بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي يوم الحديبية في الحرم يرويه مروان بن الحكم وعن ابن عباس رضي الله عنه • قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية فحال المشركون بينه وبين دخول مكة • وجاء سهيل بن عمرو يعرض عليهم الصلح فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يسوقوا البدن حتى ينحر حيث شاء ولا يتوهم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم • يهدي الهدي في الحل وقد اطلق له المشركون ان ينحرها حيث شاء وهو يقرب الحرم بل هو فيه • وروي عن مروان والمسور بن مخرمة قالا انه نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في الحل وكان يصلي في الحرم هذا يبين انه كان قادرا ان ينحر هديه في الحرم حيث يصلي كان يصلي ولا يحتمل ان يترك نحر الهدي في الحرم وهو على ذلك قادر ولان الحديبية مكان يجمع الحل والحرم جميعا فانما ذبح في الحرم لان في الحل لما ذكرنا انه لا يحتمل ان ينحر في الحل وليس سبيل الذبح في الحرم • فان قيل حل النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من احصاره بغير دم • قلنا ليس الامر عندنا هكذا لانه لا يتوهم على النبي عليه الصلوة والسلام ان يكون حل بغير دم وقد امر الله المحصر بالدم • فان قال كذلك قال وليس في حديث صلح الحديبية انه نحر دمين • وانما نحر دما واحدا فاوجد ذلك عنده • قيل وجه ذلك عندنا والله اعلم • ان الهدي الذي ساقه كان هديا متعة او قران فلما منع عن البيت سقط عنه دم القران فجاز له ان يجعله من دم الاحصار • فان قيل كيف قلتم ان النبي صلى الله عليه وسلم • ازال الهدي عن سبيله وانتم تزعمون ان من باع هديه فهو مسيء • قيل لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصرف الهدي عن نحره لله والتقرب به اليه وانما صرف النية الى ما هو افضل منها واوجب فكان ذلك في فعله متبعا والذي باعه صرفه عن سبيله وترك ان ينحره

بعد ان كان نوى به القربة فكان نسكا ومما يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الهدى للاحصار لما روى انه لم يحلق حتى
نحر هديه وقال يا ايها الناس انحروا وحلقوا ثم المسئلة ما يجب على المحصر بالحج والعمرة من القضاء اذا حل فعلى قول اصحابنا
اذا كان محرما بالحج يلزمه حج مكان الاول وعمرة بتفويت الحج قال الله تعالى فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج اختلف اهل العلم في تاويل
ذلك فروى عن ابن عباس رضي الله عنه فيما يكون الرجل به محصرا انه قال فاذا امنتم من الخوف او المرض فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي اعتمر
في اشهر الحج كانه يقول ان عليه لاحلاله بغير الطواف عمرة فان اخرها حتى يقضيها مع الحج في اشهره فعليه جمعه
بينهما دم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال في رجل اهل بعمرة فاحصر يبعث بهديه فاذا بلغ الهدى محله حل فان اعتمر
من وجهه ذلك اذا برأ فليس عليه هدى وان اعتمر من قابل بعد حج فليس عليه هدى فان وصلها بحج من قابل فعليه
هدي والحاج اذا احصر فانه يبعث بهدى فاذا بلغ محله حل وان اعتمر من وجهه ذلك اذا برأ فانه يحج من قابل وليس عليه
هدى وان لم يزر البيت حتى يحج وجعلهما سفرا واحدا كان عليه هدى آخر سفران وهدى او هديان وسفر وقال قوم عليه
حج واحد روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال امر الله بالقصاص فياخذ منكم العداى حجة بحجة وعمرة بعمرة وروى
نحوه عن عمر رضي الله عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال فقد حل وعليه الحج من قابل هذا يدل على قول ابن عباس
رضي الله عنه لانه قال وعليه الحج من قابل ولم يذكر عمرة الا انه قد يجوز ان يكون عليه العمرة وان لم يذكر في الحديث كما ان
الدم عليه واجب وان لم يذكر في الحديث كما ان الدم واجب عليه فعلى ذلك العمرة يجوز وجوبها وان لم يذكر اما ايجابهم العمرة
لمن فسخ الحج بغير طواف وحجة مكان حجته فان كان التاويل في قوله فمن تمتع بالعمرة اي بالعمرة التي لزمته باحلاله
كما قال ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم فكفى به حجة وان كان تاويل الاية غير ذلك فانا وجدنا من يفوته الحج
يلزمه ان يطوف بالبيت ثم يجب بعد ذلك قضاء الحج فارجعوا على المحصر عمرة مكان الطواف الذي يجب على من يفوته الحج واوجبوا
الحج لما دخل فيه فان قيل يجب ان يسقط عنه العمرة التي تجب على من يفوته الحج لان الذي يفوته الحج لا يحل منه بدم
وانما يحل بالطواف والمحصر قد حل بالدم فقام الدم الذي لم يحل به مقام الطواف في الذي يفوته الحج قيل له ان المحصر لو لم يبعث
عنه هديا احتاج ان يقوم على احرامه حتى يصل الى البيت فيطوف به ولو الى سنين ثم يحج بعد ذلك مكان الحجة التي دخل
فيها فجعل له ان يتعجل الى الخروج من احرامه ويوخر الطواف الذي لزمه بدم يهريقه فالدم جاز له ان يحل ولم يبطل الطواف
عنه واذا لم يبطل الدم عنه الطواف ولم يجعل بدلا منه فعليه ان ياتي به باحرام جديد فيكون ذلك عمرة فان قيل
ما الدليل على ان الدم الذي يحل به المحصر جعل عليه ليتعجل به الاحلال ولم يجعل بدلا عن الطواف قيل لان اهل العلم اجمعوا
على ان الذي يفوته الحج ليس له ان يفسخ الطواف الذي لزمه بدم يهريقه يجعله بدلا عن الطواف فدل انه انما يهريق الدم
ليتعجل به الى الاحلال لا بدلا عن الطواف والله اعلم وقوله فما استيسر من الهدى روى عن علي وابن عباس رضي الله عنهما انهما
قالا شاة واصحابنا رحمهم الله يرون الشاة مجزيا في المتعة والاحصار والفدية والحجة لهم في ذلك ما ذكرنا من قول الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكعب بن عجرة انسك شاة واجماع الناس على انها مجزية في الاضحية
ثم المسئلة في المحرم اذا حلق راسه من اذى رخص الله تعالى للمتاذي حلق راسه بفدية بقوله ففدية من صيام او صدقة او نسك
روى في الخبر عن كعب بن عجرة انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كعب ايؤذيك هوام راسك قلت نعم يا رسول الله قال فاحلقه
واذبح شاة او اطعم ستة مساكين وقال كعب فيّ نزلت هذه الاية ثم اختلف اهل العلم في الذبح اين يذبح قال اصحابنا رضي الله عنهم
لا يجوز ان يذبح الفدية الا بمكة واما الصدقة والصوم فانه ياتي به حيث شاء وذلك عندهم بمنزلة هدى المتعة لان هدى المتعة
انما وجب بجمعه بين الحج والعمرة في سفر واحد ولانه لو شاء ان يفرد لكل واحد منهما سفرا فعل فباخذه بالرخصة لزمه دم
وكذلك دم الفدية انما وجب لاخذه بالرخصة في حلق راسه فصار سبيل الدمين سواء يجبان بمكة وكذلك الدم الاحصار
انما وجب لانه اخذ بالرخصة في حلق راسه فحل من احرامه ولا يجوز ان يذبح الا بمكة فدم الفدية بما كان انما وجب لانه رخص له
في حلق مثل ذلك والصدقة ثلثة اصوع على ستة مساكين على ما ذكر في خبر كعب رضي الله عنه فاما الصوم فان المتمتع
اذا لم يجد هديا صام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع فاجمعوا على انه يصوم السبعة بمكة وفي غيرها فصوم الفدية كذلك

وكذلك الثلاثة الايام اذا صامها بعد احرامه بالعمرة عندنا وبعد احرامه بالحج عند مخالفينا بمكة او بغيرها
فهي مجزية وكذلك صيام الفدية يجزيه حيث صامه قياسا على صوم المتمتع فاما الصدقة فان الشافعي ذكر انها لا تجزي
الا بمكة وقال لان اهل الحرم ينتفعون بها كما ينتفعون بالهدى فيقال له ارايت ان ذبح الهدى بغير مكة ثم تصدق
على اهل الحرم هل يجزيه ذلك فان قال لا قيل له قد بطلت علتك حيث لم يجز التصدق على اهل الحرم وبان ان الدم خص
بان يهراق في الحرم لان الله تعالى قال حتى يبلغ الهدى محله فاما الصدقة فهي مجزية حيث كانت ثم اختلف في الذي يحلق
قبل ان يذبح بغير اذى فقال ابو حنيفة رضي الله عنه يجب عليه دم والحجة له ان الله تبارك وتعالى منع المحصر من الحلق حتى
يبلغ الهدى محله فان حلق راسه لاذى فعليه دم اخر لان الاية الكريمة في الحلق في المحصر فاذا كان الذي يصيبه الاذى
في راسه قبل الوقت الذي اذن له فيه فدية بل الذي يحلق راسه بغير اذى احرى ان يكون عليه الفدية وابو حنيفة
رضي الله عنه يزيد في التغليظ عليه يقول لا يجزيه غير الدم ويخير صاحب الاذى بين الدم والصدقة والاطعام
كما اخبره الله تعالى فدليل القران شهد لمذهبه وخالفه جماعة من اهل العلم فيمن حلق قبل ان يذبح وليس بمحصر ووافقوه
في المحصر واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما سئل عن رجل حلق قبل ان يذبح فقال اذبح ولا حرج لكن
قوله افعل ولا حرج يرجع الى الاثم دون الكفارة افعل اي لو فعلت لم يكن عليك حرج لان الكفارة قد تجب في اشياء
يفعلها الرجل خطا وعلى جهة الجهل بما يجب في ذلك فلا حجة لمن احتج بهذا الحديث في زوال الكفارة واصل ذلك
ان احوال الضرورة سبب تخفيف الحكم وتيسيره لم يجز ايجاب ذلك الحكم في غير احوال الضرورة والعذر وعلى هذا
يخرج قولهم في جميع الاصول ان الحكم في حال الاضطرار والعذر بخلاف ما هو في حال الاختيار ولهم على هذا مسائل
مما يكثر عددها وفي الاية دليل لزوم الفداء على المتاذي لان الله تعالى قال فمن كان منكم مريضا وقد ذكرنا
ان فيه اضمارا ثم معروف فحاجة المريض في حال عرضه الى الدهن فصار كانه مذكورا في الاية والله اعلم وقوله فاذا امنتم
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى وقد ذكرنا هذا واقاويلهم وقوله فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام
في الحج اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم من حين يحرم الى اخرها يوم عرفة وعن ابن عمر رضي الله عنه قال
لا تصومهن حتى يحرم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ما بين الهلال ويوم عرفة وعن علي رضي الله تعالى عنه
قال فصيام ثلاثة ايام في الحج قبل يوم التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة فان فات ذلك صيام ثلاثة ايام
بعد ايام التشريق انما تاخير الصوم حتى يكون اخره يوم عرفة لما لعله يجد الهدى ومثال ذلك ما امر المتيمم ان يوخر
الصلوة رجاء ان يجد الماء فيغنيه عن التيمم فعلى ذلك يوخر الصوم حتى يكون اخره يوم عرفة رجاء ان يجد الهدى واما
ما اختلفوا فيه من صيامهن حلالا بعد العمرة فان من لم يجز ذلك ذهب الى ان الله تعالى قال ثلاثة ايام في الحج فتاول
ذلك على الاحرام وقد يجوز ان يكون الامر كما قال ويجوز ان يكون معناه في اشهر الحج الا ترى ان الله يقول الحج اشهر
معلومات ومعناه والله اعلم ان الحج يفعل في هذه الاشهر ولفعله اشهر معلومات فلما احتملت الاية ما ذكرنا
وجدنا السنة في المتمتع ان يحرم بالحج عشية التروية كذلك وروى عن جابر بن عبد الله قال قدمنا مكة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم مهلين بالحج لاربع ليال مضين من ذي الحجة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل لانه
كان ساق الهدى وامر من لم يسق الهدى ان يطوف ويسعى ويقصر ثم يحل فلما كان يوم التروية امرهم ان يلبوا بالحج
فاذا كنا نامر المتمتع ان يحرم بالحج عشية التروية فكيف يصوم الثلاثة الايام بعد ذلك وانما بقي له يوم واحد فدل
ما وصفنا انه يجوز له ان يصومهن حلالا بعد العمرة والله اعلم وقوله وسبعة اذا رجعتم اختلف فيه قيل اذا رجع
من منى وقيل اذا اتى وقت الرجوع وقيل اذا رجعتم الى اهليكم وقوله تلك عشرة كاملة قيل تلك العشرة وان كانت متفرقة
فهي كالموصولة في حق الحج وقيل تلك عشرة كاملة عن الهدى وافية ان تكمل بها حق الدم وقيل تلك عشرة كاملة
في حق الثواب اي ثوابها كثواب الهدى والله اعلم وقوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام جعل الحكم الذي
ذكره في المتمتع والمحصر لمن لا يحضر اهله المسجد الحرام عن ابن عباس قال ليس على اهل مكة هدى في المتعة ولا اهل مكة

فطاف بالبيت سبعا وبين الصفا والمروة

واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب

لو كانوا كغيرهم لم يكن لتخصيصهم معنى واذا كان المعتمر في اشهر الحج اذا رجع الى اهله ثم حج من عامه ذلك فلا هدي عليه فالمكي
مقيم في منزله بعد عمرته فهو احرى ان لا يجب عليه دم المتعة ان حج من عامه ذلك ولكنه ان تمتع فعليه دم للخلال لانه منهي
عن التمتع ثم اختلف في حاضري المسجد من هم قال اصحابنا رحمهم الله كل من كان من اهل المواقيت فما دونها الى مكة فلهم ان يدخلوا
بغير احرام فلهم جميعا حكم حاضري المسجد الحرام وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه خرج من مكة يريد المدينة فلما بلغ
قديدا بلغه ان بالمدينة جيشين من جيوش الفتنة فرجع ودخلها بغير احرام وعندنا اذا جاوز الميقات ثم رجع فعليه
الاحرام وقال الآخرون ليس حاضري المسجد الحرام واما الدليل لاصحابنا رحمهم الله ما ذكرنا واما قولنا ليس عليهم احصار
لان الاحصار هو الحبس والحيلولة بينهم وبين دخولهم مكة فاذا كانوا هم قادرون على الطواف بالبيت في كل وقت لذلك
بطل الاحصار **وقوله** الحج اشهر معلومات عن ابن عمر رضي الله عنه قال الحج اشهر معلومات شوال وذو القعدة وعشر
من ذي الحجة وعن ابن عباس رضي الله عنه مثله وعن الحسن مثله والشعبي ومجاهد وجوير وابراهيم مثله وعن عبد الله
قال شوال وذو القعدة وذو الحجة ويرى ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اراد ما اراده الاولون لانه لا يبقى
بعد ايام منى من مناسك الحج فكيف يكون الايام التي بعد النفر من ايام الحج لا عمل فيها للحجاج ثم المسئلة فيمن يحرم بالحج قبل
اشهر الحج ما عليه وهل يجوز احرامه عن ابن عباس رضي الله عنه قال من سنة الحج الا ان لا يحرم بالحج الا في اشهر الحج وعن جابر
رضي الله عنه قال لا يحرم بالحج قبل اشهر الحج فاصحابنا رحمهم الله يكرهون الاحرام قبل اشهر الحج واتبعوا في كراهيتهم
ما روي عن السلف النهي عن ذلك لكنهم يقولون ان احرم يجوز واحتج بعض اصحابنا في ذلك بان قال الحج ميقات
ووقت واجمعوا ان من احرم بالحج قبل الميقات فاحرامه صحيح فعلى ذلك من احرم قبل وقته فاحرامه صحيح وقال بعضهم
الحج اشهر معلومات الاشهر كلها كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وهي الاشهر كلها وهي معلومة
وهي كقوله يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فان كان هذا على تاويل الآية ففيه دليل جواز الاحرام
بالحج في الاشهر كلها وقال الآخرون الحج اشهر معلومات اي في اشهر معلومات وهو ما ذكرنا من قول جماعة من السلف
قالوا شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة غير انه يتوجه وجهين احدهما ان لفعل الحج اشهر معلومات دليله قوله
فمن فرض فيهن الحج سماه حجا لعقد سببا لا التزام فثبت ان ما بعد الاحرام حج والوجه الثاني بان للحج اشهر معلومات
لا يدخل فيها غيره ثم ادخل فيها العمرة رخصة دليله قوله دخلت العمرة في الحج هكذا فيكون معناه ان للحج اشهرا
اي لفعله اشهر معلومات والله اعلم **وقوله** فمن فرض فيهن الحج اختلف فيما به يفرض الحج قال بعضهم اذا نوى الحج صار
محرما لبى او لم يلب وقال الآخرون اذا نوى انه يعمل بجميع ما امر وان ينتهي عن جميع ما نهي صار بذلك محرما واما عندنا
فان تاويل قوله فمن فرض فيهن الحج اي لبى فيهن بالحج دليله ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس
وابن عمر رضوان الله عليهم اجمعين انهم قالوا فمن فرض فيهن الحج اي لبى واما بالنية مجردا فانه لا يكون محرما
وما روي ايضا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لعايشة رضي الله عنها وقد رآها حزينة ما لك فقالت
انا قضيت عمرتي والفاني الحج عاركا فقال ذلك شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم فحجي وقولي ما يقول المسلمون في حجهم
فبين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها حجي وقولي ما يقول المسلمون في حجهم ان التلبية واجبة
اذا كان المسلمون يفعلونها وامر عايشة رضي الله عنها باتباعهم فيها وعن عايشة رضي الله عنها قالت لا يحرم الا من اهل
او لبى فدلت هذه الاحاديث النبوية على ان التلبية فرض الحج وعن هؤلاء الايمة وامثالهم الذين تاخذ منهم الدين فلا يجوز
مخالفتهم ولا العدول عن سبيلهم وقال اصحابنا رحمهم الله ان خرج رجل مع بدنته وقلدها ونوى الاحرام فهو محرم
ويقوم ذلك الفعل منه مقام التلبية والحجة لذلك ان النبي صلى الله عليه قال لاصحابه رضوان الله عليهم اجمعين في حجته
لما امرهم بان يحلوا العمرة فقالوا ما لك لم تحل قال اني قلدت الهدي فلا احل من احرامي الى يوم النحر وقال لو استقبلت
من امري ما استدبرت ما سقت الهدي فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي منعه من الحل تقليده الهدي وان ذلك
قام مقام الاحرام لوجده بعد الطواف وروي عن علي وعبد الله وجابر رضي الله عنهم قالوا اذا قلد فقد احرم وكذلك

قديد والكديد موضعان على طريق مكة الى المدينة

وشبك بين اصابعه

قال ابن عباس رضي الله عنه اذا قلد وهو يريد الحج او العمرة فقد احرم وما روي عن عايشة رضي الله عنها لا يحرم
الا من اهل او لبى فذلك عندنا في الذي يقلد بدنته ولا يخرج معها لا يصير محرما الا ترى ما روي عن عايشة رضي الله عنها
انها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث بهديه ويقيم فلا يحرم عليه شيء **وقوله** فلا رفث قيل الرفث جميع حاجات
الرجال الى النساء وقال ابن عباس رضي الله عنه الرفث الجماع وابن عمر رضي الله عنه مثله واجمع اهل العلم ان المحرم
لا يجوز له ان يقبل امرأته ولا يمسها بشهوة ويوجبون على من فعل ذلك دما وروي عن ابن عمر رضي الله عنه اذا باشر
المحرم امرأته اهراق دما وعن علي رضي الله تعالى عنه قال اذا قبل المحرم امرأته فعليه دم وسئلت عايشة رضي الله عنها
عما يحل للمحرم من امرأته فقالت يحرم عليه كل شيء سوى الكلام **وقوله** ولا فسوق قيل الفسوق السب وقيل هو كل فسق
والفسق حقيقة الخروج عن امر الله تعالى قال الله تعالى ففسق عن امر ربه اي خرج **وقوله** ولا جدال في الحج قيل المراء
وذلك ان العرب كانت تؤخر الاشهر الحرم وتحل وفي ذلك نزل انما النسيء زيادة في الكفر فبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ان السنة قد استدارت كهيئتها يوم خلق السموات والارض فعلى ذلك استدار وقت الحج الحيث
جعل لا يتقدم ابدا ولا يتاخر فلا تماروا فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لا تجادل صاحبك حتى تغضبه واشبه
الامور والله اعلم بتاويل الآية ان الله سبحانه وتعالى امر بحفظ اللسان والفرج في الاحرام عن كل ما يذكر من فسوق
ومعصية ومجادلة ومخاصمة وعن الرفث بالفعل والقول لانه يروى ان الفضل بن عباس كان ردف النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وكان الفتى يلاحظ النساء وينظر اليهن وجعل النبي يصرف وجهه بيده من خلفه فقال النبي صلى الله عليه
ان هذا يوم من ملك سمعه وبصره ولسانه غفر له وكما قال وروي عنه انه قال من حج فلم يرفث ولم يفسق
رجع كيوم ولدته امه **وقوله** وما تفعلوا من خير يعلمه الله ويجزيه ترغيب منه في كل خير **وقوله** وتزودوا قيل
تزودوا للحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم عن المسئلة ولا تخرجوا بلا زاد لتكونوا عيالا على الناس ويحتمل
ان يكون الامر بالتزود للمعاد يدل عليه قوله فان خير الزاد التقوى يقول ان تقوى الله خير زاد آدم زاد الدنيا
وقوله واتقون يا اولي الالباب يحتمل واتقون المعاصي والمناهي وكل فسق ويحتمل على التقديم والتاخير كانه قال
تزودوا يا اولي الالباب واتقون في المسئلة من الناس **وقوله** ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم قيل التجارة
وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يخرجون من التجارة في عشر من ذي الحجة فلما ان كان الاسلام امتنع اهل الاسلام
عن التجارة واحبوا ان يكون خروجهم للحج خاصة دون ان يختلط غيره من الاعمال فرخص الله عز وجل التجارة للحاج
وطلب الفضل وروي عن عمر رضي الله عنه ان رجلا ساله فقال انا قوم نكري ويزعمون انه ليس لنا حج فقال
الستم تحرمون وتقفون فقال بلى قال فانتم حجاج قال فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عما سالتني
عنه فنزلت هذه الآية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
مثله واصحابنا رحمهم الله يرون حج الاجير والتاجر تاما وظاهر القرآن يدل على ذلك وكان عند القوم ان
الاستيجار على الطاعة لا يجوز امرا ظاهرا حتى سالوا في هذا واصله ان الحج لا يمنع افعال غيره فاشبه الصوم
ويجوز فيه الاجارة كذا في هذا واما الصلوة فهي مانعة لما سواها من الافعال فاختلفا **وقوله** فاذا افضتم
من عرفات قيل ان اهل الجاهلية كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس ومن مزدلفة بعد طلوع الشمس
فامر اهل الاسلام بالخلاف في الحالين جميعا ان يجعلوا الافاضة من عرفة بعد الغروب ومن المزدلفة قبل طلوع الشمس
والله اعلم وفي الخبر خالفوهم في الرجعتين جميعا والافاضة هو الاسراع في المشي في اللغة وقيل الافاضة
الانحدار **وقوله** فاذكروا الله عند المشعر الحرام يعني المزدلفة ويحتمل قوله فاذكروا الله وجهين يحتمل صلوة
المغرب والعشاء ويحتمل الدعاء فيهما جميعا وقال ابن عباس رضي الله عنه المشعر الحرام الجبل وما حوله وهو الجبل
الذي يوقف عليه يقال له قزح وسمي جمعا ايضا لانه يجمع بين المغرب والعشاء في وقت العشاء وقيل سمي جمعا لانه
اجتمع فيه آدم وحواء وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سمي العرفات عرفات لان جبريل صلوات الله عليه

لما علم ابراهيم المناسك كان يقول له عرفت عرفت والله اعلم بذلك وقوله واذكروه كما هداكم يحتمل وجوها يحتمل الامر
بالذكر امر بالشكر له على ما انعم عليهم من انواع النعم ويحتمل اذكروه كما هداكم وارشدكم لامر المناسك ويحتمل الامر بالتوحيد
كانه وحدوه كما وفقكم لدينه وعلى هذا يخرج قوله وان كنتم من قبله لمن الضالين عن الهدى وعن المناسك وعن معرفة النعم
والشكر والله اعلم قال الشيخ رضي الله عنه الهدى على وجهين هدى عرف ليوحدوه وهدى وفق لطاعته وقوله
ثم افيضوا من حيث افاض الناس قيل ان اهل الحرم كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون نحن اهل حرم الله لا نفيض كغيرنا
ممن قصدنا فانزل الله فيهم يامرهم بالوقوف بعرفات والافاضة منها من حيث افاض الناس غيرهم من الناس وذكر
عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كانت قريش ومن كان على دينها يقفون بالمزدلفة ولا يقفون بعرفة فانزل الله
ثم افيضوا من حيث افاض الناس وفيه دليل ان الوقوف بعرفة فرض وعلى ذلك جاءت الاثار روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ومن ادرك عرفة بليل وصلى معنا بجمع فقد تم حجه ويحتمل في قوله ثم افيضوا من حيث
افاض الناس معنى اخر وهو انهم دار وغيرهم من اهل الافاق اذا قصدوا على الاحرام من وراء الحرم وهم امروا بالاحرام
فلما خصوهم بذلك لنظنوا ان قضاء غيره من المناسك في الحرم والله اعلم قال الشيخ ابو منصور رحمة الله عليه امر بالافاضة
من الحرم بعد ذكر المزدلفة والافاضة من عرفات يتقدم المزدلفة فبان ان حرف ثم قد يبدا ايضا وقوله فاذكروا الله
كذكركم اباءكم قيل فيه بوجهين قيل انهم في الجاهلية كانوا اذا قضوا المناسك يجتمعون في مكان ويذكرون اباءهم
ومناقبهم يفتخرون بذلك فلما ان اسلموا امرهم ان يذكروا ربهم في الاسلام كذكرهم اباءهم في الجاهلية او اشد
ذكرا فانه اولى بذلك من الاباء وقيل ان يكونوا يذكرون اباءهم ما انعم عليهم واحسنوا اليهم فقال اذكروا الى ما انعمت كذكر
اباءكم مكان اباءكم الذي نعمت عليكم وعلى اباءكم فاجعلوا ذلك لي دون اباءكم وقوله فمن الناس من يقول ربنا اتنا
في الدنيا وماله في الاخرة من خلاق الاية في قوم لا يؤمنون بالبعث والاحياء بعد الموت خيرات الدنيا ولم يطلبوا
الخيرات في الاخرة فاعطوا ما سالوا من حسنات الدنيا وهو كقوله من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الاخرة
من نصيب ومن كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه اي نؤتي حرث الدنيا والاخرة فمن كان ركونهم الى الدنيا وميلهم
اليها لم يركنوا الى دعاء غيرها واما من امن بالبعث والاحياء بعد الموت فانه سالوا خيرات الدنيا والاخرة جميعا بقوله ومنهم
من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار طلبوا احسان الدنيا لان الدنيا جعلها محل الزاد
للاخرة لانه انما جعلها لهم بما خلقهم للاخرة كقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ثم اختلف في الحسنة في الدنيا
وفي حسنة الاخرة قيل حسنة الدنيا العلم والعبادة وحسنة الاخرة الجنة والمغفرة وقيل حسنة الدنيا النعمة
والرزق وحسنة الاخرة الرحمة والرضوان وكله واحد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله
عبادا يحيون في عافية ويموتون في عافية ويدخلون الجنة في عافية قيل يا رسول الله بم قال بكثرة قولهم ربنا اتنا
في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وقوله والله سريع الحساب قيل فيه بوجوه فيه تقديم وتاخير
كانه قال الحساب سريع قيل سريع لما ان الابطاء في الحساب يكون للتفكر فيه والاستذكار وحفظ عقد الاصابع والشغل
شغله فالله يتعالى عن ذلك ان يوصف بها ويشغله شيء وقيل سريع اي قريب كان قد جاء وكقوله اقتربت الساعة
وكقوله واقترب الوعد الحق وكقوله اتى امر الله اي قرب وقيل كناية عن عذاب شديد اي هو شديد العقاب والعذاب وهو
كقوله من نوقش الحساب عذب وقوله واذكروا الله في ايام معدودات قيل انه يحتمل وجهين قيل انه اراد بالايام
المعدودات ايام النحر والذبح اي اذكروا الله بالنحر والذبح في ايامكم فهو عند ابي حنيفة رحمه الله يوم النحر ويومان بعده
وقيل اراد بالايام المعدودات ايام رمي الجمار دليله قوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه وهي ايام التشريق وهي ثلثة ايام
بعد النحر وروي عن علي رضي الله عنه انه قال الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده اذبح في ايها شيت وافضلها
اولها وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه والله اعلم وقوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه قيل من تعجل في يومين
بعد يوم النحر يومين يعود من منى قبل غروب الشمس فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس واقام الى الغد يوم الثالث

واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم

من ايام التشريق

46

من ايام التشريق فلا اثم عليه ثم لا يحتمل في غير محل الجمار ثم ينفر فلا اثم عليه وقيل فمن تعجل في يومين من ايام التشريق
فلا اثم عليه ومن تاخر الى اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه ثم لا يحتمل قوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر
فلا اثم عليه ان يكونا جميعا على الرخصة والتاخير جميعا فلا يلحقهما الاثم بكليهما لانه اذا كان التعجيل هو الرخصة فالتاخير لا يكون
رخصة واذا كان التاخير هو الرخصة فالتعجيل ليس برخصة لكثرة الوجه فيه والله اعلم ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال فمن تعجل في يومين غفر له ومن تاخر غفر له ما كان له من الاثم والذنب في اليوم الذي اخر والله اعلم ويحتمل
التخيير اي ان فعل ذا او ذا فلا اثم عليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في قوله فلا اثم عليه رجع مغفورا له
وقوله لمن اتقى قيل فيه بوجوه قيل لمن اتقى قتل الصيد في الاحرام وعلى ذلك قوله واتقوا الله فلا تستحلوا قتل الصيد
في الاحرام وقال ابن عباس رضي الله عنه من اتقى معاصي الله جملة وقيل لمن اتقى جميع ما يحرم عليه الاحرام من الرفث والفسوق
والجدال وغيره وعلى ذلك قوله واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون خوفهم عز وجل ليتقوا في كل وقت معصيته خرج
الخطاب في الظاهر للمؤمنين ويحتمل ان يكون للكفار ايضا يامرهم ان يتقوا الشرك واشراك غيره في افعالهم لما اوعدهم
بالحشر والجزاء لاعمالهم وقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا قيل ان رجلا من الكفار كان ياتي رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فيخبره انه يحبه وكان يعد له الايمان والمبايعة له في دينه ويحلف على ذلك وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يعجبه ذلك ويدنيه في المجلس وفي قلبه خلاف ذلك فانزل الله عز وجل ومن الناس من يعجبك
قوله الاية وقيل انها نزلت في المنافقين لانهم كانوا يسرون من انفسهم الموافقة له في الدين ويظهرون انهم على دينه
ومذهبه ويضمرون الخلاف له في السر والعلانية ويحلفون على ذلك فانزل الله ومن الناس من يعجبك قوله الاية
والله اعلم وقوله وهو الد الخصام قيل اشد الخصام وقيل اجدل بالباطل وقيل اظلم في الخصومة لا يستقيم ابدا وقوله
واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد قيل فيه بوجوه قيل ويهلك الحرث
اي يقتل النساء وهو حرث كقوله نساؤكم حرث لكم وفي اهلاك النساء اهلاك النسل وقيل اراد بالحرث الحرث نفسه
وهو الزرع والنسل الدواب يحرق الحرث ويعقر الدواب وكل حيوان وقيل انهم كانوا يسعون بالفساد ويعملون بالمعاصي
فيمسك الله عنهم المطر فيهلك كل شيء من الناس وغيرهم ويحتمل قوله ويهلك الحرث قتل ولد ادم وفي اهلاكهم اهلاك
كل حرث لانهم هم الذين يحرثون ويتناسلون والله اعلم وقوله والله لا يحب الفساد ظاهر وقوله واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم قيل له اتق الله عن صنيعك وهو السعي في الارض بالفساد حملته الحمية على الاثم تكبرا منه قال الله
لرسوله صلى الله عليه وسلم فحسبه جهنم يقول والله اعلم اعرض عنه واتركه وصنيعه فان جهنم عقبته وماواه ومايه
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ان ابغض الناس من يقال له اتق الله فيقول عليك نفسك وقوله ومن الناس
من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله يحتمل يشري نفسه ابتغاء اي يهلك نفسه اي يبيع نفسه في عبادة الله وطاعته
فذلك شراؤه اياها ويحتمل يشري نفسه ابتغاء اي يبذل نفسه للجهاد في سبيل الله وهو كقوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله وهو كقوله ان الله اشترى فهؤلاء بذلوا انفسهم لذلك بتفضيل الله
عز وجل ببذل الجنة لهم فهو الشرى والله اعلم وهو ما روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه القى نفسه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ما هم المشركون قتله وفيه دلالة ان ابا بكر رضي الله عنه كان اشجع الصحابة واصلبهم وان كان ضعيفا
في بدنه لما تجاسر احد من الصحابة على مثله وما روي ايضا انه خرج لمقاتلة اهل الردة وحده فدل هذا كله انه كان
اشجعهم واصلبهم في الدين وقيل ان الاية نزلت في صهيب باع دينه باهله وماله على ذلك وقوله والله رءوف
بالعباد يحتمل ان اراد كل العباد وهو ان الكافر اذا اسلم واخلص دينه لله يتغمده في رحمته ويقبل منه ذلك ويتجاوز
عنه عما كان منه في الشرك والكفر والله اعلم ويحتمل ان اراد بالعباد المؤمنين خاصة رحيم بهم وقوله يا ايها الذين
امنوا ادخلوا في السلم كافة فيه لغتان السلم بالكسر والنصب فمن قرا بالكسر فهو الاسلام ومن قرا بالنصب فهو الصلح
كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الى اخر الاية فان قيل كيف امر بالدخول وهم فيه لانه

خاطب المؤمنون بقوله يا ايها الذين آمنوا قيل بوجوه احدها انه يحتمل قوله يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم آمنوا بقلوبكم
ويحتمل يا ايها الذين آمنوا ببعض الرسل من نحو عيسى وموسى وغيرهم من الانبياء آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل
امره اياهم بالدخول امر بالثبات عليه وقيل الله تعالى انما امرهم فيه لان للايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت لانه فعل
والافعال تنقضي ولا تبقى كانه قال يا ايها الذين آمنوا فيما مضى من الاوقات آمنوا في حادث الاوقات وعلى هذا يخرج تاويل
قوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين • قد ذكرنا تاويله
فيما تقدم وقوله فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اي ملتم وتركتم من بعد ما ظهر لكم الحق فاعلموا ان الله عزيز حكيم قيل
عزيز اي منتقم بميلكم وترككم الحق بعد الظهور • ويحتمل عزيز اي غني عن طاعتكم له وعبادتكم اياه وقيل عزيز من لا يقهر
او يذلل او يغلب لان العزيز نقيض الذليل وقيل عزيز لا يقدر احد ان يصل اليه او يقهره الاذلال يقسه كما يقال عزيز
لا يرام وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة • قيل فيه بوجوه • قيل ان ياتيهم الله بامره وهو قول الحسن
وقيل ياتيهم الله اي امر الله وهو كقوله او ياتي امر ربك او ياتي بعض آيات ربك على اضمار الامر فيه وقيل قوله في ظلل الغمام يعني
الباء كانه قال ياتيهم الله بظلل من الغمام وذلك جائز استعمال الغمام مكان الباء لانهما الامر فيه وقيل قوله في ظلل اي في
بمعنى الباء جميعا من حروف الخفض والعرب تفعل ذلك ولا تأبى • والاصل في هذا ونحوه ان اضافة هذه الاشياء الى الله عز وجل
لا توجب حقيقة وجود تلك الاشياء منه على ما يوجد من الاجسام لما يجوز اضافته الى ما لا يوجد منه تحقيق ذلك نحو
ما يقال جاء الحق فظيع وجاء الحق وزهق الباطل • وجاء فلان يامر كذا وجاء كرسول فذكر المجيء والاتيان لا على تحقيق وجود
ذلك منه فعلى ذلك يخرج ما اضافه عز وجل الى نفسه من المجيء والاتيان والاستواء ليس على تحقيق الاتيان والمجيء والاستواء منه
على ما يكون من الاجسام وفي الشاهد ان ملوك الارض يضيفون الى انفسهم ما عمل بامرهم من غير ان يتولوها بانفسهم كذلك اضاف
جل ذكره امر القيامة الى نفسه لفصل ذلك الامر • ثم الاصل ان الاتيان والانتقال والزوال في الشاهد انما يكون لخليتين اما لحاجة
بلغت فيحتاج الى الانتقال من حال الى حال • والزوال من مكان الى مكان لنقضها او لسامة ووحشة تاخذه فينتقل من مكان الى مكان
ليتروح عن نفسه ذلك وهذان الوجهان في ذي المكان والله تعالى يتعالى عن المكان كان ولا مكان فهو على ما كان فالله يتعالى
عن ان تمسه حاجة او ياخذه سآمة فبطل الوصف بالاتيان والمجيء والانتقال من حال الى حال ومكان الى مكان وبالله التوفيق
وقيل ان النص قد ورد بالاستواء والمجيء • وورد الخبر بالنزول والرؤية ثم قد ورد السمع بان ليس كمثله شيء لزم نفي التشبيه
بما ورد عنه اثر ولزم الاقرار بما جاء من عنده من غير طلب الكيفية له والتفسير فالسبيل فيه الايمان بالتنزيل والكف عن التفسير
والله اعلم • وفي الشاهد الاتيان في العرض ظهور وفي الجسم بنقله من مكان الى مكان وهو جل ذكره جل ان يوصف بجسم او عرض
كذلك اتيانه لا يشبه اتيان الاجسام والاعراض ويكون اتيان لا يعرف كيفيته وكما جاز ان يكون هو شيئا بدليل لا يشبه عرضا
ولا جسما والله اعلم وقوله سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة يحتمل وجوها ان يكون امر عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يسأل الله ايام
عما اتاهم من الآيات على اثر سؤال كان منهم بطلب الآيات فقال سلهم يا محمد كم آتيناهم واجدادهم من الآيات على يدي موسى فكفروا به
ولم يؤمنوا فانتم وان آتيناكم آيات لا تؤمنون ايضا يخبر نبيه عليه السلام ان سؤالهم ان كان سؤال العنت لا سؤال قبول وتصديق
والله اعلم • ويحتمل ان يكون لا على اثر سؤال كان منهم ولكن على الابتداء ان يسأل علماء بني اسرائيل الآية ويحتمل سل لا على الامر في التحقيق
لكن على التحقيق والتبيين ان الله لو شاء لاتاهم لا جبر ولكن او يكون المراد من ذلك في الذين تضيق صدورهم عند الاحيان انهم لو جاءتهم الآيات
التي سألوا عنها لا يؤمنون ليخبر وايد لك فيطمئن لذلك قلوبهم فيزول عنها الخطرات وانواع الوساوس والله اعلم وقوله
ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته قيل نعمة الله دين الله من بدله بعد ظهوره وبيانه وقيل نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
اي من كفر به بعد ما علم انه رسول الله • ويحتمل نعمة الله النعم المعروفة التي كان اتاهم من المن والسلوى والغمام وغيره مما لم يؤت
احدا من العالمين مثله فان الله شديد العقاب خوفهم عز وجل وحذرهم على تبديل ذلك وتركه والكفر بنبيه صلى الله عليه وسلم
بعد معرفتهم انه حق والله اعلم • ويكون تبديل نعمة الله بتوجيه الشكر الى غيره وهو ان يعبد غيره والله اعلم وقوله زين للذين كفروا
الحيوة الدنيا قال الحسن زين لهم الشيطان ذلك وكذلك هو لدو زين لهم الشيطان اعمالهم ولكن معناه والله اعلم الذين لهم

التزيين ثم التزيين يكون بوجهين بزينة الطبع لقرب الشهوات والعقل لقيام الادلة فيكون التزيين بالثواب واما زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا لما ركب فيهم من الشهوات وميل الطبع اليها • واما الوجهان الاخران فهما للمؤمنين وقوله والذين اتقوا
فوقهم يوم القيامة يحتمل وجهين • يحتمل فوقهم في الحجة بقول الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ويحتمل
فوقهم في الجزاء والثواب وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب • يحتمل وجوها يحتمل بغير حساب بغير تبعة ويحتمل
بغير حساب لا على قدر الاعمال ولكن على قدر الشهوة وزيادة عليها لان رزق الجنة على ما ينتهي اليه الشهوات ورزق الدنيا
مقدر على قدر الحاجة والقوت اذ لا احد يبلغ مناه في الدنيا وحاجته • وفي الاخرة كل ينال فوق مناه ولان كل الشهوة
في الدنيا هو الموذي ويحتمل بغير حساب اي من غير ان ينقص ذلك عن ملكه وخزائنه وان عظم عطاياه وكثر منا له ليس
كخزائن المخلوقين تنتقص بالدفع وتنفد والله اعلم وقوله كان الناس امة واحدة • قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه ومن
معه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قالا كان الناس امة واحدة كلهم كفارا الى ان بعث الله عز وجل فيهم
النبيين • وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان الناس امة واحدة مؤمنين كلهم زمن نوح عليه السلام الذين
كانوا في السفينة الى ان اختلفوا من بعد فبعث فيهم النبيون • وقال بعضهم كان الناس امة واحدة زمن آدم مؤمنين
الى ان انزل الكتاب عليهم وبعث فيهم الرسل • ولو قيل بغير هذا كان اقرب • قوله كان الناس امة واحدة يعني صفا واحدا
ومعنى الامة معنى الصنف كقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم يعني اصنافا ثم خص الله
تعالى صنفا يبعث الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم من بين غيرها من الاصناف تفضلا لهم واكراما بعث كل رسول الى قومه
فيهم كفار ومنهم مؤمنون لان الارض لا تخلو من ولي او نبي كقوله • ولقد كرمنا بني آدم ليعلموا ان ساير اصناف الخلق
خلقوا لهم ولحاجاتهم وهو قول الحسن وكذلك قول ابي حنيفة رضي الله عنه ان الارض لا تخلو عن نبي او ولي والله اعلم
وقوله فبعث الله النبيين مبشرين لمن اطاعه ومنذرين لمن عصاه وجائز ان تكون البشارة والنذارة جملة لزم الوقوع
بما به يقعان مختلف كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وقوله نذيرا للعالمين وقوله ليحكم بين الناس بالحق يحتمل قوله ليحكم
وجهين يحتمل ليحكم الكتاب المنزل عليهم بالحق فيما بينهم وهو كقوله لتنذر الذين ظلموا قرأ بعضهم بالياء وقرأ الحرون
بالتاء فمن قرأه بالياء جعل الكتاب هو المنذر ومن قرأ بالتاء صير الرسول هو المنذر فكذلك في هذا الحكم بينهم بالحق
وليحكم الرسول بالكتاب فيما بينهم بالحق وقوله فيما اختلفوا فيه يحتمل قوله فيه وجوها يحتمل فيه في محمد صلى الله عليه وسلم
ويحتمل في دينه • ويحتمل ما اختلفوا فيه في كتابه وقوله وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات اي ما اختلفوا
فيه الا من بعد ما جاءتهم البينات والعلم اما من جهة العقل واما من جهة السمع والكتب والخبر واما من جهة المعاينة المشاهدة
لكنهم تعاندوا وكابروا وكفروا به بغيا بينهم قيل حسدا بينهم وقيل ظلما منهم ظلموا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله
فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه تاويله والله اعلم • اي هدى الله الذين آمنوا ولم يختلفوا من بين الذين اختلفوا
ويحتمل هدى الله من انصف ولم يعاند ولم يهد الذين عاندوا ولم ينصفوا • وقوله باذنه قيل بامره وقيل بفضله لكن قوله
بامره لا يحتمل ولكن باذنه اي بمشيئته وارادته وقوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فيه دلالة انه من شاء ان يهتدي
فاهتدى ومن يشاء ان يهتدي لم يهتد لانه لو كان شاء ان يهتدوا جميعا على ما يقوله المعتزلة لكان يقول والله يهدي
الى صراط مستقيم ولم يقل من يشاء على انه شاء ايمان من آمن ولم يشأ ايمان من لم يؤمن فالآية تنقض على المعتزلة قولهم
انه شاء ان يؤمنوا لكن آمن بعضهم ولم يؤمن البعض وفي قوله فبعث الله النبيين دلالة على ان لا يفهم من البعث والاتيان
والمجيء الانتقال من مكان الى مكان ولا الزوال من موضع الى موضع لانه ذكر البعث وهم كانوا بين ظهرانيهم فدل انه يراد
الوجود لا غير وقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قيل معنى قوله ام حسبتم على اسقاط الميم وقيل ام بمعنى بل حسبتم
وقوله ولما ياتكم مثل الذين قيل شبه الذين وقيل مثل الذين خبر الذين خلوا من قبلكم وقيل سنن الذين خلوا من قبلكم
من البلاء والمحن التي اصابت الماضين من المؤمنين وقوله ام حسبتم الآية احسبتم ان تدخلوا الجنة قبل ان تبتلوا كما ابتلي
من قبلكم اي لا تظنوا ذلك جملة وان كان فيهم من قد يدخل والله اعلم كقوله الم احسب الناس الى اخر الآية وقيل ان القصة

ان المنافقين قالوا للمومنين لم تقتلون انفسكم وتهلكون اموالكم فانه لو كان محمد نبيا لم يسلط عليه فقال المومنون
لهم ان من قتل منا دخل الجنة فقالوا لم تمنون الباطل والبلايا فانزل الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة من غير ان تبتلوا
وبصيبكم الشدايد ولما ياتكم خبر الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وقوله وزلزلوا قيل حركوا وقيل جهدوا
وقوله حتى يقول الرسول والذين امنوا معه يعنى قال الرسول متى نصر الله قيل فيه بوجهين قيل يقول الرسول والمومنون
جميعا متى نصر الله ثم يقول لهم الا ان نصر الله قريب وقيل يقول المومنون متى نصر الله ثم يقول الرسول الا ان نصر الله قريب
ويحتمل هذا فى كل رسول بعثه الله الى امته يقول هذا وامته يقولون ايضا ويحتمل ان كان هذا فى رسول دون رسول
على ما قاله بعض اهل التاويل انه فلان وليس لنا الى معرفة ذلك سبيل الا من جهة السمع ولا حاجة لنا الى معرفته وقوله
يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فظاهر هذا السؤال لم يخرج له الجواب لان السؤال عما ينفق فخرج الجواب
على من ينفق غير انه يحتمل ان يكون ماذا بمعنى من وذلك مستعمل فى اللغة غير ممتنع ويحتمل ان يكونوا سالوا سؤالين احدهما
ينفق والثانى على من ينفق فخرج لاحدهما الجواب على ما كان من السؤال على من ينفق ولم يخرج جواب ما كان من السؤال
عما ينفق وهذا ايضا جايز كثير فى القرآن ان يكثر الاسولة ويخرج الجواب لبعض ولم يخرج لبعض ويكون جواب سؤال
ما ينفق فى قوله قل العفو فيكون على ما ذكرنا والله اعلم ويدل لما قلنا انه كان ثم سؤالان احدهما عما ينفق والآخر على من ينفق
ما روى عن عمرو بن الجموح الانصارى رضى الله عنه انه قال يا رسول الله كم ننفق على من ننفق فانزل الله يسالونك
ماذا ينفقون الآية ثم اختلف فى هذه النفقة قال بعضهم هذه النفقة كانت نفقة تطوع فنسخت بالزكوة وقيل هذه
النفقة صدقة يتصدقون بها على الوالدين والاقربين الذين يرثون فنسختها آية المواريث وقيل فيه الامر بالانفاق على الوالدين
والاقربين عند الحاجة وكان هذا اقرب والله اعلم وفيه دلالة لزوم نفقة الوالدين والمحارم وفى قوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وفى قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
وفى قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وحيث آخر وهو انهم والله اعلم ظنوا لما اتوا بالايمان
ان يدخلوا الجنة ولا يبتلون بشىء من المحن والفتن وانواع الشدايد فاخبر عز وجل ان فى الايمان المحن والشدايد لا بد
منها كقوله حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات والله اعلم وكقوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
ولان الايمان من حيث نفسه ليس بشديد لانه معرفة حق وقول صدق ولا فرق بين قول الصدق والكذب ومعرفة الحق
والباطل فى احتمال المؤن والايمان مخالفة الهوى والطبع وذلك فى انواع المحن وقوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم
وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم الآية فالكراهة المذكورة ههنا والمحبة كراهة الطباع والنفس لا كراهة الاختيار ولا يكون
فى كراهة الطباع خطاب لان طبع كل احد ينفر عن القتال والمجاهدة مع العدو ولانهم كرهوا ذلك كراهة اختيار لانه لا يحتمل
ان يكون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومرون بالقتال والمجاهدة مع العدو ثم هم يكرهون عما امروا اختيارا منهم
لان ذلك داب اهل النار فثبت انه على ما ذكرنا من نفور كل طبع عن احتمال الشدايد والمشقة وكراهيته وقوله وعسى
ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم يحتمل هذا فى القتال خاصة وهو ان يكونوا كرهوا القتال لما فيه
من المشقة والشدة وهو خير لهم لما فيه من الفتوح والظفر وسعة العيش ونيل الثواب والدرجات فى الآخرة وعسى
ان تحبوا شيا يعنى القعود عن الجهاد وهو شر لكم لما فيه من اجتراء العدو والاسر والقتل والذل والصغار وقطع الثواب
فى الآخرة هذا يحتمل ويحتمل هذا فى كل امر يحب فى الابتداء ويكون عاقبته شرا له ويكره امرا فيكون عاقبته خيرا له
هذا لجهلنا بعواقب الامور وخواتيمها ليعلم ان ليس الينا من التدبير فى شىء والله اعلم وقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون اى
يعلم ما هو خير لكم فى العواقب مما هو شر لكم وانتم لا تعلمون وقوله يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير
معناه والله اعلم يسالونك عن القتال فى الشهر الحرام وفى المسجد الحرام قل قتال فيه لو لم يكن من الكفرة ما ذكر من الصد عن رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم والكفر به واخراج اهله لكن اذا فعلوا ذلك لم يكن القتال بحيث كبيرا بل الكفر فيه اكبر من القتل
فكانه والله اعلم ذكر هذا الحرف ومعنى به الكناية عن الكفر ثم جعل الكفر اكبر من هذا كله مع المعرفة ان الذى يوازيه اقل منه

لم تبتلون بالبلايا والمحن

فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم

ثم الزمهم

ثم الزمهم لا اختيار لا يسر عند البلوى بما بينا والقتال بنفسه كبير لان فيه تفانى الخلق ولم يخلقوا للفناء ثم فيه نقض
على المعتزلة بوجهين احدهما انه ذكر القتل وجعل الكفر اكبر منه ولو اوجب القتل التخليد ما اوجب الكفر لكان فيه
التساوى ولا يكون الكفر اكبر من القتل فبان ان الكبيرة لا توجب التخليد ما اوجب الكفر والله اعلم والثانى قال
والكفر اكبر منه فصيره اكبر ثم لا كبيرة من ان يكون بنفسه او بالكافر او بالله ولا يحتمل ان يكون بالكافر لان فعل
الكفر اصغر عنده من فعل الزنا والقتل لانه يدين بالكفر ويستحسنه ويستقبح ذلك فبان انه كبير بنفسه او بالله فان قالوا
بنفسه قيل لهم لما جاز ان يكون كبيرا بغيره من بنفسه لم لا جاز خلقه بغيره من يفعله او يكون بالله وهو قولنا وقوله
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم فيه دلالة اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انهم يفعلون
كذا فكان كما قال فدل انه انما عرف ذلك بالله عز وجل وقوله ان استطاعوا ولكن لا يستطيعون ان يردوكم عن دينكم فيه
اياس الكفرة عن رد هولاء الى دينهم وامن هولاء عن الرجوع الى دينهم وقيل ان بمعنى لو قدروا ان يردوكم عن دينكم
الى دينهم لفعلوا اخبر عز وجل عما ودوا ان استطاعوا لكن الله بما اكرمهم وبشرهم من النصر واظهار الدين لا يستطيعون
على ذلك الظهر بقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم الآية وقوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم ذكر احباط الاعمال بالموت على الكفر والعمل يحبط بالكفر دون الموت والوجه فيه انه لا يحتمل ان يكون الموت
هو سبب احباط الاعمال بل الكفر بنفسه لانا وجدنا الموت لا صنع فيه للعباد والكفر فيه لهم اختيار لم يجز جعل العمل
حبطا بما لا صنع له فيه دل ان الكفر هو المحبط لا الموت ولكن ذكر الموت فى هذا لما فيه تمام الحبط والابطال وما لم يمت
يرجى له المنفعة بحسناته لانه اذا كفر حبط تلك الحسنات فابطلها فاذا اسلم بعد ذلك ندم على جعله ذلك باطلا فصار
مقابلا لسيئاته بحسنات فهو حالة الانتفاع بر كما قال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله فاولئك حبطت
اعمالهم فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فذهاب التعظيم والاجلال والثناء الحسن الذى يستوجب بالخير والدين عند
الناس فاذا ارتد عن الاسلام حبط ذلك كله وصار على اعين الناس اخس من الكلب والخنزير واما حبطه فى الآخرة
فذهاب ثواب عمله وكان ما يستوجب المرء من الثواب انما يستوجب بما ياتى من الاعمال ويحفظها عند الله لا بالعمل بنفسه
الا ترى الى قوله من جاء بالحسنة فله كذا وقوله ومن ياته مومنا فله كذا دل هذا ان الثواب انما يستوجب باحصان واتيانه
به عند الله لا بالعمل بنفسه والله اعلم وقوله ان الذين امنوا تضمن قوله امنوا الايمان بالله والايمان بجميع الرسل والكتب
التى انزلها على رسله والايمان بجميع ما جاء به الرسل من الرسالات وغيرها وقوله والذين هاجروا والهجرة يكون على وجهين
الهجرة المعروفة التى كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو كقوله ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض
مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الآية ثم روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا هجرة بعد فتح مكة والهجرة الثانية هجرة الآثام والاجرام فهى لا ترتفع ابدا وقال الحسن فى قوله ومن يهاجر اى بعد هذه
منه لمن كفر بالله وقال ابو بكر رضى الله عنه ان يهجر قومه وداره ويخرج لله وقوله وجاهدوا فى سبيل الله الجهاد
يكون على وجوه مجاهدة العدو ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس اولئك يرجون رحمة الله فيه دلالة على ان الذى
يحق رجاؤه يعمل ما ذكر الله وقوله رحمة الله يحتمل وجهين الرحمة الجنة والرحمة المغفرة وقوله والله غفور رحيم
لما كان منهم من التقصير فيما ذكر من المجاهدة والمهاجرة وقوله ويسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع
للناس قل فيهما اثم كبير بعد الحرمة ومنافع للناس قبل الحرمة واثمهما بعد الحرمة اكبر من نفعهما قبل التحريم والمنفعة
فى الميسر بعضهم ينتفع به وبعضهم يخسر وهم القمار وذلك ان نفرا كانوا يشترون الجزور ويجعلون لكل رجل منهم سهما
ثم يقترعون فمن خرج سهمه برئ من الثمن حتى يبقى آخرهم رجلا فيكون ثمن الجزور عليه وحده ولا حق له فى الجزور
وتقسيم الجزور بقيتهم وقيل يقسم بين الفقراء فذلك الميسر ثم قال فيهما اثم كبير فى ركوبهما لان فيهما ترك الصلوة
وترك ذكر الله وركوب المحارم والفواحش ثم قال ومنافع للناس يعنى التجارة واللذة والربح ثم اختلف فيه قال
قوم ان الخمر محرمة بهذه الآية حيث قال اثم كبير والاثم محرم بقوله انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم

والبغى وقال قوم لم يحرم بهذه الآية حيث قال اثم كبير والاثم محرم بقوله قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم
والبغى وقال قوم لم يحرم بهذه الآية اذ فيها ذكر النفع ولكن حرمت بقوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من
عمل الشيطان وعمل الشيطان محرم ثم اجتنبه آخرها انه يوقع بينكم العداوة والبغضاء ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة وذلك كله محرم • والاصل عندنا فى هذا انهم اجمعوا على حرمة الميسر مع ما كان فيه من المنافع للفقراء واهل الحاجة
والمعونة لهم لانهم يقتسمون على الفقراء فاذا حرم الله هنا مع هذا ثبت ان المقرون به احق فى الحرمة مع ما فيه من الضرر الذى
ذكرنا والله اعلم • وقال الشيخ رحمه الله فى قوله يسئلونك عن الخمر والميسر ولم يبين فى السؤال انه عن اى حرمها كان السؤال
وامكن استخراج حقيقة ذلك عن الجواب بقوله قل فيهما اثم كبير كان السؤال كان عما فيهما فقال فيهما كذلك وعلى ذلك
قوله يسئلونك عن اليتامى كان السؤال عما يعمل فى امورهم من المخالطة وانواع المصالح وكذلك عن المحيض كانه قال عن غشيانهن
فى المحيض اذ فى ذلك جرى الجواب لم يبين فى السؤال لما فى الجواب دليله اولما كان الذين سالوا معروفين يوصل بهم
الى حقيقة ذلك والله اعلم • وقيل هذه الآية تدل على حرمتهما بما قال فيهما اثم كبير وقد قال تعالى قل انما حرم ربى
الفواحش الى قوله والاثم فثبت ان الاثم محرم واكثر السلف على ان الحرمة فيهما ليست بهذه الآية ولكن بقوله انما الخمر والميسر
وقوله فيهما اثم كبير يبلغ لمن الشرب والميسر الى ما يكون فيهما اثم كبير من نحو ما بين عند السكر والميسر فى سورة المائدة
من وقوع العداوة والبغضاء والصد عما ذكر وفيها منافع فى ذلك الوقت بوجوه اما فى الخمر الى ان يسكر وفى التجارة
فيها وفى الميسر لما كان يفرق ما فيه ذلك على الفقراء وما فيه على التجارة ونحو ذلك وعلى التاويل الاول يخرج قوله
قل فيهما اثم كبير اى فى الشرب والعمل ان حرما ومنافع كثير قبل ان يحرما والله اعلم ثم الذى علينا ان نعرف حرمتهما اليوم
ان كانت فى هذه الآية اذ لم تكن فيهما لا انتفاع بهما ويحذر ذلك وقد بين الله الكافى من ذلك فى سورة المائدة
وجاءت الآثار فى تحريمها على ما فى الميسر من الخطر والجهالة التى جاءت الآثار على كون امثالها فى حكم الربو ونحو الخمر
ما لا يتخذ للمنافع وانما يتخذ للهو والطرب وكل ذلك مما نهينا عنه مع ما فى ذلك من ذهاب العقل الذى هو اعز
ما فى البشر وغلبة السفه فى اهله فحقيق لمن عقل اتقاه لو كان حلالا لما فى ذلك من التبذير فكيف وقد ظهرت
الحرمة ثم كان معلوما عليه حرمة الخمر اذا سكر منها الشارب ثم جاء به القرآن وليست تلك العلة فى شرب
القليل منه فلم يلحق بحق القليل غيرها والحق بالكثير كل شراب يعمل ذلك العمل لما فيه المعنى الذى ذكر
اذ كانت الخمر لا يتخذ فى المتعارف للمصالح وانواع المنافع بل يتخذ لما ذكرت من اللهو والطرب ولا يستعمل شربها
الا المعروفون بالفسق فيكون حرمة الخمر بعينها لما ذكرت من قصد العواقب بها وكل جوهر لا يتخذ لا يقصد باتخاذ
ذلك فهو غير محرم بعينه والله اعلم وقوله ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل عن القوت وذلك
ان اهل الزروع كانوا يتصدقون ما يفضل عن قوت سنة واهل الغلات يتصدقون ما يفضل عن قوت الشهور
واهل الحرف والاعمال يتصدقون بما يفضل عن قوت اليوم ثم نسخ ذلك بما روى عن انس بن مالك رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الزكوة نسخت كل صدقة كانت وصوم شهر رمضان نسخ كل صوم
كان والاضحية نسخت كل دم كانت فان ثبت هذا فهو ما ذكرنا وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال لكان هذا
قبل ان يفرض الصدقة دليل ذلك ظهور اموال الكثيرة لاهلها فى الصحابة رضى الله عنهم الى يومنا لم يخرجوا املاكهم
ولا تصدقوا بها ولا انكر عليهم فثبت ان الامر فى ذلك منسوخ او هو على الادب وقوله كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة • قيل اما فى الدنيا فيعلمون انها دار بلاء وفناء واما الآخرة دار جزاء وبقاء
فيعمروا الباقية منهما وقال الحسن اى والله ومن تفكر فيهما ليعلمن ان الدنيا دار بلاء والآخرة دار بقاء عن ابن عباس
رضى الله عنه لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة يعنى فى زوالها وفنائها واقبال الآخرة وبقائها بل يعلم
بالتفكر ان الدنيا للزوال علم انها للتزود لدار القرار فيصرف سعيه الى التقديم وجهده فى فكاك رقبته
واعتاقها ولا قوة الا بالله • وفى قوله كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون دلالة جواز تاخير البيان

لانهم

لانه امر بالتفكر والتدبر وجعل لهم عند الفكر الوصول الى المراد فى الخطاب فدل انه يتاخر عن وقت قرع الخطاب السمع وقوله
ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم كان فى السؤال اضمار الاية قال يسئلونك عن اليتامى ولم يبين فى اى حكم واضمار
والله اعلم ان يقال يسئلونك عن مخالطة اليتامى يبين ذلك قوله وان تخالطوهم دل قوله وان تخالطوهم ان السؤال كان عن المخالطة
وكذلك قوله يسئلونك عن الخمر والميسر ولم يبين فى اى حكم فكانه قال يسئلونك عن شرب الخمر والعمل بالقمار والميسر ثم قال
قل فيهما اثم كبير دل قوله قل فيهما اثم كبير ان السؤال كان عن شرب الخمر والعمل بالميسر وهذا جائز فى اللغة وفى القرآن كثير
ان يكون فى الجواب بيان السؤال انه ثم كان وان لم يذكر فى السؤال كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة دل ما ذكر
من الفتيا ان كان عن الميراث وكذلك قوله ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء
التى لا تؤتونهن ما كتب الله لهن الى قوله وان تقوموا لليتامى دل قوله وان تقوموا لليتامى ان السؤال كان عن نساء اليتامى
وهذا جائز وربما يخرج الجواب على اثر نوازل فيعرف مراده بالنوازل دون ذكر السؤال ثم السؤال يحتمل وجهين يحتمل
ان يكون عن مخالطة الاموال والانفس جميعا بقوله قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم فانما جاءهم والله اعلم على سؤال
المخالطة ما قيل لما نزل قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الى قوله سعيرا • وقوله فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا
وبدارا اشفق المسلمون من خلطة اليتامى فعزلوا لهم بيتا وعزلوا طعامهم وخدمهم وثيابهم فشق ذلك عليهم جميعا فسالوا
عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية يسئلونك عن اليتامى الآية • وفى الآية دليل جواز المناهدات ثم
والمواكلات فى الاسفار وغيرها حيث اباح لهم المخالطة باموال اليتامى فاذا احتمل ذلك فى مال الصغار من اليتامى فاحتماله فى مال
الكبير اشد اذ مال الكبير يحتمل الاباحة والاذن ومال الصغير لا وفى الآية دليل جواز القليل من المعروف واليسير منه فى مال
الصغير واحتماله ذلك لانه جل وعز اباح لهم المخالطة مع اليتامى على العلم فى الاستيفاء مبلغ الكبير بل يقصر عنه وفيه
دليل ان علة الربوا ليس هو الاكل على ما قاله بعض الناس ولكن هو الكيل والوزن لانه اباح لهم المخالطة فى الماكول من الطعام
والمشروب من الشراب على غير كيل ولا وزن على العلم بقصور الصغير عن الاستيفاء قدر الكبير وبلوغ مبلغه فلو كان عليه
الاكل لكان لا يبيح لهم اكل الربوا فدل ان علته ليس الاكل ولكن هى الفضل عن الكيل والوزن فى الجنس • وفيه دليل جواز بيع
التمر بالتمرتين لخروجه عن الكيل وهكذا كل شئ خرج عن الكيل والوزن لترك الناس مكايلته وموازنته وان كان كيليا
يجوز بيع واحد باثنين والله اعلم • وفيه دليل ان لا باس بان يؤدب الرجل اليتيم بما هو صلاح له وذلك ان يؤدب وان
يعلمه بما فيه الاعتياد لمحاسن الاخلاق والتوسيع كما امر بالصلوة اذا بلغ سبعا والضرب عليها اذا بلغ عشرا اعتيادا الا ترى
انه روى فى الخبر شر الناس الذى ياكل وحده ويشرب وفى المخالطة • التخلق بالاخلاق الحسنة وفى تركها التخلق بالاخلاق
السيئة والاعتياد بعادة السوء وقوله قل اصلاح لهم خير فيه دليل اضمار وهو طلب الصلاح لهم اما بالتولى لهم فى اموالهم
والنظر لهم بما يعقب نفعا لهم او طلب التخلق بالاخلاق الحسنة والاعتياد بعادة المحمودة فذلك اصلاح خير يطلبكم الصلاح
لهم او جنبهم بما يعود نفع ذلك اليهم ولا فظاهر الصلاح حسن له لكل احد فلا وجه لتخصيصهم به فدل انه على طلب النفع والنظر
لهم والله اعلم • ثم اوعدهم عز وجل بقوله والله يعلم المفسد من المصلح اى والله علم يعلم طالب النفع والنظر لهم من طالب الفساد
والاسراف فى اموالهم ولو شاء الله لاعنتكم قيل يضيق عليكم ولم ياذن لكم بالمخالطة معهم وقيل لاثمكم فلم يرخص لكم فى الخلطة
وقيل لاحرجكم وهو واحد واصل العنت الاثم كقوله عزيز عليه ما عنتم يعنى اثمتم وقوله ان الله عزيز حكيم فيه وعيدهم
على ما ذكرنا والله اعلم وقوله فاخوانكم فى الدين رغبهم عز وجل بما اخبر انهم اخوانكم فى الدين بطلب الصلاح والنظر والنفع
ان يستوجب بعضهم قبل بعض المعونة لهم والحفظ والصلاح كقوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم دل قوله
اخوانكم فى الدين على ان الصغير قد يقع والدين فى امر الدين ويجوز منهم التدين اذا عقلوه وان لم يكونوا بلغوا والله اعلم
وقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اختلف فى تاويل الآية فقال قائلون الحظر على كل مشركة ومشركة كتابيا وغير كتابى ثم نسخ
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب فالاماء على الحظر لانه انما استثنى الحرائر دون الاماء بقوله والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب وقال الآخرون هو على المشركات خاصة دون الكتابيات والكتابيات مستثناة فدخل كل كتابية حرة كانت او امة

وهوان يخرج نفقاتهم على عدد الرفقة

لان الاستثناء اذا كان عن جملة الاديان سوى الكتابيات لم يحتمل دخول بعض اهل ذلك الدين دون بعض والذي
يدل عليه وقوله ولامة مؤمنة خير من مشركة فجعل الامة المؤمنة خيرا بالنكاح من المشركة ومن قوله اية بالقدرة
على طول الحرة الكافرة لايباح له نكاح الامة المؤمنة فبان ان موقع الآية ليس على التناسخ على ما يقوله على ان الاماء يدخل تحت
قوله عز وجل والمحصنات دليله قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فثبت انهن
قد يستحققن بالتزويج اسم الاحصان وقد جعل شرط الحل هو ذكر الاحصان وقوله ايضا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
ان اردن تحصنا وقوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم مستثنى الاماء من جملة المحصنات دل انهن دخلن في الخطاب
وقد اجمع على انهن يحل لنا بالسبي وكل مذكور في الكتاب يستوي الحل فيه الا من جهة العدد فاذا ابيح لنا تزويج المسبيات
منهن كالحرائر ثبت انه محكوم بحكمهن في النكاح فبطل قول من ابطل نكاح الاماء انا شيئان الآية جملا فيما قال وبالله التوفيق
ثم الآية تضمنت احكاما منها ان من قول اصحابنا رحمهم الله ان المناهي بحيث النهي لا توجب الحرمة والثاني ان الآية كيف كان
حملها على الخصوص في بعض احق والعموم في بعض ومخرج للقطابين واحد والثالث في الآية ذكر المنع لعلة وهو
الدعوة الى النار فكيف لم يلزم حفظ ما لاجله وجب الحرمة على وجوده وهذا هو الاصل ان يحفظ الاحكام المعلقة بالعلل
ما دامت توجد العلل والرابع البيان في قول النكاح انه للاولياء خرج الخطاب بقوله ولا تنكحوا المشركين واما قولنا في النهي
فان النهي يوجب الانتهاء ولكن لا يوجب الحرمة الا بدليل يقوم على ارادة الحرمة في النهي لما راينا من المناهي كثير لم توجب الحرمة
فلو كان نفس النهي موجبا ذلك لوجب ان يوجب في كل ذلك فلما لم يوجب ذلك دل ان نفسه لا توجب الحرمة ولكن الدليل
هو الموجب الحرمة واما قولهم وسبيلهم عن الخصوص والعموم فذلك جائز عندنا خروج الآية على العموم يعقل بها الخصوص
وهو كثير في القرآن مما لا يحتاج الى ذكره وشرحه من ذلك قوله لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي عقل ايجاب
تعظيم الرسل والانبياء الكل وبعضها الخاص وكذا قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا في التخلف غير موجود في بعض الاحيان وان حق النهي عن الرغبة عن نفسه اخذ الجميع
فعلى ذلك ههنا يجوز خروجه عاما يخص بالمعقول واما قولهم وجوب الحكم لعلة وهو الدعاء الى النار فلو وجهان
احدهما ان الكتابي قد يجاب يقدر على الزام الدين بالدعاء اليه فيه رجاء الاسلام وغيرهم من اهل الشرك لا طمع بمثله
والثاني ان علة الحظر قولنا ولئك يدعون الى النار والزوجات لا يدعون ازواجهن الى ذلك بل الازواج هم الاصل
في الدعاء وهم الامراء على الزوجات والزوجات بين الاتباع للازواج والمذللات في ايديهم لذلك ابيح ثم الاصل
بان النكاح جعل لامرين اما لابقاء النسل واما للتحصن والتعفف عن السفاح ثم قد ينكح من لا نسل فيه فابقى الاوجه
المنع عن السفاح ثم الدعاء الى النار اعظم من السفاح بهذا لم يبح النكاح ثم الدلالة على تخصيصها وجهان احدهما قول الخصوم
بالنسخ انه ورد على بعض دون بعض وما ذلك الا لخصوص والثاني ان ذكر ذلك في الكتابيات لم يجز بحيث انطهاما يحل
وما يحرم اذ شرط نكاحهن انما هو عند العجز عن الحرائر يجري الذكر فيهن ادنى من الاصل في عقود النكاح وان الاماء دخلت
في حق النكاح وانما جرى الذكر في حلهن بملك اليمين لذلك ترك ذكرهن معا يجوز دخول الاماء في قوله والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب لما وجب لهن العفة والتحصن بقوله فاذا احصن فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وبقوله محصنات
غير مسافحات واما قولهم خاطب الاولياء في النهي بقوله ولا تنكحوا المشركين وخاطب الاولياء ايضا في الامر بانكاح الايامى
بقوله وانكحوا الايامى منكم فدل ان الولي شرط في جواز النكاح فجوابنا انه انما خاطب الاولياء في النهي عن انكاح وفي الامر
بالنكاح لما العرف في الامة ان يتولى النساء بانفسهن بل الاولياء هم الذين يتولون عليهن النكاح برضاهن وامرهن
وتدبيرهن لذلك خرج الخطاب للاولياء معا ليس فيه تخصيص بالخطاب دليل اخراج النساء عن ولاية النكاح الا ترى انه ذكر
في الآية الصلاح بقوله والصالحين من عبادكم وامائكم لم يصر ذلك شرطا في الجواز فعلى ذلك الاول وهذا يدل ايضا على انه ليس
في تخصيص المحصنات من الكتابيات حظر نكاح الاماء منهن والثاني ان قوله ولا تنكحوا المشركات يحتمل ان يكون في الصغار خاصة
نهى الاولياء من تزويج الصغار من المسلمين والمشركات من غير الكتابيات فاذا كان محتملا ما ذكرنا لم يكن لمخالفنا الاحتجاج

ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم

ولايمانهم على العموم واقام الصلوة وايتاء الزكوة في حق البعض دون البعض

علينا في ابطال انكاح المرأة نفسها دون وليها والله اعلم قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اختلف في تأويله
قال قوم هو في غير الكتابيات يبين ذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات الى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فنسق
الكتابيات بالاحلال على ما لم يختلف فيه احوال الحل من اول الاسلام الى الابد ولا من قبل ذلك نحو الطيبات من الطعام من طعام
المؤمنين واهل الكتاب ونحو المحصنات من المؤمنات فثبت الكتابيات اذ نسق نكاحهن على من ذكر ولو كان التأويل هذا
كانت الآية نطقت بان لا تنكحوا المشركات غير الكتابيات فلا يكون في الآية تحريم الاماء من اهل الكتاب ولا النهي عن ذلك وثمان
ان كان يجوز او لا بدليل اخر سوى هذه الآية فان قيل على ذلك لم لا كانت آية الاحلال في التخصيص بذكر المحصنات دليلا
على حرمة نكاح الاماء قيل لا وجه احدها ان ذكر الحل في حال لا يدل على الحرمة في غيرها كذلك ذكر الحل في صنف لا يدل
على الحرمة في غيره كان ذا يدل لكان يجب ان يكون حكمها لا يرد فيه السمع مخالفا لما يرد فيه وذلك فاسد اذ السمع هو دليل
الحكم فيما لا سمع فيه بالمعنى الذي ضمن فيه والله اعلم والثاني ذلك قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن
اجورهن ثم هن يحللن وان لم يؤتين اجورهن فمثله الاول والثاني انه مسوق على مثله في المؤمنات على تحريم الاماء
فمثله في الكتابيات فان قيل لما بين في اماء المؤمنات قيل لم يزعم احد ان ذلك على نسخ هذه الآية فثبت انه ليس في الذكر في المحصنات
تحريم الغير فلذلك في المسوق عليها لو كان في مثل هذا الاستدلال على الحرمة لكان في قوله ولا تنكحوا المشركات اذا وقع
على غير الكتابيات دليل على الاحلال فيكون ذكر الحرمة في نوع دليل الحل في غيره على مثل ذكر الحل في نوع وفي ذلك تناقض لا دليل
والله تعالى اعلم ووجه اخر ان المحصنات يحتمل ان يريد به العفايف واهل الصلاح والاماء قد يستحققن هذا الاسم كقوله
واذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن وقوله محصنات غير مسافحات وقوله والمحصنات من النساء الآية واذا استحققن
الاسم فهن في الآية حتى يظهر الاخراج والله اعلم وبعد فانما نقول اكثر ما في ذلك ان يكون في ذلك النهي عن تزوج الاماء
من اهل الكتاب فان النهي في ذلك لا يدل على الحرمة لانه معلوم المعنى الذي له يقع النهي عن نكاح الاماء انه لمكان رق
الاولاد ولمكان مخالطة الاماء الرجال وخلوتهن بالموالي وذلك مما ينفر عنه الطبايع ثم كان النساء الزانيات جميع ذلك فيهن
موجود والنهي قائم وقد يلحق اولادهن اعظم الشيء الذي يضعف على الرق ثم لم يمنع النهي جواز نكاحهن بما هو نهي نفاد
الطباع لا معنى في ذلك له يكون الحرمة فمثله امر الاماء والله تعالى اعلم ثم دليل حلهن ان كل امرأة حرمت لنفسها فسواء
وجه الحل بهن في ملك اليمين والنكاح وكل امرأة كان حرمتها بالحق فيختلف فيها الملكان فاذا كانت هذه محللة بملك اليمين ثبت
انها لم تحرم لنفسها فهي تحل بالنكاح كما تحل بملك اليمين على هذا الاصل امر المجوسيات والمحارم ونحوها والله تعالى اعلم وقال
قوم الآية في جميع المشركات والكتابيات ثم نسخت الكتابيات بالآية التي في سورة المائدة وكان النسخ بشرط الاحصان
فبقيت الاماء على الحرمة دليل ذلك وجهان احدهما قوله ولا تنكحوا المشركين انه يدخل في ذلك الكتابي وغيره فكذلك في الاول
والثاني قوله اولئك يدعون الى النار الآية والثالث ان الكتابي مشرك في الحقيقة اذ هو ممن لا يعتقد والكتابي في الدعاء اليها وغيره
سواء فلذلك كان على ما ذكرت فنحن في ذلك وبالله التوفيق ليس فيما ذكر دليل على ما ادعى لانه جائز خروج آية واحدة في امرين
يختلف ووقوعها للخصوص والعموم بالدليل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم الآية انه قد يجوز التخلف عنه لعذر ولا يجوز
الرغبة عنه بحال وقال في قوله لئن اقمتم الصلوة الآية ان ليس كل ذلك مما يقتضي عموم الخلق وان كان الظاهر في الكل
بالمخرج واحد ثم ما ذكرت من الآية دليل الفصل والثاني انه يجوز ان يكون الآية في غير اهل الكتاب دليل ذلك الامر بالمعروف
من التفريق في التسمية وان كانوا في الشرك مجتمعين قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين وقال ان الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم الآية وغير ذلك مما قد فصل الله بينهم في التسمية وان كانوا في حقيقة الشرك
مجتمعين فجائز ان يكون الآية على ذلك ثم حرم تزوج المسلمات من اهل الكتاب لا بهذه الآية لكن بغيرها من الادلة الا ترى
انا لا نترك مماليك اهل الاسلام تحت ايديهم لا بهذه الآية فمثله امر الانكاح والله تعالى اعلم ثم في الآية دليل ذلك وهو
قوله ولامة مؤمنة خير من مشركة الآية وكل مجمع ان لا يحل نكاح الامة المؤمنة على الحرة الكتابية فلو كانت هي مرادة في هذه
الآية لكان نكاح من هو خير منها في النكاح لا يحرم عليه حتى ان الذين يقول بهذه الآية ويل يحرم لطول الكتابية فصار منكحا

ولا قوة الا بالله وقوله اولئك يدعون الى النار دليل ان الاماء غير والحلالات في الخطاب لانهن لا يدعون بل الغالب عليهن
ان يتبعن ويجبن لمن هن تحتهم فيما دعين اليه لا ان يدعون هذا الامر المتعارف والله تعالى اعلم ثم نقول اجمل كانت الاية نزلت
في الكتابيات فقال ولا تنكحوا الكتابيات فان الكتاب في جميع ماجرى به الذكر في حقوق النكاح والطلاق والاحكام تعم
خطاب الاحرار خاصة فيما انهن وعرف امر الحرية في الاماء والعبيد بالادلة العقلية مما دلت عليه احكام السمع كذا هنا والله
التوفيق وقوله ولا تنكحوا محمول على التحريم باتفاق الامة وان احتمل ما هو هذا المخرج على غير التحريم على ان الله تعالى قد بين
بقوله ازواجا وكم المؤمنات الى قوله لا جناح عليكم ان تنكحوهن الاية ان النكاح قد انفسخ حيث اباح لغير الازواج التزوج
وفي قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم انه لا استمتاع بذوات الازواج اذا سبين وقال ولا تمسكوا بعصم الكوافر
ذكر جملة النساء ونهى الرسل عن التمسك بعصمتهن واسم الشرك اسم لفريق بالاطلاق واسم الكفر للجملة على ما قال و ان الذين كفروا
الاية وقال ان الذين كفروا من اهل الكتاب الاية وغير ذلك مما جمع في اسم الكفر وفرق باسماء المذاهب وجعل اسم
الشرك في التفريق فدلت هذه الايات على الحرمة في قوله ولا تنكحوا الاية ويدل قوله في اخر الاية اولئك يدعون الى النار
على ذلك ومعلوم ان دعاءهم الى النكاح فصير ذلك سببا للنار وما يوجبها حرام ثم فيها دلالة عموم الاية في الذكور لانه
في تعارف الخلق ان الرجال هم الذين يدعون لا النساء والنساء يتبعهم وذلك المعنى في رجال اهل الكتاب وغيرهم سواء فيكون
الحرمة فيهم سواء وعلى ذلك المروي من الخبر ان رجلا اسلم وتحته ثماني نسوة واختان ونحو ذلك فاسلمن لانهن يتبعن
الرجال لانهن يدعون الى ما يختاره من الدين والله تعالى اعلم ثم الدليل على ان النهي ايضا نهي تحريم في قوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن انه لولا خبث فيهن في الحقيقة يوجب حرمة الاستمتاع لكان لا نهي عن التناكح وذلك من ابلغ اسباب
دعوتهم الى الاسلام بما ذكرت من العرف في طاعتهن للازواج فيما يختارون من الدين في المتعارف بمن رويت فيهن المحترم
وخاصة ذلك في المشركات تاخو في الحل منه في الكتابيات اذ هن انما اخذن دينهن عن ابائهن بالاعتياد والتقليد ومعلوم
اعتيادهن ما فيه رضا الازواج ايثار ذلك على ما فيه رضاء الاباء حتى يؤثرهم عليهم بما جعل الله بينهم مودة ورحمة والكتابيات
اخذن دينهن بما اعلمن انه دين الرسل وانهم امروا بالتمسك به فان نهوا عن نكاح المشركات وابيحوا نكاح الكتابيات في الاسلام
فيهن بالنكاح ادعى ثبت ان ذلك كان لخبث نهوا وقد حرم الله الخبائث والله تعالى اعلم ثم الله سبحانه وتعالى اخبر انه حرم
الخبائث واحل الطيبات فلولا ان فيما حرم خبث يحتمل الوقوف عليه وفيما احل طيب لسوى الحرمة والحل لما كان كذلك
لم يحتمل التسمية في وصف التحريم هو لا غير وهذا كما وصف المؤمن بالحيوة والسمع والبصر والكافر بضد ذلك بما في كل معنى ذلك
لانه اسم لعتب دون ان يكون له حقيقة لم يسمى بشيء الذي ذكرت ثم كان الخبث يكون من وجهين من حيث الافعال ولذا سمى
الكفر رجسا وكذا الخمر والميسر وذلك كله بخبث الافعال وعلى ذلك يجوز ان يكون تحريم تزويج المسلمات المشركين بخبث الفعل
وهو خوف وقوع الكفر اذ هن يتبعن الرجال فيما يؤثرون من الافعال ويقلدونهن الدين فيكون التحريم لهذا الخوف اذ هو
الوجه الذي عليه جرى حرمات النكاح من ذلك نحو نكاح ما كثر عددهن بقوله وان خفتم ان لا تقسطوا الخ من الخمس واكثر
الخوف وقوع الجور الذي هو في الفعل خبيث ونكاح الامة بعد الحرة اذ الطبع ينفر عن مخالطة الرجال ويخلوهن لا يؤمن عليه
السفاح فيما يؤثر مثلها عند الغناء بالحرة عنه عنها الا لامر حدث بينهما مما يبعث ذلك على الجواز فنهوا عن ذلك وكذلك نكاح
المحارم بما قد جرى من الامور في النكاح مما يحمل على تضييع الحدود وانواع النشوز الذي يمنع ذلك القيام بحق النسب وصلته فيكون
في ذلك تضييع الفرض وكذلك محارم المراة وعلى هذا يجب تحريم المسلمة على الكتابي وغيره لخوف وقوع فعل الخبث بينهما وهو الكفر
ولم يقع النهي عن نكاح الزانية والزاني على ذلك لانه ليس في الطباع احتمال اتباع احدهما الاخر في ذلك الوجه بل ينفر عن ذلك
اشد النفار فلا يخاف فيه هذا فهو على الادب بما يلحق الولد الطعن وصاحبه يشتم به لان يلحقه موافقة ماثم الا لمكان الاخر
يكون النهي نهي تحريم بل كان على الارشاد بما يلحق من الطعن دون ما ان يحدث من تعدي حد وجور في الفعل وعلى ذلك امر نكاح
الامة والله تعالى اعلم ثم وجه التفضيل بين الكتابية والمشركة والله تعالى اعلم في اباحة التناكح ان المشركة اثرت فعل البهيمي
في الدين على فعل البشري والكتابية اثرت فعل البشري وهو ما يدعو اليه العقل لا الطباع لانهن يرجعن في الاختيار الى الايمان

بالرسل

بالرسل لكن انهى اليهن نهوا عن الايمان بمن يدعوهن اليه فاعتقدن على ذلك بالاثار عندهن من الحجج كما اعتقد ناهني
بان لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حجتنا صحيح وحجتهم فاسد لا توجبه الاعتقاد عليها في العقل ذلك واما المشركة
لم يحتج ذلك بحجة انما كان بوجود الاباء على ذلك من غير الانتهاء الى من في العقل اتباعه كما قالوا انا وجدنا اباءنا على امة الاية
فحرم علينا نكاحها لخبث اختيارها واتباع فعل البهيمي وايثاره على فعل البشري والله تعالى اعلم وعلى ذلك لو اسلمت
لم يعظم درجة اسلامها لولا انا نرجو من رحمة الله ان الله اذا قبلت هي الاسلام بالاعتياد لينير قلبها حتى ينشرح صدرها
للحق لكان لا يكون لاسلامها فضل حمد والله الموفق ووجه اخر ان الكتابية لما امنت بكتب الانبياء عليهم السلام في الجملة
فقد امنت بذلك بالرسل جميعا لكنها كذبت بما وقع الخبر عندها بخلاف الحقيقة فامكن ان تنبه عن حقيقة ذلك بالكتاب الذي
امنت به فيكون ايمانا في الحقيقة ايمان بمن كذبته بما ظننت ان في ذلك الكتاب تصديق والمشركة احتيج فيها الى ابتداء الزام لان كان
معها اية اللزوم مما قد وجبا بما نهابه والله تعالى اعلم وعلى هذا لا يسلم لمن تدخل الكتابيا اذا اختان لانا نعلم انه يظهر ذلك
لانه في الحقيقة مختار اذ كتابنا مصدق كتابهم فلم يحتج ان نظهر له بما به التصديق التكذيب ليرجع الى رد هذا بقبول الحجر
فكذلك لم يحل ذبايحهم والله تعالى اعلم ودليل النهي عن النكاح والانكاح حتى يكون الايمان ان الايمان معروف عندهم
يعلمون به حقيقة الشرط والله تعالى اعلم ومخاطبات الاولياء في قوله ولا تنكحوا يخرج على الامر المعروف من التولي او على
الوقت الذي لهم حق التولية وعلى ان الحق عليهم في التزويج اذا اردن فنهوا عن ذلك ليعلم ان لا حق يحبسهم في ذلك والله اعلم
وقوله يدعون الى النار يحتمل وجهين احدهما الخبر عما يدعوا بعضهم بعضا الى عبادة غير الله تعالى وذلك دعا الى النار
كما قال انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير بما يوجبا الفعل الذي دعوا اليه ذلك فكانما دعوا الى ذلك اذ هو المقصود
من الثاني وعلى ذلك تسمية الجزاء باسم العمل الذي له الجزاء والله تعالى اعلم ويحتمل يدعون في التناكح للمهود استكثار الاتباع
في معاداة اوليائه بالتناكح والله تعالى يدعوا الى التعفف واستكثار الاتباع على ما ينال به مغفرته ورحمته والله تعالى اعلم
وقوله اولئك يدعون الى النار يعني يدعون الى عمل الذي يوجب لهم الجنة والمغفرة والله تعالى اعلم وقوله ويبين
اياته للناس لعلهم يتذكرون وقوله ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا دل جوابه على ان السؤال كان عن قربان
النساء في المحيض وكان عن موضع الحيض فاخبر انه اذى والعرب تفعل ذلك ربما ان يتوهم من الجواب مراد السؤال وربما يبين
المراد في السوال واذا جاز ان يتبع غير وقت الاذى بالاتصال والله تعالى اعلم ولا يحتمل ان يكون الاعتزال يقع على اعتزال الابدان
والاشخاص بالاتفاق اذ كل يجمع ان له ان يمسها باليد وان يقبلها وغير ذلك الا انهم اختلفوا في موضع الاستمتاع قال ابو حنيفة
رضي الله عنه يستمتع بما فوق السرة وما تحت الركبة ويجتنب غير ذلك وقال محمد رضي الله عنه يجتنب شعار الدم على ما جاء
عن عايشة رضي الله عنها انها قالت تتقي شعار الدم وله ما سوى ذلك ثم دل هذا الخبر على ان النهي في الموضع الذي فيه الاذى
دليله اول الاية قل هو اذى وحجة ابي حنيفة رضي الله عنه ما روي انه قال لها ما تحت السرة وله ما فوقها وما روي ان ازواج
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حضن امرهن ان يتزرن ثم يضاجعهن واما محمد رحمه الله فانه ذهب الى ما ذكرنا انه انما
نهى عن قربان ذلك الموضع للاذى واما الموضع الذي لا اذى فيه فلا باس ويجوز ان نهى عن قربان هذه الاعضاء من الحجر
الفخذ وغيرها لاتصالها بالموضع الذي فيه الاذى ويحتمل ان يكون ذكر الاذى كناية الموضع وعلى ذلك روي عن عايشة
رضي الله عنها انها سئلت عما يحل للرجل من امراته وهي حايض فقالت يحل له كل شيء الا النكاح وسئلت عما يحل للمحرم من امراته
فقالت لا يحل له شيء الا الكلام وقوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فيه لغتان في حرف بعضهم
بالتشديد وفي حرف اخرين بالتخفيف فمن قرا بالتخفيف فهو عبارة عن انقطاع الدم ثم من قول اصحابنا رحمهم الله تعالى عليهم
ان المراة اذا كانت ايامها عشرا حل لزوجها ان يقربها قبل ان تغتسل واذا كان ايامها دون العشر لم يحل له ان يقربها الا بعد
الاغتسال ويحتمل ان يكون الا فيما كانت ايامها دون العشرة في العنيين اذ الغالب كان على الحيض لا يحيط بكل وقت على ما روي
ان يحيض في علم الله تعالى من الشهر ستا او سبعا فعلى ذلك انه انما يحل قربانها بالاغتسال قال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تقربوهن
حتى يطهرن انه على ما دون العشرة المدة بما الغالب كان على ان يمتد الى اكثر الوقت ولا يقصر عن الاقل على ما روي عن رسول الله

وقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
وقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
على ان الايمان معلوم الحد عندهم
فانه نهاهم عن النكاح والانكاح حتى
يكون الايمان فدل ان الايمان
معروف عندهم يعلمون حقيقة
وجوده وذلك هو التصديق
او الاقرار والتصديق فيبطل به قول
من جعل الاعمال من الايمان فلا يكون
هذا الشرط معلوما

ولهذا قلنا ان المسلم اذا تشهد وتهود
لا يعتبر من اهل الكتاب حتى لا يحل
ذبيحته
شرح

يفعل مثل هذا ربما يبين السؤال
وربما يترك المراد من السؤال اذا كان
مما يفهم من الجواب اختيارا منهم للحذف
والاختصار
شرح

شعار الدم كناية والفرج على الكناية
لان كلا منهما محل الدم

صلى الله عليه وسلم انه قال في النساء هن ناقصات العقل والدين ووصف نقصان دينهن ان يحيض احداهن في الشهر ستا او سبعا ووصفهن جملة بنقصان الدين ثم ذكر ما بين في التفسير عن الجملة ليتبين ان ذلك كان الغالب في الجملة حتى خرج عليه الجواب انه لا يمتد الى الاكثر ولا يقتصر على الاقل والله تعالى اعلم، وابين هنا ما اخبر عن ابتداء الآية انه الاذى وامر بالاعتزال ثم جعل لها بعد الانقطاع قبل الاغتسال حكم الاذى فلم يجز ان يجعل الحكم لما ليس بحقيقة حكم الاذى فيجعل الطهر الذي هو ضده ذلك الحكم والله تعالى اعلم، وبما ليس لذلك حكم الاذى في العشاء ان كان الوقت يضيق عنه في رفع الصلوة فكذا في امر القربان والله تعالى اعلم، وعلى ما ذكرت من العرف ينصرف امر الوقت انها لو اخرت الاغتسال عن وقت الصلوة كان للزوج ان يقربها بالزمها قضاء الصلوة وهذا النوع من الاذى لا يمنع لزوم القضاء وحصل الخطاب على الوقت بالعرف انهى لا ياخرن وبما ذكرت من لزوم القضاء الذي يمنعه حكم الاذى وبذلك صار غسل الحيض كغسل غيره من الاحداث وهو لا يمنع القربان والله تعالى اعلم حرم اتيان الادبار بما جاء علم اتفاق الآثار وبما حض المكان بالامر بالقربان وبما امر بالاعتزال للحيض ولو كان يحل غشيانهن في الادبار لم يكن للامر بالاعتزال معنى اذ قد بقى احد الموضعين من المقصود بالغشيان او احتمل والله اعلم والاصل في ذلك ان الحل في الابتداء لم يتعلق بقضاء الشهوات ولا كانت هذه لها وانما لقضاء الشهوات خاصة للجنة فاما الدنيا فانما جعلت لقضاء الحاجات اذ بها يكون بقاء النسل والابدان وبها يكون قوام الابدان ودوام الحيوة الى انقضاء الآجال وركبت فيهم الشهوات لتبعثهم على قضاء تلك الحاجات اذ لولا الشهوات لكان كل امر من ذلك على الطباع يكون كالادوية الكريهة والمحنة الشديدة فخلق الله فيهم الشهوات ليدوم بها جرى تدبيره في امر العالم ولا يتعلق الحاجات باتيان الادبار ولو احلت لكان الحل لحق الشهوة خاصة والدنيا لم يخلق لها فلذلك لا يحل بها حل محلها ولو كان يحتمل ذلك لاحتمال التناكح في نوع فاذا لم يحتمل ذلك انما جعل للنسل والله الموفق، وقال لو لم اذ حرم الغشيان للحيض بما هو اذى وهو يكون على ما يتقدر فالذي الدبر يجراه، والذي منه يخرج من الاذى وحش واخبث وذلك قايم في كل الاوقات كقيام الحيض في وقته فالحرمة لذلك اشد ذكر بوجه لكن ان يبسط ما قال على الذي وصفته والله تعالى اعلم وقوله فاتوهن من حيث امركم الله، قيل فيه بوجوه قيل معنى قوله من حيث امركم الله لا تاتوهن صايمات ولا معتكفات ولا محرمات ويحتمل لا تاتوهن حيضا ولكن فاتوهن طهرا وقيل فاتوهن في الموضع الذي اباح لكم اتيانها وهو القبل ولا تاتوهن في ادبارهن ويشبه ان حيث يعبر به عن المكان ان يكون من حيث امركم الله ان تبتغوا الولد بقوله وابتغوا ما كتب الله لكم وقوله ان الله يحب التوابين من الذنوب متطهرين من الاحداث والاذى والثاني ممن فعل هذا قبل النزول المتطهرين انفسهم بالتكفير والتواب هو الراجع عما ارتكب والتارك عن العود اليه للتغير مصر على الذنب ويحتمل التواب الذي لا يرتكب الذنب وقوله نساؤكم حرث لكم وهو المزرع وفيه دليل النهي عن الاعتزال لان المزرع اذا ترك سدى فيضيع ويخرب وفيه دليل ان الاباحة في اتيان النساء لطلب النسل والتوالد لا لقضاء الشهوة لانه سمى ذلك حرثا والحرث ما يحرث فيتولد من ذلك الولد وفيه دليل ان الاتيان في غير موضع الحرث محرم منهي وعلى ذلك جاءت الآثار الاحبار انما سميت اللوطية الصغرى وما جاء انه نهى عن اتيان النساء في محاشيهن يعني في ادبارهن وفي بعض الاخبار اتيان النساء في ادبارهن كفر وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم يعني على اي جهة شئتم بعد ان يكون ذلك في المزرع ولا باس بالاعتزال عنها اذا اذنت لما ذكرنا ان الامر بذلك لامر يطلب النسل لا لقضاء الشهوة فاذا كان كذلك فلها ان يتحمل مشقة تربية الولد، واما الزوج فانما عليه المونة وذلك مما ضمن الله لكل ذي روح بقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها لذلك نهى هو عن الاعتزال دون اذنها ولم تنهى عن الاذن عن ذلك والله تعالى اعلم، واما الاعتزال عن الاماء وملك اليمين فانه لا باس لانه لا يطلب النسل من الاماء في المتعارف لذلك لم يكره ولان في احبالهن ابتلاف والرجال ان لا يتلف بها جرى تدبير العالم وبه يكون دوام النسل وبقاء الابدان والحاجة لا يحتمل الوقوع في الادبار لذلك لم يجعل فيها وقوله وقدموا لانفسكم قيل فيه بوجهين قيل قدموا العمل الصالح وقيل قدموا لانفسكم من الولد يحفظونه عند النزع عما يجب وقوله واعلموا انكم ملاقوه ما قدمتم من العمل الصالح فيجزون على ذلك كقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله، ويحتمل قوله انكم ملاقوه اي ملاقوه وبكم بوعده ووعيده وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الآية قيل كان الرجل يحلف ان لا يصنع المعروف ولا يصلح بين الناس فاذا امر بذلك قال اني حلفت على ذلك فنهوا عن ذلك بقوله لا تحلفوا على امر هو معصية ان لا يصلوا القرابة وان لا تبروا وما ذكره.

ملكه لذلك افترقا والله اعلم والاصل ان الشهوات محمودة لما بها امكن قضاء الحاجات التي يقضي بها

وقوله تعالى والله سميع عليم

وقوله والله سميع عليم حرفان يخرجان على الوعيد سميع بمقالتكم وايمانكم عليم بارادتكم في حلفكم وقال الشيخ رحمه الله في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكسب القلوب لا يكون عقد ولو حنث انما هو تعمد الكذب كقوله تعالى ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم فعلى ذلك امر يمين اللغو، وهذا يبين ان اليمين يكون في موجود لا فيما يوجد اذ فيه وصف المأثم وفيما يكون لم يكتسب قلبه ما يأثم فيه فعلى ذلك امر اللغو فهو في الماضي ولا يأثم في الخطأ ويأثم في غير اللغو بالنعمة ثم قال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وبين ان المؤاخذة تكون في هذا بالكفارات وفي الاول بالمأثم وفي اللغو لا يؤاخذ بهما فلزم تسليم البيان لما جاء في كل ذلك ثم جميع المؤاخذات في كسب القلب بالمأثم ولزوم التوبة فكذا في هذا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في امر اللعان انه قال ان احدكما كاذب فهل منكما من تائب، ومعلوم كذب احدهما ولزوم التوبة معا في ترك الوعيد الشديد من الغضب واللعن ولو كانت فيه كفارة لكان لا سبيل الى العلم بها الا بالبيان فهي احق ان يبين لو كانت واجبة دل ما لم يبين انها غير واجبة على انها يجب بالحنث والحنث عقيب العقد يدفعه وكان ها هنا ملاقيا له فهو بمنعه على نحو جميع المحرمات التي تفسخ الاشياء فهو عند الابتداء يمنع وليس ذلك كالطلاق ونحوه لما قد يكون بلا شرط واليمين لا يصح لآية ولم يكن فانفرد قوله والله وقد يخرج مخرج الاستخفاف للحلف بالله كاذبا والجراءة على الله فيجيء ان يكون كفرا لولا ان المؤمن يخطر بباله ما يحمله على ذلك دون قصد الاستخفاف به وعلى ذلك امر اللعان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يقل احدكما كافر فهل منكما من يؤمن لانهما لم يقصدا ذلك القصد فكذا كل حالف على تعمد الكذب والله الموفق وقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم قال سعيد بن جبير هذا محمول على قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم لولا يؤاخذكم بنقض ايمانكم التي حلفتم بها لانها معصية الله ولكن يؤاخذكم بحفظها والمضي عليها ثم اختلفوا في اللغو ما هو قال بعضهم هو الاثم، وقيل هو الغلط ثم اللغو المذكور الذي اخبر المؤاخذة على صاحبه يحتمل ان لا يؤاخذ به بالاثم ويحتمل ان لا يؤاخذه بالكفارة بل انما يؤاخذ بالكفارة بما يعقد ثم ذكر في الآية الثانية لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان، ولو حمل على انه لا يؤاخذ في هذا ايضا بالاثم وقع الكلام بحيث لا يفيد في حد التكرار والاصل عندهم بان حمله على ما يفيد احق من حمله على ما لا يفيد فثبت ان الاول في نفي الاثم والثاني في نفي الكفارات وعلى هذا القول في الغموس انه لعظم الوزر والاثم لم يلزم ان يكفر فليس فيه الكفارة وله وجه آخر وهو ان سبب الحنث في اللغو والغموس تلاقى العقد فلم يصح بر اليمين لان اليمين، لان الحنث نقض يسقط اليمين فاذا الا في الحنث اليمين مع صحتها ووجوبها فاذا كانت هذه اليمين غير صحيحة في العقد فلم تلزم الكفارة لحدوث هاتك الشرط ثم لم يزل عنه في الغموس الاثم لتعمده الكذب قال الفقيه رحمه الله والقياس عندي في التعمد بالحلف على الكذب ان يكفر ولهذا ما لحقه الوزر لما ان الايمان جعلت للتعظيم لله تعالى بالحلف فيها والحالف بالغموس محترق على الله تعالى مستخف فيه ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالآباء والطواغيت لان في ذلك تعظيم لهم وتبجيل والحالف بالغموس في الذي هو مجترئ مستخف فالوزر له بالجراءة لا رتم ثم المعتقد مجترئ مستخف بالله تعالى على المعرفة انه لا يسع سبيله سبيل اهل النفاق اظهار دم الايمان بما فيه استخفاف وان كان سببا للتعظيم للاستخفاف لزمهم العقوبة بذلك كذا الاول ولكنه بالحلف خروج فعله على الجراءة للوصول الى مناه وشهوته لا للعصيان ليه وعلى ذلك يخرج قول ابي حنيفة رضي الله عنه في سؤال السائل ان العاصي مطيع للشيطان ومن اطاع الشيطان كفر كيف لا يكفر العاصي فقال لانه يخرج فعله في الظاهر مخرج الطاعة له لان القصد يكون طاعته وانما يكفر بالقصد لا بما يخرج فعله فعل معصية فكذا الاول والله تعالى اعلم، وعلى ذلك جاء في امر اللعان من القول بان احدكما كاذب فهل منكما تائب ففيه وجهان انه لم يأمر بالايمان ولا قال احدكما كافر فثبت انه لا يكفر به والثاني انه امر بالتوبة وقد يعلم من كذب ان عليه ذلك معا في القرآن من اللعن والغضب ولم يأمر بالكفارة وهي لا تعلم الا بالبيان فهي احق ان تبين لو كانت واجبة والله تعالى اعلم، والاصل عندنا في اليمين الغموس انه اثم وعليه التوبة والتوبة كفارات وهكذا في كل يمين في عقد معصية ان يلزمه الكفارة وهي التوبة واما الكفارة التي تلزم في المال فهو لا يلزم الا بالحنث باثم والحنث نفسه اثم ذلك لم يجز الا بالحنث وما رويت من الاخبار من قوله من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر بيمينه ثم ليأت الذي هو خير

انه اذا كانت يمينه بمعصية يصير باليمين اثما فيكلف بالتوبة فان قيل الحلف بالطلاق والعتاق والحج بالماضي يلزم ه
كيف لا لزمته الكفارة قيل لان الطلاق والعتاق والحج يلزم دون ذكر ما ذكر اذا قال علي حجة او انت طالق وهو حر ولو قال
الف مرة دون ذكر ذلك الفعل لا يكون يمينا ولا يلزمه شي لذلك افترقا والله اعلم • قال الشيخ رحمه الله الايلاء معلوم في اللغة
انه اليمين وكذلك كان ابن عباس رضي الله عنه يقرا الذين يقسمون وما هو لليمين من الحكم لا يجب لعينها نحو الكفارة التي تجب
للحنث فيها ثم يجب له على كل حال على اي وصف كانت اليمين فكذلك حكم الايلاء وهو قول عبد الله وابن عباس رضي الله عنهما
وروي عن علي رضي الله عنه التفريق بين الغضب والرضا • ثم اوجب التربص للمولي فمن كانت يمينه بدون اربعة
اشهر فهو بعد المدة ليس بمولي فلم يلزمه الحكم الذي جعل الله للايلاء الا ترى انه في المدة وذكر الفي وهو لو وجد منه لم يجب
عليه ما في الفي من الكفارة فكذا بمضي المدة لا يلزمه الطلاق وبه يقول لا ايلاء بيمين الابد وذلك عندنا علي وابن عباس ره
وابن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول الايلاء يمينا لابد وذلك عندنا على ارادة الاتمام ولو جعله شرطا لكان الحكم
يلزمه بمضي الاربعة الاشهر فلا وجه للزيادة عليه وهو قول عبد الله يلزمه بدونه ثم اختلف الصحابة رضي الله عنهم
في الوقف بعد الاربعة الاشهر على اتفاقهم على لزوم طلاقا وحقه بمضي المدة ثم لا يجوز ان يحلف بمجي الطلاق فيلزم ويجوز
ان يحلف بالطلاق فيلزم لذلك كان الطلاق احق مع ان ذلك زيادة في المدة للتربص وجميع المدد التي جعلت بين الزوجين
لم يحتمل الزيادة عليها لما جعلت بين الزوجين لم يحتمل الزيادة عليها لما جعلت له المدة فمثله مدة الطلاق وهذا ه
على ان الله تعالى حذر نقض اليمين بقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها والطلوق في هذا اربعة اشهر بما روي في قرأة
ابي فان فاوا فيهن فمن غير ذلك حكم النهي لا اخذ والله تعالى اعلم وقوله وان عزموا الطلاق كقوله فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف وليس ذلك على احد انه بعد مضي المدة كذلك الاول والله تعالى اعلم وقوله سميع لايلائه عليم بتحقيق
حكمه انه لم يف اليها مع ما كان كذلك بذاته كانه قال عن علم بما يكون من خلقه وبما به صلاحهم وما اليه مرجعهم خلقهم وهو السميع
بجميع ما به تناجوا واسروا وجهروا والله الموفق ثم الدليل على ان المراد من قوله ثلاثة قروء وان احتمل الطهر يرجع الى الحيض وجوه
احدها ان ثلاثة اسم لتمام العدد فيصير كانه قال ثلاثة اطهار لو اراد به الطهر او ثلاث حيض لو اراد به الحيض ثم على اختلافهم
اتفقوا انه بالحيض ثلاثة وبالطهر طهران وبعض الاول لثبات الحيض اولى مع ما كان فيه الاحتياط اذا احتمل الوجهين لئلا يخلو
جميعا في الحق لا يزال بعد ان ثبت الا بالبيان ويبين ذلك ان في الخبر تلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء انه الحيض حتى
يكون قبله الطهر مع ما يحتمل عدة فعل الطلاق ولا الانقضاء يبين ذلك ما روي ان مدة الامة حيضتان وهي بعض عدة الحرة
ووقت طلاقها وقت طلاق الحرة فبان ان العدة اشياء • والثاني ذكر الحيض عند ذكر البدل وذلك حكم الابدال ان يذكر اصولها
عند ذكرها • والثالث قوله فاذا بلغن اجلهن والبلوغ اسم للتمام وفاسد المراجعة فثبت انه الحيض لان له الغاية وان لم ينقطع
الدم وقت وبما كان الطلاق وقتا ابتدا الحرمة وذلك الطهر ووقت تنقضي العدة وقت تمام ذلك فهو الطهر مما يقتضي صلب الملك
بالطلاق ووقته الطهر وبقية الملك ينقضي العدة فيجب ان يكون وقته الطهر على جميع الفروع مع الاصول والحاق التوابع بالمتبوع
ولا قوة الا بالله وقوله للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر والايلاء هو اليمين في اللغة يدل على ذلك حرف ابن مسعود
وابن عباس رضي الله عنهما حيث قرا الذين يقسمون من نسائهم • ثم اختلف فيه على وجوه قال ابن مسعود رضي الله عنه الايلاء
على يوم فقط واما التربص باربعة اشهر لانه لم يذكر في الكتاب للايلاء مدة وانما ذكر المدة للتربص لهذا ذهب ابن مسعود وقال
ابن عباس رضي الله عنهما الايلاء على الابد ذهب في ذلك الى ان الايلاء كان طلاق القوم والطلاق يقع على الابد وقال آخرون
من ترك القربان في حال الغضب فهو مولي وان لم يحلف لكن هذا ليس بشي لان الله تعالى ذكر الايلاء والايلاء هي اليمين دليله
ما ذكرنا • وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رجلا سال انه حلف ان لا يقربها امرأته سنتين فقال هو ايلاء وانها
تبين اذا مضت اربعة اشهر فقال انما حلفت ذلك لمكان ولدي فقال لا يكون ايلاء فراى في ذلك ايلاء اذا كان عاصيا
واذا كان ايلاء وترك قربانها لمكان الولد لم ير ذلك ايلاء ثم لا يجوز ان يحمل ما حمل هؤلاء اما ما حمل علي بن ابي طالب
رضي الله عنه واعتبار بالعصيان وعن العصيان فالايلاء هو اليمين والايمان لا يختلف وجوبها ووجوب احكامها في حال العصيان

اي حق لزوم الطلاق

وفي حال الطاعة

وفي حال الطاعة فعلى ذلك حكم الايلاء ولو حمل على ما حمل ابن مسعود رضي الله عنه لكان لا يبقى الايلاء بعد مضي
اليوم فاذا لم يكن يمين بعد اليوم لم يبق حكمها ولو حمل على ما قال ابن عباس رضي الله عنه لكان لا فائدة للذكر التربص فاذا بطل
ما ذكرنا ثبت قولنا ان مدة الايلاء اذا قصرت عن اربعة اشهر لم يلزمه حكم الايلاء ولو كان على الابد لكان لا فائدة في ذكر المدة
وان لا يعتبر العصيان ولا الطاعة ولا الغضب ولا الرضا على ما ذكرنا • وروي في بعض الاخبار انه قال الايلاء ليس بشي
معناه ما قيل ان الايلاء كان طلاق القوم فقوله ليس بشي يقع للحال دون مضي المدة قيل ان يفي اليها في المدة قال اصحابنا رحمهم الله
اذا مضت اربعة اشهر وقع الطلاق وقال قوم يوقف فان فاء اليها والا نطلق عليه واحتجوا في ذلك الى ان الله تعالى ذكر الفي
بعد تربص اربعة اشهر بقوله تربص اربعة اشهر فان فاوا لذلك كان له الفي بعد مضي الاشهر وروي في بعض الاخبار
الوقف فيه • وروي عن عمر وعلي وعثمان وعايشة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم في المولي اذا مضت اربعة اشهر فاما
ان يفي واما ان يطلق الى هذا يذهبون لكن هذا يحتمل ان يكون من الراوي دون ان يكون قالت الصحابة واما عندنا ان قولهم
ذكر الفي بعد تربص اربعة اشهر فذلك لا يوجب الفي بعد مضيها • الا ترى الى قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف
ليس انه يمسكها بعد مضي الاجل ولكن معناه اذا قرب انقضاء اجلهن فامسكوهن فعلى ذلك جعل لهم الفي اذا قرب انقضاء اربعة
اشهر واما ما روي من الوقف فليس فيه الوقت بعد مضي اربعة اشهر يحتمل الوقف في الاربعة الاشهر واما عندنا فانها تبين
اذا مضت اربعة اشهر لما روي عن سبعة من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او ثمانية انهم قالوا اذا مضت اربعة اشهر
بانت منه منهم عمر وعلي وابن مسعود وعثمان وابن عباس وجابر وزيد بن ثابت رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
فاتبعناهم ثم اختلف في الطلاق اذا وقع قال قوم هو رجعي وهو قول اهل المدينة فهو على قولهم لغو لان الزوج يقدم الى الحاكم
فيطلق عليه الحاكم ثم كان له حق المراجعة فيكلفون الحاكم العبث واما عندنا فهو باين وعلى ذلك جاءت الاخبار روي
عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا مضت اربعة اشهر فهي تطليقة باينة • وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وروي عن ابي
في قوله فان فاوا فيهن يعني في الاربعة الاشهر فان الله غفور رحيم فيثبت انه جعل الرحمة والمغفرة فيها والثاني في قوله
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ولو لم يجعل له القربان والنقض في المدة لكان لا سبيل له الى نقضها بعد مضي المدة
اذ هي تتاكد فثبت انه لا بما اعتبر ويلزم ثم قوله فان الله غفور رحيم يحتمل وجهين بما جعل له الخروج مما ضيق
على نفسه لان لا تطول عليه المدة ويحتمل ان المغفرة كانت بما ارتكب ما اذا مضى عليه وجد وانه مستحقا للعقوبة ه
فغفر له صنيعه ورحمه بان يجاوز عنه ما فعل وقوله وان عزموا الطلاق روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال عزيمة
الطلاق مضي اربعة اشهر وقد ذكرنا قول الصحابة رضي الله تعالى عنهم ان عزيمة الطلاق اربعة اشهر وقوله فان الله سميع
عليم بالايلاء عليم بترك الفي وعليم بما اراد بالايلاء والله تعالى اعلم • والفي الجماع وهو الرجوع في الحاصل لانه حلف
ان لا يقربها فاذا قربها رجع عن ذلك وهكذا روي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا الفي الجماع
وقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء اختلف الناس في الاقراء قال بعضهم هي الاطهار وقال آخرون
هي الحيض • وهو قولنا وعلى ذلك اختلفت الصحابة قال عمر وعلي وعبد الله رضي الله عنهم هي الحيض وقالت عايشة
وزيد بن ثابت وابن عمر رضي الله عنهم هي الاطهار وبه اخذ اهل المدينة وقالوا قلنا ذلك بالسنة والاخبار عن الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين • واللسان والناقصة اما السنة فقوله لعمر امر ابنك فليراجعها ثم ليطلقها وهي طاهر
او حامل من غير جماع فتلك العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النسا فذلك ان العدة التي تطلق لها النساء هي الاطهار لكن الجواب
لهذا من وجهين احدهما انه جعل ذلك عدة للطلاق لا عدة من الطلاق والعدة للطلاق غير العدة عن الطلاق وكذا نقول
في الطهر الذي تطلق فيها النسا انها عدة للطلاق لا عنها • والثانية قول الرجل ان له الايقاع في آخر اجزاء الطهر وقد ذكر في الخبر
الطلاق لقبل عدتهن ولو كان المعنى به الطهر لكان الطلاق في آخر اجزاء الطهر قبل الحيض في آخر اجزاء الطهر لا في القبل
فثبت ان القول بجعل الطهر عدة عن الطلاق بعيد وقال باللسان وهو قول الناس قرا الماء في حوضه وقرا الطعام في شدقه
اي حبس والطهر سبب حبس الدم لكن عندنا الطهر جبلة • والاصل وعليها خلقت والتشيث والحيض عارض فاذا كان في الرحم

الشدق جانب الفم
قرا الماء في الحوض اي جمعت واسم ذلك الماء
قري بكسر القاف ومقصور والبقية
نقري الفلف في شدقه اي جمعه صحح

دم خروج والا كانت على اصل خلقتها طاهرا لان الطهر لحبس الدم فاذا كان هذا ما ذكرنا بطل احتجاجه باللغة واللسان
واما المناقضة هو ان يقول جعلتم هي معتدة مع زوال الاذى عنها ما لم تغتسل في ابقاء حق الرجعة فاما دعوة المناقضة
فهو بعيد لان الكتاب جعلها باقية ما لم تغتسل على حكم الاذى فان كان فيه طعن فعلى الكتاب وقال ذكر الله تعالى ثلاثة
قروء باسم التذكير لا باسم التانيث فدل انه اراد الاطهار يقال ثلاثة رجال وثلاث نسوة فاذا دخل فيه الهاء عقل انه اراد الطهر
قيل ان اللغة لا تمتنع من تسمية شي واحد باسم التذكير والتانيث كالبر والحنطة ونحو ذلك اذا لم يكن من ذي روح فاذا كانت
كذلك فلا دلالة فيه على حمل ذلك طهرا وقال القرء وهو الانتقال يقال قرأ النجم اذا غاب ونحوه لكن هذا ليس بشي لانه
لو كان القرء وهو الانتقال من حال الى حال لكان يقال للنجم اذا طلع قرأ فيكون الاسم للظهور لا للغيبوبة او لهما جميعا فلا دليل
في ذلك واما الاصل عندنا فقوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف فامر بالامساك عند بلوغ اجلهن
ثم لا يخلو ابلوغ الاجل من ان يكون بالاشراف على او لا اجزاء الطهر وعند انتهائه فان كان على انتهاء الطهر فلا غاية له
ينتهي اليه ليقطع عليه الحكم وان كان على الاشراف عليها يصنا كذلك ثم حمل على الانتهاء ايضا يبعد بما يعرف ذلك
بالحيض الذي يقطع جهة الامساك فحمل على ما يعرف لا على ما لا يعرف والله تعالى اعلم. والثاني قوله واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن كذا اتفقوا فيه انه مذكور على البدل ولم يعرف ذكر الابدال في الاشياء الا على اثر الاصول
حيث ذكر فبان ان المبدل منه ذلك بما هو الحيض المجعولة اصولا في تقضي العدة واحتجوا بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
عدة الامة حيضتان فثبت ان اصل ما به تنقضي العدة هو الحيض. وقال الشافعي قوله عدة الامة حيضتان اي قرءان
والقرءان هما الطهران فيقال له ابلغت في الغفلة وافرطت في الحجاج حيث فهمت من الحيض القرء وهو وضع عند اهل
اللسان بالسماع من المفهوم لديه مع ما في ذلك بتجهيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باللسان وهو افصح العرب واعلم
البشر حيث عبر عن الطهر بالحيض ووجه آخر ما اتفقوا انه لو طلق في بعض الطهر فالبقية منه عدة ومثله من الاعتداد
قروان ونصف والكتاب اوجب الاعتداد بالثلاث فثبت ان الامر بالاعتداد بالحيض لا بالاطهار للمعنى الذي
وصفنا وان كان القرء اسم للطهر والحيض في اللغة. ثم الاصل في المسئلة ان اول الابتداء للحل لزوجها ولغيره بالطهر
وكذلك نهاية الحل انما جعلت بالاطهار ثم الاصل ان ابتداء حرمتها على الزوج الاول بالطهر فيجعل انتهاء الحرمة في مثله
بالطهر وحاصل هذا انه جعل نهاية الحل فيه وفي غيره بما به ابتداء الحل فكذا يجعل نهاية الحرمة فيه وفي غيره بما به
ابتداؤه واذا ثبت ان المنظور في الحل والحرمة في الابتداء وجب ان يكون المنظور في الحل والحرمة بالانتهاء. ثم في قوله
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء. وفي قوله فاعتزلوا النساء في المحيض وفي قوله يسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم
خير وان تخالطوهم في هذه الآيات دلالة تاخر البيان حيث لم يبين بالاقرء ولم يبين الاعتزال في اي موضع وفي اي مكان
ولم يبين المخالطة فيما ذا وفي اي شي فالاختلاف فيه باق الى يوم التناد فبطل قول من ينكر جواز تاخر البيان وثبت قول
من اقر به وبالله التوفيق وقوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر في الآية
دلائل احدها ان ذكر حرمة الكتمان فيمن ليس بشرط فيه دون غيره اذ قد يلزم ذلك من هو غير مؤمن اذ هو غير مؤمن اذ هو
غير مستحسن في العقل وفيه الدليل على ان الحكم الموجب بعلة يجوز لزومه فيما ارتفع عنه تلك العلة وعدمت وهو
كقوله تعالى واصلحوا ذات بينكم الى قوله ان كنتم مؤمنين. وقد يلزم صلاح ذات البين في غير الايمان وكذا قوله وذروا ما بقي
من الربوا ان كنتم مؤمنين. وقد يلزم ترك الربوا المعاهد وقد يكون ذلك المسلم في غير دار فدل ان الحكم اذا ذكر لعلة
في احد لا يمنع لزوم ذلك في غير المذكور وقال الشيخ رحمه الله فيه دليل على ان اضافة الحكم الى سبب لا يمنع حقه ارتفاعه
وفيه دليل ان لا يحل ذلك لمن قد آمن في الخلق لان خلقه التصديق واظهار الحق وفي الكتمان والتكذيب ترك ما فيه
من الشرط والله تعالى اعلم. ثم اختلف في قوله ما خلق الله في ارحامهن قال بعضهم الحبل والحيض وكذلك روي عن علي
وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم انهم قالوا ما خلق الله في ارحامهن الحبل والحيض فثبت ان موضع الحيض الرحم ثم الرحم
يشغله الحبل عن خروج الدم فبان ان الحامل لا تحيض وعلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم انما ذلك دم عرق انقطع وهو

وهو الامر الظاهر

والثاني فان الدم لا يسمى حيضا ما دام في الرحم وانما يسمى بعد الخروج والحكم يتعلق به بعد الخروج والحيض هو الدم الخارج من الرحم واذا لم يحكم حال كونه في الرحم فلا معنى لاعتباره وحال التعلق الحكم به وانصافه بالحيض هو ظاهر محسوس فلا معنى لا يمان المرأة عليها
شرح

وهو الامر الظاهر المتعارف في النساء ان الحبل يحبس الدم وقال بعض اهل التاويل ما خلق الله في ارحامهن الحبل
خاصة دون الحيض لوجهين احدهما انهم في الجاهلية يكتمن ذلك فيلحقن بغير الاباء فاوعدن على ذلك بعد الاسلام فثبت
ان الحيض لا يحتمل والثاني ان الحيض لا ينسب بكونه في الرحم فاذا كان غير منسوب اليه لم يحتمل كونه فيه والله تعالى اعلم لكن
الوجه فيه ما ذكرنا من قول الصحابة وما فيه من الدلالة انهن مؤتمنات فيما يخبرن لوجهين احدهما ما جاء من الامانة
ان تؤتمن المرأة على فرجها. والثاني لولا انها ممن يقبل خبرها فيما وعد على الكتمان ثم يحتمل الكتمان من وجهين
احدهما ان يكتمن ذلك ليستوجبن به الانفاق من عند ازواجهن بقولهن ان العدة باق وذلك يحتمل الحيض والحبل
جميعا ويحتمل ما قاله بعض اهل التاويل من ابقاء حق الرجعة. ويحتمل قول ابي حنيفة رحمه الله في كتمانها اذا قال في المرأة
اذا جاءت بولد في العدة فشهدت امرأة على الولادة والحبل لم يكن ظاهرا ان يقبل قولها اذ هي امرت بالاظهار في الكتمان
اورث تهمة في القبول ويحتمل ان لا يحل لهن ان يكتمن الحبل فيلحق بغيرهم من الازواج والله تعالى اعلم وقوله وبعولتهن
احق بردهن في ذلك يحتمل وجهين يحتمل انهن لا يمكن الرجعة ولا منع ازواجهن عن المراجعة بل ذلك الى بعولتهن
ويحتمل احق بردهن في نكاح في العدة لا في حق الرجعة اذ الزوج يملك نكاحها في العدة وغيره من الناس لا يملك
كقوله ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله وقوله وبعولتهن فيه دليل ان قوله والمطلقات يتربصن
انما عني به المطلق طلاقا لم يقطع على نفسه جهة العود وقوله في ذلك ان ارادوا اصلاحا يحتمل اصلاح ما بينهم
ويحتمل ان ارادوا امساكهن بالمعروف كقوله ولا تمسكوهن ضرارا فهو ممسك لها وان كان مضرا ثم الاصل في هذا
انه وان قال فامساك بمعروف ليس على انه يصير ممسكا لها بغير المعروف كقوله ولا تمسكوهن ضرارا فهو ممسك لها
وان كان مضرا ثم الاصل في هذا انه وان قال فامساك بمعروف ليس على ان لا يصير ممسكا لها بغير المعروف واصل هذا
ان ليس في القول بان لا تفعلوا دليل الجواز والفساد اذا فعل ذلك. ثم اختلف في قوله اي في الوقت الذي يفيد به
او في ذلك الغير والله تعالى اعلم وقوله ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
اني احب ان اتزين لامرأتي كما احب ان تتزين لي لان الله تعالى يقول ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقال آخرون لهن
من الكفاف ما عليهن من الخدمة وقال غيرهم لهن من الحق في المهور بتسليم الازواج اليهن ما عليهن من تسليم الابضاع الى الازواج
فيدل هذا ان الخلوة والتسليم منها يحل محل قبض الحق منها لزوجها وقيل ولهن مثل الذي عليهن الحقوق ما يلزمهن
من حقوق الازواج يلزم مثلها على الازواج لهن وان كان مختلفة وقوله وللرجال عليهن درجة قيل هو الطلاق بيد
الرجل وليس بيدها وقيل هي الامارة والامر وقيل ما فضل الله به عليها من الجهاد والميراث وغيره وقيل لهم من الفضيلة من
من الروايات والشهادات والعقل وذلك ليس لهن وقيل ليس لهن. وقيل فضيلة في الحق وبما شاء فالايها من المهر قال
الشيخ ابو منصور رحمه الله في قوله ولهن مثل الذي عليهن انواع من الحقوق على الازواج. ثم يحتمل حقوقهن المهر والنفقة ويحتمل
ما اتبع من قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان ويحتمل قضاء ما لهن من الحوائج خارج البيت مما به قوام بيتها وحابتها
عن الناس وعليهن من الحقوق مقابل الاول البذل له وان لا يوطين فرشهن احدا ومقابل الثاني ان يحسن اليهم في البر
باللسان والقول المعروف الذي فيه تطيب نفسه به كما وصفه للجيدة منهن من اذا نظرت اليها سرتك واذا غبت عنها
يحفظك في النفس والمال ومقابل الثالث ان تتلقاه بمكروه ولا تقابله بما يضجره وبعضه مع الخدمة وكفاية الداخل
مما به قوام دينه والله تعالى اعلم. والدرجة التي ما له من الملك فيها والفضل في الحقوق عليها وما جعل قواما عليها وغير ذلك
والله تعالى اعلم. ويحتمل ما لهن من قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وعليهن بذل حقهم المعروف والاحسان
اليهم فيما يبعون من الخدمة والقيام بكفاية داخل البيت مع حفظ ما له عندها والله تعالى اعلم وقوله الطلاق مرتان
فيه دلالة انه يطلق بينتين بمرتين وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان ان له الرجعة بعد طلاقين بذكره
مرتين وفيه ان المطلق في الطهر الثالث من غير رجعة مطلق للسنة لما جمع بين الامساك والتسريح من غير رجعة وهو
على ما لك لانه يقول ليس له ان يزيد على تطليقة واحدة الا ان يراجع والتسريح باحسان هو التطليقة الثالثة كذلك

روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه سئل عن التسريح باحسان فقال هو التطليقة الثالثة فان قيل ايش الحكمة
في ذكر المعروف في امساك والاحسان في التسريح قيل وذلك ان في التسريح قطع الحقوق التي اوجبها النكاح فامر عند قطعها
عنها بالاحسان اليها مبتديا والاحسان ابدا انما يكون عند ابتداء الفعل لا عند المكافات واما المعروف في الامساك فالنكاح
اوجب ذلك كقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل الميثاق الحقوق التي اوجب النكاح وهذا والله تعالى اعلم ووجه الحكمة
والمعروف ما عرفنا في النكاح والاحسان هو ما يبتدى مما لم يعرف **وقوله** ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا
الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فظاهر هذه الاية الكريمة يوجب
ابتداء الخطاب للازواج ثم اخرها يوجب الخطاب لهما جميعا ثم آخرها يوجب الخطاب لغير الازواج يحفظ عليهما حدود
الصحبة فيشبه ان يكون في الاية الاضمار دونهما الحكمين فيكون كقوله وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما
من اهلها فيكونان هما اللذان يحفظان عليهما الحد المحدود ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله
للحكام لانهم هم الذين يتولون النظر في امور الناس ليقوموهم على حفظ حدود الله ثم القول عندنا في قوله ولا يحل لكم
ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا اذا كان النشوز والقيام قبل الزوج فانه لا يحل اخذ شيء على الخلع استدلالا بقوله وان اردتم
استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا واما اذا كان النشوز من قبلها فانه لا باس ان ياخذ
قدر المهر ويكره الزيادة ويجوز اما قدر المهر فانه لا باس اذا كان النشوز من قبلها استدلالا بقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت
ذكر رفع الحرج عن الذي فدى فيما عنه نهى عنه هذا وهو المولى لذلك قلنا انه يجوز اذا كان النشوز من قبلها قدر المهر
واما الزيادة فانه يكره استدلالا بما روي في الخبر ان امراة اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكرت بغض زوجها
فقال اتردين عليه حديقته فقالت نعم وزيادة فقال اما الزيادة فلا ففيه الدلالة ان النشوز اذا كان من قبلها فانه يجوز
قدر المهر وقال ابن داود خالف الشافعي ظاهر الكتاب فيما جعل له اخذ ما فدي والزيادة والكتاب رفع الحرج عن اخذ
ما فدت ولم يجعل لغيره بقوله لا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله قال ابن شريح ما ذلك
الاخذ في الطلاق انما ذلك في غير الطلاق كرها لانه ليس في الاية ذكر الطلاق واستدل بقوله فان طبن لكم عن شيء منه
نفسا فكلوه هنيئا مريئا فجعل له كل ما اخذ بالوصف الذي ذكره ثم كان له اخذ ما تبذل في غير الطلاق فعلى ذلك في الطلاق
وفي الطلاق احق والله تعالى اعلم والاصل عندنا جواز ما بذلت اخذ مما احتج به الرجل ان كان له ذلك في غير الطلاق
وهو في الطلاق اجوز لانها تنتفع فيه انه يكره له الفضل لما ذكرنا من الاية والخبر يجوز هو لانه تبادل فكان كالعقود التي
تكره لربح ما لم يضمن على الجواز فكذا هذا والاصل ان الطلاق بالبدل بينهما وهو لو لم يملك البينونة مطلقا لم يملكه باشرط فثبت
انه يملك واصله ان بالطلاق يصرف اليها ما ملك عليها بالعقد فانتفعت بازاء ما بذلت لذلك سلم للزوج ما اخذ والله تعالى اعلم
قال ويكره له اخذ الزيادة بما فيه رفع النكاح اخذ ما ياخذ بالذي اعطى مما يفضل عليه ليس بازائه بدل وذلك وصف الربا
والله تعالى اعلم ثم اختلف في قوله الا ان يخافا قيل علما يعني الرجل والمراة وقيل علم الحكام ان لا يقيما حدود الله وعلى ذلك
فان خفتم ان لا يقيما حدود الله قيل علمتم وقيل الخوف فكانه اقرب لان العلم يكون فيما مضى من الحال انهما اقاما حدودا
ولم يقيما واما الخوف في حادث الوقت امكن لانه لا يعلم باليقين لذلك كانه ما ذكرنا وهو كقوله تعالى اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم **وقوله** فلا جناح عليهما فيما افتدت به اختلف فيه قال بعضهم اراد بقوله عليهما عليه خاصة
وهذا جائز في اللغة اضافة الشيء الى الاثنين والمراد واحد منهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما
او مثله كثير وقال آخرون اريد جميعا المراة بالفداء والزوج بالاخذ لان الزوج هو نهي عن اخذ شيء مما آتاها بقوله تعالى
ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا ثم اباح ورفع الحرج منه بالاخذ على الشرط وقيل اراد بذلك الزوج خاصة وهو
ما ذكرنا والله تعالى اعلم **وقوله** تلك حدود الله فلا تعتدوها قيل اذا لم يفهم محدود من حدود الله تعالى لما يفهم من حد الخلق كيف
يفهم من استواء الرب ومجيئه من قوله استوى على العرش وجاء ربك ما يفهم من استواء الخلق ومجيئهم والاستواء والمجيء
الى احتمال المعاني يبعد عن التشبيه اكثر من احتمال الحدود التي في الشاهد فاذا لم يفهم من هذا لم يجز ان يفهم من الاول لما فهموا

يحتمل ان يكون المراد وهو الحكمين فيكون
في الاية اضمار لعضنا والحكمين بالخلع
واخذ الافتداء بما علما انهما لا يبالوا ان الراي
انهما لا يقيما حدود الله شرح

رفع للريح اخذ ما فدى ما اعطى
المراة بدلا عن بضعها شرح

وقدقال

وقد قال ليس كمثله شيء **وقوله** حدود الله قيل احكام وسننه وقيل اوامره ونواهيه وقيل ادابه وهو واحد **وقوله**
ومن يتعد حدود الله يحتمل وجهين يحتمل يتعدى حدود الله مستحلا لها فيكفر بتعديه ذلك فهو ظالم ظلم كفر ويحتمل يتعدى
يجاوز امر الله وما نهاه عنه غير مستحل لها فهو ظالم نفسه غير كافر **وقوله** فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره هذه الاية رجعت الى الاول قوله الطلاق مرتان فان طلقها بعد التطليقتين تطليقة اخرى فلا تحل له حتى تنكح زوجا
غيره **وقوله** الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قيل التطليقة الثالثة وعلى ذلك جاء الخبر وهو واحد
عندنا يدل عليه ايضا قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره يحتمل عقد النكاح خاصة دون الجماع من الثاني اذ ليس في الاية ذكر الدخول
واما عندنا فهو على فعل الجماع في النكاح الثاني يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام لا حتى تذوق من عسيلته ويذوق
من عسيلتها فيكون النكاح مضمرا وهو اولى لان الاية في عقوبة الاول ولا يشتد عليه النكاح حتى يتصل به الوطء وفيه
دلالة على كراهة التطليقة الثالثة انه هي لا تحل له بعدها الا بعد دخول زوج آخر بها وذلك مما ينفر عنه الطبع ويكرهه
وقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا فيه دليل على ان في التراجع ايجاب عقدهما جميعا فدل على قطع رجعة الثاني الحل للزوج
الاول وذلك ان لا رجعة فيه لغيره **وقوله** وبعولتهن احق بردهن اضاف الى والى الازواج فدل انهم ينفردون بردهن
ثم ذكر الكتاب لا يحل له حتى تنكح زوجا غيره جعل سبب الحل على الزوج الاول نكاح الثاني لم يجز ان ينهى عنه وقد جعل
هو سبب رفع الحرمة اذ في هذا في احكام الله تعالى لا يوجد ولا يستقيم وهو كالوضوء فيما جعل سببا لاقامة الصلوة
لم يجز ان يجعل سببا لها ثم يكره الاقدام عليه وينهى عنه وكالتحريم اذ جعل سببا للدخول بها في الصلوة لم يجز النهي عنها
وبها قوامها كذا هذا لما جعل سببا لدفع الحرمة به لا يجوز ان ينهى عنه ثم فيه دلالة جواز نكاح المحلل فان سئلنا
عن قوله لعن الله المحلل والمحلل له قيل لحوقا لانه لاجل النكاح على قصد الفراق والطلاق ليس لاجل التحليل على الاول
ورفع الحرمة عنه دليله قوله عليه الصلوة والسلام ان الله لا يحب كل ذواق ومطلاق وذلك لقصده الفراق بالنكاح
اذ النكاح بني في الاصل على البقاء والدوام عليه وفيه التعفف وفي الطلاق زوال ما به يقصد فلهذا لحقه ما لحقه
من اللعن ثم المحلل له لما طلب نكاح الزوج الثاني ما ينفر عنه الطباع ويكرهه من عودها اليه بعد مصاحبة غيره اياها واستمتاعه
منع لهذا المعنى عن ايقاع الثالثة لكي اذا تفكر حرمتها عليه الا بنكاح آخر انزجر عن ذلك ثم العقد نفسه لا ينفر عنه
الطباع ولا يكرهه بل ان الدخول شرط فيه ليكون زجرا ومنعا عن ارتكابه **وقوله** فلا جناح عليهما ان يتراجعا يخرج على الترخص
وذلك والله تعالى اعلم ان الطلاق يحرمها عليه وبينها منه كما يحرم عليه هي بانواع الحرم فاخبر عز وجل واباح له
النكاح بعد وقوع الحرمة ان هذه الحرمة ليست كغيرها من الحرم التي لا ترتفع ابدا والله تعالى اعلم **وقوله** واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف وقال وبعولتهن احق بردهن ذكر في الاية الاولى الامساك والامساك المعروف
هو امساكها على ما كان من الملك وذكر في الاية الاخيرة الرد والرد لا يكون الا بعد الخروج من الملك هذا هو الظاهر
في الاية لكن بعض اهل العلم يقولون انه يمسكها على الملك الاول ويردها في الحرمة الى الحل لان من مذهبهم ان الطلاق
يوجب الحرمة ولا يخرجها من ملكه وهذا جائز ان يحرم المراة على زوجها وهي بعد في ملكه فاذا كان كذلك فامر بالامساك
على الملك الاول وبالرد من الحرمة الى الحل وهو قول اهل المدينة اي يردها من العدة اي ما لا عدة يمسكها بلا عدة
واما عندنا فهو واحد يحدث الامساك دليله قوله ولا تمسكوهن ضرارا ولو لم يكن الامساك سوى القصد اليه لكان لم يكن
بالقصد اليها مضرا وهو فيما امر بالامساك بالمعروف فيه وجهان احدهما وان يمسكها على ما كان يمسكها من قبل من مراعاة
الحقوق ومحافظة الحدود ويحتمل ما قيل ان لا يطول عليها العدة على ما ذكر في القصة من تطويل العدة عليها وفيه نزلت الاية
وفيه دلالة ان الزوج يملك جعل الطلاق بائنا بعدما وقع رجعيا لانه يصير بائنا بترك المراجعة فعلى ذلك يملك
الحاق الصفة من بعد وقوعه فيصير بائنا والله تعالى اعلم **وقوله** ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا قال الشيخ رحمه الله
الاصل عندنا في المناهي انها لا تدل على فساد الفعل ولا تستدل بالنهي على الفساد كقوله تعالى ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما
حدود الله وعلى ذلك قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا انه يصير ممسكا لها وان كان فيه ضرار لها وهكذا هذا

في كل ما يشبه هذا من قوله ومن لم يستطع منكم طولا انه اذن بالفعل في حال وهو وان اوجب نهيا في الفعل فذلك
لا يدل على الفساد في حال اخرى وقوله ولا تتخذوا ايات الله هزوا ومعناه والله تعالى اعلم اي لا تهلوا بايات الله عمل من يخرج
هشله بها مخرج فعل الهاذي لانه معقول ان اهل الايمان والتوحيد لا يتخذون ايات الله هزوا ولا يقصدون الى ذلك
وقيل انهم في الجاهلية كانوا يلعبون بالطلاق والعتاق ويمسكونهم بعد الطلاق والعتاق على ما كانوا يمسكون قبل
الطلاق وقبل العتاق فنهوا عن ذلك بعد الاسلام والتوحيد ثم اختلف في ايات الله قيل حجج الله تعالى وقيل احكام
وقيل دين الله تعالى ويحتمل ايات الله الايات المعروفة وقوله واذكروا نعمة الله عليكم يحتمل وجوها يحتمل النعمة ههنا
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من اعظم النعم ويحتمل النعمة الاسلام وشرايعه ويحتمل النعمة التي انعمها على خلقه جملة النعمة
على ثلاثة اوجه النعمة بالاسلام يقتضي منه المحافظة ونعمة الخاص يقتضي الشكر والنعم جملة يقتضي منه التوحيد وقوله
وما انزل عليكم من الكتاب وهو القرآن ففيه دلالة ان الكتاب هو منزل ليس كما يقول القرامطة لانهم يقولون بان محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم الف القرآن وانما كان يوحى اليه كما يتوهم الرجل شيئا فيجعله كلاما وقوله والحكمة اختلف فيه قيل
الفقه وقيل الحكمة هي الاصابة اصابة موضع كل شيء منه وقيل الحكمة المواعظة وقيل الحكمة القرآن وهو من الاحكام
والاتقان كانه قال عز وجل اذكروا ما اعطاكم من الفقه والاصابة والكتاب المحكم والمتقن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وقوله يعظكم به قيل بالقرآن واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم فيه تخويف وتحذير ليعلموا ان كل شيء في علمه
وانه لا يعزب عنه شيء وبالله العصمة وقوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا
بينهم بالمعروف اختلف في تاويله قال قايلون فيه دليل فساد النكاح دون الاولياء واحتجوا بان قالوا قال الله تعالى
ولا تعضلوهن ولا ينهى عن الفعل من غير ان يحل اذ الفعل فيما لا يحل غير ضار لعضلها به فثبت انه عامل وان له فيه حق
الى ان نهوا ثبت ان قوله لا تعضل منع اذ لو يحل ما لم يكن ضارا به وقال الآخرون فيه دليل جواز نكاحهن دون الاولياء لانه لما
قال ينكحن واستدلوا بان النكاح على وجود العضل ولو كان العضل سبب المنع في الجواز لم يحتمل جوازه اذا فات فيه ان العضل
اذا لم يكن جاز للنساء تولي النكاح واحتجوا ايضا بما اضاف النكاح اليهن بقوله ان ينكحن ازواجهن وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن
في انفسهن من معروف واضاف الانكاح الى الاولياء على ارادة ادخال الصغار والثاني على وجوب الحق لهن عليهم لا ان يجب
لهم عليهم ثم الاصل بان كل نكاح اريد بالذكر الصغار واضيف الانكاح الى الاولياء كقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين
وقوله ولا تنكحوا المشركات ولا تنكحوا المشركين مما احتمل دخول البالغين في هذا دليله قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
والفدية لا تصح من الصغار وقوله ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله والصغار ولا يخاطبن باقامة حدود الله
وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وان كان متاخرا في الذكر قبل ان وقوع الانكاح بالاضافة في الصغار
الى الاولياء وفي الكبار اليهن ثم ذكر الكفاءة والمهر وجر عاصا فته الى الاولياء كذلك كان علم التعريض في نسخه ثم قوله اذا تراضوا
بينهم بالمعروف راجع ذلك الى المهر لان التراضي فعل اثنان والمهر يتعرف بهما لان القصة في امراة بعينها وكانت ظهرت
كفاءة زوجها وقال في الكفاءة لا جناح عليكم فيما فعلن ووجود الكفاءة انما تكون من احدى الجانبين فذكر ذلك
مضافا الى الاولياء لم يجيزوه دونهم والاصل في مسئلة النكاح ان الحق في النكاح لها على الولي لا للولي عليها دليله ما يزوج
على الولي اذا عدم ويجبر عليه اذا وجد وزوج عليه اذا ابى وهي لا يجب بارادة الولي اذا ابت فبان ان الحق لها قبله ومن ترك
حق نفسه في عقد له قبل الحكم يوجب ذلك فساده والله تعالى اعلم وقوله فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن فيه دليل
على ان النهي عن العضل انما كان الازواج كان لهن دليله قوله ازواجهن ولا يسمى الازواج الا بعد النكاح ويدل ايضا
قوله واذا طلقتم النساء ذكر الطلاق فدل انه كان في ازواج كان لهن ويحتمل ان يكون في الابتداء من غير ان كان ثم نكاح
وجايز تسمية الشيء باسم ما يؤول الامر اليه لقرب حالهن بهم واما اهل التفسير باجمعهم قالوا ان الآية نزلت في اخت معقل
بن يسار ان زوجها قد طلقها وانقضت عدتها ثم اراد الزوج ثانية وتهوى المراة ذلك فيقول الولي لا ازوجها ايا فنزل
قوله ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهو يحتمل المعنى الذي ذكرنا والله تعالى اعلم وقوله ذلك يوعظ به قيل ينهاه به

ثم النعمة داعية الى الشكر ومقتضية لكن شكر النعم على حسب النعم فالنعم العامة الشاملة بجميع الخلق من صحة وسلامة البدن يقتضي الشكر وهو الايمان بالنعم والتوحيد له والثناء وحمد بما يليق به اشتراكه وصفاته واما النعمة الخاصة من زيادة المال والجاه ونحو ذلك فيستدعي الشكر باستعمال ذلك في طاعته وتسليم البعض الى المحتاجين من عباده ولهذا شهدنا العبادات شكرا واما نعمة الاسلام فشكرها هو المحافظة على ثباته والثبات عليه والامتناع عن ضده والعزم في الاعتقاد وعلى ذلك والله الموفق
شرح

كقوله يعظكم به

كقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا او نهاكم وقيل يوعظ به اي يؤمر به وقوله ذلكم ازكى لكم واطهر قيل وضعهن
انفسهن حيث هوين ازكى واطهر لكم من العضل من ذلك ولعل العضل يحملهن على الفساد والريبة وقيل المراجعة خير لكم
من المفرقة واطهر لقلوبكم من الريبة وقوله والله يعلم من حب كل واحد منهما صاحبه وانتم لا تعلمون ذلك ويحتمل قوله
والله تعالى يعلم فيه صلاحكم وانتم لا تعلمون ذلك وقوله والوالدات يرضعن اولادهن قال بعضهم هن المطلقات يرضعن
اولادهن وهو كقوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ذكر ههنا الاجر وذكر هناك الرزق والكسوة وهما واحد وقال
آخرون لا ولكن قوله والوالدات يرضعن اولادهن من المنكوحات وقوله فان ارضعن لكم فآتوهن هن المطلقات دليل
ذلك ذكر الاجر في احدهما والرزق والكسوة في الاخرى على ان المنكوحة اذا استوجرت على رضاع ولدها منه لم يستوجب
الاجر ويستوجب قبل الزوج الرزق والكسوة فدل هذا على ان ذكر الاجر في المطلقات وذكر الرزق والكسوة
في المنكوحات فان قيل ما فايدة ذكر الرزق والكسوة في المنكوحة في الرضاع وقد يستوجب ذلك في غير الرضاع قيل فايدة
ذكر الرزق والكسوة فيه والله تعالى اعلم لانها تحتاج الى فضل طعام وفضل كسوة لمكان الرضاع الا ترى ان لها
ان تفطر لذلك فثبت ان لها فضل حاجة في حال الرضاع ما لا يقع لها تلك الحاجة في غير حال الرضاع فخرج ذكر الرزق
والكسوة فيه والله تعالى اعلم ذكر تلك الزيادة والفضل والله اعلم وفي القرآن دليل ان مؤنة الرضاع على الاب
من اوجه احدها قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى والثاني قوله وعلى المولود له رزقهن والثالث قوله لمن اراد
ان يتم الرضاعة فثبت انه حق على الوالي ان ذكر فيه ابناء الآخر وفيه دلالة على ان شرط الطعام والكسوة للظئر
يجوز بقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن غير ان الكسوة لا يجوز الا باعلام الجنس والطعام يجوز لان الظئر لا تكلف
كسوة الاهل وتطعم طعامهم فلا بد في الكسوة من اعلام جنسه ولا يجوز ان يكون كسوة واحدة لها وللاهل ويجوز
في الطعام ذلك لان الكسوة ليست بذي غاية تعرف فاحتيج الى ذكر الجنس ليقع في حد قرب المعرفة والعلم واما الطعام
فهو ذو غاية عند الناس غير متفاوت ولا متفاصل عندهم كذلك جاز هذا ولم يجز الآخر الا ان يعلم الجنس
فاذا اعلم الجنس فحينئذ يصير عندهم كالطعام والله تعالى اعلم قال الشيخ رحمه الله يدل على جوازه قوله وعلى الوارث
مثل ذلك اي والله تعالى اعلم مثل ما على المولود له ويكون ذلك بعد موته لذلك يجوز شرط الكسوة والطعام في الرضاع
وقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ليس فيه جعل الحولين شرطا في الرضاع لوجود احدها قوله لمن اراد
ان يتم الرضاعة فلو لم يحتمل الزيادة والنقصان لم يكن لقوله لمن اراد معنى والثاني ان الارادة والقدرة ربما يذكر على غير
ارادة وقدرة في الحقيقة ولكن على ارادة حقيقة الفعل دليله قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من اراد الحج فليفعل كذا
ومن استطاع ان يفعل كذا فليفعل ليس ذلك على ارادة القدرة ولا الارادة هذا والله تعالى اعلم على معنى من فعل كذا فليفعل
كذا فكذلك الاول ليس على حقيقة الارادة ولكن تذكر ذلك لما لم يكن الفعل الا بقدرة وارادة والله اعلم والثالث
لا يخلو الحولين من ان يقدر بالاهلة فقد ينتقص عن سنتين او ان يقدر بالايام فقد يزداد على المعروف من الوقت فثبت بانه
بحيث الاحتمال لما ذكرنا انه يحتمل لمن اراد ان يزيد حتى يتم ولمن اراد ان يقتصر على التمام على ان الآية ليست في الحرمة
لا بحولين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في تاويل قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا وفصاله في عامين قال ان كان
الحمل ستة اشهر ففصاله في عامين وان كان تسعة اشهر فبقدر الباقي فدل هذا على ان الحولين ليس بشرط في الفطام
ولا وقت له لا يجوز الزيادة عليه ولا النقصان والله تعالى اعلم وقوله وعلى المولود له رزقهن قد ذكرنا انه قيل في جانب
قيل انه في المطلقة وقيل انه في المنكوحة وقد دللنا على انه في المنكوحة والله تعالى اعلم وقوله لا تكلف نفس الا وسعها
قال قوم قوله الا وسعها الا ما يسع ويحل لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان بالامر يحل ويسع فكان كانه قال لا تكلف
الا ما تكلف وذلك لا يكون وقال قوم الا وسعها يعني طاقتها وقدرتها وهذا اشبه ومعناه لا يكلف الزوج بالانفاق
عليها والكسوة الا ما يحتمل ملكه وان كانت حاجتهم تفضل عما يحتمله ملكه لم يفرض عليه الا ما احتمله ملكه والله تعالى اعلم
كقوله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ثم اختلف في تحريم الرضاع في حال الكبر قال قوم يحرم وردوا في ذلك احاديثا

وقال اصحابنا رحمهم الله لا يحرم ذهبوا في ذلك الى آثار رويت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه عليه السلام
سئل عن الرضاع فقال ما انبت اللحم وانشز العظم وفي بعضها الرضاع وفي بعضها لا رضاع بعد الفصال • وروي عن علي
بن ابي طالب رضي الله عنهما انهما قالا لا رضاع بعد الحولين وعن علي وابن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا لا رضاع بعد
الفطام او الفصال الشك منا • وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار انه دخل على عايشة رضي الله عنها
فراى معها رجلا فرات عايشة رضي الله عنها الكراهة في وجهه فقالت انه اخي من الرضاع او عمي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
انظرن ما الرضاعة انما الرضاعة من المجاعة • وروي عن ابي موسى الاشعري ان رجلا قال له ان امراتي ارضعتني لتحرم علي فقال نعم
فبلغ ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فاتاه فقال انت تفتي بكذا فقال نعم فقال كذبت وكلام نحو هذا انما الرضاعة من المجاعة
هذه الاخبار ذهب اصحابنا رحمهم الله في نفي تحريم الرضاع بعد الفطام وبعد الكبر واصلهم ان ينظر فان كان غذاؤه باللبن
او اغلب غذائه فهو محرم وان كان بالطعام او غالب غذاؤه به فهو لا يحرم واصله ما ذكر في الخبر ما انبت اللحم وانشز العظم
فهو محرم فاذا كان غذاؤه بالطعام سوى اللبن • فالطعام هو الذي ينبت اللحم وينشز العظم فلم يحرم ثم الاصل ان كل ما ذكر
على الكمال والتمام لا يمنع عن احتمال الزيادة والنقصان دليله قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من ادرك عرفة بليل وصلى
معنا الجمع فقد تم حجه وقولنا اذا فعلت هذا فقد تمت حجه وقوله اذا فعلت هذا فقد تمت صلوتك وصفهما بالتمام والحرمة
باقية ثم قدر ابو حنيفة رضي الله عنه الزيادة لستة اشهر ذهب في ذلك الى ان الفطام ربما يعترض ويعتري في حال وهو حال
الحر والبرد ما لو منع الرضاع منه لاورث هلاك الصبي وتلقمه لم يعود بغيره من الطعام ففيه خوف هلاكه فاذا كان فيه خوف
هلاكه لما ذكرنا استحسن ابو حنيفة رحمه الله ابقاءها بعد الحولين لستة اشهر ادعى هذين الحالين يدور السنة والله تعالى اعلم
وقال زفر بزيادة سنة ذهب في ذلك الى انه لما ان يزاد بالاجتهاد على حولين اشهر جاز ان يزاد بالاجتهاد على حولين لسنة
قال الشيخ رحمه الله وعلى ما زيد على المذكور من الحبل مثل اقل وقت الرضاع يزاد على المذكور من الرضاع مثل اقل الحبل ولما احتمل
الاقل الانتقال الى الوسط الانتقال الى الاكثر وذلك في قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا **وقوله** لا تضار والدة بولدها يحتمل
وجهين لا تضار الوالدة في ترك الانفاق عليها ويحتمل لا تضار والدة بولدها في انتزاع الولد وهي تريد امساكه **وقوله**
ولا مولود له بولده كذلك يحتمل وجهين لا تضار الوالد بولده في رده عليه ورميه اليه بعدما انف الولد الام ويحتمل
لا تضار الوالدة في تحميل فضل النفقة عليه وملكه لا يحتمل ذلك بل انما يحمل عليه ما احتمله ملكه **وقوله** ولا مولود له بولده
فيه دليل انه انما يسمى والدا على المجاز ليس على التحقيق لانه لم يلد هو انما ولد له فثبت ان الرجل يستحق اسم الفعل بفعل غيره
وكل معمول له يستحق اسم الفاعل وان لم يعمل هو نحو ما سمي والدا وان لم يلد هو وانما ولد فيه دلالة ان من حلف لا يعتق او لا يطلق
فامر غيره ففعل حنث وجعل كان هو الفاعل والله اعلم **وقوله** وعلى الوارث مثل ذلك اختلف في تاويله قالوا بعضهم
هو معطوف على قوله لا تضار والدة بولدها معناه ان لا تضار والوارث ايضا باليتيم وقال آخرون هو معطوف على الكل
على النفقة والكسوة والمضارة وقال غيرهم هو راجع الى النفقة والكسوة دون المضارة وهو قولنا الوجهين احدهما ان نسق
الكلام انما هو على قوله وعلى المولود له رزقهن فنسق على حرف على ولو نسقه على حرف لا ليصح اذ حمل على قوله لا تضار لكان
ما يؤديه من الكلام انما هؤلاء الوارث مثل ذلك والثاني انه لو حمل على اضرار من الوارث بالولد في الميراث بعيال وعلى المورث
بحق الميراث فلا ضرر يقع فيه بل يقع الانفاق فثبت ان حمله عليه احق • ثم اختلف في قوله وعلى الوارث قال بعضهم اراد بالوارث
الولد والام والجد ولا يدخل ذو الرحم المحرم فيه ذهبوا في ذلك الى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ذلك واما اصحابنا
رحمهم الله ذهبوا الى ما روي عن عمر رضي الله عنه انه اوجب النفقة على العم وقال لو لم يبق من العشيرة الا واحدا وجب عليه
النفقة • وروي ايضا عن زيد بن ثابت رضي الله عنه انه قال في قوله وعلى الوارث مثل ذلك النفقة على كل ذي الرحم المحرم
على قدر مواريثهم فاتبعنا الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين في ذلك وفي الكتاب دليل وجوب النفقة على المحارم قوله لا جناح
عليكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم الى قوله او صديقكم فانما ياكل بحق لا بالرضا الا ترى
انه ياكل من بيت الاجنبي اذا بذل ورضي فلو لم يكن اكله من بيت هؤلاء بحق لم يكن للتخصيص فايدة فان عورض بالصديق انه لا يوجب

عليه قيل لما انه لو فرض عليه لانقطعت الصداقة بينهما ثم لقايل ان يقول كيف لا اوجبت النفقة على كل وارث على ظاهر
الآية محصوص بالانفاق لان المراة وارثة ولا تفرض عليها نفقة الزوج دل انه اراد وارثا دون وارث وهو الوارث
من الرحم المحرم والله تعالى اعلم **وقوله** فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما قيل فان ارادا الابوان فصال
الصبي وفطامه بدون الحولين ليس لهما الا بتراضيهما جميعا واتفاقهما على ذلك واما بعد تمام الحولين فانه اذا اراد احدهما
واما الفصال قبل الحولين فصال على غير تمام ذكره الكتاب فلا يفصل الا باجتماعهما واتفاقهما على ذلك وما بعد الحولين هو
على تمام النص فجاز ذلك لراي واحد منهما وما قبله لا يجوز الا براييهما جميعا واصله انه بالحولين قد ظهر التمام والكفاية بتمام النص
وما دونه يعلم بالاجتهاد وعند التنازع يزول لموضع بيان الصواب فيرد الى المذكور معا في القرآن للتمام ذكر ارادة الفرد والفصل
التشاور والله تعالى اعلم • ثم ان الزوجين يحكمان على انفسهما برضاع ولدهما لذلك لا يحتج الى النظر غيرهما ولا الى راي آخر لما لا يجوز
ان يعدم شفقتهما جميعا على ولدهما وانا اذا كان الحكم لغيرهما او على غيرهما فلا بد من ان يحكم غيره دليله قوله يحكم به ذوا عدل
منكم وكقوله فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فهذا الحكم على غيرهما ولذلك لا يحتج الى غيرهما وذلك الزوجان يحكمان على انفسهما
وينظران لولدهما لذلك فترقا والله تعالى اعلم والجناح والحرج واحد وهو الضيق ومعناه اي لا ضيق ولا تبعة عليهما
ولا اثم اذا اراد فطامه بدون الحولين **وقوله** ان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم فيه دلالة جواز الرضاع بعد
الحولين وحرمته لانه ذكر في قوله فان ارادا فصالا بتراضيهما بدون الحولين • ثم قوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم ليس
استرضاعا بعد الحولين اذ ذكر الرضاع في الحولين بقوله لمن اراد ان يتم الرضاعة وذكر الفصال بدون الحولين بقوله فان ارادا
فصالا عن تراض منهما فحصل قوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم بعد الحولين وهذا يدل لابي حنيفة رحمه الله ويقوي مذهبهم
ويحتمل ان يكون الآية في جواز استرضاع غير الامهات اذا ابت الام رضاعه وهو كقوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى
وقوله اذا سلمتم يعني اذا سلمتم الامر لله تعالى ما آتيتم اي قبلتم ليس هو على الابتداء ولكن على القبول دليل ذلك قوله فان تابوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ليس هو الابتداء بنفسه ولكنه على القبول كانه قال فان تابوا وقبلوا اقامة الصلوة
وعهدوا ايتاء الزكوة فخلوا سبيلهم فعلى ذلك الاول وآتيتم اي قبلتم ايتاء ما عهدوا وهو الاجر وقد يكون ما آتيتم
عقدتم عقد الابتداء هو الاعطاء والعطية عقد تم التسليم عليه وذلك دليل لقولهم يفرق بين قوله اعطيتك كذا قلم اقبضه
والله تعالى اعلم • واتقوا الله فيما امركم من الانفاق والكسوة ونهاكم من الاضرار احدهما صاحبه **وقوله** واعلموا ان الله بما تعملون بصير
هو وعيد على ما سبق من الامر والنهي **وقوله** والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
قيل هي ناسخة لقوله متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم انها وان كانت مقدمة في الذكر وتلك موخرة
فاربعة اشهر وعشرا ناسخة لتلك الى هذا يذهب عامة اهل التفسير الا ترى الى ما جاءت امراة اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان احديكن كانت تجلس حولا في منزلها ثم تخرج عند راس الحول فترمي ببعرة فثبت ان كان ذلك مما تقدم الامر به
نسخ بالثاني وقال آخرون انه قد اثبت في الآية متاعا او وصية ثم ورد النسخ على كل وصية كانت للوارث بقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والآكان الاعتداد الواجب اللازم هو اربعة اشهر وعشرا وامكن ان يسند
بقوله فان خرجن اذ كان على اثر قوله غير اخراج فان خرجن كان النهي على الاخراج دون الخروج وهذا اصل في الوصايا بالمنافع
ان لا يمنع الرد وان اجبر على التسليم وفي الآية جواز الوصية بالسكنى اذ يطلب بحق الميراث لا بحق الوصية والله الموفق وهو جائز
فيمن لم ينسخ له الوصية وامكن الاستدلال بالآية على عدة الوفاة بالحبل ان ثبت ما روي انه يكون اربعين يوما نطفة واربعين
يوما علقة واربعين يوما مضغة ثم ينفخ فيه الروح في العشر فاذا كان ما ذكرنا امرت بتربص اربعة اشهر وعشرا ليتبين
الحبل ان كان بها واذا كان بهذا معنى المدة فاذا ولدت بدونه انقضت العدة والله تعالى اعلم • فان قيل الامة اليس لا يختلف
الحرة في تبين الحبل ثم لم يجعل عدتها اربعة اشهر وعشرا فاذا لم يجعل ذلك كيف لا بان ان الامر بتربص اربعة اشهر
وعشرا لا لهذا المعنى قيل لوجهين احدهما ان الجراير هن الاصول في النكاح وفيهن يجري الانكحة فخرج الخطاب لهن والثاني
انها حق اخذت الحرة والحقوق التي تاخذ الحراير اذا صرف ذلك الى الاما ياخذ نصف ما تاخذ الحراير والثالث انه يقصد

اجالمن لما فيه رق الولد واكتساب الذل والدناة وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال تعتد ابعد الاجلين
احتياطا ذهب في ذلك الى ان الاعتداد بوضع الحمل في الطلاق ولم يذكر في الوفاة فيحتمل ان يكون ذلك في الوفاة كهو
في الطلاق ويحتمل ان لا يكون فامرها بذلك احتياطا واما عندنا ما روى عن عمر وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم
انهم قالوا اذا وضعت ما في بطنها وزوجها على السرير انقضت عدتها وكذلك روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان امراة مات عنها زوجها وكانت حاملا فوضعت بعد ذلك بايام فاذن لها بالنكاح ثم الامر بالاحداد اربعة اشهر وعشرا
ما روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاثة
ايام الا المراة على زوجها فانها تحد اربعة اشهر وعشرا فان قيل اليس وجب ذلك على المطلقة والخبر انما جاء في الموت قيل ليس
في الموت ما وجب ولكن لمعنى في الموت وهو فوت النعمة في الدين وذلك الفوت في الطلاق كهو في الموت الا ترى انه لم يجب
ذلك في موت ابيها ولا في موت ولدها دل انه لم يجب لموت نفسه ولكن لفوت النعمة في الدين الا ترى انه روى في الخبر
ان المراة الصالحة مفتاح الجنة فامرت باظهار الحزن على ما فات منها من النعمة بترك الزينة والتشوف اذ النكاح نعمة ثم المدخول
بها في الموت وغير المدخول بها سواء في وجوب المهر والعدة وترك الزينة واظهار الحزن على فوت النعمة واما المطلقة قبل
الدخول بها لم يلزم ذلك لان العدة لم تلزمها فيتجدد لها النعمة لما لها ان تنكح للحال فتكتسب نعمة والله تعالى اعلم الا ترى
ان الصبي الصغير اذا مات عن امراته يلزمها اربعة اشهر وعشرا دل ان وجوبها لفوت النعمة والله تعالى اعلم **وقوله** فيما فعلن
في انفسهن في الاكفاء وبمهر مثلهن قد ذكرنا هذا فيما تقدم **وقوله** لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء قيل التعريض
هو ان يرى من نفسه الرغبة فيما يكفي به من الكلام على ما ذكر في الخبر ان فاطمة بنت قيس لما استشارت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لها اذا انقضت عدتك فاذنيني فاستاذنته في رجلين كانا خطباها فقال لها اما فلان فانه لا يرفع العصا عن عاتقه
واما فلان فانه صعلوك لا شيء له فعليك باسامة بن زيد فكان قوله فاذنيني كناية خطابا لها لا اشار على اسامة دون
ما ذكره اهل التاويل انك لجميلة وانك لتعجبيني واما اجاو زالى غيرك وانك لنا نعمة مثل هذا لا يحل ان يشافه لامراة اجنبية
لا يحل له نكاحها وفي الاية دلالة ان لا باس للمتوفى عنها زوجها الخروج بالنهار هذا لا يحل ان يشافه لامراة اجنبية لا يحل له نكاحها
لما ذكر من التعريض لان الرجل لا يابتها منزلها فيعرض ولكن المراة قد تخرج من منزلها فتقيد في مكان احتمال التعريض فعند ذلك
يقول لها ما ذكرنا وعلى ذلك جاءت الاثار روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امراة مات زوجها فامره فاستاذنته
للاكتحال لم ياذن لها ونهاها عن الخروج واما ما روى عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما بالاذن لهن بالخروج بالنهار ولينهى
عن البيتوتة في غير منازلهن ولان المتوفى عنها زوجها مؤنتها على نفسها فلا بد لها من الخروج واما المطلقة فان مؤنتها على زوجها
والزوج هو الذي يكفي مؤنتها وترع عدتها الذلك فافترقا والله تعالى اعلم ثم التعريض لا يجوز في المطلقة لوجهين احدهما ما ذكرنا
ان لا يباح لها الخروج من منزلها ليلا ونهارا والمتوفى عنها زوجها يباح لها الخروج وانما ذكر الله سبحانه لوجهين احدهما
ما ذكرنا التعريض في المتوفى عنها زوجها لم يذكره في المطلقة والثاني ان في تعريض المطلقة اكتساب عداوة وبغض فيما بينه
وبين زوجها اذ العدة من حقه دليله انه اذا لم يدخل بها لم يلزمها العدة واما المتوفى عنها زوجها لزمتها العدة وان لم يدخل بها
كذلك يجوز التعريض في المتوفى عنها زوجها ولا يجوز في المطلقة قال الشيخ رحمه الله ولان زوجها في الطلاق حتى يعلم ما
بينهما الضغن والمكروه في الحال وليس ذلك في الوفاة **وقوله** او اكننتم في انفسكم يعني اخفيتم تزوجها في السر علم الله انكم
ستذكرونهن سرا وعلانية وقيل يعني الخطبة في العدة **وقوله** ولكن لا تواعدوهن سرا قيل فيه باوجه قيل لا ياخذ ميثاقهن
عهدا ان لا ينكحن غيركم وقيل لا تواعدوهن سرا يعني الزنا والسر الزنا في اللغة وقيل السر الجماع تقول انك لاربعة
وللجمعة وبنحوه ثم قال الا ان تقولوا قولا معروفا يقول لها لينا حسنا ولا يقول لها قولا يحملها على الزنا او على ما يظهر من نفسها
الرغبة فيه على ما ذكر في الاية فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وان يعد لها عدة حسنة وان يبرها ويحسن
اليها الترغيب فيه ولا يقول لها ما لا يحل ولا يجوز والله تعالى اعلم **وقوله** ولا تعزموا عقدة النكاح قيل هو على الاضمار كانه قال
لا تعزموا على عقدة النكاح وقيل لا تعزموا لا تعقدوا النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله يعني بالكتاب ما كتب عليها من العدة

حتى تنقضي

حتى تنقضي ذلك وفيه دليل حرمتها على الازواج لبقية الملك فالخطاب للاجنبيين لا للازواج الاقدام على النكاح
وان كن في عدة منهن قال الشيخ رضي الله عنه في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح حمل على التحريم وان احتمل الذي هو
بهذا المخرج عن التحريم لاتفاق الامة على صرف المراد اليه ولقوله حتى يبلغ الكتاب اجله اي ما كتب عليها من التربص ولما كان
النهي عن ذلك بما لزمها العدة للزوج الاول فهي باقية بها على ما سبق من النكاح المحرم لها على غيره فلذلك بقيت الحرمة
ولهذا جاز لمن له العدة للزوج الاول فهي باقية بها النكاح فيها اذ لا يجوز ان يمنع حقه والله تعالى اعلم **وقوله** واعلموا ان الله
يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهو حرف وعيد اي يعلم ما تضمرون في القلوب وتظهرون باللسان من التعريض فاحذروه
ولا تخالفوا امره ونهيه واعلموا ان الله غفور حليم فيه اطماع المغفرة وامهال العقوبة من ارتكب النهي وخالف امره والله تعالى اعلم
واعلموا الاية حذرهم علمه بما في انفسهم ليكونوا مراقبين له فيما اسروا وليعلموا انهم مواخذون بما اضمروا من المعاصي والخلاف له
وان الذي لا يواخذ به العبد هو الخطر بالبال لا بالعزم عليه والاعتقاد ثم اخبر انه غفور رحيم ليعلموا ان استتار ذلك
مما عرفوا وانهم قد استوجبوا بفعلهم الخزي لكن الله بفضله ستر عليهم ليشكر واعظم نعمه او ليلا ييأسوا من رحمته
فيستغفروه وذكر حليم ليلا يغتروا بما لم يواخذوا بالجزاء ما اضمروا في ذلك الوقت فيظنون الغفلة عنهم كقوله عز وجل
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون **وقوله** لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن فيه دليل رخصة
طلاق غير المدخولات بهن في الاوقات كلها اذ لا يتكلم بنفي الجناح الا في موضع الرخصة ولم يخصه وقتا دون وقت
واما المدخولات بهن فانه عز وجل ذكر لطلاقهن وقتا بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن لذلك قال اصحابنا رحمهم الله انه لا باس
للرجل ان يطلق امراته في حال الحيض اذا كان لم يدخل بها ووجهه انه اذا كان دخل بها تعرف وقت طهرها مما سبق
من الدخول بها فامر بالطلاق في ذلك الوقت ليكون ادعى الى المراجعة اذا ندم على طلاقها واما التي لم يدخل بها
فان الطلاق بينها منه فجعل كل الاوقات له وقتا للطلاق لما لم يجعل له حق المراجعة فيها ليكون بعض الاوقات له
ادعى له ذلك والله تعالى اعلم والثاني ان المدخول بها يتوهم علوقها منه فجعل لطلاقها وقتا ليستبين حالها احامل
ام لا ليلا يندم على طلاقها لان الرجل اذا طلق امراته ثم علم انها حامل يندم على طلاقها لذلك كان الجواب بما ذكر والله تعالى اعلم
وفيه دليل رخصة طلاق المبين منه اذا لم يملك امساكها عند الطلاق قبل الدخول تبين المراة من زوجها والاصل في الامر
جعل الطلاق في وقت حلها للازواج وكل الاوقات في غير المدخول بها وقت الحل **وقوله** او تفرضوا لهن فريضة معناه
ولم يفرضوا لهن فريضة كانه عطف على قوله تعالى لا جناح عليكم الى قوله عز وجل ما لم تمسوهن دليله قوله تعالى ومتعوهن
دل الامر بالمتعة ان قوله تعالى او تفرضوا لهن معناه ولم تفرضوا لهن ودل قوله عز وجل فنصف ما فرضتم ان ذا الذي في غير
المفروض بها حيثما وجب في المفروض نصف المفروض وحيثما المتعة ثم يجيء في القياس ان يوجب في غير المفروض
نصف مهر المثل لا المتعة لانه اذا دخل بها وجب كل مهر المثل كما اوجب كل المفروض عند الدخول بها ونصف المفروض
عند عدم الدخول بها لكن اوجب المتعة لوجهين احدهما ان مهر المثل انما يقدر بها اذا دخل بها فاذا لم يدخل بها لم يعرف
الزوج ما قدر مهر مثلها فاذا لم يعرف ما قدر مهر مثلها لم يعرف التنصيف من ذلك والثاني انهم اوجبوا المتعة تخفيفا
وتيسيرا لان الحاكم يلحقه فضل كلفة وعناء في تعريف حالها وحال نسائها اذ مهر المثل انما يعتبر بنسائها وليس ذلك
في المتعة والله تعالى اعلم ثم قدر المتعة يعتبر بشانه اعتبارا بقدرها لانه لو اعتبر بشانه قدرها اوجب لها عناها وعناء
اهلها ومهر المثل لا يبلغ ذلك فكان في ذلك تفضيل المتعة على مهر المثل وقد ذكرنا ان المتعة وجب تخفيفا ولو نظر
الى قدرها دون قدره لكلف الزوج بالا طاقة له به ولا وسع لذلك وجب النظر الى قدره اعتبارا بقدرها والله تعالى اعلم
وقوله او تفرضوا لهن فريضة او نسق على قوله ما لم تماسوهن فهو على ما لم تفرضوا لهن فريضة على ذلك قوله اذا نكحتم
المومنات الاية وعلى هذا اجماع القول في جواز النكاح بغير تسمية وفي ذلك دليل ان قوله تعالى ان يبتغوا باموالكم
محصنين الاية هو ما يبتغى من النكاح بالمال لا بتسمية المال فيكون النكاح موجبا له به يوصل الى حق الاستمتاع لا بالتسمية
ولهذا كان لها حق حبس نفسها عنه حتى يسلم اليها ما منع من الملك الا بمهر مسمى او غير مسمى كقوله تعالى والمحصنات من المومنات

خطر الشيء بالبال يخطر بالضم خطورا

الى قوله عز وجل اذا آتيتموهن اجورهن وقوله تعالى انا احللنا لك ازواجك وانا اجاز النكاح بلا تسمية لم تفسده
فساد التسمية بل الذى افسدها على اجواله كانه لم يكن وعلى ذلك اتفاقنا فيما يتزوج المراه على ما لا يحل من خمر او ميتة او نحو ذلك
ان يجوز فيكون فى ذلك امران احدهما انما لا يتعلق جوازه فى الشرط ففساد الشرط لا يفسد والثانى ان يتبين موضع النهى
عن الشغار انه غير مفيد العقل الا انه فى جعل ذلك بدلا للبضع واسلم يجعل التسمية شرط الجواز ليفسد لفسادها والله تعالى اعلم
ثم جعل الطلاق قبل المماسة سببا لاسقاط بعض ما وجب بالعقد فهو والله تعالى اعلم لما يوصل اليه كما لما له قصد النكاح
ولم يبطل كل المهر لما هو تقليب الملك الذى له البدل اذ هو فى الحقيقة للملك لا للاستمتاع دليلها لا يزداد او بكثرة الاستمتاع
فثبت انه بدل الملك فالتقلب فيه اذ ليس هو سببا لفسخ السبب الموجب للملك الذى له وجب البدل بل هو تقليب فيه لم يدفع
عنه البدل كله والله تعالى اعلم ❊ فاوجب عز وجل نصف المهر واسقط نصفه بما فقد احد القصدين ووجد الآخر والله تعالى اعلم
ثم اذا لم تكن التسمية جعل الله تبارك وتعالى المتعة مقابلة نصف المسمى عند التسمية وان كان لو تركنا والتدبير بعد بيان
الواجب فيما لم يسم من مهر المثل نحو وجوب المسمى فيما سمى لكان الذى يغلب على الوهم انا لا ندرك تدبيرنا غير نصف مهر المثل
فتولى الله سبحانه بيان ذلك ليعلم الناس والله تعالى اعلم ❊ ان الله يبين كل ما بالخلق اليه حاجة على قدر ما يحتمله وسعهم و بلغه
عقولهم وان الذى لا يحيط به تدبيرهم يبين لهم الاشارة اليه تفضلا منه على عباده ليولف به بينهم ويمنعهم عن التنازع
والله تعالى اعلم ❊ ثم لم يبين لنا ماهية المتعة بالاشارة اليه ومعلوم ان قدر الذى يتبين فيما علم قصور التدبير عن الاحاطة
يدرك ذلك النوع من الحكمة فيما لم يبين فهو والله تعالى اعلم ❊ بما علم ان العقول مبلغه وانه بالتدبير فيما يتبين وجه الوصول
اليه ولا قوة الا بالله ❊ ثم قد بين ان الحق واكد عند التسمية عند فيما لم يكن التسمية بوجهين احدهما بقوله تعالى على الموسع
قدره فيما كان الطلاق قبل المماسة وعند التسمية اوجب نصف المسمى احتمله وسعه ولا ومعلوم ان الاحتمال على قدر
الوسع احق فما كان يجب احتماله عند الخروج من الوسع والله تعالى اعلم ❊ والثانى بما علم من وقوع الاختلاف يكون بين الامة
فيما لا تسمية اذا مات احد الزوجين فى حق كمال المهر وارتفاع ذلك بما كان من تسمية فهو الدليل على ان الحق فى احد الزوجين
او كد منه فى الآخر على ان العقود والفسوخ كلها ثبت لها عند التسمية البدل ولا يجب شئ من ذلك بنفس العقد البدل حتى يستوفى
فى بعض ذلك ولا يجب شئ فى البعض على كل حال فثبت به ما ذكرت فاوجب ما ذكرت ان لا يراد بالمتعة نصف مهر المثل
اذ قد ثبت بالبيان الاول ان التدبير لا يوجب الزيادة عليه وبالبيان الثانى ان الامر فيه محمول على التيسير والتخفيف
ومن البعيد المجاوزة بالامر الموسس بالتغليظ فى التغليظ ولم يبين لنا ماهية المتعة ومعروف ان المتعة هى التى يتمتع بها
وان مهر المثل مما قد يتمتع به فجعلنا نصف مهر المثل نهاية المتعة بما هو النهاية فيما كان مبنيا على التغليظ فلا يجاوز به
ذلك مما فيه وجهان احدهما احالة وجوبها اكثر من مهر مثلها ❊ والثانى انها بحكم البدل عن ذلك دليله وجهان
احدهما ان المطابقة كانت بمهر المثل والطلاق سبب اسقاط حقوق النكاح لا لايجابها فثبت ان المتعة كانت مكان ما فيه
المطالبة لا ان حدث الوجوب بالطلاق ❊ والثانى انه متى وجب مهر المثل لم يوجد بها بحق ان يدخل بها ثبت انها كانت
بدلا فلا يزاد البدل على ما له البدل مما كان التحويل الى غير نوع مهر المثل انما هو والله تعالى اعلم لما قد يتعذر تعرفه وانه لم يوقف
ذلك بالاجتهاد والفحص عن احوالها وخلقها ومحل قومها وفى ذلك مؤن وتكلف ثم بعد العلم بذلك لا بد من الاجتهاد فى الوسط
من ذلك ثم فى امرها منهم فجعل الله تفضله من الوجه الذى لمن سبيل العلم به عن ذلك التكلف ولو رفع هو الى الحاكم امكنه
الوصول الى العلم به بدون ما ذكرت من النظر فكان ذلك والله تعالى اعلم نحو ما فرض الله تعالى من ذكره الابل لا دية اذا صار
بحيث لو كانت فيها لكانت جزءا يتعذر اخذ مثله ثم التسليم الى الشراء فجعل ذلك بدلا على ان الذى عليه لو خرج بتسليم
العين جاز فمثله ما نحن فيه وهذا هو وجه جعل الله متعة على انها كانت واجبة بحق الامساك لو رام ذلك اذ عليه
النفقة والكسوة فاذا طلقها فجعلت هى مكان مهر المثل اذا فات السبب الذى كانت تجب بحقها فجعلت واجبة بحق غيرها
حتى لا يقع فى الطلاق وجوب امر لم يكن فيما تقدم لو اريد به الامساك ومن البعيد ان يزداد كسوة المراة على مهرها
او نصف مهرها فى الحق ولا قوة الا بالله ❊ ثم ليس فى ظاهر الآية ابطال المهر فيما لم يسم ولا النصف فيما سمي واتفاق او

من قولهم شغر البلد اذ خلا من اهله سمى شغار لخلوه من المهر

الامر بالمتعة ❊ وفى الثانى بيان ان لها نصف الفرض والقول بان نصف هذا العبد لفلان او لفلان كذا من الحق
لا يبطل عنه الحقوق جملة او عن النصف الآخر بذلك القول بل فيه بيان ذلك انه له وغيره متروك لدليل ولا قوة
الا بالله ❊ وكذلك قوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ليس فى ذلك ان لا عدة عليهن ولكن فيه ان لا عدة لهم
ويجوز ان يكون عليها لا له وكذلك عندنا العدة هى التى عقيب الخلوة لا يملك هو فيها امساكها ويلزمه المؤن فكانها
عليه لا له فى المعتبر فبما ذكرت يبطل قول من ادعى ان القول بالمهر والعدة فيما لا مماسة فيه خلاف الظاهر والله اعلم
مع ما لو كان فى الظاهر ذلك لا يمكن ان يكون من المسيس فى الحقيقة ولم يجب به ذلك فثبت ان المراد من ذلك معنى
فى المسيس لا ما يحققه اسمه ❊ ثم الذى يؤيد انه الامكان والاجتماع وجهان احدهما قوله تعالى وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج الآية فاعظم عليه اخذ شئ مما آتاها بما كان من افضاء بعض الى بعض والافضاء فى اللغة
معروف انه الانضمام لا المجامعة الى الازواج يضاف فعلها وفى هذا اضافة الافضاء الى كل واحد منهما ثبت
انه فى معنى ذلك من كل واحد منهما نحو الذى من الآخر وذلك يكون فى الاجتماع خاصة والله تعالى اعلم والثانى
وجود القول من خمسة من نجباء الصحابة الخلفاء رضوان الله عليهم اجمعين ❊ ممن دونهم ممن لا يحتمل خفاء الآيات
عليهم ومن شهد الخطاب احق بفهم الحقيقة من المراد ان يسألوا عن ذلك من ان يطلعهم على حقيقة اذ كان بحيث احتمال
الخفاء وللخاصة النجباء الذين يعلمون انهم ائمة الخلق وعلى الاقتداء بهم حث الامة معا فى ذلك عدول عن الظاهر
وقول بالذى لا يحتمل فهمه عنه ثبت ان كان ذلك منهم عن بيان من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او عن دليل
شهدوه اظهر المراد ❊ ولا قوة الا بالله على ان فى الآية لو كان فيه تصريح جماع لكان يلزم ذلك بالخلوة لوجهين سوى
ما ذكرت احدهما جرى احكام الكتاب والسنة فى البدل والسنة فى البدل لاشياء مقصوده اسما وتحقيقا كى
يستوجب حق الوفاء بها نحو شرط الله القبض فى الرجال والقتال فى المغانم والاتيان فى الاجور والمهور والخروج
لامر الهجرة وامره رؤيا ابراهيم عليه الصلوة والسلام لما اسلما لامر الله تعالى فعلى ذلك امر المهور والعدة فى الخلوة
اذ هى سلمت نفسها لذلك وعلى ذلك امر الخروج من الامانات بقوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
ولو كان لا يخرج الا بادخاله فى الايدى فى الحقيقة لكان لا سبيل الى القيام بما كلف الله وعلى ذلك اجماع القول
فى الاجارات اذا امكن الانتفاع بها والله تعالى اعلم ❊ والثانى ان النساء لا يمكن من تسليم ما عليهن من الحق ومحال ان يلزمهن
من الحق اكثر مما ذكر مكن الله تعالى وسعهن فثبت ان ليس عليهن غير الذى فعلن فاستوجب ما لهن وعلى ذلك قوله تعالى
ولهن مثل الذى عليهن ❊ ثم قد اجمع على وجوب المهر فى موت احدهما وان الموت لا يسقط وان لم يكن ثم دخول فهو والله تعالى
اعلم ❊ ان المقصود بالنكاح الملك وقيام الزوجية الى موت احدهما وان ذلك الاستمتاع وقد وجد تمامه ❊ وقد بينا
ان المهر للملك لا لنفس الاستمتاع فوجب كماله وان مات احدهما ما بلغ الملك نهايته وعلى هذا يخرج قولنا فيما لم يسم لها
المهر اذ مهر المثل انما هو بدل الملك دليله انه يوجب لها المطلقة به عند قيامه وان لم يسم به واصله ما بينا من تعلق هذا
الملك بالبدل حكما وانه لم يكن تعلق به شرطا وقد وجد تم ❊ وعلى هذا روى عن ابن مسعود رضى الله عنه فى ذلك وقام
معقل بن سنان ❊ وقال نشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى بروع بنت واشق بمثل الذى قضيت انت
فسر به عبد الله لموافقة رأيه ما روى له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ❊ واذا ثبت ذلك فعلى ذلك اذ المعقول
بالنكاح ان تبذل المراة نفسها له ليستمتع بها فاذا جاءت الخلوة وجد تمام المقصود منها بالنكاح على ما وجد فى موت
احدهما فيجب كمال المهر كما وجب بالاول ويستوى فى ذلك مهر المثل والمسمى والله تعالى اعلم وعلى ذلك فيما لم يوجب
جعله بدل المنفعة اذ هو قيمة البضع وبحقيقة الاشياء باتلافها ولم يوجد ههنا وعندنا انه وان كانت قيمة ذلك
فهى بدل لملك ذلك لا لبدل الانتفاع نفسه اذ لا يجب فى الزنا ثبت انه للملك يجب ولشبهته ❊ وقد وجد فى الاول على تمام
ما رجع اليه المقصود وجب على ما مر بيانه والله تعالى اعلم ❊ واوجب قوم فى المسماة بعد النكاح نصف المسمى اذا طلق قبل
الدخول لا استدلالا بظاهر الآية ولكن التسمية عند الناس انما تكون فى العقد حتى لا يعرفها وجود غيرها وهى التسمية

فى العقد فهى المراة • ثم وجد جميع الاسباب التى يحتمل الاعتياض جعل ذكر الفرض بعد السبب كلا ذكر فسلم امر النكاح
فا وجب ذلك فساد التسمية فلم يجب المسمى من بعد لاجنت يوجبه الدليل وقد قام دليل الوجوب عند وجود ماله حكم
الدخول بها يجب عند ذلك مالا الا ثم وجه لزوم القول بما يخرج على احوال احديها ان لهذه التسمية اذا جانت جارت بحق مهر
المثل اذ فى كل سبب ليس له عوض بالحكم لم يجز ثم كان مهر المثل يسقط قبل الدخول بها كذلك الواجب به والله تعالى اعلم
وايضا ان الحكم يوجب بيس مهر المثل ليدفع اليها اذ لها حق الامتناع الابه فاصطلاحها على ما سميا لم يعد له حق ما فى الحكم
ذلك وهو اليقين ولو بينه الحاكم لكان يسقط فمثله هذا والله تعالى اعلم • والثالث انه معلوم انه لو كان الذى فرض
من طلاقها لو كان ظاهرا وقت التسمية لكان نحوها عليه المتعة ولم يكن يجب النظر الى مهر مثلها الان وجب بتجديد المتعة
فكذلك اذا ظهر والله تعالى اعلم • وامكن ان يقال الاصل فى ذلك ان المتعة ليس يوجبها الطلاق ولكن النكاح يوجبها ثم كان
الواجب بالنكاح مجهول لا يدرى اهو مهر المثل والمتعة اذ لا يجوز ان يجبان ولا ان يوجب الطلاق احدهما لما هو بيان
ذلك فثبت ان الواجب فى الحقيقة احدهما لكن لها مطالبة مهر المثل ثم هو الاستمتاع فحمل الامر على ذلك الظاهر وبه
اجيبت التسمية • فلما ورد الطلاق قبل الدخول ظهر حقيقة الواجب فبطل الذى كان بحق المهر لما ظهر ان الواجب فى علم الله
اعلم وعلى اصل هذا المعتبر امر المرض الظاهر انه نوع الايمان وذلك مما لا يزداد ولا ينتقص فيجب بالطلاق نصف مهرهن
ثم اذا كان من نوع ما يزداد وينقص فيحدث احد الوجهين فليس فى الكتاب تسمية ذلك النوع على المعروف ولا العقد فيه
بشئ ومعلوم ان ذلك لو كان فى يدى الزوج ليجب نصف ذلك فيما كان الطلاق قبل الدخول بها فيصير بحكم المعروض الم يكن
بما كان حدث فى الحق وبما كان فى حكم انه الحق فى ذلك النصف اذ ذلك حكم الطلاق قبل الدخول بها على حق النصوص فيكون
الذى حدث فى النصف حقا وبما كان مهرا والحادث محتمل جعله مهرا فهو فيه على ما عليه معتبر الحقوق من لحوق الفروع الاصول
فاذا كان ذلك بعد القبض فقد انقضى امر الحق وحدث ما احدث على ملكها اذ على ذلك يحدث فقلنا لو نقص المهر فى العين
لكان نصيب النصف لزوجها بعض القبض فيه • ثم نقض العقد واذا كان كذلك لا يخلو امر الزيادة من يرد عليه فيرجع بشئ
لم يسلم اليها وذلك فضل على ما اخذ من الحق باخذه بالحكم فيكون ربا لانه لم يسمه ولا يسلم اليه فزال المعنى الذى هو لها
فيه فيكون اخذه بلا عوض فى عقد التبادل فيصير ربوا • ولو ابقى له على فسخ القبض فى المهر والعقد فيصير ذلك لما فضل
قد فسخ العقد فيه مما لم يكن لها الا بدل بلا بدل وذلك وصف الربوا وقد حرم الله الربوا فيجب بالضرورة جعل المعروض
كالهالك فيجب نصف القيمة ليزول معنى الربوا والله اعلم • وعلى ما ذكرت يخرج قول ابى يوسف رحمه الله فى الغلة والهبة
الله يظهر الواجب فى الحكم وعند ابى حنيفة رضى الله عنه ذلك فى حق النقص بعينه كذلك دليله ما لم يجوز ذلك فيه
تقليب الزوج لو كان منه ثم النقص لا يرد على ما ليس له حكم المهر فيبقى ذلك للمراة على ما كان لها قبل الطلاق اذ الطلاق
نقض للملك فى المهر وليس ذلك بمهر والله اعلم • قال الشيخ رحمه الله والمذكور من المتعة فيما فيه الدخول يحتمل ما عليه وحال
النكاح من الكسوة والنفقة الى تمام العدة فيكون الاية فى ذكر النفقة بعد الفراق اذ لا يجوز ان يكون الطلاق سببا لايجاب
حق غير واجب قبله ويحتمل ان يكون فى حق المتبرع شرط عليه ليكون تسريحا بالاحسان على ما رغب فى غير المدخول لها الا تمام
اذ لا يجوز ان يكون ذلك بدلا فيكون لملك واحد بدلين مع ما جعل الله الطلاق سببا لتخفيف الحقوق على الزوج ورفع المؤنة
ورد الامر الى الغنى بالاخر بقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته لم يحتمل به الوجوب فيصير سببا لالزام المؤنة
ولا قوة الا بالله وقوله حقا على المحسنين فيه دليل لابى حنيفة رضى الله عنه حيث قال ان الذمى اذا تزوج امراة
ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يدخل بها لا متعة لها لان الله تعالى انما اوجب المتعة على المحسنين والذمى ليس بمحسن
والدليل على ان المتعة اوجبت تخفيفا ومهر المثل لان مهر المثل وجب على المرء احتمله ملكه ولم يحتمل • والمتعة لم تلزم
الا ما احتمله ملكه فبان انها اوجبت تخفيفا فاذا كان تخفيفا لم يزد على مهر المثل • والثانى ان المتعة اوجبت بدلا
عن نصف مهر المثل ثم لا جائز ان يراد بالبدل المبدل كما قيل فى ساير الابدال والله اعلم • وهى ثلاثة اثواب لانه يخرج بها من المنزل
واقل ما تخرج المراة من المنزل انما تخرج بثلاثة اثواب • فان قال لنا قايل ان الكتاب ذكر المتعة للمطلقة قبل المماسة

اذا لم يفرض لها

اذا لم يفرض لها فرضا وذكر انه فى نصف المفروض اذا طلقها قبل المماسة وانتم اوجبتم كل المسمى وكل مهر المثل
اذا خلا بها ولم يمسها • قيل فى الاية بيان وجوب نصف المهر فى حال وبيان وجوب المتعة فى حال وليس فى بيان وجوب
النصف نفى وجوب الكل لانه اذا قيل لفلان نصف هذا الشئ ليس فيه دليل ان النصف الاخر ليس له فاذا كان ما ذكرنا
ليس لمخالفنا الاحتجاج علينا بظاهر الكتاب ولا النسبة الى مخالفة الاية فصار معرفة ذلك بتدبير اخر من جهة الكتاب
معا انه لا يوجب المهر كله لعين المسيس فكان نحن وهو اتفقنا جميعا على ايجابه لا بالكتاب والله اعلم وان شئت قلت
ان الخلوة لا توجب كمال الصداق وانما يوجبه صحة العقد دليله مطالبة المراة الزوج بكماله بعد صحة النكاح قبل
ان وجوبه لا بالخلوة ولكن بصحة العقد فالكلام انما وقع فى اسقاط البعض فيسقط اذا قام دليل الاسقاط والله اعلم
وان شئت قلت ان المراة لا تملك سوى تسليم نفسها اليه • فالعقد انما وقع على ما يقدر على تسليمه اليه ليس على ما لا تقدر
لانها لا تقدر على تسليم الاستمتاع اليه اذ لو كان العقد واقعا على ذلك لكان يبطل لان من باع ما لا يقدر على تسليمه
الى المشترى لبطل العقد باصله فعلى عقد النكاح اذا جعل واقعا على تسليم الاستمتاع اليه كان باطلا كالبيع للمعنى الذى
وصفنا والله اعلم • ثم اختلف فى المراة التى مات عنها زوجها ولم يدخل بها ولا فرض لها مهرا • روى عن عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه انه قال لها مهر مثلها • وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى لبروع بنت واشق بمهر مثلها
وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال لها المتعة بكتاب الله تعالى وقال لا ندع كتاب الله تعالى بقول اعرابى
ذهب • والله اعلم ان الكتاب ذكر المتعة فى الطلاق ثم كان ذلك الحكم فى غير الطلاق فعلى ذلك الفرقة التى وقعت بالموت
توجب المتعة فيه كوجوبه فى الفرقة الواقعة فى غير الطلاق كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ذكر المطلقات
ثم كانت التى وقعت الفرقة عليها بغير طلاق يلزمها ما يلزم المطلقة ومثل ذلك كثير مما يكثر ذكره والله اعلم وانما عندنا
فانه لا يلزم المتعة ولكن يلزم مهر المثل لوجوه احدها قوله وان طلقتموهن من قبل ان تماسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
فنصف ما فرضتم ذكر فى الطلاق قبل الدخول نصف المفروض وفى الدخول كل المفروض فعلى ذلك لما اوجبه الحكم فى التى لم يدخل بها
ولم يسم لها مهرا دون ما وجب فى حكم الدخول والله اعلم • والثانى ان المقصود بالنكاح انما يكون الى موت احد الزوجين فاذا كان
كذلك لزم كل المسمى او كل مهر والله اعلم • والثانى ان المقصود بالنكاح انما يكون الى موت احد الزوجين فاذا كان كذلك
لزم كل المسمى او كل المهر والله اعلم • والثالث الخبر الذى ذكرنا انه قضى بمهر المثل وخبر امثال هؤلاء مقبول اذا كانت البلية
فى مثله بلية خاصة اذ بمثل هذا لا يبتلى الا الخواص من الناس لذلك كان ما ذكر • وقوله وان طلقتموهن من قبل ان تماسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ذهب قوم الى ظاهر الاية انه ذكر فيها نصف ما فرضتم ولم يفصل المفروض فى العقد
دون المفروض بعد العقد فكله مفروض فلها نصف المفروض سواء كان المفروض فى العقد او بعد العقد وعلى ذلك
قال القوم ان الرجل اذا تزوج امراة على جارية ودفعها اليها فولدت عندها ولدا ثم طلقها قبل الدخول بها ان له نصف الجارية
لان الله تعالى قال فنصف ما فرضتم وانتم لا تجعلون له نصف ما فرض فخالفتم ظاهر الكتاب • اما الجواب لمن جعل المفروض
بعد العقد كهو فى العقد فيما جعل لها نصف ما فرض فان الخطاب من الله تعالى انما خرج فى المفروض فى العقد لا فى المفروض
بعد العقد لما يتعارف فى العقد خرج الخطاب على هذا المتعارف بينهم وهو المفروض فى العقد فيجعل لها نصف ذلك
وما يفرض بعد العقد وانما يفرض بحق مهر المثل فاذا وجد الدخول وجب ذلك والا لم يجب • واما جوابه فى قال انه اذا تزوجها
على جارية ودفعها اليها فولدت ولدا ان له نصف ما فرض فانا نقول ان الاية ليست فى الفرض الذى معه اخر ولدا وغيره
الا ترى ان الجارية اذا كانت عند الزوج فولدت ولدا فان لها نصف الجارية ونصف الولد والولد لم يكن فى الفرض
وقت العقد فعلى ذلك الاية ليس فى الجارية التى ولدت عندها ولكن فى الفرض الذى لا زيادة معه ثم لا يخلو اما ان يجعل له
نصف الجارية لها دون الولد • فقد فسخ العقد فى الاصل فيبقى الولد بلا اصل فذلك ربوا ويجعل له نصف الجارية مع نصف
الولد وهو غير مفروض والله تبارك وتعالى انما جعل له نصف ما فرض فبطل قول من قال ذلك والله اعلم • قال الشيخ رض
وقوله حقا على المحسنين قيل يريد به المؤمنين فيكون فى هذا التاويل دلالة على ما قاله ابو حنيفة رضى الله عنه ٥

ان لا يلزم الذمى الذى المتعة • وقيل على من قصدهم الاحسان الى الازواج ويتقون الخلاف لما كان عليه النكاح من امساك
بمعروف او تسريح باحسان والله الموفق واعتل قوم فى حق العدة وكال المهر انه ذكر فيه الطلاق لا على تخصيص الحكم له
بل بكل ما يكون به تسريحها فمثله يكون ذكر المماسة لا على تخصيص ولكن كل ما يكون به تحقيقها ولا قوة الا بالله قال وقدرت
المتعة فى الاختيار بالقدر الذى كان يمتعها بالامساك اذ لا بد من كسوتها ليعلم ان ليس الفراق عن ذلك الحق يطلق او بما به
يخرجها من منزله فامر ان يمتعها بما به التى تخرج من المنازل واقل ذلك ثلاثة اثواب والله اعلم • وفى هذه الايات
دلالة واضحة على ان الشئ التافه لا يحتمل ان يكون مهرا لما اوجب عند العدم فيما لا تسمية فيه الشئ الخطير وهو الذى يمتعها
واقل ما تمتع هو له فيه ثلاثة اثواب وفيما سمى لها عند ذلك بالعفو وحبه لا يحث على العفو عنها ولا يرغب بين الزوجين
الى الاخذ بالفضل بمثله دل ان لذلك حدا قد يجرى بمثله التنازع فيرغبون فى ابقاء ذلك فى اختيار ما به التالف
على ان الله جل ثناؤه • وقد جعل بقاء النكاح بالاموال وبها احل وقال فى ذى العذر ومن لم يستطع منكم طولا
الاية ولو كانت تحبه طول حرة لكان لا احد يعجز عنها ويشترط ذلك فى تزويج المملوكة وبخاصة على قول من لا يبيح
الا بالضرورة فمن ذا يضطر الى حبه يتوق الى الاستمتاع فضلا من ان يحبه ثم على ذلك قال فى الاماء واتوهن اجورهن
بالمعروف والحبة معلوم انها انكر من المنكر فثبت مهر الحراير يرجع بين ويظهر فى اهل الحاجة وان القول بجعل الحبة
مهرا تاما وصف ملكها بملك الطول قول مهجور لا معنى له • وبعد فان الناس اجمعوا على انها لا تملك بالمعروف بضعها
والبدل للزوج بلا بدل يلزم مرفضا ذلك تولى العقد على ما ليس لها وحط القليل فى ملكه والكثير فى المنع واحد فقياس
ذلك ان لا يكون لها الحط من مهر مثلها الخيث امراة فى العالم فلا يحتمل ان يجوز الحط ولكن اجيز العشرة بالاتفاق
ولم يجز الاكثر للتنازع وقد بينا العشاد من طريق التدبير والله اعلم وقوله الا ان يعفون قيل المراة او يعفو
الذى بيده عقدة النكاح اختلف فيه قال على وابن عباس رضى الله عنهما هو الزوج وقال قوم هو الولى وامكن ان يكون
قول من قال بانه الولى لما ان المهور فى الابتداء كانت للاولياء ودليل ذلك قول شعيب لموسى انى اريد ان انكحك احدى ابنتى
هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج شرط المهر لنفسه • وكما روى من الشغار ثم نسخ من بعد وصار ذلك للنساء بقوله فان طبن لكم
عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فلا تاخذوا منه شيئا وقوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة ولانهم اجمعوا
ان لا يجوز لاحد المعروف فى ملك الاخر الا باذنه فعلى ذلك لما ثبت ان المهر لها لا يجوز للولى المعروف فيه وقوله الا ان يعفون
يعنى المراة تترك النصف ولا تاخذ منه شيئا او يعفو الذى بيده عقدة النكاح يعنى الزوج يجعل لها كل الصداق
يقول كانت فى حبالى ومنعتها من الازواج وتترك المراة لها النصف فتقول لم ينظر الى عورتى ولا تمتع بى وهو على الافضال
وعلى ذلك يخرج قوله ولا تنسوا الفضل بينكم ان يتفضل احدهما على الاخر بترك النصف او باتمام الكل ومعنى قوله
ولا تنسوا الفضل بينكم اى لا تنسوا الفضل الذى فى ابتداء الامر لان امر النكاح فى الابتداء مبنى على التشفع والافضال فرغبهما
عز وجل على ختم ذلك على الافضال على ما بنى عليه والله اعلم • وفيه دلالة على ان العفو هو الفضل فى اللغة وهو البذل
تقول العرب عفوت لك اى بذلته فان كان العفو هو البذل فكان قوله عفى له ترك له او بذل فاتباع بالمعروف يكون
فيه دليلا لقولنا اصحابنا فى ذلك • وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى معناه والله اعلم حق على المتقى ان يرغب فيه وكذلك
قوله حقا على المحسنين ان يرغب فيه ثم لاضافة ذلك الى الرجال وجهان احدهما لما انهم هم الذين تركوا حقهم ومن عندهم
جاء هذا التقصير والثانى انه تسليم ذلك من الرجال الكمال لهم فى الاصل موصوفون بالكمال ومن عندهم يستوفى ما فيه
الكمال • قال الشيخ رحمه الله وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى يحتمل اشتراك الزوجين فى ذلك على معنى الاخذ بالعفو
والفضل اولى لمن يريد اتقاء دناءة الاخلاق واولى الفضل ممن اكرم باتقاء الخلاف لله ويحتمل الازواج بما قد ضمنوا
الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان فهو اقرب الى وفاء ذلك واتقاء الخلاف له على ان سبب الفراق جاء منه فذلك
اقرب لاتقاء الجفاء منهم واظهر للعذر لهم فيما اختاروا والله اعلم وقوله ان الله بما تعملون بصير حرف وعيد عما فيه
التعدى ومجاوزة الحدود والخلاف لامره وقوله حافظوا على الصلوات والمحافظة هو المفاعلة والمفاعلة هو فعل اثنين

> قال الله تعالى واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الى ان قال فلا تاخذوا منه شيئا وقال ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا
> شرح

فهو والله اعلم

فهو والله اعلم انه اذا حفظها على وقتها ولم يسهو عنها حفظته وهو كما ذكر فى اية اخرى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ونحو حرف ابن مسعود رضى الله عنه ان الصلوة تامر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر فعلى ذلك اذا حفظها على اوقاتها
مع احكامها وسننها ولم يدخل ما ليس فيها من الكلام والالتفات وغير ذلك مما نهى عنه حفظته وكذلك قوله وسارعوا
وسابقوا من المفاعلة فاذا بادر اليها بدرت اليه وبالله التوفيق وقوله والصلوة الوسطى اختلف فيه قال بعضهم
قوله والصلوة الوسطى اراد كل الصلوة لا صلوة دون صلوة وهو والله اعلم ان الصلوة هى الوسطى هى من الدين
وهو على ما جاء والايمان كذا كذا بضعة اعلاها كذا وادناها كذا • فعلى ذلك قوله والصلوة هى الوسطى من الدين ليست
باعلاها ولا بادناها ولكنها الوسطى من الدين وقال الاخرون والصلوة الوسطى هى صلوة العصر وعلى ذلك روى عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال هى العصر وذكر فى حرف حفصة رضى الله عنها انها هى صلوة العصر • وقال قايلون
هى الفجر ذهبوا فى ذلك الى ان النهار يجمع الصلوتين والليل بطرفيه كذلك فالفجر اوسطها وكذلك روى عن ابن عباس
رضى الله عنه انه قال هى الفجر • وقال اخرون هى الظهر ذهبوا فى ذلك الى انها انما تقام وسط النهار فسميت بذلك
وكذلك روى عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال هى صلوة الظهر ومن قال هى العصر ذهب فى ذلك الى ما روى من الخبر
والى ان العصر ذهب فى ذلك الى ما روى من الخبر والى ان العصر هى الواسطة من صلاتى النهار وصلوتى الليل لان صلوتين
بالنهار قبلها وصلوتين بعدها بالليل فهى الواسطة والقياس ان يكون هى المغرب لان الظهر سميت اولى والعصر يكون
الثانية فالمغرب هى الواسطة لكن لم يقولوا به وفيه دلالة ان الصلوات وتر لان الشفع مما لا وسط له من جهة
الخصوصية انها كانت فان كانت عصرا فهو ما ذكر ان الكفرة حملوا على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صلوة
الظهر فلم يتهيا لهم اقامتها فقالوا احفظوا عليهم صلوة هى اكرم عليهم من انفسهم واموالهم فظهر بهذا ان لها فضل
وخصوصية من عند الله ورسوله • وما روى فى الخبر ايضا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من فاتته العصر وتر اهله
وماله فان كانت فجرا فلان الكتاب ذكرها بقوله ان قران الفجر كان مشهودا ولما قيل ان ملكى الليل والنهار يشهدونها
فذكرت لها الخصوصية والفضل • ومن قال انها الظهر ذهب الى ان خصوصيتها وفضيلتها ما جاء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان يصلى قبل الظهر اربعا اذا زالت الشمس وقال ان ابواب السماء تفتح فى ذلك الوقت قال الشيخ رحمه الله
فى قوله والصلوة الوسطى تكلم فيه وجهين احدهما ان الصلوة هى الوسطى من امر الدين فهى على ان الارفع من امر الدين
هو التوحيد والايمان وذلك هو الذى لا يرتفع بعذر ولا يسقط بسقوط المحنة اذ ذلك فى الدارين جميعا وهو
الاخلاص ونفى جميع معانى الخلق به عن وحدانيته ويؤخذ به وساير العبادات قد يقوم مع وجود امور الدنيا والمعاش منها
ونحو حالها بالذى به قوامها والتوحيد لا تتم الصلوة معها ترك جميع ما ذكرت فجاء لعظمها فيما به فعلها فهى تشبيه الايمان
من هذا الوجه • ثم تسقط للاعذار ولا يجب فى غير دار المحنة على ما عليه امر غيرها من العبادات فصارت بذلك الوسطى
من امر الدين وهو الموفق • والثانى ان تكون هى صلوة من جملتها فذكر بحرف التخصيص لها من الجملة احدهما لبيان جملة
الفرايض انها وتر لا الشفع اذ لا وسط للشفع فيكون فى ذلك بطلان قول قوم انكروا العدد لها وقوم زعموا انها صلوتان
فى الجملة والله اعلم • ان يراد بذلك التفضيل لصلوة من الصلوات فى الحث على فعلها والترغيب فى محافظتها ويجئ ان يكون
ملك معروفة عند الذين خوطبوا اما بالاسم او بالحال من النوازل لانه لا يحتمل ان يرغب فى فعل لا يعلم حقيقة ذلك
والله اعلم ثم يكون لاختلاف من لم يشهد النوازل التى عرفت المراد فقال كل مبلغ جهده فيما ادى اليه رايه من الترغيب
فى الفضل انه على ذلك لكنهم اختلفوا منهم من اعتبر بالركعات فقال اكثرها اربع واقلها ركعتان والوسطى منها ثلاث فصرف
التاويل الى المغرب • واستدل فى الترغيب فى تعجيلها والمبادرة فى فعلها حتى لم يؤذن بالاشتغال عنها عند هجوم وقتها
لنافلة ولا لحاجة وذلك بعض ما يعرف من معنى المحافظة وهى ان الصلوات جعلن متصلات الاوقات وهى الوسطى
منهن والله اعلم وقوم ردوا الى صلوة الفجر بما فى ذلك من الترغيب والتخصيص بالامر كقوله وقران الفجر الاية وما احتج
من شهود ملائكة الليل والنهار دولان وقتها الوسط من احوال الخلق اذ احوالهم يكون مرة وانتشارهم ثانيا وبذلك ختم

> عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
> شرح

> عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان
> صحيح البخارى

> وقد روى عن عايشة وحفصة وام كلثوم رضى الله عنهن ان فى مصاحفهن حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر
> شرح

> وفى مصحف حفصة والصلوة الوسطى صلوة العصر
> عين المعانى

> اى حرب وسلب من وترت فلانا اذا قتلت حميمه واخذت ماله او نقص وقلل من الوتر وهو الغرد يقال وتره حقه اذا نقصه

اوقات السكون وافتتاح احوال الانتشار ووسط الشئ هو الذى فيه حط الحواشى وقد وجد فى وقت هذه الصلوة
والله اعلم • ومنهم من صرف الى العصر بما جاء فى ذلك من الترغيب ومن الوعيد فى ترك ذلك وبها ختم احوال الزلات
التى تدخل فى المكاسب فيكون بها التوبة عنها والاستغفار منها ولا قوة الا بالله وقوله حافظوا على مخاطبة الجملة على الاشتراك
اذ المفاعلة اسم ذلك على تضمن الترغيب فى الطاعات وعلى لزوم كثرة عدد الصلوة او على ما خرج الامر بالمسارعة الى الخيرات
والمسابقة اليها وكل فى ذلك والله اعلم • على ان تسمية الظهر اولى فعلى ذلك يكون المذهب الوسطى وقوله وقوموا لله قانتين
قيل خاشعين فيها لا يدخل فيها ما ليس منها وعلى ذلك روى عن زيد بن ارقم انه قال كنا نتكلم فى الصلوة فلما نزل
قوله وقوموا لله قانتين امرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعلى ذلك تسمى الدعاء قنوتا وقال الآخرون قانتين مطيعين وذلك
ما قيل ان اهل الاديان يقومون فى صلوتهم عاصين ساهين فامر اهل الاسلام ان يقوموا مطيعين • والقنوت هو القيام
على ما روى سئل عن افضل الصلوات فقال طول القنوت واصل القنوت ما ذكرنا هو القيام عبارة الذى يقوم لاحد
يقوم على الخضوع والخشوع والسكوت وليس فى الآية انه امر بذلك فى الصلوة عبارة اهل التاويل صرفوا الى ذلك
لانها ذكرت على اثر ذكر الصلوة وكذلك قوله فان خفتم فرجالا او ركبانا ليس فيه ان ذلك فى الصلوة لكنهم صرفوا
اليها ذلك فى الصلوة اثر الصلوة • ثم اختلف فيه قالوا ركبانا على الدواب حيث ما توجهت بهم الدواب يصلون عليها
فى حال السير والوقوف • وعلى ذلك جاءت الآثار من فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفعل الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين فى النوافل فتكون الفرايض عند العذر به مرادة بالآية بل على ما ظهر فعل النوافل فى غير
بالسنة • واما قوله فرجالا فيما اختلف فيه قال قايلون فرجالا لمشاة وهو من الرجل وترجل مشى راجلا واما عندنا
فهو على المعروف من الصلوة على الارجل والاقدام قياما وقعودا لا يزال عن الظاهر والمعروف الذى عرف الفعل به
على ما عرف من الصلوة على الارجل وقوله وركبانا على ما عرف من الركوب وهو فى حال السير ولم تر الصلوة تقوم مع المشى
فيها • فان قيل صلوة الخوف فيها مشى فقامت • قيل ان المشى فى فعل الصلوة لانهم فى الوقت الذى يمشون لا يفعلون
فعل الصلوة وهو كما يقول ان الصلوة لا تقوم مع الحدث فاذا احدث فيها فذهب ليتوضا ليس هو فى وقت الحدث
مصل وان بقى فى حكم الصلوة فعلى ذلك المشى فى صلوة ليس هو فى فعل الصلوة وان كان باقيا على حكم الصلوة
والله اعلم وقوله فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم يحتمل قوله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون • وقوله فاذكروا يحتمل ان ينصرف
الى الصلوة اى صلوا كما علمكم ان تصلوا فى حال الامن ويحتمل انصرافه الى غيره من الاذكار كقوله ولذكر الله اكبر ويحتمل ان ينصرف
الى الشكر اى اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واشكروها كقوله فاذكرونى اذكركم والله اعلم وفى قوله كما علمكم وقوله علم الانسان
وعلم القرآن وعلمه البيان • دليل ان لله صنع فى فعل العباد حيث اضاف التعليم الى نفسه وهو ان خلق فعل التعليم منه اذ لو لم يكن
منه صنع لكان اضيف ذلك المعلم دون البيان فدل اضافته اليه على ان له فيه فعل نعوذ بالله من السرف فى القول والزيغ
عن الهدى قال الشيخ رحمه الله فى قوله فاذكروا الله كما علمكم اى صلوا له كما علمكم من الصلوة فى حال الامن اذ معلوم تقدم الامر
بالصلوة وتعليم حدودها ثم موافق الرخصة فى التخفيف بحال العذر ويحتمل اذكروا الله بشكر اذ امنكم كما علمكم من الشكر له
فى النعم واى ذلك كان فهو الذى علمهم بعد ان كانوا غير عالمين به والله اعلم • ودل اضافة التعليم فى هذا اليه وكذلك
فى قوله علمه البيان وقوله وما علمناه الشعر على وجود الاسباب من الله له فى الامرين على ان كان من الله فى احد الامرين ما ليس
فى الآخر ومعنى الاسباب فيهما واحد ثبت انه على خلق فعل التعليم ونفيه والله اعلم وقوله والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن الآية • قد ذكرنا فيما تقدم انها تخرج على النسخ بقوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ويحتمل على نسخ الوصية خاصة دون نسخ العدة
وان الامر بالاعتداد فى الآيتين امر واحد اربعة اشهر وعشرا ونسخ الوصية باية الميراث وبقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا وصية لوارث • وفيه دلالة ان للموصى له خيار بين قبول الوصية وبين ردها وفيه ان له ان يردها اذا قبل بقوله غير اخراج
فان خرجن اذ فى الخروج ردها وذلك بعد القبول وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن من معروف والله عزيز حكيم

[هامش: على نسخ]

[هامش: ولا يقال لانه اضاف الى نفسه لانه هو الذى اعطاهم اسباب التعلم فاضيف اليه اضافة الاشياء الى اسبابها لانا نقول لو كان اسبابه فعل التعليم الى نفسه فى هذه الآية وفى قوله علمه البيان لكن اضافة التعليم الى نفسه فى قوله وما علمناه الشعر والآية حصله فلا اعطاه اياه ومع ذلك نفى عن نفسه بقوله وما علمناه دل انه على خلق فعل التعليم ونفيه والله اعلم • شرح]

قد ذكرنا

قد ذكرنا انها تحتمل وجهين يحتمل ما فعلن فى انفسهن من التشويف والتزيين كذلك روى عن ابن مسعود رضى الله
عنه لا جناح عليهن ان يتشوفن ويتزين يلتمسن الازواج ويحتمل وضعهن انفسهن فى كفو بمهر المثل والله اعلم وقوله
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين • يحتمل الآية ان يكون فى المطلقات المدخولات بهن وقد فرض لهن ان يأمر الازواج
بالمتعة بلا وجوب على ما روى عن الحسن بن على رضى الله عنهما انه متع بعشرة آلاف على ما روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله
عنهما انهما قالا ان كنت من المتقين او من المحسنين فمتعها فهو امر ادب لا امر ايجاب يجبر على ذلك وان كانت فى المطلقة التى
لم يدخل بها ولا فرض لها صداقا فهو على ما يقوله وهو واجبة يجبر على ذلك فتخرج هذه الآية والتى قبلها مخرج ومتعوهن
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره على مخرج واحد عبارة فى احديهما بيان قدر المتعة وليس فى الاخرى سوى ما ذكر ويحتمل
وجها آخر وهو ان الامر بالمتعة امر بالانفاق عليها والسكنى لها اذا دخل بها ما دامت فى العدة او على الاختيار على ما ذكرنا
لا على الايجاب اذ لو كان على الوجوب لكان فى ذلك ايجاب بدلين الصداق والمتعة ولم يعرف عقد من العقود اوجب بدلين
فكذلك هذا والله اعلم • والثانى ان الطلاق سبب اسقاط لا سبب ايجاب فاذ كان كذلك لم يجز ان يوجب بالسبب
الذى هو سبب الاسقاط لذلك لم يجب والله اعلم وقوله كذلك يبين الله لكم آياته ما سبق ذكره من الاحكام من الامر
بالاعتداد والانفاق عليهن والتمتع وغير ذلك لعلكم تعقلون امره ونهيه قال الشيخ رحمه الله فى قوله كذلك يبين الله لكم
آياته اى كما بين فى هذا يبين فى جميع ما يعلم لكم الى بيان ذلك حاجة على قدر ما ادام من البيان من بيان كفاية او مبالغة ليعلم
ان جميع ما اليه بالخلق حاجة داخل تحت البيان يوصل الى ذلك بقدر ما يحتمله العقول على ما يكرم الله المجاهدين فيه فى طلب
مرضاته ولا قوة الا بالله وقوله الم تر حرف تعجيب وتنبيه ليتامل فيما يلقى اليه مما اريد الانباء عنه او فيما قد كان سبق
الانباء عنه ليتجدد بالنظر فيه عهدا وعلى ذلك المعروف من استعمال هذه الكلمة ولذلك وجه تاويله الى الخبر مرة والى العلم
ثانيا والى النظر فيه ثالثا على اختلاف ما قيل وفيه كل ذلك والله اعلم وقوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف
حذر الموت قوله الم تر ولم تخبر ولم تنظر مثل هذا انما يقال عن اعجوبة فالقصة فيه والله اعلم جواب قوله لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا اخبرهم الله عز وجل عن قصة هؤلاء ان جهلهم بالآجال ولذلك حملهم على هذا القول مثل جهل بنى اسرائيل
بآجالهم حملهم على الخروج حذر الموت ثم لم ينفعهم ذلك بل ماتوا كذا هذا ثم اختلف فى قصة هذا قال بعضهم خرجوا فرارا
من الجهاد فى سبيل الله فاماتهم الله ثم احياهم وامرهم ان يخرجوا الى الجهاد فى سبيل الله • وقال آخرون وقع الطاعون
فى قريتهم فخرج اناس وبقى اناس فمن خرج اكثر ممن بقى فنجى الخارجون وهلك الباقون فلما كانت الثانية خرجوا باجمعهم
الا قليلا فاماتهم الله ثم احياهم فلا ندرى كيف كانت القصة فى الفرار من الجهاد فى سبيل الله ولكن نظير هذه الآية قوله
قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وقوله لن ينفعكم الفرار الآية وقوله قل ان الموت الذى تفرون
منه فانه ملاقيكم ومثله كثير فى القرآن وان كانت فى الطاعون فقد جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا كنتم فى ارض وفيها وباء فلا تخرجوا منها واذا لم تكونوا فيها فلا تدخلوها ومعناه والله اعلم انهم اذا كانوا فيها يخرج
مخرج الفرار من الموت ان يحولوا وان الفرار انجاهم ان لم يكونوا فيها فدخلوا فاصابهم فاماتهم الله يظنون انهم اذا لم يكونوا
فيها لم يصبهم ذلك ففى الوجهين نسيان القضاء وقد جاء ان لا عدوى ولا طيرة ولا هامة • فان قيل روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا مر على حايط مايل اسرع المشى كيف نهى عن الخروج عن ارض فيها وباء وطاعون قيل ان كل ما كان مخرجه
مخرج آية وفيها اهلاكهم فذلك لا يكون الا بامر سبق منهم فحق مثله الفرار الى الله لا الى غيره واما انكسار الحايط فليس
لامر سبق منه فجاير ان يأخذ منه حذره هذا هو الفرق بينهما والله اعلم • قال الشيخ رحمه الله ويجوز ان يكون فعله صلى الله
عليه وسلم ليعلم ان مثله من الخوف لا يعد نقصانا فى الدين وذلك كالعدة تتخذ للحرب والاغذية للبدن لا على ظن بالله
انه لا يملك الحياة دونها او قهر العدو ولكن على التأهب والايتمار اذ قد جعل الذى خيف فيه والذى رجى والله اعلم
وقوله ان الله لذو فضل على الناس حين احياهم بعد ما اماتهم وذلك فضل منه وذو فضل على الناس بكل نعمة انعمها
عليهم ليستحق الشكر من الخلق فذلك هذه الآية على المعتزلة اذ قالوا ليس لله ان يفعل بخلقه الا الاصلح لهم فى الدين

[هامش: المطلقة طلاقا رجعيا تتشوف لزوجها اى تتزين بان تجلو وجهها وتصقل خديها من شاف الحلى اذا جلاه]

[هامش: فان كانت الآية فيهن يكون الامر الازواج بالمتعة على الادب لا على الوجوب • شرح]

[هامش: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول ولكن السعالى؟ العدوى اسم من الاعداء الهامة واحدة الهام من الطير وكانت العرب تعتقد ان عظام الموتى نفسها ما فتطير؟ وروية عن الصفر فقال هو حية تكون فى البطن تصيب الماشية والناس وهو اعدى من الجرب عند العرب السعالى سحرة الجن الواحدة سعلاة]

ولو فعل غير ذلك كان جايزا فاذا كان هذا عليه فانى يكون الافضال وانما يقال ذو فضل و ذو من اذا اعطى ما ليس
عليه واما من اعطى ما كان عليه لا يقال انه تفضل او من كمن يقضى دينا عليه لاخر لا يستوجب الشكر بذلك لانه قضى
ما كان عليه قضاؤه فكذلك الله تعالى اذا اخبر انه ذو فضل و ذو من ما لم يكن ذلك عليه فاستوجب الشكر على الخلق بذلك
وبالله التوفيق • ثم الكلام فى ان اولئك ماتوا باجالهم او لا باجالهم • قالت المعتزلة لم يكن اجالهم ذلك بل ذلك استعجال عن اجالهم
ومن قولهم ان لكل احد اجلين ان قتل فاجله كذا وان مات فكذا فقيل ذلك تاجيلين لا يعلم انه يقتل او يموت فاذا علم الله
انه يموت لم يكتب له اجل القتل وكذلك ما روى ان صلة الرحم تزيد فى العمر اذا كان فى علم الله فى الازل انه يصل الرحم
فكتب عمر ازيد ممن يعلم فى الازل انه يقطع ولا يصل اذ لو حمل ذلك على ما يقولون هم لخرج فعله فعل من يجهل العواقب
فان قيل فلم يلام القاتل اذا قتل غيره بغير حق • قيل له لانه كتب اجل المقتول بقتل هو معصية بما علم الله انه يقضى به
وكتاب الاجال هو بيان النهايات والاعمار • وقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا عامل الله تعالى بلطفه وكرمه الخلق
معاملة من لا حق له فى اموالهم لا كمعاملة العباد بعضهم بعضا وان كان العبيد واموالهم كلهم له حيث طلب منهم الاقراض
كبعضهم من بعض ثم وعدلهم الثواب على ذلك فقال فيضاعفه له اضعافا كثيرة • ثم لما سمع اليهود ذلك قالوا ان اله محمد فقير
وهو قوله سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ومرة قالوا المادة والشدة على بعض الناس فقالوا انما يفعل ذلك
لبخله حيث قالوا يد الله مغلولة فرا والمنع اما البخل واما الفقر فاكذبهم الله فى قولهم ذلك فقال والله يقبض ويبسط
قيل يقتر ويبسط ويوسع وقيل يقبض ما اعطى اى ياخذ ويبسط ويترك ما اعطى ولا ياخذ منه شيئا وقيل انها
نزلت فى ابى الدحداح وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم • انه قال من تصدق بصدقة فله مثلها فى الجنة فقال
ابو الدحداح ان تصدقت بحديقتى فلى مثلها فى الجنة فقال نعم قال وام الدحداح معى قال نعم قال والصبية معى قال نعم
فرجع ابو الدحداح فوجد ام الدحداح والصبية فيها فقام على باب الحديقة فنادى يا ام الدحداح انى جعلت حديقتى هذه
صدقة واشترطت مثلها فى الجنة وام الدحداح والصبية فيها معى قالت بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت ثم
خرجوا منها فتركوها كانوا اجتنبوا منها وسلموا الحديقة للنبى صلى الله عليه وسلم فنزل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
الاية • قال الشيخ رحمه الله فى قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الاية فى توجيه الاية اليه فمنهم من يوجهها الى جميع
المحاسن يؤثرها ويختارها لله فله اضعاف ذلك فى الموعود اجلا وعاجلا فالاجل ما وعد والعاجل ثناء الناس وجلالة
القدر له فى القلوب يتعارف ذلك للاخيار وسماه قرضا بما هو اسم المعروف ليذكره عظم نعمه عليه ان قبله قبول
المعروف بالشكر له فى ذلك وان كان ذلك حقا له عليه والله اعلم • والثانى ليعرف الخلق كيفية الصحبة والمعاشرة بينهم
ان الله تعالى عامل عبده فيما هو له معاملة من يستحق الشكر منه بما يسدى اليه من النعم ولله حقيقة ذلك ليعقل الحكم
ان مثل ذلك فى معاملة الاخوان وفيما كان نعمه فى الحقيقة اوجب واحق ليعظموا المعروف بالمعروف بما اكرمهم الله تعالى
بالاسماء الجليلة ولا قوة الا بالله ومنهم من يوجهها الى الصدقات خاصة سماها قرضا لوجوه احدها ان جعل معاملة الفقراء
والتصدق عليهم معاملة الله تفضيلا لهم على ما سبب مخادعة المؤمنين الى الله تعظيما لهم فشله الصدقة ثم وعد فيه العوض
ليصير الصدقة بمعنى الاقراض اذ يرجع فى عوضه فيزول وجه الامتنان عن الفقير بما ياخذ منه البدل وبالله التوفيق
والثانى سمى ذلك قرضا بما هو له على ما لم يزل الله تعالى يعود به عباده بالذى عن فوايد كرمه وجوده حتى سمى تسليم الذى
له فى الحقيقة قرضا كالتسليم الى من لا حق له فى الحقيقة وعلى ذلك امر الشراء بقوله ان الله اشترى من المؤمنين الاية والله اعلم
والثالث انه ذكرهم وجه القصد فى الصدقات والموقع لها ليكون ذلك تبيينا لعظم منة الفقير عليه اذ وصل به الى الله
ذكره الله واجل محله عنده فيصير عنده احد الاعوان له والانصار على عظيم الموعود وجليل القدر عند الله فيحمله على ذلك
ويشكر له دون ان يمن عليه او يؤذيه والله الموفق • وقوله الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم
ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فى هذه الاية التى قبلها قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم دلالة اثبات رسالة
محمد عليه افضل الصلوة واكمل التحيات لان القصة فيهم كانت ظاهرة فى اهل الكتاب ورسول الله صلى الله عليه وسلم

اربيتنا اذا احسنت اكثر مما اعطيت

لم يختلف

لم يختلف الى احد منهم ولا نظر الى كتبهم • ثم اخبر على ما كان دل انه انما عرف ذلك بالله عز وجل ثم فيه دلالة ان كل نبى
كان انما يشاور الاشراف من قومه والرؤساء منهم واليهم يصرف تدبير الامور ولا الى السفلة منهم والرذالة وفيه دلالة
ايضا ان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه لم يكونوا يتولون الجهاد والقتال بانفسهم ولكن الملوك هم الذين يتولون ذلك
ثم الملوك هم الراجعون الى تدبير الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام فى امر الدين والاخرة حيث سألوا ملكا يقاتلون مع
عدوهم ذكر ان الكفار من بنى اسرائيل قهروا مؤمنيهم فقتلوهم وسبوهم واخرجوهم من ديارهم وابنائهم فمضوا زمانا ليس لهم
ملك يقاتل عدوهم فقالوا لنبى لهم وهو من نسل هرون بن عمران اخى موسى ابعث لنا ملكا نقاتل عدونا فقال لهم نبيهم
هل عسيتم ان كتب عليكم استخبار عن سؤالهم الذى سألوا احق هو ام شئ اجروه على السنتهم من غير تحقيق لئلا يستوجبوا
العذاب بتركهم ذلك اذا اجيبوا واعطوا ما سألوا وتمنوا لما عرف من شدة القتال مع العدو والجهاد فى سبيل الله وكراهية
ذلك فى كل قوم الى ان يثبتوا انهم عن حق سألوه لما بينوا العلة التى حملتهم على ذلك وغاية رغبتهم فيها ومما لاجله كان السؤال
ان قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا من القتل واخذ الاموال وسبى الذرارى فلما كتب
عليهم القتال اى فرض تولوا الا قليلا منهم • فيه دلالة على انه قد كان فيهم ما كان فى هذه من قوله لم تقولون ما لا تفعلون
من كراهية القتال والجهاد فى سبيل الله وقيل تولوا الا قليلا منهم وهم ثلثمائة وثلثة عشر نفرا لم يتولوا عما سألوا ثم قال لهم
نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قيل سمى طالوت لطوله وقوته • وقوله انى يكون له الملك علينا يتوجه مثل هذا الكلام
وجهين احدهما على الانكار فلا يحمل على الانكار لانه كفر والثانى على الاسترشاد وطلب العلم لهم منه فى ذلك
عن جهة جعله له ملكا لما قد عرفوا ان لا يستوجب الملك ولا يؤتى الا لاحد رجلين اما بالوراثة من الاباء او بالسعة
فى المال لذلك قالوا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال لانهم كانوا ابناء الملوك وارباب الاموال ثم بين لهم
عز وجل ان جهة الاختيار ليس اليهم وان سبب الملك ليس ما ذكرنا دون غيره بل الله عز وجل يختار من يشاء لذلك باسباب
سوى ما ذكروا بفضل علم وبفضل قوة حيث قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم فرد عندهم ان الملك
يحتاج الى فضل علم وفضل قوة • ثم يحتمل قوله بسطة فى العلم علم الحرب والقتال • ويحتمل علم الاشياء الاخر على حفظ
الرعية وغيره قال الشيخ رحمه الله فى قوله انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه والله اعلم لاى معنى جعل له الملك علينا
او كيف يكون له الملك علينا ونحن بظاهر الاسباب التى تحقق الملك املك فنكون بها احق بالملك منه فبين ان المعنى الذى
له صار احق بالملك منهم فى ذلك الامر والله اعلم • وان كان بما يتعارف فى الانكار فليس هو كذلك فى الحقيقة اذ فيهم
من هو نبى عندهم ومن تقرر عندهم نبوة احد لا يحتمل تكذيبه اياه فى هذا والله اعلم • ويحتمل كون اهل النفاق فيهم فيكون منهم
الانكار ايضا كما كان امثال ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤيد ذلك سؤالهم الاية حتى قال ان اية ملكه
كذا والله اعلم • ويؤيد ذلك كثرة مخالفتهم اياه لما امتحنوا بالنهر والله الموفق وفى هذا ونحو ذلك دلالة جواز الايات
لغير الرسل اذا كان فيها تصديق الرسل فيكون فى التحقيق كايات لهم ظهرت على السن غيرهم او ايديهم ومن ادا دبها
ادعاء الرسالة لنفسه فيعجز عن ذلك بل لا يكرم الله تعالى بها من يعلم انه يدعو الى تصديق الكذب ومضاهات الرسل
وبهذا يجاب لمن يعارض بمن يتعلم القرآن ثم ياتى موضعا لا يعرف فيحتج به فى نبوته تزعما فى ذلك وجه يمنع الاحتجاج به
من ذلك ما فيه من الاخبار من الاسولة والانبياء عن امور لا توجد هنالك والله اعلم وبما لا يعلم اولانه عن تعلم تقدم منه
الى من هو حجة له او عن وحى اليه اذ لم يكن امتحن من قبل والحجة ما يخرج من المعتاد وحيل الطبيعة يكرم بها وقت الدعوة بلا سبب
سبق منه فى مثله ولا عناية ولا قوة الا بالله وبعد فانه قد ظهر فى جميع من لسانه ذلك اللسان ممن لا يطاق الدفع لمثله
ولا انكار وانتشار الاتى به فيظهر بذلك كذبه ويفتضح عند الدعوى قبل المحنة والتامل فيما جاء به الا ان ياتى به من ليس ذلك
لسانه ولا معنى للاحتجاج به فى امثالهم والله الموفق • وقوله والله واسع عليم اى غنى يغنى من يشاء ويعطيه عليم بمن يصلح
للملك • وقوله وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت كانهم سألوا نبيهم ما اية ملكه ان ياتيكم التابوت
تحمله الملائكة ذكر فى القصة ان التابوت يكون مع الانبياء اذا حضروا القتال قدموا التابوت من بين ايديهم الى العدو

ويستنصرون به على عدوهم • وفيه سكينة كانها راس هرة فاذا ان ذلك الراس سمع التابوت انين ذلك الراس دف
نحو العدو وهم يمضون معه ما مضى فاذا استقر ثبتوا خلفه فلما هربت بنوا اسرائيل وعصوا الانبياء سلط الله تعالى عليهم
عدوهم واخذوا منه التابوت لما سمّوا وملّوا منه ثم رده عليهم بعد زمان طويل وجعل ذلك آية من آيات ملك طالوت
فلا ندري كيف كانت القصة • ثم اختلف في قوله سكينة من ربكم قيل السكينة ريح هفافة فيها صورة كوجه الانسان
وقيل السكينة لها وجه كوجه الهرة لها جناحان فاذا اصوتت عرفوا النصر • وقيل السكينة مشتة ذهب يغسل فيه
قلوب الانبياء • وقيل فيه اي في التابوت سكينة اي طمانينة من ربكم كان التابوت في اي مكان كان اطمانوا اليه وسكنوا
فلا ندري ما السكينة سوى انا عرفنا ان قلوبهم كانت تسكن اليه وتطمئن فليس لنا الى معرفة السكينة وكيفيتها حاجة وقوله
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون • قيل البقية فيه رضاض الالواح وهو كسرها وثياب موسى وهرون وقيل عصا
موسى وعصا هرون • وقيل البقية قفيز من من وهو الترنجبين الذي كان ياكله بني اسرائيل في ارض التيه ويقال فيه
سنة موسى وهرون وعلمهما والله اعلم بذلك • وفي الاية دليل جري الاية على ايدي الاولياء لما اعطى لطالوت
آية لملكه يشبه آيات الانبياء حيث اخبر انه كان تحمله الملائكة حتى القوافي داره وهم كانوا لم يروا ذلك وقت حمل الملائكة
اياه لكن تلك الايات في الحاصل تكون للانبياء يجريها الله تعالى على ايدي الاولياء الا ان يكون للاولياء ذلك ثم من ادعى
من الاولياء بتلك الايات النبوة لنفسه بمعجزة الله تعالى عن ذلك ويخرج الاية من ان تكون آية لو خرج الى مدينة من المداين
التي لم يبلغ اهلها هذا القرآن ولا عرفوه ولا سمعوا ذلك من احد قط فجعل يقرأ ذلك عليهم عن ظهر قلبه وادعى بذلك
وادعى بذلك رسالة لنفسه ايسع اهل ذلك البلد ان يصدقوه فيما ادعى ام لا فان لاصحابنا رحمهم الله جوابان احدهما بان القرآن
ما يظهر بكذب هذا المدعي في دعوته من نحو قوله كذا ومن نحو الاخبار والحكايات والقصص التي فيها مما لا يحتمل كونها
الا بتقدم اسباب فيكذب بذلك فلم يلزمهم تصديقه وبالله العصمة • والثاني قالوا اذا ادعى ذلك به يعجزه الله عز وجل عن تلاوته
واجرائه على لسانه وادعاء ما ادعى بذلك وكان هذا اقرب والله اعلم وقوله فلما فصل طالوت بالجنود اي من المدينة وهم
قيل هم سبعون الفا وقيل كانوا مائة الف سار بهم في حر شديد فنزلوا في مفرق من الارض فاصابهم عطش شديد فسالوا طالوت
الماء فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم وقيل انما قال لهم ان الله مبتليكم بنهر بنيتهم وقوله فمن شرب منه غرفة كفاه ومن شرب
اكثر منه لم يروه لانهم عصوه • وقيل من شرب منه فليس مني اي ليس معي على عدوي اي لا يخرج معي ويجوز ليس مني
اي من اتباعي وسعتي وجايز ان يكون بر ظهور النفاق والصدق مني في الدين ومن لم يطعمه فانه مني يقول معي على عدوي وفيه دليل
ان يسمى الشراب باسم الطعام والطعام باسمه وقوله الا من اغترف غرفة بيده استثنى الغرفة كانه قال ممن شرب منه فليس مني
الا غرفة • ففيه جواز الثنيا الكلام المتقدم وان كان دخل من حرف الثنيا وصرفا لا ولشيء آخر وهو يدل لاصحابنا رحمهم الله
حيث قالوا فيمن اقر فقال لفلان علي كر حنطة وكر شعير الا كر نصف حنطة انه يصدق ويلزمه من الحنطة نصف كر ويجعل
ان يكون الثنيا على ما يليه وقد و من لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة وقيل شرب شراب الدواب والغرفة حسب وقوله
فشربوا منه الا قليلا • وقيل القليل هم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا اغترفوا غرفة واحدة بايديهم وكانت الغرفة تشرب منها
هو وخدمه ودوابه • وقيل انما استثنى الغرفة باليد غرفة لئلا يكرعوا كراع الدواب فعل بعضهم ذلك فرد طالوت العصاة
منهم فلم يقطعوا معه وقطع معه الثلثمائة والثلاثة عشر رجلا • وهو قوله فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده قيل هو قول بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لانهم اكثر منا وكانوا مائة الف
وهو ثلثمائة وثلاثة عشر والله اعلم بتلك العدد وقوله قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل الذين يعلمون
ويقرون بالبعث كم من فئة قليلة عددهم غلبت فئة كثيرة عددهم • وقيل الذين يظنون يعني يخشون انهم يقتلون
لانهم وطنوا انفسهم على الموت فطابت انفسهم بالموت كم من فئة قليلة غلبت كثيرة وقوله باذن الله قال بعضهم باذن الله
اي بامر الله لكنه لا يحتمل الغلبة بالامر ولكن باذن الله عندنا بنصر الله والله مع الصابرين بالنصر والمعونة لهم وقوله
ولما برزوا لجالوت وجنوده يعني لقتالهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا يقول اصبب ويقال اتمم علينا صبرا وثبت اقدامنا

الدف فقدان الدبيب وهو السير اللين والدافة الجيش يدفون نحو العدو اي يدبون

رضاض الشيء فتاته

الطرنجبين لغة

وانصرنا

وانصرنا على القوم الكافرين وهكذا الواجب على كل من لقي العدو ان يدعوا بمثل هذا وعلى قول المعتزلة لا معنى لهذا الدعاء
لانه قد كان فعل الاصلح فاستجاب الله دعاءهم وهزم عدوهم وهو قوله فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت
قال بعضهم باذن الله بامر الله لكنه لا يحتمل لانهم كانوا يقاتلون بالامر ولا يهزمون بالامر وقال الآخرون بعلم الله كان
في علمه في الازل انهم يهزمونهم • وقيل بامر الله بنصر الله وهو اقرب والله اعلم وقيل في القصة ان داود عليه السلام
كان راعيا وكان له سبعة اخوة مع طالوت خرجوا معه للقتال ولما ابطأ خبر اخوته على ابيهم ارسل داود اليهم ينظر
ما امرهم ويأتيه بخبرهم قال فاتاهم وهم في الصفوف وبرز جالوت فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق
لخرج الي بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم احد يخرج الى هذا الاقلف قال فقالوا اسكت قال فذهب داود الى ناحية
من الصف ليس فيها اخوته قال فمر طالوت به وهو يحرض الناس قال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف
قال طالوت انكحه ابنتي واجعل له نصف ملكي فقال داود لطالوت فانا اخرج اليه قال فاعطاه طالوت درعه وسيفه
قال فلما خرج في الدرع جرها في الارض لان طالوت كان اطول منه قال فلما قال داود انا اخرج اليه قال له
طالوت من انت قال انا داود بن فلان فعرفه طالوت فرأى انه اجلد اخوته قال فاخذ داود العصا ثم خرج الى جالوت
فمر بثلاثة احجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا منية جالوت فاخذها ثم مضى نحوه وعلى جالوت بيضة هي
ثلثمائة رطل فقال له جالوت اما ان ترميني وانا ان ارميك فقال له داود انا ارميك فرماه بها فاصابه في آخرها
فوقعت في صدره فنفذته فقتلته وقتل الحجر بعد ما نفذ اناسا كثيرة وهزم الله جنوده وهو قوله فهزموهم
باذن الله وقتل داود جالوت والقصة طويلة فلا ندري كيف كانت وليس لنا الى معرفتها حاجة وقوله وآتاه الله
الملك والحكمة • فالملك يحتمل علم الحرب وسياسة القتال اذ لم يكونوا يقاتلون الا تحت ايدي الملوك وهو كقوله
وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة • ويحتمل الملك بما عقد له من الخلافة كقوله انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين
الناس بالحق وذكر آتاه الله الامرين لما كان من قرب زمانه على ما عليه ابتداء الآية ان الملك يكون في بني فجمعا جميعا
فيكون على ذلك تاويله الحكمة انها النبوة والحكمة قيل هو الفقه • وقيل هي النبوة وقد تقدم ذكره وقوله وعلمه مما يشاء
قيل صنعة الدروع كقوله والنا له الحديد • وقيل كلام الطير وتسبيح الجبال وذلك مما خص به داود دون غيره
من الانبياء عليهم الصلوة والسلام • ويحتمل وعلمه مما يشاء اشياء اخر وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض اختلف فيه قال بعضهم دفع بالكفار بعضهم ببعض شرهم عن المسلمين لما سلط بعضهم ببعض وجعل
وجعل بعضهم ببعض وجعل بعضهم لبعض اعداء الى ان لم يتفرغوا عن انفسهم الى المسلمين والا كان في ذلك فساد
الارض وقال الآخرون دفع بالرسل والانبياء شرهم عن المسلمين وكفاهم بهم وقال غيرهم دفع بالمؤمنين بعضهم عن بعض
دفع بالمجاهدين في سبيل الله عن القاعدين عن الجهاد والا لغلب المشركون على الارض وقيل يدفع بالمصلي عمن لا يصلي
وبالمزكي عمن لا يزكي وبالحاج عمن لا يحج وبالصايم عمن لا يصوم • ثم اختلف في قوله لفسدت الارض قيل لو لم يدفع بعضهم
ببعض لقتل بعضهم بعضا واهلك بعضهم بعضا • وفي ذلك تفانيهم وفسادهم وفي ذلك فساد الارض وقال الآخرون
لو لم يدفع لفسدت الارض واراد بفساد الارض فساد اهلها لانه لو لم يدفع لغلب المشركون على اراضي الاسلام واهلها
فاذا غلبوا افسدوا اهلها وقال لفسدت الارض اذا غلب المشركون عليها هدمت المساجد والصوامع ففيه فساد الارض
والله اعلم وقوله ولكن الله ذو فضل على العالمين يدفع ذلك كله عن المسلمين • وعلى قول المعتزلة ليس هو بذي فضل على احد
لان عليه ان يفعل ذلك وان يدفع ذلك كله عن المسلمين على قولهم • فاذا كان عليه ذلك لا يصير هو بما يدفع مفضلا
ولا ممتنا فنعوذ بالله من السرف في القول وقوله تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق يحتمل قوله آيات الله ما ذكره
من قتل داود جالوت بالاحجار ذكر في القصة مع ضعف داود وقوة جالوت على ما قيل ان قامته كان قدر ميل
وان بيضته كانت ثلثمائة رطل ويحتمل ما ذكر من قيام القليل للكثير لانه قيل ان جنود جالوت مائة الف وجنود
طالوت ثلثمائة وثلاثة عشر وذلك من الآيات ويحتمل جميع ما قص الله عليه في القرآن من خبر الامم السالفة والله اعلم

وفي قتل داود جالوت وقتل القليل الكثير دليل انهم لم يقتلوا القوة انفسهم ولكنهم بالله وبنصره اياهم قال
قال الشيخ رحمه الله من آيات وحدانيته قتل داود جالوت مع ضعف داود وقوة عدوه وقوله تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض الآية يحتمل تفضيل بعضهم على بعض ما ذكر منهم من كلم الله ومنهم من اتخذ خليلا ومنهم من سخرت له الريح
والطير ما كان في الانبياء مثله ويحتمل بعضهم على بعض في الحجاج والحجج على القوم لان فيهم من كان اكثر محاجة لقومه
واعظم حججا وهو ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه وموسى ويحتمل التفضيل التمكين في الارض مكن لبعضهم ما لم يمكن
للباقين ويحتمل ذلك في الآخرة في الشفاعة ورفع الدرجات ويحتمل بعضهم على بعض في الرسالة لان فيهم من ارسل
الى الانس والجن جميعا ومنهم من ارسل الى الانس خاصة ومنهم من ارسل الى قومه خاصة ومنهم من ارسل الى نفر والله اعلم
وقد ذكرنا ان لا يكون من الله تفضيل لبعض الرسل على بعض على قول المعتزلة لانه فعل ما عليه ان يفعل وكل من فعل
ما عليه ان يفعل فانه لا يوصف بالفضل والافضال دل انه ليس على ما يقولون ويذهبون اليه وقوله وآتيناه بروح
القدس قد ذكرناه فيما تقدم وقوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات هذه الآية والآية التي
من بعدها قوله ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله ولكن الله يفعل ما يريد على المعتزلة لانه اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا
ما اقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا ولكن اقتتلوا والاقتتال هو فعل اثنين وفيهم من اقتتل ظالما غير ظالم دليله
قوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ثم قال ولو شاء الله ما اقتتلوا اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا واخبر انه يفعل ما يريد
ثبت الفعل في الارادة ومنهم يقولون لا يفعل ما يريد وكذلك قوله ولو شاء الله ما اختلفوا اخبر انه لو شاء ما اختلفوا
وهم يقولون شاء ان لا يختلفوا ولكن اختلفوا ثم لا يجوز صرف الآية الى مشيئة القهر والجبر لان المشيئة التي ذكرها الله تعالى
معروفة في الناس فلا يجوز صرفها الى غير المشيئة المعروفة الا بعد تقدم ذكر او بيان انها هي المرادة وقوله ما اقتتلوا
ولا اختلفوا لجعلهم على امر واحد ودين واحد كقوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة والمعتزلة يقولون شاء
ان يصيروا امة واحدة ولكن لم يصيروا ونعوذ بالله من السرف في القول في الله بما لا يليق به وقوله يا ايها الذين آمنوا
انفقوا مما رزقناكم يحتمل الامر بالانفاق امرا بتقديم الطاعات والمسارعة الى الخيرات قبل ان ياتي يوم يمنعه ويعجزه
عن ذلك وهو الموت ويحتمل امره بالانفاق من الاموال في طاعة الله من قبل ان ياتي يوم وهو يوم القيامة لا بيع فيه
قيل لا فداء ولا خلة ولا شفاعة يحتمل قوله لا خلة اي لا ينفع خليل خليله كما ينفع في الدنيا وكذلك لا شفيع ينفع
كما ينفع في الدنيا ويحتمل لا خلة ولا شفاعة اي لا ينفع احد احدا ولا يخال احد احدا ولا يشفع احد احدا ويحتمل يوم لا بيع
فيه انهم يملكون بيع انفسهم من الله تعالى ما داموا احياء فاذا ماتوا لم يملكوا كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم الآية فاول الآية وان خرج الخطاب للمؤمنين فالوصف فيها وصف الكافرين لكن فيها زجر للمؤمنين على صنيع
مثل صنيع الكفار وقوله الله لا اله الا هو قيل الله هو اسم المعبود وكذلك تسمي العرب كل معبود الها ومعناه والله اعلم
ان الله الذي يستحق العبادة ويحق ان يعبد هو الله الذي لا اله الا هو لا الذي تعبدونه من الاوثان والاصنام التي
لا تنفعكم عبادتكم اياها ولا يضركم ترككم العبادة لها ويحتمل ان يكون على الاضمار ان قل الله الذي لا اله الا هو لانهم كانوا
يقرون بالخالق ويقرون بالاله كقوله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وكقوله قل من رب السموات
السبع الآية وقل من بيده ملكوت كل شيء فسيقولون لله فاذا كانوا يقرون به فاخبرهم ان الذي يقرون به ويسمونه
هو الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ويحتمل ان يكون لقوم من اهل الاسلام عرفوا الله تعالى وآمنوا به ولم يعرفوا نعته
وصفته فعلمهم نعته وصفته انه الحي القيوم الى آخره وقوله الحي القيوم قيل هو الحي بذاته لا بحيوة هي غيره كالخلوق
احيا بحيوة هي غيرهم حلت فيهم لا بدّ من الموت والله عز وجل يتعالى عن ان يحل فيه الموت لانه حي بذاته وجميع الخلايق
احياء لا بذاتهم تعالى الله عز وجل عما يقول فيه الملحدون علوا كبيرا والاصل ان كل من وصف في الشاهد بالحيوة وصف
ذلك للعظمة له والجلال والرفعة يقال لفلان حي وكذلك الارض سماها الله تعالى حية اذا اهتزت وابتت لرفعتها على اهل
الخلق فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى حي للعظمة والرفعة ولكثرة ما يذكر في المواطن كلها كما سمى الشهداء احياء لانهم مذكورون

ان يكونوا على دين واحد او امر واحد لا اختلاف بينهم في دين ولا دنيا فصار كذلك ولكن لم يشأ فاختلفوا في الدين والمعتزلة يقولون ان شاء ان يصيروا امة واحدة على دين واحد وهو الدين الحق لكن لم يشأ ثم لم يصيروا على دين واحد بل اختلفوا فيهم من آمن ومنهم من كفر على خلاف مشيئة الله شرح

في الملاء وم الخلق ويحتمل انه يسمى حيا لانه لا يغفل عن شيء ولا يسهو ولا يذهب عنه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة
في الارض ولا في السماء وبالله العصمة وقوله القيوم القيام على مصالح اعمال الخلق وارزاقهم وقيل القيوم هو القيام
على كل شيء بحفظه ويتعاهده كما يقال فلان قايم على امر فلان يعنون انه يتحفظ امره حتى لا يذهب عنه شيء وقيل
القيوم اي لا يغفل عن احوال الخلق وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم قيل السنة النعاس وقيل السنة بين النوم
واليقظة وسني وسنان وقيل هي ريح تجيء من قبل الرأس فتغشى العينين فهو وسنان بين النايم واليقظان ويحتمل قوله
لا تاخذه سنة ولا نوم على نفي الغفلة والسهو عنه انه لو اخذه منام مغلوبا مقهورا ولم يكن وصفه من قوم كقوله
لا يعزب عنه مثقال ذرة على نفي الغفلة ويحتمل انه نفى عن نفسه ذلك لان الخلق انما ينامون ويتعسون طلبا للراحة
والمنفعة اما لدفع حزن او وحشة فاخبر انه ليس بالذي يحتاج الى راحة والى دفع حزن او وحشة وقيل لا يغفر ولا ينام
قال الشيخ رحمه الله والنوم والسنة حالان تدلان على غفلة من حل به وعلى حاجته الى ما فيه راحته وعلى عجزه اذ هما
يغلبان ويقهران من وصف الرب نفسه بالعلو الذي دل عليه من الوجوه وقوله له ما في السموات وما في الارض
وهو العالي على القاهر له لا تاخذه سنة ولا وحشة ولا معنى يدل على العجز والحاجة ولا قوة الا بالله وقوله له ما في
السموات وما في الارض عبيده واماؤه ليس كما قالوا فلان ابن الله والملائكة بنات الله بل كلهم عبيده واماؤه والناس
لا يتخذون ولدا من عبيدهم واما ثم فالله احق ان لا يتخذ وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه اي لا احد يجترئ على الشفاعة الا باذنه ثم اختلف في الشفاعة قالت المعتزلة لا تكون الشفاعة الا لاهل
الخيرات خاصة الذين لا ذنب لهم او كان لهم ذنب فتابوا عنه ذهبوا في ذلك الى ما ذكر الله تعالى في قوله الذين يحملون العرش
ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك اخبر انهم يستغفرون للذين آمنوا وتابوا واتبعوا فاذا كان الاستغفار في الدنيا انما يكون للذين آمنوا
وتابوا فعلى ذلك الشفاعة انما تكون في الآخرة لهؤلاء واما عندنا فان الشفاعة تكون لاهل الذنوب لانه لا ذنب
الى الشفاعة وقوله للذين آمنوا وتابوا واتبعوا سبيلك يكون لهم ذنوب في احوال التوبة فانما يغفر لهم ذنوبا التي كانت لهم
فقبل ظهر الاستغفار لاهل الذنوب فعلى ذلك الشفاعة فان قيل ارايت رجلا قال لعبده ان عملت عملا تستوجب فيه
الشفاعة فانت حر فاي عمل يعمله ليستوجب بالشفاعة حتى يعتق عبده الطاعة والمعصية قيل الطاعة فعلى ذلك
الشفاعة لا تكون الا لاهل المعصية قيل ان الشفاعة التي يستوجبها اهل الذنوب انما يستوجبون بالطاعات التي
كانت لهم حال الشفاعة لان اهل الايمان وان ارتكبوا ماثما ومعاصي فان لهم طاعات فبتلك الطاعات ما يستوجبون
الشفاعة كقوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فالشفاعة في شبه بحيره وقالوا لا شفاعة في الشاهد لاحد في الآخرة
لان الشفاعة هو ان يذكر من مناقب احد عند احد وخيراته ليس سواه كذا في الآخرة والجواب لهم من وجهين احدهما
انه انما يذكر في الدنيا خيرات المشفع له لجهالة هذا باحواله فيذكر خيراته ليعرفها فيشفع فيه والله تعالى عالم فلا يعرف
والثاني ان ذكر خيراته لحاجته تقع له لا تكون في الآخرة خاصة والله يتعالى عن الحاجة عما بالعباد لذلك اختلفا والله اعلم
فان قال لنا قايل ان جميع ما ذكر في هذه الآية من اولها الى آخرها كلها دعوى ما الدليل على تلك الدعوى قيل يحتمل
ان يكون دليله ما تقدم ذكره من قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية والثاني من انكر
الصانع فيتكلم اولا معه في حدث العالم وحاجته الى محدث فاذا ثبت حدث العالم فحينئذ يتكلم في اثبات الصانع
ووحدانيته وبالله التوفيق وقوله واحد ليس من حيث العدد لان كل ذي عدد يحتمل الزيادة والنقصان ويحتمل
الطول والعرض والقصر والكسر ولكن يقال ذلك واحد من حيث العظمة والجلال والرفعة كما يقال لفلان واحد
زمانه وواحد قومه يعنون رفعته وجلالته في قومه وسلطانه عليهم جائز القول فيهم لا يعنون من جهة العدد
لان مثله فيهم كثير من حيث العدد والله اعلم وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء هذا على المعتزلة لانهم
لا يصفونه بالعلم وقد اخبر ان له العلم ثم احتمل علمه علم الغيب وقال الآخرون علم الاشياء كلها لا يعلمون الا ما يعلمهم الله

يكون في المشفع له لاحتمال الجهالة المشفع عنه باحوال المشفع فيشفعه فيه والله تعالى من ان يكون عالما بتعليم احد ولاحتمال حاجته بالمشفع عنه مثل تلك الخيرات فيشفع لذلك ملخصها منها فاما تعليمها في حكمة والله تعالى يتعالى عن الحوايج فبطل الاستدلال من الشاهد على الغايب

والله يتعالى من ان يكون عالما بتعليم احد وتذكره شرح

من ذلك كقول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ومن قال علم الغيب فهو الذي قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول وقوله وسع كرسيه السموات والارض قال بعضهم وسع علمه وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال آخرون
كرسيه قدرته وهو وصف بالقدرة والعظمة وقيل وسع كرسيه والكرسي هو الاصل الشيء يقال كرسي كذا والمراد منه انه المعتمد
والمفزع للخلق وذلك بالعظمة والقوة ويقال وسع كرسيه وهو خلق من خلقه وقيل ان الكرسي هو الكرسي لكنه خلقه ليكرم
من شاء من خلقه فعلى ذلك لا يفهم من قوله وسع كرسيه وغيره من الآيات ما يفهم من الخلق بقوله ليس كمثله شيء وقوله ولا يؤده
حفظهما قيل لا يشق عليه وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وروي عنه ايضا انه قال لا يثقل عليه وقيل لا يجهده وقيل
لا يعالج بحفظ شيء مثال الخلق وقوله وهو العلي العظيم العلي عن كل موهوم يحتاج الى عرش او كرسي العظيم عن ان يحاط به وقال
ابن عباس رضي الله عنه وسع كرسيه قال العلم الى قوله ولا يؤده حفظهما كل شيء في علمه لا يؤده حفظ شيء والله اعلم
قال الشيخ رحمه الله العلي عن جميع احوال الخلق وشبههم والعلي القاهر والغالب لا اكراه في الدين اي لا يكره على الدين
فان كان التاويل هذا فهو على بعض دون بعض وقوله لا اكراه في الدين قال بعضهم نزل في المجوس واهل الكتاب من اليهود
والنصارى انه يقبل منهم الجزية ولا يكرهون على الاسلام ليس كمشركي العرب انه لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ولا يقبل
منهم الجزية فان اسلموا والا قتلوا وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه كتب الى المنذر بن فلان اما العرب
فلا يقبل منهم الا الاسلام او السيف واما اهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية وعلى ذلك نطق به الكتاب يقاتلونهم او يسلمون
وقال قوم قوله لا اكراه في الدين اي لا يقبل باكراه بل ليس ذلك بايمان والثاني ان الرشد قد تبين من الغي وبين ذلك لكل احد
حتى اذا قبل الدين قبل عن بيان وظهور لا عن اكراه وقال آخرون قوله لا اكراه في الدين اي لا اكراه على هذه الطاعات بعد
الاسلام لان الله تعالى حبب هذه الطاعات في قلوب المؤمنين فلا يكرهون على ذلك ومعناه ان في الامم المتقدمة
الشدائد والمشقة وقد رفع الله عز وجل تلك الشدائد عن هذه الامة وخففها عليهم دليله قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا
كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وقوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ومثل ذلك
كثير كانت على الامم السالفة ثقيلة وعلى هذه الامة مخففة فاذا كانت مخففة عليهم لا يكرهون على ذلك وقال آخرون
هو منسوخ بقوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقال
آخرون ان قوما من الانصار كانت ترضع لهم اليهود فلما جاء الاسلام اسلم الانصار وبقي من عند اليهود من ولد الانصار على دينهم
فارادوا ان يكرهوهم فنزلت الآية لا اكراه في الدين قال الشيخ رحمه الله ويحتمل لا اكراه في الدين ما قال في قوله وما جعل عليكم
في الدين من حرج وقوله قد تبين الرشد من الغي يعني قد تبين الاسلام من الكفر بالله فلا يكرهون على ذلك وقوله فمن يكفر
بالطاغوت اختلف فيه قيل الطاغوت الشياطين وقيل كل ما يعبد من دون الله فهو طاغوت من الاصنام والاوثان التي
تعبد دون الله وقيل الطاغوت الكهنة التي يدعون الناس الى عبادة غير الله بكفر هؤلاء وتكذيبهم قال الشيخ رحمه الله ومن جملته
ومن يكفر بالذي يدعو الى عبادة غير الله ويكذب في ذلك ويؤمن بالذي يدعو الى عبادة الله ويصدقه انه داع الى الحق وقوله
ويؤمن بالله فيه دلالة ان الايمان بالله هو ايمان بالانبياء والرسل والكتب جميعا اذ لم يذكر معه غيره والكفر بالذي
ذكرت يمنع حقيقة الايمان بالله لانه من آمن بالله آمن به وبامره ونهيه وبشرائعه لكن الذي قال لا نفرق بين احد من رسله لقول قوم
حيث قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض والا كان في الايمان بالله ايمان بجميع ذلك وقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى يحتمل
هذا وجهين يحتمل فقد عقد لنفسه عقدا وثيقا لا انفصام لذلك العقد ولا انقطاع لا تقوم الحجة بنقضه ويحتمل فقد
استمسك بالعروة الوثقى بتبصره اياه بالحجج والبراهين النيرة التي من اعتصم بها لا انفصال لها عنه ولا الزوال ثم فيه
نقض على المعتزلة لانه اخبر عز وجل ان من آمن بالله فقد استمسك بكذا والمعتزلة يقولون صاحب الكبيرة يخلد في النار
وهو مؤمن بالله فاي عروة اوهى من هذا على قولهم وان له زوال وانقطاع من ثوابه الذي وعد له عز وجل بايمانه بالله
وتصديقه به وبالله العصمة وقوله سميع لقولهم عليم بثوابهم او سميع بايمانهم عليم بجزاء ايمانهم والله اعلم وقوله الله ولي
الذين آمنوا قيل الولي الحافظ وقيل الولي الناصر وهو ناصر المؤمنين وحافظهم وقيل سمي وليا لانه قيل امور الخلق

المعنى من تكرس الشيء تركب بعضه بعضا ... او اكرامه لنا علمه

على مثال الخلق ان حفظهم بالمعالجة واستعمال الالات يحفظ شرح

كما قال الله تعالى حكاية ربنا شرح

الآن في آخر السورة ذكر المؤمنين كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله على التفصيل رد القوم قالوا شرح

من الضر

من الضر والحفظ والرزق وغيره وعلى ذلك يسمى الولي والي لما يلي امور الناس وقيل قوله الله ولي الذين آمنوا اي اولى بهم
اليه رجاءهم وطمعهم وهو الذي يكرمهم وان الطاغوت اولى بالكافرين كما قال فالنار مثوى لهم اي اولى بهم والله اعلم وقوله
يخرجهم من الظلمات الى النور قوله يخرجهم بمعنى اخرجهم وجائز هذا في اللغة يفعل بمعنى فعل وفعل بمعنى يفعل جار بينها
غير ممتنع عنه وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات هو ابتداء نشوئهم عليه ليس ان كانوا فيه ثم اخرجهم
كقوله رفع السموات بغير عمد ترونها رفعها ابتداء وليس ان كانت موضوعة ثم رفعها فعلى ذلك الاول والآية تنقض على المعتزلة
قولهم اذ من قولهم ان جميع ما اعطى المؤمن من الاخراج من الكفر اعطى مثله الكافر فكانهم يقولون اخرجهم جميعا من الظلمة وعليه
اخراج الكافر بصنائع الظلمات اذ ذلك هو الاصلح له وعليه ان يعطي الخلق ما هو الاصلح لهم في الدين فاذا كان هذا قولهم
فهو ولي الكفرة والمؤمنين جميعا على قولهم اذ هو بالسبب الذي ذكر الولاية للمؤمنين فيعطي ايضا الكفرة فان قالوا انه اضاف
الكفر الى الطاغوت وانتم تضيفونه الى الله عز وجل قيل هو ظاهر الكذب بانا لا نضيف ذلك اليه الكفر انما نقول انه خلق
فعل الكفر من الكافر كفرا وخلق فعل النور من المؤمن نورا على انه ان كان هذا في الكفرة فالقول في الفصل الاول من قولكم انه نعم
على المؤمن ثم لا نعمة فيه على المؤمن الا الامر والاقدار منه موجود للكافر في كونه على قولكم ثم لا نعمة تقع في الامر والدعاء للمؤمن
الا ويقع مثله للكافر اذ هو في الامر والدعاء كالمؤمن سواء ولا قوة الا بالله وليس في القول بانه خالق بانه خالق فعل
كل احد على ما عليه اضافة الكفر اليه بل انما يضيف الخير اليه بما منه فيه من الافضال على الشكر له فدل ان له عز وجل في المؤمن
فضل صنع ليس ذلك له في الكافر والكفر في اللغة الستر وكذلك الظلمة هي الستر يقال كفرت الشيء اي سترته وكذلك
يقال ليل مظلم لانه يستر ضوء النهار ونوره فيستر الاشياء عن ابصار الخلق قال الشيخ رحمه الله في قوله الله ولي الذين
آمنوا يخرجهم الآية دلت هذه الآية على ان كان من الله الى الذين آمنوا معنى لم يكن منه الى الذين كفروا به كان ايمانهم ولو لم يكن
الا الامر والاقدار والبيان على ما قالت المعتزلة لكان كذلك عندهم الى الكفرة فلا وجه لتخصيص المؤمنين مما ذكر وجعل
الطاغوت ولي الكافرين وصنع الله الى كل واحد ولم يكن من الله تلك الزيادة فاذا كان الذي ذكر لهم في انفسهم فلا وجه للامتنان
بذلك وعن البعيد ذكر الامتنان فيما به الالزام والامر وما ذكرت المعتزلة انما هي اسباب الالزام ولولا ذلك كان ايسر عليهم
واقل لائمة فكيف يمن بها ثبت انه كان منه فضل ليس ذلك في اعدائه فيه استوجب الحمد منهم ولهذا ايضا فاليه الحسنات
على الشكر له وتوجيه الجلالة ولا يضاف اليه الشرور بما ليس في ذلك تشكر انما فيه الخذلان بما علم عن ايثار الكافر
ضده وتردده واختياره الكفر به فلذلك لم يجز الاضافة اليه جل ثناؤه لا باسم الخلق يخرج مخرج التعظيم له والخضوع من العبد
بالحمد له والشكر ولا يجوز مثله فيما ليس فيه ذلك على ما لا يضاف اليه الانجاس والخبائث والجواهر القبيحة وان كانت
من طريق الخلقة جرى عليها التدبير وخرجت على تقدير فعلى ذلك افعال الخلق وعلى ذلك القول بانه رب كل شيء
والله كل شيء ثم على الاشارة لا يوصف بذلك في الاشياء الخاملة المستخف بها مثله الاول والله اعلم وقوله والله لا يهدي
القوم الظالمين والكافرين وهو ذلك يخرج على وجوه احدها انه لا يهديهم وقت اختيارهم ذلك ويكون على ان لا يخلق
منهم فعل الهداية وهم يختارون فعل الضلال ويحتمل من في علمه انه لا يهتدي فيرجع المراد به الى الخاص ويحتمل لا يهديهم
طريق الجنة في الآخرة من كفر بالله في الدنيا ويحتمل لا يجعلهم في حكمهم كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
وقوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ذكر ان الكفرة هم اصحاب النار وذكر في آية اخرى ان الملائكة اصحاب النار
بقوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة لكنه ذكر الملائكة اصحاب النار لما يتولون تعذيب الكفرة فيها فسماهم بذلك
وذكر الكفرة اصحاب النار لانهم هم المعذبون فيها والملائكة معذبوهم بها والله اعلم وقوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم
في ربه قد ذكرنا ان قوله الم تر انما يفتتح به لا عجوبة كقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل وقوله الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل وفيه اباحة التكلم في الكلام والمناظرة فيه والحجاج بقوله حاج ابراهيم في ربه ورد على من لم يمنع التكلم
فيه وهو كذلك لانا امرنا بدعاء الكفرة جميعا الى وحدانية الله تعالى والاقرار له بذلك والمعرفة له انه كذلك
وكذلك الانبياء باجمعهم امروا وندبوا الى دعاء الكفرة الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فان دعوناهم

ونظير الآية قوله ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم شرح

الكفر بالفتح التغطية

وقد كفرت الشيء اكفره بالكسر كفرا اي سترته والكفر ايضا ظلمة الليل وسواده والكافر الليل المظلم

الى ذلك لا بدّ من ان يطلبوا منا الدليل على ذلك والبيان عليه والوصف له كما هو والتقرير عندهم انه كذا فلا يكون
ذلك الا بعد المناظرة والحجاج فيه ان لا باس بالتكلم والمناظرة فيه وفيه دلالة على اباحة المحاجة في التوحيد
وفيه الاذن بالشغل في النظر لان حاجة ليتفضل والله اعلم **وقوله** ان اتاه الله الملك قال اهل الاعتزال قوله ان اتاه الله الملك
هو ابراهيم عليه السلام لا ذلك الكافر لقوله لا ينال عهدي الظالمين اخبر ان عهده لا يناله الظالم والملك عهد
لكنه غلط عندنا لوجوه احدها ان ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه ما عرف بالملك والثاني ان الاية ذكرت
في محاجة ذلك الكافر ابراهيم ولو كان غير ملك وكان ابراهيم عليه السلام هو الملك لم يقدر المحاجة مع ابراهيم عليه السلام
اذ لا محاجة لا غير ملك دل انه هو الذي كان الملك والثالث قال انا احيي واميت ثم قيل انه جاء برجلين فقتل احدهما
وترك الاخر فلو لم يكن ملكا لم يتات له ذلك بين يدي ابراهيم اذا كان ابراهيم صلوات الله عليه هو الذي اتاه الله الملك
فدل ان المراد به ذلك الكافر ثم الملك يكون في الخلق باحد امرين اما الفضل والشرف والعز والسلطان والدين واما من جهة
الاموال والطول عليها والقهر والغلبة فان لم يكن له الملك من جهة الاول لكان له ذلك بفضول الاموال لذلك كان
ما ذكرنا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله اعطى الملك ليمتحن به كما يعطي الغناء والصحة فيمتحن بهما **وقوله** اذ قال ابراهيم ربي الذي
يحيي ويميت وكان هذا من ابراهيم عليه السلام والله اعلم عن سؤال سبق منه ان قال له ذلك الكافر من ربك الذي
تدعوني اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت والا لا يحتمل ابتداء الكلام بهذا على غير سبق سؤال كان منه وهو ما ذكر
في قصة فرعون حيث دعاه موسى الى الايمان بربه قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى
فعلى ذلك الاول **وقوله** انا احيي واميت فقتل احدهما وترك الاخر على ما قيل في القصة قال ابراهيم عليه السلام
فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قال بعض الجدليين هذا من ابراهيم عليه السلام صرف المحاجة
الى غير ما كان ابتداؤها ومثله في الظاهر انقطاع وحيدة عن الجواب لان من حاج اخر في شيء وناظره فيه لعلة ثم
وفاء تلك العلة واتمامها الى اخرها فاذا اشتغل بغيرها كان منه انقطاعا عما ثم وقاوها فابراهيم عليه السلام
اشتغل بغيرها وترك الاول وهو في الظاهر انقطاع لانه جاز ان يقول انا افعل كما فعلت وان يقول له ان هذا الحي
كان حيا ولكن احي هذا الميت لكنه صلوات الله عليه فعل هذا ليظهر عجزه على الناس لان ذلك كان منه تمويها
وتلبيسا على قومه ما اخذ به قلوبهم فاراد ابراهيم صلوات الله عليه ان يظهر عليه من الحجة ما هو اظهر واجلى له واخذ للقلوب
والثاني اراد ان يريه ان هذا انما قدر عليه بغيره انا الذي لم يجعل له القدرة عليه لم يقدر عليه ثم لما ثبت عجزه
في احدهما يظهر عجزه في الاخر والله اعلم وقيل بان هذا من ابراهيم انتقال من حجة الى حجة ليس بانقطاع وهو جائز
فبهت الذي كفر قيل انقطع وتحير **وقوله** والله لا يهدي القوم الظالمين ذكر الظالم لان الظلم هو وضع الشيء في غير
محله حيث هذا اللعين الحجاج في غير موضعه **وقوله** او كالذي مر على قرية قيل هو نسق على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم
وقيل نسق على قوله انا احيي واميت لانه بذلك انكر البعث ثم اختلف في المار على القرية قال بعضهم كافر قال ذلك وقال
اخرون لا ولكن قال ذلك مسلم وقال اكثر اهل التاويل هو عزير فان كان تاويل ذلك كافرا فهو على انكار البعث
والاحياء وان كان مسلما فهو على معرفة كيفية الاحياء ليس على الانكار وهو كقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام
رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وليس لنا الى معرفة قائله حاجة انما الحاجة لنا
الى معرفة ما ذكر في الاية والله اعلم **وقوله** وهي خاوية على عروشها قيل خالية عن سكانها وقيل خاوية ساقطة سقوفها
على حيطانها وحيطانها على سقوفها فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها هو على ما ذكرنا **وقوله** فاماته الله مائة عام
ثم بعثه اراد والله اعلم ان يري الاية في نفسه والاية هي اية البعث ويحتمل ان يكون اية في المتناظرين **وقوله** كم لبثت
سال منه جل وعلا الاجتهاد بظاهر الحال الذي ظهر عنده ليظهر انه اجتهد بدليل او بغيره على ما يذكره وسعه
فبان ان المجتهد يحل له الاجتهاد بما يدرك في ظاهر الحال وان كان حكم ما فيه الاجتهاد بالغيب قال الشيخ رحمه الله واراد
بقوله كم لبثت التنبيه كقوله لموسى وما تلك بيمينك يا موسى ليريه الاية من الوجه الذي هو اقرب الى الفهم متوجهة للاعجوبة

وهو الله تعالى لا بنفسه اذ لو كان ذلك ياتي له بقدرة نفسه لتاتى له اتيان الشمس من المغرب

ويحتمل ان يكون الاية للمناظرين على انكار البعث والاحياء بعد الموت وذلك قوله ولنجعلك اية للناس

فيه بوجهين

فيه بوجهين مرة بامانة الحمار اذ من طبعه الدوام ومرة بابقاء طعامه ومن طبعه التغير والفساد عن سريع جعل
في بقاء طعامه وحفظه من الفساد اية ومن طبعه الفساد وفي احياء حماره بعد اماتته وطبعه البقاء ليعلم ما نازعته نفسه
في كيفية الاحياء درك ذلك وهو قوله قال اعلم ان الله على كل شيء قدير ثم قيل في وجه ما راه باوجه قيل انه احيي عينيه
وقلبه فادرك بهما كيفية الاحياء في بقية نفسه وقيل احيي نفسه فاراه ذلك في حماره وقيل انه اراه ذلك في ولده
لانه اتى شابا وولده شيوخ وذلك اية قال الشيخ رحمه الله في قوله ثم بعثه قال كم لبثت الاية فان قال قايل كيف سال عن لبثه
وقد علم انه لم يكن علم به واي ذلك اخبار بقوله لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام قيل القول لكم لبثت يحتمل
يحتمل وجهين وكذلك القول بقوله بل لبثت مائة عام احدهما على قول اوحى اليه ونطق اسمع هو والثاني ان يكون على حدثه
نفسه بمدة لبثه في حال نومه فتامل في ذلك احوال نومه واخبر عما عاين من احوال الوقت الذي كان فيه مما كان
ابتداؤه وقت نومه فقال بالذي ذكر ثم لما تامل شان الحمار واستخبر من الاحوال قالت له نفسه بل لبثت مائة عام
ثم انعم نظره في حماره وما راى من تغير احواله وانشاه الله تعالى على ما ذكر وكل ذلك تحري عما حدثته نفسه هو بعينه
على التفكر في احواله والنظر فيما عاين من امر الحمار وكان علم ان ذلك موت فيه لكنه استقل ذلك بما شهد نفسه بما عاينها
على ما كانت عليها فلما تامل شان حماره علم انه دفع الى ايات عجيبة فرجع الى الله فانباه الله تعالى بالذي وصف في القران
والله الموفق ولو كان على القول فان في السؤال عما يعلم السايل جهل المسؤل وجهين احدهما الامتحان على ما به ظهور
احوال الممتحن من الاجتهاد في تعريف الحقايق بالاستدلال والخضوع له بالاعتراف بقصورهم عن الاحاطة به كفعل
الملائكة عند قوله انبؤني باسماء هؤلاء ويقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا والاول كما فعل صاحب هذا انه قال يوما
او بعض يوم ومثله امر اصحاب الكهف والله اعلم والثاني ان يراد بالسؤال التقرير عنده ليكون متيقظا لما يراد به
من الاطلاع على الاية كما قال لموسى وما تلك بيمينك يا موسى الاية وهذا فيما كان السؤال في الظاهر خارج في الحقيقة
مخرج المحنة نحو ما ذكرنا في امر الملائكة وامر موسى عليه السلام فاما السؤال الذي هو في حق السؤال انما هو في حق
الاستخبار ليعلم ما عليه حقيقة الحال بالسؤال لكن الذي ذكرت فيما كان سبيله ان يكون من له الامتحان ولا قوة
الا بالله **وقوله** فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه قيل لم يات عليه السنون اي كانه لم يات عليه السنون وقيل
لم يتسنه لم يتغير ولم ينتن والاول اشبه لانه يقال من المتغير والنتن لم يتسن **وقوله** وانظر الى العظام كيف ننشزها
بالزاي وهو من الارتفاع والنصب وفيه لغة اخرى ننشرها وهو من الاحياء وننشرها من النشر **وقوله** فلما تبين له
قال اعلم ان الله على كل شيء قدير بالنصب والخفض فمن قرا بالنصب صرف قوله اني يحيي هذه الى المسلم ومن قرا بالخفض
صرف الى الكافر يقول الله له اعلم ان الله على كل شيء قدير ويحتمل ايضا صرفه الى المسلم واعلم على الاخبار كانه قال اعلم
ما كنت علمته غيبا مشاهدة وفي هذه الايات اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان هذه القصص كانت
ظاهرة بينهم ولم يكن له اختلاف اليهم ولا النظر في كتبهم ثم اخبر على ما كان ليعلم انه انما علم ذلك بالله عز وجل انباه
وقوله واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال بعضهم كان ابراهيم
عليه السلام موقنا بان الله يحيي الموتى ولكن احب ان يعاين ذلك لان الخبر لا يكون عند ابن ادم كالعيان على ما قيل
ليس الخبر كالمعاينة وقيل يحتمل سؤاله عما يسال لما نازعته نفسه وحدثته في كيفية الاحياء وقد تنازع النفس
وتحدث بما لا حاجة لها اليه من حيث نفسه ليقع له فضل علم ومعرفة وقيل ليطمئن قلبي واعلم انك قد استجبت لي
فيما دعوتك واعطيتني الذي سالتك وقيل اولم تؤمن اي لم توقن بالخلة التي حالتك قال بلى سال ربه على الخلة
وقيل اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك ربي الذي احي وتحيي ويحتمل ان يكون ابراهيم عليه الصلوة والسلام
اراد بسؤاله ذلك ان يكون له اية حسية لان ايات ابراهيم كانت عقلية وايات ساير الانبياء كانت عقلية وحسية
فاحب صلوات الله عليه ان يكون له حسية على ما الهم كسؤال زكريا ربه حيث قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم
الناس ثلاثة ايام الا رمزا لجعل له اية حسية فعلى ذلك سؤال ابراهيم عليه السلام **وقوله** فخذ اربعة من الطير فصرهن

والانفصال عنه ان يقول ان السؤال عما يعلم السايل جهل المسؤل عنه جائز لوجهين شرح

فانه قد اتى عليه السنون حقيقة ولكن لما لم يكن فاسدا اشبه بما لم يكن فاسدا شرح

قرا ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشدد الراء من صره يصره ويصيره اذا جمعه وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا من الكشاف

اليك معناه وجههن اليك كقول الرجل صر وجهك الى اى حول وجهك وروى في حرف ابن مسعود رضي الله عنه
فصرهن اليك قيل هو التقطع فقيل قطعهن ثم اضممهن وقوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة الاية يحتمل ضرب مثل النفقة في سبيل الله بالجنة التي ذكر وجهان احدهما ان يبارك
في تلك النفقة فيزدادوا وينموا على ما بارك في حبة واحدة فصارت سبعمائة واكثر والثاني قال يربي الصدقات
وراوا الصدقة تتلف وتتلاشى في ايدي الفقراء فقال كيف تربى وهي تالفة فقال تربى كما ربى الجنة في الارض بعد
ما تلفت فيها وفسدت فصارت مائة وزيادة فعلى ذلك الصدقة في طاعة الله والنفقة فيما يربي وان كانت تالفة
وقيل انها منسوخة بالفرايض لكن هذا لا يحتمل لانه وعد في الاخرة والوعد لا يحتمل النسخ الا ان يعنون نسخ عين الصدقة
بغيرها فاما الوعد فهو حاله والله اعلم وقوله والله واسع عليم قيل غني وقيل جواد يوسع على من يشاء وقوله
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قال المفسرون للجهاد وحصول الجهاد بهذا والله اعلم لان العدو اذا خرجوا القتال
المسلمين خرجوا للشيطان ويسلكون سبيله وطريقه والمومنون انما يخرجون ليسلكوا طريق الله تعالى وينصروا
دينه واولياءه لذلك كان التخصيص له لعتولهم والا كان يجب ان يسمى الطاعات كلها والخيرات سبيل الله لانه
سبيل الله وطاعته كقوله الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله الاية وقوله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى قيل
منا على الله واذى للفقراء وقيل منا على الفقراء واذى له ثم قيل منة على الفقير عد ما انفق عليه وتصدق
واذاه وتوبيخه عليه بذلك واما منة على الله كقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله
يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله قول معروف
ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى قيل قول معروف كلام حسن يدعو الرجل لاخيه بظهر الغيب وقيل قول
معروف فيستغفر الله ذنوبه في السر ومغفرة له يغفر له ويتجاوز عن مظلمته وقيل قول معروف الامر بالمعروف
خير ثوابا عند الله من صدقة فيها اذى ومن فان قيل كيف جمع بين قول المعروف والمغفرة وبين الاذى والمن
فقال خير من كذا واحدهما خير والاخر شر وانما يفعل هذا اذا كان جميعا خيرين فيقال ايهما اخير قيل معناه والله اعلم
هذا خير لكم من ذلك وهو كقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة اي خير لكم في الاخرة من اللهو والتجارة من جنس
في دنياكم وان لم يكن اللهو والتجارة من جنس ما عند الله فعلى ذلك الاول ويحتمل الاية على الابتداء لا على الجميع هذا خير
وهذا شر قال الشيخ رحمه الله ووجه ذلك ان الصدقة قربة وهي خير فاذا اتبعها الاذى ابطلها فيكون قول معروف
اي رد جميل السايل خير من اجابته في البذل ثم الرد بالاذى لان هذا يبقى وان كان لا ينتفع به الاخر والصدقة لا
وان كان ينتفع بها الفقير والله اعلم وقوله والله غني عن صدقاتكم حليم لا يعجل بالعقوبة عليكم بالمن والاذى وقال
بعضهم المن والاذى ان يقول السايل خذه لا بارك الله فيه لك وقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ما ذكرنا من جهة
البطلان والله اعلم ان الله عز وجل وعد لمن تصدق الثواب عليها بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له
اضعافا كثيرة وقال واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وقال في اية اخرى ان الله
اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية وان كانت تلك الاموال في الحقيقة له اعطاهم الثواب على ذلك
فاخبر ان من اعطى اخر شيئا ببدل لا يمن عليه كالمبادلات التي تجري بين الناس ان لا يكون لبعض على بعض جهة المن
اذا اخذ بدل ما اعطاه او ان يقال ان الاموال كلها لله تعالى فانما اعطى ماله وكل من اعطى اخر ما له لا يستوجب ذلك حمدا
ولا منا ثم اختلف في قوله كالذي ينفق ماله رياء الناس قال بعضهم هم منافقون كانوا ينفقون اموالهم رياء دليله
قوله ولا يومن بالله واليوم الاخر شبه الصدقة التي فيها من واذى بالصدقة التي فيها رياء وذلك والله اعلم ه
ان الصدقة التي فيها من واذى لم يبتغ بها وجه الله فكان كالصدقة التي ينفقها للزيادة لا يبتغي بها وجه الله تعالى عز وجل
وقال الاخرون كل صدقة فيها رياء فذلك حكمها كافرا كان منفقها او مسلما لانها لم يبتغ بها وجه الله تعالى والدار الاخرة
ثم ضرب المثل للصدقة المبتغى بها الرياء والصدقة التي فيها المن والاذى بالصفوان الذي عليه تراب وهو الحجر الاملس

فقال كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا قيل الوابل هو المطر الشديد عظيم القدر وفي ضرب الامثال
تعريف ما غاب من الابصار بما هو محسوس وذلك ان الصفوان الذي ضرب المثل والتراب محسوس ومن التراب يجعل الاغذية
للخلق والدواب ثم الثواب الذي وعد للصدقة ليس بمحسوس بل هو غايب فعرف الغايب بالمحسوس فقال كما ان التراب
الذي به يكون الاغذية يذهب بالمطر الشديد حتى لا يبقى له اثر فكذلك الثواب الذي يكون للصدقة يذهب ويتلاشى حتى
لا يظفر بها بالمن والاذى والرياء كما اذهب المطر التراب الذي على الصفوان فصار صلدا لا شيء عليه من التراب وقوله
والله لا يهدي القوم الكافرين قالت المعتزلة لا يهدي القوم الكافرين بكفرهم الذي اختاروا وقلنا نحن لا يهديهم
وقت اختيارهم الايمان وفي قوله قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى وله وجه اخر هو ان يحتمل قول معروف
هذه التسبيحات والثناء والحمد والمغفرة ستر ما ارتكب من الماثم وقوله خير اي احب الى الله من صدقة يتبعها اذى
والله اعلم وقوله ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم الاية في الامثال التي ضربها الله تعالى
وذكرها في القران وجوه احدها جواز قياس ما غاب من الحكم عن المنصوص بالمنصوص اذا جمعهما معنى واحد والثاني
ان علوم المحسوسات والمشاهدات هي علوم الحقايق وهي الاصول التي بها يستدل ويوصل الى معرفة الغايب
والثالث فيها اثبات رسالة محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وذلك ان العرب كانت لا تعرف الامثال
ولا كانت تعرفها في امر التوحيد وتعريف ما غاب عن حواسهم من امر القيامة ونحو ذلك ثم بعث الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم وانزل عليه القران وذكر فيه الامثال ليذكرهم تلك الامثال ليعلموا انه انما عرفها بالله عز وجل
لا انه انشا هذا القران من تلقاء نفسه وذلك من ايات نبوته ورسالته وعلى ذلك جعل عدم الكتابة وانشاد
الشعر من ايات نبوته ورسالته لان من عادة العرب انشاد الشعر والكتابة ويفضلون اربابها على غيرهم لئلا يعرف
هو بها ويقولون انه اخذ من الكتب واختلقه من نفسه كقوله تعالى ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون والرابع
فيها دلالة ان الله جل وعلا خالق الدنيا وما فيها من المحاسن والخبايث والاعالي والخسايس حيث ضرب مثل الرفيع
بالرفيع والخسيس بالخسيس فدل ان خالق هذه الاشياء كلها هو الله تعالى لا شريك له ولا شبيه له ثم شبه الصدقة
التي هي لله عز وجل مرة بالربوة من الارض وهي المرتفعة منها ومرة بالحبة التي تنبت كذا كذا سنبلة وفي كل سنبلة
كذا كذا حبة ومرة بالاضعاف المضاعفة لقوله فيضاعفه له اضعافا كثيرة فهو والله اعلم لما علم عز وجل رغبة الناس
مرة في العدد في الدنيا ومرة في البساتين المرتفعة ارضها وتربتها ليشرفوا على غيرهم من الخلايق والبقاع ومرة في الكثير
من الاشياء والعظيم منها رغبهم عز وجل في الصدقة بما ذكر من الاشياء لعلمه برغبتهم فيها ليرغبوا في ذلك والله اعلم
وعلى ذلك حرم الله تعالى الصدقات على رسوله صلى الله عليه وسلم لانه كان يرغب الناس في الصدقة لئلا يظنوا فيه
ظن السوء ويقولون انما يرغبهم فيها لينتفع هو بها وقوله تثبيتا من انفسهم قيل تصديقا كقوله فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى وقيل وتثبيتا اي تيقينا بالاسلام وقيل يتثبتون في مواضع الصدقة وقيل تثبيتا في الصدقة اذا كانت لله امضى
وتصدق بها وان خالطه شيء امسك والله اعلم وقوله كمثل جنة بربوة قيل الربوة المرتفع من الارض وقيل الظاهر
المستوي من المكان وقوله فاتت اكلها ضعفين يعني الجنة اضعفت في ثمرها في الحمل ضعفين حين اصابها وابل كذلك الذي ينفق
ماله لله في غير منة يمن بها يضاعف نفقتها كثرت النفقة او قلت وقيل يضاعف الله المنفق الاجر مرتين وقوله
فاصابها وابل والوابل قد ذكرنا انه المطر الشديد العظيم القطر وقوله فطل والطل هو المطر الضعيف وقيل هو الطش
من المطر وهو الرذاذ مثل الندى لا تزال الجنة خضرا دايما ثمرها قل او كثر وقوله ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل
واعناب الاية ليس لهذا الخطاب جواب لان جوابه ان يقول يود ولا يود لكن الخطاب من الله تعالى يخرج على وجوه
ثلاثة خطاب يفهم مراده وقت قرع السمع وخطاب لا يفهم مراده الا بعد النظر فيه والتفكر والتدبر وهو كقوله فلا يتدبرون
القران الاية وكقوله عز وجل وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ويعقلون وخطاب لا يفهم مراده
الا بالسوال عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او من له علم في ذلك كقوله تعالى فاسئل به خبيرا وكقوله تعالى

كقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فاذا كان ما ذكرنا فيحتمل ان ما ترك من الجواب للخطاب انما ترك
للطلب والبحث عنه والتفحص ثم ان هذا الخطاب يحتمل ان يكون في اهل النفاق وذلك ان المنافق يرى من نفسه الموافقة
لاهل الاسلام في الظاهر وهو مخالف لهم في السر وعنده انه يستحق الثواب بذلك وقت الثواب كان كصاحب الضيعة
التي ذكرت في الاية ان صاحبها يغرس فيها الغرس ويثبت فيها النبات في حال شبابه وقوته رجاء ان يصل الى الانتفاع بها
في وقت الحاجة والضعف فاذا بلغ ذلك واحتاج حيل بينه وبين الانتفاع بما فيها فكذلك المنافق الذي كان دينه
للمنافع في الدنيا وسعة لها اذا بلغ الى وقت الحاجة حرم ذلك وكذلك هذا في الكافر لانه راى لنفسه النفع بعمله
لوقت تامله كصاحب الضيعة • ثم عند بلوغه الحاجة حرم عنه ذلك لاعتراض ما اعترض من الافة وهو كقوله تعالى
وكقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء الاية لان الكافر بما يدين من الدين
انما يدين لنفع يتامله في الدنيا والمومن انما يدين لنفع يتامله ويطمع في الاخرة فرجاء الكافر في غير موضعه لذلك
كان ما ذكر والله اعلم • ثم الامثال التي ضربت ينتفع بها المومنون لانه نظرهم ما في الامثال من المعنى المدرج والمودع
فيها لم ينظروا الى عينها واما الكفار انما ينظرون الى عين الامثال لا الى ما فيها فاستحقروها واستبعدت عقولهم
ذلك لذلك قال لايات لقوم يتفكرون ويعقلون • ووجه ضرب هذا المثل وهو ان الكافر يحرم اجر عمله في
واحوج ما كان اليه كما حرم هذا نفع بستانه عند افتقاره واحوج ما كان اليه حين كبرت سنه وضعفت قوته ولاحيلة له
يومئذ وقوله اعصار قال ابن عباس الاعصار ريح فيها سموم وقيل الاعصار ريح فيها نار تحرق الاشجار وقيل
هي الريح تسطع الى السماء وهي اسد • قال الشيخ رحمه الله في قوله ايود احدكم ان تكون له جنة الاية معناه والله اعلم انه
اذ لا يود احد ان يكون له جنة ينال منافعها في وقت قوته وغناه بقوته عنها وبغيرها من وجوه المعاش ثم يحرم
نفعها لوقت الحاجة اليها بضعف بدنه وارتكاب مون الذرية فكذلك لا ترضوا من انفسكم في وقت قوتها وغناها
الغفلة عنها لوقت حاجتها الى الاعمال والاضطرار الى ثوابها والله اعلم • وان يكون المعنى من ذلك اي لا تغتروا
بظاهر احوالكم في الدنيا وبما تنالون من المنافع بالذي اظهرتم من موافقة المومنين كاغترار من ذكرت بجنسه
في حاضر ما عليه حاله لان صار الى ما اراه الله من عاقبته انه يود عند نهاية ذلك ان لم يكن منه الاغترار في ذلك
ولكن كان قيامه على ما لا يضيع عنه ذلك لتلك الحال فيخرج ذا على ضرب المثل للمنافق ويحتمل ان يكون ذلك
مثل لمن كفر بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم • ممن يومن بالبعث ان الذي ينال بالكفر به من الرياسة والعز كالذي
ذكر من صاحب الجنة انه لا يود ذلك لا ابتداء بما يعلم تلك العاقبة فكذا ما ينبغي لهم اذ بين لهم عواقب الكفر بمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم • ان يوثروا الذي تالوا بعد علمهم بشدة تلك العاقبة والله اعلم • والمثل خرج على غير
ذكر الجواب فيه لما قد جرى له البيان لعلم بالمبعوث مبيتا او بما في الحال التي نزول الاية دليل التعريف
او بما اراد الله امتحان الناس بالتامل في الاية لينال كل ذي عقل فضله وليكرم به اهل التدبر في اياته في صرف وجوه
من دونهم اليهم في القصد وعن ارائهم والاعتماد على اشارتهم والله اعلم • وجملة ذلك ان افعال ذوي الاختيار
يكون للعواقب وما اليه مرجع الفاعل مقصودا في الابتداء فيبين لمن اغفل عنه بالذي عرف خيره المسرور
بجنته لما انكشفت له عاقبتها حتى لعله يود ان لم يكن له تلك ليكون سرور بما يجد عاقبته فعلى هذا امر الافعال
التي تغفل عن عواقبها اذا صار اليها صاحبها والله الموفق وقوله يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم
ومما اخرجنا لكم من الارض • فيه دليل وجوب الزكوة في اموال التجارة بقوله ما كسبتم لان اموال التجارة هي التي تكتسب
وليس في كتاب الله بيان وجوب الزكوة في اموال التجارة في غير هذا الموضع وليس فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن ذكر عن بعض الصحابة رضي الله عنهم القول به فيحتمل ان يكون ما قالوا بهذه الاية واما زكوة الفضة والذهب
والمواشي فيما لها ذكر في الكتاب والسنة فالزكوة تجب فيها لعينها اكتسبها او لم يكتسب • واما اموال التجارة فان
فان الزكوة تجب فيها بالاكتساب • وفيه دليل ان النفقة المذكورة فيه لازمة واجبة لانه قال الا ان تغمضوا فيه

ذكر الاغماض

69

ذكر الاغماض والاغماض لا يذكر في المعروف وانما يذكر في اللازم والواجب الذي لا مخرج له عنه الا بالاداء الا عن عفو
وصفح والرضا بدون الحق ثباته على اللزوم • وفيه دليل وجوب الحق في الرطاب والخضراوات لانه ذكر في الاية
المخرج والرطاب هي التي تخرج من الارض واما الجواب انما تخرج من الاصل الذي يخرج من الارض لذلك كان الرطاب
والخضر اولى بوجوب الحق من غيره بظاهر الاية • قال الشيخ رحمه الله والوجوب في الحبوب بما كانت تخرج من الفروق
والحمور بظاهر هذه الوجوه في التي تخرج من الارض واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله فانهما قالا يحتمل قوله اخرجنا لكم
من الارض يعني من الاصل الذي يخرج لكم من الارض كقوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري ولا ينزل من السماء اللباس
كما هو ولكن اراد الاصل الذي به يكون اللباس وكذلك قوله خلقكم من تراب وهو لم يخلقنا من التراب وهو ادم عليه السلام
فعلى ذلك الاول والله اعلم • والوجه منه ان من الله علينا بما اخرج لنا من الارض من انواع ما اخرج بحبة تلقى في الارض
فيفسد فيها فيخرج منه النبات بلطفه لا صنع لاحد فيها وتلك المنة لا تكون على اربابها خاصة دون الفقراء بل هي
على الفقراء كهي على اربابها لانه اخرجه رزقا لاكل ففيه حق الفقراء والاغنياء جميعا ومن ثمه جاز وجوب العشر على الصغير
الا ترى الى قوله افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون قيل انتم تنبتونه ام نحن المنبتون واما بعد النبات
فيشترك العباد فيه بالسقي والحفظ وغيره لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وفي قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه دلالة على ان لا يتصدق بالردي عن الجيد فاذا تصدق يلزمه فضل ما بين
الى الجيد على قول محمد رحمه الله بظاهر قوله ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يجوز
ولا يختار له ذلك وذلك ان الله تعالى اطمع الناس قبول ذلك اذا تغامضوا فهو احق ان يطمع فيه القبول لكرمه
ولطفه لانه ليس لصفة ما يكال او يوزن من نوعه قيمة فاذا لم يكن له قيمة لا يلزمه فضل الصفة وقوله الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشاء قوله يعدكم الفقر في الدنيا بالتصدق والانفاق ويامركم بالفحشاء بترك الصدقة ويحتمل
يعدكم الفقر في الدنيا بطول الامل وفناء المال ويامركم بالفحشاء بسوء الظن بربه والله يعدكم مغفرة بالصدقة
وفضلا وذكرا في الدنيا ويحتمل قوله والله يعدكم مغفرة في الاخرة وفضلا في الدنيا يعني خلفا وقيل مغفرة لكم
لفحشائكم وفضلا لفقركم وقوله والله واسع عليم اي غني يقدر اخلاف ما انفقتم عليم بجزاء صدقاتكم ويحتمل بما تنفقون
من الصدقة والحسنة وفي قوله والله واسع عليم وغني حميد ونحوه ليعلموا انه انما رغب الناس على الصدقات والنفقات
ابتلاء ومحنة لا لحاجة وفقر • وقوله يؤتي الحكمة من يشاء قيل الحكمة في هذا الموضع معرفة القران وتفسيره وهو قول
ابن عباس رضي الله عنه وكذا روي عنه مرفوعا وقيل الحكمة الفهم في القران • وقيل الحكمة الفقه وقيل النبوة وقيل
الحكمة هي الاصابة وفيه دليل جواز الاجتهاد وانه مصيب في اجتهاده • قال الشيخ رحمه الله في قوله يؤتي الحكمة من يشاء
اختلف في تاويل الحكمة في هذا قال قوم هي القران وهو على ما وصفه نورا وهدى وروحا وشفاء والنور هو الذي
يبصر به حقايق الاشيا وبالهدى يدرك كل من ويتقي كل تلف وبالروح يحيي كل ذي روح وبالشفاء يبرئ كل سقيم
ويزال كل افة والذي هذا وصفه فهو الخير وبالله المعونة • وقال قوم الحكمة هي الاصابة لحقيقة كل شيء وبها تبقى كل شيء
وينال كل خير وذلك هو الخير الكثير وبالله العصمة • وقال بعضهم الحكمة هي السنة كانه اكرم رسوله صلى الله عليه وسلم
بالذي من سلكه نجا ومن حاد عنه غوى • وقال الاصل في الحكمة في التحقيق وضع كل شيء موضعه ودفع كل حق الى محقه
ولهذا قال بعض الفلاسفة في حد الحكمة انه العلم والعمل بالعلم في وضع الاشياء مواضعها والعمل في ايصال
كل ذي حق الى محقه وقيل هي من احكام الامور واتقانها وذلك مقارب لما يضاد الحكمة السفه وهو في العقل
والاضطراب في الامور والله اعلم • وقال قوم الحكمة في القران هي فهم الحدود والشرايع وهو الذي يدرك الموافقة
والمخالفة من طريق الحقايق لا من طريق الظواهر وذلك عمل الحكماء ورعاة الدين ولا قوة الا بالله • وقال قوم هي الفقه
والفقه معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره وهو الذي به يوصل الى معرفة الغايب بالشاهد والغامض
بالظاهر والفرع بالاصل ولا قوة الا بالله واي هذه الوجوه كانت الحكمة فذلك الوحي بجميع خير الدارين

أو حفظ حقه والذي هذا وصفه فهو الخير الكثير وبالله المعونة وفي الآية دلالة أن الله لا يؤتي كلا الحكمة وإن كانت
فضلا للحكيم فبإعطاء الله تعالى نالها وأنه لا يجوز أن يعطيها أحدا ثم لا يتألها المعطى وهذه الوجوه كلها تخالف
رأي المعتزلة **وقوله** فقد أوتي خيرا كثيرا من حفظ النفس في الدنيا عن جميع الآفات وفي الآخرة عن دفع العقوبات وما يذكر
إلا أولوا الألباب يعني وما يتعظ بما ذكر إلا ذو الفهم والعقل وفي الآية نقض على المعتزلة لأنه قال يؤتي الحكمة من يشاء
ثم قال ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا إنما يؤتي بعضا دون بعض فلو كان على الله تعالى أن يعطي الأصلح في الدين لكان
قد أتى الكل وبطل التفضيل ومن قال يؤتي غيرها فكان خلاف ما في الكتاب **وقوله** وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر
يحتمل نفقة المحارم ويحتمل النفقات التي تجري بين الخلق ويحتمل المفروض من الصدقات ويحتمل غيرها ثم روي
عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله أو نذرتم من نذر قال من نذر نذرا لم يسمه
فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لم يطقه فكفارته كفارة يمين
ومن نذر نذرا أطاقه فليف به وفيه تنبيه وتذكير أن الله يعلم صدقهم ونذرهم ليجتنبوا في النفقة ويخلصوا في النذر
ويوفوا به **وقوله** فإن الله يعلمه قيل يقبله وقيل يأمر بوفائه ويحتمل قوله يعلمه أي يعلم ما وفيتم منه فيجزيكم على ذلك ويحتمل
يعلم ما أردتم بصدقاتكم ونذوركم **وقوله** وما للظالمين من أنصار في الآخرة يعني مجيرا يجيرهم من العذاب وقيل ما للظالمين
من شفيع يشفع لهم ولا نصير ينصرهم لأنه ما من ظالم إلا وله في الدنيا ظهير **وقوله** إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال بعضهم هي الفريضة وقال آخرون هو تطوع وهو أوجه وقال غيرهم قوله إن تبدوا الصدقات
هي الفريضة وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء هي التطوع قال الشيخ رحمه الله لا يحتمل الإخفاء في التطوع والإبداء في الفرض
لما أخبر في الإخفاء أنه خير ولا يكون التطوع خيرا من الفريضة ونحمله على الفريضة يستحب أن يظهروا الزكوة المفروضة
ليقتدوا به ويرغبوا الناس عليها ومنهم من يستحب الإخفاء أيضا ويقولون في الإبداء شيئان الصدقة بعينها والاقتداء
وفي الإخفاء وجوه أحدها الصدقة والآخر ترك المراءة وسلامتها والثالث الكف عن المن والأذى ومنهم من حمل
قوله إن تبدوا الصدقات على الفريضة وإن تخفوها على التطوع وذهب إلى أن الفريضة ليس فيها الرياء لأنه لا شيء عليه
فسواء فيها الإبداء والإظهار وأما التطوع ففيه الرياء لأنه معروف ليس عليه والإخفاء له أسلم والله أعلم **وقوله** والله
بما تعملون خبير فيه وعيد وتحذير أنه يعلم ما تسرون وما تعلنون في الصدقة ويحتمل تعملون خبير فيجزيكم للصدقة
قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله إن تبدوا الصدقات الآية جعل الله تعالى صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرائض والنوافل
في الأشياء كلها وفي بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقة السر تطفئ غضب الرب وصنائع المعروف تدفع
مصارع السوء وصلة الرحم تزيد في العمر عن الحسن قال الإبقاء على العمل أشد من العمل وذلك أن العبد ليعمل العمل سرا فيكتب له
عمل السر فلا يزال به الشيطان حتى ينسخ من عمل السر إلى عمل العلانية ثم لا يزال به الشيطان حتى يحب أن يحمد حتى يكتب من عمل
العلانية في الرياء **وقوله** ونكفر عنكم من سيئاتكم فيه دليل أن من السيئات ما يكفرها الصدقة ومنها ما لا يكفر وقيل إن من ههنا
صلة تقديره الجماع تكفير السيئات كلها بالصدقة كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات وهو نقض على المعتزلة لأنهم لا يرون
تكفير الكبائر بغير التوبة منها ولا التعذيب على الصغائر فأما إن كانت الآية في الكبائر فبطل قولهم لا يكفر بغير التوبة وفي الصغائر
فيبطل قولهم إنها مغفورة إذ وعدت بالصدقة لأنهم يخلدون صاحب الكبائر والله تعالى أطمع له تكفير السيئات كلها بالصدقة
والله الموفق **وقوله** ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء أخبر أنه ليس عليه هداهم وعليه البيان والتبليغ فدل
أن هنالك فضل هدى لا يملك هو ذلك وهو التوفيق على الهدى والتحقيق له وهذا يرد على المعتزلة لتوكيدهم أن كل الهدى
البيان ولو كان كل الهدى بيانا لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك ذلك إذ عليه البيان فدل أنه لا يملك الهدى
المراد في الآية فهو على ما ذكرنا من التوفيق ويحتمل قوله ليس عليك هداهم أي حساب ترك اهتدائهم كقوله ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وإنما عليك البلاغ **وقوله** وما تنفقوا من خير فلأنفسكم من خير أي مال فلأنفسكم يعني

فيكون ترغيبا للناس في أداء الفرائض

فلأنفسكم

٦٩

٧٠

فلأنفسكم الثواب قيل قوله فلأنفسكم يعني منفعته لكم وفي قوله وما تنفقوا من خير فلأنفسكم دلالة على أنهم كانوا يتحرجون
بالتصدق على قراباتهم من الكفار خشية ما يقع من التعاون على ما اعتدوا من الدين إذ المكاسب لكل أهل دين بما يقع في العقلاء
مكان ما ينتفعون به لأجل الدين فبين جل وعلا أنه لا يقع لكم ولأنفسكم وتكفير ما ارتكبتم ثم في الآية دلالة جواز الصدقة
على الكفار ودليل جواز دفع الكفارات إليهم بقوله وما تنفقوا من خير فلأنفسكم فهو دليل لأصحابنا لأنه جعل هذه الصدقة
مكفرة **وقوله** يوف إليكم يعني يوفر عليكم ثواب صدقاتكم وإن كان التصدق على الكفرة **وقوله** وأنتم لا تظلمون في حرمان
الثواب والجزاء **وقوله** للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله أي من سبيل الله يعني حبسوا بالفقر عن الجهاد وكقوله ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون من حرج والعرب تستعمل حروف الخفض بعضها في موضع بعض ويحتمل قوله أحصروا في سبيل الله
أي حبسوا أنفسهم في طاعة الله لا يجدون ما يتجرون ولا ما يحترفون ولا ما يكتسبون **وقوله** لا يستطيعون ضربا
في الأرض للتجارة **وقوله** لا يسألون الناس إلحافا يحتمل وجهين أي لا يظهرون السؤال أي لا يسألون كقوله لا تنفعها شفاعة
أي لا يشفع لهم فإن كان على السؤال فإنهم إذا سألوا لم يلحفوا دليله قوله صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه بابا
من المسئلة فتح الله عليه بابا من الفقر ثم ذكر في الخبر من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله وإن كان على التعريض
ففيه إباحة التعريض بين يدي أهل الجود والسخاء **وقوله** تعرفهم بسيماهم يعني سيما التخشع وقيل سيماء الفقر
لا يسألون الناس إلحافا يعني إلحاحا وقيل تعرفهم بسيماهم أي بحالهم لا يسألون الناس إلحافا أي إلحاحا ولا غير
الملح **وقوله** الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم كذا قيل هي النفقة على الخيل المحتبسة للجهاد
ينفقون ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها ولا إضمار وعن علي وأبي أمامة رضي الله عنهما هي النفقة على الخيل
في سبيل الله وعن ابن عباس رضي الله عنه قال في علف الخيل والنفقة عليها وقيل نزلت في نفقة عبد الرحمن
بن عوف في جيش العسرة وقيل نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لم يملك من المال غير أربعة دراهم ويتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي حملك على هذا قال
حملني أن استوجب على الله الذي وعدني فنزلت فيه هذه الآية وقيل نزل في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري
فلا ندري فيمن نزلت وليس لنا إلى معرفته حاجة سوى أنهم وصفهم بالجود والسخاء ونفقتهم على الناس
ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها ولا من ولا أذى وفيه نفي الرياء عن نفقتهم لأنه من عود نفسه الفعل في جميع الأوقات
لم يراء **وقوله** ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لأن نعيم الدنيا مشوبة بالحزن والخوف فأخبر أن نعيم الآخرة لا يشوبه حزن
ولا خوف لذلك كان ما ذكر والله أعلم **وقوله** الذين يأكلون الربوا قال بعضهم ليس على حقيقة الأكل ولكنه كان على الأخذ
كقوله وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه فإذا كان هذا على الأخذ فقوله تعالى لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس هو على التمثيل ليس على التحقيق وقال الآخرون هو على نفس الأكل وما ذكر من العقوبة لما أكلوا من الربوا لا يقوم
يوم القيامة إلا كما يقوم المجنون المخنوق وقال غيرهم ذلك لاستحلالهم الربا وتجهيلهم الله جل وعلا في الحكم في تحريمهم الربوا
بقولهم قالوا إنما البيع مثل الربوا ثم قوله ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا فيه دليل جواز القياس في العقل لأنه
لو لم يكن في العقل جوازه لم يكن لقولهم إنما البيع مثل الربوا معنى لكنهم لم يعرفوا معنى المماثلة ثم المماثلة على وجهين مماثلة
أسباب ومماثلة أحوال فالمماثلة التي هي مماثلة أحوال هي ابتداء محنة في العقل لا يقاس على غيره نحو أن يقال لا قعد
أو أن يقال قم لا يقاس القيام على القعود ولا القعود على القيام إنما هو محنة لا يلزم غير المخاطب به وأما مماثلة الأسباب
فهي مماثلة الأحوال نحو أن يقال حرمت السكر في الخمر فحيث ما وجد السكر يحرم لأنه يجيء على العقل فكل شيء يجيء عليه
فهو محرم التناول مثله **وقوله** إنما البيع مثل الربوا يقولون لما جاز أن يباع ثوب يساوي عشرة بأحد عشر كيف
لا يجوز أن يباع عشرة بأحد عشر وقيل كان الرجل منهم إذا حل ماله على صاحبه طلبه فيقول المطلوب للطالب
زد في الأجل وأزيدك على مالك فيفعلان على ذلك ويعملان به فإذا قيل لهم هذا ربوا قالوا إنما سواء الزيادة
في البيع والزيادة عند محل البيع فأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال ليس هكذا ويحتمل فيه ابتداء حرمة أن حل ما هو

لا ما هو ربوا ثم قوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربوا فلقايل ان يقول انما يحرم منه قدر الربوا واما العقد فانه يجوز
لما ليس فيه ربوا لكن الاصل عندنا فيه ان الدرهم الزايد ياخذ كل درهم من العشرة قسطا منه وجزءا من اجزاء كل درهم منه
فلا سبيل الى امضاء العقد لاخذ اجزائه كل درهم من الذى فيه العقد وهو ربوا وفيه وجه اخر وهو انه ختم الكلام على قوله
وان تبتم فلكم روس اموالكم ولا يزد راس المال فى عقد قد مضى ثم معرفة الربوا عين الربوا ما ليس بازاه بدل ثم فيه دلالة
ان حرمة الربوا كان ظاهرا عندهم حتى حكوا وكان حرمته فيما بينهم كهو فيما بين اهل الاسلام لذلك قال ابو حنيفة رضى الله عنه
ان لا يجوز بيع الربوا فيما بين اهل الاسلام وبين اهل الذمة وعلى ذلك خرج الخطاب منه عز وجل بقوله لا تاكلوا الربوا اضعافا
مضاعفة **وقوله** فمن جاءه موعظة من ربه قيل بيان تحريم الربوا وقيل فمن جاءه نهى فى القرآن من ربه فى تحريم الربوا فانتهى
عن الربوا ويحتمل الموعظة هى التذكير لما سبق منه فيتذكر فيرجع عن صنيعه **وقوله** فله ما سلف قيل فيه بوجهين قيل ما سلف له
فى الجاهلية صار مغفورا له وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل قوله ما سلف وذلك ان الكافر اذا تاب
ورجع عن صنيعه يرجع لان لا يعود الى مثله ابدا ويندم على كل سيئة ارتكبها فيجعل الله كل سيئة كانت منه حسنة وهو كقوله
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات **وقوله** وامره الى الله فى حادث الوقت ان يعصمه **وقوله** ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون البعض المعتزلة استدلوا على الوعيد لاهل الاسلام بما ذكر فيه من العود ولكن بدو الاية على الاستحلال فعلى ذلك
العود اليه على جهة الاستحلال يدل عليه قوله والله لا يحب كل كفار اثيم فاثبت له الكفر بالذى كان منه فى الابتداء وهو الاستحلال
فكذلك العود **وقوله** يمحق الله الربوا ويربى الصدقات قيل يمحق يهلك وقيل يبطل ولكن اصل المحق هو رفع البركة وذلك ان الناس
يقصدون بجمع الاموال والشح عليها لينتفع اولادهم من بعدهم اشفاقا عليهم وكذلك يمتنعون عن التصدق على الناس فاخبر الله
الاموال التى جمعت من جهة الربوا ان لا ينتفع اولادهم بها وهو الامر الظاهر فى الناس واخبر ان الصدقات التى لا يمتنعون
عن الانفاق عنها يربى ويخلف اولادهم اذا تصدقوا ويمحق الربوا ويرفع البركة عنها حتى لا ينتفع اولادهم بها وهو ما روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل متبايعين بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فيه وان كذبا وكتما محقت
عنهما البركة **وقوله** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية ظاهره **وقوله** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى
من الربوا ان كنتم مؤمنين قيل فيه بوجهين قيل قوله وذروا ما بقى من حكم الربوا اذا صرتم مؤمنين وقيل وذروا ما بقى
من الربوا الذى تقبضوا ان كنتم مؤمنين وفى الاية دلالة على ان الربوا الذى لم يقبض اذا ورد عليه حرمة القبض افسدته
لذلك قال اصحابنا رحمهم الله ان فوت القبض على المبيع يوجب فساد العقد كما كان فوت قبض الربوا فى ذلك العقد اوجب
منع قبض الربوا والذى يدل عليه قوله وان تبتم فلكم روس اموالكم فاوجب الفسخ فيه حتى اوجب رد راس المال وفى الاية
دليل وجه اخر وهو انه جعل حدوث الحرمة المانعة للقبض يرتفع به العقد فى فساد العقد فعلى ذلك يجعل حدوث الموت
فى عقد معقود قبل القبض كالمعقود عليه فى استيجار حصته من الثمن **وقوله** وذروا ما بقى من الربوا وقوله وان تبتم
فلكم روس اموالكم فيه دلالة ان ما جرت بين اهل الاسلام واهل الحرب من المداينات والمقارضات ثم اسلموا يرد
وما اخذوا قهرا لا يردون وذلك ان الربوا الذى قبضوا قبل الاية فلم يؤمر برده فعلى ذلك ما اخذوا قهرا اخذوا
قبل ان يرد لم يجب رده واما راس المال فانما اخذ والرد فعلى ذلك ما اخذ بعضهم من بعض دينا او قرضا وجب رده ففيه
دليل بقول اصحابنا رحمهم الله على ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله عن ابن عباس رضى الله عنه
قال فمن كان مقيما على الربوا مستحلا له لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع عنه والا ضرب عنقه
وقوله فاذنوا فيه لغتان بالقطع والوصل فمن قرا بالقطع فهو على الامر بالاعلام لمستحليه انه يصير حربا له بالاستحلال
ومن قرا بالوصل فهو على العلم كانه قال للمؤمنين انه حرب لنا **وقوله** لا تظلمون ولا تظلمون عن ابن عباس رضى الله عنه
قوله وان تبتم فلكم روس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون اى لا تظلمون فتربون ولا تظلمون فتنقصون وقتادة رضى الله عنه
يقول يبطل الربوا ويبقيت روس الاموال **وقوله** وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة عن ابن عباس رضى الله عنه الى ميسرة
قال هو المطلوب وهو فى الربوا وفيه دلالة جواز التقلب فى البيع الفاسد لان جعل لارباب الاموال النظرة الى ميسرة

من عليه المال فلو كان له حق اخذه حيث ما وجده بعد ما نشا تحت الايدى وكان له حق تضمين من هو اغنى لم يكن
للانظار المعسر الى وقت الميسرة معنى ولكن يختار تضمين ايسرهم واغناهم اذا كان يقدر فله خصومته واذا كان يشرط
سقطت الخصومة كما تقول نحن الذى يكفل عن معسر او عن اجل ثم النظرة انما تكون بالاختيار ممن له الحق لا انه يكون هذا شاء
هو وابى دليله قوله صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق اليد واللسان اما اللسان فيتقاضاه واما اليد فيلازمه ويحبسه
لكنه اذا اجل قطع على نفسه حق اللسان واليد الى ان يمضى ذلك الوقت ثبت له حق اللسان واليد **وقوله** وان تصدقوا خير لكم
ان كنتم تعلمون يعنى بروس الاموال اذا ظهر اعساره وعن الضحاك قال فى قوله وان تصدقوا خير لكم قال اخذ راس المال
حسن وتركه احسن وانما التصدق على المعسر فاما على الموسر فلا وفيه دليل جواز صدقة الدين وهبته ممن عليه دين وهو
لا اجنبى له اذا ظهر اعساره وفقره والله اعلم **وقوله** واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية قال عامة اهل التاويل ان هذه
الاية اخر ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه فان كان ما ذكروا
فهو والله اعلم انه رغبهم فى ذكر ذلك اليوم لما فى ترك ذكره يطول الامل وطول الامل يورث الحرص والحرص يورث
البخل ويشغله عن اقامة العبادات والطاعات فاذا كان كذلك فاحق ان ما يختم القرآن هذا البلاء يتركوا ذكر ذلك
اليوم فيسقطوا عن منزلة والجزاء والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ويصير كانه قال اتقوا وعيده تعالى فى جميع ما يعد لكم
وما الزمكم من الحق **وقوله** اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فيه دليل جواز السلم من قوله اذا تداينتم بدين لان المداينة فعل اثنين
وهو السلم نفسه لانه دين من الجانبين جميعا وعلى ذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال اشهد ان السلم
المضمون مما احله الله تعالى فى كتابه الكريم ثم تلا هذه الاية فاما الحين الذى جاء انه نهى عن الدين فان ذلك على فوت
القبض فيه دليله جواز ما كان دينا بدين اذا قبض احد الجانبين وقال الاخرون قوله اذا تداينتم بدين هو بيع كل دين
الى اجل مسمى فهو يسمى التداين كما يسمى البايع والمشترى المتبايعان لان كل واحد منهما بايع فى وجه ومشترى فى وجه
فعلى ذلك المداينة والتداين والله اعلم **وقوله** الى اجل مسمى فى العرف فى الاسلام عند الناس ان لا يخلو عن الاجل فصار الاجل
بالعرف شرطا فى جواز السلم وان لم يوجل لان الرجل لا يسلم السلف ليوديها له الاسلاف لان الحاجة هى التى تحمله
على الاسلاف فهو انما يسلف ليؤديه فى وقت ثان لانه لو كان عنده حاضرا لا يحتاج الى غيره ولكنه يبيعه فيصل الى حاجته
ولا يحتمل المؤنة العظيمة فصار بالعرف كانه باجل فيفسد لترك بيان الاجل والله اعلم وعلى ذلك روى عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من اسلف فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم ثم امر عز وجل بالكتابة
فى التداين بقوله فاكتبوه وذلك والله اعلم لانه وصل الى حاجته بقبض راس المال والاخر لم يصل فلعل ذلك
يحمله على انكار الحق والجحود فهو كما ذكرنا فى قوله ولكم فى القصاص حيوة لانه اذا ذكر انه يقتل ارتدع
عن قتل غيره فكذلك اذا ذكر انه مكتوب عليه يمتنع عن الانكار والجحود لما يخاف ظهر كذبه وفضيحته
على الناس والله اعلم وليس كذلك بيع العين بالعين لان كل واحد منهما لا يصل الى حاجته الا بما يصل به الاخر
فليس هنالك للانكار معنى لذلك لم يؤمر بالكتابة فى بيع الاعيان وامر فى المداينات والله اعلم ويحتمل
الامر بالكتابة فى التداين وجه اخر وهو انه يجوز ان ينسى فينكر ذلك او ينسى بعضه ويذكر بعضه فامر
بالكتابة لئلا يبطل حق الاخر بترك الكتابة وليس كذلك بيع العين لذلك افترقا قال الشيخ رحمه الله والنسيان
يعقب التنازع والمنازعة توجب التخالف وفيه الفساد فامر بالكتابة لدفع ذلك وللوفاء بالحق ودفع
الخصومات والله اعلم ولا يحتمل ان يفرض الكتابة واكثر ما فيه ان يحفظ الحق وليس له تركه كذلك له
ان لا يقبضه معا ليست فى عقد او فسخ فيتكلم فيها بوجوب واختيار وانما هى احتياط للحق فله فعل ذلك والله اعلم
ثم اختلف فى الكتابة قال بعضهم هى واجبة لازمة واستدلوا على وجوبها بقوله الا ان تكون تجارة حاضرة
تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اخبر برفع الجناح فى التجارة الحاضرة فلو كانت فى المداينة
غير واجبة لم يكن لدفع الجناح فيها معنى فدل انها لازمة فى المداينة حيث رفع الجناح منها واما عندنا

فهي ليست بواجبة لانه قال عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ثم قال فان امن بعضكم
بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته ذكر الرهن بدلا عن الكتابة ثم ذكر ترك الرهن بالايتمان فاذا كان له
ترك الارتهان بالايتمان وهو بدل الكتابة فعلى ذلك له ترك الكتابة بالايتمان اذا كان اصله مفروضا لم يحتمل
ترك بدله بالايتمان فاذا كان ذلك كذلك دل انه ليس بمفروض ولا لازم والله اعلم وقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل
فهذا لان الكاتب مأمون فيؤدي حق ما ائتمن فيه لا يزيد على ما املي عليه بالنصيحة واداء الامانة وهكذا الواجب
على كل محكم بين اثنين ان يحكم بالعدل والنصيحة واداء الامانة كقوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل وكقوله يحكم به ذوا عدل منكم وكقوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله ولا يأب كاتب ان يكتب
كما علمه الله فليكتب قال بعضهم هذا وذلك ان الكتبة كانوا في صدر الاسلام قليلا فنهوا عن ترك الكتابة اذ في ذلك
بطلان حقوق الناس وذهابها واما اليوم فلا بأس بالاباء وعليها لما يجب ان يكتب له بالاجر فلا يبطل حقه
وفيه وجه آخر وهو ان قوله ولا يأب كاتب ان يكتب اي لا يأب الكاتب اذا كتب ان يكتب بالعدل اي له ترك الكتابة
لكنه اذا كتب لا يكتب الا بالعدل والله اعلم وقوله كما علمه الله هو نقض على المعتزلة لانهم يقولون يكتب وان لم يعلمه
والله عز وجل اخبر انه يكتب بتعليم الله اياه ولو كان التعليم من الله ∴ الاسباب لم يكن لقوله وما علمناه الشعر معنى
لانه قد اعطي اسبابه والعدل ما ذكرنا ان لا يزيد على الحق ولا ينقص منه واصل العدل هو وضع الشيء موضعه
وقوله وليملل الذي عليه الحق ما عليه وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا اي لا يملي على الكاتب اقل من حقه
ولا يبخس منه شيئا ففيه دلالة على ان القول قوله في قدر الحق حيث اوعد فيما يملي على الكاتب ان لا يبخس
من حق الطالب شيئا وقوله فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع • قال قائلون هذا كله
واحد السفيه والضعيف والذي لا يستطيع ان يمل وقال آخرون بل هو مختلف السفيه وهو الصغير
يملك وليه والضعيف هو المريض الذي لا يقدر ان يملي والذي لا يستطيع هو الجاهل الذي لا يعرف ان يملي
ثم اختلف في الولي قال بعضهم الولي هو صاحب الحق يملي بالعدل بين يدي من عليه الحق لئلا يزيد على ذلك
شيئا فان زاده او نقصه انكر عليه صاحبه وقال الآخرون الولي هو وصي الصغير او ذو النسب منه ثم المسألة
في الحجر قال ابو حنيفة رضي الله عنه الحجر لا يمنع عقوده وقال محمد بن الحسن لا يجوز عقوده ولكن الولي هو الذي
يتولى ذلك فاستدل بظاهر قوله فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل
هو فليملل وليه بالعدل فانما جعل الاملاء الى الولي لا اليه ولو كان يجوز املاؤه لكان لا معنى لجعل ذلك
الى غيره دل انه لا يجوز واما ابو حنيفة رضي الله عنه فانه ذهب الى انه يجوز اذا تداينتم بدين اجاز تداينه
فدل ان الحجر لا يمنع العقد عليه ولا تداينه ولان السفيه لم يستفد الاذن من السلطان انما استفاده
عن الله تعالى ولا يجوز حجر من لم يستفد الاذن منه وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم لم يجعل
الاشهاد شرطا في جواز البيع ولكنه معطوف على قوله فاكتبوه امر عز وجل بالاشهاد في البيع والتداين للمعنى
الذي ذكرنا ان ترك الاشهاد والكتابة يحمله على الانكار وجحود الحق فاذا كان هنالك شهود وكتاب يمتنع
عن الانكار لخوف ظهور الكذب ولم يصر شرطا في جواز التداين لان الاشهاد انما ذكر بعد المداينة والمبايعة وكذلك
الكتابة فهو لما ذكرنا ان الانسان من طبعه النسيان والسهو فامر بالاشهاد والكتابة لئلا ينسى ويحمله ترك
الاشهاد والكتابة على الانكار واما الامر بالاشهاد في النكاح في عقد النكاح نفسه دليله قوله لا نكاح الا بشهود
لذلك صار شرطا في عقد النكاح ولم يصر شرطا في المبايعة • ووجه آخر وهو ان الشهادة في النكاح لدفع تهمة
الزنا عنهما وقد يخرج اليه في اول الحال والحاجة الى الشهادة في البيع الى ما يتعقب فيه من توهم وقوع التنازع
اذ له بذل ملكه للآخر من غير عقد بيع وليس لها بذل فرجها له من غير عقد النكاح لذلك صار الاشهاد شرطا
في جواز النكاح ولم يكن شرطا في البيع والله اعلم وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين

فرجل

فرجل وامراتان في الاية دلالة انه من قضى بالشاهد واليمين قضى بخلاف ظاهر الكتاب وهو ايضا
خلاف السنة لان قوله واستشهدوا ليس هو الاشهاد انما هو الاحضار للشهادة اذ التحمل لا يقع في الاشهاد انما يقع
عند الاستحضار ولو كان يمينه عنه لم يأمر المرأتين هتك سترهما ولان الاية ذكرت حق القضاء في المبايعات
الواقعة والاحكام التي سبيلها لزوم الفصل بالقضاء بين اربابها فمن جعل فصل القضاء بالشاهد واليمين جعل
على خلاف ما جعله من له نصب الشرايع والحجج وقال الله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا واما مخالفة السنة فقوله
صلى الله عليه وسلم البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه فاذا اتى بشاهد واحد لم يخرج الآخر من ان يكون
مدعى عليه فاذا كان كذلك وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم حجة المدعى عليه اليمين ولم يجعل اليمين حجة
المدعي فلذلك قلنا انه المخالف لظاهر الكتاب والسنة ولان الله تعالى جعل المرأتين في حال الضرورة وهو
حال عدم الرجل مقام ذلك الرجل فلو كان يجوز القضاء بالشاهد واليمين لم يحتج الى ان يكلف النساء الخروج
الى ابواب القضاة والسلاطين لاداء الشهادة وفي ذلك هتك الستر عليهن وكشف عورتهن وتكلف القضاة
فضل التفحص في حالهن ومعرفتهن لذلك تبطل القضاء بالشاهد واليمين والله اعلم • فان قيل عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قضى به • قيل انه لم يرو انه فيم قضى في الاموال فان ثبت انه فيم قضى لكنا نقضي به ثم قال
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انه قضى بالشاهد واليمين في الامان ونحن نقضي ببعض احكام الامان بالشاهد
الواحد اذا كان عدلا واليمين باب ما يحتاط فيه اذا شهد شاهد انه امنه لم يقبل ولكن يسترق • واما الاموال
فان الاحتياط في ذلك ترك القضاء الى ان يقوم الحجة التي تزيل الشبهة من جميع الوجوه وبالله التوفيق واما شهادة
النساء فانها جائزة في الاموال وفي غير الاموال الا في الحدود خاصة فانها غير مقبولة انما اجازها في غير الحدود
لان الله تعالى ذكر التداين وذكر فيه التداين الاجل والاجل ليس بمال ثم اجاز شهادتين في التداين وفي الاجل
الذي ليس هو بمال دل ان علة جواز شهادتين ليس هو المالية نفسها واجيزت شهادتهن في الامانة فيه وهو غير
فظهرت ان علتها ليست مالية • واما بطلان شهادتهن في الحدود فلان شهادتين انما اجيزت بحكم البدل
عن شهادة الرجال والابدال في الحدود غير مقبولة نحو الوكالات والكفالات فعلى ذلك شهادتهن
لما كانت جوازها بحكم البدل لم تقبل ولانهن جعلن على السهو والغفلة ونقصان العقل والدين لقوله انهن
ناقصات العقل فاذا كان كذلك اورث ذلك الشبهة في الحدود والحدود مما يبتغى فيها الدرء لذلك لم يقبل والله اعلم
ولان شهادتهن انما ذكرت فيما يبتغى به الاعلام والاعلان لا الاسرار فعلى ذلك تقبل شهادتهن فيما يبتغى ذلك
المعنى واما الحدود وما يلزم بها ذلك انما يبتغى في ذلك الاسرار والستر لذلك قلنا بان شهادتهن تجوز
في النكاح والطلاق والعتاق لان النكاح يبتغى فيه الاعلان على ما جاء اعلنوا النكاح لذلك قبلت والله اعلم
ومعنى آخر ان الخصم اجاز شهادة النساء بالانفراد في كل شيء ما خلا الحدود والقصاص لذلك قبل بالرجال
ولان شهادة النساء اجيزت في الاصل توسيعا فلا يجوز ان يرد فيما يتوسع وتقبل فيما يضيق وامر النكاح والطلاق
في الشهادة اوسع فهو احق ان يقبل وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان
فان قال قائل كيف جاز استشهاد المرأتين عند وجود الرجلين والله اعلم امر باستحضار الرجلين عند
الحاكم للشهادة لا امر بالاشهاد عليها لذلك قال عز وجل فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان اي لا تتكلف
النساء حضور ابواب القضاة ومجلسهم لاداء الشهادة الا عند العجز عن وجود الرجال لما في ذلك هتك
استارهن وكشف عورتهن والله اعلم • والثاني ان الله تعالى ذكر امرأتين واقامهما مقام رجل فايت
والرجل الذي قامت امراتان مقامه هو فايت ابدا عن وجوده اذ له ان يشهد عدلا على ذلك الحق لذلك جازت
شهادتهن وان كانت هنالك رجلان والله اعلم • فان قيل ما الحكمة في ذكر رجلين دون ذكر العدد او ذكر واحد
قيل لوجوه احدها ذكر على قدر الاشياء ومراتبها عند الناس اذا كان امرا عظيما قطيعا لا تقبل فيه الاشهادة

عدد شهود الزنا كقوله فان لم يأتوا باربعة شهداء الآية واذا كان خسيسا سهلا عند الناس من قبل قول الفرد
حرا كان او عبدا من نحو الاستيذان للدخول على آخر ونحوه ثم الاموال وغيرها هي المتوسطة المترددة
من هذين فقبل الوسط من الشهادة ولم يقبل دونها والله اعلم ووجه آخر قيل انه ذكر ذلك عبادة لا لمعنى
المودع فيه ولكن سمعا فهو على ما ذكر لا يطلب معناه. والثالث ان الواحد لم تقبل شهادته في الحقوق بالانفراد
لانه ينتفع بها لان من صدق في قوله يتلذذ بتصديقهم اياه فعلى ذلك لم يقبل قول المدعي في دعواه وان كان
عدلا لما ينتفع بالتصديق وقبول قوله فيه فاذا كانا اثنين صار تلذذ كل واحد منهما وانتفاعه لصاحبه
فحصلت الشهادة خالصة صافية فقبلت والله اعلم. والرابع ان الانسان مطبوع على السهو والغفلة فاذا كان
فردا يخاف عليه النسيان امر بضم آخر اليه ليذكر كل واحد منهما صاحبه اذا نسيه وعلى ذلك يخرج قوله
فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى لما ذكران انهن جبلن وطبعن
على فضل السهو والغفلة امر بضم غيرها اليها اذا سهت وغفلت عنها. ثم اختلف في قوله شهيدين من رجالكم
قال اصحابنا رحمهم الله يرجع الخطاب الى الاحرار خاصة دون العبيد والكفرة اما الكفرة فلان الخطاب في الابتداء
للمؤمنين بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الآية تخرج الكفار من خطاب الآية لذلك لم تقبل شهادتهم
على اهل الاسلام واما العبيد فلم يدخلوا تحت هذا الخطاب لوجوه احدها ما ذكرنا ان ظاهر الخطاب بالاحرار
دون العبيد لما لا يملكون هم التداين والتبايع فعلى ذلك خطاب الشهادة فان قيل اليس العبيد يملكون التبايع
والتداين قيل يملكون بالاذن والتولية لا يملك انفسهم فذلك القدر من التداين وغيره يملك الكفار
ثم لم يجب قبول شهادتهم ولا دخلوا تحت ذلك الخطاب فكذلك العبيد والثاني ما قال عز وجل ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا ثم لا يملك العبيد الاجابة لكل ما دعوا الحق السادات فعلى ذلك ليس عليهم الاجابة في الشهادة
لحق السادات والله اعلم والثالث ان الله تعالى قسم الشهادة قسمة الميراث بقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
وقال في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ثم لا حظ للعبيد في الميراث فعلى ذلك لا حظ له في الشهادة والرابع
ان الشهادات تجري مجرى الولايات والتمليكات ثم لا ولاية تكون للعبد على غيره ولا تمليك فعلى ذلك الشهادة
اذ فيها ولاية وتمليك الحاكم الحكم والله اعلم وعلى هذا بطلت شهادة الكفار على اهل الاسلام لما لا ولاية لهم عليهم
والخامس ان الشهود دائرون بين حالين بين ان يصدقوا فتمضي شهادتهم وبين ان يكذبوا فيضمنوا ولما كان العبيد
اذا كذبوا في شهادتهم لم يضمنوا لان ضمان الشهادة معروف لانه لا بدل له بازاه فمن لم يكن من اهل الشهادة
دل انهم ليسوا من اهل الشهادات وعلى ذلك قلنا ان النكاح يجوز بشهادة الفاسق والمحدود في القذف وانهما
من اهل الشهادة فيه لانهما من اهل الضمان وان كانت شهادتهما ردت لتهمة الكذب في ساير الحقوق واما العبد
فليس هو من اهل الشهادة بحال للمعنى الذي وصفنا والله اعلم. والا القياس ان تجوز شهادة العبيد لانها من حق الله
دليله قوله واقيموا الشهادة لله وقوله كونوا قوامين لله شهداء بالقسط فاذا كانت من حق الله وحقوق الله
لا يختلف العبيد والاحرار فيها فيجب ان تقبل شهادتهم لكنها لم تقبل للوجوه الذي ذكرناها والله اعلم وقوله
فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان اي ان قال فتذكر احديهما الاخرى قد ذكرنا فيما تقدم انهن لما جبلن
وطبعن على فضل سهو وغفلة ضمت اليها اخرى لتذكر الشهادة اذا نسيت وفي الآية دلالة ان الرجل اذا نسي
الشهادة ثم ذكر فتذكر يجوز ان يشهد واما اذا احتبر بالشهادة ولم يتذكر لم يجز له ان يشهد لقوله فتذكر
احديهما الاخرى اذ لم يقل فتخبر احديهما الاخرى وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه دلالة ان من المسلمين
من لا يكون مرضيا ومن يكون مرضيا وكذلك فيهم من يكون عدلا ومن لا يكون عدلا دليله قوله واشهدوا
ذوي عدل منكم لو لم يكن فيهم مرضيا وغير مرضي لكان يقول واشهدوا رجلين منكم ولم يشترط
فيه العدالة والرضا وهو على المعتزلة لانهم يقولون المسلم لا يكون غير عدل ولا غير مرضي وفي الآية التي

ذكرنا دلالة ما قلنا والله اعلم وفي قوله ممن ترضون من الشهداء دلالة ان الشهود اذا شهدوا على الحاكم
بالحق وهم مرضيون عنده يجب ان يؤدي اليه حقه لانا قلنا ان قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم
امر باستحضارهم عند الحاكم فاذا كان كذلك فهو دليل ما قلنا والله اعلم وقوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا
اختلف فيه قيل لا يأب الشهداء اذا ما دعوا للاشهاد وقيل ولا يأبوا اذا ما دعوا للاداء وهذا اشبه لان الشهود
ان يقولوا احضر الخصم ههنا لنشهد عليه فانا لا نحضر المكان الذي هو فيه وليس هذا القول في الاداء
اذ الاداء لا يكون الا عند الحاكم لذلك كان اولى كقوله ولا تكتموا الشهادة ولا يجب ان يشهدهم ولا يجب ان يشهد
غيرهم والله اعلم وقوله ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله فيه دلالة جواز السلم في الثياب
لان ما يكال ويوزن لا يقال فيه الصغير والكبير ولا يكتب صغيره وكبيره انما يقال ذلك في العددي
وقوله ذلكم اقسط عند الله يقول اعدل عند الله واقوم للشهادة في الحجة وقوله وادنى ان لا ترتابوا اقرب
الى دفع الظنون والشكوك الذي يحملكم على التناكر والتنازع الذي عاقبته الفسخ ولهذا ما امر عز وجل بالكتابة
فيه والاشهاد وذكر كل صغير وكبير لئلا يقع بينهم في العاجلة تنازع وتناكر فيحمل ذلك الحاكم على فسخ العقد
بينهما وعلى ذلك نصبوا الاجل فيه شرطا لقطع وقوع التنازع والتناكر الذي حكمه الفسخ في الآخرة والله اعلم
وقوله الا ان تكون تجارة حاضرة الآية استثنى عز وجل التجارة الحاضرة بترك الكتابة والاشهاد والرهن
وغيره وذلك لما ذكرنا ان في الديون والقروض تنسى وتشتبه على الناس فلذلك امر بالكتابة فيها
والاشهاد ولا كذلك التجارات الحاضرات وعلى ذلك امر ظاهر بين الناس انهم يكتبون ويشهدون في الديون
والقروض ولم يعملوا ذلك في التجارات الحاضرات الجاريات فيما بينهم لارتفاع ما يخاف وقوعه في الديون
والقروض وخلائها عن ذلك والله اعلم وقوله تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها يقول
يدا بيد وليس فيها ايجاب القبض على المجلس وقوله واشهدوا اذا تبايعتم امر عز وجل بالاشهاد في التجارة
الحاضرة ولم يأمر بالكتابة وامر في التداين بالكتابة والاشهاد جميعا فالامر بالكتابة لمحافظة الحقوق
ومعاهدة كل قليل وكثير فيه واما الامر بالاشهاد للادب والامر بالرهن امر بالوفاء والرهن والكتابة والاشهاد
كل ذلك يمنع صاحبه عن الانكار والجحود ويذكر عند النسيان والسهو عند ذلك كله لقطع التنازع الواقع
فيما بينهما في المتعقب والله اعلم وقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد اختلف فيه قال بعضهم لا يضار الكاتب
ولا الشهيد لا يشغل الكاتب ولا الشهيد يقول له اكتب لي كذا واشهد لي على كذا وهو يجد غيره وقال
آخرون قوله لا يضار كاتب وصاحب الحق فيكتب ما لا ينبغي ان يكتب بالزيادة والنقصان وكذلك الشاهد
لا يزيد على الحق ولا ينقص عن الحق شيئا ولا يكتم الشهادة ايضا فهذا اقرب والله اعلم. فان قيل اذا كان المعنى
راجع الى ما ذكرت ان لا يزيد الكاتب ولا ينقص لا قال لا يضار بالرفع قيل انه لا يضارر فطرحت احديهما فاذا طرحت
انتصبت علامة للطرح اذ هكذا عمل الاضمار وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الاضرار ان يقول الرجل للرجل
وهو عنه غني ان الله امرك ان لا تأبى اذا ما دعيت فتضاره بذلك وقوله وان تفعلوا اي تضاروا فانه فسوق
هذا يدل على ان التاويل هو ما ذكرنا من النهي عن الزيادة والنقصان والتحريف والكتمان اذ في ذلك خروج
عن الامر والفسق هو الخروج عن الامر كقوله ففسق عن امر ربه وهو على المعتزلة وقوله واتقوا الله في المضادة
من الزيادة والنقصان والكتمان ويعلمكم الله الحكم والادب وما يحل وما لا يحل والله بكل شيء عليم حرف
وعيد وقوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة قد ذكرنا فيما تقدم في الامر بالكتابة
والاشهاد انهما والله اعلم لحفظ الحقوق ما جل منها وما دق وان لا يحملهم على الانكار والجحود ولان يذكرهم
ذلك حتى لا ينسون فعلى ذلك الامر بالرهان لئلا يؤخروا قضاء الدين ويذكروه والله اعلم ثم فيه دلالة
ان لا يجوز الرهن الا مقبوضا لان الرهن يقتضي لامرين لانه اذا كان مقبوضا محبوسا عن صاحبه عن جميع

انواع منافعه ذكره وتقاضاه لقضاء دينه واذا كان في يديه لم يتقاضاه على ذلك لذلك قلنا انه
لا يجوز الا مقبوضا والثاني انه انما يقبض ليستوفي منه الدين ولا يستوفي الا بعد القبض او يأخذ ليأخذ
الدين منه من غير بخس فيه ولا منع عنه ووجه آخر فيما لا يجوز الرهن الا مقبوضا لانه جعل وثيقة فلا جائز
ان يكون وثيقة وهو في يدي الراهن غير محبوس ولا ممنوع عن منافعه فدل ما ذكرنا من طلب الناس بعضهم
من بعض الرهون انهم طلبوا وثيقة فاذا كان وثيقة فهو انما يكون وثيقة اذا كان في يدي المرتهن محبوسا
عن صاحبه الا ترى ان الكاتب يأمر باداء الامانة اذا امن بعضهم بعضا بغير رهن فلو كان الرهن يكون رهنا
في يدي الراهن لذكر فيه اداء الامانة في الرهن ولم يكن لذكر القبض وجه لذلك قلنا ان الرهن لا يجوز
الا ان يكون مقبوضا محبوسا عن منافع صاحبه وقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن امانته فيه
دلالة ضمان الرهن دلالة استيفاء الدين من الرهن لانه انما ذكر الاداء فيما امن بعضهم بعضا بلا رهن ثم
ولم يذكر الاداء فيما فيه الرهن فلولا ان جعل في الرهن استيفاء الحق والدين والا لذكر الاداء فيه كما ذكر
في لا رهن فدل انه مضمون به اذا هلك هلك به والله اعلم وايضا قوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي
ائتمن امانته وليتق الله ربه فيه دليل لقولهم في الشركات انه يكتب اشتركا على تقوى الله واداء الامانة لان
كل واحد منهما امين في ذلك لذلك ذكر فيه تقوى الله واداء الامانة كما ذكر عز وجل تقوى الله واداء الامانة
فيما اوتمن وقوله ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه ذكر اثم القلب والاثم موضعه القلب لكنه يشيع
في الجوارح ويظهر على ما روي ان في النفس مضغة اذا صلحت صلح البدن واذا فسدت فسد البدن قال الشيخ
رحمه الله وفيه دلالة ان المأثم تتعمد القلوب بأي شيء كان فلذلك وصف القلب بانه آثم وهو كقوله يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم وكذا قوله ولكن ما تعمدت قلوبكم الاية وقوله لله ما في السموات وما في الارض هو ظاهر
ان ما في السموات والارض كلهم عبيده واماؤه ردا على قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة
بنات الله وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم في غير موضع وقوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
من استدل على نسخها بقوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لكنه لا يحتمل لانه وعد وخبر بالمحاسبة والوعد
لا يحتمل النسخ لانه خلف وبدا وذلك من جهل بالعواقب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثم اختلف فيه قال الحسن
هو على ما عزم لا على ما خطر بالنفس وكذا قوله من هم ويحتمل على التقديم والتاخير ان تخفوا ما في انفسكم او تبدوه
يحاسبكم به الله ويحتمل ايضا ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وعزمتم عليه واعتقدتم لا على الخطر فيه وحديث
النفس على ما روي من هم بحسنة فله كذا ومن هم بسيئة فكذا ليس على ما يخطر فيه وتحدث النفس به ولكن على العزم
عليه والاعتقاد وكذلك قوله ولقد همت به وهم بها همت هي به هم عزم وهو هم بها هم خطر والمرء غير مؤاخذ
بما يخطر في القلب وتحدث النفس به انما يؤاخذ على ما عزم واعتقد عليه والله اعلم وقوله فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء فيه دليل لما قلنا انه على العزم والاعتقاد عليه لما ذكرنا من العفو والعقوبة عليه وقوله آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون يحتمل
وجهين يحتمل آمن بنفس المنزل بما انزل اليه انه من عند الله وكذلك المؤمنون ايضا آمنوا بما انزل اليه انه من عند الله
ويحتمل قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه انه من عند الله بما في المنزل اليه وكان فيه ما ذكرنا آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله الى قوله واليك المصير وكذلك المؤمنون آمنوا بجميع ما في المنزل وهو ما ذكرنا وفيه دليل ان
الايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ايمان بجميع الرسل والكتب كلها والملائكة والبعث والجنة
والنار وفيه دلالة نقض قول من يشك في ايمانه ويستثني لانه عز وجل شهد لهم بالايمان فلا يخلو الاستثناء
اما ان يكون لشكهم في اثبات ما امروا او في الذي اخبر الله عنه بما كان ففيه الويل لهم وفيه دلالة نقض قول
المعتزلة لانه شهد لهم بالايمان وهم نفوا عنهم الاسم الذي شهد الله لهم به بالايمان يبدو بالذي ذكر

وكل صاحب كبيرة

وكل صاحب كبيرة مؤمن بجميع ما ذكر وقد سماهم الله به مؤمنين وشهد لهم به والله الموفق فان قيل فقد ذكر
الطاعة في آخرها قيل ذكر الطاعة في الاجابة وتلك الاجابة شهد لهم فيلزمهم ما شهد الله لهم جل وعلا بما جاء
وقوله لا نفرق بين احد من رسله يحتمل ان يكون هذا خبرا اخبر الله عز وجل عن المؤمنين انهم قالوا لا نفرق
بين احد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى وقوله وقالوا سمعنا واطعنا يحتمل سمعنا قولك ودعاءك واطعناك
في الاجابة ويحتمل سمعنا القرآن واطعناك ما فيه والله اعلم وقوله غفرانك ربنا اي اغفر لنا ربنا واليك
المصير اي المرجع وهذه جمع جميع شرائط الايمان لذلك قلنا ان الايمان بالقرآن ايمان بجميع الكتب والانبياء
والبعث وغيره وبالله العصمة والنجاة وقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها اختلف فيه قال الحسن قوله الا وسعها
الا ما يحل ويسع لكن بعض الناس يقولون هذا بعيد لا يحتمل الاية اذا كلف حل ووسع فاذا كان كذلك لم يكن
لقوله معنى قيل له هو كقوله احل لكم الطيبات اذا احل طيب واذا طيب احل فكذا الاول وقد ذكر الامرين
جميعا وتاويل ثاني الا وسعها الا طاقتها وكذلك قول المعتزلة غير انا اختلفنا في تقدم استطاعة الافعال
نفينا نحن تقدمها وقلنا لا يكون الا مع الفعل وقالت المعتزلة يتقدم الفعل واما عندنا فانها
على وجهين استطاعة الاحوال والاسباب واستطاعة الافعال اما استطاعة الاحوال والاسباب فانها
يتقدمها وعلى ذلك يقع الخطاب دليله قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قيل
يا رسول الله وما الاستطاعة قال الزاد والراحلة ثم كل يجمع ان من كان باقصى بلاد المسلمين قد تلزمه
فرض الحج على علم كل منهم ان تلك الاستطاعة لو صرفت الى استطاعة الافعال لم يسبق الى وقت وجود الافعال
ثم قد لزمه ذلك فبان ان الكلفة انما تقع على استطاعة الاحوال والاسباب وكذلك الكلفة في جميع الطاعات
فان قيل قد يقع هذا على الخروج فيوجد الفعل عقيب قوة الخروج قيل لو كان كذا لكان لا يلزم فرض
الحج الا بالخروج اذ باكتساب الخروج يلزمه فرض الحج فلا يلزم عليه فرض الحج فثبت انه لا يحتمله بل هو على ما قاله
اصحابنا رحمهم الله انها استطاعة الاحوال وتلك تتقدم لما ذكرنا والله اعلم واما استطاعة الافعال
فانها تحدث بحدوث الافعال وتتلو كالاوقات التي لا تبقى في وقت ثان فهي كالوقت الذي لا يبقى
في وقت ثان والله اعلم فان سئلنا عن التكليف يكون فيما لا يطاق فجوابنا انه فيما منعنا عنه فلا وفيما
لم يمنع وضيعنا بشغلنا بغير قبل ثم الكافر بما اعطي من القوة والاستطاعة شغل نفسه بغيره وضيع ما اعطي
من القوة فاذا ضيع لم يكن تكليف ما لا يطيق ثم ننظر اينا احق بالقول بتكليف ما لا يطاق نحن ام قول المعتزلة
ان القوة على الفعل لا توجد في الوقت الثاني ثم في الوقت الثاني جعلوه غير قادر عليه بقدرة توجد ثم جعلوه
ايضا غير قادر على الترك للفعل والمقارف عن الامر في الظاهر بشيء يفعله في وقت انه لا يقع الامر به وقت
ما يسمعه ويقرع الخطاب السمع بل في ثان من الوقت يحصل عندهم الامر على الوقت الذي هو غير قادر فيه
فاق تكليف على ∴ الطرق والوسع ابين مما قالوا وبالله التوفيق ثم الخشى هنا ما قالوا ان القدرة تتقدم
الفعل والفعل هو الذي يدل على وجود الولاية وهو في وقت ايجاد الفعل ان كان كفرا معادي وان كان
ايمانا موالي فحصل العرف على ان الموالات والمعادات ابدا تقع في غير وقت الانتهاء والايمان ثم قولهم
في قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا انه على الجبر ولا يحتمل ذلك لانه قد اوجب لكل ذلك
مرة بالجبر في الخلقة وهو قوله وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها فقد الزمهم الاسلام
بالخلقة بان ان الثاني على الاختيار ثم قولهم في استطاعة واحدة لفعلين خطأ لان من قولهم
ان الاستطاعة لا تبقى ثم وجود الفعلين معا في وقت باستطاعة واحدة محال ووجود تلك الاستطاعة
لاحد الفعلين بعدم الآخر مستحيل لعدم البقاء ووجوده عندهم على البدل محال اذ جعلوا عين ما هو
الاصل لاحدهما للآخر فثبت انه خطأ وفي قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت دلالة ان الله تعالى

انما يأمر عبيده وينهى لمنافع لهم ولضر يلحقهم لا لمنافع تكون له بالامر فيامر ويضر يلحقه فينهى عن ذلك فيكون في الامر جاز منفعة وفي النهي دافع مضرة كما يكون في الشاهد ان من امر آخر بشيء انما يامر لمنفعة تامل فيه وينهى عن شيء لدفع ضرر يخافه وتعالى الله عن ذلك وقوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قيل فيه بوجهين قيل ان نسينا يعني تركنا كقوله نسوا الله فنسيهم وكقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي اي ترك وقوله اخطانا يعني ارتكبنا ما انتهينا وقيل انه على حقيقة النسيان والخطا كانه على الاضمار ان قولوا لا تواخذنا الا ∴ ثم اختلف بعد هذا قالت المعتزلة امر بالدعاء بهذا تعبدا وتقربا اليه وكذلك قوله ربنا وآتنا ما وعدتنا الآية وكذلك امره قل رب احكم بالحق ونحوه خرج الدعاء به مخرج التعبد والتقرب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر ان لا تواخذنا بالنسيان والخطا ∴ انه لا يخلف الميعاد وكذلك معلوم انه لا يحكم الا بالحق وكذلك قوله واستغفر لذنبك وقد اخبر انه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولكنه على ما ذكرنا والى هذا يذهب المعتزلة واما الاصل عندنا فهذا انه جايز في الحكمة ان يعاتب على النسيان والخطا ليجتهد وافي حفظ حقوقه وحدوده وحرماته لئلا ينسوا الا ترى ان الله تعالى وجب على قاتل الخطاء الكفارة ثم قال توبة من الله فلو لم يجز ان يعاقب عليه لم يكن لوجوب الكفارة عليه والتوبة معنى دل انه جايز ∴ الحكمة المواخذة به والثاني قوله عز وجل وما انسانيه الا الشيطان مما يتقي ويحذر لذلك كان ما ذكر والله اعلم لانه لو اجتهد في فعل السهو والنسيان سلم عنه فجايز ان يسال السلامة عنهما اذ بالجهد يسلم عنه وبالغفلة يقع فيه والثالث ما ذكرنا ان النسيان هو الترك والخطا هو ارتكاب المنهي والتارك لامر الله والمرتكب لنهيه يستوجب العقاب عليه والله اعلم فيصح الدعا على ذلك لئلا يلحقهم العذاب بترك ذلك الامر وارتكابه المنهي فان قيل ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم رفع النسيان والخطا وما استكرهوا عليه • قيل انما جاء هذا في الكفر خاصة لا في غيره وذلك ان القوم كانوا حديث العهد بالاسلام يجري على السنتهم الكفر على النسيان والخطا وكذلك يكرهون على الكفر فيجرون على السنتهم مخافة القتل فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان ذلك مرفوعا عنهم قال الشيخ رحمه الله وبعد فان في الخبر العفو فيكون في ذلك دليل جواز الاخذ ولعل لو عده بالعفو مقرونا بشرط الدعاء فلذلك يدعون وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بهذا فاجيبت ان لا يؤمر احد ان يدعوا ابتداء والله اعلم واما قوله ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ففيه وجهان احدهما ان الله وعد والمؤمنين جملة الجنة فسال الكل منهم ان يجعله من تلك الجملة التي وعدهم الجنة والثاني يسال الختم على ما به يستوجب الموعود واما الامر بالاستغفار فهو يخرج على وجهين احدهما ما روي المؤذن يغفر له مد صوته فهو على استحباب ولتلك المغفرة به فعلى ذلك استغفار ليغفر به بعض امته والثاني ان المغفرة في اللغة هي التغطية والستر فكانه سال الستر عليه لعبد التجاوز عنه • قال الشيخ رحمه الله ثم الاصل ان الاستغفار هو طلب المغفرة فلو كان لا يجوز له التعذيب فيكون التعذيب ∴ فيصير السؤال في التحقيق سؤال ان لا يجور وذلك مما لا يسع المحنة وكذلك لو كان مغفورا له كان الحق فيه الشكر لما انعم عليه وفي ذلك كتمان النعمة والمحنة بكتمان نعم الله وكونها محال لذلك لا بد ان يمكن في الآيات مما يتمكن معه المحنة من المعنى والله اعلم • واما قوله عز وجل قل رب احكم بالحق قيل الحق ها هنا هو العذاب كانه امره ان يسال بانزال العذاب عليهم • وقيل احكم بحكمك الذي هو الحق فاذا كان ما ذكر محتملا دل انه ليس على ما ذهبا اليه اولئك والله اعلم ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا • قيل الاصر هو العهد ويقول لا تحمل علينا عهدا نعذبنا بتركه ونقضه كما حملته على الذين من قبلنا وكان من قبلهم اذا اخطوا خطيئة حرم الله عليهم على نحو ما احل لهم الطيبات كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكاصحاب الاخدود وغيرهم

رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه
شرح

ثم جايز ان يكون وعد العفو مقيدا بشرط
شرح

اي يغفر لاجله وبسبب تركه صوته بالاذان القوم الذين بلغ اليهم صوته
شرح

والمعنى انه يغفر له مغفرة طويلة عريضة على طريق المبالغة

فخاف المسلمون ذلك فقالوا ربنا ولا تحمل علينا اصرا في جرم اجرمناه فتحرم علينا الطيبات واصل الاصر الثقل والشدايد التي كانت عليهم نحو ما كان توبتهم الا امر بقتل بعضهم بعضا كقوله اقتلوا انفسكم وقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به يحتمل وجهين يحتمل ان لا تحملنا ما لا طاقة لنا به من القتل والهلاك اذ في ذلك افنا وهم وفي الفناء ذهاب طاقتهم قال الشيخ رحمه الله اي ما نشتغل ∴ عما امرتنا فيكون كالدعاء بالعصمة والله اعلم ويحتمل ان يراد به طاقة الفعل وهي لا تتقدم عندنا الفعل والله اعلم وقوله واعف عنا قيل اتركنا على ما نحن عليه ولا تعذبنا وقوله واغفر لنا وارحمنا اي استر لنا والغفر الستر ولذلك سمي المغفر مغفرا لانه يستر وستر الذنب هو اعظم النعم وقوله انت مولانا قيل انت اولى بنا وقيل انت حافظنا وقيل انت ولينا وناصرنا وقد ذكرنا هنا فيما تقدم وقوله فانصرنا على القوم الكافرين يحتمل ∴ المعروفين ويحتمل الشياطين اي انصرنا عليهم ∴

سورة آل عمران مدنية الا خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي وهو حسبي

وقوله الم الله قال بعضهم تفسيره ما وصل به من قوله الم ذلك الكتاب هو تفسير الم • والم الله لا اله الا هو تفسير الم والمص كتاب انزل عليك وجميع ما وصل به الحروف المقطعة فهو تفسيرها والله ان يسمي نفسه بما شاء وسمى نفسه مجيدا كقوله ذو العرش المجيد وسمى القرآن مجيدا كقوله بل هو قرآن مجيد وقال بعضهم حروف المقطعة هي مفتاح السورة وقال آخرون ان كل حرف منها اسم من اسماء الله تعالى ومنهم من يقول بانها من المتشابه التي لا يوقف عليها ومنهم من يقول ∴ التشبيب اذ من عادة العرب وقد مضى الكلام فيه في قوله الم ذلك الكتاب بما يكفي وقوله الحي القيوم هو الحي بذاته وكل حي سواه حي بحيوة غيره • فاذا كان هو حيا بذاته لم يوصف بالتغاير والزوال ولما كان كل حي سواه حي بغيره احتمل التغاير والزوال وكان الحيوة عبارة يوصف بها من عظم شانه وشرف امره عند الخلق • الا ترى ان الله تعالى وصف الارض بالحيوة عند نباتها لما يعظم قدرها ويشرف منزلتها عند الخلق عند النبات وكذلك سمى المؤمن حيا لعلو قدره عند الناس والكافر ميتا لدون منزلته عند الناس فكذلك سبحانه سمى حيا للعظمة وجلاله وكبريائه وعلى هذا يخرج قوله في الشهداء حيث قال ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي مكرمون معظمون مشرفون عند ربهم وقوله القيوم قال بعضهم هو القايم على كل نفس بما كسبت وقال آخرون القيوم الحافظ وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه هو القيام كله يرجع الى واحد القايم والقيوم والقيام يقال فلان قايم على امر فلان اي يحفظه حتى لا يغيب عنه من امره • وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان اسم الله الاعظم هو الحي القيوم وقوله نزل عليك الكتاب ظاهر بالحق قيل فيه بوجوه يحتمل بالحق اي هو الحق بنفسه حجة بجعوله وآية معجزة ايس العرب عن ان يعارضوه او ياتوا بمثله ويحقق عند كل انه من عند الله الا من اعرض عنه وكابر وعانده وقيل بالحق اي بالصدق والعدل وقيل بالحق الذي لله عليهم وما يكون لبعضهم على بعض ثم قال مصدقا لما بين يديه اي موافقا لما قبله من الكتب السماوية وهي غير مختلفة ولا متفاوتة وفيه دلالة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه موافقا لتلك الكتب غير مخالف لها ولو كان على خلاف ذلك لتكلفوا اظهار موضع الخلاف فاذا لم يفعلوا ذلك دل انهم عرفوا انه من الله وان محمدا رسوله لكنهم كابروا وعاندوا وقوله وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان من بعد وقال بعضهم هدى للناس اي بيانا لهم وحجة لمن اهتدى وحجة على من عمي اذ لا يحتمل ان يكون له هدى وعليه حجة فيه الهلاك انما يكون حجة له وهدى اذا اهتدى وعليه اذا ترك الاهتداء فيه انه بخلاف

حمزة والكسائي الاقيتة عنه والمفضل عن عاصم المجيد بكسر الدال والباقون برفع الدال

قال ابو معاذ رضي الله عنه حدثنا خارجة قال حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن عن ابيه عن عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انه قرا الحي القيام وهي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه كذلك

مايقوله المعتزلة وقوله وانزل الفرقان قد ذكرنا فيما تقدم انه انما سمي فرقانا لوجهين احدهما لما فرق اياته
وفرقانزاله والثاني لما يفرق بين الحق والباطل وبين الحرام والباطل وبين ما يتقى ويؤتى فعلى هذا كل كتاب
بينا فيه الحلال والحرام وبين ما يتقى ويؤتى والانجيل فيه سمي انجيلا لما يجلي وهو من الاظهار في اللغة وقيل سمي التورية
تورية من اوريت الزند وهو كذلك والله اعلم وقوله ان الذين كفروا بايات الله قيل بحجج الله وقيل كفروا بايات الله
اي بالله لانهم اذا كفروا بايته كفروا به وكذلك الكفر بدينه كفر به والبراءة من دينه براءة منه والبراءة من رسوله
براءة منه وقوله والله عزيز ذو انتقام قيل فيه بوجهين قيل ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وقيل ذو انتقام
ذو انتصار على الاعداء وقيل ذو بطش شديد وقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وهو وعيد
كانه والله اعلم قال لا يخفى عليه ما في السموات وما في الارض من الامور المستورة الخفية على الخلق فكيف يخفى عليه
اعمالكم وافعالكم التي هي ظاهرة عندكم ويحتمل اذ لم يخف عليه ما بطن وخفي في الاصلاب والضماير والارحام
فكيف يخفى عليه اقوالكم وافعالكم وهي ظاهرة الا ترى انه قال هو الذي يصوركم في الارحام اذ علم في الارحام
وصورها على ما شاء وكيف شاء وهم في ظلمات ثلاث وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء فيه دليل
نقض قول من يقول بالقايف لانه جعل علم التصوير في الارحام لنفسه لم يجعل لغيره كيف عرف القايف تصوير
الاول حتى قال انه على صورته وعلى تصويره وانه من مائه ثم اختلف في خلق الاشياء قال بعضهم يخلق
الفروع من الاصول وهن اسباب للفروع وقال اخرون يكون باسباب وبغير اسباب فان كان بعض الاشيا
يكون باسبابه نحو الانسان من النطفة الا ان النطفة تتلف فتكون علقة ثم مضغة فدل انه يخلق الخلق
كيف شاء من شيء بسبب وبغير سبب وهو القادر على ذلك وبالله التوفيق وقوله هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات اختلف فيه قيل المحكمات هن الناسخات المعمولات بهن
والمتشابهات من المنسوخات غير معمول بهن وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال اخرون المحكمات هن ثلاث
ايات في سورة الانعام قوله قل تعالوا اتل ما حرم الى قوله يتقون وما ذكر في سورة بني اسرايل من قوله وقضى
ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى اخر هذه الايات سميت محكمة لان فيها توحيدا وايمانا بالله وغيره من المتشابه
ثم قيل بعد هذا بوجوه قيل المحكمات هي التي يعرفها احد اذا نظر فيها وتامل فيها والمتشابه هو المبهم الذي يعرف
عند البحث فيه والطلب وقيل المحكمات ما يوقف ويفهم مراده والمتشابه هو الذي لا يوقف البتة بعد ما قضى
حوايج الخلق من البيان في المحكم منه ولكن يلزم الايمان به وهو من الله محنة على عباده ولله ان يمتحن خلقه بما شاء
من انواع المحن لانها دار محنة وغيرها مما لا يفهم مرادها ويحتمل ان يكون المحكمات هن ما ظهر لكل احد من اهل
الاسلام حتى لم يختلفوا فيها والمتشابه هو الذي اشتبه على الناس لاختلاف الالسن فاختلفوا فيها ولم يؤدي
ظاهره الى غير ما يؤدي باطنه فتعلق بعضهم بالظاهر فقالوا به وتعلق اخرون بالباطل لما رأوا ظاهره
جورا وظلما او تشبيها على اتفاقهم على نفي الجور والظلم عنه ويجوز ان يوقف على المتشابه بمعرفة المحكم وقال
اخرون المحكم هو الواضح المبين فلو كان على ما قالوا لم يكن لاختلاف الناس فيه وادعاء كل ان الذي هو عليه
هو المحكم لانه لو كان ظاهرا مبينا لتمسكوا به ولم يقع بينهم اختلاف وفيه دليل ونقض على المعتزلة لانهم يقولون
بالاصلح في الدين انه لا يفعل الا ذلك ثم لم يتبين لهم المحكم من غير المحكم ولو تبين كان اصلح لهم في الدين فدل
ان الله عز وجل قد يجوز ان يفعل بهم ما ليس باصلح لهم في الدين امتحانا وابتلاء منه والله اعلم لكن لا يخرج
من الحكمة ثم ما قالوه في الامر حق ان لا يأمر الا ان يفعل بهم ما ليس باصلح لهم في الدين امتحانا وابتلاء منه لكن
لا يخرج من الحكمة ثم ما قالوه في الامر حق ان لا يأمر الا بالطاعة له فيه الاصلح وقد يفعل ما هو حكمة في حق المحنة
وان كان غير ذلك اصلح لهم في الدين بمعنى اقرب وادعى اليه والله الموفق وقال قوم المحكم ما في العقل بيانه
والمتشابه ما لا يدرك في العقل وانما يعرف بمعونة السمع وقال قوم لا متشابه فيما فيه احكام من امر ونهي

وحلال

وعلى ما يقوله المعتزلة الهداية البيان يكون هدى في حق الكل وهذا محال شرح

ثم قولهم فعلت اي اخترعته فلهذا سمي به لانه ظاهر ومظهر الحق

لانها يستغنى بها كما هو بالوري

القايف هو الذي يتبع آثار الاباء في الابناء من قولهم قاف اثره اذا اتبعه

قال ابن عباس رضي الله عنه المحكمات قوله تعالى قل تعالوا اتل الى الثلاث وهن ام كل كتاب انزل وساير الايات في الاوامر والنواهي كالاحكام عين المعاني

وحلال وحرام وانما ذلك فيما ليس بالناس حاجة الى العلم به نحو الانباء عن منتهى الملك وعن عدد الملوك
وعن الاحاطة بحقيقة الموعود ونحو ذلك ولا قوة الا بالله لكن امكن ان يكون سمي متشابها بما تشابه على اولئك
القوم حقيقة ما داموا عن الوجه الذي طلبوا وقد بينا الخوض في امر المتشابه وما يجب في ذلك من القول وبالله
العصمة والنجاة وقوله هن ام الكتاب يحتمل وجهين يحتمل ام الكتاب اي اصل الكتاب ويحتمل ام الكتاب اي المتقدم
على غيرها وعلى هذا يخرج ام القرى اعني مكة لانها هي المتقدمة على غيرها من القرى ويحتمل هي اصل القرى
كما سمي فاتحة الكتاب ام القران لانها اصل او لانها هي المتقدمة على غيرها من السور والله اعلم ويحتمل قوله
هن ام الكتاب اي مقصود الكتاب يعني المحكمات والمتشابه بما فيه شبهة من غيره فيتشابه كقولهم ان البقر
تشابه علينا وكذلك المشكل سمي مشكلا لما يدخل فيه شكل من غيره فسمي مشكلا فكذلك المتشابه يدخل فيه
شبه غيره فصار متشابها والله اعلم وقوله عز وجل فاما الذين في قلوبهم زيغ قيل ميل عن الحق
وقيل الزيغ هو الريب والشك فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ولو كان ثم اتباع لعذروا اذ الاتباع
للشيء اتباع ما فيه من المراد وعلى هذا يقولون في قوله يتلونه حق تلاوته اي يتبعونه حق اتباعه وكذلك
قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم والمتشابه قد انزل الينا من ربنا فيجب متبعه في الحقيقة فثبت انه لم يكن
ثم اتباع في الحقيقة وانه لو كان لعذروا ولكنه كان والله اعلم اتباع الاراء في التاويل بالاراء الفاسدة
الا ترى انهم طلبوا بالتاويل منتهى ملك هذه الامة وفي الوقوف عليه وقوف على علم الساعة وسبب
القيامة وذلك علم لم يطلع الله الرسل على ذلك فضلا ان يطلع عليه غيرهم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل
ان يكون اتباعهم نظرهم فيما يقصر افهامهم عن الادراك في الوقوف عليه ولو كان نظرهم في المحكم من ذلك
لكان لهم في ذلك بلاغ وكفاية فيما اليهم به حاجة ولا قوة الا بالله قال الشيخ رحمه الله في قوله فاما الذين
في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وذلك همتهم وكان ذلك اعتقادهم فان كان المراد من ذلك في الكفرة
فهو الاول وان كان في اصحاب الهواء من الذين يدينون دين الاسلام فهو الثاني وكذلك نجد كل ذي مذهب
في الدين ممن اعتقد حقيقة الامر في قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقوله ان هذا القران يهدي للتي
هي اقوم الاية وقوله ان هذا القران يقص على بني اسرايل الاية يتعلق بظاهر الاية يدعي انها محكمة بما عنده
انه الحق بعد ان اجهد نفسه في طلب الحق ويسوي غيره ذلك عليه فان كان على ذلك محققه التسليم
لما عليه توارثت الامة ظاهرا على ما روي عن نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه اخبر عن تفرق الامة
ثم اشار المتمسك الى ما عليه هو واصحابه رضي الله عنهم فعلى ذلك امر المتوارث يجب جعله محكما وبيانا
اختلف عليه ولا قوة الا بالله ويكون المبتدع في ابتغاء تاويله يريد التلبيس على من لزم تلك الجملة
وكذلك لاهل جملة الدين من فرع عليه كذا التنازع وترك الاشتغال بتاويل ما اعترضه لكان متبع
المحكم عند الامة معطيا المتشابه حقه ولا قوة الا بالله وان كان هو الاول فقد ذكران ذلك في استخراج
منتهى ملك هذه الامة وان نهاية الساعة والعلم به لم يطلع عليه الرسل فضلا عن دونهم او كان
ذلك في اشياء يقصر عقول الضعفاء عن الاحاطة بذلك يريدون بذلك التلبيس على العوام واهل النفاق
فاخبر عز وجل بما ذكرنا انه لا يعلمه الا الله كان فيما ذلك يعلم غيره اولى فان كان اطلعه فبالله علم
لا ان في العقول بلوغ ذلك ومعنى الاتباع ما قد بين وقوله فيتبعون ما تشابه منه اي من القران
يقول ما اشتبه حسابهم ابتغاء الفتنة وقيل الفتنة الكفر ويحتمل الفتنة المحنة اي يمتحنون اهل الاسلام
وقوله وابتغاء تاويله يقول وابتغاء تاويل منتهى ما كتب الله عز وجل لهذه الامة من الملك لهم
والوقت واصل التاويل هو المنتهى قال الله تعالى وما يعلم تاويله الا الله اي ما يعلم منتهى ملك الامة
الا الله ثم المتشابه ان كان مما يوقف فيه فهو وان كان مما يعرفه اهل المعرفة ويعلم بالواضح فهو وصل

ليس المراد من الاتباع بطريق الحقيقة اذ لو كان كذلك لعذروا

الى التمسك لما هو عليه شرح

هذا ان كل ذي مذهب في الاسلام يدعي على خصمه بما ذهب اليه من الحجاج بالايات الوقوع في المتشابه ولنفسه
الوقوع في الواضح وعنده ان ما ذهب اليه هو الحق فلا فرق بين ان يدعي عليه ذهابه الى غير الحق او تعديه
الى المتشابه وترك الواضح فسبيل مثله التفحص والبحث عما ذهب اليه ان جاء بشيء يضطر العقل الى قبوله سلم له
ما جاء به والا لخصمه منه في دعوى مثله بالوقوع له في المتشابه بمجرد دعواه وقوله وما يعلم تاويله
الا الله قال قوم موضع الوقف على قوله والراسخون في العلم ثم ابتدا فقال يقولون امنا به كل من عند
ربنا يقولون بما قالوا امنا به بما عرفنا وذلك جائز في اللغة يقول بمعنى قال وقال اخرون موضع الوقف
على قوله الا الله ثم استانف الكلام فقال والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا المحكم والمتشابه
وغيره قيل الراسخون هم المتدارسون وقيل المثابتون رسخ بمعنى ثبت وقيل الراسخون النابجون يقال
رسخ في العلم ونبج فيه فان قيل ما الحكمة في انزال المتشابه قيل اذا كان مما يعلم فهو يحتمل وجهين يحتمل ليعلم
فضل العالم على غير العالم ويحتمل ان جعل عليهم طلب المراد فيه والفحص عما اودع فيه وان كان مما لا يعلم
يحتمل المحنة امتحنهم في ذلك بالوقف فيه اذ الدار دار محنة ولله ان يمتحن عباده بجميع انواع المحن وقوله
وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يتعظ الا اولوا الحجى والعقل وقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فيه وجهان
على المعتزلة احدهما انه اضاف الزيغ الى نفسه وهو حرف مذموم عند الخلق اذا قيل فلان ازاغ فلانا عن الحق
فاذا اضاف الله عز وجل الى نفسه حرف الزيغ دل ان فيه معنى سوى ظاهره حتى جاز اضافته اليه
وهو ان خلق منهم فعل الزيغ وكذلك هذا في الضلال واضاف ايضا الهداية الى نفسه بقوله بعد اذ هديتنا
فلو كان الهدى البيان على ما يقول المعتزلة لجاز ان يضاف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ هو مبلغ البيان لانه بعث مبينا معلما فاذ لم يجز ذلك دل ان فيه معنى سوى البيان وهو التوفيق
والعصمة حتى جاز اضافته اليه ولا يجوز الى غيره والله الموفق والثاني انهم سالوا العصمة عن الزيغ
والضلال فلو كان عليه ان يفعل وان يبذل لهم العصمة لم يكن للسؤال عن ذلك معنى دل انه مفضل فيه
يبذل ذلك لهم والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله ربنا لا تزغ قلوبنا الاية فيه وجهان انه لو لم يكن
الا الاصلح في الدين فتركه جور فالعوذ بربنا لا تزغ قلوبنا لا يخلو اما ان يكون الازاغة اصلح له وهو
يدعوا بان يجور او لا يكون اصلح فهو يدعوا بانه لا يجوز ومحال الدعاء به على خوف الجور ومن خاف جور
الخالق فهو غير عارف به والثاني ان الداعي فيما جبل عليه الخلق يدعوا على ان الله لو اجابه لكان لا يزيغ
قلبه وكذلك سؤال العصمة والهداية ولهذا يؤمر به ايضا ولو كان يكون معه زيغ لكان لا فضل في الامر
بين الدعاء بالازاغة وان لا تزغ اذ الخوف مع الامرين قايم والله الموفق وفي ذلك ايضا وجهان اخران احدهما
احدهما ان الازاغة اذا اضيفت الى احد خرجت مخرج الشتم له والتعيير ثبت ان فيما اضيفت الى الله تبارك وتعالى
معنى ليس فيما اضيفت الى غيره وهو والله اعلم ان الازاغة من كل احد فعل هو زيغ بنفسه فيه ذم وزائغة
ليست فيكون فيه ان خلق فعل الزيغ ليس بزيغ وان كان فعله زيغ والله اعلم وفيه ان خلق الشيء ليس هو
ذلك الشيء وانه يكون من الله ما يوصف بالازاغة ويصير لديه الاخر زايغا ولا شيء يوجد يكون كذلك سوى
خلق فعل الازاغة من العبد والله الموفق والثاني قوله بعد اذ هديتنا ولو لم يكن من الله في الهداية سوى
البيان لكان يصح ذلك لكل كافر ويجوز الامتنان الى الرسل فاذ لم يصح ذلك ولم يجز ثبت ان ثم فضل وهو
خلق فعل الهداية او التوفيق الذي معه الاهتداء لا محالة وبالله التوفيق والمعونة وقوله وهب لنا من لدنك
رحمة والرحمة يحتمل وجوه يحتمل الهدى والاسلام اذ به يستفاد ويحتمل الجنة ويحتمل انهم سالوه كل رحمة
قال ابو بكر الاصم الرحمة السعة في الدنيا والثواب في الاخرة وقوله انك انت الوهاب فهو على قول المعتزلة
ليس بوهاب لان الوهاب هو المفضل الذي يهب ويبذل ما ليس عليه وهو على قولهم عليه ان يعطي الخلق كل ما هو

اذ به يستفاد اثار الرحمة من المغفرة والنجاة من العذاب والوصول الى النعم الدائم شرح

اصلح لهم

اصلح لهم في الدين فالاية تكذبهم وترد عليهم قولهم الوحش في الله يتعالى عن ذلك علوا كبيرا ويحتمل هب لنا
ما يستوجب به الرحمة وهو عمل الخير كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين وقوله ربنا انك جامع الناس ليوم
لا ريب فيه فيه اقرار بالايمان والبعث بعد الموت وقوله ان الله لا يخلف الميعاد في هذا خاصة ان يراد به القيامة
والبعث ويحتمل لا يخلف الميعاد في كل شيء مما يصيب الخلق من الخير والشر والفرح والحزن والاسف يقولون
انه كان بوعد ووعيد وانه كان مكتوبا عليهم ولهم وانه لا يكون على خلاف ما كان مكتوبا عليهم ليصبروا على الشدائد
والمصايب فلا يجزعوا عليها ولا يحزنوا وليشكروا على الالاء والنعماء ولا يفرحوا عليها وهو كقوله لكيلا تاسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم وقوله ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وذلك انهم
كانوا يستنصرون باولادهم واموالهم في الدنيا ويستعينون بهما على غيرهم فظنوا انهم يستنصرون بهم
في الاخرة ويدفعون بهم عن انفسهم العذاب وهو كقولهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
فاخبرهم الله عز وجل ان اموالكم واولادكم لا تغني عنكم من عذاب الله شيئا وقوله واولئك هم وقود النار
اي حطب النار فهو والله اعلم ان الانسان اذا وقع في النار في هذه الدنيا لا يحترق احتراق الحطب ولكنه يذوب
ويسيل منه الصديد فقال الله عز وجل انهم يحترقون في النار في الاخرة احتراق الحطب لا احتراق الانسان
في الدنيا لانها اشد بطشا واسرع اخذا واطرف احتراقا وعلى هذا يخرج قوله والله شديد العقاب ليس كعذاب
الدنيا انه على الانقضاء والنفاد ولكن على الدوام فيها والخلود ابدا الابدين فنعوذ بالله منها وقوله كداب
ال فرعون قيل كاشباه ال فرعون وقيل كعمل ال فرعون وكصنيعهم وكله واحد ثم يحتمل بعد هذا وجهين
يحتمل صنيع هؤلاء وعملهم بك كصنيع ال فرعون ومن كان قبلهم بموسى في التكذيب والتعنت ويحتمل بصنيعه
هؤلاء بما يلحقهم من العذاب بالتكذيب والتعنت فالحق اولئك من العذاب بتكذيب الرسل وتعنتهم والله شديد
العقاب قد ذكرناه وقوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد وهذا والله اعلم في قوم
قد علم عز وجل انهم لا يؤمنون ابدا لذلك قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ان قل لهم ستغلبون وتحشرون
الى جهنم الاية والا فلا يلحقه ذلك الوعيد والله اعلم لان من الكفار من يسلم ومن لا يسلم وقوله قد كان لكم اية
في فئتين التقتا فيه فان قال قائل ما في فئة قليلة وهي فئة اهل الاسلام في فئة كثيرة وهي فئة المشركين
حيث غلبت فئة المسلمين وهم قليل فئة المشركين وهم كثير يوم بدر وقد يكون لاهل الكفر اذا كانوا قليلا
فغلبوا على اهل الاسلام اية قيل ليست الاية في الغلبة خاصة لكن الاية فيها والله اعلم في غيره من وجوه
احدها ان غلبة المسلمين مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم وخروجهم لا على وجه الحرب والقتال المشركين
مع قوة ابدانهم وكثرة عددهم فاستعدادهم للحرب وخروجهم على القتال اية وعلم العدو ان ليس لهم
فئة ولا لهم رجاء المدد وان لا غياث لهم من البشر وذلك اية الجراءة وعلامة الشجاعة ومعاد امن والله علم
والثاني ان ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ كفا من تراب فرماه على وجوههم وقال شاهت الوجوه
فامتلات اعينهم من ذلك وعموا حتى انهزموا فصار اية والثالث ما قيل ان ابا جهل قام فدعا فقال اللهم احق
ديننا واوصل رحما فانصره واجعل الغلبة والهزيمة على الاخر فاستجيب فكانت الغلبة والهزيمة عليهم فكان اية
والرابع ما اعان الملائكة المسلمين وبعثهم الله عز وجل مددا لنصرة المؤمنين على الكافرين يوم بدر فذلك اية ووجه اخر
ما ذكرنا وهو ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا خرجوا شبه العير بغير سلاح غير مستعدين
للقتال على علم منهم بذلك واولئك خرجوا مستعدين لذلك وكان ما ذكروا والله اعلم قال الشيخ في ذكر القليل
في الاعين من الجانبين اية عظيمة اذ هي حسية والحواس تؤدي عن المحسوسات حقايقها فجعلها الله بحيث لا تؤدي
لما قال ليقضي الله امرا كان مفعولا فيحتمل ان يكون المراد مما ذكر من الاية في امر الفئتين هذا والله اعلم وقوله
يرونهم مثليهم راي العين وفي بعض القراءات ترونهم بالتاء يرى المؤمنون اولئك مثلي انفسهم لا اكثر وهم كانوا

والامر الكفار من يسلم فلا يلحقه هذا الوعيد فلا يمكن اجراء الوعيد على الاطلاق ما يقتضي الخلف شرح

يقال شاه يشوه شوها وشوه شوها اذا قبح ورجل اشوه وامراة شوهاء ويقال للخطبة التي لا يصلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم شوهاء

ثلاثة امثالهم على ما روى في العقبة وهذا لما جعل الحق عليهم قيام الواحد من المسلمين بالاثنين منهم مع ضعفهم لجهدهم في العبادات وبلوغهم الغاية من احتمال الشدايد والمشقات اخبر عز وجل بمعرفتهم امر اهل الحرب وشدة رغبتهم في تعلّم ما يحتاجون في الحرب والقتال ولهذا قالوا ان الله عز وجل علم المؤمنين جميع ما يحتاجون في الحرب من الاداب وغيرها في الكتاب وغيرها في الكتاب كقوله اذا لقيتم فئة فاثبتوا امرهم بالثبات ثم قال فلا تولوهم الادبار وقال فلا تنازعوا فتفشلوا فجعل التنازع الواقع بينهم على اختلاف بعضهم بعضا سببا الهزيمة فنهيه امر بالاجتماع وجعل التدبير واحدا ذا الطاعة لامامهم وقوله ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وانما كان عبرة لما ذكرنا من خروج المؤمنين بقلة عددهم وضعف ابدانهم بلا استعداد للحروب والقتال انما هو خروج شبه العير وخروج اولئك بالعدة مع قوة ابدانهم وكثرة عددهم وطمع المدد لهم ولم يكن للمسلمين ذلك في مثل غلبة المؤمنين الكافرين والظفر بهم والنصر لهم عليهم على الوصف الذي وصفناهم عبرة وآية لاولي الابصار والعبر وقوله زين للناس حب الشهوات اي حب الشهيات من النساء والبنين وما ذكر الى آخره قال الحسن والله ما زينها الا الشيطان اذ لا احد ادم بها ولا مثلها من الله تعالى واليه يذهب المعتزلة لكن الاصل في هذا ونحو امثاله ان الله عز وجل زين هذه الاشياء والتزيين من الله سبحانه وتعالى يقع لوجهين وكذلك الكراهة ايضا تقع لوجهين تزين في الطباع والطبع يرغب فيما يتلذذ ويشتهي وان لم يكن في نفسه حسن وتزين في العقل فلا يتزين في العقل الا فيما ثبت حسنه بنفسه او الامر وجاء العاقبة ونحو ذلك ثم جعل العقل مما تعالى له راغبا يرغب اليه الطبع ويميل لان الطبع ابدا يميل ويرغب الى ما هو الذي اشتهى ولخفة عليه وينفر عما يضره ويؤلمه والعقل لا ينفر الا عما هو القبيح في نفسه ويرغب فيما هو الحسن في نفسه وعلى ذلك يخرج قوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ليس على كراهة العقل ولا على شهوة العقل لكن على كراهة الطبع وشهوته وكذلك قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم ليس على كراهة الاختيار ولكن كراهة الطبع لان كراهة العقل كراهة الاختيار وكذلك رغبة العقول رغبة الاختيار وبها تجري الكلفة اعني على اختيار العقل لا اختيار الطبع بما يميل ويرغب في الالذ وينفر عن المضار دليله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اخبر انهم لا يؤمنون ما وجدوا في قضايه حرجا فدلت الآية ان الخطاب والكلفة انما يكون على اختيار العقل وكراهيته لا على اختيار الطبع لذلك قلنا انه يجوز التزين في الطبع من الله تعالى وكذلك الكراهة في الطبع مكره من الله تعالى فاما قولهم ان الشيطان هو الذي زينها فان عنوا انه يزينها لهم اي يرغبهم ويدعوهم اليها ويريهم زينتها فنعم وان عنوا انه يزينها بحيث نفسها لهم فلا لان الله تعالى وصف الشيطان بالضعف ونفى عنه هذه القدرة بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا فلو جعلنا له التزين لهم على ما قالوا لم يكن كيده على ما وصفه عز وجل بالضعف ولكن كان قويا ولكنه يدعوهم اليها ويرغبهم فيها ويريهم المزين لهم ثم دعاؤه اياهم وجهته في ذلك وهو من حيث ما لا يطلع عليه بقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فالعدو الذي يرى هو من يعاديه ولا يرى هو كان يجب ان يكون الخذ منه واخوف ممن يرى ووجه آخر ان الشهوات التي اضاف التزين اليها الاخلاق بينهم في انها مخلوقة لله تعالى فما بقي للشيطان الا الدعاء اليها والترغيب فيها وفيه وجه آخر انه لو لم يجعل هذا من تزيين الله تعالى زال موضع استدلال الشاهد على الغايب وبالدنيا على الآخرة قد جعل ما في الدنيا نوعين مستحسنا ومستقبحا وجعل ذلك عيارا لما وعد وواعد فلما لم يكونا منه لم يصح موضع التغيير لانه جل وعلا بلطفه سخر كل مرغوب في الدنيا ومدعو اليه من جوهره في الآخرة وحسنه ليرغب الناس هذا الى ما في الجنة بحسنه ولطفه وزينته ويدعوهم الى ترك ما في الدنيا من الفاني الى النعيم الدايم ابدا فلو جعل هذا من تزيين الشيطان لعنة الله ومصنوعه لهم يذهب عظيم موضع الاستدلال الذي ذكرنا فدل انه من تزيين منه عز وجل تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم امتحنهم الله عز وجل بترك ما زين لهم في الطباع بما ركب لهم من العقول الوافرة ليختار واما حسن في العقول وتزين على ذلك

حيث نفسها حقيقة الشيطان قد ذكر احداث للنفس والتزيين فلا شرح

عن

جرت الكلفة والخطاب لا لما تميل اليه الطباع وتنفرت عنه العقول وبالله التوفيق ثم في الآية دلالة وجوب الحق في كل ما ذكر في الآية من المال وكذلك الخيل واما في النساء عليهم النفقة وكذلك البنين واوجب في الذهب والفضة حقا ثم ذكر الخيل المسومة ان كان المراد منه جعلها سايمة لذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه ان في الخيل صدقة ثم اختلف في المسومة قال بعضهم هي المسيبة الراعية وقال الآخرون هي المعلمة وعن ابن عباس رضي الله عنه المسومة الراعية وقال غيرهم المطهمة وهي الحسنة ثم اخبر ان ما ذكر في الآية هو متاع الدنيا امرهم بترك ذلك واخبر ان لهم عنده حسن المآب ان هم تركوا ما امتحنوا ثم قال من اتقى في الدنيا خير له من ذلك بقوله قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار الى آخره ثم اختلف في القناطير المقنطرة منهم من قال الف ومايتا اوقية ومنهم من قال اثنا عشر الفا ومنهم من يقول سبعون الف دينار ومنهم من يقول ملء مسك ثور ذهبا وفضة ومنهم من يقول لكل ماية قنطار من كل شيء وهو اسم المال العظيم الكثير لا ندري ما مقداره وليس لنا الى معرفة قدره حاجة ولا فايدة انما الحاجة الى معرفة الرغبة فيما كثر من المال اذ ليس قد راحق بان يحمل عليه الرغبة تمام الامر والله اعلم وقوله خالدين فيها وازواج مطهرة من الآفات كلها من الاخلاق السيئة والاقذار والعيوب كلها وقد ذكرنا فيما تقدم وفي صدر السورة قال وكل اهل الجنة مطهرة من جميع المعايب لان العيوب في الاشياء علم الفناء وهم خلقوا للبقاء الا ان اهل الذكر جرى للنساء لما ظهر في الدنيا من فضل المعايب والاذى وقوله الذين يقولون ربنا اننا آمنا الآية قد رضي منهم بهذا القول وفيه تزكية لهم ولو كان الايمان جميع الطاعات لم يرض منهم التزكية بها وقد اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان للذين اتقوا عند ربهم في الجنة خير من هذا الذي زين للناس في الدنيا من النساء وما ذكر الى آخره وقوله للذين اتقوا يحتمل اتقوا الشرك ويحتمل الذين اتقوا الفواحش والمعاصي كلها وقوله الصابرين قيل الصابرين على طاعة الله وقيل الصابرين على اداء الفرايض وقيل الصابرين على المرازي والمصايب والشدايد والصبر هو حبس النفس عن جميع ما تهوى وتشتهي وقوله والصادقين قيل في ايمانهم وقيل الصادقين بما وعدوا وقيل الصادقين في جميع ما يقولون ويخبرون والمنفقين يحتمل الانفاق ما لزم من اموالهم من الزكوات والصدقات ويحتمل المنفقين المؤدين حقوق بعضهم بعضا من حق القرابة والصلة والقانتين قيل القانت الخاضع وقيل القانت المطيع وقيل الخاشع وكله يرجع الى واحد واصله القيام وكل من قام لآخر كان مطيعا وخاشعا وخاضعا ومقرا وقيل القانت المقر كقوله كل له قانتون اي مقرون وقال قتادة الصابرين الذين صبروا على طاعة الله وصبروا على محارمه والصادقين الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم صدقا في السر والعلانية والقانتين المطيعين والمستغفرين بالاسحار والمنفقين يعني نفقة اموالهم في سبيل الله والمستغفرين بالاسحار قيل المصلين بالاسحار وقيل المصلين في اول الليل والمستغفرين في آخره واصل الاستغفار طلب المغفرة مما ارتكب من المآثم على ندامة القلب والعزيمة على ترك العود الى مثله ابدا ليس كقول الناس نستغفر الله على غير ندامة القلب واصل الاستغفار في الحقيقة طلب المغفرة بأسبابها ليس ان يقول بلسانه اغفر لي كقول نوح استغفروا ربكم امرهم بالتوحيد ثم اخبر عز وجل ان الجنة هي للصابرين والصادقين الى آخر ما ذكر والله اعلم وقوله شهد الله انه لا اله الا هو قيل فيه بوجوه قيل شهد الله شهادة ذاتية اي هو بذاته لا اله الا هو وفي ذاته ما تليق الشهادة بمثله له من الالوهية والربوبية وليس ذلك في ذات غيره وبالله العصمة وقيل شهد الله عز بما خلق من الخلايق انه لا اله الا هو اي خلق من الخلايق ما يشهد خلقته كل احد على وحدانيته والهيته لو نظروا في خلقتهم وتدبروا فيها وكذلك الملائكة واولوا العلم شهدوا انه لا اله الا هو على تأويل الاول وعلى تأويل الثاني ان خلقة الملائكة واولوا العلم يشهد على وحدانيته فشهدوا واعلم ذلك لا الجهال فانهم لم يتأملوا في انفسهم ولا يتفكروا في انفسهم فلم يشهدوا به لانه امر الرسل والانبياء عليهم السلام بان يقولوا لا اله الا الله

المطهم البارع الجمال التام الخلق شرح

القناطير المال شرح

كالمرض للتزكية لساير الطاعات فيكون لا حجة على من جعل الطاعات من الايمان شرح

ان ذاته شاهد بصفاته على انه الاله دون غيره اذ هو موصوف بصفات الكمال منزه عن سمات النقص متعال عن جميع معاني من سواه من المتعالي الى القواطع لهم حتى سمي المربوب وصيرت كل شيء في الحقيقة له عند ما له الدلالات الصادقة على ذلك كذا شعر شاهد على حدث نفسه لاقتران دلايل الحدث به شرح

نقوله وامره به شهادة منه ويحتمل شهادة القول كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي وذلك من الله ه
الربوبية ومن الخلق العبودية له فيجب ان يعرف الربوبية من العبودية ففيه دلالة خلق الايمان فمن قال انه غير مخلوق
ولم يعرف ذا من ذاك وبالله التوفيق • وقيل شهد الله اي علم الله انه لا اله الا هو وكذلك علم الملائكة واولوا العلم انه
لا اله الا هو فان قيل لنا ملحد كيف صح وهو دعوى قيل لان دعوى من ظهر صدقه في شهادته اذا شهد وهو معبود
وهو بما ادعى من الالوهية والربوبية اذا لم يستقبله احد ظهر صدقه وقهر كل مكذب له في دعواه وبالله النجاة
وقوله قايما بالقسط اي حافظ ومتولي كقوله قايم على كل نفس بما كسبت اي حافظ لها ومتول كما يقال فلان قايم
على امر فلان اي حافظ لامره ومتعاهد لاسبابه • وقال الشيخ رحمه الله وقيل هو عادل اي لا يجوز لان ثم معنى
القيام كقوله قوامين بالقسط مقسطين لان ثم للقيام فيه معنى يسبق الوهم اليه والله اعلم وقوله ان الدين عند الله
الاسلام قال قايلون ان الدين الذي هو حق من بين الاديان هو الاسلام لان كل احد منهم حماد ان دينه الذي
انه هو دين الله الذي امر به الامر من عند الله هو الاسلام لانهم كانوا مع اختلافهم مقرين بالايمان لكن بعضهم
لا يقرون بالاسلام فاخبر عز وجل ان الدين الذي امر به وفيه التوحيد هو الاسلام وغيره الا يرى انه قال ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما اخبر عز وجل ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام ليس على دين
سوى دين الاسلام والاسلام هو الاخلاص على ما ذكرنا فيما تقدم • وعن ابن عباس رضي الله عنه قال شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة شهدوا واولوا العلم ان الدين عند الله الاسلام وانه قايم بالقسط والقسط
هو العدل في جميع القرآن وقوله وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يحتمل وجهين يحتمل الاختلاف التفرق اي تفرقوا
في الكفر كقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الاية ويحتمل الاختلاف نفس الاختلاف في الدين كقوله ولكن
اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر اخبر انهم اي لم يختلفوا من جهل ولكن عن علم وبيان كقوله الا من بعد
ما جاءهم العلم وجهين ثم يحتمل قوله الا من بعد ما جاءهم العلم اي لم يختلفوا الا من بعد ما علموا وعرفوا
ويحتمل لم يختلفوا الا من بعد ما اتوا اسباب ما لو تفكروا وتدبروا لوقع العلم لهم بذلك والبيان لكنهم
تعنتوا وكابروا فاختلفوا ثم في الاية دليل ان لا يجوز ان يفسر قوله وجاء ربك وقوله الا ان ياتيهم الله في
ونحوه والانتقال من حال الى حال ومن مكان الى مكان لانه ذكر مجيء العلم والعلم لا يوصف بالمجيء ولا ذهاب
وكذلك قوله قل جاء الحق وزهق الباطل ذكر مجيء الحق وزهوق الباطل فهما لا يوصفان بمجيء الاجسام وذهابهم بالانتقال
والتحول من مكان الى مكان ولا يعرف ذلك ولا يصرف اليه فعلى ذلك لا جايز ان يصرف قوله وجاء ربك واستوى
على العرش ونحوه الى المعروف من استواء الخلق ومجيئهم تعالى عن ذلك قال والمجيء لا يكون من الانتقال خاصة
بل يكون مرة ذاك واخرى غيره وكذلك الاتيان والله اعلم وقوله بغيا بينهم قيل حسدا بينهم لانهم طمعوا ان يبعث
الرسول صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل على ما بعث ساير الرسل بعد اسرائيل منهم فلما بعث من غير بني اسرائيل
حسدوه وخالفوا دينه الاسلام ويحتمل بغيا من البغي وهو الجور وقوله ومن يكفر بايات الله اي من المختلفين
فان الله سريع الحساب كانه على الاضمار ان قل يا محمد ومن يكفر بايات الله من بعد ما جاءهم العلم والبيان فان الله
سريع الحساب وله ثلاثة اوجه لان ظاهر الجواب على غير اضمار ان يكون ومن يكفر بايات الله فان الله سريع
الحساب اي العذاب والله اعلم سمي به لان بعد الحساب عذاب لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من نوقش
الحساب عذب فجعل الحساب عذابا ثم اخبر عز وجل انه سريع الحساب لا كحساب الذي يكون بين الخلق لان الخلق
يشغلهم اسباب ويمنعهم اشيا ويحتاجون الى التفكر والتدبر والله تعالى عن ان يشغله شيء ويمنعه معنى جل الله
عن ذلك وقيل على التقريب بحساب سريع كان قد جاء لقربه والله اعلم • قوله تعالى عز وجل شهد الله انه لا اله
الا هو شهادة ربوبية لا يتوهم له كيفية ولا يخطر بالبال له الماهية ولا يحتمل الوصول الى حقيقة ذلك
بالتفكر ولان يحتمل بلوغ العقل الوقوف على ذلك اذ هو خلق فقصر عن الاحاطة بما بنية نفسه وعن ادراك وجه قيامه

بالذي ركب

حسر البصر يحسر حسورا اعيى واستحسر وتحسر مثله

بالذي ركب وتجديده من حيث نفسه وهو تحت جميع ما ذكرت اذ هو خلق وحدث جرى عليه التدبير ودخل
تحت التقدير فالربوبية احق ان يحتسر عنها الاوهام وتكل عن توهم ادراكها الافهام وعلى ذلك امر تكوين الله
الاشيا التي هي تحت التكوين في العيان لا على توهم في التكوين معنى يحتمله الافهام وتبلغه العقول وانما هو عبارة
بها جعل لا يقف على العبارات عن المعاني عن صفات الخلق المحقق له الجلال عن جهاتهم الا من حيث المفهوم
في الخلق للتقريب الى الافهام دون تحقيق المفهوم مما في العيان عنه قد بينا العبارات في الاخبار عن الله
سبحانه وتعالى وعلى هذا القول الله الرحمن وجميع ما يتعارف الخلق من الاسماء على ما يقرب من الافهام المراد بها
لا تحقيق الحروف او ادخال تحت تركيب الكلام وتاليف العبارة وهذا معنى معرفة وحدانيته من جهة ضرورات
توجب المعرفة على الوصف بالسبحانية له عن معاني جميع المعروفين وبالله العصمة والمعونة • ثم قد يحتمل ه
ان يوذن في العبارة عن ذلك بما هو العطف وادفع للتوهم توهم ما العقل القلب عند ذكر الشهادة فضل حنين
ليس عند تلك العبارة • وذلك يخرج على وجوه في الاحتمال لما يسعه عقولنا دون القطع على شيء مما وقع ه
عندنا يمكن الرجوع اليه والله سبحانه اعلم من ذلك بشهادة الخلايق كلهم ما فيهما من اثار الصنعة ودلالة
الربوبية وشهادة الالوهية ليكون شهادة بالذي ذكر بان لا اله الا هو اذ كل شيء سواه هذه الشهادة بالصنعة
التي جعلها هو فيه له والله اعلم • والثاني ان يكون بذاته متعاليا عن جميع معاني من سواه من المعاني
التي دخلتها اسم مربوب وظهر كل شيء في الحقيقة له عند توهم المعبود لا يستحق غيره غير اثار الحدثية وجهات
المدخلة تحت القدرة والتدبير وهو بذاته متعال عن كلية الجهات والمعاني التي بها كانت بعد ان لم تكن وبها صارت
مربوبة عبدا وهو متعال ان يصاغ الوصف بالجهات والمعاني بل هو خلق والخلق ولا قوة الا بالله • ويحتمل شهد علم
وكذا كل من شهد لشيء فقد علم بخبر خلقته بانه العالم وانه واحد لا شريك له انه الكل وخالقهم ليعلموا انما اعلمهم
انه كما اخبر وذلك في نقض قول كثير ممن ينفون عن الله تعالى انه عالم وشاهد كل شيء والله الموفق ويحتمل
شهد على الخلايق ان يكون عليهم القول والاعتقاد انه لا اله غيره بمعنى قضى وامر والله الموفق وليس فيما ه
جمعه الله بشهادة من ذكر توهم معنى لشهادته من ذكر معها قد يحتمل لما جمع لشهادته شهادة من ذكر وجهان
احدهما فضل من ذكر شهادته عند ذكر شهادته على نحو قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الاية انه
ذكر ما له وان كان له الخلق كله بوجهين احدهما بما جعل ذلك لوجوه العبادة كما اضاف اليه المساجد على انها له
وغيرها له وذكر في الملائكة الذين عنده وقيام القيامة واليه المصير ونحو ذلك اما مخصوص لما ذكر من الاوقات
في فضل وغير جعل له او لما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنسب اليه او كان لكلية المعاني للعبادة
فمثله امر شهادات من ذكر قرنها بشهادة الله تفضلا لاولئك وتخصيصا من بين الخلايق والله اعلم • والثاني على كون
الشهادة من الاخبار نحو الامر نسبه اليه كما نسب اليه كتابة الالواح ونفخ جبريل الروح بما كان منه امر به فكذا فعله
في الاضافة اليه والله اعلم ثم حق ذلك فيما على المحقق ان يفهم ما عن الله ربوبية وعن العبد عبودية على جميع ما يضاف
الى الله انه يفهم من غير الوجه الذي يضاف الى الخلق فمثله امر الشهادة والله اعلم • وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام على معنى جعل انه صلة في الكلام وحقيقته شهد الله الذي لا اله
الا هو والملائكة ومن ذكر ان الدين عند الله الاسلام والاسلام في الحقيقة جعل كلية الاشياء لله سبحانه وتعالى
سالمة لا شريك له فيها في ملك ولا انشاء ولا تقدير والايمان التصديق بشهادة كلية الاشياء لله تعالى بانها ذاتها
وخالقها على ما جعلها جل عن الشركاء • وقد قيل الاسلام خضوع وقيل الاخلاص وهو يرجع الى ما بينا وذلك لقوله
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والايمان هو التصديق لله تعالى بما اخبر انه
رب كل شيء وان له الخلق والامر وقيل هو التصديق بما جاءت به الرسل وذلك يرجع الى ما بينا ايضا والله اعلم
وقوله قايما بالقسط قيل هو عادل لا يجوز لان للقيام معنى في ذلك لقوله كونوا قوامين بالقسط بمعنى

من المعاني التي دخلتهم تحت اسم المربوب وصيرت كل شيء في الحقيقة له عبدا لما قدم من الدلالات الصادقة صح

كونوا عادلين مقسطين والله اعلم وقيل قيام تولي وحفظ اوكفاية وتدبير كما يقال فلان قايم بامر كذا
لا على توهم انتصاب وعلى ذلك قوله افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقوله فان حاجوك ولم يقل فيما ذا حاجوك
فيحتمل والله اعلم ان يكون هذا بعد ما علم الله انهم لا يؤمنون ولا يقبلون الحجة امره بترك المحاجة بقوله فقل اسلمت
وجهي لله وكذلك من اتبعني اسلموا انفسهم لله كقوله وتول عنهم فاعرض عنهم اياستهم عن ايمانهم وامره بترك المحاجة
معهم وقوله فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصته ثم يحتمل قوله وجهي لله اي نفسي لله لا اشرك فيها احدا ولا اجعل
لغير الله فيها حقا على ما جعل الكفرة من انفسهم شركاء وارباباً قال الشيخ رحمه الله وقيل الاسلام ان يجعل نفسه
بكليتها لله تعالى سالمة لا اشرك فيها لاحد كما قال ورجلا سلما لرجل والايمان هو التصديق لشهود الربوبية
لله من نفسه وغيره لاثر ما من شيء الا وفيه شهادة الربوبية وقوله وقوله ومن اتبعني اي من اتبع ديني
فقد اسلموا انفسهم لله تعالى ايضا لم يشركوا فيها شركاء وارباباً ويحتمل قوله وجهي لله اي سلمت امر ديني
وعملي لله وكذلك من اتبعني واتبع ديني فقد اسلموا اعمالهم وامورهم لله كقوله تعالى وافوض امري الى الله
ان الله بصير بالعباد وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ومن اتبعني اي ومن معي وقوله وقل للذين اوتوا
الكتاب والاميين قيل الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى والاميين العرب الذين لا يقرؤن الكتاب
ولا لهم كتاب ااسلمتم انتم لله كما اسلمنا وجهي لله ومن اتبعني فان اسلموا فقد اهتدوا واخلصوا
وجوههم لله واعمالهم وان تولوا فانما عليك البلاغ اي ان ابوا ان يسلموا فليس عليك الا البلاغ كقوله
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله ان عليك الا البلاغ وكقوله عليك البلاغ
وعلينا الحساب وقوله والله بصير بالعباد هو حرف وعيد قيل بصير عن غافل وقيل بصير بجزاء اعمالهم
وقيل بصير بما اسروا واعلنوا وفي كل وجه وعد ووعيد. قال الشيخ رحمه الله في قوله فان حاجوك
ولم يبين فيما ذا وقد يجوز ترك الاخبار عن القصة بوجهين احدهما يعلم اهله والثاني بما في الجواب
دليله قوله يستفتونك ويسألونك في غير موضع على غير البيان انه عما ذا وهو والله اعلم داخل تحت
ذانك الوجهين ثم يحتمل ان يكون المحاجة قد كثرت فيما قال فان حاجوك والحجة قد ظهرت فيه فكانوا
يعودون اليها مرة عود تعنت وعناد فاكرم الله رسوله بالاعراض عن محاجتهم ذلك بما ظهر تعنتهم فقال
فقل اسلمت وجهي لله على الاعراض عن محاجتهم والله اعلم. وعلى ذلك يخرج معنى الامر بالتولي عنهم في غير موضع
ويحتمل ان يكون المحاجة في عبادة الواحد القهار والاوثان الذي كانوا يعبدونها من دون الله فيتبين
جل ثناؤه في ذلك بالذي يقول لهم هو ومن اتبعه على ذلك ونحو قوله لكم دينكم ولي دين وقوله لا حجة بيننا
وبينكم الاية ونحو ذلك والله اعلم وقوله ان الذين يكفرون بايات الله قيل بايات الله التي في كتابهم من نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وقيل بايات الله بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم ويقتلون يحتمل قوله ويقتلون
اي يهمون ويريدون قتلهم كقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم فلو كان على حقيقة القتل فاذا قتلونا لم نقدر على قتلهم
وكقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت ان تقرأ القرآن وكقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا اي كذا
اي اذا اردتم ان تقوموا الى الصلوة لانه اذا قام الى الصلوة لم يقدر على الغسل فكذلك الاول ويحتمل ان يريد
الرضا بقتل اباءهم الانبياء فاضاف ذلك اليهم وقيل انزل ارادوا بهم الذين قتلوا الانبياء وقيل جاء انهم كانوا
يقتلون الف نبي كل يوم قال لا اعرف هذا فان صح فهو على انهم تمنوا ذلك او قتلوا نبيا او اثنان فسموا
انبياء لما كان ينبغي بعضهم بعضا والله اعلم وقوله فبشرهم بعذاب اليم لو كانوا راديهم كيف يامر رسوله
صلى الله عليه وسلم بالبشارة وهم موتى دل هذا على ان التاويل هو الاول انهم هموا بقتلهم ورضوا بصنيع
اباءهم والله اعلم والبشارة المطلقة انما تستعمل في السرور والخيرات خاصة الا ان يكون مقيدة فحينئذ
يجوز في غيرها كقوله فبشرهم بعذاب اليم فيذهب هنا لذلك قال اصحابنا رحمهم الله ان ليست الحقايق اولى بالمجاز

ولا الظاهر

ولا الظاهر اولى من الباطن الا بدليل على ما صرفت اشياء كثيرة عن حقايقها بالعرف من نحو الايمان وغيرها
وقوله اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة يحتمل وجوها يحتمل ايمانهم التي فعلوا قبل ان يبعث محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث كفروا فابطلت تلك الاعمال ويحتمل ما كان لهم من الاعمال من صلة المحارم
والقربات والصدقات فبطلت لما لا قوام لها الا بالايمان لم يأتوا به بطلت وقوله في الدنيا والآخرة اما في
في الآخرة فثوابها واما في الدنيا فحمدها وثناؤها ويحتمل في الدنيا ثواب الدنيا كقوله من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله ان الذين يكفرون بايات الله فالآيات
اعلام وحجج وهي انواع منها حسيات بخروجها عن وسع الخلايق في الدلالة على وحدانية الله تعالى والخارجة منها
عن احتمال وسع البشر يظهر عند ادعاء الرسل الرسالة يشهد على ان الذي ارسلهم هو الذي تولاها ليعلم بها
حججه ويوضح بها رسالتهم ومنها السمعيات وهي التي جاءت بها الرسل من الانباء عما لا سبيل الى الوقوف
عليها الا بالتعلم بلا تقدم تعليم وما لا يعلم حقيقة ذلك الا الله ليعلم ان الله هو الذي اطلعهم عليها ليكون
اية لهم والله اعلم. ومنها العقليات وهي التي تعرف بالمحن والبحث عنها مما بها يوصل الى معرفة التوحيد
والرسالة ونحوهما ثم قد جعلها كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يكفر بها يخرج على وجهين احدهما
على الكفران بحقيقة الايات ان يكون هذه آيات لما اقيمت له وهذه من الوجوه التي ذكرت نقضي الله تعالى له
لمن يكفر بها بما ذكرت لتعنتهم ومعاندتهم والله اعلم. والثاني ان يريد بالكفر بالايات الكفر بمن له الايات فتنسب
الى الايات لما بها يعلم الحقيقة كما ينسب الاشياء الى اسبابها التي بها يوصل اليها فذلك معنى الكفر بالايات
ثم كانت الكتب السماوية وما فيها من النعوت وما اعجزهم عن اتيان مثل القرآن وغير ذلك من الحسيات
والله اعلم فعلى ما ذكرنا يخرج معنى الكفر بالايات لانها بحيث يأخذها الحواس ويحيط بها الاوهام والعقول
ولكن على انهم آيات للذي ذكرهم عليه او على الكفر بالذي له آيات توجب تحقيقه والله اعلم وقوله فكيف اذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه وكذلك في ذلك الكتاب لا ريب فيه وقد ارتاب فيها اكثر اهل الارض قيل قوله لا ريب فيه
قد يتكلم به على تثبيت المقول به عند قائله لا على نفي الشك عن كل من سمعه ارادة التاكيد فعلى ذلك امكن ان يخرج
معناه اذ هو مخاطبة على ما عليه كلامهم وكذلك قولهم ابدا على دوامه وامتداده لا على حقيقة الابدية وكذلك
يقولون هذا انك قديم وامر قديم لا على حقيقة القدم التي تخرج عن الكون بعد ان لم يكن والله الموفق
والثاني على انه لا يرتاب فيه المتامل المنصف بما جعل الله لذلك من الايات وعليه من الادلة التي من تدبرها
اظهرته حتى يصير كالمعاين ولا قوة الا بالله. والثالث ان يخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوم
مخصوصين مما كانوا ارتابوا فيه بعد علمهم بصدقه ليعرف به تعنتهم ويؤيسه عن الطمع فيهم ولا قوة الا بالله
وقوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله الم تر انما يتكلم به لاحد معنيين. اما للتعجب من الامر العظيم
يقول الرجل لآخر الم تر فلانا يقول كذا ويعمل كذا يقول ذلك لعظيم ما وقع عنده. واما التنبيه فانهما كانت
ففيه تحذير للمؤمنين ليحذر المؤمنون عن مثل صنيعهم كقوله ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل الاية حذر
المؤمنين ان يكونوا مثل اولئك الذين اوتوا الكتاب ولا يخالفوا كتابهم كما خالفوهم وقوله يدعون الى كتاب الله
يحتمل ان يكون اراد بالكتاب التوراة على ما قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اسلموا تهتدوا
ولا تكبروا فقالوا نحن اهدى واحق بالهدى منك وما ارسل الله رسولا بعد موسى عليه السلام فقال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة والانجيل فانه مكتوب فيها نعتي واني رسول الله فابوا
ذلك خوفا واشفاقا على ظهور كذبهم وقيل اراد بالكتاب القرآن دعوا اليه لانه مصدق لما معهم من الكتاب
فابوا ذلك وقوله ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات الايام التي عبد اباؤهم العجل
فظنوا انهم انما يعذبون بقدر ايام ما عبد اباؤهم العجل وانهم لا يخلدون في النار لانهم زعموا انهم ابناء الله

واجتباؤه • ويحتمل ان يكون اباؤهم قالوا لهم انكم لا تعذبون في النار الا قدر عبادتنا العجل فاخبر
عز وجل ان قد غرهم في دينهم ما كانوا يفترون ثم خوفهم فقال فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ٥
وقوله قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الآية يحتمل قوله مالك الملك
وجهين احدهما مالك الملك كل ملك في الدنيا حقيقة الملك • والثاني ان الملك له يؤتي من يشاء من ملكه
وينزع ممن يشاء الملك وهو المالك لذلك والقادر عليه والآية ترد على القدرية قولهم لانهم يقولون ان الله
لا يعطي الكافر الملك وهو قد اخبر عز وجل انه يؤتي من يشاء الملك وقد يرى الكافر له الملك فان قال لو اراد
بالملك الدين قيل ان اراد الدين فقد اخبر عز وجل ايضا انه ينزع فكيف يستقيم على قولكم في الاصلح هذا
ثم في الآية تقوية لمن اقرا مالك يوم الدين بالالف لانه اعم واجمع لانه قال مالك الملك وهو اعم • والثاني
ان الملك انما يعبر عن الولاية والسلطان والمالك انما يعبر عن حقيقة الملك ومن له في الشيء حقيقة الملك فله ولاية
التقلب والتصرف فيه وولاية السلطان وليس كل من له ولاية السلطان يكون له ولاية التقلب فيه لذلك
كان بالالف اقرب • ومن قرا ملك يوم الدين بغير الف ذهب الى ان هذا كقوله الملك يومئذ لله يحكم
بينهم ومن الملك يقال ملك لا يقال مالك لذلك كان ما ذكر والله اعلم • والمالك على الاطلاق لا يقال الا الله ٥
وكذلك الرب على الاطلاق لا يقال الا الله واما العبد فانه يقرن الشيء اليه فيقال رب الدار ومالكها
ورب الدابة ومالكها والله اعلم • وقوله قل اللهم مالك الملك قال المتأولون الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خاصة وقال آخرون الخطاب بذلك لكل عاقل وهو كقوله قل هو الله احد الى آخره ذلك الخطاب
لكل احد لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة • وقال الشيخ رحمه الله هو خطاب ولكنه امر بالبلاغ ليقوله
كل احد لانه لو خوطب به ولم يذكر قل عند قراءته • وقوله اللهم قال قايلون اللهم يعني يا الهنا وقال آخرون
الله على القطع امنا اقصدنا بالخير والله اعلم • قال الشيخ رحمه الله في قوله قل اللهم مالك الملك الآية فكانه
عز وجل امتحن من رغب في الملك ونال حظا منه ان يصرفوا وجه الرغبة اليه او يروا حقيقة ما نالوه منه
فيوجهوا اليه الشكر ويخضعوا له بالعبادة والطاعة فيما امرهم به لينالوا شرفه او يدوم له عزه وذلك كقوله
من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ليريهم ان الذي يملك هذا النوع الذي رغبت فيه انفسكم
ومنعكم عن القيام بحقه هو الذي يملك ذلك فاليه فاصرفوا سعيكم وبشكره استديموا الذي له اخترتم
جل كدحكم فانه يملك ذلك دون غيره وجملة ذلك في قوله وما بكم من نعمة فمن الله ومعقول فيما عليه طبع البشر
واليه دعاهم عقولهم ان كل شيء يؤثره انفسهم كان الذي يحق عليهم طلبه عند من به يوصل اليه واختيارهم ما به
يبلغون ما يؤملون من انواع الحيل التي تقربهم الى ذلك فمثله يلزم امر الملك ولذات الدنيا وتقرر في قلوبهم
وجود ذلك لقوم لو كان ينال بالتدبير او بحسن السياسة وطلب ذلك من الوجوه التي يطلب بها البشر
لم يكن الذين لهم ذلك باحق من غيرهم بل كان ممن حرموا منهم اولى بذلك واحق ان يكون في ذلك متبوعا لا تابعا
من الذين نالوه ليعلم ان الذي يملك دفع ذلك الى احد وتمليكه احدا غير الذي صرفوا كدحكم وجعلوا له
سعيهم فيكون لله في كل اصل مما عليه امر البشر آية عظيمة وعلامة لطيفة على تفرده بملك ذلك وتوحيده ٥
بالتدبير فيه لمن له بصيرة ولمن به يمتحن عبادة وعلى ذلك اذ ثبتت في ذلك ادلة التوحيد ولزوم الاعتبارية
ليعرف من له الحق ثبت القول ببطلان ما ينكره كثير من المعتزلة ان الملك الذي كان له الجبابرة والسعة التي
تصل الى الكفرة لم يكونوا نالوه بتقدير الله ولا وصلوا اليه بتدبيره اذ حقه ما ذكرت من عظم ما فيه من النعم ليلزمهم
ارفع المحن واعلى الشكر ولذا ان يبلوا بالحسنات والسيئات كما وعد عز وجل وجعلنا ان الدنيا اذ هي دار محنة ومكان
ابتلاء فليس الذي يعطي منه على الاستحقاق ولا ما يمنع على العقوبة وان احتمل الدفع والمنع لذلك ولكن له وللمحن
والمحنة اكثرها على مخالفة الاهواء وتحمل للتكاره ويكون ذلك على عطاء ما يعظم في انفسهم والتمكين ليمتحنوا

فيتبين الايثار والترك لوجه الله والرغبة فيمن اليه حقيقة ملك كل شيء والميل الى من اليه انواع التقرير ٥
والمخادعات من خير يختم ولا قوة الا بالله • وقوله ان آتاه الله الملك يبين ذلك احتجاجه على ابراهيم عليه السلام
بالذي ذكروا عصاه ابراهيم عنه ولو كان الذي آتاه الملك ابراهيم عليه السلام لم يكن ليجترئ على تلك المقالة بقوله
انا احيي واميت ولا قوة الا بالله • ثم على قول المعتزلة ان الله تعالى بما يشاء ان يؤتي الملك اولياءه وينزع
عن اعدائه في الجملة فكيف ادعى لنفسه هذا السلطان والملك وكان الوجود على ضد ذلك ايظن المعتزلة
ان الملاحدة تطعن ماهو يوجب الشبهة في حجج التوحيد باوضح مما اعطاهم المعتزلة بهذا القول او يمكنهم
من الطعن في نقض ما ادعت الموحدة من علو الرب وقدرته وجلاله بابلغ مما لقنهم المعتزلة بما ليست ثوب
التوحيد واستترت بستره في تظاهر ثم اعطت الملحدة هذا ليظنوا انهم بلغوا ما به نقض التوحيد ودفع حجج
اهله جل الله عما وصفته الملحدة وتعالى وبه العصمة والنجاة • ولما اعطتهم المعتزلة في الجملة سبقهم به ابليس
حتى كانوا به بمثله يحتجون فيظنون انهم احق بالنبوة منهم بما اعطوا من الملك والثروة في الدنيا فظنوا انهم
اجل عند الله تعالى وارفع في المنزلة منهم لم يكن ليؤثرهم بالرسالة عليهم لكن اولئك حققوا لحقائق النعم
لله ونيل ما نالوا من الملك والشرف به والمعتزلة رامتا نالة ذلك عن الله ليزيلوا عنهم ما الزمهم من الشكر له
والطاعة لمن بعثه الله ونسأل الله تعالى تمام نعمة في الدين والدنيا • وقوله تولج الليل في النهار وتولج النهار
في الليل وقوله يخرج الحي من الميت ونحو ذلك وجوه من الادلة احدها ان يعلم ان الله عز وجل فيما يخلق
على معونة الاسباب وتوليد الطبايع لان الاسباب يكون بموضع الاشكال • وكذلك الطباع يولد الذي
في جوهره نحو الحار يولد الحرارة • والباردة البرودة فبين الله تعالى الانشاء على احوال التضاد ليعلم
ان القادر على اجتماع ما شاء ثم شاء بلا معونة من ذلك ولا توليد ولا قوة الا بالله • والوجه الثاني انه جرى تقدير
ذلك على ما لا تفاوت فيه ولا اختلاف في اختلاف الاعوام ليعلم انها مسواة على التدبير احكمه على ذلك العزيز
الحكيم الذي لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه امر وليعلم ان الذي قدر على ذلك واحدا لم يختلف ولم يتناقض ولا قوة
الا بالله • وايضا انه قد صير كل جوهر باحداث الآخر كانه لم يكن قط ولا كان يبقى له اثر رده بالوصف الذي
كان حتى لا يفوت منه شيء حتى لا سبيل الى العلم بالتفصيل بينهما ليعلم ان قدرته على البعث بعد ان تفنى
كل الاجزاء والآثار ولا قوة الا بالله • وايضا انه اذا بنى الامر على ما فيه من عظم الحكمة وعجيب التدبير لم يجز ان يكون
فعله خارجا على العبث ثم في رفع المحنة وابطال الرسالة نفي تعليم ما في ذلك من الحكمة وما يلزم بمكان ذلك
التدبير من الشكر والمعرفة • ثم من الترغيب فيما يملك من النعمة والترهيب عما عنده من النقمة ابطال الحكمة وتوجيه
العالم معما ذكرت على العبث وذلك فاسد في العقول وموجود في الجواهر عظم حكمة منشئها ثبت بذلك المحنة
والرسالة والجزاء ولا قوة الا بالله • وقوله تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الى آخره يحتمل وجهين
يحتمل ان تؤتي ابتداء من غير ان كان اتاهم مرة وكذلك تنزع اي تمنع ابتداء من غير ان كان اتاهم ثم تنزع
كقوله رفع السموات رفع ابتداء من غير ان كانت موضوعة فرفعها وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ٥
اخراج الابتداء لا ان كانوا فيها ثم اخرجهم فعلى هذا ذلك وعلى ذلك قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل ايلاج ابتداء لا ان كان احدهما في الآخر كقوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم
القيامة والنهار سرمدا اخبر انه لم يجعل واحدا منهما مؤبدا وكذلك قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
اخراج ابتداء ان يخلق الحي من الميت ابتداء ويخلق الميت من الحي من غير ان كان فيه • ويحتمل هذا كله ان كان
يؤتي الملك بعد ان لم يكن ويعز بعد الذل وينزع الملك بعد ان كان ويذل بعد ان كان العز وكذا قوله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ان يدخل بعض هذا في هذا وهذا في هذا • وقوله يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي • قيل ان يخرج حيا لا قوال من ميتا لا فعال وميتا لا فعال من حي لا قوال

يخرج المؤمن من الكفار والكافر من المؤمن على ما سمى الله تعالى الكافر ميتا والمؤمن حيا في غير موضع من القرآن
وقيل يخرج هو الجوهر من ميت الجوهر وميت الجوهر من حي الجوهر وقيل يخرج الحي من المني ويخرج المني
من الحي وقيل البيضة من الحي والحي من البيضة وقيل النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة
من الحبة وقوله وترزق من تشاء بغير حساب يعرف الخلق عدده ومقداره وقيل بغير تبعة ولا طلبة أي لا يحاسبهم
فيما أعطاهم من بعد ما أعطاهم ويحتمل بغير حساب أي لا يعطيهم بحساب أعمالهم ولكن يتفضل خلافا للعدل ويحتمل
خلافا للمعتزلة نخ
بغير حساب في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه بغير هنداز فارسية معربة وعن مقاتل لا يقدر ذلك
غيره يقول ليس فوقي ملك يحاسبني إذ الملك أعطي من شئت بغير حساب لا أخاف من أحد يحاسبني والله أعلم
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يحتمل وجهين يحتمل لا يتخذ أي لا يكونون أولياء وإن اتخذ
أولياء بل هم لهم أعداء كقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر إلى آخر الآية ويحتمل على النهي أي لا تتخذوا
أولياء كقوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وكقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى وقوله إلا أن تتقوا
منهم تقية اختلف فيه قيل إلا أن يكون بينكم وبينهم قرابة ورحم فيصلون أرحامهم من غير أن يتولوهم في دينهم
على ما جاء عن علي رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات أبوه أبو طالب إن عمك الضال
توفي فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذهب فواره ويحتمل قوله إلا أن تتقوا على أنفسكم منهم تقاة
إلا أن تخافوا منهم فتظهرون لهم ذلك مخافة الهلاك وقلوبكم على غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه التقية
التكلم باللسان وقلب مطمئن بالإيمان وقوله ويحذركم الله نفسه قيل عقوبته وقيل نقمته يقول الرجل لآخر
احذر فلانا إنما يريد نقمته وبوايقه فعلى ذلك قوله ويحذركم الله نفسه عقوبته وبوايقه التي يكون من نفسه
لما يكون ذلك به لا بغيره والله أعلم وقوله قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يحتمل ما تخفوا من ولاية الكفار
وتبدوه يعلمه الله فيه أخبار أن في قلوبهم شيئا ويحتمل أن يكون أراد جميع ما يخفون ويبدون ويعلم ما في السموات
وما في الأرض الآية وقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا قيل تجد ثواب ما عملت من خير حاضرا لأن عمله
إنما كان للثواب لا لنفس العمل وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يحتمل ما عملت من سوء تجده مكتوبا
يتجاوز عنه لأن الله عز وجل وعد المؤمنين وأطمع لهم بقبول حسناتهم والتجاوز عن سيئاتهم كقوله أولئك الذين
يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم فيجد المؤمن ثواب ما عمل من خير حاضرا ويتجاوز عن مساويه وأما الكافر
فيجد عقاب ما عمل من سوء في الدنيا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا فلا يتجاوز عنهم ويبطل حسناتهم وقوله أمدا بعيدا
قيل بعيدا من حيث لا يرى وقيل بعيدا تود ليت أن لم تكن ما من نفس مؤمنة ولا كافرة إلا وتود البعد عن ذنبه وإن
لم يكن ويحذركم الله نفسه قد ذكرناه وقوله والله رؤوف بالعباد إن أراد رأفة الآخرة يعني بالمؤمنين خاصة
وإن أراد رأفة الدنيا فهو بالكل قال الشيخ رحمه الله في قوله والله رؤوف بالعباد فالرحمة من الله جل ثناؤه والرأفة
نوعان أحدهما في حق الابتداء أن خلق خلقا ركب فيهم ما يميزون به بين مختلف الأمور ويجمعون بين المؤتلف
ثم لم يأخذ كلا منهم بما استحق من العقوبة بل رحم وأمهل للتوبة والرجوع إليه وهذه الرحمة رحمة عامة لا يخلوا
عنها عبد ورحمة في حق الجزاء من التجاوز والمغفرة وإيجاب الثواب للعقل فهذه لا ينالها أعداؤه لما يوجب
التجهيل في التفريق بين الذي جعل في العقول التفريق ولما يكون وضع الإحسان في غير أهله والإكرام لمن لا يعرف
المكرم بر ولما في الحكمة تعذيبهم تخويفا وزجرا عما يختارون وبيانا لما من تعرف واعتقد الموالاة وكان هو أعظم في قلوبهم
وطاعته من جميع لذات الدارين وإن كانوا يبتلون بالمعاصي على الجهالة أو على رجاء الرحمة والعفو إذ هو كذلك شرطهم
الذي به والوه وبالغلبة فهي رحمة خاصة أي هي بالمؤمنين وبالعباد الذين بذلوا أنفسهم له بالعبودية بحق
الاختيار وإن كانوا يغلبون على ذلك في أحوال والله الموفق وقوله قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قيل
إن ناسا كانوا يقولون في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنا نحب الله حبا شديدا فأنزل الله عز وجل

هذه الآية وبين فيها المحبة علما وقيل إن اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم
قل يا محمد إن كنتم تحبون الله فاتبعوني وذلك أن من أحب ملكا من الملوك يحب رسوله ويتبعه في أمره ويؤثر طاعته
لحبه فإذا أظهرتم أنتم بغضكم لرسولي وتركتم اتباعه في أمره وإيثاره طاعته ظهر أنكم تكذبون في مقالتكم
نحن أبناء الله وأحباؤه لأن من أحب آخر يحب المتصلين ورسله وحشمه والمحبة هاهنا الإيثار بالفعل طاعة من يحبه
فيما أحبه وكرهه والطاعة له في جميع أمره والله أعلم وقوله أطيعوا الله والرسول الآية قد تقدم ذكرها وقوله
إن الله اصطفى آدم اختلف فيه قيل اصطفى آدم ونوحا من ذكر الرسالة والنبوة وقيل اختارهم لدينه وهو الإسلام
وقيل اختيارهم في النية والعمل الصالح والإخلاص قال الشيخ رحمه الله الاصطفا أن يجعلهم صافيا من غيره كدر
بالدنيا وغيرهم اختارهم لأمرين لأمر الآخرة ولأمر المعاش ألا ترى إلى قوله إنا معاشر الأنبياء لا نورث نموت موت العبيد
لسيده وقال الشيخ رحمه الله أيضا في قوله إن الله اصطفى من ذكر هو والله أعلم ذكر الله أولياءه وأهل صفوته ثم أعداءه
وأهل الشقا ترغيبا فيما استوجبوا الصفوة وتحذيرا عما به صاروا أهل الشقا إذ هما أمران يتولدان عن اختيار البشر
ويقومان بأسبابهما أهل المحن لا بنفس الخلقة والجوهر فصار الذكر للمعنى الذي ذكرت وعلى ذلك وجه ذكر عواقب
الفريقين في الدنيا وما إليه يصير أمرهم في المعاد وعلى هذا ما ضرب الله من الأمثال بأنواع الجواهر الطيبة والخبيثة
في العقول والطبايع ترغيبا وترهيبا وعلى هذا جميع أمور الدنيا أنها كلها عبر وموعظ وإن كان فيها شهوات ولذات
وآلام وأوجاع ليعلم أنها خلقت لا لها لكن لأمر عظيم كان ذلك هو المقصود من مدبر العالم إذ بالعواقب يذم
أهل الاختيار ويحمدون فجعل الله عواقب الحكماء وأهل الإحسان حميدة لذيذة ترغيبا فيها وعواقب السفهاء
وأهل الإساءة ذميمة وجيعة ترهيبا فيها فخرج جميع فعل الله على الحكمة والإحسان وإن كانت مختلفة في اللذة والكره
لأنه كذلك طريق الحكمة في الجزاء وفي ابتداء المحنة إلا أن المحنة تكون مختلفة والجزاء نوع لما هو كذلك في الحكمة
والإحسان إذ كذلك سبق من أهله الاختيار والجزاء على ما اختاره من له وعليه حكمة وإحسان أعني بالإحسان
فيما يجوز الامتحان بلا جزاء بحق الشكر لما أولى وابتلى والحكمة ∴ لازما ذلك في التدبير ولا قوة إلا بالله وقوله
ذرية بعضها من بعض قيل بعضها من بعض في النسب من ذرية آدم ثم من ذرية نوح ثم من ذرية إبراهيم عليهم السلام
وقيل بعضهم من ذرية بعض وقيل بعضهم من جوهر بعض فلا تتكبروا كقوله والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض
منع للحر عن التعظيم على العبد واختلف في الذرية قال بعضهم الذرية الأولاد والآباء كقوله ذرية من حملنا
مع نوح وكانوا الأولاد والآباء والذرية مأخوذة من ذرأ يذرأ وهو الخلقة وقيل الذرية الأولاد خاصة
يقال ذرية فلان إنما يراد به ذلك أولاده خاصة دليله قوله هب لي من لدنك ذرية طيبة وقوله إني أعيذها بك
وذريتها من الشيطان واختلف في الآل قيل آل الرجل المتصلون به وقيل آل الرجل أتباعه وقيل قرابته وروي
أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل تقي فهو من آلي وقيل إن عمران من ولد سليمان بن داود عليهم السلام
وقوله إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا لما أخبر عز وجل أنه اصطفى آل عمران واختارهم
على ساير العالمين وكان أقلهما في صفوته واختياره أن جعلت امرأة عمران ما في بطنها محررا والمحرر هو العتيق عن المعاش
بالعبادة وقيل المحرر هو الذي يعبد الله خالصا مطيعا له لا يشغله شيء عن عبادته تفرغا لذلك وهو قول ابن عباس
رضي الله عنه وقيل المحرر هو الذي يكون لله صافيا وقيل المحرر هو من خدم المسجد وقوله إني نذرت لك ما في بطني
محررا جعلت ما في بطنها لله خالصا لم تطلب منه الاستيناس به ولا يطمع الناس من أولادهم وذلك من الصفوة التي
ذكر عز وجل وهكذا الواجب على كل أحد أنه إذا طلب الولد أن يطلب للوجه الذي طلبت امرأة عمران وزكريا حيث قال
هب لي من لدنك ذرية طيبة وما سأل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هب لي من الصالحين وكقوله والذين يقولون ربنا
هب لنا من أزواجنا الآية هكذا الواجب أن يطلب الولد لا لما يطلبون من الاستيناس والاستنصار والاستعانة
بأمر المعاش بهم وقوله فتقبل مني إنك أنت السميع العليم أي تقبل مني قرباني وما جعلت لك خالصا إنك أنت

انت السميع لنذري العليم بقصدي في التحرير وقيل السميع المجيب لدعائي العليم بنيتي **وقوله** فلما وضعتها
قالت رب اني وضعتها انثى ومعنى قولها اني وضعتها انثى مع علمها ان الله هو عالم بما في بطنها وبما وضعتها وجهان
احدهما اعتذار لما لم يكن يحرر في ذلك الزمان الا الذكور من الاولاد فاعتذرت اني ما وضعت لا يصلح للوجه الذي
ذكرت والثاني ان الانسان اذا راى شيئا عجيبا قد ينطق بذلك وان كان قد يعلم ان غيره ما علم هو وانه راى
مثل ما راى هو او يحتمل ان طلبت ردها الى منافعها اذا وضعتها لانثى لما رات لا تصلح لذلك ويحتمل قولها اني
وضعتها انثى التعريض لاجابة الله تعالى فيما قصدت من طاعته بالنذر وان لم تكن صلحت لما قصدت وقد اجيبت
في ذلك بقوله فتقبلها ربها بقبول حسن نحو ما يتقبل لو كان ذكرا في الاختيار والاكرام وجعلها خير نساء العالمين
وليس الذكر كالانثى اختلف فيه قيل ان ذلك قولها قالت وليس الذكر كالانثى على اثر قولها اني وضعتها انثى لما تحتاج
الانثى الى فضل حفظ وتعاهد والقيام باسبابها مما لا يحتاج الذكر وقيل ان ذلك قوله تعالى عز وجل لما قالت
اني وضعتها انثى جوابا لها وليس الذكر كالانثى فيما قصدت والله اعلم **وقوله** واني سميتها مريم فيه دلالة ان تسمية
الى الامهات في الاناث دون الاباء ثم التجات الى الله تعالى حيث اعاذتها به وذريتها من الشيطان الرجيم وفيه
دلالة ان الذكور يكونون من ذرية الاناث لانه لم يكن منها وذريتها من الشيطان الرجيم على ما سالت ويحتمل
ان جعلها تصلح للتحرير ولما جعلت وان كانت انثى **وقوله** وانبتها نباتا حسنا يحتمل ايضا نباتا حسنا ان لم يجعل
للشيطان اليها سبيلا ويحتمل ان رباها تربية حسنة ان لم يجعل رزقها وكفايتها بيد احد من الخلق بل هو الذي
يتولى ذلك لما يبعث اليها من الوان الرزق كقوله وجد عندها رزقا وكقوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا **وقوله** وكفلها زكريا فيه لغتان احدهما بالتخفيف والاخرى بالتشديد فمن قرا بالتخفيف فمعناه ضمها
زكريا الى نفسه ومن قرا بالتشديد فمعناه اي الله جل وعز ضمها الى زكريا **وقوله** كلما دخل عليها زكريا المحراب
وجد عندها رزقا قيل وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال يا مريم انى لك
هذا قيل فيه بوجهين قيل استخبار عن موضعه او كيف لك هذا على الاستعظام انكارا عليها واتهاما لما لا يدخل
عليها غيره ولا يقوم بكفايتها سواه فوقع في قلبه ان احدا من البشر يتعاهد لك وقيل انه قال ذلك تعجبا
منه لما راى من الفاكهة والطعام في غير حينه غير متغير فقال انى لك هذا تعجبا منه لذلك ثم قالت هو من عند الله
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اي يرزق من حيث لا يحتسب **وقوله** هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة قيل فعند ذلك دعا زكريا ربه لما كانت نفسه الخاشية تحدث بالولد ان يهب له لكنه
لم يدعو لما راى نفسه متغيرة عن الحالة التي يطمع منها الولد فراى ان السؤال في مثل ذلك لا يصلح فلما راى عندها فاكهة
الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء غير متغيرة عن حالها علم عند ذلك ان السؤال يصلح وانه يجاب للدعاء في غير
حينه فذلك معنى قوله هنالك دعا زكريا ربه والله اعلم ويحتمل انه لما راى ما اكرمت امراة عمران في قبول دعوتها
وتبليغ ابنتها في الكرامة المبلغ الذي راى فيها مما لعل اطماع الانفس لا تبلغ ذلك دعا الله جل جلاله ان يكرمه من يتولى
الاثر به والذكر وان كانت تلك الحالة حال لا تطمع الانفس فيما رغب عليه السلام مع ما كان قدرة الله عز وجل
على ما شاء من غير ان كان يحبس على طلب الاكرام بكل ما يبلغه قدره حتى راى ما هو في الاعجوبة قريب مما كانت نفسه
يتمنى والله اعلم بالمعنى الذي سال **وقوله** رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء اي مجيب الدعاء
وقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب دل هذا ان المحراب هو موضع الصلوة ان الله يبشرك بيحيى
فيه دلالة لقول اصحابنا رحمهم الله ان الرجل اذا حلف ان لا يبشر فلانا فارسل اليه غيره يبشره حنث في يمينه
لانه هو البشير وان كان المؤدي غيره الا ترى ان البشارة هاهنا اضيفت الى الله تعالى فكان هو البشير فكذلك
هذا **وقوله** مصدقا بكلمة من الله قيل عيسى عليه السلام كان بكلمة من الله يحيى صدقه برسالته وقيل اول
من صدق عيسى يحيى بن زكريا ولهذا وقع على النصارى شبهة حيث قالوا عيسى ابن الله بقوله بكلمة من الله

معناه ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبتها فاللام فيها للعهد
سح

لكن جعلتها صالحة لذلك وتقبلتها منك الحاقا للعزم المؤكد بالمحقق والله اعلم
بذوت
سح

ودوح منه

وروح منه ظنوا انه في معنى فيه لكن ذلك انما يذكر اكراما لهم واجلالا ولا يوجب ذلك ما قالوا الا ترى ان الله
عز وجل قال وما بكم من نعمة فمن الله ولم يجز ذلك لم يكن فيه ان النعمة منه في شيء فعلى ذلك الاول **وقوله** وسيدا
قيل سيدا في العلم والعبادة وقيل السيد الحليم هاهنا وقيل السيد الذي يطيع ربه ولا يعصيه فكذلك كان
صلوات الله عليه وقيل السيد الحسن الخلق وقيل السيد التقي وقيل اشتق يحيى من اسماء الله تعالى من حي والله عز وجل
هو الذي سماه يحيى وكذلك عيسى الله هو الذي سماه مسيحا بقوله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام
وذلك اكراما لهما واجلالا على ما سمي ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله وموسى كليم الله اكراما لهم واجلالا فكذلك
الاول وجائز ان يكون يحيى بما يحيى به الدين قال الشيخ رحمه الله في قوله يحيى قيل سماه به لما يحيى به الدين
والمروة او يحيى به العلم والحكمة او يحيى به الاخلاق الفاضلة والافعال المرضية ولهذا والله اعلم
سمي سيدا لان السود في الخلق يكتسب بهذا النوع من الاحوال وسمي مسيحا بما مسح بالبركة او بارك في كل شي يمسحه
بيده نحو ان برابه ويحيى والله اعلم وحقيقة السود وانه يكتسب بالاخلاق الحسنة والافعال المرضية وجائز
ان يكون عليه السلام جمعهما فيه فسمي به والله اعلم والاصل في هذا ونحوه ان الاسماء انما جعلت للمعارف وليعلم بها
المقصود فالكف عن التكلف في المعنى الذي له سموا له اسلم وان كان في الجملة يختار ما يحسن منه في الاسماء دون
ما يقبح على المقال او على الرغبة في ذكره على ما يختار من كل شي والله اعلم **وقوله** وحصورا قيل الحصور الذي
لا مال له ولا شهوة وقيل هو المأخوذ من النساء والممنوع منهن وقيل هو الذي لا يشتهي النساء وكله واحد والله اعلم
ونبيا من الصالحين ذكر انه من الصالحين وان كان كل نبي لا يكون الا صالحا على ما سمي كل نبي صديقا وان كان لا يكون
الا صديقا ووجه ذكره صالحا انه كان يتحقق فيه ذلك لان غيره من الخلق وان كان يستحق ذلك الاسم انما يستحق بجهة
والانبياء صلوات الله عليهم يتحقق ذلك فيهم من الوجوه كلها والثاني دعاء ان يلحق بالصالحين في الاخرة والله اعلم
قال الشيخ رحمه الله ما ذكر في كل نبي انه كان من الصالحين يخرج على وجه على جميع الصلاح وعلى البشارة لهم في الاخرة
انهم يلحقون باهل الصلاح وعلى انهم منهم لولا النبوة ليعلم ان النبوة انما يختار في الدين لمن تم لهم وصف الصلاح
وعلى الوصف به انهم كذلك على السن الناس وان الذين ردوا عليهم ردوا بعد علمهم بصلاحهم او على الوصف به
كالوصف بالصديق وان كان كل نبي كذلك معا لعل لذلك حد عند الله ذلك اراد لم يكن اطلع غيره عليه والله اعلم
وجائز ان يكون يحيى بما يحيى فيه الاخلاق المحمودة والافعال المرضية ولذلك سمي سيدا وجملته ان لله ان يسمي
من شاء بما شاء وليس لنا تكلف طلب المعنى فيما سمى الله الجواهر به اذ الاسماء للتعريف لكن يختار الاسماء الحسنة
في السمع على التفاؤل والله اعلم **وقوله** وروح الله وكلمته كقوله خليل الله وحبيبه وذبيح الله وكليم الله ليس على توهم
معنى يزيل معنى الخلقة ويوجب معنى الربوبية والنبوة وذلك على ما قيل من ثبوت الله وعلى ما قيل لدينه نور الله
وقيل لفرايضه حدود الله لا على معنى يخرج من جملة خلقه بل على تخصيص لذلك في الفضل على اشكاله وذلك قال
لمحمد صلى الله عليه وسلم واما بنعمة ربك فحدث وقال في الجملة وما بكم من نعمة فمن الله لا على توهمته النصارى
في المسيح فتمثل الاول ولا قوة الا بالله **وقوله** ويكلم الناس في المهد وكهلا بشارة ببقائه الى ان يصير كهلا وفيه
وجه اخر وهو انه في ذلك بيان ان كلامه في المهد كلامهم مختارا اذ ذلك وصف كلام الكهل ليعلم ان قوله اني عبد الله
الى اخره انما هو حقيقة الخضوع لله والانباء عنه لا على خلقة كنطق الجوارح في الاخرة والله اعلم او يكون اية له
دائمة اذ لم يكن على ما عليه امر البشر من التغيير على ان ايات الجوهرية تزول عند الفناء نحو العصا فيما تعود الى حالها
واليد ونحو ذلك ليخص هو بنوع من الايات الحسية بالدوام ولا قوة الا بالله قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني
الكبر الاية يحتمل هذا الكلام وجوها احدها على الانكار ان لا يكون لكن هاهنا لا يحتمل لانه كان اعلم بالله وقدرته
ان ينطق به او يخطر بباله والثاني انى يكون لي غلام اي كيف وجهه وسببه وكذلك قوله انى لك هذا وقوله انى يحيي
هذه الله بعد موتها وانى يكون له الملك علينا اي كيف وجهه وما سببه والثالث انى يكون لي غلام في الحال التي

وقيل الحصور هو الذي لا ياتي النساء مع القدرة وهذا الاصح لانه ليس في الامتناع الضروري لعدم صلاح الالة وعدم الشهوة مدح وانما المدح يستحق بالامتناع عن اختيار ذلك عند سلامة الالة واسبابا لقدرة
سح

انا عليها او ردّ الى الشباب فيكون لي الولد هذان الوجهان يحتملان واما الاول فانه لا يحتمل وقوله قد بلغني
الكبر وامرأتي عاقر وذكر في سورة مريم قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ما
ذكر على التقديم والتاخير وكذلك قوله ثلاثة ايام الا رمزا وثلاث ليال سويا والقصة واحدة ذكر على التقديم والتاخير
وعلى اختلاف الالفاظ واللسان دل ان ليس على الخلق حفظ اللفظ واللسان انما عليهم حفظ المعاني المدرجة
المودعة فيها وبالله التوفيق ويعلم انه لم يكن على كلا القولين ولم يكن بهذا اللسان وقوله قال كذلك الله يفعل ما يشاء
وقوله كان كذلك ربك هو على هين وان اختلف في اللسان وقوله قال رب اجعل لى آية طلب من ربه آية لما لعله
لم يعرف ان تلك البشارة بشارة الملائكة او وساوس فطلب آية ليعرف ان تلك البشارة بشارة الملائكة من الله عز وجل
لا بشارة ابليس لانه لا يقدر ان يفتعل مثل الاية لان فيها تغير الخلقة والجوهر وهم لا يقدرون على ذلك ولعلهم
يقدرون على الافتعال في البشارة الا ترى ان ابراهيم صلوات الله على نبينا وعليه لما نزل به الملائكة لم يعرفهم بالكلام
وهابوه حتى قال انكم قوم منكرون حتى قالوا انا ارسلنا الى قوم لوط فذهب ذلك الروع منه بعدما اخبروه انهم
ملائكة رسل الله ارسلهم اليه وقوله قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا قال بعض اهل التفسير حبس لسانه
عقوبة له بقوله انى يكون لى غلام وقد بلغني الكبر لكن ذلك خطأ والوجه فيه منعه من تكليم الناس ولم يمنعه عن الكلام
في نفسه الا ترى انه امره ان يذكر ربه ويسبح بالعشي والابكار كقوله واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ويحتمل
ان يكون اراه آية في نفسه من نوع ما كان سؤاله اذ كان عن اعلم بالولد في غير حينه فاراه بمنع اللسان عن النطق
واعلى احوال الاحتمال ليكون آية للاول وقيل في قوله اجعل لى آية انه طلب آية ليجهله بعلوق الولد وحملها ليعرف
متى يأتيها وقوله الا رمزا قيل الرمز تحريك الشفتين وقيل هو الايماء بشفتيه وقيل هو الاشارة بالراس وقيل
هو الاشارة باليد والله اعلم بذلك وقوله واذ قالت الملائكة يا مريم قال اهل التفسير هو جبريل عليه السلام
لكن ذلك لا يعلم الا بالخبر فان صح الخبر فهو كذلك والا لم يقل من كان من الملائكة قال ذلك وقوله ان الله اصطفيك
ان صفاها لعبادة نفسه وخصها له ما لم يكن ذلك لاحد من النساء فيكون ذلك صفوتها وقيل اصطفاها بولادة
عيسى عليه السلام اذ اخرج منها نبيا مباركا تقيا على خلاف ولادة البشر وقوله وطهرك قيل من الاثام والفواحش
وقيل وطهرك من مس الذكور وما قذفت به واصطفاك على نساء العالمين هو ما ذكرنا من صفوتها ان جعلها
لعبادة نفسه خالصا او ما قد ولدت من غير اب على خلاف ساير البشر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
خط رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة خطوط ثم قال هل تدرون ما هن قالوا الله ورسوله اعلم قال خير نساء
العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
يا مريم اقنتي لربك يحتمل وجهين الامر بالقنوت القيام ثم الامر بالسجود اى الصلاة ثم الامر بالركوع مع الراكعين
وهو الصلوة بجماعة ففيه الامر بالصلوة بالجماعة على ما هو علينا لانه قال واركعي مع الراكعين وعلى ذلك
روي في الخبر انه سئل عن افضل الصلوة فقال طول القنوت ويحتمل ان الامر بالركوع ثم بالسجود وقدّم
السجود وان كان مقدما ذكره على الركوع فانه ليس في تقديم ذكر شيء على شيء ولا تاخير شيء عن شيء في الذكر
دلالة وجوب الحكم كذلك وقيل القنوت هو الخشوع والطاعة كقوله وقوموا لله قانتين اى خاشعين مطيعين
فان قيل كيف امرت بالركوع مع الراكعين قيل كانوا والله اعلم ذوي قرابة منها ورحم الا ترى انهم كيف اختصموا في ضمها
وامساكها حتى اراد كل واحد منهم ضمها الى نفسه وانه الاحق بذلك دل ان بينهم وبينها رحما وقرابة وقيل في قوله اقنتي
اطيلي الركوع في الصلوة والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل مع الراكعين اى ممن يركع ويخضع له بالعبادة لا على الاجتماع
والله اعلم كيف كان الامر في ذلك وقوله ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اى من اخبار الغيب لم تشهده انت يا محمد
ولم تحضر بل نحن اخبرناك وذكرناك عند ذلك ثم في ذلك وجوه الدلالة احدها اراد ان يخبره عن صفوة هؤلاء
وصنيعهم ليكون على علم من ذلك والثاني دلالة اثبات رسالته لانه اخبر على ما كان من غير ان اختلف الى احد او علمه احد

اذ يحتمل انه لم ير الملائكة وانما سمع نداءهم وصوتهم كما اخبر الله تعالى فنادته الملائكة فتشكل عليه انه صوت الملائكة او صوت الشياطين والجن ولا يمكنه الفصل بين صوت الملائكة والجن والشياطين بالسماع صح

وهيهنا تذكره الشواب المصرص الى الجماعات صح

من البشر على علم منهم ذلك دل انه انما علم ذلك بالله عز وجل والثالث ان يتأمل وجه الصفوة لهم
انهم بم نالوه فيجتهدوا في ذلك والله اعلم وفي ذلك تاخير البيان عن وقت الحاجة الى ان ظهر ذلك بالقاء
الاقلام وقوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية قيل انهم القوا اقلامهم على جرية الماء فذهبت
الاقلام كلها مع الجرية الا قلم زكريا فانه وقف على وجه الماء وقيل طرحوا اقلامهم في الماء وكان من شرطهم
ان من صعد قلمه مقابلا به مع الجرية فهو احق بها ومن سفل قلمه مع الجرية فهو المقروع فصعد قلم زكريا وسفلت
اقلامهم فعند ذلك ضمها زكريا الى نفسه ثم من الناس من احتج بجواز القرعة والعمل بها بهذه الاية حيث ضمها زكريا
مريم الى نفسه لما خرجت القرعة لكن القرعة في الانبياء لتبيين الاحق من غيره لوجهين لحق الوحي والثاني
لظهور اعلام في نفس القرعة ما يعلم انه كان بالله ذلك لا بنفسه كارتفاع القلم على الماء ومثل ذلك لا يكون
للقلم والحق من المبطل وفيما بين ساير الخلق لدفع التهم فهي لا تدفع ابدا ويحتمل استعمال القرعة فيها لتطييب
الانفس بذلك او علموا ذلك بالوحي فليس اليوم وحي لذلك يبطل الاستدلال بجواز العمل بالقرعة اليوم والله اعلم
او كان ذلك آية والاية لا يقاس عليها غيرها نحو بقرة قوم قتيل بني اسرائيل آية ليس بمعتبر في جواز قول
قتيل آخر قبل الموت وقوله اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح يحتمل بكلمة منه انه قال
فكان من غير اب ولا سبب وساير البشر لم يكونوا الا بالآباء والاسباب من النطفة ثم من العلقة ثم من مضغة
مخلقة على ما وصف عز وجل في كتابه وكان امر عيسى عليه السلام على خلاف ذلك ويحتمل بكلمة منه ما ذكر انه
كلم الناس في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب الاية وذلك مما خص به عيسى وهو بكلمة من الله فان قيل
ما معنى قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا والكهل مما يكلم الناس قيل لان كلامه في المهد آية والاية لا تدوم
كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم الاية انما يكون ذلك مرة لانها تشهد وتنطق ابدا فاخبر ان تكليمه الناس
في المهد وان كانت آية فانه ليس بالذي لا يدوم ولا يكون الا مرة والثاني امتن الله لمريم وبشارة بها من وفاته
الى وقت كهولته والله اعلم وقوله اسمه المسيح قال ابن عباس رضي الله عنه المسيح المبارك اي مسح بالبركة وقيل
سمي لانه كان يمسح عين الاعمى والاعور فيبصر وقيل المسيح العظيم لكنه والله بلسانهم فيسأل ما المسيح بلسانهم وقوله
وجيها في الدنيا بالمنزلة ومكينا في الاخرة ومن المقربين في الدرجة والرفعة ومن كان وجيها في الدنيا والاخرة
فهو مقرب فيهما وقوله قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر عرفت مريم ان الولد يكون بمس البشر وعلمت انها
لا تتزوج ولا يمسها بشر ابدا لانها قالت انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر فان لم يكن مسها احد قبل ذلك فله
يمسها في حادث الوقت فيكون لها منه الولد فلما لم يقل لها يمسك ولكن قال كذلك الله يخلق ما يشاء دل ذلك
انها علمت انها لا تتزوج ابدا لانها كانت محررة لله مخلصة له في العبادة والله اعلم ويحتمل قوله انى يكون لي ولد
اي من اي وجه يكون لي ولد بالهبة لانها بشرت ان يهب لها ولدا فقالت من اي وجه يكون لي ولد بالهبة ولم يمسسني
بشر ثم قال كذلك الله يخلق ما يشاء تاويله ما ذكر في سورة مريم حيث قال انى يكون لي ولد الاية ثم قال كذلك
قال ربك هو على هين اي خلق الخلق على هيئتين باب وبغير اب وبمس بشر وبغير مس بشر وبسبب وبغير سبب
على ما خلق آدم بغير اب ولا ام فعلى ذلك يخلق بتوالد بعض من بعض وبغير توالد بعض من بعض كخلق الليل
والنهار يخلق بلا توالد احدهما من الاخر فكذلك يخلق لك ولدا من غير اب ولا مس بشر وبالله الحول والقوة
وقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اى اذا قضى امرا بتكوين احد او تكوين شيء فانما يقول له كن لا يثقل
عليه ولا يصعب خلق الخلق وتكوينهم كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى خلق الخلق كلهم ابتداء وبعثهم
بعد الموت كخلق نفس واحدة ان يقول كن فيكون وانما يثقل ذلك على الخلق ويصعب لموانع تمنعهم واشغال
تشغلهم فان الله سبحانه وتعالى عن ان يشغله شغل او يمنعه مانع او يجب عليه مجاهدة بقوله فانما يقول
كن فيكون ذكر والله اعلم هذا الحرف لانه ليس في كلام العرب حرف او جزء منه يعبر فيفهم معناه الا ان كان

للدلالة والعبارة عن التكوين صح

منه عز وجل كاف اونون اوحرف اوهجاء اوصفة يفهم ويعرف حقيقته او يوصف هو بمعنى من معانى
كلام الخلق اوصفاتهم اويكون لتكوينه وقتا ومدة اوحالا اويكون تكوينه على مايكون من الخلق انما هو اوجز
حرف يفهم معناه بالعبارة اخبار منه عز وجل الخلق عن سرعة نفاذ امره ومشيته وقوله ويعلمه الكتاب
بشارة منه لها ايضا انه يعلمه الكتاب ثم اختلف فى الكتاب قيل الكتاب هو الخط ههنا يخط بيده ويحتمل الكتاب
الكتاب نفسه التورية والانجيل ويحتمل الكتاب كتب النبيين والحكمة وقيل الحكم بين الخلق وقيل الفقه وقيل
الحلال والحرام وقيل السنة والحكمة هى الاصابة وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله ورسولا الى بنى اسرائيل اى جعله
رسولا الى بنى اسرائيل وهذا ايضا بشارة لها منه وكان عيسى صلوات الله على نبينا وعليه من اول امره الى آخره
آية لانه ولد من غير اب على خلاف ماكان ساير البشر يكلم الناس فى المهد واقرب العبودة له ولم يكن لاحد
من البشر ذلك وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وانباء ماكانوا ياكلون ويدخرون وماكان له ماوى
ياوى اليه ولا عيش يتعيش هو به والبشر لايخلوا عن ذلك ثم القى شبهه على غيره فقتل به ورفع هو الى السماء
وذلك كله آية وكانت آياته كلها حسية يعلمها كل احد وآيات رسول الله عليه افضل الصلوات واكمل التحيات
كانت حسية وعقلية اما الحسية فهو انشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه وكلام الشاة المسمومة وقطع
مسيرة شهر فى ليلة وغير ذلك من الآيات مما يكثر عددها هذه كلها كانت حسية واما العقلية فهذا القرآن
الذى نزل عنه وهو بين اظهرهم وهم فصحاء وبلغاء وحكماء يتلى عليهم فاتوا بسورة من مثله الآية وقوله
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلو كان بهم
طاقة اوقدرة ان ياتوا بمثله لجهدوا كل جهد وتكلفوا كل تكليف حتى يطفئوا هذا النور ليتخلصوا عن قتلهم
وسبى ذراريهم واستحياء نسائهم فلما لم يفعلوا ذلك دل انه كان آية معجزة عجزوا جميعا عن اتيان مثله
فاية تكون اعظم من هذا وبالله المعونة والنجاة وقوله انى قد جئتكم باية من ربكم اى بعلامة الى رسول منه
اليكم ثم فسر الآية فقال انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله قوله انى اخلق لكم هو
على المجاز لا على التخليق والتكوين لان الخلق ليس هو من فعل المخلوق وانما هو من فعل الله عز وجل لان التخليق
هو الاخراج من العدم الى الوجود وذلك فعل الله سبحانه وتعالى لايقدر المخلوق على ذلك فهو على المجاز
الا ترى انه قال فى آخره ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وليس الى الخلق تحليل شئ او تحريمه انما ذلك
الى الله عز وجل فمعناه اى اظهر لكم حل بعض ما حرم عليكم فعلى ذلك قوله انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير
اى اظهر لكم بيدى ما خلق الله من الطين طائرا فيكون آية لرسالتى اليكم وكذلك الآيات ليس مما يتشئ الانبياء
ولكن تظهر على ايديهم وانما لم يجز اضافة التخليق الى الخلق لما ذكرنا انه اخراج الشئ من العدم الى الوجود والثانى
ان التخليق هو اخراج الفعل على التقدير وفعل العبد انما يخرج على تقدير الله لايخرج على تقديره لذلك لم يجز
اضافة ذلك الى الخلق الا على المجاز والله اعلم قال الشيخ رحمه الله اسم المجاز والحقيقة والتخليق فعل حقيقة خاصة
وآيات الانبياء عليهم السلام هى التى تخرج على خلاف الامر المعتاد فيما بينهم يجريها الله سبحانه وتعالى على ايديهم
ان ذلك لم يكن بهم انما كان ذلك بالمرسل الذى ارسلهم ليدل على صدقهم ولا قوة الا بالله وابراء الاكمه والابرص
هو من آيات النبوة لخروجها عن الامر المعتاد فيما بينهم فان قيل ان احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص من آيات النبوة
لعجزهم عن اتيان مثله وخروجهم عن المعتاد فيما بينهم ولكن انباء ما ياكلون وما يدخرون لم كان من آيات النبوة
ويجوز ان يكون ذلك عن منجم قيل له جوابان ان كان يكون مثل ذلك بالنجوم احدهما انه مضموم الى الآيات فصار آية
ضم اليها والثانى ان هذا وان كان يعلم بالنجوم فعيسى صلوات الله عليه لما علم قومه انه لم يختلف الى احد فى تعلم علم
النجوم ثم عرف ذلك وانباهم بذلك دل انه انما علم ذلك بالله فكان آية وبالله التوفيق مع ما كان فى قومه اطباء وحكماء
وبصراء لم يدع احد شيئا من هذه الآيات التى جاء به عيسى عليه الصلوة والسلام دل ترك اشتغالهم فى ذلك

فالخروج عنه وجهين صح

اذ لا يتصور من غير منجم الاعلم بطريق العادة صح

على اقرارهم بانها آية سماوية لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا به قال الشيخ رحمه الله الخلق اسم المجاز والحقيقة
والتخليق فعل حقيقة خاصة وقوله باذن الله قيل بامر الله وقيل بمشيئة الله واختلف فى الاكمه عن مجاهد قال
الاكمه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل وعن ابن عباس رضى الله عنه الاكمه الاعمى ممسوح العين وقيل هو
الذى ولد من امه اعمى لايتكلف احد من الاطباء ابراء ولا الاشتغال به وانه دل انه عرف ذلك بالله تعالى وان الاطباء
يتكلفون فى دفع العلل العارضة الحادثة واما ماكان حاصة خلقه فلا وقوله ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين
قيل فى هذا آية لكم ان كنتم صدقتم انى رسول الله اليكم وقيل قال ان فى ذلك لآية لكم فى رسالتى ان كنتم مؤمنين
بالرسل ويحتمل ان كنتم تؤمنون اى بالآيات انها تعرف ما جعلت له والله اعلم وقوله وجئتكم باية من ربكم الآية
ما ذكر وقوله فاتقوا الله يحتمل فاتقوا الله فى تكذيب هذه الآيات واطيعون فى تصديق وقوله ان الله ربى وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم ظاهر قد ذكرنا فيما تقدم وقوله فلما احس عيسى منهم الكفر قيل احس راى وهو
كقوله هل تحس منهم من احد وقيل احس اى وجد وهو قول الكسائى وقيل اى عرف وهو كله واحد ثم قوله احس
منهم الكفر قال من انصارى الى الله يحتمل والله اعلم ان قومه لما سألوه ان يسأل ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء
تكون لهم آية لرسالته وصدقه ففعل الله عز وجل ذلك وانزل عليهم المائدة ثم اخبر ان من كفر منهم بعد نزول المائدة
يعذب عذابا لا يعذب به احدا فكفروا به فعلم ان العذاب ينزل عليهم فاحب ان يخرج بمن آمن به ليلا ياخذهم العذاب
فقال من انصارى الى الله يؤيد ذلك قوله فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا
على عدوهم الآية ويحتمل ان يكونوا اظهروا الاسلام له وكانوا فى الحقيقة على خلاف ذلك فلما علم ذلك منهم وقد هموا
على قتله قال عند ذلك من انصارى الى الله احب ان يكون معه انصار مع الله ينصرونه فيظهر المؤمنون من غيرهم
فنصرهم الله على اعدائهم ليظهر المؤمنون من غيرهم وهو قوله فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومن الناس
من يقول انه لم يكن فى سنة عيسى عليه السلام الامر بالقتال وفى الآية اشارة الى ذلك بقوله فايدنا الذين آمنوا
على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اخبر انهم اصبحوا ظاهرين على عدوهم فلا يخلوا اما ان يكون قتالا او غلبة بحجة او شئ
مما يقهرهم والله اعلم وقوله قال الحواريون نحن انصار الله اختلف فى الحواريين قال بعضهم هم القصارون
الغسالون للثياب ومبيضوها وعن ابن عباس رضى الله عنه قال انما سموا الحواريين لبياض ثيابهم وكانوا
يصيدون السمك وقيل الحوارى الوزير والناصر والخاص على ما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى
حواريين وحوارى فلان وفلان ذكر نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وانما اراد والله اعلم الناصر
والوزير ويحتمل ان يكونوا سموا بذلك لصفاء قلوبهم وهم اصفياء عيسى عليهم السلام كذلك روى عن ابن عباس
رضى الله عنه والله اعلم بهم وقوله نحن انصار الله ان الله يتعالى عن ان ينصر ولكن يحتمل نحن انصار الله اى انصار
دين الله او انصار نبيه او انصار اوليائه تعظيما وكذلك قوله ان تنصروا الله ينصركم ان الله لا ينصر ولكن ينصر دينه
او رسله او اولياءه وهو كقوله يخادعون الله ان الله لا يخادع ولا يمكن ولكن لما خادعوا اولياءه او دينه اضاف
ذلك الى نفسه فعلى ذلك لما نصروا دين الله ونبيه ووليه اضاف الى نفسه وقوله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون
الاية تنقض قول من يجعل الايمان غير الاسلام لانهم اخبروا انهم آمنوا وانهم مسلمون لم يفرقوا بينهما وكذلك قوله
فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لم يفصل بينهما وجعلهما واحدا وكذلك
قول موسى لقومه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين لم يجعل بين الايمان والاسلام
فرقا وهو قولنا ان العمل فيهما واحد لان الايمان بان تصدق بانك عبد الله والاسلام وان تجعل نفسك لله
سالما وقيل الايمان اسم ما بطن فى القلب والاسلام اسم ما ظهر الا ترى انه جاز فى الاسلام الشهادة وفى الايمان التصديق
وقوله ربنا آمنا بما انزلت يعنى والله اعلم بما انزلت من الكتب التى انزلها على الرسل جميعا فان اراد وبما انزلت
على عيسى عليه السلام فالايمان بواحد من الكتب او بواحد من الرسل ايمان بالكتب كلها وبالرسل جميعا وقد ذكرنا

هذا فيما تقدم وقوله ومكروا ومكر الله مكروا بنبي الله عيسى عليه السلام حيث كذبوه وهموا بقتله ومكر الله
اي يجزيهم جزاء مكرهم والاخر فالمكر مذموم عند الخلق فلا يجوز ان يسمى الله به الا في موضع الجزاء على ما ذكره عز وجل
في موضع الجزاء كقوله فمن اعتدى عليكم والاعتداء منهي عنه جايز كقوله ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين فكان
قوله فاعتدوا عليه هو جزاء الاعتداء فيجوز فعلى ذلك المكر والخداع والاستهزاء لا يجوز ان يسمى به فيقال يا ماكر
ويا خادع ويا مستهزئ لانها حرف مذمومة عند الناس فيشتم بعضهم بعضا بذلك لذلك لا يجوز ان يسمى الله به
الا في موضع الجزاء وبالله العصمة وقوله والله خير الماكرين اي خير الجازين اهل الجور بالعدل واهل الخير بالفضل وقيل
ومكروا حيث كذبوه وهموا بقتله ومكر الله حيث رفع الله عيسى عليه السلام والقى شبهه على رجل منهم حتى قتلوه فنجى ذلك
حين عيسى عليه السلام من مكرهم وقيل ومكروا اي قالوا ومكر الله قال الله وقولهم الشرك وقال لهم قولوا التوحيد
والله خير الماكرين اي خير القايلين والله اعلم قال الشيخ رحمه الله والله خير الماكرين بما بالحق يمكر ويأخذ من استحق
الاخذ وهم لا والله اعلم والمكر هو الاخذ بالغفلة والله يأخذهم بالحق من حيث لا يعلمون فسمي مكرا لذلك كما يقال
امتحنه الله وهو لا يستظهر ولكن لا يراد به هذا في الله وقوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك اختلف فيه قيل هو
على التقديم والتأخير ورافعك الي ثم متوفيك بعد نزولك من السماء ولكن هو التقديم والتأخير ولم يكن في الذكر
فهو سواء لانا قد ذكرنا ان ليس في تقديم الذكر ولا في تأخيره ما يوجب الحكم كذلك لانه كم من مقدم في الذكر
هو مؤخر في الحكم وكم من مؤخر في الذكر هو مقدم في الحكم فاذا كان كذلك لم يكن في تقديم ذكر شيء ولا في تأخيره
ما يدل على ايجاب الحكم كذلك كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها فانما هو قبض الارواح فيحتمل الاول كذلك ويحتمل
توفي الجسم اي متوفيك من الدنيا اي قابضك وليس بوفاة موت وعن ابن عباس رضي الله عنه اني متوفيك اي مميتك
وهو ما ذكرنا ليعلم انه ليس بمعبود وقوله ورافعك الي هو على تعظيم عيسى عليه الصلوة والسلام ليس على ما قالت
المشبهة باثبات المكان له لانه لو كان في قوله رافعك الي يوجب ذلك يجب ان يكون اهل الشام اقرب اليه لان ابراهيم
صلوات الله عليه قال اني ذاهب الى ربي والكوفة اليه قريب منه كقوله ثم الي مرجعكم دل هذا ان ما قالوا خيالا
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولكن على التبجيل والتعظيم اعني المضاف اليه والاصل في هذا ان الخاص اذا اضيف
الى الله فانما يراد به تعظيم ذلك الخاص نحو ما قال بيت الله على تعظيم البيت وناقة الله على تعظيم الناقة ونحوه
مما يكثر وقوعه واذا اضيف الجماعة اليه فهو على ارادة تعظيم الرب جل ثناؤه نحو رب العالمين وله ملك السموات
والارض ونحوه كله على ارادة تعظيم الرب جل ثناؤه وقوله ومطهرك من الذين كفروا قيل فيه بوجوه قيل مطهرك
من اذى الكفرة من بين اظهر المخالفين لك وقيل ومطهرك من الكفر والفواحش ويحتمل ومطهرك مما قالوا فيك
وقوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا يحتمل يجعله فوق الذين كفروا بالقهر والغلبة والقتل ويحتمل
بالحجة ويحتمل في المنزلة والدرجة في الآخرة ويحتمل قوله ومطهرك بقتل الكفرة من وجه الارض على ما ذكر في بعض
القصة انه ينزل من السماء فلا يبقى على وجه الارض كافر الا وهو يقتله مع الذين اتبعوه فذلك تطهيره وجعل
الذين اتبعوه فوق الذين كفروا وقوله ثم الي مرجعكم ذكر هذا والله اعلم وان كان المرجع للكل اليه في كل حال
لانهم يقرون ويعترفون في ذلك اليوم ان المرجع اليه وكانوا ينكرون ذلك في الدنيا وهو كقوله الملك يومئذ لله
كان له في ذلك اليوم ولكن معناه لا ينازع احد يومئذ في ملكه ويقرون له بالملك وفي الدنيا انكروا ملكه وهو كقوله
وبرزوا لله جميعا كلهم بارزون لله في كل وقت لكنهم انكروا بروزهم في الدنيا لم ينكرون يومئذ بالبروز له
فكذلك الاول والله اعلم وقوله فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون يحتمل احكم بينكم من المحق منكم ومن المبطل
ويحتمل احكم بينكم اي اجزيكم على قدر اعمالكم وقوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا واما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات الآية ويحتمل احكم بينكم اي اجزي كلا بعمله على ما يستوجبون وقوله في الدنيا قيل القتل
والجزية وفي الآخرة العذاب قال الشيخ رحمه الله في قوله اني متوفيك ورافعك الي فقوله متوفيك يحتمل توفي الموت

بما يقبض

بما يقبض روحه كقوله يجمع البشر تكذيبا لمن ظن انه الله او ابنه لا يحتمل ان يموت وقد الزمهم هذا ايضا
بوجهين ظاهرين وان كان فيما عليه خلقته وجوهره ثم تقلبه من حال الى حال في نفسه ومكان الى مكان في حق
القرار والحاجة كفاية لمن يعقل الحقايق وبلغه لمن تأمل الاشياء عبرا احدهما بقوله ما المسيح بن مريم وقوله عيسى
ابن مريم حتى نطق به لسان كل منهم ومعلوم احالة ان يشبه الها او ولد الاله اذ هو يكون اصغر منهما وذلك آية حدثه
وكذلك قوله في المهداني عبد الله الى آخر ما ذكر معا لو احتمل ذلك لكان آدم عليه السلام هو الاصل وهو المقدم وهو
الذي لا يعرف له والدان احق وهو اذ هو بجوهره فهو ولده لا غير اذ ذلك وصف الاولاد والله اعلم والثاني قوله
كانا يأكلان الطعام فاخبر عن حاجته وغلبة الجوع عليه وفقر نفسه الى ما يقيمها من الاغذية ثم في ذلك حاجته
الى الخلاء واختياره الامكنة القذرة لقضاء حاجته وبالله التوفيق والثاني على قبضه بنفسه من بين اظهر اعدائه
ورفعه الى ما به شرفه وتطهيره مما كان يحتمل منهم من الكفر وانواع الفساد وختمه من بين البشر على وجه آية يكون له
عليهم من اول احوال ظهوره الى آخر احواله مقامه فيهم ليكون اوضح لمتبعيه في الآيات وعلى مخالفيه في قطع العذر
ولا قوة الا بالله وفي الدعاء الى المباهلة دلالة ظهور التعنت والعناد وفي تخلفهم عن ذلك دليل علمهم
بعنتهم وخوفهم مما قد وعدوا بالنزول عليهم ثم لزموا مع ذلك ما كانوا عليه من السفه والعناد ليعلم ان الحيل
عنهم اعتاد المعاندة منقطعة ومعلوم ان الدعاء الى المباهلة لا يكون في اول احوال الدعوة وانما يكون بعد توفير
الحجة وقطع الشبهة ففي ذلك بيان انه كانت ثم محاجاة حتى يبلغ الامر هذا وعلى ذلك امر القتال انه لم يوضع في اول
احوال الارسال وفي الحال التي للقول والحق وجه القبول من طريق النصف والعقل وانما كان عند ما ظهرت معاندتهم
وكثر سفههم حتى هموا بالقتل واكثروا الاذى واكرهوا اقواما على الكفر واخرجوا رسول رب العزة من بين
اظهرهم بما داموا قتله وطرد واصحابه من بلادهم حتى تحصنوا بالغيران فاذن الله تعالى عند ذلك بالقتال
وفتح الفتوح ليكون آيته في كل وجوه الآيات ظاهرة وحجته بينة وفي ذلك جواز محاجة الكفرة في التوحيد
والرسالة لكن على ما قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن ولا تمار فيهم الا مراء ظاهرا نهى عن التعمق والخوض
فيما يقصر عنه والافهام وان كان معلوما ان لله حججا ظاهرة وغامضة ولا قوة الا بالله وفي ذلك تعليم الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر انه يكون ذلك باللطف والرفق يري المقصود به ليقرر عنده الحجة ويزيل عنه الشبهة
من الوجه الذي يحتمله عقله ويبلغه فهمه فان رآه يتعامى في ذلك يوعده ويخوفه بالذي في ذلك من الوعيد
فان رأيته يكابر عرفت شوم طبعه وسوء عنصره فقداؤه بما جاء به التعليم من الضرب والحبس فان نفع
ذلك والا كف شره عن غيره وتطهير الارض فانه النهاية في القمع والغاية فيما يحق من معاملة السفهاء
والله اعلم لكنه على ما انه لا يحتمل انتهاء كل انواع المآثم الى هذه الغاية بل فيها ما كان اعظمها دون هذا اكثر
والله اعلم لذلك يلزم تعرف مقادير الآثام او لا ليعرف بها ما يحتمل كل اثم من العقوبة فيه والزجر به ولا قوة
الا بالله وقوله والله لا يحب الظالمين لانه لا يحب الظلم وقوله ذلك نتلوه عليك قيل ذلك الذي ذكر في هذه
الآية نتلو عليك يا محمد من الآيات والذكر الحكيم قيل الحكيم هو المحكم وقيل الحكيم اي من نظر فيه وتفكر يصير حكيما
كما قال والنهار مبصرا اي يبصر فيه والله اعلم وقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
قيل في القصة ان النصارى من اهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان تشتم صاحبنا
عيسى بن مريم عليه السلام تزعم انه عبد وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فارنا
فيما خلق الله عبدا مثله يعمل هذا والنصارى في الحقيقة مشبهة وقدرية اما التشبيه فانما عملهم على ذلك
ظنهم في قول ابراهيم صلوات الله عليه حيث قال ربي الذي يحيي ويميت ظنوا ان عيسى لما قال اني اخلق لكم
من الطين كهيئة الطير انه رب والله لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اخبر ان ربه الذي يحيي ويميت
فسموا عيسى الها بهذا وهم كانوا يرون عيسى يأكل ويشرب وينام فلولا انهم عرفوا الله عز وجل والا ما شبهوه

النصف لغة النصفة وهو الاسم من الانصاف قال الفرزدق
ولكن نصفا لو سببت وسبني
بنو عبد شمس من مناف وهاشم

تعالى الله عن ذلك واما القدر فلما يروا الله فى افعال العباد اثمارا واذ لك للحق خاصة فلما راو ذلك من عيسى
ظنوا انه رب لما لم يروا ذلك من غيره ولو كانوا عرفوا الله حق المعرفة لعلموا ان لم يكن من عيسى الا تصوير ذلك الطير
وتمثيله ويكون مثله من كل احد وانما الاحياء كان من الله عز وجل اجراه على يدى عيسى واظهره وانما كان من عيسى
تصويره فقط وكذلك ما كان من ابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من الله عز وجل اجراه على يديه آيات لنبوته
لانهم ادعوا له الربوبية من وجهين لكونه من غير اب ولآياته ثم قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم يحتمل وجهين والله اعلم
احدهما ان الله عز وجل صور صورة آدم من طين ثم جعل فيه الروح لم يجز ان يقال صار آدم حيا من نفسه لوجود
صورته كيف جاز لكم ان تقولوا ان عيسى لما صور ذلك الطير من الطين صار محييا له بتصويره اياه دون احياء الله
اياه والله اعلم والثانى ان آدم عليه السلام خلق لا من اب وام ثم لم تقولوا انه رب واله كيف قلتم فى عيسى انه اله
وان خلق لا من اب اذ عدم الابوة فى آدم لم توجب ان يكون ربا كيف اوجب عدم الابوة فى عيسى كونه ربا واله
والله الموفق وانما كان عيسى بقوله كن كان آدم ايضا بكن من غير اب وقوله كن فيكون قد ذكرنا انه اوجز كلام فى لسان
العرب بغير فيؤدى المعنى فيفهم المراد الا ان كان من الله عز وجل كاف ونون او وقتا وحرف او يوصف
كلامه بشئ مما يوصف به كلام الخلق تعالى الله عن ذلك وقوله فيكون يحتمل وجهين يحتمل يكون بمعنى كان لما
والعرب تستعمل ذلك ولا تأتى والثانى ان يكون الكاينات باسبابها فى اوقاتها التى اراد كونها على ما اراد واصل
ذلك انا اذا ذكرنا الله ووصف نذكر بلا ذكر وقت فى الازل واذا ذكر الخلق يذكر الوقت والوقت يكون للخلق
يقول خالق لم يزل وخالقه فى وقت خلقه وقوله الحق من ربك فلا تكن من الممترين يحتمل هذا وجوها يحتمل ان يكون
الخطاب لكل احد قال فى عيسى ما قالوا اى لا تكن من الممترين فى عيسى انه عبد الله خالصا وانه بينه وبينه
اليكم ويحتمل ان يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وهكذا عادة ملوك الارض انهم اذا ارادوا
ان يعرفوا رعيتهم شيئا يخاطبون اعقلهم وافضلهم وارفعهم منزلة وقدرا عندهم استكبارا منهم مخاطبة
كل وضيع وسفيه فكذلك الله عز وجل خاطب نبيه اعظاما له واجلالا والله اعلم ويحتمل ما ذكرنا فيما تقدم
ان العصمة لا تمنع الامر والنهى بل تزيد امرا ونهيا وان كان يعلم انه لا يكون من الممترين وقوله فمن حاجك
من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الآية دعاهم صلى الله عليه وسلم الى المباهلة
فالمباهلة فى لغة العرب الملاعنة دعاهم الى الدعاء باللعنة على الكاذبين فامتنعوا عن ذلك خوفا منهم
خوف اللعنة فدل امتناعهم عن ذلك انهم عرفوا كذبهم لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يقروا بالحق وقوله
ان هذا لهو القصص الحق يعنى الخبر الحق وقوله وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم ظاهر قد ذكرنا
فيما تقدم والله اعلم وقوله الحق من ربك يحتمل خبر الحق فى امر عيسى عليه السلام انه كان عبدا بشرا نبيا
فلا تكن من الممترين اى لا يحملنك شدة محاجتهم وكثرتهم فى القول فيه بهذا الوصف على الشك فى الخبر الذى
جاءك عن الله كقوله لعلك تارك بعض ما يوحى اليك الى آخره على الموعظة لا على انه يكون كذلك او على ما سبق
ذكره والله اعلم ويحتمل الحق من ربك اى كل حق فهو عن الله جايز اضافته اليه على الوجوه التى تضاف اليه
والباطل من الوجه الذى هو باطل فلا تكونن فى ذلك من الممترين والله اعلم وجايز ان يقول جعل الله
ذلك الفعل ممن فعله باطلا ولا يقال الباطل من الله والله اعلم وقوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم يعنى كلمة الاخلاص والتوحيد سواء بيننا وبينكم اى عدل اى تلك الكلمة عدل بيننا وبينكم لانهم
كانوا يقرون ان خالق السموات والارض الله بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وكذلك
يقرون ان خالقهم الله بقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله لكن منهم من يعبد دون الله اوثانا ويقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومنهم من يجعل له شركاء وانداد يشركهم فى عبادته فدعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ان لا يجعلوا عبادتهم الى غير الذى انعم عليهم اذ العبادة الا الله الذى اقروا جميعا انه خالق

لو كان المجيء من موجبات الصورة والخلقة
شرح

اى فى سورة البقرة عند قوله تعالى واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون

اى كل حق فهو من الله تعالى فهو جايز الاضافة اليه على الاطلاق ولا يجوز الاضافة اليه مطلقا انما يجوز بالتقييد فيقال خلق الله تعالى ذلك الفعل ممن فعله باطلا ولا يقال الباطل من الله تعالى
شرح

السموات والارض وانه ربهم وان لا يصرفوا عبادتهم الى غير الذى انعم عليه اذ العبادة هى شكر وجزاء ما انعم
عليهم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله لان العبادة لواحد اهون
واخف من العبادة لعدد وان صرف العبادة الى ما انعم عليكم اولى من صرفها الى الذى لم ينعم عليكم اذ ذلك جور
وظلم فى العقل ان ينعم احد على آخر فيشكر غيره قال الشيخ رحمه الله العدل فى اللغة وضع الشئ موضعه وفى اخلاص
العبادة لله والتوحيد ذلك وهذا معنى سواء وجايز ان يكون كلمة يستوى فيها انها عدل ما شهد لنا بهذا كل انواع الحجج
وقوله فان تولوا يحتمل تولوا عن طاعة الله وتوحيده وصرف العبادة اليه فقل كذا ويحتمل فان تولوا عن المباهلة
والملاعنة فقل اشهدوا بانا مسلمون اى مخلصون العبادة له صارفون الشكر الى ما انعم علينا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله
فان تولوا عن قبول ما دعوتهم اليه من الاجتماع على الكلمة وقوله يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم قيل وذلك
ان اليهود قالوا ان ابراهيم كان على ديننا اليهودية والنصارى ادعت انه كان على دينهم ومذهبهم ليس على دين الاسلام
فنزل قوله لم تحاجون فى ابراهيم يعنى فى دين ابراهيم صلوات الله عليه وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده
يعنى من بعد ابراهيم وهو يحتمل وجهين يحتمل ان التوراة والانجيل انما نزلا من بعده وانتم لم تشهدوه يعنى
ابراهيم حتى تعلموا انه كان على دينكم لم تقولون بالجهل انه كان على دينكم ويحتمل وما انزلت التوراة والانجيل الا
من بعده اى ان التوراة والانجيل انما نزلا من بعد موته وكان فيهما انه كان حنيفا مسلما افلا تعقلون انه
كان حنيفا مسلما ثم اكذبهم الله عز وجل فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان
من المشركين قال الشيخ رحمه الله وفى هذه الآية دلالة انهم علموا انه كان مسلما لكن ادعوا ما ادعوا متعنتين حيث
لم يقابلوا بكتابهم بالذى ادعوا نعته وبخلاف ما ادعى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نعته وفيه دلالة
الرسالة اذ فى دعواهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعرف نعته بهم لما ادعواهم غير الذى ادعى فثبت
انه عرف بالله وذلك علم الغيب والله الموفق وقوله ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
وهو ما ذكرنا وفيه دلالة جواز المحاجة فى الدين على العلم به وانما نهى هؤلاء عن المحاجة فيما لا علم لهم الا ترى
ان الرسل عليهم السلام حاجوا قومهم حاج ابراهيم عليه السلام قومه فى الله وذلك قوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
على قومه وموسى عليه الصلوة والسلام حاج قومه وما من نبى الا وقد حاج قومه فى الدين فذلك قول من يأبى
المحاجة فى الدين قال الشيخ رحمه الله وايد الحق انه كذلك عجز البشر عن ايراد مثله وعجزهم عن المقابلة بما ادعوا
ما ادعوا انهم عرفوه بالله وقوله ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين امنوا وهكذا يكون فى العقل
ان من اتبع آخر واطاعه فهو اولى به وانما الحاجة الى السمع بمعرفة المتبع له والمطيع انه ذا او ذا فاخبر عز وجل ان الذين
امنوا والنبى صلى الله عليه وسلم هم المتبعون له فهم اولى به وقوله والله ولى المومنين اختلف فيه قيل الولى
الحافظ وقيل الولى الناصر وقيل هو اولى بالمومنين وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقد يكون وليهم بما دفع عنهم سفه
اعدائهم فى ابراهيم واظهر الحق فى قولهم قال الشيخ رحمه الله فى قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية
وفى قولهم لم تحاجون وفى قولهم لم تلبسون الحق بالباطل الآية ونوع ذلك من الآيات التى خص بالخطاب بها اهل
الكتاب وجوه من المعتبر احدها ان الذين خوطبوا بهذا الاسم معروفين وانه لم يحفظ بال مسلم انه قصد به
غير اهل التورية والانجيل ولا ذكرت تلاوتها فى حق المحاجة على غيرهم ثبت ان المجوس ليسوا باهل الكتاب وان المراد
من ذكر اهل الكتاب غيرهم وان اخذ الجزية من المجوس ليس بما تقدمهم قوله من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون لكن بدليل آخر وهو ما روى عن نبى الله انه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى
نسائهم ولا آكلى ذبائحهم وعلى ذلك اية قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا ليعلم ان الكتاب
المعروف واهله هؤلاء وان كانت ثم كتب وصحف والله اعلم والثانى ان الله حفظ اهل الكتاب بانواع الحجج وجعل
المحاجة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوضح انه وان كان مرسلا الى جميع البشر كان له التخصص

فى المحاجة وعلى ذلك عامة سورة الانعام فى محاجة اهل الشرك على ان اهل المدينة كانوا اهل كتاب واهل مكة
كانوا اهل الشرك فحاج كلا بالذى هو احق ان يكلم فيه وان كانت الحجة تلزم الفريقين لان محاجة اهل الشرك اكثرها
فى التوحيد واما البعث وعلى وجوده فيه فى اهل الكتاب بعض المشاركة لهم ومحاجة اهل الكتاب بما فى كتبهم وفيه
وجهان احدهما العلم بما قد غاب عنه السبب الذى يوصل اليه بالكسب ليعلم انه وصل اليه بالوحى فيكون من ذلك
الوجه حجة على الفريقين والثانى ظهور سفه اهل الكتاب بوجه يسقط عند التامل الرتبة والمحل الذى كان
يمنعهم ذلك عن اتباعه وذلك فيما فيها مدح كتبهم وشهد لها بالصدق والحق واظهار الايمان برسلهم ليعلم انه
ليس بين الرسل والكتب اختلاف فى الدعاء الى عبادة الله وتوحيده وان اولئك انما كذبوا لتسلم لهم الرياسة
ثم مع ذلك ظاهروا اهل الشرك المكذبين لكتبهم ورسلهم ليعلم كل ذى عقل شبههم وتمردهم فى الباطل
اذ ظاهروا اعداءهم فى الدين على من الذى ظهر موالاته فى الدين ولله فيكون فى ذلك ابلغ الزجر لمتبعيهم
واعظم الحجة عليهم فيما اثروا من السفه وتركوا الحق والله اعلم وفى ذلك وجه آخر ان اهل الشرك قد عرفوا
حاجاتهم الى اهل الكتاب فى امور الدين وما عليه امر السياسة فيصير ما يلزم اولئك من الحجة لازمة لهم
فى محاجته بالذى فى كتبهم لزوم الحجة معا عليهم فى ذلك بما قد اقسموا بالله جهد ايمانهم الاية ابلغ الحجة
فى محاجة اهل الكتاب اذ تمنوا ان يكون لهم نذير فكان وقد بلغ المبلغ الذى له ظهر بما احتجوا من الحجج وشاركوا
اولئك فى جميع ما به كان افتخارهم عليهم وادعوا الفضل والله اعلم معا لم يكن له اللسان الذى به ظهر
كتبهم اخبرهم بجميع ما فى كتبهم لغير لسانهم ليعلموا انه ادركه ذلك بمن له حقيقة كتبهم والله اعلم وفى ذلك
وجه آخر انه حاجهم بوجهين احدهما بالموجود فى كتابهم والمعروف عند ائمتهم من العلم بالكلمة
التى دعاهم اليها من التوحيد وعبادة من له الخلق والامر واحيا رما فى كتبهم من انواع البشارات به
ومن موافقة الكتب وعلى ذلك امر ابراهيم عليه السلام وغيرهم ليكون اعظم فى الحجة واقطع للشغب
والله اعلم والثانى مما قد حرفوا من كتبهم وبدلوا من احكامهم وحرفوا من صفته ونعته ونعت امته ان
ليعلم كل متامل انه لا وجه لعلم ذلك بهم اذ لا يحتمل ان يكون منهم هتك استارهم والاطلاع على اسرارهم
بما لا يتهيأ لهم دفع ذلك ولا المقابلة فى ذلك ليعلم كل الخلائق من انقادهم او لا ان ذلك لا يدركه
الا من له العلم بكلية وجزئى ولا قوة الا بالله معا فى ذلك وجهان من المعتبر احدهما ان ذلك الزمان
لم يكن زمان حجاج ونظر فى امر الدين انما كان ذلك الزمان زمان تقليد فى امر الدين وتناهى فى امر الدنيا
وتفاخر بكثرة الاموال والمواشى فبعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم نشأ من بين اظهرهم دعاهم
الى ترك التقليد فى الدين واتباع الحجج التى لا يبلغها اهل الحجاج بعقولهم دون ان يكون لهم المعونة من علم
الوحى وما فيه من حكمة الربوبية فكيف والقوم اصحاب التقليد اما ثقة بائمتهم الذين ادعوا علم الكتب المنزلة
واما ثقة امنا بآبائهم فيما نشأوا عليه ان الحق لا يشذ عنهم على ما فى ذلك من الاختلاف الذى يمنعهم الامرين
جميعا لكنهم اذا لم يكونوا اهل نظر فى الدين ومحاجة فيه لم يعرفوا ان ذلك يمنعهم التقليد فاظهر لهم الحجج
وانبأهم بالمودع من حجاج انبيائهم فى كتبهم والزمهم ان فى آبائهم من يلزم التقليد كانوا احق بذلك
بما كان عندهم ان آباءهم كانوا على دينهم بما بين من تغييرهم وتبديلهم وترك الواجب عليهم
من حق الاتباع والله اعلم والثانى اذ ظهر فيهم الاختلاف فى ائمتهم على ادعاء كل منهم ان ذلك هو الذى
كان عليه الانبياء والرسل فى اهل الكتاب وحاجات غيرهم بما ليس عندهم الا آداء آباء ابليس عندهم فضل
على العقول ثم كان معلوما عند الاختلاف والتفرق فصارت الحاجة قد عمتهم والعلم بهم فى لزوم الاحكام
الى من يدلهم على الحجة ويعرفهم الحق قد تقرر عندهم فبعث الله بفضله من اظهر لهم بما انطق به لسانه للحجاج
ما راهم من علمه بما غير وحفظ مما كان عليهم اوائلهم فكان ذلك اظهر البيان واولى ما يعرف

من فضائله الله عليهم بالاغاثة والامتنان عليهم بالفرج مما قد مستهم اليه الحاجة ودفعتهم الى العلم به الفاقة
والله الموفق وهذا الفصل الاول بنوع حرف لم نذكره وهو ان دعاءهم الى الزهد فى الدنيا بعد الركون اليها والى الآخرة
فى الدين بعد ظهور التفاخر بينهم بتكثير العشاير وتقابل القبايل والسخاء وجميع ما طبعوا عليه بما قد رعتدهم
ما اليه ترجع عواقب امرهم وقام بذلك على قهر العادة ومخالفة الطبيعة التى يعلم ان ذلك فى مثل ذلك
العصر انه سماوية خارجة عن وسع البشر ليكون اقطع لعذرهم واسكن لقلوبهم اليه فلله الحمد على ذلك وقوله
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء الاية قيل فيها باوجه احدها انها العدل وهى كلمة التوحيد وكانت عدلا
باتفاق الالسن اذ سئلوا عن خلق السموات والارض فى الفزع اليها بالاجابة وشهادة الخلقة على وحدانيته فى الخلق
والامر والله اعلم ومن هذا الوجه امكن ان يحاج جميع الخلق وان حض به اهل الكتاب والله اعلم والاخرى ان
فيها انها حق وعدل وهى عبادة الواحد الذى لم يختلف فى انه معبود وان كل من عبد غيره فعلى ان يكون له العبادة
بعيده فيرجع الى الحقيقة دون ان يكون بيننا وبينه من يعلم انه لا يستحق العبادة وهذا المعنى يلزم الجميع
ايضا والثالث ان يكون الى كلمة ظهر انها عدل فى كتابهم بما جاءت رسلهم ونزلت بها كتبهم ولا قوة الا بالله وقوله
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم ذكر فى القصة ان المشركين اخذوا عمارا وحذيفة فقالوا لهم ديننا
افضل من دينكم وافضل من الاديان كلها فنزلت هذه الاية والاشبه ان يكون مثل هذا من رؤساء اهل الكتاب
وعلمائهم هم الذين يتولون مثل هذا العمل واما الجهال منهم والرذلة فانهم لا يفعلون هذا والله اعلم وقوله لو يضلونكم
وما يضلون الا انفسهم الاضلال قيل فيه بوجوه قيل الاضلال هو الاهمال اراد وان يهمل ذكرهم ولا يذكرون بعدهم
ابدا كما يهمل ذكر اولئك وقيل الاضلال هو الاهلاك وقيل الاضلال هو الحيرة وكل ضال طريقا فهو متحير تائه وما يضلون
الا انفسهم اى ما يهلكون الا انفسهم او ما يهملون الا ذكر انفسهم وما يشعرون اى وما يشعرون انهم يهلكون انفسهم ويحتمل
وما يشعرون ما ذا عليهم فيما ودوا من اليم العقاب والله اعلم ويقال نزلت فى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
وقوله يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يحتمل وجوها يحتمل وانتم تشهدون تلك الآيات
وتعاينونها وتعلمون انها آيات لكن تكابرون وتعاندون ولا تؤمنون بها ويحتمل وانتم تشهدون اى وانتم تعلمون
ما فى التوراة والانجيل بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته انه رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل
الصلوات واكمل التحيات ويحتمل غيرها من الآيات التى جاء بها وقال بعضهم لم تكفرون بدين الله وانتم تعلمون بدلالة
الخلقة وشهادة كتبكم ان دين الله وتوحيده حق وقوله يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم
تعلمون فى الاية دلالة لا تجاوز هتك الستر وافشاء المكنون والمكتوم من الامر انما كان فى ذلك تحذير لغيرهم عن مثله
وترغيبهم فى المحمود من الفعل ثم فيه دلالة اثبات رسالة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يخبرهم عما كانوا
يكتمون ويسرون فيما بينهم وذلك عن اطلاع الله تعالى اياه على ذلك وانتم تعلمون ذلك الا ترى انهم لم يتعرضوا له بشئ
من ذلك فيقولون متى كتمنا الحق ومتى لبسنا الحق فدل انهم علموا انه حق وانه رسول الله عليه الصلوة والسلام وان ذلك
انما علم بالله عز وجل وذلك قوله وانتم تعلمون ثم علم ذلك يكون بان كان ذلك فى كتابهم وعلموا بالآيات المعجزة ويحتمل
قوله وانتم تعلمون ما جزاء من لبس الحق بالباطل وكتمه والله اعلم ويحتمل وانتم تعلمون انكم تلبسون الحق بالباطل
وقوله وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره قيل فيه وجوه
قيل قوله آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره يعنى باول امر محمد صلى الله عليه وسلم لا النهار
نفسه وذلك ما روى فى القصة ان بعضهم كان يقول لبعض ان محمدا كان على قبلتنا وقبلته بيت المقدس ويصلى اليها
فآمنوا انتم به واكفروا آخره يعنى آخر امره يعنون قبلة البيت الحرام الكعبة اى اكفروا بالقبلة التى يصلى اليها الآن
وهو الكعبة وقيل ان بعضهم يقول لبعض آمنوا بمحمد فى اول امره حتى يؤمن جميع العرب ثم اكفروا به فى آخر امره
فيقولون لنا لم كفرتم به ورجعتم عن دينه فنقول لهم انا وجدنا فى التورية نعت نبى وصفته فحسبنا ان هذا

فامنا به ثم نظرنا فاذا ذلك لم يكن نعته ولا صفته فرجعنا عن دينه وكفرنا به حتى يرجعوا جميعا عن دينه
فذلك قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وقيل ايضا ان رؤس اليهود قالوا
للسفلة صدقوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وجه النهار يعني اول النهار يعني صلوة الغداة فاذا كان
صلوة العصر اكفروا به فقولوا لهم ان قبلة بيت المقدس كانت حقا فما ذا بعد الحق الا الضلال ليرجعوا عن دينهم
فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه دلالة رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما ذكرنا انه كان يخبرهم بما يضمرون
في انفسهم ويسرون فذلك اطلاع الله تعالى اياه ويحتمل قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار
اي اظهروا لهم الاسلام والموافقة ولا يؤمنوا به في الحقيقة يدل على ذلك قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
في الحقيقة اي آمنوا به ظاهرا واما في الحقيقة فلا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقال الشيخ رحمه الله في قوله وقالت
طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين الاية يحتمل وجهين • احدهما حقيقة النهار • ثم يتوجه
وجهين احدهما امر القبلة خاصة فيريدون بذلك المحاجة بالموافقة في احد او فيتبين عليهم فيما خالفوا في ذلك
وان علموا ان ذلك حق ليشبهوا على الضعفة انه لا تزال تنتقل من دين الى دين ومذهب الى مذهب وان نحن لزم
الدين الاول والمذهب الاول احق للموافقة فيه مرة ولما لا يؤمن البقاء على الثاني وهو كقوله سيقول السفهاء من الناس
ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وعلى ذلك انكروا جواز نسخ الشرايع سفها منهم اذ ليس معنى التناسخ الا اختلاف
العبادات لاختلاف الاوقات وذلك المعنى قايم وانما التناسخ الا ما عليه تناسخ الاحوال في كل على ان العبادات
فيها المصلحة ومن تعبدهم عالم بالذي به الاصلح في كل وقت فله ذلك والثاني ان يكون الذي اول النهار لعله انزل
بما فيه وصف رسلهم وكتبهم من الهدى والبيان او وصف اوايلهم في رعاية الحق وتعاهد الدين فامروا بالايمان
بذلك ليروا قومهم ان قد ثبت وصف من تقدم بما ذكروا انهم على ذلك ومنه جاء فيما اخبر من تبديل من بدل
من اوايلهم وتحريفهم الا ان كانوا كذلك ليلزموهم التقليد في الامرين والله اعلم • وحققه الله اذا عرف حال الاوايل
لانهم فضلى ذلك امر الاخر ومن به كانت المعرفة الزمهم التصديق في الامرين جميعا وعما ان في القرآن وصف تصديق
كتبهم فحجتهم فيما هو ومقابلة كتب انبيائهم لتكون هي القاضية والمثبتة للحق انه على ما ادعوا وادعي عليهم
وقد ظهرت نعتهم بمظاهرتهم للمنكرين لكتبهم المكذبين برسلهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بعد تصديقهم اياهم وشهادة كتابه في ذلك ليعلم المتامل عنادهم بغيا وحسدا كما اخبر الله تعالى عنهم والوجه الاخر
من تاويل الاية ان يراد بما اخبر عنهم اوله واخره لا حقيقة بياض النهار ثم ذلك يخرج على وجهين احدهما
ان يكون دعاة في اول الامر الى التوحيد والايمان بالكتب المتقدمة وهم يدعون الى ذلك وعلى ذلك كانوا قبل المهود
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخر ذلك بما تبين من تحريفهم ونعتهم لما اخذهم البغي وغلبهم الحسد وخافوا
على رياستهم واشفقوا على ملكهم وحب الشيء واظهار كثير مما قد كتم اوايلهم فكذبوه في هذا والله اعلم ويحتمل
ان يكون ذلك من ايمانهم اصطلاح على الايمان بذلك حتى يعلم محلهم وحرصهم على قبول الحق ثم يكفرون به ليكون الاول
ذريعة لهم في الثاني انهم اذ ظنوا انه على الحق ادعوا له فلما تبين لهم باطله رجعوا عن ذلك فاطلع الله نبيه
عليه السلام على ما اسروا والبصير ما ظنوا انه حجة لهم حجة عليهم وحيلة ذلك انا لا ندري ما السبب الذي كان منهم
القول وفيما كان ولكنه قد بان ان ذلك كان منهم اسرارا اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون حجة له وزجرا لهم
عن كل انواع التبديل في شان رسوله عليه افضل الصلوات بما يهتك عليهم فيفتضحون عند من راموا اسرارهم
ويسقط رياستهم والله الموفق وقوله قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اختلف فيه قيل هو
على التقديم والتاخير قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم كان على اثر قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم يقول بعضهم
لبعض ما انزل الله كتابا مثل كتابكم ولا بعث نبيا مثل نبيكم فانا ذلك حسدا منهم • وقيل ان هذا قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم للمسلمين لما نزل قوله قل ان الهدى هدى الله قال لهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم

يقول دين الله الاسلام هو الدين ان يؤتى يقول احد مثل ما اوتيتم من دين الاسلام والكتاب الذي فيه الحلال
والحرام والله اعلم ويحتمل ان يكون قال لن يؤتى احد من الانبياء قبلي من الايات مثل ما اوتيت انا لان اياتهم كانت كلها حسية
يفهمها كل احد وآيات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت حسية وعقلية لا يفهمها كلها احد الا الخواص من الناس
وحينئذ وقوله او يحاجوكم عند ربكم راجع الى قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فيحاجوكم به عند ربكم انهم قد امنوا
مرة واقروا له وهو كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
ليحاجوكم به عند ربكم انهم كانوا يظهرون لهم الاسلام والايمان ثم اذا خلوا قالوا انما نحن مستهزؤن نفاقا
بعضهم لبعض لا تظهروا لهم الاسلام فيحاجوكم عند ربكم في الآخرة وقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء • هذه الاية على المعتزلة لانهم يقولون ان الفضل ليس بيد الله وكذلك
الاختصاص انما ذلك بيد الخلق لان من قولهم ان ليس على الله ان يفعل بالخلق الا ما هو اصلح لهم في الدين ليس له
ان يؤتي احدا فضلا ولا له ان يخص احدا برسالة الا من هو مستحق لذلك مستوجب له فذلك الفضل والاختصاص
انما استوجبوا بانفسهم لا بالله على قولهم في الحقيقة الفضل عندهم كان بيدهم فاكذبهم الله بذلك اذ الفضل
عند الخلق هو فعل ما ليس عليه لا ما عليه فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الرشد قال الشيخ رحمه الله
في قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم يحتمل ان يكون في السر وان اعطيتم لهم الظاهر ويحتمل ان يكون بعد ما اظهرتم
الكفر واخره ويحتمل لا تؤمنوا بما جاء به الا لاجل من تبع دينكم فيكون عندهم قدوة يتقربون عندهم بالذي
فعلتم انكم اهل الحق فيتبعكم كيف ما تصيرون اليه ويحتمل لا تؤمنوا لا تصدقوا فيما يخبركم عن اوايلكم
الا لمن تبع دينكم على المنع من تصديق الرسول فيما يخبرهم من التحريف والتبديل وقوله ان الهدى هدى الله
يحتمل وجهين احدهما البيان ما بين الله اذ هو الحق وكل ما فيه الصرف عنه هو تلبيس وتمويه يحتمل ان يكون
الدين هو الذي دعا اليه بما اوضحه واتار برهانه لا الدين الذي دعا اليه المحرفون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
اي لن يؤتى والله اعلم من الكتاب والحجج ويحتمل ان يكون صلة قوله ان الهدى هدى الله وهو دينه والقرآن او ما دعا
اليه ثم يقول ان يؤتى بمعنى لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم اهل الاسلام من الحجج والبينات التي توضح ان الحق في ايديكم
وقوله او يحاجوكم عند ربكم فان كان هو صلة الاول ليحاجوكم او حتى ليحاجوكم اذا انتم
بما دعوا اليه فيحاجوكم بذلك عند ربكم اي انما انتم بالذي جاءكم من عند ربكم فيصير ذلك لهم حجة عليكم وان كان
صلة الثاني فهو على انهم لا يؤتون مثل ما اوتيتم من الحجج ليحاجوكم بها عند ربكم في ان الذي هو عليه حق لما قد ظهر
نعتهم وتحريفهم والله ثم بين السبب الذي هو نيل كل خير وفضل والله اعلم وقوله قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء وقوله والله يختص برحمته من يشاء ينقض على المعتزلة قوله بوجهين احدهما انهم لا يرون لله
ان يختص احدا بشيء فيه صلاح غيره صرفه عن ذلك الغير بل ان فعل ذلك كان محابيا عندهم وتخيلا بل في
الابتداء لم يكن له ذلك وانما يعطى بالاستحقاق وذلك حق يلزمه وقد ذكر حرف الامتنان وعندهم ايضا ليس له
ان لا يشاء او لا يعطي فلا معنى لذكره الذي ذكر مما صار ذلك بيد غيره اذ يلزمه ذلك والله اعلم • والثاني ان الذي
يحق عليه ان يبذل كل الاصلح في الدين وانه ان قصر احدا عن ذلك كان جائرا ثم الافضل للعبد بشيء مما اعطى
حتى يعطيه فيما امره فيكون الفضل في الحقيقة في يد العبد يؤتي نفسه ان شاء والله الموفق وقوله ومن اهل الكتاب
من ان تامنه بقنطار يؤده اليك والقنطار ما تقدم ذكره ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك وصفهم عز
عن اهل الكتاب بعضهم باداء الامانة وبعضهم بالخيانة وليس المراد من الاية والله اعلم القنطار نفسه او الدينار
ولكن وصفهم بان فيهم امانة وخيانة قلت الخيانة او عظمت وكذلك الامانة الا ترى انه يستحق الذم بدون
القنطار والدينار اذا خان وكذلك يستحق الحمد اذا ادى بدون ذلك دل انه لم يرد به التقدير ولكن على التمثيل وهو
كقوله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ليس على ارادة الذرة ولكن على التمثيل لعمل الخير والشر جزاء وان قل

فكذلك الاول وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد ولما ذكرنا انه لم يرد القدر الذى ذكره ولكن لمعنى فيه
بالاجتهاد يعرف لا بالنصوص وعلى الشافعى رضى الله عنه ان الدينار عنده مستكثر يحلف عليه مدعيه عند المنبر
والله تعالى جعله مستقلا وفيه دلالة ايضا جواز شهادة بعضهم لبعض وعلى بعض ان كانت فيهم نزلت على ما قاله
بعض اهل التاويل لانه وصف عز وجل بعضهم بالامانة بالمال وان كانت الامانة لهم فى الدين والشهادة
امانة والله اعلم ويحتمل ان يكون الاية فيمن اسلم منهم وصف بالامانة ومن لم يسلم وصفهم بالخيانة على ما ذكر
عز وجل فى اية اخرى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وصف عز وجل من امن منهم بالعدالة
والهدى ووصف الكفار بالخيانة فى غير اى من القرآن ويحتمل ان يكون الاية فيما ايتمنوا وفيما جرى بينهم
وبين المسلمين من المداينة من غير رهن ولا كفالة وهو كقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن
امانته امرهم باداء الامانة فيما ائتمنوا وقوله الا ما دمت عليه قائما قيل ملازما مواظبا ملحا دائما متقاضيا
ومن عامل من المسلمين الناس هذه المعاملة يخاف دخوله فى هذا النهى والوعيد وقوله ذلك بانهم قالوا ليس
علينا فى الاميين سبيل قالوا ذلك لانهم كانوا يستحلون اموال المسلمين ظلما يقولون لم يجعل علينا فى كتابنا
لاموالهم حرمة اموالنا علينا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وارادوا بالاميين العرب اذ ليس لهم كتاب وقيل
ذلك الاستحلال بان قالوا ليس علينا لله فيهم سبيل وارادوا بالاميين المسلمين على ما روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال نحن امة امية لا نحسب ولا نكتب وقيل قالوا لا حرج علينا فى حبس اموالهم فى التورية فاكذبهم الله
عز وجل بقوله ويقولون على الله الكذب بان ليس فى كتابهم حرمة اموالهم ولا لهم عليهم سبيل وهم يعلمون
انهم يكذبون على الله عز وجل وقوله بلى من اوفى بعهده يحتمل قوله بلى ردا على قولهم ليس علينا فى الاميين
سبيل بل عليكم سبيل فيهم ثم ابتداء الكلام فقال من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين اى هؤلاء الذين
يحبهم الله لا انتم ويحتمل قوله بلى من اوفى بعهده الذى عليه فى التورية من اداء الامانة واظهار نعته صلى الله
عليه وسلم وصفته التى فيها واتقى محارمه وظلم الناس فى ترك الوفاء وفى نقض العهد وصدق الله ورسوله
ولم يكتم نعته وصفته فان الله يحبهم والله اعلم وقوله ان الذين يشترون بعهد الله قيل عهد الله امره
ونهيه يحتمل هذا العهد ما عهد واى فى التورية ان لا يكتموا نعته وصفته ولكن يظهرون ذلك للناس
ويقرون به وايمانهم ثمنا قليلا ايمانهم التى حلفوا كذبا انه ليس نعته وصفته فيه مخافة ذهاب منافعهم
ويحتمل ان حلفوا كذبا فاخذوا اموال الناس بالباطل والظلم وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من حلف على يمين يقتطع بها مال امرى مسلم لقى الله تعالى وهو عليه غضبان وتلا هذه الاية
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم الاية والعهد والايمان يكون سواء الا ترى الى قوله عز وجل واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان الاية ويحتمل عهد الله ما قبلوا عن الله وما الزمهم الله والايمان
ما حلفوا والله اعلم وقوله اولئك الذين لا خلاق لهم فى الاخرة لا نصيب لهم فى الاخرة مما ذكروا ان لهم
عند الله من الخيرات والحسنات كقوله حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة وقوله ولا يكلمهم الله يحتمل وجهين
يحتمل ان اراد بذلك كلام الملائكة الذين ياتون المؤمنين بالتحية والسلام من ربهم لقوله والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون الاية وقوله ولا يكلمهم الملائكة على ما تكلم المؤمنين اضاف
ذلك الى نفسه على ما ذكرنا فيما تقدم من اضافة النصرانية على ارادة اوليائه فكذلك هذا وان يكون
الله عز وجل كان قد كلمهم بتكليم الملائكة اياهم لانهم رسله فكان كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا لا صيره ببعث الرسل كان قد كلمهم هو فكذلك الاول ويحتمل ان يكون
الله عز وجل يكرم المؤمنين فى الجنة بكلامه على ما كلم موسى فى الدنيا فلا يكلمهم كما كلم المؤمنين ويحتمل
لا يكلمهم بالرحمة سوى ان يقول لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وكقوله ولا ينظر اليهم يوم القيامة وقوله

ولا ينظر اليهم

ولا ينظر اليهم نظر رحمة كما ينظر الى المؤمنين بالرحمة وقوله ولا يزكيهم اى لا يجعل لحسناتهم ثوابا ويحتمل ان يكون هذا
فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا فقال لا يزكيهم اى لا يزكوا اعمالهم وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب
اى كانوا يحرفون السنتهم بالكتاب على التعظيم والتبجيل لتحسبوه من الكتاب اى كانوا يحرفون نعته عليه افضل الصلوات
وصفته ثم يتلونه على التعظيم والتبجيل لتحسبوه من الكتاب المنزل من السماء وما هو من الكتاب الذى نزل من السماء
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله بل هم كتبوا بايديهم وهو كقوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم يكذبون على الله وان ذلك ليس هو
من عند الله وقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة اى ما كان لبشر اختاره الله للذى قال
وتبين انهم انما اضافوا دينهم الذى فيه عبادة غير الله الى انبيائهم كذبة وان الله يجعل رسالته عند من يعصمه
عن مثله بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته لا يجعلها حيث يخان وبكم والله الموفق وهذه الاية تنقض على الباطنية
قولهم لانهم يقولون ان الله لا يؤتى النفس البشرية الكتاب ولا النبوة انما يؤتى النفس البسيطة وهى الروحانية
لياتى تخيل فى قلوب الانبياء ويؤيدهم حتى يبلغوا كقوله نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربى مبين فاذا ثبت ذلك فى قلوب الرسل يقولوا من الكتب والصحف لا يقدر غير الرسل على ذلك ثم
الناس ياخذون ذلك منهم فالاية تكذبهم وترد عليهم قولهم حيث اخبر يؤتى البشر الكتاب والحكم والنبوة
بقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة وكذلك قال عيسى عليه السلام فى المهد انى عبد الله
اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وفى الاية دليل عصمة الرسل والانبياء عليهم السلام عن الكفر بقوله ما كان لبشر
ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله وخاصة فى عصمة رسولنا محمد
صلى الله عليه وسلم قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وقال والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا شرط فى المؤمنين اكتساب ما يستوجبون به الاذى ولم يشترط فى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم دل انه لا يكون منه اكتساب ما يستوجب به الاذى ويكون من المؤمنين بشرطه فهم
ذلك والله اعلم وقوله ولكن كونوا معناه اى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين وكانه على الابتداء والاستيناف
ويقول لهم كونوا ربانيين ثم اختلف فى ربانيين قيل متعبدين لله بالذى يعلمون الكتاب وبالذى يدرسون
وقيل الربانيين العلماء الحكماء وقيل حكماء وقيل علماء فقهاء وهو واحد ثم فيه دلالة ان الرجل قد يدرس
ويعلم اخر بما لا يفقه ولا يعلم معناه الا كل من يدرس شيئا او يعلم اخر يكون فقيها فيه ويعرف ما اودع فيه
من المعنى وفيه دلالة جواز الاجتهاد لانه انما يوصل الى ما فيه من المعنى والفقه بالاجتهاد والله اعلم وقوله
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اختلف فيه قيل ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة اربابا لانهم يقولون
ان الله امرهم بذلك كقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وقيل ان عيسى
وعزيرا ومن ذكر لا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا من دون الله وقد عصمهم بالنبوة وقوله
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون يحتمل وجها يحتمل ايامركم الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون له بالخلقة لما يشهد
خلقة كل احد على وحدانيته كقوله وله اسلم من فى السموات والارض ويحتمل بعد اذ انتم مسلمون اى اسلموا له
واقروا به مرة ثم كفروا به بعد ما كانوا مخلصين له ويحتمل قوله بعد اذ انتم مسلمون بعد اذ دعاكم الى الاسلام
فاجابكم بعضكم وقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الاية قال مجاهد هذا خطاء
من الكاتب وهى فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه ميثاق الذين اوتوا الكتاب على ما ذكر فى اية اخرى واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لان الميثاق لا يوخذ على النبيين ان يصدقوا لكنه يجوز هذا ثم اختلف فيه قيل
ميثاق الاول من الانبياء ليصدقن بما جاء به الاخر منهم لو ادرك وقيل اخذ الله ميثاقا على النبيين ان يصدق
بعضهم بعضا وان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى قومهم ففعلوا ثم اخذوا مواثيق قومهم ان يؤمنوا بمحمد على عكسه

ويعبدوه وينصروه وقيل اخذ الله على النبيين ميثاقا على ان يبلغوا الرسالة الى قومهم ويدعوا الناس
الى دين الله قال الكسائي فيه بوجهين احدهما بقوله ميثاق الذين منهم النبيون وهم بنوا اسرائيل وكل ميثاق
ذكره الله تعالى في القرآن في اهل الكتاب فانما يراد به بنوا اسرائيل والثاني ذكره كما ذكرنا من تصديق بعضهم
بعضا وتبليغ كتاب الله الى قومهم **وقوله** ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم اخذ عليهم الميثاق ليأخذوا على قومهم
المواثيق ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا خرج وينصروه **وقوله** قال أأقررتم قال الله تعالى للانبياء أأقررتم
واخذتم على ذلكم اصري قيل هو عهدي والاصر قيل هو العهد قالوا اقررنا بالعهد لتؤمنن ولتنصرنه واذا اخذ
على قومنا ليؤمنن به ولينصرنه وقال الله تعالى فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين يقول الله تعالى وانا على اقراركم
بمحمد عليه الصلوة والسلام من الشاهدين وقيل قال الله فاشهدوا انى قد اخذت عليكم بالعهد وانا معكم من الشاهدين
انكم قد اقررتم بالعهد يقول الله تعالى فمن تولى بعد ذلك العهد والاقرار بنقض العهد والرجوع عن الاقرار
فاولئك هم الفاسقون **وقوله** افغير دين الله يبغون الدين كانه يتوجه الى وجوه يرجع الى اعتقاد المذهب
في الاصل ويرجع الى الحكم والخضوع كقوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ويرجع الى الجزاء ثم قوله افغير دين الله
يبغون كان كل منهم يبغي دينا هو دين الله ويدعي ان الدين الذي هو عليه دين الله لكن هذا والله اعلم كل منهم
في الابتداء ابتغى دين الله في نفسه لكن بان له من بعد وظهر بالايات والحجج انه ليس على دين الله هو الاسلام
فلم يرجع اليه ولا اعتقده ولزم غيره بالاعتناد والمكابرة فهو باغ غير دين الله والله اعلم قال الشيخ رحمه الله
في قوله افغير دين الله يبغون اي افغير ما في دين الله من الاحكام والتوحيد ويحتمل افغير دين الله تدينون
وليس على الاستفهام ولكن على الايجاب انهم في صنيعهم يبغون غير الذي هو دين الله كقوله اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء الاية وكقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم الاية **وقوله** وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل وجوها يحتمل اسلم اي استسلم وخضع له بالخلقة اذ في خلقه كل
دلالات وحدانيته ويحتمل وله اسلم من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض المؤمنين الذين اسلموا طوعا
وكرها يعني اهل الاديان يقرون ان الله ربهم وهو خلقهم كقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فذلك اسلامهم
وهم في ذلك مشركون عن ابن عباس رضي الله عنه قال من في السموات اسلموا طوعا واما اهل الارض فمنهم من اسلم
طوعا ومنهم من اسلم كرها مخافة السيف وعن ابن عباس رضي الله عنه ايضا قال طوعا من ولد في الاسلام
وكل من اسلم ولم يولد في الاسلام فهو كره وقيل منهم من اسلم طوعا ومنهم من جبروا عليه والاسلام هو تسليم
النفس لله خالصا لا يشرك فيها غيره كقوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل الاية
دلت الاية انه ما ذكرنا والله اعلم والاسلام هو اسم الخضوع وكل منهم قد خضعوا ولم يجتر احد ان يخرج عليه
وقوله قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم الاية هذا والله اعلم وذلك ان اليهود والنصارى
لما آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض كقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض امر الله تعالى المؤمنين ان يؤمنوا
بالرسل جميعا فآمنوا بهم جميعا وقالوا لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون والاسلام ما ذكرنا والله اعلم
وقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه اختلف فيه فلن يقبل منه حسنات من يبغي غير دين
الاسلام في الدنيا وهو كقوله ومن يكفر بالايمان اي بالمؤمن به فقد حبط عمله ويحتمل من اتى بدين سوى دين
الاسلام فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين قال الشيخ رحمه الله في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه يحتمل يبتغي يطلب فلن يقبل منه كانه نهى عن ذلك انه يقصد بالدين التقرب الى الله تعالى
فاخبر ان ذلك لا يقبله لتصرف الطلب الى غير ذلك وذلك كما دانوا من عبادة الاوثان وغيرها التقرب بهم
الى الله زلفى فاخبر انه لا يقرب بتصرف الطلب الى حقيقة ذلك الدين على الاديان كما نتعرف تأتي
انفس الكفرة عن قبول اسم الاسلام لدينهم وادعوا ان دينهم هو دين الله فاخبر الله تعالى ان دينه هو الاسلام

وان من يبتغي الدين لدين الله غيره فالله لا يقبل منه والله اعلم ويحتمل الابتغاء الارادة فيكون فيه تحقيق
الدين اذهي تجامع الفعل فكانه قال من دان غير دين الاسلام فلن يقبل منه وان قصد به الله بالدين
والله الموفق ايد ذلك قوله وهو في الاخرة من الخاسرين انه فيمن اتى بغيره والله اعلم **وقوله** كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق الاية فالاية تحتمل وجوها تحتمل ان لا يهدي الله قوما هم معاندون
مكابرون فيه غير خاضعين ولا متواضعين انما يهدي من خضع له وتواضع فاما من عاند وكابر فلا يهديه ويحتمل
ان هذا في قوم مخصوصين علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر الله تعالى انه لا يهديهم واما من علم انه يؤمن ويتوب
فانه يهديهم بقوله الا الذين تابوا واصلحوا الاية اطمع من تاب واصلح ان يهديه ويغفر له ويحتمل ان لا يهديهم طريق الجنة
اذا ماتوا على كفرهم كقوله لا يهديهم طريقا الا طريق جهنم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل لا يهديهم في وقت اختيارهم
الضلالة وقيل بما اختاروا من الضلالة لا يهديهم اي لا يسميهم والله لا يهدي القوم الظالمين قال الشيخ رحمه الله
ودل قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم ان دين الاسلام هو الايمان وان الكفر مقابلة من الاضداد وكيف
يهدي قبل كفرهم وقيل في وقت اختيارهم وقيل ذلك في قوم علم الله انهم لا يؤمنون وكانت همتهم التعنت والمخالفة
والله اعلم **وقوله** والله لا يهدي القوم الظالمين الاية ترد على المعتزلة قولهم لانهم ان الهدى البيان والبيان للكل
قالوا يتقدم الفعل فلو كان متقدما لكان في ذلك اعطاء الهدى للظالم فاخبر عز وجل انه لا يهدي الظالم وهم
يقولون لا بل يهدي الظالم فذلك خروج عليه واما على قولنا فان التوفيق والقدرة انما يكون معه فكان قولنا
موافقا للاية قال الشيخ في قوله والله لا يهدي فلو لم يكن الهدى غير البيان فلقد يهداهم اذا على قول المعتزلة **وقوله**
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله قيل لعنة الله عذاب الله وقيل لعنة الله هي الاياس من رحمته وعفوه واللعن هو الطرد
في اللغة ولعنة الملائكة ما قيل في اية اخرى قوله ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم
بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا الاية وقيل لعنة الملائكة قولهم لهم ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون
الى اخره وقيل يدعوا عليهم باللعن وقيل لعنة المؤمنين قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء
او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فذلك لعنتهم عليهم **وقوله** الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله
غفور رحيم ملحق على قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم ذكر الكفر بعد الايمان ثم ذكر التوبة فقال الا الذين
تابوا الاية اطمع لهم المغفرة والرحمة بالتوبة بعد الكفر بقوله فان الله غفور رحيم وما قيل في القصة ايضا ان نفرا
ارتدوا عن دين الاسلام ثم تاب بعضهم ولم يتب البعض فنزل قوله الا الذين تابوا الاية وفي الاية دلالة قبول توبة
المرتدين لان قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك الاية قيل في القصة وقوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا لن تقبل توبتهم الاية اختلف فيه قيل قوله كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا اي ماتوا على ذلك فذلك زيادتهم الكفر
وقيل ان الذين كفروا بعيسى بعد الايمان بالرسل جميعا ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلوة والسلام لن تقبل توبتهم
قيل لن تقبل توبتهم التي تابوا مرة ثم تركوها وقيل لن تقبل توبتهم التي اظهروا باللسان ولما كان ذلك في قلوبهم
اي ليست لهم توبة الا ان يكون توبة منهم فتركوه كقوله لا تقبل شفاعتهم وقيل هم قوم علم الله انهم لا يتوبون ابدا
فاخبر انه لا تقبل توبتهم كقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقيل لا تقبل توبتهم عند الموت كقوله لما رأوا بأسنا
قالوا آمنا بالله وحده وكقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت
من قبل اخبر انه لا ينفع الايمان في ذلك الوقت فعلى ذلك قوله لن تقبل توبتهم في ذلك الوقت اذا داموا على الكفر
الى ذلك الوقت قال الشيخ رحمه الله في قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم لن تقبل توبتهم ذلك في قوم مخصوصين
اي لا يكون منهم كقوله ولا يقبل لهم شفاعة اي لا شافع لهم ويحتمل عند رؤية فعل الله وجزاء فعله عند القيامة
ومعاينة الموت يدل على ذلك الاية التي تقدمت **وقوله** ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا الاية قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به يقول لو كان لهم لافتدوا به انفسهم ما قبل منهم

ولكن لا يكون كقوله لا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى لا يكون لهم شفيع لا ان كان لهم شفعاء
فيشفعون فلا تقبل شفاعتهم ولكن لا يكون لهم فهذا يدل على ان قوله لن تقبل توبتهم اى لا يتوبون والله اعلم
وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يجاء بالكافر يوم القيامة
فيقال له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت مفتديا فيقول نعم يا رب فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك
وقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يحتمل ان يكون الاية والله اعلم فى كفارتهم عن الاسلام الزكوة والصدقات
التى تجب فى الاموال كقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم
من فضله بخلوا به وتولوا الاية الى قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون اخبر عز وجل لن تنالوا الاسلام
حتى تنفقوا مما تحبون من الاموال كقوله الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ويحتمل الاية فى المؤمنين
رغبهم عز وجل فى انفاق ما يحبون كقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن
بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه الاية اخبر ان البر ما ذكر من الايمان به
وايتاء المال فى حبه وروى عن انس رضى الله عنه قال لما نزل قوله تعالى لن تنالوا البر الاية قال ابو طلحة
يا رسول الله حايطى الذى فى مكان كذا وكذا فهو لله ولو استطعت ان اسره ما اعلنته فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجعله فى قرابتك او قراباتك وروى عن عمر رضى الله عنه انه لما نزلت هذا اعتق جارية ثم اختلف
فى البر قيل البر هو الجنة ها هنا وقيل البر هو الاسلام ان كان فى الكافرين وقيل لن تنالوا درجات
الجنة وما عند الله من الثواب الا بانفاق ما تحبون وقوله وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم ففيه دليل قبول
القليل من الصدقة لانهم كانوا يمتنعون عن قليل الصدق استحقارا فاخبر انه بذلك عليم وان قل يعلم ان يكون
ذلك لله عز وجل والله اعلم وقوله كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه الاية
قال ابن عباس رضى الله عنه وكان الطعام كله حلالا الا الميتة والدم ولحم الخنزير الا ما حرم اسرائيل على نفسه
يعنى يعقوب حرم على نفسه لحم الابل والبانها وكان من احب الطعام اليه ان ثبت ما ذكر فى القصة ان يعقوب
اقبل يريد بيت المقدس فلقيه ملك فظن يعقوب انه لص فعالجه يصارعه حتى اضاء له الفجر فلما اضاء الفجر
الملك الغمز يعقوب فتهيج عليه عرق النساء فكان يبيت الليل ساهرا من وجعه فاقسم لئن شفاه الله
ليحرمن احب الطعام والشراب اليه فان ثبت هذا فهو انما حرم ذلك على نفسه بالاذن من الله عز وجل والامر
منه ثم ان اليهود قالوا انما كان تحريم ذلك من الله فى التوراة فامر الله تعالى نبيه ان قل لهم فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين ان ذلك التحريم من الله فى التورية ويحتمل ان يكون التحريم كان بظلم منهم كقوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات الاية ثم انكروا تحريم ذلك بظلمهم فدعوا باحضار التورية ليظهر
كذبهم فابوا ذلك فلا ندرى كيف كانت القصة ولكن فيه اثبات دلالة رسالة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم
حيث اخبر عما اسروا واظهر ما كتموا قال ابو زيد انما قدر اهل الكتاب على تغيير كتابهم والزيادة فيه والنقصان
ولم يكن لاحد تغيير القرآن عن وجهه او زيادة فيه نقصان منه لان كتبهم تشبه كلام غيره من الحكماء فعند تغييره
بغيره من كلام الحكماء واما القرآن فهو آية معجزة لم يقدروا على تحريفه ولا تبديله وان علم انه كان كما ذكروا لا
والله اعلم ليهتك عليهم استارهم وليظهر ما منهم ما كتموا وفيه اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا الاية قد ذكرناه فيما تقدم وقوله ان اول بيت وضع للناس للذى
ببكة مباركا قيل فيه بوجوه قيل ان اول بيت مبارك وضع للناس هو بكة وقيل اول مسجد وضع للناس مكة
وقيل يريد ببكة البقعة اى اول بقعة خلق الله هو بكة ومنها دحيت الارض وقيل ان آدم عليه الصلوة والسلام
لما امر بالحج فيه قال له جبريل عليه السلام قد حج فيه الملائكة قبلك بالفى عام وقيل خلق الله البيت قبل الارض
بالفى عام .. ثم اختلف فى قوله بكة قيل الزحام وقيل البكة موضع البيت وسائر القرية وعن ابن عباس رضى الله عنه

قال مكة من فج الى التنعيم الى المنحر وبكة من البيت الى البطحاء وقيل بكة الكعبة حيث يبك الناس اى يزدحم
بعضهم بعضا ماوراها قوله مباركا قيل يغفر فيه الذنوب والخطايا وهدى للعالمين فيه ايات بينات يحتمل قوله
فيه فيه ايات بينات ما لو تاملوا هذا هو وذلك ان الله عز وجل خلق هذا البيت بين الجبال فى ارض ملساء
قليلة الانزال والريع لا ماء فيه ولا شجر ولا نزهة مالا يرغب الخلق الى مثله ثم جعل قلوب الناس تميل وتهوى
اليه افئدتهم من غير ان كان فيه آيات بينات ما ذكر مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وذلك آياته والله اعلم
وقوله ومن دخله كان آمنا ظاهره فيمن يجنى ثم دخل الحرام امن لان من لم يجن فهو آمن اين دخل من الحرم
وغيره وانما الاية على ما يخص بالامن اذا دخل الحرم دون غيره وقد روى عن جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما يوافق هذا وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال اذا اصاب الرجل الحد فى الحرم اقيم عليه
وان اصابه فى غير الحرم ثم لجأ اليه لا يحدث ولا يجالس ولا يؤاكل ولا يبايع حتى يخرج منه فيؤخذ فيقام عليه
الحدود روى عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال لو وجدنا قاتل ابينا فى الحرم لم نقتله وروى عن الحسن رحمه الله
انه قال فى قوله ومن دخله كان آمنا كان هذا فى الجاهلية فاما الاسلام فلم يزده الا شدة من اصاب الحد فى غيره ثم لجأ
اليه اقيم الحد عليه يقال للحسن ان الصيد كان يامن فى الجاهلية ثم الاسلام لم يرفع ذلك الامن بل كان امن الصيد
فى حال الاسلام كهو فى حال الجاهلية فعلى ذلك الامن الذى كان فى الجاهلية هو باق غير زايل فى الاسلام واصحابنا رحمهم الله
يذهبون اليها روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما ولما روى ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت ساعة من نهار لا يختلى
خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يحتش حشيشها اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مكة بعد الاسلام
حرام كما كانت قبله وانها لم تحل له الا ساعة من نهار فاذا كان الملتجى اليها قبل الاسلام فالواجب ان يكون آمنا
بعد الاسلام حتى يخرج منها وحجة اخرى وهو ان الله تعالى اباح لرسوله عليه الصلوة والسلام قتل المشركين جميعا
بل فرض ذلك عليه الا اهل مكة فانه لم يحل له قتلهم الا ساعة من نهار ففضل مكة على غيرها بما خصها به من التحريم فلا يبعد
ان لا يقام على من التجأ اليها فى الاسلام اذا كانت جنايته اقل من كفر اهلها ولم يحل قتالهم الا ساعة من نهار وفى الفرق
من قتل فيها او فى غيرها ثم لجأ اليه وجه آخر قول الله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه
فان قاتلوكم فاقتلوهم اباح لهم القتل عند المسجد الحرام اذا قاتلونا فعلى ذلك يقام الحد اذا اصاب وهو فيه واذا اصاب
وهو فى غيره ثم لجأ اليه لم يقم كما لم يقاتلوا اذا لم يقاتلوا وهذا فرق حسن واضح بحمد الله وعونه قال الشيخ رحمه الله
فى قوله عز وجل ومن دخله كان آمنا يحتمل ان يكون خبرا من الحرم فى قديم الدهر انه كان على ما بين الخلق من القتال
والحرب يامنون بالحرم اذا التجئوا اليه وذلك كقوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم فيكون ذلك
من عظم آيات الله تعالى ان اهل الجاهلية على عظيم ما بدلوا من الامور وغيروا من الدين منعهم الله تعالى عن هذا التغير
حتى بقيت لكل من شهده آية ان الله له هذا السلطان وبهذا قام التدبير العظيم له العلم بحقايق ووضع كل شىء
موضعه وعلى ذلك قال بعض اهل التاويل فى قوله ذلك لتعلموا ان الله يعلم قد جعل جل ثناؤه ذلك كالمامن
فى الشرع والطبع فالشرع لما جاءت الرسل واما الطبع فما تنافر الناس حتى سار ذلك الى الصيد الذى يؤذيه الاخذ
والى انواع الاشياء التى قامت بجوهر تلك البقعة من النبات لا باسباب تكتسب ولهذا كره بيع رباع مكة ورخص
فى بيع ما يحدث فيه من البنيان والله اعلم ويحتمل كان صار آمنا اى وجب له الامان ومعلوم ان الذى لم يلزمه
القتل كان آمنا دون دخوله فثبت ان ذلك فيمن لزمه وايد ذلك قوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام انهم قوم قد سبق
منهم الكفر وقت شرع القتل بالكفر لم يأخذهم حق الشرع على ما سبق من الكفر فى وقت لم يكن ذلك جزاءه فى الدنيا الا ان يحدث
القتال فعلى ذلك من لزمه الا فيه فهو يامن به الا ان يكون لحدث فيه والله اعلم واصله انه اضاف الامان الى نفسه
بقوله كان آمنا وكل حق تلف نفسه فله امان بالدخول وكل حق فى اقامته احياء ما جعلت الحيوة ليقع مثله

فهو يقام ليكون زجرا له وتكفيرا على بقائه الا من ليتق نفسه ورده الى الملايد ذلك انه التجأ اليه للهرب عن حكم الله تعالى
او للامان بالله ليصل الى اقامة احكام الله تعالى آمنا وفي اقامته هذا ايضا والله اعلم وقوله ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا فرض الله تعالى الحج بهذه الاية على من استطاع اليه سبيلا ولم يبين ما السبيل وبين ذلك
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة وهكذا يقول علماؤنا ان الاستطاعة
والسبيل هو الزاد والراحلة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الناس اذا كان بينه وبين الحج
بحر لم يلزمه الحج فكانه ذهب الى ظاهر الاية من استطاع اليه سبيلا فجعل البحر واشباهه من بلا الاستطاعة يخالف
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاستطاعة فقال الزاد
والراحلة لان النبي صلى الله عليه وسلم هو المبين عن الله فعلينا اتباعه في قوله وفعله وتفسير الاية ولكنا نجعل
من يحول بينه وبين البيت معذورا في التاخير ولا يأثم ان شاء الله اذا لم يقدر على الوصول الى البيت بعلة على ما نجعل
التاخير عنها من العبادات عند الاعذار والعلل ولا يأثم في ذلك ثم في الاية دلالة ان لا يلزم المرأة الحج الا بالمحرم
لان المرأة وان وجدت الزاد والراحلة فانها تحتاج الى من يركبها وينزلها ولا تقدر على ذلك الا بغيرها وهكذا الوف
فيهن فاذا كان كذلك نجعل كانها غير واجدة للراحلة والله اعلم وفيه دلالة ان العبد اذا حج ثم اعتق لزمته حجة الاسلام
لانه لا يملك الزاد والراحلة فاذا لم يملك الزاد والراحلة لم يجز ذلك من حجة الاسلام وكذلك روي عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال ايما عبد حج ولو عشر حجج فعليه اذا اعتق حجة الاسلام وليس كالحر الفقير يحج ثم ايسر جاز ذلك
من حجة الاسلام ففرقنا بينهما وان كانا في زوال الحج في الابتداء سواء وذلك ان الفقير اذا بلغ ذلك المكان صار غنيا
ولزمه الفرض لانه يحتاج حينئذ الى زاد وراحلة واما العبد اذا حضر ذلك المكان لم يعتق لذلك افترقا وفي ذلك
حجة اخرى ما اجمع اهل العلم ان الفقير لو حضر القتال ضرب له بسهم كامل كما يضرب لمن كان فرض الجهاد لازما له ولو ان عبدا
شهد الوقعة رضخ له ولم يجعل له سهم الحر فافترق حال الفقير والعبد في الجهاد والضرب في سهمانه فعلى ذلك
يفترق حالهما في الحج والله اعلم وقال بعض اهل العلم ان الشيخ الذي لا يستمسك على الراحلة اذا وجد غيره يحج عنه
يلزمه فرض الحج فانكر من قال في المرأة بمثله فاحتج بما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابي شيخ ادركته فريضة الحج وهو لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة افيجزي
ان احج عنه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارأيت لو كان على ابيك دين فقضيته عنه اكان يقبل منك قال نعم
قال فالله اولى بحج ابيك او كلام نحوه ولكن ليس في الخبر ان فريضة الحج انما ادركته وفريضة الحج قبل ذلك فكذلك يقول
علماؤنا ان الحج اذا وجب فاخره حتى اعسر لم يسقط عنه الحج وكذلك اذا وجب عليه الحج فلم يحج حتى كبر فصار
لا يستمسك على الراحلة عليه ان يوصي ليحج عنه ويحتمل ايضا انه رغبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج عنه متبرعا
الا انه الزمه الحج في ذلك الوقت الذي لا يثبت على الراحلة وعندنا انه لا يلزمه لانه اذا لم يستمسك على الراحلة فلا راحلة له
ثم من قول هذا القائل ان من لزمه فرض الحج فله التاخير وفي التاخير فوت ادراك المنية ومن قوله انه لو اخر حتى مات
يصير فاسقا فاذا مات مات فاسقا يجعل له رخصة التاخير ثم يفسقه فكانه يجعل له الرخصة في الفسق فذلك قبيح
وحشو من القول سمج واما عندنا فانه لا يسع له التاخير في اول احوال الامكان على تمام شرط الاختيار كغيره من العبادات
التي لزمت من نحو الصلوة والصيام وغيرهما لا يسع التاخير فعلى ذلك الحج ثم من قول الشافعي رحمه الله ان على الكافر الحج والصلوة
والصيام في حال كفره فاذا اسلم سقط ذلك عنه فذلك عندنا لعب وعبث في دين الله تبارك وتعالى غير جائز ان يلزمه
فرض في حال له فعله فاذا جاء سبب الجواز يسقط عنه ذلك وفي الاية دلالة ان الحج انما كان فرضا على المؤمنين خاصة
بقوله ومن كفر بالحج فان الله غني عن العالمين فلو كان هو على الكافر كما هو على المسلم لم يكن لقوله معنى دل انه
غير لازم والله امر بالعبادات باسم المؤمن ثم المسئلة بيننا وبين المعتزلة في الاستطاعة قالت المعتزلة يكون
قبل الفعل لان الله تعالى فرض الحج وامر بالخروج اليه اذا قدر على الزاد والراحلة على ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم

واذا لم يقدر

واذا لم يقدر لم يلزمه فدل انها تتقدم واما عندنا فهي على وجهين احدهما استطاعة الاسباب والاحوال
والثاني استطاعة الافعال فاما استطاعة الاحوال والاسباب فيجوز تقدمها نحو الزاد والراحلة والجوارح
السليمة واما استطاعة الافعال فانها لا تكون الا مع الفعل لانها استطاعة الفعل وسببه فلا يكون الا معه والوقت
في الحج لفعل الحج لا للايجاب لانه لو كان للايجاب لكان له ان لا يخرج ولا ياتي ذلك المكان فيجب عليه الحج ولانه
لو لم يلزمه الا بالوقت ثم لا يتمكن فعله به دون المكان فيجيء ان لا يلزمه الا بحضور ذلك فلا يلزمه الخروج ابدا اذ الحج
غير لازم ولانه ليس على العبد ان يتكلف باكتساب ايجاب العبادات وعليه ان يجهد في اداء الواجب عليه ثم الاوقات
على اقسام ثلثة وقت الايجاب والاداء جميعا نحو الصلوة والصيام ونحوهما ووقت الايجاب نحو الزكوة ووقت الاداء
وهو الحج انما وجوبه بالزاد والراحلة واما الوقت فهو للاداء خاصة فان كان في اقصى بلاد المسلمين فهو لم يعط قدرة
فعل الحج لانه لا يقدر على فعله اذا كان فيما ذكرنا دل ان قدرة الفعل لا يتقدم الفعل وقدرة الاحوال تتقدم
لما ذكرنا والله اعلم وقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين في الاية دلالة ان الله عز وجل اذا امر عباده بامر
ليس يامر لحاجة نفسه ويامر لحاجة العبد لانه غني بذاته لا حاجة تمسه واما الامر فيما بين الخلق فانما هو لحاجة
بعضهم لبعض ما جر منفعة او دفع مكروه فذلك معنى قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ثم اختلف في قوله
ومن كفر عن ابن عباس رضي الله عنه ومن كفر قال من زعم انه لم يفرض وعن الحسن ومن كفر قال من زعم ان الحج
ليس بواجب وقيل ومن كفر بالله قال هو الذي ان حج لم يرج ثوابه وان جلس لم يخش عقابه وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال من استطاع اليه سبيلا والسبيل ان يصح بدن العبد وان يكون له ثمن زاد وراحلة من غير ان يجحف به قال ومن كفر
يقول ومن كفر بالحج فلم ير حجه برا ولا تركه ماثما قوله ولله على الناس حج البيت دلالة احديهما في الوجوب بقوله ولله
على الناس وايد ذلك قوله ومن كفر وما جاء من الاثر واتفاق القول والثاني جعل البيت شرطا للقيام لما هو في قوله
على الناس فذلك فيكون فيه دليل لزوم الطواف تفسيره في قوله وليطوفوا بالبيت العتيق وكذلك اية قوله فمن حج البيت
او اعتمر وايضا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في امرأة نفست احابستنا هي قيل انها افاضت
وعلى ذلك اتفاق القول بلزوم الطواف والله اعلم فلما دل ان الطواف لازم لم يخل اما ان يكون الطواف المبداء به
في الحج والذي يختم به والذي يبداء به لا يلزم كل الناس ثبت ان الفرض هو الذي يختم به وقوله من استطاع اليه سبيلا
اوجب جعل السبيل اليه والامكان شرطا للوجوب ذا الاية في ذكر الوجوب لا الفعل وعلى ذلك جميع العبادات
جعل الامكان في وجوبها شرطا بالسمع بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وغير ذلك مما ذكر في كل نوع من العبادات
من الاستطاعة وكذا حق هذا بالعقل وذلك يخرج على وجهين استطاعة الفعل من القدرة التي تحدث لا محالة
ما سلمت الاسباب الا ان يكون ممن منه الفعل الاعراض عنها بالشغل بغير ذلك الافعال والاشتغال ذلك بالفعل
فيكون فوت الاستطاعة بتضييعه ولا عذر يفوت ما كان المكلف يفوته كفوت العلم به على الامكان وان كان
لا يقوم دونه والذي يؤيد ان هذه الاستطاعة ليست بشرط في الايجاب انها لا تبقى ثم محال وجودها في حال لو اريد
اقامة الحج لا يتهيأ وذلك يجوز ان يكون في اقصى البلاد من مكة ومعلوم ان القدرة التي بها يكون الفعل ليست معه
ومحال تكليف السبب الذي به يجيء الفعل فلذلك لم يجز تكليف بالخروج ولا امر بالحج فكانه يوجب تكليف سبب
الايجاب ثبت ان قد يجب الحج لا بتلك القوة وكذلك يجوز في الكفارات استعمال الابدال في حال العجز وان كان لا يعلم
ان العجز يمتد الى اخر ما يقوم به الاصل بل على ظهور ان لا يمتد بمضي البدل ثبت ان لا عبرة لفقد قدرة الفعل
ووجودها في التكليف والله اعلم والثاني يراد بالاستطاعة سلامة الاسباب ولا يجوز التكليف دونها بالعقل
لانه ممنوع ومحال امر الممنوع عن الفعل به كالاعمى والمقعد ونحو ذلك والى مثل هذا انصرف شرط الاستطاعة هو اللازم
في العقل لما افترض حق الشكر لما انعم على المامور فاذا منع عنه السبب الذي هو النعمة لم يحتمل ان يؤمر
بالشكر ولا نعمة والله اعلم وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال الزاد

والراحلة والله الموفق وعلى ما ذكرت يخرج قول ابي حنيفة رضي الله عنه وجوب الحج وان لم يدرك الوقت الذي
فيه يقوم للحج على ما لزمه وان لم يكن اصاب المكان الذي فيه يقام والله اعلم بظاهر الآية معا ذكرنا من بيان الاثر
واصله ان الوقت في الحج جعل لجواز الفعل اذ هو لوقات لا يحتمل في غيره وكل فعل يجوز في غير وقته فما يقرب من الوقت
كان احق بالجواز فاذا لم يجز هذا وجاز في مثله من القابل ثبت انه للجواز لا للوجوب وايد ذلك ما لا يوصف بالقضاء
متى ادى ولو كان في الاول لكان يكون في الثاني قاضيا فاذا لم يكن ثبت انه ليس لوجوبه وقت والله اعلم وقوله قل يا اهل
الكتاب لم تكفرون بآيات الله وآيات الله ما ذكرنا فيما تقدم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبالقرآن والحج والله شهيد
على ما تعملون هو حرف وعيد وتنبيه ينبههم عن صنيعهم ليكونوا على حذر من ذلك لم تصدون عن سبيل الله من آمن
تبغونها عوجا يحتمل قوله لم تصدون عن سبيل الله من آمن من الاتباع الذين كان ايمانهم ايمان تقليد لا ايمان بالعقل
لان من كان ايمانه ايمان بالعقل فهو لا يصد ولا يصرف عنه ابدا لما عرف حسن الايمان وحقيقته بالعقل فهو لا يترك
ابدا واما من كان ايمانه ايمان تقليد فلم يكن ايمانه ايمان حقيقة فمثله يصد عنه الا من يمن الله عليه فيشرح صدره
حتى يكون على نور منه وذلك احد وجوه اللطف والمقلد عن معدو لما معه ما لو استحله لا وضح له الطريق واراه قبح
ما اثر من التقليد والله الموفق ويحتمل قوله لم تصدون عن سبيل الله من آمن اي لم تقصدون قصد صدهم عن سبيل الله
وهم لا يرجعون الى دينكم ايأسهم اياهم عن ان يرجعوا عن دينهم الذي عليه كقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي فيه اياس الكفرة عن رجوع المسلمين الى دينهم وقيل كانوا يصدون المؤمنين عن الحج وقوله تبغونها عوجا والعوج
هو غير طريق الحق وهو الزيغ والتعوج عن الحق وقوله وانتم شهداء وانتم تشهدون واحد وفي حرف حفصة رضي
وانتم شهداء على الناس وقوله وما الله بغافل عما تعملون هو حرف وعيد وتنبيه لان من علم ان عليه رقيب
وحافظ يكون احذر واخوف ممن لم يكن عليه ذلك قال الشيخ رحمه الله وفيه انه لا غفلة بالذي يكون منكم خلقكم
ولكن على علم لتعلموا انه لا لحاجة خلقكم بل لاظهار الغنى والسلطان جل جلاله وعم نواله وقوله يا ايها الذين آمنوا
ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الآية يحتمل وجوها احدها معلوم ان المؤمنين لا يطيعون الكفار رجعا
في الكفر ولكن معناه والله اعلم ان يدعوهم الى شيء لا يعلمون ان في ذلك كفر نهاهم ان يطيعوهم في كل ما يدعون لعل ما يدعون
اليه كفر وانتم لا تعلمون ويحتمل النهي عن طاعتهم نهاهم عن ان يطيعوهم وان كان يعلم انهم لا يطيعونهم
كالنهي للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في غير اي من القرآن كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين
فكذلك هذا قال الشيخ رحمه الله ويشبه ان تكون الآية في عرض امور عظام ترغب فيها ليكفرن بها فحذر عن ذلك
بما يبين من الاعتناد والخسار في آية اخرى لتعلموا ان ذلك تجارة مخسرة وقد كانت لهم ولاهل كل دين ومذهب
الاعتناد والله اعلم وعلى ذلك قوله وكيف تكفرون على ان الذي دراكم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الذي
للعقول وروح للابدان مما وعدوه مع سوء المآب والله اعلم وقوله وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وهو
على وجه التعجب ظاهره ولكنه على طلب الحجة في كفرهم وفيكم رسوله يدفع عنكم الشبهة التي عرضت لكم بالقاء الكفار
اليكم ومن يعتصم بالله اي من جعل الله عز وجل ملجأ له ومفزعا اليه عند الشبه والاشكال فقد هدي الى صراط
مستقيم اي يحفظ عن الشبه ويرشده الى صراط مستقيم والله اعلم ويحتمل ومن يعتصم بالله يتمسك بالذي جاء
من القرآن فقد هدي الى صراط مستقيم وقوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته روي عن ابن مسعود رضي
قال حق تقاته ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر ولا ينسى واراد حق تقاته مما يحتمل وسع الخلق
وروي عن انس رضي الله عنه يقول لا يتقي الله احد حق تقاته حتى يخزن من لسانه ويعد كلامه من عمله وقيل
اتقوا الله اطيعوا الله حق طاعته وقيل ان هذا نسخها قوله اتقوا الله ما استطعتم الآية لكن لا يحتمل ان يامر الخلق
بشيء ليس في وسعهم القيام به ثم تنسخ ذلك بما يستطاع ولكن اصله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان لله على عباده حقا ولعباده عليه حقا وحق الله على عبده ان يعبد الله ولا يشرك غيره فيه

وحق العبد

وحق العبد على الله ان يدخله الجنة اذا عبده ولم يشرك غيره فيه احدا فيكون هذا تأويلا للآية ان قوله
اتقوا الله ولا تكفروه فيكون فيه الامر بالايمان والنهي عن الكفر لانه ليس في وسع احد ان يتقي الله حق تقاته
في كل العبادة الا ترى الى ما روي عن امر الملائكة مع ما وصفوا من عبادتهم انهم لا يفترون ولا يسأمون ثم يقولون
ما عبدناك حق عبادتك واذا كان احد لا يبلغ ذلك فلا يحتمل تكليف مثله وجملته ان ذلك ليس بذي حد وغاية
فلذلك والله اعلم الامر فيه راجع الى الاسلام او في نفي حق الاشراك خاصة لا في جميع الاحوال والافعال دليله
ما ختم به الآية وهي وسع للخلق ان لا يشركوا احدا في عبادته الا ترى انه قال ولا تموتن الا وانتم مسلمون وفي ظاهر الآية
النهي عن الموت الا مسلما وليس في الموت صنع للخلق والمعنى والله اعلم اي كونوا في حال اذا ادركم الموت
كنتم مسلمين فالنهي فيه نهي عن الكفر والامر بالاسلام حتى اذا ادركه الموت ادركه وهو مسلم والله اعلم وقد يكون
على بيان ان لا عذر عند الموت وان اشتد امره بالذي ليس باسلام وروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه
انه قال اكثر ما يسلب الايمان عند الموت كان الشيطان يطمعه في امر لو اعطاه ما طلب ويحتمل قوله
اتقوا الله حق تقاته اي احذروا عذاب الله حق حذره واحذروا نقمته كقوله ويحذركم الله نفسه يعني نقمته
وقوله واعتصموا بحبل الله جميعا اختلف فيه قيل حبل الله يعني القرآن وهو قول ابن مسعود رضي الله
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال حبل الله الجماعة وانما هلكت الامم الخالية بتفرقها امر بالكون مع الجماعة
ونهى عن التفرق لان اهل الاسلام هم الجماعة الا ترى انه قال في آية اخرى وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وصف اهل دين الاسلام بالجماعة واهل الاديان غيرها
بالتفرق وعن ابن مسعود رضي الله عنه ايضا قال حبل الله الجماعة وروي في بعض الاخبار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه يعني حبل الاسلام
وروي عنه ايضا ان للشيطان ذئبا كذئب الغنم يأخذ الشاذة والقاصية والناصية واياكم والشعاب
وعليكم بالجماعة والعامة وهذا المسجد وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال دعا النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة ثلاث مرات ثم قال يكون في امتي اختلاف قلت كيف نصنع يا رسول الله اذا كان كذلك
قال عليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وهو حكم فيما بينكم من يدعه من جبار
يقصمه الله ومن ترك الهدى في غيره يضله الله وهو حبل الله المتين وامره الحكيم فهو الصراط المستقيم
وهو الذي لا يختلف فيه الالسنة ولا يخلقه كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وقيل حبل الله دين الله
والحبل هو العهد كانه امر بالتمسك بالعهود التي في القرآن والقيام بوفائها والحفظ لها ونهى عن التفرق
كما تفرق الامم الخالية واختلفت في الاديان وقوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل الف بين قلوبكم بالاسلام وقيل بالقرآن ولم يكن ذلك للدين نفسه ولكن
بلطف من الله من به على اهل دينه واخبر ان التاليف بين قلوبهم نعمة لان التفرق يوجب التباغض
والتباغض يوجب التقاتل وفي ذلك التفاني وعلى قول المعتزلة ليس من الله على المسلم من النعمة الا ومثلها
يكون على الكافر لان الهدى والتوفيق عندهم البيان فذلك البيان للكافر كهو للمسلم وعلى قولهم لا يكون
من الله على احد نعمة لانهم لا يجعلون لله في الهداية فعلا اعطاه ذلك من الخلق واما عندنا فانما يكون الاسلام
بهدايته اياه فذلك من اعظم النعم عليه وقوله فاصبحتم بنعمته اخوانا اي صرتم بنعمته اخوانا وقوله وكنتم
على شفا حفرة من النار اي كنتم اشفيتم حفرة من النار وهو القريب منها لولا انه منّ بالاسلام ويحتمل
ان يكون على الكون فيها والوقوع لا القرب كقوله لترون الجحيم ليس على الرؤية خاصة ولكن على الوقوع فيها
وكقوله ذوقوا العذاب ليس على البعد منها ولكن على الكون فيها ومثله كثير يترجم عن الوقوع فيها وقوله
حفرة كانه قال كنتم على شفا درك من دركات النار فانقذكم منها وهذا ايضا على المعتزلة لان على قولهم هم الذين

شذ عنه يشذ ويشذ شذوذا انفرد عن الجمهور وندر فهو شاذ

الشعب بالكسر الطريق في الجبل والجمع الشعاب

يتقدون انفسهم لا الله على ما ذكرنا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله تعالى يقول اذ كان الله تعالى عندهم قد جمع
بين الكفرة والبررة في بذل الاصلح لهم في الدين وليس منه غير ذلك فلا يجي ان يمن عليهم به بتالف بنعمته والتي منه
موجود مع التفرق بل ولئك تالفوا بتمتهم وبعد فان النعمة لو كانت دينا فما الذي كان منه حتى يمن وذلك فعلهم
بلا فضل منه فيه والله اعلم وفي قوله وكنتم على شفا حفرة الاية ان قد يلزم خطابا لايمان حين الفترة لانهم
في ذلك الوقت كانوا حتى اتقذوا والله الموفق وقوله كذلك يبين الله اياته اذ كنتم اعداء في الجاهلية والكفر متفرقين
وصرتم اخوانا في الاسلام ∴ واحدة لعلكم تهتدون لكي يعرفوا نعمه ومنته قال الشيخ رحمه الله وقد يكون كذلك
يبين الله لكم اياته في حادثات الاوقات لتكونوا فيها مهتدين كما اهتديتم فيكون في ذلك وعد التوفيق والبشارة بالثبات
والله اعلم وقوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله ولتكن منكم امة يحتمل
ان يكون هذا خبرا في الحقيقة وان كان في الظاهر امرا فان كان خبرا ففيه دلالة ان جماعة منهم اذا قاموا على الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر سقط ذلك عن الاخرين لانه ذكر فيه حرفا للتبعيض وهو قوله منكم امة الاية ويحتمل
ان يكون على الامر في الظاهر والحقيقة جميعا ويكون قوله منكم صلة فان كان على هذا ففيه ان على كل احد ان يأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر وذلك واجب كانه قال كونوا امة يأمرون بالمعروف الاية لانه ذكر عز وجل الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر في اي كثيرة من كتابه منها هذا ولتكن منكم امة الاية ومنها قوله كنتم خير امة
اخرجت للناس بالمعروف وينهون عن المنكر وذم من تركهما بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس
ما كانوا يفعلون وروي عن عكرمة ان ابن عباس رضي الله عنهما قال له قد اعياني ان اعلم ما فعل بمن امسك
عن الوعظ فقلت انا اعلمك ذلك اقرا الاية الثانية وانجينا الذين ينهون عن السوء فقال لي اصبت فاستدل
ابن عباس رضي الله عنه بهذه الاية على ان الله اهلك من عمل السوء ومن لم ينه عنه ممن يعمله فجعل والله اعلم
الممسكين عن نهي الظالمين في العذاب وفي روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم
تقرءون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وعن جرير قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليكون في القوم ويعمل فيهم بمعاصي الرحمن وهم اكثر منه واعز ولو شاؤا
ان يأخذوا على يديه فيرهبوا له فيعذبهم الله به وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليعمكم الله بعقاب من عنده ثم لتدعونه ولا يستجيب لكم وعن ابي سعيد
الخدري يذكر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليسال العبد يوم القيامة حتى يقول ما منعك
اذا رايت منكرا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته فقال اي رب وثقت بك وفرقت من الناس وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال اجتمع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ارايت ان قلنا بالمعروف حتى لا يبقى
من المعروف الا ما عملنا به وانتهينا عن حتى لا يبقى يسعنا ان لا نامر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر فقال مروا بالمعروف
وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه ولا ينبغي لرجل ان يقول لست ممن يعمل بالمعروف كله وينتهي عن المنكر
كله فامر غيري وانهاه فان فعله المعروف واجب عليه فلا يجب اذا قصر في واجب ان يقصر في غيره وقوله كنتم
كنتم خير امة اخرجت للناس يحتمل وجوها يحتمل كنتم اي صرتم خير امة اظهرت للناس بما تدعوا الخلق الى النجاة
والخير ويحتمل كنتم خير امة في الكتب السالفة بانكم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ويحتمل تكون خير امة
ان امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ويحتمل كنتم صرتم خير امة وكانوا كذلك هم خير ممن تقدمهم من الامم
بما بذلوا مهجتهم لله في نصر دينه واظهار كلمته والاشفاق على رسوله حتى كان احب اليهم من انفسهم ويرد نه
اولى والله الموفق ثم اختلف في المعروف والمنكر قيل المعروف كل مستحسن في العقل فهو معروف وكل مستقبح
فيه فهو منكر ويحتمل الامر بالمعروف هو الامر بالايمان والنهي عن المنكر هو النهي عن الكفر دليله قوله وتؤمنون بالله

الاية

الاية يؤمنون هم ويامرون غيرهم بالايمان وينهون عن الكفر وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ه
لان التفرق هو سبل الشيطان بقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله من بعد ما جاءهم البينات
والبينات هي الحجج التي اتي بها ويحتمل بيان ما في كتابهم من صفة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ونعته الشريف
ويحتمل تفرقوا عما نهج لهم الله ووضح لهم الرسل فابدعوا لانفسهم الاديان بالاهواء فحذرنا ذلك وعرفنا
ان الخير كله في الاتباع اتباع من جعل الله حجة له ودليلا عليه وداعيا اليه ولا قوة الا بالله واولئك لهم عذاب
عظيم دل هذا ان السبيل هو الذي يدعوا الشيطان اليها وقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الاية وصف الله
عز وجل وجوه اهل الجنة بالبياض لان البياض هو غاية ما يكون به الصفا لان كل الالوان يظهر في البياض
ووصف عز وجل وجوه اهل النار بالسواد فهو شبيه بالظلمة وقد يحتمل ان يكون المراد من وصف البياض والسواد
ليس نفس البياض والسواد ولكن البياض هو كناية عن شدة السرور والفرح والسواد كناية عن شدة الحزن
والاسف كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووصف وجوه اهل الجنة بالضحك وليس على حقيقة
الضحك ولكن وصف بغاية السرور والفرح وكذلك وجوه اهل النار وصفها بالغبرة والقترة وهو وصف
لشدة الحزن والله اعلم وقوله اكفرتم بعد ايمانكم يحتمل وجوها يحتمل اكفرتم بعد ما امنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث بوجودكم نعته وصفته في كتابكم وعلى هذا قال بعض اهل التاويل والذين يحاجون في الله
من بعد ما استجيب اي على استجابة كثير منهم من الاحبار والكبراء الذين لا يعرفون بالعنت في الدين ولا بالتقليد
والله الموفق ويحتمل قوله اكفرتم انتم بعد امن منكم فرق لان منهم من قد امن ومنهم من كفر فقال لمن كفر
اكفرتم انتم وقد امن منكم نفر الا ترى انه قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق والله اعلم وكقوله فامنت
طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة وقيل ارتددتم بالايمان الذي قالوا حين اخرجوا من ظهر ادم وفي الاية رد
قول المعتزلة بتخليد اهل الكبائر في النار واخراجهم اياهم من الايمان من غير ان ادخلوهم في الكفر لانه عز وجل
لم يجعل الا فريقين بياض الوجوه فبياض الوجوه هم المؤمنون وسواد الوجوه هم الكافرون لانه قال اكفرتم
فاصحاب الكبائر لم يكفروا بارتكابهم الكبيرة ولم يجعل الله تعالى فرقة ثالثة وكذلك قال عز وجل فريق
في الجنة وفريق في السعير لم يجعل الخلق الا فريقين وهم جعلوا فرقا وكقوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن
فان قيل ذكر في الاية الكفر بعد الايمان ثم لم يكن فيه منع دخول من لم يكفر بعد الايمان فامتنع ان لا يكون فيه منع
دخول صاحب الكبيرة قيل جوابنا ما سبق ان خلقة كل كافر تشهد على وحدانية الله تعالى لكنهم كفروا بالسنتهم
وذلك كفر بعد الايمان فلم يجز ان يدخل في الاية من لم يكن كافرا في حكم الكافر وبالله التوفيق وقوله فذوقوا العذاب
في الظاهر امر لكنه في الحقيقة ليس بامر لان العذاب لا يذاق وانما يذاق وهو فكانه قال اعلموا ان عليكم العذاب
وقوله تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق الاية يحتمل ايات الله حجج الله وبراهينه ويحتمل ايات الله القران بالحق
ببيان الحق ويحتمل بالحق بالدين والدين هو الحق قال الشيخ رحمه الله اي بالدعاء الى الحق ويحتمل بالحق الذي لله
على عباده ولبعضهم على بعض وقوله وما الله يريد ظلما للعالمين والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فاذا كان
ما في السموات وما في الارض كله له ومن وصف في الخلق بالظلم انما وصف لانه يضع حق بعض في بعض ويمنع
حق بعض فيجعل لغير المحق فالله يتعالى عن ذلك وقوله وما الله يريد ظلما للعالمين اي لا يريد ان يظلمهم وان شئت
قلت الارادة صفة لكل فاعل في الحقيقة فكانه قال لا يظلمهم فكيف يظلم وانما يظلم من يقع ضرره اليه النفس او ضرر
يدفع به فالغني بذاته متعال عن ذلك وقوله والى الله ترجع الامور اي اليه يرجع امر كل احد فلا يحتمل الظلم وجود
الظلم منه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس انفعهم للناس
وتامرون بالمعروف اي تامرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله والاقرار بما انزل الله وتقاتلون عليه ولا اله
الا الله هو اعظم المعروف والمنكر هو التكذيب فهو انكر المنكر وعن علي رضي الله عنه انه قال النبي صلى الله عليه وسلم

في جعل سواد الوجوه وفي استحقاق التخليد في النار شرح

اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء قلنا يا رسول الله وما هو قال نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد
وجعل التراب لي طهورا وجعلت امتي خير الامم قال الشيخ رحمه الله كنتم خير امة اخرجت له وجهان اي كنتم على السن الرسل
في الكتب المتقدمة خير امة ويحتمل اي كنتم صرتم باجابتكم برسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعكم ما معه خير امة على وجه
الارض لانهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض **وقوله** تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر يتوجه الى وجوه ثلاثة المعروف
هو المعروف في العقول اي الذي يستحسنه العقول والمنكر هو الذي قبحته العقول وانكرته ويحتمل ان يكون المعروف هو الذي
عرف بالآيات والبراهين انه حسن والمنكر ما عرف بالحجج انه قبيح ويحتمل ان المعروف هو الذي جرى على السن الرسل
انه حسن والمنكر هو الذي انكروه ونهوا عنه فعلى هذه الوجوه يخرج تاويل الآية والله اعلم **وقوله** ولو آمن اهل الكتاب
لكان خيرا لهم لا شك ان الايمان خير لهم من الكفر ولكن معناه والله اعلم انهم انما ابوا الايمان وتمسكوا بالكفر لوجهين
احدهما انهم كانوا اهل عز وشرف فيما بينهم واهل دراية الكتب يساب اليهم الناس ويختلفون اليهم بحوائجهم
فخافوا ذهاب ذلك عنهم اذا آمنوا فاخبر الله عز وجل انهم ان آمنوا لكان خيرا لهم من الذكر والشرف والعز في اهل
الايمان اكثر مما لهم في اهل الكفر الا ترى ان من آمن منهم من درية الكتاب وعلمائهم كان لهم من الذكر والشرف
في الايمان ما لم يكن لاحد مات منهم على الكفر نحو عبد الله بن سلام ومن سلم منهم نحو كعب وغيره من الاحبار وانما كان
من علمائهم لم يكونوا من علماء اهل الايمان فنالوا بالايمان من الذكر والعز والشرف ما لم ينل احد منهم مات على الكفر
بل خمل ذكرهم وانتشر اهلهم فضلا في اهل الايمان والاسلام والله اعلم والثاني انهم كانوا ابوا الاسلام واتباع
محمد صلى الله عليه وسلم واختاروا المقام على الكفر خوفا واشفاقا على ما لهم من المنافع والمنال ان يذهب ذلك
عنهم بالاسلام فاخبر عز وجل انهم لو آمنوا لكان خيرا لهم في الآخرة اذ ذاك ينقطع عن قريب والذي لاهل الايمان
في الآخرة باق دائم لا يزول ابدا الملكان الذي تنال بالايمان غيب وكذلك ما يحل بالكفار من جزاء الكفر غيب اشتد
عليهم الفكر والتدبر فلا يمنعهم عن الشهوات وتعرض عليهم اللذات فآثروا ما هو ترا انفسهم وتلذذوا بر على التدبر
معما كان ادراك الغائب بالشاهد امر عسير لا يوصل اليه الا بفضل الله ولم يكن عليه ذلك لا يسقط معنى الافضال
والانعام ويصح حقا معها كانهم بقديم الجفاء وايثار زهرة الدنيا وبهجة الغنى على الموعود والله اعلم **وقوله**
منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون كذلك كانوا كان المؤمنون اقل والكفار اكثر والله اعلم **وقوله** لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار فيه بشارة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وللمؤمنين والامن لهم عن اذى
المشركين وضررهم الا اذى باللسان وهو كقوله تعالى لتسمعن من الذين اوتوا الكتاب وقوله لئن اخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم الآية ونحوه من الآيات التي فيها بشارة لاهل الايمان بالنصر لهم على عدوهم وفي قوله
لن يضروكم الا اذى الآية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اخبر بذلك قبل ان يكون فكان
على ما اخبر فدل انه انما علم ذلك بالله عز وجل **وقوله** ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وفي حرف
ابن مسعود رضي الله عنه ضربت عليهم المسكنة وليس فيه الذلة وفي حرف حفصة ضربت عليهم المسكنة
والذلة ثم اختلف في الذلة قيل هي الجزية التي ضربت عليهم وهي ذلة كقوله عن يد وهم صاغرون لانهم كانوا
يانفون عنها وقوله اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس يعني بعهد من الله وعهد من الناس
يكون تحت قوم يؤدون الجزية وكذلك تاول ابن عباس رضي الله تعالى عنه بحبل من الله وحبل من الناس اي بعهد
من الله وعهد من الناس وقال مقاتل رضي الله عنه والناس في هذا الموضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة
ويحتمل قوله وضربت عليهم الذلة بكفرهم فيما بين المسلمين بعد ما كانوا اهل ذكر وشرف وعز فيما بينهم اينما ثقفوا
اي لا يوجدون الا بحبل من الله وحبل من الناس بالاسلام اي لا يظفرون بهم ولا يوجدون الا ان يسلموا الخوفهم
على انفسهم **وقوله** وباؤا بغضب من الله قيل استوجبوا غضبا من الله بكفرهم وقيل رجعوا وقيل وجب عليهم الغضب
وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم **وقوله** وضربت عليهم المسكنة وهي الحاجة والفقر وهو ما ذكرنا انهم

ظاهروا

ظاهروا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قربهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعدهم
بالمشركين فاذلهم الله تعالى بذلك وجعلهم اهل حاجة وصنعة فيما بين المسلمين بعد ما كانوا اهل عز وشرف فيما بينهم
وهو كقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب الآية قال الشيخ
رحمه الله وقد يحتمل رجوع الآية الى خاص وهم الذين ذكر الله في قوله وانزل الذين ظاهروهم الآية وغير ذلك
مما يصير فيه المسلمون تعرف حقيقة المراد من شهد النوازل وعرف الاسباب الموجبات البشارات ويحتمل ان الله تعالى
جعل كل حاجتهم الى ما يفنى وهو الدنيا التي لا بقاء لها ولا منفعة في الحقيقة فهي حاجة ثم بما فيهم بالجهل او ذلك
فيهم حاجة ويحتمل ان الله معما وسع عليهم الدنيا جعل في قلوبهم خوف الفقر واعظم الحاجات فهي المسكنة
وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وآيات الله ما ذكرنا في غير موضع **وقوله** ويقتلون الانبياء بغير حق
يحتمل وجوها يحتمل ان اوايلهم قد قتلوا الانبياء بغير حق وهؤلاء ... بذلك وان كانوا لم يتولوهم بانفسهم
فاضاف الله تعالى ذلك اليهم لانهم شركوا في صنيعهم برضاهم وهو كقوله من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس
جميعا ويحتمل ان يكونوا قصدوا القصد قتل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا قصدوا ذلك فكانهم قصدوا الانبياء
كلهم كما ذكرنا في قوله من قتل نفسا الآية يحتمل ان يكونوا هموا قتل محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون غيرهم بآبائهم
اذ هم قلدوهم في الدين فبين سوء صنيعهم بالانبياء عليهم السلام ليعرفوا به سفههم وسفه كل من قصد تقليدهم
والله اعلم ويحتمل ان يكونوا قتلوا اتباع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاضاف اليه وهو كما اضاف اليه وهو كما اضاف
مخادعتهم المؤمنين الى نفسه وكما اضاف نصر اوليائه اليه وان كان الله لا يخادع ولا ينصر فعلى ذلك اضافة
القتل اليه لقتلهم الاتباع والله اعلم **وقوله** ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله الآية اي لا سواء بين
من آمن منهم يعني من اهل الكتاب ومن لم يؤمن منهم لان منهم من قد آمن فصار امة قائمة قيل عدل كقوله ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقيل امة قائمة على حدود الله وفرايضه وطاعته وكتابه لم يحرفوه وقيل
امة قائمة مهتدية وهم الذين آمنوا منهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل
واطراف النهار امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يصلون ولم يكن هذا للامم السالفة وفي حرف حفصة ليس
اهل الكتاب ليسوا سواء منهم امة قائمة كقوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فلهم كذا واما الذين فسقوا فمأواهم النار الآية **وقوله** وهم يسجدون يحتمل قوله وهم يسجدون
اي يصلون ويحتمل يسجدون يخضعون والسجود هو الخضوع يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون
بالمعروف اي يؤمنون بانفسهم ويامرون غيرهم بالايمان ويدعون اليه وينهون عن المنكر يعني الكفر
ويحتمل تامرون بالمعروف كل معروف وينهون عن المنكر كل منكر وقد ذكرنا هذا ويسارعون في الخيرات
في الخيرات كلها واولئك من الصالحين وقيل مع الصالحين في الجنة قال الشيخ رحمه الله اي ومن ذلك فعله فهو
صالح **وقوله** وما تفعلوا من خير فلن يكفروه اي لن يرد ذلك عليكم بل يقبل بل يجزون في الآخرة قال الشيخ رحمه الله
اي كيف يكفره وهو الشكور الذي يقبل اليسير ويعطي الجزيل وهو في حرف حفصة فلن تتركوه اي لن تتركوه
دون ان يجزوا عليه وان قل ذلك كقوله وان تك حسنة يضاعفها معناه والله اعلم ما ذكر ولن يتركم اعمالكم
وقيل لن يظلمكم وقيل لن ينقصكم وقيل فلن يضل عنكم بل تشكر ذلك لهم يعني فلن يضيع عند الله والله اعلم
والله عليم بالمتقين ظاهر **وقوله** ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال الشيخ
فهو والله اعلم ان بمثله يكون التناصر في الدنيا لكن الذي كان فيها لا ينفع في الآخرة بل يكون كما قال الله
عز وجل يوم يفر المرء الآية ثم لا مال له ثم ولا لو كان فينفع وذلك انهم ظنوا ان كثرة الاموال والاولاد تمنعهم
من عذاب الله كقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبر عز وجل ان كثرة الاموال والاولاد
لا تغني عنهم من عذاب الله شيئا **وقوله** مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم

بل يقبل منكم ويجزون
صح

ظلموا انفسهم ضرب مثل نفقة الكفار التي انفقوها بريح فيها صر اصابت حرث قوم وذلك والله اعلم انهم كانوا
ينفقون ويعملون جميع الاعمال من عبادة الاصنام والاوثان ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وظنوا ان تلك
الاعمال والنفقات التي انفقوها في صد الناس تنفعهم في الآخرة وتقربهم الى الله فاخبر انها لا تنفع فكان كالريح التي
فيها صر وبرد ظنوا ان فيها رحمة وشيا ينفع زروعهم ويمونها فاذا فيها نار احرقت حرثهم كما طمعوا من اعمالهم
ونفقاتهم التي في الدنيا بالآخرة قربة وزلفة اليه فاذا هي مهلكة لاديانهم كالريح التي فيها صر كانت مهلكة محرقة
لزروعهم وحرثهم والله اعلم والصر هو البرد الشديد وقيل الصر الصوت كقوله فاقبلت امرأته في صرة
فصكت وجهها وقيل هي الصوت وقيل مثل ما ينفقون في الصد عن سبيل الله وفي قتال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كقوله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا الآية اي يتاسفون على ما انفقوا تاسف صاحب الزرع
على ما كان انفق فيه والله اعلم وقوله وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون والظلم ما ذكرنا هو وضع الشيء
في غير موضعه فهو والله اعلم قال هم الذين وضعوا انفسهم في غير موضعها لان الله وضع انفسهم ذلك
الموضع لانهم عبدوا غير الله ولم يجعلوا انفسهم خالصين سالمين لله فهم الذين ظلموا انفسهم حيث اسلموها
لغير الله وعبدوا دونه فذلك وضعها في غير موضعها لان وضعها موضعها هو ان يجعلوها خالصة لله
سالمة له وقيل ما ضروا الله بعبادتهم غيره ويكفرهم بل انما ضروا انفسهم اذ لا حاجة له الى عبادتهم والله
الموفق قال الشيخ رحمه الله عليه تقديم وتاخير واصل ذلك ان الله قد وضع كل نفس الخلقة بموضع العبودة
فجعلوها عبيدة غيره وقوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم اختلف فيه قيل نهى الله المؤمنين
ان يستدخلوا المنافقين او يواخوهم او يتولوهم دون المؤمنين وقيل في حرف حفصة لا تتخذوا
بطانة من دون انفسكم يعني من دون المؤمنين وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نهى الله المؤمنين ان يتخذوا
اليهود والنصارى والمنافقين بطانة دون اخوانهم من المؤمنين يتخذونهم ويفشون اليهم سرهم دون
المؤمنين والبطانة قيل الاخوان ويجعلونهم موضع افشاء سرهم قال الشيخ رحمه الله والنهي عن اتخاذ الكافر
بطانة لوجهين احدهما العرف ان ذلك يعرف بمن يصحبه والثاني الميل اليه بما يريه عدوه انه يحسن العشرة
وحسن الصحبة معه ما فيه الاسقاط عما به يستعان على امر الدين والاغفال عن حقه وقوله لا يالونكم
خبالا يقولون لا يتركون جهدهم في فساد امركم وقوله ودوا ما .. اي يودون ويتمنون ما آثمتم
قال الشيخ رحمه الله اي ودوا ان تشاركوهم في اشياء يوثمكم ويعنتكم عليه وقيل العنت الضيق لهم ذلك
تقصدهم كالآية التي تتلوهم وقوله قد بدت البغضاء من افواههم من قال ان اول الآية في المنافقين
يقول قوله قد بدت البغضاء من افواههم ما ذكر في آية اخرى ولتعرفنهم في لحن القول انهم كانوا يعرفون
المنافقين في لحن كلامهم قال الشيخ رحمه الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم ما كان من التعريض بقولهم انا لنا
قد جمعوا لكم واظهار السرور بنكبتهم كقوله وان منكم لمن ليبطئن الآية وقوله وما تخفي صدورهم اكبر وذلك
كانوا يظهرون الموافقة لهم ويضمرون العداوة والخلاف لهم والسعي في هلاكهم مما كانوا يضمرون
اكثر مما يظهرون ومن قال بان الآية في الكفار فهو ظاهر وقوله قد بدت البغضاء من افواههم
من الشتيمة والعداوة ويضمرون اكثر من ذلك من الفساد والسوء والله اعلم وقوله قد بينا لكم الآيات
ان كنتم تعقلون يحتمل قوله ان كنتم تعقلون الآية ويحتمل ان كنتم تنتفعون بعقولكم لانه عز وجل
ذكر في غير آي من القرآن انهم لا يعقلون قد كان لهم عقول لكنهم لم ينتفعوا نفى عنهم العقل راسا
وقوله ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم من قال ان اول الآية في المنافقين فهذا يدل له ويشهد
لانه قال واذا لقوكم قالوا آمنا يقول ها انتم يا هؤلاء المسلمين تحبونهم يعني المنافقين ولا يحبونكم
على دينكم قال الشيخ رحمه الله وفي الآية بيان ان اولئك قوم يحبهم المؤمنون اما بظاهر الايمان وبظا

الاستدخال اتخاذ الدخلاء من خواصتي ودخل الرجل ودخلله الذي يداخله في اموره

معه كانت المواخاة وضعف تستغني احدهما بصاحبه في امور الدين

الحال منهم من طلب مودتهم فاطلع الله المؤمنين على سرهم لئلا يغتروا بظاهرهم وليكون حجة لهم ولرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بما اطلعه الله على ما اسروا والله اعلم ومن قال ان اول الآية في الكفار يجعل قوله ها انتم
اولاء تحبونهم ولا يحبونكم على الابتداء والقطع من الاول لانه وصفهم بصفة المنافقين وسمهم بسمتهم وليس
في الاول ذلك وقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم هو على التمثيل يقال عند شدة الغضب
فلان يعض انامله على فلان وذلك اذا بلغ الغضب غايته قال الشيخ رحمه الله في قوله قل موتوا بغيظكم انما كان
تغيظهم ما كان للمسلمين من السعة والنصر والتكثر والعز فيكون في ذلك دعاء لهم بتمام ذلك حتى لا يروا فيهم
الغير والله اعلم وفي حرف حفصة قل موتوا بغيظكم لن تضرونا شيئا ان الله عليم بذات الصدور وعلى الوعيد
وقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم قال ليس هذا وصف المنافقين في الظاهر لانهم كانوا يطمئنون عند الخير
لكنه يحتمل انهم كانوا يطمئنون بخيرات تكون لهم لا للمؤمنين وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ذكر في القصة انهم
اذا راوا للمسلمين الظفر على عدوهم والغنيمة يسوءهم ذلك واذا راوا القتل والهزيمة عليهم يفرحون به ويسرون
وقيل اذا راوا للمؤمنين الخصب والسعة ساءهم واذا راوا لهم القحط والجدب وغلاء السعر فرحوا به لكن هذا
يحتمل في كل خير راوا لهم اهتموا لذلك وفي كل مصيبة ونكبة راوا لهم فرحوا بها وقوله وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم كيدهم شيئا وعد النصر بشرط لا يضركم كيدهم شيئا اخبر ان المؤمنين اذا اتقوا وصبروا لا يضرهم
كيدهم شيئا حتى يعلم انما يصيب المؤمنين انما يصيب بما كسبت ايديهم وقوله ان الله بما تعملون محيط على الوعيد
وقوله واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قوله تبوئ قيل تهيئ للمؤمنين امكنة القتال
وقيل تبوئ تنزل المؤمنين وقيل تبوئ للمؤمنين تتخذ للمؤمنين مقاعد لقتال المشركين وقيل تبوئ
توطن وقيل تستعد للقتال كله يرجع الى واحد ثم اختلف في اي حرب كان واي يوم قال اكثر اهل التفسير
كان ذلك يوم احد وقيل انه كان يوم الخندق وقيل كان يوم الاحزاب فلا يعلم ذلك الا بخبر يصح انه كان
يوم كذا لكن في ذلك ان الائمة هم الذين يتولون امر العساكر ويختارون لهم المقاعد وعليهم تعاهد احوالهم
ودفع الخلل والضياع عنهم ما احتمل وسعهم وعليهم طاعة الائمة وقبول الاشارة من الامام وذلك في قوله
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ذكر مقاعد القتال في هذه الآية لكن الذي لزم من ذلك في آية
في آية اخرى ذكر الصف بقوله عز وجل بقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
وذكر في آية اخرى الثبات بقوله عز وجل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والاصل انهم امروا
بالثبات فالاحسن ان يختار لهم امكنة لهم بها معونة على الثبات والله اعلم بقوله عز وجل اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا فيه رخصة الحملة على العدو
اباحتها وان كان فيها تولي الادبار ويحتمل ان يكون اراد بالمقاعد الاماكن والمواطن للقتال والحرب والله اعلم
وقوله والله سميع عليم يحتمل سميع لمقالتكم عليم بسرائركم ويحتمل سميع بذكركم الله والدعاء له لانهم امروا بذكر
الله والثبات للعدو بقوله عز وجل فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وعليم بثوابكم ويحتمل قوله سميع عليم البشارة من الله
عز وجل بالنصر لهم والامن عن ضرر عدوهم كقوله تعالى عز وجل لموسى وهارون فقولا له قولا لينا الآية قالا
اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى ثم قال عز وجل لا تخافا انني معكما اسمع وارى منعهما من عدوهما بقوله عز وجل
اسمع وارى فعلى ذلك يحتمل ذا في قوله عز وجل سميع عليم ويكون سميع اي اسمع دعاءكم بمعنى اجيب واعلم ما به
نصركم وظفركم والله اعلم وقوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا قوله همت يحتمل ان همهم خطر ويحتمل ان همهم
عزم وكذلك هذا التاويل في قوله ولقد همت به وهم بها همت هي به هم عزم وهم هو بها هم خطر وهم
الخطر يقع من غير صنع من صاحبه وهم العزم يكون بالعزيمة والقصد وقوله همتان تفشلا والفشل ليس
مما ينهى عنه لانه يقع من غير فعله لكنه والله اعلم هموا ان يفعلوا فعل الفشل وذا في القصة ان الطائفتين

الغير الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير

احدهما كانت من بنى كذا والاخرى من بنى كذا فلا يجب ان يذكروا الا ان يتقوا بذلك وقيل انهم كانوا اقروا
بذلك وكانوا يقولون نحن كنا فعلنا وما يجب ان لايكون فى قوله والله وليهما ظهرلنا ولاية الله ولو لم يكن لم يظهر
وقوله والله وليهما قد ذكرنا هذا فى غير موضع ان الولى قيل هو الناصر وقيل هو الحافظ وقيل انه اولى بهم
قال الشيخ رحمه الله المؤمن يعلم علم اليقين ان من نصره الله لا يغلبه شئ ومن يخذل له الله لا ينصره شئ وقوله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون حق على المؤمنين اى لايتوكلوا الا على الله عز وجل قال الشيخ رحمه الله فتوكل اى عتمد
على ما وعد واجتهد فى الوفاء بما عهد وفوض كل امره الى الله اذ علم انه بكليته لله واليه مرجعه وبهذه الجملة
عهدان ينصر دينه ولا يولى عدوه دبره والله اعلم وقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة يذكرهم عز وجل
ان لا يتكلوا الى انفسهم لكثرتهم ولقوتهم ولعدتهم ولا تثقوا باحد سواه بل على الله يتوكلون واليه يكلون
ويثقون لانه اخبر انهم كانوا ضعفاء فنصرهم وامدهم بالملائكة حتى قهر عدوهم مع ضعفهم وقلة عددهم
يوم بدر ويوم احد كانوا اقوياء كثيرة العدد فوكلوا الى انفسهم فكانت الهزيمة عليهم وقوله فاتقوا الله يعنى اتقوا
معاصيه لعلكم تشكرون فيه دليل ان الشكر انما يكون فى طاعته معا واتقاء معاصيه وان المحنة انما تكون فى الشكر
لما انعم عليه والتكفير لما سبق منه من الجفا والغفلة والله اعلم وقوله اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلاثة الاف من الملائكة منزلين وذكر فى سورة الانفال بالف من الملائكة مردفين فاختلف فيه قيل كانوا عشرة
الاف لانه ذكر مرة ثلاثة الاف ومرة خمسة الاف ومرة الف مردفين فيكون الفان فذلك عشرة الاف
وقيل كانوا تسعة الاف ثلاثة الاف وخمسة الاف والف وقيل كانوا كلهم خمسة الاف ثلاثة الاف والفان مددا لهم
ثم اختلف فيه قال بعضهم كان يوم احد وقال الاخرون يوم بدر وقوله فاستجاب لكم ربكم انى ممدكم بالف من الملائكة
يوم بدر ولا ندرى كيف كانت القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة سوى ان فيه بشارة للمؤمنين بالنصر لهم
والمعونة بقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به جعل فى ذلك تسكين قلوب المسلمين ثم اختلف فى قتال
الملائكة قال بعضهم قاتل الملائكة الكفار وقال الاخرون لم يقاتلوا ولكن جاؤا بتسكين قلوبهم ما ذكر فى الاية
ولا يحتمل القتال لانه ذكر فى الاية ويقللكم فى اعينهم ولو كانوا يقاتلون لم يكن لما تقلل معنى ولان الواحد منهم كان يكفى
بجميع المشركين الا ترى ان جبريل عليه السلام كيف رفع قريات لوط الى السماء فقلبها فدل انه لما ذكرنا والله اعلم وقيل
قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم احد فلا ندرى كيف كان الامر وقوله مسومين قيل منزلين ومسومين سواء وهو
من الارسال من التسويم وقيل معلمين بعلامة وذلك والله اعلم ليعلم المؤمنون حاجتهم الى العلامة لان الملائكة
لا يحتاجون الى العلامة وكذلك روى عن نبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة
قد تسومت وقوله وما النصر الا من عند الله ليعلم ان فى النصر لطف من الله لا يوصل اليه بشئ من خلقه لانه نفاه
عنهم مع مدد الملائكة ليعلم ان كل مقصور على الخير انما كان ذلك من الله عز وجل وقوله ليقطع طرفا من الذين
كفروا الاية قال قتادة كان يوم بدر قتل صناديدهم وقادتهم فى الشر وقيل طرفا من الذين كفروا يعنى اهل مكة
وقوله او يكبتهم قيل يخزيهم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الكبت الهزيمة وقيل الكبت هو الصرع على وجهه
وقوله فينقلبوا خائبين والخائب هو الذى لم يظفر بحاجته اى رجعوا ولم يصيبوا ما املوا قال الشيخ رحمه الله
ما ذكر من حضور الملائكة الحرب فهو والله اعلم فى حق محنة الملائكة ولله ان يمتحنهم بما شاء من الحضور والمعونة
والكف عن ذلك والدعاء لاوليائه بالنصر وبما شاء الله من الوجوه التى يمتحن بها عباده وفيهم من قد امتحنه
على الارزاق والارواح والامطار والاعمال وانواع الاذكار والافعال اذ هم خلق اصطفاهم واختارهم لعبادته
وطاعته فى جميع ما يامرهم ليجل به قدرهم ويعلى درجتهم ثم لو اذن لهم بالمعونة اعانوا المؤمنين على قدر الاذن
لهم اذ هم على ما وصفهم الله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون
وغير ذلك ما وصفهم بالطاعة له والاتباع لامره وما اكرمهم من هيبة جلاله وخوف عقابه صلوات الله

منا فعل الفشل لما ظهر لنا بسبب ذلك ولاية الله تعالى

وما ذكر فى هذه السورة فى يوم احد

تسومت فى الحرب اى علم نفسه بعلامة

على قدر الشرف والعلا من باب علم

عليهم اجمعين ثم كان للمؤمنين فى حضورهم انواع البشارات فيما لم يكن اذن لهم بالقتال وانواع الايات فيما
قد اذن لهم على ما ذكر من امر بدر وغيره مما اخبر الله عز وجل من ارسال الجنود وهزيمة اعدائه بعينه وقتله
من ذلك ما قال الله عز وجل اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا الاية انه يكون الله يؤيدهم بما به تشجيع
قلوب المؤمنين على ما قد امكن اعداءه من انواع الوساوس التى لديها يضطرب قلوبهم وتزل اقدامهم فمثله يمكن اولياءه
فى تشجيع المؤمنين ليسكن قلوبهم ويثبت اقدامهم والله اعلم والثانى ان يكون الذى جبل عليه الخلق ان يكون كل احد
عند معاينة الحاجة الى دعاية وما يحتمل وسعه من معونة عليه اقبل وبه ارغب فيكون للمؤمنين بحضورهم
رجاء النصر بدعائهم ويخرج قوله انا لننصر رسلنا الاية وقوله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم والله اعلم
او كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عصرهم يبشرهم فى حضورهم فيكون لهم بذلك فضل ثبات وترك الجبن
منهم بما اعلموا اطلاعهم على ذلك ويكون لهم فضل قوة بذلك واقبال على الامر على ما جبل الخلق من الاقبال على الامور
المهمة واذا اكثروا على ذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم ولعلهم يصيبا بما يطمعون انهم لو اطاعوا الله وتبعوا الاعلام
اذ لهم النصر والدفع فكان ذلك بعض ما يستبشرون وعلى ذلك اكثر ما بلى اصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بالهزيمة انما كان يصرف قلوبهم الى بعض ما جبل عليه البشر من حب الدنيا والاعجاب بالكثرة ونحو ذلك
ثم من اعظم الاعلام فى ذلك ما قال الله عز وجل وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله
فتكون البشارة والطمانينة بالذى جبل عليه البشر على ما يثبت ويكون النصر من عند الله الذى متى اراد نصر احد
لن يغلب قلت اعوانه او كثرت وذلك لطف من الله العزيز العليم يريهم النصر من الوجه الذى لا يعلم الا وهو
وفى حال الانفس من انفسهم ان يقوم بعددهم ليعلموا اعظم لطفه الذى بمثله ارتفعت درجات الاخيار وشرفت منازلهم
ولو كان لهم بالاذن على ما ذكر من قوة جبريل عليه السلام فى قلب قريات لوط بجناح واحد لم يكن يقوم لمثله
اهل الارض فضلا من عدد يسير منهم ولكنهم لا يتقدمون بين يدى الله والله لم يكن اذن لهم فى القتال عند كل
مشهد والله اعلم وقوله ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم الاية قوله ليس لك من الامر شئ انما انت عبد
مامور فليس لك من الامر شئ انما ذلك الى الواحد القهار الذى لا شريك له ولا ند كقوله يقولون هل لنا من الامر
من شئ قل ان الامر كله لله وقوله او يتوب عليهم او يعذبهم الاية فيه انه كان من النبى صلى الله عليه وسلم معنى قولا
وفعلا حتى نزل قوله ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم ولكنا لا نعلم ذلك المعنى غير انه قيل فى بعض
القصة ان النبى صلى الله عليه وسلم شج يوم احد فى وجهه وكسرت رباعيته فدعا عليهم فنزل قوله ليس لك
من الامر شئ وقيل ان سرية من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى قتال المشركين يقاتلوهم حتى قتلوا
جميعا فشق على النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه بقتلهم فدعا عليهم باللعنة يعنى على المشركين اربعين يوما
فى صلوة الغداة فنزل قوله ليس لك من الامر شئ وعن ابن عمر رضى الله عنه انه قال قال النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يوم احد اللهم العن ابا سفيان اللهم العن فلانا حتى امن نفر منهم فنزل قوله ليس لك من الامر شئ
الاية وقيل ان نفرا من المسلمين انهزموا فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ليس لك من الامر شئ
فامره بكف الدعاء عنهم والله اعلم بالقصة فى ذلك وقوله او يتوب عليهم او يعذبهم فان كانت القصة فى الكفار
فكانه طلب التوبة والهدى وافرط فى الشفقة فقال ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم فيهديهم لدينه او يعذبهم
على كفرهم فانهم ظالمون كقوله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء فان كان فى المؤمنين
فقوله او يتوب عن ذنبهم الذى ارتكبوا او يعذبهم بذنبهم ولا يعفو عنهم والله اعلم بذلك وقوله ولله ما فى السموات
وما فى الارض الاية فيه دلالة ما ذكرنا فى قوله ليس لك من الامر شئ انما الامر الى الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض
هو الذى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفى قوله ليس لك من الامر شئ جواز العمل بالاجتهاد لانه صلى الله عليه وسلم
عمل بالاجتهاد لا بالامر حتى منع عنه قال الشيخ رحمه الله قوله ليس لك من الامر شئ يحتمل ان يكون على اثر ما جبل عليه

البشر ما راى فى ذلك صلاح الخلق وبما عليه التدبير بحيث لا اطلاق فقيل هذا وان كان على ما رايت فليس لك من هذا
شيء وانما الذى اليك الصفح عن ذلك والاعراض والله اعلم ما كان ويحتمل ان يكون يبتدئ القول بمن عزّ ان سبق منه
ما يعاتب عليه او يمنع منه ليكون ابدا مقبلا بحق الاذن له فى كل شيء والامر ولا يطمع نفسه فى شيء لم يسبق له البشارة به
على ان النهى والوعيد امران جائزان وان كان قد عصم عن ركوب المنهى ووجوب الوعيد اذ هنالك يظهر رتبة العصمة
ولا قوة الا بالله والثانى ان يكون على اشر امر استعجل ذلك من دعاء الهلاك او الهداية لقبول الحق والخضوع فقيل
ليس لك شيء من ذلك فى احد على الاشارة انما ذلك الى الله يصنع فيهم ما عنده من الثواب والتعذيب على قدر ما يعلم
من اقبالهم على الطاعة له او نفادهم عنها والله اعلم وقوله يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة
قوله لا تاكلوا الربوا كقوله وذروا ما بقى من الربوا فعنيه نهى عن الاخذ كقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
فعل ذلك قوله لا تاكلوا الربوا لا تاخذوا وقوله اضعافا مضاعفة فان قيل ما معنى النهى عن المضاعفة وغير المضاعفة
حرام لكنه يحتمل هذا وجوها يحتمل ان يكون هذا قبل تحريم الربوا فنهوا عن اخذ المضاعفة ويحتمل قوله لا تاكلوا
الربوا اى تكثروا اموالكم باخذ المضاعفة ويحتمل اضعافا مضاعفة اى لا تصروا على استحلال الربوا ف
فتبعثون عليه آخر الابد ويحتمل اضعافا مضاعفة تضعيف العذاب ويحتمل ما قيل كان احدهم يبايع الرجل
الى اجل فاذا حل الاجل زاد فى الربح وزاد الآخر فى الاجل وذلك كان ربوا الجاهلية قال الشيخ رحمه الله
فى قوله لا تاكلوا الربوا يحتمل الاكل لانه نهاية كل كسب ويحتمل الاخذ كقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
وقوله وذروا ما بقى من الربوا وقوله اضعافا مضاعفة فى الاخذ اى لا ياخذوا ليكثروا اموالهم ويقصدوا بذلك
تضاعف اموالكم الى غير حد وليس فيه ان القليل ليس بحرام لكن ذلك هو مقصود اهله فنهوا عن ذلك وحرمة
القليل بغير ذلك من الآيات ويحتمل ان يكون فى نازلة عليها خرج النهى لا على الاذن بدون ذلك ولو كان
على حقيقة الاكل فهو على النهى عن التوسع بالربوا والامر بالعود الى ما لا ربوا فيه وان كان فى ذلك ضيق والله اعلم
ويحتمل ان يكون فى الآية اضمار فيقول لا تاكلوا الربوا فانكم ان اكلتموه بعد العلم بالتحريم تضاعف عليكم
المآثم والعقوبات وقد جعل الله للربوا اعلاما دلت على ما غلظ شانها نحو ما وصف من لا يتقيه بالخروج
بحرب الله وحرب رسوله عليه السلام وبالتخبط يوم القيامة وانتفاخ البطن وما جرى فى معاقبة اليهود بتحريم
اشياء بمكان ذلك وقوم شعيب ما حل بهم بلزومهم يتعاطى الربوا واتقوا الله ولا تاخذوا الربوا ولا تستحلوه
لعلكم تفلحون وقوله واتقوا النار التى اعدت للكافرين فيه دلالة انها انما اعدت للكافرين لم تعد لغيرهم
فذلك يرد على المعتزلة حيث خلدوا اصحاب الكبيرة فى النار والله تعالى يقول انها اعدت للكافرين
وهم يقولون ولغير الكافرين قال الشيخ فى قوله اعدت للمتقين يحتمل الذين اتقوا الشرك كقوله هدى للمتقين
ويحتمل للذين اتقوا جميع انواع المعاصى فان كان التاويل هو الاول وكل من لم يستحق بفعله اسم الكفر فهو
فى الآية اذ قال فى النار اعدت للكافرين لم يجز ان يكون هى ابدا لغيرهم لوجهين احدهما اذ لا يجوز ان تكون
الجنة المتخذة للمؤمنين تكون لغيرهم فكذلك النار المعدة للكافرين وهذا اولى بجواز القول فى ايجاب الجنة
لمن لا يكون منه الايمان بحق الذرية وفساد القول فيهم بالنار والله اعلم والثانى انها جعلت لغيرهم او اعدت
لغيرهم لكان لا يكون للكفر فضل هيبة ولفعله فزع فى القلوب بوجود ذلك ومعلوم ان ذلك بالعواقب
لا يتبين الفعل ثبتا انه لا يجب خلود من ليس بكافر فيها حتى يكون لمن اعدت له ولغيره اثر وتقدير لا تحقيق لذلك
كله والله اعلم وان كان التاويل هو الثانى من اتقاء جميع المعاصى فيكون لذلك بعد عبادتان احدهما ان تعد
اهل الجنة واهل النار وبينهم قوم لم تبلغ بهم الذنوب الشرك فيدخلون فى الوعيد بالنار المعدة لهم
ولا اتقوا جميع المعاصى فيكونون فى الوعد المطلق فيمن اعدت له الجنة فحقه الوقف فيه حتى يظهر ذلك فى قوله
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفى قوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله آخرون

اعترفوا بذنوبهم الآية وغير ذلك من الآيات العفو والمغفرة وما كان ذلك واجبا فى الحكمة فيكون القائم
يستحق وصف العدل لا العفو والمغفرة فثبت ان ذلك فيما قد وجب ويكون نعيمهن يجزيهم جزاهم ويدخلهم الجنة
اذا اخبر انه لا يجزى السيئة الا بمثلها وبالتخليد مضاعفة ذلك من وجهين احدهما انه عذاب الكفر وهذا دونه
والثانى فى منع لذة الحسنة بكليتها بل حق ذلك ان يكون كقوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية ان يجزى بالامرين
جميعا ولا قوة الا بالله والثانى انه قد جاء بمقابل السيئة من الحسنات ومقابل كل انواع من المعاصى من الطاعات
وقد وعد على الحسنة عشر امثالها فمحال ان يقابل مثل الذى دون الشرك من السيئات الشرك فى احباط ه
العمل ولا يقابل مثل الذى دون الايمان فى احباط الذنوب ويجب له الجنة ثم مع ذلك الايمان الذى لا ارفع منه
وهو الذى يعتمد على الخوف والرجاء وقت الاساءة وعلى انه لو خشى على نفسه كل بلاء ورجاء كل يقع فى الكفر
بر تيلم يؤثر ذلك معما وعد على الحسنة عشر امثالها ثم يبطل لذة ذلك كله ويلزم الخلف القول فيه بالكرم والعفو
والرحمة ولا قوة الا بالله وقوله واطيعوا الله والرسول ذكروا الله اعلم طاعة الرسول لان من الناس من لا يرى
طاعة الرسول فامر عز وجل طاعة رسوله لئلا يخالفوا امر الله ولا امر رسوله وان من اطاع الله ولم ير
طاعة رسوله فهو لم يطع الله فى الحقيقة ويحتمل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما بين فى سنته ودعا او بلغ
والقصد فى الآية الى فرض طاعة الرسول واطيعوا الرسول فى امره ونهيه كما اطعتم الله فى امره ونهيه وقوله
وسارعوا الى مغفرة من ربكم يحتمل ان يكون هذا موصولا بقوله عز وجل لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة فيكثروا
اموالكم وحقيقته وسارعوا الى ما فيه وعد المغفرة من ربكم بالاجابة له الى ما دعا والقيام بحق الوفاء وقوله
واتقوا الله فى استحلال الربوا لان من استحل محرما فقد كفر وحقيقته اتقوا ما اوعدكم ربكم عليه النار واصل
الطاعة الايتمار بامر المطاع فى كل امر فمن اطاع الله فيما امر واطاع رسوله رحم ربه وفى الطاعة رحمة للخلق
على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لن تدخلوا الجنة حتى تراحموا قالوا كلنا نرحم يا رسول الله
قال ليس رحمة الرجل ولده ولكنه رحمة عامة وقوله واطيعوا الله فى تحريم الربوا واطيعوا الرسول فى تبليغه
اليكم تحريم الربوا والنهى عن اخذه لعلكم ترحمون اى ارحموا الناس وترحموهم فى ترك اخذ الربوا ترحمون
انتم وتنجون من النار ومن عذاب الله ثم قال وسارعوا الى مغفرة من ربكم بادروا بالتوبة والرجوع عن استحلال الربوا
والترك عن اخذه والمغفرة هى فعل الله لكنه والله اعلم كانه قال بادروا الى الاسباب التى بها تستوجبون المغفرة
من ربكم والمغفرة هى الستر فى اللغة ثم يحتمل وجهين يحتمل ان لا يهتك استاركم فى الآخرة اذا تبتم ويحتمل
ان يستر عليكم سيئاتكم فى الجنة لان ذكر المساوى فى الجنة ينغص عليه نعمه فاخبر عز وجل انه يستر
مساويهم فى الجنة لئلا ينغص ذلك عليهم والله اعلم وقوله وجنة عرضها السموات والارض وبادروا ايضا
بالتوبة عن استحلال الربوا الى جنة عرضها السموات والارض معنى ضرب مثل الجنة بعرض السموات وذلك
والله اعلم ذكر هو للسموات والارض احوالا ليست تلك الاحوال لغيرها من الخلائق بقوله عز وجل لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وذلك انهما عندهم من اشد الخلائق واقواها فقال ان الذى قدر على اتخاذه ما هو
اشد واقوى واصلب لقادر على انشاء ما هو دونه وهو هذا العالم الصغير ووصف ايضا السموات والارض
بالغلظ والكثافة والشدة لقوله عز وجل سبع سموات شدادا وغلاظا ثم اخبر عز وجل انها مع غلظها
وكثافتها تكاد ان تنشق لعظيم ما قالوا بان لله ولدا وشريكا بقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ليعلموا اعظم القول وقبحه لئلا يقولوا فى الله ما لا يليق به ووصف ايضا
السموات والارض بالدوام الى وقت يبعد فناؤهما فى اوهام الخلق وان كانتا فانيتين بقوله عز وجل خالدين فيها
ما دامت السموات والارض فاذا كان للسموات والارض ما ذكرنا من الاحوال عند الخلق ليست تلك الاحوال
لغيرها من الخلائق من شدتها وقوتها وصلابتها وكثافتها وسعتها شبه عرض جنة وسعتها بسعة السموات

والارض وعرضهما لما هما عند الخلق ليسا بذوي نهاية وان كانا ذوي نهاية وغاية كما وصف اهل الجنة واهل
النار بالدوام فيها بدوام السموات والارض وان كانا فانيين غير دايمين ابدا لبعد فنايهما عن اوهام الخلق
فعلى ذلك الاول والله اعلم وفيه دلالة ان الجنة ذو نهاية المكان والعرض وان لم يكن بذي نهاية الوقت
وغايته لانه ذكر العرض لها وكل ذي عرض يحتمل نهاية عرضه والله اعلم ولو لم يكن ذو نهاية من حيث العرض
وكان الله غير موصوف بالقدرة على الزيادة ومن زال عنه وصف ذلك انقطع عنه الطمع واضمحل الرجاء
وبعد فان ثم دارا اخرى سوى الجنة فاوجب ذلك نهاية الجنة من حيث العرض اذا كان غير الجنة دارا اخرى
مثلها في ارتفاع نهاية الوقت وجايز وجود امرين مختلفين على اتفاق في الوقت ومحال وجودهما في مكان
واحد واتفاق بمكان ذلك لزم نهايتهما وان زالت عنهما نهاية الوقت وقوله اعدت للمتقين والاتقاء
هو من الطاعة في كل امره ونهيه وترك مخالفته في ذلك كله ثم سبب التقوى يكون بوجوه ثلاثة بذكر عظمته
وجلاله ورفعته عن مخالفة امره ونهيه فيذلله ذلك وتحقيره فيمنعه عن مخالفته او يذكر نعمته
واحسانه فيمنعه ذلك عن ارتكاب ما نهي عنه حياء منه والثالث يذكر نقمته وعذابه في مخالفة امره ونهيه
فينهى خوف ذلك عذاب الله ونقمته قال الشيخ رحمه الله وقوله عز وجل اعدت للمتقين ثم فسر الذين يتقون
الى اخر ذلك فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد من اعدت له من جميع الذي ذكر والثاني ان يريد
باعدت للمتقين الذين اتقوا الشرك بالذي اخبر عز وجل بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ثم وصفهم
بالذي ذكرهم من الافعال المحمودة لان ذلك بكليته شرط لان يعد له الجنة حتى يحرم من لم يبلغ ذلك
فان كان على الاول فكانه وصف النهاية ممن اعدت الجنة وقد يجوز ان يكون لهم اتباع في الشرك وان لم يبلغوا
تلك الرتبة بفضل الله وبما اعطي من ذكرتهم من الشفاعة او بما شاركوا اوليك في اصل الاعتقاد بقبول ذلك
وان كان منهم تقصير على انه قد يذكر في كل امر من الامور العظيمة والنهاية في ذلك على مشاركة من دونهم لهم في ذلك
وعلى ذلك ما ذكر من بعث الرسل الى الفراعنة على دخول من دونه في ذلك وعلى مخاطبة اهل الجلال في ذلك
ودخول من دونهم في الحق وذلك ذكر الخطاب في اهل الرفعة والعلو على تضمن من دون ذلك فكذلك الاول
وكذلك الله سبحانه ذكر في القران من الكفرة الذين جمعوا مع الكفر العناد والتمرد وذكر اهل الايمان لهم
مع تلك الخيرات مناسبة ان ذكر هولاء بالعلى ما استحقوا من الثناء والاول بالعلى ما به يصير لعنة من غير تخصيص
في اصل الوعد والوعيد الا من حيث التشديد والتفصيل فمثله الاول بذلك فسمته اهل الجنة فسمى التابعين
واصحاب اليمين ثم قال في الذين من ذكر الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد بين في اخر ذلك ما يدل
على ذلك وهو من ذكر من الذين ياتون الفواحش والظلم ثم لم يصروا على ما فعلوا ويكون في ذلك وجهان
احدهما ان الله تعالى بمنه يوفقه لما يرضاه في اخر امره ليختم بما ذكان في وقت ارتكابه ما ارتكب وتقصيره
فيما قصر معتقدا جلال ربه خايفا عظمته راجيا رحمته متعرضا لما عرف من الكرم والعفو فيكون هو شريك
من ذكر الخاتمة وان كان منه تخلف عنه في الابتداء والله اعلم او ان يكون يجزيه بما قصر وفرط حتى يطهره
مما كان من الخلط فيرجع الى ما وافق الاول في جملة الاعتقاد فتكون معدة لمن جمع ذلك والجمع يكون بالذي
ذكروا بالعفو والجود اذ جعل الجزاء طريقه الجود والكرم لا للاستحقاق والله اعلم وان كان على المعنى الثاني
فالاية تخرج مخرج الترغيب في جميع تلك الاوصاف وتكون الجنة في الاطلاق معدة للمتقين الذين اتقوا
الشرك والدرجات وما فيها من الفضايل والمراتب على قدر ما يتقي من انواع الخلاف في الافعال ويتوسل اليه
بالمبادرة والمسارعة الى ما فيه الرغايب وعلى ذلك امر الوعيد بتفضيل الدرجات في الجنة وتفريق الدركات
في النار على ما اعدت النار في الجملة للكفرة ويتفاوت اهلها بتفاوت الافعال من الخلاف والتمرد والله الموفق
ثم السبب الذي به يستعان على التقوى ثلاثة احدها ان يذكر المرء عظمته وجلاله وقدرته عليه في كل احواله

يتقي

يتقي مخالفته بالهيبة والاجلال والثاني ان يذكر عظم منته عليه ونعمه عنده واياديه التي فيها يتقلب
وبها يتمتع فيتقيه حياء منه والثالث ان يذكر نفسه عظم نقمته الموعودة وعذابه المعدة لاهل الخلاف له فيتقيه
اشفاقا على نفسه والله الموفق وجملة ذلك ان من تامل ما اليه مرجعه والذي منه بدوه وما فيه متقلبه من الاحوال
الى منتهى اجاله حتى صير ذلك كله كالعيان لقلبه سهل عليه وجه التقوى لما عند ذلك تذهب شهواته
ويضمحل امانيه والله الموفق وقوله عز وجل الذين ينفقون في السراء قيل السراء الرخاء والضراء الشدة وقيل
السراء السعة والضراء الضيق وهو واحد وقيل السراء ما يسرهم الانفاق من نحو الولد وغيره يسره الانفاق
عليه والاجنبي يضره وعلى تاويل الاول ان الانفاق في حال الرخاء والسعة ايسر واهون على المرء من الانفاق
في حال الضيق والفقر فاذا انفق في الاحوال استوجب بذلك المدح والله اعلم والسبب الذي يتيسر عليه الامر
وجهان احدهما علمه بان الذي في يده في الحقيقة في يد الله فهو يصرف ذلك حيث يصرفه ثم يخرجه من يده في يد
من يديه كان يعد في يده والثاني بعلمه بجوده وقدرته حيث يكون ذلك فيما به قضاء حاجته والوصول الى منفعة
مما يعلم بالوجود كثرة الانتفاع بالاملاك للمنتفع به وحرمان ذي الملك ذلك فيه قال الشيخ رحمه الله
في قوله الذين ينفقون في السراء والضراء يحتمل فيما يسرهم ويضرهم او في حال ايسر وعسر وحال بلاء ونعمة
ثم السبب الذي يسهل سبيل الانفاق في تلك الاحوال وان كان بالذي ذكر في تسهيل التقوى هذا وجوه ثلاثة
احدها ان ترى ما في يديك لمن له يدك امتحنك بحفظ ذلك وحفظه وانك اذا بذلته ارتفعت عنك مونة الحفظ
ومراعاة الحق على ما لم يكن زال عنك نفعه الذي كان لو تكون في يدك اذ هو بعد البذل في يد من يدك
قبله في يده فكانه لم يخرج من يدك بحيث النفع وانما سقطت عنك ما ذكرت من المونة اذ معلوم وجود ماله
في الظاهر لا منتفع به ومن لا ملك له في الشيء منتفع به على العلم باستواء الامر على من له يدك والله اعلم
والثاني ان تشعر قلبك جوده بمن اثره على ما عنده وقدرته على عطائه اياه من خزاينه التي لا تنفد ولا تعد
عليه وتيقن بذلك وتعلم انه لك على الايصال اليه فيما لم يكن اوصله وعلى ذلك فيما اعطاه في القدرة واحد
يهون عليه ذلك والله اعلم والثالث ان تعلم ان الذي عليه جبل واليه دفع ليس الوقت الذي فيه ولكن
ليتزود للمعادة ويكتسب به الحياة الدايمة والمنفعة التي لا تنفد فيصير كبايع الشيء باضعاف ثمنه او باذل ماله
فكان رقبته او كمقدم ما يمتهن الى مكان مهنته او كمن يعد الشيء في مسكنه لوقت حاجته فان مثله اثر الشيء في الطبيعة
والذي شيء في العقل ولا قوة الا بالله ثم الاصل في قوله اعدت للمتقين اي من لم يبلغ بما ارتكبه المعاصي الكفر يمتنع
من احتمال التسمية المتقين على ارادة خصوص التقوى وهو ممتنع عن احتمال التسمية بالكفر على صرف الاية في اعداد النار
الى خصوص او عموم فثبت به خروج صاحب الكباير عن اهل الاسم الذي له اعدت النار ولم يثبت خروجه عن اهل
الاسم الذي له اعدت الجنة في القول فيه بالقطع في النار وانما ذلك في الجنة فاسد باوجه احدها مع الاشكال
فيما يحرم الجنة والاحاطة بان النار لم تذكر انها اعدت له ادخل فيها فيكون في ذلك اسقاط شهادة تثبت
بيقين بالشك وايجاب شهادة لم تجب بالخيال والثاني ان يكون في ذلك اسقاط اسم العفو والرحمة اذ لو لم يجعل
لمثله ليبطل ان يكون موضع لما في غيره استحقاق والله اعلم والثالث ما فيه اسقاط الموازنة وافساد المقابلة
مع مجيء الايات بالكتب التي تقرا والموازين التي توزن معا في ذلك مخالفته النوهم بالكريم الذي امرنا ان يسميه بها
معا قد جاء من التجاوز عن السيات والتقبل الحسنات من واحد وفي ذلك قلب ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
والكاظمين الغيظ روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاه الله
امنا وايمانا والغيظ كانه متردد بين الحزن والغضب والحزن على من فوقه والغضب على من دونه والغيظ
بين ذلك مدحهم عز وجل بترديد حزنهم وغيظهم في اجوافهم وقوله عز وجل والعافين عن الناس اي عمن ظلمه
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما عفا رجل عمن ظلمه الا زاده الله بها عزا ومن عفا عن الناس من مظلمة

فقد احسن بذلك كما يقال فلان يحسن كذا ولا يحسن وقوله عز وجل والله يحب المحسنين والاحسان
يحتمل وجهين يحتمل العلم والمعرفة ويحتمل ان يفعل فعلا ليس عليه من نحو المعروف والايادي الذي ليس عليه
اما فعله الا افضال ذكرها هنا المحسنين وحبه واخبر في الاية الاولى ان الجنة اعدت للمتقين بقوله عز وجل
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض ثم قال اعدت للمتقين واخبر ان النار اعدت للكافرين
ثم اختلف فقال بعضهم من لم يكن من المتقين لم تعد الجنة له فهو ممن اعدت له النار وهو قول الخوارج والبغاة وقال
آخرون انه اخبر ان النار اعدت للكافرين فهو اذا لم يكن كافرا ممن اعدت النار فهو ممن اعدت له الجنة وقال غيرهم
اخبر ان النار اعدت للكافرين واخبر ان الجنة اعدت للمتقين فوصف المتقين فهم الذين اتقوا معاصيه فوصف
المتقين فهم الذين اتقوا معاصيه وتركوا مخالفة امره ونهيه فاذا كان قوم لهم مساوى لم يدخلوا في اطلاق
قوله عز وجل اعدت للمتقين ولا دخلوا في قوله اعدت للكافرين فيكون لهم موضع بالنار واما عندنا فانه نرجي
دخول من ارتكب المساوي من المؤمنين في قوله عز وجل وجنة عرضها كذا اعدت للمتقين بقوله عز وجل اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ذكر خلط عمل الصالح بعمل السيئ ثم وعدهم
التوبة بقوله عز وجل عسى الله ان يتوب عليهم والعسى من الله واجب والثاني قوله عز وجل اولئك الذين نتقبل
عنهم ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فاذا تجاوز لم يبق لهم مساوى فصار وا من اهل هذه الآية اعدت للمتقين
وقوله ايضا والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم قالوا ومن يغفر الذنوب
الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اخبر انهم اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم وقد ذكرنا فيما تقدم انهم
لاي معنى ظلموا انفسهم حيث لم يسلموا انفسهم خالصين والظلم هو وضع الشيء غير موضعه فاذا لم يسلموا له وضعوا
انفسهم في غير موضعها لذلك صاروا ظلمة انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم اي طلبوا لذنوبهم مغفرة واقروا
انه لا يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ذنوبهم والاصرار هو الدوام عليه ثم اخبر ان جزاء هؤلاء المغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها الى آخر ما ذكر دلت هذه الآيات على تأييد قولنا ان اهل المساوي
والفواحش اذا تابوا صاروا ممن اعدت لهم الجنة وان لم يكونوا من المتقين من قبل ثمة اذا تجاوز الله عن سيئاتهم
وعفا عنهم بما هو عفو غفور والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم الآية يحتمل ان يكون الظلم غير الفاحشة ويحتمل ان يكونا واحدا في المراد فيكون في المعنى ان كل عاص ظالم
لنفسه بمعنى ضرها وبخس حظها اذا فعل ما هو ليس له الفعل ووضع اختياره في غير موضعه وهو معنى
الظلم وكذلك من تعدى حد الله او آثر ما يزجره العقل والشرع فقد فحش فعله وذلك معنى الظلم الذي
وصفت اذ فعل ما ليس له واختياره غير الذي له هو الذي يزجره العقل والشرع والله اعلم ويحتمل التفريق
وهو ان الظلم يجمع كل وجوه الخلاف عظم وصغر ولذلك قد نسب ذلك الى زلات الاخيار نحو ما قيل لآدم
وحوا في اكل الشجر فتكونا من الظالمين وقيل في الشرك ان الله العوم الظالمين والفواحش ما يظهر ويتبين قبحه
لا ما قل او كثر من الذنوب وعلى ذلك النقصان ظلما بقوله عز وجل ولم تظلم منه شيئا وقد يوصف العيب
والنقصان بالفحش لكنه اذا كثر وظهر فحشه في الزلات ويكون كالطيب في الحلال عن المباح ونحوه في الدرجة
والله اعلم ثم ليس بنا حاجة الى معرفة المقصود بالذكر في الآية لما فيها الرجوع عن ذلك وطلب المغفرة وكل انواع
المآثم في التوبة يعفر بها وعد الله في الشرك والزنا والقتل فاد ونه بقوله يضاعف له العذاب يوم القيامة
الى تمام الآية والله اعلم وقوله اذا فعلوا فاحشة يحتمل الفاحشة ما فحش في العقل وقبح وقال آخرون كل محرم
منهي فهو فاحشة والاول كانه اقرب لان الشيء ما لم يبلغ في الفحش والقبح غايته فانه لا يقال فاحشة
واذا بلغ الآية فحينئذ كالطيب انه انما يقال ذلك اذا بلغ غايته في الحل واللذة فاما ان يقال لكل حل في الاطلاق
فلا فعلى ذلك الفواحش لا يقال لكل محظور محرم انما يقال ما بلغ في القبح والفحش غايته فاما ان يقال

ذلك لكل محرم منهي فلا وبالله التوفيق والطيب ما استطابه الطبع فاذا بلغ طيبه غايته في الطبع فهو طيب
والله اعلم وقوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن يحتمل احكاما والاحكام تكون على وجهين حكم يحب لهم وهو
الثواب عند الطاعة واتباع الحق وعذاب يحل بهم عند الخلاف والمعصية ويحتمل السنن الاحكام المشروعة
فسيروا في الارض حتى تروا آثار من كذب الرسل وما حل بهم من العذاب بالتكذيب او سيروا في الارض اي سلوا
من يعلم ما الذي حل بهم حتى يخبركم وما مضوا من الهلاك في الامم الخالية فهذا تنبيه من الله عز وجل اياهم
انكم ان كذبتم الرسل فيحل بكم ما قد حل بمن كان قبلكم وان المعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم فلكم من الثواب
ما لهم فاعتبروا به كيف كان نجاتهم بالتكذيب وما في القرآن مثل هذا معناه لو سألت لاخبروك وقيل
سيروا في الارض اي تكفروا في القرآن يخبركم عن الامم الماضية فكانكم سرتم في الارض وما في القرآن
مثل هذا معناه لو سألت لاخبروك فان فيه خبر من كان قبلكم من الامم وما لهم من الثواب بالتصديق
والطاعة وما عليهم من العقاب بالتكذيب والله اعلم وفي قوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن يحتمل
في المكذبين بالرسل والمصدقين فسيروا في الارض يحتمل لو سرتم فيها لرأيتم آثارهم ولعرفتم بذلك ما اليه
يرجع عواقب الفريقين ويحتمل الامر بالتامل في آثارهم والنظر في الانباء عنهم ليكون لهم زاجرا وعلاهم عليه
مزجر ويحتمل السنن الموضوع من الاحكام وبما يمتحن من قبلهم ليعلموا ان الذي يبلوا به ليس ببديع بل على
امر من تقدمهم كقوله ما كنت بدعا من الرسل وكقوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
والله اعلم وقوله عز وجل هذا بيان للناس يحتمل قوله هذا بيان يعني القرآن هو بيان للناس
وهدى من الضلالة وموعظة للمتقين اي يتعظ به المتقون ويحتمل بيان الناس ما ذكر من السنن التي
في الامم الخالية وكل قوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس ان الله في صرف الدولة الى اهل
الشرك فعل وتدبيرا اذا اضاف ذلك اليه ما به الدولة ثم ذلك معصية وقهر وقد قيل فثبت جواز
كون ما هو فعل معصية الى الله من طريق التخليق والتقدير والله اعلم اذ ذلك لهم بما هم عصاة والله اعلم
وقوله ولا تهنوا ولا تضعفوا في محاربة العدو ولا تحزنوا بما تصيبكم من الجراحات والقروح كقوله تعالى
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ويحتمل قوله عز وجل ولا تهنوا في الحرب وانتم تعملون
لله اذ هم لا يضعفون فيها وهم يعملون للشيطان وقوله عز وجل ولا تحزنوا على ما فاتكم من اخوانكم الذين
قتلوا ويحتمل ما اصابكم من القروح اي تلك القروح والجراحات لا تمنعكم عن قتال العدو ولكم الاجر
والشهادة وقوله عز وجل وانتم الاعلون قيل فيه بوجوه قيل وانتم الاعلون المحقون بالحجج وقيل وانتم
الاعلون في النصر اي ترجع عاقبة الامر اليكم ويحتمل ان النصر لكم ان لم تضعفوا في الحروب ولم تعصوا الله
عز وجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل وانتم الاعلون لكم الشهادة اذا قتلتم واحياء عند الله
وهم اموات وقوله عز وجل ان كنتم مؤمنين اذ كنتم مؤمنين ليس على الشرط ولكن على الخبر كقوله عز وجل
لا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله اي اذ كن يؤمن بالله وان كنتم مؤمنين
بالوعد والخبر وقوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله اختلف فيه قيل ان يمسسكم قرح
في آخر الامر يعني في احد فقد مس المشركين قرح مثله يوم بدر يذكر هذا والله اعلم على التسكين ليعلموا
انهم لم يخصوا بذلك وقوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس يحتمل الآية وجوها يوما للمؤمنين
يوما عليهم وذلك ان الامر بمجاهدة العدو والقتال معهم محنة من الله عز وجل يمتحنهم ويبتليهم مرة
بالظفر لهم والنصر على عدوهم ومرة بالظفر للعدو عليهم كقوله عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة
وكقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات يمتحن عباده بجميع انواع المحن بالخير مرة وبالشر ثانيا
ويحتمل المداولة ايضا وجها آخر وهو ان الظفر والنصر لو كان ابدا للمؤمنين لكان الكفار اذا اسلموا لم يسلموا

اسلام اختيار ولكن انما آمنوا ايمان قهر وكره وجبر لما يخافون على انفسهم من الهلاك اذا رأوا الدولة
والظفر للمؤمنين وان كان الظفر والنصر ابدا للكفار فلعلهم يظنون انهم المحقون فيمنعهم ذلك عن الاسلام ويحتمل
ان ما يصيب المؤمنين انما يصيب بمعصية سبقت منهم او خلاف كان منهم من ترك امر او ارتكاب نهي والله اعلم
فان طعن طاعن من الملحدة في قوله عز وجل ان تنصروا الله ينصركم وقوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم اليس
وعدكم انكم ان نصرتم دينه ينصركم واخبر ايضا انه ان نصركم فلا غالب لكم فاذا نصرتم دينه فلم ينصركم اليس يكون
خلفا في الوعد وان نصركم فغلبتم يكون كذبا في الخبر قيل لهذا جواب من اوجه قيل يحتمل قوله عز وجل
ان تنصروا دين الله في الدنيا ينصركم في الآخرة بالحجج كقوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الآية
وكقوله عز وجل لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين وقيل ان تنصروا دين الله ولم تعصوا الله فيه ينصركم
فلا غالب لكم وقيل يحتمل ان تنصروا دين الله جملة ينصركم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لن يغلب اثنا عشر الفا
من قلة كلمتهم واحدة وكقوله عز وجل وآتاكم من كل ما سألتموه وقيل ان تنصروا دين الله ينصركم اي يجعل الظفر
والنصر في العاقبة لكم وكذلك كان وان كان في ابتداء الامر الغلبة على المؤمنين فان العاقبة لهم في الحروب
كلها ومقدار ما كان عليهم انما كان الامر سبق منهم اما اعجابا بالكثرة كقوله تعالى اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن
عنكم شيئا واما خلافا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس
دلالة ان كان من الله معنى لديه فكون الغلبة لهم بقوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم ولكان هو
يجعل ابدا الدولة لاحد الفريقين وقد اخبر انه يجعل لهما ومعلوم ان كانت الدولة بالغلبة فثبت ان له
في صنع العباد صنع له صيف اليه صنعهم والله اعلم ثم معلوم ان الغلبة لو كانت للمسلمين كان ذلك الزم للحجة
واظهر للدعوة وادعى الى الاجابة وفيها كل صلاح فثبت ان ليس في المحنة شرط اعطاء الاصلح والله اعلم
وفي قوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس رد قول الاصلح حيث قالوا ان الله لا يفعل
الا الاصلح في الدين يقال لهم اي صلاح للمؤمنين في مداولة الكافرين على المؤمنين وقوله وليعلم
الله الذين آمنوا اي ليعلم ما قد علم بالغيب انه يؤمن بالامتحان مؤمنا شاهدا وليعلم ما قد علم انه يكون
كائنا وجائز ان يراد بالعلم المعلوم كقوله الصلوة امر الله اي بامر الله وفي قوله عز وجل وليعلم الله الذين آمنوا
الآية يخرج على اوجه احدها انما وصفت الله به اذا ذكرت معه الخلق تذكر وقت كون الخلق لئلا يتوهم
قدمهم واذا وصفت الله تعالى بلا ذكر الخلق وصفته به في الازل نحو ان تقول عالم قادر سميع في الازل
فاذا ذكر المسموع والمقدور عليه والمعلوم ذكرت وقت كونه التنزيل توهم العدم عن الآخر وعلى هذا عندنا
الموصوف بخالق رازق ونحو ذلك والله اعلم والثاني على تسمية معلومه علما في مجاز اللغة وذلك كما سمى
عذاب الله في القرآن امره وسمى الناس الصلوة وغيرها من العبادات امرا على معنى انها تفعل بامره وكذا
ما سميت الجنة رحمة على انه كان بها فيكون ليعلم الله الذين آمنوا اي ليكون الذين آمنوا على ما علمه يكون
والله اعلم والثالث ليعلم الله الذين آمنوا في الغيب شهودا اذ هو عالم الغيب والشهادة وتحقيق ذلك
لا يكون بحادث العلم وذلك نحو من يعلم الغد يكون بعلمه بعد الغد وان لم يكن له حدوث العلم قد كان
وعلى هذا قيل ليعلمه كائنا الوقت كونه ما قد علمه يكون قبل كونه والله اعلم وقال بعض اهل التأويل ليكون
الذي علمه يكون بالمحنة ظاهرا موجودا وهو يرجع الى ما بينا وقال بعضهم ليراه وهذا من صاحبه ظن
ان الكلام في الرؤية لعله ابعد عن التشبيه ابعد وعنده من يعرف الله حق المعرفة هما واحد والاصل في هذا
ونحوه في الاضافات الى الله انها كانت بالاحرف المجعولة المتعارف في الخلق ثم هي تؤدي عن كل ما يضاف اليه
ويشار اليه ما كان عرف من حال ذلك قبل الاضافة لا ان يقدر عند الاضافة معنى لا يعرف فيه لولا ذلك
على ما عرف من الاشتراك في اللفظ والاختلاف في المعنى فعلى ذلك امر الاضافة الى الله تعالى ويوضح ذلك

مالم يقم

مالم يقم احد من قوله عز وجل وتلك حدود الله ما فهم من اضافة الحدود الى غيره وكذلك بيوت الله وعباد الله
وروح الله وكلمته ونحو ذلك فمثله الذي يجري فيه وجائز في الجملة ان يوصف الله بانه لم يزل عالما بكون كل
ما يكون وفي وقت كونه كائنا وبعد كونه قد مضى كونه على تحقيق التغير في احوال الذي يكون لا في الله سبحانه وتعالى
انه تغير الاحوال واستحالتها من آيات الحدث واما رات الصنعة قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم قيل فيه بوجهين احدهما ولم يعلم وهو يخرج على وجهين احدهما على اثبات انه علم لم يجاهدوا
كقول الناس ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اي ما شاء ان لا يكون والثاني انه عالم بكل شيء فلو كان منكم جهاد
لكان يعلمه وانما لم يعلم لانه لم يكن وعلى ذلك قوله عز وجل فما لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اي ليس لهم والثاني
قوله عز وجل ولما يعلم بمعنى الا كقوله عليها حافظ بالتشديد بمعنى الا عليها حافظ فيكون معنى الآية
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة لا تدخلوها الا ان يعلم الله مجاهدتكم اي حتى تجاهدوا فيعلم الله ذلك منكم
موجودا والله اعلم وكذلك قوله عز وجل ويعلم الصابرين اي ليعلم ما قد علم انه يصير صابرا وكذلك قوله
وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين اي ليعلمن الذين قد علم انهم يصدقون صادقين وليعلم الذين
قد علم انهم يكذبون كاذبين وكذلك قوله عز وجل حتى نعلم المجاهدين اي حتى يعلم ما قد علم انهم
يجاهدون مجاهدين واصله قوله عز وجل عالم الغيب والشهادة ليعلم شاهدا ما قد علم غائبا والله اعلم
وقوله ويتخذ منكم شهداء اي يستشهدون في سبيل الله بايدي عدوهم ويحتمل ويتخذ منكم شهداء
على الناس كقوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وفيه دلالة انهم لا يستوجبون
بنفس الايمان الشهادة على الناس حتى يظهر الصيانة والعدالة في انفسهم وقوله وليمحص الله الذين آمنوا
اي يمحص ذنوبهم وسيئاتهم وقوله ويمحق الكافرين اي يهلكهم ويستأصلهم وقوله عز وجل وليمحص الله
الذين آمنوا ما ذكرنا من تمحيص الذنوب على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف محاء للذنوب
ويمحق الكافرين اي يهلكهم ولا يكون السيف تمحيصا لهم من الكفر بل يهلكهم في النار وقوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة قيل بل حسبتم ان تدخلوا الجنة قيل بل حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم قيل فيه بوجهين قيل ولما يعلم الله اي ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي لم يجاهدوا
وقيل ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما بمعنى الا لا يدخلون الجنة الا ان يعلم الله الذين جاهدوا
منكم وهو كقوله عز وجل ان كل نفس لما عليها حافظ من قرأ بالتشديد فكان معناه الا عليها حافظ
ومن قرأ بالتخفيف فمعناه لعليها حافظ وما صلة وفي قوله عز وجل ايضا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
اي ظننتم ذلك ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقال في موضع آخر ولما اصابتكم مصيبة الآية بمعنى
ولم تجاهدوا ولم يصبكم مثل الذي ذكر في ذلك وعدا ان يصيبا وتلك الذين خاطبهم بما اصاب
من تقدمهم وان الله قد يعلم انهم مجاهدون قبل الموت وعلى هذا قال قوم في تأويل قوله عز وجل
صدقوا ما عاهدوا الله ان يدخلوا الجنة اذا اصاب مثل الذي اصاب من تقدمهم والله اعلم فيكون تأويل
قوله ولما ولم والالف صلة وقيل يحتمل بالتشديد منه الا كما قيل في تأويل قوله عز وجل ان كل نفس
لما عليها حافظ بالتشديد الا عليها حافظ فيكون بمعنى الا ههنا اي لا تدخلوا الا ان يعلم الله الذين جاهدوا
منكم وقد بينا ما في العلم في الحرف الاول على ان له وجهان ايضا احدهما ان الله لم يعلم بذلك وهو عالم
بكل شيء فلو كان لكان يعلمه والثاني ان يعلموا انه يكونوا لم يجاهدوا بعد وسيجاهدون على ما بينا والله اعلم
وقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه قيل فيه بوجهين قيل قوله عز وجل تمنون ما فيه الموت
وهو القتال وقيل تمنون الموت نفس الموت ثم يحتمل وجوها يحتمل يتمنون اشفاقا على دينهم الاسلام
لئلا يخرجوا من الدنيا على غير دينهم الذي هو عليه ويحتمل ان يكونوا تمنوا الموت لينجوا ويتخلصوا من تعذيب

الكفار اياهم وتعييرهم على ما قيل ان اهل مكة كانوا يعذبونهم طلبوا النجاة منهم والخلاص والله اعلم وقيل تمنون الموت اى يتمنون الشهادة لما سمعوا لها من عظيم الثواب وجزيل الاجر تمنوا ان يكونوا شهداء لله عز وجل احياء عند ربهم والله اعلم وقيل في قوله عز وجل تمنون الموت وذلك حين اخبر الله عز وجل عن قتلى بدر وما هم فيه من الخير فتمنوا يوما مثل يوم البدر فاراهم الله يوم احد فانهزموا فعوتبوا بذلك تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه يعنى يوم احد وقوله فقد رايتموه يحتمل ايضا وجوها يحتمل فقد رايتم اسباب الموت واهواله ويحتمل فقد رايتم اصحابكم الذين قتلوا بين ايديكم على ما قيل من صرف قوله عز وجل تمنون الموت الى القتال والله اعلم وقوله وانتم تنظرون يحتمل وانتم تنظرون الى الموت يعنى الى موت اصحابكم او الى القتال ويحتمل وانتم تنظرون اى تعلمون انكم كنتم تمنون الموت والله اعلم وقوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يحتمل هذا وجهين يحتمل والله اعلم ان يقول لهم انكم لما آمنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لم تؤمنوا به لانه محمد صلى الله عليه وسلم ولكن آمنتم بالذى ارسله اليكم والمرسل حى والكافى صلى الله عليه وسلم قتل او مات على زعمكم فكيف انقلبتم على اعقابكم قال الشيخ رحمه الله وفى الاية خبر بانقلاب من علم الله انه يرتد بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله عز وجل ومن يرتدد منكم عن دينه والشاكرون الذين جاهدوهم فقد اخبر الله تعالى انه يحبهم ويحبونه وقال الحسن ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان والله امام الشاكرين ويحتمل وجها آخر وهو ان من كان قبلكم من قوم موسى وعيسى عليهما السلام كانوا يكذبون رسلهم ما داموا احياء حتى قال لهم موسى عليه السلام يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم وكذلك قال عيسى عليه الصلوة والسلام يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا الاية فاذا ماتوا ادعوا انهم على دينهم وانهم صدقوهم فيما دعوهم اليه وان لم يكونوا على ذلك فلم ينقلبوا على اعقابهم فكيف تنقلبون انتم على اعقابكم ان مات محمد صلى الله تعالى عليه وسلم او قتل والانقلاب على الاعقاب على الكناية والتمثيل ليس على التصريح وهو الرجوع الى ما كانوا عليه من قبل من الدين وقوله ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا اى من ارتد بعد الاسلام فلن يضر الله شيئا لانه لم يستعملهم لنفسه ولكن انما استعملهم لانفسهم ليستوجبوا بذلك الثواب الجزيل في الاخرة فانما يضرون بذلك انفسهم لا الله تعالى والثانى انه انما يامرهم ويكلفهم لحاجة انفسهم لا انه يامر لحاجة نفسه ومن امر آخر في الشاهد انما يامر لحاجة نفس الامر فانه لم يأتمر لحق ضرر نفس ذلك الامر فاذا كان الله سبحانه يتعالى عن ان يامر لحاجته المامور فاذا ترك امره ضرّ نفسه وبالله التوفيق وسيجزى الله الشاكرين قيل الموحدين لله وقيل الذين آمنوا وجاهدوا ويجزيهم في الاخرة وكل متمسك بامر الله ومؤتمر بامره فهو شاكر وقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله يحتمل قوله الا باذن الله اى لا يموت الا بقبض المسلط على قبض الارواح روحه كقوله قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ان مات او قتل ويحتمل الا باذن الله الا بعلم الله كتابا مؤجلا قيل وقتا موقتا لا يتقدم ولا يتأخر مات او قتل ما لم يستوف رزقها واجلها وقيل كتابا مؤجلا اى مبينا في اللوح المحفوظ مكتوبا باقيه وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اى من اراد بمحاسن اعماله الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اى من يرد باعماله الصالحات ومحاسنه الاخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وهو كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها على قدر ما قدرنا وما له في الاخرة من نصيب فكذلك هذا ايضا والله اعلم وقوله وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير قيل فيه لغات احدها قاتل معه بالالف وتاويله وكم من نبى قاتل معه ربيون كثير فعيل على الاضمار والثانى وكم من نبى قتل معه ربيون كثير برفع القاف والثالث وكم من نبى قتل معه ربيون كثير بالنصب ومعنى الاية والله اعلم كم من نبى قتل معه فلم ينقلب اتباعه على اعقابهم بل كانوا بعد وفاتهم اشد اتباعا لهم منها لحيوتهم حتى قالوا لن يبعث الله من بعده رسولا فما بالكم يخطر ببالكم الانقلاب على اعقابكم اذا اخبرتم

انه قتل نبيكم

انه قتل نبيكم او مات وفى انباء هذه الامة قصص الامم الخالية واخبارهم وجهان احدهما لا لاثبات رسالة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه لم يختلف الى احد منهم ممن يعلم هذا ثم اخبر بذلك فكان ما اخبر دل انه علم بذلك بالله والثانى العمل بشرايعهم وسننهم الا ما ظهر نسخه بشريعتنا الا ترى انه ذكر محاسنهم وخيراتهم وانما ذكر ليتبعهم في ذلك ويقتدى بهم وذكر مساويهم وما لحقهم بها لينتهى عنها ويكون على حذر مما اصابهم بذلك والله اعلم وقوله ربيون كثير اختلف فيه عن ابن عباس رضى الله عنه قال عالم كثير وعنه ايضا الجموع الكثير وعن الحسن رحمه الله مثله وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال الالوف وعن ابن مسعود رضى الله عنه في قوله وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير يقول قاتل الا ترى انه يقول فما وهنوا لما اصابهم ثم اختلف في قوله فما وهنوا وما ضعفوا قيل فما وهنوا في الدين وما ضعفوا في انفسهم في قتال عدوهم بذهاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهم فما بالكم تضعفون انتم ويحتمل قوله فما وهنوا يعنى فما عجزوا لما نزل بهم من قتل انبيائهم وما ضعفوا في انفسهم لما اصابهم في سبيل الله من البلايا وقيل قوله عز وجل فما وهنوا يرجع الى قاتل الى المقاتلين وفى قتل الى الباقين وقوله وما استكانوا قيل لم يذلوا في عدوهم ولم يخضعوا لقتل نبيهم بل قاتلوا بعده على ما قاتلوا معه فهلا قاتلتم انتم على ما قاتل عليه نبيكم كما قاتلت القرون من قبلكم اذا اصيب انبياؤهم والله اعلم والله يحب الصابرين على قتال عدوهم وعلى كل مصيبة تصيبهم وقوله وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا قيل وما كان قول الامم السالفة عند قتل نبيهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الاية تقول يعلم الله هذه الامة ويعاتبهم هلا قلتم انتم حين نعى اليكم نبيكم كما قال القوم في الامم السالفة وقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا قيل الذنوب هى المعاصى وقوله واسرافنا في امرنا والاسراف هى المجاوزة في الحد والتعدى عن امره وقيل هما واحد وقوله وثبت اقدامنا يحتمل وجهين ثبتنا على الايمان ودين الاسلام والقدم كناية كقوله فتزل قدم بعد ثبوتها اى تكفر بعد الايمان كقوله يردوكم على اعقابكم وذكر القدم لما بالقدم يثبت ويحتمل قوله وثبت اقدامنا في قتال العدو وفزعوا الى الله عز وجل بعد ذهاب نبيهم من بينهم يحفظهم على ما كان يحفظهم في حيوة نبيهم وقوله وانصرنا على القوم الكافرين يحتمل النصر عليهم بالحجج والبراهين ويحتمل النصر بالغلبة والهزيمة عليهم وقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا الذكر والثناء وهم كذلك اليوم يتبعهم ويقتدى آثارهم وهم موتى ويحتمل على ما قيل النصر والغنيمة وقوله وحسن ثواب الاخرة الدايم وذكر في ثواب الاخرة الحسن ولم يذكر في ثواب الدنيا الحسن لان ثواب الاخرة دايم لا يزول ابدا وثواب الدنيا قد يزول او ان يشوب في ثواب الدنيا آفات واحزان فينتقص ذلك وليس ثواب الاخرة كذلك والله اعلم وقوله والله يحب المحسنين الاحسان يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل المحسن العارف كما يقال فلان يحسن ولا يحسن ويحتمل المعروف من الفعل مما ليس عليه يصنع الى آخر تفضلا منه واحسانا ويحتمل اختيار الحسن من الفعل على القبيح من الفعل والسوء وكان كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين هذا يختار المحاسن من الافعال على المساوى والله اعلم ويحتمل المحسنين الى انفسهم باستعمالها فيما به نجاتها وقوله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم يحتمل الطاعة لهم طاعة الدين اى تطيعوهم في كفرهم ويحتمل الطاعة لهم في ترك الجهاد مع عدوهم كقوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة الاية وقوله يردوكم على اعقابكم قد ذكرنا اى يردوكم عن دينكم الاول وهو على التمثيل والكناية والله اعلم وقوله بل الله موليكم اى وليكم او ناصركم او حافظكم او وليكم وهو خير الناصرين اى خير من ينصر من نصره فلا يغلب كقوله ان ينصركم فلا غالب لكم وقوله سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب الاية هذه بشارة من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بالنصر له حيث اخبر انه يلقى في قلوبهم الرعب وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وكان ما ذكر لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يأتيهم بعد ذلك

وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرأه قاتل الاولى انه قال فما وهنوا لما اصابهم صح

ويقصدهم لانهم اتوه وكانوا قبل ذلك ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقصدونه بما اشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا اي بالشرك ما قذف في قلوبهم من الرعب من غير ان كان لهم بما اشركوا كتابا وحجة وبرهان
او عذر قال ابن عباس رضي الله عنه السلطان في القرآن حجة **وقوله** وماويهم النار اي مقامهم في النار وبئس مثوى الظالمين
اي النار بئس مقام الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اي انجز الله وعده حيث اخبر انه يلقي في قلوبهم الرعب وقد فعل
اذ تحسونهم باذنه قال اهل التفسير اذ تقتلونهم **وقوله** حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر هو على التقديم والتاخير حتى
اذا تنازعتم فشلتم اذ التنازع هو سبب الفشل والجبن كقوله فلا تنازعوا فتفشلوا **وقوله** وعصيتم من بعد ما اراكم
ما تحبون قيل في القصة ان نفرا من الرماة امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكونوا في مكان وان لا يدعوا
موقعهم فتركوه ووقعوا في غنايمه فعوقبوا على ذلك وقوله عز وجل من بعد ما اراكم ما تحبون يحتمل ما اراكم ما تحبون
من الهزيمة والغنيمة ويحتمل ما اراكم من النصر لكم على عدوكم وانجاز الوعد لكم **وقوله** منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد
الآخرة روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ما كنا نعرف ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد الدنيا حتى نزل قوله منكم من يريد الدنيا **وقوله** ثم صرفكم عنهم روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله
ثم صرفكم عنهم يعني هزم المسلمون يعوقوا عن المشركين منهزمين بعد اذ كانوا هزموهم لكن لما عصوا وتركوا المركز
صرفهم الله عن عدوهم ليبتليكم اي ذلك الصرف كان لكم من الله ابتلاء ومحنة وقيل كان ذلك العصيان الذي منكم
كان من الله ابتلاء ليعلم من قد علم انه يعصي عاصيا والله اعلم ودل قوله عز وجل ثم صرفكم عنهم وان كان
الانصراف فعلهم ان الله تعالى خالق على ما عليه فعلهم خالق وان خلق الشي ليس هو ذلك الشي اذ ذلك الشي اذا كان
انصرافا عن العدو معصية وقد تبرا الله تعالى من ان يضاف اليه المعاصي وقد اضاف انصرافهم الى فعله وهو
الصرف ثبت انه غير فعلهم والله اعلم ولقد عفا عنكم يحتمل وجهين يحتمل عفا عنكم حيث لم يستاصلكم بالقتل
ويحتمل عفا عنكم حيث قبل رجوعكم وتوبتكم عن العصيان وهذه الآية قوله عز وجل ثم صرفكم وقوله وتلك الايام
نداولها بين الناس يرد على المعتزلة وكذلك قوله تعالى لبرز الذين كتب عليهم القتل الآية لانهم يقولون
هم الذين صرفوا انفسهم لا الله وهم الذين كتبوا عليهم القتل لا الله وهم الذين يداولون لا الله وقد اضاف عز وجل
ذلك الى نفسه فعلى ذلك لا يضيف اليه الا عن فعل وصنع له فيه ولانهم يقولون لا يفعل الا الاصلح لهم في الدين
فاي صلاح كان لهم في صرفه اياهم عن عدوهم واي صلاح لهم فيما كتب عليهم القتل فدل ان الله قد يفعل
بعباده ما ليس ذلك باصلح لهم في الدين والله اعلم **وقوله** والله ذو فضل على المؤمنين بالعفو منهم وقبول التوبة
حيث عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا امره وعلى قول المعتزلة عليه ان يفعل ذلك فعلى قولهم ليس هو
بذي فضل على احد نعوذ بالله من السرف في القول قال الشيخ رحمه الله الفايدة في تخصيص المؤمنين بالامتنان
عليهم دون جملة من بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم ومنهم مع ما ذكر منته بالبعث من انفسهم وقد بينا
وجه المنة في البعث من جوهر البشر وجهان احدهما ان من لم يؤمن به لم يكن عرفه نعمة من الله وان كان في الحقيقة
نعمة منه لهم ورحمة لهم وللعالمين مختص من عرفه ليشكر والله بما ذكرهم وهو كقوله عز وجل انما تنذر من اتبع
الذكر وخشي الرحمن بالغيب اي هم يقبلون ويعرفون حق الانذار والثاني انه صار لهم حجة على جميع الاعداء انهم
لا يطيعونه لمعنى كان منهم الا وللمؤمنين عليهم وجه دفع ذلك بما كان عليه مما عرفوه به قبل الرسالة كما فيه
لزوم القول بصدقه فيكون ذلك منة لهم دينا ونعمة عظيمة فاستاداهم الله شكرها ولا قوة الا بالله **وقوله**
اذ تصعدون ولا تلوون فيه لغتان تصعدون بفتح التاء وهو من الصعود ان صعدوا الجبل وتصعدون
بالرفع هو ان اصعدوا واصحابهم نحو الوادي لان المنهزم الاول اذا التفت فراى منهزما آخر اشتد وقيل الاصعاد
هو الابعاد في الارض وقيل تصعدون من صعود الجبل وتصعدون في الوادي من الجبل **وقوله** ولا تلوون
على احد اي لا تلتفتون على احد ولا ترجعون والرسول يدعوكم في اخريكم اي الرسول يدعوكم ويناديكم وراكم

بالصدق والامانة حتى كانوا يسمونه محمد الامين

الى انا الرسول وقيل ينا ديكم من بعدكم الي انا رسول الله يا معشر المؤمنين وكان يصل نداؤه في اخريهم باقيهم
بعضهم ببعض فلم يرجعوا اليه **وقوله** فاثابكم غما بغم اختلف فيه قيل الغم الاول الهزيمة والنكبة التي اصابتهم
والغم الآخر الصوت الذي سمعوا قتل محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات فذلك غم على غم ويحتمل غما بعصيانهم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اغتموا والغم الآخر ان كيف يعتذرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتركهم المركز وعصيانهم اياه والخلاف له وقيل عز وجل فاثابكم غما بغم اي مرة بعد المرة الاولى وقيل غما بغم
اي هزيمة بعد هزيمة اصابتهم هزيمة بعد هزيمة من قتل اخوانهم واصابتهم الجراحات وقيل فاثابكم غما
بعصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغم الذي ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بترككم المركز
والطاعة له وفي قوله عز وجل فاثابكم غما بغم وهو غم الهزيمة والنكبة بالغم الذي ادخلوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عصيانهم اياه واخلالهم المقعد الذي امرهم بالمقام فيه وقيل غما بالغم الذي له تركوا المركز
وهو ان غنمهم اغتنام اصحابهم وقيل غم الاعتذار الى رسول الله بالغم الذي جعلوه به حيث مالوا الى الدنيا
وعصوه فيما امرهم وقيل غما على اثر غم هو القتل والهزيمة والارجاف بقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وحقيقته ان يكون احد الغمين جزاء والآخر ابتداء ونحو ذلك تحقيق الذلة والجزاء وذلك كقوله عز وجل
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير **وقوله** لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
يعني من الفتح والغنيمة ولا ما اصابكم من القتل والهزيمة ويحتمل قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا
ولا ما اصابكم فيها من انواع الشدايد بما ادخلتم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغم بعصيانكم اياه
والله خبير بما تعملون على الوعيد ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة
قد اهمتهم انفسهم قيل فيه بوجهين قيل الطائفة التي اتاهم النعاس هم المؤمنون سمعوا بانصراف العدو
عنهم فصدقوا الخبر فناموا لان الخوف اذا غلب يمنع النوم واما الطائفة التي قد اهمتهم انفسهم هم المنافقون
لم يصدقوا الخبر فلم يذهب عنهم الخوف فلم ينعسوا وذلك كقوله عز وجل يحسبون الاحزاب لم يذهبوا الآية
وقيل كانت الطائفتان جميعا من المؤمنين لكن احدهما فاتاها النعاس لما امنوا من العدو والاخرى
لا لعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم امره منع ذلك اليوم عنهم ان كيف تلقون رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكيف تعتذرون اليه والله اعلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال النعاس في الصلاة
من الشيطان وفي القتال امنة من الله وقوله عز وجل يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية قيل يظنون بالله
ان لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وذلك غير المؤمنين وقيل يظنون بالله غير الحق ظنونا
كاذبة اي ظن اهل الشرك وريبة في امر الله يقولون لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا هاهنا **وقوله** يقولون
هل لنا من الامر من شي قيل يقولون بعضهم لبعض من الامر من شي يعني بالامر النصر والغنيمة وقيل قالوا
ذلك للمؤمنين قل ان الامر كله لله يعني النصر والفتح كله بيد الله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
والذين يخفون قولهم لو اقمنا في منازلنا ما قتلنا هاهنا وقيل يقولون لو كان لنا من الامر معنى قالوا ليس لنا
من الامر من شي انما الامر الى محمد ولو كان الامر لنا ما خرجنا الى هؤلاء حتى قتلنا هاهنا قال الله
عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قيل لو كنتم في بيوتكم كما تقولون
لبرز يعني لخرج من البيوت الذين كتب عليهم القتل الظهر الذي كتب عليه حيث كان وقيل اذا كتب
على احد القتل لاتاه ولو كان في البيت وكقوله اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
وقيل متى كتب الله على قوم القتل فلم يموتوا ابدا وفي هذا بيان الآجال المكتوبة هي التي تنقضي بها الاعمار
ان كان قتلا فقتل وان كان موتا فموت لا على ما قالت المعتزلة ان القتل يعجل عن اجله المكتوب له
وعليه والله اعلم **وقوله** وليبتلي الله ما في صدوركم والابتلاء هو الاستظهار كقوله عز وجل يوم تبلى

يوم تبلى السرائر تبدى وتظهر وذلك يكون بوجهين يظهر بالجزاء مرة ومرة بالكتاب يعلم الخلق من كانت سريرته
حسنة بالجزاء وكذلك اذا كانت سيئة او يعلم ذلك بالكتاب وقوله تعالى وليبتلى الله ما فى صدوركم اى ليظهر الله
للخلق ما فى صدورهم مما مضى ويجعله ظاهرا لهم وليمحص ما فى قلوبكم من الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنه
قال الابتلاء والتمحيص هما واحد وقوله والله عليم بذات الصدور يقول هو عالم بما فى صدورهم من سرايرهم
ولكن يجعلها ظاهرا عندكم ويحتمل الابتلاء ها هنا الامر بالجهاد ليعلم المنافق منهم من المومن والله اعلم وقوله ان الذين
تولوا منكم يوم التقى الجمعان يعنى ان الذين انصرفوا عن عدوهم مدبرين منهم منهزمين يوم التقى الجمعان جمع
المومنين وجمع المشركين وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا اى انما انهزموا ولم يثبتوا حق قال ان يقتلوا
بالثبات فيلقوا الله وعليهم عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا ان يقتلوا وعليهم معصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم خوفا من الله تعالى عز وجل ولقد عفى الله عنهم بما خافوا الله بعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحتمل قوله عز وجل انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ان اللعين لما رآهم اجابوه الى ما دعاهم من اشتغالهم
بالغنيمة وتركهم المركز وعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الهزيمة فانهزموا وتولوا عدوهم
ويحتمل قوله ببعض ما كسبوا اى بكسبهم قال الله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فكذلك هذا
والله اعلم ان الله غفور حليم قبل توبتكم وعفى عنكم حليم لم ياخذكم وقت عصيانكم ولا عاقبكم وحليم بتاخير
العذاب عنكم وقوله يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا
غزا الآية اختلف فى قوله تعالى كالذين كفروا قال بعضهم نهى المومنين ان يكونوا كالذين كفروا فى السر والعلانية
وقالوا لاخوانهم يعنى المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقيل لا تكونوا كالمنافقين قالوا لاخوانهم
يعنى لبعضهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقيل قالوا لاخوانهم يعنى المومنين الذين تولوا وهم كانوا اخوانهم
فى النسب وان لم يكونوا اخوانهم فى الدين والمذهب لا حاجة لنا الى معرفة قايله من كان ولكن المعنى ان لا يقولوا
مثل قولهم لمن قتل وقوله اذا ضربوا فى الارض تجارا وغزا اى غزاة وقيل قوله اذا ضربوا فى الارض وكانوا غزاة
على اسقاط الالف وقوله ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم اى ليجعل الله ذلك القول الذى قالوا حسرة يترددة
فى اجوافهم ويحتمل قوله ليجعل الله ذلك حسرة يوم القيامة كقوله كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وقوله عز وجل والله يحيى
ويميت اى والله يحيى من ضرب فى الارض وغزا ويميت من اقام ولم يخرج غازيا اى لا يتقدم الموت بالخروج
فى الغزو ولا يتاخر بالمقام وترك الخروج دعاهم الى التسليم انما هى انفاس معدودة وارزاق مقسومة وآجال مضروبة
ما لم يفنوها ويستوفوها وتنقضى آجالها لا ياتيها والله بما تعملون بصير وعيد وقوله عز وجل ولئن قتلتم
فى سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير اى ان الموت ان كان لا بد نازلا بكم فقتلكم او موتكم فى طاعة الله
وجهاده خير من ان ينزل بكم فى غير طاعة الله وسبيله ومغفرة من الله خير مما يجمعون من الاموال ولئن متم
او قتلتم لالى الله تحشرون اى ان متم على فراشكم او قتلتم فى سبيل الله فاليه تحشرون فمعناه والله اعلم اى انتم تقدرون
على ان لم تحشروا اليه كيف تقدرون ان لا ينزل بكم الموت وان انتم فى بيوتكم والله اعلم وقوله عز وجل
فبما رحمة من الله لنت لهم يحتمل هذا وجهين يحتمل فبرحمة من الله عليك لنت لهم فيجب ان يكون الانسان رحيما
على خلقه على ما جاء فى الخبر قال لاصحابه لن تدخلوا الجنة حتى تراحموا فقيل كلنا نرحم يا رسول الله فقال ليس تراحم
الرجل ولده او اخاه ولكن يتراحم بعضهم بعضا او كلام نحو هذا وما جاء من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا
وما جاء من لم يرحم اهل الارض لم يرحمه اهل السماء كما قال الله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
الآية وقد امر الله عباده ان يعامل بعضهم بعضا بالرحمة واللين الا عند المعاندة والمكابرة فحينئذ امر بالقتال
كقوله لموسى وهارون حيث ارسلهما الى فرعون فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكان اللين من القول
انفذ من القلوب واسرع الى الاجابة وادعى الى الطاعة من الخشن من القول وذلك ظاهر فى الناس كذلك امر الله عز وجل

تترددة فيكون المراد من حرف او حرف الواو
صح

رسلهم باللين من المعاملة والرحمة على خلقه وجعله سبب تاليف القلوب وجمعها وجعل الخشن من القول
والفظ سبب الفرقة بقوله ولو كنت فظا فى القول غليظ القلب لانفضوا من حولك اى لو كنت فى الابتداء فظا
غليظا لتفرقوا ولم يجتمعوا عندك وقوله عز وجل فاعف عنهم باذاهم اياك ولا تكافهم واستغفر لهم فيما بينهم
وبينى ويحتمل قوله فاعف عنهم واستغفر لهم بما عصوك ولا ينتصر منهم وكذلك امر الله المومنين جملة
ان يعفوا عنهم وان لا ينتصروا منهم بقوله فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره وكان ارجى الآية للمومنين قوله واستغفر لهم
كما قال الله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون الآية وقوله ايضا واستغفر لذنبك وللمومنين
والمومنات لا يجوز ان يامر بالاستغفار لهم ثم لا يغفر لهم اذ فعل الايجاب فدل انه ما ذكرنا والله اعلم وكذلك
دعاء ابراهيم صلوات الله عليه ربنا اغفر لى ولوالدى وللمومنين يوم يقوم الحساب ودعاء نوح رب اغفر لى ولوالدى
ولمن دخل بيتى مومنا وللمومنين والمومنات لا يجوز ان يدعو هولاء الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ثم لا يجابهم
وقوله عز وجل وشاورهم فى الامر امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يشاور اصحابه فى الامر ففيه
وجوه ثلاثة احدها انه لا يجوز ان يامره بالمشاورة فيما فيه النص وانما يامر بها فيما لا نص فيه ففيه دليل جواز
العمل بالاجتهاد والثانى لا يخلو امره بالمشاورة اما لعظم قدرهم وعلو منزلتهم عند الله او لفضل العقل ورجحان
اللب فكيف ما كان فلا يجوز لمن دونهم ان يسووا انفسهم بهم ولا جايز ايضا ان يامر نبيه صلى الله عليه وسلم
بمشاورة اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين ثم لا يعمل برايهم دل انهم اذا اجتمعوا كان الحق لا يشذ عنهم وقال بعضهم
انما امر نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بمشاورتهم فى امر الحرب والقتال وعن الحسن رضى الله عنه لما نزل الله تعالى
وشاورهم فى الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله غنيان عن مشاورتكم ولكنه اراد ان تكون
سنة لامته وعن ابن عباس رضى الله عنه انه كان يقرا وشاورهم فى بعض الامر وقيل امر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يشاور اصحابه فى الامور وهو ياتيه وحى السماء لانه اطيب لانفس القوم وان القوم اذا شاورهم
بعضهم بعضا فارادوا بذلك وجه الله عزم الله لهم على ارشده وقيل ان العرب فى الجاهلية كانوا اذا ارادوا سيدها
ان يقطع امرا دونهم لا يشاورهم فى الامر شق عليهم فامر الله النبى صلى الله عليه وسلم ان يشاورهم فى الامر
اذا اراد فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم وفى بعض الاخبار قيل يا رسول الله ما الحزم قال
ان تستشير ذا الراى ثم تطيعه وكان يقال ما هلك امرؤ عن مشورة ولا سعد بتور قيل البتور الذى لا يستشير
ويعمل برايه وقوله عز وجل فاذا عزمت فتوكل على الله اى لا تتكل الى نفسك ولا تعتمد على احد ولكن اعتمد
على الله وكل الامر اليه وقيل فاذا فرق ذلك الامر بعد المشاورة فامض لامرك فان كان فى امر الحرب على ما قيل
فهو والله اعلم لا تعجبن بالكثرة ولا ترين النصر به ولكن اعتمد بالنصر على الله كقوله تعالى اذ اعجبتكم كثرتكم
فلم تغن عنكم شيئا والله اعلم بما اراد بذلك كقوله وما النصر الا من عند الله وقوله عز وجل ان ينصركم الله
فلا غالب لكم صدق الله من كان ناصره فلا يغلبه العدو ومن يعدو ان يخذلكم اى يترككم فمن ذا الذى ينصركم
والنصر يحتمل وجهين يحتمل المعونة ويحتمل المنع كقوله تعالى وما لهم من ناصرين وقوله عز وجل ان ينصركم الله
اى اعانكم الله فلا يغلبكم العدو وان يخذلكم فلم يعنكم فمن الذى اعانكم سواه ومن المنع اى ان منع الله عنكم العدو
فلا غالب لكم وان يخذلكم ولم يمنعكم فمن الذى يمنعكم من بعده والخذلان فى الحقيقة هو ترك المامور منه واستعمل
فى هذا كما استعمل الابتلاء على غير حقيقته وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المومنون هو على الامر فى الحقيقة
كانه قال وعلى الله فتوكلوا ايها المومنون والتوكل هو الاعتماد عليه وتفويض الامر اليه لا بالكثرة والاسباب
التى يقوم بها من نحو القوة والعدة والنصر والغلبة وفى الشاهد انما يكون عند الخلق بثلاث اما بالكثرة
واما بفضل قوة بطش واما بفضل تدبير وراى فى امر الحروب وجميع نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغلبته على عدوه انما كان لا بذلك ولكن بالتوكل عليه وتفويض الامر اليه دل ان ذلك كان بالله عز وجل

وذلك من ايات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله عز وجل وما كان لنبي ان يغل فيه قراتان يغل بنصب الياء
وبرفع الياء وبضم الغين ومن قرا بنصب الياء فذلك يحتمل وجهين يحتمل وما كان لنبي ان يغل اي لم يكن نبي الا نبيا
غل قط وهو احق من لا يتهموه لعلكم به فكيف اتهمتموه هذا بالغلول وقيل ان ناسا من المنافقين خشوا ان لا يقسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة بينهم فطلبوا القسمة فنزلت هذه الاية وقيل قالوا اعدل يا محمد في القسمة
فنزل هذا ويحتمل قوله وما كان لنبي ان يغل اي قد كنتم عرفتموه من قبل ان يرسل قسماء فما عرفتموه خان قط وغل
فكيف يحتمل الخيانة بعد ما ارسل هذا لا يحتمل ومن قرا بالرفع فهو ايضا يحتمل وجهين اي يتهم بالغلول
في الغنيمة فهو يرجع الى تاويل الاول ويحتمل قوله ان يغل ان يخاف في الغنيمة لا يخون ولا يحل ان يخان النبي
في الغنيمة فانه يطلع على ذلك بطيع الله ورسوله على ما جاء في بعض الاخبار انه مر بقبر فقال انه في عذاب قيل بما ذا
يا رسول الله فقال لانه كان اخذ من الغنيمة قدر درهمين او نحوه ويحتمل خصوص الغنيمة بما يتناول العال حله
بما لا يعرف له صاحب كالمال الذي لا مالك له وربما يباح التناول منه للحاجة والاخذ بغير البذل لوجه لا يحتمل
بتلك كل الحل من ذلك وقوله عز وجل يات بما غل يوم القيامة اي يوخذ به يوم القيامة وهكذا كل من اخذ من مال غيره
بغير اذنه فانه يوخذ به وقال بعض الناس وانما خص الغنيمة بفضل وعيد لان الغلول فيها يجحف بحق الفقراء
واهل الحاجة ويضر ذلك باصناف الخلق وساير الاموال ليس كذا وقيل انما جاء الوعيد في هذا انهم كانوا اهل نفاق
يستحلون الغلول في الغنيمة والاخذ منها وهذا كان تشبه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم جيشا فغلوا راس ذهب فنزلت الاية وما كان لنبي ان يغل وعن ابن عباس رضي الله عنه
ايضا قال فقدت قطيفة حمراء يوم بدر مما اصيب من المشركين فقال الناس لعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اخذها لنفسه فانزل الله تعالى وما كان لنبي ان يغل وقوله عز وجل افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله
قيل افمن لم يغل ولم ياخذ من الغنيمة شيئا كمن غل واخذ منها ليسا سواء رجع احدهما برضوان الله والاخر بسخطه
ويحتمل افمن اتبع رضوان الله افمن اطاع الله واتبع امره كمن عصى الله واتبع هواه ليسا بسواء وقوله عز وجل هم درجات
عند الله والدرجات والله اعلم ما يقصد فيها اهلها والدركات ما يدركهم من غير ان يقصدوها كالدرك في العقود
يدرك من غير قصد وقيل الدرجات ما يعلو والدركات ما يسفل والله اعلم فهذا في التسمية المعروفة انه سميت
النار دركات والجنة درجات وحقيقة ذلك واحد والاية تدل على الامرين وقوله عز وجل لقد من الله على المومنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وجه المنة فيما بعث الرسل عليهم من البشر ولم يرسلهم من الملائكة ولا من الجن
وجوه احدها ان كل جوهر يالف بجوهره وينضم اليه ما لم يالف بجوهر غيره ولا ينضم الى جنس اخر فاذا كان كذلك
والرسل انما بعثوا لتاليف قلوب الخلق وجمعهم والدعاء الى دين يوجب الجمع بينهم ويدفع الاختلاف من بينهم ه
فاذا كان ما وصفنا بعثوا من جوهرهم وجنسهم ليالفوا بهم وينضموا اليهم والله اعلم والثاني ان الرسل لا بد لهم
من ان يقيموا ايات وبراهين لرسالتهم فاذا كانوا من غير جوهرهم وجنسهم لا يظهر لهم الايات والبراهين لما يقع
عندهم انهم انما ياتون ذلك بطباعهم دون ان ياتوها بغير اعطائهم اياها ذلك والثالث ان ليس في وسع
البشر معرفة غير جوهرهم وغير جنسهم من نحو الملائكة والجن الا ترى ان البشر لا يرونهم فاذا كان كذلك بعثوا
منهم ليعرفوهم ويظهر لهم الحجة والله اعلم ثم المنة الثانية حيث بعثهم من نسبهم وجنسهم لم يبعثهم من غيرهم وذلك انهم
اذا بعثوا من غير قبيلتهم وجنسهم لم يظهر لهم صدقهم ولا امانتهم فيما ادعوا من الرسالة فبعثهم منهم ليظهر
صدقهم وامانتهم لما ظهر صدقهم وامانتهم في غير ذلك فيدل ذلك لهم انهم لما لم يكذبوا بشيء قط ولا خانوا
في امانة لا يكذبون على الله تعالى والثاني انهم اذا كانوا من غير نسبهم فلعلهم اذا اتوا باية او براهين يقولون انما كانوا
بتعليم من احد واختلاف الى احد ممن يفتعل بمثل هذا بعثهم الله منهم ليعلموا انهم اذا لم يتعلموا من احد ولا اختلفوا
فيه انهم انما علموا ذلك بالله تعالى لا باحد من البشر والله اعلم الا ترى ان ما اتى به موسى صلوات الله عليه من الايات

لتقوت وعلف دوابه شرح

تخصيص الغلول في الغنيمة شرح

من نحو العصا واليد البيضاء وغير ذلك لو كان سحرا في الحقيقة لكان من اعظم ايات رسالته لانه لم يعرف انه اختلف
الى احد في تعلم السحر قط وقد نشا بين اظهرهم فكيف ولم يكن سحرا فدل ان الله عز وجل خلقه منه عظيمة فيما بعث الرسل
من نسبهم وقراباتهم وممن نشا بين اظهرهم لمعنى الذي وصفنا والله اعلم وقيل قوله رسولا من انفسهم اي من العرب
معروف النسب امينا ليعلموا انه انما اتى به ما اتى سماويا وحيا وان لا يرتابوا في رسالته وفيما يقوله كقوله
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الاية وقوله عز وجل يتلو عليهم اياته يحتمل اعلام رسالته ونبوته ويحتمل
الايات الحجج والبراهين هما واحد ويحتمل ايات القران وقوله عز وجل ويزكيهم يحتمل التزكية من تزكا ولنما
وهو ان اظهر ذكرهم وافشى شرفهم ومذاهبهم حتى صاروا ائمة يذكرون ويقتدون بهم بعد موتهم كقوله
قد افلح من زكاها اظهرها ولم يخمل ذكرهم الا ترى انه قال وقد خاب من دساها اي اخفاها واخملها
ويحتمل يزكيهم اي يطهرهم بالتوحيد وقيل يزكيهم اي ياخذ منهم الزكوة ليطهرهم وقوله عز وجل ويعلمهم
الكتاب والحكمة انه يتصرف الى وجوه وقد ذكرناه في غير موضع وقوله عز وجل وان كانوا وقد كانوا من قبل
لفي ضلال مبين وقد ذكرنا الضلال انه يتوجه الى وجوه الى الهلاك والى الحيرة والى خمول الذكر
وغيره وقوله عز وجل اولما اصابتكم مصيبة يوم احد حيث قتل منكم سبعون فقد اصبتم مثليها يوم بدر
قتلتم سبعين واسرتم سبعين وقيل ان ذلك كله يوم احد كانت الدبرة والهزيمة على المشركين ابتداء
ثم هزم المومنون بعد ان اصابكم في اخره ما اصاب فقد اصابهم ايضا مثليها يذكر هذا لهم والله اعلم
على التسلي بما اصيبوا ليتسلى ذلك عنهم ويذكرهم نعمة عليهم بما اصيب المشركون مثلي ذلك ليشكروا الله عليها
وليعلموا انهم لم يخصوهم بذلك وقوله عز وجل قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم كانه يعاتبهم بتركهم الاشتغال
بالتوبة عما ارتكبوا من عصيانهم والخلاف لنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مثل ذلك الكلام لا يكون
الا من كان متبريا عن ارتكاب المنهي والخلاف لامره فاما من كان منه ارتكاب المناهي والخلاف لم يتبرا فلا يسع
ذلك او كان ما اصابهم انما اصاب بمحنة منه ولله ان يمتحن عباده بانواع المحن على يدي من شاء اذ كلهم عبيده
فعاتبهم لما لم يعرفوا المحنة وقلتم انى هذا ونحن مسلمون نقاتل في سبيل الله وهم مشركون فقال هو من عند
انفسكم يقول بمعصيتكم الرسول صلى الله عليه وسلم وبترككم ما امركم به من حفظ المركز وغيره كقوله ه
وما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قال الشيخ رحمه الله في قوله تعالى قلتم انى هذا
يخرج ان كان من اهل النفاق مخرج الاستهزاء اي لو كان ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم من النصرة والرسالة
حقا فمن اين بلي بهذا وذلك كقولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وقولهم يوم الخندق ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا وغير ذلك مما عليه معتقدهم في اظهار الاسلام والله اعلم وان كان ذلك من اهل الايمان
فهو سوال تعريف الوجه الذي بلوا به وهم انصار دين الله وقد وعد الانصار دينه النصر وان الذي ينصره الله
لا يغلبه شيء وكان قد وعدوا القاء الرعب في قلوب اعدائهم وبما كانوا راوا الدبرة عليهم والهزيمة من الاعداء
فيقولون بم انقلب علينا الامر فبين انه بما قد عصوا وما لوا عن الله وان كان ذلك عن بعضهم لا عن كلهم فجائز
ذلك بحق المحنة اذ قد يجوز الابتلاء به بمعاذ ذلك عن المعاصي زجر وللاجتماع على الطاعة داعي اذ المحنة
بمثله تدعو كلا الى اتقاء الخلاف ومنع اخوانه ايضا عن ذلك فيكون به التالف وصلاح ذات البين
والله اعلم وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير من النصر والهزيمة ولكن ما اصابكم انما اصاب بمعصيتكم ربكم
وخلافكم رسوله صلى الله عليه وسلم او اصابكم محنة منه اياكم وقوله عز وجل وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع
المومنين وجمع المشركين فباذن الله قيل فبمشيئة الله وارادته وقيل فباذن الله فبتخلية الله اياكم لما لعلهم
راوا النصر والغلبة بالكثرة او بالقوة والعدة فخلاهم الله بينهم وبين عدوهم ليعلموا ان امثالهم مع قلتهم
وضعفهم لا ينتصرون من امثال هولاء مع كثرة عددهم وقوة ابدانهم وعدتهم في سلاحهم ولكن بالله

ينتصرون منهم ويغلبون عليهم وقيل فباذن الله فبعلم الله اى بعلم الله ما يصيبكم من خير او شر ليس عن سهو
وغفلة منه يصيبكم وقوله عز وجل وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا لما ذكرنا فيما تقدم ليعلم ما قد علم انهم
يؤمنون ويصبرون على البلايا والقتال مؤمنين صابرين محتسبين وكذلك ليعلم ما قد علم انهم ينافقون
ولا يصبرون منافقين غير صابرين ولا محتسبين وقوله عز وجل وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا
قولوا وادفعوا يحتمل وجوها يحتمل او ادفعوا اى كثروا السواد لان المشركين اذا راوا سواد المؤمنين كثيرا يرهبهم
ذلك ويخوفهم كقوله عز وجل واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
ويحتمل او ادفعوا العدو عن انفسكم لما لعلهم يقصدون انفس المؤمنين القاتلين او ادفعوا عن اموالكم وذراريكم
ويقصدون ذلك وادفعوا عن دينكم اذا قصدوا دينكم وقد يقصدون ذلك او ان يكون قوله عز وجل قاتلوا
فى سبيل الله او ادفعوا واحدا اى قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا لو نعلم قتالا
لاتبعناكم يعنى المنافقين قيل قال المنافقون الذين تخلفوا فى المدينة لرسول الله عليه الصلوة والسلام
وقيل قال ذلك عنهم وقوله عز وجل هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعنى المنافقين اخبر انهم
الى الكفر اقرب من الايمان للكفر والى الكفر ومن الكفر كل ذلك لغة وفى حرف حفصة هم الى الكفر اقرب
وتأويله والله اعلم ان المنافقين كانوا لا يعرفون الله عز وجل ولا كانوا يعبدونه فانما عبادتهم يميلون
حيث مالت النعم ان كانت مع المؤمنين فيظهرون من انفسهم الوفاق لهم وان كانت مع المشركين فمعهم
كقوله عز وجل الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم الاية وكقوله عز وجل
ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية واما الكفار فانهم كانوا يعرفون الله لكنهم كانوا يعبدون الاصنام
والاوثان لوجهين احدهما لما اتخذوها اربابا والثانى يطلبون بذلك تقربهم الى الله زلفى كقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى لكنهم اذا اصابتهم الشدة ولم يروا فيما عبدوا الفرج عن ذلك فزعوا الى الله عز وجل كقوله
فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فاذا ذهب ذلك عنهم عادوا الى دينهم الاول وقوله عز وجل واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه الاية واما المؤمنون فهم فى جميع احوالهم فى حال الرخاء والشدة والضراء والسراء
مخلصين لله صابرين على مصائبهم وشدائدهم قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقوله عز وجل هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان يحتمل هذا وجوها قيل انما كانوا كذا لانهم كانوا يقولون للمؤمنين الم نكن معكم وان كان للكافرين
نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ذكروا كونهم مع المؤمنين وذكروا فى الكافرين استحواذهم
عليهم ومنعهم عن المؤمنين فذلك اية الاقرب منهم ويحتمل اقرب منهم للايمان لان ما اظهروا من الايمان كذب
والكفر نفسه كذب فما اظهروا من الايمان فهو كذب الى الكذب الذى هم عليه اقرب وهو الكفر وعن ابن عباس
رضى الله عنه هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان قال هم يومئذ يرون الكفر ويظهرون الايمان وستر العبد اولى
من علانيته وفعله اولى به من قوله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وهو قولهم وقيل وهم منهم
اقرب لانهم كانوا فى الحقيقة كفارا على دينهم وفى قوله تعالى هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يحتمل الذم
وقيل كقوله عز وجل ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها فيكون الوصف بالقرب على الوقوع
والوجوب كقوله عز وجل ان رحمة الله قريب من المحسنين اى هى لهم وبالله التوفيق وذلك لانهم كانوا اهل نفاق
والكفر لم يكن يفارق قلوبهم وما كان من ايمانهم كان بظاهر اللسان ثم قد يفارقها فى اكثر اوقاتهم والله اعلم
وقد يكون على القرب من حيث كانوا شاكين فى الامر الكفر والايمان تارك للايمان اذ حقيقته تصديق عن معرفة
ولم يكن لهم معرفة والكفر قد يكون بالتكذيب كان له بما يكذب علم بالكذب او لا فلذلك كان الكفر اقرب اليهم
ويحتمل اقرب اليهم ولى بهم وهم به احق ان يعرفوا بما جعل الله لهم من اعلام ذلك فى الحق لقوله ثم فى افعال الخير
ثم فى احوال الجهاد بما يظهر منهم من اثار الكفر فى الاقوال والافعال مما جاء به القرآن والله اعلم فان قيل فى قوله

اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم كيف عم هؤلاء بالعقوبة وانما كان
العصيان والخلاف فى الامر من بعضهم لا من الكل قيل لما خرج لهم ذلك مخرج الامتحان والابتلاء لا مخرج
الجزاء لفعلهم والله ان يمتحن عباده ما ابتداء بانواع المحن من غير ان يسبق منهم خلاف فى الامر او عصيان
وكل عقوبة خرجت مخرج جزاء عصيان او خلاف فى امر لم يؤاخذ غير مرتكبها لقوله عز وجل ولا تزر وازرة
وزر اخرى وما خرج مخرج الامتحان جاز ان يعمهم لما ذكرنا ان له ابتداء او ان كان ما كان منهم بمعونة غيرهم
منهم لذلك بذلك كقطاع الطريق وكسراق ان يعمهم العقوبة جميعا من اخذ ومن لم يأخذ ومن تولى ومن لم يتول
فكذلك هذا وكانوا جميعا كنفس واحدة فعمهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل الذين قالوا لاخوانهم
قيل لاخوانهم فى الدين ومعادهم من المنافقين لو اطاعونا ولم يخرجوا الى الجهاد ما قتلوا وقيل لاخوانهم
فى النسب والقرابة وليسوا باخوانهم فى الدين والولاية كقوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا ليس باخيهم
فى الدين والولاية ولكن كان اخوهم فى النسب والقرابة لو اطاعونا وقعدوا عن الخروج فى الجهاد ما قتلوا
فى الغزو ثم قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ان قل لهم فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
بانهم لو قعدوا فى بيوتهم ما قتلوا معناه والله اعلم ان من قتل فى سبيل الله فمكتوب ذلك عليه ومن مات
فى بيته فمكتوب عليه فاذا لم يقدروا ان يدفعوا ما كتب عليكم من الموت كيف زعمتم انهم لو قعدوا ما قتلوا
وهو مكتوب عليهم وهذه الاية ترد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان من قتل مات قبل اجله
وقيل انه يستوفى اجله فهم واليهود فيما انكروا الله عليهم قولهم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا
سواء بقوله قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين وقوله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله
امواتا قيل فيه بوجوه قيل ان المنافقين قالوا للذين قتلوا باحد وببدر ماتوا كسائر الموتى بل احياء
عند ربهم وقيل قالوا ان من قتل لا يحيى ابدا ولا يبعث فقال عز وجل بل يحيون ويبعثون كما يحيى ويبعث غيرهم
من الموتى وقيل ان العرب كانت تسمى الميت من انقطع ذكره اذا مات ولم يذكر اى لم يبق له احد يذكر به فقالوا
اذا قتل هؤلاء ماتوا اى لا يذكرون فاخبر الله عز وجل انهم مذكورون فى ملاء الملائكة وملاء البشر
وهو الظاهر المعروف فى الخلق ان الشهداء مذكورون عندهم وقيل قوله عز وجل بل احياء عند ربهم
اى يجرى اعمالهم بعد قتلهم كما كان يجرى فى حال حيوتهم فهم كالاحياء فيما يجرى لهم ثواب اعمالهم
وجزائهم ليسوا باموات وقيل ان حيوتهم حياة كلفة وذلك انهم امروا باحياء انفسهم فى الاخرة ففعل
المؤمنون ذلك احيوا انفسهم فى الاخرة فسموا احياء لذلك والكفار لم يحيوا انفسهم بل اماتوها فسموا ولذلك
احياء والكفار موتى وقيل سمى هؤلاء احياء لانهم انتفعوا بحيوتهم وسمى الكفار امواتا لما لم ينتفعوا
بحياتهم الا ترى انه عز وجل سماهم مرة صم بكم عمى لما لم ينتفعوا بسمعهم ولا ببصرهم ولا بلسانهم ولم يسم
بذلك المؤمنين لما انتفعوا بذلك كله فعلى ذلك سمى هؤلاء احياء لما انتفعوا بحيوتهم واولئك الكفرة
موتى لما لم ينتفعوا بحياتهم والله اعلم وقال الحسن ان ارواح المؤمنين يعرضون على الجنان وارواح
الكفار على النار فيكون لارواح الشهداء افضل لذة مما يكون لارواح غيرهم من الكفرة ذلك فاستوجبوا
بفضل اللذة على غيرهم اسم الحيوة الا ترى انه قال تعالى يرزقون فرحين بما اتاهم الله عز وجل من فضله
وقيل ان الناس كانوا يقولون فيما بينهم من قتل ببدر واحد مات فلان ومات فلان فقال عز وجل ولا تقولوا
لمن يقتل فى سبيل الله اموات وقوله عز وجل يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله روى عن مسروق
قال سألت عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الاية
قال سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ارواحهم عند الله فى حواصل طير خضر لها
قناديل معلقة بالعرش يسرح فى الجنة فى ايها شاءت ثم تأوى الى قناديلها والحديث طويل وقوله عز وجل

ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية عن ابن عباس رضي الله قال ينزل عليهم صحف مكتوب فيها
من يلحق بهم من الشهداء فبذلك يستبشرون وقيل يستبشرون لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وامرهم
بما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعم الذي اعطاهم الله وقيل يستبشرون يعني يفرحون بالذين لم يلحقوا بهم
من خلفهم يعني من بعدهم من اخوانهم في الدنيا او قتلا لا استشهد والحقوا وقيل لم يلحقوا بهم من خلفهم الذين
يدخلون في الاسلام من بعدهم والاستبشار هو الفرح او طلب البشارة كانهم طلبوا البشارة لقومهم ليعلموا اكرامهم
عند الله ومنزلتهم كقول من قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقيل ان الحيوة
على ضربين حيوة الطبيعي وحيوة العرضي وكذلك الموت على وجهين موت الطبيعي وموت العرضي ثم حيوة العرضي
على وجوه احدها حيوة الدين والطاعة كقوله عز وجل او من كان ميتا فاحييناه وحيوة العلم والبصيرة واليقظة
تسمى العالم حيا وللجاهل ميتا وحيوة الزينة والشرف على ما سمى الله تعالى الارض ميتة في حال يبوستها وحية
في حال خروج النبات منها بقوله عز وجل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت الذي احياها وحيوة الذكر
واللذة فجائز ان يكون الله تعالى لما اخبر انهم احياء عند ربهم ان يكون لهم حيوة من احد الوجوه التي ذكر حيوة
ذكر ولذة او حيوة زينة وشرف او حياة العلم لهم باهل الدنيا على ما كان لهم قبل ذلك او حيوة دين وعبادة
ان يجري عليهم اعمالهم قبل الشهادة وان كانت اجسادهم في الحقيقة ميتة في احكام الدنيا عند اهل الدنيا
وهذا يقوي قولنا في المرتد انه اذا لحق بدار الحرب يحكم في نفسه وماله بحكم الموتى في قسمة المواريث وقضاء
الديون وغيرها وان كان هو في الحقيقة حيا على ما حكم في اموال الشهداء وانفسهم بحكم الموتى في حكم الدنيا لما
لما لا يعودون الى الدنيا وان كانوا عند ربهم احياء فعلى ذلك يحكم في نفس المرتد وامواله بحكم الموتى لما لا يعود
الى دارنا وان كان هو في الحقيقة حيا عند الله لما جاز ان يكون حيا عند الله ميتا عندنا جاز ان يكون ميتا
عندنا حيا عند الله والله اعلم وحيوة الطبيعي هو حيوة جوهر وما به يقوم النفس وموت الطبيعي هو هلاكه
وفوته والله اعلم وموت العرضي هو جهله والله اعلم وقوله عز وجل يستبشرون بنعمة من الله وفضل
يحتمل نعمة الله وفضل اي بدين من الله كقوله تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا قيل بدينه ويحتمل بنعمة من الله
الجنة وفضل زيادات لهم وكرامات من الله عز وجل وقوله عز وجل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين اي لا يضيع
من حسناتهم وخيراتهم وان قل وصغر كقوله عز وجل يتقبل لحسن ما عملوا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره كقوله
ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية وقوله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول قيل اجابوا الله عز وجل والرسول
صلى الله عليه وسلم الى ما دعاهم اليه واطاعوا فيما امرهم به من بعد ما اصابهم القرح اي الجراحة قيل دعاهم
الى بدر الصغرى بعد ما اصابهم باحد القروح والجراحات فاجابوه فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله
والرسول الاية وقوله عز وجل للذين احسنوا منهم في الاجابة له بعد ما اصابتهم الجرحة وشهدوا القتال معه
واتقوا الخلاف له وترك الاجابة ويحتمل اتقوا النار وعقوبته اجر عظيم في الجنة وثواب جزيل والله اعلم
وقوله عز وجل الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الاية قيل ان المنافقين قالوا لاصحاب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما انهزم كفار مكة ولو ادبرهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
يخوفونهم حتى لا يتبعوهم على اثرهم فذلك عادتهم لم تزل كقوله تعالى ما زادوكم الا خبالا اي فسادا وقيل
انما قال ذلك لهم رجل يقال له نعيم بن مسعود ولا ندري كيف كانت القصة وقوله عز وجل فزادهم
ايمانا لما وجدوا الامر على ما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد لهم لا على ما قال اولئك فزادهم
ذلك ايمانا اي تصديقا زادهم قيل جراءة وصلابة وقوة على ما كانوا من قبل في الحرب والقتال ويحتمل زادهم
ذلك ايمانهم قوة وصلابة وتصديقا وقيل قوله عز وجل زادهم ايمانا اي تصديقا ويقينا بجراءتهم على عدوهم
ويقينهم بربهم واستجابتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم فان قال قائل ما معنى قوله سبحانه وتعالى زادهم ايمانا

على اثر قوله

على اثر قوله عز وجل الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وذلك قول لا يحتمل
ان يزيد الايمان وليس كقوله عز وجل اذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لانها حجج والحجج تزيد التصديق وتحدث
او تدعوا الى الثبات على ذلك فتزيد الايمان فقولهم اخشوهم كيف يزيد قيل يخرج ذلك والله اعلم على وجوه
احدها انهم ادعلوا انهم اهل نفاق وانهم يخوفون بذلك وقد كان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصيبهم فكذبوهم بذلك وقبلوا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اجابة لامر وتصديقا بوعده ومجانبة
لاغترارهم باخبار اعداء الله واولئك على عدوهم فكان ذلك منهم عند ذلك زايدا في ايمانهم معا في تكذيبهم
ذلك نحو قوله عز وجل واما الذين في قلوبهم مرض الاية انها زادت بتكذيبها بايات الله رجسا فيثله تكذيب المكذب
بالايات لذلك يزيد ايمانا والله اعلم والثاني ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرهم بتفرق اعداء الله
وتشتيت امرهم واخبرهم المنافقون بالاجتماع فضاد والى ما نعتهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا
الامر على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من انباء الغيب والانباء عن الغيب من اعظم ايات النبوة
فزادهم ذلك ايمانا والله اعلم وذلك قوله عز وجل افمن اتبع رضوان الله الاية والثالث انهم لم يغتروا
بقول المنافقين ولا قصدوا لذلك ولا ضعفوا فانزل الله تعالى سكينته على قلوبهم ليزيد لهم بذلك ايمانا
كقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين الاية وبالله التوفيق ثم معنى زيادة الايمان تخرج
على وجوه احدها بحق الابتداء في حادث الوقت اذ له حكم التجدد في حق الافعال بما هو للكفر به تارك وعلى ذلك
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا الاية فيكون ذلك بحق الزيادة على ما مضى وان كان بحق التجدد في حق
الحادث والفرد والثاني ان يكون له الثبات عليه اذ حجج الشيء يوجب لزومه والدوام عليه فيسمى ذلك
زيادة ويحتمل ان يكون يزداد له في امره بصيرة وعلى ما رغب فيه اقبالا وللحق مراعاة فيكون في ذلك زيادة
في قوته او في نوره او بزينته وبما منه ذلك امر معروف ويحتمل ان يكون ذلك راجعا الى المحافظة بحقوقه
والتمسك بادلته والوفاء بشرايطه فيزيد ذلك فضله كما عدت صلوة واحدة في التحقيق الغاية في ذلك
من حفظ الحقوق ومراعاتها والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فزعوا الى الله تعالى بما راوا
من صدق وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وظهور كذب قول المنافقين ان الناس قد جمعوا لكم الاية
او قالوا ذلك عند قول المنافقين اياهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فوضوا امرهم الى الله تعالى وسلموا الامر
النصر منه رضاء منهم بكل ما يصيبهم كقوله عز وجل الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
مدحهم الله عز وجل بما راوا انفسهم لله فكذلك هذا وقوله عز وجل والله ذو فضل عظيم اي ذو من عظيم
يدفع المشركين عن المؤمنين وقوله عز وجل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل يحتمل النعمة نعمة الدين على ما ذكرنا
وقيل انقلبوا بنصر من الله والغنيمة ويحتمل النعمة من الله الامن من العدو لان المنافقين كانوا يخوفونهم بقولهم
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل النعمة الجنة وفضل الزيادة على ذلك وقيل انصرفوا باجر من الله وفضل
وهو ما تسوقوا به من السوق لم يمسسهم سوء ولا قتل ولا هزيمة وقوله عز وجل واتبعوا رضوان الله ورضاء رسوله
صلى الله عليه وسلم وقيل اتبعوا طاعته ورضاه ويحتمل نعمة من الله وفضل الزيادة في الايمان وهو الصلابة
والقوة فيه وقوله لم يمسسهم سوء مما كانوا يخوفونهم بقوله ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل قوله تعالى
فانقلبوا بنعمة من الله اي رجعوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم
وخافون يخوف اولياءه واعداءه لكن اعداؤه لا يخافونه واولياؤه يخافونه كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر
ومن لم يتبع لكن من اتبع الذكر كان يقبل انذاره ومن لم يتبع الذكر لا وان كان ينذر الفريقين جميعا فعلى ذلك الشيطان
كان يخوف اولياءه واعداءه جميعا لكن اعداؤه لا يخافونه واولياؤه يخافونه ويحتمل قوله يخوف اولياءه
اي باوليائه وجائز هذا في الكلام كقوله لتنذر يوم الجمع اي بيوم الجمع الا ترى انه قال وان الشياطين الى اوليائهم

قرأ ابن عباس رضي الله عنه يخوفكم اولياءه والى يخوفكم باوليائه وهو تقدير القراءة المشهورة عنه تعالى

ليجادلوكم فعلى ذلك قوله يخوف اولياءه او باوليائه والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه يخوفكم اولياءه
وهذا يؤيد تأويل من يتأول يخوف باوليائه والله اعلم وقوله عز وجل فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين
اى لا تخافوه لمخالفتكم اياه وخافوني اى خافوا مخالفتكم امرى كقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه اخبر ان ليس له سلطان على الذين آمنوا انما سلطانه على اوليائه لذلك
قال لا تخافوه لما ليس له عليكم سلطان وخافوني لما لي عليكم سلطان وبالله العصمة وقوله عز وجل ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر يحتمل الآية وجهين يحتمل ولا يحزنك الذين ظاهروا غيرهم من المشركين
عليكم وقد ظاهر اهل مكة غيرهم من المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول الله عز وجل لرسوله
صلى الله عليه وسلم لا يحزنك مظاهرتهم المشركين عليك فان الله ينصرك فيخرج هذا مخرج البشارة له
بالنصر على اعدائه والغلبة عليهم ويحتمل ايضا وجها آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفرهم بالله
ويحزن لذلك كقوله تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين فيخرج قوله لا يحزنك مخرج
تسكين الحزن ودفعه عنه والتسلي على ذلك لا مخرج النهي اذ الحزن ياخذ الانسان ويأتيه من غير تكلف
ولا صنع وكقوله تعالى لا تحزن ان الله معنا هو على مخرج التسكين والدفع عنه لا على النهي فكذلك الاول
والله اعلم وكقوله تعالى لام موسى عليه السلام لا تحزني وقوله عز وجل انهم لن يضروا الله شيئا يحتمل
قوله لن يضروا الله شيئا اى لن يضروا اولياء الله عز وجل انما ضرر ذلك عليهم كقوله تعالى عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ويحتمل لن يضروا الله شيئا لانه ليس لله في فعلهم وعملهم نفع ولا في ترك
ذلك عليه ضرر انما المنفعة في عملهم لهم والضرر في تركه عملهم عليهم والله اعلم وقوله عز وجل يريد الله
ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة هذه الآية تنقض على المعتزلة قولهم لان الله تعالى يقول اراد ان لا يجعل لهم
في الآخرة حظا والمعتزلة يقولون بل اراد ان يجعل لهم حظا في الآخرة اذ يقولون اراد لهم الايمان
وبالايمان يكون لهم الحظ في الآخرة فثبت بالآية انه لم يكن اراد لهم الايمان والآية في قوم خاص علم الله تعالى
انهم لا يؤمنون ابدا فاراد ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولو كان على ما تقوله المعتزلة بانه اراد ان يجعل لهم
حظا في الآخرة لما اراد لهم ان يؤمنوا ولكن لم يؤمنوا لكان حاصل قولهم اراد الله ان لا يجعل لمن اراد ان يؤمن في الآخرة
وذلك جور عندهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل ولهم عذاب عظيم وذكر مرة اليم ومرة شديد لانه التعذيب
باتنا اشد العذاب في الشاهد واعظمه لذلك اوعد بها في الغائب وجعل شرابهم وطعامهم ولباسهم منها
فنعوذ بالله من ذلك وقوله عز وجل ان الذين اشتروا الكفر بالايمان قد ذكرنا تأويل هذا فيما تقدم
لن يضروا الله شيئا ما ذكرنا انه على الوجهين اللذين وصفتهما والله اعلم وقوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم الآية اختلف في قراءتها قرأه بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء فمن قرأ بالتاء صرف الخطاب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تحسبن يا محمد انما نملي لهم خير لهم انما نملي لهم ليزدادوا
شرا واثما لهم فالآية على المعتزلة لكنهم تأولوا بوجهين احدهما على التقديم والتاخير كانه قال ولا تحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم فيقال لهم لو جاز حمل الآية وصرفها
على ما حملتم عليه وصرفتم اليه جاز حمل جميع الآيات التي فيها وعد للمؤمنين وصرفها الى الكافرين وما كان فيها
وعيد للكافرين الى المؤمنين اذ لا فرق بين هذا وبين جعلكم الخير مكان الاثم والاثم مكان الخير
وبين جعل الوعيد في موضع الوعد والوعيد في موضع الوعد والوجه الثاني قالوا اخبر الله تعالى عما يؤول
امرهم في العاقبة لا ان كان في الابتداء كذلك كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
ومعلوم انهم لم يلتقطوا ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن اخبار عن مآل امره في العاقبة ان صار لهم عدوا وحزنا
وكذلك يقال للرجل سرقت لتقطع وقتلت لتقتل وهو لم يسرق ليقطع ولا قتل ليقتل ولكن اخبار عن مآل امره

وحاله

١٠٨

وحاله في العاقبة فكذلك هذا لكن الاخبار عن مآل الامر يخرج مخرج التنبيه عن السهو والغفلة
في الابتداء فالله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك فخرج ذلك مخرج الحقيقة في الابتداء لا مخرج الاجتهاد
عما يؤول الامر في العاقبة وبالله التوفيق والثاني ان من اراد امرا يعلم انه لا يكون فهو جهل يريد ذلك
او لعبث فالله سبحانه يتعالى عن الجهل بالعواقب والعبث في الفعل دل انه كان على ما اراد لا ما لم يرد ولو كان
الله سبحانه وتعالى لا يفعل بخلقه الا ما هو اصلح لهم في الدين واخير لم يكن لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الاعجاب بما اعطى الكفرة من الاموال والاولاد بقوله سبحانه وتعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الآية
دل انه قد يعطي ما ليس هو باصلح في الدين ولا اخير والله اعلم وقال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تحسبن الذين
كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله عز وجل فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله ليعذبهم بها الآية وقوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون ونحو ذلك من الآيات فيها وجهان على المعتزلة احدهما قولهم في الاصلح ان الله تعالى
لو فعل بالخلق شيئا غيره اصلح لهم في الدين في حال المحنة كان ذلك جورا ومعلوم ان الفعل بهم
ليزدادوا اثما لا يبلغ في الصلاح في الدين الفعل بهم ليزدادوا ابرا ومعلوم انه لو كان كذلك لم يكن
يجوز ان يحذر رسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فيقول لا يعجبك كذا لكانه قال لا يعجبك الذي
هو صلاح في الدين ثم يؤكد ذلك بانه جعل لهم ذلك ليعذبهم بها ثم شهد على من حسب ما حسبته المعتزلة
بانهم لا يشعرون فكان ذلك شهادة منه تعالى عز وجل على كل من وافق رأيه ذا ولذلك الكفرة
انهم لا يشعرون ومعلوم ان الجبابرة والفراعنة لو لم يجعل الله تعالى لهم تلك الحواشي والملك
والقوة لم يجترئوا على دعوى الربوبية ويبلغوا في المآثم ما بلغوا فيكون فوت ذلك اصلح لهم في الدين
وقد قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الآية ثم كان معلوما
انه اذا كان بما يجعل ذلك للكفرة يكفرون فلو جعل للمؤمنين يؤمنون ثم لم يجعل كذلك والله اعلم
وايد ذلك قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها الآية والثاني انها لا ارادة اذ هي صفة لكل فاعل مختار
في الحقيقة وقد اخبر لاى وجه اعطى ثبت انه اراد ذلك معها كان المتعالم من فعل كل احد لا يخرج على ما اراده
ولا يبلغ به ما لو فعل انه يكون من جهل وسفه فالاول يكون فعله على ظن انه يكون ذلك فلا يكون والثاني
اذا علم ان لا يكون فيكون له به عبث وسفه جل الله تعالى عن الوجهين ثبت ان فعله لما علم انه يكون لا لغيره
ليلحقه به وصف جهل وسفه وبهما سقوط الربوبية ثم وجهت المعتزلة الآية الى وجهين احدهما
على التقديم والتاخير بمعنى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم ليزدادوا خيرا
وذلك فاسد لوجهين احدهما لو كان جعل الخير شرا والشر خيرا بالتأويل وصرف الآية عن سياقها
ونظمها لجاز ذلك في كل وعد ووعيد وامر ونهي وتحليل وتحريم فيصير كل امور الدين مقلوبا
والثاني انه لو كان كذلك لكان يجب ان يعيب به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ على ذلك مجيئا ولكانوا
فيما حسبوا ان ذلك خير لهم يشعرون لا ان لا يشعرون معا قيل ولا يحسبن بالياء في بعض القراءة
ومتى كان يحسب الكفرة ذلك شرا حتى يعاتبوا على الحسبان والله الموفق والثاني قالوا ان ذلك خبر
عما يؤول الامر اليه كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لا لذلك التقطوا
ولكن يقولون للسارق سرقت لتقطع يدك وكما يقال لدوا للموت وابنوا للخراب والذي قالوه انما هو تنبيه
وايقاظ لقوم لا يذكرون عواقب الامور فيحرصون عليها عن غفلة بالعواقب فاما الله سبحانه وتعالى
فمحال ان يكون امره على ذلك ليكون فيما يذكره ذلك الا ترى ان احدا لا يقول ولدت للموت وبنيت للخراب
لانه لا لذلك يفعل وان كان اليه يؤول وانما هو قول الواعظ لهم بما ذكرت لذلك يبطل هذا

وامر قوم فرعون لم يقتل ليكون لهم عندهم انما هو ليكون لهم عند الله تعالى وبما اراد الله وكان
كذلك ولا قوة الا بالله وقد بينا ما في الحكمة بحقيقة من طريق الاعتبار ولا قوة الا بالله والاصل في ذلك
ان الله تعالى عالم بمن يوثر عداوته ويعاند آياته فاراد بتران لا يكون منه ذلك حاجة اليه في موالاته
او ايجاب غلبة عليه في بعض ما يريد جل الله عن هذا الوصف وقوله عز وجل وما كان الله ليذر المؤمنين
على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قيل فيه بوجوه قيل لا يترك الله المؤمنين على ما انتم عليه ايها
المنافقون ولكن يمتحنكم بالجهاد وبانواع المحن ليظهر المنافق لهم من المؤمن وقيل ليظهر الكافر لهم من المؤمن
المصدق وقيل فيه بوجه آخر وذلك ان المنافقين كانوا يطعنون لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويستهزؤن بهم سرا فقال الله عز وجل لا يدع المؤمنين على ما انتم عليه من الطعن فيهم والاستهزاء بهم
ولكن يمتحنكم بانواع المحن لتفتضحوا ويظهر نفاقكم عندهم ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اى لا يدع المؤمنين على ما انتم عليه من النفاق
والكفر في دار واحدة ولكن يجعل لكم دارا اخرى يميز فيها الخبيث من الطيب يجعل الخبيث في النار والطيب
في الجنة كقوله تعالى عز وجل ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله
في جهنم الاية وقوله عز وجل وما كان الله ليطلعكم على الغيب قيل فيه بوجهين قيل انهم كانوا يقولون
لا نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي الانبياء كقولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ومثل قوله
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا فقال في ذلك قوله ما كان الله ليطلعكم على الغيب الا من اجتباه
لتوحيده وجعله موضعا لرسالته اى لا يجعلكم رسلا اذ علم الغيب انه من آيات رسالته والله اعلم
وقيل ان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فيسترقون فيأتون باخبارها الى الكهنة قبل ان يبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الكهنة يخبرون بها غيرهم من الكفرة فانزل الله سبحانه وتعالى
وما كان الله ليطلعكم على الغيب بعد ما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا كما كنتم تطلعون على اخبار
السماء قبل بعثه ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اي يصطفي من يشاء فيجعله رسولا فيوحي اليه ذلك
اى ليس الوحي من السماء الى غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويحتمل قوله تعالى يجتبي من رسله من يشاء
اى لا يطلع احدا منكم على الغيب الا من اجتباه منكم لرسالته ويحتمل يجتبي من رسله من يشاء اى لا ينسخ شرايعه
واحكامه برسول آخر نحو ما بين موسى الى عيسى عليهما الصلوة والسلام ان كان فيما بينهما نبي لم يجعل له
احكام سوى احكام موسى عليه السلام ولكن ابقى تلك الاحكام والشرايع وكذلك ما بين عيسى الى محمد عليهما
الصلوة والسلام فاجتبى هؤلاء لابقاء شرايعهم واحكامهم والله اعلم وقوله عز وجل فآمنوا بالله ورسله
ظاهر وان تؤمنوا برسله كلهم وتتقوا المعاصي فلكم اجر عظيم ويحتمل وان تؤمنوا وتتقوا الشرك فلكم كذا
وقوله عز وجل ولا يحسبن الذين اوتوا العلم بالكتاب ان ما يؤتون من المال وينالون من النيل بكتمان
بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته وتحريفهما ان ذلك خير لهم بل هو شر لهم في الدنيا والآخرة
ولو لم يكتموا كان خيرا لهم في الدنيا ذكرا وشرفا وفي الآخرة ثوابا وجزاء وقيل نزلت فيما نعتى الزكوة بخلا منهم
وشقاقا لك وعيد لهم والاولى اشبه والله اعلم وان كان في الزكوة قيل الجحود بها كقوله تعالى الذين لا يؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون وقوله عز وجل سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة فان كان على التأويل الاول
من كتمان نعته وصفته فهو والله اعلم يطوق ذلك في صفة يوم القيامة ليعرفه كل احد كقوله عز وجل وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه وان كان على التأويل الثاني قيل ان الزكوة التي منعها يصير حية ذكرا شجاعا اقرع
ذو زبيبتين يعني نابين فيطوق بها في عنقه فتنهشه بنابيه فيتقيها بذراعيه حتى يقضي بين الناس
فلا يزال معه حتى يساق الى النار والله اعلم وقوله عز وجل ولله ميراث السموات والارض في الاية دلالة

الحية الاقرع انما يتمعط سعر راسها زعموا لجمعه السم فيه يقال شجاع اقرع ومنه الحية ذو الزبيبتين ويقال هما النكتتان السوداوان فوق عينيه
صحاح

ان اهل السموات يموتون ليس على ما يقول القرامطة انهم لا يموتون لانه اخبر ان له ميراث السموات والارض
والوارث هو الذي يخلف المورث دل انه ما ذكرنا وان كانوا هم وجميع ما في ايديهم لله تعالى عز وجل ملك له
وعبيد الا ترى انه روي في الخبر لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر الا المولى من عبده سمي ما يكون للمولى
من عبده ميراثا وان كان العبد وما في يده ملك للمولى فعلى ذلك الاول سمى الله عز وجل ذلك ميراثا له
وان كانوا هم عبيده وما في يده ايديهم ملك له والله اعلم قال الشيخ رحمه الله وقوله تعالى ولله ميراث السموات
والارض وكانت له لا بحق الميراث لوجهين احدهما على الاخبار عن ذهابها باهلها وبقائه عز وجل دائما
اذ ذلك وصف المواريث ان يكون لمن له البقاء بعد فناء من تقدم والله عز وجل هو الباقي بعد فناء الكل
مع ما يجوز القول بما هو له في الحقيقة من قبله بالميراث من حيث ملك غيره الانتفاع بذلك وعلى ذلك المروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر الا المولى من عبده وليس
ذلك في الحقيقة ميراثا اذ كان له في حال حيوته ولكن كان ولاية الانتفاع به فزال وعلى مثل هذا وراثة
المسلمين الجنة لا على انتقال من غيرهم اليهم ولكن على بقائهم فيها وحصول امرها لهم او على وراثتهم ما لو كان
من لم يؤمن آمن وما ادعوا انها لهم بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فصار ميراثا
لغيرهم ما ادعوا انها لهم والله اعلم والثاني ان يعلم كل بالموت حقيقتها انها له فاضيفت اليه بالميراث
عنهم كما قال تعالى عز وجل وبرزوا لله جميعا واليه المصير والمرجع ونحو ذلك من غير غيبة عنه ولكن
بما يعلم كل اذ ذاك ذلك وكذلك قوله عز وجل والامر يومئذ لله وهو في الحقيقة في كل يوم له ولا قوة
الا بالله وفي الذكر والاخبار انها له ميراث تحريض على الانفاق والتزود اذ هي في الحقيقة لغير اهلها
وانما لهم ما ينفقون ويتزودون دون ما يمسكون وفيه منع الامساك وذلك كقوله تعالى وما لكم
الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض الاية والله بما تعملون خبير وعيد منه عز وجل اياهم
وقوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قيل لما نزلت من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا الاية قالت اليهود ربكم يستقرض منكم ونحن اغنياء وليس في الاية بيان ان ذلك
القول انما قاله اليهود او غيرهم من الكفرة ولكن فيه انهم قالوا ذلك فلا ندري من قال ذلك ولا يجوز
ان يشار الى احد بعينه الا ببيان ثم يحتمل ذلك القول منهم وجوها يحتمل ان يكون قال ذلك اوايلهم
على ما قال في قتل الانبياء عليهم السلام وهؤلاء لم يقتلوا ولكن انما قتلهم اوايلهم اضيف ذلك اليهم
رضاء منهم بصنيعهم فعلى ذلك القول الذي قالوا يحتمل ما ذكرنا ويحتمل ان يكون هؤلاء قالوا ذلك
بحضرة اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبمشهدهم او قالوا ذلك في سر فان قال ذلك
اوايلهم فانه يحتمل وجهين يحتمل ان يكون الله تعالى اعلم ذلك رسوله تصبيرا اياه او تسكينا
ليصبر على اذى الكفار حيث قالوا في الله ما قالوا فكيف فيه والله اعلم ذلك ليكون ذلك آية من آيات
رسالته وان كانوا قالوا ذلك بحضرة اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه ايضا وجهان
احدهما ما ذكرنا من التسكين والتصبير على اذاهم والثاني ليعلموا ان جميع ما يقولون محفوظ عليهم
ليس بغايب عنه ولا غافل عنه كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم
ليوم الآية لكنه يؤخر ذلك الى وقت وان كانوا قالوا ذلك سرا ففيه ايضا وجهان احدهما ما ذكرنا
ان يكون آية من آيات النبوة ليعلموا انه انما علم ذلك بالله على علم منهم انه لم يكن فيما بينهم من يتهم
الخبر اليه والثاني خرج على التعزية له والتصبير على اذاهم ثم معنى قوله تعالى اقرضوا الله قرضا
حسنا ومن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يحتمل وجهين احدهما لئلا يمنوا على الفقراء انما يتصدقون
عليهم اذ يعلمون انه ليس بفقير ولا يحتاج الى غيرهم فيستقرض لفقره وحاجته وكلفة قرض آخر

بغايب لسمع

لاحاجة له في ذلك القرض ولا فقر ولكن ليكون ماله عنده محفوظا في الشاهد فانه لا يمن المقرض عليه
بل تكون المنة للذي عنده القرض على المقرض حيث يحفظ ماله في السفاتج فعلى ذلك المال الذي يقرضون ويتصدقون
على الفقراء يكون محفوظا عند الله ليوم حاجتهم اليه فلا منة يكون على الفقير والله اعلم والثاني انه تعالى كنى
عن جوده وكرمه لان العبد وما في يده له فلو اراد ان ياخذ جميع ما في يده لكان له ذلك ثم يطلب منه بسبيل
يضاعف على ذلك والثالث ان الموتى في الشاهد اذا طلب من عبده القرض يكون في ذلك شرف للعبد وعظم
فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى اذا طلب من عبده القرض على علم منه في انه غني بذاته لا يحيا ان يبخل عليه
وفي ذلك شرفه وعظمه والله اعلم وقوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير قال اهل التفسير
قالت اليهود وذلك تنبيه لصنيعهم وشدة سفههم حتى زعموا ان يد الله مغلولة لكن ليس في الاية بيان
القايلين ولا في النسبة الى احد نفع سوى خوف الكذب لو لم يكن ذلك منه لكنهم قالوا والا غلب على مثله
ان يكونوا قالوه سترا يكون في اظهاره اية الرسالة او كانت الاوايل يقولون فيكون في ذلك ان لا يحتمل
ان يصير لمثله يقال بحضرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الا ان يكون في وقت امروا بالكف فيكون
في ذلك بيان قدر طاعتهم لله مع عظم ما سمعوا من القول وجلاله في ذكر ذلك دعاء الى الصبر على اذاهم
وسوء قولهم اذ هم مع تقلبهم في نعم الله تعالى وعلمهم بانهم لم ينالوا خيرا الا بالله تعالى اجترءوا عليه
بمثل هذا القول وبلغ عتوهم هذا والله جل ثناؤه مع قدرته وسلطانه يحلم عنه ليومهم وعدم فيه الجزاء
فمن ليس منه اليهم نعمة ولا تقدم عليهم منه كبير منة احق بالصبر لاذاهم واعراض عن مكافاتهم وعلى ذلك
قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله الاية وقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله عز وجل سنكتب ما قالوا قيل سنجزيهم جزاء ما قالوا وقيل
سنحفظ ما قالوا وسنثبت وسالزم كقوله عز وجل وكل انسان الزمناه طايره في عنقه والله اعلم وقوله عز وجل
وقتلهم الانبياء بغير حق قد ذكرناه فيما تقدم انه يحتمل ان قتل اوايلهم فاضيف اليهم لرضاهم بفعلهم
كقوله عز وجل من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا لرضاه بفعله فان قيل ما الحكمة في قوله وقتلهم
الانبياء بغير حق والانبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا يرتكبون ما يجب به قتلهم كقوله تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الاية اطلق القول فيه من غير ذكر اكتساب شيء يستوجب به ذلك وشرط
في المؤمنين اكتساب ما يستوجبون به كقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا الاية
فكيف ذكرها هنا القتل بغير حق وهم لا يكتسبون ما يستوجبون به القتل قيل يحتمل قوله بغير حق اي بغير حاجة
لانهم كانوا يقتلون بلا منفعة تكون لهم في قتلهم على ما قيل انهم كانوا يقتلون كذا كذا نبيا ثم يهيج لهم سوق
فاذا كان كذلك يحتمل قوله بغير حق اي بغير حاجة كقول لوط عليه السلام ان هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فقالوا
ما لنا في بناتك من حق اي من حاجة والله اعلم ويحتمل قوله عز وجل وقتلهم الانبياء اي قصدوا وقصد قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان قد قتلوه او قتلوا اصحابه رضي الله عنهم فاضيف اليه والله اعلم وقوله عز وجل نقول
ذوقوا عذاب الحريق اي المحرق وقد ذكرناه هنا وقوله عز وجل ذلك بما قدمت ايديكم ذكر الايدي لما بالايدي
يقدم وان لم يكن هذا مقدما باليد في الحقيقة وكذلك قوله بما كسبت ايديكم لما باليد يكتسب والله اعلم وقوله عز وجل
الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان قيل انهم لما دعوا الى الاسلام يعني اليهود
قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار وكان ذلك اية في بني اسرائيل فسال اليهود
من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذلك وقيل كان من قبلنا في الامم الخالية ذلك فسالوا من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك ولكن لم يكن القربان من ايات النبوة والرسالة ان كان فهو من ايات التقوى
كقوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك

قال انما يتقبل الله

قال انما يتقبل الله من المتقين كان القربان من ايات التقوى الا ترى انه قال يا محمد قل جاءكم رسل من قبلي
بالبينات وبالذي قلتم يعني القربان فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول
الا كذا اي ان كان ذلك من ايات النبوة لم قتلتم الانبياء الذين اتوا به او لم قتل اوايلكم الانبياء اذا اتوا بالقربان
ان كنتم صادقين انه من النبوة او ان كنتم صادقين انه عهد اليكم ان لا تؤمنوا به حتى ياتي بقربان والله اعلم وفي قوله
عز وجل ايضا قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فهو والله اعلم ادعوا
ان اوايلهم ادعوا الذي ذكروا من العهد وهم تبعوا اولئك فعرفهم صنع من يدعوا بهم حججا ليكون لهم فيه اية
اما تكذيبهم بما احتجوا بوصيته المتقدمين في ذلك فبطل عذرهم اذ هم قتلوهم فلا يجوز تصديقهم على العهد الذي
ادعوا وذلك صنيعهم او يعرفوا انهم اخبروا بالعهد من غير ان كان كذبا وباطلا فبطل حجاجهم على ان في الاية
انما يتقبل الله من المتقين فجعل ذلك اية التقوى لا اية النبوة والاصل فيه انا لما عرفنا ايات الرسل عليهم الصلوة
والسلام لا يذكر فيها القرابين ثبت ان هذا الذي ادعوا ليس هو بعهد جاء به الرسل عليهم السلام ولكنه
حيل السفهاء بتلقين الشياطين ووحيهم لذلك لم يحيا الذي ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل فان كذبوك
يا محمد في القول وما جئت من ايات تدل وتوضح انك رسول الله وانك صادق في قولك فقد كذب رسل
من قبلك جاؤا بالبينات يعزي نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ويصبره ليصبر على اذاهم وتكذيبهم اياه كما صبر
اولئك على اذاهم وتكذيبهم كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية وفي قوله تعالى ايضا فان
فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك وجوه احدها ان يصبره على ذلك بما لله فيه اخوان صبروا على عظم
ذلك عليهم وذلك في قوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثاني على رفع العذر عنه في ترك
الابلاغ ان ذلك لم يمنع من تقدمه والثالث على الانباء انهم اصحاب تقليد في التكذيب لا ان يكذبوا عن محنة
وظهور فذلك اقل للتاذي به ويتوهم الارتياب في الانباء ليستيقن من حجته وصدقه ان ذلك منهم
على الاعتياد والتقليد دون المحنة والظهور والله اعلم وقوله عز وجل بالبينات قد ذكرناها فيما تقدم في غير
موضع وقوله عز وجل والزبر قيل احاديث الانبياء عليهم السلام من قبلهم بالنبوة على ما يكون وقيل الزبر
هي الكتب اي جاؤا بالبينات والزبر يعني الكتب والكتاب المنير قيل الزبر والكتاب واحد وقيل الكتاب المنير
هو الذي فيه الحلال والحرام والاحكام المكتوبة عليهم والمنير هو الذي انار قلب كل من تمسك بالهدى
كما قيل في الفرقان انه يفصل ويفرق بين الحق والباطل والله اعلم ويسمى كتب الله كلها فرقانا ومنيرا بما يفرق
بين الحق والباطل وبين السبيلين جميعا والله اعلم وقوله عز وجل قال كل نفس ذائقة الموت فيه دلايل احدها
دليل اثبات الرسالة لانه ليس في العقل ان لا تبقى هذه الانفس ابدا ولا تدوم ولا فيها آثار فناها ثم وجد العلم
من كل منهم بالموت والتسليم له الاقرار منهم ان كل نفس تموت يدل انهم انما عرفوا ذلك وايقنوا به من خبر السماء
بالوحي والله اعلم ثم ان كل حي يتلذذ بحيوته وجب ذلك اليه ويكره الموت ويبغضه دل ان هذا العالم
لم يكن بالطباع ولكن كان بغيره لما يتلذذ به طبع منهم بالحيوة ويكره بالموت ويبغض اذ لو كان به لكان
يختار ما يتلذذ به ويدفع ما يكره به فدل ان غيرا فعل ذلك وخلق لما ذكر خلق الموت والحيوة الاية وفي ذلك
بطلان قول اصحاب الطبايع وايضا ان كل نفس يجتمع فيها الطبايع المختلفة المتضادة التي من طبعها التناوب
لم يجز ان يكون بنفسه يجتمع دل ان له جامع وايضا ان العالم لو كان بنفسه وطبعه لاختار كل لنفسه
احوالا احسن الاحوال والذها فيبطل به الشرور والقبايح فدل وجود ذلك على كونه بغيره ثم فيه دليل
التدبير الذي كان به العالم واحد لا عدد اذ لو كان بعدد لم يحتمل وجود العالم على الطبايع المختلفة والجمع
المتفرقة لما يجمع هذا فرقا لاخر وما اثبت هذا نفى الاخر وفي ذلك هنا فساد الربوبية فدل وجوده
على ما ذكرنا انه واحد لا عدد فاتسق تدبيره وتعداده معا كان الامر المعتاد في الشاهد ان من فعل

او ان كنتم صادقين ان الله تعالى
عهد اليكم في التورية من غير ان يخبروا
من اوايلكم لان ذلك لو كان انه
من الايات للحنث لقبلها اوايلكم
ولما قتلوا الانبياء فدل ذلك
على بطلان ما ادعيتم
شرح

نقض الآخر ومادام هذا ايجاده يريد الاخر اعدامه وما ابقى هذا اراد الاخر افناه وفي هذا تناقض فدل الوجود
على ان الذي به كان واحد لا عدد ثم لا يحتمل على الاصطلاح منهم لانه يدل على العجز والجهل اذ العجز والجهل
هو الذي حملهم على الاصطلاح والعاجز والجاهل لا يصلح ان يكون الها ربا وبالله التوفيق ثم الدلالة على حكمته
وعلمه ما لم يعاين شئ ولا يشاهد الا وفيه حكمة عجيبة ودلالة بديعة مما يعجز الحكماء عن ادراك ماهيته وكيفيته
خروجه على ما خرج وعلم كل احد منهم بقصور علمه على ما هنده من الحكمة والعلم عن ادراك كنه ذلك فيما ذكرنا
وخروج الفعل متقنا محكما دلالة حكمة مبدعه وخالقه وبالله التوفيق ثم الدلالة انه لم يخلق الخلق للفناء
خاصة ولكن خلق للعواقب يتامل ويرجى ويخاف ويحذر خروج فعل كل احد في الشاهد من الحكمة اذا بنى للفناء
والنقض فاذا كان الحكمة التي هي جزء ويخرج فعله عن الحكمة اذا كان ذلك للفناء والهلاك خاصة وخروج الكل
عن ذلك لذلك احرى واولى ان يكون سفها لا حكمة والله الموفق قال دلت طمانينة القلوب بموت كل نفس
وترك حكما البشر الاحتيال في دفعه على ما ليس في الجوهر دليله ولا في العقل متناعه انه عرف ذلك بمنزلة
التدبير فيها بالوحي اليهم وفي ذلك ايجاب القول بالرسل ثم دل قهر جميع الحكماء به على حب الحيوة اليهم
وبعض الموت عندهم على خروج جميع الاحياء عن تدبيرهم وفي خروجهم خروج الاموات اذ هم تحت
تدبير الاحياء ثم في طمانينة كل قلب على الموت دلالة ان التدبير للواحد اذ لو كان لاكثر لجوز التمانع وابطال
الوارد من الوحي وفي ذلك ارتياب معما كانت كل نفس تحت امور يقهرها ويحوجها الى امور تعلم ان مدبرها
هيأهما على ذلك وطبعها وانه العليم بما به صلاحها وقوامها واليه حاجتها وعلى ذلك جبلها ليظهر عظم
حكمته وتعاليه عن الشرك في التدبير والمعونة في التقدير ثم لا يحتمل نشو مثله على ما جرى عليه من حكمة
في موت كل انه كان للموت انشاء لا لغير اذ تدبير فعل واحد للفناء خاصة من حكماء البشر يخرج
عن معنى الحكمة ويدل على قصور صاحب بذلك وسفهه فجملة العالم الذي كانت حكمة الحكماء جزء منها وعقل
العقلاء بعض منها احق واولى فثبت انها انبيئت ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ويوم يجزى
كل نفس بما عملت ذلك قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت الآية وقوله عز وجل انما توفون اجوركم يوم القيامة لما ذكرنا
انهم لما خلقوا اعني الآخرة للجزاء والثواب وقوله عز وجل فمن زحزح عن النار قيل بعد ونحي عنها وادخل
الجنة فقد فاز قيل فاز نجا وقيل الفائز السابق فاز غنم واصل الفوز النجاة اي نجا مما يخاف ويحذر
بما يتامل ويرجوا وقيل عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور حياة الدنيا غرور كقوله عز وجل
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد حيوة الدنيا الدنيا
لعب ولهو وغرور والآخرة ليست بلعب ولا لهو ولا غرور واصل الغرور هو ان يترائ الشئ في ظاهره حسنا
موها يغتر بها كل ناظر اليها ظاهرا فاذا نظرت باطنها وجدها قاتلة مهلكة نعوذ بالله من الاغترار بها
وقيل الحيوة الدنيا على ما عندنا ولتلك الكفرة لعب ولهو وعند المومنين حكمة وقوله عز وجل لتبلون
في اموالكم وانفسكم يحتمل الابتلاء في الاموال والانفس ان يبلوا بالنقصان فيها كقوله عز وجل ولنبلونكم بشئ
من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس الآية ويحتمل ان يبلوا بما جعل فيها من العبادات من نحو الزكوة
في الاموال والصدقات والحقوق التي جعل فيها وفي الانفس من العبادات من الصلوة والجهاد والحج وغيرها
من العبادات والله اعلم وقوله عز وجل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب يعني الذين لهم علم بالكتاب وغيرهم
اذى كثيرا اي تسمعون انتم من هولاء اذى كثيرا على ما سمع اخواننا الذين كانوا من قبلك من قولهم اذى كثيرا
كقوله عز وجل فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك وقوله عز وجل وان تصبروا على اذاهم وتتقوا مكافاتهم
على ما صبروا اولئك واتقوا مكافاتهم فان ذلك من عزم الامور قيل من من خير الامور هذا يحتمل وقيل
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قولهم عزير بن الله والمسيح بن الله ومن الذين اشركوا يعني العرب

اذى كثيرا بنصب الحروب فيما بينهم والقتال والسب وغير ذلك وان تصبروا على ذلك والطاعة وتتقوا
معاصي الرب فان ذلك من عزم الامور وقوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب اي الذين
اوتوا العلم بالكتاب واذ اخذ الميثاق ليبينوا اي تبينوا للناس كما في الكتاب من الامر والنهي وما يحل وما يحرم وغير ذلك
من الاحكام ولا يكتموا ذلك ويحتمل ان اخذ عليهم الميثاق ان يبينوا للناس بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وصفته ولا يكتموه بالتحريف وترك البيان وقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم اي لم يعملوا بما فيه ولا بينوا
للناس فهو كالمنبوذ وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا الآية قد ذكرنا معناه في غير موضع وعن علي رضي الله عنه
قال ما اخذ الله ميثاقا على اهل الجهل بطلب العلم حتى اخذ ميثاقا من اهل العلم لان العلم كان قبل الجهل
وقوله عز وجل لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا قيل بما غيروا من نعت محمد عليه افضل الصلوة وصفته
في كتابهم وكتموه وتبديلهم الكتاب واعجاب الناس ذلك وحمدهم على ذلك وقيل ان اليهود دخلوا على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وليس ذلك في قلوبهم فلما خرجوا من عند رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم المسلمون ما صنعتم فيقولون عرفناه وصدقناه فيقول المسلمون احسنتم
بارك الله فيكم يحمدهم المسلمون على ما اظهر وامن الايمان وهم يحبون ان يحمدوا على ذلك فذلك
تاويل قوله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقيل انهم قالوا نحن اهل الكتاب الاول والعلم واهل
الصلوة والزكوة ولم يكونوا كذلك واحبوا ان يحمدوا على ذلك والله اعلم بالقصة وفي قوله ايضا
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الآية دل ما ذم الله عباده واوعدهم
عليه اليم عقابه فيما احبوا الحمد على ما لم يفعلوا تعالى الرب عن قول المعتزلة في قولهم ليس لله
في الايمان تدبير سوى الامر ولا صنع وقد احب ان يحمد عليه بقوله عز وجل انعمت عليهم وبقوله عز وجل
ولكن الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في غير موضع من القرآن
ولا قوة الا بالله قال الله تعالى والله على كل شئ قدير امتدح جل ثناؤه بادخال طلبة الاشياء في
تحت قدرته وبه خوف من عاند نقمته واطمع من خضع له عظيم ثوابه فلئن جاز اخراج شئ تحت القدرة
عن قدرته لاضمحل الخوف عما خوفه والرجاء فيما اطمع اذ لم يظهر على ذلك قدرته الا بقوله وهو على كل شئ
قدير وما لا صنع لاحد في شئ الا باقداره ومحال ان يقدر على ما لا يقدر هو عليه او يزول به قدرته
لما فيه ما ذكرت فلذلك قلنا في بطلان قول المعتزلة باخراج افعال صنع الخلق عن قدرة الله وامتناعه
عن تدبيره ولا قوة الا بالله قال الله عز وجل ان في خلق السموات والارض الى قوله عز وجل لآيات
لاولي الالباب نعوذ وبالله نستعين اخبر الله عز وجل ان فيما ذكر ايات لمن ذكر ومعلوم ان الآيات
انما احتيج اليها لمعرفة امور غابت عن الحواس يوصل اليها بالتامل والبحث عن الوجوه التي لها جعلت
تلك الاشياء المحسوسة التي تغني من له اللب دخولها تحت الحواس عن تكلف العلم بها بالتدبير بل علم
الحواس هو علم الضرورات واوايل علوم البشر الذي منه ترتقي الى درجات العلوم فيلزم طلب ذلك
فيبطل به قول من قال العلوم كلها ضرورات لا تقع بالاسباب ولا يلزم الخطاب دون تولي الرب انشاء
العلم في القلوب فحقيقه ما فيه للخطاب اذ ذلك يرفع حق الطلب ويستوي فيه الموصوف باللب
وغير الموصوف والمتفكر في الامر وغير المتفكر وقد قال الله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض
الآية وفي ذلك دليل ان المقصود بما اظهر ليس هو ما اظهر اذا لزم التفكر بالذي اظهر ليوصل به
الى العلم بالذي له انشاء الذي اظهر ويعلم ما جعل في الذي دليله وعلمه وهذا لكل انواع العلوم
ان منها ظاهر مستغن بظهوره عن الطلب وخفي يطلب بما له في الذي ظهر من اثر ينبئ عنه المتامل
والله اعلم وفي ذلك دليل لزوم التوحيد باللب اذ صيرها ايات لمن له ذلك واول درجات الآيات

ان يعرف منشاها وجاعلها آيات والله اعلم ثم دل اتصال منافع السماء والارض على تباعد ما بينهما حتى
قام بها وحي جميع من دب على وجه الارض وانتفع بشئ ثم في ايصال الليل بالنهار في منافع كل حي على تضاد
ما بينهما حتى صارا كالشكلين والسماء والارض كالقرينين على ان منشاء ذلك كله واحد وانه لو اختلف
الانشاء لتناقض التدبير وبطل وجوه النفع وان الذي انشاء ذلك علم كيف يدبر لايصال المنافع
واجتماعها بغيرها على اختلاف ما بينهما وانه حكيم وضع كل شئ على ما لو تدبر الحكماء فيه لم يكن يعرف
اتصالا اقرب في المنافع على الاختلاف في الجواهر وتضاد في الاحوال ابلغ من ذلك بل يقصر حكمتهم عن
عن الاحاطة بوجه الحكمة او الظفر بطرف منها الا بمعونة من دبر ذلك سبحانه وذلك هو الدليل على قدرته
وهو سلطانه اذ سخر ذلك كلها البذل ما فيها من المنافع لمن جعلها له وجعل لبعض على بعض سلطان
وقهر ليعلم ان التدبير يرجع الى غير ذلك ويعلم ان من قدر على ذلك وعلم قبل خلق المنتفعين
بما خلق على اي تدبير يخلق ذلك وباي وجه تصل كل خلق من ذلك الى منافعه بها وما الذي سوى معاشهم
وعلى اي تدبير ولهم عليه لقادر على اعادة مثله والزيادة منه على انواع ذلك اذ كل امر لحوق
لابتداء كان ذلك ابعد عن التدبير مما له حق الاحتذاء بغيره او الاعادة مما كان في اعادة الليل والنهار
وجعل كل من ذلك كالذي مضى وان كان الذي مضى مرة دلالة كافية للبعث والقدرة عليه والله الموفق
ومنها انها جعلت على تدبير يعرف صاحبها ومنشيها وانه دبرها على ما فيها من وجوه الحكمة التي صارت
الحكمة جزءا منها وفنون العلم التي تنال بالتامل فيها مما يوضح انه الذي ابرها حكيم عليم مما فيها من آثار
الاحكام والاتقان الكافية في الانباء عن الانشاء للحكمة وان الذي ابدع ذلك ليس بعابث ولا سفيه
ثم معلوم ان الفعل للهلاك والفناء غير داخل في الحكمة ثبت ان ذلك غير مقصود فصار المقصود ذلك
وجها يبقى فثبت ان مع هذه دارا اخرى تبقى فهي المقصود جعلت بحق الجزاء وفي ذلك لزوم المحنة والقول
بالرسالة ليعلم بالوحي كيفية وجوه المحنة مما لم يخل شئ من ان يكون فيه آثار النعمة من غير ان كان
منه ما يستحق ذلك فثبت انه في حق الابتداء ولا زم شكر المنعم في العقول فيجب به وجهان احدهما
القول بالرسل لبيان وجوه الشكر اذ النعم مختلفة واصل الشكر يتفاضل على قدر المنعمين وكذلك النعم
يتفاضل على قدر تفاضل متوليها لا بد من بيان ذلك ممن يعرف حقيقة مقادير النعم وجلالة حق المنعم
وبالله التوفيق فكان فيها آيات الرسالة والتوحيد وحكمته وعلمه وجلاله عن الاشباه والشركاء وبهاله
عن احتمال الشرك في صنعه او الشبه على ان كلية كل من سواه بحت القدرة وهو المتعالي عن ذلك وفيه
دلالة البعث لما ذكرت ولما الزم الشكر بما ذكرت عقوبة الكفران وقد يخرج المعروف به سليما غريقا في النعم
وفي الحكمة والعقل عقوبته لزم ان يكون ثم دار اخرى مما كان خلق الخلق لا لمن يعرف الحكمة من السفه لولا ية
من العداوة والخير من الشر والرهبة من الرغبة لا معنى له بما فيه تضييع الحكمة وجمع بين الذي حقه
التفريق في الحكمة والعقل وذلك آية السفه ومحال كونه من الحكمة صفته والعدل نعته فلزم به خلق الممتحن
بالذي ذكرت فصار جميع الخلائق المحن ثم لا بد من ترغيب وترهيب اذ على مثله جبل محتملوا المحن فلزم به
القول بالدار الاخرى وهو البعث ليكون احدهما بحق ابتداء النعم والاخرى بحق استحقاق الجزاء وان كان
لله التكليف بالاجزاء السابق النعم ولا قوة الا بالله والمعاقبة واجبة في الحكمة بالجفاء والكفران وبالله
التوفيق وقوله عز وجل فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب قيل ببعيد من العذاب وقيل بمفازة اي بنجاة
من العذاب وهو ما ذكرنا ان الفوز النجاة على ما يخاف ويحذر اي ليسوا هم بنجاة من العذاب ولهم عذاب اليم
وقوله عز وجل ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير يشبه والله اعلم ان يكون هذا
جوابا لقولهم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير اي كيف جاز نسبة الفقر اليه والحاجة ٥

ولله ملك

ولله ملك ما في السموات والارض ويشبه الغني الى انفسكم وانتم عبيده واماؤه وما في يد العبد يكون لمولاه او
وان يكون جوابا لقولهم وقالوا اتخذ الله ولدا اي كيف يجوز ان يتخذ ولدا وله ملك ما في السموات وما في الارض كلهم
عبيده واماؤه والولد في الشاهد انما يتخذ لاحد وجوه ثلاثة اما لوحشة اصابته فيستانس به او لحاجة
تبدو له فيدفع به او لقهر وغلبة يخاف من عدوه فيستنصر به على اعدائه ويرث ملكه اذا مات فاذا كان الله له ملك
السموات والارض تعالى من ان يصيبه شئ من ذلك كيف جاز لكم ان تقولوا اتخذ ولدا وان كان الخلق كلهم عبيده
واماؤه وانتم لا تتخذون الاولاد من عبيدكم واماءكم كيف زعمتم انه اتخذ ولدا من عبيده وقوله عز وجل والله
على كل شئ قدير وهذا على المعتزلة لانهم يقولون لا يقدر على خلق فعل العبد وعلى قولهم غير قادر على اكثر الاشياء
وهو قد اخبر انه على كل شئ قدير وقوله عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب
في الآية وجوه احدها انه خلق السموات والارض للبشر ولمنافعهم لا انه خلقهما لانفسهما لا منفعة لهما بخلقه
اياهما حتى يكون خلقه لانفسهما اذ خلق الشئ لا لمنفعة احد وللفناء خاصة عبث فاذا كان ما ذكرنا انه لا منفعة لهما
في خلقهما دل انه انما خلقهما لمنافع البشر وسخرهما لهم ثم جعل منافع السماء مع بعدها من الارض
متصلة بمنافع الارض حتى لا يقوم منافع الارض هذه الا بمنافع الاخرى فيصيرهما كالمتصلين لاتصال المنافع
مع بعد ما بينهما فدل هذا ان الذي انشاهما واحد وكذلك اختلاف الليل والنهار مختلفان احدهما ظلام
والاخر نور تفنيان الاعمار وتقربان الآجال في راي العين تتشابه ولا تتشاكل اذ احدهما نور والاخر ظلام
وهما متضادان لكن خلقهما لمنافع البشر والمقصود بخلقهم بنو آدم لا انفسهم على ما ذكرنا ان لا منفعة لهم
في خلقهم ثم صيرهما مع اختلافهما وتضادهما كالشكلين لاتصال منافع بعضها ببعض دل ان منشيهما واحد
وانه عليم حكيم حيث جمع من المتضادين المختلفين وصيرهما كالشكلين وهما العلم والحكمة والتدبير صار كذلك
وفيهما دلالة البعث لانهما يفنيان حتى لا يبقى من الليل اثر حتى يجيء النهار فيذهب النهار ايضا حتى لا يبقى
من النهار اثر فيجيء آخر لا يزال ان كذلك فاذا كان كذلك قادرا على خلق الليل وانشائه من غير اثر بقي من النهار
فكذلك قادر على انشاء النهار من غير ان بقي من الليل اثر ظلام لقادر على ان ينشئ الخلق ثانيا ويحييهم وان فنوا
وهلكوا ولم يبق منهم اثر فاذا كان من خلق السموات والارض وما فيهما لمنافع البشر وهو المقصود في خلقهما
لا غيرهم من الخلائق لما ركب فيهم من العقول والبصر الذي بهما يميز ون بين المنافع والمضار وبين الخبيث
والطيب وبين الحسن والقبيح ولم يركب ذلك في غيرهم من الخلائق لا بد من امر ونهي يامر باشياء وينهى عن اشياء
يمتحنهم على ذلك اذ هم اهل التمييز والفهم والبصر فاذا كان ما ذكرنا لا بد ايضا من دار اخرى للجزاء يكرم المطيع له
فيها والولي ويعاقب العدو فيها والعاصي ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم يحتمل هذا لما جعل الله تعالى على العبد في كل حال نعمة ليست تلك في غيرها من الاحوال نحو ان جعل
القيام نعمة في قضاء حوائجه وتقلبه في تلك الحال وجعل القعود راحة له عند الاعياء وكذلك الاضطجاع ٥
فاستاداهم بالشكر له في كل نعمة على حال من تلك الاحوال ومدحهم على ذلك اذا فعلوا ويحتمل ان يكون تعالى امرهم
ان يذكروه في كل حال في حال الرخاء والشدة وفي الضراء والسراء لا في حال دون حال على ما يفعله بعض
خلقه يذكرونه في حال الشدة والضراء ولا يذكرونه في حال الرخاء واليسر ولا يذكرونه في حال الشدة والبلاء
فمدح المؤمنين انهم يذكرونه في كل حال لا على ما يفعله اهل الشرك على ارادة نفس القيام ونفس القعود ٥
والاضطجاع ولكن على كل حال وفي كل وقت والله اعلم وقيل انه جاء في رخصة صلاة المريض يصلي قائما
ان استطاع والا فقاعدا ان لم يستطع والا فمضطجعا وكذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ذلك
وقوله عز وجل ويتفكرون في خلق السموات والارض اذ في خلقهما دليل وحدانيته وشهادة ربوبيته ربنا
ما خلقت هذا باطلا اي عبثا ولكن خلقتهم دليلا على وحدانيتك وشاهدا على ربوبيتك وقوله عز وجل

سبحانك هو التنزيه والتنزيه هو ابعاده عن العيب وتبرئته منه وتطهيره عما يقول الكفار وهو حرف تقدم
عند حاجات ترفع اليه ودعوات يدعى بها وقوله عز وجل ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته قيل ذللته وفضحته
واهنته وما للظالمين من انصار اى مانع يمنع عنهم العذاب ويدفع ويحتمل الانصار الاعوان اى ليس لهم اعوان
يعينونهم فى الآخرة وقوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان يحتمل هذا وجهين احدهما على حقيقة
السمع انهم سمعوا مناديا يدعوهم الى الايمان وهو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او القرآن كلاهما يدعوان الخلق
الى الايمان بالله ويحتمل قوله سمعنا اى عقلنا وعقل كل احد يدعوا الى التوحيد والايمان به وقيل سمعوا دعوة الله
فاجابوها وصبروا عليها وعن ابن عباس رضى الله عنه المنادى محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرأ لانذركم به ومن بلغ الآية
وعن غيره المنادى هو القرآن يدعوهم ان آمنوا بربكم فامنا ربنا فيه دلالة ان الايمان ليس هو جميع الطاعات
على ما يقول بعض الناس ولكنه فرد تصديق لانه لما قال لهم آمنوا بربكم لم يطلبوا التفسير ولا قالوا كم اشياء تكون
ولكن اجابوه اجابة موجزة فقالوا ربنا ثم فيه دلالة ان لا ثنيا فى الايمان لانهم اطلقوا القول فى الاخبار عن ايمانهم
من غير ذكر حرف الثنيا دل ان الايمان مما لا يحتمل الثنيا وقوله عز وجل ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
قيل قولهم اغفر لنا ذنوبنا التى كانت فيما مضى من عمرنا وكفر عنا سيئاتنا اى اعصمنا فيما بقى من عمرنا او وفقنا
للحسنات التى تكفر سيئاتنا لما قد يلزم العبد التكفير لما اساء وقيل المغفرة والتكفير كلاهما سواء لان المغفرة هو الستر
وكذلك التكفير ولذلك سمى الحراثون كفارا لسترهم البذر فى الارض وكذلك الكافر سمى كافرا لستره الحق بالباطل
ولستره جميع ما انعم الله عليه بتوجيه الشكر الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل وتوفنا مع الابرار يحتمل قوله توفنا
مع الابرار اى توفنا واجعلنا مع الابرار ويحتمل وتوفنا من الابرار ومن الابرار ثم اختلف فى البر قيل هو الذى
لا يؤذى احدا وقيل الابرار الاخيار ويحتمل توفنا على ما عليه توفيت الابرار وتوفنا وانا ابرار والبر الطاعة والتقوى
ترك المعصية وقوله عز وجل ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك قيل فيه بوجهين قيل وآتنا ما وعدتنا على السن رسلك
على اضمار السن كقوله عز وجل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقيل ما وعدتنا على رسلك اى ما جعلت
عليهم من الاستغفار للمؤمنين كقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وكقول ابراهيم عليه الصلوة
والسلام ربنا اغفر لى ولوالدى الآية وكقول نوح عليه السلام رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا
وللمؤمنين والمؤمنات ثم بيننا وبين المعتزلة كلام فى الآية قالت المعتزلة لا يجوز الدعاء والسؤال عنده بما قد اعطى
وما عليه ان يعطى نحو ما ذكر من السؤال بما وعد وما وعد لا شك انه يعطى وانه لا يخلف الميعاد ونحو قوله عز وجل
قل رب احكم بالحق وهو لا يحكم بالجور واما عندنا ان السؤال عما عليه ان يعطى يخرج مخرج الدعاء له ربنا لا تجر
ولا تظلم ان هذا لا يقال الا لمن يخاف الجور منه والظلم اذا يعلم ان ذلك عليه والسؤال عما قد اعطى يحال لانه يخرج
مخرج كتمان ما اعطى وليس عنده ما يعطيهم فيخرج مخرج السخرية به لذلك يبطل السؤال والله اعلم ثم تاويل الآية
عندنا على وجوه احدها قوله ما وعدتنا على رسلك يحتمل ان يكون الوعد منه لرسله باستغفار الرسل
اذا كان من المؤمنين استغفار وسؤال كقوله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول الآية وعد لهم المغفرة لهم باستغفار الرسول اذا كان منهم استغفار وسؤال يقول اجعل دعائى
دعاء من جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم مستغفرا فاستغفر له وكقوله ايضا لهم فيها ما يشاؤن خالدين
كان على ربك وعدا مسؤلا والثانى يحتمل ان يكون الوعد لهم اذا ماتوا على ذلك فالدعاء كان منهم والسؤال
اذا ماتهم بميتهم على الايمان على ما كانوا احياء والمغفرة والرحمة حينئذ تكون لهم الا ترى انه قال من جاء بالحسنة
فله كذا ولكن ذكر مجيئه بها فعلى ذلك الاول ثم يحتمل ما ذكرنا والله اعلم وفيما ذكرنا تاويل الآية فى الابتداء كفاية
من ذلك والله اعلم والثالث يدعوا ليجعلهم من الجملة الذين كان لهم الوعد اذ الوعد غير مبين لمن هو فسألوا
ان يجعلهم فى تلك الجملة والله اعلم وقوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم هذا يدل على ان الوعد لهم كان معروفا

جميع الايمان والتقوى عن المعاصي
صح

بشرط السؤال لانه قال فاستجاب لهم والاستجابة تكون على اثر السؤال كقوله عز وجل واذا سألك عبادى
فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان الآية وقوله عز وجل انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم
من بعض قيل من الخلق كلهم لكن جعل جزاء اعمال الكفرة فى الدنيا كقوله تعالى عز وجل نوف اليهم اعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون واما المؤمنون فى الدنيا والآخرة واما الكفار فانما يعطيهم لئلا يحق الجزاء وقوله عز وجل
نوف اليهم اعمالهم اى نردها عليهم وهم لا يبخسون ارزاقهم وقيل قوله منكم اشارة الى المؤمنين خاصة
كقوله عز وجل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض الآية وقوله عز وجل فالذين هاجروا واخرجوا
من ديارهم واوذوا فى سبيلى الآية الذين هاجروا الى الله تعالى ورسوله طوعا واخرجوا من ديارهم
اى اضطروهم حتى خرجوا من ديارهم فهاجروا واوذوا فى سبيلى اى فى طاعتى وقاتلوا حتى قتلوا ويحتمل
هذا كله ان هاجر بعض طوعا وبعض اخرجوا من ديارهم حتى هاجروا وقاتل بعض حتى قتلوا او قاتل بعض
ولم يقتلوا وقتل بعض وقوله عز وجل ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار الآية تأويلها ظاهر وقوله
عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل يحتمل تقلبهم وجوها وذلك نعمة من الله عليهم
لتركهم يتجرون فى البلدان مع كفرهم بربهم والثانى اعطاهم اموالا يتمتعون فيها ويتلذذون والثالث
ما اخر عنهم العذاب والهلاك الى وقت يقول لا يغرنك يا محمد ذلك انما هو متاع يسير مصيرهم الى النار
كقوله تعالى فلا يعجبك اموالهم ولا اولادهم الآية وكقوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم
انما نملى لهم ليزدادوا اثما الآية قال وليس الاغترار فى نفس التقلب لانه تجهد ومشقة ولكن لما فيه
من الامن والسعة والقوة دليله قوله تعالى عز وجل متاع قليل ثم قال لكن الذين اتقوا منهم وسعيهم
للآخرة متاع لا ينقطع وقوله عز وجل لكن الذين اتقوا ربهم يعنى الشرك لهم جنات تجرى من تحتها
الانهار الى آخر ما ذكر نزلا من عند الله يحتمل ان يكون الامر ما ذكر فى بعض القصة ان بعض المؤمنين قالوا
ان الكفار فى خصب ورخاء ونحن فى جهد وشدة فنزل لا يغرنك تقلبهم فى ذلك انما هو متاع قليل وذلك
ثوابهم فى الدنيا واما ثواب الذين اتقوا ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار الى آخر ما ذكر وقوله عز وجل
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم يعنى القرآن وما انزل اليهم يعنى التورية ثم اختلف
فيمن نزل قال بعضهم نزل فى شان عبد الله بن سلام واصحابه اقروا بانه واحد لا شريك له وصدقوا به
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما انزل عليه الآية وقيل نزل فى شان النجاشى وروى عن جابر
ابن عبد الله رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشى قال ناس من المنافقين
يصلى على حبشى مات فى ارض الحبشة فانزل الله تعالى عز وجل ومن اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الآية وعن الحسن
قال لما مات النجاشى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفروا لاخيكم قالوا يا رسول الله لذلك العلج
فانزل الله سبحانه وتعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الآية وقيل لما صلى عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال المنافقون صلى على من ليس من اهل دينه فانزل الله الآية وعن الزهرى عن اصحابه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان نبى الله صلى على النجاشى فكبر الله اربع تكبيرات وصففنا فى المصلى خلفه
وكان مات بالحبشة قال والنزول على وجهين من ترك بسببه خيرا وسعة فله فيه فضل لانه كان
مفتاح الخير ومن ترك بسببه ضيق فعليه فضل لوم كانه مفتاح الضيق واما الاحكام فانه ينظر الى ما فيه
ترك فيشترك فيه الخلق ولا يجوز ان يقال نزل فى شان فلان انما نزل لما فى شان فلان لا فى شانه
وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اصبروا قيل على اداء الفرائض والعبادات وقيل اصبروا على البلايا
والمصائب والشدائد وصابروا فى الجهاد لعدوكم وقيل اصبروا على امر الله وفرائضه وصابروا امع النبى
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه فى المواطن وعن الحسن قال امروا ان يصبروا على دينهم الذى ارتضى الله لهم

لان الحق الجزاء
صح

فان كان مما يشترك فيه الخلق نحو آية الظهار واللعان والقذف ونحو ذلك لا يجوز ان يقال انه نزل فى شان فلان انما نزل لاجل حادث وجدت من فلان لا فى شانه والله اعلم بالصواب
صح

وهو الاسلام ولا بد عوادينهم لشدة ولا لرخاء ولا ضراء ولا سراء حتى يموتوا ويكونوا يصابروا الكفار
حتى يكونوا يميلوا عن دينهم وامروا ان يرابطوا المشركين وقيل اصبروا على الجهاد وصابروا العدو ورابطوا
اى داوموا على دينكم واتقوا الله لعلكم تفلحون قال والصبر في نفسه خاصة في طاعة يصبر عليها ومعصية
يصبر عنها وفي بلوى والمصابرة مع غيره وقد يكون كل واحد على المعنيين لانه لا يخلوا عن مصابرة عدو
فيما يطيع ربه وقيل رابطوا مع عدوكم ما قاموا واتقوا الله فيما امركم به فلا تدعوا ذلك مع بينكم وذروا ما نهاكم عنه

سورة النساء مدنية وآيها مائة وسبعون وست

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم في كلما كان الخطاب للكفرة ذكر الله سبحانه وتعالى على اثره حجج
وحدانيته ودلايل ربوبيته لانهم لم يعرفوا ربهم من نحو ما ذكر يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة
الآية وكقوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الآية وكقوله عز وجل يا ايها الناس
ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ونحوه كثير ذكر الحجج والدلايل التى بها يوصل الى معرفة الصانع وتوحيده
لينظروا فيها ويتفكروا فيعرفوا بها خالقهم والههم وفي كل ما كان الخطاب للمؤمنين لم يذكر حجج الوحدانية والدلايل
الربوبية لانهم قد عرفوا ربهم قبل الخطاب ولكن ذكر على اثره نعمه التى انعمها عليهم وثوابه الذى وعدهم
نحو قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا الآية الى
ما ذكر نعمه التى انعمها عليهم وكقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كذا الى ما ذكر على هذا
يخرج الخطاب في الاغلب كقوله عز وجل اتقوا ربكم قيل اتقوا عذابه ونقمته وقيل اتقوا عصيانه في امره ونهيه
وقيل اتقوا الله بحقه في امره ونهيه وقوله عز وجل الذى خلقكم من نفس واحدة اضاف خلقنا الى آدم
اذ الانسان في النطفة فاذ دلت اضافة خلقنا الى آدم وان لم تكن انفسنا مستخرجة منه على امرين احدهما
جواز اضافة الشىء الى الاصل الذى اليه المرجع وان بعد ذلك عن الراجع اليه على التوالد والتتابع والثانى
انا لم نكن بابداننا فيه وان اضيف خلقنا اليه اذ لو كنا فيه لكنا منه بحق الاخراج لا بحق الخلق منه وذلك
يبطل قول من يجعل صورة الانسان في النطفة مع الاحالة ان يكون معنا او النطفة اذ هما من الموات
الخارج من احتمال الدرك ونحن احياء دراكون والله اعلم وقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اى فرق ونشر واظهر
منهما اولادا كثيرا ذكورا واناثا وقوله عز وجل واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قوله تساءلون به اى تتقون
الذى تساءلون بعضكم من بعض اى يسال بعضكم من بعض الحوايج والحقوق به يقول اسالك بوجه الله
وبحق الله وبآدم ويسال بعضكم بالرحم يقول الرجل لاخر اسالك بالرحم وبالقرابة ان تعطينى وقوله
عز وجل والارحام روى عن ابن عباس رضى الله عنه يقول اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا في الارحام
وصلوها وقرئ بالنصب والخفض والارحام فمن قراء بالنصب يقول اتقوا الله فلا تعصوه واتقوا الارحام
فلا تقطعوها ومن قراء بالخفض يقول اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام وروى في الخبر ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال اتقوا الله وصلوا الارحام فانه ابقى لكم في الدنيا وخير لكم في الآخرة والآية في الظاهر على العظة
والتنبيه وكذلك قوله ان الله كان عليكم رقيبا هو على التنبيه والايقاظ وقوله عز وجل واتوا اليتامى اموالهم
يحتمل هذا وجهين احدهما احفظوا اموالهم الى ان يخرجوا من اليتم فاعطوهم اموالهم ويحتمل قوله عز وجل
واتوا اليتامى اى انفقوا عليهم من اموالهم ووسعوا عليهم النفقة ولا تضيقوها لينظروا الى اموال غيرهم
واتوا بمعنى اتوا لوقت الخروج من اليتم اى احفظوا ليؤتوا وقوله عز وجل ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب

اى لا تأخذوا الخبيث فتتركوا لهم ما وعد لكم في الآخرة بحفظ اموالهم وقيل لا تأخذوا الجياد من ماله
وتعطى الردى من ماله فذلك تبديل الخبيث بالطيب وقيل لا تأكلوا الخبيث وهو اموال اليتامى وتذروا الطيب
وهو اموالكم اشفاقا على اموالكم ان تفنى وقيل لا تأكلوا الحرام مكان الحلال لان كل مال اليتيم حرام واكل ماله
حلال فنهى ان يبدلوا الخبيث بالطيب ويحتمل لا تأخذ ماله وهو خبيث ليؤخذ منك الذى لك وهو طيب
ويحتمل لا تأكلوا ذلك ابقاء لاموالكم التى طيبها الله تعالى لكم بما جعل الله خبيثا ويحتمل لا تأكلوا اموالهم
في الدنيا فتكون هى نارا فتتركون الموعود لكم في ابقاء الخبيث كقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى
ظلما الآية وقوله عز وجل ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم يحتمل هذا والله اعلم وجهين يحتمل قوله اموالهم
الى اموالكم اى مع اموالكم اى لا تخلطوا اموالهم مع اموالكم فتأكلوها ففيه نهى عن الخلط والجمع ويحتمل
اموالهم الى اموالكم اى باموالكم ففيه النهى عن اكل اموالهم باموال انفسهم تبعا كقوله عز وجل ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتى هى احسن وقوله عز وجل ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم بمعنى لا تجمعوها اليها
فتأكلونها معا ويحتمل مع اموالكم والله اعلم وقوله عز وجل انه كان حوبا كبيرا قيل جورا وقيل الحوب
الاثم وهو واحد وقيل خطأ وقيل ذنبا كبيرا وقيل اثما وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه
وقوله عز وجل وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع
اختلف في تأويله قيل انهم كانوا يتحرجون من اموال اليتامى ويتحرجون منها لكثرة ما جاء من الوعيد فيها
فنزل هذا فان خفتم وتحرجتم من اموال اليتامى فكذا فتحرجوا من الزنا وانكحوا ما طاب لكم من النساء الآية
وعن عايشة رضى الله عنها انها قالت نزلت في يتامى من يتامى النساء كن عند الرجال فيكون اليتيمة
الشوهاء عند الرجل وهى ذات مال فلا ينكحها لشوهتها ضنا بمالها لتموت فيرثها وان نكحها امسكها على غير
عدل منه في اداء حقها اليها والاولى لها سواه يطالبه بحقها فانزل الله تعالى فان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى فذروهن ولا تنكحوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء وروى عنها ايضا انها سئلت عن هذه الآية
فقال نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها وينقص من صداقها فنهوا عن نكاحهن
الا ان يقسطوا في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن من النساء قالت عايشة رضى الله تعالى عنها واستفتى
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله تعالى يستفتونك في النساء الى قوله وترغبون
ان تنكحوهن فانزل الله لهم في هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فيها في نكاحها ونسبتها
في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبا عنها في شوهتها وقلة مالها تركوها واخذوا غيرها من النساء قالت
فكما تتركونها حتى ترغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان تقسطوا لها وتعطوها حقها الاوفر من الصداق
وقيل لما انزل الله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية ترك المؤمنون مخالطة اليتامى وتنزهوا
عنها فشق ذلك عليهم فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخالطتهم وكان يكون عند الرجل عدد
من النساء ثم لا يعدل بينهن فانزل الله تعالى فان خفتم الجور في مخالطة اليتامى فكذلك خافوا جمع النساء وترك
التسوية بينهن في النفقة والجماع ثم من الناس من يبيح نكاح التسع بقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع فذلك
تسعة واما عندنا فانه لا يحتمل ذلك لان معنى قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع مثنى او ثلاث او رباع
لانه قال وان خفتم الا تعدلوا فواحدة استثنى الواحدة اذا خاف ان لا يعدل بينهن فلو كان ما ذكر لكان لا معنى
لاستثناء واحدة منهن ولكن يقول وان خفتم الا تعدلوا بين التسع فثمان او سبع او ست فلما لم يستثن الا
الا واحدة دل ان التأويل ما ذكرنا مثنى او ثلاث او رباع على الانفراد والثانى ما ذكر في القصة انه كان عند
الرجل عدد من النساء عشرا واكثر او اقل فخرج ذلك على بيان ما يحل من العدد وذلك اربعة وروى
ان رجلا اسلم وتحته ثمانى نسوة فاسلمن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اختر منهن اربعا وفارق

وفارق البواقي والخبر في بيان منتهى ما يحل من العدد دون وجه الحل فاحتمل ان يختار اربعا على استقبال النكاح
وقوله عز وجل فان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاية قيل فيه بوجوه احدها انه قال اذا خفتم الجور في كفالة اليتامى
فاتقيتموها فخافوا في كفالة النساء فلا تكثروا منهن والثاني انهم اذا خفتم اموال اليتامى فتحرجتم ضم اموالهم
اليكم اشفاقا على انفسكم ان تاكلوا منها فخافوا النساء مواقعتهن من وجه يحرم عليكم فانكحوهن والثالث انه
اذا خفتم الجور في يتامى النساء لو تزوجتموهن من حيث ليس معهن من يمنعكم من ظلمهن فانكحوا من غيرهن
فيمن اذا جرتم فيهن منعتم من ذلك لكنه معلوم ان الحد في عدد النساء لخوف الجور وبما علم الله من عجز
البشر على ما جبل عليه اخيرا انه لا يقوم بوفاء الحقوق اكثر مما ذكر وقوله عز وجل وان خفتم الا تعدلوا فـ
واحدة ليس على الحكم والحتم ولكنه ادب لانه وان خاف ان لا يعدل فتزوج اربعا جاز وهو مثل الذي
نهى في المراجعة وامر بالقصد فيها والعدل فان فعل ذلك اثم ورجعته صحيحة وكذلك الامر بالطلاق
في العدة ثم اذا طلق في غير العدة وقع فكذلك الاول وقوله فان خفتم الا تعدلوا في القسم والجماع والنفقة
فواحدة او ما ملكت ايمانكم ان خفتم ان لا تعدلوا في واحدة لانه ليس للاماء قبل ساداتهن حق الجماع والقسم
ينكح ما شاء كانه قال هذا او هذا ما ليس لاكثر من غاية فله ان يجمع ما شاء من الاماء في ملكه وليس له ان يجمع
بالنكاح اكثر من اربع ولو كان التاويل ما ذهبوا اليه لم يكن لقوله او ما ملكت ايمانكم وجه وفيه اذن
بتكثير العيال معا ان كثرة العيال معدودة من المكارم ان احسن اليهم لم يحتمل ان يزهد فيه وقوله
عز وجل ذلك ادنى ان لا تعولوا قال بعض اهل العلم ان قوله تعالى ان لا تعولوا من كثرة العيال وهو قول
الشافعي رحمه الله تعالى لكن هذا لا يستقيم في اللغة لانه يقال من كثرة العيال اعال يعيل اعالة فهو معيل
ولا يقال عال يعول وانما يقال ذلك في الجور فان قيل روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ابدأ بمن تعول لكن تاويله والله اعلم ابدأ بمن يلزمك نفقته اي ابدأ بمن تصير جائرا بترك النفقة عليه
وكذلك يقال عال يعول عولا اذا انفق على عياله وليس من كثرة العيال في شيء الا ترى ان على الرجل ان يبدأ
بمن يعول فلو كان قوله ذلك ادنى ان لا تعولوا من العيال لكان المتزوج واحدة ذا عيال وان قول الله تعالى
ان لا تعولوا والمتزوج واحدة يعولها فدل بما ذكرنا ان قوله اي لا تعولوا اي لا تجوروا ولا تميلوا على ما قيل
وعن عائشة رضي الله عنها ان لا تعولوا ان لا تميلوا وعن ابن عباس رضي الله عنه مثله والعول هو المجاوزة
عن الحد ولذلك سمي الحساب الذي ان زاد على اصله عولا لمجاوزته الحد فعلى ذلك العول هاهنا
هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وهو الجور وقوله وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ليس بشرط لمتعلق
العول ولانه لا حاجة لمعرفة حد الخوف الذي يجعل شرطا للجواز وكل عدل يخاف ان يخاف بل جميع امور
الدين هو على الخوف والرجاء ولانه يوجب جهل النساء بمن يحل لهن النكاح ويحرم اذ لا يعرفن ذلك ومتى حرم
عليه حرم عليها ولا يحتمل ان يجعل الحل شرطا لا يوصل الى حقيقته ولظهور الجور في الامة على الابقاء على النكاح
فضلا من خوفه معا في قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الاية دلالة ظاهرة وكذلك في قوله وان امراة
خافت من بعلها الاية وقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما وقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وقوله عز وجل
وآتوا النساء صدقاتهن نحلة عن ابن عباس رضي الله عنه نحلة قال المهر وقيل النحلة الفريضة اي آتوهن
فريضتهن وقيل نحلة اي عطية اي تعطى هي لا وليها وهو من النحل وقيل نحلة من نحلة الدين اي من الدين
ان تؤتوا النساء صدقاتهن ليس على ما كانوا يفعلون في الجاهلية يتزوجون النساء بغير مهورهن فقيل ان لاهل
الكفر النكاح بغير مهر وقوله عز وجل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وفي الاية دلالة جواز
هبة المراة من زوجها وفساد قول من لا يجيز هبة المراة بما لها ثلثا وتبقي في بيته سنة فيجوز امرها
وفي الاية دليل ان المهر لها حيث اضاف الاحلال والهبة اليهن بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه

فان قيل تقدير الاية وآتوا النساء صدقاتهن مهرا وهذا لا معنى له قيل النحلة مصدر في الاصل وان جعلت اسما فيقام مقام المصدر وكذلك المهر مصدر مهر يمهر كانه قال امهروهن صدقاتهن امهارا شرح

هنيئا

هنيئا مريئا وفيه دليل ايضا ان هبة الديون والبراءة منها جائزة كما جازت هبة المراة مهرها وهو دين وقيل
فيه وجه آخر وهو ان الآباء في الجاهلية والاولياء كانوا ياخذون مهور نسائهم فامرهم عز وجل ان لا ياخذوا
ذلك وحكم بان المهر للمراة دون وليها الا ان تهبه لوليها فيحل حينئذ وقوله عز وجل فكلوه هنيئا لا داء فيه ومريئا
لا اثم فيه وقيل الهنيء هو اللذيذ الشهي الذي عند تناوله ويسر والمريء الذي يحمد عاقبته ثم الحكمة في ذكر الهنيء
والمريء هنا وجهان احدهما ما ذكر في الآيات من الوعيد باخذه منها بقوله جل وعز لا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه
بهتانا الى قوله بعضكم من بعض لئلا يمتنعوا عن قبول ذلك للوعيد الذي ذكر في الآيات والثاني ان الامتناع
عن قبول ما بذلت الزوجة يحمل على حدوث المكروه ويورث الضغائن وذلك سبب قطع الزوجية فيما بينهما
وقيل قوله عز وجل وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يعني بطيبة انفسكم بقوله لا تعطوهن مهورهن وانتم
كارهون ولكن آتوهن وانفسكم به طيبة اذ كان المهور لهن دونكم وقوله عز وجل فان طبن لكم اي ما طابت به
انفسهن من غير كره فهو حلال وعن علقمة انه قال لامراته اطعميني من الهنيء والمريء وعن علي رضي الله عنه قال
اذا اشتكى احدكم شيئا فليسأل امراته ثلاثة دراهم من صداقها ثم يشتري بها عسلا ثم يشربه بماء السماء فيجمع الله تعالى
الهنيء والمريء والشفاء والماء المبارك وفي قوله ايضا جل وعز فكلوه هنيئا مريئا ان النفقة وان كانت عليه
فهي اذا قامت بها في نفسها لا يخرج هو لان نفقتها عليها ليست باعظم من نفقته من مالها اذا تطيبت ووصف
بالهنيء المريء بما ربما يستثقل الطبع عن مالها كراهة الامتنان او بما كان عليه كفايتها او بما جرى من الوعيد
الشديد في منع مهرها او بما قد تشتهي فتبذل له او بما يوهم الطمع في مالها والرغبة في النكاح لذلك فطيب ذلك
حتى وصف بغاية ما يحتمل المال من الطيب وفيه بيان جواز معروفها وترغيب في حسن المعاشرة بينهما حتى ابقى
ذلك بعد الفراق بقوله عز وجل الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح الاية وذلك احق ما يورث
المحبة والمودة او يديمها اذ جعل الله بينهما ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها مسئلة
في العبد لا يتزوج اكثر من اثنتين روي عن عبد الله بن عتبة رضي الله عنه انه قال قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ينكح العبد اثنتين وتعتد الامة حيضتين فان لم تحض فشهر ونصفه وعن علي رضي الله عنه انه قال
لا يحل للعبد ان ينكح فوق اثنتين وعن عبد الرحمن بن عوف انه قال يتزوج العبد اثنتين وعن عمر رضي الله عنه
انه قال لابن مسعود رضي الله عنه ما يحل للعبد من النساء قال اثنتين قال عمر رضي الله عنه ذلك الذي ارى
وعن الحكم قال اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان العبد لا يجمع من النساء فوق اثنتين فهؤلاء
ستة نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعلي وابن مسعود
والفضل بن عباس والانصاري رضوان الله عليهم اجمعين اتفقوا على ان العبد يتزوج اثنتين ولا يتزوج
اكثر من ذلك وايضا عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة تطلق تطليقتين
وتعتد حيضتين فان احتج محتج بعموم الآية ان الله تعالى قد مثنى وثلاث ورباع ولم يذكر عبدا ولا حرا
فهو على عمومه قيل في الآية دليل ان الخطاب للاحرار وهو قوله سبحانه وتعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
فهو على من له النكاح بنفسه والعبد يكون له النكاح بغيره بقوله عز وجل وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم فكان الخاطب بنكاح العبيد مواليهم ليس له ان ينكح المراة الا باذن مولاه ومولاه يزوجه
اذا شاء بغير امره فانما الخطاب لمن له ان يتزوج اذا شاء والعبد من ذلك خارج الا ترى انه قال عز وجل
او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك ملك اليمين فدل ان الخطاب راجع الى الاحرار دون العبيد فان قيل
فقد جعلتم للعبد ان يطلق الحرة ثلاثا فجعلتم له من الطلاق مثل الذي جعلتموه للحر فيجب ان تجعلوا له
من تزوج النساء مثل الذي يجوز للحر قيل الفرق بينهما ان الطلاق عندنا بالنساء لان الحر يطلق امراته الامة

تطليقتين فتحرم عليه والتزويج بالرجال لا ينظر فيه الى النساء فللعبد ان يتزوج النصف من تزويج الحر
كما ان عدة الامة وطلاقها على النصف من عدة الحرة على ما روينا من الخبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
حتى يكون للعبد في امراتين شيا نصف ما للحر من الاربع وروى الحسن انه قال في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم يعني الكناد وقيل لا تؤتوا السفهاء اموالكم فيكونوا قياما عليكم ولكن كونوا انتم قياما عليهم وقيل
لا تؤتوهم اموالكم فيكونوا اربابا عليكم وكونوا اربابا باموالكم عليهم ومن صرف التاويل الى اليتامى حمل معنى قوله
عز وجل اموالكم كقوله لا تقتلوا انفسكم وكقوله فسلموا على انفسكم يريد تروته في البيوت فعلى ذلك اضافة
اموال اليتامى الى الاولياء وقوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية فالسفيه في الحقيقة من يعمل عمل الجهال كان
جاهلا في الحقيقة اولى لما قد يلقب العالم به اذا ضيع الحدود وتعاطى الافعال الذميمة وعلى ذلك ما جاء الكتاب
بتسفيه علماء اهل الكتاب ثم قد يسمى الجهال به لما الجهل هو السبب الباعث على عمل السفه فقوله تعالى ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم يحتمل ذلك الوجهين واي الامرين كان ففيه التحذير للمعنى الذي يبين من قوله التي جعل الله لكم
قياما فاما ان كانت قياما للمعاش او للمعاد ولهما وطريق الانفاق في الوجهين والامساك لهما التدبير ومراعاة
الشرع وتعاهد الاسباب والوجهان جميعا يمنعان الوفاء بما جعلت له الاموال فحذر من العجز بهما عن تضييع ذلك
بالتسليم الى من ذكر مع ما يكون في ذلك اتباع من يستحق ان يكون متبوعا لمن حقه ان يجعل تابعا وذلك خارج
عن حد الحكمة وما يجده العقل ثم قد صرفت الاية الى النساء بما جعل من اليه التدبير وهو الذي انشا من
تحت ايدي الرجال في الامور مع وصف الرجال انهم قوامون على النساء صرفت ايضا الى الصغار بما ضمن حفظ اموال
حفظهم مثلهم الكبار وجعلوا مكفولين عند البالغين فاموال البالغين احق بذلك وحقيقة السفه ما ذكرت
وجاز ان يكون المقصود بالذكر من ذكر الصغار والنساء بما خاطب من حذر بالدفع الى من ذكر رزقا ولئك وكسوتهم
ولا يجب رزق الجهال والسفهاء على غيرهم فيكونه ما ذكروا اولى بمراد الاية وان كان للمعنى الذي قصد بالاية التي
ذكرتهم قد استحقوا ولما غلبت تلك الاحوال على هؤلاء جعل من ذكرت قواما عليهم وقد ذكر عن الحسن انه صرف الاية
الى الكفار فكانه تاول في القيام القيام بامر الدين والكفار لا يجوز الاستعانة بهم فيه ولم يجعل المال عنده معا
كره العلماء تسليط الكفر العقود لجهلهم بحق شرع الاسلام فيها فشدد دفع الاموال اليهم وقوله عز وجل
التي جعل الله لكم قياما عن ابن عباس رضي الله عنه التي جعل الله لكم قياما يعني قوام امركم ومعيشتكم
وهو هكذا جعل الله هذه الاموال اغذية للخلق بها يقوم دينهم وابدانهم وقوله عز وجل وارزقوهم فيها
واكسوهم يقول لا تؤتوهم ولكن ارزقوهم انتم واكسوهم وقيل يقول انفقوا عليهم منها واطعموهم وقيل اضاف
الاموال الى الدافعين لا الى المدفوعة اليهم دل على وجوب نفقة الولد وكسوته على الرجل وقوله عز وجل
وقولوا لهم قولا معروفا قيل عدة حسنة جميلة سافعل وساكسوه قيل مروهم بالمعروف وانهوا عن المنكر وقيل
علموهم الادب والدين وقولوا لهم كلام البر واللين واللطف وقوله عز وجل وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح
اختلف فيه قال بعضهم قوله عز وجل حتى اذا صرف حتى صلة وتاويله وابتلوا اليتامى اذا بلغوا النكاح وهو
قول الشافعي رحمه الله يجعل الابتلاء بعد البلوغ ويحتمل ان يكون المراد بالابتلاء قبل البلوغ لوجهين احدهما ان يبتلى
الايتام قبل بلوغهم بانواع العبادات والاداب ليعتادوا بها ويتادبوا ليعرفوا حقوق الاموال وقدرها ويحفظوها
اذا بلغوا لانهم اذا ابتلوا بعد البلوغ لم يعرفوا ما عليهم من العبادات والفرايض وقت البلوغ وكان في ذلك تضييع
حقوق الله وفرايضه اذ لا سبيل لهم الى القيام بها حتى البلوغ فامر الاولياء والاوصياء ان يبتلوهم قبل البلوغ
حتى اذا بلغوا عارفين لما عليهم من العبادات والحقوق حافظين لها الا ترى الى ما روي في الخبر انه امر الاب
ان يامر ولده بالصلاة اذا كان ابن سبع وامر بالضرب والتاديب اذا كان ابن تسع وبالتفريق في المضاجع وهو
من حقوق الخلق فهذا ليعتادوا واحد والاداب قبل البلوغ حتى اذا بلغوا عرفوا ما عليهم وهان القيام بها

وان لم يعودوا قبل ذلك يشتد عليهم القيام باقامة العبادات واداء الحقوق فعلى ذلك الاول ووجه اخر ان يبتلى
عقولهم بشيء من اموالهم يتجرون بها ويتقلبون فيها لينظروا اهل يقدرون على حفظ اموالهم عند حدوث
الحوادث والنوايب ففيه دليل جواز الاذن في التجارة في حال الصغر لانه لا يظهر ذلك الا بالتجارة وان كان المراد
بالابتلاء بعد البلوغ والكبر فهو ايضا يحتمل وجهين يحتمل العلم بها نفسه ويحتمل بها العلم والعمل ولا تضعوها
في غير موضعها وقوله ان حرف حتى صلة انه لو جاز لان يجعل هذا صلة لجاز لغيره ان يجعل الرشد صلة فيه
اذ لا فرق بين هذا وبين الاول ان يجعل صلة ثم اختلف في قوله تعالى فان انستم منه رشدا فادفعوا اليهم
اموالهم قال بعضهم هو ان يصير هو من اهل الشهادة فحينئذ يدفع اليه المال فعلى قوله يجب ان ينتزع الاموال
من ايدي الفساق لانه لا شهادة لهم ومن قوله ان اليتيم من اهل الكفر لا يدفع اليه المال الا بعد ما استبان الرشد
منه فلو كان شرط الرشد هو شهادة لكان الكافر لا يدفع اليه لما لا يقبل الشهادة ما لزم الكفر على الحد دل ان الرشد
ليس بما ذكر ولكن قيل من العقل والحفظ لماله والاصطلاح فيها وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى
فان انستم منه رشدا قال اذا ادرك بحلم وعقل ووقار وهو يقول ايضا في قوله تعالى منهم رشدا ان الله
سبحانه وتعالى يقول اختبروا اليتامى من عند الحلم فان عرفتم منهم رشدا في حالهم والاصلاح في اموالهم
فادفعوا اليهم اموالهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فان احسستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
وفي حرف حفصة وابتلوا اليتامى في اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح بعد كبرهم ثم لا يخلو منع الاموال منهم من اوجه ثلاثة
اما ان يمنع لفرط البذل والانفاق جودا وسخاوة وحسن الظن بالله انه عز وجل يرزقهم ويعطيهم خلف نفقتهم
وهذا لا يحتمل لان هذا من اخلاق الانبياء صلوات الله عليهم وسيرتهم فلا يحتمل النهي عن ذلك او يمنع لغلبة
شهوتهم ولقضاء وطرهم وحاجتهم ينفقون الاموال ليصلوا الى ذلك فانهم منعوا عن اموالهم بيتا ولون من اموال
غيرهم ويتعاطون ما لا يحل ويحسن فلا يحتمل ان يمنعوا لذلك او ان يمنع عنهم الاموال لافة في عقلهم ونقص فيهم
فان كان لهذا ما يمنع اموالهم عنهم فيجب ان يمنع ابدا لا وقت في ذلك ولا مدة الا بعد ارتفاع ذلك وزواله
عنهم وهو الوجه يمنع منه حتى يونس منه الرشد ثم جعل ادراكه وبلوغه بالاحتلام لان كل جارحة من جوارح
الانسان يجوز استعمالها الا الجارحتين منها فانه لا يقدر على استعمالها الا هو واحدهما الذكر والاخرى اللسان
فان هاتين الجارحتين لا يمكن استعمالهما الا صاحبهما فجعل الاحتلام علما لبلوغه وادراكه لذلك ولهذا
ما لم يعمل الاكراه عليهما نحو من اكره بالزنا فزنا فان عليه الحد لان الاكراه لا يعمل عليه فانما كان يفعل منه الا
الوالي فانه اذا اكره اخر بالزنا ففعل لم يقم عليه الحد لما جعلنا ذلك كالعلم بالسبب الذي يحل وكذلك لو اكره
حتى وطئ امراة لزمه العقر ولا يرجع على المكره ولو اكره على اتلاف مال من اموال ففعل ليرجع على المكره للمعنى الذي
وصفنا ولهذا ما وقع طلاق المكره ونكاحه وعتاقه لان هذه الاشياء انما تقع باللسان واللسان مما لا يعمل عليه الاكراه
لذلك جاز والله اعلم واما البيوع والاشربة والعقود كلها سوى هؤلاء يكون التسليم والقبض دون النطق باللسان
والتكلم بها فالاكراه مما يعمل عليها لما امكن استعمالها غيره لذلك افترقا ولهذا ما قلنا ان الايمان يكون بالقلب
دون اللسان لانه اذا اكره حتى يكفر فاجرى كلمة الكفر على لسانه وكان قلبه مطمئنا بالايمان لم يكفر فاذا اطمان
قلبه بالكفر كفر لان الاكراه لا يعمل على القلب ولا يصير المكره مستعملا له انما المستعمل هو لا غيره لذلك كان الجواب
ما ذكرنا ومعنى جعل الاحتلام بلوغا هو امكان استعمال ساير الجوارح دونه يعني الفرج الا بعد الكبر وما كان المعروف
من الاباء والاولاد وما كان مما يجري الامر بابتغاء المكتوب من الولد يكون بعد البلوغ ويبعد ذلك الا في الوقت الذي
لو ابتغى لوجد ولعدد عليه وليس ذلك الا في خروج الماء للشهوة ثم يكون في المتعارف الاحتلام عن ذلك فجعل
علما له ولذلك قيل حتى اذا بلغوا النكاح ثم فرق في حق الكتاب بين الانسان وغيره من حيث لا يملك احد قهر لسان اخر
حتى ينطق دون صاحبه فيه فيظهر سبب جري القلم من الاقرار بالبلوغ وهذا معنى ما جعل سببه بما لا يعلم غيره

ولهذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه
اولا بانه يجب الحد على المكره لان فعل
من الزنا عليه ثم رجع وقال لا يجب
الحد
صح

يكون اول احوال البلوغ ووقوع قوله حيث البلوغ معا كان النطق فعل من يجرى نفى جنسه الخطاب وكانه اتصل
امره بالسبب الذى خص به الممتحن من العقل اذ كان العقل قد يعرف بالمحنة والاحتلام لا قامنا بالابتلاء
من حيث العقول ولم نؤمر من حيث الاحتلام بل يقبل قوله فى ذلك ودل بقوله قول من بلغ بالاخبار عن احتلامه
وبه يجرى القلم عليه ويلزم الحقوق ان يقبله يجوز فى ذلك الوقت وبخاصة على قول من يرى الابتلاء بعد
الادراك انه لو لم يقبل فيم ثبت ليه ثم اذ جاز قوله لزم كل امر علق به وعلى ما ذكرت من اول ما علق به القول فى حق
البلوغ دليل اتصال حكم القول بالعقل وتمام العقل بالبلوغ اذ به يجرى القلم ودل ما ذكرت من امتناع اللسان
عن سلطان عن صاحبه عليه على لزوم كل حق معلق به على الاكراه اذ لا يلزم بغيره وهو لا يجرى عليه ثم كل امر
يكون لانه يصير اللسان سببا فيه به كالمعلم عنه وهو مما يجرى عليه القهر ويعلم قوته به فيبطل والله اعلم
وقوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا الاسراف هو كل ما نهى عنه وقيل الاسراف هو اكل فى غير حق وكان
الاسراف هو المجاوزة عن الحد وهو كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا وكان القتر مذموما فعلى ذلك الاسراف
فى النفقة فى مال اليتيم وقوله تعالى اسرافا وبدارا قيل البدار هو المبادرة وكلاهما لغتان كالجدال والمجادلة
وهو ان يبادر باكل مال اليتيم خشية ان يكبر فيحول بينه وبين ماله وهو قول ابن عباس رضى الله عنه
وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ولا تاكلوها اسرافا وبدارا خشية ان يكبروا وقوله تعالى ومن كان غنيا
فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف اطلق الله تعالى لولى اليتيم بظاهر الاية اذا كان فقيرا ان ياكل
بالمعروف من غير اسراف وذلك هو الوسط منها وكذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا ساله
فقال ليس لى مال ولى يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متاثل مالك بماله وفيه دليل ان الغنى لا يجوز له
ان ياكل مال اليتيم وان الفقير اذا اكل منه انفق نفقة لا اسراف فيها وعن عمر رضى الله عنه قال انى انزلت
فى نفسى من مال الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان احتجت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت
قضيت وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال الوصى اذا احتاج وضع يده مع ايديهم ولا يكتسى عمامة وعن عائشة
وعن عايشة رضى الله عنها قالت فى قوله تعالى من كان فقيرا فلياكل بالمعروف وقالت ياكل والى اليتيم
من مال اليتيم اذا كان يقوم له على ماله ويصلح اذا كان محتاجا وقيل ياكل قرضا ثم يرد عليه اذا ايسر وهو قول ابن عباس
رضى الله عنه وقيل ياكل بالمعروف اى من مال نفسه حتى لا يفضى الى مال اليتيم وقيل ياكل اذا كان يعمل له
ويقوم عليه وقيل ياكل قرضا الا ترى الى قول الله تعالى فاشهدوا عليهم امر بالاشهاد عليهم عند الدفع ولو كان
امانة فى يده لم يحتج الى الاشهاد فى الدفع ولكن يجوز ان يامر بالاشهاد لا لمكان الوصى نفسه ولكن لما يجوز ان يحدث
بينه وبين ورثة الوصى خصومة فيشهد ليدفع تلك الخصومة عنهم وقيل الاكل بالمعروف هو ما يسد به جوعه
ويوارى عورته وقوله تعالى وكفى بالله قيل شهيدا بما اخذ من ماله وانفق ويحتمل قوله حسيبا محاسبة فى الاخرة
اذا لم يحاسبه اليتيم فى الدنيا وقوله عز وجل للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيبا الاية
يحتمل ان يكون الاية والله اعلم نزلت بسبب ما لم يكن يورث اهل الجاهلية الاناث والنساء والصغار ويجعلون
المواريث لذى الاسنان من الرجال الذين يصلحون للحرب ويحرزون الغنيمة فنزلت الاية بتوريث الرجال والنساء
جميعا ويقال ان الاية نزلت فى شان رجل يقال له اوس بن ثابت الانصارى توفى وترك بنات وامراة فقام
رجلان من بنى عمه وهما وصيان فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئا فجاءت امراة اوس بن ثابت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت واخبرت بالقصة فقال لها ارجعى فى بيتك حتى انظر ما يحدث الله فى ذلك
فانصرفت فنزل قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون الاية وقيل نزلت الاية فى شان امراة ابن سعد ان سعدا استشهد باحد وترك ابنتين وامراة فاحتوى
اخ سعيد على مال سعد ولم يعط المراة ولا الابنتين شيئا فاختصمتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرته

بالقصة فقال لهما لم ينزل الله على فيكم شيئا ثم نزلت الاية فاخذ من عمهما ثلثى المال ورده اليهما ودفع الثمن
الى المراة وترك البقية للعم والله اعلم ان فيم كان نزولها وفى هذا الخبر دليل ان للاثنين الثلثان كالثلاث
فصاعدا ليس كما قال بعض الناس ان لهما النصف لان الله تعالى انما جعل للثلاث فصاعدا الثلثين ثم يحتمل الاية
وجهين بعد هذا يحتمل ان يكون المراد الاولاد خاصة لا غير فيدخل كل ولد البنات وولد البنين
لانهم كلهم اولاده ويحتمل ان يكون المراد منها الرجال والنساء فيدخل ذو الارحام فى ذلك فلما لم يدخل بنات
البنات فى ذلك وهم اولاد دل انه اراد النساء والرجال جميعا الاولاد خاصة وفيه دلالة نسخ الوصية للوارث لانه
قال عز وجل للرجال نصيب وللنساء نصيبا الى قوله مفروضا اى معلوما بما اوجب فى كل قليل ثم قال فى قوله نصيبا
مفروضا قيل ذا يرجع الى ما بين فرضه وهو اصحاب الفرائض دون العصبات فيكون على ما اشار الى حقه من حيث
الاسم فى القرابة ويحتمل ما بين وقد جرى فيه حقين احدهما حق العصبة كما ذكر فى الاب والاخوة والاولاد وحق
اصحاب الفرائض ولو كان على ذلك فقد يتضمن الفرض ما يعلم بالاشارة اليه والدلالة لان اكثر من يوصى بحق العصبة
هو ما لا نص فيه والذى فيه النص هو فى الاولاد والاخوة خاصة والوالد وقيل يتضمن كل الاقرباء على اختلاف
الدرجات فيكون منصوصا ايضا ومدلولا عليه ويؤيد هذا التاويل قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
ثم بين فى المؤمنين والذين هاجروا واولئك هم البعداء الذين لهم اخوة الدين والهجرة فاذا بقى فى الرحم احد لم يصرف
ذلك الى المؤمنين وقد تقدم حقهم على المؤمنين والمهاجرين بالرحم لذلك هم اولى معا للامام صرف ذلك بحق الايمان
اليهم فيصير الدفع اليهم بحق الجواز والى غيرهم شك عند قيامهم فالدفع اليهم اولى لوجهين احدهما عموم الكتاب
على تحقيق حق كل اية منها دون ادخال حكم انه فى حكم اخرين بلا ضرورة والثانى الاجماع من الوجه الذى
ذكرت مع اتفاق اكثر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والفتوى الى يومنا هذا وقوله عز وجل واذا حضر
القسمة اولوا القربى قيل فيه بوجهين قيل اراد بالقسمة قسمة المواريث بين الورثة بعد موت الميت وقيل اراد به
قسمة الموصى وهو الايصاء يوصى ويبين لمن ذكر من الاقرباء واليتامى والمساكين بشئ فالخطاب للموصى ومن قال
بقسمة المواريث فالخطاب للورثة ان كانوا كبارا يعطون هؤلاء شيئا ويبرونهم بشئ وان كانوا صغارا يقول لهم
الوصى قولا معروفا اى يعد لهم عدة حسنة الى وقت خروج الاثمار والى وقت البيع ان باعوها ثم اختلف
المتاولون فيها قال بعضهم هى منسوخة وقال اخرون هى محكمة وهو قول ابن عباس رضى الله عنه ومن قال
هى منسوخة قال نسخها اية المواريث قوله عز وجل يوصيكم الله فى اولادكم الاية لانهم كانوا يوصون للاولاد والاباء
والامهات كقوله عز وجل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين الاية
فنسخت اية المواريث وصية الموصى ومن قال هى محكمة متقنة وهو قول ابن عباس رضى الله عنه والحسن ومجاهد
وغيرهم لانه المعروف والبر والاحسان وذلك مما لا يحتمل النسخ وقيل ان عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث ابيه
وعايشة حية فلم يدع فى الدار مسكينا ولا ذا قرابة الا قسم له من ميراث ابيه وتلا هذه الاية واذا حضر القسمة الاية
فذكر ذلك لابن عباس رضى الله عنه فقال ما اصاب ليس ذلك له انما ذلك فى الوصية يريد الميت ان يوصى لهم
وقوله عز وجل وارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قيل اذا كان كثير المال كثيرا رضخ واعطى شيئا واذا كان
قليلا اعتذر اليهم وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقيل امر من يرث ان يرضخ ويعطى لمن لا يرث شيئا
وهو قول الحسن ويقال لهم قولا معروفا والقول المعروف يحتمل ما ذكرنا ان يعطى لهم ان كانوا كبارا اعنى الورثة
ويعدوا لهم عدة ان كان المال ضياعا الى وقت خروج الانزال والغلات والى وقت خروج الثمار ويعطى الورثة
ان كانوا كبارا او يعتذر اليهم الوصى ان كانوا صغارا وقوله عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم قيل هو الرجل يحضره الموت وله ولد صغار فيقول احد اوص بكذا واعتق كذا وفعل كذا ولو كان
هو الميت لاحب ان يترك لولده فخوف هذا القائل بقوله فليتقوا الله وامر ان يقول له مثل ما يحب ان يقال له

فى ولده بالعدل بقوله عز وجل وليقولوا قولا سديدا وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقيل هو الرجل
يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله وامسك عليك لولدك الصغار والضعفاء ليس احد احق
بمالك منهم ولا توص من مالك شيئا فنهى ان يقال له ذلك لما لو كان هو الموصى وله ورثة صغار ضعفاء احب
احب بان لا يقال له ذلك فكذلك لا يقول هو له والاول اشبه وقوله عز وجل وليقولوا قولا سديدا
قيل عدلا يامر ان يوصى بما عليه من الدين والوصية ولا يجوز فى الوصية وعن ابن عباس رضى الله عنه قال نهى
من حضر منهم مريضا عند الموت ان يامره ان ينفق ماله فى العتق والصدقة او فى سبيل الله ولكن يامره ان يبين
ماله وما عليه من دين او حق وقوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى اى استحلالا فاذا استحل كفر فذلك
الوعيد له وقيل ظلما اى غصبا والاكل هو عبارة عن الاخذ لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة انما هو نهى
عن الاخذ وكذلك قوله الذين ياكلون الربوا وقوله وذروا ما بقى من الربوا انما هو نهى عن قبض الربوا فعلى ذلك
الاكل فى هذه الاية عبارة عن الاخذ والاستحلال ومن حمل الاية على الغصب جعل الوعيد عليه الا ان يتوب
اذ لله ان يعذب من شاء ممن ارتكب من عباده جرما كما جعل الوعيد على المستحل الا ان يتوب وقيل انه على التمثيل
ان الذى ياكل من مال اليتيم كانه ياكل نارا للخبيثة ولشدته وعن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول اتقوا الله فى الضعيفين قيل ومن يا رسول الله قال اليتيم والمراة فان الله ايتمه واوصى وابتلاه
وابتلى بهم وقيل فى قوله فليتقوا الله وليقولوا لليتامى اذا جلس اليه قولا سديدا اى عدلا فى وصيته ولا يجور
من عدل فى وصيته عند موته فكانما وجه ماله فى سبيل الله فقام سعد بن ابى وقاص فسال النبى صلى الله عليه وسلم
كم يوصى الرجل من ماله فقال الثلث والثلث كثير لان تدع عيالك اغنياء خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تصدق عليكم بثلث اموالكم زيادة فى اعمالكم عند وفاتكم وقوله
عز وجل يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين قيل قوله يوصيكم الله اى يفرضكم الله وقد سمى الله
الميراث فريضة فى غير اى من القران بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب
ثم قال نصيبا مفروضا وقال ايضا فى اخر هذه الاية فريضة من الله ولا نرى شيئا تولى الله ايجابه من غير اكتساب
اهله فهو كالفرايض التى اوجبها الله على عباده من غير اكتساب اهلها فعلى ذلك سمى هذه فريضة لان الله تعالى
اوجبه والله اعلم وقيل قوله يوصيكم الله فى اولادكم اى يبين الله فى اولادكم الى اخر ما ذكر وقد نسخ الوصية
للوالدين والاقربين فى قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين ودليل
نسخه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية للوارث ثم قيل
ان الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد والاناث انما كانوا يورثون الرجال ومن يحوز الغنيمة
فنزل قوله للرجال نصيب مما ترك الاية فى بيان الحق للاناث فى الميراث وكذلك قوله يوصيكم الله فى اولادكم للذكر
مثل حظ الانثيين فيه بيان حق الميراث للذكور والاناث جميعا وقيل تاويل هذه الاية ما بين فى القران فى ذوى
الارحام وان كانوا مختلفين فى سبب ذلك وان الايات التى بعدها من قوله يوصيكم الله فى اولادكم الى اخر الايات
التى فيها ذكر المواريث فسر بها مبلغ النصيب الذى وجب لله للنساء والرجال فى الاية الاولى مجملا واجمعوا ان الرجل
اذا مات وترك ولدا ذكورا واناثا فالمال بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ويحتمل قوله فى اولادكم اولاد موتاكم وهذا
جايز فى اللغة لانه لا يجوز ان يفرض على الرجل قسمة الميراث فى اولاده وهى حق لا انه اراد اولاد الموتى ويحتمل
ما ذكرنا انهم كانوا لا يورثون الاناث من الاولاد والصغار منهم فخاطب الجملة بذلك لئلا يحرموا الاناث من الاولاد
والصغار وفى قوله ايضا يوصيكم الله فى اولادكم اى فى اولاد من مات منكم اذ لا يحتمل خطاب الحى ما ذكر فى ولده
فهذا ان كان تاويل يوصى بفرض او يامر وان كان تاويل ذلك يبين فذلك جايز بعد ان يخبر الحى ما بين الله
فى اولاده بعد موته فى ماله وذلك يمنع الوصية لانه يزيل حق البيان ولما يمكن رفع القسمة وتحصيل الوصية

على بعض

على بعض لبعض وذلك بعيد اذ لا يملك فى غيرهم ثم من الناس من راى نسخ الوصية للوارث بقوله للرجال
نصيب مما ترك الوالدان الاية لان الاية اوجب الميراث فيما قل وكثر فلو كانت الوصية تجب للوالدين بقوله تعالى
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية الاية لكان الميراث لا يجب فيما قل منه وانما يجب فيما يفضل
منه لكن الاية اذا لم تمنع الوصية للاجنبى وهو تصرف السهم المفروض الى ما يفضل من الوصية فمثله للوارث لكن
فى الاية دلالة على رفع الكتاب اذ فى الاولى انها كتبت فيما اوجب الحق فى كل قليل وكثير لم يبق معه الفرض والوجوب
ولكن يجب الفضل ثم كان حق الوالدين ومن ذكر يحق اللزوم وقد سقط ذلك وبه كان يجوز فلما سقط الحق جاء
فى الخبر ان لا وصية للوارث وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية للوارث
فسقط الحق بالاية من الوجه الذى يثبت والنقل بقوله لا وصية فمن هذا الوجه الذى ذكرت يسقط حق الوصية
بالقران لكن قد ذكر للمراة لا يحرف الوجوب بقوله متاعا الى الحول ثم سقط ايضا بالخبر اذ ليس فى الاية ذكر المراة
بما ذكر فيها ميراث الاولاد والاقربين وقد بقى حق المتاع اذ له ان يوصى لغير الورثة لكن ذكر فى ميراث المراة
وصية كقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية من الله والوصية منه مكتوبة على ما للوالدين
والاقربين ثم اشرك الزوجين فى ميراث الوالدين والاقربين مما قل او كثر كقوله النصف والربع والثمن
مما ترك وقد بينا ان الاية تحقق ما ذكرت فصارت ناسخة للامرين جميعا فهذا من جهة الاستخراج فى حق النسخ
على انه على مذهبنا السنة كافية فى بيان نسخ الحكم بينه الكتاب اذ هو بيان منتهى الحكم من الوقت وقد جعل الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم بحيث البيان مما فى القران وقوله عز وجل للذكر مثل حظ الانثيين فيه دلالة ان المال
كله للذكر من الولد اذا لم يكن ثمة انثى لانه جعل للذكر مثل ما جعل للانثى النصف اذا لم يكن معها ذكر بقوله تعالى
وان كانت واحدة فلها النصف فدل ان للذكر من الولد اذا جعل له مثلى ما جعل للانثى عند الجمع انما جعل له ذلك
بحق الكل فى حال لا انفراد له الكل وقوله عز وجل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك قال بعضهم بين الحق
لما فوق اثنتين ولم يبين للاثنتين وهما النصف الذى ذكر للواحدة وهو قول ابن عباس رضى الله عنه واما عندنا
فان للاثنتين ما للثلاث فصاعدا فيكون بيان الحق للثلاث بيان للاثنتين لان الله تعالى جعل حق ميراث الواحدة
من الاخوات النصف بقوله تعالى وله اخت فلها نصف ما ترك كما جعل حق الابنة النصف اذا لم يكن معها ذكر
بقوله وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا
اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فاذا انزلت الاخوات منزلة البنات فى استحقاق النصف اذا كانت واحدة
واستحقاق الثلثين اذا كانتا اثنتين فصاعدا فعلى ذلك نزل بيان الحكم فى الاختين منزلة بيان الحكم
فى الابنتين قيل بقوله اثنتين اثنتان فما فوقهما وقيل بين الكتاب الاستواء بين الابنة الواحدة والاخت
الواحدة ليعلم استواء حق الولد وولد الاب ثم بين فى الاخوات فى الثنتين الثلثان وفى البنات لما فوقهما ليكون الذكر
فى الاختين دليلا على الابنتين وفيما اكثر من البنات على ما ذكر من الاخوات وايد ذلك ان الاجتماع بين البنتين
والبنات وان كثروا بالاخوة والاخوات وان كثروا معا كان معلوما ان بنات الرجل احق من بنات ابيه ايد ذلك
ان بنات ابنه قد يرثن وبنات ابن ابيه لا فلا يجوز ان يكون الاختين اكثر حقا من الابنتين وفى الاغلب ان جعل هو
ميراث هولاء وايد ذلك انه ما دام يوجد فى الاولاد من له فرض او فضل لم يصرف الى ولد الاب شيا ثم بعض الخلف
من هولاء وعلى ما ذكرت جاءت الاثار واجتمع عليه اهل الفتوى وقوله عز وجل ولابويه لكل واحد منهما السدس
ان كان له ولد اختلف فيه قال بعضهم اراد بالولد الذكور خاصة لانه جعل للابوين لكل واحد منهما السدس اذا كان
الولد ذكرا اما اذا كان الولد انثى فللاب يكون الثلث واما عندنا فان اسم الولد يجمع الذكور والاناث جميعا ويعد فانه
ان كان الولد هاهنا ذكرا او انثى فينظر ان كان ذكرا يكون لكل واحد من الابوين السدس والباقى للولد وان كان انثى
فلها النصف وللابوين السدسان والباقى للاب على ما جاء فى الخبر ما ابقيت الفرايض فلاولى رجل ذكر وقالت الروافض

الباقي للابنة ذهبوا في ذلك الى ان الذي يقابل الابنة هو الابن والذي يقابل الاب هي الام فالذي يقابل الابنة
هو اولى باحراز الميراث من الذي يقابل الام وهو الاب فعلى ذلك الذي يقابل الابن وهي الابنة اولى بذلك
من الذي يقابل الام وهو الاب واما عندنا فان الاب اولى بذلك من الابنة لان للاب حقين حق فريضة
وحق عصبة اما حق الفريضة فبقوله ولابويه لكل واحد منهما السدس واما حق العصبة فبقوله عز وجل وورثه
ابواه فلامه الثلث جعل الباقي له فذو حقين اولى بذلك من ذي حق واحد والابنة ليس لها الا حق الفريضة
لذلك كان الاب اولى وفي الخبر دلالة ان حكم الابنتين وما فوقهما سواء وهو الثلثان ما روي عن جابر
بن عبد الله قال جاءت امراة ثابت بن قيس بابنتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
هاتان ابنتا ثابت بن قيس اصيب معك يوم احد وقد اخذ عمهما مالهما وميراثهما ولم يدع لهما شيئا الا اخذه
فما ترى يا رسول الله فوالله لا تنكحان الا ولهما مال فنزلت قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعم الجاريتين اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن ولك ما بقي
ثم في الاية دلالة ان احدهما يخرج الخطاب على العموم والمراد منه خاص لانه ذكر الاولاد والولد قد يكون على غير دينه
فلا يرث وقد يكون مملوكا فلا يرث على ما روي في الخبر لا يتوارث اهل ملتين وما روي لا يرث المسلم الكافر
ولا الكافر المسلم الا العبد مولاه وذلك في الحقيقة ليس بميراث ولكن مال العبد يكون لمولاه وفي هذا دليل
جواز الاستثناء من غير نوعه حيث استثنى العبد وذلك في الحقيقة ليس بميراث وفي الاية دليل جواز القياس
والفكر فيها والاعتبار لان ميراث الابنتين مستدل عليهما غير منصوص وكذلك ميراث الذكور من الاولاد بالانفراد
مستدل عليه غير منصوص وما يحرز الاب من الميراث بحق العصبة مستدل عليه لا منصوص وما يستحق
بالفريضة فهو منصوص عليه وهكذا كل من يستحق شيئا بحق الفريضة فهو منصوص عليه فدل ان ما ترك ذكره
انما ترك للاجتهاد والتفكر فيه والاعتبار وفيه دليل انه يجوز ان لا يطلع الله عباده على الاشياء بقوله تعالى
اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اذ لم يبين انهم اقرب نفعا وكذا قوله وورثه ابواه فلامه الثلث
اذ ذكر وراثتهما ولم يبين حق الاب انه جعله عصبة يرد اليه الفضل فيظهر للاب بهذه الاية من قوله سبحانه وتعالى
يوصيكم الله الى اخرها امران احدهما حق العصبة والثاني حق الفرايض بقوله تعالى لكل واحد منهما السدس
ان كان له ولد ثم بعد هذا فيه امران احدهما انه اذا ثبت له حق العصبة وقد بين الله تعالى نصيب الابنة
انه النصف ونصيب الاب مع الولد ان له السدس فزعمت الشيعة ان الفضل يرد الى الابنة لانها ولد ولم يذكر له
مع الولد الا السدس وعندنا يرد الى الاب لانه لم يذكر للابنة الا النصف ثم قد جعل الاب عصبة فيما له حق الفضل
عن المفروض ولم يجعل الابنة لذلك كان الرد الى الاب احق مما يحتمل ان كان له ولد ذكر ثم حرمت الام بالابنة
اذ هي تحجب بالاخوات فالبنات احق اذ هن اقرب والثاني انه اذ جعل للاب السهم من وجهين ثم الذي له في احد
الوجهين صار الجد دون اولاده وبين لاولاد الاب الحق وابقاء حق الجد لما يبين لولده فعلى ذلك ماله من الوجه
الثاني وهو اولى لان حق العصاب يخرج على الحاق الابعدين فيه بالاقربين وحق الفرايض لا حتى يثبت ثم صار
الجد ابا في حقه من الفرض اذا لم يكن هو مثله في حق العصبة ثم فيه وجه اخر انه اتبع ذلك الذكر ذكر الزوجين
وذكرهما مع الولد ولم يذكر معهما الولدان فثبت ان امرهما يدخل حالهما فيما كان لا في حالهما اي الزوجين واثبت
ذلك قوله انه بقي حالهما مع الزوجين مع الولد على ما كان عليه دون الزوجين معه فعلى ذلك حالهما بلا ولد
وفي ذلك وجوب صرف حقهما الى ما فضل كما ذكر في قوله وورثه ابواه فيكون الفضل بينهما على ما كان عليه بالكل
لولا الزوجان وقوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس اختلف في حكم الاية من اوجه ثلاثة قال بعضهم
لا تحجب الام عن الثلث اخوان ولا اختان حتى يكون ثلاثة لان الله تعالى قال اخوة واقل الاخوة ثلاثة وهو قول
ابن عباس رضي الله عنه وقال اخرون تحجب الام عن الثلث الذكور ولا تحجب الاناث لان الله تعالى ذكر الاخوة

والاخوة اسم

والاخوة اسم للذكور منهم دون الاناث والاناث اسم على حدة وهو الاخوات لذلك تحجب الذكور ولم تحجب الاناث
واما عندنا فان الاخوة اسم للذكور والاناث جميعا في الحكم وان لم يكن اسم لهما جميعا في الحقيقة الا ترى ان الله تعالى
ذكر الاخوة ثم جعل بالتفسير اسم لهما جميعا بقوله وان كانوا اخوة رجالا ونساء دل ان اسم الاخوة يجمع الذكور
والاناث جميعا في الحكم لذلك تحجب الام عن الثلث ذكورا كانوا او اناثا واما قولنا بان الاثنين يحجبانها عن الثلث
ما روي عن علي وعبد الله وزيد بن ثابت انهم قالوا تحجب الاخوان الام عن الثلث كما يحجبها الثلاثة وجعلوا الاخوين
اخوة والفرايض على اختلافها اتفقت في ان حكم الاثنين حكم الاكثر فكذلك في حق الحجاب والله اعلم وحجة اخرى
وهي ان الله تعالى حكم في الكلالة اذا كان واحدا له السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث
فجعل حكم الاثنين والثلاثة واحدا يشتركون في الثلث فوجب ان يكون حكم الاثنين والثلاثة من الاخوة ان
تحجب الام عن الثلث سواء وحجة اخرى وهي ان الله تبارك وتعالى جعل للاختين من الاب والام الثلثين
وسوى بين حكم الاختين والثلث في الميراث فعلى ذلك يجب ان يستوي حكم الاخوين والثلاث في حجاب الام عن الثلث
ثم المسئلة بيننا وبين الروافض زعمت الروافض ان الاخوة من الام لا تحجب الام عن الثلث لانهم منها فمن البعيد
ان يحجبوها ويمنعوا ذلك عنها ويجعلون ذلك لغيرها يضرون بالام وينفعون غيرها وقد قال اباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله والثاني ان الحجاب قد يجوز ان يقع بمن يحصل له ما حجبها عن الاخ
من الاب والام اذا حجبوا الام عن الثلث وقع لهم ذلك واما الاخوة من الام فان وقع لهم الحجاب لم يحصل لهم ذلك
المحجوب عنها فلا يحتمل الحجاب بهم واما عندنا فانه ليس لهم بحق القرب والبعد ما يحجبون ولكن بحق الميت اذ كان
ما ذكرنا فسواء كانوا من قبل الام او من قبل الاب في حق الحجاب والثاني ان المواريث جعلت بحق الابتداء لا بحق الورثة
لا يحتمل ان يختار المورث من هو ابعد على من هو اقرب نحو من يموت عن ابنة وابن عم لا يحتمل ان يختار ابن العم
على الابنة في النصف الباقي دل انه على الابتداء ونقول في الاخوة في الام انهم في الحجاب كالاخوة من الاب والام وان كان
الحق لغيرهم لما ان الاخوة لما تفرقت حقوقهم ذكرت وكذلك الاولاد فلو كان الحجاب يتفرق لكانت الحاجة الى الذكر
لازم اذ يبعد ترك الامر المنتظر فيما لا اصل له في الاثر ولا اصل له في هذا بالتفريق بل قد جمع ذلك بين الاخوة
والاخوات على ما في ذلك من اختلاف الحقوق ثبت ان تمييز الحجاب من الحقوق ليس باصل له ولا اصل انه ذلك لو كانت
على اعتبار الحق فهو بحق الميت لا بحق الابوين لانه لم يعرف ايجاب حق من لا حق له ولا حق لهم مع الاب فثبت انه
بمعتبر حق الميت يقع الحجاب والمعنى منه واحد ولو كان حجاب الاخوة من الاب بالاب لكان الاب اذا حجب الام
فاذا كان هو لا يحجب بان ان ولدها لا يحجبونها بل انه بحق الميت وقوله تعالى من بعد وصية يوصي بها او دين
ذكر الله تعالى الوصية قبل الدين واجمع اهل العلم ان الدين يبدأ به قبل الوصية والميراث وروي عن علي رضي الله عنه
قال يقرؤون الوصية قبل الدين وقضى محمد عليه الصلوة والسلام بالدين قبل الوصية وروي عن علي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين قبل الوصية والوصية قبل الميراث ولا وصية لوارث واجمعوا
انه اذا قضي الدين الى اهل الوصايا وصاياهم الا ان يجاوز الثلث فيرد الى الثلث ان لم يجز الورثة ويقسم الثلثان
بين الورثة على فرايض الله تعالى وليس معنى قول الله سبحانه وتعالى من بعد وصية يوصي بها او دين ان يخرج
الثلث فيبدأ ويدفعه الى الموصى لهم ثم يدفع الثلثان الى الورثة لان الموصى له شريك الورثة ان هلك من المال شيء
قبل القسمة ذهب من الورثة والموصى له جميعا ويبقى سائر المال بالشركة بينهم ولكن معناه من بعد وصية اعلم
ان الميراث يجري في المال بعد وضع الوصية من جملة اذا كان الثلث او دونه وان لم يكن دفع ذلك الى اصحاب
الوصايا ثم لم يذكر في الاية قدر الدين والوصية ومن قولهم ان الدين اذا احاط بالتركة منع الميراث والوصية
واذا لم يحط لم يمنع والوصية يجوز قدر الثلث ولا يجوز اكثر من الثلث الا ان يجيز الورثة والاية لم تخص قدرا
من الدين دون قدر وكذلك الوصية لكن تفسيره ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الثلث

والثلث كثير وما روى في خبر آخر ان الله تعالى تصدق عليكم بثلث اموالكم عند وفاتكم زيادة في اعمالكم
لم يجعل له اكثر من ذلك وما روى في خبر آخر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما
الخمس اقتصاد والربع جهد والثلث جنف ثم الوصية جوازها الاستحسان والافضال من الله تعالى والقياس
يبطلها وذلك ان الله تعالى لم يملك الخلق اعيان الاموال وانما جعل الانتفاع لهم بها الا ترى انهم نهوا عن اضاعتها
ولو كان اعيان المال لهم لكان لا معنى للنهي عن اضاعتها دل انه انما جعل لهم الانتفاع بها الى وقت موتهم
وبالموت ينقطع الانتفاع بها فينتظر من الاحق بها بعد الموت الغريم صاحب الدين او الوارث والاجازة للوصية
الافضال من الله تعالى على عباده بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم عند وفاتكم
دل هذا الخبر ان جوازها الافضال والاستحسان منه الى عباده والله اعلم وقوله تعالى من بعد وصية
يوصي بها او دين يدل على ان ما ليس بدين ولم يوص به الميت فانه لا يخرج من ماله ويدخل عندنا في هذا الجنس
الحج يكون على الرجل والنذر والزكوة واشباه ذلك ليس بشيء منها دين فاذا لم يوص الميت بها فلا يجب
ان تؤدى من التركة الا ان يتفقدها الورثة فان قال قائل هي دين كساير الديون قيل له ارايت ان كان
عليه دين وزكوة يبدا بالدين او تقسم التركة بالحصص اذا لم يف بذلك كله فان قال يبداء بالدين قيل له
لو كانت دينا كديون الناس كانت اسوتها في القضاء فان قيل تجعل الزكوة اسوة في القضاء مع الديون
قيل له ما تقول في رجل افلس وعليه ديون هل يقسم ماله بين غرمائه فان قال نعم قيل فان كانت عليه
زكوة هل تضرب لها بسهم فان قال لا قيل كيف ضربت لها بسهم بعد الموت لما قسمت ماله ولم تضرب لها بسهم
في الحياة ان كانت كساير الديون بعد الموت فيجب ان يكون كساير الديون في الحيوة الا ان الزكوة حالة
واجبة على من كان عنده مال فحال عليه الحول فاستهلكه وليس يجوز له تاخير قضاء الدين وفي اقرارك
انك تبداء بالدين قبل الزكوة في الحيوة دليل على انه يجب ان يبداء بالدين قبل الزكوة بعد الموت فان قيل قوله رسول الله
صلى الله عليه وسلم للمراة التي سئلت هل تحج عن ابيها ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته الم يجز عنه
يدل على ان الحج دين قيل له ليس فيه دلالة الوجوب عليها انما فيه دليل جواز الحج عن الميت وقوله اذا كان
قضاء ما هو اوكد منه من ديون العباد قضاء صحيحا فالحج الذي هو دون ذلك في التاكيد احرى ان يقبل كانه
اراد هذا والله اعلم ودليل آخر ان الزكوة لا يجوز ان تؤدى عن الميت اذا لم يوص بها لان الزكوة لا تؤدى
الا بنية المزكي والنية عمل القلب ولا خلاف في انه لا يصلى عن الميت ولا يصام عنه فلما لم يجز ان يقضى عن الميت
عمل الابدان لم يجز ان يقوم نية الورثة في اداء الزكوة مقام نية الميت قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل
من بعد وصية يوصي بها او دين ظاهره ان يقدم الوصية على الميراث لكن اجمع ان الابتداء به عن حق الميراث
ولكن يوزع فيخرج التاويل على وجوه احدها ان قوله سبحانه يوصيكم الله الى قوله من بعد كانه نسوى اي سوى
ما لكم ان توصوا او صاكم الله فيه بكذا والثاني ان يكون من بعد وصية اي من بعد ما اوصيتم ويكون الميراث
بعد الايصاء ويحتمل من بعد ان كان عليكم الايصاء والدين امركم بالمواريث فيكون فيه نسخ قوله من بعد وصية
يوصي بها او دين غير مضار وصية من الله فدلت هذه الآية على حجر بعض الوصايا بقوله عز وجل غير مضار
لكن يحتمل ان تكون المضارة تبطل الفضل ويحتمل ان لا تبطل كقوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا في الرجعة
على امضاء الرجعة على ذلك على امضاء الرجعة على ذلك لكن الاضرار في الرجعة مقصود وفي هذا مفصول
فيمكن التعرف بين الامرين فقال عز وجل تلك حدود الله الآيتين فاوعدهم على تعدي هذه الحدود وذلك
لا يحتمل مع جواز الفعل وايد ذلك قوله فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم الآية ولو كان يجوز لكان
لا يملك معه الاصلاح فثبت ان من الوصايا ما يبطل لما كان الله ذكر في المواريث فريضة من الله فلا يملك ابطال
فريضة الله وبالاذن منه يجوز فعله لذلك يبطل بعض وصاياه والاصل في ذلك ان الاموال انشئت للاحياء

وخلقت

وخلقت لمنافع الاحياء فكانهم ملكوا منافعها الى انقضاء اجلهم ثم صارت الى من به ملكوها يجعلها
لمن يشاء ويضعها عند من يشاء وقد بين عز وجل انها لمن ومن احق بها فصار الموصى كانه اوصى بحق
من بين ان يحقه فيه غيره فان تفضل الله عليه في ذلك من شيء والا فذلك كساير الاملاك التي بينت
اربابها لم يكن لغيرهم فيها حق الا بجعل الله او جعل من له فعل ذلك هذا قد جاء من الله بيان حده بعد ان بينت
هذه الآيات جعل الحق له الى الثلث فذلك له صدقة من الله تعالى وفي الفضل ان اجاز المجعول له جاز
والا لا والله اعلم فجعلت للوصية حدا ولم يجعل للدين لان الدين مما يتصل بحوايجه في حال حيوته اذ هو
يلتزم بالاسباب التي بها معاشه وغذاؤه فصار مقدما على المتروك في الحكم وانما جعلت المواريث في المتروك
معما كان الغرماء احق بملكه في حيوته يعجز عن كثير من المعروف في مرضه بهم ولو لم يكن لهم الحق لامتنعوا عن المداينات
الا بوثايق يكونون هم احق بها بعد الوفاة من الورثة او يمتنعون من المداينات وفي ذلك تقصير القوت والاغذية
عن مضي الاجل وهو به مامور فجعلت الديون كانها استحقت الاملاك في حال الحيوة فلم يجي منهم التركة وليست
كالعبادات لانها تجب في الفضول عن الحاجات والديون في الاصول فليست العبادات بالتي تمنع الوفاء بالآجال
ولا كان بارباها اليها تلك الضرورات فانما هي بحق القرب وهي عمل الاحياء فاذا ماتوا زال الامكان وجرت
في الاموال المواريث وكذا المعروف من الدين المذكور في القرآن من قوله من بعد وصية يوصي بها او دين انه
ان العبادات لا توصف بالديون ولا يفهم من اطلاق القول بالديون فصارت بمعنى الفضل عن الوصايا والدين
الى ان يوجد وهو الحقيقة ان لا يكون للمولى على عبده دين فيكون المذكور دينا في الافعال كما ذكرت العادات دينا
في الاخلاق لا في حقيقة الذمم معما كانت هي لله وقد جعل الله له قريبة لا قوام باعيانهم لا يمنع منهم الا بالوصية
كما جعل للوصي وعلى ان العبادات لا تقوم الا بالبينات ولا تؤدى من احد في حيوته الا بامره وان احتمل قيام بعض
منها عن بعض وساير الديون تجوز دونه فكذلك بعد الوفاة وان كان كل ما يؤدى به فهو الذي حدث به الوصية
وقد جاء الحد لها معما كانت العبادات لا تحتمل حق الاموات ولا الايجاب عليهم في اموالهم ثبت انها حقوق الحياة
خاصة والديون يحتمل فيهم حقوقهم في الحالين ثم قد ذكر في الدين غير مضار بل الدين اقرب الى حروف الثنيا ومعلوم انه
لا يقع منه في الديون الظاهرة المعلومة مضارة بالورثة ان كان يقع في الغرماء اذ يؤخذ منه بلا ايصاء
ولا يحتمل النهي من حيث الغرماء لما فيه الزام المكاسب في اوقات العجز لقضاء الديون فثبت ان ذلك فيما لا يعرف
من الديون وانما يرجع فيها الى قوله فيبطل بالذي ذكر تجوز اقراره على كل حال لكل احد اذ لا ضرر يقع من حيث فعله
فيرد وقد بينا ان المضارة في هذا تمنع الجواز فثبت ان من الاقرار ما لا يجوز فقال اصحابنا رحمهم الله لا يجوز اقراره
لبعض الورثة وقت الاياس من نفسه لانه وقت الايثار والسخاء بما عنده من المال وما ابطل وصيته للوارث
بما يخرج مخرج الايثار فحق اذا اجزنا اقراره فيه لنظره لم يمنع الوصية لا ينتفع بل يذهب الكل وفي الاول
لم يكن يذهب والله اعلم ثم الاصل انه اجيز في الكل بحق الامانة ووصيته بحق الملك ثم جعل في وراثته الاملاك له
اذ قد يقصد به التفضيل والتخصيص لا القربة فعلى ذلك فيما جاء في الامانة يجعل كل لا امانة له لما يخرج على الابتداء
واسقاط الاخبار للزوم عن الامناء اوجد في الاحكام ومن اسقاط المعروف من الاملاك والله اعلم وعلى ذلك فيما كانت
عليه ديون ظاهرة قد يبقى الضرورة باهلها لبعض من له بشانه عناية وفيما بينهما حقوق توجبا لبعث على المعروف
والصلة له وقت السخاء بما له وللعلم بانه عن الانتفاع به عاجز فيتغر لهم ذلك فيتهم في الحقوق التي ظهرت ثم كانت
عبادات الاموال قد يقام عن الاموات بالامر ولا يقام عبادات الافعال لوجهين احدهما جواز بعض عن بعض
في احد النوعين فيما للعباد بلا امر في الحيوة ولا يجوز في الآخر فشله العبادات بالامر والثاني ان السبب الذي
يجب عبادات الاموال لا يجوز فعل ذلك حق القيام بالافعال وعلى ذلك النيات اذ ليست من الحقوق التي
تتصل بالاموال في شيء من الامور ولم يقم بها احد عن احد لذلك لم يجز الا بامر فيكون الامر بالامر لما امر به

والله اعلم وقوله عز وجل اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اختلف فيه قال بعضهم هذا في الدنيا
وهو ان يلزم الابن نفقة والده عند الحاجة والقيام بامره والاب يلزمه ان ينفق على ولده في حال صغره وعند
الحاجة اليه والقيام بحفظه وتعاهده فاذا كان ما ذكرنا لم يدر ايهما نفعا نفع هذا لهذا وهذا لهذا ويحتمل ان يكون
قال لا تدرون انتم اي نفع اقرب اليكم نفع الاباء او نفع الابناء فان كان التاويل ما ذكرنا ففيه دلالة بطلان
شهادة الوالد لولده وشهادة الولد لوالده اذا اخبر ان هذا نفعا في مال هذا ولهذا في مال هذا فاذا ثبت النفع
لم تقبل شهادة من ينتفع بشهادته وهذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه انه لا يجوز للوكيل بالبيع والشراء ان يبيع
من ابيه او ابنه و والدته لما ينتفع ببيعه منه وبا يشترى منه وكذلك قالوا اذا اشترى من هولاء ليس له
ان يبيع مرابحة الا ان يبين لانه ينتفع به وقيل هذا في الاخرة وروى عن ابن عباس رضي الله عنه اباؤكم
وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يقول اطوعكم لله من الاباء والابناء وارفعكم درجة عند الله يوم القيامة
لان الله سبحانه وتعالى يشفع المومنين بعضهم في بعض وقيل قوله لا تدرون انتم في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا
في الاخرة في الدرجات الوالد لولده او الولد لوالده اذ هم في الدنيا لا تدرون ايهم اقرب لصاحبه نفعا في الاخرة
يعني يرجعوا في الاخرة قال فان كان الوالد ارفع درجة في الجنة من ولده رفع الله تعالى اليه ولده في درجته
لتقر بذلك عينه وان كان الولد ارفع درجة من والده رفع الله تعالى الوالد الى الولد في درجتهم لتقر بذلك
اعينهم برفع الاسفل الى الاعلى والادون الى الافضل وهو كقوله سبحانه وتعالى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم
بايمان يعني بايمان الاباء الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم يعني الاباء من عملهم من شيء ويحتمل ان يكون هذا في الشفاعة
او لا يدري ما ذلك النفع وما مقداره او يحتمل قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ليس على حقيقة القرب ولكن
على الكبر والعظم وقد يتكلم بهذا كقوله وما نريهم من اية الا هي من اختها ليس على ان اية اكبر من اخرى ولكن على وصف
الكل منها بالكبر والعظم فعلى ذلك قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا على وصف كل منهم بالنفع على الاعظام
والاكبار والله اعلم ويحتمل قوله اقرب لكم نفعا اي اوجب كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين اي واجب للمحسنين
وغيره من الايات وقوله عز وجل فريضة من الله سمى الله تعالى المواريث فرايض لما ذكرنا الاية كان بايجاب الله
لا باكتساب اذ لم يملك الخلق اعين هذه الاموال ولكنه انما ملكهم المنافع منها الى وقت وفاتهم فاذا ما توا صار
ذلك المال للذي جعل الله له لذلك سمى فرايض وقوله ان الله كان عليما حكيما بيد وحالهم وبمعاشهم ومصالحهم
وما يصلح لهم ومالا يصلح حكيما فيما فرض من قسمتها وبينها والحكيم هو المصيب واضع كل شيء موضعه والظالم
هو واضع الشيء في غير موضعه وقوله عز وجل نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
الى اخر ما ذكر فيه مراد الخصوص وان كان مخرج الخطاب عام لان الزوج او الزوجة اذا لم يكن على دين صاحبه
وعلى وصفه لم يجر بينهما التوارث دل ان ليس لاحد الاحتجاج بعموم المخرج على ما ذكرنا في الولد والوالد والام
وغيرهما انه اذا لم يكن بعضهم على وصف بعض لم يجر بينهما التوارث دل ان عموم مخرج الخطاب لا يدل على عموم
المراد ثم الاية معطوفة على ما سبق من الايات لانها ذكرت بحرف العطف والنسق بقوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم
ان لم يكن لهن ولد والربع ان كان لهن ولد ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد والثمن ان كان لكم ولد بين
في الاية الاولى ميراث الاب والام وميراث الاولاد ولم يبين ميراث الازواج ثم بين في هذه الاية فنسق على الاول
دل ان الازواج والزوجات اذا كانوا معهم فان الحكم لا يختلف فيهم يكون للام الثلث اذا لم يكن هنالك ولا اثنان
من الاخوة والاخوات فصاعدا والسدس ان كان له ولد او اثنان من الاخوة والاخوات يكون لها مع هولاء ثلث
ما بقي حيث نسق هذه على الاولى وقوله عز وجل وان كان رجل يورث كلالة اختلف في الكلالة قال بعضهم
الكلالة الميت الذي لا ولد له ولا والد وعن الحسن رحمه الله عليه انه قال الكلالة الاخوة والاخوات من الاب والام
او الاخوة والاخوات من الاب ذهب في ذلك الى ما ذكر في اية اخرى قوله ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة

ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الى اخر ما ذكر
والنصف انما يكون للاخت من الاب والام او الاخت من الاب وذلك تفسير الكلالة دل انها الاخوة
والاخوات من الاب والام او من الاب وروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال الكلالة ما خلا
الولد والوالد وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال لقد اتى على زمان وما ادري ما الكلالة الا وان الكلالة
ما لم يكن له ولد ولا والد وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الكلالة ما خلا الولد والوالد وروى عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه قال في خطبته الا ان الاية التي انزلها الله تعالى في اول سورة النساء في شان
الفرايض انزلها في الولد والوالد والاية الثانية انزلها في الزوج والمراة والاخوة من الام والاية التي ختم بها
سورة النساء انزلها في الاخوة من الاب والام والاية التي في سورة الانفال في اولي الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله مما جرت في الرحم من العصبة وروى عن عمر رضي الله انه قال اذا كانت الكلالة
بعضهم اقرب من بعض باب فهو احق بالمال وحديث عمر هذا يبين هذا ان الكلالة اسم يقع على الاخوة
من الام ويقع على الاخوة من الاب ويقع على الاخوة من الاب والام وهو ما ذكرنا في قول ابي بكر الصديق وعمر
رضي الله عنهما ان الكلالة ما عدا الوالد والولد فكانوا يذهبون والله اعلم ان الاعمام وبني الاعمام يرجعون
في النسب مع الميت الى جده وقد يكلم اب الام فسبيلهم في ذلك سبيل الاخوة والاخوات الذين
تكلمهم الاب والام الا انهم لما كانوا ابعد في النسب من الاخوة لم يرثوا معهم فاجمعوا ان معنى قول الله سبحانه وتعالى
ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت من الاب والام او من الاب اذا مات الرجل ولا ولد له ذكر ولا انثى يعطى
الاخت النصف تسمية فقال قوم من الشيعة الاية تدل على انه ان ترك ابنة واختا ان المال كله للابنة
ولا شيء للاخت لان الله تعالى جعل لها الميراث اذا لم يكن له ولد فسوى الذكر والانثى من الاولاد وليس الامر
كما قالوا لانا اذا جعلنا للابنة النصف وجعلنا ما بقي للاخت فلم نعطها ما اعطيناها بالتسمية الا ترى انه لو كانتا
اختين كان لهما عندنا ما بقي ولو جعلنا ذلك لهما تسمية اعطيناهما الثلثين لان الله تعالى جعل لهما الثلثين
بالتسمية وليس سبيلها ما تاخذه الاخت بالتسمية لا تنقص منها شيئا ما تاخذه من الباقي بغير تسمية الا ترى
ان الله تعالى جعل للابوين السدسين مع الولد فان كانت ابنة وابا فلهما النصف وما بقي للاب فقد اعطينا
الاب اكثر مما سمى الله تعالى ولكنا لم نعطه الزيادة بالتسمية فلم يلزمنا الخلاف في زيادته فان خالفونا في ذلك
قيل قد سبق لذلك جواب ما يدل على ان الاب بالباقي اولى من الابنة لذلك لم نذكره في هذا الموضع فان قال
الابنة اولى بما زاد على النصف لان الله تعالى قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فكانت الابنة
احق بذلك من غيرها قيل له ان قول الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض انما اوجب انهم اولى ببعض
من الاجنبيين بين ذلك قوله تعالى من المومنين والمهاجرين لانهم كانوا يتوارثون بالهجرة فنسخ الله
ذلك وجعل الميراث لذوي القرابة وليس في الاية دليل على ان القريب اولى بالميراث ممن هو ابعد
منه في القرابة وقال الله وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يقول والله اعلم الاخ من الاب يرث الاخت المال
كله ان لم يكن لها ولد وترث من الاخ النصف اذا كان هو الميت وقال الله سبحانه وتعالى فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك فاجمعوا ان الرجل والمراة اذا مات احدهما وترك اخا واختا فما زاد على ذلك من الذكور
والاناث كان الميراث بينهم للذكر مثل حظ الانثيين فهذا ما نص الله تعالى عليه في فرايض المواريث
وقد تكلم اهل العلم في الرد والعول وميراث ذوي الارحام فاما ميراث ذوي الارحام فان الله تعالى
قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فمن زعم ان المال لبيت المال فلم يجعل بعض الارحام اولى ببعض
بل جعل الغرباء بالميت من اولي الارحام فكان قول المورثين عندنا اولى وهو قول عمر وعلي وعبد الله
ابن مسعود وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الا زيد بن ثابت رضي الله عنه فانه جعل ذلك

لبيت المال فان قيل ان قوله سبحانه وتعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض انما هو فيمن سماه الله لهم سهاما قيل
نـ الخبر دليل انه فى غير الذين سمى الله لهم سهاما ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كتب الى ابى
الى ابى عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله ورسوله ولى من لا ولى له والخال وارث
من لا وارث له وروى ايضا ان عمر رضى الله عنه قضى للخالة بالثلث وللعمة بالثلثين وعن زر بن حبيش عن عمر
انه قسم الميراث بين العمة والخالة وعن عبد الله رحمه الله قال الخالة والد وعن على رضى الله عنه انه قال فى العمة
والخالة للعمة الثلثان وللخالة الثلث فاخذ علماؤنا فى ذلك بما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الاجلة
من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وكان ذلك موافقا لظاهر الاية وعمومها وكان اتباع ذلك عندهم اولى
من غيره فاما الكلام فى العول فان ابن عباس رضى الله عنه كان ينكره ويقول الا تعول الفريضة وكان على وعبد الله
وزيد بن ثابت يقولون بعول الفرايض وروى عن الحارث قال ما رايت احدا قط احسب من على بن ابى طالب رضى الله عنه
اتاه آت فقال يا امير المؤمنين رجل مات وترك ابنتيه وابويه وامراته قال صار ثمنها تسعا وكان ابن عباس
رضى الله عنه يكره ان ينقص الاب من السدس وقد سمى الله تعالى له السدس ثم لم يمض على هذا الاصل لانه قال
فى الابنتين وابوين وامراة للمراة الثمن وللابوين السدسان وما بقى فللابنتين فنقص الابنتين مما سمى الله لهما
فلم كانتا اولى بالنقصان كله من غيرهما وساير الصحابة ادخلوا النقصان على كل وارث بقدر نصيبه لئلا يلحق
النقصان على بعض ويأخذ البقية كمال نصيبهم وجعلوا ذلك كقوم اوصى لهم رجل بوصايا يتجاوز الثلث فاجمعت
فالحكم ان يقسم الثلث بينهم بالحصص وكقوم صح لهم دين على ميت وتركته لا تفى بذلك فهم جميعا اسوة يلحق
كل واحد منهم النقصان بقدر حصته واما الرد فان عليا رضى الله تعالى عنه وعبد الله رضى الله عنه فى الاية
على اختلافهما فيمن يرد عليه وسبيل ذلك سبيل ذوى الارحام لان ذا الرحم بباقى المال اولى من الاجنبيين
بقول الله سبحانه وتعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فمن لا رحم له فلا حق له غير سهم وليس فى الزوج
والزوجة خلاف بين اهل العلم انه لا يرد عليهما ولان فى الاية الرد على غير الزوجين من اهل السهام ومنع
الرد عليهما لانه عز وجل ذكر للابوين السدسين اذا كان له ولد وسمى للام الثلث اذا لم يكن له ولد ولم يسم للاب
شيا فيرد الباقى عليه وكذلك سمى للذكور من الاولاد مع الاناث نصيبا بقوله يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل
حظ الانثيين ولم يسم لهم شيا فى حال الانفراد فيرد الكل عليهم ولم ينزل للزوجين ذكر تسمية سهامهما
فى حال بل ذكر سهامهما فى الاحوال كلها فى حال الولد وفى حال الذى لا ولد له فلذلك منع دليل الرد عليهما وقوله
عز وجل غير مضار وصية من الله حتى يعلم انهما واحد ثم ذكر المضارة فى ميراث الاخوة والاخوات ولم يذكر
فى الولد والزوج والزوجة فهو والله اعلم يحتمل وجهين يحتمل انه ذكر فى هذا لانه بهم ختم المواريث فيكون تلك
المضارة كانت كالمذكورة فى الاولاد والوالدين والازواج اذ بذلك ختم ويحتمل انه ذكر ههنا المضارة
ولم يذكر فيما ذكرنا لما فى الطبع يقصد الرجل الى مضارة الاخ والاخت ومن بعد منه ولا يقصد فى المتعارف
الى مضارة الاباء والاولاد ومن ذكرنا فاذا جاء النهى فى مضارة من يقصد فى الطبع يقصد الرجل مضارته فلان نهى
عنها فيما لا يقصد بالطبع احق ثم بيان المضارة فى الوصية ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الثلث والثلث كثير وقوله انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون وما روى عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل الخير ستين سنة فاذا اوصى جاف
فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل الشر ستين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له
بخير عمله فيدخل الجنة ثم يقول ابو هريرة رضى الله عنه اقرؤا ان شئتم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله
الى قوله عذاب مهين وما روى ان الثلث جنف وما روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال الاضرار فى الوصية من الكباير
ثم قرا تلك حدود الله الى آخره قال فى الوصية وقوله عز وجل فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم

فلا اثم عليه

فلا اثم عليه ثم الاضرار قد يكون ايضا اذا اوصى لوارث ولم يوص للباقين لانه اضر بالوصية لبعض ورثته
الباقين فلا فرق بين ان يضر بعض الورثة وبين ان يضر الورثة كلهم ففيه دليل بطلان الوصية لبعض
الورثة دون بعض ثم الاضرار قد يكون بالدين على ما يكون بالوصية لانه اذا اقر المريض لبعض الورثة بدين
فان اقراره لا يجوز كما لا يجوز وصيته والاقرار بالدين احق ان لا يجوز من الوصية لان الاقرار فى المرض جوازه
بحق الامانة اذ يجوز جواز الشهادة والشهادة امانة والوصية جوازها بحق الملك فاذا بطل الوصية لوارثه
فاقراره له فى المرض احق ان يبطل وعلى ذلك اذا كان عليه دين فى الصحة فاقر بدين فى المرض فغرماء الصحة
اولى بدينهم من غرماء المرض لان فى ذلك اضرارا بغرماء الصحة لان دينهم قد تعين فى ماله وتحول من الذمة الى التركة
الا ترى انه ليس له ان يقضى غريما دون غريم فاذا كان ما ذكرنا لم يكن له قسمة المال بين غرماء الصحة
وبين من اقر لهم بالدين فى المرض اذ فيه الاضرار بهم اذ قد تعين حقهم فلا يغرف انه يكسب الضرر على الوارث
وبين ان يكسب الضرر على الغرماء واذا باع شيئا بقيمته فى المرض او استقرض فانه يجوز ويبدا به لانه يحمل
للغرماء اذ يقضى بديونهم مما اخذوا اذا تزوج او استاجر فيكونوا اسوة الغرماء لانه لم يحمل لهم انما يحمل لنفسه
وليس فيه اكتساب الضرر على الغرماء فيكون اسوة ثم اذا اضر ثم يجيز ويرد ذلك الضرر ويفسخ فان قيل
ان الرجل قد نهى عن الاضرار فى نفسه وماله ولو فعل فيجوز قيل ان الاضرار اذا حصل فى ملكه ونفسه نهى ويجوز
لانه لم يضر غيره واذا حصل فى ملك غيره لم يجز ورد وههنا انما حصل فى ملك الورثة والغرماء لذلك
بطل ولا يوصى باكثر من الثلث ولا يوصى لوارث ولا يقر بحق ليس عليه مضارة للورثة وقوله عز وجل
وصية من الله يحتمل قوله تعالى وصية من الله اى الذى نهى عن المضارة وصية ويحتمل الذى فرض عليكم
من المواريث وصية من الله وفريضة منه والله اعلم وقوله عز وجل والله عليم بمن ضار الوارث وزاد على الثلث
وبمن لم يضار حليم لا يعجل بالعقوبة على من ضار ويحتمل العليم والحليم ان يكونا سواء لان ضد الحكيم سفيه
وكذلك الحليم وقوله عز وجل وتلك حدود الله قيل فرايض الله التى امركم بها من قسمة الميراث ويحتمل
حدود الله ما حد لنا حتى لا يجوز مجاوزتها فهم من حد الخلق كيف فهم من قوله استوى على العرش
واستوى الى السماء ما فهم من استواء الخلق فاذا لم يفهم من حدود الله ما فهم من حد الخلق لم يجز ان يفهم
من استواء الله ما يفهم من استواء الخلق وكذلك لا يفهم من رؤية الرب ما يفهم من رؤية المخلوق ولا يفهم
من مجيئه مجيء الخلق ولا من نزوله نزول الخلق على ما لم يفهم من قوله تعالى حدود الله حدود الخلق
اذ لا فرق بين هذا وبين الاول وقوله عز وجل تلك حدود الله يحتمل وجهين احدهما اوامره ونواهيه
وما حرم واحل ويحتمل حدود شيء من ذلك فيرجع تأويل الاول الى انفس العبادات والثانى الى نهايات
العبادات والمعروف من الحدود التى تنسب الى الخلق وجهان احدهما نهاية المنسوب اليه وذلك حق
حد الاعيان والباقى الاثر الذى يضاف اليه وذلك حد الصفات ان يقال حد العقل فعل كذا وحد البصر
والسمع يراد به الاثر الذى به يعرف اذ هنالك ما ذكرتم لم تكن الحدود التى اضيفت الى الله سبحانه وتعالى
على واحد من الوجهين اللذين يضاف الى الخلق اذ قد ثبت بضرورة العقل وحجج السمع تعاليه عن المعانى
التى هن معا فى خلقه فعلى ذلك ما اضيفت اليه من طريق العقل من الاستواء والمجيء والرؤية لم يجز
فى ذلك تصوير المعنى الذى فى اضافة ذلك الى الخلق يكون بما فى ضرورة العقل والسمع جلاله وكبرياؤه
عن ذلك المعنى وبالله العصمة وقوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله قيل من يطع الله فى اداء فرايضه وسنة
رسوله يدخله جنات الى آخر ما ذكر وقيل ومن يطع الله فيما امر ونهى واطاع رسوله فى امره ونهيه فله ما ذكر
وقيل اذا اطاع الله فقد اطاع رسوله واذا اطاع رسوله فقد اطاع الله تعالى وهو واحد كقوله ومن يطع الرسول
فقد اطاع الله وقوله ومن يطع الله تعالى فيما امر ونهى وحرم واحل ورسوله فيما بلغ وبين وقيل ذى ليس

بتعزيز لكن من الذى يطع الله هو الذى يطيع رسوله لانه الى طاعة الله تعالى دعا، وعلى عبادته رغب فيكون
طاعته كقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وكقوله سبحانه ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الاية وقوله تعالى
ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده وهذا كرنه ايضا اذا عصى الله فقد تعدى حدوده ومن تعدى
حدوده فقد عصى الله ومن يعص الله ورسوله فيما لم يأمره وتهيه نهيا ويتعد حدوده يعنى احكامه
وشرايعه اى لم يرها حقا يدخله نارا خالدا فيها وله ما ذكر وقوله عز وجل واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم واللذان ياتيانها منكم فاذوهما قيل كان هذان الحكمان فى اول الاسلام
الاول منهما للمراة والثانى للرجل وقيل ان آية الاذى كانت فى الرجل والمراة وآية الحبس كانت فى حبس المراة
ويحتمل ان يكون آية الاذى فى البكر فى الرجل والمراة جميعا وآية الحبس فى الثيب فى الرجل والمراة جميعا ويحتمل
ان يكون آية الاذى فى الرجال خاصة ففيها حجة لابى حنيفة رضى الله عنه حيث لم يوجب على من عمل عمل قوم
قوم لوط الحد ولكن اوجب التعزير والاذى وهو منسوخ ان كان فى هذا وان كانت فى الاول فهى منسوخة
ثم اختلف بما به نسخ فقال قوم نسخ بقوله الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لكن عندنا هذا
يجوز ان يجمع بين حكمها فكيف يكون به النسخ ولكن نسخ عندنا بالخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر الثيب بالثيب البكر يجلد وينفى والثيب يجلد
ويرجم ففيه دليل حكم نسخ القرآن بالسنة فان قيل فى الاية دليل وعد النسخ بقوله او يجعل الله لهن سبيلا
فانما صار منسوخا بما وعد فى الاية من النسخ الا بالسنة قيل ما من آية او سنة كان من حكم الله النسخ بقوله
او يجعل الله لهن سبيلا فانما صار منسوخا بما وعد فى الاية من النسخ لا بالسنة قيل ما من آية او سنة كان
من حكم الله النسخ الا والوعد فيه النسخ وان لم يكن مذكورا لان الله عز وجل لا يجعل الحكم فى الشى للابد ثم ينسخ
لانه بدو وذلك فعل البشر لا فعل الربوبية فاذا كان ما ذكرنا فلا فرق بين ان ينسخه بوحى يكون قرانا يتلى
وفيه اخبار كثير روى انه رجم ماعزا لما اقر بالزنا مرارا ورجم غيره ايضا ما روى ان عسيفا الرجل زنا بامراة
وقال ساقضى بينهما بكتاب الله تعالى وقال واغد يا انيس على امراة هذا فان هى اعترفت فارجمها وعن عمر رضى الله عنه
قال خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائله ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله
الا وان الرجم حق اذا احصن الرجل وقامت البينة او اعترف وقد قراناها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة نكالا من الله رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده وقال قوم الرجم بين اليهود والنصارى
كهو بين المسلمين كالجلد بالاية ولما روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه رجم يهوديا قيل انما رجم
بحكم التورية الا ترى انه دعا بالتورية ودعا علماءهم فامرهم ان يقروا عليه فوضعوا ايديهم على الموضع الذى فيه
ذكر الرجم فقروا غيره فقال ابن سلام انهم كتموه يا رسول الله ثم قراءه هو فامر برجمهم ولا شك ان القرآن
نسخ حكم التورية لذلك لم يقم عليهم الرجم فان قال قائل ان الحد يقام على من عمل عمل قوم لوط بقوله تعالى
الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قيل لا يحتمل وجوب الحد عليه بذلك لانه يختلف
حكم هذا من هذا فى الحرمة ووجوب المهر وغير ذلك فلا يحتمل ان يعرف حكم شى لما يخالفه فى جميع احكامه
وجميع الوجوه وقوله عز وجل واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم فى الاية دليل جواز القياس لانه ذكر
الحكم فى النساء ولم يذكر فى الرجال ذلك الحكم ومما لا يختلفان فى هذا الحكم ما يلزم المراة فى ذلك الفعل يلزم
الرجل مثله دل ان ما ترك ذكره فى المنصوص انما ترك للاستدلال عليه والاستنباط من المنصوص
والانتزاع منه وقال قوم ان على الثيب الجلد والرجم جميعا ذهبوا فى ذلك الى ما روى عن عبادة بن الصامت
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر يجلد وينفى
والثيب بالثيب يجلد ويرجم اوجب الجلد والرجم على الثيب واما عندنا فانه لا يوجب مع الرجم الجلد لما روينا

من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم ماعزا ولم يذكر انه جلده وما روى عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اغد يا انيس على امراة هذا فان اعترفت فارجمها لم يذكر هنالك جلده
والاخبار كثيرة فى هذا وروى انه قال من اصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله الذى
ستره عليه فان من ابدى لنا صفحته اقمنا عليه حدود الله ثم يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب
يجلد ويرجم فى اختلاف الاحوال يجلد فى حال ويرجم فى حال او يجلد ثيب ويرجم آخر لانه لا كل ثيب
يرجم لانه اذا كان ثيبا غير محصن لا يرجم دل انه على ما ذكرنا ويحتمل قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر
يجلد وينفى والثيب بالثيب اى البكر مع البكر والثيب مع الثيب فيكون ثيبا يجلد وثيب آخر يرجم ثم اختلف
اهل العلم فى نفى البكر قال قوم النفى ثابت واجب وعندنا ان كان فهو منسوخ ودليل نسخه ما روى فى خبر
زيد بن خالد وكان لرجل بكر ابن ذكر انه نفى وما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه نفى رجلا
فارتد ولحق بالروم فقال لا انفى بعد هذا ابدا وما روى عن على انه قال كفى بالنفى فتنة وان كان فهو عقوبة
وليس بحد كالحبس للدعارة وغيره والدليل على ان النفى ليس بحد ان الله سبحانه وتعالى قال فى الاماء
فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والامة لا تنفى لما روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زنت امة احدكم فليجلدها ثم اذا زنت فليجلدها ثم اذا زنت فليبعها ولو بضفير
امر بجلدها ولم يامر بالنفى ولو كان حدا لامر به كما امر بالجلد دل انه ليس بحد فى الحر ولانه اوجب على الاماء
نصف ما وجب على الحراير ولا نصف للنفى دل انه ليس بحد ولا يجب ذلك وان كان فهو حبس وفى الحبس
نفى فيحبس او ينفيان لينسيا ما اصابا لان كل من رآهما يذكر فعلهما فينفيان لذلك لا انه حد ولكن
لينسيا ذلك ولا يذكر وقوله ايضا واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم الى قوله تعالى فان تابا واصلحا
يخرج على وجهين لو كانت الآيتان فى الزنا احدهما ان يكون فى جميع الاناث الحبس وفى الذكور الايذاء
ولذلك جمع من الجميع فى الخبر الذى به النسخ فارتفع الحبس والاذى جميعا وذلك معقول تاديب الرجل
ازجر له وحبس المراة اقطع لوجوه الزنا او ان تكون الاية الاولى فى المحصنات على تضمن المحصنين بالمعنى
والاية الثانية فى الذكور على تضمن الاناث بالمعنى لكن جرى الذكر على ما ظهر من فضل صيانة الابكار
من الاناث اما تدينا وحياء لا افتضاح او بما الغالب عليهن الصون من المحارم والحفظ عن قرب الذكور
ليس بشى من ذلك فى الذكور ولا فى الثيبات من الناس على انه بعيد بلوغ النساء فى قلة الحياء الى ان يجلس
حتى يشهده اربع والغالب عليهن ان لا يخالطن هذا القدر من العدد ثم الدلالة على دخول الكل قوله
رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا ذكر لهن على ما جرى به الذكر
فى القرآن ثم جمع فى التفسير بين الكل ثبت ان الذكر قد يضمن الكل وذلك يبطل تاويل من يصرف الاية
الى الابكار من الاناث والذكور ومتى يحتمل وجود مثل ذلك بعد النكاح على اثر خلوة الازواج بهن
والاطلاع على ما فيه المسبة الدائمة والعار اللازم له ثم كشف ذلك لجميع محارمها ثم خوف الانتشار به
ظاهرا وكيف يحتمل فى مثل تلك الحال الى تمكن من ذكر بحضرة من ذكر دون ان ينضم الى زوجها فتاويل
من وجه الاية الى الابكار خارج عن المعروف ثم المروى من السنة ثم اجمع عليه اهل التاويل عمل صاحبه
على هذا جهله بان لا يجوز بيان نسخ حكم بينه الكتاب بالسنة ويحكم على الله تعالى وعلى رسوله بحجر هذا
النوع وقوله عز وجل واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة فان شهدوا الاية معلوم
ان عقوبة الزناة يتولاها الائمة فكان الخطاب عليهم خرج ثم قد اثبت الفاحشة منهن ولم ياذن فى اقامة
عقوبتها حتى يستحضر اربعة فيشهدون بها ففى هذا ان ليس للائمة تولى حد الزناة بعلمهم حتى يكون
ثم شهود وفى ذلك لزوم حق الستر الى اقصى ما ينتهى اليه من اعلان الفعل من الزناة اذ ذلك امر معلوم

فيما يحل ان لا يفعل الا في احوال الخلوات التي تعلم حقيقة ذلك بان لو لا يكون فاما من حيث الكون دونه فانما هو
غالب الظن فالذي لا يحل من ذلك ان يكون بحيث لا يعلم حقيقته ابدا يدل على جميع ذلك الامور التي منها المباح
والمحظور ان المحظور ستره ابعد من الظهور والعلم به من المباح فعلى ذلك امر هذا معا ابدا ما جعل فيه من هذا الرای
وجهين احدهما الزجر عن هتك هذا النوع من الستر حتى خرجت شهادة من رمى بذلك بما هتك ستر الله والثاني
فحش الشين بفاعل ذلك ولزوم المسبة في صاحب ذلك وذلك غاية معنى لزوم الشين وكذلك روى عن
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من اصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فانه من ابدى لنا
صفحته اقمنا عليه حد الله فاذا بلغ العمل الذي حده ما ذكرت من العقوبة من نهاية الستر النهاية من الاعلان
حتى ظهر ذلك للجماعة يفعل من يشينه فعله ما ذكرت استحق ما ذكرت من العقوبة بجرأته على ذلك محله
وبقلة حيائه حيث اظهر الذي ذلك حقه الستر عقوبة ذلك الفعل فالزم من اليه ذلك القيام به ثم جعل
في ذلك عقوبات مختلفة على اختلاف اوقات الفعل واهله على ما علم من مصلحة الخلق بها وزجرهم
وتكفيرهم بها ثم ان الله سبحانه وتعالى جعل اول عقوبة الزنا في نوع من الخلق في الاسلام الحبس في البيوت
فهو والله اعلم يخرج على وجه احدها انه كان الزنا في الابتداء في نوع من الخلق ظاهرا يكتسبون به عرض
الدنيا وفي ذلك في الاماء حتى قال الله سبحانه وتعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الاية وحتى كانوا
يدعون الانساب في ولد الزنا من الاماء حتى بلغ من ظهور ذلك الى ان يمازح به الحراير في الطرق
تعاميا عن حالهن فنزل قوله سبحانه وتعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين
يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين واذا كان هذا حالهم في ذلك الوقت
غلب عليهم خوف مواقعة الزنا وكذلك على الحراير لكثرة ما يدين او يسمعن وذلك معنى يبعث
من شرهت نفسه وقلة تفكره في امر عاقبته مما ينزل به او يشينه وقد ركبت هذه الشهوة في كل
البشر فخفف الله عقوبته في الابتداء ان جعل في الحبس والامساك في البيوت ثم صار ذلك الى القرب
لما ان تجرح الناس وعظم ذلك في اعينهم وجعل في الشتم به الحد ليعرفوا عظم موقعه عند الله
وانتهوا عن فعله وقد جعل في بعض الاحوال الرجم وهي الحال التي يزول فيها كل وجوه العذر
ويرتفع جميع معاني الشبه لعظم امره والثاني ان السبب الباعث على ذلك قرب بعض ببعض ومخالطة
بعض ببعض على عظم الشهوة فغلب عليهم الامر واستعدتهم الشهوة حتى واقعوا ذلك ثم في الحبس
وجهان احدهما الكف عن المعنى الذي يدعو اليه من الاختلاط وتلاقي الابصار والثاني ما فيه
من فضل ضجر وتضييق الحال اذ جعل ذلك الى الموت فيكون في ذلك عقوبة من حيث الضجر ومعونة
على الكف عنه بالحبس حتى لا يقع بصر ذكر على انثى وانثى على ذكر والثالث ان يكون في الحبس ترغيب
الارحام في الحفظ والزام القرابة بعد ما يزجر عن تضييع حقوق الرحم ويدعوا الى القيام بالكفاية
اذ ضيق على الفاعل ذلك وذلك يوجب قبل المواقعة الاستعلام عن الاحوال والجهد في الحفظ اذ في ذلك
بعض عقوبة اهل الاتصال من تكليف الامساك والقيام بالكفاية فيكون ابلغ في العفاف واقرب
الى الصلاح وعلى ذلك مثل جعل امر المعاقل ليقوم اهل الصلاح في كل قبيلة في كف اهل الفساد
والله اعلم ثم لما انقطعت العادة وقام الناس بالتعاهد وتفرق الفريقان حتى لا يؤذن بالاجتماع
الا ان يكون ثم من جبل على الاياس من ذلك وانثى على قطع الشهوة فيهن فجعل في ذلك حد وفي ذلك
لهن سبيلا وذلك والله اعلم يخرج على اوجه يجب التامل في الوجه الذي سمى ما نسخ به اللازم في ذلك
وذكر فيما ذكر حد مرة ورجم ثانيا ومعلوم ان المجعول لها السبيل والرجم والحد اشد عليهم من الحبس
وقد روى عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله سبيلا البكر بالبكر

جلد مایة

جلد مایة وتغريب عام والثيب بالثيب يجلد ويرجم فهو والله اعلم ان بهذه الشريعة خلى سبيلهن
لا اذا وجب على المحبوسات اقامة ذلك بما قد حبس بالزنا ولكن في هذا تخلية السبيل على انهن فعل بهن ذلك
على رفع الحبس عنهن اذ الحبس بما لم يبين حد ذلك فاذا بين ذلك ولا احد حتى يكون منها ذلك فالسبيل
المجعول لهن تخلية السبيل ثم بين الحكم في الحادث ووجه آخر ان السبيل في الحقيقة مجعول لمن كلف امساكهن
واذا اضيف اليهن بما فيهن ضيق عليهم الامر وذلك كقوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن
والاماء لا ياتين الاجر لكن بمعنى فيهن ذكر الاجر فاضيف اليهن وعلى نحو ما اضيف اهل القرى
الى القرى بالتسمية فاخرجت على تسمية القرى واذا كان المراد اهل ذلك في حق تسمية الاهل التذكير
والقرية التانيث فكان جعل للمامورين بالامساك سبيلا في ان يقيموا الحد ويزول عنهم مؤنة
الامساك والقيام بالكفاية والثالث ان يكون في طول الحبس ضجر وضيق وحيلولة بين المحبوس
والشهوات كلها وقطع بينه وبين الاحباب وتحمل مثله بمرة ايسر على النفس واهون من دوام
القهر ثم لا يخلص عن ذلك الا بما في الاول فيكون ثمرة فلذلك سمى والله اعلم ذلك سبيلا لهن
ثم دل الخبر الذي ذكرت على امرين احدهما ان الحبس وان كان مذكورا في النساء خاصة فهو في جميع
الزناة لانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا ثم ذكر
ما به جعل لهن السبيل في الذكور والاناث في المحصنين وغيرهم جميعا ليعلم ان الحكم يجمع الكل وان كان الذكر
فيهن وذلك كما ذكر حد المماليك في الاماء وحد الزناة في قذف المحصنات والحكم يجمع الذكور والاناث من حيث
اتفاق المعنى الذي له جعل فمثله فيما نحن فيه والثاني في بيان نسخ المذكور من الحكم في الكتاب بالسنة
وذلك لوجهين احدهما انه لم يوجد على الترتيب الذي ذكر في القرآن معا ذكر تخلية السبيل وليس بمذكور
في شيء من القرآن ثبت ان ذلك كان يوحى غير القرآن والثاني انه عليه الصلوة والسلام قال خذوا عني
خذوا عني ثم اخبر عن جعل الله لهن السبيل فدل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم خذوا عني خذوا عني
انه عنه بيان جعل الله وهكذا معنى النسخ انه بيان جعل الله مدة حكم الاول بما يحدث فيه الحكم وليس قول
من يقول في هذا في القرآن وعد بقوله عز وجل حتى يجعل الله لهن سبيلا بمعنى لان كل شيء في حكم الله
انه ينسخه فالوعد في حكمه قائم الا ان يقول قائل لا يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان وعد الحكم
وانما يصدق ببيان وعد الشرط فيحتاج ان يحدث منه ايمانا والله الموفق معا اذا جاز ان يعد النسخ المذكور
في القرآن حقيقة لا فيه وبعد فان من يقول هذا يعثه عليه جهله بمعنى النسخ انه البيان عن منتهى حكم
المذكور من الوقت ولا ريب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيان منتهى الحكم من النوع فمثله الوقت
ثم اذا كان هذا اول عقوبة في الاسلام فثبت به نسخ الحكم بالتورية والعمل اذا كان فيها الرجم وقد ذكر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما رجم بحكم التورية وقال انا اول من احيا سنة اماتوها واذا ثبت ان ذلك حكم التورية
ثم ثبت نسخ حكمه فلا يقام عليهم الرجم الا بعد البيان معا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اشرك
بالله فليس بمحصن وانه اخبر بالرجم في القرآن المحصن وقال قوم عقوبة الحبس في الاناث خاصة
واما في الذكور ففيهم الاذى باللسان والتعزير بقوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فآذوهما الاية وهذا
قريب من حيث كانت النساء مكانهن البيوت وامكن حفظهن عن الزنا وتسليمهن الى الازواج مرة
والمحارم ثانيا والرجال اذا حبسوا تحولت مؤنتهم الى غيرهم فيكون عقوبة فعلهم تلزم غيرهم والراحة
يكون لهم واما النساء فمؤنتهن في الاصل على غيرهن فذلك عقوبة لهم معا كان الرجال بحيث يمكن
تغييرهم وذلك ابلغ ما يزجر العقلاء وقد يحتمل ان يكون ذلك في الرجال خاصة اذ لا يذكر في عمل قوم
لوط العقوبة وقد علم الله سبحانه وتعالى حاجة الناس الى معرفة عقوبة ذلك اذ جعل الله تعالى في اتيان النساء

حقوقاً وحرماتاً واحكاماً ليست في اتيان الذكور عرف الخلايق تلك فلم يحتمل ان ينزل ذكر عقوبته
للذكور في الزنا بعدان فرق احكام الامرين فيشبه ان يكون الاية على ذلك وايد ذلك عز وجل انه سبحانه وتعالى
قال فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ولم يذكر في ذلك جعل السبيل وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك في كل اقسام الزنا ثبت ان ذلك فيما ذكر فتكون عقوبة الاولى في ذلك اخف من الحد فكذلك عقوبة الثانية
معا يكون فيما يوذيان بتعزير وهو تعزير وذلك هو الباقي بلا اذا لم يظهر معنى النسخ وايد الذى ذكرنا استواء
الذكور والاناث في جميع عقوبات الزنا في قديم الدهر وحديثه من حدود المماليك والاحرار والثيبات
والابكار فعلى ذلك امر تاويل الاية والنفي المذكور في الخبر يحتمل وجوها احدها ما ذهب اليه الخصوم
من جعله عقوبة وانه النفي من البلد لكن الحدود اذ جعلت كفارات قد جعلن زواجر وفي الزنا بخاصة
اذا امر فيه بالحبس اريد قطع السبيل اليه وفي الاشخاص والاخراج من البلدان تمكين وذلك بعيد
والله اعلم فعلى ذلك لو كان عقوبة فهو على الحبس فينفي عن وجوه الاجتماع على ما كان من قبل
فينفي ذلك العذر منه لظهور خشوع التوبة وقد يحتمل ان يراد بالنفي قطع الذكر ورفع المسبة
فينفي لينسى ذلك فلا يعير بذلك وكذلك في الاماء ولا في الكفرة اذ ما فيهم من الذل اعظم مما لا يجب
نسب من ذكرت حد ليعلم عظيم موقع ذلك في الاحرار ولو كان على العقوبة فهو منسوخ بما جرت
السنة في الاماء بجلدهن من غير ذكر الحبس وقال الله سبحانه وتعالى فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب والمذكور في الثيب يحتمل بجلده في حال ويرجم في حال اذ لا كل ثيب تجلد وان كان ثم نسخ بما ذكر
من خبر ماعز وغيره **وقوله** عز وجل فآذوهما قيل فآذوهما بالحد وقيل فآذوهما بالتعيير فان تابا واصلحا
كفوا عن ذلك وقيل سبوهما لكن الاذى بالتعيير اقرب **وقوله** عز وجل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة يحتمل قوله انما التوبة على الله للذى كذا اى توفيق التوبة وهدايته على الله سبحانه وتعالى
اذا كانت نفسه ترغب فيها وتميل اليها على الله ان يوفقه على ذلك اذا علم الله منه انه يتوب ويحتمل قوله
انما التوبة على الله اى قبول التوبة على الله سبحانه اذا تاب ورجع عما كان فيه وارتكبه وفي قوله ايضا
انما التوبة على الله لمن ذكر يحتمل قبولها بمعنى ان الذى لا يسوف التوبة ولا ينتظر بها وقت المنع عن ركوب ما
يتوب ولا الاياس عن امكان العود الى ما عنه يتوب فالله يقبلها اذا كان ذلك دابه وعادته وان بلغ
هو ذلك المضيق بامر دفع اليه او كان يتوب من قريب من الذنب بان لا يستخف به فيترك الرجوع
لقلة مبالاته به فلا يقبلها ممن هذا وصف توبته وحال استخفافه بالذنب والثاني ان يكون توفيق
التوبة والهداية اليه ممن يفزع عند ذنب ويبعثه على الرجوع الى الله والتعرض لرحمته واحسانه ولا يوفقه
من لا يبالي بالذى يذكر ولا يتضرع اليه وقيل الاول في الصغاير والثاني في الكباير والثالث في الكفر بان صاحب
الصغيرة ارق قلباً واخص ذكراً لله ورجوعاً الى ربه وصاحب الكبيرة اقسى قلبا من الاول والظلم فهو لا يندم
الا بعد شدة وبعد طول المحنة وضيق القلب مثل فليس على الله قبول توبة من يتوب في تلك الحال ولا توبة
من بان منه ما يامله بالذى عليه قبول ذلك ولكن بفضله وبرحمته يقبل ويوفقه بما كان منه من الخيرات
والحسنات التى هي من اسباب التقرب الى الله سبحانه وتعالى والكافر لا يقبلها اذ هولاء يتوب حتى يموت
فيستيقن بالعذاب والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا الاخير في الكفار فيكون فيهم من يظهر التوبة عند
الضرورة والدفع الى الحال التى يزول عنه وسع الامكان ويايس من الامهال ليصل الى ما لله كان يذنب
فالله لا يقبل توبته اذ ليست في الحقيقة توبة تمكن بل توبة مضطر وتوبة دفع ما حل به اذ هو وقت شغل
عن الاستدلال وعن الوقوف على الاسباب من جهة التامل والنظر ولا يرى غير الذى قيل عليه يظن
ان له الخلاص بالذى يبدل والله اعلم **وقوله** عز وجل يعملون السوء بجهالة هذا ايضا يحتمل وجهين

يحتمل جهل الفعل فيقع فيه من غير قصد الفعل والجهل بموقع الفعل والعمل بجهالة يخرج على وجوه يكون
عن غلبة تغلب عليه شهوته فيعمل ذلك العمل على طمع منه انه سيتوب من بعد ويصير رجلا صالحا على ما فعل
اخوة يوسف حيث قالوا اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ثم سماهم جهلة بذلك
في آية اخرى حيث قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون ويحتمل العمل بالجهالة
هو ان يعمل على طمع المغفرة ويتكل على رحمة الله وكرمه ويحتمل العمل بالجهالة تجاهلا له عقوبة عمله على ذلك
وكذلك الخطا والنسيان على وجهين خطاء الفعل وهو الذى ليس بصواب ولا رشد وخطاء القصد
عمدا الفعل وهو الذى قصد احدا فاصاب غيره والنسيان على وجهين ايضا نسيان ترك وهو الذى
يكون ان يضاف الى الله سبحانه وتعالى من هذا الوجه قيل نزل قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة الاية في المؤمنين وقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات الى آخر الاية في الكافرين وقيل انهما
جميعا في المؤمنين والثالثة في الكفار وقيل ان الاولى في المؤمنين والثانية في المنافقين والثالثة
في الكفار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تاب ان يغرغر نفسه ويعاين الملائكة قبل الله توبته والاصل في هذا
ان توبة الكافر تقبل اذا كان توبته توبة اختيار واما اذا كان توبته توبة اضطرار ودفع فانها لا تقبل
ابدا كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل اذا كان ايمانه ايمان دفع واضطرار عند معاينة العذاب
فانه لا تقبل ابدا وهو ايضا كايمان فرعون حيث قال حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى
آمنت به بنو اسرائيل الاية لم يقبل ايمانه لانه ايمان دفع واضطرار فعلى ذلك كل ايمان كان ايمان دفع واضطرار
فانه لا يقبل ابدا وكقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وقيل عز وجل وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن هم الذين يتوبون عند معاينتهم الموت اخبر انه لا يقبل
توبتهم لانهم يتوبون في الآخرة دفع العذاب عن انفسهم كقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين **وقوله** عز وجل
يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قال بعضهم كان يجوز لهم ان يرثوا النساء طوعا لانه
انما نهى ان يرثوهن كرها فكان فيه دليل جواز وراثتهن طوعا واما عندنا فانه ليس فيه دليل جوازه
وراثتهن طوعا وان كان النهي بما كان في حالة الكره لان الاصل عندنا ان ليس في حظر الحكم في حال دليل
اباحته في حال اخرى ولا في حال دليل خطره في حالة اخرى ولا في حله في حال دليل حرمته
في حال اخرى ولا في حرمته في حال دليل حله في حال اخرى دليل ذلك قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق ليس على انهم ان يقتلوا اذا لم يخشوا الاملاق **وقوله** عز وجل انا احللنا لك ازواجك اللاتى
آتيت اجورهن ولقوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة والقصة في الاية ما قيل ان الرجل اذا مات وترك امرأة
كان وليه احق بامرأته من ولي نفسها ان شاؤا تزوجها وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يتزوجوها
فنزلت الاية في ذلك وقيل ايضا كانوا في اول الاسلام اذا مات الرجل قبل اقرب الناس منه يلقى على امرأته
ثوبا فحرمت نكاحها طوعا وكرها فنزلت الاية في ذلك والاية عندنا خرجت مخرج بيان التحريم على ما كانوا
يفعلون دليل ذلك قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف نهى الابناء ان ينكحوا ما نكح
آباؤهم من النساء فدل ان النهي كان في الحال جميعا في حال الكره والرضاء والله اعلم وفي قوله لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها الاية يحتمل حرمة وراثتهن ابدا وان ذكره كرها لوجهين احدهما ان ليس في ذكر الحرمة في وجه
او ذكر الحكم دلالة تخصيص الحال كقوله سبحانه وتعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقوله فان خفتم
الا تعدلوا فواحدة وقوله عز وجل انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن انهن يحللن وان لم يؤتين اجورهن
وان لم يصر ذلك شرطا صار كانه قال الله عز وجل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها والله اعلم والثاني ان يكون

الورثة ابداً يكون كرهاً ويجب الميراث سامن فيه وله اولا داذا كان هذا وجب الوراثة فذكره ذلك وغيره ذكره
سواء والثالث انهم كانوا يتوارثون النكاح وهو امر لا يحتمل الانقسام ولا عند الاشتراك الاستمتاع فكان ذلك على ترك
منهم لواحد وان يكون فيما كانت الوراثة ترجع الى واحد فيكون ذلك بحق النكاح لا الميراث فاذا حرم النكاح في حق
من يرث من الذكور وهم الآباء والابناء فبطل الميراث لو كان يجوز ان يورث ثم دلت هذه الآية في قطع وراثة
منافع الابضاع وملك الابضاع ادوم من ملك الاجارات فيجب ان يكون قطع الاجارات اولى ودليل آخر على بطلان
الوراثة ان المراة قد ترث الميراث فيكون وراثة بعض نفسها فبطل من حيث يراد اثباته **وقوله**
عز وجل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة اختلف فيه قال بعضهم
هو معطوف على الاول وهو ما ذكرنا من الوراثة نهاهم ان يعضلوهن ليذهبوا اموالهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة قيل
لم يكن يومئذ عقوبة اذا اتت المراة بفاحشة سوى اخذ المهور منها وكانوا يمسكونها على الوراثة فاذا اتت بفاحشة
اخذ ما آتاها ثم يسرحها فان قيل نهاهم عن الوراثة لان الولي اذا ورثها ورثت هي نفسها فيبطل بذلك فالنهي لذلك
قيل لو كان لذلك فالمراة اذا كانت ممن لا ترث عن الزوج مملوكة يجب ان يحل ذلك اذ لا وراثة ثمه
فاذا لم يجز دل انها خرجت على بيان التحريم والله اعلم وقيل في قوله عز وجل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن على الابتداء ليست على الاول نهى الزوج ان ياخذ منها ما آتاها من المهر الا ان ياتين بفاحشة
مبينة ثم اختلف في قوله تعالى الفاحشة قال بعضهم هو الزنا وهو ما ذكرنا وقال آخرون الفاحشة ههنا
هو النشوز اي اذا نشزت فلا باس ان ياخذ منها ما آتاها وقيل هو ما ذكره عز وجل في آية اخرى ولا يحل لكم
ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا لا تاخذوا منه شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله
فلا جناح عليهما فيما افتدت به نهى الازواج ان ياخذوا منهن شيئا الا عند ما يخافا الا يقيما حدود الله
فحينئذ اباح لهم اخذ ما افتدت به فعلى ذلك قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان ياتين
بفاحشة مبينة وهو ما ذكرنا من النشوز وخوف تركها اقامة حدود الله فعند ذلك اباح لهم
اخذ ما آتاها والله اعلم **وقوله** عز وجل وعاشروهن بالمعروف اختلف فيه قيل هو كقوله عز وجل
فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف كقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان
وقيل وعاشروهن بالمعروف في كلامها وبرها والانفاق عليها والاحسان اليها والاجتناب عما لا يليق بها من الشتم
والايذاء وغير ذلك وعاشروهن بالمعروف يحتمل بالفضل ويحتمل كما لو فعل بك بمثل ذلك لم تنكره بل تعرفه
وتقبله **وقوله** عز وجل فان كرهتموهن قيل فيه بوجهين قيل كرهتم صحبتهن من قبحهن ودميمتهن او سوء خلقهن
فصبرتم على ذلك يجعل الله فيه خيرا كثيرا قيل يهب لكم منهن اولادا تقر بهم اعينكم او يعطيكم في الآخرة ثوابا جزيلا
بصحبتكم اياهن وقيل في قوله عز وجل فان كرهتموهن اي كرهتم فراقهن ويجعل الله تعالى في الفراق خيرا كثيرا
كقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته **وقوله** عز وجل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم
احداهن قنطارا والقنطار قيل مائة رطل وقيل في حرف ابن مسعود رضي الله عنه قنطارا من الذهب وعن
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ان كرهت امراتك واعجبتك غيرها فطلقت هذه وتزوجت تلك فاعط هذه
مهرها وان كان قنطارا والقنطار اثنى عشر الف درهم او الف دينار وقيل القنطار الف ومائتا دينار فهذا
على التمثيل ليس على التقدير ووجه النهي والوعيد في ذلك والله اعلم وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان النساء عندكم عوان اتخذتموهن بامانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى فوعظ عز وجل
الازواج في غير آية من القرآن عن اخذ مهور النساء وغيرها من الاموال لضعفهن في انفسهن والرجال
هم القوامون عليهن لئلا يبسط الازواج في اموالهن شفقا عليهن ولما اذا اخذ منها مهرها تبقى تلك المنفعة
بلا بدل وذلك زنا وعلى هذا يجيء ان لا يجوز له ان يخلعها لانه اذا اخذ منها مهرها بقيت المنفعة بلا بدل لكن

اجير له ذلك لانه تقلب في الملك وكل من تقلب في ملكه ببدل باخذه جاز له ذلك **وقوله** عز وجل اتاخذونه
بهتانا واثما مبينا قيل ظلما بغير حق وقيل اذا اراد طلاقها لا يفارقها بكذب لتفتدي منه مهرها واثما مبينا ويحتمل
ان يكون البهتان والاثم واحدا **وقوله** عز وجل وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض وقيل الافضاء
هو الجماع والاشبه ان يكون الافضاء الاجتماع لانه اضافه اليهما جميعا فهو بالاجتماع اشبه واليه اقرب
فيجب المهر بالاجتماع والخلوة بها والجماع فعل الزوج يضاف اليه خاصة **وقوله** عز وجل واخذن منكم ميثاقا
غليظا قيل عقدة النكاح وقيل هو ما ذكرنا من قوله تعالى امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الميثاق
الغليظ ما ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله في النساء فانكم انما اتخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله وانهن عندكم عوان لا يملكن من امرهن شيئا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس ان لكم على نسائكم حقا وان لهن عليكم حقا وان من حقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم ولا ياذن
في بيوتكم لاحد تكرهونه ولا ياتين بفاحشة مبينة فان هن فعلن ذلك فقد احل الله لكم ان تضربوهن
ضربا غير مبرح يعني غير شاين وان من حقهن عليكم الكسوة والنفقة بالمعروف وقيل ان رجلا
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يحل لنا من نسائنا وماذا يحرم علينا منهن فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حرثك فات حرثك انى شئت ولا تضرب الوجه ولا تقبحه ولا تهجرها الا في بيتها واطعمها اذا اكلت
واكسها اذا اكتسيت وقيل الميثاق الغليظ ما اقروا به من قول الله فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
وقوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء حرم الله تعالى على الابناء نكاح نساء الآباء وذلك انهم
كانوا يفعلون في الجاهلية ما قيل في القصة ان ابا قيس توفي فعمد ابنه يقال له محصن فتزوج امراة
ابيه فنهى الله تعالى عن ذلك فقال عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وقيل ان رجلا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج سلا سيفه فقيل له ما شانك فقال ان رجلا تزوج بامراة ابيه
فهذا اذا تزوجها مستحلا لها فهو يكفر لذلك كان قصد قتله ولذلك حرم الله سبحانه وتعالى على الان نكاح
نساء الابناء بقوله تعالى وحلائل ابنائكم **وقوله** عز وجل الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا اي انكم
اذا انتهيتم عن ذلك في الاستئناف يغفر لكم ما قد سلف وان كان فاحشة وقيل الا ما قد سلف قبل التحريم
انه كان فاحشة اي صار فاحشة في الاسلام ومقتا قيل بغضا وساء سبيلا اي بئس المسلك تزوج نساء الآباء
ويحتمل ان يكون الآية في الطلاق اذا كان الرجل يطلق امراته ثم يندم على طلاقها فيتزوجها ابنه فيمقت ذلك النكاح
ويبغض **وقوله** عز وجل وساء سبيلا اي بئس السبيل نكاح امراة ابيه حيث مقت ابيه وبئس مقت ابيه المسلك
وقوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم الى آخره يحتمل وجهين يحتمل اي حرم عليكم الاستمتاع
بامهاتكم وبناتكم واخواتكم وما ذكر والجماع بهن ويحتمل حرمة النكاح اي حرم عليكم نكاح امهاتكم وبناتكم
واخواتكم فان كان هذا اراد فلا يحرم النكاح لنفس النكاح ولكن يحرم النكاح لما به يتوصل الى الاستمتاع
بالنساء واليه يقصد فدل انه يحرم الجمع بين الاختين في الاستمتاع في ملك اليمين ولا يحرم الجمع بينهما
في العقد ثم ذكر الحرمة في الامهات والبنات والاخوات ولم يذكر في الجدات انهن محرمات وان علون ولم يذكر
في بنات البنات انهن محرمات وان سفلن فعندنا ان ذكر الحرمة في الامهات والبنات ذكر في الجدات
وان علون وفي بنات البنات وان سفلن لانه ذكر الحرمة في العمات والخالات والعمات من ولد الجد
والخالات من ولد الجدات فاما ذكرت في الاولاد والحرمة ثبتت حرمة الجدات والاجداد وكذلك ذكر الحرمة
في الاخوات وبنات الاخوات فالحرمة في بنات الاخ والاخوات الحرمة في الاخوات والاخوة فعلى ذلك ذكر الحرمة
في الامهات ذكر في البنات وبنات البنات لما ذكرنا او ان يقال ان بنات البنات وان سفلن فدخلت
في ذكر الحرمة نصا وكذلك اسم الام وان علت فدخلت في الخطاب **وقوله** عز وجل وامهاتكم اللاتي ارضعنكم

واخواتكم من الرضاعة ذكر الامهات من الرضاعة والاخوات ولم يذكر البنات قال انما لم يذكر البنات
من الرضاعة لانه لا يمكن من الرضاعة البنات لذلك لم يذكر وذلك اختلاف بيننا وبينه في لبن الفحل
فعندنا لبن الفحل محرم وعند بشر لا يحرم ولبن الفحل ذكر الله سبحانه وتعالى الحرمة في النسب بيننا
وبين بيان احاطة وحقيقة وذكر الحرمة في الرضاع وبين بيان كفاية لا بيان احاطة فاما ان ترك
للاجتهاد والاستنباط من المذكورة وقد اجمعوا جميعا ان بنات الاخوة والاخوات من الرضاع كالذكر
في اولادها فعلى ذلك يجب ان يكون ذكر الحرمة في الامهات من الرضاعة ذكرا في بناتها او ترك بيان ذلك
للسنة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وما روي
عن عايشة رضي الله عنها قالت جاء عمي من الرضاعة فاستاذن علي فابيت ان اذن له حتى اسال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال انه عمك
فاذني له فقلت يا رسول الله انما ارضعتني المراة ولم يرضعني الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه عمك فليلج عليك فقالت عايشة رضي الله عنها وذلك بعد ان ضرب علينا الحجاب وعن ابن عباس
رضي الله عنه انه سئل عن رجل له امراتان او جارية وامراة فارضعت هذه جارية وهذه غلاما
هل يصلح للغلام ان يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد وعن عمرة عن عايشة رضي الله عنها
انها اخبرتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها وانها سمعت رجلا يستاذن في بيت
حفصة رضي الله عنها قالت عايشة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله هذا رجل يستاذن في بيتك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اراه فلانا لعم حفصة من الرضاعة فقالت عايشة رضي الله عنها
يا رسول الله لو كان فلان حيا لعمها من الرضاعة دخل علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة وعن علي رضي الله عنه لا تنكح من ارضعته امراة ابيك ولا امراة
اخيك ولا امراة ابنك وعن عايشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابي القعيس فاستاذن عليها وهو عمها
من الرضاعة بعد ان نزل الحجاب قالت فابيت ان اذن له فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته
بالذي صنعت فامرني بان اذن له علي وحجة اخرى عن النظر بان الله تعالى حرم الابنة على ابيها وعلى
جدها والابنة حدثت عن ماء الاب بعينه ولم تحدث عن ماء الجد ولكن الجد سبب ماء الاب الذي
حدثت عنه الابنة قال فاللبن وان كان حدوثه من الام فان سبب كونه هو الاب فيجب ان تحرم المراة
التي ارضعتها امراته عليه اذ كان سببا لذلك اللبن كما يحرم المرضع اذ كان سببا على التي ارضعته
ثم بقيت مسئلتان احديهما في التقدير والاخرى في الحد اما في التقدير فعموم قوله سبحانه وتعالى
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة لم يخص قدرا دون قدر وروي عن علي وعبد الله
رضي الله عنهما قالا قليل الرضاع وكثيره سواء وعن ابن عباس رضي الله عنه كذلك وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنه قال الرضعة الواحدة تحرم فان قيل روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان
فيما نزل عشر رضعات ثم صرن الى خمس فتوفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فيما يقرا قيل
لسنا نجد في القران اية الناسخ ولا اية المنسوخ ولا يجوز ان يقال من القران شيء فلان ترك ما نجده
ثابتا في القران محفوظة برواية لعلها قد غلطت فيها وروي عنها انها قالت يحرم من الرضاع ما انبت
اللحم والدم وروي عنها ايضا انها قالت لا تحرم المصة والمصتان ولا الاملاجة ولا الاملاجتان
فذكر ذلك لابن عمر رضي الله عنه فقال حكم الله اولى وخير او كلام نحو هذا من حكمها وعن عمرو
ابن دينار قال سالت ابن عمر رضي الله عنهما فذكر شيئا من الرضاع فقال لا نعلم الا ان الله تعالى
حرم الاختين من الرضاعة قال فقلت ان امير المؤمنين ابن الزبير يقول لا تحرم المصة والمصتان

ولا الاملاجة

ولا الاملاجتان لما لم يتحقق بالمصة والمصتين ان اللبن قد صار في جوف الصبي ووصل اليه فلذلك
لم يحرم به واما المسيلة في الحدان الرضاع في الكبير لا يحرم عندنا وما روي في خبر عايشة رضي الله عنها
انه صلى الله عليه وسلم دخل عليها فراى عندها رجلا فتغير وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
من هذا قالت انه عمي من الرضاعة فقال انظري ما الرضاعة انما الرضاعة من المجاعة وما روي رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم وما روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال الرضاع ما فتق الامعاء وفتق الامعاء انما يكون في الصغر لان امعاء الصبي تكون ضيقا لا يحتمل
الطعام لضيقه واما فتقه باللبن على ما وصفه عز وجل لبنا خالصا سايغا للشاربين فاذا كان غذاؤه
انما يكون باللبن للمعنى الذي وصفنا كانت كفاية مجاعته به وكان هذا معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
انما الرضاعة من المجاعة وكذلك ما روي الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم وفي الكبير لا ينبت اللحم
ولا ينشز العظم وروي زاذان عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الجرعة تحرم كما يحرم حولان كاملان فان ثبت هذا فهو الاصل في ذلك والمعتمد عليه
فان عورض بما في خبر سالم حيث قال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارضعي سالما
خمس رضعات تحرمي عليه قيل هذا يحتمل وجهين يحتمل ان يكون ذلك لسالم خاصة دون غيره من
من الناس فاذا كان كذلك لا يقاس عليه غيره ويحتمل ان يكون منسوخا بما روينا من الاخبار المرفوعة
والموقوفة بايجاب الحرمة بالقليل منه والكثير وقوله عز وجل وامهات نسائكم وربائبكم
اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن الاية اجمع اهل العلم في الربيبة على انها لا تحرم على الرجل
الذي كان تزوج امها وطلقها قبل الدخول بها او ماتت وانما تحرم عليه اذا دخل بها واختلف في ام
المراة اذا لم يدخل بالابنة حتى بانت منه قال اصحابنا رحمهم الله هي حرام عليه كان دخل بالام
او لم يدخل وقال اخرون بشرط الدخول في اخر القصة راجع الى الربيبة والام جميعا فما لم يدخل
بواحدة منهما حل له ان يتزوج بالاخرى اذا فارقها وهو القياس الظاهر في الكتاب في امر الشرط
والثنيا ان يكون الشرط فيهما جميعا لانه قال الله تعالى وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر امهات النساء وربايب النساء ثم شرط الدخول بهن فيجب ان
يكون الشرط لاحقا بهما جميعا وكذلك روي عن علي رضي الله عنه قال هي بمنزلة الربيبة وعن جابر
قال ينكح امها ان شاء وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه افتى في امراة تزوجها رجل فطلقها قبل
ان يدخل بها وماتت قال لا باس ان يتزوج امها فلما اتى المدينة رجع فاتاهم فنهاهم عن ذلك
فقيل انها ولدت اولادا فقال ولو ولدت الى هذا يذهبون اولئك وهو الظاهر من الاية واحتج بعض
اصحابنا في ذلك ان الثنيا الملحق في اخر الكلام ربما يلحق الكل على ما تقدم من الكلام وربما يقع على ما يليه
فلما كان غير ملحق على الكل من المذكور وقع على ما يليه فان قيل يلحق على ما تقدم من الذكر ما يحتمل
ليس على ما لا يحتمل الا ترى ان الله تعالى قال حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
الى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم ثم يلحق الكل ولا وقع على ما يليه خاصة ولكنه لحق على ما احتمل عليه
فعلى ذلك في هذا لم يلحق الكل لانه لا يحتمل ووقع على الام والربيبة لانه يحتمل واحتج لاصحابنا
رحمهم الله ايضا ان الحرمة قد تثبت بقوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم الى قوله تعالى وامهاتكم
اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم فلا تستحل بالشك وفي الربيبة لم يثبت
الا بالشرط فلا تحرم بالشك وقيل ايضا ان الدخول لو كان شرطا في الام والربيبة جميعا لاكتفى
بذكر نساء الامهات والربايب فيقول امهات نسائكم من ربائبكم اللاتي دخلتم بهن ولم يحتج الى ان يذكر

وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن على ما اكتفى بذا الحرمة فى الانساب والرضاع فى الاصول
عن الشعوب فلما لم يكتف بذلك دل ان الربائب مخصوصات بالشرط دون الامهات ومما يبين ذلك
ان الربيبة لو لم تذكر لم يجز ان يبقى من الكلام وامهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن ولو لم يذكر الامهات يبقى
من الكلام وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن كان كلاما تاما فدل ذلك على ان قوله
من نسائكم انما هو فى الربائب دون الامهات واصله ما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت عنده فلا بأس
بان يتزوج ابنتها وايما رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت عنده فلا يحل له ان يتزوج
امها وعن ابن عباس وعمران بن حصين فى امهات نسائكم قالا هى مبهمة وقال اكثر اهل العلم اذا تزوج
الرجل امرأة ودخل بها لم يجز له ان يتزوج ابنتها وان لم تكن ربيبته وفى بيته وحجره وهى فى ذلك
بمنزلتها لو كانت فى حجره يربيها واجمعوا جميعا ان الجمع بين المرأة وامها او ابنتها فى الجماع فى ملك اليمين
حرام وكذلك روى عن عمر رضى الله عنه انه سئل عن ذلك فقال ما احب ذلك فان قال قائل
ان الخطاب كما ذكرت يدل على ان الشرط فى الدخول بالامهات انما هو سبب الربائب فما انكرت ان يكون حكم
الامهات حكم الربائب كما كان حكم حلائل الابناء وحكم نساء الآباء قيل لا يجوز ان يقاس المنصوصات
بعضها على بعض وانما يقاس ما لا نص فيه على المنصوص فعلى ذلك لا اولئك والله اعلم ثم يجب ان ينظر اى حكمة
اوجبت تحريم الجمع بين المحارم بين محارم الرجال ومحارم النساء وروى عن انس قال ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يكرهون الجمع بين القرائب فى النكاح وقالوا لانه يورث الضغائن او كلام نحو هذا
فقيل له يا ابا حمزة من منهم فقال ابو بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم وروى مرفوعا انه قال لا تنكح
المرأة على عمتها ولا على خالتها وروى فى بعضها انه يوجب القطيعة وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه
انه كره الجمع بين ابنتى عم وقال لا احرم ولكن اكره لانه يوجب القطيعة فلم يحرم لان صلة القرابة
فيما بينهما ليست بمفترضة والصلة بين المحارم مفترضة فاذا كانت مفترضة فالجمع بينهما يحمل على القطيعة
محرم وعلى ذلك فى نساء الآباء وحلائل الابناء اذا فارق من هؤلاء واحد امرأته فلعله يندم على ذلك
فيريد العود اليها فاذا تزوجها ابوه او ابنه اورث ذلك فيما بينهما الضغائن والقطيعة لذلك حرم
والله اعلم وكذلك هذا المعنى فى الابنة اذا طلقها ثم تزوج بامها حملها على ذلك الضغينة فيما بينهما
واما اذا تزوج الام ثم فارقها قبل ان يدخل بها حل له ان يتزوج بابنتها لان الام تؤثر ابنتها
على نفسها فى المتعارف فلا يحمل ذلك على القطيعة والابنة لا تؤثر امها على نفسها بل تؤثر نفسها
على امها كذلك كان ما ذكر واما اذا دخل بالام لم يحل له ان ينكح بالابنة لانه يذكر استمتاع هذه
فى استمتاع هذه فيكون جامعا بينهما فى الاستمتاع لذلك حرم ثم اختلف فى الجماع والدخول بها اذا كان
من غير رشد قال اصحابنا رحمهم الله يحرم كما يحرم الحلال ويمنع نكاح الربيبة كما يمنع الحلال وقال
قوم لا يحرم ولا يمنع نكاح الربيبة واستدلوا فى ذلك بقول الله تعالى وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم
لان الله تعالى حرم ربائب نساء اذا دخل بالامهات والمزنى بها ليس بزوجة للزانى فلا يحرم ابنتها
لكنه لا حجة لهم فى ذلك وذلك ان الله تعالى عز وجل ذكر الدخول بهن ولم يذكر النكاح ولا خص الدخول
فى النكاح بل ذكر الدخول وهو على كل دخول رشدا كان او سفاحا والسفاح احق فى الحرمة من الحلال
اذ حكمه اغلظ واشد فعلى ذلك فى ايجاب الحرمة من الحلال يجب ان يكون اشد واغلظ وهو ولو كان ذكر
الدخول هاهنا فى النكاح لم يكن فيه ما يمنع وجوب الحرمة اذا كان فى غير النكاح الا ترى الى قول الله تعالى
وربائبكم اللاتى فى حجوركم والربيبة التى لا تكون فى حجر الرجل مثلها فى الحرمة ولم يجعل قوله تعالى فى حجوركم

خصوصا

خصوصا فيها دون ما اشبهها وكذلك يجوز ان لا يجعل قوله من نسائكم اللاتى دخلتم بهن خصوصا الدخول
بالزوجات دون ما اشبههن وهى الموطوءات معا ذكرنا ان ليس فى الآية ذكر نسائنا لذلك لم يكن فيه دليل
الحظر فى غيره وبعد فانا قد ذكرنا فيما تقدم ان ليس فى حظر شىء فى حال حظره فى غير تلك الحال والحرمة فى ذلك
الاستمتاع انه اذا استمتع باحديهما لم يكن له الاستمتاع بالاخرى ولا يحل له ان يتزوج بالاخرى الا ترى
الى ما روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ملعون من نظر الى فرج امرأة وابنتها ومعلوم انه
لا ينظر الى فرجيهما فى وقت واحد وانما ينظر فى وقتين فهو والله اعلم اذا نظر الى فرج اخرى يذكر نظره
فى فرجها فى وقت نظره فى فرج هذه فهو كالقاضى وطره فيهما كذلك فى الزنا كهو فى النكاح والله اعلم
على انهم اجمعوا ان من وطئ امته لم يكن له ان يتزوج ابنتها فدل ان الدخول بهما فى النكاح وفى غير النكاح
سواء وانه محرم وما اجمعوا عليه ايضا انه اذا وطئ امرأة فى النكاح الفاسد الشبهة حرمت ابنتها عليه وهو
وطئ حرام فدل هذا على ان التحريم انما يكون بالاستمتاع بها لا غير وروى ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من نظر الى فرج امرأة لم تحل له امها ولا ابنتها وعن عمران بن حصين فى رجل زنى بام امرأته قال حرمت عليه
امرأته وعن عبد الله قال لا ينظر الله الى رجل نظر الى فرج امرأة وابنتها الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا رحمهم الله
وقوله عز وجل وامهات نسائكم وربائبكم الآية الاصل ان الله سبحانه وتعالى بين المحرمات فى الانساب
بيان الابلاغ وفى غير الانساب بيان الكفاية اذ بين فى الانساب الحرمة فى الطرفين فى اللواتى علون وسفلن
نحو الامهات والبنات ثم فى اللواتى يتصلن بالآباء والامهات نحو العمات والخالات ثم فى اللواتى يشركن الطرفين
بالاسم كالاخوات وذكر فى الرضاع من الانفس احد الطرفين وفى الشعوب ما يشركن الطرفين على الاكتفاء بذكر
طرف من الانفس عن الطرف الآخر وبذكر المشتركات من الشعوب على الاكتفاء به عن ذكر المنفردات فعلى ذلك
امر الانفس فى خطاب المحرمات فلما ذكر فى ذلك للامهات والبنات جميعا على ما ذكر فى الواحد فيما كان المذكور
فى نوعه بحق الكفاية من البيان لا بحق الابلاغ دل ان ذلك لما اريد به التفريق فى الامرين وايد ذلك
خبر عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقاويل جماعة الصحابة معا كان
فى ذلك امكان شبهة فحمد اذ لو اقتصر على ابتداء الآية الحرمة بالعقد لا يزال ذلك بالشك على ان وجه
الاعتبار لاستواء فى الحرمة قبل الدخول ليكون حرمة الابنة على الام فى زوجها حرمة الام عليها على ما عليها امر الابن
من الاب لزوجته لكن فرق من حيث اساءة الرجل فى الاختيار اذا اختار الام على الابنة ان علم او الغفلة
ان لم يكن علم وحق مثله الزجر عنه والتوبة عن مثله فجعل له مفارقتها لابنتها وقد يعلم بذلك قبل الدخول
على ان المدخول مذكور له ما كان بها فى حال الاستمتاع بها وقد حرم ذلك الجمع حرمة ابدية ما يجعل ان ينبغى بما يذكر
وسبيل الخطر بالقلب والله اعلم وليس امر الابن والاب هذا اذ ليس لهما فى الابتداء الاختيار والايثار وكل يؤثر الذى
له على الذى هو لغيره وفى النساء انما يجب بعد الخطاب وليس منهن عرض لذلك لم يعتبر حالهن على ان الامهات
فى العرف يؤثرن لذات بناتهن على لذاتهن فلا يلحقن فى الفراق لاجل البنات غضاضة ويلحق البنات فلذلك
فرق واما بعد الدخول فهو موجب الحرمة لا من حيث الايثار اذ من جهة حرام وحلال يوجب ذلك فلذلك
اختلف الامران قال بشر دل تخصيص ذكر الاصلاب فى حلائل الابناء على رفع حرمة الرضاع او على ان لا يكون
الابن الا من الصلب ونحن نقول لا دلالة فيه على ما ذكرنا لو استدل به على الكون كان اقرب اذ خص ذكر الاصلاب
ولو لم يكن الابن الا من الصلب لكان القول بحلائل ابنائكم كافيا عن ذكر الاصلاب معافيه وجوب الالحاق بقوله
يحرم من الرضاعة ومعلوم ان الحرمة من الولادة تلحقه وان لم يكن منه حقيقة الولادة بما كان سببا له
فكذلك يصير موضعا لما كانت هى مرضعه وان لم يكن منه حقيقة الارضاع لما كان هو سبب لما به درور اللبن
وايد ذلك امر حلائل ابناء الابناء بل حلائل ابناء البنات وان لم يكونوا للصلب للاتصال به بالنسب على البعد

بما ذكرنا احق والله اعلم معانه يجوز ان يقال صار الرضاع ولادا في الحكم بالخبر فيصير للصلب بالحكم نحو قوله تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ثم قد يعتبر فيهم الولاء في الحجاب لما جاء ان الولاء لحمة كلحمة النسب وبصير ذو نسب
ورحم بالحكم بما ذكر من الخبر فمثله الاول معا قد قيل ان فايدة ذكر الصلب ان لا يتحقق حرمة حلائل ابناء
التبني بالاصلاب وكذلك قال والله اعلم فلما قضى زيد وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم وقوله سبحانه وتعالى حرمت عليكم امهاتكم الى قوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين اذ يحتمل الجمع في العقد
والجمع في الملك والجمع في الاستمتاع ويحتمل الجمع في حبس الاستمتاع ويحتمل ان لا يرجع المراد الى معنى من ذلك ولكن
يرجع الى الكل ثم كان الاستمتاع بهما بمرة واحدة غير ممكن فان كانت فيه حرمة فهو لمعنى هنالك يوجد في
حال الجمع لان الخطاب يا خذه اذ هو غير ممكن وجوده ولا يتهيا احتماله ليقصد بالخطاب نحوه ولكن قد يخاطب
يجوز ان يخاطب بجعل فيه تحريمه وان لم ينص عليه في الخطاب ثم الملك المطلق والعقد المطلق قد يوجدان
غير محرمين نحو عقدة بعد ملك يمين فثبت ان المقصود لو كان ملكا او عقدا فهو مقيد نحو ملك النكاح
او عقد ملك النكاح وقد اجمع على دخول هذا في حق الخطاب اذ قد اجمع على ان من جمع بين الاختين في النكاح
انه لا يصح واجمعوا انه لو تزوج بعقدين ان نكاح الثانية فاسد غير ان كان الجمع في العقد بل في الملك لو ثبت
العقد في الثانية واذا ثبت الحرمة بهذا العقد والملك لم يكن لعقد ملك اليمين ولا الملكه ولا للعقد اذ كل ذلك
على الانفراد لا يعمل هذا العمل فيجب ان يكون المعنى من ذلك الاستمتاع والجمع في الفعل به غير ممكن فثبت انه
لمعنى قد وصف الجمع بالاستمتاع وذلك على وجوه احدها عقد الاستمتاع وهو عقد النكاح اذ عقد ملك اليمين
قد يوجد ولا يوجب حق الاستمتاع وملك النكاح اذ هو لا يخلو من ان يوجب ذلك الحق ثم كان نفس الاستمتاع
بحقه احق من الاسباب الموجبة له والعدة مما يوجب الاستمتاع نفسه فهي احق ان يكون شرطا للمنع بل هو اولى
اذ قد يمنع الاستمتاع بملك اليمين ولا يمنع الحل ولا الملك ولا السبب فاذا وجب المنع في النكاح لما هو سبب له فهو
لان يجب بحقيقته احق وان شيت قلت اذ لم يتفرد الخلق لنوع من السبب دون ان يشارك غيره من الاسباب
لزم ان يكون حقيقة السبب مجهولا لا يطلق ما قد يثبت الحرمة الا بيقين والله اعلم وايضا ان عقد النكاح
قد حرم عليه وعليها لكن حرم عليه في محارمها وعليها في الكل ثم معلوم ان يملك الزوج فيها ما به يحل لغيره
من الفراق الحرمة فعله فلما دخل يعجز عن ذلك بما احدث له فيها الاستمتاع بها حتما بعد الفراق ابقاها
على ما سبق من الوصل بلا فراق فعلى ذلك ما فيه من الحق اذ ذلك واجب بما فيه الشرك على انها في بقية
ملك له بنكاح عملت فيها بقية ملكه عمل صلة ملكه فمثله فيه وقد الحق بعض من انكر حرمة الجمع في العدة بالوطئ
حرمة ما ترك منها من اللبن على احتمال درور ودونه ودون الولد بما هو كان سبب في ذلك كانت حرمة
العدة احق بذلك والاصل ان الحرمة قد ثبت بالنكاح فلما وقعت الفرقة اشكل زوالها فلا يزال بالشك
معها في الازالة تعليق الحرمة بالحل او بالملك خاصة وقد بينا وجوبها لا لتلك الوجوه ثم الاصل في النكاح
ان المقصود منه الاستمتاع وبحله يحل هو وبحرمته يحرم فيجب ان يكون هو الاصل للتحريم والتحليل
وعلى هذا يحرم كثيرا من الاماء في حق الاستمتاع بهن وان لم يحرم فيهن الملك ويحرم بالاستمتاع في ذلك
وان كان الملك لا يوجب الحرمة فاذا ثبت ان الاستمتاع احق في التحريم والعدة حق الاستمتاع او جبها فيجب
ان يكون هي محرمة لذلك لم يجز نكاح الاخت فيها معها كانت موجبة الحرمة فيها اكثر مما يوجب في ملك اليمين
ثم كان الاستمتاع بملك اليمين يحرم الاستمتاع بالاخت فالعدة التي هي مجعولة لتاكيد الحرمات وقطع
المجعول للحل خاصة احق ان يمنع والله اعلم وعلى ما بينا اذ ثبت ان الاستمتاع هو الاصل في التحريم سوا له
وقع من وجه يحل ولا يهن الحرمة حرمة الا نفس لا حرمة الجمع اذ لا اثر يقع له جمع ثم الاصل في ذلك
ان يعلق الحرمات بالمحرم من الاعيان اظهر عنه بالمحللة منها ثم كان الاستمتاع بالاعيان المحللة لوجب حرمة الامهات

والبنات فهو في المحرم احق معما لا يخلو ان يكون الحرمة لا تجب الا فيما يحل فيجب ان لا يجب في النكاح الفاسد
ولا في وطي جارية بعد وطي الابن او الملك فيهما ايضا نايل او النسب فيجب ان لا يجب الحرمة فيما لا تكون منه
نسب او في وقت لا يتمكن او بايجاب الحقوق فيجب ان لا يجب في مماسة الامة دون الفرج او للاستمتاع خاصة
فيجب استواء حال السفاح والنكاح وقوله عز وجل اللاتي دخلتم بهن قال بعضهم هو كناية عن الجماع لكنه
عندنا الدخول بها هو اخذه يدها في ادخالها في موضع الخلوة والجماع لا نفس الجماع كما يقال فلان
دخل بفلان موضع كذا لا يراد به عين الدخول به المعروف وهو اخذ اليد والدخول فيه لذلك قلنا بانه
اذا ادخلها في موضع وخلا بها وجب كمال المهر بظاهر الاية ووجب الحرمة والله اعلم وقوله عز وجل
اللاتي دخلتم بهن كنى به عن الجماع من حيث لا يكون الجماع الا بالدخول بها مكانا يستتر بهما والا فحقيقة
الدخول بآخر ليس بجماع ولا يصلح القول به مطلقا دون ذكر المكان لان في المراة بما يعلم انها لما ذا يدخل وفيم
يدخل فجائز ان يكون في الحرمة على حق الكناية والمراد منه الجماع وجائز على حقيقة الدخول بها مكانا لان ذلك
اذ هو الظاهر وهذا الثاني يكون باخذ يدها او شيء منها ليكون هو الداخل بها لا هي دو وجوده لا يكون
الا للشهوة فيكون هو المذكور للحرمة فاذا لم يظهر حقيقة المراد يجب الاحتياط ايجاب الحرمة من كل وجه
وتحقيق هذا ان هو اظهر له وله ادلة ثلاثة احدها ما روي ملعون من نظر الى فرج امراة او ابنتها انه وجب
اللعن بالنظر فلولا ان ينظر الاول قد حرم الثاني لم يلحقه اللعن ثم النظر دون اللمس في العبادات والاحكام
فالمراهق في ايجاب الحرمة والثاني ما بينا ان علة الحرمة الاستمتاع ومعلوم ان معناه في القبلة
والمباشرة اعلا منه في السبب الذي به يقضي به الاستمتاع وهو النكاح وقد اوجب له فالقبلة احق
ان يوجب لها وذلك كما اوجب بسبب الحدث وهو النوم حكمه ثم لا يجب الا في حال دون حال وقد يجب
لنفس الحدث على كل حال فمثله سبب الاستمتاع من حقيقته والله علم والثالث ان كل انواع الاستمتاع في الحرمة
والحل متصل بالجماع والخاصة في حقوق الاملاك فعلى ذلك في نسخ الاملاك وتحريمها على انه بعيد ان يكون المرء
يستمتع بالمراة عاما ثم يستمتع بها ولدها وكذلك بابنتها دون الفرج او ان يكون من لا يقدر على الايلاج لعنة وجب
يرتفع عنه الحرمة ابدا فيشتري اما وابنة ويستمتع بهما ابدا وذلك بعيد فيجب الحرمة من الوجه الذي ذكرت
وقوله عز وجل وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم يحتمل ان ذكر الصلب وجوها يحتمل ان يكون ذكر الصلب
ليعلم ان الحرمة في حليلة الولد لكونه ولد الصلب وكذلك الحرمة في حليلة ابن الرضاع كهي في حليلة ابن الصلب
على ما كانت في محارم الرضاع وانه لم يذكر نحو ان ذكر امهات الرضاع واخواته ولم يذكر غيرها ثم دخل ما دون ذلك
في الحرمة فعلى ذلك هذا وقال بشر دل تخصيص الاصلاب على نسخ حرمة حليلة الابن من الرضاعة اذ لا يكون
من الرضاع ابن قلنا لو لم تكن من الرضاع ابن لم يكن لذكر الصلب الابن معنى ولا فايدة دل انه يكون من الرضاع ابن
على ما يكون من النسب وان الحرمة من الرضاع كهي في النسب وان كانوا في الحقوق مختلف نحو العتاق يعتق بعض
على بعض يوجب لبعض في اموال بعض النفقة وحقوق بمثله لا يوجب في محارم الرضاع وذلك والله اعلم
ان الرضاع انتفاع والنسب حدوث نفس بعضهم من بعض فاذا كان كذلك لم يوجب الرضاع الا حرمة الاستمتاع
خاصة وهو الاستمتاع واما النسب فهو كون الولد منه وحدوث نفسه منه فاوجب مع ذلك حقوقا
ولان في اقرار بعضهم في يد بعض مماليكا وعبيدا قهرا وغلبة لم يوجب ذلك فما لم يحصل لبعضهم قهر بعض لذلك
كان الجواب ما ذكر وقيل انه ذكر ابناء الاصلاب وذلك ان النبي عليه الصلوة والسلام تزوج امراة زيد بن حارثة
بعد ما طلقها وقد كان تبناه فعابه المنافقون على ذلك فقالوا تزوج رسول الله امراة ابنه فانزل الله تعالى
وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله عز وجل وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف يحتمل قوله سبحانه
وان تجمعوا بين الاختين وجوها يحتمل الجمع بينهما في العقد واجمعوا انه اذا لم يجمع بينهما بالعقد ولكنه تزوج

احدیهما ثم تزوج اخرى لم يحل له نكاح الاخرى دل انه لم يرد به الجمع في العقد ويحتمل الجمع في الملك وقد اجمعوا
ايضا ان له الجمع بينهما في ملك اليمين فدل انه انما اراد الجمع بينهما في الاستمتاع واذا استمتع باحديهما بنكاح
ثم فارقها لم يحل له ان يتزوج اختها والاولى في عدة منه من طلاق باين لان الاستمتاع هو الذى
حبسها عن الازواج فكان كالجمع بينهما في الاستمتاع ولان المعنى الذى به حرم الجمع في ملك النكاح ذلك
اذا كانت في عدة منه موجود وهو خوف القطيعة فيما بينهما والله اعلم ولان اكثر احكام الزوجات
قايم فيما بينهما نحو الاسكان والانفاق عليها والحاق الولد وغير ذلك من الحقوق وعن على رضى الله عنه
انه سئل عن رجل طلق امراته فلم تنقض عدتها حتى تزوج اختها ففرق على ما بينهما وجعل الصداق
بما استحل من فرجها وقال تكمل الاخرى عدتها وهو خاطب وعن زيد بن ثابت انه سئل عن رجل تحته اربع
نسوة فطلق احديهن ثلاثا ايتزوج رابعة فقال لا حتى ينقضى عدة التى طلق وعن عايشة رضى الله عنها
مثله واختلف في الجمع بين الاختين من ملك اليمين عن عمر رضى الله عنه انه سئل عن المراة واختها من ملك
اليمين هل توطاء بعد الاخرى قال ما احب ان اجيزهما جميعا ونهى عنه وعن ابن مسعود رضى الله عنه
انه حنث في الاختين من ملك اليمين فقال حمل احدكم ملك اليمين وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال يحرم
من جميع الاماء ما يحرم من جميع الحراير الا العدد وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه سئل عن رجل له امتان اختان
وقع على احديهما ايقع على الاخرى قال لا ما دامت في ملكه واجمعوا ايضا على انه ان تزوج بامراة فاشترى
اختها لم يحل له ان يطاها الى هذا ذهب اصحابنا رحمهم الله تعالى ثم اذا طلق امراته وانقضت عدتها او ماتت
حل له ان يتزوج اختها ولم يحل له ان يتزوج بامها وذلك والله اعلم بان الحرمة في الاخت في نفسها وليس
في ولدها والحرمة في الام والابنة في نفسهما وفي ولدهما فاذا كانت الحرمة في الاخت من وجه وفي الام
من وجهين ففيما كانت الحرمة من وجه كانت حرمة الجمع لا حرمة تابيد وفيما كانت من وجهين حرمة جمع
وحرمة تابيد لانها تادت الى ولدها وفي الاخت لم يتاد لذلك اختلفا وقوله عز وجل الا ما قد سلف
ان الله كان غفورا رحيما يحتمل الا ما قد سلف قبل التحريم في الجاهلية فانهم اذا انتهوا من ذلك في الاسلام
يغفر الله لهم ويحتمل قوله الا ما قد سلف انه كان فاحشة يحتمل كان في ذلك الوقت فاحشة ويحتمل كان
فاحشة اى صار فاحشة في الاسلام وقوله عز وجل والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم اختلف في تاويله
قال ابن مسعود رضى الله عنه والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم قال وذات الازواج من المسلمين
والمشركين وقال على رضى الله عنه ذات الازواج من المشركين ذهب عبد الله في تاويل الاية الى ان بيع الامة
طلاقها يحل للمشترى وطيها واسر الكتابية والمشركة يحلها لمولاها وان كان لها زوج في دار الحرب وذهب
على رضى الله عنه الى ان الاية نزلت في المشركات وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كل ذات زوج اتيانها زنا
الا ما سبيت وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال وقعت في سهمى يوم اوطاس جارية فبينا
انا اسوقها اذ رفعت راسها الى الجبل فقالت ذاك زوجى فانزل الله سبحانه وتعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت
ايمانكم الاية قال ابو سعيد رضى الله عنه فاستحللنا فروجهن بها بين ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه في حديثه
ان الاية نزلت في المشركات ذات الازواج وكان حديثه يقوى قول على بن ابى طالب رضى الله عنه في من وافقه
وقيل ايضا في تاويل الاية والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم قال والمحصنات من النساء حرام على الرجال
الا ما ملكت يمينك قال ملك يمينه امراته وعن ابى قلابة قال ما سبيتم من النساء اذا سبيت المراة ولها زوج ثم قومها
فلا باس ان يطاها وعن ابن عباس رضى الله عنه والمحصنات من النساء قال لا يحل له ان يتزوج فوق اربع نسوة
وما زاد عليهن وهو عليه حرام كامه وابنته واخته الا ما ملكت ايمانكم الاماء فانه على اربع واكثر من اربع وله
وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه الا ما ملكت ايمانكم من نساء كن يصبهن مهاجرات ولا يهاجر ازواجهن

لغناهن في هذه الاية ثم انزل الله تعالى عز وجل في الممتحنة ولا جناح ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن
فاحللن لنا بعد ان نتزوجهن وفيه نهى عن الزنا واباح التزويج فجعلوا ملك اليمين التزويج واصلح اتيانا وليس
اولاهما بالقبول ما روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس رضى الله عنه ولما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك وظاهر القرآن يدل على ان ذلك هو الحق لان الله تعالى قد فصل
في غير الموضع بين التزويج وملك اليمين فجعل ملك اليمين الاماء الا ترى الى قوله الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم قال لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج فهذا ان الاتيان على
ان قول الله سبحانه وتعالى في آية المحصنات الا ما ملكت ايمانكم على غير الازواج كما روى عن الجماعة
من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الذين ذكرناهم ثم الكلام بين على وابن مسعود رضى الله
عنهما ونحن نعلم ان ابن مسعود رضى الله عنه اوجب على الامة اذا باعها مولاها ولها زوج العدة
اذا كان قد دخل بها وانها عنده لا تحل لمولاها حتى تنقضى عدتها فلم يجعلها حلالا للمولى
الثانى بملكه اياها فكان قول على رضى الله عنه اشبه بظاهر الاية لانه تاول الاية على متزوجة
تحل بالملك لمولاها في حال الملك من قول عبد الله اذ جعلها محرمة وان كانت مملوكة حتى تبقى
عدتها وفي ذلك وجه آخر وهو ان الله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم وعند الله
يحرمها على البايع ويحلها للمشترى ولم يخص الله تعالى احدا من المالكين روى عن على بن ابى
طالب رضى الله عنه حمل الاية على امراة كافرة متزوجة سبيت فاحلها الله تعالى لمالكها
فلم تعزل عن حال المملوكة هذا مع موافقة الحديث الذى رواه ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه
وظاهر الاية يدل على ان الماسورة ذات الزوج لا عدة عليها وهو قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم
المؤمنات مهاجرات الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن فامر ان لا يردهن اليهن
وينكحن فلما جاز ان يتزوج الحرة اذا خرجت مسلمة ولا عدة عليها حلت اذا سبيت فملكت قبل ان تعتد
والثانى انما كانت حرة فابطل السبى حكم الحرية والزوجية فكذلك يبطل حكم العدة هذا كله
اذا سبيت ولم يكن معها زوجها فاما اذا سبيت وزوجها معها فان الفرقة لا تقع بينهما لانها لو بانت
من زوجها بانت للرق والرق لا يمنع ابتداء النكاح كيف يعمل في فسخ نكاح ثابت ولكن اختلاف الدارين
هو الموقع فيما بينهما الفرقة لفوت الاجتماع بينهما واذا فات الاجتماع بين الزوجين والاياس
عن الانتفاع وقعت الفرقة فيما بينهما وهذا يبطل قول من يقول انه تقع الفرقة فيما بينهما للرق
والثالث العدة حق من حقوق الزوج يبين ذلك قول الله سبحانه وتعالى فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها فلا يجوز ان يبقى للحربى على المسلمة الخارجة الى دار الاسلام حق فاذا لم يكن عليها العدة
لها ان تتزوج وسبيل الامة المتسبية مسلمة للحرة المسلمة لان حكم الاسلام قد جرى عليها فحلت
للمولى وان كان لها في دار الحرب زوج ومن الدليل ايضا على ان المسبية ذات الزوج تحل تزويجها
ووطيها لمولاها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج صفية ابنة حيى ابن اخطب في رجوعه
من خيبر قبل ان يصل الى المدينة ومعلوم انها كان لها زوج كبير وان عدتها منه لو كانت واجبة لم ينقض
في تلك المدة فهذا بين ان لا عدة على مسبية من زوجها المقيم في دار الحرب ولا على مسلمة اذا خرجت
من دار الحرب واقام زوجها هنالك وقوله عز وجل والمحصنات من النساء الاية قيل فيه باوجه ثلاثة
احدها في المسبية ذات الازواج وكذلك روى عن على وابى سعيد الخدرى رضى الله عنهما فيكون
فيه امران احدهما الحرمة على الازواج والثانى ارتفاع العدة اذ هما حقان للحربى وحقه في نفسه لا يمنع
الاسترقاق ولو كانت حرة الاستمتاع فكذلك في زوجته لكن يدخل على هذا سبى الزوج معها ان الرق

قد ثبت فيهما ولم يبطل النكاح فيجاب لهذا بوجهين احدهما الاستحسان من حيث يلزم المولى حق الانكاح بقوله
وانكحوا الايامى منكم والصالحين الاية فلم يبطل عليه التجديد وليس هذا فى سبى الزوجة اذ لا تقفقت لها يه
وهو فى دار الحرب والثانى ان يكون الزوج وحق الرق انما يجب اذا اخرج المؤمن يد نفسه والمملوك قد يكون له يد
فى النكاح فكانها لم تخرج من يده اذا سبى معها واذا لم يسبيا لا يكون لمن فى دار الحرب يد فى دار الاسلام وفى حق
الاية عبارة اخرى انها اذا سبيت دونه انقطعت عنها عصمة الزوج وقد جعل الله تعالى انقطاع عصمته بسبب
حل غيره لقوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن وقد جعل ذلك فى الزوج
سببا لقطع عصمته بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وعصمة الزوجين عصمة مشتركة ايهما خرج مسلما خرج
لئلا يعود وكذلك المختلف يختلف لئلا يخرج فبطلت العصمة بينهما واحل للناكح ولو خرجا معا لا فتله امر السبى
وتاويل اخر ان قوله تعالى والمحصنات من النساء الاية الى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية على ان لا يحل
وراء الاربع الا ملك يمين وعلى هذا فى غير ذات الازواج وقد روى مثله عن ابن عباس رضى الله عنه
ويكون فى ذلك بيان ما كانت حرمته من حيث العدد يختص فى النكاح فان كان النكاح وملك اليمين فيما كانت
الحرمة من حيث المنكوحة يستوى من حيث كانت حرمة العدد بحيث العقد بما فيه من الحقوق التى لا يقوم بها
الا بشر قد عصم وملك اليمين لا يجب فيه ذلك وما كانت الحرمة بحيث نفس المرأة يستوى الاستواء
الملكين فى حق الحل والحرمة ووجه آخر قيل المحصنات هن الحراير وما ملكت ايمانكم بالنكاح فمذهبهم يقول
بهذا الى ما لو لم يذكر ايمان ولكن قال المحصنات من النساء الا ما ملكتم فيكون التحريم فى غير النكاح لكنه بعيد على النهى
من الكلام انه لا يتكلم به الا فى ملك اليمين خاصة ويجوز جعل الامرين من الاماء على خطر وطى الزانيات
على الوالى واختيار المعففات منهن لمكان الاولاد **وقوله** عز وجل كتاب الله عليكم قيل كتب الله عليكم ما ذكر
مما مر فى هؤلاء الاناث وقال الكسائى نصب كتاب الله على قوله حرم كذا واحل كذا كتاب الله عليكم على الامر
يقول عليكم كتاب الله دونكم كتاب الله اتبعوا كتاب الله فى نحو هذا المعنى وقيل كتاب الله عليكم يقول هذا
حرم الله عليكم فى الكتاب وقيل هذا التحريم من النكاح قضاء الله عليكم فى الكتاب **وقوله** عز وجل واحل لكم ما وراء
ذلكم اختلف فيه قيل ما وراء ذلكم اى ما سوى ذلكم وهو قول ابن عباس رضى الله عنه دليله قوله
ويكفرون بما وراءه اى سواه وقيل ما وراء ذلكم اى ما قبله وامامه وهو كقوله وكان وراءهم ملك وهو كان
امامهم وقيل وراء ذلك اى بعد ذلك وخلفه وهو ظاهر ومن قال سوى ذلك يقول احل لكم ما سوى ذلكم الذى
حرم عليكم ما لم يسم لكم ومن قال ما وراء ذلكم امام ذلك وقبله وهو ما ذكر قبل هذه المحرمات قوله فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ومن قال ما وراء بعد اى ما بعد الاربعة الاصناف المحرمات بالنسب
والمحرمات بالرضاع والمحرمات بالصهر والمحرمات بالجمع يقول احل لكم ما بعد هؤلاء الاربعة الاصناف
وقيل فى قوله والمحصنات من النساء هن المتعففات من الاماء الا ما ملكت ايمانكم من الاماء المسافحات الزانيات
كانه قال فاستمتعوا بالمتعففات منهن ولا تستمتعوا بالزانيات لانهن يلبسن عليكم النسب وهو كقوله تعالى
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا **وقوله** واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم بين الله تعالى
ان النكاح لا يكون الا ببدل يكون مالا لانه قال باموالكم وفى الاية دلالة ايضا على ان ما يملك ولا يقع عليه
اسم المال لا يكفى مهرا لانه قال ان تبتغوا باموالكم ولا يسمى الدانق والحبة مالا ولو كانت الحبة مالا لكان التمرة
مالا فثبت بما وصفنا من دلالة الاية ان المهور لا يكون الا من الاملاك فان قيل روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لرجل قد زوجتكها بما معك من القرآن قيل تاويله عندنا والله اعلم بما معك من القرآن ولا يجوز ان يكون
السورة مهرا بدليل الكتاب لانها ليست بمال وكذلك كل شئ بمال ولا يكون له قيمة فلا يجوز ان يكون مهرا وكذلك
قوله سبحانه وتعالى فنصف ما فرضتم يدل على ان السورة وما لا يتمول لا يكون مهرا وروى عن انس ان عبد الرحمن

ابن عوف

ابن عوف رضى الله عنه تزوج على وزن نواة من الذهب يكون دينارا فان قيل قد بين فى الخبر قيمتها
ثلاثة دراهم وثلث لكن لا ندرى من كان المقوم للنواة ولا يجوز ان يجعل تقويم ذلك المقوم وتفسيره
حجة على علمائنا حتى نعلم ذلك معا قال قوم ان النواة عشرة دراهم وهو ما قال ابراهيم فان قيل روى عن جابر
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطى فى نكاح ملاء كفه طعاما او دقيقا او سويقا
فقد استحل وكذلك يقول اصحابنا رحمهم الله ولكن يتم لها عشرة دراهم ولم يقل النبى صلى الله عليه وسلم
ولا شئ عليه سوى ذلك معا يقول المخالف لنا اذا كان المهر مما لا يتمول لم يكن مهرا وملاء الكف من الطعام
لا يتمول وان جعل ذلك مهرا فقد ترك اصله ان ما لا يتمول فليس بمهر فكذلك ما روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال زوجتكها بما معك من القرآن ولم يذكر ان ليس عليه سوى ذلك واهل العلم يجمعون
على ان السورة لا يكون مهرا ومن الحجة لعلمائنا ما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال لا مهر دون عشرة وروى عن على رضى الله عنه قال لا يكون المهر اقل من عشرة دراهم
وعن ابن عمر رضى الله عنه مثله على ان اهل العلم اجمعوا ان النكاح لا يكون الا ببدل وانه خالف ساير
الاملاك التى توهب وتتصدق بها بغير بدل وكل يجعل لذلك حدا وان اختلفوا فى ذلك المقدار والحد
وكل يقول ايضا ان التافه لا يكون مهرا فذهب اصحابنا ان الفروج لا تملك الا ببدل لم يجعل البدل الا ما اجمعوا
عليه وهو عشرة دراهم اذا كان النكاح مخصوصا ان لا يملك الا ببدل دون غيره من الاملاك **وقوله**
عز وجل محصنين غير مسافحين قيل متناكحين غير زانيين بكل زانية وقيل محصنين اى عفايف الفروج
وغير مسافحين فى العلانية بالزنا وكانه امر عز وجل ابتغاء النكاح بالاموال ونهى عن الاستمتاع بغير مال
وقيل السافح الذى يزنى بكل امراة يجدها والمسافحة كذلك تزنى بكل احد والمتخذات اخدان هن اللاتى
لا يزنين الا باخدانهن والسفاح من الفعل ما ظهر وعلى مسئلة فى المتعة **وقوله** عز وجل فما استمتعتم به منهن
فاتوهن اجورهن ذهب قوم الى جواز المتعة بهذه الاية يقولون ذكر الاستمتاع بهن ولم يذكر النكاح وذكر
الاجر بعد الاستمتاع والمهر انما يجب فى النكاح بالعقد يؤخذ الزوج اولا بالمهر ثم يستمتع بها فهو بالمتعة
والاجارة اشبه كقوله تعالى فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن امر بايتاء الاجرة اذا ارضعن ذلك
لما ذكرنا الاستمتاع بهن وامر بايتاء الاجر لا المهر دل انها نزلت فى المتعة واما عندنا فانها نزلت فى النكاح
دليله ما تقدم من الذكر وهو قوله واحل لكم ما وراء ذلكم نكاحا وقوله محصنين متناكحين غير مسافحين
غير زانيين وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم كل ذلك يدل انه فى النكاح فكذلك قوله فما استمتعتم به
منهن فى النكاح فاتوهن اجورهن وقد سمى الله المهر اجرا فقوله انا احللنا لك ازواجك اللاتى اتيت اجورهن
وقال فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن واما قولهم ذكر ايتاء الاجر بعد الاستمتاع والمهر يجب
بالنكاح فهو على التقديم والتاخير كانه قال فاتوهن اجورهن اذا استمتعتم بهن كقوله تعالى اذا طلقتم النساء
فطلقوهن اى طلقوهن اذا طلقتم لعدتهن ونحو ذلك كثير وقال ابو بكر الاصم دلت قوله فما استمتعتم
منهن فاتوهن مهورهن كلا وان لم يدخلوا بهن فالنصف بالاية الاخرى فهذا فايدة ذكر الاجور والاستمتاع
وهو بالنكاح اشبه واولى من المتعة لما ذكرنا من تحريم الاجناس عن المحرمات فى اولها واباحتها
فى آخرها ما وراء ذلك اوبين ايضا ان الاستمتاع هذا النكاح وان الاجر هو المهر لما ذكرنا وروى
عن ابن عباس رضى الله عنه قال رحم الله عمر ما كانت المتعة الا رحمة رحم الله بها امة محمد فلولا نهاه عنها
اياها ما زنى الا شقى وكان يراها حلالا قال وكان يقول فى حرف ابى الى اجل مسمى وروى عنه
انه قال ان الناس هذا قد اكثروا فى المتعة فقال انها لا تحل الا لمن اضطر اليها كالميتة والدم ولحم الخنزير
فدل قوله انها بمنزلة الميتة على انه رجع عن قوله الاول فان كان المتعة فى حال غير الضرورة حراما

فهي في حال الضرورة حرام وانما احل الله المحرم في الضرورة اذا خاف الرجل على تلف نفسه وليس في ترك
الوطي خوف تلف النفس وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فما استمتعتم به منهن قال نسخها يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء الاية هذا يدل على انه رجع عن قوله الاول ومن الدليل على تحريمها قول الله سبحانه وتعالى
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فحرم الله تعالى من الجماع ما عدا النكاح وملك اليمين
والمتعة ليست بملك نكاح ولا ملك يمين فهي داخلة في التحريم ومن الدليل على تحريمها ما روي عن علي رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الانسية وعن سبرة
الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء يوم فتح مكة وعن ابن عمر رضي الله عنه
قال نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم خيبر عن متعة النساء وعن اكل لحوم الحمر الاهلية وفي خبر آخر
انه كان قائما بين الركن والمقام وهو يقول اني كنت اذنت لكم في المتعة فمن كان عنده شيء فليفارقه ولا تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا فان الله عز وجل قد حرمها الى يوم القيامة وعن ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت
عمر رضي الله عنه يقول في المتعة لو تقدمت فيها لرجمت وعن عبد الله قال المتعة متعة النساء منسوخة
نسخها الطلاق والصداق والعدة والمواريث والحقوق التي تجب في النكاح وعن عايشة رضي الله عنها انها
اذا ذكرها المتعة قالت والله ما نجد في كتاب الله الا النكاح والاستسرار ثم تتلو هذه الاية والذين هم
لفروجهم حافظون الاية وعن عمر رضي الله عنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا انهى عنهما واعاقب عليهما فانكر قوم على عمر رضي الله عنه اقراره انهما كانتا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
ونهاه منهما لكن الجواب في ذلك لحكم انه علم بنهي النبي صلى الله عليه وسلم من متعة النساء وما نزل فيها
من نص القرآن فكان وعيده لاحقا بمن فعلها لعلمه بانها منسوخة وقوله عز وجل فما استمتعتم به منهن
فآتوهن اجورهن يحتمل الاجارة ويحتمل التسريح بالنكاح انه اذا كان بعد الاستمتاع يؤتيهن كل المهر
لانه ذكر المهر في النكاح والبعض بعد الطلاق فبين الكل في هذا وايد هذا التاويل ما كان عليه ذكر المحرمات
والاحلال انه كله بالنكاح وكذلك على ذلك قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان كله في النكاح لا في الاجارة
وان ذكر فيه الاجر كما ذكرنا للاماء ولو كان بالاجارة فهو منسوخ بقوله لا تكرهوا فتياتكم على البغاء كان ذلك
اجارة وصف انه بغي ونهوا عن ذلك وبقوله والذين هم لفروجهم حافظون ذكر ان مبتغي وراء ذلك
باغيا بهذا لو عرف بحكم الكتاب فما ذكرت له ناسخ ولو عرف بالاجتهاد فكانت اخبار الاباحة روايت معروفا بها
النهي فمن رام الاخذ بطرف منها على الاعتصام من الطرف الثاني اعطى خصمه الاعتصام عليه بالطرف الثاني
والمنع مما قاله به ثم امتناع الامة عن العمل على ظهور الحاجة ونفور الطباع عن قبول مثله من احد في المتصدين
فاصبر على الحق ثم دل ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال نسخه الطلاق والعدة الاول كان نكاحها
يمضي بمضي المدة ابطله ارتفاع احكام النكاح عنه وقوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد
الفريضة في الآية دلالة ان الزيادة في المهر جايزة لان الفريضة هي التسمية فان قيل قوله فيما تراضيتم
معناه قوله الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح هو ان تبذل المرأة من مهرها شيئا الزوج
او الزوجة لها قيل لو كان ذلك كذلك برضاها يعني رضاء زوجها وقال تراضيتم به فجعل للزوج في الرضا
نصيبا ومعناه والله اعلم ان الزوج اذا زاد على المهر فذلك جايز فهذا التراضي بما يكون منهما جميعا
في الحالين وذلك اصل الزيادة في المهر والثمن في البيع واشباه ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يخطب ام سلمة ويقول ان كان ايمانك ان ازيدك في الصداق زدتك وان ازيدك زيد النسوة
وروي عن علي رضي الله عنه قال زدها فهو اعظم للبركة وروي عن عثمان وعمار كذلك وقد دل الكتاب
والسنة وقول الصحابة على جواز ذلك فهو الحق وعلى ذلك جمهور المسلمين في بياعاتهم وتجاراتهم ومن الدليل

ايضا على جواز

ايضا على جواز الزيادة في الثمن والمهر وانها تصير كانها كانت مسماة في عقد البيع ان رجلا لو اشترى من رجل
عبدا بيعا باتا ثم ان احدهما جعل لصاحبه الخيار يوما فنقض البيع ان نقضه جايز ويصير ذلك
كالخيار المشروط في اصل البيع وكذلك رجل اشترى عبدا بالف درهم حالة ثم ان البايع اجل المشتري
في الثمن شهرا كان الاجل جايز ويصير كانهما سميا الاجل في عقد البيع فوجب ان يكون الزيادة بعد
البيع في الثمن كانها كانت في عقد البيع وقوله عز وجل ان الله كان عليما حكيما فيما حرم واحل حكيما حيث
وضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات فمما ملكت ايمانكم
وقال عز وجل ذلك لمن خشي العنت منكم فقال بعض اهل العلم لا يجوز تزوج الامة حتى يعجز عن نكاح
الحرة ويخشى مع ذلك العنت فاذا اجتمع الامران فحينئذ يجوز ان يتزوج الامة ولا يجوز ان يكون
تاويل الاية في هذا وذلك ان الاماء اعز وجودا اليوم من الحراير ويجد الرجل حرة يتزوجها
بادنى شيء ما لم يجد بمثله الامة لا ان يقال ان الاماء في ذلك الزمان اوجد وان الحراير اعز وان مؤنة
الاماء ومهورهن اقل فخرج الخطاب على ذلك او انه لما نزل قوله سبحانه وتعالى وانكحوا الايامى منكم
والصالحين من عبادكم وامائكم رغب السادات في تزويج الاماء بشيء يسير فعند ذلك نزل قوله تعالى
ومن لم يستطع منكم طولا الاية والا فالامر الظاهر ما ذكرنا انهن اعز وجودا من الحراير واكثر مؤنة
وان الحراير اهون وجودا ومؤنتهن اقل وان يكون الاية في الانفاق عليهن ليس في ابتداء النكاح
وهو ان الرجل اذا تزوج حرة لزمه ان ينفق عليها شيئا وابى فاذا عجز عن الانفاق عليها يطلقها
ويتزوج بامة اذ نفقة الامة على سيدها ونفقة الحرة عليه فامر ان يطلق الحرة التي نفقتها عليه ويتزوج
امة يكون نفقتها على سيدها هذا اشبه والله اعلم بما قاله او لئلا ان يقال انه اراد بالنكاح الوطي لا العقد
والتزويج على ما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والنكاح اسم للوطي والتزويج جميعا قال الله تعالى
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وتأويله الوطي فكذلك الاول ومعنى قول علي رضي الله عنه حيث حمل الاية
على الوطي لانه لا يتزوج الامة على الحرة كانه منعه من ذلك لانه قادر على وطي الحرة على الامة
يقول يتزوج الامة ولم يكن قادرا على وطي الحرة فجاز نكاحها وان كانت الاية في ابتداء النكاح والتزوج
على ما قالوا فليس فيها حظر نكاح الاماء وبطلانه في حال الطول والقدرة لانه اباح نكاحهن في حال عدم
الطول والقدرة ومن اصلنا ان ليس في اباحة الشيء وحله في حال دلالة حظره ومنعه في حال الاخرى
دليله قوله ازواجك اللاتي آتيت اجورهن ليس فيه انه لا يحل له اذا لم يؤت اجورهن وقوله تعالى
فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ليس فيه حظر الاربع وان خاف ان لا يعدل فهذا يدل
على ان حظر الشيء ومنعه لا يوجب الحظر في حال اخرى واباحة الشيء في حال وحله لا يوجب منعه وحرمته
في حال الاخرى على ان المخالف لما لم يجعل الايمان المذكور في الاية شرطا لقوله تعالى ان ينكح المحصنات
المومنات فاذا لم يصر الايمان شرطا في حال نكاح الاماء كيف صار الطول والقدرة شرطا فيه اذ من قوله
ان ليس له ان ينكح الامة اذا كان له طول نكاح المحصنة الكتابية لانه يقول لان الله تعالى شرط فيهن الايمان
بقوله من فتياتكم المومنات فاذا لم يصر الايمان شرطا في المحصنات كيف صار شرطا في الاماء وذلك
كله عندنا ليس بشرط فان قال قايل ان قول الله تعالى فمن لم يستطع فاطعام كذا ليس ذلك شرطا
حتى لا يجوز غيره اذا كان له طول العتاق وقدرة الصوم ما ينكر ان يكون الاول بمثله قيل صار ذلك
شرطا فيه لانه فرض لزمه بشريطة لم يكن له الخروج والتعدي الى غيره واما النكاح فليس هو بفرض
لزمه بوجود الطول والقدرة والعتاق وما ذكر فرض لزمه بوجود الطول والقدرة عليه ويجوز الطعام
لكن لم يسقط الفرض الذي لزمه عنه لذلك صار شرطا فيه والاول لم يصر فان قال ما معنى الاية

اذا قيل معنى الآية على الاختيار والادب وعلى الاتفاق الذى ذكرنا او انه لا يختار نكاح الامة على نكاح
الحرة اذا كان له طول الحرة على ما جاء عن عمر رضى الله عنه قال ايما حر تزوج فقد ارق نصفه وايما عبد
تزوج حرة فقد اعتق نصفه لا يختار نكاح الامة والى طول الحرة سبيل ويجئ ان يكون قوله ذلك لمن خشى
العنت منكم ان لا يحمل على الزنا ولكن يحمل على مخالطتهن الناس واسترقاقا ولا دقا اذا امنه السيد
من استرقاق الولد وعن ترك الاختلاط بالناس فعند ذلك يتزوجها اذ قلوب الناس لا يحتمل
اختلاطا ان واجهن بالناس واسترقاقا ولا دخل العنت على هذا اشبه من الزنا ومن الدليل ايضا على انه يعتبر
الطول على التزوج على ما قالوا اذا تزوج امة ثم قدر على تزوج الحرة لم يفسد نكاح الامة وهو قول
ابن عباس رضى الله عنه فعلى ذلك طوله فى الابتداء على نكاح الحرة لا يمنع جواز نكاح الامة والله اعلم ثم
على ان عدم الطول فى الاصل لا يمنع نكاح الحرة اذ شئ يلزم الذمة وعدم النفقة يمنع الامساك عنه فدل
ان الآية لعدم نفقة الحرة اشبه واقرب من عدم طول مهر الحرة فى الابتداء على ما ذكرنا والاصل ان كل
امر يجوز بشرط الاضطرار فان ارتفاع الضرورة يمنع البقاء فاذا لم يمنع بان انه لا على الحل بالضرورة
وعلى ذلك يختار لمن تحته حرة مفارقة الامة اذ بامساكها رق الولد الذى يقبح فى العقل اختياره ومخالطة
الزوج وجنف الطبع نفار منه فمثله فى الابتداء والله اعلم مع ما قال الله تعالى وان تصبروا خير لكم وليس
عن الذى فيه الضرورة شرط الصبر ثم القول واحد فيمن يملك المال وهو غايب عنه يخشى العنت الى ان يبلغ
ذلك انه لا يمنع النكاح وجميع ماله الحرمة يستوى غيبة ذلك وحضرته كنكاح الامة على الحرة والاخت
على الاخت ونحو ذلك مع ما لو كان خشية العنت يصير سببا للحل نحو شئ لكان ملك الحرة التى هى عنه غايبة
اذا لم تصر الضرورة مبيحة فاذا بان ان الحرمة لنفس النكاح فى الوجود والحل لعدمه لا السبيل الى ذلك
وغير السبيل ثم قوله عز وجل ذلك لمن خشى العنت انما هو الضيق كقوله ولو شاء الله لاعنتكم اى يضيق عليكم
مخالطة الايتام او الاثم كقوله سبحانه وتعالى عزيز عليه ما عنتم وكل رجل فيه وسع الاستمتاع فهو يخشى الاثم
فيجئ ان يباح له على كل حال او يرجع الى الضيق فيكون المقصود منه الامساك دون العقد والله اعلم ثم خشية
الزنا ان يحتمل ان يصير شرطا للحل وقد حصل له عقوبة فيها ابلغ الزجر لمن غفل عن رجم او حد بل يفرض
عليه ابقاء ذلك بكل وجوه الامكان ومعلوم ان الله قد جعل عنه بغير النكاح سبيلا فى الامتناع ايضا
وقد جاء ايضا الامر بالصيام بانه له وجاء فانما خشية ذلك خشية خطر لا حقيقة فلم يجز ان يجعل عذرا
لرفع الحرمات ويقدر عليه بالمباح من الصيام القول فى قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات
الآية نقول وبالله التوفيق يحتمل الآية وجهين احدهما طول عقد النكاح مذكور ايضا فى نكاح الامة
بقوله وآتوهن اجورهن بالمعروف ومعلوم وجود الحرة بالمهر الذى يوصف فى المعروف من المهور بل لعل
ذلك فى الحراير اوجد اذ قد جاز نكاح الحراير بالاشياء الضعيفة ومعروف وجودهن فى كل عصر وزمان يوجد
من مثله الاماء فمحال ان يشترط فى نكاح الاماء عدم ما لا يوجد السبيل اليه الا بوجود ذلك او ما هو اعظم
فى الوجود واما النفقة والمسكن فقد يكون بمال السيد دون انه يؤخذ به وفى الحرة هى لا سبيل اليها الا بمال
الزوج ففيهما يذكر الوجود ولا فيما يستوى الذكر فيه فى المتلوم فى الحاجة على ما عليه العرف فيه فضل ولا قوة
الا بالله والوجه الثانى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنكح الامة على الحرة ولو كان يجوز
نكاحها عند وجود طول الحرة لم يكن للنهى عن ذلك بعد النكاح وجه اذ ليس لذلك وجود لما الطوع يمنع
وجوده والثالث ان الذى به يجب النكاح ليس للوجود شرط فيه والذى به الامساك شرط اذ قد يجوز
بذمة من لا يملك ولا يمسك بمثله ثبت ان ذلك فى حق الامساك وبعد لو كان يمنع بالذى ذكرنا لكان يجوز ان
يحق الضرورة ثبات ذلك فى حق الامساك ثم لو كان التأويل على النكاح لم يكن فى ذلك تحريم النكاح

على وجود

على وجود طول الحرة لخصال احدها ان ذلك يوجب ان يكون نكاح الاماء يجوز بحق الابدال والاضطرار
وذلك لا يحتمل حق النكاح لوجوه احدها ان طريق ذلك اباحة ورخص والفروج لا يحتمل الاباحات
لوجب حد المبيح وعقوبته ويجعل كمبيح ما لا يملكه والثانى ان المحرمات التى كانت فى جميع النكاح كانت
ظاهرة لم يرتفع شئ منها للحاجات وكذلك نكاح الاماء لو كان من المحرمات بل الحكم ان كل امرأة لا تحتمل
النكاح فهى لا تحل بملك اليمين فلو قلنا انه لا يحل نكاحها لذاتها لم تحل فى ملك اليمين فادخلت
بان ما ذكرت وليس كالزيادة على الاربع لان ملك الحرمة لحق المنكوحة لا لمكان المرأة وكذلك الاخت
ونحو ذلك دليل ذلك جواز ذلك لا بحق الابدال والاضطرار اذا عدم نكاح غيره وبعد فانه لم يجعل
فى شئ من الحل والحرمة المال بل قال الله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا الآية صير لعدم
شرط الترك وله قد يفسخ لانه شرط الاباحة فكذلك امر نكاح الاماء والثالث ان الاصل
فى اضافة الحل والحرمة الى حال انه لا يوجب ضده ذلك فى غير ملك الحال بل هو فى غيرها موقوفا
على قيام الدليل من ذلك المضاف اليه او غيره لانه يوجب دليل ذلك امور النكاح قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن لانه لو لم يؤتهن الاجور
لم يحللن وكذلك قوله سبحانه وتعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن
وقال عز وجل فاذا احصن فان اتين بفاحشة الآية لان الحد لا يجب لو لم يحصن وقال الله عز وجل
ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات لا على جعل الايمان شرطا وقال الله عز وجل
فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم لان الامة لا تحل اذا لم يخف العدل فى الحراير
وغير ذلك مما يكثر اذ ليس فى اضافة الحل الى حال قطعه عن غيره فمثله امر النكاح فيما نحن فيه ثم احتج
بعضهم بالآيات التى فيها فمن لم يستطع ومن لم يجد لتوجيه ذلك الحق ههنا وقد دخل جواب هذا فيما قلنا
ان الحكم فى غيره موقوفا على الدليل فيه منعنا لا بهذا ما بينا دليل ما نحن فيه ليس بشرط الا ترى انه
ذكر شرط الايمان فى المحصنات ثم لم يصر شرطا وقد صار فى الكفارات ونحو ذلك فمثله ما نحن فيه ثم
الفصل بين الامرين يقع من وجوه احدها ان تلك بحق الابدال والاضطرار دليله زوال حكمه عند الارتفاع
وفى هذا انه لا يرتفع نكاح الحرة فلذلك اختلف الامران ولو جعلنا الامر به فى حال والاشارة بالحل اليها
دليلا على النهى عن ذلك كان نهى نكاح الاماء فى حال طول الحراير فلا يحتمل ان يكون النهى مبطلا للفعل
لا وجه احدها لان المعنى الذى له يقع النهى كان معقولا وبمثله لا يحتمل الفساد وذلك يخرج على وجهين
احدهما ان يرق ولده والثانى ان يخالط امرأته الرجال وذلك بعض ما يشين الرجل ثم كان نكاح الزانية
مع النهى عن ذلك يجوز ومع الامر بطلاقها ومعلوم ان ذلك اعظم فى الشين اذ قد ظهر به ما يخاف
فى المملوكة ويصير ولده مشتوما بامه ما هو اوحش فى العقوق من كل رق وعبودة ويقال له يا ابن
الزانية وذلك ايضا تلبيس النسب وشبهه ثم لم يجب به الفساد فامر المملوكة الاخرى وايضا لم يختلف
على نهى الحرمة عن نكاح العبيد ولم يفرق الاولياء ويصرف حق نسب الابناء الى الموالى اذ معلوم ان الطعن
عليهن فى الخلاف اقبح عنه عليهم ثم لم يمنع ذلك جواز النكاح فمثله ما نحن فيه وايضا ان الحرمة على وجهين
حرمة لنفس المنكوحة او للاستمتاع وحرمة لحق النكاح وكل محرمة لذاتها فهى لا تحل بملك اليمين
ولا بملك النكاح وما كانت الحرمة بحيث النكاح يحل اذا كانت كالامة تحل بملك اليمين ثبت ان حرمتها ليست
لنفسها ولا للاستمتاع فهى تحل بملك اليمين بل حلها فى الاصل بملك النكاح احق اذ ليس الا للاستمتاع
فاذا حلت به فبالاحرى ان يحل بالنكاح ثم قد يحرم للنكاح الخاص لا بعجز من الاموال يحل فكذا ما نحن فيه
وقوله عز وجل والله اعلم بايمانكم يحتمل وجهين يحتمل والله اعلم حقيقة ايمانكم وانتم لا تعلمون ذلك

ويحتمل والله اعلم بايمانكم وغيره لا يعلم حقيقة ذلك وفيه لزوم العمل بالظاهر وقوله عز وجل
بعضكم من بعض في الدين ويحتمل بعضكم من نسب بعض فهذا يدل على ان نسب بعضهم من دين بعض ومن نسب
بعض فليس لبعض على بعض فضل من جهة الدين والنسب اذ نسبهم ودينهم واحد وليس للحرة على الامة
فضل من هذا الوجه وفي قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
لانها اذا كانت على غير هذا الوصف لزمها ذلك الحكم دل ان وجوب الحكم في حال على وصف لا يمنع وجوب
ذلك الحكم في حال اخرى على غير الوصف الذي وصف في تلك الحال وهذا بالمخالف لنا الزم لانه قال
عز وجل في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ان النهي وقع على جميع المشركات
كتابيات وغير كتابيات ثم صار الكتابيات منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ثم قال لو
اذا كان له طول محصنة كتابية لم يحل له نكاح الامة المؤمنة وقد اخبر عز وجل ان الامة المؤمنة خير
من مشركة وهو يقول بل المشركة خير من الامة فهذا يدل على اضطراب في قوله على مذهبنا ما قلنا وقوله
عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الاية على المشركات خاصة من غير الكتابيات عندنا دليله قوله
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل ذكر المشركات وذكر الكتابيات دل هذا ان المشركات
في هذه الاية غير الكتابيات وقد ذكرنا الوجه في ذلك في صدر السورة ما يغني ذكره في هذا الموضع
فاذا كان ما ذكرنا حل له ان يتزوج كتابية محصنة كانت او امة وقد قمنا الدليل على ان ليس في ذكر الايمان
فيهن دليل جعله شرطا في جواز نكاحهن على ما لم يكن في ذكر الايمان فيهن دليل جعله شرطا في جواز نكاحهن
في ذكر الايمان في المحصنات من المؤمنات دليل جعل الايمان فيهن شرطا وقوله عز وجل والله اعلم بايمانكم اي هو
اعلم بحقيقة ايمانهن وانتم لا تعلمون حقيقة وان كان اثبت لنا علم الظاهر بقوله تعالى فامتحنوهن
الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات امرنا بالعمل بعلم الظاهر لا بعلم الحقيقة بقوله والله اعلم
بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار فهذا يدل على ان الايمان هو عمل القلب لا عمل اللسان
لانه لو كان عمل اللسان لكان يعلم حقيقة كل احد فظهر انه ما وصفنا وقوله عز وجل بعضكم من بعض قيل فيه
بوجوه بعضكم من بعض في الولايات في الدين كقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقيل
بعضهم من بعض في النسب اذ كل منهم من اولاد آدم ويحتمل بعضكم من بعض قبل الاسلام وقوله عز وجل فانكحوهن
باذن اهلهن اي باذن ساداتهن سمى السادات اهلا لهن لانهن من اهلهم وفيه ان للمراة ان تتزوج نفسها
اذا اذن لها وليها لانه تعالى قال باذن اهلهن والمراة اذا كانت لها جارية لها ان تزوج من غيره وهذا
في النساء اولى لان الرجل اذا كانت له جارية يستمتع بها ولا يتزوجها من غيره والمراة اذا كانت لها جارية
هي التي احتاجت الى تزويج جاريتها لذلك كان في هذا اولى وفيه ان ليس للعبد ولا للامة ان يتزوج الا باذن
السيد وكذلك روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ايما عبد تزوج بغير اذن مولاه فهو عاهر
وقال بعض اهل العلم قوله فانكحوهن باذن اهلهن اذا كن مؤمنات على ما سبق من ذكر الايمان بقوله من فتياتكم
المؤمنات والله اعلم بايمانكم لكن هذا وان كان نهيا عن نكاح الاماء اذا كن غير مؤمنات لم يدل ذلك على فساد
نكاحهن اذا كن غير مؤمنات لم يدل ذلك على فساد نكاحهن اذا كن غير مؤمنات الا ترى ان النساء نهين
عن تزويج انفسهن من العبيد وذلك مما يشينهن ثم لم يمنع ذلك النهي عن التزويج منهم فعلى ذلك لا يمنع شرط
الايمان فيهن والنهي عن نكاحها اذا فعل ذلك جاز النكاح جاز النكاح فعلى ذلك الاول وكذلك قوله وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ذكر الصلاح فيهم ثم اذا كانوا على غير ذلك الوصف جاز فكذلك
الاول وكذلك قوله عز وجل محصنات غير مسافحات ذكر الاحصان فيهن ثم لم يصر الاحصان فيهن
شرطا في جواز النكاح لانهن اذا كن غير محصنات يجوز نكاحهن فعلى ذلك الاول ولو كان الطول والقدرة مما يمنع

جواز

جواز نكاح الاماء وجواز نكاح الاماء بمعنى البدل لكان اذا تزوج امته ولم يكن له طول على نكاح الحرة
في ذلك الوقت ثم كان الطول على نكاح الحرة يجب ان يفسد النكاح لانه اذا منع الابتداء يمنع القرار في ملكه
فاذا لم يمنع دل انه ليس على حكم البدل اذ الابدال لا قرار لها ولا ثبات عند وجود الوصول دل انه ليس عنه ولكن
على الاختيار والتاديب ان لا يختار نكاح الاماء على الحراير والمسافحات على المحصنات ولا يختار المشركات
على المؤمنات فان قيل انكم تمنعون عن نكاح الامة على الحرة ثم لا تفسخون نكاح الامة اذا كانت عنده امة فتزوج
حرة قيل له انما يمنع عن نكاح الامة على الحرة لحق حرمة الجمع كالجمع بين الاختين وبين المراة وعمتها
فاما اذا لم تكن ثم جمع لا يمنع وهذا ليس بشيء وقوله عز وجل فآتوهن اجورهن قيل فآتوهن اجورهن باذن
اهلهن على ما ذكر الاذن في النكاح بقوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن ويحتمل ايضا ان يؤتى اجرها
وان لم ياذن له مولاها اذا كانت الجارية ممن تحفظ مال سيدها وتتعاهد اذ الناس يشترون المماليك
لحفظ اموالهم وصون املاكهم نحو ما جاء من ابو عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول
عن رعيته حتى العبد عن مال سيده فاذا كان ما وصفنا لا باس بان يدفع الاجر والمهر اليها اذا كانت هي
ممن تحفظ ماله وتصونه ثم من الناس من استدل بقوله فآتوهن اجورهن على حقيقة الملك للمماليك وتبيح لهم
التمتع بالجواري وبقوله تعالى ايضا وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله
من فضله لو لم يملكوا حقيقة الملك واما عندنا فانهم لا يملكون حقيقة الملك استدلالا بقوله تعالى
ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم اخبر ان ليس لهم فيما رزقهم شركاء
مما ملكت ايمانهم دل انهم لا يملكون حقيقة الملك فان قالوا اليس يملكون التمتع في النكاح اذا هلكوا اما منع ايضا
ان يملكوا رقاب الاشياء اذا ملكوا قيل ان السادات لا يملكون من المماليك رقبة ما يتمتع به بالاسر الا ترى
ان السيدة لا تملك من غيرها التمتع به دل ان ملك ذلك للعبد خاصة لذلك ملك ملك التمتع في النكاح
وقوله عز وجل فآتوهن اجورهن ما ذكرنا من الاذن من اهلهن ولما جعل النهي حفظ الاموال واما قوله
عز وجل يغنهم الله من فضله بغناء ساداتهم اذ مقدار ما يطعمون ويشربون مما جعل لهم الانتفاع به
وقوله عز وجل بالمعروف قيل مهر البغي وقيل هو المعلوم وقوله تعالى محصنات غير مسافحات ولا متخذات
اخدان قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل فاذا احصن قيل فاذا اسلمن وقيل فاذا احصن فاذا تزوجن
ويحتمل فاذا احصن فاذا بلغن مبلغ النساء وقيل فاذا احصن اي عففن وتاويله والله اعلم ما ذكره في اول
الاية وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا انهن اذا تركن للتعفف ولم يكرههن عليهن
على البغي فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب من الحراير لان عذاب المتزوجة اذا دخل بها
زوجها الرجم ولا نصف للرجم وانما حد الامة الجلد فلا يجوز ان يكون المحصنات في هذا الموضع ذات الازواج
لان عذاب ذات الازواج الرجم ولا نصف له دل انه اراد بالاحصان الاسلام وروي عن ابن عباس
رضي الله عنه وسعيد بن جبير وجماعة من اهل العلم ان لا حد على الامة حتى تتزوج واما عندنا
فان عليها الحد لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بجلد الامة اذا زنت وان لم تتزوج
فذلك حجة لقول من قال ان احصانها اسلامها وهو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه وزيد بن خالد
وشبل رضوان الله عليهم قالوا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله رجل عن الامة تزني
قبل ان تحصن قال اجلدها فان زنت فاجلدها ثم قال في الثالثة او الرابعة فبيعوها ولو بضفير هذا
الخبر يدل على ان الامة اذا زنت تجلد وان لم تتزوج وقوله عز وجل وان تصبروا خير لكم اي وان تصبروا
ولا تتزوجوا الاماء فهو خير لكم لان اولادكم يصيرون عبيدا فهذا يدل على ان قوله ومن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم كله على الاختيار ليس على الحكم الا اختيار

لا على انه اذا فعل لا يجوز وقوله عز وجل والله غفور رحيم يحتمل وجهين يحتمل غفور رحيم حيث كفر عنكم
ما ارتكبتم في الدنيا بالعذاب الذي يقام عليكم ولم يجعل عذابكم في الاخرة اذ عذاب الاخرة اشد من عذاب
الدنيا وذلك من رحمته ويحتمل غفور رحيم من رحمته ان يجعل الحدود في الدنيا زواجر من العود الى ارتكاب
مثله من الافعال وقوله عز وجل يريد الله ليبين لكم يحتمل قوله يريد الله ان يبين لكم ما تأتون وما تتقون
وما لكم وما عليكم ويبين ما به صلاحكم ومعاشكم امر دينكم ودنياكم لكن حقيقة المراد بالاية اما ان يكون
اراد جميع ما ذكرنا او معنى خاصا مما احتمله الكلام وليس لنا القطع على ما اراد به وقوله عز وجل ويهديكم سنن
الذين من قبلكم يحتمل وجوها اي يبين لكم سبيل الذين من قبلكم اي سبيل الانبياء والرسل عليهم الصلوة
والسلام واهل الهدى والطاعة منهم ليعملوا ما عملوا هم وينتهوا عما انتهوا وكذلك في حرف ابن مسعود
رضي الله عنه سنن الذين من قبلكم اي امر الرسالة والنبوة ليهديكم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو [illegible]
اذ امر الرسالة والنبوة ليس ببديع قد كان في الامم السالفة رسل وانبياء عليهم السلام فامر رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم ونبوته ليس ببديع ولا احداث كقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل ويحتمل قوله ويهديكم
سنن الذين من قبلكم اي يبين لكم ان كيف كان سنة في الذين خلوا من قبل في اهلاك من عاند الله ورسوله
واستيصال من استاصلهم بتكذيب الرسل والانبياء عليهم الصلوة والسلام والخلاف لهم كقوله تعالى سنة الله
في الذين خلوا من قبل وقوله تعالى وقد مضت سنة الاولين وقيل سنن الذين من قبلكم شرايع الذين من قبلكم
من المحرمات والمحللات من اهل التورية والانجيل والزبور وساير الكتب وقوله عز وجل ويتوب عليكم
اي يريد ان يتوب عليكم وفي قوله تعالى ايضا سنن الذين من قبلكم يحتمل يهديكم تلك السنن اي يبينها لكم انها
كانت ماذا ويحتمل يهديكم سنن الذين من قبلكم بمعنى جعل تلك السنن هداية لكم ثم قوله عز وجل
من قبلكم يحتمل سنته وسيرته في الذين من قبلكم ليعتبروا بها ويحتمل سننهم التي لزموها وسيرتهم التي سلكوها
بما لها من العواقب ليتعظوا بها والله اعلم بحقيقة ما انصرف اليه مراد الاية لكن فيما احتمله فهاهنا موعظة
بينا فيه وعلى ذلك معنى قوله عز وجل يريد الله ليبين لكم يحتمل كل ما بد لنا نفع او كل ما بينا اليه حاجة او كل
ما علينا القيام به او يرجع ذلك الى الخاص مما يريد بالاية الاخبار عنه وان الذي علينا النظر فيما قد يفضل
البيان عنه وفيما انبانا عن سنته فيمن تقدمنا مما زجروا به الهداية والشفاء للقيام بما علينا في ذلك من الحق
دون الشهادة عليه جل ثناؤه بالمراد منها في مخرج الكناية دون التصريح من الموعود وقوله تعالى ليبين وابين
في مفهوم الخطاب فيما جرى به الذكر في هذه الاية واحدا ذلو كان ذكران يسبق الى الفهم غير الذي سبق في هذا
على حق العباد من التفاهم والله اعلم ثم كان معلوما فيما اراد بقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم انه لو لم يبين
ما اراد بهذا الوعد ولم يهد انه كان يلحقه الخلف في الوعد فعلى ذلك فيمن قال يريد الله ان يتوب عليكم ويريد
ان يخفف عنكم لو لم يخفف عنكم لو لم يكن يخفف ويتوب على من اريد يقول له يتوب ويخفف عنكم يلحقه الخلف
في الوعد ثم يخالف وصف كافر في حال انه ممن تاب الله عليه ثبت انه لم يدخل في قوله سبحانه وتعالى يريد الله
ان يتوب عليكم فاذا ثبت انه لم يدخل فيه وجب فيه امران احدهما ان الارادة ليست بامر اذ قد امر الكافر بالتوبة
والثاني ان كل من لم يتب فهو ممن لم يرد الله ان يتوب عليه وهو في قوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم على ان الله تعالى قال في المؤمنين يريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وقال في الكفار لم يرد الله
ان يجعل لهم حظا في الاخرة على التفريق من الذي في علمه ان يختم مؤمنا ومن في علمه ان يختم كافرا على ارادة
الهداية مع ارادة ان لا يجعل له الحظ في الاخرة على الموعود خلف وارادة من لا تدبير له في فعله ولا يتصل به
فعله تمني في متعارف الامر وتشهي ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى الارادة من هذا الوجه فكان له حق
الارادة فهي التي يوصف بها من فعله الاختيار ثبت ان الله تعالى في فعل العباد فعلا بحيث فعله يوصف

بالارادة وفي ذلك وجوب القول بخلق افعال العباد او ان يكون المراد عن تلك الارادة اذ لم يحتمل التمني
والامر ان يكون الارادة التي بمعنى القهر والغلبة فيلزم اذ ثبت نفي القهر الوصف بالارادة واثباته مريد
لكل فعل نفي عنه القهر في وجوده وبالله التوفيق وقوله عز وجل والله عليم بما يؤتي ويتقي عليم بما به
معاشكم وصلاحكم وما به فسادكم وفساد معاشكم ونحوه حكيم وضع كل شيء موضعه والله اعلم وقوله
عز وجل والله يريد ان يتوب عليكم قالت المعتزلة قد اراد الله تعالى توبة من لا يتوب فيقال لهم ما التوبة
عندكم اليس التوبة عندكم التجاوز والدعاء فاذا وعد ان يتوب فلم يفعل فهل ترك ذمته الا العجز
او بدا وذلك الوصف له بالعجز او الجهل فنعوذ بالله من الزيغ من الحق والسرف في القول واما تاويله
عندنا والله يريد ان يتوب عليكم في الذي علمه انهم يتوبون او كان ذلك اخبارا عن قوم اراد الله ان يتوب
عليهم فتابوا وقال قوم قوله والله يريد ان يتوب عليكم اي يامركم ان تتوبوا والله اعلم وقوله عز وجل ويريد
الذين يتبعون الشهوات الاية من اختيار الدنيا على الدين والاولى على الاخرة لهواه بتبعه وشهوة تغلبه
لا لتقصير من الله عز وجل عن البيان بل لتركهم النظر والتامل بالعواقب غلب عليهم شهواتهم واتبعوا
اهواء انفسهم اما رياسة طلبوها واما سعة في الدنيا بغوها فذلك الذي يمنعهم عن النظر في العاقبة
والتامل في الاخرة لذلك مالوا ميلا عظيما وخسروا خسرانا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا وقوله عز وجل
ان يخفف عنكم يحتمل هذا ان خفف علينا ولم يحمل ما حمل على الامم السالفة من الاصر والشدايد والاثقال
والمشقات مما جعل توبتهم قتل بعضهم بعضا وجعل توبتنا الندامة بالقلب والرجوع عما ارتكبوا او ان يقال
خفف عنا حيث لم يستاصلنا ولم يهلكنا بالخلاف وترك الطاعة على ما استاصل اولئك واهلكهم ويحتمل
التخفيف عنا ايضا وهو ما خفف علينا من اقامة العبادات والطاعات من نحو الحج والجهاد وغيره حتى جعل
القيام بذلك اخف على الانسان وايسر من قيامه باخف العبادات وايسرها وذلك من تخفيف الله علينا وتيسيره
وفضلا منه ورحمة والله اعلم وقوله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا يحتمل ان يكون اراد به الكافر كقوله تعالى
وخلق الانسان هلوعا وكقوله تعالى واذا مسه الشر كان جزوعا وقد قيل كل موضع ذكر الانسان فهو في الكافر
من ضعفه بضيق صدره وتمل نفسه بطول الترك في النعم حتى يفخر فيها ويحتمل انه اراد به الكافر والمسلم
وضعفه في ابتداء حاله انه كان ضعيفا كقوله خلقكم من ضعف ويحتمل وصفه بالضعف له لانه ضعيف في نفسه
تمل من الطاعات والعبادات التي جعل الله عليه ليس كالملائكة حيث وصفهم انهم لا يفترون ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا كذلك بنو ادم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل الا ان تكون تجارة الظاهر في الثنيا انه من غير جنس المستثنى لانه استثنى التجارة عن تراض من كل المال
بالباطل بينهم واكل المال بالباطل ليس من جنس التجارة ولا التجارة من نوع اكل المال بالباطل والثنيا في الاصل جعل
تحصيل المراد في المحل من اللفظ فاذا لم يكن من نوعه كيف جاز لكنه يحتمل والله اعلم ان يكون على الابتداء او الايتناف
كانه قال لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولكن كلوا بتجارة عن تراض منكم وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما استثنى السلام والسلام ليس من جنس اللغو لكن معناه ما ذكرنا لا يسمعون فيها اللغو ولكن
يسمعون فيها سلاما ويحتمل ان يكون في الثنيا بيان تخصيص المراد في المطلق من الكلام كقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم
مجرمين الاية الا ال لوط دل استثناؤه ال لوط على انه اراد بقوم مجرمين قوم لوط خاصة لانه قد كان في قوم ابراهيم
عليه الصلوة والسلام وفي غيرهم من اقوام مجرمين دل الثنيا على ارادة الخصوص فعلى ذلك يدل استثناؤه التجارة
عن تراض منهم على انه اراد باكل المال بالباطل تجارة من غير تراض وان كان في الحقيقة يصير مال هذا بمال هذا
وهو ان ياخذ مال غيره فيتلفه فيلزمه بدله فيصير ما عوض من بدله بما اتلفه قصاصا فهو في الحقيقة تجارة
او يحتمل ان يكون اكل المال بالباطل بينهم مما لا يجوز ولا يطيب لان حرف البين لا يستعمل الا فيما كان البدل

من المتبايعين فاذا كان ما وصفنا محتملا كان البتنا من ذلك من وجه يطيب ومن وجه لا يجوز ولا يطيب
وفيه دليل ان التجارة هي جعل الشئ له ببدل وترك الشئ بالشئ الا ترى الى قوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى ذكر الشرى ولم يكن منهم الا ترك الهدى بالكفر ثم سمى ذلك تجارة بقوله تعالى
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وفيه دلالة ان البيع يتم بوقوع التراضي بين المتبايعين وليس كما قال
قوم لا يتم البيع وان تراضيا على ذلك حتى يتفرقا عن المكان فكانوا تاركين عندنا لظاهر الآية فان احتجوا
بالخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا لكن معناه
عندنا ان يقول الرجل للرجل بعتك عبدي بكذا فلصاحبه ان يقول قبلت البيع ما دام في مجلسه او يحتمل
ان يكون اذا قال بعتك كان له الرجوع قبل ان يقول الآخر قبلت على ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يتفرقا
لا يوجب ان يكون تفرقا عن المكان تفرق الابدان الا ترى ان الله سبحانه وتعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
ولا يفهم المعنى من ذلك تفرق المكان والابدان ولكن وقع ذلك على القول والطلاق على ان في الآية بيان تمام
البيع بوجود التراضي بقوله الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ومما يدل على ذلك ايضا واشهدوا اذا تبايعتم
فلو كان البيع لا يتم بالتراضي فمتى يشهد قبل التفرق او بعد التفرق ان اشهد قبل التفرق فهل الحق صادق
انه ان لصاحبه عليه الثمن او كاذب اذا كان البيع لم يتم وما ينفعه الاشهاد ان كان للقران يبطل او ان يرد الساحة
وان كان انما يشهد بعد التفرق فقد يجوز ان يتلف المال بالتفرق قبل الاشهاد فاين التحصين الذي امر الله تعالى
ومما يدل على تاويلنا في الخبر ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فلا يحل لاحد ان يفارق خشية ان يستقيله وقوله يستقيله يدل على ان ليس
له ان يرده الا ان يقبله صاحبه ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يتفرقا من بيعهما على ان التفرق هو الفراغ
من عقد البيع لا غيره ومما يدل على ان الخيار ليس بواجب قول عمر رضي الله تعالى عنه ان البيع من صفقة
او خيار فكان موافقا لما روى ابو هريرة رضي الله عنه يقول ذلك قوله تعالى لا تاكلوا الى قوله تجارة
عن تراض على الاذن في الاكل اذا وجدت التجارة عن تراض من الناس والتجارة معروف عند جميع من له عقل
ومعروف ان تفرق المتعاقدات بعد الفراغ من العقد لم يعرف فيما هو عند الخلق تجارة ولكن التفرق
بانقضاء ماله الاجتماع والفراغ منه بما ليس من معاقدة العقلاء الوقوف في مكان بلا حاجة فليس التفرق
مما يحتمل ان يظنه حكيم او سفيه من التجارة وقد اذن في الاكل والاكل عبارة عن الاخذ وكل انواع المنافع
بالباطل فثبت ان قد ملك بالفراغ عن التجارة بغير الرضاء وايد ذلك قوله واشهدوا اذا تبايعتم والتبايع
الذي عليه الاشهاد وهو التعاقد لا التفرق ومن البعيد ان يكلفوا الاشهاد على التبايع قبل وجوب الواجب
من الحق الذي عليه الاشهاد فثبت بذلك وجوب ما جعل التبايع بوجوبه دون التفرق وانا ثبت الذي
ذكرنا من احكام القرآن مع الكفاية بالامر الذي لا يجوز ان لا يسلم عنه بشر عن علم جميع البشر وكل اهل
التبايع به يتعارفون الحق بينهم بالفراغ من العقود ولا يجوز شذوذ العلم بحق ذلك محله فيكون
اتفاق الخلق على الجهل بالاعتقاد في امر يعرفه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ايمة الهدى
لا ينهون عن ذلك والله اعلم فاذا لزم ذا ولا المروي من الخيار ان كل متبايعين بالخيار ما لم يتفرقا حمل الخبر
على ما فيه بعض العلم بحق القرآن وما عليه امر الخلق على اتساع لغير ذلك الوجه بل لعله بغيره اولى
ثم يخرج على وجوه على اضمار حق المتبايعين ان يكونا كذلك في حق الجعل لا في حق العبادة عن واجب ليله
رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا
او لا يحل لاحدهما ان يفارق صاحبه خشية ان يستقيله ثبت ان المعنى بالخيار في حق الجعل لو طلب الفسخ
منه الاستقالة والله اعلم والثاني ان يريد به ما وآما في التبايع دليل ذلك احتمال اللفظ قوله سبحانه

واشهدوا

واشهدوا اذا تبايعتم والاشهاد على التبايع والتبايع هو فعل اثنين وقد ثبت منهما مع الفراغ الاشهاد على التبايع
وهذا احق بوجوه احدها حق اللغة انه اسم التفاعل وهو اسم لفعلهما فيستحقان ذلك في وقت كونهما فيه
كالتضارب والتقاتل ونحو ذلك وبعد الفراغ التسمية ويكون على الحكاية دون تحقيق الفعل والثاني
بما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا
من بيعهما وبيعهما معروف والله اعلم والثالث متفق القول من اهل العقل على رؤية وجوب البيع
دون التفرق عن المكان والله اعلم والرابع ان يجعل ذلك الحد لاصلاح البياعات انهما ما لم يتفرقا
يملكان الاصلاح واذا تفرقا لا وهو اولى اذ جعل التفرق التمام شرطا للفساد ومنع الاصلاح وقد كان
في بعض العقود مما يصلح العقود بالقبض فهو على الوجود قبل التفرق فمثله مما كان الصلاح بالقول
في الاصلاح وعلى ذلك اذا قال احد للآخر اختر انقطع خياره لو كان تفرقا من القول وليس فيه زيادة
على ما في قوله بعت منك في حق الاصلاح فثبت ان التفرق لقطع الاصلاح لا للاصلاح والله اعلم ان للناس
عرف في التبايع من وجهين احدهما في التعاقد والثاني في التقابض فيكون المعنى من الخير فيما البيع عن تقابض
وهو بيع المداومة اذا ترك كل واحد منهما الآخر يفارقه على ما سلم وقبض كان ذلك بينهما وجاز ذلك ايضا
بحق الآية في الاباحة عن تراض واسم التجارة قد يقع على تبادل ليس فيه قول البيع كقوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى وقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وذلك مع قوله سبحانه وتعالى فما ربحت
تجارتهم ان البيع الموقوف اذا اجيز يباح الاكل لما كان وقت الاكل قد وجدت التجارة عن تراض وفي ذلك
دليل وجوب خيار الرؤية اذ قد جعل الرضا سببا وهو بما يجهل غير محقق وانما يعلم بالرؤية وفيه انه بالقبض
يمضي حق العقد اذ التجارة للاكل ولا يوصل اليه الا بالقبض فاذا فات فات ماله التجارة فيبطل والله اعلم
وفي قوله ايضا تبايعتم وان كان اسم لفعل اثنين فلما يتصل صحة كلام كل واحد منهما اذا كان الآخر حاضرا
فكانهما اشتركا في صحته فصارا به متبايعين نحو قوله سبحانه وتعالى حتى يتفرقا والتفرق اسم لفعل
اثنين لكن احدهما اذا فارق مكان البيع والآخر لم يفارقه فقد وجد حق التفرق من ان ليس احدهما
بجنب الآخر فكانهما اشتركا في التفريق وان لم يوجد الفعل من احدهما والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تقتلوا انفسكم يحتمل وجهين اي لا يقتل بعضكم بعضا فانه اذا قتل آخر يقتل به فكانه هو الذي
قتل نفسه اذ لولا قتله اياه والا لم يقتل به والثاني انه اضاف القتل الى انفسهم لانهم كلهم كنفس واحدة
اذ كلهم من جنس واحد ومن جوهر واحد وقوله عز وجل ان الله كان بكم رحيما اي من رحمته اذ جعل فيما
بينكم القصاص واحد النفس بالنفس والمال بالمال وفي ذلك حيوة انفسكم وابقاء اموالكم ومن رحمته
ايضا ان جعلكم من جوهر واحد اذ كل ذي جوهر يالف بجوهره ويسكن اليه والله اعلم ومن رحمته
ارسل اليكم الرسل وانزل عليكم الكتب ووضح لكم السبل ومن رحمته ان امهلكم وستر عليكم ودعاكم
الى المتاب ومن رحمته دفع عنكم الآفات ووسع لكم الرزق وبالمؤمنين خاصة برحمته اهتدوا وسلموا
عن كل داء وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما عدوانا تجاوز حدود الله وظلما على صاحبه
والعدوان هو اسم التعدي والمجاوزة عن حدود الله كقوله تعالى ومن يتعد حدود الله ويحتمل قوله
وظلما على نفسه كقوله عز وجل ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقوله تعالى ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون وقوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم وهذا الوعيد والله اعلم لما يفعل ذلك مستحقا
بحدود الله واستحلالا منه لذلك والا لو كان ذلك على غير وجه الاستخفاف بها والاستحلال لما يستوجب
هذا الوعيد الا ترى انه قال تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى ثم قال عز وجل فمن عفي له من اخيه
شيء انما جاء هذا في قتل العمد ثم ابقى الاخوة فيما بينهما واخبر ان ذلك تخفيف منه ورحمة

و فيماكان الفعل منه فعل الاستخفاف والاستحلال لايجوز ان يكون فيه منه و رحمة ويخلد فى النار وعلى ذلك
يخرج قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها اذا قتله مستحلا له مستخفا بتحريم الله اياه
فاستوجب هذا الوعيد فامامن فعل على غير الاستحلال والاستخفاف بحدوده فالحكم فيه ماذكرنا
والله اعلم وقوله تعالى ايضا عدوانا وظلما يحتمل الاستحلال دليله قوله عز وجل كتب عليكم القصاص
ثم قال عز وجل فمن عفى له من اخيه شئ وقال ذلك تخفيف من ربكم و رحمة فابقى الاخوة التى كانت بقوله
عز وجل ياايها الذين آمنوا فثبت ان الايمان بعد باق فابقى له الرحمة والاخوة وههنا وال كذا افترقا
الاثنان والثانى انه وعد اصلاحهم ولم يذكر الخلود وجايز تعذيبه فى الحكمة والتنازع فى الخلود لاغير
والاصل فى هذا ونحوه انه لم يتنازع ان يكون فعله الذى فيه الوعيد ان كان ثم خلود فهو الذى يزيل عنه
اسم الايمان ويبطل عنه حق فعله وانما التنازع فى ابقاء اسم الايمان فى لزوم الوعيد فهى فيمن لم يبق له
الاسم والله اعلم وقوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اختلف فيه قال بعضهم كبائر الشرك لان كبائر
الشرك انواع منها الاشراك بالله ومنها جحود الانبياء صلوات الله عليهم ومنها الجحود ببعض الرسل عليهم
والسلام ومنها جحود العبادات واستحلال المحرمات وتحريم المحللات وغير ذلك وكل ذلك شرك بالله
فقيل اراد بالكبائر كبائر الشرك فاذا اجتنب كباير الشرك صارت ما دونها موعود لها المغفرة بالمشية
بقوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعد المغفرة لما دون الشرك
وقرنه بمشيته فهو فى مشية الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه وبالله التوفيق وقيل اراد بالكبائر
كباير الاسلام ثم يحتمل وجهين بعد هذا يحتمل ان يكون الصغاير مغفورة باجتناب الكباير او يحتمل ان يكون
الصغاير مغفورة بالحسنات الا ترى انه قال فى آخره يكفر عنكم سيئاتكم والتكفير انما يكون بالحسنات
الا ترى انه قال ان الحسنات يذهبن السيئات اخبر ان من السيئات ما يذهبها الحسنات ويحتمل ان يكون
التكفير لهما جميعا وان لم يجتنب الا ترى انه قال فى آية اخرى ان تبدوا الصدقات فنعما هى الى قوله عز وجل
ويكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الا ترى انه
روى عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتى نايلة لاهل الكباير من امتى
وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه سمع امرأة تدعو اللهم اجعلنى من اهل شفاعة محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال مه فقولى اللهم اجعلنى من الفايزين فان شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لاهل
الكباير ثم قرا ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه الآية ثم اختلف فى كيفية الكباير وماهيتها فقال بعضهم ما وجب
الحد فهو كبيرة من نحو الزنا والسرقة والقذف وغير ذلك وقال الآخرون الاشراك بالله وقتل النفس
التى حرم الله بغير حقها واكل مال اليتيم واكل الربوا وقول البهتان والفرار من الزحف وروى عن عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه انه سئل عن ذلك فقال من اول السورة الى ههنا من المحرمات فهو من الكباير وروى
انه قيل لابن عباس ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول الكباير تسع فقال ابن عباس رضى الله عنه هى الى السبعين
اقرب ولكن لاكبيرة مع توبة ولا صغيرة مع اصرار وروى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تقولون فى الزنا والسرقة وشرب الخمر قالوا الله ورسوله اعلم قال هن فواحش وفيهن عقوبة ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكباير قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين
قال وكان متكيا فجلس ثم قال الا وقول الزور قاله ثلاثا وقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه يكفر عنكم
سيئاتكم ذكر تكفير السيئات ان اجتنب الكباير ولم يذكر الحكم اذا لم يجتنبها فليس فيه انه اذا لم يجتنب لا يكفر فهو
فى مشية الله ان شاء كفر وان شاء عذبه على ما ذكرنا ان وجوب الحكم لا يوجب ايجاب ذلك الحكم فى حال اخرى
خطرا ان كان حراما او حلالا والله اعلم ويقرأ فى بعض القراءة ان تجتنبوا كبير ما تنهون عنه فان ثبت هذا

وعن ابن عباس رضى الله عنه
انه قال الكباير عشرون وبسطها
واستدل فيها بالآيات والاخبار
وهذا اختصارها الاشراك بالله
والاياس من روح الله والقنوط
من رحمة الله والامن من مكر الله
وعقوق الوالدين وقتل النفس
بغير حق وقذف المحصنة واكل
مال اليتيم ظلما والفرار من الزحف
واكل الربوا والسحر والزنا واليمين
الكاذبة ومنع الزكوة وقطيعة
الرحم والجنف فى الوصية
تفسير

فهو يدل

فهو يدل على التاويل الذى ذكرنا آنفا انه اراد بالكباير كباير الشرك والله اعلم وقوله عز وجل وندخلكم
مدخلا كريما قيل الجنة وقوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الآية قيل لا يتمنى الرجل
مال اخيه ولا امرأته ولا داره ولا شيئا من الذى له ولكن ليقل اللهم ارزقنى تذكر نوع الذى رغبت
فالله واحد ذلك وهو الواسع العليم وقيل هو كذلك فى التورية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزوا
الرجال ولا نغزو ويذكر الرجال ولا نذكر فنزلت الآية ولا تتمنوا ما فضل الله به الى قوله عز وجل للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ويحتمل ان يكون هذا التمنى فى الديانة وفى الدنيا اما فى الديانة
هو ان يتمنى احد ان يكون قدره مثل قدر آخر عند الناس من العلم والزهد وغير ذلك فنهى ان يتمنى
ذلك لم يبلغ هو ذلك المبلغ الا باحتمال المكاره والجهد وفى الدنياوية هو ان يتمنى مال اخيه وزوجته
وخدمه ويحتمل ان يكون معنى التمنى ما ذكر فى خبر ام سلمة لا فى ذلك الكفران بنعم الله لان النساء لم يجعل
عليهن القتال وغيرها من الخيرات دفع منهن بعض المؤنات ففى التمنى الكفران بتلك النعم التى انعم الله
تعالى عليهن وفى قوله ايضا ولا تتمنوا ما فضل الله اى الذى فضل الله بعضكم على بعض فهو والله اعلم
لما فيه التسخط بحكمه يريد الصرف اليك او لما فيه انه انما قصر فضله على ما رآى وان لا يسع فضله له وللذى
فضله ولما النظر الى ما اكرم به غيره بحق التمنى تلهى عن نعم الله تعالى عليه او بما يخرج ذلك مخرج
العداوة وحق نعم الله على كل احد ان يعرف التعظيم له وكذلك قيل فضلت على غيرك لترحمه ويتفضل به
عليه للتعظيم والتمنى وحش من الحسد لان الحسد هو ارادة الصرف عنه وفى التمنى ذلك وارادة الفضل
به عليه وسألوا الله سبحانه وتعالى من فضله وكان فضله هو ما له ان لا يبذل وذلك يخرج على فضل
فى الدين او فضل فى الخلق والمروة فاما فيما يرجع الى نعم الدنيا مما لا يستعمله فى احد ذانك الوجهين فهو فى الظاهر
نعم وفى الحقيقة بلية ومحنة قال الله سبحانه وتعالى فلا تعجبك اموالهم الآية وقال الله عز وجل ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين وجايز ان يكون الآية فى النهى عما مكنوا من النعم لو وقفوا من النعم لو وقفوا الخيرات
فان كان فيما وقفوا الخيرات يحق ذلك ان يشكر الله بما اكرم به من حسنات ويرغب فى التوفيق لمثله وان كان
فى امر النعم فحقه ان يعينه بالدعاء لتكون النعمة له نعمة لا بلية ونقمة وترغب فيما يقربك الى الله فى عاقبته
وقد ذكرنا ان ام سلمة تمنت بعض ما يقوم به الرجال من العبادات نحو الجهاد واشكاله فنزل النهى
عن ذلك والترغيب فى فضله فى نوع ما تحتمل هى من الخيرات دون الذى يفضل عليهن بالرفع عنهن والله اعلم
وفى قوله ايضا ولا تتمنوا ما فضل الله الآية يحتمل ان يكون على ما خطب رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
بقوله تعالى ولا تمدن عينيك الآية فاخبر ان الذى اعطى لم يعط للكرامة ولكن ليفتنهم والعقل يابى
الرغبة فيما يفتن به دون ما يكرم به ثم بين الذى هو اولى بالمشتهى من التمنى فقال للرجال نصيب
مما اكتسبوا فرغب فيما له وامر بالسؤال من فضله اذ لا يكون كسبه له الا بفضله كقوله سبحانه وتعالى
ولا تكسب كل نفس الا عليها ثم قال الله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
فبين ان كسبه عليه الا بفضل الله وبين ان الاولى به الاقبال على ماله عاقبته والتضرع الى الله تعالى
بالاكرام دون الذى عليه فى ذلك خوف المقت والله اعلم وقوله عز وجل واسألوا الله من فضله مثله
فان فضله واسع ولا يتمنى مال اخيه وداره واسألوا الله تعالى العبادة ولا تتمن ان لا يكون لاخيك تلك
ويكون لك ثم اخبر ان ما يكون للرجال انما يكون بالاكتساب وما يكون للنساء يكون بالاكتساب يكون لكل ما اكتسب
من الاجر وغيره وقوله عز وجل ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون احتمل هذا والله اعلم
ان يكون معطوفا مردودا الى قوله سبحانه وتعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب
مما ترك الآية ذكر ههنا ما يرث الرجال والنساء من الوالدين والاقربين ولم يذكر ما يرث الوالدان من الاولاد

والاقربون بعضهم من بعض من نحو العم وابن العم وغيرهم من القرابات فذكرها هنا لتعلم ان للولى من الميراث
مما ترك الوالدان والاقربون ما لاولئك من الوالدين والاقربين اذا لم يكن اولئك ان جعل لهؤلاء ما جعل لاولئك
ولم يذكر ايضا ما للوالدين من الاولاد فى قوله للرجال نصيب مما ترك الاية ولكن ذكر فى اية الوصية فى قوله تعالى
ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف ذكر الوصية للوالدين والاقربين ولم يذكر للاولاد
والله اعلم ان الرجل قد يوثر ولده على نفسه وعلى غيرهم من الاقرباء ولا كذلك الولد الوالد فذكر الوصية للوالدين
والاقربين لهذا المعنى يصل اليهم المعروف واما الاولاد فانهم لا يوثرون على غيرهم لذلك لم يذكرهم والله اعلم
وقيل فى قوله ولكل جعلنا اى بينا فيكون فيها بيان ما فى الاولى من المواريث ثم قيل فى الموالى انهم هم العصبة وقيل
هم اولياء الاب او الاخ او ابن الاخ وغيرهم من العصبة وقيل هى الورثة وهو قول ابن عباس وكله واحد
وروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اولى بالمومنين
من مات وترك مالا فماله لموالى العصبة ومن ترك مالا او ضياعا فانا وليه فلادعاله وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا المال بالفرايض فما ابقت السهام فلاولى
رجل ذكر وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما احرز
الوالد او الولد فهو لعصبة من كان وعن عمر رضى الله عنه انه كتب اذا كانت العصبة بعضهم اقرب بام فهم
احق بالمال واجمع اهل العلم على ان اهل السهام اذا استوفوا سهامهم وبقى من المال شئ انه لعصبة الميت
وهم الرجال من قرابته من قبل ابيه ومواليه وانه لا يكون احد من النساء عصبة الا الاخوات من الاب
والام او من الاب مع البنات والمراة المعتقة فان هاتين عصبة واجمعوا ان كل من اتصلت قرابته
من قبل النساء بالميت فليس بعصبة وان المراة اذا اعتقت عبدا او امة فانها عصبة المعتق بعد موت امته
الا ابن مسعود رضى الله عنه فانه يجعل لذوى الارحام دون الموالى واجمعوا انه اذا اجتمع عصبتان فاقربهما
اولى واقرب العصبة الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا والاخ من الاب والام ثم الاخ
من الاب ثم ابن الاخ من الاب والام ثم ابن الاخ من الاب ثم العم من الاب والام ثم العم من الاب ثم ابن العم
من الاب والام ثم ابن العم من الاب ثم موالى النعمة وان سفل فهولاء كلهم عصبة الميت واقربهم اولاهم
بما فضل من المال عن اصحاب السهام المذكورة سهامهم هو والله اعلم موافق لما ذكرنا من دليل الاية والسنة
وما تواترت عن الروايات عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وفى قوله تعالى ولكل جعلنا موالى
مما ترك الوالدان والاقربون يحتمل ولكل من الموالى جعلنا على اضمار نصيبا وحق فيما ترك الوالدان والاقربون
فيكون تاويله قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فيكونون هم مواليه بحق الميراث على تاويل
انهم اولى مما تركوا او على مثله قوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وليه من يلحقه فى ملكه
يفسره قوله تعالى يوصيكم الله وجميع ايات المواريث الا انه لم يذكر للوالدين فى هذه الجملة ولا للزوجين ولا يدخلون
فى اسم القرابة ولا فى اسم الاولاد وقد جاء بالايجاب لهم كتاب واجتمعت عليه الامة على غير دعوى النسخ فيه
من احد ليعلم ان التخصيص بالذكر فى الحق لا يقطع حق غير لكنه يكون الامر موقوفا على وجود دليله والله اعلم
على ان فى الايجاب للاقربين وللموالى كفاية عن ذكر من ذكر اذ بهم يكون كل القرابة وبالتناكح يكون النسل وهو المجعول
لذلك وكذلك لا يسقط حق هؤلاء ولا يحجبون عن الكل باحد وقد جرى ذكر حقهم فيما نسخته هذه الاية
من الوصية والله اعلم ويحتمل قوله تعالى ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون ان يرجع الى الذين
ورثوه من تركة الابوين والاقربين يجوز ان قد يجرى المواريث فيما قد ورثت نحو ما يجرى فيما لم يكن
ورث مرة فرجع ذا الى غير اولاد الاول واقربائهم الاول او ان يكون المقصود فيما ترك الوالدان والاقربون
بما ذكر فى ابيهم نصيبا مفروضا ان يكون هذا فيما ترك الوالدان والاقربون مع اصحاب الفرايض فتكون هذه

الاية فيما

الاية فى بيان حق العصبات اذ لم يذكرهم دون ان يكون معهم اصحاب الفرايض يرثون بحق السهام ولا بحق الفضول
فيكون جملة الايات فى المواريث ثلاث احدها فى اصحاب الفرايض وهو قوله عز وجل فيما قل منه او كثر نصيبا مفروضا
والثانى فى حق العصبات وهو قوله تعالى ولكل جعلنا موالى الاية والثالث فى حق ذوى الارحام وهو قوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض الاية ثم الحق بهولاء فى حجاب الابعدين اهل العقد بقوله عز وجل والذين عقدت ايمانكم
فآتوهم نصيبهم وانما ذكر ذلك فيما يترك الميت ولا وجه للعون والرفد والنصر معا ذكر نصيبهم فى التركة
كما ذكر لاصحاب الفرايض وعلى ذلك المرفوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن اسلم على يدى اخر انه احق الناس
محياه ومماته وكذلك روى عن عمر وعلى وعبد الله رضى الله عنهم معا كانت المواريث بهذا من قبل فنسخ بقوله تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فاذا ارتفع ذلك ذهب التناسخ فوجب لهم اذ بيت المال يرث بولاية الايمان
جملة ولهذا تلك الولاية وولاية اخرى فهو احق والله اعلم ويخلف هؤلاء من له رحم كما خلف ولاء العتاقة
بما تقدم من النعمة بالاعتاق حق العصبة من ذى النسب بقوله عليه الصلوة والسلام الولاء لحمة كلحمة النسب
وقوله عز وجل والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم قيل هو من الايمان كان حلف فى الجاهلية يقول
الرجل لاخر تربنى وارثك وتعقل عنى واعقل عنك وتنصرنى وانصرك ويتحالفان على ذلك وقد قرن
بالالف عليها قدت فهو من المحالفة ثم روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف فى الاسلام وما كان
من حلف فى الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة وقيل هو من ضرب اليمين وهو المبايعة كان الرجل يعاقد الرجل
ويبايعه فى الجاهلية فيموت فيرثه وقيل ان ابا بكر رضى الله عنه عاقد رجلا فمات فورثه ولذلك حض المماليك
بالذكر بهذا فى قوله تعالى وما ملكت ايمانكم لانهم يشترون للخدمة والمرء اذا خدم نفسه انما يخدمها بيمينه
فاذا كان تاويل الاية ما ذكر فهو منسوخ بقوله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله
وبما روينا من الخبر من قوله صلى الله عليه وسلم لا حلف فى الاسلام وما كان من حلف فى الجاهلية وبما رويناه
لم يزده الاسلام الا شدة ويحتمل ان يكون الاية فيمن اسلم على يدى اخر ووالاه على ما على روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اسلم من اهل الكفر على يدى رجل من المسلمين فهو اولى الناس به محياه ومماته وروى عن عمر
رضى الله عنه ان رجلا سال عن رجل اسلم على يدى رجل ويواليه قال هو مولاه فان ابى فليت المال وروى
عن مسروق قال اتيت عبد الله فقلت ان رجلا كان عاملا علينا فخرج الى الجبل فمات وترك ثلثمائة درهم فقال
عبد الله هل ترك وارثا او لاحد منكم عليه عقد ولاء قلت لا فجعل ماله لبيت المال وكذلك يقول اصحابنا
رحمهم الله من مات وترك وارثا فماله لوارثه وان لم يكن له وارث فللذى اسلم على يديه ووالاه لما روينا من الخبر
هو اولى الناس به محياه ومماته وقوله محياه فى العقل ومماته فى الميراث ولما روينا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
وقوله عز وجل والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم قيل هى الوصية الى تمام الثلث لان الميراث قد نسخ بالاية
التى فى الانفال بقوله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ثم قال
الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا فهى الوصية الى تمام الثلث فاذا كانت الاية فى الذى اسلم على يديه ووالاه وعاقده
فهو ليس بمنسوخ وقيل فآتوهم نصيبهم من النصر والمعونة والمشورة ولا ميراث وقوله عز وجل ان الله كان على كل
شئ شهيدا بما ذكر من الشرط والوفاء به وبالله التوفيق وقوله عز وجل الرجال قوامون على النساء قال اهل التاويل
نزلت فى الازواج دليله قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم والازواج هم الماخوذون بنفقة ازواجهم وفيه دليل
وجوب نفقة المراة على زوجها وعلى ذلك اجماع اهل العلم وقال بعض اهل العلم فى قوله تعالى الرجال قوامون على النساء
دليل ان لا يجوز النكاح الا بولى حيث اخبر انهم القوامون عليهن دونهن قيل له ان كانت الاية فى الازواج وفى الاولياء
على ما ذكرت ففيه دليل جواز النكاح بغير ولى لا بطلانه وذلك قوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله
بعضهم على بعض اخبر انه فضل بعضهم على بعض وذلك التفضيل تفضيل خلقة وهو ان جعل الرجال من اهل المكاسب

اى لا عهد على وجه يتوارث اذا مات احدهما كما كان يفعله اهل الجاهلية

والتجارات والقيام بانواع الحرف والتقلب والبلدان والمداين والنساء ليس كذلك بل جعلهن ضعفاء عاجزات
عن القيام بالمكاسب والحرف والتقلب في حاجاتهن فالرجال هم القوامون عليهن والبصائر امورهن وقاضين حوايجهن
قايمين على ذلك فعرض على الرجال القيام بمصالحهن كما ذكرنا معنا فرض ذلك على الرجال فيجوز اذا ولين بانفسهن
وقمن بحوايجهن من البياعات والاشرية وغير ذلك فعلى ذلك النكاح وان كان الرجال هم القوام عليهن فانهن
اذا ولين ذلك بانفسهن وقمن جاز ذلك كما جاز غيره ولهذا ما امر الاولياء بالتزويج في قوله تعالى وانكحوا الايامى
منكم الاية ونهاهم عن العضل عن النكاح بقوله عز وجل ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الاية لان ذلك حق عليهم
ان يفعلوا حتى يلين ذلك بانفسهن اذ لا بد من حضور مشهد الرجال ومجلسهم ليشهدوا على ذلك فذلك على الاولياء
القيام به ولهذا ما جعل نفقتهن اذا لم يكن لهن مال على محارمهن لانهن لا يقمن بالمكاسب وانواع الحرف والتجارات
والرجال يقومون فجعل مؤنتهن عليهم لضعفهن وعجزهن عن القيام بالمكاسب خلقة ولهذا ما لم يجعل للذكور
من المحارم بعضهم على بعض النفقة لما يقومون بالمكاسب فاذا صار زمنا وعجز عن المكاسب جعل نفقته
على محارمه لانه صار في الخلقة كالمراة والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله الرجال قوامون على النساء
بما فضل الله بعضهم على بعض قال امرا عليهن ان تطيعه فيما امرها الله به من طاعته وطاعته ان تكون محسنة
الى اهلها حافظة لماله وفضله عليها بنفقته وسعته وقيل نزلت الاية في رجل لطم امراته لطمة في وجهها
فنشزت عن فراش زوجها واستعدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لطمني زوجي فلان
لطمة وهذا اثرها في وجهي فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتصي منه وكان القصاص
بينهم يومئذ بين الرجال والنساء في اللطمة والشجة والضربة ثم ابصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلوة
والسلام ينزل فقال لها كفي حتى انظر ما جاء به جبريل في امرك فاتاه بهذه الاية الرجال قوامون على النساء
بما فضل الله بعضهم على بعض اي المسلطون على اداب النساء في الحق وقيل تفضيلهم عليهن بالعقل والميراث وفي الغنى
والله اعلم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير مما اردنا وقيل
في قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم بما ساقوا من المهر والنفقة استدل الشافعي رحمه الله بقوله تعالى الرجال
قوامون على النساء الاية على ان النكاح لا يجوز الا بالولي فصرف تاويل الاية اليهم وفيها وبما انفقوا فيلزم الاولياء
النفقة وهو لا يقول به وبعد فان الاية لو كانت في الاولياء فهو في كل امرهن اليهم حاجة فخرج ذلك مخرج الحق
لهن في ان يتولوهن العقود كلها ويقوموا في كفاياتهن وكفالتهن لا انهن لو قمن بانفسهن يبطل فعلهن فثبت له
امر النكاح واهل التاويل يجعلون الاية على الازواج ومن يريد الاية علم انها فيما قال اهل التاويل دون الذي
ذهب اليه الشافعي والله اعلم وقوله عز وجل فالصالحات قانتات عن ابن عباس رضي الله عنه قال قانتات
يعني مطيعات والقانت هو المطيع ويحتمل مطيعات لله تعالى ويحتمل مطيعات للازواج ويحتمل قانتات
اي قايمات بما فرض الله عليهن من حقوقه وحقوق ازواجهن وقوله عز وجل حافظات للغيب قيل حافظات
لما استودعهن الله من حقه وحافظات للغيب لغيب ازواجهن وقيل حافظات لانفسهن لغيبة ازواجهن
في فروجهن ويحتمل ناطعات للغيب اي لله في اموره ونواهيه والقايم بحقوقه وقانتات وحافظات
هو تفسير صالحات وقوله عز وجل بما حفظ الله اختلف في تلاوته وتاويله في حرف بعضهم بالنصب
بما حفظ الله وتاويله يحفظ الله لكنه نصب لسقوط حرف الخافض ومن رفعه جعل تاويله بما استحفظهن الله
والله اعلم وقوله عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن قال بعض اهل الادب سمى العلم خوفا لانه اضطر في العلم
وقال اخر وهو الخايف الظان لانه يرجو ويخاف واما الاصل فيه انه سمى العلم خوفا لغلبة شدة الخوف
فيعمل عمل العلم بالشيء على غير حقيقته لانه يعرف بالاجتهاد وباكثر الراي والظن وهكذا كل ما كان سبيل
معرفته الاجتهاد فان غالب الظن او اكبر الراي يعمل عمل اليقين في الحكم وان لم يكن هنالك حقيقة الا ترى

الى قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الزمنا العمل بظاهر علمنا وان لم نصل الى حقيقة
ايمانهن فعلى ذلك اذا علم منها النشوز علم اكثر الظن واغلبه يعمل عمل الذي ذكر في الاية من العظة وغير هذا ان قوله
تخافون نشوزهن ليس على وجود النشوز منها في الحال حقيقة ولكن على غالب الظن لانها اذا كانت ناشزة كيف يعظها
وكيف يهجرها ويضربها فدل انه على غالب العلم او لا ترى انه من اكره على ان ينطق بكلمة الكفر بقتل او ضرب
يخاف منه التلف كان في حل وسعة ان ينطق به بعد ان يكون قلبه مطمئن بالايمان وذلك انما يعلم علم غالب الظن
واكبر الراي لا يعلم علم حقيقة ثم ابيح له ان يعمل عمل حقيقة العلم كذلك الاول والله اعلم نهى الله عز وجل
المراة عن عصيان زوجها وامرها بطاعته في نفسها كما امره ان يحسن عشرتها وهذا هو والله اعلم هو الحق الذي
ذكره الله تعالى في سورة البقرة مجملا بقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وفسر الحق عليهن في هذه السورة
وهذا ان تطيعه في نفسها وتحفظ غيبته الا ترى انه قال تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال حق الزوج على امراته ان دعاها وهي على قتب ان تطيعه وقوله عز وجل فعظوهن
عن ابن عباس رضي الله عنه فقال عظوهن بكتاب الله فان اطعنكم اي رجعن الى الفراش والطاعة والا فاهجروهن
والهجران لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشه ويوليها الظهر فان قبلت والا فقد اذن الله لك ان تضربها ضربا
غير مبرح ولا يكسر لها عظما فان قبلت والا فقد حل لك منها الفداء ويحتمل قوله تعالى فعظوهن اي يقول لها
كوني من الصالحات ومن القانتات ومن الحافظات ولا تكوني من كذا على الرفق واللين فان هي تركت ذلك
والا فاهجرها والهجران يحتمل وجهين التخويف على الاعتزال منها وترك المضاجعة والجماع ويحتمل ان يهجرها
ولا يجامعها الا على التخويف من ترك ذلك فان هي تركت ذلك والا ضربها عند ذلك الضرب الذي ذكرنا غير الاشاين
والله اعلم على الترتيب يعظها اولا بما ذكرنا من الرفق بها واللين لعلها اطاعته وتركت ذلك ثم اذا لم تطعه
خوفها بالهجران فلعل قلبها لا يحتمل الهجران وترك المضاجعة فتطيعه فان هي ابت ذلك حينئذ هجرها
ولم يجامعها ولا ضاجعها فان هي اطاعته والا عند ذلك ضربها فان هي اطاعته والا فعند ذلك يرفعها
الى الحكم وهذا يجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الرفق واللين اولا ولا يغلظه في القول فان هو قبل ذلك
والا عند ذلك غلظ القول به فان قبل ذلك والا بسط يده فيه على ما امر الله سبحانه وتعالى الازواج ان تعامل
النساء من العظة ثم الهجرات ثم الرفع الى الحكمين وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تضربوا
اماء الله فترك الناس ضربهن فجاء عمر رضي الله عنه قال والله لقد ذئر النساء يا رسول الله فامر بضربهن
قال فاطاف بال محمد نساء كثير يشتكين ازواجهن فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد طاف الليلة
بال محمد سبعون امراة يشتكين الضرب والله ما تجدون اولئك خياركم وقال خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي
وقال احسن المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله والموعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب
الطبايع النافرة فيكون ذلك تذكير عواقب الامور ومبادي الاحوال والله اعلم وعلى ذلك يعظها زوجها بان يذكرها
نعم الرب جل جلاله وما جعل من الحق عليها وما وعد في ذلك واوعد في هذه الايات دلالة لزوم الاجتهاد وتكليف
ما لا يوصل الى معرفة المكلف به الا بالتدبر والعرض على الامور المعتادة والاسباب المعقولة في جعلها اسبابا بالمصلحة
وسبيلا الموقوف على ما في اصول تلك لنوازل من الحكمة ولا قوة الا بالله ثم جعل تاديبهن الى الازواج لا الى الايمة اذ عقوبة
الايمة تكون بالضرب والحبس وما يلحقها من المكروه فيما له امر بالتاديب مع ما في ذلك من الستر ويكون الغالب
منه ما لا يجد لسبيل الاظهار عند الحاكم ويكون في اوقات تضييق عن احتمال ذلك ويكون ذلك اصلا لتاديب
كل كافل اجر من الايتام والصغاير وغير ذلك والله اعلم والاصل ان الله تعالى قال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة فجعل التاديب من الوجه الذي فيه حفظ المجعول لنا اية ورعاية
ما جعل بينهم من المودة والرحمة والمنازعات والخصومات الى الحكام يقطع تلك فجعل لهم من ذلك قدر ما لا يقطع مثله

من التأديب المعنى المجعول بينهم ولذلك لم يأذن بالضرب المبرح ولا اذن الا عند انقطاع الحيل التى جعلت الالفة والمحبة على انه خفيف ذهب اظهارا لاشفاق عليها اعترض من خوف انقطاع المودة والرحمة وابداء العتاب الذى هو آية النصح والرحمة اذ ذلك بما يخاف فى ترك ذلك تمام ما قد افتتح من السر والشفقة والله اعلم وقيل فى قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم بما ساق قوام المهر والنفقة وقوله تعالى واهجروهن فى المضاجع يحتمل وجهين احدهما ان يهجرها فى حال مضاجعته اياها فى ان لا يكلمها لا فى ان يترك مضاجعتها لان المضاجعة حق بينهما عليه فى تركها ما عليها لا يؤديها بما يضر حقه ونفسه والله اعلم ويحتمل اى اهجروهن عن المضاجع ومضاجعة اخرى فى حقها فيكون حقا عليه فى حال الموافقة وحفظ حدود الله بينهما لا فى حال التضييع والله اعلم وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال يهجرها فى ان لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشه ويوليها الظهر لكنه على هذا يشترك فى التاديب لانه به يؤدب نفسه فى ذلك الى حاجته لكن المعنى من ذلك ان لا يجامعها لوقت علمه بشهوتها وحاجتها وانما ينظر وشهوته دونها والله اعلم وقوله عز وجل فلا تبغوا عليهن سبيلا ان اطعنكم اى لا تطلبوا عليهن عللا وقيل لا تكلفوهن للحب وانما جعل الله الموعظة والهجران والضرب فى المضاجع وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال فان اطاعته فلا سبيل له عليها ثم الضرب هو ما ذكرنا انه يضربها ضربا غير مبرح وهو ما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال علق سوطا او ضع حيث تراه اهلك ولا تضربها به قيل وبم تضرب قال بنعليك ضربا غير مبرح يعنى غير مؤثر ولا شاين وروى فى خبر آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وان لكم عليهن ان لا يوطين فراشكم احدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله عز وجل ان الله كان عليا كبيرا هذا والله اعلم تذكير من الله عباده وامر منه اياهم انه مع علوه وسلطانه وعظمته وجلاله وقدرته لا يؤاخذنا باول عصيان نعصيه ولا باول عثرة نعثرها مع قدرته على الاخذ على ذلك واهلاكه اياهم فانتم لا تؤاخذوهن ايضا باول معصية يعصين فيكم والله اعلم ويحتمل ذكر هذه الآية وهو كذلك ليذكر علوه وكبره فيحفظ حدود ما جعل لهم من التاديب ويذكر قدرته عليه وقوله عز وجل وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها الآية كان هذه المخاطبة والله اعلم بغير الازواج لانه قال فان خفتم شقاق بينهما ولو كانت المخاطبة فى ذلك للازواج لقال فان خافا شقاق بينهما او ان خفتم شقاق بينكم وقوله عز وجل واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن الآية خاطب بذلك الازواج لانه قال واهجروهن فى المضاجع وذلك الى الزوج اذ للزوج اذا خاف نشوز امرأته ان يعظها اولا فان قبلت والا فبعد ذلك هجرها ثم يضربها ان لم تقبل ذلك فان لم ينفع ذلك كله فبعد ذلك رفع الامر الى الحاكم او الامام فوجه الحكمين وروى نحو ذلك عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال يبعث الحكمان حكما من اهله وحكما من اهلها فيقول الحكم من اهلها يا فلان ما تنقم من زوجتك انقم منها كذا وكذا فيقول ارايت ان نزعت عما تكره الى ما تحب هل انت متق الله وتعاشرها بالحق عليك من نفقتها وكسوتها فاذا قال نعم قال الحكم من اهله يا فلانة ما تنقمين من زوجك فتقول مثل ذلك فان قالت نعم جمع الله بينهما بالحكمين بهما يجمع الله وبهما يفرق ثم اختلف فى الحكمين هل يفرقان بينهما قال بعضهم يفرقان بينهما ان شاء وان شاء اجمعاهما وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال بعثت انا ومعاوية حكمين فقيل لنا ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما واما عندنا فانهما لا يفرقان الا برضى الزوجين ما روى ان رجلا وامرأة اتيا عليا رضى الله عنه مع كل واحد منهما فيام من الناس فقال على رضى الله عنه ما شان هذين قالوا بينهما شقاق فقال على رضى الله عنه ابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فقال على رضى الله تعالى عنه هل تدريان ما عليكما ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما قالت المرأة رضيت بكتاب الله فقال الرجل

اما العرقة

اما الفرقة فلا فقال على رضى الله عنه كذبت والله لا تبرح منى حتى تقر كما اقرت اخبر على ان فرقة الحكمين انما تجب برضاء الزوجين فلو كانت فرقتهما تجوز بغير رضاء الزوجين لم ينظر الى سخط الزوج فى الفرقة ولقال على رضى الله عنه للحكمين فرقا ان رايتما ذلك كره الزوج او رضى وفى قوله ايضا وان خفتم شقاق بينهما اى اى علمتم اذ حق ذلك ان يجتهد فى الحال بينهما فيعلم على الغالب وللغالب حق العلم فى الاعمال وحق الريب فى الشهادة فذكر باسم الخوف على ما فيه من علم العمل على انه فى ظاهر الآية التفرق فى المنزل حتى يبعث عن اهل كل واحد منهما ولو كان فى منزل واحد فحقه ان يجمع بين الحكمين لان بعثهما يدل على ظهور الخلاف والشقاق والله اعلم قال وامر الحكمين بالاصلاح بين الزوجين وهو الامر الذى امر بين جميع المؤمنين من قوله فاصلحوا ذات بينكم وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الآية وقوله لا خير فى كثير الآية وذلك فى حق التأليف وما به تمام الاخوة بقوله فاصلحوا بين اخويكم لا بما يصير اهله ويوجب التفريق بينهم والتباغض وعلى ذلك امر الحكمين فى النكاح والله اعلم وقوله عز وجل ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وعن ابن عباس رضى الله عنه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما هما الحكمان وعن مجاهد مثله وقال آخرون قوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما هما الزوجان وفى الآية دليل على انه ليس للحكمين ان يفرقا لان الله تعالى قال ان يريدا اصلاحا وليس فيها دليل ان فرقتهما جايزة بشئ وقوله عز وجل فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به يدل على ان الخلع اليهما دون الحكمين وكان الحكمين يوجهان ليعرف من الظالم من الزوجين يستظهر بهما على الظالم لان كل واحد منهما ذا شكا بين الناس من صاحبه لا يعرف الظالم منهما من غير الظالم فان كان الزوج هو الظالم اخذ على يده وقيل لا يحل لك ان تفعل هذا اختلع منك وامر بالانفاق عليها وان كانت هى الظالمة وكانت فى غير منزله ناشزة لم يؤمر بالانفاق عليها وقيل له قد خلعت الفدية وكان فى اخذها معذورا بما ظهر للحكمين من نشوز المرأة والله الموفق وفى قوله ايضا ان يريد اصلاحا لا يخلوا من امرين اما ان يريد به الزوجين او الحكمين ثم الاصلاح يكون مرة بالجمع ومرة بالتفريق فعلى الجمع تأويل التوفيق الجمع بينهما وعلى ارادة التفريق تأويله التوفيق للاصلاح وعلى التوفيق للاصلاح يدخل فيه الامران وفى ذلك ان الفرقة والاجتماع اليهما اذ عليهما ارادة الاصلاح وانصرف معنى الآية الى الزوجين وايد ذلك قوله عز وجل وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الى قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الآية ثم قال عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته الآية فعلى ما ظهر منه النشوز صرف امر التفرق الى الزوجين وكذلك قوله تعالى لا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن الى قوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به فاشركهما فى الابتداء الذى به الفراق ويريد به الحكمين فيكون ذلك على الترغيب فى طلب الاصلح بينهما وعلى ايثار العدل والصواب كقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس فاحكموا وقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط الآية فاذا ارادا الاصلاح يوفق الله بينهما له وجهان اى بين الزوجين ببركة قيام الحكمين لله وابتغائهما الصلاح بينهما فيوفق الزوج النكاح من السكن والرحمة والمودة والعفة ويحتمل يوفق الله بينهما بين الحكمين فى اصابة ما ارادا من الاصلاح ثم العلم بارادتهما الاصلاح لا يعلمه الا الله فلا يحتمل ان يوجب لهما فى الحكم التفريق والذى جوابه وعد التوفيق لم يبين فلذلك لم يكن لهما حق التفريق انما اليهما اعلام ما اتفقا عليه ثم هما علالهما الرضا بما رايا وعن الرضا واصله وجهان احدهما انه استوجبا القيام بالتولية والتراضى من الزوجين او بمن يخاف الشقاق بينهما فان قاما بعث الناس فقاما يبعث من لا يملك الفراق ثم يستوجبا بهم ذلك وان قاما يبعث الزوجين فرضا وهما بعثهما فى ذلك لم يكن لهما غير الذى كان فيه لرضا عليهما والله اعلم والثانى انهما بعثا للعلم بالسبب الذى حملهما على الشقاق ولعل السبب منهما فلا يحتمل ان يلزما به الطلاق بلا ذنب منه فيمكن بكل امرأة تريد مفارقة الزوج واعزام المهر واذا لم يحتمل ذلك لم يحتمل ان يكون لهما حق التفريق بهذا البعث معا بعثا لدفع الشقاق الهايج بينهما والرد

الى الاصلاح الذى لمكان النكاح على انه يمكن الاخذ على يدى الظالم منهما والقهر على العود الى ما فيه الصلاح ٥
بالتاديب لم يجز ان يلزما الفراق وان كرهاه والله اعلم ثم الاصل انهما بالعان لا يلزمان النكاح اذا كرهاه وابا القوم
الصلاح الى التناكح على احتمال وجود الولايات فى الانكاح كانا ان يلزمان الطلاق اذا كرهاه على امتناعه عن وجوب
الولايات بر لغير الزوجين احرى بهما عليما والله اعلم وقوله عز وجل ان الله كان عليما خبيرا من الظالم منهما
ومن المظلوم وقيل عليما خبيرا بنصيحتهما لهما عليما بما اشرت المرأة الى الحكم والزوج الى الحكم خبيرا بما اطلع كل واحد
من الحكمين من صاحبه عليها افتى برايه اصدقه ام لم يصدقه والله اعلم وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه
فابعثوا حكمة من اهله وحكمة من اهلها وقوله عز وجل واعبدوا الله قيل وحدوا الله وقيل اطيعوا الله وقد ذكرنا هذا
فيما تقدم ولا تشركوا به شيئا يحتمل النهى عن الاشراك فى العبادة والطاعة ويحتمل النهى عن الاشراك فى الربوبية
والالوهية ويحتمل النهى عن الاشراك فى سلطانه وغير ذلك اشراك بالله وبالله العصمة قال بعض اهل اللغة
العبادة هى الطاعة التى معها الخضوع وقال بعضهم التوحيد واصلها ان يجعل العبد نفسه لله عبدا لا يشرك فيها
غيره من هواء او ما كان من وجوه الاشراك ثم له وجهان احدهما فى الاعتقاد والثانى فى الاستعمال والله اعلم
وقوله عز وجل وبالوالدين احسانا امر الله تعالى بالاحسان الى الوالدين وامر بالاحسان الى ذى القربى واليتامى
والمساكين الى اخر ما ذكر لكن المعنى الذى به امر بالاحسان الى هؤلاء الاصناف والفرق مختلف اما احسان الوالدين
يشكرهما بما احسنا اليه وربياه صغيرا كقوله اشكر لى ولوالديك وقوله تعالى ولا تقل لهما اف الاية وقل رب
ارحمهما كما ربيانى صغيرا يذكر حال صغره وضعفه انه كيف ربياه ويشكرهما على ذلك ويحسن اليهما جزاء لما احسنا
اليه وربياه صغيرا وقال الله عز وجل ايضا ووصينا الانسان بوالديه احسانا فاحسان الوالدين جزاء وشكر
لما انعماهما اليه وذلك يكون من جانب الولد لان مثله لا يلزم الوالدين لولده وذلك فرض على الولد حتى عد
عقوق الوالدين من الكباير روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق
الوالدين والواجب على الرجل ان يطيع والديه وكل واحد منهما الا ان يامراه بمعصية او ينهاه وعن اداء فريضة وتاخيرها
عن وقتها فان طاعتهما حينئذ معصية لله الا ترى الى قوله عز وجل وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم
فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا امره بمصاحبتهم بالمعروف الا ان يامراه بمعصية ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله
لا ينبغى للرجل ان يقتل اباه الكافر اذا كان محاربا الا ان يضطره الاب الى ذلك لانه قال وصاحبهما فى الدنيا معروفا
فمن المعروف فى الدنيا ان لا يقتله ولا يشهر عليه السلاح وقالوا ايضا ان مات احدهما تولى دفنه وذلك من حسن
الصحبة والمعروف روى ان اباطالب لما مات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اذهب فواره
ثم فى هذه الاية تسوية بين الوالدين امر لهم بالاحسان اليهما ولم يجعل للاب فضلا فى ذلك على الام فذلك يدل
على ان اسلام كل واحد من الابوين اسلام للصغير اذ كان الاجماع قايما فى ان اسلام الاب اسلام لولده الصغار وكذلك
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال غير ان ابويه يهودانه وينصرانه وقوله عز وجل وبذى القربى امر
بالاحسان الى ذى القربى ومعنى الامر به والله اعلم صلة يصل بعضهم بعضا وذلك من جانبين ما يلزم هذا
ان يحسن الى هذا لزم الاخر ان يحسن اليه وذلك ابقاء للمودة فيما بينهم والمحبة وذلك فرض ايضا ان يصل بعضهم
بعضا لان صلة القرابة فريضة والامر بالاحسان الى اليتامى يحتمل وجهين لما انكسر لهم والد يقوم بكفايتهم
على ما يقوم له والده وامر بذلك لما يبر الرجل ولد اخر لمكان والده فاذا مات والده يمتنع عن ذلك
فامر ان يحسنوا اليه بعد موت والده على ما كانوا يحسنون فى حيوته لانه فى ذلك الوقت احوج اليه اذ لا شفقة
لاحد عليه وشفقة والده معدومة والله اعلم ومعنى الامر بالاحسان الى المساكين يحتمل ايضا وجهين يحتمل
شكرا لله على من عليهم وانعم بالافضال على اولئك اذ لم يسبق منهم الى الله معنى يستوجبون ذلك دونهم امر
بالاحسان اليهم شكرا لما انعم عليهم او لحسن اليهم والثانى انه من جوهرهم وجنسهم فى الخلقة يحتاجون

الى ما يحتاج هؤلاء من الماكل والمشرب والملبس وغير ذلك يامرهم بالاحسان اليهم شفقة منهم لهم
ليتفقوا على اداء ما فرض الله عليهم اذ هم مثلهم فى الخلقة والجوهر وهذا الاحسان فى اليتامى والمساكين
من جانب ليس من جانبين وقوله عز وجل وابن السبيل امر الله بالاحسان الى ابن السبيل للوجهين اللذين
وصفتهما فى المساكين والله اعلم وقيل فى اليتامى انه امر الاوصياء بالقيام على اموالهم وحفظهم ورحمة لهم
واللين لهم وقوله عز وجل والجار ذى القربى وهم ذوا قرابة وله حقان حق الجوار وحق الرحم كذلك روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة
حقوق فاما الذى له حقوق ثلاثة حق القرابة وحق الاسلام وحق الجوار والذى له حقان حق الاسلام
وحق الجوار والذى له حق واحد هو حق الجوار وقوله عز وجل والجار الجنب خص الله سبحانه وتعالى الجار الجنب
دون غيره من الجيران غير الملازقين وكان ذلك دليلا على ان الحقوق التى تلزم بالجوار انما تلزم فى الجيران
الملازقين لانهم الجيران بالملك يمس ملك بعضهم بعضا ويلصق به كما فى الرحم يمس نفس بعضهم لبعض ولهذا
قال ابو حنيفة رضى الله عنه انه اذا اوصى لجيرانه فالوصية للملازقين دون غيرهم لانهم هم الذين يلزم
لبعضهم على بعض حقوق يقومون باداءها فى حال حيوتهم فاذا ماتوا فاوصوا انما اوصى باداء ما كان بينهم وكذلك
قال فى الوصية لذى قرابته الذين يفترض عليهم صلتهم اذا كانوا احياء فاذا مات فاوصى فانما يوصى باداء ما كان
يؤدى فى حال حيوته وذلك مما عليه الاداء وفيه دليل على ان الشفقة الواجبة للجار انما تكون للجار الجنب
الملازق دون غيره من الجيران وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الجار وامر بمسامحته وعن ابن عمر
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه
وفى بعض الاخبار من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وفى بعضها ما امن من امسى شبعانا وجاره
جايع واذا بيع بجنبه دار او ارض ان ياخذها بالشفعة لما روى عن عمرو بن الشريد عن ابى رافع عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال الجار احق بسقبه وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارض ليس
لاحد فيها شرك الا الجوار قال الجار احق بسقبه ما كان وعن رافع بن خديج قال عرض على سعد بيتا فقال
خذه فانى قد اعطيت به اكثر مما تعطينى ولكنك احق لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الجار احق بسقبه وعن ابى الزبير عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة
بالجوار وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجار احق بسقبه جاره اذا كان طريقهما واحد
ينتظر بها وان كان غايبا وقول النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرها وان كان غايبا يدل على انه لا ينتظر بها
اكثر من ذلك وفى ذلك دليل على ان الشفيع ان امسك عن طلب الشفعة وقد علم بالبيع بطلت شفعته
ومما يدل على ذلك ايضا ان الشفعة انما جعلت للجار والله اعلم بما يخاف عليه من سوء جوار المشترى
والضرر الذى عسى ان يلحقه منه فلو جعلنا الشفيع على شفعته ابدا لم يؤمن ان يبنى المشترى فى الدار
وينفق فيها نفقة عظيمة ثم يجئ الشفيع فيطلب الشفعة فيقال للمشترى سلم الدار وارفع بناءك وفى ذلك
ضرر عليه بين وعن على وعبد الله رضى الله عنهما قالا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة
بالجوار وعن شريح قال كتب الى عمر رضى الله عنه ان اقض للجار بالشفعة والى هذه الاثار ذهب اصحابنا
رحمهم الله فى ايجاب الشفعة بالجار وانكر قوم ان تكون الشفعة الا فيما لم يقسم من الدور والارضين
واحتجوا فى ذلك بما روى عن سعيد بن المسيب وابن سلمة قالا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة
فى كل ما لم يقسم فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة وكذلك روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم بمثله لكن تاويل الحديث عندنا والله اعلم ان قوله قضى بالشفعة فيما لم يقسم قول الراوى
لانه لم يحك عنه انه قال لا شفعة فيما قسم فيحتمل ان يكون علم ذلك فحكاه ولم يعلم بما رواه الاخرون

بايجاب الشفعة فيما قد قسم واما قوله فاذا وقعت الحدود فلا شفعة فليس فيه بيان حكاية عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقد يجوز ان يكون ذلك من الراوى او ان قال ذلك انما قال في القسمة لا شفعة في القسمة عندنا
ثم قد جعل الله تعالى للجيران بعضهم على بعض حقوقاً باتصال املاكهم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اراد ان يبيع داره فليستأذن جاره فاذا اراد البايع اختيار الجار الذى لا حق له على الجار الذى له حق جعل له
ابطال ذلك اذ ليس غرضه من البيع الا الثمن وقد يوجد في الجار واما البيع فالمقصود فيه الثمن وقوله عز وجل
ايضا والجار ذى القربى والجار الجنب والجنب البعيد بين والله اعلم ليعلم ان الحق الذى ذكر للجار من الاحسان
اليه ليس هو بحق القرابة بل هو بحق الجوار فامر بالاحسان الى من له جوار بالنسب ثم كان الحق قد يعترض بجوار
النسب بحال مما كانت الصلة معروضة فيمن مس ملكه في الملك وجوبه فيما وقع التماس بالبدن في البدن
على ان الاية فيما امر بالاحسان الى الجميع من ذكر قد يصير ذلك حقا يلزم بحال فمثله حق الجوار وذلك
لا يعرف غير حق الشفعة وقد جاءت به الآثار وتوارث المسلمون في ذلك الطلب والاحتيال في الصرف
والمنع فبان الحق به ظاهرا لا يحتمل الخفاء معها لا يشك من العوام عن ذلك الا وعنده حظ من العلم فيه
لا يوجد مثله لشيء من الحقوق في عين املاك المحققين هذا البيان والظهور ثبت ان امره كان معروفا
في الامة حتى جرى به التوارث ثم هذا النوع من العلم لا يحتمل انتشاره ونيله بالراى فصار كسنة ظاهرة
لها حق التواتر مما يستغنى عن روايته والله اعلم ثم اعلم ان الناس على اختلافهم متفقون على وجوب حق الشفعة
بحق الشرك فيما يحتمل القسمة فاما اذ يجب بحق القسمة فيجب ذلك في كل محتمل القسمة وذلك بما يأوه الجميع
او يجب بما جعل من حق الجوار الذى جاء به الكتاب وجرت به السنة او بما جعل من تأذى بعض الجيران
ببعض والامر بالمعروف في الخلق من الاستخبار عن احوال الجيران قبل تامل الدور وتفاوت القيم باختلاف
الجيران بما في ذلك من المؤن والمضار واى هذين كان فالشفعة واجبة بالجوار لانهما امران لا يسلم عنهما
على ثبات الجوار فيجب به الشفعة معها امكن للجمع بين الاثار بما لا يحتمل تسمية الشريك جارا من حيث الشرك
لوجهين احدهما قوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات لم يجعل الارض من حيث الارض متجاورة حتى اثبت لها
القطع فاوجب بالقطع التجاور ومعها كان الجوار في اللغة اسم للتقارب والالتصاق لا التداخل معروف ذلك
عند من نفسه مكابرة المعارف والوجه الآخر مما لا يسمى الشركاء في عين العرصات جيرانا ثبت ان ذلك
ليس اسما للشرك فلا وجه لصرف الخبر باسم الجوار الى الشرك معها قد جاء ما يقطع من السؤال عن ارض ليس لاحد
فيها شرك الا الجوار انه قال الجار احق بسقبه ومما جاء الجار احق بشفعة جاره ينتظر به وان كان غايبا اذا كان
طريقهما واحدا فيجب بما ذكرت صرف خبر الشريك الى وجه يوافق خبر الجار وله اوجه ثلاثة احدها ان قوله
قضى بالشفعة للشريك لم يقسم غير مقابل لخبر الجوار اذ هو احق في القولين ومادونه من القول اذا وقعت
الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة فقد يحتمل ان يكون خبرا عن هذا الفعل لا شفعة في صرف الطريق واظهار
الحدود اذ القسمة في معنى البيع في الامور حتى منع الاقتسام في كل ما لا يحتمل التفاضل الا بما يجوز به فقيل لا شفعة
في هذا والله اعلم والثانى ان يكون اذا كان هذا فلا شفعة لهم مع من لم يقع بينهم الحدود ولا صرفت بينهم
الطرق والله اعلم والثالث اذا وقعت الحدود فتباينت وصرفت الطرق فتباعدت اذ فيما لم يتباينا
ثم حد ليس واحد من الامرين واذا احتمل خبر الشرك ما ذكرنا ثبت امر الشفعة بالجوار والشرك جميعا على الترتيب
ولا قوة الا بالله ولو كان الجنب اسمه لبعيد الجيران بالنسب استحق بما كان الذى به الجوار ليلتصقان ويكون
كل واحد منهما بجنب الآخر اذ لا يسمى كل بعيد به ففيه وجهان احدهما الحق بالاتصال والثانى بيان ما به
يكون الجوار والله اعلم وقوله عز وجل والصاحب بالجنب اختلف فيه قال على رضى الله عنه هى المرأة
وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كذلك ايضا هى المرأة وعن ابن عباس رضى الله عنه هو الرفيق

في السفر

١٤٤

143

في السفر وكذلك قول مجاهد فان كان الصاحب بالجنب هو المرأة فالامر بالاحسان من جانب وان كان هو
الرفيق في السفر فمن جانبين ما يلزم هذا يلزم الآخر مثله بحق المصاحبة وقوله عز وجل وما ملكت ايمانكم
يحتمل الامر وجهين بالاحسان الى المماليك شكرا لما انعم عليهم مما جعل لهم من الحق له من جوهرهم وامثالهم في الخلقة
اذ لا يختاريهم يستخدمونهم ويستعملونهم في حوايجهم اولما هم امثالهم في الحاجة من المطعم والمشرب والملبس
وهم مقهورون في ايديهم وقد يترك الرجل النظر لمن هو مقهور في يده امر بالنظر اليهم والله اعلم وقد جاءت
الآثار في ذلك عن انس رضى الله عنه قال كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة وما ملكت
ايمانكم وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى بالمملوك خيرا ويقول
واطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون وعن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى بالصلوة
والزكوة وما ملكت وعن ام سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في مرضه الصلوة
وما ملكت ايمانكم فجعل يتكلم وما يقبض بها لسانه وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وعن انس رضى الله عنه قال كان آخر وصية رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين حضرته الوفاة الصلوة وما ملكت ايمانكم ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها في صدره
ولا يفصح بها لسانه وعن ابى ذر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في المماليك هم اخوانكم
ولكن الله خولهم اياكم فاطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون وقوله عز وجل ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا
الآية قيل المختال هو المتكبر وقيل هو الخداع وقيل هو الذى يمشى مرحا وهو واحد يتكبر على عبادة الله تعالى
او يتكبر على عباد الله تعالى ويخدعهم وقوله عز وجل لا يحب كل مختال فخور لانه لا يحب الاختيال وكذا ذا في كل
ما ذكر لا يحب ذا ويحب ذا كقوله يحب المطهرين والتايبين ولا يحب الظالمين لانه يحب الطهارة والتوبة ولا يحب
الظلم ولا الكفر فانه لم يحب هذا لم يحب فاعله لفعله واذا احب فاعله لفعله وقوله عز وجل الذين
يبخلون ويأمرون الناس بالبخل الاية يحتمل ان يكون الآية تفسيرا لما تقدم من قوله ان الله لا يحب كل مختال
فخور ووصف لهم اذ لا يتكلم بمثله الا عن تقدمه ويحتمل على الابتداء كقوله الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين
الآية ثم يحتمل وجوها يحتمل قوله يبخلون بما عندهم من الاموال ويأمرون الناس به وهكذا دأب كل بخيل
ان يبخل ويأمر به غيره ويحتمل يبخلون بما عندهم من العلوم والاحكام لم يعلموا غيرهم ويأمرون الناس
بذلك ويحتمل قوله يبخلون باظهار نعت محمد صلى الله عليه وسلم ويأمرون الناس به الا ترى انه قال ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله اى يكتمون نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ويحتمل قوله يكتمون ما آتاهم الله من فضله
من العلوم والحكمة ويحتمل ما ذكرنا انهم يكتمون ويبخلون بما آتاهم الله من فضله من الاموال ولا ينفقونها في ترك
الانفاق والتصدق كتمان ما انعم الله عليهم وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله
نعمة فليرى عليه لعله اراد بقوله يرى عليه ان ينفقها على نفسه ويتصدق بها ويلبسها وجايز ان يكون اراد والله
اعلم الانفاق والتصدق على غيرهم فعلى ذلك كتمان ما آتاهم الله من الاموال اذا تركوا الانفاق على غيرهم
لان من كانت له الاموال لا يترك الانفاق على نفسه وقيل في قوله الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
في كعب بن الاشرف كتم نعت محمد صلى الله عليه وسلم وكتب الى رؤساء من اليهود في الآفاق يأمرهم بكتمانه وايضا
في قوله يبخلون ويأمرون الناس بالبخل اى بما انعم الله عليهم من الاموال او بما بين لهم من صفات عليه افضل الصلوة
او بما امر به من العبادات حملهم على الكفر احد هذه الاوجه الثلاثة او كانوا استحلوا احدها فكفروا بذلك لزمهم
الذى ذكر في القرآن والله اعلم وكتمانهم يرجع الى كتمان النعت او الحقوق او العبادات في انفسهم لئلا يعرفوا
بالعدول عليهم عما في كتبهم وذلك تخويفهم والله اعلم وقوله عز وجل واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ظاهر
قد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر

الآية قيل نزلت في المنافقين كانوا ينفقون مراآة كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بذلك وكانوا لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر سرًا وقيل انها نزلت في الذين يسعون في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجون معه
ينفقون اموالهم مراآة للناس يطلبون بذلك الرياسة وقوله عز وجل ومن يكن الشيطان قرينا فساء قرينا
يحتمل ان يكون هذا في الدنيا وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم الآية ويحتمل في الآخرة كقوله تعالى فبئس القرين اليوم
انكم في العذاب مشتركون فهذا والله اعلم لان كلا منهم كان يتبع الشيطان ويانف عنه ويحسن الملائكة ويحمدهم
حتى ضرب مثل القبيح من الاشياء بالشياطين كقوله طلعها كانه رؤس الشياطين وضرب مثل الحسن بالملائكة ودلت
لمعرفتهم بقبح الشياطين وحسن الملائكة وذلك انما عرفوا بالخبر لانهم لم يعاينوا ملكا عرفوا احسنه بالمعاينة
ولا شاهدوا شيطانا عرفوا قبحه بالمشاهدة ولكنهم عرفوا ذلك بالخبر ففيه دليل اثبات النبوة لانهم ما عرفوا
ذلك لا بهم دل به استقباح جميع الشياطين واستنكادهم واستحسانهم الملائكة واستعظامهم من غير ان شهدوا
من احد من الفريقين على قبول الاخبار اذ عن الالسن نطقوا به وعلى اثبات الرسالة اذ هم جاؤوا بالآثار عن شهدهم
وانشاهم والله اعلم وقوله عز وجل وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر هذا والله اعلم صلة قوله والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله والله اعلم وذلك انهم كانوا ينفقون
مراآة طلب الرياسة وابقاها فقال لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله يبقى لهم الرياسة ويكون لهم
الذكر بل آمنوا كان ذلك في الايمان اكثر ذكرا واعظم قدرا ومنزلة الا ترى انه من اسلم منهم من الائمة من نحو
ابن سلام وغيره كان لهم ذكر في الاسلام وبعد موتهم من غير حاجة وقعت بهم اليهم في حق شرايع الاسلام
ومن مات منهم على الكفر لم يذكر ابدا فاخبر الله سبحانه وتعالى ان ليس في الايمان بالله واتباع محمد صلى الله عليه وسلم
ذهاب شيء مما تخافون ذهابه عن الرياسة والمنافع التي يطمعون وصولها اليكم وغير ذلك حيث قالوا ان نتبع الهدى
معك نتخطف من ارضنا فقال وما ذا لو آمنوا بالله واليوم الآخر اي لم يكن مما خافوا باتباع الهدى قليلا ولا كثيرا
وقوله عز وجل وكان الله بهم عليما يحتمل وجهين ويحتمل انه كان على علم منه يفعلون ما يفعلون من فعل الكفر
والشر ونحوه من خلق ابليس لا عن جهل ولا غفلة ليس كصنيع ملوك الارض انهم اذا فعلوا فعلا ثم استقبل
الخلاف فانما يكون ذلك لغفلة منهم وجهل بالعواقب فالله سبحانه وتعالى كان لم يزل عالما بهم لكنه تركهم
على ذلك لما لا يلحقه الضرر بالعصيان ولا النفع بالطاعة بل حاصل الضرر والنفع يرجع اليهم والثاني يخرج مخرج
التحذير لهم والتنبيه لا من علم ان آخر يعلم بصنيعه كان احذر واخوف ممن يعلم انه ليس عليه حافظ ولا رقيب
وعلى هذا يخرج قوله كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ليكونوا على حذر من ذلك وقيل وكان الله بهم عليما انهم لن يؤمنوا
وفي هذا قوله ايضا وكان الله بهم عليما اي انشاهم ليعلم الخلايق ان مخالفتهم اياه لا تضره اذ كل من يضره الخلاف
لا يتولى ابتداؤه الا على الغفلة ينقصه من الضرر بلحقه بالخلاف والثاني على التحذير وقت الفعل بتذكير المراقب
عليه على ما عليه الامر المعتاد من الانتهاء عن امور تهواه النفس بالمراقب عليه ويحتمل كان على ارادة نفي حديثه
العلم او اخبر بعلمه بفعلهم وما له من الجزاء والله اعلم وقوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقوله تعالى
ولا يظلمون فتيلا ونقيرا وما ربك بظلام للعبيد ذكر هذا والله اعلم لئلا يظن جاهل بان الم الاطفال والصغار
وما يحل بهم ان ذلك ظلم منه لهم لكن ذلك والله اعلم ليعلم ان الصحة والسلامة افضال من الله تعالى لهم لا لحق
عليهم ذلك اذ له ان يخلق كيف شاء صحيحا وسقيما ثم من ظلم احد في الشاهد انما يظلم لاحدى خلتين اما الجهل بالعدل
والحق واما الحاجة تمسه يدفع ذلك عن نفسه فيحمله على الظلم فالله سبحانه وتعالى غني بذاته عالم لم يزل يتعالى
عن ان تمسه حاجة او يخفى عليه شيء مع ما كان يعني الظلم في الشاهد هو التناول مما ليس له بغير اذن من له وكل
الخلايق من كل الوجوه له فلا معنى ثم للظلم ثم قيل في الذرة انها نملة وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله
عنه مثقال نملة وقيل مثقال حبة وهو على التمثيل ليس على التحقيق ذكر لصغر حبته انه لا يظلم ذلك المقدار

فكيف

فكيف ما فوق ذلك لان مثله يحتمل ان يكون لكن لو كان فهو يكونه وبالله التوفيق وقوله عز وجل وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما هذا على المعتزلة لانهم يقولون من ارتكب كبيرة يخلد في النار ومعه حسنات
كثيرة فاخبر عز وجل وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وهي الجنة وهذا السوء ظنهم بالله
واياسهم من رحمته عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة
يثاب عليها اما يذوقه في الدنيا واما جزاؤه في الآخرة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله تعالى اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من احسان قال ابو سعيد رضي الله عنه فمن شك
فليقرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقوله عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني بالنبي يعني نبيها وجئنا بك
يا محمد على هؤلاء شهيدا عليهم يعني على امته شهيدا بالتصديق لهم لانهم يشهدون على الامم للرسل انهم بلغوا
ما ارسلوا به لما هو دليل صدقهم وقامت براهينهم بالرسالة فصارت شهادة على هؤلاء اي لهؤلاء على هذا التاويل
كقوله تعالى وما ذبح على النصب اي لها ويحتمل عليهم لو كذبوا وزلوا وقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيها
وجئنا بك يا محمد على امتك شهيدا على تبليغ الرسالة وقوله عز وجل يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض قيل فيه بوجوه انه اذا ميز الله اصحاب اليمين واصحاب الشمال قال للوحش والطير والسباع
كوني ترابا فتكون ترابا فعند ذلك يتمنون ان يكونوا ترابا مثل الوحوش تسويت بنا الارض وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال يجحد اهل الشرك يوم القيامة انهم ما كانوا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد
عليهم فيودون انهم كانوا ترابا كقوله يا ليتني كنت ترابا وقوله تعالى يا ليتها كانت القاضية فذلك قوله سبحانه وتعالى
لو تسوى بهم الارض ليتشقق ثم نبعث ولم نجيء وقرئ لو تسوى وتسوى وتستوى ونسوى وتحرى وخففه لو تسوى
بهم الارض وقوله عز وجل ولا يكتمون الله حديثا وقيل لما انطق الله تعالى جوارحهم وشهدت عليهم حين انكروا
ان يكونوا مشركين بقوله تعالى لا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين لم يستطيعوا ان يكتموا الله حديثا ويحتمل
على الاستيناف لا يكتمون الله حديثا ويحتمل ان يكونوا يودوا في الآخرة وتمنوا ان لم يكونوا كتموا في الدنيا حديثا
وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اختلف في قوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
قيل لا تدنوا مكان الصلوة وانتم سكارى وكذلك الجنب لا يدنوا مكان الصلوة وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه
وقيل وقوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى نهى عن الصلوة في حال السكر روي ان رجلا صنع طعاما فدعا ابا بكر
وعمر وعثمان وعليا وسعد بن ابي وقاص فاكلوا وسقاهم خمرا وذلك قبل ان يحرم فحضرت صلوة المغرب
فامهم رجل منهم فقرأ قل يا ايها الكافرون بطرح اللاءات فنزل قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصلين احدكم وهو لا يعقل صلوته وفي الآية دلالة ان في الصلوة قولا فرضا
نهى عن قربانها في حال السكر مخافة تركها او نهى عن قربانها في حال السكر خوفا ان يدخل فيها قولا ليس منها وفي ذلك دليل
فساد الصلوة بالكلام عمدا كان او خطأ لان السكران لا يفعل ذلك على العمد ولكن على الخطاء والاصل
في هذا انه لم ينهه عن فعل الصلوة في حال السكر لنفس الصلوة ولكن نهى عن السكر وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
لا صلوة للعبد الآبق ولا للمرأة الناشزة ليس النهي فيه عن الصلوة ولكن النهي عن الاباق والنشوز نفسه
وهكذا كل عبادة نهى عنها باسباب تتقدم فالنهي بما يكون عن تلك الاسباب لا عن العبادة التي امر بها لان الاباق
والنشوز والسكر ليسوا بالذي يعملون في اسقاط ذلك الفرض وتلك العبادة وفي الآية دلالة ان السكران مخاطب
بقوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى نهى قربان الصلوة في حال السكران فالنهي بما وقع في حال السكر فاذا كان
مخاطبا عمل طلاقه وتعدت عقوده الا ترى انه قال في آية اخرى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله معنى ولا ذكر عليهم دل انه مخاطب ولهذا ما قال ابو يوسف رحمه الله
انه اذا ارتد عن الاسلام يكون ارتداده ارتدادا لما نفذ طلاقه وساير عقوده وفسوخه فعلى ذلك الارتداد

وعلى قول ابي حنيفة رضي الله عنه لا يصير مرتدا استحسانا ليس كساير العقود والفسوخ لان ساير العقود
يتعلق جوازها باللسان وان كان رضا والقلب مشروطا فيها واما الايمان والكفر فانما يكون بالقلب وان كان البنا
باللسان يكون شرطا فيما بين الخلق فاذا كان كذلك فاذا سكر ذهب السكر القلب فجعل كانه لم ينطق واما كان
ساير العقود يعلقها باللسان فاذا نطق به جاز والله اعلم اختلف في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة منهم من حمل
على مكان الصلوة اذ الصلوة فعل والفعل لا يقرب ومنهم من حمل على الفعل اي لا تعملوا واي الوجهين اريد به
فالآخر داخل فيه لانه اذا نهى عن حضور مكانها لحرمته فيها علانية لحرمته واحق في المنع وايد ذلك قوله سبحانه
حتى تعلموا ما تقولون والعلم بالقول يحتاج في حق الفعل لئلا ينزل المعروض من الذكر فيفسد او يدخل
المحرم فيه فيفسد وفي ذلك دلالة احد الوجهين وفي حق العموم الوجهان جميعا وهو على الخطاء يقول
فثبت ان الخطاء من القول في الصلوة مفسد اذ لو كان لا يفسد لم يكن سوى النهي ونفي التاخير نهي ايضا والله اعلم
ولو اريد به الصلوة فانما المكان لاجلها فلا وجه للحضور دون امكان الفعل والله اعلم وعلى ذلك امر الجنب
واستثناء عابري السبيل ليكون على فعل الصلوة بالتيمم فيكون في الآية دلالة الجنب والمكان فيباح الدخول
فيه على العبور فيه بالتيمم ايضا فعلى ذلك عندنا الدخول للاغتسال فيه اذ كان فيه بالتيمم والله اعلم واذا ابيح
للجنب على المنع عن دخول المسجد الا بالتيمم فثبت ان التيمم قد جعل له الطهارة فله الصلوة به لعذر والله اعلم
ثم في المروي دلالة عمن اقرنه المغرب بعقل يا ايها الكافرون على طرح اللاءات في حال السكر حتى نزل قوله تعالى
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ان كلام الكفر في حال السكر لا يكفر صاحبه اذ خاطبهم باسم الايمان فلذلك
لم يكن عند ابي حنيفة رحمه الله كافرا على ان المخطي لما يجري على لسانه كلمة الكفر لا يصير كافرا في الحكم والسكران يجري
على لسانه على الخطاء دليله ما لا يذكره وما كان عن عقد القلب فلانه لا ينسى ولخاصة المذاهب كلها يختار عن فكر
الاسباب وعن اختيار الاحق من الامور عنده اما لحجة او شبهة او شهوة من نحو الالف بالتقليد وحسن الظن
والذي يكون على ما ذكرت لا يحتمل السهو عنه حتى لا يخطر بباله لو اراد بدعوة عن قريب ثبت انه كان عن خطاء
وتنجاه يرفع الخطاء واصله الانسان معبر عن الاعتقاد في امر الدين وخاصة في الكفر الذي يكون بالقلب خاصة
بلا استعمال اللسان فاذا كان مخطيا فهو امر اللسان دون القلب الذي اللسان عنه معبر ومن جر الكفر باللسان
ووصفه لا يكفر الا بان يكون يعبر عن نفسه انه اعتقد فلذلك كان على ما بينا على انه قد يجري بتلاوة
القرآن على اللسان بالغلط ما يكفر عليه بالتعمد فلا يجوز ان يجعل تلاوته للتعظيم والايمان بد كفرا ثبت بذلك
ورفع حكم الكفر عن الخطاء في اجرائه على اللسان فمثله السكران اذ هو مخطئ والله اعلم ثم اختلف اهل التأويل
في تأويل قوله تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال هو ان يكون مسافرا
ولا يجد الماء فيتيمم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال هو المسافر وقيل ولا جنبا الا عابري سبيل نهي الجنب
ان يدخل المسجد ومكان الصلوة الا عابري سبيل الا مجتازا ومن تاول الآية على المرور في المسجد فهو غير بعيد
يقول انما كره للجنب ان يستوطن المسجد فاما المار لا مر يعرض فقد رخص له الا ترى ان الجنب رخص له ان يقرأ
بعض الآية ولا يجوز ان يتمها فمرور في المساجد اذا لم يجلس فيه كقراءته بعض الآية اذا لم يتمها وعلى ذلك امر الجنب
واستثناء عابري السبيل يكون على فعل الصلوة بالتيمم فيكون في الآية دلالة التيمم للجنب والمكان فيباح الدخول
فيه على العبور فيه بالتيمم ايضا فعلى ذلك عندنا الدخول للاغتسال فيه اذا كان منه بالتيمم والله اعلم
واذا ابيح الجنب دخول المسجد بالتيمم فثبت ان التيمم قد جعل له الطهارة فله الصلوة به لعذر والله اعلم
وقوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط الآية اباح الله تعالى للمريض المقيم ان يتيمم
والآية ذكرت المرض عاما واجمعوا ان المريض الذي لا يخاف ان يضره الماء لا يتيمم وانما اجازوا ان يتيمم
اذا خاف ضرر الماء ان هو توضأ به فدل ان الله تعالى لما اباح للمريض التيمم لم يبح باسم المرض ولكنه بمعنى في المرض

دليله ما ذكرنا انه لم يبح لكل مريض وانما ابيح لمريض دون مريض وفيه دليل لقول ابي حنيفة رضي الله عنه
حيث اباح التيمم اذا خاف على نفسه الهلاك الا ترى ان الله عز وجل اباح المسافر التيمم ولم يبحه باسم السفر
ولكنه اباح لمعنى فيه وهو اذا كان بمكان اعدام الماء الا ترى انه لا يباح له التيمم في الامصار وان كان
اسم السفر موجود العدم معنى السفر فعلى ذلك اباحة التيمم للمريض اباحة لمعنى في المرض الا ترى
انه ذكر مجيئه من الغائط والغائط هو المكان المطمئن الذي يقضى فيه الحاجة ولا كل من جاء من ذلك
المكان يلزمه الوضوء والتيمم ذلك انه لمعنى فيه فعلى ذلك الاول وروي ان جريحا غسل فمات
فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه فانما يكفيهم كف من تراب وكذلك غسل مجدور فمات
فقال قتلوه انما يكفيه كذا ونحو هذا فاذا ثبت ان المراد من المرض والسفر والغائط المعنى الذي فيه لا لعين
المرض والسفر والغائط لما ذكرنا اذ لا كل مريض يباح له التيمم وانما يباح لمريض دون مريض وكذلك لم يبح
لكل السفر دون سفر ومكان دون مكان وهو المكان الذي يعدم الماء فيه ويفقد فعلى ذلك المراد
من قوله او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا عن اللمس وهو الجماع وكذلك روي عن ابن عباس
رضي الله عنه قال الملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والجماع نكاح ولكن الله تعالى كنى وعن الحسن
وعبيد بن عمير وعطاء قالوا الملامسة الجماع فان قيل ما الحكمة في ذكر المرض والسفر والغائط والملامسة
اذا كان المراد من ذكرها غيرها قيل الحكمة في ذكرها هو ان المرض في اغلب احواله يعجز المرء عن اصابة الماء
وكذلك السفر في اغلب احواله يعجز صاحبه عن الماء فخرج الذكر على اغلب الاحوال وكذلك من الغائط الاغلب
انه انما يجيء عن قضاء الحاجة لانهم كانوا لا يخرجون الا لقضاء الحاجة وكذلك الملامسة من الزوجين الاغلب
فيها قضاء الوطر والحاجة فعلى الاغلب خرج الذكر وان احتمل غيره وهذا يدل على ان الاحتجاج بالظواهر
والعموم في حق المخرج باطل لا يجوز لاحد ان يحتج بظاهر هذه الآية ان يقول على كل مريض او على كل مسافر
الا كذا ثم المس ان اريد به الجماع فهو ممكن لوجهين احدهما البلية بالقبلة واللمس باليدين والزوجين ظاهر
لا يحتمل ان لا يعرف به الرسول والائمة من فعل العوام فلو كان الوصف فيه لان ما لا يحتمل ترك اظهار
البيان حتى يلزم اكثر الامة المنكر في فعل الصلوة والله اعلم والثاني ان يكون الامر بالمعروف في كل لمس
ومس جرى الذكر به بين الذكور والاناث فهو يحق الكناية عن الجماع وكذلك ساير الحروف المحتملة
للكناية عنه من نحو المباشرة والغشيان ونحو ذلك وبه قال من اختار التيمم للجنب في حق الصلوة من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم والله اعلم وان اريد به غير الجماع مما قدم يحتمل وجوها فهو لا يجمع الكل ولكن يرجع الى الخاص
وهو الذي في الغالب ان يكون له خروج وان لم يكن وهي المباشرة الفاحشة دليله ذكر المرض والسفر على غير
اقران الحكم بنفسه اذا ما هو اسمان لوجوه فالنظر فالى غاية ما له وقعت الرخصة من العجز والعدم فمثله امر
الوضوء في الاول والله اعلم وقوله عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا قيل التيمم القصد يقال تيممت الصعيد وامممته
لغتان وقوله فتيمموا تعمدوا صعيدا طيبا فاذا كان التيمم القصد والتعمد الى الصعيد لم يجز الا بالنية لانه امر عز وجل
بالقصد اليه والتعمد وذلك امر بالنية لان القصد نية وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما فاموا صعيدا
طيبا اي قصدوا واقصدوا الصعيد قيل هو وجه الارض وسمي صعيدا لما يصعد عليها وقيل الصعيد هو الارض التي
تنبت الا ترى انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا الا السبخة والمقبرة
وقيل انها ملعونة ولهذا مال ابو يوسف رحمه الله ان التيمم لا يجوز من الارض السبخة لانها ليست بطيب والطيب
ما ينبت واما ابو حنيفة رضي الله عنه فانه قال الطيب هو الطاهر الحلال له ان يتيمم به اذا عدم الماء الطيب
اسم ما حل من المقصود فيه والمقصود في التيمم التطهر فهو الطهور والطاهر وايد الخبر الذي ذكر من جعل
الارض طهورا والله اعلم وقوله عز وجل فامسحوا بوجوهكم وايديكم الامر يقع بمسح الايدي على الذراعين دون

دون الكفين دليله امر الوضوء انه يغسل الذراعان وقت غسلهما بلا غسل كفين اذ قد يقدم غسلهما فالذراعان
دخلتا في المسح بذكر اليد وكذلك في الوضوء لان الكفين يغسلان قبل غسل الوجه فالامر بغسل اليد يقع على الذراعين
دما وراء ذلك وعن موسى بن عقبة عن الاعرج عن ابي جهينة قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غايط
او بول فسلمت عليه فلم يرد على السلام فضرب باليد الحايط ضربة فمسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها
يديه الى المرفقين ثم رد السلام وهكذا اصحابنا رحمهم الله بالضربتين ضربة للوجه وضربة للذراعين الاصل انه
اذا قال الله عز وجل في الوضوء وايديكم الى المرافق انه في وقت الامر يقع الغسل الى المرافق غير مخاطب بغسل
الكفين على حق غسل الذراع اذ قد قضى فرض غسلهما من قبل فصارت الاية كانها في غسل الذراع بالامر بغسل
اليد وعرف بذلك غسل الكف لانها مثله امر التيمم فصارت الاية كانها في حق الذراع ودخل الكف في ذلك بالجنس
على ان امر الطهارة فيما اضيفت الى عضو او بدل لم يجد لم يدخل كالمضاف اليه في الاشتراك بقضاء حقها نحو الجنابة
والوجه والراس فكذلك امر اليد في التيمم لكن قصر عن التمام بدلالة بيان السنة وعموم الفتيا ومالا يشك في قضاء
حكم الوضوء وليس هو في بعض اليد فلا يجعل فيما ليس هو فيه بدلا دخله النقص عن كل وظيفة الاصل الا الزيادة
عليه والله اعلم وقوله عز وجل ان الله كان عفوا لما مضى من الذنوب غفورا لما يستقبل والعفو الصفح والمحو والغفر
الستر هو يعفو عنه ويستر على صاحبه والعفو من التجاوز فيختلف اللفظ على ارادة معنى واحد وقوله
عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا يعني اعطوا حظا من علم الكتاب وهم علماؤهم يشترون الضلالة بعلم الكتاب
ويحتمل يشترون الضلالة بالهدى وكذلك قيل في حرف حفصة على ما ذكر في غير هذه الاية اشتروا الضلالة
بالهدى وذلك انهم كانوا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما بعث على هواهم كفروا به كقوله تعالى
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويحتمل يشترون ضلالة عن هم بالتحريف
والرشاء ونحو ذلك كقوله تعالى والذين ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله وقوله اتبعوا سبيلنا الم تر
حرف التعجب عن امر قد بلغه فيخرج مخرج التذكير او لم يبلغه فيخرج مخرج التعليم والله اعلم وقوله عز وجل ويريدون
ان يضلوا السبيل يحتمل وجهين يريدون ان يتمنون ان تضلوا السبيل لتدوم لهم الرياسة والسياسة اذ كانت لهم
الرياسة على من كان على دينهم ولم يكن لهم ذلك على من لم يكن على دينهم فتمنوا ان يكونوا على دينهم ليكون لهم
الرياسة عليهم وقيل يريدون ان تضلوا السبيل اي يامرونهم ويدعونهم الى دينهم لما ذكرنا من طلب المنافع وابقاء
الرياسة والله اعلم وقوله عز وجل والله اعلم باعدائكم كانهم والله اعلم يطلبون موالاة المومنين ويظهرون لهم
الموافقة فنهى الله تعالى المؤمنين عن موالاتهم كقوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا الى قوله
سبحانه ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم الاية فاخبر الله سبحانه وتعالى المؤمنين انه اعلم باعدائكم منكم
ويحتمل ان يكون المؤمنون استنصروهم واستعانوا بهم في امر فاخبر عز وجل انهم اعداؤكم وهو اعلم بهم منكم
ثم قال وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا اي كفى به معينا وكفى به ناصرا ويحتمل قوله وكفى بالله وليا وكفى بالله
نصيرا مما اعطاكم من اعطاكم اي لا ولي افضل من الله تعالى ولا ناصر افضل منه البراهين والحجج والله اعلم
وقوله عز وجل يحرفون الكلم عن مواضعه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وكفى بالله نصيرا ومن الذين
هادوا على الاستيناف والابتداء خبر وفي حرف غيره من الذين هادوا معناه والله اعلم الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب من الذين هادوا ولا ذكر للنصارى في ذلك وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ذكر النصارى
في الذين اوتوا نصيبا وفي حرف حفصة رضي الله عنه من الذين هادوا ومن يحرف الكلم عن مواضعه ثم يحرف
الكلم يحتمل وجهين يحتمل تغيير المعاني وتبديل التاويل على جهالهم كقوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون
السنتهم الاية ويحتمل تغيير اللفظ والكتابة نفسها كقوله سبحانه وتعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم
ثم يقولون هذا من عند الله وقوله عز وجل ويقولون سمعنا وعصينا قيل سمعنا قولك وعصينا امرك

وقوله عز وجل واسمع غير مسمع قيل اسمع قولنا غير مسمع اي غير مجيب وقيل اسمع قولنا غير مسمع
لا سمعت على المسب وقوله وعصينا الا سرا دينه منهم اظهره الله تعالى عليهم ليكون اية للرسالة وقوله عز وجل
راعنا قيل يقولون لمحمد صلى الله عليه وسلم ارعنا سمعك وقيل وراعنا ارعنا حمقنا وهو من الرعاية
وقوله عز وجل ليا بالسنتهم اي تحريفا والتحريف ما ذكرنا كقوله تعالى يلوون السنتهم بالكتاب الاية
وقيل في قوله تعالى واسمع غير مسمع اي اسمع يا محمد منا قولنا غير مسمع منك قولك ولا مقبول ما تقول
عز وجل ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم اي لو قالوا سمعنا قولك واطعنا
امرك وانظرنا فلا تعجل علينا ننظر وقيل في قوله تعالى وانظرنا افهمنا وقوله عز وجل لكان خيرا لهم مما قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك لكان خيرا لهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فدوام الرياسة التي خافوا فوتها
لو اطاعوه واتبعوه اذ قد آمن منهم واطاعوه تنبيه فلم تذهب عنهم الرياسة والذكر في الدنيا بل ازدادلهم
شرفا وذكرا في الحيوة وبعد الممات واما في الاخرة فثواب دايم غير زايل ابدا وقوله عز وجل واقوم يعني
اعدل واصوب لما ذكرنا ولكن لعنهم الله بكفرهم واللعن هو الطرد طردهم الله عز وجل من رحمته وديته
لما علم منهم انهم لا يؤمنون باختيارهم الكفر وقوله عز وجل فلا يؤمنون الا قليلا قيل وقليل من اسلم
من نحو ابن سلام واصحابه وغيرهم وقيل قوله تعالى فلا يؤمنون الا قليلا منهم ولا يؤمنون الا بالقليل من الكتب
والانبياء عليهم الصلوة والسلام كقوله تعالى نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقوله عز وجل يا ايها الذين اوتوا
الكتاب آمنوا بما انزلنا مصدقا لما معكم دلت هذه الاية ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب ولا ممن اوتوا الكتاب
لانه قال عز وجل آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم وليس عند المجوس كتاب حتى يكون المنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم ثم قوله مصدقا لما معكم اي موافقا لما معكم وانما كان موافقا
لما معهم بالمعاني المدرجة فيه والاحكام ولا بالنظم واللسان لانه معلوم ان ما معهم من الكتاب يخالف
للقران نظما ولسانا وكذلك ساير كتب الله تعالى موافق بعضها بعضا معانيا واحكاما وان كانت مختلفة
في النظم واللسان دل انها من عند الله تعالى نزلت اذ لو كانت من عند غير الله كانت مختلفة الا ترى انه
قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ففيه دليل لقول ابي حنيفة رضي الله عنه
حيث اجاز الصلوة بالقراة بالفارسية لان تغيير النظم واختلاف اللسان لم يوجب تغيير المعاني واختلاف
الاحكام حيث اخبر عز وجل انه موافق لما معهم وهو في اللسان والنظم مختلف والمعنى موافق ثم يحتمل
قوله مصدقا لما معكم بصفته ونعته ونبوته ومبعثه وزمانه فيما معكم لا يخالف في شيء من ذلك
ويحتمل انه هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي آمنتم به قبل ان يبعث فكيف كفرتم بالله والله اعلم وقوله
عز وجل من قبل ان نطمس وجوها الاية قيل لما نزلت هذه الاية قدم عبد الله بن سلام على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى اني اصل اليك حتى يحول وجهي في قفاي
وقيل طمسها ان تعمى ابصارها وردها على ادبارها وقيل طمس الوجوه ان تعمى وترد عن بصيرتها وذلك انهم
كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم مستيقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي الله يجدونه في كتبهم
يقول تحققوا ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه من قبل ان يضلكم عن هداكم فتصيروا ضلالا
فلا تهتدون ما كنتم تعلمون ويحتمل ان تكون الاية خرجت على الوعيد وهي على التمثيل لا على التحقيق ويحتمل
على التحقيق كقوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت ويحتمل ان يكون هذا في الاخرة وقوله عز وجل ايضا
من قبل ان نطمس وجوها يحتمل الحقيقة فيرجع الى يوم القيامة فيذهب عنه جميع محاسن الوجه ونطمس
وجوه الحق عنه بمعاندته فيبصر الحق بغير صورته والباطل بغير صورته بعد ان كانوا رأوا كل شيء بصورته
في كتبهم المنزلة والله اعلم ان نطمس وجوههم عند اتباعهم الذين لاجلهم غيروا وحرفوا بما يطلعهم

على خيانتهم ويظهر لهم تبديلهم وقد فعل بحمد الله تعالى وقد يحتمل الوعيد ان يفعل بهم ان لم يؤمنوا حقيقة
ذلك كفعله باصحاب السبت تغيير الجوهر ثم لعل ولئك قد اسلموا او نزل بهم ولم يذكر والله اعلم وقوله عز وجل
وكان امر الله مفعولا اى كان بامر الله عز وجل مفعولا كما يقال للجنة رحمة الله والمطر رحمة الله اى برحمة الله فعل ذلك
معنى قوله سبحانه امر الله مفعولا اى بامر الله كان مفعولا ويحتمل قوله وكان امر الله اى عذاب الله نازلا بهم وقوله
عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اجمع الناس ان يغفر الذنوب كلها الشرك
وما دونه اذا انتهى وتاب بقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف دل ان اطماع المغفرة لما دون الشرك
لمن لم يتب منه وقالت الخوارج الكباير كلها الشرك بالله تعالى فمن ارتكبها دخل تحت قوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به والمسئلة بيننا وبينهم فى ذلك فيقال لهم المعنى الذى صار مشركا عندكم بارتكابه الكبيرة ذلك
المعنى موجود فى ارتكاب الصغاير فيجب ان يكون كافرا فاذا لم يصر بذلك كافرا لم يصر بارتكاب الكباير كافرا
وقالت المعتزلة صاحب الكبيرة يخرج من الايمان ولا يدخل فى الكفر وقال ابو بكر الاصم ظهر الوعيد فى الكباير
وشرط المغفرة لما دون الشرك بقوله تعالى لمن يشاء فهو للصغاير كقوله يكفر عنكم من سيئاتكم اخبر
ان من السيئات ما يكفر ومنها ما لا يكفر فهو للصغاير واما عندنا فان الله تعالى عز وجل اطمع المؤمنين للمغفرة
ما دون الشرك ولو كان لا يجوز فى العقل المغفرة لكان لا يطمع لانه لا يجوز ان يطمع ما لا يجوز فى العقل
فاذا اطمع دلت انه يجوز فى العقل المغفرة لما دون الشرك ثم له المشية ان شاء عذبهم فيها وان شاء
عفى عنهم واما اطماع المغفرة فى الشرك فانه لا يجوز فى العقل لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد وليس كل من
ارتكب ذنبا يرتكبه للابد بل انما يرتكبه لقضاء شهوة تغلبه فهو يندم على اثره لذلك قلنا يجوز فى العقل اطماع
المغفرة لما دون الشرك ولا يجوز للشرك وبالله التوفيق ووجه آخر ان الوعيد الذى ذكر يحتمل الاستحلال
والاستخفاف بالامر والنهى فلا ينزل بما اطمع بهذه الآية من المغفرة فينزل الطمع والرجاء بالوعيد المتوجه وجهين
ايوقف فيهم فاما القطع فى احد الوجهين بالمحتمل ومنع القطع بالاجر للاحتمال فهو تحكم ولا قوة الا بالله ووجه آخر
ان الآية فى التفصيل بين المحتمل للغفران والذى لا يحتمل فاذا صرفت الى الصغاير فيبطل تخصيص اسم الشرك
ويلتبس على السامع محله وليس امر الوعيد فيما جاء بموضع التفصيل بل الذى جاء بحق التفصيل ذكر الغفران
بالتكفير والتكفير يكون مقابلة الجزاء من حسنات وعقوبات كقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه الآية
والله الموفق ووجه آخر قال الله عز وجل لمن يشاء وهذا كناية عن الانفس المغفورات لا عن الآثام التى تغفر
لم يجز صرف التخصيص الى الآثام بالآية المكنى بها عن الانفس وفى آيات الوعيد تحقيق فى الذين جاء بهم وفيما جاء
عاما فبان لا صرف فى ذلك فهو اولى والله الموفق وبعد فانه عز وجل قال لمن يشاء والصغاير عندكم مغفورة
بالحكمة لا بالوعد والآية فى التعريف ولا قوة الا بالله وقوله تعالى ايضا ان الله لا يغفر ان يشرك به فمعلوم انه
فيما يلزمه حتى يختم به لا فيما يتوب عنه ايد ذلك قوله ان ينتهوا يغفر لهم الآية وغير واحد من الآيات التى
جاءت فى الكفرة لما آمنوا والله اعلم فصار كانه قال لا يغفر ان يشرك به اذا لم يتب عنه ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وان لم يتب منه فلو كان شيئا مما دونه لا يحتمل فى الحكمة المغفرة لضمه الى الممتنع عن الاحتمال لا الى الحقير
بالمحتمل لم فيما كان معلوما ان القصد فيه الى بيان ما فيه الرجاء والاياس وايد ذلك قوله تعالى لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون فلو كان يلزم الاياس لما دونه ليجب الوصف له بالكفر اذ لا ياس لهم بالكفر
وفى تحقيقه فاى الوجهين لزم يتبعه الآخر فى حق الاياس لا فى وجود فعله اذ قد يوجد فعله الرجاء فى الكفرة
ثبات ذلك فى الحكم والتحقق لا فى وجود الفعل وبالله التوفيق وقوله عز وجل الم تر الى الذين يزكون انفسهم
قيل هم اليهود جاؤا بابنائهم اطفالا فقالوا يا محمد هل على اولادنا هؤلاء من ذنب قال لا قالوا فو الذى يحلف به
ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل الا كفر عنا بالنهار فذلك التزكية منهم

وقيل تزكيتهم انفسهم بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه لا ذنوب لنا ويحتمل ان يكون تزكيتهم انفسهم ما قال الله
عز وجل يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين وكان اكثر الانبياء عليهم السلام
انما بعثوا من بنى اسرائيل وكانوا يزكون انفسهم بذلك قوله عز وجل بل الله يزكى من يشاء اى يبرئ من يشاء
من الذنوب ثم التزكية تذم ان يزكى احد نفسه لان التزكية هى التنزيه من العيوب كلها والذنوب وذلك
مما لا يسلم احد عنها ولا يبرى ولا يستحق مخلوق وذلك معنى النهى لا تزكوا انفسكم اذ يخرج التزكية مخرج
التكبر وذلك لجهله بنفسه لما لا يرى غيره شكل نفسه ولا مثله فيتكبر عليه ولو عرف انه مثله وشكله
ما تكبر على احد قط ولا زكى نفسه وقول الرجل انا مؤمن ليس ذلك منه تزكية انما هو اخبار عن شئ اكرم
والتزكية هى التى ترى ذلك من نفسه وقوله ايضا الم تر الى الذين يزكون انفسهم ليس فى اظهار الايمان تزكية
لما لا يخلو امن ان تظهر لمن ابى مشاركتك فيه فعليه الاظهار رجاء الدعوة اليه لتدعوه الى ما تدين به وهو
يشاركك فيه والتزكية فى الحقيقة فيما توجب تقديمك وليس فى هذا وايضا ان القول بالايمان ليس بمقدر
عن معنى العبادة او سبب فيه علو من حيث ذلك انما هو خبر عن امر هو فى اللغة تصديق والتصديق بامر
هو كذلك ليس بالذى يعد فى الرتب بل على كل ذلك ولا احد الا وقد يؤمن باشيا ويصدق فليس فى القول به
منقبة وكذلك ما من احد الا وعليه التكذيب بامور فلا بالتكذيب فى الاطلاق لوم ولا بالتصديق بالاطلاق
مدح اذ فى كل ذلك لكن الذم فى تكذيب يكذب به فيكون من حيث كذب به ذممت ثم يتفاوت درجات الكذب
ثم التصديق لو كان ثم مدح فهو يصدق ايضا ولا احد يخرج الصدق كله فيصير المرء بوصفه نفسه صادقا
فى شئ تزكية ومدحا ولا قوة الا بالله على ان للايمان حدا وكل عبادة ذات حد فلا امتداح ممن تمدح بها
بالاخبار عن الاداء وخاصة الفرايض منها نحو من يقول قد صليت الظهر او اديت زكوة مالى وحججت ونحو
ذلك وفيما يقول هو برا وتقيا وحبيب الله تعالى ونحو ذلك مما يرجع ذلك الى ما لا يعرف حده من الخيرات
فهو بذلك يرتفع على الاشكال ويفتخر عليهم فيما لو كان صادقا كان فى ذلك منه اغفال عن حق ذلك
ولو كان كاذبا كان ذلك جايرا فيه ممقوتا بالكذب والله الموفق وقوله عز وجل ولا يظلمون فتيلا
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال الفتيل ما فتلت بين اصبعك والنقير الذى يكون فى ظهر النواة
وهو على التمثيل وقيل فى حرف حفصة الم تر الى الذين قالوا انا نزكى انفسنا بل الله يزكى من يشاء
وقوله عز وجل انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الآية ظاهره وقوله عز وجل
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قيل اعطوا حظا من الكتاب وهم علماؤهم يؤمنون بالجبت
والطاغوت اختلف فيه قيل الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن وقيل الجبت السحر والطاغوت
الشيطان وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الجبت الشيطان بكلام الحبشة والطاغوت كهان العرب
وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الشيطان وقيل الجبت حيى بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف
يخبر عز وجل عن سفههم بايمانهم بهؤلاء وحسدهم محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم
ويحذر المؤمنين عن صنيعهم لان هؤلاء كانوا علماء وهم مؤمنين بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا قيل فى القصة ان هؤلاء اتوا مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل اجله ففعلوا فدخل ابو سفيان البيت فى مثل عدتهم فكانوا بين استار الكعبة فتحالفوا على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين ليكون كلمتنا واحدة ولا نخذل بعضنا
بعضا ففعلوا ثم قال ابو سفيان ويحكم يا معشر اليهود ارأيتنا اقرب الى الهدى والى الحق نحن ام محمد
واصحابه فانا نعمر هذا المسجد ونحجب هذه الكعبة ونسقى الحاج ونفادى الاسير فنحن افضل ام محمد واصحا

قالت اليهود لا بل انتم فذلك قوله تعالى ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وفي حرف حفصة
ويقولون للذين اشركوا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا ثم قال الله عز وجل اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا واللعن يكون على وجوه اللعن هو العذاب وقيل لعنهم الله عذبهم الله والعين هو الممنوع عن الاحسان
والافضال وقيل هو الطريد اي طردوا عن رحمة الله وافضاله واحسانه قال الطاغوت هو اسم اشتق من الطغيان
كالرحموت والرهبوت من الرحمة والرحمة ونحو ذلك سمي به كل من انتهى في الطغيان غايته حتى استعمل بعبده هو دون الله
فهو طاغوت وعلى ذلك تاويل قوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله اي بعبادة كل من عبد دون الله وقيل هم
مردة اهل الكتاب وقيل هو الشيطان وقيل الصنم وذلك كله يرجع ما ذكرت وقيل في ذلك كاهن وقد سمي جبتا وقيل
في الجبت السحر فان كان الجبت السحر فهو على ما قال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان الآيات واي شي مما ذكرت
قد كانوا آمنوا بذلك فعيرهم الله تعالى وسفه احلامهم بالايمان بمن ذكرت ومظاهرتهم على ما لهم من الاتباع على رسول
رب العزة عليه افضل الصلوات واكمل التحيات بعد علمهم بموافقته صلى الله عليه وسلم رسلهم وتصديقه بكتبهم
وعلمهم بعدولهم عن هذه الرتبة بغيا وحسدا وكان في اظهار ذلك عليهم بيان الرسالة واعلام اتباعهم انه
تحريفهم كتب الرسول لما في قلوبهم من الحسد ليزول الشبهة عن الاتباع ويظهر المعاندة في المتبوعين ولا قوة الا بالله
وقوله عز وجل ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اختلف فيه قيل لو كان لهم نصيب من الملك فاذا
لا يؤتون الناس نقيرا من بخلهم وقلة خيرهم وقيل لهم نصيب من الملك من الشرف والاموال والرياسة فيما بينهم
لكن لا يؤتون الناس نقيرا فكيف يتبعونهم وقيل قوله سبحانه وتعالى ام لهم نصيب من الملك اي ليس لهم نصيب من الملك
فكيف يؤتون الناس شيئا انما الملك لله تعالى عز وجل هو الذي يؤتي الملك من يشاء كقوله تعالى قل اللهم مالك
الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شي قدير
الآية انما يستفاد ذلك بالله عز وجل لا باحد دونه والله تعالى اعلم وقوله عز وجل ام يحسدون الناس على
ما اتاهم الله من فضله يقول بل يحسدون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على ما اتاه الله من فضله من الكتاب
والنبوة يقول الله عز وجل ردا عليهم فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكم والنبوة فلم يحسدوه فكيف تحسدون
محمدا صلى الله عليه وسلم بما اتاه الله تعالى من الكتاب والنبوة وهو من ولد ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا
والله اعلم وقوله عز وجل واتيناهم ملكا عظيما قيل اراد الملائكة والجنود وقيل هو ملك سليمان بن داود وداود
كان من آل ابراهيم عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل ام يحسدون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاهم
من فضله قيل من كثرة النساء ولكن ذلك ليس بحسد انما هو طعن يطعنونه وعيب عابوه لان الحسد هو ان يرى
لآخر شيئا ليس له فيتمنى ان يكون ذلك له دونه وقد كان لهم نساء لكنه ان كان ذلك فهو طعن يطعنونه وعيب
عابوه على كثرة النساء ويقولون لو كان نبيا لشغلته النبوة عن النساء ويقولون يحرم على الناس اكثر من اربع
ويتزوج تسعا وعشرا فانزل الله تعالى عز وجل ردا عليهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الآية وكان لداود تسع
وتسعون امراة وما قيل ايضا ان لسليمان عليه الصلوة والسلام ثلثمائة سرية وسبعمائة حراير ثبت ذلك ان كثرة
النساء لا تمنع ثبوت الرسالة والنبوة وانما يمنع كثرة النساء لاحد شيئين اما الخوف الجور واما العجز عن القيام
بايفاء حقهن فالانبياء عليهم الصلوة والسلام يؤمن ناحيتهم الجور وكانوا يقومون بايفاء حقهن مع ما كان قيام
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لتسع او لعشر من النساء من آيات النبوة لانه كان معروفا بالعبادة لله ليلا
وبالقيام نهارا ويحتمل الجوع وانواع المشقة تباعا ومعلوم في الخلق ان من كان هذا سبيله لم يقدر على وفاء
حق امراة واحدة فضلا ان يقوم لايفاء حق العشر واكثر فدل انه بالله قدر على ذلك وعلى ذلك قيام داود
صلوات الله عليه لما به من النساء وقيام سليمان صلوات الله عليه لالف منهن فذلك من آيات النبوة لما ذكرنا
انه ليس في وسع احد سواهم القيام بذلك وكذلك في قيام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاظهار هذا الذين

من غير اتباع

من غير اتباع كان له او ملك او فضل سعة دليل انه كان يفضل الله اظهر ويعوذه به جميع هذا الخلق على دينه
وفي قوله ايضا ام يحسدون الناس على ما ذكر فقد آتينا آل ابراهيم الآية يحتمل وجهين احدهما المحاجة ان كيف
يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم واتباعه من آل ابراهيم واولاده بما خصهم به من فضله ولم يزل ذلك في آل
ابراهيم ولم يكونوا حسد وهم على هذا قوله تعالى فمنهم من آمن به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بكتابه الذي انزل عليه
والثاني ان يكون على التصبير على اذاهم الذي كان منهم بالحسد مما كان هذا فيمن تقدمه من آل ابراهيم ومن فضله
ومن الحساد لهم في ذلك والموذين لهم فصبروا ولم يكافوهم نحو قوله تعالى فمن آمن به اي بابراهيم عليه السلام
وبما انزل اليه او آله والله اعلم الاصل في اختلاف التاويل الآية واحق فيما يجب في ذلك من الحقائق على اقسام
احدها انه يتسع الكل ويحتمل دخول الكل في المراد ويحتمل ارادة البعض فان كان ذلك مما يجب العمل به يلزمه طلب
الدليل على الموقع للمراد فان وجد من طريق الاحاطة شهد عليه بالمراد وان لم يوجد عمل به على حسب الاذن في العمل به
بالاجتهاد من غير الشهادة عليه انه المقصود لا غير والله اعلم وان كان ذلك مما لا يجب العمل به وانما حقه الشهادة
فنشهد به على ما هو في الحكمة وجوب تلك الشهادة من غير ان يقضي على الآية بقصد ذلك اذا كانت بحيث يتسع له
ولغيره نحو العقوق بانه سميع عليم على انه امور هم من ادلة الخصوص لو كانت تحتمل الخصوص وفي الحكمة انه سامع
كل صوت وعليم بكل شي فيه يشهد ولا يقال في ذلك انه اراد من الخاص نحو قوله تعالى وان عزموا الطلاق
فان الله سميع عليم قال قوم لا يقع الطلاق حتى يوقع لانه ذكر انه سميع ولو وقع الطلاق بغير قول لم يكن لذكر
السميع في هذا الموضع فايدة وقال قوم سميع لايلائه اذ هو قسم ينطق به عليم لعزمه وقد ذكر سميع عليم فيجب
توجيه كل حرف الى وجه ليفيد حقيقة ذلك في هذا الموضع ولو كان لا يقع دون القول لكان كل امره مسموع
ليلتحق القول بانه سميع عن القول بانه عليم وفي جملة العقد من طريق الحكمة انه سميع بكل صوت عليم بكل شي
لكن في النوازل يتوجه وجهين لا يجب القطع عليه في الارادة الا ان يجي ما يوجب الاحاطة وقد عمل به الخلق
على الاختلاف والله اعلم ووجه آخر من التاويل انه يحتمل وجوها لا يسع الكل في حق العمل وفي حق الشهادة لكنها
لاحد المعنيين فان كان ذلك في حق العمل يجب طلب دليله ويكون الدليل على وجهين احدهما ان يوجب على حق العمل
والشهادة جميعا والآخر ان يوجب حق العمل خاصة وقد بينا ذلك وان كان في حق الشهادة فيجب الوقف في تحقيق
المراد والتسليم لله حتى يظهر وذلك في حق اضافة الاستواء الى الله تعالى على العرش والقول بالرؤية حيث ثبت
ما به يرى على الاشارة اليه لا بالاحاطة ونحو ذلك من الامور والله اعلم ووجه آخر ان يكون احتمال وجوهها انما يكون
بمقدمات فيختلف على اختلاف تلك المقدمات فلا يجوز تاويل تلك الا بمعرفة المقدمة اذا لم يكن فيها غير معرفة
الموقع من المقدمة نحو قوله تعالى فاذا فرغت فانصب لم يكن لاحد تاويل واحد من الوجهين حتى يعلم بالسمع
انه فيم كان مشغولا وقوله تعالى فلينظر ايها ازكى طعاما لم يكن لاحد طلب مراد قايله او تاويل مراده ولا يظفر به
الا بالوحي ولا قوة الا بالله والقول في حقه الحال يتبين ما كان في حق الشهادة فلازم الوقف فيه حتى يظهر
وما كان في حق العمل فان كان في نوع ما يحتمل الاحتياط فحقه القيام به حتى يظهر دليل التوسيع ودليل التوسيع
على الوجهين الذين ذكرت وان كان فيما لا يحتمل الاحتياط فحقه التوقف حتى يظهر والله اعلم ولا يخلو شي
الا احد الوجهين به حاجة من دليل يكون له وقوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها اي غير جلود النضيجة كقوله تعالى
انا لفي خلق جديد اي نجدد ما قد فني وكذلك عيد ما قد كان من الجلود قبل النضج جديدا في راي العين ثم حيث
صار الاول نضيجا لا انه كان هذا غير الاول بل هو الاول غير نضيج اذ ذلك نعت الاول وتعذيب ما كان
ارتكب المعصية لان التعذيب في الحقيقة على غير الذي اثم فيه وقال قايلون الجلود والعظام ونحو ذلك
لم يكن عصت ولا اطاعت بل استعملت قهرا وجبرا لا انها عملت طوعا لكن الذي عملت والذي استعملها في الحسد به
يثاب الله ويثاب لم هو المعذب والمثاب بما صور من الجسد الا ترى ان اجساد اهل الجنة تزداد الحسن والجمال

وجعل لاهله حد لا يزداد ولا ينتقص واجساد اهل النار مشوهة قبيحة ليكون لهم في التقبيح عقوبة
وللاولى بالمحسنين ثواب فكانت فيها احوال الجزاء لم يكن للاعمال فثبتان المثاب والمعاقب ماذكرت لكنه
يتالم ويتلذذ فجعلت على ما بها تمام اللذة من الاجساد لا على اعادة انفس تلك الاجساد بل على التجديد كما ذكره
القرآن وكذلك المقطوع بعض الاعضاء في حال الكفر اذا اسلم يبعث سليما لا كذلك ومثله في حال الاسلام
لو اريد لم يرفع عنه الم ذلك فدل الذى ذكرت على حق تجدد الثانى على ماشاء الله والذى به كان المائم والمبتز
على ما قد كان والله اعلم وكلمذهب الاول ان الجزاء هو لما يختم عليه اذ لو كان اسلام لتمنى لنفسه احسن
الاحوال واسلم البنية ليستعملها بالخيرات وجب ذلك ابطال جميع السيئات كانت بجوارح ذهبت او بقيت وكذلك
من اختار الكفر فقد آثره واختاره ان يكون على ذلك وان سلمت جوارحه وتمت فلزمه حكم احتياط جميع ما تقدم
بكل فايت منه وباق وفى الاول استوجب جعل جميع ما تقدم منه بالفايت والباقى حسنات لما ندم عن الكل
بكل الجوارح فلحق حكم تبديل السيئات بالحسنات في الكل فيكون على حكم اعادة الاولى بحق التجديد في المعنى
والله اعلم بحق قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم وقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الاية
وفى الاعادة كقوله تعالى من يعيدنا الاية وقوله عز وجل اءنا لفى خلق جديد الاية وغير ذلك من ايات البعث
والله اعلم وقال قايلون الواجب من العقوبة للكفر وغيره بحكم التبع له وكذلك الثواب الواجب عند الايمان
ولغيره بحكم التبع بل به قام والاول به سقطت عنه مشية العفو فصار الذى به الجزاء خاصا وغيره بحكم
التبع يزداد وينتقص فعلى ذلك امر الجزاء والتجديد والاعادة وكل ذلك الذى هو بحق التبع والاتباع
فى الشاهد بحيث داعين الافعال ولا يدوم والاعتقاد في الامرين يدوم فعلى ذلك امر الجزاء لذلك
والله الموفق ولهذا الوجه ما يبطل الجنود لما سوى الكفر اذ في ذلك ابطال الجزاء والدايم من حيث الافعال
وادامة الجزاء المنقطع من حيث الافعال فيكون فيه زيادة في العقوبة على المثل والله يقول لا يجزى
الا مثلها والله الموفق ثم اختلف في المبعوث انه يبعث بجسده او يبعث الروحانى منه سمته بعض الفلاسفة
نفسا وبعضهم جوهرا روحانيا وبعضهم بسيطا فان كان جسد فيه روحانى فيه حياته ومنافعه وجسده له
كالمنافع عن جميع ما يحتمل من الاحوال اذ الجوهر الروحانى لطيف ينفذ في الاشياء ويتخلل بالحايس يبين ذلك
امر النايم ان النفس تخرج لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وهى بما يسكن الجوارح وينقطع عنها الم الجسد
يرجع الى الحصة جوهره فيرا ما يطوف في البلاد النايية وفى الامكنة العلوية حتى لا يصفها ارض ولا سماء ياتى
بالاخبار عنها كانها شاهدة اما ماكان ذلك علها بالجوهر حيث يكون من النفاذ اذ لم يحبس وهى بالجوهر تخرج
فيعمل ذلك وهى تسمع وتبصر وتعقل في المنام كانها بالجسد كذلك فدل ان العمل في حال اليقظة وماله الجزاء
لها فعلى ذلك امر الجزاء وعلى ذلك جميع الجواهر التى بها الاغذية والحيوة ليست باعين تلك الاشياء ولكن
بما جعل فيها من الروحانى وهى القوى التى تظهر في البدن الى كل اجزاء البدن فتقوى وتصح فيه
بحيوة روحه ويزول عنه الافات وكذلك عن السمع والبصر والعقل وكل شيء ثم تلك انتقاله فعلى ذلك
امر المعاد من الجزاء فهو على ذلك وكذلك الثواب يكون من كل موعود مما يعرف في الشاهد بحسك يرجع
الى الرؤية التى هى روح في الجسد الا ترى انه لا يبقى في الاخرة بالاكل الاجساد التى تلتق وهى لا اثقال التى
تفضل في الجسد ويخرج عنها جميع ما فيها من الاقوية والروح فثبت ان الامر يرجع الى ما ذكرت وهذا معنى قوله
عليه السلام ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان ذلك الجوهر لا تراه العين ولا تسمعه
الاذن في الشاهد ولا يخطر على القلب ويكون لذة ذلك روحانى لا هذه لذة الحياة بحيوتها السمع والبصر
وكل باطن في الجوهر ولذة الاجساد انما يكون باللهاة في الطعم وبالعين في اللون وهذا النوع فيذهب هنا
ويكون الاول وعلى ذلك يذهب العبادات الجسدانية وتبقى الروحانية من الحمد والثناء والتعظيم والهيبة

والمعرفة ونحو ذلك يبقى ابدا بل يزداد لما يذهب عنها الحواجب من الجسدانى وعلى ذلك يبطل تقدير الرؤية وابطاله
بما عليه امر الشاهد لذهاب ما به كونها في الشاهد ورجوع الامر الى ما يحاط به على سقوط الحواجب والله اختلف
من ذكرت في امر البعث فمنهم من لا يرى على ما جاء في الجسد من الروحانى فناء والبعث هو اسقاط الاجساد وخروج
ما فيها من الروحانى بصورها ومنهم من يقول يفنى ويعاد على حالها ومعلوم ان ذكر الجديد لا يحتمل بلا ذهاب
الاصل وذكر الاعادة بلا قوته وقال من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة وجعل النشاة الاولى دلالة للاخرى
وليس شواجرى بل هى الاولى والاولى هى على ما تزعمون غير معهودة عند المنكرين فحتج عليهم بها بل يجب انهم عرفوا
الاولى او لا ثم يساعدون على نفى البعث ويلزمون الالحاد والدهرية ومنكرى البعث يقولون في جميع العالم بالظهور
بعد الكون وبالكون في الاصول بالقوة ثم الظهور بالفعل فكيف ينكرون البعث فيحتج عليهم بالخلق الاول والله اعلم
وقال قوم بالبعث بالاجساد على ما كانت لكنها كانت في الدنيا منشاة للفناء مشتمل عليها اثار الفناء ويحيط
اعلام الهلاك ومن آفات كلها وسواتر يحجبن عن اعمال لطايف الجواهر وعن ادراك روحانيتها والالهى
كما وصفهم الله تعالى انه خلقهم في احسن تقويم وكرمهم باقوم جوهر واكمل اسر واتقن خلقة فاذا وقعت
عليهم الافات واعيدوا للبقاء فيزول عنهم جميع الظلمات التى هن حواجب وسواتر لهم على الاحاطة
بحقايق الاشياء وبواطنها وعلى شكلهم ينشاء الاجساد المجعولة جزاء لهم فيلحقون بجميع اللطايف
جسدا بما فيها من الجواهر الروحانى نفيس همته في اللطف كذلك الجواهر وهى لما تنقل الى اللطف من ذلك وانورهم
كالارواح فيتصلون على الروحانيين باجساد فيها معانيها من اللطافة والنفاذ في الامور التى هى كالروحانيين
في التمثيل وما فيهم حق الروحانيين الظفر عن ذلك بارتفاع آثار الفناء عنها وحق وجهها من ان يعمل
فيها الفساد وعلى ذلك اجساد الجزاء فانها تخرج عن الآفات وتمتنع عن الفساد ويصير اجسادها في الطيب
والصفا كالروحانى وما فيها من الروحانى يبقى فيها على كل حال لا يفنى والاصل فيه ان الجزاء الحق الشهوات
واللذات لا بحق الاغذية وحياة اجساد المستقنعين بها فتكون هى بجسدها وسببها واحدة وبقايا الاجساد
لها احق من بقاء الروحانى في هذا العالم من طريق الاعتبار لان الذى له حق الروحانى في الشاهد به البقاء
والغذاء والحيوة لما يدفع بها الآفات العارضة في الارواح من جهة القوالب التى تضعف وتقوى وفى الاخرة
لا يعترض الآفات يحتاج فيها الى الاغذية وانما ينال او فق بما جاء من جهة السمع وما عليه الاعتبار فاما جهة
السمع فان الله عز وجل ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم الاية وقال اذا كنا عظاما ورفاتا الاية وقال
عز وجل من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة الاية وغير ذلك مما حاج به منكرى
البعث والاشكال كان لهم في الاجساد وفيها جرت المحاجات لذلك كانت هى اولى في الاعتبار مما كانت الاشيا
اللطيفة التى لا تمس ولا تحس في التجديد لم يكن بحيث احتمال الانكار لوجودهم في كل حال نحو العقول تذهب
باسباب ثم تعود وكذلك العلوم والسمع والبصر ونحو ذلك ثم الحسيات اللطايف نحو الليل والنهار والنور
والظلمة والظل ونحو ذلك يرون الفنا والعود في كل حين لا ينكرون هذا النوع ليحاجوا بالذى ذكروا هذا
فلذلك كان القول بالاجساد احق والله اعلم والاعتبار ان الله سبحانه وتعالى انشاء هذا الخلق على ما يتلذذون
ويتالمون ليكون ذلك علما للترغيب والترهيب بالموعود وما يحل من الآفات واضدادها في الروحانى في الجسد
يكون له سرور وحزن لا يتالم ويتلذذ وقد جرى الوعد بالمولم والملذ وكذلك حكمة خلق الجسد على ذلك
بما يتحقق العلم بالمرغب والمرهب من الموعود على ان السرور والغموم ليسا بحيث يرغب فيهما او يزهد
الا من حيث يالم الجسد ويتلذذ بل يكون فيه الامران يسر ويحزن فلذلك كان القول بالاجساد احق
من طريق التقدير على ما جرى به حق السمع والعقل والله اعلم بحقيقة ذلك وبيده الملك يكرم من شاء
فضلا منه ويهين من شاء بما شاء عدلا منه والله الموفق وقوله عز وجل فمنهم من آمن به بما انزل على محمد

صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود ومنهم من صد عنه قال فمنهم من آمن به يعني بالكتاب الذي اعطى
ابراهيم ومنهم من صد عنه يعني من ابراهيم عليه السلام وقوله عز وجل وكفى بجهنم سعيرا كان جهنم
والله اعلم معظم النار وجميع دركاتها والسعير هو التهابها وتوقدها كقوله تعالى عز وجل وان جهنم لموعدهم
اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ويحتمل قوله وكفى بجهنم سعيرا اي عذابا والله اعلم
وكفى بجهنم اي بالتهاب جهنم التهابا اذ السعير الالتهاب والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين كفروا باياتنا
يحتمل الايات اعلام الدين وآثاره ويحتمل الايات الربوبية له ويحتمل الايات اعلام رسالة الرسول صلى الله
عليه وسلم فيكون الكفر بها كفرا بالله وقوله تعالى سوف نصليهم نارا قيل نصليهم نشويهم يقال شاة مصلية
اي مشوية وقوله عز وجل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
اي جددنا لهم جلودا غيرها ليزداد والتهابا وايقادا من غير ان يسكن الم العذاب فهو من حيث التجديد
غير لان الاولى قد احترقت ونضجت ومن حيث انها غير نفسها هي الاولى الا ترى ما يقال تبدل فلان فانما يقال من حيث
تغيره من لون الى لون لا ان كانت تحولت نفسه وتبدل من حال الى حال فعلى ذلك قوله بدلناهم جلودا غيرها
هي من حيث التجديد غير ومن حيث العين انها تلك بعينها واحد وعلى ذلك البعث بعد الموت والانشاء هو من حيث
التجديد غير حيث تفانوا وذهبت آثارهم ومن حيث الاعادة الى الحالة الاولى هم بانفسهم ليسوا بغير وعلى ذلك
قد سمي البعث خلق جديد وان كان بعثا لا ولئن المعنى ثم تكلموا في قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها قالوا
كيف كان ان يعذب جلودا لا ماثم فيها وانما الماثم في الجلود التي احترقت ونضجت وقالوا ايضا فيمن قطع يده
وهو كافر ثم اسلم فمات على الاسلام ما حال اليد المقطوعة تعذب في النار وتكون مع النفس في الجنة
وفيمن قطعت يده وهو مسلم ثم كفر ومات على كفره تلحق النفس وتكون في الجنة فالجواب لهذا كله ان الجوارح
والاعضاء ليست تعمل بما تعمل بالاختيار والطوع ولكنها كالمكروهات والمقهورات في العمل الا ترى ان الاكراه
عليها يوجب تحويل الفعل منها الى المكره فيجعل كان المكره هو الذي قد فعل ذلك في حق الضمان فهذا يدل
ان هذه الجوارح كالمكروهات والمقهورات لحقنا ان النفس حيث كانت ثم معلوما ان من اسلم في آخر عمره يتمنى
سلامة جوارحه التي كانت ذهبت عنه ليعمل بها في طلب مرضاة ربه تعالى وكذلك من كفر بعد الاسلام يتمنى
سلامة جوارحه يستعملها فيما اختاره من الدين فاذا كان كذلك لحقنا النفس حيث كانت في طاعتها ومعصيتها
وقالت فرقة من الملحدة ان الثواب في الاخرة لا يكون لهذه النفس التي تاكل وتشرب وتعمل كلها تعمل ولكن انما يكون
للروحاني الذي جوهرها جوهر النور ولكن هذه النفس ممتحنة في الدنيا بالاكل والشرب مشوبة بالآفات والعيوب
فاذا صفت عن الآفات وتنزهت عن العيوب التي بها امتحنت صارت اهلا للثواب العظيم ومحلا للجزاء الجزيل وبالله
العصمة والنجاة وقوله عز وجل ليذوقوا العذاب اما ذوق الطعام والشراب يكون بالفم ليعرف طعمه ولذته
واما ذوق العذاب فانما يكون بكل جارحة منه ليجد الم ذلك في جميع الجوارح والله اعلم الذوق في العرف جعل
ليعرف الطعم يلقب به كل شيء يعرف يقال لفلان ذوق في امر كذا اي بصر ومعرفة وقوله عز وجل ان الله عزيزا حكيما
قيل العزيز هو ما يتعزز وجوده في الشاهد وقيل هو عزيز لا يعجز فهو عزيز لما لا يوجد في الاوهام ولا يدرك
بالاوهام وقيل العزيز المنتقم وقد ذكر في غير موضع وقوله عز وجل والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم ازواج مطهرة من الآفات والعيوب ليس كازواج الدنيا
ونسائها وقوله عز وجل وندخلهم ظلا ظليلا لا تنسخه الشمس ولا اذى فيه لان الشمس فيها منافع للناس
واذى وكذلك القمر فيه اذى وان كان فيه منافع والظلمة كذلك فيها منافع واذى واما الظل نفسه فليس فيه
اذى على كل حال فان كان فهو من زمان لا للظل بنفسه فاخبر عز وجل انه يدخلهم الظل الذي فيما دنى الشمس
ولا اذى الظلمة ولا اذى الزمان ليس كظل الدنيا مشوب باذى غيره والله اعلم وذلك تأويل الظليل انه ظله

عن جميع المؤذيات والله اعلم وقوله عز وجل ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قيل لما فتح الله مكة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس رضي الله عنه يا رسول الله لو جعلت السقاية والحجابة فينا
فاخذ مفاتيح الكعبة من ولد شيبة فدفعها الى العباس فانزل الله تعالى هذه الاية فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
مفاتيح الكعبة فردها الى ولد شيبة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم ان الله تعالى يحب ان يرزأ ولا يرزأ شيئا
وقيل انها نزلت في الامراء في الفيء الذي استأمنهم على جمعها وقسمتها والصدقات التي استأمنهم على جمعها وقسمتها والاية
يجب ان تكون نازلة في كل امانة اؤتمن المرء فيها من نحو ما كان فيما بينه وبين ربه وما كان فيما بين الخلق اما ما كان
فيما بينه وبين ربه من نحو العبادات التي امر المرء بادائها ومن نحو تعليم العلم الذي رزقه الله تعالى كقوله سبحانه
وتعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض الاية وكقوله تعالى كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الاية وكقوله تعالى
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل كل ذلك امانة يدخل في قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
وكذلك كل امانة يؤتمن المرء عليها تدخل في ذلك ذكر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ادي الامانة الى
الى من ائتمنك عليها ولا تخن من خانك ومن قال نزلت في الامراء استدل بقوله تعالى ان تحكموا بالعدل لان الحكم
الى الامراء وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قال هي مبهمة المؤمن والكافر
فيه سواء وقوله عز وجل ان الله نعما يعظكم به من الحكومة بالعدل واداء الامانات الى اهلها ان الله كان سميعا بصيرا
يحتمل مجيبا لمن دعاه وسأل كقوله عز وجل واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
يجيب لمن استجاب به وادى الامانة ويحتمل سميعا بصيرا اي لا يخفى عليه شيء واختلف اهل العلم في العارية اذا ضاعت
قال اصحابنا رحمهم الله لا شيء عليه وقال غيرهم عليه الضمان ولاصحابنا رحمهم الله في ذلك عدة الحجج
احدها ان المستعير ان لبس القميص او ركب الدابة وحمل عليها ما اذن له في حمله عليها واصابها في ذلك
نقصان في قيمتها فلا شيء عليه فاذا لم يكن عليه ضمان فيما وقع بها من القصور والنقص بفعله ولبسه
وركوبه فلا يجب عليه ضمان ما هلك منها بغير فعله والثاني ما روي عن ابن الحنفية عن علي رضي الله عنه
قال العارية ليس ببيع ولا مضمونة انما هي معروف الا ان يخالف وروي عن الحسن قال اذا خالف
صاحب العارية ضمن واحتج من خالف اصحابنا في ذلك بحديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
على اليد ما اخذت حتى ترده فالحديث يحتمل معنيين احدهما ان يقال معناه على اليد ان ترد ما اخذت
اذا كان قائما عليها ردها الا ترى ان الوديعة لا تضمن اذا تلفت وعليه ان يردها اذا كانت قائمة فالعارية
مثلها والثاني ان يحتمل معنى ذلك في الغصب واشباهه فعلى الغاصب ان يرده قائما او تالفا ولا يدخل
في عموم الخبر العارية الا ترى ان الوديعة لم تدخل فيه وان كان فيه اخذ واحتجوا ايضا بحديث صفوان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان يوم حنين درعا فقال اغصب يا محمد فقال بل عارية
مضمونة وروي في خبر آخر ان صفوان هرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يريد حنينا فقال يا صفوان
هل عندك من سلاح قال عارية او غصبا قال بل عارية فاعاره ولم يذكر فيه الضمان فهو عندنا ان ثبت خبر
صفوان مضمونة الرد على المستعير رد العارية ليس كالوديعة لان الوديعة ما لم يطلب صاحبها لم يرد
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤيد قولنا وهو قوله العارية مؤداة وقوله عز وجل واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل وقال الله عز وجل ان الله يأمر بالعدل والاحسان فمن ولي امرا او حكما
فيما بين الناس فقد ولي الامانة يجب ان يؤديها الى اهلها وعلى ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ما من احد يكون على شيء من هذه الامور قلت او كثرت فلا يعدل فيهم الا كبه الله
في النار ونحو خبر آخر ايما امرئ ولي من امر الناس شيئا لم يحطهم مثل ما يحوط به نفسه واهله لم يرح
رائحة الجنة يوم القيامة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان من احب الناس الي واقربهم مجلسا مني يوم القيامة امام عادل وان ابغض الناس الي يوم القيامة واشدهم
عذابا امام جاير وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان قيل كيف
خص الله تعالى المؤمنين بالخطاب بالطاعة له وطاعة الرسول والامر بها يعم المؤمن والكافر جميعا قيل
بوجوه ثلاثة احدها ان من عادة الملوك انهم اذا خاطبوا بشيء انما يخاطبون اهل الشرف والمجد ومن كان
اسمع لخطابهم واعظم لقولهم كقوله تعالى عز وجل يا ايها الملاء افتوني في امري وقال سليمان يا ايها الملاء ايكم
ياتيني بعرشها يخاطبون ابدا اهل الشرف والمجد ومن هو اقبل لقولهم واطوع لامرهم فعلى ذلك خاطب الله
المؤمنين وامرهم ان يطيعوه ويطيعوا رسوله وان كان الخطاب بذلك يعمهم والثاني يحتمل ان يكون الخطاب
بذلك للمؤمنين خاصة لان الكافر انما يخاطب باعتقاد الطاعة له اولا فان اجاب الى ذلك فعند ذلك
يخاطب بغيره والمؤمن قد اعتقد طاعة ربه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لذلك خرج الخطاب منه
للمؤمنين خاصة والله اعلم ويحتمل ان يكون تخصيص الخطاب للمؤمنين لما امر بطاعة اولي الامر ليعلم انه انما امر
بطاعة اولي الامر اذا كانوا مؤمنين والله اعلم فيه دلالة انه لا تجوز الطاعة لغير الله لان كل من عمل بامر آخر فقد اطاعه
هو الايتمار للامر واما العباده فهو اخلاص الشي بكليته لله عز وجل حقيقة اذ الاشياء كلها لله بكليتها حقيقة
ليس لاحد سواه لذلك لم يجز ان يعبد غير الله تعالى وقد يجوز ان يطاع غيره لما ذكرنا ان الطاعة هي الايتمار
بالامر وليس العبادة كذلك لذلك افترقا ثم طاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم تكون طاعة لله لانه
بامره يطاع وفي طاعتهم له طاعته ثم قيل قوله تعالى اطيعوا الله في فرايضه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
في سنته وقيل اطيعوا الله فيما امركم ونهاكم في كتابه واطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما امركم ونهاكم
في سنته ثم اختلف في اولي الامر قيل هم امراء السرايا وقيل هم العلماء والفقهاء وقيل هم اهل الخير ويحتمل
اولي الامر الذين يولون السرايا فكيف ما كان ومن كان ففيه الدلالة ان لا يولي الا من له العلم والبصر في ذلك امراء
السرايا كانوا او غيرهم لانه عز وجل امر بطاعتهم ولا يؤمر بطاعة الا بعلم وبصر يكون له في ذلك والاية
التي تقدمت وهو قوله سبحانه وتعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل يدل على ان اولي الامر لانه تعالى
امر الحكام في الاية الاولى بالعدل وامر الرعية بالسمع لهم والطاعة فيما يحكمون ويامرون والله اعلم الا ترى انه
روي في الخبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا ايها الناس اسمعوا واطيعوا وان امر عليكم حبشي
مجدع فاسمعوا له واطيعوا ما اقام فيكم كتاب الله عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فمن امر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة
ويعد هذه الاية التي تليها تدل على ان اولي الامر هم الفقهاء وهو قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول والتنازع يكون بين العلماء فكانه والله اعلم امر في آية اولي الامر بطاعتهم وامر اولي الفقه برد
ما يختلفون فيه الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والاية تحتمل المعنيين والله اعلم
ان على العامة طاعة امرائهم في احكامهم وعليهم اتباع علمائهم في فتواهم يبين ذلك قول الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الاية فلو لم يجب على قومهم قبول قول علمائهم ما وجب عليهم انذار قومهم
وفي هذه الاية دليل على ابطال قول الرافضة في الامامة لان الله تعالى قال اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فليس يخلوا اولوا الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يكون الامراء والفقهاء او الامام الذي
تدعيه الرافضة فان كان المعني به اولي الامر الفقهاء والامراء ففيه ابطال قول الرافضة انه الامام
الذي تصفونه ومحال ان يكون ذلك هو الامام الذي يذكرونه لانه قال الله عز وجل فان تنازعتم في شيء
فردوه الى الله والرسول وذلك الامام عندهم طاعته مفترضة وهم بين اظهر المتنازعين عندهم
ومخالفته كفر في مذهبهم فلو كان ذلك كذلك لقال والله اعلم فردوه الى الامام فان من خالفه فقد كفر

ولكنه تعالى عز وجل امر برد المتنازع الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فدل
على ان قول احد لا يقوم في الحجة مقام قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله عز وجل فان تنازعتم في شيء
فردوه الى الله والرسول قيل الى الله اي الى كتاب الله تعالى والى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان حيا
فلما مات فالى سنته استدل قوم بهذه الاية على ابطال الاجتهاد وترك القول الا بما يوجد في كتاب الله تعالى
او في سنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم نصا ويقولون فنكل امره الى الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه
افضل الصلوات واكمل التحيات وليس ذلك عندنا والاية تحتمل وجهين احدهما ان يحمل تاويلها
على ان التنازع اذا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب ان يرد اليه عليه الصلوة والسلام
ونسال عن ذلك ولا نستعمل في الحادثة الاجتهاد ولا النظر واما ما كان من التنازع بعد وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان حكم الحادثة يطلب في كتاب الله او في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع
المسلمين فان وجد الحكم في احدهم بينا والا قيل بالاجتهاد والوجه الثاني ان يكون المجتهد اذا ما اجتهد فيه
الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول وجدت في الكتاب او في السنة كذا وكذا وهذه
الحادثة تشبه هذا الحكم فحكمها حكمه ويكون رد الحكم الحادثة الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذ يشبهها بما وجد من الحكم فيهما واذا كان ما وصفنا من تاويل محتملا فلا حجة لهم علينا في ذلك
والله المستعان وفي الاية دلالة تجعل الاجماع حجة وهو قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
الا ترى انه انما امر بالرد الى الله والرسول صلى الله عليه وسلم عند التنازع لم يامر عند الاجماع دل انه اذا كان
ثم اجماع لا تنازع فيه لم يجب الرد الى ما اودع في الكتاب وفي السنة وفي الاية دلالة انه يدرك بالطلب
المودع فيه لانه لو لم يدرك وليس ذلك فيه لم يكن للرد الى ذلك معنى الا ترى انه قال الله سبحانه لعلمه الذين
يستنبطونه منهم فانما يستنبط ما فيه قد لان كل حكم الحوادث مذكور في هذين في الكتاب والسنة لو لم يكن
الفرع عند النظر والطلب لكان لا يفيد الامر بالرد اليهما معنى ثم لا يجد نصوص في كل ما يبتلى ثبت انه مطلوب
وهو يدل على لزوم البحث في استخراج المودع من المنصوص والله اعلم وفي قوله ايضا يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول الاية تخصيص المؤمنين على اشتراك الجميع في اللزوم يخرج على وجوه احدها على مخاطبة
الاشراف والنجباء وعلى ذلك امر الملوك في الامور يريدون اشتراك الرعية واهل المملكة في ذلك كقوله
سبحانه وتعالى قالت يا ايها الملاء وقال سليمان عليه الصلوة والسلام يا ايها الملاء وقال فرعون للملاء وقال
اذهب الى فرعون وملائه ونحو ذلك فمثله الذي نحن فيه والله اعلم والثاني انهم مما قد عرفوا الامور والمناهي
فقيل لهم اطيعوا الله وما ذكروا علموا انهم فيمن امروا به ونهوا عنه ولم يكن من الكفرة علم بالذي يوجهون
الامر اليهم فلذلك خص من ذكر والله اعلم والثالث ان الكفرة قد انكرت المعبود والرسول فجرى الخطاب
فيمن ثبت لهم المعرفة بذلك مع ما يحتمل ان يكون في هذا الخطاب في الشرايع وهي غير لازمة للكفرة فلذلك
كان على ما ذكرت والرابع ما دخل في الخطاب اولي الامر منا ولا يلزمهم طاعتهم لذلك خص المؤمنين وكان المقصود
بالاية بيان طاعة اولي الامر منا والا كانت طاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان
ايمانهم قد ثبت ولكن جمعت طاعة من ذكر ليعلم ان قد يكون بطاعة اولي الامر طاعة الله والله الموفق
ومما يبين الذي ذكرت ان الكل حين عرف الاله عرف ان عليه طاعته بما عرف اسمه الذي سمته العرب كل معبود
الها فمن عرف منهم الاله عرف انه معبود ثم عرف ماله عنده من الايادي وعليه من النعم على ان عليه شكره
وطاعته به ثم من عرف الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عرف ان طاعته هو طاعة الله لانه اليه يدعو
ومن امره ونهيه يامر وينهى اذ هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منه الى الخلق وليس من عرف الله
وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف ان عليه طاعة اولي الامر بما لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

فبين الله تعالى ذلك فى هذه الاية ليعلموا ان طاعتهم هى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك
هو الدليل على جعل الاجماع حجة وان متبعهم هو مطيع الله تعالى اذ صير الله طاعتهم طاعته وهم فى ذلك
الاجماع وعلى ما ذكرت من شان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الاية صير الواجد حرجا مما قضى واجدا حرجا من قضاء الله تعالى فى نفى حكم
الايمان وعلى ذلك قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اى يكون عليهم طاعته بامر الله تعالى
اذ هى طاعة الله او لا يكون طاعته طاعة الله باذنه وبامره والله الموفق ثم اختلف فى اولى الامر ومعلوم
انهم هم الذين اليهم يرجع تدبير امور الدين وعن ارائهم يصدر وهم الذين تضمنتهم اية ارجوا ان يكون
فيها الكفاية فى تعريف المقصود بها وهو قوله عز وجل ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم فجعل اولى الامر من عندهم علم الاستنباط وشهد لهم بالعلم فيما رد اليهم
فثبت انهم الفقهاء المعروفون بالاستنباط ورعاية امور الدين وفى هذا ايضا دلالة على اصابتهم فيما اجمعوا
عليه اذ شهد لهم فى الجملة بالعلم وعلى ذلك قوله تعالى كنتم خير امة الاية وقوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا الاية ثم كانت الشهادات والامر والنهى فعلا بهما ثبات الامر فى ذلك ينصرف الى العلماء وانهم
اذا اجتمعوا على شئ بالامر والنهى يكون اجماعا لان ذلك كذلك عند الله تعالى ويجوز شهادتهم على جميع العوام
ومن تاخر عنهم ومن ذلك كان عند اولئك الخاص على ذلك اذا لم يغير ولا شهد وا فى ذلك بغيره وامراء السرايا
لو كانوا اهل البصر فى الامر مع العلم بالشرع والفتيا يلزم فيهم ذلك لانهم صيروا فى الباب اهل الامر
وايد الاول انهم العلماء قوله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والى الرسول ومعلوم ان على العوام
الذى لا اشكال والحاجة الرد الى اولى الامر بما ذكرت من الاية فثبت ان هذا فى تنازع العلماء وهو يوضح ابطال
قول الروافض فى جعل اولى الامر امامهم وابطال قول من يجعل اولى الامر امير او نحوه وانما هم العلماء فى كل نوع
حتى تمكن فيهم التنازع وامامهم واحد لا معنى للتنازع فيهم والتنازع انما يكون عن تدبر وبحث ونظر
ولا معنى فى ذلك للعوام الذين لا يعرفون الاصول والفروع والله الموفق ثم اختلف فى تاويل قوله تعالى
فردوه الى الله والرسول فقال قوم كانه قيل كلوا الامر فيه الى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم
ولا تجتهدوا فيه كقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله تعالى ولان الاختلاف كان على تاويل الكتاب
والسنة فكيف يطلب من بعد فيهما وبعدا لطلب حدث التنازع وقال قوم الاختلاف يقع فى التاويل يقول عز وجل
فردوه الى الله والرسول الى ظاهر ذلك ولا تتاولوا فتختلفوا اذ الاول كان على التاويل وقال قوم هذا كان
فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ يظهر فى ذلك نص الحكم والحق فى ذلك فيكون الامر الذى
يتنازع فيه اولوا الامر لم يجز لاحد العمل الا بالبيان ولهم وجه الوصول الى البيان فى الحقيقة فامروا بذلك
مع كان يجوز ان يكون التنازع فى وقت لم يفرغ عن بيان جميع ما بالخلق اليه حاجة بالكفاية اذ كان ذلك
الوقت وقت حدوث الشرائع ووقت احتمال التناسخ وتبديل الاحكام فاذا وقع التنازع للمجتهدين فلهم
مع اشكال التنازع شبهة احتمال ان اصله لم ينزل وان الذى يتضمن حكمه من النصوص لم يبلغهم فى ذلك فيجب فى ذلك
الرد الى الله سبحانه وتعالى بالرد الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واما بعده فقد فرغ من جميع اصول الحوادث التى
يعلم الله سبحانه وتعالى انها تقع بيان كفاية اذ لو لم يبين ذلك القدر ليبقى تنازع لا ارتفاع له ولا يجوز الحكم
ولكان لا يعلم الحادث الذى له اصل يطلب ذلك وفى ذلك تمكين المعنى الذى يخرج الى الرسالة مما قد تكلم جميع
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ومن بعدهم الى اليوم فى الحوادث من غير ان يظهر عن احد قول بان هذا
هو مما لم ينزل له الاصل فصار ذلك اجماعا فى بيان اصول كل حادث فيجب طلبه فى الاصول والله اعلم والاصل انه
فيما يوكل الى احد يوكل الى من يعلم الحكم وبمالك ظهار فلو كان للتنازع يجب الرد الى الله تعالى ويترك الحكم فى ذلك

بالاجتهاد

بالاجتهاد فاذا بطل ان يكون فى الرد اليه علم بحكمه الا الوقت الذى لا يحتاج الى الحكم وهو يوم القيامة على انه معلوم
لو كان يرده الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكان لا يدعهم على ما هو عليه من التنازع الذى هو اصل
كل شئ وفساد فعلى ذلك فيما يرد الى الله سبحانه وتعالى واذ اعلم عز وجل الجميع النوازل وجميع ما بالخلق اليه حاجة
فصارت النوازل كلها مردودات اليه فيجب ان يكون نحكم فيها اذ قال الله عز وجل فحكمه الى الله تعالى واذا لم يحكم فيها لم يصر الحكم
اليه بل لا حكم فيه الى الله تعالى فلما وجب بالذى ذكرنا ان يكون مما تضمنه البيان لزم الاجتهاد ثم لو كان للحق
عند التنازع الظاهر دون ان يطلب على اصح التاويلات دليل لكان لا يجوز التنازع ان يقع لان الظاهر
قد كان فى ايديهم وهو حجة لا يحتمل ان يتركه احد الا بالدليل لو كان حجة وكان قد قام الدليل على لزوم العدول
على الظاهر بتاويل جميع اولى الامر فى ذلك فثبت ان دليل ذلك مطلوب يوجد ويتفقون عليه انا انصفوا
وانعموا النظر واعرضوا عن حسن الظن تفريق من الامة على ان الذى يقوله هولاء يقتضى احكام الحوادث كلها
بيقين فثبت ان احكامهم مودعات فى النصوص فصرن متعلقات بالمعانى لا بالظواهر ثم الاصل ان العمل
بالظواهر فى محتمل المعانى ومختلف التاويلات مما فيه التنازع فى الامة وللتنازع امر بالرد فبعيد ان يرد
الى ما لم يثبت صحته بل فى الظاهر وجه فى ظاهر الاسم باللسان او الظاهر من التفاهم فى المعتاد نحو القول
بان اغسلوا وجوهكم انه باى شئ غسل يستحق اسم الغسل فى اللغة لكن لما يغسل به عادة فى الاستعمال اليه
ينصرف الخطاب ويصير الظاهر فى المعتاد به اولى من الظاهر فى اللسان ويكون فى ذلك منع الذى ذكر حتى
يوضحه دليل او يعلم انه المعتاد فيكون ذلك دليلا والله اعلم ثم لا يحتمل التنازع فيما فيه المعتاد من التفاهم
والعدول عنه الا بدليل فيجب القول لمن عدل ان كان عنه دليل فيكون بما يوجب العمل منع والله اعلم ثم قيل
فى قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول باوجه ثلاثة اطيعوا الله تعالى فيما امر والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
فيما بلغ واطيعوا الله فيما فرض والرسول فيما سن واطيعوا الله تعالى عز وجل فيما انزل ونص والرسول
فيما بين والاصل فى معهود اللسان ان الطاعة تكون فى الايتمار فرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مطاع
فى جميع ما امر لازم طاعته فى ذلك وامره اذا ثبت انه امره هو امر الله تعالى عز وجل وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم طاعة الله عز وجل ولذلك يجب به ظهور الخصوص والعموم والتناسخ جميعا وبه تبيين الفرض والادب
وكل نوع وما يظهر بنامه تعالى ظهر على لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا كان او تنزيلا فالتقسيم بين الذى
لله عز وجل والذى لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوجب الشبهة وتوهم الاختلاف جل الله عز وجل ان يبعث
رسولا يخالفه وبالله المعونة والتوفيق **وقوله** عز وجل ذلك خير واحسن تاويلا يحتمل قوله عز وجل ذلك خير
اى ذلك الرجوع الى ما ذكر ويحتمل ذلك خير اى الايتلاف فيما امكن فيه خير من الاختلاف واحد **وقوله**
عز وجل واحسن تاويلا اى عاقبة وقيل احسن تاويلا اى خيرا وفى حرف حفصة ذلك خير واحسن ثوابا
وعن ابن عباس ذلك خير واحسن تاويلا قال القرآن احسن تاويلا **وقوله** عز وجل الم تر الى الذين يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الاية ذكر فى القصة ان رجلين تنازعا احدهما منافق والاخر يهودى
فقال المنافق اذهب بنا الى كعب بن الاشرف وقال اليهودى اذهب بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فاختصما الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى على المنافق فلما خرجا قال المنافق انطلق بنا الى عمر بن الخطاب نختصم اليه
فاقبل معه اليهودى الى عمر رضى الله عنه فقال اليهودى يا عمر انا اختصمنا الى محمد صلى الله عليه وسلم
فقضى لى عليه فزعم انه لا يرضى بقضائه وهو يزعم انه يرضى بقضائك فاقض بيننا فقال عمر رضى الله تعالى عنه
للمنافق اكذلك قال نعم فقال رويدا كما اخرج اليكما فدخل عمر رضى الله عنه البيت فاشتمل على السيف
ثم خرج فضرب به المنافق فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك
يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت والطاغوت قيل هو كعب بن الاشرف وقيل الطاغوت اسم الكاهن

وقيل الطاغوت الكاهن والطاغوت هو كل معبود دون الله تعالى وعلى هذا التأويل خرج قوله سبحانه وتعالى
فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله اى جاء اهل النفاق يحلفون بالله انه لم يرد
بالتحاكم الى ذلك الا احسانا وتوفيقا وفى الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان قوله سبحانه
وتعالى يريدون ان يتحاكموا قصد وان يتحاكموا ولم يتحاكموا بعد فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
فعلم انه انما علم ذلك بالله لكنهم لشدة تعنتهم وتمردهم لم يتبعوه **وقوله** عز وجل وقد امروا ان يكفروا به ولم يؤمروا
ان يكفروا بالطاغوت كقوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى **وقوله** عز وجل
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا اى يزين لهم الشيطان ليضلوا ضلالا بعيدا اى لا يعودون الى الهدى ابدا
فيه اخبار انهم يموتون على ذلك فكذلك كان وهو فى موضع الاياس عن الهدى وقيل بعيدا عن الحق وقيل طويلا
وهو واحد **وقوله** عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول اى اذا قيل لهم تعالوا الى حكم ما انزل الله
فى كتابه والى الرسول او الى امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
والصدود هو الاعراض فى اللغة والصد الصرف وقال الكسائى تقرا يصِدون بكسر الصاد ويصُدون بضم الصاد
وفى حرف حفصة واذا دعوت الكافرين والمنافقين الى ما انزل الله رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
وقوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
يحتمل هذا ما ذكر فى القصة الاولى ان عمر رضى الله تعالى عنه لما قتل ذلك الرجل المنافق جاء المنافقون الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يحلفون بالله ما اراد ذلك الرجل الا احسانا اى تخفيفا وتيسيرا عليك ليرفع عنك المؤنة
وتوفيقا الى الخير والصواب وقيل نزلت فى المنافقين فى بناء مسجد ضرار كقوله سبحانه وتعالى وليحلفن ان اردنا
الا الحسنى ويحتمل قوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا الاية فى كل مصيبة تصيبهم وكل نكبة تلحقهم ان كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعتذرون
كما يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله تعالى من اخباركم الاية لانهم
كانوا يميلون الى حيث ما كانوا يطمعون من المنافع من الغنيمة وغيرها ان راوا النكبة والدبرة على المؤمنين مالوا
الى هؤلاء ويظهرون الموافقة لهم طمعا منهم ويقولون انا معكم وان كانت النكبة والدبرة على الكافرين يظهرون
الموافقة لهم كقوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين هذا كان دابهم وعادتهم ابدا وقوله تعالى عز وجل ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا قيل فيه بوجوه قيل الا تخفيفا وتيسيرا عليك وقيل قالوا انما تحاكمنا اليه على انه ان وفق والا رجعنا اليك
وفيه دلالة بطلان تحكيم الكافر والتحاكم اليه وذلك حجة لاصحابنا رحمهم الله تعالى والله اعلم **وقوله** عز وجل اولئك
الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق والخلاف عن ما حلفوا فاعرض عنهم ولا تعاقبهم فى هذه المدة وقل لهم ان فعلتم
مثل هذا ثانية عاقبتكم ويحتمل ان يكون على الوعيد اى لا تعاقبهم فان الله تعالى عز وجل هو معاقبهم وقوله تعالى
ان اردنا الا احسانا وتوفيقا قيل اى تخفيفا وتيسيرا عليك على انه ان وفق للصواب والا رجعنا اليك احسانا
وتوفيقا لما نقل التحاكم اليهم بحملهم على الرجوع الى دين الاسلام وقيل احسانا يحسنون الينا ويبروننا بفضول
اموالهم وقيل توفيقا بفضول اموالهم وقيل توفيقا اى صوابا **وقوله** عز وجل وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا قيل وعدهم
وعيدا حتى اذا عادوا الى مثله يعاقبون وقيل الزمهم الحجة فى ذلك وابلغها اليهم حتى اذا عادوا عاقبتهم **وقوله**
عز وجل وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله الاية يحتمل قوله تعالى باذن الله وجوها قيل ليطاع باذن الله
اى بمشيئة الله وقيل ليطاع باذن الله اى بامر الله وقيل ليطاع باذن الله اى بعلم الله ومن قال باذن الله بمشيئة
اى من اطاع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انما يطيعه بمشيئته وكذلك من عصاه انما يعصيه بمشيئة من اطاعه
او عصاه فانما ذلك كله بمشيئة الله وما تاول الا باذن الله العلم يقول انه يعلم من يطيعه ومن يعصيه اى كل ذلك

انما يكون بعلمه لا عن غفلة منه وسهو كصنيع ملوك الارض انما يستقبلهم من الخلاف والعصيان انما يستقبلهم
منهم وسهو بالعواقب فاما الله سبحانه وتعالى اذ بعث رسلا بعث على علم منه بالطاعة لهم وبالمعصية لكنه بعثهم
لما لا ينفعه طاعة احد ولا يضره معصية احد فانما ضر ذلك عليهم ونفعه لهم ثم قالت المعتزلة فى قوله تعالى
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع احتجوا انه ما ارسل الرسل الا ليطاع وبين الرسل من لم يطع كيف لا تثبت ان من الفعل
ما قد اراد عز وجل ان يفعل وان يكون ولكن لم يكن على ما احتجوا انه ما ارسل الرسول من رسول الا ليطاع ثم قد كان
من الرسل ولم يطع قيل هو ما ذكر فى آخره الا ليطاع باذن الله اى بمشيئة الله فمن شاء من الرسل ان يطاع فقد اطيع
ومن شاء ان لا يطاع فلم يطع وكذلك من علم انه يطاع فارسله ليطاع فاطيع ومن علم انه لا يطاع فلم يطع له
ومن ارسل ان يطاع بامر يكون عليه الامر فذلك مستقيم ومن ارسل ليطاع بالامر فلا يجوز ان لا يطاع وقوله ايضا
ليطاع باذن الله قيل فيه بامر الله وقد مر بيانه وقيل ليطاع بمشيئة الله فيطيعه كل من شاء الله وقيل بعلم الله فهو
فيمن يعلم انه يطيعه اذ لا يجوز ان يعلم الطاعة ممن لا يكون والمعتزلة فى هذا انه احتج ارسل ليطاع ولم يطعه
الكل فما يبعد ان يكون اراد ليطاع وان كان لا يطيعه الكل فقلنا اذا قال ليطاع باذن الله والاذن يتوجه الى ما ذكرت
فعلى ما ذكرت كان ليطاع ممن يطيعه لا عن فصل الامر على الدعوى وهو كقوله سبحانه وتعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون ومعلوم ان الصغار منهم لا يعبدون فخرج الجزاء الى المخصوص بالوجود لان كان
فى كل امر فعلى ذلك تمام الارادة فيمن وجد لان فى كل على انه فيه يعلم وهو يرجع الى البعض دون الكل فثبت لان
على ارادة المشيئة والله اعلم **وقوله** عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم اى علموا ان حاصل ظلمهم راجع اليهم لان الظلم
هو وضع الشئ فى غير موضعه وهم وضعوا انفسهم فى غير موضعها فاذا لم يعرفوا انفسهم لم يعرفوا انفسهم
لم يعرفوا خالقها **وقوله** عز وجل جاؤك فاستغفروا الله اى جاؤك مسلمين تائبين عن التحاكم الى غيرك راضين
بقضائك نادمين على ما كان منهم واستغفر لهم الرسول اى تشفع لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
اى قابلا لتوبتهم **وقوله** عز وجل فلا وربك لا يؤمنون قيل قوله فلا صلة وكذلك فى كل قسم اقسم به كقوله تعالى
لا اقسم بهذا البلد ولا اقسم بيوم القيامة ونحوه كله صلة كانه قال اقسم وربك لا يؤمنون وقيل قوله فلا وربك
ليس هو على الصلة ولكن يقال ذلك على نفى ما تقدم من الكلام وانكاره كقول الرجل لا والله هو ابتداء الكلام
ولكن على نفى ما تقدم من الكلام فعلى ذلك هذا وفيه دلالة تفضيل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من البشر
لان الاضافة اذا خرجت الى واحد تخرج مخرج التعظيم لذلك الواحد والتخصيص له واذا كانت الى جماعة
تعظيما له كقوله وان المساجد لله وقوله له ما فى السموات والارض ونحوه وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكما وان لم يحكموه ليس معناه والله اعلم
حتى يحكموك فيما شجر بينهم اى حتى يرضوا بحكمك وقضائك **وقوله** عز وجل فيما شجر بينهم اى اختلفوا بينهم
وتنازعوا **وقوله** عز وجل ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت قيل ضيقا وقيل شكا مما قضيت بينهم انه حق
وقيل اثما ثم فى الاية ان الايمان يكون بالقلب لانه قال تعالى ثم لا يجدون فى انفسهم اى فى قلوبهم الا ترى
انه قال الله تعالى فى آية اخرى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ذكر ضيق الصدر وذكر ضيق
الانفس وهو واحد الا ترى انه قال الله عز وجل فى آية اخرى ولم تؤمن قلوبهم فهذه الايات ترد على الكرامية
قولهم لانه قال تعالى لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم وهم يقولون بل يؤمنون
فيقال لهم انتم اعلم ام الله ثم قيل ان الاية نزلت فى اليهودى والمنافق التى تنازعا فتحاكما الى الطاغوت وقيل نزلت
فى شان رجل من الانصار والزبير بن العوام كان بينهما تشاجر فى الماء فارتفعا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال للزبير اسق ثم ارسل الماء الى جارك فغضب ذلك الرجل فنزلت الاية فلا وربك لا يؤمنون الاية ولا ندرى
كيف كان القصة وفيم كان ثم روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاخبار انه قال لا يؤمن احد حتى يكون

احب اليه من نفسه واهله وولده وماله والناس جميعا وقيل في قوله تعالى ثم لا يجدوا في انفسهم اي في قلوبهم
حرجا اي شكا مما قضيت انه هو الحق ويسلموا القضا لك لهم وعليهم تسليما وفي قوله تعالى وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع قيل تاويله انه ما ارسل رسولا في الامم السالفة الا ليطيعوه فكيف تركتم انتم طاعة الرسول
الذي ارسل اليكم وقوله تعالى الا ليطاع باذن الله ما ارسل الله رسولا الا وقد امرهم ان يطيعوه لكن منهم
من قد اطاعه ومنهم من لم يطع وقوله عز وجل ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم
ما فعلوه الا قليل منهم الاية قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لو كان علينا نزلت يا رسول الله لبدات
بنفسي واهل بيتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لفضل يقينك على يقين الناس وايمانك
على ايمان الناس وعن الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال رجل من الانصار والله لو كتب علينا لقتلنا انفسنا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده للايمان اثبت في صدور الرجال من الانصار من الجبال
الرواسي قيل ولو انا كتبنا عليهم الاية هم اليهود يعني به العرب كما امر اصحاب موسى عليه السلام وقيل قال عمر
رضي الله عنه ونفر عنه والله لو فعل ربنا لفعلنا فالحمد لله الذي لم يجعل بنا ذلك فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم للايمان اثبت في قلوب المؤمنين من الجبال الرواسي ثم اختلف في قتل الانفس قال بعضهم
هو ان يقتل كل نفسه وقال الاخرون هو ان يامر ان يقتل بعض بعضا واما قتل كل نفسه فانه لا يحتمل
لوجهين احدهما وذلك انه عبادة شديدة مما لا يحتمل احد كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اخبر
انه لا يكلف ما لا طاقة له والثاني ان فيه قطع النسل وحصول الخلق للافناء خاصة وذلك مما لا حكمة في خلق
الخلق للافناء خاصة وقوله عز وجل ما فعلوه الا قليل منهم قيل هو عبد الله بن مسعود وعمار وفلان وفلان
رضي الله عنهم ولا ندري ايصح ام لا ولو كان قوله تعالى ان اقتلوا انفسكم قتل بعض بعضا فذلك مما امروا به
بمجاهدة العدو والاخراج من المنزل والهجرة ثم اخبر انهم لا يفعلون ذلك الا قليل منهم وقوله عز وجل
ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم يحتمل هذا وجهين لو فعلوا ما يؤمرون به من الاسلام
والطاعة لكان خيرا لهم ذلك ويحتمل لو انهم فعلوا ما يؤمرون به من القتل لو كتب عليهم لكان خيرا لهم
في الاخرة واشد تثبيتا قيل حقيقة وقيل تحقيقا في الدنيا وقيل ما يوعظون به من القران لكان خيرا في دينهم
واشد تثبيتا يعني تصديقا بامر الله وقوله عز وجل واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما يحتمل وجهين الاجر
العظيم في الاخرة ويحتمل في الدنيا كقوله فسنيسره لليسرى وقوله عز وجل ولهديناهم صراطا مستقيما
فهو الهادي للعباد الى الطريق المستقيم وقيل تثبيتا لهم في الدنيا وقوله عز وجل ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية قيل في بعض القصة
ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبكا ثم قال والذي لا اله غيره لانت احب الي من نفسي وولدي
واهلي واني لاذكرك فلولا اني اجيء فانظر اليك لرايت اني سأموت وذكرت موتي وموتك ومنزلتك في الجنة
ترفع مع النبيين فاني وان دخلت الجنة كنت دون ذلك وذكرت فراقي اياك عند الموت فبكيت لذلك
فما اجاب النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي فلانا فقال له
ابشر ثم قرا عليه هذه الاية وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم على بعض اصحابه فراى
في وجوههم كابة وجزعا قال فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما لكم وما غير وجوهكم ولونكم فقالوا يا رسول الله
ما بنا من مرض ولا وجع غير انا اذا لم نرك ولم نلقاك اشتقنا اليك واستوحشنا وحشة شديدة حتى
نلقاك فهذا الذي ترى من اجل ذلك وتذكرنا الاخرة فخافنا ان لا نراك هناك فانزل الله تعالى الاية ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية ويحتمل ان لم يكن في واحد من ذلك

ولكن في وجوه اخر احدها ان اليهود وغيرهم من الكفرة الذين اذوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفرطوا
في تعنتهم وتمردهم في ترك اجابتهم اياه وطاعتهم له ظنوا انهم وان اسلموا واطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقبل
ذلك منهم توبتهم ولم ينزلوا منزلة من لم يؤذيه ولم يترك طاعته فاخبر عز وجل انه اذا اطاع الله والرسول فيكون مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كان لم يترك طاعته ابدا والله اعلم كما قال الله تعالى
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل ان يكون ذلك لما سمعوا ان لكل احد في الجنة مثل الدنيا فظنوا ان لا يكون لهم الاجتماع
والالتقاء لبعد بعضهم من بعض فاخبر عز وجل ان يكون لهم الاجتماع لان ذلك لهم في الدنيا من اعظم النعم واجلها
ويحتمل ان يكون على الابتداء ان من اطاع الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم فيكون مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار واحد لا يكونون في غيرها فهذه الوجوه كانها اشبه
والله اعلم اذ هم بالطاعة اجابوا والله اعلم ثم اختلف في الصديقين قال بعضهم اتباع الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وخلفاؤهم في كل امر من التعليم والدعاء لهم الى كل خير وطاعة وقيل الصديق هو الذي يصدق الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم في اول دعوة دعاه الى دين الله تعالى وفي اول ما عاينه وقوله عز وجل والشهداء
قيل الشهيد الذي قتل في سبيل الله وقيل الشهيد هو القائم بدينه وقيل الصديقين والشهداء والصالحين
كله واحد وقوله عز وجل ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما دلت الاية على ان الجزاء افضال من الله تعالى
اذ قد سبق من عنده الانعام والافضال عليهم فيخرج طاعتهم له مخرج الشكر له لان عليه ذلك وان الجنة
لا يدخل فيها الا برحمته وفضله وقوله ايضا ذلك الفضل من الله اي ذلك الانعام الذي انعم عليهم فضل
من الله ويحتمل قوله ذلك الفضل من الله اي ما احسن من الرفعة بينهم فذلك فضل منه والاية ترد على اصحاب
الاصلح لان تلك الافعال انما صارت قربة لله بانعام من الله وافضاله وتوفيقه وبها استوجبوا الثواب وقوله تعالى
ايضا ذلك الفضل من الله بعد العلم بان الفضل هو بذل ما لم يكن عليه وبذل ما عليه هو الوفاء لا الفضل
في متعارف اللسان والمعتاد ثم لا يخلوا من ان يرجع منه الى الخيرات التي اكتسبوها فيبطل به قول المعتزلة
بما لا يخلوا من ان كان منه ذلك الفضل ومثله الى الكافر فان كان منه لم يكن للامتنان منه بالذي كان منه وجه
يستحقه وقد كان منه الى غيره فلم ينل تلك الدرجة ولا بلغ تلك الرتبة فبان انه لا بد لك بلغ من بلغ
فيكون منه فيما لم يكن وايضا انه لو لم يكن معه ذلك منهم لم يكن البذل فضلا لما ذكرت ثبت ان ليس الحق عليه كل ما
الاصلح في الدين لما يزيل معنى الفضل وان لم يكن اعطاه الكافر فهو عندهم محاباة منه على المؤمن وقد منع بعض
ما عليه في الاصلح وذلك عندهم بخل جل الله عما وصفوه وان كان ذلك في الثواب دل انه له ان يثبت حتى يصير
ما اثاب عليه فضلا ولا يحتمل ان لا يرضى بطاعة العبد واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فثبت ان الرضا ليس
هو المراد والله الموفق وقوله عز وجل وكفى بالله عليما قيل عليما بالاخرة وثوابها وقيل بالله عليما بما وعد
من الخير في الاخرة لهؤلاء الاصناف وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الصديقون هم الذين ادركوا
الرسل عليهم الصلوة والسلام وصدقوهم وعن ابي ذر رضي الله عنه قال الصديقون هم الذين المؤمنون
وقيل الصديقون هم السابقون الذين سبقوا الى تصديق النبيين انعم الله عليهم بالتصديق والشهداء
هم الذين انعم الله عليهم بالشهادة والصالحين هم الموسومون اهل الجنة وقوله يا ايها الذين خذوا
حذركم قيل خذوا عدتكم من السلاح وقيل قوله خذوا حذركم من جميع ما يحترس به العدو كقوله سبحانه
وتعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية وقوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة امر الله
عز وجل بالاعتداد للعدو والاعداد له واذ لا يوكل الامر في ذلك الى الله دون الاعداد للعدو وقيل القتال
وان كان يقدر نصر اوليائه وقهر عدوه من غير الامر بالقتال معهم ان في ذلك محنة امتحنهم بها
فعلى ذلك امرهم بالاعداد للعدو واخذ الحذر لهم وذلك اسباب تعد قبل لقائهم اياه وفيه دلالة تعلم

آداب الحرب قبل لقاء العدو ليحترس عنه وفيه دلالة اباحة الكسب لانه فرض عليهم الجهاد وامر بالاعداد له
ليحترس من العدو ولا يوصل الى ذلك الا بالكسب والله اعلم وفي قوله ايضا يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم
اي ما تحذرون به عدوكم وما تحذرونه وجوه منها الاسلحة ومنها البنيان ومنها النكاد عند الالتقاء والثبات
وذكر الله عز وجل كما قال فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وفي هذا امر بالاعداد للعدو قبل اللقاء وايد ذلك
قوله عز وجل ولو ارادوا الخروج لاعدوا له وكذلك قوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فيكون الامر بالاعداد
قبل وقت الحاجة دليل جواز الكسب لحاجات تحدث وان الاستعداد لحاجات ليس برغبة في الدنيا
اذ لم يكن الاعداد فشل ولا ترك التوكل على ان الجوع وحاجات النفس تعين وتلقي العدو ولا حول ولا قوة
الا بالله وقوله عز وجل فانفروا ثبات او انفروا جميعا قيل الثبات هو السرايا او انفروا جميعا يعني عسكرا
وقيل ثباتا يعني فرقا او انفروا جميعا مجموعا وقيل انفروا ثباتا اي عصبا او انفروا جميعا وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال زحفا وقيل الثبات الاثبات والبنية في كلام العرب الجمع الكثير ومعناه انفروا كثيرا
او قليلا وفي ذلك دلالة الامر بالخروج الى العدو فرادى وجماعة وفرقا وجماعة والله اعلم وقوله
عز وجل فانفروا ثبات اي اذا استنفرتم فانفروا ذلك وقوله عز وجل فانفروا ثبات او انفروا جميعا ومعلوم
ان عليهم الدفع فيحتمل ان يكون قوله تعالى انفروا اذا اي على ما استنفرتم من جميع او بعض فيكون في ذلك
دلالة قيام البعض عن الكل على غير الاشارة الى ذلك وقد يجب فرض في مجهول على كل القيام حتى يعلم
الكفاية بمن خرج وهذا كفرايض يعرف لا يعرف بعينها او حرمات تظهر لا تعرف المحرم بعينه فعلى من حرم
عليه الاتقاء والقيام بجميع الفرايض ليخرج عما عليه اذا غلب عليهم في التدبير الكفاية بمن خرج سقط
عن الباقين ولو لم يكن يسقط لم يكن للامام استنفار البعض يدل على ذلك قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة الآية
وقوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار واصله انه فرض لعلة لا يجوز نفاده وقد زالت العلة على ان خروج
الجميع من جهة ابتداء للعورة من جهات فلذلك لم يحتمل تكليفه خروج الجميع من جهة استنفرهم والله اعلم وقوله
عز وجل وان منكم لمن ليبطئن قوله منكم يحتمل وجوها يحتمل في الظاهر منكم ويحتمل في الحكم منكم ويحتمل في الدعوى
لانهم كانوا يدعون انهم منا ويظهرون الموافقة للمؤمنين وان كانوا في الحقيقة لم يكونوا وقوله تعالى ليبطئن
قيل ان المنافقين كانوا يبطئون عن الجهاد ويتخلفون كقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين
لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون البأس الا قليلا كانوا يسرون ذلك ويضمرونه فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك
ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله عز وجل
فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم يكن بينكم
وبينه مودة وعلى التقديم والتاخير تيسر ويفرح اذا اصابتهم مصيبة كان لم يكن بينكم وبينه مودة لان الكل كان
بينه وبين اخر مودة اذا اصابته نكبة يحزن عليه ويتألم فاخبر الله عز وجل ان هؤلاء المنافقين اذا اصابت
المؤمنين نكبة يسرون بذلك ولا يحزنون كان لم يكن بينهم مودة ولا صحبة وقوله عز وجل ولئن اصابكم فضل
من الله يعني الغنيمة والفتح يقولون يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما ان ياخذ من الغنيمة نصيبا وافرا وقوله
عز وجل فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا هذا قول المكذب بالشامت ولئن اصابكم
فضل من الله الآية هو قول الحاسد وهو قول قتادة وقوله تعالى وان منكم ليبطئن يعني ليتخلفن عن اليقين
فان اصابتكم مصيبة يعني شدة وبلاء من العيش والعدو قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا فيصيبني ما اصابهم
كان لم يكن بينكم وبينه مودة وقوله عز وجل فانفروا ثبات او انفروا جميعا دل ان فرض الجهاد فرض كفاية
يسقط بقيام البعض عن الباقين لانه قال انفروا ثبات او انفروا جميعا امر بتنفير الثبات فلو كان لا يسقط
بقيامهم عن الباقين لم يكن الامر به معنى وتاويله والله اعلم اذا قيل لكم انفروا فانفروا ثباتا او انفروا جميعا

وقوله عز وجل

وقوله عز وجل فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة كانه والله اعلم نهى المنافقين
بالخروج الى الغزو كقوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا
وامر المؤمنين ان يخرجوا لذلك لانه قال الله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة
والمؤمنون هم الذين يشرون الحيوة الدنيا وقوله عز وجل في سبيل الله قيل في اظهار دين الله وقيل في طاعة ربه
ونصر اوليائه وقوله عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما في الآية دلالة
ان من بذل نفسه وماله لله تعالى غاية ما يجب ان يبذل استوجب العوض قبله وان لم يتلف نفسه فيه
ولا احدث لانه قال عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب جعل لمن يتلف نفسه فيه الثواب
والعوض الذي يتلف نفسه فيه لانه اذا غلب لم يتلف نفسه فيه وكذلك قوله سبحانه وتعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون يجعل لمن قتل ولم يقتل
فيه العوض فهذا يدل على مسائل لنا من ذلك ان المرأة اذا سلمت نفسها الى زوجها في الوقت الذي كان عليها
التسليم استوجب كمال الصداق وان لم يقتض الزوج منها ومن ذلك البايع ايضا اذا سلم المبيع الى المشتري
كان مسلما وان لم يقبض المشتري وكذلك من صلى صلوة الظهر في منزله ثم خرج الى الجمعة يصير رافضا
للظهر لان عليه الخروج اليها فيصير بالخروج اليها كالمباشر لها وان لم يباشر على سبيل ما جعل الباذل
لنفسه لله عز وجل والمسلم اليه كانها اخذت منه فاستيجاب العوض الذي وعد له فعلى ذلك يجب
ان يجعل تسليم ما ذكرنا الى المحق كاخذ المحق منه وان لم ياخذ وليس كالقيام الى الخامسة ولا كالمتوجه
الى عرفات قبل فراغه من العمرة لان هؤلاء الفراغ مما كانوا فيه ثم التوجه الى عرفات والقيام الى الخامسة
فلم يصح ذلك واما المرأة والبايع والمؤدي الظهر في منزله عليهم التسليم والبذل لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم
وفي الآية ان الله تعالى عامل عباده معاملة اهل الفضل والاحسان كان لا حق له الا معاملة ذي الحق وان كان
الانفس والاموال كلها له في الحقيقة حيث فرض عليهم الجهاد وجعل لهم بذلك عوضا كقوله تعالى
ومن يقتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال الله عز وجل في آية اخرى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم من المؤمنين كثيرا من لا حق له فيها وهي له في الحقيقة ووعد لهم على ذلك
عوضا واجرا عظيما وقوله عز وجل وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ما لكم
اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله الآية مثل هذا لا يقال الا لتفريط سبق منهم ثم لم يزل اسم الايمان منهم
بذلك وما كان الجهاد فرضا عليهم فهذا ينقض على من يخرج مرتكب الكبيرة من الايمان وقوله تعالى ما لكم
لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان عن ابن عباس رضي الله عنه قال وما لكم
لا تقاتلون في سبيل الله وفي المستضعفين وكذلك روي عن الكسائي وفيه دلالة ان على المسلمين ان يستنقذوا
اسراهم من ايدي الكفرة اذا اسروا باي وجه ما قدروا عليه بالاموال والقتال وغير ذلك وذلك فرض
عليهم وحق ان لا يتركوهم في ايديهم لانه قال الله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الآية وفي الآية دلالة ان اسلام
الصغار اسلام وكفرهم كفر اذا عقلوا لانه قال الله تعالى والولدان والكبار من الرجال والنساء لا يسمون
ولدانا انما يسمون الصغار منهم لانه عاتبهم بتركهم في ايدي الكفرة فلو كانوا على حكم اولاد الكفرة لم يكن
للتعيير والعتاب وجه بتركهم في ايديهم اذ لم يعاتبوا بترك ولدان الكفرة في ايديهم فدل انه انما لحقهم
العتاب لاسلامهم وكذلك قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم الآية ثم استثنى
المستضعفين فقال عز وجل الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة

فلو لم يكن اسلام الولدان اسلاما ولا كفرهم كفرا لم يكن لاستثنائهم من اولئك واخراجهم من الوعيد الذى ذكر
معنى والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اخرجنا من هذه القرية سالوا الله عز وجل ان يخرجهم من القرية وهم
علموا انه لا ينزل نحو السماء ولكن على ايدى قوم بعينهم على ذلك وهم علموا ان الله تعالى فعل ذلك صنعا والمعتزلة لم يجعلوا
وذلك ينقض قولهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل الظالم اهلها قيل المشرك اهلها كل ظالم منعهم عن الخروج
الى دار الاسلام والهجرة وقوله عز وجل واجعل لنا من لدنك وليا فى ديننا ونصيرا يمنعنا عن المشركين ويقال
مانعا يمنع عنا المشركين وقد ذكرنا الولى والنصير فى غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل الذين آمنوا
يقاتلون فى سبيل الله ذكرنا الذى يامر خلقه بالسلوك فيه وقوله عز وجل والذين كفروا يقاتلون فى سبيل
الطاغوت قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الطاغوت هو الشيطان فى هذا الموضع لانه هو الذى
يامر بالسلوك فى سبيله وفى الآية دلالة ان لا يامر الكفار بالجهاد ولا بالصلوة ولا بالزكوة ولا بغيرها
من العبادات لانه اخبر انهم لو قاتلوا انما يقاتلون فى سبيل الشيطان وكذلك اذا صلوا صلوا له وكذلك
سائر العبادات ولكن يامرون اولا باتيان ما لو فعلوا من العبادات كانت فى سبيل الله وهو الايمان
وهذا ينقض قول من يقول ان الكافر مامور مكلف بالصلوة والزكوة وغيرها من العبادات والله اعلم
وقوله عز وجل فقاتلوا اولياء الشيطان هذا يدل على ان الطاغوت هو الشيطان ههنا وكل ما عبد
دون الله فهو طاغوت وقوله عز وجل ان كيد الشيطان كان ضعيفا يحتمل قوله ان كيد الشيطان اى كيد
اولياء الشيطان كان ضعيفا اذ كان الله ناصركم كقوله سبحانه وتعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم ويحتمل
ان كيد الشيطان كان ضعيفا لانه لا يعمل سوى الدعاء والامر يدعوهم الى سبيله فذلك لضعفه
لا يباشر القتال ولا الضر وانما هو اشارة منه ودعاء كقوله سبحانه وتعالى وما كان لى عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وقوله عز وجل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
فلما كتب عليهم القتال الآية اختلف فيه قيل نزلت الآية فى بنى اسرائيل وهى الآية التى ذكرها الله تعالى
فى سورة البقرة الم تر الى الملاء من بنى اسرائيل من بعد موسى الى قوله فلما كتب عليهم القتال تولوا
الا قليلا منهم وقيل انها نزلت فى المؤمنين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذنوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتال كفار مكة سرا لكثرة ما يلقون من الاذى منهم فنزل قوله تعالى
كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اى لم اؤمر بالقتال فنهاهم عن ذلك فلما كتب عليهم القتال
وامر وا به كرهوا ذلك فدل قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله
الآية وقيل انها نزلت فى المنافقين الذين كانوا يقاتلون مع النبى صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل
يخشون الناس كخشية الله اى يخشون الناس يعنى المنافقين كخشية المؤمنين الله او اشد خشية كقوله
سبحانه وتعالى يحبونهم كحب المؤمنين الله او اشد حبا وان كانت فى المؤمنين فتاويله يخشون
الناس فى القتال كخشية الله فى الموت او اشد خشية لانه اهيب واسرع نفاذا والله اعلم وقوله عز وجل الم
تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الآية تكلموا فى ذلك فمنهم من جعله خبرا عن بنى اسرائيل الذين قالوا
لنبى لهم ابعث لنا ملكا الآية انهم امروا بالكف عن مقاتلته فتمنوا الاذن فى ذلك وسالوا نبيهم عليه السلام
عن ذلك ثم فيهم من اعرض عن الطاعة وقد كان اهل الايمان يتمنون الاذن فى ذلك كقوله تعالى ولقد كنتم
تمنون الموت فوعظوا بما ذكرت ليقبلوا العافية ولا يتمنوا المحنة فانها شدة فيبعثهم على ما بعث اولئك
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا ربكم العافية واذا لقيتموهم
فثوروا فى وجوههم او كان فى علم الله سبحانه وتعالى ان يامرهم فاخبر بالذين قتلوا وحل بهم
لئلا يفعلوا مثل فعلهم والله اعلم وخشيتهم كخشية الله كقوله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده

الى تمام القصة وقد قيل الآية نزلت فيما سالوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجيبوا فى ذلك ثم خاطبهم
الذى ذكر لكن اختلف فى ذلك فمنهم من يقول كان ذلك فى المصدقين لكن اشتد عليهم الامر وذلك عجز ما كان
منهم يوم حنين واحد ونحو ذلك حتى اغاثهم الله تعالى وفرج عنهم بمنه وعلى ذلك قوله تعالى ولقد كنتم تمنون
الموت اى ما فيه الموت من الجهاد وعلى ذلك يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية فلما عاينوا السبب الذى فيه
هلاكهم ويبلغ عند ذلك الخشية غايتها نحو قرب الموت وشدة المرض يكون المرء يخشى منه الموت ما لا يخشى
لولا تلك الحال لانه يرى الموت من المرض وان كان الذى يظهر عليه من خشية الموت فى تلك الحال اشد فهو فى الحقيقة
اشد فهو فى الحقيقة خشية من الله تعالى ان يكون جعل ذلك سبب الموت وانه حضره وقرب منه فيكون
فى ظاهر الامر كمن يخشى من تلك الاحوال وقد جعل لما جبل عليه الخلق فى مثله معروف عندنا اعنى ان المريض
بعد الموت لما يغلب عليه بعد الموت لما يغلب عليه الاياس من حيوته وان كان الذى يصيبه يستوى عليه احواله
فعلى ذلك الامر الاول وعلى ذلك فيما طبع عليه الخلق من طمانينة القلب عند ملك اسباب الرزق والقدرة عليه
ما لم يكن عند عدمها وان كان من حيث قدرة الله تعالى واحد فتكون ذلك الخشية جبلية طبيعية لا اختيارية او بحفظ
بحكم الرب وهو كالذى جاء فى قوله تعالى عليكم القتال وهو كره لكم الآية وقوله على ذلك ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب الآية يحتمل وجهين احدهما الخبر عن امانى طباعهم كما قال عز وجل كتب عليكم
القتال وهو كره لكم الآية وقال النبى صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وانما ذلك على الطبع فذلك
الطبع كالسائل عن ذلك وربما يضيقون القول والسؤال على اعتبار الاحوال الى ما يطيق له فعلى ذلك
هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون قولا منهم عن وجه الحكمة لهم بالامر فيما علم انهم يبلغون بالقتل والجبن
الى حال لا يقومون للعدو ولا يملكون انفسهم فى ذلك الوقت فاخبر الله عز وجل ان الذى حملهم على ذلك
رغبتهم فى التمتع بالدنيا ولو صوروا متاع الآخرة فى قلوبهم ليذهب عنهم ذلك ويثبتون للعدو ولا يبالون
للعدو بما يحل ولا يخشون لذلك وكانه وعد لهم ان متاع الآخرة لكم على هذا الفعل لو صبرتم خير لكم
وما وعد لكم عليه خير من متاع الدنيا وايضا ان يقال ان هذا وان عظم هوله على الطبع فانه اذا كان لله بحق
العبادة لهو ايسر واهون من الموت على صاحبه اذا حضر اذ يريهم الله متاع الآخرة او بعض ما فيه الكرامة
فيصير ذلك متاع الآخرة لهم وقت الموت فهو خير من تمتعهم فى الدنيا ثم الموت ولا ذلك منه كما قيل
فى تاويل قوله عليه الصلوة والسلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه
ان المؤمن يرى ما له من الكرامة فيحب الموت ان يعجل به فيصل الى ذلك والكافر يرى سخطه فيكرهه وعلى هذا
تاويل القول فى الدنيا انها سجن المؤمن وجنة الكافر ان يكون كذلك فى ذلك الوقت والله اعلم وتاويل آخر
ان تكون الآية فى المنافقين انه يظهر وقت النفاق المحنة بالجهاد دون غيره من العبادات قال الله تعالى
ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة الآية تبين ما نزل بالمنافقين وكذلك قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين
منكم الآيات والله اعلم فيمن نزلت الآية لكنها معلوم ان فيها ترغيبا فيما عند الله وتزهيدا فى الدنيا ودعاء الى
الرضى بحكم الله تعالى فيما خف وثقل والله المستعان وعلى التاويل الآخر جميع ما ذكر ظاهر فى المنافقين
مذكور ذلك فى الآيات التى ذكرتها وفيهم قال الله تعالى لن ينفعكم الفرار الآية وغير ذلك مما دل على انكارهم
وفضل خوفهم فى ذلك والله اعلم فان قال قائل كيف قال الله تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقد هلك به
اكثر البشر قيل قد يخرج على وجوه والله اعلم احدها ان يضعف كيده على من يعوذ بالله تعالى كقوله تعالى
واما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية وانما يقوى على من جنح له ومال الى ما دعاه اليه كقوله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان الآية الى قوله تعالى ثم لا يقصرون والثانى ان يكون ضعيفا على المقبل
على ربه والذاكر له فى احواله والمفوض امره الى ربه فاما من تولاه واقبل على اشارته فهو الذى جعل له السلطان

على نفسه بما آثره فى شهواته وما له بهواه وهو كقوله تعالى ليس له سلطان على الذين آمنوا الاية وقد سماه
الله تعالى الوسواس الخناس مما يخنس بذكر الله تعالى و يوسوس عند الغفلة عن الله فكان سلطانه بر والله
الموفق والثالث انه لا يملك الجبر والقهر ولا اكتسابا بالصنوف الابدان والاموال فهو ضعيف والله اعلم
والرابع ان يكون كان ضعيفا اى صار ضعيفا عند نصر الله ومعونته والله اعلم ويحتمل كان ضعيفا لو ظهر
حتى يعلم ان شيطان لكم قوى بما لا يعلم المعنى ورانه كيده وتعزيره والله اعلم وقوله عز وجل ربنا لم كتبت
علينا القتال قيل فى حرف حفصة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فلما كتب عليهم
القتال اذا هم يخشون الناس كخشية الله كان فى الاية اضمار ديبين ذلك حرف حفصة والا لم يكن فى ظاهر
الاية خبر حتى يكون قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم الاية جوابا له وقوله عز وجل
ربنا لم كتبت علينا القتال فان كانت الاية فى المنافقين فهو على الانكار قالوا ذلك وان كانت فى المؤمنين
فهو يخرج على طلب الحكمة فى فرض القتال عليهم طلبوا اى حكمة فى فرض القتال علينا وقد يطلب الحكمة
فى الاشياء ولا عيب يدخل فى ذلك واصله ان كل امر من الظاهر من هو فوقه فذلك سؤال له فى الحقيقة
لا امر فيخرج سؤاله مخرج الخضوع والتضرع له ومن امر من دونه فهو فى الحقيقة ليس بسؤال فهو يخرج على الامر
والنهى وهو الامر الظاهر فى الناس وقوله عز وجل قل متاع الدنيا قليل معناه والله اعلم انا لم نخلقكم
للدنيا وللمتاع فيها انما خلقناكم للاخرة وللمقام فيها فلو خلقتكم للدنيا ثم كتبت عليكم القتال لكان ذلك
عبثا خارجا عن الحكمة ولكن خلقناكم للاخرة وللمقام فيها ويحتمل فيها قوله تعالى يخشون الناس كخشية الله
او اشد خشية وقوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال الى آخره ان لم يقولوا ذلك قولا ولكن كان
ذلك خطرا فى قلوبهم فاخبرهم نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما اضمروا ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى
عز وجل ليدلهم على نبوته ورسالته وقوله عز وجل لولا اخرتنا الى اجل قريب فنموت حتف انفنا ولا نقتل
فتلا فنيس بذلك الاعداء ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وفى القتل فتنة وقوله عز وجل قل متاع الدنيا
قليل يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا انهم لم يخلقوا للمتاع الدنيا ولكن انما خلقوا لمتاع الاخرة والثانى ان متاع
الدنيا قليل من متاع الاخرة كقوله سبحانه وتعالى وما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة الا قليل كقوله تعالى افرايت
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وقوله عز وجل والاخرة خير لمن اتقى
لان متاع الاخرة دائم غير منقطع ومتاع الدنيا زائل منقطع وقوله عز وجل ولا يظلمون فتيلا قد ذكرناه وقوله
عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة قيل لما استشهد من استشهد يوم احد قال المنافقون
لو كان اخواننا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الله تبارك وتعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج
مشيدة ويحتمل ان يكون جوابا لما سبق من القول قولهم لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب يقول
من كتب عليه الموت ينزل به لا محالة قاتل او لم يقاتل وقوله سبحانه وتعالى قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين
كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الاية ويحتمل ان يكون قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت اذا كان الموت نازلا بكم
لا محالة فالقتل انفع لكم اذ يستوجبون بالقتل الثواب الجزيل ولا يكون ذلك لكم اذا متم حتف انفكم والله اعلم
وقوله عز وجل فى بروج مشيدة قال الفراء المشيد والمشيد واحد غير ان المشيد بالتشديد فيما يكثر
الفعل والمشيد فيما لا يكثر الفعل وقيل المشيد هو المجصص والشيد الجص وقال بعضهم بروج مشيدة
اى حصينة وقيل قصور محصنة طوال وقوله عز وجل وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك معلوم انهم لم يريدوا بالحسنة والسيئة حسنة فى الدين وسيئة فى دينهم
ولكن انما ارادوا بالحسنة والسيئة فى الدنيا من المنافع والبلايا والشدايد وذلك انهم كانوا لا يحزنون
لما يصيبهم من السيئة فى الدين ولا كانوا يفرحون بالحسنة ولكن فرحهم بما كانوا يصيبون فى الدنيا من الخصب

والسعة

والسعة وحزنهم بما يصيبهم من الضيق والشدة وكانوا يتطيرون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهكذا كان
داب الكفرة من قبل كانوا يتطيرون بالانبياء عليهم الصلوة والسلام كقوله عز وجل اخبارا عن قوم موسى على نبينا وعليه
الصلوة والسلام وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وكقوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك
قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وقال الله عز وجل انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون فهكذا
قولهم وان تصبهم يقولون هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك تطيرا منهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل قل كل من عند الله اى بتقديره كان وقضائه فضلا كقوله تعالى وما بكم من نعمة
فمن الله وجزاء كقوله عز وجل وما اصابكم فيما كسبت ايديكم اى ما اصابهم بسوء صنيعهم برسل الله عليهم الصلوة
والسلام وتكذيبهم اياهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله عز وجل فمال هؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا اى لا يفقهون ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك وروى فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه قال وانا قدرتها عليك
يحتمل ان يكون قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله يرجع الى ما ذكرت من السعة والعافية ونحوها
وما اصابك من سيئة من البلاء والشدة فمن نفسك بحق الجناية على الاية التى ذكرت من قوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فيما كسبت ايديكم ويحتمل ان تكون الاية الاولى فى امر الدنيا والاخرى فى امر الدين اذا اختلفت
الاضافة فى هذا واتفقت فى الاولى اذ الاولى على ما عليه امر المحنة من قوله تعالى ونبلوكم بالخير والشر فتنة
وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا
جعل الله تعالى بمختلف احوال العباد لامتحان هم فى ذلك وكذلك قوله تعالى وان يمسسك الله بضر الاية وقوله تعالى
الله يبسط الرزق لمن يشاء الاية والثانى فى حق الافعال فيضاف الى الله ما صلح منها شكرا وحمدا بما انعم الله
عليه وذلك قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وقوله صراط الذين انعمت عليهم وقوله ولكن الله يمن عليكم
الاية وقوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقوله ولكن الله حبب اليكم الاية
وغير ذلك فيضاف اليه بما منه فى ذلك من الفضل والنعمة شكرا والثانى زلة وضلالة لا تجوز الاضافة
اليه لما شبه الاعتذار ولا عذر لاحد فى ذلك ويقبح فى الاضافة وذلك بحق القول بانه رب السموات
والارض ولا يقال هو رب الخنازير والاقذار ونحو ذلك لما يقبح فى السمع وان كان من حيث الخلق
والتقدير واحدا فمثله امر الافعال والله الموفق ونفى الاضافة عنه لا يدل على نفى ان يكون تخلقه
لما بينا من الاشياء الاضافة اليه كالتخصيص فيقال يا خالق العرش والخنازير ويا اله الاقذار
والخبايث ويا رب الشرور والمصايب وان كان كل ذلك داخلا فى اسماء الجملة ويحق منه تقديرها
وخلقها وكذلك الفواحش والكباير والله اعلم والثانى ان الخيرات والاعمال الزاكية قد يضاف اليه
لا من وجه التخليق عند الجميع بل عندنا من جهة الافضال بالتوفيق والانشاء وعند المعتزلة من جهة
الامر والترغيب فعلى ذلك نفى الاضافة فيما لم يضف اليه لهذا وايدت هذا قراءة عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه وانا قدرتها عليك قال قايل ذلك لا يقع على الافعال لقوله تعالى ما اصابك ولو كانت
عليها كان يقول لما اصبت ثم كان له جوابان احدهما ان الاجابة اسم مشترك ما يصيبه هو ويصيب
ذلك فسواء لو اضيف اليه او اضيف هو اليه والله اعلم والثانى ان ذلك يخرج الجزاء ايضا اذ كان
على ما يعمله فيكون ما يصيبه من جزاء حسنة او سيئة اذا لم يجعل الله فى حسنة فضلا لو يحتمل الاضافة
اليه مع ما قد بينا من اضافات اعمال الخير اليه ودفع الشر لما ليس فى فعله من الله افضال عليه بانعام
وكان فى فعل الخير ذلك لا بالامر والنهى اذ هما يستويان فى كل والله اعلم ثم اوضح ذلك خبر عبد الله
فطعنه قوم لمخالفة المصحف المعروف قلنا ليس بذى خلاف انما هو بيان المطلق وقد يعقل خبر الاحاد

في مثله والله اعلم وقيل خبر عبد الله من خبر الاحاد ولعله ليس قبل مصحف تروى عند العامة لا يحتمل
التبديل واما خبره عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لا يجوز اختراع القراءة من فوع وجنا الفرد
فيه يقبل فيما لا اختلاف فيه وان كان فيه تاويل الظاهر والله اعلم وقوله عز وجل وارسلناك للناس رسولا
قيل في حرف حفصة وارسلناك الى الناس رسولا وكفى بالله شهيدا قيل لو كفى بالله شهيدا اى بانك رسول الله
وقيل وكفى بالله شهيدا على ما يضمرون في قلوبهم وقيل فلا شاهد افضل من الله بانك رسوله وفي قوله ايضا
وكفى بالله شهيدا وجوه احدها ان يجحدوا تبليغك في الدنيا او يقولون لم تعلم رسالتك والثاني ان يكون
بالآيات التي جعلها الله تعالى لرسالتك تحقق وشهادة الله هي بالرسالة شهيدا لك او مبينا او حجة والثالث
ان يكون جعل علم الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وتبليغهم الخبر اليهم شهادته وكفى بالله شهيدا
علما اضاف بيعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اليه ونصا وليا به اليه قال الله تعالى اولم يكن لهم آية
ان يعلمه علماء بني اسرائيل ويحتمل شهيدا مبينا او حكما مبينا فمعناه فتبين لهم بالمعاينة ما كان بينه
بالدلالة والآيات وحكما فاصلا بين المحق والمبطل فيخرج الوجهان جميعا مخرج الاعراض عن المحاجة
مما يظهر من العناد والمكابرة وتفويض الامر الى الله واخبار عن الفراغ مما كان عليه فيهم من حق البلاغ
ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ومن يطع الرسول فقد اطاع الله لان الله عز وجل امر بطاعة الرسول
فاذا اطاع رسوله صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله تعالى لانه اتبع امره الا ترى انه قال عز وجل اطيعوا الله
واطيعوا الرسول وحتى جعل طاعة الرسول عليه الصلوة والسلام من شرط الايمان بقوله عز وجل
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية والثاني ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما يامر بما امر الله
فاذا اطاع رسوله صلى الله عليه وسلم وائتمر بامره فقد اطاع الله عز وجل لانه هو الآمر بطاعة الله وبالله
التوفيق وقيل لان الرسول صلى الله عليه وسلم يامر بامر الله تعالى لذلك كان طاعته طاعة الله وذكر
في بعض الاخبار ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في المدينة من احبني فقد احب الله تعالى ومن اطاعني
فقد اطاع الله فغيرته المنافقون في ذلك فانزل الله تعالى تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم قال
من اطاع الله فقد ذكر وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصاه فقد نسي الله تعالى وان كثرت
صيامه وصلوته وتلاوته القرآن فطاعة الله تعالى انما يكون في اتباع امره وانتهاء مناهيه وكذلك محبته
انما يكون في اتباع اموره ونواهيه كقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله ايضا
ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ظاهر مكشوف حقيقته انه يطيعه لطاعة الله اذ الامر بطيعه على انه
يدعوه الى طاعته وطاعته اجابته له بما يطيع الله به وحكمته انه لم يجعل مسلك لطاعة عبادة وان كان تسمى
عبادة ولا يجوز عبادة الرسول فصير الله طاعته عبادة لله تعالى فاعلم ان الطاعة قد يكون عن مستحقة
لاسم العبادة اذ قد يسمى لاخر ذلك الوجه وكذلك جاز القول بمطاع في الخلق ولا يجوز بمعبود والله اعلم
وايضا فيه شهادة له بالعصمة في كل ما دعا اليه واس بروا لزام الخلق الشهادة له بالصدق في ذلك والقيام به
اكد بقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره وبقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون الآيتين جميعا وذلك
الابا على لزوم طاعته اخوف بمخالفة العذاب الاليم وازال عن الواحد في نفسه من قضائه الحرج الايمان
ثم ليست طاعته في فعله خاصة او قول ما يقوله ولكنها بوجهين احدهما اعتقاد كل فعل وقول على ما عليه
عنده من خصوص او عموم او الزام او آداب او اباحة او ترغيب والثاني الوفاء بالذي منه المراد فيه
من ان يفعل كفعله او يتقي ذلك او يستعمله في حق الاباحة او ما اراد من محله فيه يعرف موقع كل من ذلك
بالادلة ولا قوة الا بالله وقول من يقول لا يلزم طاعته في فعله او يلزم كلام بهذا الاطلاق لا معنى له وقوله
عز وجل فما ارسلناك عليهم حفيظا في اعمالهم وافعالهم فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما تسألون عن اعمالهم

ولا يسألون عما فعلتم والله اعلم ويحتمل قوله تعالى فما ارسلناك عليهم حفيظا يطلع على سرائرهم
انما عليك ان تعاملهم على الظاهر والله اعلم وقوله عز وجل ويقولون طاعة قيل انهم كانوا فعلين قد اظهروا التصديق
لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله امرك
طاعة فمرنا بما شئت نفعله واذا امرهم بامر ونهاهم عنه خالفوا امره وعصوا واما امرهم ونهاهم فانزل الله تعالى
على رسوله صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى الى قوله تعالى بيت طائفة منهم غير الذي
تقول وقوله عز وجل بيت طائفة منهم غير الذي تقول قوله بيت قيل غير ما امرهم به وقيل بيت الف وقيل بيت
اى قدروا بالليل القول والقول وكل كلام وقوله مقدر بالليل مؤلف فيه يقال بيت ومعناه والله اعلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهذا والله اعلم معنى قوله بيت طائفة منهم غير الذي يقول والا ظاهر هذا ليس
على ما قاله اهل التفسير وبالله التوفيق وقوله عز وجل والله يكتب ما يبيتون اى الله تعالى يأمر باثبات ما يبيتون
من القول الكذب والمغير من القول ليلزمهم الحجة لانهم كانوا يسرون ذلك ويضمرونه لا يظهرونه ولا ظاهرا كما
ليجزيهم جزاء ذلك وقوله عز وجل فاعرض عنهم يحتمل اعرض عنهم ولا تكافهم على هذا ويحتمل اعرض
عنهم ولا تتكلف اظهار سترهم ولا يطلع عليه انما ذلك الى لا اطلعكم على ما يسرون ليعلموا انك انما عرفت ذلك
بالله فيه دلالة اثبات الرسالة وتوكل على الله وثق بالله ولا تخافهم فان الله تعالى يدفع عنك شرهم وكيدهم
ويحتمل وتوكل على الله في جزائهم فان الله هو يتولى جزاء تكذيبهم اياك والله اعلم وكفى بالله وكيلا فيما ذكرنا
اى كفى به مانعا فلا احد يمنعه وقيل وكفى بالله شهيدا بما يبيتون وحافظا وقال بعضهم لا يكون التبييت
الا بالليل يؤلفون الشيء ويقدرونه بالليل وقوله عز وجل افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لو كان الحكم لظاهر المخرج على ما يقوله لكان القرآن خرج مختلفا
متناقضا لانه قال الله عز وجل في الآية لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية ويقول
في آية اخرى انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر كان على ظاهر المخرج فهو مختلف وكذلك
قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقال الله عز وجل في آية اخرى فلا جناح
عليهما ان يتراجعا في احدهما حظر وفي الاخرى اباحة فلو كان على ظاهر المخرج والعموم لكان مختلفا
ومتناقضا ولوجد اهل الالحاد وضع طعن فيه وايسر سبيل الى القول بانه غير منزل من عند الرحمن
اذ به وصفه انه لو كان من عند غير الله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال عز وجل لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه الآية قال عز وجل وانا له لحافظون ثم وجد اكثر ما فيه الحكم متفرقا
الى غير المخرج ومحصلا على غير مجرى اللفظ من العموم والخصوص فدل ان الحكم لا كذلك ولكن للمعنى
المودع فيه والمدرج لا يوصل الى ذلك الا بالتدبير والتفكر فيه والى هذا ندب الله عباده وليتدبروا
فيه ليفهموا مصونه وليعلموا به ثم يحتمل بعد هذا وجهان احدهما قوله تعالى ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اى لو كان هذا القرآن من عند غير الله لكان لا يوافق بما يخبرهم النبي صلى الله
عليه وسلم ولكن يخرجهم مخالفا لذلك لان الكهنة الذين كانوا يدعون الخبر من غيب لا يخرج خبرهم
موافقا بل كان بعضه مخالف لبعضها فتبين له فلما خرج هذا ما يخبر النبي صلى الله عليه وسلم من سرائرهم
موافقا له دل انه خبر عن الله تعالى والثاني انهم كانوا يقولون ان هذا الا اختلاق وما هذا الا افك
مفترى ونحوه فاخبر الله عز وجل انه لو كان من عند غير الله لكان لا يوافق لما عندهم من الكتب بل كان
مختلفا متناقضا فلما خرج هذا القرآن مستويا موافقا لسائر الكتب كقوله تعالى مصدقا لما معهم ومصدقا
لما بين يديه من التوراة دل انه من عند الله نزل ويحتمل وجها آخر وهو ان هذا القرآن نزل على محمد
صلى الله عليه وسلم في اوقات متفرقة متباعدة على نوازل مختلفة فلو كان من عند غير الله ترك الحرج

مختلفا متناقضا بعضه بعضا لان حكيما من البشر لو تكلم بكلمات في اوقات متباعدة لخرج كلامه متناقضا
مختلفا الا ان يستعين بكلام رب العالمين ويعرضه عليه فعند ذلك لا يتناقض فلما خرج هذا مع تباعد الاوقات
غير مختلف ولا متناقض دل انه من عند الله تعالى نزل وبالله التوفيق وفيه الاحتجاج على الملحدة حيث قال
عز وجل افلا يتدبرون القرآن الى قوله لخلافا فاكثيرا فلو وجدوا لاظهروا ذلك وبقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله
ولو قدروا على ذلك لاتوا به دل ترك اتيانهم ذلك انهم لم يقدروا على اتيان مثله ولو وجدوه مختلفا
لاظهروه ولو كان من كلام البشر على ما قالوا لاتوا به لانهم من البشر فظهر انه منزل من عند الله والله
الموفق وقوله عز وجل افلا يتدبرون القرآن وقوله ليدبروا آياته دلالة بينة على وجهين احدهما
ان المقصود منه يدرك بالتامل والتدبر اذ يجري الامر والترغيب قبل وقت العمل بل لزوم القيام
بما يعقل بالتدبر ثم فيه وجهان احدهما ان الامر ليس على مخرج الكلام عند اهل اللسان ولا على حق الاسم
من اللغة او حق مثله ان يرغب في معرفة الموقع عند اهل اللسان من المخرج ويوجب اليه لا يدبر فيه
والله اعلم ومعلوم ايضا ان التدبر فيه حظ الحكماء واهل البصر لا حظ العوام وما يعرف من حيث
اللسان فهو حظ الفريقين ثبت ان على العوام اتباع الخواص فيما فهموهم والاقتداء بهم والله اعلم والثاني انه
جعل وجه معرفة الاختلاف والاتفاق بالتدبر فيه لا بقرع الكلام السمع واذا ثبت ذلك لم يلزم العمل
بشيء من الظاهر حتى يعرف الموقع انه على ذلك بالتدبر ليلا يلحق المتمسك به النقيض بالتدبر والله اعلم والوجه
الثالث بما تضمنت الاختلاف ان ارتفاع الاختلاف جعله حجة على انه عن الله اذ علم الله مما جبل عليه الخلق
انه لا احد يملك بحق الاختراع لا عن علم السماع ينتهي اليه عن الله الخبير الصادقين يملك تاليف الكلام
ونظم مثله عن متناقض ولا مختلف بنفي بنفي الاختلاف ما قرنه بزعم الكهنة اذ كذلك كلام الكهنة يخرج
مختلفا وما قرنه من تعليم البشر واساطير الاولين والسحر ونحو ذلك اذ كل يخرج ذلك على الاختلاف وفي ذلك
بيان خطر جعل المخرج بحق اللسان من الاسم حجة ودليلا لما يوجد من ذلك لوجد اختلافا فاكثيرا ولو كان
من ذلك الوجه الاحتجاج لوجد الاختلاف ومن رام ان يجعل القرآن لولا بيان الخبير موقعه على جهة
قد يقع فيه الاختلاف دونه فهو وصف القرآن مع اجتماع الخبر بنفي الاختلاف واما هو في نفسه
مختلف فمثله كل كاهن وبشر اريد تثبيت التناقض امكن لمن ذب عنه ان كان عنده مترجم معبر يجب
ضم تاويله اليه فيبطل ان يكون على احد وجود اختلاف في مكان ويكون احتجاج العدين عنه باجل عن ذلك
ثم ما ذكر يحتمل الاحكام والحدود والاوامر والنواهي وذلك يوجب ان الناسخ والخصوص والعموم
ولا يكون مختلفا ويحتمل الاخبار والوعد والوعيد ونحو ذلك واعني بالاخبار عن الغيب وعما كان اخبر عز وجل
عن شان المنافقين وما اليه مرجع الامور وعما كان عنهم ونحو ذلك مما خرج كذلك والله اعلم وقوله عز وجل
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه واذا جاءهم نبأ من خوف
او امن اذاعوه وكذلك في حرف حفصة قال الكسائي هما لغتان اذعت به واذعته واذا فشيته وقيل سمعوا به
وافشوه وقيل افشوه واشاعوه ثم اختلف فيمن نزلت قال الحسن نزلت في المؤمنين وذلك انهم اذا سمعوا خبرا
من اخبار السرايا والعساكر مما يسرون ويفرحون افشوه في الناس فرحا منهم واذا سمعوا ما يحزنهم ويهمهم
اظهروه في الناس حزنا وغما ثم استثنى الا قليلا منهم لا يذيعون ولا يفشون بالخبر فلو سكتوا وردوا الخبر
الى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يخبر النبي ما كان من الامر او ردوه الى ولي الامر حتى يكونوا هم الذين يخبرونه
كان اولى وهو على التقديم والتاخير وقال ابو بكر الكيساني نزلت الآية في المنافقين وذلك ان المنافقين
اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر عن نصر المسلمين الى الاعداء بذلك لا عدوا على ذلك واذا سمعوا
ان الاعداء قد اجتمعوا واعدوا الحرب اخبروا بذلك ضعفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمتنعوا عن

عن الخروج

عن الخروج اليهم فقال الله عز وجل ولو ردوه الى الرسول حتى كان هو مخبرهم عن ذلك او ردوا الى اولي
الامر منهم ليخبروا بذلك والله اعلم ثم اختلف في اولي الامر منهم قيل هم امراء السرايا وقيل هم العلماء
الفقهاء الذين يستنبطونه منهم الذين يطلبون علمه بقولهم ولو الامر هاهنا مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجونه من كتاب الله تعالى وقيل
اولو الامر ولاة الامر الذين يستنبطونه والذين اذاعوا به قوم اما منافقون واما مؤمنون على ما ذكرنا
انما هو اذاعوا به الا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم الآية على قوله بعض وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا اختلف فيه قيل فضل الله رسولنا محمد عليه افضل الصلوات ورحمته
القرآن تاويله لولا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لاتبعوا الشيطان الا قليلا منهم لم يتبعوه ولكن امنوا
بالعقل وقيل ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الامر والنهي عن الاذاعة والافشاء والا لاذاعوه واتبعوا الشيطان
في اذاعتهم به الا قليلا منهم فانهم لا يذيعون به وعن الضحاك قال هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا حدثوا انفسهم بامور من امور الشيطان الا طائفة منهم لم يحدثوا بها انفسهم وقال آخرون هم
المنافقون كانوا اذا بلغهم ان الله تعالى اظفر المسلمين على المشركين وفتح عليهم صغروه وحقروه
واذا بلغهم ان المسلمين نكبوا نكبة شنعوه وعظموه وعن ابن عباس رضي الله عنهم الا قليلا منهم
يقول لقليلا الامر الذين استثنى الله عز وجل حين قال ابليس لعنه الله لاحتنكن ذريته الا قليلا
وحيث قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال غيرهم ما ذكرنا على التقديم والتاخير
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا منهم والله اعلم بذلك وقوله عز وجل فقاتل
في سبيل الله لا تكلف الا نفسك قوله لا تكلف الا نفسك يحتمل وجهين اي ليس عليك حسابهم من شيء
وكقوله عز وجل فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم والثاني لا تكلف الا نفسك اي تكلف انت بالقتال
والجهاد وان تخلف هؤلاء عن الخروج معك يؤيده ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله قال هذا
حين استنفر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه رضي الله تعالى عنهم بوعد ابي سفيان بدر الصغرى فخذل
الناس فانزل الله تعالى هذه الآية فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاخرجن الى بدر ولو لم يتبعني
احد منكم فاتبعه اقل الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفيه دليل
وعد النصر له والفتح والنكبة على الاعداء لا ان تخلف الخروج وحده فلو لم يكن وعد النصر له لم يؤمر بالخروج
الا ترى انه قال الله عز وجل عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وعسى من الله تعالى واجب وفي قوله
تعالى عسى الله وعد نصره وان خرج وحده اذ العسى هو من الله واجب وقوله عز وجل وحرض المؤمنين على القتال
يحتمل وجوها يحتمل حرض المؤمنين بالثواب لهم وكريم المآب على ذلك ويحتمل المؤمنين قوله تعالى حرض
المؤمنين على القتال لما في القتال لهم اظهار دين الله الاسلام وفي ترك المجاهدة والقتال معهم نصر العدو
عليهم واظهار دينهم امر عز وجل رسوله عليه الصلوة والسلام ليرغبهم في مجاهدة اعدائهم والثالث
وحرض المؤمنين على المجاهدة والقتال معهم وعدا بالنصر لهم والفتح والغنيمة والله اعلم وقوله عز وجل عسى الله
ان يكف باس الذين كفروا والعسى من الله واجب وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكف عنهم باس الذين
كفروا وقوله عز وجل والله اشد باسا واشد تنكيلا قيل وقوله اشد باسا لما يدفع باس المشركين عنكم
ولا يقدرون هم دفع باس الله عن انفسهم فباس الله اشد وقوله سبحانه واشد تنكيلا قيل التنكيل هو العذاب
الذي يكون للآخر فيه زجر ومنع وقيل حين قال له لا تكلف الا نفسك ولو لم يتبعك احد من الناس لكف الله
عنك باس المشركين وقيل الباس هو عذاب الدنيا والتنكيل والنكال هو عذاب الآخرة لا تنجو منهم بباس تخلفهم
عن العدو ومخالفتهم باسهم وعذابهم فاخبر عز وجل ان باس الله وعذابه اشد من باس الاعداء والله اعلم

وقوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها
لم يذكر ما تلك الشفاعة التي يشفع فيحتمل الشفاعة الحسنة هي الدعاء له بالمغفرة والرحمة وهو لذلك
مستوجب فيكون له بذلك نصيب والشفاعة السيئة هو الدعاء عليه باللعن والمقت وهو لذلك غير مستوجب
فيكون له منها نصيب وقيل هو كقول العرب الدال على الخير كفاعله من دل آخر على الخير فله في ذلك
نصيب وكذلك من دل آخر على الشر ويحتمل الشفاعة الحسنة في مظلمة يسعى في دفع مظلمة من اخيه المسلم
وهو شفاعة حسنة فله في ذلك نصيب ويحتمل الشفاعة السيئة هو ان يسعى في هنا دام يلحقه من ذلك
نقمة ومظلمة فله في ذلك اثم وقيل الشفاعة الحسنة هي التي ينتفع بها وعمل بها هي بينك وبينه
هما فيها شريكان والشفاعة هي التي تصير بهما فيها شريكان ويحتمل ان يكون الشفاعة الحسنة
كل معروف وكل آمر به والشفاعة السيئة كل صانع منكر وآمر به فيهما شريكان في ذلك الامر والفاعل
جميعا ويحتمل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله
والله يحب اغاثة اللهفان وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لا صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وما صدقة اللسان يا رسول الله قال الشفاعة تجر بها الى اخيك
وقد وقع عند نقل الكراهة ويجنى بها الدم والكفل والنصيب واحد وقيل الكفل الجزء وقيل الكفل
الاثم ولكن ليس اثمه خاصة الا ترى انه قال يؤتكم كفلين من رحمته والشفاعة من اعظم ما احتيج اليها
اذ قد جاء القرآن بها والآثار عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والشفاعة في المعهود من الامر
يكون عند زلات يستوجب بها المقت والعقوبة فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الاخيار واهل الرضا بهم
ثم كانت الصغاير ممالا يجوز التعذيب عليها عند القايلين بالخلود بالكباير والكباير مما لا يعفى عنها بالشفاعة
فاذا بطل عظم ما جاء من القرآن والآثار في الامتنان وسقط ما جبل عليه اهل العلم بالله وبرحمته
وبطل رجاء المسلمين بشفاعة الرسل صلوات الله عليهم ولا قوة الا بالله وقال بعضهم الشفاعة تخرج
على وجهين على ذكر محاسن احد عند آخر ليقدر له عنده المنزلة والرتبة والثاني ان يدعو له فالاول
هو الذي يحتمل توجيه الشفاعة اليه والثاني قد بين بقوله الذين يحملون العرش الى قوله العظيم
وقوله تعالى لا يشفعون الا لمن ارتضى والخوف يدل على وجهين الشفاعة لان المرتضى هو ذو منزلة
وقدر وهو ممن تضمنته آية شفاعة الملائكة فيقال الوجه الاول في الآخرة لا معنى له لوجهين احدهما انه
في تقرير الامر عند من يجهله والله جل ثناؤه هو العليم بحقيقة ذلك بل غيره مما يجوز عليهم خفاء
الحقايق كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا الآية وقال عيسى عليه الصلوة
والسلام ما قلت لهم الا ما امرتني به الآية وكان في ذلك ان الحقايق في ذلك عند الله وهم تبرؤا عن العلم
بذلك واقروا بان الله هو المنفرد بعلم ذلك وبالله التوفيق والثاني ان ثمة كتبا يقرا فيها اعمال بني آدم وما سبق
منهم من صغير وكبير فهي الكافية في التقدير ان كان في حق الاحتجاج وان كان في حق الاعلام فعلم الله بهم
معنى عن ذلك ولا قوة الا بالله واما الدعاء فكذلك نقول بدعاء لمن له ذلك الوصف ويشفع له فيما كان منه في ذلك
منه من المآثم والذنوب لانه اذا كان كل افعالهم ذلك فيشفع لهم لانه لا يجوز في الحكمة تعذيبهم على ما ذكر
من الافعال بل لهم عليها اعظم الثواب وارفع المأوى وطلب الشفاعة والمغفرة لمثله يقبح من وجوه احدها
ان ذلك لا يجوز في الحكمة فكانهم طلبوا منه ان لا يجور ولا يسفه وذلك لا يليق بالخلق يخرج مخرج السفيه
فضلا من ان يتضرع الى الله به جل الكريم الحليم هذا الوصف والثاني ان الخلق في مثله اذ هو مثاب عن معاتب
يلق ذلك منه بالشكر والحمد وفي الدعاء كتمان ذلك وكفران وحال الاذن في مثله وبالله التوفيق والثالث ان الدب
في الموعود بالجنة والمبشر بها فطلب مثله يوجب الجهل له بذلك لان يكون الوقت لم يبين يكون ذلك

في الاستعمال

160

في الاستعمال فهو قولنا في اصحاب الكباير انهم لو عذبوا بقدر الذنوب لكان ذلك في الحكمة عدلا فيشفع له
لسايلهم بالفضل والاحسان دون العدل والاستيفاء ولا قوة الا بالله والاصل انها مقادير العقوبات انما تعرف
من يعرف مقادير الاجرام وليس من الخلايق يحتمل تركيبه احتمال العلم بمقاديرها اذ لا احد يبلغ في معرفة
تعظيم الله كنه عظمته ليعرفوا قدر الخلاف لامره جل وعلا وما كان هذا سبيله فحق القول فيه الاتباع انه
لا يجزى بالسيئة الا مثلها ثم معلوم ان السيئة اعظم من الكفر وجعل مثلها من الجزاء الخلود في النار فان لزم
ذلك لما دونه وصف الله تعالى انه يجزى بالسيئة اكثر من مثلها والله عز وجل اخبرنا انه لا يجزى
ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ايضا من يشفع شفاعة حسنة وسيئة يكون فيما بين المرء والرب يشفع
اليه بالمغفرة لاحد والتجاوز عن المذنب فيكون له نصيب منها ويحتمل ان يكون الله تعالى برحمته يرحمه
على اخيه بالشفاعة اليه بالتجاوز عنه والمغفرة ويحتمل ان يكون الله تعالى اذا غفر له يجعل له في شفيعه
شفاعة يهبه له كما وهبا لاول له وفي السيئة فيما يلعنه او يدعو الله عليه بالهلاك عن غير استحقاق
او عليه في بقائه فيكون له نصيب اللعن الآخر ولحد يلعنه ويدعو عليه بان يعاقبه باساءته الى اخيه
في طلب الهلاك بلا معنى له وقوله عز وجل ايضا من يشفع الآية يحتمل فيما بينه وبين ربه يشفع له بجزاء
من عفو وتجاوز او يسوء اليه من لعنه او هلاك والنصيب منها بوجهين احدهما المغفرة في الاول هي
برحمته اخاه واشفاقه عليه او يعطي المشفوع له الشفاعة فيكون ذلك له نصيب منها وفي الثاني يجزيه
باساءته من لعنه ودعا عليه بالهلاك بلا استحقاق يقتضي الاول واحدا بمثله فيه والله اعلم ويحتمل
فيما بينه وبين الناس ثم يكون ذلك بوجوه احدها بما يشفع الى من بين اخيه وآخر سوء في دفع ذلك وحلت
المحبة او الالفة او الى ضد ذلك يشفع في اقالة عثرة او نميم بينهما للالقاء عداوة او يشفع اليه بالدلالة
على ملهوف في اغاثة او مظلوم في نكبة او يصنع معروفا او منكرا يبعث ذلك على خير او شر ولا قوة الا بالله
وقوله عز وجل وكان الله على كل شيء مقيتا قيل هو الحافظ وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل مقيتا
حسيبا اي مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة وروي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من استاكل
بمسلم اكلة اطعمه الله من نار جهنم ومن قام باخيه المسلم مقام سمعة ورياء اقامه الله تعالى مقام سمعة ورياء
ومن يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع عورته يفضحه في بيته وعن الفراء والكسائي
قالا المقيت المقتدر من وقات بقيته آفاته وقيل المقيت مشتقة من القوت يقوت رزق كل دابة على الله تعالى
حتى تستوفي اكلها ورزقها وقيل مقيتا واجبا يكلؤهم ويرزقهم وقال ابو بكر الكسائي وهو ماخوذ من الكتب
السابقة ليس هو بلساننا فنحن لا نتاوله فلعله على خلاف ما يتاوله والله اعلم وقوله عز وجل واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها او ردوها ذكر التحية ولم يذكر ما تلك التحية واسم التحية يقع على اشياء من نحو ما جعل
الصلوة تحية المسجد والطواف تحية البيت وغير ذلك مما يكثر عددها لكن اهل التاويل اجمعوا على صرف هذه
التحية الى السلام دون غيرها من التحية التي ذكرنا الا ترى انه قال عز وجل او ردوها ولو كان غيرها لم يقل
او ردوها لان غيرها من التحية لا ترد اذ في الرد ترك القبول ولم يؤمر بذلك دل انه اراد بالتحية السلام ويدل
على ذلك آيات من كتاب الله تعالى قال الله عز وجل فسلموا على انفسكم تحية من عند الله فجعل تحية الملائكة صلوة
للمؤمنين السلام كقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم وجعل تحية اهل الجنة السلام كقوله تعالى لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما وكقوله تعالى تحيتهم فيها سلام وتحية الملائكة بعضهم على بعض بالسلام الا ترى انه قال الله عز وجل
فسلموا على انفسكم تحية من عند الله الآية فعلى ذلك يمكن وان يكون المراد من قوله تعالى اذا حييتم بتحية السلام
وجعل الله عز وجل السلام علما وشعارا فيما بين المسلمين وامانا يؤمن بعضهم بعضا عن شره الا ترى ان اهل
الرسية لا يسلمون ولا يردون السلام وان كان لا يعرفون تفسيره ولا معناه ولكن على الطبع جعل ذلك لهم

والسلام قيل هو اسم من اسماء الله تعالى فهو يحتمل وجوها يحتمل سلام مسلم طاهر عن الاشباه والاشكال
وسلام عدل منزه عن العيوب كلها والجور والظلم **وقوله** ورحمة الله اى برحمته يخرج من شقا وسعد من سعد
وبركاته بركاته بر بنا ان كل خير وهو اسم كل خير الا ترى انه التحليل من الصلوة بالسلام بقوله السلام عليكم ورحمة الله
على ما جعل تحريمها باسم الله فعلى ذلك جعل الافتتاح بما برحمن للختم ثم اختلف فى قوله عز وجل فحيوا باحسن
منها او ردوها فقيل حيوا باحسن منها للمسلمين او ردوها على اهل الكتاب وعن انس رضى الله عنه قال
نهينا ان نزيد على اهل الكتاب على عليك وعليكم وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال السلام اسم من اسماء الله
تعالى وصفاته فى الارض فافشوه بينكم فان الرجل اذا سلم كتبت له عشر حسنات فان هم ردوها عليه
كتب لهم مثله وقيل قوله تعالى فحيوا باحسن منها بالزيادة او ردوها بمثلها وروى عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم ورحمة الله ثم جاءه آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال النبى عليه
الصلوة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم جاءه آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال عليكم
فقيل له انك رددت فى الاول والثانى فقال ان فى الاول والثانى وقد ابقيا لى زيادة وهذا لم يبق لى زيادة
وقيل انه روى انه سلم عليه رجل فقال السلام عليكم فقال النبى عليه الصلوة والسلام عشر يعنى
عشر حسنات وسلم عليه آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون وقال آخر السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته فقال ثلثون ومنتهى السلام قوله وبركاته لا يزاد عليه كقوله ورحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت فان قيل يسلم فى الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك ايها النبى
ورحمة الله وبركاته ولا يقول فى التحليل من الصلوة وبركاته قيل لوجهين تفضيلا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والثانى ابقاء لهم فى الرد زيادة ويسلم الراكب على الماشى والقائم على القاعد روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقايم على الجالس والصغير
على الكبير وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا انتهى احدكم
الى المجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس وان قام والقوم جلوس فليسلم فليست الاولى باحق
من الاخرى وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تشبه بغيرنا فليس منا
وقال لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى فان تسليم النصارى بالاكف وتسليم اليهود بالاشارة ويكره
ان يبتدى باهل الكتاب بالتسليم ولكن اذا بدأهم يردوا على ذلك جاءت الآثار وعن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تبدؤا اليهود والنصارى بالتسليم واذا لقيتموهم فى الطريق
فاضطروهم الى اضيقها وعن ابى نضرة الغفارى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم يوما انى راكب
الى يهود فان سلموا عليكم فقولوا وعليكم ثم قيل فى تفسير السلام عليكم بوجوه قال بعضهم تاويله الله شهيد عليكم
وقيل الله قايم عليكم وقيل الله قايم عليكم وهو كقوله تعالى افمن هو قايم على كل نفس برا وفاجرا يرزقهم ويحفظهم
ويستجيب لهم وقيل هو الدعاء لهم بالمغفرة والسلامة وهو ما ذكرنا بدئيا **وقوله** عز وجل ان الله كان على كل
شئ حسيبا قيل شهيدا وقيل حفيظا وقيل كافيا مقتدرا يقال احسبنى هذا اى كفانى وقال الكسائى مشتقة
من الحساب كقوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اى حاسبا كالامير والآمر والقدير والقادر
والله تعالى اعلم **وقوله** عز وجل الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه هذا والله اعلم لما الزمهم
واجرى على السنتهم انه الله وانه خالق السموات والارض وانه خالقهم كقوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله
اخبر ان الذى سميتموه الله وقلتم انه خالق السموات والارض هو واحد لا اله غيره ولا رب سواه هو واحد
لا شريك معه ولا انداد ان الاصنام التى يعبد وتها دون الله قد يعلمون انها لا تنفعكم ان عبدتموها ولا تضركم
ان تركتموها عبادتها وبالله التوفيق **وقوله** ليجمعنكم الى يوم القيامة قيل فيه بوجهين قيل ليجمعنكم ليوم القيامة

كقوله

كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل ليجمعنكم فى القبور الى يوم القيامة ثم يبعثكم والله اعلم **وقوله** ومن اصدق من الله
حديثا معناه والله اعلم انكم تقبلون الحديث بعضكم من بعض وان حديثكم يكون صدقا ويكون كذبا فكيف
لا تقبلون حديث الله وخبره فى البعث وما اخبر فى القرآن وحديثه لا يحتمل الكذب هذا والله اعلم بتاويله
وقوله عز وجل فما لكم فى المنافقين فئتين اختلف فى قصة الآية قيل ان ناسا من اهل مكة قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا واقاموا بها ما شاء الله ان يقيموا ثم ندموا على الهجرة والاقامة بها وارادوا
الرجعة الى مكة فخرجوا يتحولون منقلة حتى تباعدوا من المدينة فلحقوا بمكة فكتبوا كتابا ثم بعثوا به مع رسول
من قبلهم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدم به الرسول عليه بالمدينة فاذا فيه انا على الذى
فارقناك عليه من التصديق بالله وبرسوله اشتقنا الى ارضنا واجتوينا المدينة ثم انهم خرجوا من مكة
متوجهين الى الشام للتجارة فبلغ ذلك المسلمين وهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بعضهم
لبعض فما يمنعنا ان نخرج الى هؤلاء الذين رغبوا عن ديننا وتركوا هجرتنا فنقتلهم ونأخذ ما معهم
فقال فريق منهم كيف تقتلون قوما على دينكم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساكت لا ينهى واحدا
من الفريقين حتى نزل قوله تعالى فما لكم فى المنافقين فئتين بين الله عز وجل لرسوله امرهم وما صاروا
اليه وقيل تخلف رجال عن احد فكان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم فئتين فرقة
تقول اقتلهم وفرقة تقول اعف عنهم فنزلت الآية فما لكم فى المنافقين فئتين وقيل ان قوما كانوا يتحدثون
فاختصموا فى اهل مكة فقال بعضهم انهم كفار وقال آخرون انهم قد اكلوا ذبائحكم وصلوا صلوتكم واجابوا
دعوتكم فهم معكم وقال غيرهم تركوا النبى صلى الله عليه وسلم وتخلفوا عنه فاكثروا فى ذلك فنزل قوله تعالى
فما لكم فى المنافقين فئتين الآية فلا ندرى كيف كانت القصة ولكن فيه النهى عن الاختلاف والتنازع بينهم
كانه قال والله اعلم كيف تختلفون فى قوم ظهر نفاقهم وكيف لا تسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن حالهم وهو بين اظهركم كقوله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول الآية وظهور نفاقهم
يحتمل الخبر منه نصا انهم منافقون ويحتمل الظهور بالاستدلال على افعالهم وقد يوقف على حال المرء بفعله
انه كافر او مؤمن **وقوله** عز وجل والله اركسهم بما كسبوا قال الكسائى فيه لغتان يقال اركسته فى امر كذا
وكذا وركسته وارتكس الرجل اذا وقع فيه ورجع اليه وقيل فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وحفصة
رضى الله عنها والله ركسهم بما كسبوا ثم قيل اركسهم اى ردهم وعن ابن عباس رضى الله عنه اركسهم
بما كسبوا قال اوقعهم ثم يحتمل قوله تعالى اركسهم بما كسبوا وجهين بما اظهروا وبما كان فى قلوبهم
من النفاق والخلاف لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله تعالى بما كسبت قلوبكم ويحتمل ابتداء
بكسب كسبوا بعد ما اسلموا اى كفروا وارتدوا عن الاسلام بعد ما صح اسلامهم وفى اضافة اركاسهم
الى الله دلالة خلق فعلهم وحرمانا تامر بملكه والله اعلم بما كسبوا من احداث شرك او تكسبهم بالقلوب
وقت اظهارهم الايمان فى ان ظهر عليهم لحوقهم اخوانهم من الكفرة او لما جعل الله من اعلام النفاق
التى ظهرت بعرض الجهاد والعبادات والله اعلم **وقوله** عز وجل اتريدون ان تهدوا من اضل الله
تاويله والله اعلم اتريدون ان يهتدوا وقد اراد الله ان يضلوا لما علم الله منهم انهم لا يهتدون
باختيارهم الكفر ويحتمل انكم لا تقدرون على هداهم اذا لم يهدهم الله تعالى كقوله تعالى انك لا تهدى
من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وفى قوله ايضا اتريدون ان تهدوا قيل ان تسموا مهتدين
وقد اظهر الله تعالى ضلالتهم صلة كقوله تعالى فما لكم فى المنافقين فئتين حذرهم عن الاختلاف
فى التسمية بعد البيان وقيل ان يجعلوهم مهتدين وقد جعلهم ضالين على نحو قوله تعالى انك لا تهدى
من احببت الآية ايد ذا تمام الآية واوضح الاول قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يقول لمن اضله الله

بين الهدى فلن تجد له سبيلا يهتدى وقيل دينا وقيل مخرجا وهو واحد والله اعلم وقوله عز وجل
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء قيل ودّ الذين تركوا الهجرة فرجعوا الى اهلهم ومنازلهم الذين
قال الله فما لكم في المنافقين فئتين ان تكفروا بما كفروا اى تتركون الهجرة وترجعون كما رجعوا منهم فتكونون
انتم وهم سواء شرعا فى الكفر فسماهم الله كفارا وامرهم بالبراءة منهم فقال فلا تتخذوا منهم اولياء بالهجرة
الاولى كقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء قال الله تعالى لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وكقوله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهاهم ان يتخذوا اولياء حتى يهاجروا الهجرة ثانية الى المدينة ويثبتون
على ذلك هذا على قول من قال انهم كانوا هاجروا ثم لحقوا بمكة واما فى قول من قال انهم كانوا فى اهلهم تكلموا
بالاسلام فيها ولم يهاجروا فمعنى هذا لا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا الا هاجر غيرهم وقيل المهاجرون على طبقات
منهم من هاجر واقام وسمع واطاع وثبت على ذلك ومنهم من هاجر ثم خرج من غير اذن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فلحق باهله وابطل هجرته الذى هاجر وايمانه الذى آمن ومنهم من تكلم بالاسلام واقام باهله
ولم يهاجروا به قوة الهجرة كان كذلك ومنهم من تكلم بالاسلام ولم يكن له قوة على الهجرة كانوا مستضعفين
وهو والله اعلم ما قال الله الا المستضعفين من الرجال والنساء وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال
كنت انا وامى من المستضعفين والذين امنوا ولم يهاجروا ولهم قوة الهجرة ما قال الله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وفى قوله تعالى فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا ويحتمل من اظهر
الموافقة من المنافقين للكفرة ولحق بهم ويحتمل من قد آمن ولم يهاجر فيكون الاول على ولاية الدين والثانى ولاية
الميراث كقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ ومن يتأول الاية على اظهار الكفر
دون الخروج من المدينة فهاجرته تخرج على وجهين احدهما ان يكون قد انضم فيها الى معانى
الكفرة فيما يترك صحبتهم والثانى ان يهاجر الاعلام المجعولة لاهل النفاق مما يظهر ذلك فيما امتحنوا
من الافعال فيظهر خلاف ذلك كقوله ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم وقوله عز وجل فان تولوا
وابوا الهجرة فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم لانهم صاروا حربا لنا حيث تركوا الهجرة وابطلوا
ايمانهم الذى تكلموا به ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا لما ذكرنا والله اعلم وقوله ولا تتخذوا منهم وليا
ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق يخرج على وجهين احدهما فى لحوق قوم من مظهرى
الايمان انهم لو لحقوا بمن لا ميثاق بينكم وبينهم ولا عهد فاقتلوهم حتى يتوبوا ويهاجروا او باهل
الميثاق لا تدعوهم الولاية التى كانت بينكم وبينهم والثانى ان تكون الاية فى قوم من الاعداء واهل الحرب
لو انضموا الى اهل الميثاق والعهد فلا تقاتلوهم فيكون الامر عقيب موادعة تجرى من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وبين قوم من دونهم على ان لا تمانع بينهم لاهل الاتصال فى الزيادة والاجتماع الى المدة
المجعولة للعهد ممن اذ خيف منهم ينبذ اليهم العهد ويوفى اليهم المدة اذا وفوا والله اعلم كقوله
الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم وقوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وقوله
عز وجل الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق قال بعضهم استثنى الذين خرجوا من دار الهجرة
مرتدين الى قومهم وكان بينهم وبين المؤمنين عهد وميثاق وقال وفيهم نزل قوله تعالى الا الذين عاهدتم
من المشركين كانه قال والله اعلم ان وصل هؤلاء الى اولئك الذين بينكم وبينهم عهد وميثاق
فلا تقاتلوهم وقيل كان هذا فى حى من العرب بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امان وعهد
وكان الموادعة على ان من اتاهم من المسلمين فهو آمن ومن جاء منهم الى المؤمنين فهو آمن يقول والله اعلم
ان وصل هؤلاء او غيرهم الى اهل عهدهم او قال عهدكم فان لهم مثل الذى لاولئك من العهد
وترك القتال وعن ابن عباس رضى الله عنه قال لما صد مشركوا مكة نبى الله صلى الله عليه وسلم عن البيت

جاء رجل

الضيق نسيج الشعر وغيره عجينا والضيقة مثله
شرح

جاء رجل يقال له كذا من بعض القبائل لتنظل ما امر محمد وقريش فراهم قد حالوا بين رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وبين البيت فقال يا معشر قريش هلكتم اتردون قوما عمارا ضغن واردتم عن البيت
والله لا نشركم فى هذا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ووادعه ان لا يكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يكونوا عليه ومن جاء اليه فهو آمن فلا ندرى كيف كانت القصة فى ذلك غير ان فيه دليلا ان من اتصل
باهل العهد وكان على رأيهم فهو بمنزلتهم لا نقاتلهم من قولنا ان الامام اذا وادع اهل بلدة من بلد
ان اهل الحرب فمن دخل فيها او اتصل بهم فهم آمنون مثلهم لا يحل قتالهم ولا اسرهم
حتى ينبذ اليهم عهدهم واذا آمن قوما منهم فى دار الاسلام ووادعهم ثم انضم اليهم آخرون
فدخلوا معهم دار الاسلام له قتالهم واسرهم والله اعلم وقوله عز وجل او جاءوكم حصرت صدورهم
قيل اى ضيقة صدورهم وهكذا قال الكسائى كل من ضاق صدره عن فعل او كلام فقد حصر فهذا
والله اعلم ما ذكرنا ان الموادعة ان لا يعين بعضهم بعضا فى القتال ولا يعينوا عليهم عدوهم فنهاهم الله
عن قتالهم لما اخبر ان قلوبهم تضيق على ان يقاتلوكم مع قومهم او ان يقاتلوا قومهم معكم وفى قوله تعالى
ايضا او جاءوكم حصرت صدورهم يحتمل ان يكون حكم هذا الحرف ما ضمنه الحرف الاول فيكون ذلك
الشئ عمن ذكرت اذا كان هذا صفته اذ يضيق صدره عن مقاتلة المؤمنين والكافرين جميعا اما بالطبع او بوفاء
العهد او بالنظر فى الامر ليتبين له الحق وهو متردد فى الامر بما يجد المعروفين بالكتب التى احتج بها رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم مختلفين فيه على ما عقولهم مرتعب بهم او تخلف عن الاحاطة بحق الحق الا بعد
طول النظر والله اعلم فيكون معنى قوله او جاءوكم بمعنى وجاءوكم ويحتمل فى قوم سوى ما ذكرت من الذين
يصلون لكن اولئك المعاهدين نفسه الذين ابت انفسهم نقض العهد بينهم وبين المؤمنين وعرفوا
على الوفاء به وابت انفسهم ايضا معونة المؤمنين على قومهم بالموافقة بالمذهب والدين وعلى ذلك وصف
جميع المعاهدين الذين عزموا على الوفاء بالعهد وذلك فى حق الآيات التى ذكرنا ثم بين ينقضون
العهد والمنافقين الذين متى سئلوا عن الكون على رسول الله والعون لاعدائه الامر فيهم وذلك كقوله تعالى
يا اهل يثرب لا مقام لكم ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وتكون هذه الاية
فيهم كقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون الاية فيكون فى هذه الاية الاذن والله اعلم وقوله عز وجل ولو شاء الله
لسلطهم عليكم اى نزع فى قلوبهم الرعب والخوف فقاتلوكم ولم يطلبوا منكم الصلح والموادعة فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم يعنى طلبوا الصلح وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقيل قالوا انا
على دينكم واظهروا الاسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اى حجة وسلطان القتال امر الله رسوله صلى الله
عليه وسلم بالكف عن هؤلاء ثم قال ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم الاية قيل كان
رجال تكلموا بالاسلام متعوذين ليأمنوا فى المسلمين اذا القوهم ويأمنوا فى قومهم بكفرهم فامر الله بقتالهم
الا ان يعتزلوا عن قتالهم وقيل قوله تعالى ستجدون آخرين غيرهم ممن لا يفى لكم ما كان بينكم وبينهم من العهد
يريدون ان يأمنوكم يقول يريدون ليأمنوا فيكم فلا تتعرضوا لهم ويأمنوا فى قومهم بكفرهم فلا تتعرضوا لهم
ثم اخبر عز وجل عن صنيعهم وحالهم فقال كلما ردوا الى الفتنة يعنى الشرك اركسوا فيها اى كلما دعوا الى الشرك
فرجعوا فيها فهؤلاء امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم وعرفه صفتهم ان لم يعتزلوا ولم يكفوا ايديهم
عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اى جعلنا لكم عليهم سلطانا
القتل وحجته وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ويكفوا ايديكم عن ان يقاتلوكم وفى حرف ركسوا فيها وفى حرف
حفصة ركسوا فيها وفى حرفها ان يقاتلوكم ويقاتلوا قومهم ثم يحتمل نسخ هذه الاية وقوله وقاتلوا فى سبيل الله
الذين يقاتلونكم وقوله تعالى فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم بقوله عز وجل اقتلوا المشركين حيث

وهم متاددون فى امرهم لانهم وجدوا علماءهم الذين احتج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتب التى فى ايديهم مختلفين فيه مع كمال عقولهم وشهادتهم بمعرفة الكتب السماوية بعضهم امنوا به وبعضهم لم يؤمنوا توافقوا فى ذلك ليتبين لهم الحق او لا تمكنهم الاحاطة بحقيقة الحق الا بعد طول التأمل والنظر
شرح

حيث وجدتموهم لان الغرض في القتال اول ما كان فرض عن نقاتل من قاتلنا وبدانا ثم ان الله تعالى قال اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم وقوله عز وجل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء اختلف
عن ابن عباس رضي الله عنه قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا بغير حق عمدا الا خطاء فمه لا يملكه وقيل
الا بموضع الواو وكانه قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطاء وذلك جائز في اللغة وقيل وما كان
ينبغي لمؤمن ان يترك قتله اذا قتل آخر عمدا الا خطاء فانه يترك قتله ولا يقتل به وهو قول ابي بكر
الكيساني وقيل وما كان ينبغي لمؤمن ان يتزل حكم قتله الا خطا قال ابو بكر الكيساني حكم القتل ما ذكرنا له
من القصاص والعفو والدية وكلام نحو هذا ويحتمل قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا قط بعد ما سبق من الله
بيانه في غير آي من القرآن نحو قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص وهو قوله تعالى وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس وقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وغيرها من الآيات
الا خطاء فانه لم يسبق منه الحكم فيه الا في هذه الآية وقيل وليس لمؤمن ان يقتل مؤمنا على كل حال
الا ان يقتله مخطيا تغليبه ما في القرآن وهو قريب مما ذكرنا ثم الخطا عندنا على وجهين خطاء قصد
وخطاء دين فخطاء القصد هو ان يقصد احدا فيصيب غيره وخطاء الدين هو ان يعرفه مشركا كافرا
من قتل حلال الدم فيقتله على ما عرفه من قبل وهو الحال مسلم فان قيل كيف لزمه في قتل الخطا ما لزمه
من الكفارة وقد اخبر الله عز وجل ان لا يواخذه له وان لا حرج عليه في ذلك بقوله لا يواخذكم الله
باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وقال في آية اخرى لا جناح عليكم فيما اخطاتم فيه ولكن
ما تعمدت قلوبكم وغيرها من الآيات قيل ان الفعل فعل ماثم وان كان لم يوجد منه القصد فيه
فما اوجب انما اوجب لما انه فعل ماثم والثاني يجوز ان يكون الله يكلفنا بترك القتل والفعل
في حال السهو والغفلة الا ترى انه قال لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا والخطا نقيض الصواب
فلا يجوز ان يومر بطلب الصواب ولا ينهى عن اتيان ضده كقوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا
الآية ثم اختلف في المعنى الذي اوجب عليه رقبة مؤمنة قيل لانه اتلف نفسا خلقها الله تعالى
لعبادته فاوجب مكانها نفسا مؤمنة لتعبد الله على ما عبدت تلك لكن التاويل لو كان هذا
لكان يجب في العمد ما وجب في الخطاء لانه وجد ذلك المعنى لكن اوجب لا لذلك المعنى والله اعلم
ولكن تغليظا وتشديدا عليه لما اتلف نفسا محظورا لم يوذن له في ذلك ليلا يقدم على مثله والله انه يوجب
على من شاء بما شاء لما شاء من غير ان يقال لم وكيف واين والثاني اوجب عليه رقبة مؤمنة لانه
ابقى له نفسا مؤمنة فعلى ما ابقى له نفسا اوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة وعند قوله تعالى ايضا
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء اختلف في تاويله وما كان لمؤمن فمنهم من يقول باضمار فما كان
يملك لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء يخرج معنى يملك على وجهين احدهما ما قاله ابو بكر
الملقب بالاصم اي يملك له القصاص الا ان يقتله خطاء لكن هذا يوجب منع العفو لما بدا الدل ومعلوم
انه امر رغب فيه حتى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي القتيل الى العفو ثم الى اخذ الدية ثم لما ابت
نفسه عند ذلك اذن له في الاقتصاص ويدل على ذلك قوله تعالى فمن عفي له الآية وقوله تعالى
وكتبنا عليهم فيها الى قوله تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له الآية الا ان يرجع في قوله يملك
الى الوجوب اي لا يرفع عنه ايجاب القصاص الا من قتل مؤمنا خطاء فانه ليس عليه القصاص والثاني انه
ما كان يملك له من التانيب والتوبيخ والتعيير بسوء صنيعه بالجنية وتعديه حد الله ومعونة
ولي القتيل اذ فان من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا فحق ذلك على الناس ان يظهروا له
التكبر عليه ويقوموا بالنصر لوليه والله اعلم الا ان يكون خطاء فلا يلقونه بشيء مما ذكرت بل يقومون

بالشفاعة له والمعونة في احتمال ما لزمه ولذلك جعل والله اعلم امر العقل على ما به من ابقاء الالفة
ودفع الضغينة واجتماع التالم للمصيبة ومنهم من يقول في تاويل الآية وما كان لمؤمن اي حرام عليه ذلك
الفعل بما حرم الله وبما بينهما من الاخوة في الدين وبما هو شقيقه وجنسه يتالم مما يتالم الآخر ويتاذى
بما يتاذى الآخر والنفس عن مثله ينهى والطبع ينفر فما كان له بعد هذا ان يقتل وقوله عز وجل الا خطاء
قيل فيه بوجوه احدها ان يقع ذلك منه على الخطا فيكون على ما لا يلحقه اللائمة التي ذكرنا ولا وصفا لتعدي
الذي وصفنا والثاني ان يكون الامر في موضع الابتداء لما بين له من الحكم بمعنى وما كان لمؤمن ان يقتل
مؤمنا البتة لكن من قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما بمعنى
لا يسمعون فيها لغوا البتة لكن الذين يسمعون يسمعون سلاما وقيل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا
الا ان لا يعلم انه مؤمن وكان عرفه كافرا له قبله بما روي من الاذن في البيات وقتل عيون الكفرة
بما سبق من ظهور كفرهم وان احتمل ايمانهم فيما بين الوقتين فيكون بمعنى حرام عليهم الا من هذا
وصفه ويجوز وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء اي لمؤمن ذلك قصدا الا ان يقتل خطاء فانه ليس
فيمن يقال كان له اولا لما يقع به الا ان يفعله هو في التحقيق اذ حقيقة الفعل ان يقع بارادة ويخرج
عليها وهذا لا يقع بها ولا يخرج عليها وقوله عز وجل ومن قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة مؤمنة فلم يذكر
في القاتل انه مؤمن عند ذكر قتله لكنه رجع اليه بوجهين احدهما ان الآية في بيان قتل يكون له
من المؤمن وعليها جرى تفسير الحكم عند الوقوع والثاني قوله توبة من الله والتوبة بالتحرير تكون
للمؤمن لا غيره والله اعلم على انه حق الشرع من العبادات فلا يحتمل قصد الكافر به وايد ذلك المذكور
من الصيام وهو لا يقوم الا بالايمان ثم جعل الايمان شرطا من حيث الذكر وتاكيده باوجه ثلاثة احدها
بالتاكيد بذكر كل قتيل على اختلاف اهل القتل وفي ذلك دليل ان ذلك جعل عليه لمكان امر يدخل
على دينه مما عليه من الحق ان يحفظ حرمته ويحرمه بتوقي قتل من ذكر اذ حرم دينه عليه فيصير في قتله
مضيعا فما لزم ما ذكرت في كل انواع القتيل لرجوع امر ذلك كله الى تضييع من حق دينه ولذلك قيل
توبة من الله وذلك يخرج على وجهين احدهما ان يحقق معنى التوبة في فعل الله وذلك يخرج على وجهين
احدهما على ما تجاوز عنه اذ لم ياخذه بالخطا فيكون يحق جعل ذلك شكرا من العبد بما لم يواخذه بالخطاء
فيكون معنى التوبة منه انه لم يواخذه بالخطا الا ان في الاعتاق ذلك والاعتاق للشكر له فيما لم يكن اخذه
وقد يجوز ان يواخذه لما بالجهد في التحفظ قد يومن ذلك فلما لم يكلفه وتجاوز عنه كان على الخطا
يامر بالشكر لذلك والثاني قبولا منه ذلك في حق التوبة من غير القتل من الزلات فيكون في قيام
بما امره يوجب في حكم العفو عن مثله بجعل ذلك من العبد مقبولا بحق التوبة من الزلات او نسبا الى التوبة
منه اذا كان على التوفيق لفعله وذلك تسمية الله توابا على التوفيق او التجاوز والله اعلم والثاني يرجع
الى فعل العبد فيكون توبة من الله على عبده القاتل بان يتوب باعتاق رقبة مؤمنة وذلك يخرج على وجهين
احدهما ان يكون الفعل فعل ماثم ومع تعالى مواخذته عليه لانه بالجهد يمكنه بقاء ذلك ولذلك تعبد
بقوله تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا واذا كان كذلك فيكون ذلك منه توبة الى الله يحفظ
عن مثله في امر الدين والثاني ان يكون عليه حفظ دينه عما يقع فيه من التضييع الذي يبلي بانساء
الشيطان او يعرض غفلة او نحو ذلك فيلزم حسب ذلك بما ذكر وان لم يعلم اذ قد يجوز وقوع النقصان
في ذي الحرمات من وجه لا اثم يلحق نحو المذكور في التمادي وفي امر السهو في ذلك فيومر به بحسن ذلك
وذلك نحو ما قد يفسد بامور من وجه لا يعلم به فكذلك امر النقصان فيومر بالتوبة الى الله عز وجل
عن ذلك بما يمحي الله به من الامور والله اعلم معا قد يتصل بالقتل ما له حكم الخطا باثم المرء عليه ويخرج

فجايز ان يرجع حرف التوبة من الله الى ذلك وهو سمى خطاء العمد والثاني مما يدل على جعل الايمان شرطا
انه جعل لما وقع في حق الدين من التضييع اذ تعلقت الحرمة بالدين من الوجه الذي بينا ولا فرق بين عبادة
يشار اليها يقع فيها تضييع في حد منها يبرم تلك بكفارة وبين جملة من العبادات يعتقدها الانسان
وضمن الوفاء بما يقع في حد منها تضييع ان عقد احدها من الغرض لا يعلم الا من يعلم حد التضييع من الاصل
ولا يعلم حده غير الذي جعل الحدود فيكون في ذلك بيان المبرم وبدونه لعله لا يخير فالزم بالاحتياط
ذلك وعلى ذلك امر الحدود والاجرام والثالث تعلق العوك على موقع الشرط انه يحق اللزوم وعلى ذلك شرط
في التتابع في الصيام له هذا المعنى والاول جميعا وعلى هذا الاتفاق جعل قوم امر هذا اصلا لغيره
من الكفارات ونحن لا نجعلها لوجهين احدهما انما لم يجعل ذلك التتابع في هذا اصلا لكل ما لم يذكر
فيه التتابع والثاني لما بينا من محل كل من اصل ذلك انه انما يعلم من علم ما حده من الاصل ومعلوم
الاختلاف في الكل لذلك لم يجب هذا لكن يطلق المطلق ويقيد المقيد بالذكر وايد ذلك ان الله تعالى
قد ذكر في كل قتل ولو كان بالذي يحتمل درك الحد بالتدبير لكان ترك الذكر في هذا للابهام الحكم
في نوع المذكور اقرب منه في غير نوعه فيبين والله اعلم لوجهين احدهما التنبيه على لزوم الرجوع
في هذا الى الذكر والثاني التنبيه انه لم يجعل لمكان القتيل لكن لما وقع في الدين من التضييع وجايز ان يكون
شرط الايمان بما سبق منه تضييع حد من الحدود الذي تقتضي ايجابه عليه الايمان فامر باعتاقه يسلم له
الرقبة لحفظ ما الزمه حق الايمان من الشغل عنه بحق الرق فيه لغيره ويجوز ان يكون انما بقيت به نفسه
وهي مومنة فامر ان يشكر الله تعالى بابقاء نفس مومنة اذ بالعتق واجبا وعلى ما ذكر من اختلاف الحدود
وما له حدود في حق الشرع لم يقس الطعام على الصيام عند العجز عنه على ما قضى به في حق الظهار والفطر
معما في الظهار حق لها لم يكن له التاخير الى القدرة عليه او ملك الرقبة وليس هاهنا واما الفطر هو
في بعض صيام قد جعل لاصله من الطعام عوضا عرف حده بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه الاية
فعلى ذلك امر عوض التعدي فيه وليس في امر القتل ذلك ودلت الاية بذكر الايمان على انه حدا يعرف موقعه
ثم الذي تبين فيها ان التصديق خاصة ما جمع بين المومن الذي يحتمل ان يكون منه ساير الشرايع والذي
لا يحتمل سوى نفس الايمان وهو المومن الذي من قوم عدو لنا اذ قد يومن في دار الحرب بما في العقل دليله
ولا يعلم به غيره من العبادات التي لها حق الشرايع وقد يجوز ان يكون في الابلاغ في وصف ما يكفر به
ابلاغ في التحذير عن الغفلة التي لديها خوف وقوع ما ذكر وعلى ما ذكرت من تضييع حق الزمه دينه لزم التفرد
كل واحد منهم الكفارة على التمام لما انفرد كل بما لزمه من الحق بدينه في التضييع وعلى هذا قولهم في المحرمين
يقتلون الصيد ان كل واحد منهم جنى على احرامه الذي لم يتصل احرامه باحرام غيره على ان النفس اذ هي
لا تحتمل التجزية لم يتجزا المجعول لها وعلى هذا امر القصاص والدية لم يجب في الحقيقة للنفس اذ هي قد تجب
لما دونها بما يحتمل التجزية اكثر مما يجب للنفس واذا بلغت النفس فسقط بعض ما له منها حكم الوجوب
ولما هي ترجع الى غير الجاني ومحال اخذ الكل ممن يرجع اليه بالكل بما يكون في طلب التخفيف الا اجحافه اهلاك
للخلق ولما كان حق النفس من حيث القتل في المال يختلف ومن حيث القصاص والكفارة لا ثبت ان المرجع
في هذين الى احوال في نفس القاتلين من دين يضيع حقه او متناع عن احتمال التجزية او احياء اريد بالموضع
ولو لم يجعل في الجماعة ليذهب فايدة الاحياء اذ الوجود بالاحاد غير فيبطل الاحياء في ابلغ احوال الحاجة
اليه ثم اذا رجع امر الكفارة الى من تولى قتله وقد سبق عليه امر الدية كقوله تعالى ومن قتل مومنا خطاء
فتحرير رقبة بمعنى عليه تحرير ما ذكرا وقد وجب عليه وعلى ذلك جميع ما في القرآن من الامر على اثر الاسباب
ثم نسق على ذلك بقوله ودية مسلمة الى اهلها فحقها ان يكون عليه والخبر الوارد من رسول الله صلى الله عليه وسلم

في امر العقل الذي توارثته الامة الى يومنا هذا بل الامم حتى كان قد ظهر عن امر الرسل السالفة بحق
التواتر في المومنين بهم والمنكرين لهم فكان ذلك بحق التعاون ولذلك قال اصحابنا رحمهم الله تعالى في الدين
لا عاقلة لهم تجب الدية في اموالهم وعلى ذلك فيما يظهر باقاويلهم دون البنات وهو الحق اذ فيما يجب فيه القصاص
انفسهم بتلف فعلى ذلك الدية والاصل في ذلك ان معنى القصاص معقول بالذي ذكره الله تعالى في القرآن
من قوله ولكم في القصاص حيوة فلا معنى لصرف ذلك الى غير المتولي لما يذهب الحيوة وجايز شرع ذلك بحق العقل
لينزجر الناس به ولتسلم لهم الحيوة الذي هي الذ الاشياء اذ بها يعرف اللذات كلها وذلك المعنى ليس نفس
القتيل احق من غيره من ان يجعل القصاص حقه بل الاولى ان يجعل لاعالة للردع والزجر مع ما كان معلوما
ان نفس القتيل لا ينتفع بالقصاص بل انما نفعها في ان يسوغ لخوف القصاص ممن يروم قتله شفاقا على نفسه
وليس ذلك المعنى في امر الدية بشيء وانما توجب بعد الوفاة ولم تجب من وجه يتولد منه المضاضة
والعداوة التي لديها سفك الدماء على حق تخصيص الدماء لما هي تجب بالخطا من وجه يعلم عذر من منه
ذلك لكن الله تعالى بفضله بما جعل للمتصلين معونة في حيوته وشرفا في كثرة الاقوام ونباهة في الدنيا
معما يقع بها التناصر والتدافع الذي بمثله الدوام والقوام فيعظم في مثله مصيبة العقل وخاصة
من وجه لعله يسبق اليهم الاتفاق في التلبيس على اهله بالخطا وان ذلك ليس بحق فيخاف وقوع الشر
بينهم والعداوة التي تولد الفساد فجعل الله تعالى بمنه وفضله لهم ما تطيب بمثله انفسهم وتسكن الغيظ
الذي يخاف من حدوث الشر بينهم معما لهم جميع ما للخلق له ابتداء المحنة بما ذكر بلا سبب يسبق فهو
بالسبب احق واذا جعل بهذا من الوجه الذي له حق الابتداء فله وضع ذلك في احوالهم من يا نفا نفس القاتل لهم
ما ذكرت من المنافع على ما جعل في ذلك وان لم يرجع منفعة الواجب في ذلك الى القتيل بما لا يعلم انه
يقتل ليجعل ذلك لوجه يتزود به لمعاده وان جرم ذلك في دنياه فيصير المجعول في ذلك فيمن لهم
وعليهم بالذي ذكرت من دفع الفساد والقيام بحق الاحسان ثم الاصل في الاتلاف الاموال ان منافعها عند القيام
ومضارها عند الاتلاف ترجع الى اربابها خاصة والانفس يرجع ما لها في ذلك الى العشاير والمتصلين فعلى ذلك
المجعول فيها مع ما كانت الاموال تملك فيصير من ضمنه كانه اشتراه وكل مشتري بالتسليم اليه الخروج منه
فلا يحتمل ان يضمن من لم يكن منه الجناية لما يسقط لو ضمن بعقد التسليم ولا على ذلك امر جنايات الانفس
فجايز في حق الشرع الموضوع على غير من يتولى اذ على غير التسليم الماخذ يستوجب بدله ثم وقوع الخطاء
يكون من وجهين احدهما من جهة دينه نحو ان ظنه القاتل كافرا بما كان عرفه كذلك او بما عليه سيما الكفرة
ومن جهة نفسه في ان يرمي غيره فيصيبه والحكم في وجهي الخطاء واحد وللخطا الثالث وهو الذي لم يقتضه
حق هذه الاية وهو عند الضرب قد يقع ذلك فيما اخطا الدين وفيما تعمد او النفس جميعا وقوله عز وجل
فدية مسلمة الى اهله لم يبين من اهله وقال في موضع اخر ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
ولم يبين من وليه فكان لكل الاهل والولي لهم وراثته على ما جاء في الخبر انه ورث امراة اشيم من دية زوجها
وان كانت الدية لاهل العصبة منهم من قيل ولان هذه الدية انما وجبت لمكان ما لهم من المنافع من القتيل
في حال حيوته فاذا قتل فذهب منافعه عنهم اوجب ذلك لهم لانهم هم المنتفعون في حيوته دون غيرهم
وقيل ان القتيل يوجب الضغاين فيما بين اولياء القتيل واولياء القاتل فيجعل ذلك على الفساد
والاهلاك فاذا وجبت هذه الدية لتطيب انفسهم بذلك ولا يحمل ذلك على الضغاين والحقد وقيل
اوجبت هذه الدية ليلا يدعى الخطا فيسقط القصاص عن نفسه بدعوى الخطا فاوجب الدية لما اذا ادعى
الخطا اخذ بالدية وقد ذكرنا ان الخطا على وجهين وهو ان يقصد سببا فيصيب انسانا فهو خطا
لانه اصاب غير الذي قصده بالضربة والثاني خطاء الدين وهو ان عرفه كافرا فقتله على ذلك القاصد له

فهو خطأ والخطأ وجه وهو ان يضرب الرجل قاصدا لذلك بغير حديدة فان كان الذي ضربه حجرا
صغيرا او عصا صغيرة فحكمه حكم الخطأ وان كان حجرا كبيرا مثله يقتل وعصا عظيمة فان اصحابنا رحمهم الله تعالى
اختلفوا في ذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا قود في ذلك وعلى عاقلته الدية مغلظة وقال محمد رحمه الله يقتل
اذا كان من مثله لا ينجي وقد روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما يبين ان العمد ما كان بحديد فهو حجة
لابي حنيفة رضي الله عنه في الحجر العظيم ودليل على ان القصد بالضرب قد يكون خطأ وروي عن النعمان
بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء خطأ الا الحديد والسيف وسنذكرهما
المسألة في باب مشبه العمد ان شاء الله تعالى ثم اجمع اهل العلم على ان الرقبة على القاتل لا على العاقلة
واما الدية فلم يذكر على من تجب فقال اكثر السلف الدية ايضا على العاقلة وعلى ذلك تواترت الآثار
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض الناس الدية ايضا على القاتل كالرقبة فيقال له ان القيام بدل
عن الدية او عن العتق فان قال لا بدل عن العتق قيل له فذلك يدل على ان الذي يجب على القاتل
هو العتق الذي ان لم يجده صام مكانه ويدل على ان الدية ليست عليه وقد روي عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم انه جعل الدية على العاقلة وعن مقسم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال كتب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ان يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح
بين المسلمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قضى في الجنين[3] عبيدا او امة
على العاقلة والتي ضربتها بعمود فسطاط فقتلتها فقضى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بديتها
على عصبة القاتلة وفيما في بطنها غرة فقال اعرابي يا نبي الله اتغرمني من لا طعم ولا شرب ولا صاح[4]
فمثل ذلك بطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب اغرم فان الدية على العاقلة والميراث
لاهل الفرائض وعمود الفسطاط مما يقتل مثله ولم يوجب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على التي ضربت
ضرتها به فقتلتها القصاص فذلك حجة لابي حنيفة رضي الله عنه في قوله ان الخشبة العظيمة والصغيرة سواء
ولا قصاص فيه والاخبار فيه كثيرة وقوله عز وجل ايضا ودية مسلمة الى اهله على الحث والترغيب في
في التسليم والنهي عن التشاجر الذي عنه توهم حدوث الشر والفساد الذي يدفع مثله جعل العوض في قتل
الخطأ وعلى ذلك قوله فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وقد بينا من يسلم له
ثم بيّنّا التسليم الى اهل القتيل ولم يبين من اهله وقد اجمع السلف على ان اهله ورثته والاصل في ذلك
ان الدية جعلت بدلا لنفس القتيل فتصير متروكة عنه وعلى ذلك لو كانت منه الوصايا او عليه دين ينفذ
منها فصارت فيما قال الله تعالى للرجال نصيب مما ترك الآيات التي فيها بيان من يرث من بعد الوصية والدين
فذلك لهم فيصير اهله بعد وفاته من ينتفع بتركته اذ كذلك وصف الاهل في الحيوة انه يرجع الى المتصلين
به وبمنافعه معها كان اسم الاهل في الزوجة غير ممتنع استعماله على كل حال فيجب دخولها في ذلك وغيرها
من الورثة احق وقد روي في مثل ذلك مرفوعا في توريث امرأة اشيم الضبابي وعمل به بحضرة الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين والذين لهم سائر الولايات سوى ولاية الميراث احق والله اعلم وقوله عز وجل
الا ان يصدقوا فالثنيا من الدية لانه لا حق لاحد في العتق حتى يحتمل التصدق وهو كقوله تعالى في القصاص
فمن تصدق به فهو كفارة له وذكر التصدق على ما عليه الترغيب في الديون من قوله وان تصدقوا خير لكم
ثم الاصل ان التصدق من المعروف الى ذوي الحاجات والعقل مما وضع اصله على الاغنياء لكن يخرج على وجهين
احدهما ان الآية جاءت بذكر القاتل ووجود الدية المسلمة كلها لكل قاتل عشيرة فكان الترغيب على ذلك
والثاني انه معروف في الديون وكذلك حكم الصدقات اذ لا يقع له الثواب في الدنيا ربما يقع لغير المعروفين فيكون
فعلهم في الحقيقة لله لا لابتغاء الجزاء فسمي صدقة اذ هو اسم لما يقع من المعروف لله مما يتمكن في ذلك ان العقل

[3] عن المغيرة بن شعبة ان ضرتين رمت احداهما الاخرى بعمود فسطاط فالقت جنينها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنين غرة عبدا او امة وجعله على عاقلة المرأة ويروى فقتلتها فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم دية المقتولة على عاقلة القاتلة في المصابيح

[4] قال وكيف ندي من لا صاح ولا استهل ولا شرب ولا اكل ومثل ذلك يطل فقال عليه الصلوة والسلام اسجع كسجع الكهان انتهى

ليس شرط

ليس شرط الغنا الذي لم يجب الزكوات وغير ذلك النوع من الغنا لا يخرج اهله عن احتمال الصدقة بل جعل على اهل
الديوان وهم الذين اموالهم هي التي تخرج من العطايا يؤاخذ لوقت الخروج لا بعد الوقوع بالملك وتمام شرط
الغناء له وفي هذا صرفنا الثنيا الى الذي يلي من الكلام دون الذي تقدم وحمله على بعض الكلام دون الكلام
ليعلم ان موقع الفهم عن الحكم على ما يقتضيه حق الحكمة دون الذي ينتهي اليه حق اللسان والله اعلم وقوله عز وجل
وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال يكون الرجل
مؤمنا وقومه كفار في دار الحرب فيقتله مسلم فلا دية عليه ولكن عليه عتق رقبة مؤمنة وعنه ايضا قال
كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه فيقيم فيهم فيغزوهم الجيش من المسلمين فيصاب فيمن يصاب فانزل الله تعالى وان كان
من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وقال بعضهم كيف يكون للمؤمن المقيم في دار الحرب اولياء
حرب لنا فهل يجوز ان يعطى لهم الدية ونحن نغتنم اموالهم فان قيل تكون الدية لبيت المال قيل له انما يجوز ان يكون
لبيت المال من لو كان حيا كان له في بيت المال حق فاما المسلم المقيم في دار الحرب فلا حق له في بيت المال
لان احكامنا لا تجري في دارهم فكيف يستحق بيت المال ديته وبعد فان المسلم في دارهم لم يصر بالاسلام محرزا
نفسه وماله لان دار الحرب ليست بدار يحرز بها الدماء والاموال فاذا كان كذلك فلم يكن للانفس والاموال
هنالك بدل لذلك لم تجب الدية الا ترى من اتلف مال ذلك المسلم لم يغرم بدله فعلى ذلك لم يغرم بدل
نفسه لان حرمتهما سواء في دار الاسلام ثم اختلف في تأويل قوله ايضا وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة الآية على الاتفاق ان لا دية فيه لكن الاختلاف في انه من يخرج على ثلاثة اوجه احدها
ان ذلك فيما يقتل على الاغارة حقوا ان يغار على اهل الحرب وفيهم مسلم فانه لا دية فيه لما ابيحت الاغارة
فيجب على هذا امران احدهما ان يكون دفع الكفارة في ذلك احق من دفع الدية ومن حيث كانت الكفارة حق الله
بمعنى العبادة او التوبة فاذا دفعت الاباحة من عنده فهي في السقوط احق من الدية التي هي حق العباد ولم يرد
من هي له الاباحة فلما وجبت هي فالدية احق ان تجب فاذ لم تجب بان انه ليس على ما قدروا والثاني ان يكون
لو كان كذلك فيجب ان يكون ذلك فيمن كان من قوم عدو لنا اولا سواء من حيث الاغارة بل اذا صارت مباحة
وان كان فيهم مسلم ذهب حق النفس من الامرين جميعا من الدية والكفارة وكذلك الجواب في قوم تترسوا
بالمؤمنين انه اذا ابيح الرمي فيستوي الامران جميعا من الدية والكفارة وعلى ذلك اختلف فيمن له القصاص فيما دون
النفس فانه لا انتقاص ان لا كفارة في ذلك وقد اختلف في الدية وعلى ذلك من يقتله ممن لا يحتمل القلم
وما وجب من العقل في الوجود بلا دية توجب ان يكون الدية احق في الايجاب من الكفارة فاذ لم تجب بان اذ ليس
دفع الدية لما ظنوا والقول الثاني ذهبوا الى القتيل الذي قومه اهل الحرب انه لا يجب فيه الدية بقوله من قوم
عدو لكم وهو مؤمن ويؤيد ذلك قوله فدية مسلمة الى اهله واهله عدو لا يحتمل التسليم اليهم بما لنا
اخذ اموالهم فيصير بذلك لنا واما الكفارة فهي بين العبد وبين الله فيلزم اذ هي في حق التوبة والكفارة
لما في ذلك من معنى الاثم فيدخل على ذلك ايضا امران احدهما ابطال الدية عن كل نفس لا وارث لها اذا قتل
من اهل دار الاسلام في دار الاسلام اذ لا اهل لها اكثر من كون الاهل وهم اعداء له بل يغرم الذي قتله وقومه
لبيت المال فعلى ذلك الاول لو كان يجب ولكن لم يجب لا لهذا اذ قد رأينا الوجوب مع ما هو اعظم في العداوة من هؤلاء
وايد ذلك الايجاب في المؤمن الذي قومه من اهل الميثاق او الكافر الذي هو من اهل الميثاق والعداوة
لم يكن انقطعت بالميثاق والوجه الثاني انه لا توارث يجري بين المسلم واهل الكفر ليبطل حق الدية بوجوبها لهم
بل يتحول الميراث بالاسلام الى اهل الاسلام وان لم يكن له خصوص اهل وعلى ذلك جميع تركته فبان انه
لا لهذا لم يوجب والقول الثالث ان الآية فيمن اسلم في دار الحرب ولم يخرج الينا حتى يقتله مؤمن خطأ
ان عليه تحرير رقبة ولا دية فيه فيكون المعنى من قوم عدو لكم هو من قوم في الظاهر عند القاتل لم يخرجوا بعد

عن اظهار المعاداة ثم يكون قتله خطأ من وجهين احدهما بما كان عرف كفره ولم يظهر انتقاله عما كان
عليه في الظاهر لايخرجوه الى دار الاسلام ولاسيما يظهر وذلك ظاهر الوجود وفي مثله نزل قوله
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا الآية وقد اخبر انهم كانوا كذلك يكتمون دينهم حتى منّ الله عليهم
بالاظهار فيكون هذا بين اظهرهم على الامر الاول ولا على ذلك شان المسلمين الذين دخلوا تلك الدار
بالامان ولا يحتمل ان يلحقه هذا النوع من قتل الخطأ فلزم في نفسه البدل على كل حال والثاني انه يرمي
غيره فيصيبه على ما يكون خطأ اهل هذه الدار ولم يجب له الدية لما يقع فيه الخطأ من الوجه الذي على الامر
يفعل على ما بينت فلا يحتمل ان يجعل لنفسه بدل والاصل في ذلك ان دار الحرب هي دار الحرب وفي الحرب
سفك الدماء واتلاف الاموال فلا يقع بها احراز الدماء فلذلك لم يجب فيها البدل وليس كذا دار الاسلام
لانها دار سلم وامن حتى جعلت يحرز بها الدماء والاموال على ما كان انفس الاعداء اذا دخلت بالميثاق الينا
استوجبت حق الاعراض ولزوم البدل وان كانوا من قوم عدو لنا اذ هي الدار دار سلم واحراز ولا يشبه
الذي اسلم ولم يخرج الذي خرج من هذه الدار سيما لما كان يخرج بامان وفي الامان لزوم حفظ الامر
الاول وليس في الاول ذلك على ان احد الامرين في ابتداء الايجاب والآخر في البقاء على ما وجب ومعلوم
تفاضل هذين في الاصول واختلاف الامر بينهما وقد كان في ابقاء بعض ما يستوجب بالدين لترك
الهجرة كقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقد نسخت
تلك الهجرة ولم ينسخ الهجرة الى دار الاسلام وان نسخت الى المدينة فلم يكن لنا من ولايتهم من شيء
وانما حق بذل الانفس لمن يبقى عنده من الاولياء والاهل وقد بقي ذلك فلذلك لم يجب وعلى هذا
يخرج قولنا فيه لو قتل عمدا انه لا يجب القصاص ولا الدية لان الله تعالى قال فقد جعلنا لوليه
سلطانا وقد بقي فيما يجيء فيه الولاية لذلك بطل السلطان وفي بطلانه بطلان البدل ويجوز نعم
بقاء الحق الذي بينه وبين الله لثبات تلك الحرمة ووجه آخر في تاويل قوله من قوم عدو لكم
اي في قوم عدو لكم اي في قوم مظهرين العداوة دليل ذلك انه وان خرج الى هذه الدار فهم قومه
لكنه ليس فيهم يرجع الى مؤمن آمن وهو يعد فيهم انه لا شيء فاذا خرج ان عاد او لا فله حكم نازله
لم يقتضه حق الآية فيجب فيه الذي يجب على حسب الدليل الموجب والله اعلم وقوله عز وجل وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اختلف فيه قال بعضهم
ذلك القتيل معاهد من قوم بيننا وبينهم ميثاق فاحتج بعض اصحابنا رحمهم الله تعالى بهذه الآية
الكريمة في ايجاب الدية في قتل المعاهد دية مسلمة وهي مثل دية المسلم لان الله تعالى قال فيهما
جميعا فدية مسلمة فهما سواء وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه والآية تحتمل غير هذا لان الله تعالى
قال في اول الآية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الى قوله تعالى فان كان من قوم عدو لكم
وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فيحتمل ان يكون معناه وان كان
المقتول المؤمن من قوم بينكم وبينهم ميثاق فاكتفى بذكر الايمان في القتيلين الاولين عن اعادة ذكر
الايمان في القتيل الثالث ولم يكتف بذكر الايمان في القتيل الاول عن اعادته في الثاني لانه لو قال
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ولم يرد على هذا
كنا نوجب الدية في قتل كل مؤمن فذكر الايمان في الثاني للتفريق بينهما واما ذكر الايمان في الثاني غني
عن ذكره في الثالث لانه لا تفرقة بينهما لذلك كان ما ذكرنا وعن الحسن وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق قال مؤمن واستدل من ذهب الى ان المقتول مسلم بان الله تعالى قال فتحرير رقبة مؤمنة
ولا تجب الكفارة على قاتل المعاهد اذا لم يكن ذمته الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم فدى قتيلي عمرو بن امية

وكان لهما

وكان لهما عهد ولم يبلغنا انه امر بالكفارة فيقال ان الكفارة واجبة على قاتل المعاهد المستامن
بظاهر الآية بقوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وقال ايضا ومما يدل ان المقتول معاهد انه
لو كان مسلما لم يجب لاهله من المعاهدين الدية لانهم لا يرثونه وانما يرثونه اذا كان معاهدا
وهذا يؤيد قول اصحابنا رحمهم الله تعالى في وجوب كال دية المسلم على قاتل المعاهد وقد روي عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انه ودى ذميا دية مسلم وحديث عمرو بن امية انه كان ببعض الطريق
اقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظل هو فيه وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لم يعلم به عمرو وقد علم انهما من بني عامر فلما ناما عدا عليهما فقتلهما اذ هو يرى
انه اصاب منهما ثاره من بني عامر فلما قدم عمرو الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقد قتلت
قتيلين لاديتهما فوداهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعلوم ان الدية كانت تامة وان لم تسم
لان العرب كانت لا ترضى ان تنقص دياتها عن ديات المسلمين وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم جعل دية العامريين دية الحرين المسلمين وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال دية اهل
الكتاب مثل دية المسلم فان قيل روي عن عمر رضي الله عنه قال دية اليهودي والنصراني اربعة آلاف درهم
ودية المجوسي ثمانمائة درهم وعن عثمان رضي الله عنه مثله قيل يحتمل هذا ما روي عن عمر انه قوم الابل
فبلغت قيمتها اربعة آلاف درهم ثم قومها ثانيا فبلغت ستة آلاف الى ان بلغت عشرة آلاف او ما ذكر فيحتمل
انه لما قومها فبلغت اربعة آلاف كان ذلك في دية يهودي ونصراني فظن الراوي انما اوجب اربعة آلاف
لانه دية النصراني واليهودي فروى على ذلك مع ما روي عن عمر وعثمان رضوان الله عليهم اجمعين بعشرة آلاف
وروي ان ابا بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم اجمعين قالوا دية المعاهد دية الحر المسلم فهذا
يوهن قولهما الاول ويحتمل ان يكون الاول على الاصطلاح فان قيل روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال دية الكافر نصف دية المسلم قيل ان كل الفريقين تركوا العمل بهذا
الخبر لان من يقول باربعة آلاف لم يوخذ لان اربعة آلاف ثلث دية المسلم على قوله لان دية المسلم الحر
اثنى عشر الفا عنده ومن يقول بعشرة آلاف لم يوخذ به فقد اجمعوا على ترك العمل به وذلك لم يثبت
عندهم والله اعلم مع ما وصفنا في باب قتل المسلم بالكافر ما يدل على ان ذلك واجب فاذا وجب قتل المسلم
بالذمي وجب ان يكون ديتهما سواء الا ترى ان الكفارة على قاتلهما سواء وقوله ايضا وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق اختلف في تاويل هذا الحرف من وجهين احدهما ان الآية في المؤمنين خاصة لكنهم على اقسام ثلاثة
احدها على النشو على الايمان والآخر على احداث الايمان في دار الحرب من اهل الحرب والثالث على احداث الايمان
من اهل الميثاق في دار العهد والآخر من وجهين الآية بيان جميع ما يجب في نفسه حتى اذا قتل خطأ من مؤمن
فقد احرز دمه بالايمان او بالايمان والدار او بالعهد ونحو ذلك انما قطع الحق من كثير ممن نهى عن قتلهم
اذا لم يتضمنهم هذه الآية من نحو نساء اهل الحرب والذراري فلم تجب الدية بما لم يحرزوا ما ذهم بدار الحرب
ولم تجب الكفارة بارتفاع الميثاق وان كنا لا نقتلهم فان كان تاويل الآية هذه فكان في الآية ايضا على تخصيص
القتيل المؤمن من اهل الحرب ان لا دية فيه وعلى هذا كان فهم الاجماع ان الله لو اراد الجمع بين القتيل لكان يخرج
الامر على الابلاغ على ما في الكفارة وما فيها من صفة الايمان او على الايجاز والتدريج فيها بالمعنى فالذكر في قتيل
واحد كان فلما ذكر في قتيلين ولم يذكر في الواحد دل انه على التفريق وايد ذلك امر القيام انه ذكر مرة دية
والحكم يأتي على الكل وعلى ذلك حق الدية معا يبين الذي هو وصفه وان كان تاويل الآية الاول فاوجب
في المعاهد بالمروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى في عامريين دخلا بامان فقتلا بدية حريين
مسلمين وفي ذلك بيان ان الدية لم تكن وجبت بالنهي عن القتل اذ هو في الذراري والنساء قائم ولم يجب

لكن بالعهد فاذا كان على الاتفاق فى الدين والنهى فرق بينهما بالعهد فعلى ذلك امر المسلمين كه
على الاتفاق فى الدين والنهى يفرق بينهما بمكان العهد والاجراز وايد التاويل الثانى شرط الايمان
فى قوله تعالى فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فلولا ان الذكر يقتضى القتيل من العدو ولم يكن
يحتاج الى ذكر المؤمن وقد سبق بيان المقصود فى ابتداء الاية فى النهى والثنيا جميعا فاذا لم يذكر فى اهل
الميثاق فصار مستورا على ما يقتضيه وايد ذلك الذى هو وصفناه ذكر النوعين يدل على التفريق
اذ ليس على حق الاقتضاء بالمعنى ولا على حق الابلاغ فى البيان وجميع الكل يخرج على ذلك اللفظين فى حق
الحكمة لذلك صار الى حق التفريق ثم الظاهر قد يضمن الخطاب بامرين احدهما فى حق هتك الحرمة
والاخر فى حق العوض من غير تفريق فى وزن الملفوظ وجاء البيان للواجد وهى دية المؤمن فيصير
كان البيان فى الاية ومعلوم انه لو كان لكان ياخذ الكل الا ان يجئ التفريق على ما ذكر من امر الصيام
وحق التوبة وان ذكر الاحاد فى حق بيان التضمين كذلك فى الكل الدية على حد واحد معا استوى
امر الكفارة فيما له حق البيان التام او بيان الكفاية فعلى ذلك الاول وايد ذلك وجهان احدهما ان الدية
بمبلغها كانت فى الجاهلية فاقرت على ذلك فى الاسلام وكذلك حق القسامة وكانت كذلك فى اهل الكفر
عند الامان فعلى ذلك اليوم او يلزم الذى عرف حتى يظهر ولذلك والله اعلم لم يجز فى الامر البيان لانه
كان على معروف وايد ذلك جميع الامور المنقسمة من نحو الحدود وبين العبيد والاحرار فى التفريق والديات
بين الذكور والاناث انه يجب ذلك الانقسام فى اهل الكفر فعلى ذلك حد الجملة والنصف والثانى خبر
ابن عباس رضى الله عنه فى العامريين وعلى ذلك جاء عن عمر وعلى رضى الله عنهما وما روى عن عمر رضى الله
فهو فى الوقت الذى بلغت قيمة الابل اربعة الاف وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى ثم الاصل ان البدل حق
المتلف والاسلام والكفر امران يرجعان الى الدين والمذاهب والناس لا يملكون الزيادة والنقصان من الابدال
لانفسهم لانه لا يهم جعلنا الدية لكن بالشرع فيه يعرف التفريق والجمع فلما لم يثبت التفريق والمعنى فى كل نفس
من المنافع وايهاما فى غيرها لزم الجمع حتى يجئ علم التفريق والاصل ان البدل امر يرجع الى المنافع تقع
للجنى عليه مكان ما ذهب منه او لغيره فيما يدخل عليهم من النقصان يفوت نفسه ثم كل امر يجعل
للمنافع فالنظر فيها الى قدر المنافع عند اهلها واهل الذمة احق بالزيادة لتعجيل المنفعة هم فى الدنيا له
اذ لاحظ لهم فى الاخرة وقد زعم الشافعى ان العبد لو بيع على انه كافر فوجده مسلما انه عيب
يرد فيصير الاسلام عيبا فى قيمته فلا يجئ ان يكون الحر منهم اقل قيمة من الحر منا ومحل الدين ما ذكرت
فهذا وان كان القول به منه شنيعا لا يجوز ان يحتج به فهو فى موضع التنبيه وقوله يلزمه كقوله سبحانه
وتعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فحاجهم بالذى عندهم فعلى ذلك يحاج بالذى عنده ولا قوة
الا بالله وقد حاج بنفى الالهية بما لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر وان كان وجود ما انتفى لا يوجب
القول به ثم القتل على اقسام ثلاثة عمد وهو ينقسم الى قسمين احدهما ان يتعمد نفس القتيل والثانى ان يتعمد
دينه فيقتل لاجل دينه وخطاء وهو ايضا على قسمين احدهما ان يقع باحد الجناية عن غير قصد والثانى
ان يقع له على قصد لكن على ظن له ومنه الدين الذى استوجب القتل به وبين الخطاء والعمد قتل اخر
سمى خطاء العمد او شبه العمد مما لم يبين حكمه فى منصوص القرآن ولا هو مما يحتمل معرفة حقيقته بالعيان
لانه ليس فى العين جناية تقع من حيث الوقوع الا عن عمد او خطاء فصار ذلك معروفا وحكمه بالشرع ولله ان يشرع
فى حقيقة الخطاء والعمد شرعا واحدا على ما عليه امر شرعه فى جميع الامور وقد جاء الخبر فيه واتفاق الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين على ايجاب الدية فى ذلك وليس فى ذلك ذكر الكفارة فلما ثبت الحاقه بالذى
هو خطاء فى الحكم قيس عليه امر الكفارة معها كان لذلك اوجه تقدر احدها ان فى العمد ما هو لنفسه

كفارة وهو القصاص وقد دفع ذلك فى شبه العمد والدية تلزم العاقلة فلا بد من وضع كفارة فى ذلك
كالذى ذكرنا فى الخطاء والثانى انه ذكر فى الكفارة توبة من الله والتوبة من الله تخرج على اوجه ثلاثة على التوفيق
لفعله او على المكان من الزلة او على ذلك الفعل منه توبة عن زلته واى هذه الوجوه الثلاثة كان ففى ذلك
معنى وصف التوبة فيكون مما قد يتوجه الى عمد يلحق وصف الزلة وامر يجوز الكلفة به فيقع العدو الحنث
اذ قال ليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم فاذ جعل فى ذا توبة فهو وجه فيه جناح
فيدخل فى ذلك قتل فيه جناح ويكون له حكم الخطاء بينه الخبر والثالث اتفاق اهل الفتوى على القول به
وايضا ان الذى يقع الخطاء فيه لدينه قصد تعمد قتله واوجبت عليه الكفارة فقد وجدت كفارة مع
مع تعمد فيها لا بدل لنفسه فاذا كان شبه العمد يجب البدل فهو لوجوب الكفارة احق فقد وجدت كفارة
مع تعمد فيها لا بدل لنفسه فاذا كان شبه العمد يجب فيه البدل فهو لوجوب الكفارة احق واما العمد الذى
فيه القصاص ومنه اوجه ثلاثة احدها ان الله تعالى بين ما فيه من الحق على نحو ما بين فى الخطاء وانما يجب
طلب العمل بالحكم فيما لم يبين نصوصا من النوازل ان يعلم ان الله تعالى فيها حكما اذ لم ينص عليه فقد جعل
مبينا بالتضمن لا بالتصريح فاذا بين سقطت الحاجة وبطلت الاجتهاد والتعرف به وعلى مثل ذلك يجاب
لقتل الصيد عمدا ان الحكم فيه لم يبين بالتصريح فهو متروك للتضمن والثانى ان الكفارة فى حق الزجر
عنه والتكفير لفعله وفى السيف ذلك وفى الزيادة فيه فلذلك لم يضم اليه غيره ثم معلوم ان الكفارة
انما جعلت بما معه الا بقاء حتى يصوم شهرين وفيما فيه القصاص لا مهلة له تستوجب به بقاء النفس لتقوم
بالكفارة فلذلك لم يجب والثالث الاتفاق ان الذى يقتص لا يلزمه الكفارة فمن وجب له حكم العدل
لم يجب عليه الكفارة ولو اوجبنا الكفارة على القاتل جعلناها حقا لله من حيث النفس لا من حيث معنى
فى الجناية له يجب وذلك المعنى فى نفس القاتل والقتيل سواء فيكون ولى القتيل اخذ الذى له وقع القصاص
لكن له الكفارة فتلزمه فاذ لم يجب بان انما يجب لحال فى النفس والجناية فلم يجب فيما عدمت تلك الحالة
والاصل انها لم يجعل للخطاء ولا النفس للحرمة اذ قد يوجد قتل نفس محظورة لم يجعل فيها الكفارة نحو
الذرارى والنساء من اهل الشرك بل لو كان لذلك كان الخطاء من ابعد ما يجعل له الكفارة فثبت انها
لم يجعل لذلك ومن يقيس بذلك فيطل والله اعلم وقوله عز وجل فتحرير رقبة مؤمنة اختلف فيه
قال بعضهم لا يجزى الا من صام وصلى وعن ابن عباس قال الرقبة المؤمنة كل مولود ولد فى الاسلام صغيرا
كان او كبيرا والاشبه ان يجزى الصغير من المسلمين الا ترى انهم اجمعوا ان على قاتل الصغير من المؤمنين مثل
ما كان على قاتل الكبير منهم فيجب ان يجزى الصغير من المؤمنين على ما يجزى عنه الكبير منهم اذ كان حكم
الصغير من المؤمنين حكم الكبير منهما ومما يدل على ذلك ايضا ان حكم الصغير من المؤمنين وميراثه وتزويجه
وطلاق الرجل الزوجة الصغيرة حكم الكبير فهم مؤمنون فى الحكم وان كانوا صغارا ولكن نسنا نذكر من اصحابنا
رواية منصوصة فى جوازه والقياس ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
وصف الله سبحانه وتعالى الشهرين بالتتابع ووصف الرقبة بالايمان فهو والله اعلم يحتمل ان يكون على التغليظ
والتشديد لما يجوز ان يجاوز جرم حكم الخطاء جرم غيره من الاشياء نحو ان يقتله بعصا او بسوط
ونحوه قاصدا ولا شك ان جرما اعظم من جرم غيره من الافعال التى توجب الكفارة من الايمان والظهار
وغيره فغلظ فيه ما لم يغلظ فى غيره بالايمان فى الرقبة والتتابع فى الصيام وهذا كما يقولون ان ضرب
التعزير اشد من ضرب حد الزنا وحد شرب الخمر وغيره لان جرم فعل التعزير ربما يبلغ جرم الزنا او يجاوز
وهو ان يعتنق اخر مرة او ترتين لا شك ان حرمته اعظم من حرمة من قذف اخر او شرب قطرة من خمر
فغلظ فيه وشدد لما ذكرنا فعلى ذلك شرط الايمان فى العتاق فى كفارة القتل والتتابع فى الصوم تغليظا

وتشديداً للمعنى الذي ذكرنا وهو ان يقتله قتل شبه العمد اي عمد القصد خطاء الحكم الا ترى انه غلظ
في الدية في شبه العمد ولم يغلظ في غيره وروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال قتيل السوط والعصا فيه الدية مغلظة وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل شئ خطأ الا السيف والحديد ولكل خطاء ارش ذكر الله تعالى قتل الخطاء والعمد فبين حكمهما
ولم يذكر غيرهما في كتابه لكنا عرفنا قتل شبه العمد والحكم فيه بما روينا من خبر ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحديث النعمان عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال الا ان قتيل خطاء العمد قتيل السوط
والعصا فيه الدية مغلظة ثلثون جذعة وثلثون حقة واربعون ما بين ثنية الى بازل عامها كلها خلفة
واختلفت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين روى عن عمر رضي الله عنه ما ذكرنا من الخبر المرفوع
اثلاثا وعن علي رضي الله عنه قريبا منه اثلاثا وعن ابي موسى الاشعري والمغيرة ما روينا من الخبر المرفوع
اثلاثا وعن ابن مسعود رضي الله عنه في شبه العمد ارباعا خمسة وعشرين حقة وخمسة وعشرين
جذعة وخمسة وعشرين بنات لبون وخمسة وعشرين بنات مخاض ثم لا يحتمل ان يكون الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين قالوا ذلك رايا من انفسهم لان هذا باب مما لا يوقف الا بالسمع والخبر عن الله
سبحانه وتعالى فيجعل كانهم جميعا سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت واحد
فدل انه في وقتين مختلفين فهو على التناسخ فلم يظهر الاول منهما من الآخر فاوجب الاخف باليقين
ولم يوجب الاغلظ بالشك وهذا قول ابي حنيفة رحمه الله تعالى حيث قال في شبه العمد بالارباع
واما محمد رحمه الله فانه ذهب الى ظاهر الخبر المرفوع بالاثلاث ثم اختلف اصحابنا رحمهم الله تعالى
فيمن رمى آخر في بحر فغرق فمات قال ابو حنيفة رحمه الله لا يقتل به وقالا فيمن احرق آخر بالنار
قتل به وكان يفرق بينهما لوجهين احدهما ان يقول الرامي في الماء حسبت انه يحسن ان يسبح وذلك
موجود في كثير من الناس فصار ذلك شبهة يزول بها القصاص عن الرامي واما الذي رمى صاحبه
في النار ليس له ان يدعي مثل تلك الشبهة لذلك لم يزل عنه القصاص والثاني ان النار جارحة الا ترى
انها تستعمل في موضع السلاح ويحارب بها وهي من شبه السلاح وليس كذلك الماء لذلك ثم القول في مبلغ
الدية من الابل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ودى رجلا بمائة من الابل وروى ان الكتاب
الذي كتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعمرو بن حزم في العقول في النفس مائة من الابل
وما روينا من خبر ابن عمر رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان
ان قتيل خطاء العمد فيه الدية مغلظة مائة من الابل ثم القول في اسنان الابل في الدية وما روى
عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دية الخطا اخماس وكذلك روى عن عبد الله بالاخماس
وعن عمر رضي الله عنه كذلك وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه في الخطاء ارباعا وكان ابو حنيفة رضي الله عنه
يذهب الى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم والى ما روى عن عمر وعبد الله رضي الله عنهما ويجعل
دية الخطا اخماسا من الابل وفي شبه العمد لما ذكرنا ومحمد رحمه الله يذهب الى ما روى عن علي رضي الله عنه
بالارباع في الخطا وفي شبه العمد بالاثلاث بالخبر المرفوع والوجه فيه ما ذكرنا ثم المسئلة في مبلغ الدية
من الورق روى في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى بالدية اثني عشر الفا وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر الفا وروى عن عبيدة السلماني قال وضع
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديات فوضع على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق عشرة الاف درهم
وعلى اهل الابل مائة من الابل وعلى اهل البقر مائتي بقرة وعلى اهل الشاة الفي شاة وعلى اهل الحلل مائتي حلة
ثم روى عن عمر رضي الله عنه انه قال قوموا الابل فقوموها اوقية ثم غلت الابل فقال قوموا فقوموها اوقية

خطب يوم فتح مكة فقال الا ان قتيل
خطاء العمد ثلث وثلثون حقة
وثلاث وثلثون جذعة
واربع وثلثون ما بين ثنية
الى بازل عامها كلها خلفة
يقال جمل بازل وناقة
اذا تمت لهما ثماني سنين
ودخلا في التاسعة واذا اتى
على الجمل عام بعدما نزول
قيل له مخلف فاما الناقة
فلا تكون مخلفا ولكن يقال
لها بزول وبازل عام وعامين
والضمير في عامها يرجع
الى موصوف محذوف
ولان التقدير الى ناقة
بازل عامها م الفائق

ونصفا ثم غلت حتى قومت عشرة الاف درهم فلو علم عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قضى بالدراهم لم يحتج الى ان يقوموا الابل ومحال ان يخفى على عمر وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
سنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضطروا الى تقويم الابل فدل ان الخبر في اثني عشر غير ثابت ثم لا خلاف
ان الدية من الدنانير الف دينار فوجب ان يكون الدية من الورق عشرة الاف لانه روى عمر رضي الله عنه
انه جعل قيمة كل دينار عشرة وروى انه كتب الى امراء الاجناد ان يأخذ الجزية من اهل الورق اربعين درهما
ومن اهل الذهب اربعة دنانير وعن علي رضي الله عنه انه قال لا تقطع اليد الا في دينار او عشرة دراهم دل
ما ذكرنا من قول الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ان قيمة كل دينار عشرة دراهم فلما اجمعوا في ان الدية
من الذهب الف دينار وجب ان يكون من الورق عشرة الاف الا ترى ان يؤخذ في الزكوة من مائتي درهم
خمسة دراهم ومن عشرين دينارا نصف دينار دل على ان الدية عشرة الاف ثم يحتمل الخبر ان ثبت ان الدية
اثني عشر الفا وزن ستة لان الدية كان اصلها الابل فقومت الابل دراهم فبلغت اثني عشر الفا
من وزن ستة ثم ردت الاوزان الى وزن سبعة اثني عشر الفا وكسر وزن سبعة فالقوا الكسر لان القيم
لا تعرف منصوصا وانما تعرف بالاجتهاد وقد تزداد وتنقص ويكون بين القيمتين الشيء اليسير فتركوا ذلك
الكسر لما وصفنا ولانه لم يكن في الدية في اصلها كسر وهذا اوجه محتمل فاخذ اصحابنا رحمهم الله تعالى
بآخر التقدير لان الاوزان استقرت على وزن سبعة وبطل وزن ستة ولا شك ان وزن سبعة
هي الآخرة لاستقرارها في الناس على ذلك وبالله التوفيق وقوله عز وجل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
قد ذكرنا معنى التتابع في ذلك وفي قوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين عند الجميع من ذكر
من القائلين في هذه الاية ثم قوله تعالى توبة من الله قال بعض اهل العلم ندامة من الله تعالى وقد يندم الرجل
على فعل يفعله خطأ لكن عندنا على حقيقة التوبة لان الفعل فعل مأثم وان كان خطأ ولا يجوز ان يكلف
الانسان وينهى في حال الخطأ لما لا يتأمل في ذلك ولا ينظر لئلا يترك التأمل في ذلك والنظر فتكون التوبة
على الحقيقة لما ذكرنا وفي قوله ايضا توبة من الله قد بينا الوجه في ذلك وقال بعض اهل التأويل التوبة
في الحقيقة هو الندامة على الامر وكل من يتولد من فعله قتل احد فهو يندم على ذلك الفعل الذي حدث
منه الذي ذكر ويحزن عليه فيكون على هذا التقدير معنى التوبة من الله القاء ذلك الحزن في قلبه او رجوعه
بالتأسف الى الله بالاعتاق او الصيام والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله عليما حكيما لمن قتله خطأ ولم يقصد
ومن قصده او عليما بما حكم عليكم من الدية والكفارة او عليما بأجل احكم حكيما في قضائه وحكمه حيث وضع
كل شئ موضعه والله اعلم به وفي قوله تعالى وكان الله عليما حكيما يخرج ذلك عند ذكره هذه الاية
وهو كذلك بذاته على وجه احدها انه عليم بالذي عليه خرج عليه حقيقة فعل ذلك القاتل من القصد
وغير القصد وهو حكيم بما حكم علينا الذي ذكر بظاهر احوال القتيل وان لم يعرف حقيقة الامر في ذلك
اذ الذي له حكم العمد والخطاء لا يظهر لغيره والثاني وكان الله لم يزل عليما بالذي يكون من عباده وبالذي
به المصالح بينهم نحكم بما فيه المصالح فيما علم من وقوع الجنايات والثالث تبيين انه لا عن جهل يقع الخلاف
لامر والمأثم يرضى به من خلقه ولا عن خطاء في التدبير اي عليم بالذي يكون من الخلق لا عن جهل بهم خرج
امرهم وحكيم في التدبير اي لا يلحقه الخطأ في تدبير الخلائق على ما يكون منهم من الفساد والشذوذ بمثله
من غيره بعلم الخطأ والجهل لما في ذلك ضرر يقع به والله يتعالى عن هذا وقوله عز وجل ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الاية قيل في بعض القصة ان رجلا قتل آخر عمدا فلما علم انه يقتل به ارتد
عن الاسلام ولحق بدار الحرب فنزل الوعيد له وهنا والله اعلم كقوله تعالى والذين لا يؤتون الزكوة
وهم بالآخرة هم كافرون كانوا يمنعون الزكوة لما كان عندهم ان الزكوة تنقص المال فجحد واباها راسا وكقوله

وكقوله لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين فتركوا
الصلوة والزكوة لما يلحقهم بذلك مؤن واشغال تشغلهم ذلك كله عما تهوى انفسهم فانكروا رأسا لانهم
ان صلوا وادّوا الزكوة يكون ذلك صلوة وزكوة اذا كانوا يكذبون بيوم الدين فعلى ذلك قاتل المسلم عمداً
اذا علم انه مقتول به ترك دينه فصار من اهل النار خالداً مخلداً فيها ويحتمل قوله ومن يقتل مؤمناً
متعمداً لدينه يقتله عمداً غير غالط فيه ولا جاهل عالم بذلك والى قتله لدينه قاصد ومن كان هذه
صفته فقد كفر ووجب له هذا الوعيد الذى ذكره فى كتابه الكريم الا ان يجدد ايماناً فان الله تعالى
يقبل ايمانه وتوبته والثالث ان يكون ذلك جزاءه ولله الا فضال عليه بالعفو والتجاوز اذ ذلك جزاؤه
ان لم يكن له حسنات كقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ثم الدليل ان الاية فيمن قتل مسلماً
لدينه قاصداً لنفسه دون دينه قوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى وانما يكتب عليهم
اذا كان القتل قتل عمداً وابقى لهم بعد القتل اسم الايمان ثم قال فمن عفى له من اخيه شئ فابقى لهم اسم
الاخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة الطمع فى رحمته عز وجل وبعيد ان يكون له مع هذا خلود فى النار
فدلت الاية على بقاء اسم الايمان وعلى رجاء الرحمة وهما معنيان ينقضان قول المعتزلة حيث خلدوا
صاحب الكبيرة فى النار ولانه تعالى قال فجزاؤه جهنم خالداً فيها ولم يقل يجزيه ولله ان يتفضل بالعفو
عنه على ما وصفنا وبالله التوفيق والنجاة وروى عن ابن عباس رضى الله عنه فى تأويل الاية
ما يؤيد ما قلنا روى عنه انه قال فى قوله سبحانه وتعالى فجزاؤه جهنم الاية قال هى جزاؤه ان شاء عذبه
وان شاء غفر له وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان
فيمن قبلكم رجل قتل تسعاً وتسعين نفساً فسئل من اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انى قتلت
تسعة وتسعين نفساً بغير حق فهل لى من توبة فقال لا فقتله ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل
فاتاه فقال انى قتلت مائة نفس بغير حق فهل لى من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض
كذا وكذا فان بها ناساً يعبدون الله فاعبد معهم فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق اتاه الموت فاختصم به ملائكة
الرحمة وملائكة العذاب فاتاهم ملك فجعلوه حكماً بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى
واقرب فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التى اراد فقبضته ملائكة الرحمة الا يرى انه لما كان كافراً
فقتل مائة نفس فقبلت توبته ولو كان مسلماً كانت مظالم المقتولين فى عنقه باقية فهذا الحديث يدل
والله اعلم على ان التاويل ما ذكرنا وبالله التوفيق وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله
فتبينوا الاية قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى دار الحرب فسمعوا ان سرية لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم تريدهم فهربوا واقام رجل لاسلامه فلما راى الخيل خاف ان يكونوا من العدو من حرب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فالجأ غنمه الى … ثم قام دونها فسمع التكبير فهبط اليهم وهو يقول
لا اله الا الله فاتاه رجل من هؤلاء فقتله واستاق غنمه وما معه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروه الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه وهو يقول لا اله الا الله
فقالوا انه قال متعوذاً فقال هلا شققتم عن قلبه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان رسول الله
بعث سرية فلقيهم رجل فسلم عليهم وحياهم بتحية الاسلام فحمل عليه رجل من السرية فقتله فلامه
اصحابه وقالوا اقتلت رجلاً حيانا بتحية الاسلام فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه
بالذى صنع فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتلته بعد ما قال انى مسلم قال انما قالها تعوذاً
قال فهلا شققت عن قلبه فتعلم ذلك فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا الى
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمناً فلا ندرى كيف ما كانت القصة ولكن فيه الامر بالتثبت عند الشبهة

والنهى

والنهى عن الاقدام عندها وهكذا الواجب على المؤمن الوقف عند اعتراض الشبهة فى كل فعل وكل خبر لان الله تعالى
امر بالتثبت فى الافعال بقوله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمناً وقال فى الخبر ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا امر بالتثبت فى الاخبار عند الشبهة كما امر فى الافعال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقف ما ليس لك به علم
وفى الاية دليل فساد قول المعتزلة لانه نهاهم ان يقولوا لمن قال انى مسلم لست مؤمناً وهم يقولون صاحب
الكبيرة ليس بمؤمن وهو يقول الف مرة على المثل انى مسلم فاذا نهى ان يقولوا ليس بمؤمن امرهم ان يقولوا هو مؤمن
فيقال لهم انتم اعلم ام الله على ما قيل لاولئك وقوله عز وجل تبتغون عرض الحيوة الدنيا قيل الغنيمة فعند الله
مغانم كثيرة هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله فعند الله مغانم كثيرة اى اجر عظيم وجزاء كثير ويحتمل فعند الله
مغانم كثيرة يعطيها لكم فى غير هذا كقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها الاية وقوله عز وجل كذلك
كنتم من قبل فمن الله عليكم الاية اختلف فيه قيل كذلك كنتم من قبل ضلالاً كفاراً فمن الله عليكم بالاسلام والحجج
وهداكم به وقيل كذلك كنتم من قبل تخفون ايمانكم فى المشركين وتكتمونه فمن الله عليكم باظهار الاسلام وابدائه
وقيل كذلك كنتم من قبل تامنون فى قومكم من المؤمنين بلا اله الا الله ولا تخيفوا من قالها فمن الله عليكم
بالهجرة وعن ابن عباس قال كذلك كنتم من قبل كفاراً تقاتلون على الدنيا وعرضها وقوله تعالى
فتبينوا اعاد الى الاول وامر بالتثبت عند الشبهة الا ترى انه روى عن النبى انه قال المؤمن وقاف وقاف
وقاف يقف عند الشبهة وقال يزن الاعمال فيختار افضلها وقوله عز وجل لا يستوى القاعدون
من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم قال الحسن كان هذا فى الوقت
الذى كان الجهاد تطوعاً لانه لو كان فرضاً لكان لا معنى لقوله تعالى لا يستوى كذا من كذا وهو غير
مستويين احدهما فرض عليه والاخر لا قيل له هذا الذى ذكرت لا يدل على ان الجهاد ليس بفرض فى ذلك
الوقت الا ترى انه قال افمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم جمع بين متضادين ثم قال لا يستوى
فعلى ذلك وهو اولى وقوله عز وجل غير اولى الضرر استثنى اهل الضرر مجملاً فى هذه الاية وبين
امرهم وما ازال عنهم من فرض الجهاد فى اية اخرى وهو قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج وقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وهذا مما اجمع عليه اهل العلم
وازالوا الخروج عمن كان فى مثل هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى وعذرهم فى تخلفهم عن الجهاد وعن ابن عباس
رضى الله عنه قال لما ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين على القاعدين رغبهم فى الجهاد بقوله لا يستوى القاعدون
من المؤمنين الاية اتاه عبد الله بن ام مكتوم الاعمى فقال يا رسول الله ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين على القاعدين
وحالنا ما ترى ونحن نشتهى الجهاد فنزل غير اولى الضرر فجعل لهم من الاجر ما للمجاهدين لزمانتهم
وعلى ذلك اكثر اهل التفسير وقال الكسائى الضرر مصدر الضرير والمضرور والضرير الاعمى يقال رجل ضرير
فهو ضرير ومضرور اذا عمى وقوله عز وجل وكلا وعد الله الحسنى القاعد والمجاهد وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجراً عظيماً قيل هذا الفضل للمجاهد على القاعد الذى قعد لا لعذر جعل له الاجر العظيم
وقوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة على القاعد الذى قعد لعذر لانه جعل فضيلته عليه
بدرجة وفى الثانى جعل فضيلته عليه بدرجات لكن قوله درجة ودرجات عندنا واحد الا ترى
انه تعالى قال وللرجال عليهن درجة ليس هو شئ واحد ولكنه اشياء والذى قعد لعذر يستوى فى الاجر
مع الذى خرج اذا كان يتمنى ان يخرج ان قدر لانه لو لم يكن كذلك لكان لا معنى للاستثناء وفى الاية
دلالة ان فرض الجهاد فرض كفاية يسقط عن الباقين بقيام بعضهم وان كان الخطاب يعمهم فى ذلك
وهو قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم

و فرض الخروج لطلب العجل فرض كفاية اذا خرج بعضهم لطلبه يسقط عن الباقين ذلك فعلى ذلك فرض الجهاد
و ان ذلك خلاف ما عاتب الله عليه الثلاثة الذين خلفوا فى سورة براءة لان اولئك تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه و سلم وقد قال الله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه فانما عاتب اولئك لتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
و قوله تعالى ان الذين توفيهم الملائكة ظالمى انفسهم عن ابن عباس رضى الله عنه قال نزلت الاية فى قوم من
من المنافقين خرجوا مع المشركين الى بدر فلما التقت المسلمون والمشركون ابصروا قلة المسلمين وهم
مع المشركين على المؤمنين فقالوا غر هؤلاء دينهم واظهروا النفاق فقتلوا وعاينهم ضربت الملائكة وجوههم
وادبارهم فقالت لهم الملائكة فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض وقيل انها نزلت فى نفر اسلموا بمكة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اقاموا عن الهجرة وخرجوا مع المشركين الى القتال فلما راوا قلة المؤمنين شكوا فى النبى
صلى الله عليه وسلم فقالوا غر هؤلاء دينهم فقتلوا فقالت الملائكة فيم كنتم قالوا كنا وقيل نزلت فى قوم
اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانت الهجرة يومئذ مفترضة فكفروا بترك الهجرة وهو كقوله الذين امنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا فلا ندرى كيف كانت القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة بعد
ان يعرف ما اصابهم مماذا اصابهم وقوله قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين هذا يتوجه وجوها احدها
مع من كنتم مع محمد صلى الله عليه وسلم كنتم واصحابه او مع اعدائهم والثانى فيم كنتم اى فى دين من كنتم
فى دين محمد صلى الله عليه وسلم او فى دين اعدائه والثالث قالوا بمعنى يقولون اى يقولون لهم فى الاخرة
فيم كنتم قالوا كنا كذا وقولهم كنا مستضعفين فى الارض هذا ليس جوابا لقوله فيم كنتم جوابه ان يقال كنا فى كذا
ولكنه كانه على الاضمار قالوا لهم ما الذى منعكم عن الخروج والهجرة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا عند ذلك
كنا مستضعفين فى الارض اعتذروا ان كانوا مستضعفين فى الارض وظاهر هذا ان منعنا عن الخروج الى الهجرة
وحال المشركون بيننا وبين اظهار الاسلام فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى المدينة واسعة امنتكم
من العدو فتخرجوا اليها فتقلبوا بين اظهرهم والله اعلم كانهم اعتذروا فى التخلف عن ذلك لما كانوا يتقلبون
بين اظهر الكفرة ويتعيشون فيهم فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فقطعوا عليهم ويحتمل وجها اخر
وهو انهم ان منعوكم عن الاسلام ظاهرا وحالوا بينكم وبين اظهاره الستم تقدرون على ديان الاسلام سرا
لا يعلمون هم بذلك فاولئك ماويهم جهنم وساءت مصيرا اخبر ان لا عذر لهم فى ذلك وفى قوله تعالى
فيم كنتم دلالة احياء الموتى فى القبر والسؤال فيه عما عملوا فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان الاية بين الله تعالى اهل العذر فى ذلك حيث قال لا يستطيعون ولا يهتدون سبيلا
قال ابن عباس رضى الله عنه كنت انا وامى من المستضعفين فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وعسى من الله
واجب كانه يقول فاولئك يعفو الله عنهم وقوله عز وجل ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا
وسعة قيل المراغم المذهب والملجأ وسعة فى الرزق اى يجد فى الارض وفى غير الارض التى هم فيها ما ذكر وقيل
المراغم المتزحزح اى يجد متزحزحا عما يكره وتراخيا وعن ابن عباس رضى الله عنه قال المراغم التحول من ارض
الى ارض والسعة فى الرزق وقيل من الضلالة الى الهدى ومن العيلة الى الغنى وقيل المراغم المهرب وقيل
لما نزلت هذه الاية سمعها رجل وهو شيخ كبير وقيل انه مريض فقال والله ما انا ممن استثنى الله وانى
لاجد حيلة والله لا ابيت الليلة بمكة فخرجوا به يحملونه حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت بها فصفق
بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعت عليه رسولك ومات فنزل
فيه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله اى وجب اجره وقيل انه
لما سمع الرجل ان الملائكة ضربت وجوه اولئك وادبارهم وقد ادنف للموت فقال اخرجونى فاحتمل

بينه وبين النبى

بينه وبين النبى فلما انتهى الى عقبة توفى بها فانزل الله هذه الاية والله اعلم بذلك وفى قوله الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان دلالة ان اسلام الولد اذا عقلوا اسلامهم اسلام وكفرهم كفر لانه تعالى عز وجل
استثناهم وعذرهم فى ترك الهجرة فلو لم يكن اسلامهم اسلاما ولا كفرهم كفرا فكان مقامهم هنالك وخروجهم
منها سواء ولا معنى للاستثناء فى ذلك اذا لم يكن عليهم خروج والله اعلم وقوله عز وجل واذا ضربتم فى الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم الاية اباح الله تعالى القصر من الصلوة اذا ضرب فى الارض
اذا خاف ان يفتنه الكفار ولم يبين القصر فيما ذا فيحتمل القصر قصرا من الركعات على ما قال اصحابنا
رحمهم الله تعالى ويحتمل القصر من الركوع والسجود والقيام بالايماء كقوله تعالى فان خفتم فرجالا
او ركبانا رخص للخايف الصلوة بالايماء ويحتمل القصر قصر الاقتداء وذلك ايضا مباح عند الخوف ثم تأول
قوم ان الصلوة كانت ركعتين فزيدت فى صلوة الحضر واقرت فى صلوة السفر ورخص فى القصر من ركعتى
السفر فى حال الخوف وقالوا صلوة الخوف وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال فرض الله تعالى صلوة الحضر
اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم وكذلك روى عن جابر بن عبد الله
رضى الله عنه قال صلوة الخوف ركعة وقال الاخرون انما رخص الله تعالى فى قصر الصلوة من اربع ذوات الخوف
الخوف فردها الى ركعتين رخصة وقالوا ثم ان رسول الله اعلمنا ان الله تعالى تصدق علينا ان نقصر
فى حال الامن فثبت بالسنة ان القصر فى غير الخوف جايز كما اجازه الله فى حال الخوف والقصر فى قول
هؤلاء ان يرد الاربع الى ركعتين والقصر فى قول الاولين ان يرد الركعتان فى حال الخوف الى ركعة وقال
غيرهم القصر انما كان فى حال الخوف كما قال الله تعالى فاما الان فان المسافر اذا صلى ركعتين فليس ذلك
بقصر ولكنه اتمام بقول عمر رضى الله عنه حيث صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وروى
ان رجلا سال عمر رضى الله عنه عن قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا قال وقد امن الناس اليوم فقال عمر رضى الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله تعالى بها عليكم فاقبلوا صدقته فيحتمل ان يكون
قوله صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر يريد بان النبى صلى الله عليه وسلم لما قال صدقة تصدق الله تعالى
بها عليكم صار الفرض ركعتين وارتفع القصر وصارت الركعتان تماما غير قصر اذ كانتا هما الفرض بعد الصدقة
التى تصدق بها الله علينا فكل واحد من الخبرين موافق لصاحبه اعنى خبر عمر رضى الله عنه معا وروى عن ابن عباس
رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم يسافر من المدينة الى مكة لا يخاف الا الله يصلى ركعتين وهذا يؤيد
حديث عمر رضى الله عنه صدقة تصدق الله بها عليكم لان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يصلى وهو امن ركعتين
مع شرط الله الخوف الا وقد رفع الله تعالى شرط الخوف عن المسافر وقال قوم ان التقصير فى السفر والحضر
هو الاتمام واحتجوا بقول الله سبحانه وتعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة قال فرفع الحرج عن المقصر ولو كان
التقصير حتما لكان قال وعليكم جناح ان لا تقصروا من الصلوة لكن الامر ليس كما توهموا وذلك انا قد ذكرنا ان النص
فى القصر انما جاء فى حال الخوف واما حال الامن فلا نص فيما يوجب القصر وانما جاز القصر من الصلوة فى حال الامن
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق الله بها عليكم وتقصيره فى سفره وكان ان يتصدق الله الركعتين
علينا ويقول قايل فرضها قايم فاين موضع الصدقة اذ لو كان الامر على ما ذكر وهذا عندنا معنى قول عمر رضى الله عنه
ان صلوة السفر ركعتان تماما اذ كانتا فرض المسافر معا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر اسفارا
كثيرة فلم ير وعنه احد انه اتم الصلوة فى شئ من الاحوال فى سفره وكل روى انه عليه الصلوة والسلام
كان يصلى ركعتين فلو كانت الفريضة اربعا والقصر رخصة لاتم فى وقت وقصر فى وقت الا ترى ان الافطار
فى السفر لما كان رخصة غير حتم افطر النبى صلى الله عليه وسلم فى اوقات وصام فى اوقات فدل ذلك

لان الغرض بمتصور الاقتداء
بالامام فى جميع الصلوة
اما الاقتداء به فى البعض
والانفراد فى البعض
رخصة
شرح

ان فرض المسافر ركعتان غير قصر روى عن ابن عمر رضى الله عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمنى ركعتين ومع ابى بكر الصديق رضى الله عنه ركعتين ومع عمر رضى الله عنه ركعتين ومع عثمان
رضى الله عنه صدرا من خلافته ثم صلى اربعا وما صلى اربعا يحتمل ان يكون عزم على المقام وكذلك روى
عن الزهرى قال بلغنى انه قال انما صلى اربعا لانه ازمع ان يقيم بعد الحج وعن عمران بن حصين قال حججت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يصلى ركعتين حتى يرجع الى المدينة واقام بمكة ثمانى عشرة ايام لا يصلى
الا ركعتين وقال لاهل مكة صلوا اربعا فانا قوم سفر وخالف بعض اهل العلم هذا الحديث لانهم يقولون
اذا اقام ببلد فى غير حرب اربعا يتم بعد ذلك وان لم يكن عزم على المقام بذلك البلد وروى عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنهم عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلوة المسافر ركعتان حتى يؤل الى اهله او يموت وروى
عن ابن عمر رضى الله عنه انه سئل عن الصلوة فى السفر قال ركعتان من خالف السنة كفر واستدل قوم
بقوله تعالى اذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان القصر رخصة والفضل فى اتمام
الصلوة اذ لا جناح تستعمل فى موضع التخفيف لا فى موضع الامر على نحو الصيام بقوله يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر وهذا حرف لا يستعمل فى موضع الامر والايجاب والله اعلم وسلم قولهم هذا المعنى
فى الاية ورد والقصر الى قصر الخوف يلحق عند الضرب فى الارض واذا كان على وجهين احدهما فى بيان
المراد فى قوله فان خفتم فرجالا او ركبانا انه ليس على تمام المعروف من الصلوة لكن على القصر على الحد الذى
ينتهى اليه الخوف من امر القبلة او ترك القيام والركوع والسجود الى الايماء والقعود والله اعلم والثانى
ما فى قوله واذا كنت فيهم الاية وانما يذكر ذلك فى احوال لهم الانفراد عنه وهو احوال السفر ومعلوم
ان ذلك فى حق قصر الاقتداء فكانه قال لا جناح عليكم بالاقتداء به وان قصرتم فى الاقتداء عن تمام حقه
من الجماعة وكذلك اصابة الكل فضل فبين ان ارتفاع ذلك لا يمنعكم الاقتداء ولا يلزمكم نصب امام اخر
لتؤدوا جميع الصلوة فى الجماعة وايد الوجهين قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى قوله تعالى
ود الذين كفروا لو تغفلون وصلوة السفر على ما عليه ليس للخوف وايد ذلك ما التبس على عمر رضى الله عنه
حتى سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
بمعنى حكم الله عليكم فى ان لم يفرض عليكم فى السفر غير ركعتين وكذا جميع المذكور عن الله من العفو
فهو فى الاسقاط وايد ذلك ما كان يقول عمر رضى الله عنه بعد ذلك صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر
على لسان نبيكم فعلم ان ذلك ليس فى حق الاية لكن فى ابتداء الشرع وعلى ذلك المروى بان الصلوة كانت
فى الاصل ركعتين فزيدت فى الحضر واقرت فى السفر والى هذين التاويلين يتوجه قول اصحابنا رحمهم الله تعالى
وقد يحتمل الاية قصر السفر ثم قوله ليس عليكم جناح يرجع الى وجهين احدهما الى ترك الركعتين وان لم يتم
السفر بعد الخروج له وليس كساير الاعذار نحو الحيض اذا لم يتم انه يلزم اعادة المتروك والاغماء
ونحو ذلك واما الصوم فى السفر بعد الخروج له وليس كساير الاعذار اذا ترك انه يعاد والثانى ليس عليكم
جناح فى السفر وان كان ذلك اختيارا منكم لترك صلوة الحضر وليس عليكم ما على المقيم من الجناح
لو لم يتم فاذا رجع الجناح الى ذلك بقى الامر بالقصر وان خرج مخرج الخبر اذ قد يكون خبرا فى المخرج امرا
فى الحقيقة نحو قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون الايات وذلك كقوله تعالى فلا جناح
عليه ان يطوف بهما انه لما صار لا جناح راجعا الى ما كان ثم من الاصنام او الفعل بقى حق الامر بالطواف
وان كان فى مخرج الخبر وصار من اللوازم دليل ذلك الامر المتوارث فى الامة والظاهر من فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى الاسفار ويحتمل ان يكون فضيلة تضييع عن الجميع والله اعلم وقوله عز وجل واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلوة الاية اختلف اهل العلم فى صلوة الخوف قال بعض اهل العلم يجعل الامام القوم

طايفتين

طايفتين بالطايفة ركعة وتقوم الطايفة الاخرى مصاف العدو فاذا صلى بهم ركعة فيقومون
ويصلون الركعة الثانية وحدانا ثم ينصرفون ويقومون بازاء العدو وترجع الطايفة التى كانت مصاف
العدو فيصلى بهم الامام الركعة الثانية ثم يسلم بهم الامام فيقومون ويقضون الركعة الاولى وحدانا ويقولون
لانه ليس فى الاية اتيان الطايفة الاولى وعودها الى الامام لذلك لا يفعل وقالوا ايضا بان القيام بعد الفراغ
من الصلوة مصاف العدو اطمع وارجى من القيام فى غير الصلوة واما اصحابنا رحمهم الله فانهم ذهبوا الى ما روى
من الاخبار روى عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف فصلى باحدى
الطايفتين ركعة والطايفة الاخرى مواجهوا العدو ثم انصرفوا وقاموا فى مقام اصحابهم مقبلين على العدو
وجاء اولئك فصلى بهم النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسلم النبى عليه السلام ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة
وعن عبد الله قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف فقاموا صفين فقام صف خلف النبى
صلى الله عليه وسلم وصف مستقبل العدو وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصف الذى يكونون ركعة
ثم قاموا فذهبوا وقاموا مقام اولئك واستقبلوا هؤلاء العدو وجاء اولئك فقاموا مقام هؤلاء فصلى بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم سلم فقاموا يصلون لانفسهم ركعة ثم سلموا فذهبوا فقاموا مقام
اولئك مستقبلين العدو وجاء اولئك الى مقامهم فصلوا لانفسهم ركعة ثم سلموا وروى ابن عباس وزيد
ابن ثابت وحذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنهم عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نحو ذلك فاتفق
على هذه الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم هؤلاء الجماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وحذيفة رضى الله عنهم كلهم يقولون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلى باحدى الطايفتين ركعة والطايفة الاخرى مواجهوا العدو ثم صلى بالطايفة
الاخرى ركعة وان واحدا منهم لم يقض بقية صلوته حتى فرغ النبى عليه الصلوة والسلام من صلاته كلها
فصلى المؤتمون ما بقى عليهم من صلوتهم وهذا نظير ما عليه المسلمون جميعا فيما سبقهم الامام لا يقضونه
حتى يفرغ الامام من صلوته ثم يقضون ما فاتهم والاخبار التى جاءت بخلاف ذلك يحتمل ان يكون فى الوقت
الذى كانوا يقضون الفايتة قبل فراغ الامام من صلوته ثم نسخ ذلك بما توارث الامة القضاء بعد الفراغ
والله اعلم وقوله عز وجل وليأخذوا اسلحتهم اختلف فيه قيل هم الطايفة التى بازاء العدو يأخذون
السلاح ليكون اهيب للحرب والقتال وقيل هم الطايفة الذين يصلون يأخذون السلاح حتى اذا استقبلهم
العدو والحرب يقدرون على ذلك وقيل اذا وقع بينهم الحرب فلهم تاخير الصلوة الى وقت انقطاع
الحرب بينهم وقال الحسن يصلى الامام بكل طايفة تمام الصلوة لانه ذكر فى الخبر انه كان يصلى بكل طايفة
سجدة والسجدة هى اسم التمام وهذا جايز فى اللغة لكن عندنا ما ذكرنا من الاخبار عن الصحابة عن عمر وابن
عباس وغيره رضوان الله تعالى عليهم اجمعين حيث قالوا صلوة السفر ركعتان وصلوة الفطر والاضحى ركعتان
وصلوة الخوف ركعة تمام غير قصر وما روينا ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سجد بالصف الاول ولم يسجد
معه الصف الثانى فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من السجدتين سجدهما اهل الصف
الثانى فهذا يدل على ان الامر ما وصفنا واذا كان العدو مواجهة القبلة فالامام بالخيار ان شاء جعل القوم
صفين صفا امامه بازاء العدو وصف معه يصلى بهم هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه فعل بالمسلمين روى جابر بن عبد الله رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم
والعدو فى القبلة بطايفة ركعة وجاءت الاخرى فصلى بهم اخرى وان شاء جعل القوم كلهم خلفه صفين
فيصلى بهم فاذا انتهوا الى السجود سجد الصف الاول والصف الثانى يحرس العدو فلما فرغ هؤلاء سجد
الاخرون ثم كذلك يفعل بهم فى الثانية وهذا ايضا روى انه فعل فخيرنا بايهما شاء وقوله عز وجل

ولیکونوا من ورائکم ای لیکونوا مصاف العدو ویحرسونهم من العدو وقوله عز وجل ولیأخذوا حذرهم
واسلحتهم یحتمل قوله تعالی حذرهم ای یأخذون ما یستترون به ویحرسون العدو من نحو الترس والدرع ونحوه
وقوله عز وجل واسلحتهم ما یقابل به من السلاح ویحارب ویحتمل ما یتحصن به من نحو الحصن ونحو الجبال وغیره
وفیه الامر بتعلم اداب الحروب والقتال واخذ الاهبة والاعداد للعدو ودون ان یکلوا الامر الی ذلک ولکن لا یکلوا
الامر الی ما وعدالله لهم من النصر بقوله تعالی وما النصر الا من عندالله وبقوله وخذوا حذرکم وقوله تعالی
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخیل وقوله فانفروا ثبات او انفروا جمیعا وغیره من الآیات
فیها الدلالة علی تعلم اداب الحروب واخذ الاهبة فیه حیث امرهم عز وجل بمجاهدة العدو فی غیر ای من القرآن
وقوله عز وجل ود الذین کفروا لو تغفلون عن اسلحتکم وامتعتکم الآیة هذا یعلم بالطبع ان کل احد یطلب الفرصة
علی عدوه والغفلة منه هذا معروف فی طبایع الخلق وقوله عز وجل عن اسلحتکم ما یحارب به ویقاتل وقوله عز وجل
وامتعتکم یحتمل امتعتکم ما یحرس به العدو ویستتر به منه ای یطلبون الغفلة عن الاسلحة والامتعة ویحتمل الامتعة
ان یرید بها غیرها من الثیاب وغیرها وقوله عز وجل ولا جناح علیکم ان کان بکم اذی من مطر او کنتم مرضی
ان تضعوا اسلحتکم وخذوا حذرکم فی الایة دلالة ان الله تعالی لم یرد بقوله ان الله اشتری من المؤمنین
انفسهم بذلها للقتل حیث رخص لهم وضع الاسلحة واخذ الحذر عند ما بلوا بالمطر والمرض لانه
لو کان المراد بشراء الانفس منهم بذلها للقتل لکان لا یرفع ذلک عند ما یخافون علی انفسهم من الهلاک
اذ المرض وخوف الهلاک لا یرفع ذلک فی الاحوال کلها اذا کان الامر بذلک امرا بالقتل والهلاک الا تری
ان من وجب علیه الرجم لم یرفع عنه بالمرض الرجم لان فی الرجم هلاکه فلما رفع عنهم القتال فی حال المرض
او فی الحال الذی یخاف الهلاک دل انه لم یرد بشراء الانفس بذلها للقتل ولکن اراد والله اعلم اظهار دین الله
ونصر اهل دینه الا تری انه قال فی آیة اخری فیقتل او یغلب فسوف نؤتیه اجرا عظیما جعل الثواب والاجر
عند الغلبة علی عدوه مثل ما جعل عند القتل ولو کان الامر بذلک امرا بالقتل خاصة لا یستوجب
الاجر والثواب لغیره دل انه ما ذکرنا الا تری انه قال فیقتلون ویقتلون وعدا علیه حقا جعل الوعد
للقاتل ما جعل للمقتول هذا کله یدل ان الامر بذلک لیس علی القتل وقوله عز وجل وخذوا حذرکم قد ذکرنا
ان الامر باخذ الحذر یحتمل وجهین احدهما فیه الامر بتعلم اداب الحرب واسباب القتال وان لا یکلوا الامر
الی ذلک خاصة لکن الی ما وعد لهم من النصر والظفر علی عدوهم بعد ما اخذ الاهبة الا تری انه قال
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الایة وقال تعالی ولیأخذوا اسلحتهم الایة والثانی یحتمل ان یأمرهم باخذ
ما یدفعون به سلاح العدو عن انفسهم ویقوون به من الترس والدرع او البنیان والله اعلم وقوله عز وجل
ان الله اعد للکافرین عذابا مهینا ای اعد لهم من العذاب ما یهانون فیه نصروا او غلبوا واعد لکم من الثواب
ما تشرفون وتعززون به نصرتم او غلبتم فما لکم لا تقاتلون وقوله عز وجل فاذا قضیتم الصلوة فاذکروا الله
قیاما وقعودا وعلی جنوبکم قیل یحتمل وجهین یحتمل اذا قضیتم الصلوة ای اذا فرغتم منها فاذکروا الله علی کل حال
تستعینون به بالنصر علی عدوکم کقوله تعالی اذا لقیتم فئة فاثبتوا واذکروا الله کثیرا امر بالثبات
عند لقاء العدو وذکر الله استعانة منه علی عدوهم فعلی ذلک الاول ویحتمل ان یکون معناه اذا اردتم
ان تقضوا الصلوة فاذکروا الله کثیرا فی ای حال کنتم فی حال القیام والرکوع والسجود کقوله تعالی واذا کنت فیهم
فاقمت لهم الصلوة معناه والله اعلم اذا کنت فیهم فاردت ان تقیم لهم الصلوة فافعل کذا فعلی ذلک الاول والله اعلم
وقوله عز وجل فاذا اطمأننتم فاقیموا الصلوة هذا والله اعلم مقابل قوله تعالی واذا ضربتم فی الارض فلیس علیکم
جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم الایة وقد ذکرنا ان القصر یحتمل وجوها یحتمل القصر للضرب فی الارض
وهو القصر فی عدد الرکعات ویحتمل القصر للمرض والخوف فهو قصر الایماء فنحن ناخذ بذلک کله علی اختلاف الاحوال

فعلی ذلک قوله فاذا اطمأننتم یحتمل الوجوه التی ذکرنا ای اذا اطمأننتم صرتم اصحاء فصلوا کذا صلوة
الاصحاء ویحتمل فاذا اطمأننتم آمنتم من الخوف فصلوا کذا ویحتمل ایضا فاذا اطمأننتم اذا رجعتم واقمتم
صلوا صلوة المقیمین اربعا فهذا والله اعلم علی ما ذکرنا مقابل قوله واذا ضربتم فی الارض الآیة وقوله
عز وجل ان الصلوة کانت علی المؤمنین کتابا موقوتا ای مفروضا وهو قول ابن عباس رضی الله عنه وقیل
کتابا موقوتا ای لها وقت کوقت الحج وهو قول ابن مسعود رضی الله عنه وقیل کتابا موقوتا محدودا فنحن
نقول بهذا کله نقول انها فریضة موقتة محدودة علی ما قیل والله اعلم والآیة ترد علی من یقول بان علی الکافر
الصلوة لانه اخبر انها کانت علی المؤمنین کتابا موقوتا وهم یقولون علی الکافرین والمؤمنین لکنها
کتبت علی المؤمنین فعلا وعلی الکافرین قبولا هذا والله اعلم معنی قوله ان الصلوة کانت علی المؤمنین
کتابا موقوتا ای فعلها علی المؤمنین کتابا موقوتا ثم یحتمل قوله کانت علی المؤمنین کتابا موقوتا ای لم تزل
هی کانت موقوتا علی الامم السالفة لان هذه الامة خصت بها کقول ابراهیم علیه الصلوة والسلام رب
اجعلنی مقیم الصلوة ومن ذریتی وکقوله عیسی علیه السلام واوصانی بالصلوة والزکوة وکقوله لموسی
علیه السلام واجعلوا بیوتکم قبلة واقیموا الصلوة ویحتمل قوله تعالی کانت ای صارت علی المؤمنین
کتابا موقوتا بعد ان لم تکن وکل ذلک محتمل ولکن لا نشهد علی الله انه اراد کذا وکذلک فی قوله تعالی
واذا ضربتم فی الارض فلیس علیکم جناح ان تقصروا من الصلوة وقوله تعالی فاذا اطمأننتم تتأول الخبر
ونعمل بالوجوه کلها علی اختلاف الاحوال لاحتمال الوجوه التی ذکرنا فلا نقطع القول فیه ولا نشهد
علی الله انه اراد کذا وهکذا السبیل فی جمیع المجتهدات ان نعمل بها ولا نشهد علی الله انه اراد ذا او ما بدا
وبالله التوفیق ذکر الله تعالی ما بین فرض الصلوة ووجوبها فی غیر موضع من کتابه منها الایة التی
ذکرناها ومنها قوله تعالی وما امروا الا لیعبدوا الله مخلصین له الدین حنفاء ویقیموا الصلوة ویؤتوا
الزکوة وذلک دین القیمة وقوله تعالی فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزکوة فاخوانکم فی الدین ولم تدل
هذه الآیات علی کیفیة الصلوة وعددها انما دلت علی وجوبها ولزوم فرضها ودلت آیات اخر علی عددها
وحملها واوقاتها قال الله سبحانه وتعالی اقم الصلوة لدلوک الشمس الی غسق اللیل وقرآن الفجر ان قرآن
الفجر کان مشهودا فهذه ثلثة اوقات ذکرها الله تعالی فیهن ثلاث صلوات وروی عن مجاهد عن ابن
عباس رضی الله عنه قال سألته عن قول الله سبحانه وتعالی اقم الصلوة لدلوک الشمس قال اذا زالت
الشمس عن بطن السماء الصلوة الظهر الی غسق اللیل قال بدء صلوة المغرب وعن ابن عمر رضی الله عنه
قال لدلوک الشمس قال دلوکها زیغها بعد نصف النهار وهو وقت الظهر وعن ابن عباس رضی الله عنه
قال دلوکها زوالها وقد روی عن ابن مسعود وابن عباس رضی الله عنهما قال دلوک الشمس غروبها
فای التأویلین کان دلوک الشمس فقد اوجب فیه صلوة وصلوة عند غسق اللیل وصلوة عند
الفجر فهذه ثلاث صلوات قال الله تعالی اقم الصلوة طرفی النهار وزلفا من اللیل فاحد طرفی النهار
یجب فیه صلوة الفجر وقد ذکر فی هذه الایة والطرف الاخر قبل غروب الشمس فهذه رابعة وهی العصر
وروی عن الحسن رضی الله عنه ان الصلوات الخمس مجموعة فی هذه الایة اقم الصلوة طرفی النهار
قال صلوة الفجر والطرف الاخر الظهر والعصر وزلفا من اللیل المغرب والعشاء فای التأویلین کان
فان صلوة العصر مذکورة فی هذه الایة وعن ابن عباس رضی الله عنه قال جمعت هذه الایة مواقیت الصلوة
فسبحان الله حین تمسون المغرب والعشاء وحین تصبحون الفجر وعشیا العصر وحین تظهرون الظهر
وعن ابن عباس رضی الله عنه ایضا فسبح بحمد ربک قبل الطلوع وقبل الغروب قال الصلوة المکتوبة
دلت هذه الآیات والله اعلم ان الله سبحانه وتعالی فرض علی عباده فی کل یوم ولیلة خمس صلوات

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف فرضت الصلوة ومتى فرضت وروى عن عبادة بن الصامت قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس صلوات كتبها الله تعالى على العباد فمن اتى بهن لم يضيع من حقهن
شيئا استخفافا بحقهن فان له عند الله عهدا ان يدخل الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء
عذبه وان شاء ادخله الجنة وعن ابى سعيد الخدرى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم
حيث بعث معاذا الى اليمن قال انك تاتى قوما اهل الكتاب فادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله وانى رسول الله
فان اطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله سبحانه وتعالى فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة وعلى ذلك
اتفاق الامة لا خلاف بينهم الا ان قوما زعموا ان النبى صلى الله عليه وسلم اوجب بعد ذلك الوتر
بقوله ان الله زادكم صلوة الا وهى الوتر وليس فى الكتاب ذكر ولا دليل وجوبه فتركنا الكلام فيها لكن
ابا حنيفة رضى الله عنه سلك فيها مسلك المكتوبة وقوله عز وجل ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون
فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فى الاية دلالة فرضية الجهاد لانه عز وجل اخبرانهم
يالمون ويتوجعون بما يصيبهم من الجراحات كما تالمون انتم وتتوجعون بها فلو كان نفلا لكان يرفع عنهم الجهاد
عند الالم والتوجع على ما يرفع ساير النوافل عند الالم والتوجع فدل انه فرض لكنه فرض كفاية وفرض الكفاية
يسقط بقيام البعض عن الباقين وقد ذكرنا فيما تقدم الوجه فيه وقوله تعالى ولا تهنوا فى ابتغاء القوم
فمعناه والله اعلم اى لا عذر لكم فى تالمكم ان تهنوا فى ابتغائهم فانهم يالمون كما تالمون ولا يضعفون فى ذلك
وترجون انتم العاقبة من الثواب الجزيل ما لا يرجون ثم هم لا يضعفون فكيف تضعفون انتم فى ذلك وكل امر
لا عاقبة له فهو عبث وليس لامرهم عاقبة وهو عبث ولامركم عاقبة محمودة فانتم اولى فى ذلك ودل قوله
ولا تهنوا فى ابتغاء القوم على تاكد فرضية الجهاد اذ لم ياذن لهم فى التخلف عن ذلك على ما فيه من الالم وخوف
هلاك النفس فى ذلك ثم بين ما يخفف لمثله يحمل المكروه على الطبع له وقد يختار له مباشرة الاتعاب
فى النفس من عواقب تنقطع وتزول فكيف فيما لا انقطاع له من رجاء الثواب بذلك التالم والله اعلم وقوله عز وجل
وكان الله عليما بتالمكم اى عن علم بالتالم امركم بذلك الا عن جهل وقد ذكرنا ذلك فى غير موضع وقوله عز وجل
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق قوله بالحق يتوجه وجوها بحق الله عليكم انزل اليك الكتاب ويحتمل بحق بعض انزل
اليك الكتاب لتحكم بين الناس ويحتمل قوله بالحق اى بالمحنة يمتحنهم بها اذ فى عقل كل احد ذلك واما كل ذى لب
لا يومر ولا ينهى خروج عن الحكمة وان يقال بالحق اى بالعواقب ليكون لهم العاقبة وقوله تعالى بالحق الذى لله
او لبعض على بعض ولامر كانت وهو البعث ليعدله ويتزودوا وبالذى يحمد عليه فاعله اذ الحق صفة لكل
ما يحمد عليه فاعله والباطل لما يذم وقد يحتمل بالعدل والصدق على الامر من التغيير والتبديل والله الموفق
وقوله عز وجل لتحكم بين الناس بما اراك الله قيل ان فى الاية دلالة جواز الاجتهاد لانه قال لتحكم بين الناس
بما اراك الله دل قوله ولكن تقول له لتحكم بين الناس بالكتاب دل انه يحكم بما يريد به الله بالتدبر فيه والتامل
لكن اجتهاده كالنص لانه لا يخطيه لانه اخبر انه يريه ذلك فلا يحتمل ان يريه غير الصواب واما غيره من المجتهدين
فيجوز ان يكون صوابا ويجوز ان يكون خطاء لانه لا ينكر ان يكون الشيطان هو الذى اراه ذلك فيكون خطا فلا يجوز
ان يشهد عليه بالصواب ما لم يظهر واما اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فهو كله يكون صوابا لان الله سبحانه وتعالى
هو الذى اراه ذلك فشهد انه صواب وقوله عز وجل ولا تكن للخائنين خصيما قال اكثر اهل التفسير انهم ارادوا
سارقا يقال له طعمة ويصدقه فى قوله فنزل قوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما فلولم يقولوا ذلك او فوق ولحسن
فان كان ما قالوا فذلك لما يظهر منه الخيانة عنه اذ ذكر فى القصة انه وجد السرقة فى درع فلان كان
ذلك مما كان لما ذكرنا واما النهى عن ان يكون للخائنين خصيما نهى وان كان يعلم انه لا يكون لما عصمه الله
كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وان كان عصمه من ان يكون منهم والعصمة انما تنفع

اذا كان ثمة امر ونهى فاما اذا لم يكن ثمة امر ولا نهى فلا معنى للعصمة والتوفيق وقوله عز وجل واستغفر الله
ان الله كان غفورا رحيما وقوله تعالى واستغفر الله ليس هو قول الناس نستغفر الله ولكن كانه قال كونوا
على الحالة التى تكون اعمالكم مكفرة للذنوب الا ترى الى قول هود لقومه وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه الاية
وقال نوح عليه السلام لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية فلم يرد وان يقولوا نستغفر الله قولا
حسب ولكن اراد وان يكونوا على الحالة التى تكون اعمالهم مكفرة لذنوبهم لانهم لو قالوا بلسانهم الف مرة نستغفر الله
لكان لا ينفعهم ذلك فعلى ذلك قوله واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما وحقيقة الاستغفار وجهان
احدهما الانتهاء عما اوجب العقوبة لقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك معنى قول من ذكر
والثانى طلب الستر بالعفو والتجاوز وقوله عز وجل ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم الاية هو ما ذكرنا
ان العصمة لا تنفع اذا لم يكن امر ونهى وقوله عز وجل يختانون انفسهم لا احد يقصد قصد خيانة نفسه ولكن
لما رجع فى العاقبة ضرر الخيانة الى انفسهم صار وكانهم اختانوا انفسهم كقوله تعالى الا انفسهم لا احد
يقصد قصد خداع نفسه لكن لما رجع فى العاقبة حاصل الخداع اليهم صار وكانهم خدعوا انفسهم
فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله على علم منهم انه
لا يخفى عليه شئ ويحتمل يستخفون من الناس اى يستترون ستر هم من الناس وكذلك روى فى حرف
حفصة ولا يستترون من الله ولكن الله يطلع الناس على ما يسترون وهو معهم اى لا يخفى عليه شئ وقوله
يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم على وجهين احدهما على نفى القدرة وانما تهيا
ان لهم ذلك فى الاخفاء من الناس وليس لهم فى الاخفاء عن الله والثانى على قلة المبالاة يعلم
باطلاع الله تعالى عليهم وتركهم مراقبة الله فى الامور واجتهادهم فى ذلك عن الخلق والله اعلم
وقوله عز وجل اذ يبيتون ما لا يرضى من القول عن ابن عباس قال اذ يبيتون ما لا يرضى من القول
يقول من العمل والفرية من اليهودى بالسرقة وقيل يبيتون اى يؤلفون القول فيما بينهم فيقولون
ياتى به النبى فيقول له كذا وكذا ليدفعوا عن صاحبهم الخيانة والتهمة وهو طعمة على ما قيل
فى القصة انه سرق درع رجل فرماها فى دار يهودى وقيل انه خباها فى دار يهودى فلما طلب منه
حلف بالله انه ما سرق وقيل التبييت هو التقدير بالليل قد ذكرنا فى قوله بيت طائفة منهم الاية
وقوله عز وجل وكان الله بما يعملون محيطا هو على الوعيد اى عن علم منه يعملون هذا لا عن غفلة كقوله تعالى
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون لكنه يؤخره الى يوم على علم اى عن علم منه ذلك وعلى الاعلام
ان الله لم يزل عالما بما يكون وعلى ذلك امتحنهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل ها انتم هؤلاء جادلتم ها انتم
يا هؤلاء جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا قيل يعنى اصحاب طعمة اى لو خاصمتم عنهم يا هؤلاء فى الدنيا فمن يجادل الله
عنهم يوم القيامة لا احد يخاصم عنه يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا يخاصم عنه يوم القيامة وقيل
كفيلا اى فى الدفع عنهم كقوله تعالى الذين يجادلون فى ايات الله اى فى دفعها وارادة ان يدحضوا بالباطل
وقيل رقيبا وقيل كفيلا والوكيل هو القايم بحفظ الامور والقاضى للحوايج والمريح للعلل وقوله عز وجل
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه هما سواء اى من عمل سوءا فقد ظلم نفسه ومن ظلم نفسه فقد عمل سوءا ويحتمل
ما قال ابن عباس رضى الله عنه من يعمل سوءا الى الناس او يظلم نفسه فيما بينه وبين الله ثم روى
عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ارجى الاية فى القرآن هذه قوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
الاية وروى عنه ايضا اربع ايات من كتاب الله تعالى احب الى من حمر النعم وسودها قوله ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الى اخره وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله الاية وقوله تعالى ومن يعمل سوءا

او يظلم نفسه الاية وعن علقمة والاسود قالا قال عبد الله ان في كتاب الله لايتين ما اصاب عبد ذنبا فقراهما
ثم استغفر الله الا غفر له والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الى اخر الاية وقوله ومن يعمل سوء او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله وقوله تعالى ايضا ومن يكسب خطيئة او اثما يحتمل كل واحد منهما انه الاخر كرر على التأكيد
فيما جرى له الذكر ويحتمل التفريق ان يكون سوء الى الناس وخطيئة اليهم او يظلم نفسه بما ياثم بينه وبين الله
وقوله عز وجل ومن يكسب خطيئة او اثما فانما يكسبه على نفسه لانه حاصله يرجع اليه فكانه كسب على نفسه
وقوله ومن يكسب خطيئة سرقة او اثما يحتمل ان يكون قوله ومن يكسب خطيئة او اثما واحد الخطيئة هي الاثم
والاثم هو الخطيئة وقيل ومن يكسب خطيئة سرقة الدرع او اثما يقول بيمينه الكاذبة انه لم يسرقها او انما سرقها
فلان اليهودي وقوله عز وجل ثم يرم بريئا قيل لما طلب في دار رماها في دار اليهودي ثم حلف بالله كاذبا وزورا
انه لم يسرقها وقوله عز وجل فقد احتمل بهتانا واثما مبينا يقول كذبا على اخر بما لم يفعل والبهتان هو ان يبهت
الرجل الرجل كذبا بما لم يفعل واثما مبينا بيمينه الكاذبة والله اعلم وقوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك قال اكثر اهل التأويل نزلت هذه الاية في شان طعمة الذي سرق درع جار له
بالذي سبق ذكره وقالوا لولا فضل الله عليك ورحمته لقد هم قوم طعمة ان يضلوك اي يخطئوك وليس هو الاضلال
في الدين ولكن ان كان ما قالوا فهو يخطئه الحكم ويحتمل قوله ان يضلوك اي يجهلوك في حكم السرقة ويجوز
ان يكون جاهلا انه سرقه لما لم يرد انه سرق وكان يصدقه في الحكم انه لم يسرق لانه انما كان يعلم الاشياء
بالوحي ثم اعلم انه قد سرق ويحتمل ان يكون الاية في الكفار كلهم لان الكفرة والمنافقين لم يزالوا كانوا
يريدون ان يضلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الهدى ويصرفوا عنه كقوله تعالى ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء وكقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا ثم يحتمل قوله تعالى
ولولا فضل الله عليك ورحمته حيث عصمك بالنبوة والا لاضلوك عن سبيل الهدى وهو كقوله عز وجل
ولولا ان ثبتناك اي بالعصمة لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا والثاني ولولا فضل الله عليك ورحمته حيث
اعلمك بالحكم في ذلك ويصرك به بالوحي وصرفك عن تصديق ذلك الخائن ان ثبت ما قالوا والا لهموا ان يجهلوك
ويجهلوك فيه ثم في الاية نقض قول المعتزلة لانه من على رسوله صلى الله عليه وسلم انه عصمه وهم يقولون
كان عليه ان يعصمه وهو كان يستحق ذلك قبله فلو كان عليه ذلك لم يكن للامتنان عليه بذلك معنى اذ فعل ما كان
ان يفعل على زعمهم ومن فعل فعلا عليه ذلك لم يقل انه مفضل دل انه ليس كما قالوا وبالله التوفيق والعصمة
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك يخرج على وجهين احدهما يكفهم عما هموا والثاني
بعصمته عما راموا فيه ان يظفروا منه بعد ان اظهروا ما طلبوا وقوله تعالى يضلوك يجهلوك الحكم بالتلبيس
وانواع التمويه يرجع ذلك الى نازله والثاني ان يكون بالاضلال عن السبيل والحيل في الصرف عن الحق وهذا
هو الذي لم يزل لاعداء الله يقصدون برسول الله وبجميع اهل الخير فكفهم بوجهين يتوجه كل وجه
الى وجهين احدهما ظواهر الاسباب من الوحي والايات وكذا في كفهم مرة بالقتال والاسباب الظاهرة ومرة باللطف
والعصمة وسمى ذلك فضله ورحمته ليعرف ان ذلك فضله لا حقا قبله اذ ليس بد للحقوق بعد في الفضائل
وقوله عز وجل وما يضلون الا انفسهم لا احد يقصد قصدا اضلال نفسه لكن لما رجع حاصل ذلك الاضلال
الى انفسهم كانهم اضلوا انفسهم وقوله عز وجل وما يضرونك من شيء امن رسوله عن ضرهم اولئك كقوله تعالى والله
يعصمك من الناس وقوله عز وجل وانزل الله عليك الكتاب والحكمة قد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل
وعلمك ما لم تكن تعلم من الحلال والحرام والاحكام كلها وغير ذلك كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان فهو كذلك كان وقوله عز وجل وكان فضل الله عليك عظيما فيما علمك من الاحكام وعصمك
بالنبوة والرسالة وصرف عنك ضرر الاعداء والله اعلم وقوله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم لخلف

في النجوى

في النجوى قيل النجوى القوم كقوله واذ هم نجوى اي رجال وقيل النجوى هو الاسرار كقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الاية
ثم استثنى الا من امر بصدقة او معروف فالاية فان كان التأويل من النجوى هو فعل النجوى خاصة فكانه
قال في كثير من نجواهم الا الامر بالصدقة والامر بالمعروف والاصلاح بين الناس وان كان تأويل النجوى هو القوم فكانه
قال والله اعلم لا خير في كثير منهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وكان هذا اقرب
ومعنى الثنيا الكثير فيما يرجع الى القوم فكانه قال لا خير في كثير منهم الا من يرجع امره الى ما ذكر فيصير الى الخير
وقد يحتمل ان قوما منهم يرجع نجواهم الى الخير وهم اقلهم ومن الفعل على ان الفعل ربما يكون فعل خير وان كانوا
اهل النفاق والكفر لكن بين انه غير مقبول الا ان يبتغي به مرضاة الله وذلك لا يكون الا ان يؤمنوا والله اعلم
وقوله عز وجل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قيل لما تبين
خيانته لرسول الله صلى الله عليه وسلم استحيى ان يقيم بالمدينة فارتد ولحق بمكة كافرا فنزل قوله تعالى ومن يشاقق
الرسول يقول يخالف الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وعن ابن عباس رضي الله عنه
من بعد ما تبين له الهدى يقول من بعد ما كان كافرا تبين الاسلام وقال لما ابان امر طعمة وعلم انه سرق
الدرع انزل الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قيل له يا طعمة ان رسول الله قاطعك فخرج
هاربا الى مكة وقوله عز وجل ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني غير دين المؤمنين وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنه ويسلك غير سبيل المؤمنين وقوله عز وجل نوله ما تولى اي نتركه وما تولى
من ولاية الشيطان وقيل يدعه وما اختار من الدين غير دين المؤمنين ونصله جهنم اي ندخله
جهنم في الاخرة وقيل قوله نوله ما تولى اي نوله في الاخرة ما تولى في الدنيا وساءت مصيرا يقول بئس المصير
صار اليه وقوله تعالى نوله ما تولى انه تولى الشيطان فجعله الله وليا كقوله تعالى ومن يتخذ الشيطان
وليا وغير ذلك ويكون يخذله فيما اختار ويكون يخزيه جزاء توليه ويكون لخلق توليه منه جورا
باطلا مهلكا له والله اعلم وقوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الاية في الاية
دليل ان لا يصير بكل ذنب مشركا على ما قاله الخوارج لما قسم الكتاب ولا يحتمل اضمار التوبة لان الشرك قد يغفر
بالتوبة فبطل قولهم وفيه بطلان قول من يبطل المغفرة الكبائر بلا توبة لان الله جعل لنفسه مشيئة
المغفرة وذلك فيما في الحكمة دفع سفهه فلزم الذي ذكرنا الفريقين جميعا ثم الذي ينقض قول الخوارج
الذين يكفرون بارتكاب الصغائر ما بلي بها الانبياء والاولياء وما يكفر صاحبه يسقط النبوة والولاية
ومن كان وصف ايمانه بالانبياء عليهم السلام هذا فهو على كفرهم وعلى المعتزلة في ذلك ان الله وصف الانبياء
عليهم السلام بالدعاء له تضرعا وخيفة وخوفا وطمعا وبكائهم على ما كان منهم من الزلات وتضرعهم
اليه حتى اجيبوا في دعائهم ولو لم تكن ذنوبهم بحيث يحتمل التعذيب عليها بالحكمة لكان في ذلك تعدي الحد
والوصف بالجور والتعوذ به وذلك اعظم من الزلات فهذا ينقض قول المعتزلة في اثبات المغفرة في الصغائر
واخراج فعل التعذيب عن الحكمة وقول الخوارج بازالة اسم الايمان بها ولا عصمة الا بالله ثم قوله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يحتمل الشرك في الاعتقاد وهو ان يشرك غيره في ربوبيته
والوهيته والثاني ان يشرك غيره في عبادته وذلك كله شرك بالله تعالى ان لا فرق بين ان لا يشرك غيره
في ربوبيته والوهيته وبين ان يشرك غيره في عبادته الا ترى انه قال عز وجل انما الهكم اله واحد
ثم قال الله تعالى في اخره ولا يشرك بعبادة ربه احدا جعل الاشراك في الالوهية والربوبية والاشراك
في العبادة واحدا كله شرك بالله وبالله التوفيق ثم قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا يحتمل ما قالت المعتزلة
انه وعد المغفرة فيما يشاء ثم بين ذلك في الصغائر بقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وقد ثبت الوعيد في الكبائر نفي الوعيد بحقه لم يزل بالذي ذكر لاحتماله وقيل قوله لمن يشاء كناية عن الانفس

لمن شاء ولمن يتبين من الذي يشاء مغفرته
سماع

المغفورات لا عن الآثام والاجرام التي تغفر لم يجز صرف التخصيص الى الآثام بالآية المكني بها عن الانفس لانه لم يقل
ما شاء ولكن قال عز وجل لمن يشاء فذلك كناية عن الانفس وفي آيات ابو عبيد تحقيق في الدين جاء بهم وفيما جاء
على ما قيل لا صرف في ذلك فهو اولى وابعد فانه قال لمن يشاء والصغاير عندهم مغفورة بالحكمة لا بالوعد والآية
في التعريف والله اعلم وقوله عز وجل ان تدعوا من دونه الا اناثا عن الحسن قال الاناث الاموات التي لا روح
وكذلك روى عن ابن عباس رضي الله عنه وقيل قوله تعالى الا اناثا هم الملائكة لانهم يقولون الملائكة بنات الله
في السماء نعبدها فانهم اماجيد والاناث عندهم وفي زعمهم وقيل اناثا من الوثن وكذلك روى في حرف عايشة
رضي الله عنها انها كانت تقرا ان تدعون من دونه الا اوثانا وهو الصنم سمي اناثا صوروها بصور الاناث
وحلوها وقلدوها وزينوها بزيهم ثم يعبد ونها لم يعبد وها على ما كان في الاصل فسمي بذلك وقيل سمي اناثا لانهم
كانوا يسمون ما يعبدون من الاصنام والاوثان اللات والعزى ومناة وانها وهن اسماء اناث والله اعلم وقوله عز وجل
وان يدعون الا شيطانا مريدا اخبر الله عز وجل وان كانوا يتبرؤن من الشيطان ويلعنونه فانهم بعبادتهم الاصنام
والاوثان يعبدون الشيطان لان الشيطان هو الذي يدعوهم الى عبادتهم الاصنام فكانهم عبدوه الا ترى ان ابراهيم
صلوات الله عليه وسلامه قال يا ابت لا تعبد الشيطان جعل عبادة الصنم عبادة الشيطان حيث قال له لا تعبد
الشيطان فدل ان عبادتهم الاوثان عبادة للشيطان وبالله العصمة وقوله عز وجل مريدا قال ابن عباس رضي الله عنه
المريد هو العاتي وقوله عز وجل لعنه الله اللعنة هو الابعاد من رحمة الله فسمي ملعونا لانه مبعد من رحمة الله
مطرودا منها وقوله عز وجل وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا انه لعنه الله وان قطع القول فيه
لاتخذن من كذا قطعا فهو ظن في الحقيقة الا ترى انه قال في آية اخرى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه دل
ان ما قاله ظنا لكنه خرج مقطوعا محققا ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل نصيبا مفروضا اي نصيبا معلوما
والنصيب المفروض هو ما ذكر ولاضلنهم الى آخر ما ذكر معروضا اي مبينا من يطيعه ومن لا يطيعه وقوله
عز وجل ولاضلنهم ولامنينهم الآية قيل هذا اخبار من الله تعالى عباده عن صنيع اللعين ليكونوا على حذر
منه ثم قوله لاضلنهم ليس على حقيقة الاضلال لانه لا يقدر ان يضل احدا لكنه يدعو الى الضلال ويزين
عليهم طريقه ويلبس عليهم طريق الهدى فذلك معنى اضافة الاضلال اليه والا لم يملك اضلال احد في الحقيقة
كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم الآية ثم اذا ضلوا بدعائه الى ذلك وتزيينه عليهم
سبيله يمنيهم عند ذلك حتى يتمنوا اشياء كقولهم وقالوا الذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه الآية
وكقوله تعالى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم ونحو ذلك من الاماني وذلك مما يمنيهم
الشيطان لعنة الله عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه ولاضلنهم يعني عن الدين ولامنينهم ان يصيبوا خيرا لا محالة
ليامنوا وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولاعدنهم ولامنينهم ولاحرمن عليهم الانعام ولآمرنهم فليبدلن خلقك
ولآمرنهم فليبتكن وقوله فليبتكن اذان الانعام فجعلوها بحيرة للاوثان والاصنام التي كانوا يعبدونها
وقوله عز وجل ولآمرنهم فليغيرن خلق الله يحتمل هذا وجهين سوى ما قال اهل التاويل احدهما ان الله تعالى
خلق هذا الخلق ليامرهم بالتوحيد ويجعلوا عبادتهم له لا يعبدون دون الله غيره كقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون ما اريد منهم الآية فهو دعاؤهم ان يجعلوا عبادتهم لغير الله وهو ما قيل في قوله عز وجل
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم قيل لدين الله فعلى ذلك يحتمل قوله
فليغيرن خلق الله اي عن الذي كان خلقه اياهم لذلك والله اعلم والثاني انه عز وجل خلق الانعام والبهائم
لمنافعهم وسخرها لهم فهم حرموها على انفسهم وجعلوها للاوثان والاصنام كالبحيرة والسايبة والوصيلة
والحام منعوا منافعها التي خلقها لهم عن انفسهم وذلك تغيير ما خلق الله لهم والله اعلم واما اهل التاويل
فانهم قالوا غير الذي ذكرنا قال بعضهم قوله فليغيرن خلق الله الاخصاء وهو قول ابن عباس رضي الله عنه

وقال آخرون هو دين الله وروى عن ابن عباس رضي الله ايضا دين الله وقيل هو ما جاء من النهي عن الواشمة
والنامصة في المتفلجة والواصلة والواصلة ولا يحتمل ان يكون خطر بباله يومئذ ابدا دين تغيير خلق الله ما كانوا
من الاخصاء والمثلة والواشرة والنامصة لانه انما قال ذلك يوم طلب من ربه النظرة الى يوم البعث ولا يحتمله
علم ان لا يحل هذا والنهي عن مثله اذ قد يجوز ان ترد الشريعة في مثله لذلك بعد هذا والله اعلم وقوله
عز وجل ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله اي يطيعه ويجيبه الى ما دعاه ويقبل دعوته فقد خسر
خسرانا مبينا في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فذهاب المنافع عنهم التي جعلوها للاصنام والاوثان
وفي الآخرة العقوبة وقوله عز وجل يعدهم ويمنيهم امانيا فقرا وما سعة وبينهم هو ما ذكر من الاماني وقضاء الشهوات
في الدنيا وما يعدهم الشيطان الا غرورا والغرور هو ان يري شيئا ان يظهر خلافه اولئك مأواهم
جهنم ولا يجدون عنها محيصا الآية ظاهرة قيل مفرا وقيل ملجأ وقوله عز وجل والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد ذكرنا هذا فيما تقدم ان الايمان
هو التصديق والاعمال الصالحات غير التصديق وقوله عز وجل ومن اصدق من الله قيلا تاويل هذا
والله اعلم ان يقال انكم عن يقبلون الاخبار والقول من الناس ثم لا احد اصدق قولا من الله تعالى
ولا انجز وعدا منه فكيف لا تقبلون قوله وخبره انه بعث وجنة ونار وتكذبون قول ابليس لا جنة
ولا نار ولا بعث وقوله عز وجل ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به قيل عز وجل
ان الامر ليس بالاماني ولكن بالاعمال عز وجل فهو والله اعلم يحتمل ان يكون في المنزلة والقدر عند الله لانهم
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغير ذلك من الاماني واصل التاويل
يذهبون الى هذا وقالوا ان كل فريق منهم كانوا يقولون ان ديننا خير من دينكم ونحن افضل من هؤلاء
فنزل ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب وذلك بعيد وقوله عز وجل من يعمل سوءا يجز به اختلف فيه
قال بعضهم قوله تعالى من يعمل سوءا يعني شركا يجز به يدل على ذلك قوله عز وجل ولا يجد له من دون الله
وليا ولا نصيرا وذلك وصف الكافر ان لا يكون له ولي يتولى حفظه ولا نصير ينصره الا ترى انه قال ومن يعمل
من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ذكر الذين يعملون الصالحات وهم
مؤمنون ان يدخلوا الجنة فهذا ايضا يدل ان قوله عز وجل من يعمل سوءا يجز به اراد به الشرك
وقال آخرون قوله عز وجل من يعمل سوءا يجز به اي كل سوء يدخل فيه المسلم والكافر الا ترى انه
روى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذا وكل شيء
عملناه جزينا به قال غفر الله لك يا ابا بكر الست تحزن الست تنصب الست تمرض الست يصيبك الاذى
فهذا ما يجزون به يجزا بها المؤمن في الدنيا والكافر في الآخرة فان كان التاويل هذا فقوله ولا يجد له
من دون الله وليا ولا نصيرا هو في الكافر اي لا يجد له وليا ولا نصيرا اذا لم يرجع عن كفره ومات عليه
واما اذا رجع عن ذلك وتاب ومات على الايمان فانه يجد له وليا ونصيرا ينصره الله تعالى وبالله التوفيق
وقوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن في الآية دليل ان الاعمال الصالحات
غير الايمان لانه قال تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ولو كان ايمانا فيصير كانه قال ومن يعمل
الايمان وهو مؤمن فدل بما ذكرنا انها غير الايمان وفيه دلالة ايضا ان الاعمال الصالحة انما تنفع
اذا كان ثمه ايمان لانه شرط فيه الايمان بقوله تعالى وهو مؤمن دل ان الاعمال الصالحة لا تنفع اذا لم يكن
ثمه ايمان ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ولا يظلمون نقيرا قد ذكرناه وقوله عز وجل ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله وهو محسن الآية يحتمل وجهين يحتمل من احسن دينا من المسلمين ممن يعمل جميع عمله
موافقا لدينه ممن يعمل بل الذي عمل بجميع عمله موافقا لدينه احسن دينا من الذي لم يعمل شيئا وهو كما روي

وفي الحديث لعن الله
المتفلجات ... تعالى
... بنقال ...
افلج

لعن الله النامصة والمتنمصة
والواشرة والموتشرة والواصلة
والمستوصلة والواشمة
والمستوشمة النمص
نتف الشعر والوشر تحديد
الاسنان والوصل
ان يصل الشعر ولا باس
بالقراميل والوشم الغرز
بالابرة في الجلد ...
النور عليه لعن الله فاعله
اوله والمفعول بها ثانيا
فايق

القراميل ...
المرأة في شعرها

فی الخبر عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه قال لو وزن ایمان ابی بکر الصدیق رضی الله عنه بایمان جمیع امتی
لرجح ایمانه وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم قوی فی دینه ضعیف فی بدنه الا تری انه خرج لمقاتلة اهل
الردة وحده وذلك لقوته فی الدین وصلابته فیه لا لزیادة الایمان ولا لنقصان ایمان فی غیره والله اعلم
والثانی مقابلة سایر الادیان ای ومن احسن دینا ممن اسلم وجهه لله من لم یسلم وجهه لله الی آخر ما ذکر
والله اعلم ثم قوله تعالی اسلم وجهه لله عن الحسن جمیع جهة امره الی الله ای جمیع ما یعمل انما یعمل لله لا یعمل
لغیر الله وقیل اسلم وجهه لله ای اخلص نفسه لله ولا یجعل لاحد فیها شرکاء کقوله تعالی ورجلا سلما
لرجل الآیة ای یسلم نفسه له والله اعلم وقوله عز وجل وهو محسن یحتمل وجهین یحتمل قوله محسن یحسن
ما یعمل ان جمیع لعمله فیه ویحتمل قوله وهو محسن من الاحسان وهو ان یزید العمل علی المفروض علیه
یؤدی المفروض علیه ویزید علی ذلك ایضا وقوله عز وجل واتبع ملة ابراهیم حنیفا الملة قیل هی الدین
وقیل الملة السنة اقرب لان دین الانبیاء علیهم الصلوة والسلام کلهم واحد لا یختلف دین ابراهیم علیه
الصلوة والسلام ودین غیره من الانبیاء علیهم الصلوة والسلام واما السنن والشرایع فیجوز ان یختلف
الا تری انه روی فی الخبر ملة رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم وفی بعضها سنة رسول الله صلی الله
تعالی علیه وسلم جعل السنة تفسیر الملة فالملة بالسنة اشبه ثم خص ملة ابراهیم صلی الله علیه وسلم
لان سنته کانت توافق سنن نبینا محمد صلی الله تعالی علیه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل حنیفا قیل
مخلصا وقیل سمی حنیفا ای مایلا الی الحق ولذلك سمی الاحنف احنف المیل احد قدمیه الی الاخری والله اعلم
وقوله عز وجل واتخذ الله ابراهیم خلیلا ذکر فی بعض الاخبار ان الله عز وجل اوحی الی ابراهیم انی اتخذ خلیلا
فی الارض فقال یا رب من هو فاوحی الله تعالی الیه لم ای لم تسألنی عنه قال لمن احبه واتخذه خلیلا
کما اتخذته خلیلا وکلام نحو هذا فقال انت یا ابراهیم واصل الخلة المنزلة والرفعة والکرامة یقول
واتخذ الله ابراهیم خلیلا ای جعل له عنده منزلة وکرامة لم یجعل مثله لاحد من الخلایق لما ابتلاه الله
ببلایا وامتحنه بمحن لم یبتل احد بمثله فصبر علیها من ذلك ما القی فی النار فصبر ولم یستعن باحد سواه
وما ابتلی بذبح ولده فاضجعه وما امر ان یترك اهله وولده الطفل فی جبال مکة لا ماء هنالك ولا ذرع
ولا نبات ففعل ومن ذلك امر المهاجرة مما یکثر ذلك فجایز تخصیصه بالخلة لذلك والله اعلم وجایز
ان یکون ذلك کرامة اکرمه الله بها لان اهل الادیان کلهم ینتسبون الیه ویدعون انهم علی دینه وعلی ذلك
یخرج قوله اللهم صل علی محمد وعلی آل محمد کما صلیت علی ابراهیم وعلی آل ابراهیم قیل خص هو بهذین
الوجهین اللذین ذکرتهما فی الخلة وقیل انما اتخذه خلیلا لانه کان یعطی ولا یاخذ وکان یحب الضیف وکان
لا یاکل وحده وان بقی طویلا والله اعلم بذلك واصل الخلة ما ذکرنا من الکرامة والمنزلة لان من یحب آخر
یبره ویکرمه ومن لا یحبه یعادیه ویظهر له الجفا ولا قوة الا بالله واختلف فی المعنی الذی وصف ابراهیم
علیه الصلوة والسلام بالخلة انه خلیل الله فقد قیل بما سخت نفسه فی بذل کل لذة من لذات الدنیا لله وله
یبتوا فی مکان اتیان الاضیاف وابناء السبیل وکان لا یاکل وحده وکانت عادته التقدیم بکل ما یتهیأ له عند
نزول الاضیاف علیه والابتداء بذلك قیل کل امر والقیام للاضیاف مع عظم منزلته ایدة ذلك امر الملائکة
الذی جاؤه بالبشارة والله اعلم وقیل انما امتحنه الله بامور فصبر علیها نحو النار التی فیها الله وذبح الولد
والهجرة مرتین وبذل الاهل والولد لله حیث لا ضرع ولا زرع ولا ماء وغیر ذلك مما اکرمه الله تعالی
بالثناء علیه بوفاء ما امتحن اتمام ما ابتلی من قوله وابراهیم الذی وفی وقوله تعالی واذ ابتلی ابراهیم ربه
بکلمات فاتمهن وحاج فرعون وجمیع قومه ویجادلهم فیمن یعبدونهم فغلبهم والزمهم حجة الله وغیر ذلك
من وجوه المحن وقیل بما بدا کان بنی البیت الذی جعله الله قیاما للناس ومأمنا للخلق ومثابا لهم ومنسکا

نعظم شانه فیما بالخلق الیه حاجة فی امر الدین وعلی ذلك اکرمه الله تعالی بمیل القلوب الیه واظهار
التدین بدینه من جمیع اصناف اهل الادیان والله اعلم وقیل انما هو خصایص فی اهل الخیرة من الرسل واولوا
العزم منهم اختصهم باسماء عرفن فی الفضایل والکرامات نحو القول بکلیم الله وروح الله وذبیح الله ه
وحبیب الله فعلی ذلك کان لابراهیم علیه الصلوة والسلام خصوصیة فی الاسم فسماه الله خلیلا فنحن نقول
وبالله التوفیق ونحن نعلم بان الله تعالی لا یسمیه بالذی ذکر عبثا باطلا ولکنه سماه به تعظیما لقدره واظهارا
لکرامته وبیانا لمنزلته عنده لما شاء من الوجوه التی لعلها لم یطلع علیها من الخلق ولا یحتمل ان یدرك ذلك
الا بالوحی فحق ذلك علینا تعظیمه ومعرفته بالذی اختصه الله واصطفاه دون تکلفا لمعنی الذی له کان
ذلك مع ما لا وجه ولا معنی صار حقیق ذلك واکرم به الا بمعنی اکرمه الله واکرمه بفضل الله ورحمته فلله
ان یبتدؤه بالخلة ثم یکرمه بانواع الکرامات التی هی آثار الخلة وان یکرمه بانواع الکرامات التی لدیها
یقع کرامة الخلة ویصلح ولله المن فی ذلك والفضل وعلینا الحمد لله والشکر بما اکرمنا من معرفة کرام خلقه
وجعل فی قلوبنا مودتهم حتی صاروا بفضل الله ورحمته احب الینا من اسی الخلق بنا بل من انفسنا
ولا قوة الا بالله ثم لیس للنصاری ادعاء النبوة لله من حیث الکرامة علی الاعتبار بالخلة لان الله سبحانه وتعالی
عظم امر الاولاد حتی جعله کالشرك ولا کذلك امر الخلة ولان امر الاولاد حقیقة المجانسة والخلة حقیقة
الموافقة ثم اصل الاولاد الشهوة والحاجة والخلة الطاعة والتعظیم مما یرجع احد الوجهین الی شهوة الولد
وحاجته والاخر الی التعظیم یکون من ذلك لعبد وتبجیله والطاعة له والخضوع ثم الاصل ان المعنی الذی
تقتضیه الخلة قد یجوز ان یظفر کل بالطاعة وان کان الاسم له فی حق النهایة نحو قوله تعالی ان الله
یحب التوابین الآیة وقوله تعالی فاتبعونی یحببکم الله والمحبة قریبة من الخلة ومحال ان یحق معنی
الاولاد والنبوة بشیء من الطاعة لذلك اختلف الامران والله اعلم وقوله عز وجل ولله ما فی السموات
وما فی الارض الآیة تأویل هذه الآیة والله اعلم انه وان اکرمهم واعظم منزلتهم عنده واعلاها فانهم
لم یأنفوا عن عبادته ولم یخرجوا انفسهم من ان یکونوا عبیدا بل کلما اذ زاد لهم عند الله منزلة وقدرا کانوا
اخضع له واطوع کقوله تعالی بل عباد مکرمون لا یسبقونه بالقول وهم بامره یعملون وفی موضع آخر
لا یستکبرون عن عبادته ولا یستحسرون الآیة وقوله عز وجل وکان الله بکل شیء محیطا ای احاط بکل شیء
علمه وهو یخرج علی الوعید ای عن علم منه خلقهم لا عن جهل بصنیعهم کملوك الارض وبالله التوفیق
وقوله عز وجل ایضا وکان الله بکل شیء محیطا وبصیرا وعلیما ونحو ذلك یخرج علی التوعید والتخویف
لیکونوا مراقبین له حذرین کمن یعلم فی الامور ان علیه رقیبا والله اعلم ویخرج علی البناء انه امر من یکتب
الاعمال لا لخفاء علیه لکن بما اذ لا یمتحن لحاجة به ولکن لمصلحة العبادة فیمتحن بما شاء فامتحن اولئك
الکتبة بما یکونون ابدا متقنین ناظرین لا یغفلون عن ذلك طاعة منهم لله والثانی ان یکون العلم بمن یکتب
علیه کل امره فیما جبل علیه البشر اذکر له واشد فی التنبیه لجری حکم الله فی ذلك انه امر المحنة موضوع
علی المصلحة وذلك ابلغ فی الوجود والله اعلم ویخرج علی ان الله تعالی بذلك محیطا لیعلموا انهم لا یترکون
سدی بل یحصی علیهم للجزاء والله اعلم وجملة ذلك ان الله تعالی قال کان کذا لیعلم انه لا عن جهل
خلق الخلق وبعث الرسل وانشاء الآیات بما علیه امر الخلق انهم کیف یعاملون من ذکرت وذلك
خارج علی حق الحکمة وان کان لا یعرفون فی بعث الرسل علیهم الصلوة الی من یکذبهم ولا تقویة الاعداء
علی ما به قهر الاولیاء ولا الامر والنهی لمن یعلم انه لا یأتمر ولا ینتهی کبیر حکمة ربما کان ذلك من الله
فهو خارج علی حد الحکمة اذ ذلك کله من الخلق یقع لحاجة او لمنفعة ترجع الیهم فاذا ناقص خرج الفعل
من الحکمة فاما الله سبحانه وتعالی یمتحن عباده ویبعث الرسل علیهم السلام لحاجة بالمبعوث الیهم وبالممتحنین

وللمنافع ترجع اليهم فيكون ذلك منه كهدايا فمن لا يقبلها فنفسه تضر وحقها تبخس لان يرجع اليه ذلك فزال
ذلك المعنى الذي له خرج الفعل من الخلق عن حد الحكمة فلزم القول بموافقة الحكمة والمصلحة ولا قوة الا بالله
وقوله عز وجل ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الاية ذكر الاستفتاء في النساء وليس فيه بيان عما وقع
السؤال اذ قد يجوز ان يكون في الجواب بيان المراد في السؤال وان لم يكن في السؤال بيان نحو قوله تعالى ويسالونك
عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض دل الامر باعتزال عن النساء في المحيض على ان السؤال عن المحيض
انما كان في الاعتزال وان لم يكن في السؤال بيان المراد وكذلك قوله تعالى عن اليتامى قل اصلاح لهم خير
وان تخالطوهم على ان السؤال انما كان عن مخالطة اليتامى وكقوله ويسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير
على ان السؤال عن الخمر والميسر ما ذكر في الجواب من الاثم وان لم يكن في السؤال بيان ذلك ثم قوله تعالى
يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ليس في السؤال ولا في الجواب بيان ما وقع به السؤال فيحتمل ان يكون
السؤال في امورهن جميعا في الميراث وغير ذلك من الحقوق ثم ذكر واحدا فواحدا كقوله تعالى للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك وكقوله وللنساء نصيب مما اكتسبن وللرجال
نصيب الاية هذا في الميراث واما في الحقوق فقال الله عز وجل ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
ويحتمل غيرها من الحقوق سوى حقوق النكاح فترك البيان في الجواب لما ذكر واحدا فواحدا في غيرها
من الاي اذ الجواب خرج مخرج العدة انه يفعل بقوله عز وجل يفتيكم وقد فعل هذا والله اعلم ويحتمل
غير هذا وهو ان يترك البيان في السؤال والجواب لنوازل يعرفها اهلها لم يحتج الى بيان ما وقع
به السؤال لمعرفة اهلها به ويحتمل ما قال اهل التاويل وهو انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار
من الاولاد وانما كانوا يورثون المقاتلة من الرجال والذين يحرزون الغنائم فلما بين الله عز وجل
للنساء والصغار نصيبا في الاموال وفرض لهم حقها سألوا عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فانزل الله يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه
وذكر القصة هكذا والله اعلم ويحتمل ان يكون السؤال وقع عن يتامى النساء الا ترى انه قال
عز وجل وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن
الاية قيل كانت اليتيمة في حجر الرجل ذات مال يرغب عن ان يتزوجها لدمامتها ويمنعها عن الازواج رغبة
في مالها وهكذا روي عن عايشة رضي الله عنها وعلى ذلك يخرج قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية وقوله والمستضعفين من الولدان هذا والله اعلم كانه معطوف
على قوله يستفتونك والمستضعفين من الولدان على ما ذكرنا من الميراث والحقوق وان تقوموا لليتامى
بالقسط في ايفاء حقوقهم واداء ما لهم عليك وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما فيجزيكم به من يفعل
الخير ومن لا يفعل الخير والله اعلم وعن الحسن في قوله وترغبون ان تنكحوهن اي ترغبون عن نكاحهن
وعن ابن سيرين وترغبون في نكاحهن وقول الحسن يرغب عن نكاحها لدمامتها ولا يزوج من غيره رغبة
في مالها وقول ابن سيرين يرغب في نكاحها رغبة في مالها وعلى ذلك يخرج في قوله تعالى وان تقوموا
لليتامى بالقسط الاية وقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاية وفي قوله تعالى وترغبون
ان تنكحوهن دلالة ان للولي ان يزوج اليتيمة الصغيرة لانه لو لم يكن ذلك لم يكن للعتاب على ترك
تزويجهن من غيرهم معنى فان قيل اسم اليتيم يقع على الصغيرة والكبيرة جميعا فلعل المراد من اليتيمة
الكبيرة هاهنا قيل كذلك غير ان الغالب يقع على الصغار منهن والله اعلم وفيه دلالة ان النكاح
قد يقوم بالواحد لانه قال عز وجل وترغبون ان تنكحوهن فلو لم يكن له ان يتزوجها لم يكن لهذا العتاب
معنى دل ان له ان ينكح وقوله عز وجل وان امرأة خافت من بعلها نشوزا قيل خافت اي علمت من بعلها نشوزا

وقيل الخوف

وقيل الخوف هاهنا خوف لا غير فمن قال بالخوف فهو حمل على انه يظهر بها منه جفاء يجفوها لدمامتها او لكبرها
ويبين صحبتها الترضي بالفراق عنه ليتزوج غيرها وهو الخوف حقيقة وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
ان سودة بنت زمعة خشيت ان يطلقها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعلت يومها لعايشة رضي الله عنهما
فانزل الله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الاية ثم قال فهذا الصلح الذي امر الله فجعل الخوف
هاهنا خشية وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت هي المرأة تكون عند الرجل ذميمة ولا يحبها زوجها
فتقول لا تطلقني وانت في حل من شاني وقيل خافت من بعلها نشوزا اي علمت والعلم هو ان يكون
للرجل امرأتان احديهما كبيرة وذميمة والاخرى شابة يميل قلبه الى الشابة منهما ويكره صحبة الكبيرة منهما
ويستثقل المقام معها واراد فراقها فتقول له لا تفارقني واجعل ايامي لصاحبتي او يصالحها على ان يكون عند الشابة
اكثر من عند الكبيرة وهو ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت هي المرأة تكون عند الرجل ذميمة
ولا يحبها زوجها فتقول لا تطلقني وانت في حل من شاني فالخوف هو ما يظهر لها من نشوزه قبل تزوج اخرى
باعلام والعلم هو ما يظهر من ترك مضاجعته اياها وسوء صحبته معها وعلى هذين الوجهين روي عن الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين عن بعضهم يكون عند الرجل امرأتان احديهما كبيرة والاخرى شابة فيؤثر
الشابة على الكبيرة فيجري بينهما صلح على ان يمسكها ولا يفارقها على ان ترضى منها بابطال حقها او بدونه وهو
ما روينا من خبر ابن عباس رضي الله عنه ان سودة رضي الله عنها جعلت ايامها لعايشة رضي الله عنها
خشية ان يفارقها وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه وروي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل
يستفتيه في امرأة خافت من بعلها نشوزا قال هي المرأة تكون عند الرجل فينبو عيناه من دمامتها او كبرها
او فقرها او سوء خلقها فيكون فراقه فان وضعت له من مهرها شيئا حل له وان جعلت من ايامها شيئا
لغيرها فلا حرج دلت هذه الاحاديث التي ذكرنا على ان الرجل اذا كان نسوة اي يسوي بينهن فيقيم عند كل
واحدة يوما الا ان يصطلحا على غير ذلك والصلح خير كما قال الله عز وجل وبين قوله ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء الاية ان على الرجل ان عدل بين نسائه في قسمة الايام ان لا يخلي احديهن من الوطي
والله اعلم ولا يكون وطيه كله لغيرها وتكون الاخرى كالمعلقة التي ليست بايم ولا ذات زوج يكنها
اذا رضيت به بابطال حقها او بدون حقها فانه لا حرج على الزوج في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما صلحا يحتمل ان يكون رفع الحرج عن الزوج خاصة وان كان الفعل مضافا اليهما
اذ ليس للمرأة في ترك حقها حرج وكذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به ليس على المرأة جناح
في الافتداء لانه يفتدى بمالها ولها ان تملك على ما لها من شاءت فكانه قال عز وجل فلا جناح عليه
في اخذ ما افتدت او في ابطال حقها اذا رضيت ويحتمل ان يكون على ما ذكر وهو ان لا حرج على المرأة المقام
معه وان استثقل الزوج ذلك ويكره صحبتها والله اعلم وقوله عز وجل واحضرت الانفس الشح عن ابن عباس
رضي الله عنه قال شحت المرأة بنصيبها من زوجها ان تدعه للاخرى وشح الرجل بنصيبه من الاخرى
وقيل الشح الحرص وهو ان يحرص كل على حقه وكان الشح والحرص واحد وان كان احدهما في المنع والاخر
في الطلب لان البخل يحمله على الحرص والحرص يحمله على المنع وكل واحد منهما يكون سببا للاخر والله اعلم
وقوله عز وجل وان تحسنوا وتتقوا في ان تعطوهن اكثر من حقهن وتتقوا في ان لا تبخسوا من حقهن
شيئا ويحتمل وان تحسنوا في ايفاء حقهن والتسوية بينهن وتتقوا الجور والميل وتفضيل بعض على بعض
ويحتمل وان تحسنوا في اتباع ما امركم الله من طاعته وتتقوا ما نهاكم الله من معاصيه وقوله عز وجل
فان الله كان بما تعملون خبيرا على الترغيب وقد ذكرناه معناه في غير موضع وقوله عز وجل ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا

بين النساء في ايفاء الحق ان يستوي في قلوبكم الحب ولو حرصتم على العدل لا يقدرون عليه في ذلك
فلا تميلوا كل الميل الى التي تحب في النفقة والقسم فتاتي الشابة التي تعجبك وتدع الاخرى بغير قسم
ولا نفقة روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يقول اللهم اما قلبي فلا املك واما سوى ذلك فارجو ان اعدل
فيما سوى ذلك والعدل ها هنا التسوية الا ترى انه قال في اية اخرى وهم بربهم يعدلون ليس
هو ضد الجور ولكن التسوية يسوون بين ربهم وبين الاصنام في العبادة وعن عبيدة قال ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم في الحب وروي عن ابي قلابة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يعدل بين نسائه في القسمة ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك انت ولا املك
واصل ذلك ان في كل ما كان المرء مدفوعا مضطرا فانه غير مكلف في ذلك وفي كل ما كان باختيار منه
وايثار غيره عليه فانه مكلف في ذلك والحب مما يدفع المرء فيه ويضطر ولا صنع له فيه لم يكلف التسوية
فيما يكون مدفوعا فيه مضطرا لانه لا يملك التسوية وعلى هذا يخرج قولنا ان الكافر مكلف بالايمان
في حال الكفر لشغله به واختياره فعل الكفر ليس كالمضطر وقد ذكرنا فيما تقدم ان الاستطاعة يكون
على ضربين استطاعة احوال واسباب واستطاعة افعال والاستطاعة التي هي استطاعة الاحوال
والاسباب من نحو الصحة والسلامة وغيرهما تجوز قبل ومع بعد واما استطاعة الافعال فانها لا تكون
الا مع الفعل وبالله التوفيق وقوله عز وجل فلا تميلوا كل الميل في النفقة والقسمة معناه لا يحملنكم شدة
الحب والميل بالقلب ان يتركوا الالفاظ عليها وايفاء الحق اعني حق القسم وقوله عز وجل فتذروها
كالمعلقة ليست بايم ولا ذات بعل ليست هي بايم يتكلف مؤنتها كما يتكلف الايم ولا ذات بعل يحمل البعل
وفي حرف ابي بن كعب فتذروها كالمسجونة وهو ما ذكرنا لا ينفق هو عليها ولا يطلقها لتتزوج زوجا اخر
فهي كالمحبوسة وقوله عز وجل وان تصلحوا وتتقوا هو ما ذكرنا في قوله عز وجل وان تحسنوا وتتقوا
وقوله عز وجل فان الله كان غفورا رحيما هذا ينقض قول من يقول انه لم يكن رحيما ثم صار رحيما
لانه اخبر انه كان رحيما وهو يقول صار رحيما وبالله العصمة ثم المسالة بان المراة اذا جعلت يا بها الزوجها
كان لها ان ترجع وتفسخ ذلك لانها جعلت لها ما لم يجب بعد ولم يلزم فكان كمن ابرأ اخر عن حق لم يجب
بعد فان ابراءه باطل له ان يعود اليه فياخذه به اذا وجب فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل وان يتفرقا
يغن الله كلا من سعته اي الزوجان اذا تفرقا لما يقدر الزوج على التسوية بينهن يغن الله كلا من سعته المراة
تتزوج اخر والرجل بامراة اخرى ويحتمل كلا من سعته ان كل واحد منهما وان كان غنيا بالاخر
في حال النكاح فالله قادر على ان يغني كل واحد منهما بعد الافتراق كما كان يرزق قبل الفراق وفيه
دليل قطع طمع الارتزاق من غير الله وان جاز ان يجعل غيره سببا في ذلك لانه قال عز وجل وان يتفرقا
يغن الله ليعلم كل ان غناه لم يكن بالاخر حيث وعدهما الغناء وكذلك في قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم
والصالحين الى قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله دليل قطع طمع الارتزاق بعضهم من بعض
في النكاح لما وعدهم الغناء اذا كانوا فقراء وفيه دليل وقوع الفرقة بينهما بالمراة بالمكني من الكلام لشار كتهما
فيه وان كان الزوج هو المتفرد بالفراق لما اضاف الفعل اليهما بقوله وان يتفرقا يغن الله وكذلك قوله تعالى
فارقوهن او سرحوهن والله اعلم وفيه دليل لزوم النفقة في العدة لانه ذكر الافتراق مما يكون بانقضاء
العدة ثم اخبر عز وجل عن غناء كل واحد منهما بالاخر قبل الفراق دل ان للمراة غناء بالزوج ما دامت
بالعدة والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله واسعا حكيما قيل واسعا جوادا وقيل واسعا يوسع على كل منهم
رزقه حكيما حكم على الزوج امساكا بمعروف او تسريحا باحسان وقيل حكيما حيث حكم فرقتهما واصل الحكيم
ان يضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب

والرحمة عندهم من صفات
الفعل فدل ان سائر
صفات الفعل ازلية
شرح

اذا قال انا منك باين
او عليك حرام
شرح

من قبلكم

من قبلكم واياكم ان اتقوا الله الاية وصى الخلق كلهم ان اتقوا الله ثم قوله عز وجل ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قيل وصينا امرنا وقيل وصينا فرضنا على الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
وقوله عز وجل ان اتقوا الله قيل اي امرناهم ان يوحدوا الله ويتقوا الشرك وقال مقاتل ان اتقوا الله اي
وحدوا الله وقيل قوله تعالى ان اتقوا الله اي اطيعوه فيما امركم ونهاكم عنه ويحتمل ان اتقوا الله اي اتقوا
عذاب الله ونقمته ولا تعبدوا غيره دونه وان تكفروا ولم تتقوا فيما امركم الله ونهاكم فان لله ما في السموات
وما في الارض ذكر هذا على اثر قوله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله لتعلموا انه
لم يامرهم بذلك لحاجة له في عبادتهم ويامر لمنفعة نفسه اذ من له ملك ما في السموات وما في الارض لا يحتاج
الى اخر ينتفع به ولكن ليعلموا انه تعالى انما امرهم بذلك لحاجتهم في ذلك ولمنفعة انفسهم الا ترى انه
قال عز وجل وكان الله غنيا حميدا عن عبادتكم له وطاعتكم اياه وحميدا في سلطانه ويكون غنيا عن خلقه
في الازل حميدا في فعله وذلك الحميد في الفعل يخرج على اتقان الفعل واحكامه وعلى احسانه الى خلقه
وانعامه عليهم وقوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض هو ما ذكرنا من غنائه عن عبادة خلقه
وطاعتهم له ان شا يذهبكم ويات باخرين والله اعلم اعني له ما في السموات وما في الارض يقدر
ان يذهبكم اي يهلككم ويات باخرين اخير منكم واخوف واطوع لله منكم لكنه لا يفعل لانه غني عن عبادتكم
وطاعتكم لم يخلقكم في الابتداء لحاجته في عبادتكم او المنفعة له ولكن لحاجة انفسكم ومنافعكم والله اعلم
ثم يحتمل قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ويات باخرين من قوم خاص كما كان في الامم الخالية من الاهلاك
عند المعاندة والمكابرة ويحتمل في الكل ان يشا يذهبكم اي يهلككم الكل ويات باخرين والله اعلم وقوله عز وجل
وكان الله على ذلك قديرا اي كان الله على الاهلاك والابدال قديرا ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة قال بعض اهل التاويل من كان يريد بعمله الذي يعمله
عرض الدنيا ولا يريد به الله اتاه الله ما احب من عرض الدنيا او دفع عنه ما احب في الدنيا فليس له في الاخرة
من ثواب لانه عمل لغير الله وهو كقوله عز وجل ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة
من خلاق ومن اراد بعمله الذي يعمله في الدنيا ثواب الاخرة اتاه الله تعالى من عرض الدنيا ما احب ودفع
عنه ما احب وجزاه في الاخرة الجنة بعمله في الدنيا والله اعلم ويحتمل الاية غير هذا وجوها احدها
انهم كانوا يتخذون من دون الله الهة يعبدونها طلبا للرياسة والعز والشرف كقوله عز وجل واتخذوا
من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا فاخبر ان العز والشرف ليس في ذلك ولكن عند الله عز الدنيا والاخرة
والثاني انهم كانوا يعبدون الاوثان والاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاخبر ان ليس في عبادتكم هذه الاوثان دون الله لكم زلفى ولا ثواب
ولكن اعبدوا الله فعنده ثواب الدنيا والاخرة والثالث يحتمل ان يكون عبدوا هذه الاصنام لمنافع
يتاملون بذلك في الدنيا والسعة في الدنيا كقوله تعالى ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم
رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الاية فعلى ذلك قوله عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة لا عند من تطلبون والله اعلم ويحتمل ان يكون الاية في اهل المراءة
والنفاق الذين يراؤون باعمالهم الصالحة في الدنيا ثواب الدنيا لا غير والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله
سميعا بصيرا لكم بما تريدون وتعملون وهو وعيد وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم الاية عن ابن عباس رضي الله عنه قال كونوا قوامين بالعدل
في الشهادة على من كانت من قريب او بعيد ولو على نفسه فاقر بها وكذلك قال عامة اهل التاويل قوله تعالى
قوامين قوالين لله ولكن يقول في كل عمل وقول يلزم ان يقوم لله ويجعل الشهادة له فاذا فعل هكذا

لا يمنعه عن القيام بها قرب احد ولا بعد ولا ما يحصل على نفسه او والديه وكذلك قال الله تعالى في اية اخرى
واقيموا الشهادة لله فاذا جعلها الله عز وجل لم يجعلها المخلوق امكن له القيام بها وان كان على نفسه او من ذكر ثم
ما يمنع القيام بها يختلف اما على نفسه لنفع يطمع او لدفع ضرر يدفع بذلك واما على الوالدين بالاحتشام والحشمة
مهما يمتنع عن اداء ما عليه واما القرابة فطلب الغناء لهم ودفع الفقر عنهم فاخبر انه اولى بهما فلا يمنعك
غناء لاحد منهم ولا فقره القيام بها وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تاويل هذه الاية وقوله
عز وجل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا قيل فيه بوجهين قيل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وتميلوا الى غير الله
وقيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا ويحتمل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا عن الحق من الصرف بالعدول
وقوله عز وجل وان تلووا او تعرضوا فيه لغتان تلوا بواو واحدة من الولاية يقول لوا كونوا عاملين لله
وقايلين له مؤدين الشهادة له وان كنتم وليتم ذلك وقيل تلووا بواوين من التحريف يقول ولا تتبعوا
الهوى ولا تحرفوا الشهادة ولا تعرضوا عنها وتكتموها وفي حرف حفصة رضي الله عنها ان يكونوا
اغنياء او فقراء فالله اولى بهما وعن قتادة رضي الله عنه فالله اولى فيهما يقول الله اولى بغناكم وفقركم
فلا يمنعك غناء غني ان تشهد عليه لحق علمته ولا مرثية لفقير ان تشهد عليه بحق علمته وفي حرف حفصة
رضي الله عنها وان تلووا او تعرضوا وهو من الولاية التي ذكرنا وقيل وان تلوا من التحريف وطلب الابطال
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا بين الناس وهو من العدل على ما ذكرنا
وقال بعضهم هو من الصرف والعدول عن الحق وقوله عز وجل فان الله كان بما تعملون خبيرا اخرج على الوعيد
على كل ما ذكر من منع الشهادة والقيام لله بها وبتحريف ما لزمهم وبالله العصمة ويمثل ذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقم شهادته على من كانت ومن كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فلا يجحد حقا هو عليه وليؤديه عفوا ولا يلجئه الى سلطان ولا الى خصومة ليقطع بها حقه
وايما رجل خاصم الي فقضيت له على اخيه بحق ليس هو عليه فلا ياخذنه فانما اقطع له قطعة من جهنم وروي
في خبر اخر يا ابن ادم اقم الشهادة ولو على نفسك او على والديك او على ذي قرابتك وشرف قومك فانما الشهادة
لله وليست للناس ان الله رضي بالعدل والاقساط لنفسه والعدل ميزان الله في الارض يرد على المظلوم
من الظالم وعلى الضعيف من الشديد وعلى المحق من المبطل وبالحق يصدق الله الصادق ويكذب الله الكاذب
ويرد المعتدي ويوبخه وبالعدل اصلح الله الناس وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله
يحتمل قوله عز وجل امنوا بالله ورسوله وجوها يا ايها الذين امنوا فيما مضى من الوقت امنوا في حادث الوقت
ويحتمل يا ايها الذين امنوا اثبتوا اي اثبتوا عليه ويحتمل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا بالسنتكم امنوا بقلوبكم كقوله
امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ويحتمل يا ايها الذين امنوا عند رؤية الباس والعذاب امنوا في الحقيقة
كقوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده ويحتمل وجها اخر قوله يا ايها الذين امنوا ببعض الرسل
امنوا بالرسل كلهم كما امن المؤمنون كقوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وهم كانوا يؤمنون ببعض
ويكفرون ببعض كقوله عز وجل نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويحتمل يا ايها الذين امنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم قبل ان يبعث امنوا به اذا بعث لانهم كانوا مؤمنين به قبل ان بعث فلما بعث تركوا الايمان به
كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به امنوا بالله ورسوله
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي نزل على رسوله اي امنوا بالكتاب الذي نزل على رسوله وهو محمد
صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي انزل من قبل اي امنوا ايضا بالكتب السماوية التي انزلها الله ثم الايمان بالله
حقيقة ايمان بجميع الرسل والكتب لان كل نبي كان يدعوا الى الايمان بجميع ذلك وكذلك في كل كتاب
من الكتب السماوية دعاء الى الايمان بجملتهم الا ترى ان الكفر بواحد منهم كفر بالله وبجميع الرسل والكتب

وماذكر وبالله العصمة وقوله عز وجل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر الاية
يحتمل هذا وجهين يحتمل ومن يكفر بجميع ما ذكر فقد ضل ضلالا بعيدا وهو على التاكيد ويحتمل ومن يكفر بالله
او ملائكته او كتبه او رسله او اليوم الاخر فقد كان ما ذكر لان الكفر بواحد من ذلك كفر بالكل حتى
لو انكر اية من ايات الله تعالى كفر بالله وبالكتب والرسل كلها والله الموفق وقوله عز وجل ان الذين امنوا
ثم كفروا ثم امنوا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت الاية في الذين قال الله
في سورة ال عمران كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وقيل انها نزلت
في الذين امنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعد موسى ثم امنوا بعزير ثم كفروا بعده ثم امنوا
بعيسى عليه السلام وبالانجيل ثم كفروا من بعده ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران
الكريم وهو الاول وقيل غير هذا لكن ليس بنا الى انها فيهم نزلت حاجة ولكن فيه دليل انها في قوم علم الله
انهم لا يؤمنون ابدا ولا يتوبون لانه قال لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اخبر انه لا يغفر لهم وهو
كقوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم لما علم الله انهم لا يتوبون
والا لو امنوا وتابوا قبلت توبتهم فعلى ذلك الاول لما علم انهم لا يتوبون ويموتون على ذلك اخبر انه
لا يغفر لهم وفيه دليل ان تقبل توبة المرتد اذا تاب ليس كما قال بعض الناس انه لا يقبل توبة المرتد
لانه اثبت لهم الايمان بعد الكفر والارتداد بقوله امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كذا فدل انه اذا تاب
يقبل منه وقال اصحابنا يستتاب المرتد ثلاثا فان اسلم والا قتل روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال يستتاب المرتد ثلاثا ثم تلا هذه الاية وعن ابن عمر رضي الله عنه كذلك وعن عمر
رضي الله عنه انه قدم عليه رجل من الجيش فقال هل حدث لكم حدث فقال ان رجلا من المسلمين ارتد
ولحق بالمشركين فاخذناه قال ما صنعتم به قالوا قتلناه قال هلا ادخلتموه بيتا واغلقتم عليه بابا
واطعمتموه كل يوم رغيفا واستتبتموه ثلاثا فان تاب والا قتلتموه ثم قال اللهم اني لم اشهد ولم امر
ولم ارض حين بلغني وقال ابو حنيفة رضي الله عنه اذا ارتد ثلاثا ثم تاب في كل مرة فانه يحبس
في الثالثة اذا تاب حتى يظهر منه خشوع التوبة وذلك اثر الشباب على توبته فان ظهر ذلك
فحينئذ يخلى سبيله لما يحتمل ان يكون توبة فرارا من القتل فيحبس حتى يظهر حقيقة توبته لانه اظهر
الفسق والفاسق يحبس حتى يظهر خشوع التوبة وقوله عز وجل لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
لا يحتمل ان يكون اراد بقوله ولا ليهديهم سبيلا البيان على ما قاله قوم لانه قد تولى لهم البيان
لكنهم تعاندوا ولم يهتدوا فدل انه ثم معنى منه سوى البيان لم يعطهم لما علم انهم لا يهتدون ابدا
وهو التوفيق فهذا يرد على من يجعل الهدى البيان اذ قد بين لهم ذلك وقوله عز وجل بشر المنافقين
بكذا البشارة المطلقة المرسلة لا يكون الا بالخير خاصة واما اذا كانت مقيدة مفسرة فانها تجوز في الشر
كقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم كذا وكذلك قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وفي القران كثير
ما ذكرها في الشر الا مفسرة مقيدة وقوله عز وجل بشر المنافقين يدل هذا على ان الاية الاولى
في اهل النفاق والمراءاة على ما ذكرنا من التاويل لانه لم يسبق فيما تقدم ذكرهم سوى قوله تعالى
امنوا امنوا بالله ورسوله ويحتمل على الابتداء والايتناف على غير ذكر تقدم وذلك جايز في القران
كثير ثم فسر المنافقين فقال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ثم يحتمل قوله تعالى
يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين قولا وفعلا اما القول كقولهم انا معكم انما نحن مستهزؤن
وغيره من الايات واما الفعل وكانوا يبغون المؤمنين ان يعز وهم كقوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن
كقوله ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وكقوله تعالى فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين كانوا يمنعون

اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين عن ان يغزوهم ويقاتلوهم وهم وان كانوا يرون
من انفسهم الموافقة للمؤمنين في الظاهر فانهم كانوا في الحقيقة معهم فهذا والله اعلم تأويل قوله تعالى يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة قيل قوله تعالى ايبتغون على طرح الالف
وانها زايدة اى يبتغون بذلك من عندهم العزة ثم يحتمل قوله تعالى ايبتغون عندهم العزة وجهين يحتمل
العزة المنعة والنصرة وكانوا يطلبون بذلك النصرة والقدرة عند الكافرين ويحتمل ليتعززوا بذلك
والاصل ان حروف الاستفهام كلها من الله له حق الايجاب على ما يقتضي جوابه من حقيقة الاستفهام ان الله
عالم لا يخفى عليه شيء يستفهم جل عن ذلك وقوله عز وجل فان العزة لله جميعا اى القدرة والنصرة كله
لله من عنده يكون وبه يتعزز في الدنيا والاخرة ليس من عند اولئك الذين يطلبونها منهم وقوله عز وجل
وقد نزل عليكم في الكتاب اى اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزئ بها قال بعضهم قوله تعالى وقد نزل
عليكم في الكتاب هو ما ذكر في سورة الانعام وهو قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ثم قال وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء الاية نهاهم
عز وجل عن القعود معهم اذا خاضوا في طعن القرآن وايات الله فاخبر ان ليس لهم من حسابهم من شيء
اذا قعدوا ثم قال في هذه الاية فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم نهاهم
عز وجل عن القعود معهم واخبر انهم اذا فعلوا ذلك يكونون مثلهم فهو والله اعلم على النسخ نسخ
هذا الاول ويحتمل ان يكون قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء في المشركين
ثم يلحقهم من العقوبة والمأثم لانهم لا يقدرون على منع المشركين عن الاستهزاء بايات الله والطعن فيها
ويقدرون على منع المنافقين عن ذلك فشاركوهم في العقوبة فيما تقدرون على منعهم فلم يمنعوا
او رفع عنهم ذلك فيما لا يقدرون على دفعه وفيه دلالة ان من بلي بمنكر له قدرة التغيير على اهله
فلم يغير ان يشاركهم في ذلك واذا لم يكن له قدرة التغيير عليهم فعل اى انكر عليهم وغيره
والا فارقهم والا ايضا فان يشاركهم في العقوبة والله اعلم وقوله عز وجل ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا الاية لانهم كانوا معهم في السر والحقيقة وان كانوا يظهرون للمؤمنين
الموافقة باللسان فهذا يدل على ان الحقائق في العواقب هو ما يسر المرء ويضمر ليس ما يظهر لان المنافقين
كانوا مع المؤمنين في الظاهر في جميع الاحكام في الانكحة والعقود كلها واظهروا الايمان لهم باللسان
لكنهم اذا اضمروا خلاف ما اظهروا لم ينفعهم ذلك ان الحقائق في العواقب ما يسر ويضمر والله اعلم وقوله
عز وجل الذين يتربصون بكم يحتمل وجهين يحتمل يتربصون الغنيمة والنصر فان كان الفتح للمؤمنين
قالوا الم نكن معكم في الايمان والاحكام كلها يطلبون الغنيمة والاشراك فيها كقوله تعالى اشحة على الخير الاية
واذا كانت الدبرة والبوار على المؤمنين للكافرين يقولون الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين بقولهم
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وكقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا
الاية كانوا بين المسلمين عيونا لهم يخبرون عوراتهم ويطلعونهم على مقصود المؤمنين فذلك نصيبهم
على المؤمنين واستحواذهم عليهم والله اعلم ويحتمل يتربصون بكم يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
عندهم بان لا يدوم ذلك بل ينقطع عن قريب والله اعلم ويحتمل يتربصون ما ذكر من قوله تعالى وتربصتم
وارتبتم ثم خرج تأويله في قوله فترى الذين في قلوبهم مرض يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ثم خص
ذلك بقوله تعالى ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر الاية فبينا انهم يتربصون بهم
انقلاب الامر ورجوعه الى اعداء الله متى ظهرت لهم العواقب اظهروا الذي كان دينهم في الحقيقة انه كان
لسعة الدنيا ونعيمها كقوله عز وجل وان منكم لمن ليبطئن الاية وقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله

على حرف الاية وقوله عز وجل ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الاية يحتمل هذا ايضا وجهين
يحتمل لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجج في الدنيا اى ليس للكافرين الحجة على المؤمنين في الدين
من شيء الا ان يموه عليه ويشتغل به بعجز المؤمن في اقامة الحجة عليه ودفع تمويهاتها والا ليس للكافر حجة
يقيمها على المؤمن في الدنيا ويحتمل ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الاخرة على دفع شهاداتهم
لان امة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون عليهم كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ثم لا سبيل لهم
على دفع شهاداتهم التي شهدوا عليهم وردها والله اعلم وايضا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
في الحجة او في الشهادة او عند الله في الخصومة وانما دعوا الى كتبهم اذا اجابوا الله فيما دعاهم الى الايمان
بالكتب والرسل عليهم السلام او في النصر فيرجع امره الى العواقب والله اعلم وقوله عز وجل الم نستحوذ عليكم
الاستحواذ الغلبة وقيل الاستيلاء وقال بعضهم الم نخبركم بعورة محمد واصحابه ونطلعكم على سرهم ونكتب به
اليكم وعن ابن عباس رضي الله عنه الم نحط من ورائكم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه الم نستحوذ عليكم
ومنعناكم من المؤمنين قال الكيساني هذا في كلام العرب كثير ظاهر ومعنى الم نستحوذ اما استحوذنا
ومنعناكم وهو ظريف واصل الاستحواذ الغلبة والقهر وهو ما ذكرنا انهم يخبرون اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم يقولون ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله عز وجل فالله يحكم بينكم يوم القيامة وحكم بينهم
والله اعلم هو ان ينزل المؤمنين الجنة والمنافقين النار ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
في الحجة على ما ذكرنا وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه يعني الحجة وقيل ظهورا عليهم لكن الاول
اشبه ويحتمل ما ذكرنا من الشهادة انه جعل يوم القيامة للمؤمنين الشهادة عليهم ولم يجعل لهم الى دفعها وردها
على انفسهم سبيلا والله اعلم وقوله عز وجل ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قوله تعالى يخادعون
اولياء الله او دينه فاضيف اليه فهو جائز وفي القرآن كثير كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم اى تنصروا
دين الله واولياءه ينصركم وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب وقوله عز وجل وهو خادعهم اى يجزيهم جزاء خداعهم
المؤمنين فسمي خداعا وان لم يكن في الحقيقة خداعا لانه جزاء الخداع وهو كما سمي جزاء السيئة سيئة وان لم تكن
الثانية في الحقيقة سيئة وكذلك سمي جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء فعلى ذلك سمي هذا
خداعا لانه جزاء الخداع واللغة غير ممتنعة عن تسمية الشيء باسم سببه على ما ذكرنا والله اعلم ثم اختلف
في جهة الخداع عن ابن عباس رضي الله عنه قال يعطى المنافقين على الصراط نورا كما يعطى المؤمنين فاذا مضوا به
على الصراط طفئ نورهم وبقي نور المؤمنين يمضون بنورهم فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم
فيناديهم الملائكة ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقد علموا انهم لا يستطيعون الرجوع فذلك وهو
خادعهم وكذلك قال الحسن ثم قال فتلك خديعة الله اياهم وقال الاخرون يفتح لهم باب من ابواب الجنة
فاذا راوا ذلك قصدوا ذلك الباب فلما دنوا منه اغلق دونهم فذلك الخداع والله اعلم ويحتمل وجها اخر
وهو انهم شاركوا المؤمنين في هذه الدنيا ومنافعها والمتع والتقلب فيها فظنوا انهم يشاركونهم في منافع الاخرة
والتمتع بها فيحرمون ذلك فذلك الخديعة والله اعلم وقوله عز وجل واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
يراؤون الناس الاية جعل الله تعالى للمنافق اعلاما في قوله وفعله يعلم بها المنافق اما في القول
ما قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله وان منكم لمن ليبطئن وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين
منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية واما في الفعل وهو قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله ولا ياتون البأس الا قليلا اى القتال وقوله سبحانه
وتعالى فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت الاية ومثله كثير
في القرآن مما جعل ذلك علامة لهم وهو كقوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم الاية

وكقوله تعالى واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض الاية يراؤن في جميع افعالهم الناس وفي حرف حفصة رضي الله عنها يراؤن الناس والله يعلم ما في قلوبهم ولا يذكرون الله الا قليلا عن الحسن في قوله تعالى لا يذكرون الله الا قليلا فقال اما والله لو كان ذلك القليل منهم لله لقبله ولكن ذلك القليل رياء وقيل لو كان ذلك القليل لله يريدون به وجهه فقبله لكان كثيرا ولكن لا يقبله فهو لا شئ وقد يتكلم بالقليل واليسير على ارادة النفي من الاصل والله اعلم وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الصلوة حيث يراه الناس واساءها حيث يخلوا فتلك استهانة يستهين بها ربه وروى في علامة المنافق اخبارا روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان للمنافق علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول لا يقربون المساجد الا هجرا ولا يأتون الصلوة الا دبرا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا ائتمن خان وروى ثلاث وروى عن عبد الله قال اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر ثم قرا الايات ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الاية وعن وهب قال من خصال المنافق ان يحب الحمد ويكره الذم وقوله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء قال اكثر اهل التاويل ليسوا بمسلمين مخلصين ولا مشركين مصرحين وهو ايضا قول قتادة وقال مقاتل ليسوا مع اليهود فيظهرون ولايتهم لهم مع المؤمنين في التصديق مع الولاية ويحتمل غير هذا وهو انه لم يظهر لكل واحد من الفريقين منهم الموافقة لهم والكون معهم بل ظهر منهم الخلاف عند كل فريق لانهم كانوا اصحاب طمع عبادا لانفسهم يكونون حيث دار السعة معهم فلا الى هؤلاء في حقيقة الدين عند انفسهم ولا الى هؤلاء فذلك والله اعلم تاويله وقوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا قيل حجة على ما قيل في الاول وقيل فلن تجد له سبيلا يعني هدى وطريق المستقيم والله اعلم وعن الحسن ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ما دام كافرا فاذا تاب ورجع عن ذلك فله السبيل وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في المنافقين الذين اتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين سماهم الله تعالى مؤمنين باقرارهم بالايمان علانية وتوليهم الكافرين سرا او ان يقال سموا مؤمنين لما كانوا ينتسبون الى المؤمنين فسموا بذلك وقيل نزلت في المؤمنين نهاهم ان يتخذوا المنافقين اولياء باظهارهم الايمان علانية وامرهم ان يتخذوا المؤمنين اولياء ثم وجه النهي في الولاية واتخاذهم اولياء يكون من وجوه يحتمل النهي عن ولايتهم ولاية الدين اي لا تتبعوهم ولا تصدقوهم ولا تأمنوهم في الدين فانهم يريدون ان يصرفوكم عن دينكم كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم الاية ويحتمل النهي اولياء في امر الدنيا كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا الاية نهى المؤمنين عز وجل ان يجعلوا المنافقين موضع سرهم في امر من امور الحرب وغيره والثالث في كل امر اي لا تصادقوهم ولا تجالسوهم ولا تأمنوهم وقوله عز وجل اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا وقيل حجة بينة يحتج بها عليكم والله اعلم وقوله عز وجل اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا فهو والله اعلم الارادة وهي صفة كل فاعل في الحقيقة وحرف الاستفهام من الله ايجاب فكانه قال قد جعلتم لله في تعذيبكم حجة بينة تعقلها الكل اذ ذلك يكون وهو اتخاذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين حجة ظاهرة في لزوم المقت وجائز ان تكون الاضافة الى الله ترجع الى اولياء الله نحو الامر بنصر الله والقول بمخادعة الله وكان ذلك منهم حجة بينة عليهم لاولياء الله انهم لا يتخذون الشيطان اولياء عبادة غير الله لتخذوه ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ان المنافقين في الدرك

وانتم اتخذتم الشيطان وليا نسخة

الأسفل

الاسفل من النار الدرك بالجزم والفتح لغتان وهما واحد يقال للجنة درجات وغرفات وللنار دركات بعضها اسفل من بعض وقيل كلما كان اسفل كان العذاب فيها اشد الا ترى انه اخبر عنهم بقوله وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين فلو لم يكن من اسفل منهم فالدركات اشد عذابا لم يكن لقولهم نجعلهما تحت اقدامنا معنى فدل ان كل ما كان اسفل من الدركات كان في العذاب اشد والله وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عبد المطلب وهشام بن المغيرة فقال هما من ادنى اهل النار عذابا وهما في ضحضاح من النار خالدين فيها وادنى اهل النار عذابا في رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الا دركات توابيت من حديد تصمت عليهم في اسفل النار وقيل ان العذاب في النار واحد في الظاهر وهو مختلف في الحقيقة وايد ذلك قوله تعالى عز وجل وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم لكن بعضهم لا يشعر بعذاب غيرهم كقوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف سالوا ربهم ان يجعل لهم ضعفا من العذاب جزاء ما اضلوا فاخبر ان لكل ضعيفا من الاية ثم تخصيص المنافقين في الدرك الاسفل من النار دون ساير الكفرة وجوه ثلاثة احدها انهم كانوا يسعون في افساد ضعفة المسلمين ويشككونهم في دينهم ويتكلفون في اخراجهم من الايمان وكان ذلك دابهم وعادتهم فاستوجبوا بذلك ذلك العذاب جزاء في افسادهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك لهم لانهم كانوا عيونا للكفرة وطلايع لهم يخبرون بذلك عن اخبارهم وسرايرهم ويطلعون على عوراتهم فذلك سعي في امر دينهم ودنياهم بالفساد كقوله المرتشي زعليكم الاية ويحتمل وجها آخر وهو انهم لم يكونوا في الاحوال كلها اهل دين يقيمون عليه في حال الرخاء والضيق ولكن كانوا مع السعة والرخاء حيث كان ولا كذلك ساير الكفرة بل كانوا في حال الرخاء والشدة على دين واحد يعبدون الاصنام واولئك مع المؤمنين في حال اذا كانت السعة معهم لا يقرون على شئ واحد مترددين بين ذلك كما قال الله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء الاية والكفرة اعبد وامن عبدوا على رجاء التقريب الى الله وامر الله عز وجل لهم بذلك ليكونوا لهم شفعاء عند الله واهل النفاق لم يكونوا يعبدون غير بطونهم ومن معه شهواتهم فلذلك ازداد عذابهم على عذاب غيرهم ولما انهم جمعوا الى الكفر بالله المخادعة والتغرير واغراء الاعداء واستعلائهم ولما قد اشتركوا الفرق كلهم في اللذات وفي طلب الشهوات فعاد اليهم ما استحق كل منهم من العقوبة وبما بذلك شاركوا في اكل للمعاصي اذ سبيلها اعطاء الا نفس الشهوات معا منهم تغرير ضعفة المؤمنين والتلبيس عليهم ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل الا الذين تابوا واصلحوا عن ابن عباس قال تابوا من النفاق واصلحوا اعمالهم واعتصموا بالله بقول وثقوا بالله وقيل الا الذين تابوا واخلصوا دينهم لله فاولئك مع الذين يعول من المؤمنين اي صار واكساير المؤمنين وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه والى الا الذين تابوا ثم آمنوا بالله والرسول والكتاب الذي انزل اليه من ربه وما انزل الى النبيين من قبل ثم اخلصوا دينهم لله واعتصموا به اولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما وعن ابن عباس رضي الله عنه واخلصوا دينهم لله قال لم يراؤن وكانت سريرتهم كعلانيتهم او افضل وقوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم تاويله والله اعلم ان ليس لله عز وجل حاجة في تعذيبه اياكم ان صدقتم وآمنتم ولكن الحكمة توجب تعذيب من كفر به والا ليس له حاجة في تعذيبكم والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا في قوم فرطوا في التكذيب ومعاندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظنوا انهم وان آمنوا به وصدقوه لم يغفر لهم ما كان من التفريط في التكذيب والتمرد في المعاندة فاخبر عز وجل انه لا يعذبهم ان آمنوا به بما كان منهم من التكذيب

الضحضاح الماء القريب القعر

باب صمتت نبابهم اغلاق

ولم يرو لشيامز الحرفات ولا دانوا بسمة العادات نسخة

والاعتناد كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ثم الشكر فيما بين الخلق يكون على الجزاء
والمكافاة كقوله تعالى من لم يشكر الناس لم يشكر الله واما فيما بينهم وبين ربهم فهو على غير الجزاء
والمكافاة اذ ليس في وسعهم القيام وباداء شكر اصغر نعم انعمها عليهم عمرهم فدل انه ليس يخرج الامر
على ما يرام المكافاة ولكنه يخرج على وجوه على معرفة النعم انها منه والثاني على معرفة التقصير والاعتراف
بالعجز عن اداء شكرها والثالث ان لا يستعملها الا في طاعة ربه وقوله عز وجل وكان الله شاكرا عليما يقبل
الايمان بعد الجحود والتكذيب اذا تاب وقيل شاكرا اي يقبل القليل من العمل اذا كان له خالصا ليس كملوك الارض
لا يقبلون اليسير من الاشياء وقيل شاكرا يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب وذلك هو الوصف
في الغاية من الكرم والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ما يعبأ الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
وكان الله شاكرا لاعمالكم الحسنة عليما بها وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم اختلف في تأويله وتلاوته قال بعضهم لا يحب الله الجهر بالسوء من الدعاء الا من ظلم
فانه لا باس ان يدعوا اذا كان مظلوما وقال آخرون الجهر بالسوء من القول ثم الشتم احسبه انه لا يحب ذلك لاحد
من الناس ثم استثنى الا من ظلم واعتدى عليه فانه ان رد عليه مثل ذلك فلا حرج عليه وكذلك قال
ابن عباس رضي الله عنه قال الجهر بالسوء من القول ان يشتم الرجل المسلم في وجهه الا ان يشتمه فيرد كما قال
وذلك قول الله عز وجل الا من ظلم وان تعفوا فهو افضل وقرأ بعضهم الا من ظلم بالنصب فهو يحتمل الا من ظلم
فان له الجهر بالسوء من القول وان لم يكن له ذلك وهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين
ظلموا منهم فانهم وان لم يكن حجة عليكم فانهم يحتجون عليكم فعل ذلك الظالم وان لم يكن له الجهر
بالسوء من القول فانه يفعل ذلك والله اعلم ومن قرأ الا من ظلم بالرفع فتأويله ما ذكرنا والله اعلم انه
لا يبيح لاحد الجهر بالسوء من القول الا المظلوم فانه يباح له ان يدعوا على ظالمه وينتصر منه والثاني ما قيل
من سبب آخر فانه لا يباح له ولا يؤذن ان يرد عليه مثله وينتصر منه وقيل نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنه
شتمه رجل بمكة فسكت عنه ما شاء الله ثم انتصر فقام النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فهو على البادي
حتى يعتدي المظلوم وقال لا تسبوا فان كنتم فاعلين لا محالة فقم الرجل من صاحبه فليقل انك لجبان
وانك لبخيل واصل هذا الاستثناء ان الاول وان لم يكن من نوع ما استثنى فهو جزاؤه وجزاء الشيء يسمى باسمه
كما سمى الله عز وجل جزاء السيئة سيئة بقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن
الثاني اعتداء ولا سيئة فعلى ذلك استثنى الا من ظلم وان لم يكن من نوعه لانه جزاء الظلم والاعتداء والله اعلم
وقيل ان الآية نزلت في الضيف ينزل بالرجل فلا يضيفه[2] ولا يحسن اليه فجعل له ان يأخذه بلسانه والى هذا
يذهب اكثر المتأولين لكنه بعيد وفي قوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم دليل على ان ليس
في اباحة الشيء في حال يوجب حظره في حال اخرى لانه نهى عن الجهر بالسوء من القول ثم لم يدل ذلك على انه
لا ينهى عن ذلك في غير حال الجهر وقوله عز وجل وكان الله سميعا بجهر السوء عليما به ثم قال ان تبدوا خيرا
او تخفوه او تعفوا عن سوء يحتمل والله اعلم ان العفو والتجاوز خير عند الله من الانتصار يحتمل هذا وجهين
يحتمل ان يكون على الترغيب رغبهم عز وجل بالعفو عن السوء والمظلمة فكما انه يعفوا عن خلقه ويتجاوز عنهم
مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن ظالمكم ايضا وان قدرتم على الانتصار والانتقام منهم فيكون لكم بذلك
عند الله الثواب ويحتمل ان يأمرهم بالعفو عن مظالمهم ليعفوا عز وجل عن مظالمهم التي فيما بينهم وبين ربهم
وعلى ذلك يخرج قوله فان الله كان عفوا قديرا والله اعلم فان الله سبحانه وتعالى عز وجل اقدر على عفو
ذنوبكم منكم على عفو صاحبكم المسيء اليكم وقال بعضهم الله اجدر واحرى ان يعفو عنك اذا عفوت عن اخيك
في الدنيا وهو على ذلك اقدر وقوله عز وجل ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله

ويجوز ان يكون قراءة الا من ظلم بمعنى المجازاة

لما ذكره الانتقام نسخة

الاستباب بك ذكره شتام واذن

[2] لان الضيافة والاحسان في حق الغير من باب الفضل لا من باب الوجوب فلا يستحق الذم ولا يلحق العتاب والتعيير الا اذا الشأن ان الضيافة كانت واجبة في ابتداء الاسلام فيحمل على ذلك شرح

يحتمل وجهين يحتمل قوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون او يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
فيكون قوله يكفرون بالله في الدهرية لانهم يكفرون بالله ولا يؤمنون به ويقولون بقدم العالم فذلك فيهم
وقوله ورسله يكون في الذين يؤمنون بالله ويكفرون بالرسل كلهم وقوله عز وجل ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله في الذين كفروا ببعض الرسل وآمنوا ببعض الرسل ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ثم اخبر عز وجل عنهم جميعا مع اختلاف مذاهبهم انهم كفار وحقق الكفر فيهم بقوله تعالى اولئك
هم الكافرون حقا ويحتمل ان يكونوا فيمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض فيكون الكفر ببعض الرسل كفرا بالله
وبجميع رسله وبجميع كتبه لان كل واحد من الرسل يدعو الخلق كلهم الى الايمان بالله والايمان بجميع الرسل
والكتب واذا كفر بواحد منهم كفر بالله وبالرسل جميعا والله اعلم وقوله عز وجل اولئك هم الكافرون حقا
يحتمل وجهين يحتمل اولئك هم الكافرون الذين حق عليهم الكفر بالله والثاني يكفرون ببعض الرسل انهم
وان كفروا ببعض الرسل فقد حق عليهم الكفر بالله تعالى لان الكفر بواحد من الرسل كفر بالله وبالرسل
جميعا وقوله عز وجل واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وقوله مهينا يهانون فيه وقوله تعالى يريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي ويتخذون غير ذلك سبيلا وعلى طرح ارادة ان اي يتخذون بين ذلك
بينا ايمان ببعض الرسل ويكفر ببعض الرسل دينا فذلك لا ينفعهم اذا كفروا ببعض الرسل ثم نعت المؤمنين
فقال عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل وقالوا آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الى آخر ما ذكر وفي الآية نقض قول المعتزلة لانهم لا يسمون صاحب
الكبيرة مؤمنا وهو قد آمن بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد من رسله فدخل في قوله تعالى اولئك
سوف يؤتيهم اجورهم وهم يقولون لا يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما اخبر عز وجل
انه لم يزل غفورا رحيما ولكن صار غفورا رحيما وبالله العصمة وقوله عز وجل يسألك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء قيل فيه احد التأويلين كان يريد كل احد منهم ان يأتي الى كل رجل منهم
بكتاب ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله سبحانه وتعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة كلا وكقوله تعالى ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل سألوا ان يأتيهم بكتاب
جملة مثل التورية مثل قولهم لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كما انزلت التورية على موسى جملة ولعله
لانهم يقولون ان هذا القرآن من اختراع محمد واختلاقه لانه لو كان من الله تعالى لنزل جملة كما نزلت
التورية جملة غير متفرقة فاخبر انهم سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وقد سألوا محمدا
صلى الله عليه وسلم مثل سؤال اولئك موسى وهو قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا يعزي عز وجل
رسوله صلى الله عليه وسلم ويصبره على اذاهم يقول والله اعلم انهم سألوا آيات على رسالته فاتى بها
فلم يؤمنوا به يخبر ان سؤالهم سؤال تعنت لا سؤال الاسترشاد لان سؤالهم لو كان سؤال استرشاد
لكان اذا أتوا بها قبلوها ولذلك اخذهم العذاب بقوله تعالى فاخذتهم الصاعقة بظلمهم لانهم كانوا
يسألون سؤال تعنت لا سؤال رشد وفي الآية دلالة ان المسؤول لا يلزم الدليل على شهوة السائل
وارادته ولكن يلزم ان يأتي بما هو دليل في نفسه وفيه دلالة ايضا ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب لانه
لما قال يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما ولم يخطر ببال احد انه اراد المجوس بقوله اهل الكتاب
والله اعلم فبطل قول من قال بانهم من اهل الكتاب والله اعلم وقوله عز وجل فاخذتهم الصاعقة بظلمهم
والصاعقة هي العذاب الذي فيه الهلاك وقد ذكرنا فيما تقدم وانما اخذهم العذاب بكفرهم بموسى
بعد ما آتاهم موسى عليه السلام بآيات الرسالة لا بسؤالهم الرؤية لانه لو كان ما اخذهم العذاب
انما اخذ بسؤال الرؤية لكان موسى بذلك اولى حيث قال رب ارني انظر اليك فدل انه العذاب انما اخذهم

فهذه الآية تكون حجة على من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة شرح

بتعنتهم وبكفرهم بعد ظهور الآيات لهم انه رسول وذلك قوله تعالى ثم اتخذ تم العجل من بعد ما جاءتهم
البينات يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن شدة تعنتهم في تكذيب الرسل وكثرة تمردهم وسفههم ليصبر
على اذى قومه ولا يظن انه اول مكذب من الرسل وقوله عز وجل وآتينا موسى سلطانا مبينا قيل السلطان
المبين يحتمل الايات التي اراهم ما يعقل كل احد انه لم يعانده ولا كابر انها سماوية اذ هي كانت خارجة عن الامر
المعتاد بين الخلق من نحو اليد البيضاء والعصا وفرق البحر وغير ذلك وقوله عز وجل ورفعنا فوقهم
الطور بميثاقهم حين لم يقبلوا التورية فعند ذلك قبلوا ثم اخذ عليهم الميثاق بذلك وهو ما ذكر والله اعلم
وقوله عز وجل وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت عن ابن عباس رضي الله عنه
قال وقلنا لهم لا تعدوا في السبت يقول لا تعملوا في السبت عملا من الدنيا تفرغوا فيه للعبادة وفي حرف
حفصة رضي الله عنها وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وقال ابو معاذ ويقرا لا تعدوا على معنى لا تعتدوا
تلقي احدا لتاءين وان شئت تعتدوا ولم تدغم التاء في الدال وقوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا
غليظا هو ما ذكر قال ابن عباس رضي الله عنه من ارسل الله اليه رسولا فاقر به فقد اوجب على نفسه ميثاقا
غليظا وقال مقاتل الميثاق الغليظ اقرارهم بما عهد الله اليهم في التورية وقوله عز وجل فبما نقضهم
ميثاقهم وكفرهم بايات الله قال الكيساني ما هاهنا صلة يقول فبنقضهم ميثاقهم وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنه وكفرهم بايات الله من بعد ما تبينت وقال مقاتل فبنقضهم اقرارهم بما في التورية وبكفرهم
بايات الله يعني بالانجيل والقرآن وهم اليهود وقوله عز وجل وقتلهم الانبياء بغير حق يحتمل على حقيقة
القتل ويحتمل على القصد والهم وقد هموا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال كانوا يقتلون الانبياء واما الرسل عليهم السلام فكانوا معصومين لم يقتل رسول قط الا ترى انه
قال انا لننصر رسلنا وقال عز وجل انهم لهم المنصورون وقوله عز وجل وقولهم قلوبنا غلف قيل بوجهين
احدهما انهم قالوا قلوبنا اوعية العلم لا تسمع شيئا الا حفظته فالقرآن في هذا الوجه غلف والثاني قالوا
قلوبنا في اكنة مما تقول لا نعقل ما تقول فالقراءة في هذا الوجه غلف فيه ثم قال عز وجل بل طبع الله
عليها بكفرهم يحتمل ان يكون هذا جوابا وردا على قولهم ان قلوبنا اوعية للعلم لا تسمع شيئا
الا وعته اخبر عز وجل انه طبع على قلوبهم بكفرهم فلا يفقهون شيئا والله اعلم وقوله عز وجل وقولهم
على مريم بهتانا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنه قذفوها بالزنا وهو قولهم لقد جئت شيئا فريا
وقيل قوله تعالى وكفرهم اي كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وبقولهم على مريم ما قالوا لقد جئت
شيئا فريا وقولهم انا قتلنا المسيح قيل سمي مسيحا لان جبريل عليه الصلوة والسلام مسحه بالبركة فهو
كالممسوح الفعيل بمعنى المفعول وذلك جايز في اللغة وقيل المسيح بمعنى ماسح لانه كان يمسح المريض والابرص
والاكمه فيبراء فسمي لذلك مسيحا وذلك جايز الفعيل بمعنى فاعل والله اعلم وقوله عز وجل انا قتلنا المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله الآية لبعض الناس تعلق بهذه الآية من وجهين احدهما في احتمال الغلط والخطا
في المشاهدات والمعاينات والثاني في احتمال المتواتر من الاخبار الغلط والكذب وذلك انه قيل
في القصة ان اليهود طلبت عيسى عليه الصلوة والسلام ليقتلوه فحاصروه في بيت ومعه نفر من اصحابه
من الحواريين فادركهم المساء فباتوا يحرسونه فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلوة والسلام اني
متوفيك ورافعك الي فاخبر اصحابه وقال ايكم يحب ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويجعله الله يوم
القيامة معي في درجتي فقال رجل منهم انا يا رسول الله فالقى الله تعالى عليه شبهه ورفع عيسى
على نبينا وعليه الصلوة والسلام فلما اصبح القوم اخذوا الذي القى الله تعالى عليه فقتلوه وصلبوه
وقيل انه القى شبهه على رجل من اليهود وقيل انه عليه الصلوة والسلام لما هموا بقتله التجا الى بيت

وقرا نافع والاعرج تعدوا بالدال المثقلة معناه تعتدوا ثم تدغم التاء في الدال فتشدد الدال من مجموعات ابي معاذ النحوي فقوله لا تعدوا ساكنة العين مشددة الدال مضمومة في غير رواية ورش عنه وابي جعفر والوليد مثلهم الا انه يفتح العين والدال مشدد عن عبد الرحمن بن هرمز لا تعدوا عن ابي بن كعب فيونة ما يتفاضل به القراءة في القرآت والشواذ

فدخل

فدخل فاذا جاؤا في طلبه فدخل رجل منهم البيت ليقتله فاسطاء عليهم فظنوا انه يقاتله فلما خرج
وقد القي شبهه عليه فقتلوه وقالوا لما قتلوا ذلك الرجل وعندهم انه عيسى لما كان به شبهه ثم لم يكن
ذلك عيسى ثم لم يكن والله اعلم ثم الخبر ايضا قد تواتر فيهم بقتل عيسى فكان كذبا فما يمنع ايضا
ان الاخبار المتواترة يجوز ان تخرج كذبا وغلطا قيل اما الخبر بقتله انما انتشر عن ستة او سبعة
على ما ذكر في القصة والخبر الذي كان انتشاره بذلك العدد من العدد وهو من اخبار الآحاد عندنا
واما قوله تعالى ولكن شبه لهم يجوز ان يكون ذلك التشبيه تشبيه خبر انه قتل من القاء الشبه على غيره
وقتله حقيقة وذلك انه ذكر في بعض القصة انهم لما طلبوا في ذلك البيت فلم يجدوه ولم يكن غاب احد
منهم فقالوا قتلناه لانهم قالوا انه دخل البيت فدخلوا هم على اثره فلم يجدوه كان ذلك انباء من عظيم
رسالته فلم يحبوا ان يقولوا ذلك فقالوا قتلناه كذبا فذلك تشبيه منهم لهم والله اعلم فان احتمل
هذا لم يكن ما قالوا من تخطية الغير لهم درك فلو كان ما قال اهل التاويل من القاء شبهه عليه
فذلك من آيات رسالته اراد الله ان يكون آياته قايمة بعد غيبته عنهم وفي حال اقامته بينهم
والله اعلم وقوله عز وجل وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل لفي شك من قتل عيسى عليه السلام
قتل ولم يقتل وقيل لفي شك منه في عيسى اي على الشك يقولون انه ابن الله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
اي ليس لهم بذلك الا اتباع الظن الا قول منهم بظنهم في غير يقين وما قتلوه يقينا اي ما قتلوا ظنهم
يقينا بل رفعه الله وقيل وما قتلوه يقينا اي يقينا ما قتلوه بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا قيل عزيزا
حين حال بينهم وبين عيسى ان يقتلوه ويصلوا اليه حكيما حكم ان يرفعه الله حيا وعن ابن عباس
رضي الله عنه وكان الله عزيزا حكيما ان رسله يكونون معصومين وهو قوله تعالى كتب الله لاغلبن
انا ورسلي ان الله قوي عزيز وقوله عز وجل ايضا ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف فيه
قال بعضهم قوله تعالى قبل موته اي قبل موت عيسى اذا نزل من السماء آمنوا به اجمعون وبه يقول الحسن
وقال الكلبي ان الله تعالى اذا انزل عيسى عليه السلام عند مخرج الدجال فقتل الدجال يؤمن به بقية
اهل الكتاب فلا يبقى يهودي ولا نصراني الا اسلم وقال بعضهم الا ليؤمنن به قبل موته او قبل موت الكتابي
لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى صلوات الله عليه وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا يموت
يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام قيل وان ضرب بالسيف قال وان ضرب بالسيف وقال هي في حرف
ابي الا ليؤمنن به قبل موته الا ليؤمنن به لكن التاويل اذا كان هو الثاني فهو في رؤسايهم الذين كانت لهم رياسة
فلم يؤمنوا خوفا على ذهاب تلك الرياسة والمنافع التي كانت لهم فلما حضرهم الموت ايقنوا بذهاب
ذلك عنهم فعند ذلك يؤمنون وهو والله اعلم كقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الآن لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كقوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل لانها ايمان دفع العذاب واضطرار كقوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده الآية
فكان ايمانهم ايمان دفع العذاب عن انفسهم لا ايمان حقيقة لانه لو كان ايمان حقيقة تقبل ولكن ايمان
دفع كقول فرعون حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل فلم يقبل ذلك
منه لانه ايمان دفع العذاب وايمان اضطرار لا ايمان حقيقة فعلى ذلك الاول وبالله التوفيق وقيل
في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفي حرف حفصة رضي الله
وان كل اهل الكتاب لما ليؤمنن به قبل موته وقيل ليؤمنن به قيل بالله وقيل بعيسى وقيل بمحمد صلى الله
عليه وسلم وذلك ان عيسى عليه السلام اذا نزل يدعوا الناس الى الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم

يكون في قراءة ليؤمنن وليؤمنن وقرات في مصحف ابي وان كل اهل الكتاب لما ليؤمنن به قبل موته يكون في هذا ايضا الوجهان ليؤمنن به وليؤمنن به لان كلا ان شئت اخرجت ما بعده من الفعل على واحد وعلى جماعة تقول ان كل اخوتك تقول ذاك ويقولون ذاك فان قلت فما وجه لما ليؤمنن به قلت معناه وان كل اهل الكتاب ليؤمنن به يكون لما صلة اللام والميم مثل في هود وان كلا لما ليوفينهم اذا خففت لما تكون صلة والعرب يدخلها في الكلام صلة ويدخل اللام ايضا لمكان ان كان القراء من خفف لما فانه يجعل ما صلة ابو المعاني

وقوله عز وجل ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا قيل الله يكون عليهم شهيدا بانه قد بلغ رسالة ربه اليهم
واقر على نفسه بالعبودة وقيل الشهيد للقاضي وقيل يوم القيامة يكون عليهم شهيدا وقيل يكون محمد عليهم شهيدا
وهذا كله محتمل والله اعلم وقوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم لولا اية اخرى
سوى هذه والا صرفنا قوله سبحانه وتعالى حرمنا عليهم طيبات على المنع دون تحقيق التحريم لانهم اهل كفر فلا يبالون
ما يتناولون من المحرم والمحلل ولا يمتنعون عن التناول لمن ذلك فاذا كان ما ذكرنا فيحتمل ان يصرف تاويل الاية الى المنع
كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فليس هو على التحريم ولكن على المنع اى منعناه فلم ياخذ من لبن المراضع
دون لبن امه فعلى ذلك يجب ان يكون الاول ثم المنع لهم يكون من وجهين احدهما منع من جهة منع الانزال
لعلة الامطار والقحط كسني يوسف عليه السلام وسني مكة على ما كان لهم من القحط والثاني منع من جهة الخلق
الا يعطوا شيئا لا بيعا ولا شراء ولا معروفا لكن في اية اخرى بيان ان قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم انه على التحريم
ليس على المنع وهو قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت
ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر عز وجل ان ذلك جزاء ببغيهم فدل ما ذكرنا
في الاية ان ذلك على تحقيق التحريم لما يحتمل ان يكونوا لا يستحلون ما ذكر في الاية ولكن كانوا يتناولون على غير
الاستحلال لحرمة ذلك عليهم وفي قوله تعالى حرمنا عليهم طيبات احلت لهم دلالة لاصحابنا رحمهم الله في قولهم
ان من قد اقر فقال هذا الشى لفلان اشتريته منه انه له ولا يوخذ منه والا في ظاهر قوله هذا الشى لفلان
اشتريته منه انه اذا اشتراه منه لا يكون لفلان فيكون ذلك اقرارا له لكنه على الاضمار كانه قال هذا الشى
كان لفلان اشتريته منه وكذلك قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم اى كانت احلت لهم وكذلك في حرف
ابن مسعود وحرف ابن عباس رضى الله عنهما حرمنا عليهم طيبات كانت احلت لهم وقوله عز وجل وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا اى بصدهم الناس عن سبيل الله كثيرا يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم صدوا من يستجيبون ده
ويستسهون عن سبيل الله كانوا يدلون على الباطل وعلى غير سبيل الله فذلك الصد محتمل ويحتمل انهم كانوا
يصدون عن سبيل الله بالقتال والحروب وقوله عز وجل واخذهم الربوا وقد نهوا عنه دل ان الربوا لم يزل
محرما على الامم كلها كما حرم على هذه الامة وقوله عز وجل واكلهم اموال الناس بالباطل يحتمل هذا وجهين
اكل اموالهم بالباطل هو الرشوة كقوله تعالى واكلهم السحت قيل هو الرشوة وقيل ما كانوا ياخذون من اموال
الاتباع والسفلة بتحريفهم التوراة لهم وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقوله عز وجل واعتدنا للكافرين
عذابا اليما الاية ظاهرة وقوله عز وجل لكن الراسخون في العلم استثنى الراسخين في العلم منهم والرسوخ هو ثبات
الشى في القلب يقال رسخ العلم في القلب ورسخ الايمان في القلب وقوله لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة روى عن عايشة رضى الله عنها قالت هذا خطاء
من الكاتب هو المقيمون الصلوة والمؤتون الزكوة وكذلك في حرف ابن مسعود رضى الله عنه والمقيمون الصلوة
والمؤتون الزكوة وقال الكسائى وجه قراءتنا يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة لقوله
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ويؤمنون باقامة الصلوة كما قال عز وجل في سورة البقرة ولكن البر
من امن بالله معناه ولكن البر الايمان بالله وقال بعضهم قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وبالمقيمين الصلوة يعنى الرسل وفي حرف حفصة رضى الله عنها لكن الراسخون في العلم يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلوة المؤتين الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر سوف نؤتيهم اجرا عظيما
وكذلك في حرف ابى المقيمين الصلوة بالنصب وقوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده قيل فيه بوجوه قيل قوله كما اوحينا الى نوح الكاف صلة زايدة ومعناه انا اوحينا اليك ما اوحينا
الى نوح ومن ذكر من بعده اى لا يختلف ما انزل اليك وما انزل الى غيرك من الرسل وهو كقوله تعالى وانه

لفي زبر الاولين وان هذا لفي الصحف الاولى الاية وقيل انا اوحينا اليك من الحجج والايات اى قد اعطاك
من الحجج والايات ما يدل على رسالتك ونبوتك كما اعطى اولئك من الحجج والايات على صدق ما ادعوا من الرسالة
والنبوة ثم لم يؤمنوا وقيل ان اليهود قالوا ان محمدا لو كان رسولا لكان يؤتى كتابا جملة كما اوتى موسى
كتابا جملة من غير وحى قال الله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وحيا من غير
ان اوتى كل منهم كتابا جملة كما اوتى موسى ثم كان اولئك رسلا فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم رسولا
وان لم يؤت كتابا كما اوتى موسى ولله ان يفعل ذلك يؤتى من يشاء كتابا جملة مرة ومن شاء يوحى اليه
بالتفاريق والله اعلم بذلك وقوله عز وجل واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومن ذكر
يحتمل ذكر ابراهيم ومن ذكر من اولاده بعد قوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين على التخصيص
لابراهيم ومن ذكر لانه ذكر النبيين بعد نوح فدخلوا فيه ثم خص لهم بالذكر تفضيلا ويحتمل ان يكون قوله تعالى
والنبيين من بعده الرسل الذين كانوا بعد نوح قبل ابراهيم ثم ابتداء الكلام فقال واوحينا الى ابراهيم ومن ذكر
وفي حرف حفصة رضى الله عنها انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وكما اوحينا الى الرسل من بعده وكما اوحينا
الى ابراهيم فهذا يدل على ما ذكرنا من ابتداء الذكر لهم والله اعلم والاية ترد على القرامطة مذهبهم لانهم يقولون
الرسل ستة سابعهم قايم الزمان لانه ذكر في الاية من الرسل اكثر من عشرة فظهر كذبهم بذلك وتخايلهم
التى سول لهم الشيطان وزين في قلوبهم وقوله عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا
لم نقصصهم عليك ذكر في بعض القصة ان اليهود قالوا ما بال موسى لم يذكر فيمن ذكر من الانبياء فانزل الله
عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل هؤلاء بمكة في الانعام وفي غيرها لانه قيل ان هذه السورة
مدنية ثم في قوله ورسلا لم نقصصهم عليك دلايل من وجوه احدها ان معرفة الرسل باجمعهم واحد بعد
واحد ليس من شرط الايمان بعد ان يؤمن بهم جميعا لانه اخبر عز وجل ان من الرسل من لم نقصصهم عليه
ولو كان معرفتهم من شرط الايمان لقصهم عليه جميعا لا يحتمل ترك ذلك دل انه ليس ذلك من شرط الايمان
والله اعلم والثاني ان الايمان ليس هو المعرفة ولكنه التصديق لانه لم يوخذ عليه معرفة الرسل واخذ بتصديقهم
والايمان بهم جملة وقوله عز وجل وكلم الله موسى تكليما اختلف فيه قال بعضهم خلق الله كلاما وصوتا
والقى ذلك في مسامعه وقال اخرون كتب له كتابا فكلمه بذلك فذلك معنى قوله وكلم الله موسى تكليما
لا ان كلمه بكلامه ولا ندرى كيف كان سوى انا نعلم انه احدث صوتا لم يكن فاسمع موسى ذلك كيف شاء
وما شاء ولم شاء لان كلامه الذى هو موصوف به في الازل لا يوصف بالحروف ولا بالهجاء ولا بالصوت
ولا بشىء مما يوصف به كلام الخلق بحال وما يقال هذا كلام الله انما يقال على الموافقة والمجاز كقوله
حتى يسمع كلام الله ولا سبيل له الى ان يسمع كلام الله الذى هو موصوف به في الازل ولكنه على الموافقة
والمجاز فيقال ذلك وقوله عز وجل وكلم الله موسى تكليما يخرج هذا والله اعلم مخرج التخصيص له
اذ ما من رسول الا وقد كان له خصوصية لم تكن تلك لغيره فهذه خصوصية لموسى عليه الصلوة والسلام
اذ كلمه من غير ان كان ثمه سفير ورسول وكان لساير الرسل وحيا يوحى اليهم اى دليل برسول والله اعلم
وقوله عز وجل وكلم الله موسى تكليما دل المصدر على تحقيق الكلام اذ المصادر مما تؤكد حقايق ما له المصادر
في موضوع اللغة وايد ذلك الامر المشهور من تسمية موسى كليم الله وما جرى على السن الخلق من القول
بان الله كلم موسى فثبت انه كان له فيما كلمه خصوصية لم يشركه فيه غيره من الرسل وعلى حق الوحى
وانزال الكتب له شريكا في ذلك من الرسل فثبت ان لما وصف به موسى خصوصية كثير من الرسل باسماء
او نعوت اوجبت لهم الفضيلة بها وان كان جملها يحتمل تلك الخصوصية قد يتوجه الى ما قد يشترك
في ذلك جملة الرسل فعلى ذلك امر تكليم موسى عليه السلام وقوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين

اخبر انه بعث الرسل بالبشارة في العاقبة لمن اطاعه والانذار لمن عصاه فهذا ليعلم ان كل امر لا عاقبة له
فهو عبث ليس من الحكمة وان الذي دعا الرسل الخلق اليه انما دعوا لامر له عاقبة اذ في عقل كل احد ان كل امر
لا عاقبة له ليس بحكمة فهذا والله اعلم معنى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لمن اطاع الله بالجنة ومنذرين
لمن عصاه بالنار وقوله عز وجل لئلا يكون للناس على الله حجة يحتمل هذا وجهين يحتمل لئلا يكون للناس
على الله تعالى الاحتجاج بانه لم يرسل الرسل الينا وان لم تكن لهم في الحقيقة عند الله عز وجل ذلك فيقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى ويحتمل قوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل حقيقة الحجة لكن ذلك انما يكون في العبادات والشرايع التي سبيل معرفتها السمع لا العقل واما الذي
كان سبيل لزومه بالعقل فلا يكون لهم في ذلك على الله حجة اذ في خلقة كل احد من الدلايل ما لو تامل
وتفكر فيها لدلالته على هيبته وعلى وحدانيته وربوبيته لكن بعث الرسل لقطع الاحتجاج لهم عنه وان لم يكن لهم
الحجة وان كان على حقيقة الحجة فهو في العبادات والشرايع فبعث الرسل على قطع الحجة لهم والله اعلم وقوله
عز وجل وكان الله عزيزا حكيما اي لا يعجزه شيء عن اعزاز من اراد ان يعزه ولا عن اذلال من اراد اذلاله حكيما
يعرف وضع كل شيء موضعه وقد ذكرنا تاويله في غير موضع وقوله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك
انزله بعلمه والملائكة يشهدون قيل فيه بوجهين قيل يشهد الله يوم القيامة والملائكة يشهدون ايضا
ان هذا القرآن الذي انزل اليك انما انزل من عند الله لا كما يقولون انما يعلمه بشر وما هذا الا افك مفترى
ان هذا الا اختلاق كما قالوا وقيل قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك اي يبين بالآيات والحجج التي يعجز الخلايق
عن اتيان مثلها ويلزمهم الاقرار بانه انما انزل من عند الله والله اعلم وقوله عز وجل انزله بعلمه يحتمل
وجهين انزله بالآيات والحجج ما يعلم انها آيات الربوبية والحجج السماوية ويحتمل انزله بعلمه اي انزله على علم
منه بمن يقبل ومن لا يقبل ليس كما يبعث ملوك الارض بعضهم الى بعض رسايل وهدايا لا يعلمون قبولها
ولا ردها ولا علم لهم بمن يقبلها وبمن يردها ولو كان لهم بذلك علم ما ارسلوا الرسل ولا بعثوا الهدايا
اذا علموا انهم لا يقبلون فاخبر عز وجل انه على علم منه انزل بمن يقبل وبمن يرد والله اعلم وقوله
عز وجل وكفى بالله شهيدا اي شاهدا على ما ذكرنا من شهادته يوم القيامة على احد التاويلين انه انزل
ويحتمل قوله شهيدا اي مبينا اي كفى بالله مبينا بالآيات والحجج وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لما انزل الله
لكن الراسخون في العلم منهم الى قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل الآية قالت قريش من يشهد لك
انما تقول حق فانزل الله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله
شهيدا وانزل قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم الآية وقوله عز وجل ان الذين كفروا
اي كفروا بآيات الله وصدوا الناس عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا اي قد تاهوا وتحيروا وتحيرا طويلا
ويحتمل قد ضلوا ضلالا بعيدا اي هلكوا هلاكا لا نجاة لهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع
وقوله عز وجل ان الذين كفروا وظلموا اي كفروا بآيات الله وحججه وظلموا امر الله وتركوه ويحتمل
قوله تعالى وظلموا حيث جعلوا انفسهم لغير الله وجعلوا العبادة لمن دونه وهو انما خلقهم ليجعلوا عبادتهم لله
فقد وضعوا انفسهم في غير موضعها لذلك وصفهم بالظلم لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه
ويحتمل ظلموا انفسهم وان كانوا لا يقصدون ظلم انفسهم فان حاصل ذلك يرجع الى انفسهم فكانهم
ظلموا انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم
كانه على الاضمار انه لا يهديهم في الآخرة طريقا الا طريق جهنم ويحتمل ما قال اهل التاويل قالوا
لا يهديهم طريق الاسلام الا طريق جهنم طريق الكفر والشرك هما طريقا جهنم في الدنيا والاسلام
هو طريق الجنة في الدنيا وهذه الآية والآية الاولى في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا ويموتون

على ذلك

على ذلك حيث اخبر انه عز وجل لا يغفر لهم ولا يهديهم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا ظاهر
وقوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم يحتمل قوله بالحق من ربكم بالحق الذي لله عليكم
ويحتمل بالحق من ربكم بالحق الذي لبعضكم على بعض قد جاءكم الرسول من الله ببيان ذلك كله ويحتمل قوله
قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم الحق الذي هو ضد الباطل ونقيضه وفرق بينهما وازال الشبه ان لم تعاندوا
ولم تكابروا فآمنوا خيرا لكم لان الذي كان يمنعهم عن الايمان بالله حب الرياسة وخوف زوال المنافع
التي كانت لهم فقال آمنوا خيرا لكم لان ذلك لكم في الدنيا والآخرة دايم لا يزول فذلك خير لكم من الذي
يكون في وقت ثم يزول عنكم عن سريع وقوله عز وجل وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض الآية
يخبر والله اعلم ان ما يامر خلقه وينهى ليس يامر وينهى لحاجة له او لمنفعة ولكن يامر وينهى لحاجة
الخلق ومنافعهم اذ من له ما في السموات وما في الارض وملكهما لا يقع له الحاجة ولا منفعة وهو غني
بذاته وقوله عز وجل وكان الله عليما حكيما عليما عن علم باحوالكم خلقكم لا عن جهل وعليما بما به صلاحكم
وفسادكم حكيما حيث وضع كل شيء موضعه ويحتمل قوله تعالى وان تكفروا فان الله ما في السموات والارض
وجها آخر وهو ان تكفروا يقدر ان يخلق خلقا آخر سواكم يطيعونه اذ له ما في السموات وما في الارض
والله اعلم وقوله عز وجل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم والغلو في الدين هو المجاوزة عن الحد الذي
حد لهم وكذلك الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم في الفعل وفي النطق جميعا وقال بعضهم بتفسير
الغلو ما ذكر ولا تقولوا على الله الا الحق كالقول على الله بما لا يليق به غلو وقيل لا تغلوا اي لا تعمقوا في دينكم
ولا تشددوا فيحملكم ذلك على الافتراء على الله والقول بما لا يحل ولا يليق وقوله عز وجل ولا تقولوا
على الله الا الحق اي الصدق وعن ابن عباس رضي الله عنه لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
يقول لا تقولوا لله تعالى ولدا ولا صاحبة وفي حرف حفصة رضي الله عنها ولا تقولوا الله ثالث ثلاثة
انما هو اله واحد وقوله عز وجل انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله الخطاب بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم في حقيقة معنى للخلق كلهم لان على كل الخلايق ان لا يغلوا في دينهم وهو في الظاهر في اهل الكتاب
والمقصود منه النصارى دون غيرهم من اهل الكتاب حتى يعلم ان ليس في مخرج عموم اللفظ دليل عموم
المراد ولا في مخرج خصوصه دليل خصوصه ولكن قد يراد بعموم اللفظ الخصوص وخصوص اللفظ
العموم فيبطل به قول من يعتقد بعموم اللفظ عموم المراد وبخصوص اللفظ خصوصه ثم افترقت النصارى
على ثلاث فرق في عيسى صلوات الله عليه بعد اتفاقهم على انه ابن مريم قال بعضهم هو الله ومنهم
من يقول هو ابن الاله ومنهم من يقول هو ثالث ثلاثة الرب والمسيح وامه فاكذبهم الله عز وجل
في قولهم واخبر انه رسول الله ابن مريم ولو كان هو الها لكانت امه احق ان تكون الها لان امه كانت
قبل عيسى عليه السلام ومن كان قبل احق بذلك ممن يكون من بعد ولان من اتخذ الولد انما يتخذ
من جوهره لا يتخذ من غير جوهره فلو كان ممن يجوز ان يتخذ ولدا ولم يتخذ من جوهر البشر كقوله
لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا الآية وقوله عز وجل وكلمته القاها الى مريم وروح منه
قال بعضهم كلمته ان قال له كن فكان لكن الخلايق كلهم في هذا كعيسى لان كل الخلايق انما كانوا
بقوله عز وجل كن فكان فليس لعيسى عليه السلام خصوصية واصله انه سمي كلمة الله لما القاها الى مريم
ولانه دعاية كلمة كانت وانما خلقه بكلمة التي القاها اليها فسمي بذلك كما خلق آدم من تراب
فنسب اليه وحوا خلقها من ضلع آدم فنسبها اليه وساير الخلايق خلقهم من النطفة فنسبهم اليها فعلى ذلك
عيسى لما خلقه بكلمة القاها اليها نسب اليه لكن في آدم وغيره من الخلايق ذكر فيهم التغيير من حال
الى حال ولم يذكر ذلك في عيسى فيحتمل ان يكون له الخصوصية بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وروح منه

كقوله تعالى فنفخنا فيه من روحنا فسمى لذلك روحا لما به كان يحيى الموتى الا ترى انه سمى القرآن روحا وهو
قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا سماه روحا لما به يحيى القلوب كما يحيى الابدان بالارواح
وقيل وروح منه اى احياه الله وجعله روحا وقيل وروح منه اى رسول منه وقيل وروح منه اى امر منه
وقوله عز وجل فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة لان الرسل كلهم لم يدعوكم الى الذى انتم عليه
انه ثالث ثلاثة انما دعاكم الرسل ان الله اله واحد لا شريك له ولا ولد انتهوا خيرا لكم بما ذكرنا بالآية
وقوله ولا تقولوا ثلاثة بالرفع اى لا تقولوا هو ثلاثة وقوله عز وجل سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات
وما فى الارض نزه نفسه عن عظيم ما قالوا فيه بان له ولدا ثم اخبر ان له ما فى السموات وما فى الارض وانما يتخذ
الولد لاحدى خصال ثلاث اما لحاجة تمسه فيدفعها به عن نفسه او لوحشة تصيبه فيستأنس به او لخوف
غلبة العدو فيستنصر به ويقهره او لما يخاف الهلاك فيتخذ الولد ليرث ملكه فاذا كان الله سبحانه يتعالى
عن ان يمسه حاجة او يصيبه وحشة او لملكه زوال يتعالى عن ان يتخذ ولدا وهو عبده وكفى بالله وكيلا
قيل حافظا وقيل شهيدا وقيل الوكيل هو القائم فى الامور كلها والله اعلم وقوله عز وجل لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون تكلم الناس فى هذه الآية قال الحسن فيه دليل تفضيل الملائكة على البشر
لانه قال الله عز وجل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون لان الثانى يخرج مخرج
التأكيد للاول وابدا انما يذكر ما به يؤكد اذا كان افضل منه وارفع لا يكون التأكيد بمثله ولا بما دونه
كما يقال لا يقدر ان يحمل هذه الخشبة واحد ولا عشرة ولا يعمل هذا العمل واحد ولا عدد فهو على التأكيد
يقال نعلى ذلك الاول خروج ذكر الملائكة على اثر ذكر المسيح على التأكيد وابدا انما يقع التأكيد بما هو اكبر لا بما دونه
والثانى قال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وقالوا فكيف يستوى حال من يعصى مع حال من لا يعصى وحال من لا يفتر عن عبادته طرفة عين مع حال من يرتكب
المناهى والثالث ما قال الله تعالى حكاية عن ابليس حيث قال لآدم وحواء عليهما السلام ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين لو لم يكن للملائكة فضل عندهم ومنزلة ليس ذلك للبشر
لم يكن ابليس بالذى يغرهما بذلك الملك والوعد لهما انهما يصيران ملكين ولا كان آدم وحواء بالذى
يغتران بذلك دل ان الملك افضل من البشر والرابع ان الانبياء صلوات الله عليهم ما استغفروا لاحد الا بدؤا
بالاستغفار لانفسهم ثم لغيرهم من المؤمنين كقول نوح عليه السلام رب اغفر لى ولوالدى الآية وكقول ابراهيم
عليه الصلوة والسلام ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين وما امر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بالاستغفار فقال واستغفر لذنبك الآية وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وما امر بذلك
وما فعلوا ذلك الا لما يحتمل ذلك فيهم والملائكة لم يستغفروا لانفسهم ولكنهم طلبوا المغفرة للمؤمنين
من البشر كقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم والى هذا ذهب بعض الناس
بتفضيلهم الملائكة على البشر وقال آخرون بتفضيل البشر على الملائكة ولا يجب ان يتكلم فى تفضيل البشر
على الاطلاق على الملائكة لانهم يعملون بالفساد وبكل فسق الا ان يتكلم فى تفضيل اهل الفضل من البشر
والمعروف منهم بذلك على الملائكة فذلك يحتمل ان يتكلم فيه ويذهب من قال بتفضيل من ذكرنا من البشر
على الملائكة الى انه ليس فى قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون على ان الملائكة
كلهم افضل منهم لانه انما ذكر المقربون لم يذكر الملائكة مطلقا فيجوز ان يكون لمن ذكر فضل على البشر وكلامنا
فى تفضيل الجوهر على الجوهر ولان البشر ركب فيهم من الشهوات والامانى التى تدعوهم الى ما فيه
الخلاف لله والمعصية له وجعل لهم اعداء امروا بالمجاهدة معهم من انفسهم والشياطين الذين سلطوا
عليهم ولا كذلك الملائكة عليهم السلام فمن حفظ نفسه وصانها واخلصها من بين الاعداء وقمع ما ركب

والمختار عندنا ان خواص بنى آدم وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وعوام بنى آدم من المسلمين الاتقياء افضل من عوام الملائكة وليسوا افضل من خواصهم بل خواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم
من الجامع الصغير لابى طاهر الدباس

فيهم

فيهم من الشهوات والحاجات الداعية الى الخلاف لله والمعصية له كان افضل ممن لا يشغله شىء من ذلك
والله اعلم وما ذكر من اغترار آدم وحواء بقول ابليس الا ان تكونا ملكين لا يحتمل ان يكون آدم لما خلقه
من جوهر البشر واخبر انه جعله خليفة فى الارض انه يتمنى ويأكل ما نهى عنه ليصير من جوهر الملائكة
ولكنه والله اعلم رأى ان الملائكة طبعوا على حب العبادة لله ولم يركب فيهم من الشهوات والحاجات
التى تشغل المرء عن العبادة لله والطاعة له احب ان يطبع بطبعهم ليقوم بعبادة الله كما قاموا هم والله اعلم
والتكلم فى مثل هذا فضل ذلك الى الله تعالى واليه التخير والافضال ثم تأويل قوله عز وجل والله اعلم
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وذلك انهم كانوا يعبدون الملائكة دون الله
ويعبدون المسيح دونه فاخبر ان اولئك الذين يعبدونهم انهم لم يستنكفوا عن عبادته فكيف
تستنكفون انتم وقوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم جميعا فهو والله اعلم على الاضمار
كانه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ومن لم يستنكف ولم يستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ثم بين جزاء
من لم يستنكف عن عبادته ولم يستكبر ومن استنكف واستكبر فقال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم الآية واما الذين استنكفوا واستكبروا الآية والا لم يكن فى الذين استنكفوا مؤمن بل كانوا
كلهم كفارا بالاستنكاف والاستكبار عن عبادته والاستنكاف والاستكبار واحد فى الحقيقة وقال الكسائى
وانما جمع بينهما لاختلاف اللفظين وهذا من حسن كلام العرب كقول العرب كيف حالك وبالك والحال
والبال واحد ومثله فى القرآن والشعر كثير لكن الاستنكاف والانفة لا يضاف الى الله تعالى والاستكبار
يضاف من هذا المعنى مختلف واما فى الحقيقة فهما واحد والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الناس
قد جاءكم برهان من ربكم والبرهان هو الحجة وتوضح وتظهر الحق من الباطل وقيل بيان من ربكم
وهما واحد قال بعضهم هو النبى صلى الله عليه وسلم وقال الآخرون هو القرآن فايهما كان فهو حجة
وبيان ويلزم الحق ويبين من لم يتبينه وقوله عز وجل وانزلنا اليكم نورا مبينا يبصر به الحق من الباطل
وبه يعرف وهو القرآن سماه نورا لما به يبصر الحق وان لم يكن هو بنفسه نورا كالنهار سماه مبصرا
لما به يبصر وان لم يكن هو كذلك وقال قتادة نورا مبينا هو هذا القرآن وفيه بيانه ونوره وهداه وعصمة
لمن اعتصم به وقوله عز وجل فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به جعل الاعتصام به ما به ينال رحمته
وفضله والاعتصام هو ان يلتجىء اليه فى كل الامور وبه توكل لا يلتجىء عن دونه والله اعلم وقوله عز وجل
ويهديهم اليه صراطا مستقيما كانه والله اعلم على التقديم والتأخير فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به
ويهديهم اليه صراطا مستقيما فسيدخلهم فى رحمة منه يعنى الجنة وفضل كقوله تعالى فيوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ذكر الاستفتاء ولم يذكر فيما استفتوا
لكن فى الجواب بيان ان الاستفتاء فيم كان وقال قل الله يفتيكم فى الكلالة والكلالة ما ذكر ان امرؤ هلك
ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك الى آخر ما ذكر قال جابر رضى الله عنه نزلت الآية وروى عن عمر
رضى الله عنه انه قال ما سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن شىء اكثر مما سألته عن الكلالة ثم طعن فى صدرى
باصبعه فقال لا يكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء وفيه دلالة ان قد ينزل بيان ما يدرك
بالاجتهاد والنظر ولا يبين ليجتهد ويدرك بالنظر لان عمر رضى الله عنه سأل غير مرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يبينه واشار الى الآية التى فيها ذكر ما سأل عنه لينظر ويجتهد ليدرك وفيه
دليل جواز تأخر البيان لان عمر سأله غير مرة ولم يبينه حتى امره بالنظر فى الآية وعمر رضى الله عنه
لم يكن عرف قبل ذلك فدل على جواز تأخر البيان وروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال
الكلالة من ليس له ولد ولا والد وكذلك قال عمر رضى الله عنه وقال انى لاستحى من الله ان ارد شيئا

لكن هذا المعنى بينهما اختلاف
سح

وانما سماها آية الصيف لانها نزلت فى الصيف
سح

قاله ابو بكر وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن الكلالة فقال من لا ولد له ولا والد وروى عن جابر
رضي الله عنه قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر الصديق معه فوجدني
قد اغمي علي فصبت وضوءه علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي وكان لي تسع اخوات فلم يجبني حتى نزل
قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك الى اخر ما ذكر قال
جابر رضي الله عنه في نزلت الاية قال بعض الناس اذا مات الرجل وترك ابنة واختا فلا شيء للاخت لان الله تعالى قال
ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك والابنة ولد فلا ميراث للاخت وللاخ مع الابنة لانها ولد
فيقال لان الله عز وجل جعل للابنة النصف اذا لم يكن معها ابن بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف فاذا مات
وترك ابنة واختا فللابنة النصف وذلك النصف الباقي اذا لم يعط للاخت يرد الى الابنة فيكون لها كل
الميراث[3] وقد جعل الله تعالى ميراثها اذا لم يكن معها ولد ذكر النصف ولا يرد الى الابنة فيجب ان يعطي اليها احق بذلك
النصف الباقي فجاء في بعض الاخبار ان الاخوات مع البنات عصبة لذلك كانت الاخت اولى بذلك النصف الباقي
والله اعلم **وقوله** عز وجل فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ذكر للاثنتين الثلثين ولم يذكر ما للثلاث فصاعدا
منهن وذكر للابنة الواحدة النصف في اول السورة بقوله وان كانت واحدة فلها النصف ولم يذكر ما للبنتين
وذكر للثلاث فصاعدا بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فترك بيان الحق في الابنتين
لبيانه في الاختين وترك البيان للاخوات لبيانه في البنات ففيه دليل القياس حيث اكتفى ببيان البعض عن الاخر
وقوله عز وجل وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين قوله تعالى اخوة رجالا ونساء
ان اسم الاخوة لجميع الاناث والذكور جميعا لانه ذكر اخوة ثم فسر الرجال والنساء فهو دليل لنا في قوله تعالى فان كان له
اخوة فلامه السدس انهم يحجبون الام عن الثلث ذكورا كانوا او اناثا والله اعلم **وقوله** عز وجل يبين الله لكم
ان تضلوا قيل ان لا تضلوا قال الكسائي العرب تقول للرجل اطعمتك ان تجوع واغنيتك ان تفتقر على معنى
ان لا تجوع ولا تفتقر وفي القرآن كثير مثل هذا ثم قوله يبين الله لكم ان لا تضلوا قيل ان لا تضلوا في قسمة المواريث
وقيل ان لا تخطئوا وقيل ان لا تخلطوا وهو واحد والله بكل شيء عليم وعيد وبالله الحول والقوة

[3] وهذا خلاف الكتاب وان كان لا يرث النصف الباقي فقد يكون ويكون لبيت المال الصرف الى الاخت اولى من الصرف الى بيت المال فوجب القول بان المراد من الولد المذكور في قوله تعالى ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت هو الابن دون البنت عملا بالادلة كلها شرح

سورة المائدة مدنية الا اليوم اكملت لكم فانها نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاستعانة

وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود اجمع اهل التأويل على ان العقود هاهنا
هي العهود ثم العهود على قسمين عهود فيما بين الخلق امر الله عز وجل بوفائها وعهود فيما بينهم وبين ربهم
وهي المواثيق التي اخذ عليهم التي فيما بينهم من نحو الايمان وغيرها امر بوفاء ذلك اذا لم يكن فيها معصية الرب
كقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها امر هاهنا بوفاء الايمان ونهى عن تركها ونقضها ثم جاء في الخبر
انه قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر يمينه امر فيما فيه معصية بنقضها
وامر بوفاء ما لم يكن فيه معصية ونهى عن نقضها بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان الاية وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال اوفوا بالعقود هي العهود هو ما احل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله وهو ما ذكرنا وقيل ان العقود
التي امر الله تعالى بوفائها هي العهود التي اخذ الله تعالى على اهل الكتاب بان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
ويأخذوا بشرائعه ويعملوا بما جاء به وهو كقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم وكقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله
اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية فالخطاب لهم على هذا التأويل لانهم كانوا امنوا به
قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به **وقوله** عز وجل احلت لكم بهيمة الانعام قال بعضهم هي الوحوش وهو قول الفراء

الا ترى انه قال غير محلي الصيد وانتم حرم وقال الحسن هي الابل والبقر والغنم وقال الاخرون البهيمة كل مركوب
لكن عنده ناكل ماكول من النعم والوحش والصيد وغيره وان لم يذكر دليله ما استثنى الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد
وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به والمنخنقة والموقوذة الاية غير محلي الصيد وانتم حرم دل قوله غير محلي الصيد على ان الصيد
فيه كالمذكور وان لم يذكر لانه استثنى الصيد منه وابدا انما يستثنى الشيء من الشيء اذا كان فيه ذلك
واما اذا لم يكن فلا معنى للاستثناء فاذا استثنى الصيد دل الاستثناء على ان الصيد فيه وان لم يذكر ودل قوله
تعالى واذا حللتم فاصطادوا على ان النهي كان عن الاصطياد في حال الاحرام لا عن اكله لان للمحرم ان ياكل صيد
صاده حلال ودل قوله غير محلي الصيد على ان الصيد قد دخل في قوله احلت لكم بهيمة الانعام على ما ذكرنا فيما انه
ان البيان في الجواب يدل على كونه في السؤال وان لم يكن مذكورا في السؤال فعلى ذلك يدل الثنيا من الصيد على كونه
فيه والله اعلم ويحتمل الانعام الثمانية الازواج التي ذكرها في سورة الانعام من الضان اثنين ومن المعز
اثنين الى اخر ما ذكر والاية تدل على ان الذي احل من البهايم الانعام منها ثمانية دل عليه قوله تعالى والانعام
خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم قال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ففصل بين
بين الانعام وبين الخيل والبغال والحمير خلقها للركوب والانعام للاكل **وقوله** عز وجل الا ما يتلى عليكم
غير محلي الصيد وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم يحتمل يتلى على الوعد
اي يتلى عليكم من بعد ما ذكر على اثره حرمت عليكم الميتة والدم الى اخره ويحتمل الا ما يتلى عليكم وهو ما ذكر
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه الا ما يتلى عليكم فيها في سورة الانعام قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الاية
وقوله عز وجل ان الله يحكم ما يريد هذا والله اعلم اي الله الحكم يحكم بما شاء من التحريم والتحليل فيما شاء
على ما شاء ليس اليكم التحكم عليه وهذا ينقض قول المعتزلة لانهم يقولون يريد طاعة كل احد ولو اراد ذلك
الحكم لانه اخبر انه يحكم ما يريد ولا جايز ان يريد ولا يحكم فدل انه لم يرد لانه لو اراد لحكم وبالله العصمة
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان المشركون يحجون
البيت الحرام ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر يعني وينحرون في حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم
فانزل الله تعالى لا تحلوا شعاير الله ولا الشهر الحرام يعني لا تستحلوا قتالا فيه ولا الهدي ولا القلائد
الاية وقال غيرهم قوله لا تحلوا شعاير الله يعني المناسك لا تستحلوا ترك شعاير الله والشعاير هي المناسك
الا ترى ان الله تعالى سمى كل نسك من الحج شعاير الله كقوله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله وقال والبدن
جعلناها لكم من شعاير الله كل هذا من شعاير الله وهي معالم الله في الحج وقيل شعاير الله فرائض الله كانه قال
لا تستحلوا ترك ما فرض الله عليكم قال الحسن شعاير الله قال دين الله وهو واحد وقيل في قوله جعل الله
الكعبة البيت الحرام حتى يبلغ الهدي والقلائد وقال حواجز ابقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل
لو جر جريرة وارتكب كبيرة ثم لجأ الى حرم الله تعالى لم يتناول ولم يطلب ولو لقي قاتل ابيه في الاشهر
الحرم لم يتعرض له وكان الرجل لو لقي الهدي مقلدا وهو ياكل العصب من الجوع لم يتعرض له ولم يقربه
اذا اراد البيت يقلد قلادة من شعر فحرمته ومنعته من الناس حتى ياتي اهله حواجز ابقاها الله بين الناس
في الجاهلية امان لهم والله اعلم ويحتمل قوله تعالى لا تحلوا شعاير الله اي لا تستحلوا ما اشعركم الله حرمته
وهو من الاعلام ويحتمل ان يكون اراد به مشاعر الحرام الذي ذكرنا وقال لا تحلوا الحرم ولا الشهر الحرام
ولا الهدي ولا القلائد وهذه امور كانت من قبل فنسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وعن الشعبي انه قال لم ينسخ من المائدة غير هذه الاية نسخها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا وقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية وقالت عايشة رضي الله عنها

والمشاعر هي المواضع التي هي اشعرت بالعلامات لاختصاص المناسك بها شرح

انها آخر ما انزل فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها
من حرام فحرموه وقوله عز وجل ولا الشهر الحرام وهو كقوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه
قل قتال فيه كبير وقد ذكرنا ان الله عز وجل اطلق الجرم في الشهر الحرام بعد ما كان محظورا بقوله
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واما قوله ولا الهدي ولا القلائد وهو ما ذكرنا من صنيعهم في الجاهلية فيما ذكرنا
وفيه دليل لقول اصحابنا رحمهم الله حيث قالوا ان الغنم لا تقلد والابل والبقر تقلد لانه ذكر الهدي والقلائد
فدل ان من الهدي ما يقلد ولا آمين البيت الحرام اي قاصدين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
قيل ان المشركين كانوا يقصدون البيت الحرام يلتمسون فضل الله ورضوانه بما يصلح لهم دنياهم كقوله تعالى
فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ويجوز ان يكونوا لما التمسوا عند انفسهم
رضوان الله امر المؤمنين بالكف عنهم وان كانوا قد غلطوا في توجيه العبادة فجعلوها لغير الله كقوله تعالى
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وقوله عز وجل واذا حللتم فاصطادوا دل
هذا على ان النهي في قوله غير محلي الصيد في اخذ الصيد واصطياده في الاحرام لا اكله وهو اباحة ما حظر
عليهم بالاحرام وان كان ظاهره امرا ومعناه فاذا حللتم لكم ان تصطادوا واصله اذ كل امر خرج على اثر محظور
فهو امر اباحة واطلاق ذلك المحظور المحرم لا امر الزام وايجاب من نحو قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ثم قال تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
هو اطلاق المحظور المتقدم وقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم ثم قال عز وجل ولكن اذا دعيتم
فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا امر اطلاق واباحة ما حظر عليهم ومثله كثير في القرآن مما يكثر ذكره وفي حرف
ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ولا آمين البيت الحرام ولا تأموا وكذلك في حرفه فأموا صعيدا طيبا وقيل
في قوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا انجهم فلا يقتل عنهم حتى يسلموا فنهى الله تعالى رسوله عن قتالهم
وقال بعضهم ان الآية نزلت في رجل من اهل اليمامة يقال له شريح وذلك انه اتى بالمدينة فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال انت محمد النبي فقال نعم فقال الى ما تدعوا قال ادعوا الى ان تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال شريح
هذا شرط شديد وان لي امراء خلفي ارجع اليهم فاعرض عليهم ما اشترطت علي واستامرهم في ذلك فان قبلوا
اقبلت وان ادبروا ادبرت فكنت معهم ثم انصرف خارجا من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خرج من عندي بعقبي غادر ولقد دخل علي بوجه كافر
وما الرجل بمسلم قال فمر شريح بسرح لاهل المدينة فساقها معهم فلما كان من العام الثاني قدم شريح الى مكة
ومعه تجارة عظيمة في حجاج وكانت العرب في الجاهلية يغير بعضهم على بعض فاذا كان اشهر الحرم من الناس كلهم
بعضهم بعضا فمن اراد ان يسافر قلد بعيره من الشعر والوبر فيامن بذلك الهدي حيث ما ذهب فلما سمع
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحج شريح وقدومه الى مكة فارادوا ان يغيروا على شريح فياخذوا ما معهم
ويقتلوهم كما اغار شريح على سرح اهل المدينة قبل ذلك فاستامروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في ذلك فنزلت الآية فيهم لا تحلوا شعائر الله الى آخره فلا ندري كيف كانت القصة وليس بنا الى معرفة
القصة حاجة الا القدر الذي ذكر الله في ذلك وقوله عز وجل ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم
عن المسجد الحرام ان تعتدوا وقال تعالى في موضع آخر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا الآية وقال في آية اخرى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا الآية ذكر في بعضها الاعتداء ونهى عنه
وهو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم وذكر في بعضها العدل وامر به ونهى عن الظلم والجور ثم الاسباب
تحملهم وتبعثهم على الاعتداء والظلم وتمنع القيام بالشهادة والعدل ثلاثة احدها ما ذكر عز وجل البغض

وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام بالاضافة وقرأ الاعمش ولا آمي البيت الحرام

بن ضبيعة الكندي

يقال سرح المال اذا اطلقه يرعى وسرح بنفسه والمال سارح والسرح بفتح الشعب والترب والنحو في جميع فاعل وليس بتكسير لكن من اسماء الجموع فايق

والعداوة

والعداوة بقوله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان تعتدوا وقال على ان لا تعدلوا وقال كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا امرهم بالقيام بالشهادة واخبر
ان لا يمنعكم الولاية والقرب القيام بالشهادة او طمع غنى او خوف فقر فهذه الوجوه التي ذكرنا تمنع الناس
القيام بالشهادة وتبعثهم على الجور والاعتداء نهاهم الله عز وجل ان يحملهم بغض قوم او عداوة احد
على الجور والاعتداء او يمنعهم الشفقة او القرابة وطمع غنى احد او خوف فقره القيام بالشهادة وما عليهم من الحق
وامر ان يجعلوه كله لله بقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله فاذا كان كله لله قدر ان يعدل في الحكم وترك
مجاوزة الحد الذي حد له وقدر على القيام بالشهادة وما ذكر وما يمنع شيء من ذلك القيام به من نحو ما ذكر
من البغض والعداوة والقرب والشفقة او طمع الغنى وخوف الفقر اذ جعل الحكم لله عدل فيه ومنعه عن الجور
فيه والاعتداء وكذلك الشهادة اذا جعلها الله قام بادائها ولو على نفسه او ما ذكر لم يمنعه شيء عن القيام به
وقوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى كان البر هو اسم كل خير والتقوى هو ترك كل شيء والانتهاء
عن كل شر ولا تعاونوا على الاثم والعدوان الا ترى انه ذكر بازاء البر الاثم وبازاء التقوى العدوان فهذا
يبين ان البر اسم لكل خير والتقوى هو الانتهاء عن كل شر ويجوز ان يكون ما ذكر في الآية الاولى وامر به
وهو قوله لا تحلوا شعائر الله الى قوله البيت الحرام يقول عاونوهم على ما يأتون به من ذلك فانهم الى البر يقصدون
عند انفسهم وان لم يكن فعلهم برا لعبادتهم غير الله تعالى وانما امر باعانتهم وترك التعرض لهم ان ثبت
ما ذكر في القصة اذا احرموا او قلدوا وقصدوا البيت الحرام في الوقت الذي جاز ان يعاهدوا فيه
كما يجوز لنا معاهدة اهل الكتاب على ان لا نتعرض لكنائسهم وبيعهم وان كانوا يعصون الله فيها لانهم
يدينون بذلك ويقصدون به البر عند انفسهم فلما امر بنقض عهود مشركي العرب امر بمنعهم من دخول
المسجد وان يقتلوا حيث وجد والى هذا المعنى ذهب اصحابنا رحمهم الله تعالى والله اعلم في فرقهم بين شهادة
اهل الذمة على امثالهم وشهادة فساق المسلمين لان اهل الذمة متدينون بكفرهم والفساق غير متدينين
بفسقهم وكذلك فرقهم بين ما يغلب عليه المشركون من اموال المسلمين وبين ما يغلب عليه الفساق
من اموال المسلمين وكذلك سبيل الدماء التي يصيبها المحاربون من اهل البغي من اهل العدل لا تشبه
ما يصيبه الفساق منهم لان امر المتدين بدين خطاء مخالف في الحكم امر المقر بالذنب فيه الا ترى انه يجوز
ان يطلق لمن يعاقدون من اهل الكتاب الصلوة في كنائسهم وان كان ذلك عندنا معصية حراما ولا يجوز
ان يطلق المعصية لفساق المسلمين بحال وقوله عز وجل واتقوا الله اي نقمة الله وعذابه في ترك ما امركم
وارتكاب ما نهاكم عنه ان الله شديد العقاب قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم
ان صدوكم عن المسجد الحرام اي لا يحملنكم بغض قوم لصدهم اياكم عن البيت الحرام فتأثموا فيهم ان تعتدوا
فتقتلوهم وتأخذوا اموالهم وقال وتعاونوا على البر والتقوى البر ما امرت به والتقوى الكف عما نهيت
عنه وقال والعدوان وان هو المجاوزة عن حد الله الذي حده لعباده وقوله ولا يجرمنكم قال بعضهم
لا يؤثمنكم بغض قوم ان تعتدوا وقال الآخرون لا يحملنكم وفيه لغتان يجرمنكم برفع الياء وبنصبها يجرمنكم
وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به هو على الاضمار
والله اعلم كانه قال حرم عليكم اكل الميتة والدم واكل لحم الخنزير الى آخر ما ذكر الا ترى انه قال يجوز الانتفاع
بصوف الميتة وبعظمها دل انه على الاضمار اضمار الاكل واما الانتفاع بجلدها لا يجوز الا بعد الدباغ لان الجلد
ربما يشوى مع اللحم فيؤكل فهو حرام كاللحم الا ان يدبغ ثم في الآية دليل الامتحان من وجهين احدهما
اباحة التناول من جوهر وحظر امتحن بحرمة لحم الخنزير والدم لم يحله بسبب ولا بغير سبب وامتحن
بحل الآخر بسبب وحرم بسبب والثاني امتحن بسبب حل تنفر الطبع عنه لان كل ذي روح يتألم بالذبح

واستخراج الروح منه وجعل طبيعة كل احد مما ينفر عنه لما يتألم به لتطيب انفسهم بذلك ثم ما يخرج من الارض
كله حلالا بلا سبب يكتسبون الا ما لا يقدرون على التناول منه لخوف الهلاك لانه موات لا تنفر الطباع عنه
ثم جعل اسبابا لحل اشياء يكتسبون مما لا يحل في استخراج ذلك الدم المحرم منه حل كله واذا لم يحل في استخراج
ذلك الدم فهلك فيه افسده لانه تلف فيه ما هو محرم فافسده فاستخراج ذلك الدم مما يطيب ذلك ويمنع
عن الفساد الا في طول الوقت والذي هلك فيه الدم يفسد في قليل الوقت وقوله عز وجل وما اهل لغير الله به
قال الكيساني ما اهل لغير الله به اي ذكر وسمي عليه غير اسم الله مشتقة من استهلال الصبي ومنه
اهل الهلال واهل المحل بالحج اذا لبى قال قتادة كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها
والكافر في الحقيقة يهل لغير الله لانه لا يعرف الله حقيقة لكنه اجيز ذبائح الكتابي لانه يسمي عليه اسم الله تعالى
عليه والموقوذة كانوا يضربون بالعصي حتى اذا ماتت ثم اكلوها والمتردية كانت تتردى في بئر او من جبل
فتموت والنطيحة كان الكبشان ينتاطحان فيموت احدهما فياكلونه وما اكل السبع الا ما ذكيتم كان
اهل الجاهلية اذا قتل السبع شيئا من هذا واكل منه اكلوا ما بقي فقال الله تعالى الا ما ذكيتم ثم روي
عن ابن عباس رضي الله عنه قال والمنخنقة والموقوذة فما ادركت من هذا كله يتحرك له الذنب او يطرف له
العين فاذبح واذكر اسم الله عليه فهو حلال وروي عن علي رضي الله عنه قال اذا طرفت بعينها او ركضت
برجلها او حركت ذنبها فهي ذكية وكذلك روي عن ابن الزبير انه سمع عبيد بن عمير رضي الله عنه
يقول كذلك وكانه روي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك وهذا والله اعلم اذا خنقها
او وقذها يغمى عليها فاذا ذبح فحركت ذنبها او طرفت عينيها او ركضت برجلها افاقت فاستدل بذلك
على حيوتها وليس هذا كشاة ينزع الذئب والسبع ما في بطنها وصار بحال لا يتحامل بذلك انها وان تحركت
او طرفت بعينها فانها لا تؤكل والاصل ان كل ما لو قطع العروق فتركت فماتت تكون ميتة فاذا ادركه في تلك
الحال فذكاه كانت ذكية وكل ما لو صار بحال لو ماتت كانت ذكية فاذا ادركه في تلك الحال فذكاه كانت
ميتة والمتردية الممتنعة عن الذبح في المذبح اذا ذبح من غير المذبح يجوز اكله وروي عن نافع بن خديج قال
اصبنا ابلا وغنما فند منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه الابل
اوابد كاوابد الوحش فاذا كان عليكم شيء منها فاصنعوا به هكذا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال في البعير
يتردى في البئر اذا لم يقدر على منحره فهو بمنزلة الصيد ينحره من حيث ادركه وسئل علي بن ابي طالب
رضي الله عنه عن بعير تردى في بئر فصار اعلاه اسفله فقال اقطعوه اعضاء وكلوه وعن ابن عمر
رضي الله عنه وروي انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل هل تكون الذكاة الا في الحلق واللبة
فقال اما انها لو طعنت في فخذها اجزى عنك واذا ذكي بغير السكين من نحو المروة والقصبة مما يقطع
يجوز روي ان عدي بن حاتم رضي الله عنه قال يا رسول الله ارسل كلبي فياخذ الصيد وليس معي ما اذكيه به
فاذبحه بالمروة او القصبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرر[3] الدم بما شئت واذكر اسم الله عليه
وكذلك روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وروي ان رجلا اشاط دم جزور بجدل فسال النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اذا انهرت الدم فكل وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذبح بكل ما افرى الاوداج واهراق الدم ما خلا السن والظفر والى هذا يذهب اصحابنا رحمهم الله فذلك
ويرون كل ما انهر الدم من حجر او مروة او نحو ذلك مزكى ويوكل ويحملون قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا السن والظفر على انهما اذا كانا غير منزوعين لان ذلك خنق وليس بذبح تفسير ذلك قول
ابن عباس رضي الله عنه حيث قال خنق وفي الخبر بيان لانه قال كل ما انهر الدم وافرى الاوداج ما خلا
السن والظفر فانهما مدى الحبشة وهم انما كانوا يذبحون بسن او ظفر غير منزوع وعند والله اعلم وقوله

[Margin:] الخنق[2] بكسر النون قال العلامة ولا يقال بالسكون وهو مصدر خنقه اذا عصر حلقه

[Margin:] اوابد الوحش نفرها ابدت تابد وتابد ابودا

[Margin:] [3] اي سله بكسر الميم من الوصل

[Margin:] ان سفينة اشاط دم جزور بجدل فاكله اي سفله واراد بالجدل عودا اخذه الذبح

عز وجل ما ذبح على النصب اي النصب قيل كانوا يذبحون للاوثان والاصنام التي يعبدونها يتقربون بذلك
اليها كما كان اهل الاسلام يتقربون بالذبائح يذبحونها الى الله فحرم الله عز وجل وما كانوا يذبحون للنصب
وما اهل لغير الله به لما ذكرنا ان الامر به خرج مخرج قبول النعمة والشكر له فيما انعم من عظيم النعم فاذا اهلوا
لغير وجه الله لم يقبلوا نعمه ووجهوا الشكر الى غيره فحرم لذلك والله اعلم وقوله عز وجل وان تستقسموا
بالازلام قيل سهام العرب وكعاب فارس التي يتقامرون بها وقيل الازلام هي القداح كانوا يستقسمون بها
الامور وكان الرجل اذا اراد سفرا اخذ قدحا فقال هذا يامره بالخروج فهو مصيب في سفره خيرا وياخذ
قدحا اخر فيقول هذا يامره بالمكث فان هو خرج فليس بمصيب خيرا في سفره والمنيح بينهما فنهى الله عز وجل
وانبأ ان ذلك فسق بقوله ذلكم فسق وعن الحسن قال كانوا يعمدون الى قداح فيكتبون على احدهما امرني
وعلى الاخر نهاني ثم يجيلونها اذا ارادوا الامر فان خرج عليه امرني مضى في وجهه وان خرج
الذي عليه نهاني لم يخرج قال ابو بكر الكيساني ان في النهي عن العمل بالازلام دليل النهي عن العمل
بالنجوم فاذا نهي عن العمل بقول المقتسمين وينهى ايضا عن العمل بقول المنجمة لانهم يقولون
ما يقولون ولئك ويعملون به لكن المنجمة ليسوا يقولون ان نجم كذا يامركم كذا ونجم كذا ينهى عن كذا على ما كان
يفعل اولئك ويجوز ان يكون الله عز وجل جعل في النجوم اعلاما ومعاني يدركون بها ويستخرجون اشياء
يحتمل ذلك ويكون علما يستخرج اهل الاجتهاد بالاجتهاد اشياء من معنى النصوص فعلى ذلك المنجمة
يجوز ان يستخرجوا اشياء من النجوم بدلائل مما تكون في النجوم ولا عيب عليهم في ذلك ولا لائمة
انما اللائمة عليهم فيما يحكمون على الله ويشهدون عليه قال العتبي الازلام الاقداح واحدها
زلم وزلم والاستقسام بها ان يضرب فاخذ الاستقسام من القسم وهو النصيب كانه طلب النصيب قال ابو عوسجة
استقسمت اي ضربت بالقداح قال كانه من القسم وقال ابو عبيد انما سمي استقساما لانهم كانوا يطلبون
قسم الرزق وطلب الحوائج بها فكانوا يسالونها ان يقسم لهم والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم فسق
يحتمل قوله فسق اي العمل بالازلام والشهادة على الله انه امر بذلك فسق وعلى هذا من يستحسن العمل
بالقرعة لانه يقول يقرع فمن خرجت قرعته يحكم له فانما يحكم له بامر القرعة تامره بالحكم بهذا وتنهاه
عن الحكم بهذا بهذا فهو بالازلام والقداح التي نهى الله عن العمل بذلك اشبه وبها امثل من غيره ويحتمل
قوله تعالى ذلكم فسق اي التناول مما ذكر من المحرمات من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
وما ذبح على النصب وما ذكر اول السورة من الاصطياد في الاحرام والتناول منه ذلك كله فسق
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقوله عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم انهم كانوا يطمعون
دخول اهل الاسلام في دينهم وعودهم اليهم فايأسهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك فقال اليوم يئس الذين
كفروا من ترككم دين الاسلام فلا تخشوهم واخشون امنهم عن ذلك وقوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي الاية قال ابو عبيد كان دينهم الى ذلك اليوم ناقصا فحينئذ كمل دينهم فعلى زعمه ان النبي صلى الله
عليه وسلم يدعو الخلق الى دين ناقص ومن مات من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين
والانصار رضوان الله عليهم اجمعين ماتوا على دين ناقص ويحشرون يوم القيمة على دين ناقص واي قول
اوحش من هذا واسمج وقال اخر من اصحابه كان الدين كاملا الى ذلك الوقت فلما بعث الله بالفرائض
وافترض عليهم صار الدين ناقصا الى ان يؤدوا الفرائض وما افترض عليهم فعند ذلك يكمل فهذا القول
ايضا في الوحشة والسماجة والقبح مثل الاول ويقال لابي عبيد قل ايضا بانه لم يكن رضي لهم بالاسلام
دينا قبل ذلك فعند ذلك رضي والاصل في تاويل الاية وجوه احدها اليوم اكملت لكم دينكم اي برسول
وبعثه اكملت لكم دينكم وبه اتممت عليكم نعمتي ويحتمل قوله اليوم اكملت لكم دينكم اي اليوم اظهرت لكم دينكم

[Margin:] ليس بمصيب في سفره والمنيح من السهام ما بين الخير والشر صح

[Margin:] فكان النهي عن العمل بقول المقتسمين نهيا عن العمل بقول المنجمة والله اعلم شرح

[Margin:] اصحاب الحديث

ولم يكن قبل ذلك ظاهرا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقال
الا يحجن بعد العام مشرك وذلك لظهوره ولغلبة اهل الاسلام عليهم وان لم يكن هذا قبل ذلك ويحتمل قوله
اليوم اكملت لكم دينكم لما امنهم من العدو والعود الى دين اولئك عن رجوعهم الى دين الكفر واى نعمة اتم واكمل
من الامن من العدو ويقول الرجل اليوم تم ملكي وكمل اذا هلك عدوه لامنه من عدوه وان كان لم يوصف
ملكه قبل ذلك بالنقصان فعلى ذلك هذا والله اعلم وقيل اليوم اكملت لكم دينكم اى اتمام دينكم بما امروا باموره
وشرايع لم يكونوا امروا بها قبل ذلك وهذا جايز وقوله عز وجل ورضيت لكم الاسلام دينا اى اكرمتكم
بالدين المرضي وهو الاسلام كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقوله عز وجل
فمن اضطر في مخمصة قيل المخمصة المجاعة وقال ابو عوسجة رجل خميص اى جايع وقال غيره هو من ضيق
البطن وهو واحد لانه من الجوع ما يضيق البطن وقوله عز وجل غير متجانف لاثم قال بعضهم غير متجانف
لاثم اى غير متعمد لاثم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال الكيساني غير متجانف غير متمايل
والجنف الميل وكذلك قال العتبي قال ابو عوسجة ايضا الجنف الميل ثم قوله غير متجانف لاثم يحتمل وجهين
قيل غير مستحل اكل الميتة في حال الاضطرار وحرم عليه التناول من الصيد وغيره وقيل غير متلذذ
ولا متشهي يتناول عن التكره منه لا على التلذذ والشهوة وقيل ايضا انه لا يتناول الا في حال الاضطرار
وكقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد وقوله عز وجل غير باغ ولا عاد تفسير قوله اضطر فعلى ذلك
هذا والله اعلم وقوله عز وجل فان الله غفور رحيم اى من رحمته ان جعل لكم التناول من المحرم
ورخص لكم اذ له ان يترككم تموتون جوعا كقوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الاية وقوله
عز وجل يسألونك ماذا احل لهم ليس في السؤال بيان مم كان سؤالهم ولكن في الجواب بيان المراد
من سؤالهم فقال قل احل لكم الطيبات دل قوله تعالى احل لكم الطيبات ان سؤالهم كان عن الطيبات
وما يصطاد بالجوارح ثم اختلف في قوله تعالى احل لكم الطيبات قال بعضهم الطيبات هي المحللات لكنه بعيد
لانه تعالى قال احل لكم المحللات على هذا التاويل لكنه يحتمل وجهين غير هذا احدهما ان احل لكم
باسباب تطيب به انفسكم من نحو الذبح والطبخ والخبز وغيره لم يحل لكم ما يكره به انفسكم التناول منه
غير مطبوخ ولا مذبوح ولا مشوي ولكن احل لكم باسباب طابت به انفسكم التناول منه والله اعلم ويحتمل
وجها آخر وهو ان احل لكم ما تطيب به طباعكم لا مما تكره طباعكم وينفر عنه والله اعلم وقوله عز وجل
وما علمتم من الجوارح كانهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل من الجوارح فذكر ذلك لهم
معما ذكر في بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل الكلاب فاتاه اناس فقالوا ما ذا يحل لنا
من هذه الامة التي امرت بقتلها فنزل قوله تعالى يسألونك ماذا احل لهم الاية وقيل سمي جوارحا
لما يكتسب بها والجوارح من الكواسب قال الله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات اى اكتسبوا
وجرح كسب وقال ابو عبيد سميت جوارح لانها صوايد وهو ما ذكرنا من الكسب يقال فلان جارح اهله
اى كاسبهم وقال غيره سميت جوارح لانها تجرح وهو من الجراحة فاذا لم يجرح لم يحل صيده واحتج
محمد رحمه الله بهذا المعنى في صيد الكلب اذا قتل ولم يجرح في مسيلة من كتاب الزيادات ومما يدل
على صحة ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عدي بن حاتم رضي الله عنه قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعراض فقال ما اصبت بعرضه فلا تاكل فهو وقيذ وما اصبت بحده
فكل وقوله عز وجل مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله الاية قال بعضهم مكلبين هي الكلاب يكالبن الصيد
وقال العتبي المكلبين اصحاب الكلاب وكذلك قال الفراء والكيساني المكلبون هم اصحاب الكلاب والمكلب
المكلب المعلم وقوله عز وجل تعلمونهن قال الحسن وابو بكر تضرونهن يقال الكلب مضراة على طلب الصيد وهما

يبيحان

يبيحان الصيد وان اكل منه الكلب فعلى قولهما يصح تاويل الاضراء اذ يبيحان التناول وان اكل منه وقال
تؤدبونهن ليمسكوا الصيد لكم وهو عندنا على حقيقة التعليم يعلم ليمسكوا الصيد لهم وقوله عز وجل مما علمكم الله
يتوجه وجهين احدهما مما علمكم الله اى مما جعل فيكم بحيث احتمال تعليم هؤلاء ولم يجعل غيركم من الخلايق محتملا
لذلك ولا اهلا ويحتمل قوله تعالى مما علمكم الله ان قال لكم علموهن بكذا وافعلوا كذا فكيف ما كان ففيه دليل جعل
العلم شرطا فيه ثم تخصيص الكلاب بالذكر دون غيرها من الاشياء وان كانت وغيرها سواء اذا علمت يحتمل
الكلاب ومخالطتها الناس حتى جاء النهي عن اقتنائها وجاء الامر بقتلها في وقت لم يجئ بمثله في ساير السباع
ليعلم ان ما كسب هؤلاء مع خبثها اذا كن معلمين يحتمل التناول منه فغيرها مما لم يجئ فيه ذلك احرى
وقوله عز وجل فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه انما اباح اكل ما امسك علينا ولم يبح مما امسك
على نفسه لان الكلب وغيره من السباع من طباعهم اذا اخذوا الصيد ياخذون لانفسهم ولا يصبرون
على ان لا يتناولون منه فاذا اخذوا الصيد ولم يتناول عنه دل انه انما امسك لصاحبه واذا تناول منه
لم يمسك لصاحبه لان الباقي لا يدري انه امسكه لصاحبه او لوقت آخر لما شبع وعلى ذلك جاءت الآثار
روي عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله انا قوم نتصيد بهذه الكلاب والبزاة فهل يحل لنا منها
فقال يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم مما علمتم من كلب او باز
فذكرت اسم الله عليه قلت وان قتل قال وان قتله ولم ياكله فانما امسك عليك وان اكل فلا تاكل فانما
امسك على نفسه فقلت يا رسول الله ارايت ان خالطت كلابنا كلاب اخرى قال اذا خالط كلبك كلاب
فلا تاكل فانك انما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على كلب غيرك عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال اذا اكل الكلب من الصيد فليس بمعلم وعنه ايضا قال اذا اكل الكلب من الصيد فليس بمعلم وعنه ايضا
قال اذا اكل الكلب من الصيد فلا تاكل واذا اكل الصقر فكل لان الكلب تستطيع ان تضربه والصقر لا
وعن علي رضي الله عنه قال اذا اكل الكلب فلا تاكل واضربه وقد ذكرنا من الاخبار مما يدل على ان الكلب
اذا كان غير معلم لا يؤكل صيده من خبر عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله انا قوم نصيد بهذه
الكلاب فقال اذا ارسلت كلابك المعلم وذكرت اسم الله عليها فكل مما امسكن عليك وان قتلن الا ان ياكل
الكلب فان اكل فلا تاكل وعلى هذا الخبر قولنا انه اذا اكل من دمه يؤكل لانه لو امسكه علينا كنا لا ناكله وذلك
من غاية تعليمه لانه تناول الخبيث وامسك الطيبة على صاحبه ولو كان صيد الكلب اذا اكل منه حلالا
لكان المعلم وغير المعلم سواء وكان ما امسك على نفسه وعلى صاحبه سواء لان كل الكلاب تطلب
الصيد اذا ارسلت عليه وتمسكه حتى يموت وياكل منه الا المعلم فما معنى تخصيص الله تعالى المعلم منها
والممسك على صاحبه لو كان الامر على ما قال مخالفنا وقد روي عن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه قال
ان علم الكلب حتى صار لا ياكل من صيد ثم اكل من صيد يصيده لم يجز ان يؤكل من صيده الاول اذا كان
باقيا ومذهبه عندنا والله اعلم ان صيد الكلب لا يؤكل حتى يكون معلما وان امسك في اول
ما يرسل فلم يؤكل فاذا امسك مرارا ثم اكل ولنا اكله على ان امساكه عن الاكل لم يكن لانه معلوم اذ قد يمسك
غير المعلم للشبع ولو كان معلما ما اكله فاستدل باكله في الرابعة على ان امساكه في الثالثة كان
على غير حقيقة تعليم وهذا عندنا في صيد يقرب بعضه من بعض فاما اذا كثر امساكه ثم ترك
ارساله مدة يجوز ان ينسى فيها ما علم ثم ارسل فاكل فليس فيها رواية عنه ويجوز ان يقال يؤكل
ما بقي من صيده الاول ويفرق بين المسئلتين بان الثاني قد ينسى الاول لبعد من النسيان لتقارب
ما بين الصيدين فلا وجه الا ان يجعل غير مستحكم التعليم في صيده المتقدم وقد ذكرنا فيما تقدم
ان الصقر والبازي من الجوارح واستدللنا على ذلك بما اوضحناه فدل ذلك على ان صيدها ليس بمعلم

من الطير لا يوكل الا ان يدرك ذكاته ثم يكون تعليم البازي والصقر باجابته صاحبه ورجوعه اليه
وتعليم الكلاب بترك الاكل منه لان البازي ونحوه مستوحش عن الناس ينفر طبعه عنهم فدل الفه للناس
واجابته اصحابهم على التعلم وان اكل منه ولا يحتمل ان يكون بالمنا ولك منه يخرج على حد التعليم لانه انما يعلم
بالاكل من الصيد واما الكلب فانه يالف الناس ولا يستوحش ومن طبعه الاكل اذا اخذ الصيد فدل امساكه
عن التناول منه على انه معلم وقد روي عن علي رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه ما يدل على تاييد
ما ذكرنا قالا اذا اكل الصقر فكل وان اكل الكلب فلا تاكل وعن سلمان كذلك وقوله عز وجل واتقوا الله
ان الله سريع الحساب يحتمل قوله اتقوا الله فلا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه فانها ميتة ويحتمل
اتقوا الله في ترك ما امر ونهى كله ان الله سريع الحساب يحتمل السرعة كناية عن الشدة سريع الحساب
شديد العقاب وقوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات يحتمل قوله اليوم حرف افتتاح يفتتح به
الكلام لا اشارة الى وقت مخصوص على ما ذكرنا في قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وقد يتكلم باليوم
لا على اشارة وقت مشار اليه وهو والله اعلم ما حرم عليهم من الثمانية الازواج التي ذكر الله تعالى
في سورة الانعام وهو قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين الى آخر ما ذكر ثم قال وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاية وما حرموه على انفسهم من البحيرة والسائبة
والوصيلة والحام وغيرها من المحرمات التي كانت فاحل الله ذلك لهم فقال اليوم احل لكم الطيبات
وكانت محرمة عليهم قبل ذلك لكن اهل التاويل صرفوا الاية الى الذبايح لم يصرفوا الى ما ذكرنا وقد ذكرنا
المعنى الذي به صارت الذبايح طيبات فيما تقدم وقوله عز وجل وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
وطعامكم حل لهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اعني ذبايحهم
حل لكم وذبايحكم حل لهم الى هذا حمل اهل التاويل فان قيل اليس جعل ذبايحنا
محللة لنا ثم يحل ذبايحنا لهم ولغيرهم كيف لا احل ذبايحهم وذبايح غيرهم وهو ذبايح المجوس قيل حل
الذبايح شرعي وليس للمجوس كتاب امنوا به فيحل ذبايحهم واما اهل الكتاب فانهم امنوا بما في الكتاب حله
وحرمته لذلك ما افترقا والله اعلم والاية على قول اصحاب العموم يوجب حل جميع طعام اهل الكتاب لنا
وحل جميع طعامنا لهم لانه قال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم فعلى قولهم لكل
واحد من الفريقين ان يتناول طعام الفريق الاخر لان مخرج عموم اللفظ لا يوجب الحكم عاما
للفظ والله اعلم وقوله عز وجل والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اختلف
فيه قال بعضهم المحصنات اراد به الحراير وقال الاخرون اراد به العفايف منهن غير زانيات كقوله تعالى
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة نهى عن نكاح الزانيات ورغب في نكاح العفايف وهذا اشبه من الاول
لانه قال في اخر الاية محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان دل هذا على انه اراد بالمحصنات العفايف
منهم لا الحراير ودلت الاية على حل نكاح الحراير من الكتابيات وعلى ذلك اتفاق اهل العلم لكن يكره ذلك
روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه كره تزوجهن فهذا عندنا على غير تحريم منه لتزويجهن ولكن راى تزويج
المسلمات افضل واحسن لمشاركتها المسلم في دينها وروي عن عمر رضي الله عنه كراهة ذلك وذلك ان حذيفة
رضي الله عنه تزوج يهودية فكتب اليه عمر رضي الله عنه يامره بطلاقها ويتقي بذلك فتنة للمسلمات
فهذا ايضا لا على سبيل التحريم ولكن لما ذكر من الفتنة فتنة المسلمات فاصحابنا رحمهم الله يكرهون ايضا تزويج
الكتابيات ولا يحرمونه واختلف اهل العلم في تزويج امايهن فتاول قوم قول الله تعالى والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب على الحراير وتاوله اخرون على العفايف وقد ذكرنا ان صرف التاويل الى العفايف
اشبه بدلالة قوله محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان معناه لو كانت المحصنات ههنا هن الحراير

وعلى هذا التاويل تكون الاية
حجة على اباحة نكاح الامة
الكتابية لان العفيفة
يتناول الحرة
والامة شرح

لم يكن فيه خطر نكاح اماء الكتابيات لانه اباحة نكاح الحراير من الكتابيات ليس في اباحة شيء في حال الحظر غيره
فيه قد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم فالمجوسية ليست عندنا من اهل الكتاب والدليل على ذلك قول الله تعالى
وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا
فاخبر الله تعالى ان اهل الكتاب طايفتين فلا يجوز ان يجعلوا ثلاث طوايف وذلك خلاف ما دل عليه القرآن
الا ترى ان رجلا لو قال انما لي عليك يا فلان درهمان لم يكن له ان يدعي عليه اكثر من ذلك ولو قال انما لقيت
اليوم رجلين ولقد لقي ثلاثة كان كاذبا لان قوله انما لقيت اليوم رجلين كقوله لقيت اليوم رجلين
ولا يجوز مثل هذا في اخبار الله لانه الصادق في خبره عز وجل فان قيل هذا شيء حكاه الله عز وجل
عن المشركين وقد يجوز ان يكونوا غلطوا فحكى الله تعالى عنهم ما قالوا قيل له لم يحك الله تعالى هذا القول
عن المشركين ولكن قطع بالقرآن عذرهم فقال انزل الكتاب لئلا يقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين
من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين فهذا كلام الله واحتجاجه على المشركين وليس بحكاية عنهم
ومن الدليل على ان المجوس ليس من اهل الكتاب ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في مجلس بين
القبر والمنبر ما ادري كيف اصنع بالمجوس وليسوا اهل الكتاب فقال عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب صرح عمر رضي الله عنه بانهم ليسوا اهل الكتاب
ولم ينكر عبد الرحمن ذلك عليه ولا احد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فلو كانوا اهل الكتاب لقالوا
هم اهل الكتاب ولم يقل سنوا بهم سنة اهل الكتاب وكذلك روي عن الحسن بن محمد انه قال
كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مجوس هجر فقال ادعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله
فان اسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ومن ابى فعليه الجزية غير اكلي ذبايحهم ولا ناكحي نسايهم الى هذا
ذهب اصحابنا رحمهم الله في قولهم ان المجوس ليسوا باهل كتاب واما نصارى بني تغلب فان عليا رضي الله عنه
قال لا يحل ذبايح نصارى العرب فانهم ليسوا باهل كتاب وقرا ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني
وقال ابن عباس رضي الله عنه يوكل وقرا ومن يتولهم فانه منهم والاية الاولى تدل على انهم اهل كتاب
لان الله عز وجل قد جعلهم منهم بقوله ومنهم اميون فحكمهم حكمهم اذ اخبر الله عز وجل انهم منهم
ومما يدل على ذلك ايضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا يتخلجن[2] في صدرك طعام ضارعت
فيه النصرانية لانه عم فيه النصارى فدخل فيه عربهم وعجمهم لانهم دانوا بدينهم وكل من دان بدين قوم
فهو منهم ومن الدليل على ان العرب اذا دانوا بدين اهل الكتاب فهم من اهل الكتاب ان العجم لما اسلموا صار
حكمهم حكم عرب اهل الاسلام فان ارتد احد منهم وسال ان يوخذ منهم الجزية كما توخذ في الابتداء
من المجوس لم يجب الى ذلك وقيل له اما ان تسلم واما ان تقتل فهو بمنزلة عربي مسلم لو ارتد عن الاسلام
فلما كان حكم العجمي اذا دان بدين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكم العرب وجب ان يكون حكم العربي اذا دان
بدين العجم من اهل الكتاب ان يجعل حكمه حكمهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن ذكر ايتاء اجورهن وقد يحللن لنا اذا لم يوت اجورهن دل ان ذكر
الحكم في حال لا يوجب خطره في حال اخرى فهو دليل لنا في جواز نكاح الاماء من اهل الكتاب وان ذكر في الاية
المحصنات وقوله عز وجل ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الاية اي ومن يكفر بالذي عليه الايمان به وهو المومن
الله لانه لا يكفر بالايمان ولكن يومن به وهو كقوله حتى ياتيك اليقين اي الموقن به فعلى ذلك الاول
معناه من يكفر بالذي عليه الايمان به وهو المومن به فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وبالله
العصمة والهداية وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق لو حملنا الاية على ظاهرها لكان لا سبيل لاحد القيام باداء ما فرض الله عليه من الصلوة

[2] في حديث عدي بن حاتم لا يتخلجن
في صدرك طعام ضارعت فيه
النصرانية اي لا يضطربن ضارعت
اي خالطت وشاركت في الاكل
والمعنى انه نظيف لا ريب فيه
اي لا يدخل قلبك منه شيء يعني
انه نظيف وروي بالحاء ومعناه
لا يتحركن الشك في قلبك يقال
دع ما يتخلج الى صدرك بالحاء
والخاء اي ما شككت باع للعامه
اي شابهتم فانك اذا اكلت
طعامهم فقد شابهتهم فلا يقعن
في قلبك ريبة

لانه كلما قام الى الصلوة يلزمه الوضوء فلا يزال يبقى فيه لكنا على الاضمار لانه قال تعالى اذا قمتم الى الصلوة
وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق والا ظاهر الاية يوجب ما ذكرنا لكن الحدث مضمر فيه
ومن الناس من يوجب الوضوء لكل صلوة بظاهر هذه الاية وقد جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
الفضل بذلك روى عن ابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم انهم توضؤا لكل صلوة وروى عن النبى صلى الله
عليه وسلم نحو ذلك وروى ان على بن ابى طالب رضى الله عنه صلى الظهر ثم قعد فى الرحبة فلما حضرت
العصر دعا بكوز من ماء فغسل يديه ووجهه وذراعيه ورجليه وشرب فضله وقال هكذا رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل وقال هذا وضوء من لم يحدث وروى عن عبيد بن عمير
انه كان يتوضأ لكل صلوة وتاول هذه الاية وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يتوضأ
لكل صلوة فلما كان يوم فتح مكة صلى الصلوات كلها بوضوء واحد فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله
انك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال انى عمدا فعلته يا عمر وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتى لامرت فى كل صلوة الوضوء ومع كل وضوء
السواك وكلما روى من الاخبار بالوضوء لكل صلوة هو على الفضل عندنا والاستحباب لا على الحتم
الا ترى انه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات كلها بوضوء واحد وقال انى فعلت عمدا
دل ذلك ما ذكرنا وقد يحتمل تاويل الاية معنى آخر ما روى عن بعض الصحابة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا اراق بماء نكلمه فلا يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى ياتى اهله فيتوضأ
وضوءه للصلوة فقلنا له فى ذلك حتى نزلت آية الرخصة قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم
الى الصلوة فهذا يدل ان معنى الاية على الاضمار اذا قمتم الى الصلوة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم
وايديكم وروى فيه تاويل الاية اذا قمتم من المضجع الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقد رويت
الاخبار عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الصحابة رضوان الله عليهم بايجاب الوضوء
من النوم فكان ذلك شاهدا لهذا التاويل روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه كان ينام ثم يصلى الصبح ولا يتوضأ فسئل عن ذلك فقال انى لست كاحد منكم
انه ينام عيناى ولا ينام قلبى ولو احدثت لعلمت وروى عن صفوان بن عسال قال اذا كنا
مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر يامرنا ان لا ننزع خفافنا اذا ادخلناهما طاهرتين ولا نخلعهما
من غايط ولا بول ولا نوم الا من جنابة فهذه الاحاديث توجب الوضوء من النوم مجملا وجاء حديث آخر
مفسرا بايجاب الوضوء الا نام مضطجعا روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام
قاعدا وضوء حتى يضطجع استرخت مفاصله فهذا يفسر الاخبار التى جاءت مجملة وقد جاءت الاخبار
انه اذا نام فى الصلوة قائما او قاعدا او ساجدا فلا وضوء عليه فيدل ذلك على ان النوم فى الصلوة
ليس بحدث وروى عن ابن عمر رضى الله عنه قال لا يجب الوضوء حتى يضع الجنب وينام فهذا
يؤيد ما قلنا معنا اجمع اهل العلم فى ان الوضوء ليس بواجب على من قام الى الصلوة وهو غير محدث
فكان التاويل ما ذكرنا **وقوله** عز وجل فاغسلوا وجوهكم الخطاب من الله عز وجل بغسل الوجه
ما يعرف اهله الوجه فالتكلم فيه والتحديد انه من كذا الى كذا فضل تكلم والامر بالغسل يرجع الى ما ظهر
وعرف اهله انه وجه وكذلك الامر بمسح الراس يرجع الى ما عرف اهله انه راس وليس كالاذنين
لان معرفة الاذنين انهما من الراس سمعى لانهما لا يعرفان انهما من الراس الا بالسمع وكذلك الامر بغسل
اليد وغسل الرجل يقع على ما يعرف الناس وعرف الناس اليد الى الابط والرجل الى الركبة فخرج
ذكر المرافق فى غسل الايدى على اخراج ما وراء المرافق وكذلك ذكر الكعب فى الرجل لاخراج ما وراء الكعب

لان اسم اليد

لان اسم اليد على الاطلاق يقع من اطراف الاصابع الى الابط **وقوله** عز وجل وارجلكم الى الكعبين قرئ بالنصب
وقرائه بالخفض قال بعضهم من قراء بالنصب فهو يرجع الى الغسل نسقا على الوجه وبالخفض يرجع الى المسح مسح الخفاف
نسقا على مسح الراس لكن هذا بعيد لانه تناقض لا يجوز ان يامر بالغسل والمسح جميعا ومعنى الخفض لقرب جواره
بقوله تعالى وامسحوا برؤسكم وقد يجوز ذلك نحو قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون
فمن قراء بالخفض انما قال لقرب الجوار بالخفض فعلى ذلك لاول ثم الحكمة فى الامر بغسل هذه الاعضاء ليذكرهم تطهير
باطنهم والمعنى فى غسل هذه الاعضاء الظاهرة والله اعلم لمعنيين احدهما شكر الماء بهما يتناول ويقبض واما
الرجل لما بها يمشى وبها يصل اليه والوجه يجمع الحواس التى بها يعرف عظيم نعم الله عز وجل من نحو البصر
والفم وغيرها من الحواس التى بها يكون التلذذ والتشهى وامر بذلك تكفير الما ارتكب بهذه الجوارح
من الاجرام لانه بها يرتكب جل الاثام وبها يوصل اليها من المشى والقبض وغير ذلك **وقوله** عز وجل وان كنتم
جنبا فاطهروا قيل اغتسلوا باخذ الجنابة الظواهر من البدن وبواطنه والحدث لا ياخذ الا الظواهر
من الاطراف لان السبب الذى يوجب الجنابة لا يكون الا باستعمال جميع ما فيه من القوة الا ترى انه به
يضعف اذا اكثره ويتركه يقوى فعلى ذلك اخذ جميع البدن ظاهره وباطنه واما الحدث فان سببه
يكون بظواهر هذه الاطراف من نحو الاكل والشرب والحدث ليس باستعمال كل البدن والله اعلم **وقوله**
عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء الاية ذكر المرض
والسفر والمجئ من الغائط والملامسة ثم الحكم لم يتعلق باسم المرض ولا باسم السفر ولكن باسم
الغائط ولكن كان متعلقا لمعنى فيه ففيه دلالة جواز القياس لانه ذكر الغائط والمجئ منه والغائط
هو المكان الذى تقضى فيه الحاجات والمراد منه المعنى وهو قضاء الحاجات فهذا اصل لنا ان النص
اذا ورد لمعنى فوجد ذلك المعنى فى غيره وجب ذلك الحكم فى ذلك الغير فاذا عدم الماء فى المكان الذى
يعدم وان لم يكن سفرا يجوز التيمم فيه وكذلك اذا خاف الضرر من الماء جاز له التيمم وان لم يكن مريضا
لانه ليس اباح ذلك للمريض باسم المرض ولا باسم السفر ولكن لمعنى فيه **وقوله** عز وجل او لامستم
النساء قد ذكرنا فيما تقدم ان الملامسة هو الجماع كذلك روى عن على وابن عباس رضى الله عنهما
وقال ابن عباس رضى الله عنه الملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والغشيان كله جماع ولكن الله
كريم يكنى **وقوله** عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا جعل الطهارة بالماء والتراب لانه بهما معاش الخلق
وبهما قوام الابدان حتى جعل جميع اغذية الخلق وجل مصالحهم منهما فعلى ذلك جعل قيام هذه العبادات
بهما والله اعلم ثم الحكمة فى وجوب الطهارة وجهان احدهما ما ذكرنا ان يذكرهم طهارة الباطن والثانى
تكفيرا لما ارتكبوا بهذه الجوارح من الاجرام او شكرا لما انعم عليهم من المنافع التى جعل لهم فيها من القبض
والبسط والتناول والاخذ والمشى وغير ذلك مما يكثر ثم الحكمة فى جعل الطهارة فى اطراف البدن
للتزين والتنظيف لانه يتقدم على الملك الجبار ويقوم بين يديه ويناجيه ومن اتى ملكا من ملوك
الارض يتكلف التنظيف والتزيين ثم يدخل عليه فعلى ذلك هذا والله اعلم **وقوله** عز وجل
وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
قال عبد الله بن مسعود وعمر رضى الله عنهما الملامسة ما دون الجماع وقالا ان الجنب لا يتيمم
وان لم يجد الماء شهرا وانما قالا انه لا يتيمم لما قالا ان اللمس ما دون الجماع فلم يدخل الجنب فى هذه
الاية واوجبا عليه الغسل بقوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا وجعلا قول الله تعالى ولا جنبا الا عابرى
سبيل حتى تغتسلوا على مرور الجنب فى المسجد ولم يجعله على انه يصلى اذا كان مسافرا ولم يجد الماء
بالتيمم فهذا الذى منع عبد الله ان يطلق للجنب ان يصلى بالتيمم على حال فاما على وابن عباس رضى الله عنهما

حمزة والكسائى والمفضل فى عصمة
عن عاصم بالخفض
فيهما

فانهما جعلا اللمس الذى ذكره الله تعالى فى هذه الآية جماعا وقالا كنى الله تعالى عن الجماع بالمسيس
والغشيان والمباشرة وجعل قول الله تعالى الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا فى المسافر الذى لم يجد
الماء وهو جنب وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذن للجنب من الجماع ان يتيمموا
اذا لم يجد الماء فكان ذلك حجة على من منع الجنب من التيمم ثم قول الشافعى قول ثالث خارج عن قول الصحابة
والسلف رضوان الله عليهم اجمعين لانه يزعم ان اللمس هو الجماع وما دونه فذلك ابتداع فى الآية قولا وتغيرا
خالف فيه ما روى فى تفسيرها عن الصحابة رضى الله عنهم جملة والسلف لذلك كان مخطئا واصله
ان الله تعالى ذكر الوضوء وامر به فى الآية وهو قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الآية ولم يذكر الحدث وامر بالاغتسال من الجنابة وهو قوله وان كنتم جنبا فاطهروا ولم يذكر
من اى جنابة ثم ذكر الحدث فى قوله او جاء احد منكم من الغائط تعلق ذلك قوله تعالى او لامستم النساء
كان بيانا لما تقدم من الامر بالاغتسال والجنابة والله اعلم **وقوله** عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا
قيل اقصدوا صعيدا والصعيد هو وجه الارض **وقوله** عز وجل طيبا قال بعضهم الطيب ما ينبت
من الزرع وغيره وقال الآخرون الطيب هاهنا هو الطاهر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ايما ادركتنى الصلوة تيممت وصليت لغبار الارض جعل له
مسجدا وطهورا فكان قوله طهورا تفسيرا لقوله طيبا والله اعلم **وقوله** عز وجل فامسحوا بوجوهكم
وايديكم قد ذكرنا فيما تقدم ان التيمم ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين
وقوله عز وجل ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج يحتمل هذا وجهين يحتمل ما يريد ان يضيق عليكم
ليأمركم بحمل الماء الى حيث ما كنتم فى الاسفار وغيره ولكن جعل لكم التيمم ورخص لكم ان تؤدوا
ما فرض عليكم به ولم يكلفكم حمل الماء فى الاسفار وغيره والله اعلم ووجه آخر ما اراد الله
بما تعبدكم من انواع العبادات ان يجعل عليكم من حرج ولكن اراد ما ذكر **وقوله** عز وجل ولكن يريد
ليطهركم يحتمل يريد ليطهركم به بالتوحيد والايمان به وبالرسل جميعا ويحتمل قوله يريد ليطهركم
من الذنوب والآثام التى ارتكبوها كقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ويحتمل التطهير من الاحداث
والجنابات كما قال اهل التأويل **وقوله** عز وجل وليتم نعمته عليكم تمام ما ذكرنا من التوحيد والايمان
والهداية لدينه والتكفير ما ارتكبوا ويجوز ان يكون هذا فى قوم علم الله انهم يموتون على الايمان
حيث اخبر انه يتم نعمته عليهم **وقوله** عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم امر والله اعلم بشكر ما انعم عليهم
من انواع النعم وميثاقه الذى واثقكم به يحتمل الميثاق ميثاق الخلقة وشهادتها اذ خلقة كل احد
تشهد على وحدانيته وربوبيته ويحتمل الميثاق الذى ذكر ميثاق قول قالوه وقبلوا ما دعوا اليه
وقوله عز وجل اذ قلتم سمعنا واطعنا قال بعضهم اجبنا دعوتك واطعنا امرك وقال آخرون سمعنا
قولك واطعنا امرك **وقوله** عز وجل واتقوا الله فى ترك ما امركم به وارتكاب ما نهاكم ان الله عليم
بذات الصدور هو على الوعيد **وقوله** عز وجل يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الآية
يحتمل ان يكون الآية فى الشهادة نفسها كانه قال ان قوموا شهداء لله واجعلوا الشهادة له فاذا فعلوا
هكذا لا يمنعهم بغض احد وعداوته ولا رضاء احد وولايته القيام بها ندبهم الله ان يعدلوا فى الشهادة لله
والحكم له يحكم للعدو كما يحكم للولى ويقوم فى الشهادة للعدو كما يقوم للولى والله اعلم ويحتمل
ان يكون فى بيان الحق والحجج وتعليم الاحكام والشرايع كانه يقول والله اعلم قوموا فى بيان الحجج والحق
وتعليم الاحكام لله لا يمنعكم بغض قوم ولا رضاهم على ان لا تبينوا الحق لهم ولا تعلموا الحجج والاحكام لهم
وعن ابن عباس رضى الله قال ولا يجرمنكم اى لا يحملنكم شنآن قوم اى بغض قوم على ان لا تعدلوا

يهم فانما العدل لله فى الرضاء والسخط اعدلوا يقول قولوا العدل بالحق فانه اقرب للتقوى **وقوله**
عز وجل اعدلوا هو اقرب للتقوى اى اعدلوا هو التقوى كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين
لان العدل ليس الا التقوى واتقوا الله فى ترك ما امركم به وارتكاب ما نهاكم عنه ان الله خبير بما تعملون
وتضمرون من العدل والجور خرج على الوعيد **وقوله** عز وجل الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال بعضهم
هذه الآية هى صلة ما تقدم فى قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
الى آخر ما ذكر فاذا فعلوا وقاموا فى الشهادة والعدل فى الحكم كان لهم ما ذكر من الوعد والله اعلم ولكن
يحتمل هى على الابتداء والله اعلم كانه قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وعدا ثم بين ما فى ذلك
الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم يستر على ذنوبهم ويتجاوز عنها واجر عظيم الجنة قال ابن عباس
رضى الله عنه لهم مغفرة فى الدنيا الذنوبهم واجر عظيم فى الآخرة الجنة وهو ما ذكرنا والله صلى الله
عليه وسلم والقرآن اولئك اصحاب الجحيم وقيل كفروا بتوحيد الله وكذبوا بآياتنا بالقرآن بانه من الله تعالى
وهما واحد وهذا يدل ان الآية على الابتداء خرج ليس على الصلة على ما قالوا **وقوله** عز وجل يا ايها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم يحتمل ان يكون
هذه المنة التى ذكر الله تعالى فى هذه الآية من كف ايدى الاعداء عنهم بعد ما بسطوا اليهم ايديهم
فى جملة المؤمنين لان المؤمنين كانوا فى ابتداء الامر مختفين ما بين الكفرة لا يقدرون على اظهار
الاسلام واعلانه وقد هموا قتل المؤمنين غير مرة وفيما كف ايديهم عنهم منة عظيمة علينا وعليهم
وعلى جميع المسلمين ويحتمل ان يكون فى قوم خاص فلما حاطوا بهم وبسطوا ايديهم اليهم وهموا بقتلهم
فكف الله عز وجل بفضله ايديهم عنهم وانقذهم من ايديهم ثم اختلف فيه عن ابن عباس رضى الله عنه
قال هم بنو قريظة ان يبسطوا ايديهم بالقتل فكف الله تعالى ايديهم عنهم بالمنع وقيل نزلت فى اليهود
دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا لهم فى النخل واصحابه وراء الجدار واستعانهم فى مغرم
دية غرمها ثم قام من عندهم فائتمروا بينهم بقتله فخرج يمشى القهقرى معترضا ينظر من خيفتهم
ثم دعا اصحابه رضى الله عنهم اليه رجلا حتى تناهوا اليه فلا ندرى كيف ما كانت القصة وليس لنا
الى معرفة القصة حاجة بعد ان نعرف منة الله التى من علينا بكف الاعداء عنهم ونشكر له على ذلك
وفى هذه الآية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهم كان منهم من غير ان شهد
ذلك ليعلم انه بالله علم **وقوله** عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى على الله يتكل المؤمن فى كل امره
وبه يثق **وقوله** عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا هذا والله اعلم
تعليم من الله تعالى هذه الامة وابناء منه انه قد اخذ العهود والمواثيق على الامم السالفة كما اخذ منكم
لانه ذكر انه قد اخذ هؤلاء الميثاق بقوله تعالى واذكروا الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به الآية
ثم اعلمهم بما وعد لهم الثواب ان وفوا بتلك العهود والمواثيق التى اخذت عليهم وبما اوعدهم من العقاب
ان نقضوا العهود التى اخذ عليهم ليكونوا على عذر من نقضها وليقيموا على وفائها وان يقال انه انما ذكر
ما اخذ على اولئك من العهود والمواثيق ليكون ذلك الآية من آيات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اخبار عن الامم السالفة وهو لم يشهد ولا حضرها ليعلموا انه انما علم ذلك بالله ثم يحتمل تلك
العهود والمواثيق التى اخذت عليهم ما ذكر على اثرها وسياقها وهو قوله تعالى وقال الله انى معكم
لئن اقمتم الصلوة الى آخر ما ذكر ويحتمل ما قال ابن عباس ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل
فى التورية ان لا يشركوا به شيئا وبالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واحلال ما احل الله وتحريم
ما حرم الله وحسن موازرتهم وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا منهم يعنى ملكا وهم الذين بعثهم موسى

وهو انه قتل واحد من اصحابه
رجلين من اهل العهد خطاء
فاراد ان يؤدى عنهما وليس
عنده مال وكان يستعين
من اصحابه فى ذلك واليهود
فى عهد النبى صلى الله عليه
وسلم فاستعان منهم بشئ
من ذلك
شرح

الى بيت المقدس ليعلموا الله علما ويحتمل ان يكون اختاروا من بينهم اولئك فسالوا موسى ان يجعلهم
عليهم قدوة يقتدرون بهم ويعلمونهم الدين والاحكام وياخذ عليهم المواثيق والعهود فيكون
ما اخذ على اولئك من المواثيق والعهود عليهم والله اعلم ثم اختلف في النقيب قال بعضهم النقيب هو الملك
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال ابو عوسجة النقيب هو المنظور اليه والمصدور عن رايه
وهو من وجوه القوم وجمع النقباء مثل العرفاء وقال ابو عبيد النقيب الامير والضامن على القوم
وقال الكسائي والفراء يقال منه نقبت عليه انقب نقابة وهو فوق العريف يقال منه التعريف
عرفت عليهم عرافة وهم النقباء والعرفاء والمناكب واحدهم منكب وهم كالعون يكون مع العريف
وقال القتبي النقيب الكفيل على القوم والنقابة والنكابة شبيه بالعرافة وقوله عز وجل وقال الله
اني معكم قال بعضهم قال للنقباء اني معكم في النصر والدفع عنكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة
الى اخر ما ذكر وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ويحتمل ان يكون هذا الوعد لكل من قام بوفاء
ذلك النقباء وغير النقباء وما ذكر من الوعيد في الاية التي هي على اثر هذه على كل من نقض ذلك العهد
النقيب وغير النقيب ثم قوله ولئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة يحتمل انه اراد بالصلوة الخضوع
والثناء لله وبالزكوة تزكية النفس وطهارتها وذلك في العقل على كل احد القيام به في كل وقت
ويحتمل ان يكون اراد بالصلوة والزكوة الصلوة المعروفة المعهودة والزكوة المعروفة ففيه دليل
وجوب الصلوة والزكوة على الامم السالفة وقوله عز وجل وامنتم برسلي يحتمل ان تؤمنوا برسلي
جميعا ولا تفرقوا بينهم ان تكفروا ببعض وتؤمنوا ببعض كقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض وعزرتموهم
قال القتبي وابو عوسجة وعزرتموهم قالا وعظمتموهم والتعزير التعظيم وقال بعضهم
نصرتموهم وعن ابن عباس رضي الله قال وعزرتموهم اعنتموهم يعني الانبياء عليهم الصلوة
والسلام واقرضتم قرضا حسنا اي صادقا من كل انفسكم ابتغى بها وجه الله وقال بعضهم واقرضتم الله
قرضا حسنا اي محتسبا طيبة بها نفسه ويحتمل قوله واقرضتم الله قرضا حسنا اي اجعلوا عند الله
لانفسكم ايادي ومحاسنا يستوجبون بذلك الثواب الجزيل ثم قال لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار وعد لهم تكفير ما ارتكبوا من الماثم اذا قاموا بوفاء ما اخذ الله عليهم
من المواثيق وقوله عز وجل فمن كفر منكم بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل قال بعضهم فمن كفر بعد ذلك
اي بعد المواثيق والعهود التي اخذ عليهم ويحتمل قوله فمن كفر بعد ذلك اي من كفر فقد ضل سواء السبيل
اي اخطا قصد السبيل وقوله عز وجل فبما نقضهم اي فبنقضهم قيل ما زائدة فبنقضهم ميثاقهم لعناهم
اي طردناهم والملعون هو المطرود عن كل خير ويحتمل لعناهم ادعونا عليهم باللعن وجعلنا
قلوبهم قاسية بما نزع منها الرحمة والرافة اذا نقضوا العهود وتركوا امر الله لان الله تعالى اخبر انه جعل
في قلوب الذين اتبعوا امر الله واطاعوا رسوله والرحمة والرافة بقوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رافة ورحمة فاذا نزعت الرحمة من قلوبهم صارت قسية يابسة وقوله عز وجل يحرفون
الكلم عن مواضعه يحتمل ان يكونوا يغيرون تاويله ويقولون هذا من عند الله ويحتمل التحريف تحريف
النظم والمتلو ومحوه ويكتبون غيره ونسوا حظا مما ذكروا به قيل ضيعوا كتاب الله بين اظهرهم ونقضوا
عهده الذي عهد اليهم وتركوا امره وقوله عز وجل مما ذكروا به اي وعظوا به وقيل تركوا نصيبا مما امروا به
في كتابهم من اتباع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة منهم اخبار
عن تمردهم في المعاندة وكونهم في الخيانة واياس عن ايمانهم ثم استثنى فقال الا قليلا منهم وهم الذين اسلموا
منهم وقوله عز وجل فاعف عنهم واصفح ولا تكافئهم لما اذول ثم قال بعضهم هو منسوخ باية القتال

في سورة

في سورة براءة وهو قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية ويحتمل فاعف عنهم واصفح
الى ان يؤمر بالقتال والله اعلم وقوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى عن الحسن قال قالوا انا نصارى
كونوا انصار الله فقالوا انا نكون نصارى فذلك قوله انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به
ما من احد يعقل الا وقد اخذ الله عز وجل عليه العهد والميثاق وقد اخذ الميثاق على المؤمنين بقوله تعالى
واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به الاية واخذ الميثاق على اليهود بقوله ولقد اخذ الله
ميثاق بني اسرائيل الاية واخبر ايضا انه قد اخذ الميثاق على النصارى في هذه الاية بقوله تعالى
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم وقد تقدم ذكر الميثاق ومعناه في غير موضع وقوله
عز وجل فنسوا حظا مما ذكروا به يحتمل هذا وجهين يحتمل اي تركوا حظهم مما امروا به من التوحيد
بالله والايمان بالرسل كلهم والتمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى والوفاء بالعهود التي عهد اليهم
فتركوا ذلك كله وضيعوا ويحتمل نسوا حظا مما ذكروا به اي لم يحفظوا ما وعظوا به وقوله
عز وجل فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة قيل اغرينا القينا بينهم العداوة والبغضاء
قال الحسن من حكم الله تعالى ان يلقي بينهم العداوة والبغضاء يجعل قلوبهم قاسية ومن حكمه
ان يكون بين المسلمين رافة ورحمة وقال بعض المعتزلة في قوله تعالى اغرينا بينهم العداوة
والبغضاء اي خذلناهم وتركناهم لكن هذا كله منهم احتيال وفرار عما يلزمهم من سوء القول
وقبحه فيقال لهم ان شئتم جعلتم خذلانا وان شئتم تركا اجعلوا ما شئتم ولكن هل كان منه
ذلك الصنع او اضاف ذلك الى نفسه ولا صنع له في ذلك وذلك الحرف على غير اثبات الفعل فيه
او شيء حرف ذم لا يجوز ان يضيف ذلك الى نفسه ولا فعل له في ذلك ولا صنع فدل ان له فيه
صنعا وهو ما ذكرنا ان خلق ذلك منهم وكذلك فيما اضاف الى نفسه ولا فعل له في ذلك ولا صنع
من جعل الرافة والرحمة في قلوب المؤمنين فلو لم يكن في ذلك صنع لكان لا يضيف ذلك الى نفسه
وذلك الحرف حرف الحمد والمدح فدل ان له فيه صنعا وهو ان خلق الرافة والرحمة في قلوب المؤمنين
وخلق القساوة والعداوة في قلوب اولئك الكفرة وبالله التوفيق وفي الاية دلالة اثبات رسالة
سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اخبر انه القى بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة
واخبر ان لا تزال تطلع على خائنة منهم وكان كما قال على علم منهم انه لا تطلع على ما في قلوبهم من الخيانة
والقساوة وغير ذلك من الامور فدل انه بالله علم ذلك وقوله عز وجل وسوف ينبئهم الله في الاخرة
بما كانوا يصنعون في الدنيا وهو قول ابن عباس وقوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الاية قال عز وجل قد جاءكم رسولنا ولم يقل فلان بن فلان ليعلم
ان الرسل عليهم الصلوة والسلام ليسوا يعرفون بالاسامي والانساب ولكن انما يعرفون بالايات
المعجزة والبراهين النيرة وفيه دليل ان من امن بالرسل كلهم ولم يعرف اسماءهم انه يكون مؤمنا
ولم يؤخذ علينا معرفة اسامي الرسل انما اخذ علينا الايمان بهم جملة الا ترى ان الله عز وجل لم يذكر
في الكتاب الانبياء والرسل جميعا واحدا فواحدا ولا ذكر اساميهم انما ذكر بعضا منهم افترى ان من لم يعرف
اسماءهم لم يكن مؤمنا هذا بعيد وفيه دلالة اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه قال
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب وهم اذا كتموا ذلك واخفوه اعني الرؤساء لم يخبروا احدا
انهم كتموا ذلك واخفوه حتى يبلغ الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اختلف الى احد منهم او نظر في كتابهم قط ليعلم ما كتموا فلما بين لهم ما قد كتموا واخفوا
من الناس دل ذلك لهم ما قد كتموا او اخفوا من الناس دل ذلك لهم انه انما علم ذلك بالله تعالى وقوله

عز وجل يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير اختلف فى تأويله وقرآئته قال بعضهم
يبين بالنون ويعفوا عن كثير اى ان الله يبين لهم كثيرا مما يخفون ويعفوا الله تعالى عن كثير اذا آمنوا ورجعوا
عما كانوا يخفون ويكتمون وقال آخرون يبين لهم كثيرا اى جميع ما كانوا يخفون ويعفوا عن جميع ذلك
واما عندنا فقوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير بالياء اى رسول الله
يبين لهم كثيرا ويعفوا عن كثير على قدر ما اذن له البيان لهم لان الرسل انما ياتون بالبراهين والحجج
على قدر ما اذن لهم لا بكل ما لهم من الايات الا ترى ان سحرة فرعون لما القوا حبالهم وعصيهم فصارت حيات
اى لم يلق موسى عصاه حتى اذن الله له فى ذلك وهو قوله تعالى وجاؤا بسحر عظيم واوحينا الى موسى
ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يافكون انما الى بالآية بعد ما اذن له بذلك فعلى ذلك قوله يبين لهم كثيرا
انما يبين على قدر ما اذن له بالبيان والحجة والله اعلم وقوله عز وجل مما كنتم تخفون من الكتاب يحتمل
مما كنتم تخفون من الكتاب من الشرايع والاحكام ويحتمل كتموا ما فى الكتاب من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته الكريمة وقوله عز وجل قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين عن الحسن النور والكتاب واحد وكذلك
ما قال فى قوله الكتاب والحكمة هما واحد وقال غيره النور هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وكتاب هو القرآن
سماه نورا لما يوضح ويضيء كل شىء على ما هو عليه حقيقة وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل الله نور السموات
والارض الآية اى به يتضح كل شى على ما هو عليه فى الحقيقة وبالله التوفيق وقوله عز وجل يهدى به الله
من اتبع رضوانه يحتمل قوله يهدى به الله اى بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل بالقرآن اى به يهدى الله
من اتبع رضوانه يحتمل رضاه وقوله عز وجل سبل السلام السلام قيل هو الله كقوله تعالى السلام المؤمن
المهيمن اى به يهدى سبل السلام سمى سبلا لان سبيل الله وان كان كثيرا فى الظاهر فهو فى الحقيقة
واحد وسمى سبل الشيطان سبلا وقال ولا تتبعوا السبل الآية لان سبله متفرقة مختلفة ليست ترجع
الى واحد واما سبيل الله وان كانت سبلا فى الظاهر فهو يرجع الى واحد وهو الهدى والصراط المستقيم
وقوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم كفر واكفر مكابرة ومعاندة لا كفر شبهة وجهل لانهم اقروا انه ابن مريم
ثم يقولون انه اله فاذا كان هو ابن مريم وامه اكبر منه فمن البعيد ان يكون من هو اصغر منه الها لمن هو
اكبر منه وربا ولا الكفر قد يكون بدون ذلك القول لكن التاويل هو ما ذكرنا انهم كفروا معاندة
ومكابرة مع اقرارهم انه ابن مريم حيث جعلوا الاصغر الها للاكبر وربا له وقوله عز وجل قل فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا اى لا احد يملك من دون الله شيئا
ان اراد اهلاك المسيح وامه الآية اى لو كان الها كما تقولون لكان يملك دفع الهلاك عن نفسه وعن امه
ومن عبدهما فى الارض وقيل فمن يملك ان يمنع من الله شيئا من عذابه ان اراد ان يهلك المسيح بعذاب
وامه ومن فى الارض جميعا بعذاب او يموت وهما واحد ثم عظم نفسه عن قولهم وتنزهها حين قالوا
ان الله هو المسيح ابن مريم فقال ولله ملك السموات والارض اى كلهم عبيده واماؤه يخلق ما يشاء
من بشر وغير بشر والله على كل شئ قدير اى قادر على خلق الخلق من بشر ومن غير بشر والله اعلم
وقوله عز وجل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية يحتمل ان يكون هذا القول
لم يكن من الفريقين جميعا ولكن كان من احد الفريقين هذا ومن الفريق الآخر غيره وكان كقوله تعالى
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى كان هذا القول كان كل فريق نفى دخول الفريق الآخر
الجنة لا ان قالوا جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى يحتمل ان كان من النصارى نحن ابناء الله
لما ذكر فى بعض القصة ان عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام قال لقومه ادعوكم الى ابى وابيكم الذى

وسمى السبيل سبلا لما انه كثير فى الظاهر ولكنه فى الحقيقة واحد وهو الهدى شرح

فى اسما

فى اسماء فقالوا عند ذلك نحن ابناء الله واحباؤه وكان من اليهود نحن احباء الله ويحتمل ان يكون هذا
القول كان منهما جميعا قال كل واحد من الفريقين نحن ابناء الله واحباؤه وقيل انهم قالوا ذلك
فى المنزلة والقدر عند الله تعالى اى لهم عند الله من المنزلة والقدر كقدر الولد عند والده ومنزلته
عنده ولا يعذبنا فقال قل يا محمد فلم يعذبكم بذنوبكم ان كان ما تقولون حقا فلم يعذبكم حيث جعل منكم
القردة والخنازير ولا احد من الخلق يحتمل قلبه ان يكون ولده او صفيه قردا او خنزيرا وقال لا احد
يحتمل قلبه تعذيب ولده وحبيبه بذنب يذنبه بالنار وقد اقررتم انكم تعذبون فى الآخرة قدر ما عبد
اباؤكم العجل ثم قال بل انتم بشر ممن خلق اى ممن اتخذ ولدا وحبا ان يتخذ من شكله ومن جنسه
فالله تعالى بما خلقكم من بشر كغيره من الخلق وانتم وهم فى ذلك سواء فكيف خصصتم انفسكم
بذلك وقوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم دليل ان من رفع احدا
من الرسل فوق قدره فى الكفر كمن حط عن قدره ومرتبته وقوله عز وجل يغفر لمن يشاء اى من تاب
واسلم ويعذب من يشاء من دام على الكفر ومات عليه وقوله عز وجل ولله ملك السموات والارض
وما بينهما اى كلهم عبيده واماؤه وخلقه يعظم نفسه عن قولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولا احد
يتخذ عبده ولدا ولا حبيبا فانتم اذا اقررتم انكم عبيده كيف ادعيتم البنوة والمحبة والله اعلم وفى الآية
دلالة اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانهم قالوا قولا فيما بينهم ثم اخبرهم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ليعلم انه انما عرف ذلك بالله وقوله عز وجل يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم يحتمل قوله تعالى يبين لكم ما كنتم تكتمون من نعته وصفته وتحرفون
كقوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ويحتمل يبين لكم مما لكم
وعليكم من الاحكام والشرايع ويحتمل يبين لكم مما كان عليه الانبياء والرسل وقوله عز وجل
على فترة من الرسل قيل على انقطاع من الرسل من لدن اسرائيل الى عيسى عليه السلام لانه قيل انه كان
رسول على اثر رسول لم يكن بين رسولين انقطاع فاخبر عز وجل انه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
على حين فترة من الرسل وقيل على فترة من الرسل ليس على انقطاع منهم ولكن على ضعف امور
الرسل ودروس آثارهم وهو من الفتور يقال فتر يفتر فتورا بتغير والله اعلم انما بعث الرسول
بعد ما درس آثار الرسل وضعف ووقع فيما بينهم اختلاف للضعف ليبين لهم ما ذكر ان يقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير يقطع احتجاجهم بذلك وان لم يكن لهم فى الحقيقة احتجاج وهو كما قال لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكقوله ان لا يقولوا على الله الا الحق بشير بالجنة لمن اطاع ونذير بالنار
لمن عصاه فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير يحتمل على كل شئ قدير من بعث الرسل
على فترة منهم واحياء ما درس من آثار الرسل وما ضعف من رسومهم والله اعلم وقوله عز وجل
واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الآية يحتمل قوله اذكروا نعمة الله عليكم ما ذكر من بعث
الرسل والانبياء عليهم السلام على فترة منهم ويحتمل ما ذكر على اثره وهو قوله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم
ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين كانه يقول اشكروا نعمتى التى انعمت عليكم من جعل الانبياء
فيكم ولم يكن ذلك لامة من الخلق وجعلكم ملوكا تستنصرون من الاعداء لان الملوك فى بنى اسرائيل
هم الذين كانوا يتولون القتال وامر الحرب مع الاعداء كقوله ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله
فاخبر انه جعل فيهم الانبياء يعلمونهم امور الدنيا والآخرة ويحتاج غيرهم الى معرفة ذلك
وانما يعرفون ذلك بهم وجعل فيهم ملوكا يستنصرون من الاعداء ويقهرونهم فيعزون ويشرفون
فى الدنيا والآخرة وقوله عز وجل وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يحتمل ما ذكر من جعل الانبياء

والملوك فيهم ويحتمل ما رزقهم في التيه من المن والسلوى وغيره من النعم وقيل في قوله وجعلكم ملوكا اي جعلكم
بحيث تملكون انفسكم وكنتم قبل ذلك يستعبدكم فرعون ويتخذكم خولا لنفسه والله اعلم وقوله عز وجل
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم قيل قوله تعالى كتب الله لكم اي كتب الله عليكم قتال اهل تلك
الارض ليسلموا وهو كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يعني الكفر فعلى ذلك قوله تعالى ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم قتال اهلها ليسلموا والله اعلم وقوله عز وجل لكم اي عليكم وهذا جايز
في اللغة كقوله وان اسأتم فلها اي فعليها وقيل قوله ادخلوا الارض المقدسة كتب الله لكم فتحها ان اطعتم امر الله
فيما امركم به وانتهيتم عما نهاكم عنه واجبتم رسوله الى ما دعاكم اليه اي اذا فعلتم ذلك يفتح الله تلك الارض والله اعلم
وقوله عز وجل الارض المقدسة قيل هي الشام وقيل غيرها ثم سماها مرة مقدسة ومرة مباركة وهو
كقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ثم يحتمل قوله باركنا حوله بكثرة الثمار والعواكه وسعة عيشها
وكثرة ريعها ويحتمل ان سماها مباركة لما كانت معدن العباد والزهاد منزهة عن الشرك وجميع الفواحش
والمناكير والله اعلم وقوله عز وجل ولا ترتدوا على ادباركم هذا والله اعلم كناية عن الرجوع عن الدين وهو
كقوله تعالى ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وانما صار ذلك كناية عن الرجوع عن الدين والله اعلم
لما ذكرنا في احد التاويلين انه كتب عليهم قتال اهل تلك الارض فتركوا امر الله وطاعته ويحتمل انه وعدهم
فتح تلك الارض فلم يصدقوا رسوله فيما اخبر عن الله من الفتح لهم فكفروا بذلك وقوله عز وجل
فتنقلبوا خاسرين الاية يحتمل ان يكون ذلك لهم في الاخرة ويحتمل في الدنيا منهزمين ويحتمل قوله تعالى
ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا ورآءكم ولكن ادخلوها وقوله عز وجل قالوا يا موسى ان فيها قوما
جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فانا داخلون يحتمل ان يكون هذا والله اعلم لما راوا فرعون
مع قوته وكثرة جنوده مع ادعى من الربوبية لنفسه لم يقدر على فتح تلك الارض وعجز عن غلبة اهلها
وقهرهم وجعلهم تحت يديه راوا هولاء انهم لا يقدرون على ذلك مع ضعفهم في انفسهم وقلة عددهم
وقصور اسبابهم لذلك امتنعوا عن الدخول فيها الا بعد خروج من فيها من الجبارين عنها خوفا منهم
على انفسهم لكن موسى عليه السلام كان وعدلهم الفتح والنصرة مع ضعفهم وقلة عددهم اذا دخلوا فيها
وقوله عز وجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اختلف
في الرجلين اللذين قالا ذلك لهم قال قايلون كان ذلك الرجلان من اولياء الذين بعثهم موسى على نبينا وعليه
الصلوة والسلام الى اهل تلك الارض وامرهم بالدخول فيها وهما من قد انعم الله عليهما من تصديقهما
ما وعدلهم موسى من الفتح والنصر فقالا فاذا دخلتموه فانكم غالبون صدقوا موسى بما وعدلهم
من الفتح وقال قايلون كان ذانك الرجلان اللذان قالا ذلك لهم هما من اهل تلك الارض لانهم اذا سمعوا
ان موسى قصدهم خافوا من ذلك فذلك معنى قوله من الذين يخافون انعم الله عليهما بالاسلام
فقالا ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لما علموا من خوف اهلها من موسى ومن معه وفزعهم
وقوله عز وجل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين الاية اي مصدقين بوعد موسى بالفتح لكم والنصر
ويحتمل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مسلمين فان كل من توكل على الله ووثق نصره الله وجعله غالبا على عدوه
والله اعلم وقوله ادخلوا عليهم الباب كان المراد من الباب ليس نفس الباب ولكن جهة من الجهات التي يكون
الدخول عليهم من تلك الجهة اوفق واهون كانه قالا ادخلوا عليهم جهة كذا والله اعلم وقوله عز وجل
قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها من تعرض لرسول من الرسل بمثل هذا ما تعرض هولاء لموسى
انا لن ندخلها ما داموا فيها يكفر لان موسى عليه الصلوة والسلام قد وعدهم النصر والفتح اذا دخلوها
فقالوا لن ندخلها ابدا لم يصدقوا لموسى عليه السلام فيما وعد لهم من الفتح ومن كذب رسولا من الرسل

بشئ يجز فهو كافر وقوله عز وجل فاذهب انت وربك فقاتلا الاية دل قوله تعالى فاذهب انت وربك
فقاتلا على ان الامر بالدخول فيها امر بالقتال مع الاعداء حين قال ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
وان المكتوب عليهم القتال معهم لانهم قالوا فاذهب انت وربك فقاتلا والله اعلم ثم قيل في قوله تعالى
فاذهب انت وربك فقاتلا من وجهين قيل اذهب انت وربك فقاتل وحدك وليعنك ربك وينصرك
لانك تقول ان الله قد وعدك فتحها والنصر عليهم فالواحد والجماعة فيه سواء اذا كان الله ناصرك
ومعينك والثاني اذهب انت واخوك بربك فقاتلا لانهما كانا جميعا مامورين بتبليغ الرسالة لانهما
اذا قاتلا بربهما ويجوز الاضافة اليه والنسبة لما كان يفعل به كقوله فلم يقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هم المباشرون للقتل والرمي في الحقيقة لكنه اضيف اليه
بنصره ومعونته قتلوا ورموا فعلى ذلك الاول والله اعلم اضيف لما بعونته ونصره يقاتلون وقوله
عز وجل انا هاهنا قاعدون اي ليس يريد به القعود نفسه ولكن والله اعلم انا هاهنا منتظرون وقوله
عز وجل قال رب اني لا املك الا نفسي واخي الاية يحتمل اني لا املك في الاجابة والطاعة لك الا نفسي
واخي واملك اخي ايضا لما عرفت بالعصمة التي اعطيت له ان يجيبني ويطيعني في ذلك واما هولاء فاني
لا املك اجابتهم ولا طاعتهم فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ويحتمل اني لا املك الا نفسي
واخي لا يملك ايضا الا نفسه وعلى الاضمار لانهما كانا جميعا رسولين مامورين بتبليغ الرسالة بقوله تعالى
فقولا له قولا لينا الاية وقوله عز وجل فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال قايلون انما طلب
موسى عليه السلام الفرقة وبينا الذين ابوا الدخول فيها وقالوا لن ندخلها ابدا وقال قايلون انما طلب
موسى الفرقة بينهم وبين الجبابرة الذين كانوا في الارض التي امروا بالدخول فيها والقتال معهم
والله اعلم وقوله عز وجل قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة الاية قوله تعالى محرمة عليهم تحريم
المنع هو والله اعلم ليس على التحريم كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل ليس هو من التحريم
الذي هو تحريم حكم ولكن من المنع والحرمان فعلى ذلك الاول والله اعلم وقال قايلون محرمة
عليهم ابدا لم يدخلوها حتى ماتوا ولكن ولد لهم اولاد فيها ماتوا هم دخل اولادهم لانهم قالوا لن ندخلها
ابدا وقال قايلون قوله تعالى محرمة عليهم اي التوبة محرمة عليهم لن يتوبوا ابدا والله اعلم وقوله
عز وجل اربعين سنة يتيهون في الارض فالمدة هاهنا للتيه والله اعلم لا لقوله تعالى محرمة عليهم
ثم اختلف في التيه قال قايلون لم يكن موسى وهرون عليهما السلام معهم في التيه لان ذلك لم من الله
كان عقوبة ولا يحتمل ان يكون الله تعالى عز وجل يعذب رسوله بذنب قومه لانه لم يعذب قوما بتكذيب
الرسول قط الا بعد ما اخرج الرسول من بين اظهرهم فعلى ذلك لا يحتمل ان يكون موسى يعذب
بعصيان قومه والله اعلم وقال الاخرون كان موسى معهم في تلك الارض مقيما فيها ولكن الحيرة والتيه
كانت لقومه قيل كانوا يرتحلون ثم ينزلون من حيث اصبحوا اربعين سنة وكان ماواهم في الحجر الذي
كان مع موسى عليه السلام فكان اذا نزل ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتي عشرة عينا لكل سبط
عين ولم يكن حل بموسى بما كان رحل بقومه قليل ولا كثير انما امر بالمقام فيها فاقام من غير ان كان به
حيرة وقوله عز وجل واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا قال الحسن وغيره لم يكونا ابني آدم
من صلبه ولكن كانا رجلين من بني اسرائيل قربا قربانا فتقبل قربان احدهما ولم يتقبل قربان الاخر
وان نسبهما الى آدم لان كل البشر ولد آدم تنسب اليه كقوله يا بني آدم افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا ليس
يريد به ولد آدم لصلبه ولكن البشر كله فعلى ذلك الاول والله اعلم واما ابن عباس رضي الله عنه
والكلبي وغيرهما من اهل التاويل فانهم قالوا انهما كانا ابني آدم لصلبه احدهما يسمى قابيل والاخر هابيل

وكان لكل واحد منهما اخت ولدت معه في بطن واحد وكانت احديهما جميلة والاخرى دميمة فاراد كل واحد منهما نكاح الجميلة منهما فتنازعا في ذلك فقال احدهما لصاحبه تعال حتى تقرب قربانا فان تقبل قربانك فانت احق بها وان تقبل قرباني فانا احق بها فقربا قربانهما فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فحسده ثم ان يقتله فذلك قوله تعالى اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين ولكن لا ندري كيف كانت وفيما كانت وكانا ابني آدم لصلبه او لم يكونا وليس لنا الى معرفته هذا حاجة انما الحاجة في هذا المعرفة ما فيه من الحكمة والعلم ليعلم ذلك ويعمل به فهو والله اعلم ما ذكر عز وجل فيما تقدم من قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما تخفون من الكتاب وقال في آية اخرى ويبين لكم على فترة من الرسل فكان هذا اعني نبأ ابني آدم وكان في كتبهم فامر عز وجل رسوله ان يتلوا عليهم ذلك على ما كان ويبين لهم ما في كتبهم لانه قال قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويبين لكم على فترة من الرسل ليعلموا انه انما علم ذلك بالله لا باحد من البشر لانه انما بعث عند دروس آثار الرسل وانقطاع العلوم فبين لهم واحدا بعد واحد ففيه دليل اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسورة المائدة كان اكثرها نزلت في مخاطبة اهل الكتاب لانه يقول في غير موضع يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويبين لكم على فترة من الرسل يدعوهم الى الايمان بالرسل ونزل سورة الانعام في مخاطبة اهل الشرك لانه يدعوهم الى التوحيد **وقوله** عز وجل واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق يحتمل وجهين يحتمل بالحق على ما نزل ويحتمل بالحق المعلوم المعروف على ما كانوا ليعلموا انه بالله علم وانه علم سماوي **وقوله** عز وجل انما يتقبل الله من المتقين هذا يحتمل وجهين يحتمل انما يتقبل الله قربان من اتقى الشرك لا يتقبل من لم يتق والى هذا يذهب الحسن وقال كانا رجلين من بني اسرائيل احدهما مؤمن والآخر منافق فتنازعا في شيء فقربا ليعلم المحق منهما فتقبل من المؤمن ولمن لم يتقبل وقال ابو بكر الاصم كانا رجلين مصدقين لان الكافر لا يتقرب القربان لكن احدهما كان اتقى قلبا فتقبل قربانه والآخر لا فلم يتقبل قربانه والتقوى شرط في قبول القرابين وغيرها من القرب كقوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين وقوله والكافر لا يعترف بالقربان يقال قد تقرب لما يدعي من الدين ان الذي هو عليه حق ليظهر المحق منهم الا ترى انهم يدعون ان فيهم من هو احق بالرسالة من محمد صلى الله عليه وسلم بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وغير ذلك من باطيل قالوها وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل لئن بسطت يدك الي لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلنك قال بعض الناس ان الواجب علينا ان نفعل مثل فعل ولذلك لا ينبغي لمن اراد احد قتله ان يقتله ولكن يمنع عن ذلك ما امتنع احد ابني آدم حيث قال له لاقتلنك فقال له الآخر ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك واحتجوا في ذلك باخبار رويت روي عن ابي موسى الاشعري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توجه المسلمان بسيفهما فقتل احدهما صاحبه فهما في النار فقيل يا رسول الله ارايت المقتول فقال انه اراد ان يقتل صاحبه وعن سعد بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان استطعت ان تكون عبد الله ولا تقتل احدا من اهل القبلة فافعل وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابني آدم ضربا لهذه الامة مثلا فخذوا بالخير منهما وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك يا ابا ذر اذا كانت بالمدينة قتل يغير حجارة قال قلت البس سلاحي قال شاركت القوم اذا قال قلت كيف يا رسول الله قال ان خشيت ان يبهرك شعاع السيف فالق ناحية ثوبك على وجهك تبوء باثمك واثمه حتى تكون مثل ابن آدم

عن ابي بكرة رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار قلت هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه مصابيح

فالق ناحية ثوبك على وجهك ليبوء باثمك واثمه مصابيح

الاخبار

الاخبار وقال الآخرون له ان يقاتل اذا لم يتعظ صاحبه بالله واراد قتله فهو في سعة من قتل من يريد ان يبتديه بالقتل استدلالا بما امر الله تعالى بقتال اهل البغي كقوله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فصار الحكم في امتنا ما امرهم الله به من قتال البغاة لان الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا على ان قتال المشركين كان محظورا في اول مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقبل ذلك باوقات وقالوا غير منكر ان يكون الوقت الذي ذكره الله في هذه الآية كان قتال المشركين وتجريد السيف فيه محظورا فاذن الله في قتالهم وقتال اهل البغي فصار الحكم في امتنا ما امر الله به من قتال البغاة والمشركين والله اعلم واما ما احتجوا به من الاخبار التي رويت من قتال المسلمين واشباهها فان ذلك والله اعلم في حال الفتن وقتال الفئتين اللتين لا امام فيهما يستحق الامامة لحمية او امر جاهلية او عصبية فهما على خطاء فالثواب في مثله ما ذكر من الاخبار واما اذا كان للناس امام هدى فقد عقد والله البيعة فخرجت عليه خارجة ظالمة فقتالهم واجب اتباعا لعلي رضي الله عنه ومن حارب معه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل البغي والخوارج فاما قتال الخوارج فهو كالاجماع لان جميع الطوايف قد حاربوهم ورويت في ذلك آثار كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا يذهب من رأى قتل من يهم به قتله **وقوله** عز وجل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان ترجع باثمي بقتلك اياي واثمك الذي عملته قبل قتلي قال القتبي باثمي ان تقتلني واثمك ما اضمرت في نفسك من الحسد والعداوة وقال الحسن ترجع باثمي بقتلك اياي واثمك يعني الكفر الذي كان عليه لانه يقول كان احدهما كافرا فقتل صاحبه فيرجع بالكفر والله اعلم وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك يجوز ان يتكلم بالارادة على غير تحقيق الفعل كقول القائل اريد ان اسقط من السطح وهو لا يريد سقوطه منه وكقوله فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض وللجدار لا فعل له فاذا جاز اضافة الارادة الى من لا فعل يكون منه دل انه ليس على حقيقة الفعل ولكن على ما يقع انه يكون كذلك ويؤول امره الى ذلك او اراد ان يبوء باثمه لما علم منه ان يقتله لا محالة وبعضي ربما اراد ان يبوء باثمه وذلك جايز والله اعلم **وقوله** عز وجل فطوعت له نفسه قتل اخيه قال القتبي اي شايعته وانقادت له وقال ابو عوسجة فطوعت له نفسه اي امرته وزينت له وقال مجاهد اي شجعته واعانته وكله يرجع الى واحد **وقوله** عز وجل فاصبح من الخاسرين وقال في آية اخرى فاصبح من النادمين يحتمل وجهين يحتمل اصبح تايبا لان الندامة توبة وذلك اذا من اذنب ذنبا فندم عليه كان ذلك منه توبة فان لم يكن توبة فتاويل قوله اصبح اي يصبح في الآخرة من النادمين وهو كقوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله اي يقول في الآخرة لا ان قال له فعلى ذلك قوله تعالى اصبح من النادمين اي يصبح من النادمين في الآخرة والله اعلم ويصبح من الخاسرين **وقوله** عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه استدل من قال بان القصة كانت في ابني آدم لصلبه يقول فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه لان القصة لو كانت في بني اسرائيل لم يكن يجهل دفن الميت وقد اتى ذلك غير سنة وعاينه فدل انه كان في اول ميت جهل السنة فيه وقال من قال انهما كانا رجلين من بني اسرائيل اذ قد يجوز ان يخفى على المرء شيء علمه قبل ذلك وعاينه اذا اشتد به الخوف ونزل به الهول كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا وقد كان لهم علم بذلك لكن ذهب عنهم والله اعلم لشدة هول ذلك اليوم وخوفه فعلى ذلك الاول يجوز خفاء دفن الموتى بعد ما علمه لشدة الهول والله اعلم ثم اختلف فيما اخبر عن بحث الغراب في الارض قال الحسن رضي الله عنه بحث التراب على ذلك الميت ليرى ذلك القاتل لانه كان يبحث التراب على غراب آخر على ما ذكر في القصة ان غرابا قتل آخر ثم جعل يبحث التراب عليه لانه ذكر السوأة وليس للغراب سوأة والسوأة العورة لكنه ليريه كيف يواري سوأة اخيه لم يذكر السوأة في الغراب انما ذكرها

فى اخيه واحتيا له يريه ان كيف يوارى سوءة وَاللهُ اعلم وقوله عز وجل قال يا ويلتى اعجزت
ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سواة اخى اى اعجزت فى الحيلة ان اكون مثل هذا الغراب
فاوارى سواة اخى وقوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا اى من استحل قتل نفس الآية يحتمل وجوها يحتمل قوله تعالى
من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا اى من استحل قتل نفس حرم الله قتلها بغير حق فكانما
استحل قتل الناس جميعا لانه يكفر باستحلال قتل نفس محرم قتلها فكان كاستحلال قتل الناس جميعا لان من يكفر
باية من كتاب الله يصير كافرا بالكل فعلى ذلك الاول اذا استحل قتل نفس محرمة يصير كانه استحل قتل الانفس
كلها ويحتمل ان يكون هذا فى اول قتيل قتل لم يكن قبل ذلك احد فلما قتل هذا قتيلا جعل الناس يقتلون
بعد ذلك بعضهم بعضا وكان ذلك منه سنة استن الناس به فهو كما روى فى الخبر ان من سن سنة سيئة
فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة من غير ان ينقص من وزرهم شيئا فيشترك هذا القاتل
فى وزر كل قتيل قتل الى يوم القيامة بغير حق ويحتمل الآية وجها آخر وهو ما قيل ان يجب عليه فى القتل
مثل ما انه لو قتل الناس جميعا ومن احياها اعطاه من الاجر مثل ما لو انه احيا الناس جميعا ان احياها
فلم يقتلها وعفا عنها وعن ابن عباس رضى الله عنه قال من اجل ابنى آدم حين قتل اخاه كتبنا على بنى اسرائيل
انه من قتل نفسا بغير نفس بلا نفس وجب عليها القصاص او فساد فى الارض يقول الشرك فى الارض
فكانما قتل الناس جميعا يقول يعذب عليها كما انه لو قتل الناس جميعا لهم وهو مثل الاول وعن عبد الله
ابن عمر وقرا من اجل ذلك الآية قال لو لم يكن يوخذ فى بنى اسرائيل ادش انما كان قصاصا بقصاص
يقول من قتل نفسا او افسد فى الارض جزاه كانما قتل الناس جميعا ومن احياها فعلى نحو ذلك ويحتمل
قوله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اى من استنقذ جميعا من مهلكة فكانما استنقذ الناس
جميعا فى الآخرة وقيل ومن احياها بالعفو وجرى احيائها كما يوجر من احيى الناس جميعا اذ على
الناس معونته لذلك فاذا عفا عنها فكانما عفى عن الناس جميعا قال الحسن ومن احياها فى الاجر انما
والله ومن يستطيع ان يحييها اذا جاء اجلها ولكنه ايده نفعا ووجه آخر انه يلزم الناس جميعا دفع ذلك
عن نفسه ومعونته له فاذا قتلها لها او سعى عليها بالفساد فكانما سعى بذلك على الناس كافة
فعلى ذلك من احياها فكانما احيا الناس جميعا والله اعلم وقوله عز وجل ولقد جاءتهم رسلنا
بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون فى الآية فلا تصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على تكذيب الكفرة الفجرة اياه وانه ليس باول مكذب فى الحق بل كانت الرسل من قبل يكذبون
فيما ياتون من الآيات والحجج والبيان وقوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون فى الارض فسادا الآية قال بعضهم الآية نزلت فى اهل الكفر وبيان الحكم فيه وهو قول
الحسن وابى بكر الاصم وقالا لان الله عز وجل ذكر محاربة الله ورسوله وذكر السعى فى الارض بالفساد
وكل كافر قد حارب الله ورسوله وسعى فى الارض بالفساد فللامام ان يقتلهم باى انواع القتل شاء
ما دام للحرب فيما بينهم قايما فاذا فتحوا الارض بترك ذلك ويمن الله عليهم ان شاء واما المسلم
اذا قطع الطريق فانه لا يقال انه حارب الله ورسوله فدل انها نزلت فى اهل الكفر للكفر
لا لقطع الطريق وقال الآخرون نزلت فى المشركين اذا قطعوا الطريق فاما المسلمون اذا قطعوا الطريق
فانما هم سراق تقطع ايديهم فقطعوا قال عندهم نزلت الآية بالحكم فى المشركين اذا قطعوا الطريق
على الناس واخافوهم روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمى فجاء اناس يريدون الاسلام فقطع عليهم الطريق فنزل جبريل

داد عبد الله بن عمر روايت كرده
است فى قراءة وى مراين
من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل
من قتل نفسا او افسد فى الارض
جزاؤه كانما قتل الناس جميعا
تجزاوه شرح

وجب القود
شرح

على رسول الله

على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد فيهم ان من قتل واخذ المال صلب ومن قتل ولم ياخذ
المال قتل ومن اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف ومن جاء مسلما هدم الاسلام ما كان
فى الشرك فدل حديث ابن عباس رضى الله عنه على ان الآية نزلت فى الموادعين غير المحاربين وروى
عن انس قال ان ناسا من عُكل او عُرَينة اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فشكوا اليه الجهد فبعث معهم
بلقاح وراعيا وقال لهم اشربوا البانها وتداووا بابوالها فلما ان صحوا قتلوا راعى النبى صلى الله
عليه وسلم واستاقوا الابل وارتدوا عن الاسلام فبعث فى آثارهم فاتى بهم بعد ما ترجل بهم
النهار فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وقطع السنتهم وتركوا بالمكان حتى ماتوا
فنزلت الآية وروى عن على رضى الله عنه ما يخالف هذا وهو ان حارثة بن بدر حارب الله ورسوله
وسعى فى الارض فسادا وتاب من قبل ان يقدر عليه فكتب على بن ابى طالب الى عامله بالبصرة ان حارثة
قد تاب قبل ان يقدر عليه فلا تتعرض له الا بالخير الا ترى ان حارثة قد اطلق فيه انه حارب الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وكان مؤمنا فهذا يدل على ان الحكم الذى اجرى على قطاع الطريق
الكفرة يجرى ذلك الحكم فى المسلمين اذا كان منهم ما كان من المشركين من قطع الطريق على الناس
واخافتهم عليهم وقد يتوهم ان الآية نزلت فى اهل الحرب وقد ابيح لنا قتل من ظفرنا به منهم كيف
شيئنا وان لم يفسدوا فى الارض ولم يقطعوا الطريق وهذا يدل ان الآية نزلت بالحكم فى اهل الكفر
واهل الاسلام جميعا اذا سعوا فى الارض بالفساد ومن الدليل على ذلك ان الله قال الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم واجمعوا ان الكافر اذا قتل مسلما واظهر فى الارض الفساد فقدرنا عليه
واسرناه ثم اسلم انه يزول عنه القتل والقطع والصلب فدل ذلك على ان الآية نزلت فى الحكم
فى المسلمين لانه يختلف حكمه اذا تابوا من قبل ان يقدر عليهم او بعد قدرتنا عليهم ولم ينزل فيمن
يستوى حكمه فى الحالين جميعا اذا تابوا بعد القدرة فالحكم ثابت عليهم فاما الذى روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم من فعله بالعرنيين وقد روى عن بعض المتقدمين ان الآية نزلت بعد قتل
العرنيين منهم ابن سيرين وغيره قالوا الواجب على من ادعى ان الآية نزلت فى العرنيين انه يبين
دعواه وكان اصحابنا رحمهم الله يذهبون الى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ويروون انه يوخذ
المحارب اذا تاب قبل ان يقدر عليه بما اصاب من دم ومال على سبيل القصاص ولا يصلب ولا تقطع
يده ورجله فيما اصاب من مال فكانهم ذهبوا الى ان يزال الحد الذى لله على المحارب بتوبته قبل
ان يقدر عليه وهو ما كان الى الامام اقامته ولا امر للولى فيه واما الحقوق التى هى للعباد فان التوبة
لا تعمل فى ابطالها ولكل ذى حق ان ياخذ بحقه لا حق للامام لان الحق صار للولى دون الامام وفى قوله
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم دلالة على ان السارق اذا رد السرقة قبل ان يقدر عليه
ان لا قطع عليه وكذلك روى عن بعض المتقدمين انهم قالوا ليس على تايب قطع ودل قوله ويسعون
فى الارض فسادا على ان السارق فى المصر ليلا او نهارا لا يكون محاربا وانما هو سارق تقطع يده دون رجله
لانه ذكر السعى فى الارض بالفساد والسارق فى المصر لا يقال لسعى فى الارض الا ترى الى قوله تعالى
واذا ضربتم فى الارض لم يرد الضرب فى المصر ولكن اراد الاسفار فعلى ذلك الاول واما الكلام فى القتل
والصلب والقتل فروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال اذا حارب وقتل واخذ المال قطعت يده
ورجله من خلاف ثم صلب فان قتل ولم ياخذ المال قتل وان اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله
من خلاف وتاويل الآية الذين يحاربون الله ورسوله الآية على ان الواجب على المحارب من العقوبة
على قدر جنايته ويزاد فى عقوبته بقدر زيادته فى جرمه وتاول غيره الآية على انها نزلت فى المحارب

هما قبيلتان
جمع لقحة اشتر جوشا
الترجل روز بر آمدن
سمل اعينهم اى احمى لها
مسامير فكحلها بها وفى حد
طلب سمل اعينهم اى فقاها
وقلعها

الذي يصيب المال والنفس واذا اصاب الامرين كان للامام ان يقتله كيف شاء ان شاء قتله بالسيف
قتلا وان شاء قطع يده ورجله ثم يتركه حتى يموت وان شاء صلبه حيا وان ابطاء عليه الموت طعن
بالرماح حتى يموت والى هذا كان يذهب ابو حنيفة رضي الله عنه واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله قالا
اذا صلب لم تقطع يده ورجله لانه لا يجوز ان يجمع عليه الامرين وانما جعل الله له احدهما بظاهر
قوله ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وجعلا عقوبته مختلفة على قدر جنايته
فان قيل فما معنى التخيير فيه قيل معناه والله اعلم ان يقتل بالسيف او يقتل بالصلب او يقتل بقطع اليد
والرجل واصله ان حرف التخيير اذا كان في متفق الاسباب يخرج مخرج التخيير من نحو التخيير في كفارة اليمين
وكفارة الظهار وكفارة المتاذي لان سبب وجوبه واحد واذا كان في مختلف الاسباب فيخرج مخرج
بيان الحكم للكل في نفسه كقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا
لا يحتمل التخيير ولكنه على بيان الحكم لكل في نفسه لان سبب وجوبه مختلف فتأويله اما ان تعذب
من ظلم وتتخذ الحسن فيمن آمن بالله الا ترى انه قال اما من ظلم فسوف نعذبه واما من آمن فله جزاء
الحسنى وقول من جعل الحكم فيمن جمع القتل وقطع الطريق اقرب الى التاويل والله اعلم فمن لم يجمع لانه
قال عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية فمن حارب وافسد في الارض فقد اتى
بالامرين لان محاربته ان يقتل وافساده في الارض بقطع الطريق فاذا جمع هو بين الامرين يجمع بين
عقوبتين واصله ان امر قطاع الطريق محمول على فضل تغليظ من نحو ما يجمع بين قطع اليد والرجل
في اخذ المال وذلك لا يجمع في اخذ المال في المصر ومن نحو الصلب وذلك لم يجعل في غيره
من القتل في المصر فدل انه محمول على فضل تغليظ فجاز ان يجمع بين ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي قال بعضهم وينفوا من الارض على اسقاط الالف ويكون في القتل
والصلب نفيه اذا قتل واخذ المال وقال بعضهم نفيه ان يطلب فلا يقدر عليه وعن الحسن قال
يطلب حتى يخرج من ارض الاسلام وذلك الى الامام واصله ما ذكرنا انه اذا قدر عليه وقد قتل
واخذ المال يقتل وفي القتل نفيه واذا لم يقتل ولم ياخذ حبس وان قدر عليه وفي الحبس نفيه
وان لم يقدر عليه يطلب حتى ينفر عن الطريق والله اعلم وقول ابي عبيد حيث قال انه يصلب بعد القتل
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة فيقال له المثلة يراد بها على ما قال محمد بن الحسن
رحمه الله تعالى ولان الصلب جعل عقوبة والميت لا يعاقب ولو جاز ان يصلب بعد القتل لجاز لغيره
ان يقول تقطع يده ورجله بعد القتل فذلك بعيد وقوله عز وجل الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم قد ذكرنا فيما تقدم ان قطاع الطريق اذا تابوا قبل ان يقدر عليهم سقط عنهم الحدود التي
هي لله تعالى لا يؤاخذون بها وليس كغيرها من الحدود التي تلزم في غير المحاربة ان التوبة لا تعمل
في اسقاطها لوجهين احدهما ان التوبة من غير المحارب لا تظهر حقيقة فاذا لم تظهر لم تعمل في اسقاط
ما وجب وفي المحارب تظهر لانه في يدي نفسه اذا ترك المحاربة والسعي في الارض بالفساد وظهرت
منه التوبة فلم يؤاخذ به وفي ساير الحدود لا يظهر منه ترك ما كان يرتكب لذلك افترقا والثاني
انه لو لم يقبل منه ذلك لتمادى في السعي في الارض بالفساد في حق المسلمين من الضرر اكثر مما لو اخذهم
بذلك فاستحسنوا قبول ذلك منهم ودرئ ما وجب عليهم من الحدود التي هي لله تعالى واما الحقوق
التي هي للعباد فذلك الى الاولياء ان شاؤا اخذوهم بذلك وان شاؤا تركوا والله اعلم وقوله من جاء
مسلما هدم الاسلام ما كان في الشرك معناه اذا جاء تائبا لان الحدود جعلت زواجر والاسلام يزيد
في الزجر والتغليظ فلا يجوز ما كان سببا للتغليظ سببا لاسقاطه دل ان المعنى منه من جاء مسلما تائبا والله اعلم

والمراد من المثلة في الحديث الشريف ما قال محمد بن الحسن من قطع بعض الجوارح شرح
لان الصلب حيا من باب المثلة ك

وقوله عز وجل

وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة يحتمل ان تكون الاية صلة
ما مضى من الايات من ذلك قوله تعالى اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك
قال انما يتقبل الله من المتقين اخبر انه انما يتقرب بقربان المتقي وقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
الاية ثم قال تعالى اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ابتغوا بتقوى الله عن معاصيه القربة والوسيلة
القربة وكذلك الزلفة يقال توسل الى بكذا اي تقرب وهو قول العتبي وازلفت الجنة للمتقين
اي قربت وقوله عز وجل وجاهدوا في سبيله الاية يحتمل هذا وجهين احدهما جاهدوا انفسكم
في صرفها عن معاصيه الى طاعته وهو كقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويحتمل
ان جاهدوا مع انفسكم واموالكم اعداء الله في نصرة دينه وبالله التوفيق وقوله عز وجل ان الذين
كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم
كان الذي يمنعهم عن الاسلام والايمان بالله وبالرسل قضاء شهواتهم وطلب العز والشرف بالاموال
فاخبر لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به في صرف العذاب عن انفسهم ما تقبل
منهم ولا ينفعهم ذلك يذكر هذا والله اعلم ليصرفوا انفسهم عن معاصي الله والخلاف له بادنى شيء
يطلبون من الاموال والشهوات واخبر انه لو كان لهم ما في الارض ومثله معه لافتدوا بعذاب يوم
القيامة ما نفعهم ذلك وما تقبل منهم والحكمة في ذكر هذا والله اعلم ليعلموا ان الاخرة ليست بدار
فيها الرشى كما يقبل في الدنيا وقوله عز وجل ولهم عذاب اليم دل هذا على ان من العذاب ما لا الم فيه
من نحو الحبس والقيد فاخبر ان عذاب الاخرة اليم كله ليس كعذاب الدنيا منه ما يكون اليما ومنه
ما لا يكون وقوله عز وجل يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها الاية يحتمل قوله
عز وجل يريدون ان يخرجوا منها اي يطلبون ويسألون الخروج منها من غير عمل الخروج نفسه ويحتمل
قوله تعالى يريدون ان يخرجوا منها ولكن يردون ويعادون الى مكانهم كقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها اي يجتهدون في الخروج منها اعيدوا فيها فيه دليل انهم يعملون عمل الخروج
ولكن يردون ويعادون فيها وقوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الاية عامة في
السراق خاص في السرقة لانه يدخل جميع اهل الخطاب في ذلك وان كان يجوز ان يدرأ الحد عن بعض
السراق اذا سرقوا عن محارمهم او ممن له تاويل الملك في ماله او شبهة التناول منه لانه اذا سرق
ممن ليس له ذلك التاويل ولا تلك الشبهة قطع فدل انها عامة في السراق وعلى هذا يخرج قول ابن عباس
رضي الله عنه حيث سئل عن قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اخاص هو ام عام
فقال لا بل عام في السراق الا ترى انه قال في خبر آخر حيث سئل عن ذلك فقال ما كان من الرجال
والنساء قطع واما قولنا انها خاصة في السرقة لانه لا يحتمل قلب احد قطع اليد في الشيء التافه الخسيس
الذي اذا اخذ منه دل ان الخطاب بذلك من الله عز وجل رجع الى سرقة لا الى كل ما يقع عليه اسم السرقة
وكذلك الخطاب بقطع اليد رجع الى بعض اليد وهو الكف وان كان اسم اليد يقع من الاصابع الى الابط
لان الناس مع اختلافهم اتفقوا على ان اليد لا تقطع من الابط ولا من المرفق لكنهم اختلفوا فيما دون
ذلك فعلى قول بعضهم تقطع الاصابع دون الكف وعندنا انه تقطع الاصابع بالكف لانه بها يقبض
الشيء ويؤخذ فخرج الخطاب بالقطع عام والمراد منه رجع الى بعض اليد دون بعض وكذلك
قوله تعالى فاقطعوا ايديهما خرج الخطاب بالقطع عام ليس فيه بيان من يتولى القطع فالمراد منه
رجع الى الولاة فهذا كله يدل على انه ليس في مخرج عموم اللفظ دليل عموم المراد ولا في مخرج خصوص
اللفظ دليل خصوصه بل يعرف ذلك كله بدليل يقوم العموم والخصوص بدليل الخصوص فهذا ينقض

قول من يقول انه على العموم حتى يقوم دليل الخصوص والله اعلم فان قيل لنا ايش الحكمة في اقامة
الحد في السرقة على ما به يكتسب السرقة وهو اليد ولم يقم الحد في ساير الحدود فيما به كان اكتسابها من نحو
القصاص والزنا وغيره انه اذا قتل آخر لم تقطع يده وبها كان اكتساب القتل وكذلك الزنا لم يقم على ما به
كان الزنا بل اقيم على غير ما به كان ذلك الفعل وفي السرقة اقيم على ما به كان ذلك خاصة قيل والله اعلم
لخلتين اما القصور في الاستيفاء من الحق او لخوف الزيادة في الاستيفا على الحق لانه اذا قتل وقطعت
يده بقيت له النفس وقد تلفت نفس لآخر فكان في ذلك قصور في استيفاء الحق وفي الزنا لو اقيم به
على الذي به كان اكتسابا بالفعل لخيف تلف نفسه به فكان في ذلك استيفاء الزيادة على الحق
واما السرقة فانه امكن استيفاء الحق مما كان به اكتسابها على غير قصور يقع في الاستيفا ولا خوف
الزيادة في الاستيفا لذلك كان ما ذكر والله اعلم فان قيل ما الحكمة في قطع يد قيمتها الوف بسرقة عشرة
وذلك مما لا يماثله في الظاهر وقد اخبر ان لا يجزى الا مثلها كيف جزى هذا باضعاف ذلك قيل لهذا
جوابان احدهما ان جزاء الدنيا محنة يمتحن بها المرء ولله ان يمتحن عباده بانواع المحن ابتداء
على غير جعل ذلك جزاء لكسب يكتسب فمن له الامتحان بانواع المحن على غير جعلها جزاء لشيء كان له
الامتحان بان يجعلها بما سا وعا الوفا جزاء فليسا وحسبة وبالله العصمة والنجاة والثاني انه ليس القطع
في السرقة جزاء ما اخذ من المال ولكنه جزاء ما هتك من الحرمة الا ترى انه قال جزاء بما كسبا ولم يقل
جزاء بما اخذ من الاموال فيجوز ان يبلغ جزاء هتك تلك الحرمة قطع اليد وان قصر علم البشر عن ذلك
لان مقادير العقوبات انما يعرف من يعرف مقادير الاجرام وليس احد من الخلايق يحتمل علمه
مبلغ مقادير الاجرام فاذا لم يحتمل عليهم مبلغ مقادير عقوباتها فاذا كان كذلك فحق القول فيه الاتباع
والتسليم بعد العلم في الاتباع ان الله لا يجزى بالسيئة الا مثلها وبالله التوفيق ثم الكلام في قطع
اليمنى ما روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه فاقطعوا ايمانهما وعن علي رضي الله عنه اذا سرق الرجل
قطعت يده اليمنى وعلى ذلك اتفاق الامة ثم المسئلة في مقدار السرقة وليس في الآية ذكر مقدارها
واختلف اهل العلم في ذلك فقال بعضهم تقطع في ربع دينار فصاعدا وقال اصحابنا لا تقطع اليد
الا في عشرة دراهم فصاعدا او دينار وقد روي من الاخبار ما احتج به كل فريق منهم روي عن عايشة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع في ربع دينار فصاعدا وعنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا وعروة بن الزبير يقول كانت عايشة
رضي الله عنها تحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا تقطع اليد الا في المجن او في ثمنه
وتزعم ان قيمة المجن اربعة دراهم فدل قول عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقطع اليد الا في ثمن
المجن ان قولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقطع اليد الا في ربع دينار ان ثمن المجن كان عندها
ربع دينار او لا يكون كذلك وعلى ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم في الخبر انه قطع في مجن واما التقويم فانما هو من عند عبد الله
وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن فقيل يا ابا حمزة كم كانت
قيمته قال وزن خمسة دراهم هذا يدل على ان التقويم كان من انس كان ذلك كتقويم ابن عمر وعايشة
رضي الله عنهم وليس في التقويم حجة في واحد من المقومين لمخالفة كل واحد منهم صاحبه وانما قوموه
من قبل انفسهم فاما ان كان في مجنين مختلفين فهو على التناسخ واما ان كان في مجن واحد في وقتين
مختلفين فان كان في وقتين مختلفين لم يكن لمخالفنا فيه حجة لما يحتمل الزيادة والنقصان
على اختلاف الاوقات وان كان في مجنين فهو على التناسخ فلم يظهر فلا يقدم على القطع بالشك

ثم الاخبار

ثم الاخبار التي تمنع القطع بدون العشرة ما روي عن عمرو بن شعيب قال دخلت على سعيد بن المسيب
فقلت له ان اصحابك عروة ومحمد بن مسلم وفلان رجل آخر يقولون ثمن المجن خمسة دراهم او ثلاثة فقال
اما هذا فقد مضت السنة فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال ثمن المجن في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشرة دراهم وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقطع اليد الا في ثمن المجن وهو يومئذ يساوي عشرة دراهم
فلما اختلف المقومون في قيمة المجن رجعت الى ما روي عن سعيد بن المسيب حيث قال مضت السنة
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعشرة دراهم وان كان مرسلا اذ لا معارض له ويؤيد هذا
ما روي عن جماعة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من نحو عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود
رضي الله عنهم وروي ان عمر اتي بسارق فامر بقطعه قال عثمان رضي الله عنه سرقته لا تساوي
عشرة دراهم فامر بها فقومت ثمانية دراهم لا تقطع اليد الا في دينار او عشرة دراهم وروي عن عايشة
قالت لم تكن اليد تقطع على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الشيء التافه فاخذ اصحابنا رحمهم الله
بهذه الاخبار ولم يروا قطع اليد بدون العشرة لانهم مع اختلافهم اتفقوا على ان اليد تقطع في سرقة
عشرة دراهم واختلفوا في وجوب القطع فيما دون العشرة وهو حد فدرئ للاشكال والله اعلم
وقوله عز وجل جزاء بما كسبا نكالا من الله الآية يحتمل قوله نكالا من الله اي عظة وزجرا من الله
لغيره لان من عاين آخر قطعت يده في سرقة اتعظ به وزجره ذلك على الاقدام عليه والله اعلم وقوله
عز وجل فمن تاب من بعد ظلمه واصلح الآية اي تاب عن الشرك واصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حال
شركه فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم وعد له المغفرة والرحمة اذا تاب من الشرك واصلح
ما كان يفسده ويرتكبه في حال الشرك حتى لم يؤاخذ بشيء مما كان يرتكبه في حال الشرك ويتعاطاه
اذا اسلم الا ترى انه قال تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم في حال الاسلام اذا ارتكب
حدودا وتعاطاه ثم تاب اخذ بها لوجهين احدهما ان الكافر لو اخذ بعد ما اسلم بما كان ارتكب في حال
الكفر وتعاطاه فذلك يمنعه عن الاسلام ويزجره فاذا كان كذلك فكان في اقامة ذلك والاخذ بها
من الفساد اكثر من الصلاح واما المسلم اذا لم يؤخذ بما ارتكب وتعاطى بعد التوبة يدخل في ذلك من الفساد
ما يفحش وذلك انه كلما اريد ان يقام عليه الحد تاب فسقط ذلك عنه ثم عاد ثانيا ثم ثالثا الى
الى ما يتناهى فعمل في الارض بكل الفساد من غير ان لحقه ضرر لذلك اخذ له بعد التوبة والكافر لا والله اعلم
والثاني ان الكافر ما يرتكب ويتعاطى في حال الكفر انما يرتكبه تدينا يدين به فاذا رجع عن ذلك الدين
وذلك دان بدين آخر ما يكون ذلك جزاء في دينه الذي تمسك به ترك ما كان يرتكب في دينه الاول
تدينا فيظهر ذلك منه فلم يقم عليه لما يظهر منه ترك ما تعاطى قبل ذلك واما المسلم فليس يتعاطى
ما يتعاطى تدينا بدين نبيه ولكنه يتعاطاه شهوة وذلك مما لا يظهر منه التوبة حقيقة لذلك
اختلف والله اعلم وفيه دليل جواز تاخير البيان لانه قال تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما جزاء ولا يحتمل ان يبين له جميع شرايط السرقة التي يجب فيها القطع وقت قرع الخطاب السمع
فدل انه انما يبين له على قدر الحاجة بعد السؤال والبحث عنها والله اعلم وكان جميع ما ذكر من العقوبات
انما نزل في اهل الكفر لانهم هم الذين كانوا يتعاطون ذلك دون المسلمين وترك عامة العبادات في المسلمين
لانهم هم الذين يرغبون فيها من ذلك قوله تعالى الذين يحاربون الله ورسوله الآية وما ذكر
في ابني آدم وقوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الآية وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال نزلت في طعمة ابن ابيرق سرق درع جاره فنزلت الآية وعلى ذلك قال عامة اهل التأويل

سليمن بن يسار صح

اذا تعاطوا ما هو حرام في دينه صح

ثم صار ذلك الحكم في المسلمين اذا ارتكبوا تلك الاجرام وفيه دليل جواز القياس والله اعلم وقوله
عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ذكر هذا والله اعلم
على اثر قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وعلى اثر قوله الذين يحاربون الله ورسوله الاية ان له
ملك السموات والارض وله ان يعذب من شاء بعد التوبة وقبل التوبة ويغفر لمن يشاء ولا يعذب بعد
التوبة وذلك ان المحارب اذا تاب قبل ان يقدر عليه الحد الذي وجب في حال المحاربة والسارق اذا تاب
قبل ان يقدر عليه اخذ به اخبر ان له ان يعذب من شاء ويغفر لمن شاء وفيه نقض على المعتزلة لانهم يقولون
الصغيرة مغفورة ليس له ان يعذب عليها والكبيرة يخلد صاحبها في النار ليس له ان يعفو عنها فلو كان
عليها قالوا لذهب معنى التخيير بقوله تعالى يعذب من يشا ويغفر لمن يشا اذ اما عفى عفى ما عليه ان يعفو وكذلك
ما عذب عذب ما عليه ان يعذب فيذهب فايدة التخيير وقد اخبر انه يغفر لمن يشا ويعذب من يشا
وقوله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الاية يحتمل وجوها احدها
ان لا يحزنك كفر من كفر منهم ليس على النهي عن ذلك ولكن ان لا يحمل على نفسه بكفرهم ما يمنعه عن القيام
بامره كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ونحو ذلك
من الايات مما يشتد به الحزن بكفرهم لشدة رغبته في اسلامهم ويحتمل قوله تعالى لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر اي لا يحزنك تمرد هؤلاء وتكذيبهم اياك فان الله ناصرك ومظفرك ويظفر لك عليهم
ويحتمل لا يحزنك صنيع هؤلاء الكفرة وسوء عملهم فانك لا تؤاخذ بصنيعهم كقوله فان تولوا فانما عليه
ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وفي قوله تعالى يا ايها الرسول دلالة
تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء والرسل لانه تعالى في جميع ما خاطب له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال يا ايها الرسول ويا ايها النبي ولم يخاطب باسمه وساير الانبياء
عليهم الصلوة والسلام انما خاطبهم باسمائهم يا موسى ويا ابراهيم ويا نوح وجميع من خاطب منهم
او ذكر انما ذكر باسمائهم وقوله عز وجل من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم قال قالوا
امنا بافواههم ولم يقل امنوا بافواههم ليعلم ان القول به ليس هو من شرط الايمان انما الايمان
هو تصديق القلب لكن يعبر به اللسان عن قلبه الا ترى انه قال ولم تؤمن قلوبهم والايمان هو التصديق
في اللغة لان ضده التكذيب فيجب ان يكون ضد التكذيب التصديق يكون بالقلب حيث قال عز وجل
ولم تؤمن قلوبهم لكن اللسان يعبره عن ضميره فهو ترجمان القلب فيما بين الخلق فهذا يدل ايضا على
على ان الايمان ليس هو المعرفة لان الايمان لو كان معرفة لكان يجب ان يكون ضده جهلا فلما كان ضد
الايمان تكذيبا وجب ان يكون ضد التكذيب التصديق والتصديق والايمان في اللغة سواء ولان المعرفة
قد تقع في القلب على غير اكتساب فعل ربما والتصديق لا يكون الا باكتساب ترك مضادته وهو التكذيب
لذلك قلنا ان الايمان ليس هو المعرفة ولكنه تصديق ثم اختلف في هؤلاء قال بعضهم هم المنافقون
الذين كانوا يظهرون الايمان باللسان وقلوبهم كافرة وقال الاخرون هم اليهود والمنافقون الذين
قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومن الذين هادوا سماعون
للكذب هذا يدل ان قوله تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم في المنافقين وقوله عز وجل سماعون
للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحتمل سماعون الى النبي صلى الله عليه وسلم خبره سماعون
لقوم اخرين لم ياتوك خبره بالكذب ومعناه والله اعلم انهم كانوا يستمعون الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم خبره وما يقول لهم ثم ياتون الذين لم يؤتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيخبرونهم خلاف خبره وغير ما سمعوا منه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول

انه في التوراة كذا

ان في التورية كذا من الاحكام والشرايع فاذا سمع هؤلاء منه ذلك اتوا اولئك الذين لم ياتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقولون انه كاذب وليس في التوراة ما يقول هو ونحو ذا وقيل انهم كانوا طلايع
الكفرة وعيونا لهم فاذا اتى لهم خبر يخبرون ضعفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف
ما اتاهم نحو قولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يخشونهم ليلا يغزوهم والله اعلم وقوله
عز وجل يحرفون الكلم من بعد مواضعه يحتمل التحريف وجهين يحتمل تبديل الكتاب من الاصل
كقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ويحتمل تغيير المعنى
في العبارة على غير تبديل الكتاب يغيرون على السفلة والذين لا يعرفون غيرها فهموا منه وقوله
عز وجل يقولون ان اوتيتم هذا يعنون بهذا ما حرفوه وغيروه فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا
عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت الاية في رجل وامراة من اليهود زنيا وكان حكم الله في التوراة
في الزنا الرجم وكانوا يرجمون الوضيع منهم اذا زنى ولا يرجمون الشريف وكانا في شرف وموضع
وكانا قد احصنا فكرهت اليهود رجمها وفي كتابهم الرجم وكانوا ارادوا ان يرتفع الرجم من بينهم وان يكون
حدهم الجلد فذلك قوله تعالى ان اوتيتم حتى يعنون الجلد فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا
فكتبوا بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوا عن ذلك فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني
والزانية اذا احصنا ما حدهما وهل تجد فيهما الرجم فيما انزل الله تعالى عليك فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام
بالرجم وقال له ان ابوا ان ياخذوا به فسالهم عن رجل منهم يقال له ابن صوريا وصف له
فاجعله بينك وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اجد فيما انزل الله على ان الزانية
والزاني اذا احصنا وفجرا فان عليهما الرجم فنفروا عن ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتعرفون رجلا شابا صفته كذا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم
قالوا هو اعلم يهودي على ظهر الارض بما انزل الله على موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم
ابن صوريا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود
قال كذلك يزعمون قال اتجعلوه بيني وبينكم قالوا نعم رضينا به اذا رضيت قال فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاني انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية على موسى
هل تجدون في كتابكم الذي اتاكم به موسى في التورية الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي
ذكرتني ولولا خشية ان يحرقني النار ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ففي هذا وجوه من الدلايل
احدهما انه سالهم عما كتموا من الاحكام والحقوق التي بينهم وبين الله تعالى ليظهر خيانتهم
وكذبهم فيما كتموا من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته ليعلموا انه انما عرف ذلك
بالله وفيه اثبات رسالته والثاني انهم طلبوا منه الرخصة والتخفيف في الحد انهم عرفوا انه
انه رسول لكنهم كابروا في الانكار بعد ما عرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وفيه دلالة
جواز شهادة بعضهم على بعض لانه قبل شهادة ابن صوريا عليهم حيث شهد بالرجم وقال بعضهم
قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه الاية انها نزلت في قتيل نزلت
عمدا بين قبيلتين بني قريظة والنضير وكان القتيل من بني قريظة وكانت بنو النضير اذا قتلوا
من بني قريظة لم يعطوهم القود ولكن يعطوهم الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير لم يرضوا
الا بالقود يتعززون عليهم فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فارادوا ان يرفعوا امرهم
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليحكم بينهم فقال رجل من المنافقين ان قتيلكم قتل عمدا وانا اخشى

عليكم القود فان كان محدا امركم بالدية وقيل منكم فاعطوه والا فكونوا على حذر فاخبر عز وجل نبيه عليه الصلوة والسلام بما قالوا فقال يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه يعنى الدية وان لم تؤتوه فاحذروا قلا ندرى فيم كانت القصة وفيه من الدلايل ماذكرنا من اثبات الرسالة والنبوة والله اعلم وقوله عز وجل ومن يرد الله فتنته قيل من يرد الله عذابه واهلاكه فلن يملك احد دفع ذلك العذاب عنه وقيل الفتنة المحنة اى من يرد الله ان يمتحن بالرجم او القتل فلن يملك له احد دفع ذلك عنه وقوله عز وجل اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قالت المعتزلة قوله لم يرد الله ان يطهر قلوبهم تاويله يحتمل وجهين يحتمل لم يرد الله اى لم يطهر الله قلوبهم والثانى لم يرد الله ان يطهر قلوبهم بالشرك وذلك بعيد لانه كيف يطهر بالكفر وبالكفر يتنجس لكن الوجه عندنا فى قوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اى لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اذ علم منهم انهم يختارون ما اختاروا ويريدون ما ارادوا فانما اراد ما كان علم منهم انهم يريدون ويختارون وكذلك قوله تعالى ومن يرد الله فتنته يريد فتنة من علم انه يريدها ويختارها فانما يريد ما اراد هو ويختار وظاهر الاية على المعتزلة لانه قال لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وذلك ظاهر الخلاف وبالله العصمة وقوله عز وجل لهم فى الدنيا خزى الخزى فى الدنيا يحتمل القتل والعذاب والجزية ولهم فى الاخرة عذاب عظيم وقوله عز وجل سماعون للكذب يحتمل وجهين يحتمل سماعون اى مستمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرفوا به فيكذبوا عليه ويحتمل قوله تعالى سماعون للكذب اى قايلون لما القى اليهم من الكذب كانوا يقبلون لما القى اليهم من الكذب والله اعلم وقوله عز وجل اكالون للسحت قال بعضهم كل حرام هو سحت فان كان السحت اسم كل حرام فذلك يعم كل حرام وجميع الكفرة او اكثرهم وقال آخرون السحت هو الرشوة فى الحكم فان كان السحت هذا فذلك يرجع الى رؤسائهم الذين يحكمون فيما بينهم وياخذون على ذلك رشوة وقوله عز وجل فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم اختلف فيه قال بعضهم هو على التخيير اذا دفعوا الى الامام ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض ولم يحكم لكنه منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم امر بالحكم بينهم اذا جاؤا ونهى ان يتبع اهواءهم ونهى ترك الحكم بينهم اتباع هواهم وقال لان احكم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم امر بالحكم بينهم اذا جاؤا ونهى ان يتبع اهواءهم واحد نهم قالوا منسوخ بهذه الاية وامكن الجمع بينهم وهو ان قوله تعالى فاحكم بينهم او اعرض عنهم فى قوم من اهل الحرب دخلوا دار الاسلام بامان فرفعوا الى الامام امرهم فالامام بالخيار ان شاء ردهم الى مامنهم ونقضى عليهم امانهم ولم يحكم بينهم وان شاء تركهم وحكم بينهم فذلك معنى التخيير والله اعلم واما قوله فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم فذلك فى اهل الذمة الراضين بحكمنا اذا رفعوا الى الحاكم يجب ان يحكم بينهم ولا يرد عليهم ما طلبوا منه من اجراء الحكم عليهم لانهم ليس له فسخ ما اعطى لهم من العهود والمواثيق وهم قد رضوا بحكمنا لذلك لزم الحكم بينهم والله اعلم وقوله عز وجل وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يقع الاعراض عنهم موقع الجفاء ويعدون ذلك جفاء فآمنه عز وجل نبيه عليه الصلوة والسلام عن ان يلحقه ضرر منهم ويحتمل فلن يضروك شيئا اى ليس عليك من ضرر ما هم فيه فانما ضرر ذلك عليهم وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ الاية وقوله عز وجل وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اى بالعدل كقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وكقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل الاية ان الله يحب المقسطين اى العادلين فى الحكم وقوله عز وجل وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله يعجب نبيه صلى الله عليه وسلم شدة سفههم وتعنتهم بتركهم الحكم بالذى صدقوا وطلبا الحكم بما كذبوا لانهم صدقوا

وعن مجاهد انه قال وان جاؤك فاحكم بينهم واعرض عنهم نسخ فنزلت وان احكم بينهم بما انزل الله وهكذا روى عن عكرمة
سمرقندى

التورية وما فيها

التورية وما فيها من الحكم وكذبوا ما انزل على محمد عليه افضل الصلوات يقول والله اعلم انهم اذا لم يعملوا بالذى صدقوا كيف يعملون بالذى كذبوا وذلك تعجيب منه اياه شدة السفه والتعنت وقوله عز وجل فيها حكم الله اى حكم الله الذى تنازعوا فيه وتشاجروا رجما كان او قصاصا او ما كان والله اعلم وقوله عز وجل ثم يتولون من بعد ذلك يحتمل وجهين يحتمل يتولون من بعد ما تحكم بينهم مما حكمت ويحتمل يتولون من بعد ما عرفوا من الحكم عليهم بما فى التورية وقوله عز وجل وما اولئك بالمؤمنين اخبر انهم ليسوا بمؤمنين ثم سماهم كافرين فى آخر الاية بقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون حقا لم يجعل درجة ثالثة فهذا ينقض قول من يجعل بين الايمان والكفر درجة ثالثة وهو قول المعتزلة وقوله عز وجل انا انزلنا التورية فيها هدى ونور هدى من الضلالة ونور من العمى هدى لمن استهدى به ونور لمن استنار به من العمى وقوله عز وجل يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والاية اختلف فيه قال بعضهم الاية على التقديم والتاخير يقول يحكم بها النبيون والربانيون والاحبار الذين اسلموا ادمن الاحبار من قد اسلم منهم اخبر ان النبيين والاحبار الذين اسلموا يحكمون بما فى التورية للذين هادوا اى على الذين هادوا واللذين بمعنى على الذين هادوا وهذا جايز فى اللغة كقوله وان اساتم فلها اى فعليها وقيل يحكم بها النبيون الذين اسلموا اى سلموا امرهم وانفسهم لله وخضعوا له حكموا فيها وان خافوا على انفسهم الهلاك للذين هادوا وان اطاعوا الله وقبلوا ما فيها من الحكم فعند ذلك ادعوا من كتاب الله وحفظوه والاستحفاظ هو طلب الحفظ اى بما جعل اليهم الحفظ وكانوا عليه شهداء اى شهداء على ما فى التورية من الحكم ويحتمل شهداء على حكم رسول الله الذى حكم عليهم انه كذلك فى التورية وقوله عز وجل فلا تخشوا الناس فيما يحكم عليهم واخشون آمن رسوله صلى الله عليه وسلم شرهم ونكبتهم وامره ان يخشوه يكفيه شرهم واذاهم ثم اختلف فى الاحبار والربانيون قال بعضهم الربانيون علماء اليهود والاحبار علماء النصارى وهما واحد سموا باسمين مختلفين وقيل قوله فلا تخشوا الناس واخشون انما خاطبهم علماءهم اى لا تخشوا الناس ان تخبروهم بالحكم الذى فى التورية واخشون ولا تشتروا بآيات الله ثمنا قليلا لهم خرج الخطاب بهذا على التاويل الثانى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون هكذا من جحد الحكم بما انزل الله ولم يره حقا فهو كافر ذكر فى القصة ان الاية نزلت فى قتيل كان بين بنى قريظة وبنى النضير ان بنى النضير اذا قتلوا من بنى قريظة لم يرضوا الا بالقود والاخرى اذا قتلت احد منهم كانوا لم يعطوهم القود ولكن يعطوهم الدية فنزل وكتبنا عليهم ان النفس بالنفس الاية وقوله عز وجل وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين الى آخره اخبر الله عز وجل انه كان كتب على اهل التورية النفس بالنفس وقد كتب علينا ايضا قتل النفس بالنفس بقوله تعالى كتب عليكم القصاص فى القتلى كانه قال كتب عليكم القصاص فى النفس بالنفس كما كتبت عليهم واما القصاص فيما دون النفس فانه لم يبين فى الاية التى اخبر عز وجل انه كتب علينا القصاص فى النفس ثم يحتمل ان يكون قوله والعين بالعين والانف بالانف الى آخر ما ذكر وجهين يحتمل ان يكون اخبارا عما كان مكتوبا عليهم من القصاص فيما دون النفس كالنفس الا ترى انه قرئ فى بعض القراءات بالنصب نسقا على الاول ويحتمل على الابتداء على غير اخبار منه ولكن على الايجاب ابتداء والذى يدل على ذلك قوله فمن تصدق به فهو كفارة له لا يحتمل ان يكون هذا فى الخبر لان ذلك ترغيب فى العفو فى الحادث من الوقت دل انه ليس على الاخبار ولكن على الابتداء الا ترى اكثر القراء قرؤا بالرفع غير قوله النفس بالنفس فانه بالنصب ثم ذكر العين بالعين

وانما قرئ العين بالعين قراءة بعض القراء على الابتداء والايجاب العفو فيجئ بالرفع ولا يبطل تلك الاخبار عن بنى اسرائيل
سمرقندى

قرا الكسائى وابو عبيد والعين بالعين والانف والاذن والسن والجروح بالرفع هذه الاحرف الخمسة ووافقهما ابن كثير وابو عمرو وابن عباس وابو جعفر فى رفع والجروح فقط ونصبوا ما قبلها وقرا الآخرون جميع ذلك بالنصب فى كتاب ما يتفاصل به القراء
ه

والانف بالانف والاذن بالاذن ولم يذكر اليد والرجل وذلك يحتمل وجهين احدهما ما يحتمل
ان يكون القصاص في اليد ظاهر فيستدل بوجوبه فيما اخفى على وجوبه فيما هو اظهر منه لان المنتفع
بالبصر والانف والسمع ليس الا صاحبه وقد يجوز ان ينتفع غيره بيد آخر وبرجله والثاني ان يكون وجوب
القصاص في اليد في قوله والجروح قصاص ثم تخصيص الاسنان بوجوب القصاص دون غيرها من العظام
لان الاسنان بادية ظاهرة يقع عليها البصر يقدر على الاقتصاص واما غيرها من العظام مما لا يقع عليها
البصر ولا يقدر على الاقتصاص الا بعد كسر آخر وقطع لحم لذلك خصت الاسنان بالاقتصاص دون ساير
العظام والله اعلم ثم فيه دليل وجوب القصاص في العضو الذي لا منفعة فيه سوى البهاء بذهاب
البهاء لانه ذكر الانف والاذن وليس في الانف والاذن الا ذهاب البهاء فاوجب في ذهاب البهاء
القصاص كما اوجب في ذهاب المنفعة وعلى هذا يخرج قولنا في وجوب الدية في ذهاب البهاء على الكمال
كوجوبها في ذهاب المنفعة على الكمال على ان اهل العلم مجمعون ان القصاص واجب بين الرجال الاحرار
في العين والانف والاذن والسن والجروح التي ليس فيها كسر عظم اذا جنى على شيء من ذلك عمدا بحديدة
واما القصاص بين الرجال والنساء والعبيد والاحرار فيما دون النفس فاهل العلم اختلفوا فيه
وكان اصحابنا رحمهم الله تعالى لا يرون القصاص بينهم في ذلك ويرون القصاص في الانفس فاهل
العلم اختلفوا فيه ويفرقون بينهما والفرق بينهما ان جماعة لو قتلوا رجلا قتلوا به ولو قطع جماعة
يد رجل لم تقطع ايديهم فالتماثل في النفس غير معتبر به ويعتبر به فيما دون النفس وقد ذكرنا
هذه المسئلة فيما تقدم ذكرا كافيا وقوله عز وجل فمن تصدق فهو كفارة له اختلف فيه قال بعضهم
هو صاحب الدم كفارة لما كان ارتكب هو وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال من تصدق بدم فما دونه كان له كفارة من يوم ولد الى يوم تصدق وقال بعضهم قوله فمن تصدق به
فهو كفارة له يعني كفارة للقاتل اذا عفى الولي وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وعن مجاهد
هو كفارة للجارح واجر المتصدق على الله والاول كانه اقرب واشبه والله اعلم وقوله عز وجل ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الظالمون هذا اذا ترك الحكم بما انزل الله جحودا منه فهو ما ذكر وقوله وقفينا
على آثارهم بعيسى بن مريم قوله تعالى وقفينا اي اتبعنا على آثارهم وهو من القفاء وقوله آثارهم
يحتمل وجهين يحتمل على آثار الرسل ويحتمل على آثار الذين انزل فيهم التوراة وقوله عز وجل
وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور هدى من الضلالة لمن تمسك به ونور لمن عمي لمن استناده ومصدقا
لما بين يديه من التوراة فهذا يدل ان الكتب مصدقة بعضها بعضا على بعدها وقات النزول يدل على انه
من عند واحد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل وموعظة للمتقين
يحتمل موعظة للمتقين لان المؤمن هو الذي يتعظ به واما غير المؤمن فلا يتعظ به ويحتمل قوله
وموعظة للمتقين الذي اتقوا المعاصي كلها وفي قوله فمن تصدق به فهو كفارة له وكذلك قوله تعالى
فمن عفي له من اخيه شيء دلالة ان القصاص للعباد خاصة حيث رغبه في العفو عنه والترك له
ليس كالحدود التي هي لله تعالى لانه لم يذكر في الحدود العفو ولا التصدق به وذكر في القصاص
والجراحات دل ان ذلك للعبد له تركه وساير الحدود لله ليس لاحد ابطاله والله اعلم وقوله عز وجل
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون ذكر
في موضع ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وفي موضع الظالمون وفي موضع الفاسقون
فامكن ان يكون كله واحدا ان من لم يحكم بما انزل الله جحودا منه له واستخفافا فهو كافر ظالم فاسق
ويحتمل ان يكون ما ذكر من الكفر بترك الحكم بما انزل الله اذا ترك الحكم به جحودا منه وانكارا وما ذكر

من الظلم والفسق ذلك في المسلمين لانه قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف الى آخر ما ذكر ثم قال فمن تصدق به فهو كفارة له ثم قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الظالمون تركوا الحكم بما انزل الله اتباعا لهواهم لا جحودا فقد ظلموا انفسهم لان الظلم هو وضع الشيء
في غير موضعه والفسق هو الخروج عن الامر كقوله تعالى ففسق عن امر ربه اي خرج ثم يجب
ان يكون هذا في حال الجهل به والعلم سواء لانه اذا لم يحكم بما انزل الله فقد وضع الشيء في غير
موضعه وخرج عن امره لكن هذا في القول يقبح ان يقال هو ظالم فاسق وهو ما يفعل انما يفعله
عن جهل به يجوز ان يقال فعله فعل ظلم وفسق واما في القول فهو قبيح لما ذكرنا وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه من الاحكام اي حكم كان فهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب
بالحق قوله بالحق قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل مصدقا لما بين يديه قد ذكرنا
ايضا وقوله عز وجل ومهيمنا عليه عن ابن عباس رضي الله عنه قال مؤتمنا عليه والكسائي قال
المهيمن الشهيد وقيل الرقيب على الشيء قال هيمن فلان على هذا الامر فهو مهيمن اذا كان لها حافظا
والرقيب عليه وعن الحسن قال مهيمنا عليه مصدقا بهذه الكتب وامينا عليها والقتبي قال
امينا عليه وابو عوسجة قال مسلطا عليه وقيل مفسرا يعني التفسير وقال ابو بكر الكيساني قوله
مهيمنا هي كلمة ماخوذة من كتبهم غير معربة ماخوذة من لسان العرب وفيه اثبات رسالته صلى الله
عليه وسلم وتاويله هو شاهد وحافظ على غيره من الكتب ومصدقا لها انها من عند الله نزلت
سوى ما غير وافيها وحرفوه ليميز المغير منها والمحرف عن غير المغير والمحرف قال ابن عباس
رضي الله عنه ومهيمنا عليه القرآن شاهد على الكتب وقوله عز وجل فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
اهواءهم عما جاءك من الحق يحتمل قوله فاحكم بينهم بما انزل الله من الرجم في الزاني الثيب على ما ذكر
في بعض القصة انهم رفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزاني والزانية منهم فطلبوا منه
الجلد وكان في كتبهم الرجم ولا تتبع اهواءهم قولهم يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه
فاحذروا ان يقال احكم بينهم بما انزل الله من القتل لانه ذكر في بعض القصة ان بني قريظة
كانوا يرون لانفسهم فضيلة على بني النضير وكانوا اذا قتلوا منهم احدا لم يعطوهم القود يعطونهم
الدية واذا قتلوهم احدا منهم لم يرضوا الا بالقود فانزل الله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله وهو القتل
ولا تتبع اهواءهم في تركهم القود واعطائهم الدية والله اعلم بالقصة انه كيف كانت وليس بنا
الى معرفة القصة وماهيتها حاجة بعد ان نعرف ما اودع فيه وادرج من المعاني وقوله عز وجل
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الآية فان قيل كيف نهاه عن اتباع اهوائهم وقد اخبر عز وجل لكل شرعة
ومنهاجا وقد يجوز ان يكون ما هو وهم شريعة لهم قيل يحتمل النهي عن اتباع هواهم لما يجوز
ان يهود للحكم بشريعة قد نسخ الحكم بها لما اعتادوا العمل بها فالعمل بالمعتاد من الحكم ايسر
فهو واذلك او كان ما نسخ اخف فيهوون ذلك فنهاه عن اتباع هواهم لان العمل بالمنسوخ والعمل
بالمنسوخ حرام وان كان هو في بعض على غير ما شرع وفي بعض ما شرع فانما نهى عن اتباع هواهم
بما لم يشرع والله اعلم وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وليس في نسخ شريعة خروج
عن الحكمة من عرف النسخ بيان منتهى الحكم الى وقت ليس على ما فهمت اليهود من البداء والرجوع عما كان
وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم ما فيه مقنع بحمد الله تعالى ومنه وقوله عز وجل قال
ابن عباس رضي الله عنه الشرعة هي السبيل وهي الشريعة وجمعها شرايع وبها سميت شرايع
الاسلام وكل شيء شرعت فيه فهو شريعة وقال المنهاج السنة وقيل الشرعة السنة والمنهاج السبيل

يعني الطريق الواضح الذي يتضح لكل سالك فيه الا المعاند والمكابر فانه يتنزل السلوك فيه مكابرة
يخبر عز وجل والله اعلم انه لم يترك الناس حيارى لم يبين لهم الطريق الواضح يسلكون فيه
بل بين لهم ما يتضح لهم ان لم يعاند وليقطع لهم العذر والحجاج وان لم يكن حجاج وبالله التوفيق وقوله
عز وجل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اختلف فيه قيل لو شاء الله لجعلكم جميعا على شريعة واحدة
لا تنسخ بشريعة اخرى لفضل امتحان ولله ان يمتحن عباده بمحن مختلفة كيف شاء بما شاء وقيل لو شاء الله
لجعلكم امة واحدة اى على دين واحد وهو دين الاسلام لم يجعل كافرا ولا مشركا ولكن امتحنكم باديان
مختلفة على ما تختارون وتؤثرون ثم اختلف فى المشية قال المعتزلة هى مشية الجبر والقسر
وقال اصحابنا المشية مشية الاختيار وقد ذكرناها فى غير موضع وقوله عز وجل فاستبقوا الخيرات
قيل سابقوا يا امة محمد الامم كلها بالخيرات ويحتمل قوله تعالى فاستبقوا الخيرات اى سابقوا الى ما به
تستوجبون المغفرة كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم واصل قوله فاستبقوا الخيرات اى اعملوا
الخيرات كقوله اعملوا صالحا الاية وقوله عز وجل وان احكم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم نهى رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يتبع اهواءهم على العلم انه لا يتبع اهواءهم والوجه فيه ما ذكرنا ان العصمة
لا تمنع النهى بل يؤيد وقد ذكرنا فيما تقدم ويحتمل ان يرجع النهى الى غيره ويراد بالنهى والامر
غير المخاطب به على ما ذكرنا من عادة الملوك انهم اذا خاطبوا من هو اجل عندهم واعظم قدرا وارفع
منزلة فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل ولا تتبع اهواءهم فيما غيروا وبدلوا هذا يحتمل ولا تتبع هواهم
فيما طلبوا منك من الجلد مكان الرجم والدية مكان القصاص لما راى بنو النضير لانفسهم من الفضل
على بنى قريظة والله اعلم وقوله عز وجل واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قوله
ان يفتنوك اى يصدوك عن الحكم ببعض ما انزل الله اليك والفتنة هى المحنة وهى تتوجه الى وجوه
وقد ذكرنا الوجوه فيه فيما تقدم وقوله عز وجل فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم قوله فان تولوا فان اعرضوا من الحكم الذى تحكم بما انزل الله فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم اختلف فيه قال بعضهم انما يعذبهم الله ببعض ذنوبهم لا يعذبهم بجميع ذنوبهم
وقال الاخرون عذاب الدنيا عذاب ببعض الذنوب ليس هو عذاب بكل الذنوب لانه لا يدوم واما
فى الاخرة فانهم يعذبون بجميع ذنوبهم لان عذاب الاخرة دايم فهو عذاب بجميع الذنوب وعذاب
الدنيا زايل فهو عذاب ببعض الذنوب والله اعلم وقوله عز وجل افحكم الجاهلية يبغون قال بعضهم
ان هذا صلة قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا فقال الله عز وجل افحكم
الجاهلية يبغون وقال الاخرون روى عن ابن عباس رضى الله عنه يقول افحكم فى الجاهلية يبغون
عندك يا محمد فى القرآن يعنى بنى النضير وقوله عز وجل ومن احسن من الله حكما اى لا احد احسن
من الله حكما على اقرارهم ان الله اذا حكم لا يحكم الا بالعدل وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض يحتمل قوله تعالى لا تتخذوهم اولياء وجوها يحتمل
لا تتخذوا اولياء فى الدين اى لا تدينوا بدينهم فانكم اذا دنتم بدينهم صرتم اولياءهم ويحتمل
لا تتخذوهم اولياء فى النصر والمعونة لانهم اذا اتخذوهم اولياء فى النصر والمعونة صاروا اشالهم
لانهم اذا نصروا الكفار على المسلمين واعانوهم فقد كفروا وهو كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا بطانة من دونكم الاية نهاهم ان يتخذوهم اولياء موضع سرهم وخفياتهم فعلى ذلك
الاول والله اعلم والثالث لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فى المكسب والدنيا فانهم اذا فعلوا ذلك
لا بد من ان يميلوا اليهم ويصدروا عن رأيهم فى شيء فذلك مما يفسقهم ويخرج شهادتهم فهذا النهى

يحتمل

يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التى ذكرنا والله اعلم وفى الاية دلالة ان الكفر ملة واحدة وان اختلف
مذاهبهم فالواجب ان يرث بعضهم بعضا كقوله تعالى بعضهم اولياء بعض كما ان اهل الاسلام يرث بعضهم بعضا
وان اختلفت مذاهبهم الا ترى انه قال المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض الاية وليس ذلك بداخل
فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين لما عليه الاية انهم كلهم ملة واحدة ولكن احد
منهم لا يرث المسلم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين فالاسلام ملة ملة حق والكفر
ملة ملة باطل ولا نرثهم ولا يرثونا وما روى لا نرث اهل الكتاب ولا يرثونا الا ان يرث الرجل عبده
او امته ويحل لنا نساؤهم ولا يحل لهم نساؤنا فما يرث عبده او امته ليس بميراث انما هو ملك كان
يملكه قبل موته فعلى ذلك بعد موته وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر
المسلم وقوله عز وجل ومن يتولهم منكم فانه منهم الوجوه التى ذكرنا الولاية فى الدين والولاية فى النصر
والمعونة فانهم اذا فعلوا ذلك صاروا منهم فى حكم الدنيا والاخرة والولاية فى الكسب والدنيا فيصيرون
منهم فى حكم الدنيا والله اعلم فان قيل اليس يرث المسلم المرتد وقد قال ومن يتولهم منكم فانه منهم اخبر انه
من تولاهم من المسلمين صار منهم ونحن لا نرث اليهود والنصارى كيف ورث من صار من المسلمين قيل معنى
قوله فانه منهم فى الدين والكفر لا فى الحكم والحقوق لان المرتد الى النصرانية ليس بمتروك على دينه فلم يكن
من اهل تلك الملة وانما الملة ما يقاد عليها اهلها الا ترى ان المرتد لا يرث النصرانى ان كانوا اقرباءه
فلو كانت النصرانية له ملة ورثه اهلها لانا نعلم ان النصارى يرث بعضهم بعضا فلما لم يرثوه
دل ذلك على انه ليس من ملتهم وان حكمه فى الميراث حكم الملة التى يجبر على الرجوع اليها وعلى ذلك
جاءت الاثار عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين روى عن على رضى الله عنه انه اتى برجل ارتد عن الاسلام
فعرض عليه الاسلام فابى فضرب عنقه وجعل ميراثه لورثته المسلمين وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
كذلك وروى عن زيد بن ثابت مثله وقوله عز وجل ان الله لا يهدى القوم الظالمين قد ذكرناه فيما تقدم
وقوله عز وجل فترى الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون كقوله تعالى ام حسب الذين فى قلوبهم مرض
الى قوله ولتعرفنهم فى لحن القول وهو وصف المنافقين يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
كانوا يظهرون الموافقة للمسلمين خوفا منهم وفى السر مع الكفرة لانهم كانوا اهل ريب وشك ولا دين لهم
يميلون الى من راوا السعة معهم والامن وكانوا على شك من امر محمد صلى الله عليه وسلم وريب يقولون نخشى
ان تصيبنا دائرة لعل محمدا لا ينتصر ولا يتم امره فاسروا فى انفسهم المودة للكفر والغش للاسلام واهله
ويظهرون الموافقة للمؤمنين لما كانوا يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد النصر والظفر للمسلمين
لكن ذلك لا يتحقق عندهم وكانوا كما قال الله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
الاية وكانوا ينتظرون النصر والظفر فيميلون الى حيث كان النصر والظفر فيقولون للمؤمنين ان كان
الظفر لهم الم نكن معكم وان كان للكافرين فيقولون الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وقوله
عز وجل فعسى الله ان ياتى بالفتح اى بالنصر نصر محمد صلى الله عليه وسلم والظفر له على اعدائه
وفتح البلدان والامصار له واظهار دينه دين الاسلام على ما روى انه قال نصرت بالرعب مسيرة
شهرين وعلى ما فتح له البلدان كلهم وقوله عز وجل او امر من عنده قيل عذاب اولئك الكفرة وهلاكهم
فى الدنيا فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين عند العذاب والهلاك ويندمون فى الاخرة
لما اصابهم من العذاب بما اسروا فى انفسهم فى الدنيا من المودة لهم والعداوة للمؤمنين والله اعلم
وفى قوله يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة دلالة اثبات رسالة محمد لانه لا يحتمل ان يقولوا نخشى ان تصيبنا
دائرة من حيث تسمع اهل الاسلام ذلك منهم دل ذلك لهم انه انما عرف ذلك بالله وكذلك بما اخبر من الوعد

بالنصر له والظفر ثم كان على ما اخبره ووعد دل انه خبير عن الله تعالى وقوله عز وجل ويقول الذين
آمنوا بعضهم لبعض لما ظهر نفاق اهل النفاق قتلوا وافتضحوا كقوله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا قال المؤمنون عند ذلك اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم وقد كانوا
يظهرون الموافقة للمؤمنين ويحلفون بالله على ذلك ويضمرون الخلاف لهم والعداوة والمودة للكفرة
كقوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ويحلفون لكم لترضوا عنهم ونحو ذلك فذلك معنى قوله اهؤلاء
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم والله اعلم وقوله عز وجل حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين
اى حبطت اعمالهم التى عملوها قبل اسرارهم ما اسروا فى انفسهم اذا اسروا فى ذلك فاصبحوا اى صاروا
خاسرين بعد الافتضاح حيث ذهبت منافعهم التى كانت لهم قبل الافتضاح وظهور نفاقهم ويحتمل
قوله تعالى حبطت اعمالهم التى عملوا ظاهرا مراآة الناس وقوله عز وجل فاصبحوا خاسرين اى يصيرون
فى الآخرة من الخاسرين لانهم لم ينتفعوا باعمالهم التى عملوها فى الدنيا والآخرة وقوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه الآية قوله تعالى من يرتد منكم عن دينه ان قوله تعالى من يرتد
وان كان حرف توحيد وتفريد فان المراد منه الجماعة الا ترى انه قال فسوف يأتى الله بقوم دل هذا
على ان المراد منه الجماعة والعصابة ولان الواحد والاثنين اذا ارتد عن الاسلام يؤخذ ويحبس ويقتل
ان ابى الاسلام والجماعة اذا ارتدوا عن الاسلام احتيج الى نصب الحرب والقتال على ما نصب مع اهل
الردة وفى الآية دلالة امامة ابى بكر الصديق رضى الله عنه لان العرب لما ارتدت عن الاسلام
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حاربهم وكان هو ومن قام بحربهم ممن احب الله واحبه الله
وعن الحسن رضى الله عنه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه هو قال وقال ابو بكر واصحابه
رضى الله عنهم اجمعين وقوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى بأس
شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا يدل على امامة ابى بكر رضى الله عنه
لانه كان الداعى الى حرب اهل الردة فان قيل يجوز ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى دعاهم
قيل له قال الله تعالى قل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا فمحال ان يدعوهم فيطيعوا
وقد قال الله انهم لن يخرجوا معى ابدا فان قيل فيجوز ان يكون عمر رضى الله عنه هو الذى دعاهم
قيل له فان كان فامامة عمر رضى الله عنه ثابتة بدليل الآية واذا صحت امامته صحت امامة ابى بكر
رضى الله عنه لان المختار له والمستخلف فان قيل فيجوز ان يكون على رضى الله عنه هو الذى دعاهم
الى محاربة من حارب قيل له قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وهذه صفة من يحارب مشركى العرب
الذين لا يقبل منهم الجزية وعلى رضى الله عنه انما حارب اهل البغى وهم مسلمون ولم يحارب احد
بعد النبى اهل الردة غير ابى بكر رضى الله عنه فكانت الآية دليلا على صحة امامته وقوله عز وجل
فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه فسوف كقوله عسى والعسى واجب اخبر عز وجل انه يأتى
بقوم يحبهم ليبذل لهم انفسهم فى مجاهدة اعداء الله وتركهم فى الله لومة لائم فذلك لحبهم الله لانه
لا احد يبذل نفسه للهلاك وترك لومة لائم الا لمن يحب الله واحبهم الله لما اثنى عليهم بقوله
يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وحبهم لله لما بذلوا انفسهم فى مجاهدة اعدائه وتركهم
لومة لائم وفيه دلالة اثبات امامة ابى بكر رضى الله عنه لانه عز وجل اثنى عليهم بجهادهم فى سبيل الله
ومجاهدة اعدائه فلو كان غاصبا ذلك على على رضى الله عنه او كان غير محق لذلك لم يكن الله ليثنى
عليه بذلك لانه كان اخذ ما ليس له اخذه ومضيعا حقا لغيره ومن كان هذا سبيله لم يكن
يستوجب كل هذا الثناء من الله تعالى فهذا ينقض على الروافض قولهم وما روى من كنت مولاه

فعلى مولاه

فعلى مولاه وغيره من الاخبار وذلك فى الوقت الذى طلب على رضى الله عنه الخلافة وحارب
وحارب عليها لانه لا يحتمل ان يعلم ان له الخلافة فى زمن ابى بكر رضى الله عنه ويرى الحق لنفسه
ثم يترك طلبها لانه كان مضيعا حق الله عليه فدل سكوته وترك طلبه على ان الحق ليس له ولكن كان
لابى بكر رضى الله عنه والله اعلم وقوله عز وجل اذلة على المؤمنين اى للمؤمنين اى ذو رحمة ورأفة
للمؤمنين اعزة على الكافرين اى شاقة شديدة على الكافرين وهو ما وصفهم عز وجل اشداء على الكفار
رحماء بينهم الآية بذلك وصفهم عز وجل وقوله عز وجل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اختلف فيه
قال بعضهم ذلك الجهاد فى سبيل الله اى فى طاعة الله فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل ذلك الاسلام
فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم قد ذكرنا هذا فى غير موضع وقوله عز وجل انما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا الآية قال بعض اهل التأويل قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا هو صلة قوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض
وكذلك قوله تعالى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
والكفار اولياء هو صلة ما تقدم ذكره نهى المؤمنين ان يتخذوا الذين اوتوا الكتاب والذين لم يؤتوا
الكتاب اولياء فى غير آى من القرآن واخبر ان الله ورسوله هو ولى الذين آمنوا والمؤمنون ايضا
بعضهم اولياء بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فاذا كان الله عز وجل ورسوله
والذين آمنوا اولياء لمن آمن لم ينبغ ان يتخذوا الكفار اولياء وذكر فى بعض القصة ان عبد الله
ابن سلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان اليهود اظهروا لنا العداوة من اسلامنا وحلفوا
ان لا يكلمونا ولا يخالطونا فى شىء ومنازلنا فيهم وانا لا نجد متحدثا دون هذا المسجد فنزلت الآية
فقالوا قد رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين اولياء ثم اختلف فى نزوله قال بعضهم نزلت فى شان
على رضى الله عنه تصدق بخاتمه وهو فى الركوع ويقولون خرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال هل
اعطاك احد شيئا قال نعم يا رسول الله قال النبى صلى الله عليه وسلم ماذا قال خاتم فضة قال من اعطاك
قال ذلك الرجل القائم يعنى عليا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على اى حال اعطاك قال اعطانيه
وهو راكع فكبر النبى صلى الله عليه وسلم ودعا له واثنى عليه فاحتج الروافض بهذه الآية على تفضيل
على بن ابى طالب على ابى بكر رضى الله عنهما واثبات الخلافة له دون غيره ويقولون نزلت فى شانه
رضى الله عنه لما روى عن ابى جعفر رضى الله عنه قال تصدق على بن ابى طالب رضى الله عنه
بخاتمه وهو راكع فنزل الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون فقال لهم هب
ان الآية نزلت فى شانه وليس فيها دلالة اثبات الخلافة له فى زمن ابى بكر الصديق رضى الله عنه
لانا قد ذكرنا فى الآية الاولى ما يدل على اثبات الامامة له فى الوقت الذى كان هو اماما ونحن لا نجعل
لعلى كرم الله وجهه الخلافة له فى الوقت الذى لم ير لنفسه الخلافة لانه روى عنه انه قال
ان ابا بكر هو خير الناس بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او كلام نحو هذا وفى الخبر
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو وليتم ابا بكر لوجدتموه قويا فى دينه ضعيفا فى بدنه
وان وليتم عمر لوجدتموه قويا فى دينه وبدنه وان وليتم عليا لوجدتموه هاديا مهديا مرشدا
فنقول نحن على ما كان من على وساير الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من تسليم الاموال الى ابى بكر
وتفويضهم اليه من غير منازعة ظهرت من على كرم الله وجهه فى ذلك فلو كان الحق له فى ذلك
الوقت لظهرت منه المنازعة على ما ظهرت فى الوقت الذى كان له فقالوا لان عليا رضى الله عنه
لم يكن له انصار وفى الوقت الذى ظهرت المنازعة منه والطلب كان له انصار الا ترى ان ابا بكر

رضي الله عنه مع ضعفه في بدنه خرج وحده لحرب اهل الردة حتى لما رأوه خرج وحده حينئذ
تبعوه فابو بكر لم يترك طلب الحق لعدم الانصار مع ضعفه في بدنه فعلي رضي الله عنه مع شدة قوته
وفضل علمه بامر الحرب حتى لم يبارز احد من الاعداء الا غلبه واهلكه فكيف توهمتم فيه ترك طلب الحق
لفقد الانصار له والاعوان في ذلك هذا لعمري لا يتوهم في ضعفاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضلا ان يتوهم في علي رضي الله عنه فدل ترك طلب ذلك منه على انه ترك لما راى الحق له والله اعلم
واحتجوا بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى
غير ان لا نبي بعدي وهرون كان خليفة موسى ما اكرم ايضا ان عليا رضي الله عنه كان خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل لهذا جوابان احدهما ان قوله انت مني بمنزلة هرون من موسى يحتمل ان يكون
في الاخوة التي كان هو وليس في الخبر جعل الخلافة له في الاوقات كلها وهكذا جواب ما روى عنه
من كنت مولاه فعلي مولاه والله اعلم ثم ان كان الحديث الذي روى عن ابي جعفر رضي الله عنه صحيحا
في الاية معنيان احدهما فضيلة علي كرم الله وجهه وقد كان كثير الفضائل مستكملا خصال الخير والاخر
ان العمل اليسير في الصلوة لا يفسدها وقد روى في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خلع
نعله في الصلوة وانه مس لحيته وانه اشار بيده وغير ذلك من العمل اليسير نعله في صلوته
فيقاس كل عمل يسير على ما دل عليه الخبر على جواز الصلوة وفيه وجه وهو ان الصدقة المتطوع تسمى
زكوة لان صدقة علي رضي الله عنه بالخاتم لم تكن صدقة مفروضة بل كانت تطوعا فسماها الله زكوة
وان كانت تطوعا الا ترى انه قال اية اخرى وما اوتيتم من زكوة تريدون وجه الله سماها زكوة
وان كانت تطوعا كما سمى صلوة الفرض والتطوع صلوة وصوم التطوع والفرض صياما فعلى ذلك هذا
وظاهر الاية في جملة المومنين ليس على رضي الله عنه اولى بها من غيره فان كان فيه نزل فهو
ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون
ظاهر هذا لو صرف الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان اقرب لانه كان هو الغالب على اهل الردة
من اول ما وقع بينهم الى اخره وعلي رضي الله عنه انما صار الامر له في اخره حين حارب الخوارج
والله اعلم **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا الى اخره
يحتمل النهي عن اتخاذ اولئك اولياء وجوها يحتمل النهي بعدما اتخذوا اولياء لا في الدين
ولكن في بعض المكاسب ويحتمل ان يكون النهي للمنافقين ان لا يكونوا مع اولئك على المومنين وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم والحرب هو العون والنصر في اللغة قال الكيساني تقول العرب فلان حرب لي اي ناصري
وعوني **وقوله** عز وجل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم
غاية سفههم بصنيعهم اذا نودي الى الصلوة لانه ذكر في القصة انهم اذا سمعوا المنادي يقول اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قالوا احرق الكاذب وقالوا والله ما نعلم اهل دين من هذه
الاديان اقل حظا في الدنيا والاخرة منهم يعنون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه رضي الله
عنهم فدخلت خادمهم ليلة من الليالي بنار وهو نائم واهله نيام فسقط شرارة فحرقت البيت
واحترق هو واهله **وقوله** عز وجل ذلك بانهم قوم لا يعقلون نفى عنهم العقل لما لم ينتفعوا
بما عقلوا والا كانوا يعقلون وعلى ذلك يخرج قوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
لما لم ينتفعوا بما سمعوا به وعقلوا وكذلك قوله صم بكم عمي الاية انا لا نعلم انهم كانوا يبصرون
ويسمعون لكن نفى عنهم لما لم ينتفعوا بالبصر والسمع واللسان كمن ليس له ذلك في الاصل ذلك
والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان شدة بغضهم وحسدهم لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

تمنعهم

تمنعهم عن فهم ما خوطبوا به ويحول بينهم وبين معرفة ذلك كانوا كمن ليس لهم ذلك راسا **وقوله**
عز وجل قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية قيل هل تنقمون منا هل تطعنون علينا وهو قول
ابن عباس رضي الله عنه وقيل وهل تعيبون علينا وقال ابو عوسجة هل تنقمون منا اي تنكرون منا
وهو يرجع الى واحد والنقم هو العيب والطعن والانتقام هو الانتصار ومعناه هل منا الا ان امنا بالله
وما انزل الينا من قبل اي كيف تطعنون علينا وتعيبون وانتم ممن قد دعوتم الى الايمان بما انزل في الكتب
وانتم ممن قد اوتيتم الكتاب وفي كتابكم الايمان بالله والايمان بالكتب كلها فكيف تنكرون الايمان بذلك
بذلك كله وتعيبون علينا ولا تعيبون على انفسكم بفسقكم وخروجكم عن امر الله تعالى وما امركم كتابكم
ودعاكم اليه ونهاكم عما انتم فيه وما انزل الينا وهو القران وهو تصدق ما قبله من الكتب وما انزل
من قبل من الكتب المتقدمة من التوراة والزبور والانجيل وهي تصدق القران بعضها يصدق بعضا
فكيف تنكرون الايمان به **وقوله** عز وجل قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب
وغضب عليه الاية ذكر هذا والله اعلم على اثر قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وعلى اثر قوله
واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا الاية وذلك انهم كانوا يستهزؤن بالمؤمنين ويضحكون
منهم ويطعنون في دينهم ويعيبون عليهم فقال على اثر ذلك له قل يا محمد هل انبئكم بشر من ذلك
اي مما المومنون عليه مثوبة عند الله قالوا من قال الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير الاية فمن كان هذا وصفه فهو شر مما عليه المومنون وقد كان فيهم جميع ذلك مما غضب الله
عليهم ولعنهم اي حول جوهرهم الى اقبح جواهر واوحشها وهي القردة والخنازير بسوء صنيعهم
او يكون ذلك على اثر قول ما قالوا ما ذكر في بعض القصة والله ما نعلم من اهل دين اقل حظا في الدنيا
والاخرة من هؤلاء يعنون المؤمنين لانهم كانوا يدعون ان الدنيا والاخرة لهم وليس لهؤلاء
دنيا ولا اخرة قال الله سبحانه وتعالى قل يا محمد هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله اي ثوابا
عند الله الاية فقالوا من هم قال من لعنه الله وغضب عليه والملعون هو المطرود عن الخيرات
وجعل من حول جوهره الى الجوهر القردة والخنزير وهو اقبح جوهر في الطبع والعقل واوحشه
ومن عبد الطاغوت يعني الشيطان اولئك شر مكانا في الدنيا لما حول جوهرهم الى اقبح جوهر في الارض
من الذين لم يحول جوهرهم الى ذلك اذ لم يروا احدا من المؤمنين حول جوهره الى جوهر من ذكر
وقدرا واكثر من اوايلهم قد حولوا من جوهرهم الى هذه الجواهر المستقبحة في الطبع المودية ويكون
على الاضماد على اثر ما كان وهو لم تعلم به فنزل عند ذلك وعن الحسن قال قوله تعالى قل هل انبئكم
بشر من ذلك الذين لعنهم الله والذين غضب عليهم والذين عبدوا الطاغوت والذين جعل منهم القردة
والخنازير منهم من جعله قردة ومنهم من ابقى على جوهره الذي كان اولئك شر مكانا في الدنيا
والاخرة واضل عن سواء السبيل اي اخطا طريقا ودينا والله اعلم بالقصة **وقوله** عز وجل واذا جاؤكم
قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به قيل ان الاية في اليهود وقيل انها في المنافقين وهي
في المنافقين اشبه ذكر انهم كانوا يدخلون على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويظهرون الموافقة له
ويخبرونه انهم يحمدون نعته وصفته في كتبهم ويضمرون الخلاف له في السر وهزؤا به فقال
عند ذلك وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اخبر تعالى عز وجل نبيه عليه الصلوة والسلام
انهم دخلوا بالكفر لانهم يقولون ذلك استهزاء وعلى ذلك خرجوا ففيه دلالة اثبات رسالة سيدنا
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اخبر عما اضمروا ليعلموا انه انما علم ذلك بالذي يعلم الغيب
مع علمهم انه لا يعلم الا الله والله اعلم بما كانوا يكتمون ويضمرون من الكفر والهزء **وقوله** عز وجل

وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان واكلهم السحت الاية يحتمل ان يكون قوله وترى
كثيرا منهم من ملوكهم وعوامهم يسارعون فى الاثم اى فى قول الكفر والعدوان والعدوان هو
المجاوزة عن الحد الذى حد لهم ويسارعون ايضا فى اكل السحت والسحت قيل هو كل محرم وقيل هو
الرشوة فى الحكم وعن عمر رضى الله عنه انه قال الرشوة هى الكفر واما السحت هو ان يرفع حاجته لاخيه
الى السلطان فياكل عنده وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ثم قال على اثر ذلك لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون عاتب الله عز وجل الربانيين والاحبار عن تركهم
نهى اولئك عن صنيعهم واشركهم فى الاثم شرعا سواء ليعلموا ان العامل بالاثم والمعصية والراضى به
والتارك النهى عن ذلك سواء وفيه سواء ان تارك النهى عن المنكر يلحقه من الاثم ما يلحق الفاعل به
والربانيون والاحبار قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة الاية
قال الحسن قوله تعالى يد الله مغلولة اى محبوسة ممنوعة عن تعذيبنا لقولهم نحن ابناء الله
واحباؤه وقوله عز وجل غلت ايديهم فى الآخرة بالسلاسل الى اعناقهم وقوله عز وجل
بل يداه مبسوطتان بالمغفرة والتعذيب يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال ابن عباس رضى الله عنه
قولهم يد الله مغلولة يعنون بذلك ان يده موثقة مغلولة حقيقة اليد والغل ولكن وصفوه
بالبخل وقالوا امسك ما عنده بخلا منه تعالى الله عن ذلك وقال الاخرون ان الله تبارك وتعالى
قد كان بسط على اليهود الرزق فكانت من اخصب الناس واكثرهم خيرا فلما عصوا الله فى محمد
عليه افضل الصلوات وكفروا به وبدلوا نعمة الله كفرا بالنعمة كف الله تعالى عنهم بعض الذى
كان بسط عليهم من السعة فى الرزق فعند ذلك قالوا مغلولة لم يقولوا يده مغلولة الى عنقه ولكن
ممسكة عنهم الرزق فلا تبسط كما كان يبسط وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة ولا تبسطها كل البسط
نهى عن البخل فى الانفاق لا انه اراد حقيقة غل اليد الى عنقه فعلى ذلك قولهم يد الله مغلولة
كناية عن البخل ووصف به لا حقيقة الغل وبالله العصمة وتاويل قوله غلت ايديهم على هذا
التاويل اى ايديهم هى الممسكة عن الانفاق وهم الموصوفون بالبخل والشح بل يداه مبسوطتان
اى نعمه مبسوطة يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه بل يداه
بسطان قال الفراء يقال وجه مبسوط ووجه بسط ثم لا يحتمل ان يفهم من اضافة اليد اليه ما يحتمل
ان يكون له اليد من ذلك قوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يفهم من
القرآن اليد كما يفهم من الخلق فعلى ذلك لا يجوز ان يفهم من اضافة اليد الى الله تعالى كما فهم من الخلق
الا ترى انه قال ذلك بما كسبت يداك وبما كسبت ايديكم لم يفهم من اليد نفسه وكذلك قوله ذلك
بما قدمت ايديكم لكن اضيف ذلك الى اليد لما باليد يقدم ويعطى ويكسب الا ترى انه قال تعالى
لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ومعلوم انه لم يفهم من اليد اليد نفسه ولكن اضيف ذلك اليه
لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولعنوا بما قالوا قيل عذبوا بما قالوا يد الله مغلولة واللعن فى اللغة
هو الطرد كانه قال طردوا عن رحمة الله وايسوا عنها حتى لا ينالوها ابدا بقولهم الذى قالوا وقيل
فيه اخبار انهم يموتون على ذلك ولا يؤمنون فماتوا على ذلك فذلك دليل رسالته عليه الصلوة
والسلام والله اعلم وقوله عز وجل وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك يحتمل وجهين
قيل يزيد ما انزل الله اليك من القرآن كثيرا منهم يعنى اليهود طغيانا وكفرا وقيل وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل الله من ربك من البيان عما كتموا من نعته وصفته التى كانت فى كتابهم وما حرفوا فيه
وغيروه من الاحكام فذلك مما زادهم طغيانا وكفرا قيل طغيانا اى تماديا بالمعصية وكفرا بالقرآن

عن مسروق قال سالت [illegible] رضى الله عنه وقلت يا امير المؤمنين ارايت الرشوة فى الحكم من السحت قال لا ولكن كفر [illegible]

وفى حرف عبد الله ومصحفه بل يداه بسطان والمعنى واحد تقول العرب للرجل اذا كان جوادا سماحة بسط وبله مطلق اى مبسوطة ومطلقة ابو معاذ

وقيل الطغيان

وقيل الطغيان هو العدوان وهو المجاوزة عن الحد الذى حد فان قيل ما معنى اضافة زيادة
الطغيان الى القرآن والقرآن لا يزيد طغيانا ولا كفرا قيل اضافة الافعال الى الاشياء تكون لوجوه
ثلاثة منها ما يضاف لحقيقة الفعل لها ومنها ما يضاف للاحوال ومنها ما يضاف لمكان ما به
يكون الفعل وههنا اضيف ذلك الى القرآن لما كان فيهم من الطغيان والكفر لمكان ما انزل اليهم
بالكفر الذى كان فيهم وهو كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس انهن لا يضللن احدا فى الحقيقة
ولكن لما صاروا بهن ضلالا اضيف اليهن وكقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا والحيوة الدنيا لا تغر
احدا ولكن لما لو كانت لها حواس لكان ما ابدت من الزينة لغرت وقوله عز وجل والقينا بينهم
العداوة والبغضاء الى يوم القيامة اختلفوا فيه قال بعضهم القينا بينهم بين اليهود والنصارى
اى لا يحب اليهودى نصرانيا ولا النصرانى يهوديا وقال الاخرون بينهم بين اليهود لان اليهود كانوا
على مذاهب مختلفة واهواء متشتتة منهم من يقول عزير ابن الله ومنهم من يذهب مذهب التشبيه
هم على اهواء مختلفة فبينهم عداوة وبغضاء على ما ذكر الاختلاف الواقع بينهم ثم معنى ما اضاف
من القاء العداوة بينهم الى نفسه لا يخلو اما ان يكون له فى نفس العداوة فعله او ان يكون فى سبب
العداوة ولا يجوز ان يكون له فى فعل العداوة صنع لانه فعلهم ولا فى سبب العداوة ايضا لانه سببه
الاختلاف والاختلاف فعلهم ايضا فاذا بطل ان يكون له فى واحد من هذين صنع دل ان له ذلك
من الوجه الاخر وهو ان خلق فعل العداوة وسبب العداوة منهم وبالله التوفيق والعصمة فان قيل
ذكر ههنا انه تعالى القى بينهم العداوة وذكر فى اية اخرى ان بعضهم اولياء بعض بقوله تعالى
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض كيف يجمع بينهما قيل بعضهم اولياء بعض
فى اصل الدين وهو الكفر وبينهم عداوة لاختلاف الاهواء والمذاهب والله اعلم وفى الاية دلالة
الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اخبر انه التى بينهم العداوة ولو كانوا على مذهب
واحد ولم يكن بينهم اختلاف وعداوة لكان ذلك عليه اشد وفى المقام بينهم اصعب لكن من
عليه بالاختلاف فيما بينهم لما جعل الاختلاف والتنازع سبب الفشل كقوله تعالى ولا تنازعوا
فتفشلوا الاية وقوله عز وجل كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله يحتمل وجهين يحتمل كلما ارادوا
مكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوا امرهم على قتله اطلع الله نبيه عليه الصلوة والسلام
على ذلك حتى لم يقدروا على مكروه والثانى كلما انتصبوا الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجتمعوا عليه فرق الله شملهم وجعلهم بحيث لا يجتمعون على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
ويسعون فى الارض فسادا يحتمل وجهين ايضا يحتمل السعى بالفساد على حقيقة المشى على الاقدام
وهو ما كانوا يسعون فى نصب الحرب مع المؤمنين والاتصال بغيرهم من الكفرة والاستعانة
بهم فذلك هو السعى فى الارض بالفساد والثانى ما كتموا من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصفته وحرفوا ما فى كتبهم من اعلام نبوته وآيات رسالته ودعوا الناس الى غير ما نزل فيه
وذلك سعى فى الارض بالفساد وبالله التوفيق وقوله عز وجل والله لا يحب المفسدين لانه لا يحب
الفساد ولا يرضى به وقوله عز وجل ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلناهم جنات النعيم عامل الله عز وجل خلقه معاملة اكرم الاكرمين حيث وعد لهم المغفرة
وتكفير ما ارتكبوا فى حال الكفر بقولهم فى الله من القبيح الوحش لو آمنوا واتقوا الذى قالوا فى الله وهو
كما قال الله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم انه لما تاب ورجع عن صنيعه يرجع عن جميع
ما كان منه ويندم على ذلك ويتمنى ان يكون ما كان منه فى تلك الحال من الشر خيرا فهو كقوله تعالى

ومنها ما يضاف ليحصل احوال من المضاف اليس بان يحصل حال بحمله تلك الحال على تحصيل الفعل فيضاف ذلك الفعل الى تحصيل الحال وان لم يوجد منه الفعل حقيقة بطريق التسبيب ومنها ما يضاف الى محل الفعل لا لتحقق الفعل بدونه والاضافة ههنا من هذا القبيل

فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات لانهم يندمون على تلك السيئات التي كانت لهم ويتمنون
ان يكون الذي كان منهم في تلك الحال خيرا لا شرا والله اعلم وقوله عز وجل ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل وما انزل اليهم من ربهم يحتمل هذا وجهين يحتمل ولو انهم عملوا بما في التورية
والانجيل وبما انزل اليهم من القرآن لاكلوا من كذا ويحتمل و ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
على ما انزل ورجعوا عما حرفوا فيها وغيروه وكتموه من نعت نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وصفته وما فيها من الاحكام لكان لهم ما ذكر والله اعلم وذلك انهم كانوا يخافون الضيق
اذا اسلموا وهو والله اعلم وذلك قوله ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فاخبر الله
عز وجل انهم لو آمنوا واتقوا الشرك لوسع عليهم العيش وقوله عز وجل لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم ليس على حقيقة الاكل ولكن يخرج على المبالغة في الوصف والذكر كما يقال
فلان من قرن راسه الى قدمه في نعمه على حقيقة ما وصف ولكن على المبالغة في الوصف بالسعة
ويحتمل ان يكون على حقيقة الاكل اما ما يخرج من تحت الارجل فهو ما يخرج من الارض من الماكول
والمشروب ومن فوقهم من الثمار والفواكه يخرج من الاشجار ويحتمل ما ذكر من فوقهم وهو
الجبال ومن تحت ارجلهم الارض احبا دان يكون لهم نزل الجبل والسهل جميعا وقيل لاكلوا
من فوقهم اي ارسل الله عليهم مدرارا ومن تحت ارجلهم تخرج الارض بركتها وتنبت لهم الثمر
وقال قتادة لاعطتهم الارض نباتها والسماء بركتها والله اعلم وقوله عز وجل منهم امة مقتصدة
قيل فيه بوجهين قيل امة مقتصدة من اسلم منهم وقيل منهم امة مقتصدة على كتاب الله
لم يحرفوه ولا غيروه ولا كتموا شيئا ولا سعوا في الارض بالفساد على ما عمل اكثرهم من التحريف
والتغيير والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل
فما بلغت رسالته هذا والله اعلم وذلك ان اهل الكفر كانوا على طبقات ثلاث منهم من يقول لن نؤمن
بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ومنهم من كان
يخوفه ويمكر به ليقتلوه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية
ومنهم من كان تعرض عليه النساء والاموال ليترك ذلك وان لا يدعوهم الى دينه الذي هو
عليه كانوا على الوجوه التي ذكرنا فامر الله عز وجل ان يقوم على تبليغ رسالته وان لا يمنعه
ما يخشى من مكرهم وكيدهم على قتله لان المرء قد يمتنع عن القيام بما عليه اذا خشي هلاكه
او لطلب مودة وصلة او يمتنع عن القيام لما عليه اذا كذب في القول ولحقه اذى لذلك فامر الله
عز وجل نبيه عليه الصلوة والسلام تبليغ ما انزل الله اليه وان خشي على نفسه الهلاك
او التكذيب في القول والاذى وترك طلب الموالاة اي لا يمنعك شيء من ذلك من تبليغ ما انزل اليك
او ان يكون الامر بتبليغ الرسالة في حادث الوقت ان بلغ ما انزل اليك في حادث الوقت كما بلغت
في الماضي من الوقت او ان يكون الامر بتبليغ ما انزل اليه امرا بتبليغ البيان اي بلغ ما انزل اليك
من البيان كما بلغت تنزيلا وهو كقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
اخبر عز وجل انه انما ارسل الرسل على لسان قومهم ليبينوا لهم فعلى ذلك هذا والله اعلم
وقوله عز وجل وان لم تفعل فما بلغت رسالته اي وان تبلغ ما انزل اليك لما تخشى من الهلاك
والمكروه كان لم يبلغ الرسالة راسا لم يعذر نبيه صلى الله عليه وسلم في ترك تبليغ الرسالة
اليهم وان خاف على نفسه الهلاك ليس كمن اكره على الكفر ابيح له ان يتكلم بكلام الكفر بعد ان يكون
قلبه مطمئنا بالايمان اذا خاف الهلاك على نفسه ولم يبح له ترك تبليغ الرسالة وان خشي على نفسه

الهلاك ذلك والله اعلم ان تبليغ الرسالة تعلق باللسان دون القلب والايمان تعلقه بالقلب
دون اللسان فاذا اكره على الكفر ابيح له التكلم به بعد ان يكون القلب على حاله مطمئنا بالايمان واما
الرسالة فلا سبيل له ان يبلغها الا باللسان لذلك لم يبح له تركها وان خاف الهلاك وهذا يدل
كقولنا في المكره بالطلاق والعتاق انه اذا تكلم به عمل لان تعلقهما باللسان دون القلب
فالاكراه لا يمنع نفاذ ما تعلق باللسان دون القلب كالرسالة التي ذكرنا والله اعلم ويحتمل قوله تعالى
وان لم تفعل اي لم تبلغ الرسالة في حادث الوقت لم تبلغ فيما مضى وان لم تبلغ البيان كما بلغت التنزيل
فما بلغت الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل والله يعصمك من الناس فيه دليل اثبات رسالة
صلى الله عليه وسلم لانه عز وجل اخبر انه اعصمه من الناس فكان ما قال فدل انه علم ذلك
بالله وكذلك في قوله تعالى فكيدون جميعا ثم لا تنظرون كان يقول بين ظهراني الكفرة كيدوني
جميعا ثم لم يلحقه من كيدهم شيء دل انه كان بالله تعالى وعن عايشة رضي الله عنها كان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس قال انصرفوا الى منازلكم
فان الله عصمني من الناس فانصرفوا ويحتمل قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك اي بلغ ما انزل
اليك من الايات والحجج والبراهين التي جعلها الله اعلاما لرسالتك وآثارا لنبوتك ليلزمهم الحجة
بذلك والله اعلم وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل
لابتداء الكلام بمثل هذا الا عن قول او دعوى تسبق وليس في الآية بيان ما كان منهم فيشبه
ان يكون الذي كان منهم ادعوا انهم على دين الله وعلى ولايته او ما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
او ما قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونحو ذلك من امانيهم ودعاويهم التي ادعوا
لانفسهم فقال لرسوله قل لهم لستم على شيء حتى يقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
قال الحسن قوله تعالى حتى تقيموا التورية والانجيل اي حتى تقيموا ما حرفتم وغيرتم من التورية
والانجيل وبدلتم وتستووا على ما انزل وتؤمنوا به وقال غيره قوله تعالى حتى تقيموا التورية
والانجيل بالشهادة والتصديق لما فيهما وعن ابن عباس رضي الله عنه حتى تقيموا التورية
حتى تعملوا بما في التورية والانجيل من صفة محمد ونعته ومبعثه ونبوته صلى الله عليه وسلم
وتبينونه للناس ولا تكتمونه وما ذكرنا واحد وما انزل اليكم من ربكم من كتب انبيائكم وحتى تقيموا
ايضا ما انزل من الكتب كتب الرسل اجمع لان الايمان ببعض الرسل وببعض الكتب والكفر ببعض
لا ينفع حتى يؤمن بالرسل كلهم وبالكتب جملة وقوله عز وجل وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا قد ذكرنا هذا وقال بعضهم قوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك القرآن في امر الرجم والقصاص طغيانا وكفرا وقال بعضهم لستم على شيء حتى تقيموا التورية
والانجيل هو ما امر الله نبيه عليه الصلوة والسلام ان يبلغ ما انزل عليه بقوله بلغ ما انزل
اليك وقوله عز وجل فلا تاس على القوم الكافرين اي لا تحزن على كفرهم كقوله تعالى لعلك
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ونحو قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله عز وجل
ان الذين آمنوا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هم الذين آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم
وقال بعضهم هم الذين آمنوا ببعض الرسل لم يتسموا باليهودية ولا بالنصرانية والذين هادوا
والصابئون والنصارى قد ذكرنا فيما تقدم من هم وقوله عز وجل من آمن بالله واليوم الآخر
تاويل الآية والله اعلم وان اختلفت دياناتهم وتفرقت مذاهبهم لو آمنوا بالله وما ذكر فلا خوف
عليهم بما كان منهم في حال كفرهم كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ولا هم يحزنون

على فوت ما اعطاهم اى لا يفوتهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
قد اخذ الله عز وجل الميثاق على جميع البشر وخصهم به دون غيرهم من الخلائق لما ركب فيهم ما يعرف
كل بشر شهادة الخلقة على وحدانية ربه كقوله سبحانه وتعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ثم خص بني اسرائيل من البشر بفضل الميثاق لما ارسل
اليهم الرسل منهم وهو قوله وارسلنا اليهم رسلا وكانهم قد قبلوا تلك المواثيق كقوله تعالى وقال الله
اني معكم لئن اقمتم الصلوة الى آخره وكقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم كان من الله لكم عهد ومنهم
لله عهد فاخبر انهم اذا اوفوا بعهده يوف بعهدهم وقوله عز وجل كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وفي الآية دلالة انهم كانوا يخالفون دين الرسل باجمعهم
لما احدثوا من اتباع هوائهم وان الرسل وان اختلفت اوقات مجيئهم فانهم انما يدعون باجمعهم
الى دين واحد وقوله عز وجل فريقا كذبوا وفريقا يقتلون منهم من كذبهم ومنهم من قتل لكن القتل
ان كان فهو في الانبياء غير الرسل لانه تعالى قال انا لننصر رسلنا اخبر انه ينصر رسله وليس
في القتل نصر ويحتمل قوله فريقا يقتلون اى فريقا قصدوا قصد قتلهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم
وقوله عز وجل وحسبوا ان لا يكون فتنة ولم يبين ما الفتنة التي حسبوا ان لا تكون فاهل التأويل
اختلفوا فيها قال قايلون الفتنة المحنة التي فيها الشدة حسبوا ان لا يأتيهم الرسل بامتحانهم
على خلاف هواهم بل جاءتهم الرسل ليمتحنوا على خلاف ما احدثوا من هوا انفسهم وقال بعضهم
قوله وحسبوا ان لا تكون فتنة اى هلاك وعذاب بتكذيبهم وقصدهم قصد قتلهم وقال
ابن عباس رضي الله عنه ان لا يكون شرك وقيل حسبوا ان لا تكون فتنة اى حسبوا ان لا يبتلوا
بتكذيبهم الرسل وبقتلهم الانبياء بالبلاء والقحط فعموا عن الهدى فلم يبصروه وصموا عن الحق
فلم يسمعوه ما لم ينتفعوا به ثم تاب الله عليهم فدفع عنهم البلاء فلم يتوبوا بعد دفع البلاء
ويحتمل ان يكون قوله وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا
ما ذكره في آية اخرى وهو قوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين
ولتعلن علوا كبيرا الى قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم الآية تابوا مرة ثم رجعوا ثم تابوا فذلك
قوله فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا الآية وقوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح بن مريم الآية يحتمل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا اى كفروا بعيسى
لان عيسى كذبهم في قولهم انه ابن الله بقوله يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم الآية وبقوله
ان الله ربي وربكم فاعبدوه وبقوله اني عبد الله آتاني الكتاب الآية اخبر انه عبد الله ليس هو الها
ولا ابنه تعالى الله عن ذلك والثاني كفروا بعلمهم لانهم علموا انه ابن مريم ثم قالوا هو الله
او ابن الله فان كان ابن مريم الى يكون له الوهية فاذا كانت امه لم تستحق الالوهية وهي اقدم منه
كيف يكون لمن بعدها ولكن لسفههم قالوا ذلك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[2] وقوله عز وجل
انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار اى حرم عليه الجنة صار ماواه النار
وقيل سمي مسيحا قال الحسن سمي بذلك لانه ممسوح بالبركات وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح باللعنة
وقيل المسيح بمعنى الماسح وذلك جائز الفعيل بمعنى الفاعل وهو ما كان يمسح المريض والاكمه فيبرأ ويمسح
الموتى فيحيون ومثل ذلك فسمي بذلك والله اعلم والفعيل بمعنى المفعول جائز ايضا يقال جريح
ومجروح وقتيل ومقتول هذا كله جائز في اللغة وقوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة قوله تعالى كفروا بعلمهم علموا ان الله كيف يكون ثالث ثلاثة وهو الله فاذا قالوا هو الله

[2] ا[و] كفروا بعلمهم بانهم علموا الها وقد علموا بوحدانيته فاذا قالوا هو الله لا يكون ثالث ثلاثة فيكون ما قالوا تناقضا ولان الاله لا يكون الا الها واحدا كما قال وما من اله الا اله واحد فاذا اقروا بانه اله فكيف يكون ثالث ثلاثة شح

فلا يكون

فلا يكون هناك ثان ولا ثالث وذلك تناقض في العقل والثاني انهم لم يروا غير الله
خلق السموات والارض ولا راوا احدا خلقهم سوى الله كيف سموا وندا لها ولم يخلق ما ذكرنا ذلك
الله الذي لا اله غيره وذلك قوله وما من اله الا الله واحد اى يعلمون انه لا اله الا الله واحد لكنهم
يتعنتون ويكابرون في ذلك وقوله عز وجل وان لم ينتهوا عما يقولون عما تقدم ذكره ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب اليم وقوله عز وجل افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه عن مقالتهم الشرك قال تعالوا
فان الله غفور رحيم كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وبالله العصمة وقوله عز وجل
ما المسيح ابن مريم الا رسول في الآية دلالة المحاجة مع الفريقين كانهم كانوا فريقين احدا الفريقين
كانوا انه رسول والفريق الآخر يدعون له الربوبية والالوهية فقال انه ابن مريم لا يحتمل
وابن مريم لا يحتمل ان يكون الها والثاني اخبر انه رسول قد خلت من قبله الرسل اى قد خلت من قبل
عيسى رسل مع آيات وبراهين لم يقل احد من الامم السالفة انهم كانوا آلهة فكيف قلتم انتم بان عيسى آله
وان كان معه آيات وبراهين لرسالته وقوله عز وجل وامه صديقة قيل طهرة من الاقذار
كلها صالحة وقيل صديقة شبه البنتين وذلك ان جبرئيل عليه السلام لما اتاها وقال انما انا رسول
ربك لاهب لك غلاما زكيا صدقته كتصديق الانبياء والرسل الملائكة واما ساير الخلائق انما يصدقون
الملائكة باخبار الرسل اياهم وهي انما صدقت جبريل باخباره انه ملك وانه رسول لذلك سميت
صديقة والله اعلم وقيل كل مؤمن صديق كقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
الآية وقوله عز وجل كانا ياكلان الطعام فيه الاحتجاج عليهم من وجهين احدهما ان الجوع قد كان يغلبهما
ويحوجهما الى ان يدفعا ذلك عن انفسهما ومن غلبه الجوع وقهره كيف يصلح ان يكون ربا الها والثاني
انهما اذا احتاجا الى الطعام لا بد من ان يدفعهما ذلك الى ازالة الاذى عن انفسهما ودفعه والقيام
في اخبث الاماكن واقبحها ممن دفع الى ذلك لا يكون الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل
انظر كيف نبين لهم الآيات والآيات ما ذكر من وجوه المحاجة عليهم احدها انه ابن مريم ومن كان
ابن آخر لا يكون الها والثاني انه رسول وقد كان قبله رسل مع آيات وبراهين لم يدع احدهم
الالوهية والربوبية والثالث انه كان ياكل الطعام ومن كان تحت غلبة آخر وقهره لا يكون الها
والرابع من اكل الطعام احتاج ان يدفع عن نفسه الاذى ويقوم في اخبث مكان ومن كان هذا امره
لم يكن ربا وليس في القرآن والله اعلم آية اكثر ولا ابين احتجاجا على النصارى ولا ابلغ ولا اقطع لقولهم
عن هذه الآية للمعاني التي وصفنا وقوله عز وجل ثم انظر انى يؤفكون اى من اين يكذبون قال
ابو عبيد يؤفكون يصرفون ويحادون عن الحق كل من صرفته عن شيء فقد افكته ويقال افكت
الارض اذا صرف عنها القطر وقوله يؤفك عنه من افك وقال ابن عباس رضي الله عنه وذلك
افكهم وما كانوا يفترون قال اضلهم فاذا اضلهم فقد صرفهم عن الهدى قال ابو عوسجة الافك
عندي الصرف عن الحق وفي الاصل الافك الكذب وقال القتبي يؤفكون يصرفون عن الحق ويعدلون
وقيل انى يؤفكون يخدعون بالكذب وقوله عز وجل قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا
ان خالفتموه ولا نفعا ان اطعتموه ويحتمل قوله ما لا يملك لكم ضرا ان كان الله اراد بكم نفعا
ولا نفعا ان حل بكم الضر اى لا يملكون دفعه عنكم وقوله عز وجل والله هو السميع لنسبتكم
عيسى اليه تعالى العليم بعبادتكم غير الله ويحتمل السميع المجيب لدعائكم العليم بنياتكم والله اعلم
وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق خاطب الله عز وجل بالنهي عن الغلو
في الدين اهل الكتاب لم يخاطب اهل الشرك بذلك انما خاطب بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم

ولا تقولوا على الله الا الحق وذلك ان اهل الكتاب ادعوا انهم على دين الانبياء والرسل كانوا من قبل
فنهاهم الله عز وجل عن الغلو في الدين والغلو هو المجاوزة عن الحد الذي حدوا والافراط فيه والتعمق
فكانه والله اعلم قال لا تجاوزوا في الدين الحد الذي حد فيه بنسبة الالوهية والربوبية الى غير الله
والعبادة له واما اهل الشرك فانهم يعبدون ما يستحسنون ويتركون ما يستقبحون ليس لهم دين
يدينون به واما هؤلاء فانهم يدعون انهم على دين الانبياء والرسل كذلك خرج الخطاب لهم بذلك
والله اعلم وقوله عز وجل ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني الرؤساء بذلك والله اعلم
واضلوا اتباعهم وضلوا عن قصد طريق الهدى وقوله عز وجل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى بن مريم قال بعضهم لعنوا بكل لسان لعنوا على عهد موسى عليه السلام في التورية
وعلى عهد داود في الزبور وعلى عهد عيسى في الانجيل وعلى عهد رسولنا محمد عليه افضل الصلوات
واكمل التحيات في القرآن وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل مسخوا بدعائهم بما اعتدوا قصارا وقردة
خنازير قال ابن عباس رضي الله عنه القردة والخنازير من نسل الذين مسخوا وقال الحسن انقطع
ذلك النسل واصل اللعن هو الطرد كانهم طردوا عن رحمة الله ويحتمل تخصيص اللعن على لسان داود
لان داود عليه السلام كان به غلظة وخشونة وهو الذي كان اتخذ الاسلحة والآت الحروب وعيسى
كان به لين ورفق ليعلم ان اللعن الذي كان منهما كان لاعتدائهم الحد وحدود الله وعصيانهم
ربهم وكانوا مستوجبين لذلك محقين ولذلك استجيب دعائهم عليهم باللعن اعني دعاء الرسل
عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ذكر في بعض عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنوا اسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم
فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم واكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم
على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قال فجلس رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وكان متكئا لا والذي نفسي بيده حتى تاطروهم اطرا قال ابو عبيد
يعني تعطفوهم عطفا وقال غيره حتى تكسروهم كسرا وقوله عز وجل ترى كثيرا منهم يتولون
الذين كفروا قيل قوله ترى كثيرا منهم يعني المنافقين يتولون الذين كفروا يعني اليهود يتولون الذين
كفروا ويعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين وقيل ترى
كثيرا منهم يعني من اليهود يتولون الذين كفروا من مشركي العرب وغيرهم كانوا يظاهرون على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين ويعاونون عليهم وقد كان من الفريقين جميعا ذلك ويحتمل
وجها آخر قوله ترى كثيرا منهم من هؤلاء الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولون
الذين كفروا يعني اسلافهم ورؤساءهم كقوله تعالى لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا الاية تولى هؤلاء اولئك واتبعوا اهواءهم وقوله عز وجل
لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم اي ما قدمت انفسهم سخط الله وقوله عز وجل
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني المنافقين في احد التاويلين وفي التاويل الآخر اليهود
اي لو صدق هؤلاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمنوا به وصدقوا ما انزل اليه القرآن
ما اتخذوا اولئك اولياء ثم يحتمل قوله تعالى ما اتخذوهم اولياء في الدين او في النصر والمعونة والمظاهرة
ولكن كثير منهم فاسقون وقوله عز وجل لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
اشركوا يحتمل الاية وجوها يحتمل ان يكون ما ذكر من شدة عداوة اليهود للذين آمنوا قوما
مخصوصين منهم ويحتمل اليهود الذين كانوا بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه

فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض وتلا قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل الى قوله فاسقون قال كلا والله تعالى لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذون على يدي الظالم ولتاطرنهم على الحق اطرا او ليقصرنه على الحق قصرا وفي رواية اخرى عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث زيادة ه وليضربن الله لقلوب بعضهم على بعض ليلعنكم كما لعنهم ه وفي هذه الاية وما ذكرنا من الخبر دلالة على النهي عن مجالسة المظهرين للمنكر وانه لا يكتفى بالنهي دون الهجران شرح

هم اشد عداوة لهم ويحتمل اليهود جملة فهو والله اعلم على ما كان منهم من قتل الانبياء وتكذيبهم
اياهم ونصب القتال والحرب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وما كان منهم من قول
الوحش في الله سبحانه ما لم يسبقهم احد بمثل ذلك ما وصفوا الله عز وجل بالبخل والفقر وهو كقوله
قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وغير ذلك من القول
وذلك لشدة بغضهم وعداوتهم وقساوة قلوبهم فعلى ذلك كل من دعاهم الى دين الله تعالى
فهم له اشد عداوة واقسى قلبا واما النصارى فلم يكن منهم واحد مما كان من اليهود من قتل
الانبياء ونصب الحروب والقتال معهم ولم يروا في مذهبهم القتال ولا الحرب ولا كان منهم من القول
الوحش مما كان من اليهود بل كان فيهم اللين والرفق حتى حملهم ذلك على القول في عيسى ما قالوا
وذلك منهم له تعظيم فوق القدر الذي جعل الله له حتى رفعوه من قدر العبودية الى قدر
الربوبية كذلك كفروا والا كانوا يؤمنون بالكتب والانبياء عليهم الصلوة والسلام من قبل الا ترى
انه قال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا اخبر عز وجل ان منهم قسيسين ورهبانا والرهبان
هم العباد وقيل القسيسين هم الصديقون ولم يكن من اليهود رهبان ولا قسيس لذلك كانت النصارى
اقرب مودة والين قلبا من اليهود والله اعلم فان كان ذلك في قوم مخصوصين مشار اليهم
وهو ما ذكر في القصة ان بني قريظة والنضير كانوا يعاونون ويظاهرون مشركي العرب على قتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامرونهم بذلك ظاهروا واعانوا لمن لم يؤمن بنبي ولا كتب قط
على من قد آمن بالانبياء والكتب جميعا وذلك لسفههم وشدة تعنتهم حتى قاتلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم واجلاهم من بلادهم الى ارض الشام وان كان ذلك عن قوم بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وهو ما كان من يهود المدينة حيث بايعوا اهل مكة على قتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وكانوا عيونا لهم عليهم وطلايع ولم نذكر في قصة من القصص انه كان من النصارى شيء من ذلك
كان اقرب مودة للمؤمنين والله اعلم وما قاله بعض اهل التاويل بان من اسلم منهم كان اقرب
مودة للمؤمنين من اليهود فحاصل هذا الكلام ان المؤمن اقرب مودة للمؤمنين من الكافرين وذلك
كلام لا يفيد معنى وقوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع سرورا
على انفسهم مما ظفروا لما كانوا يسمعون من نعته صلى الله عليه وسلم ويطمعون من وجهه وقد يعمل
السرور هذا العمل اذا اشتد به وفرح القلب فاضت عيناه سرورا ويحتمل قوله تعالى ترى اعينهم
تفيض من الدمع حزنا على قومهم حيث لم يؤمنوا بعد ان بلغهم ما بلغ هؤلاء من اعلام النبوة وآثار
الرسالة اشفاقا عليهم ان كيف لم يؤمنوا كقوله تعالى ترى اعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا
ما ينفقون قد فاضت اعينهم حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون والله اعلم وقوله يقولون ربنا آمنا
بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين الاية قيل مع الانبياء والرسل وقيل مع اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وهو واحد ثم ذكر في القصة انها نزلت في النجاشي واصحابه وقيل نزلت
في اربعين رجلا من مسلمي اهل الانجيل بعضهم قدموا من ارض الحبشة وبعضهم قدموا من ارض
الشام فسمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اشبه هذا بالذي يحدث من حديث عيسى
فبكوا وصدقوا فنزلت الاية فيهم فلا ندري كيف كانت القصة وفيمن نزلت اذ ليس في الاية
بيانه وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه من شدة رغبتهم في القرآن وسرورهم على ذلك
وقوله عز وجل وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق الحق يحتمل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
ويحتمل القرآن ويحتمل كلاهما وقوله عز وجل ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين قال الحسن

لذلك كانوا اشد عداوة للمؤمنين والنصارى شرح

قوله تعالى نطمع اى نعلم ان يدخلنا ربنا الجنه اذا امنا بالله وما جاءنا من الحق وقيل نطمع هو الطمع
والرجاء اى نطمع ونرجوا ان يدخلنا ربنا فى دين قوم صالحين والصالحين يحتمل ما ذكرنا من الانبياء
والرسل ويحتمل اصحاب محمد صلوات الله عليه وسلامه وقوله عز وجل فاثابهم الله بما قالوا الثناء
الحسن فى الدنيا حيث ذكرهم فى القران فيذكرون الى يوم القيامة ويثنى عليهم وفى الاخرة الجنة
ونعيمها وذلك جزاء المحسنين المحسن كانه هو الذى يتقى المعاصى ويأتى بالخيرات والحسنات
جميعا يعمل علمين جميعا والتقى هو الذى يتقى المعاصى والمكاره خاصة وقوله عز وجل والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قال بعضهم الجحيم هو اسم معظم النار وقال غيرهم هو اسم درك
من دركات النار وكذلك السعير وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
الاية ترد على المتقشفة لانه نهانا ان ناكل طيبات ما احل الله لنا وهم يحرمون ذلك وقال الله
عز وجل قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم لا فرق بين تحريم ما احل
الله لنا من الطيبات وتحليل ما حرم الله علينا من الخبائث ثم يلزمهم ان يحرموا على انفسهم التناول
من الخبز والماء وهما من اطيب الطيبات الا ترى ان المرء قد يمل ويسأم من غيرهما من الطيبات اذا اكثر ذلك
ولا يمل البتة من الخبز والماء دل انهما من اطيب الطيبات الا ان تمنعوا من التناول من غيرهما
ايثارا منهم غيرهم على انفسهم لما يلحق القوم من المؤنة فى غيرهما من الطيبات ولا يلحق فى الخبز والماء
لانهما موجودان يجدهما كل احد ولا يجد غيرهما من الطيبات الا من تحمل مونة عظيمة فان كان تركهم
التناول منها لهذا الوجه فانه لا باس وبعد فان الله تعالى جعل الاطعمة والاشربة والفواكه للبشر
فى الوقت والحال التى تطيب انفسهم بها وتلذذ لانه لم يحل لهم فى اول خروجها من الارض والنخيل
انما احل لهم بعد نضجها وينعها واتخاذها خبزا وبلوغها فى الطيب نهايته وجعل للبهايم ذلك فى اول
ما يخرج فاذا كان البشر خصوا بذلك لم يجب ان يحرم ذلك ويبطل ذلك التخصيص والتفضيل والله اعلم
فان قيل انما يتناول منها لما يعجز عن شكر الله لذلك يقتصر على ما يقيم الرمق منه قيل له يجب ان لا يتزوج
من النساء الا ادونهن جمالا واكبرهن سنا لانها تصونه عن الفجور فانه لم يكن فى تزويج العجايز
والقبايح وترك الشبان الحسان زهادة فليس فى اكل خبز الشعير وترك الحوارى والميدة زهادة
ولكن لما خاف ان يدخله الرغبة فى طيب الطعام فى شبهه مكسبه فواجب عليه ان لا يدخله فى ذلك
المكسب وينزه نفسه عنه ويقتصر على القوت الذى لا بد له منه وقيل الاية نزلت فى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر وعلى وابن مسعود وعثمان بن مطعون والمقداد وسالم
رضوان الله عليهم اجمعين وهؤلاء حرموا على انفسهم الطعام والنساء وهموا ان يقطعوا مذاكيرهم
وان يلبسوا المسوح ويدخلوا الصوامع فيترهبوا فيها فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاتى منزل عثمان
فلم يجدهم النبى صلى الله عليه وسلم لامرأة عثمان احق ما بلغنى عن عثمان واصحابه قالت
ما هو يا رسول الله فاخبرها النبى صلى الله عليه وسلم بالذى بلغه فكرهت ان تكذب النبى صلى الله
عليه وسلم وتبدى على زوجها فقالت ان كان عثمان اخبرك فقد صدقك فقال النبى صلى الله
عليه وسلم قولى لزوجك اذا جاء انه ليس منا من لم يستن بسنتنا ويأكل ذبيحتنا فلما رجع عثمان واصحابه
اخبرته امراته بقول النبى صلى الله عليه وسلم فقال عثمان والله لقد بلغ النبى امرنا فما اعجبه فذروا
الذى كره فانزل الله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية فلا ندرى كيف كانت القصة ولكن فيه
بيان ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يحتمل ان يكون الحلال
والطيب هو الحلال سماها باسمين وهما واحد ويحتمل ان يكون قوله كلوا مما رزقكم الله حلالا

بالشريعة والدين وطيبا بالطبيعة لان الحل والحرمة معرفتهما بالشريعة والطيب ما يستطيب به
الطبايع فى الاية دليل انه قد يرزق ما هو خبيث ليس بطيب لانه لو لم يرزق لم يكن لشرط الحلال
والطيب معنى والله اعلم وقوله عز وجل واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون فى الاية دلالة ان الخطاب
للمؤمنين لانه قال واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون ولم يقل ان كنتم مؤمنين ونحو هذا قد سماهم مؤمنين
مطلقا دل انه يجوز ان يسمى واتقوا الله ولا تحرموا ما احل الله لكم الذى انتم به مؤمنون انه لا يحل ولا يحرم
الا هو وليس الى من دونه تحليل وتحريم مسئله اختلف الناس فى تأويل حرف ذكرت فى قوله
عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان الى قوله لعلكم تشكرون
مما للناس حاجة الى معرفة حقيقة ما فى كل حرف منها انه لم يزل يتنازع اهل الفقه فى احكامها يعلم
ان حق البيان فى خطاب لا يبلغ ما يقطع موضع التنازع فيه ولا بحيث يبلغ حقيقته كل سامع
وان فى شرط المحن بالاسباب التى يحتج بها لزوم الفكر فيها والبحث عنها والسؤال عنها الذى
خصوا بفهمها بسوء لهم من ولى الابانة عنها ومقابلتهم بما سبق لهم العلم بها فى معرفة ذلك
بيان ما خفى من معنى الذى قرع سمعه او بغير ذلك مما فيه دليل ذلك اذ لا يجوز الحنة بالذى
لا يحتمل الوسع الوصول اليه ولا فى جملة ما يستحق ايضاح ذلك لما يوجب الامر بفعل ما هو عنه ممنوع
وذلك بعيد بل يكون البيان السمعى على قدر البيان العقلى ان من المعارف ما يكون بالحواس ومنها ما بها
يوصل اليها اما بالتعليم او بالاستدلال تحتمله حق السمعى والله اعلم من ذلك قوله تعالى لا يؤاخذكم
باللغو فى ايمانكم انه عز وجل ذكر يمينا لا يؤاخذ بها فى موضعين من غير ان ذكر انها اى يمين هى ولاى شئ
لا يؤاخذ فيها والحاجة لازمة اذ ذلك فى موضع الامتنان منه جل وعلا فى العفو عن امر كان له
المؤاخذة وحق على السامع معرفة منة الله تعالى ليشكره عليها ثم معلوم ان اليمين لو كانت
بالطلاق والعتاق كان صاحب ذلك يؤاخذ بها بما روى عن نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انه بلا ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق والنكاح واللاعن لا يعد وامرين معا كانا
يلزمان بلا شرط يصير به الموقع حالفا واعظم ما فى رفع المواخذة فى اليمين ان يرفع عنه اليمين
وهما يحيان دونهما فيقعان من غير ان كان فى الاية ذكر التفضيل ولكن يجب معرفة حقيقة ذلك بالذى
بينا من الخبر والنظر معا لا يعرف فى ذلك خلافا وهذا يوضح ان العفو فيما كانت الايمان بالله تعالى
فعلى ذلك ما نسق على ما لا يؤاخذ من المؤاخذة وذلك يمنع من احتج بايجاب الكفارة على الحالف
بالقرب من حيث كان ذلك منه يمينا والله اوجب فى اليمين كفارة وانما ذلك فى اليمين لا فى اليمين بالقرب
ثم كانت اليمين بالقرب لو كانت على مخرج اليمين بالله لم يجب فيها شئ نحو ان نقول بالعتق لا افعل كذا
او بالصلوة او بالصيام ولو قال بالله يجب ثبت ان وجوب ذلك وصير ورته يمينا كان بحق النذور
وقدام الله ورسوله فى النذور بالوفاء فكذلك اليمين بها ومما يبين ذلك انه لو قال ان فعل كذا فعليه
قتل فلان او اتلاف ماله انه لا يلزمه شئ ثبت ان ما لزم بحق لزوم ذلك فى النذور وحق ذلك الوفاء
لا غير معها جاء الخبر بالامر بالحلف بالله والنهى عن الحلف بغيره والنذور ابدا يكون بغيره
ثبت ان وجوب ذلك بحق النذر فلذلك يجب الوفاء به والله اعلم ثم الاصل فى ذلك ان الحلف بغير الله
يكون على قسمين قسم ان لا يجب فيه شئ وقسم انه لو وجب يجب المسمى نحو الطلاق والعتاق فيما يجب
فما كان فى الحلف بالقرب فى الذمة وهو حلف بغير الله تعالى يجب ان يكون الواجب فى ذلك
ما اوجب والله اعلم ثم اختلف فى معنى اللغو فقال القوم هو الاثم كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا
ولا تاثيما وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ثم اختلف من قال بهذا على قولين احدهما

وفى الاية دلالة له ان يسمى المرء نفسه مؤمنا مطلقا من غير استثناء فان الله تعالى سماهم مؤمنين مطلقا فان الله عز وجل قال واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون ولم يقل ان كنتم مؤمنين فذلك انا نقول بالاستثناء بالايمان باطل شرح

انه لا يؤاخذ بالاثم في ايمانكم التي لم تعتقدوها لكنها جرت على اللسان وبمثل ذلك روي عن عايشة
رضي الله عنها انها قالت هو قول الرجل لا والله ما كان كذا وبه قال ابو بكر الكيساني في تفسيره
وايد ذلك قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم دلالة الاول بما يجري على اللسان دون ما يقصده
قلبه والله اعلم والثاني انه لا يؤاخذ بترك المحافظة فيما كان في المحافظة ماثم دليله صلة
ذلك قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية نكانهم تحرجوا عن ترك المحافظة بما سبقت
منهم الايمان قبل النهي بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فنزل قوله لا يؤاخذكم الله
باللغو في بعض ايمانكم اذا كان حفظها ماثما وذلك نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير وليكفر يمينه
وعلى ذلك قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولا يحتمل ان يؤخذ بالعقد وهو به معظم ربه
ولكن بمحافظة ما عقدتم الايمان اذا كانت المحافظة اثما وفيما لم يكن فهو في قوله واحفظوا ايمانكم
والله اعلم والى هذا يذهب سعيد بن جبير في تاويل الاية وقال قايلون هو الشيء الذي
لا حقيقة له نحو اللعب وعلى ذلك والغوا فيه انهم لم يقصدوا تحقيق امر يظهرونه ولكن قصدوا
التلبيس بما ينطق به ما كان كذا قيل لا يسمعون فيها لغوا باطلا بل كل ما يسمع فيها فهو حق وحكمة
ثم رجع تاويله الى وجهين احدهما فيما يجري على اللسان من غير عقد القلب على ما مر به تفسيره
والثاني ان يكون به الحلف بما لا حقيقة له على ظن ان حقيقة ما حلف عليه الحالف كما حلف وكذلك
روي عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في تاويل الاية ثم لو كانت الاية على التاويل الاول لكانت
في رفع المأثم خاصة وهو التاويل الذي ذكره سعيد بن جبير رضي الله عنه واما الكفارة
فهي لازمة على ما ذكر في الخبر المرفوع في ذلك وبما هي واجبة للحنث في اليمين ولترك الوفاء
بالعهد والمعنى في الامرين موجود لذلك لزمت الكفارة في الوجهين جميعا معا لا بد من الالزام
فيما اخطا او تعمد من حيث لم يكن استثناء حالا منهما صاحبه وذلك يبين ان ذلك الحلف في عقد
اليمين او لما يخرج الفعل مخرج الاستحقاق اذا قوبل فعله بعقد وان كان المسلم قد عصم عن ذلك
الوجه فامر بتكفير ذلك وذلك المعنى موجود في الوجهين لذلك لزمت الكفارة في الامرين والله اعلم
ولو كانت على التاويل الثاني او على احد وجهي تاويل الاول لامكن ان لا يؤخذ بالمأثم ولا بالكفارة جميعا
والذي يبين ان هذا التاويل انه ذكر المؤاخذة في الايتين احديهما بكسب القلوب وكسبها تعمدها
والمؤاخذة به يكون بالمأثم لا بالحقوق والكفارات اذ لا يؤخذ في شيء بكسب القلب خاصة كفارة وحقا
يوجب وان كان قد يؤخذ لذلك عند افعال الجوارح فاما الخاصة فلا وقد يكون به الطاعة والمعصية
على ذلك قوله ليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم واذا ثبت ان ذلك في المأثم فلا يؤخذ
ثم لا اثم ما فيما ذكر من عقد اليمين في العقد اذ هو يخرج مخرج التعظيم لله وقد وردت عقود الايمان
عن الرسل فثبت ان المؤاخذة فيها بالكفارة فلا يؤخذ بها في اللغو ايضا وايد ذلك ان الله تعالى
ذكر ما لا يؤاخذ مرتين وذكر المؤاخذة كذلك فلو كانت المؤاخذة بواحد لكان الذكر الواحد كافيا
فثبت انه بامرين مختلفين فعلى ذلك امر العفو والله اعلم مع انه قد تبين في اية المعاقدة كيفية
المؤاخذة ولم يبين في الكسب القلب فيجب ان يكون العفو عما جرى به بيان المؤاخذة احق منه
مما لم يجئ به فثبت انه في رفع المؤاخذة بالكفارة ولو كان على ما يقوله سعيد لكانت تجب
الكفارة بما سلف بيانه لذلك قلنا ان هذا احق بالاية والله اعلم ثم اذا ثبت ان اللغو مما لا يجب
فيه الكفارة يحتمل ان يكون لم يجب من حيث لم يعص الله به ويحتمل ان يكون لم يجب لان يمينه كانت

على ما كان

على ما كان الحنث به معه او قبله فيمنع صحة اليمين وان اطلق لها الاثم اذ كانت الاسماء مطلقة
لما تسد من العقود وصحت وانما يختلف لها الاحكام والمقاصد منها فان كان لما لم يعص الله فيجب
ان يكون في كل حنث يؤمر به لا يجب به الكفارة فاذا جرت السنة بايجابها على الامر بالحنث وقد يجب
ايضا فيما كان فعل الحنث على حال خطا او نوم او جنون او فعل غير الحالف فيم الحنث به على تعمد
ان يأثم بغيره اذ قال الله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى ثبت انها تجب لا لانه لم يعص الله
ولكن للوجه الذي ذكرت والله اعلم ثم كان ذلك المعنى قايما في اليمين الذي تعمد عليه الكذب
وهو ما قيل اليمين الغموس يجب ان لا يلزمه كفارة اليمين انما يلزمه كفارة فعل الجراة والمخالفة
لله والله اعلم وايد هذا الاصل وجهان احدهما استواء الامرين في اليمين المعقودة على الحادث
فيما عصى من الحنث فيها او اطاع ان يستويا في اليمين على الماضي في الوجهين جميعا فاذا لم يجب
الكفارة في احد الوجهين لم يجب في الاخر والله اعلم والثاني ما روي عن نبي الرحمة صلى الله
عليه وسلم في شان اللعان بعد الفراغ منه ان احدكما لكاذب هل منكما تايب ومعلوم ان حاجتهما
لو كانت تجب فيه الكفارة الى البيان عنها اكثر من حاجتهما الى بيان كذب احدهما ثم لزوم التوبة
اذ ذلك يعرفه كل سفيه وحكيم بلا سمع والكفارة لا تعرف الا بالسمع ثبت انها غير واجبة وكذلك
الاخبار التي رويت في الخصمين انه يمضي لاحدهما حتى ذكر فيه الوعيد الشديد ثم امرهما بالتسام
بينهما وان يحلل كل واحد منهما الاخر فلا يحتمل ان يكون فيه كفارة ولا يبين وكذلك حتى ذكر فيه الوعيد
علم في الموضع الذي امر بالحنث اذ قد يشتبه على بعض من ليس له روية وقد قال اسحق اجمع المسلمون على ان لا يجب
فيه الكفارة فنقول من يوجبها ابتداء شرع ونصب حكم لله تعالى عن الخلق وهو لم يشرك في حكمه احدا
ثم الاصل في ذلك ان الاسباب التي ترفع العقود وتوجب الحرمات اذا تاخرت العقود واسباب الحل
فهي على اختلافها متفقة على منع ابتدائها اذا قارنتها فعلى ذلك امر سبب الحنث فلذلك بطلت اليمين
والكفارة هي كفارة اليمين فلا يجب فيما لا يمين يجب فيها وليس ذلك كالقول بمس السماء ونحو ذلك
لان اليمين في هذا على ما يكون فسبب الحنث لم يقترن بها فصحت لذلك اختلف الامران وهذه المسئلة
توضح حال رجلين الشافعي في قوله ان الكفارة تجب للحنث وههنا لا حنث لما لم يصح العقد ليحنث
فيه ويكون الحنث ايضا بعد العقد ولم يكن معما كان النص بالكفارة في اليمين المعقودة التي امر فيها
بالحفظ في هذه اليمين وانما يجب الحفظ عنها ان يحلف به والله اعلم وحال ابي عبيد حيث اوجب
الكفارة بعقد اليمين وعنده اليمين الغموس يمين لا يجب فيها الكفارة فهذا يوضح ان الكفارة تجب للذي
يرد في اليمين لا لنفسها والله اعلم ثم احتج قوم بوجوب الكفارة بعقد اليمين بقوله ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان ثم قال فكفارته اي عندهم كفارة ما عقدتم من الايمان بما فيها الاضافة ولم يسبق
غير ذكر العقد يضاف اليه وكقوله ذلك كفارة ايمانكم اضيف الى اليمين وعلى ذلك تسمية المؤمنين
كفارة اليمين مع ما فيه وجهان من المعتبر احدهما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما راى بحمزة الطعنة اقسم ليمثلن بكذا من قريش فنزل النهي عن الوفاء بذلك فكفر عن يمينه ومعلوم
انه لا يحنث في يمينه الا في الوقت الذي لا يحتمل به مثله في حيوة ثبت انها كانت لليمين وكذا ما جا
من حلف على يمين الى ان قال وليكفر يمينه انما امر بتكفير يمينه والله اعلم والثاني ذكر ابو عبيد
ان الله نهى عن الوعد الا بالثنيا بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فذلك
النهي في اليمين اوكد واشد فمن حلف بلا ثنيا عصى الله فيلزمه الكفارة والاصل عندنا ان الكفارة
تجب الحنث في اليمين اذ هي كفارة والكفارات انما تكون للسيئات كقوله تعالى نكفر عنكم سيئاتكم

ولم يبين الكفارة والموضع
موضع الحاجة الى البيان
دل انها غير واجبة

وغير ذلك من الآيات ومن البعيد في العقل طلب تكفير الحسنات بل الحسنات تكفير السيئات والحنث
في التحقيق اسم المأثم ثم معنى الذنب فيه لانه كان عاهد الله ان لا يفعل كذا ففعله يخرج مخرج نقض
العهد فيه فيأثم لا بالعهد ولذلك قال الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها وفي الجملة امر الله ان يوفوا بعهده لا ان يقبلوا وقد جعلت اليمين عهده وامرنا
بوفائه فنقضه يوجب الحلف في وعده والنقض لعهده فيه يأثم الحالف لا بالحلف فله تجب
الكفارة فلو كان لليمين كفارة لكان الحنث احق ان يوجب الكفارة ثم لا يجوز ان يكون من حلف
ان يطيع يكون به عاصيا ثبت ان الكفارة لو كانت تجب لليمين لكانت تجب لليمين على المعصية لتصير
تلك معصية فيجب ثم حق كفارة مثلها الحنث فيها وعلى ذلك روى ابو هريرة رضي الله عنه ان من حلف
على شيء فرأى غيره خيرا منها فانما كفارته ان يأتي الذي هو خير فكذلك يكون كفارة اليمين
لو احتملت ان ترجع عن الوفاء بها واما كفارة ما لا وجه لدفعه تكون بالتوبة والحسنة تكون لا بالرجوع
وعلى ذلك جميع انواع الكفارات ان ما احتمل دفع الحقيقة والرجوع عنه جعلت كفارته بالتوبة عنه
ونقض ما قد فعل وما لا يحتمل فيعتبر ذلك فلو كان لليمين كفارة فكانت توبة ونسخا لا غير فاذا وجب الله
غير الرجوع ثبت ان ذلك للحنث والله اعلم ثم الدليل على انه لا يحتمل ايجاب الكفارة لعقد اليمين وجه
احدها ان العقد يخرج مخرج التعظيم لله والتبجيل جعله مفزعا اليه ومأمنا للخلق عنه ولذلك
جعلت الايمان لدفع التهم وتحقيق الامر للخلق عن الحالفين وايد ذلك وجه احدها ما روى
عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حلفتم فاحلفوا بالله وقال لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت
فحذر الحلف بغير بما فيه تعظيم ذلك ورفعه عن قدره والزمهم ان لا يجعلوا لاحد ذلك القدر
الا الله سبحانه وتعالى والثاني قوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
ولا يجوز ان ينهى عن الرجوع عن المعصية ويؤمر بالوفاء بها والثالث الامر الظاهر عن نبي الرحمة
لحلفه وقسمه في غير موضع وما ذكر في قصة يعقوب واولاده وامر ابراهيم عليه الصلوة والسلام
في شأن الاصنام وامر ايوب عليه السلام لم يجز ان يكونوا عصاة بفعلهم وذلك ينبئ عن جراءة
من زعم ان الحالف عاص بما ترك الثنيا ومن ذكرنا من الانبياء عليهم السلام قد تركوا الثنيا
وليس ذلك كالوعد لانه الى نفسه يضيف الفعل وهو يفعله تحت مشيئة الله تعالى وفي اليمين
بالله يستغيث واليه يفزع فلذلك اختلف الامران والله اعلم والدليل على انها لم تجب باليمين
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي
هو خير وليكفر يمينه او قال فليكفر يمينه وليأت الذي هو خير ولو كانت الكفارة واجبة
باليمين لكان لا وجه للامر بالذي يأتي وهي واجبة ويقول من حلف على يمين فليكفر فانه لم يقل
ولكن قال فيما كان ثم حنث ثبت انها له تجب والله اعلم ووجه آخر اتفاق القول انه اذا كان مع
اليمين بر فلا كفارة عليه واذا كان معها حنث تجب فلو كانت تجب لليمين لكانت هي عند الوفاء
اوجب فالكفارة فيه تكون اوجب فاذا لم يكن اذا بر ثبت انها بالحنث وجبت والله اعلم وايضا
ما اجمع الا من حلف ان لا يقرب امرأته بشيء لا يلزمه لو حنث به لم يلزم فيه حكم الايلاء فلو كانت
الكفارة تجب باليمين لكان الحالف بر عند الفراغ عن يمينه صار بحيث لا يلزمه من بعد شيء
فيجب ان يسقط حق الايلاء فاذ بقي عليه حكمه جاء بذلك كتاب وجرت به السنة ثبت ان القول
بوجوبها قول جمهور والله اعلم ثم اذا ثبت هذا رجع تأويل الآية الى وجهين احدها قوله
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم من الايمان كقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فان تركتم ذلك

امرنا بالوفاء باليمين ونهى عن الحنث والنقض ولو كان نفس اليمين معصية لكان لا يجوز ان ينهى عن الرجوع عن المعصية ويأمر بالوفاء بها شـ 8

فكفارته كذا

فكفارته كذا والثاني ان يكون على اضمار حيث يؤاخذكم بحنثكم فيما عقدتم وذلك غير مدفوع
في حق الكفارات كقوله تعالى فان احصرتم الآية وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه
الآية لا على الوجوب للعذر ولكن باستعمال الرخصة فيه اذ لا يكون العذر سببا لايجاب فمثله
في الاول لا يكون تعظيم الرب سبب ايجاب الكفارة فيصير للحنث فيه مضمرا والله اعلم والاضافة
الى الايمان على ارادة الحنث فيها كاضافة كفارة الفطر الى الصيام والدم الى الحج والسجود الى السهو وان كانت
الكفارات ليست لما اضيفت اليه ايد ذلك ما ذكرت والله اعلم وتكفير رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمينه لانه قد عصم عن المعصية وفي الوفاء بذلك معصية اذ نهى عنه ويمينه كانت قبل النهي
فصار ايسا عن البر بذلك وبذلك يكون الحنث لا بعدم امكان الوفاء لكن غيره اذ لا يؤمن منه
العصيان فذلك وقت اياسه عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قد عصم عن ذلك فوقت
اياسه وقت النهي ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل اطعام عشرة مساكين في متعارف اللغة
على التقريب ليأكلوا لا على التمليك وكذلك الامر المتعارف بين الخلق فيما ينسب بعضهم الى بعض
الاطعام وايد ذلك قوله من اوسط ما تطعمون اهليكم ولا تعرف التمليك في اطعام الاهل ولا اخطر
ببال احد ذلك وقد عرفهم الله تعالى ما فرض عليهم بالذي كان علمه عند كل احد معلوما اذ قل انسان
يخلوا من ان يكون اهلا لاحد او له اهل فلا يحتمل ان يظن باحد الجهل به حتى يسأله فيكون
ذلك لزام الفرض مع رفع وهم الجهل به عن العقول ثم لا نعرف بها والله اعلم والذي يوضح هذا
من طريق العبرة انه ذكر في ذلك اطعام عشرة مساكين والمسكنة هي الحاجة وحاجة المسكين
الى الطعام معلوم انها تكون الى اكله دون ملكه وجهات حاجات الاملاك مما يعم المساكين وغيرهم
معها قدر ذلك بالكفاية والشبع وحق ذلك في التقريب للتطعم لا في التمليك عليه ولكن يجوز التمليك
بما به التمكين لذلك فيجب بذلك الجواز بكل ما فيه ذلك بهما او ما كان اذ جواز التمليك بحق التمكين
لا بحق النص معها كان في تمليك الثمن الوصول الى ما يختار هو على الوجه الذي يختار الاغتذاء فان ذلك
اقرب الى قضاء حاجته ولو كان الامر على تمليك المأكول خاصة لكان الدعاء والتقريب اليهم للملك
احق ان يجوز لوجهين احدهما انه اقرب الى دفع الجوع وشدة المسكنة من تمليك بر لا يصل اليه الا بعد
تحمل المؤنة وطول المدة والثاني ان الكفارة جعلت بما ينفر عنه الطبع ليذيقه الم الاخراج من الملك والبذل
فكفر ما اعطى نفسه من الشهوة التي لم يؤذن فيها وكذلك معنى الحسنات المكفرة للسيئات ثم كان دعاء
المساكين وجمعهم على الطعام وخدمتهم والقيام بما فيه الاحتياج اليهم اشد على الطبع من النقد
عليهم فيجيء ان يكون اقرب للتكفير به وعلى ذلك يجوز بدلا الثمن لما فيه تحمل المكروه على الطبع كهو
في الاطعام فيجوز معها اذ جعل ذلك حقا للمساكين يخرج من عليه بالتسليم اليهم من طوع منهم ويجوز
مثله من التبادل في جميع الحقوق فمثله عن الكفارات والله اعلم على ان الله تعالى قال فما استيسر
من الهدى ويجوز فيه غير ذلك النوع وكذلك في كل الصدقات والله اعلم ثم جعل ذلك الكلتين
لوجهين احدهما القول باطعام المساكين ثم اريد به دفع المسكنة والمسكين هو الخاضع فاحق
من يستحق اسمه السائل لانه يخضع للمسؤول بالسؤال وقد روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال في يوم الفطر اغنوهم عن المسئلة في مثل هذا اليوم ثم كان اقل ما اخبر فيه نصف صاع
من حنطة فعل ذلك صدقة المسكين ومثل ذلك اذا اطعم يكون مرتين وكذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كفارة المتأذي ثلاثة اصوع بين ستة مساكين فمثل مقدار طعام المسكين
فيما اريد لاطعام القدر ذلك فمثله ما نحن فيه وذلك يعدل الكلتين وبه قال عمر وعلي رضي الله عنهما

والثاني انه عز وجل قال من اوسط ما تطعمون اهليكم والاوسط فيما له حد و ثلاثة يرجع
ذلك الى اوجه ثلاثة احدها الى الاوسط من صفات الماكول والثاني الى الوسط من مقدار الاكل
والثالث الى الوسط من احوال الاكل فالاول نحو الاجود والاردى وبين ذلك والثاني نحو السرف والتزويق
ذلك والثالث نحو مرة وثلاث في يوم واحد وبين ذلك فاذا لم يثبت في حد منها اليه رجع المراد
فحق الاحتياط ان يكون الوسط من الكل ليخرج بما فرض عليه فذلك وجبت كلتان معا حقيقة الواسط
من الانواع والمقادير لطرفيه وقد يعرف حقيقة عدد الاكثر والاقل من الوقت فهو احق ان يعتبر
والله اعلم ثم كان الامر في الظاهر بالاطعام واجمع على رجوع الامر الى الحد وان لم يذكر فهو والله اعلم
يحتمل ان يكون انتزع حده من حكم الكتاب من وجهين احدهما ان الاية اذا كانت على ما يؤكل ويطعم
كان فيما عليه العرف ان لا احد يقرب الى آخر ما يطعمه فيقتصر على اقل ما يستحق اسمه وقد يتصدق
بالقليل في العرف فلذلك في الامر به تحديدا ان كان بما يعرف فيه التحديد ولذلك لم يذكر فيه
التفسير مرفوعا وذكر في قصة المتاذي لما ليس في لفظها دلالة الحد وفي لفظ الاطعام دلالة اذ فيه
عرف وعلى هذا امر ما جاء من البيان في الصدقات ولم يذكر في الاطعام الا لمكان النوازل وعلى هذا
يجب ان يجوز الاطعام ايضا وان لم يكن فيه تمليك والله اعلم والثاني قوله تعالى من اوسط ما تطعمون
اهليكم ومعلوم ان كل شيء له واسط فهو ذو حدود واطراف على انه رد الى طعام الاهل وفيه الاشباع لا محالة
لذلك وجب القول بالحد والله اعلم واذا ثبت العدد فيه بحق الخطاب يجب وصل ذلك بما يعرف به حقيقة
المقصود والله اعلم وكانه قال طعام عشرة مساكين اذ اطعام عشرة في العرف عبارة عن قدر طعامهم
واطعام عشرة عبارة من فعل الاطعام وقد ثبت انهما اريدا جميعا فكانهما ذكرا موصولين ولو توهمنا ذلك
لم يكن بحق حفظ العدد بل بحق حفظ مقدار ذلك العدد من الصيام كان مرفوعا الى الواحد واكثر والله اعلم
لذلك اجاز اصحابنا جمع الكل في مسكين واحد عشرة ايام ولم يجيزوا في يوم واحد اذ حق الامر
على ان يغدى ويعشى وان كان يجوز الدفع لما فيه حق الاطعام فيصير طعام كال ذلك وهو قدر طعام مسكين
فيزول عنه المسكنة لكن الاطعام فيه لا يجوز واذا كان حق ما ذكرت الجواز ففساده لمعنى اعترض
فمنع لا لانه خارج عما يراد له على ذلك وذلك كخروج بعض المساكين لعلل عن الدفع اليهم لا لانه
لو اجيز كان كالخلاف للذكر فمثله الاول والله اعلم ودليل آخر مما له جرى ذكر عشرة لا لان يجعل
العشرة شرطا انه معلوم بالمعنى الذي له جعل الدفع اليهم والاطعام لهم سببا للجواز ان ذلك بحيث
يحمل المكروه على الطبع وكف الهوى عن مثلها واذاقة النفس مرارة الدفع لله جل ثناؤه ثم يكفر ما اتبعها
هواها واوصلها الى مناها فيما خالف الله في فعله حيث لم يف بالعهد الذي عهد الله او الزم نفسه
عهدا منع عن الوفاء فيخرج فعله مخرج فعل ناقض العهد ومخلف الوعد بالله وذلك المعنى
في البذل لا في مراعاة العدد ولا في انه كان حقا لهم قبل الدفع بل باختيار الدفع اليهم يجعلهم
محقين فيه بما لا ايثار غيرهم والخروج عن ذلك بالعتق والصيام الذي لا يعود اليهم نفعه ولكن
الكفارة اذا جعلت مما يغدى ويعشى ونحو ذلك اذا اريد الخروج به منه بمسكين واحد يحتاج الى تجديد
الايام ومرور الاوقات وفي ذلك خوف بقاء الذنوب عليه ولعله يعجله المنية فيبقى ذنبه غير مكفر
جعل الله له التكفير في المساكين تيسيرا او تمكينا من الخروج الذي ركنه لا لفوت معنى مما له التكفير
فلذلك يجوز على ما ذكرت وهذا الوجه يوجب منع الجواز في يوم واحد والله اعلم وبعد فانه
متى اطعم مسكينا بقي عليه خطاب اطعام تسعة وذلك لو ابتداء الخطاب بتسعة مما يتضمنه الخطاب
فكذلك اذا كان بعد اسقاط الواحد من الخطاب والله اعلم ثم لو كان العدد شرطا لكان بوجود معنى العدد

فالواحد

في الواحد اسقاطه اذ ذلك في موضع التكفير والتطهير وكذلك يتعلق بالمعاني مما ذكر فيهما لا الاعداد
نحو الغسل من الاحداث والجنابة والانجاس لمثله وبعده الكفارة فانه معلوم ان لكل مسكين قدرا
من الطعام ثم كان القدر للواحد يتفرق الاملاك عليه يستوجب حق قدر العيش فعلى ذلك المسكين
الواحد بما يتفرق عليه المسكنة كل يوم ويجدد الحاجة يصير كعدد المساكين وذلك ايضا شبيه
بما روي من الاستنجاء بثلاثة احجار على استحقاق كل حرف من ذلك حق حجر على حده من حيث كان
غير مستنجى به فكذا ما نحن فيه اذ له كل يوم حق مسكين آخر من حيث حدثت له حاجة لم تدفع بالاطعام
الاول والله اعلم وليس كالاعداد في الشهادة لما جعل العدد فيها بما يلحق الواحد تهمة او له به منفعة
التصديق او نوع عبادة في منع الحكم والقضاء وتسليم الامر لغيره من الحجج وفي هذا معنى التكفير قد بينا
وذلك كمعنى التطهير في الذي وصفنا على ان الشهادة في اليوم الثاني اعادة الاول والاطعام هو تجديد
الدفع والواحد قد يقوم في الشهادات مقام ما به اذا كان لكل حق التجديد والله اعلم ثم قوله تعالى عشرة
مساكين من غير ذكر القريب والبعيد او المؤمن والكافر او الصغير والكبير او قدر المسكنة او العلم انه
تعرف ومعلوم ان لكل جهة مما بينا حد بالناس الى معرفته حاجة وللناس في كل جهة تنازع والاجتهاد
في الوقوف على الحقيقة على الاتفاق وعلى انه لم يجعل الامر على الاسم خاصة وان الذي هو في حد الفقر
فيما ذكر فيه المسكين والفقير قايم مقام المسكين ههنا في الجواز ليعلم ان المعنى فيهم مقصود يجب طلبه
والبحث عنه والله اعلم ثم اجمع ان الصغير الذي قدر اللقمة لقمة الكبير لم يقم في حق الاطعام الاحيث
التمليك اذ الجمع على اقل المعتاد انه مد والمد يكفي عشرة مثله ثبت انه لا الى مثله رجع الخطاب واريد ذلك
قوله تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم ان مثله لا يبلغ اقل ما يطعم الاهل على انه لو اريد بالاهل الزوجة
لكان مثلها لا يطعمها الزوج فثبت ان المراد راجع الى الخصوص والله اعلم والاصل في ذلك ما بينا ان تالم الطبع
بدفع مثله وابن يوم يميل الطبع الى ارضاع مثله بل لا يحتمل اهماله وبعد فان مثله لا يطعم فثبت ان الامر
الى حد والله اعلم وعلى ما ذكرنا قالوا في الوالدين والولد انه لا يجوز لان الطبع يالم بمسكنة هؤلاء لا بما به
دفع المسكنة عنهم بل جعل الله تعالى الطبايع بين هؤلاء بحيث لا يحتمل نزول البلاء والشدة بهم بحيث
يجتهد كل بدفع الضرر عنهم على مثل الدفع عن نفسه وبذل المال لصون عرضهم حتى لقد يشتم ثم لم يتقاعد
منهم ذلك ويلام اعظم اللوم واذا كان كذلك لم يتضمنهم هذا الامر اذ هم لا بهذا يقومون بذلك بحق الطبيعة
لا بامر وقد بينا وجه الكفارة انه في مخالفة الطبع والله اعلم وعلى ذلك ما روي عن الذي امر بتفريق
زكوته فاعطى ابنه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان لك ما نويت وقال للآخر
ما اخذت ولو كان يجوز اختيار مثله لكان ذلك احب ما صار اليه واثر قد روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال انت ومالك لابيك فلا يحتمل مع هذا الجواز بالاختيار ويصير ما يدفع الى ابنه
كان له وما يدفع الى ابيه كانه لنفسه دفع فلذلك لم يجز والاصل في هذا وفي الزكوات انها حقوق جعلها
الله تعالى في الاموال لوجهين احدهما بما ابتدا الله عبيده بالنعم وخصهم باعطاء ما اشتهت انفسهم ومالت
طباعهم فاستاداهم شكر ذلك بالذي جعل في طباعهم النفار عنه وفي نفسهم الالم به من الاخراج
عن الملك ومعونة من لم يكرمهم به ولا انعم عليهم به والثاني ان يكونوا قرفوا ماثما بما اعطوا انفسهم
مناها واوصلوا طباعهم الى هواها بغير الوجه الذي اذن له في ذلك من هو له في الحقيقة وهو الله
اخضهم ففرض عليهم الخروج مما فعلوا من الوجه الذي في الطبع النفار عنه وفي النفس الالم به ليذيقوا
انفسهم بدل ما اعطوها من اللذة المرارة فمن هو من المتصدق بالمحل الذي يجد به هذا فهو مقابل ماله اكرم
وبرا وقرب ومن لا يجد به هذا فليس بمقابل ذلك فلم يف بحق الشكر فلم يخرج مما عليه من الفرض وان كان الله اكرم

وجوده بحيث يرجى منه العفو ومنه القبول والله اعلم وعلى ذلك عندنا امر الزوجين اذ يوجد بينهما
في البذل شهوة وميل الطبيعة ويكون التناكح بمثله على ما ذكر من النكاح لا ربعة اوجه احدها ما لها
وما كذلك الموجود في الطباع والله اعلم وعلى هذا المعنى يخرج امر الشهادة اذ هي موسسة على دفع
التهم عن المدعين فاذا رجعت منافعهم الى حججهم تمكنت تهم ذلك فلم يقبل وجملة ذلك ان الشهادة
ودفع الزكوات والكفارات بحق الامانات وهي بحيث للامناء الانتفاع بها فكل وجه فيه انتفاع المؤتمن
فانما له الانتفاع به فلا يمانع في العرف او بما في الطبع ايثار نفعه فكان له فيه ما بز والد جعل امينا
فلا يثبت له الامانة فيه والله اعلم وعلى هذا يخرج امر الدفع الى المكاتب والشهادة والله اعلم وعلى هذا
يخرج امر الدفع الى المكاتب والشهادة له والله اعلم ثم الدفع الى الكفار القياس ان يجوز جميع ذلك
من حيث كان المعنى الذي له يختار في الدفع اليهم او يجد من ثقل الطبع والم النفس وعلى ذلك اجيزت
عندنا الكفارات وايد ذلك قوله تعالى ان تبدوا الصدقات الى قوله ونكفر عنكم من سيئاتكم صير
الصدقات مكفرة لما ذكر ثم يدل على ذلك فيما قال اهل التفسير في قوله ليس عليك هداهم الاية ان ذلك
في التصدق على اهل الكفر اي لا يمنعك ذلك وكان على اثر الوعد بالتكفير بالصدقة فامكن ان يكون لازم
في ذلك معا كانت الكفارات جعلت بشرط المسكنة وقبيح في المسلم دفع السوال وان كانوا كفرة فجاز الدفع
اليهم وجملة ذلك ان ذلك بما اختار من اعطاء النفس شهوتها فيما لم يوذن له فيكون كفارتها بالكف
عن شهوتها فيما كان يحل والبذل بالذي كان يسعه منع ذلك وذلك المعنى موجود في ذلك على ان التصدق
عليهم نقض ما يرغبهم في الاسلام لم يجز المنع والله اعلم واما الزكوات فهي مخصوصة بما جاء من اضافة
الدفع الى من يوخذ من غنيهم ولما بين اهلها وجعل عليها سعاة ليتحروا المواضع وامر الكفارات جعل
الى اربابها ايجابها والخروج منها في تخيير اهلها معا كانت الزكوات وجبت بلا كسب بحق الشكر وحق الشكر
الانفاق في الطاعة ثم كان الانفاق على من يطيع الله به يخرج مخرج المعونة على الطاعة وعلى الكافر
لا فيقتصر عن شرط التمام في معنى الشكر والكفارة في حق اعطاء النفس الشهوة فيمتحنها باخراج ما تشتهي
المنع وذلك المعنى موجود في الكافر على التمام لذلك اختلفا وبعد فان الزكوات تجب بلا ايجاب
وقد قطع الله الحق الذي ذلك سبيله ثم بين مختلفي الملك بحق المواريث والكفارات يجب بما اكتسبوا
وبين الفريقين في الحقوق المكتسبة اشتراك ولا قوة الا بالله والاصل في ذلك ان الزكوات وجبت
في الاموال حقا للفقراء ثم هي تخرج الى من وجبت لهم فما لم يعلم من اوجبت له لم يخرج على مثل حقوق
المواريث للقرابة وغير ذلك والكفارات ليست بواجبة في الاموال يخرج بل ينظر الى وقت الدفع والقيام
بالتكفير فان كانت له اموال دفعها منها والا ليست عليه فصارت الحقوق كانها بالدفع يقع اذ لو توهم
وقت الوجوب له الغنى والفقر لكان الامر لا يختلف واذا كان كذلك وله ابتداء التصدق عليهم بحق التطوع
والنذور وغيرهما فيجوز فيهم والزكوات اذ الدفع منها تسليم الى من كان له الحق احتيج في ذلك الى مباين ذلك
والله اعلم وصدقة الفطر بحق اظهار السرور ودفع السوال كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اغنوهم عن المسئلة في مثل هذا اليوم لا بحق ما كان جعل في ماله يخرج منه بل بحق المعونة وذلك
لازم في العقول لكل مايل وبخاصة في الدفع اليهم ليتنعموا بما فيه سرور اهل الاسلام والله اعلم
وايضا ان الزكوات وجبت في الابتداء حقا للفقراء اذ الله سبحانه وتعالى اخرج ارزاق الخلق
املاكا لبعضهم والزمهم تحمل كفاية من لم يملكهم اعين تلك الاموال اذ لم يخلق ابتداء الخلق لهم الجملة
واذا كان محل الزكوات في الابتداء وجعل لاهلها بها الغنى واهل الكفر ابوا قبول الدين الذي ذلك
حق جعل للمحتاجين في اموال الاغنياء فلم يكن لهم في مذهبهم ذلك الحق بل لو كان في اموال اغنياء

مذهبهم

مذهبهم ولاهل الاسلام ان ذلك الحق في اموال اغنيائهم وكذلك من عليهم الحق قبلوه بالدين لاهله
لم يدخل في ذلك غيرهم ثم كانت الكفارات والنذور ونحوها ليست بجعول له بالدين لحق الفقراء وانما هي
واجبة يتعاطى ارباب من لزمهم ليتقربوا الى ربهم ويخرجوا بها مما جنوا على مذهبهم وقد جعل ذلك في جملة
الصدقات وفي انواع العبادات التي لا عبرة فيها المنافع للخلق فثبت انها لم تجب لهم وانما الشرط عليهما فيها
ما يكون عبادة وقربة الى الله تعالى في الدفع الى مساكينهم قربة وعبادة فجازت وعلى هذا يخرج قولنا في العتق
على ان قولنا لجميع المخالفين لنا في هذا اولى لان مذهبهم اعتماد العموم الا في قدر ما يمنعهم عن ذلك والعموم
لجميع الفرق كلهم باسم المساكين واسم تحرير الرقبة ولا دليل لهم على الخصوص لاضرب عن القياس
ومن مذهبه ان اخراج بعض ما تضمنه الاسم لا يوجب خصوص ذلك فكذا يلزمهم ان لا يخصوا الوجود التخصيص
في غيره اذ ذلك بعد على انهم اجمعوا ان لا يقاس ما ليس فيهم ذكر التتابع على المذكور فمثله امر الايمان
وجملته انه قد يجوز في العتق مع قيام كثير من العيوب التي لا يحتمل التغير فعيب الدين الذي يمكنه احق وكذلك
من قول الجميع ان العجز بالمرض عن المكاسب لا يمنع اذ هو قد يزول فالذي لا يعجز فيه ويمكنه اختيار احق ان يجوز
والله اعلم ثم الاصل ان الله تعالى في الكفارات التي جعل الايمان فيها شرطا ذكر العتق في ذلك في قتل ثلاث
فرق ذكر في كل مرة تحرير رقبة مومنة لم يدع ذكر ذلك في شيء منها للذكر في نوع من ذلك على ترتيب
ما بين اولئك الاسباب فلو كان يحتمل الاقتصار على بيان الكفاية دون المبالغة او يجب ذلك في النظر
لكان يذكر مرة كفاية على نحو الصوم فاذا لم يكتف على تقارب المعنى بان ذلك نوع ما لم يؤذن فيه تعليق
الحكم بالمعنى بل لو كان ماذونا فيه لكان يوجد في القتل معان لا توجد في غير ذلك فلا يجوز قياس غيره
عليه والله اعلم فان قال قائل اذ قال الله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ثم قد جعل سببه
الظهار والقتل عتق رقبة وبالصيام صوم شهرين متتابعين فكيف جعل مثل سيئة للحنث بالعتق
عتق رقبة وبالصيام ثلثة ايام فلو كان ثلثة عديل العتق فاذا زاد في الظهار والقتل في الجملة نقول
وبالله التوفيق لذلك اجوبة ثلاثة ان الجزاء في الدنيا هو ما يجوز به المحنة ابتداء لا على الجزاء فعلى ذلك
يجوز فيه الزيادة بحق المحنة لا الجزاء والنقصان بحق العفو كما قال الله عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة
وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات وفي الاخرة لا يكون بحق ابتداء المحنة انما ذلك بحق الجزاء
وهو عز وجل حكيم عدل لا يزيد على ما توجبه الحكمة ولله العفو فيه عامل الحانث فرضي منه بصوم ثلاثة
ايام لما علم عز وجل في ذلك من المصالح والله اعلم والثالث ان يكون حق الجزاء في اليمين بالصيام ما ذكر
وكذلك في القتل والظهار وفيهما حق العتق كذلك وفي اليمين دونه ولكنه تم بما لا يحتمل التجزئة على حق كل شيء
لا يتجزى ان جزاء منه متى وجب يجب كله فعلى ذلك العتق والله اعلم ثم نقول وظاهر هذا يشهد
لابي يوسف ومحمد رحمهما الله انه متى وجب منه عتق كله اذ لا يحتمل التجزية دليله امر الكفارات والله اعلم
ومذهب ابي حنيفة رحمه الله انه يحتمل ان يكون هذا لما لا يحتمل العتق التجزية وان كان العتق في نفسه
محتملا لا يجب عرض ذلك على ما فيه بيان فوجد الامر بالتحرير حيث كان يذكر الرقبة ولو كان لا يحتمل من حيث
التحرير كافيا عن ذكر الرقبة فاذ ذكر كل ما امر بان انه ذكر ليتم بالاعتاق لانه يتم بلا ذكر فعلى ذلك
امر الطلاق لم يذكر فيهما معنى رقبتها لما لا يحتمل والله اعلم ببعض ذلك ثم كانت الحقوق ترجع الى الانتفاع
او قولا ومضغا ونحو ذلك لا يحتمل نفوذ حرا المعتق منه دون غيره ثبت ان ذلك ان كان كذلك فهو
لما لا يحتمل حقوقه اكمل اذ في ترك الاكمال فوت نفع ما اوجب والله اعلم ثم قد يجوز اعتاق الجزء من حيث
كان الملك والحرية باخذ العين والمنافع تصل الى المباشرة والمباشرة لا يحتمل التمييز وفي القول فيه والملك
فيه جملة يحتمل لذلك اختلفا وعلى ذلك امر الطلاق لا ملك ثم في النفس بما حقيقة المباشرة والانتفاع

وذلك لا يحتمل الجزء المطلق منها او جب دون غيره فلذلك كمل والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس الآية عن ابن عباس رضي الله عنه قال الميسر القمار
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال فاجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر زجرا فانها من الميسر
وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وعن ابي موسى الاشعري وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد
فقد عصى الله ورسوله وعن ابن عمر رضي الله عنه قال الميسر القمار وعن علي رضي الله عنه قال
لان اقلب جمرتين من نار فاقلبهما في يدي احب الي من ان اقلب كعبتي نرد وعن علي رضي الله عنه
ايضا قال الشطرنج هو ميسر الاعاجم وعن مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وهؤلاء السلف
قالوا الميسر القمار كله حتى الجوز الذي يلعب به الصبيان وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا جلب ولا جنب ولا شغار ولا وراط في الاسلام وقيل الوراط القمار وقيل الجلب هو ان يجلب
وراء الفرس حتى يدنو او يحرك وراءه الشيء يستحث به السبق والجنب هو الذي يجنب مع الفرس
الذي به يسابق فرس آخر حتى اذا دناه تحول راكبه الى الفرس الجنوب فاخذ السبق واجمع اهل العلم
على ان القمار حرام وان الرهان هو المخاطرة مثل القمار وما روي عن ابي بكر رضي الله عنه
انه خاطر اهل مكة في غلبة الروم فارس فقال النبي صلى الله عليه وسلم زدهم في الخطر وابعدهم
في الاجل فكان ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة في الوقت الذي لم ينفذ حكمه فاما في دار
الاسلام فلا خلاف في ان ذلك لا يجوز الا ما رخص فيه من الرهان في السبق في الدواب والابل
اذا كان الاخذ واحدا ان سبق اخذ وان سبق لم يدع شيء وكذلك ان كان السبق بين الرجلين
ايهما سبق اخذ ودخل بينهما فرس ان سبق اخذ وان سبق لم يغرم صاحبه شيئا فهو جائز ويسمى
الداخل بينهما المحلل فاما الرخصة فيه فما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا سبق الا في خف او حافر او نصال هذا الذي وصفنا كله من الميسر والانصاب هي الاحجار
والاوثان التي كانوا ينصبونها ويذبحون بها واما الازلام فالقداح التي كانوا يستقسمون بها
في امورهم ويستعملونها ففيه دليل بطلان الحكم بالقرعة لان الاستقسام بالقداح هو انهم كانوا
يجعلون الثمن على الذي يخرج سهمه اجيرا ويتصدقون بما اشتروا على الفقراء ففيه ايجاب الثمن على الغير
فيجعلون الامر الى من ليس له تمييز فعوتبوا على ذلك فعلى ذلك الحكم بالقرعة تسليم الى من ليس له تمييز
بين الحق وغير الحق فيلحق هذا ما لحق اولئك ثم اخبر ان ذلك كله رجس من عمل الشيطان
وليس هو في الحقيقة عمل الشيطان لان الشيطان لا يفعل هذا حقيقة لكن نسب ذلك اليه
لما يدعوهم الى ذلك ويزين لهم وكذلك قول موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان انه كذا
او كذلك قوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه وهو لعنه الله لم يتول اخراجهما ولكن كان به سبب الاخراج
والازلال وهو الدعاء الى ذلك والمراءاة لهم فنسب ذلك اليه والله اعلم وقوله عز وجل انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر هم في الظاهر لم يجتمعوا على العداوة
والبغضاء فكان قصده المجمعهم في الابتداء على المحبة والمودة ما ظهر منه في العاقبة من ايقاع
العداوة بينهم وتفريق جمعهم وهو كقوله تعالى يدعوهم الى عذاب السعير ولو دعاهم الى عذاب
السعير لكانوا لا يجيبونه لكن دعاهم الى العمل الذي يوجب لهم عذاب السعير فعلى ذلك هو يدعوهم
الى الاجتماع في الخمر والميسر الى ما يوجب ويقع بينهم العداوة والبغضاء ففيه ان الاعمال ينظر
فيها العواقب كما روي الاعمال بالخواتيم وفي الآية دليل تحريم الخمر لانه قال رجس من عمل الشيطان
والرجس حرام كقوله تعالى فانه رجس او فسقا وما يدعوا اليه الشيطان ايضا حرام وكذلك قوله

تشديد ع الموسى الاشعري
س

قيل الجلب هو الذي يجلب
مع الفرس الذي يسابق به
فيها آخر وراءه حتى اذا دنا
هذا الفرس الذي به يسابق
شرح

قل فيهما اثم كبير

قل فيهما اثم كبير والحلال المباح لا اثم فيه ولا يسمى رجسا وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال فخطب الناس فقال يا ايها الناس ان الله يعرض على الخمر تعريضا لا ادري لعله سينزل فيها
ثم قال يا اهل المدينة قد انزل تحريم الخمر فمن كتب هذه الآية وعنده مما شيء فلا يشربها ولا يبيعها
قال فسكبوها في طريق المدينة وعن عمر رضي الله عنه قال لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الخمر
بيان شفاء فنزلت الآية التي في البقرة يسألونك عن الخمر والميسر فقرئت عليهم فقال عمر رضي الله عنه
اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فنزلت الآية التي في النساء لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فكان
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة قال لا يقرب الصلوة سكران فدعي عمر رضي الله عنه
فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فنزلت الآية التي في المائدة انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فلما بلغ فهل انتم منتهون
قال انتهينا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال كنت ساقي القوم ونبيذنا تمر وزبيب وبسر خلطنا
جميعا فبينا نحن كذلك والقوم يشربون اذ دخل علينا رجل من المسلمين فقال ما تصنعون والله لقد
انزل تحريم الخمر فاهرقنا الباطية وكفاناها ثم خرجنا فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما
على المنبر يقرأ هذه الآية ويكررها انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الى قوله
فهل انتم منتهون فالخليطان حرام فاجمع اهل العلم على ان الخمر حرام قليلها وكثيرها وان عصير
العنب اذا غلا واشتد فصار مسكرا خمرا واختلفوا فيما سوى ذلك من الاشربة فكان ابو حنيفة وابو يوسف
رحمهما الله يقولان ما كان من الاشربة بما يتخذ من النخلة والعنب فهو حرام كنبيذ البسر والتمر والزبيب
اذا اسكر كثيره فهو حرام عندهما وعلى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر
من هاتين الشجرتين من النخلة والعنب ومعنى التخصيص لهما لان شرابهم كان منهما ولا يتخذ منهما
الا المسكر خاصة واما ما اتخذ من غير النخلة والعنب فلا يحرم وان كان نيا الا السكر منه لان غيرهما
من الاشربة قد يتخذ لا للسكر وان كان في مكان لا يتخذ الا للسكر فهو مكروه قليله وكثيره كالمتخذ
من النخلة والعنب وكانا يقولان ما كان من الانبذة مطبوخا فهو حلال وان قل طبخه الا العصير فانه
لا يحل بالطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكانا يفرقان بين العصير وغيره بان العصير
ليس فيه شيء من غيره ان ترك بحاله غلا فاسكر فان طبخ حتى يذهب ثلثه او نصفه فهو يغلي
ويسكر فلم يخرجه الطبخ من حده الاول اذ كان يسكر قبل ان يطبخ وهو الآن يسكر بنفسه اذ لم يجعل
فيه شيء غيره وسائر ما يتخذ منه الانبذة ان بقيت لم يشتد ولم يسكر حتى يلقى عليه الماء ويخلط
غيره فحينئذ يسكر فهي مثل العصير اذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فان بقي دهرا لم يسكر حتى يلقى عليه الماء
فحينئذ يسكر فاذا صار العصير في حال ان بقي مدة لم يغل بنفسه حتى يلقى عليه غيره كان بمنزلة
الزبيب والتمر اذا القي عليهما الماء فطبخا وعلى ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه في الطلاء انه
لا يحل حتى يذهب عنه سلطانه يقول اذا كان يغلي بنفسه من غير ان يصب عليه الماء ففيه
سلطانه فاذا صار لا يغلي بنفسه وهو ان يطبخ حتى يذهب ثلثاه فقد ذهب سلطانه وروي عن انس
ابن مالك رضي الله عنه ان ابا عبيدة ومعاذ بن جبل وابا طلحة رضوان الله عليهم كانوا يشربون
من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وقد وصفنا فرق ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله بين
المطبوخ وبين المثلث والمنصف من العصير فاما فرقهم بين المطبوخ ما يتخذ من النخلة والعنب
والنيء منه فهو ان الخمر التي لا خلاف في تحريمها في العصير التي يصير خمرا فكل ما كان نيا من الشجرتين
اللتين سماهما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو حرام اذا اسكر فاذا كان مطبوخا فقد عمل فيه

عمل خرج به من حد الخمر فان قيل يجب ان يقاس ذلك على النى لانه يسكر وفيه صفات الخمر قيل الخمر حرمت لعينها لما لا يتخذ الا السكر ولا يقاس عليها غيرها وانما يقاس على ما حرم وحل لعله دون ما حرم بعينه وأما غيره من الاشربة فانما يحرم منه السكر الا ترى انه فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قال له ابو موسى ان شرابنا يقال له البتع فما نشرب منه وما ندع قال اشربوا ولا تسكروا وعن ابن عباس رضى الله عنه قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب وعن على رضى الله عنه قال فما اسكر من النبيذ ثمانون وفى الخمر قليلها وكثيرها ثمانون فدل قول على رضى الله عنه فيما اسكر من النبيذ ثمانون معناه فى السكر ثمانون وذلك يدل ان قول النبى صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ان السكر منه حرام وعن عمر رضى الله عنه انه اتى بسكران قال يا امير المؤمنين انما نشرب من نبيذ لك الذى فى الاداوة فقال عمر رضى الله عنه لستا اضربك على النبيذ انما اضربك على السكر فهذه الاخبار التى ذكرنا دلت على تحريم الخمر بعينها والسكر من كل شراب وقوله عز وجل ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة يدل على تحريمها لانه اذا اسكر صده عن ذكر الله وعن الصلوة وقوله عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول فى تحريم الخمر والميسر والازلام والانصاب وغيره واحذروا معصيتها وخلافهما فان توليتم عن طاعتهما فاحرم عليكم وحذركم عنه فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين فى تحريم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اى شربوا من الخمر قبل تحريمها اذا ما اتقوا شربها بعد التحريم وآمنوا اى وصدقوا بالتحريم ثم اتقوا شربها وآمنوا فى حادث الوقت ثم اتقوا واحسنوا وذكر فى بعض القصة انه لما نزل تحريم الخمر قالوا كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية لكن هذا لا يحتمل ان يكون كما ذكر لانهم شربوا الخمر فى وقت كان شربها مباحة ولم يشربوا بعد تحريمها لكن هذا ان كان فانما قالوا فى انفسهم فنزل ان ليس عليكم جناح فيما شربتم قبل تحريمها بعد ان اتقيتم شربها بعد نزول حرمتها والله اعلم وقال بعضهم ان فى الاية تكرار فى قوله تعالى اذا ما اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين لكن الوجه فيه ما ذكرنا ليس على التكرار والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد انه ابتلانا بشئ من الصيد وليس فيه بيان انه ابتلى بالامر فيه او بالنهى لكن بيانه فى آية اخرى ان الابتلاء انما كان بالنهى عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا دل هذا على ان المحرم كان منهيا من الاصطياد بقوله واذا حللتم وان الابتلاء الذى ذكر فى الاية كان بالنهى عن الاصطياد والله اعلم ثم اختلف فى الاية قال بعضهم النهى بشئ من الصيد لاهل الحرم الذى انه روى فى الخبر قال لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها فكان الابتلاء بالنهى عن الصيد لاهل الحرم لما احتج انه لا ينفر صيدها واما المحرم فانما نهى عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا وبقوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقال آخرون الابتلاء بالنهى عن الاصطياد للمحرمين وفى قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم نهى عن قتله وهنالك نهى عن اخذه بقوله تناله ايديكم وقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فذلك معنى قوله بشئ من الصيد والله اعلم ويحتمل على التقديم والتاخير كانه قال ليبلونكم الله بشئ تناله ايديكم ورماحكم من الصيد والله اعلم ثم اختلف فى قوله تناله ايديكم قال بعضهم ما تناله الايدى هو البيض وعلى هذا يخرج قولنا ان المحرم نهى عن اخذ البيض فان اخذ بيضا فان عليه الجزاء والذى يدل على ذلك ما روى ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيض النعام صيام يوم او اطعام مسكين وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى بيض نعام اصابه محرم بيمينه وعن ابن عباس رضى الله عنه عليه ثمنه او قيمته

قال الزمخشرى رفع الجناح عن المؤمنين فى اى شئ طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم داموا على التقوى والايمان وقال بعض اهل المعرب اذا ما اتقوا اى الشرك وآمنوا بالله وحده وعملوا الصالحات ثم اتقوا من اعمالهم الصالحة عن شهود الخلق وآمنوا بان الله تعالى يعلم السر والعلانية ثم اتقوا اعجاب النفس ليتحقق بذلك منهم الاحسان والله يحب المحسنين

قيل اذا ما اتقوا المحرمات قبل تحريم الخمر ثم اتقوا الخمر بعد التحريم ثم اتقوا ما عسى يحرم وقيل الاول عمل الاتقاء والثانى دوام الاتقاء والثالث ضم الاحسان الى الاتقاء قيل اولا ما اتقوا الشرك وآمنوا بالله وعملوا الصالحات ثم اتقوا الخمر والميسر بعد تحريمهما وآمنوا بتحريمهما ثم اتقوا سائر المحرمات قال القشيرى رحمه الله اتقى الشرك فعرف ثم اتقى الحرام فانصرف ثم اتقى السهو فاسرف وقال الاول للعوام اتقوا الشرك والمعاصى وآمنوا بان الامر والنهى من الله تعالى والثانى للخواص اتقوا المنع وآمنوا بالخلف والثالث لخواص الخواص اتقوا شهود الخلق واحسنوا العمل والاحسان ان يعبد الله

وعن ابن مسعود

وعن ابن مسعود رضى الله عنه مثله وقال بعضهم تناله ايديكم هو صيد الصغار وهى الفراخ التى لا تطير فيؤخذ بالايدى اخذا وقوله عز وجل ورماحكم قال بعضهم ما رميت وطعنت وقيل فى قوله تناله ايديكم ما يؤخذ بغير سلاح ورماحكم ما يؤخذ بالسلاح من نحو النبل والرماح وغيرهما من السلاح ثم فى الاية دلالة ان المحرم قد نهى عن اخذ الصيد وكذلك فى قوله تعالى فاصطادوا والاصطياد هو الاخذ لا القتل وانما النهى عن القتل فى قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقوله عز وجل ليعلم الله من يخافه بالغيب ليعلم ما قد علم انه يكون كائنا او ان يقال ليعلم ما قد علم غائبا عن الخلق شاهدا كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة الاية وقوله عز وجل من يخافه بالغيب اختلف فيه قال بعضهم يخافه بالغيب بغيب الناس اى يخافه وان لم يحضره احد وقال آخرون يخافا العذاب بالاخبار لم يشهد ويصدق والله اعلم وقوله عز وجل فمن اعتدى بعد ذلك اى من استحل قتل الصيد بعد ما ورد النهى والتحريم فله عذاب اليم والثانى من اعتدى على الصيد بعد النهى على غير استحلال فله عذاب اليم ان شاء عذب وان شاء عفى واذا عذب كان عذابا اليما وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اى وانتم محرمون الاية فى ظاهرها عامة على قتل الصيد كله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فى اشياء اذن فى قتلها فقال خمس من الدواب لا جناح على من قتلهن وهو محرم فى الحرم الحداءة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وعن عائشة رضى الله عنها امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق فى الحل والحرم الحداءة والغراب والفارة والعقرب والكلب العقور وفى بعض الاخبار الذئب فيحتمل ان يكون الكلب العقور الذئب وروى عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يقتل المحرم فقال الحية والعقرب والفويسقة الغراب والفيلة والكلب العقور والسبع العادى والكلب العقور الذى امر المحرم بقتله ما قتل الناس وعدا عليهم مثل الاسد والنمر والذيب وما كان من السباع لا يعدو امثل الضبع والثعلب والهرة وما اشبههن من السباع فلا يقتلهن المحرم فان هو قتل شيئا منهن فداه وان قتل شيئا من الطير سوى ما ذكر فى الخبر فعليه جزاؤه وفى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل المحرم الفارة فانها توهن السقا وقال بعض الناس ما قتل المحرم من السباع التى لا يؤكل لحمه فلا فدية عليه فكان تاركا لظاهر الاية وهو قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم فان احتج بحديث ابن عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم رخص للمحرم فى قتل خمس من الدواب وذلك ما لا يؤكل لحمه قيل اباح النبى صلى الله عليه وسلم قتل الخمس لعلة انه لا يؤكل لحمها فان قال نعم قيل ما الدليل على ذلك فانه قال لانها لا تؤكل فكل ما لا يؤكل من الصيد فقتله مباح فيقال له قولك لا يؤكل ليس بعلة لان ذلك لا يزول ولا يتغير والعلة هى التى تحدث فى وقت وتزول فى وقت ولو كان قول القائل لا يؤكل علة فيما لا يؤكل كان قوله يؤكل علة فيما يؤكل وكان الشئ علة لنفسها وهذا بين الخطأ واذا لم يكن تحريم اكل الخمسة التى اذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتلها للمحرم علة فى اطلاق قتلها كان القياس عليها على ما لا يحل اكله مخطئا لان القياس انما يكون على العلل وما لا علة فيه لا يجوز القياس عليه وعندنا ان هذه الخمسة المسماة يبتدى المحرم وغيره بالاذى وان لم يبتديها المحرم وما سوى ذلك مما لا يؤكل لحمه لا يكاد يبتدى بالاذى حتى يبتديها الانسان فحينئذ تعرض له وبيان ذلك ان الحداة ربما اغارت على اللحم يراه فى يدى الرجل والغراب يسقط على دبر الدواب فينقده والعقرب تقصد من تلدغه وتتبع حسه والكلب العقور لا يكاد يهرب من الناس كما يهرب السباع سواه فاما الضبع والخنزير والكلب والذئب واشباهها فهى تهرب من بنى آدم ولا يكاد تؤذيهم حتى يبتدؤها بالاذى جعلنا العلة فيما رخص النبى صلى الله عليه وسلم

الدبر ما لعتريك كالجراحة تحدث من الرجل او نحوه وقد دبر البعير دبرا

للمحرم في قتله مايعرف من قصدها لاذى المحرم وان لم يؤذيها المحرم اذ كان ذلك معروفا
فيها معلوما انه اكثر شانها فلما لم يكن في ساير الطير المحرمة والسباع هذه العلة وكان المعروف
فيها انها لا يبتدى بالاذى لم يجز ان يشبه بالخمسة المسماة في الخبر فاذا ابتدى منها مبتدى المحرم
بالاذى كان حينئذ مثل الخمسة فجاز له قتلها بغير فدية وبعد فان الذى لا يؤكل لحمه يستوى صيد
والصيادون بصيدونه فكان داخلا تحت عموم الخطاب ومخالفنا تارك لاصله في العموم لانه
خص الآية بغير دليل ومن اصله ان الآية على العموم ولا تخص الا بدليل واصحابنا رحمهم الله
يجعلون الصيد كله محظورا اكلا ولم يوكل الا ما عدا منها فان قتله قبل ان يعدوا عليه لزمه الفداء
ذهبوا في ذلك الى ما روى في الخبر خبر ابى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال يقتل المحرم كذا كذا والسبع العادى فالعادى ما يعدوا على المحرم والى ما روى عن على
ابن ابى طالب رضى الله عنه وغيره معما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه جعل على المحرم في قتل
ضبعا جزاؤه وكذلك عن عمر وابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وهى مما يوكل وعن جابر قال
سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الضبع فقال هو صيد وفيه كبش وعن عمر رضى الله عنه كذلك
وابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما كذلك وقوله عز وجل ومن قتل منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل
من النعم اختلف في الآية تاويلها على وجهين فاحدهما من جعل الآية على ظاهرها فلم يوجب في الخطاء
كفارة عن ابن عباس رضى الله عنه قال اذا اصاب المحرم الصيد خطا فليس عليه شئ وكذلك روى
عن عطاء وسالم والقاسم انهم قالوا لا شئ عليه مثل قول ابن عباس رضى الله عنه والقول الثانى
ما قاله اكثر اهل التاويل قالوا قوله ومن قتله منكم متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه فلذلك الذى
يحكم عليه وهو الخطا المكفر وان قتله متعمدا لقتله ذاكرا لاحرامه ولم يحكم عليه وكذلك روى عن الحسن
انه قال متعمدا لصيده ناسيا لاحرامه وقال ومن عاد فينتقم الله منه متعمدا للصيد وذاكرا لاحرامه فكانهم
ذهبوا ان المحرم لا يقصد قصد الصيد وهو ذاكر لاحرامه احسنوا الظن به وعندنا ان الاحرام
مما لا يجوز ان يخفى على المحرم وينساه لان للمحرم اعلاما تذكره تلك الاعلام الحال التى هو فيها
وعندنا ان ما لا يجوز ان ينسى ويخفى على المرء لم يعذر صاحبه في نسيانه وعندنا ان على قاتل
الصيد الكفارة عمدا قتله او خطا وليس تخلو الآية من ان تكون اوجبت الكفارة على المتعمد للقتل
الناسى لاحرامه لما قال الحسن ومجاهد او تكون اوجبت الكفارة على المتعمد للقتل ذاكرا لاحرامه
اولى بالكفارة لان ذنبه اعظم وجرمه اكبر فان قيل انكم لا توجبون الكفارة على قاتل النفس عمدا
فما منع ان يكون قتل الصيد مثل ذلك وان كان حرمته اعظم كما قيل ان قاتل النفس عمدا وان كنا لم نوجب
عليه الكفارة فقد اوجبنا عليه القصاص وهو اغلظ من الكفارة وقاتل الصيد عمدا لقتله ذاكرا لاحرامه
لو ازلنا عنه الكفارة فلا شئ عليه سواها لذلك اختلفا ثم نقول انا عرفنا الحكم في قتل الصيد في الخطا
انما يعرف بغيره وليس في ذكر الحكم وبيانه في حال دليل نفيه في حال اخرى ولنا على هذا مسايل
قد ذكرناها فيما تقدم في غير موضع كرهنا اعادتها في هذا الموضع ثم تخصيص ذكر الكفارة في قتل
العمد يحتمل وجوها احدها ان الكفارة في قتل النفس انما ذكرت في قتل الخطا لم تذكر في قتل العمد
ليعلم انها اذا وجبت في العمد فهى في الخطا اوجب والثانى ان الكفارة انما وجبت بجنايته
على صيد امن فيه في الحرم وكل ذى امانة اذا اتلفها لامانة لزمه الغرم عمدا كان اتلافه او خطا
فعلى ذلك هذا والله اعلم والثالث ان ذكر التخيير في حال الضرورة يخرج مخرج التوسيع
والتخفيف على اهلها ولا يكون ذلك في غير حال الضرورة فدل ذكره في حال غير الضرورة على انه ذلك

كالمذكور

كالمذكور في حال الضرورة وقوله عز وجل فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم
اختلف اهل العلم فيما يجب من المثل فقال قوم في الظبى شاة وفي النعامة بدنة وفي حمار الوحش
بقرة واشباه ذلك وقال الآخرون المثل قيمة الصيد يقومه عدلان فيوجبان قيمته دراهم فيشترى
بتلك الدراهم شاة او يجعله طعاما فيتصدق به واما قولنا ان المثل هو القيمة لا المثل في راى العين
ذهبنا في ذلك الى وجوه احدهما ان المحرم لو اصاب صيدا في هذا الوقت حكم بجزائه حكمان فلو كان
مثل الظبى شاة في كل الدهور والاوقات كان ما تقدم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والسلف
من الحكم في ذلك كافيا لا يحتاج الى حكم غيرهم فدل اجماعهم على ان حكم الحكمين باق على ان المثل غير موقت
بل هو مختلف على قدر الازمنة والمواضع والاوقات واذا جعلنا المثل قيمة كانت الحاجة الى الحكمين
قايمة واذا جعلناه هديا فالحاجة اليها زايلة ولا يجوز ان يعطل امر الحكمين وقد ذكره الله في كتابه
والثانى ما اجمعوا عليه ان ما لا مثل له في الانعام من الصيد اذا اصابه المحرم فعليه قيمته فاذا كان المثل
في بعض الصيد قيمته فهو في كل الصيد قيمته وكذلك روى عن ابن عباس وغيره من السلف رضى الله عنهم
انهم قالوا ذلك فان قيل ما لا مثل له من النعم لا يمكن قيمته اكثر من قيمته قيل له فيجعل ذلك مثلا له
فان قال بلى قيل فقد صارت القيمة مثلا في بعض الصيد فما منع ان يكون مثلا في كل الصيد فان قال المثل
هو الهدى فيما له مثل فاما ما لا مثل له من الهدايا فليس الواجب فيه بمثل انما ذلك قيمة ولم يجب ذلك
بنص الكتاب وانما وجب ذلك بنص الكتاب المثل من الهدى فاما ما لا مثل له فانما وجب قيمته بالاجماع
قيل له حدثنا عن قول الله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم هل دخل في عموم الآية الفرخ ونحوه فيكون
منهيا عن قتله فان قال نعم قيل فاذا دخل الفرخ في عموم النهى عن قتل الصيد فهو ايضا داخل في عموم قوله
ومن قتله منكم متعمدا الآية فان قال لا يدخل الفرخ في عموم قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم قيل له
قد قال الله تعالى ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم فروى ان ذلك في البيض والفراخ
فان لم يجعل الفراخ والاشياء منها داخلا في الآية فما معنى الآية ونحن لا تنال بايدينا من الصيد الا صغاره
وما يعجز عن الطيران والعدو ومنه فالآية توجب ان الصيد كله قد دخل في عمومها ما قلت قيمته
وما كثرت وذلك يوجب ان يكون الواجب من قيمة الفرخ والعصفور مثلا والله اعلم ولان النعامة
لا مثل لها من النعم لمن اوجب فيها بدنة فقد اوجب فيها ما ليس بمثل لها ولا نظير ومن اوجب فيها قيمتها
فقد اوجب مثلا لها فهو موافق للنص عندنا والله اعلم وكذلك الموجب في الحمامة شاة لا تشبه الصيد
المقتول في عينه ولا في صفته ولا في جنسه فهو غير موجب المثل بل الموجب فيه القيمة اقرب الى ايجاب
المثل فيه والله اعلم فان قيل كيف يسمى قيمة الشئ مثلا وليست من جنسه وانما المثل ما كان من جنس
الشئ قيل قد ذكرنا ان قيمة ما لا مثل له من النعم يسمى مثلا ولان الله تعالى قال او عدل ذلك صياما
واذا جاز ان يسمى الصيام عدلا للطعام جاز ان يسمى القيمة عدلا للصيد وانما صار الصيام عدلا للطعام
بالتقويم والمثل والعدل في المعنى متقارب والله اعلم ولان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم
ولو كان المراد من المثل المنظور راى العين لم يكن لشرط ذوى عدل فيه معنى لان المثل في راى العين
يعرفه كل احد يبصر فيه ولم يكن فدل ما شرط من نظر ذوى عدل ما بطن فيه وخفى لا ما ظهر والله اعلم
وقوله عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم تاويله ما ذكرنا ينظر الى رجلين عدلين بهما ومعرفة في ذلك
فيقومانه ثم يشترى بها هديا ان شاء فيهدى وان لم يبلغ هديا قومت الدراهم طعاما فان لم يجد
صام مكان كل نصف صاع يوما وروى عن ابن عباس رضى الله عنه كذلك والحسن وابراهيم والقاسم
والسلف جملة وعندنا انه مخير بين هذه الاشياء الثلثة يفعل اى هذه الثلثة شاء لان الله تعالى

قال في المحصر ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية
من صيام او صدقة او نسك ولا خلاف بينهم في ان لصاحب الفدية في حلق الراس ان يفعل اى هذه
الثلثة فالواجب ان يكون في جزاء الصيد مثله لان الخطاب خرج على حرف التخيير وكل خطاب خرج
على حرف التخيير سبب وجوبه واحد فهو على التخيير نحو كفارة اليمين وما ذكرنا في دفع الاذى عن راسه
والله اعلم وقوله عز وجل هديا بالغ الكعبة شرط بلوغ الكعبة وهو لا يبلغ نفس الكعبة فدل ان المراد
رجع الى بلوغه قرب الكعبة وعلى هذا يخرج قولهم فيمن حلف ان لا يمر على باب فلان فمر بقرب بابه
حنث استدلالا بقوله هديا بالغ الكعبة لم يرد به بلوغه عين الكعبة ولكن قربها او مكانها فعلى ذلك
هذا والله اعلم وكان محمد بن الحسن يقول يحكم عليه بمثله من النعم حيث كان وابو حنيفة رضي الله عنه
يقول يحكم عليه بقيمة الصيد في الموضع الذي اصابه فيه واختلافهما في هذا يرجع الى ما اختلفا فيه
من المثل عينا او قيمة وقد روى عن عمر وعبد الرحمن رضي الله عنهما وغيرهما انهم حكموا في الظبي
شاة ولم يسالوا عن الموضع الذي اصيب فدل تركهم السؤال عن ذلك ان المواضع كلها كانت عندهم
سواء وانهم اجروه مجرى الكفارات دون القيم لانهم لو اجروا ذلك مجرى ضمان القيم لسالوا عن اماكن
الجنايات اذ كان الصيد يختلف قيمته ولا يستوى في ذلك الاماكن كلها فهذا يؤيد قول محمد
ومن وافقه واما عند ابي حنيفة رحمه الله ان الملك للمحرم في الصيد وكل من اتلف ملك آخر
او جنى على ما لاحد وانما ينظر الى قيمته في المكان الذي اتلفه فعلى ذلك النظر في الصيد الى المكان
الذي اصابه ثم المسئلة في جزاء الصيد اين يذبح عندهم جميعا لا يجوز ان يذبح الا بمكة لانه
لو جاز ان يذبح في غير الحرم حيث شاء زالت فائدة قوله هديا بالغ الكعبة وليس في ذلك بينهم
خلاف واما الاطعام والصيام فان الله عز وجل لم يذكر فيهما موضعا ولا جعل لهما مكانا فله
ان يطعم وان يصوم حيث شاء فان قيل اى الهدى يذبح في الحرم لمنفعة اهل الحرم ويتصدق به
عليهم فعلى ذلك الاطعام يجب ان يطعم اهل الحرم لا نجعل لمنفعة لهم قيل لا خلاف بينهم
انه لو ذبح الهدى في غير الحرم وتصدق به على اهل الحرم ان لا يجوز دل انه دل لا لما ذكر
ولكن لما الهدايا لا تذبح الا بمكة الا ترى من قال لله تعالى عليه ان يهدى ليس له ان يذبح الا بمكة
ولو قال عليه الاطعام والصدقة له ان يتصدق حيث شاء دل ان الهدى بخصوص ذبحه بمكة
لا يجوز في غيره واما الصدقة فانها تجوز في الاماكن كلها لذلك افترق والله اعلم وقوله
عز وجل ليذوق وبال امره اى ليناله شدة امره والمه كما نال لذته وقيل جزاء ذنبه وهو الكفارة
وقوله عز وجل عفا الله عما سلف اذا تاب ورجع عما استحل من قتل الصيد وهو كقوله تعالى
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله عز وجل ومن عاد فينتقم الله منه اى من عاد الى استحلال
قتل الصيد في الحرم ينتقم الله منه في النار ويحتمل من عاد الى قتل الصيد ينتقم الله منه بالكفارة
وقوله عز وجل والله عزيز ذو انتقام اى لا يعجزه شئ ويقال عزيز اى كل عز عنده عز ذل
وغنى اى كل غنى عنده عناه فقر ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل احل لكم صيد البحر وطعامه
متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما اخبر الله تعالى ان صيد البحر
وطعامه حلال للمحرم ثم اختلف اهل التأويل في تاويله قال بعضهم صيده ما صيد وطعامه
ما قذف في البحر كذلك روى عن عمر رضي الله عنه انه قال صيده ما صيد وطعامه ما قذف
وعن ابي بكر وابن عباس رضي الله عنهما قالا طعامه ما قذف وقال بعضهم صيده ما اخذ طريا
وطعامه مليحه وقوله عز وجل متاعا لكم اى منفعة لكم اى للحاضر وللسيارة اى للمسافر

وعن بعضهم صيده ما صيد طريا وطعامه ما تزودت في سفرك مليحا ثم يجئ على قول اصحابنا الظواهر
ان يكون كل صيد البحر وطعامه حلالا مباحا بظاهر قوله احل لكم صيد البحر وطعامه الاية وكذلك
ما روى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال الطهور ماؤه والحل ميتته انه لم يخص ميتة دون
ميتة ولا طعاما دون طعام غير ان المراد عندنا يرجع الى السمك خاصة ما روى عنه صلى الله عليه
وسلم قال احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والسمك دل الخبر ان المراد من الاية
والخبر راجع الى السمك والله اعلم وقوله عز وجل وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ذكر
عن ابن عباس رضي الله عنه قال لبهيمة لا يحل لك ان تصيده ولا ان تاكله وروى عن علي رضي الله عنه
وهو محرم انه دعى الى طعام فقرب اليه يعاقيب وحجل فلما راى ذلك علي قام وقام معه ناس
فقيل لصاحب الطعام ما قام هذا ومن معه الا كراهية لطعامك فارسل اليه فجاء فقال ما كرهت
من هذا ما اشرنا ولا امرنا ولا صدنا قال علي رضي الله عنه وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
ثم انطلق وعن عثمان رضي الله عنه مثله او قريبا منه واما عندنا فانه يحل للمحرم ان ياكل لحم
الصيد اذا لم يصده هو ولا صيد له ما روى عن ابي قتادة رضي الله عنه انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا كان ببعض الطريق بمكة تخلف مع اصحاب له محرمين وهو غير محرم فراى حمار وحش
فاستوى على فرسه فسال اصحابه ان يناولوه سوطا فابوا فسالهم رمحه فاخذه ثم اشتد على الحمار
فقتله فاكل منه بعض اصحابه وابى بعضهم فلما ادركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه
عن ذلك فقال انما هي طعمة اطعمكموها الله سبحانه وقال هل معكم من لحمه شئ وفي خبر آخر
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال عقر ابو قتادة حمار وحش ونحن محرمون وهو حلال
فاكلنا منه ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر عن ابي قتادة رضي الله عنه قال
اني اصبت حمار وحش وعندي منه فقال للقوم كلوا وهم محرمون وفي بعض الاخبار عن جابر
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد البر حلال لكم وانتم حرم
ما لم تصيدوه او يصاد لكم رخص النبي صلى الله عليه وسلم في اكل لحم الصيد للمحرم اذا لم يصده ولم
يصد له فبذلك اخذ اصحابنا وفي الاية دليل قولنا وهو قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
وقال وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فمعناه والله اعلم اصطيادة الا ترى ان صيد ما لا يؤكل
لحمه محظور فدل ذلك على الاية نزلت في الاصطياد لا في اكل لحمه لان لحم الصيد قد خرج
من ان يصاد فالتحريم غير واقع عليه ليس كالبيض لان البيض قد يصير صيدا واللحم ليس كذلك
ولان المحرم لو اتلف البيض غرم قيمتها ولو اتلف لحم الصيد لم يضمن شيئا فالزم الضمان منع
عن اكله وما لم يلزمه لا ولانه لو حرم على المحرم التناول من لحم صيد صاده حلال فيجب ان يحرم
على اهل مكة التناول لعنادهم اهل حرم الله وذلك بعيد فاخذ اصحابنا رحمهم الله تعالى بما روينا
من الاخبار وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حديث ابي قتادة وغيره بما دل عليه
ظاهر الكتاب وهو قول عمر وعثمان وغيره رضي الله تعالى عنهم فان قيل روى عن ابن عباس
رضي الله عنه عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى المحرم عن لحم الصيد
وفي خبر آخر عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عضو
من لحم صيد فرده فقال انا حرم لا ناكله وفي خبر آخر انه سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عن محرم اتى بلحم صيد قال لا تاكل منه لكن هذا الحديث يجوز ان يحمل على ان كان صيد بعد
ان احرم ان يكون صيد من اجله واذا صيد من اجله لم يحل له اكله دليله من خبر عثمان

رضي الله عنه ما امرت بصيد ولا صيد من اجلي وخبر جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لهم صيد البر حلال لكم وانتم حرم ما لم تصيدوه او يصاد لكم ثم المسئلة في معرفة
صيد البر من البحر قال بعضهم ما كان يعيش في البر والبحر فلا تصيدوه وما كان حيوته في الماء فذلك
البحري وقال الآخرون اكثر ما يكون حين يخرج وقال غيرهم صيد البر هو الذي ان اخذه الصايد
حيا فمات في يده لم يحل ولا يحل اذا ادرك ذكوته الا بتزكية فكل ما كانت هذه صفته فهو البر وان كان
قد يعيش في الماء وما كان الصايد اذا اخذه حيا وهو يعيش في الماء فمات في يده اكله فذلك صيد البحر وذلك
السمك وفي ذلك وجه آخر وهو ان كل ما القاه البحر وقد فمات فحل لنا اكله فذلك طعامه وان لم يحل
اكله فليس بطعامه فما كان طعامه والقاه فمات فهو اذا صيد البحر وما لا يحل اكله اذا القاه فليس بصيد البحر
اذا صيد لان الله اباح صيد البحر وطعامه فما ليس بطعام اذا القاه فمات فليس بصيد اذا اخذ حيا
والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله في استحلال قتل الصيد وفي الحرم واتقوا الله في اخذ الصيد
في حال الاحرام بعد النهي واتقوا الله في كل ما لا يحل الذي اليه تحشرون فتجزون باعمالكم ان خيرا فخير
وان شرا فشر ويحتمل قوله اليه تحشرون اي الى حكمه تصيرون كقوله تعالى له الحكم واليه ترجعون
والله اعلم جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس الآية اختلف فيه قال بعضهم قوله تعالى قياما
للناس اي ثباتا للناس ودواما لان الله تعالى جعلها موضعا لاقامة العبادات من نحو الحج والطواف
والصلوة واراقة الدماء والهدايا وغير ذلك من العبادات ثم ان تلك العبادات جعلها ثابتة
دايمة لا تتبدل ولا تنسخ ابدا فذلك معنى القيام للناس والله اعلم وقال بعضهم قياما بمعنى قواما لهم
في معاشهم ومعادهم لانه جعلها مامنا لهم وملجأ حتى ان من ارتكب كبيرة او جرم جريمة ثم لجأ
اليه لم يتعرض له بشيء من ذلك ولا يتناول منه وكانوا اذا وجدوا هديا مقلدا لم يتعرضوا له وان كانت
حاجتهم اليه شديدة ونحو هذا كثير مما يطول ذكره وجعل فيها عبادات ومقصدا ما لم يجعل
في غيرها من البقاع من قضاء المناسك وغيرها وكذلك الشهر الحرام كان جعله مامنا لهم اذا دخلوا
فيه يأمنون من كل خوف كان بهم وجعل في الهدايا والقلايد منفعة لاهلها فكان في ذلك قوام لهم
في معاشهم ومعادهم وعن سعيد بن جبير قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس شدة لدينهم وقوله عز وجل ذلك لتعلموا اي ذلك الامن وما ذكر من جعل الكعبة قواما لهم
في معاشهم ومعادهم لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض اي على علم جعل هكذا قبل ان يكون
وقال بعضهم قوله ذلك اي ما سبق ذكره من تحريف الكتب وتغييره وتبديل نعته صلى الله عليه
وسلم وصفته اي على علم منه بالتحريف والتبديل خلقكم لا عن جهل يمتحنكم لما لا يضره كفر كافر
ولا ينفعه ايمان مؤمن بل حاصل ضرر يرجع الى الكافر وحاصل نفع الايمان يرجع الى المؤمن وقوله
عز وجل واعلموا ان الله شديد العقاب اي علموا انه شديد العقاب لمن عصاه وخالف امره
على ما علمتم انه عن علم منه كان جميع ما كان وان الله غفور رحيم واعلموا ايضا ان الله غفور رحيم
لمن تاب واناب اليه وشديد العقاب لان من العقوبات ما ليس بشديد وخاصة عقوبة الآخرة
انه يعاقب بالنار وما من عقوبة الا وقد يحتمل شيء منها سوى عقوبة احد فانه لا يحتمل احد ولان عقوبات
الدنيا وعذابها على الانقضاء وعذاب الآخرة لا انقضاء له ولا فناء لذلك وصف بالشدة والله اعلم
وقوله عز وجل ما على الرسول الا البلاغ فيه وجهان احدهما ردا على من يقول ان الموعظة لا تنفع
ولا تنجع فيه اذا لم يكن الواعظ مستعملا لما يعظ غيره اذ ليس احد من الخلق اشد استعمالا من الرسل
عليهم الصلوة والسلام ثم لا تنفع مواعظهم وذكراهم قومهم ولا تنجع فيهم لشومهم ولشدة تعنتهم

والثاني انباء على الرسل الا البلاغ ولا ضرر عليهم بترك القوم اجابتهم كقوله تعالى فان تولوا فانما
عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وقوله عز وجل والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون ما تبدون من العداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وبنصب الحرب والقتال
معهم وما تكتمون من المكر والقصد لقتله كقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله الآية كانوا يمكرونه ويقصدون قصدا هلاكه لكن الله عز وجل اطلع
رسوله على مكرهم واخبر انه يعصمه عن الناس وقال الله عز وجل كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
ويسعون في الارض فسادا وقوله عز وجل قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث الآية
يحتمل وجهين احدهما خرج عن سؤال قد سبق منهم عن كثرة الاموال لما راوا اولئك كانوا يستكبرون
ويجمعون من حيث يحل ولا يحل فمالت انفسهم الى ذلك ورغبت فقال لا يستوي الخبيث والطيب كانه
قال ان القليل من الطيب خير من الكثير الخبيث والله اعلم والثاني انهم رغبوا في عبادة اولئك من الترهيب
والاعتزال عن الناس لدفع اذى انفسهم عنهم وكثرة ما كانوا يتحملون من الشدايد والمشقة فرغبوا في ذلك
وهموا على ذلك على ما ذكر في القصة عن بعض اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم هموا ان يترهبوا
او يعتزلوا من الناس فقال قل لا يستوي الخبيث والطيب ان العمل القليل مع اصل طيب خير من الكثير
مع خبث الاصل وقوله عز وجل فاتقوا الله في مخالفة امره ونهيه يا اولي الالباب فيه دلالة ان الله
لا يخاطب احدا الا من كمل عقله وتم وبالله العصمة وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء
ان تبد لكم تسؤكم يحتمل ان يكون النهي عن السؤال عن اشياء خرج عن اسولة كانت منهم لم يكن لهم حاجة
اليها فنهوا عن ذلك الى ان يقع لهم الحاجة فعند ذلك يسألون كانهم سألوه عن البيان والايضاح قبل
ان يحتاجوا اليه الا ترى انه قال وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الآية ويحتمل ان يكون
خرج النهي عن السؤال ابتداء على غيرهم تقدم سؤال كان منهم ولكن نهوا عن السؤال عنها ثم يحتمل
بعد هذا ان كان على ابتداء سؤال كان من اهل النفاق يسألون سؤال تعنت لا سؤال استرشاد ويسألون
من آيات بعد ما ظهرت لهم وثبت عندهم الحجج وعرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان النهي
للمؤمنين فهو ما ذكرنا من سؤال البيان قبل وقوع الحاجة اليه وقيل نزلت في قوم سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اشياء قال احدهم من ابي وقال الآخر اين انا قال انت في النار وانت ابن فلان
ونحو ذلك من الاسولة فنهوا عن ذلك وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقال رجل في كل عام
يا رسول الله لو قلت نعم صار مفروضا فاذا صار مفروضا تركتم واذا تركتم جحدتم واذا جحدتم كفرتم
لان من جحد فرضا مما فرضه الله كفر وكلام نحو هذا ولا يجب ان يفسر هذا انه كان في كذا اذ ليس
في كتاب الله بيانه سوى ان فيه النهي من سؤال ما لا يحتاج اليه وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال لا تسألوا عن اشياء قد عفى الله عنها ان تبد لكم تسؤكم اي تظهر لكم تساكم اي امرتم العمل بها
والله اعلم بذلك وقوله عز وجل قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين هذا يدل على ان النهي
عن السؤال في الآل لاحد شيئين اما ان سألوا الآيات عنه بعد ما ظهرت وثبت لهم رسالته
فلما اتى بها كفروا بها الا ترى انه قال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وقد كان الامم
السالفة يسألون من الرسل عليهم الصلوة والسلام الآيات بعد ظهورها عندهم ويحتمل ما ذكرنا
من قولهم اين نحن ومن ابي ومن انا ونحوه فلما ان اخبرهم بذلك كفروا به والله اعلم وقوله عز وجل
ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام اي ما جعل الله قربانا مما جعلوا هم لانهم
كانوا يجعلون ما ذكر من البحيرة والسايبة وما ذكر قربانا يتقربون بذلك الى الاصنام والاوثان

اي ان تظهر لكم يامركم العمل بها ساءكم شرح

التي كانوا يعبدونها دون الله فقال ما جعل الله من ذلك شيئاً مما جعلتم انتم من البحيرة والسايبة
بقوله ما جعل الله من بحيرة وما ذكر اى ما امر بذلك ولا اذن بها قيل حرم اهل الجاهلية هذه الاشيا منها
ما حرموه على نسائهم دون رجالهم ومنها ما حرموه على الرجال والنساء ومنها ما جعلوه لالهتهم به ثم قيل البحيرة
ما كانوا يجدعون اذانها ويدعونها لالهتهم والسايبة ما كانوا يسيبونها والوصيلة ما كانت الناقة اذا ولدت
ذكرا وانثى فى بطن قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوها تركوها لالهتهم قال ابو عبيد البحيرة اذا نتجت
خمسة ابطن قطعتا اذانها وتركت والسايبة اذا ولدت خمسة ابطن سيبت فلا ترد عن حوض ولا علف
والوصيلة من الغنم اذا ولدت عناقين تركا واذا ولدت عناقا وجديا قالوا وصلت العناق الجدى
وتركا واذا انتجت ذبح والحامى اذا نظر الى عشرة من ولده قيل حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شئ
وقال مجاهد ولا حام اذا ضرب لحمل من ولده البحيرة فهو الحامى والحامى اسم والسايبة من الغنم
على نحو ذلك الا انها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة اولاد كانت على هيئتها فاذا ولدت السابع
ذكرا او ذكرين ذبحوه فاكله رجالهم دون نسائهم وان اتامت بذكر او انثى فهو وصيلة يترك ذبح
الذكر بالانثى وان كانت اثنتين تركتا وقال القتبى البحيرة الناقة اذا انتجت خمسة ابطن والخامس
ذكر نحروه فاكله الرجال والنساء وان كان الخامس انثى شقوا اذنها وكان حراما على النساء لحمها
ولبنها فاذا ماتت حلت للنساء والسايبة البعير يسيب بنذر يكون على الرجل ان سلمه الله من مرضه
او بلغه منزله ان يفعل ذلك والوصيلة من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة ابطن نظروا ان كان
السابع ذكرا ذبح فاكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركت فى الغنم وان كان ذكرا قالوا وصلت
اخاها فلم يذبح لمكانها وكان لحومها حراما على النساء وليس للانثى حرام على النساء الا ان يموت
منهما شى فياكله الرجال والنساء والحامى الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا نتج من صلبه عشرة ابطن
قالوا حمى ظهره ولا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء كانوا يحرمون الانتفاع بما ذكرنا ويقولون ان الله
حرم ذلك علينا وهو ما ذكر فى اية اخرى قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام فقالوا
هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا الاية يحرمون اشياء على انفسهم ويضيفون تحريمها الى الله ثم سفه
احلامهم بقوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين لم يكن تحريمهم هذه الاشياء بالسمع ولكن رايا منهم وتحكما فاحتج الله عليهم على ذلك
الوجه ليظهر فساد قولهم من الوجه الذى ادعوا فقال قل آلذكرين حرم ام الانثيين فان قالوا الذكرين
فقد كان من الذكر ما لم يحرم فان قالوا الانثى فقد كان من الانثى ولم يكن فيها التحريم ففيه دليل ان الحكم
اذا كان بعلة يجب وجوب ذلك الحكم ما كانت تلك العلة قايمة والله اعلم وقوله عز وجل
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباونا الاية كانها نزلت
فى مشركى العرب وكانوا اهل تقليد لا يؤمنون بالرسل ولا يقرون بهم انما يقلدون اباءهم
فى عبادة الاوثان والاصنام فاذا ما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما انزل الله اليه
او دعاهم احد الى ذلك قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مقتدون ونحو ذلك يقلدون اباءهم فى ذلك فقال الله عز وجل او لو كان اباوهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون اى تتبعون اباءكم وتقتدون بهم وان كنتم تعلمون ان اباءكم لا يعلمون شيئا
فى امر الدين ولا يهتدون وكذلك قوله قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم تتبعون
اباءكم وتقتدون بهم وان جئتكم باهدى مما كان عليه اباءكم بسفههم فى احلامهم فى تقليدهم اباءهم
وان ظهر عندهم انهم على ضلال وباطل وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم

من ضل

220 m.

من ضل اذا اهتديتم ظن بعض الناس ان الاية رفعت الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والسعة فى ترك
ذلك وليس فيه رفع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولكن فيه انباء ان ليس علينا فيما يرد ولا يقبل
من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر شئ وهو كقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك
عليهم من شئ وكقوله تعالى فان تولوا فانما عليه ما حمل الاية ليس فيه رخصة ترك تبليغ الرسالة
اليهم ودفعه عنهم ولكن اخبار ان ليس عليه فيما ترك القبول شئ كقوله ان عليك الا البلاغ فعلى
الاول والله اعلم ويحتمل ان يكون فى الاية دليل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانه قال لا يضركم
من ضل قبول الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذا اهتديتم انتم بالامر والنهى عن المنكر بل الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر واجب وبذلك وصف الله هذه الامة بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على وقد حفزه النفس فتوضأ
ثم خرج الى المسجد فسمعت من وراء الحجاب فصعد المنبر ثم قال يا ايها الناس ان الله يقول مروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر قبل ان تدعونى فلا اجيبكم وتسألونى فلا اعطيكم وتستغيثونى فلا اغيثكم وتستنصرونى
فلا انصركم وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية وانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقابه
و بقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم الاية ثم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والحرب
على مراتب مع الكفرة بالقتال والحرب ومع المؤمنين باليد واللسان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
على مراتب مع الكفرة واجب وفرض ما لم يدخل فى ذلك فساد ويصير الامر به والنهى عنه منكرا فاذا خشوا ذلك
يرخص لهم الترك والاروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قولوها ما لم يكن دونها السيف
والسوط فاذا كان دونها السيف والسوط فعليكم انفسكم وقوله عز وجل الى الله مرجعكم جميعا الذى
يامر بالمعروف وينهى عن المنكر والذى يرد علينا المعروف والنهى عن المنكر فينبئكم بما كنتم تعملون خرج
على الوعيد والتحذير وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية
اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم الاية اختلف فيه عن قتادة قال رجل مات بقرية من الارض وترك
تركة واوصى وصية واشهد على وصيته رجلين فان اتهما فى شهادتهما استحلفا بعد صلوة العصر
وكان يقال عندها يصير الايمان فان عثر اى اطلع منهما على خيانة على انهما كتما او كذبا وشهد رجلان
اعدل منهما بخلاف ما قالا اجيزت شهادتهما وابطلت شهادة الاولين اثنان ذوا عدل منكم المسلمين
او اخران من غيركم من اهل الكتاب اذا كان ببلد لا يجد الا هؤلاء وعن الحسن قال اثنان ذوا عدل منكم
اى من عشيرتكم او اخران من غير عشيرتكم فيقولون الحق على المسلم اذا اراد ان يوصى ان يستند لوصايته
الى اهل عشيرته وكذلك يشهد على ذلك من اهل عشيرته لان اهل عشيرته احفظ لذلك واحوط
واكثر عناية واقوم للشهادة ولا كذلك الاجنبيان فان قال قايل خاطب الله عز وجل المؤمنين جملة
بقوله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم الاية فكيف يحتمل ان يكون قوله او اخران من غيركم من غير دينكم
فنقول سبحان الله ما اعظم هذا القول يرد شهادة موحد مخلص دينه لله لفسق يرتكبه ويامر
يقبول شهادة كافر كاذب قايل لله بالولد والشريك هذا مما لا يحتمل وقال ايضا تحبسونهما
من بعد الصلوة وهم كانوا يستهزؤن بالصلوة اذا نودى لها بقوله واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها
هزوا ولعبا دل انه لا يحتمل ما ذكروا وعن سعيد بن جبير فى قوله او اخران من غيركم قال
اذا حضر المسلم الموت فى السفر فلم يجد مسلمين فاوصى الى اهل الكتاب فان جاؤا بتركته فاتهموا حلف
هؤلاء ان متاعه كذا وكذا واخذ وبعض الناس يجيزون شهادة النصارى واليهود فى السفر فى الوصية

فى ظاهر الآية وقال مجاهد او اخران من غيركم من غير ملتكم وعن عامر الشعبى قال شهد نصرانيان على وصية
مسلم مات عندهم فارتاب اهل الوصية فاتوا بهما الى ابى موسى الاشعرى فاستحلفهما بعد صلوة العصر
بالله ما اشترينا به ثمنا قليلا ولا كتمنا شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ثم قال ابو موسى الاشعرى والله ان هذه
القصة ما قضى بها منذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم قد بين الشعبى ان ابا موسى انما استحلفهما
فيما اتهمهما به من تركة الميت وهذه يمين واجبة عند المسلمين جميعا ولم يحلفهما على ان ما شهدا به كما شهدا به
كما زعم قوم ان شهادتهما تصح بيمينهما وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال خرج رجل من المسلمين
لم بقرية ومعه رجلان من المسلمين فدفع اليهما ماله ثم قال ادعوا الى من اشهد على ما قبضتما فلم يجدوا
احدا من المسلمين فى تلك القرية فدعوا ناسا من اليهود والنصارى واشهدهم على ما دفع اليهما ثم ان
المسلمين قدما الى اهله فدفعا ماله الى اهله فقال الورثة لقد كان معه من المال اكثر مما اتيتما
فاستحلفوهما بالله ما دفع اليهما غير هذا ثم قدم ناس من اليهود والنصارى فسألهم اهل الميت فاخبروهم
انه هلك بقريتهم وترك كذا وكذا من المال فعلى اهل المتوفى ان قد عثر وعلى ان المسلمين قد استحقا اثما
فانطلقا الى ابن مسعود فاخبروه بالذى كان من امرهم فقال ابن مسعود رضى الله عنه ما من كتاب الله
من شئ الا قد جاء على الدلالة الا هذه الآية فالآن حين جاء بتأويلها فامر المسلمين ان يحلفا بالله لا نشترى به
ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ثم امر اليهود والنصارى ان يحلفوا بالله
لقد ترك من المال كذا وكذا ولشهادتنا احق من شهادة هذين المسلمين وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين
ثم امر اهل الميت ان يحلفوا بالله ان كان ما شهدت به اليهود والنصارى وكان ذلك فى خلافة عثمان
ابن عفان فان ثبت هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه فهو خلاف ما روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم دماء قوم واموالهم لكن البينة على المدعى واليمين
على المدعى عليه وهو ايضا غير موافق لظاهر الآية فلا نراه ثبت هذا عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كان رجل يقال له تميم الدارى وعدى بن بدا يختلفان الى مكة فى التجارة
فخرج رجل من بنى سهم فتوفى بارض ليس فيها مسلم فاوصى اليهما فدفعا تركته الى اهله وحبسا جاما من فضة
فاستحلفهما رسول الله ما كتمتما ولا اطلعتما ثم عرف الجام بمكة فقالوا اشتريناه من عدى وتميم
فقام رجلان من اولياء السهمى فحلفا بالله ان هذا الجام للسهمى ولشهادتنا احق من شهادتهما فاخذوا
الجام وفيهم نزلت هذه الآية وفى هذا الحديث ان اليمين وجبت على المدعى عليهم كما ادعى عليهم الورثة
انهم تركوا بعض تركة الميت وفيه ان الاناء لما ظهر ادعى تميم وصاحبه انهما اشترياه من الميت فكانا مدعيين
وحلف الورثة على دعواهم وصاحبه وهذان حكمان موافقان لساير الاحكام والسنن فان كان الامر
كما ذكر فى هذا فليس فى الآية نسخ ولا فيها الا احكام الظاهرة وليس يجوز عندنا ان يحلف الشاهدان اذا كانا
كافرين مع شهادتهما لان ظاهر الآية يوجب اليمين على العدلين منا ومن غيرنا فلما لم يجز ان يحلف الشهود
المسلمين على الوصية التى يشهدون لها وانما يحلفون على شئ ان ادعوا انهم حبسوه شيئا كان سبيل الكفار
كذلك واذا كانت الآية فى قصة تميم وصاحبه وكانا نصرانيين فان ذلك يدل على ان شهادة بعضهم على بعض
جائزة لان الله تعالى قال اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم فمعنى الآية على هذا التاويل والله اعلم
ان يكون الميت حلف تركته عند ذميين على ما ذكر فى القصة وقالا ترك فى ايدينا كذا وكذا وادعى الورثة
اكثر من ذلك فاستحلف المدعى قبلهم وقوله تحبسونهما على هذا التاويل هو المدعى عليهما وقوله
عز وجل فان عثر على انهما استحقا اثما والله اعلم ان يشهد عليهما شاهدان منا ومنهم بشئ جحداه
انه من تركة الميت فهذا استحقا الورثة فاذا قال المدعى قبلهما اشتريناه من الميت فعلى الورثة

عبد الله گفت هر آيتى كه در كتاب خدا است تاويل آن ابيات بدر آمده است مگر اين آيت واكنون وقت بدر آمدن تاويل وى است پارسى

ان يحلفوا فهذا والله اعلم معنى قوله فآخران يقومان مقامهما لان الورثة صاروا مدعى عليهم
فقاموا فى هذه الحالة فى وجوب اليمين عليهم مقام الاولين لما كانت الدعوى عليهم فهذا والله اعلم اقرب الوجوه
فى تاويل الآية واشبهها وهو ان شاء الله معنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه وان لم يذكر تفسير قوله
من غيركم فهو والله اعلم على غير ديننا لانه ذكر المؤمنين جملة واصحابنا لا يجيزون شهادة اهل الكفر فى الوصية
لمسلم لا فى ضرورة ولا فى غيرها لانهم مع اختلافهم اتفقوا فى ان شهادة الكفار لا يجوز على غير الوصية
فى حال ضرورة ولا فى غيرها فشهادتهم فى الوصية على المسلمين مثل ذلك ان يكون تاويل الآية شهادة بينكم
اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم فى بيان ما يجوز شهادة ذوى العدل منا فى الحضر والسفر
فى الوصية وفى غير الوصية كقوله واشهدوا ذوى عدل منكم وقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم
الآية هذا فى السفر والحضر وفى الدين وغير الدين سواء فعلى ذلك الاول ثم ابتداء الحكم فى غيره فقال او اخران
من غيركم ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فان قيل فما معنى
قوله ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها قيل فى ذلك بيان ان المؤتمن اذا ادعيت عليه الخيانة وقال
هو قد رددت ما كان فى يدى فانه لا يصدق الا بعد ان يحلف فاذا علم انه لا يقبل قوله الا بيمين كان احرى
ان يقول حذرا من ان يحلف على كذب ويتحرج من الاثم فى اليمين فتتبين خيانته فان قيل ما معنى قوله
تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم قيل يحتمل ان يكون على زيادة التغليظ فى اليمين
وللحاكم ان يغلظ فى اليمين على الخصم اذا اتهمه باكثر من هذا وهو ان يحضر يمينه جماعة اذا سال الخصم
ذلك او ذكر بعد الصلوة لما كان ذلك الوقت هو وقت جلوس الحاكم بعد صلوة الفجر او بعد صلوة العصر
لا على التغليظ وان كانت الآية نزلت فيما ذكر ابن عباس رضى الله عنهما فى نصرانيين فقد يجوز ان يكون الله
امر بذلك تغليظا عليهما وهما تميم وصاحبه اذ كانوا يعظمون وقت غروب الشمس وما قرب من ذلك
وقت طلوعها لانه وقت عبادتهم اياها والله اعلم وقوله عز وجل فان عثر على انهما استحقا اثما قال بعضهم
فان اطلع منهما على خيانة انهما كتما فجاء آخران يشهدان على غير ما شهدا عليه اجيزت شهادة الآخرين
وابطلت شهادة الاولين قال القتبى فان عثر اى ظهر وقال ابو عوسجة قوله تعالى فان عثر اى علم واطلع
عليه يقال عثرت على فلان وعلى ما يفعل فلان اى علمت به واطلعت عليه عثرا عثرا وكذلك اعثرنا عليهم
فى سورة الكهف من هذا اى اطلعنا عليهم واعلمناهم بمكانهم ويقال فلانا على سر فلان اى اعلمته ثم وعظ الله
المؤمنين وحذرهم ان يفعلوا مثل ذلك فقال واتقوا الله واسمعوا موعظة والله لا يهدى القوم الفاسقين
ما داموا فى فسقهم او قال ذلك لقوم علم الله منهم انهم لا يرجعون من ذلك ابدا وقوله عز وجل يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا قال اهل التاويل انما يقولون ذلك لفزعهم من هول
ذلك اليوم وشدته تطير قلوبهم وتذهل افئدتهم فيقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب
فلو كان ذلك منهم للهول والفزع على ما قاله اهل التاويل لكان لا ينتهى لهم الاجابة وقد قالوا
لا علم لنا انك انت علام الغيوب دلالة لما ذكروا ولكن للوجهين الآخرين والله اعلم احدهما
ان سألهم عن حقيقة اجابة قومهم لهم بالضماير اى لم تطلعنا على علم الضماير والغيوب فانت اعلم
بذلك والثانى ان احدثوا امورا وابدعوها من دأب انفسهم فنسبوا ذلك الى الرسل كقوله تعالى
انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله قالوا سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق
ان كنت قلته فقد علمته الى قوله ما قلت لهم الا ما امرتنى به كانهم قالوا ان عيسى صلوات الله على نبينا
وعليه هو الذى دعاهم الى ذلك فيقول لهم ماذا اجبتم فقالوا لا علم لنا فيما ادعوا علينا من الامور التى
ادعوها انك انت علام الغيوب بانا لم نقل لهم ولم ندعهم الى ما ادعوا من الامور على هذين الوجهين

من يخرج تأويل الآية والله اعلم ومثل هذا السؤال لهم بما اخبر في آية اخرى انه يسألهم كقوله
فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين يسأل الرسل عن تبليغ الرسالة الى قومهم ويسأل قومهم
عن اجابتهم لهم ليقطع احتجاجهم وان لم يكن لهم احتجاج وقوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي
عليك وعلى والدتك اما نعمه عليه ما ذكر على اثره اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا الى قوله
اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت الآية شهد في حال طفولته بوحدانية الله
وربوبيته واخلاص عبوديته له وذلك من اعظم نعم الله عليه واجل منته وما ذكره ايضا واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل وان تخلق من الطين كهيئة الطير باذني الآية الى آخر ما ذكر من احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وكف بني اسرائيل عنه عند مجيء الآيات وهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس
ففيه اعظم النعم عليه وما ذكر ايضا في بعض القصة ان ثبت ان عيسى لما دفع الى الكتاب يجعل له المعلم يقول له
باسم فيقول هو بسم الله واذا قال المعلم باسم الله فيقول هو الرحمن واذا قال الرحمن فيقول هو الرحيم
فيقول المعلم كيف اعلم من هو اعلم مني ونحو هذا كثير مما يكثر ويطول ذكرها واما ما انعم الله على والدته
هو ما ذكر في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها
زكريا المحراب وجد عندها رزقا الآية وما ذكر في قوله يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك على نساء
العالمين طهرها عن جميع ما يبلى به بنات آدم فذلك من اعظم النعم واجل المنن ثم امر عيسى بشكر ما انعم
عليه وعلى والدته حيث قال اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك وفي ذكر النعم شكرها وامر ايضا بشكر ما انعم
على والدته ليعلم ان على المرء شكر ما انعم على والدته كما يلزم شكر ما انعم على نفسه وقوله عز وجل
اذ ايدتك بروح القدس اختلف فيه قال بعضهم بروحه المبارك الذي اعطي في حال طفولته
به كان يدعو الناس الى توحيد الله وعبادتهم له وقيل ان روح القدس هو الدعاء المبارك الذي به
كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص بدعائه وقال اهل التأويل الروح جبريل والقدس هو الله
كقوله تعالى نزل به الروح الامين اي جبريل وقوله عز وجل واذ علمتك الكتاب والحكمة قال الحسن
الكتاب والحكمة واحد الكتاب هو الحكمة والحكمة هي الكتاب لان جميع كتب الله كان حكمة وقال بعضهم
الكتاب ما يكتب من العلم والحكمة هي ما يعطى الانسان من العلم على غير تعلم وقال بعضهم الكتاب هو ما يحفظ
والحكمة هي الفقه وهو واحد وقوله عز وجل وان تخلق من الطين كهيئة الطير باذني وقوله
واذ تخلق من الطين اي تصور وتقدر من الطين كهيئة الطير كان من عيسى ليكون له آية لصدقه
ونبوته وعلى ذلك الآيات التي يأتي بها الرسل ليست الرسل يأتون بها في الحقيقة بل كان الله
هو الآتي بها والمنشئ تلك الآيات حقيقة لكنه يجريها على ايدي الرسل ليكون آيات صدقهم
ودلالات رسالتهم فاما ان يأتي الرسل بالآيات والحجج من عند انفسهم فلا وقوله عز وجل
تخلق ذكر التخليق لما تسمي العرب تصويرا لشيء تقديره تخليقا فعلى ذلك خرج الخطاب وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وتبرئ الاكمه قيل الاكمه الذي يولد اعمى واما الاعمى فهو الذي
يذهب بصره بعد ما كان بصيرا وقيل الاكمه هو الذي لا حدقة له وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين والحواريون قيل هم خواصه وكذلك اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو حواريه وقد ذكرنا هذا في سورة آل عمران الاختلاف فيه ثم قوله اوحيت الى
الحواريين يحتمل الوحي اليهم وجهين احدهما انه اوحى الى رسوله عيسى عليه الصلوة والسلام
فنسب ذلك اليهم واضيف لان الوحي الى عيسى كالوحي اليهم كقوله تعالى قولوا آمنا بالذي انزل
الينا وانزل اليكم وما انزل علينا وما انزل الى رسول الله كالمنزل الينا فعلى ذلك الوحي الى عيسى

هو كالوحي

هو كالوحي اليهم والثاني اوحى اليهم وحي الهام كقوله واوحى ربك الى النحل الآية وقوله تعالى واوحينا
الى ام موسى ونحو انه وحي الهام وقذف لا وحي رسالة والقذف في القلب من غير تكلف ولا كسب وهو
الاخطار بالقلب على السرعة ان آمنوا بي وبرسولي والخطر يكون من الله تعالى ويكون من الشيطان لكن
ما يكون من الله تعالى يكون خيرا يتبين ذلك في آخره وقوله عز وجل قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون
يحتمل وجهين يحتمل قالوا لعيسى واشهد انت عند ربك باننا مسلمون ويحتمل ان سألوا ربهم
ان يكتبهم من الشاهدين كقوله تعالى آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وقوله عز وجل اذ قال الحواريون
يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف فيه قيل ان قوما من الحواريين
سألوا الحواريين ان يسألوا عيسى عليه الصلوة والسلام حتى يسأل ربه ان ينزل عليهم مائدة
من السماء لان الحواريين قد قلنا انهم كانوا خواص عيسى عليه السلام فكان من بدت له حاجة الى بعض
الملوك فانه يرفع اولا الى خواصه فهم الذين يتولون رفعها الى الملك فعلى ذلك رفعوا حاجتهم
الى الحواريين يسألوا هم نبي الله عيسى عليه الصلوة والسلام يسأل ربه وقال الآخرون لم يسألوا قومهم
ذلك ولكن الحواريين هم الذين سألوا عيسى السلام ان يسأل ربه حتى ينزل عليهم مائدة من السماء لكن
سؤالهم ذلك يحتمل سألوا ذلك لما ارادوا ان يشاهدوا الآية ولم يكونوا شاهدوا قبل ذلك
فاحبوا ان يشاهدوها وان كانوا قد آمنوا به وصدقوه من قبل ليزداد لهم بذلك طمأنينة ويقينا
وهو كقول ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي لما يحتمل ان نفسه كانت تحدث وتنازع في ذلك واحب ان يعاين ذلك ويشاهد ليزداد له
طمأنينة ويقينا فعلى ذلك اولئك كان انفسهم تحدث وتنازع في مشاهدة الآيات فاحبوا ان يريهم
بذلك ليزداد لهم طمأنينة ويقينا وصلابة في التصديق والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون
عيسى يخبرهم ان لهم كرامة ومنزلة عند الله فاحبوا ان يعرفوا منزلتهم عند الله وكرامتهم والثالث
سألوا ذلك ليعرفوا منزلة عيسى عليه السلام عند الله وكرامته هل يجيب ربه دعاءه اذا سأل ربه
والله اعلم وان كان السؤال من قوم غير الحواريين فهو لما بدت لهم من الحاجة اليها لا يعلم
ذلك الا بالخبر الصادق وقوله عز وجل هل يستطيع ربك يقرأ بالتاء والياء جميعا فمن قرأ بالتاء
ذهب بالتأويل الى ان فيه اضمارا كانهم قالوا هل تستطيع ان تسأل ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء ومن قرأ بالياء قال هل يستطيع ربك اي هل يجيب ربك دعاءك اذا دعوته ان ينزل
مائدة من السماء وقال الفراء قد يكون مثل هذا السؤال على غير الجهل من السائل بالمسؤول لانه
يجوز ان يقال في الكلام هل يستطيع فلان ان يقوم حاجتنا وفي امرنا على علم منه يستطيع
ولكنه يسأل عنه انفعل ام لا وذلك جائز في العربية الا ترى ان قراءة من قرأ بالتاء وهو ابن عباس
وعائشة رضي الله عنهما هل يستطيع ربك على علم منهم ان عيسى يستطيع السؤال لربه لكنهم
قالوا ذلك لما ذكرنا وذلك جائز في اللغة ويجوز ان يراد بالاستطاعة الارادة يقول الرجل لآخر
لا استطيع ان انظر الى فلان وهو يقدر النظر لكنه يريد بذلك لا اريد ان انظر اليه فعلى ذلك
قوله هل يستطيع ربك هل يأذن ربك بالسؤال في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين اي اتقوا الله لا تسألوا شيئا لم يأذن لكم في ذلك ان كنتم مؤمنين
وقوله عز وجل قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا قوله وتطمئن قلوبنا يدل انهم
ما سألوا ذلك لما كانت تحدث انفسهم وتتنازع في مشاهدة الآيات ومعاينتها وان كانوا
صدقوا عيسى عليه السلام فيما يقول لهم ويخبر عن الله للمعنى الذي ذكرنا في ابراهيم عليه السلام

والله اعلم وقوله عز وجل ونعلم ان قد صدقتنا اختلف في تلا وتروفي تاويله قال بعضهم
بالنصب فعلم فهي القراءة الظاهرة المشهورة ومعناه وان نعلم ما قد صدقتنا والثاني ان العلم بالشئ
من جهة الخبر ربما يعترض الوساوس والشبه فطلبوا آية من جهة الحس والعيان ليكون ذلك ادفع
لما يعترض من الشبه والوساوس وقوله عز وجل ونكون عليها من الشاهدين اى نكون عليها لمن انكرها
من الشاهدين انها نزلت وقوله عز وجل قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء
تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا اى طعاما دايما قال بعضهم قوله تكون لنا عيدا اى مجتمعا وسمى به
يوم العيد لاجتماع الخلق ثم قيل نزلت يوم الاحد فجعلوا ذلك اليوم يوم عيدهم ثم اختلف
في نزول المائدة قال الحسن لم تنزل المائدة لا نرسال ان يكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا
ونحن من آخرهم فلم يكن لنا ما ذكر والثاني قال انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه
عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وقد كفر منهم ثم لم يظهر انه عذبهم عذابا لم يعذب احدا من العالمين
وقال بعضهم ليس فيه دلالة انها لم تنزل لانه يجوز ان يكون قوله تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا
ما لم يات النسخ فكان لهم ذلك الى ان بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فنسخ ذلك بيوم الجمعة
وقالوا قوله فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ذكر في بعض القصة ان من كفر منهم بعد
ذلك مسخهم خنازير فذلك تعذيب لم يعذب احدا من العالمين وقيل يحتمل قوله تعالى اعذبه عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين وفي الاخرة والله اعلم بذلك كله وقوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى بن مريم
اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الآية يحتمل هذا القول وجوها ثلاثة احدها
ان كان هذا القول منه في الوقت الذي كان عيسى بين اظهرهم ليكون ذلك آية وحجة لمن يتبعه على من زاغ
عن طريقه وضل عن سبيل الهدى لانه تبرا ان يكون قال لهم ذلك ويحتمل ان يكون قال ذلك له وقت
رفعه الى السماء فزعم عنده ان قومه يقولون ذلك القول بعد مفارقته قومه وقيل انه يقول ذلك له
يوم القيامة ويكون قال بمعنى يقول كقوله تعالى وقال الذين كفروا لخزنة جهنم وكقوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا اى يقولون وذلك جايز قال بمعنى يقول
وذلك في القرآن كثير واتخاذهم عيسى وامه الهين متناقض لانهم سموها ام عيسى فاذا اثبتها
الامومة بطل ان يكون الها وكذلك عيسى اذ اظهر انه كان ابنا لها بطل ان يكون الها لانه لا يكون ابن غيره
الها لكنهم قوم سفهاء يقولون ذلك عن سفه قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق اى لا ينبغى
ان اقول ما ليس ذلك بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسى ولا اعلم ما في نفسك يتكلم بالنفس
على وجهين احدهما يراد ما يضمر والثاني على ارادة الذات فان كان الله يتعالى عن ان يوصف بالذات
كما يوصف الخلق دل انه انما يراد بذلك غيره وهو ان يقال تعلم ما عندى ولا اعلم ما عندك او يقول
تعلم ما كان منى ولا اطلع على غيبك انك انت علام الغيوب اى انت علام ما غاب عن الخلق وقوله عز وجل
ما قلت لهم الا ما امرتنى به اى ما دعوتهم الا الى ما امرتنى ان ادعوهم اليه من التوحيد والعبادة لك وقوله
عز وجل وكنت عليهم شهيدا اى شاهدا عليهم هذا يدل على ان ذلك القول كان منه وقت رفعه الى السماء
او يكون يوم القيامة ويقال وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اى كنت عليهم حفيظا ما كنت بين اظهرهم فلما توفيتنى
كنت انت الرقيب عليهم اى الحفيظ عليهم وانت على كل شئ شهيد بما امرتهم من التوحيد والعبادة لك
وشاهدا عليهم بما قالوا من البهتان وذكر في بعض القصة لما قال الله تعالى لعيسى اانت قلت للناس اتخذونى
وامى الهين من دون الله قيل فارتعدت مفاصله وخشى ان يكون قالها فقال سبحانك ما يكون لى
ان اقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته الآية وذكر ايضا متكلمان يوم القيامة نبى الله عيسى بن مريم

عليه الصلوة

عليه الصلوة والسلام وعدو الله ابليس لعنه الله فاما كلام عيسى عليه السلام يقول الله اانت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين من دون الله فقال عيسى بن مريم سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق الى قوله
فانك انت العزيز الحكيم واما كلام اللعين فيقول ما كان لى عليكم من سلطان الآية وقوله عز وجل ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اختلف فيه عن الحسن قال يقول ذلك في الآخرة ان تعذبهم
ان تعذب من مات على ما كان منه من القول الوحش في الله وان تغفر لهم اى وان تغفر لمن اكرمت له بالاسلام
والهدى فانك انت العزيز الحكيم لان منهم من قد آمن بعد هذا القول الوحش في الله وقال آخرون هذا القول
كان من عيسى في الدنيا ان تعذبهم يقول ان تعذب من مات على الكفر الذى كان منهم فانهم عبادك وان تغفر
من اكرمت له الهدى فانك انت العزيز الحكيم انت العزيز وهم عبادك اذلاء وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
فانك انت الغفور الرحيم هو ظاهر لانه ذكر انه غفور على اثر المغفرة وروى في الخبر ان نبى الله عليه السلام
كان احيا ليلة بقوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم به قام وبه سجد وبه قعد
فهو والله اعلم على التشفع والتضرع اليه كانه قال ان خذلتهم فمن الذى ينصرهم ويدفع ذلك عنهم دونك
وهم عبادك اذلاء وان اكرمتهم فمن الذى يمنعك عن اكرامهم والثانى ان تعذبهم فلك سلطان عليهم ولست
انت في تعذيبك اياهم جايرا لانهم عبادك لان الجور هو المجاوزة عن الحد الذى له الى الحد الذى ليس له
وقوله عز وجل قال الله هذا قيل قال بمعنى يقول الله يوم القيامة يوم ينفع الصادقين صدقهم اى اليوم
ينفع الصادقين في الدنيا وينفع صدق الصادق ايضا في الدنيا لانه اذا عرف بالصدق قبل قوله وان لم يظهر
صدقه في قوله ثم اختلف في الصادقين من هم قال بعضهم هم المؤمنون جملة اى يومئذ ينفع ايمان المؤمنين
وتوحيد الموحدين في الدنيا كقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله واولئك هم الصديقون وقال بعضهم
الصادقون هم الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل لهم جنات تجرى من تحتها الانهار قد ذكرنا
فيما تقدم خالدين فيها ابدا واحد لكنه يذكر على التاكيد وقوله عز وجل رضي الله عنهم لسعيهم في الدنيا
ورضوا عنه بالثواب لسعيهم ويحتمل ورضوا عنه بما وفقهم على سعيهم المحمود في الدنيا ذلك الفوز العظيم
لانه ليس بعده خوف الهلاك ولا خوف الفوت فهو الفوز العظيم ليس كفوز الدنيا لانه لا يذهب عنه
خوف الهلاك ولا خوف الفوت وقوله عز وجل لله ملك السموات والارض وما فيهن كان هذا خرج على اثر
قوله اانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله اى كيف يتخذ اربابا وولدا وله ملك السموات والارض
وملك ما فيهن من الخلق كلهم عبيده واماؤه وهو على كل شئ قدير لا يعجزه شئ والله الموفق

سورة الانعام مكية الا ثلاثا وآيها مائة وستون وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات والارض الحمد هو الثناء عليه بما صنع الى خلقه من الخير الا ترى ان الذم يقتضى
في الشاهد وجهد المرء بما يصنع من الخير ويذم على ضده والتحميد هو الرب تحميد الرب والثناء عليه والشكر له
بما انعم عليهم والتسبيح هو تحميد الرب وتنزيهه عما قالت الملاحدة فيه من الولد وغيره والتهليل هو تحميد
الرب وتنزيهه عما جعلوا له من الشركاء والاضداد والوصف له بالوحدانية والربوبية والتكبير هو تحميد الرب
والوصف له بالعظمة والجلال وتنزيهه عما وصفوه بالعجز والضعف عن ان يكون ينشئ من العظام البالية
خلقا وقوله عز وجل الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور سفههم عز وجل بما جعلوا له
من الشركاء والاضداد على اقرار منهم انه خلق السموات والارض ولم يجعلوا له شركاء في خلقهما وعلى علم منهم
انه تعلق منافع الارض بمنافع السماء بعد ما بينهما كيف جعلوا له شركاء واشركوهم في العبادة والربوبية

وقوله عز وجل الظلمات والنور قال الحسن الظلمات والنور الكفر والايمان وقال غيره من اهل التاويل
الليل والنهار والنور في الحقيقة ما يكشف عما استتر من الابصار ابصار الوجوه وابصار القلوب والظلمة ما تستر
وتغطي على الابصار ابصار الوجوه وابصار القلوب فالظلمة تجعل كل شيء مستورا عليه والنور يجعل كل شيء كان
مستورا ظاهرا باديا عليه هذا هو تفسير الظلمة والنور وحقيقته وقوله عز وجل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
قيل يشركون مع ما بين لهم ما يدل على وحدانية الرب وربوبيته اي يجعلون كل شيء مما يعبدونه دون الله عديلا
لله واثبتوا المعادلة بينه وبين الله تعالى وليس لله تعالى عديل ولا نديد ولا شريك ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الحسن بربهم يعدلون اي يكذبون وقوله عز وجل هو الذي خلقكم من طين
اي خلق آدم ابا البشر من طين فاما خلق بني آدم فمن ماء كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الخ
انه خلق آدم من الطين وخلق بني آدم سوى عيسى عليه الصلوة والسلام لا من الطين ولا من الماء ليعلموا انه قادر على انشاء
الخلق لا من شيء وانه لا اختصاص للخلق بشيء ولا ينكرون ايضا انشاء الخلق واحياءهم بعد موتهم وذلك لانه
لا يخلو اما ان صار ترابا او ماء او لا ذا ولا ذا فاذا وانه خلق بني آدم من الطين وخلق ساير الحيوانات من الماء
وخلق عيسى عليه الصلوة والسلام لا من هذين كيف انكروا انشاء الخلق بعد الموت وهو لا يخلو من هذه الوجوه
ذكرنا فيكون دليلا على منكري البعث بعد الموت وعلى الدهرية في انشاء الخلق لا من شيء فانهم ينكرون ذلك ويحيلونه
ولهذا وقعوا في القول بقدم العالم والله الهادي ويحتمل قوله هو الذي خلقكم من طين ان يراد به في حق جميع
بني آدم واضاف خلقتنا الى الطين وان كان الخلق من الماء لما بقي في خلقتنا من قوة ذلك الطين الذي في آدم
واثره وان لم ير تلك القوة وذلك الاثر وهذا كما ان الانسان يرى انه ياكل ويشرب ويغتذي ويحصل به
زيادة قوة في سمعه وبصره وفي جميع جوارحه وقد يحيى بها جميع الجوارح وان لم ير تلك القوة فكذلك هذا
ويحتمل ايضا على ما روي في القصة انه يمازج مع النطفة شيء من التراب فيؤمر الملك بان ياخذ شيئا من التراب
من المكان الذي حكم بان يدفن فيه فيخلط بالنطفة فيصير علقة ومضغة فانما نسبهم الى التراب لهذا ويحتمل
النسبة الى التراب وان لم يكونوا من التراب لما ان اصلهم من التراب وهو آدم وقوله عز وجل ثم قضى اجلا
واجل مسمى فالقضاء يتوجه الى وجوه كلها ترجع الى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد يكون لابتداء فعل
وانشاء كقوله تعالى فاقض ما انت قاض ويقال قضيت هذا الثوب اي عملته واحكمته وقد يكون بمعنى الامر قال الله تعالى
وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اي امر ربك لا تراخي قاطع حتم وقد يكون بمعنى الاعلام قال تعالى وقضينا
الى بني اسرائيل اي علمناهم اعلاما قاطعا وقد يكون لبيان الغاية والانتهاء عنه والختم كقوله ثم قضى اجلا
اي ختم بذلك واتمه وقد يكون غير ما ذكرنا ثم قوله قضى اجلا يحتمل هذا كله سوى الامر ثم قوله قضى اجلا
قيل هو الموت واجل مسمى يوم القيامة اطلعنا على احد الاجلين وهو الموت لانا نرى من يموت ونعاين ولم يطلعنا
على الآخر وهو الساعة والقيمة وقيل قضى اجلا اجل الدنيا من خلقك الى ان يموت واجل مسمى عنده يوم القيامة
وقوله عز وجل ثم انتم تمترون اي تشكون وتكذبون بعد هذا كله وقوله عز وجل وهو الله في السموات
وفي الارض هذا والله اعلم صلة قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض فاذا كان خالقهما لم يشركه احد
في خلقهما كان الاله من في السموات والذي في الارض لم يشركه احد في الوهيته ولا في ربوبيته ويحتمل قوله وهو الله
في السموات وفي الارض اي الى تدبير ما في السموات وما في الارض وحفظه اليه لانه هو المتفرد بخلق ذلك كله
فاليه حفظ ذلك وتدبيره وقوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اختلف فيه قيل يعلم سركم ما تضمرون
في القلوب وجهركم ما تنطقون ويعلم ما تكسبون من الافعال التي عملت الجوارح اخبر انه يعلم ذلك كله
ليعلموا ان ذلك كله يحصيها ليحاسبهم على ذلك كقوله ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اخبر انه
يحاسبهم بما ابدوه وما اخفوه فعلى ذلك لنا الاولى فيه اخبار ان ذلك كله يحصيه عليهم ويحاسبهم في ذلك

كقوله وبدا اي خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من ماء مهين
نسخه

ليكونوا

ليكونوا على حذر من ذلك وقيل يعلم سركم ما خلق فيهم من الاسرار من نحو السمع والبصر وغيرهما لان البشر
لا يعرفون مائية هذه الاشياء وكيفيتها ولا يرون ذلك كما يرون غيرها من الاشياء ولا يعرفون حقايقها
اخبر انه يعلم ذلك وانتم لا تعلمون وقوله عز وجل وجهركم اي الظواهر منكم ويعلم ما تكسبون من الافعال
والاقوال وقوله عز وجل وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يحتمل ما تاتيهم من آية
من آيات توحيده او من آيات اثبات رسالة محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم في اثبات البعث والنشور بعد
الموت لما اخبر انه خلقهم من طين فاذا ماتوا صاروا ترابا فاذا كان بدو انشائهم من طين فان عادوا اليه
يقدر على انشائهم ثانيا اذ ليس انشاء الثاني باعسر من الاول ثم يحتمل الآيات ما كان اتى بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الآيات سوى آيات القرآن ثم اخبر عن تعنتهم ومكابرتهم بقوله وما تاتيهم من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين فاذا اعرضوا عنها لم ينتفعوا بها ليعلم انه انما ينتفع بالآيات من تاملها ونظر فيها لا من اعرض
عنها ثم سورة الانعام انما نزلت في محاجة اهل الشرك ولو لم يكن القرآن معجزا لكانت سورة الانعام معجزة
لانها نزلت في محاجة اهل الشرك في اثبات التوحيد والالوهية لله والبعث فكيف وقد جعل الله القرآن
آية معجزة اعجز البشر عن اتيان مثله ولم يكن يومئذ يعرف التوحيد والبعث كانوا كلهم كفارا عبدة الاوثان
والاصنام لا يحتمل ان يكون رسول الله ذلك وانشاه من ذات نفسه ليعلم انه انما عرف ذلك بالله وفيه
دلالة اثبات المحاجة في التوحيد والمناظرة فيه لان اكثرها نزلت في محاجة اهل الشرك وهم كانوا
اهل شرك وينكرون البعث والرسالة فنزل اكثرها في محاجتهم في التوحيد واثبات البعث والرسالة وفيه
انه اذا ثبت فساد قول لاحد الخصمين ثبت صحة قول الآخر لان ابراهيم لما قال هذا ربي فلما افل قال لا احب
الآفلين اثبت فساد عبادة من يعبد الآفل بالافول وقوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يحتمل الحق
الآيات التي كان ياتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات التوحيد وآيات البعث ويحتمل القرآن
ولو لم يكن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية كانت نفسه آية عظيمة من اول نشاه الى آخر عمره لانه عصم
حتى لم يات منه ما يستسمج ويستقبح قط فدل ان ذلك لما جعله آية في نفسه وموضعا لرسالته وعلى ذلك
يخرج اجابة ابي بكر رضي الله عنه في اول دعوة دعاه الى ذلك لما كان راى منه آيات فلما دعاه اجابه في ذلك
مع ما كان معه آيات عظيمة واعلام عجيبة وقوله عز وجل فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون معناه والله اعلم
اي ياتيهم وينزل بهم ما نزل بالمستهزئين ولا كان اتاهم انباء ما نزل بالمستهزئين ولكن معناه ما ذكرنا اي ينزل بهم
ويحل ما نزل وحل بالمستهزئين ويحتمل وجها آخر قوله فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون وهو العذاب
لان الرسل كانوا يوعدونهم ان ينزل بهم العذاب بتكذيبهم الرسل فعند ذلك يستهزئون بهم كقوله عجل لنا قطنا
وكقوله ويستعجلونك بالعذاب وغير ذلك اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاخبر انه ينزل بهم كما نزل باولئك وقوله عز وجل الم يروا كم اهلكنا من قبلهم
من قرن قال الحسن الم يروا الم يعتبروا كم اهلكنا من قبلهم من قبلهم وقال ابو بكر الكيساني الم يروا قد رأوا انا اهلكنا
من قبلهم من قرن وهو واحد قد رأوا آثار الذين اهلكوا بتكذيبهم الرسل وتعنتهم ومكابرتهم لكنهم لم يعتبروا
بذلك وقوله عز وجل مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم قال بعضهم اعطيناهم من الخير والسعة والاموال ما لم نمكنكم
يا اهل مكة اي لم يعطكم ثم اذا كذبوا الرسل اهلكهم الله تعالى وعاقبهم بانواع العقوبة ويحتمل مكناهم في الارض
من القوة والشدة كقوله وقالوا من اشد منا قوة ثم مع شدة قوتهم اهلكوا اذا كذبوا الرسل ويحتمل وجها آخر
مكناهم في الارض اي في قلوب الناس من نفاذ القول وخضوع الخلق لهم لانهم كانوا ملوكا وسلاطين الارض
من نحو نمرود وفرعون وعاد مع ما كانوا كذلك هلكوا اذ كذبوا الرسل وانتم يا هؤلاء ليس لكم شيء من ذلك
افلا تهلكون اذا كذبتم الرسل وانما حملهم على التكذيب والله اعلم ما كانوا ذا سعة وقوة فلم يروا الخضوع

لمن دونهم في ذلك لما ارادوا الامر بالخضوع لمن دونهم في ذلك جحودا غير حكمة وانما اخذوا ذلك من ابليس اللعين
حيث قال عند امره بالسجود لآدم فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فعلى ذلك هؤلاء الكفرة
راوا الامر بالخضوع لمحمد صلى الله عليه وسلم جحودا منه حتى قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وقوله عز وجل وارسلنا السماء عليهم مدرارا قال القتبي مدرارا بالمطر اي غزيرا من دريدر وقال
ابو عوسجة اي درت عليهم السماء بالمطر اي كثر ودام وتتابع واحدا بعد واحد في وقت الحاجة وجعلنا الانهار
تجري من تحتهم يخبر عن متعة اولئك وانعم عليهم من كثرة الامطار والانهار ما لم يكن ذلك لهؤلاء ثم نعما كان
اعطاهم ذلك اهلكهم اذ كذبوا الرسل قال قيل ذكر اهلاك هؤلاء وخوف اولئك بذلك بتكذيبهم الرسل وقد اهلك
الرسل والاولياء من قبل قيل لان اهلاك اولئك اهلاك عقوبة وتعذيب لانه كان اهلكهم هلاك استيصال
واستيعاب خارجا من الطبع واهلاك اولئك الرسل والاولياء لا اهلاك عقوبة خارجا من الطبع لذلك
كان ما ذكر وقوله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم يخبر لشدة تعنتهم انهم وان اتوا
ما سألوا من الآيات لم يؤمنوا به لانهم كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل كتابا يعاينوه
ويقرؤنه كقوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكقوله لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
ونحوه من الآيات يقول ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس اي في صحيفة مكتوب يعلمون انه لم يكتب في الارض
ولمسوه بايديهم وعاينوه لم يؤمنوا به ولا صدقوه وقالوا ان هذا الا سحر مبين يصبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم انهم لا يؤمنون ويخبره بشدة تعنتهم انهم لا يؤمنون وان جئت بكل آية اذ قد اتاهم من الآيات
ما ان تاملوا ولم يتعنتوا لدلتهم على ذلك لكنهم اعرضوا عنها ولم يتاملوا فيها لتعنتهم وشدة مكابرتهم والله اعلم
وقوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه ملك اي مشركي العرب كانوا لا يعرفون الرسل ولا الكتب ولا كانوا
آمنوا برسول ولا كتاب فقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا ونحوه من السؤال يسألون انزال الملك
ثم يحتمل سؤالهم انزال الملك لما لم يكونوا راوا الرسل يكونون من البشر وانما راوا الرسول ان كان يكون ملكا
فقالوا لولا انزل علينا الملائكة ويحتمل ان يكون سؤالهم انزال الملك سؤال العناد والتعنت لا سؤال طلب
الرسول من الملائكة فقال ولو انزلنا ملكا على ما سألوا لقضي الامر اي ان الملك اذا نزل على اثر سؤال العناد
والتعنت يترك بالعذاب والهلاك فهذا يبين ان سؤالهم سؤال التعنت وعناد وقوله عز وجل لقضي
الامر ثم لا ينظرون انهم كانوا يسألون انزال الملك آية لصدقه عليه السلام فقال ولو انزلنا ملكا لقضي الامر
ثم لا ينظرون اي يهلكون لان الآيات اذا نزلت على اثر سؤال القوم ثم خالفوا تلك الآيات وكذبوها انزل بهم
العذاب والهلاك وان جاءت الآيات على غير سؤال فكذبوها يمهلون ولا يعذبون عند تكذيبهم اياها والله اعلم
وقوله عز وجل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قيل ادميا بشرا يحتمل هذا وجوها اي لو بعثنا الرسول ملكا
لجعلناه على صورة البشر لانه لو كان على صورة الملائكة لصعقوا ودهشوا لانه ليس في وسع البشر رؤية
الملك على صورته الا ترى ان جبريل عليه الصلوة والسلام اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل
على صورته ولكن كان ينزل على صورة البشر حتى ذكر انه كان ينزل اليه على صورة دحية الكلبي وانه حق
راه على صورته لصعق وتغير حاله فاذا راوا ذلك في وجهه قالوا انه مجنون فقال ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا ويكون فيه ما في رسول الله من اللبس به والثاني لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لانهم لا يعرفون صدقه
فيحتاجون الى الدلايل والآيات تدلهم على انه ملك وعلى صدقه فذلك لا يعرف الا بالبشر لانهم لا يعرفونه
ولا صدقه وقوله عز وجل وللبسنا عليهم ما يلبسون الآية قالوا لا يجوز اضافة اللبس الى الله تعالى
الا على المجازاة اللبس كالاستهزاء والمكر والخداع ويحتمل قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لو جعلناه ملكا
للبسنا عليهم ما لبس اولئك على ضعفتهم حيث قالوا ما هذا الا بشر مثلكم وما انتم الا بشر مثلنا ونحو ذلك

من الكلام لا نفعل حتى لا يكون ذلك لبسا اذ ليس في وسعهم النظر الى الملك ولو جعلنا ذلك ملكا لكان
ذلك لبسا فان قال لنا ملحد في قوله لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر سألوا ان ينزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الملك وقال ولو انزلنا ملكا لقضي الامر وانتم تقولون ان الله قد انزل عليه الملك وهو جبريل
لو نزل عليه الملك لقضي الامر ولم يقض الامر كيف لا بان لكم انه انما احترع ذلك من نفسه لا ان الله انزل عليه
قيل انهم انما سألوا ان ينزل عليهم الملك وان لم يذكر في الآية السؤال انما ذكر في آية اخرى كقولهم لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا وسألوا ان تاتيهم الملائكة وتاتيه قالوا كيف يخص هو باتيان الملائكة دوننا وهو
كواحد منا كقوله لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وهذا جائز ان يكون اسولة لم يذكر ويكون في حجة
بيان ذلك على ما ذكرنا من قبل في غير موضع وقوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن يصبر رسوله على تكذيب قومه ليعلم اذ ليس هو اول مكذب ولكن قد كذب
الرسل الذين من قبلك ويخبره انه يلحق هؤلاء بتكذيبك كما لحق اولئك بتكذيبهم الرسل وقوله عز وجل
فحاق قال ابو عوسجة حاق اي رجع يقال حاق يحيق حيقا اي رجع عليهم وقال الكيسائي حاق بهم اي احاط بهم
ونزل وقوله عز وجل قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ليس على الامر بالسير
في الارض ولكن على الاعتبار والتفكر فيما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل لانه عز وجل اراهم آيات عقلية
وسمعية فلم ينفعهم ذلك فاراد ان يريهم آيات حسية يمنعهم ذلك عن التكذيب والعناد وقوله
عز وجل قل لمن ما في السموات والارض قل لله الآية يحتمل وجهين احدهما ان تخرج مخرج البيان لهم
انه له ليس على الامر لانه لو كان يذكر على الامر يذكر سؤاله لهم ولم يذكر ان سؤالهم لا يحتمل ان لا يخبرون
ذلك فلما لم يذكر سؤاله لهم عن ذلك لا يحتمل انه يامره بالسؤال ثم لا يسأل اويسال هو ولا يخبرونه
فدل انه على البيان خرج لا على الامر والثاني على امر سبق كقوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم
تعلمون سيقولون لله وكقوله قل من بيده ملكوت كل شيء الى قوله سيقولون لله وقوله قل من رب السموات
والارض ونحوه كان على امر سبق فخبرهم عز وجل حتى قالوا الله كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله ذلك تخيير منه اياهم حتى قالوا الله وفي حرف ابن مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهما
قل لمن ما في السموات والارض قالوا الله هذا يدل على انه كان على امر سبق وقال بعضهم قل لمن ما في السموات
والارض قل لله اي سلهم فان اجابوك فقالوا الله والا فقل لهم انه لله وقال قايلون فان سالوك
لمن ما في السموات والارض لله وقوله عز وجل كتب على نفسه الرحمة قال الحسن كتب على نفسه الرحمة للتائبين
ان يدخلهم الجنة لا احد يدخل الجنة بعمله انما يدخلون الجنة برحمته وعلى ذلك جاء الخبر عن نبي الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يدخل احد الجنة الا برحمته قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته
وقيل كتب على نفسه الرحمة ان يجمعهم الى يوم القيمة حيث جعل للعدو وعذابا وللولي ثوابا اي من رحمته ان يجمعهم
جميعا يعاقب العدو ويثيب الولي وقيل اي من رحمته ان جعل لهم الجمع فاوعد العاصي العذاب ووعد المطيع
الثواب ليمتنع العاصي ذلك عن عصيانه وليرغب المطيع في طاعته وذلك من رحمته وقال قايلون كتب على نفسه
الرحمة لامة محمد ان لا يعذبهم عند التكذيب ولا يستاصلهم كما عذب غيرهم من الامم واستاصلهم عند التكذيب
فالتاخير الذي اخرهم الى يوم القيمة من الرحمة التي كتب وقوله عز وجل ليجمعنكم الى يوم القيمة قيل الى صلة
ومعناه ليجمعنكم يوم القيمة وقيل الى يوم القيمة اي ليوم القيمة كقوله ليوم لا ريب فيه وقال قايلون قوله
ليجمعنكم في القبور الى يوم القيمة ثم يجمعكم يوم القيمة والقرون السالفة وقوله عز وجل لا ريب فيه
اي لا ريب في الجمع والبعث بعد الموت عند من يعرف ان خلق الخلق للفناء خاصة لا للبعث والاحياء بعد الموت
للثواب والعقاب ليس بحكمة وقوله عز وجل الذين خسروا انفسهم قد ذكرنا وقوله عز وجل وله ما سكن

فى اليل والنهار وهو السميع العليم فى الاية والله اعلم انباء ان الخلق كلهم تحت قهر الليل والنهار وسلطانهما
مقهورين مغلوبين اذ لم يكن لاحد من الجبابرة والفراعنة الامتناع عنهما او لا صرف احدهما الى الآخر بل يدركانهم
شاؤا او ابوا وسلطانهما جار عليهم ليعلموا ان لغيرهما تدبيرا وان قهرهما الخلق وسلطانهما كان بسلطان من له
التدبير والعلم ثم جريانهما على سنن واحد يدل على ان منشئهما واحد ومدبرهما عليم حكيم وقال بعض اهل
التاويل ما سكن فى الليل والنهار وما استقر فى الليل والنهار من الدواب والطير فى البر والبحر فمنها ما يستقر نهارا
وينتشر ليلا ومنها ما يستقر بالليل وينتشر بالنهار وعن ابن عباس رضى الله عنه قال وله ما سكن فى الليل والنهار
وذلك ان كفار اهل مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد انا قد علمنا انه ما يحملك على هذا الذى
تدعوا اليه الا الحاجة فنحن نجعلك فى اموالنا حتى تكون اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه فنزل وله ما سكن
فى الليل وهو السميع لمقالة اولئك العليم من اين يرزقهم لكن الوجه فيه ما ذكرنا انفا ان الخلق كلهم تحت
قهرهما وسلطانهما وفيهما وجوه من الحكمة احدها بعض ما ذكرنا ليعلم ان مدبرهما واحد وفيه نقض قول
الفلاسفة لانهم يقولون الظلمة كثافة مستفادة والنور دقيق درّاك وفيهما ما ذكر من المنافع بقوله وهو الذى
جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وغيره من المنافع وقوله عز وجل وهو السميع لمن دعاه العليم بمصالح
الخلق وحاجتهم قوله قل اغير الله اتخذ وليا وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ربا كان هذا صلة قوله
قل لمن ما فى السموات والارض قالوا الله فاذا اقررتم ان ذلك كله لله فكيف تتخذون له شركاء فيعبدون غير الله
وهو فاطر السموات والارض ومنشئهما ومنشئ ما فيهما كيف صرفتم العبادة الى غير الله وقوله عز وجل
وهو يطعم ولا يطعم قال اهل التاويل هو يرزق ولا يرزق ليس كمن له عبيد فى الشاهد يرزق بعضهم بعضا
الموالى من العبيد والعبيد من السادات ينتفع بعضهم من بعض فاما الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لا لمنفعة نفسه
لانه غنى بذاته والخلق فقراء اليه كقوله تعالى انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد وقوله عز وجل
قل انى امرت ان اكون اول من اسلم قال الحسن اول من اسلم من قومه واصله انى امرت ان اكون اول من اسلم اى امرت
ان اسلم واخضع انا ولا امركم بذلك واحتج بعض الناس بظاهر هذه الآية ان الاسلام لا يلزم الا بالامر
والدعاء اليه وقالوا ان من مات قبل ان يامر به وقبل ان يدعى اليه فانه لا شئ عليه وعلى ذلك من مات فى وقت
الفترة وانقطاع الرسل والوحى لانه قال انى امرت ان اكون اول من اسلم اخبر انه امر بذلك واذا لم يكن ثم امر
لم يلزم لكن الوجه فى الاية ما ذكرنا اى امرت ان اسلم واخضع ولا امر غيرى فاذا كان التاويل هذا بطل
ان يكون فى ذلك حجة لهم وقوله عز وجل قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قال ابن عباس رضى الله عنه
قل يا محمد لكفار اهل مكة انى اخاف اى اعلم ان عصيت ربى فعبدت غيره عذاب يوم عظيم هذا التاويل صحيح
ان كان ما ذكر من سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضهم المال عليه ليعود ويرجع الى دينهم فيخرج
هذا على الجواب لهم وقال بعضهم قوله تعالى انى اخاف ان عصيت ربى على الخوف لكن لقايل ان يقول كيف خاف
عذاب يوم عظيم وقد اخبر انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكيف قال ان عصيت وقد اخبر انه عصمه
وغفر له قيل يحتمل ان يكون المغفرة له على شرط الخوف غفر له ليخاف عذابه وقوله عز وجل من يصرف عنه
يومئذ فقد رحمه قال بعض المعتزلة الرحمة هاهنا الجنة لان الله تعالى جعل فى الآخرة دارين احدهما
النار سماها سخطة والاخرى الجنة سماها رحمة وانما حملهم على هذا لانهم لا يصفون الله بالرحمة فى الازل فعلى قولهم
يكون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يتغمدنى الله برحمته فيصير تقديره لا يدخل احد الجنة الا بجنته
اى بشئ الجنة ولكن سميت الجنة رحمة عندنا لما برحمته يدخلون الجنة لا باعمالهم لما روينا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى
الله برحمته وعلى قول المعتزلة لا يكون الله بالملائكة رحيما لانهم لا جنة لهم ولا ثواب ولكن الوجه فيه

ماذكرنا انها سميت رحمة لما برحمته يدخل فيها وعلى هذا يخرج ما سمى المطر رحمة لما برحمته يدخل فيها وعلى هذا
يخرج ينزل وكذلك كل ما سمى رحمة فى الشاهد يخرج على ما ذكرنا والله اعلم ثم قوله من يصرف عنه يومئذ قيل
من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه وكذلك روى فى حرف حفصة من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه
وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه من يصرف عنه شر ذلك اليوم فقد رحمه ويحتمل ان يكون قوله من يصرف
عنه يومئذ فقد رحمه صلة قوله قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم وكذلك روى عن ابن عباس
رضى الله عنه قال فى قوله تعالى قل انى اخاف قل لكفار اهل مكة حين دعوه الى دينهم على ما ذكر فى بعض القصة
انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وقوله عز وجل وذلك الفوز
المبين وذلك الصرف يعنى صرف العذاب الفوز المبين وانما ذكره والله اعلم فوزا مبينا لانه فوز دايم لا زوال له
وليس كفوز هذه الدنيا يكون فى وقت ثم يزول عن قريب ولا كذلك وقوله عز وجل وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فيه اخبار ان ما يصيب العبد من الضر والخير انما يصيب به ثم الضر
المذكور فى الاية لا يخلو من ان يراد سقم النفس او ضيق العيش او شدة وظلم يكون من العباد لا يخلو من هذه
الاوجه الثلاثة فاذا كان كذلك فهذا اضافة ذلك الى الله تعالى على ان لله فيه فعلا وهو ان خلق فعل ذلك
منهم فهو على كل شئ قدير من كشف الضر له والصرف عنه واصابة الخير لا يملك ذلك غيره وقوله عز وجل
وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فى هذه الاية والاية الاولى ذكر اصل التوحيد لانه اخبر ان ما يصيب
العباد من الضر والشدة لا كاشف لذلك الا هو ولا يدفع ذلك عنهم ولا يصرف الا الله وان ما يصيبهم من الخير
انما يصيب ذلك بالله واخبر انه على كل شئ قدير وفى قوله وهو القاهر فوق عباده اخبار انه قاهر يقهر
الخلق عزيز قادر له سلطان عليهم وانهم اذلاء تحت سلطانه وفى قوله فوق عباده اخبار بالعلو له والعظمة له
وبالتعالى عن اشباه الخلق وهو الحكيم يضع كل شئ موضعه الخبير بما يسرون وما يعلنون اخبار انه لا يخفى
عليه شئ وانه يملك وضع كل شئ موضعه وان ما يصيبهم من الضر والشدة انما يكون به لا يملك احد صرف ذلك
وان ما ضر احد فى الشاهد او نفع لصاحبه انما يكون ذلك بالله فى الحقيقة وفى هذه الاحرف اخبار عن اصل التوحيد
وما يحتاج اليه لما ذكرنا من الوصف له بالقدرة والقهر والوصف له بالعلو والعظمة والتعالى عن اشباه الخلق
والوصف له بالحكمة فى جميع افعاله والعلم بكل ما كان ويكون وقوله عز وجل قل اى شئ اكبر شهادة كان فى الاية
اضمارا والله اعلم ان قل يا محمد اى شئ اكبر شهادة فيقولون الله لانهم كانوا يقرون انه خالق السموات والارض
وانه اعظم من كل شئ لكنهم يشركون غيره فى عبادته ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والا كانوا له
يقرون بالعظمة له والجلال فاذا سالوا اى شئ اكبر شهادة فيقولون الله ويحتمل ايضا ان يقول لنبيه عليه الصلوة
والسلام انهم اذا سالوا اى شئ اكبر شهادة قل الله فانك اذا قلت لهم ذلك يقولون هم ايضا وقوله عز وجل
قل الله شهيد بينى وبينكم فى كل اختلاف بيننا وبينكم فى التوحيد والبعث بعد الموت ونحوه ويحتمل قل الله لى حجة
شهيد بينى وبينكم فى كل حجة وبرهان اتاها الرسول بهم وفى قوله قل اى شئ دلالة انه يقال له شئ لانه
لو لم يجز ان يقال له شئ لم يستثن الشئ منه وكذلك فى قوله ليس كمثله شئ انه شئ لان لا شئ فى الشاهد
انما يقال لاما للنفى او التصغير فلا يجوز فى الغايب النفى ولا التصغير دل انه انما يراد بالشئ الاثبات لا غير
وبالله العصمة ذكر فى بعض القصة فى قوله قل اى شئ اكبر شهادة ان رؤساء مكة اتوا رسول الله فقالوا يا محمد
اما وجد الله رسولا يرسله غيرك ما نرى احدا يصدقك بما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة ولا مبعث فارنا من يشهد لك انك رسول الله فقال الله سبحانه وتعالى
يا محمد قل لهم اى شئ اكبر شهادة يقول اعظم شهادة يعنى البرهان محمد حجة وبرهان وكل نبى حجة وبرهان
فان اجابوك فقالوا الله والا فقل لهم الله اكبر شهادة من خلقه انى رسوله والله شهيد بينى وبينكم

فى كل اختلاف بيننا وبينكم فى التوحيد واثبات الرسالة والبعث وكل شئ وذكر فى هذه القصة انهم لما قالوا من يشهد ان الله ارسلك رسولا قالوا فهلا انزل اليك ملك فقال الله لنبيه قل لهم اى شئ اكبر شهادة فقالوا الله اكبر شهادة من غيره فقال الله قل لهم يا محمد الله شهيد بينى وبينكم انى رسول وانه اوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ القرآن من الجن والانس فهو نذير له ثم قال لهم ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قالوا نعم نشهد فقال الله لنبيه قل لهم لا اشهد بما شهدتم ولكن انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون وقوله عز وجل واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ كانه قال اوحى الى هذا القرآن الذى تعرفون انه من عند الله لانه قال لهم فأتوا بسورة مثله فعجزوا عن اتيان مثله فدل عجزهم عن اتيان مثله انهم عرفوا انه جاء من عند الله وقوله عز وجل ومن بلغ كانه قال واوحى الى هذا القرآن لانذركم به وانذر من بلغ القرآن صار رسول الله نذيرا ببلوغ القرآن لمن بلغه فاذا صار نذيرا لمن بلغه وان كان هو فى اقصى الدنيا يصير هو نذيرا فى اقصى الزمان فى كل مكان وهو والله كقوله تعالى ولكل قوم هاد ورسول الله هاد لقومه الى يوم القيمة وفى الآية دلالة ان البشارة والنذارة يكونان يبعث آخر يبشر او ينذر وهو دليل لقول اصحابنا انه من حلف اى عبد من عبيدى بشرنى بكذا فهو حر فبشره برسول او بكتاب يكون بشارة وقوله عز وجل ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى هذا فى الظاهر استفهام ولكنه فى الحقيقة ايجاب انكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى بعد ما ظهر عندكم آيات وحدانيته وحجج ربوبيته لما عرفتم انه خالقكم وخالق السموات والارض به تعيشون وبه تحيون وبه تموتون مع ما ظهر لكم هذا اشركتم مع الله آلهة اخرى وليس ذلك لكم مما تشركون فى عبادته والوهيته وانا لا اشهد وانما اشهد انه الله واحد واننى برئ مما تشركون وقوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قيل نزلت سورة الانعام فى محاجة اهل الشرك الآيات نزلت فى محاجة اهل الكتاب احديهما هذه وجائز ان يكون اهل الشرك يعرفون انه رسول كما يعرفون ابناءهم ويكون الكتاب هو القرآن هاهنا لما قرع اسماعهم هذا القرآن وامروا ان يأتوا بمثله فعجزوا عنه او بما كانوا يختلفون الى اهل الكتاب ويسألونهم عن نعته وصفته ويخبرونهم لعرف اهل الشرك انه رسول كما عرف اهل الكتاب بوجود نعته وصفته ويخبرونهم فى كتابهم وروى عن عمر بن الخطاب انه قال لعبد الله انه قال لعبد الله بن سلام وان الله قد انزل على نبيه عليه السلام بمكة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف يا عبد الله المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابنى اذا رأيته مع الصبيان يلعب وانا اشد معرفة بمحمد منى لابنى فقال كيف ذلك فقال انا اشهد انه رسول الله حق من الله ولا ادرى ما صنع النساء وما احدث وقد نعته فى كتابنا فقال عمر صدقت واصبت وقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال اهل التأويل لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا لكن هذا فى الحقيقة كانه سؤال واستفهام كانه قال من اظلم من الظالمين قال من افترى على الله كذبا يقال من فعل هذا قال فلان او من قال هذا قال فلان والله اعلم على السؤال والاستفهام ثم قيل الذين افتروا على الله كذبا ان معه شريكا لقولهم ان مع الله آلهة اخرى وقوله عز وجل او كذب بآياته قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن انه لا يفلح الظالمون قال بعضهم انه لا يفلح الظالمون بظلمهم لكن عندنا قوله انه لا يفلح الظالمون ما داموا فى ظلمهم ويقول لا يفلح الظالمون اذا ختموا وماتوا على الظلم والكفر وقوله عز وجل ويوم نحشرهم جميعا المطيع والعاصى والكافر والمؤمن ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ذكر هاهنا شركاؤكم اضاف ذلك اليهم لانهم كانوا من جنسهم وجوهرهم يعنون كما يعنون وذكر فى آية اخرى شركائى الذين كنتم انهم شركائى وقوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قال الحسن الآية نزلت فى المنافقين وذلك انهم كانوا يكذبون فى الدنيا فيما بينهم فظنوا ان يتروج كذبهم فى الآخرة كما كان

يتروج فى الدنيا وسماهم مشركين لانهم كانوا اشركوا فى السر فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال غيره من اهل التأويل الآية نزلت فى اهل الشرك من العرب وذلك انهم كانوا يشركون مع الله آلهة وكانوا ينكرون البعث بعد الموت وينكرون الرسالة فلما ان عاينوا ذلك انكروا ان يكونوا اشركوا غيره فى الوهيته وربوبيته وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى لم يكن افتتانهم فى الدنيا بافترائهم على الله الكذب واشراك غيره معه وتكذيبهم آيات الله الا ان قالوا فى الآخرة والله ربنا ما كنا مشركين وذكر فى بعض القصة ان المشركين فى الآخرة لما رأوا كيف يتجاوز الله عن اهل التوحيد فقال بعضهم لبعض اذا سئلنا فقولوا انا كنا موحدين فلما جمعهم الله وشركاءهم فقال اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون فى الدنيا بانهم معى شريك ثم لم تكن فتنتهم قال اهل التأويل معذرتهم وجوابهم الا ان الكذب حين سئلوا فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين تبرؤا من ذلك ثم قال الله انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم فى الآخرة ما كانوا يفترون من الشرك فى الدنيا قيل لما انكروا ان يكونوا مشركين فى الدنيا ختم الله على السنتهم وشهدت الجوارح عليهم بالشرك وقيل انظر كيف كذبوا على انفسهم يقول كيف صار وبال كذبهم عليهم وضل عنهم قيل واشتغل عنهم ما كانوا يفترون يقول يكذبون واصله انه يذكر نبيه شدة تعنتهم وسفههم انهم كيف يكذبون عند معاينة العذاب فاذا كانوا بنائى منه وبعد كانوا اشد تكذيبا لانهم يطلبون الرد الى الدنيا فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك كانوا يستمعون اليه ليجادلوه على ما ذكر حتى اذا جاؤك يجادلونك دل هذا انهم كانوا يستمعون اليه المجادلة معه والخصومة وقيل فى بعض الحكايات ان الناس كانوا ثلثة فرق فى اخبار الرسل والانبياء عليهم الصلوة والسلام منهم من يستمع للجمع والاستكثار ومنهم من يستمع ليأخذ عليهم سقطاتهم وما يجرى على لسانهم من الخطا ومنهم من يستمع ليأخذ الحق منه ويترك الباقى لكن هؤلاء كانوا يستمعون اليه ليخاصموه فى ذلك وليجادلوه لتعرف قومهم انهم يستمعون اليه ويعرفون ما يقول ليصدقوا وايذلك اتباعهم والثانى يستمعون ويحاجون فى ذلك ليعرفوا انهم اهل حجاج وعلم ليصدوهم عنه ثم يحتمل ان يكونوا اهل نفاق لانهم كانوا يرون يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويضمرون الخلاف له ويحتمل اهل الشرك اى رؤساؤهم يستمعوا اليه ويجادلوه فيما يستمعون اليه وقوله عز وجل وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا اخبر ان على قلوبهم اكنة وفى آذانهم وقرا وقال صم بكم عمى نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا بذلك كله وان لم يكونوا فى الحقيقة صما ولا بكما ولا ما ذكر لما لم ينتفعوا بما انشأ فيهم من السمع والبصر والعقل فنفى عنهم ذلك ثم قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم لا يخلوا اضافة ذلك الى نفسه من ان يكون خلق منهم فعل الكفر او خلق الظلمة التى فى قلوبهم يعنى ظلمة الكفر لان ظلمة الكفر تستر وتغطى كل شئ ونور الايمان يبين منه كل شئ فاضافة الفعل اليه لا يخلوا من احد هذين الوجهين اما خلق فعل الكفر منهم ففيه دلالة خلق افعالهم واما خلق ظلمة الكفر فى قلوبهم وفيه رد قول المعتزلة لانكارهم خلق فعل العباد وقوله عز وجل وفى آذانهم وقرا وقيل الوقر هو الثقل فى السمع يقال وقرت اذنه توقر وقرا فهى موقورة واما الوقر فهو الحمل وقال ابو عوسجة الوقر الصدع فى العظم ايضا وقوله عز وجل وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها يحتمل كل آية لا يؤمنوا بها يحتمل كل آية آية وحدانيته وربوبيته وقدرته على البعث وآية رسالته ونبوته ويحتمل كل آية سألوا ان يأتى بها يقول وان اوتيت بكل آية سألوك لا يؤمنون بك بعد ذلك لما بدا كقولهم لولا انزل عليه الملائكة او نرى ربنا ونحو ذلك مما سألوا من الآيات يقول انك وان جئت بما سألوك من الآيات لا يؤمنون بك ولا يصدقونك يقولون ان هذا الا اساطير الاولين اى ما هذا الا اساطير الاولين قيل احاديث الاولين والاسطورة الكتاب يقولون ذلك تعنتا منهم لانهم كانوا يعرفون انه حق وانه ليس بكلام البشر لانهم عجزوا

عن اتيان مثله ولو كان هو مفترى على ما قالوا لقدروا هم على ان ياتوا بشى حيث قيل لهم فاتوا بسورة مثله فعلوا لعجزهم عن اتيان مثله انه ليس انه ليس من كلام البشر وانه سماوى وقوله عز وجل وهم ينهون عنه
وينأون عنه اى يتباعدون عنه ينهون غيرهم عن اتباعه ويتباعدون هم ويحتمل ما ذكر فى القصة ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان عند ابى طالب يدعوه الى الاسلام اجتمعت قريش عنده ليريدوا بالنبى سوءً قال ابو طالب
وانشد فيه ٩ والله لن يصلوا اليك بجمعهم ۔ حتى اوسد فى التراب دفينا ۔ فاصدع بامرك ما عليك غضاضة
وابشر وقر بذاك منك عيونا ۔ ودعوتنى وزعمت انك ناصح ۔ ولقد صدقت وكنت ثم امينا ۔
وعرضت دينا قد علمت بانه ۔ من خير اديان البرية دينا ۔ لولا الملامة او حذار سبة ۔
لوجدتنى سمحا بذاك متينا ۔ كان ينهى الناس عن اذى محمد صلى الله عليه وسلم ويتباعد هو عنه فلا يتبعه
فى دينه فترك هذا وقوله عز وجل ان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون انهم بذلك يسعون فى هلاك انفسهم
وقوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على النار عن الحسن قال ستري اذ وقفوا على النار وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه
ولو ترى اذ عرضوا على النار وكذلك فى حرفه ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اذ عرضوا على ربهم ولولا ما روى
عن ابن مسعود رضى الله عنه وقفوا عرضوا على النار والا يجوز ان يحمل قوله اذ وقفوا على النار اى عند النار
او فى النار على مكان عند مكان فى وذلك جائز فى اللغة ولكن ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه منعنا
عن ذلك ثم يحتمل والله اعلم ان يكون هذا صلة ان هذا الا اساطير الاولين كانه يقول ولو ترى يا محمد اذ وقفوا
على النار لرحمتهم لما كان منهم من القول فيك ان هذا الا سحر مبين ان هذا الا اساطير الاولين وهكذا الواجب ه
على كل احد ان يرحم عدوه اذا كان عاقبته النار والتخلد فيها وان لا يطلب الانتقام منه بما كان منه بمكانه
او ان يقال ولو تراهم اذ وقفوا على النار من الذل والخضوع لرحمتهم بما كان منهم من التكبر والاستكبار فى الدنيا
وهو كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم الآية اخبر عن ذلهم وخضوعهم فى الاخرة بما كان
منهم فى الدنيا من الاستكبار والاستكاف فعلى ذلك يخبر نبيه بما يصيبهم من الذل بتكبرهم فى الدنيا والله اعلم
وقوله عز وجل فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين تمنوا عند معاينتهم العذاب
العود والرد ثم فيه دليلان احدهما انهم عرفوا ان ما اصابهم انما اصابهم بتكذيبهم الآيات وتركهم الايمان
حيث قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا والثانى ان الايمان هو التصديق المفرد لا غير لانهم انما فزعوا
عند معاينتهم العذاب تمنوا الرد والعود الى الدنيا الى الايمان ان يكونوا من المؤمنين لم يفزعوا الى شئ آخر
من الخيرات دل ان الايمان هو التصديق المفرد لا غير لانه ضد التكذيب والتكذيب هو فرد فعلى ذلك التصديق
وقوله عز وجل بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل قيل فيه بوجوه قال بعضهم قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك انها
نزلت فى المنافقين يدل على ذلك قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وهو سمة اهل النفاق انهم كانوا يظهرون
الموافقة للمؤمنين ويضمرون الخلاف ويخفون العداوة لهم ويحتمل قوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
رؤساءهم كانوا عرفوا فى الدنيا انه رسول وان ما نزل عليه هو من الله وعرفوا ان البعث حق لكنهم اخفوا ذلك
على اتباعهم وستروه ثم ظهر ما كانوا يخفون على اتباعهم وقيل قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وذلك
انهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار يحتمل قوله وقفوا على النار اى حبسوا
اذ الوقوف حبس والنار لا يوقف عليها بل يكون فيها ما قال عز وجل لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ويحتمل الوقف عندها قبل الدخول فى حال الحساب والمسائلة
كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الآية ولو ترى اى لو ترى ذلهم وخضوعهم كقوله ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم ولم يبين جواب لو وقد يترك جواب لو لما يعلم ربما بالتأمل وبالذكر كقوله لولا اذ سمعتموه
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بمعنى ظننتم او على ما ذكر فى موضع آخر نحو قوله قلتم ما يكون لنا

ان يتكلم

ان يتكلم بهذا وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم انما يجب للو وغير ذلك فلعل معناه
لو ترى ذلهم بعد استكبارهم لرحمتهم على ما هم عليه ولها ان عليك التصيير لا ذاهم ولا شفقت عليهم ويحتمل قوله ولو ترى
ذلتهم ما ينزل بهم من نقمة الله ويحل بهم من عذابه لعلمت ان القوة لله جميعا وانه يحله ورحمته عليهم ويستجمعهم
كقوله ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا الآية ويحتمل ان يكون جوابه فيما ذكر من تمنيهم
العود والرد وندامتهم على ما سلف منهم وشدة تلهفهم على صنيعهم لرايت ذلك امرا كافيا وجزاء بالغا لما يكون ويكون
ما ينزل بهم اعظم عندك مما لقى منهم وقد يخرج الخطاب لرسول الله على تضمن تنبيه كل مميز وتذكير
كل متامل والله اعلم وقوله عز وجل يا ليتنا نرد قيل الى الدنيا وقيل الى المحنة من حيث لا يحتمل كون الدنيا
بعد كون الاخرة لكن هذا تكلف تحقيق مراد قوم ظهر سفههم ولعله ليس عندهم هذا التمييز ويقولون
سفها كما قالوا كذبا بقوله وانهم لكاذبون وقوله عز وجل بايات ربنا قال الحسن بدين ربنا وقال قوم حجج
ربنا فيكون فى الآية اعترافا منهم على التعنت كذبوا فى الاول لا على الجهل وان كان ثم آيات عاندوها وهم قوم
قد سبق من الله الخبر عنهم بما فيه العناد منهم كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
وذلك يدل على تعنتهم فى القول ليتخلصوا عما بلوا بجميع ما يحتمل وسعهم لا ان ذلك كذلك فى قلوبهم لذلك والله اعلم
قال الله تعالى وانهم لكاذبون ثم دل قوله ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين انهم قد عرفوا ان الايمان
هو التصديق لوجهين احدهما انهم جعلوا الايمان مقابل التكذيب ليعلم انه التصديق والثانى انهم ذكروا
الآيات والآيات يكذب بها ويصدق لا ان يعمل وبعد فان الذى فى حد مكان الاتيان بما فات هو التصديق
اذ العير لو توهم الامر ليوجد ما سبق من الترك والتصديق لو امر فهو لما سبق من التكذيب على انه جمع الكل يوم
من امن بقضاء شئ مما فات فثبت انهم ارادوا به التصديق وفيه انه اسم لذلك حتى عرفه اهله وغير اهله معرفة
واحدة والله اعلم وقوله عز وجل بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يخرج على وجوه احدها على ان الآية
فى اهل النفاق ظهر ما قد اضمروا من الكفر والثانى ان تكون الآية فى رؤساء الكفرة العلماء بالبعث وبان الرسل
تكون من البشر وان لا شريك لله قيدا للاتباع ما كان الرؤساء يخفون فى الدنيا ويحتمل وبدا لهم من صنيعهم
ما قد ستروه واضمروه فى انفسهم ظنوا انه لا يطلع على ذلك احد وذلك فى قوله يوم تبلى السرائر وقوله وحصل
ما فى الصدور وغير ذلك ويحتمل ما كانوا يخفون من الخلق او بدا لهم ذلك بالجزاء وقوله عز وجل ولو ردوا
اى الى ما تمنوا ان يردوا اليه لعادوا لما نهوا اخبر الله عن علمه بما قد اسروه فى ذلك الوقت بما كان فى علمه انه يكون
وان كان من حكمه ان لا يردوا فى ذلك ان الآية لا يضطر صاحبها ولا قوة الا بالله وقال قوم ان الخلود يلزم
فى النار بما هم فى علم الله انهم يلزمون ما هم عليه لو مكثوا للابد وقال قوم اذ لم يجز لزوم العذاب بما يعلم الله
من العناد من احد لو امتحن بلا محنة ولا اخلاف فعلى ذلك امر الخلاف لكن الآية فى خاص منهم وهم الذين اعتدوا
وعندوا الحق بعد الوضوح على ما ذكر فى كثير من الكفرة انهم لا يؤمنون ابدا ثم امهلهم على ذلك وهذا يبين ان ليس
تمنع الاعادة لما يعودون له لو كان يحتمل فى الحكمة الاعادة اذ قد امهل وابقى على العلم بذلك فعلى ذلك الاعادة
لكنه اخبر عن تعنتهم ثم ظننت المعتزلة ان الله لو علم انهم لا يؤمنون لردهم الى ذلك اذ بين انهم لا يؤمنون ه
فيستدلون بهذا ان ليس لله قبض روح يعلم انه لو لم يقبضه يومن يوما من الدهر وقد بينا نقض ان ذلك
لا يوجب ان كان اوليتك فى علم الله ان يعودوا الى ذلك بما قد يترك فى الدنيا من يعلم انه يلزم الكفر وينجى
من الهلاك من يعلم انه يعود ثم قد يترك من يعود الى الكفر على وجود ما به النجاة عنه والله اعلم وتجد
قال الله تعالى قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض فبين انه لو بسط لئلا يبغوا وقال ولولا
ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الآية ثم قد جعل لكثير ممن ضل بهم قوم نحو الفراعنة ولكثير
منهم وقد بغوا فى الارض اذ لو يكن البسط لفرعون لم يكن ليدعى الالهية لكن الاول طريق الفضل يفضل به

والثانى طريق العدل وما يجوز في الحكمة فعلى ذلك الامهال يبين ذلك ما كان الله يامر بقتل من لعله يؤمن
لو امهل بما لله بل القتال ولا يحتمل ان يامر في قتل من يسلم قبض روحه وقد يبقى من بر يهلك ويمثل وان قبض
كثيرا منهم بما يفعل بر لو ابقى كما قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا والله اعلم وظنت الخوارج بهذه الاية ان كل
من يرتكب كبيرة يظهر منه كذبه فيما وعد انه لا يفعل اذ الله سماهم كذبة بما في علمه انهم يعودون الى ذلك
فاذا تقرر عند نا من احد ركوب ما كان في عهده وايمانه انه يرتكب يظهر به كذبه وذلك خطأ لما لو كان كذلك
لكان الصغاير والكباير واحدا ومن كذب في امر الصغاير في العهد او رد يكفر ومن ارتكب لم يصر كذلك فعلى ذلك
الكباير لكن الاية تخرج على وجوه احدها انها في قوم ارادوا بذلك دفع العذاب لا ان عزموا على ما ذكروا دليله
فتنتهم بقوله والله ربنا ما كنا مشركين والثانى انه ذكر كذبهم انطق الله جوارحهم فشهدت عليهم بما كتموا ثم انهم
فتمنوا عند ذلك العود والرد ويحتمل بدا لهم ظهر لهم ما كانوا يخفون من نعت محمد وصفته صلى الله عليه وسلم
في الدنيا وكتموه والله اعلم وقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون تعلق بظاهر هذه الاية
الخوارج والمعتزلة اما المعتزلة فانهم قالوا انهم لما طلبوا الرد ولم يردهم لما علم انهم لو ردهم لعادوا
الى التكذيب ثانيا ولو علم منهم انهم لا يعودون لكان يردهم فدل انهم انما لم يردهم لما علم منهم انهم يعودون
الى ما كانوا من قبل فيستدلون بظاهر هذه الاية على ان الله لا يفعل بالعبد الا الاصلح لهم في الدين وقالوا
لو علم منهم الايمان لكان لا يجوز له ان لا يردهم ومن قولهم انه اذا علم من كافر انه يؤمن في آخر عمره لم يجز له
ان يميته وغير ذلك من المخاييل والاباطيل وقالت الخوارج اخبر انه لو ردهم لعادوا لما نهوا عنه
وسماهم بالقول كاذبين بما في علمه انهم لا يفعلون بما يقولون فعلى ذلك كل صاحب كبيرة اذا كان في اعتقاده
الذي اظهره انه لا ياتي بها فاذا اتى بها يصير فيما متقدم ان لا ياتي بها كاذبا ولذلك يجعلون اصحاب
الكباير كذبة في القول الاول انهم لا ياتون بها وعلى ذلك المبايعة بقوله يبايعنك على ان لا يشركن بالله الاية
فاذا سرقن صرن كاذبات في البيعة كما جعل من ذكر كاذبا في الوعد اذا اخلف وعلى ذلك يجعلونه كافرا وقوله
عز وجل وانهم لكاذبون يحتمل لكاذبون اى ليكذبون لو ردوا او انهم لكاذبون في قولهم ونكون من المؤمنين
اى يضمرون انهم لا يؤمنون كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الى قوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون يقولون انك رسول الله لكنهم لما اضمروا خلاف ذلك في قلوبهم سماهم كاذبين فعلى ذلك
هؤلاء لما اضمروا في انفسهم التكذيب وان ردوا انهم كاذبون في ذلك وقوله عز وجل ولو ردوا قيل الى الدنيا
ولكن ولو ردوا الى المحنة ثانيا لعادوا لما نهوا عنه والثانى انه ذكر كذبهم بما اعتادوا العناد وظهر منهم الجحود
في القديم فبذلك سماهم كذبة كما سمى اهل النار كفرة بما كان من كفرهم قبل ان يصيروا اليها فعلى ذلك هذا
والثالث ان يكون على الخبر عن عاقبتهم انهم يصيرون كاذبين لو ردوا وعرض عليهم ذلك وبعث اليهم
الرسل بالآيات لان يكذبوا في ذلك الوعد وقوله عز وجل وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
قوله تعالى ان هي يحتمل هي الحيوة الدنيا ويحتمل هي الدنيا ثم هذا القول يحتمل ان يكون من الدهرية لانهم ينكرون البعث
والحيوة بعد الموت ويقولون ان هذا الخلق كالنبات ينبت ثم يتلاشى فعلى ذلك الخلق يموتون ويصيرون ترابا
ثم يحيون في الدنيا كقوله نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر ويحتمل ان هذا القول كان من مشركي العرب لم يروا
الا الدهر ولم يشاهدوا غيره فظنوا انه ليس يهلكهم الا ذلك الدهر الذي تدور الدنيا عليه فان كان ذلك
منهم فانما كان ذلك من كبرائهم ورؤسائهم على علم منهم بذلك اى بالبعث يلبسون ذلك على السفلة والاتباع
ليكونوا اشد اتباعا لهم وانقيادا لانهم لو اعلموا الاتباع بالبعث بعد الموت لعلهم يتركون طاعتهم واتباعهم
لما يشتغلون بالاستعداد لذلك والعمل له ففي ذلك ترك اتباعهم وطاعتهم وقوله عز وجل ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم اى لربهم كقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وكقوله تعالى وما ذبح على النصب

اى للنصب واصله ما روى في حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولو ترى اذ وقفوا اذ عرضوا على ربهم وقوله
عز وجل قال اليس هذا بالحق يحتمل قوله اليس هذا بالحق اى البعث بعد الموت لانهم كانوا ينكرون البعث ويقولون
انه باطل ويحتمل بما كانوا وعدوا بالعذاب ان لم يؤمنوا فكذبوا ذلك فقال اليس ما اوعدتم في الدنيا حق فاقروا
فقالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا وقوله عز وجل قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
يحتمل قوله تعالى كذبوا بلقاء الله اى كذبوا بلقاء وعد الله ووعيده في الدنيا وعلى ذلك يخرج ما روى
في الخبر من احب لقاء الله اى احب لقاء ما وعد الله له ومن كره لقاء الله اى كره لقاء ما وعد له واصله
من احب الرجوع الى الله احب الله رجوعه ومن كره الرجوع الى الله كره الله رجوعه اليه والمحبة لله اختيار
امره وطاعته وعلى ذلك ما روى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا جنة الكافر يلعب
فيها ويتمكن في امانيها وسجن المؤمن وراحته بالموت واصله انها سجن المؤمن لان المؤمن يمنعه دينه من قضاء
شهواته لما يخاف هلاكه ويحذر عما يفضيه الى الهلاك والكافر لا يمنعه شيء من ذلك عما يريد من قضاء
شهواته في الدنيا فتكون له كالجنة وللمؤمن كالسجن على ما ذكرنا ويحتمل وجها آخر وهو ان الكافر عند الموت
يعاين مكانه وما اوعد له في النار فيصير عند ذلك الدنيا كالجنة له يكره الرجوع والمؤمن يعاين موضعه في الجنة
فيصير كالسجن له وقوله عز وجل حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قيل سميت القيمة لسرعتها ليست كالدنيا لان في الدنيا
يتغير فيها على المرء الاحوال يكون نطفة ثم يصير علقة ثم مضغة ثم يصير خلقا آخر ثم انشاناه ثم يكون طفلا
ثم رجلا يتغير عليه الاحوال واما القيمة فانها لا تقوم على تغير الاحوال فسميت الساعة لسرعتها بهم وقيل
سميت القيمة الساعة لانها تقوم في ساعة وهو كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقيل سميت الساعة
وقوله عز وجل بغتة اى فجاءة وقوله عز وجل يا حسرتنا على ما فرطنا فيها قيل التفريط هو التضييع
فيحتمل قوله ما فرطنا فيها اى ما ضيعنا في الدنيا من المحاسن والطاعات ويحتمل ما ضيعنا في الآخرة من الثواب
والجزاء الجزيل بكفرهم في الدنيا وقوله عز وجل وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هو والله اعلم على التمثيل
ليس على التحقيق وهو يحتمل وجهين يحتمل انه اخبر انهم يحملون اوزارهم على ظهورهم بما الزموا اوزارهم
واثامهم لم يفارقوها قط وصنعهم بالحمل على الظهر وهو كقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ولكن
لما الزم ذلك صار كانه في عنقه والثانى انما ذكر الظهر يحمل ما يحمل فكان قوله بما كسبت ايديكم وبما قدمت
ايديكم لان الكفر لا يكتسب بالايدي ولا يقدم بها لكن اكتساب الشيء وتقديمه لما كان باليد ذكر اكتساب اليد
وتقديمه وكقوله فنبذوه وراء ظهورهم انهم لما تركوا العمل به والانتفاع صار كالمنبوذ وراء الظهر لان الذي
ينبذ وراء الظهر هو الذي لا يعبا به ولا يكترث اليه ويحتمل وجها آخر ما ذكره في بعض القصة انه ياتيه
عمله الخبيث على صورة قبيحة فيقول له كنت احملك في الدنيا باللذات والشهوات فانت اليوم تحملني فيركب
ظهره فذلك قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وقوله عز وجل وما الحيوة
الدنيا الا لعب ولهو اى الحيوة الدنيا للدنيا خاصة لان العمل اذا لم يكن لعاقبة يتامل فهو عبث كبان يبني بناء
لا لعاقبة يتامل ويقصد ببنائه فهو لعب وعبث فعلى ذلك الحيوة الدنيا لا لدار اخرى يتامل ويرجى به
الثواب والعقاب ليس بحكمة وانما هو لعب ولهو وعلى ذلك يخرج قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية
اخبر ان خلقه اياهم اذا لم يكن للرجوع اليه فهو عبث فعلى ذلك الحيوة الدنيا اذا لم يكن هناك بعث ولا حيوة
بعد الموت للثواب والعقاب فهو لعب ولهو واللهو ما يقصد به قضاء الشهوة خاصة لا يقصد به العاقبة
واللعب هو الذي لا حقيقة له ولا مقصد وقوله عز وجل وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون
اى للدار الآخرة خير للذين يتقون الشرك والفواحش كلها من الحيوة الدنيا لكم واصله ان الحيوة الدنيا
على ما عند اولئك الكفرة لعب ولهو لان عندهم ان لا بعث ولا ثواب ولا عقاب فاذا كان عندهم هكذا

فيصير لعبا ولهوا لانه يحصل انشاء لا عاقبة له فيكون كبناء البناء الذى ذكرنا اذا كان عاقبته غير مقصودة
فهو لا انتفاع به **وقوله** عز وجل قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون هذا والله اعلم اخبار منه نبيه عليه
الصلوة والسلام انه من علم منه بتكذيبهم اياك بعثك اليهم رسولا وامرك بتبليغ الرسالة اليهم وكان علما
بما يلحقك من الحزن بتكذيبهم اياك ولكن بعثك اليهم رسولا مع علم بهذا كله لتبلغهم يذكر هذا والله اعلم
ليعلم رسوله ان لا عذر له فى ترك تبليغ الرسالة وان كذبوه فى تبليغها ثم الذى يحمله على الحزن يحتمل وجوها
يحتمل يحزن لافترائهم وكذبهم على الله او كان يحزن لتكذيب قرابته وعشيرته اياه فاذا كذبه عشيرته انتهى
الخبر الى الابعدين فيكذبونه فيحزن لذلك او يحزن حزن طبع كل احد يتفرع عن التكذيب او كان يحزن اشفاقا
عليهم بما ينزل عليهم من العذاب بتكذيبهم اياه واذاهم له كقوله تعالى لعلك باخع نفسك الاية فكقوله تعالى
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات **وقوله** عز وجل فانهم لا يكذبونك اختلف فى تلاوته قرا بعضهم بالتخفيف
وبعضهم بالتشديد والتثقيل فمن قراه بالتخفيف لا يكذبونك اى لا يجدونك كاذبا قط ومن قرا بالتثقيل لا يكذبونك
اى لا ينسبونك الى الكذب ولا يكذبونك فى نفسك ويحتمل قوله ولا يكذبونك فى السر ولكن يقولون ذلك
فى العلانية والتكذيب هو ان يقال انك كاذب ولكن الظالمين اى عادة الظالمين التكذيب بايات الله والظالمين
يحتمل وجهين احدهما الظالمين على نعم الله عادتهم التكذيب بايات الله او الظالمين على انفسهم لانهم
وضعوها فى غير موضعها **وقوله** عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا يخبر نبيه
عليه الصلوة والسلام ويصبره على تكذيبهم اياه واذاهم بتبليغ الرسالة يقول لست انت باول مكذب من الرسل
بل كذب اخوانك من قبلك على تبليغ الرسالة فصبروا على ما كذبوا واوذوا ولم يتركوا تبليغ الرسالة مع تكذيبهم
اياهم فعل ذلك لا عذر لك فى ترك تبليغ الرسالة وان كذبوك فى التبليغ ويؤذوك وهو ما ذكرنا انه يخبره
انه بعثك رسولا على علم منه بكل الذى كان منهم من التكذيب والاذى **وقوله** عز وجل فصبروا على ما كذبوا
واوذوا حتى اتاهم نصرنا اخبر الله انه نصر رسله ثم يحتمل ذلك النصر وجوها احدها نصرهم اى اظهر
حججه وبراهينه حتى علموا جميعا انها هى الحجج والبراهين انهم رسل الله لكنهم تعاندوا وكابروا ويحتمل النصر
بما جعل اخر امرهم لهم وان كان قد اصابهم شدايد فى بدو الامر او نصرهم لما استاصل قومهم واهلكهم بتكذيبهم
الرسل وفى استيصال القوم واهلاكه اياهم وابقاء الرسل نصرهم وكذلك قوله تعالى انا لننصر رسلنا
وقوله انهم لهم المنصورون يخرج على الوجوه التى ذكرنا **وقوله** عز وجل ولا مبدل لكلمات الله هو ما ذكرنا
من النصر لهم واستيصال قومهم وما اوعدهم من العذاب تلك كلمات الله ويحتمل قوله كلمات الله حججه
وبراهينه كقوله ويحق الله الحق بكلماته اى بحججه واياته وكقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى
اى الحجج ربى **وقوله** عز وجل ولقد جاءك من نبا المرسلين يحتمل ما ذكرنا من اهلاك القوم وابقاء الرسل
قد جاءك ذلك ويحتمل قوله تعالى ولقد جاءك من نبا المرسلين من تكذيب قومهم لهم واذاهم اياهم
فان كان هذا ففيه تصبير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويشق عليه كفر قومه واعراضهم عن الايمان
حتى كادت نفسه تتلف وتهلك لذلك اشفاقا عليهم كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله
لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ونحو ذلك من الايات يشفق عليهم بتركهم الايمان لما يعذبون ابدا
فى النار فعلى ذلك قوله وان كان كبر عليك اعراضهم او كان يكبر عليه ويثقل اعراضهم لما كانوا يطلبون منه الايات
حتى اذا جاءتهم لا يؤمنون من نحو ما قالوا ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وغير ذلك
من الايات التى سألوها فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ايمانهم اذا جاءتهم بما سألوا من الايات فكان الله
عالما بانه وان جاءتهم ايات لم يؤمنوا وانما سألوا سؤال تعنت لا سؤال طلب ايات لتدلهم على الهدى
فقال عند ذلك فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض او سلما فى السماء او ان يكون قوله فان استطعت ان تبتغى

نفقا فى الارض نهيا عن الحزن عليهم اى لا تحزن عليهم كل هذا الحزن بما ينزل بهم وقد نعلم صنيعهم وسوء
معاملتهم ايات الله وكذلك روى فى القصة عن ابن عباس رضى الله عنه ان نفرا من قريش قالوا يا محمد ايتنا باية
من عند الله كما كانت الانبياء تاتى قومها بالايات اذا سألوه فان اتيتنا امنا بك وصدقناك فابى الله ان يأتيهم
بما قالوا فاعرضوا عنه فكبر ذلك عليه وشق فانزل الله فان استطعت يقول ان قدرت ان تبتغى يقول
ان تطلب نفقا فى الارض يقول سربا فى الارض كنفق اليربوع نافذا ومخرجا فتوارى منه منهم او سلما فى السماء
يكون سببا الى صعود السماء فتأتيهم باية التى سألوها فافعل قال القتبى النفق فى الارض المدخل وهو السرب
والسلم فى السماء المصعد وقال ابو عوسجة النفق الغار والانفاق الغيران والغار واحد **وقوله** عز وجل
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال الحسن اى لو شاء الله لقهرهم على الهدى واكرههم كما فعل بالملائكة اذ من قوله
ان الملائكة مجبورون مقهورون ثم هو يفضل الملائكة على البشر ويجعل لهم مناقب لا يجعل ذلك لاحد من البشر
فلو كانت الملائكة مجبورين مقهورين على ذلك لم يكن فى ذلك لهم كبير منقبة ففى قوله اضطراب واما تاويله عندنا
لو شاء الله لجمعهم على الهدى اى لجعلهم جميعا بحيث اختاروا الهدى واثروه على غيره ولكن لما علم منهم ان يختاروا
الكفر على الهدى لم يشأ ان يجمعهم على الهدى وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ان لا يكون الهدى فى حال القهر والجبر
وانما يكون فى حال الاختيار **وقوله** عز وجل فلا تكونن من الجاهلين يحتمل وجوها يحتمل فلا تكونن
من الجاهلين من قضاء الله وحكمه ويحتمل لا تكونن من الجاهلين من احسانه وفضله او من احسانه يجعل لهم الهدى
ويحتمل لا تكونن من الجاهلين انه يؤمن بك بعضهم وبعضهم لا يؤمن قال ابو بكر الكيسانى فى قوله ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى اى لو شاء الله ابتلاهم بدون ما ابتلاهم به يخف عليهم فيجيبون باجمعهم او يقول لو شاء الله
لوفقهم جميعا للهدى فيهتدون وهو قولنا لكن طريقنا لما ذكرنا انه لم يوفقهم لما علم منهم انهم يختارون الكفر
وقوله فلا تكونن من الجاهلين بان الله قادر لو شاء لجعلهم جميعا مهتدين ثم معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان معصوما لا يجوز ان يقال انه يكون من الجاهلين ومن الشاكرين على ما ذكر ولكن ذكر هذا والله اعلم ليعلم ان العصمة
لا ترفع الامر والنهى والامتحان بل تزيد لذلك كان ما ذكروا والله اعلم **وقوله** عز وجل انما يستجيب الذين يسمعون
معناه والله اعلم انما يستجيب الذين ينتفعون بما يسمعون والا كانوا يسمعون جميعا لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه
انما يجيب الذين ينتفعون بما يسمعون وهو كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر كان النبى صلى الله عليه وسلم
ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع لكن انتفع بالانذار من اتبع الذكر ولم ينتفع من لم يتبع وهو ما ذكر عز وجل وذكر
فان الذكرى تنفع المؤمنين لحيث ان الذكرى تنفع المؤمنين ولا تنفع غيرهم **وقوله** عز وجل والموتى يبعثهم الله
اختلف فيه قال بعضهم والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقال قايلون اراد بالموتى الكفار سمى الكافر ميتا والمؤمن
حيا فى غير موضع من القران كقوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات
فهو والله اعلم ان جعل لكل بشر سمعين وبصرين وحيوتين سمع ابدى فى الاخرة وبصر ابدى فى الاخرة وكذلك
جعل لكل احد حيوتين حياة الاخرة وحيوة منقضية وهى حيوة الدنيا وكذلك سمع ابدى وهو سمع الاخرة وسمع
ذو مدة لها انقضاء وهو سمع الدنيا ثم نفى السمع والبصر والحيوة عمن لم يدرك بهذا السمع والبصر والحيوة التى
جعل له فى الدنيا ولم يبصر سمع الابدية وبصر الابدية والحيوة الابدية لانه انما جعل لهم هذا فى الدنيا ليدركوا
بهذا ذاك وكذلك العقول التى ركبت فى البشر انما ركبت ليدركوا بها ويبصروا ذلك الابدى والا لو كانت تركيب
هذه العقول فى البشر لهذه الدنيا خاصة لا للعواقب يتأمل الجزاء والعقاب فالبهايم قد تدرك بالطبع ذلك القدر
وتعرف ما يؤذى ويتقى وما يصلح لها فدل ان تركيب العقول فيمن ركب انما ركب لا لما يدرك هذا ان يدرك ذلك
المقدار بالطبع من لم يركب فيه نحو البهايم التى ذكرنا والسمع والبصر والحياة وقد جعل فى الدنيا لمعاشهم ومعادهم
وكذلك جعل لهم اللسان لينطق حوايجهم فى الدنيا ويعرف بعضهم من بعض حاجته فى الدنيا ويدرك بالاولى

فاذا لم ينتفعوا بذلك ازال عنهم ذلك وسماهم العمى والصم والبكم الا ترى انه قال صم بكم عمى لما لم ينتفعوا بذلك الا ترى انه اذا لم يدرك الاذى والا بد يحن ذلك سماه اعمى حيث قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا والحيوة حيوتان حيوة مكتسبة وهى الحيوة التى تكتسب بالهدى والطاعات وحيوة منشأة وهى حيوة الاجساد فالكافر له حيوة الجسد وليس له حيوة مكتسبة واما المومن فله حيوتان جميعا المكتسبة والمنشأة فسمى كلا بالاسماء التى اكتسبها فالمؤمن اكتسب افعالا طيبة فسماه بذلك والكافر اكتسب افعالا قبيحة فسماه بذلك
وقوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية هولاء قوم همتهم العناد والمكابرة والا فقد كان انزل عليه ايات عقليات وسمعيات وحسيات فاما العقليات فهى ما ذكر قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله الاية واما الآيات السمعيات فهى ما انباهم عن اشياء كانت غايبة عنه من غير ان كان له اختلاف الى من يعلمها وينبوها عنها واما الايات الحسيات فهى ما سقى اقواما كثيرا بلبن قليل من قصعة وما قطع مسيرة شهرين بليلة واحدة ونطق العناق الذى شوى له وحنين المنبر وغير ذلك من الاشياء مما يكثر ذكرها لكنهم عاندوا وكانت همتهم العناد **وقوله** عز وجل قل ان الله قادر على ان ينزل اية التى سالوك ولكن اكثرهم لا يعلمون يحتمل وجهين يحتمل ان يكون اكثرهم لا يعلمون انه اذا انزل اية على اثر السوال لانزل عليهم العذاب واستاصلهم اذا عاندوا ويحتمل قوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ينزل الاية الا عند الحاجة بهم اليها ويحتمل ان لا يسالون الاية ليعلموا ولكن يسألون ليتعنتوا وانه اذا انزل الاية على اثر سوالهم فلم يقبلوها ولم يومنوا بها اهلكهم على ما ذكرنا من سنة الاولين لكنه وعد ابقاء هذه الاية الى يوم القيمة
وقوله عز وجل وما من دابة فى الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم يشبه ان يكون هذا صلة قوله قل ان الله قادر على ان ينزل لانه ذكر دابة والدابة كل ما يدب على وجه الارض من ذى الروح وذكر الطاير وهو اسم كل ما يطير فى الهواء لما كان قادرا على خلق هذه الجواهر المختلفة وسوق رزق كل منهم اليهم لقادر على ان ينزل اية لاضطروا جميعا الى القبول لها والاقرار بها ولكنه لا ينزل لما ليست لهم الحاجة اليها والايات لا تنزل الا عند وقوع الحاجة بهم اليها وعلى هذا يخرج قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون من الناس يستدل بهذه الاية على ان البهايم والطير ممتحنتان حيث قال الا امم امثالكم ثم قال وان من امة الا خلا فيها نذير ثم اختلف فى قوله تعالى الا امم امثالكم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال فى قوله تعالى الا امم امثالكم اى الا سيحشرون يوم القيمة ثم تقتص البهايم بعضها من بعض ثم يقال لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا كالبهايم وعن ابن عباس قال وما من دابة فى الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم اى يفقه بعضها من بعض كما يفقه بعضكم من بعض وامم امثالكم فى معرفة ما يؤتى ويتقى ويحتمل الا امم امثالكم فى الكثرة والعدد والخلق والصور تعرف بالاسامى كما تعرفون انتم واصله انما ذكر من الدواب والطير امم امثالكم سخرها لكم لم يكن منهم ما يكون منكم من العناد والتكذيب للرسل والخروج عليهم بل خاضعين لكم مذللين تنتفعون بها ويحتمل قوله الا امم امثالكم فى حق معرفة وحدانيته والوهيته او حق الطاعة لله كقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده **وقوله** عز وجل ما فرطنا فى الكتاب من شئ اختلف فيه قال بعضهم ما فرطنا اى ما تركنا شيئا الا وقد ذكرنا اصله فى القرآن وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ما تركنا شيئا الا قد كتبناه فى ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل ما فرطنا ما ضيعنا فى الكتاب ما قد يقع لكم الحاجة اليه او منفعة الا قد بيناه لكم فى القرآن ثم الى ربهم يحشرون قيل الطير والبهايم يحشرون مع الخلق وقيل الى ربهم يحشرون يعنى بنى آدم **وقوله** عز وجل والذين كذبوا باياتنا قال الحسن باياتنا ديننا وقال غيره كذبوا باياتنا بحججنا حجج وحدانيته والوهيته وحجج الرسالة والنبوة ويحتمل

آيات البعث كذبوا بذلك كله وقد ذكرنا هذا فى غير موضع **وقوله** عز وجل صم وبكم هو ما ذكرنا انه نفى عنهم السمع واللسان والبصر لما لم يعرفوا نعمة السمع ونعمة البصر ونعمة اللسان ولا يجوز ان يجعل لهم السمع والبصر واللسان ثم لا يعلمهم ما يسمعون بالسمع وما ينطقون باللسان دل انه يحتاج الى رسول ليسمعون منه ويسمعون اليه وينطقون ما علمهم فاذا لم يفعلوا صار واكما ذكر صم بكم عمى لما لم ينتفعوا به ولم يعرفوا نعمته التى جعل لهم فيما ذكرنا ونفى عنهم السمع والبصر واللسان لما ذكرنا ان السمع والبصر والحياة على ضربين مكتسب ومنشأ فنفى عنهم السمع المكتسب والبصر المكتسب والحياة المكتسبة **وقوله** عز وجل فى الظلمات يحتمل وجهين يحتمل ظلمات الجهل والكفر والثانى هم فى ظلمات يعنى ظلمات السمع والبصر والقلب وهم فى ظلمتين جميعا فى ظلمة الجهل والكفر وظلمة السمع والبصر كقوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض والمومن فى النور كقوله تعالى نور على نور
وقوله عز وجل من يشاء الله يضلله ومن يشاء يهديه وصف عز وجل نفسه بالقدرة وجعلهم جميعا متقلبين فى مشيته واخبر انه شاء لبعضهم الضلال ولبعضهم الهدى فمن قال ان شاء للكل الهدى لكنهم لم يهتدوا او شاء للكل الضلال فهو خلاف ما ذكره عز وجل لانه اخبر انه شاء الضلال لمن ضل وشاء الهدى لمن اهتدى واصله انه اذا علم من الكافر انه يختار الكفر شاء ان يضل وخلق فعل الكفر منه وكذلك اذا علم من المؤمن انه يختار الايمان والاهتداء شاء ان يهتدى وخلق فعل الاهتداء منه **وقوله** عز وجل قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله الذى وعدلكم فى الدنيا انه ياتيكم او اتتكم الساعة لانه كان وعدهم ان ياتيكم العذاب وكان يعدهم ان تقوم الساعة فقال ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون فى دفع ذلك وكشفه عنكم ان كنتم صادقين ان معه شركاء والهة او ان كنتم صادقين ان ما تعبدون شفعاؤكم عند الله او تقربكم عبادتكم اياها الى الله تعالى وقوله تعالى اغير الله تدعون يحتمل حقيقة الدعاء عند الشدة والبلاء ويحتمل العبادة اى اغير الله تعبدون على رجاء الشفاعة لكم وقد رايتم انها لم تشفع لكم عند الشدة والبلايا ثم اخبر انهم لا يدعون غير الله فى دفع ذلك وكشفه عنهم واخبر انهم الى الله يتضرعون فى دفع ذلك عنهم وهو ما ذكر عز وجل واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وكقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وكقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ذكر هذا والله اعلم انكم اذا مسكم الشدايد والبلايا لا تفزعون الى الذين تشركون فى عبادته والوهيته كيف اشركتم اولئك فى ربوبيته فى غير الشدايد والبلايا وتنسون ما تشركون اى تتركون ما تشركون بالله من الالهة فلا تدعونهم ان يكشفوا عنكم **وقوله** عز وجل ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء اختلف فيه قال بعضهم الباساء الشدايد التى تصيبهم من العدو والضراء ما يحل بهم من البلاء والسقم السماوى وقال بعضهم الباساء هو ما يحل بهم من الفقر والقحط والشدة وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قوله فاخذناهم بالباساء الزمانة والخوف والضراء البلاء والجوع لعلهم يتضرعون اى ابتلاهم بهذا وامتحنهم لعلهم يتضرعون ويرجعون عما هم عليه
وقوله عز وجل فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا يذكر فى ظاهر هذا انه قد اصابهم البلاء والشدة ولم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم ويذكر فى غيره من الايات انه اذا اصابهم البلاء والشدايد تضرعوا ورجعوا عما كانوا عليه وهو كقوله تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وقوله فاذا ركبوا فى الفلك وغيرهما من الايات لكن يحتمل هذا وجها ان هذا كان فى قوم والاول كان فى قوم آخرين وذلك ان الكفرة كانوا على احوال مختلفة منهم من كان على حال فاذا اصابه خير اطمأن به واذا زال عنه تحول وتغير وهو كقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية ومنهم من يتضرع ويلين قلبه اذا اصابه الشدة والبلاء وعند السعة والنعمة قاسى القلب معاندا وهو كقوله دعوا الله مخلصين له الدين الى آخر الاية وكقوله تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه ومنهم من كان فرحا عند الرحمة وعند الشدة والبلاء كقوله احزينا

كقوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ومنهم من كان لا يخضع ولا يتضرع
في الاحوال كلها لا عند الشدة ولا عند الرخاء والنعمة ويقولون ان مثل هذا يصيب غيرنا وقد كان اصاب
اباؤنا وكانوا اهل الخير والصلاح وهو كقوله قالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كانوا على احوال مختلفة ومنازل
متفرقة فيشبه ان يكون قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم في القوم الذين لم يتضرعوا
عند اصابتهم الشدائد والبلايا وجائز ان يكونوا تضرعوا عند حلول الشدائد فاذا انقطع ذلك وارتفع عادوا
الى ما كانوا من قبل كقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ويشبه ان يكون قوله لعلهم يتضرعون وقوله دعوا الله
مخلصين له الدين فيما بينهم وبين ربهم وهذا فيما بينهم وبين الرسل لان الرسل كانوا يدعون الى ان يقروا
برسالتهم ويصدقوهم فيما يقولون لهم ويخبرون فتكبروا عليهم واقروا لله وتضرعوا اليه تكبروا عليهم
ولم يتكبروا على الله ويحتمل ان يكون قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا في الامم السالفة احبارهم
انهم لم يتضرعوا ويحتمل قوله ايضا فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وجهين احدهما انهم لم يتضرعوا
اذ جاءهم باس الله ولكن عاندوا وثبتوا على ما كانوا عليه والثاني تضرعوا عند نزول باسه لكن اذا ذهب
ذلك وزال عادوا الى ما كانوا فيه كانه قال فلولا لزموا التضرع اذ جاءهم باسنا وقوله عز وجل
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون اي زين لهم صنيعهم الذي صنعوا ويقولون ان هذا كان يصيب
اهل الخير ويصيب اباءنا وهم كانوا اهل خير وصلاح او زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الترك
والتكذيب ويقول لهم ان الذي انتم عليه حق وقوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به يحتمل ابتداء ترك
اي تركوا الاجابة الى ما دعوا وتركوا ما امروا به ويحتمل نسوا ما ذكروا به من الشدائد والبلايا فتحنا عليهم ابواب
كل شيء يحتمل وجهين يحتمل ابواب كل شيء مما يحتاجون اليه حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
ويحتمل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به يعني بالامم الخالية مما دعاهم الرسل فكذبوهم فتحنا عليهم
اي انزلنا عليهم ابواب كل شيء من انواع الخير بعد الضر والشدة الذي كان نزل بهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون اختلف فيه قال بعضهم الايس من كل خير قال القتبي المبلس الايس الملقى بيديه
وقال ابو عوسجة المبلس هو الحزين المغتم الايس من الرحمة وغيرها من الخير وقال الفراء المبلس هو المنقطع الحجة
وقيل لذلك سمي ابليس لعنه الله ابليس لما ايس من رحمة الله وقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا قيل
استؤصل القوم الذين ظلموا بالهلاك جميعا والظلم هاهنا هو الشرك وقيل قطع دابر القوم الذين ظلموا اي اصلهم
وقيل دابر القوم اي اخرهم وكله واحد وذلك انه اذا اهلك اخرهم وقطعوا فقد استؤصلوا ويشبه ان يكون
قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي قطع افتخارهم وتكبرهم الذي كانوا يفتخرون به ويتكبرون وقوله
عز وجل والحمد لله رب العالمين الحمد في هذا الموضع على اثر ذكر الهلاك يخرج على وجوه واحد الحمد
انما يذكر على اثر ذكر الكرامة والنعمة لكن هاهنا وان كان نقمة واهلاكا فيكون للاولياء كرامة ونعمة
لان هلاك العدو يعد من اعظم الكرامة والنعمة من الله فاذا كان في ذلك شر للاعداء وانتقام فيكون
خيرا للاولياء وكرامة وما من شيء يكون شرا لاحد الا ويجوز ان يكون في ذلك خير لاخر فيكون الحمد
في الحاصل في الخير والنعمة والثاني انه يجوز ان يكون في الهلاك نفسه الحمد اذا كان الهلاك بالظلم لانه
هلاك بحق اذ لله ان يهلكهم ولم يكن الهلاك على الظلم خارجا عن الحكمة فيحمد عز وجل في كل فعل حكمة والثالث
يقول والحمد لله رب العالمين على اظهار حججه باهلاكهم وقوله عز وجل قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به اختلف فيه قال بعضهم يراد باخذ السمع والبصر
والختم على القلوب باخذ منافع هذه الاشياء اي قد اخذ منافع سمعكم ومنافع بصركم ومنافع عقولكم
من اله غير الله ياتيكم به اي ياتيكم بمنافع سمعكم ومنافع بصركم ومنافع عقولكم من اله غير الله ياتيكم به

اي ياتيكم بمنافع سمعكم وبصركم وعقولكم فاذا كانت الاصنام والاوثان التي تعبدون من دون الله وتشركونه
في الوهيته وربوبيته لا يملكون رد ذلك المنافع التي اخذ الله عنكم فكيف تعبدونها وتشركون في الوهيته
وقيل يراد باخذ السمع والبصر وما ذكر اخذ اعينها وانفسها اي لو اخذ الله سمعكم وبصركم وعقولكم لا يملك ما تعبدون
رد هذه الاشياء الى ما كان لا يملكون رد السمع الى ما كان ولا رد البصر والعقل الذي كان الى ما كان فكيف تعبدون
دونه وتشركون في الوهيته لسفه احلامهم لما يعلمون انهم يعبدون ويجعلون لهم الالوهية لا يملكون نفعا ولا ضرا
ثم ما يعرفون ذلك منهم يجعلون لهم الهة معه وقوله عز وجل انظر كيف نصرف الايات اي نبين لهم الايات
في خطائهم في عبادة هؤلاء واشراكهم في الوهيته ثم هم يصدفون اي يعرضون عن تلك الايات وقوله عز وجل
قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون معناه والله اعلم انهم يعلمون ان العذاب
لا ياتي ولا ياخذ الا الظالم ثم انهم ظلمة لعبادتهم غير الله مع علمهم انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا يسالون العذاب
بقوله سال سائل بعذاب واقع وقوله ويستعجلونك بالعذاب وقوله عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله
عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين اخبر انه لم يرسل الرسل الا مع بشارة لاهل الطاعة
ونذارة لاهل معصية وفيه ان الرسل ليس اليهم الامر والنهي انما اليهم ابلاغ الامر والنهي ثم بين البشارة فقال
فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا خوف عليهم لما ليس لذلك فوت ولا زوال ليس كثواب
الدنيا ونعيمها انه على شرف الفوت والزوال ولا هم يحزنون لانه سرور لا يشوبه الحزن ليس كسرور
الدنيا يكون مشوبا بالحزن والخوف والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون هذه هي النذارة
وقوله عز وجل يمسهم العذاب ذكر المس والله اعلم لما لا يفارقهم العذاب ولا يزول عنهم والفسق
في هذا الموضع الكفر والشرك وما ذكر من الظلم هو ظلم شرك وكفر وقوله عز وجل قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب يحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنه حيث قال انهم قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لم ينزل الله عليكم كنزا يستغني به فانك محتاج ولا جعل لك جنة تاكل منها وتشبع
من الطعام فانك تجوع فنزل عند ذلك هذا لا يحتمل ان يقولوا له ذلك فيقول لهم اني لا اقول لكم اني ملك
وليس عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب فان كان من السؤال شيء من ذلك فانما يكون على سؤال سالوا
لانفسهم كقوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها
تفجيرا ونحو ذلك من الاسولة التي سالوه لانفسهم فنزل عند ذلك ما ذكر فهذا لعمري يحتمل فيقول لهم
لانه ليس عندي خزائن الله فاجعل لكم هذا ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي والثاني
جائز ان يكون النبي عليه السلام اوعدهم بالعذاب وخوفهم فسالوا العذاب استهزاء وتكذيبا فقالوا متى يكون
كقولهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقال عند ذلك قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ومفاتيحه
انزل عليكم العذاب متى شئت ولا اعلم الغيب متى وقت نزول العذاب عليكم ولا اقول لكم اني ملك نزلت من السماء
بالعذاب انما انا رسول بشر مثلكم ما اتبع الا ما يوحى الي هذا محتمل جائز ان يكون على اثر ذلك نزل ويحتمل وجها
اخر وهو انه يخبر ابتداء اي لا اقول لكم عندي خزائن الله لاني لو قلت عندي خزائن الله وانا اعلم الغيب
واني ملك كان ذلك اشد اتباعا وارغب واكثر لطاعتي لكن نقول انما انا بشر مثلكم يوحى الي ما اتبع الا ما يوحى
لتعلموا اني صادق ومحق فيما ادعوكم اليه وقوله عز وجل قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب
ولا اقول لكم اني ملك يعلم بالاحاطة ان هذا ونحوه خرج على الجواب لاسولة كانت منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لكن لسنا نعلم ما كانت تلك الاسولة كانت من اولئك حتى كان هذا جوابا لهم فلا نفسر ولكن نقف مخافة الشهادة
على الله ويحتمل ان يكون جوابا لما ذكر في اية اخرى وهو قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك
جنة من نخيل وعنب فقال عند ذلك لا اقول لكم خزائن الله ولا اعلم الغيب جوابا لسؤال وقت الساعة او وقت

نزول العذاب وقوله عز وجل ولا اقول لكم انى ملك جواب لقولهم او ترقى فى السماء فقال عند ذلك ه
لا اقول لكم انى اعلم الغيب حتى اعلم الغيب وقت نزول العذاب او قيام الساعة ولا اقول انى ملك حتى ارقى فى السماء
وقوله عز وجل قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون اى تعرفون انتم انه لا يستوى الاعمى اى من عمى بصره
والبصير اى من لم يعم بصره كيف لا تعرفون انه لا يستوى من عمى من الآيات ومن لم يعم عنها او نقول انا لم يستوى الاعمى
والبصير كيف يستوى من يتعامى عن الحق ومن لم يتعام افلا تتفكرون انهما لا يستويان وقوله عز وجل افلا تتفكرون
فى آيات الله وما ذكركم او نقول افلا تتفكرون فى وعظكم الله تعالى وقوله عز وجل وانذر به الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع اختلف فيه قال بعضهم هو صلة قوله قل لا اقول لكم عندى
خزائن الله ولا اعلم الغيب الآية ايئاس الكفرة عما سألوا من الاشياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر بالانذار
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم وهم المؤمنون اى يعلمون انهم يحشرون الى ربهم وان ليس الى ربهم وان ليس لهم
ولى يدفع عنهم ما يحل بهم ولا يسأل لهم ما لم يعطوا وجائز ان يكون تخصيص الامر بانذار المؤمنين لما كان الانذار
ينفعهم ولا ينفع غيرهم وليس فيه لا ينذر غيرهم وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب ليس فيه
انه لا ينذر من لم يتبع الذكر ولا خشى الرحمن ولكن ابنأ انه انما ينفع هؤلاء كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
اخبر ان الذكرى تنفع المؤمنين ولا تنفع اولئك ينذر الفريقين من اتبع ومن لم يتبع ومن نفع ومن لم ينفع ويكون قوله
ليس لهم ولى يعنى ليس لاولئك اولياء ولا شفعاء لانهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى ونحوه اخبر ان ليس لهم ولى ولا شفيع دونه وقوله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشى يذكر فى بعض القصة ان رجالا من اصحاب رسول الله كانوا يسبقون الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيجلسون قريبا منه فيجئ اشراف القوم وسادتهم وقد اخذوا اولئك المجلس فيجلس هؤلاء ناحية فقالوا نحن نجئ فنجلس
ناحية فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا سادات قومك واشرافهم فلو ادنيتنا منك المجلس
فهم ان يفعل ذلك فانزل الله هذه الآية يعاتب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشى الآية والى هذا يذهب عامة اهل التاويل لكنه بعيد ينسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحش فعل
والخشه ما لو كان فيه اسقاط نبوته ورسالته اذ لا يحتمل ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم يقرب اعداءه
ويدنى مجلسهم منه ويبعد الاولياء هذا لا يفعله سفيه فضلا ان يفعله رسول الله المصطفى على جميع بريته او يخطر
بباله شئ من ذلك وكان فيه ما يجد الكفرة عليه مطعنا يقولون يدعوا الناس الى التوحيد والايمان به والاتباع له
فاذا فعلوا ذلك واجابوه طردهم وابعد مجلسهم منه هذا لعمرى مدفوع فى عقل كل عاقل ولكن ان كان فجائز
ان يكون منهم طلب ذلك طلبوا منه ان يدنى مجلسهم ويبعد اولئك هذا يحتمل واما ان يهم ان يفعل ذلك او يخطر
بباله شئ من ذلك فلا يحتمل وذلك جائز ان يكون هذا من الله ابتداء تاديب وتعليم يعلم رسوله صحبة اصحابه
ومعاملته معهم كقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ونهى ان يمد عينيه الى ما متع ه
اولئك كقوله ولا تمدن عينيك الآية ويخبره عن عظيم قدرهم عند الله وقد ذكرنا ان العصمة لا تمنع والحظر
بل العصمة تزيد فى النهى والزجر واخبر انه ليس عليه من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فانما عليك
البلاغ وعليهم الاجابة وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله عز وجل يدعون ربهم بالغداة
والعشى يشبه ان يكونوا يجتمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل غداة ومساء فيسمعون منه ثم يتفرقون
على ما عليه امر الناس من الاجتماع فى كل غداة ومساء عند الفقهاء واهل العلم وجائز ان يكون ذكر الغداة والعشى
كناية عن الليل كله ومن النهار جملة كقوله والضحى والليل اذا سجى ليس يريد بالضحى الضحوة خاصة ولكن النهار كله
الا ترى انه قال والليل اذا سجى ذكر الليل دل انه كان الضحى كناية عن النهار جملة فعلى ذلك الغداة والعشى يجوز
ان يكون كناية عن الليل والنهار جملة والله اعلم وجائز ان يكونوا اصحاب الحرف والمكاسب لا يتفرغون

للاجتماع

للاجتماع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستماع منه فى عامة النهار ولكن يجتمعون اليه ويستمعون منه
بالغداة والعشى فكان ذكر الغداة والعشى لذلك او لما ذكرنا وجائز ان يكون المراد بذكر الغداة والعشى صلوة
الغداة وصلوة العشاء يقول لا تطرد من يشهد هاتين الصلاتين وانما كان يشهدهما اهل الايمان واما اهل النفاق
فانهم لا يشهدون هاتين الصلاتين ويحتمل ما ذكرنا وقوله عز وجل فتطردهم فتكون من الظالمين الظلم
على وجوه ظلم كفر وظلم شرك وظلم يكون بدونه وهو ان يمنع احدا حقه او اخذ منه حقا بغير حق فهو كله
ظلم والظلم هاهنا والله اعلم يشبه ان يكون هو وضع الحكمة فى غير اهلها لانه لو كان منه ما ذكر من طرد
واولئك واولئك لم يكونوا اهلا للحكمة ويجوز ان يوصف واضع الحكمة فى غير موضعها بالظلم على ما روى
فى الخبر ان من وضع الحكمة من غير اهلها فقد ظلمها ومن منعها عن اهلها فقد ظلمهم وقوله عز وجل وكذلك
فتنا بعضهم ببعض وقوله وكذلك لا يتكلم الا على امر سبق بهو والله اعلم يحتمل ان يقول لما قالوا يا محمد ارضيت
بهؤلاء الاعبد من قومك افنحن نكون تبعا لهؤلاء ونحن سادة القوم واشرافهم فقال عند ذلك وكذلك
فتنا بعضهم ببعض اى كما فضلتكم على هؤلاء فى امر الدنيا فلذلك فضلتهم عليكم فى امر الدين ويكون هم المقربين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدنين مجلسهم اليه وانتم اتباعهم فى امر الدين وان كانوا هم اتباعكم
فى امر الدنيا وكذلك امتحان بعضهم ببعض ويحتمل وجها آخر وهو ان يقال كما كان له امتحان كل فى نفسه ابتداء
محنة كقوله نبلوكم بالشر والخير فتنة وكقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله ولنبلونكم بشئ
من الخوف والجوع الآية فعلى ذلك له ان يمتحن بعضكم ببعض واشد المحن ان يامر المتبوع ومن يرى لنفسه
فضلا بالخضوع للتابع ومن هو دونه عنده يشتد ذلك عليه ويتعذر لما كانوا يرون هم لانفسهم الفضل
والمنزلة فى امر الدنيا فظنوا انهم كذلك يكونون فى امر الدين وعلى ذلك يخرج ما امتحن ابليس بالسجود لآدم رأى
لنفسه فضلا عليه فقال انا خير منه ولم ير الخضوع لمن دونه عدلا وحكمة وصار ما صار فعلى ذلك هؤلاء لم يروا
اولئك الضعفة ان يكونوا متبوعين عدلا وحكمة وظنوا انهم لما كانوا مفضلين فى امر الدنيا وكان لهؤلاء اليهم
حاجة يكونون فى امر الدين كذلك ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه ونحوه من الكلام وقوله عز وجل
ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال بعضهم هو موصول بالاول بقوله فتنا بعضهم ببعض ليقولوا يقول
الكافر قول الكفر والمؤمن قول الايمان ثم ابتداء فقال اهؤلاء اى يقول الكفرة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
وقال بعضهم قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ليس بمفصول من قوله ليقولوا ولكن موصول به ليقولوا يعنى
الكفرة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ثم يحتمل قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالحفظ والفهم اى يفهم
هؤلاء منه ولا نفهم نحن والثانى اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالتقريب والادناء فى المجلس وجعلهم
متبوعين من بيننا بعد ما كانوا اتباعا لنا فقال عند ذلك اليس الله باعلم بالشاكرين اى عرف هؤلاء نعمه
ووجهوا شكر نعمه اليه وانتم وجهتم شكر نعمه الى غيره بعد ما عرفتم انه هو المنعم عليكم والمسدى اليكم
وقوله عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم هذا يدل على ان النهى عن الطرد ليس
للابعاد خاصة فى المجلس ولكن فى كل شئ فى بشاشة الوجه واللطف فى الكلام وفى كل شئ لانه قال فقل سلام
عليكم وقوله عز وجل كتب ربكم على نفسه الرحمة قال بعضهم كتب ربكم على نفسه الرحمة هو ان يبداهم بالسلام
فذلك الذى كتب على نفسه الرحمة وقال بعضهم قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اى لم يأخذهم فى اول ما وقعوا
فى المعصية ولكن امهلهم الى وقت وجعل لهم المخرج من ذلك بالتوبة وعلى ذلك ما روى عن ابن عباس
رضى الله عنه انه قال فتح الله للعبد والتوبة الى ان يأتيه الموت وقوله عز وجل انه من عمل منكم سوء
بجهالة قرئ بالكسر الالف انه وقرئ بالنصب انه فمن خفض حمله على الابتداء من قوله انه من عمل منكم
سوء بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم اى كل من عمل سوء بجهالة ثم تاب من بعد ذلك

واصلح انه يغفر له ما كان منه ومن قرأها بالنصب عطفه على قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم
سوء بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم لذلك وجايز ان يكون قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اى كتب
على خلقه الرحمة ان يرحم بعضهم بعضا وجايز ما ذكرنا انه كتب على نفسه الرحمة اى اوجب ان يرحم ويغفر لمن تاب
وقوله من عمل منكم سوء بجهالة جايز ان يكون الاية فى الكافر اذا تاب يغفر الله له ما كان منه فى حال الكفر والشرك
كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الاية وقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وجايز ان يكون فى المؤمنين ثم ذكر عملا بجهالة وان لم يكن يعمل بالجهل لان الفعل وان كان فعله لم يكن على الجهل
وكذلك ما ذكر من النسيان والخطأ فى الفعل لان فعله فعل ناس وفعل مخطئ وان لم يفعله الكافر على النسيان
والخطأ لو كان على حقيقة الخطأ والنسيان لكان لا يؤاخذ به كقوله وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به لكن الوجه ما ذكرنا
ان الفعل فعل نسيان وخطأ وان لم يكن ناسيا ولا مخطئا فيه وعلى ذلك الفعل فعل جهل وان لم يكن جاهلا والفعل
فعل جهل وان لم يكن بالجهل والمؤمن جميع ما يتعاطى من المساوى يكون لجهالة لانه انما يعمل السوء اما لغلبة شهوة
او للاعتماد على كرم ربه بالعفو عنه والصفح عن ذلك او يعمل السوء على نية التوبة والعزم عليها فى آخره على هذه
الوجوه الثلاثة يقع المؤمن فى المعصية واما على التعمد فلا يعمل وقوله عز وجل وكذلك نفصل الآيات ولتستبين
سبيل المجرمين قرئ بالياء والتاء جميعا فمن قرأ بالتاء نصب السبيل يجعل الخطاب لرسول الله اى لتعرف
سبيل المجرمين ومن قرأ بالياء رفع السبيل كانه قال نفصل الايات اى نبين الايات ليتبين سبيل المجرمين وقرأ
بعضهم على اسقاط الواو لتستبين سبيل ثم يحتمل قوله تعالى نفصل الآيات وجوها اى نبين الآيات ما يعرف
السامعون انها آيات من عند الله غير مخترعة من عند الخلق ولا مفتراة ما يبين سبيل المجرمين من سبيل
المهتدين والثانى نفصل الايات ما بالخلق حاجة اليها والى معرفتها والثالث نبين من الآيات ما نبين بين
المختلفين اى بين سبيل المجرمين وبين سبيل المهتدين ولتستبين سبيل المجرمين تأويله ما ذكرنا ان من قرأه
بالتاء حمله على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى نبين من الايات لتعرف سبيل المجرمين بالنصب ومن قرأ
بالياء نبين من الآيات ليتبين سبيل المجرمين من سبيل غير المجرمين والله اعلم وقوله عز وجل قل انى نهيت ان اعبد
الذين تدعون من دون الله معناه والله اعلم انى نهيت بما اكرمت من العقل والبيان اعبد الذين تعبدون
من دون الله ويقول انى نهيت بما اكرمت من الوحى والرسالة ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع
اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم اخبر ان ما يعبدون هم من دون الله انما يعبدون اتباعا لهوى
انفسهم وان ما يعبد هو ليس يتبع هوى نفسه ولكن انما يتبع الحجة والسمع وما يستحسنه العقل الا ترى انه قال
قل انى على بينة من ربى اى على حجة من ربى يخبر ان ما يعبدهم هو ان ما يعبد اتباعا للحجة والعقل وما يعبدون
اتباعا لهوى انفسهم وما يتبع بالهوى يجوز ان ينزل اتباعه ويتبع غيره لما يهوى نفسه هذا ولا يهوى الاول
واما ما يتبع بالحجة والسمع وما يحسنه العقل فانه لا يجوز ان ينزل اتباعه ويتبع غيره وفيه تعريض تسفيههم
لانه قال قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اى لو اتبعت هواكم لضللت اذا وانتم اذا اتبعتم اهواءكم
لعبادتكم غير الله ضلال ولستم من المهتدين فهو تعريض لتسفيه لهم والشتم منه وقوله عز وجل قل انى
على بينة من ربى وكذبتم قيل على بيان من ربى وحجة وقيل على دين من ربى وقوله عز وجل وكذبتم به
قيل بالقرآن وقيل العذاب ما اوعدتكم ويحتمل كذبتم ما وعدتكم وقوله عز وجل
ما عندى ما تستعجلون به اى العذاب كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وغيره فقال ما عندى ما تستعجلون
من العذاب ثم هذا يدل على ان قوله قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ان المراد بالخزائن العذاب
اى ليس عندى ذلك انما ذلك الى الله وعنده ذلك وهو قوله ان الحكم الا لله اى ما الحكم والقضاء الا لله يقص الحق
وهو خير الفاصلين اختلف فى تلاوته وتأويله قرأ بعضهم بالضاد وآخرون بالصاد فمن قرأ بالصاد

يقص يقول يبين الحق لان القصص هو البيان وقال وهو خير الفاصلين اى خير المبينين ومن قرأ بالضاد
يقول يقضى يحكم ثم اختلف فيه قال بعضهم اى يقضى بالحق وكذلك روى فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه
انه قرأ يقضى بالحق وقيل فيه اضمار اى يقضى ويحكم وحكمه الحق وهو خير الفاصلين اى القاضين والفصل والقضاء
واحد لانه بالقضاء يفصل والله اعلم وقوله عز وجل قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم
عن ابن عباس رضى الله عنه لو ان عندى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم وقيل لقضى
الامر بينى وبينكم اى لعجلته لكم بالقضاء ما بيننا الخبر عن رحمة الله وحلمه اى لو كان بيدى لارسلت عليكم لكن الله
بفضله ورحمته يؤخر ذلك عنكم ثم فيه نقض على المعتزلة فى قولهم بان الله لا يفعل بالعبد الا الاصلح
فى الدين لانه قال قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم ثم لا يحتمل ان تأخير العذاب
والهلاك خير لهم واصلح ثم هو يهلكهم ويكون عظة لغيرهم وزجرا لهم ثم ان الله تعالى اخر ذلك العذاب
عنهم وان كان فيه شرلهم فدل ان الله قد يفعل بالعبد ما ليس ذلك باصلح له فى الدين وقوله عز وجل
والله اعلم بالظالمين اى عليم بمن الظالم منا وهو كانوا ظلمة وقوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو هذا والله اعلم يحتمل ان يكون صلة قوله قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب وصلة قوله
ما عندى ما تستعجلون به كانوا يطلبون منه صلى الله عليه وسلم ويسألونه اشياء من التوسيع فى الرزق
وغير ذلك مما كان يعدهم من الكرامة والمنزلة والسعة وكان يوعدهم بالعذاب ويخوفهم بالهلاك
فيستعجلون ذلك منه ويطلبون منه ما وعدهم فقال وعنده مفاتح الغيب ليس ذلك عندى لا يعلم ذلك
الا هو ومفاتح من المفتح ليس من المفتاح يكون جمعه مفاتيح والمفتح يقال فى النصر والمعونة يقال فتح الله
عليه بلد كذا اى نصره وجعله غالبا عليهم ويقال فيما يحدث ويستفيد منه يقال فتح فلان على فلان
باب كذا اى علمه علم ذلك وقوله عز وجل مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو اى من عنده يستفاد ذلك ومنه
يكون ومن نصر آخر انما ينصره به ومن علم آخر علما انما يعلمه به ومن وسع على آخر رزقا انما يوسعه الله كل هذا
يشبه ان يخرج تأويل الآية وقوله عز وجل ويعلم ما فى البر والبحر هذا يحتمل وجوها يحتملها فى البر والبحر
اى يعلم ما فى البر والبحر من الدواب ما يسكن فيهما من ذى الروح كثرتها وعددها وصغيرها لا يخفى عليه شئ
والثانى يعلم ما فى البر والبحر اى يعلم رزق كلها فى البر والبحر ويعلم حاجته ثم يسوق الى كل من ذلك رزقه
يخبر هذا والله اعلم ليعلموا انه لما ضمن للخلق لكل منهم رزقه يسوق رزقه اليه من غير تكلف ولا طلب
كما يسوق ارزاق ما فى البر والبحر من غير طلب ولا تكلف لا يضيق قلوبهم لذلك فما بالكم تضيق قلوبكم على ذلك
وقد ضمن ذلك لكم كما ضمن لاولئك والثالث يعلم ما فى البر والبحر من اختلاط الامطار بعضها ببعض ودخول
بعض فى بعض يخرج هذا على الوعيد انه لما كان عالما بهذا كله يعلم باعمالكم ومقاصدكم فان قيل هذا الذى ذكر
كله فى الظاهر دعوى فما الدليل على انه كذلك قيل اتساق التدبير فى كل شئ واتقان فيه يدل على انه كان بتدبير
واحد لان آثار التدبير فى كل شئ واتساقه على سنن واحد ظاهرة بادية فذلك يدل على ما ذكر وقوله عز وجل
ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين الاية ويحتمل الكتاب هاهنا التقدير والحكم اختلف فيه قال بعضهم قوله
الا فى كتاب مبين اى محفوظ كله عنده يقول الرجل علمك كله عندى مكتوب يريد الحفظ اى محفوظ عندى
وذلك جائز فى الكلام وقيل الكتاب هاهنا هو اللوح المحفوظ اى كله مبين فيه وقال الحسن رحمه الله ان الله يخرج
كتابا فى كل ليلة القدر ويدفع الى الملائكة وفيه مكتوب كل ما يكون فى تلك السنة ليحفظوا هم على ما يكون وكلام
نحو هذا والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذى يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال بعض اهل الكلام
ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا يقبض عند النوم ثم يرد اليها سوى روح الحيوة فانه لا يقبض لانه
يكون اصم بصيرا متكلما ناطقا ويكون اعمى سميعا ويكون اخرس سميعا بصيرا فثبت ان لكل حاسة من حواس النفس

د وحا على حدة يقبض عند النوم ثم يردها اليها اذا ذهب النوم واما الروح الذى به يحيى النفس فانه لا يقبض
ذلك منه الا عند انقضاء اجله وهو الموت وقالت الفلاسفة الحواس هى التى تدرك صور الاشياء بطينتها
وقوله يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار فيه دلالة ان ليس ذكر الحكم فى حال او تخصيص الشئ فى حال اخرى
لانه قال ويعلم ما جرحتم بالنهار وليس فيه انه لا يعلم ما جرحنا بالليل بل يعلم ما يكون منا بالليل والنهار
جميعا وليس فيه انه لا يتوفانا بالنهار وان لا يجرح بالليل لكنه ذكر الجرح بالنهار والوفاة بالليل لما ان الغالب
ان يكون النوم بالليل والجرح بالنهار فهو كقوله تعالى وجعل النهار مبصرا ليس ان لا يبصر بالليل لكن ذكر النهار
لما ان الغالب مما يبصر انما يكون بالنهار فعلى ذلك الاول ثم فيه دلالة ان النايم غير مخاطب فى حال نومه حيث
ذكر الوعيد فيما يجرحون بالنهار ولم يذكر بالليل وقوله عز وجل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال بعضهم جرحتم
اى اثمتم بالنهار وقيل يعلم ما كسبتم بالنهار وقوله عز وجل ثم يبعثكم فيه يستدل بقوله يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم
فيه على الاحياء بعد الموت لانه يذهب ارواح هذه الحواس ثم يردها اليها من غير ان بقى لها اثر فكيف تنكرون
البعث بعد الموت وان لم يبق من اثر الحيوة ثم القول فى الجمع بعد التفرق مما الخلق يفعل ذلك ويقدر عليه نحو
ما يجمع من التراب المتفرق فيجعله طينا ورفع البناء من مكان ووضعه فى مكان آخر وعند ذلك من جمع بعض
الى بعض وتركيب بعض على بعض فذلك لا عجوبة فى رد ما ذهب كله حتى لم يبق له اثر لا فى جمع ما تفرق والله اعلم
وقوله عز وجل ثم يبعثكم فيه اى يوقظكم ويرد اليكم ارواح الحواس ليقضى اجل مسمى اى مسمى العمر الى الموت
ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون خرج هذا على الوعيد لما ذكرنا ليكونوا على حذر وقوله عز وجل
ويعلم ما جرحتم بالنهار وقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر يعلم كل ما يغيب
عن الخلق ولا يخفى عليه شئ لانه عالم بذاته لا يحجبه شئ كعلم من يعلم بغيره فيحول بينه وبين العلم بالاشيا
الحجب والاستار فاما الله سبحانه وتعالى عالم بذاته لا يعزب عنه شئ ولا يكون له حجاب عن شئ وقوله
عز وجل وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة فيه جميع ما يحتاج اهل التوحيد فى التوحيد لانه اخبر
انه قاهر لخلقه وهم مقهورون ومن البعيد ان يشبه القاهر المقهور بشئ او يشبه المقهور القاهر بوجه او يكون
شريكا لقاهر فى معنى لانه لو كان شئ من ذلك لم يكن قاهرا من جميع الوجوه ولا كان الخلق مقهورا فى الوجوه
كلها فاذا كان الله قاهرا بذاته الخلق كله كان اثار قهره فيهم ظاهرة واعلام سلطانه فيهم بادية دل على تعاليه
عن الاشباه والاضداد وانه كما وصف ليس كمثله شئ وقوله وهو القاهر فوق يكون على وجهين احدهما
وهو القاهر وهو فوق عباده والثانى على التقديم والتاخير وهو فوق عباده القاهر ويحتمل قوله
فوق عباده بالنصر لهم والمعونة والدفع عنهم كقوله يد الله فوق ايديهم اى بالنصر والمعونة والعظمة والرفعة
والجلال ونفاذ السلطان والربوبية وقوله عز وجل ويرسل عليكم حفظة اخبر انه القاهر فوق عباده
وانه ارسل عليهم الحفظة ليعلموا ان ارسال الحفظة عليهم لا لحاجة له ولكن لحاجة لهم فى ذلك اخبر
انه قاهر فوق عباده ولو كان ذلك لحاجة له لم يكن قاهرا الا ان كل من وقعت له حاجة صار مقهورا تحت
قهر آخر فالله تعالى يتعالى عن ان تمسه حاجة او يصيبه شئ مما يصيب الخلق بل انما ارسلهم عليهم لحاجة
الخلق اما امتحانا منه للحفظة على محافظة اعمال العباد والكتابة عليهم من غير ان تقع له فى ذلك حاجة
يمتحنهم على ذلك ولله ان يمتحن عباده بما شاء من انواع المحن وان اكرمهم ووصفهم بالطاعة فى الاحوال
كلها بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وغير ذلك من الآيات والثانى يرسله عليهم
بمحافظة اعمالهم والكتاب عليهم ليكونوا على حذر فى ذلك وذلك فى الزجر ابلغ واكثر لان من علم
ان عليه رقيبا فى عمله وفعله كان احذر فى ذلك العمل وانظر فيه واحفظ له ممن لم يكن عليه ذلك
وان كان يعلم كل مسلم ان الله عالم الغيب لا يخفى عليه شئ عالم بما كان منهم وبما يكون ان كيف يكون ومتى يكون

ثم اختلف فى الحفظة ههنا قال بعضهم هم الذين قال الله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
يكتبون اعمالهم ويحفظون عليهم وقال آخرون هم الذين يحفظون انفاس الخلق ويعدون عليهم الى وقت
انقضائها وفنائها ثم تقبض منه الروح ويموت الا ترى انه قال على اثره حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا
وهم لا يفرطون دل على ان الحفظة ههنا هم الذين سلطوا على حفظ الانفاس والعد عليهم الى وقت الموت والله اعلم
ثم فى قوله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا دلالة ان خلق افعال العباد لانه ذكر مجئ الموت وتوفى الرسل
وقال خلق الموت والحيوة ومجئ الموت هو بتوفى الرسل وتوفى الرسل هو مجئ الموت ثم اخبر انه خلق الموت
دل انه خلق توفيهم فاحتال بعض المعتزلة فى هذا وقال ان الملك هو الذى ينزع الروح ويجمعه فى موضع
ثم ان الله يتلفه ويهلكه فلان كان ما قال فاذا لا يموت بتوفى الرسل بل لانهم اذا نزعوا وجمعوا فى موضع
يرد الحيوة الموضع الذى جمعوا فيه لانه اجتمع كل روح النفس فى ذلك الموضع فان لم يكن دل ان ذلك خيال
والوجه فيه ما ذكرنا من الدلالة وهو ظاهر بحمد الله يعرفه كل عاقل يتامل ولم يعاند وبالله التوفيق
ثم اختلف فى قوله توفته رسلنا قال بعضهم هو ملك الموت وحده وان خرج الكلام مخرج العموم بقوله رسلنا
والمراد منه الخصوص الا ترى انه قال فى آية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم لخبر انه هو الموكل والمسلط
على ذلك وقال الآخرون يتوفاه اعوان ملك الموت ثم يقبضه ملك الموت ويتوفاه وقال قايلون يكون معه ملائكة
يقبض الانفاس ويتوفيه ملك الموت لكن ذلك لا ندرى ان كيف هو وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة ولكن الى معرفة
ما ذكرنا وقوله وهم لا يفرطون فيه اخبار عن شدة طاعة الملائكة ربهم وان الرافة لا تاخذهم فيما فيه تاخير
امر الله وتفريطه لا يدخل على من فى النزع احد ثم الرافة ما لو ملك حياته لبذل له فاخبر عز وجل انهم لا يفرطون
فيما امروا ولا يؤخرونه لتعظيمهم امر الله وشدة طاعتهم له وعلى ذلك وصفهم غلاظ شداد لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عز وجل لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال لا يفترون عن عبادته
ولا يستحسرون وقوله عز وجل ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ذكر الرد الى الله وانه مولاهم الحق وان كانوا فى الاحوال
كلها مردودين الى الله وكان مولاهم الحق فى الدنيا والآخرة وكذلك قوله وبرزوا لله جميعا وكذلك قوله لمن الملك
اليوم لله كان الملك له فى الدنيا والآخرة وكانوا بارزين له جميعا فى الاوقات كلها لما كانوا اصحاب الشكوك فارتفع
ذلك عنهم وخلص برزوهم وردهم الى الله خالصا لا شك فيه وكذلك كان الملك فى الدنيا والآخرة وفى
الايام كلها لكن نازع غيره فى الملك فى الدنيا ولا احد ينازعه فى ذلك اليوم فى الملك فقال لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار وعلى ذلك قوله مولاهم الحق كان مولاهم الحق فى الاوقات كلها والاحوال ولكن عند ذلك يظهر لهم
انه كان مولاهم الحق وقوله ثم ردوا الى الله يحتمل ردوا الى ما وعد لهم واوعد وقوله عز وجل الا له الحكم يحتمل قوله
الا له الحكم فى تاخير الموت والحيوة وقبض الارواح وتوفى الانفس ويحتمل قوله له الحكم فى التعذيب فى النار والثواب
والعقاب ليس يدفع ذلك عنهم دافع سواه ولا ينازعه احد فى الحكم وهو اسرع الحاسبين عن الحسن قال هو سريع
العقاب لانه انما يحاسب ليعذب كما روى من نوقش الحساب عذب وهو اسرع الحاسبين لانه لا يحاسب عن حفظ
ولا تفكر ولا يشغله شئ واما غيره فانما يحاسب عن حفظ وتفكر وعن شغل فهو اسرع الحاسبين اذ لا يشغله
شئ وقوله عز وجل قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ليس هذا على الامر لكن على الحاجة كقوله تعالى
قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ليس على الامر بالسير فى الارض ولكن على الاعتبار
باولئك الذين كانوا من قبل والنظر فى آثارهم واعلامهم ان كيف صاروا بتكذيبهم الرسل وما ذا اصابهم
بذلك فعلى ذلك هذا فيه الامر بالمحاجة معهم فى آلهتهم انه من ينجيكم من ظلمات البر والبحر آلهتكم التى تعبدون
من دون الله وتشركونها فى الوهيته وربوبيته او الله الذى خلقكم فيضطرهم حتى قالوا الله هو الذى خلقكم
فيضطرهم حتى قالوا هو الذى ينجينا من ذلك فقال قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب فاذا كان هو الذى ينجيكم

من هذه الا الهتكم التي تعبدونها فكذلك هو الذي ينجيكم من كل كرب ومن كل شدة ويحتمل قوله تعالى قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر اي لا احد ينجيكم من ظلمات البر والبحر كقوله ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن تخافون على الهتكم
الهلاك كما تخافون على انفسكم فلا احد سواه ينجيكم من ذلك ومن كل كرب قال ابو بكر الكيساني هم عرفوا
في الدنيا انه هو الذي ينجيهم من ذلك كله وهو الذي يعطيهم ما اعطوا بما قامت عليهم الحجج ولم يعرفوا انه
هو الذي ينجيهم في الآخرة ويهلكهم وهو هكذا عرفوا الله في الدنيا ولم يعرفوه في الآخرة ثم اختلف في ظلمات
البر والبحر قال بعضهم الظلمات هي الشدائد والكروب التي تصيبهم بالسلوك في البر والبحر وقال آخرون الظلمات
هي الظلمات لان اسفار البحار والمفاوز انما تقطع باعلام السماء فاذا اظلم السماء بقوا متحيرين لا يعرفون
الى اي ناحية يسلكون ومن اي طريق يأخذون فعند ذلك يدعون الله تضرعا وخفية قال الحسن التضرع
هو ما يرفع به الصوت والخفية هو ما يدعى سرا وهو من الاخفاء وفي حرف ابن مسعود تدعونه تضرعا وخيفة
وهي من الخوف قال الكلبي في خفض وسكون وتضرع الى الله وقوله عز وجل لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين قال ابو بكر قوله لنكونن من الشاكرين اي لا نوجه الشكر الى غيرك والشكر ههنا هو التوحيد
اي لئن انجيتنا لنكونن من الموحدين لك من بعد لانهم كانوا يوحدون الله في ذلك الوقت لكنهم اذا نجوا من ذلك
اشركوا غيره في الوهيته الا ترى انه قال قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون وقوله عز وجل
ثم انتم تشركون بعد علمكم ان الاصنام التي تعبدونها لم تملك الشفاعة لكم ولا الزلفى الى الله يذكر سفههم
في عبادتهم الاوثان على علم منهم انها لا تشفع ولا تملك دفع شيء عنهم وقوله عز وجل قل هو القادر ه
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض اختلف
في نزول الآية فمنهم من قال نزلت في مشركي العرب وهو قول ابي بكر الاصم لانها نزلت على اثر آيات نزلت في اهل الشرك
من ذلك قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب وقوله قل أرأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
الآية وقوله وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة الى قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق هذه
الآيات كلها نزلت في اهل الشرك فهذه كذلك نزلت فيهم لانها ذكرت على اثرها ولان سورة الانعام نزل
اكثرها في محاجة اهل الشرك الا آيات منها نزلت في اهل الكتاب وسورة المائدة نزل اكثرها في محاجة اهل الكتاب
لانه يذكر فيها قل يا اهل الكتاب ومنهم من يقول نزلت في اهل الاسلام وهو قول ابي بن كعب وقال هن اربع
جاء منهن ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم البسهم شيعا واذيق بعضهم بأس بعض ه
انما لبس الشيع هي الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم بأس بعض هو السيف والقتل هذان قد كانا في المسلمين
وبقي ثنتان لا بد واقعتان ومنهم من يقول كان ثنتان في المشركين من اهل الكتاب وثنتان في اهل الاسلام
وهو قول الحسن قال قد ظهر في اهل الاسلام الاهواء المختلفة والقتل والفتن واما اللذان في اهل الشرك
من اهل الكتاب هو الخسف في الارض والحجارة من السماء ثم اختلف في قوله عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض عن ابن عباس رضي الله عنه قال عذابا من فوقكم اي من امرائكم ومن تحت
ارجلكم اي من سفلتكم لان الفتن ونحوها انما تهيج من الامراء والجبابرة ومن اتباعهم وقوله عز وجل او يلبسكم
شيعا قال الاهواء المختلفة وقوله تعالى ويذيق بعضكم بأس بعض اي تسلط عليهم على بعض القتل والعذاب
ومن قال بان الآية نزلت في اهل الشرك يقول كان في اشياعهم ذلك كله اما العذاب من الفوق هو الحصب
بالحجارة كما فعل بقوم لوط ومن تحت ارجلهم وهو الخسف كما فعل بقارون ومن معه وقوله او يلبسكم شيعا
يقول فرقا واحزابا وكانت اليهود والنصارى فرقا مختلفة اليهود فرقا والنصارى كذلك والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة وقوله فاغرينا بينهم العداوة وقوله ويذيق بعضكم بأس بعض هو الحرب والقتال
وقول الحسن ما ذكرنا انه ظهر في اهل الاسلام الاهواء المختلفة وظهر الحرب والقتل واما الخسف والحصب

فلم يظهر

فلم يظهر فهو في اهل الشرك ويحتمل قوله عذابا من السماء ارسلها عليهم لانهم قد اقروا انه رفع السماء
لمن قدر على رفع شيء يقدر على ارساله وقوله او من تحت ارجلكم لانهم عرفوا انه بسط الارض ومن ملك بسط شيء
يملك طيه ويخسف بهم وقوله عز وجل انظر كيف نصرف الآيات قيل اي نردد الآيات ليعلم كل مزدجر ونقول
كيف نصرف الآيات ليعلم كل صدقها وحقيقتها انها من الله جاءت لعلهم يفقهون يحتمل وجوها منها ليفقهوا
وذلك يرجع الى المؤمنين خاصة والثاني لعلهم يفقهون اي ليلزمهم ان يفقهوا وقد لزم الكل ان يفقهوا لكن ه
من لم يفقه انما لم يفقه لانه نظر اليه بعين الاستخفاف والثالث نصرف الآيات اي نصرف الرسول ونبلغها اليهم
على رجاء ان يفقهوا لكي يفقهوا ان نظروا فيها وتأملوها وذكر لعل لان منهم من فقه ومنهم من لم يفقه وكذب
به قومك يحتمل به بالقرآن ويحتمل بما ذكر من الآيات ويحتمل الايمان به والتوحيد وهو الحق وكذب به قومك وهم
احق ان يصدقوك بما جئت به وانبائهم لانك نشأت بين اظهرهم فلم يأخذوا كذبا قط ولا رأوك انك تختلف
الى احد يعلمك فهم احق ان يصدقوك بما جئت به وانبائهم والله اعلم وقوله عز وجل قل لست عليكم بوكيل قال
عامة اهل التأويل الوكيل الحفيظ والوكيل هو القائم في الامر اي لست بقائم عليكم لاكرهكم على التوحيد والايمان
شئتم او ابيتم ولست بحافظ على اعمالكم انما علي التبليغ كقوله ما على الرسول الا البلاغ وقوله عز وجل لكل نبأ مستقر
قال بعضهم لكل امر حقيقة وقيل لكل خبر غاية ينتهي اليه ويحتمل ان يكون صلة قوله لست عليكم بوكيل لكل نبأ
مستقر اي لست عليكم بوكيل لكن لكل نبأ مستقر فان اغنم اموالكم واسبي ذراريكم كقوله لست عليهم بمسيطر الا
من تولى وكفر ويحتمل قوله وكذب به قومك اي بما كان وعدوا واوعدوا والله اعلم وفي قوله او يلبسكم شيعا ويذيق
بعضكم بأس بعض دلالة نقض المعتزلة لانا نعلم ان للخلق حقيقة الفعل في القتل والحرب والاهواء المختلفة
ثم اضاف ذلك الى نفسه دل ان له صنعا في افعالهم وليس كما تقول المعتزلة لانه لا يملك ذلك وكذلك ما ذكر
من اضافة تلبيس الشيع اليه رد لقولهم لانهم يقولون هم يختلفون وقد اخبر انه هو يجعلهم شيعا وذلك ظاهر
النقض عليهم لانه اخبر انه يذيق بعضهم بأس بعض وهم يقولون هو لا يذيق ولكن ذلك القاتل والضارب
او المعذب هو يذيقهم دون رب العالمين وكذلك قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وهم يقولون هؤلاء يعذبهم
ولكن الخلق يعذبونهم وكذلك قوله ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا وهم يقولون هو لا يملك تعذيبهم
بايديهم وذلك رد لظاهر الآية وتركها جانبا وقوله عز وجل واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره يشبه ان يكون قوله يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم اي يكفرون بها ويستهزؤون
بها كما قال في سورة النساء وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها فيكون
الخوض في الآيات الكفر بها والاستهزاء بها ويكون قوله تعالى فاعرض عنهم اي لا تقعد معهم كما قال فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقوله عز وجل فاعرض عنهم يحتمل النهي عن القعود معهم على ما ذكرنا
من قوله فلا تقعدوا معهم ويحتمل الاعراض الصفح عنهم وترك المجازاة لمساويهم كقوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام
كقوله تعالى فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه الامر بالتبليغ فنهى عن القعود معهم والامر
بالتبليغ وقوله عز وجل واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين معناه والله اعلم
ان الشيطان اذا انساك القعود معهم فلا تقعد بعد ذكر الذكرى ومعنى النهي بعد ما انساه الشيطان اي لا تكن بالمحل
الذي يجد الشيطان اليك سبيلا في ذلك وقوله عز وجل وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قيل فيه
رخصة الجلوس معهم وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ثم نسخ ذلك بقوله
وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وكان النهي عن مجالستهم ليس الجلوس نفسه ولكن ما ذكرنا من خوضهم في آيات الله بالاستهزاء بها والكفر بها
هو الذي كان يحملهم على ذلك ليس انه لا يجوز ان تجالسوهم وكذلك ما نهانا ان نسبهم ليس انه لا يجوز لنا

ان نسيهم ولكن لما كان سيئا اياهم هو الذي يحملهم على سب الله ولكن ذكرى لعلهم يتقون يحتمل النهي عن القعود
معهم وجوها نهى هؤلاء عن القعود معهم لما كان اهل النفاق يجالسونهم ويستهزؤن بالآيات ويكفرون بها
فنهى هؤلاء عن ذلك ليرتدع اهل النفاق عن مجالستهم والثاني انه نهى المؤمنين عن مجالستهم ليمتنعوا
عن صنيعهم حياء منهم لانهم لو امتنعوا عن مجالستهم يمنعهم ذلك عن الاستهزاء بها والكفر بها لما كانوا
يرغبون في مجالسة المؤمنين فيتذكرون عند قيامهم عنهم فيتقون الخوض والاستهزاء ولما يخافون ان يعيروا
في الناس بترك مجالستهم المؤمنين فيحملهم ذلك على الكف عن الاستهزاء بالآيات وبرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى وذر الذين اتخذوا لعبا ولهوا دينا على التقديم والتأخير
والثاني اتخذوا اللعب واللهو دينهم حتى لا يفارقوا اللعب واللهو لان الدين انما يتخذ للابد فعلى ذلك اتخذ
اولئك اللعب واللهو للابد كالدين ثم هو يخرج على وجوه احدها اتخذوا دينهم عبادة ما لا ينفع ولا يضر ولا يبصر
ولا يسمع ولا يعلم ومن عبد من هذا وصفه واتخذ ذلك دينا فهو عابث لاعب والثاني اتخذ دينهم ما هويته
انفسهم ودعتهم الشياطين اليه ومن اتخذ دينه بهوى نفسه وما دعته نفسه اليه فهو عابث لاعب والثالث
صار دينهم لعبا وعبثا لانهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ومن لم يقصد بدينه الذي دان به عاقبة فهو عابث مبطل
كقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الآية صير عدم الرجوع اليه عبثا وقوله وغرتهم الحيوة الدنيا اى شغلهم
ما اختاروا من الحيوة الدنيا والميل اليها عن النظر في الآيات والبراهين والحجج او ان يكون قوله وغرتهم اى اغتروا
بالحيوة الدنيا اضاف التغرير الى الحيوة الدنيا لما بها اغتروا والله اعلم وقوله عز وجل وذكر به ان تبسل نفس
بما كسبت قيل وذكر به قبل ان تبسل نفس بما كسبت وقيل وذكر به ان لا تبسل نفس بما كسبت وانما ذكرهم بهذا لئلا
يقولوا غدا انا كنا عن هذا غافلين واصل الابسال الاهلاك والاسلام للجناية والهلاك ثم اختلف في قوله
ان تبسل نفس بما كسبت عن ابن عباس قال ان تفضح نفس بما كسبت وقيل تبسل تؤخذ وتحبس وهو قول قتادة وكذلك
قال في قوله ابسلوا بما كسبوا اى حبسوا بما كسبوا وعن ابن عباس رضي الله عنه ابسلوا اى فضحوا على ما قال في تبسل
وعن الحسن تبسل تسلم وعن مجاهد كذلك قال ابو عوسجة تسلم نفس اى تسلم وذلك ان الرجل يجني جناية فيسلم
الى اهل الجناية وقال القتبي تبسل اى تسلم للهلكة وعن الكسائي تبسل تجزى نفس بما كسبت وقال الفراء تبسل ترتهن
واصل الابسال هو الاسلام وتفسيره ما ذكر على اثره وهو قوله ليس لها من دون الله من ولي ولا شفيع كما يكون بعضهم
شفيعا لبعض في الدنيا واعوانا لهم وانصارا في دفع المضار والمظالم عنهم وجر المنافع اليهم واما في الآخرة
فان كل نفس تسلم بما كسبت لا شفيع لها ولا ولي كقوله يوم يفر المرء من اخيه وكقوله وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة
وغير ذلك من الآيات تسلم كل نفس الى كسبها لا شفيع لها ولا ولي وقوله وذكر به يحتمل بالقرآن والآيات ويحتمل به
اى بالله اى عظ بان تهلك نفس بما كسبت وقوله عز وجل وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اختلف فيه
قال بعضهم العدل الفداء يقول وان فدت نفس كل الفداء ليتخلص مما حل بها لم يؤخذ ولم يقبل منها ذلك وقال
الحسن العدل كل عمل البر والخير اى وان عملت كل عمل البر والخير من الفداء والتوبة لم يقبل منها ذلك يخبر
ان الدار الآخرة ليست بدار العمل ولا يقبل فيها الرشوة كما يقبل في الدنيا واخبر ان لا يكون شفعاء يشفعون لهم
ولا اولياء ينصرونهم ليس كالدنيا لان من اصابه في هذه الدنيا شيء او حل به عذاب او غرامة فانما يدفع باحد
هذه الخلال الثلاثة واما بشفعاء يشفعون او باولياء ينصرون او بالرشى فاخبر ان الآخرة ليست بدار
تقبل فيها الرشى فتدفع ما حل بهم او اولياء ينصرونهم في دفع ذلك عنهم او شفعاء يشفعونهم فان قيل ما معنى
ذكر العدل والفداء وليس عندهم ما يفدى ولا يترك وما ذكر في العمل معناه والله اعلم اى لو مكن لهم من الفداء
ما يفدون في دفع ذلك عن انفسهم ومكن لهم من العمل ما لو عملوا لم يقبل ذلك منهم وقوله عز وجل اولئك الذين
ابسلوا بما كسبوا قد ذكرنا الاختلاف في الابسال واصله الاسلام يسلمون لما اكتسبوا لا يكون لهم شفعاء ولا اولـ

ولا يقبل منهم الرشى وقوله عز وجل لهم شراب من حميم قيل الحميم هو ماء حار قد انتهى حره يغلي ما في البطن
اذا وصل اليه فيشبه ان يكون لهم من الشراب ما ذكر لما تناولوا في الدنيا من الشراب المحرم فكان لهم في الآخرة
الحميم مكان ذلك والعذاب الاليم لما اعطوا انفسهم في الدنيا من الشهوات واللذات جزاء ذلك وقوله عز وجل
قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يحتمل هذا وجوها يحتمل ان يكون اولئك الكفرة دعوا رسول الله
او المؤمنين عبادة الاصنام التي كانوا يعبدونها فقال عند ذلك انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
بعد ما عبدنا الله الذي يملك نفعنا وضرنا او كان اهل الكفر يدعون اهل الاسلام الى عبادة الاوثان التي
كانوا يعبدونها اما طمعا بشيء يبذلونه لهم ليرجعوا الى عبادة الاصنام والاوثان عن عبادة الله او تخويفا منهم
لهم فقال قل يا محمد اندعوا من دون الله ما لا يملك نفعنا ان عبدناه ولا يملك ضرنا ان تركنا عبادته بعد
ما عبدنا الذي يملك نفعنا ان عبدناه ويملك ضرنا ان تركنا عبادته وعن ابن عباس رضي الله عنه قل اندعوا
من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا هذا مثل ضربه الله للاصنام التي عبدوها دون الله ومن يدعوا اليها
وللدعاة الذين يدعون الى الله والى عبادته كمثل رجل ضل به الطريق تائها ضالا اذ ناداه مناد يا فلان
ابن فلان هلم الى الطريق وقوله عز وجل ونرد على اعقابنا في الكفر والشرك بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته
الشياطين في الارض حيران يقول مثلهم ان كفروا بعد الايمان كمثل رجل كان مع قوم على الطريق فضل
الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الارض واصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون ائتنا
فانا على الطريق قال فلم يأتهم فذلك مثل من تبعكم بعد المعرفة بمحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي
يدعوهم الى الطريق وهو الهدى ويحتمل ان يكون المثل الذي ضرب به من وجه آخر وهو ان مثل هؤلاء كمثل
من كان في بعض المفاوز والبراري فضل الطريق فذهب به الغيلان حتى اوقعوه في الهلكة وهو الذي تقدم
ذكره ويشبه ان يكون قوله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا انه
ما من احد من مشرك ومؤمن الا وله اصحاب يدعونه اما المؤمن فله اصحاب من الملائكة يدعونه الى الهدى
والكافر له شياطين يدعونه الى الشرك هذا اشبه ان يحمل عليه لكن اهل التأويل حملوا على ما ذكرنا قال قتادة
هذه خصومة علمها الله محمدا يخاصم بها اهل الشرك لان سورة الانعام نزل اكثرها في محاجة اهل الشرك
قال ابن عباس رضي الله عنه استهوته اضلته وقال ابو عوسجة اى ذهبت به استهوته واهوته اى دعته
الى الهلكة وقيل اضلته وقوله نرد على اعقابنا اى نرجع عن الايمان الى الشرك بعد اذ هدانا الله وقوله عز وجل
قل ان هدى الله هو الهدى قيل بيان الله هو البيان وقيل ان دين الله هو الهدى وهو الدين وقوله عز وجل
وامرنا لنسلم لرب العالمين قيل هذا صلة قوله قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا وامرنا لنسلم
لرب العالمين ولنقيموا الصلوة ولنتقوه وقال بعضهم ليس على الصلة ولكن على الابتداء امرنا لنسلم لرب العالمين
وقل لهم اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون قد ذكرنا وقوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض
بالحق قيل قوله بالحق اى خلق السموات والارض بالحق لم يخلقهما باطلا كقوله سبحانه وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا قيل لم يخلقهما باطلا ولكن خلقهما بالحق وهو يحتمل وجوها قيل خلقهما للعاقبة لان كل امر لا عاقبة له
فهو باطل ليس بحق فانما خلق السموات والارض وما بينهما للعاقبة وذلك لامر عظيم كقوله ليوم عظيم يوم يقوم
الناس لرب العالمين وقيل قوله بالحق اى خلقهما ليمتحن فيهما والمحنة سكانهما لم يخلقهما لغير شيء وقيل بالحق
اى خلقهما بالحكمة من نظر فيهما وتدبير لدلاه على ان لهما خالقا ومدبرا ودلاه على ان مدبرهما ومنشئهما
واحد فاذا كان كذلك فكان خلقهما بالحق بالحكمة والعلم وقوله عز وجل كن فيكون قد ذكرنا ان قوله كن
هو اوجز كلام في لسان العرب يعبر به فيفهم منه لا ان كان من الله كاف ونون لكنه ذكر والله اعلم ليعلموا انه ليس
على الله في الاحياء والانشاء بعد الموت مؤنة كما لم يكن على الخلق في التكلم بكن مؤنة ولا يصعب عليهم ذلك

فعلى ذلك ليس على الله في البعث بعد الموت مؤنة ولا صعوبة والثاني ذكر هذه السرعة نفاذ البعث كقوله
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اخبر ان خلقهم وبعثهم ليس الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة وكقوله
وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب يخبر لسرعة نفاذ الساعة وبعثهم وذلك ان الرجل قد يلمح البصر
وهو لا يشعر به فعلى ذلك القيمة قد تقوم وهم لا يشعرون والثالث يذكر هذا والله اعلم ان البعث بعد الموت
والاحياء اعادة واعادة الشيء عندكم اهون من ابتداء انشاء وعلى ذلك يخرج قوله وهو اهون عليه
اي هو اهون عليه عندكم وقوله عز وجل قوله الحق يحتمل قوله الحق اي البعث بعد الموت حق على ما اخبر
ويحتمل قوله الحق اي ذلك القول منه حق يكون كما ذكر وقوله عز وجل وله الملك ملك ذلك اليوم كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وكقوله الملك يومئذ لله ذكر هذا والله اعلم لما لا ينازعه احد في ملك
ذلك اليوم وقد نازعه الجبابرة في الملك في الدنيا وان لم يكن لهم ملك ولا الوهية ويحتمل قوله وله الملك
اي ملك جميع الملوك له في الحقيقة كقوله مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وقوله عز وجل يوم ينفخ في الصور
قال بعضهم النفخ هو الروح والروح من الريح والروح انما يدخل بالنفخ فنفخنا فيه من روحنا وقال بعضهم
لا يكون هنالك في الحقيقة نفخ ولكن يذكر لسرعة نفاذ الساعة لان الرجل قد يتنفس وهو لا يشعر به
فذكر هذا السرعة نفاذ الساعة لانه ليس شيء اسرع جريانا ونفاذا من الريح وقال بعضهم هو حقيقة
النفخ هو ما ذكرنا وقوله عز وجل عالم الغيب اي يعلم ما يغيب الخلق بعضهم من بعض والشهادة ما يشهد
بعضهم بعضا ويحتمل عالم الغيب اي يعلم ما يكون اذا كان كيف كان ويعلم وقت كونه والشهادة ما كان
وشوهد يخبر انه لا يغيب عنه شيء ولا يعزب منه وهو الحكيم في خلق السموات والارض وخلق ما فيهما
والحكيم في بعثهم والحكيم هو واضع الشيء موضعه الخبير بكل شيء وقوله عز وجل واذ قال ابراهيم لابيه آزر
قيل آزر هو اسم لابي ابراهيم عليه السلام والحسن يقرأ آزر بالرفع ويجعله اسم ابيه وقال آخرون هو اسم صنم
فهو على التقديم والتاخير كانه قال واذ قال ابراهيم لابيه اتتخذ آزر اصناما آلهة وقوله اتتخذ استعظاما
لما يعبدونه الاصنام دون الله لان مثل هذا انما يقال على العظيم من الفعل وقال ابو بكر الكيساني في قوله آزر قيل
هو اسم عيب عندهم كانه قال يا ضال اصناما آلهة كقول الرجل لآخر يا ضال وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة كان
اسم ابيه او اسم صنم وفي الآية دلالة ان اباه كان من رؤساء قومه بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين وفيه دلالة
ان لا باس للرجل ان يشتم اباه لمكان ربه لان ابراهيم عليه السلام سماه ضالا وفيه دلالة ان الايمان والتوحيد
يلزم اهل الفترة في حال الفترة لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام سماهم ضلالا لا شك فيه ولا شبهة وهو ما ذكر
في آية اخرى حيث عبد ما ذكر حيث قال يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا هذا الضلال المبين
وقوله عز وجل وكذلك نري ابراهيم ذكر كذلك والله اعلم على معنى كما اريناك ملكوت السموات والارض والآيات
كذلك كما ارينا ابراهيم ونري بمعنى ارينا وذلك جائز في اللغة وكذلك لا تذكر الا على تقدم شيء لكن الوجه فيه
ما ذكرنا كما اريناك من الآيات والحجج والبراهين كذلك كما ارينا ابراهيم وقوله عز وجل ملكوت السموات والارض
اختلف فيه قال بعضهم سلطان السموات والارض وقيل الشمس والقمر والكواكب وقيل فرجت له السموات
السبع حتى نظر الى ما تحت العرش وما فيهن وكذلك فرجت له الارضون حتى راى ما فيهن وقيل ملكوت السموات
والارض حين ابراهيم صلوات الله عليه من الجبابرة في سرب فجعل الله في اصابعه رزقا فاذا مص اصبعا من اصابعه
وجد فيها رزقا فلما خرج اراه الله الشمس والقمر فكان ذلك ملكوت السموات والارض وملكوت الارض الجبال
والبحار والاشجار وقيل نظر الى ملك الله فيها حتى نظر الى مكانه ورأى الجنة وفتحت له الارضون حتى نظر الى اسفل
الارضين فذلك قوله وآتيناه اجره في الدنيا قال اري مكانه في الجنة وقيل اجره الثناء الحسن وقال ابو عوسجة
ملكوت السموات والارض من الملك وكذلك قال ابو عبيد وهو من الموقنين كجبروت ورحموت ورهبوت

فكذلك

فكذلك ملكوت واصله ما ذكر من الآيات والعجائب والله اعلم وقوله عز وجل وليكون من الموقنين
الايقان بالشيء هو العلم بالشيء حقيقة بعد الاستدلال والنظر فيه والتدبير وكذلك لا يوصف الله باليقين
ولا يجوز ان يقال لموقن لما ذكرنا هو العلم الذي يعقبه الاستدلال وذلك منفي عنه وقوله عز وجل
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموت والارض وليكون من الموقنين وقيل في قوله وكذلك نري ابراهيم اي
اي كما انبأناك ملكوت ما ذكر فقوله نري بمعنى اريناه وقوله وكذلك له وجهان احدهما انه كما اريناك ما ايقنت به
ان الربوبية وانه الواحد لا شريك له ولا نظير له من الآيات والادلة اراه ايضا ما ذكر حتى ايقن فهو والله اعلم
على التسوية بين الاسباب الدلالة على الوحدانية لله والربوبية في المعنى وان كانت لاعيانها مختلفة وعلى
ان طريق المعرفة الاستدلال بما انشأ الله من الدلالة لا السمع والحس وان كان في حجة السمع تاكيده والثاني
ان يكون نريه على ما اظهر من الحجج على قومه وهو كقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه واعطاه ما ادى به واشعر
قلبه من الحجج التي الزم قومه بما انطق بها الله عز وجل لسانه ليلزم بحججه خلقه والله الموفق وملكوت السموات والارض
الملك في الحقيقة من الوجه الذي يكون اية للايقان ودليلا للاحاطة بالحق ثم اختلف في وجه ذلك فمنهم
من قال هو ما اري ببصره اعني بصر الوجه نحو الذي ذكر من فتح السماء حتى راى ما فيها من العجايب والآيات الى العرش
او حيث قدر والارض حتى راى ما فيها من انواع الخلق الى الثرى او حيث بلغ ومنهم من قال رفع الى السماء حتى كانت
الارض بمن فيها رأي العين وكان له صلوات الله عليه مثل هذا من الامور نحو امر الناس والهجرة الى حيث لا صنع
ولا زرع وما جعل رزقه في اصابعه وامر بلوغ صوته في قوله تعالى واذن بالناس في الحج ان كان على ما سمع منه
والله اعلم ومنهم من قال هو ما اري بصر قلبه من وجوه التدبير وانواع الادلة عند التامل في خلق الله بالفكر
من غير ان كان في الخلق تغير على الاحوال التي كانت عليه وهو احق من يكون له في الذي كان كفاية عن حدوث احوال
تدل انه هو حجج الله مستدل على قومه الوجه الذي جعل لجميع الخلق لا من جهة خصوص آيات فثبت ان ذلك كان له
بهذا الوجه ثم هو يخرج على وجوه منها ما رأى من تسخير القمر والشمس والنجوم وقطعها في كل يوم وليلة اطراف السماء
والارض جميعا ومسيرها تحت الارض الى ان يعود كل الى مطلعه يسير كل ذلك ما فوق الارض الى السماء واستواء احوال
ذلك على ما عليه حد في كل عام وشهر لا يزداد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتاخر مع عظيم ما بهم من المنافع لانواع دواب
الارض والطير جميعا ما يوقن كل متامل ان مثل هذا لا يعمل بالطباع الا ان يكون له مدبر حكيم جعل ذلك الطبع وسواه
على ما شاء ثم لهذه وان لا يتسق الامر على التدبير والحكمة الا ان يكون مدبر ذلك بحيث لا يحتاج الى المعين ولا يجوز
ان يكون له فيه منافع ثم هو بنائه عليم قدير وما في الارض من تدبير الليل والنهار يتعاقبان ابدا ويسيران ه
يقهران ما فيها من الجبابرة والفراعنة حتى ان لجهد جميع اهل الارض على زيادة وفي احد او نقصان او تقديم او تاخير
لما لهم من الحاجة او بما فيهم من القوة والقدرة مع معونة الجمع لهم في ذلك لم يتهيأ لهم ولا يبلغ توهم احد في احتمال
ذلك حتى يصير عند وجود كل كان الآخر لم يكن قط ثم عند العود اليهم كانه لم يفارقهم قط مع ما لجميع اهل
الارض بهما من المنافع وعليهم فيها انواع مضاد ولهما سلطان على اعمارهم على ما فيهما من اثر التسخير والتدليل
الذي كل مقهور بالآخر اذا جاء سلطانه وبلغ حده وليس في واحد منهما امتناع عن قهر الآخر وان كان هو الظاهر
القوي جريا جميعا على حد واحد وسنن واحدة ولا على ما دل عليه الاول مع ما فيهما من اثر البعث امرا ظاهرا
لا يحتمل ان يجهله الا سفيه معاند والله اعلم ثم النور والظلمة والظل وهو ذلك الذي ينبسط بساعة جميع
اطراف السماء والارض يستر واحد كل شيء ويبدي آخر عن كل شيء ويحيط الثالث بكل شيء ثم تعلق منافع الاهل
بها على اختلافها وبالسماء والارض على تباعد ما بينهما وبالسهل والجبل والبر والبحر على تضاد معانيهما ذلك على
جميع الامور فكان صلوات الله عليه بما ادري من المعنى وغيره من الموقنين ان لا اله الا الله وجه اليه نفسه وان كل شيء
نسب اليه الالوهية محال ان يكون او له امكان ذلك ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل فلما جن عليه الليل الى قوله

وما ائمة المشركين تكلموا فى تأويل الآية على وجه ثلاثة فمنهم من حمل الامر على ما عليه الظاهر انه مترعارف بربه
حق المعرفة الى ان عرف من الوجه الذى بان له عند الفراغ من آخر ما نسب اليه الربوبية انه لا يعرف بجهة ادراك
الحواس ووقوعها عليه ولكن من جهة الآيات وآثار العقل فقال وجهت للذى فطر السموات والارض الآية لكن
اهل هذا القول اختلفوا على وجوه ثلاثة احدها ما روى فى التفسير انه ربى فى السرب ولم يكن نظر الى شىء من خلق
السماء فتطلع عن باب السرب فى اول الليل فراى الزهرة بضوئها وتلألؤها وكان فى علمه ان له ربا وانه يرى
فلم يرا ضوء منها ولا انور فقال هذا ربى فلما افل وله علم ان الرب دايم لا يزول فقال لا احب بمعنى ليس هذا
برب كقوله ما كان ينبغى ان نتخذ من دونك من اولياء اى ليس لنا وقول عيسى حيث قال سبحانك ما يكون لى ان اقول
ما ليس لى بحق بمعنى ما قلت ذلك لكن اهل هذا التفسير حملوا الافول على غيبوبته بنفسه وهو عندنا على غيبوبته
فى سلطان القمر لما طلع سلطان النجم وعنده ان الرب لا يقتهر وان سلطانه لا يزول وعلى ذلك امر القمر والشمس
بظلمة الليل وفى ذلك انه لو كان عنده انه لا يرى لا نكر من ذلك الوجه ان يكون ربه بلا قربه وانكر الافول والزوال
وهذا ينقض قول من يصفه بالزوال والانتقال من حال الى حال ومنهم من يقول كان هذا منه فى وقت لم يكن جرى
عليه القلم سمع الخلق يقول فى خلق السماء والارض ونحو ذلك وينسبون ذلك الى الله وعلى ذلك امر جميع اهل
الشرك كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله قل لمن الارض الى قوله ما اتخذ الله من ولد
ثم رآهم عبدوا الاصنام وسموها آلهة فتأملها فوجدها لا تسمع ولا تبصر ولا تشفع ولا تضر علم ان مثلها لا يحتمل ان يكون
يخلق ما ذكرت وان الذى ذلك فعله لعلى عظيم يجب طلب معرفته من العلو بما كان يسمع نسبة الملائكة الى السماء
ونزول الغيث منها ومجئ النور والظلمة وكل انواع البركات وغيرها منها فصرف تدبير الطلب الذى نسب اليه
الخلق اليها ثم اول ما اخذ فى التأمل والنظر يقع بصره على احسن وابهى من الذى ذكر فظن ذلك ثم لما قهر وقد كان
علم بان خالق من ذكر لا يجوز ان يقهر فمن ذلك علم انه ليس هو وكذلك قهر ذلك الى ان قهر الليل ضوء الشمس
او صارت بحيث لا يجرى له السلطان اورأى فى الكل آثار التسخير والتذليل ولم ير فيها اعلام من له الامر
والخلق فعلم ان الرب لا يدرك من ذلك الوجه ولا يعرف من جهة الحواس فرجع الى ما سمع من انه خلق السموات
والارض فوجه نفسه اليه بالعبودية واعترف له بالربوبية بما فى الخلق من آثار ذلك وفى القول لمن تسميه
من له الخلق ربا والهًا فامن به وذلك كان اول احواله احتماله علم الاستدلال وبلوغه المبلغ الذى من بلغه يجرى
عليه الخطاب ولا قوة الا بالله ومنهم من قال انه كان بالغا فجرى عليه القلم وقد كان رأى ما ذكر غيره
لكن الله لما اراد ان يهديه الهمه ذلك والقى فى نفسه فانتبه انتباه الانسان بشىء كان عنه غافلا من قبل فرأى
كوكبا احمر يطلع عند غروب الشمس فرعاه الى ان افل فاراد من الله قربه وعلم ان ربه لا يزول ولا يتغير
ففزع اليه وقال لا احب الآفلين وكذا ذكر القمر والشمس الى ان عرف الله فتبرأ مما كانوا يشركون ووجه بالتوحيد
والعبادة اليه والى هذا التأويل ذهب الحسن والى الاول روى عن ابن عباس رضى الله عنه والثانى قال به
جماعة اهل الكلام ونحن نتبرأ الى الله ان نجعله رجلا بالغا جرى عليه القلم وهو كان عن الله بهذه الغفلة حتى
يتوهم فى معنى نجم او قمر او شمس مع ما يرى فيها الظهور بعد ان لم يكن والافول بعد الوجود ثم آثار التسخير والعجز
عن التدبير بما هو فى جهد وبلاء ومن له يجعل فى راحة وسرور ثم لا يرى فى شىء من العالم اوله معنى يدل على رجوع
التدبير اليه فيحقق له القول بذلك والله يصفه اذ جاء ربه بقلب سليم وقيل سليم عن الشرك لم يتشبث بشىء
وقال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما يذكرونه انما اتاه على نفسه اذ هو فى الغفلة عنها والجهل بمن له
الآيات شريك قومه وقد قال ايضا وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ومعلوم ان ذلك على معاينته
او ذلك تنادى كلا منها ولكن على ما بينت من الوجهين وفيهما حقيقة وليس فى قوله وليكون من الموقنين دلالة
الشك فى الابتداء او الجهل فى الحال التى يحتمل العلم به عز وجل ولكن على انه على ذلك الوجه يكون الايقان

بمن لا يقع

بمن لا يقع عليه الحواس ولا يوجب علمه الصنو ورات انما هو الاستدلال بالآثار وتلقى الاخبار ولا قوة
الا بالله وذلك كقوله الله الذى رفع السموات بغير عمد لا عن وضع كان وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور
لا ان كانوا فيها قبل فى الظلمات وقول يوسف انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله لا عن كون فيها وهكذا امر الايمان
ان يكون العبد فى كل وقت موقنا بالله وان لا اله غيره لا عن شك فيما تقدمه من الوقت او الجهل فكذلك امر ابراهيم
عليه السلام والوجه الثانى مما تكلم فى التأويل ان يكون ابراهيم صلوات الله عليه كان مؤمنا ذلك الوقت
عارفا بربه حق المعرفة ولكنه كلم قومه كلام مستدرج باظهار المتابعة لهم على هواهم فيكونون به اوثق
واليه اميل وذلك ابلغ فى الحجاج والطف فى المكيدة فيبين لهم من اراد من غير جهة النقض والعناد فيدا يتعظم
ما عظموه اذ هم قوم كانوا يعظمون النجوم وبالعلم بامرها اخبروا نمرود بولاد من يهلك على يديه هو وزوال
ملكه وهذا كما ذكر انه نظر نظرة فى النجوم فى مقاييسها وعلمها لا انه نظر اليها ثم قال الذى ذكر لا من حيث
علم النجوم ولكن من حيث علمه انه يموت ومن يموت يسقم لكن اراهم الموافقة فى العلم الذى لهم فى ذلك
الباب دعوى فكذلك ما نحن فيه وعلى ذلك امر البُدّ الذى كان يعبده قوم عظمته الحواريّا الذى ارسل
اليهم حتى اطمأنوا اليه وصُدّ دواعى تدبيره وبُلوا بعدوّ كاد يحيط بهم فدعاهم الى دعاء البُدّ ليكشف لهم
اذ لمثله يُعبَد حتى يئسوا فدعاهم الى الله فكشف عنهم فآمنوا به فمثله الاول والى هذا التأويل يذهب
القتبى لكنه ذكر انهم كانوا اصحاب نجوم وكهانة ومن ذلك قوله لا يُعبَد النجوم ولا يراه ربا كيف اظهر
الموافقة بتسمية النجم ربا ثم النقض عليه بالافول ولكن على ذلك لو كان فانما كان فى قوم يعبدون النجوم
والشمس والقمر فالزمهم بالافول اذ فيه تسخير وغلبة سلطان وهذا الوجه يجوز ان يظهر لهم على اضمار معنى ه
فى نفسه مستقيم كالمكره على عبادة صليب يقصد قصد عبادة الله عز وجل والمكره على شتم محمد صلى الله عليه وسلم
يقصد بقصد محمد آخر يصوره فى وهمه ونحو ذلك وهو على ما قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم ان كانوا
ينطقون شرطا فى نفسه فى قوله بل فعله كبيرهم هذا والله اعلم وقيل فى الاستدراج من غير هذا الوجه
على التسليم انهم اهل كهانة ونجوم وهو انه لما رآهم يعبدون الاصنام والاوثان دعاهم من طريق المقابلة
اذ هم مالوا الى ذلك بما رأوا من حسن ذلك فى المبصر بما قد زين بانواع الزى وحلى بانواع الحلى فاراهم انهم يعبدوا
النجم وما ذكر وان الذى ذكر احسن واعظم نورا وضياء اذ هو بجوهره ونفسه كذلك وما كانوا يعبدون
بما فعلوا به وجعلوه كذلك ليكره اليهم عبادتهم الاصنام ويستنقذهم عما اعتادوه بالمعنى الذى ذكر ثم الزمهم
فساد ما مالوا اليه وقبلوا منه قبل ان يقر ذلك فى قلوبهم وتطمئن الى ذلك انفسهم بما اظهر من فساد ان يكون
الذى بذلك الوصف من التسخير او ملكه على شرف الزوال او يصير بحيث يقر فى قلوبهم عبادة من لا يشهد وقته
وقتا لعبادة فيلزمهم على ذلك عبادة المستحق لها او ان يقول اذا كانت النجوم وما ذكر مع ضيائها ونورها وكثرة
منافع الخلق بها لم يصلح لها الالوهية عند جميع بالافول والتسخير فالذى كانوا يعبدون على ما نحن هم كانوا نحت البشر
اذ لا لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع احق ان لا يكون له الربوبية وان لا يوجه اليه العبودة والله اعلم فهذا النوع
من الاستدراج فيما لو ظهر انهم لم يكونوا يتخذون النجوم اربابا يعبدونها وكذلك الذى ذكره القتبى والتأويل
الثالث للآية يخرج مخرج الانكار والاستهزاء ويكون فى ذلك معنى الاستدراج اذ هو الالزام من حيث
لا يشعر به او نقض اسباب الشبه درجة فدرجة فى حلول المقت ولزوم المقصود بتعاطى ذلك الابتداء
بالكشف عن الاسباب ثم قيل فى هذا باوجه احدها انهم كانوا يعبدون النجوم وما ذكر ويدعون الى ذلك الاولاد
والصبيان وابراهيم منهم فيما كانوا يدعونه اليه فقال لما رأى النجم هذا الذى تعبدونه ربى اى الى عبادته
تدعوننى اى هذا ربى الذى تدعوننى الى عبادته فلما رآه طالعا ساجا غايبا ثبت عنده انه بحق فقال لا احب
عبادته لكن ذا قد يكون فى خاص نفسه متفكرا فى الذى دعوه اليه ليعرف دفع قولهم من الوجه الذى يقر ذلك

البُدّ الصنم

في القلوب اذا قابلهم به وقد يكون في ملاء منهم يظهر لهم قوله هذا ربي على اضمار تدعونني اليه ليلزمهم
بما بان له فساد الربوبية فيكون استدراجا ايضا لانه الزمهم بعد ظهور الوفاق منه لهم وقد يكون ذكر هذا
الذي تدعونني فيه انه ربي استهزاء بهم باظهار الموافقة ليتبين لهم ذلك بما الزمهم ان الابتداء لم يكن على المساعدة
اذ ذلك المعنى الذي به الزمهم كان ظاهرا عنده في الابتداء وعندهم جميعا والثاني ان يكون قوله هذا ربي
على ما يقال هذا فلان الذي تخبر وتنبي عنه بمعنى اهذا هو على انكار وانه ليس بالمحل الذي اخبر تموني عنه او على
الاستفهام ليقرره عنه واي الوجهين كان فقد هزء بهم وظهر في المتعقب ان الاول كان على الهزء بهم
والانكار او الاستفهام وذلك كقوله خلقوا كخلقه على انهم لم يخلقوا كخلقه يوضح قوله قل الله خالق كل شيء
وفي الاول لا احب الآفلين ويجوز ان يكون هذا ضمير في قوله هذا ربي اي رب هذا ربي الى آخر ما ذكرتم رجع اليه
عند التقرير عندهم انه لا يليق الربوبية بالذي ظنوا انه ساعدهم عليه ثم قد بينا الدليل على انه لم يكن كافرا
في ذلك الوقت مع ما قد ثبت عصمة الرسل عن الكباير فكيف يبلون بالكفر والله يقول الله اعلم حيث يجعل
رسالاته وكل متمكن فيه الكفر شريك امثاله فلا وجه لتخصيص الاهل ثم جملة ذلك ان الله سبحانه لو اراد بين
حقيقة الحال او كانت بنا الى معرفة حقيقة ذلك من المراد والوقت والوجه حاجة في امر الدين لكان يبين ذلك
او يرد في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن العلم بحقيقة ذلك اذ هو علم الشهادة بما ليس لنا وعلينا
بالوصول عمل تكلف ولا نكلف الشهادة بوقت القول وما يتمكن فيه تحققه ان يتامل وجه الحكمة في ذكر القصة وما فيها
من الحجة في امر الدين فهو والله اعلم يخرج على وجوه احدها على جعل ذلك لرسالة رسوله اذ هو من انباء الغيب
ونبي الله نشأ بمكة ولم يكن ثم من يعلم ذلك ولا فارق قومه واختلف الى من عنده علم الانباء بتوارثهم
كتب الانبياء ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يخط بيمينه او يقف على المكتوب دل انه علمه بالله سبحانه
وتعالى مع ما كان في القصة حجج التوحيد ودفع عبادة الاصنام وتسفيه اهل ذلك لم يحتمل ان يكون تعليم مثل ذلك
من الدافعين لذلك المدعين على ابراهيم اليهودية والنصرانية وبعد فان كتبهم بغير لسانه وفي العبادة بلسان
يوهم الاختلاف والتغيير فلا يحتمل الاحتجاج بمثله بما يحتمل الانكار والدفع استعطاف قوم رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ هم من ذرية ابراهيم عليه الصلوة والسلام بما يدعوهم الى دينا بانهم مع ما كانوا هم اصحاب تقليد
وحفظا آثار الآباء فالزمهم القول في آبائهم بما لا مدفع لهم القول لغير الذي قلد واذ ابراهيم عليه السلام عند
جميع المشركين امام يؤتم به احق من كل اب مع ما كان كل مولود على دينه مذكورا محفوظا في الخلق ومن خالفهم
فهو ممحوق الاسم والذكر جميعا فكان في ذلك اعظم الدليل ان هؤلاء من الانبياء احق في التقليد من الذين
اتبعوه وعلى ذلك اتفاق اهل الكتاب على موالاة ابراهيم من غير ان يتهيأ لهم دفع ما اثبت رسول الله من توحيد
والامامة عندهم من دينه بشيء يجد ونحلا فالذلك في كتبهم والثالث ان ابراهيم صلوات الله عليه عرف معرفة
الرب من جهة خلقه ودان بدينه من جهة النظر في الآيات والبحث عنها دون ان قلد اباه وقومه ليعرف
سبيل طلب الحق ووجه اتباعه ليكون ذلك تذكرة لجميع ذريته والرابع انه ذكر الخبر عن احواله بخروج ظاهره
يوهم المكروه وله وجه الصرف الى ما فيه نفار عنه للطبع ولا تابى العقل ليمتحن عباده القول فيه والوقف في امره
والخامس ليعلم ان المحاجة في الدين على قدر ما يحتمله العقول لازمة اذ بها افحم ابراهيم قومه واظهر دين ربه
فيبطل بذلك قول كثير من المسلمين الذين يكرهون المناظرة في الدين ويدون في ذلك تقليد الاستاذين او ظواهر
ما جاء به الآثار التي في اتباع امثالها تناقض عند العقلاء ولا قوة الا بالله والسادس ان المناظرة تكون بوجهين
لطلب الدلالة في ثبت وباظهار الفساد بما يتمكن فيه من العيب اذ هو رد ما ادعوا من الربوبية فيمن ذكر بما في ذلك
من آثار التدبير لغيره وكذلك قال في الاصنام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقال ومالي
لا اعبد الذي فطرني وقال في موضع آخر الذي خلقني الى آخر ما اخبر ثم ابطل قولهم بالمعنى الذي بعينه

احتج في ثبات دينه وجايز في كل ذلك ان يقول لهم ما الدليل على ما تدعون لما تذكرون من الربوبية والسابع
جواز التسليم باظهار الموافقة وان كان المسلم بحقيقة ذلك منكرا وله داعيا اذا كان في المساعدة بذلك
في الظاهر نيل الفرصة والظفر بالبغية اذ على ذلك تخرج مناظرته قومه وعلى ذلك نذكر ما احتج به في قوله ربي
الذي يحيي ويميت اذ قال لخصمه انا احيي واميت واقبال على حجة هي اوضح من ذلك واقهر للعقل والزم في الطبع
فقال فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب والثامن ان يعلم ان الله لم يهمل القوم في شيء من الازمنة
دون ان جعل لهم ادلة الحق يظفرون بها لو تأملوا ولا الزم خلقه في زمان من الازمان بشيء لو بحث عنه لا يوقف
عليه ولا يتهيأ له ولذلك الناظر الحجج وآثار البينات ليعلم انه جعل امره كلها تالية الادلة والبراهين ليقطع
بها عذر من تابى نفسه القيام به والتاسع ان يعلم انه لا احد يقوم بالحجاج ولا ينطق بحسن البيان لا بعطيته
وامتنانه عليه بما ينطق به لسانه ويوفقه للقيام به بقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ثم العاشر
ان يكون بفضله ينال الدرجات في امر دينه ويرتقي الى منازل الفضل والشرف بمشيته كما قال نرفع درجات من نشاء
وانه متى شاء الرفع كان والله اعلم وقد قال بعض اصحاب الامامة في تاويل الآية زعم انهم اخذوه من شرح
على ان تاويل النجم المأذون والقمر اللاحق والشمس الامام بمعنى انه قال للمأذون هذا ربي عني به رب التربية
ربّاه بالعلم وقوله عز وجل فلما افل اي فني ما عنده رغب عنه وقال لا احب هذا ثم ظهر باللاحق ثم كذلك
بالامام ثم توجه نحو التالي بالقبول من الرسول اذ التالي عندهم هو الذي خطى ما ذكر فلما جاوز درجة المتم
وهو الامام صار الى درجة الرسالة وهو القابل من التالي بالخيال والمصور للشرايع عندهم فالزموا بهذا عبادة
ارباب وان الارتفاع من درجة الى درجة باولئك وذلك امر متناقض على المتامل لانه لما فني ما عند المأذون
صار الى اللاحق والمأذون كان يدّ مادونا فلم يكن الثاني بما يصير اليه احق من الاول اذ كان به صار مأذونا ولو كان
ثم درجة اخرى فاما ان يكون بيان تلك في الوقت الذي يلتقي المأذون ذلك الى غيره او لا فان كان لا ينال
فلا اسفه من المأذون حيث امتنع عما يقلبه الى الدرجة الثانية وبلغ غيره او ينال معه فاذا صار هو معه في درجة
المتم فكيف قال لا احبه وهو اثر الذي ذلك وصفه ثم كيف قال لا احب وذهاب ما به اخذ بحظه عن الاخذ
من الآخر وكيف صار ربه قبل ان يربيه فلما رباه تبرأ من ربوبيته وآثر بالآخر فاذا عاقبة شكره سعى
ربه في شانه كفرانه بر وكذلك درجة فدرجة حتى يكفر بالتالي ثم بالعقل ثم يصير الى رب العالمين وهو
الرب في الابتداء والانتهاء لا رب لاحد سواه عز وجل عن الشركاء اذ اليه حاصل الامر ومصير الخلق ولو كان
كل مرتق حدا يرتقي آخر لكانت تلك الحدود ويكون ابدا آخرها فيكون الكل توالي ونطقا ويبطل الادلاء والمأذون
والائمة جميعا وقد كرّم الله تعالى عليا كرم الله وجهه عن هذا الخيال وعصمه عن هذا الوسواس والحمد لله
وحاجه قومه ذكر محاجة قومه ولم يبين فيما حاجوه لكن في الجواب بيان ان المحاجة فيم كانت وهو قوله قال
اتحاجوني في الله ثم يحتمل المحاجة في الله في توحيد الله ودينه ويحتمل في اتباع امر الله وطاعته وذكر في بعض
القصة عن ابن عباس رضي الله عنه قال وحاجه قومه في آلهتهم وخوفوه بها وقالوا اما تخاف آلهتنا وانت تشتمها
ولا تعبدها ان تخبلك وتفسدك وذلك محتمل وهو كقول قوم هود لهود عليه السلام ان نقول الا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء ثم قال لهم ابراهيم صلوات الله عليه اما تخافون انتم منها قالوا كيف نخاف ونحن نعبدها
قال لانكم تسوون بين الصغير والكبير والذكر والانثى اما تخافون الكبير اذ سميتموه اذ سويتموه بالصغير
وما تخافون الذكر اذا سويتموه بالانثى ويحتمل انهم خوفوه بالله بترك عبادة آلهتهم لما كانوا يقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فخوفوا ابراهيم بالله بترك عبادتهم لما كان
عندهم ان عبادتهم اياها تقربهم الى الله زلفى وترك العبادة لها يبعدهم فقال وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به
ويحتمل قوله وقد هدان الدين والتوحيد وهداني طاعته والاتباع لامره فقال كيف اخاف وقد هداني

وقوله عز وجل الا ان يشاء ربي شيئا هذا يحتمل وجهين يحتمل لا اخاف الا ان عصيت ربي في شيء فعند ذلك
اخاف واما اذ هداني ربي فاني لا اخاف بترك عبادتهم والثاني الا ان يشاء ربي الا ان يبتليني ربي بشيء من المعصية
فعند ذلك اكون في مشيته ان شاء عذبني وان شاء لم يعذبني وقوله عز وجل وسع ربي كل شيء علما اي علم
ذلك كله عند عصيت واطعت وقوله عز وجل وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله عن ابن عباس
رضي الله عنه وكيف ما اشركتم به من الاصنام ولا تخافون انكم اشركتم بالله من الاصنام ولا تخافون انكم اشركتم بالله
ما لم ينزل به عليكم سلطانا يقول عذرا في كتابه فاي الفريقين احق بالامن اي اهل دينين انا وانتم احق بالامن
ان كنتم تعلمون انا اعبد الها واحدا وانتم تعبدون الهة شتى وقيل انهم كانوا يخوفونه بتركه عبادة الهتهم
واشراكه اياها في عبادة الله فقال وكيف اخاف ما اشركتم انتم بالله من الالهة ولا تخافون انتم بما اشركتم بالله
غيره ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي حجة بان معه شريكا ثم قال اي الفريقين احق بالامن انا وانتم من عبد
الها واحدا ان يأمن عنده ومن عبد الهة شتى صغارا وكبارا ذكورا واناثا او ان يقال ان كيف اخاف الهتكم
التي تعبدون من دون الله بتركي عبادتها وهي لا تملك ضرا ان تركت ذلك ولا نفعا ان انا فعلت ذلك
ولا تخافون انتم بترككم عبادة الهي وهو يملك الضر ان تركتم عبادته والنفع ان عبدتموه فاي الفريقين احق
بالامن من عبد الها يملك الضر والنفع او من عبد الها لا يملك ذلك فقيل رد عليه قومه فقالوا الذين امنوا
برب واحد يملك الضر والنفع ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قيل لم يخلطوا تصديقهم وايمانهم بشرك ولم يعبدوا
غيره دونه اولئك لهم الامن وهم مهتدون من الضلالة والشرك قيل الظلم هاهنا الشرك روي عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين
فقالوا يا رسول الله فاينا لا يظلم نفسه قال ليس ذلك انما هو الشرك اولم تسمعوا ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال لاصحابه ما تقولون في هاتين الايتين
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
ثم عملوا واستقاموا على امره والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يذنبوا فقال لقد حملتموها على امر
شديد الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك والذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا عليها فلم يعدلوا عنها
بشرك ولا غيره فان ثبت هذه الاخبار فهو ما ذكر فيها ان الظلم هو الشرك والا احتمل الظلم ما دون الشرك
ان من لم يظلم ولم يذنب فهو في امن من الله ومن ارتكب ذنبا او ظلما فله الخوف وهو في مشية الله ان شاء عذبه
وان شاء غفر له وعفى عنه وقوله عز وجل وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه الاية ينقض قول من يقول
بان ابراهيم كان غير مؤمن في ذلك الوقت ولا عارف بربه لانه اخبر انه اتاه حجة على قومه ولو كان هو
على ما قالوا لكانت الحجة التي اتاه عليه فلما اخبر انه اتاه حجة على قومه دل انه ليس على ما قالوا ولكن كان عارفا
بربه مخلصا له على ما سبق ذكره فان قال قائل ان الحجة التي اخبر انه اتاها ابراهيم على قومه هو قوله وحاجه قومه
قال اتحاجوني في الله وقد هداني ولا اخاف ما تشركون به الى اخر ما ذكر فيقال ان هذه ليست بمحاجة انما هو تقرير
التوحيد والدين الا ترى انه قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا والمحاجة ما ذكر في قوله
لا احب الافلين وقوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وغيرها
من الايات التي فيها وصف توحيد الرب عز وجل والوهيته وفساد الهتهم من ذلك قوله اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون وقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقوله هل يسمعونكم اذ تدعون
الى قوله واذا مرضت فهو يشفين وفيه دليل نقض قول المعتزلة لانه قال وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم
والايتاء هو الاعطاء والنجوم والشمس والقمر وما ذكر قد كانت دلالة الذي اتى ابراهيم هو محاجته قومه
بما ذكرنا واحتجاجه عليهم بذلك دلالة له في محاجة ابراهيم قومه صنعا حيث اضاف الى نفسه وهو ان خلق

محاجة قومه

محاجة قومه وبالله العصمة وقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه الذين كانوا يعبدون
الاصنام حيث قال في غيرهم وعلى نمرود حين قال انا احيي واميت الى اخر الاية وقوله عز وجل نرفع درجات
من نشاء وفيه ايضا دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله قد شاء لكل احد ان يبلغ المبلغ الذي اذا بلغ
ذلك يصلح للنبوة والرسالة لكنهم شاؤا ان لا يبلغوا ذلك المبلغ فيجعلون المشيئة في ذلك الى انفسهم دون الله
والله اخبر انه يرفع درجات من يشاء وهم يقولون لا يقدر ان يرفع بل هم يملكون ان يرفعوا درجات انفسهم
فدلت الاية على ان من نال درجة او فضيلة انما ينال بفضل الله ومنه ثم قوله نرفع درجات يحتمل الدرجات
وجوها يحتمل النبوة ويحتمل الدرجات في الاخرة ان يرفع لهم ويحتمل الذكر والشرف في الدنيا لما يذكرون في الملا
من الخلق وقوله عز وجل ان ربك حكيم عليم اي حكيم في خلق الخلايق خلق خلقا يدل على وحدانيته ويدل
على انه مدبر ليس بمعطل في خلقهم ثم عليم باعمالهم وعليم بمصالح الخلق وبما يصلح لهم وبما لا يصلح والحكيم
هو الذي لا يلحقه الخطا في التدبير وقوله عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب يحتمل ما ذكرنا من رفع الدرجات
ما ذكر من هبة هؤلاء وفيه دليل انما يكون له من الفضل في هبة الاولاده يكون ذلك في الاولاد اولاده وقوله
عز وجل كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل والهداية هدايتان هداية اصابة الحق وهداية العلم بالحق وهي
هداية البيان فهذه الهداية مما يشترك فيها المسلم والكافر جميعا واما هداية اصابة الحق فهي خاصة للرسل
والانبياء والمسلمين جميعا والهداية هاهنا هي اصابة الحق لا العلم بالحق لانهما اشتركوا جميعا في العلم بالحق
الكافر والمسلم ومن ذريته داود قيل ذرية ابراهيم وقيل ذرية نوح كانوا جميعا من ذرية نوح ابراهيم ومن ذكر
من الرسل وقوله عز وجل وكذلك نجزي المحسنين اي كذلك نجزي المحسنين بالذكر والشرف والثنا الحسن
الى يوم القيمة كما جزى هؤلا والرسل بالذكر والشرف والثنا الحسن في ملاء الناس ويحتمل ان يذكروا في ملاء الملائكة
كما ذكروا في ملاء الخلق في الارض ويحتمل وكذلك نجزي المحسنين في الاخرة بالثواب ورفع الدرجات والجزاء
الجزيل ثم ذكر في فريق انه كذلك نجزي المحسنين وذكر في فريق اخر كل من الصالحين وذكر في فريق وكلا فضلنا
على العالمين وهذا والله اعلم ليس على تخصيص كل فريق بما ذكرهم الذكر ولكن على الجمع انهم محسنون صالحون
مفضلون على العالمين ثم يحتمل التفضيل لهم بالنبوة انهم فضلوا على العالمين بالنبوة ويحتمل انهم كانوا
مفضلين على العالمين بالاحسان والصلاح لو لم يكن لهم رسالة ولا نبوة ثم يحتمل انه سماهم محسنين باختيارهم
الحال التي كانوا اهلا للرسالة والنبوة فان كان هذا فهم الرسل خاصة منهم ويحتمل محسنين باختيارهم
الهداية واصابة الحق فان كان هذا فهو مما يشترك الانبياء واهل الاسلام فيه وقوله عز وجل ومن اباءهم
وذرياتهم واخوانهم اما اباؤهم من تقدمهم وذرياتهم من تاخرهم واخوانهم الذين يقاربونهم وقيل
وذرياتهم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المؤمنون من بعدهم وقوله عز وجل واجتبيناهم يحتمل اجتباهم بالنبوة
والرسالة وهديناهم الى صراط مستقيم فذلك لهم خاصة ويحتمل اجتبيناهم بالتوحيد ودين الاسلام فذلك
يعم الانبياء والمؤمنين جميعا لانه اجتباهم بذلك جميعا ويحتمل اجتباهم بما ذكر من رفع الدرجات والفضايل
ويكون صلة قوله نرفع درجات من نشاء وذلك يصلح الرسل والمؤمنين والله اعلم بذلك وفي قوله ومن اباءهم
وذرياتهم الاية دلالة ان من اباءهم وذرياتهم من لم يجتبهم بقوله من اذ من هو حرف التبعيض وقوله عز وجل
وذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده اي ذلك الهدى الذي هدى هؤلاء فبهداه اقتدوا وفي الاية دلالة
نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله قد شاء ان يهدي الخلايق كلهم لكن لم يهتدوا وعلى قولهم لم يكن من الله
الى الرسل والانبياء من الهداية والفضل الا كان ذلك الى الجميع الكفرة فالاية تكون مسلوبة الفايدة على قولهم
لانه ذكر انه يهدي من يشاء وهم يقولون شاء ان يهدي الكل لكن لم يهتدوا فان كان كما ذكروا لم يكن لقوله
من يشاء فايدة دل انه من الخلايق من قد شاء ان لا يهديهم اذا علم منهم انهم لا يهتدون ولا يختارون

الهدى وبالله التوفيق وقوله عز وجل ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون هذا انباء عن الحكم فيهم لو اشركوا
الا انهم لا يشركون لان الله قد عصمهم واختارهم لرسالته واختصهم لنبوته فلا يحتمل ان يشركوا لكن ذكر هذا
ليعلموا ان حكمه واحد فيمن اشرك في الله غيره وضيعا كان او شريفا وقوله لحبط عنهم ما كانوا يعملون من الحسنات
والخيرات التي كانت قبل الاشراك وقوله عز وجل اولئك الذين آتيناهم الكتاب قيل الكتب التي اعطى الرسل والحكم
قيل العلم والفقه والفهم وقيل الاحكام التي اعطاهم والنبوة هي انباء الغيب وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل
فان يكفر بها هؤلاء قيل بها كناية عن انباء الغيب والنبوة التي ذكر وقيل بها كناية عن الكتب التي انزلها على الرسل
وقيل هي كناية عن الآيات والحجج التي اعطى رسوله وقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
اختلف فيه قال بعضهم فان يكفر بها يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بكافرين اهل المدينة من الانصار
والمهاجرين وهو قول ابن عباس وقيل فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني من الرسل
والانبياء وقيل فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني اهل قرابتك واهل وصلتك
فقد وكلنا بها قوما من غير اهل قرابتك ليسوا بها بكافرين وقيل فان يكفر بها هؤلاء يعني اهل زمانك
فقد وكلنا بها قوما من تقدمهم من آبائهم واجدادهم ليسوا بها بكافرين وقيل فان يكفر بها هؤلاء يعني اهل الارض
فقد وكلنا بها قوما يعني اهل السماء ليسوا بها بكافرين وقال الحسن رحمه الله فان يكفر بها هؤلاء يعني امتك
فقد وكل الله بها النبيين والصالحين من الامم الخالية ليسوا بها بكافرين والله اعلم بذلك وهو كما ذكرنا وقوله
عز وجل اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده يحتمل فبهداهم الذين هدوا امتهم اهتدت امتك ويحتمل
فبهداهم الذين هدوا وهم اهتدوا امرنا عز وجل بالاقتداء باخواننا الذين مضوا من الرسل والهدى
هو اسم ما يدان به ليس هو اسم الافعال لا يقال لتارك الصلوة والزكوة والصيام هنالك انما يقال ذلك
لمن دان بضد الهدى امر رسوله ان يقتدي بهم بذلك وذلك يدل على ان الانبياء والرسل كانوا على دين واحد
وان الدين لا يحتمل النسخ والتغيير الا ترى انه قال في آية اخرى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا اخبر انه شرع لنا
الدين الذي شرع نوحا وذلك يدل ان الدين واحد لا يحتمل النسخ واما الشرائع فهي مختلفة لانها تحتمل النسخ وتحتمل
الامر بالاقتداء بهم ما ذكر قل لا اسألكم عليه اجرا اي اقتدي بمن تقدم من الرسل ولا تأخذ على تبليغ الرسالة اجرا
كما لم يأخذوا هم وفي قوله قل لا اسألكم عليه اجرا دليل نقض قول من يجيز اخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم
ورواية الحديث وغير ذلك من العبادات وكذلك قوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون كان والله اعلم
يجعل لهم العذر في ترك الاجابة له بما يلحقهم من ثقل الاجر والغرم والله اعلم وفيه ايضا دلالة نقض مذهب
القرامطة لانهم يعرضون مذهبهم على الناس ويأخذون منهم المواثيق والجعل في ذلك وانما اخذ المواثيق
من الرسل على تبليغ الرسالة الى قومهم وامروا بتأليف قلوب الخلق وفي اخذ الجعل منهم نفور قلوبهم وطباعهم
عن ذلك وقوله عز وجل ان هو الا ذكرى للعالمين اي ما هذا القرآن الا ذكرى اي عظة وزجر للعالمين وقوله
عز وجل وما قدروا الله حق قدره قيل نزلت سورة الانعام في محاجة اهل الشرك الايات نزلت في محاجة
اهل الكتاب احدها هذه وما قدروا الله حق قدره الآية وذكر في موضع آخر ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي
عزيز وقال في آية اخرى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا الآية ثم قال بعض اهل التأويل ما عرفوا الله
حق معرفته وقال غيرهم ما عظموا الله حق عظمته ذكروا ان هؤلاء لم يعظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق
معرفته ومن يقدر ان يعظم الله حق عظمته او ان يعرف حق معرفته ومن يقدر ان يعبد الله حق عبادته وكذلك
روي في الخبر ان الملائكة يقولون يوم القيمة يا ربنا ما عبدناك حق عبادتك مع اخبر عنهم انهم لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون فهم مع هذا كله يقولون
ما عبدناك حق عبادتك ومن يقدر ان يعرف حق معرفته او يعظمه حق عظمته ولكن تأويلهم والله اعلم

اي ما عرفوا الله

اي ما عرفوا الله حق المعرفة التي يعرف بالاستدلال ولا عظموه حق عظمته التي يعظم بالاستدلال
هذا تأويلهم والا لا احد يقدر ان يعرف الله حق معرفته ولا عظمه حق عظمته حقيقة وهو يخرج على
على وجهين احدهما ما قدروا الله حق قدره ولا اتقوا حق تقواه مما كلفوا به واطاقوه ومما جرى الامر بذلك
وانما تجري الكلفة منه على قدر الطاقة والوسع والا لا يقدر احد ان يعظم ربه حق عظمته ولا اتقى حق تقواه
لكن ما ذكرنا مما جرت الكلفة والثاني ما قدروا الله حق قدره ولا حق تقاته على القدر الذي يعملون لانفسهم
اي لو اجتهد وافي تقواه وعظمته القدر الذي لو كان ذلك العمل لهم فيجتهدون ويبلغ جهدهم في ذلك فقد
اتقوا وقوله عز وجل اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء لو كان هؤلاء في الحقيقة اهل الكتاب ما انكروا
الرسل ولا الكتب لان اهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل وببعض الكتب وان كانوا يكفرون ببعض لكن هؤلاء
انكروا الرسل لما كانوا اهل نفاق ويكون من اليهود اهل نفاق كما يكون من اهل الاسلام كانوا يظهرون الموافقة لهم
ويضمرون الخلاف لهم والموالاة لاهل الشرك ويظاهرون عليهم كما كان يفعل ذلك منافقوا اهل
الاسلام كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويضمرون الخلاف له ويظاهرون المشركين
عليه فاطلع الله رسوله على نفاقهم ليعلم قومهم خلافهم وان ما كان من تحريف الاحكام وتغيير وكتمان
نعت محمد عليه افضل الصلوات وصفته انما كان هؤلاء وذكر في بعض القصة انها نزلت في شأن مالك
ابن الصيف وكان من احبار اليهود وكان سمينا فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل تجد في التوراة ان الله يبغض كل حبر سمين فقال نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
فانت حبر سمين يبغضك الله فغضب فقال ما انزل الله على بشر من شيء انكر الرسل والكتب جميعا فاكذبه الله
واظهر نفاقه عند قومه فقال قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا قيل تجعلونه قراطيس يعني صحفا ثم كتبتموه في الصحف ثم تنكرون انه ما انزل الله
على بشر من شيء اي فالذي كتبتم كتبتموه ان لم ينزل الله على بشر من شيء تبدونها وتخفون كثيرا يقولون
يظهرون ما في الصحف ما ليس فيه صفة رسول الله ونعته صلى الله عليه وسلم وتخفون ما فيه صفته ونعته وتغيرون
وقيل تبدونها اي يظهرون قرآءتها وتخفون كثيرا مما فيه نعته صلى الله عليه وسلم او ما فيه من الاحكام التي لا تطيب
انفسهم من امر الرجم والقصاص وغير ذلك وقوله عز وجل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس سمى عز وجل جميع كتبه نورا وهدى وهو نور من الظلمات اي يرفع الشبهات ويجليها وهدى
من الضلالات اي بيانا ودليلا من الحيرة والهلاك وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا آباؤكم وقال مجاهد الآية في المسلمين يقول علموا ما لم تعلموا ولا آباؤهم وقال الحسن الآية في الكفرة
اي علمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم من تحريفا ولئك الكتاب وتغييرهم اياه وقيل وعلمتم ما في التورية ما لم تعلموا
انتم ولم يعلمه آباؤكم ثم قال ثم ذرهم قال بعضهم قوله قل الله هو صلة قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به
موسى نورا قل يا محمد الله انزله على موسى وقيل صلة قوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قال قل يا محمد الله
علمكم ويحتمل ان يكون عز وجل يخبرهم حتى قالوا ذلك فكان ذلك حجة عليهم وقوله عز وجل ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون هذا يحتمل وجهين يحتمل ذرهم ولا تكافئهم بصنيعهم كقوله فاعرض عنهم واصفح
والثاني انه قد اقام عليهم الحجج وظهرت عندهم البراهين لكنهم كابروا وعاندوا فامره ان يذرهم
لا يقيم عليهم الآيات والحجج بعد ذلك ولكن تدعوهم الى التوحيد لانه قد دعاهم الى التوحيد ولكن تذرهم
ولا تقيم عليهم الحجج وقوله عز وجل في خوضهم اي في باطلهم وتكذيبهم يعمهون وقوله عز وجل
وهذا كتاب انزلناه مبارك قيل القرآن انزلناه مبارك سماه مرة مباركا ومرة نورا ومرة هدى ورحمة
ومرة شفاء ومجيدا وكريما وحكيما وليس يوصف هو في الحقيقة بنور ولا مبارك ولا رحمة ولا هدى

ولاشفاء ولامجيد ولاكريم ولاحكيم لان صفة ولايكون للصفة صفة توصف بها ولوكان هو ه
في الحقيقة نورا ورحمة وهدى وماذكر لكان يكون لكل احد نورا وماذكر فلما ذكرانه عمى على بعض واخبر
انه يزداد بذلك رجسا الى رجسهم دل انه ليس هو في الحقيقة كذلك لانه لوكان كذلك لكان لكل احد لكن سماه
بهذه الاسماء سماه نورا لما يصير نورا للمسترشدين ويصير شفاء ورحمة للمتبعين ليشفوا الداء والذي يحل ه
في الدين وسماه روحا لما يحيى به الدين وسماه حكيما لما يصير من عرف بواطنه واتبعه حكيما وكذلك سماه
مجيدا كريما لما يدعوا الخلق الى المجد والكرم فمن اتبعه تخلق باخلاق حميدة فيصير مجيدا كريما وسماه مباركا
لما به ينال كل بركة والبركة اسم لكل ما يثمر وينموا في الحادث فمن اتبعه نال به كل بر وخير وكل ثمر ونما
في الحادث هذا وجه الوصف بما ذكرنا وقوله عز وجل مصدقا الذي بين يديه من الكتب لانه كان يدعوا
الخلق الى ما كان يدعوا ساير الكتب التي انزلها على الرسل من توحيد الله والنهي عن اشراك غيره في الالوهية
والربوبية ويدعوا الى كل عدل واحسان وينهى عن كل فاحشة ومنكر وكذلك ساير الكتب دعت الخلق
الى ما دعا هذا لم يخالف بعضهم بعضا بل كانت موافقة بعضها لبعض لذلك قال مصدقا الذي بين يديه
والله اعلم وقوله عز وجل ولتنذر ام القرى ومن حولها قيل ام القرى مكة وسميت ام القرى لوجهين
احدهما لانها متقدمة ومنها دحيت الارض على ما ذكر اهل التاويل والثاني سميت ام القرى لانها مقصد
الخلق في الحج وفيها تقضى المناسك واليها يقصدون ويامون واليها يتوجهون في الصلوات وهي مقصد
اهل القرى وقوله عز وجل ولتنذر ام القرى اي اهل ام القرى وقوله عز وجل والذين يومنون بالاخرة
يومنون به فان قيل اخبران من آمن بالبعث يومن بهذا الكتاب واهل الكتاب يومنون بالبعث ولا يومنون به
فما معناه قيل يحتمل هذا وجوها احدها ان يكون هذا في قوم مخصوصين اذا آمنوا بالبعث امنوا به كقوله ه
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون هذا في قوم مخصوصين لانه قد آمن كثير منهم بالانذار فعلى ذلك
الاول والثاني قوله والذين يومنون بالاخرة بالعلم والحجج امنوا بالقرآن لان القرآن جاء في تاييد حجج البعث
وتاكيده فلا يجوز ان يومنوا بما يويده القرآن ولا يومنوا بالقرآن والثالث يحتمل ان يكون اخبارا عن اوايلهم
انهم كانوا مومنين بالبعث بالايات والحجج راغبين فيه فلما جاء امنوا به وامكن ان تكون الاية في المومنين اخبر
انهم امنوا بالاخرة وامنوا بالقرآن الا ترى انه قال وهم على صلوتهم يحافظون ويحتمل الذين يومنون بالاخرة
يحق لهم ان يومنوا بالقرآن لانه به يتزود للاخرة ويحتمل ما ذكرنا من الوجوه وقوله عز وجل ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا هنا في الظاهر استفهام وسؤال لم يذكر له جواب لكن اهل التاويل فسروا فقالوا لا احد
اظلم ممن افترى على الله كذبا وهذا جواب له ليس هو تفسيره لكن ترك ذكر الجواب لمعرفة اهل الخطاب به
وقد يقول الجواب لمعرفة اهله به وقوله عز وجل ومن اظلم اكثرهم قد ظلموا وكلهم قد ظلموا لكن كما قال
لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله لانه ينقلب في نعم الله في ليله ونهاره واحسانه فهو افحش ظلما واوحش
كذبا وقوله عز وجل وقال اوحي الي ولم يوح اليه شيء في الاية دلالة ان نافي الرسالة عمن له الرسالة في الافتراء
على الله والكذب كمدعي الرسالة لنفسه ليست له الرسالة سواء كلاهما مفتر على الله كذبا وكذلك من ادعى انه
ينزل مثل ما انزل الله ومن ادعى انه لم ينزل الله شيئا فهو في الافتراء على الله كالذي ادعى انه ينزل مثل
ما انزل الله النافي والمدعي في ذلك سواء شرعا فعلى ذلك يكون نافي الشيء ومثبته في اقامة الحجة والدليل
سواء والله اعلم وذكر اهل التاويل ان قوله اوحي الي ولم يوح اليه شيء نزل في مسيلمة الكذاب ونزل قوله
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله في عبد الله بن سعد بن ابي سرح لكن ليس لنا الى معرفة هذا حاجة وفيهم
ومن ادعى وافترى على الله كذبا سواء في الوعيد وقوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ادعى بعضهم انهم
يقولون مثل ما قال الله انكارا منهم له كقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا وقوله

عز وجل ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم عن ابن عباس
رضي الله عنه قال قوله في غمرات الموت ونزعات الموت وسكراته وغشياته والملائكة باسطوا ايديهم يقول
ملك الموت واعوانه الذين معه ومن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب باسطوا ايديهم يقول ضاربوا ايديهم
انفسهم يقولون لها اخرجي يعني الارواح وهو قوله اخرجوا انفسكم وهو عند الموت وكذلك يقول قتادة وقال
الحسن ذلك في النار في الاخرة ضرب الوجوه والادبار وقوله عز وجل في غمرات الموت اي كثرة العذاب وشدته
يقال للشيء الكثير الغمر وهو كقوله ياتيه الموت من كل مكان اي اسباب الموت ولوكان هنالك موت
يموت لشدة العذاب وقوله عز وجل باسطوا ايديهم بضرب الوجوه والادبار اخرجوا انفسكم على حقيقة الخروج
منها كقوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها والاول ليس على حقيقة الخروج ولكن كما يقال
عند نزول الشدائد لخروج نفسك وقال مجاهد هذا في القتال بضرب الملائكة وجوههم وادبارهم يعني
الاستاه ولكنه يقول وهو كقول ابن عباس رضي الله عنه وقتادة عند الموت قال ابو عوسجة غمرات الموت
وسكراته وشدايده والغمر هو الماء الكثير والغمر العداوة والغمر الذي لم يجرب الامور والغمر الدسم والغمر
القدح الصغير من الخشب وغمرة الحرب وسطها وقوله عز وجل اليوم تجزون عذاب الهون وقيل
عذاب الهون لا رافة فيه ولا رحمة اي الشديد بما كنتم تقولون على الله غير الحق بان معه شريكا والهة وكنتم
عن آياته تستكبرون انه لم ينزل شيئا ولم يوح اليه شيء وانما اوحي الي وغير ذلك من الافتراء الذي ذكرنا
وبالله العصمة وقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة يحتمل هذا والله اعلم وجوها اي علمنا
وبعثناكم فرادى بلا معين ولا ناصر كما خلقناكم في الابتداء فرادى لم يكن لكم شفعاء ولا اعوان وقيل يبعثكم
ويعيدكم بلا مال ولا شيء من الدنياوية كما خلقكم في الابتداء ولم يكن لكم مال ولا شيء من الدنياوية وجايز ان يكون
قوله ولقد جئتمونا فرادى ليس معكم ما تفتخرون به من الخدم والاموال والقرابات التي فتخرتم في الدنيا كما خلقناكم
اول مرة وليس معكم ما تفتخرون به كما خلقناكم اول مرة وجايز ان يكون قوله كما خلقناكم اول مرة منفصلا من قوله
ولقد جئتمونا فرادى لكن جواب سؤال كيف يبعثون فقال اي تبعثون كما خلقناكم اول مرة وقوله عز وجل وتركتم
ما خولناكم وراء ظهوركم يحتمل تركتم وراء ظهوركم لا تلتفتون اليه ولا تنظرون كالمنبوذ وراء ظهوركم
انما نظركم الى اعمالكم التي قدمتموها والثاني لم تقدموا ما خولناكم ولم تنتفعوا منه بل تركتم وراء ظهوركم لا تنتفعون به
انما منفعتكم ما قدمتموه وانفقتم منه وقوله عز وجل خولناكم قيل اعطيناكم وقيل رزقناكم وقيل ملكناكم
وهو واحد وقوله عز وجل وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء انهم كانوا يجعلون لله شركاء
في عبادته والوهيته ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول الله ه
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم شركاء لله في عبادتكم وزعمتم انهم شفعاؤكم عند الله بل شغلوهم
بانفسهم يخبر عن سفههم وقلة نظرهم فيهم وقوله عز وجل لقد تقطع بينكم قرئ بالرفع والنصب
جميعا فمن قرا بالرفع يقول لقد تقطع تواصلكم ومن قرا بالنصب يقول لتقطع ما كان بينكم من الوصل يخبر
عز وجل عن قطع ما كان بينكم من التواصل والتعاون بعضهم بعضا في هذه الدنيا انهم كانوا يتعاونون ه
ويتناصرون بعضهم بعضا يخبر ان ذلك كله ينقطع في الاخرة ويصير بعضهم عداء لبعض ويتبرا بعضهم
من بعض كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وكقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين وكقوله تعالى واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكقوله سيكفرون بعبادتهم الاية يصير المعبودون
اعداء للعابدين والعابدون اعداء للمعبودين ويصير الوصلة والمودة التي فيما بينهم في هذه الدنيا عداوة
والرحم والقرابة الذي كان بينهم منقطعا حتى يفر بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه
وامه وابيه الاية وقوله عز وجل وضل عنكم ما كنتم تزعمون اي ذهب عنكم وبطل ما كنتم تزعمون انهم

شفعا وكم عند الله وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل ان الله فالق الحب والنوى قيل فالق الحب
والنوى كما قال الله تعالى فاطر السموات والارض وكقوله تعالى وهو الذى فطركم اى خلقكم يخبر انه
فالق الحب والنوى خص الحب بالذكر لما منهما خلق جميع ما فى الدنيا من الانزال والحبوب كقوله تعالى خلقكم
من نفس واحدة منه ما خلق ما فى الدنيا من البشر فاضاف ذلك اليه فعلى ذلك لما خلق هذه الانزال كلها من الحب
والنوى ومنهما اخرج اضاف اليهما ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون ليس باخبار عن ابتداء انشاء ولكن
اخبار عن لطفه والفلق هو الشق يخبر انه يشق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منها نبتا اخضر لينا ما
لو اجتمع كل الخلايق عن انفاده واخراج مثله من غير الذى يصيب ذلك النبت ما قدروا عليه يخبر عن لطفه
وقدرته ان من قدر على هذا القادر على اعادة الخلق وبعثهم بعد اماتتهم وافنائهم وان لم يبق لهم اثر كما قدر على هذا
يعرفهم قدرته انها غير مقدرة بقدرة الخلق وبقوتهم بل خارجة عن قوتهم لان قوته وقدرته ذاتية ازلية
بلا سبب وقوتهم وقدرتهم باسباب وكذلك ما يشق من الورق الضعيف اللين الشجر والنخل مع شدته وصلابته
ما لو اجتمع الخلايق كلهم على شق ذلك الشجر بذلك الورق مع لينه ما قدروا عليه يعرفهم لطفه وقدرته
انه لا يعجزه شئ وفيه ان ذلك فعل واحد لانه لو كان فعل عدد لكان اذا اراد هذا شقه منع الآخر عن ذلك
وفيه انه على تدبير يخرج لاجزائها حيث اتفق ذلك فى كل عام على قدر واحد وقوله عز وجل يخرج الحى من الميت
ويخرج الميت من الحى ان الحب والنواة التى ذكر ميت فيخرج منهما النبات الاخضر حيا ثم يميت ذلك ويخرج منه
حبا والنواة وفيه دلالة البعث بعد الموت يقول ان الذى قدر على اخراج النبات الاخضر الحى من حبة ميتة
او نواة ميتة وليس فيها من اثر ذلك الحى شئ لقادر ان يبعثهم ويحييهم بعد الموت وان لم يبق من اثر الحيوة شئ
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم فى غير موضع وقوله عز وجل فانى تؤفكون اى ذلكم الذى يفعل ذلك هو الله تعالى
لا الاصنام التى تعبدونها واشركتموها فى عبادتكم لله والوهيته اى جهة تصرفكم عما ذكر اى لا حجة لكم فى صرف
الالوهية عنه الى غيره ولا صرف العبادة الى الاصنام وقوله عز وجل فانى تؤفكون قيل فانى تصرفون عما ذكر
من دلالات وحدانيته والوهيته وربوبيته والافك هو الصرف فى اللغة كقوله قالوا اجئتنا لتافكنا ولتصرفنا
وقيل تؤفكون تكذبون ايما الذى حملكم على الكذب والصرف واحد فى الحقيقة لان الكذب هو صرف قول
الحق الى الباطل وهما واحد وقوله عز وجل فالق الاصباح هو يحتمل الوجهين اللذين ذكرتهما فى قوله فالق الحب
والنوى خبر عن ابتداء خلقه ويحتمل الشق اى يشق النهار من الليل والليل من النهار بعد ما تلف كل واحد
منهما حتى لم يبق له اثر ففيه دليل البعث والاحياء بعد الموت اخبر ان الذى قدر على انشاء النهار من الليل
والليل من النهار بعد ما تلف وذهب اثره لقادر على انشاء الخلق وبعثهم بعد الموت وذهاب آثارهم
وقوله عز وجل وجعل الليل سكنا جعل الله الليل سكنا وراحة للخلق والنهار معاشا لهم يتعيشون فيه
وجعلهما آيتين من آيات ربوبيته ووحدانيته مسخرين يقلبان للخلايق ويقهرانهم ويكونون تحت سلطانهما
ويجريان على سنن واحد دل ان لهما مدبرا خالقا عليما ولو كان يجريان بطباعهما لكان يختلف جريانهما
ولو لم يتسق فدل اتساقهما وجريانهما مجرى واحدا ان لغيره فيهما تدبيرا وكذلك الشمس والقمر جعلهما مسخرين
لمنافع الخلق لنضج الانزال ونيعها ولمعرفة عدد الايام والشهور والسنين ويجريان مجرى واحدا ومسلكا
واحدا غير مختلف دل ذلك انهما كانا بمدبر عليم حكيم وفى قوله فالق الاصباح وجعل الليل سكنا دلالة
نقض قول المعتزلة لان الاصباح هو فعل الخلق لانه مصدر اصبح وكذلك السكن هو فعل الخلق ثم اضاف
ذلك كله الى نفسه دل انه خالق افعالهم وقوله عز وجل والشمس والقمر حسبانا اختلف فيه قال
ابو عبيدة هو من الحساب وهو جميع حساب وحسبان مثل شهاب وشهبان وهو كقوله هو الذى جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقيل حسبانا اى يجريان بجريان

ويدوران ابدا

244

ويدوران ابدا لا يستريحان دل انهما كانا بتسخير مسخر بين للخلق لانهما لو كانا بطباعهما لكانا يستريحان وقيل
حسبانا اى ضياء كقوله جعل الشمس ضياء والقمر نورا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ذلك تقدير العزيز
العليم اى ذلك بجريان الذى ذكر او تلك المنافع التى جعلت فيها تقدير العزيز قال الحسن العزيز هو الذى لا يعجزه
شئ والعزيز هو الذى يعز كل عزيز وقال بعض اهل التاويل العزيز المنيع فى سلطانه المنتقم من اعدائه العليم
بمصالح الخلق وبما كان ويكون وبحوايجهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
فى ظلمات البر والبحر والمراد منه الظلمات وذكر فى قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر واراد بالظلمات
الشدايد والاهوال التى تصيبهم الا ترى انه قال تدعونه تضرعا وخفية عند الشدايد والاهوال كانوا يدعون ربهم
تضرعا وخفية على ما ذكرهم ها هنا عظيم سلطانه وقدرته لما تدفع عنهم الشدايد والاهوال التى
تنزل بهم بما الدافع عنهم ذلك هؤلاء الاصنام التى يعبدون دون الله ويشركونها فى عبادته ويذكر
فى قوله جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر عظيم ما انعم عليهم بما جعل لهم من السماء نجوما
ما تهتدوا بها للطرق والمسالك فى البحار والبرارى عند اشتباهها عليهم وفيه دليل وحدانية الرب
وتدبيره وحكمته لانه جعل فى السماء ادلة يهتدون بها ويستدلون على معرفة الطرق مع بعد ما بينهما
من المسافة وتسوية اسباب الارض باسباب السماء وتعلق منافع بعضها ببعض ليعلموا انه كان بواحد مدبر
عليم حكيم اذ لو كان بعدد او بمن لا تدبير له ولا حكمة لم يحتمل ذلك ولم يتسق ما ذكرنا دل انه كان بالواحد العليم
الحكيم مع علمهم ان الاصنام التى يعبدونها واشركوا فى عبادته لا يقدرون على ذلك لكنهم يعبدونها ويشركونها
فى الوهيته سفها منهم وعنادا وبالله العصمة والتوفيق وفى قوله فالق الحب والنوى وقوله فالق الاصباح
وقوله جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وغير ذلك من الآيات التى ذكر تذكير نعمه واحسانه اليهم يستادى بذلك
شكره وجعل السعى له وجايز ان يستدل به على تذكير قدرته وسلطانه ان من قدر على ما ذكر لا يحتمل ان يعجزه
شئ وفيه تذكير تدبيره وعلمه وحكمه على ما ذكرنا من اتساق الامور والحال على امر واحد وقوله عز وجل
قد فصلنا الآيات قيل صرفنا الآيات اى صرفنا كل آية الى موضعها الذى يكون لهم دليلا عند الحاجة اليها وقيل
قد فصلنا الآيات قد بينا الآيات لقوم يعلمون اى لقوم ينتفعون بعلمهم فاذا انتفعوا بها صارت الآيات لهم
لا لمن انتفع بشئ يصير ذلك له ذكر لقوم يعلمون لانهم اذا لم ينتفعوا بها لم تصر الآيات لهم وقوله عز وجل
وهو الذى انشاكم من نفس واحدة فيه دلالة انه يبدى ويعيد من غير شئ لانه اخبر انه خلق البشر كله
من نفس واحدة والخلايق كلهم لو اجتمعوا ما احتملت الارض ولم تكن للخلايق باجمعهم فى تلك النفس الواحدة
دل انه قادر على الابداء والاعادة لا من شئ اذ لم يكن لتلك النفس التى خلق الخلايق منها تقدمه شئ وقوله
عز وجل فمستقر ومستودع قال الحسن مستقر فى الآخرة بعمله الذى ختم به ان ختم بعمل الخير بقى ابدا فى الجنة وان ختم
بشر بقى ابدا فى الشر ومستودع فى اجله ينتقل من وقت الى وقت ومن حال الى حال وقيل مستقر فى ارحام النساء
ومستودع فى اصلاب الرجال وهو قول عامة اهل التاويل وقيل مستقر فى القبر ومستودع فى الدنيا ويشبه
ان يكون مستقر ومستودع فى كل حال وكل وقت مستقر فى حال القيام حتى ينتقل الى حال اخرى ومستودع لما هو
على شرف الانتقال الى اخرى وجايز ان يكون قوله فمستقر ومستودع فى الآخرة بالجزاء لاعمالهم التى عملوا ومستودع
فى الدنيا ويحتمل مستقر بالليالى ومستودع بالنهار والاول لبنى آدم خاصة ثم قوله عز وجل لقوم يعلمون
ولقوم يفقهون الفقه هو معرفة الشئ بمعناه الدال على نظيره والعلم ما يعرف بنفسه ولهذا لا يقال لله فقيه
ويقال عالم لانه عالم بالاشياء بذاته لا باغيارها ونظايرها والفقيه هو الذى يعرف الاشياء باغيارها
ونظايرها ودلايلها وقوله عز وجل وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ يذكرهم
عز وجل عظيم منته بما ينزل من السماء من الماء ويخرج به نبات كل شئ كما ذكرهم من النعم بما جعل لهم

الشمس والنجوم ليهتدوا بها في الظلمات واشتباه الطريق وما جعل الليل للسكون والراحة والنهار للمعاش والتقلب
وما جعل لهم من الشمس والقمر وجعل لهم فيهما من المنافع من نضج الانزال والزروع وينعها ومعرفة عدد السنين
والحساب والآجال التي يجعلون للعقود وغير ذلك من النعم التي انعمها عليهم لئلا يوجهوا شكر هذه النعم الى غيره
ولا يتخذوا انها سواه وقد ذكرنا ان سورة الانعام نزل اكثرها في محاجة اهل الشرك في اثبات الوحدانية له
والالوهية لله واثبات الرسالة والنبوة واثبات البعث بعد الموت لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقوله عز وجل
فاخرجنا به نبات كل شيء يحتمل قوله نبات كل شيء ما بالخلق حاجة اليه ليعلم ان كل ما يخرج في الارض اصله من الماء به
ينبت مما يكون غذاء البشر وغذاء الحيوان كلهم والطيور كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي فلا يؤمنون يذكرهم
عظيم ما جعل لهم في الماء من المنافع على ما اخبر انه به يخرج نبات كل شيء وبه حيوة كل شيء ثم من الاوقات
ما لو تنزل من السماء مالم ينبت دل انه انما ينبت بتدبير غيره لا بالماء وقوله عز وجل فاخرجنا منه خضرا قيل به
يخرج او لما يخرج خضرا يكون ابتداء كل نبت اخضر ثم يتحول الى لون آخر ومنهم من قال به يعني بالماء يدوم ويبقى
خضرا لولا الماء والا ييبس وتغير عن حال ابتدائه نخرج منه حبا متراكبا يخبر عن لطفه وصنعه بما يخرج
من الحب متراكبا بعضه على بعض ما لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقدروا على تركيب مثله ليعلموا ان لغيره في ذلك تدبيرا
وصنعا وفيه دلالة انه قد ينشئ الاشياء من لا شيء ولا سبب وان كان قد انشاء بعضها باسباب نحو ان اخرج
من الحبة والنواة نباتا اخضر ولم يكن في الحب نبات ثم اخرج من ذلك النبات الاخضر حبوبا ولم يكن للحبوب في النبات
ليعلموا انه قادر على انشاء الاشياء لا من شيء ولا سبب وفيه نقض قول الدهرية في كون الاشياء في شيء واحد
كما هي لا يحتمل ان يكون عشرة آلاف نواة او حبة في نواة واحدة او في حبة واحدة او تكون الشجرة مع طولها
وغلظها وعظمها في نواة او حبة وقوله عز وجل ومن النخل اي يخرج من النخل طلعها بالماء وفيه من عظيم
لطفه وتدبيره ان جعل النخيل والاشجار تتشرب بعروقها الماء ثم ينتشر في اصلها الى اغصانها ثم يخرج منه
ويظهر خضرا ليعلم عظيم تدبيره ولطفه وقوله عز وجل قنوان دانية قيل القنوان العذوق يكون فيها
التمر والثمار واحدها قنو وقوله عز وجل دانية قال الحسن دانية بعضها الى بعض مجتمعة غير متفرقة على ما يكون
من الاعناب والتمر والحبوب فان كان هذا فهو في الكل وقال بعضهم دانية قريبة ملتزقة بالارض ينالها القائم
والقاعد جميعا وعن ابن عباس قنوان دانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالارض وقوله عز وجل وجنات
من اعناب اي اخرج بالماء جنات وكروما والزيتون والرمان قيل اخرج بالماء ايضا الزيتون والرمان وقال
بعضهم الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه اي يشبه ورق الزيتون في النظر ورق الرمان وغير متشابه
ثمرتها في اللون والطعم ولكن هو على الكل على كل الثمار لا يشبه بعضه بعضا منها ما يشبه ساق هذا بساق آخر
والثمار والحبوب مختلف ومنها ما يشبه في اللون والطعم مختلف ومنها ما يشبه في الطعم مختلف ليعلموا ان لغير
ذلك تدبيرا وصنعا لطيفا لم يكن كذلك بالماء لانه لو كان كذلك بالماء لكان لا يختلف كل هذا الاختلاف
في اللون والطعم والساق والورق دل انه كان كذلك لغير عليم مدبر حكيم انشاه على ما اراد بلطفه وقوله
عز وجل انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه يحتمل الامر بالنظر وجوها اي انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه
ان كيف يقلبها ويحولها من حال الى حال ومن لون الى لون وانه يخرج في ساعة لطيفة ما لو اجتمع الخلائق على تقديره
ومعرفته انه كم خرج واي مقدار خرج لم يقدروا عليه ليعلموا انه قادر على احياء الخلق بمرة واحدة
وفي انزال المطر من السماء مع بعدها آية عجيبة وحكمة بالغة وهو ان ينزل واحدا حتى لا يختلط بعضه
ببعض مع كثرة المطر وازدحامه وبعد السماء ما لو اجتمع الخلائق على حفظ مثله ما قدروا عليه دل
عليه انه كان بمدبر عليم حكيم وقوله عز وجل ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قد ذكرنا انها تغير آيات
لمن صدق بها وآمن واما من عاند وكابر ولم يتامل فيها لم يفهم ما فيها من عجيب آياته وعظيم منته وفي قوله

انظروا الى ثمره وينعه وجهان آخران من الحكمة اذا نظروا الى ثمره انه اول ما يخرج يخرج على لون واحد
وعلى قدر واحد وعلى طعم واحد ثم يختلف الوانها وطعمها ويتفاوت اقدارها ليعلموا انه كان بتدبير واحد
عليم حكيم قادر على خلق الاشياء بلا سبب لانه لو كان كذلك بسبب لا بتدبير فيه كان سبب هذا كله واحدا
فيجيء ان يخرج كله على سنن واحد دل انه خالق بذاته لا بسبب والثالث ان انظروا الى ثمره وينعه انه جعل
ما يطيب منه للبشر وعلمهم اسبابا يتخذون بها الطيبات من ذلك من نحو النضج والطبخ وغيره وجعل لغيرهم
من الحيوان كما هو خارج من الارض ليعلموا ان غيرهم من الحيوان والدواب انما جعلهم لمنافع البشر مسخرين لهم
وان البشر هم المقصودون في خلق الاشياء كلها وبالله الحول والقوة ولله المنة والفضل وقوله عز وجل
وجعلوا لله شركاء الجن اي قالوا لله شركاء وكذلك قوله ويجعلون لله شركاء والبنات اي يقولون لله البنات
او وصفوا الله دليله ما ذكر في آخره سبحانه وتعالى عما يصفون دل هذا ان قوله وجعلوا لله شركاء اي وصفوا
بالشركاء والولد وقوله عز وجل شركاء الجن قال بعضهم هذا كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقيل
انهم لم يعبدوا الجن ولا قصدوا قصد عبادة الشيطان حيث قال يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم
عدو مبين لان جميع اهل الكفر على اختلاف مذاهبهم يبغضون الشيطان ويلعنون عليه ولكن معناه ان الشيطان
هو الذي دعاهم الى عبادة الاصنام والاوثان بدعائه فكانهم عبدوه اذ يامرهم وبدعائه يعبدونها او ان يكون
كما روي في الخبر ان الشمس اذا طلعت تطلع بين قرني شيطان فاذا عبدوها فكانهم عبدوا الشيطان مثل هذا
يحتمل والله اعلم فان قيل فاذا صاروا كانهم عبدوا الشيطان ومن ذكر من الجن بدعائهم الى ذلك ويامرهم بذلك
حتى نسب واضاف العبادة اليهم كيف لا صار المؤمنون كانهم عبدوا الرسل كانهم انما عبدوا الله بدعاء
الرسل ويامرهم قيل لان الرسل انما دعوهم الى عبادة الله وامروهم بذلك لان الله تعالى امرهم بذلك
واما اولئك انما دعوهم الى عبادة من ذكر بذاتهم انفسهم وفي قوله وجعلوا لله شركاء الجن اختيار لاوليائه وتذكيرهم
حسن صنيعه الى اعدائه من الانعام عليهم والاحسان اليهم وقبح صنيع اولئك اليه من وصفهم اياه بالولد
والشركاء يعاملوهم معاملة الاعداء ومعاملة امثالهم وخلقهم اي يعلمون انه هو خلقهم ثم يشركون غيره
في الوهيته وعبادته لا يوجهون شكر نعمه اليه والثاني قوله خلقهم اي خلق هذه الاصنام التي يعبدونها ويعلمون
انها مخلوقة مسخرة مذللة مع ما يعلمون هذا يشركون في الوهيته وعبادته فكيف يكون المخلوق المسخر شريكا له وقوله
عز وجل وخرقوا له بنين وبنات بغير علم هم كانوا فرقا واصنافا فمنهم من يقول بان عيسى ابنه وهم النصارى
ومنهم من يقول بان عزيرا ابنه وهم اليهود وقال مشركوا العرب الملائكة بنات الله فقال الكم الذكر وله الانثى
تلك اذا قسمة ضيزى وقال ام له البنات ولكم البنون وقال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه
مسودا وهو كظيم فاذا انفقتم انتم من البنات كيف نسبتم البنات اليه في هذه الآية تصبير رسول الله على اذاهم
بقوله مع كثرة ما كان لهم من الله من النعم والمنن يشركون في عبادته غيره فانت اذا لم يكن منك اليهم شيء من ذلك
اولى ان تصبر على اذاهم وقوله عز وجل بغير علم اي يعلمون انه ليس له ولد ولا شريك ولكن كانوا يكابرون
ويحتمل بغير علم على جهل يقولون ذلك وقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يصفون هو حرف تعظيم وتنزيه
جعلهم فيما بين الخلق به يعظمون وبه ينزهون وبه ينفون كل عيب فيهم فنفى ذلك ذكر عند وصف الكفرة بالولد
والشريك والعيوب تنزيها وتبرئة عن كل عيب وصفوه وتعاليا عن جميع ما قالوا فيه وهو والله اعلم كما يقال
معاذ الله تعظيما وتبريا عن ذلك وفي قوله سبحانه وتعالى عما يصفون نقض قول المعتزلة لقولهم ان صفات
الله ليس الا وصفا لواصفين فلو لم يكن الا وصفا لواصف لا غير لكان لا معنى لذم بعض الواصفين وحمد بعضهم
ثبت ان في ذلك صفة سوى وصفا لواصفين وقوله عز وجل بديع السموات والارض انى يكون له ولد قوله
بديع السموات والارض اي انشاهما بلا احتذاء ولا امتثال بغير هذا يرد على القرامطة قولهم لانهم يقولون

خالق ولا يقولون مبدع ويقولون المبدع الثاني هو اول مخلوق خلق منه جميع العالم فلو كان اول خلق
خلق مبدعا فهو مبدع والابداع هو احداث شئ لم يسبق له اصل ولا امثال ما يقال لمن احدث في دينه شيئا مبتدع
لانه احدث فيه شيئا لم يسبق له اصل ولا امثال وقوله عز وجل بديع السموات والارض انى يكون له ولد اي من قدر
على ابداع السموات والارض لا عن اصل سبق ولا عن مثال تقدم فانى يقع له الحاجة الى الولد والولد في الشاهد
انما يتخذ لاحدى خصال ثلاث اما للانتصار على الاعداء والانتقام منهم واما الوحشة تاخذهم واما الحاجة
تمسهم والله سبحانه يتعالى عن ذلك كله فانى يتخذ ولدا والثاني انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة اي تعرفوا
ان الولد لا تكون في الشاهد الا عن صاحبة وليست له صاحبة فانى يكون له ولد كان الخطاب كانه وقع
يتعوذون عنه الصاحبة وانما الحاجة الى الصاحبة للشهوات التي مكنت فيهم فالشهوة هي التي تفتر المرء
وتحمله على الحاجة وقوله عز وجل وخلق كل شئ فيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر انه خلق كل شئ
وعلى قولهم لم يخلق جزءا من الف جزء من الاشياء لانهم يقولون ان الله لم يخلق افعال العباد ولا حركاتهم
ولا سكناتهم ولا قيامهم ولا قعودهم ولا شيئا من ذلك ثم لا يجوز ان يصرف الاية الى الخصوص وهو يخرج مخرج
الامتداح ولو جاز ان يصرف هذا على شئ دون شئ لجاز لغيرهم ان يصرفوا قوله وهو بكل شئ عليم الى شئ
دون شئ وكذلك قوله خالق كل شئ على قول المعتزلة هو خالق بعض الاشياء ليس هو بخالق الاشياء كلها
على ما اخبر فلان جاز صرفه الى بعض الاشياء دون بعض لجاز ذا ايضا صرف قوله وهو على كل شئ وكيل الى بعض
دون بعض حفظ الاشياء ولم يحفظ الكل فان لم يجز هذا لانه خرج مخرج الامتداح فعلى ذلك لا يجوز صرف
الاول الى بعض دون بعض لانه امتداح ولئن جاز ان يقال بان العبد هو خالق ذلك جاز ان يقال هو خالق
الكل والقادر عليه فهذا مما يبين نسال الله العصمة عن السرف في القول والزيغ عن الحق فانه لا حول ولا قوة
الا بالله وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم انما ابتدع خلق السموات والارض وما ذكر من انواع المنن والنعم التي
انعمها عليهم من نحو ما جعل لهم من النجوم ليهتدوا بها في الظلمات وما ذكر انشاهم من نفس واحدة وما ذكر
من انزال الماء من السماء واخراج ما اخرج به من النبات والثمار والحبوب والاعناب وغير ذلك من عجيب حكمته ذلك
كله بالله الذي لا اله الا هو منشئ ذلك كله فاعبدوه اي اليه وجهوا شكر نعمه ولا توجهوا الى غيره قال الكسائي
اي بديع السموات وبادع السموات واحد كما يقال عليم وعالم وبديع وابتدع بمعنى واحد وقال بعضهم هو مثل
قوله فاطر السموات والارض وقوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قيل كنى بالابصار
عن الخلق كانه قال لا يدركه الخلق وهو يدرك الخلق وانما كنى بالابصار عن الخلق لما بالابصار يدرك الاشياء
ويحاط بها لذلك كان معنى الكناية والله اعلم وقيل هو على حقيقة الابصار لكنه بصر القلب لما به تقع المعارف
فان كان بصر الوجه ففيه دليل اثبات الرؤية لانه نفى عنه الادراك فلو لم يكن لنفي الادراك معنى لانه لا يدرك
ما لا يرى فدل نفي الادراك على ان هنالك رؤية لكنه لا يدرك ولا يحاط به على ما ذكر ولا يحيطون به علما اذ من الاشيا
الظاهرة مما يقع عليها البصر يكون لها ستر وفيها خفي من نحو البصر والسمع والانف واليد وغير ذلك من الاشياء
مما لا يدرك حقيقة ماهيتها وكيفيتها ولا تقديرها يبصر بالبصر اشياء لا يعرف حقيقة كيفية البصر ولا ماهية
وكذلك السمع لا يدري انه كيف هو ولا بم يسمع وكذلك هذا في كل جارحة وحاسة يجد اليوم خشونة الشئ الذي
يمسه ولينه لا يعرف بم يجد ذلك ويعرفه وكذلك الكلام من اللسان والشم من الانف لا يدري ما هو وكيف
ولم يجد ذلك الرايحة والنتن فاذا كان معارف الخلق في الاشياء الظاهرة التي يقع عليها البصر لا يدرك
حقيقة ماهيتها ولا يعرف كيفيتها ولا يحاط بها علما فالله سبحانه الذي بحكمته وضع ذلك وبلطفه ركب ابعد
عن الادراك واحرى ان لا يحاط به ولا يدرك وهذا يرد على المجسمة مذهبهم لانهم لو يصورون ربهم في قلوبهم
ويمثلونه فعلى ذلك بعيد وانهم مشبهة واصله ان الله تبارك وتعالى يعرف بالايات والدلائل بالمحسوسات

والمشاهدات

والمشاهدات وكل شئ سبيل معرفته الايات والدلائل فهو غير محاط به ولا مدرك فهو على ما وصف نفسه
لا يحيطون به علما ولا تدركه الابصار لان الادراك والاحاطة انما يقع بالمحسوسات لا بما يعرف بالايات
والدلائل وعلى ذلك جاءت دلائل الرسل نحو ما قال موسى حين ساله فرعون فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى
كل شئ خلقه ثم هدى وقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق دلالة على الوهيته
ووحدانيته من جهة الايات والدلائل لا من غيره وعلى ذلك دل الله الخلق على معرفة وحدانيته وربوبيته
بقوله هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وقال وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل وقال
وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ الى اخر ما ذكر وهم على ما يعرفون الوهيته ووحدانيته
من جهة الايات والدلائل لا من جهة ما تقع به الاحاطة والادراك وبالله الهداية والرشاد وقوله عز وجل
وهو اللطيف الخبير قيل اللطيف في افعاله الخبير بخلقه وباعمالهم وقيل اللطيف البار الرحيم وقيل اللطيف
هو العليم بخفيات الاشياء والخبير بظواهر الاشياء ثم هو اللطيف العظيم والعظيم في الشاهد غير اللطيف
واللطيف غير العظيم لان العظيم في الشاهد هو الذي به كثافة واللطيف ما يلطف في نفسه ويرق وكل واحد
منهما مما يتناقض الاخر ليعلم انه لطيف عظيم لا من الوجوه التي تعرف في الخلق وكذلك قوله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن هو اول واخر وظاهر وباطن وفي الخلق من كان اولا لم يكن اخرا ومن كان ظاهرا
لم يكن باطنا ليعلم انه اول واخر وظاهر وباطن لا من الوجه الذي يعرف ويفهم من الخلق ولكن على ما وصف
نفسه وقوله عز وجل قد جاءكم بصائر من ربكم قيل بينات من ربكم وقيل البصائر الهدى بصائر في قلوبهم
وليست ببصائر الرؤس وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقيل بصائر اي بيان وهو واحد وقيل بصائر
شواهد اي قد جاءكم من الله شواهد تدلكم على الوهيته وهو كقوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة اي بل الانسان
من نفسه بصيرة اي شاهد تشهد كل جارحة منه على وحدانية الله والوهيته الا ترى انه قال يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون هذا والله اعلم لانهم كانوا يقلدون اباءهم في عبادة الاوثان
والاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول قد جاءكم بصائر
من ربكم من الايات والرسل ما لو اتبعتموهم لكانوا لكم شفعاء عند الله والثاني قد جاءكم بصائر ما لو تفكروا
وتدبروا ونظروا فيها لعرفوا انها بصائر من الله لان البشر لا يستطيعوا بحيث ينظرون في الغيب من الاشياء فكانوا
على امرين منهم من نظر وتفكر وعرف انها بصائر لكنه عاند وكابر ولم يعمل بها ومنهم من ترك النظر فيها فعمي عنها
ما لو تفكروا ونظروا لتبين لهم وقوله عز وجل فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها اي ابصر الحق والهدى وعمل به
فلنفسه عمل ومن ابصر وعمي عنها اي ترك العمل فعليها ترك كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فان قيل
ذكر في اية اخرى ليهلك من هلك عن بينة لخبر انه من هلك هلك عن بينة ومن حي حي عن بينة وهاهنا
يقول فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها ذكر عمى منها فكيف وجه التوفيق بينهما قيل يحتمل قوله عمي بعد ما تبين له
فترك العمل به فعليها ذلك لانه ابصرها وعرفها انها من الله لكنه عاندها وكابرها وقوله عز وجل وما انا عليكم
بحفيظ اي قد جاءكم بصائر من ربكم فليس علينا الا التبليغ كقوله ما على الرسول الا البلاغ وقوله عز وجل
وكذلك نصرف الايات اي نرددها في الوجوه التي تبين لقوم يطلبون البيان او نقول نصرف الايات اي نضع
كل اية ونصرفها الى الوجوه التي تكون بالخلق اليها حاجة وقوله عز وجل وليقولوا درست فيه لغتان درست
ودارست ودرست قرات ودارست تعلمت وقيل دارست اهل الكتاب جادلتهم ودرست بالجزم قيل تقادمت
فهذا الاختلاف فيه الاختلاف قول كان من الكفرة لرسول الله منهم من يقول انما يعلمه بشر فهو تاويل دارست
ومنهم من يقول ان هذا الا اساطير الاولين فهذا تاويل قوله درست ومنهم من يقول ان هذا الا افك مفترى وهو
تاويل درست فعلى اختلاف اقاويلهم خرجت القراءة ثم اختلف في تاويل قوله تعالى وليقولوا درست فهو صلة

قد جاءكم بصائر من ربكم ليقولوا درست وقال الحسن قوله وليقولوا درست اى قد جاءكم بصائر من ربكم ليقولوا
درست لان من قوله انه بعث الرسل وانزل الكتب ليكون من الكافر قول كفر ومن المؤمن قول ايمان وقوله عز وجل
وليقولوا درست يخرج والله اعلم على معنى التعجيب تعجيب اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وعن قبح صنيع الكفرة
وسوء معاملتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء بصائر من ربهم وبينات وحجج ثم هم بعد هذا كله
يستقبلونه بالرد والتكذيب وهو على ما قلنا ان الله ذكر نعمه عليهم بما انشأ لهم من الانعام والجنات المعروشات
والزرع والنخيل وما اخبر عنه وقد علموا ذلك كله ثم جعلوا لله بعد معرفتهم هذا شركاء الجن وخرقوا له بنين
وبنات بغير علم ولا بينة فهو على التعجيب انهم كيف جعلوا الشركاء وقد علموا ان الذى جعل هذا كله لهم
هو الله تعالى ذلك هذه الاية انهم كيف قذفوه بالدراسة وقد تبين لهم صدقه وانه من عند الله بالايات
فى الدلايل وبما كان لا يخط كتابا ولا شهدوه يختلف الى من عنده علم ذلك وقوله عز وجل ولنبينه لقوم
يعلمون اى لنبينه يعنى القرآن وقيل البصاير التى ذكر لقوم ينتفعون بعلمهم وقوله عز وجل اتبع ما اوحى اليك
من ربك فان قيل ما معنى قوله من ربك وانما اوحى اليه من ربه ويكون قوله اتبع ما اوحى اليك ولكن معناه
على الاضمار والله اعلم كانه قال للذى اوحى اليه على يديه قل اتبع ما اوحى اليك من ربك ثم امر نبيه باتباع
ما اوحى اليه من ربه اى اعمل بما اوحى اليك ثم الامر بالعمل يحتمل وجهين يحتمل الامر بالاعتقاد بذلك ويحتمل
نفس العمل اى اعمل ويشبه ان يكون بالامر بالاتباع ما اوحى اليه صدقا فى الخبر وعدلا فى الحكم كقوله وتمت كلمة
ربك صدقا وعدلا قيل صدقا فى الاخبار وعدلا فى الاحكام فعلى ذلك امكن ان يكون الامر بالاتباع اتباع ما اوحى
اليه صدقا فى الاخبار وعدلا فى الاحكام ثم على امر نبيه باتباع ما اوحى اليه وانه لمن ربه امر امته كذلك
وهو قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء امرهم باتباع ما انزل اليهم من ربهم ونهاهم
عن اتباع ما اتخذوا من اولياء فعلى ما نهاهم عن اتخاذ اولياء دونه قال فى الاية التى امر رسوله باتباع ما اوحى
اليه من ربه فقال اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو وقوله عز وجل لا اله الا هو وقوله ولا تتبعوا من دونه
اولياء واحد لانه امر باتباع ما اوحى اليه من ربه ونهى ان يتبع دونه اولياء لانه اخبر ان لا اله الا هو وقوله
عز وجل واعرض عن المشركين يحتمل امره بالاعراض عن المشركين وجوها يحتمل ان لا تكافئهم على اذاهم ولكن
اصبر ويحتمل الامر بالاعراض عنهم النهى عن قتالهم كانه نهى عن قتالهم فى وقت ويحتمل ان يكون الاية فى قوم
خاص قال اعرض عنهم فانهم لا يؤمنون ولا تقم عليهم الايات والحجج لما علم منهم انهم لا يؤمنون ثم على ما امر
نبيه بالاعراض عنهم امر المؤمنين ايضا بالاعراض عنهم وهو قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقوله
عز وجل ولو شاء الله ما اشركوا قالت المعتزلة المشيئة ههنا مشيئة قهر وجبر اى لو شاء الله لاعجزهم
ومنعهم عن الشرك على رفع الابتلاء والامتحان واما عندنا المشيئة مشيئة اختيار والطوع على قيام الابتلاء والامتحان
وبعد فان مشيئة الجبر هى خلقة وقد كانوا جميعا غير مشركين بالخلقة فلا معنى لتأويلهم الذى تأولوا فى المشيئة
ثم لا يحتمل ان يكون قوله ولو شاء الله ما اشركوا مشيئة قهر وقسر لانه لا يكون فى حال الجبر والقهر ايمان
ولا كفر انما يكون ذلك فى حال الاختيار والطوع لان الجبر والقهر يمنع من ان يكون له فعل حقيقة بل يتحول
الفعل منه ويسقط ويثبت للذى جبر وقهر فذلك بعيد فدل انه ما ذكرنا وبالله الرشاد وفى قوله ولو شاء الله
ما اشركوا دلالة ان طريق الاسلام الافضال والانعام ولله ان يخص به من كان اهلا للافضال والانعام بالطاف
التى عنده ويحرم ذلك وله ان يجعل لبعضهم اهلا لذلك افضالا منه ولا يجعل البعض عدلا منه وقوله عز وجل
وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل اى لم يؤخذ عليك حفظ اعمالهم او لا تسأل انت عن صنيعهم
انما عليك التبليغ وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء كقوله تعالى فانما عليه
ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه وقيل الحفيظ والوكيل واحد وقيل الوكيل هو الكفيل وقد ذكرنا فى غير موضع

فيما تقدم

فيما تقدم وقوله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم نهانا الله
عز وجل عن سب من يستحق السب مخافة سب من لا يستحق السب فان قيل كيف نهى عن سب من يستحق السب مخافة سب من
لا يستحق وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قاتلونا وقتل المؤمن بغير حق من المناكير وكذلك امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم تبليغ الرسالة والتلاوة عليهم وانهم كانوا يستقبلونه بالتكذيب قيل ان السب لا ولن يباح بغير فرض
والقتال معهم فرض وكذلك التبليغ فرض يبلغ اليهم وان كانوا ينكرون ما يبلغهم وكذلك القتال نقاتلهم وان كان
فى ذلك هلاك انفسنا وانه اخرج الامر به مخرج الاباحة فانه ينهى عما يتولد منه ويحدث وما كان الامر به
امر فرض ولزوم لا ينهى عن المتولد منه والحادث ويجوز ان يستدل بهذا على تاييد مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه
فى قوله ان من قطع يد آخر بقصاص فمات من ذلك اخذ بالدية واذا قطع اليد بحد لزمه فمات لم يؤاخذ به
لانه ابيح له قطع يده والقصاص لم يفرض عليه وفى الحد يلزم اقامة الحد لله فاذا كان قيامه بفعل ابيح له الفعل
ينهى عما يتولد منه ويؤخذ به واذا كان قيامه بفعل فرض عليه لم يؤاخذ بما تولد منه وعلى هذا يخرج قوله
فى الامر بالختان اذا تولد من ذلك الموت لانه امر باقامة السنة وكذلك الامر بالحجامة لانه يفرض عليه الحجامة
نوحا لا اذا خاف عليه الهلاك اذا لم يحتجم واما الامر بالدق وغيره مما يشاكله امر اباحة لا امر الزام لذلك
ضمن ما تولد منه فعلى ذلك السب الذى يسب الهتهم اذا حملهم ذلك على سب الله عز وجل وسب رسوله
ولا يسبون وان كانوا مستحقين لذلك لانه قد ينهى الرجل ان يعود نفسه السب فعلى ذلك يجوز ان نهوا عن سب
الهتهم مخافة الاعتياد لذلك نهوا عن سب الهتهم ثم ذكر فى القصة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا
يسبون الهتهم فيسبون الله عدوا بغير علم ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم بسوء فقالوا لتنتهين
عن ذلك او لنهجون ربك وعن ابن عباس رضى الله عنه وذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية فقالوا عند ذلك ما قالوا فنزل ولا تسبوا الذين يدعون ولكن
لا ندرى كيف كانت القصة ولكن فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل عدوا بغير علم قال الكسائى وابو عوسجة عدوا
من الاعتداء وهو مجاوزة الحد وقال ابو عمرو عدوا بالرفع وقال انما العدو من عدو الرجلين وكذلك قال
فى يونس عدوا وقيل فلما نزل قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله الاية فقال رسول الله لاصحابه لا تسبوا ربكم
فامسكوا عن سب الهتهم وقوله عز وجل كذلك زينا لكل امة عملهم قال ابو بكر الكيسانى انه صلة قوله ولا تسبوا
يدعون من دون الله فيسبوا الله بغير علم انهم كانوا يعبدون هذه الاصنام والاوثان رجاء ان تقربهم عبادتهم
اياها الى الله لا انهم كانوا يعبدونها ويتخذونها آلهة دون الله فاذا سبوا معبودهم فكانهم سبوا الله عدوا
بغير علم اذ العبادة فى الحقيقة لله فيرجع سبهم اياها الى الله لذلك كان معنى السب فقال فعلى ذلك رجع
قوله كذلك زينا لكل امة عملهم حتى امتنعوا عن سب الله فذلك الذى زين عليهم وقال الحسن قوله زينا لكل امة
عملهم اى زينا عليهم اعمالهم فيما امروا به وفرض ووجب عليهم ان يفعلوا الا فيما لا يفرض ولا يحل لهم ان يفعلوا
وكذلك يقول جعفر بن حرب وغيرهم من المعتزلة ان الله زين عليهم عملهم الذى فرض عليهم ان يعملوا ويأتوا بها
واما ما لا ينبغى ان يعمل فلا كقوله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
الاية ذكر فى الايمان التزيين وفى الكفر التكريه ويقولون انه اضاف التزيين الى الشيطان بقوله زين لهم الشيطان
اعمالهم وقوله الشيطان سول لهم واملى لهم فالشيطان يزين لهم المعاصى والفسوق فلا يحتمل ان يكون الله
يزين لهم ما يزين لهم الشيطان فدل انه انما يزين لهم ما يؤمرون به ويفرض عليهم ولكن يضاف اليه التزيين ما اضيف اليه
حرف الاضلال والاغواء واما عندنا فالتزيين على وجهين تزيين فى العقول وهو تزيين من طريق الايات
والبراهين فذلك لا يحتمل فعل الكفر والضلال ان يكون مزينا من جهة الايات والحجج والثانى تزيين فى الطباع
بالشهوات والامانى وفعل كل احد مزين بالشهوة والحاجة التى مكنته فيه ولا شك ان كل كافر لو سئل عن فعله

الكفر والضلال فيقول هذا الذي زين لي وليس اضافة فعل التزيين الى الله باكبر وابعد من اضافة الاضلال والاغواء وقد ذكرنا معنى اضافة الاضلال والاغواء اليه في غير موضع فعلى ذلك التزيين ويقولون ايضا ان التزيين تزيين وعد وثواب فالكافر متى يؤمن بالوعد في الآخرة والثواب فيها وهو ليس يؤمن فهذا بعيد ويحتمل ما قال الكيساني ايضا لانه لا كل الكفرة كانوا يعبدون الاصنام يقربهم ذلك الى الله زلفى بل اكثرهم لا ان لهم خالقا وربا ويحتمل اضافة التزيين الى الشيطان على جهة التمني والتشهي كقوله ولامنينهم واضافته الى الله على القدرة عليها والسلطان او ان يخلق اعمالهم من نية عندهم مسولة واضافة فعل الضلال والغواية الى الشيطان على الدعاء اليه والترغيب فيه واضافته الى الله على ان يخلق فعل الضلال منهم وقوله عز وجل ثم الى ربهم مرجعهم قد ذكرنا فينبئهم بما كانوا يعملون في جزيل الثواب او في اليم عذاب فهو على الوعيد وقوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم قالوا جهد ايمانهم بالله فهذا يخرج على وجوه احدها ان الحنث في اليمين يخرج مخرج الاستخفاف والتهاون وان كان لا يقصد قصد الاستخفاف بالله تعالى وكان في اليمين التعظيم وفي الحنث استخفاف وفي اليمين بالله جهد اليمين ويحتمل وجهين سوى هذا وذلك ما قيل ان الكفرة كانوا لا يحلفون بالله الا عند العظيم من الامور والجليل منها كانوا يحلفون بدونه فسمى اليمين بالله جهد اليمين تعظيما لله وتجليلا والثاني يحتمل انهم كانوا يحلفون باشياء ويوكدون اليمين بالله ويشددونه كقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقوله عز وجل لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قيل انهم كانوا يقسمون جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات لئن جاءتهم يؤمنون بها من نحو ما قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وكقولهم ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وغير ذلك من الآيات فقال قل يا محمد انما الآيات عند الله هو الذي يرسلها وينزلها وانا لا املك ارسالها ولا انزالها كقوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله وغير ذلك من الآيات انباء منه انه لا يملك انزال ما كانوا يسألونه من الآيات ثم قال وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون اختلف فيه قال الحسن وابو بكر الاصم انه خاطب بقوله وما يشعركم اهل القسم الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فقال وما يشعركم اي ما يدريكم انكم تؤمنون اذا جاءتكم آية ثم استأنف فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون وهكذا كان يقرؤه الحسن بالخفض انها اذا جاءت لا يؤمنون على الاستئناف والابتداء وقال غيرهم من اهل التأويل الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم لما قالوا لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ظنوا انهم لما اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم يؤمنون اذا جاءتهم آية يفعلون ذلك ويؤمنون على ما يقولون فقال لهم وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون على طرح لا اي ما يدريكم انها اذا جاءت يؤمنون ويحتمل فيه وجها على الاضمار كانه قال وما يشعركم فاعلموا انها اذا جاءت لا يؤمنون على الوقف في قوله وما يشعركم ثم ابتدا فقال اعلموا انها جاءت لا يؤمنون وهذا كانه اقرب ويحتمل وجها آخر وهو ان اهل الاسلام قالوا انهم وان جاءتهم آية لا يؤمنون فقال عند ذلك وما يشعركم خاطب به هؤلاء انها اذا جاءت لا يؤمنون والثاني انهم وان آمنوا اذا جاءت فنقلبا افئدتهم من بعد وعلى هذا التأويل ان نخلق تقلبا في افئدتهم وابصارهم كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي خلق زيغ قلوبهم فكذلك الاول وقوله عز وجل ونقلب افئدتهم وابصارهم اي نقلبا في افئدتهم وابصارهم بالحجج والآيات وتردها فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة وقال اهل التاويل ونقلب افئدتهم وابصارهم اي نحول بينهم وبين الايمان لو جاءتهم تلك الآية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الايمان اول مرة ويحتمل وجها آخر وهو ان نقلب في افئدتهم وابصارهم آيات وحدانيته والوهيته فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة ثم تخصيص الافئدة والابصار دون غيرهم من الجوارح لان القلب والبصر لا يقع الا على ما يشهد كل على وحدانية الله والوهيته وقوله عز وجل كما لم يؤمنوا به اول مرة قال بعضهم ان هؤلاء وان جاءتهم آية فانهم لا يؤمنون كما لم يؤمن من اوايلهم من الامم الخالية لما سالوا الآيات قبلهم فكذلك

هؤلاء لا يؤمنون بها وان جاءتهم الآية بعد السؤال وقال غيرهم قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة اي قد جاءتهم آيات قبل هذا على غير سؤال فلم يؤمنوا بها فكذلك وان جاءتهم بالسؤال فلا يؤمنون ويحتمل وجها آخر وهو ان مشركي العرب كانوا يقسمون بالله انه ان جاءهم نذير يؤمنون به وهو قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم يعنون والله اعلم اليهود والنصارى اي لو جاءهم نذير ليكونوا اهدى من اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا يخبر انهم كما لم يؤمنوا بالنذير عند سؤالهم النذير في الابتداء اذا جاءهم نذير فكذلك ايضا لا يؤمنون عند سؤالهم الآيات وان جاءتهم آيات يخبر نبيه انهم ليسوا يسألون الآيات سؤال استرشاد ولكن يسألون سؤال عناد ومكابرة وهذا التأويل كانه اقرب وقوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون اذا علم انهم لا يؤمنون تركهم في ظلمات ضلالتهم يعمهون ويتحيرون والعمه الحيرة في اللغة وقوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى قيل هذه الآية صلة قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الى قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ثم قال ولو اننا نزلنا الآية اخبر انهم وان نزل اليهم الآيات بعد السؤال عنهم الآيات من انزال الملائكة وتكليم الموتى انهم لا يؤمنون اذ سؤالهم الآيات سؤال تعنت واستهزاء وعناد لا سؤال استرشاد لانهم قد جاءتهم آيات لو لم يعاندوا لآمنوا ثم اعلم منهم انهم لا يؤمنون وان ما يسألون من الآيات انما يسألون سؤال تعنت وعناد جعل فيهم خصالا على الخذلان من نحو قساوة القلب حتى اخبر ان قلوبهم اقسى من الحجارة ومن نحو البغض والجهالة وغير ذلك من الخصال ما يدل على ما ذكرنا وهو كقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يخبر عن تعنتهم ومكابرتهم وفيه دليل ان الآيات لا يضطر اهلها على الايمان لانه قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا لانه لو كانت آية تضطرهم الى الايمان لكانت هذه وهذا يدل على ان معنى قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين انهم لا يؤمنون بالآية ولكن اذا شاء ان يؤمنوا لآمنوا ولو كانت الآيات تضطر اهلها الى الايمان به لكان لا آية اعظم من القيامة ولا ابين منها ثم اخبر عنهم انهم لو ردوا لعادوا وانما بهوا عنه وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قد كذبوا عند معاينتهم القيامة والعذاب فهذا يدل على ان الآية لا يضطر اهلها على الايمان بها ويدل ان تأويل قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين انهم يخضعون اذا شاء ان يخضعوا الا ان الآية تضطرهم على الخضوع بالدلائل التي ذكرنا وقوله عز وجل الا ان يشاء الله قال الحسن هذه المشية مشية القدرة اي لو شاء الله ان يعجزهم حتى يؤمنوا وهو كقوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ولو نشاء لمسخناهم ونحوه فهذه المشية مشية القدرة لكنا نقول انه اخبر الله لو شاء ان يمسخهم لمسخهم فقل ايضا انه لو شاء ان يهديهم لهداهم ولو شاء ان يهتدوا لاهتدوا وكذلك يقول المعتزلة ان المشية هاهنا مشية القهر والجبر وقد ذكرنا ان لا يكون في حال القهر والجبر ايمان فيصير على قولهم الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فآمنوا فلا يكون ايمانا وقوله عز وجل وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اختلف في تلاوته وتأويله عن الحسن قال قبلا عيانا وعن قتادة كذلك قبلا عيانا حتى يعاينوا ذلك معاينة ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهو على ما ذكرنا الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فيؤمنوا وعن مجاهد قبلا اي افواجا قبيلا وفي حرف ابي عمرو بن العلاء وحشرنا عليهم كل شيء قبلا يقول جبلا جبلا وفي حرف ابي قبلا اي قبيلة قبيلة وقال القتبي قبلا اي جماعة جماعة وقبيلا اي اصنافا ويقال القبيل الكفيل كقوله او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي ضمنا كفلا قال الكسائي من قراها قبلا فقد تكون جميع القبيل مثل الجبيل والجبل وقد يكون القبل ايضا من معنى الاقبال كقوله من قبل ومن دبر ومن قراها قبلا اراد معاينة وقال ابو عوسجة كل شيء قبلا يقال اتانا الناس قبلا اي كلهم وقبلا من المقابلة وتأويله ما ذكرنا ان لو فعلنا هذا كله من انزال الملائكة اليهم وتكليم الموتى اياهم وحشرنا عليهم كل شيء قبلا

فاخبرهم بالذي يقول محمد انه حق ما كانوا ليؤمنوا به الا ان يشاء الله لهم ان يعرضوا فحينئذ يؤمنون الايمان
فيؤمنوا وفيه ما ذكرنا من الدلايل ان الايات لا تضطر اهلها الى الايمان بها الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فحينئذ يؤمنون
وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون اي لكن اكثرهم لا ينتفعون بعلمهم وقوله عز وجل وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا قيل كما جعلنا لكل نبي من قبل عدوا كذلك نجعل لك عدوا ويحتمل ان يكون صلة قوله ونقلب
افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة كذلك جعلنا لكل نبي عدوا ثم قوله جعلنا لكل نبي عدوا قال الحسن
ان من حكم الله ان يبعث رسلا وان كل من اتبع رسله يكون وليا له ومن عصى رسوله يكون عدوا له هذا حكمه
في الكل وقال جعفر بن حرب والكعبي وغيرهم من المعتزلة ان قوله جعلنا اي خلينا بينهم اي بين ما اختاروا
من الكفر والعداوة يقال جعل فلان كذا اذا كان مسلطا على ذلك وهو يقدر ان يمنعه عن ذلك ويصير التأويل
على قول المعتزلة اي لم يجعل لكل نبي عدوا ولكنهم جعلوا انفسهم اعداء لكل نبي وقلنا نحن ان قوله جعلنا لكل نبي
عدوا اي خلقنا لكل نبي عداوة كل عدو والجعل من الله هو الخلق كقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقوله
وجعلنا الليل والنهار ايتين وقوله جعل لكم الارض مهادا كل جعل اضيف الى الله فهو خلق فعلى ذلك قوله
وكذلك جعلنا لكل نبي عداوة كل عدو ولو كان الحكم على ما قال الحسن وما قال اولئك من التخلية لكان يجوز
ان يضاف فعل الكفر وفعل الضلال الى الله وذلك بعيد والثاني لم يوفقهم فعل الولاية لما علم منهم انهم
يختارون فعل العداوة على فعل الولاية وقوله عز وجل شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا اختلف فيه قال بعضهم الشياطين كلهم تكون من الجن ثم انهم يوحون الى الانس فيكونونهم الذين
يدعون الخلق الى معصية الله فيكون من الجن وحيا الى الانس ومن الانس الى الخلق قولا ودعاء وقال بعضهم تكون
من الجن شياطين ومن الانس شياطين يدعوا شياطين الجن الى معصية الله والكفر به ويدعوا شياطين الانس
الانس الى ذلك يدعوا كل فريق قومه الى معصية الله وهكذا كل من دعا اخر الى معصية الله فهو شيطان وكذلك كبراء
الكفرة ورؤساؤهم الذين كانوا يدعون اتباعهم وسفلتهم الى الكفر والضلال بالله فهم شياطينهم الا ترى
انه قال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله
قالت اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وغيره من الايات ان كل من دعا
غيره الى المعصية والكفر به فهو شيطان والشيطان هو البعيد من رحمة الله شطن اي بعد وقيل ان ابليس
وكل شياطينا بالانس يضلونهم ويدعونهم الى معصية الله ووكل شياطينا بالجن يضلونهم وهو تأويل الاول
وقوله عز وجل يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اي يزين بعضهم لبعض القول غرورا يغرون به
وقال القتبي رحمه الله زخرف القول غرورا ما زين منه وحسن وموه وقال واصل الزخرف الذهب يقال
زخرفت الشيء اي حسنته قال ابو عوسجة الوحي ان يحي بعينه او بشفتيه وهي اشارة وقوله عز وجل
ولو شاء ربك ما فعلوه قال بعضهم لو شاء ربك خلقهم خلقا لم يركب الشهوات والحاجات حتى اطاعوه ولم يعصوا
كما خلق الملائكة لم يركب فيهم الشهوات والحاجات والاماني فلم يعصوا وقالت المعتزلة لو شاء ربك لاعجزهم
وقهرهم حتى لا يقدروا على معصية الله والكفر به فامنوا واهتدوا وانه لو شاء ربك لهداهم فاهتدوا ولكن لما علم منهم
انهم يختارون الضلال على الهدى شاء ان لا يهديهم وقد ذكرنا قبح تأويلهم الاية في غير موضع وقوله عز وجل
فذرهم وما يفترون هذا يخرج على الوعيد لهم كقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا وكقوله اعملوا ما شئتم انه كذا
اي ذرهم وما يختارون فانك تراهم في العذاب وقوله عز وجل ولتصغى اليه افئدة الذين قيل ولتميل قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة الى زخرف القول الذي كان يوحي ويلقي شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض
وليرضوه لما كان الذي اوحى والقى بعضهم الى بعض من زخرف القول الذي يوافق هواهم وكل من ظفر بما يوافق
هواه فانه يرضى به كقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها لانهم كانوا لا يؤمنون

بالآخرة

بالآخرة ولا يرجون لقاءه وكان همتهم هذه الدنيا ورضوا بها واطمأنوا بها ويحتمل قوله ولتصغى اليه اي
الى الكتاب افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة اي ليس ميل قبول منهم له ولكن ميل طلب الطعن فيه وهكذا كانت
همة اولئك الكفرة وعادتهم طلب الطعن فيه والاول اشبه ثم ان كان زخرف القول الذي اوحى بعضهم الى بعض من كبرائهم
وعظمائهم فقد اشرك تعالى هؤلاء واولئك في الكذب بالذي كان منهم كان من الكبراء الدعاء الى ذلك ومن الاتباع
الرضى والاجابة وكان منهم التزيين والزخرفة ومن الاتباع القبول والرضاء به فقد اشركوا جميعا في ذلك
الكذب كالقول الغرور وقوله عز وجل وليقترفوا ما هم مقترفون اختلف فيه قال قائلون قوله وليقترفوا
يعني هؤلاء الاتباع ما هم مقترفون اي ليكتسبوا هؤلاء الاتباع من الكذب ما كان اولئك يكتسبون من الكذب
وقيل وليقترفوا اولئك المتبوعين من الكذب ما هم يعني هؤلاء الاتباع مقترفون من القول الغرور والزخرف
ثم اختلف في الاقتراف قال بعضهم الاكتساب باكتساب كل شيء وقال قائلون الاقتراف هو موافقة الذنب
والاثم والله اعلم وقوله عز وجل افغير الله ابتغي حكما كان اولئك الكفرة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى حكم يحكم بينهم في منازعة وقعت بينهم اما في الرسالة واما في الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افغير الله ابتغي حكما ثم بين فقال وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا يقول كيف ابتغي حكما غير الله وهو
الذي انزل الكتاب مفصلا ما تعلمون انه من عند الله نزل لما عجز الخلايق عن اتيان مثله ثم اختلف في قوله
مفصلا بالحجج والبراهين ما يعرف كل عاقل بكل يعقله انه من عند الله نزل وقيل مفصلا بالامر والنهي والتحليل
والتحريم فيقول كيف ابتغي حكما غير ما انزل الله وقد انزل كتابا مفصلا مبينا فيه ما يحل وما يحرم وما يؤتى وما يتقى
فلا حاجة تقع الى غير الله وقيل مفصلا بالوعد والوعيد وما يكون له عاقبة لان العمل الذي يكون للعاقبة
يكون فيه وعد ووعيد وقيل مفصلا مفرقا اي انزله بالتفاريق لم ينزله مجموعا جملة ما يقع بمسامع كل احد علم
ذلك وبيانه فاني يقع لي الحاجة الى حكم غيره وقوله عز وجل والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
اختلف فيه قيل الذين اتيناهم الكتاب اي اهل التورية والانجيل يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقيل الذين
اتيناهم الكتاب يعني من اعطي هذا الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق لما عجزوا عن اتيان مثله وتاليفه
وقوله عز وجل فلا تكونن من الممترين يحتمل لا تكونن انهم قد غيروا ما في كتابهم من الاحكام ومن نعتك
ومفتك ويحتمل فلا تكونن من الممترين انه من عند الله نزل مع علمه ان رسوله لا يكون من الممترين ليعلم الخلق
انه اذا نهى رسوله عن مثل هذا فغيره احق وان يخاطب من طلب حكم غيره يقول لا تكونن من الممترين انه من عند الله
نزل وقوله عز وجل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا قيل صدقا في الانباء والوعد وعدلا في الاحكام تمت انباؤه
بالصدق واحكامه بالعدل حتى يعرف كل احد صدق انبائه وعدل احكامه وقيل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا بالحجج
والبراهين لما يعرف كل من تامل فيها ونظر صدقها وعدلها انها من الله وقوله عز وجل لا مبدل لكلماته هذا
تفسير التمام انها تمت تماما لا يرد عليها النقص ولا الجور ولا الخلف ليس ككلمات الخلق انها تبدل وتنقص وتمنع
لما يكون فيها من النقصان والفساد فانها تبدل وتنقص ويعجزون عن وفاء ما وعدوا ويمنعون عن ذلك
فالله تعالى يتعالى عن ان يبدل كلماته او يمنع عن وفاء ما وعد وابناء اذ يجوز في حكمه ويجوز ان يستدل بقوله
وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لقول اصحابنا حيث قالوا من قال لامرأته انت طالق اتم الطلاق واعدل
الطلاق فانه يقع بما وافق السنة ليس يرجع ذلك الى التمام الى العدد لانه اخبر ان تمت كلمته صدقا وعدلا
والموافقة للسنة هو الحق وهو العدل ويحتمل لا مبدل لكلماته اي لا مبدل لوعده ووعيده يكون ما وعد
واوعد ويحتمل لا مبدل لحججه وبراهينه وقوله عز وجل وهو السميع اي السميع بما القى الشيطان واوحى
بعضهم الى البعض العليم بافعال هؤلاء واجابتهم اياهم واهل التأويل يصرفون الى الخاص من القول بعضهم
يقولون ان قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال آخرون

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه اهل الكفر الى عبادة الاوثان ولكن هو يرجع والله اعلم الى كل مناء
ووعد ووعيد وكل خبر يخبر وقوله عز وجل ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله في الآية دلالة
ان اكثر اهل الارض كانوا ضلالا وعباد الاوثان والاصنام لانه قال اكثر من في الارض وقوله عز وجل
يضلوك لانهم الى الضلال كانوا يدعونه ثم الخطاب وان كان لرسول الله في الظاهر فهو لكل مؤمن انه معلوم
ان رسوله لا يطيعهم فيما يدعونهم الى عبادة الاوثان في الارض وفيه ان في الارض كان من يعبد الله
وكان على دين الانبياء والرسل وقوله عز وجل وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ذكر
في القصة ان اهل الكفر دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة الاوثان ويقولون انهم يعبدون الله
في الحقيقة كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كانهم يعبدون
الاوثان ويرتكبون الفواحش ويقولون الله امرنا بها فاخبر رسوله انك لو اطعت هؤلاء الى ما يدعونك
من عبادة هذه الاصنام الاضلوك يظنون كقوله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ما هم الا يكذبون
على الله في قولهم ان ذلك يقربهم الى الله زلفى وقولهم امرنا بها وقوله عز وجل ان ربك هو اعلم بمن يضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعلم من يزيغ ويضل عن سبيله ويعلم من يهتدي به وفي قوله ان ربك هو اعلم
بمن يضل عن سبيله دلالة انه على علم منه بالضلال والتكذيب بعث الرسل اليهم وارسل الكتب لا عن جهل
منه لكن صار بعث ما بعث من الرسل والكتب اليهم حكمة على علم منه بما يكون منهم لانه انما يبعث لمكان المرسل اليهم
ولحاجتهم وقوله عز وجل فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين صرف اهل التأويل الآية الى اهل
الكفر وقالوا ما بالكم تأكلون ذبائحكم التي ذبحتم ولا تأكلوا ما ذبح الله وذكاه صرفوا الخطاب به الى اهل الشرك
والاشبه ان يصرف الخطاب به الى اهل الاسلام لانه ذكر في آخره ان كنتم بآياته مؤمنين ومثل هذا
لا يذكر في اهل الشرك انما ذكر الخطاب باهل الاسلام كقوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وقوله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ونحوه من الآيات فعلى ذلك
الاشبه ان يصرف الخطاب بها الى اهل الاسلام كان قوما من اهل الاسلام منعوا انفسهم عن التناول من هذه
الذبائح واللحوم فنهوا عن ذلك نحو ما روي في بعض القصة ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا
ان يخصوا انفسهم وان لا يعطوا انفسهم شهواتهم وان لا يتناولوا من الطيبات فنهوا عن ذلك وقيل فيهم
نزل قوله يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم فيشبه ان يكون قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
فيهم اولما علم ان قوما من المتقشفة والمترصدة يحرمون ذلك على انفسهم فنهوا عن ذلك فان كان ما قال
اهل التأويل فهو والله اعلم كانه قال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين بما تعلمون للخلق
والامر له وقد انشأ لكم من الآيات ما تعلمون ذلك فكيف تحرمون مما ذكر اسم الله عليه ثم امر باكل ما ذكر اسم الله
عليه وعاتب عن ترك الاكل مما ذكر اسم الله عليه بقوله وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولم يبين بم
وباي وجه بالذبح او بغيره وكذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولم يبين
من اي وجه لكن الناس اتفقوا على صرف ذلك الى الذبح فكان الذبح مضمرا فيه كانه قال فكلوا مما ذبح بذكر
اسم الله عليه وما لكم الا تأكلوا مما ذبح بذكر اسم الله عليه ثم لا يخلوا اتفاقهم بمعرفة ذلك اما ان عرفوا ذلك بالسماع
من رسول الله او عرفوا ذلك بنوازل لانه ليس في الآية بيان ذلك فكيف ما كان ففيه دلالة نقض قول من يقول
بان من عرف نوازل الاحكام او كان عنده رواية فترك روايته يفسق لانه لم يذكرها النوازل ولا السماع
دل انه لا يفسق او كان قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ذكر لمكان قول الثنوية لانهم يحرمون الذبائح ويقولون
ليس من الحكمة ايلام من لا ذنب له او ذكر لمكان قول من يقول بانكم اكلتم ما تذبحون بايديكم ولا تأكلون ما تولى
الله قتله ثم قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق اباح عز وجل

من الانعام ما ذكر اسم الله عليه وحظر ما لم يذكر اسم الله عليه ونهى عن اكله بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه وبقوله وما اهل لغير الله به جعل المهل لغير الله ميتة حراما وجعل المذكور اسم الله عليه ذكيا حلالا كان
ان التسمية شرطا في حل الذبيحة لانه لو لم يكن شرطا في حل الذبيحة لم يكن المهل به لغير اسم الله ميتة حراما ولانه سمى
ما لم يذكر اسم الله عليه فسقا والفسق هو الخروج عن امر الله كقوله ففسق عن امر ربه اي خرج فدل ان التسمية شرط فيها
ولهذا ما يحل لنا ذبائح اهل الكتاب اذا سمعناهم يذكرون اسم الله عليه وان كانوا لا يذكرون في الحقيقة غير الله لانهم
لا يعرفون الله حقيقة ولكن اذا ذكروا اسم الله عليه يحل لنا ولا يحل ذبائح اهل الشرك لان اهل الشرك
لا يرون الذبائح راسا يذهبون مذهب الزنادقة والزنادقة لا يرون الذبائح يقولون لنا انكم تقولون ان ربكم رحيم
حكيم وليس من الحكمة والرحمة ان يأمر احدا ان يذبح آخر ويقتله فيأكلون الميتة ولا يرون اكل الذبيحة ويقولون
ليس هذا امر من كان موصوفا بالرحمة او بالحكمة لكنا نقول ان كراهة الذبح والنفور عنه نفور طبع وكراهة كراهة
طبع لا كراهة العقل فما يكرهه الطبع وينفر عنه يجوز ان يباح لما يعقب نفعا في المتعقب نحو ما يباح الافتصاد
والحجامة والتداوي بادوية كريهة لنفع يعقب ويتأمل وان كان الطبع يكرهه وينفر عنه وليس هو مما يقبحه العقل
انما لا يجوز ان يباح فعل ويؤمر به مما يقبحه العقل ويكرهه العقل واما كراهة الطبع ونفوره يجوز ان يباح
لما ذكرنا وترتفع ذلك بالعبادة فعلى ذلك الذبيحة كراهته كراهة الطبع لا كراهة العقل ونفوره والثاني
ان هذه الاشياء انما خلق لنا وسخر لنا فيها لم يخلق لانفسها فاذا كان كذلك يحل لنا ذبحها والتناول منها
بامر الذي انشأها لنا فينشأ وسخر لنا وبعد فان من مذهبهم ان العالم انما كان بامتزاج النور والظلمة
والروح من النوراني والجسم من الظلماني ففي الذبح استخراج الروح ورده الى اصله اذ من قولهم انه يرجع
كل الى اصله في العاقبة على ما كان في الاول واما الجواب ما قاله اهل الشرك اكلتم ما ذبحتم انتم وتركتم ذبيحة الله
وجهان احدهما ما قاله اهل التأويل ان الخالق له وله الحكم عليهم واحل لهم هذا وحرم عليهم هذا والثاني
تعبد بان يذكر اسمه عليها فصار اسم الله اقامة عبادة تعبد بها وفيما لم يذكر لم يكن عبادة كذلك حل لنا ما كان فيه
اقامة عبادة ولم يحل لنا ما لم يكن فيها اقامة عبادة فيها والله اعلم وقوله عز وجل فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هو
في الظاهر امر لكن الامر الذي يرجع الى الشهوات النفس ولذاتها فانه يخرج على وجهين اما ان يخرج على بيان ما يحل
والنهي عما لا يحل فهاهنا خرج على بيان ما يحل وتحريم ما لا يحل كانه قال كلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه وقوله عز وجل وقد فصل لكم ما حرم عليكم هو صلة قوله وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله
عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي ما لكم ان لا تأكلوا كذا وقد بين لكم ما حرم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير
الا ما اضطررتم اليه لان اهل الشرك والزنادقة كانوا لا يرون اكل الذبيح ويأكلون الميتة والدم فلهم خرج
الخطاب ما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد بين لكم ما حرم عليكم وهو الميتة والدم الا ما اضطررتم اليه قال
الحسن له ان يتناول من الميتة حتى يشبع لانه احل له التناول وعلى قولنا لا يحل له الشبع لانه انما احل عند
الاضطرار وهو غير مضطر الى الشبع ويقول الحسن لو ترك التناول منها حتى هلك لا شيء عليه يقول لانه انما احله
رخصة ورحمة وليس على من لم يعمل بالرخص اثم ولكن عندنا انها ابيحت في حال الاضطرار فاذا ترك التناول
منها حتى هلك صار ملقيا نفسه في التهلكة وقد حرم الله علينا ان نهلك انفسنا او نلقيها في التهلكة بقوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة ولا فرق بين ترك التناول من الميتة وقد احل لنا التناول منها حتى مات وبين ترك التناول
من غيره من الاطعمة المحللة او يأتي باسباب تلاف النفس فيما سواه ويقول ايضا له ان يتناول عند الاضطرار
من مال غيره بلا بدل واذا نهى صاحبه عن ذلك يضمن بدل ذلك بالغا ما بلغ فهذا بعيد لا يجوز ان يتناول
من مال غيره ولا يلزمه البدل واذا نهاه عن ذلك يلزمه البدل لانه من كان له حق التناول من مال آخر بغير بدل
ثم اذا نهى ومنع يلزمه البدل دل انه ليس له التناول الا ببدل وقد ذكرناه هنا وقوله عز وجل وان كثيرا ليضلون

با هوائهم بغير علم دل هذا على ان الكل منهم لم يكونوا يضلون ولكن البعض هم الائمة منهم والرؤساء لان الاتباع منهم كانوا لا يضلون الناس انما كانوا يضلون الكبراء منهم والعظماء ان ربك هو اعلم بالمعتدين قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم وباطنه اختلف فيه قيل وذروا الاثم بظاهر الجوارح وباطنها ظاهر الجوارح من نحو اليد والرجل واللسان والعين وباطن الجوارح القلوب والضماير وقيل ذروا الاثم في ملاء من الخلق وفي الخلاء منهم وقيل ظاهر الاثم ما ذكرنا وباطنه الزنا قال ابو بكر الكيسانى الزنا لا يحتمل هاهنا لان الاية في ذكر ما يحل من الاطعمة وما لا يحل ولكن يجوز ان يبتدئ النهى عن الزنا وان كان اول الاية في ذكر الاطعمة ويصير قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه كانه قال وذروا المآثم كلها ما ظهر منها وما بطن وقوله عز وجل ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون لا يتركون وما عملوا ولكن يجزون جزاء ما عملوا من الاثم وهو وعيد وقوله عز وجل يكسبون الاثم ويصيرون عليه ولا يتوبون ولا ينقلبون عنه حتى ماتوا على ذلك سيجزون بما ذكر وقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال بعضهم هو الميتة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال بعضهم هو ما اهل به لغير الله وقلنا نحن هو ما لم يذكر اسم الله عليه لان الله قد صرح بتحريم الميتة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم وصرح به بتحريم ما احل لغير الله به بقوله وما اهل لغير الله به بتصريح تحريم في غير هذا الموضع رجع هذا الخطاب الى تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه وكذلك صرح بتحريم الميتة وما اهل لغير الله به بقوله قل لا اجد فيما اوحي الى محرما الاية فقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الى محرما كان لا يجد في ذلك الوقت ثم وجد ما لم يذكر اسم الله عليه محرما في حادث الوقت وكذلك وجد كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير محرما في حادث الوقت كان لا يجد في ذلك الاوقات محرما الا ما ذكر ثم وجد اشياء محرمة من بعد وقال بعضهم من اهل التاويل نزل قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حين قالوا ما قتلتم وذبحتم انتم فتاكلونه وما قتل ربكم فتحرمونه وانتم تعظمون ربكم وهو من زخرف القول الذي يوحي بعضهم الى بعض وما ذكر وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم لكنا نقول ان ما ذبح وقتل هو ذبيح بالله وقتيل به ايضا فقد اذن لنا باكل بعض الذبيح وحرم اكل بعض ولله ان يفعل ذلك له ان ياذن في اكل بعض وتحريم اكل بعض على ما اذن لنا في اكل بعض ما خلق الله من الانعام ولم ياذن في اكل بعض فعلى ذلك قد اذن في اكل بعض ما ذبح به وقتل ولم ياذن في بعض وهو كله ذبيح بالله وقتيل به وله ذلك والثاني ان الخلق كله له ملكه ولا يقال لاحد في ملكه لم فعلت ذا ولم تفعل انما يقال ذلك في غير ملكه كشريك يقول لشريكه لم تعطني حقي ولم توفر على نصيبي فاما ان يقول في ذي ملك في ملكه فلا والثالث ما ذكرنا انه تعبدنا بذكر اسم الله عليه اقامة عبادة لذلك لم يجز هذا وقوله عز وجل وانه لفسق اخبر انه ما لم يذكر اسم الله عليه فسق كما اخبر التناول من الميتة وما اهل لغير الله به فسق والفسق هو الخروج عن امر الله والذي ترك اسم الله عليه خارج عن امر الله تعالى كالميتة التي ذكرنا فان قال قايل ان قول الله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فكيف يجوز لكم ان تطلقوا اكل الذبيحة اذا ترك ذكر اسم الله عليه ناسيا لان الذبايح انما هي من عمل القصابين والصبيان فهم لم يعودوا انفسهم ذكر اسم الله حتى يؤاخذون بها على حفظ ذلك وهذا اصلنا ان من لم يعود نفسه فلا يعذر في تركه وارتكابه في حال السهو والنسيان كالاكل في شهر رمضان ناسيا لانه عود نفسه الاكل والشرب فالصوم هو الكف عما اعتاد فعذر في التناول منه والعود الى العادة على السهو لانه لا يشتد على الناس حفظ النفس على خلاف العادة ولان الله تعالى قال وانه لفسق ولا خلاف في ان من نسي ان يسمي الله على ذبيحته فليس بفاسق وانما يفسق من تركها عامدا فدل ان الخطاب بالاية رجع الى الذبيحة التي تركت التسمية عمدا فان قيل اليس يجوز ان يكون قوله وانه لفسق يريد به ان الذي ياكل منها اذا لم يسم الله عليها عامدا او ساهيا فاسق وان كان هذا هو التاويل في الاية على الكل قيل له الدليل على ان قوله وانه لفسق اشارة الى الذبيح الذي ترك اسم الله عليه عمدا دون ان يكون ذلك اشارة الى الاكل من تلك الذبيحة فسق قول الله تعالى قل لا اجد

فيما اوحى

فيما اوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فكان الاهلال بالذبيحة لغير الله فسقا لمن فعله فوجب ان يكون ترك اسم الله على الذبيحة فسقا ممن تعمد وذلك يوجب ان يكون قول الله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه خاصا في المتعمد لترك التسمية فان قيل كيف لم يجعلوا تارك التسمية ناسيا كتاركها عامدا كما قلتم في التكبيرة الاولى في الصلوة ان عمده وسهوه سواء قيل من قبل ان الذبيحة اذا تعمد صاحبها ترك التسمية عليها انما حرمت بنص القرآن لانه فسق فقلنا متى زال الفسق عن الذابح زال التحريم عن الذبيحة لان التحريم انما وقع لعلة فزالت العلة زال التحريم ولم نقل ان صلوة التارك للتكبيرة الاولى فسدت صلوته لانه فسق بتركها التكبيرة عامدا فيلزمنا ان نفرق بين سهوها وعمدها بل فسدت صلوته لانه صلى بغير تكبير فالتارك للتكبير عامدا او ساهيا تارك فهما سواء وروي في الخبر ما يؤيد ما قلنا روي عن راشد ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال سمى او لم يسم ما لم يتعمد وعن ابن عباس رضي الله عنه في رجل ذبح ونسي ان يذكر اسم الله قال اسم الله في قلب كل مسلم فلياكل وقوله عز وجل وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم اهل التاويل صرفوا تاويل هذا الى ان زخرف القول الذي يوحي بعضهم الى بعض في الاية الاولى هو مجادلتهم في الذبيحة حيث قالوا ما قتلتم بايديكم فتاكلونه وما قتل الله فلا تاكلونه يعنون فتلك مجادلتهم اياهم ولكن يجادلون في هذا وحدانية الله تعالى وفي اثبات الرسالة والبعث بعد الموت وفي كل شيء حيث قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون فاخبر انهم لو اطاعوهم انهم لمشركون اي لو اطعتموهم فيما يجادلونكم ويوحون اليهم انكم لمشركون وقوله عز وجل او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يشبه ان يكون المثل الذي ضرب الله للمؤمن والكافر في الاية ان من كان في ظلمات البطن لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل شيئا ثم اخرج من ذلك فابصر وسمع وعقل كمن ترك في تلك الظلمات ولم يخرج منها لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل يقول والله اعلم لا يستوي من اخرج من ظلمات البطن بعد ما كان لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يفهم ثم ابصر وسمع وعقل والذي ترك في تلك الظلمات على الحال التي كان كما هو لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل فعلى ذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق ويسمع ويعقل كل خير ويعمله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني اصحاب يدعون الناس الى الهدى والخير والكافر لا يبصر الخير ولا يسمع ولا يعقل ليس له اصحاب يدعونه الى الهدى والخيرات ليس هذا كذلك الذي يبصر ويسمع ويعقل كالذي لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل وجايز ان يكون المثل الذي ضرب ان يكون المؤمن والكافر جميعا حيين في الجوهر لكن المؤمن اكتسب ما به يحيى بدوام العلم والقرآن والايمان والكافر لم يكتسب من ذلك شيئا فهو كالميت الذي لا يبصر ولا يسمع الحق ولا يعقل ويحتمل هذا المثل وجها آخر وهو ان المؤمن يكتسب في الدنيا الخيرات والاعمال الصالحة ويكون له نور في الاخرة بالاعمال التي اكتسب في الدنيا ويمشي بنور ذلك فيما بين الناس في الاخرة واما الكافر فانه لم يكتسب من ذلك شيئا فيبقى في الظلمات كقوله قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقوله عز وجل وجعلنا له نورا يمشي به في الناس والمعتزلة يقولون هم جعلوا لانفسهم نورا يمشون في الناس وقد اخبر انه هو الذي يجعل لهم ذلك النور فذلك تحريف منهم ظاهر القرآن وكذلك قوله وهو على كل شيء قدير وهم يقولون هو قدير على بعض الاشياء وقال خالق كل شيء وهم يقولون هو خالق بعض الاشياء وقال ولو شاء الله ما فعلوه وهم يقولون شاء ان لا يفعلوا ما فعلوا ولكن فعلوا غير ما شاء الله وكذلك قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وهم يقولون شاء غير الذي فعلوا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وهم يقولون هو لم يجعل لكل نبي عدوا وهم جعلوا انفسهم لهم اعداء وكذلك قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وهم يقولون جعل الاكابر فيها ليلا يمكروا فيها وقوله عز وجل كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اختلف فيه قال بعضهم كما زينا للمؤمنين عبادة الله كذلك زينا للكافرين عبادة الله لكنهم تعاندوا وصرفوا العبادة الى غير الله وهو تاويل المعتزلة وقال قايلون زين لهم اعمالهم التي يعملونها ثم اختلف في الذي زينها قال الحسن

زينها الشيطان اعمالهم وقال غيره زينها الاكابر على الاصاغر قال قايلون زينها الله ولكن ما اضيف الى الشيطان من التزيين والاضلال انما يضاف الى ما يدعوهم ويحثهم على ذلك ويوحي اليهم وما يضاف الى الاكابر للقول والدعاء الى ذلك وما يضاف الى الله من التزيين والاضلال والازاغة وغير ذلك يضاف للخالق اى خلق منهم فعل الضلال وفعل التزيين وفعل الزيغ يضاف الى الله خلقا والى الشيطان والاكابر دعاءً ووحياً والقاء على هذا يخرج جمع الاضافات والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها اى جعل في كل قرية من اهل الكفر اكابر مجرميها وعظماها كما جعل في قريتك اكابر مجرميها يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليعلم انه ليس بمخصوص هو بهذا دون غيرهم من الانبياء ثم اختلف في قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وقد ذكرنا تاويلهم في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ثم قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها قالت المعتزلة لم يجعل الاكابر فيها ليمكروا فيها ولكن لما وسع الدنيا وبسطها عليهم مكروا فيها وكذلك قالوا في قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لا يجوز ان يخلقهم ولكن لما عملوا اعمال الكفر والضلال صار ولجهنم وقالوا هو على الاضمار كانه قال كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليلا يمكروا ولكنهم مكروا فيها لما ذكرنا لكن قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا ليكون ادعى واظهر للحجج لانه لو كان بعث الرسل اكابر لكان الناس يتبعون الاكابر والم يأتوا بالحجج وغيرهم لا يتبعون الا بالحجج والآيات ومنهم من يقطع قوله ليمكروا فيها عن قوله جعلنا في كل قرية اكابر يقول معناه وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ثم قال ليمكروا فيها اى ما جعل ذلك لهم ليمكروا ومنهم من يقول هو اخبار عما اليه صار امرهم كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا انما التقطوه ليكون لهم وليا لكنه لما صار في العاقبة عدوا لهم اخبر عما آل اليه امره فعلى ذلك قوله ليمكروا فيها اخبر عما اليه صار وامر المكر وعندنا لا يخلو هذا اما ان يقال انه يخلقهم لغير المكر والضلال وهو يعلم انهم لا يكونون لما يخلقهم فذلك ليس فعل حكيم ان يعمل عملا يعلم انه لا يكون نحو من يبني بناء يعلم انه لا يسكن او يقصد قصد موضع يعلم انه لا يصل اليه فهو بالقصد عابث ليس بحكيم فعلى ذلك الله سبحانه لا يجوز ان يخلقهم للهدى والعبادة له مع علمه انهم لا يكونون لما يخلقهم او ان يخلقهم لذلك وهو لا يعلم انهم يكونون كذلك فهو جهل بالعواقب فالله يتعالى عن ذلك فدل انه خلقهم ليكونوا على ما علم انهم يكونون ويختارون ذلك وقوله ليكون لهم عدوا وحزنا كان عند الله انهم يلتقطونه ليكون لهم عدوا وقوله عز وجل وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون اى ما يشعرون ان عاقبة مكرهم ترجع اليهم وواقع بهم واصله ان الله تعالى جعلهم وخلقهم على ما علم منهم انهم يختارون ويكون منهم ذلك وقوله عز وجل واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يخبر عز وجل غاية سفههم وتعنتهم وانهم عن علم بها يعاندون ويتكبرون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم علموا ان ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية وانه رسول حيث قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله وعلموا ان الرسالة لا تجعل الا في المعظم عند الله والمفضل لديه حيث تمنوا انهم لا يؤمنون حتى يؤتون من الآيات مثل ما اوتي رسل الله ولو لم يكن كذلك لم يكونوا كذلك يتمنون ايتاء ما اوتوا الرسل وعلموا ان هذا القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية وحجة وانه من عند الله نزل حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وعلموا ايضا ان الرسالة لا تجعل الا في عظماء من البشر وكبرائهم حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم لكنهم ظنوا انها انما تجعل في العظماء الذين هم عند الخلق عظماء فقال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته فتبينا فتنة تاويلهم وحجاجهم بما ذكرنا من اقرارهم بالرسل والآيات وتفضيلهم على غيرهم من البشر ثم قال الله اعلم حيث يجعل رسالته جملة جواب ما قالوا لولا نزل هذا القرآن على كذا ان يقال انكم عرفتم ان الله عالم قادر فهو اعلم حيث يجعل رسالته ثم اختلف في قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته قال بعضهم جعل الرسالة في اوساط الناس اظهر للحجج وابين من جعلها في اكابر الناس وعظمائهم في الدنيا ولان الناس

مجبولون

252

مجبولون على اتباع الاكابر والاعاظم فلو جعلت الرسالة فيهم لكانت الحجج لا تظهر لانهم جعلوا على اتباعهم واما اوساط الناس في الدنيا وتيرا اذا جعلت فيهم الرسالة لظهرت الحجج والبراهين لانهم لم يجبلوا على اتباع الاوساط من الناس فكان اتباعهم بالحجج والبراهين وقال بعضهم قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته اى لا يجعل الرسالة فيمن يضيع وليس هو باهلها ولا موضعها لانه لو جعل لكان في ذلك تضييع الرسالة وقوله عز وجل سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله اخبر ان من تكبر على رسول الله وعانده يكون له عند الله صغار ومذلة وعذاب شديد بصنيعهم الذي صنعوا وقوله عز وجل فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال نور يقذف فيه فقالوا وهل لذلك علامة قال نعم اذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قالوا يا رسول الله وهل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت فلو ثبت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا انشراح الصدر للاسلام فقليلا ما يوجد على هذا الوصف الا ان يريد به الاعتقاد والتيقن بما ذكر ثم اختلف في تاويله قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا قال بعض اهل التاويل الارادة صفة كل فاعل يفعل على الاختيار كانه قال فمن يهدي الله يشرح صدره للاسلام ويضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقال فريق من المعتزلة من نحو جعفر بن حرب والكعبي وهؤلاء تاويله فمن يرد الله ان يهديه اى من قبل هداية الله في الابتداء شرح الله صدره بعد ذلك بخيرات ثوابا لما قبل من الهداية ومن ترك قبول هداية الله في الابتداء عاقبه الله بضيق صدره عقوبة له في ترك قبول الهداية والا قد اراد الله ان يهدي الخلق كلهم وان يشرح صدورهم للاسلام لكنهم لم يهتدوا وقال فريق منهم فمن يرد الله ان يهديه طريق الجنة في الآخرة شرح صدره في الدنيا للاسلام ومن يرد الله ان يضله طريق الجنة في الآخرة جعل صدره في الدنيا ضيقا حرجا فيقال لهم كذلك هو كما يقولون قد قلتم انه اراد ان يضلهم ثم يقال لهم تقولون انه اراد ان يهدي الخلق كلهم ويشرح صدورهم للاسلام ثم تقولون انه اراد ان يضل طريق الجنة في الآخرة فهذا على زعمكم جور لانه اراد في الدنيا ان يهديهم ويريد في الآخرة ايضا لهم ان يضلهم عن طريق الجنة لا وليتك بعينهم فتناقض قولكم وظاهر الآية يرد قولهم وينقض مذهبهم لانه قال فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره كذا جعلهم على صنفين صنفا اراد منهم ان يهديهم وصنفا اراد ان يضلهم من علم منه انه يختار الهدى ويقبله اراد ان يهديه ويشرح صدره للاسلام ومن علم منه انه يختار الضلال اراد ان يضله ويجعل صدره ضيقا حرجا ولا يجوز ان يريد هو ممن يعلم انه يختار الضلال والعداوة الولاية منه لان ذلك من الضعف ان اراد عداوته وهو يريد ولايته او يريد منه غير الذي علم كونه منه واختياره والمعتزلة يقولون قد اراد ان يهدي الكل لكنهم ارادوا ان لا يهتدوا فلم يهتدوا وغلبت ارادتهم ارادة الله تعالى فذلك وحش من القول سمج فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الحق ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ضيقا حرجا قيل الحرج ضيق الضيق وهو شدة الضيق ووصف قلب المؤمن بالسعة والفسح ووصف الكافر بالضيق والحرج وليس قلب هذا في راي العين اوسع من قلب الآخر لكنه والله اعلم وصف قلب المؤمن بالسعة لما انتفع بقلبه في الدنيا والآخرة والكافر لم ينتفع بقلبه فوصفه بالضيق والحرج وهو كما وصف الكافر بالصمم والبكم والخرس لما لا ينتفع بهذه الحواس وكذلك سماه ميتا لما لم ينتفع بحيوته وسمى المؤمن حيا لما انتفع بحيوته فعلى ذلك هذا وصف الكافر بضيق الصدر لما لم ينتفع به وقوله عز وجل كانما يصعد في السماء قيل كالمتكلف للصعود الى السماء لا يقدر عليه وقيل كانما يصعد في السماء كانما يشق عليه الصعود وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال ما تصعد في شيء ما تصعد في الخطبة اى ما شق على شيء ما شق على الخطبة وقوله عز وجل كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون اختلف في الرجس قيل الرجس الاثم اى كما جعل قلوبهم

ضيقة حرجة بكفرهم كذلك يجعل في قلوبهم الاثم وقيل الرجس اللعن والغضب اى يجعل في قلوبهم اللعن
والغضب دليله قوله قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب وقوله عز وجل وهذا صراط ربك مستقيما
لم يشر بهذا الى شئ لكن يحتمل قوله هذا الاسلام الذى سبق ذكره انه يشرح به صدر المؤمن ويحتمل قوله هذا
صراط ربك الذى يدعى اليه الخلق وهو التوحيد وقوله عز وجل قد فصلنا اى بينا واقمنا دلايل التوحيد
وحججه وقد ذكرنا لقوم يذكرون اى لقوم يتعظون بالمواعظ ويحتمل لقوم يقبلون الدلايل والحجج ولا يكابرون
وقوله عز وجل لهم دار السلام عند ربهم يحتمل السلام اسم الجنة لهم الجنة كقوله والله يدعوا الى دار
السلام ويحتمل السلام هو اسم الله اى لهم دار الله وهى الجنة وقوله عز وجل وهو وليهم بما كانوا يعملون
قيل وهو اولى بهم اى اولى بالمؤمنين كقوله فالله اولى بهما ويحتمل قوله وهو وليهم اى حافظهم وناصرهم وقد ذكرنا
فيما تقدم يصعد ويصاعد ويصعد كله لغات والمعنى واحد والضيق قال الكسائى الضيق من الضيق فى المكان
فاما فى الامر فانه الضيق ومنه قوله ولا تك فى ضيق مما يمكرون واما قوله حرجا فيه لغتان حرج وحرج قال القتبى
الحرج الذى ضاق فلم يجد منفذا وقال ابو عوسجة الحرج الضيق يقال منه حرج يحرج حرجا فهو حرج وقوله
عز وجل ويوم يحشرهم جميعا يعنى من تقدم ذكره من الجن والانس او يحشر الاولين والاخرين يا معشر الجن
هو على الاضمار كانه قال يوم نحشرهم جميعا الجن والانس ثم نقول للجن يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس كقوله
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اى يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا زلفى كذلك هذا هو على الاضمار وقوله
عز وجل قد استكثرتم من الانس قال اهل التاويل فى قوله قد استكثرتم من الانس وهم قد استكثروا من الاتباع
من الانس فى عبادة غير الله ومخالفة امره وتوحيده او قد استكثرتم عبادا من الانس وقال اولياؤهم من الانس
ربنا استمتع بعضنا ببعض اختلف فيه قال بعضهم تعاون بعضنا ببعض فى معصية الله ومخالفة امره هؤلاء
بالدعاء واولئك بالاجابة وقال قايلون ربنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع بعضنا ببعض بانواع المنافع ما ذكر فى بعض
القصة ان الرجل من الانس اذا سافر فادركه المساء بارض القفر خاف فيقول اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء
قومه فيامن فى ذلك بالتعوذ الى سيدهم فذلك استمتاع الانس بالجن فذلك انه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن الاية واما الاستمتاع الجن بالانس انه زادهم الذكر والشرف فى قومهم يقولون لقد سودتنا الانس
ويحتمل استمتاع الجن بالانس ما ذكر انه ثبت انه جعل طعامهم العظام التى يستعملها الانس ويكون ذلك علفهم
وعلف دوابهم ارواث دواب الانس وقال الحسن ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا ان الجن امرت الانس فعملت
ذكر جواب الانس لهم ولم يذكر جواب الجن لهم وقوله عز وجل وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا قيل الموت وقيل
البعث يوم القيمة لانهم كانوا ينكرون البعث فاقروا عند ذلك بانا قد بلغنا اجلنا الذى اجلت لنا وكنا كذبناه
اقروا بما كانوا ينكرون قال الله النار مثواكم اى مقامكم خالدين فيها الا ما شاء الله اختلف فيه قال الحسن
الا ما شاء الله وقد شاء الله ان يخلدهم فى النار وقال غيره الاستثناء من وقت البعث الى وقت الخلود من
وقت الحساب ووقت الحساب هو وقت الثنيا خالدين فيها الا ما شاء الله ما داموا فى الحساب وقيل الاستثناء للمؤمنين
الذين اتبعوهم فى فعل المعاصى والجرم ولم يتبعوهم فى الاعتقاد ففيه دليل ادخال المؤمنين النار بالمعاصى والعقوبة لهم
بقدر معصيتهم ودليل اخراجهم منها ان ثبت وقوله عز وجل الا ما شاء الله يحتمل وجوها ثلاثة احدها ان خلود
الاخرة اكبر من خلود الدنيا لان خلود الدنيا على الانقضاء وخلود الاخرة ليس على الانقضاء والثانى وقع الثنيا
قبل دخولهم فى النار والثالث لمن لم يتبعهم فى الكفر وقوله عز وجل ان ربك حكيم اى حكيم بما حكم ووضع كل شئ
موضعه عليم بذلك وقوله عز وجل وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون الاية تنقض على المعتزلة
قولهم لان الولاية منهم ثم ذكر ان المؤمنين بعضهم اولياء بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض وذكر ان الكافرين بعضهم اولياء بعض بقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض

وقوله يا معشر

وقوله عز وجل يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم اختلف فيه قال بعضهم لم يكن من الجن رسل انما كان
الرسل من الانس لكنه اضاف الى الفريقين جميعا كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وكقوله
وجعل القمر فيهن نورا وانما جعل فى واحدة منهن وكقول الناس فى سبع قبايل مسجد واحد وانما يكون فى واحد
منها وقد يضاف الشئ الى الجماعة والمراد منه واحد فعلى ذلك ما ذكر من اضافة الرسل الى الانس والجن وقال بعضهم
كان من الفريقين جميعا الرسل من الجن جنى ومن الانس انسى لان الجن يستترون من الانس فانما يرسل الى الانس رسلا
يظهرون لهم فبعث الى كل فريق الرسول من جوهرهم وقال بعضهم كان الرسل من الانس الى الفريقين جميعا وكان
الجن نذيرا كقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية ذكر النذر منهم ولم يذكر الرسل ومرتبة النذر دون مرتبة
الرسل كمرتبة الانبياء من الرسل ولكن يجوز ان يقوى الرسل وان كانوا من الانس على الاظهار لهم وليس فيما
لا يستترون عنهم منع بعث الرسل اليهم من الانس وليس لنا الى معرفة هذا حاجة انما الحاجة الى معرفة الايات
والحجج التى ياتى الرسل وقد عجز الخلايق جميعا عن اتيان مثل هذا القران كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فقد اعجز الجن والانس عن ان ياتوا بمثل هذا القران وان كان الجن
اقوى على اشياء من الانس فدل انه اية ودل عجز الجن عن ذلك وان كانوا اقوى على ان غيرهم اعجز الا ترى انه انزل
هذا القران لسان العرب ثم عجزوا عن اتيان مثله فدل عجزهم عن ذلك على ان العجم له اعجز وجايز ان يكون
الرسل وان كانوا من الانس فان الجن يستمعون من الرسل فيلزمهم الحجة والعمل بذلك والتبليغ الى قومهم
من غير ان يعلم الرسل بذلك والله اعلم وقوله عز وجل يقصون عليكم اياتى يحتمل يتلون عليكم اياتى ويحتمل
يقصون عليكم اياتى يبينون لكم اياتى ايات الوحدانية والالوهية وايات البعث الذى تنكرون وينذرونكم
لقاء يومكم هذا اى لقاء يومكم الذى تلقون ودل قوله ينذرونكم لقاء يومكم هذا على ان ذلك انما يقال لهم
فى الاخرة قالوا شهدنا على انفسنا هذا منهم اقرار لما كان منهم من التكذيب كقوله فاعترفوا بذنوبهم اى شهدنا
على انفسنا بانا كنا كذبنا الرسل فى الدنيا بما قالوا واخبروا وقوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا ان للدنيا
معنيين ظاهر وباطن فيكون الظاهر غرورا لمن كان نظره يغره ولها باطن ومن نظر الى ذلك الباطن يعظه
اما ظاهرها فانه تزيينها وزخرفها فالكافر نظر الى ظاهرها فاغتر بها واما باطنها فهو انتقالها من حال الى حال
وزوالها وفناؤها فمن نظر الى ذلك الباطن اتعظ به ويعلم معناها ويعرف انها لم يخلقوا لهذه ولكن العاقبة
تتامل ثم اضافة الغرور اليها اى يكون منها ما لو كان ذلك من ذى عقل وذهن كان ذلك غرورا وقوله
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين هذا اعتراف بما كان منهم وقوله عز وجل ذلك ان لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم يحتمل قوله وذلك ما تقدم من قوله يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقوله عز وجل
يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا ونحوها من الايات
التى ذكرنا فيها العتاب ويحتمل ذلك اشارة الى الهلاك الذى كان بالامم الخالية ان لم يكن يهلك القرى
بظلم ظلموا انفسهم اهلاك تعذيب واستيصال الا بعد تقدم الوعيد لهم فى ذلك وسؤال كان منهم
بالعذاب ولا يهلك ايضا وهم غافلون عن الظلم والعصيان لا انه لا يسع ولكن سنته فيهم ان لا يهلك
الا بعد تقدم ما ذكرنا لئلا يحتجوا فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين
وان لم يكن لهم الاحتجاج بذلك لما مكن لهم وركب فيهم ما يعرفون انه لم يخلقهم ليتركهم سدى ولكن
خلقهم لعاقبة لكن سنته قد مضت فى الامم الماضية ان لا يهلك قوما اهلاك تعذيب واستيصال الا بعد
ما سبق منه وعيد وانذار والعلم لهم بالظلم وظهور العناد منهم والمكابرة والسؤال بالعذاب
سؤال تعنت وذلك منه فضل ورحمة لا انه لا يسع ذلك وقوله عز وجل ولكل درجات مما عملوا استدل
بعض الناس بظاهر هذه الاية ان الجن لهم ثواب بالطاعات وعقاب بالمعاصى لانه اخبر ان لكل منهم

درجات مما عملوا وانما تقدم ذكر الفريقين جميعا بقوله شياطين الانس والجن وقوله عز وجل ويوم نحشرهم
يا معشر الجن والانس ذكر ما كان من الفريقين جميعا من المعاصي والجرم فعلى ذلك قوله ولكل درجات راجع
الى الفريقين جميعا لكل درجات منهم ان عملوا خيرا فخير وان عملوا شرا فشر وبه قال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله
واحتج لابي حنيفة رحمه الله ان قوله ولكل درجات انما ذكر على اثر آيات كان الخطاب بها للكفرة دون المؤمنين
فعلى ذلك قوله ولكل درجات مما عملوا يكون لهم هذا الوعيد خاصة ويكون قوله ولكل درجات اى لكل دركات
وفضايل من العذاب والعقاب مما عملوا من المعاصي والتكذيب للرسل ولان الثواب لزوم مدلول فضل ومنة
والعذاب توجيه الحكمة لان في الحكمة ان يعاقب من عصاه وخالف امره اما الثواب فهو بالفضل لانه كان
من الله الى الخلق من النعم والاحسان ما لو جهدوا كل جهدهم ما قدروا على ان يؤدوا شكر واحد منه فتكون
طاعاتهم شكرا لما انعم عليهم فاذا كان كذلك لا يكون لاعمالهم ثواب الا بالبيان من الله كما يقال للملائكة
ان لهم ثوابا وقوله عز وجل وما ربك بغافل عما يعملون يحتمل وجهين وما ربك بغافل عن اعمالهم التي يعملونها
في معصية الله تعالى ولكن تؤخر تعذيبهم رحمة منه وهو كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم
الآية والثاني عن علم باعمالهم وصنيعهم خلقهم لا عن جهل لكن خلقهم على علم بذلك لما ضرر اعمالهم ومنافعها
ترجع اليهم لا اليه وقوله عز وجل وربك الغني ذو الرحمة هذا يرد على الثنوية مذهبهم لانهم يقولون
انه انما خلق الخلايق للمنافع نفسه لانه ليس بحكيم من فعل فعلا لا يقصد منفعة نفسه فاخبر عز وجل انه
غني بذاته وانما يقصد قصد المنفعة بفعله لحاجة تقع له وضرورة تصيبه يقصد بالفعل قصد قضاء
الحاجة ودفع الضرورة عن نفسه فاما الله سبحانه هو الغني بذاته انما خلق الخلايق لمنافع انفسهم
وهو غني عن خلقه على ما اخبر وقوله عز وجل وربك الغني يحتمل غني عن تعذيبا ولذلك الكوم اى لا منفعة له
في تعذيبهم يعذبهم ولا حاجة له ولكن الحكمة توجب ذلك وان يكون صلة قوله يا معشر الجن والانس الم يأتكم
رسل منكم يقول لم يرسل اليكم ولا امتحنكم بالذي امتحنكم لحاجة نفسه او لمنفعة له اذ هو غني بذاته وقوله
عز وجل ذو الرحمة يحتمل وجهين يحتمل ذو الرحمة فلا يعجل عليهم بالعقوبة والثاني ذو الرحمة للخلق الخلايق
وجعل لبعض ببعض الانتفاع بهم والاستمتاع وانما خلقهم لمنافع انفسهم ويحتمل قوله ذو الرحمة من قبل
رحمته وصار اهلا لها فاما من لم يقبل رحمته فانه ذو انتقام منه وقوله عز وجل ان يشأ يذهبكم ويستخلف
من بعدكم ما يشاء لانه غني بذاته لم يخلقكم لمنافع نفسه او لحاجته ان شاء اذهبكم واستخلف غيركم
ولو كان خلقه الخلق لمنافع نفسه لكان لا يذهب بهم ويستخلف من بعدهم ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم آخرين
يخبر عن غناه عنهم وعن سلطانه وقدرته انه يقدر على اهلاككم واستيصالكم وانشاء قوم آخرين كان خلق
الخلايق من جواهر مختلفة لا توالد فيهم ثم جعل في الآخر التوالد والتناسل ويستخلف بعضا من بعض بالتوالد
والتناسل وقوله عز وجل ان ما توعدون لآت من الوعد والوعيد او ان يكون قوله ان ما توعدون من النصر
لرسوله والمعونة له لآت وكاين وما انتم بمعجزين قيل بفايتين ربكم وقيل وما انتم بسابقين الله باعمالكم
الخبيثة حتى لا يجزيكم الله بها واصله وما انتم بمعجزين اى لا تعجزون ربكم عن تعذيبكم وعقوبتكم وقوله عز وجل
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قيل على جديلتكم وقيل على منازلكم وجدتكم ولكن تأويله والله اعلم اعملوا على مكانتكم
اى على ما انتم عليه ثم يحتمل هذا وجوها يحتمل اعملوا على مكانتكم اى على ما انتم عليه من امر الدين اني عامل
على ما انا عليه من امر الدين كقوله لكم دينكم ولي دين ويحتمل ان يكونوا هموا ان يمكروا برسول الله فيقال امكروا واني
الى ما كريكم كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ويحتمل
ان يكونوا يطلبون له الدوائر والهلاك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه كقوله فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون هذه الكلمة تستعمل في انتهاء المكابرة نهايتها ووجود المعاندة غايتها بعد الفراغ من الحجج والآيات

كقوله لكم دينكم

كقوله لكم دينكم ولي دين وقوله عز وجل فسوف تعلمون يحتمل فسوف تعلمون من يكون له العاقبة ويحتمل
فسوف تعلمون بالهلاك من كان محقا بالوعيد او سوف تعلمون من الحق منا مما اوعد وخوف وقوله عز وجل
انه لا يفلح الظالمون ما داموا في ظلمهم ويحتمل ان يكون ذلك في قوم مخصوصين ويحتمل في الآخرة لا يفلح الظالمون
وقوله عز وجل وجعلوا لله الآية يخبر عز وجل عن سفههم من وجوه احدها انهم كانوا يجعلون لله نصيبا
مما كان لله ذلك في الحقيقة مع علمهم ان الله هو الذي انشا لهم تلك الاشياء وهو ذراها ثم يجعلون لله في ذلك
نصيبا وللاصنام نصيبا بسفههم انهم اذا علموا ان الله هو الذي ذرا لهم تلك الاشياء وانشاها لم فاليه
الاختيار في جعل ذلك لا اليهم اذ علموا انهم انما يملكون مما يجعل الله لهم وهو المالك عليها حقيقة والثاني
ما بين سفههم ايضا انهم يجعلون لله في ذلك نصيبا وللاصنام نصيبا من الثمار والحروث وغيرها ثم اذا وقع
شيء مما جعلوا لله شيا وخالط مما جزوا وجعلوه لشركائهم تركوه واذا خالط شيء مما جعلوا لشركائهم ووقع
فيما جعلوه لله اخذوه وردوه على شركائهم وانفقوا به وتركوا الآخر للاصنام ايثارا للاصنام عليه واعظاما لها
واذا زكى نصيب الاصنام ونما ولم يزك نصيب الله ولم يمنوا تركوا ذلك للاصنام ويقولون لو شاء الله لا زكى نصيبه
واذا زكى الذي كانوا يجعلون لله ولا يزكوا نصيب الاصنام اخذوا نصيبا لله فقسموه بين المساكين وبين الاصنام
نصفين بسفههم عز وجل في صنيعهم الذي يصنعون ويبين عن جورهم بايثارهم الاصنام واعظامهم
اياها والتفضيل في القسمة والتجزية مع علمهم ان الله هو الذي ذرا ذلك وانشا لهم وان الاصنام
التي اشركوها في اموالهم وعباداتهم لله لا يملكون من ذلك شيئا فذلك منهم سفه وجور حيث اشركوا في اموالهم
وعباداتهم لله لا يملكون من ذلك مع الله احدا لا يستحق بذلك شيئا وهو كما جعلوا لله البنات وهم كانوا يانفون
عن البنات كقوله واذا بشر احدهم بالانثى الآية فقال ام له البنات ولكم البنون وقال تلك اذا قسمة ضيزى
تأنفون انتم عن البنات وتضيفون اليه فهو زاجر وظلم فعلى ذلك تفضيل الاصنام في القسمة وايثارهم
اياها على الله واشراكهم مع الله مع علمهم انه كان جميع ذلك بالله وهو انشا لهم جور وسفه ثم اخبر
انهم ساء ما يحكمون اى بئس الحكم حكمهم وقوله عز وجل وكذلك زين لكثير من المشركين اى كما زين لهم
جعل النصيب للاصنام والتجزية لها وصرف ما خلق الله لهم عنه الى الاصنام كذلك زين لهم قتل اولادهم
او كما زين لهم تحريم ما احل الله لهم من السايبة والوصيلة والحامي كذلك زين لهم شركاؤهم قتل اولادهم
واصله ان الشفقة التي جعل الله في الخلق لاولادهم والرحمة التي جبلت طبايعهم عليها تمنعهم عن قتلهم وخاصة
اولادهم الضعفاء والصغار وكذلك الشهوة التي خلق فيهم تمنعهم عن تحريم ما احل الله لهم لكن ذلك زين لهم
شركاؤهم وحسنوا عليهم تحريم ما احل لهم وقتل اولادهم فاحسن عليهم الشركاء وزين لهم من تحريم
ما احل لهم وقتل اولادهم غلب على الشفقة التي جبلت فيهم والشهوة التي خلق ومكن فيهم ثم اختلف
في الشركاء قال بعضهم شركاؤهم شياطينهم التي تدعوهم الى ذلك وقيل شركاؤهم كبراؤهم ورؤساؤهم الذين
يستتبعونهم ثم يحتمل قتل الكبراء اولادهم تكبرا منهم وتجبرا لانهم كانوا يانفون عن اولادهم الاناث وقتل
الاتباع مخافة العيلة والفقر وقوله عز وجل ليردوهم قيل ليهلكوهم انهم كانوا يقصدون في التحسين والتزيين
الارداء والاهلاك وان كانوا يرون في ذلك الشفقة وكذلك كانوا يقصدون بالتزيين تلبيس الدين
عليهم وقوله عز وجل ولو شاء الله ما فعلوه يحتمل وجوها قال بعضهم لو شاء الله لاهلكهم فلم يفعلوا
وقيل لاعجزهم ومنعهم عن ذلك كقوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم وقيل ولو شاء الله ما فعلوه اى لاراهم
قبح فعلهم حتى لم يفعلوا واصله انه اذ علم منهم انهم يفعلون ما فعلوا ويختارون ما اختاروا من التزيين
ولبس الدين عليهم شاء ما فعلوا واختاروا وقد ذكرنا ذلك في غير موضع وقوله عز وجل فذرهم وما يفترون
اى ذرهم ولا تكافهم بافترائهم على الله ويحتمل ذرهم وما يفترون فان الله يكافيهم ولا يفوتون

ويحتمل ذرهم وما يفترون فان ضرر ذلك لافترائهم عليهم ليس علينا ولا عليك والله اعلم وقوله عز وجل
وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قيل هذه الاية صلة قوله وجعلوا لله مما ذرا
من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا هذا الذي جعلوا للشركاء هو الحجر
الذي ذكر في هذه الاية لانهم كانوا لا ينتفعون بذلك ويحرمونه وهو حجر واصل الحجر المنع وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال الحجر ما حرموا انفسهم من اشياء من الوصيلة والسائبة والحامي وتحريمهم ما حرموا من اشياء
كانوا يحلون اشياء حرمها الله ويحرمون اشياء احلها الله في الجاهلية من الحرث والانعام وفي حرف ابي
وابن عباس رضي الله عنهما حرج على تاخير الجيم وتقديم الراء وعن الحسن حجر لا برفع الحاء واصل الحجر
المنع ممنوع محجور يقال حجرت عليه اي منعته والحجر ايضا موضع بمكة والاحجار الاستبداد وهو ان ياخذ
الشيء ولا يعطي منه احدا شيئا وقوله عز وجل لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قال بعضهم قوله الا من نشاء
يعني لا يطعمها الا من يشاء الله بزعمهم لانهم كانوا يحرمون اشياء ويأتون بفواحش فيقولون ان الله
امرهم بذلك كقوله في الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وقال بعضهم
قوله الا من نشاء بزعمهم يعني الذين سنوا لهم اي لا يطعمها الا من نشاء قد ذكرت لهم اول من بدل دين اسماعيل
وبحر البحيرة والسائبة اولئك الذين سنوا لهم ذلك وحرموا ذلك على نسائهم على ما روي عن النبي صلى الله عليه
انه قال ان شيئان ذكرت لكم اول من بدل دين اسمعيل وبحر البحيرة والسائبة فعلى ذلك اضافوا المشية الى اولئك
الذين سنوا لهم ذلك وحرموا على اناثهم واحلوا الذكورهم وقال بعضهم قوله الا من نشاء هؤلاء الرجال كانت
مضافة الى الرجال دون النساء وفي ذلك تسفيه احلامهم لانهم ينكرون الرسالة لمكان ما يحرمون من الطيبات
ثم يتبعون الذي حرم عليهم الطيبات التي احلها الله لهم من البحيرة والسائبة ونحوهما وقوله عز وجل وانعام
حرمت ظهورها هو ما ذكر من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وهو الحجر الذي ذكر في هذه الاية يجعلون
تلك الاشياء لشركائهم لا ينتفعون بها وقوله عز وجل وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قيل فيه بوجوه قيل
لا يذكرون اسم الله عليها اي لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ليشكروا الله عليها وقيل لا يذكرون اسم الله عليها
وقت الركوب كما يذكر اسم الله اي لا يذبحون للاكل ولا يذكرون اسم الله عليها ويحتمل لا يذكرون اسم الله
عليها وقت الركوب كما يذكر اسم الله عليها وقت الركوب وهو قوله سبحان الذي سخر لنا هذا لانهم كانوا لا يركبونها
ولكن يسيبونها وقيل لا يحجون عليها والاول كانه اقرب كانوا لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ويشكروا عليها وقوله
عز وجل افتراء على الله سيجزيهم بما كانوا يفترون بان الله امرهم بذلك وهو حرم عليهم وهو احل فذلك
هو الافتراء على الله او بما اشركوا شركاءهم في عبادة الله وفي نعمه وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا قيل هو صلة قوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر يحرمون على النساء ويحلون للرجال يعني
اذا ولد واحيا وكانت ينتفع بذلك رجالهم دون نسائهم واذا ولد ميتا اشتركوا فيه الاناث والذكور ويذكر
في هذا كله سفه اولئك في صنيعهم ويذكر في قوله وهو الذي انشأ جنات الى اخره نعمه التي انعم عليهم وقوله
عز وجل سيجزيهم وصفهم اي افتراءهم على الله وتحريمهم ما احل الله لهم وتحليلهم ما حرم عليهم وقوله عز وجل
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء اخبر انهم قد خسروا بقتلهم الاولاد
وبتحريم ما احل لهم ورزقهم قد ضلوا وما كانوا مهتدين وبالله الهداية والرشاد وقوله عز وجل وهو الذي
انشأ جنات معروشات وغير معروشات ذكر هذا والله اعلم مقابل ما كان منهم من تحريم ما احل الله لهم ورزقهم
من الحرث والزرع والانعام والانتفاع بها فقال انشأ جنات وبساتين من تامل فيها وتفكر عرف ان منشيها
مالك حكيم مدبر لا نه ينبتها ويخرجها من الارض في لحظة ما لو اجتمع الخلائق على تقديرها ان كيف خرج
وكم خرج واي قدر نبت ما قدروا على ذلك كقوله وانبتنا فيها من كل شيء موزون ويخرج من الورد والثمار

على ميزان

على ميزان واحد ما لو جهد وكل الجهد ان يعرفوا الفضل والتفاوت بين الاوراق والثمار ما قدروا
وما وجدوا فيها تفاوتا ويخرج ايضا كل عام من الثمار والاوراق ما يشبه العام الاول فدل ذلك كله ان منشيها
ومخرجها مالك حكيم وضع كل شيء موضعه وان ما انشأ انشأ لحكمة وتدبير لم ينشئها عبثا فله الحكم والتدبير
في الحل والحرمة والقسمة ليس لاحد دونه حكم ولا تدبير في التحريم والتحليل هذا حلال وهذا حرام وهذا
لهذا انما ذلك الى مالكها الخرج هذا والله اعلم مقابل ما كان منهم من قوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها
الا من نشاء بزعمهم وقوله هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقوله تعالى وانعام حرمت ظهورها وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه وغير ذلك من الايات التي كان فيها ذكر تحكمهم على الله واشراك
انفسهم في حكمه ثم اختلف في قوله معروشات وغير معروشات قيل معروشات مبسوطات ما تنبت منبسطا
على وجه الارض وغير معروشات ما يقوم بساقه لا ينبسط على الارض وقيل معروشات ما يتخذ له العريش
من نحو العرجون والقرع وغيره وغير معروشات ما لا يقع الحاجة الى العريش من نحو النخيل والاشجار المثمرة وهما
واحد وقيل على القلب معروشات ما تقوم بساقها وغير معروشات ما لا ساق له والله اعلم وتعريشه ما ذكر
على اثره والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه منها ما يكون متشابها في اللون
مختلفا في الاكل والطعم ومنها ما يكون مختلفا في اللون والمنظر متشابها في الطعم والاكل ليعلموا ان منشيها واحد
وانه حكيم انشأها على حكمة وانه مدبر انشأها عن تدبير لم ينشئها عبثا ومن الناس من يقول ان قوله متشابها في الذي
ذكر وهو الرمان والزيتون لان ورقهما متشابه والثمرة مختلفة ومنهم من يقول فيهما وفي غيرهما والله اعلم
وقوله عز وجل كلوا من ثمره اذا اثمر كانه قال كلوا من ثمره اذا اثمر ولا تحرموا خرج على مقابلة ما كان منهم
من التحريم اي كلوا منها ولا تحرموا ليضيع ويفسد وقوله عز وجل واتوا حقه يوم حصاده ذكر عز وجل الايتاء
مما يحصد بعد ذكر النخيل والزرع والزيتون والرمان حبا وغير حب وما يقع في الكيل وما لا يقع
مجملا عاما ولم يفصل بين قليله وكثيره ففيه دلالة وجوب الصدقة والعشر في قليل ما تخرج الارض وكثيره
وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة ومما اخرجنا لكم من الارض وحديث معاذ رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال في كل ما اخرجت الارض العشر او نصف العشر وحديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كتب الى اهل اليمن بذلك وما روي عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال في كل ما اخرجت الارض قليلة وكثيرة العشر وخبر معاذ قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اليمن فامرني ان اخذ من كل حالم دينارا او عدله معافر وامرني ان اخذ من كل اربعين مسنة ومن كل ثلاثين
تبيعا ومن كل ما سقت السماء العشر وما سقي بالدوالي نصف العشر الى هذا كله يذهب ابو حنيفة رحمه الله ويوجب
الصدقة في قليل الخارج من الارض وكثيره ثم اختلف اهل التاويل في تاويل الحق الذي ذكره الله في قوله واتوا حقه
يوم حصاده قال قوم هي صدقة سوى الزكوة واحتجوا بان الاية مكية وان الزكوة فرضت بالمدينة وهي منسوخة
باية الزكوة وقال قوم هي الزكوة فان نسخ انما نسخ قدرها لم ينسخ الحق راسا لانهم كانوا يتصدقون بالكل فان نسخ
انما نسخ باية الزكوة قدرها الا ترى انه قال في اخره ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين الاسراف في اللغة هو
المجاوزة عن الحد الذي حد له كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقيل
في قوله ولا تسرفوا اي لا تمنعوا اي لا تعطوا الكل ولكن كلوا بعضه واتوا حقه من بعضه وقيل الاسراف ههنا هو
الشرك كانه قال ولا تشركوا الهتكم فيما رزقكم الله من الحرث والانعام فتحرمونه ولا تنتفعون به والاسراف
هو الذي لا ينتفع به احد وما كانوا جعلوا للشركاء انهم لا ينتفعون به هم ولا انتفع به احد يكون مقابل قوله هذه
انعام وحرث حجر الاية واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله يذهبان الى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صدقة في الزرع ولا في الكرم ولا في النخل الا ما بلغ خمسة اوساق

وذلك مائة فرق وعن ابن عمر وعبد الله بن عمرو وابي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله
وما روى موسى بن طلحة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس في الخضروات صدقة وعن عمر مثله وعن علي
رضي الله عنه مثله وكذلك روى عن جماعة السلف ان لا صدقة الا في الحنطة والشعير والحبوب وقال ابو حنيفة
رحمه الله معنى ذلك كله لا صدقة توخذ الا فيما بلغ كذا وليس في الخضروات صدقة توخذ واما عليه في نفسه
صدقة يوديها هو ثم ان كان ذلك الحق الذي ذكر في الاية الزكوة فان الاية تدل والله اعلم على ان زكوة الحب
والثمار انما تجب فيما يبس الجنات المعروشات وغير المعروشات فدخل في ذلك والله اعلم العنب وغير العنب
والثمار كلها وقال والزرع والنخل والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه بجميع ما تخرج الارض من كل
الاصناف التي سبق ذكرها وقال كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده فجعل الحق الواجب فيه يوم
يحصد فيجوز ان يكون عفا عما قبل ذلك فان كان هذا هو التاويل فهو والله اعلم معنى ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم ولو لم يكن قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر عفوا عن صدقة ما يوكل منه ما كان في ذلك فايدة
لان الثمرة توكل ولا تصلح لغير ذلك الا للوجه الذي ذكرنا وهو انهم كانوا يحرمون ولا ينتفعون بها فقال
عز وجل كلوا وانتفعوا به ولا تضيعوه واذا كان قوله كلوا من ثمره عفوا عن صدقة ما يوكل منه ظهرت فايدة
الكلام وهو على هذا التاويل والله اعلم ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا خرصتم فخذوا
ودعوا الثلث فان لم تدعوا الثلث فالربع وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ليس في العرايا صدقة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يبعث ابا حثمة خارصا للنخل ويقول له اذا وجدت
اهل بيت في حايطهم فلا تخرص بقدر ما ياكلون وعن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
خففوا على الناس في الخرص فان في المال العرية والوصية دلت هذه الاحاديث على انه لا صدقة فيما يوكل من الثمر
رطبا اذا لم يكن فيما ياكلون اسراف وقدر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الثلث والربع وذلك والله اعلم
يشبه ما دلت عليه الاية على تاويل من جعل زكوة لان الله تعالى قال ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين فاحتمل
ان يكون ايضا معنى ذلك ولا تسرفوا في الاكل فيجحف ذلك باهل الصدقة ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن الاسراف
في جميع الاشياء على ما ذكرنا من قبل واذا صح ان لا صدقة فيما يوكل من الرطب والعنب والثمار بهذه الاخبار وان الصدقة
انما تجب فيما يلحقه الحصاد يابسا ممكنا ادخاره فالواجب ان لا يكون في شيء من الخضر الذي يوكل رطبة صدقة
وان لا تكون الصدقة واجبة الا فيما يبس منها ويمكن ان يدخر فاما البقول والرطاب والبطيخ والقثا والخيار
والتفاح واشباهها فلا صدقة فيها هذا كله يدل لابي يوسف ومحمد رحمهما الله الا انا لا نعلم مخالفا
ان فيما يباع من الرطب صدقة وان كان لو اكل كهيئته فهذا يفسد ما احتججنا به لابي يوسف ومحمد رحمهما الله
ومن وافقهما وتاويل ما روي ان لا صدقة في الخضروات وليس في اقل من خمسة اوسق صدقة توخذ واما عليه
في نفسه ان يوديها والله اعلم وجايز ان يكون قوله واتوا حقه يوم حصاده على ولاتك خاصة في ذلك الوقت
او يقول واتوا حقه ولا تصرفوا الى الاصنام التي تصرفون اليها والله اعلم وقوله عز وجل ومن الانعام
حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله هو صلة قوله انشا جنات معروشات وغير معروشات الى اخر ما ذكر
وانشا ايضا من الانعام حمولة وفرشا ثم اختلف فيه قال بعضهم الحمولة ما يحمل عليها انشا للحمل والفرش الصغار
منها التي لا تحمل وقيل الحمولة من نحو الابل والبقر والبغال وغيرها من الحيوان والفرش هو الغنم والمعز التي
توكل وانشاها للحم ويحتمل الفرش ما يوخذ من الانعام ويتخذ منه الفرش والبسط وقال الحسن الحمولة
ما يحمل عليها وهو خاص والفرش كل شيء من انواع المال من الحيوان وغيره ويقال افرشه الله اي جعل له
قال ابن عباس رضي الله عنه الحمولة الابل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه واما الفرش فالغنم
وعن عمر رضي الله عنه قال الحمولة الابل والفرش البقر والغنم قال ابو عوسجة الحمولة مراكب الناس

والفرش

والفرش ما يكون للنتاج وقال القتبي الحمولة كبار الابل التي يحمل عليها والفرش صغارها التي لم تدرك لان يحمل
عليها وهي ما دون الحقاق والحقاق هي التي يصلح ان تركب اي حق ذلك وقوله عز وجل كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا
خطوات الشيطان قوله كلوا مما رزقكم الله ووجهوا شكر ذلك اليه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما احل الله لكم
وجعل في ذلك لكم رزقا كقوله وجعلوا مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقوله
هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها وقوله
وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يقول كلوا مما رزقكم الله وكذلك قوله كلوا من ثمره
اذا اثمر وانتفعوا به ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ذلك على انفسكم واعرفوا نعمة الله التي انعمها عليكم ووجهوا
شكر نعمه اليه ولا توجهوها الى غيره ثم قوله خطوات الشيطان قيل اثار الشيطان وقيل اعمال الشيطان وقيل
دعاء الشيطان وتزيينه وكله واحد واصله ان كل من اجاب اخر الى ما يدعوا اليه وياتمر بامره يقال قد اتبع
اثره وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل انه لكم عدو مبين اي انه فيما يدعوكم الى تحريم ما احل الله لكم
ورزقكم يقصد قصد اهلاككم وتعذيبكم لا يقصد منفعة لكم في ذلك وكل من قصد قصد اهلاك اخر فهو عدو له
وهو يخرج على ما ذكرنا من تذكير المنن والنعم التي انعمها عليهم يقول هو الذي جعل لكم ذلك فلا تصرفوا شكره الى غيره
وقوله عز وجل ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى اخر ما ذكر اي انشا ايضا ثمانية ازواج على ما ذكر
انشا جنات معروشات وغير معروشات وانشا من الانعام ايضا حمولة وفرشا وانشا ايضا ثمانية ازواج مما عد
علينا ويحتمل ان يكون قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى اخر ما ذكر هو تفسير قوله ومن الانعام
حمولة وفرشا ويكون ثمانية ازواج التي ذكر في الاية بيان الحمولة والفرش التي ذكر في الاية الاولى ثم قوله ثمانية ازواج
من الضان اثنين ومن المعز اثنين في الاية تعريف المحاجة مع الكفرة وتعليمها من الله لانهم كانوا يحرمون اشياء على الاناث
ويحللونها للذكور كقوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه
شركاء فقال الله عز وجل قل الذكرين حرم ام الانثيين يعرفنا المحاجة معهم وطلب العلة التي لها حرم فقال
قل الذكرين حرم ام الانثيين فان قالوا حرم الذكر يجب ان كل ذكر محرم ثم من الذكور ما يحل فتناقضوا في قولهم
وان قالوا حرم الانثى يجب ان كل انثى ايضا تكون محرمة فاذا لم يحرم كل انثى ظهرت مناقضتهم لانه لا يجوز ان يجب
حرمة شيء او حله لمعنى ثم يرتفع ذلك الحكم والمعنى موجود وحرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين فان كان لهذا
يجب ان كل مشتمل عليه ارحام الانثيين محرم فاذا لم يحرم ذلك وفيه دلالة ان الحكم اذا وجب لعلة فذلك الحكم
واجب ما دامت العلة قايمة موجودة وفيه الامر بالمقايسة وقوله عز وجل نبئوني بعلم ان كنتم صادقين اي ليس
عندهم علم يعلمون ذلك وينبؤ نذكر ههنا نبئوني ان كنتم صادقين في مقالتكم انه حرم وقال في الاية التي تليها ام كنتم
شهداء اذ وصاكم الله بهذا اي بتحريمها اي ليست لكم شهداء على تحريم ما تحرمون لا من جهة كتاب ولا رسول
ولا استدلال لان العلوم ثلاثة علم استدلال وهو علم العقل وعلم المشاهدة والعيان وهو علم الحس وعلم
السمع والخبر فخبر انه ليس لهم من هذه العلوم شيء اما علم الاستدلال فلا عقل يدل على تحريم ما حرمتم ولا علم
مشاهدة لانكم لم تشاهدوا الله حرم ذلك ولا علم من جهة السمع والخبر لانهم لا يومنون بالكتب ولا صدقوا
الرسل بتحريم ذلك ولو وجدنا في الكتب حرمتها فهتوا في ذلك وتحيروا وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد ونبوته
صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يحرمون هذه الاشياء ظاهرا فيما بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم نشا بين اظهرهم
منذ كان صغيرا الى كبره وعرفوا انه لم يختلف الى احد عرف ذلك ثم اخبر الله عز وجل ما حرموا وفساد ما صنعوا
ليدلهم انه انما عرف ذلك بالله وبه علم حل ما حرموا وحرمة ما احلوا الا باحد من الخلايق وقوله عز وجل فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا لانه هو الذي انشاهم وانشا لهم جميع ما يحتاجون
اليه ويقضون حوايجهم وبه كان جميع نعمهم التي يتنعمون ويتقلبون فيها فلا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا فقال

حرم كذا ولم يكن حرم او امر بكذا ولم يكن امر الا ترى انه قال عز وجل ومن اصدق من الله حديثا وقيلا كم
لم يكن احدا اصدق منه حديثا فعلى ذلك لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا بعد علمه انه هو الفاعل لذلك كله ٥
وهو المنشئ ما ذكر وقوله فمن اظلم في الظاهر استفهام ولكن في الحقيقة ايجاب لانه لا يحتمل الاستفهام كانه قال لا احد
افحش ظلما ممن افترى على الله كذبا على الايجاب وقوله عز وجل ليضل الناس بغير علم لانه يقصد بالافتراء
على الله قصدا اضلال الناس واغوائهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين اى كل لا يهدى وقت اختيارهم الكفر والظلم
وقيل لا يهدى القوم الذين في علمه انهم يجتمعون بالكفر ويحتمل لا يهديهم اذا كانوا هم عند الله ظلمة كفرة وان كانوا
عند انفسهم عدولا على الحق وقوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحى الي محرما على طاعم يطعمه قوله قل لا اجد يحتمل
وجهين احدهما اى لا اجد مما تحرمون انتم فيما اوحى واما ما لا تحرمون فانه بالحد والثاني لا اجد فيما اوحى محرما
في وقت ثم وجد في وقت آخر وايهما كان فليس فيه دليل حل سوى ما ذكر في الآية على ما يقوله بشر وقوله عز وجل
قل لا اجد فيما اوحى الي محرما على طاعم يطعمه مثل هذا الخطاب لا يكون الا في معهود سؤال والا مثل هذا الخطاب
لا يستقيم على الابتداء فان كان في معهود فهو يخرج جواب ما كانوا يحرمون من اشياء من الانعام والحرث وما ذكر
في الآيات التي تقدم ذكرها وما كانوا يحرمون من البحيرة والوصيلة والسائبة والحامي فقال قل لا اجد فيما اوحى
الي محرما مما تحرمون انتم على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او كان جواب سؤال في نازلة فقال
قل لا اجد فيما اوحى الي محرما الا فيما ذكر في الآية ولم يجده محرما في وقت الا ما ذكر ثم وجد في وقت آخر فاي ايهما
كان لم يكن فيه علينا في ذلك حجة علينا حيث قال ان الاشياء كلها محللة مطلقة بهذه الآية قل لا اجد فيما اوحى
الي محرما الا ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فقال لا نحرم من الحيوان الا ما ذكر
ويقولون ان النهي الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب
من الطير انما هو خبر خاص من اخبار الآحاد وخبر الواحد لا يعمل في نسخ الكتاب وقد قال لا اجد فيما اوحى الي
محرما وبعد فان ذلك الخبر من الاخبار المتواترة لان عرفه الخاص والعام وعملوا به وظهر العمل به حتى لا يكاد
يوجد ذلك يباع في اسواق المسلمين دل انه من المتواتر قال الشيخ رحمه الله وعندنا ان لفظة التحريم على الاطلاق
يقال لا في النهايات من الحرمة ونحن نقول لا يطلق لفظة التحريم في الحيوان الا فيما ذكر في الآية من الميتة والدم
المسفوح والخنزير ولكن يقال نهى عنه مكروه ولا يقال محرم مطلقا ويقال لا يؤكل ولا يطعم وبعد فان الآية
لو كانت في غير الوجهين اللذين ذكرناهما لم يكن فيها دليل حل ما عدا المذكور في الآية لانه قال لا اجد ولم يجد
في وقت لم وجد في وقت آخر هذا جائز وفي قوله محرما على طاعم يطعمه دلالة ان الجلد يحرم بحق الميتة لانه امكن
ان يشوى فيؤكل فحرمته حرمة اللحم فاذا دبغ خرج من ان يؤكل فطهر عن قوله على طاعم يطعمه والله اعلم ثم في قوله
محرما على طاعم يطعمه الآية دلالة ان الحرمة التي ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله
والمنخنقة والموقوذة والمتردية الى آخر ما ذكر حرمة الاكل والتناول منها لانه لم يبين في تلك الآية ما الذي حرم
منها سوى ما ذكر حرمة عينها هذه الآية وقوله عز وجل محرما على طاعم يطعمه الا كذا دل هذا ان الحرمة في تلك الآية
الاكل والتناول منها وكذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم
ذكر الحل ولم يذكر الحل لماذا ثم جاء التفسير في هذه الآية انه للاكل ثم الميتة التي ذكرنا انها محرمة يستقيم التي ماتت
حتف انفها خاصة الا ترى انه ذكر وما ذبح على النصب وما اهل لغير الله به وقال والمنخنقة والموقوذة والمتردية
والنطيحة وما اكل السبع كل هذا الذي ذكر لم يمت حتف انفه ولكن باسباب لم يؤمر بها فصارت ميتة فدل ان كل
كل مذبوح او مقتول بسبب لم يؤمر به فهو ميتة لا يحل التناول منها الا في حال الاضطرار وفي قوله او دما مسفوحا
دلالة ان المحرم من الدم هو المسفوح والدم الذي يكون في اللحم ويخالط اللحم ليس بحرام والدم المسفوح حرام قال
ابو عوسجة المسفوح المصبوب تقول سفحت صببت وقال القتبي مسفوحا اى سائلا وقال ابن عباس رضي الله عنه

المسفوح

المسفوح هو الذي يهراق وقوله عز وجل او لحم خنزير ذكر اللحم وذكر حرمة الميتة ليعلم ان الخنزير بجوهره
حرام والميتة حرمتها لا بجوهرها لكن لما اعترض لذلك قلنا ان لا بأس بالانتفاع بصوف الميتة ووبرها وعظمها
ولا يجوز من الخنزير شيء والله اعلم وقوله عز وجل فمن اضطر غير باغ ولا عاد قيل غير باغ يستحله في دينه ولا عادي
ولا متعديا لم يضطر اليه فاكله وقد ذكرنا اقاويلهم والاختلاف في تأويله في صدر الكتاب فان ربك غفور ر
لاكله الحرام في حال الاضطرار رحيم حيث رخص الحرام في موضع الاضطرار وهذا ايضا قد مضى ذكره في غير
موضع وقوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قيل مثل النعامة والبعير وقيل كل ذي ظفر
مثل الديك والبطة والبعير وكل ما لم يكن منفرج الاصابع والقوائم وقيل حرمنا كل ذي حافر من نحو حمار
الوحش والوز وغيره وقيل حرمنا كل ذي ظفر كل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع ومن الدواب
كل ذي ظفر منشق مثل الارنب والبعير واشباههما وهو قول ابن عباس رضي الله عنه والاشبه ان يكون ما ذكر
في آية اخرى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية وقوله عز وجل ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما قيل شحوم بطونهما ومن الثروب وشحم الكليتين او الحوايا وهي المباعر
والمصارين اى الشحم الذي عليهما او ما اختلط بعظم قيل الآية وقيل قوله الا ما حملت ظهورهما هو سمن اللحم قيل فيه
اقاويل مختلفة في هذا وفي الاول في قوله حرمنا كل ذي ظفر لكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة لان تلك شريعة
قد نسخت في العمل بالمنسوخ حرام فاذا لم يكن علينا العمل بذلك ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة كان ذا وذا وانما علينا
ان نعرف ثم كان ذلك التحريم عليهم وبم كان تحريم هذه الاشياء عليهم فهو والله اعلم ما ذكر في قوله فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا الآية اخبر ان ما حرم عليهم من الطيبات
بظلم الذين ظلموا ولذلك قال الله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر ان ذلك جزاء بغيهم الذي بغوا والثاني انهم
كانوا يدعون ويقولون نحن ابناء الله واحباؤه لكان لا احد يعاقب ولده او حبيبه بادنى ظلم ولا يحرم عليه
الطيبات فاذا كان الله حرم عليكم الطيبات وجزاكم بتحريم اشياء عقوبة لكم بظلمكم وبغيكم ظهر انكم كذبتم ٥
في دعاويكم وافتريتم بذلك على الله وفيه دليل اثبات رسالة محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يحرمون
هذه الاشياء فيما بينهم ولا يقولون انهم ظلمة وان ما حرم عليهم حرم بظلم كان منهم وبغي ثم اخبرهم النبي صلى الله
عليه وسلم ان ما حرم عليهم من الطيبات انما حرم بظلمهم وبغيهم دل انه انما اخبر بذلك عن الله وبه عرف ذلك
فدل انه آية من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك جزيناهم ببغيهم اى ذلك التحريم
عقوبة لبغيهم وظلمهم وانا لصادقون بالانباء ان ذلك كان بظلمهم وبغيهم وانا لصادقون في كل ما اخبرنا وانبأنا
وقوله عز وجل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة قال الحسن فان كذبوك فيما تدعوهم اليه وتأمرهم به
من التصديق والتوحيد له والربوبية فقل ربكم ذو رحمة اذا رجعتم عن التكذيب وصدقتم وعرفتم انه واحد
لا شريك له يغفر لكم ما كان منكم في حال الكفر ويكفر عنكم سيئاتكم التي كانت وقوله عز وجل فان كذبوك فقل ربكم
ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين كانه على التقديم والتأخير يقول فان كذبوك فقل لا يرد بأسه
عن القوم المجرمين ثم قال ربكم ذو رحمة واسعة يسع في رحمته العفو اذا تبتم وقال غيره من اهل التأويل
فان كذبوك يا محمد حين انبأتهم بما حرم الله عليهم بظلمهم وبغيهم فقل ربكم ذو رحمة واسعة لا يهلك احدا وقت
ارتكابه المعصية ولا يعذبه بحالة ذلك لكنه يؤخر ولا يرد بأسه اى عذابه اذا نزل بقوم مجرمين بجرمهم والله اعلم
وقوله عز وجل سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء قيل الآية في مشركي
العرب قالوا ذلك حين لزمتهم المناقضة وانقطع حجاجهم في تحريم ما حرموا من الاشياء واضافوا ذلك الى الله وهو
صلة قوله ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين الى آخر ما ذكر الى قوله ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فلما لزمتهم المناقضة وانقطع حجاجهم فزعوا

عند ذلك الى هذا القول لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء فيقول الله لنبيه كذلك كذب الذين
من قبلهم من الامم الخالية رسلهم كما كذبك هؤلاء وكانوا يقولون لرسلهم ما قال لك هؤلاء ولو شاء الله ما اشركنا
الى آخر ما ذكر ثم اختلف فى تأويل قوله لو شاء الله ما اشركنا الى آخر ما ذكر ثم اختلف فى تأويل قوله لو شاء الله ما اشركنا
قال الحسن والاصم ان المشية ههنا الرضاء قالوا رضى الله بفعلنا وصنيعنا حيث فعل اباؤنا مثل ما فعلنا وصنعوا
مثل ما صنعنا فلم يحل الله بينهم وبين ذلك ولا اخذ على ايديهم ولا منعهم عن ذلك فلو لم يرض بذلك عنهم لكان
يحول ذلك عنهم ومنعهم عنه وانما استدلوا بالرضاء من الله ولا اذن فيما كانوا فيه يحوفون اباءهم الهلاك والعذاب
بصنيعهم الذى كانوا صنعوا ثم رأوهم ماتوا على ذلك ولم يأتهم العذاب فاستدلوا بتاخير نزول العذاب عليهم
على ان الله رضى بذلك والله اعلم وبظاهر هذه الاية للمعتزلة ادنى تعلق لانهم يقولون ان الله تعالى قدر ذلك القول
الذى قالوا وعاتبهم على ذلك القول بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا واوعدهم على ذلك
وعيدا شديدا فلو كان يجوز اضافة المشية الى الله تعالى فى ذلك على ما تضيفون انتم لم يكن يرد ذلك عليهم ولا عاتبهم
على ذلك ولا اوعدهم وعيدا فى ذلك دل انه لا يجوز ان يقال ذلك ولا اضافة المشية اليه فى ذلك فنقول وبالله التوفيق
ان المشية ههنا تحتمل وجوها احدها ما قال الحسن والاصم من الرضا قالوا ان الله رضى بذلك والثانى الامر والدعا
الى ذلك يقولون ان الله امرهم بذلك ودعاهم الى ذلك والثالث كانوا يقولون ذلك على الاستهزاء والسخرية لا على الحقيقة
وهكذا امر المجوس انهم اذا قيل لهم هذا لم لا تؤمنون وتسلمون يقولون ما قال هؤلاء لو شاء الله لامنا ولا اشركنا فهذا
العتاب الذى لحقهم والوعيد الذى اوعدهم انما كان لما قالوا ذلك استهزاء منهم ولما ادعوا من الامر والدعاء على الله
وافتروا عليه والرضاء انه رضى بذلك على هذه الوجوه الثلاثة تخرج المشية فى هذا الموضع والله اعلم لا على ما قاله
المعتزلة وهو ما ذكر فى آية اخرى ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا هو كلمة حق لكن قالها استهزاء وهزءا
فلحقه العتاب وقوله عز وجل قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا اى هل عندكم من بيان وحجة من الله دون ان اهلكم
ليعذبكم اوليس قد ترك من خالفكم فى ذلك ثم لم يدل تركه اياهم على انه رضى بذلك فقال الله ان تتبعون الا الظن اى ما تتبعون
فى ذلك الا الظن وان هم الا يخرصون اى ما هم الا يخرصون ويكذبون فى ذلك ليست لهم حجة ولا بيان على ما يدعون
من الامر والدعاء الى ذلك والترك على ما هم عليه على الرضا به وقوله عز وجل قل فلله الحجة البالغة التى اذا بلغت
كل شبهة ازالتها وكل غافل نائم نبهته وايقظته وقيل الحجة البالغة التامة القاهرة الظاهرة على كل شيء الغالبة عليه
لم تبلغ شيئا الا قهرته وغلبته وقال الحسن الحجة البالغة فى الآخرة لا يعذب احدا ولا يعاقبه الا بحجة يلزم لا يعاقب
بهوى او انتقام او شهوة على ما يعاقب فى الشاهد ولا غيره ما من احد من الخلايق الا ولله عليه الحجة البالغة اما الملك
المقرب فان الله جبله على الطاعة فلا يعصيه منا من الله عليه وطولا وفضلا فهو مقصر عن شكر نعمة الله عليه واما النبى
المرسل والعبد الصالح فلله عليهما السبيل والحجة من غير واحد ثم يحتمل الحجة البالغة وجوها احدها هذا القرآن
الذى انزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية معجزة وحجة بالغة ما عجز الخلايق عن اتيان مثله فدل عجزهم عن اتيان
مثله على انه آية من آيات الله وحجة من حجج الله ارسلها على نبيه صلى الله عليه وسلم والثانى انه جعل فى كلية الخلايق
والاشياء ما يشهد ان الخلايق والاشياء كلها له شهادة خلقة ويدل كلية الاشياء على وحدانيته فهو حجة بالغة
والثالث السن الرسل وايتاؤهم حيث لم يؤاخذوهم يكذب قط فيما بينهم ولا جرى على لسانهم كذب قط ولا فحش عصمهم
عز وجل عن ذلك فدل على انهم انما خصوا بذلك لما ان الله جعلهم حججا واياتا على وحدانيته فذلك حجة بالغة
وبالله العصمة وقال بعضهم فلله الحجة البالغة فى تحريم الاشياء وتحليلها ليس لهؤلاء الذين يحرمون اشياء لهم فى تحريم
حجة انما يحرمون ذلك بهوى انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل فلو شاء لهديكم اجمعين قال الحسن المشية ههنا
مشية القدرة وقالوا لو شاء لقهرهم واعجزهم حتى لم يقدروا على معصية قط على ما جعل الملائكة بجبلهم على الطاعة
حتى لا يقدروا على معصية قط ثم هو يفضل الملائكة على الرسل والانبياء والبشر جميعا ويقول لهم مجبورون على الطاعة

فذلك تناقض فى القول لا يجوز من كان مقهورا مجبورا على الطاعة يفضل على من يعمل بالاختيار مع تمكن الشهوات
فيه والحاجات التى تغلب صاحبها وتمنعه عن العمل بالطاعة او يقول فضلهم بالجوهر والاصل فلا يجوز ان يكون
لاحد بالجوهر نفسه فضل على ذلك الجوهر لان الله لم يذكر فضل شيء بالجوهر الا مقرونا بالاعمال الصالحة الطيبة
كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة وغيره وقوله والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه وقوله والعمل الصالح يرفعه ونحوه لم يفضل احدا بالجوهر على احد ولكن انما فضله بالاعمال
الصالحة لذلك قلنا ان قوله يخرج على التناقض وتأويل قوله فلو شاء لهديكم اجمعين عندنا ظاهر لو شاء لهداهم
جميعا ووفقهم للطاعة وارشدهم لذلك وهو كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة الاية فاذا كان الميل الى الكفر لمكان ما جعل لهم من الفضة والزينة فاذا كان ذلك
للمؤمنين آمنوا ثم لم يجعل كذلك دل هذا على ان قولهم لو شاء الله ما اشركنا هو الامر والرضا او ذكروا على الاستهزاء
حيث قال فلو شاء لهديكم اجمعين والمعتزلة يقولون المشية ههنا مشية قسر وقهر وقد ذكرنا ان لا يكون فى حال
القهر ايمان وانما يكون فى حال الاختيار والمشية مشية الاختيار ولا يحتمل مشية الخلقة لان كل احد بشهادة
الخلقة المؤمن فدل ان التأويل ما ذكرنا وقوله عز وجل قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا الذى
تحرمون انتم من الوصيلة والسائبة والحامى وما حرموا من الحرث والانعام فان شهدوا ان الله حرمه فلا تشهد معهم
كيف قال هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم دعاهم الى ان يأتوا بالحجة
فاذا اقاموها لا تشهد معهم لكن هذا والله اعلم انهم يعلمون ان التحريم الى الله ليس الى احد من الخلايق فان شهدوا
بانه حرم فلا تشهد معهم فانهم شهدوا بباطل ويحتمل ان يكون امره ان يسألهم شهداء من اهل الكتاب
يشهدون لهم بان الله حرم هذا لان هؤلاء كانوا اهل شرك وعبدة الاوثان يسئلون اهل الكتاب واهل
رسل يشهدون لهم بذلك فان شهدوا فلا تشهد معهم اى لا يشهدون لهم بذلك فلا تشهد انت ايضا معهم
على الاخبار انهم لا يشهدون وهو كقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
الاية اخبر عن المنافقين انهم قالوا لئن اخرجتم لنخرجن معكم وان قوتلتم لننصرنكم والله يعلم انهم لكاذبون
ثم اخبر عنهم انهم لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم الاية لكنه اخبر انهم لا يقاتلون ولئن قاتلوا
ولو نصروهم لا يؤتون الادبار فعلى ذلك قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون فان شهدوا فلا تشهد معهم لانهم
لا يشهدون والله اعلم ويشبه ان يسألوا حتى يأتوا بابائهم حتى يشهدوا لانهم كانوا يقولون انا وجدنا عليها
اباءنا والله امرنا بها وان الله رضى بصنيع ابائنا حيث لم يهلكهم وتركهم على ذلك فيسألون ان يأتوا باولئك
حتى يكونوا هم الذين يشهدون على ذلك فلن يجدوا الى ذلك سبيلا ابدا وهو كقوله وادعوا شهداءكم من دون الله
ان كنتم صادقين فلا يجدون ابدا وقوله عز وجل ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا دل ان ما كانوا يحرمون
انما يحرمون بهواهم لا بحجة وبرهان والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون اى يعدلون الاصنام
فى العبادة والالوهية بربهم وقوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم يقول تعالوا اقرأ عليكم
ما حرم ربكم وابين لكم ما حرم بحجة وبرهان وان ما حرمتم انتم حرمتم تقليدا منكم لا بانكم او حرمتم بهوى
انفسكم لا حرمتم بامر او حجة وبرهان ثم بين الذى حرم عليهم فقال ان لا تشركوا به شيئا الشرك حرام
بالعقل ويلزم كل من عقل التوحيد ومعرفة الرب لما كان منه من تركيب الصور وتقويمها باحسن صور يرون
ويعرفون انه لم يصورها احد سواه ولا قومها ولا يشركه آخر فى ذلك وما كان منه اليكم من انواع الاحسان
والايادى فكيف تشركون غيره فى الوهيته وربوبيته فذلك حرام بالعقل والسمع وقوله عز وجل قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا يخرج على وجهين احدهما على الوقف والقطع على قوله ربكم والابتداء
من قوله الا تشركوا به شيئا كانه لما قال اتل ما حرم ربكم فقالوا ايش الذى حرم علينا ربنا فقال الا تشركوا به شيئا

والوجه الآخر على الوصل بالاول ولكن على طرح لا فيكون كانه قال حرم ربكم عليكم ان تشركوا به شيئا وحرف لا
قد تطرح وتزاد في الكلام وقوله عز وجل وبالوالدين احسانا اي برا بهما فان قيل قال تعالى اتل ما حرم ربكم عليكم
وههنا امر بالاحسان اليهم ولم يذكر المحرم قيل في الامر بالاحسان اليهما تحريم ترك الاحسان فكانه قال حرم
عليكم ترك الاحسان الى الوالدين وفرض عليكم برهما والاحسان اليهما ثم فيه انكم تعرفون بالعقل ان الاحسان الى الوالدين
واجب والاساءة اليهما حرام عليكم ولم يكن منهم اليكم من الاحسان اكثر مما كان من الله اليكم فكيف تختارون
الاساءة الى الله والاشراك في عبادته غيره ولا تختارون الاساءة الى الوالدين بل تختارون الاحسان اليهم وقوله
عز وجل ولا تقتلوا اولادكم من املاق انهم كانوا يقتلون اولادهم خشية الفقر والفاقة فهو مما حرم عليهم وهذا
يدل على ان للخصوص حالا لا يوجب الاباحة في حال اخرى لانه قال ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس فيه اباحة
القتل اذا لم يكن هنالك خشية الاملاق لكن ذكر هذا لانهم كانوا يقتلون في تلك الحال فخرج ذلك مخرج النهي وقوله
عز وجل نحن نرزقكم واياهم اي على ما نخرج لكم من الزرع والثمار فرزقكم من ذلك فعلى ذلك نرزق اولادكم
مما نخرج من الارض من الزرع والثمار فلا تقتلوهم فاذا لم تقتلوا انفسكم خشية الفقر والفاقة كيف تقتلون
اولادكم لذلك فالذي يرزقكم هو الذي يرزق اولادكم وقوله عز وجل ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
يحتمل قوله ولا تقربوا اي لا تواقعوا ويحتمل لا تدنوا منها ولكن اجعلوا بينكم وبين الفواحش والمحرمات حجابا
من الحلال وهكذا الحق على المسلم ان لا يدنو من الحرام ويجعل بينه وبين ذلك حجابا وسترا من الحلال ثم اختلف في قوله
ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قيل الفواحش الزنا ما ظهر منها المخالطة باللسان والمجالسة
معهن وما بطن فعل الزنا نفسه كانوا يجتمعون ويجالسونهن ولكن لا يجامعوهن بين ايدي الناس ثم اذا خلوا بهن
زنوا بهن وقيل كانوا يزنون بالحراير سرا وبالاماء ظاهرا فحرم ذلك عليهم وقيل ما ظهر منها نكاح الامهات
وما بطن هو الزنا وكان نكاح الامهات وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما وقيل الفواحش
المحرمات جملتها فما ظهر منها فيما بينهم وبين الخلق وما بطن فيما بينهم وبين الله تعالى وقيل ما ظهر منها ما يكون
بالجوارح وما بطن ما يكون بالقلب وعن مجاهد قال ما ظهر منها الجمع بين الاختين وتزوج الرجل امرأة ابيه
وما بطن منها الزنا وما حرم ايضا ويحتمل قوله ما ظهر منها ما يرى غيره ويبصر وما بطن ما يكون بالعين
والقلب على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان واليدان تزنيان وما بطن
يكون زنا العين والقلب لانه لا يعلم غير الناظر والله اعلم يصير كانه ذكر التحريم في كل حرف من ذلك
اي حرم عليكم الشرك وحرم عليكم ترك الاحسان الى الوالدين وحرم قتل الانفس بالحق فيصير كانه ذكر
التحريم في كل حرف من ذلك اي حرم عليكم الشرك وحرم عليكم ترك الاحسان الى الوالدين وحرم قتل الانفس الا بالحق
فيصير كانه ذكر التحريم في كل من ذلك وقوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق قيل بالحق اذا ارتد
يقتل به وفي القصاص وفي الزنا اذا كان محصنا وقوله عز وجل ذلكم وصاكم به ذلك يعني المحرمات التي ذكر وصاكم
اختلف فيه قيل وصاكم به فرض عليكم وقيل وصاكم امركم به وقيل وصاكم به بين لكم المحرم وكله يرجع الى واحد
وقوله عز وجل لعلكم تعقلون الله لم يحرم الا ما ذكر وما ولم يحرم ما حرمتم انتم من الانعام وغيرها ولعلكم
تعقلون اي لكي تنتفعوا بعقولكم او نقول ان ذلكم وصاكم به لتعقلوا لان حرف لعل من الله على الوجوب وتعقلون
عن الله بما خاطبهم به وامرهم وقوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن قال ابو بكر الكيساني
لا تقربوا مال اليتيم اي لا تأكلوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقال ثم اختلف في الوجه الذي يحسن قال بعضهم
هو ان يجعل له فيأكل من ماله اجرا لعمله وقال الآخرون يأكله قرضا وذلك مما اختلفوا فيه وقال غيرهم
هو ان ينتفع بدوابه ويستخدم جواريه ونحو ذلك وقال وذلك مما لا يحتمل تأويل الآية وعندنا ان الآية
باحتمال هذا اولى لما يقع لهم الضرورة في استخدام ما يملكه وركوب دوابه والانتفاع بذلك لما يقع لهم

المخالطة

المخالطة باموال اليتامى كقوله وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح فاذا كان لهم المخالطة
لا يسلمون عن الانتفاع بما ذكرنا وقال الحسن ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي الا بالوجه الذي جعل له
والوجه الذي جعل له هو ان يكون فقيرا وهو ممن يفرض نفقته في ماله فله ان يقرب ماله وعندهم ان نفقة المحارم
تفرض في مال اليتيم اذا كانوا فقراء فبان ان جعل له التناول في ماله وان كان لا يفرض نفقته في ماله ثم الآية تحتمل
وجهين عندنا احدهما ان لا تقربوا مال اليتيم الا بالحفظ والتعاهد له امر كافل اليتيم ان يحفظ ماله ويتعاهده
والثاني يقرب ماله بطلب الزيادة له والنماء وكذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه بان يجوز لكافل اليتيم اذا كان
وصيا ان يقرب ماله بيعا اذا كان ذلك خيرا لليتيم اذ وقع له الفضل وطلب له الزيادة والنماء وقوله عز وجل
حتى يبلغ اشده قال ابو بكر قوله حتى يبلغ اشده اي حتى يبلغ الوقت الذي يتولى اموره كقوله فان آنستم منهم
رشدا الآية وقال غيره من اهل التأويل الاشد ثمانية عشر سنة ويشبه ان يكون الاشد هو الادراك
حتى يدركوا وقوله عز وجل واوفوا الكيل والميزان بالقسط يشبه ان يكون قوله واوفوا الكيل والميزان
في اليتامى ايضا امر ان يوفوا لهم الكيل والميزان ونهاهم ان لا يوفوا لهم على ما نهاهم عن قربان مالهم الا بالتي
هي احسن وكذلك قوله واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى امكن ان يكون هذا في اليتامى ايضا اي اذا قلتم قولا
لليتامى فاعدلوا في ذلك القول وان كان ذا قربى منكم وقوله عز وجل وبعهد الله اوفوا اي بعهد الله الذي
عهد اليكم في اليتامى اوفوا بقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ولا تأكلوها اسرافا وبدارا
وغير ذلك اوفوا بما عهد اليكم فيهم ويحتمل ان يكون قوله واوفوا الكيل والميزان بالقسط في اليتامى
وفي غيرهم في كل الناس وهو لوجهين احدهما ان في ترك الايفاء اكتساب الضرر على الناس ومنع حقوقهم
بالايفاء ذلك كقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم والثاني للربوا لانه لزم مثله كيلا في الذمة فاذا لم يوف حقه
واعطاه دونه صار ذلك الفضل له ربوا وقوله عز وجل لا نكلف نفسا الا وسعها يحتمل هذا وجهين يحتمل
لا نكلف احدا ما في تكليفنا اياه تلفه وان كان يجوز له تكليف ما في التكليف تلفه كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم او اخرجوا من دياركم الآية وعلى ما امر من بني اسرائيل بقتل انفسهم والثاني لا نكلف احدا ما في تكليفنا
اياه منعه نحو من يؤمر بشيء لم يجعل له الوصول الى ذلك ابدا ويجوز ان يؤمر بامر وان لم يكن له سبب ذلك
الامر بعد ان يجعل لهم الوصول الى ذلك السبب نحو من يؤمر بالصلوة وان يكن معه سبب ذلك وهو الطهارة
ونحو من يؤمر بالحج بقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا هذا يدل على ان من جعل في وسعه
الوصول الى شيء يجوز ان يكلف على ذلك ويصير باشتغاله بغيره مضيعا امره وقوله عز وجل فاذا قلتم فاعدلوا
قال بعض اهل التأويل هذا في الشهادة كقوله يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين الآية ويحتمل قوله واذا قلتم فاعدلوا كل قول والقول لحق ان يحفظ فيه العدالة
من الفعل لانه به يظهر الحكمة من السفه والحق من الباطل فهو اولى وقوله عز وجل وبعهد الله اوفوا اي بعهد الله
الذي عهد اليكم في التحليل والتحريم والامر والنهي وغير ذلك ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ذكر ههنا
تذكرون وفي الآية الاولى تعقلون وفي الآية الاخيرة تتقون اذا عقلوا تفكروا واتعظوا وعرفوا ما يصلح وما لا يصلح
او تذكرون اي تتعظون بما وعظكم به وزجركم عنه وتتقون مهالككم وتتقون محارمكم وقوله عز وجل وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه يحتمل وجها يحتمل وان هذا الذي ذكر في هذه الآيات من امره ونهيه وتحليله وتحريمه
صراطي مستقيما فاتبعوه على ما قال اهل التأويل انها آيات محكمات لم ينسخهن شيء في جميع الكتب وهن محرمات
على بني آدم كلهم ويحتمل قوله وان هذا صراطي مستقيما الذي دعا اليه الرسل من كل شيء هو صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل لان الرسل يدعون الى ما يدعون بالحجج والبراهين ويحتمل قوله صراطي مستقيما اصل الدين
ووحدانية الله والاخلاص لا نفس له على غير اشراك في عبادته والوهيته او ان يكون قوله وان الذي جاء به

جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذى ذكر فى القرآن والاذكر هذا ولم يشر الى شىء بعينه فيحتمل ماذكرنا
وقوله عز وجل ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله امر عز وجل باتباع ما ذكر من الصراط المستقيم ونهى
عن اتباع السبل لان غيره من الاديان المختلفة والاهواء المشتتة لا حجة عليها ولا برهان وما ذكر من الصراط
المستقيم هو دين بحجة وبرهان لا كغيره من الاديان وان كان يدعى كل من ذلك ان الذى هو عليه دين الله
وسبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون المحرمات والمناهى والمعاصى التى ذكر فى هذه ولعلكم تتقون السبل
والاديان المختلفة واصله ان السبيل المطلق سبيل الله والدين المطلق دين الله والكتاب المطلق كتاب الله
وقوله عز وجل ثم آتينا موسى الكتاب تماما اختلف فيه قال الحسن قوله تماما على الذى احسن اى من احسن صحبته
تمت نعمة الله وكرامته عليه فى الآخرة قيل تماما على الذى احسن يعنى على المحسنين والمؤمنين وعلى بمعنى للذى
احسن وللذى آمن ويجوز على موضع اللام كقوله وما ذبح على النصب اى للنصب وقتادة قال فمن احسن فيما آتاه الله
تمت عليه كرامة الله فى جنته ورضوانه ومن لم يحسن فيما آتاه الله نزع الله ما فى يديه ثم اتى الله ولا عذر له
وقال ابو بكر الكيسانى فى قوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن اى ثم آتيناكم من الحجج والبيان تماما له
من موسى وكتابه اى موسى وكتابه مصدق وموافق لما اعطاكم كقوله افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه
ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة الآية ويحتمل تمام ما ذكرنا تماما بالنعمة والكرامة ويحتمل تماما بالحجة والبيان
وتماما بالحكمة والعلم وقوله عز وجل على الذى احسن اى الذى احسن وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه
تماما على الذين احسنوا وتفصيلا لكل شىء اى تبيانا لكل شىء وهدى من الضلالات والشبهات ونعمة ورحمة
من العذاب والعقاب لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون اى وليكونوا بلقاء ربهم يؤمنون هو على التحقيق وعن ابن عباس
رضى الله عنه قال تماما على الذى احسن يقول اتم له الكتاب على احسنه على الذى بلغ من رسالته وتفصيل كل شىء
بيان كل شىء وهدى اى تبيانا من الضلالة ورحمة اى نعمة لعلهم بلقاء ربهم اى بالبعث بعد الموت يؤمنون
اى ليكونوا مؤمنين بالبعث ومنهم من يقول فى قوله ثم آتينا موسى الكتاب نزوان الى بحرف الترتيب فانه على الاخبار
كانه قال ثم قد كنا آتينا موسى الكتاب تماما معناه وقد آتيناه وقوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه يعنى القرآن
انزلناه مبارك قال ابو بكر الكيسانى البركة هى التى من تمسك بها اوصله الى كل خير وعصمه من كل شر
وهو المبارك وقال الحسن هو مبارك لمن اخذه واتبعه وعمل به فهو مبارك له وسمى هذا القرآن مباركا لما بارك
فيه لمن اتبعه هو مبارك لمتبعيه والعامل به واما من لم يتبعه فليس هو بمبارك له بل هو عليه شر ورجس
كقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فهو ما ذكرنا مبارك لمن اتبعه وتمسك به وسمى مجيدا ايضا
وكريما لمن اتبعه يصير مجيدا كريما وكذلك سمى روحا وحيا لما يحيى به من اتبعه واصل البركة هو ان ينتفع بشىء على غير
تبعة فهو البركة وعلى ذلك يخرج قول الناس بعضهم لبعض بارك الله لك فى كذا اى جعل لك فيه منافع لا تبعة
عليك فعلى هذا يجب ان يكون القرآن مباركا بكسر الراء لكن قيل مبارك لانتفاع الناس به ولعلمهم به والبركة يحتمل
وجهين احدهما اسم لكل خير يكون ابدا على النماء والزيادة والثانى اسم لكل منفعة لا تبعة عليه ولا مؤنة
والله اعلم وقوله عز وجل فاتبعوه واتقوا اى اتبعوا اشاراته واتقوا نواهيه ومحارمه رحم وقوله عز وجل ان تقولوا
انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا قال اهل التأويل انزل الكتاب على الطايفتين اليهود والنصارى انما انزل
على المسلمين لكن المعنى والله اعلم انما انزل الكتاب على طايفتين اى بما ظهر نزول الكتاب التورية والانجيل عند الخلق
الخلق بطايفتين من قبلنا سموا يهود ونصارى التورية والانجيل والا لم يكن وقت نزول التورية يهود ولا وقت
نزول الانجيل نصارى ثم قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب هو صلة قوله وهذا كتاب انزلناه لئلا تقولوا انما انزل
الكتاب على طايفتين من قبلنا ولم ينزل علينا ويجوز ان بمعنى لئن تقولوا انما انزل الكتاب كقوله ان يؤتى احد

مثلما اوتيتم

260

مثلما اوتيتم اى لن يؤتى احد مثلما اوتيتم وقوله عز وجل وان كنا عن دراستهم لغافلين اى وقد كنا
عن دراستهم لغافلين ويجوز ان يكون عن دراستها لانها دراسة الكتب لكن اضيف اليهم الى اولئك القوم وقوله عز وجل
او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب هو على ما ذكرنا لئلا تقولوا لو انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة
من ربكم انزل الله عز وجل هذا القرآن قطعا لحجاجهم ومنعا لعذرهم وان لم يكن لهم الحجاج والعذر وعلى ذلك يخرج
قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لا يكون لهم حجة على الله وان لم ينزل الرسل الكتب ثم يحتمل عذر هؤلاء
ان يقولوا انما انزل الكتاب بلسانهم لم ينزل بلساننا ونحن لا نعرف لسانهم وكنا عن دراستهم لغافلين ولو كان لهم
العذر والاحتجاج بهذا لكان للعجم الاحتجاج والعذر فى تركنا اتباع القرآن لما لم ينزل بلسان العجم ولم يعرفوهم لسانهم
اعنى لسان العرب ثم لم يكن للعجم الاحتجاج بذلك لما جعل لهم سبيل الوصول الى معرفته فعلى ذلك لا عذر للعرب
فى ترك اتباع ما فى الكتب التى انزلت بغير لسانهم لما فى وسعهم الوصول الى معرفتها والتعلم منهم والاخذ عنهم
وهذا يدل على انه يجوز التكليف باشياء ليست معهم اسبابها بعد ان جعل لهم سبيل الوصول الى تلك الاسباب
والثانى من احتجاجهم ان يقولوا ان اليهود والنصارى قد اختلفت وتفرقت تفرقا لا اجتماع بينهم ابدا فكيف
نتبعهم فى ذلك فيقال انه مذاهبهم وكتبهم بما تفرقت بهم وبقولهم فقد انزل من الحجج والبيان ما يعرف ذلك الذى
تفرقهم فلا حجة لهم فى ذلك وهذا كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وقد جاءتهم
آيات فلم يؤمنوا فعلى ذلك قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا وقوله ان تقولوا لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وفى الآية دلالة على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب لانهم
لو كانوا اهل الكتاب صار اهل الكتاب ثلاث طوايف وقد اخبر انه انما انزل الكتاب على طايفتين وذلك محال
فان قيل انما هذا حكاية من الله تعالى عن المشركين ومعناه والله اعلم انى انزلت عليكم الكتاب لئلا تقولوا
انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا فلم يقولوا ذلك ولكن الله قطع بانزال الكتاب حجتهم التى علم انهم كانوا
يحتجون بها لو لم ينزله وان لم يكن لهم فى ذلك حجة ولا عذر وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فقد جاءكم
بينة من ربكم قيل القرآن وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وهدى اى هدى من الضلالة وكل شبهة ورحمة
اى ذلك منه رحمة ونعمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله اى لا احد اظلم ممن كذب بآيات الله قيل بآيات الله
حجج الله وقيل دين الله وقد ذكرناها فى غير موضع وقد ذكر ان قوله فمن اظلم حرف استفهام فى الظاهر ولكنه
من الله على الايجاب كانه قال لا احد اوحش ظلما ممن كذب بآيات الله وصدف عنها وقوله عز وجل هل ينظرون
الا كذا قال اهل التأويل ما ينظرون وحرف هل حرف استفهام وتعجب لكن اهل التأويل قالوا ما ينظرون حملوا
على الجواب لانه لم يخرج له جواب فجوابه ما قالوا ما ينظرون كما قالوا فى قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
اى لا احد اظلم ممن كذب هو جواب لان جوابه لم يخرج فجوابه ما قالوا لا احد اظلم لانه سؤال واستفهام فجوابه
ما ذكروا فعلى ذلك قوله هل ينظرون هو استفهام ولم يخرج الجواب فجوابه لا ينظرون كقوله ما ينظرون الا صيحة
واحدة ثم قوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى ربك او يأتى بعض آيات ربك هذا والله اعلم يشبه
ان تكون الآية فى المعاندين منهم وللمتمردين الذين همتهم العناد والتعنت خرج على اياس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اولئك الكفرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم مشفقا على انفسهم حتى كادت نفسه تذهب
حسرات عليهم حرصا على ايمانهم واشفاقا على انفسهم كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكقوله لعلك
باخع نفسك الآية ونحوه فآيسه الله تعالى عن ايمان اولئك الكفرة لئلا يطمع فى ايمانهم واسلامهم بعد ذلك
ولا يذهب نفسه حسرات عليهم ليتخذهم اعداء ويبغضهم ويخرج الشفقة التى فى قلبه لهم وليتباعد عنهم
ويتبرأ منهم كما فعل ابراهيم فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وكما قال لنوح انه لن يؤمن من قومك الا
من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون آيسه الله عن ايمان قومه الا من قد آمن ونهاه ان يحزن عليهم وعلى فوت

ايمانهم فعلى ذلك هذا ايس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم ونهاهم ان يحزن عليهم كقوله ولا تحزن
عليهم الا الوقت الذى ذكرانهم يؤمنون فى ذلك الوقت وهو وقت نزول الملائكة واتيانهم باياتهم وهو قوله
الا ان تأتيهم الملائكة ثم قال بعضهم تاتيهم الملائكة بقبض الارواح مع اللعن والبعظة فعند ذلك يؤمنون
وقال بعضهم قوله الا ان تأتيهم الملائكة يوم القيمة وهو كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين
ويقولون حجرا محجورا وقوله عز وجل او يأتى ربك على اضمار الامر كانه قال او يأتى امر ربك على ما ذكر فى سورة
النحل او يأتى امر ربك ثم الامر فيه عذاب الله كقوله تعالى فلما جاء امرنا يعنى عذابنا فعلى ذلك فى هذا امر الله
عذاب الله والاصل فيما اضيف الى الله فى موضع الوعيد لا يراد به الذات ولكن يراد به نقمته وعذابه وعقوبته
كقوله ويحذركم الله نفسه لا يريد به ذاته ولكن يريد نقمته وعذابه وكقوله من كان يرجوا لقاء الله لا يريد به
لقاء ذاته وكذلك قوله والى الله المصير والى الله ترجع الامور وغيرها من الآيات لا يراد به ذاته ولكن يراد به
عذابه ونقمته ونقول ان كل شئ يراد به تعظيمه يضاف الى الله تعالى فيراد به تعظيم ذلك اليوم وتعظيم عذابه ونقمته
وقوله عز وجل او يأتى بعض آيات ربك يحتمل بعض آياته ما قال عز وجل فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكقوله
فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم الاية وكقوله سأل سائل بعذاب واقع الاية ونحوه من الآيات يؤمنون عند
معاينتهم العذاب ولا ينفعهم الايمان ويحتمل ما قالوا اهل التأويل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال
وخروج الدابة وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لم ينفع نفسا ايمانها
لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا وقال ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم وامر العامة وخويصة
احدكم الموت وامر العامة الساعة اذا قامت وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال التوبة معروضة حتى
تطلع الشمس من مغربها ثم قال مهما يأت عليكم عام والا خير منه ونحوه من الاخبار فان ثبتت هذه الاخبار
فهى المعتمدة وعن عايشة رضى الله عنها قالت اذا خرج اول الآيات طرحت الاقلام وحفظت الحفظة وحبست
الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وقوله عز وجل لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل اخبر ان الايمان
لا ينفع فى ذلك الوقت لانه ليس بايمان اختيار فى الحقيقة انما هو ايمان دفع العذاب والبأس عن انفسهم كقوله
فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اخبر انهم لو ردوا
الى الدنيا لعادوا الى تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله فدل ان ايمانهم فى ذلك الوقت ايمان دفع العذاب والبأس وايمان خوف
وهو كايمان فرعون حيث قال حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين
لم ينفعه ايمانه فى ذلك الوقت لانه ايمان دفع الهلاك عن نفسه لا ايمان حقيقة باختيار والثانى انه فى ذلك الوقت
وقت نزول العذاب لا يقدر ان يستدل بالشاهد على الغائب ليكون قوله قولا عن معرفة وعلم وانما هو قول
يقوله بلسانه لا عن معرفة فى قلبه فى ذلك الوقت لما ذكرنا وهو كقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن لانه ايمان دفع البأس والعذاب او يبالغ بالاجتهاد حتى يكون ايمانه ايمانا
باجتهاد لذلك كان ما ذكرنا وان يكون فى طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ودابة الارض وما ذكر من البلاء
والشدة والعذاب ما يضطرهم الى الايمان به فيكون ايمانهم ايمان الاضطرار لا اختيار ويشبه ان يكون الاخبار
التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لا تقبل التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج الدجال ودابة
الارض اى لا يثابون على طاعتهم والا فمن البعيد ان يدعون الى الايمان والطاعات ثم اذا اتوا بها لم تقبل منهم
لكنه يحتمل ما ذكرنا لان لا يثابون على ذلك ويعاقبون بما كان منهم من الكفر وكفران النعم لان جهة وجوب
الثواب افضال واحسان وفى الحكمة ترك الافضال بالثواب فى الطاعات اذ كان من الله عز وجل من النعم ما يكون ذلك
شكرا له والعقاب على الكفر مما يوجبه الحكمة لذلك كان ما ذكرنا وهذا يخرج قول ابى حنيفة رحمه الله حيث قال

لا ثواب للجن على طاعاتهم لانه طريق وجوبه الافضال ولم يذكر ذلك ويعاقبون بما كان منهم من الكفران والاجرام
لما ذكرنا من المعنى الذى وصفنا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل لا ينفع نفسا ايمانها عند معاينة العذاب والبأس
والآيات اذا لم تكن آمنت من قبل وقوله عز وجل او كسبت فى ايمانها خيرا اى لا ينفع ذا الابد اذا عملت خيرا ولم تكن
آمنت لا ينفعه ذلك ولم ينفعه ايمانه عند معاينة العذاب والآيات اذا لم تكن كسبت قبل ذلك خيرا وقيل قوله
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا اى لا ينفع نفسا ايمانها اذا لم يعزم ان لا يرتد ولا يرجع
عنه ابدا وقيل لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل اى لا ينفع نفسا ايمانها او كسبت فى ايمانها خيرا اى وكسبت
فى تصديقها التعظيم لله والاجلال له فعند ذلك ينفع صاحبه لانه لا كل تصديق يكون فيه التعظيم له والاجلال
يعنى التعظيم له والاجلال يعنى التعظيم والاجلال اذا لم يكن منه التعظيم له وقيل او كسبت فى ايمانها خيرا اى لم تكن
عملت فى تصديقها خيرا قبل معاينة الآيات وقوله عز وجل قل انتظروا انا منتظرون هو يخرج على الوعيد
اى انتظروا احدى هذه الثلاث التى ذكرنا فانا منتظرون وهو كقوله قل تربصوا فانى معكم من المتربصين
او انتظروا العذاب فانا منتظرون بكم ذلك وقوله عز وجل ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا عن عايشة
وابى هريرة رضى الله عنهما قال احدهما فيكم فى الكفرة وقال الآخر فى اهل الصلوة وقيل هم اليهود وقيل
هم اليهود والنصارى ولكن لا ندرى من هم وليس بنا الى المعرفة من كان حاجة ثم يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل
فارقوا دينهم حقيقة لان جميع اهل الاديان عند انفسهم انهم يدينون بدين الله لا احد يقول انه يدين
بدين غير الله الا ترى انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فهم
وان كانوا عند انفسهم انهم يدينون بدين الله فهم فى الحقيقة فارقوا دينهم وليسوا على دين الله ويحتمل قوله
فارقوا دينهم الذى امروا به ودعا اليه الرسل والانبياء صلوات الله عليهم فارقوا ذلك الدين ويحتمل فارقوا دينهم
الذى دانوا به فى عهد الانبياء والرسل بدين الله فعاد فارقوا ذلك الدين والله اعلم كقوله وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكقوله اكفرتم بعد ايمانكم الاية كانوا مؤمنين
وكانوا شيعا اى صاروا فرقا واحزابا وقوله عز وجل لست منهم فى شئ من الناس من صرف الى قوله لست منهم
اى لست فى قتالهم فى شئ كانه نهاه عن قتالهم فى وقت ثم اذن له بعد ذلك ثم نسخته آية السيف وهذا
بعيد ويحتمل لست منهم فى شئ اى لست من دينهم فى شئ لان دينهم كان تقليدا لابائهم ودينك دين بالحجج
والبراهين فلست منهم اى من دينهم فى شئ ويحتمل لست منهم فى شئ اى لا تسأل انت عن دينهم ولا تحاسب
على ذلك كقوله ما عليك من حسابهم من شئ الاية او يخرج على اياس رسول الله من عود الكفرة الى دين رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى دينهم كقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم الاية وقوله عز وجل انما امرهم الى الله يحتمل
اى الحكم فيهم الى الله ليس اليك هو الذى يحكم فيهم او ان يكون امرهم الى الله فى القتال حتى يأذن لك
بالقتال ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون هو وعيد وقوله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها ليس فى قوله فلا يجزى الا مثلها ايجاب الجزاء فى السيئة وفى قوله فله عشر امثالها ايجاب
الجزاء لانه قال فله كذا فيه ايجاب الجزاء وانما ايجاب الجزاء فى السيئة بقوله من يعمل سوءا يجز به
وغيره من الآيات وقد ذكرنا ان ايجاب الجزاء والثواب فى الحسنات والخيرات افضال واحسان لانه
قد سبق من الله تعالى الى كل احد من النعم ما يكون منه تلك الخيرات جزاء لما انعم عليه وشكرا له ولا جزاء
للجانى الا من جهة الافضال والاكرام واما جزاء السيئة فمما يوجبه الحكمة لما اخرج الفعل منه مخرج الكفران
لما انعم عليه فيستوجب بالكفران العقوبة والجزاء على ذلك والثانى انه خرج الفعل منه فى الخيرات والحسنات
على موافقة خلقته وصورته وتقويمه وتسويته على ما خلقها الله وانشاها وبناها فلم يخرج الفعل منه
على خلاف ما هو بنى عليه فلم يستوجب به الجزاء واما السيئات فهى اخرجها على خلاف خلقتها وتقويمها

وصرفها الى غير الوجه الذى كانت خلقتها وتقويمها فاستوجب بذلك العقوبة والجزاء عليها كقوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وقوله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ليس هو على التحديد حتى لا يزاد عليه
ولا ينقص منه انما خرج والله اعلم على التعظيم لذلك والاجلال لانه اخبر في النفقة التى تنفق فى سبيل الله انها
تزداد وتنمو الى سبعماية ولا يجوز ان يكون له فى الحسنة التى جاء بها فى التوحيد يبلغ الى ما ذكر واذا جاء بنفس ذلك
التوحيد لا يبلغ ذلك او يقصر عن ذلك ولكنها والله اعلم على التعظيم لها وعلى التمثيل كقوله وجنة عرضها كعرض
السماء والارض ذكر هذا لما لا شئ عند الخلق اوسع مما ذكر وكقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
ومثله هو على التمثيل لخروج لعظيم ما قالوا فى الله ليس على انها تنشق او تتفطر فعلى ذلك الاول انه يخرج لما ذكرنا
لا على التحديد له والوقت ثم قوله من جاء بالحسنة فله كذا ومن جاء بالسيئة فله كذا ذكر مجئ الحسنة ومجئ السيئة
ولم يقل من عمل بالحسنة فله كذا ومن عمل بالسيئة ليعلم ان النظر الى ما ختم به وقبض عليه فكان من ختم
بالحسنة وقبض عليها فله كذا لان فيه يعمل بالحسنة ثم يفسدها او ينقضها بارتكاب ما ينقضه ويفسده
من الشرك وغيره وعلى ما روى الاعمال بالخواتيم ثم اختلف فى قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقال بعضهم
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها بعد التوحيد فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة بعد التوحيد فلا يجزى
الا مثلها وقال بعض اهل التأويل من جاء بالحسنة يعنى بالتوحيد فله عشر امثالها لكنه ليس على التحديد
لما ذكرنا ولكن على التعظيم له والقدر عند الله او على التمثيل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لكن التخليد
فى النار مثل الشرك لان الشرك اعظم السيئات وفى الاية دلالة ان المثل قد يكون من غير نوعه حيثا وجب
فى الحسنة من الثواب عشر امثالها ومن السيئة مثلها وليس واحد منهما من نوع الاصل والعمل الذى يثاب عليه
وقيل من جاء بالحسنة فى الآخرة بالتوحيد فله عشر امثالها فى الاضعاف ومن جاء بالسيئة فى الآخرة يعنى الشرك
فلا يجزى الا مثلها فى العظم لجزاء الشرك النار لان الشرك اعظم الذنوب والنار اعظم العقوبة وذلك كقوله
جزاء وفاقا اى وفاقا للعمل وقوله عز وجل وهم لا يظلمون جميعا لا يزاد على المثل ولا ينقص مما ذكر وقوله
عز وجل قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم قال ابو بكر الكيسانى قوله هدانى اى دلنى ربى الى صراط مستقيم
لكن هذا بعيد لانه خرج مخرج ذكر ما من عليه بلطفه وليس فى الدلالة والبيان ذلك لانما عليه البيان وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على الهدى ويبين لهم طريقه ثم اخبر انه لا يهدى من احب بقوله انك
لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء دل ان ذلك اكرام من الله تعالى بالهداية والتوفيق له والعصمة بلطفه
لا الدلالة والبيان وكذلك قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان الاية فلو كان على الدلالة والبيان لكان منه ذلك ثم اخبر ان المنة عليهم لله تعالى لا لرسوله دل انه
لما ذكرنا من الهداية نفسها لا الدلالة وقوله عز وجل دينا قيما قيل قايما مستقيما لا عوج فيه كقوله ولم يجعل له
عوجا قيما والعوج هو الذى فيه الآفة فاخبر ان لا آفة فيه ولا عوج وقوله عز وجل ملة ابراهيم ان اهل الاديان
جميعا يدعون ان الذى هم عليه هو دين ابراهيم فاخبر ان دين ابراهيم هو الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا هم وقوله عز وجل حنيفا قيل مسلما والحنف هو الميل وهو الحنيف اى مايل الى دين الله اخبر انه يدعو الى دين الله
والى الدين الذى كان عليه اباؤه واجداده اعنى به الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وما كان من المشركين
براه عز وجل من الشرك وقيل كان حنيفا خالصا لله مخلصا لم يشرك احدا فى ربوبيته ولا فى عبادته على ما فعل
اولئك الكفرة وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وحفصة دينا قيما فطرتكم التى فطرتم عليها ملة ابراهيم حنيفا
ويقرأ قيما بالتشديد وقيما بالتخفيف ويخرج قوله اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم على الشكر له والحمد على ما انعم
عليه وافضل له من الاكرام له بالهداية بالطريق المستقيم يحتمل القايم بالحق والبرهان وكذلك قوله دينا قيما بالحجج
والبراهين ودينا ولئك دين بهوى انفسهم وكذلك قال حنيفا وقوله قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم وقوله

عز وجل قل ان صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين قيل وقوله عز وجل قل اغير الله ابغى ربا خاطب الله
بهذه الايات رسوله صلى الله عليه وسلم والمراد به الخلق كله فمن بلى بمثل ما كان بلى رسول الله من السؤال والدعاء
فله ان يقرأ ويذكر ما فى هذه الايات ولو كان المراد بالخطاب بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لكان
لا يقول له قل ولكن يقول له افعل كذا ولا تفعل كذا وعلى ذلك الخطاب فى الشاهد فى خطاب بعض بعضا لا يقول
قل فدل انه على ما ذكرنا وكذلك قوله قل هو الله احد من استوصف صفات الله فعليه ان يصف له ما فى سورة
الاخلاص ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الخلايق سواء فى ذلك الخطاب ثم فى قوله قل اننى هدانى
ربى الاية ذكر منته بما هداه والاستيداء الى شكر ما انعم عليه وفى قوله قل ان صلوتى ونسكى الامر باخلاص
العبادة لله عز وجل واسلام النفس له فى جميع احواله محياه ومماته وفى قوله قل اغير الله ابغى ربا فيه الدعاء
الى وحدانية الله وربوبيته ثم فى قوله اننى هدانى ربى دلالة رد قول من يستثنى فى ايمانه لانه امر
ان يقول اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم من غير ان امر بالثنيا فمن استثنى فيه لا يخلو استثناؤه من احد
معنيين اما ان يكون لشك فيه او لكتمان ما انعم الله عليه فعلى كل من انعم الله عليه ان يظهر ذلك وان يشكر له
على ذلك على ما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك وقوله قل ان صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين
يخرج على وجهين احدهما يخرج على الامر بالدعاء لنفسه لانه قال قل اجعل صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى لله
رب العالمين والثانى على المنابذة مع اولئك الكفرة الفجرة يقول انا اجعل صلاتى وعبادتى ومحياى ومماتى
لله لا اجعل لغيره شركاء كما جعلتم انتم لغيره شركاء فى عبادته وصلاته ونسكه والله اعلم ثم اختلف فى قوله
صلاتى قال بعضهم الصلوة المفروضة وقال بعضهم الصلوة الخضوع والثناء يقول ان خضوعى وثناءى لله والصلوة
هى الثناء فى اللغة وقوله ونسكى اختلف فيه قال الحسن نسكى دينى كقوله ولكل امة جعلنا منسكا اى دينا
وقيل نسكى ذبيحتى لله فى الحج والعمرة وغيره وقيل نسكى عبادتى والنسك اسم كل عبادة وعلى ذلك يسمى كل عابد
ناسكا وقوله عز وجل ومحياى ومماتى لله رب العالمين اى انا حى وميت لله لا اشرك احدا فى عبادتى
ونفسى بل كله لله لا شريك له فى ذلك ويحتمل ان يكون هذا على التقديم والتأخير كانه قال قل انى امرت ان اجعل
صلوتى ونسكى لله او انى امرت ان ادعوا واسأل الله ان يجعل صلاتى ونسكى وعبادتى له لا اشرك غيره فيه وقوله
عز وجل وانا اول المسلمين يحتمل قوله وانا اول المسلمين اى وانا اول من خضع واسلم بالذى امرت ان ابلغ لانه امر
بتبليغ ما انزل اليه فيقول انا اول من سلم بالذى امرت بالتبليغ ويحتمل ان يكون لا على توقيت الاسلام ولكن على سرعة
الاجابة والطاعة له كقوله وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها هو على الوصف بغاية العظم ليس على ان بعضها
اكبر واعظم وبعضها اصغر ولكن كلها اعظم واكبر فعلى ذلك هذا ليس على وقت الاسلام ولكن لسرعة الاجابة
والطاعة له والله اعلم الاسلام هو جعل النفس وكلية الاشياء لله سالمة اى انا اول من جعل نفسه لله سالمة
وقوله عز وجل قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شئ يحتمل هذا وجهين يحتمل اغير الله ابغى ربا وقد تعلمون
ان لا رب سواه ويحتمل اغير الله ابغى ربا سواه وفى كل احداث ربوبيته والوهيته قايم ظاهر وفيما تدعونى
اليه احداثا والعبودية والربوبية لله فيه فكيف اتخذ ربا سواه وقوله عز وجل ولا تكسب كل نفس الا عليها
يحتمل وجهين يحتمل لا تكسب كل نفس من سوء الا عليها اى لا يحمل ذلك غيره عنه فى الآخرة وكذلك قوله
ولا تزر وازرة وزر اخرى وكقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ويحتمل ان يكون قوله ولا تكسب كل نفس
الا عليها اى لا تكسب كل نفس لو تركت وما اختارت الا عليها لكن الله بفضله يمنع بعضها وما اختارت على نفسها كقول يوسف
عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اخبر انها كاسبة السوء الا ما عصمها ربى ويجوز ان يكون
على الاضمار كانه يقول ولا تكسب كل نفس الا عليها ولها ومثله جايز فى القرآن كقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا
وهو نذير لقوم وبشير لقوم آخرين نذير فى حال وبشير فى حال وقوله عز وجل ثم الى ربكم مرجعكم

عز وجل قل ان صلوتى

ينبئكم بما كنتم فيه تختلفون هو على الوعيد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كبر للصلوة اتبع
التكبير بهذه الاية ان صلوتي ونسكي الى اخره وعن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا افتتح الصلوة كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلوتي ونسكي
الى قوله من المسلمين وذكر انه كان يدعوا بعد ذلك دعاء طويلا وروي عن عايشة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما
انهما قالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلوة رفع يديه حذاء منكبيه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك فكان ابو حنيفة رحمه الله يختار من ذلك هذا في الفرايض وكذا روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قام الى الصلوة فكبر ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك وكان ابو يوسف يستحب ان يقول بهذه الكلمات والكلمات التي رواها علي بن ابي طالب رضي الله عنه
من غير ايجاب لذلك ولا الخطر لما سواه وكان ابو حنيفة رحمه الله لا يستحب ان يزيد في الفرايض على ما روي عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روت عايشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما روي عن عمر وعبد الله رضي الله عنهما واما في النوافل فله ان يزيد ما شاء فيها من الثناء والدعوات فيحتمل
ان يكون ما رواه علي بن ابي طالب رضي الله عنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك في النوافل وقوله
عز وجل وهو الذي جعلكم خلائف الارض اختلف فيه قال بعضهم جعلكم خلايف الارض يعني اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم جعلهم خلائف من تقدمهم من المكذبين والصديقين ليعلموا ما حل بالمكذبين برسول الله
صلى الله عليه وسلم ليحذروا تكذيبه والخلاف له ويرغبوا في تصديقه والموافقة له والطاعة ليكون لهم
بمن تقدمهم عبرة في التحذير والترغيب ويكون لهم بمن تقدمهم قدوة وعبرة ليعرفوا صحبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كيف يجب ان يصحبوه ويعاملوه من الاحسان اليه والتعظيم له والتصديق ويجتنبوا الاساءة اليه
والتكذيب وقال بعضهم قوله جعلكم خلايف الارض يعني البشر كلهم جعل بعضهم خلايف بعض في الوجود
وفي الاحوال في الحيوة والموت والغناء والفقر والصحة والسقم وفي العز والذل وفي كل شيء وفي الصغر والكبر ليكون لهم
في ذلك عبرة ودليلا على معرفة منشيهم وخالقهم لانه لو انشاهم جميعا معا لم يعرفوا احوال انفسهم وتغيرهم
من حال الى حال ولكن انشاهم واحدا بعد واحد وقرنا بعد قرن ليعرفوا احوال انفسهم وانتقالهم من حال الى حال
ليعرفوا ان منشيهم واحد لانهم لو كانوا جميعا معا لم يعرفوا ما احوالهم من حال نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
ثم من علقة حال الصغر الى حال الكبر وكذلك هذا في جميع الاحوال من الغناء والفقر والصحة والسقم ولو كان كلهم
على حالة واحدة لم يعرفوا ذلك لكن جعل بعضهم خلايف بعض ليدلهم على ما ذكرنا ويحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنه
انهم صاروا خلفا للجان فالاول ليكون في بيان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن المعاملة معه والثاني
في بيان وحدانية الرب وقوله عز وجل رفع بعضكم فوق بعض درجات يحتمل هذا في الاحوال ويحتمل في الخلقة
جعل لبعض فضايل ودرجات على بعض وجعل بعضنا فوق بعض بدرجات في الدنيا ليكتسبوا لانفسهم في الاخرة
الدرجات والفضايل على ما رغبوا في الدنيا في الفضايل الخلقة ودرجات بعض فوق بعض ونفروا في الدون
من ذلك ليرغبهم ذلك في اكتساب الدرجات في الاخرة وينفرهم عن اكتساب ما ينفرون عنه في الدنيا وقوله
عز وجل ليبلوكم فيما اتاكم يحتمل ليبلوكم فيما اتاكم من الاحوال المختلفة من الفقر والغناء والسقم والصحة والصغر
والكبر وغير ذلك من الاحوال ويحتمل فيما اتاكم من النعم اي ليبلوكم بالشكر على ما اتاكم من النعم وقوله عز وجل
ان ربك سريع العقاب قال بعضهم هو اخبار عن سرعة اتيان العذاب لان كل ات قريب كأنه قد جاء وكقوله
اتى امر الله واقترب للناس حسابهم واقتربت الساعة ونحوه انه اذا كان اتى لا محالة جعل كان قد جاء
وقال بعضهم ذلك انباء عن شدة عذابه لمن عصاه وقوله عز وجل ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم
فيما اتاكم قيل يبتلي الموسر في حال الغناء والصحيح في حال صحته ويبتلي الفقير في حال فقره والمريض في حال مرضه

والابتلاء من الله تعالى على وجهين اما امرا بالشكر على ما انعم وصبرا على ما ابتلاه بالشدايد والابتلاء منه
هو ما بين السبيلين جميعا سبيل الحق وسبيل الباطل وبين ان كل سبيل الى ماذا افضاه لو سلكه لو سلك
سبيل الحق افضاه الى النعم الباقية والسرور الدايم وان سبيل الباطل افضاه الى عذاب شديد وخزي دايم ثم خيره
بين هذين فهو في معنى الابتلاء وقوله عز وجل وانه لغفور رحيم للمؤمنين وقد ذكرنا والحمد لله رب العالمين

سورة الاعراف مكية الا واسئلهم عن القرية واياتها مائتان وست

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العليم
بخلقه اللطيف لرشد عباده ضرب لهم الايات والبيان لينقلهم بحكمته وتدبيره من الجهالة الى العلم ومن الضلالة
الى الهدى ووصى به رسوله ان يدعوا عباده الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم
الى الناس كافة وانزل اليه الكتاب تلا فيه ما في الكتب الاولى ليبين لاهل الكتاب والمشركين ان النبي الامي العربي
لم يعلم ما في الكتب الاعجمية الا من عند الله ليكون ذلك وضح لهم في الحجة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل الرسالة معروفا عند الفريقين انه لم يتل كتابا ولا خطه بيمينه ولا كان عندهم من شعرائهم ولا المعروف
بانسابهم وعلم ابنائهم وذلك ابلغ في البرهان فاتى فيه علم الغيوب وفرض الفرايض وحكم فيه الاحكام واتى فيه
الحجج بتاليف يعجز عنه من دون الله ليبين لهم انه من عند الله فانف قومه وابوا ان يسمعوه واستكبروا عليه
وقالوا لولا انزل هذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فاتاهم العليم الخبير من قبل انفسهم وكبريائهم فانزل في الكتاب
كلاما افتتح به السورة لم يكن من كلام قومه فلما سمعوا ظنوا انه بديع ابتدع كابتداعهم البلاغات والاوابد وانفوا
ان يكون محمد يقدر من ذلك على ما لا يقدرون فتدبروا الكتاب ليعلموا اصدون بما بعد من الكلام فسمعوا كلاما مجيدا
حكيما ونباء عظيما وعجايب ومواعظ شافية فدخل اكثرهم في الاسلام وقعد عنه رجلان معاند متعمد
وجاهل مقلد لا ينظر وفيما انزل مما وصف قوله كهيعص وطسم والمر وما اشبهها فقال المص ليعطفهم بها
على النظر فيما بعدها ثم ابتداء فقال كتاب انزل اليك يقول كتاب من ربك لتنذر به عباده فلا يكن في صدرك حرج
منه تقول فلا تضيقن صدرك عن الذي فرض الله عليك فيه من البلاغ الى قومك وبما فرض عليك من البراءة
منهم ومما يعبدون من دون الله فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف ما خافت الرسل من بين يديه فقال موسى
فاخاف ان يقتلون وقد كان يعرف قومه بالتسرع الى القتل فيما ليس مثل ما ياتيهم به فامنه الله منهم بقوله
والله يعصمك من الناس وقال في اخر هذه السورة ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون يعلمونها عن الله تعالى
فانها من اعظم ايات الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اعلمه انهم لا يصلون الى ما يخافهم وفي الاثر ان الله تعالى لما ارسله
الى قومه فقال اي رب اذا شلغوا راسي فيذروه مثل خبزه فامنه الله تعالى من ذلك فقال فلا يكن في صدرك
حرج من البلاغ ولا يضيقن صدرك عما فرض الله عليك من العبادة والحكم الذي تخالف فيه قومك ثم وصف
الكتاب فقال وذكرى للمؤمنين يقول يتذكرون بما فيه ويتدبرونه فيعلمون به الحق من الباطل ويذكرون به ما فرض الله
عليهم ويحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة خطابا خاطب الله بها رسله يفهمونها لا يفهمها غيرهم
على ما يكون للملوك الارض بينهم وبين خواصهم اشارات يفهمها خواصهم ولا يفهمها غيرهم هذا متعارف فيما بين
الخلق ان يكون لهم فيما بينهم وبين خواصهم ما ذكرنا فعلى ذلك يحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة خطابا
من الله خاطب بها رسله وهم خواصه يفهمونها ولا يفهمون غيرهم ثم وجه فهمهم يكون لوجهين يخبرهم
فيقول اني اذا انزلت اليكم كذا لم ادع من ذلك كذا او كان البيان والمراد منها معروفا بها وقت انزالها فهو المراد
منها بما افهمه الله واراهم ما لم ير ذلك غيرهم كقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله
اري رسله اشياء لم ير ذلك غيرهم ولا اطلعهم على ذلك فهي من المتشابه على غيرهم واما على الرسل فليس من المتشابه

وقال الفراء يحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة المتفرقة التي انزلها من ا ب ت ث الى آخرها كانه قال
اني جمعت هذه الحروف المتفرقة فجعلتها كتابا فانزلتها من نحو المص والم الله والم ذلك الكتاب والمر ونحوه والله اعلم
بما اراد بذلك وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب مقدار ما حفظنا وفهمنا من اقاويل اهل العلم في ذلك وقوله
عز وجل فلا يكن في صدرك حرج منه قيل الحرج هو الضيق في الصدر ثم يحتمل ضيق الصدر وجوها يحتمل ضيق الصدر
ما يحمل عليه في ذلك من الشدايد والخطرات بتبليغه الى الكفرة الذين نشأوا على الكفر والشرك وخاصة الفراعنة
والملوك الذين همتهم القتل والاهلاك لمن استقبلهم بالخلاف وان يوسوس في صدره الشيطان انه ليس من عند الله
او ان يقول له انه من اساطير الاولين على ما قالوا اولئك الكفرة ما هذا الا اساطير الاولين ثم يحتمل قوله فلا يكن في صدرك
حرج منه على النهي اي لا يكون في صدرك منه حرج اي لا يضيقن صدرك مما حمل عليك وقال بعضهم فلا يكن في صدرك
حرج اي شك انه من عند الله نزل وقد ذكرنا ان العصمة لا يمنع النهي لانه بالنهي ما يكون تعصمه ويحتمل ليس على النهي
ولكن على ان لا تحمل على نفسك ما فيه هلاكك كقوله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون وكقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ليس على النهي ولكن على ان لا تحمل على نفسك ما فيه هلاكك فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم آمنه الله عز وجل
آمنه عما كان يخاف من اولئك بقوله والله يعصمك من الناس وآمنه من وساوس الشيطان على ما روي في الخبر
انه قيل الك شيطان فقال كان ولكن اعانني عليه فاسلم آمن عز وجل رسوله عن ذلك كله لما ذكرنا وقوله
عز وجل لتنذر به يحتمل انه امر ان ينذر به الكفرة ويبشر المؤمنين كقوله لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين
فعلى ذلك قوله لتنذر به الكفرة وذكرى للمؤمنين اي بشرى على ما ذكرنا ويكون في الانذار بشرى لانه اذا انذر
فقبل الانذار فهو له بشرى ويحتمل قوله لتنذر به اي الكل الموافق والمخالف جميعا كقوله نذيرا للعالمين وذكرى
للمؤمنين اي الذي ينتفع به المؤمنون وقوله عز وجل اتبعوا الآية لا تتبعوا اولئك في التحليل والتحريم وفي الامر
والنهي لانه ليس الى الخلق التحليل والتحريم وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امر المؤمنين ان يتبعوا ما انزل اليهم
من ربهم على ما امر رسوله ان يتبع ما انزل اليه من ربه كقوله اتبع ما اوحي اليك من ربك ليعلم ان ما انزل الى رسول الله
هو منزل الى المؤمنين جميعا وقوله عز وجل اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فيما ذكر وما يحل وما يحرم وما يؤمر وينهى
ولا تتبعوا من دونه اولياء قيل اربابا اي لا تتبعوا من دونه اولياء فيما يحلون ويحرمون ويأمرون وينهون اي بما عليهم
اتباع ما حرم عليهم واستحلال ما احل لهم واما انشاء التحليل والتحريم فلا وقال بعض اهل التاويل اولياء
اي الاصنام والاوثان ولكن لا يحتمل ههنا ولكن ما ذكرنا انهم كانوا يتبعون عظماءهم في التحليل والتحريم كقوله
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكانوا لا يتخذون اولئك الاحبار اربابا في الحقيقة ولكن كانوا
يتبعونهم فيما يحلون ويحرمون ويصدقون اراءهم فسموا بذلك لشدة اتباعهم اولئك في التحليل والتحريم والله اعلم
وقوله عز وجل قليلا ما تذكرون قال اهل التاويل يعني بالقليل المؤمنين ولكن يحتمل قوله قليلا ما تذكرون
اي لا يتذكرون راسا لان الخطاب جرى فيه لاولئك الكفرة وفيهم نزلت الآية وقوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها
قال اهل التاويل كان يخوف اهل مكة بتكذيبهم الرسول باهلاكه الامم الخالية بتكذيبهم الرسل بقوله وكم من قرية
اهلكناها بتكذيبهم الرسل فانتم يا اهل مكة تهلكون بتكذيبكم الرسول وان كانوا لا يعرفون هم اهلاك الامم الماضية
انه انما اهلكوا بتكذيبهم الرسل غيرانهم وان كانوا لا يعرفون هم ذلك بانفسهم لما ليس عندهم كتاب لكن يصلون الى علم
ذلك بمن عندهم الكتب وهم اهل الكتاب فيلزمهم الحجة كالعجم وان كانوا لا يعرفون الكتاب الذي نزل بلسان العرب
فان الحجة تلزمهم بذلك لما كان لهم سبيل الوصول الى علم ذلك بالعرب فعلى ذلك هؤلاء وان لم يكن عندهم
علم باهلاك اولئك فتلزمهم الحجة باعلام اهل الكتاب اياهم وفي الآية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عن اهلاك الامم الخالية بتكذيبهم الرسل وهو لم ينظر في كتبهم ولا اختلف اليهم ليعلم عن ذلك
ثم اخبرهم بذلك فدل انه انما عرف ذلك بالله عز وجل وقوله عز وجل فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون

قال ابو بكر

قال ابو بكر الكيساني الباس هو كل امر معضل شديد من المرض والجوع وغيره ويقول روي عن عمر انه لما طعن له قيل له
لا باس عليك فقال ان كان في القتل باس بذهث واما غيره من اهل التاويل فقالوا الباس العذاب وباسنا عذابنا
وقوله عز وجل بياتا او هم قائلون البيات بالليل والقيلولة بالنهار عند الظهيرة وهما وقتا الغفلة او وقتا الامن
اخبر انه انما ياتيهم عذابه في حال الغفلة او في حال الامن لئلا يكونوا غافلين عن امره ولا يكونوا آمنين عن عذابه
وقوله عز وجل فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا اي ما كان دعويهم قبل نزول العذاب الا انهم قالوا نحن على الحق
وان غيرهم على الباطل فاذا جاءهم باسنا اعترفوا بظلمهم كقوله الا ان قالوا انا كنا ظالمين وقال بعضهم فما كان
دعويهم حين نزول العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين وقوله عز وجل فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين
يذكر في هذه الآية ان يسألهم جميعا الرسل والمرسلين اليهم وقال في آية اخرى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس
ولا جان وقال لا يسال عما يفعل وهم يسألون ولكن قوله لا يسال عن ذنبه اي لا يسال عما فعل وعن نفس ما ارتكب
كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده الآية لم اذنبت وما فعلت ولكن يسال لماذا فعلت يسال عن الحجة لم اذنبت
ولم فعلت ذا او ان يسال في وقت ولا يسال في وقت آخر وقال بعضهم لا يسال عن ذنبه غيره وانما يسال صاحبه
وفاعله يخبر والله اعلم ان امر الآخرة على خلاف امر الدنيا لان في الدنيا قد يؤاخذ غيره بذنب آخر ربما ويسال
احضار قريبه واما في الآخرة فانه لا يؤاخذ غيره بذنب آخر لذلك كان ما ذكرنا او ان يكون قوله لا يسال عما اظهر وابدى
ولكن يسال عما اسر واخفى لان الملائكة قد يكتبون ما ابدوه واظهروه كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
فيقع السؤال عما اسروا على التقرير ولا يسال بعد ذلك وقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين
قال بعض اهل التاويل يسال الرسل عن تبليغ الرسالة الى الامم ويسال قومهم هل بلغ الرسل اليهم الرسالة ويكون
سؤالهم الرسل سؤال شهادة كقوله ليكونوا شهداء على الناس الآية انه قد بلغ الرسالة وقال بعضهم يسال الملائكة
عن تبليغ الرسالة الى الانبياء ويسال الانبياء عن تبليغ الملائكة اليهم وامكن ان يكون السؤال للرسل عما اجيبوا وكان
سؤال الامم عما اجابوا الرسل كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وكقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
او ان يكون سؤال القوم سؤال التقرير عندهم واقرارهم كانوا ينكرون التبليغ اليهم كقوله واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله هذا السؤال سؤال تقرير وتعيير لا غير لانه كان يعلم انه
لم يكن قال لهم ذلك لكنه يسالهم سؤال تقرير ليقروا بذلك لئلا يقولوا هو قال لهم ذلك لانهم ان عيسى هو الذي
قال لهم ذلك فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين عن عملهم وصنيعهم ولكن
يسالون لما ذكرنا والله اعلم يشبه ان يكون فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ذكر هذا لما يحتمل ان يظن به الخفاء عليه
لما ذكر من المسالة لهم والسؤال وهو الاستخبار عما ليس ويظن ليظهر ذلك هذا هو معنى السؤال في الشاهد الاستخبار
فاخبر عز وجل بقوله فلنقصن عليهم بعلم على ان سؤاله ليس بسؤال استخبار واستظهار له ولكن سؤال التوبيخ
وتقرير او سؤال الشهادة وعلى هذا يخرج الابتلاء منه والامتحان لتقرير الامر والنهي لا لاظهار شيء خفي عليه وان كان
في الشاهد يكون لذلك وان يصير ما قد خفي عليهم باديا ظاهرا عندهم فسمي ذلك الامر منه والنهي ابتلاء وامتحانا
لما عند الخلق ابتلاء وامتحان وان كان عند الله لا يحتمل ذلك فسمي بالذي فيما بينهم والله اعلم وقوله عز وجل والوزن
يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك كذا قال الحسن يكون ميزان له كفتان
يوزن فيه الحسنات والسيئات فمن ثقلت موازينه دخل الجنة ومن خفت موازينه دخل النار وقال غير من اهل التاويل
يريد بالموازين الحسنات والسيئات نفسها فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل
النار الى هذا ذهب اكثر اهل التاويل ولا يحتمل ما قالوا اما قول الحسن ميزان له كفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات
لا يحتمل لانه قال فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون اذا ثقل احدى الكفتين خفت الاخرى واذا خفت احديهما
ثقلت الاخرى فكل واحد منهما من يثقل موازينه ويخف وقد اخبر في الآية ان من ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون

ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم ولا يحتمل ايضا ما قاله غيره من اهل التاويل انه اراد به
بالموازين الحسنات والسيئات لان الاية في المؤمنين والكافرين فلا سيئة ترجح في المؤمن مع ايمانه ولا حسنة ترجح
في الكافر مع شركه الا ان يقال ان يوزن حسناته ويقابل بسيئاته دون ايمانه وكذلك الكافر يقابل سيئاته بحسناته
دون الشرك فذهب حسناتهم التي كانت لهم في الدنيا بما انعم عليهم في الدنيا فقد عجل لهم جزاء حسناتهم التي عملوا ها
في الدنيا بما انعم عليهم في الدنيا واما المؤمن فيتجاوز عن سيئاته ويتقبل عنهم احسن ما عمل كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم
احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم او ان يكون ما ذكر من الميزان هو الكتاب الذي ذكر في اية اخرى كقوله فاما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا واما من اوتي كتابه وراء ظهره الاية وكما قال فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا
كتابيه واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه وقال بعضهم الوزن هو العدل كقوله ونضع الموازين القسط
لم يقل نضع الموازين بالقسط ولكن قال ونضع الموازين القسط والقسط هو العدل فهو هاهنا دعا العدل انه يعدل بينهم
يومئذ وقال بعضهم الوزن يومئذ الحق اي الجزاء يومئذ الحق يجزى للطاعة الحسنة والثواب وللسيئة عقاب
وعذاب فهو حق وقال بعضهم قوله الوزن يومئذ الحق اي الطاعة حق كل مطيع فهو حق ويحتمل ان يكون الوزن الحدود
والتقدير كقوله وانبتنا فيها من كل شيء موزون اي محدود مقدر فعلى ذلك قوله الوزن يومئذ الحق اي الحد يومئذ الحق
لا يزاد على السيئات ولا ينقص من الحسنات التي عملوا في الدنيا والله اعلم بما اراد بالوزن ثم قال اهل التاويل في قوله
فاولئك الذين خسروا انفسهم اي غبنوا وذلك انه ما من احد من مؤمن وكافر الا وله في الجنة والنار منزل واهل فيرث
المؤمن المنزل الذي كان للكافر في الجنة ويرث الكافر المنزل الذي للمؤمن في النار فذلك الخسران الذي خسروا
لكن هذا لا يحتمل ان يكون الله تعالى يجعل للكافر في الجنة منزلا واهلا مع علمه انه لا يؤمن ويختم على كفره ويحتمل
الخسران الذي ذكر هو انهم خسروا في الدنيا والاخرة لما فات عنهم النعم التي كانت لهم في الدنيا ولم يصلوا الى نعيم
الاخرة فذلك هو الخسران المبين في الدنيا والاخرة وقوله عز وجل بما كانوا باياتنا يظلمون قال الحسن باياتنا
ديننا يكذبون ولكن باياتنا يظلمون اي يضعونها في غير موضعها وهو ما ذكر من ظلمهم الايات لان الظلم وضع الشيء
غير موضعه ثم المسئلة فيمن ارتكب كل ذنب وكبيرة في حال كفره ثم امن في اخره صار ما كان ارتكب في حال الكفر
من الكباير مغفورا معفوا عنه غير مؤاخذ بها ومن ارتكب ذلك في حال ايمانه وختم الايمان لم يعمل الايمان في تكفير
وكان مواخذا به وذلك والله اعلم لوجهين احدهما ان ليس على الكافر نفس افعال الطاعات واعيانها انما عليه قبول
تلك الاعمال فاذا اسلم فقد قبلها ولم يكن عليه في ذلك الوقت الا القبول لذلك لم يؤاخذ بما كان منه من الاعمال
واما المؤمن فعليه نفس افعال تلك الطاعات وتلك الاعمال وقد كان منه القبول منه التفريط في تلك الاعمال
والثاني ان الكافر اذا اسلم بعد ما ارتكب من الكباير لم يخرج ايمانه ولا ادخل فيه نقصا فلم يؤاخذ بما كان منه لما قدم
على ربه بايمان كامل واما المؤمن اذا ارتكب كبايرا فقد جرح الايمان وادخل فيه النقصان بعمله الذي يخالف الايمان
ولا يوافقه لذلك افترقا ويشبه ان يكون قوله فمن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه على التمثيل ليس على تحقيق
الميزان والخفة ولكن على الوصف بالعظم لاعمال المؤمنين وبالخفة والتلاشي لاعمال الكافرين لان الله عز وجل
ضرب لاعمال المؤمنين المثل بالشيء الثابت والطيب ووصف اعمالهم بالثبات والقرار فيه وضرب لاعمال الكافرين
المثل وشبهها بالشيء التافه التالف ووصفها بالبطلان والتلاشي كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء ووصف اعمالهم بالطيب والثبات والقرار ووصف اعمال الكافرين
بالخبث والتلاشي والبطلان كقوله ومثل قوله كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار
وقال في اية اخرى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وقال والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وكقوله فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع
الناس فيمكث في الارض ونحوه من الايات ووصف اعمال المؤمنين بالثبات والقرار واعمال الكفرة بالذهاب والبطلان

فعلى ذلك قوله فمن ثقلت موازينه وصف بالعظم والقرار والثبات ومن خفت موازينه وصف بالبطلان
والتلاشي اذ لا يكون لهم من الخيرات شيء ينتفعون بها في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل ولقد مكناكم في الارض
قال ابو بكر الكيساني مكناكم اي مكناكم في الارض وجعلنا في الارض وجعلنا لكم فيها معايش يتعيشون بها يذكرهم نعمه ومنته
بما ملكهم في الارض وجعل لهم منافع ليشكروا الله عليها وقال الحسن مكناكم اي جعلناكم مستخلفين عمن تقدمهم بمكانهم
يذكر عز وجل ايضا نعمه عليهم بما جعلهم خلفاء الاولين وجعل لهم معايش ويخوفهم زوال ذلك عنهم بما صار ذلك
بزوالها عن الاولين وامكن ان يكون يذكرهم هذا بما جعل لهم مكانا للقرار وموضع الاستقرار والتقلب والتعيش
والبشر لا بد له من ذلك وكله يرجع الى واحد كقوله المر يروا انا جعلنا حرما امنا او جعلنا لهم حرما امنا لكم بحيث
تأمنون فيه وتتقلبون وتتعيشون فيه ويتخطف الناس من حولهم يذكرهم عظيم نعمه ومنته التي جعلها لهم هذا
اذا كان الخطاب به لاهل مكة وان كان الخطاب به الناس كافة فيخرج على تذكير النعم لهم حيث جعل الارض لهم بحيث
يقرون فيها ويتقلبون وقوله عز وجل قليلا ما تشكرون يحتمل وجوها وكذلك قوله قليلا ما تذكرون احدها
انهم كانوا يقرون انه خالقهم بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله كانوا بالوهيته ويصرفون
العبادة الى غيره فلذلك قال قليلا ما تشكرون والثاني اي لا تشكرون ولا تذكرون البتة ويحتمل قليلا ما تشكرون
اي المؤمنين يشكرون ولا يشكر اولئك والمؤمنون قليل وهم اكثر والثالث اي ليس في وسعهم القيام بشكر
الجميع فذلك الشكر قليل وقوله عز وجل لقد خلقناكم ثم صورناكم قال الحسن قوله خلقناكم ثم صورناكم اراد ادم
خاصة لانه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم احتج بانه امر الملائكة بالسجود لادم بعد الخلق
ولو كان المراد منه بنيه لكان بعد خلقنا وقد كان السجود قبل ذلك وقال غيره المراد منه البشر كله لانه قال
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم ولو كان المراد لادم بقوله خلقناكم ثم صورناكم خاصة لكان لا يذكر ادم ثانيا
فدل انه اراد ذريته وقال بعضهم خلقناكم ادم ثم صورناكم في ارحامكم ويحتمل ما قال الحسن ويحتمل وجها اخر وهو
ان قوله ولقد خلقناكم اي قدرناكم من ذلك الاصل وهو نفس ادم لان الخلق هو التقدير كما تقول انا خلقته اي قدرته
يقول والله اعلم خلقناكم اي قدرناكم جميعا من ذلك الاصل والكيان ومنه صورناكم ثم قلنا للملائكة اي وقد قلنا
للملائكة اسجدوا لادم وذلك جايز في اللغة وقد يقول بعض اهل الكلام ان النطفة هي انسان بقوة ثم يصير انسانا
بفعل ويقول بعضهم هي كتاب بالانسان فجايز ان يكون اضافنا الى ذلك الطين لما هو كيان واصل لنا وقوله عز وجل
فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال الحسن ابليس لم يكن من الملائكة وذلك ان الله عز وجل وصف الملائكة
جملة بالطاعة والخضوع بقوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وغيره من الايات فلم يكن ابليس الا كل شر وقال ايضا خلق الملائكة من نور وابليس من نار وعلى ما ذكر والنار
ليست من جوهر النور دل انه ليس من الملائكة وقال في قوله فسجدوا الا ابليس مثل هذا يجوز ان يقال دخل هذه الدار
اهل البصرة الا رجل من اهل الكوفة دل الاستثناء الا ان دخل هنالك اهل الكوفة فعلى ذلك يدل استثناء ابليس
على ان قال هنالك امر بالسجود لادم لغير الملائكة ايضا ولكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انه كان من الملائكة او من غيرهم
انما علينا ان نعرف انه عدو لنا وقد ذكرنا هذه فيما تقدم عز وجل ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قيل قوله ما منعك
ان لا تسجد اي ما منعك ان تسجد على ما ذكر في اية اخرى ولا زايد وقوله عز وجل انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين ثم علم عدو الله ان المخلوق من النار خير من المخلوق بالطين الا ان يقال بان النار جعلت لمصالح الاغذية
فمن هنا وقع له ذلك انها خير من الطين فيقال ان النار وان جعلت لاصلاح الاغذية فالطين جعل لوجود الاغذية
فالذي جعل لوجود الشيء هو انفع واكبر من الذي جعل لصلاحه ولعل الاغذية تصلح للاكل بغيرها بالشمس
وغيرها وبعد فان الطين مما يقوم في النار ويطفيها ويتلفها والنار لا تقوم للطين ولا تتلفه فاذا كان كذلك
فلا يجوز ان يقع من هذا الوجه انها افضل واخير من الطين ثم اختلف في الجهة التي كفر عدو الله ابليس قال بعضهم

انا ابليس عدو الله لم ير لنفسه طاعة بامر السجود لادم لذلك كفر وقال آخرون انما كفر عدو الله لما لم ير الامر
بالخضوع والطاعة من فوقه لمن دونه حكمة فكفر لما لم ير انه وضع الامر بالسجود موضعه بل راه لعنه الله وضعا
امره غير موضعه وقال غيرهم كفر عدو الله بالاستكبار والتكبر على آدم لا لمعنى آخر وقيل اول من اخطأ
في القياس وزل فيه ابليس لعنه الله وقوله عز وجل فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها اختلف فيه قال بعضهم
قوله اهبط منها يعني من السماء لانه لعنه الله كان في السماء فامر بالهبوط منها لما جعل السماء معدنا ومكانا
للخاضعين المتواضعين فامر بالهبوط منها الى مكان جعل ذلك المكان مكان الخاضعين والمتكبرين جميعا
وعلى الارض ان الارض معدن الفريقين جميعا وقال بعضهم الامر بالهبوط عنها امر بالخروج من الارض الى جزاير
البحور لان الارض هي قرار اهلها وجزاير البحور ليست مكان قرار لاحد ليكون فيها على الخوف ابدا الا ترى انه
قال وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم والبحار مما لا يمتد باهلها وامكن ان يكون الامر بالهبوط منها امرا بالخروج
من الصورة التي كان فيها الى صورة اخرى لا يعرف ابدا ولا يرى عقوبة له لتركه امر الله وارتكابه نهيه فما يكون لك
ان تتكبر فيها في تلك الصورة وفي تلك الارض حتى لا يقر ابدا ويكون على خوف ابدا ويحتمل في السماء لما ذكرنا وقوله
عز وجل فاخرج انك من الصاغرين ووجه صغاره انه ما من احد ذكره الا وقد لعنه ودعا عليه باللعن فذلك
صغاره وامكن ان يكون صغاره لما يصيره بحال يغيب عن الابصار ولا يقع عليه البصر ولما طرده عن رحمته وقوله
عز وجل انظرني الى يوم يبعثون اختلف فيه قال بعضهم انظرني الى النفخة الاولى لئلا يذوق فيتصل حيوة الدنيا بحيوة الآخرة
وهو ما ذكر في آية اخرى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقال بعضهم انظرني الى يوم البعث حيث قال انظرني
الى يوم يبعثون فقال انك من المنظرين خرج ذلك جوابا لسؤاله وما ذكر من الوقت المعلوم في آية اخرى يحتمل ان يكون
هو ذلك اليوم وقال غيره انظره ولم يبين له ذلك الوقت الذي انظره الى ذلك الوقت حتى يكون ابدا على خوف ووجل
الا ترى انه قال فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم لو كان الوقت الذي انظره معلوما عنده لكان لا يخاف
الهلاك بدون ذلك الوقت دل انه كان غير معلوم عنده وقوله عز وجل فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك
صراطك المستقيم قال الحسن قوله فبما اغويتني اي بما لعنتني والاغواء هو اللعن كقوله فانك من الرجيم اي الملعون
فعلى ذلك قوله اغويتني اي لعنتني وقال ابو بكر الكيساني اضاف الاغواء الى نفسه لما كان سبب ذلك منه وهو امر
الله اياه بالسجود لآدم والخضوع له ويجوز ان يضاف مثل ذلك لما كان منه السبب نحو قوله ومنهم من يقول ائذن لي
ولا تفتني سال منه الاذن بالقعود ولا تكلفني بما لا اقوم فتفتني بذلك وقال انما اضاف ذلك اليه لما كان منه
سبب ذلك الافتتان فعلى ذلك هذا وقال بعض المعتزلة هذا قول ابليس فبما اغويتني وقد كذب عدو الله
لم يغوه الله فيقال لهم فان كان ابليس عدو الله قد كذب في قوله فبما اغويتني فيقولون بان نوحا صلوات الله عليه
قد كذب حيث قال ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اضاف الاغواء اليه دل هذا
على ان ابليس لم يكذب باضافة الاغواء الى الله ولكن عندنا انه اضاف الاغواء الى نفسه لما خلق فيه فعل الغواية
والضلال على ما ذكرنا في غير موضع ليس كما قال هؤلاء انما اضيف اليه لمكان ما كان منه سبب ذلك لانه لو جاز
ان يضاف فعل الاغواء اليه لسبب الاغواء لجاز ان يضاف الى الرسل والانبياء لانه كان منهم الامر لقومهم والدعاء
الى توحيد الله ثم كذبوا في ذلك فكان سبب اغوائهم اولئك هم الرسل فذلك يبعد وكذلك لو كان الاغواء هو اللعن
لكان كل لاعن عليه فهو مغويه وقال بعضهم اغويتني اي خذلتني والوجه فيه ما ذكرنا انه خلق فيه فعل الغواية
والضلال وكذلك من كل كافر خذله لما علم منه انه يختار الغواية والضلال وقوله عز وجل لاقعدن لهم ليس على حقيقة
القعود ولكن على المنع عن السلوك في الطريق وعلى التلبيس عليهم الطريق المستقيم والستر عليهم لان من قعد في الطريق
منع الناس عن السلوك فيه وقوله عز وجل ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية قال الحسن من بين ايديهم
من قبل الآخرة تكذيبا بالبعث والجنة والنار ومن خلفهم قال من قبل دنياهم يزينها لهم ويشهيها اليهم وعن ايمانهم

قال من قبل الحسنات يبطيهم عنها وعن شمائلهم قال من قبل السيئات يأمرهم بها ويحثهم عليها ويزينها في اعينهم
وعن مجاهد ثم لآتينهم من بين ايديهم قال من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث
لا يبصرون وقيل من بين ايديهم من قبل آخرتهم فلا اخبرنهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث على ما ذكر الحسن ومن خلفهم
من قبل دنياهم يأمرهم بجمع الاموال فيها لمن بعدهم من ذراريهم واخوفهم عليهم الضيعة فلا يصلون في اموالهم رحما
ولا يعطون لها حقا وعن ايمانهم من قبل دينهم فازين لكل قوم ما كانوا يعبدون فان كانوا على ضلالة زينتها لهم
وان كانوا على هدى شبهته عليهم حتى اخرجهم منه وعن شمائلهم من قبل اللذات والشهوات فازينها لهم هذا الذي
ذكر اهل التأويل ويحتمل ثم ذكر الامام والخلف وعن ايمان وعن شمال ولم يذكر فوق ولا تحت فيحتمل ان يدخل ما فوق
وما تحت بذكر امام واليمين والشمال والخلف كقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء دخل ما فوق بذكر ما بين ايديهم ودخل تحت بذكر الخلف فعلى ذلك
هذا يدخل ما تحت وما فوق بذكر ما ذكر فيصير كانه قال فيأتيكم من كل وجه ويحتمل انه لم يذكر هذا لما انه لا سلطان له
على منع الارزاق والبركات لان ارزاق الخلق والبركات مما ينزل من السماء من المطر ويخرج من الارض النبات فليس له
سلطان على منع انزال المطر واخراج النبات من الارض وله سلطان على غير ذلك ويكون لما يشغلهم ويشهيهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من اللذات والشهوات لما اذا رأى شيئا اعجبه اتبع النظر اليه واحدا بعد
واحد من امام ووراء ويمين وشمال ولا كذلك من تحت ولا من فوق او ان يكون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه اذا تلا هذه الآية قال ان الله منعه من ان يأتيهم من فوقهم ولو كان ذلك لما نجا احد فانما لهم تصعد الى الله ورحمته
تنزل عليهم وقال قتادة اتاك اللعين من كل نحو يا ابن آدم غير انه لا يستطيع ان يحول بينك وبين رحمة ربك انما تأتيك
الرحمة من فوقك والذي ذكرنا انه على التمثيل انه يأتيه من كل جانب اشبه وقوله عز وجل ثم لآتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم يخرج على وجهين احدهما ليس على ارادة بين وخلف وايمان وشمال ولكن
على ارادة الجهات كلها كانه يقول لآتينهم من كل جهة والثاني ما ذكر الحسن واهل التأويل من بين ايديهم الآخرة تكذيبا بها
ومن خلفهم الدنيا تزيينا بها عليهم وعن ايمانهم الحسنات وعن شمائلهم السيئات وقوله عز وجل ولا تجد اكثرهم شاكرين
هذا من عدو الله ظن ظنه لا قاله حقيقة لكن الله عز وجل انه اخبر انه صدق ظنه بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
بقوله ولقد صدق ظنه عنا وقوله عز وجل اخرج منها يحتمل منها من السماء ويحتمل من الارض ويحتمل من الصورة التي
كان فيها على ما قلنا في قوله اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها وقيل الجنة وقوله عز وجل مذءوما مدحورا قيل
مذموما ملوما اي مذموم ملوم عند الخلق جميعا مدحورا قيل مقصيا مبعدا من كل خير قال ابو عوسجة مذءوم ومذموم
واحد ومدحورا مباعدا مطرودا وقوله اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين اخبر
عز وجل انه يملأ جهنم من ابليس ومن تبعه واطاعه لانهم انما يتبعونه ويطيعونه في الكفر والشرك لتعلق الخوارج بظاهر
قوله لمن تبعك منهم وكل مرتكب معصية تابع له لذلك استوجب الخلود وقالت المعتزلة كل مرتكب كبيرة بوعيد هذه
الآية لانه تابع له وعندنا ليس لهم في الآية حجة في تخليدهم ذكروا في النار لانه انما ذكر تعالى اثر نقض الدين ورد التوحيد
فكانه قال لمن تبعك في نقض الدين ورد التوحيد لاملأن جهنم منكم اجمعين وقوله عز وجل ويا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما كان السكون في موضع القرار فيه والامن كقوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتقروا فيه وتأمنوا
فقوله لآدم اسكن انت وزوجك الجنة اسكنهما عز وجل ليقروا فيها ويأمنوا من ما ينغصها تلك النعم التي انعم عليهما لان الجنة
مما ينغص النعم ويذهب بلذتها فلما اسكنهما الجنة امنهما عن ذلك كله ثم فيه ان اول المحنة والابتلاء من الله لعباده
انما يكون بالانعام والافضال عليهم ثم بالجزاء والعدل بسوء ما ارتكبوا لانه عز وجل امتحن آدم اولا بالافضال والانعام
عليه حيث اسجد ملائكته له واسكن جنته ووسع عليه نعمه ثم امتحنه بالشدائد وانواع المشقة جزاء ما ارتكبوا
من التناول من الشجرة التي نهاه عن قربانها فهو ما ذكرنا ان شرط امتحانه عباده في الابتداء يكون بالافضال والانعام

ثم بالعدل والجزاء لسوء صنيعهم الا ترى انه قال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم اخبر ان ما يصيبنا هو من كسب
ايدينا وهو جزاء ما كسبنا فيه وفي غيرها من القصص الذكر دليل اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لانه
اخبر ما كان من غير ان اختلف الى احد ممن يعرف ذلك ولا نظر في الكتب التي فيها دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى
ثم اختلف اهل التاويل في الجنة التي اسكن عز وجل آدم فيها وزوجته قال بعضهم هي الجنة التي يكون موعود اهل الاسلام
اليها في الآخرة ولهم وعد عز وجل تلك الجنة وقال بعضهم هي الجنة انشاها لآدم ليسكن فيها في السماء ولكن لا ندري
ما تلك الجنة وليس لنا الى معرفة تلك الجنة حاجة انما الحاجة الى ما ذكر من المحن واختلفوا ايضا في الشجرة التي نهي آدم
عن قربانها قال بعضهم هي شجرة العلم وقال بعضهم هي شجرة الحنطة وقد ذكرنا اقاويل اهل التاويل واختلافهم
في صدر الكتاب قدر ما حفظناه وكذلك اختلفوا في وسوسة الشيطان لآدم وحواء انه كيف وسوس اليه ومن اين
كان وهذا ايضا قد ذكرناه في تلك القصة والحسن يقول انما وسوس اليهما من الدنيا لا ان كان دخل الجنة وقال بعضهم
وسوس اليهما من راس الحية ومن فيها يكلمهما وقوله عز وجل ولا تقربا هذه الشجرة لم يرد به الدنو منها ولكن اراد الذوق
والاكل منها الا ترى انه قال فلما ذاقا الشجرة دل ان النهي لم يكن للدنو منها ولكن للذوق والاكل منها وفيه ان الامتحان
من الله مرة يكون بالحل ومرة بالحرمة لانه اذن له التناول مما فيها من انواع النعم وحرم عليه التناول من واحدة منها
فذلك محنة منه ثم النهي عن التناول عن الشيء يخرج على وجوه احدها ينهى بحق الحرمة لنفسه وينهى بحق ايثار الغير
عليه وينهى عن التناول منه لداء فيه وآفة وينهى لما يخرج التناول منها بحق الجزاء فلم يكن بعد وقت الجزاء له وقوله
عز وجل ما ووري عنهما من سوآتهما وقوله ما ووري اي ستر وغطي وسوآتهما عورتهما والسوأة العورة في اللغة
وفيه انه يجب ان نكون على حذر من شر ابليس اللعين لئلا يجد فرصة علينا فانه ابدا على سلب نعمة التي انعمها الله
على عباده وحيث احتال كل حيلة حتى ابدى لهما ما ووري وستر عنهما من العورة وعمل في اخراجهما من النعم واللذات
واوقعهما في الشدايد والمشقة وفيه انه ليس حال عليه اشد من ان راى احدا في النعم والسعة وقوله عز وجل وقال
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين قد ذكرنا معنى هذا ايضا في صدر الكتاب وقوله
عز وجل وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال الحسن قاسمهما في وسوسته اياهما اني لكما لمن الناصحين وهذا الذي
يقول الحسن يوما الى ان آدم قد علم انه الشيطان وقال ابو بكر الكيساني انه قد وقع عند آدم ان الشجرة التي نهاه ربه
ان يتناول منها هي المفضلة على جميع الشجر فلما وسوس اليه الشيطان وقال له ما قال هل ادلكما على شجرة الخلد وملك
لا يبلى فوافق ظنه قول اللعين وما دعاهما اليه ثم اشتغل فنسي ذلك فتناول على النسيان والنسيان على وجهين
نسيان الترك على العمد ونسيان السهو ولا يحتمل ان يكون آدم ترك ذلك عمدا فهو على نسيان السهو الى هذا يذهب ابو بكر
الاصم او كلام نحوه وقرا بعضهم قوله الا ان تكونا ملكين بكسر اللام من الملك ذهب في ذلك الى ما قال هل ادلكما على شجرة الخلد
وملك لا يبلى وقراءة العامة الظاهرة الا ان تكونا ملكين بنصب اللام من الملائكة وقد ذكرنا جهة رغبة آدم في ان يصير
ملكا حيث تناول منها في صدر الكتاب على قدر ما حفظنا وقوله عز وجل فدلاهما بغرور قال ابو عوسجة فدلاهما بغرور
اي اوردهما يقال دلاني فلان بحبل غرور اي انه زين لك القبيح حتى تركبه واصل التدلية من الدلو وهو من الدعاء
اي دعاهما بغرور ودعاه اياهما بغرور وهو قوله هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله عز وجل الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين وقوله عز وجل وبدت لهما سوآتهما فان قيل كيف خص السوأة بالذكر ومنته في اللباس
في كل البدن لا في السوأة خاصة وكذلك قوله يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ذكر منته فيما انعم علينا
من ستر العورة وفي غيره من البدن في دفع البرد والحر وغير ذلك قيل لان كشف العورة مستقبح في الطبع والعقل
جميعا واما كشف غيره من البدن فليس هو بمستقبح في الطبع ولا في العقل وربما يبدي المرء غيره من البدن سوى
العورة عند الحاجة ويستر عند غير الحاجة واما العورة فانه لا يبديها الا في حال الضرورة لذلك كان ما ذكر او ان يقال
ان المفروض من الستر هو قدر العورة والآخر يلبسه اما بحق التجمل واما بحق دفع البرد والحر والاذى لذلك كان

تخصيصه بالذكر والامتنة والنعم عظيمة في لباس غيره من البدن فان قيل ان الله كنى عن الجماع مرة باللمس ومرة
بالغشيان وعن الخلاء بالغايط وهو المكان الذي يقضي فيه الحوايج وكذلك جميع ما لا يستحسن ذكره مصرحا فانما
ذكره بالكناية وههنا ذكر السوأة في العورة قيل السوأة والعورة هما كناية لم يذكر الفرج ولا الذكر والدبر فهو كناية
والثاني ذكر تخصيص السوأة وذلك ان قصد الشيطان انما كان الى ابداء عورتهما لا غير الا ترى ان ذلك لم يجعل
لغير البشر عورة تستر وكذلك خص الستر بالقبر اذا مات يقبر لاجل عورته ولا يقبر غيره من الدواب
اذا هلك ولا يستر في حال حيوته فخرج ذكر تخصيص السوأة لما ذكرنا ان اللعين قصد بذلك قصدا ابداء عورتهما
لا غير الا ترى انه قال ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما كان قصده الى ذلك وقوله عز وجل وطفقا يخصفان
قال ابو عوسجة طفقا اي اخذا يقول طفقت افعل كذا اي اخذت والخصف الخياطة في النعل والخف وهو
مستعار ههنا وقال مجاهد يخصفان اي يرقعان كهيئة الثوب وقيل يخصفان يغطيان ثم قوله طفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة اما حياء احدهما من الآخر وحياء من الله تعالى ولهذا تقول انه يكره للرجل في الخلوة ان يكشف
عورته ويبديها وعلى ذلك روي في الخبر انه قال فالله احق ان يستحيى او حياء احدهما من الآخر لما بدت لكل واحد
منهما عورة صاحبه ولهذا كره ابو حنيفة رحمه الله ان ينظر الرجل الى فرج زوجته والمراة الى فرج زوجها ولما وقع
بصر كل واحد منهما على عورته فذلك يكره ايضا ان ينظر المرء الى فرجه الا ترى انه قال ليبدي لهما ولم يقل ليبديهما
فهذا يدل على انه لا ينبغي ان ينظر الى فرج زوجته ولا الزوجة الى فرجه وقوله عز وجل وناداهما ربهما الم انهكما
عن تلكما الشجرة الآية يحتمل قوله وناداهما ربهما وحيا اوحى اليهما على يدي ملك كقوله فنفخنا فيه من روحنا اضاف (?)
الى نفسه لما ينفخ فيه بامره فعلى ذلك هذا او الهاما الهمهما كقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقوله اذ اوحينا
الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت وكقوله واوحى ربك الى النحل ونحوه وانما هو الهام وقوله عز وجل ربنا ظلمنا
انفسنا حيث اوقعناهما في الشدايد وكدا العيش والظلم وهو وضع الشيء غير موضعه وقوله عز وجل قالا
ربنا ظلمنا انفسنا قال الحسن هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه كقوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال آدم
ما ذكر في الآية وكذلك قال نوح قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين
وقال ابراهيم ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا بعضه
خرج على الامر وبعضه على السؤال وكله على الدعاء والسؤال ليس على الامر وان خرج ظاهره مخرج الامر
لان الامر ممن هو دونه لمن فوقه دعاء وسؤال وممن هو فوقه لمن دونه امر لو ان ملكا من الملوك اذا امر بعض
خدمه بامر او بعض رعيته فهو امر واذا امر بعض خدمه او رعيته الامير شيئا فهو ليس بامر لكنه سؤال ودعاء
فعلى ذلك عامة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ربهم فان قيل ان الرسل سالوا ربهم المغفرة لزلاتهم فلا يخلو اما
ان اجيبوا في ذلك او لم يجابوا فان لم يجابوا فيما سالوا فهو عظيم فان اجيبوا في ذلك والمغفرة في اللغة الستر
كيف ذكرت زلاتهم في الملا الى يوم القيمة قيل لوجوه احدها انهم لما ارتكبوا تلك الزلات عظم ذلك عليهم واشتغلت
قلوبهم بذلك لعظيم ما ارتكبوا عندهم لم يخطر ببالهم عند سؤالهم المغفرة ستر ذلك على الناس وكتمانها عنهم
بعد ان اجاب الله بالتجاوز عنهم في ذلك او انه ابقاها لاراد بافشاء ذلك واظهارها ايقاظ غيرهم وتنبيها في ذلك
ليعلموا ان الرسل مع جليل قدرهم وعظيم منزلتهم عند الله لم يحابهم في العتاب والتوبيخ بما ارتكبوا فمن دونهم
احق في ذلك وان ذكر ذلك ليعلموا انه ليس بغافل عن ذلك ولا يخفى عليه شيء والله اعلم بذلك وقوله
قالا ربنا ظلمنا انفسنا وقال وعصى آدم ربه فغوى وقال فنسي ولم نجد له عزما فاعلمنا الله عز وجل ان آدم
نسي امر ربه فقال قوم من اهل العلم اكل آدم من الشجرة وقال ناس لنهي الله اياه عن اكلها وكان اكله منها
ظلما منه لنفسه وعصيانا لربه وان كان فعل ذلك ناسيا ثم ان الله تفضل على امة محمد فرفع عنهم في الخطاء
والعصيان وما استكرهوا عليه وقال القوم معنى قوله فنسي اي ترك امر ربه من غير نسيان وقالوا هذا كقول الله

نسوا الله فنسيهم ولا ندري كيف كان ذلك و قال بعض اهل العلم ان الخطأ والنسيان في الاحكام موضوع بهذا
الحديث فيقال فما تقولون في قتل الخطا هل فيه الدية والكفارة وما تقولون في رجل افسد متاع رجل واحرقه
ناسيا او مخطيا فان قالوا ذلك لازم عليه فكيف تعلم ان الحديث جاء في الاحكام وانتم توجبون الضمان وقال بعضهم
وجه الحديث عندنا ان الامم قبل امتنا كانت ماخوذة بالخطا والنسيان فيما بينهما وبين ربها فرفع الله تعالى الحرج
عن هذه الامة في ذلك تفضلا منه علينا من بين الامم فاما الغرامات والضمانات في الاحكام التي بين الناس
فهي لازمة لهم خطا فعلوا او عمدا والله اعلم وفي قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا دلالة النقض على المعتزلة لانهم
يقولون ان الصغاير مغفورة باجتناب الكباير ثم من قولهم ان الرسل والانبياء معصومون عن الكبائر فزلة آدم لا شك
انها صغيرة لما ذكرنا ثم قال ان لم تغفر لكان من الخاسرين فاذ لم يكن له ان يعذب به فيصير كانه قال ان زجرت وظلمت
علينا لنكونن من الخاسرين وخاينة تعيير آدم وحوا ان يكونا من الملائكة لان الملك ما ذكر انه لا يفتر عن العبادة ولا يعصي
ربه ولا يحتاج الى شيء من المؤنة ومن قرا ملكين لان الملك يكون نافذ الامر والقول في مملكته وذلك مما يرغب فيه
او ان يكون بذلك يشغلها عن نهي ربهما حتى ينسيا ذلك فيتناولا عن تلك الشجرة على ما فعلا وفيما ذكر الخلود لانه
ليس يشبع الذ ولا اشهى من الحيوة والاشبه ان يقال لانه لم ينسيا نهى الله اياهما عن التناول منها ولكن نسي قوله فتكونا
من الظالمين لذلك تناولا ولو ذكرا قوله فتكونا من الظالمين ما تناولا والله اعلم وقوله عز وجل قال اهبطوا بعضكم
لبعض عدو عن ابن عباس رضي الله عنه قال آدم وحوى وابليس وحيه وقال الحسن آدم ووسوسة الشيطان
لان من قوله ان الشيطان لم يكن في السماء انما وسوس آدم وحوى من بعد فالامر بالهبوط لوسوسته ولذلك بقيت
في اولاده الى يوم القيمة وقال بعضهم دل قوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين على ان الامر بالهبوط انما كان
من السماء وكانوا في السماء ثم قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو كان الامر بالهبوط لم يكن معا لان ابليس امر بالهبوط
حين ابى السجود وآدم وحوى حين تناولا من الشجرة ثم جمعهم في الامر بالهبوط ليعلم ان ليس في الجمع بالذكر دلالة وجوب
الحكم والامر مجموعا وقوله عز وجل اهبطوا لا يفهم منه الهبوط من الاعلى الا ترى انه قال في اية اخرى اهبطوا مصرا
اي انزلوا فيه وقوله عدو وهو عدو لنا اما بالكفر واما بما يسعى في هلاكنا وكل من يسعى في هلاكنا فهو عدو لنا
ونحن اعداء له وقوله عز وجل ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قيل الى منتهى اجالكم وابليس الى النفخة الاولى
ويشبه ان يكون هذا ليس على التوقيت ولكن على الدوام والقرار فيها وقوله عز وجل قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون قيل في الارض تعيشون وفيها تموتون عند انقضاء آجالكم ومنها تخرجون في القيمة وقوله عز وجل
يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم قال ابن عباس رضي الله عنه والحسن انزلنا اي القراح من السماء ليتخذ
منه اللباس ما يواري عورتهم ويتخذ منه الطعام والاشياء التي بها قوام انفسهم ويحتمل قوله قد انزلنا عليكم لباسا انزل
الماء والاسباب التي بها يتخذ اللباس والاطعمة والاشربة والعلم في ذلك لانه لو ما انزل من السماء ذلك الماء والاسباب
والعلم بذلك والا ما عرف الخلق انه كيف يتخذ ذلك لباسا والاطعمة والاشربة وفيه دليل اثبات الرسالة لانهم
لم يعرفوا ذلك الا بوحي من السماء او ان يكون قوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ورياشا اي جعل لكم
وانشا لكم ما يتخذون منه اللباس والطعام والشراب ليس على الانزال ولكن على ان جعل لكم ذلك كقوله جعل لكم الانعام
لتركبوا منها ومنها تاكلون وقوله جعل لكم اي انشا لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم وهو ان خلق لنا ذلك
وفيه دليل خلق افعال الخلق لانه انما صار لباسا وطعاما ولا بفعل من العباد لا انه نزل من السماء هكذا ثم اخبر انه
جعل ذلك لنا دل انه خلق فعل الخلق فيه وقوله عز وجل وريشا قال بعضهم مالا وقال بعضهم معاشا وقال القتبي
الريش والرياش ما ظهر من اللباس وريش الطاير ما ستر به وقوله عز وجل ولباس التقوى في حرف ابن مسعود رضي
ولباس التقوى بالرفع على الابتداء اي لباس التقوى خير ومن نصبه ايضا فانما نصبه على الجواب لما تقدم والا الحق فيه
الرفع ثم اختلف فيه اهل التاويل قال الحسن لباس التقوى الدين وقال ابو بكر الاصم القران وقيل العفاف وقيل الحياء

وقيل الايمان

وقيل الايمان فكله واحد اي كل ما ذكر من لباس التقوى خير من اللباس الذي ذكر لان الدين والايمان والقران والحياء
يزجره ويمنعه عن المعاصي فهو خير لانه لباس في الدنيا والاخرة لان المؤمن التقي العفيف الحيي لا يبدو له عورة وان كان
عاريا من الثياب وان الفاجر لا يزال يبدو منه عورته وان كاسيا من الثياب لا يتحفظ في لباسه فالتقوى خير وهو
كقوله فان خير الزاد التقوى هذا التاويل للقراءة التي تقرا بالرفع لباس التقوى على الابتداء واما من قرا بالنصب فهو
رده الى قوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ثم انزلنا عليكم ايضا لباسا تتقون به الحر والبرد والاذى
فيكون فيه ذكر لباس لساير البدن وفي الاول ذكر لباس العورة وقوله عز وجل ذلك من ايات الله يحتمل قوله ذلك
الذي يتخذ منه اللباس والاطعمة والاشربة من ايات الرسالة لان كل ذلك انما عرف بالرسل بوحي من السماء وهو
ما ذكرنا ان فيه دليل اثبات الرسالة ويحتمل ذلك من ايات الله اي من ايات وحدانية الله وربوبيته لما جعل منافع
السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل ذلك ان منشيهما ومدبرهما واحد لانه لو كان تدبير اثنين لما اتسق
تدبيرهما لاتصال منافع احدهما بالاخر وقوله عز وجل لعلهم يذكرون اي لعلهم للتذكير ولعلهم يتقون
اي لعلهم يوفقون للتقوى ولعلهم يوفقون للشكر لانه حرف شك هنا يحسن ان يقال والله اعلم ونقول لكي يلزمهم
التذكر والشكر وقوله عز وجل يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قال بعضهم خاطب به
اهل مكة في تكذيبهم رسول الله ومخالفتهم امره فان لا يخرجكم من الامن والسعة كما اخرج ابويكم من دار الامن والسعة وقال
بعضهم قوله لا يفتننكم الشيطان اي احذروا عداوته الى ما يدعوكم اليه فانه يمنع عنكم في الاخرة الكرامة والثواب كما اخرج
ابويكم من دار الكرامة والمنزلة وقال اهل التاويل لا يفتننكم الشيطان اي لا يضلنكم الشيطان ويغويكم كما فعل بابويكم
اخرجهما من الجنة وقال الاخرون قوله لا يفتننكم الشيطان بما لا تهوى به انفسكم واما لتالي شهواتها ويغويكم
كما فعل بابويكم اخرجهما من الجنة وامانيهما كما اخرج ابويكم من الجنة بما هوت به انفسهما واشتهيهما يحذرهم اتباع هوى
النفس وشهواتها وامانيها فان السبب الذي كان لاخراجهما هو هوى النفس وامانيها وقوله عز وجل ينزع عنهما
لباسهما يحتمل قوله ينزع اي نزع عنهما لباسهما وهذا في القران كثير يفعل بمعنى فعل ويحتمل على الاضمار كانه قال
اراد ان ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما وقد ذكرنا ان المفروض من الستر هو ستر العورة لا غير احتيج اليه
او لم يحتج واما غيره من الستر فانما هو لدفع الاذى من الحر والبرد او للتجمل والمفتون بالشيء هو المشغوف به
والمولع به يقول لا يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة وكان قصده ما ذكر من نزع اللباس وابداء العورة
وهو ما ذكر وقوله عز وجل انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم قيل قبيله جنوده واعوانه حذرنا ابليس
واعوانه بما يروننا ولا نرونهم فان قيل كيف كلفنا محاربته وهو بحيث لا نراه وهو يرانا ومثله في غيره
من الاعداء لا يكلفنا محاربة من لا نراه او لا نقدر القيام بمحاربته وليس في وسعنا القيام بمحاربة من لا نراه قيل انه
لم يكلفنا محاربته اذ لم يجعل له الشيطان على نفسنا وافساد مطاعمنا ومشاربنا وملابسنا ولو جعل لهم
لاهلكوا انفسنا وافسدوا علينا ايننا انما جعل له الشيطان في الوساوس فيما يوسوس في صدورنا وقد جعل لنا السبيل
الى معرفة وساوسه بالنظر والتفكر نحو قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية وقوله تعالى وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين وقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا واعلمنا ما به ندفع وساوسه
وهمزاته وجعل لنا الوصول الى دفع وساوسه بحجج وباسباب جعل لنا فهذا يدل على ان الله يجوز ان يكلفنا باشياء
لم يعطنا اسباب تلك الاشياء بعد ان جعل في وسعنا الوصول الى تلك الاسباب وان لم يكن وقت التكليف تلك
الاسباب من نحو الامر بالصلوة وان لم يكن على الطهارة اذ جعل في وسعنا الوصول الى الطهارة ونحو الامر باداء الزكوة
وان لم يكن وقت الامر من يودي اليه حاضرا ونحو الامر بالحج وغيره من العبادات وان كان لا يصل الى اداء ما افترض
عليه الا بعد اوقات مع احتمال الشدايد وهذا يرد ايضا على من يقول ان لا يلزم الاوامر والمناهي من جهلها ولا يكلف
الا بعد العلم بها لانه يتكلف حتى لا يلزمه فرض من فرايض الله وعبادة من عباداته لانه لا يكتسب اسباب العلم بها

لئلا يلزم ذلك فهذا بعيد محال والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلنا الشياطين اولياء
للذين لا يؤمنون اختلف اهل الاعتزال فيه قال ابو بكر الاصم الجعل من الله تعالى على وجوه احدها السبب الذي اعطيناهم
السبب الذي به صاروا اولياء لهم كما يقول الرجل لآخر جعلت لك الدار والعبيد والمال وهو لم يجعل له ذلك ولكن
اعطاه ما به صار ذلك وهو انما اعطاه سبب ذلك فيضاف ذلك اليه فعلى ذلك ما اضاف الجعل اليه لما اعطاه
السبب وقال جعفر بن حرب الجعل هو التخلية خلى بينهم وبيننا ولذلك ما اضاف ذلك اليه بالجعل كما يقال للرجل جعلت
عبدك قتالا ضرابا اذا خلى بينه وبين ما يفعله وهو قادر على منعه فعلى ذلك فيما اضاف الجعل الى نفسه هو ان خلى بينهم
وبيننا ولذلك يعملون ما شاؤا وقال الحسن من حكم الله ان من عصى يكون عدوا له ومن اطاع يكون وليا له ومن اطاع
الشيطان فهو وليه ومن عصاه يكون عدوا له فكذا حكم الله تعالى في كل من اطاعه يكون وليا له ومن عصاه يكون عدوا له
وقال غيرهم من المعتزلة قوله جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي وصفناهم كذلك اولياء لهم ولكن لو جاز اضافة
ذلك الى الله تعالى لما جعل ذكر هؤلاء لجاز اضافة ذلك الى الانبياء لانه قد كان منهم التخلية في ذلك والتسمية لهم
بذلك والحكم على ما قال الحسن والوجود فاذ لم يجز اضافة ذلك اليهم دل انه قد كان من الله في ذلك صنع لم يكن ذلك من الانبياء
وهو ان خلق منهم فعل الولاية لهم لما علم انهم يختارون ولايتهم ويتولونهم كقوله انما سلطانه على الذين
يتولونه وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس رضي الله عنه كل معصية فاحشة
والفاحشة كل ما عظم فيه النهي فاذا ارتكبوا ذلك فهو فاحشة وقال مجاهد فاحشتهم انهم كانوا يطوفون بالبيت
عراة وقال غيره من اهل التاويل الفاحشة هو ما حرموا من الحرث والانعام والبنات وغيرها من نحو السائبة
والحامي وغيره لكن الفاحشة ما ذكرنا ان كل ما عظم النهي فيه والزجر فهو فاحشة والفاحشة هو ما عظم فيه
الامر ويعرف ذلك بوجهين احدهما يعظم ذلك في العقل والثاني بالسمع يرد فيه وقوله عز وجل والله امرنا بها
ادعوا في ذلك امر الله ورضاه فيه ويقولون لو لم يرض بذلك فدل تركه اياهم ذلك على انه قد امرهم بذلك
ورضي عنهم لكن يخالف في الشاهد ملكا من الملوك في امره ونهيه فانه ينكله على ذلك وينتقم منه اذا كان قادرا
على ذلك فاذ لم يفعل ذلك به دل ذلك منه على الرضا به فعلى ذلك الله لما لم ينتقم منهم ولم ينكلهم دل ذلك
على الرضا والامر به والثاني كانهم اخذوا ذلك عن المسلمين لما سمعوا من المسلمين قالوا ما شاء الله كان ظنوا
ان ما كان من ابائهم كان بامر الله ورضاه لم يفصلوا بين المشيئة والامر المشيئة والارادة هي صفة فعل كل فاعل
يفعله على الاختيار يجوز ان يقال شاء فعل كذا واراد امر كذا ولا يجوز ان يقال امر نفسه بكذا او نهى نفسه عن كذا
واما قولهم انه لم ينكل اباءهم ولم ينتقم منهم بما فعلوا دل انه رضي بذلك فيقال ان فيهم من فعل على خلاف فعلهم
وغير صنيعهم ضد ما فعل اولئك ثم لم يفعل بهم ذلك فهل دل ذلك على الرضا منه بذلك فان قلتم بلى فاذا رضي
بفعلين متضادين وان قلتم لا كيف دل ذلك في اولئك على الرضا والامر ولم يدل لهؤلاء فعلوا بخلاف فعلهم فهذا تناقض
وقد ذكرنا فيما تقدم والله اعلم قل لهم يا محمد ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ان الله امر بهذا
وحرم هذا وقوله عز وجل قل ان الله لا يامر بالفحشاء هو ما ذكرنا ما عظم النهي فيه او كل ما يشتد فيه النهي ويغلظ
او يكثر هو الفحشاء الا ترى انه يقال لكل شيء يكثر فحش من نحو الكلام وغيره انه اذا خرج من حده وجاوز يقال فحش
فعلى ذلك الفحشاء ههنا هو ما جاوز حده في القبح او جاوز الحد من الكثرة وهم قد اكثروا الافتراء على الله وقوله
عز وجل اتقولون على الله ما لا تعلمون قال بعضهم بل تقولون على الله ما لا تعلمون انه امر بذلك وقيل قوله اتقولون
على الله اي تعلمون انكم تقولون على الله ما لا تعلمون لانهم لم يكونوا يؤمنون بالرسل ولا كان لهم كتاب فكيف
تعلمون ان الله امركم بذلك وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض لا يجوز ان لا يعلم الله ولكن
على النفي لذلك ليس كما تقولون وتنبئون ولكن يعلم خلاف ذلك وضده ويكون في نفي ذلك اثبات غيره فعلى ذلك
يعلمون انهم يقولون على الله ما لا يعلمون واسباب العلم هذا اما الرسل يخبرون عن الله ذلك والكتاب يجدون فيه

مكتوبا فيعلمون بسمع الشهادة بذلك وهم قوم لا يصدقون الرسل ولا يؤمنون بخبرهم وليس لهم كتاب
ايضا يقرؤنه فما بقي الا وحي الشيطان اليهم كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله عز وجل قل امر ربي
بالقسط والقسط هو العدل في كل شيء في القول والفعل وغيره كقوله واذا قلتم فاعدلوا وكقوله تعالى كونوا قوامين
بالقسط واصل العدل هو محافظة الشيء على الحد الذي جعل له ووضعه موضعه وقوله عز وجل واقيموا
وجوهكم عند كل مسجد اختلف فيه قيل اقيموا اي سووا وجوهكم نحو الكعبة عند كل مسجد اي في كل مكان تكونون
فيه وهو كقوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي اجعلوا بيوتكم نحو الكعبة كقوله تعالى حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
وقيل اقيموا وجوهكم اي اجعلوا عبادتكم لله ولا تشركوا فيها غيره والوجه يكون كناية عن العبادة وهما واحد وقيل
اقيموا وجوهكم اي دينكم لله لا تشركوا فيه غيره كقوله وادعوه مخلصين له الدين ويشبه ان يكون الوجه كناية وعبارة
عن الانفس كانه قال اقيموا انفسكم لله لا تشركوا فيها لاحد شركا كقوله ومن يسلم وجهه الى الله اي يجعل نفسه لله سالما
وقوله عز وجل وادعوه مخلصين له الدين يحتمل الدعاء نفسه اي ادعوه ربا خالقا ورحمانا مخلصين له الدين
بالوحدانية والالوهية والربوبية ويحتمل قوله ادعوه اي اعبدوه مخلصين له العبادة ولا تشركوا غيره فيها
ويحتمل اي دينوا بدينه الذي دعاكم الى ذلك وامركم به وقوله عز وجل كما بداكم تعودون قال قائلون هو صلة قوله فيها
تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون كانهم سالوا انما يعودون اذا بعثوا فقال كما بداكم خلقكم تعودون مثله ويحتمل
ان يكون هو صلة قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن تعودون كما كانوا في البداءة الكافر كافرا والمؤمن مؤمنا وقوله
عز وجل كما بداكم تعودون هو من الدايمة ليس من الابتداء لانه لا يجوز ان يقال لصبي كافر ومؤمن وهو الدوام
والمقام فيه الى وقت الموت وهو في البداءة وفي الآخرة الاعادة وهو كقوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
وقوله يبدؤ ليس يريد ابتداء نشوه ولكن كونه في الدنيا فعلى ذلك قوله كما بداكم تعودون الآية تخرج على وجهين
احدهما اي كما كنتم في الدنيا تعودون في الآخرة كذلك المؤمن مؤمن والكافر على كفره والثاني كما انشاكم في الدنيا
لا من شيء فعلى ذلك يبعثكم لذلك لا يعجزه شيء وقوله عز وجل فريقا هدى بما هداهم الله بفضله وفريقا حق عليهم الضلالة
بما اختاروا من فعل الضلال فاضلهم الله كقوله يضل من يشاء وقوله ومن يضلل الله فلا هادي له وقوله عز وجل
ويحسبون انهم مهتدون فيه لزوم الحجة والدليل في حال الحسبان والظن اذا كان بحيث الادراك والوصول اليه لانه
قال ويحسبون انهم مهتدون فيه انهم عند انفسهم مهتدون ولم يكونوا ثم عوقبوا على ذلك دل ان الدليل والحجة قد يلزم
وان لم يعرف بعد ان يكون سبيل الوصول الى ذلك وهذا يرد قول من يقول بان فرايض الله لا تلزم الا بعد العلم بها
والمعرفة وقوله عز وجل يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد يحتمل ان يكون الخطاب وان خرج مخرج الامر باخذ
الزينة واللباس فهو على النهي عن نزعها لان الناس يكونون آخذين الزينة وساترين عوراتهم غير بادين فهذا ذكر
كذلك فهو على النهي عن نزع لباسهم وابداء عوراتهم وهو ما ذكر في بعض القصة ان اهل الشرك كانوا اذا طافوا بالبيت
نزعوا ثيابهم ويقولون لا نطوف في ثيابنا التي اذنبنا فيها فان كان التاويل ما قال ابن عباس وهؤلاء فيكون فيه
اضمار كانه قال خذوا زينتكم عند هذا المسجد كما تاخذون عند كل مسجد سواه والاحتجاج تاويل الآية على وجوه
احدها يقول صلوا في كل مسجد ذكر هذا لمن لا يرى الصلوة الا في مسجد على ما روي ان لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد
والثاني يقول صلوا بكل مسجد وبكل مكان كقوله عليه الصلوة والسلام جعلت لي الارض مسجدا وطهورا والثالث يجعل
الزينة العبادة نفسها يقول خذوا زينتكم ويحتمل ما ذكره اهل التاويل كانوا يستعيرون من اهل مكة ثيابا يطوفون
فيها فان لم يجدوا بها طافوا فيها عراة بادين عوراتهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقال خذوا زينتكم عند كل مسجد
اي لا تنزعوا ثيابكم التي على عوراتكم فهو على النهي عن نزع الثياب وابداء العورة وكذلك قوله كلوا واشربوا يخرج
على النهي عما حرموا على انفسهم من انواع المنافع والنعم التي احل الله لهم من تحريم البحيرة والسايبة والوصيلة والحامي وعن
ما حرموا من الزروع والطعام وكقوله وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها الآية تخرج قوله

وكلوا واشربوا على النهي عما حرموا مما احل لهم لا على الامر بالاكل والشرب لان كل احد ياكل ويشرب ولا يدع ذلك
فدل انه خرج على النهي لما حرموا كانه قال لا تحرموا مما تحرمون ولكن كلوا واشربوا وانتفعوا بها فان كان على الابتداء الامر
باخذ الزينة والتجمل عند كل مسجد والمسجد هو مكان كل عبادة ونسك على ما يكونون في غير ذلك من الاوقات تتزينون
وتتجملون عند اجتماع الناس فعلى ذلك يكونون في مكان العبادة والنسك وان يكون كما في المسجد اجتماع الناس للعبادة فامروا
بستر عوراتهم في ذلك ويكون قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا اي كلوا واشربوا واحفظوا الحد في ذلك ولا تجاوزوا
وهو نهي عن الكثرة وما ذكرنا انه نهاهم عن التحريم وترك الانتفاع بها وفي تحريم ما احل الله وترك الانتفاع بها اسراف انه
لا يحب المسرفين لانه لا يحب الاسراف وقد ذكرنا ان المفروض من الستر هو ما يستر به العورة واما غيره فانما هو على دفع الاذى
والتجمل الا ترى انه قال ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما وقال يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم من علينا
بما انزل مما نستر به عوراتنا وان كانت تلك المنة في الكل وذلك ايضا قبيح في الطبع ان ينظر احد الى عورة آخر وعلى ذلك جاءت
الآثار وفي الامر بستر العورة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احفظ عورتك الا من زوجتك او ما ملكت
يمينك فقيل يا رسول الله فان كان بعضنا في بعض فقال ان استطعت ان لا تظهر عورتك فافعل فقيل فاذا كان احدنا خاليا
فقال فالله احق ان يستحيى منه وعنه صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة
ومثله كثير وفيما ذكرنا كفاية وعلى ذلك خرج الامر بالاقبار لستر العورة الا ترى انه قال تعالى فبعث الله غرابا يبحث
في الارض ليريه الآية ليلا يرى عورته لانه يكون جفاء وقوله عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قال ابو بكر الاصم الزينة ههنا هو اللباس لانه ذكر على اثر ذلك اللباس وهو قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد
والطيبات من الرزق ما حرموا مما احل الله لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك مما كانوا يحرمون
الانتفاع به كقوله حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وقال الحسن زينة الله هو المركب كقوله والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة جعل الله ما يركب زينة للخلق وهم كانوا يحرمون الركوب والانتفاع بها فقال قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده وقال والطيبات من الرزق البانها ولحومها وقال غيره من اهل التأويل زينة الله ههنا النبات
وما يخرج من الارض مما هو رزق للبشر والدواب جميعا كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الآية وكقوله
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت سمي لنا ما اخرج من الارض زينة وقوله عز وجل قل هي للذين آمنوا
في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة اختلف فيه قال الحسن هي يعني الطيبات خالصة للمؤمنين في الآخرة لا يشاركهم
الكفرة فيها فاما في الدنيا فقد شاركوهم فالتأويل الاول يخرج على التقديم والتأخير كانه قال قل هي للذين آمنوا
خالصة يوم القيمة وفي الحيوة الدنيا لهم جميعا بقوله قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار ويحتمل
قوله قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا لانهم لم يحرموا الطيبات التي احل الله لهم بل انتفعوا بها وحرموا اولئك
ولم ينتفعوا بها فكانت هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا لما انتفعوا بها في الدنيا وتزودوا بها للآخرة وكانت لهم خالصة
يوم القيمة وانما كان خالصا لهم يوم القيمة لما لا يكون لاهل الشرك ذلك لما لم يتزودوا للمعاد وقد كانت
لهم في الدنيا لو لم يحرموها وانتفعوا بها وفي قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق دليل اباحة الزينة والتناول من الطيبات وقد يحتمل ان يكون خرج على النهي والانكار على ما كان
يفعله اهل الشرك من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة فقال قل من حرم ما حرمتم اذ لم يحرمه الله
الا ترى انه قال قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن يقول والله اعلم لم يحرم ما حرمتموه
من هذه الاشياء ولكن حرم الفواحش وما ذكر ولم يذكر جوابهم انهم ماذا يقولون فهو يخرج على وجهين ان قالوا
حرم الله فيقال لهم ما حرم وانتم قوم لا تؤمنون بالرسل والكتب وان قالوا حرم فلان فقيل كيف صدقتم
فلانا في تحريم ذلك ولا تصدقون الرسل فيما يخبرون عن الله تعالى مع ظهور صدقهم يذكر سفههم في ذلك وقوله
عز وجل قل من حرم زينة الله كانه يقول ليس لاحد تحريم ما ذكرنا انما التحريم الى الله وانما حرم ما ذكر وقد يحتمل

ماذكرنا من نزعهم الثياب عند الطواف ويطوفون عراة على ما ذكرنا القصة والى هذا يذهب ابن عباس رضي الله عنه
والحسن وقتادة وعامة اهل التأويل وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يطوفن
بهذا البيت عريانا ولا محدث وقوله عز وجل كذلك نفصل الآيات اي نبين الآيات لقوم يعلمون اي لقوم ينتفعون
بعلمهم او نقول كذلك نفصل الآيات اي كذلك نفصل حكم آية من حكم آية اخرى نفصل هذا من هذا وهذا من هذا
وقوله قل من حرم زينة الله انه اذا لم يفهم من زينة الله ما يفهم من زينة الخلق لان زينة الخلق ما يتزينون به
ويتجملون لا يجب ان يفهم من استوائه استواء الخلق ولا من مجيئه من مجيء الخلق لان استواء الخلق هو انتقال من حال
الى حال ولا يجوز ان يفهم منه ذلك على ما لم يفهم من زينة الله وقوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والاثم والبغي بغير الحق يشبه ان يكون هذه الآية مقابل قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان والنهي ههنا تحريم ويكون
الفحشاء الذي ذكر في هذه الآية الفواحش التي ذكر في ذلك والمنكر الذي ذكر ههنا هو الاثم الذي ذكر في ذلك وذكر البغي
ههنا وهناك البغي ثم الفحشاء هو الذي ظهر قبحه في العقل والسمع والمنكر هو الذي ظهر الانكار فيه على مرتكبه والاثم
هو الذي ياثم المرء فيه والبغي هو من مظالم الناس يظلم بعضهم على بعض وقال بعضهم الفواحش هي الكبائر والاثم
هو الصغائر والبغي هو اخذ ما عصم من مال او نفس بحقه الاسلام على ما روي من نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فكل ما صار معصوما
بالاسلام من مال او نفس فاخذ ذلك بغي وظلم الا ما ذكر في بحقها واصل البغي هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وقال
اهل التأويل الفواحش هو الزنا ما ظهر منها علانية وما بطن منها سرا لكن الفواحش ما ذكرنا ان ما ظهر قبحه في العقل
وفحشه في السمع فهو فاحشة والفواحش هو ما ذكرنا ان ما قبح في العقل والسمع وفحش فيهما فهي الفاحشة
واصل المنكر كل ما لا يعرف كقول ابراهيم انكم قوم منكرون والمنكر ما انكره العقل والسمع ايضا وقوله عز وجل
وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي وحرم ايضا ان تشركوا بالله وقوله عز وجل ما لم ينزل به سلطانا
ليس على انه ينزل سلطانا على الاشراك بحال ولكن على انهم يشركون بالله من غير حجج وسلطان لان اهل الاسلام
هم الذين يدينون بدين ظهر بالحجج والآيات ولكن بما هوت به انفسهم واشتهت ويحتمل قوله ما لم ينزل به سلطانا
اي عذرا لانه يجوز ان يعذر المرء بحال في اجراء كلمة الكفر على لسانه عند الاكراه ولا يصير به كافرا اذا كان قلبه مطمئنا
بالاسلام منشرحا به كقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان اي تشركون بالله من غير ان ينزل بهم حال عذر وقوله
عز وجل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون والثاني اي تعلمون انهم يقولون على الله ما لا يعلمون انه حرم كذا وامر بكذا وقوله
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون هذا على الجهل والاول على العلم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم اي تنبئون الله بما يعلم انه
ليس بما تقولون وقوله عز وجل ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اختلف فيه
قال بعضهم لكل امة اجل هو بعث الرسول اليها اي لا يهلكون ولا يعذبون الا بعد بعث الرسل اليهم فاذا اتاهم الرسول كذبوه
وعاندوا فعند ذلك يهلكون وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى
يبعث في امها رسولا ويحتمل ان لكل امة اجلا لا تهلك قبل بلوغ اجلها لا تستأخر ولا تستقدم فهذا يرد على المعتزلة لانهم
يقولون ان من قتل انما هلك قبل بلوغ اجله ويجعلون القاتل به مستقدما لاجل ذلك المقتول والله تعالى يقول
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله عز وجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
اذا جاء لا يستأخرون واذا لم يجئ لا يستقدمون وقوله عز وجل يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم قال
اهل التأويل اما يأتينكم اي سيأتينكم رسل منكم او سوف يأتيكم يقصون عليكم ثم يحتمل قوله يقصون عليكم آياتي
اي هداي كقوله فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقوله فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فعلى ذلك يقصون عليكم آياتي اي هداي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ويحتمل الآيات الحجج والبراهين التي يضطر اهلها الى قبولها الا من عاند وكابر فمن اتقى الشرك

واصلح وآمن بالله وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فمن اتقى يحتمل اتقى ما نهى الرسل او اتقى
المهالك واصلح فيما امر به الرسل او اصلح امره وعمله فلا خوف عليهم في ذهاب ما اكرمهم به مولاهم ولا فوته لان خوف الفوت
مما ينغص ولا يحزنون بتبعاته وافاته بخبران نعيم الآخرة على خلاف نعيم الدنيا وقوله عز وجل والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر تأويلها وقد ذكرنا في غير موضع حتى لم يأخذوا على احد
منهم وفي قوله يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم به على خلقه منن كثيرة ونعمة عظيمة حيث بعث الرسل من جنس المرسل
اليهم احدها ان كل ذي جنس وجوهر مستأنس بجنسه وجوهره ويستوحش بغيره فمن عليهم حيث بعث الرسل
من جنسهم وجوهرهم يستأنس بعضهم ببعض وتألف بعضهم بعضاً فذلك اخذ القلوب وادعى الى الاتباع والاجابة
والثاني بعث الرسل من قومهم الذين نشأوا بين اظهرهم وعرفوا صدقهم وامانتهم ليعلموا انهم صادقين فيما ادعوا
من الرسالة حيث لم يظهر منهم الكذب والخيانة فقط حتى لم يأخذوا على احد منهم الكذب والثالث ان الرسل
لو كانوا من غير جنسهم وغير جوهرهم لم يعرفوا ما اولوا من الآيات والبراهين انها آيات وحجج لما لا يعلمون ان وسعهم
لا يبلغ هذا وطوقهم لا يصل الى ذلك وان كانوا منهم يعرفون ذلك اذا اولوا بشيء خرج على وسعهم انها آيات
وقوله عز وجل والذين كذبوا بآياتنا قال الحسن ديننا واستكبروا عنها ويحتمل بآياتنا بحججنا اي كذبوا بحججنا
فاذا كذبوا بحججه كفروا به لانه عز وجل لا يعرف من طريق الحس والعيان ولكن انما يعرف من طريق الحجج والآيات
والدلايل فيكون الكفر بآياته وبحججه كفراً به ويشبه ان يكون آياته آيات الرسالة وحججها ويحتمل آياته هنا رسله
اي كذبوا برسلنا سمى رسله آياته لان انفس الرسل كانت آيات للخلق تدلهم على وحدانية الله ورسالتهم ذا اعلام جعلت
من انفسهم من صدقهم وامانتهم واستكبروا عنها اي استكبروا عن التدبر فيها والنظر اولئك اصحاب النار لانهم
يصحبون النار والسبب الذي يوجب لهم النار ابداً فسموا اصحاب النار بذلك كما يقال صاحب الدار وصاحب الدابة
لانه هو يصحبها دايماً فعلى ذلك هؤلاء سموا اصحاب النار لما هم يصحبونها دايماً ابداً والله اعلم وقوله عز وجل
فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بآياته قد ذكرنا فيما تقدم ان قوله فمن اظلم انما هو حرف استفهام وسؤال
لم يخرج له جواب لكن اهل التأويل عرفوا ذلك فقالوا لا احد اظلم ممن افترى على الله كذباً اجابوا على ما عرفوا
من السؤال والا ليس قوله لا احد اظلم تفسير قوله فمن اظلم اي لا احد افحش ظلماً ولا اقبح ظلماً ممن افترى على الله
كذباً مع علمه انه خالقه وانه متقلب في نعمه واحاطت به اياديه واحسانه وقوله عز وجل فمن اظلم اي لا افحش ظلماً ولا اقبح
ظلماً ممن افترى على الله كذباً وقوله افترى على الله كذباً قيل الافتراء هو اختراع الكذب من نفسه من غير ان سبق له احد
في ذلك كقوله يفترينه بين ايديهن وارجلهن واما الكذب قد يكون مما انشاء هو وما قد سبق له احد فسمع منه ثم
افتراء على الله انواع يكون بما قالوا ان لله ولداً وقالوا بان له شريكاً وصاحبة وبما عبدوا عزير الله وقالوا ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ويكون ما قالوا واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا
والله امرنا بها ويكون ما حرموا من اشياء على انفسهم فاضافوا ذلك الى الله ونحو ذلك من الافتراء وقوله عز وجل
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اختلف فيه قال الحسن من اطاع الله في امره ونهيه واطاع رسله فقد كتبت له
الجنة خالداً فيها ابداً فذلك نصيبه وحظه من الكتاب الذي كتب له ومن عصى الله وخالف رسله كتب له النار
فهو نصيبه من الكتاب وقال ابو بكر الكيساني في قوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي حظهم من الجزاء والعقاب
في الآخرة وهو قول القتبي يحتمل وجهين آخرين غير هذين احدهما ما حرفوا من الكتب وغيروها ثم اضافوا ذلك
ونسبوه الى الله كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله عز وجل وان منهم لفريقاً
يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله قصار ما حرفوا وغيروا
سنة منهم يعملون بها الى يوم القيمة فينالونهم جزاء ذلك يوم القيمة والثاني قوله ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق
والنعمة يستوفون ذلك المكتوب لهم ثم يموتون ثم قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم على هذا التأويل

جاءتهم الرسل بقبض ارواحهم وهو ظاهر وعلى تأويل من حمل ذلك على الجزاء في الآخرة فهو يحمل التوفي في النار
لشدة العذاب وان كانوا لا يموتون وهو كقوله يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اي يأتيه اسباب الموت
وعلى تأويل من يحمل قوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب في الدنيا في استيفاء الرزق وما كتب لهم يكون قوله حتى على
الاثبات على تأويل من يقول بان ذلك في الآخرة يخرج ان يكون على الصلة والاسقاط وقوله عز وجل اين ما كنتم
تدعون من دون الله يقول لهم الملائكة في النار وعلى تأويل هؤلاء وعلى تأويل اولئك عند قبض ارواحهم او بعد قبض
ارواحهم وقوله اين ما كنتم تدعون من دون الله اي تعبدون من دون الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او الاكابر التي ذكر بقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها
اين اولئك الذين كنتم تعبدون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي ضلوا عنا وهلكوا اي بطل عبادتنا التي عبدناهم
الا ترى انه قال في آية اخرى اذا ضللنا في الارض اي هلكنا وبطلنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فان كان قوله
اين ما كنتم تدعون من دون الله الكبراء منهم والرؤساء يكون قوله ضلوا عنا اي شغلوا بامرهم عنا وان كان الاصنام
يكون قوله ضلوا عنا اي بطل ما كنا نطمع عن عبادتنا اياهم وهو قولهم شفعاؤنا عند الله وقوله عز وجل قال ادخلوا
في امم قوله في امم يحتمل مع امم وذلك جايز في اللغة يقال جاء فلان في جنده قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار
اي المتبوعين والاتباع جميعاً معاً والعرب تضع حروف الخفض بعضها في موضع بعض كقوله فادخلي في عبادي قيل مع عبادي
ويحتمل في موضع كان المتبوعين يدخلون النار قبل الاتباع بهؤلاء الاتباع ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن
والانس في النار وفيه دليل ان الكفار من الجن يعذبون كما يعذب الكفار من الانس وقوله عز وجل كلما دخلت امة
لعنت اختها لعن الاتباع المتبوعين لما هم دعوهم الى ذلك وهم صرفوهم عن دين الله كقولهم اذ تأمروننا ان نكفر بالله
ونجعل له انداداً وكقوله وقال الذين استضعفوا وغير ذلك من الآيات ولعن المتبوعين الاتباع لما يزداد لهم العذاب
بكثرة الاتباع وبقدرهم فيلعن بعضهم بعضاً وفيه دلالة ان اهل الكفر وان اختلفوا في مذاهبهم فهم اخوة واخوات
بعضهم لبعض كالمؤمنين بعضهم اخوة واخوات لبعض وقوله عز وجل حتى اذا اداركوا فيها جميعاً قال بعضهم هو من
التدارك اي حتى اذا تداركوا وتتابعوا فيها هو من الدرك لان النار دركات لا يزال اهل النار يهوون فيها الا قرارهم
في ذلك اذ في القرار بعض التسلي والراحة فلا يزالون يهوون فيها دركاً فدركاً وقيل ولذلك سمي هاوية وقيل
اذا اداركوا فيها جميعاً اي اجتمعوا فيها فعند ذلك يتلاوم بعضهم بعضاً فان كان على التدارك فهو كقوله احشروا الذين
ظلموا وازواجهم وان كان على الاجتماع فهو للتضييق كقوله واذا القوا فيها مكاناً ضيقاً مقرنين الآية ويجمعون يلعن
بعضهم بعضاً وقوله عز وجل قالت اخراهم لاولاهم يحتمل قوله اخراهم الذين في آخر الزمان واولاهم الذين شرعوا لهم
ذلك الدين ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ويحتمل قوله اخراهم الذين دخلوا النار آخراً وهم الاتباع
لاوليهم الذين دخلوا النار اولاً وهم القادة والمتبوعون ربنا هؤلاء يعني القادة والسادة اضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً
من النار كقوله يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول ويشبه ان يكون قوله
قالت اخراهم لاولاهم ليس على القول بعضهم لبعض ولكن على الدعاء عليهم واللعن كقوله والعنهم لعناً كثيراً وقوله فآتهم
عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف قال بعضهم لكل ضعف النار لانها لا تزال تزداد وتعظم وتكبر فذلك
الضعيف وذلك للاتباع والمتبوع جميعاً وقال بعضهم قوله لكل ضعف اي للمتبوعين والقادة ضعف قال لهم ملك
او خزنتها ومن كان ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة بعد ان يقال لهم ذلك وقوله عز وجل ولكن لا تعلمون في الدنيا ان لكم
ضعفاً منها وقيل لكل ضعف ولكن لا تعلمون الحال ان لكل ضعفاً من النار وقوله عز وجل وقالت اولاهم لاخراهم يحتمل
اولاهم ما ذكرنا الذين شرعوا لهم ذلك الدين وسؤالهم لاخراهم الذين كانوا في آخر الزمان ويحتمل اوليهم الذين
دخلوا اولاً لاخريهم للذين دخلوا النار اخيراً وهم الاتباع فما كان لكم علينا من فضل قيل فيه بوجهين يحتمل
ما كان لكم علينا من فضل في شيء فقد ضللتم كما ضللنا اي لم يكن لنا عليكم فضل سلطان ولا كان معنا حجج وآيات

قهرناكم عليه انما دعوناكم الى ذلك فاستجبتم لنا وقد كان بعث اليكم الرسل مع حجج وآيات فلم تجيبوهم وهو
كخطيئة ابليس حيث قال وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم الآية فيقول هؤلاء القادة للاتباع مثل قول
الشيطان لجملتهم وقيل قوله فما كان لكم علينا من تخفيف العذاب في شيء اخذا لتأويلين في قوله فما كان لكم علينا من فضل يرجع
الى الآخرة ولا الآخرة في الدنيا وقوله عز وجل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من الشرك والتكذيب لآيات الله ٥
وكذلك جزاء بما كانوا يكسبون ويعملون وقوله عز وجل ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها هذا قد ذكرنا فيما تقدم
وقوله عز وجل لا تفتح لهم ابواب السماء قال بعضهم يعني بابواب السماء ابواب الجنان لان الجنان تكون في السماء فسمي
ابواب السماء لما الجنان فيها الا ترى انه قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يوعد لنا هو الجنة ثم اخبر انها في السماء
الا ترى انه قال ولا يدخلون الجنة ايضا وقال آخرون ابواب السماء هو ابواب السماء وذلك ان اعمال المؤمنين
ترفع الى السماء ويصعد اليها ارواحهم واعمال الكفرة وارواحهم يرد الى اسفل السافلين كقوله اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه وقال في الكافر ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاذا كانت اعمال المؤمنين
وارواحهم ترفع الى السماء وتصعد اليها اخبر انه لا تفتح لهم ابواب السماء ولا لاعمالهم ولكن ترد الى السجين ويمكن
ان يكون على التمثيل ليس على تحقيق السماء ولكن ذكر السماء لما ان السماء هي مكان الطيبات من الاشياء وقرارها
لا مكان الخبائث والاقذار والارض هي مكان ذلك واعمال الكفرة خبيثة فكنى عن اعمالهم الخبيثة بالارض لما ان الارض
هي معدن الخبائث والانجاس وكنى عن اعمال المؤمنين الطيبة بالسماء فهو كما ضرب مثل الايمان بالشجرة الطيبة الثابتة
وفرعها في السماء على تحقيق السماء وضرب مثل الكفر بالشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الارض ليس على ان يكون قوله
فرعها في السماء على تحقيق السماء ولكن على الوصف بالطيب والقبول فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل لا تفتح لهم ابواب
السماء لا يستقيم مثله على الابتداء الا على لو ان لم تسبق خروج ذلك جوابا لها نحو قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى الآية او ان ذكروا اعمال انفسهم انهم يعملون كذا فقال لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة
فان قيل كيف خوفهم بما ذكر من سد الابواب عليهم وبجعل النار لهم مهادا وغواشا وهم لا يؤمنون بذلك كله فكيف
خوفوا به قيل ان المراد خوف بشيء فانه يخاف ويهاب له ذلك وان لم يتيقن بذلك ولا يتحقق عنده ما خوف به حتى
يستعد لذلك الشيء وان كان على شك من ذلك وظن فعلى ذلك هؤلاء خوفوا بالنار وانواع العذاب وان كانوا
شاكين في ذلك غير مصدقين لما يجوز ان يهابهم ذلك وان يخوفهم بذلك المؤمنين كقوله واتقوا النار التي اعدت
للكافرين وقوله فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وان يكون التخفيف لمن آمن منهم بالبعث لان منهم من قد آمن بالبعث
والجزاء والثواب وقوله عز وجل ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال بعضهم حتى يدخل البعير
في خرق الابرة وقال ابن عباس رضي الله عنه حتى يدخل الجمل الذي يشد به السفينة في خرق الابرة وقال ابو عوسجة
يعني خرق الابرة والمسلة والجمل الحبل والخياط الابرة والمسلة وقال ابن عباس رضي الله عنه ليس بالجمل ذو القوائم
ولكنه الجمل يعني القلس وقال ابن مسعود هو الجمل ذو القوائم الاربع والله اعلم بما اراد وقوله عز وجل وكذلك نجزي
المجرمين اي كذلك نجزي كل مجرم وقوله عز وجل لهم من جهنم مهاد قيل الفرش ومن فوقهم غواش هي اللحف
والغواشي ما يتغشاهم فيه النار تحيط بهم من تحت ومن فوق وامام وخلف كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم القيامة اي لا يتقي لما يحيط بهم العذاب وهو كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل الآية اخبر
ان النار تحيط بهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا
الا وسعها قال ابو بكر الكيساني قوله لا نكلف نفسا الا وسعها ليس من جنس ما ذكر من قوله آمنوا وعملوا الصالحات
لكنه صلة قوله يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح يقول فيما تقدم ذكره لا نكلف
نفسا الا وسعها واما عندنا فانه يستقيم ان يجعل صلة ما تقدم اي لا نكلف نفسا من الاعمال الصالحات الا وسعها بل نكلف
دون وسعها ودون طاقتها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقال الحسن قوله لا نكلف نفسا الا ما يتسع ويحل

وهو صلة قوله

وهو صلة قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا يقول لا يكلف نفسا الا ما تسع ويحل لا ما يسع
ولا يحل وقوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل قال القتبي الغل الحسد والعداوة وقيل الغل والغش
واحد وهو ما يضمر بعضهم لبعض من العداوة والحقد وقيل الغل الحقد ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ونزعنا
ما في صدورهم من غل في الدنيا ينزع الله عز وجل من قلوبهم الغل يعني من قلوب المؤمنين ويجعلهم اخوانا بالايمان
كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا الآية اخبر انهم كانوا اعداء فالف بين قلوبهم بالايمان
الذي اكرمهم به حتى صاروا اخوانا بعدما كانوا اعداء وقال الحسن ليس في قلوب اهل الجنة الغل والحسد اذ هما يهمان
ويحزنان انما فيها الحب قال بعضهم هذا في الآخرة ينزع الله تعالى في قلوبهم الغل الذي كان فيما بينهم في الدنيا
ويصيرون جميعا اخوانا كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروي عن علي رضي الله عنه
قال انه لا ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في علي وابي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وابن مسعود
وعمار وسلمان وابي ذر رضوان الله عليهم اجمعين فينزع في الآخرة ما كان في قلوبهم من غش بعضهم لبعض في الدنيا من العداوة
والقتل الذي كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر الذي اختلفوا فيه فيدخلون الجنة هذا والله اعلم
لان الذي كان بينهم من الاختلاف والقتال كان دنيوية لم يكن بحيث الدين فذلك يرتفع في الآخرة ويزول
واما العداوة التي هي بيننا وبين الكفرة فهي لا تزول ابدا في الدنيا والآخرة لانها عداوة الدين والمذهب فذلك
لا يرتفع ابدا ويشبه ان يكون قوله ونزعنا على الابتداء النزع لا على ان كانوا فيه كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات
الى النور ومن النور الى الظلمات على ابتداء المنع اي لولا اخراجه اياهم من ذلك والا كانوا فيه فعلى ذلك قوله
ونزعنا اي لم يجعل في قلوبهم الغل رأسا ولو تركهم على ما هم عليه لكان فيهم ذلك وفيه دلالة ان لله في فعل
العباد صنعا لان الغش من فعل العباد يذمون على ذلك ثم اخبر انه نزع ذلك من قلوبهم واستأدى منهم الشكر
بذلك بقوله وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الآية وقد ذم من طلب الحمد على ما لم يفعل فدل طلب الحمد منهم على ان له فيه
صنعا بذلك طلب منهم الحمد والله الموفق وقوله عز وجل تجري من تحتهم الانهار ذكر هذا والله اعلم لما علم عز وجل
من طباع الخلق الرغبة في هذه الانهار الجارية في الدنيا فيما يقع عليها الابصار فرغبهم في الآخرة بما كانت طباعهم
وانفسهم تميل الى ذلك في الدنيا ليرغبوا فيما امر وينتهوا عما نهى وكذلك جميع ما ذكر في القرآن من القصور والخيام
والجواري والغلمان والاكواب والاباريق وغير ذلك مما يرغب طباع الخلق في ذلك في الدنيا وتميل انفسهم الى ذلك
وعدهم في الآخرة ترغيبا منه لهم في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا قال الحسن
وغيره هدانا دلنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واما عندنا ليس هو هداية الدلالة والبيان ولكن
الهداية التي اكرمهم الله بها بفضله ولطفه وهو توفيقه اياهم على الهدى لانه خرج مخرج الامتنان والفضل ولو كان
دلالة وبيانا لكان لا معنى لذلك المنة والفضل لان عليه الدلالة والبيان والثاني انه لو كان على الدلالة والبيان
لكان ذلك على كل احد على الرسل وغيرهم لان عليهم البيان والدلالة فدل انه ليس على الدلالة والبيان ولكن غيره
والثالث انه لا احد عنده نفسه ان يزيغ ويضل وقت ما هداه الله ووفقه وقد يجوز ان يكون ذلك في الدلالة
والبيان دل انه لم يحتمل ما قالوا ولئك من الدلالة والبيان والله الموفق وقال بعض الناس ان المعتزلة خالفوا الله
عما اخبر وخالفوا الرسل عما اخبروا عن الله تعالى وخالفوا اهل الجنة واهل النار وخالفوا ابليس اما مخالفتهم الله
قوله وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ونحوه اما مخالفتهم الرسل قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
الآية وقول اهل النار قالوا لو هدانا الله لهديناكم وقول ابليس قال رب بما اغويتني هو اعلم بالله من المعتزلة وقوله
عز وجل لقد جاءت رسل ربنا بالحق يحتمل وجوها يحتمل جاءوا بالحق اي بالدين الذي هو احق او جاءوا بالاعمال التي
من عمل بها كان صوابا ورشدا وكل حق هو صواب ورشد ويحتمل جاءت رسل ربنا بالحق اي بالصدق ونحوه

بالحق له وجهان احدهما بالحق الذي استحقه الله على عباده والثاني انهم جاؤا بالذي هو حق في العقول وصواب وقوله
عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة وقوله تلكم انما تكلم عن غايب وهم فيها لكن تاويله والله اعلم ان تلكم الجنة التي كنتم
وعدتم في الدنيا ولخبرتم عنها هذه اورثتموها بما كنتم تعملون اي اورثكم اعمالكم وفيه دلالة ان الايمان من جملة اعمالهم
حيث قال اورثتموها بما كنتم تعملون وانما يورث ذلك بالايمان وساير الاعمال بل انما يصح ذكرا بهم او رثوا الجنة
بما عملوا وان كانوا اوتيناها بفضل الله جزاء وشكرا لقولهم الذي قالوا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقوله
عز وجل ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا
نعم وما وعد المومنين عز وجل وما فيها من النعيم واللذات والشهوات بقوله وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين وقوله لذة للشاربين هذا الذي وعد للمومنين ووعد للكفار النار وما فيها من الشدايد وانواع
العذاب فاقروا انهم قد وجدوا ما وعد لهم ربهم وقوله عز وجل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ان المراد
بالحق الذي ذكر الوعد الذي وعدهم وتفسير الحق الصدق وان كان الموعود قد تاديه وجدتموه كاينا
حاضرا وهو ما ذكرنا في قوله ليعلم الله كذا فاذن موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين اي وجبت لعنة الله
على الظالمين الذين وعدوا في الدنيا وقوله عز وجل فاذن موذن بينهم يحتمل الملك ويحتمل غيره وليس
يعرف ذلك الا بالخبر وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة فان قيل يذكر في الاية نداء اهل الجنة اهل النار
واهل النار اهل الجنة ونداء بعضهم بعضا لا يكون الا بحيث يكون بعضهم قريبا من بعض وقد جاء في الاخبار
من وصف الجنة وسعتها ما روي ان اقل ما يكون لواحدهم الجنة مثل عرض الدنيا وما ذكر ان الحور العين لو نظرت
نظرة الى الدنيا لامتلأت الدنيا من ضوئها ونورها وكذلك من ريحها وعطرها وقد جاء في وصف النار ان شرارة
منها لو وقعت في الدنيا لاحرقتها او كلام نحو هذا فاذا كان بعضهم من بعض بحيث يسمعون بعضهم نداء بعض لا يتاذى
اهل الجنة بالنار ولا ينتفع اهل النار بنعيم الجنة وكيف يعرف ذلك قيل والله اعلم وذلك ان الله
قادر ان يوقع نداء هولاء بمسامع اولئك ونداء اولئك بمسامع هولاء مع بعد ما بينهما فيسمع كل فريق نداء
الفريق الاخر وان يكون الله تعالى ينقض بنية هذا الخلق وينشيهم في الاخرة على غير هذه البنية مع ارتفاع
الافات والحجب فيسمع بعضهم من بعض من بعد الذي ذكر وينظر بعضهم بعضا لان في الدنيا الافات والحجب
هي التي تمنع ذلك فاذا ارتفع ذلك كان ما ذكر والله اعلم او يقرب الجنة من النار والنار من الجنة بحيث يسمع
بعضهم من بعض ما ذكر من النداء او يجعل ذلك في مسامعهم بما شاء وكيف شاء كتسبيح الجبال وخطاب النمل وجوابه
وقوله عز وجل الذين يصدون عن سبيل الله الصد يكون منع غيره ويكون منع نفسه وقوله عز وجل سبيل الله
قيل دين الله قال الحسن سبيل الله دين الله الذي ارتضى لعباده وامرهم بذلك والى ذلك دعاهم رسله وقوله
عز وجل ويبغونها عوجا اي يبغون الدين الذي فيه عوج وهو دين الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
عن سبيله فالعوج هو التفرق الذي ذكر في تلك الاية وامكن ان يكون قوله تبغونها عوجا اي طعنا في دين الله وقد كانوا
يبغون طعنا في دين الله وقوله عز وجل وبينهما حجاب يشبه ان يكون ما ذكر من الحجاب ما ذكر في اية اخرى وهو
قوله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فامكن ان يكون الحجاب المذكور بينهما
هو السور الذي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال بعضهم هو قوم استوت
حسناتهم بسيئاتهم لم يبشروا بالجنة حتى لا يخافون عقوبته ولا ايسوا حتى لا يطمعون ولا يرجون دخولهم
فيها وقال اخرون هم اهل كرامة الله اكرمهم الله بذلك يرفعهم على ذلك السور لينظروا الى حكم الله في الخلق
وعدله بينهم وينظرون الى احسان الله فيمن يحسن اليه وعدله فيمن يعاقبهم وقيل هم الانبياء يكونون
على الاعراف يشهدون على الامم كقوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا وقال
قايلون هم الملائكة لكن ملايكة الله ما يسمون رجالا ولم نسمع بذلك والله اعلم بذلك ثم اختلف فيه قيل سموا اصحاب

اصحاب الاعراف وهو سور بين الجنة والنار سمي بذلك لارتفاعه وكل مرتفع عند العرب اعراف وهو قول القتبي
وقال غيره الاعراف هو عرف كعرف الديك والفرس وهو ايضا من الارتفاع وقال الحسن هم اصحاب التعريف يعرفون
اهل النار عدل الله فيهم وحكمه وان ما حل بهم من الشدايد وانواع العذاب ان ما حل بهم مما كان منهم في الدنيا من صدهم
الناس عن سبيل الله واستكبارهم على الرسل يعرفونهم ان ما نزل بهم انما نزل بعدل عنهم ويعرفون اهل الجنة فضل الله
واحسانه اليهم ان ما نالوهم انما نالوا بفضل منه واحسان او قوم نصبهم الله للمحاجة اهل النار كقوله ما اغنى عنكم
جمعكم وما كنتم تستكبرون فهذه هي المحاجة التي يحاجون بها اهل النار وان يقال هم قوم نصبوا يترجمون
بين اهل الجنة واهل النار يردون كلام بعضهم الى بعض وينهون مخاطبات بعضهم الى البعض من ذلك قوله
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ونحوه والله اعلم منهم وقوله عز وجل يعرفون
كلا بسيماهم قيل المؤمن يعرف ببياض وجهه والكافر بسواد وجهه ويحتمل ما قال الحسن هو ان يعرفوا
بالمنازل والاماكن وقوله عز وجل ونادوا اصحاب الجنة يعني نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام
عليكم ليس ان يقولوا سلام عليكم باللسان خاصة ولكن في كل كلام سديد وقول حسن وصواب كقوله لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما اي سديدا صوابا وكذلك قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس على ان يقولوا
سلام عليكم ولكن يقولون لهم قولا صوابا محكما فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل لم يدخلوها وهم يطمعون
اختلف فيه قال عامة اهل التاويل هم اصحاب الاعراف لم يدخلوها ويطمعون دخولها وقيل هم كفار اهل النار
يطمعون ان ينالوا منها كقوله ان افيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الى هذا
الوقت كانوا يطمعون دخولها والنيل منها ثم ايسوا بهذا وقال بعضهم هم اهل الجنة يطمعون دخولها قبل ان يدخل
اهل الجنة وقيل ان يدخل اهل النار وقوله عز وجل واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قيل واذا صرفت
ابصار اصحاب الاعراف الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين من شدة ما يرون من العذاب
وما نزل بهم وقيل واذا صرفت ابصار اهل الجنة تلقاء اصحاب النار قالوا ذلك وفي حرف ابي واذا قلبت ابصارهم
نحو اصحاب النار قالوا عايذا بك ان تجعلنا ربنا مع القوم الظالمين وقوله عز وجل ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
ان كان ذلك الدعاء من الانبياء او من اهل كرامة الله الذين كانوا على الاعراف فذلك منهم شهادة انهم ظلمة وكفرة
ومعنى التعوذ عنهم من النار لانهم لم يدخلوا الجنة بعد فيتخافون القصور كان منهم في شكر النعم او بالطبع يتعوذون
لما يتعوذ كل احد اذا راى احدا في البلاء والله اعلم وقوله عز وجل ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم
قال عامة اهل التاويل يعرفونهم بسواد الوجوه وزرقة العيون ولكن امكن ان يعرفوا بالاعلام التي كانت لهم في الدنيا
سوى سواد الوجوه لانهم يخاطبونهم بقوله قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون فلو لم يعرفوهم باثار
كانت لهم في الدنيا لم يكونوا يعاتبونهم بجميع الاموال والاستكبار في الدنيا ولا يقال للفقراء ذلك انما يقال ذلك
للاغنياء لانهم هم الذين يجمعون الاموال وهم المستكبرون على الخلق كقوله وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن
بمعذبين ويشبه ان يخاطب الكل وفيهم من قد جمع واستكبر وذلك جايز هذا على تاويل من يجعل اصحاب الاعراف
الذين استوت حسناتهم بسيئاتهم وقوله عز وجل اهولاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال عامة اهل التاويل
اقسمتم اهل النار ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة ولكن يدخلون النار معهم فيقول الملائكة لاهل النار
هولاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويحتمل ان يكون القسم الذي
ذكر في الاية كان منهم في الدنيا قالوا يقسمون ان لا يدخلون هولاء الجنة يعنون اصحاب رسول الله عليه الصلوة والسلام
كقوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه كانوا يقولون ان الذي هم عليه لو كان خيرا لنا لوهم ذلك اذ نالوهم كل خير
في الدنيا يعنون انفسهم فعلى ذلك ينالون في الاخرة مثله ونحو ذلك من الكلام الذين يقولون في الدنيا فيقولون لهم

في الآخرة هؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة وامكن ان يكون قوله ادخلوا الجنة لاهل الجنة قيل ان يدخلوها
وقوله عز وجل لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قال الاصم يكون الحزن في فوت كل محبوب والخوف في نيل كل مكروه
كقول يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب ذكر الحزن عند فوت محبوبه والخوف عند نيل
المكروه ولكن عندنا الحزن انما يكون بفوت الموجود من المحبوب والخوف بما سيصيبه من المكروه وقوله عز وجل
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قال الحسن الماء مما رزقهم الله ولكن
مكرر وقال ابو بكر طلبوا الماء ليدفعوا عن انفسهم ما اشتد بهم من الظماء والعطش ثم تقع لهم الحاجة الى الطعام
لان الرجل اذا اشتد به العطش والظماء لا يتهيأ له الاكل ولكن يشبه ان يكون طلب بعضهم الماء وبعضهم الطعام الذي
رزقهم الله وهذا جائز وان لم يذكر كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لم يكن هذا القول
من الفريقين ولكن كان من اليهود لا من كان هودا ومن النصارى او نصارى فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل
ان الله حرمهما على الكافرين قيل هذا مقابل قولهم في الدنيا للمؤمنين انطعم من لو يشاء الله اطعمه قال لهم المؤمنون
في الآخرة مقابل ما قالوا لهم في الدنيا ان الله حرمهما على الكافرين وهذا والله اعلم ليس على التحريم ولكن على المنع لان
الكفرة لا يتناولون بعدما تناولوا لتحرم ما كان او حلالا ولكن على المنع كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع ليس هو تحريم
حرمة اكل ولكن منع ويشبه ان يكون ذلك محرما على المؤمنين اطعام الكافرين من ذلك وقوله عز وجل الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا قال الحسن اتخذوا دينهم الذي كلفوا به وامروا ان ياتوا به لهوا ولعبا وجائز ان يكون قوله
اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي اتخذوا دينهم الملاهي التي كانوا يلهون به ويلعبون كقوله وما كان صلاتهم عند
البيت الا مكاء وتصدية او اتخذوا دينهم الذي دانوا به لهوا ولعبا لانهم كانوا ينكرون البعث وفي انكارهم
البعث انكار الجزاء للحسنات والسيئات وفي الحكمة ايجاب ذلك فمن لم ير ذلك فهو لاه ولاعب واللهو واللعب
هو الذي لا عاقبة له وكل من عمل عملا لا عاقبة له فهو لعب ولهو وكل من يعمل لعاقبة فهو ليس بلعب ولا لهو وهم
كانوا يعملون لا لعاقبة لذلك كان لهوا ولعبا وقوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا قال بعضهم ان الحيوة الدنيا
لا تغر احدا ولكن اضيف اليه التغرير لما كان سببا من اسباب الاغترار بها فاضيف اليها كقوله فلم يزدهم
دعائي الا فرارا اضاف الفرار الى الدعاء وقد يضاف الشيء الى سببه كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به وقال بعضهم
اضيف ذلك اليها لما كان منها من السبب من الهيئة ما لو كان ذلك من ذي العقل والتمييز كان ذلك غرورا
من نحو التزيين وغيره وجائز اضافة التغرير اليها على ارادة اهلها اي غرتهم اهلها وهم القادة والرؤساء
وقوله عز وجل فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا لا يجوز ان يضاف النسيان الى الله تعالى بحال ولكن يجوز
ان يقال يجزيهم جزاء نسيانهم فسمى الثاني باسم الاول وان لم يكن الثاني نسيانا نحو قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
والثانية ليست بسيئة ولكن جزاء السيئة لكنه سماها باسم السيئة لما هي جزاء لها فعلى ذلك هذا وكقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه والثاني ليس باعتداء ولكنه جزاء الاعتداء فسماه باسم الاعتداء لما هو جزاؤه فعلى ذلك سمى الثاني
نسيانا لانه جزاء النسيان وان كان الله لا يجوز ان ينسى او يسهو عن شيء او يغفل ولان في النسيان تركا وكل
منسي متروك ويتركهم في العذاب والهوان كما تركوا امر الله ونهيه في الدنيا وقال الحسن ان الله لا ينسى شيئا
ولا يسهو ولكن الكفرة يكونون عن الكرامة والرحمة والمنزلة كالشيء المنسي وعن العذاب والهوان لا او كلام نحو هذا
وقوله عز وجل وما كانوا باياتنا يجحدون قال بعضهم ما ههنا صلة كانه قال وكانوا باياتنا وقال بعضهم هو
على ما ذكر اي اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وكما كانوا باياتنا يجحدون وقوله عز وجل ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه ويحتمل قوله فصلناه بيناه والتفصيل التبيين ويحتمل قوله فصلناه اي فرقناه في الانزال لم ننزل جملة واحدة
كقوله وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس اي فرقناه في الانزال على قدر النوازل بهم ليعلموا حكم كل اية نزلت بالنوازل التي وقعت
بهم لا تقع لهم الحاجة الى معرفة ما في كل اية نزلت عليهم على حدة بل يعرفون ذلك بالنوازل او انزل له مفرقا وان يكون

معرفة ما فيه من الاحكام اذا كان منزلا بالتفاريق اهون وايسر على الطباع عن معرفة ما فيه اذا نزل جملة
ثم قوله فصلناه على علم منه يحتمل وجوها يحتمل فصلناه اي بيناه بالحجج والبراهين على علم منه ان الخلائق
لا تقوم باتيان مثله ليعلم انه من عند الله نزل او انزله مفصلا على علم منه بمن يصدقه ويتبعه وبمن يكذبه
ولا يتبعه او على علم منه بمصالح الخلق ان الله اصلح للخلق اي على علم منه بمعاملة القوم اياه انزل لان
المنفعة في انزاله للمنزل عليهم لا للمرسل والمرسل فضل الرد والمنفعة لهم وقوله عز وجل هدى ورحمة
لقوم يؤمنون قال ابو بكر هو هدى للكل للمؤمن والكافر جميعا ورحمة للمؤمنين خاصة واما عندنا فهو هدى
للمؤمنين وعمى على الكافرين على ما ذكر وهو عليهم عمى خص المؤمنين بالهدى لهم لانهم هم المخصوصون
بالانتفاع به دون اولئك وعلى اولئك عمى ورجس على ما ذكر وصار للمؤمنين حجة على اولئك وقوله
فزادتهم رجسا الى رجسهم هذا للكافرين وقال للمؤمنين فزادتهم ايمانا وقوله عز وجل هل ينظرون
الا تاويله اي ما ينظرون الا وقوع ما وعد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من نزول باس الله بهم اي
اي لا يؤمنون الا بعد وقوع الباس بهم لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه
من قبل والتاويل هو ما ينتهي اليه الامر ويؤول وما يقع بهم من الباس الموعود لهم وايمانهم ما ذكر من قولهم قد جاءت
رسل ربنا بالحق يعني بالحق الواقع بهم من باس الله الذي كانت الرسل تعدهم اي ان ما وعدوا من وقوع الباس
بنا كان حقا ويحتمل قوله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي بالتوحيد اي ان الذي جاءت به الرسل في الدنيا من التوحيد
كان حقا وان الذي اخبر الرسل من هذا اليوم كان حقا وقوله عز وجل فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا كانهم
اذا حل بهم ووقع ما اوعدهم الرسول من الباس تمنوا عند ذلك الشفعاء الذي كانوا يعبدون في الدنيا كقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله او طلبوا الشفعاء كما كانوا يطلبون في الدنيا اذا بدا لهم امر عظيم فيشفع بعضهم بعضا
ويعين بعضهم بعضا في هذه الدنيا فعلى ما كان لهم في الدنيا تمنوا في الآخرة ذلك فاذا ايسوا عن ذلك
وايقنوا ان لا شفيع يشفع لهم فعند ذلك قالوا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل لانهم قالوا ذلك مجموعا كقوله
يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا الى قوله لعادوا لما نهوا عنه وقال بعضهم لو ردوا في الدنيا لعادوا الى ما نهوا
عنه وقال الآخرون لو ردوا الى المحنة الى الامر والنهي لعادوا الى العمل الذي كانوا يعملون ثم اخبر انهم قد خسروا
انفسهم بعملهم الذي عملوا في الدنيا وبعبادتهم غير الله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل عنهم ما كانوا يفترون
ان هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وغيره ذلك من الافتراء ذلك كله
قد بطل عنهم فبقوا حيارى وانقطع رجاؤهم واملهم الذي طمعوا قوله قد خسروا انفسهم عن رحمة الله وقيل
بما وعدوا لو اطاعوا وقيل اهلكوها وقوله عز وجل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وذكر ما بينهما في مواضع ولم يذكر في مواضع وذلك داخل في ذلك على ما جرى التفسير في ذلك بقوله قل اينكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين الذي صنع ذلك وجعل فيها
رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها ثم جمع اليومين الاولين مع هذا الذي ذكر ذا فيه وقال في اربعة
ايام سواء للسائلين ليعلم انه ذا خلق في يومين ثم قال ثم استوى الى السماء الى قوله فقضاهن سبع سموات
في يومين فتصير ستة الايام التي ابهمها في غير ذلك والله اعلم ثم قد بين عز وجل فساد قول كل من عبد
غيره وعجز كل ذلك عما له يعبد وجهله بمعنى العبادة وخروجه عن الاستحقاق بما فيه عن اثار التدبير
وعليه من دلالة التقدير واستحقاق جميع معاني الخلقة ودخوله تحت الصنعة وحاجته الى من احتاج اليه
كل مما هي التي تبعث على العبادة وتوجب اظهار الذلة والخضوع لمن هو كذلك في الخلقة والجوهر فالزمهم
الفزع الى من يبيدهم الى الرب الحق ويدعوهم الى المعبود المتعالي عن الاشباه والاضداد بما يوجب الشبه المشاكلة
وفي وجوب ذلك دليل عاجل لحدث له شكلا وذلك اية الصنعة ودلالة الحدث وفي تحقيق الضد خوف ذهاب

وفساد فيضمحل الالوهية تستوجب حق الدخول تحت التقدير والقيام على ما شاء من امر الله تبارك الله سبحانه عن توهم
ذلك تاكوم من بعثهم لحاجة الى معرفته ودفعته الخلقة الى العلم بمن انعم عليه واختصه من بين كثير من خلقه بما ركب
فيه ما يريد برامر غيره وبه يعرف قدر النعم عليه لمن اكرمه به ليشكره فيما اولاه ويحمده على ما اعطاه فمن اظهار
ذلك على لسان رسوله الذي عرف خلقه بما نصب من ادلة صدقه وابان من حجج عصمته عن الكذب فيما ينبئ واصابته
فيما يخبر فقال ان ربكم الله الذي لا رب غيركم سواه ولا لاحد من الخلايق هو الله الذي لا اله غيره ليوجهوا اليه
العبادة في الحقيقة وليودوا اليه شكر ما انعم عليهم وان كانت نعمه اعظم من ان يجزيها العباد وحقه اجل
من ان يقوم به العباد ولولا ان الله سبحانه لم يرد من البيان على ربوبيته والدليل على الهيئة سوى
ما نطق به على لسان رسوله بعد الايضاح انه لا ينطق الا بالحق ولا يقول الا الصدق لكان ذلك بيانا شافيا
لكنه بفضل رحمته بين الادلة التي تحقق ذلك وتعلم انه كما اخبر رسوله الا ان يعاند الحق ويكابر العقل
فقال عز وجل الذي خلق السموات والارض الى اخر ما ذكره دلالة خلق ما ذكر كما ذكر من اثار التدبير وعجيب
التقدير الذي به قوام كل من يحتمل المنافع والمضار وايصال ما بين السماء والارض على تباعد بعض من بعض
في المنافع مع جمع الاضداد التي من طبعها التنافر في اصل ما ذكر حتى صارت كالاشكال بعد ان كانت السموات
والارض مشتبهة لا تشعر بما فيهما من الحكمة ولا بالذي فيه من انه من اي وجه يقضي الحاجة ليدل ان مدبر الكل
واحد وانه عليم حكيم وضع كل شيء موضعه ودل كل ذي عقل على الوجه الذي يظفر بحاجته ويقيم به
اوده ويصل الى بغيته وبحر الذي ذكر فصير كلا من ذلك جاديا داييا بما لا ينتفع هو به ولا مضرة عليه فيه ليعلم
انه لغيره قدره ولحاجات غيره سيره وكذلك الذي جبل على القرار وامسك على الزوال من غير ان كان ذلك
في حقيقة احد الوجهين نفع او ضر ليعلم ان تدبير ذلك جرى لا له ولكن لاهل الممتحنين الذين بهم
يظهر العز والشرف ويبذل الجود والكرم ويعظم الملك والسلطان اذ عندهم تمييز الاحوال وتفريق الامور
وتوجيه كل الى حقه واعطاء كل ذي فضل فضله ليعلم من هذا وصفه انه لم ينشا عبثا ولا خلق باطلا اذ به يعظم
قدر قدر كل خالق ويشرف وجلاله كل جليل ثم يجبر اهمال مثله فيكون خلق الجميع لغير شيء مما في ذلك من فنائه
وتبدده الذي في الحكمة قصد مثله في العقل يوجب العبث ثبت انه خلق للمحنة ولدار البقاء لكن جعل البقاء
جزاء والفناء محنة ليكون البقاء هو المنتهى فيعظم القصد في الابتداء اذ فاسد ان يجعل المحنة للبقاء ويبدل
على حاجة الممتحن مع ما في ذلك زوال الجزاء اذ محال تقديمه على الجزاء والله الموفق ثم الاصل انه الله سبحانه جعل
العقل جزءا من عالمه وجعله دليلا لاهله في معرفة المساوي والمحاسن وعلما للتمييز بين الحكمة والسفه وبين
الاتقان والعبث وجعله بالذي يعرف المحمود من المذموم والمرغوب فيه من المرجو دعنه فلم يجز ان يكون انشاء
كل العالم على غير الحكمة لانه سفه وهو بالذي جزء ومن المعالم يعلم به الذميم من الحميد ثبت انه انشئ للحكمة وعلى ذلك
تقدير كل عاقل على احتمال ما يضره وينفعه بحق الجزاء والمحنة فثبت ان ذلك للمحنة وان المحنة ثم الهلاك بلا جزاء
ولا ينفع للممتحن عبث ايضا وسفه فلزم به القول بالبعث واثبات دارين مع ما كان لكل شاهد دليل غايب
يحمد عليه او يذم وكذا فعل كل ذي عقل بما هو لعاقبة يحمد عليه وايفعل عنه فيذم عليه فعلى ذلك امر تدبير
هذه الدار من اخرى ولا يجوز ان تخلى الجملة عن الدلالة ولا يخلو كل جزء منها او جملة الافعال عن العواقب والواحد
منها اذا خرج يصير عبثا وسفها فثبت بالذي ذكرنا القول بالتوحيد وبالدارين وبالرسالة اذ بها يعرف العواقب
بما هي غايبة وحقايق كل غايب تعرف بالاخبار عنها والدلالة عليها ثم لا دلالة على ماهية الجزاء ولا الشكر
ولا العبادة انما الدلالة من حيث التدبير على العلم بها جملة لزم القول بالرسل ولا قوة الا بالله ثم وقوله
في ستة ايام يحتمل وجهين احدهما خلق اصول الاشياء التي يكون غيرها بحق التولد عند ذلك ويحتمل ان يكون
على خلق كلية كل شيء مما عليه تركيب هذا العالم الى ان يبدل العالم اخر لا يبيد ولا يفنى فان كان على الاول فهو سنة

من السبعة

من السبعة التي عليها مدار المدد والازمنة اذ جعل جل ثناؤه بجميع ما ذكر من الخلايق تحت الازمنة والاوقات
ويزول بزوال مدد وكذلك عندنا كل الحوادث اذ لكل منها بدايصير ذلك وقت ابتدائه وذلك ينقض على الباطنية قولهم
المبدع الاول لا يقع عن الزمان والمكان وانه لا يبيد ولا يفنى ولو كان كذلك لم يكن مبدعا ولكن كان قديما لا يقع عليه
الابداع فلما وقت ثبت له البدو فيجب وصفه بالوقت من حيث الابتداء وهو ايضا معلول عندهم وعلته قبله وهو
الابداع مما لو زالت علته لباد واذا ثبت انه معلول ثبت ان علة اوجبته واحد ثمه بعد ان لم يكن فوجب له وقت به
كان او كان فيه والله اعلم ثم على هذا كان انشاء من ذكر في الايام الستة ولم يذكر في ذلك ممتحنا فيشبه ان يكون
وقت كون الممتحنين يوم السابع وبهم تم ظهور الملك واستوى على العرش وهو الملك اذ لم يكن قبل ذلك من له التمييز
ومعرفة الملك والسلطان وقدر العلم بالمحامد والمعالي واضداد ذلك انما يكون باولئك الذين ركب فيهم
العقول واكرموا بالتمييز وبمالهم يجعل العالم وهو المقصود من الانشاء لذلك جعل كل من سواهم مسخرا
لنا فهم داخلة تحت امرها مهم ما يحتمل اكثر ذلك تدبير ليعلم انهم قصدوا الانفسهم او لمعرفة ما عليهم
من شكر النعم والعبادة فكان بهم ظهور تمام الملك وبلوغه النهاية فاخبر بالاستواء اذ هو وصف العلو
والرفعة ووصف التمام في الرتبة والقدر كقوله ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وذلك معنى الاستواء
على العرش من حيث ظهور الملك وبيان المحنة والربوبية للمستدلين والمعتبرين وان كان التاويل هو الثاني
يخرج على وجهين احدهما ما قال بعض اهل التفسير ان كل يوم من ايام الاخرة وذلك الف سنة لم يبين لنا
مقدار ذلك فجايز ان يكون منتهى تدبير هذا العالم الى ذلك ستة ايام بمعنى ستة الاف سنة على القدر
الذي قدره الله ثم يكون اليوم السابع هو يوم القيمة لا يبيد ابدا ولا ينقضي فيه تبدل العالم ويقر كل ممتحن له بالملك
والجلال وان كان كذلك في الازل ففي ذلك اتفاق القول من طريق الاختيار والعلم بذلك من كل جبابرة
وغيره على نحو ما قيل لمن الملك اليوم وقيل وبرزوا لله جميعا وقيل والامر يومئذ ونحو ذلك على ان له الملك ابدا
وكذلك لم يكن يخفى عليه شيء لكن ذلك مما يعلم كل انه كذلك فبذلك يتم ظهور كل معنى من ذلك وان كانت
حقيقته موجودة قبل ذلك وعلى ذلك القول حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونحو ذلك انه اذ ذلك
يظهر لكل معلومة فاضيف اليه بحرف الابتداء وهو عن ذلك متعال فعلى هذا جميع ما بينا وبذلك ظهور تمام شرايط
الملك والاعتراف من الكل بذلك والله اعلم والثاني ان يكون ذلك الايام الستة على ما في علم الله تعالى تقديرها
لا يعلم احد سواه الا من طريق الجملة ادى وقد بين يوما كخمسين الف سنة ويوما كالف سنة حله لا يعلم غيره
ثم كان اليوم السابع يوم تبلى السرائر وتقع العقوبة والمثوبة وهو المقصود من خلق العالم العالم الاول فيكون
ما ذكرت من تمام الظهور والله الموفق وعلى هذا لو قيل بما قيل بحملون العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية قيل ليس ان المراد من هذا العرش الاول وجايز ان يكون هذا هو السرير المعروف منشاء من النور وجماعة
ليكرم به اولياءه يوم القيمة والاول هو الملك الذي ظهر تمامه وعلوه على ما بينا ثم لو كان العرش الذي قال عز وجل
الرحمن على العرش استوى هو ما فهمه اهل التشبيه من مكان لم يكن يجب ان يفهم من الاستواء عليه الاستقرار والتمكن
للمكان يوصف بالكون فيه وعليه لانه ليس في كون احد في مكان وان جل قدره وعظم خطره رفعة ولا نباهة
فيما يتعارف من امر الملوك والاجلة بل كل منسوب الى مكان من جهة التمكن فيه والقرار منسوب الى ستعانة وحاجته
اليه جل الله عن ذلك وعلى انه اما ان يكون مثله او اعظم منه لكان له عديلا بالعظمة او دونه من السخف
الجلوس على مكان لا يطمئن او يقصر عنه اذ قد يجوز ان يزاد فيه فيكون اعظم منه جل الله عن هذا الوصف وتعالى
بل كان ولا مكان فهو على ما كان يتعالى عن الاستحالة والتغيير اذ هو اثر الحدث وامارة الكون بعد ان لم يكن
ولا قوة الا بالله ثم الاصل انه لو كان فهو باضافة الله الى العلو عليه تعظيم له وعلى ذلك في كل شيء يضاف الى الله
او الله اليه من جهة الخصوص فهو على تعظيم ذلك لا على ان يفهم منه ما يفهم مثله من الخلايق نحو القول

بان المساجد لله وناقة الله وزينة الله ونحو ذلك فما بال المشبهة فهمت من اضافة الاستواء على العرش المعنى
المكروه على احتمال الاستواء معانيا سوى الذي ذكر واذ يقال استوى ثم واستوى قصد واستوى على واستوى
استقر واستوى استولى فاذا كان معناه يتوجه الى هذه الوجوه لم يحتمل ان يكون احد يقصد من ذلك ادم ما يتوجه
اليه ويعتمد عليه لولا الجهل به ثم الاصل ان الاضافات الى الاشياء يفترق المقصود بها وان كان في ظاهر
المخرج واحد باختلاف من اليه القصد بالاضافة والاضافة يقال جاء الحق وجاء فلان وبيت فلان وبيت الله
وقيل في الملائكة وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وقال في الفسقة اولئك اصحاب النار ونحو ذلك لا على الجمع
في المعنى فالاستواء الذي يتوجه الى وجوه لحق بذلك والله الموفق ثم قد قيل في قوله ثم استوى على العرش بوجوه
احدها ما قال ابو بكر الاصم هو على التقدم والتاخير كانه قال ان ربكم الله الذي استوى على العرش ثم خلق ما ذكر
فيكون معناه خلق كذا وقد استوى على العرش كقوله خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها بمعنى وقد جعل منها
زوجها وعلى هذا ليس في قوله ان ربكم الله الذي استوى على العرش الشبهة التي في الاول كما لم يكن في قوله ولو ترى اذ وقفوا
على ربهم اذا صرف الى عند شبهة فيكون وقد استوى خلق العرش كقوله ثم استوى الى السماء بمعنى ثم خلق السما او قصد
خلقه ونحو ذلك وقال الحسن ثم استوى على العرش اى استوى عليه امره وصنعه اى لم يختلف عليه صنع العرش
وامره وان جل امر غيره وصنعه كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة على استواء الامر في التدبير والصنع
وقال الحسين معناه استولى على العرش كما يقال استوى فلان على بغداد بمعنى استولى وقال قوم معناه استوى عليه
وهو فوق كل شيء في القدرة والعظمة تعظيما له على غير اختلاف عليه في التحقيق بينه وبين غيره كالذي
ذكر بان الامر كله يوم القيمة له والمساجد له على التفضيل دون تخصيص له في ذاته من حيث ذلك وقال قوم
اذ كان العرش فوق كل شيء في تقدير المعارف فقال هو علاه بمعنى لا يوصف في الخلق ولكن على ما كان ولا خلق
ونحن نقول وبالله التوفيق قد ثبت من طريق التنزيل بانه استوى على العرش وقد لزم القول بانه ليس كمثله شيء
وعلى ذلك اتفاق القول ان لا يقدر كلامه بما عرف من كلام الخلق ولا فعله به وما يوجبه ولا علمه ولا ما قيل
هو رب كذا وما لك كذا لا يراد به المفهوم من الخلق لكن الوجه الذي يليق به وما يوجبه حق الربوبية فمثله في الاول
يلزم تسليم المراد لما عنده اذ لم يبينه لنا وقد ثبت نفي ما يفهم من غيره وبعد فان القول فيه بالمكان يفسد بالله
بر يحتج بوجوه احدها ان قوله ثم استوى على العرش اخبار عن فعله الذي في التحقيق يضاف اليه في خلق الخلق ٥
على اختلاف المخرج في القول نحو ان ذكر مرة ابدع ومرة فطر وجعل وانزل واثبت وكتب واعطى وانشا وغير ذلك
من الالفاظ حقيقة ذلك انه خلق اذ ذلك معنى فعله في الحقيقة وعلى ذلك كون وفصل وامر في بعض المواضع ثم يجب
توجيه كل من ذلك الى الوجه الذي يليق فيه القول بخلق وكذا في هدى واضل وزين واتقن واحكم ونحو ذلك فكذلك
في قوله ثم استوى على العرش يجب ان يقابل بذلك بخلق اذ هو اضافة الى فعله ثم يخرج على وجهين احدهما ثم خلق العرش
ورفعه واعلاه بعد ان كان العرش على الماء كقوله ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ثم تنقل من حال الى حال اذ لو كان
كذلك لكان يصير بحيث ثم ينتقل من خلق الى خلق فيما يخلق فيكون في الوقت الذي يصير الى العرش صائرا الى الثرى
وفي الوقت الذي يجد دخلوه في الارض وما في السماء منتقلا من ذا الى ذا وذلك تناقض فاسد وفي ذلك بطلان
معنى القول بالاستواء على العرش بل يكون ابدا غير مستوى عليه حتى يفرغ من خلق جميع ما يكون ابدا وذلك ٥
متناقض فاسد جل الله عن هذا التوهم وبالله التوفيق والثاني ان يكون قوله ثم استوى على العرش اى الى العرش ٥
في خلقه ورفعه واتمامه دليل احتمال على ذلك ان على من حروف الخفض وقد يوضع بعض موضع بعض كقوله ٥ ٥
اذا اكتالوا على الناس بمعنى عن الناس وقوله اذ وقفوا على ربهم بمعنى عند ربهم مع ما قال ان علينا بيانه
وعلى الله قصد السبيل بمعنى اليه وعلى ذلك ثم استوى على العرش اى الى العرش وهو على الماء كما ذكر فرفعه واتمه كما قال
ثم استوى الى السماء وهي دخان فخلق ما ذكر فالله اعلم والوجه الثاني المذكور في الاية من اسم الرب وخلق وتسخير الذي

وصف ثم لم يتوهم في شيء من ذلك المعنى الذي يضاف الى الخلق انه رب كذا او خص كذا او صنع كذا الحمد ولا موحد فكيف
احتمل قلب المشبهي في قوله الرحمن على العرش استوى لولا جهله به وتقديره بالذي عليه امر نفسه والله الموفق ٥
والثالث ان الناس في خلق الله الخلق مختلفين فمنهم من جعل الخلق نفسه دون ان يكون الله بذاته يلحقه وصف
سوى اضافة الخلق اليه في ان كان به فعلى ذلك قوله ثم استوى على العرش انما هو ما ذكر من غير ان كان سبحانه يلحقه ٥
وصف لم يكن له ومنهم من يرا مخالفا بذاته ليكون جميع الخلائق الى الابد وتكوينه الذي يعبر عنه بقوله كن من غير ان كاف
ثم كاف ونون على كون كل شيء عليه به من غير تغير عليه ولا زوال عما كان عليه اذ لا شيء غيره فكل معنى لو حقق
اوجب تغييرا او زوالا او قرارا او نحو ذلك فالله يجل عنه ويتعالى اذ ذلك علم الحدث وامارة الغيرية ولا قوة
الا بالله والرابع هو الذي يرى فعله على ما عليه فعل الخلق من التحول والزوال والسكون والقرار لمعنى اضافته
من ذلك وصفه الى مكان دون مكان وحال دون حال محال فاسد لذلك بطل القول بالمكان في جميع الاقاويل
وايد الذي ذكرت ما ختم به الاية من قوله تبارك الله رب العالمين وصف ذاته بالربوبية بالتعالي من جميع ٥
معاني المربوبين اذ من حيث التشاكل يوجب خروجه من ان يكون ربا والاخر مربوبا فاذا ثبت ان كل شيء من كل جهة
مربوبا ثبت سبحانيته من ذلك الوجه والله الموفق ثم قوله خلق السموات والارض في ستة ايام هو على وجهين
احدهما اضمار ما بينهما على ما جرى الذكر به في غيره والثاني ان ذكر من وقت ابتداء الكون الى الانتهاء لا على تحقيق ذلك
في كل وقت كما يقال كان كذا في شهر كذا لا على احاطة كلية اجزاء الشهر به فمثله معنى ستة ايام ومعنى التوقيت ليس
على حاجة الى ذلك اذ الوقت داخل فيما خلق لكن على وجوه وان كان الله سبحانه قادرا على انشاء جميع ما ذكر بدفعة
وجهان ما ذكرت من معنى الايام لمدار مدد الخلق واطول ما عليه يفنى الاعمار والثاني على بيان منتهى العالم والثا
على ادوار كل ذلك مع علو درجات كثيرة منها ولا لترا قدارها في الاعين حتى لا احد ينظر اليها الا بعين التعظيم
وحتى يكثر منها قام تدبير العالم وحق عبد دون الله تعظيما وان كان في ذلك دلالة حرف وجه عن الاستحقاق ٥
فصيرها الله داخلة تحت الازمنة والمدد مقهورة بها حتى لو اريد بكل اجهد وحيل اخراج شيء من ذلك او تخليص
الجبابرة من ذلك لما تهيا لهم ليعلم ذلة الخلق وامارات الحدث وعلامة الحاجة ثم كانت الاوقات مترادفة
متتابعة لو اسقطت عنها الاولية لبطل الكل ولما جاز الحساب بالواحد ولما انتهى الى ما هو بعد الماضي ليعلم
اولية كل شيء من العالم وحدثه مع ما جعلت الايام تدور على امر واحد بها بجميع المحتاجين ممن ذكرت فثبت انه ذلك
باسماء معروفة امكن قصد كل منها على الاشارة اليه باسم المعروف ليحفظ فيه المواعيد بما يجب من الحقوق ويبطل
والله اعلم ثم الاصل اذ جعلت هذه الدار دار المحنة والمحنة انما تكون بمختلف الاحوال جعلت الاحوال مختلفة نحو
موت وحيوة وصحة وسقم وغنى وفقر وفي جميع الخلق على حالة منها الجهل باضدادها وفي ذلك الجهل باللذات
والالام فيجب بذلك اختلاف الاحوال وعلى ذلك يجري امر خلق الخلائق وعلى ذلك امر الارزاق وغير ذلك فعلى ذلك
امر خلق ما ذكر في ايام مختلفة ثم يجمع في البعث بمرة وفي حال من حال اللذة او التعب بمرة مع ما كان اختلاف الاحوال
اقرب الى الدلالة واوضح للحجة فلذلك جعل في هذه الدار الزام الحجة واظهار المحنة والكلفة والله الموفق والاصل
ان العقول والانشاءات متناهية تقصر عن الاحاطة بكلية الاشياء والافهام متناقصة عن بلوغ غاية الامور واذهن
من اجزاء العالم الذي هو بكليته متناهي واسباب الادراك التي يدرك بها باداء المشاعر التي تعجز عن كثير لما يقع
عليها من الظواهر فضلا عما استتر منها واذا كان هذا وصف ما يدرك به مبلغ الحكمة فهي قاصرة عن الاحاطة بالحكمة
الموضوعة من البشر فمن رام الاحاطة بها او بلوغ حكمة الربوبية من غير اشارة منه فهو يظلم العقل ويحمل عليه
ما يعلم عجزه عنه ومعلوم ان المذكور من الايام في خلق ما ذكر حكمة بالغة وان قصرت العقول عن الاحاطة اذ الذي
قدرها هو الذي حمد الحكمة واوجب لاهل العقل ذم السفه واهله فاوجب ذلك تحقيق الحكمة لذلك وان لم يبلغها
الا بمقدار ما يكرم به والله الموفق وقوله وعن ما ذكر فكذلك يعرض بالتيسير فيما يرجع الى منافع الخلق وجعل فيهن اية

ولا العيان لم يكن يصدق به احد ممن يجحد البعث والرسل ونحو هذا الخبر عن سير جوهر واحد في اليوم الواحد مسيرة
اكثر من الف سنة وتولد جواهر بمعونة من يبعد عنه مقدار خمسمائة عام وتصحيح كل شيء وصلاحه به ابعد عن احتمال
القبول من اعادة شيء عند الفناء او ارسال الرسل باعلام ما خفي من المصالح والامور اذ ذلك امر متعالم في صنع الخالق
معاني ذلك فيما به تقلب الزمان من الليل والنهار ولكن الله سبحانه اظهر لهم من قدرته وعظيم حكمته بما بسط لهم بفلقها
وسعتها ودفع عليها السماء وبغير عمد يرى فافترق كلا من ذلك لحاجة اهلها الى قرارها وسيرها بالتسخير ما ذكر
لحاجة الاهل في تسيير ذلك ليعلم ان لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه امر ولا يدخل في تدبيره عوج ولا في خلقه من
تفاوت وان الذي اظهر اذا قوبل بالذي وعد يضاعف عليه بوجوه له مع ما كان الذي اظهر هو ابداع على غير
احتذاء وانشاء والاعادة لا والله الموفق ثم من عجيب قدرته سبحانه في قوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ان الله تعالى
يظهر النور في ابتداء النهار من طرف من اطراف السماء والظلمة في اول الليل ثم ينشر ذلك ويبسطه في جميع اطراف
السماء والارض وما بينهما من جميع الاقطار والجوانب في قدر لحظة بصر وطرفة العين مما لو اريد تقدير ذلك
بالهندسة وبجميع ما في الخلق من المقادير لما احيط بالذي ينبسط ذلك النور والظلام ليعلم ان الله على ما يشاء قدير
وانه لو اراد لخلق جميع ما ذكرنا في ادق مدة والطف وقت وانه القادر على البعث وجميع ما جاءت بالخبر عنه الرسل
على انه بالذي ذكرت يلبس وجوه كلية الاشياء الستر ويجليها بطرفتين بالتدبير والعلم الذي بما يوجب ذلك
مما يعجز عن توهم مثله جميع الحكماء فضلا عن ادراكه ليعلم انه عليم لا يجهل عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يتفاوت
صنعه ولا يتناقض تدبيره ولا قوة الا بالله وقريبا من ذلك ما جعل في جوهر الانسان من البصر الذي يبصر
باقل الاحوال الفتح قدر خمسمائة سنة والفكر الذي يبلغ به من غير ان يزول عن مكانه منتهى مرجع الخلق
من الجنة والنار ويبصر به المعاد والمعاش والعقل الذي يعرف حقائق من غاب عنه وحضر مما له صورة
شيء لا طينة او لاحدهما وما ليس له واحد من الامرين على قصور الحواس عن ادراك صورة لا طينة له ليعلم ان الذي قدر
على تقدير مثله في جوهر واحد وعلم كيف يصنع فيه ليعمل ذلك العمل قادر على كل شيء حكيم عليم وهذا معنى ما قيل
ان الانسان هو العالم الصغير بمعنى انه يوجد فيه لكل امر من الامور للعالم الكبير فيه مثالا ولا قوة الا بالله **وقوله**
بامره قال ابو بكر يحتمل وجهين احدهما انه امره كما يقال اتاه امر الله اي الموت والعذاب ونحو ذلك على ارادة ذلك
الذي ترك به والثاني ان يطلعن ويغربن بامره بتوحيد الله والايمان فيه بما هو فيهن من عجيب الحكمة ودفع التقدير
وقال الحسن بامره الذي به كون الاشياء من قوله كن فالقول الاول هو قول من لا يرى خلق الخلق غير الخلق والثاني
قول من يرى كن عبارة عن التكوين الذي يكون به الخلق ابد الابدين من غير ان كان ثم في الحقيقة كاف او نون لكنه
لكنه اقصر ما يفهم به المراد من الكلام يراد في ذلك نفي الصعوبة عنه وتيسير الامر عليه ويكون يكون في الحقيقة خير الخلق
اذ الخبر في الخلق انه كان به وكل شيء يكون به شيء في المتعارف من القول يكون غيره وكذلك قوله الا له الخلق والامر
فيه وجهان احدهما الاخبار عن تكوين الخلق الذي هو له والثاني عن الامر في خلقه بما شاء ولا يرد شيء من امره
عن الوجه الذي امر والله اعلم **وقوله** عز وجل يغشي الليل النهار يذهب بضوء النهار ظلمة الليل وضوء النهار
يظلمه الليل اذا جاء هذا ذهب سلطان الاخر يطلبه حثيثا قيل سريعا وهو ان الله عز وجل يظهر النور في ابتداء
النهار في طرف من اطراف السماء والظلمة في اول الليل ثم ينشر ذلك في جميع اطراف السماء والارض وما بينهما من جميع
الآفاق والجوانب في قدر لحظة بصر وطرفة عين مما لو اريد تقدير ذلك بجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا
عليه ليعلم ان الله على ما يشاء قدير وانه لو اراد ان يخلق جميع ما ذكر انه خلق في ستة ايام لقادر ان يخلق في طرفة
عين لكنه خلق في ستة ايام لحكمة في ذلك **وقوله** عز وجل يطلبه حثيثا لا يكون مما ذكر طلب حقيقة لكن ذكر
الطلب لانه ما كان من كل واحد منهما للآخر لو كان ممن يكون له الطلب كان طلبا وهو بأمر علية كل واحد
منهما صاحبه وهو ما ذكرنا في قوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا انها انشأت على هيئة وجهة لو كان ذلك

ممن يكو

ممن يكون منه التعزير كان غرورا **وقوله** عز وجل مسخرات بامره قال بعضهم بامره اي بتكوينه اي انشأها وكونها
مسخرات لهم قال بعضهم بامره ينتفع البشر **وقوله** عز وجل الا له الخلق والامر قال بعضهم الامر ههنا هو التكوين وقيل
الا له الخلق والتدبير في الخلق وقيل له الامر في الخلق **وقوله** عز وجل تبارك الله رب العالمين تعالى الله عما
عما نعتت المشبهة ثم قوله ثم استوى على العرش **وقوله** عز وجل ادعوا ربكم قال بعضهم ادعوا اي اعبدوا ربكم
كقوله ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ذكر في الابتداء الدعاء وفي آخره العبادة فكان الامر
بالدعاء امرا بالعبادة **وقال** بعضهم الدعاء ههنا هو الدعاء وقد جاء ان الدعاء مخ العبادة لان العبادة قد تكون
بالتقليد ولكن انما يكون عند الحاجة لما راى في نفسه من الحاجة والعجز عن القيام بذلك فعند ذلك يفزع الى ربه
فهو مخ العبادة من هذا الوجه وقال بعض اهل التأويل في قوله ادعوا ربكم اي وحدوا ربكم تضرعا وخفية
قيل خضوعا وخفية اخلاصا وقيل تضرعا ظاهرا وخفية سرا واصله ان اعبدوا ربكم في كل وقت وكل ساعة
او ادعوا خاضعين مخلصين **وقوله** عز وجل انه لا يحب المعتدين قيل المجاوزين الحد بالاشراك بالله وقيل لا يحب
الاعتداء في الدعاء نحو ان يقول اللهم اجعلني نبيا او ملكا او انزلني في الجنة منزل كذا وموضع كذا وروي
عن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني اسألك الفردوس واسألك كذا فقال له عبد الله سل الله الجنة
وتعوذ به من النار فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول سيكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور ويحتمل
الاعتداء في الدعاء هو ان يسأل ربه ما ليس هو باهل له نحو ان يسأل كرامة الانبياء والرسل واصل الاعتداء
هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وعن الحسن قال في قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية علمكم كيف تدعون
ربكم وقال للعبد الصالح ورضي دعاءه اذ نادى ربه نداء خفيا وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل البر
كله نصف والدعاء نصف العبادة ومنهم من صرف قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية الى الدعاء وقال يكره
للرجل ان يرفع صوته في الدعاء ويروون على ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع قوما يرفعون اصواتهم
في الدعاء فقال ايها الناس لا تدعون اصم ولا غائبا ولكن كذا وقوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
قال بعضهم قوله بعد اصلاحها بعد ما بعث الرسل باصلاحها من الدعاء الى عبادة الله والطاعة ويأمرون بالحلال
وينهون عن الحرام وقال بعضهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بعد ما خلقها ظاهرة عن جميع انواع المعاصي
والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك ويقال بعد اصلاحها بعد ما اعطاكم اسبابا تقدرون على الاصطلاح وما به
تملكون اصلاحها وجائز ان يكون المراد باصلاح الارض اهلها اي لا تفسدوا اهلها وهو كقوله وكاين من قرية
عتت عن امر ربها والقرية لا توصف بالعتو ولكن اهلها **وقوله** عز وجل وادعوه خوفا وطمعا قال بعضهم خوفا لما كان
في العبادة من التقصير وطمعا في التجاوز والقبول لانه لا احد يقدر ان يعبد ربه حق عبادته لا تقصير في ذلك
وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل احد الجنة الا برحمته وقيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وعلى ذلك ما روي ان الملائكة يقولون يوم القيمة ما عبدناك حق عبادتك
ويجب على كل مؤمن ان يكون في كل فعل الخير خائفا راجيا الخوف للتقصير والرجاء للعفو وقال بعضهم خوفا
من عذابه ونقمته في جنته ان رحمة الله قريب من المحسنين قال اهل التأويل ان الجنة قريب من المحسنين ويقولون
اراد بالقريب الوقوع فيها والنزول ويحتمل ان يكون المراد بالرحمة صفته فيكون تأويله ان منفعة رحمة الله قريب
من المحسنين وقال الحسن ان رحمة الله وهي الجنة قريب من الخائفين وقال بعضهم في قوله ان رحمة الله قريب اي اجابة
الله قريب الى من استجاب دعاءه ويحتمل ما ذكرنا من منفعة رحمة اي منفعة رحمة الله قريبا الى من ذكرتم المحسنين
يحتمل المحسنين الى انفسهم والمحسنين الى خلقه والمحسنين الى نعم الله اي احسنوا صحبة نعم الله بالقيام لشكرها واجتناب
الكفران بها او يريد الموحدين **وقوله** عز وجل وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يذكرهم عز وجل في هذا
حكمته وقدرته ونعمه ليحتج بها عليهم بالبعث اما الحكمة فيما يرسل الرياح بشرا الامطار ويسوقها الى المكان الذي يريد

ان يمطر فيه مالم يعاينوا ذلك وشاهدوه ماعرفوا ان كيف يرسل المطر من السماء وكيف يرسل الريح ويسوق السحاب
ففي ذلك تذكير حكمته اياهم واما نعمه فهو ما يسوق السحاب بالريح الى المكان الذي فيه حاجة الى المطر فيرسل على ذلك
المكان المطر وذلك من عظيم نعمه عليهم ليعلم ان ذلك كان برحمته لانهم كانوا مستوجبين لذلك ه
واما ما ذكرهم من قدرته هو ما ذكر من احياء الارض بعد ما كان ميتة ليعلم ان الذي قدر على احياء الارض
لاخراج والثمر بعد ما كان ميتا القادر على احياء الموتى وبعثهم بعد موتهم على ما قدر على احياء الارض بالنبات واحيا
النخل بالثمار بعد ما كان علم كل ان لا نبات فيها ولا ثمار فيه فاذا خرج النبات منها والثمار من النخيل على ما خرج
في العام الاول دل ذلك على وحدانيته وقدرته على احياء الموتى وبعثهم بعد ما ماتوا وصاروا ترابا على قدر على ما ذكرنا
والله اعلم وفي قوله بين يدي رحمته دلالة ان لا نفهم من اليدين الجارحتين على ما تفهم من الخلق كما لم يفهم
احد بذكر اليد في المطر الجارحة لانه لا جارحة له فعلى ذلك لا يفهم من ذكر اليد له الجارحة من قوله بل يداه
مبسوطتان وكذلك قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يفهم من قوله لا ياتيه الباطل من بين
يديه الجارحة لانه لا جارحة للقرآن فعلى ذلك لا يوهم مما ذكر من يديه الجارحة ومن فهم ذلك فانما يفهم لفساد
في اعتقاده وكذلك ما ذكر من الاستواء على العرش والاستواء الى السماء لا يفهم من استواء الخلق لانه بري عن جميع
مشابه الخلق ومعاينهم وهو ما وصف حيث قال ليس كمثله شيء **وقوله** عز وجل يرسل الرياح بشرا ونشرا وبشرى
والنشر هو من جميع نشور وهو من الاحياء ونشرا من التفريق وبشرا بالباء من البشارة ثم قيل في قوله نشرا
الله عز وجل هو الذي يفرق ويسوق ذلك السحاب وقيل الريح هو الذي يرسل ويسوق ذلك السحاب **وقوله**
عز وجل اذا اقلت سحابا ثقالا قيل اقلت حملت وقيل وضحت الماء وهو واحد ثقالا بما فيه من الماء سقناه لبلد
ميت الى بلد ميت فانزلنا به الماء اي بالبلد فاخرجنا به من كل الثمرات قال بعضهم من كل الثمرات ما يشاهدونه
من الثمرات كذلك يخرج الموتى بعد ما ماتوا وذهب اثرهم كما اخرج النبات والثمار من الارض من بعد
ما ماتوا وذهب اثر ذلك النبات وذلك الثمار فعلى ذلك تخرج الموتى بعد ما ذهب اثرهم حتى لم يبق لاحد شيء
لعلكم تذكرون وتتفكرون وتعرفون قدرته وسلطانه على الاحياء بعد الموت او تذكرون اي تعقلون وبعده
فان اعادة الشيء في عقول الخلق اهون وايسر من ابتداء الانشاء الا ترى ان الدهرية والثنوية وهؤلاء قد انكروا
الانشاء لا من شيء وراوا وجود الاشياء وخروجها واعادتها لا عن اصل وكيان وهو ما ذكر وهو اهون عليه
اي في عقولكم **وقوله** عز وجل والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ذكر المثل
ولم يذكر المضروب واهل التاويل قالوا ضرب المثل للمؤمن والكافر ثم يحتمل ضرب المثل وجوها احدها
انه وصف الارض التي يخرج منها النبات بالطيب ووصف الارض التي لا يخرج منها النبات بالخبث فعلى ذلك
المؤمن لما كان منه من الاعمال عن الطاعة لربه والايتمار لامره موصوف هو بالطيب وحمده من جوهر الطيب
والكافر لما يكون منه الاعمال الخبيثة ولا يكون له من الاعمال الصالحة من الطاعة لربه خبيث كما ان الارض التي يخرج
منها النبات الذي ينتفع به موصوف بطيب الاصل والجوهر والتي لا يخرج منها النبات ولا ينتفع به موصوف
بخبث الاصل ويمكن ان يكون من وجه آخر وهو ان الله عز وجل جعل هذا القرآن مباركا شفاء للخلق على ما وصفه
تعالى في غير موضع من الكتاب ووصف الماء الذي ينزل من السماء بالبركة والرحمة فاذا نزل ذلك الماء المبارك
في الارض الطيبة الجوهر خرج منها النبات والانزال ينتفع بها واذا نزل في الارض السبخة الخبيثة لم يخرج لخبث
اصلها فعلى ذلك هذا القرآن هو مبارك شفاء فيسمع المؤمن فيتبعه ويعمل به والكافر يسمعه ولا يتبعه ولا يعمل
فصار مثل المؤمن الذي يسمع هذا القرآن ويتبعه ويعمل بما فيه فمثل الماء الذي يدخل في الارض فيخرج منه
النبات لطيب جوهرها واصلها والكافر بالارض التي لا يخرج منها النبات لخبث اصلها وجوهرها واصله انه
ضرب مثل الذي هو مستحسن بالعقل بالذي هو مستحسن بالطبع لانه ما حسن في الطبع فانما معرفته حسي وما حسن

في العقل

في العقل فانما يعرف حسنه بالدلايل وهو غايب فضرب مثل معرفة حسنه بالعقل وهو غايب بالذي معرفة حسنه
حسي ومشاهدة فالايمان حسنه غايب ضرب مثله بالذي طريق معرفة حسنه بالحس والمشاهدة وهو ما ذكر
من النبات الذي يخرج من الارض وذلك يدل على طيب اصلها وجوهرها والذي لا يخرج شيئا هو الخبث جوهرها ه
واصلها فعلى ذلك المؤمن والكافر ثم حسن عمل هذا وطيبه وقبح عمل الآخر وخبثه انما يظهر في الآخرة وذلك
يوجبه البعض لانهما جميعا استويا في هذه الدنيا فدل ان هنالك دارا اخرى فيها يظهر الطيب من الخبيث طاب
عمل المؤمن وجميع ما يكون منه حسنا لطيب اصله وخبث عمل الكافر وقبح ما يكون منه لخبث اصله كالارض التي
ذكر **وقوله** عز وجل باذن ربه يحتمل بعلمه وتكوينه **وقوله** عز وجل الا نكدا قال الحسن خبيثا اي لا يخرج الا خبيثا
وقال ابو بكر نكدا اي لا منفعة فيه وقيل الا عسيرا وقيل الا قليلا وهو واحد **وقوله** عز وجل كذلك نصرف
الآيات لقوم يشكرون اي لقوم ينتفعون بالآيات **وقوله** عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه كما ارسلناك
الى قومك ولست انت باول رسول كقوله قل ما كنت بدعا من الرسل وفيه دلالة ان الايمان يصح بالانبياء والرسل
وان لم يعرف انسابهم لان الله عز وجل ذكر الانبياء والرسل باساميهم ولم يذكر انسابهم دل ذلك ان الايمان يكون بهم
وان لم يعرف اسماؤهم لان الانبياء من لا يعرف اسمه فيصح الايمان بجملة الانبياء وان لم يعرف اسماؤهم وفي ذلك دلالة
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن رسالة نوح فدل انه بالله عرف ذلك **وقوله** عز وجل
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قيل قوله اعبدوا الله اي وحدوا الله سموا العبادة توحيدا لان العبادة لا تكون
ولا تقع الا بالتوحيد فيها لله خالصا سمى بذلك مجازا ويجوز ان يكون العبادة عبادة **وقوله** عز وجل ما لكم من اله غيره
اي ما لكم من اله الخلق الذي ثبت الوهيته وربوبيته بالدلايل والبراهين من اله غيره **وقوله** عز وجل اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم قال بعضهم اني اخاف اي اني اعلم ان ينزل عليكم عذاب يوم عظيم ان تمتم على هذا
وقال بعضهم الخوف هو الخوف وهو خوف اشفاق وذلك يحتمل ان يكون في الوقت الذي كان يطمع ايمان قومه
ثم ايس الله عن الايمان قومه بقوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن **وقوله** عز وجل عذاب يوم عظيم هو يوم عظيم
للخلق كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وهو عظيم للخلق على ما وصف **وقوله** عز وجل قال الملأ
من قومه هم اشراف قومه وسادتهم كقوله انا اطعنا سادتنا وكبراءنا الاية وكانوا هم اضداد الانبياء والرسل
لانهم كانوا يدعون الناس الى ما يوحي اليهم الشياطين والرسل كانوا يدعون الى ما يوحي اليهم الله وينزل عليهم
لذلك قالوا انا لنراك في ضلال مبين لانهم ظنوا انما اوحى اليهم الشيطان هو الحق وان ما يدعون اليه الرسل
هو ضلال وباطل **وقوله** عز وجل قال يا قوم ليس بي ضلالة اي لست انا بضال لانه اذا نفى الضلال عنه نفى
ان يكون ضالا وهو حرف رفق ولين وعلى ذلك الانبياء والرسل ان يعاملوا قومهم لان ذلك انجع في القلوب
والى القبول اقرب ولكني رسول من رب العالمين والعالم هو جوهر الكل ويحتمل قوله انا لنراك في ضلال مبين
اي لفي خطاء مبين ثم يخرج على وجهين احدهما نسبوه الى الخطاء لما راوه خالف الفراعنة والجبابرة الذين
كانت همتهم القتل لمن خالفهم والثاني نسبوه الى الخطا لانه دين آبائه واجداده والله اعلم **وقوله** عز وجل ه
ابلغكم رسالات ربي رسالته التي امرني بتبليغها اليكم قبلتم او رددتم او وعدتم لا لي ابلغها على اي حال استقبلتموني
او يقول ابلغكم رسالات ربي رسالته التي ارسلها الي **وقوله** عز وجل وانصح لكم يحتمل قوله انصح لكم ه
اي ادعوكم وامركم الى ما فيه صلاحكم وانهاكم عما فيه فسادكم والنصيحة هي الدعاء الى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه
الفساد ويكون النصيحة لهم ولجميع المؤمنين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان الدين النصيحة قيل
لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله قال الشيخ ابو القاسم الحكيم رحمه الله عليه النصيحة هي النهاية من صدق العناية
ثم اخبر انه يبلغهم رسالات ربي ولم يبين فيما ذلك في كتاب انزل عليه او يوحي في غير كتاب يوحى اليه وليس لنا
الى معرفة ذلك حاجة سوى التصديق له فيما يبلغ اليهم **وقوله** عز وجل واعلم من الله ما لا تعلمون قد اتاه

من الله العلم باشياء ما لم يأتِ اولئك مثله وهو كقول ابراهيم صلوات الله عليه لابيه يا ابت اني قد جاءني من العلم
ما لم يأتك فاتبعني ويحتمل قوله واعلم من الله من العذاب ان ينزل بكم ما لا تعلمون انتم اذا دمتم على ما انتم عليه وقوله
عز وجل او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم اي تعجبون بما جاءكم ذكر من الله على يدي رجل منكم مثلا اقدر انا ولا تقدرون انتم
على مثله كانوا يعجبون وينكرون ان يكون رسل الله من البشر بقولهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله
لانزل ملائكة ونحو هذا كانوا ينكرون رسالة البشر وما ينبغي لهم ان ينكروا ذلك لانهم قد كانوا راوا تفضيل بعض
البشر على بعض وفي وضع الرسالة فيهم اعني في الرسل تفضيلهم وذلك قد راوا فيما بينهم ولله تفضيل بعضهم على بعض
اذ له الخلق والامر ولكل ذي ملك وسلطان ان يصنع في ملكه ما شاء من تفضيل بعض على بعض وغيره او يقول
قد عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على يدي رجل منكم ولو كان جاء الذكر على من هو من غير جوهركم كان في ذلك لبس واشتباه
عليكم وقوله عز وجل لينذركم عذاب الله ولتتقوا معاصيه ولعلكم ترحمون ان اتقيتم ما نهيتكم عنه او كان في قومه من يجوز
ان يرحم وقوله عز وجل فكذبوه يعني نوحا دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته ونهاهم عن عبادة غير الله او كذبوه فيما اتاهم
من آيات نبوته ورسالته وقوله عز وجل فانجيناه يعني نوحا والذين آمنوا في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
اذا كان اهلاك القوم اهلاك تعذيب وعقوبة نجى اولياءه ويبقيهم الى الآجال التي قدر لهم ويكون ذلك نجاتهم
من ذلك العذاب الذي حل بالاعداء وقوله عز وجل كذبوا باياتنا اي باياتنا التي جعلناه لاثبات رسالته ونبوته
ويحتمل كذبوا باياتنا اعطيناه لوحدانية الله والوهيته انهم كانوا قوما عمين عموا عن الحق وقوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا
اي ارسلنا هودا الى عاد وهو على ما ذكر في نوح وهو قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه فعلى ذلك قوله والى عاد اخاهم
هودا اي الى عاد ارسلنا هودا ثم يحتمل الاخوة وجوها اربعة اخوة النسب واخوة الجوهر وهو يقال هذا اخ هذا
اذا كان من جوهره ولا يقال ذلك في غير جوهره واخوة المودة والمحبة واخوة الدين ثم لم يكن بين هود وقومه
اخوة الدين ولا اخوة المودة لكن يحتمل اخوة النسب لان البشر على بعد من آدم كلهم اولاده فاذا كانوا كذلك
ثم فيما بينهم بعضهم اخوة بعض كاولاد رجل واحد يكون بعضهم اخوة بعض واخوة الجوهر على ما ذكرنا يقال هذا
اخ هذا اذا كان من جنسه وجوهره فهذين الوجهين يحتمل والوجهان الآخران لا وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره اي اعبدوا الله الذي يستحق العبادة وما لكم من اله غيره اي ليس لكم من معبود سواه وهو المعبود
في الحقيقة وقوله عز وجل افلا تتقون عبادة غير الله او افلا تتقون الله في عبادتكم غيره وفي تكذيبكم هودا او تتقون
افلا تتقون عذاب الله ونقمته عليكم بخلافكم اياه وقوله عز وجل قال الملأ الذين كفروا من قومه قد ذكرنا قول الملأ
من قومه اي اشراف قومه وسادتهم انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ذكرها ظنهم في تكذيبهم الرسول
وفي موضع آخر قطعوا في التكذيب وهو قوله ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين فكان قوله وانا لنظنك
من الكاذبين في ابتداء ما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته كانوا على ظن منه لما كان عندهم سند وقد اتينا قبل دعائهم
الى ما دعاهم فلما ان اقام عليهم آيات الرسالة والنبوة واظهر عندهم عيب ما عبدوا غير الله وابطله وتحقق
ذلك عندهم عند ذلك قالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين ليعلم انهم عن عناد كذبوا
الرسل فقال يا قوم ليس بي سفاهة ان الرسل صلوات الله عليهم كانوا امروا ان يعاملوا الخلق باحسن معاملة
وهو على ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له خذ العفو وامر بالعرف وقوله عز وجل ادفع بالتي هي احسن
السيئة ونحوه فعلى ذلك الرسل الذين كانوا من قبل كانوا مامورين بذلك لذلك قال لهم هود لما تلقوه بالتكذيب
والتسفيه قال ليس بي ما تقولون وتنسبوني اليه ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي
وانا لكم ناصح امين اي ادعوكم الى وحدانية الله وعبادته والتمسك بالدين الذي به نجاتكم وكل من دعا آخر
الى ما به نجاته فهو ناصح له او يحتمل قوله وانا لكم ناصح امين اي كنت ناصحا لكم قبل هذا امين فيكم فكيف تكذبونني
وتنسبوني الى السفه وانا امين على الرسالة والوحي الذي وضع الله عندي وقوله عز وجل ابلغكم رسالات

ربي شيئا او اتيتم او يقول ابلغكم رسالات ربي فخونتموني عني ولم تقبلوا او يقولوا ابلغكم رسالات ربي فكيف تنسبوني
الى السفه والافتراء على الله وقوله عز وجل واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يحتمل قوله اذكروا اذ جعلكم خلفاء
وجوها احدها ان جعلكم قوما اهلكهم بتكذيبهم الرسول ولم يهلككم فاحذروا انتم هلاككم بتكذيبكم الرسول كما اهلك
اولئك بتكذيبهم الرسل وان يقال جعلكم خلفاء قوم صدقوا رسولا من البشر وهو نوح فكيف كذبتموني في دعوى الرسالة
لاني بشر ودعاني الى عبادة الله ووحدانيته هذا تناقض والثاني ان اذكروا نوحا وهو كان رسولا من البشر فكيف تنكرون
ان يكون الرسول من البشر وكان الرسل جميعا والثالث اذكروا نعمة الله التي انعمها عليكم من السعة في المال والقوة
في الانفس وحسن الخلقة والقامة وكان لعاد ذلك كله كقوله الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية هذا
في السعة في المال واما القوة في الانفس والقامة ما ذكر في قوله فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية وقوله
كانهم اعجاز نخل منقعر فيه وصفهم بالقوة وطول القامة وعلى ذلك فسر اهل التأويل وقوله وزادكم في الخلق
بسطة يعني قوة وقدرة وقال غيره هو الطول والعظم في الجسم ذكر الله عز وجل في عاد اشياء ثلاثة خصهم بها
من بين غيرهم احدها العظم في النفس كقوله وزادكم في الخلق بسطة والقوة فقوله من اشد منا قوة والسعة
في الاموال بقوله بعاد ارم ذات العماد وفضل العلم بقوله وكانوا مستبصرين وقوله عز وجل فاذكروا آلاء الله قال
بعضهم الآلاء هو في دفع البلايا والنعماء هو في سوق النعماء اليه ولكن هما واحد لانه ما من بلاء يدفع عنه الا وفي ذلك
سوق نعمة تجري اليه ولان الله تعالى ذكر في سورة الرحمن الآلاء بجميع ما ذكر انما ذكر على سوق النعم اليه قوله فباي آلاء
ربكما تكذبان حيث قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الى آخر ما ذكر من السورة وهو ذكر في سوق النعم
لا في دفع البلايا وقوله عز وجل لعلكم تفلحون اي تفلحون ان ذكرتم نعمه وشكرتم له عليها ولم تصرفوا عبادتكم وشكركم
الى غيره او يقول لكي يلزمكم الفلاح او حتى تكونوا من اهل الفلاح وقوله عز وجل قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر
ما كان يعبد آباؤنا هذا ان رسالته التي بلغها اليهم في دعائه اياهم الى عبادة الله وحده وتركهم عبادة من دونه
حيث قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان آباؤنا ولا شك انه انما جاءهم ليعبدوا الله وحده وجاءهم ليذروا
ما كان يعبد آباؤهم ثم في فعلهم تناقض لانهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر رسولا بقولهم ما هذا الا بشر مثلكم يأكل
مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون لم يرضوا برسالة البشر ورضوا بالهية الاحجار والخشب ثم يقلدون آباءهم
في عبادتهم غير الله وفي آبائهم من يعبد الله لا يعبد غيره وهم الذين نجوا مع نوح فكيف لم يقلدوا من نجا منهم ولم يعبد
غير الله دون من قلدوا والذين عبدوا غير الله فذلك تناقض حيث اتبعوا من هلك منهم بتكذيبهم الرسول وعبادتهم
غير الله ولم يتبعوا من نجا منهم يذكر عز وجل سفههم وتناقضهم في القول في انكارهم الرسول من البشر ولكن ذكر
سفههم وتناقضهم بالتعريض لا بالتصريح وكذلك عامة ما ذكر في كتابه من سفههم انما ذكر بالتعريض وقوله عز وجل
فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين انه كان يعدهم العذاب ان لم يصدقوه فيما يدعوهم اليه ونزل تقليدهم آباءهم
في عبادتهم غير الله وقوله عز وجل قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب قال بعضهم الرجس العذاب اي قد وجب
عليكم العذاب بتكذيبكم هودا او تقليدكم آباءكم في عبادتكم غير الله وغضب وهو العذاب ايضا وجائز ان يكون
الرجس ههنا الخذلان وحرمان التوفيق والمعونة اي قد وقع عليكم ووجب الخذلان وحرمان التوفيق باختياركم
ما اخترتم وقال بعضهم الرجس هو الاثم والخبث كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وقوله
رجس من عمل الشيطان وقوله اللهم اني اعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وقوله عز وجل اتجادلونني
في اسماء سميتموها ومجادلتهم ما قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ويحتمل في اسماء اي باسماء سميتموها وقوله عز وجل
ما نزل الله بها من سلطان قيل حجة اي لم ينزل لهم حجة في عبادتهم غير الله وقيل السلطان ههنا عذر اي لم ينزل لهم
عذرا في ذلك وقوله عز وجل فانتظروا اي انتظروا انتم وعد الشيطان اني معكم من المنتظرين وعد الرحمن
وقوله عز وجل ما نزل الله بها من سلطان اي من حجة في تسميتهم الاصنام التي عبدوها دون الله ما سموها آلهة

وشفعاء ونحوه كانهم انما جادلوه في تسميتهم الهة وشفعاء وان ليس لهم حجة ولا عذر في عبادتهم غير الله ه
ولا في اشراكهم غيره في العبادة والالوهية فانتظروا قال الحسن انتظروا انتم مواعيد الشيطان اني معكم من المنتظرين
لمواعيد الله وقوله عز وجل فانجيناه يعني هودا والذين معه برحمة منا انه حكم الله انه اذا اهلك قوما اهلاك تعذيب
استيصالهم وانجى اولياءه ونصرهم وقوله عز وجل برحمة منا يحتمل قوله برحمة منا التي هداهم عز وجل لولا رحمته
ما اهتدوا ولكنه رحمهم فهداهم فبرحمته اهتدوا ويحتمل انه انما انجاهم من العذاب برحمة منه والا كانت لهم ذنوب
وخطايا يستحقون بها العذاب لكنه انجاهم برحمته وفضله والله اعلم وفيه ان من نجى انما نجى برحمته وفضله وان كان
رسولا باستيجاب منه النجاة وهو ما روي حيث قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقوله عز وجل وقطعنا دابر الذين كذبوا اي اصل الذين كذبوا باياتنا
ولم يبين لنا اياته التي اعطى هودا وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما اخبر ان ما حل بهم من العذاب انما حل
بتكذيبهم الرسول وذلك كان سنة وحكمة في الامم السالفة وقوله عز وجل اخاهم قد ذكرنا انه يحتمل الاخوة
وجوها اربعة اخوة النسب ولغيره فهو هو والى ثمود اخاهم صالحا قد ذكرنا انه قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه كانه
قال وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وقوله عز وجل اخاهم قد ذكرنا انه يحتمل الاخوة وجوها اربعة لاخوة النسب
واخوة الجوهر والشكل على ما يقال هذا اخو هذا اي من جوهره وشكله واخوة المودة والخلة واخوة الدين
ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من اخوة صالح كان اخوهم في النسب او في الجوهر على ما ذكرنا في هود ولا يحتمل ان يكون في المودة
والدين واما اخوة النسب فانه يحتمل لما ذكرنا لما ان بني آدم كلهم اخوة وان بعدوا لانهم كلهم من اولاد آدم وقوله
عز وجل وقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد ذكرنا ان الرسل باجمعهم صلوات الله عليهم انما بعثوا
ليدعوا الخلق الى وحدانية الله والعبادة له ان لا معبود سواه يستحق العبادة من الخلق وقوله عز وجل قد جاءتكم
بينة من ربكم قيل فيه بوجهين قيل بينة من ربكم ما ذكر من الناقة التي جعلها الله اية لرسالة صالح وهو قوله
هذه ناقة الله لكم اية وقيل بينة من ربكم آيات ظهرت لهم على لسان صالح وجرت على يديه ما يدل على رسالة
صالح ونبوته لكنهم كابروا تلك الايات في التكذيب وعاندوا وقوله عز وجل هذه ناقة الله لكم اية وجه تخصيص
اضافة تلك الناقة الى الله يحتمل وجوها وان كانت النوق كلها لله في الحقيقة احدها لما خصت تلك تذكير
عبادته تعالى اياهم ووحدانيته تعظيما لها على ما خصت المساجد بالاضافة اليه بقوله وان المساجد لله لما جعلت
تلك البقاع لاقامة عبادة الله خصت بالاضافة اليه تعظيما لتلك البقاع فعلى ذلك هذه الناقة خصت بالاضافة
اليه لما تذكرهم عبادة الله تعالى ووحدانيته والثاني يجوز ان يكون تخصيص هذه الناقة بالاضافة اليه ه
لما جعلها الله اية من ايات خارجة من غيرها من النوق مخالفة بنيتها بنية غيرها اما خلقة واما في ابتداء احداثها
وانشائها او في اي شيء كان فاضافها اليه لذلك والله اعلم ثم لا يجب ان يتكلف المعنى الذي له جعل الناقة
اية لانه جعل وعلا لم يبين لنا ذلك المعنى فلو تكلف ذكر ذلك فلعله يخرج على خلاف ما كان في الكتب الماضية
فهذه القصص واخبار الامم الماضية انما ذكرت في القرآن لتكون اية لرسالة محمد صلوات الله عليه فلو ذكرت ه
على خلاف ما كان لهم في ذلك مقال ويحتمل معنى الاضافة اليه وجها آخر وهو انه لم يجعل منافع هذه الناقة لهم
ولا جعل عليهم مؤنتها بل اخبر ان ذروها تاكل في ارض الله جعل مؤنتها فيما يخرج من الارض ليست كساير النوق
التي جعل مؤنتها عليهم ومنافعها لهم بازاء ما جعل عليهم من المؤن فمعنى التخصيص بالاضافة اليه لما لم يشترك
فيها احد ولا في منافعها والله اعلم وقوله فذروها تاكل في ارض الله دلالة ان تلك الناقة كان غذاؤها مثل
غذاء ساير النوق من جهة الاية ليعلم انها وان كانت اية لرسالته ودلالة لنبوته فتشابهها ساير النوق
في هذه الجهة لا يخرجها عن حكم الاية فعلى ذلك الرسل وان كانوا اناسا واغيارهم من الناس في المطعم والغذاء
لا يمنع ذلك من ان يكونوا رسلا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ولا تمسوها بسوء يحتمل لا تتعرضوا لها

قتلا ولا قطعا ولا عقرا لما ليست هي لهم فياخذكم عذاب اليم وفي موضع آخر فياخذكم عذاب قريب فهذا يدل
على انه انما اراد بالعذاب الاليم عذاب الدنيا لا عذاب الآخرة لانه قد ياخذهم عذاب الاخرة بكفرهم فالوعيد
باخذ العذاب لهم عذاب الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد قد ذكرنا
تاويله في قصة هود وبواكم في الارض قيل انزلكم فيها تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا ه
يذكرهم عز وجل ما انعم عليهم من سعة وبسط الرزق لهم وما خصهم من اتخاذ البيوت من الجبال دون غيرهم
من الناس خص هؤلاء لا بسعة الرزق وبسط الاموال وقوم هود بالقوة والبطش بقوله وزادكم في الخلق بسطة
وقال في اية اخرى وقالوا من اشد منا قوة وقال واذا بطشتم بطشتم جبارين كان خصهم بفضل القوة
والبطش والطول من بين غيرهم وهؤلاء بسعة الارزاق لهم وبسط الاموال فاذكروا الاء الله من السعة
في الاموال والبسط وبما جعلكم خلفاء من بعد عاد وبما اقدركم من اتخاذ البيوت من الجبال لم يقدر على مثله
احد الان غيرهم من الخلايق انما ينتفعون بالجبال على ما هي عليها وراءهم فقد مكن لهم على نحتها واتخاذها
بيوتا ولا تعثوا في الارض مفسدين اي اذكروا نعمه ولا تشركوا في عبادتكم غيره وقوله عز وجل قال الملاء الذين
استكبروا من قومه قد ذكرنا ان الملاء من قومهم كبراءهم وسادتهم استكبروا عليه للاؤه دون انفسهم في امر الدنيا
فلم يتبعوه وقوله عز وجل للذين استضعفوا لمن امن منهم فيه دلالة ان من المستضعفين من قومه من لم يكن امن
حيث خص لمن امن منهم وفيه ان اول من اتبع الرسل هم الضعفاء وكذلك كان الاتباع للرسل جميعا الضعفاء
وقولهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قوله هؤلاء الذين امنوا بصالح عليه السلام
وصدقوه في رسالته لم يخرج في الظاهر جواب ما سالوا لانهم قالوا اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه انما سالوهم
عن علمهم برسالته لم يسالوهم عن ايمانهم به فهم انما اجابوا عن غير ما سالوا في الظاهر لكن يجوز ان يكتفى بالعلم ه
الايمان فكانهم قالوا لهم اتؤمنون بصالح وتصدقونه لان العلم بالشيء قد يقع بلا صنع والايمان لا يكون
الا بصنع منهم فكانهم انما سالوهم عن الايمان به لذلك قالوا انا بما ارسل به مؤمنون والثاني كانهم قالوا
بل علمنا انه مرسل من ربه وانا بما ارسل به مؤمنون وفيه دلالة ان من مكن له من العلم باسباب جعلت له ه
يصل بها الى العلم بلم يقدر يجهد في ذلك بعدما اعطي اسباب العلم حيث قالوا اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
اي لا تعلمون وقوله عز وجل قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فيه دلالة ان الايمان هو
التصديق في اللغة والتكذيب هو ضد ما يكون به التصديق حيث اجابوا بالتكذيب لايمانهم بر لقولهم لله
انا بما ارسل به مؤمنون فهؤلاء لم يعرفوا لجميع الطاعات ايمانا على ما عرفوه بعض الناس انما عرفوه تصديقا
وقوله عز وجل فعقروا الناقة اضاف ههنا العقر اليهم جميعا وفي موضع آخر اضاف الى الواحد بقوله فنادوا
صاحبهم فتعاطى فعقر وقوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها كذلك اضاف الى الواحد اذ انبعث اشقاها لكن فيما كان نضافا
اليهم جميعا يحتمل ان تولى واحد منهم عقرها بمشورتهم جميعا ومعونتهم وتدبيرهم وتراضيهم على ذلك
فاضيف على ذلك اليهم لذلك لاجتماعهم على ذلك والى الواحد فيما تولى جرحها ومنعها عن السير فيه دلالة لمذهب
اصحابنا ان قطاع الطريق اذا تولى بعضهم القتل واخذ الاموال ولم يتول بعضهم يشاركون جميعا من تولى منهم ومن لم يتول
في حكم قطاع الطريق بعد ان يكون بعضهم عونا لبعض وكذلك اذا اجتمع قوم على قتل واحد فتولى بعضهم القتل ثم
بعض بعد ان كانوا في عون اولئك فانهم يقتلون جميعا وعلى ذلك يخرج قول عمر رضي الله عنه حيث قال لو تمالا
عليه اهل صنعاء لقتلتهم واهل صنعاء اذا اجتمعوا لا سبيل للكل ان يتولوا قتله فدل انه على العون والنصر لبعضهم
بعضا فيشاركون جميعا في القصاص على ما شارك اولئك جميعا في العذاب من تولى عقرها ومن لم يتول بعد ان كان
ذلك العقر بمعونتهم وبتراضيهم على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
فاخذتهم الرجفة انما اخذهم العذاب لما استعجلوا منه العذاب وكذبوه فيما يوعدهم العذاب ويعدهم وقوله

عز وجل وعتوا عن امر ربهم العتو هو النهاية في التمرد والخلاف لامر على العلم منهم بالخلاف لا على الغفلة والجهل
وقوله عز وجل فاخذتهم الرجفة قيل الزلزلة وقيل الصيحة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصاعقة والقصة
في ذلك كله واحد فجايز ان يكون ذلك واحد وان اختلف الالفاظ وهو عبارة عن العذاب وجايز ان يكون الصيحة
لما صيح بهم صعقوا جميعا فماتوا وهو واحد وقوله عز وجل فاصبحوا في دارهم جاثمين قيل ميتين وقيل لازقين
بالارض قد ماتوا وذهبوا ويقال جثم الطاير اذا لزق بالارض يقال لاجثمنه اي الزقته بالارض والمجثمة يقال
طاير يشد جناحاه ورجلاه ثم يوضع بالارض ثم يرمى بالنبل حتى يموت يقال جثمت الطاير اي شددت رجليه
وجناحيه يقال جثم يجثم جثوما وجثما اذا فعل ما ذكرنا وقوله عز وجل فتولى عنهم اي اعرض عنهم وخرج من بينهم حين
علم ان العذاب ينزل بهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم والنصيحة ما ذكرنا ان كل من دل اخر
على ما به نجاته وسعى على دفع البلا والهلاك عنه فهو ناصح له فعلى ذلك صالح وغيره من الرسل قد دلوا قومهم
على ما به نجاتهم وسعوا على دفع الهلاك عنهم لكنهم لم يقبلوا النصيحة منهم وقوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه اتاتون
الفاحشة ذكر في غيره من الانبياء دعاهم قومهم الى عبادة الله ووحدانيته على ما قال نوح يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الانبياء ولم يذكر في لوط ذلك ههنا ولا يحتمل ان لم يكن
منه الدعاء الى ما كان من غيره من الانبياء الى توحيد الله وعبادته قبل النهي عن الفواحش والتعيير عليها وهو ما ذكر
في اية اخرى كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
الاية كان من الانبياء صلوات الله عليهم دعاء قومهم الى عبادة الله ووحدانيته اولا ثم النهي عما ارتكبوا من الفواحش
والمعاصي والتعيير عليها وقوله عز وجل اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين وقوله ما سبقكم بها
من احد يحتمل ان يكون منهم ما كان من ساير الاقوام تقليد الاباء في العبادة لغير الله كقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد اباؤنا وقولهم وانا على اثارهم مهتدون ومقتدون وقوله بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
ونحو ما قالوا فعلى ذلك من قوم لوط للوط لما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته فاجابوه بما اجاب الاقوام
الانبياءهم من التقليد لابائهم فقال اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين اي تعملون انتم اعمالا
لم يعملها اباؤكم ولا تقلدون اباءكم في تركها من نحو ما ذكر من اتيان الفاحشة فقال ما سبقكم بها من احد
من العالمين يعيرهم ويسفه احلامهم في اتيان ما ياتون الفاحشة التي لم يسبقهم احد من العالمين على علم منهم
ان ذلك فاحشة الا ترى انهم قالوا انهم اناس يتطهرون ذكر هذا القول على ما ياتون من الفواحش ياتون على علم
منهم انها فواحش حيث قالوا انهم اناس يتطهرون ثم قوله فاحشة لما في العقل هذا فاحش محرم والفاحشة
ما ذكرنا كل قبيح في العقل والشرع لان ما حرم من المحرمات على الخلق واحل المحللات منه لهم على ذلك ثم جعل
فيما احل لهم من الاطعمة والاشربة والاستمتاع بالنساء والجواري دوام لهذا العالم لانهم لو تركوا التناول
من ذلك لهلكوا فاذا هلكوا انقطع هذا العالم لما ينقطع نسلهم ثم ركب فيهم الشهوات والحاجات التي تبعثهم
على التناول مما احل لهم ليدوم هذا العالم لا انه احل لهم للشهوة خاصة ولكن لما ذكرنا فاخبر ان ما ياتون
هم هو فاحشة لما ليس اتيانهم اياها الا لنفس قضاء الشهوة اذ ليس في ذلك دوام العالم وبقاؤه فهو في العقل
فاحش محرم وان لم يرد فيه النهي والله اعلم وقوله عز وجل بل انتم قوم مسرفون الاسراف هو الاكثار
من الشيء والمجاوزة عن الحد كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما القتر
هو التضييق والاسراف هو الاكثار حيث قال وكان بين ذلك قواما فاذا كان الاسراف هو الاكثار من الشيء كان
لوط سماهم مسرفين لما اكثروا من ذلك النوع من الفواحش وجاوزوا الحد والله اعلم ويحتمل قوله قوم
مسرفون وجوها ثلاثة احدها ما ذكرنا من اكثار الفعل والثاني مسرفون لما ضيعوا ما انعم الله عليهم حيث
اعطاهم الازواج فضلا منه ونعمة حيث اخبر ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وكقوله والله

جعل لكم من انفسكم ازواجا ونحوه ما جعل لهم من الازواج ثم هم لم يشكروا على ما انعم عليهم بل ضيعوها
وجعلوها في غير ما جعل هو لهم فذلك اسرافهم والثالث الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم فهم
قد جاوزوه وقوله عز وجل وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون قوله
وما كان جواب قومه الا ان قالوا كذا من قومه اجوبة ليس على انه لم يكن منهم من اول الامر الى اخره هذا ولم يكن من جواب
قومه وقت ما نهاهم عما ارتكبوا من الفواحش وعيرهم عليها الا ما ذكر اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون لما نهاهم
ويعيرهم على ذلك ويحتمل ما قال اهل التاويل يتطهرون من ادبار الرجال وقيل يتحرجون عن ذلك ويعيبون
عليهم في ذلك والثاني ما كان جواب قومه لبعضهم الا ان قالوا اخرجوهم واما لوط كان منهم له اجوبة كقوله وما كان
جواب قومه الا ان قالوا كذا وقال في اية اخرى فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله هذا فيما بينهم
وبين لوط والاول فيما بينهم قال بعضهم لبعض اخرجوهم لو لاختلاف المشاهد والمجالس وقوله عز وجل
فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين الغابر الغايب يقال غبرت اي غبت اي كانت من الغايبين عن لوط
واهله وقت العذاب وقيل من الغابرين اي من الباقين في العذاب وقوله عز وجل وامطرنا عليهم مطرا اختلف
فيه قال بعضهم قلبت قريات لوط وجعل عاليها سافلها على ما ذكر في الاية جعلنا عاليها سافلها ثم امطر
على من كان غاب منهم الحجارة وقال بعضهم قلبت القريات فامطرت على اهلها كالمطر وقال اخرون قلبت
الارض وامطر عليها حجارة من سجيل تسوى الارض وكلام نحو هذا ثم العذاب في الامم لم ياتهم في الدنيا بنفس الكفر
ولكن لما كان منهم من استحلال اشياء حرم عليهم ومن قتل الانبياء وايذائهم والمكابرات التي كانت منهم بعد علمهم
انهم على باطل وعناد وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين هذا الخطاب جايز انه ليس لرسول الله خاصة
ولكن لكل احد امر بالنظر فيما حل بالامم السالفة بتكذيبهم الرسل وعنادهم ليكونوا على حذر عن صنيعهم لئلا يحل بهم
ما حل باولئك وجايز ان يكون الخطاب لرسوله خاصة فان كان له فكانه امره ان ينظر في عاقبة المجرمين ليرحمهم
ولا يدعوا عليهم بالهلاك والعذاب وقوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا هو ما ذكرنا فيما تقدم اي ارسلنا شعيبا
الى مدين رسولا وقوله اخاهم قد ذكرنا فيما تقدم ان الاخوة انما تكون لوجوه لاخوة النسب والاخوة الجوهر والخلة
والاخوة الدين فلا يحتمل اخوة الانبياء اولئك اخوة الانبياء اولئك لاخوة الدين والمودة لكن يحتمل اخوة الجوهر
والنسب وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد ذكرنا ايضا ان الرسل انما جاءوا وبعثوا بالدعاء
الى توحيد الله والعبادة له وان لا معبود يستحق العبادة سواه وقوله عز وجل قد جاءتكم بينة من ربكم قال بعضهم
كانت نفس شعيب بينة وحجة لقومه لكنا لا نعلم ذلك غير انا نعلم انه كانت معه ايات وبراهين لكن الله يبين لنا
ونفس محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات كانت حجة وبينة باعلام التي جعل له في نفسه من ذلك الختم الذي كان
بين كتفيه والنور الذي كان في وجه من كان في صلبه وقت كونه فيه والضوء الذي روي انه كان وقت ولادته والغمام
الذي اظله وقت غيبته عن اهله وحفظه نفسه عن جميع ما كان يتعاطاه قومه من عبادتهم الاصنام وتعاطيهم
الفواحش فهو صلى الله عليه وسلم كان بريا من ذلك كله وما لم يوخذ عليه كذب قط وقد كان نشا بين اظهرهم
وغير ذلك من الاعلام التي كانت في نفسه ظاهرة لقومه فلو لم يكن له ايات غيرها لكانت واحدة منها كافية لمن لم يكابر
فكيف وقد كانت له ايات حسية وعقلية سوى ما ذكرنا يعجز المتصفين على قبولها ويحتمل قوله قد جاءتكم بينة من ربكم
اي حجة في انه رسوله او على توحيد الله وقوله عز وجل فاوفوا الكيل والميزان وذكر في هود في قصته ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان بالقسط وليس في قوله فاوفوا الكيل والميزان انهم كانوا لا يوفون في سورة هود ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ودل قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم ان الاشياء ملكهم وان كان في قبض اولئك وفي ايديهم ثم يحتمل الامر بايفاء
الكيل والميزان وجوه احدها لما كانوا امنا لئلا يذهبوا عنهم تلك الامانة التي كانت لهم في قومهم والثاني لئلا يظلموا
الناس في منع حقوقهم واموالهم والثالث لئلا يكون ما منعوا منهم من الكيل والوزن ربوا لهم يدل ذلك قوله

قوله بالقسط ذكر العدل فلو كان يجوز تلك الزيادة والنقصان اذا طابت انفسهم بالزيادة والنقصان لكان لا معنى
لذكر القسط فيه لان من زاد آخر على حقه لم يمنع عن ذلك ولم يذم دلّ النهي عن ذلك على انه للربوا ما منعوا والله اعلم
وقوله عز وجل لا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بعد ان جعلها لكم صالحة لمعاشكم ومقامكم فيها او بعد ما امر
وبين لكم ما به صلاحكم وصلاح دينكم او بعد ما ارسل من الرسل ما بهم صلاح الارض واهلها ذلكم خير لكم قال
بعض اهل التأويل قوله ذلكم خير لكم اي وفاء الكيل والميزان خير لكم من النقصان لما يصير ذلك الباقي ويزداد
فذلك خير لكم من النقصان الذي تمنعون فلا ينمو شيئا وهو كقوله بقية الله خير لكم ويحتمل ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين اي امنكم في الآخرة خير لكم من نقصان الكيل والميزان في الدنيا والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون يحتمل ما قال اهل التأويل ان كبراء اهل الشرك ورؤساءهم كانوا يقعدون في الطرق فاناسا
يصدون الذين يأتون شعيبا للايمان من الآفاق والنواحي ويكون معنى قوله من آمن به على هذا التأويل اي من اراد
ان يؤمن به ويحتمل قوله ولا تقعدوا ليس على القعود نفسه ولكن على المنع من اقامة الشرايع التي شرع الله لشعيب كقول
ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ليس هو على القعود نفسه ولكن على المنع يمنعهم عن صراطه المستقيم فعلى قوله
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يمنعون من آمن به عن اقامة الشرايع والعبادات التي دعوا الى اقامتها ويوعدون
على ذلك ويخوفونهم فعلى هذا التأويل يكون معنى قوله من آمن به على وجود الايمان وعلى التأويل الاول يكون من اراد
ان يؤمن به والله اعلم **وقوله** عز وجل وتبغونها عوجا قيل تلتمسون لها اهل الزيغ وقيل تبغون هلاكا للاسلام
وابطالا وقيل تبغون السبيل عوجا عن الحق وكل واحد **وقوله** عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يحتمل
وجهين يحتمل اذ كنتم قليلا في العدد فكثر عددكم زمن لوط كانهم انما توالدوا من بقية آل لوط ويحتمل اذ كنتم
قليلا في الاموال والسعة في الدنيا فكثركم اي كثر لكم الاموال ووسع عليكم الدنيا **وقوله** عز وجل وانظروا كيف
كان عاقبة المفسدين امر بالنظر فيما حل بالامم الخالية بافسادهم في الارض وتكذيبهم الرسل لان من نظر في ذلك
وتفكر ما حل بهم منعه ذلك عن الافساد في الارض والتكذيب للرسل اذ علم ان ما حل بهم انما حل بهم لما ذكروا والله اعلم
كانه امر بالنظر في الاسباب التي صار من تقدمهم اهل فساد ونزل بهم الهلاك ليزجروا عن مثل صنيعهم والا كانوا
عند انفسهم اهل صلاح لا اهل فساد **وقوله** عز وجل وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يؤمنوا
فاصبروا قال ابن عباس رضي الله عنه كان قوم شعيب قليلا احتى ادرك ذلك وقوم آخرون معه يقول لهم
ذلك شعيب عليه السلام وان كان طايفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يؤمنوا فاصبروا يا معشر المؤمنين
حتى يحكم الله بيننا يقضي عليهم بالهلاك ولم يكن شعيب امر بالقتال وقال بعضهم قوله وان كان طايفة منكم يعني المؤمنين
امنوا بالذي ارسلت به من العذاب وطايفة يعني الكفار لم يؤمنوا بالعذاب فاصبروا يا معشر الكفار حتى يحكم الله
بيننا في امر العذاب في الدنيا وهو خير الحاكمين ويحتمل غير هذا وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام ويقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون الله امرهم بذلك في اشياء يفعلون ويقولون هؤلاء ان الذي نحن عليه
هو الذي امرنا الله بذلك فيقول لهم اصبروا حتى يحكم الله بيننا بانه بماذا امر بالذي عليه الكفار او الذي نحن عليه
وقوله عز وجل قال الملاء الذين استكبروا قد ذكرنا في غير موضع ان الملاء من قومه هم كبراؤهم ورؤساؤهم
وقوله عز وجل استكبروا اي استكبروا عن الخضوع والطاعة لمن هو دونهم عندهم لانهم كانوا يضعفون شعيبا
فيما بينهم ويزدرونه كقولهم له انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز ثم لم يروا الامر
بالخضوع لمن هو دونهم في امر الدنيا عدلا وهم انما اخذوا من ابليس اللعين واياه قلدوا حيث قال انا خير منه حين
امر بالسجود لآدم ولم ير اللعين الامر بالخضوع لآدم من الله عدلا فعلى ذلك لم يروا الخضوع لمن دونهم عندهم
عدلا فاستكبروا عليه فكفروا لذلك **وقوله** عز وجل لنخرجنك يا شعيب قال الحسن لنخرجنك اي لنقتلنك
والذين امنوا معك من قريتنا وقال غيره لنخرجنك الاخراج نفسه اي نخرجك ومن معك من المؤمنين من قريتنا

ان لم تتبع دينا وقد كان منهم للانبياء المعينين جميعا التوعد بالقتل والاخراج جميعا كما قالوا ولولا رهطك
لرجمناك وكقول قوم لوط للوط لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وكقول قوم نوح لتكونن من المرجومين
وما اخبر عن قول هؤلاء لرسولنا حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا وقد كان من القوم الى الانبياء والرسل عليهم
السلام المعينين جميعا التوعد بالقتل والاخراج جميعا فعلى ذلك يحتمل ذلك من قوم شعيب ما ذكرنا والله اعلم
وكذلك كانوا يقولون للرسل جميعا حيث قالوا وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم الآية هذا كانت عادة جميع
الكفرة انهم كانوا يخوفون الرسل بالاخراج مرة وبالقتل ثانيا **وقوله** عز وجل او لتعودن في ملتنا يحتمل قوله
او لتعودن في ملتنا لما عندهم انه كان على دينهم الذي هم عليه لما لم يروا منه عبادة سوى فيما يعبدون فقالوا لتعودن
في ملتنا على ما كان عندهم انه على ذلك وهو كما قالوا الصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا كان عندهم انه على دينهم
قبل ذلك فعلى ذلك يحتمل قوله هؤلاء لتعودن من العود الى ما كان عندهم انه على ذلك ويحتمل على الابتداء الدخول
فيها والاختيار كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور على منع الدخول فيها لا انهم كانوا فيها ثم اخرجهم فعلى ذلك الاول
وقوله عز وجل قال اولو كنا كارهين يقول لتعودن في ملتكم وان كنا كارهين اي قد تأبى عقولنا وتكره طباعنا
عن الدخول في ملتكم فكيف نعود فيها قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها يحتمل قوله
ان عدنا في ملتكم وجوها ثلاثة احدها ان ذلك منه اخبار عن قومه لا عن نفسه اي افتروا على الله كذبا ان عادوا
في ملتكم بعد ان نجاهم الله منها وما يجوز لهم ان يعودوا فيها واما هو فانما اجابهم عن نفسه ما ذكر في سورة هود
ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل اجاب هو قومه كما اجاب غيره من الرسل قومهم حين اوعدهم بالقتل
والعقوبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كيدون فلا تنظرون وكما قال هود اني بريء مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ونحو ذلك من الجوابات التي كانت من الانبياء صلوات الله عليهم لاقوامهم
ويحتمل ان يكون على الابتداء من غير ان كان فيها كقوله رفع السموات رفعها ابتداء من غير ان كانت موضوعة
وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور لخراج ابتداء لا ان كانوا فيها ثم اخرجهم ويحتمل ما ذكرنا انه اجابهم على ما عندهم
انه كان على دينهم فاجابهم على ما عندهم انه على ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل وما يكون لنا ان نعود فيها
اي ما يجوز لنا ان نعود فيها وقول شعيب قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم تعريض تسفيه منه اياهم
انهم قد افتريتم على الله كذبا لا تصريح حيث لم يقل قد افتريتم انتم على الله كذبا ولكن قال قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا في ملتكم وذلك منه تلطف بهم وترفق **وقوله** عز وجل الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما اختلف
في تأويله قال الحسن من حكم الله عز وجل انه من قبل دينه واطاع رسوله ان يكون وليا له ويسمى مؤمنا ومن رد دينه
وعصى رسوله يتخذه عدوا له ويكون كافرا وقال ابو بكر الكيساني قوله الا ان يشاء الله ان يتعبدنا ويمتحننا ببعض ما كانوا
يتقربون به ويشرع لهم مما يحل ويسع لم يرد به الدين الذي هم عليه لكن هذا لا يحتمل لان سؤالهم كان العود الى ملتهم
فعلى ذلك خرج الثنيا وقال جعفر بن حرب قوله الا ان يشاء الله الا ان يأمرنا الله بما يؤيسهم على ذلك على الاياس وقطع
الرجاء اي لا يشاء الله البتة ذلك كما يقال كان كذا ان صورة السماء وكقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وفعلت كذا
مما نعلم لانه لا يكون فعلى ذلك هذا كله بعيد محال اما قول الحسن ان من حكم الله انه من رد دينه وعصى رسوله انه يكون
من الكافرين ومن قبل دينه واطاع رسوله يكون من المؤمنين فليس فيه سوى انه يقول انه يعلم من كفر به ومن آمن به
فلا معنى للاستثناء ههنا لو كان التأويل ما ذكروا واما قول ابي بكر انه يتعبدهم ويمتحنهم بما يتقربون به في دينهم
وملتهم مما يجوز ان يأذن في ذلك فذلك لا يحتمل لانه ذكر الملة التي كانوا هم عليها فاليه يرجع الثنيا لا يجوز
ان ينصرف الثنيا الى غيره وانا قول من يقول بالاياس وقطع الطمع عن ذلك فذلك ايضا بعيد لان الاياس انما يكون
فيما يعلم انه لا يكون البتة من نحو ما ذكر من قوله لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ونحوه واما مثل هذا
فانهم لا يفهمون منه الاياس وقطع الرجاء بل كانوا يأتون بالفواحش ويقولون الله امرهم بذلك فان يقع الاياس

بذلك واما عندنا فانه على حقيقة المشية وذلك انه من علم الله منه يختار فعل الكفر ويوثر ذلك على فعل الايمان
والطاعة يشاء ذلك على ما علم انه يختار ومن علم منه انه لا يختار ذلك لا يشاء اذ لا يجوز ان يعلم منه غير الذى يكون
او ان يشاء غير الذى علم انه يكون منه لانه جهل وعجز واصله ان شعيبا خاف ان يسبق منه زلة او تقصير يقع منه
الاختيار لذلك فيشاء الله بذلك الزيغ والضلال وكذلك جميع الانبياء خافوا ذلك كقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام
حيث قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وقول يوسف حيث قال الا ان يشاء الله نرفع درجات
من نشاء كان خوف الانبياء عليهم السلام كان اكثر من خوف غيرهم **وقوله** عز وجل ربنا وسع ربنا كل شئ علما معناه
والله اعلم انه لا نعلم الى ما ذا يصير عاقبة امرنا فى علم الله **وقوله** عز وجل على الله توكلنا قيل على الله اعتمدنا فيما يخوفونا
من الاخراج واليه ملجاء فى سلطانه وملكه وبه نثق فى وعده بما يعدنا من النصر والظفر على الاعداء **وقوله** عز وجل
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قيل قوله افتح اى احكم بيننا وبين قومنا بالحق روى عن ابن عباس رضى الله عنه
قال ما كنت اعلم ما معنى الفتح فى الاية حتى تزوجت امراة من بنى كذا فوقعت بيننا مخاصمة فقالت لى تعال حتى افاتحك
الى فلان فعند ذلك عرفت ان المفاتحة هى المحاكمة **وقوله** عز وجل بالحق قيل هو العذاب الذى كان وعد لهم ه
ان ينزل عليهم بتكذيبهم شعيبا وايذائهم اياه ثم للمعتزلة ادنى تعلق بقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقولون
هو الدعاء والسؤال وان كان لا يحكم الا بالحق فعلى ذلك يقولون فى قوله رب احكم بالحق ونحوه فكذلك يقولون
فى قوله الا ان يشاء الله لكن عندنا يخرج قوله احكم بالحق وافتح بيننا وبين قومنا بالحق على وجوه احدها يقول ربنا
افتح بيننا بحكمك وهو الحق والثانى يقول رب احكم بالحق فى حادث الوقت كما حكمت فى الوقت الماضى وهو كقوله اهدنا
الصراط المستقيم وهو النبوة والهداية والثالث على استعجال العذاب **وقوله** عز وجل وقال الملاء الذين كفروا
من قومه قد ذكرنا ان الملاء هم كبراهم وسادتهم يقولون للاتباع والسفلة لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
قال ابو بكر لجاهلون ثم يحتمل قوله انكم اذا لخاسرون وجوها احدها ان شعيبا كان يحذر قومه بالتطفيف فى الكيل
والوزن ويامرهم بوفاء حقوق الناس بقوله فاوفوا الكيل ولا تكونوا كذا **وقوله** عز وجل ويا قوم اوفوا المكيال
والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيقول الكبراء والروساء للسفلة لئن اتبعتم شعيبا فى دينه ه
وما يامركم به من وفاء الحق للناس فانكم اذا لخاسرون للارباح والثانى انه كان يحذرهم ويمنعهم عن عبادة الاصنام
والاوثان ويدعوهم الى عبادة الله ويرغبهم فى ذلك وهم كانوا يعبدون تلك الاصنام ليقرب عبادتهم اياها
الى الله زلفى ويكون لهم شفعاء فى الآخرة فقالوا لئن اتبعتم شعيبا فيما يدعوكم اليه وينهاكم عنه لكنتم من الخاسرين
لا شفعاء لكم فى الآخرة والثالث انهم كانوا يوعدون شعيبا بالاخراج بقولهم لنخرجنك يا شعيب فقالوا
لئن اتبعتم شعيبا وهو يخرج لا محالة فتخرجون انتم فصرتم من الخاسرين والله اعلم **وقوله** عز وجل فاخذتهم الرجفة
قيل الصيحة وقيل الزلزلة قيل اصابهم حر شديد فرفعت لهم سحابة فخرجوا اليها يطلبون الروح تحتها فسال عليهم
العذاب ورجفت بهم الارض فهلكوا وهو ما ذكر فى آية اخرى عذاب يوم الظلة والله اعلم **وقوله** عز وجل فاصبحوا
فى دارهم جاثمين قد ذكرنا قوله جاثمين فيما تقدم **وقوله** عز وجل الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين
كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين هو والله اعلم مقابل قولهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون وجواب لهم يقول
الذين كذبوا شعيبا هم الخاسرون لا الذين اتبعوه **وقوله** عز وجل كان لم يغنوا فيها قيل كان لم يعيشوا فيها ولم ينعموا
قط وقيل كان لم يقيموا فيها قال القتبى يقال غنينا بمكان كذا وكذا اى اقمنا ويقال للمنازل مغان واحدها
مغنى ويقال كان لم يغنوا فيها اى كان لم يكونوا فيها قط وهو والله اعلم لما كانوا يستقلون نعم الله عليهم ويستحقرونها
حتى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقوله كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار ونحوه وكله اخبار عن قطع آثارهم انه لم يبق
منهم احد يحزن عليهم او يبكى عليهم حتى قال شعيب فكيف آسى على قوم كافرين وجايز ان يكون قول شعيب حيث قال
فكيف آسى على قوم كافرين حين علم انهم يهلكون وينزل بهم العذاب اى لا احزن عليهم ما ذكر وقال بعضهم ه

هو على التقديم والتاخير قال ذلك فى الوقت الذى قال ولا تقعدوا بكل صراط يقول كيف احزن على قوم وعلمهم
ما ذكر وقوله فتولى عنهم حين رآهم هلكى فقال كيف آسى على قوم اى كيف احزن على قوم قد كذبونى واختاروا
عداوتى وصاروا لى اعداء فكيف احزن عليهم بالهلاك وهم اعدائى وقوله يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى
ونصحت لكم قد ذكرنا **وقوله** عز وجل وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء فى الاية
اضمار والله اعلم من وجهين احدهما قوله وما ارسلنا فى قرية من نبى فكذبوه الا اخذنا اهلها المكذبين له بالباساء
وما ذكر والا لا يحتمل ان يرسل اليهم رسولا ثم ياخذهم بما ذكر من غير ان كان منهم رد او تكذيب له والثانى
وما ارسلنا فى قرية اهلكنا من نبى الا اخذنا اهلها قبل الهلاك بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم لم ياخذ الله
قوما بالهلاك قبل ان يبعث اليهم الرسول وقيل ان يغيروا هم ما انعم عليهم بانفسهم كقوله وما كان ربك مهلك
القرى حتى يبعث فى امها رسولا الاية وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون وغير ذلك من الايات اخبر انه لا ياخذهم بالعذاب
والهلاك الا بعد قطع العذر لهم من جميع الوجوه وان كان له الاهلاك من ان يبعث اليهم الرسول لما ركب فيهم من العقول
السليمة مما بها يوصل الى فهم كل ما جعل فيهم من آثار وحدانيته وآيات ربوبيته وما جعل لهم من السمع والنطق ما به
يوصل الى السمع كل ما غاب والنطق بكل ما يريدون ما لم يجعل ذلك لغيرهم من البهايم وما انعم عليهم من تصوير الصورة
ما لم تبين احد تاويله منها الى غيرها من الصور ولكنه لا يهلكهم الا بعد بعث الرسل اليهم لما ان الخلق على مراتب
منهم من يفهم بالعقل لا يحتاج الى معونة السمع وهم الحكماء والعلماء الذين يدركون الاشياء بالبديهة ومنهم
من لا يدرك الا بمعونة السمع وهم كالصبيان انهم لا يدركون الا بالسمع وفضل التنبيه ومنهم من لا يدرك
بالعقل ذلك ولا بالسمع حتى يصيبهم الشدايد والغير فى انفسهم وفيما انعم عليهم وهم كالبهايم الذين لا عقل لهم
ولا سمع ولكن يعرفون الشدايد وما يصيبهم من البلايا فعلى ذلك يمتحنهم عز وجل ويبتليهم بالشدايد والبلايا
اولا فان رجعوا عن ذلك وعرفوا النعم والا اهلكهم بعد ذلك فعند ذلك ينتبهون ويتذكرون وذلك قوله
فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون وقوله بالباساء والضراء قد ذكرنا فى صدر الكتاب **وقوله**
عز وجل لعلهم يضرعون اى لكى يكون عليهم التضرع او لكى يلزمهم التضرع والتذكر **وقوله** عز وجل ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة وهو ما ذكر اهل التاويل السعة والرخاء بعد الشدة والقحط وما حل بهم من البلايا حتى عفوا
قيل نجوا وكثروا اى كشف عنهم ذلك حتى كثروا فعند ذلك اهلكهم بغتة لان الهلاك فى حال الشدة والبلا لا يكون
اخذا بغتة لان كل من حل به بلاء وشدة يخاف فيه الهلاك فاذا اهلك فى تلك الحال لم يكن اخذا بالهلاك بغتة
الا ترى انه سمى الموت الذى يموت المرء من غير مرض حل به موت فجاة والذى يموت بمرض يتقدم الموت لا ه
وان الموت فى الوجهين جميعا لا يعلم بحلوله لكنه اذا لم يتقدم مرض فهو لا يخاف منه واذا كان به مرض خاف به
فلم يكن فجاة فعلى ذلك اذا اخذوا فى حال الشدة لم يكن اخذا بالبغتة لما يخافون فيه الهلاك واذا كانوا فى سعة
ورخاء لا يخافون فيوخذون فى تلك الحال فذلك اخذ بغتة وقال حتى عفوا قيل كان اهلك بعضهم وترك بعضا
حتى عفوا اى كثروا من ذلك البعض ولكن الوجه فيه ما ذكرنا من الباساء والضراء والشدايد والقحط ثم كشف
ذلك عنهم فكثروا ثم اهلكهم والله اعلم **وقوله** عز وجل قد مس اباءنا الضراء والسراء قالوا ان اباءنا قد كان
ينزل ذلك بهم ويصيبهم مرة شدة ومرة نعمة فلم يكن ذلك بعقوبة لهم فعلى ذلك ما يصيبنا من الشدايد والبلايا
ليس ذلك بعقوبة ولكن دوران الدهر وتصرفه على الشدة والبلا مرة ومرة على الخصب والسعة ثم اخبر انه اخذهم
بغتة بعد قولهم قد مس اباءنا الضراء والسراء **وقوله** عز وجل ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا قيل آمنوا
واتقوا قبل ان يهلكوا بعد ما اصابهم من الشدايد والبلايا لفتحنا عليهم بركات الاية اى لاعطوا كل خير ينال
من السماء والارض والبركة ما ينال من كل خير على غير مؤنة البركة كل شئ ينال بلا تبعة عليه ولا شدة

ذكر ههنا انه يفتح عليهم بركات من السماء والارض لو امنوا واتقوا و ذكر اذا لم يؤمنوا ونسوا ما ذكروا به انه يفتح عليهم
ابواب كل شئ ولم يذكر البركة ففيما لم يذكر البركة بغضهم ما فتح عليهم من كل شئ وبيسوه وفيما ذكر فيه البركة بعد
الايمان لا يلحقهم من ذلك تبعة ولا غرم والله اعلم وقوله عز وجل ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون ويحتمل
قوله ولكن كذبوا النعم التي انعمها عليهم اي الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من التكذيب والله اعلم وقوله عز وجل
افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون خرج هذا في الظاهر مخرج الاستفهام ولكن في الحقيقة على الايجاب
كقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون الاية هذا في الظاهر وان خرج مخرج الشك والارتياب فهو في الحقيقة
على الايجاب كانه قال في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا ان يحيف الله عليهم فعلى ذلك قوله افامن اهل القرى وامن اهل
القرى على الايجاب كانه قال قد امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى
الاية ثم اختلف في قوله افامن اهل القرى وامن اهل القرى الى اخر ما ذكر قال الحسن هذه الايات في الامم السالفة
اخبر عنهم بنزول باس الله وعذابه بهم لكن ذكر في هذه الامة ليكونوا على حذر من مثل صنيعهم وقال الاخرون
هذه الايات في قرى هذه الامة لا في الامم السالفة يقول امن هؤلاء باسنا كما امن اولئك منه فانهم اذا صنعوا مثل
صنيعهم ينزل بهم في الاخرة من العذاب مثل ما نزل باولئك في الدنيا من العذاب وقوله عز وجل باسنا بياتا وهم
نايمون وضحى وهم يلعبون اخبر ان العذاب انما نزل بهم في حال الامن وهو وقت النوم واللعب لانه هو وقت الغفلة
والسهو وامن ما يكون الانسان انما يكون في حال النوم وانما نزل بهم في وقت الغفلة يذكر بهذا والله اعلم اهل مكة
وغيرهم من الكفرة بتكذيبهم رسول الله لئلا يكونوا آمنين عن باس الله ابدا في وقت من الاوقات والله اعلم وقوله
عز وجل افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون المكر في الشاهد هو ان يراقب من عدوه حال غفلته
لينتقم منه وينتصر فاذا كان ما ذكرنا فسمي ما ينزل بهم من العذاب في حال الغفلة مكرا وعلى ذلك الامتحان فيما بين الخلق
هو استظهار ما خفي على بعضهم من بعض فيامرون بذلك وينهون فسمى الله تعالى ذلك امتحانا لمعنى الامر والنهي وان كانت
الخفيات عن الخلق ظاهرة له بادية عنده وقوله عز وجل فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون فالاية على المعتزلة
لانهم يامنون مكر الله في الصغاير حيث قالوا الصغاير مغفورة ليس له ان يعذبهم عليها فهو امن من مكره وييأسون
من رحمته لقولهم في الكباير انه ليس له ان يعفو عنهم وقد اخبر انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهم قد ييسوا
من رحمة الله في الكباير وامنوا مكره عن الصغاير فهاتان الايتان على المعتزلة وقوله افامنوا مكر الله اي جزاء مكرهم سمى جزاء
المكر مكرا كما سمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة فعلى ذلك تسمية جزاء المكر
مكرا وان لم يكن الثاني مكرا والله اعلم الا ترى انه لم يجز ان يسمى مكارا ولو كان على حقيقة المكر يسمى بذلك دل انه
جزاء وجايز ان يكون المراد من مكره جزاء مكرهم سمى الجزاء باسم المكر لانه جزاؤه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية
ليست بسيئة وقوله عز وجل اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها على تاويل من يجعل الاية في الامم السالفة
يقول اولم يوفقوا ولم يهدوا الصواب بهلاك امة بعد امة وقوم بعد قوم وعلى تاويل من يقول بان الاية في هذه
الامة يقول اولم يبين لهؤلاء الذين ورثوا الارض من بعد هلاك اهلها ان لو نشاء اصبناهم بعذاب بذنوبهم كما اصاب
اولئك العذاب بذنوبهم وقوله اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي من بعد هلاك اهلها وقوله اولم يهد
على اسقاط الواو والالف اي لم يهد للذين يرثون الارض ثم يحتمل وجهين يحتمل قوله لم يهدهم اذ لم يتفكروا بما اهلك
الاولين وما حل بهم بتكذيبهم الرسل انهم كانوا اذا تركوا التفكر والنظر فيهم وما نزل بهم لم يهدهم والثاني قد هداهم
لكن نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به وهو ما نفى عنهم من السمع والبصر والعقل لما لم ينتفعوا به ويحتمل على غير اسقاط
او كانه قال اولم يهد للذين يرثون الارض اولم يهدهم الرسول قدرة الله في اهلاك الامم الخالية فعلى ذلك هو قادر
على اهلاك الذين يرثون الارض من بعد اهلها يحتمل هذه الوجوه التي ذكرنا والله اعلم او يقول اولم يهدهم وراثة
الارض من بعد هلاك اهلها انهم لم اهلكوا حتى يرتدعوا ويمتنعوا عن مثله وقوله اولم يهد للذين يرثون الارض يخرج

على وجهين

على وجهين لحد هما قد هداهم وبين لهم ان من تقدمهم انما هلكوا بما اصابوا من ذنوبهم من التكذيب والعناد لكن
لم يهتدوا والعناد هم والثاني لم يهدهم لما لم يتفكروا فيها ولم ينظروا على التلاوة قربت لاسقاط وقوله عز وجل ان لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم فان كانت في الامم السالفة فقوله ان لو نشاء اصبنا قوما بعد قوم بذنوبهم وان كانت في المتاخرين
فيكون قوله ان لو نشاء اصبناهم لا بذنوبهم على ما اصاب اولئك بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون والطبع
يحتمل الختم اي نختم على قلوبهم ويحتمل الطبع ظلمة الكفر اي يستر قلوبهم بظلمة الكفر كقوله وكل شئ سترشيئا
وتغشاه فهو طبع فهم لا يسمعون يحتمل وجهين يحتمل لا يسمعون اي لا يجيبون كقوله سمع الله لمن حمده قيل
اجاب الله لمن حمده اي دعاه وقوله عز وجل تلك القرى نقص عليك من انبائها قوله نقص عليك اي قصصنا
عليك اي ما قص عليه من الانباء يخبر عز وجل رسوله ان القرى التي كانت من قبل قد سالوا رسلهم
الايات فاجابوا بها ولم يصدقوها فعلى ذلك هؤلاء انك لو اتيت ما سالوك من الايات لم يؤمنوا بها ولم يصدقوها
يخبره عن تعنتهم ومكابرتهم وعنادهم والثاني يذكر ان الايات ليس يجب ان ياتوا بها من الجهة التي يريدون
انما يجب ان ياتوا ما هو حجة وقوله عز وجل ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يحتمل وجوها يحتمل الانباء
التي انبات الرسل اقوامهم من نزول العذاب بهم بالتكذيب والكفر بها ويحتمل البينات التي تدل على صدق الرسل
بما يقولون ويخبرون بعد ما سالوهم الايات لكن ردوها رد عناد ومكابرة بعد ما عرفوا انها حق وقوله
عز وجل فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اي ما كانوا ليؤمنوا المادة وباسنا بما كذبوا من قبل اي لا ينفعهم ايمانهم عند
رؤيتهم باس الله كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل ويحتمل ما كانوا ليؤمنوا بسؤالهم الايات اذا اتاهم
الايات بما كذبوا من قبل لان تركهم الايمان وتكذيبهم الرسل ليس لما لم يكن لهم الايات ولكن للتعنت فاخبر انهم
وان سالوا الايات فانهم لا يؤمنون والثالث ما كانوا ليؤمنوا بما يخبرهم الرسول من اتيان العذاب بهم
بما كذبوا بهم من قبل الانبياء عليهم السلام وقوله عز وجل وما وجدنا لاكثرهم من عهد يحتمل العهد المذكور
وجوها ثلاثة احدها العهد الخلقة لما في خلقة كل احد الشهادة بالوحدانية له والالوهية فلم يوفوا بتلك العهود
بل نقضوها والثاني العهد الذي اخذ الله عليهم على السن الرسل كقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة
واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية فلم يوفوا بذلك والثالث ما اعطوهم من انفسهم من العهد كقول فرعون
لموسى يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلم يوفوا بما اعطوهم من العهود وقوله
عز وجل وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي وقد وجدنا اكثرهم فاسقين بنقض العهد والله اعلم وقوله
عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى يحتمل قوله ثم بعثنا من بعد هلاك قوم نوح وكثيرة موسى رسولا باياتنا الى فرعون
وملائه يحتمل قوله باياتنا حججنا ثم يحتمل حجج وحدانية الله والوهيته ويحتمل آيات رسالته ونبوته وعلى قول
الحسن باياتنا ديننا وعلى ذلك بيننا ولكن هو جميع الايات التي ذكرت في القرآن وقوله عز وجل الى فرعون وملائه
ان موسى كان مبعوثا اليهم جميعا الى فرعون والملاء الاتباع جميعا لا انه كان مبعوثا الى فرعون وملائه خاصة
دون الاتباع وكذلك ذكر في مكان اخر الى فرعون خاصة وهو بعث اليهم جميعا لكن يخرج تخصيص ما ذكر هؤلاء
القادة والله اعلم لما ان الذي ينازع الانبياء والرسل هم الكبراء والرؤساء دون الاتباع والسفلة والاتباع
هم الذين يصدون دون لاراء الكبراء ويتبعونهم فيما يدعونهم اليه وعلى ذلك سموا الكبراء والرؤساء اضداد الرسل وكان
موسى مبعوثا اليهم جميعا الوضيع منهم والرفيع وقوله عز وجل فظلموا بها قال بعضهم قوله فظلموا بها اي ظلموا
الايات والحجج التي بها موسى فرعون وقومه سمي ظلما لانهم سموا تلك الايات سحرا بعد ما عرفوا انها منزلة من الله
فوضعوها غير موضعها والظلم هو وضع الشئ في غير موضعه وقال قايلون قوله فظلموا بها اي ظلموا نعم الله
التي انعمها عليهم حيث عبدوا غيره وصرفوا شكر تلك النعم الى غير الذي انعمها عليهم فذلك ظلم شكر وامن لم ينعم عليهم
وصرفوا عن انعم عليهم والله اعلم ويحتمل ظلموا الاتباع بتلك الايات حيث منعوهم عن اتباع الرسول واستتبعوهم

او يعولوا ظلموا لها انفسهم حيث تركوا اتباعها **وقوله** عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المفسدين هذا الخطاب في الظاهر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان المراد بالخطاب غيره امر كلا بالنظر في عاقبة المفسدين لما حل بهم بفسادهم لانه من نظر
في عاقبة ما حل بغيره بمعصية او فساد يمتنع عن مثله وامكن ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهين احدهما
لما له بما حل بهم بعض التسلي لاذاهم اياه لانه من توهم حلول الهلاك على عدوه في العاقبة صبر على اذاه ويكون له بعض
التسلي في ذلك والثاني يذكرهم وينبههم بما يحل بهم في العاقبة ليمتنعوا عما ارتكبوا من المعاصي لان ذلك ازجر **وقوله**
عز وجل وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين فان قيل كيف قال اني رسول الله وذلك يخرج في الظاهر مخرج
الامتداح والتزكية وقد نهينا عن ذلك لانه لحين يجعل الذي يوضع الرسالة فيه وانه اهل لها قيل ليس فيه امتداح نفسه
ولا تزكية له لانه انما يذكر منة الله تعالى انه جعله بحيث يوضع فيه الرسالة وجعله اهلا لها والتزكية والامتداح انما يقع
فيما هو فعله حقيقة لا فعل الله وان كان تزكية وامتداح فهو قدام بذلك فجاز ذلك بالامر او اراد بذلك تعريفه
لما كان من عادة الملوك انهم اذا بعث بعضهم الى بعض رسولا فانهم لا يستقبلون الرسل بالمكروه والشر بل يعظمون الرسل
ويكرمونهم وان كان بينهم معاداة فذكر انه رسول من رب العالمين لئلا يستقبل بالمكروه **وقوله** من رب العالمين
قيل العالم هو جوهر الكل وهو قول الفلاسفة وقال ابو بكر الاصم رب العالمين اي مليك الخلايق **وقوله** عز وجل حقيق
على ان لا اقول على الله الا الحق قال اهل التاويل ان موسى لما قال لفرعون اني رسول من رب العالمين فقال له
كذبت فعند ذلك قال له موسى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق وامكن ان يكون ذلك منه على غير تكذيب
القول من فرعون ولكنه قال ذلك لما حقيق على كل احد اكرمه الله بالرسالة واختاره لها ان لا يقول على الله الا الحق
او ان يقول اني رسول من رب العالمين حقيق علي بعد ما اكرمني بالرسالة ان لا اقول على الله الا الحق **وقوله** حقيق
على ان لا اقول على الله الا الحق قد ذكرنا انه لا يصح الابتداء بهذا الا بعد ان يسبق من فرعون كلام يخرج ذلك الكلام من موسى
جوابا لما كان منه وهو ما قال اهل التاويل ان قال له لما قال اني رسول من رب العالمين اليك كذبت لم يرسلك
الينا او كلام نحو هذا فعند ذلك قال حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق اي ما كان ينبغي لي ان اقول على الله الكذب
وهو كما قال عيسى سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق لما قال له انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
كان ذلك القول من عيسى بعد ما ادعى قومه على عيسى انه قال لهم ذلك وكذلك قول الملائكة سبحانك انت ولينا
من دونهم بعد ما قال لهم اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فعند ذلك قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم خرج ذلك القول
منهم جواب ما تقدم فعلى ذلك قول موسى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق خرج على تقدم قول كان منهم والله اعلم ومن قراء
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فتاويله الحقوق على ان لا اقول على الله الا الحق ومن قراء بتشديد علي فتاويله حق علي
ان لا اقول على الله الا الحق **وقوله** عز وجل قد جئتكم ببينة من ربكم يحتمل بينة من ربكم ما يبين وحدانية الله والوهيته
ويحتمل بينة الرسالة ما يبين اني رسول رب العالمين غير كاذب عليه ولا مفتر **وقوله** عز وجل فارسل معي بني اسرائيل
اي لا تستعبدهم فانهم ليسوا بعبيد لم يرد ارسالهم معه ولكن طلب استنقاذهم من العبودة كقوله ان عبدت بني اسرائيل
وقوله عز وجل قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين دل قول فرعون ان كنت جئت باية ان موسى اراد
بقوله قد جئتكم ببينة من ربكم الاية ودل قوله ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين انه قد كان عرف انه ليس
باله وعرف عبودة نفسه حيث طلب منه الاية على صدق ما ادعى من الرسالة ولو كان عنده انه اله لكان قال لموسى انا الاله فمن
ارسلك ولم يطلب منه الاية **وقوله** عز وجل فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال ابو عوسجة الثعبان الحية قال كل حية
تسمى ثعبانا والثعابين جماعة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الثعبان هي الحية الذكر وقوله مبين اي مبين انها حية وهو
كما ذكر فاذا هي حية تسعى مبين لا يشك احد انها ليست بحية ويحتمل مبين اي مبين ان ذلك التغيير والتحويل لا يكون الا من الله
وقوله عز وجل ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ذكر نزع يده ولم يذكر مماذا نزع وما ذكر في اية اخرى وادخل يدك
تخرج بيضاء من غير سوء اي من غير اذى ولا افة وقال اهل التاويل من غير برص ولكن عندنا من غير سوء من غير

ان تستقبح

ان تستقبح او تستقذر لانه خروج الشيء عن خلقته وجوهره مما يستقذر فاخبر انه لم يكن كذلك فان قيل لنا ما الحكمة
في ادخال يده جيبه على ما هي عليها واخراجه اياها بيضاء من غير ان كانت كذلك قبل ان يدخلها وكذلك صيرورة العصا
حية بعد ما طرحها على الارض دون ان يصير حية وهي في يده قبل ذلك والله اعلم انه انما ادام اية بعد ما اخرج العصا
عن سلطانه وتدبيره ليعلم انها انما صارت لا بتدبيره وتغييره ولكن بالله عز وجل وكذلك اليد صيرها اية بعد
ما غيبها عن بصره وتدبيره ليعلم انها صارت كذلك لا به ولكن بالله عز وجل والاية هي التي تخرج عن وسع الخلق وتدبيرهم
وقوله عز وجل قال الملاء من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم وقال في اية اخرى وقال للملاء حوله ان هذا لساحر
عليم يحتمل ان يكون فرعون قال للملاء ان هذا كذا ثم قال الملاء لقومهم ان هذا الساحر عليم اراد والله اعلم تلبيس ما اتى به
موسى من الاية على قومه واراد بقوله ان يخرجكم من ارضكم بسحره اغراء قومه عليه والسحر عندنا هو من ايات الرسالة ولو كان
ما اتى موسى سحرا كان ذلك من ايات رسالته ونبوته لانه لا يستفاد الا بعلم من السماء وخبر منها وكذلك هذه الحرف
والمكاسب التي تكتسب في الخلق لانه لا يعلم الا بالوحي من السماء لكنه ليس باية على الاشارة ولو كان ما اتى به سحرا لكان له
اية لانه نشا بين اظهرهم لم يروه اختلف الى ساحر قط لا عرفانه تعلم ذلك من احد فدل ذلك انه من الاية لكنه اخرج
ذلك عما عرفوا من السحر لما الا كل احد يعرف انه لم يختلف في ذلك ولا تعلم من احد فاخرجه عن وسع البشر وتدبيرهم
ليعرف كل احد انه ايات رسالته ونبوته الا السحر والله اعلم **وقوله** عز وجل يريد ان يخرجكم من ارضكم كان موسى
لا يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن الله اعلم كانه قال فرعون لقومه لو اتبعتم موسى واجبتموه الى ما يدعوكم اليه لاخرجكم
من ارضكم لكن اضاف ذلك الى موسى لما كان هو سبب اخراجهم والله اعلم او يقول يريد ان يذهب بعيشكم الطيب وراحتكم
وتلذذكم بانواع التلذذ لانهم كانوا يستعبدون بني اسرائيل ويستخدمونهم ويسترخونهم ويمتهنون فيقول للقبط
يريد ان يذهب بذلك كله عنكم وجائز ان يكون موسى لم يكن يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن يريد ان يخرجهم من تحتهم
الذي كانوا عليه ولكنه كان يغري قومه عليه **وقوله** عز وجل فماذا تامرون دل هذا القول من فرعون انه كان يعرف
انه ليس باله ولا رب لانه لو كان ما يقول انا ربكم الاعلى لكان لا يطلب من قومه الامر والاشارة في ذلك دل ذلك انه كان
يعرف عجزه وضعفه لكنه يكابر ويلبس على قومه ويموه بقوله ان هذا الساحر عليم **وقوله** يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا
الحرف حرف اغراء وتحريش عليه **وقوله** فماذا تامرون هو حرف تقريب حيث جعل اليهم الامر والاشارة وجعلهم من اهل
مشورته **وقوله** قالوا ارجه واخاه هذا الحرف لا يقال ابتداء الا ان يكون هنالك تقدم شيء فكانه هم بقتله كقوله ذروني
اقتل موسى وليدع ربه فقالوا ارجه اي اخره واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق جميعا كانوا يمنعون فرعون
عن قتله الا ترى انه قال ذروني اقتل موسى ولو لم يكن منهم منع عن قتله لم يكن ليقول لهم ذروني اقتل موسى **وقوله**
قالوا ارجه واخاه قال القتبي ارجه واخاه هارون يقول احبسه اي اخره ومنه قوله ترجي من تشاء ومنه سميت المرجية
وقال ابن عباس رضي الله عنه ارجه واخاه ولا تقتلهما وارسل في المداين حاشرين اي ارسل الى المداين الشرط ناتوك
من المداين حاشرين اي يحشرون عليك السحرة والناس الى هذا يذهب ابن عباس رضي الله عنه **وقوله** عز وجل بكل ساحر
عليم لا تقتلوه حتى ياتوك بكل ساحر عليم اي يجتمع كل انواع السحر ليتبين سحره والا كان ساحر واحد كافيا ولكن ارادوا
والله اعلم بقوله ياتوك بكل ساحر عليم ليجتمع جميع انواع السحر عنده ليتبين سحره **وقوله** عز وجل وجاء السحرة فرعون
قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين في المنزلة والقدر عندي هذا يدل ان همة السحرة
ليس الا الدنيا لانهم طلبوا من فرعون الاجر والقدر والمنزلة عنده ان كانوا هم الغالبين ولا يجعلون همة هذه الدنيا
وما ذكر ان يكون له الرسالة بحاله وهمة الانبياء كانت الدين وطلب الاخرة **وقوله** عز وجل قالوا يا موسى اما ان تلقي
واما ان نكون نحن الملقين هذا ليس على القاء هذا وتركه ولكنه الا لقي لانه لو كان على القاء احدهما لكان لا يتبين
السحر من الاية لكن القاء الاول كانهم قالوا يا موسى اما ان تلقي اولا او نحن الملقون اولا وهو كما ذكر في اية اخرى
اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى **وقوله** موسى القوا كانه امره ولكن لم يامر بذلك قال موسى القوا فلما القوا سحروا اعين

اعين الناس واسترهبوهم هذا يدل ان السحر انما ياخذ الابصار على غير حقيقة كانت له وهو كالسراب الذى
يرى من بعيد كقوله يحسبه الظمآن ماء الآية فعلى ذلك السحر ياخذ الابصار ظاهرا فاذا هو فى الحقيقة باطل لا شئ
وكالخيال فى القلوب لا حقيقة له وكان قصدهم بالسحر استرهاب الناس وتخويفهم به الا ترى انه ذكر فى آية اخرى فاوجس
فى نفسه خيفة موسى وقد ذكرنا ان ماجاء به الرسل لو كان سحرا فى الحقيقة لكان ذلك حجة لهم فى اثبات الرسالة لان قومهم
لم يروهم اختلفوا الى ساحر قط فيدل ذلك انهم انما عرفوا ذلك بالله تعالى وهو كالانبياء التى اتى بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله فاوجس فى نفسه خيفة موسى يخرج على وجهين احدهما اخذ سحرهم بصره كما اخذ اعين الناس والثانى
خاف ان سحرهم يمنع اولئك عن رؤية حقيقة ماجاء به وقوله سحروا اعين الناس اى حيروا كقوله مسحورون اى ماخوذ اعينكم
وقوله عز وجل واوحينا الى موسى ان الق عصاك فيه ان موسى كان لا يلقى عصاه الا بعد الامر بالالقاء وكذلك قوله
اضرب بعصاك الحجر وان اضرب بعصاك البحر فانفلق ونحوه كان لا يضرب بالعصا ولا يلقى الا بعد الامر بالالقاء والضرب
ليعلم ان فى ذلك امتحان لموسى فيما يأمر بالالقاء على الارض لتصير حية وفيما يامره بالضرب بها الحجر والضرب البحر
ولله ان يمتحن عبده بما شاء من انواع المحن والا كان قادرا ان يفلق البحر على غير الامر بالضرب بالعصا وكذلك يفجر
الحجر ويشق على غير ضرب بالعصا وكذلك تصير تلك العصا حية وهى فى يده ولكن امره بذلك كله والله اعلم امتحانا
منه اياه وابتلاء اذ هى دار محنة وابتلاء ان فى زمن موسى كان السحر هو الظاهر وكان الناس يتعاطون بالسحر
فجاء موسى من الآيات على رسالته بنوع ما كانوا يتعاطون به ومن جنس ذلك ليعرفوا عجزهم وسعيهم ان ذلك ليس بسحر
ولكن آية سماوية وكذلك ماجاء عيسى من الآيات جاء بنوع ما كان يعمله قومه وهو الطير فجاء بنوع الطير ليعلموا انه بالله
عرف ذلك وقوله عز وجل فاذا هى تلقف ما يافكون قال القتبى تلقف تلتقم وتلقم اشتقاقه من اللقم والابتلاع
وقوله ما يافكون قيل ما يكذبون قال الحسن تلقف ما يافكون حبالهم وعصيهم وقيل تلقف ما يافكون ما جاؤا به
من الكذب وقوله عز وجل فوقع الحق قيل اى ظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون هذا يحتمل وجهين احدهما بطل ما كانوا
يعملون اى يبطل ما عملوا من السحر والثانى بطل ما كانوا يعملون اى تلك السحرة العمل بالسحر اذ ظهر الحق لهم والله اعلم
وقوله عز وجل فغلبوا هنالك اى عند ذلك غلب السحرة لانهم قالوا لفرعون فى الابتداء ان لنا لاجرا ان كنا نحن
الغالبين فذكر ههنا انهم غلبوا عند ظهور الحق لانهم صاروا غالبين وقوله عز وجل فغلبوا هنالك ليس على القهر
والقسر ولكن غلبة بالحجج والبراهين اى غلبوا بالآيات والحجج وقوله عز وجل وانقلبوا صاغرين قال بعض اهل
التاويل رجع السحرة لما غلبوا صاغرين مذلين لكن نقول رجع فرعون وقومه الى منازلهم مذلين لا السحرة لان السحرة
قد آمنوا فلا يحتمل ان يوصفوا بالرجوع صاغرين مذلين وقد رجعوا مع الايمان وقوله عز وجل والقى السحرة
ساجدين اختلف فيه قال بعضهم قوله القى اى امروا بالسجود فسجدوا وقال آخرون قوله القى اى لسرعة ما سجدوا
كانهم القوا والآية ترد على المعتزلة لانهم ينكرون ان يكون لله تعالى فى فعل العباد صنع وههنا قد اضيف الفعل
الى غيرهم بقوله والقى السحرة ساجدين دل ان لله تعالى فى فعل العباد صنع وان خلق فعل السجود منهم وقال جعفر
ابن حرب يجوز ان يضاف الفعل الى غيره وان لم يكن لذلك الغير فى ذلك الفعل صنع نحو ما يقال فى السفر ان هؤلاء
خلفوا اولئك وهم لم يخلفوا اولئك فى الحقيقة ولا صنع لهم فى التخلف ثم اضيف اليهم فعل التخليف فعلى ذلك هذا
يقال لان لهم فى ذلك صنع وهو انهم اذا لم ينتظروهم فقد خلفوهم ولهم فى ذلك صنع فاضيف اليهم او ان يقال انهم لا يملكون
تخليف هؤلاء فاما الله سبحانه وتعالى قادر ان يلقيهم اى بما يخلق منهم فعل السجود فاضيف الفعل اليه لذلك وقوله
عز وجل قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال بعض اهل التاويل انهم لما قالوا آمنا برب العالمين قال لهم
فرعون اياى تعنون فعند ذلك قالوا لا ولكن رب موسى وهرون ولكن لا ندرى هذا وموسى ولما جاء فرعون ودعاه
الى دينه قال له انى رسول من رب العالمين فلا يحتمل ان يشكل عليه قولهم آمنا برب العالمين انهم اياه عنوا بذلك
وجائز ان يكون آمنا برب العالمين الذى ارسل موسى وهرون رسولا وقوله قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم هذا

يدل ان الايمان

يدل ان الايمان هو التصديق لا غير لانهم لما قال السحرة آمنا برب العالمين قال لهم فرعون آمنتم به وهم لم ياتوا بسوى
التصديق دل ان الايمان هو التصديق الفرد لا غيره وقوله عز وجل ان هذا لمكر مكرتموه اى شئ صنعتموه فيما بينكم
وبين موسى وهو كما قال فى آية اخرى انه لكبيركم الذى علمكم السحر وقوله عز وجل لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
هذه الجملة باشد العقوبة والنكال والالم يوعدهم بقطع الايدى والارجل من خلاف اذ ذلك ايس واقبل فى العقوبة
من القطع من جانب والقطع من جانب اشد وانكل من القطع من خلاف اذ القطع من خلاف لا يمنع القيام بمعض المنافع
ولا يهلك فى اتلاف النفس اذ جعل ذلك حدا فى بعض العقوبات ولم يجعل القطع من جانب عقوبة بحال دل انه اشد
وانكل ويعمل فى اهلاك النفس والقطع من خلاف لا يعمل دل انه لجهله ما قال او ان اختار القطع من خلاف ليكون
مؤنة الطلب عليهم لا عليه لان المقطوع من خلاف قد يمكن له الصعود على الخشبة والثانى لا والله اعلم وقوله قالوا
انا الى ربنا منقلبون وقال فى موضع آخر لا ضير هذا والله اعلم يخرج على وجهين على الاقرار منهم بالبعث والايمان
والثانى وعيد منهم لفرعون حيث اوعدهم بقطع الايدى والارجل والصلب وغير ذلك من العقوبات فقالوا انا
وانت الى ربنا منقلبون فيجزى وينتقم جزاء ما صنعت بنا وقوله عز وجل وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا
قيل لوجهين قيل قوله وما تنقم منا اى وما تعيب علينا وتطعن الايمان بما كان منا من الايمان بآيات ربنا لما جاءتنا
وهو ماجاءهم من الآيات وقيل وما تعاقبنا وما ينتقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا وكان الحق علينا وعليك ان تؤمن بها
كما آمنا نحن وقوله عز وجل ربنا افرغ علينا صبرا قوله افرغ قيل انزل علينا صبرا وقيل اتمم لنا صبرا وقيل اصبب
علينا صبرا وهو كله واحد ثم يحتمل سؤالهم الصبر لما لعله اذا فعل بهم ما اوعد من العقوبات لم يقدروا
على الصبر على ذلك فيتركون الايمان لذلك سألوا ربهم الصبر على ذلك ليثبتوا على الايمان به وتوفنا مسلمين سألوا
ربهم ايضا التوفى على الاسلام وهكذا كان دعاء الانبياء كما قال يوسف توفنى مسلما الآية وكذلك كان اوصى ابراهيم
بنيه حيث قال ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وهكذا الواجب على كل مؤمن ومسلم ان يتضرع الى الله
فى كل وقت ويبتهل اليه فى كل ساعة لئلا يسلب الايمان لكسب يكتسبه اذ الانبياء والرسل صلوات الله عليهم مع عصمتهم
كانوا يخافون ذلك يعلم ان العصمة لا تسقط الخوف ولا تؤمن عن الزلات وقوله ربنا افرغ علينا صبرا دلالة على انهم
علموا انهم اذا افرغ عليهم الصبر صبروا اذ لو لم يعلموا ذلك لم يكن لسؤالهم الصبر معنى فهذا على المعتزلة فى قولهم
ان يفرغ ولا يصبروا انه قد اعطاهم غاية ما يصلح فى الدين فدل سؤالهم ذلك على انه لم يعطهم وان عنده مزيد
لو اعطى لهم ذلك كان وقال الملاء من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض قال بعضهم فى اخراجكم
من ارض مصر وافسادكم العيش عليكم او ماذكر وا من ترك عبادة فرعون وخدمته ويذرك والهتك وقد قرئ والهتك
فمن قراء بالهتك حمله على العبادة اى يذرك وعبادتك ومن قراء بالهتك وهو قول ابن عباس ومجاهد وقالوا ان فرعون
قد كان جعل لقومه آلهة يعبدونها ليتقربوا بعبادتهم تلك الاصنام الى فرعون على ما كان يعبد اهل الشرك الاصنام
دون الله ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويذرك والهتك التى جعلت لهم وقال آخرون ان فرعون كان
يعبد الاصنام والاوثان على ما عبد غيره وقال غيرهم لا يحتمل ان يكون هو الاصنام ولكن لقومه الاصنام على ما ذكرنا
الا ترى انه قال انا ربكم الاعلى ثم قال سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم قال بعضهم قوله سنقتل ابناءهم يعنى رجالهم
ونستحيى نساءهم لانه لا يحتمل قتل الابناء ولم يكن منهم اليه صنع انما كان ذلك من الرجال وقال بعضهم قد كان
فرعون يقتل ابناء بنى اسرائيل فى العام الذى قيل له انه يولد له مولود يذهب بملكك ويغير دين اهل الارض فلم يزل
يقتلهم فى ذلك العام الابناء ويترك البنات فذلك قوله سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم والله اعلم وقوله
عز وجل وانا فوقهم قاهرون قيل مسلطون عليهم فان قيل لنا ما الحكمة فى ذكر هذه القصص والانباء السالفة
فى القرآن قيل لوجوه والله اعلم احدها انه يكون دليل اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لان هذه
القصص والانباء كانت فى كتبهم مبينة وقد علموا ان لسانه كان على غير ما كانت كتبهم وعرفوا انه لم يختلف الى احد

من يعرف ذلك ليتعلم منه ولا سمع عن احد منهم ثم انباءهم على ما كانت دل انه انما عرف ذلك بمن يعلم علم
الغيب والثاني ان البشر جبلوا على حب السماع الى الاخبار والاحاديث وجب ذلك في قلوبهم حتى ان واحدا
منهم يولد لحد ويبثيها من ذات نفسه لان يستمعوا في ذلك اليه ويسمعوا منه فذكر لهم هذه الانباء والقصص
ليكون استماعهم اليها وسماعهم لها ذلك احسن واوفق اذا اخبر ان ذلك احسن القصص بقوله نحن نقص
عليك احسن القصص والثالث ذكر لهم هذا ليعلموا ما حل بهم في العاقبة من الهلاك والاستيصال وانواع
العذاب بفسادهم وتكذيبهم الرسل وما عاقبة المفسد منهم والمصلح ليكون ذلك زجرا لهم عن صنيع مثلهم والرابع
ذكر ذلك ليعرفوا كيف كانت معاملة الانبياء والرسل اعداءهم ومعاملة الاعداء والرسل ليعاملوا اعداءهم مثل
معاملتهم والخامس انهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر رسولا فاخبر ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا كلهم
من البشر والسادس انهم كانوا يعبدون هذه الاصنام والاوثان ويقولون بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
وانا على اثارهم مقتدون فاخبر ان كان في ابائهم السعداء وهم الانبياء والاشقياء فكيف قلدتم انتم بالاشقياء
منهم وهلا اتبعتم بالسعداء دون الاشقياء والسابع فيها ان كيف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عرفنا الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومن يأمر به ومن ينهى عنه وايضا ان فيه ذكرا لصالحين منهم بعد ما ماتوا وانقرضوا
فكانوا بالذكر كالاحياء وقوله عز وجل قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا يحتمل قوله استعينوا
بالله على اداء طاعته وبما تتقربون به الى الله ويكون لهم زلفى لديه او ان يقولوا لهم استعينوا بالله بالنصر لكم
والظفر واصبروا على اذاهم والبلاء ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يخرج
ذلك من موسى مخرج الوعد لهم بالنصر والظفر على الاعداء وجعل الارض لهم من بعد واهلاك العدو وهو كما ذكر
في موضع اخر ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الاية ويحتمل ان يخرج
ذلك عنه مخرج التصبير على الرضا بقضاء الله تعالى ان الارض له يصيرها لمن يشاء فاصبروا انتم على البلايا وارضوا
بقضائه والعاقبة للمتقين قال الحسن العاقبة اي الاخرة للمتقين خاصة واما الدنيا فانها بالشركة بين اهل الكفر
واهل الاسلام يكون لهؤلاء ما لاولئك واما الاخرة فليست للكفار انما هي للمؤمنين خاصة وهو ما ذكر في اية اخرى
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية فعلى ذلك هذا والله اعلم وقال غيره والعاقبة
للمتقين اي عاقبة الامر بالنصر والظفر للمتقين على اعدائهم وان كان في الدفعة الاولى عليهم وقوله عز وجل قالوا
اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يخرج هذا على وجهين احدهما ان يخرج مخرج استبطاء النصر والظفر
لهم كانهم استبطأوا النصر واهلاك العدو والظفر عليهم فقال لهم موسى عند ذلك عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض والثاني ان يخرج ذلك منهم مخرج الاعتذار لموسى لما خطب به موسى انهم يقولون
ان ما اصابهم من البلايا والشدائد انما كان لسببه ولمكانه فقالوا ذلك له اعتذارا منهم له ان قد اصابنا ذلك
نحن من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا لئلا يتوهم انهم يقولون ذلك او يخطر ببالهم ذلك والله اعلم وجائز ان يكونوا
قالوا ذلك على التعيير له والتوبيخ يقولون لم يزل يصيبنا من الاذى لسببك ولاجلك من قبل ان تاتينا من الاستخدام
ومن بعد ما جئتنا من انواع الضرر وقوله عز وجل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم والعسى من الله واجب
فوعد لهم اهلاك العدو واستخلافهم في الارض وقال بعض اهل التاويل في قوله اوذينا في سببك من قبل ان تاتينا
بالرسالة يعنون بالاذى قتل الابناء واستحياء النساء ومن بعد ما جئتنا بالرسالة من الشدائد التي اصابتهم من بعد
لكن الاول اقرب واشبه وقوله عز وجل فينظر كيف تعملون يحتمل هذا ايضا وجهين احدهما ان يجعل لكم
الارض ويوسع عليكم الرزق يمتحنكم في ذلك ويبتليكم لا انه يجعل لكم ذلك على غير امتحان يعلمون ما شئتم في ذلك والثاني
يمتحنكم بالشدائد والبلايا لينظر كيف تصبرون على ذلك ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول لهم عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم الارض فينظر كيف تشكرون ربكم فيما انعم عليكم وقوله فينظر كيف الواقع لكم من الجزاء والثواب

وقوله

وقوله قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا والله اعلم بطلب المعونة من الله تعالى على قضاء جميع
دينا ودنيا ويحتمل ان يكون على طلب التوفيق لما امر به والعصمة عما نهاه عنه وكذلك الامر البين في الخلق من طلب التوفيق
والمعونة من الله والعصمة عن المنهي عنه جرت به سنة الاخيار وبالله المعونة ثم لا يصح ذلك على قول المعتزلة لان
الدعاء بالمعونة على اداء ما كلف وقد اعطى اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا قد بقي شيء مما به اداء ما كلف عند الله
وطلب ما اعطى كتمان للعطية وكتمان العطية كفران فيصير كان الله امر بكفران نعمه وكتمانها ويطلبها منه تعنتا وظن مثله
بالله كفر ثم لا يخلو من ان يكون عند الله ما يطلب فلم يعط التمام اذا وليس عنده فيكون طلبه استهزاء به اذ من طلب الى اخر
ما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ به في العرف مع ما كان الذي يطلب ما ان يكون منه لا يعطيه مع التكليف فيبطل قولهم
لا يجوز ان يكلف وعنده ما به الصلاح في الدين فلا يعطي او ليس له ان لا يعطي فكانه قال اللهم لا تجر ولا تظلم ومن هذا
علمه بربه في الاسلام اولى به فهذا مما لا يدعو الله احد بالمعونة والا ويطمئن قلبه انه لا يزل عند المعونة ولا يزيغ
عند العصمة وليس مثله يملك الله عند المعتزلة ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ولقد اخذنا ال فرعون
بالسنين ونقص من الثمرات عن ابن مسعود رضي الله عنه بالسنين قال بالجوع وقيل بالقحط ومجاهد بالسنين
قال بالجوائح ونقص من الثمرات دون ذلك وقال القتبي بالسنين بالجدب يقال اصاب الناس سنة اي جدب
فان قيل ذكر انه اخذ ال فرعون وكان فيهم بنو اسرائيل فما معنى التخصيص قيل يحتمل ان يكون ذلك لهم خاصة
دون بني اسرائيل وان كان فيهم على ما ذكر في بعض القصة ان القبط كانوا يشربون الدم وبنو اسرائيل الماء او كان
الجدب والنقص من الثمرات يضر ال فرعون ولا يضر بني اسرائيل لما انهم كانوا يأكلون للشهوة وبنو اسرائيل للحاجة
فمن يأكل للحاجة كان اقل حاجة الى الطعام ممن يأكل للشهوة فاذا لم يجد واما يأكلون للشهوة كان لهم ضررهم الا ترى
انه قيل يأكل المؤمن في معى واحد والكافر في سبعة امعاء او خرج تخصيص ذلك لهم لما ان في عقد بني اسرائيل انه
ان يمتحنهم بجميع انواع المحنة مرة بالشدة ومرة بالسعة ومن عقد القبط الا فاصيف اليهم ذلك لما لم يكن في عقدهم ذلك
وان كانوا جميعا في ذلك وقوله عز وجل لعلهم يذكرون اي يتعظون ولعل من الله واجب فلا تتعظوا لكنهم عاندوا
وكابروا والا قد لزمهم الاتعاظ وقوله عز وجل فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه اي الخصب والسعة قالوا لنا هذه
اي هذا ما كنا نعرفه ابدا وما جرينا على اعتياده او ان يقولوا لنا هذه يفزعون وبعبادتنا له وان تصبهم سيئة قيل
الضيق والقحط يطيروا بموسى وقالوا بشؤمه وهذا كما قال العرب لمحمد وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كانوا يضيفون ما يصيبهم من الحسنة الى الله لانهم كانوا يقرون بالله
والقبط لا يقولون ذلك بل يقولون لنا من فرعون او على الاعتياد فقال قل كل من عند الله فعلى ذلك قال ههنا
الا انما طائرهم عند الله ثم يحتمل هذا وجوها قيل جزاء تطيرهم عند الله في الاخرة وقيل طائرهم وشؤمهم
الذي كانوا تطيروا بموسى كان بتكذيبهم موسى اضاف ذلك الى ما عنده من الايات لانهم بنزول تلك الايات وارسالها
عليهم تطيروا بموسى بتلك الايات يجدد تطيرهم وتشاؤمهم وقال بعضهم قوله انما طائرهم عند الله اي حظهم ه
عند الله وكذلك قال في قوله الزمناه طائره وهو كما ذكر فزادتهم رجسا الى رجسهم لما كذبوا تلك الايات زاد ما نزلت
من الايات من بعد رجسا الى رجسهم فعلى ذلك شؤمهم وطائرهم الذي كان بتكذيبهم موسى وقوله عز وجل تطيروا
من الطيرة وهو من التشاؤم يقال تشاءمت بفلان اي قلت هو غير مبارك وتطيرت بفلان ايضا مثله ويقال تبركت
اذا قلت هو مبارك ويقال تطيرت واطيرت منه وبه الا انما طائرهم اي شؤمهم ذلك الذي يخافون منه هو من
من عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون انه من عند الله كان بتكذيبهم موسى وقوله عز وجل وقالوا مهما تاتنا به من اية
لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين قال ابو بكر الكيساني تاويله كلما تاتنا به تزعم انه اية تريد ان تسحرنا بها ه
فما نحن لك بمؤمنين وقال ابن عباس والحسن وهؤلاء اي ما تاتنا به من اية لتسحرنا بها الاية وقوله مه زيادة وهو
قول القتبي ومعناه اي ما تاتنا وقال الخليل هو في الاصل ما ما احدهما زيادة فطرحت الالف وابدلت مكانها ها

طلبا للتخفيف وقال سيبويه النحوي قوله مهما تاتنا به من آية اي مه كانهم قالوا له مه اي سكت كما يقول الرجل
للاخر مه اي سكت ما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين والسحر هو التخييل واخذ الابصار ولا حقيقة له كقوله
اني لاظنك يا موسى مسحورا اي مخيرا وقوله سحروا اعين الناس ثم ذكر قولهم مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين
اي انما قالوا ان هذا لساحر وانه سحر عن علم بالآية والنبوة له قالوا ذلك لا عن جهل وغفلة حيث قالوا مهما تاتنا به
من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ذلك منهم اياس عن الايمان به وقبول الآيات لانهم اخبروا انهم لا يقبلون الآيات
ولا يصدقونه في ذلك **وقوله** عز وجل فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى اخر ما ذكر قال اهل التاويل لما قالوا
ذلك ارسل الله بعد السنين ونقص الثمرات الطوفان والآيات ذكر ويحتمل ان يكون هذا وان كان مؤخرا في الذكر
فهو مقدم لما قال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى اخره لعلهم
يذكرون اي يتعظون ثم اختلف اهل التاويل في الطوفان قال بعضهم الطوفان الماء والمطر حتى خافوا الهلاك وهو قول
ابن عباس وعن عايشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الطوفان فقال الموت فان ثبت فهو هو وقيل الطوفان
هو انواع العذاب والجراد هو المعروف والقمل قال بعضهم هو بنات الجراد يقال الدبا وقيل هو الجراد الصغار التي لا اجنحة لها
والضفادع والدم آيات مفصلات قيل مفصلات اي مفرقات واحدا بعد واحد لم يرسل آية الا بعد ذهاب اخرى بعضها
على اثر بعض وقيل مفصلات اي بينات واضحات ما علم كل احد انه ليس من احد وليس من عمل السحر ولكن آية مما ويته اذ لو كان
سحرا لتكلفوا دفعه واشتغلوا بالسحر على ما اشتغلوا بسحر العصي والحبال فاذ لم يتكلفوا في ذلك لم يشتغلوا بدفع ذلك
بل فزعوا الى موسى ليكشف ذلك عنهم ووعدوا له الايمان به وارسال بني اسرائيل معه دل فزعهم اليه في كشف ذلك عنهم
على انهم قد عرفوا انه ليس بسحر ولكنه آية اقروا بها انها ليست بسحر وانها آيات الا انهم فزعوا عند ذلك الى موسى فقالوا ادع لنا
ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ووعدوا له الايمان به وبعث بني اسرائيل
معه ان كشف عنهم الرجز **وقوله** عز وجل بما عهد عندك اختلف فيه قال بعضهم بما عهد عندك ما عهد الله انك
متى دعوته اجابك وقيل بما عهد عندك انا متى امنا بك وصدقناك كشف عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل **وقوله** عز وجل ولما وقع عليهم الرجز قيل الرجز الوان العذاب الذي كان نزل بهم من الطوفان والجراد
والقمل والدم وما ذكر قالوا لئن كشفت عنا الرجز يحتمل ان يكون كلما حل بهم نوع من العذاب فسألوا ان يكشفه عنهم فقالوا
لئن كشفت الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ذلك وعادوا الى ما كانوا من قبل
ويحتمل ان يكون قولهم لموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك بعد ما حل بهم انواع العذاب
عند ذلك قالوا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشف عنهم نكثوا عهدهم وهو قولهم لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك وعادوا الى ما كانوا فعند ذلك كان ما ذكر من قوله فانتقمنا منهم وقوله لنؤمنن لك بما تدعي بانك رسول
ولنرسلن معك بني اسرائيل امكن ان يكون ليس على نفس الارسال ولكن على ترك الاستعباد اي لا نستعبدهم بعد هذا لانهم
كانوا يستعبدون بني اسرائيل **وقوله** عز وجل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون قال الحسن
قوله كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه ولو اطاعوا ووفوا بالعهد الذي عهد والكنهم لما نكثوا ذلك انتقمنا منهم وهذا
حرف يؤدي الى مذهب الاعتزال لانهم يقولون ان من قتل او عذب تعذيبا اهلاكا انما هلك قبل اجله واجل الموت
لكن هذا يصلح ممن يجهل العواقب فاما الله سبحانه يتعالى عن ذلك انه يجعل له اجلين احدهما الموت والاخر القتل ولكن
جعل اجل من في علمه انه يقتل القتل ومن يموت حتف انفه الموت وكذلك ما روي في الخبر ان صلة الرحم تزيد في العمر
اي من علم منه انه يصل رحمه جعل عمره ازيد ممن يعلم انه لا يصل رحمه لا انه يجعل عمره الى وقت ثم اذا وصل رحمه زاد
لما ذكرنا ان ذلك امر من يجهل العواقب واما من يعلم ما كان وما يكون انه لو كان كيف يكون لا **وقوله** عز وجل فانتقمنا
منهم يحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم ما ذكر على اثره من الغرق فاغرقناهم في اليم ويحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم
من الطوفان وانواع العذاب الذي كان حل بهم ثم كان الاغراق من بعد **وقوله** عز وجل بانهم كذبوا بآياتنا يحتمل

الآيات التي جاء بها

288

الآيات التي جاء بها موسى على وحدانية الله تعالى وربوبيته وهي الحجج والآيات التي تقدم ذكرها من الطوفان
والجراد والقمل وما ذكر وقال الحسن بآياتنا ديننا **وقوله** وكانوا عنها غافلين قيل معرضين مكذبين بها لا انهم
كانوا على غفلة وسهو عنها ولكنهم اعرضوا عنها مكابرين معاندين كانهم غافلين عنها وجائز ان يكونوا غافلين عما يحل بهم
من العقوبة بتكذيبهم **وقوله** عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
هو ما سبق من الوعد لهم بوراثة الارض فيها وهو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض وكقوله
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين كان وعد لهم الاستخلاف
والانزال في ارض عدوهم ثم اخبر انه اورثهم على ما وعد لهم بقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
باستعبادهم مشارق الارض ومغاربها قيل فيه بوجوه قيل مشارق الارض ومغاربها مملكة فرعون مصر ونواحيها
ما يلي ناحية الشرق وناحية الغرب وقيل كان في بني اسرائيل من بلغ مملكته مشارق الارض ومغاربها من نحو
ذي القرنين وداود وسليمان وقيل مشارق الارض ومغاربها انه تفضلوا على اهل مشارق الارض ومغاربها
كقوله وفضلناهم على العالمين قيل عالمي زمانهم ثم تفضيله اياهم على البهائم بالجوهر والخلقة وعلى الجن
بالرسالة والنبوة والمنافع وعلى جوهرهم من بني آدم بالرسالة والحكمة والملك كقوله وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين **وقوله** عز وجل التي باركنا فيها قيل ارض الشام وقيل ارض مصر ونواحيها وقيل سماه مباركا
لانها مكان الانبياء عليهم السلام وقيل مباركة لكثرة انزالها وسعتها **وقوله** عز وجل وتمت كلمة ربك الحسنى قيل
هي الجنة اي تمت لهم الجنة بما صبروا وقيل وتمت كلمة ربك الحسنى بما كان وعد لهم انه ينزلهم فيها ويستخلفهم
ثم ذلك الوعد لهم وهو ما قال ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ثم ما وعد لهم ان يمن عليهم **وقوله**
عز وجل بما صبروا يحتمل بما صبروا على اذى فرعون ويحتمل بما صبروا وامتثلوا ما اوجب عليهم والله اعلم
وقوله عز وجل ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال بعضهم قوله ودمرنا ما كان يصنع
فرعون وقومه على الوقف وما كانوا يعرشون معطوفا على قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وما كانوا يعرشون وهو من العرش الذي يتخذه الملوك وقيل ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
وما كان يعرشون ايضا اي اهلكنا ما كانوا يعرشون قال القتبي يعرشون اي يبنون والعرش بيوت والعرش سقوف
وقال ابو عوسجة ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه كانوا يستضعفون يعني بالاستضعاف قتل الابناء واستحياء
النساء بارض مصر وورثهم الله ذلك وقيل في قوله وتمت كلمة ربك الحسنى وهي النعم التي انعم على بني اسرائيل بما صبروا
على البلاء حين كلفوا ما لا يطيقون من استعباد فرعون اياهم والكلمات التي ذكر ما ذكر في القصص من قوله ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا في الارض **وقوله** عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر دل هذا على ان لله في فعل
العباد صنع وفعل حيث اضاف ونسب المجاوزة الى نفسه وهم الذين جاوزوا البحر دل ان له في فعلهم صنع
وهذا ينقض على المعتزلة حيث انكروا خلق افعال العباد وبالله المعونة والعصمة **وقوله** عز وجل فاتوا على قوم
يعكفون على اصنام لهم العكوف هو المقام والدوام وقوله يعكفون على اصنام لهم اي وجدهم عكفوا على عبادة الاصنام
مقيمين على ذلك **وقوله** عز وجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها يشبه ان يكون سؤالهم الها يعبدونه لا على الكفر
بربهم والتكذيب لرسوله ولكن لما لم يروا انفسهم اهلا للعبادة لله والخدمة له لما راوا في ذلك الشاهد انه لم يخدم
الملوك الا الخواص لهم والمقربين اليهم ومن بعد منهم يخدم خواصهم فعلى ذلك هؤلاء سألوا موسى الها يعبدونه
لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله والخدمة له لتقربهم عبادة تلك الاصنام الى الله ويخرج ذلك مخرج التعظيم لله
والتبجيل له لا على الكفر وصرف العبادة عنه الى غيره وكذلك كان عادة العرب انهم كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم
عبادتها الى الله زلفى فعلى ذلك سؤال هؤلاء لموسى اجعل لنا الها والله اعلم او كان سؤالهم ذلك لما لم يروا
في الشاهد احدا يخدم الا لحاجة تقع له الى ذلك فراوا ان الله يتعالى عن ان يعبد ويخدم لحاجة ويخدمون

القادة والرسل ويعبدونهم لما داوا ينالون من النعم وانواع المنافع والرؤساء والكبراء لذلك كانوا يخدمونهم
واما اهل التوحيد فانهم لا يرون العبادة لغير الله لانه ما من احد وان بعد منزلته وعلا محله الا واثار نعم الله عليه ظاهرة
حتى عرف ذلك كل احد حتى لو بذل له جميع حطام الدنيا او اوعد بكل انواع الوعيد ليترك الدين الذي هو عليه ما ترك
البتة وفي امر موسى صلوات الله عليه خصلتان احدهما ان يعلم ان كيف يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وكيف يعامل
مرتكبا الفسق والمنكر يعامل على ما عامل موسى قومه باللين والشفقة وان استقبلوه بالعظيم من الامر والمناكير والثانية
ويحتمل ان يكون سؤالهم الها يعبدونه لما ان اهل الكفر قالوا لهم ان الرسل هم الذين امروهم بعبادة الاصنام كقوله والله
امرنا بها فعلى ما قالوا ان الرسل هم الذين امروهم بذلك سالوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة وقوله ان هؤلاء متبر
ما هم فيه اي ان عبادتهم لهؤلاء متبر اي مهلكهم ومفسدهم وباطل ما كانوا يعملون اي باطل ما ياملون بعبادتهم هؤلاء وقال
القتبي التبار الهلاك وقال ابو عوسجة المتبر المفسد يقال تبرت الشيء اي افسدته ويقال رجل اي مفسد وقوله عز وجل
قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين يحتمل قوله فضلكم على العالمين بما هداكم ووفقكم للهداية بما لم يوفق
ولم يوفق من عالمي زمانكم ويحتمل قوله ابغيكم الها دونه وقد فضلكم بما استنقذكم من استخدام فرعون وقهره اياكم واخرجكم
من بين واعطاكم رسولا يبين لكم عبادة الهكم الحق وقوله اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم يقول اما تستحيون ربكم ان تسالوا
الها تعبدونه دونه وقد فضلكم بما ذكر من انواع النعم التي ذكر والله اعلم وهو ما ذكر من قوله واذ انجيناكم من آل فرعون
الاية يذكرهم نعمه عليهم بما استنقذهم من فرعون وآله واهلكهم وقوله عز وجل يسومونكم قيل يعذبونكم سوء العذاب
قتل الابناء واستحياء البنات فذلك قوله يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل في ذلك
يعني فيما انجاكم من آل فرعون بلاء من ربكم عظيم يعني نعمة من ربكم عظيم ويقال البلاء بالمد هو النعمة وبغير المد المقصور
الشدة وقوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر ذكر ههنا ثلاثين ليلة ثم ذكر التمام بالعشر
وذكر في السورة التي فيها ذكر البقرة اربعين ليلة بقوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة وهو واحد كان الميعاد له
اربعين ليلة لكنه يحتمل ذكر ثلاثين مرة وعشرا وجهين احدهما ان ثلاثين ليلة كان لامر وعشر كان لامر آخر
فذكر متفرقا لما كان لامرين مختلفين والثاني ان كان في وقتين كان هذا في وقت والآخر في وقت والقصة واحد
والميعاد واحد فذكر التمام بعشر كقوله فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة اي ثلاثة
ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وان كان في وقتين والله اعلم وقوله عز وجل فتم ميقات ربه اربعين
ليلة قيل تم الميعاد الذي وعد له اربعين ليلة وقوله عز وجل وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في
قومي فان قيل ما معنى قول موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي وهو كان مبعوثا معه رسولا الى فرعون
شريكا في تبليغ الرسالة الى فرعون كقوله واشركه في امري وقوله انا رسول رب العالمين وقوله فاتياه فقولا انا رسولا
ربك وقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا فاذا كان هو رسولا كموسى في تبليغ الرسالة كيف
احتاج الى ان يقول له موسى اخلفني في قومي وهما شرعا سواء في الرسالة قيل يحتمل هذا وجهين ان يكونا كما ذكر
رسولين لكن من ولي اثنين امرا لم يكن لواحد منهما ان يتفرد به الا بامر الآخر فعلى ذلك هذا كانه قال له اخلفني
في الحكم بينهم واصلح ذات بينهم ولا تتبع من دعاك الى سبيل المفسدين او يحتمل ان يكون موسى كان هو الرسول اذ كان
اليه الحكم وهرون كان دخيلا في امره ردءا له على ما قال فارسله معي ردءا يصدقني والا موسى كان هو المامور بها
اولا والمبعوث اليهم دونه الا ترى انه كان هو المناجي ربه دون هرون وكان هو المعطى الالواح دون هرون كقوله
وكتبنا له في الالواح من كل شيء وهو الذي قال اني آنست نارا وهو الذي بالبركة دون هرون وغير ذلك من الآيات
فاذا كان كذلك استخلف موسى في قومه وقوله عز وجل ولما جاء موسى لميقاتنا اي لميعادنا الذي وعدناه وكلمه ربه
لا يجوز لنا ان نصف كيفية الكلام وماهيته سوى انه اسمع كلاما وصوتا اسمعه موسى كيف شاء وبما شاء بكلام مخلوق
وصوت مخلوق قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني الاية قال قايلون ان موسى لم يسال ربه الرؤية لنفسه

ولكنه

ولكنه سال لقومه لسؤال القوم له كقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لكن هذا بعيد لانه لو كان سؤاله اياه لسؤال
قومه لكان لا يقول رب ارني انظر اليك ولكن يقول لهم ينظرون اليك فدل انه لم يكن لذلك وقال قايلون لم يكن سؤاله رؤية
رؤية الرب ولكن سال ربه رؤية الآيات والاعلام والادلة التي بها يرى وذلك جائز سؤال الرؤية سؤال رؤية
الآيات والاعلام وذلك ايضا بعيد لانه قد اعطاه من الآيات والاعلام ما لم يكن له الحاجة الى غيرها من الآيات نحو
العصى التي كان يضرب بها الحجر فتفجر منه اثنتا عشرة عينا وما كان من فرق البحر واهلاك العدو واليد البيضاء
وغير ذلك من الآيات فاذا بطل ذلك دل انه سال حقيقة الرؤية والقول بها لازم عندنا في الآخرة وحق من غير
ادراك ولا تفسير والدليل على ذلك قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولو كان لا يرى لم يكن لنفي الادراك
حكمة اذ لا يدرك غيره بغير الرؤية فوضع نفي الادراك وغيره من الخلق لا يدرك الا بالرؤية لا معنى له والله
الموفق وايضا قول موسى رب ارني انظر اليك الاية ولو كان لا يجوز الرؤية لكان منه جهل بربه ومن يجهله لا يحتمل
ان يكون موضع الرسالة امينا على وحيه وبعد فانه لم ينهه ولا اياسه وبدون ذلك قد نهى نوحا وعاتب آدم وغيره
من الرسل وذلك لو كان لا يجوز لبلغ الكفر ثم قال فان استقر مكانه فسوف تراني فان قيل علق سال الآية يعلم بها
قيل لا يحتمل ذا لوجوه احدها انه قال لن تراني وقد ابا الاية وايضا ان طلب الآيات يخرج مخرج التعنت اذ قد راه
الآيات على ما ذكرنا وذلك صنيع الكفرة انهم لا يزالون يطلبون الآيات وان كانت الكفاية قد ثبتت لهم فمثله ذلك
وايضا انه قال فان استقر مكانه فسوف تراني والآية التي يستقر معها الجبل هي دون التي لا يستقر معها ثبت انه لم يرد
بذلك الآية وايضا محاجة ابراهيم عليه السلام قومه في النجوم وما ذكر بالافول والغيبة ولم يحاجهم بان لا يحب ربا
يرى ولكن حاجهم بان لا احب ربا يافل اذ هو دليل عدم الدوام ولا قوة الا بالله وايضا قوله وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة ثم لا يحتمل ذلك الانتظار لوجوه احدها ان الآخرة ليست بوقت للانتظار انما هي الدنيا وهي دار
الوقوع والوجود لا وقت الفزع وقبل ان يعاينوا في انفسهم ما له حق الوقوع والثاني قوله وجوه يومئذ ناضرة وذلك
وقوع الثواب والثالث قوله الى ربها ناظرة والحرف يستعمل في النظر الى الشيء لا في الانتظار والرابع ان القول
به يخرج مخرج البشارة لعظيم ما نالوه من النعم والانتظار ليس منه مع ما كان الصرف عن حقيقة المفهوم فيما على انه
فيلزم القول بالنظر الى الله كما قال على نفي جميع معاني التشبيه عن الله سبحانه على مثل ما اليه من الكلام والفعل والقدرة
والارادة انه يجب الوصف به على نفي جميع معاني التشبيه وكذلك القول بالمشيئة فمن زعم ان الله لا يقدر ان يكرم احدا بالرؤية
فهو يقيد في الرؤية التي فهمها من الخلق واذا كان القول بالرحمن على العرش استوى وغير ذلك من الآيات لا يجوز ذهابها
بالعرض على المفهوم من الخلق بل يحقق ذلك على نفي التشبيه فمثله خبر الرؤية وايضا قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وجاء في تفسير خبر النظر الى الله وقد يحتمل غير ذلك مما جاء فيه التفسير لكنه لولا ان القول بالرؤية كان امرا
ظاهرا لم يحتمل صرف ظاهره ولم يجئ فيها اليها ويرفع به الخبر والله اعلم وايضا ما جاء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غير خبر انه قال سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون وسئل هل رايت
ربك فقال بقلبي فلم ينكر على السايل السؤال وقد علم السايل ان رؤية القلب اذ هي علم قد علمه وانه لم يسال
عن ذلك وقد حذر الله المؤمنين عن السؤال عن الاشياء قد كفوا عنها بقوله لا تسالوا عن اشياء فكيف يحتمل ان يكون
السؤال عن مثله يجيء وذلك يكون في الحقيقة عند قوم ثم لا ينهاهم عن ذلك ولا يوبخهم في ذلك بل يليق القول في ذلك
ويرى ان ذلك ليس ببديع والله اعلم وايضا ان الله وعد ان يجزي احسن ما عملوا به في الدنيا ولا شيء احسن
من التوحيد وارفع قدرا من الايمان به اذ هو المستحسن بالعقول والثواب الموعود من جوهر الجنة حسنه حسن الطبع
وذلك دون حسن العقل اذ لا يجوز ان يكون شيء في العقول لا يستحسنه ذو عقل وجائز ما استحسنه الطبع طبعا لا يتلذذ به
كطبع الملائكة ومثل في العقوبة لذلك لزم القول بالرؤية لتكون كرامة تبلغ في الجلالة مما اكرموا به وهو ان يصير لهم المعبود
بالغيب شهودا كما صار المطلوب من الثواب حضورا ولا قوة الا بالله ولا يحتمل العلم لان كلام يجمع على العلم بالله في الآخرة

العلم الذى لا يعتريه الوسواس وذلك علم العيان لا علم الاستدلال وكثرة الايات لا تحقق علم الحق الذى
لا يعترى ذلك دليله قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وما ذكر من استعانة الكفرة بالتكذيب فى الاخرة وانكار
الرسل وقولهم لم يلبثوا الا ساعة من نهار وغير ذلك وبعد فانه اذ لا يجوز ان يصير علم البيان نحو علم البيان فثبت
ان الرؤية توجب ذلك وبعد فانه ذلك العلم يستوى الكافر والمؤمن والبشارة بالرؤية خص بها المؤمن ولا قوة الا بالله
ولا نقول بالادراك بقوله لا تدركه الابصار فقد امتدح بنفى الادراك لا بنفى الرؤية وهو كقوله ولا يحيطون به علما كان
فى ذلك ايجاب العلم ونفى الاحاطة فمثله فى حق الادراك وبالله التوفيق وايضا ان الادراك انما هو الاحاطة بالحدود
والله يتعالى عن وصف الحد اذ هو نهاية وتقصير عما هو اعلى منه على انه واحد الذات والحد وصف المتصل الاجزاء حتى
يقتضى مع احالة القول بالحد اذ كان ولا ما يحد او بحيد فهو على ذلك لا يتغير على ان لكل شئ حدا يدرك سبيله نحو الطعم
واللون والذوق واللمس وغير ذلك من حدود خاصية الاشياء جعل الله لكل شئ من ذلك وجها يدرك ويحاط به
حتى العقول والاعراض فاخبر الله تعالى انه ليس بذى حد ووجهات من طرق ادراك بالاسباب الموضوعة لتلك الجهات
وعلى ذلك القول بالرؤية والعلم جميعا ولا قوة الا بالله وبعد فان القول بالرؤية يقع على وجوه لا يعلم حقيقة كل وجه
من ذلك الا بالعلم بذلك الوجه حتى اذا عبر عنه بالرؤية صرف الى ذلك وما لا يعرف له الوجه بدون ذكر الرؤية لزم
الوقف فى مائيتها على تحقيقها واما الادراك انما هو معنى الوقوف على حدود الشئ الا ترى ان الظل فى التحقيق يرى لكنه لا يدرك
الا بالشمس والا كان رهنا على ما يرى لو قت نسخ الشمس ولكن لا يدرك بالرؤية الا بما يتبين له الحد وكذلك ضوء
النهار يرى لكن حده لا يعرف بدايته وكذلك الظلمة لان طرفها لا يرى فيدرك ويحاط به بالحدود ويدرك الشئ
وان كان يرى لا بها ولذلك ضرب المثل بالقمر لانه لا يعرف حده ولا سعته ليوقف ويحاط به ويرى بيقين
ولا قوة الا بالله والاصل فيه القول بذلك على قدر ما جاء ونفى كل معنى من معانى الخلق ولا يضمر للمرئى والله الموفق
ثم زعم الكعبى ان الغايب اذ لم يخرج عن الوجوه التى بها يعلم فكذلك لا يرى الا بالوجوه التى بها يرى من المباينة
للمرئى والمحاذيه المرئى بالمسافة والمقابلة واتصال الهواء والصغر وعدم الصغر والبعد ولو جازت الرؤية بخلاف
هذه لجاز العلم به قال الشيخ رحمه الله عليه وهذا خطأ لانه قد رؤيته جوهره وقد علم انه غير جوهر جوهر
يرون من الوجه الذى لا يقدر على الاحاطة بجوهره فضلا عن ادراك بصره نحو الملائكة والجن وغيرهم مما يرونه
من حيث لا نراهم والجثة الصغيرة نحو البق ونحو ذلك مما يرى لما لم نتوهم مثل ذلك البصر لما احتمل الادراك ويرى
الملك الذى يكتب جميع افعالنا ويسمع جميع اقوالنا على ما اوردنا تقدير ذلك بما عليه جبلنا للزم انكار ذلك كله وذلك
عظيم وكذلك ما ذكر من نطق الجلود وغيرها مما لو امتحن بمثلها امر الشاهد لوجد عظيما وبعد فانه فى الشاهد يفضل
بين البصرين فى الرؤية والتمييز على قدر تفاوتهما بما اعتراهما فى الحجب مما لو قابل احدهما حال الاخر على حاله وجده
مستنكرا واذا كان كذلك بطل التقدير بالذى ذكر والله الموفق وايضا انه فى الشاهد بكل اسباب العلم لا يعلم غير العرض
والجسم ثم جاز العلم بالغايب خارجا منه فمثله الرؤية والثالث ما ذكرنا من رؤية الظل والظلمة والنور من غير شئ
من تلك الوجوه والرابع انه قد يجوز وجود تلك المعانى كلها مع عدم الرؤية اما بالحجب او بالجوهر فجاز تحقق الرؤية على نفى
تلك المعانى نحو ما اجيب القايل بالجسم عند معارضته بالفاعل والعالم اذ وجد جسم لا كذلك فيجوز وجود ذلك ولا جسم
فمثله فى الرؤية على ان البعد الذى يحجبنا والدقة يجوز ان يبلغه بصر غيرنا فصار ارتفاع الرؤية بالحجاب فاذا ارتفع جاز
ولا قوة الا بالله وبعد فان الذى يقوله تقدير برؤية الاجسام ولم يمتحن بصره بغير الاجسام والاعراض كيف سبيل
الرؤية له وبعد فان كل جسم يرى وان كانت الدقة والبعد يحجبان فيجوز ارتفاعهما عن بصر غير فيرى على ما يرى ملك
الموت من باطراف الارض ووسطها مما لو اعتبر ذلك ببصر البشر لما احتمل الادراك فثبت ان الذى قدر به ليس هو سبب
تعريف ما يبصره ولكن سبب تعريف ما يحجب به البصر فاذا ارتفع ذا مع ما كان المنع رؤيته لذاته عرض والا فكل جسم يرى
فان لزم انكار الرؤية لما ليس بجسم ولا يرى لا بما ذكر ليلزم الاقرار بها لان الذى لا يرى لذاته هو العرض والا فكل

والا فكل غير يرى ولا قوة الا بالله وعورض بامر الدنيا ولا يحال ذلك لكن يسقط المحنة ويرفع الكلفة والدنيا هى لهما ذكر
فى امر موسى انه دل ذلك على علم الاحاطة بالآيات وقد بينا فساد ذلك وما ذهب العلم بالذى يسأل وهو رسول بعث الى بابه
بجاه الخالق وذلك لا يكون بغير المحقق اذ هو تبليغ الرسالة والدعاء الى العبادة وهى محنة بل سأل الرؤية ليجل قدره وليعرف
عظيم محله عند الله او ان يكون الله امره به ليعلم الخلق جواز ذلك وبالله التوفيق ثم استدل بانه لم ير من يعقل انما ارى
الجبل والجبل لا يعقل ليعلمه وليراه فيقال له ولو كانت آية فالجبل لا يراها ولا يعقل واذا كان كذلك فالآية ذا صادقه
اندكاك الجبل وانشقاقه لا ان اراه الآية ليستدل بها وفى هذا آية قد ارى موسى الآية وهو اندكاك الجبل والله يقول
لن ترانى وحمله على الآية وقد راها ولا قوة الا بالله فان قيل ما معنى توبته لو كان سؤاله على الامر قيل على العادة فى الخلق
من تجديد عند الاهوال بلا حدوث ذنب اولما راى من جلال الله وعظمته فزع الى التوبة واحداث الايمان به وان لم يكن
ما يوجب ذلك وذلك متعارف فى الخلق ويحتمل ان يكون قوله لن ترانى وكان توهم عنه جواز الرؤية فى الشاهد واحتمال
وسعه ذلك بما وعد الله فى الآخرة رجع عما كان عنده وآمن بالذى قال لن ترانى وان كان فى اصل ايمانه داخلا على نحو
احداث المؤمنين الايمان بكل آية تنزل وبكل فريضة تجدد وان كانوا فى الجملة مؤمنين بالكل والله الموفق وقد بينا
ما قالوا فى قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والاصل فى الكلام انه اذا كان على امر معهود او يقرب به المقصود اليه صرف
عن حقيقته والا لا وذلك نحو قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل والم تر كيف فعل ربك واصله ان من قال رايت فلانا او نظرت
الى فلان لم يحتمل غير ذاته واذا قال رايت كذا ويفعل كذا انه لا يريد به رؤية ذاته فمثله امر قصة موسى وهذه الآية
وروى عن ضرار بن عمرو انه اتى البصرة فقال يا اهل البصرة اما ان كان موسى مشبها واما ان كان الله يرى لانه لو كان
بالذى لا يرى فسأل ربه رؤيته كان جاهلا به مشبها خلقه به فدل انه يرى ثم الاصل ان من تامل الذى ذكره الكعبى عرف انه
مشبهى المذهب لانه لم يذكر المعنى الذى يجب ان يكون الرؤية بتلك الشرايط انما اخبر انه كذلك وجد وهو قول المشبهة انه
وجد كل فاعل فى الشاهد جسما وكذا كل عالم فيجب مثله فى الغايب ثم ذكر معنى رؤية الجسم ولم يذكر معنى رؤية غير الجسم حتى
يكون له دليلا وبعد فانه نفى بالدقة والبعد وهما زايلان عن الله تعالى ثم احتج بامتداح الله تعالى لا تدركه الابصار وقال لا يجوز
ان يزول فشد عليه فى قوله خالق كل شئ وقوله وهو على كل شئ قدير فلا يجوز ان يزول ثم قد وصف الله بالرؤية على اسقاط
ما ذكر فثبت ان ذلك طريق لا يؤدى عن كنه ما به الرؤية فان قيل كيف يرى قيل بلا كيف اذ الكيفية تكون لذى صورة بل يرى
بلا وصف قيام وقعود واتكاء وتعلق واتصال وانفصال ومقابلة ومدابرة وقصير وطويل ونور وظلمة وساكن ومتحرك
ومماس ومباين وخارج وداخل ولا معنى ياخذه الوهم او يقدره العقل لتعاليه عن ذلك وقوله عز وجل فلما تجلى ربه
للجبل جعله دكا الآية قال ابو بكر الاصم تجلى بالآيات والاعلام التى بها يرى وكذلك قال فى قوله رب ارنى انظر اليك انه
انما سأل ربه الآيات والاعلام التى بها يرى لا رؤية الذات وقد بينا بعده واحالته لما قد اعطاه من الآيات والاعلام
ما له غنية عن غيرها لا يحتاج الى غيرها وقال الحسن ان موسى سأل ربه الرؤية فى غير وقت الرؤية وهو يقر بالرؤية
لكنه يقول سألها فى الدنيا وبنية هذا العالم لا تحتمل ذلك الا ترى انه قال فان استقر مكانه فسوف ترانى اخبر ان الجبل
لا يستقر له فكيف تستقر انت لكنه ينشى بنية تحتمل ذلك وقال الحسن لذلك قال موسى انى تبت اليك وانا اول المؤمنين
ان ليس فى الدنيا الرؤية الى نحو هذا يذهب الحسن وقد ذكرنا نحو الوجه على قدر ما حضرنا وقال اهل التاويل قوله تجلى
ربه للجبل اى ظهر لكن لا يفهم من ظهوره ما يفهم من ظهور الخلق على ما ذكرنا فى قوله استوى على العرش وقوله وجاء ربك
وغيره من الآيات لا يعد استواءه باستواء الخلق وكذلك مجيئه فعلى ذلك ظهوره وبالله العصمة وروى
انه فى التوراة انه جاء من طور سيناء وظهر من جبل ساعير واطلع من جبل فاران وتاويله جاء وحيه على موسى
فى طور سيناء وظهر على عيسى فى جبل ساعير واطلع على محمد فى جبل فاران ثم العجب ان كيف اجترا موسى بالسؤال
بسؤال مثله ارنى انظر اليك لكنه يحتمل وجوها احدها على الامر بالسؤال على ذلك ليعلم انه يرى ويعتقدوا
ذلك او على الظن منه لما راى انه اعطاه اشياء لا يكون مثلها فى الدنيا انما يكون فى الآخرة خص بها من نحو انفجار العيون من الحجر

من غير مؤنة تكون لهم في ذلك من حفر الانهار واصلاحها وانواع المؤن ونحو ما اعطاهم من اللباس الذي ينمو ويزداد على قدر
قاماتهم وطولهم ومن نحو ما اعطاهم من المن والسلوى على غير مؤنة ولا جهد وذلك كله وصف الجنة فلما راى ذلك ظن ان الرؤية
ايضا تكون في الدنيا على ما كانت له من اشياء لم يكن مثلها لاحد في الدنيا او لما راى انه سمع كلام ربه والقى في مسامعه كلامه
لا من مكان ولا من قريب ولا بعيد ولا من اسفل ولا من اعلى ولا من فوق ولا من تحت لكنه سمعه بما شاء وكيف شاء بلطفه فعلى ذلك
ظن انه يجوز له ان يسال ربه الرؤية فيريه بما شاء كيف شاء بلطفه كما اسمع كلامه بلطفه كما ذكرنا وقوله عز وجل قال يا موسى
اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي سمى الله عز وجل موسى وساير الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه باسماء الجوهر
موسى وعيسى ونوح وابرهيم واسمعيل واسحق وسمى نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا ورسولا وذلك يدل على تفضيله
وكذلك سمى ساير الامم المتقدمة يا بني اسرائيل ويا بني آدم وسمى امة محمد صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين آمنوا وقال كنتم
خير امة ونحوه فذلك يدل ايضا على تفضيل امة محمد على غيرها من الامم وقوله اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي كان
مصطفى ومفضلا بالكلام على الناس كافة الانبياء وغيرهم لان الله تعالى لم يكلم احدا من الرسل الا بسفير سوى موسى
فانه كلمه ولم يكن بينهما سفير واما قوله اصطفيتك على الناس برسالاتي على ناس زمانه واهله خاصة ويحتمل برسالاتي التي بين
موسى وبين الله تعالى وهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله تعالى لا يرسل رسولا الا وهو يستحق الرسالة ولو كان
طريقه الاستحقاق لا الافضال والاحسان لم يكن للامتنان معنى دل ان طريقه الافضال والاحسان لا الاستحقاق
والله اعلم وعلى قول المعتزلة لا يكون الله مصطفيا موسى ولا غيره من الانبياء ولكن هم الذين اصطفوا انفسهم وقوله
عز وجل فخذ ما آتيتك يخرج على وجهين احدهما القبول اي اقبل ما اعطيتك كقوله خذ من اموالهم صدقة ويحتمل قوله
فخذ ما آتيتك اي اعمل بما آتيتك باحسن العمل وكن من الشاكرين لنعمه التي انعمها عليك من التكليم والرسالة وغيرها من النعم
والله الموفق وقوله عز وجل وكتبنا له في الالواح من كل شيء يحتمل قوله وكتبنا له في الالواح وجهين احدهما انه انما اضاف
ذلك الى نفسه لما تولى كتابتها الملائكة البررة الكرام اضاف ذلك الى نفسه تفضيلا لهم وتعظيما على ما ذكر في الكتاب في غير موضع
من نحو قوله فنفخنا فيه من روحنا وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله اخبر ان طاعة الرسول له طاعة وغير ذلك
فكذلك هذا والله اعلم واضاف ذلك الى نفسه لما كان ويكون يوم القيمة انما يكون بكن الذي كان منه في الاوقات التي
اراد ان يكون فعلى ذلك كتبة ذلك الالواح كان تحت ذلك الكن وان كان اضاف بعض تلك الاشياء الى نفسه كقوله جعل لكم
الليل والنهار وجعل الشمس ضياء والقمر نورا وانزل لكم من السماء كذا وخلق لكم كذا وجعل لكم السمع والابصار ونحو
ذلك فذلك كله كان تحت قوله كن فكانت على ما اراد ان تكون في الاوقات التي اراد ان تكون والله اعلم وقوله وكتبنا له
في الالواح من كل شيء يحتمل قوله من كل شيء مما يقع للعباد الحاجة اليه ويحتمل من كل شيء من امره ونهيه وحلاله وحرامه
وقوله عز وجل موعظة قال الموعظة هي التي تحمل القلوب على القبول والجوارح على العمل قال بعضهم الموعظة هي التي
تنهى عما لا يحل قال ابو بكر الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الاعمال الفاسدة قال
الشيخ رحمه الله وعندنا الموعظة هي تذكر العواقب وتحمله على العمل بها وقوله عز وجل وتفصيلا لكل شيء قيل تفصيلا
لما امروا به ونهوا عنه وقيل بيانا لكل ما يحتاج اليه وقوله فخذها يحتمل ايضا وجهين يحتمل قوله فخذها اي اقبل
على ما ذكرنا في قوله فخذ ما آتيتك ويحتمل اعمل بما فيها وقوله عز وجل بقوة قال اهل التاويل بجد ومواظبة ولكن
قوله فخذها بقوة القوة المعروفة وعلى قول المعتزلة لا يكون اخذ بقوة وقد اخبر انه اخذها بقوة لانهم يقولون
ان القوة تكون قبل الفعل ثم يقولون انها لا تبقى وقتين فيكون في الحاصل ولو كانت قبل الفعل اخذا بغير قوة
دل انها مع الفعل وتقول المعتزلة دل قوله فخذها بقوة على ان القوة قد تقدمت الامر بالاخذ لكن لا يكون ما ذكروا لانه امر
بالاخذ بقوة دل انها تقارن الفعل لا تتقدم وقوله عز وجل وامر قومك ياخذوا باحسنها يحتمل قوله ياخذوا ما ذكرنا
من الوجهين القبول والعمل اي مرهم يقبلوا باحسن القبول ويحتمل مرهم يعملوا باحسن ما فيها من الامر والنهي والحلال والحرام
ويحتمل قوله باحسنها اي بما هو احكم واتقن او باحسن مما عمل به الاولون اذ فيه اخبار الاولين وقوله عز وجل ساريكم

دار الفاسقين قال بعض اهل التاويل قال ذلك لبني اسرائيل ساريكم دار الفاسقين يعني سنة الفاسقين وهو
الهلاك كقوله تعالى فقد مضت سنة الاولين وسنته في اهل الفسق والكفر الهلاك وقال ابن عباس رضي الله عنه ساريكم
دار الفاسقين جهنم ويمكن ان يكون الخطاب للفسقة ساريكم يا اهل الفسق دار الفاسقين وقوله عز وجل ساصرف عن آياتي
الآية يخرج هذا وجهين احدهما ساصرف عن آياتي اي ساصرفهم عن قبولها وتصديقها اذ لم يستقبلوها بالتعظيم لها بل استهزؤا
بها واستخفوا بها على علم منهم انها آيات من الله وحجته والثاني ساصرف عن وجود الطعن والقدح فيها والكيد لها ثم ان كل واحد
من هذين الوجهين يتوجه على وجهين قال الحسن ان المتكبر جدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد يطبع عليه فلا يقبل ولا يصدق
آياته بعد ذلك والثاني انهم كانوا يتعنتون في آياته ويكابرون في ردها مع علمهم انها آيات وحجج من الله فاذا تعانتوا صرفهم
عن قبولها وتصديقها وهو كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اي يخلق منهم فعل الزيغ وفعل الانصراف وهكذا
كل من يختار عداوة الله فان الله لا يختار له ولايته ولكن يختار له ما اختار هو واما قوله ساصرف عن وجود الطعن فيها والقدح
وذلك ان الله عز وجل جعل للرسل والانبياء اضدادا من كبراء الكفرة وعظمائهم وكانوا يطعنون في الآيات ويقدحون
فيها فاخبر انه يصرفهم عن وجود الطعن فيها والقدح والكيد لها اي لا يجدون فيها مطعنا ولا قدحا والثاني قوله ساصرف
عن آياتي الهلاك والابطال بل هم المهلكون والآيات هي الباقية ثم اختلف في الآيات قال الحسن آياتي ديني وتاويله
ما ذكرنا انهم اذا بلغوا ذلك الحد صرفهم منها وقال غيره آياته حججه وبراهينه وقوله عز وجل الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق كانوا يتكبرون هم على الرسل لما لم يروهم امثالا لانفسهم واشكالا وهكذا كل من تكبر على آخر لما لم يره
مثلا لنفسه ولا شكلا او يتكبر لما يرى نفسه سليمة عن العيوب ويرى في غيره عيوبا او يرى لنفسه حقوقا عليه فيتكبر
فاذا كان التكبر لهذا فالخلق كلهم اكفاء بعضهم لبعض لانهم امثال واشكال وفيهم العيوب والحاجات فلا يسع لاحد
التكبر على احد وانما التكبر لله تعالى فانه يليق لما لا مثل له ولا شكل منزه عن العيوب كلها والحاجات لذلك كان
هو الموصوف بالكبرياء والعظمة وقوله عز وجل بغير الحق اي ليسوا هم باهل الكبر وقوله عز وجل وان يروا كل آية
لا يؤمنوا بها امكن ان يكون قوله يروا اي وان علموا انها آية لا يؤمنون بها ابدا هذا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا اي وان علموا انه سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ولا يتبعوه مخافة ان تذهب
رياستهم ومآكلهم وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي وان علموا ان ذلك هو سبيل الغي والباطل يتخذون سبيلا
وقوله عز وجل ذلك بانهم كذبوا بآياتنا يحتمل قوله ذلك الصرف الذي ذكر عن آياته لما كذبوا الآيات بعد علمهم
انها آيات من الله وكانوا عنها غافلين غفلة الاعراض والعناد لا غفلة الجهل والسهو وقوله عز وجل والذين
كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي الذين كذبوا بالآيات والبعث بعد الموت وقوله عز وجل حبطت اعمالهم يحتمل هذا
وجهين يحتمل انهم كانوا مؤمنين من قبل فكذبوا الآيات وكفروا بها فحبطت الاعمال التي كانت لهم في حال الايمان
وبطلت ويحتمل حبطت اعمالهم المعروف الذي كانوا يفعلون في حال الكفر من نحو صلة الرحم والصدقات وغيره
من المعروف والخيرات التي عملوا بها حبط ثواب ذلك كله اذا لم ياتوا بالايمان وقوله عز وجل هل يجزون
الا ما كانوا يعملون اي ما يجزون الا ما كانوا يعملون من الاستهزاء بالآيات والاستخفاف وقوله عز وجل
واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا وقوله واتخذ قوم موسى كيفيته وصف الله عز وجل اتخاذ
العجل ما ذكر في سورة طه بقوله فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي الآية
وصف الله عز وجل قوم موسى بعضهم بالهداية والعدالة واتباع الحق بقوله ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون وبعضهم وصفهم بالسفاهة وقلة الفهم والضعف في الدين بقولهم اجعل لنا الها كما لهم
آلهة وقالوا هذا الهنا اتخذوا العجل الها عبدوه ويذكر هذا والله اعلم لما لم يروا نعم الله ولم يتفكروا في آياته
وحججه يذكر هذا لنا لننظر في آياته وحججه ولنتفكر في نعمه فنؤدي شكرها ونتدبر في آياته وحججه لنتبعها
ولا نضيعها على ما ضيع قوم موسى من بعده اي من بعد مفارقة موسى قومه وقوله من حليهم وقال في موضع آخر

او زارا من زينة القوم وكانت تلك الحلى عارية عندهم من قوم فرعون بقوله اوزارا من زينة القوم اضاف الى فرعون
واضاف ههنا الى قوم موسى بقوله من حليهم دل ان العارية يجوز ان تنسب الى المستعير فيه دلالة ان من حلف لا يدخل دار فلان
فدخل دارا له عارية عنده يحنث وقوله عجلا جسدا قال بعضهم صورته كانت صورة عجل ولم يكن عجلا فى جوهره وقيل الجسد
هو الذى لا تدبير له ولا تمييز ولا بيان لكنه ذكر فيه هذا ما لا يحتاج الى هذا وهو قوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
لكنه كانه قال عجلا له جسد يذكر سفههم انهم عبدوا من لا تدبير له ولا كلام ولا سبيل الذى يصير به او دعاوا اختاروا الهية
من وصفه ما ذكر وقوله له خوار قيل ان السامرى قد اخذ قبضة من اثر الرسول فالقى تلك القبضة فى الحلى الذى القوه
فى النار فصار شبه عجل له خوار وقال بعضهم صاغ من حليهم عجلا فنفخ فيه من تلك القبضة فخار خوارا وقال بعضهم
ان السامرى كان نحاتا لتلك العجل الذى اتخذه جالحتى اذا مسه وحركه خار وقال بعضهم كان وضع فى مهب الريح فيدخل
الريح فى دبره ويخرج من فيه فعند ذلك يجوز والله اعلم وقوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ذكر انه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا وفى سورة طه لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ليس فيه ان كان يكلمهم او يملكهم ضرا ونفعا يجوز ان يعبد لعلم
ان ذكر خطر الحكم فى حال لا يوجب اباحة ذلك فى حال اخرى وفيه ان امتناع العلة عن اطرادها يوجب نقضها وان كان
اطرادها فى الابتداء فى معلول لانها المريد لتلك صحتها وفى قوله لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ولا يملك ضرا ولا نفعا ذكر سفههم
بعبادتهم شيئا لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقوله اتخذوه اى اتخذوه الها عبدوه وكانوا ظالمين فى عبادتهم العجل لانهم
وضعوا العبادة فى غير موضعها والالهية فى غير موضعها وقوله عز وجل ولما سقط فى ايديهم هذا حرف تستعمله العرب
عند وقوع الندامة وحلولها وتاويله لما راوا انهم قد ضلوا سقط فى ايديهم اى ندموا على ما كان منهم وقوله عز وجل
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا اى لئن لم يرحمنا ربنا ويوفقنا الهداية والعبادة لك ويغفر لنا ما كان منا من العبادة للعجل
والتفريط فى العصيان لنكونن من الخاسرين ويحتمل قوله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ابتداء سبب الرحمة والمغفرة كقوله
واستغفروا ربكم الاية ويحتمل التجاوز عما كان منهم والعفو وفى قوله الم يروا انه لا يكلمهم بعد قوله له خوار دلالة ان الكلام
هو ما يفهم منه المراد ليست الحروف نفسها لانه اخبر انه له خوار ثم اخبر انه كان لا يكلمهم دل ان الصوت وان كان ذا هجا
وحروف ليس بكلام وذلك يدل لاصحابنا فى مسئلة اذا حلف ان لا يكلم فلانا ثم خاطبه بشىء لا يفهم مراده ان ذلك ليس
بكلام ولا يحنث وقوله عز وجل ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف هو النهاية فى الحزن والغضب كقوله
يا اسفى على يوسف هو النهاية فى الحزن والاسف فى موضع الغضب قوله فلما اسفونا انتقمنا منهم اى اغضبونا لكن الغضب
يكون على من دونه والاسف والحزن على من فوقه وقوله عز وجل غضبان اى لله على قومه لعبادتهم العجل وتركهم
عبادة الله حزنا على قومه لما يلحقهم بعبادتهم العجل من العقوبة وهكذا الواجب على من راى المنكر انه يغضب لله على مرتكب
ذلك المنكر لمعاينته المنكر ويأسف عليه السلام لما يلحقه من العقوبة والهلاك رحمة منه له ورافة ويلزم الشكر لربه
لما عصمه عن مثله وكذلك وصف رسوله عليه السلام بالاسف والحزن لتكذيبهم اياه حتى كادت نفسه تهلك حزنا
عليهم حيث قال لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ذكر هذه القصة لنا
لنعرف ان كيف نعامل اهل المناكير وقت ارتكابهم المنكر وقوله عز وجل قال بئسما خلفتمونى باتباعكم السامرى
الى ما دعاكم اليه بعد اتباعكم اياى واخى رسول الله وما امركم به ودعاكم الى عبادة الله والله اعلم وقوله عز وجل
اعجلتم امر ربكم اختلف فيه قال بعضهم اعجلتم ميعاد ربكم كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اى اعجلتم الوعد الحسن
الذى وعدكم ربكم وهو قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وقال آخرون قوله امر ربكم اى عذاب ربكم وغضبه
بعبادتكم العجل واتخاذكم الها وقد سمى الله تعالى الامر فى غير موضع من القرآن عذابا كقوله حتى يأتى امر الله ونحوه جاء
امر الله وقوله عز وجل والقى الالواح قال اكثر اهل التاويل القى الالواح اى طرح على الارض غضبا منه فرفع
منها كذا وكذا وبقى كذا ولكن لا يجوز ان يفهم من قوله القى الالواح طرحها لا غير الا ترى انه قال والقى فى الارض رواسى
ليس يفهم منه الطرح والالقاء لكن انما نفهم منه الوضع فعلى ذلك قوله والقى الالواح اى وضع لانه اخذ راسه ولحيته

من بعدى يخرج هذا على وجهين احدهما بئس ما خلفتمونى بئسما اختلفتم من عبادتكم العجل على عبادة والثانى بئسما خلفتمونى ه

اعنى

اعنى راس اخيه هرون ولا سبيل له الى ان ياخذ راسه ولحيته والالواح فى يديه فوضعها على الارض ثم اخذ راسه ولحيته
يجره اليه وعلى ما ذكر فى سورة طه حيث قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتى ولا براسى دل هذا انه كان اخذ راسه ولحيته
جميعا لشدة غضبه لله على صنيع قومه وفى الاية دلالة العمل بالاجتهاد لانه قال لا تاخذ بلحيتى ولا براسى ولا يحتمل
ان يكون موسى ياخذ راسه بالوحى والامر من الله ثم يقول له هرون لا تاخذ بلحيتى ولا بكذا ولا تفعل كذا وفيه ايضا
ان هرون لما قال له لا تاخذ بلحيتى ولا براسى انى خشيت انما قال ذلك بالاجتهاد وحيث قال انى خشيت ان تقول
فرقت بين بنى اسرائيل لانه لو كان يقول له بالوحى او بالامر لم يكن يستعذر اليه بقوله فلا تشمت بى الاعداء وقوله واخذ
براس اخيه يجره اليه فيه دلالة انه انما اخذ شعر راسه لانه لو كان اخذ راسه لكان لا يحتاج الى ان يجره اليه دل انه كان
اخذ بشعر راسه وكذلك قوله لا تاخذ بلحيتى ولا براسى وفيه دلالة لاصحابنا ان من مسح راسه ثم ازال الشعر لم يسقط عنه
حكم المسح واذا مسح على لحيته ثم سقط زال عنه حكمه ولزم غسل ذقنه لما سمى الشعر راسا وسمى اللحية لحية وسقوطها يسقط حكم
المسح وسقوط شعر الراس لا والله اعلم وقوله عز وجل ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى خرج هذا صلة قول موسى
لهرون لما قال له يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعنى افعصيت امرى فقال عند ذلك ان القوم استضعفونى وكادوا
يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين وقوله عز وجل قال رب اغفر لى ولاخى قال بعضهم ه
انما خص اخاه بسؤال المغفرة لانهم جميعا قد عبدوا العجل سوى اخيه هرون لذلك خصه بسؤال المغفرة وقال بعضهم
انما قال ذلك جوابا لما قال هرون فلا تشمت بى الاعداء الاية ويحتمل ان يكون تخصيص السؤال له بالمغفرة لما سال ربه
ان يجعل هرون له وزيرا بقوله اجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى لما سال ربه ان يشركه
فى امره ويشد به ازره فعلى ذلك خصه بسؤال المغفرة والله اعلم وقوله عز وجل وانت ارحم الراحمين لان كل من يرحم دونه
انما يرحم برحمته وقوله عز وجل ان الذين اتخذوا العجل اى عبدوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا
قال بعضهم غضب من ربهم عذاب فى الاخرة لمن مات منهم على ذلك وذلة فى الحيوة الدنيا القتل والهلاك فى الدنيا
وقال بعضهم قوله غضب من ربهم القتل والهلاك وذلة فى الحيوة الدنيا الجزية والامر والقهر ويحتمل قوله تعالى وذلة
فى الحيوة الدنيا ذكر الذم بصنيعهم وثناء الشر على ما كان وبصنيع الخير المحمدة فى الدنيا وثناء الحسن وقوله عز وجل سينالهم
غضب من ربهم هذا يحتمل وجهين احدهما اى قدرنا لهم غضب من ربهم وما ذكر والثانى ان يكون هذا مذكورا فى كتبهم
ان من اتخذ العجل معبودا سينالهم غضب من ربهم فاذا كان هذا خبرا فى كتبهم فسينالهم على الوعد صحيح والا على الخبر ايضا لم
وكذلك نجزى المفترين اى كذلك نجزى كل مفتر على الله تعالى وقوله عز وجل والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها
وامنوا قال اهل التاويل قوله والذين عملوا السيئات يعنى الذين عبدوا العجل ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك
من بعدها لغفور رحيم وهو فى كل من عمل السيئات اى سيئة كانت اذا تاب عنها وندم عليها وطلب من الله المغفرة غفر له
وقوله عز وجل ولما سكت عن موسى الغضب الذى غضب لله على قومه بعبادتهم العجل ولا يحتمل ما قال ابو بكر الاصم ان الغضب
عقوبة وشتم لان الغضب معروف لا يجوز ان يتاول ما قال هو وقوله عز وجل اخذ الالواح يعنى الالواح التى وضعها
على الارض وقوله عز وجل وفى نسختها هدى ورحمة قال بعضهم يعنى فى نسخة الالواح لما كانت نسخت من اللوح المحفوظ
وقال بعضهم وفى نسختها ان الكتاب التى انتسخها بنو اسرائيل من تلك الالواح وقوله هدى ورحمة اى هدى من كل ضلالة
وبيان من كل عمى وشبهة ورحمة من كل سخطة وغضب للذين هم لربهم يرهبون اى الذين يخشون ربهم فيعملون به وقوله
عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال بعضهم قوله لميقاتنا اى لتمام الموعد التى وعد وهو الاربعين
الذى وعد ولكن لا ندرى ما ذلك الميقات الذى ذكر وقوله واختار موسى قومه قال بعضهم السبعين الذين اختارهم
موسى لم يكونوا مع هرون فعبدوا العجل فى افنيتهم فلم ينكروا ولم يفارقوا عليهم فاخذتهم الرجفة وقال الحسن انهم
جميعا قد عبدوا العجل الا هرون فالرجفة التى اخذتهم انما اخذتهم عقوبة لما عبدوا العجل ولسنا ندرى ه
من اولئك السبعين الذين اختارهم موسى ويمكن ان يكون موسى اختار السبعين لمجمع جامعه فيكونوا شهدا له ه

على انزال التورية عليه وكلام ربه وقيلهم الذين تركهم في اصل الجبل فلما جاءهم موسى بالتورية قالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهلكوا لقولهم ذلك وقد ذكرنا انا لا ندري من كانوا وقيل اختارهم موسى
ليتوبوا الى الله مما عمل قومهم وقوله فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قال بعض اهل التاويل
لو شئت امتهم واياي بقتل القبطي وقال آخر رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي على نفس الاهلاك واياي على القدرة
اي تقدر على اهلاكي ولكن لا تهلكنا لما لم يكن ما يستحق ذلك ويشبه ان يكون قوله لو شئت اهلكتهم اهلاك محنة واياي وقوله
عز وجل اتهلكنا بما فعل السفهاء منا هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم لك ان تهلكنا ابتداء اهلاك والسفهاء
بما فعلوا والثاني يقول لو شئت اهلكتهم واياي من قبل ولم تهلكنا قومنا لان موسى اتى قومه ولخبرهم انهم اهلكوا
بسبب كذا لم يصدقوا قومه بذلك ولكنهم يتهمونه ويقولون انت قتلتهم على ما ذكر في بعض القصة انه خرج بهرون الى بعض
الجبال فمات هرون هنالك فاخبر قومه بذلك فكذبوا وقالوا انت قتلته فعلى ذلك جائز ان يكون ههنا خاف ان يتهمه
قومه في اولئك ولا يصدقوه فيما حل بهم والله اعلم وقوله عز وجل اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يحتمل هذا وجوها
يحتمل يراد به التقرير ويحتمل الانكار والرد ويحتمل الايجاب اما الانكار فيكون معناه اتهلكنا بما فعل السفهاء اي لا تفعل
ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا ومثل هذا قد يقال ان يقول الرجل لاخر اتفعل انت كذا على الانكار اي لا تفعل فعلى ذلك هذا والله
اعلم ويراد به الايجاب كانه قال لك ان تهلكنا بما فعل السفهاء منا وما هي الا فتنتك ان يكون ذلك امتحانا وابتلاء وابتداء
اي تفعله امتحانا وابتلاء لا تعذيبا ويحتمل ان يكون على الاستفهام لكن لم يخرج له الجواب كقوله افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله ونحوه مما لم يخرج له جواب فعلى ذلك هذا ويجوز ان يكون اهلاكه
اياهم محنة بتفريط كان من بعضهم وان كان بعضهم برآء من ذلك على ما كان من اهل المركز من العصيان وكان الفشل
والهزيمة عليهم محنة منه اياهم كقوله اذ تحسونهم باذنه الاية فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل ان هي الا فتنتك تضل بها
من تشاء وتهدي بها من تشاء قال ابو بكر تضل بها اي من فعل الاهتداء لكن حرف من انما يعتبر به الاختصاص دون الافعال
فلو كان على ما ذكر هو لقال تضل به ما تشاء فان لم يقل ذا ثبت انه ليس على ما ذكر وتاويله عندنا انه يخلق فعل الضلال
ممن يعلم انه يختار ذلك ويخلق فعل الهدى ممن يعلم انه يختار ذلك وهو خالق كل شيء واصل ذلك ان جميع ما يضاف
الى الله من طريق الافعال على اختلاف الاضافة باختلاف وجوهها حقيقة ذلك من الله خلق ما اضيف اليه من الوجه
الذي يحق وصفه بانه خالقه فعلى ذلك قوله تهدي وتضل ويحتمل وتوفق وتخذل وقوله عز وجل انت ولينا اي انت
اولى بنا ويحتمل انت ولي هدايتنا او انت ولي نعمتنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين لان كل احد دونه انما يرحم
ويغفر برحمته وقوله عز وجل واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة يحتمل الكتابة الايجاب اي اوجب لنا
في هذه الدنيا حسنة وقال بعضهم قوله واكتب لنا اي وفق لنا العمل الذي نستوجب به الحسنة في الدنيا والاخرة
ويحتمل اكتب لنا في الدنيا الحسنات ولا تكتب علينا السيئات والله اعلم وقوله عز وجل في الدنيا حسنة تختم بها الدنيا
وتنقضي بها والا ما من مسلم الا وله في هذه الدنيا حسنة اتاها اياه وعلى ذلك يخرج قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة انهم انما سالوا الحسنة ان يختموا عليها ويكون كقوله من جاء بالحسنة فله كذا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل
انا هدنا اليك قال بعض قوله هدنا اليك اي ملنا اليك وقال غيرهم انا هدنا اليك اي تبنا اليك وقيل ولذلك
سمت اليهود انفسهم يهودا اي تائبين الى الله لكن لو كان كما ذكر كان قوله ما كان يهوديا اي تائبا وذلك بعيد ولكن ان كان
لذلك سموا والله اعلم ما كان ابراهيم يهوديا اي لم يكن على المذهب الذي عليه اليهود وكذلك لم يكن على المذهب الذي ادعت
النصارى انه كان عليه ولكن كان حنيفا مسلما وقوله عز وجل قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء
قال الحسن شاء ان يصيب عذابه من كفر بالله وكذب رسله وشاء من اطاع الله وصدق رسله ان يصيب رحمته وقوله
قوله عذابي اصيب به من شاء انه لما شاء ان يصيبهم عذابه شاء العمل والفعل الذي كان به يصيبهم لا انه خرج عن [illegible]
عن بني آدم ولا جائز ان يشاء لهم الايمان ثم يشاء لهم ان يصيبهم عذابه ولكن اذ علم منهم انهم لا يؤمنون ويختارون فعل

الضلال

الضلال على فعل الهدى شاء لهم ما اختاروا وقوله ورحمتي وسعت كل شيء ما من احد من مسلم وكافر الا وعليه من اثار
رحمته في هذه الدنيا بها يتعيشون ويتوالدون ويتوارثون وفيها يتقلبون لكنها للمؤمنين خاصة في الاخرة لا حظ للكافر
فيها وذلك قوله فساكتبها للذين يتقون معصية الله والخلاف له ويؤتون الزكوة وكقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة جعل طيبات الدنيا ونعيمها مشتركا بين
المسلم والكافر خالصة للذين آمنوا يوم القيمة لا حظ للكافر فيها فعلى ذلك رحمته نالت كل احد في هذه الدنيا لكنها للذين
امنوا واتقوا الشرك خاصة في الاخرة ويحتمل قوله والله اعلم واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انهم انما سالوا
الرحمة فقال ساكتبها للذين يتقون معاصي الله ومخالفته والله اعلم وقوله ويؤتون الزكوة يحتمل يؤتون الزكوة المعروفة
ويحتمل تزكية النفس كقوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ومعلوم انه لم يرد به زكوة المال لكن زكوة النفس
بالتوحيد والتقوى وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا هو ذلك الزكوة لا الزكوة المعروفة
زكوة المال فعلى ذلك الاول والله اعلم وان كان على الزكوة المعروفة فذلك في قوم ثقل عليهم واشتد اخراج الزكوة
من اموالهم كقوله الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة كذا وقوله عز وجل والذين هم باياتنا يؤمنون قد ذكرناه
في غير موضع انه من آمن بايات الله وصدقها فقد آمن بالله وبرسله ومن كذب باياته كذب بالله وخالف رسله
لان طريق معرفة الله ورسله انما هو من طريق الايات والحجج ليس من طريق المشاهدات والمحسوسات لذلك كان الايمان بالله
بالايات ايمانا بالله وبرسله وبالتكذيب بها كفر بالله وبرسله انما هو من طريق الايات والحجج ليس من طريق وقوله عز وجل
الذين يتبعون الرسول النبي اي يتبعون اثار الرسول في كل سيرته وفي كل امره ونهيه ويطيعونه سماه رسولا ونبيا
بقوله الرسول النبي والرسول كالمبعوث على تبليغ الرسالة والمامور بها على كل حال والنبي كالمنبي لهم اشياء عند السؤال
والاستخبار والرسول هو المامور بالتبليغ سالوه او لم يسالوا شاؤا او ابوا وكان لمحمد عليه السلام كلاهما الانباء والتبليغ
كقوله ما انزل اليك من ربك وقوله ان عليك الا البلاغ وقوله عز وجل الامي الذي يجدونه مكتوبا الامي ما ذكر في آية
اخرى وهو قوله ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية اي يجدونه
مكتوبا في التورية انه رسول نبي وامي قوله ما كنت تتلوا من قبله من كتاب لئلا يقولوا انك اخذت هذا من الكتب المتقدمة
ومن علومها وحكمتها ولا تخطه بيمينك لئلا يقولوا انه من تاليفك ويعلموا انه من عند الله جاء به لا من ذات نفسه وفي قوله
يجدونه عندهم مكتوبا في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى اخر ما ذكر دلالة اثبات رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم لان اولئك لم ياتوا بالتورية والانجيل فيقولون لا نجد ما تذكر في التورية والانجيل دل ذلك منهم
على انهم وجدوه كذلك والله اعلم وقوله يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر اي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية انه
يامر بما امر الله به وينهى عما نهى الله عنه ويحل لهم الطيبات ما احل الله لهم ويحرم عليهم ما حرم الله عليهم يجدونه
في التورية انه لا يامر بشيء ولا ينهى عن شيء ولا يحل شيئا ولا يحرم الا بامر من الله له لكنهم ينكرونه انكار عناد ومكابرة
كقوله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وغيره ويحتمل قوله يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الاية اي يامرهم
بما هو معروف في العقل وشهادة الخلقة وهو التوحيد وكذلك ينهاهم عما هو في العقل وشهادة الخلقة منكر وهو
الكفر وجميع المعاصي ويحل لهم الطيبات اي يحل ما هو طيب في العقل والطبع ويحرم ما هو خبيث في العقل والطبع جميعا
لان من الاشياء ما هو مستخبث في الطبع لم يجعل غذاء البشر فيه وانما جعل غذاءهم فيما هو مستطاب في الطبع بلغ غايته
في الطيب ولا كذلك جعل غذاء البهايم والانعام هذا محتمل والله اعلم والثالث يحتمل
ثم المعروف والطيبات لو تركت العقول والطباع على ما هي عليها لكانت لا حاجة تقع الى رسول ليخبر ان هذا معروف
وان هذا طيب وخبيث او منكر ولكن تعرف العقول والطباع ذلك كله لكن تعترض العقول من الشبه فتمنعها عن معرفة
ذلك فاحتاجت الى رسول الله يخبر عن ذلك وقوله عز وجل ويضع عنهم اصرهم قيل ما غلظوا على انفسهم
من الشدايد وقيل اصرهم شدة من العبادة والعمل وقيل اصرهم عهدهم وقيل اصرهم اي الثقل الذي كان

بنو اسرائيل الزموه وقال القتبي ويضع عنهم اصرهم اى ذنبهم الذى كانوا يذنبون اى عقوبة الذنب الذى اذنبوا
فى الدنيا وقوله عز وجل والاغلال التى كانت عليهم قال الحسن ان اليهود قالوا يد الله مغلولة اى محبوسة عن عقوبتنا
فقال عز وجل غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا اى غلت ايديهم الى اعناقهم فى النار فاخبر ان امة محمد صلى الله عليه وسلم لما امنوا
وصدقوه دفع تلك الاغلال التى عليهم عن هذه الامة بطاعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الاغلال التى كانت
عليهم الشدايد التى كانت عليهم من تحريم ما لا يجوز لهم العفو عن الدم العمد ولا اخذ الدية وما لا يجوز غسل النجاسات الا القطع
وغير ذلك من الاشياء التى لم تحل لهم فاحلت لهذه الامة ويحتمل ان يكون الاصر والاغلال التى كانت عليهم من تحريم ما حرمت
من اشياء بظلم كان منهم وتحريم نحو قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم وقوله وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذى ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم حرمت تلك الاشياء عليهم عقوبة لبغيهم وظلمهم الذى كان
منهم اخبر انه وضع عن هؤلاء ذلك لم يحرم ذلك عليهم وفى هذه الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
لانه اخبر انه امى والامى ما ذكر فى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك كان لا يتلو ولا يخطه بيده
ثم اخبر على ما كان فى كتبهم من غير ان عرف ما فى كتبهم او نظر فيها او عرف لسانهم دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله
فالذين آمنوا به اى صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه قيل اعانوا باموالهم ونصروه بايديهم بالسيف وقال
الحسن قوله عزروه ونصروه انما هو كلام مثنى وهو اعانه وقيل عزروه اى عظموه وقوله عز وجل واتبعوا النور
الذى انزل معه يعنى القرآن سماه نورا لما تنير الاشياء عن حقايقها بالعقول لان النور فى الشاهد هو الذى يكشف
عن الاشياء سواترها فكذلك القرآن وهو نور لما يرفع الشبه عن القلوب ويكشف عن سواترها وقال بعضهم سمى نورا لما ينير
الاشياء ويعرف به ما غاب وما شهد فيصير الغايب به كالشاهد وقوله عز وجل قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم
جميعا فيه دلالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الناس كافة وكذلك روى انه صلى الله عليه وسلم
قال بعثت الى الاحمر والاسود وساير الانبياء بعثوا الى اقوام خاصة والى البلدان والقرى المعروفة المحدودة وفيه انه
لما خاطبه ان يقول للناس انى رسول الله اليكم انه لا سبيل له الى ان يخاطب الناس والخلق جميعا فيقول انى رسول الله اليكم جميعا ولكن
انما يكون يبعث الرسل اليهم فينزل قول الرسول انه رسول الله اليكم منزلة قوله نفسه انى رسول الله اليكم فانتشر ذكره بتبليغ الرسل
اليهم كانه هو بلغ ذلك وقال لهم انى رسول الله اليكم او ان الله عز وجل سخر الخلق حتى بلغ بعضهم بعضا رسالته حتى شاع
وانتشر ذكره فى جميع الآفاق الارض شرقا وغربا وذلك من عظم آيات نبوته ورسالته ثم بين انه رسول من الله فقال
رسول الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت وذكر تخصيص السموات والارض وان كان له ملك الكل لما هما
النهاية فى ملك البشر او ذكر هذا ليعلموا ان من فى السموات والارض له عبيده واماؤه او ذكر هذا ليعلموا ان التدبير فيهما
جميعا لواحد حيث تتصل منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما وقوله عز وجل لا اله الا هو ذكر هذا لان العرب سمت
كل معبود الها وهم كانوا يعبدون الاصنام دونه ويسمونها آلهة فنفى الالوهية عمن يعبدون هم دونه واثبتها له واخبر
انه هو المستحق لاسم الالوهية والعبادة لا غير لانه يحيى ويميت ومن يعبدون دونه لا يملك الاحياء ولا الاماتة وذكر
هذا والله اعلم الحيوة والموت لانه ليس شئ الذ واشهى فى الشاهد من الحيوة ولا امر ولا اشد من الموت ليرغبوا فى الذ
ما غاب عنهم وينفروا عن الامر والاكره مما غاب عنهم والله اعلم او ذكر انه يحيى ويميت ليدل انه فعل واحد لا عدد وقوله
عز وجل فآمنوا بالله ورسوله النبى الذى يؤمن بالله كان صلى الله عليه وسلم هو السابق لكل خير فعلى ذلك دعى الخلق
كقوله وانا اول المؤمنين وانا اول المسلمين فعلى ذلك انما امر بالايمان بعد ما آمن هو وجايز ان يكون قوله يؤمن بالله وكلماته
اى آمن رسول الله بالله وكلماته التى كانت فى الكتب الماضية فاخبر بها على ما فى كتبهم ليعرفوا انه انما عرفها بالله تعالى وقوله
عز وجل وكلماته اختلف فيه قال اهل التأويل كلمات القرآن وذكر فى بعض القراآت وكلمته بلا الف فصرف التاويل الى عيسى
كانه قال آمنوا بالله وبمحمد وبعيسى ويحتمل ان يكون قوله وكلماته ما اعطاه من الحلال والحرام والامر والنهى والحكمة والاحكام
التى امر بها وشرعها لنا على ما ذكر فى ابراهيم انه ابتلاه بكلمات فاتمهن والله اعلم وقوله عز وجل واتبعوه لعلكم تهتدون

قد ذكرنا الاتباع له فاذا اتبعوه اهتدوا وقوله عز وجل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق قيل امة يدعون الى سبيل الحق
وبه يعدلون اى يعملون بالحق وبه يعدلون فيما بينهم لكن الاول اقرب والله اعلم ثم قوله ومن قوم موسى امة
يهدون بالحق جايز ان يكون الامة التى ذكر من قوم موسى كان فى زمنهم يدعون الناس الى الايمان برسول الله وان يكون
الامة من قومه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية من قوم موسى مؤمنين يدعون الناس اليه وبه يعملون
وقوله وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما قال ابن عباس رضى الله عنه هو ما ذكره وقطعناهم فى الارض امما
اى جماعة وقطعناهم اى جعلناهم اثنتى عشرة اسباطا فرقا وقال غيرهم قوله وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا
امما اى جاوزنا بهم البحر وجعلنا لهم اثنتى عشرة اسباطا قال ابو عوسجة الاسباط الافخاذ والسبط واحد
وقال القتبى الاسباط القبايل واحدها سبط وقيل الاسباط لهم كالقبايل للعرب وقيل الفخذ دون القبيلة
وقيل ان اولاد اسحق تسمى اسباطا واولاد اسمعيل قبايل وافخاذ ولذلك يقال للعرب قبيلة كذا وفخذ كذا ولسنا ندرى
كيف هو وقيل سبط الرجل ولده وولد ولده على ما روى ان الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
عز وجل واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه قيل لما استسقاه قومه انهم كانوا فى المفازة لا فى البلدان
والقرى لانهم لو كانوا فى القرى والقرى لا تخلو عن انهار تجرى فيها او عيون الارض الا ترى انه قال وظللنا
عليهم الغمام دل انهم كانوا فى المفازة لانه هنالك تقع الحاجة الى الغمام واما فى القرى فلا وقوله عز وجل
فانبجست منه اثنتى عشرة عينا قال بعضهم انفجرت على ما ذكر فى سورة اخرى وقيل ان هذه الكلمة بلسانهم
لا بلسان العرب وقوله عز وجل قد علم كل اناس مشربهم قال بعضهم تعبدهم عز وجل بمعرفة كل منهم مشربه
وقال بعضهم لا ولكن ليلا يزدحموا فى ذلك فيقع فيما ولادهم التقابل والافساد والتنازع والاختلاف وقوله
عز وجل وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى فيه ان جميع مؤنتهم كانت من السماء بلا مؤنة ولا تعب
على انفسهم وقوله عز وجل كلوا من طيبات ما رزقناكم ما ذكر من المن والسلوى وغيره وما ظلمونا لاحد يقصد
قصد ظلم الله لكن اذا تعدوا حدود الله التى جعل لهم وجاوزوها فقد ظلموا انفسهم لما رجع ضرر ذلك التعدى
اليهم وهذه النعم التى ذكر لهم جل وعلا انما جعلها لهم فى حال العقوبة والابتلاء من المن والسلوى والعيون
والغمام ويدل هذا على ان عقوبات الدنيا قد يشوبها لذة ونعمة وكذلك لذات الدنيا قد يمازجها شدايد وهموم
فانما تخلص وتصفو هذه النعم فى الآخرة وكذلك العقوبة هنالك تخلص وتفارق اللذات وقوله عز وجل
واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية قال عامة اهل التاويل قوله اسكنوا هذه القرية بيت المقدس وامكن ان تكون القرية
التى ذكرها هنا هى الارض التى ذكرت فى سورة المائدة وهو قوله ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا
على ادباركم امرهم بالدخول فيها ونهاهم عن الارتداد على ادبارهم فامرهم بالسكون فيها واباح لهم التناول منها من شاؤا
وقوله عز وجل وقولوا حطة اى ارجعوا الى السبب الذى يحط الاوزار وقولهم حط عنا كذا وهو ما قال هود
عليه السلام استغفروا ربكم اى ايتوا بالسبب الذى به يغفر وهو التوحيد وادخلوا الباب سجدا الاية قد مضى ذكر هذا
فى السورة التى ذكر فيها البقرة وقوله عز وجل فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا
من السماء بما كانوا يظلمون هذا ايضا ذكرنا فيها سوى انه ذكر ههنا فارسلنا عليهم رجزا وذكر فى سورة البقرة فانزلنا
والقصة واحدة ليعلم ان اختلاف الالفاظ لا يوجب اختلاف المعانى والاحكام ولا تغييرها وذكر هنا بما كانوا
يظلمون وهنالك بما كانوا يفسقون والفسق هو الخروج عن الامر والظلم هو وضع الشئ غير موضعه وقد كان منهم الامران
جميعا الخروج عن امر الله ووضع الشئ ايضا فى غير موضعه اكرم الله عز وجل هذه الامة كرامات من الطاعة لرسولها والخضوع له
والتعظيم له حتى لم يختلط بالاحد الخلاف له بعد ما اتبعه وآمن به واكرمهم ايضا من الفهم والحكمة والفقه حتى ذكر كانهم
من الفقه انبياء وقوم موسى عليه السلام وغيره من الامم لم يكونوا مثل ذلك الا ترى ان قوم موسى قد خالفوه فى اشياء
امرهم موسى بها وقوله عز وجل وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر قال بعض اهل التاويل القرية التى كانت

حاضرة البحر هي ايلة وقال اخرون اريحا ولسنا ندري ما تلك القرية وليس لنا الى معرفة تلك القرية حاجة اذ لا منفعة
لنا في معرفتها ولو كانت لنا حاجة اليها لبين لنا عز وجل وقوله واسئلهم عن القرية التي كانت كذا امر بالسؤال عنها ثم كان هو المبين
لهم بقوله اذ يعدون في السبت والسؤال هو لاستخبار والاخبار ابدا انما يلزم السؤال دون المستخبر لكن الاستخبار يكون
من وجهين احدهما ابتداء اخبار والثاني طلب التصديق فيها هنا لم يحتمل ابتداء الخبر وهو على طلب التصديق كانه قال
المريكن كذا فيقولون نعم فيصدقونه بما يقول لهم وقال قايلون لم يامره بالسؤال الحقيقة ولكنه على التمثيل كانه قال لو سالتهم
يقولون لك كذا كقوله سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ليس على الامران سالهم ولكن لو سالتهم كانه كذا واجابوك
بكذا فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابتدعوا
السبت فعلوه فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان وقال مجاهد حرمت عليهم الحيتان يوم السبت فكانت تاتيهم يوم
السبت شرعا بلاء مؤنة وتكلف ابتلوا به ولا تاتيهم في غير مثله وقال ابو عوسجة قوله شرعا هي التي قد دنت من الشط
والواحد شارع وقوله عز وجل لا يسبتون اي لا يدخلون في السبت كما تقال لا يربعون ولا يخمسون اي لا يدخلون فيه
ويسبتون اي يدخلون فيه وكذلك يربعون ويخمسون وقال القتبي شرعا اي شوارع اذ يعدون اي يتعدون الحق ويقال
عدو على فلان اذا ظلمه وقال الكسائي يقرا يسبتون بالرفع ويقرا بالفتح لمن قرا ما دخلوا في السبت وقال قايلون
قوله شرعا اي كثيرة اي تكثر لهم الحيتان يوم السبت وهو اليوم الذي حرم عليهم الحيتان وقل في غير ذلك وقال
بعضهم ابتلاهم الله بتحريم السمك في السبت ليرى الخلق المطيع منهم من العاصي وقال قايلون ابتلاهم بذلك لما كانوا
يفسقون في السر ليكون فسقهم وتعذيبهم ظاهرا عند الخلق كما كان عند الله يئلا يقولوا اعند التعذيب انهم عذبوا
بلا ظلم ولا تعد والله اعلم وذلك قوله كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقال قايلون في قوله واسئلهم عن القرية
التي كانت حاضرة البحر انما امره اي يسألهم اما عذبهم الله بذنوبهم ثم اخبر عن ذنوبهم فقال اذ يعدون في السبت
اي يعتدون في السبت وقوله شرعا اي شارعات من غمرة الماء اي خارجات وقوله عز وجل واذ قالت امة منهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا ذكر في الاول انهم كانوا ثلاث فرق فريق عدوا وتركوا امر الله
وارتكبوا ما نهوا عنه وفريق نهوا اولئك الذين اعتدوا وانتهكوا حرم الله وفريق قيل لم يعتدوا ولم يرتكبوا نهيه
ولا نهوا اولئك الذين اعتدوا وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الاية وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال هم
كانوا ثلاث فرق فرقة وعظت وفرقة موعظة موعوظة وفرقة ثالثة وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم.
وهو ما ذكرنا انهم ذكرهم في الابتداء ثلاث فرق وذكر في الاخر الحال فرقتين فرقة هي التي هلكت بالاعتداء وفرقة
هي التي هلكت بالاعتداء وفرقة هي التي نهت ونجت ثم اختلف اهل التاويل في الفرقة الثالثة قال بعضهم كانوا في الفرقة
التي هلكت لوجهين احدهما لما لم ينهوا اولئك الذين اعتدوا وكان فرض عليهم النهي عن المنكر والامر بالمعروف
فاذا لم ينهوا اولئك هلكوا وشركوا في العذاب كقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم الاية والثاني كانوا
معهم لما نهوا الناهين بقوله واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم ومعذبهم وقال قايلون كانوا في الناجين
قال الحسن لانهم كانوا نهوا اولئك عن الاعتداء والظلم الذي كان منهم وكان قولهم لم تعظون قوما بعد ما نهوهم
ووعظوهم فلم يتعظوا فانما قالوا لاولئك لم تعظون قوما بعد ما نهوا ووعظوا فقالوا كيف تعظون قوما لا يتعظون
ولا ينتهون فانما قالوا ذلك بعدما نهوا وقال قايلون هذا القول منهم نهي لانهم اتوا بوعيد شديد بقولهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فنفس هذا القول منهم نهي وزجر عما ارتكبوا حيث اتوا بالنهاية من الوعيد
وهو الهلاك والعذاب الشديد ولكنا لسنا نعلم انهم كانوا في الهلكى او في الناجين وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة
ولو كان لنا حاجة الى ذلك لبين لنا عز وجل ولم يترك ذلك لاراينا سويا نه بين من نجي منهم بالنهي عن الظلم
والعدوان وبين من اهلك وعذب بالظلم والعدوان بقوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب
بئيس بما كانوا يفسقون وقوله عز وجل قالوا معذرة الى ربكم قرئ بالرفع والنصب ايضا معذرة فمن قرا بالرفع اضمر فيه

هذه كانهم قالوا هذه معذرة الى ربكم كقوله سورة انزلناها قيل هذه سورة انزلناها ومن قراء بالنصب قال
معذرة اي اعتذارا منهم الى ربهم لعلهم يتقون عما نهوا وقوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا واعرضوا عما ذكروا
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قال القتبي شديد وكذلك قال ابو عوسجة وقال غيره
اي موجع وهو واحد وقال الحسن واخذنا الذين ظلموا بعذاب على الوقت ثم قال بئيس بما كانوا يفسقون وقوله عز وجل
فلما عتوا عن ما نهوا عنه قال ابو عوسجة قوله عتوا اي استكبروا يقال عتى يعتو عتوا وكان العتو هو النهاية في اليبس
فلذلك قيل في قوله عتيا يابسا لكن سمي مرة قساوة ومرة استكبارا وقوله عز وجل قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ***
قال بعضهم حولت صورتهم وجسدهم صورة القردة وكانت عقولهم على حالها عقول البشر لم تحول ليعلموا التعذيب الله
اياهم وما اصابهم بهتكهم حرم الله وقال قايلون حول طباعهم طباع القردة واما الصورة والجسد على حاله وليس لنا
الى معرفة ذلك حاجة وقوله خاسئين قال بعضهم الخسا الكلب صار قاسيا مبعدا يقال خساته وقال ابو عوسجة خاسئين
مبعدين وكذلك قال في قوله اخسئوا فيها اي ابعدوا فيها وارجعوا فيها يقال خسات فلانا واخساته اي باعدته
فخسا اي تباعد وقيل الخاسئ الذليل وفي قوله واذ قالت امة منهم الى اخر ما ذكر من القصة وجهان احدهما دليل
اثبات الرسالة والنبوة له حيث اخبر على ما كان من غير نظر له في كتبهم ولا اختلاف الى احد ممن له علم في ذلك
دل انه انما عرف بالله تعالى والثاني انباه من عواقب الظلمة والفسقة وما حل بهم بظلمهم وانتهاكهم حرم الله ليكون
ذلك زجرا لنا عن ارتكاب مثله وقوله عز وجل واذ تاذن ربك قيل تاذن اي قال ربك وقال ابو عوسجة
واذ تاذن هو من الاذان اي اعلم ربك وقوله عز وجل واذ تاذن ربك الاية قالت نزلت هذه الاية بمكة في شان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الكفار كانوا يمنعون من اراد الاسلام واتباع محمد عليه الصلوة والسلام
فوعدهم الله ليبعثن عليهم من يقاتلهم وياخذ منهم الجزية الى يوم القيمة جزاء ما كانوا يمنعون الناس عن اتباع محمد
صلى الله عليه وسلم والاجابة له فيما يدعوا اليه وقال قايلون هو في بني اسرائيل وهو ما قال وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الى قوله عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا اخبر ان عادوا عدنا ولم يبين
ان عادوا وعدنا بما ذا ثم بين في هذه الاية بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب وقال
قايلون هذا انما كان في هؤلاء الذين سبق ذكرهم في قولهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس قال ابو بكر الاصم الاية لا يحتمل في هؤلاء لان من امن منهم لم يحتمل ذلك ومن صار منهم قردا لم يحتمل
ايضا بعدما صاروا قردة فهو والله اعلم على الوجهين اللذين ذكرناهما وقوله عز وجل ان ربك لسريع العقاب
ياخذهم في حال اثمهم ليس كما ياخذ ملوك الارض قومهم بعد ما يتقدم منهم اليهم تخويف فبعد ذلك ياخذهم بالعذاب
او انه يقال سريع العقاب ياخذهم عقابه وقوله لسريع العقاب لمن كفر وكذب غفور رحيم لمن امن وصدق بالله ورسوله
وقوله عز وجل وقطعناهم في الارض امما يحتمل فرقناهم في وقت بعد ما كانوا مجموعين ثم يحتمل الجمع وجهين كانوا
مجموعين ثم تفرقوا فصار بعضهم كفارا وبعضهم مؤمنين او كانوا مجموعين في المكان والمعاش والماء والكلا ثم تفرقوا
فصاروا متفرقين في المكان والمعاش وغيره او كانوا في الدين واحدا فصاروا اصحاب اهواء ويحتمل قوله وقطعناهم
في الارض امما اي امة بعد امة وجماعة بعد جماعة بعضهم خلفا لبعض على ما ذكر فخلف من بعدهم خلف وقوله
عز وجل منهم الصالحون ومنهم دون ذلك فان كان قوله وقطعناهم في الارض في الدين والمذهب فيكون تاويله
منهم الصالحون المؤمنون ومنهم دون ذلك الكفار ويكون قوله دون ذلك اي غير ذلك كقوله تعبدون ***
من دون الله اي غير الله وان كان في المعاش فبعضهم دون بعض في المعاش وسع على بعض المعاش وشدد على بعض
وضيق فيكون بعضهم دون بعض في المعاش والرزق وبعضهم دون بعض في الدين بعضهم على الصلاح وبعضهم
اصحاب اهواء والله اعلم وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات ابتلى بعضهم بالخصب والسعة وبعضهم
بالشدة والضيق ليذكرهم الموعود من الثواب والموعود من العقاب ليرغبهم الموعود من الثواب في الحسنات ويزجرهم

الموعود من العقاب عن السيئات لعلهم يرجعون يتوبون ويرجعون عن ذلك وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون فهو يخرج على وجوه احدها بلوناهم بالنعم والخصب والسعة ليعرفوا فضل الله واحسانه
فيرجعوا اليه بالشكر والثناء وبالسيئات اى بالبلايا فى انفسهم والمصايب والضيق ليعرفوا قدرته وسلطانه فيرجعوا
اليه بالتضرع والفزع والدعاء والتوبة والثانى معناه اى بلوناهم بالحسنات والسيئات ليتقرر عندهم ان غيرهم
املك بهم من انفسهم فيرجعوا اليه النفس لامره وحكمه والثالث بلوناهم بالحسنات والسيئات المومن منهم والكافر
حتى اذا رأوا الاستواء فى الدنيا وفى الحكمة التفريق بينهم فيضطر الجميع الى الايمان بالبعث اذ خروجهم من الدنيا على سواء
والرابع انه انما جعل النعيم فى الدنيا ليعرفوا لذة الموعود فى الاخرة وكذلك الشدة فابتلاهم بالامرين جميعا ليستعدوا
للرجوع الى الموعود لهم فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل فخلف من بعدهم خلف قال قايلون هو صلة قوله
منهم الصالحون ومنهم دون ذلك والصالحون هم الذين امنوا بالله وحفظوا حدوده وحلاله وحرامه فخلف من بعدهم
يعنى الصالحين خلف من لم يحفظوا حدوده ومحارمه وقال قايلون هو صلة ما تقدم من ذكر الانبياء والرسل كانه
اخبر انه خلف من بعدهم خلف يعنى خلف الرسل والانبياء ورثوا الكتاب وهو كما ذكر فى سورة مريم وهو قوله فخلف
من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وانما ذكر هذا من بعد ذكر الانبياء والرسل والله اعلم وقوله عز وجل
ورثوا الكتاب وعلموا ما فيه ياخذون عرض هذا الادنى ان اهل الكتاب كانوا ياخذون الدنيا على احد وجوه ثلاثة منهم
من كان ياخذها مستحلا لها كقوله تعالى اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وكقوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون
اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ومنهم من كان ياخذها بالتبديل على تبديل الكتاب كقوله وان منهم
لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الاية وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ومنهم من كان تناول على ما تناول اهل الاسلام على قدر الحاجة وههنا
يحتمل الاخذ الا اخذ الاستحلال والتبديل والاخذ بالاستحلال ههنا اقرب كانوا ياخذون عرض هذا الادنى مستحلين له
ويقولون سيغفر لنا يحتمل هذا وجوها يحتمل ما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فيغفر لنا كانوا ويستحلون اموال الناس
وياخذونها ثم يقولون سيغفر لنا لانا من ابناء الله واحبائه والثانى يحتمل انهم قالوا سيغفر لنا مع علمهم انه لا يغفر لهم
لما كان فى كتابهم ان لا يغفر لهم اذ تابوا ولو استحلوا وانهم اذا عوتبوا على ما فعلوا سيغفر لنا وقوله عز وجل الم يوخذ عليهم
ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه يحتمل قوله الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب انهم اذا استحلوا ذلك اضافوا
ذلك الى الله فقالوا الله امرنا بذلك فقال الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق اى لا يضيفون الى الله
ما استحلوا وان يقال اخذ عليهم ان لا يقولوا نحن ابناء الله واحباؤه وقال بعضهم قوله الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان
لا يقولوا على الله الا الحق فيما يوجبون على الله من مغفرة ذنوبهم التى لا يزالون يعودون لها ولا يتوبون عنها قال بعضهم
قوله ياخذون عرض هذا الادنى قال ياخذونه ان كان حلالا او حراما وان ياتهم عرض مثله ياخذوه وقال قوله فخلف
من بعدهم خلف سوء ورثوا الكتاب بعد انبيائهم ورثهم الله الكتاب وعهد اليهم فى سورة مريم فخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات ياخذون عرض هذا الادنى وهو ما ذكرنا وقال القتبى الخلف الردى من الناس ومن الكلام
يقال هذا خلف من القول وقوله عز وجل ودرسوا ما فيه اى قرؤا ما فيه وعلموه والدار الاخرة للذين يتقون افلا يعقلون اى يتقون
الشرك او يتقون مخالفة الله ومعاصيه افلا يعقلون ما فى كتابهم ان ترك مخالفة الله خير فى الاخرة ثم اخبر عن المومنين
فقال والذين يمسكون بالكتاب بما فيه من الحلال والحرام واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وقوله واذ نتقنا الجبل فوقهم
كانه ظلة قيل رفعنا الجبل كقوله ورفعنا فوقهم الطور وقيل نتق قطع وقطع وقال بعضهم حرفا اخذ من كتبهم فلا ندرى
كيف وقيل حركنا وهو قول القتبى وقال ابو عبيدة كل شيء قلعته من موضعه فرميت به ذكر هذا والله اعلم ليبصر رسول الله
على سفه قومه لان قوم موسى مع كثرة ما عاينوا من الايات التى جرت على يدى موسى وعظيم ما كان لهم من موسى
من النعم من استنقاذه اياهم من استرقاق فرعون واخراجه من بينه وفرق البحر لهم ومجاوزته بهم وتفجير الانهار

من الحجر

من الحجر وانزال المن والسلوى لهم وجميع ما كان لهم من موسى ما ذكرنا لم يقبلوا التورية ولم يقروا بها الا بعد رفع
الجبل عليهم والارسال فعند ذلك قبلوا ليصبر رسولنا لئلا يضجر على مخالفة قومه اياه وكثرة سفههم ثم يحتمل ان يكون
ما ذكر من رفع الجبل فوقهم وجهين احدهما انهم لما عاينوا ذلك امنوا به وقبلوا الكتاب لكن ذلك منهم ايمان دفع اذ ذلك قهره
ولا يكون فى حال القهر ايمان والثانى صير ذلك اية عظيمة وحجة واضحة معجزة فقبلوها وحققوا الايمان به ثم تركوا ذلك بدل
ذلك ما ذكر فى سورة الاولى حيث قال ثم توليتم من بعد ذلك وقيل فخلف من بعد بنى اسرائيل خلف السوء وهم اليهود ورثوا
الكتاب قيل التورية عن ابائهم واوايلهم ياخذون عرض هذا الادنى قالوا رشوة ويقولون سيغفر لنا وكانوا يرتشون
ويقولون يغفر لنا لانهم زعموا انهم ابناء الله واحباؤه وان ياتهم عرض مثله قيل رشوة مثله اخذوها وقوله عز وجل
الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب قالوا لقد اخذ عليهم فى التورية ان لا يستحلوا محرما ولا يقولوا على الله الا الحق فى التورية ودرسوا
ما فيه وقوله والدار الاخرة خير للذين يتقون استحلال المحارم واكلهم الحرام وقوله عز وجل يمسكون بالكتاب قيل
بالتورية ولا يحرفونه عن مواضعه ولا يستحلون محرما واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وقوله عز وجل وظنوا انه
واقع بهم اى ايقنوا انهم ان لم يقبلوا اوقع بهم وقوله خذوا ما اتيناكم بقوة قد ذكرنا هذا فيما تقدم قوله خذوا ما اتيناكم بقوة
يحتمل وجهين احدهما خذوا اى اقبلوا ما فيه والثانى اعملوا بما فيه وفيه دلالة كون القوة مع الفعل وقوله واذكروا ما فيه
قيل اعملوا بما فيه من الحلال والحرام لعلكم تتقون العقوبة والمعصية تكلم الناس فى تاويل قوله واذ اخذ ربك من بنى
ادم من ظهورهم الاية فمنهم من يقول ذلك عند ما خلق ادم اخرج من يكون من ذريته مثل الذر فعرض عليهم قوله الست بربكم
قالوا بلى لكنهم اختلفوا فمنهم من يقول جعلوا بالمبلغ الذى يجرى على مثله القلم وهو قول الحسن ومنهم من يقول عرض ذلك
على الارواح دون ذلك ومنهم من يقول بلا عرض انه خلق صنفين فقال هؤلاء للجنة ولا ابالى وهؤلاء للنار ولا ابالى
ومنهم من يقول عرض الكل على ما عليه احوالهم واجالهم فى الدنيا فالله اعلم كيف كانت القصة او كيف يرى احوال القوم العنا
منه الذر او كيف قال هؤلاء فى كذا ولا ابالى مع اجتماعهم على القول بلى لما عرض عليهم فى قوله الست بربكم وقد راينا فى تلك
الاخبار ما كان للحفظ وخاصة حفظ العوام واهل الضعف عن تبليغها الزم واعظم فى النفع وابعد عن الشبه من روايتها
وتكلف الكشف عنها فنسال الله العصمة عما به الهلاك والتوفيق للفهم بما به نجاة كل سامع ودفع كل شبهة وحيرة فانه لا قوة
الا بالله ومنهم من ذهب فى تاويل الاية الى المعروف من امر ذرية ادم والاخذ عن الاصلاب والانشاء فى الارحام على ما كان
ويكون الى يوم القيمة على ما قال الله سبحانه وتعالى فلينظر الانسان مم خلق الى قوله يخرج من بين الصلب والترائب
وقال ان كنتم فى ريب من البعث الاية وقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وقال ما لكم لا ترجون لله وقارا
الاية وغير ذلك مما احتج الله به من ذكر ما جرى به تدبير البشر الى اخر ما ينتهى به امره مما يعجز عن تقديره وسع الخلق
ويستر عن عقولهم كيفية بدء ذلك وما عليه تنقله من حال الى حال فى كل طرف عين ولحظ بصر مع ما فيه من عجيب التدبير
وحسن التقويم الذى لو تكلف الخلق تصويره مثله بكل انواع الحيل من الاصول الظاهرة بحيث يبصره كل بصر لكان يعجز عنه
فكيف فى الظلمات الثلاث مع ما ركب فيه من العقل والسمع والبصر وما جعل فى كل ما انشأ فيه ومنه مما لا يبلغ الاوهام
فضلا من الاحاطة بما فى ذلك من الحكمة وكذلك قال الله وفى انفسكم افلا تبصرون فكان ذلك هو العهد الى جميع الذرية
واشهاد انفسهم عليهم بتعالى من دبرهم على ذلك وانشاهم على ما فيهم عن ان يكون له كذا او يقدر احد قدره فذلك معنى
اشهادهم على انفسهم اى جعلهم على انفسهم شهودا ان يعلموا ان مدبرهم هو ربهم لا ربهم غيره وانه ليس كمثله شيء
مع ما فى جعل ذلك ذرية يعرف كل بما يرى من عجزه عن تدبير ولده وجهله باحواله فى حال كونه فى رحم ابويه بيان على انه
لا كان بابائه وامهاته علم ولكن برب العالمين وذلك المعنى هو الذى يمنعهم عن القول بالغفلة عن ذلك اذ قد علم كل منهم
لا حال كونهم فى الوقت الذى احد والذى يبين ان هذا التاويل احق من الاول ما دل عليه سياق الاية من ذلك وقوله
واذ اخذ ربك من بنى ادم واقاويل من ذكرت على الاخذ من ظهر ادم والثانى قوله من ظهورهم وفى قولهم من ظهر ادم والثالث
قوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وفى التاويل ان لا تقولوا فكيف يحتج عليهم عن القول بذلك وقد علم انهم

كذلك ليس احد منهم يذكر ذلك ولا بما يتقرر عنده لو نبه بكل انواع التنبيه والرابع قوله وتقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم ما فى ذلك الوجه مما يمنع من هذا القول وايضا انه ذكر فى ذلك القول بهولاء فى النار ولا بابى وفى الموا
الجمع بينهم فى القول بلى وذلك عند توحيدنا منهم مع ما فى القرآن كنتم امواتا الآية وقالوا ربنا امتنا اثنتين الآية وفى ثبات ذلك
اثبات الموت والحياة اكثر من العدد الذى جاء به القرآن فى الكل ولا قوة الا بالله ثم قد يتوجه التاويل الثانى فى قوله
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الى اوجه فاما ابتداء الآية فهو ذلك عند التحقيق لانه ذكر الاخذ من بنى آدم
ثم من ظهورهم والماخوذ من بنى آدم ثم من ظهورهم هو النطف وهو الماء الدافق الذى يخرج من بين الصلب والترائب
واشهدهم على انفسهم اعلمهم ما منه انشاهم وقلبهم من حال الى حال الى ان تمت النسمة وظهرت البشرية على ما اعلم كل
ذى ذرية خروج ابائه من تدبير والديه وقيامه على ما عليه مدانه وقران بتدبير من لا يعجزه شئ ولا يخفى عليه امر ليقولوا ان الذى
ذكر هذا هو ربهم الذى رباهم على ذلك ليس كمثله شئ فكان ذلك اعلام من الله اياهم على انفسهم وشهادة منها بالخلقة
انه ربهم الذى رباهم وملكهم على ما جرى فيهم من تدبير الله جل ثناؤه لئلا يقولوا غدا انهم عن هذا غافلين اذ قد عرف
ذلك كل ذى عقل وعرف انه كان بالله سبحانه لا بالوالدين ليجعلوا اشراك الآباء والامهات لانفسهم حجة من حيث كانوا منهم
والله اعلم والثانى ان يكون الله اشهدهم على انفسهم بما اراهم من احوال ذريتهم فى الانتقال على احوال على ان انفسهم
كذلك كانت دخل كل من نجوهرهم فى ذلك التدبير ليعلموا ان الله دبرهم على ذلك دبر الكل فيه ولعنهم شبه لكونه بغير الرب
الذى ليس كمثله شئ فيه ولعنهم بعذر الغفلة وعلاقة الشبهة بكون الوالدين من حيث حق التبعية او سعة التقليد بما يعلم
خروج الجميع من التدبير ورجوع التدبير الى غيره ليكون موضع الاستدلال بما اراهم هو ودعاهم اليه لا بما امرهم
بالآباء والامهات ثم القول بلى يكون نطقا ويكون خلقة ويكون جواب الفطرة بحق التامل فالنطق انه لا يسال احد قبل
التلقين الا وهو يقول بالرب والخالق وعلى ذلك قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والخلقة بما كان
من حاجتها الى مقيم والى مدبر على شركة كلها فى ذلك اقرار له بالربوبية وذلك معنى نفى التفاوت عن خلقه وفطرته بما يقلبه
على انحاء التامل لخلائق ادراك كل حال منها ووجه التنقل وقدر التغيير فى كل حال لما تهياهم ليعلم ان فى الفطرة شهادة
بالتوحيد وهذا معنى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة اى على حال لو تركت العقول
والفكر فيها لشهدت بالتوحيد وذلك قوله بلى لا انه قول لسان بل نطق حال كما قال الحكيم كل صامت ناطق لان ممنه دليل
تدبير آخر فهو ناطق بالبيان عن الواحد العزيز ولا قوة الا بالله وقد يحتمل الاشهاد ان جعلهم شهداء على انفسهم بالعبودة لله
وانه ربهم والمالك عليهم والقول بلى بما يلزم ذلك بالتامل فكانه قال والله اعلم وفى الآية دلالة اثبات خلق الله فعل الخلق
لما بهم الدفق وقد اخبر الله انه اخذ ذلك والله اعلم فان قيل على ماذا يخرج تاويل السلف قيل لعلهم وجدوا فيه خبرا
ظنوا ان الآية تخرج عليه فادلوها على ذلك فاذا اريد تسوية ذلك بالآية لا بد من زيادات تلحق بها او تخرج عنها وكلا لا يخرج
من ذلك ان يقول واذ اخذ ربك من بنى آدم ان يجعل عن صلة كانه قال واذ اخذ ربك بنى آدم وقد تكون كقوله تكفر عنكم
من سيئاتكم وبنوا يوخذ من ظهر آدم كما يوخذ ابن كل من ظهره اى اصل ابن كل من ظهره وذكر ظهورهم لما كان منسوبا اليهم
وان كان لو طرح حرف الصلة بزوال الشبه تحفظ فى ذكرهم حق الوصل وان كان حقه الاسقاط كقوله وكاين من قرية
عتت الآية وغير ذلك مما كنى عن اهل القرية باسمها وعلى ذلك جرى ذكر الفعل وان لم يكن لها فى الحقيقة فعل فعلى ذلك
هذا فيصير فى التحصيل كانه قال واذ اخذ ربك بنى آدم من ظهرهم ثم يكون الماخوذ الذى عرض عليه مجعولا على حد يعقل
الخطاب ومعنى قوله الست بربكم فاجاب بالذى ذكر والخبر الذى فيه القصة اما ان كان لا فى هذا فوصل به او كان فى الآية
ذكر اجابة احد الفريقين او كان بين الجميع اتفاق فى هذه الحرف واختلاف فيما جاء وذهاب القصة لما عدا وقد يوجب فى هذا القدر
ايضا اتفاق ثم قوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين على اعتماد بعث الرسل وانزال الكتاب بالاخبار عن ذلك
لئلا يدعوا الغفلة بما كانت منهم عن ذلك بما وعظوا ونبهوا او بما لا يحتج بما اعترضهم من الغفلة اذ قد قطع عذرهم بعنيه
ذلك من الادلة والرسل والله اعلم او لا يقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل اى بعث الرسل وانزل الكتب لقطع هذا النوع

من الشبه

من الشبه على الوجهين للذين ذكرت ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله الآية وقوله ولولا ان تصيبهم مصيبة الآية وقوله
وما كنا معذبين الآية ويكون فى التاويل الاول ظهور امر الذرية للاولاد فى جعل هذا فى التاويل جميعا والله اعلم وقوله
وكذلك نفصل الآيات على وجهين احدهما على البيان ان نبين ما يكشف لهم ويزيل الشبه والثانى ان نفرق ونضع كل واحدة
منها فى احق مواضعه واولى ذلك القطع العذر ودفع العلل وقوله ولعلهم يرجعون ان تاملوا عما هم عليه من الباطل والله اعلم
وقوله افتهلكنا بما فعل المبطلون يخرج على وجوه احدها ان يكون ذلك الاهلاك ليس هو التعذيب لكنه الاماتة كقوله
ان امرؤ هلك اى افان تميتنا اذ فعل السفهاء ما فعل وان لا تنقصهم لما يرجى من التوبة او يحدث منهم من لم يسفه ولا منه
الى الجملة بوجهين احدهما على ارادة من سفه منهم والثانى على الكل ان الموت حق مكتوب على كل البشر الا على التعذيب
والثانى على التعذيب على معنى لا تفعل انت ذلك كما يقول الرجل انا افعل هذا وانت تفعل هذا على التبرى والتبرئة
وقوله ان هى الا فتنتك اى تفعله ابتلاء لا تعذيبا والثالث ان يكون على الايجاب بجمعهم فى ذلك وان كان الذى استحق
بعضهم فى حق المحنة اذ له ذلك ابتداء وذلك نحو امر احد بما ابتلاهم وان لم يكن منهم جميعا المعصية وعلى ذلك امر جميع المقا
يجمع فيها بين اهل الخير والشر بحق المحنة لا العقوبة وان كان ذلك فى بعضهم عقوبة والله اعلم وقوله عز وجل واتل
عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها اختلف اهل التاويل فى هذا قال بعضهم كان هذا نبيا فانسلخ منها يعنى من النبوة
وكفر بها لكن هذا بعيد محال ان يجعل الله الرسالة فيمن يعلم انه يكذب به ويختان لوحيه وهو يعلم انه ليس باهلها
بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وقال بعضهم كان بلعم بن باعورا اعطاه الله تعالى آيات فكفر بها فانسلخ منها وقيل
اعطى الاسم المخزون كان يستجاب له بجميع ما يسال ربه وقال بعضهم كان امية بن ابى الصلت على ما قيل عنه عليه السلام
انه امن شعره وكفر قلبه وقال بعضهم نزلت الآية فى منافق اهل الكتاب قد كان اعطاهم الله الآيات فكفروا بها وكذبوها ولكن
لا ندرى فيمن نزلت وهو فى جميع مكذبى الآيات ليس يجب ان نشير احدا او يشار الى واحد انه نزلت فيه ولكن نقول انها فى جميع
مكذبى الآيات وقوله فانسلخ منها قيل خرج منها وقيل نزع منها وقيل تركها وكله واحد ثم يحتمل قوله فانسلخ منها اى كانوا قبلوها
مرة ثم ردوها من بعد القبول ويحتمل ان يقبلوها فى الابتداء يخرجوا منها وكذبوها وقوله عز وجل فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين فيه دلالة ان الله لا يتبعه الشيطان احد ولا يزيغه الا بعد ان كان منه الاختيار للضلال والميل اليه
حيث قال فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين انما اتبع الشيطان بعد ما كان منه الانسلاخ والنزع وقوله
فكان من الغاوين قيل كان فى علم الله انه يكون فى ذلك الوقت من الغاوين وقيل كان من الغاوين اى صار من الغاوين اذا انسلخ
منها وخرج والغاوى الضال وقوله عز وجل ولو شئنا لرفعناه بها يحتمل قوله لرفعناه بها عصمناه حتى لا ينسلخ منها
ولا يكذب بها اى لو شئنا لوفقناه بها حتى يعمل او ان يقال لو شئنا لعصمناه حتى لا يختار ما اختار لكنه اذ علم منه انه يختار
ذلك ويميل اليه شاء ان لا يعصمه ولا يوفقه فكيف ما كان فهو على المعتزلة لانه اخبر لو شاء لرفعه بها وكان له مشية لو رفع
ثم اخبر انه لم يرفع ولو رفعه بها كان اصلح له فى الدين دل انه قد يفعل به ما ليس هو باصلح فى الدين وهم يقولون ان المشية
ههنا مشية القهر والقسر لا مشية الاختيار ولكن ما ذكرنا ان الايمان فى حال الاضطرار والقهر لا يكون ايمانا فلا معنى لمشيئته
ولا يكون ذلك دفعا فيبطل قولهم وقوله عز وجل ولكنه اخلد الى الارض وهو ما ذكرنا ما علم منه انه يخلد الى الارض ويميل
اليها لم يعصمه ولم يرفعه والاخلاد فى الارض قال الحسن سكن الى الارض وكذلك قال الكسائى الاخلاد فى كلامهم السكون الى
الى الشئ والركون اليه وقال ابو عبيدة هو اللزوم للشئ فى قوله ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه دلالة ان الا زاغة من الله
وترك العصمة لمن لعله الميل الركون الى مخالفته وترك الايمان به واتباع الهوى قال قتادة قوله لو شئنا لرفعناه بها يقول
لو شئنا لرفعناه من آياته الهدى فلم يكن للشيطان عليه سبيل ولكن يبتلى من عباده من يشاء وقوله اخلد الى الارض ذكر
الارض يحتمل ان يكون كناية من الدنيا كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا ويحتمل ان يكون كناية عن الذل والهوان لان كل خير وبركة انما يطلب
من السماء وهم اذا اختاروا ذلك اختاروا الذل والهوان وقال الحسن فى قوله فاتبعه الشيطان الآية قال حال الشيطان بينه
وبين ان يصيب الهدى بما مناه وزين له واتبع هواه فمثله كمثل الكلب قال هذا مثل الكافر ميت فواده كما ميت فواد هذا الكلب

فالله سماه مثلا صدق وليس المثل فاقصص القصص لعلهم يتفكرون فتدبروا وتفكروا في امثال الله التي ضرب واعتقدوها
الى هذا ذهب الحسن وقال غيره وجه ضرب مثل الذي كذب بالآيات بالكلب وهوان الكلب من عادته ان يذل ويخضع لكل احد
لما يطمع ان ينال منه ادنى شيء ولا يبالي بما يصيبه من الذل والهوان في ذلك بعد ان ينال منه بشيء فعلى ذلك الكافر والمكذب
بالآيات لا يبالي بما يلحقه من الذل والهوان بعد ان يصيب من الدنيا شيئا ويشبه ان يكون وجه ضرب المثل بالكلب ان من عادة الكلب
انها اذا ظفرت بالجيف تنكب عليها حتى اذا نادى عليها وتدعى لا تكترث اليه ولا تلتفت فعلى ذلك هذا الكافر ينكب لكل جيفة ويخضع
ولا يلتفت الى ما نودي ودعي اليه **وقوله** عز وجل ان تحمل عليه يلهث اي يخرج لسانه ويتنفس تنفسا او تتركه يلهث
ومعناه والله اعلم ان الكلب اذا اصابه العطش والجوع لهث واذا لم يصبه لهث ايضا فعلى ذلك الكافر يميل الى ذلك ويختار
اصابه شدة او لم تصبه او كلام نحو هذا وقال قتادة هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما ميت فؤاد الكلب ذلك مثل القوم
الذين كذبوا بآياتنا ضرب الله عز وجل مثل الكافر مرة بالكلب ومرة بالميت ومرة بالاعمى ومرة بالتراب ومرة بالانعام
ونحو هذا وذلك لما فيه من معاني ما ذكر وقوله فاقصص القصص لعلهم كذا وهو قوله واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا
امر رسوله ليقص انباء الامم السالفة على هؤلاء ليكون زجرا وتحذيرا للكفار ليعلموا ما حل باولئك بصنيعهم ليحذروا
عن مثل صنيعهم ويكون عظة وتذكيرا للمؤمنين كقوله وموعظة للمتقين **وقوله** عز وجل ساء مثلا القوم الذين كذبوا
بآياتنا الآية وقد ذكرنا في غير موضع ان آياته قيل دينه وقيل حججه وبراهينه وقوله ساء مثلا اي ساء مثل الافعال التي
ضرب الله مثلها بالذي ذكر في القرآن **وقوله** عز وجل من يهد الله فهو المهتدي شهد الله تعالى ان من هداه فهو
المهتدي ان من هداه الله في الدنيا فهو المهتدي في الآخرة ومن يضلل في الدنيا فهو الخاسر في الآخرة فلو كان الهداية
البيان والامر والنهي على ما ذكره هؤلاء لكان الكافر والمؤمن في ذلك سواء اذ كان البيان والامر والنهي للكافر
على ما كان للمؤمن فلم يهتد فدل ان في ذلك من الله زيادة معنى للمؤمن لم يكن ذلك منه الى الكافر وهو التوفيق
والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن ولو كان بيانا لكان ذلك البيان من الرسل وغيرهم
على قولهم وكذلك قوله ومن يضلل الله فاولئك هم الخاسرون لحيران من اضله فقد خسر دل انه كان منه زيادة
معنى وهو الخذلان او الترك او خلق فعل الضلال وليس على ما يقوله المعتزلة انه قد هداهم جميعا لكن لم يهتدوا
فيقال لهم انتم اعلم ام الله كما قال لليهود قل انتم اعلم ام الله فظاهر الآية على خلاف ما يقولون ويذهبون **وقوله**
عز وجل ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قالت المعتزلة لم يخلقهم الله تعالى لجهنم ولكن خلقهم وذرأهم واعطاهم
من القوة ما يكسبون الجنة غير انهم عملوا اعمالا استوجبوا بها النار فصار وا النار بما عملوا من الاعمال لا ان خلقهم
لجهنم ثم اختلفوا في تأويله قوله ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال بعضهم ذكر بما اليه آل عاقبة امرهم كقوله
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا هم لم يلتقطوه ليكون لهم ما ذكر ولكن انما التقطوه ليكون لهم ما ذكر
كقوله عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا التقطوه لكنه صار لهم ما ذكر اخبر عما اليه آل امره فعلى ذلك هذا وكما يقال لدوا للموت
وابنوا للخراب ولا احد يلد للموت ولا يبني للخراب ولكنه انباء عما يؤول اليه عاقبة امره من الموت والخراب الى هذا
يذهب عامة المعتزلة وقال ابو بكر الاصم الآية على التقديم والتاخير كانه قال ولقد ذرأنا كثيرا من الجن والانس
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك لجهنم اولئك كالانعام لكن
هذا بعيد لانه لو جاز هذا في هذا لجاز مثله في جميع القرآن ويجعل اول الآية في آخرها وآخرها في اولها فهذا محال
واما قولهم انه اخبار عما اليه آل عاقبة امرهم واستشهادهم بقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم كذا فهو يصلح
هذا لمن يجهل عواقب الامور ويخرج ذلك منه على التنبيه والايقاظ لما لم يعرفوا عاقبة ما به صار اليه الامر فاما الله
سبحانه عالم السر والعلانية وما كان ويكون في الاوقات التي يكون لا يحتمل ذلك وقول الناس لدوا للموت وابنوا
للخراب فهو انما يذكرون هذا عند التنبيه والايقاظ لجهلهم بعواقب الامور وان كانوا لا يبنون ولا يلدون للموت
وللخراب ولا يقصدونه واما التأويل عندنا على ما ذكرنا في ظاهر الآية انه خلق لجهنم كثيرا من الجن والانس لما علم في الازل

انهم يختارون

298

انهم يختارون فعل الكفر والاعمال الخبيثة التي يستوجبون بها النار خلقهم لجهنم لما علم منهم ذلك في الازل انهم
يختارون الاعمال الخبيثة قد راهم على ما عمل منهم انهم يختارون ويكون منهم وكذلك خلق المؤمنين للجنة لما علم
في الازل انهم يختارون فعل الهدى ويعملون اعمالا طيبة يستوجبون بها الجنة خلقهم للجنة لا ان خلقهم للجنة
مرسلا وخلقهم لجهنم مرسلا ولكن لما ذكرنا والله اعلم واما قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون انما خلق منهم
للعبادة من علم انه يعبده ويطيعه واما من علم انه يكفر به ويعصيه فهو انما خلقه لما علم انه خلقه يكون منه فمن كان علم
منه في الازل انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن كان علم منه انه يكون منه الكفر خلقه لذلك لانه لا يجوز ان يعلم
منه المعصية وفعل الكفر فيخلقه على خلاف ذلك دلالة على ما ذكرناه والله اعلم او ان يقال قوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون الفريق الذي علم منهم العبادة لا الكل دليله قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا ولم يقل ذرأنا الكل فهذه
في فريق وهذه في فريق آخر وهذا التأويل يرجع الى الخصوص الا ترى ان الصبيان والمجانين لم يخلقوا فيه او ان يكون
قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي الا لآمرهم العبادة وامرهم بها فان كان هذا فهي على الكل على الكافر والمؤمن
جميعا والله اعلم ويحتمل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ما خلقت الجن والانس الا لتشهد خلقتهم على وحدانية الله
وصرف العبادة اليه وقد شهد خلقة كل كافر ومؤمن على وحدانية الله وصرف العبادة اليه والوهيته **وقوله**
عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره وهؤلاء الكفرة لم يفقهوا لما لم ينظروا
الى الاشياء لمعناها وحقايقها انما نظروا الى الاشياء لظواهرها وكذلك قوله ولهم اعين لا يبصرون بها انما نظروا
الى ظواهرها لم ينظروا الى معانيها وحقيقتها ليدلهم على تدبير منشيها وحكمته وكذلك قوله ولهم آذان لا يسمعون بها
اولئك كالانعام لما كانت للانعام قلوب واعين وآذان لكن لا يفقهون معناها وحقيقتها وان كانوا يسمعون
النداء وينظرون ظواهر الاشياء فعلى ذلك ظواهر الاشياء فعلى ذلك هؤلاء الكفار وان كانوا يسمعون
ويبصرون ما ذكرنا بعد ان لم يفقهوا معانيها وتدبير مدبرها فهم كالانعام واصلا انهم لما لم يستمعوا تلك الحواس
فيما جعلت لهم لمعرفة حقايق الاشياء وما ادرج فيها من المعاني والحكمة فصار وافي الحقيقة كمن لا حواس له لما
اذ لم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك لذهاب نفي عنهم والله اعلم وقال قايلون نفي عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا
انتفاع من لهم تلك بل كانوا كمن ليس لهم تلك الحواس للمعنى الذي جعلت تلك الحواس فهم كالانعام بل هم اضل لان هؤلاء
اذا اضلوا الطريق فهدوا وارشدوا لا يهتدون ولا يرجعون عن ذلك والدواب اذا اضلوا الطريق فهدوا اهتدوا وعرفوا
وما لوا اليه فهم اضل من الانعام لما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل بل هم اضل لان بنية الانعام لا يحتمل فهم ذلك وبنية
هؤلاء يحتمل اذ جعل لهم عقولا مميزة وتعرف حكمة مدبرها ومنشيها لكنهم ضيعوها ولم يكن من الانعام تضييع لذلك
كان اولئك اضل قال ابن عباس رضي الله عنه قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها لما ختم الله على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى
ابصارهم غشاوة ثم لم يفقه قلوبهم ولم يبصر اعينهم ولم تسمع آذانهم وقال ثم ضرب لهم مثلا فقال اولئك كالانعام
في الاكل لان همتهم ليست الا الاكل والشرب كهمة الانعام والبهايم ليست همتهم الا الاكل والشرب وقضاء الشهوة فهي تسمع
النداء ولا تعقل فعلى ذلك الكافر **وقوله** عز وجل اولئك كالانعام في فهم ما القي اليهم بل هم اضل لانهم اعطوا سبب فهم
ذلك والانعام لا **وقوله** عز وجل بل هم اضل لان الانعام تعرف ربها وتوحده وتذكره لقول الله تعالى وان من شيء
الا يسبح بحمده الآية وكقوله كل قد علم صلوته وتسبيحه وهؤلاء لا يعرفونه ولا يوحدونه فهم اضل او ان يقال هم اضل لانهم
لا يهتدون وان هدوا ودعوا والانعام تهتدي او هم اضل لانهم يضلون ويضلون غيرهم والانعام لا او هم اضل
لانهم لا ينتفع بهم والانعام ينتفع بها **وقوله** عز وجل اولئك هم الغافلون عن فهم ما القي اليهم وامروا به او غافلون
عما اوعدوا **وقوله** ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم قد ظنوا ان في اثبات عدد الاسماء
ايجاب اثبات عدد من الذات فاخبر ان ليس في اثبات عدد الاسماء اثبات اعداد من الذات اذ قد يسمى الشيء الواحد

باسماء مختلفة ثم لا يوجب ذلك اثبات عدد ذلك ولا تجزيته نحو ما يسمى الحركة حركة عرضا شيا خلقا من غيرانه وجب
ذلك اثبات عدد للحركة وكذلك في جميع الاشياء فعلى ذلك يخبر انه ليس في اثبات عدد من الذات على ما ذكرنا ويحتمل ان يكون
خرج هذا مقابل قول كانهم وهوان وصفوا الله بشيء لا يحسن ان يوصف به واضافوا اليه اشياء لا يصلح ان تضاف
من نحو قولهم يا خالق الخنازير ويا خالق الخبايث ويا اله القردة ونحوه فاخبر انه ادعوه بالاسماء الحسنى مما ثبت عند الخلق
انه مسمى به من نحو ما اعطاهم يقال يا هادى يا رشيد ونحوه بما اعطاهم من النعم يا كريم يا جواد يا لطيف ونحو ويقال
يا خالق يا رازق يا الله يا رحمن يا رحيم لما ظهر في انفسهم من الوهيته وربوبيته فقال لا تدعوا بكذا ولكن ادعوا بالاسماء
التي ثبت عند الخلق تحقيقها وانه يسمى وهو ما ذكرنا والله اعلم وقد روى على هذا المعنى روى ان رجلا دعى في صلوة
فقال يا الله ويا رحمن ويا رحيم فقال رجل من المشركين اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون الها واحدا فما بال هذا يدعو
ربين نحو ما سموها الهة واربابا فقال هذه الاسماء التي تدعون بها الاصنام لله فادعوه بها ولا تدعوا بها الاصنام وقوله
عز وجل وذروا الذين يلحدون في اسمائه يحتمل اى لا تكافيهم بصنيعهم ولا تجازهم باذاهم اياك فان الله هو المكافى لهم
والمجازى بصنيعهم الا ترى انه قال فلجزيه سيجزون ما كانوا يعملون وقوله يلحدون في اسمائه قيل الالحاد هو الجور والميل
عن الحق والوضع في غير موضعه وهم سموا الملحدين لما سموا غيره باسمائه او لاشراكهم غيره في اسمائه او سموا بذلك لما صرفوا
شكر نعمه الى غيره وعبدوه ونزع عليهم انه لم يكن منهم اليهم شيء من ذلك انما كان ذلك لهم من الله قال ابن عباس الالحاد
الميل في جميع القرآن وقيل الالحاد التكذيب قال القتبى يلحدون اى يجورون عن الحق ويعدلون واصله الجور والميل وقوله
عز وجل سيجزون ما كانوا يعملون قال هذه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له والظفر على اعدائه في الدنيا وقال
قايلون هو حرف وعيد اوعدهم عز وجل باذاهم رسول الله وقوله عز وجل وممن خلقنا امة يهدون بالحق
اى يهدون الخلق بالحق الذى عندهم وهو القرآن والكتب التي عندهم وامكن ان يكون الحق هو رسول الله به يهدون
الناس وبه يعدلون وجايز ان يكون قوله يهدون بالحق اى يهدون الخلق الى سبيل الله على ما ذكر في آية اخرى حيث قال
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ويحتمل الحق هاهنا هو الله كقوله ان الله هو الحق المبين وقوله عز وجل
وبه يعدلون اى بالحق الذى به يهدون يعدلون كقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الاية وقوله عز وجل والذين
كذبوا باياتنا قد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله عز وجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال قايلون هذا
هذا صلة قوله ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا الاية وقال بعضهم فيه الوعد لرسول الله بالنصر له والظفر
على اعدائه والاستدراج هو الاخذ في حال الغفلة من حيث امن الرجل بغتة كقوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وقال قايلون الاستدراج المكر لكن معنى ما يضاف الاستدراج والمكر الى الخلق غير المعنى الذى يضاف الى الله والجهة
التي تضاف الى الله غير الجهة التي تضاف الى الخلق والجهة التي تضاف الى الخلق مذموم والجهة التي تضاف الى الله محمود
وكذلك ما اضيف الى الله من المكر والخداع والاستهزاء ونحو وهو ما ذكرنا على اختلاف الجهات والمعنى في الجهة التي
تضاف الى الله غير الجهة التي تضاف الى الخلق لان الله تعالى ياخذهم بما يستوجبون ويستحقون بحق الجزاء والمكافات
فلا يلحقه في ذلك ذم واما الخلق فيما بينهم يمكرون ويكيدون لا على الاستحقاق والجزاء وعن الحسن في قوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال كلما جددوا المعصية جدد الله لهم نعمة ليستهزؤا او باشروا او يبطلوا ثم يهلكهم وقال بعضهم
يظهر لهم النعم وينسيهم الشكر وجايز ان يكون ما ذكر من الاستدراج والمكر والكيد عبارة عن العذاب اى ان اخذى اياهم
وعذابى شديد حيث قال ان كيدى متين اى عقوبتى شديدة وقوله عز وجل واملى لهم ان كيدى متين اى كيده
انتم واملهم واكيد لهم كقوله انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا الاية فيخرج قوله اكيد لهم مخرج جزاء كيدهم وكذلك قوله
ومكروا مكرا ومكرنا مكرا اى جزيناهم جزاء مكرهم ولذلك قوله سنستدرجهم اى نجزيهم جزاء استدراج وما هو عندهم
كيد وكذلك نفعل بهم ما هو عندهم مكر وخداع وان لم يكن من الله مكرا وخداعا كقوله وهو اهون عليه اى اعادة الشيء
عندكم اهون من الابتداء وان كان الاعادة والابتداء على الله سواء فعلى ذلك قوله سنستدرجهم وكيدى متين ونحو

اى نفعل بكم

اى نفعل بكم ما هو استدراج وكيد عندكم والله اعلم ودل قوله واملى لهم على انه لم يبقهم لحاجة له اليهم او لمنفعة له
فيهم ولكن انشاهم لحوائج انفسهم ولمنافع ترجع اليهم حتى ان عملوا انفعوا انفسهم وان تركوا ضروا انفسهم وقوله متين قيل
شديد اى عقوبتى شديدة والمحكم المتين القوى وقوله عز وجل اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان الكفرة كانوا
ينسبون رسول الله الى الجنون احيانا والذى حملهم على ذلك والله اعلم لانهم كانوا اهل العز والشرف في الدنيا
وكان لا يخالفهم احد ولا يستقبلهم بالمكروه الا احد رجلين رجل ذو هيبة وقوة وله اعوان وانصار او رجل به جنون
لانهم كانوا يقتلون من يخالفهم في شيء من الامر فلما راوا رسول الله خالفهم واستقبلهم بما كانوا يكرهون ولم يروا
معه انصارا ولا اعوانا ظنوا انهم لا يخالفهم الا بجنون فيه فنسبوه الى الجنون لذلك والله اعلم ويحتمل
ان يكون نسبتهم اياه الى الجنون لما حرم عليهم عبادة الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها وهم قدروا العقلاء
منهم قد عبدوا الاصنام ولم يحرموا ذلك فلما حرم ذلك عليهم ظنوا انه انما حرم ذلك لافة فيه لذلك حملهم بالنسبة
الى الجنون والله اعلم ثم عاتبهم بتركهم التفكر فيه بقوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ليتبين لهم انه ليس به
جنون وذلك يحتمل وجهين انهم لو تفكروا في رسول الله بما اخبر لهم من المرغوب والمرهوب والمحذور ثم كان بهم
على غير لسانهم واختلاف منه الى احد منهم ولا تعلم ليعلموا انه رسول واما اخبر انما الخبر بالله وان يكون قوله
اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة اى قد تفكروا فيه وعرفوا انه ليس به جنون وكذلك في قوله اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض الاية اى قد تفكروا في ذلك وعرفوا ان مثل هذا لم يخلق عبثا باطلا كما يقال او لم تفعل كذا اى قد فعلت
لكنهم عاندوا وكابروا اياته وحججه وامكن ان يكون قوله اولم يتفكروا اى في انفسهم وفي اوليك الذين عبدوا من الاصنام
والاوثان ليظهر لهم انهم على باطل وسفه وليتبين لهم ان الحق ما يدعوهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم لا ما كانوا هم
عليه وفيه دلالة ان الحق يلزم وان كان لا يعلم ذلك الا بالتفكر والتدبر لما الحق هؤلاء من الوعيد الشديد والعقاب
العظيم لما تركوا هم التفكر وكان لهم سبيل الوصول الى معرفة ذلك وقوله اولم يتفكروا في صاحبهم انه ليس له جنة هذا
جواب من الله ويحتمل لو تفكروا في صاحبهم لعرفوا انه ليس به جنة ثم اخبر انه نذير مبين ليس كما يقولون انه مجنون
انه معه ايات وبراهين هو نذير مبين وقوله عز وجل اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الاية يحتمل هذا
على الابتداء ويحتمل على الصلة بالاول وهو انهم اذا تفكروا في ملكوت السموات والارض عرفوا الوهية الله وربوبيته
لما يرون من اتصال منافع بعض ببعض على بعد ما بينهما واتساق التدبير في ذلك فعرفوا ان ذلك كله مسخر لاهل التمييز
وان المقصود في خلقه اهل التمييز فاذا عرفوا ذلك عرفوا انهم يحتاجون الى من يعرفهم ذلك ويعلمهم ما يحتاجون
في ذلك ويحتمل على ابتداء الامر بالتفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء ليدلهم على وحدانيته
وربوبيته وقوله عز وجل وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كان هذا نزل فيمن عرف صدقه لكنه عاند في تكذيبه
فقال وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يحذرهم ليرجعوا الى تصديقه مخافة الخروج من الدنيا على ما هم عليه
وقوله عز وجل فباى حديث بعده يؤمنون هذا يتوجه وجهين احدهما انكم ممن تقبلون الاخبار والحديث
فاذا لم تقبلوا حديث رسول الله وخبره ولم تصدقوه فباى حديث بعده تقبلون وتصدقون ومعه حجج وبراهين
والله اعلم والثانى ان يكون قوله فباى حديث بعده يؤمنون يعنى بعد القرآن يؤمنون وهو كما وصفه لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية وقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله
فاذا لم تقبلوا هذا ولم تصدقوه وهو بالوصف الذى ذكروا انتم ممن تقبلون الحديث فباى حديث تقبلون بعده
وجايز ان يكون قوله فباى حديث بعده يؤمنون يريد به في الاخرة يقول اذا اقترب اجلهم فباى حديث بعده
اى لا حديث بعده يؤمنون والتاويل الاخر في الدنيا وقوله عز وجل من يضلل الله فلا هادى له وفي موضع اخر
ومن يهد الله فما له من مضل ولو كان الهداية الامر والبيان على ما قاله قوم لكان ذلك من غيره وكذلك لو كان
الاضلال والازاغة والنهى هو التخلية لكان ذلك يكون من غيره وكل من اراد الله ان يهديه اضله غيره وكل من اضل الله

مداه غيره فذلك محال مع ما في كلما اضاف الله الاضلال الى الخلق ذمه وفيما اضاف الهداية اليه مدحه ثم اضافهما
جميعا الى نفسه دل ان هنالك زيادة معنى ليس ذلك في الاضافة الى الخلق وهو ما ذكرنا في غير موضع انما خلق فعل الضلال
من الكافر وخلق فعل الاهتداء والايمان من المؤمن او كان منه التوفيق والمعونة في الهدى والخذلان في الكفر وهذان الوجهان
اللذان ذكرناهما لا يكونان من الخلق انما يكونان من الله لذلك كان معنى الاضافة اليه وانما يكونان من الخلق الدعاء وعلى
لا ما قالته المعتزلة من البيان والامر والنهي والتخلية اذ يكون ذلك من الخلق وبالله العصمة وقوله عز وجل ومن يضلل الله
فلا هادي له اي من اضله الله بالضلالة فلا احد يملك اكرامه بالهدى وقوله عز وجل ويذرهم في طغيانهم يعمهون
ولا ضرر يلحقه في طغيانهم لذلك تركهم فيه ودل ذلك على انه لم ينشئهم لحاجة نفسه ولا لدفع ضرر نفسه ولكن لحاجة
انفسهم كقوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وكقوله ان كيدي متين وهو حرف الوعيد وقوله عز وجل يسئلونك
عن الساعة ايان مرسيها قيل ايان متى قيامها وقال القتبي ايان مرساها اي متى ثبوتها يقال رسا في الارض اذا ثبت ورسا
في الماء وقال للجبال رواسي لثبوتها ثم اختلف في السؤال مم كان قال بعضهم كان السؤال عن الفناء فناء الخلق وهلاكهم
لانه قال في اخره لا تاتيكم الا بغتة ونحوه وكقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة الاية وذلك يكون في الدنيا وقال قايلون
كان السؤال عن البعث وقيام الساعة انكارا منهم اياها واستعجالا للعذاب كقوله وما يدريك لعل الساعة قريب
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها وقولهم ائذا متنا الاية وغير ذلك من الايات يدل على ان السؤال كان عن الساعة
وليس قوله لا تاتيكم الا بغتة انه كان عن الفناء اذ كانوا يعاينون الفناء ولا يحتمل ان يكون السؤال عن ذلك ثم يحتمل
بعد هذا وجهين احدهما ان كان السؤال عن المكذب بها فهو سؤال استهزاء واستعجال لما ذكرنا وان كان عن المصدق
فهو سؤال استعلام واشفاق ليتاهبوا لها ويستعدوا كقوله والذين امنوا مشفقون منها لما سمعوا من الايات
ما يقرب وقوعها كقوله اقتربت الساعة وقوله اقترب للناس حسابهم وقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه ونحو
من الايات وما سمعوا من رسول الله انا والساعة كهاتين وفي بعض الاخبار قال كادت الساعة ان تسبقني وغير
ذلك من الاخبار حملهم ذلك على السؤال عنها ليتاهبوا لها ويستعدوا ثم امر ان يقول انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها
الا هو اي لا يكشفها ولا يظهرها الا هو ليس كالامور التي تجري على ايدي الخلق ويكون لغيره فيه تدبير من اخراج
الثمار والنبات والامطار وغير ذلك من الامور التي تجري على ايدي الخلق ويكون لهم فيها تدبير اعني الملائكة الذين
سلطوا على حفظ المطر والنبات واما الساعة فانها تقوم من غير ان كان لاحد من الخلايق تدبير فيها او علم وهو
ما وصفها الله عز وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب فاخبر ان امر الساعة خارج عن تدبير الخلق بل تقوم بتدبير الله
من غير ان يجريها على يد احد والله اعلم وقوله عز وجل ثقلت في السموات والارض قيل ثقلت على اهل السموات والارض
ثم اختلف فيه قال قايلون قوله ثقلت اي خفيت على اهل السموات والارض فذكر الثقل لان كل من خفي عليه شيء ثقل عليه
فذكر انها ثقيلة عليهم لخفائها عليهم وقال قايلون تثقل وقوعها على اهل السموات والارض لكثرة اهوالها وشدة
وقوعها وامكن ان يكون قوله ثقلت في السموات والارض على نفس السموات والارض على ما ذكر في قوله تكاد السموات
يتفطرن منه الاية وذلك من شدة هولها ولكن ان كان على نفس السموات والارض اي لو كانت هي بحيث تعرف وتميز
وبنيتها بنية من يعرف ثقل شيء لثقلت وهو ما قلنا في قوله وغرتهم الحيوة الدنيا والدنيا لا تغر احدا ما كان
منها لو كان ممن يكون منه التغرير لكان تغريرا فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل يسئلونك كانك حفي عنها اختلف فيه
قال قايلون قوله كانك حفي عنها اي مكرم مشرف عنده ذو منزلة فيعلمك عنها وكذلك قيل انه كان بي حفيا بارا
رحيما وقال قايلون كانك حفي عنها اي عالم بها وقال قتادة كانك حفي بهم كانك تحب ان يسالونك عنها
وقال غيره هو على التقديم والتاخير يسالونك عنها كانك حفي يعني كانك استحفيت عنها السؤال حتى علمتها
ثم قال قل ما لي بها من علم وانما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انها كاين ويحتمل ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انها كاين ويحتمل ولكن اكثر الناس لا يعلمون انك لا تعلم انها متى تكون او لا يعلمون ما عليهم وما لهم وقال الحسن

في قوله ثقلت في السموات والارض اذا جاءت ثقلت على اهل السموات والارض وكبرت عليهم وقال بعضهم ثقل ذكرها
على اهل السموات والارض وقال قتادة ثقل علمها على اهل السموات والارض واصله ما ذكرنا اي خفي علمها على اهل السماء
والارض واذا خفي الشيء ثقل وقوله كانك حفي عنها ما ذكرنا من التاويل والله اعلم وعلى قول بعضهم الحفي الخبير العالم وقالوا
هو المشرف المكرم البار الذي لا يستخفى منه شيء ولا يلتبس عليه وقوله عز وجل قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال بعض
اهل التاويل قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الهدى والضلالة وقايلون من اهل التاويل لا املك جر النفع الى نفسي ولا دفع
الضر عنها الا ما شاء الله اي الا ان اقدرني الله على ذلك فاملك ذلك ويشبه ان يكون قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
قال ذلك لئلا يتخذوه معبودا ولا ينسبوه الى الله بالذي لا يليق النسبة به ما قالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت مشركو العرب الملائكة بنات الله لعظيم ما وقع عندهم عنهم من محل هولاء وقدرهم فقال لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا لئلا ينسبوه الى الله من الوجه الذي نسبوا ولذلك اظهر من نفسه العجز والعبادة وهو ما قال عيسى عليه
السلام اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وقال ابن عباس في قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا وذلك ان اهل مكة قالوا له
الا يخبرك ربك يا محمد بالتجارة المربحة فتتجر فيها فتربح او لا يخبرك بسنة القحط والجدوبة او يخبرك بوقت السعة والخصب
فقال عند ذلك ولو كنت اعلم الغيب من جدوبة الارض والقحط لاستكثرت من الخير يقول لهيات لك وما مسني السوء الضر
والشدة والى هذا ذهب عامة اهل التاويل وقالوا في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لو كنت
اعلم الغيب متى اموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح ولكن الوجه فيه غير ما ذهبوا اليه لانه ان كان لا يعلم
متى يموت لا يستكثر من الخير ومن العمل الصالح او لو كان يعلم الغيب لاستكثر المال على ما قال بعضهم هذا بعيد
ولكن التاويل والله اعلم ان يجعل قوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا اي لا اعلم لكم نفعا ولا ضرا ولو كنت اعلم لكم
الغيب لاستكثرت من الخير عند الله اي لو كنت اعلم لكم ذلك لصدقتموني وامنتم بي لاستكثرت من الخير عند الله بايمانكم
بالله وتصديقكم اياي او ان يقال لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولو كنت املك لكم ذلك لاستكثرت من الخير لانكم اذا رايتموني
املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضر ما غاب لامنتم بي وصدقتموني فانا بذلك استوجبت عند الله خيرا كثيرا يجعل قوله
لو كنت اعلم الغيب جواب ما تقدم من الكلام والله اعلم وقال بعضهم قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا اعلم الغيب الا قدر
ما اوحي الي لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لا اعلم الغيب قبل ان اوحي الي ولو كنت اعلم ذلك لاستكثرت من الخير
بذلك وصار التاويل في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ما ذكرنا بتصديقكم اياي وايمانكم بي وما ذكر
من السعة والخصب في الدنيا لاهله ولاصحابه او ما ذكرنا اي لو كنت املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضر ما غاب ايضا
لامنتم بي وصدقتموني فانا بذلك استوجبت عند الله خيرا كثيرا وجايز ان يكون قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير اي لو كنت اعلم من المصدق ومن المكذب لاستكثرت من الخير لانه لا يشتغل بمن يعلم انه يرد ولا يجيب وانما يشتغل
بمن يعلم منه انه يجيب ولا يكذب فيستكثر اتباعه والمطيعين لله وقال بعضهم قوله وما مسني السوء هو صلة قوله
او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كانوا يقولون انه مجنون فقال وما مسني السوء من النسبة الى الجنون او يقول
ما مسني السوء منكم سوء رد وتكذيب لانه لو علم الذي يجيبه ويصدقه من الذي لا يجيبه ولا يصدقه لم يمسه سوء
منه الرد والاذى لانه لا يشتغل به بعدما اقام عليه الحجة من المجيب منكم ومن الراد وقوله عز وجل ان انا الا نذير وبشير
لقوم يؤمنون وقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا
خفيفا الاية قال عامة اهل التاويل ان ادم وحوا لما اهبطا تغشاها ادم حملت فاتاها ابليس فقال يا حوى ما هذا
الذي في بطنك قالت لا ادري قال لعله بهيمة من هذه البهايم ناقة او شاة او بقرة قالت لا ادري فاعرض عنها
فلما اثقلت اتاها فقال كيف تجدينك قالت اني لاخاف ان يكون الذي ذكرت ما استطيع القيام اذا قعدت الا بجهد
قال افرايت ان دعوت الله يجعله انسانا مثلك ومثل ادم اتسميه بي قالت نعم فانصرف عنها وقالت لادم لقد اتاني
ات فخوفني بكذا واني لاخاف مما ذكر فدعوا الله في ذلك فذلك قوله دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا يقول لجعلته

اٰتیتنا لنکونن من الشاکرین فکان هذا دعاهما قبل ان تلد فلما ولدت اتاها ابلیس وقال لا تسمینه بی کما وعدتنی
قالت نعم ما اسمک قال اسمی الحارث فسمیته عبد الحارث فلذلک قوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شرکاء فیما اتاهما
علی هذا حمل اهل التأویل والی ادم وحوا صرفوها وذلک وحش من القول قبیح فی ادم وحوا ذلک ولو ثبت ما قالوا
انهما سمیا ولدهما باسمه ونسبا الیه لم یکن فی ذلک الا شرک اذ لو کان فی مثله اشراک لکان فیما اضاف العبید والممالک
الی الخلق اشراک فی الوهیته ثم التاویل عندنا علی غیر ما ذهبوا الیه والله اعلم وهو ان قوله هو الذی خلقکم من نفس
واحدة یعنی من ادم وجعل منها زوجها حوا ان خلق الذکور کلهم من ادم وخلق الاناث کلهن من حوا کقوله ومن ایاته
ان خلق لکم من انفسکم ازواجا اخبر ان الازواج خلقهن من نفس الازواج فلما اضاف الزوجات الی نفس الزوج وانهن
من انفسهم خلق کان قوله خلقکم من نفس واحدة وجعل منها زوجها لیسکن الیها کل زوجة وزوج اذا تغشاها وحملت
دعا ادم وحوی لئن اتیتنا صالحا لنکونن من الشاکرین اذ جمیع الاولاد والاولادهما یدعون الله فی ذلک لیکون صالحا فمن کان
مسلما منهما کان یدعانهما فعلی هذا التاویل یحصل دعاءهما لاولادهما الذین یولدون الی یوم القیامة لانهما اب وام
وقد یدعوا الوالدان لاولادهما بالصلاح والخیر علی هذا یجوز ان یخرج تاویل الایة واما ما قاله اولئک فهو بعید محال
والله اعلم وقال بعضهم ان العرب کان اذا ولد لهم اولاد ذکور ینسبون الی الاصنام التی یعبدونها ویضیفون الیها
تعظیما لها یقولون ابن اللات وابن العزی وابن المنات ونحو ذلک وکانوا یقتلون البنات وکان اذا اصابتهم الشدة
یفزعون الی الله ویتضرعون الیه کقوله فاذا رکبوا فی الفلک دعوا الله مخلصین له الدین وکقوله واذا مس الانسان
ضر دعا ربه الایة واذا غشیهم موج الایة فلما ذهب ذلک عنهم والنجی عادوا الی ما کانوا من قبل کقوله فلما نجاهم
الی البر اذا هم یشرکون وقوله ثم اذا خوله نعمة منه الایة فاذا کان من عادة العرب ما ذکرنا کان اذا حملت زوجة
منهم وثقل ما فی بطنها جعلا یدعوان الله ربهما لئن اتیتنا صالحا ذکرا وسلمت من الولادة لنکونن من الشاکرین
فلما اتاهما صالحا یعنی ذکرا جعلا له شرکاء فیما اتاهما ای جعلا لله شرکاء فی الولد الذی ولد لهما وینسبونه
الی الاصنام التی کانوا یعبدونها فذلک قوله جعلا له شرکاء فیما اتاهما فتعالی الله عما یشرکون والله اعلم بذلک
وقال الحسن الایة فی مشرکی العرب لا قوله خلقکم من نفس واحدة وجعل منها زوجها فان ذلک فی ادم وحوا
الا تری انه قال ایشرکون ما لا یخلق شیئا وهم یخلقون دل انه ما ذکرنا وقال ابو بکر الاصم قوله هو الذی خلقکم
من نفس واحدة وهو نفس ادم وجعل منها زوجها ای خلق کل نفس منکم من تلک النفس وجعل لکل نفس منکم زوجة
من تلک النفس لیسکن الیها فعلی هذا التاویل یصرف اخر الایة الی غیر ادم وحوی وقال القتبی قوله فمرت به
ای استمرت بالحمل وقوله هو الذی خلقکم من نفس واحدة ان العرب کانت تعبد الاصنام تقلیدا لاباءهم وسلفهم
فیذکر سفههم ان النفس التی خلقتم منها لم تعبد احدا ولم تشرک احدا انما اتبعت ما فی العقل حسنه او ما فی السمع ثم الامر
فکیف لا اتبعتم انتم النفس التی خلقتم منها وهی لم تتبع الا ما ذکرنا دون ما اتبعتم فی الاشراک له اباءکم ولو کانت
القصة فی ادم علی ما یقوله اهل التأویل لکان للعرب تعلق واقتداء به فیقولون انه اشرک ونحن نشرک فدل انه
لیس علی ما قالوا ولکن علی الوجوه التی ذکرنا وفی قوله خلقکم من نفس واحدة دلالة ان لیس لاحد من البشر علی اخر
فضل من جهة الخلقة والنسبة اذ کلهم انما خلقوا من نفس واحدة وهم اخوة واخوات وان کان لاحد فضل
علی اخر فانما یکون لاعمال یکتسبها واخلاق محمودة ومحاسن یختارها واما من جهة الخلقة فلا فضل لبعض
علی بعض کقوله ان اکرمکم عند الله اتقاکم وقوله عز وجل ایشرکون ما لا یخلق شیئا وهم یخلقون یذکر سفههم
انهم یشرکون فی عبادته والوهیته من یعلمون انه لم یخلقهم وانما خلقهم الله سبحانه وهم مخلوقون فصرفوا العبادة
الی غیر الذی خلقهم سفه وجود وقوله عز وجل ولا یستطیعون لهم نصرا ولا انفسهم ینصرون یسفههم ایضا
ان فی الشاهد لا یخضع احد احدا ولا یشکر له الا مجازاة لما سبق منه الیه من النعم او لما یامل فی العاقبة من المنفعة
وانتم تعبدون هذه الاصنام ولم یسبق منها الیکم شیء ولا لکم رجاء یقع فی العاقبة فکیف تعبدون ولا یستطیعون لکم

نصرا یدفعون عنکم الضر ولا انفسهم ینصرون ای ولا من قصد قصدهم بالکسر والاتلاف یملکون دفعه من انفسهم
والله اعلم وقوله عز وجل وان تدعوهم الی الهدی لا یتبعوکم یحتمل هذا وجهین یحتمل ان تدعوهم یعنی الاصنام الی
الی الهدی یهتدوا لا یتبعوکم ای لا یجیبوکم ولا هم یهتدون والثانی وان تدعوهم الی ما لکم الیه من حاجة لا یتبعوکم لا یقضون
ولا یملکون ذلک ویحتمل ان یکون الخطاب للمسلمین یقول وان تدعوهم اهل مکة الی الهدی لا یتبعوکم ای لا یجیبوکم وجایز ان یکون
یخاطب به اهل مکة یقول وان تدعوا الاصنام التی تعبدونها الی الهدی لا یملکون اجابتکم یسفههم فی عبادتهم من حاله
ما وصف وقوله عز وجل سواء علیکم ادعوتموهم ام انتم صامتون امکن ان تکون الایة فی قوم علم الله انهم لا یؤمنون
ابدا کقوله سواء علیهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا یؤمنون وقال بعضهم قوله وان تدعوهم یعنی المشرکین الی الهدی
لا یتبعوکم فعلی ذلک یخرج قوله سواء علیکم ادعوتموهم وامکن ان یکون قوله سواء علیکم ادعوتموهم فی الاصنام والله اعلم
وقوله عز وجل ان الذین تدعون من دون الله عباد امثالکم یحتمل قوله تدعون ای تعبدون من دون الله وقد کانوا
یعبدون من دون الله اصناما واوثانا ویحتمل تدعون ای تسمونهم من دون الله الهة وقوله عباد امثالکم فی الخلقة
والدلالة علی وحدانیة الله وفی التدبیر دونهم لما قال الهم ارجل یمشون بها ام لهم اید یبطشون بها الی اخر ما ذکره
ای لیس لهم ما ذکر فهم دونهم فی التدبیر والمعونة ویحتمل قوله تدعون من دون الله عباد امثالکم الملائکة الذین
عبدوهم عباد امثالکم فلا تسموهم الهة ای لا تعبدوا عبادا امثالکم ولکن اعبدوا من لا مثل له ولا نظیر له وان کان
قوله عباد امثالکم الملائکة فقوله الهم ارجل یمشون بها الایة هو منه مقطوع منصرف الی الاصنام وقوله عز وجل
فادعوهم فلیستجیبوا لکم ان کنتم صادقین ذکر الدعاء والاستجابة ولم یبین فیما ذا یستجیبونهم ولا یجیبونهم
الاستجابة فی الشفاعة او فی التقریب الی الله زلفی او غیره الا ان یعلم انهم کانوا یدعونهم بکذا ویطلبون منهم کذا وقوله
عز وجل ان کنتم صادقین انهم الهة علی ما تزعمون او ان کنتم صادقین فیما تزعمون ان عبادتکم ایاها تقربکم الی الله زلفی
وقوله عز وجل الهم ارجل یمشون بها ام لهم اید یبطشون بها ام لهم اعین یبصرون بها ام لهم اذان یسمعون بها
یسفه عقولهم بعبادتهم الاصنام التی لا ارجل لهم یمشون بها یهربون من یقصدهم بالسوء او یقصدون بهم قصد
من اراد الضرر بهم والسوء وکذلک یعبدون ما لا اید لهم یبطشون یدفعون عن انفسهم من اراد السوء بهم او یاخذون
من یقصدهم وکذلک قوله ام لهم اعین یبصرون بها من یقصدهم بالسوء ام لهم اذان یسمعون من یشتمهم ویذکرهم بالسوء
یسفههم فی عبادتهم من لا یملک دفع من یقصده بالسوء اماهم بانفسهم واما قصدا منه الیه بالسوء فاذا کانوا لا یملکون
ذلک کیف تعبدون وهو کقول ابراهیم علیه الصلوة والسلام یا ابت لم تعبد ما لا یسمع ولا یبصر ولا یغنی عنک شیئا
فاذا کانوا لا یملکون دفع ما یحل بهم کیف یملکون جر النفع الیکم او دفع الضر عنکم وقوله عز وجل قل ادعوا شرکاءکم قال بعض
اهل التأویل خاطب به کفار مکة بقوله قل ادعوا شرکاءکم الذین تزعمون انهم الهة دون الله ویحتمل قوله شرکاءکم ای ادعوا
من شارکوکم فی عبادة من دونه ثم کیدون ویحتمل ان یکون الخطاب لجمیع الکفار الذین کانوا یعبدون الاصنام والاوثان
من دون الله قال ذلک لهم رسول الله بین ظهرانیهم ثم کیدون فلا تنظرون ثم لم یقدر احد الکید به والضرر مع قوتهم
وعدتهم بالکثرة والاعوان وضعف رسول الله وقلة اعوانه دل عجزهم عن ذلک انه کان ایة فی نفسه وانه بالله
ینتصر وبه یقوی علی اعدائه وذلک من عظیم ایاته لانه قال ذلک لمن کانت همتهم القتل والاهلاک لمن خالفهم فیما هم فیه
لم یقدر احد منهم الضرر به دل انه کان بالله محفوظا وکذلک سایر الانبیاء صلوات الله علیهم حیث قالوا بین ظهرانی
قومهم من نحو هود ونوح وهؤلاء فکیدونی جمیعا ثم لا تنظرون وقول نوح قال ان تسخروا منا فانا نسخر منکم کما تسخرون
الایة وقوله عز وجل ان ولی الله الذی نزل الکتاب الایة ذکر هذا علی اثر قوله ثم کیدون فلا تنظرون کما ذکر هود انی
اشهد الله واشهدوا انی بریء مما تشرکون من دونه فکیدونی جمیعا ثم لا تنظرون انی توکلت علی الله ربی وربکم وکما قال
نوح ان کان کبر علیکم مقامی وتذکیری بایات الله فعلی الله توکلت فاجمعوا امرکم وشرکاءکم ثم لا یکن امرکم علیکم غمة
ثم اقضوا الی ولا تنظرون فزعوا الی الله عز وجل عند وعید قومهم بالاهلاک وعلیه اعتمدوا وبه وثقوا فعلی ذلک رسول الله

قال ان وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين اي هو ولي يحفظني وهو يتولى حفظ الصالحين اي يتوليه صلحا
او يتولى ويحفظ الصالحين مقابل قوله من ذكرنا من الرسل قومهم ثم قوله وليّ الله يحتمل حافظي وناصري او وليّ
تدبيري الله الذي نزل الكتاب او وليّ امري او اولى بي الله نزل الكتاب الذي عجزت الخلايق عن اتيان مثله وهو يتولى الصالحين
وقوله عز وجل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون ويذكر سفههم بعبادتهم من عجز عن دفع
الضرر عن نفسه فضلا ان يدفع ذلك عنهم او يجر والى انفسهم منفعة واخبر عن جهلهم انهم يعبدون من لا يملك دفع ضر
ولا جر نفع بقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون الهدى هذا يخرج على وجهين احدهما
يخاطب به المؤمنين يقول لهم وان تدعوا اهل مكة الى الهدى لا يسمعوا اي لا يجيبوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون اي
اي لا ينتفعون به او لشدة تعنتهم لا يبصرون وجايز ان يكون يقول وان تدعوا الاصنام التي تعبدون الى الهدى لا يسمعوا
اي لا يجيبوا ولا يملكون الاجابة ويحتمل لا يسمعوا حقيقة السمع وتراهم ينظرون اليك على التمثيل اي كانهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون حقيقة وقوله عز وجل خذ العفو يتوجه وجهين احدهما على حقيقة الاخذ والثاني على العمل بالعفو
فان كان على الاخذ فهو على وجهين يحتمل ان خذ الفضل الذي لا حق فيه وهو القليل من ذلك واليسير ما كان انه ختما يفضل
من انفسهم وحوايجهم من غير مسالة اي اقبل منهم ما اعطوك ولا تلح في المسالة كقوله ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها
فيحفكم تبخلوا الاية اخبر انه ان يسالهم اموالهم حملهم ذلك على البخل وان كان على العمل فهو على وجوه اي اعف عن الظلمة عن ظلمهم
واعرض عن السفهاء واحلم معهم امر رسول الله ان يعامل الخلق باشياء ثلثة امر ان يعفو عن الظلمة عن ظلمهم لا تكافيهم
بظلمهم وامر ان يعرض عن السفهاء والجهال ويحلم معهم وامر ان يعامل المؤمنين باللين والرفق وكذلك وصفه بالرحمة والرافة
بالمؤمنين رؤف رحيم وروي عن عبد الله بن الزبير قال خذ العفو وامر بالعرف قال خلق حسن ما انزل الله هذه
الاية الا في اخلاق الناس وعن قتادة قال خذ العفو وامر بالعرف قال لخلق حسن امر الله به نبيه ودعاه اليه الى هذا ذهب
بعض اهل التاويل في ذلك صرف تاويل الاية وقال بعضهم هو اخذ الفضل من المال على ما ذكرنا فهو منسوخ باية الزكوة
وروي في حرف ابن مسعود وابي خذ العفو وامر بالعرف وانه عن المنكر واعرض عن الجاهلين وفيه دلالة انه امر بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف هو اسم كل خير وامر بان ياخذ بالعفو عن الظلمة على ما ذكرنا وعلى ذلك روي عن عايشة
قالت كان رجل يشتم رسول الله ويؤذيه فدخل على رسول الله فاوسع له وادناه ورحب به قالت فقلت يا رسول الله اليس هذا
كان يشتمك قال بلى يا عايشة ان من شرار الناس من يكرمون اتقاء شرهم والسنتهم الى مثل هذا دعي رسول الله بالعفو
والصفح عن الظلمة وترك المكافات وقوله وامر بالعرف اي مر الناس بالعرف وهو ما يستحسن خلقتك وتامرك به اشياء ثلاثة
اثنان فيما بينه وبين ربه والواحد فيما بينه وبين الناس اما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه احدهما تامر خلقته وتشهد
على وحدانية الله والدلالة على الوهية والثاني تشهد على نعم الله اليه فيدعوه الى الشكر له فيما انعم عليه واما الواحد الذي
يدعو خلقته فيما بينه وبين الناس هو ما يرغب نفسه في كل محاسن ومرغوب فيه وينفر نفسه عن كل اذى وسوء فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعامل الخلق بما يرغب نفسه وتطمع في المحاسن وتنفر عنه وتكره تفعل اليهم في كل
ما ترغب نفسه فيه وتطمع ويمتنع عن كل اذى وسوء والله اعلم وقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال بعضهم
النزغة هي ادنى افعال المعصية وكذلك فسر ابن عباس رضي الله عنه يقول اذا اذنبت ذنبا فاستعذ بالله وقال
القتبي واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنك ويقال نزغ شيئا اذا افسد وقال ابو عوسجة النزغ التحريك
للفساد وقال بعضهم قوله ينزغنك من الشيطان نزغ اي يوسوسك الشيطان وسوسة فاستعذ بالله ثم في الاستعاذة
وجهان احدهما امر بالفزع الى الله عند ما يوسوسه الشيطان والالتجاء اليه لما راى نفسه عاجزة عن دفع ما يوسوس
اليه وربما يكون هو الدافع عنه ذلك وهو المراد وقال الخليل اعوذ بالله اي الجا الى الله تعالى وكذلك قوله
استعذ بالله ومعاذ الله معناه اعوذ بالله ومنه الاعاذة والتعوذ والتعويذ وقال غيره اعوذ بالله اي امتنع
بالله وقيل اعوذ بالله اي اتحصن بالله وقيل الاستعاذة هو الاستغاثة بالله تعالى لدفع ما اعترض له

من الشيطان

من الشيطان وكل قريب بعضه من بعض ثم الحكمة فيما جعل عدوهم من غير جنسهم من حيث لا يرونه ويراهم وجهان
احدهما ليكونوا ابدا على التيقظ والانتباه غير غافلين عنه والثاني ليكونوا ابدا فزعين الى الله تعالى متضرعين اليه
مبتهلين ليكون هو الحافظ لهم والدافع عنهم شره ووساوسه وفيما امر بالفزع الى الله والاستعاذة به عند نزغ
الشيطان نقض على المعتزلة لانهم يقولون قد اعطاهم جميع ما يدفعون به وساوسه ونزغاته حتى لم يبق عنده شيء
بعينه فعلى قولهم يخرج طلب الاعاذة مخرج كتمان النعمة او مخرج الهزء به لانه يساله ما يعلم انه ليس ذلك عنده
وقوله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان وقيل طيف من الشيطان فمن قرا طيف قال اللمة والخطرة الشيء
يغشيك وقال واما الطايف فهو من الطواف وقيل الطيف الوسوسة وقيل الطيف ما ياتيك من الشيطان وقيل الطايف
والطيف سواء وعن ابن عباس اذا مسهم طيف من الشيطان قال اذا اذنبوا ذنبا تذكروا فاذا هم مبصرون يقول تذكروا
ذنوبهم فتابوا منها وكذلك قال في قوله ينزغنك من الشيطان نزغ هو ادنى ذنب يرتكبه وان كان على هذا فهو يخرج
على النهي عن ذلك فهو كالمخاطبات التي خاطب بها رسول الله كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الجاهلين
فلا تكونن من الممترين وان كان يعلم انه لا يشك ولا يجهل ولا يشرك عينه في امره تعالى ذلك هذا الخطاب الذي خاطبه
بقوله ينزغنك من الشيطان وان كان ما ذكر هو ادنى ذنب يرتكبه فهو يخرج ذلك على تعليم امته ان كيف يفعلون
اذا اعترض لهم ذلك والله اعلم وقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم كذا يحتمل ان يكون قوله اتقوا مكايد الشيطان
اذا اصابهم شيء من ذلك تذكروا ذلك فعرفوا انه من الشيطان فاذا هم مبصرون اي ابصروا انه من الشيطان
او ان يقال اي هم من اهل البصر يبصرون عما اتقوا به انه من الشيطان ويحتمل قوله ان الذين اتقوا المعاصي اذا اصابتهم
وسوسة من الشيطان تذكروا ذلك وقال بعض اهل التاويل قوله ان الذين اتقوا اي اتقوا الشرك لكن لا كل
من اتقى الشرك يكون كما ذكر وقوله اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا الاية يحتمل وجوها احدها
اذا مسهم بذلك فابوا عما كان منهم كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة الاية والثاني تذكروا وجوه حيل دفع
وساوسه والثالث تذكروا واستعاذوا به حين امرهم بالاستعانة به عند النزغة وقوله عز وجل واخوانهم
يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال بعض اهل التاويل قوله واخوانهم يعني اخوان الكفار والشياطين يمدونهم
في الغي قالوا في الشرك والمعصية ثم لا يقصرون عنها اي لا ينتهون عنها ولا يبصرونها كما ابصر الذين اتقوا عنها
حين ابصروها ويحتمل ان يكون قوله واخوانهم يعني اصحاب الذين اتقوا وهم شياطينهم من الانس يدعونهم
الى دينهم لكن هم لا يجيبونهم ولا يطيعونهم فيما يدعون اليهم اذ يجوز ان يكون لكل مؤمن شيطان من الانس وشيطان
من الجن كقوله وجعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فقد دعا اولئك شياطين الجن فتذكروا ولم يجيبوهم
ثم دعاهم شياطين الانس ايضا فلا يجيبونهم والله اعلم وقوله عز وجل واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها ظاهر
الاية في سوال اهل الكفر رسول الله الاية انهم كانوا اذا اتى بهم اية استهزؤا بها وتعنتوا واذا لم ياتهم بها سالوه
الاية سوال المستهزئين المتعنتين واذا لم ياتهم بها قالوا لولا اجتبيتها لولا ابتدعتها واحدثتها وانشاتها وهلا انبتها
من قبل نفسك فقال قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي لا افتعلها ولا انشاها من نفسي انما اتبع ما يوحى الي من ربي
وامكن ان يكون سوال الاية من المؤمنين فان كان منهم فهو سوال الاسترشاد لما يزدادهم بكل اية تنزل عليهم
يقينا وقوة في دينهم كقوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا الاية واما الذين في قلوبهم
مرض فزادتهم رجسا الاية وكقوله فاذا انزلت سورة محكمة الاية فاذا كان السوال من المؤمنين فهو سوال الاسترشاد
وطلب زيادة الهدى وان كان من الكفار فهو سوال الاستهزاء والتعنت ثم اخبر انه لا يتبع الا ما يوحى اليه ثم اخبر
انه بصاير من ربكم قيل بيان اي هذا القران بيان من ربكم يبصر به من لم يعاند ولم يكابر عقله كل ما له وما عليه
وانه البيان للحق والباطل وهدى من الضلالة ورحمة لقوم يؤمنون اي ورحمة من العذاب وقوله عز وجل
واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا الاية امر الله تعالى بالاستماع الى هذا القران والانصات له اذا قرئ

وان كان في العقل اى من خاطب آخر بمخاطبات يلزمه الاستماع الى ما يخاطب ويشافهه والله سبحانه اذا خاطب بخطاب
اولى ان يستمع له مع ما ذكر في غير موضع من القرآن ايات ما يوجب في العقل الاستماع اليه كقوله هذا بصاير من ربكم وهدى
ورحمة وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وغير ذلك من الآيات ولا سبيل الى ان يعرف انه بصاير وانه هدى وما ذكر
الا بالاستماع والتفكر فيه فدل ان الاستماع لازم في العقل من له ادنى عقل على ما ذكرنا من المخاطبات لكنه ذكر
ههنا الاستماع اليه والله اعلم لوجهين احدهما مقابل ما كانوا يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه امر عز وجل
المؤمنين بالاستماع مكان قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن وامر بالانصات مكان ما يقولون والغوا فيه والثاني يجوز ان يكون
امر بالاستماع اليه في الصلوة على ما قالوا بعض اهل التأويل انه في الصلوة وقال بعضهم في حال الخطبة لما يسبق الى وهمهم
انه لما اشتغلوا بغيرها من العبادات ولزمهم انواع القرب ان يسقط عنهم حق الاستماع فامر بالاستماع والانصات له ليعلموا
ان حق الاستماع لازم في كل حال ثم الاستماع اليه يكون لتفهم ما اودع فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد وغيره والانصات
للتعظيم له والتبجيل ثم الاستماع له لم يلزم لنفس التلاوة ولكن انما يلزم لما اودع فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد
وغيره ليفهموا ما فيه ويعقلوا ويقوموا بوفاء ذلك واما ساير الاذكار انما صار عبادة لنفسها لذلك لم يلزم الاستماع
الى ساير الاذكار ولزم التلاوة القرآن ولان القرآن كلام الله وكتابه ومن الجفاء والاستخفاف ان يكتب انسان الى احد كتابا
لا ينظر فيه ولا يستمع له فترك الاستماع الى كتاب الله اعظم في الجفاء والاستخفاف ولان القرآن يجهر وساير الاذكار
لا يجهر فان كانت تجهر فيستمع بها كما يستمع الى القرآن والله اعلم وذكر في بعض القصة ان الآية نزلت في الصلوة لان
رسول الله اذا قرأ في صلوته كانوا يقولون مثل ذلك فنزلت الآية بالنهي عن ذلك والامر بالاستماع اليه والانصات له
وذكر انهم كانوا يرفعون اصواتهم في الصلوة حين يسمعون ذكر الجنة والنار فنزلت الآية لذلك فلا ندري كيف
كانت القصة وفيم كانت وقد يحتمل ما ذكرنا انها ان كانت الآية في الصلوة ففيه دلالة النهي عن القراءة خلف الامام لانه امر
بالاستماع اليه والانصات له وعلى ذلك جاءت الاخبار روي عن ابي العالية قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى
قرا اصحابه اجمعون خلفه حتى نزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا فسكتوا وعن علي بن احمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ في صلوة الفجر الواقعة وقرأها رجل خلفه فلما فرغ من الصلوة قال من الذي ينازعني في هذه السورة فقال رجل يا رسول
الله انا يا رسول الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وغير ذلك من الاخبار فقال قوم ان الانصات الذي امر به المؤتم معناه
ان لا يجهر بقراءته وليس فيه نهي عن ان يقرأ في نفسه وزعم بعضهم ان القارئ خفيا يسمى ناصتا منصتا واستدل بما روي عن
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كبر سكت بين التكبير والقراءة قلت بابي انت ارايت
سكاتك بين التكبير والقراءة اخبرني ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المغرب والمشرق
وغير ذلك من الدعوات فقال هذا القائل قد سمى النبي القارئ مخفيا ساكتا والصامت مثل الساكت فيجوز ان يسمى صامتا وهو
او يقرأ مخفيا كما يسمى ساكتا قال الشيخ غلط هذا القائل في تشبيه الصامت بالساكت لانهما اسماء لا ينقاسوا انما يطلق في كل واحد
منهما ما اطلقته اللغة فيه ومما يبين غلطه ان الله يقول فاستمعوا له وانصتوا فلو كان القارئ مخفيا يسمى صامتا ناصتا ما كان
مستمعا وانما يكون مستمعا صامتا اذا صمت فلم يقرأ فمن اطلق له ان يقرأ فلم يستمع ولا انصت ومما يدل على غلطه ايضا ان العلماء
جميعا ينهون المؤتم عن القراءة وامامه يجهر بالقراءة وانما يأمر من يأمره بالقراءة خلف الامام ان يقرأ اذا سكت امامه ويأمر هؤلاء
الامام ان يقف ساعة اذا فرغ من قراءته حتى يقرأ المؤتمون فلو كانوا يجعلون القارئ في نفسه والامام يقرأ جهرا صامتا
ما امر بتأخير القراءة حتى يفرغ امامه من القراءة فهذا يبين غلط المستدل بحديث ابي هريرة في استدلاله ومما يدل
ان المؤتم منهي عن ان يقرأ والامام على الناس ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلوة نظن
انها الصبح فلما سلم اقبل على الناس قال هل يقرأ منكم احد فقال رجل انا فقال النبي اني اقول ما لي انازع القرآن قال ابو هريرة
فانتهى الناس عن القراءة فيما يجهر فيه النبي فقال قوم ان ابا هريرة انتهى الناس عن القراءة خلف النبي فيما جهر فيه فيقال
ان ابا هريرة لم يرو ذلك عن النبي ثم مما يدل على ان المؤتم لا يقرأ جهر الامام او خافت قول النبي ما لي انازع القرآن وقد علمنا

ان المؤتم

ان المؤتم لم يجهر بقراءته فيتناول متاول منازعته النبي صلى الله عليه وسلم على انه شغل فلا وجه لقوله ما لي انازع القرآن
الا بنهيه المؤتم عن ان يقرأ جهر امامه او خافت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين النهي عن القراءة خلف الامام فيما جهر
فيه او خافت ما روي عن عمران ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه الظهر فلما قضى صلوته قال ايكم قرأ بسبح اسم ربك
الاعلى فقال بعض الناس انا يا رسول الله فقال قد عرفت ان بعضكم خالجنيها فبين عمران بن حصين ان الرجل خافت بقراءته وذلك
ان النهي الذي رواه ابو هريرة لم يكن في حال الجهر الامام دون مخافتته وان المؤتم منهي عن القراءة خلف الامام في كل الصلوات
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن القراءة خلف الامام احاديث كثيرة ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم وعمران بن حصين عنه وما روي عن عبد الله قال كانوا يقرؤون خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خلطتم علي القرآن فان قيل لعلهم كانوا يجهرون بالقرآن فنهى عن الجهر قيل له لم ينقل لنا في شيء من الاخبار
ان المؤتمين كانوا يقرؤون جهرا ولو كانوا يقرؤون جاهرين لادى ذلك الينا كما ادعاهم كانوا يقرؤون وفي ذلك وجه آخر
انه لم يكن النهي عن الجهر خاصة ولكن للقراءة نفسه ما روي عن ابي وائل قال سألت عبد الله بن مسعود عن القراءة خلف
الامام فقال انصت فان في الصلوة مشغلا وسيكفيك ذلك الامام وعن عبد الله بن شداد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى ورجل خلفه يقرأ فنهاه رجل من اصحاب
النبي عن القراءة في الصلوة فتنازعا فيه حتى ذكر للنبي عليه السلام من صلى خلف امام فقراءة الامام له قراءة وعن ابي موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال واذا قرأ الامام فانصتوا وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما جعل
الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرأ فانصتوا وغير ذلك من الاحاديث واكثر ما يحتج به المخالف لعلمائنا رحمهم الله ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا صلوة لمن لم يقرأ بام القرآن يرويه عبادة بن الصامت قال سفين هذا عندنا فيمن يصلي وحده فذلك
محتمل والاحاديث التي جاءت مفسرة في النهي عن القراءة خلف الامام فان قال يترك المؤتم القراءة فيما يجهر فيه امامه بحديث
ابي هريرة ويقرأ فيما يخافت بحديث عبادة بن الصامت ليصلح حديث ابي هريرة وحديث عبادة جميعا قيل له فهلا جعلته
في المصلي وحده ليصح حديث عبادة وحديث عمران بن حصين لان حديث عمران ينهى عن القراءة فيما خافت وحديث ابي هريرة
عن القراءة فيما جهر فيه فان جعلت حديث ابي هريرة خارجا من عموم حديث عبادة فذلك يوجبان لا يقرأ المؤتم فيما جهر فيه
امامه او خافت فيقال له هل رايت فرضا من فرايض الصلوة يسقط عن المؤتم في حال ويجب عليه في حال فان قال لا قيل
في اسقاطك تلك القراءة عنه في حال الجهر ما اوجب عليك ان تسقطها عنه في حال المخافتة وقد احتج بعض اصحابنا في ذلك
بان قالوا وجدنا الرجل اذا جاء الى الامام وهو راكع فكبر ودخل في صلوته ولم يقرأ فكل يجمع ان صلوته تجزيه فدل ذلك ان القراءة
غير فرض عليه فان قال بما اطلق له ذلك للضرورة قيل لو جاء الى الامام وهو ساجد لم يعتد بتلك الركعة والضرورة قايمة
فلو كانت الضرورة تزيل فرضا لازالت الركوع عمن لحق امامه وهو ساجد فهي لا تزيل فرض القراءة عمن لحق امامه ولكن لا يلزمه
القراءة خلف الامام فلذلك اجزت صلوته لا للضرورة التي ذكرت والله اعلم وقد روي عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين انهم قالوا لا قراءة على من خلف الامام منهم علي وابن مسعود وجابر وابو سعيد وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت
رضي الله عنهم اما عن علي رضي الله عنه قال من قرأ خلف الامام فقد اخطأ الفطرة وعن عبد الله قال لمن قرأ خلف الامام
ملئ فوه ترابا وعن زيد بن ثابت قال من قرأ خلف الامام فلا صلوة له وعن سعد قال وددت ان الذي يقرأ خلف الامام
في فمه جمرة وعن ابن عمر كان اذا سئل هل يقرأ احد خلف الامام قال لا فاذا صلى احدكم وحده فليقرأ وكان ابن عمر لا يقرأ خلف
الامام وعن ابي سعيد انه سئل عن القراءة خلف الامام قال يكفيك ذلك الامام وعن ابن عباس ان رجلا ساله اقرأ خلف
الامام قال لا الى مثل هذه الاحاديث ذهب اصحابنا وعلى ذلك دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وبالله التوفيق وقوله
عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال اختلف اهل التأويل في الذكر الذي
ذكر في الآية منهم من صرف التأويل الى كل ذكر ومنهم من صرف الى التلاوة فان كان ذكر الغدو والآصال كناية عن الليل
والنهار فهو ذكر الله يذكر الله عز وجل بنعمه واحسانه وذكره بنعمه شكره او يذكر بعظمته وسلطانه وذلك يحمله على الخضوع له

والتواضع او يذكر امره ونهيه ووعده ووعيده وذلك يوجب الاقرار بالتقصير والخوف لعقوبته والرغبة في وعده
كانه قال واذكر ربك في كل حال من الليل والنهار اما شكر النعمة واحسانه واما الاقرار بالتقصير في امره ونهيه واما الخوف
لوعيده واما الرغبة لوعده فكانه قال اذكر ربك تضرعا وتواضعا وخيفة مع الخوف وان كان تاويل الغدو والاصال
كناية عن الغداة والعشي فهو كناية عن الصلاة وهو ما سبق من ذكر التلاوة من قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وقوله
هذا بصائر من ربكم وهو كقوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وتاويله والله اعلم ولا تجهر بصلوتك في بعض صلوتك
ولا تخافت في بعضها او ان يقال لا تجهر جهر العالي ولا تخافت غاية المخافتة ولكن بين ذلك او ان يقول لا تشتغل بالجهر ولا بالمخافتة
ولكن اقرا بما اراد الله فيه فعلى ذلك قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال وقرا
بعضهم وخيفة وهو من الاخفاء حيث قال واذكر ربك في نفسك واما ظاهر القراءة فهو خيفة وهو من الخوف وقال مجاهد
رحمه الله ان تذكره في نفسك تضرعا وخيفة وانت خلف الامام تسمع قراءته والاصال قال ابو عوسجة العشيات الواحد
اصل واصيل **وقوله** عز وجل ولا تكن من الغافلين معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن من الغافلين فهذا
ولكن على النهي لامته كقوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين ونحوه نهاه ان يكون ما ذكر لما ذكرنا نهيا لغيره
والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته قالت المشبهة لو لم يكن بين الله وبين الملائكة
قرب الذات لكانوا هم والبشر بقوله عند ربك سواء ولكان لا معنى لتخصيص الملائكة بذلك لكن التاويل عندنا في قوله
عند ربك في الطاعة والخضوع او في الكرامة والمنزلة ليس على قرب الذات ولكن على ما وصف عز وجل لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصفهم
بالطاعة له والخضوع فعلى ذلك الاول ليس على قرب الذات ولكن على ما ذكر من الطاعة والخضوع الا ترى انه قال واسجد
واقترب ليس على انه في الارض يقترب منه اذا سجد واصل ما يضاف الى الله من جزئية الاشياء يخرج مخرج تعظيم
تلك الجزويات كقوله وان المساجد لله خص المساجد بالاضافة اليه وان كانت البقاع كلها له تعظيما لها وكذلك
قوله الكعبة بيت الله وان كانت البيوت كلها له ونحو ذلك مما اضاف ذلك الى نفسه من جزويات الاشياء تعظيما لذلك
ولجلالة فعلى ذلك الاول الاضافتهم الى نفسه اما للطاعة لهم اياه وللخضوع واما للكرامة لهم والمنزلة واضافة كلية الاشياء
الى الله تخرج مخرج تعظيم الرب من ذلك قوله له الخلق والامر وقوله وهو على كل شيء قدير وقوله خالق كل شيء ومن الناس
من استدل بتفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية لكنا نقول انا لا افضل عند الله الا اطوع له والا اخضع والا اتقى والا اوقر
لامره ونهيه على ما ذكرنا ان اكرمكم عند الله اتقاكم لا نشير ان هؤلاء افضل من هؤلاء وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم
وتاويل الآية والله اعلم في قوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية اي انهم وان لم يكن لهم حاجة الى الماكل
والمشرب وانواع الحاجات لا يستكبرون عن عبادته فانتم مع حاجتكم الى الاكل والشرب وانواع الحوائج احرى واولى
ان لا يستكبروا عن عبادته او ان يقول ان الذين يعبدون من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته فانتم احق ان لا تستكبروا
عن عبادته لان من الناس من يعبد الملائكة تخرج هذا جواب ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ويسبحونه التسبيح هو
وصف الرب عز وجل بالرفعة والعظمة والجلال والتعالي عن الاشباه والامثال وعما وصفه الملحدون والتسبيح
هو تنزيه الرب وتبرئته عن جميع معاني الخلق **وقوله** عز وجل وله يسجدون هو الخضوع في الغاية وليس في الآية دليل
وجوب السجدة على من تلاها او سمعها انما فيها الاخبار عن الساجدين انهم سجدوا غير مستكبرين وفي ذلك ترغيب في السجود
الا ان النبي صلى الله عليه وسلم روي عنه انه سجد وسجد من معه وعن ابن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا موضعا يسجد فيه وعن ابن عباس
رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ص وفي بعض الاخبار عن ابن عمر قال كان رسول الله يقرا القرآن
في غير صلوة فيسجد ونسجد معه وعن ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم فسجد
فيها ولم يبق معه احد الا سجد الا شيخ كبير من قريش اخذ كفا من حصى فرفع الى جبهته فلقد رايته قتل كافرا وعن علي

رضي الله عنه انه ذكر سجود القرآن او عد فقال الاعراف والرعد والنحل وبني اسرائيل ومريم والحج سجدة واحدة
والفرقان وطس والم تنزيل وص وحم وقال وليس في المفصل سجود وعن ابن مسعود قال في السورة يكون في اخرها
السجدة نحو الاعراف والنجم ان شئت فاسجد ثم فاقرا وان شئت فاركع وعن ابن مسعود كان يسجد في الاعراف وفي بني اسرائيل والنجم
واذا السماء انشقت واقرا باسم ربك واحتج بعض مشايخنا ان السجود على من تلا اية السجدة واجب اجمع اهل العلم ان على المصلي
اذا تلا الآية فيها السجدة ان يسجد في صلوته فلو كان السجود تطوعا ما كان لاحد ان يزيد في صلوته ما ليس منها فدل ذلك
على ان السجود واجب في الصلوة واذا كان في الصلوة واجبا فهو على كل حال واجب ومن الحجة لنا ايضا ما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا آيات فسجد فيها فكان السجود بها واجبا كما انه لما صلى صلوة العيدين كانت واجبة

سورة الانفال مدنية وآيها سبعون وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول اختلف فيه قال بعضهم الانفال هي المغانم التي يغنمها
المسلمون من اهل الحرب وقال بعضهم الانفال هي الفضول من حقوق اصحاب الغنائم فان كانت الانفال الغنائم فالسؤال
يحتمل وجهين يحتمل انهم سألوا عن حلها وحرمتها لان الغنائم كانت لا تحل في الابتداء قيل انهم كانوا يغنمونها
ويجمعون في موضع فجاءت نار فتحرقها فسألوا عن حلها وحرمتها فقال الانفال لله والرسول اي الحكم فيها لله يجعلها
لمن يشاء ويحتمل السؤال منها عن قسمتها وهو ما روي في بعض القصة ان الناس كانوا يوم بدر ثلاثة اثلاث ثلث في نحر
العدو وثلث خلفهم ردا لهم وثلث مع رسول الله يحرسونه فلما فتح الله عليهم اختلفوا في الغنائم فقال الذين كانوا في نحر
العدو نحن احق بالغنائم نحن ولينا القتال وقال الذين كانوا ردا لهم لستم باولى منا وكنا لكم ردا وقال الذين اقاموا مع رسول الله
لستم باحق بها منا كنا نحن حرسا لرسول الله فتنازعوا فيها الى رسول الله فنزل يسألونك عن الانفال قل الانفال لله
والرسول وقال ابو امامة الباهلي سالت عبادة بن الصامت عن الانفال قال فينا نزلت معشر اصحاب بدر حين اختلفنا
وساءت فيه اخلاقنا فانتزعه الله من ايدينا فجعله الى رسول الله فقسمه على السواء ومجاهد وعكرمة قالا كانت
الانفال لله والرسول فنسختها واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه
قال الانفال المغانم كانت لرسول الله خالصة ليس لاحد فيها شيء ما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس
عنه ابرة او سلكا فهو غلول فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم منها فقال قل الانفال لله والرسول ليس لكم
فيها شيء ويحتمل ان يكون الانفال هي فضول المغانم على ما قال بعضهم نحو ما روي في الاخبار ان منهم من كبه فقال
اجعلها لي يا رسول الله واخذ الاخر سيفا وقال اجعلها لي ونحو ذلك كانوا يسألون رسول الله ذلك فقال قل الانفال لله
والرسول ويحتمل ان يكون سؤالهم عن التنفيل ان ينفلهم الرسول بعدما وقع في ايديهم او بعد ما انهزم الكفار وادبر العدو
وانما يجوز للامام التنفيل في حال اقبال الحرب وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال النفل ما لم يلتق
الزحفان والصفان فاذا التقيا فهو مغنم وروي عن مصعب بن سعد قال نزلت في اربع آيات يوم بدر اصبت سيفا
فاتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقلت يا نبي الله نفلنيه اجعل لا عمل له فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ضعه من حيث اخذته فنزلت هذه الآية يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ثم قال سعد
دعاني رسول الله فقال اذهب فخذ سيفك فدل حديث سعد ان النبي لم ينفل قبل الحرب احدا شيئا منه مما لا ياخذه لانه
لو كان نفلهم لم يمنع سعدا رضي الله عنه السيف الذي جاء به ويدل على ان النبي لم يامر في الغنيمة بشيء حتى نزلت آية النفل
فرد الله الامر بالغنيمة الى رسوله فاطلق رسول الله لما رد الله الامر ويجوز ان يكون النبي لم ينفل احدا قبل الحرب شيئا ولكنه
كان ينفل مما يؤتى به من شاء ممن قتل بغير ايجاب تقدم يبين ذلك قول سعد اجعل لمن لا عمل له وحديث عبادة يخبر
ان النبي نفلها ما يلحقون من اهل الحرب قبل ان ياخذوه وهذا موضع الاختلاف بين الحديثين والظاهر من ذلك ان النفل

قد كان وقع في الغنايم لان الله قد سماها انفالا قبل ان يحلها فلولا ان النبي كان نفلهم اياها قبل الحرب وبعدها لم يسم الله انفالا والله اعلم وفي حديث عبادة ان قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ذكر بعد ذكر النفل وانه حكم الناسخ الثابت وكذلك قول ابن عباس يدل على ذلك وقد اجمع اهل العلم على ما ذكره عبادة في اخر حديثه فقالوا جميعا ان الغنيمة يخرج خمسها للاصناف الذين ذكرهم الله الا ما اختلفوا فيه من سهم ذوي القربى ثم يقسم الاربعة الاخماس بين اهل القسمة وجعلوا للامام ان ينفل السلب وغيره فيقول من قتل قتيلا فله سلبه يحرض بذلك المقاتلة وينفل السرية يخرج من العسكر شيئا بعد الخمس ومما اجمعوا عليه من قسمة الغنيمة اخماسا نزول القرآن وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الغنيمة لم تحل لاحد قبلنا وقد احلت لنا وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنيمة لقوم سود الرؤوس قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتاكلها فلما كان يوم بدر اسرع الناس في الغنايم فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ونحو ذلك والله اعلم

وقوله عز وجل يسألونك عن الانفال يحتمل وجوها احدها يسألونك عمن له الانفال لله والرسول والثاني يسألونك الانفال على اسقاط عن وقد كانوا يسألون الانفال والمغانم والثالث يسأل كل عن نفل له الذي جعل له والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله واصلحوا قال اهل التاويل اتقوا الله في اخذ الانفال وتركه الانفال وفي غيرها اتقوا معصية الله ومخالفته في امره ونهيه واصلحوا ذات بينكم امر باصلاح ذات البين لما ذكر من عظيم منته ونعمه التي انعم عليهم بقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم كانوا اعداء فالف بين قلوبكم وذلك من عظيم نعمه عليهم فامرهم هنا باصلاح ذات البين ليكونوا على النعمة التي انعمها مجتمعين غير متفرقين وقوله عز وجل واطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الله في امره ونهيه ورسوله في آدابه وسنته ان كنتم مؤمنين ويقول اطيعوا الله فيما دعاكم اليه ورغبكم فيه ورسوله فيما بين لكم ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين به وقوله عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى آخر ما ذكر يحتمل وجوها يحتمل قوله انما المؤمنون الذين حققوا ايمانهم بما ذكر من الافعال والثاني انما المؤمنون الذين ظهر صدقهم عندكم بما ذكر من الافعال من وجل القلب والخشية والثبات واليقين على ما كان عليه ليس كالمنافقين الذين كانوا مرتابين في ايمانهم كما وصفهم في آية اخرى حيث قال واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وكانوا اذا انفقوا انفقوا كارهين وكانوا لا يذكرون الله الا قليلا مراآة الناس واما المؤمنون فهم الذين يقومون بوفاء ذلك كله حقيقة فيظهر صدقهم بذلك وهو ما وصفهم في آية اخرى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون ويحتمل ان يكون على الاعتقاد خاصة ليس على نفس العمل كانه قال انما المؤمنون الذين اعتقدوا في ايمانهم ما ذكر من وجل القلوب والخشية عند ارتكاب المعصية والتقصير عن القيام بما عليه وما يرتكب المومن من المعاصي انما يرتكب عن جهالة ثم يتوب عن قريب كقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب يرتكب ذلك اما لغلبة شهوة او يعتقد التوبة من بعده او يرجوا رحمة الله من فضله في العفو عن ذلك فيكون قوله انما المؤمنون الذين اعتقدوا ايمانهم ما ذكر من الافعال وهو كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو على الاعتقاد والقبول لانهم اذا اعتقدوا ذلك وقبلوا يخلى سبيلهم وان لم يقيموا الصلوة وما ذكر فعلى ذلك والرابع يحتمل قوله انما المؤمنون هم الذين فعلوا هذا والتوابع التي كله لكنهم اجمعوا ان من آمن بقلبه وصدق كان مؤمنا وان لم يات بغيره من الافعال نحو ان يؤمن ثم يخترم ويموت من ساعته مات مؤمنا فدل انه لم يخرج ذلك على الشرط لما ذكرنا ولكن على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يخرج على وجوه احدها يخبر ان المومن هو على وصف ما ذكر ما ذكر ونقول ان المؤمنين الذين ينبغي ان يكونوا ما ذكر او يقول انما المؤمنون المختارون ما ذكر جعل الله تعالى ما ذكر من وجل القلب وغيره علما بين الذين حققوا الايمان في الظاهر والباطن وبين الذين اظهروا الايمان واضمروا الكفر والخلاف وكذلك ما ذكر في آية اخرى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا وقوله عز وجل

واذا تليت

واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا يحتمل قوله آياته حججه وبراهينه اذا تليت عليهم ذلك يزداد لهم ثباتا وقوة على ما كانوا واما المنافقون فان الآيات التي تنزل كانت تزداد لهم بها رجسا وبعدا فان المؤمنون يزيد لهم ذلك ثباتا وقوة او ذكر الزيادة لان للايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت او ساعة فاذا كان له حكم الحدوث والتجدد فهو زيادة فهو على ما كان فان شئت سميتها زيادة وان شئت سميته ثباتا وقال ابو حنيفة رحمه الله يزيد الايمان بالتفسير على الايمان بالجملة فاذا فسروا لهم وقالوا فلان رسول ونبي ازداد بذلك له ايمانا وان كان قد آمن به بالجملة وكذلك الايمان بجميع الكتب والامر وان كنا نومن في الجملة ان له الخلق والامر فاذا عرف ذلك الامر ازداد له ايمانا في ذلك والله اعلم لانه آمن بالله وان له الخلق والامر فقد اتى بعقد الايمان فاذا جاء في التفسير واحد بعد واحد ازداد له ايمانه بالتفسير على ايمانه بالجملة وقوله عز وجل وعلى ربهم يتوكلون اي على ربهم يثقون ويعتمدون في كل امورهم لا يتكلون على غيره انما يتوكلون على الله وليس كالمنافقين هم انما يتوكلون على النعم التي اعطوا كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ونحو ذلك واما المؤمن فانه في جميع احواله يتوكل على الله ومنه يخاف وان كان يصل ذلك اليه ويجري على يدي غيره فهو في الحقيقة من الله وقوله عز وجل الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون بحق الله الذي عليهم وقوله عز وجل اولئك هم المؤمنون حقا يحتمل وجهين يحتمل اولئك الذين حققوا ايمانهم والثاني اولئك المؤمنون الذين وعد لهم وعدا حقا وهو ما وعد لهم من الدرجات والمغفرة حق لهم ذلك الوعد والله اعلم لهم درجات عند ربهم قيل فضائل عند ربهم ومغفرة اي يستر عليهم ذنوبهم التي كانت منهم في الدنيا في الجنة وينسونها لان ذكر ذلك ينغص عليهم ورزق كريم قيل الحسن ورزق يكرم اهله به وقوله عز وجل كما اخرجك ربك من بيتك بالحق لم يخرج لهذا الحرف جواب في الظاهر لان جوابه ان يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق يفعل بك كذا ثم اهل التاويل اختلفوا في جوابه قال بعضهم هو صلة قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك كما كرهوا الخروج وجادلوك في قسمة الانفال جادلوك في امر العير ومنهم من يقول جوابه في امره بالقتال يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهم كارهون لذلك كذلك يكلفك القتال وهم كارهون لذلك ومنهم من يقول جوابه في قوله اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام يقول كما اجبتم الله في الخروج للقتال على غير تدبير منكم في ذلك ولا نظر فعلى ذلك يحييكم في النعاس امنة منه وانزل الماء من السماء والتطهير وتثبيت الاقدام على غير علم منكم ولا تدبير ومنهم من يقول قوله كما اخرجك ربك من بيتك غير متاهبين للقتال ولا مستعدين له كذلك يعدكم النصر والظفر والله اعلم وقوله عز وجل بالحق يحتمل وجوها يحتمل بالحق الذي لله عليهم من الامر بالخروج والقتال ويحتمل بالحق بالوعد الذي وعد اذ وعد لهم النصر والظفر وقال بعض اهل التاويل بالحق اي بالقرآن ولكن ان كان فهو ما ذكرنا بالامر الذي يأمر القرآن وقوله عز وجل وان فريقا من المؤمنين لكارهون يحتمل وجهين يحتمل فريقا من المؤمنين في الظاهر وهم المنافقون كرهوا الخروج للقتال ويحتمل ان يكون المؤمنون في الحقيقة كرهوا الخروج للقتال كراهة الطبع لا كراهة الاختيار لما امروا بالخروج للقتال وهم غير متاهبين للقتال ولا مستعدين فكرهت انفسهم ذلك كراهة الطبع لما لم يكن معهم اسباب القتال لا انهم كرهوا امر الله كراهة الاختيار وفي هذه الآية دلالة ان الامر قد يكون في الشيء وان لم يعلم وقت الامر فيما يؤمر وفيه دليل جواز تاخير جواز تاخير البيان لانهم امروا بالخروج للقتال وهم لم يعلموا وقت الخروج على ماذا يؤمرون وقوله عز وجل يجادلونك في الحق قيل في القتال وقيل قوله في الحق الذي امرت به ان تسير الى القتال ويحتمل ان يكون قوله في الحق الوعد الذي وعد لهم بالنصر والظفر بعد ما تبين لهم يحتمل قوله بعد ما تبين لهم الوعد الذي وعد لهم الله عز وجل بالنصر وقوله عز وجل كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فان كانت الآية في المنافقين فهو ظاهر وهم كذلك وصفوا بالكسل في جميع الخيرات والطاعات كقوله واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وان كان في المؤمنين الذين حققوا الايمان فهو لما كانوا

غير مستعدين للقتال ولا متاهبين له كانوا كارهين كذلك كراهة الطبع لا كراهة الاختيار وقال تاويلون قوله
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اى وان فريقا من المؤمنين اجابوا دبهم وان كانوا
كارهين للخروج من شدة الخوف وان كانوا من الخوف كانما يساقون الى الموت فاجاب الله تعالى لهم بالنصر والظفر وامنهم
من ذلك الخوف والله اعلم **وقوله** عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم ذكر في بعض القصة ان عير قريش
حين اقبلت من الشام خرج اصحاب رسول الله نحوهم على ما يخرج الى العير غير متاهبين للحرب وخرجت قريش من مكة تغيث
عيرها وهي الطايفة الاخرى وعدلهم ان احدى الطايفتين لهم اما العير واما العسكر انهم ينصرون عليهم وتودون
ان غير ذات الشوكة اى التى ليس فيها حرب ثم يكون لكم العير وهى اهون شوكة واعظم غنيمة كانوا يودون ذلك
وقوله عز وجل وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم لما لم تكونوا معدين للقتال والحرب وكان بهم متعف
وفي اولئك قوة وعدة والله اعلم قال الله تعالى ويريد ان يحق الحق بكلماته ويحتمل والله اعلم يريد ان يظهر الحق
باية منه من غير وجود الاسباب منهم وهو كما ذكر في قوله قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله
واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى العين اخبر ان في غلبة اولئك مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم ونقص اسباب
الحرب من السلاح والعدة وغير ذلك وقوة ابدان اولئك وكثرة عددهم وعدتهم وتاهبهم واستعدادهم لذلك
اية عظيمة فاراد ان يظهر الحق بالاية ليعلم كل منهم انه انما كان ذلك بالله لا بهم وهو ما قال فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اخبر انه كان بالله ذلك لا بهم ويحتمل قوله بكلماته بالوعد الذى وعد رسول الله
بمكة بالنصر والظفر لهم فاراد ان يظهر ذلك ويحققه ويحتمل بكلماته بعلمه وامره ونهيه ويحتمل بكلماته بحججه اى يوجب
الحق ويظهر بحججه وبراهينه ويحتمل بكلماته البشارات التى بشر بها المؤمنين بالنصر لهم والظفر والعداوة التى
كانت منهم ويحتمل بكلماته كلمات الملائكة الذين بعثهم مددا لهم يوم بدر على ما ذكر فاضافهم اليه تعظيما لهم واجلالا
على ما سمى عيسى روح الله وكلمته وموسى كليم الله تعظيما لهم واجلالا فعلى ذلك هذا والله اعلم ويقطع دابر الكافرين
يحتمل اثار الكافرين يقتلون جميعا ويستاصلون حتى لا يبقى لهم اثر ويحتمل يقطع ما دبرهم حتى لا ياتيهم مدد **وقوله**
عز وجل ليحق الحق اى ليظهر الحق ويوجب تعالى الحق كذا اى وجب ويحتمل ليظهر حق الحق ويظهر بطلان الباطل بما ذكرنا
يجب الحق ويجىء ويذهب الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل اى ذهب يعنى ذلك هذا يجىء الحق ويجب ويذهب
الباطل وان كره المشركون فان قيل في قوله فانما يساقون الى الموت وقوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم كيف خافوا
كل هذا الخوف حتى وصفهم بشدة الخوف كانما يساقون الى الموت وقد وعدهم النصر والظفر بقوله واذ يعدكم الله احدى
الطايفتين انها لكم وكيف استغاثوا ربهم في ذلك وقد سبق منه لهم الوعد بالظفر والنصر وقد يمكن ان تصرف
الاية الى المنافقين وهو قوله كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون عيانا ذكر في بعض القصة انه لم يكن ببدر منافق
بل كانوا كلهم مؤمنين حتى نحرز ذلك من شهد بدرا وان كان في المؤمنين فهو ما ذكرنا لقلة عددهم وضعفهم
وكثرة اولئك وعدتهم كانوا كما وصف والله اعلم لكن الاية تحتمل وجوه احدها امكن ان يكون الوعد لهم بالنصر
بين لرسوله ولم يبين لهم فالقى في قلوبهم الرعب والخوف لما لم يبين لهم الوعد بالنصر او بين لهم وبلغهم الوعد
بذلك لكن لم يبين لهم الوقت متى يكون ذلك الا ترى انهم امروا بالخروج ولا يدرون الى ماذا يؤمرون والثالث
ويجوز ايضا ان بين لهم الوعد بالنصر وبلغهم ذلك غير انهم خافوا ذلك وكرهوا خوف طبع وكراهة النفس لا كراهة
الاختيار وجايز الخوف في مثل هذا وكراهة الطبع وان كانوا على يقين بالنصر والظفر وتحقيق ذلك لهم والرابع
يجوز ان يكون الوعد لهم بالنصر والظفر بالتضرع اليه والاستغاثة منه على ما يكون في الدعوات يكون شقاوة بعض
ودخول النار بمعاص يرتكبها وسعادة اخر ودخول الجنة بخيرات ياتى بها فيصير من اهلها والخامس جايز ان يكون
ذلك من الله تعالى لهم محنة يمتحنهم بها كقوله ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع الاية يحتمل معنى الاية الوجوه التى
ذكرنا والله اعلم ثم اختلف في قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم الاية قال بعضهم هو صلة قوله ولقد

نصركم الله

نصركم الله ببدر وانتم اذلة قالوا قوله بالف من الملائكة مردفين الفان **وقوله** بثلاثة الاف من الملائكة منزلين
فيكون خمسة الاف مسومين ومنهم من يقول ثلاثة كان في احداز ذكر على اثر قصة احد فان كان ما ذكروا فكان قوله
ما ذكروا فكان قوله من الملائكة مردفين اما في ارداف الكونة وهو المتابع تابع اهل بدر المشركين وهم منهزمون او ان يكون
الارداف الامداد فيكون الفان وقال بعض اهل التاويل ان قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم هو رسول الله وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم راى كثرة المشركين ببدر علم انه لا قوة لهم الا بالله فدعا ربه وتضرع اليه ولكن ذلك قولهم عندنا
والله اعلم اعنى قول المؤمنين الا ترى انه قال اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بكذا والله اعلم وليس لنا الى معرفة
ذلك حاجة سوى ان فيه البشارة لهم بالنصر والطمانينة لقلوبهم واما الحقيقة النصر انما يكون بالله لا باحد سواه
ودلك قوله وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز لا يذله شىء ولا يعجزه حكيم في امره ونهيه لا يامر بشىء ولا ينهى عن شىء الا وفيه
حكمة وفايدة ما ذكر من بعث مدد الف ملك وثلاثة الاف وما ذكر لطمانينة قلوب اولئك المؤمنين والا ملك واحد كاف لهم
وان كثروا لانه يراهم ولا يرونه واهلاكه مثله سهل **وقوله** عز وجل اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به ذكر النعاس بعد شدة خوفهم والنعاس لا يكون ممن اشتد به الخوف ولا يغشيه الا بعد الامن فذكر لطفه
ومنته الامن بعد شدة الخوف ذكر عظيم ما من عليهم من الامن لما ذكر من اللقاء والنعاس عليهم والنعاس انما يكون بعد
الامن بعد ما كان من حالهم ما ذكر حيث قال كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون **وقوله** عز وجل وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به ذكر في بعض القصة ان المشركين سبقوا فاخذوا الماء فبقى المسلمون في رمل لا يثبت اقدامهم
عطشا فوسوس اليهم الشيطان انهم لو كانوا على حق ما ابتلوا بمثل ذلك في رمل لا تثبت اقدامهم عطشى فابدل الله تعالى مكان
الخوف امنا يامنون به وانزل عليهم من السماء ماء ليطهركم به ويشربون ويشتد به الرمل فثبت اقدامهم فذلك قوله
اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان قال اهل التاويل وسوسة
الشيطان التى وسوس اليهم وقيل الرجز الاثم ذهب ذلك عنهم كقوله فانه رجس او فسقا وقوله عز وجل وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به ذكر هذا والله اعلم على المبالغة انه لحبلا نزل من السماء ما فضل عن حوايجهم حتى وجد والتطهير انفسهم
وايمانهم وذهب عنهم رجز الشيطان ذكر السبب الذى به يذهب الرجز لان الرجز هو العذاب فذكر الرجز والمراد منهم سببه
وقوله عز وجل وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام يحتمل حقيقة تثبيت الاقدام ويحتمل الثبات على هولاء ما هم عليه
والربط هو الشد لشىء فيحتمل قوله وليربط على قلوبكم اى شدها حتى لا يزول احد عما هو فيه ولا يزيغ عن ذلك وان ابتلاه
تعالى بانواع الشدايد والبلايا ذكر في التوحيد والايمان الربط والتثبت بقوله كذلك لنثبت به فوادك وقوله وليربط على قلوبكم
وقوله وربطنا على قلوبهم وذكر في الشرك والكفر الطبع والختم والقفل ونحوه نحو والله اعلم عقوبة لهم لما اختاروا ذلك
وقوله ويذهب عنكم رجز الشيطان قيل وسوسة الشيطان وهو ما ذكر في بعض القصة ان المسلمين اصابهم ضعف شديد والقى
الشيطان في قلوبهم القنط ويوسوسهم ويقول لهم تزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم
تصلون مجنبين فامطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا واذهب عنهم رجز الشيطان ونشف الرمل حين اصابه
المطر مشى الناس عليه والدواب فسار والى القوم وامد الله عز وجل نبيه والمؤمنين بالف من الملائكة فذلك قوله بالف من الملائكة
مردفين ثم قال اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا الوحى كانه يسمى وحيا لسرعة قذفه في القلوب ووقوعه
فيها ولذلك سمى والله اعلم وساوس الشيطان وحيا بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اى يقذفون في قلوبهم و
يدعون الى اشياء من غير ان علموا بذلك انه ممن جاء ذلك وما سبب ذلك لسرعة قذفه ووقوعه في القلوب وكذلك سمى
الالهام وحيا لسرعة وقوعه في القلب قال تعالى واوحى ربك الى النحل وقيل هو الالهام اى الهم النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا
وقال عز وعلا وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء اخبر انه ليس له ان يكلمه
الا وحيا وهو ما الهمه سمى وحيا لسرعة ووقوعه في القلب وقذفه فيه على غير علم منهم انه من اين كان وممن كان وفيه دلالة
ان غيره هو الذى يخطر ذلك في القلوب ويقذف فيها الا انه يحدث ذلك سفه على غير اختيار احد ولا قذفه فان كان ما قذف

فيه خيرًا فهو من الملك وان كان شرًا فهو من قذف الشيطان ووسوسته ففيه دليل ثبوت الملك والشيطان والله اعلم
وقوله عز وجل اني معكم قيل اني معكم في النصر والمعونة ودفع العدو عنكم او يقول اني معكم في التوفيق ويحتمل ان يكون قوله
اذ يوحي ربك الى الملايكة اي لجبريل والمومنين اني معكم لما ذكرنا من النصر والمعونة والدفع وقوله عز وجل فثبتوا الذين
امنوا امر ملايكته ان يثبتوا الذين امنوا بالنصر لهم والامن بعد ما كانوا خايفين فشلين جبنين لما اجابوا ربهم مع ضعف
ابدانهم وقلة عددهم فابدلهم الله مكان الخوف لهم امنا ومكان الضعف القوة والنصر ومكان الذل العز وابدل
المشركين مكان الامن لهم خوفا ومكان العز الذل ومكان الكثرة الضعف والفشل فذلك والله اعلم قوله سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب وقوله فثبتوا الذين امنوا جايز ان يكون نفس نزول الملايكة تثبيتهم لانهم سبب تثبيتهم
او يثبتهم من غير ان علم المومنون بهم وقوله عز وجل فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان قال قايلون
قوله فاضربوا فوق الاعناق اذا ظفروا بهم ووقعوا في ايديهم فعند ذلك يضرب فوق الاعناق وهو المفصل الذي بيان
الرأس بالضرب لما نهى عن المثلة وفي الضرب في غير ذلك مثله ويحتمل قوله فاضربوا فوق الاعناق اي اضربوا الاعناق
وما فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان معناه والله اعلم اي اضربوا على ما تنالكم من الاطراف وغيرها واما قوله واضربوا
منهم كل بنان في الحرب لانه لا سبيل في الحرب الى ان يضرب ضربا لا يكون مثله فكانه قال واضربوا فوق الاعناق
اذا قدرتم عليهم ووقعوا في ايديكم واضربوا منهم كل بنان بحيث ما تقدرون والله اعلم وقوله وذلك يعني والله اعلم
ذلك الضرب والقتل بانهم شاقوا الله اي حاربوا الله ورسوله والمشاقة الخلاف خالفوا الله ورسوله ومن يشاقق الله
ورسوله فان الله شديد العقاب له في الاخرة وقوله ذلكم اي ذلكم العقاب فذوقوه وان للكافرين عذاب النار لما
بالخلاف لله ورسوله والمحاربة منهم وقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار كان
اول الامر بالقتال وفرضه كان لبذل الانفس للهلاك لانه ذكر الزحف والزحف هو الجماعة والعدد الذي
لا يحد وليس للواحد القيام للجماعة فكان فرض القتال لبذل الانفس للقتل وعلى ذلك يخرج قوله وان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مايتين وليس في وسع الواحد القيام لعشرة اذا احيط به ويجوز ان يفرض بذل الانفس
للقتال كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم اخبر انه لو امر بذلك لم يفعل
الا القليل منهم فجايز الامر بذلك امتحانا منه لهم فان احتمل ما ذكرنا كان قوله كانما يساقون الى الموت هو على التحقيق
اذا الى ذلك يساقون ويحتمل وجها اخر وهو ان الله عز وجل امر بذلك ليكون اية ويعرف كل احد انه انما قام بالله لا بقوة
نفسه اذ ليس في وسع احد القيام لعشرة او جماعة بقوته اذا احيط به فهو على الاية ان كان فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله
فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة والمتحرف للقتال هو المنتقل من مكان
الى مكان للحرب والمتحيز الى فئة هو الملتجئ الى فئة على جهة العود اليهم وللحرب يقال تحوزت وتحيزت بالياء والواو
جميعا وهما نحو الحرب وفيه النهي عن الانهزام والتولي عن العدو والا ما ذكر من التحرف للقتال والتحيز الى الفئة على جهة
العود اليهم ثم اخبر ان من ولى دبره بسوى ما ذكر فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير قالت المعتزلة ذلك
ما اوعد المتحرف بغير قتال والمتحيز الى غير الفئة بقوله فقد باء بغضب من الله ان مرتكب الكبيرة يخلد في النار لانه ذكره
في اول الاية المومنين ولهم خرج الخطاب بقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ثم اوعدهم الوعيد الشديد
ما يوعد اهل النار غير اهل الايمان دل انه يخرج عن الايمان بارتكاب الكبيرة ويخلد في النار وقالوا لا يجوز صرف الاية
الى اهل النفاق لما ذكر في القصة انه لم يكن يوم بدر منافق لكن هذا غلط قال الله تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض غر هولاء دينهم وانما قالوا ذلك يوم بدر كذلك ذكر والله اعلم وقوله عز وجل الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة
فان كان مستثنى من قوله فقد باء بغضب من الله لم يكن فيه رخصة التولي ولكن فيه دفع الوعيد الذي ذكر وان كان
مستثنى من قوله ومن يولهم يومئذ دبره ففيه رخصة التولي الى ما ذكر ثم الدلالة على انه مستثنى من هذا دون
الاول ما جاء من غير واحد من الصحابة تولية الدبر الى ما ذكر وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال

انافية لكل مسلم وبعد فانه لم يكن لاهل الاسلام فية يوم بدر يتحيزون اليها فدل انها في المنافقين واهل الكفر
والله اعلم ثم يقال يجوز ان يكون ما ذكر من الوعيد لمعنى التولية عن الدبر والاعراض لا لنفس التولية عن الدبر
اذ قد ذكر التولية عن الدبر في اية اخرى والعفو عن ذلك وهو قوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم
الشيطان ببعض ما كسبوا الاية فان قيل لعل التوبة مضمرة فيه تابوا فعفي عنهم قيل ان جاز ان يجعل التوبة مضمرة فيها جاز
ان يضمر فيه التولية عن الدبر الردة فليس تلك اولى باضمار التوبة من هذه باضمار الردة وفي الاية معان تدل على الاضمار
اضمار ما يوجب الوعيد الذي ذكر والله اعلم احدها ما ذكر المتحيز الى فية واذا لم يكن لمسلم فية يتحيز اليها فاذا التحيز
انما يتحيز ليصير الى العدو فهو الردة التي ذكرنا والثاني ما ذكر في بعض القصة انه لما اصطف القوم رفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يديه فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض ابدا ومن هرب وولى الدبر عن مثل تلك الحال
لم يول الا لقصد ان لا يعبد فهو كفر والثالث قد وعد لهم النصر والظفر على العدو فمن ولى عن الدبر لم يول الا التكذيب
بالوعد الذي وعد لهم وقوله عز وجل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قيل فيه بوجوه
يحتمل قوله فلم تقتلوهم اي لم تكن جراحاتكم التي اصابتهم مصيبة المقتل ولا عاملة في استخراج الروح ولا كانت قاتلة
ولكن الله تعالى صيرها قاتلة مصيبة المقتل عاملة في استخراج الروح لا من الجراحات اذا اصابت لم تصب المقتل
ولا عملت باستخراج الروح وقوله فلم تقتلوهم الاية تخرج على وجوه احدها ان العبد لا صنع له في القتل واستخراج الروح
منه انما ذلك فعل الله واليه ذلك وهو المالك لذلك لان الضربة والجرح قد يكون ولا موت هنالك وكذلك الرمي
ليس كل من ارسل شيئا من يده هو رمي انما يصير رميا بالله انشاء السهم حتى يصل بطبعه المبلغ الذي بلغ فكانه لا صنع له فيه الا ترى
الا ترى انه لا يملك رد السهم اذا ارسله ولو كان فعله لملك رده ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله انه لا استيجار على القتل باطل
والثاني قتلوا بمعونة الله ونصره كما يقول الرجل لاخر انك لم تقتله وانما قتله فلان اي بمعونة فلان قتله فعل ذلك
الاول وقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اي ما اصاب رميك المقصد الذي قصدت ولكن الله بالغ ذلك المقصد
الذي قصدته والثاني فلم تقتلوهم اي لم تطمعوا بحز وحكم السيف قتلهم لانهم كانوا بالمحل الذي وصفهم من الضعف
وشدة الخوف والذلة كانما يساقون الى الموت فاذا كانوا بالمحل الذي ذكر فيقول والله اعلم لم يطمعوا بحز وحكم اليهم
وقصدكم اياهم قتلهم لما كان فيكم من الضعف وقوة اولئك ولكن الله اذلهم والقى في قلوبهم الرعب والخوف حتى قتلتموهم
وكذلك قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى لا يصنع الانسان برمي كف من تراب النكبة باعدائه ولكن الله رمى حيث بلغ ذلك
وغطى ابصارهم واعينهم بذلك الكف من التراب على ما ذكر في القصة انه رمى فغشي ابصار المشركين فانهزموا لذلك ويحتمل
ان يكون نسبة هذه الافعال الى نفسه واضافتها اليه لما نسب واضاف كل خير ومعروف الى نفسه قوله يمنون عليك ان اسلموا
الاية وقوله ولكن الله يهدي من يشاء وقوله اهدنا الصراط المستقيم الاية وغير ذلك من الايات التي فيها اضافة
الافعال التي خلصت لله وصفت له فعلى ذلك نسب فعلهم الى نفسه لخلوصه وصفايه له والله اعلم وقوله عز وجل
وليبلي المومنين منه بلاء حسنا اي نعمة عظيمة حيث نصرهم على عدوهم مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم وكثرة
عددهم وقوة ابدانهم وعدتهم وهو ما ذكر في هلاك فرعون وقومه انه بلاء من ربكم عظيم بقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ان الله سميع اي سميع لدعايكم الذي دعوتم وتضرعكم الذي تضرعتم اليه
او ان يقول سميع اي يجيب لدعايكم عليم باقوالكم وافعالكم التي تسرون وتعلنون والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم وان الله
موهن كيد الكافرين قوله ذلكم اي ذلك الذي كان بهم من القتل والاسر والهزيمة لما اوهن واضعف كيدهم
تعالى ويحتمل ان يكون صلة قوله وليبلي المومنين منه بلاء حسنا اي ذلك الانعام والابلاء الذي من الله اليكم
لما اوهن كيدهم وذلك يكون في جملة المومنين ما من مومن الا وله من الله اليه ابلاء وانعام في كل حال لايمانه كيد الكافرين
وقوله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الاستفتاح يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل الاستكشاف وطلب البيان
ويكون طلب النصر والمعونة كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون ويكون طلب الحكم والقضا

اتداينهم
صح

بين الحق والباطل يقال فتح بكذا اى حكم به وقضى فهو يخرج على وجهين على طلب بيان المحق من المبطل وطلب بيان احق
الدينين بالنصر والحكم فقد بين الله لهم احق الدينين ماذكر فى القصة ان ابا جهل قال اللهم اقض بيننا وبين محمد فقال
اللهم اينا كان اوصل للرحم وارضى عنك فانصره ففعل الله ذلك ونصر المؤمنين وهزم المشركين فنزلت هذه الآية وقيل
انه دعا اللهم انصر اعز الجندين واكرم الفئتين وخير القبيلتين فكان ما ذكر فافتح بين الله عز وجل احق الدينين واعز الجندين لما هزم
المشركين مع قوتهم وعدتهم وكثرة عددهم بفئة ضعيفة ذليلة قليلة العدد وضعيفة الابدان والاسباب دل انه تبين لهم
الاحق من غيره وقيل انهم استفتحوا بالعذاب وكان استفتاحهم ما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم فجاءهم العذاب يوم بدر ولخير قريبوم احد ان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا الآية والاستفتاح
هو ما ذكرنا قال الحسن الفتح القضاء ولذلك قال قتادة قالوا ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء فى يوم بدر كقوله ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق الآية وقال القتبى قوله ان تستفتحوا اى تسألوا الفتح وهو النصر فقد جاءكم وهو ما ذكرنا **وقوله** عز وجل
وان تنتهوا فهو خير لكم يحتمل قوله وان تنتهوا عما كنتم فهو خير لكم يغفر لكم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل وان تنتهوا
عن قتال محمد فهو خير لكم من ان ينتهي محمد عن قتالكم **وقوله** وان تعودوا نعد يحتمل وان تعودوا الى قتالهم نعد اليكم
من القتل والقتال والاسر والقهر ويحتمل وان تعودوا نعد الى البيان والكشف الى ما كنتم من قبل البيان من التكذيب
والكفر نعد الى الانتقام والتعذيب كقوله وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين **وقوله** عز وجل ولن تغنى عنكم فئتكم
شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة فان قيل ذكر انه لن تغنى عنكم فئتكم وكثرتكم وقد اغناهم كثرتهم
وفئتهم يوم احد حيث ذكر ان الهزيمة كانت على المؤمنين قيل هذا الوجهين احدهما ان عاقبة الامر كانت للمؤمنين وان كان
فى الابتداء كان عليهم فلن يغنى عنهم ذلك على ما ذكر لانه لو اغناهم ذلك لكان لهم الابتداء والعاقبة والثانى انه لم تكن
النكبة والهزيمة على المؤمنين الا بالعصيان منهم كقوله ولقد صدقكم الله وعده الآية فما اصاب المؤمنين من النكبات انما كان
بسبب كان منهم لا بالعدو ذلك كان الجواب ما ذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله اما
اى اطيعوا الله فى امره ونهيه ورسوله فى بيانه وفيما دعا اليه وقيل اطيعوا الله فى فرايضه ورسوله فى سننه واد آيه
ولا تولوا عنه وانتم تسمعون آياته وحججه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اى لا يكونوا فى الايمان والتوحيد
والآيات كالذين قالوا سمعنا ذلك وهم لا يسمعون اى لا يجيبون ولا يسمعون ولا يؤمنون ويحتمل ان يكون ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون استثقالا وبغضا اى لا يسمعون الدلائل من استثقل شيئا وابغض لم يستمع اليه
كقوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه **وقوله** عز وجل ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اخبر الله
ان الذى هو من شر الدواب عند الله هو الصم البكم لا ينتفع بسمعه والبكم الذى لا ينتفع بلسانه ونطقه لانهم لم ينتفعوا بسمعهم
لما جعل له السمع ولم ينتفعوا بنطقهم لما جعل لهم النطق ولم ينتفعوا بعقلهم لما جعل لهم العقل فهم شر الدواب كقوله اولئك
كالانعام بل هم اضل وانما كان الدواب والانعام انتفعت بهذه الحواس لما جعلت لها هذه الحواس عرفت بهذه الحواس
المهالك والمضار فتوقت عنها وعرفت الملاذ والمنافع بها فترغب فيها وتقع فانتفعت الدواب بالحواس التى جعل لها ما جعلت
ولم يجعل لها هذه الحواس الا للقدر الذى عرفت وفهمت وانتفعت بها وهؤلاء الكفرة لم ينتفعوا بالحواس التى جعلت لهم
وانما جعلت لهم ذلك ليعرفوا المنافع لهم والملاذ فى العاقبة فيعملوا لذلك ليعرفوا المضار لهم فى العاقبة والمهالك فيتوقوا
عنه فلم ينتفعوا بحواسهم لما جعلت الحواس والدواب انتفعت بها لذلك كانوا اضل واشر منها **وقوله** عز وجل ان شر الدواب
الذين اكتسبوا الصمم الدائم والعمى الدائم وذلك فى الآخرة كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وقوله
اخسئوا فيها ولا تكلمون اى تركوا اكتساب البصر الدائم والسمع الدائم والحياة الدائمة والباقى سماهم صما وبكما وعميا
لما لم يكتسبوا بصر القلب ونطق القلب وسمع القلب وهى الحواس التى تكون بالاكتساب ولم يكتسبوها انما لهم الحواس الظاهرة
او يقول ان شر الدواب التى لم ينتفعوا بالذى ذكر من الحواس وتركوا استعمالها والله اعلم **وقوله** عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم قيل نزلت الآية فى المردة من الكفرة وقال ابن عباس هم نفر من بنى عبد الدار كانوا يسألون رسول الله آية بعداية وتلك علامة

بعداية

بعداية قيل ذلك لم يقبلوها فقال لو علم الله فيهم خيرا انهم يقبلون جواب المسائل التى سألوا لاوحى اليهم ولاسمعهم
ولكن علم انه وان اسمعهم جواب مسائلهم لا يقبلون وقالت المعتزلة دلت الآية انه قد كان اعطاهم جميع ما كان عنده لكنهم
لم يقبلوا لانه قال لو علم فيهم خيرا لاسمعهم فدل انه لم يكن عنده ما يعطى والا لو كان ذلك عنده ما يقبلون لاسمعهم لكن هذا
بعيد لانه لم يقل لو علم الله عنده خيرا لاسمعهم ولكن قال لو علم الله فيهم خيرا فانما نفى انه ليس عندهم خير والوجه
فيه ما ذكرنا انه لو علم فيهم خيرا يعملون به لاوحى اليهم واسمعهم لكنه علم انهم لا يقبلون بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون اى يكذبون جواب ما سألوا تعنتا وتمردا منهم ولحسبوا انهم يسألون سؤال التعنت والتمرد لا سؤال الاسترشاد
وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بعضهم هذه الآية صلة قوله
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يقول والله اعلم اجيبوا الله وللرسول الى ما يدعوكم وان كانت
انفسكم تكره الخروج لذلك لقلة عددكم وضعف ابدانكم وكثرة عدد العدو وقوتهم **وقوله** عز وجل اذا دعاكم لما يحييكم
اى دعاكم لما يحييكم بالذكر والشرف والثناء الحسن فى الدنيا والحياة فى الآخرة اللذيذة الدائمة وانتم هلكتم
فيما يدعوكم اليه يكون لكم فى الآخرة حيوة الابد ويحتمل ان يكون الآية فى جملة المؤمنين اى استجيبوا الله فى اموره ونواهيه
وللرسول فيما يدعوكم اليه وانما كان يدعو الى دار الآخرة كقوله تعالى والله يدعو الى دار السلام ودار الآخرة
هى دار الحياة كقوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون كانه قال والله اعلم اجيبوا الله وللرسول فانه
انما دعاكم انما تحيون فيها ليس كالكافر الذى لا يموت فيها ولا يحيى بتركه الاجابة **وقوله** واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه لمكن ان يخرج هذا على الاول اى اعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يجعل القوى ضعيفا والعزيز ذليلا والضعيف
قويا والذليل عزيزا والشجاع جبانا والخائف امينا والآمن خائفا فاجيبوا الرسول بالخروج للجهاد وان كنتم تخافون
لضعفكم وقوتهم ويحتمل فى جملة المؤمنين ان من اجاب لله وللرسول اذا دعاه يجعل قلبه هو الغالب على نفسه والحائل
بينه وبين ما يدعو اليه النفس واذا ترك الاجابة يجعل نفسه هى الحائلة بينه وبين ما يدعو اليه قلبه والداعية
الى ذلك وانه اليه تحشرون وقيل استجيبوا لله وللرسول بالطاعة فى امر القتال اذا دعاكم الى الحرب لما يحييكم يعنى
بالحرب التى اعزكم الله بها يقول احياكم الله بعد الذل وقواكم بعد الضعف وكان ذلك حياة واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه يقول بين قلب المؤمن وبين الكفر ويحول بين الكافر وبين الايمان **وقوله** واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه يخرج على وجهين احدهما يستعجل التوبة قبل ان ينزل به الموت يقول استجيبوا لله وللرسول قبل ان يحال
بين المرء وبين التوبة بالموت والثانى يحول بين المرء وقلبه بالاعمال التى يكتسبها ينشئ الفعل الذى يفعله طبع
قلبه وختمه وينشئ ظلمة تحول بينه وبين ما يعصمه ويدعى اليه والله اعلم **وقوله** عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة قال بعضهم لا ههنا صلة زائدة كانه قال واتقوا فتنة تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى اتقوا
فتنة التى تصيب الظلمة منكم خاصة بظلمهم وهو العذاب كقوله واتقوا النار التى اعدت للكافرين فعلى ذلك قوله واتقوا
فتنة تصيبن الذين ظلموا فى الآخرة وهو العذاب وذلك جائز فى الكلام نحو ما قرأ بعضهم قوله وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون بكسر الالف وطرح لا انها اذا جاءت يؤمنون اى انها وان جاءت لا يؤمنون واما على اثبات لا فانه يحتمل وجوها
قيل اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا اى اتقوا ان تكونوا فتنة للذين ظلموا كقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ووجه جعله اياهم فتنة للذين كفروا هو ان يجعل العدو غالبا عليهم ناصرين وهم المغلوبون
فيظنون انهم على حق والمؤمنون على باطل فذلك معنى دعائهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لئلا يقولوا لو كانوا على حق
ما غلبوا ولا قهروا ولا انتصروا منهم **وقيل** قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا انهى الاتباع منهم ان لا يسمعون
فيما بين الظلمة والفساد ولا يغرى بعضهم على بعض فيقع فيما بينهم الفساد فيكون هؤلاء الاتباع فتنة للذين ظلموا
باغراء بعضهم على بعض وذلك معروف فيما بين الخلق فى الظلمة يغرى الاتباع بعضهم على بعض فذلك فتنة ويحتمل
وجها آخر وهو ان الله تعالى يغير الاحوال فى الخلق مرة سعة وخصبا ومرة قحطا وضيقا ومرة غلبة العدو

على الاولياء ونحوه ويدفع العذاب عن الظلمة بمن لم يظلم ما لم يشاركوا الظلمة فاذا شاركوا اولئك يحل با ولئك بظلمهم واهل
الصلاح والعدل بتركهم الظلمة واهل الفساد عن الظلم والفساد ولهم قوة المنع لهم عن ذلك فيقول لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة ولكن تصيبهم وتصيبكم فقال واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم اخذ الظلمة العذاب لمشاركة اهل العدل
اولئك فيكونون فتنة لهم كقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض او ان يدفع عن الظلمة البلاء والعذاب
ما دام اهل العدل يامرونهم بالمعروف ويغيرون عليهم المنكر فاذا تركوا ولا يغيرون عليهم المنكر ترك بهم البلاء فيعمهم البلاء
الظالم وغيره والفتنة على وجهين فتنة للجزاء جزاء اعمالهم وذلك ياخذ اهله خاصة وفتنة المحنة وذلك يعم
الخلق والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس الاية ان اهل الاسلام
في ابتداء الامر كانوا قليل العدد مستضعفين عند الكفرة حتى كانوا يخافون ان يسلب الكفرة ارواحهم وكانوا لا يامنون على انفسهم
بالمقام في البلدان لقلة عددهم وضعفهم خوفا على انفسهم واشفاقا فتركوا المقام بالبلدان وخرجوا الى الجبال والغيران
فاقاموا فيها واكلوا الحشيش والكلا طعام الانعام خوفا على ابدانهم واشفاقا على دينهم ثم ان الله عز وجل اواهم وانزلهم
في البلدان والامصار وايدهم ونصرهم على عدوهم ورزقهم الطيبات طعام البشر بعد ما اكلوا الحشيش طعام البهايم
لعلهم يشكرون ليلزمهم الشكر على ذلك ولا يجوز لهم ان لا يشكروا بعد ما اصابوا ذكر هذا والله اعلم لنا لنكون نحن من الاشفاق
في الدين مثل اولئك حين هربوا منهم واتخذوا الجبال والغيران بيوتا والحشيش طعاما وتركوا اموالهم ونعمهم ورضوا بذلك
اشفاقا على دينهم وقال عامة اهل التاويل نزلت الاية في اهل بدر وكانوا قليل العدد والعدة ضعيفا الابدان والعدو كثير
العدد وقوي الابدان فاشتد عليهم الخروج لذلك كقوله كما اخرجك ربك من بيتك الاية فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا والله
اعلم وقوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون اي اذ كنتم قليلا وفيه دلالة لقول ابي حنيفة رحمه الله فيمن قال هذا الشي لفلان
اشتريته منه صدق ويصير كانه قال هذا الشي كان لفلان اشتريته منه دليله قوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض اي اذ كنتم قليلا وقوله وايدكم بنصره على هذا التاويل بالملايكة ورزقكم من الطيبات المغانم التي رزقهم واحل لهم
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم جعل الله عز وجل هذه الامة وسطا عدلا بقوله
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس فكانه قال يا ايها الذين امنوا قد جعلكم الله امناء عدلا وسطا فلا تخونوا
الله فيه كقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم الاية وقال ولا يجرمنكم شنان قوم
على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى وقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض اخبر انه الزمهم الامانة اعني
البشر دون ما ذكر من الخلائق ثم منهم من ضيع تلك الامانة من نحو المنافقين والمشركين وخانوا فيها فلحقهم الوعيد بالتضييع
وهو قوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات الاية فكانه قال يا ايها الذين امنوا قد قبلتم امانة الله فلا تضيعوها
ولا تخونوا فيها كما قال اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وغيرها من الايات التي فيها ذكر الامانات
نهاهم ان يخونوا فيها فيكونون كانهم خانوا اماناتهم ويحتمل قوله يا ايها الذين امنوا ان انفسكم واموالكم لله وهي
عندكم امانة استحفظكم فيها فلا تستعملوها في غير ما اذن لكم لان من استحفظ احدا في شي ووضع عنده امانة فاستعملها
في غير ما اذن له صار خاينا فيها ضامنا فعلى ذلك انفسكم واموالكم لله عندكم امانة استحفظكم فيها فان استعملتم في غير
ما اذن لكم فيها خنتم الله والرسول فيها فتخونوا اماناتكم التي لكم عند الله واذا حفظتم الامانة كقوله اوفوا بعهدي اوف
بعهدكم وقال بعضهم قوله وتخونوا اماناتكم اي لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم التي فيما بينكم واصله
ان الله عز وجل امتحنهم فيما امتحنهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم فيصيرون فيما خانوا فيما امتحنهم كانهم خانوا انفسهم
وخانوا اماناتهم كقوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وقوله
من عمل صالحا فلنفسه الاية ثم خيانة المنافقين والمشركين في الدين وخيانة المومنين في افعالهم فوعد لهم التوبة
عن خيانتهم ووعد اولئك على ما خانوا بقوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله
على المومنين والمومنات وقوله عز وجل وانتم تعلمون ان انفسكم واموالكم ليست لكم انما هي لله عندكم امانة

فلا تخونوا فيها وعن ابن عباس قال الامانة الاعمال التي ائتمن عليها العباد يعني الفريضة يقول لا تخونوا الله اي
اي لا تنقصوا ثم اختلف اهل التاويل في نزول الاية قال بعضهم نزلت في ابي لبابة وذلك ما قيل في بعض القصة ان النبي
صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة فسالوا الصلح على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات فابى النبي الا ان ينزلوا على الحكم
فابوا قالوا فارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحهم فبعثه النبي اليهم فلما اتيهم قالوا يا ابا لبابة انتنزل على حكم محمد فاشار ابو لبابة
بيده ان لا تنزلوا على الحكم فاطاعوه وكان ابو لبابة ماله وولده معهم فخان المسلمين فنزلت الاية في شانه وقال بعضهم نزلت
في شان حاطب بن فلان ففعل ما فعل ابو لبابة وقيل نزلت في شان قوم بينهم وبين رسول الله عهد الذين كانوا يعبدون
الاوثان والاصنام لكنا لا ندري في شان من نزلت وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه ما ذكرنا من النهي في الخيانة
في امانة الله والامر بحفظها والله اعلم وقوله عز وجل واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اي لم يعطهم الاولاد والاموال
لعبا وباطلا وليكون لهم الاموال والاولاد ولكن اعطاهم محنة وابتلاء وكذلك جميع ما انشا في الدنيا من الاشيا انما انشاها
فتنة ومحنة كقوله ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع الاية وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقال وبلوناهم
بالحسنات الاية وغيره من الايات يدل ان جميع ما انشا فتنة ومحنة يمتحن به البشر بقوله انما اموالكم واولادكم فتنة اي محنة
وابتلاء امتحنا به في انواع التاديب والتعليم والحفظ والحقوق التي جعلها لهم علينا وهو كقوله يا ايها الذين امنوا
قوا انفسكم الاية واوجب في الاموال حقوقا امتحننا باداء تلك الحقوق التي فيها وكذلك في جميع ما امر الله الخلائق بامور
ونهاهم انما امر ونهى لمنفعة الخلائق ودفع الضرر عنهم لا لمنفعة نفسه او ضررا وحاجة يدفع به عن نفسه اذ له ملك
ما في السموات والارض وهو العزيز بذاته لا يمسه حاجة يتعالى عن ذلك وقوله عز وجل وان الله عنده اجر عظيم لمن اطاع
الله والرسول وعد لهم الاجر العظيم اذا قاموا بوفاء ما امتحنهم الله وابتلاهم به من الاموال والاولاد حيث قال وان الله
عنده اجر عظيم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال بعض اهل التاويل ان هذه الاية
صلة ما سبق من الامر بالجهاد ببدر والخروج اليه كانه قال ان تتقوا الله اطعتم الله واجبتم له فيما دعاكم اليه
يجعل لكم فرقانا يجعل قوله يجعل لكم فرقانا اي يجعل خروجكم اليه وجهادكم اية عظيمة يظهر بها الحق من المبطل كقوله
كقوله ويريد الله ان يحق الحق بكلماته وقال ليحق الحق ويبطل الباطل اي ليظهر الحق من الباطل وقد كان بحمد الله
ذلك وبان الحق من الباطل والمحق من المبطل وقيل قوله فرقانا اي مخرجا في الدين من الشبهات وقيل مخرجا
في الدنيا والاخرة ويحتمل فرقانا اي بيانا لما ذكرنا جعل الله تعالى التقوى مشتملا على كل خير واصلا
لكل بر وصيره مخرجا من كل شبهة ومن كل ضيق وشدة وجعله سبيلا ثم يوصل به الى كل لذة وسرور وينال به كل خير
وبركة على ما ذكر في غير اي من القران وقوله عز وجل ويكفر عنكم سيئاتكم التي سبقت ويغفر لكم اي يستر عليكم
ذنوبكم لا يطلع احدا عليها وذلك من اعظم النعم واصل المغفرة الستر وقوله عز وجل والله ذو الفضل العظيم اي عنده
فضل يعطيكم خيرا مما تطعمون الذي ذكر وقوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
من الناس من يقول بان هذه الاية هي صلة قوله تعالى اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس
كانوا ضعفاء اذلاء فيما بين الكفرة خايفين فيما بينهم فهموا ان يمكروا برسول الله والمكر به ما ذكر من القتل والاثبات
وهو الحبس او الاخراج كانهم تشاوروا فيما بينهم واستامروا ما يفعل بهم فذكر في القصة ان بعضهم اشاروا الى القتل
وبعضهم الى الحبس وبعضهم بالاخراج فكان مشاورتهم وامرهم رجعت الى احد هذه الوجوه اما القتل واما الحبس ثم اخرج الله
رسوله من بين اظهرهم على الوجه الذي يكون مطيعا لله متعبدا لله فيما كان خروجه بامر ليكون خروجه على غير الجهة
التي ارادوا هم به ويسمى خروجه هجرة وليعلموا انه انما علم بكيدهم ومكرهم به بالله ليكون اية من ايات نبوته ورسالته
بعد خروجه من بين اظهرهم ومفارقته اياهم كما كان له من الايات وقت مقامه بين اظهرهم وهو كما كان لعيسى
ايات وقت مقامه بين اظهرهم واية كانت له بالرفع بعد مفارقته قومه فعلى ذلك الاول ولو كانوا لم يتوافقوا بما ذكرنا
من القتل او الحبس دون الاخراج لم يكن ليخرج رسوله من بين اظهرهم وهم قد هموا باخراجه والله اعلم وفي قوله

واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الى اخر ما ذكر تذكير ما انعم على رسوله واصحابه لانه اواهم الى الامن بعد ما كانوا
خايفين فيهم وانزلهم المدينة بعد ما كانوا في الغيران في الجبال هاربين منهم ورزقهم من الطيبات طعام البشر
بعد ما كانوا يتناولون من طعام البهايم والسباع يذكر نعمه عليهم باستنقاذه اياهم من بين ظهرانيهم والحيلولة بينه
وبين ما قصدوا وهموا بالمكر به والهلاك بقوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فيه من الوجوه احتجاج
عليهم احدها ما ذكرنا انهم تشاوروا فيما بينهم بالمكر له لم يطلعوا احدا ثم علم ذلك هو ليعلموا ان الله هو الذي اطلعه
على ذلك والثاني كان يخوفهم الهلاك بمكرهم برسوله فخرج من بينهم من غير ان اصابه ما هموا به وقد اصابهم من الهلاك
الذي كان يخوفهم وحل بهم ما كانوا هموا به وقصدوه وذلك ما ذكر من مكر الله بهم وقوله ويمكر الله والله خير الماكرين
قال بعضهم اراد واهم بمكرهم به شرا وهو ان يطفؤا هذا النور ليذهب هذا الدين ويدرس اثاره واراد الله ان يسلم منهم
نفر ليكونوا اعوانا وانصارا له ليأخذوا حظهم بذلك فهو خير الماكرين وقيل ويمكرون ويمكر الله اي ارادوا قتله ويمكر الله
اراد قتلهم فقتلهم ببدر والله خير الماكرين اي افضل مكرا منهم غلب مكره مكرهم وقال بعضهم قوله ويمكرون ويمكر الله اي يجزيهم
جزاء مكرهم وقوله واذا تتلى عليهم اياتنا يحتمل قوله اياتنا ايات القرآن التي كان يتلوا رسول الله ويحتمل اياته حججه
وبراهينه التي توجب التوحيد وتصديق الرسل وقوله قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قالوا ذلك متعنتين
اذ كان يقرع اسماعهم قوله قل لين اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقوله فأتوا بسورة
من مثله الاية ثم لم يكن يطمع احد منهم ان يأتي بمثله او تكلفوا في ذلك دل ان قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا تعنت
وعناد ان هذا الا اساطير الاولين كذلك كان يقول العرب انه اساطير الاولين وقوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية يذكر نهاية سفههم وغاية جراتهم على الله وبغضهم للحق مع علمهم ان الله
هو الاله وانه قادر على انزال العذاب وله السلطان على امطار الحجارة بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فلم يبالوا اهلاك انفسهم لشدة سفههم وجراتهم على الله وبغضهم للحق وهذا
ذكر والله اعلم ليعلم الناس ما لحق رسول الله بدعاية هولاء السفهاء الى دين الله الذين لم يبالوا اهلاك انفسهم لشدة بغضهم
الحق وجراتهم على الله وما يحتمل منهم من المؤن العظيم وقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم يحتمل قوله وانت فيهم
اي في جملة المؤمنين انه لا يعذب احدا في الدنيا ما دام هو فيهم وما دام مؤمن فيهم بقوله وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون اي يؤمنون وهم كما ذكر انه ارسله رحمة بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ومن رحمته ان لا يعذب احدا
من امته في الدنيا انما يؤخر ذلك الى يوم التناد بقوله انما يؤخرهم ليوم كذا وقوله والساعة ادهى وامر ويحتمل ان يكون
قوله وانت فيهم في اهل مكة خاصة انه لا يعذبهم ما دام هو فيهم وما دام فيهم احد من المسلمين من نحو النساء والذراري
كقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم الاية اي لا نعذبهم وانت
يا محمد فيهم اي بين اظهرهم حتى تخرج من بينهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي يصلون وقيل يؤمنون وكذلك
روي عن ابن عباس رضي الله ولكن يعذبهم تعذيب القتال والجهاد ولا يعذبهم تعذيب استيصال على ما اهلك ساير الامم
ثم ان المعتزلة تعلقت بظاهر قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي سيؤمنون اي لا يعذبهم ما دام يعلم ان فيهم
احدا يؤمن في اخر عمره اذ من قولهم انه لا يجوز لله ان يهلك احدا اذا كان في علمه انه سيؤمن في اخر عمره لقولهم
في الاصلح ان الله لا يفعل بخلقه الا ما هو اصلح لهم في الدين فعلى ذلك تأولوا ظاهر هذه الاية انه لا يعذبهم وهم يستغفرون
اي سيؤمنون لكن لو كان كما قالوا لكان لا يجوز الجهاد معهم ابدا ويسقط الامر بالقتال اذ لعل فيهم من يسلم فاذا امر بالجهاد
والقتال معهم دل ان ذلك ليس ما توهموا والله اعلم وقال بعضهم في قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي ادهم
يدخلون في الاسلام وقيل يسلمون وقال بعضهم وهم يستغفرون بقية من بقي في مكة من المسلمين فلما خرجوا منها
قال وما لهم ان لا يعذبهم الله الاية وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال فيكم امانان احدهما رسول الله لقوله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم والاخر الاستغفار لقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال فذهب امان

وهو رسول الله وبقي امان وهو الاستغفار وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ان الله جعل في هذه الامة امانين لا يزالون
معصومين من قوارع العذاب ما دام بين اظهرهم فامان قبضه الله اليه وامان بقي فيكم وهو الاستغفار الذي ذكر
وروي عن عبد الله عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ساجدا في اخر سجوده في صلوة الايات فقال اف اف
فقال رب الم تعدني ان لا تعذبهم وانا فيهم رب الم تعدني ان لا تعذبهم وهم يستغفرون وعن بعضهم اما ان انزلهما الله
اما احدهما فمضى وهو نبي الله واما الاخر فابقاه الله تعالى بين اظهركم وهو الاستغفار والتوبة وفي اثبات قول السفهاء
ودعايهم بامطار الحجارة عليهم وجعل ذلك كتابا يتلى في الصلوات وجوه ثلاثة من الحكمة احدها تعريف هذه الامة المقاساة
مع السفهاء عند ارتكاب المناكير من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انهم انما تمادوا في غيهم واستقبلوا بالمكروه ولا دعا
ان لا يترك الامر لهم بالمعروف ولا يؤيس من خيرهم اقتداء بالنبي انه لم يترك دعاهم وامرهم بالمعروف مع شدة سفههم
وتمردهم والثاني ليعلم الخلق ان حجة الله تلزم العباد وان كانوا قد جهلوه اذ كان التضييع جاء من قبلهم في ترك النظر
والتفكر اذ لو علموا حقيقة العلم انه الحق لم يكونوا ليدعوا على انفسهم بالهلاك والثالث يكون فيه بيان وقوله عز وجل
وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اي ما لهم من عذر في صرف العذاب عن انفسهم اذ قد كان
منهم من انواع ما كان لو كان واحد من ذلك لكانوا يستوجبون العذاب بتكذيبهم الرسول والايات التي ارسلها اليهم
وصدهم الناس عن المسجد الحرام وهو مكان العبادة وسؤالهم بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم
اي ليس لهم عذر في صرف العذاب عن انفسهم ولا احتجاج على الله انه لم يرسل رسولا بقولهم لولا ارسلت الينا رسولا
الاية بل ارسل اليهم الرسول فكذبوه وبعث اليهم الايات فكذبوها وصدوا الناس عن المسجد الحرام فلا عذر لهم في وجه
من الوجوه ان يصرف العذاب عنهم الا ان الله بفضله ورحمته يصرف العذاب عنهم ببركة النبي عليه السلام واستغفار
المؤمنين والا فقد كان منهم جميع اسباب العذاب التي يستوجبون بها وقوله وهم يصدون عن المسجد الحرام اي عن الصلوة
فيها ويحتمل ان يكون صد الناس عن رسول الله لكنه ذكر المسجد لما كان رسول الله فيهم ليلا يروا رسول الله فيتبعونه وقوله
عز وجل وما كانوا اولياءه ان لم يكونوا اولياءه ليصرفوا العذاب عن انفسهم بالولاية وهو صلة قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله
وهم ليسوا باوليائه ويحتمل قوله وما كانوا اولياءه انهم كانوا يصدون الناس عن المسجد الحرام لما ادعوا انهم اولياؤه
وانهم اولى بالمسجد الحرام منهم ثم اخبر انهم ليسوا اولياءه انما اولياؤه المتقون الذين اتقوا ما اتوهم واولياؤه الموحدون
لا الذين اشركوا غيره في عبادته والوهيته وقوله عز وجل وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال بعضهم
كان احسن حالهم التي هم عليها هي حال الصلوة فاذا كان صلاتهم مكاء وتصدية فكيف حالهم في غير الصلوة وقال بعضهم
قوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا صلوا في المسجد الحرام
قام طايفة من المشركين عن يمين النبي واصحابه فيصفرون كما يصفر المكاء وطايفة تقوم عن يسارهم فيصفقون بايديهم
ليخلطوا على النبي واصحابه صلوتهم فنزل قوله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ثم اختلف في المكاء
والتصدية قال بعضهم المكاء هو مثل نفخ البوق والتصدية هو طوافهم على الشمال وقال القتبي المكاء الصفير يقال مكا
يمكو وهو مثل ما قيل للطاير مكا لانه يمكو اي يصفر يعني يصوت والتصدية هو التصفيق يقال صدا اذا صفق بيديه
وقال ابو عوسجة المكاء شبه الصفير والتصدية ضرب باليدين وهو من الصدى من الصوت وقيل المكاصين كان اهل
الجاهلية يلعبون به والتصدية الصد عن سبيل الله ودينه وقوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال بعض اهل
التأويل ذوقوا العذاب يوم بدر وهو الهزيمة والقتل الذي كان عليهم يوم بدر ويحتمل قوله فذوقوا العذاب
في الاخرة بكفرهم في الدنيا وقوله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية يذكرهم
والله اعلم النعمة التي انعمها عليهم من انواع النعم احدها انزلهم في بقعة خصت تلك البقعة وفضلت على غيرها
من البقاع وهي مكان العبادة ثم صدوا الناس عن الدخول فيها والعبادة فيها ومن ذلك بعث الرسول منهم فيهم
فكذبوه وما اعطاهم من الاموال فانفقوها في الصد صد الناس عن مكان العبادة واقامة العبادة فيه اختلف في معنى الصد

قال بعضهم ان كفار قريش استاجروا للقتال يوم بدر رجالا من قبايل العرب عونا لهم على قتال النبي عليه السلام واصحابه
فذلك نفقتهم التي انفقوا اضعاف ذلك حسرة عليهم لما كانت الهزيمة عليهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل
عن هذه الاية فقال تلك قد خلت ان ناسا في الجاهلية كانوا يعطون ناسا اموالهم فيقاتلون نبي الله فاسلموا عليها فطلبوا
فكانت عليهم حسرة وعن سعيد بن جبير قال نزلت في ابي سفين بن حرب استاجر يوم احد اجراء من الاحابيش من كنانة فقاتلهم النبي
ويحتمل ان يكون قوله ثم تكون عليهم حسرة يوم القيامة اي النفقة التي انفقوها تصير عليهم حسرة في الاخرة لما انفقوها في
حمل الصد الناس عن سبيل الله **وقوله** عز وجل والذين كفروا الى جهنم يحشرون اي يجمعون وهو ظاهر يجمعون الى جهنم
بكفرهم بالله **وقوله** عز وجل ليميز الله الخبيث من الطيب جعل الله تعالى الخبيث مختلطا بالطيب في الدنيا في سمعهم وبصرهم
ونطقهم وجميع جوارحهم ولباسهم وطعامهم وشرابهم وجميع منافعهم من الغنى والفقر وانواع المنافع جعل بعضهم ببعض
مختلطين في الدنيا على ما ذكرنا لكنه ميز بين الطيب والخبيث في الاخرة باعلام تعرف بتلك الاعلام الخبيث من الطيب
من نحو ما ذكر في الطيب قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال
في الكافر وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقوله ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وبكما وصما وقال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الاية وغير ذلك من الايات ميز الله تعالى
بين الخبيث والطيب باعلام التي ذكرنا في سمعهم وبصرهم ووجوههم ولباسهم وماكلهم ومشربهم حتى يعرفوا جميعا
بالاعلام ويحتمل ما ذكر من التمييز بين الخبيث والطيب بالمباهلة التي جرت بين ابي جهل وبين النبي صلى الله عليه وسلم
حيث قال ابو جهل اللهم انصر من هدانا سبيلا وابرنا قسما واوصل رحما فاجيب فنصر رسوله واصحابه فميز بين الحق
والباطل ويحتمل ما ذكر من التمييز في الاخرة كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير **وقوله** عز وجل ويجعل الخبيث
بعضه على بعض فيركمه جميعا هذا يحتمل وجهين احدهما ان يجعلهم دركات بعضها اسفل من بعض كقوله تعالى
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ويحتمل ان يجعل بعضهم على بعض مقرنين في الاصفاد فيركمه جميعا قيل يجمعه
جميعا بعضهم على بعض ويحتمل قوله فيركمه جميعا اخبارا عن الضيق كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا وقال القتبي
فيركمه جميعا اي يجعله ركاما بعضها فوق بعض وكذلك قال ابو عوسجة يقال ركمت المتاع اذا جعلت بعضه فوق بعض
وقوله فيجعله في جهنم الجهنم هو المكان الذي يجمع اهل النار في التعذيب **وقوله** عز وجل قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف ذكر عز وجل غاية كرمه وجوده بما وعد لهم من المغفرة والتجاوز عما كان منهم من الاشراك
في الالوهية وصرف العبادة الى غيره وصد الناس عن عبادته وطاعته ونصب الحروب التي نصبوا بينهم وبين المؤمنين
وغير ذلك من انواع الهلاك مع ما كان منهم وعد لهم المغفرة بالانتهاء من ذلك ليعلم غاية كرمه وجوده والمغفرة
يحتمل التجاوز عنهم ما كان منهم لا يؤاخذهم بذلك ويحتمل يستر عليهم معاصيهم التي كانت منهم ولا يذكرون ذلك
لانهم لو ذكروا ذلك ينغص عليهم النعم وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم اخبر انهم ان انتهوا وتابوا وغفر لهم
ما قد كان منهم وانما كانوا منتهين بالايمان ولم يجعل بين الايمان والكفر منزلة ثالثة وهم يجعلون بينهما منزلة
ثالثة ويقولون اذا ارتكب كبيرة خرج من الايمان ويخلد في النار ابدا ولم يكن داخلا في الكفر وفيه دليل نقض قول
من يقول بان على الكافر فعل العبادات من نحو الصلوة والزكوة والصيام لانه ذكر الانتهاء والانتهاء عما كان منهم من ترك
العبادات القيام بقضائها واذا ما تركوا فلم يجب عليهم اداء شيء من ذلك دل انه لم يكن عليهم في حال كفرهم فعل تلك
العبادات انما عليهم اعتقاد تلك العبادات اذ لو كانت عليهم لكان الانتهاء عنها قضاء ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم
من نام عن صلوة او نسيها فعليه ان يصليها اذا ذكرها اذا استيقظ وذلك كفارته وكذلك تاويل قوله تعالى فان تابوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ليس على الفعل ولكن في حق الاعتقاد انه لا سبيل الى القيام بفعل ما ذكر
الا بعد حول ووقت طويل وفي هذه الاية دلالة على ان ليس بين الشرك والايمان منزلة ثالثة على ما يقوله
المعتزلة في صاحب الكبيرة لانه لو كان بين الكفر والايمان منزلة ثالثة لكانوا اذا انتهوا عن الكفر ولم ينتهوا

عن تلك المنزلة لا يغفر لهم على قولهم فدل ما ذكر من المغفرة على ان ليس بينهما منزلة ولكن اذا انتهوا عن الكفر
دخلوا الايمان **وقوله** عز وجل وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين قال بعضهم وان يعودوا الى الكفر وقتال محمد
بعد ما انتهوا عنه فقد مضى كذا يعني القتال ويحتمل ان يكون قوله تعودوا اي داموا فيه ان كانوا خرجوا منه نحو قوله
يخرجهم من الظلمات الى النور كانوا فيه لا ان كانوا خرجوا منه ثم دخلوا في غير ذلك ثم يحتمل وجهين بعد هذا احدهما
ان للكفر حكم التجدد في كل وقت والثاني ما ذكرنا ان ذكر العود فيه لدوامهم وان لم يخرجوا منه وذلك جايز في اللسان
كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ابتداء اخراج من غير ان كانوا فيه وكقوله رفع السموات ابتداء رفع لا ان كانت
موضوعا فرفعها من بعد فعلى ذلك قوله وان يعودوا يحتمل اي داموا فيه وقوله فقد مضت الاولين مضت يحتمل
ما ذكرنا من القتال والثاني سنة الاولين الهلاك الذي كان **وقوله** وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قيل الفتنة
الشرك اي قاتلوهم حتى لا يكون الشرك ويكون الدين كله لله ويحتمل قوله حتى لا تكون فتنة اي محنة القتال كانه
قال قاتلوهم الى الوقت الذي يرتفع المحنة وهو يوم القيامة وفيه دلالة لزوم الجهاد الى يوم الدين والفتنة هي
المحنة التي فيها الشدة ويكون الدين كله لله **وقوله** عز وجل ويكون الدين كله لله هو يخرج على وجهين احدهما ويكون
من الدين الذي هو الدين كله لله لا نصيب لاحد فيه وهو السبيل التي كانت للشيطان كانه قال ويكون الاديان التي
يدان بها دينا واحدا وهو دين الله الذي يدعى الخلق اليه وبذلك بعث الرسل والكتب والله اعلم ويحتمل ان يكون
الحكم كله لله كقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي في حكم الملك **وقوله** عز وجل فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير
وقوله وان تولوا فاعلموا ان الله موليكم قيل ناصركم وقيل المولى المليك نعم المولى ونعم النصير اي نعم الناصر والمعين
ونعم النصير لانه لا يعجزه شيء وقيل موليكم اي وليكم **وقوله** عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى قال عامة اهل التاويل ان الغنيمة هي التي اصاب المسلمون من اموال المشركين بالقتال عنوة والفيء ما يعطون
بايديهم صلحا والغنيمة ياخذ الامام الخمس منها والباقي يقسم بينهم والفيء ياخذه الامام فيضعه في مصلحة المسلمين
وليس فيه الخمس وقال بعضهم الغنيمة والفيء واحد ثم قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الى اخر ما ذكر ذكر الخمس
ولم يذكر الاربعة الاخماس انها لمن تكون للمقاتلة بقوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فكانت الغنيمة كلها لمن غنمها بظاهر هذه الاية
الا ما استثنى الله عنها بالاية الاولى وهو الخمس وهذا مما اجمع عليه اهل العلم وعلى ذلك تواترت الاخبار عن رسول الله
وعن صحابته موقوفة من بعد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المال يعني الغنيمة قال لله خمسه واربعة اخماس
لهؤلاء المسلمين وروي انه قسمها بين المقاتلة يعني الاربعة الاخماس وفي بعض الاخبار ان ابا الدرداء وعبادة بن الصامت
والحارث بن معاوية كانوا جلوسا فقال ابو الدرداء ايكم يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صلى الى بعير
من المغنم فلما انصرف فتناول من وبر البعير فقال ما يحل لي من غنايمكم ما يزن هذه الا الخمس ثم هو مردود فيكم وعن ابن عمر
رضي الله عنه قال كانت الغنايم تجزأ خمسة اجزاء ثم يسهم عليها فما صار لرسول الله فهو له وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة اخماس فاربعة منها لمن قاتل عليها وغير ذلك من الاخبار وعلى ذلك اتفاق الامة ومنهم
من يقول يقسم على ستة سهم يجعل في ستر الكعبة وسهم لرسوله ينتفع به ومنهم من قال يقسم على خمسة سهم لرسول الله
واربعة اخماس لمن قسم ومنهم من يقول يقسم على اربعة سهم لرسوله وثلاثة ارباع لمن غنم ثم قوله فان لله خمسه و
للرسول يحتمل اضافة ذلك الى نفسه وجهين احدهما لما جعل ذلك لاقامة العبادات وانواع البر والخير والقرب
التي هي لله فاضيف اليه على ما اضيف المساجد اليه بقوله وان المساجد لله وان كانت البقاع كلها لله وكذلك
ما سمى الكعبة بيت الله وان كانت البيوت كلها لله لما جعلها موضعا لاقامة العبادات وانواع القرب فاضيف الى الله
ذلك فعلى ذلك يحتمل اضافة ذلك السهم الى الله لما جعله لاقامة العبادات والقرب وانواع البر والله اعلم والثاني
اضاف ذلك الى نفسه خصوصية لرسول الله اذ كان ذلك لرسوله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع احواله
وامور لله خالصا لم يكن لنفسه ولا لاحد من الخلق فعلى ذلك جميع ماله وما كان يحويه يده لم يكن له انما كان ذلك لله

خالصا يصرف ذلك في انواع القرب والبر في القرابة واليتامى والمساكين وابن السبيل الاحياء منهم والاموات
جميعا والقريب منهم والبعيد جميعا الا ترى انه قال انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة هذا يدل ان ما ينزل
صدقة لا يورث منه ولو كان له فيورث ورثته ما يورث من غيره دل ان نفسه وماله كان لله خالصا وكذلك جميع
اموره لله الا ترى انه روى في الخبر انه كان يجوع يوما ويشبع يوما ويجوع ثلاثا وكان يربط الحجر على بطنه للجوع ٥
فاذا كان اضافة ذلك الخمس الى الله لخصوصيته له وخلوص نفسه وماله له وان كان جميع الخلايق وما تحويه ايديهم لله
حقيقة لكن لهم فيها الانتفاع وقضاء الحوائج والتدبير لانواع التصرف في ذلك ومشاركة غيره في ذلك لم يخص
بالاضافة اليه وان كان ذلك كله لله حقيقة ولما كان نفس رسول الله وما تحويه يده لله لا تدبير له في ذلك ولا شرك
لاحد فيه خص بالاضافة ذلك اليه كله لله حقيقة ولما كان نفس رسول الله وهذا كما قال والله اعلم الملك يومئذ لله
وقال لمن الملك اليوم لله وقال مالك يوم الدين وقال وبرزوا لله جميعا خص بالذكر ملك ذلك اليوم والبروز له لما ينقطع
يومئذ تدبير جميع ملوك الارض ويذهب سلطانهم عنهم ويصفوا البروز له وان كان الملك في الاحوال كلها والاوقات
جميعا وكذلك البروز له والمصير اليه وان كان ذلك راجعا اليه في كل الاحوال فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم ليس في ظاهر
الاية دليل ان المراد بقوله ولذي القربى قرابة رسول الله بل في ظاهره دلالة انه اراد به قرابة اهل السهام في ذلك لانه خاطب
به الكل بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى وظاهره انه اراد به قربى من خاطب وكل الخطاب
لهم جميعا الا ترى انه يفهم من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن قرابة المخاطبين وكذلك لم يرجع قوله ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين الى قرابة رسول الله بل الى قرابة المخاطبين
به فعلى ذلك الظاهر من قوله ولذي القربى الا ان يقال اراد قرابة رسول الله بدلالة اخرى سوى ظاهر الاية وهو ما روي
قسم الخمس بين بني هاشم وما روي انه قال ما لي من هذا المال الا الخمس والخمس مردود فيكم وما روي ان نجدة كتب
الى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى فكتب اليه كنت تسألني عن سهم ذي القربى لمن هو وهو لنا اهل البيت وقد كان
عمر دعانا الى ان ينكح منه ايمنا ونقضي عنه مغرمنا فابينا الا ان يسلمه الينا فابى ذلك علينا فدل فعل عمر هذا
على ان التأويل في الخمس كان عنده ان رسول الله كان يصل به قرابته ويسد بالخمس حاجتهم اذ كان جعل سبيل الخمس
ما ذكرنا انه لله بمعنى انه يصرف في وجوه القرب اليه فلو كان الخمس حقا لجميع القرابة اعطي من ذلك غنيهم وفقيرهم
وما يأخذ الاغنياء من الخمس فانه لا يجري مجرى الصدقة ولا يجري الغريبة فبان بذلك انه لا يعطي ملا اغنيا وهم بل يصرف
الى فقرائهم على قدر حاجتهم اذ لم يكن له مكاسب سواه يصل بها كما يكون لغيرهم من الناس من المكاسب وانواع الحرف وما يدل
على ان رسول الله اعطى بعض القرابة دون بعض ما روي عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله سهم ذوي القربى
بين بني هاشم وبني المطلب اتيت انا وعثمان فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله
فيهم ارأيت بني المطلب اعطيتهم ومنعتنا وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم لا يفارقوني في جاهلية ولا اسلام
وانما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه **وقوله** فان لله خمسه وللرسول الى اخر ما ذكر بين ان خمس
الغنيمة يصرف في وجوه البر والقرب الى الله ثم فسر تلك الوجوه فقال وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل فكانت تسمية هذه الاصناف والله اعلم تعليما لنا ان الخمس يصرف فيمن ذكر من اهلها دون غيرهم
وليس ذلك ايجابا منه لكل صنف منها شيئا معلوما ولكن على بيان الاهل والموضع وهو كقوله انما الصدقات للفقراء
والمساكين الاية تحمل اصحابنا ذلك على ان الصدقة لا تجوز الا لمن كان من اهل هذه الاصناف دون غيرهم ولم يجعلوا الامر
على ان لكل صنف منهم شيئا معلوما محدودا ولكن على بيان اهلها وعلى ذلك روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
منهم عمر وعلي وحذيفة وابن عباس وجماعة من السلف لم يكثر عددهم قالوا اذا وضعت الصدقة في صنف واحد اجزاك
فلو كان لاهل كل صنف الثمن منها كان المعطي بها صنفا واحدا مخالفا لما امر به فعلى ذلك قوله فان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى واليتامى الاية معناه والله اعلم ان الخمس الذي يتقرب به من الغنيمة الى الله لا يستحقه الا الرسول

ومن كان

من كان من الاصناف التي ذكرها فالى ايهم دفع ذلك الخمس اجزاه واذا كان التأويل ما وصفنا لم يكن لاحد من اهل هذه ٥
الاصناف ان يدعي منه خمسا ولا ربعا ولكن يعطي كل من حضر منهم بقدر فاقته وحاجته وعلى قدر ما يراه الامام فاذا جاء
فريق آخرون اعطوا مما يدفع الى الامام من ذلك الخمس من المال كفايتهم وكذلك روي عن ابن عمر ان ابن عباس قال كان عمر
يعطينا من الخمس نحوا مما كان يرى انه لنا فرغبنا عن ذلك وقلنا حق ذي القربى خمس الخمس فقال عمر جعل الله الخمس لاصناف
سماها فاسعدهم بها اكثرهم عددا واشدهم فاقة فاخذ ذلك ناس وتركه ناس وكذلك فعل عمر لما ولي الامر ما روي
عن ابن عباس قال عرض علينا عمر ان يزوج من الخمس ايمنا ونقضي منه مغرمنا فابينا عليه الا ان يسلمه الينا فابى ذلك
علينا فدل فعل عمر على ان القرابة يعطون من الخمس قدر حاجتهم وما يسد به فاقتهم اذ لو كان الخمس حقا لجميع القرابة اعطى
من ذلك غنيهم ومما يدل ايضا على ان الخمس لو كان حقا لجميع القرابة غنيهم وفقيرهم لقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
فيهم كما قسم الاربعة الاخماس بين المقاتلة بل اعطى منه بعض القرابة وحرم بعضا لما ذكرنا في جبير بن مطعم ومما يدل ايضا ٥
ان ذلك لاهل الحاجة منهم دون الكل ما روي ان الفضل بن عباس وفلان دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يومئذ عند زينب بنت جحش فقالا يا رسول الله انت ابر الناس واوصل الناس وقد بلغنا النكاح فجئناك لتأمرنا
على هذه الصدقات فنؤدي اليه ما يؤدي العمال ونصيب منها ما يصيبون فسكت طويلا حتى اردنا ان نسأله حتى جعلت زينب
تلمع الينا من وراء الحجاب ان لا تكلماه ثم قال الا ان الصدقة لا ينبغي لآل محمد انما هي اوساخ الناس ادعوا محمية وكان على الخمس
ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب فجاءاه فقال لمحمية انكح هذا الغلام ابنتك للفضل فانكحه وقال لنوفل انكح هذا الغلام
ابنتك فانكحه ثم قال لمحمية اصدقهما من الخمس كذا وكذا دل هذا على ان الحق لهم فيه لاهل الحاجة منهم ومما يدل
ايضا على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما لي من هذا المال الا الخمس والخمس مردود فيكم له
لم يخص القرابة بشيء منه كان سبيله سبيل سائر المسلمين يعطى من يحتاج منهم كفايته وعلى هذا مما امر الائمة الراشدين
ولم يغيره على ما ولي الامر وكان ذلك عندنا مما لا يجوز مخالفتهم عليه فان قيل لو كان قرابة النبي انما يعطون
من الخمس على سبيل الفقر والحاجة منهم على هذا يدخلون في عموم المساكين فما وجه ذكره اياهم اذا قيل ان الله تبارك
وتعالى قال في الصدقات انما الصدقات للفقراء والمساكين ثم روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تحل الصدقة
لمحمد ولا لآل محمد فلو لم يسمهم الله في الخمس جاز ان يقول قائل لا يجوز ان يعطوا من الخمس وان يكونوا فقراء كما لا يجوز
ان يعطوا من الصدقة اذا كانوا فقراء فكانوا سبب ذكر الله اياهم في الخمس لذلك والله اعلم ثم اختلف اهل العلم بعد وفاة
رسول الله في سهم الرسول وسهم ذي القربى فقال طائفة سهم الرسول للخليفة من بعده وسهم ذي القربى لقرابة الخليفة
وقال طائفة سهم القربى لقرابة الرسول وقال الحسن سهم القرابة لقرابة الخلفاء وقال غيره لقرابة قرابة رسول الله ٥
وقد ذكرنا انه يحتمل انه كان له يصل به قرابته بحق الصلة او يعطيهم بحق القرابة ما دام حيا ثم قد ثبت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لا نورث ما تركنا صدقة فاذا لم يورث عنه ما قد حاز من سهامه فكيف يورث عنه ما غنم بعد وفاته
ولو كان سهمه الذي لم يلحقه موروثا عنه كان سهمه الذي قد حازه لحري ان يورث عنه فاذا لم يورث الذي قد حازه وملكه
عنه لا يورث الاخر والله اعلم وعن عائشة ان فاطمة والعباس اتيا ابا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله وهما حينئذ يطلبان
ارضه من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما ابو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث ما تركنا صدقة
انما يأكل آل محمد في هذا المال اي من الغنائم والله لا ادع امرا رأيت رسول الله يصنعه فيه الا صنعته وفي بعض الاخبار قال
لا يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة عاملي ومؤنة نسائي فهو صدقة وعن عمر قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينفق مما افاء الله عليه سنة ويجعل ما بقي مال الله وروي ايضا عنه قال كانت اموال بني النضير مما
مما افاء الله على رسوله خالصا وكان ينفق منها على اهله نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع والسلاح فهذه الاخبار
تبين انه لم يورث سهم النبي بعد وفاته فهو تدل على ان لا نقد بعد موت النبي من خمس الغنائم للخليفة شيئا وان ذلك
انما كان خصوصا لرسول الله كالصفي الذي كان له خاصة دون غيره وكما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكان له

ذلك خاصة فليس لاحد لغير النبي صلى الله عليه وسلم خصوص من الخمس كما ليس له خصوص من الصفي وغيره واذا كان
الامر في سهم الرسول كما وصفنا ولم ينتقص من الخمس الذي هو لله بعد موت النبي ويخرج ذلك الخمس كله من الغنيمة فلذلك
يدل على ان الخمس ليس لاهل هذه السهام حقا مقسوما ولكن يعطون منه بقدر فاقتهم ويدل ذلك ايضا على انه لا يجب
لكل صنف من هذه الاصناف سهم معلوم لانا قد رددنا سهم النبي من الخمس على ساير السهام فكما جاز ان يرد عليهم سهم
النبي فكذلك يجوز ان يجعل سهم اليتامى او بعضه للمساكين اذا احضروا وطلبوا ولم يحضر اليتامى لان المعنى في الاية والله اعلم
ان لا يعطى الا من كان من اهل هذه الاصناف فقد وضع الحق في موضعه ولم يتعد به الى غيره ثم الخطاب في قوله واعلموا انما غنمتم
من شيء لا يحتمل كلا في نفسه كالخطاب باداء الزكوة وغيرها من الحقوق بل الخطاب يرجع الى الجماعة الذين غنموا الا ترى
ان العسكر والسرايا اذا دخلوا دار الحرب فتفرقوا فيها فغنم واحد منهم يجب ضم ذلك الى جميع العسكر والسرايا فعند ذلك
يخرج الخمس منه دل ان الخطاب بذلك راجع الى جماعة وهي الجماعة التي لهم منعة يقومون للعدو لا انه خاطب كل احد
في نفسه فهذا يدل على ان الواحد والاثنين اذا دخلوا دار الحرب بغير اذن الامام فغنم غنايم لا تخمس ولكن يسلم الكل له ٥
واما الغنيمة نفسها لا يحتمل ان ترجع الى احد معلوم او مقدار محدود كالزكوة وساير الحقوق لان الغنيمة شيء يوخذ من ايدي
الكفرة وانما يوخذ قدر ما يظفر به ويوجد فلا يحتمل ان يرجع الخطاب به الى قدر دون قدر بل القليل من ذلك
والكثير سواء لا حد في ذلك ولا مقدار ليس كالزكوة وغيرها من الحقوق التي جعل فيها حدا ومقدارا للوجه الذي
ذكرنا واما المصيبون لها والاخذون فلهم في ذلك مقدار وهم الذين لهم منعة ثم تذكر مسئلة في قسمة السهام بين الرجالة
والفرسان وان لم يكن في الاية ذكر ذلك روي عن ابن عمر قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر الرجل سهما وللفرس
سهمين ثلاثة اسهم له ولفرسه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للراجل
سهما وللفارس ثلاثة اسهم سهما له وسهمين للفرس وعن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى الزبير يوم خيبر
اربعة اسهم سهم ذي القربى وسهم له مع المسلمين وسهمين للفرس ثم روي ايضا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقسم للفارس سهمين وللراجل سهم وعن المقداد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم له يوم بدر سهما ولفرسه
سهما وعن علي قال للفارس سهمان وعن المنذر قال بعثه عمر في جيش الى مصر فاصابوا غنايم فقسم للفارس سهمين
وللراجل سهم فرضي بذلك عمر فجعل بعض اهل العلم ما ذكره في هذه الاحاديث من الاسهام للخيل وقول بعض الرواة
ثلاثة اسهم للفرس سهمين وقول بعضهم اسهم للفارس سهمين اختلافا وتضادا فحملوا على التناسخ وقد يجوز ان لا يكون
ذلك كذلك وقد تكون زيادة التي زاد النبي للفرس على سهم ان كان محفوظا ثابتا للنفل لقلة الافراس حينئذ ترغيبا
منه للمقاتلة في اتخاذها وتحريضا كما يجوز ان يقول الامام من قتل قتيلا فله سلبه ومن جاء براس فله كذا فله كذا تحريض
بذلك المقاتلة في القتال فعلى ذلك زيادة سهم لمكان الافراس ترغيبا منه وتحريضا على اتخاذها فاما ان كثرت الافراس
فان سهمانها لا تكون اكثر من سهمان اصحابها لان الفارس اكثر غناء من فرسه فان لم يزد عليه لم ينقص عما يسهم وكان ابو حنيفة
رحمه الله يسهم للفارس بسهمين وابو يوسف يرى ان يسهم للفرس سهمين ولصاحبه بسهم والحجة في ذلك بقوله قال الله تعالى
وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فكانت النضير خالصة لرسول الله ولم يكن لمن حضرها
من المسلمين شيء اذ لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وقاتلوها مشاة فلما منع الرجالة من السهمان لاستغنائهم في فتحها
عن الخيل جاز ان يزداد للخيل في السهمان على سهمان الرجالة اذ كان الرجال يمنعون السهام وان حضروا اذ لم يحتاجوا
الى ركوب الخيل لكن الحجة على هذا ما ذكرنا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحاربوا على النضير فرسانا ولا رجالة ولو احتاجوا
الى الحرب لاحتاجوا الى الخيل من حيث يحاربوا عليها لم يستحقوا منها شيئا وانما ذكر الله تعالى على سهولة امرها وانهم
لم يحاربوا عليها خيلا ولا ركابا واذا لم يحارب على مدينة فغنموا اموالا فهو مصروف في مصالح المسلمين لا يجري فيه السهام
فكانت النضير على ما ذكر خالصة للنبي ياخذ منها نفقته لنسائه ويصرف سايرها الى مصالح المسلمين ومن الدليل على النظير
لو احتيج منها الى حرب حاربهم الذي افتتحها به رجالة تجري الى غنايمهم القسمة انه لو ان قوما من المسلمين لو حاربوا اليوم على مدينة من مداين

الشرك رجالة تقسم ما يغنم منها كما يقسم لو كان معهم فرسان ومن الدليل على ذلك ايضا ان الرجالة اذا كانوا مع الفرسان
في الحرب قسم لهم كما يقسم للفارس خاصة فلو كانت الغنيمة انما تقسم لسبب الخيل ما اعطي الرجالة منها شيئا ٥
اذ لا افراس لهم وذلك يفسد ما ذكرنا لابي يوسف **وقوله** عز وجل ان كنتم آمنتم بالله قال بعضهم هو صلة قوله
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ثم قال وان تولوا فاعلموا ان الله هو موليكم اي وان تولوا هم ٥
وقد آمنتم انتم فاعلموا ان الله مولاكم ليس بمولى لهم وقالت طايفة قوله ان كنتم آمنتم بالله ليس على الشرط على انه يكون
فيه انه اذا لم يكونوا مومنين ولا يجب لهم العدل في القسمة اذ كانوا غير مومنين ولكن على التنبيه والايقاظ كقوله وذروا
ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين وكقوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين ليس على انه لا يجب ان يذروا اذا لم يكونوا
مومنين ولا يجب ان يطيعوا اذا لم يكونوا مومنين ولكن على ما ذكرنا فعلى ذلك الاول والله اعلم **وقوله** عز وجل
وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان قيل قوله وما انزلنا على عبدنا الملائكة الذين ارسلهم
يوم بدر لنصرة المومنين وانزل عليهم المطر حتى شد الارض بذلك فاستقرت اقدامهم وثبتت بعد ما يغرق الاقدام
فيها ولا تثبت وشربوا منه وردوا بعد ما اصابهم العطش اذ كان المشركون اخذوا الماء وقوله وما انزلنا على عبدنا يوم
الفرقان يوم بدر وقوله يوم الفرقان قيل يوم فرق بين الحق والباطل لانه عز وجل جعل يوم بدر آية حيث غلب
المومنون المشركين مع قلة عددهم وضعف ابدانهم وفقد الاسباب التي بها يحارب ويقاتل وكثرة العدو ٥
وقوتهم ووجود اسباب الحرب والقتال ليعلموا انهم غلبوا اولئك وهزموهم بنصر الله اياهم فكان آية فرق الحق
منهم والمبطل وقيل هو يوم الفرقان ويوم الجمع جمع النبي والمومنين وجمع المشركين ويوم الافتراق افتراق المشركين
من المومنين وانهزامهم وهو كما سمي يوم القيامة يوم الجمع ويوم الفراق بقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقال في آية اخرى
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فهو يوم الجمع في حال ويوم الافتراق في حال اخرى والله اعلم **وقوله** عز وجل
اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى قال بعضهم العدوة القصوى شفير الوادي والاقصى والعدوة
الدنيا شفير الوادي الادنى وكذلك قال القتبي العدوة الشفير شفير الوادي وقال ابو عوسجة العدوة ناحية
الوادي التي تليهم وقال انما سميت الدنيا لانها دنت منك والاخرى لانها استاخرت وقيل في حرف ابن مسعود اذ انتم
بالعدوة العليا وهم بالعدوة السفلى وقال ابو معاذ العدوة والعدوة لغتان والركب والركبان والركاب كل لغة
وقال في حرف حفصة اذ انتم بالعدوة العقيا وقال بعضهم اذ انتم معشر المومنين بالعدوة الدنيا من دون الوادي
على الشط مما يلي المدينة وهم بالعدوة القصوى من الجانب الاخر مما يلي مكة يعني مشركي مكة **وقوله** عز وجل
والركب اسفل منكم يعني اصحاب العير على ساحل البحر او على الماء وقال قتادة جمع الله المشركين والمسلمين ببدر
على غير ميعاد وهما شفير الوادي كان المسلمون باعلاه والمشركون باسفله والركب اسفل منكم ابو سفيان انطلق
بالعير في ركب نحو البحر وقيل اذ انتم بادنى المدينة وهم باقصى مما يلي مكة على ما ذكرنا **وقوله** عز وجل ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد يحتمل اي لو علمتم انكم تخرجون الى الحرب دون العير لم تخرجوا الا بميعاد لتتاهبوا للحرب والقتال
فاختلفتم في الميعاد اما الخروج نفسه وفي الميعاد نفسه انخرجون او لا تخرجون او منكم من يوخر الخروج عن وقت
الميعاد ومنكم من لا يخرج راسا ليقضي ذلك **وقوله** عز وجل ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا يحتمل لينجز الله ما كان
وعد من الظفر والنصر او ليقضي الله ما كان في علمه مفعولا الا ان احدى الطايفتين انها لكم كافة قال وعد الله مفعولا
اي منجزا ويحتمل القضاء ابتداء الانشاء وخلق اي ولكن لينشي الله ما قد علم انه يكون كاينا او ليحكم ما قد علم انه يكون كاينا
والله اعلم **وقوله** ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال بعض اهل التاويل ليكفر من كفر
بعد ذلك عن بينة وحجة ان رسول الله كان على الحق وكان صادقا ويومن من آمن على مثل ذلك وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال ليهلك من هلك عن بينة قال ليموت من مات عن بينة ويحيى من حي عن بينة يقول عن بيان
وحجة وهو والله اعلم انه رسول الله قد كان اتاهم بايات حسية فسموا ساحرا واحتجابا ما فيه التي كانت

فى كتبهم فقالوا ان هذا الا اساطير الاولين وقالوا انه معلم انما يعلمه بشر وقد كان رسول الله يخالفهم فى جميع
صنيعهم عن عبادتهم الاصنام والاوثان دون الله وكان يخوفهم ويوعدهم باشياء وكان لا يخافهم وهم كانوا رؤساء
كبراء لا يخالفهم احد فى امرهم ونهيهم الا من كان يخرجه فلما راوا رسول الله خالفهم فى جميع امورهم نسبوه
الى الجنون وقالوا ساحر مجنون ومعلم مجنون فاراد الله ان يجعل له اية عظيمة حتى لا يقدروا بالنسبة الى شئ مما كانوا
ينسبونه من قبل ثم وعد لهم النصر والفتح يوم بدر بعد ما علم اولئك ضعف المؤمنين وقلة عددهم وقوة انفسهم
وكثرة عددهم ليكون حياة من حى بعد ذلك من بينة وموت من مات على مثل ذلك وان كان له من الايات ما لو لم يعاندوا
ولا كابروا عقولهم لكانت واحدة منها كافية قال قيل ما الحكمة فى ذكر القصة من اولها الى اخرها وهم قد علموا ذلك
كله وشاهدوا قيل يذكرهم الله والله اعلم الحال التى كانوا هم عليها من الضعف والقلة والخوف وفقد اسباب الحرب
والقتال وكثرة العدو وكثرتهم وقوتهم ووجود اسباب الحرب والقتال ليعلم الخلق ان النصر والغلبة
ليس يكون بالكثرة والقوة والاسباب ولكن بالله عز وجل لئلا يتكلوا الى الكثرة ولا يعتمدوا على القوة ولا يضعفوا
ولا يجبنوا ولا يخافوا غيره ليعرفوا انما اصابهم من الهزيمة والغلبة انما اصابهم لمعصية كانت منهم او اعجابا
بالكثرة واعتمادا بالقوة والاسباب والله اعلم **وقوله** عز وجل اذ يريكهم الله فى منامك قليلا اختلف فيه
قال بعضهم قوله فى منامك قليلا المنام نفسه كان الله يرى رسوله المشركين فى منامه قليلا فاخبر بذلك
اصحابه بما راى فقالوا رؤيا النبى حق القوم قليل ليس كما بلغنا انهم كثير فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين
فى اعين المؤمنين تصديقا لرؤيا رسول الله وقال الحسن قوله اذ يريكهم فى منامك قليلا اى فى عينيك التى
تنام بهما وهو فى اليقظة لانه ذكر انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عينى ولا ينام قلبى وانما اراه اياهم
قليلا فى العين الذى به ينام وهو عينا الوجه ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لقد قللوا
فى اعيننا يوم بدر حتى قلت لصاحبى تراهم سبعين فقال اراهم مائة حتى اخذنا رجلا منهم فسألناه فقال كنا
الفا فان كان التاويل هذا الثانى انه اراهم رسوله قليلا فى اليقظة بالذى ينام فهو ظاهر فان كان اراه اياهم
فى المنام حقيقة فلقائل ان يقول ان رؤيا الرسول وحى فكيف اراه اياهم قليلا وهم كثير خلاف ما هو فى الحقيقة
قيل يحتمل ان يكون اراه بعضهم لا الكل فهو حقيقة ما اراه اياهم فهذا ذلك قيل والله اعلم وجائز ان يكون ارى اصحابه
اياهم قليلا وان اضاف ذلك الى رسول الله دليله ما ذكر فى اخره حيث قال واذ يريكموهم اذ التقيتم وذلك كثير
فى القرآن ان يخاطب به رسوله والمراد به غيره الا ترى انه قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما
اف ومعلوم ان نزول هذه الاية بعد وفات والديه **وقوله** عز وجل ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اى لجبنتم ولتنازعتم
فى الامر اى اختلفتم فى امر القتال والحرب ولكن الله سلم قيل سلم واتم للمسلمين امرهم على عدوهم فهزمهم
ونصرهم عليهم ويحتمل قوله سلم اى اجاب للمسلمين لما استغاثوا واستنصروه بالنصر والظفر لهم انه عليم
بذات الصدور اى عليم بما فى قلوب المؤمنين من الجبن والفشل وامر عدوهم والله اعلم **وقوله** عز وجل
واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم يحتمل قوله واذ يريكموهم الاية لما راوا الملائكة لانفسهم
انصارا واعوانا اذ كان قد وعد لهم النصر والاعانة بالملائكة وكان العدو مع الملائكة فاستقلوا لان العدو وان كان
كثيرا فهم قليل مع الملائكة فراوهم قليلا على ما كانوا وقلل هؤلاء فى اعين اولئك لانهم كذلك كانوا قليلا فراوا على ما كانوا
ولم يروا الملائكة وقال بعض اهل التاويل قلل هؤلاء فى اعين هؤلاء وهؤلاء فى اعين هؤلاء اذا التقوا ليضرى بعضهم
على بعض وليجترى بعضهم على بعض على القتال والله اعلم **وقوله** ليقضى الله امرا كان مفعولا هو ما ذكرنا انه
ينجز ما كان وعد لهم من النصر والظفر للمؤمنين والغلبة والهزيمة على اولئك وكذلك ذكر فى القصة ان قوله سيهزم
الجمع ويولون الدبر فى بدر فيه وعد ذلك كقوله وكان وعدا الله مفعولا ويحتمل قوله ليقضى الله اى ليخلق الله
ويشئ ما قد علم انه يكون كائنا او ليفصل بين الحق والباطل مما قد علم انه يكون وقال بعض اهل التاويل ليقضى الله

امرا فى عمله مفعولا كائنا يقول فوجب امرا لا بد كائن ليعز الاسلام واهله بالنصر ويذل الشرك واهله بالقتل
والهزيمة والله اعلم وهو قريب مما ذكرنا والى الله ترجع الامور اى الى الله يرجع تدبير الامور وتقديره له التدبير
فى ذلك فى الدنيا والاخرة وذكر فى بعض القصة ان ابا جهل لما راى قلة المؤمنين ببدر قال والله لا يعبد الله بعد
اليوم فاكذبه الله وقتله فقال والى الله ترجع الامور لا الى الخلق والله اعلم وامر بدر منا ولا الى الخره كان اية
حتى عرف كل احد ذلك الا من عاند وكابر عقله **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا قيل الفئة
اسم جماعة ينحاز اليها وهو من الفئ وهو الرجوع يعنون اليها ويرجعون ذكر هاهنا الفئة وذكر فى الاية التى
تقدمت الزحف وهو قوله اذا لقيتم الذين كفروا زحفا مكان الفئة ونهى اولئك عن تولية الادبار بقوله
فلا تولوهم الادبار وقال هاهنا فاثبتوا ليعلم ان فى النهى عن تولية الادبار امرا بالثبات وفى الثبات نهى
عن تولية الادبار فيكون فى النهى عن الشئ امر بضده والامر بالشئ نهى عن ضده والله اعلم **وقوله** عز وجل واذكروا
الله كثيرا قال ابو بكر الكيسانى قوله اذكروا الله كثيرا اى اذكروا الله فيما تعبدكم من طاعته ووعدكم من نصره
ولا تنظروا الى الكثرة فتضطربوا ويحتمل قوله اذكروا الله فيما لكم له من انفسكم واموالكم اى ان انفسكم واموالكم له ان شاء
اخذها منكم بوجه تتقربون به الى الله فاذكروا الله على ذلك وهو ما ذكر قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
الاية ويحتمل اذكروا الله كثيرا فى النعم التى انعمها عليكم او يقول اذكروا المقام بين يدى رب العالمين
وذلك بالذى يمنعكم من المعاصى والخلاف لامره وبعضما يرغبكم فى طاعته فيكون على هذا التاويل الامر
بذكر الاحوال ويحتمل الامر بذكر الله باللسان وذلك بعض ما يستعان به فى امر الحرب لعلكم تفلحون لكى تفلحوا
بالنصر والظفر او تفلحون اى تظفرون **وقوله** عز وجل واطيعوا الله ورسوله اطيعوا الله فيما امركم بالجهاد
والثبات مع العدو ورسوله فيما يامركم بالمقام فى المكان والثبات وترك الاختلاف والتنازع فى الحرب
وذلك بعض ما يستعان به فى امر الحرب ولا تنازعوا فتفشلوا اى لا تنازعوا رسول الله فيما يامركم فى امر الحرب
وعما نهاكم كقوله يجادلونك فى الحق بعد ما تبين لانكم اذا تنازعتم اختلفتم فاذا اختلفتم تفرقتم فاذا تفرقتم
فشلتم وجبنتم فلا تنصرون ولا تظفرون على عدوكم بل ظفر بكم عدوكم او ان يقال لا تنازعوا لانكم اذا تنازعتم تباغضتم
فيشغلكم التباغض بانفسكم فيبقى الجهاد مع العدو والله اعلم **وقوله** عز وجل ويذهب ريحكم قال بعضهم نصركم
وظفركم وقال بعضهم يذهب ريح دولتكم ويحتمل ريحكم الريح التى بها تنصرون على ما روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلك عاد بالدبور وهو ما ذكرنا فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها **وقوله**
واصبروا اى اصبروا للجهاد ولقتال عدوكم ان الله مع الصابرين بالنصر لهم والظفر وفى هذه الاية تاديب من الله
المؤمنين وتعليم منه لهم فيما ذكرنا اى فى امر الحرب واسباب القتال والمجاهدة مع العدو ولا نزامهم بالثبات
وامرهم بذكر الله ونهاهم عن التنازع والاختلاف وذلك بعض ما يستعان به فى الانتصار على عدوهم **وقوله**
عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قوله بطرا اى كفروا بنعم الله كقوله ضرب الله
مثلا قرية كانت امنة مطمئنة الاية ففعل ذلك خرجوا من ديارهم كفرا بانعم الله لانهم خرجوا الى قتال محمد
وهو من اعظم نعم كفروا نا وتكبرا اى خرجوا متكبرين كافرين ورياء الناس يحتمل مراآتهم وجهين لحدهما مراآتهم
فى الدين لانهم قالوا اللهم انصر اهدانا سبيلا واوصلنا رحما واقرانا ضيفا عندهم انهم على حق وان المؤمنين
على باطل ويحتمل مراآتهم فى امر الدنيا لانهم كانوا اهل ثروة ومال واهل عدة وقوة خرجوا مرائين للناس وقوله
ورياء الناس لانهم كانوا اهل شرف عندهم فخرجوا المراآة الناس ويصدون عن سبيل الله اى يصدون الناس
عن دين الله اخبر عز وجل عن خروج اولئك الكفرة انهم خرجوا لما ذكر فكان قيام للمؤمنين بالخروج على ضد
ذلك كانه قال اخرجوا على ضد ما خرجوا هم **وقوله** عز وجل والله بما يعملون محيط اى علمه محيط بهم لا يعيب
عنه شئ من مكايدهم وحيلهم والمكر برسول الله فى الدفع عنه والنصر له والثانى محيط بما يعملون يجزيهم

ويكايتهم ولا يفوت عنه شئ على الوعيد والله اعلم وقوله عز وجل واذ زين لهم الشيطان اعمالهم قال بعضهم
زين لهم الشيطان اعمالهم بالوساوس وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانما قال لهم هذا ووسوس لهم لما التى اليهم
انكم اهل حرم الله وسكان بيته وحفاظه فيقول يدفع عنكم نكبة هولاء يعنى اصحاب محمد كما دفع عنكم فيما كان من قبل
وقوله عز وجل وانى جار لكم قيل مجير لكم ومغيث فعلى هذا التاويل كان قوله انى جار لكم كانه يخبر ان الله انه يغيثهم
كما اغاثهم من قبل فى غير مرة وقال بعضهم ان الشيطان تمثل بصورة رجل يقال له سراقة بن مالك بن جعشم فاتاهم فقال
لا ترجعوا حتى تستاصلوهم فانكم كثير وعدوكم قليل فيا من غيركم ونحو هذا من الكلام وقال صاحب التاويل لا اول
لا يحتمل هذا الا ذا اهل مكة كانوا جبابرة واهل قوة وبطش وباس فلا يحتمل ان يصدروا لا راى رجل هو دونهم وهم بالوصف
الذى ذكرنا وعلى هذا اهل التاويل انه تمثل به فلان يكون قوله وانى جار لكم ما ذكر فى بعض القصة ان ابا جهل واصحابه
اعتزلوا واستشاروا فيما بينهم فاتاهم ابليس متمثلا بسراقة فامتنعوا عنه واستاخروا فلما راى ذلك منهم
فقال انى جار لكم وكان جار لهم فتاويل هولاء اشبه بما ذكر فى آخر الاية وقوله عز وجل فلما تراءت الفئتان نكص
على عقبيه اى رجع مستاخرا مقبلا وجهه اليهم فقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله والله شديد
العقاب اذا عاقب قيل راى جبريل مع الملائكة ينزلون فخاف عنهم ففيه دلالة انه كان الهلاك قبل يوم المعلوم
وقوله عز وجل اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال بعضهم الذين فى قلوبهم مرض هم المشركون
غر هولاء دينهم وعن الحسن اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر
فسموا منافقين وقال بعض اهل التاويل ان قوما كانوا اسلموا بمكة فاقاموا بها مع المشركين ولم يهاجروا الى المدينة
فلما خرج كفار مكة الى قتال بدر خرج هولاء معهم فلما عاينوا قلة المومنين وضعفهم شكوا فى دينهم وارتابوا فقال
غر هولاء دينهم يعنون اصحاب محمد يقول الله ومن يتوكل على الله فيثق بوعده فى النصر ببدر لقولهم غر هولاء دينهم
فان الله عزيز لا يعجزه شئ وقوله غر هولاء دينهم لانه لم يكن معهم عدة ولا اسباب الحرب من السلاح وغيره
فلم يكونوا يقاتلون الا لقوة دينهم وقوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هولاء دينهم فان قيل لنا
ما الحكمة فى ذكر قول المنافقين فى القرآن حتى نتلوه فى الصلوة قيل ذكر والله اعلم لنعرف عظيم منزلة الدين
وخطير قدره فى قلوبهم اعنى قلوب المومنين وذلك انهم بذلوا انفسهم للهلاك لخروجهم لقتال عدوهم مع ضعفهم
وقلة عددهم وكثرة اعدائهم وقوتهم رجاء ان يسلم لهم دينهم يذكر لنا لنعرف عظيم محل الدين فى قلوبهم ليكون محل الدين
فى قلوبنا على مثل قدره وفى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هولاء دينهم دلالة اثبات رسالة محمد
لانهم انما قالوا ذلك سرا فيما بينهم فاطلع الله رسوله على ذلك ليعلم انه عرف بالله ثم اختلف فى قوله والذين فى قلوبهم
مرض قال بعضهم هم المشركون قال المنافقون والمشركون للمومنين غر هولاء دينهم وقال بعضهم هم قوم اسلموا وقد كانوا
ضعفاء فى الاسلام والدين فلما خرجوا الى بدر فراوا ضعف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوة اولئك القوم
قالوا عند ذلك غر هولاء دينهم وقد ذكر فى بعض القصة ان قوما كانوا اسلموا بمكة ثم اقاموا مع المشركين ولم يهاجروا
الى المدينة فلما خرج كفار مكة الى قتال بدر خرج هولاء معهم فلما عاينوا قلة المسلمين شكوا فى دينهم وارتابوا فقالوا
مع المنافقين غر هولاء دينهم يعنون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى ومن يتوكل على الله من المومنين
فيثق به فى النصر ببدر لقولهم غر هولاء دينهم وقوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض يحتمل ان يكون هم
المنافقون على ما فسر فى اية اخرى فان كان على ذلك فيكون على اسقاط الواو وكانه قال يقول المنافقون الذين فى قلوبهم
مرض الا ان يقال ان المنافقين هم الذين اضمروا الكفر حقيقة والذين فى قلوبهم مرض هم الذين لم يضمروا الكفر لكنهم ارتابوا
وشكوا واعترض شك وارتياب من بعد ما راوا تاخر الموعود وقوله عز وجل غر هولاء دينهم يخرج على وجهين
احدهما قالوا غر الموعود الذى وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتوح لهم والنصر فى الدنيا يقولون
غرهم ذلك الموعود الذى كانوا به من الفتوح والنصر الذى وعد لهم والثانى يقولون غر هولاء الموعود الذى وعدوا

فى الاخرة

315

فى الاخرة من النعيم الدايم والحيوة الدايمة فيكون احدالتا ويلين بالموعود فى الاخرة وهو بالاسلام يكون والثانى بالموعود
فى الدنيا وهو الفتح والنصر الذى ذكرناه وقوله غر هولاء دينهم لما راوا انهم تركوا اباءهم واولادهم وجميع شهواتهم وبذلوا
انفسهم للقتال ليسلم لهم دينهم لذلك قالوا غر هولاء دينهم لما لم يكن خروجهم وبذلهم انفسهم لذلك الا اشفاقا وخوفا
على دينهم او طلبوا لما يذكروا انفسهم حيوة لا بد فى الاخرة فقالوا غر هولاء دينهم والله اعلم وقوله ومن يتوكل على الله اى اعتمد
على الله فى حرب بدر على ما ذكر اهل التاويل والنصر فيه وقوله فان الله عزيز لا يعجزه شئ يعز من يشاء بالنصر ويذل من يشاء
بالقتل والهزيمة او من يتوكل على الله فى جميع اموره ويكل اليه اموره والله اعلم وقوله عزيز حكيم العزيز فى هذا الموضع هو الغالب
حكيم بما امر بالقتال وقوله عز وجل ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم قال بعضهم
الاية مقابلة قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يقول والله اعلم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا
اى تقبض ارواح الذين كفروا كيف يقبضون ارواحهم وكيف يضربون وجوههم وادبارهم كانه قال والله اعلم لو رايت
الحال التى تقبض فيها ارواحهم وما ينزل لرايت ان ما عملوا من صد الناس عن سبيل الله واستكبارهم على المومنين وخروجهم
لقتال اصحاب رسول الله انما عملوا بانفسهم لا بالمومنين وقوله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم
وادبارهم يحتمل ما ذكر من فعل الملائكة يوم بدر لان الاية ذكرت فى قصة بدر ويحتمل ان يكون ذلك فى كل كافر ان الملائكة
يفعلون به ما ذكر كقوله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت باسطوا ايديهم الاية هذا فى كل كافر وقوله يضربون
وجوههم وادبارهم ليس على ارادة حقيقة الوجه والدبر ولكن على ارادة ايصال الالم اليهم بكل ضرب وكل جهة كقوله لهم
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ليس على ارادة التحت والفوق ولكن على ارادة العذاب بهم فعلى ذلك الاول
وقال بعضهم يضربون وجوههم فى حال اقبالهم المومنين وادبارهم فى حال ادبارهم وانهزامهم منهم وقوله عز وجل
ذلك بما قدمت ايديكم ذكر تقديم اليد وان كان الكفر من عمل القلب لا باليد يقدم فى العرف وقوله ذلك بما قدمت
ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد وفى الاية دلالة الرد على المجبرة لانهم لا يجعلون للعبيد فى افعالهم صنعا يجعلون حقيقة
الافعال لله وذكر بما قدمت ايديكم فلو لم يكن لهم صنع لم يكن لقوله بما قدمت ايديكم معنى وكذلك قوله وان الله ليس بظلام
للعبيد فلو لم يكن لهم حقيقة الفعل لكان التعذيب ظلما لان لهم فعلا والله اعلم قوله ليس بظلام للعبيد فيما شرع من القتال
والاهلاك والتعذيب فى الاخرة لانه مكن لهم ما يكسبون به من النجاة والحيوة الدايمة فالحقهم مما ذكر انما كان باكتسابهم
واختيارهم وقوله عز وجل كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله قال بعضهم صنيع هولاء اى صنيع اهل مكة
بمحمد كصنيع فرعون وقومه بموسى فى التكذيب والكفر باياته وقال قايلون صنع الله باهل مكة بالعقوبة كصنيعه بفرعون
وآله ومن سبق من الامم من الاهلاك والتعذيب وقد فعل باهل مكة يوم بدر بسوء معاملتهم رسول الله كما فعل ذلك بفرعون
وآله بسوء معاملتهم موسى وكداب قيل كصنيع وقيل كفعل وقيل كاشباه وقيل كعمل وهو واحد وقوله عز وجل فاخذهم الله
بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب وقوله شديد العقاب اى لا يضعفه شئ يمنعه عما يريد وقوله ذلك اى ذلك العذاب
والعقاب الذى ذكره بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم قال قايلون النعمة التى انعمها عليهم
هم الرسل التى بعثهم اليهم والكتب التى انزلها عليهم لم يك مغيرا لتلك النعم حتى يغيروا بانفسهم بالتكذيب والرد وترك القبول
وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلوا عليهم
اياتنا الاية وقال قايلون قوله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم اى حتى يصرفوا شكر نعمه الى غير الله
ويعبدون دونه اى لا يغير النعمة التى انعمها عليهم حتى يغيروا ما بانفسهم يعبدون غير الله ويشكرون غير الذى انعم
عليهم فعند ذلك غير الله ما بهم من النعمة وكذلك قال ابن عباس نعمة من النعم ان تولوا عن شكرها غيرها الله عليهم واخذها
منهم والثانى يحتمل النعمة الدينية وهو تكذيبهم الرسل وردهم الكتب بعد ما اقسموا انهم يكونون اهدى من احدى الامم
واختيارهم الشرك والكفر على الاسلام والتوحيد فاذا اختاروا ذلك غير عليهم وقوله عز وجل ذلك بان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم يخرج على وجهين احدهما النعمة الدنياوية لا تغير من قبلهم ه

اما بترك الشكر لها واما بصرفه الى غير الذى انعمها عليهم ولو غيرت عليهم غيرت بيدل فليس ذلك فى الحقيقة
تغير فان الله سميع عليم قيل سميع لشكر من يشكره وعليم عليهم لزيادة النعمة اذا شكر ويحتمل سميع اى مجيب عليم بمصالحهم
ويحتمل انه سميع لما اسروا من القول وجهروا به عليم بما اضمروا من العمل والشرور **وقوله** عز وجل كداب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بايات ربهم فان قيل ما فائدة تخصيص ذكر آل فرعون من بينهم وما الحكمة فى تكرار قوله كداب
آل فرعون قيل يحتمل تخصيص ذكر آل فرعون لما كانوا اقرب الى هولاء من غيرهم ممن كان قبلهم الا ترى انه قال انا ارسلنا
اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا او ان يذكر اهل الكتاب منهم لما كانوا ينكرون بعث الرسل من غيرهم
ويقولون ان محمدا امى بعث الى الاميين مثله فقال انه موسى لم يكن من القبط فبعث رسولا اليهم فعلى ذلك محمد ان كان اميا
فبعث الى الاميين وغيرهم والله اعلم بذلك واما فائدة التكرار والله اعلم وهو انه ذكر فى الاية الاولى الاخذ بالذنوب
والتعذيب ولم يبين ما كان ذلك العذاب فبين فى الاية الاخرى ان ذلك العذاب هو الاهلاك والاستيصال حيث قال
فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون الاية ويحتمل قوله فاخذهم الله بذنوبهم فى الاخرة بكفرهم بايات الله فى الدنيا
ذكر فى احدى الايتين العذاب فى الاخرة وفى الاية الاخرى الاهلاك فى الدنيا ولانه ذكر فى الاية الاولى الكفر بايات الله
ولم يبين ذلك وذكر فى الاية الاخرى التكذيب باياته فبين ان الكفر باياته هو تكذيبها فان التكذيب انما يكون فى الاخبار
وكذلك التصديق وفيه دلالة ان الايمان هو التصديق لانه جعل مقابله وضده التكذيب وفيه ان الايمان ليس هو
المعرفة لان مقابله الجهل بالله ليس هو التكذيب لكن بالمعرفة يكون التصديق بالجهل يكون التكذيب **وقوله** عز وجل
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ذكر ههنا الدواب عند الله الذين لا يؤمنون وقال فى اية اخرى
ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون هم شر دواب حيث سمعوا الآيات والحق عقلوها فلم يؤمنوا بها
ولم ينتفعوا بما عقلوا بما وقع فى مسامعهم وبما درسوا كمن لا سمع له ولا لسان نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا بما عقلوا ويحتمل
ان يكون فى الاخرة هم اى يبعثون يوم القيامة صما بكما عميا لما لم ينتفعوا فى الدنيا بهذه كقوله ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وبكما وصما الاية وقوله ان شر الدواب عند الله اى ان شر من الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون
وهو كما ذكر فى اية اخرى اولئك كالانعام بل هم اضل لخبر ان الذين كفروا بالله وكذبوا باياته اضل من الانعام وقد ذكرنا
فائدة قوله بل هم اضل فى موضعه ويحتمل قوله شر الدواب اى شر من يدب على وجه الارض من الممتحنين الذين كفروا فهم
لا يؤمنون ثم يكونون بهذا الوصف اذ ختموا بالكفر وتركوا الايمان ثم اختلف فيه قال بعضهم نزل فى بنى قريظة عاهدوا
رسول الله ثم اعانوا مشركى مكة على رسول الله بالسلاح وغيره فاقام لهم رسول الله وكانوا يقولون نسينا واخطانا ثم عاهدهم
ثانية فنقضوا العهد فذلك قوله ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون نقض العهد او لا يتقون الشرك وقال
بعضهم نزل قوله ان شر الدواب الى آخر الاية فى المردة والفراعنة من الكفار كانوا عقلوا ما سمعوا ودرسوا ولكن غيروها فلم يؤمنوا
على هذا حمل اهل التاويل تاويل الاية والى ما ذكر ناصرفوا والاصرف الاية الى اهل النفاق اولى لانهم هم المعروفون بنقض العهد
ومرة بعد مرة **وقوله** عز وجل فاما تثقفنهم فى الحرب قيل تاسرنهم فى الحرب وقيل تلقينهم فى الحرب وقيل تجدنهم فى الحرب
فشرد بهم من خلفهم قيل نكل بهم من بعدهم اى اصنع بهم ما ينكلون من خلفهم اى يتعظون وقيل فعظ بهم من خلفهم اى من سواهم الاية
نزلت فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون وكان عادتهم نقض العهد فامر عز وجل رسوله ان ينكل هولاء ليكون ذلك
عبرة وزجرا لمن بعدهم ان لم يكن ذلك لهم زجرا فيكون فى تنكيل هولاء منفعة لغيرهم اذا رأى غيرهم انه فعل بهولاء
ما ذكر يكون ذلك زجرا لهم عن مثل صنيعهم وكهذا ما قال ولكم فى القصاص حيوة من راى انه يقتل به امتنع عن قتل آخر
فيكون فى ذلك حيوة للخلق وكذلك ما جعل الله من القتال مع العدو ونصب الحرب فيما بينهم رحمة لان فى الطباع النفاد
عن القتل فاذا راى انه يقتل بتركه الاسلام لجاب الى ذلك اشفاقا على نفسه وخوفا على تلف مهجته فيكون فى القتال رحمة
وكذلك جميع ما جعل الله فيما بين الخلق من العقوبات فى النقص وما دون النفس جعل زواجرا وموانعا عن المعاودة الى مثله
فعل ذلك قوله فشرد بهم من خلفهم عظة وزجرا لمن بعدهم لعلهم يذكرون لكى يذكروا النكال فلا ينقضوا العهد وكذلك

كلم غريب

كل مرغوب فى الدنيا ومرغوب جعل دواعى وزواجر لموعود فى الآخرة وجعل كل لذيذ وشهى فى الدنيا داعيا لما وعد فى الآخرة
فى الجنة وكل كريه وقبيح زاجرا له عن الموعود فى الآخرة فى النار على هذا بناء امر الدنيا والتشريد قال ابو عبيدة معناه
من التفرقة اى فرق بهم وقال القتبى قوله فشرد بهم من خلفهم اى افعل بهم فعلا من العقوبة والتنكيل يتفرق به من وراءهم
من الاعداء قال ويقال شرد بهم سمع بهم بلغة قريش وقيل نكل بهم اى اجعلهم عظة لمن وراءهم وعبرة وهو ما ذكرنا وقال
ابو عوسجة التنكيل التخويف والردع عما يكره والنكال العذاب وقال غيره قوله فشرد بهم من خلفهم اى الحقهم بهم بما صنع هولاء
وقال ابو عبيد التشريد فى كلامهم التبديد والتفريق وبعضه قريب من بعض قال ابو عوسجة قوله فشرد بهم اى نكل بهم
حتى يخافك من خلفهم والشريد الطريد ايضا القليل **وقوله** عز وجل واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء قال
بعضهم قوله تخافن اى تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء اى لا تفعل بهم مثل ما فعلوا من الخيانة فتكون انت وهم
فى الخيانة سواء لان عندهم انكم معاهدون على عهد بعد عهد ولكن انبذ اليهم العهد ثم ناصب فيما بينهم الحرب
وقال بعضهم هو على حقيقة الخوف يقول اذا خفت منهم النقض او الخيانة فانبذ اليهم اى الق اليهم نقضك لتكون انت
وهم فى العلم بالنقض سواء قال ابو عبيدة قوله فانبذ اليهم على سواء اى اظهر لهم انك عدو وانك مناصب لهم حتى
يعلموا ذلك فيصيروا على ذلك سواء وقال بعضهم سواء اى على امر بين قال ابو عبيد قال غير واحد من اهل العلم فانبذ
اليهم على سواء اعلمهم انك تريد ان تحاربهم حتى يصير وامثلك فى العلم فذلك السواء وقال الكسائى السواء العدل
وقال فانبذ اليهم على سواء اى سراليهم وقد علموا ابك وعلمت بهم وبعضهم قريب من بعض وحاصل التاويل هو الثانى والبيان
اللذين ذكرتهما والله اعلم واصل العهد ما ذكر عز وجل فى اية اخرى وهو قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم
شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر عز وجل باتمام العهد الى المدة فاذا لم ينقضوا شيئا
ولم يحزنوا ولم يظاهروا علينا احدا منهم فاذا فعلوا شيئا من ذلك قلنا ان تنقض العهد الذى كان بيننا وبينهم
وكذلك ابتداء العهد بيننا وبينهم اذا سالونا ليس للامام ان يعطى لهم العهد اذا لم يكن فى العهد منفعة للمسلمين
منفعة ظاهرة وخيرا لهم فعلى ذلك ما دام يرجو فى العهد منفعة للمسلمين وخيرا لهم مراعاة ذلك العهد وحفظه
فاذا خاف منهم او اطلع على خيانة منهم فله نقضه والله اعلم ثم اذا كان تلك الخيانة من جماعتهم او ممن له منفعة فله
ان يناصبهم الحرب وان لم ينبذ اليهم واذا كان ذلك من بعض على سبيل التلصص والسرقة فليس له ان يحاربهم الا بعد
النبذ اليهم **وقوله** عز وجل ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون قال بعضهم لا تحسبن الذين نجوا وتخلصوا
منك يا محمد من المشركين لم لا تظفر بهم فى غير من الحروب والمغازى وانهم يفوتون ويعجزون الله عن ذلك
وقال بعضهم لا تحسبن الذين كفروا انهم يعجزون ويفوتون عن نقمة الله وعذابه وقرا بعضهم بنصب الالف انهم
لا يعجزون فمن قراء بالنصب طرح لا وجعلها صلة وقال تحسبن انهم يعجزون واما قراءة العامة فهى بالخفض انهم
هو بالابتداء فقال انهم لا يعجزون وقيل المعجز السابق ما استطعتم من قوة قال بعضهم واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ولا تخرجوا الى الحروب والمغازى كما خرجتم الى بدر بلا سلاح ولا قوة لانه اراد ان يجعل حرب بدر اية يميز بين الحق والمبطل
وبين الحق والباطل لذلك امركم بالخروج اليه بلا سلاح ولا عدة واما غيرها من الحروب والمغازى فلا تخرجوا اليها
الا مستعدين اليها وبعد فانهم انما تركوا الاستعداد طاعة لربهم وفى الاشتغال بالاستعداد ترك للطاعة له وامر
عز وجل بالاعداد لهم ما استطاعوا من الاسباب لما ان ذلك ارهب للعدو من ترك الاستعداد وان كان عز وجل قادرا
ان ينصرهم على عدوهم بلا سبب يجعلها لانفسهم وهو كقوله لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله فامر الله بالاسباب
فى الحروب وان كان قادرا على نصر اوليائه على عدوهم بلا سبب لكنه امرها بالاسباب لما ان جميع امور الدنيا جعلها بالاسباب
من نحو الموت والحيوة وجميع الاشياء وان كان يقدر على ابقاء الانسان والخلائق جميعا بلا اغذاء يجعل لهم والموت
بلا مرض ولا سبب ولكن نفعل بما ذكرنا ثم اختلف فى قوله من قوة قال بعضهم القوة الرمى وعلى ذلك رووا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فقال الا ان القوة الرمى قال ذلك ثلثا

ويحتمل قوله ما استطعتم من قوة ما تقوون به للحرب ما لا تقوون به وقال بعضهم القوة السلاح وقال غيره الخيل
وامكن ان يكون جميع اسباب الحرب وفيه دلالة ان القوة التي هي اسباب الفعل يجوز ان يتقدم ويكون قوله لو استطعنا لخرجنا
معكم اراد استطاعة الاسباب لا استطاعة الفعل والله اعلم وقوله عز وجل ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
امر برباط الخيل والاعداد للحرب رهبة للعدو وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اختلف فيه قال بعضهم ترهبون
برباط الخيل المشركين وقال وآخرين من دونهم اليهود والنصارى وهؤلاء الذين كانوا فيما بينهم يرهب هؤلاء ايضا
وقال بعضهم وآخرين من دونهم الذين كانوا فيما بينهم لا يعرفونهم كانوا طلايعا للمشركين وعيونا لهم يخبرونهم عن حال
المؤمنين يرهب هؤلاء ايضا وقال آخرون قوله وآخرين من دونهم هم الشياطين ورووا على ذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال هم الشياطين وقال لن يخبل الشيطان انسانا في دار فيها فرس عتيق ويحتمل ان يكون قوله وآخرين
من دونهم هم الاعداء الذين يكونون من بعد الى يوم القيامة لا تعلمونهم الله يعلمهم فان كان ذلك ففيه دلالة بقاء الجهاد
الى يوم القيامة وقال بعضهم وآخرين من دونهم هم الشيطان لا تعلمونهم الله يعلمهم وهو كقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم فان قيل اي رهبة تقع للشياطين فيما ذكر من رباط الخيل والسلاح الذي ذكر قيل يكون لهم رهبة في قمع
اوليائهم او يكون لاوليائهم رهبة بسبب ذلك اليهم وذلك كثير في القرآن وقوله عدو الله وعدوكم سمى عدوكم الله عدوا
للمؤمنين يكون وليا لله وقوله عز وجل وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اخبر ان ما انفقوا في سبيل الله يوفي
عليهم ذلك اما الخلف في الدنيا كقوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه واما في الآخرة الثواب وانتم لا تظلمون يحتمل
وجهين يحتمل وانتم لا تظلمون فيما يامركم بالجهاد في سبيل الله واتخاذ العدة والانفاق فيها اذ انفسكم واموالكم لله
له ان ياخذها منكم والثاني وانتم لا تظلمون والثواب في الآخرة اي يعطيكم الثواب في الآخرة او الخلف في الدنيا
والله اعلم وقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها قرئ بالنصب السلم وقرئ بالخفض للسلم وقال اهل اللغة من قرئ
بالنصب السلم حمل على المصالحة والموادعة ومن قرا بالخفض السلم جعل ذلك في الاسلام وتاويله والله اعلم
اي اذا خضعوا للصلح وطلبوا منك فاجنح لهم اي مل اليهم ولا يمنعنك عن الصلح معهم ما كان منهم من نقض العهد
على ما ذكر في قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة يقول لا يمنعك عن الصلح اذا طلبوا ذلك ما كان
منهم من النقض ونكث العهود وتوكل على الله ولا تخف خيانتهم ونقضهم العهد فان الله يطلعك ويكفيك على ذلك
ومنهم من قال قوله وان جنحوا للسلم اي اذا خضعوا وتواضعوا للاسلام فاقبل منهم واخضع لهم كقوله واخفض
جناحك للمؤمنين امر بخفض الجناح لهم ذكرها هنا انهم اذا طلبوا الصلح منا يلزمنا ان نعطيهم واذا لم يطلبوا منا ذلك
لا يحل لنا ان نطلب منهم الصلح الا ان نضطر الى ذلك وهو ما ذكر في آية اخرى حيث قال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم
الاعلون نهانا ان ندعوهم الى الصلح ولنا قوة وعدة للقتال معهم واما اذا كانوا طلبوا منا ذلك ولا فيجاب لهم
الى ذلك ويحتمل ما ذكرنا اي لا يمنعك لما كان منهم من نقض العهد وقوله فاجنح لها يحتمل ذكره بالتانيث اي المسالمة
والمصالحة وقال بعضهم السلم هو مونث كقول القايل ٪ السلم تاخذ منها ما رضيت به ٪ والحرب يكفيك من انفاسها
جرع ٪ وكقول ابي بكر فان قيل ما المعنى في قول من قال بالاسلام بقوله فاجنح لها وهو كان يدعو الى الاسلام
وهو لا شك انه كان يقبل منهم الاسلام قيل يحتمل ان يكون الامر بالقبول امرا بترك المواخذة ما كان منهم في حال نقض
العهد لان من قولنا ان ما اصابوا في حال العهد من الجراحات والاخذ يتبعون بها ويواخذون اذا اسلموا واذا نقضوا
العهد ثم اصابوا شيئا من ذلك ثم اسلموا لم يواخذوا بذلك فيحتمل ان يقول لهم فاجنح لها ولا تواخذهم بما كان
منهم في حال نقض العهد وقال الحسن هذا منسوخ نسخها قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله الآية وقال بعضهم
نسخها قوله اقتلوا المشركين الآية وقال بعضهم نسخها قوله فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والوجه
فيه ما ذكرنا ان الامام اذا راى الصلح والموادعة نظرا للمسلمين اجابهم الى ذلك وصالحهم واذا طلبوا منه الصلح
وبالمسلمين قوة القتال والحرب معهم لم يجبهم الى ذلك وما ذكر هؤلاء من نسخه فذلك لا نعرفه والله اعلم وقوله

عز وجل وان يريدوا ان يخدعوك في الصلح ويخونوك فان حسبك الله اي ممكنك الله منهم كقوله وان يريدوا
خيانتك فقد خانوا الله من قبل وان كان قوله فاجنح لها في الاسلام فيكون في قوله فان حسبك الله اي يطلعك
على ما في قلوبهم من النفاق اي وان خفت منهم انهم يظهرون لك الاسلام في الظاهر ويكونون في السر على ما كانوا
من قبل فلا يمنعك ذلك عن قبول الاسلام منهم فان الله يطلعك ذلك ويكفيك على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين يحتمل قوله وبالمؤمنين بالملائكة الذين انزلهم معونة للمؤمنين يوم بدر ويحتمل
بالمؤمنين المؤمنين الذين كانوا معه فاخبر انه يؤيده بنصره وينصر المؤمنين وكان النصر له بالله في الحقيقة فقوله
وما النصر الا من عند الله النصر من الله يكون مرة بالاسباب بالمؤمنين وبغير ذلك من الاسباب ومرة باللطف منه بلا سبب
وقوله عز وجل والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم قال بعضهم الف بين قلوبهم
بالدين الذي جمعوا عليه كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار اخبر انهم كانوا اعداء ما داموا في الكفر فلما اسلموا صاروا اخوانا ولكن عندنا الاسلام يوجب التاليف
والاجتماع بينها ولكن يجوز ان لا يوجد التاليف وان وجد ليعلم ان الله هو الذي يولف بينهم بلطفه وفضله بقوله
ولكن الله الف بينهم وقد يجوز ان يكون ما ذكر من تاليف القلوب يكون مرة بالدين ومرة باللطف من الله فاذا كان الخلاف
والعداوة بينهم بسبب الدين فانه اذا وجد الوفاق ارتفع الخلاف والعداوة واذا كان للاطماع فهو يرتفع باللطف
من الله انه عزيز حكيم لا يعجزه شيء حكيم في امره وحكمه وقوله عز وجل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
قال بعضهم حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنين اي كفاك الله في العون والنصر لك وكفاك المؤمنين
ايضا فيما ذكرنا وقال بعضهم حسبك الله نصر الله وحسبك نصر المؤمنين وهو على ما ذكر هو الذي ايدك بنصره
وبالمؤمنين والاول اشبه والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال التحريض على القتال
يكون بوجهين احدهما ان يعد لهم من المنافع في الدنيا ويطمع لهم ذلك من نحو ما جاء من التنفيل ان من قتل كذا
فله كذا او يعد لهم المنافع في الآخرة كقوله ان الله اشترى من المؤمنين الآية وما ذكر من الثواب في الآخرة بالنفقة
ينفقونها في سبيل الله قوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الآية فيما ذكرنا فيه وعد المنافع لهم في الدنيا
والآخرة ووعد النصر لهم والثاني ان يكون التحريض بضرر يلحق اولئك ونكبة تصل اليهم كقوله الا تقاتلون قوما
نكثوا ايمانهم الى قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ
قلوبهم ويتوب الله على من يشاء جمع الله عز وجل في هذه الآية جميع انواع الخير الذي يكون في القتال مع العدو ومن وعد
النصر للمؤمنين عليهم وادخال السرور في صدورهم ونفي الحزن عنهم وتعذيبا لاولئك بايديهم وفيه اغراء على العدو
بقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول فذلك كله يحرض على القتال ويرغبهم في الحرب مع العدو
والله اعلم وقوله عز وجل ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا
الآية اختلف في معنى هذا قال بعضهم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا على الامر كانه قال ليكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا كذا امر العشرة القيام لماية وقال دليله انه على الامر قوله الآن خفف الله عنكم ولو لم يكن على الامر
والعزيمة لم يكن لذكر التخفيف معنى وقال الآخرون هو على الوعيد انهم اذا صبروا وثبتوا لعدوهم غلبوا عدوهم
على ما اخبر كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ليس على الامر لانه قال ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين اخبر انهم اذا صبروا غلبوهم وهو كذلك والله اعلم اذ ظاهره وعد وخبر والاشبه ان يكون على الامر
ليس على الخبر على ما ذكرنا من قوله الآن خفف الله عنكم وقوله عز وجل بانهم قوم لا يفقهون ما لهم وما عليهم
وقوله عز وجل الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان قيل ما معنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا وقد كان
يعلم ان فيهم ضعف وقت ما امر العشرة القيام لماية والعشرين لمايتين قيل امر بذلك مع علمه انهم ضعفا
وان كان في ذلك اهلاك انفسهم وذلك منه عدل اذ له ان يتلف الانفس ان شاء اتلفها بالموت وان شاء بالقتل بقتل العدو

والتخفيف منه رحمة وفضل امر الواحد القيام لعشرة على علم منه بالضعف ابتداء امتحان منه وله ان يمتحن عباده
بما فيه وسعهم وبما لا وسع لهم فيه والثاني في الحكمة ذلك اذ لله لا لنفس له ان يتلفها كيف شاء بما شاء وهو ماذكر قوله ولو انا
كتبنا عليهم ولو لم يكن له في الحكمة ذلك لا يحتمل ان يكتب ذلك عليهم والثاني يعلم فيهم الضعف كاينا شاهدا كما علم انه
يكون وهو ماذكرنا في قوله حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي يعلم مجاهدا كما علم انه يجاهد فعلى ذلك هذا ثم ذكر
العشرة والعشرين يحتمل على التحديد ويحتمل لا على التحديد الا ترى انه ذكر في الناسخ عددا غير العدد الذي في المنسوخ لانه
في المنسوخ ذكر العشرين لمايتين وفي الناسخ ذكر الف لالفين بقوله وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فان كان
لا على التحديد فيلزم الواحد القيام لاثنين وفي الاولى للواحد لعشرة وعلى ذلك روي عن عمر رضي الله عنه قال اذا لقي
الرجل رجلين من الكفار فاستاسر فلا فداء له علينا واذا لقي ثلاثة فاسر فعلينا فداؤه ولم يجعل للواحد الفرار من اثنين
حيث لم يوجب عليه الفداء وقد جعل له الفرار من ثلاثة حيث جعل عليه الفداء وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال ذلك ويحتمل على التحديد اذا كمل العدد الذي ذكر لم يسع الفرار ويلزمهم القيام لهم واذا كانوا دون ذلك لم يلزم
وكذلك قال الحسن امران يصبر عشرون لمايتين ان فروا منهم لم يعذروا وان يصبر ماية لالف ان فروا منهم لم يعذروا
قال ثم انزل الله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا وامر ان يصبر ماية لمايتين وان فروا منهم لم يعذروا وان يصبر
الالف لالفين ان فروا منهم لم يعذروا فان كان على التحديد فهو ما يقولون انهم ما لم يكونوا ممتنعة فانه يسعهم ان لا يقاتلوا
وقوله عز وجل فان يكن منكم ماية صابرة قال بعضهم الصبر هو حبس النفس على ما امر الله ويكفها عن جميع شهواتها
ولذاتها فاذا فعل ذلك غلب على العدو وقهره وقال بعضهم الصبر هو ان يوطن نفسه في القتال مع العدو ويحبسها
في ذلك والشكر قيل هو ان يبذل نفسه وما يحويه لله لا يجعل لغيره فيكون الشكر والصبر في الحاصل سواء وان كانا
في العبارة مختلفين لان الشكر هو بذل النفس وما حوته لله والصبر هو الكف والاحتباس على جميع ما امر الله واداء
ما فرض الله عليه فاذا حبسها عن غيره يكون باذلا ولهذا سمي الصبر ايمانا بقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
ذكر الصبر هاهنا مكان ما ذكر في غيره الايمان بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله عز وجل والله مع
الصابرين في النصر لهم على عدوهم والغلبة عليهم وقوله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض
قال ابو بكر الكيساني عاتب الله رسوله واصحابه في اخذ الاسارى بقوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض
وبالغ في العتاب في اخذ الفدا من الاسارى بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وكذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما استشار اصحابه في الاسارى اشار ابو بكر الى اخذ الفداء وعمر الى القتل فقال لو نزل من السماء
عذاب ما نجا الا عمر عاتبهم بالاثخان اخذ الاسارى واشد العتاب في اخذ الفداء وامر بالقتل وضرب الرقاب
بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان انما امر بضرب الرقاب وضرب البنان وكذلك يخرج قوله
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم على العتاب الى هذا يذهب ابو بكر الاصم وعن ابن عباس قال لم يكن للانبياء
صلوات الله عليهم فيما مضى يكون لهم اسارى حتى يثخنوا في الارض وعن سعيد بن جبير قال لا يفادى اسارى المشركين
ولا يمن عليهم حتى يثخنوا بالقتل ثم تلا حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق الى هذا ذهب هؤلاء وقوله ما كان لنبي
ان يكون له اسرى يخرج تاويل الاية على وجهين احدهما يقول ما كان لنبي ان ياخذ من الاسرى الفداء حتى يثخن في الارض
اي يغلب حتى اذا اخذ الفداء وسرحهم بعدما غلب في الارض يكون رجوعهم الى غير منفعة وشوكة واذا لم يغلب في الارض
اي حتى يصير الدين كله لله كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الاية هذا كان لمن قبله ورخص لرسوله ذلك وقيل في قوله
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم بوجوه احدها ما قال ابو بكر الاصم تاويله لولا كتاب من الله سبق
ان لا يعذب المخطئين في عملهم على خلاف امره والا لمسكم العذاب فيما اخذتم من الاسارى والفداء منهم عذاب عظيم
وقال اخرون قوله لولا كتاب من الله ان احل الغنايم لهذه الامة والا لمسكم العذاب فيما اخذتم واستحللتم عذاب
عظيم وقال بعضهم لولا كتاب من الله سبق انهم يتوبون عما عملوا من الاخذ وغيره وانه يتوب عليهم والا لمسكم العذاب

بذلك وامكن ان يكون التاويل في هذا غير هذا كان في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان دلالة
اباحة الامر ورخصته لانه قال فاضربوا فوق الاعناق هو الابانة من المفصل الذي يبان به الرؤوس وذلك قل ما يمكن
في القتال ولا يقدر ابانة الرؤوس في الحرب انما يمكن ذلك بعدما اخذوا ووقعوا في ايديهم واما ما ذكر من ضرب البنان
فهو في الحرب لانه في الحرب انما يضرب فيما ظفر ووجد السبيل الى ذلك ففيه دلالة وتاويل قوله لولا كتاب
من الله سبق لمسكم الاية يحتمل ان يكون ملحقا على ما سبق من قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين
لكارهون يجادلونك في الحق الاية اي لولا كتاب من الله سبق اي لولا من حكم الله ان يجعل لكم الظفر على احدى الطايفتين
والا لمسكم العذاب بمجادلتكم رسول الله ومخالفتكم اياه في الخروج وارادتكم العير او ان يقال لولا من حكم الله ان لا يعذب
احدا ولا يؤاخذه في الخطا في العمل بالاجتهاد والا لمسكم كذا ويكون قوله اخذتم اي عملتم ثم قالت المعتزلة في قوله
تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة دلالة على ان الله لا يريد ما اراد العباد اذا ارادوا المعاصي لانه اخبر انهم
ارادوا عرض الدنيا وهو يريد الاخرة فهم ارادوا المعصية وهو يريد لهم الاخرة ولكن التاويل عندنا ان قوله تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة اي تريدون عرض الدنيا والله يريد حيوة الاخرة وعرضها وبعد فانه قد كان الله اراد
لهم الاخرة وحيوتها وهم ارادوا العير وعرض الدنيا وقد كان ما اراد الله لهم لا ما ارادوا هم اي اختار لهم
غير ما اختاروا هم واصله ان الله عز وجل اراد الاخرة لاهل البدر فكان ما اراد واراد لاولئك الكون في النار
فكان ما اراد كقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة والاشبه ان تكون الارادة هاهنا المودة والمحبة
اي يودون ويحبون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وهو ما ذكر في اية اخرى حيث قال واذ يعدكم الله احدى
الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم كانوا يودون ان القتال مع غير ذات الشوكة حتى يكون لهم
الغنايم والارادة التي تضاف الى الله تخرج على وجوه ثلاثة احدها الرضا كقوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله
ما اشركنا كانوا يستدلون بتركه اياهم وهم على ان الله قد رضي بصنيعهم والثاني الارادة الامر كقوله واذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها والثالث الارادة هي صفة فعل كل فاعل يخرج فعله على غير سهو
وغفلة ولا طبع بل يخرج على الاختيار وقال بعض اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار
في اسارى يوم بدر اصحابه فقال لابي بكر يا ابا بكر ما تقولون فيه فقال يا رسول الله قومك واهلك فاستبقهم
واستانهم لعل الله يتوب عليهم وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم فاضرب اعناقهم وقال عبد الله
ابن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه واضرم عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك
فسكت رسول الله فلم يجبهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس يقول بقول ابي بكر وقال ناس يقول بقول عمر وقال ناس
يقول بقول عبد الله ثم خرج عليهم رسول الله فقال ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللبن وان الله
ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني وان مثلك
يا ابا بكر كمثل عيسى حيث قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان مثلك يا عمر كمثل موسى حيث قال ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم وقال يا عمر ومثلك كمثل نوح حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولا يفلتن
احد منكم الا بفداء او ضربة عنق قال عبد الله الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله فما رايتني
في يوم اخوف مني ان يقع علي حجارة في ذلك اليوم حتى قال رسول الله الا سهيل بن بيضاء فانزل الله ما كان لنبي
ان تكون له اسرى الى اخر ما ذكر ثم يحتمل قوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض قبلكم واما انتم
فقد احلت لكم الاسارى والغنيمة ويدل ايضا ما روي من الاخبار والايات على انه اذا اثخن في الارض جاز له الاسر
لانه لو لم يجز كما لا يجوز قبل الاثخان في الارض زالت فايدة الخصوص وقد بين الله ذلك بقوله حتى اذا اثخنتموهم
فشدوا الوثاق ثم اختلف اهل العلم في فداء الاسارى بالمال قال ابن عباس رضي الله عنه قال ذلك يوم بدر
والمسلمون قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله تعالى بعد هذا في الاسارى فاما منا بعد واما فداء

فجعل النبي والمؤمنون بالخيار ان شاؤا فدوهم وعن الحسن قال يصنع به ما صنع رسول الله بأسارى يمن عليه او يفادي وقال غيرهم بخلاف ذلك وقال اصحابنا ان احتاج الامام الى مال فاداهم وقد دل ما ذكرنا من الآيات والاخبار على جواز الفداء بعد الاثخان فيهم فان لم يكن الى المال محتاجا فله قتلهم لان ذلك انكى في العدو واشد رهبتهم من المؤمنين وقال بعضهم فله ان يسترقهم فهو كما قالوا اذا كان الاسير من اهل الكتاب او من العجم فاما عرب عبدة الاوثان فلا يسترقون لانا لا نعلم احدا منهم استرقه النبي لما اسر ولم يبلغنا ان ابا بكر استرق واحدا من اهل الردة وكيف يجوز استرقاقهم وقد قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون واما الفداء والقتل فقد ظهر من فعل رسول الله في اسارى بدر وفيما روي من الاستشارة استشارة النبي اصحابه في الاسارى دلالة العمل بالاجتهاد وما روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر يا ابا بكر ويا عمر ان ربي يوحي الي ان اشاوركما ولولا انكما اختلفتما ما عصيتكما او ما عملت بخلاف رأيكما فيه انه لا يجوز لاحد ان يخالفهما ورسول الله يقول لولا انكما تختلفان ما عصيتكما او ما عملت بخلاف رأيكما ثم ما اخذ من الاسارى من الفداء لا يدرى على اي وجه اخذ على الترك والرد الى وطنهم من غير ان تركهم بالجزية اذ من قولهم انه لا يجوز اخذ الجزية منهم والترك على ذلك وفي الآية دلالة ذلك وهو قوله تقاتلونهم او يسلمون وفي الخبر لا يجتمع دينان في جزيرة العرب الا ان يقال ان المفاداة التي ذكرنا قبل هذا كان نعله والله اعلم **وقوله** عز وجل فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا قال بعضهم حلالا طيبا واحد كل حلال طيب وكل حرام خبيث وانما يطيب اذا حل ويخبث اذا حرم ولكن يحتمل قوله حلالا طيبا حلالا بالشرع طيبا في الطبع وكذلك الحرام هو حرام بالشرع وخبيث بالطبع وانما يتكلم بالحل والحرمة من جهة الشرع والطيب بالطبع والطيب هو الذي يتلذذ به ولا تبعة فيه لان خوف التبعة ينغص عليه ويذهب بطيبه ولذته وجائز ما ذكر من الطيب ها هنا لما ان اهل الشرك كانوا يأخذون الاموال ويجمعونها من وجه لا يحل وباسباب فاسدة فيكرهون التناول منها اذا غنموا لتلك الاسباب الفاسدة فطيب قلوبهم بقوله طيبا وفيه دليل جواز التقلب في البيع الفاسد وطيب التناول منه وان كان مكتسبا باسباب فاسدة بعد ان يكون باذنه فعلى ذلك الاول يحتمل ما ذكرنا وفيه دلالة ان اهل الكفر لا يؤاخذون بالافعال التي كانت لهم في الكفر ولا بما كانوا تركوا من العبادات لما ليست عليهم انما يؤاخذون بالاعتقاد وقوله واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه فلا تعصوه ان الله غفور رحيم لمن تاب ورجع عما فعل **وقوله** عز وجل يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم قال عامة اهل التأويل ان الآية نزلت في العباس بن عبد المطلب واصحابه وكذلك يقول ابن عباس قالوا للنبي آمنا بما جئت به ونشهد انك رسول الله فنزل ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي ان يعلم الله اعتقاد الايمان والتصديق له في قلوبكم يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي ايمانا وتصديقا فيخلف عليكم خيرا مما اصيب عليكم لكنها فيه وفي غيره من فعل مثل فعله فهو في ذلك سواء يكون من الموعود الذي ذكر ما يكون له وقوله ان يعلم الله في قلوبكم خيرا وهو الايمان الذي علم انهم اعتقدوا في قلوبهم وقوله يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي اتاكم خيرا وهو الايمان مما اخذ منكم من المال الذي ذكر في القصة ويجوز يفعل مكان فعل كقوله اذ يقول المنافقون اي قال المنافقون وذلك كثير في القرآن فعلى ذلك قوله يؤتكم خيرا اي اتاكم خيرا ويحتمل قوله يؤتكم ايضا اي يثيبكم ويعطيكم افضل مما اخذ منكم في الآخرة والله اعلم **وقوله** عز وجل ويغفر لكم والله غفور لما كان في الشرك كقوله فان انتهوا فان الله غفور للذنوب وذو تجاوز رحيم يرحمهم في الاسلام ويحتمل قوله يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وما اخذ منهم بمكة اخبر انه يؤتيهم خيرا من ذلك في الدنيا من الاموال وغيرها والاثخان قال ابن عباس القتل وقال ابو معاذ يثخنوا اي يذللوا المثخن الذليل قال ابو عوسجة حتى يثخن في الارض اي يثخن في اهل الارض يكثر القتلى والجراحات يقال اثخنت في القوم اذا اكثرت فيهم القتل والجراحات ويقال ضربه حتى اثخنه اي ضربه حتى لا يقدر على القيام وهو ما ذكرهم في بعض مسايلة انه اذا رمى صيدا بسهم فاصابه حتى اثخنه ثم رمى آخر بسهم فاصابه فان للاول لما انه صيره بالاثخان خارجا من ان يكون صيدا وهو الضرب الذي وصفنا وثخن يثخن ثخانة فهو ثخين وثخن يثخن ثخونة واحد اي غلظ **وقوله** عز وجل

وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم يحتمل ان يكون الآية صلة ما سبق من الآيات وهو قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة الآية وقوله وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله الآية وغير ذلك واما تخافن من قوم خيانة ونحوه فقال وان يريدوا خيانتك في نقض العهد وغير ذلك من الامانات فقد خانوا الله من قبل فيما عاهدوا ان يوفوا ذلك من ذلك قولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فقد انجاهم الله من ذلك فلم يكونوا من الشاكرين وكقوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم الله ذلك فلم يفوا ما عهدوا او غير ذلك من العهود التي عهدوا والامانات التي ائتمنوا فيها فخانوا الله في ذلك وما عهد اليهم في امر محمد واظهار نعته وصفته في كتبهم فكتموا ذلك وحرفوه واظهروا خلاف نعته وصفته فذلك منهم خيانة فيقول انهم قد خانوا الله من قبل فامكن الله منهم فاذا خانوك يمكنك ايضا منهم وقوله فامكن منهم اي انتقم منهم جزاء خيانتهم وقال بعضهم امكنك حتى انتقمت منهم وقوله وان يريدوا خيانتك ليس على الارادة ولكن على وقوع فعل الخيانة كانه قال وان خانوك فقد خانوا الله من قبل لكنه ذكر الارادة لما هي صفة كل فاعل مختار لما لا يكون الافعال الا بارادة وقوله والله عليم بما يسرون ويضمرون من الخيانة ونقض العهود حكيم في امره وحكمه حيث امكنك منهم وقال بعضهم في قوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل اي ان خانوك بعد اسلامهم بالكفر بك فقد خانوا الله من قبل اي فقد كفروا بالله قبل هذا يقول ان خانوك لمكنك منهم فقتلتهم واسرتهم كما فعلت بهم ببدر والله عليم بخلقه حكيم في امره **وقوله** عز وجل ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله قوله آمنوا اي صدقوا بآيات الله وحججه او صدقوا رسوله في جميع ما جاء به كانه مقابل قوله كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله وكذبوا بآيات ربهم ذكرها هنا التصديق مكان التكذيب في ذلك وقوله وجاهدوا في اظهار دين الله ونصره باموالهم وانفسهم اي بذلوا ذلك والذين آووا اي ضموا النبي ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض قال ابن عباس وعامة اهل التأويل الولاية التي ذكرت في الآية في التوارث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام الذين آمنوا ولم يهاجروا الى المدينة وكذلك قالوا في قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء يعني الميراث وروي عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار بعضهم اولياء بعض في الدنيا والآخرة والطلقاء من قريش من ثقيف والعتقاء من ثقيف بعضهم اولياء بعض في الدنيا والآخرة وعن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذلك وعن المسعودي عن القاسم قال آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فآخى بين عبد الله بن مسعود والزبير بن العوام اخوة يتوارثون بها لانهم هاجروا وتركوا قراباتهم حتى نزلت آية المواريث وعن ابن عباس في قوله والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم قال كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث الانصار دون رحمه بالاخوة التي آخى النبي بينهم فلما نزل قوله ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون نسخها والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والنصيحة والرفادة ويوصى له ولا ميراث وعن الحسن في قوله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فكان المسلمون يتوارثون بالهجرة فكان الاعرابي لا يرث المهاجر والمهاجر لا يرث الاعرابي فحرضهم بذلك على الهجرة حتى كثر المسلمون فانزل الله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض الآية فورث الاعرابي المهاجر وتوارثوا بالارحام الى هذا يذهب عامة اهل التأويل وكانوا يرون ان الهجرة كانت مفترضة فزال فرضها بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وعن عائشة رضي الله عنها قالت انقطعت الهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فانما كانت الهجرة الى الله ورسوله والمؤمنون يفرون بدينهم من ان يفتنوا عنه وقد افشى الله الاسلام هذا الذي ذهب هؤلاء في قوله بعضهم اولياء بعض في التوارث محتمل ويحتمل غير هذا وهو ان قوله ان الذين آمنوا وهاجروا الى قوله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض اي بعضهم اولياء بعض في تمام الولاية في التناصر والتعاون والحقوق والديانة فهو اولى بعضهم ببعض من الذين آمنوا

ولم يهاجروا لانهم آمنوا وهاجروا اى تركوا منازلهم واهلهم وقراباتهم وبلدهم الذى كانوا فيه مقيمين اشفاقا
على دينهم واستسلاما لهم ولانفسهم وكالانصار اووهم وانزلوهم فى منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم وتحملوا جميع
مؤنهم من غير ان كان سبق منهم اليهم شئ فصار والهم اعوانا وانصارا فصار بعضهم اولياء بعض فى تمام ماذكرنا
من الولاية والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا اى مالكم من ولايتهم اى من تمام ماذكرنا من
من الولاية لهم ولاية الدين وليس لهم ولاية التناصر والتعاون والحقوق والمنافع التى تكتسب بالدين فى قوله
والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ دلالة نقض قول المعتزلة لانه جل وعلا ابقى للذين لم يهاجروا اسم
الايمان وكانت الهجرة عليهم مفترضة وفى تركهم الهجرة مرتكبين كبيرة فدل ان صاحب الكبيرة لا يزول عنه
اسم الايمان **وقوله** عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اى اولوا الارحام اذا آمنوا وهاجروا بعضهم
اولى ببعض من غيرهم لانهم اذا آمنوا وهاجروا ولهم قرابة سابقة ورحم متقدم كانوا هم اولى من غيرهم الذى
لا قرابة بينهم ولا رحم اذا اجتمع فيهم الرحم والمعونة والنصر والديانة والحقوق اجتمع فيه اشياء اربعة وفى اولئك
ثلاثة فهم اولى بهم من غيرهم هذا على التاويل الذى ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل وان استنصروكم فى الدين
يعنى الذين لم يهاجروا يحتمل وجهين يحتمل اذا طلبوا منكم المعونة والنصرة على عدوهم فعليكم النصر والمعونة لهم
اذا لم يكن بينكم وبين اولئك ميثاق والثانى اذا علمتم انهم يخشون على انفسهم من عدوهم ويخافونه فانصروهم
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اى اذا استنصروكم فى الدين على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم اى وليس عليكم
ان تنصروهم تاويله حتى تنبذوا اليهم يقول ان استنصروكم يا معشر المهاجرين اخوانكم المؤمنون الذين
لم يهاجروا اليكم فاتاهم عدوهم من المشركين فقاتلوهم لتردوهم عن الاسلام فانصروهم ثم استثنى
فقال الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول ان استنصركم الذين لم يهاجروا الى المدينة على اهل عهدكم فلا تنصروهم
والله بما تعملون بصير فى المعونة والنصرة ونحوه **وقوله** عز وجل مالكم من ولايتهم من شئ قرئ بالخفض ولايتهم
وبالنصب جميعا ولايتهم اعنى بنصب الواو وخفضها وكذلك التى فى الكهف هنالك الولاية لله بالخفض والنصب
جميعا الولاية ثم قال بعض اهل الادب الولاية بفتح الواو النصرة والمعونة والولاية بخفض الواو السلطان اى السلطان
لله وقال بعضهم الولاية بالخفض المعونة والنصرة والولاية السلطان قال آخرون هما سواء وهو النصرة والمعونة
والولاية فى الامارة والسلطان والولاية فى الدين **وقوله** عز وجل والذين كفروا بعضهم اولياء بعض على قول
ابن عباس وعامة اهل التأويل بعضهم اولياء بعض فى التوارث على ما قالوا فى المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض
ويحتمل ماذكرنا ان بعضهم اولياء بعض فى التناصر والتعاون والدين والحقوق جميعا على ماذكرنا فى المؤمنين **وقوله**
عز وجل الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قيل فيه بوجوه احدها ان اخوانكم الذين لم يهاجروا
اذا استنصروكم على عدوهم فلم تنصروهم تكون فتنة فى الارض وفساد كبير اى ان لم تكونوا بعضكم اعوانا وانصارا
لبعض على ما كان اهل الكفر بعضهم انصارا لبعض غلبكم العدو وقهركم فيكون فى ذلك فتنة وفساد ويكون كانه
قال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وقال بعضهم قوله الا تفعلوه تكن فتنة ملحقا بقوله
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اى ان استنصركم اخوانكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق فنصرتموهم تكن فتنة وفساد
كبير وقال بعضهم قوله الا تفعلوه فيما امركم به من جعل التوارث فيما بين المؤمنين وجعلتم الميراث والتوارث
فيما بينكم وبين الكفار تكن فتنة فى الارض وفساد كبير لان الله عز وجل ذكر المواريث ثم ذكر فى آخر الآية
تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله وما ذكر من ترك حدود الله وطاعة رسوله وجعل الميراث فى غير ما امر
عز وجل تكن فتنة فى الارض وفساد كبير **وقوله** عز وجل والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين
آووا ونصروا اى ضموا رسول الله والمهاجرين ونصروهم اولئك هم المؤمنون حقا اى المهاجرون والانصار الذين
ضموا اولئك هم المؤمنون حقا لما حققوا ايمانهم باعمالهم لانهم هاجروا بلادهم واهلهم واموالهم

اشفاقا على دينهم واستسلاما له واجابوا رسول الله واطاعوه فى ذلك واولئك الانصار ضموا الى انفسهم وانزلوهم
فى منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم ونصروهم على عدوهم فقد حققوا جميعا ايمانهم باعمالهم التى عملوا ويحتمل
قوله اولئك هم المؤمنون حقا اى صدقا فى السر والعلانية ليس كايمان المنافقين يكون فى العلانية ولا يكون فى السر
كقوله ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال وليعلمن الله الذين آمنوا
وليعلمن المنافقين ويحتمل قوله اولئك هم المؤمنون حقا اى وعد لهم وعدا حقا وهو ما ذكر فى آية اخرى لهم مغفرة
ورزق كريم ويحتمل اولئك هم المؤمنون حقا اى اولئك المؤمنون الذين جمعوا الايمان به **وقوله** لهم مغفرة ورزق
كريم اى حسن يكرم اهله به **وقوله** عز وجل والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اى من آمن بعد هؤلاء
وهاجر بعد هجرة اولئك فانهم يلحقون اوائلهم فى جميع ماذكر فى اولئك الذين هاجروا من قبل يذكر هذا والله اعلم
لتحمل بحق ما عمل اولئك من الهجرة والنصرة وبذل الانفس والاموال وغير ذلك للذين على ما بذل اولئك واشفقوا على دينهم
وقوله عز وجل فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله هو ماذكرنا ان اولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض بالتركة والتوارث من جملة المؤمنين فاذا لم يكن اولوا الارحام فجملة المؤمنين اولى وعلى ذلك يخرج قول اصحابنا
ان اولى الارحام بالميراث اولى من جملة المؤمنين وهو بيت المال فما دام واحد من هؤلاء فهو اولى بالميراث وعلى ذلك
يخرج قولهم فى العقل انه على ذوى الارحام ما داموا فاذا لم يكن احد منهم فهو على جملة المؤمنين فى بيت المال
وقوله عز وجل ان الله بكل شئ عليم بالعباد وما يكون منهم وبكل شئ عليم بما يحتاجون وما لا يحتاجون وهو
حرف وعيد والله اعلم **وقوله** عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اى بعضهم اولى ببعض فى حق التوارث
من المؤمنين الذين هاجروا فنسخ هذه الآية حكم الميراث الذى ذكر فى قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم
من ولايتهم من شئ لانه كان جعل التوارث بينهم بحق الايمان والهجرة ثم نسخ ذلك وجعل الميراث بالرحم حيث قال
واولوا الارحام بعضهم اولى وكذلك ماذكر فى سورة الاحزاب حيث قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله
من المؤمنين والمهاجرين فادام بقى من الرحم احد فبعد ذلك يكون لجملة المؤمنين **وقوله** عز وجل فى كتاب الله
فى حكم الله او فى كتاب الله لانه ذكر فى كتاب الله ثم لزوم الهجرة على الذين هاجروا مع رسول الله وعلى الذين تاخر
هجرتهم سواء قد سوى بينهم فى اللزوم وجمع بين المهاجرين والانصار فى حق الشهادة لهم بالتصديق والايمان
حيث قال اولئك هم المؤمنون حقا وجمع بينهم فى حق الولاية وما يكتسب بها من المنافع حيث قال اولئك بعضهم
اولياء بعض وجمع بينهم فى الثواب والدرجة حيث قال لهم مغفرة ورزق كريم وجمع بينهم فى هذه الخصال وان قدم
ذكر المهاجرين فى غير واحد من الآيات لما كانوا مستوين فى الاسباب التى استوجبوا ذلك لان من المهاجرين
ترك الاوطان والمنازل والخروج منها والمفارقة عن اهليهم واموالهم وكان من الانصار مقابل ذلك انزالهم فى منازلهم
واوطانهم وبذل اموالهم وقيام اهليهم فى خدمتهم لذلك كان ماذكر والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة التوبة وآيها ماية وعشرون وتسع

وقوله عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال بعضهم من اهل التأويل ذلك
فى قوم كان بينهم وبين رسول الله عهد على غير مدة مبينة فامر بنقض العهد المرسل وجعله فى الاربعة الاشهر
التى ذكر فى قوله فسيحوا فى الارض اربعة اشهر وقال بعضهم هم فى قوم كان لهم عهد دون اربعة اشهر
فامر باتمام اربعة اشهر دليله قوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقال ابو بكر الكيسانى فى الآية فى قوم كانت
عادتهم نقض العهد ونكثه كقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة فامر ان يعطى العهد اربعة
اشهر التى ذكر فى الآية ثم الحرب بعد ذلك وقال بعضهم لما نزل قوله براءة من الله ورسوله بعث رسول الله
عليا الى الموسم ليقرأه على الناس فقرأه عليهم براءة من الله ورسوله من العهد غير اربعة اشهر الا الذين عاهدتم من المشركين

على ما ذكرنا حمل هولاء كلهم قوله براءة على النقض وعندنا يحتمل هذا غير هذا وهو ان قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين في امضاء العهد ووفائه والبراءة هي الوفاء واتمامه ليس على النقض لانه قال الا الذين عاهدتم من المشركين والبراءة اليهم هو الامان والعهد اليهم ولو كان على النقض لقال من الذين عاهدتم من المشركين فدل انه هو اتمام اعطاء العهد لهم وامضاؤه اليهم ويؤيد ما قال بعض اهل الادب ان البراءة هي الامان يقال كتبت له براءة اي امانا وهذا الذي ذكرنا اشبه مما قالوا اعني اهل التأويل وقوله عز وجل فسيحوا في الارض اربعة اشهر اي سيروا وانتشروا في الارض اربعة اشهر اي في مدة العهد وقوله عز وجل واعلموا انكم غير معجزي الله اي اعلموا ان المؤمنين وانا اعطيكم العهد في وقت فانكم غير معجزي الله واوليائه ولا فائتين عنكم في تلك المدة وان الله مخزي الكافرين الخزي هو العذاب الفاضح الذي يفضحهم ويظهر عليهم ويحتمل ان يكون ذلك العذاب والاخزاء الذي ذكر في الآخرة وقوله عز وجل واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر قال القتبي واذان من الله ورسوله اي اعلام ومنه اذان الصلوة هو الاعلام يقال اذنتهم ايذانا وكذلك قال ابو عوسجة وقوله عز وجل ان الله بريء من المشركين ورسوله يكون في قوله ان الله بريء من المشركين ورسوله دلالة ما قال اهل التأويل من النقض لان قوله براءة من الله ورسوله يكون فيه امضاء العهد واتمامه الى المدة التي ذكر ويكون ما روي في الخبر وذكر في القصة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزل براءة بعث ابا بكر على حج الناس يقيم للمؤمنين حجهم وبعث معه براءة السورة ثم اتبعه علي بن ابي طالب فادركه فاخذها منه ورجع ابو بكر الى النبي فقال للنبي بابي انت وامي نزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ غيري او رجل مني اما ترضى يا ابا بكر انك صاحبي في الغار وانت اخي في الاسلام وانت ترد علي الحوض يوم القيامة قال بلى يا رسول الله فمضى ابو بكر على الناس ومضى علي بن ابي طالب بالبراءة فقام علي بالموسم فقرأه على الناس براءة من الله ورسوله من العهد غير اربعة اشهر فانهم يسيحون فيها ثم قوله يوم الحج الاكبر قال عامة اهل التأويل هو يوم النحر لان فيه ذكر طواف البيت وحج البيت وقال بعضهم هو يوم عرفة لانه هو الذي يوقف بعرفة وبه يتم الحج على ما روي في الخبر الحج عرفة ومن ادرك عرفة بليل وصلى معنا بجمع فقد تم حجه وقضى تفثه بادراكه يتم الحج وبفوته يفوت وعن الحسن انه سئل فقيل له ما الحج الاكبر فقال سنة حج المسلمون والمشركون جميعا اجتمعوا بمكة وكان في اليوم لليهود عيد وللنصارى عيد لم يكن قبله ولا بعده فسماه الله الحج الاكبر قال ابو بكر الاصم لا يحتمل ان يسمي الله لعيد النصارى واليهود يوم الحج الاكبر وهو يوم نزول السخطة عليهم واللعنة ولكن جائز ان يسمى بذلك لاجتماع الخلائق فيه من كل نوع على ما سمي يوم الحشر يوما عظيما كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله فان تبتم فهو خير لكم اي ان تبتم عما كنتم عليه فهو خير لكم لانهم يامنون عن الرعب الذي كان في قلوبهم ويكون ذلك الخوف والرعب قلوب المشركين على ما روي في الخبر انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقوله وان توليتم عما ذكرنا فاعلموا انكم غير معجزي الله اي غير فائتين عن نقمة الله وعذابه ويحتمل قوله فان تبتم عن نقض العهد فهو خير لكم في الدنيا والاول فان تبتم واسلمتم فهو خير لكم في الدنيا والآخرة ثم روي في بعض الاخبار عن علي رضي الله عنه انه سئل باي شيء بعثت قال باربع لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهده اربعة اشهر ولا يطوف بالبيت عريانا ولا يدخل الحرم مشرك بعد هذا وفي بعض الاخبار ولا يحج بعد عامه هذا وكذلك قال في الآية الاخرى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ففيه دلالة اثبات رسالة محمد لانه قال فهولاء من الناس بالموسم لا يحج مشرك بعد هذا مع كثرة اولئك وقوتهم وقلة المؤمنين وضعفهم ثم لم يجترئ احد بعد ذلك السنة احد ان يدخل مكة للحج وغيره دل ان ذلك كله كان بالله تعالى لا بهم ثم من الناس من استدل بالخبر الذي روي انه بعث ابا بكر الصديق على الحج وبعث معه براءة ثم اتبعه عليا فادركه فاخذها منه ورجع ابو بكر الى النبي فقال هل نزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري او رجل مني على ان عليا هو المستحق للخلافة وهو الاحق بها دون ابي بكر حيث قال لا يبلغ عني الا رجل مني لكن يحتمل انه ولى ذلك عليا لما كان

من عادة العرب انهم اذا عاهدوا عهدا انه لا ينقض ذلك عليهم الا من هو من قومهم فولى ذلك عليا ليكون لهم الاحتجاج عليه فيقولون لم ينقض علينا العهد او ان يقال وليا ولي عليا امر الحرب وهو كان ابصر واقوى بامر الحرب من ابي بكر وولى ابا بكر امر اقامة الحج والمناسك وكان ابو بكر هو المولى امر العبادات وعلي امر الحروب فالحاجة الى الخلافة لاقامة العبادات اولى ان يقال ان ابا بكر كان امير الموسم وعليا كان مناديه فالامير في شاهدنا اجل قدرا واعظم منزلة من المنادي وامر عليا ذلك طمعا ان ذلك ان كان امثل واسمع من غيره من الامير نفسه والله اعلم وقوله عز وجل الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا قال بعضهم هذا صلة قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الا الذين لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر باتمام العهد للذين لم ينقضوا المسلمين ولا ظاهروا عليهم احدا واما الذين كانت عادتهم نقض العهد ونكثه فانه لا يتم لهم ولكن ينقض وكذلك تأولوا قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين النقض ويحتمل ان يكون صلة قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم ويكون العذاب الاليم هو القتل والاسر كانه يقول وبشر الذين كفروا بالقتل والاسر الا الذين عاهدتم من المشركين لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا ثم يحتمل قوله لم ينقصوكم شيئا اي لم يخونوكم شيئا ما داموا في العهد ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعاونوا ولا اطلعوا احدا من المشركين عليكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم كقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء امر بالنبذ اليهم عند خوف الخيانة وامر بالاتمام اذا لم يخونوا ولم يظاهروا عليهم احدا ودل قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين على ان قوله واعلموا انكم غير معجزي الله اي غير معجزي اولياء الله في عذاب الدنيا لانهم جميعا سواء في عذاب الآخرة مشتركين فيه وقوله الى مدتهم قال بعضهم مدة القوم اربعة اشهر بعد يوم النحر لعشر مضين من ربيع الآخر لمن كان له عهد ومن لا عهد له الى انسلاخ المحرم خمسون ليلة وقال بعضهم الا الذين عاهدتم من المشركين بالحديبية فلم يبرأ الله ورسوله من عهدهم في الاشهر الاربع ثم لم ينقصوكم في الاشهر الاربع ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعينوا على قتالكم احدا من المشركين اي لم يفعلوا ذلك فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وهو الاربعة الاشهر ان الله يحب المتقين الذين اتقوا المعاصي والشرك وقوله عز وجل فاذا انسلخ الاشهر الحرم قال بعضهم الاشهر الحرم هي اشهر العهد والامان فاذا انسلخ تلك الاشهر مضت اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم الاشهر الحرم هي الاشهر التي خلقها الله وجعلها حراما كقوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم وقوله عز وجل فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم قال بعضهم حيث وجدتموهم وخذوهم في الاماكن كلها لان حيث انما يترجم عن مكان امر بقتلهم في الاماكن كلها لانهم لم يخصوا مكانا دون مكان وقال آخرون هو في الاماكن كلها الا مكان الحرم دليله ما ذكر في السورة التي فيها ذكر البقرة وهو قوله له واقتلوهم حيث ثقفتموهم وقال ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام امرهم بقتالهم في الاماكن كلها الا المسجد الحرام وامكن ان يكون انهم يقتلون الا ان يدخلوا الحرم فاذا دخلوا الحرم وقد نهوا عن الدخول فيها والحج هنالك على ما روي ان عليا نادى بالموسم الا لا يحج بعد العام مشرك فاذا دخلوا يقتلون ويكون دخولهم فيه بعد النهي كابتداء مقاتلتهم ايانا فاذا قاتلنا عند المسجد الحرام قاتلناهم كقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم والله اعلم وقوله وخذوهم ايسروهم وقوله واحصروهم قيل واحبسوهم واقعدوا لهم كل مرصد والمرصد الطريق كانه امر بقوله فاقتلوا المشركين بقتلهم اذا قدروا عليهم وامكن لهم ذلك والامر عند الامكان والحبس اذا دخلوا الحصن وحفظ المراصد عند غير الامكان لئلا يغزوا ويقال ارصدت له اي انتظرته ان احد فرصتي ويقال ترصدته اي انتظرته وقال بعضهم قوله كل مرصد اي كل طريق يرصدونكم كانه امر بذلك ليضيق عليهم الامر ليفيئوا وينقادوا وفيه دليل النهي عما يحمل الى دار الحرب من انواع الثياب والامتعة وما ينتفعون به لانه امر بالحصر

وحفظه الطرق والمراصد ليضيق عليهم الامر ويشتد فينقادوا وفيما يحملون توسيع عليهم **وقوله** وخذوهم واحصروهم
واقعدوا لهم كل مرصد يحتمل ان يكون قوله وخذوهم واحصروهم اي اقيموا عليهم الحجج والبراهين ليضطروا الى قبول ذلك
فاذا انقادوا لكم والا فاقتلوهم حيث وجدتموهم **وقوله** عز وجل فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم
فوجب بظاهر الاية ان نقاتل من آمن ولم يقم الصلوة ولم يؤت الزكوة لان الله تعالى انما رفع القتل عنهم بالايمان واقام
الصلوة وايتاء الزكوة فاذا لم يأتوا بذلك فالقتل واجب عليهم وكذلك فعل ابو بكر الصديق لما ارتدت العرب
ومنعتهم الزكوة حاربهم حتى اذعنوا باداءها اليه روي عن انس قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت
العرب كافة فقال عمر يا ابا بكر تريد ان تقاتل العرب كافة فقال ابو بكر انما قال رسول الله اذا شهدوا ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة منعوا مني دماءهم واموالهم والله لو منعوني عناقا
مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال عمر فلما رايت راي ابي بكر قد شرح عرفت
انه الحق وفي بعض الاخبار قالوا نشهد ان لا اله الا الله ونصلي ولكن لا نزكي فمشى عمر والبدريون الى ابي بكر
فقالوا دعهم فانهم اذا استقر الاسلام في قلوبهم وثبت ادوا فقال والله لو منعوني عقالا مما اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقاتلتهم عليه قيل او قاتل رسول الله على ثلاث شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال الله
فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم والله لا اسأل فوقهن ولا اقصر دونهن فقالوا انا نزكي
ولكن لا ندفعها اليك فقال والله حتى اخذها كما اخذها رسول الله واضعها مواضعها وقال آخرون قوله فان تابوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة في قبولهما والاعتقاد بهما دون فعلهما لانه لا يحتمل حبسهم ومنعهم الى ان يحول الحول
فيأخذون باداء الزكوة دل انه على القبول والاقرار بذلك واستدلوا بما روي في الاخبار عن رسول الله قال امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوا ذلك عصموا مني كذا وفي بعضها حتى يقولوا لا اله
الا الله واني رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني كذا دل ما ذكرنا من الزيادات والنقصان
ان ذلك في قوم مختلفين وانه على القبول لذلك والاعتقاد لا على الفعل نفسه فمن كان لا يقر بشيء من ذلك فاذا قال
لا اله الا الله كان ذلك منه ايمانا في الظاهر ومن كان يقول لا اله الا الله ولا يقول محمد رسول الله فاذا قال ذلك
كان ذلك منه ايمانا ومن كان يقر بهذين ولا يقر بالصلوة والزكوة فاذا اقر بذلك كان ذلك منه ايمانا فهو على الاقرار
به والاعتقاد لا على الفعل الا ترى ان للائمة ان يأخذوا منهم الزكوة شاؤا وابوا فلو كان الاداء من شرط الايمان
لكانوا غير مؤمنين باخذ هؤلاء واختلف الصحابة والروايات في الحج الاكبر روي عن عبد الله بن الزبير عن ابيه
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة هل تدرون اي يوم هذا قالوا انه اليوم الحرام يوم الحج الاكبر قال فان الله
قد حرم دماءكم واموالكم عليكم الى يوم القيامة كحرمة يومكم هذا وعن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الحج الاكبر فقال يوم عرفة
وعنه انه وقف عليهم يوم عرفة فقال ان هذا يوم الحج الاكبر فلا يصومنه احد وعن ابن الزبير يقول يوم عرفة هذا
يوم الحج الاكبر وفي بعض الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم انه خطب على ناقة حمراء يوم النحر فقال رسول الله
اتدرون اي يوم هذا هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر وفي بعض الاخبار عن ابن عمر قال رايت وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم النحر عند الجمار في حجة الوداع فقال اي يوم اي يوم هذا قالوا هذا يوم
النحر قال فاي بلد هذا قالوا هذا بلد حرام قال فاي شهر هذا قال شهر حرام قال هذا يوم الحج الاكبر فدماؤكم
واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم ثم قال هل بلغت وعن الحارث قال سألت عليا
عن الحج الاكبر فقال يوم النحر وعن المغيرة بن شعبة انه خطب يوم العيد فقال هذا يوم النحر ويوم الاضحى ويوم الحج
الاكبر وعن ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر وفيه قول ثالث ما روي انه كان في كتاب رسول الله الذي كتبه
لعمرو بن حزم والحج الاصغر العمرة وعن ابن عباس قال العمرة هي الحجة الصغرى وسئل عبد الله بن شداد عن الحج
الاكبر فقال الحج الاكبر يوم النحر والاصغر العمرة واما حديث عمرو بن حزم فهو حكاية عن كتاب وليس فيه بيان

عن يوم الحج الاكبر انما يذكر فيه الحج الاصغر ولولا خبر علي وابن عمر لجاز ان يقال يوم عرفة هو يوم الحج الاكبر
لانه يقضى فيه فرض الحج وهو الوقوف ومن فاته ذلك فقد فاته الحج وجاز ان يقال يوم عرفة هو يوم الحج الاكبر
لانه يقضى فيه فرض الحج وهو الوقوف ومن فاته كذلك فقد فاته الحج وجاز ان يقال هو يوم عرفة النحر لان فيه
يقضى طواف الزيارة وهو فرض ويقضى فيه اكثر مناسك الحج بل يوم النحر اولى ان يكون يوم الحج الاكبر لان الحاج يفعل
في يوم عرفة فرضا من فرايض الحج وهو الوقوف ويقضى في يوم النحر فرضا آخر من فرايضه وهو طواف الزيارة ويقضى
مع ذلك المناسك فقد استوى هذان اليومان فانه يقضى في كل واحد منهما فرض من فرايض الحج وزاد يوم النحر على يوم
عرفة بما يفعل في يوم النحر من مناسك الحج ولا يفعل في يوم عرفة شيئا من النسك الا الوقوف بعرفة واحتج بعض الناس
بفرضية العمرة بما رواه عمرو بن حزم ان الحج الاصغر هو العمرة والاكبر هو الحج بما سميت العمرة حجا وقد ذكرنا
الوجه في ذلك فيما تقدم وعن علي وابي هريرة وابن ابي اوفى رضي الله عنهم انهم قالوا الحجة الكبرى يوم النحر وعن عمر و
ابن عباس انهما قالا يوم عرفة **وقوله** عز وجل وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
وقد قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد
الاية فامر بالاية الاولى عند الوجود وفي هذه بالقتل والاسر وامر في الاولى بتبليغه مامنه وفي هذه بان يقعد له
كل مرصد وحال هذه هو حال الاولى في ان العين ويتهيا له في كل وقت يظفر به ان يستجير لما ذكر وفي كل حال
يرصد له ان يحتال ليرد الى مامنه وفي ذلك زوال القيام بما في احدى الايتين في الظاهر فالزم ذلك طلب المعنى الموفق
بين الامرين من طريق التامل بالاسباب التي هي تدل على حق المعاملة بالايتين جميعا فقال اصحابنا انه اذا قصد نحو مامن
اهل الاسلام غير مظهر اعلام الحرب ولا بما يدل انه على ذلك مجيئه بل يمشي مشي من يتقلب لحاجة ومن يتعاهد من يتادى
اليه بالاستجارة فيجار ولو كان مقبلا نحو مامنا كالطالب لاحد عليه اعلام الحرب لكنه كالغافل عن الذين يرصدون
له والذين لهم منعة ولا قوة به فلا يقبل قوله وذلك على تسليم الامر الغالب من الاحوال اذ لا وجه لعلم الحقيقة
في ذلك وعلى ذلك عامة الامور بين اهل الدارين وما ذكرت من الاية في لزوم ذلك الاعتبار اذ لا وجه له غير هو
دليله والله اعلم ثم قوله وان احد من المشركين استجارك بعد العلم بانه من مامنه لا يقدر على الاستجارة لبعد
مامن كل من مامن الاخر ثم لا يكون مامن الفريقين في حد الدارين لما كان تحقيق امن كل فريق منهما نفي امن الاخر
اذ به خوفه فثبت انه قد يؤذن له الخروج للاستجارة من مامنه والدخول في مامن المسلمين الى ان يبلغوا مسامعهم فيستجيروا
فلذلك لا يوجب ذلك الوجود حق الاسر ولا القتل ويجب رده لو لم يجب ولا يسع تعرضه لشيء من ذلك ثم وقوله
وان احد من المشركين استجارك من غير ان يبين استجارته لماذا يحتمل ان يكون ترك بيانه لما في الجواب ذلك بقوله حتى
يسمع كلام الله وذلك كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة انه في الجواب بيان ما استفتوا ويحتمل ان يكون ذلك
لازم ان يسمع كلام الله بمعنى حجته لاي وجه دخل بامان وذلك ترهب لانا امرنا بالتضييق عليهم ليسلموا فاذا الجانا لهم
الدخول للحاجات بلا عرض يذهب منفعة الصغرى التضييق فيكون المقصود بالعهد لما يرون من آثار الاسلام وحسن رعاية
اهل الاسلام ويسمعون حججه وما به ظهور الحق فيه رجاء ان يجيبوا فلذلك يؤذن وان كان في ذلك قضاء حاجاتهم
وقد روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يقاتل حتى يدعو الى الاسلام فيما قد كان دعاهم غير مرة فذلك
المعنى عند الامان اولى والله اعلم **وقوله** حتى يسمع كلام الله فالاصل ان حقيقة الكلام لا تسمع بالكلام نفسه
انما الذي به يؤدى حروف الكلام بما يقلب الحروف ويؤلفه ولا صوت له يسمع نحو اللسان والشفة ونحو ذلك
وانما يسمع بصوت يهيج من حيث الجارحة التي بها يتكلم وهو له فيبلغ كلامه وحروف كلامه المسامع فالسمع يقع على الصوت
الذي به يبدي الكلام ويفهم فصار سمع الكلام في الاصل مجازا لا حقيقة فعلى ذلك ما قيل من سماع كلام الله ثم هو
يخرج على وجوه احدها ان يسمع المعنى الذي جعل له الكلام وهو الامر والنهي والتحريم والتحليل ونحو ذلك وذلك
مما ينسب الى الله فقيل بذلك كلام الله لما اليه ينسب الى الامر به والنهي ونحو ذلك والوجه الثاني ان يكون الله الفه ونظمه

على ما اعجز خلقه عن مثله فنسبا اليه بما منه تاليفه على ما هو عليه وان كان مسموعا من غيره على ما نسب القصايد الى مبديها
والكتب الى مؤلفيها والاقاويل الى الاوايل التى منهم ظهرت وان لم يكن الذى يقوله فى الحقيقة قوله او كلامه بما كان منه
اليها الذى عليه يتكلم فمثله معنى قوله حتى يسمع كلام الله والثانى ان يكون ذلك لما الكلام يعبر و به يوصف ان له كلام
و به يرجع الى ذلك وان كان الله تعالى يجل عن الوصف لكلامه بالحروف والهجاء والابعاض ونحو ذلك فلما كان اليه
المرجع وان كان حد ذلك غير متوهم هنالك ولا متصور فنسبا اليه كما قال الله تعالى خلقكم من نفس واحدة وقال خلقكم
من تراب من غير توهم كلية العالم فى ذلك التراب او النفس الواحدة لما اليه مرجع الكل نسبا اليه وعلى ذلك الامر
الكلام وذلك على ما قيل من لقاء الله والمرجع الى الله والمصير بما لا تدبير لاحد هنالك ذكر المصير اليه لان لذلك صيرورة
اليه فى الحقيقة ورجوع لم يكن من قبله فمثله لما قيل كلام الله ثم الله تعالى يجل عن التصوير فى الاوهام والتقدير فى العقول
فعلى ذلك صفته بل ذلك لحق واولى اذ نجد صفات الخلق لا تحد ولا تتصور فى الاوهام ولا يقدرها العقول الا من طريق
القول بالحقيقة لهم على ما هو اعيا دلهم والله تعالى المتعال عن التصور فى الاوهام ووصفه بالعلم والكلام ونحو ذلك
احق فى ابطال توهم ذلك فتدبير فيه وقال الشلبى يقال كلام الله على الموافقة لا على الحقيقة كما يقال ذا قول فلان
وكلام فلان وليس عين كلام المتكلم به فالقايل الشاهد وقال ابو بكر فهذا يدل على ان كلام الله يسمع من وجوه فكانه
يذهب الى مثل ما يقال يعرف اليه من وجوه على تحقيق الوجوه فمثله كلامه والله اعلم من غير توهم المعنى الذى به يعرف الله
عن الله سبحانه كذلك سماع كلامه وفى قوله ثم ابلغه مأمنه دلالة انه لم يقبل ما اسمع وعرض عليه اذ لو قبل لكان يكون
مأمنه هذه الدار لا تلك ولكان يحق عليه الخروج منها لا العود اليها ثم معلوم ان كلام الله هو حجته وان الحجة قد لزمته
لوجهين احدهما ما ظهر عجز الخلق عن مثله وانتشر الخبر فى الآفاق على قطع طمع المقابلين لرسول الله بالرد
الباذلين مهجهم وما حوت ايديهم فى اطفاء نوره فكان ذلك حجة بينة لزمتهم والثانى ان جميع ما يتلى منه لا يؤتى
على آيات الا وفيها ما يشهد بالعقول على قصور افهام الخلق عن بلوغ مثله من الحكمة وعجيب ما فيه من الحجة مما لو تدبر
بما فيه من المعنى وما يحدث به من الفايدة ليعلم ان ذلك من كلام من يعلم الغيب ولا يخفى عليه شىء واذا كان كذلك
صار هو بالرد مكابرا وحق مثله الزجر والتاديب انه لم يعقل بضمن امانة القبول والا ان لا يعار منه بالرد وذلك
اعظم مما فيه الحدود فالحد احق ان لا يقام عليه والله اعلم ثم قوله ابلغه مأمنه يحتمل وجهين احدهما ان يدعه ولا يمنعه
عن العود الى مأمنه ليعلم ان حكم تلك الدار يزل عنه وانه لا يلزم الجزية الا عن طوع او دلالة عليه والثانى ان يكون عليه
حفظه الى ان يبلغه مأمنه بدفع المسلمين منه وفى ذلك لزوم حق الامان الجميع باجازة وعلى ذلك كل مسلم ثم سماع كلام الله
يخرج على القرآن وفيه ما ذكرت من الدلالة وعلى سماع اوامر الله ونواهيه فى حق العرض عليه وعلى سماع حجج النبوة وآيات
الرسالة او التوحيد من القرآن والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بانهم قوم لا يعلمون اى ما لهم وعليهم ويحتمل نفى العلم
بما لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل ذلك تعليم مع رسول الله من كيفية معاملة الكفرة اذ لم يكونوا يعلمون من قبل والله اعلم ثم
قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هو والله اعلم ان كيف يستحقون العهد وكيف يعطى لهم العهد
وقد نقضوا العهود التى بينهم وبين ربهم والعهود التى بينهم وبين رسول الله فاما العهود التى بينهم وبين ربهم هو عهد
الخلقة اذ فى خلقة كل احد الشهادة على وحدانية الله والوهيته والشهادة على الرسالة وما عهد اليهم فى كتبهم
من اظهار صفة محمد ونعته للخلق فنقضوا ذلك كله ونقضوا العهود التى بينهم وبين رسول الله ولم يحفظوها يقول
والله اعلم كيف يستحقون ان يعطى العهد لهم وقد نقضوا العهد الذى عهد الله اليهم والعهود التى اعطاهم له
رسول الله لا يستحقون ذلك الا ان الله عز وجل بفضله واحسانه اذن ان يعطى لهم العهود فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
اى اوفوا لهم العهد اذا اوفوا لكم وان انقضت المدة يقول والله اعلم اذا استقاموا لكم فى وفاء العهد فاستقيموا لهم
فى وفاء وان انقضت المدة وقوله عز وجل الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام استثنى الذين عاهدوا عند المسجد
الحرام يحتمل ان لا يعطى العهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ويحتمل قوله الا الذين عاهدتم كذا فانهم ان وفوا لكم

فاوفوا لهم ان الله يحب المتقين ان الله يحب من اتقى الشرك واتقى جورا وظلما والله اعلم وقوله عز وجل كيف وان يظهروا
عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يقول كيف يعطون لهم العهد وكيف يستحقون العهد ولو ظهروا عليكم لا يرقبوا
فيكم الا ولا ذمة وقال بعضهم وكيف لا تقاتلونهم وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الله والذمة
العهد وقيل الال القرابة وقيل الال العهد والذمة وكذلك ذكر فى حرف حفصة لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة وقال
القتبى الال العهد قال ويقال القرابة وقال ابو عوسجة الال القرابة وقال ابو عبيدة الال العهد والذمة التذمم وقال
ابن عباس الال الله بمنزلة جبريل تفسيره عبد الله لما قيل جبريل هو عبد الله وقيل الال الحرم يقول كيف تعطونهم العهد وهم
وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم القرابة ولا العهد ولا يرقبون الحرم فيكم وقد كانوا يحفظون فيما بينهم القرابة والرحم
حتى يعاون بعضهم بعضا ويناصرا اذا وقع بين قرابتهم ورحمهم وبين قوم آخرين مباغضة وعداوة وكانوا يرقبون حرم
الله حتى لا يقاتلون فى الاشهر الحرم وعند المسجد الحرام وكانوا يحفظون العهود فيما بينهم من قبل ولا يرقبون فيكم ولا يحفظونه
هذا والله اعلم تاويل قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقد كانوا يرقبونه من قبل وقوله عز وجل يرضونكم بافواههم بانهم
يوفون العهد ويحفظونه وتابى قلوبهم الا النقض وقوله واكثرهم فاسقون فى نقض العهد والفسق هو الخروج عن امر الله
كقوله ففسق عن امر ربه وقوله عز وجل اشتروا بآيات الله يحتمل حججه وبراهينه ويحتمل آيات القرآن ومحمد ويحتمل
آيات دينه وقوله عز وجل فصدوا عن سبيله اى صدوا الناس عن متابعة النبى وقيل صدوا الناس عن دين الله دين
الاسلام انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئسما عملوا بصدهم الناس عن دين الله الاسلام ومتابعة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
عز وجل لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة هذا قد ذكرنا واولئك هم المعتدون فى نقض العهد والاعتداء هو المجاوزة
عن الحد الذى جعل لهم وقوله فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين قال بعض اهل التاويل انظروا
الى كرم ربكم وجوده هم قد افتروا على الله كذبا وكذبوا رسول الله وهموا بقتله واخراجه من بين اظهرهم وطعنوا
فى دينهم وعملوا كل بلية من نصب الحروب والقتال فيما بينهم ثم انه وعد لهم بالتوبة المغفرة والتجاوز عما كان منهم له
بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وجعل فيما بينهم الاخوة والمودة بقوله فاخوانكم فى الدين وقال وجعل بينكم مودة
ورحمة وقال اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وغير ذلك من الآيات وفيه ان من كان له يكان
آخر ذنبا وجفاء فاذا رجع عن ذلك وتاب لم يكن له ان يجفو عنه وان لا يذكر بعد ذلك ما كان منه من الذنب
على ما جعل الله فيما بين هؤلاء الاخوة والمودة اذا تابوا وقال فاخوانكم فى الدين وقد كان منهم ما كان ومن حق
الاخوة ان لا يذكر ما كان منهم من المساوى ثم قوله فان تابوا من الشرك وما كان منهم وقوله واقاموا الصلوة وآتوا
الزكوة يحتمل قوله اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وجهين يحتمل الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة زكوة المال وهو
ما ذكرنا فيما تقدم من الاقرار لهما والاعتقاد والقبول لذلك دون فعلهما وهو فى الكبراء والقادة الذين كانوا يعقون
عن الخضوع لاحد ولا يؤدون الزكوة ولا يتصدقون لما ظنوا انهم يخلدون فى الدنيا اشفاقا على انفسهم ويحتمل ان يكون
المراد من الصلوة والزكوة الخضوع والخشوع لا الصلوة المعروفة والمراد من الزكوة زكوة النفس واصلاحها فان كان
هذا فهو لازم فى الاوقات كلها ما من وقت الا وله على كل احد الخضوع والخشوع له ويزكي نفسه ويصلحها وهو كقوله
قد افلح من زكيها وقوله ونفصل الآيات لقوم يعلمون اى نبين الآيات لقوم يعلمون ينتفعون بعلمهم ويحتمل
لقوم يعلمون اى لقوم اذا نظروا فيها وتدبروا العلموا الا لقوم لا يعلمون وقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم يحتمل قوله ايمانهم العهود نفسها كقوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ثم ذكر العهود ثم قال ولا تنقضوا الايمان بعد
توكيدها ويحتمل قوله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ايمانا يحلفون بعد اعطاء العهد توكيدا لئلا ينقضوا العهد
اذا عاهدتم نقض العهد ونكثه وقوله عز وجل وطعنوا فى دينكم طعنهم فى الدين ظاهر وقوله عز وجل فقاتلوا
ائمة الكفر اى ائمة الكفر وتخصيص الامر بمقاتلة الائمة لما ان الاتباع ابدا يقلدون الائمة ويصدرون عن آرائهم
وتدبيرهم فاذا قاتلوهم اتبع الاتباع لهم والثانى لنفى الشبهة ان ليس الائمة منهم كاصحاب الصوامع وان كانوا ائمة

في العبادة فلا يترك مقاتلتهم كما يترك مقاتلة اصحاب الصوامع لان اصحاب الصوامع قد عزلوا انفسهم عن الناس وعن جميع المنافع وحبسوها للعبادة والايمة ليسوا كذلك والثالث حض الايمة بالقتال لانهم اذا قتلوهم لم يبق لهم امام في الكفر فيذهب الكفر راسًا وهو كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الاية انهم لا ايمان لهم يحتمل لا ايمان لهم لا عهد لهم بعد نقضهم العهد اي لا توفوا لهم العهد الذي كان لهم اذا نقضوا ويحتمل لا ايمان لهم اي لا يعطي لهم العهد ابدًا وفيه لغة اخرى لا ايمان لهم بكسر الالف لا ايمان لهم اي لا يؤمنون ابدًا فان كان كذلك وذلك في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدًا وفايدة قوله انهم لا ايمان لهم تخرج على وجهين احدهما ان اهل العهد اذا نقضوا العهد بنقض ذلك ويتركون على النقض ويقاتلون بعد النقض وليس كاهل الذمة اذا نقضوا الذمة لا يتركون ذلك ولكن يريدون الى الذمة ولا ينتقض الذمة بينهم وقال الحسن قوله لا ايمان لهم يقول لا تصديق لهم وقوله لعلهم ينتهون عن نقض العهد وقوله عز وجل الا تقاتلون قومًا نكثوا ايمانهم اي كيف لا تقاتلون قومًا نكثوا ايمانهم وايمانهم ما ذكرنا وهو حرف الاغراء على مقاتلة من اعتاد نقض العهود والتحريض عليهم وهموا باخراج الرسول يحتمل قوله هموا باخراج الرسول القتل اي هموا بقتله وفي القتل اخراجه وهموا اخراجه من المدينة على ما ذكر في بعض القصة ان اليهود قالوا لرسول الله ان مكان الانبياء والرسل بيت المقدس لا المدينة فانتقل اليه وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا في انفسهم وفيما بينهم اخراجه وقتله لانهم اظهروا ذلك ثم اخبرهم بذلك دل انهم انما علموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل وهم بدءوكم اول مرة يحتمل قوله بداوكم اول مرة في نقض العهد اي هم بدءوكم بنقض العهد ويحتملهم بدءوكم بالقتال اول مرة والاخراج وقوله عز وجل اتخشونهم فالله احق ان تخشوه اي لا تخشوهم واخشوا الله فانهم لا يقدرون ان يصل اليكم نكبة الا باقدار الله اياهم فلا تخشوهم فاخشوا الله ويحتمل قوله اتخشونهم فالله قادر بنصركم ويقهر عدوكم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين اذ هو قادر على منعهم عنكم ونصركم عليه وقوله عز وجل قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم الاية علم الله عز وجل كراهة القتل وثقله على الخلق فامر المؤمنين بمقاتلة الكفرة ووعد لهم النصر والتعذيب بايديهم يحتمل وجهين يحتمل القتل والاهلاك ويحتمل الاسر والسبي ويخزهم يحتمل ايضًا وجهين ايضًا يحتمل الهزيمة والاذلال ويحتمل قوله يخزهم في الاخرة كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته الخزي هو العذاب الذي فيه الفضيحة والذلة وفي قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم دلالة نقض قول المعتزلة لقولهم ان لا قدرة لله على افعال الخلق وقد اخبر انه يعذبهم بايديهم ولو كان غير قادر على افعالهم كان يعذبهم بيده لا بايديهم وينصركم عليهم وعد لهم النصر عليهم والظفر وخزي الكفرة وهو ما ذكر هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا وكذلك في قوله ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا دلالة نقض قولهم لانه اخبر انه يصيبهم العذاب من عنده او بايدي المؤمنين لما ذكرنا وقوله ويشف صدور قوم مؤمنين يحتمل قوله ان يكون قلوبهم توجعت وتالمت بكفرهم بالله وتكذيبهم الرسول فوعد لهم شفاء صدورهم وذلك يحتمل وجهين احدهما انهم يسلمون فيصيرون اخوانًا فيدخل فيهم السرور والفرح بازاء ما حزنوا وتالموا وذلك شفاء صدورهم والثاني يشف صدورهم بالقتل والهزيمة يقتلون ويهزمون ففي ذلك شفاء صدورهم لما تالمت وتوجعت بالتكذيب والكفر بالله واياته وقوله عز وجل ويذهب غيظ قلوبهم هذا يحتمل ايضًا وجهين يذهب الغيظ الذي كان في قلوبهم بتكذيبهم رسول الله وكفرهم باياته باسلامهم يسلمون فيكونون اخوانًا او يقتلون ويهلكون فيذهب عنهم الغضب الذي كانوا غضبوا عليهم بالذي ذكرنا وقوله عز وجل ويتوب الله على من يشاء اي من شاء عذبهم ومن شاء تاب عليه وفي الاية دلالة الرد على المعتزلة لانهم يقولون شاء ان يتوب عليه وشاء ان يتوب على الذي شاء ان يعذب والله عليم اي عليم بما كان ويكون يعني علم بما كان منهم خلقهم لا عن جهل اذ خلقه اياهم ليس لمنافع نفسه وحاجته انما خلقهم لحاجتهم ومنافعهم حكيم وضع كل شيء موضعه ويحتمل عليم بما كان من هؤلاء من التكذيب لرسول الله والكفر باياته حكيم ه

اي ماجعل

اي ما جعل عليهم من القتل والتعذيب والخزي كانه وضع الشيء موضعه وقوله عز وجل ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وايضًا قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله الم احسب الناس ان يتركوا الاية هذه الايات كلها في المنافقين الذين اظهروا الايمان باللسان وادعوا والمؤمنين الذين حققوا الايمان واخلصوا الاسلام والموافقة لهم فقال ام حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم من الايمان باللسان فلا تبتلوا بالقتال جعل الله تعالى القتال مع الكفرة والله اعلم وامر به لمعنيين احدهما تطهيرًا للارض من الكفرة كقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والثاني امتحانًا للمنافقين ليتبين نفاق من اظهر الايمان باللسان مراءاة وصدق من اظهره حقيقة ليعرف المحقق المخلص من المنافق المرائي لان القتال هو من ارفع اعلام يظهر بها نفاق المنافق لانهم انما كانوا يظهرون الموافقة لهم طمعًا في الدنيا ليسلم لهم المنافع التي كانوا ينتفعون بها فيأمر بالقتال خوف الهلاك فاذا خافوا الهلاك على انفسهم امتنعوا عنه كقوله قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية خافوا واشفقوا على انفسهم لما ذكرنا انهم انما كانوا يظهرون الايمان باللسان ليسلم لهم ما طمعوا من المنافع كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية هذا وصف المنافق واما المؤمن المحقق للايمان المخلص للاسلام لانه يسلم نفسه لله في جميع احواله وان كان فيه تلف نفسه لما لم يكن عبادته الله على حرف وجه كالمنافق ولكن على الوجوه كلها والاحوال جميعًا عبادته تكون لله لا تمنعه خوف الهلاك عن القتال بل نفسه تسخوا لذلك وترضى ولا كذلك المنافق وقد ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يكون على الايجاب والالزام ثم قوله ام حسبتم يحتمل وجهين احدهما اي قد حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم من الموافقة والخلاف في السر ولا تبتلون وتمتحنون ما يظهر عنكم مما اضمرتم فلا تحسبوا ذلك والثاني ام حسبتم اي لا تحسبوا ان تتركوا على ذلك ولا تمتحنوا بالجهاد والقتال احد التاويلين يخرج على النهي والثاني على الايجاب عما حسبوا وعما عندهم ثم قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ليعلم من قد علم انه يجاهد ويعلم ما قد علم انه يكون كاينًا لا على حدوث علمه بذلك اذ هو موصوف بالعلم بكل ما يكون في وقت ما يكون على ما يكون فيكون قوله ليعلم المجاهدين من كذا وليعلم الصابرين من كذا اي ليعلم من قد علم انه يجاهد مجاهدًا وليعلم ما قد علم انه يكون كاينًا لانه لا يجوز ان يوصف الله بالعلم بما ليس يكون انه يعلمه كاينًا كما لا يجوز ان يوصف انه يعلم من الجالس القيام في حال جلوسه ومن المتحرك السكون في حال الحركة ومن المتكلم السكوت في حال كلامه انما يوصف بالعلم على الحال التي الخلق عليه لا يوصف بالعلم في حال غير الحال التي هو عليه والله الموفق ويحتمل هذا وجهان آخران فيما اضاف العلم الى نفسه كان المراد منه اولياءه كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا اولياءه ينصركم او ان تنصروا دينه ينصركم او ان تنصروا رسوله ينصركم فعلى ذلك قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ليعلم اولياءه المنافق المرائي والمؤمن المحقق المخلص وليتبين لهم وكقوله يخادعون الله اي يخادعون اولياءه اذ الله لا يخادع ولا ينصر اذ هو ناصر كل احد ولا يخفى عليه شيء عالم بما يكون في وقت ما يكون او ان يكون المراد من العلم الذي ذكر المعلوم وذلك جائز في اللغة جاز في القرآن كثير وقوله عز وجل ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي لم يجدوا ملجأ يلجأون اليه من دون ما ذكر ولو وجدوا ذلك لاتخذوا ذلك ولكن لما لم يجدوا لم يتخذوا كقوله يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ الاية اخبر انهم لو وجدوا ملجأ يلجأون اليه ولولوا لا يظهرون ذلك وقوله وليجة قال بعض اهل الادب الوليجة البطانة من غير المسلمين واصلها من الولوج وهو ان يتخذ الرجل من المسلمين دخيلًا من المشركين وخليطًا وودًا وجمعه الولايج وقال البعض الوليجة اصلها من الدخول كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط يقال ايضًا فلان وليجة فلان اي خاصته وقال بعضهم الوليجة الخيانة وقال بعضهم الوليجة ما يلجأ وقال بعضهم كل شيء ادخلته في شيء ليس منه فهو وليجة وبعضه قريب من بعض والله خبير بما تعملون هو الوعيد خرج وقوله عز وجل ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر قال بعض اهل التاويل نزلت الاية في العباس بن عبد المطلب

نه اسر يوم بدر فاقبل ناس من المهاجرين والانصار منهم علي بن ابي طالب وعيروه بالكفر بالله والقتال
مع النبي وقطيعة الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتذرون محاسننا فقالوا ولكم محاسن قال اي والله انا لنعمر
المسجد الحرام ونحجب البيت ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله ردا عليه لكن في اخر الاية دلالة انه لا يحتمل ان يكون
في العباس على ما قالوا لانه قال اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وفي النار هم خالدون والعباس قد اسلم
من بعد فلا يحتمل هذا الوعيد بعد الاسلام وقال غيرهم من اهل التاويل وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله اي ما كان بالمشركين عمارة مساجد الله انما كان بهم خراب مساجد الله لان المساجد انما تعمر بالذكر
فيها والصلوة واقامة الخيرات كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الاية وهم لم يعمروها بذكر اسم الله
فيها انما عمروها بذكر الاصنام والاوثان فكان بهم خراب المساجد لا العمارة وقال بعضهم قوله ما كان ينبغي
للمشركين ان يعمروا مساجد الله على ما عندهم لان الذي منعهم عن الايمان بالله حبهم الدنيا وميلهم اليها فما ينبغي لهم
ان يعمروها وينفقوها ويضيعون اموالهم فيها ولا ينتفعون اذ الذي منعهم عن التوحيد والايمان بالله حبهم الدنيا وشهواتهم
وميلهم اليها فعلى ما عندهم ما ينبغي لهم ان يعمروها وقال بعضهم قوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله اي ما كان
على المشركين ان يعمروا مساجد الله لانهم لا ينتفعون بها في الاخرة لانهم لا يؤمنون بالاخرة انما يقصد بعمارة المساجد
والانفاق عليها الثواب في الاخرة وهم لا يؤمنون بها فتضيع في ذلك اذ لا مقاصد لهم ولا منفعة انما ذلك على المسلمين
ويجوز ان بمعنى عليه كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اي فعليها وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله
يحتمل هذا اي ما كان بالشرك عمارة مساجد الله انما يكون عمارته بمن امن بالله واليوم الاخر لا بمن اشرك بالله وكفر بالاخرة
وقوله شاهدين على انفسهم بالكفر قال بعضهم شاهدين على انفسهم اي على نفس محمد ومن امن معه سماهم انفسهم لانهم
من قراباتهم وارحامهم وقد سمى الله المتصلين بهم بذلك كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم وقوله فسلموا على انفسكم فعلى ذلك
الاول يحتمل ما ذكرنا او شاهدين على انفسهم بالكفر عند الضرورات عند نزول العذاب بهم وعند الهلاك كقوله فلما راوا
باسنا الاية وغير ذلك من الاحوال التي كانوا يقرون بالكفر ويرجعون عنه شهدوا عليهم بالكفر وقال بعضهم
قوله شاهدين على انفسهم بالكفر اي انفسهم تشهد بالكفر عليهم لان خلقتهم تشهد على وحدانيته وانفسهم تشهد
على فعلهم بالكفر وهو ما قال تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة قيل بل الانسان من نفسه بصيرة اي بيان من نفسه والله
والله اعلم وقوله عز وجل اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة الى اخر الاية في قوم ماتوا على الكفر وقوله عز وجل
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر الوجوه التي ذكرنا في قوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله انه لم يكن
عليهم فذلك كله على المسلمين اي عليهم عمارة المساجد وبهم تعمير المساجد ولهم ينبغي ان يعمروها واقام الصلوة
واتى الزكوة قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل ولم يخش الا الله قال بعضهم هو صلة قوله اتخشونهم فالله احق ان تخشوه
ان كنتم مؤمنين امرهم ان يخشوا الله ولا يخشوا غيره ثم ذكر هاهنا من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش
الا الله وقال بعضهم الخشية العبادة كانه قال ولم يعبد الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب
اي كانوا مهتدين وقوله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر في الاية اضمار فعل او فاعل
لكي يصح المقابلة لانه انما يقابل فعل بفعل او فاعل بفاعل لا يقابل فعل بفاعل ولا فاعل بفعل فهاهنا ذكر السقاية وعمارة
المسجد مقابل من امن بالله فهو والله اعلم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كايمان من امن بالله واليوم الاخر او ان يقال
اجعلتم القائم باصلاح سقاية الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله ليكون مقابلة شخص بشخص او فعل بفعل ثم لا يصح
ان يجمع بين الكافر والمؤمن فيقال لا يستويان عند الله وان كان الكافر قد اتى بالمحاسن الا ان يقال ان ليس من فعل محاسنا
في حال كفره ثم امن من بعد كمن امن وفعل محاسنا وهو مؤمن هذا يجوز ان يجمع فيقال لا يستوون عند الله واما الكافر الذي
مات على الكفر وان عمل خيرات والمؤمن الذي عمل الصالحات فمات على ذلك فيجمع فيقال لا يستويان فلا وان يقابل
بالجهاد والذي ذكر لا يستوي من بذل نفسه للقتل والتلف كمن سقى الحاج وعمر المسجد الحرام ولم يبذل نفسه لذلك

فاما ان يقال

فاما ان يقال لا يستوي الكافر والمؤمن فذلك غير محتمل لانه انما يقابل الشيء بالشيء اذا قرب بعضه من بعض واما عنه
البعد منه فلا يقال ولا يقابل وقوله عز وجل والله لا يهدي القوم الظالمين ما داموا في ظلمهم وما داموا اختاروا
الظلم لا يهديهم وقت اختيارهم الظلم او لقوم مخصوصين وقد ذكرنا مخصوص معناه في غير موضع وقوله عز وجل
الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله قوله امنوا اي صدقوا رسول الله في جميع ما يخبر عن الله انه صادق وفي جميع
ما دعا اليه وامرهم به ونهاهم عنه انه حق والا كانوا مؤمنين بالله كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله كانوا مؤمنين بالله لكنهم يكذبون الرسل ورسالتهم اي فارقوا اباهم
واخوانهم وعشيرتهم واموالهم ومنازلهم وبلادهم هاجروا وجميع ما يحبه انفسهم وتهواه وتميل اليه القلوب
ما ذكر في الاية التي تتلوا هذه الاية وفارقوا ذلك كله اشفاقا على دينهم ليسلم ما لو اعطوا قبل الاسلام الدنيا
وما فيها اذا وعدوا بكل وعيد وخوفوا ما فارقوا اباءهم واخوانهم وعشائرهم واولادهم الذين ذكر في الاية ثم اذا اسلموا
فارقوهم واجابوا رسول الله في ذلك ابتغاء مرضات الله وطلبا لرضوانه ليعلم عظم قدر الدين في قلوبهم وخطير
منزلته عندهم ليعلم ان محن اصحاب رسول الله اعظم واشد من محننا لان محنهم كانت على خلاف عادتهم وخلاف
ما طبعوا لان الانسان مطبوع على حب ما ذكرنا مجبول عليه فهم مع ذلك تركوا وفارقوا ذلك وتحملوا كراهة ذلك ابتغاء
مرضات ربهم واما محننا فانها على ما سبق من العادة فهو اهون وايسر وقوله وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اي بذلوا لله الذ الاشياء واحبها وبين الاموال والانفس وقوله عز وجل اعظم درجة عند الله قال بعض اهل
التاويل من صدقه بتوحيد الله وهاجر الى المدينة وجاهد العدو باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ممن
من الذي افتخر بعمران البيت وسقاية الحاج وهم كفار وكذلك قالوا في قوله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ولكن الوجه في ذلك عندنا ومعنى المقابلة
اولئك الذين ذكر اعظم درجة عند الله من الذين اسلموا ولم يهاجروا اولئك وقوله واولئك هم الفائزون الفوز هو الظفر
في اللغة اي اولئك هم الظافرون بنعيم الله وكرامته والناجون عن عذاب الله ونقمته يبشرهم ربهم برحمة منه يحتمل
قوله يبشرهم ربهم برحمة منه اي بالنصر لهم في الدنيا والظفر لهم على عدوهم كقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم الى اخر ما ذكر كله انما كان برحمته ويحتمل برحمة منه الثواب لهم في الاخرة والكرامة وقوله عز وجل
ورضوان اي يبشرهم ايضا ان ربهم عنهم راض وجنات لهم فيها نعيم مقيم اي يبشرهم بجنات لهم فيها نعيم مقيم
دائم وكرامة خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قال الحسن ما سمى الله عظيما فهو عظيم لا يدرك عظمه وقوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم اجر عظيم فاخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم
الظالمون يحتمل الولاية الموافقة لهم في الحقيقة في الدين ومن تولاهم في الحقيقة فهو منهم وهو ظالم لا شك
فان كان هذا فهو ظالم لا شك فلم يكن لقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون معنى ويحتمل الولاية اظهار الموافقة
لهم في الظاهر على غير حقيقة لكن اظهار على غير حقيقة يباح في حال الاضطرار عند خوف الهلاك وذهاب الدين
فيجوز ان يكون قوم اسروا الايمان في انفسهم وكتموه ويظهرون الموافقة لهم في الظاهر اشفاقا على دينهم وخوفا على انفسهم
فيباح لهم ذلك لما ذكرنا فلما ان جعل الله الهجرة وجعل للمؤمنين ماوى وانصارا يلجاون اليها ويأوون اليهم لم يعذروا
في اظهار الموافقة لهم وان كانوا في السر ليسوا على دينهم لما ذكرنا فهذا يدل على ان من اجرى كلمة الكفر على لسانه
في غير اضطرار يصير كافرا على ما جعل هؤلاء اولياء الكفرة حقيقة ظلمة مثلهم اذا تولاهم في الظاهر وان لم يكونوا
في الحقيقة كذلك هذا اشبه وهو ما قال عز وجل ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الاية لم يعذروا في تركهم
فعلى ذلك هؤلاء اذا اظهروا الموافقة لهم بعد ما جعل لهم الماوى والانصار صاروا هم في الحقيقة كذلك نهانا عن موالاة
الكفرة جملة بقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقال لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء هذا النهي لنا في جملة الكافرين ثم نهانا عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء كقوله لا تتخذوا

واليهود والنصارى اولياء ثم نهانا ان نوالي المتصلين من الاباء والامهات وغيرهم من القرابات لما يقع الشبه
في موالاة المختصين بهم مختص النهي فيه وكذلك في تخصيص اليهود والنصارى لما بيننا وبينهم موافقة في التوحيد والكتب
مختص النهي في ذلك ثم الولاية التي نهانا عنها تخرج على وجوه احدها المودة والمحبة اي لا تودوهم ولا تحبوهم والثاني
ان لا تتخذهم موضع سرنا وبطانتنا كقوله لا تتخذوا بطانة الاية والثالث ولاية الطاعة لهم اي لا تطيعوهم كقوله
ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم الاية وقوله ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم نهانا ان نحبهم ونودهم ونهانا
ايضا ان نتخذهم موضع سرنا ونفشي اليهم سرائرنا ونهانا ان نطيعهم فيما يدعوننا اليه ويسرون والله اعلم للخلاف
الذي بيننا وبينهم في الدين وقوله عز وجل ان استحبوا الكفر على الايمان اي اختاروا الكفر على الايمان والمحبة ههنا
محبة الاختيار والايثار وقوله عز وجل قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها هو مقابل قوله الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم الى اخره وقوله عز وجل
ان كان اباؤكم وابناؤكم وما ذكر اي ان كان طاعة هؤلاء ورضاهم احب اليكم من طاعة الله وطاعة رسوله
ورضاه واحب من جهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره هو حرف وعيد اي انتظروا حتى ياتي الله بامره
اي بعذابه قال اهل التاويل حتى ياتي بامره في فتح مكة ودل ما ذكر في قوله ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم على ان المراد من قوله لا تتخذوا اباءكم الاباء والابناء جميعا واخوانكم الاخوان وجميع المتصلين بهم دليله
ما ذكر في اخره حيث قال ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ذكر الابناء والازواج والعشيرة والله
اعلم وقوله واموال اقترفتموها قال بعضهم اكتسبتموها وقال ابو بكر الاصم واموال اقترفتموها اي اموال جعلوها
حلالا وحراما ويقولون الله اذن لنا في ذلك كقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما ويقولون
الله اذن لنا في ذلك وقوله عز وجل وتجارة تخشون كسادها كانوا يخشون فواتها وذهابها لا الكساد اذ في الهجرة
تركها اذا نسا وقوله عز وجل لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اي نصركم في مواضع كثيرة كان نزعكم
الى الله تعالى ونصركم يوم حنين ايضا بعد ما هزمكم العدو باعجابكم الكثرة بصرفكم الفزع الى الله ونصركم ايضا
يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا يعني الكثرة يذكرهم عز وجل منته عليهم وفضله ان النصر
والظفر متى كان انما كان بالله لا بكثرتهم وقوتهم لانه لو كان بالكثرة والقوة لم يكن للمسلمين قوة وكثرة
ما كان يوم حنين ثم كانت الهزيمة عليهم في الابتداء لاعجابهم الكثرة واعتمادهم بها ليعلم ان النصر والظفر
انما يكون بالله لئلا يعتمدوا على الكثرة ولا يكلوا اليها فان قيل قد امرنا باخذ العدة والقوة ما استطعنا بقوله
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية فانما امرنا بما يعجبنا فما معنى النهي عن الاعجاب بالكثرة والقوة وكذلك
نهانا عن الاسى بما فاتنا ونهانا ان نفرح بما اوتينا وقد كلفنا الشكر لما اتانا والصبر على ما فات منا فلو لم نفرح
بما اتانا لم يلزمنا الشكر ولا الصبر بما فاتنا فما معناه والله اعلم انه نهانا ان نفرح بما اوتينا لنفس الايتاء
ونتاسى لنفس ما يصيبنا ويفوتنا انما علينا ان نفرح بفضل الله ومنته الذي من علينا وخصنا به وعلى ذلك
نشكره وعلى ذلك الصبر بما يصيبنا ويفوتنا لما جعل لنا لذلك ثوابا في الاخرة واجرا عظيما وكذلك الكثرة امرنا بها
فاذا اتانا ذلك يعجبنا فضل الله ومنته في ذلك الكثرة لا الكثرة لنفسها والقوة والله اعلم فان قيل الاعجاب
بالكثرة كان من بعضهم لا من الكل فكيف هزم الكل وكذلك العصيان يوم حنين انما كان من بعض كيف عاقب الجميع
قيل لان له ان يتلف الكل ابتداء الا ترى في امر الواحد القيام لاثنين ثم الامر بالجهاد امر على غير وسع ولا كذلك
في ساير العبادات لانه امر الواحد القيام لاثنين منهم وليس في وسع احد القيام لاثنين فهو والله اعلم لما ان له
ان يكلف قتل انفسهم وابتلاهم الا ترى انه قال ولو انا كتبنا عليهم الاية ولو لم يجز له ان يكتب قتل انفسهم لم يكن ليذكر
ذلك ان ذلك له وان له ان يميتهم ويهلكهم فعلى ذلك له ان يامرهم بقتل انفسهم فاذا كان له ذلك اذ في وسعهم قتل انفسهم
فعلى ذلك له ان يكلفنا الواحد القيام لاثنين ولعدد وان كان في ذلك تلف انفسهم وكذلك امرنا بمجاهدة الشيطان

عدونا واخبرنا انه يرانا ولا نراهم حتى يقول انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والمحاربة مع عدو لا نراه
وهو يرانا امر صعب شديد لكن الله علمنا اسبابا نحارب معه ونجاهده فنغلبه وقال في الشياطين
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الاية
علمنا اسبابا نقاتل بها الشيطان فنغلبه ونقهره وما ذكر من ذكره لا يقوم هو لذلك وكذلك قال في العدو الذي
نراه من البشر حيث قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقال واصبروا ان الله مع الصابرين قد علمنا
اسباب الجهاد معه وعلمنا الحيل التي يجوز لواحد القيام لاثنين فصاعدا بالحيل وان لم يكن الوسع به بالقوة
نفسها ثم الفرق بين الجهاد وبين غيره من العبادات لما يحتمل ان جعل الله الجهاد اية من ايات الحق او الرسالة ليعلم
الخلائق ان النصر والظفر كان بالله لا بغيره ليظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل والله اعلم وقوله عز وجل وضاقت
عليكم الارض بما رحبت هذا على التمثيل عند شدة الحزن والغضب وعند بلوغه ضاقت عليهم الارض بما رحبت يقال
ذلك لسعة الارض في اوهام الخلق وقوله عز وجل ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين قال بعضهم السكينة
الملائكة كقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم الاية وقال بعضهم انزل سكينته اي نصرته وقيل وقاره وقيل
رحمته وقيل طمأنينته واصله سكنت قلوبهم واطمأنت بعد شدة الخوف والحزن باي وجه ما تسكن بالملائكة وبغيره
فاسكن قلب رسول الله لما اشتدت عليه رجوع اصحابه ومفارقتهم اياه وانزل جنودا لم تروها وهم الملائكة وعذب الذين
كفروا بالقتال والهزيمة وذلك جزاؤهم وفي قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين دلالة نقض قول المعتزلة
لانه سماهم مؤمنين بعد ما كان منهم التولي والتولي لم يخرجهم من الايمان على ما قال وقوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اختلف فيه قال بعضهم النهي عن دخول المسجد الحرام
نفسه وعندنا ان النهي عن دخول المسجد الحرام نهي عن دخول مكة نفسه للحج واقامة العبادات دليله وجوه احدها قوله
بعد عامهم ولو كان الدخول المسجد لكان ذلك العام احق من المنع في دخوله من غيره والثاني قوله وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله وخوف العيلة انما يكون عن دخول مكة لانه لو كان النهي عن دخول المسجد نفسه لكان لا خوف عليهم
في ذلك لانهم يحضرون ويدخلون مكة للتجارة فلا خوف عليهم في ذلك وان يقال انه ذكر المسجد الحرام لما انهم كانوا يقصدون
البيت والحج به فيكون النهي عن دخول المسجد نهيا عن الحج نفسه وهو ما روي في الخبر انه بعث عليا في الموسم باربع وامره
ان ينادي في الناس ان لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله الى مدته فاذا مضى
مدته فان الله بريء من المشركين ورسوله ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك فالنهي الذي ورد عن دخول
المسجد انما هو نهي عن الحج نفسه لان البيت هو الذي يقصد اليه فيه الا ترى انه قال ولله على الناس حج البيت الاية وقال
فمن حج البيت او اعتمر الاية وقال وليطوفوا بالبيت العتيق ذكر البيت وهو المقصود بالحج في الاسلام والكفر جميعا فعلى ذلك
خرج النهي لكنه ذكر المسجد لان البيت فيه فاذا كان ما ذكرنا فان شئت فاجعل اخر الاية تفسيرا لها قوله وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله وهو ما ذكرنا ان النهي لو كان لدخول المسجد نفسه دون غيره من البقعة لكان ليس عليهم خوف
العيلة لانهم يدخلون مكة ويتجرون فيها ولا يدخلون المسجد وان شئت فاجعل اول الاية تفسيرا لاخرها وهو قوله فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو ما ذكرنا واذا كان ما ذكرنا دل ان المشرك لا يدخلوا المسجد الحرام وخبر علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ايضا يدل على ذلك فاما من كان من اهل الذمة والعبيد منهم فليسوا والله اعلم بداخلين في الاية
اذ كانوا ممن لا يحج فان قيل فقد روي عن علي رضي الله عنه انه نادى الا لا يدخل الحرم على الحج على ما ذكرنا وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقرب المشركون المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا ان يكون عبدا او امة يحتمل استثناء
العبد والامة لان العبد لا يدخل للحج ولاقامة العبادة انما يدخل لخدمة المولى اذا كان مسلما وفي بعض الاخبار الا احد
من اهل الذمة وعن جابر بن عبد الله موقوفا كذلك او احدا من اهل الذمة وفيه دلالة لقول ابي حنيفة رحمه الله ان لا باس
للكافر ان يدخل المسجد وقال ارايت لو اراد ان يسمع كلام الله ليؤمن فيمنع عن ذلك ويؤمر المستمع اتيان ذلك المشرك

فليسمع كلام فيكون الامر بابلاغ المامن لذلك المشرك الامام دل انه لا باس بذلك وقد ذكرنا ان ليس في ظاهر الاية
دلالة النهي عن دخول المسجد بل المراد من ذكر المسجد ما ذكرنا من الحج واقامة العبادة لغير الله الا ترى الى قول الله والمسجد
الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد وان سبيل مكة كلها هذا السبيل وكذلك قوله ثم محلها الى البيت العتيق
والحرم كله منحر الا ان المعنى في ذلك والله اعلم ما ذكرنا ان لا يدخل المشركون حجاجا الا ترى انا نعلم ان المشركين لم يزالوا مقيمين
في الحرم بعد النداء ولم يخلوا عنه ومما يدل على ذلك ايضا قول الله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم فان كان يعني به موضع العهد فان ذلك العهد يوم الحديبية عند الشجرة فقد صار ذلك الموضع من المسجد
الحرام وهو في المسافة بعيد منه فان كان يعني به الذين عوهدوا فانهم كان يوم نادى علي رضي الله عنه فذلك خارج
من مكة لان اهل مكة قد كانوا قبل ذلك حين فتحها النبي فما جرى المسجد الحرام هم كان نازلا خارج مكة في الحرم وما حوله وقوله
لا يقرب المسجد الحرام مشرك يخرج على وجوه احدها لا تدعوهم يقربوا المسجد الحرام والثاني قولوا لهم لا تقربوا المسجد الحرام
والثالث على البشارة اي انا قلنا لهم ذلك فلا يقربوا بعد ذلك وقوله انما المشركون نجس اي افعال المشركين نجس والعبادات
التي يأتون فيها نجس وهو ما ذكر حيث قال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان صير عمل الشيطان
رجسا فعلى ذلك العبادات التي يعبدونها نجسة فالنهي عن الحج نهي عن اقامة العبادات لغير الله لان تلك البقعة نزهت عن اقامة
العبادة لغير الله ثم اختلف في قوله انما المشركون نجس قال بعضهم هو نجس الافعال وقال بعضهم هم نجس الاحوال والاشبه
ان يكونوا نجس الافعال لان قوله انما المشركون نجس يخرج مخرج ولا يحتمل ان يذموا ويشتموا بنجاسة الاحوال دل انه انما ذمهم
ذلك الذم بما اكتسبوا من الافعال الذميمة وهو كقوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان اخبر
ان عمل الشيطان رجس ونجس فعلى ذلك جائز ان يكون قوله انما المشركون نجس اي نجسة الافعال لان ذلك من كسبهم فاستوجبوا
المذمة لكسبهم واما الاحوال فلا صنع لهم فيها وقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قيل خافوا من العيلة
لما نفي المشركون من مكة لان معايش اهل مكة انما كان من الافاق وباهل الافاق كان سعتهم وتجارتهم لكن الله وعدهم
السعة والغنا بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال بعضهم دل قوله ان شاء على انه انما وعدهم الاغناء
في بعض الاوقات وقال بعضهم قوله ان شاء كان من رسول الله لانه امر رسوله ان يغنيهم ان شاء وهو ما امر ان يستثني
في جميع ما يعد كقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ويحتمل ان يكون قوله فسوف يغنيكم الله من فضله
ان شاء هؤلاء الذين نفوا عنه لانه حبب اليهم التجارة والمكاسب وما ينالون من الارباح بها فجعلهم ذلك على الاسلام مسلمون
فيدخلون فيها فجعلهم حب التجارة على الاسلام فيكون لهم به غنى كما كان جعلهم حب التجارة والربح على الهجرة وقوله وتجارة
تخشون كسادها فعلى ذلك الاول وقال بعضهم قوله فسوف يغنيكم الله من فضله بالجزية التي ذكرها في الاية تتلوا هذه
وقوله عز وجل ان الله عليم بما اضمروا من خوف العيلة او عليم بما لهم وعليهم وبمن يكون لهم الغنى حكيم في امره وحكمه
وان خفتم عيلة دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اضمروا ذلك في انفسهم ثم اخبرهم رسول الله
بذلك دل انهم علموا انه انما عرف ذلك بالله وقوله عز وجل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ذكر
اهل الكتاب اليهود والنصارى واخبر انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وهم في الظاهر يقرون بوحدانية الله
واليوم الاخر فما المعنى منه قيل هم وان امنوا في الظاهر بالله واليوم الاخر فانما يؤمنون باله له ولد كما ذكر عنهم
وهو قوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فالايمان باله له ولد ليس بايمان بالله فهم غير
غير مؤمنين وكذلك امنوا بالبعث واليوم الاخر ولكن لم يؤمنوا بالموعود في الاخرة فالايمان باليوم الاخر بغير الموعود فيه
ليس بايمان او ان يقاتلهم وان اقروا بما ذكرنا وامنوا به فقد استحلوا اشياء حرمها الله عليهم وحرموا اشياء احلها الله لهم
ومن امن بالكتب كلها والرسل ولم يؤمن باية منها او برسول منهم فهو غير مؤمن بالله واليوم الاخر ولا مصدق له ثم اذكر
اذا اعطوكم شيئا من المال تركتم مقاتلتهم فلو كان قتالكم اياهم لذلك لا لطمع في الدنيا لكنتم لا تتركون مقاتلتهم لشيء
يبذلونكم وكذلك لو كانت المقاتلة للكفر نفسه لكان النساء في ذلك والرجال سواء اذ هم في الكفر شرعا سواء وقالوا

لوكانت

لو كانت المقاتلة معهم لما ذكرنا وهو حكمة والامر بذلك حكيما لكان الناس جميعا في ذلك سواء ولا يتركون احدا بشيء
من ذلك بل يقاتلون ابدا ولا يرضون منهم غيره فيقال لهم انا لن نقاتل الكفرة للكفر ولكنا ندعوهم الى الاسلام فان اجابوا
الى ذلك والا قاتلناهم ليضطرهم القتل الى الاسلام لهذا ما نقاتلهم لا لشيء سواه فاذا كان في اخذ الجزية معنى ما ندعوهم
الى الاسلام فاذا قبلوا ذلك تركناهم على ذلك لعلهم يرغبون في الاسلام اذا راوا شرايعنا واحكامنا لا انا تركناهم
رغبة فيما ناخذ منهم او طمعا في ذلك واصله المحنة اذ الدار المحنة ليست بدار الجزاء والمحنة تكون بمختلف الاشياء
لا بما تلتها مرة يمتحنهم بالقتال ومرة باخذ الاموال ومرة بالشدايد كقوله لنبلونكم بشيء من الخوف الاية وقوله ونبلوكم
بالشر والخير وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحو ذلك فاذا كان ذلك محنة لا جزاء جاز ذلك وكان
ذلك حكمة واما قولهم بان نقاتل الرجال ولا نقاتل النساء ونسترقهن لانهن اتباع للرجال في جميع الاحوال وخدمهم
فاذا اسلموا اسلمن هذا معروف فيما بينهم اذ هن في ايدي الرجال يفعلون بهن ما شاؤوا واصله ما ذكرنا ان القتال
محنة ليس هو جزاء الكفر اذ الدار دار محنة فله ان يمتحن بعضا بالقتل وبعضا باخذ المال لا يذ ولا ذلك ولو كان
جزاء لسوي بينهم هو التخليد في النار ابدا فان قيل ما الحكمة في اخذ الجزية من ساير الكفرة اذا كانوا اهل الكتاب والمجوس
وترك الاخذ من مشركي العرب قيل لوجوه احدها ان ليس لمشركي العرب دين يدينون به يقاتلون عن ذلك الدين ولا لهم
اصل يعتمدون عليه او كتاب يكون اليه انما هم قوم يقاتلون عن قبايلهم ويتناصرون بهم ولغيرهم من الكفرة دين
يدينون به واصل يعتمدون عليه ويحاجون الناس بالحجاج التي لهم فاذا كان كذلك امكن اقامة الحجج على هؤلاء والزام
البراهين ولا كذلك مشركوا العرب اذ لا دين لهم ينسبون اليه ومذاهب يدعون غيرهم اليه بالحجاج وامكن في غيرهم
لذلك افترقا والله اعلم بذلك والثاني انهم تمنوا ان يكون لهم رسول من جنسهم يتبعونه فيما يدعوهم اليه وتدبير
يجيبونه حتى اقسموا على ذلك واكدوا القول في ذلك كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية ولم يكن من غيرهم من الكفرة ما كان
منهم فاذا كان كذلك فهم يقاتلون ابدا حتى يوفوا ما وعدوا كقوله تقاتلونهم او يسلمون والثالث لفضل رسول الله اذ كان
منهم ومن جنسهم فلا يترك احد في تلك البقعة على غير دينه وامكن ان يكون او جبا اخر وهو ان مشركي العرب في حد القليل
امكن المقاتلة معهم والقيام لهم فلا يرضى منهم الا الاسلام واما غيرهم من الكفرة في بقاع مختلفة وهم كثير اذا اجتمعوا لم يكن
في وسع اهل الاسلام القيام لهم والقتال معهم فيلحق المسلمين في ذلك ضرر بين لذلك كان ما ذكر وقوله وقاتلوا الذين
لا يؤمنون الاية قد ذكرنا انهم وان كانوا يؤمنون بالله واليوم الاخر عند انفسهم انهم في الحقيقة غير مؤمنين به لان شرط
ايمانهم الايمان بالرسل جميعا والكتب اجمع فهم قد تركوا الايمان ببعض الرسل وببعض الكتب ومن كفر برسول من الرسل او بكتاب
من الكتب ويحرف منها كان كافرا بالله وقوله عز وجل ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله يحتمل انهم لا يحرمون تحريف الكتب
وكتمان نعت رسول الله والله حرم ذلك عليهم او لا يحرمون عبادة الاوثان والله ورسوله يحرم ذلك او لا يحرمون ما حرم الله
ورسوله من الخمر والخنزير وغيره والله اعلم وقوله عز وجل ولا يدينون دين الحق وهو الاسلام لانه دين يوجبه
العقول كلها وتشهد خلقة الخلايق كلها او ان يقول لا يدينون دين الذي له الحق انما يدينون بدين الذي لا حق له وهو دين
الشيطان وهو ما يدعوهم الى عبادة الاصنام فيجيبونه والله اعلم وقوله عز وجل حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
ويحتمل قوله يعطوا الجزية اي يقبلوها لا على الاعطاء نفسه وهو ما ذكرنا في قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة هو
على القبول لها لا على الفعل نفسه ويحتمل نفس الاعطاء وهو والله اعلم لما جعلت الجزية لحقن الدماء فقدم يحقن بها الدم
وقوله عن يد وهم صاغرون قال بعضهم عن اي لا يؤخر نقضها عن وقت قبولها بل تؤخذ يدا بيد وقال بعضهم عن يد اي عن قهر
وغلبة وقيل عن يد اي عن طوع وطيب وقيل عن جماعتهم لكنا لا ندري ما يعنون بالجماعة وقوله صاغرون قيل ذليلون
وهو من الذل يقال صغر الرجل يصغر صغارا فهو صاغر اي ذل فهو ذليل وقيل صاغرون اي مذمومون وعن ابن عباس رضي الله عنه
يمشون بها متلبين واصله الذلة وهو الخضوع والله اعلم الذلة التي ذكر الله في قوله ضربت عليهم الذلة والمسكنة انما تعقو
فاذا قبلوا ذلك فقد اذعنوا بالذل والصغار وقوله وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية اما اليهود والنصارى ولا خلاف

اهل العلم في ان من بذل منهم الجزية اخذت منه واقر على دينه واما المجوس فانه يؤخذ منهم الجزية لما روي عن عمر رضي الله عنه
انه قال ما ادري ما اصنع بالمجوس فانهم ليسوا بمسلمين ولا من اهل الكتاب قال عبد الرحمن بن عوف اشهد اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب وفي بعض الروايات اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ الجزية من مجوس هجر وعن علي ان ابا بكر وعمر اخذ الجزية من المجوس وقال علي بن ابي طالب انا اعلم الناس بهم كانوا اهل
الكتاب يقرؤونه واهل علم يدرسونه فنزع ذلك من صدورهم وعن ابي بردة عن ابي موسى قال لولا اني رايت اصحابي اخذوا
اخذوا الجزية من المجوس ما اخذتها وعن ابي عبيدة بن الجراح قال كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى المنذر انه قال من استقبل
قبلتنا وصلى صلاتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ومن احب ذلك من المجوس فهو امن ومن ابى
فعليه الجزية وفي بعض الروايات من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا واكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا ومن ترك ذلك
فعليه الجزية وعلى ذلك مضت الائمة ولم ينكر احد من السلف حتى قال قوم ان المجوس انما اخذت منهم الجزية لانهم اهل كتاب فاحلوا
ذبايحهم ونساءهم وذهبوا الى ما روي عن علي وقال اخرون ليسوا من اهل الكتاب ولكن الجزية يؤخذ منهم اتباعا لرسول سنوا بهم
اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبايحهم وما روي عن الصحابة وائمة الهدى ثم المسئلة في تقدير الجزية روي في بعض الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه بعث معاذا الى اليمن فقال له خذ من كل حالم دينارا او عدله معافر وروي عن عمر رضي الله عنه
انه بعث عثمان بن حنيف الى السواد وامره ان يضع على اهل السواد الخراج ثمانية واربعين درهما واربعة وعشرين درهما واثني عشر
درهما وفي بعض الروايات انه ضرب على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما مع ذلك ارزاق المسلمين
وضيافة ثلاثة ايام واصحابنا يجعلونهم ثلاث طبقات اغنياء واوساطا وفقراء يؤخذ من الغني الموسر ثمانية واربعين
درهما ومن الوسط اربعة وعشرين درهما ومن الفقير المعتمل اثني عشر درهما وفي بعض الاخبار اربعين درهما واربعة دنانير
وضيافة ثلاثة ايام وعشرين درهما ودينار وهو ما ذكرنا ثمانية واربعين بغير الضيافة وغير مؤنة وما روي من اربعين
درهما واربعة دينار مع الضيافة والرزق الذي ذكر في الخبر وهذا من عمر بحضرة المهاجرين والانصار فلم يات عن احد منهم النكير
عليه ولا الرد فهو كالاتفاق منهم على ذلك ثم لا يحتمل ان يكون عمر حد ذلك التقدير رايا منه لان المقدورات والحدود التي سبيل
معرفتها التوقيف والسمع لا العقل فهو كالمسموع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روي عن حديث معاذ حين امره النبي عليه السلام
ان ياخذ من اهل اليمن من كل حالم دينارا فذلك يحتمل ان يكون امره بذلك لما كانوا اهل ضعف وفقر على ما روي عن عمر في الضعفاء
من اهل مصر والشام وليس هو الحد الذي لا يلزم اكثر من ذلك لما ذكرنا ان عمر الزم المياسير اكثر من دينار ولم ينكر ذلك احد
من الصحابة فدل فعلهم على ما وصفناه ثم المسئلة في تمييز اصحاب الطبقات بين الموسر الغني وبين الوسط والفقير قال بعضهم
الفقير ممن يحترف وليس له ما يجب في مثله الزكوة على المسلمين وهم الفقراء المحترفون فمن كانت له اقل من مايتي درهم فهو
من اهل هذه الطبقة والطبقة الثانية ان يبلغ مال الرجل مايتي درهم فقال بعضهم اذا بلغ ماله اربعة الاف درهم وزاد عليها
صار من اهل الطبقة الثالثة واحتجوا من قول ابي طالب وابن عمر حيث قالا اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوق ذلك كنز
وقد يجوز ان يجعل الطبقة الثانية من ملك مايتي درهم الى عشرة الاف درهم وما زاد على ذلك يجعل من الطبقة الثالثة
لحديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه ابو هريرة قال من ترك عشرة الاف درهم جعلت صفايح يعذب بها
يوم القيامة ثم في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر دلالة على ان الجزية انما تؤخذ ممن يجب ان يقاتل
انه لم يبذلها والنساء والصبيان لا يقاتلون ولا يقتلون ان ظهر بهم فلا يجب ان يوضع عليهم الجزية بدليل الكتاب اذ كان الله
انما امر ان يؤخذ الجزية ممن يقاتل وكذلك فعل عمر والائمة بعده روي ان عمر رضي الله عنه كتب الى امير الجيوش الا تقاتلوا
الا من قاتلكم ولا تقتلوا الصبيان والنساء ولا تقتلوا الا من جرت عليه المواسي وكتب الى عماله ان تضربوا الجزية ولا تضربوها
على النساء والصبيان وفي بعض الروايات انه كتب الى امير الاجناد ان لا تاخذوا الجزية الا على من جرت عليه المواسي قال والجزية
اربعون درهما او اربعة دنانير وفي خبر معاذ دلالة لذلك حيث قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن
وامرني ان اخذ من كل حالم دينارا او عدله معافر وفي خبر معاذ الاخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان ياخذ ذلك من رجال

دون

دون الصبيان ودون النساء فان قيل روي عن معاذ قال امرني رسول الله ان اخذ من كل حالم وحالمة دينارا
وفي بعض الروايات عنه انه قال امرني ان اخذ من كل حالم ذكرا وانثى دينارا فان كان هذا مثبتا محفوظا فهو دليل لما يؤخذ
من نصارى بني تغلب ويكون حكم نساء العرب من اهل الكتاب فيما يؤخذ منهم خلاف نساء العجم منهم او لا يقال انه غير
محفوظ لما علم الامة بخلافه لان الوفاق قد جرى على ان لا جزية على النساء ولو كان محفوظا لظهر العمل به او ان يكون قوله
خذ من كل حالم او حالمة دينارا اي خذ منهما دينارا ولا تاخذ من كل واحد دينارا كقوله لكل سهو سجدتان لا يلزمه اكثر
من ذلك مسيئلة ليس في الاية ذكرها وهو ان الجزية اذا ضربت فدخلت سنة اخرى قبل ان يؤديها اخذت منه
للسنة الثانية ولم تؤخذ للسنة الاولى الماضية ليس كساير الديون لان مجوسيا لو اسلم بعد مضي السنة لم يطالب
بجزية العام الماضي فلو كانت كساير الديون لطولب بها المسلم كما يطالب بما يكون عليه اذا اسلم او بقي على مجوسيته فلما لم يطالب
دل انها كساير الديون فان قيل اليس الخراج يطالب به من اخر من سنة الى سنة قيل ليست الجزية مثل الخراج لان الخراج يجب
على المسلم في ارضه فهو كساير الديون فان قيل ان المجوسي اذا اسلم بعد مضي السنة طولب بالجزية للسنة الماضية قيل
روي عن عمر انه رفع الجزية بالاسلام فقال والله ان في الاسلام لمعاذا ان فعل يرفع عنه الجزية وروي في بعض الاخبار
عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس على مسلم جزية فمن طالبه بالجزية بعد الاسلام فقد خالف الخبر فان قال
انما يزول عن المسلم ما كان عليه من الجزية في حال كفره لانه صار الى حال لا يجوز ان توضع عليه ابتداء قيل ان الذمي
اذا اجتمع عليه جزية سنتين فصار الى حال لا يجوز ان يلزمه في الابتداء فمثلها اكثر من اثني عشر درهما الفقير لم يجز
ان يلزم اكثر منها لانه يجعل حكم مستدير الجزية التي وجبت فاسلم صاحبها حكم الابتداء في توظيف الجزية عليه فوجب
ان يجعل حكم مستدير من اتت عليه سنتان حكم ابتدائه واصله ان الجزية انما جعلت لحقن الدم فاذا مضى سنة
صار دمه محقونا في السنة الماضية لذلك لم تؤخذ وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى اخره تضمنت هذه الاية
احكاما منها الامر بقتال من لم يؤمن بالله واليوم الاخر وهم يقرون بالامرين لكنه يخرج على وجوه ثلاثة احدها انهم
مشبهة ومن تشبههم الله بخلقه احتمل تلو بهم القول له بالولد اذ الذين شهدوا من الخلايق على ذلك وجدوا
يولد بعض من بعض واذا كان كذلك فهو غير مؤمن في الحقيقة بالله الذي هو الحق حتى يؤمنوا به وان به يكون الاخرة
دون الذي ادعوه والثاني ان الذي جبل عليه الخلق هو تعظيم رسل الملوك واجلالهم حتى يوجد من الرسل بين ملوك
قد ظهرت بينهم العداوة فلما كذبوا رسول الله مع البراهين التي قد اعجزت الخلايق وشهادات كتبهم به وتظاهر من عرفوا انهم
مكذبون بكتبهم وبرسلهم على من صدق بذلك ثبت انهم في الحقيقة مكذبين جميع الرسل والكتب وان اظهروا الوفاق
وان ذلك لا يكون الا لتكذيبهم بالله يكون بايمانهم بالرسل وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وفد عبد قيس انه قال امركم باربع امركم بالايمان بالله ثم قال انه دون ما الايمان بالله ان تشهدوا ان لا اله الا الله واني
رسول الله فلذلك لم يكن ايمانهم بالله ايمانا حتى يؤمنوا برسول الله وعلى هذا يحاربون والثالث ان يكون نفى عنهم
الايمان بنفي منفعة الايمان عنهم اذ لا منفعة بالايمان برسله والقبول عنهم بالتعظيم فاذا ظهرت منه هذه
المنفعة وتركوا القتال ثم الترك على قبول الجزية جايز وان كان الامر قد تقدم بالقتل من غير ان يكون دليل
اما الاجل ذلك المال نقاتل كما كتب على كل نفس الموت ثم قد يتركون على ما هم عليه من اختلاف الاديان وتفرق
الاهواء وان كان لا يدل ذلك على الامر بما هم عليه والرضا بما اختاروا فمثله في الاول لا يدل على الرضا بكفرهم ولا على القتال
لاخذ تلك الاموال عنهم ثم الاصل ان القتال لم يجعل ليكون القتل عقوبة للكفر اذ نوع القتل ومعناه قد يوجد
في الاخيار والاشرار جميعا وهو الموت ثبت انه لم يجعل لذلك ولكن لوجهين ان يضطرهم على الاجابة الى ما فيه نجاتهم
وبه نيل كرامة الابد وكان ذلك بعد ان الزمناهم كل انواع الحجج فلم يقنعهم قاتلناهم بما كان الذي يمنعهم عن النظر في الحجج
حب اللذات والذها الحياة قاتلنا حتى يايسوا عن تلك اللذة المانعة عن النظر في الحجج والصادة عن الاجابة
بزوالها منهم وفي قبول الجزية قيل بعض الذل والصغار الذي ينفر عنه الطباع ويدعوا الى ما فيه الزوال فينظروا في الحجج

ويقبلوا ما دعوا اليه فيكون به نجاتهم وزيادة لنا في الكرامة والثاني ان الحق كلها منقسمة على الحسنات والسيئات
والخيرات والشرور ولذلك جعل بالموت والحياة وعلى ذلك جميع امور الدنيا هو التقلب على مختلف الاحوال
فمثله الدعاء الى الاسلام يكون مرة بمحاجة اليد ومرة باللسان ومرة بالترك لان جعل شيء من ذلك لشيء ولكن بما عليه
امر الحق ليتذكر به وجوه الذل في قوم على ما في علم الله من المصلحة وعلى ما عليه حق الحكمة ثم الفرق بين المشركي العرب
وغيرهم يخرج على وجوه احدها انهم قد كانوا اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فجاءهم
فكذبوه ثم اقسموا التي جاءهم نذير ليؤمنن بها فجاءتهم ايات فلم يؤمنوا فاستوجبوا القتال الى ان يفوا بالعهد الذي سبق
والقسم الذي جهدوا به وليس لغيرهم هذا وعلى قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم الاية فبين الاياس عن ايمانهم الا ان يشاء الله
فهو يخرج على وجهين احدهما الاياس عن ايمانهم وقبول الجزية ليخالطوا اهل شريعة الله فيسمعوا منهم الحجج ويعاينوا الافعال
المحمودة في العقول والاخلاق الكريمة التي جاء بها الرسول فيؤمنوا وهؤلاء قد ايس الله عن ايمانهم واخبرهم انهم
ييأسون ابدا فلذلك لم يعط لهم عهد وعلى ذلك ظهر نقضهم العقود مرة بعد مرة والله اعلم والثاني انه استثنى
فيهم ان لا يؤمنوا بالايات الا ان يشاء الله فلعل الله شاء ان يكون ايمانهم بالقتال خاصة ففرض فيهم ذلك الى ان يؤمنوا
ووجه اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعث فيهم ومنهم فاوجبت لهم الفضيلة بان لا يقبل منهم غير الايمان
كما فضلت البقعة التي فيها بعث رسول الله ومنها ان لا يترك فيها غير المؤمن تفضلا ووجه اخر انهم قوم ليس لهم اس
ولا ايمة في الدين اليهم يرجعون في التأسيس ومعلوم ان لا قوام في العقول لامر الدين الا بالايمة كالسياسات كلها
والامور فيها القوام من الملك وغيره بل انما كانوا تجارا وعلى عاداتهم وقاتلوهم عن القبايل فلا يرجعون في الحقيقة
الا الى عادة خارجة عن التدبير وغيرهم يرجعون الى مذاهب اسست مما اسس امر الديانات فقد تعلقوا بضرب
من ذلك فتركوا اذ اخضعوا الا رضوا واذعنوا لهم بحق التبع فيتركون رجاء ان يتأملوا اذ لكل مذهب نظر وليس لاولئك
سوى العادة وتقليد الاباء ومن ذلك وصفه لا ينظر فيهمل النظر والله اعلم وايضا ان لساير المذاهب اصولا يتكبر اهلها
وفي الاقامة على القتال الى الفناء يقتضي بعض الى بعض فيناصرون فيخاف على المسلمين بما به رجاء التكثر الفناء والعرب
يقل عددهم حتى لم يكونوا يعدون على المناواة الا بمعونة اهل الكتاب وغيرهم فامكن ان يضطروا به الى القتل مع ما ليس لهم
مذاهب معلومة اذ لا يذكر في شيء من الكتب لهم مذاهب وقد ذكر لجميع الفرق فانما امرهم على العادة وقد يترك العادة
بما لا يعترض فيها ما يمنع الاستمرار عليها من القتال والحروب فيتركونها واهل المذاهب عندهم انهم لزموا بالحجج ومثل
ذلك لا يترك الا بالحجج وذلك يكون بعوك الذمة والعهد وايضا انه يمكن الزم كل ذي مذهب بما يوجد في مذهبه ما يثبت
القول بالاسلام وبالعهد رجاء الوصول اليه وليس لمشركي العرب ذلك لما لم يبن مذهبهم على الحجج والسنة انما هو تقليد
وعادة والله اعلم **وقوله** عز وجل وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال في اية اخرى
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا اخبر ان السموات تكاد ان تنفطر وتنشق
الارض وتخر الجبال العظيم ما قالوا في الله سبحانه من البهتان والفرية عليه ان له ولدا ثم بين الذي ذكر ذلك فقال وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فذكر الاية ولخبر والله اعلم انهم قالوا في الله ما قالوا لوجوه احدها
فيه دلالة لاثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان هؤلاء المتأخرين لم يقولوا هذا ولكن انما قال ذلك اوايلهم لكن كتموا
ذلك فاخبر رسول الله انه اوايلهم قالوا ذلك وهم كانوا يكتمون عن رسول الله ذلك ليعلموا انه انما علم ذلك بالله والثاني
يخبر رسوله سفه اوايلهم ويصبر على سفه هؤلاء ليصبر على سفههم واذاهم والثالث يخبر انهم مشبهة لانهم
نسبوا المخلوق اليه وقالوا ان فلانا ابنه لما راوا منه اشياء فلولا انهم عرفوا الله بمثل معرفتهم المخلوق والا ما قالوا ذلك
ولا اعتقدوا ما اعتقدوا من التشبيه وغير ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ذلك قولهم بافواههم اي ذلك قول
قالوه بلا حجة ولا برهان كانت لهم في ذلك او قالوا ذلك بافواههم على غير شبهة اعترضت لهم حملهم على ذلك
وقوله عز وجل يضاهون قول الذين كفروا من قبل يحتمل هذا ان قد كان قبل هؤلاء من قد قال مثل قول هؤلاء

او يضاهون قول الذين كفروا من قبل من الشرك والكفر وغير ذلك من الكذب والافتراء على الله كقوله تشابهت قلوبهم
بالكفر وكقوله كذلك يحيي الله الموتى ليس ان يحيي الموتى كلهم احياء كما احياء ذلك القتيل بضرب بعض من البقرة ولكن
يحييهم احياء فعلى ذلك قوله يضاهون قول الذين كفروا من قبل في الكفر نفسه ويحتمل ضاهى قول النصارى قول اليهود
والمضاهاة المشابهة والاشباه وقوله يضاهون قول الذين كفروا من قبل ان يشبه النصارى بقولهم لعيسى انه ابن الله
قول اليهود من قبل عزير ابن الله فضاهت النصارى في عيسى اليهود قبلهم في عزير **وقوله** عز وجل قاتلهم الله انى يؤفكون
هذه الكلمة كلمة اللعن تستعمل عند مناكير القول والفعل من غير حصول المنفعة وقوله انى يؤفكون يحتمل من اين يؤفكون
ويفترون على الله على غير شبهة اعترضت لهم ويحتمل انى يؤفكون اي كيف يؤفكون بلا منفعة تحصل لهم **وقوله**
عز وجل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا قيل الاحبار هم العلماء والرهبان العباد وقيل الاحبار هم اصحاب الصوامع من اليهود
والرهبان من النصارى وقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله يحتمل ان يكون هذا في السفهاء والاتباع
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله في العلماء منهم والروساء فاتخذ الاتباع اولئك اربابا
يتبعونهم في جميع ما يدعونهم اليه ويأتمرونهم في جميع اوامرهم ونواهيهم لا انهم عبدوهم ولكن ذكر اربابا لما ذكرنا
من اتباعهم وانتظارهم اياهم فيما هم يدعونهم اليه ويأمرونهم كقوله يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وقول
ابراهيم لابيه لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد بقصد عبادة الشيطان وطاعته ولكن نسب العبادة اليه لما يجيبونه
في كل ما يدعوهم اليه ويأمرهم به فعلى ذلك هذا ويحتمل ما روي في الخبر انه ثبت انهم لم يعبدوهم ولكنهم احلوا لهم
اشياء حرمها عليهم فاستحلوها وحرموا لهم اشياء احل الله ذلك لهم فحرموا ذلك فقيل اتخذوهم اربابا والله اعلم
يخرج هذا في الاحبار والرهبان على التمثيل اي اتخذوا في الطاعة لهم والاتباع لامرهم كانهم اتخذوهم اربابا
لا على التحقيق وهو ما ذكر من عبادتهم الشيطان لا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكن صاروا بالطاعة للشيطان والاتباع
لامره كانهم عبدوه واما في المسيح فهو على التحقيق لانهم قالوا انه اله فهو يخرج في المسيح على التحقيق وفي الاحبار والرهبان
على التمثيل **وقوله** عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا يحتمل الا ليوحدوا الها واحدا الذي لا اله الا هو ويحتمل
اي ما امروا ان يعبدوا الهة على ما يعبدون من الاصنام والاوثان ولكن امروا ان يعبدوا الها واحدا **وقوله**
عز وجل يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم قيل نور الله ذكر الله وتوحيده وقيل نور الله القران وقيل نور الله
دينه وهو الاسلام فان كان النور هو الذكر والتوحيد فهو والله اعلم انهم لم يكونوا يعرفون ذكر الله ولا يذكرونه
انما كانوا يعرفون ذكر الاصنام واياها يذكرونها ويحق القرابة والرحم يتناصرون فيها بينهم فلما ان بعث الله رسوله
محمدا بذكر الله وتوحيده وامر بالتناصر بحق الدين ارادوا ان يطفئوا ذلك النور ومن قال اراد بنور الله القران
ارادوا اطفاءه كقوله ما هذا الا اساطير الاولين وان هذا الا سحر مبين ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ونحو ذلك ارادوا
اطفاءه بنحو ما ذكرنا ما هذا الا افك مفترى وقولهم انما يعلمه بشر الاية ومن قال نور الله هو الدين كقوله افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه فقال الله نور السموات والارض مثل نوره وفي حرف ابي مثل نور المؤمن ومثله ارادوا
اطفاء هذا النور ليسلم لهم المنافع التي كانت لهم وقوله يريدون ان يطفئوا يحتمل وجهين يريدون اي يجتهدون
ان يطفئوه فلا يقدرون على اطفائه ويحتمل يريدون اي يحتالون ان يطفئوه باسباب يتكلفون ويحتالون
وقوله عز وجل ويابى الله الا ان يتم نوره بالحجج والبراهين او بالنشر والاظهار وقد اتمه كقوله اليوم اكملت لكم
دينكم **وقوله** عز وجل ولو كره الكافرون وقد كره الكافرون **وقوله** عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق يحتمل قوله بالهدى هدى يهديهم الى ما به يكون جميع المحاسن والخيرات محاسن وخيرات لان المحاسن
والخيرات انما يقوم بالايمان وبه ينتفع بها بعثه لذلك ويحتمل قوله بالهدى وهو القران يهديهم ويبين لهم
المحاسن من المساوي والحسنات من السيئات وهو هدى يهديهم الى ذلك **وقوله** عز وجل ودين الحق
وهو دين الحق اي الايمان الذي يصير المحاسن محاسن والخيرات خيرات هو دين الحق ويحتمل قوله ودين الحق

اى دين الله كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين **وقوله** عز وجل ليظهره على الدين كله يحتمل وجوها يحتمل ليظهر رسوله
على اهل الدين كله بالحجج والايات فقد اظهره جل الله على الاديان كلها بالحجج والبراهين حتى لم يتعرض احد فى شبه ذلك فضلا
ان يتعرض فى ابطاله ويحتمل ليظهره على اهل الدين كله بالقهر والغلبة والاذلال فقد كان حتى خضعوا لله كلهم وذلوا حق
لم يبق فى جزيرة العرب مشرك ولا كافر الا خضع له وصار اهل الكتاب ذليلين صاغرين فى ايدى المسلمين وان كان المراد
من قوله ليظهره على الدين كله فهو بالحجج والبراهين كلها وان كان اراد به الدين ان يُظهِرَهُ على الاديان كلها فبعد لم يكن ويكون
ان شاء الله هو الظاهر على الاديان كلها يوم القيامة **وقوله** عز وجل على الدين كله ولم يقل على الاديان كلها فالدين يتناول
الاديان كلها كقوله يا ايها الانسان يدخل فيه كل انسان وجايز ان يكون اديانا مختلفة فهو واحد لان الكفر كله ملة واحدة وهو
دين الشيطان فسماه بذلك **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان اما الاحبار والرهبان فقد ذكرنا
وقوله عز وجل لياكلون اموال الناس بالباطل لانهم كانوا ياكلون اموالهم بما يحرفون كتاب الله ويبدلونه كقوله يحرفون
الكلم عن مواضعه وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الاية فهم لما حرفوا
ذلك ويتلوه يسلم لهم تلك الاموال فذلك اكل بباطل لانهم خافوا ذهاب تلك المنافع والاموال اذا اسلموا فيجوز
ان يكون انما سماهم اربابا فى الاية الاولى لما انهم جعلوا اموالهم اموالا لانفسهم وانفسهم عبيدا لهم فهم كالارباب لهم
وقوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله يحتمل ان يكون هذا صلة ما قال لياكلون
اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله اى اخذوا اموالهم لصد الناس عن سبيل الله وكنزوها ولم ينفقوها فى سبيل الله
انما انفقوها لصد الناس عن سبيله ومن الناس من حمل الاية فى منع الزكوة روى فى الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ان كل مال ادى الزكوة عنه فهو ليس بكنز وان كانت تحت سبع ارضين وكل مال لم يؤده
الزكوة فهو كنز وان كان على وجه الارض ومن اصحابنا من استدل بلزوم ضم الفضة والذهب بعضه الى بعض فى الزكوة بهذه
الاية لانه ذكر كنز الذهب والفضة جميعا والحق الوعيد بترك الانفاق من الفضة بقوله ولا ينفقونها فى سبيل الله فلولا
ان الضم واجب ويكون المودى عن احدهما مودى عن الاخر والا لم يكن لذلك معنى ثم فى متعارف الناس انهم يودون
من الفضة عن الذهب لان الذهب اعز عندهم والفضة دونه ثم ان كانت الاية فى الكفرة فهو فى القبول كقوله فان تابوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم وكقوله الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون وذلك على القبول
لا فى الاداء نفسه **وقوله** عز وجل يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الاية جعل الله تعذيب
الكفرة فى الاخرة بالاسباب التى منعتهم عن طاعة الله ودعتهم الى مخالفة امره ويجمع بينهما فى النار كقوله ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقوله احشروا
الذين ظلموا وازواجهم ونحو ذلك فعلى ذلك ما كنزوا ويحمى عليها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم يعذبهم بها
لما منعتهم تلك الاموال عن طاعته ودعتهم الى صد الناس عن سبيل الله يجعل عذابهم فى الاخرة بها ويحتمل قوله جباههم
كناية عن التقديم الى الاخرة اى لم يقدموها ولم ينفقوها فى سبيل الله **وقوله** وجنوبهم لما اخذوها مما يحل ومما لا يحل من كل جهة
وقوله وظهورهم لما انفقوها فى الصد عن سبيل الله ويحتمل ذكر هذا احاطة العذاب بهم من كل الجهات كقوله لهم من جهنم
مهاد ومن فوقهم غواش وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اى يحيط العذاب بهم فعلى ذلك هذا والله اعلم
وكقوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة اى يحيط بهم حتى لا يقدروا على دفعه عن وجوههم **وقوله** يوم يحمى
عليها فى نار جهنم الاية وروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى
حقها الا جعلت له يوم القيامة صفايح ثم احمى عليها فى نار جهنم يكوى بها جنبه وجبهته وظهره فى يوم كان مقداره
خمسين الف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وما من صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى
حقها الا اتى بها يوم القيامة تطاه باظلافها وتنطحه بقرونها ثم ذكر فيه ما ذكر فى الاول قالوا يا رسول الله فصاحب الخيل
قال هى لثلاث لرجل اجر ولرجل ستر ولرجل وزر فاما من ربطها عدة فى سبيل الله فانه لو انه طول لها فى مرج خصب

او فى روضة كتب الله له عدد ما اكلت حسنات وعدد ارواثها حسنات ولو انقطع طولها ذلك فاستنت شرفا او شرفين
كتب الله له عدد اثارها حسنات ولو مرت بنهر جاج لا يريد السقى به فشربت كتب الله له عدد ما شربت حسنات ومن ارتبطها
فخرا وعزا على المسلمين كان له وزرا الى يوم القيامة ومن ارتبطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله فى رقابها وظهورها كانت له
سترا من النار يوم القيامة فان ثبت هذا الخبر عن رسول الله ففيه دلالة وجوب الزكوة فى الخيل وهو حجة لابى حنيفة
لانه قال ثم لم ينس حق الله فى رقابها والحق الذى فى رقابها هو الزكوة والذى فى ظهورها هو الجهاد عليها والله اعلم **وقوله**
عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا فى كتاب الله من الناس من يقول ان الشهور كانت التبست عليهم
واختلطت لكثرة ما كانوا يؤخرونها ويقدمونها حتى لم يكونوا يعرفون الشهور بعينها كل شهر على حدة فخطب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمكة بالموسم فقال الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها
اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان ثم قال لهم اى بلد هو
واى شهر هو واى يوم هو قالوا بلد حرام وشهر حرام ويوم حرام وقال الا هل بلغت قالوا بلى فقال اللهم اشهد وفى بعض
الاخبار زيادة فقال وان النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا الاية وقالوا وذلك انهم كانوا يجعلون صفر عاما
حراما وعاما حلالا ويجعلون المحرم عاما حراما وعاما حلالا فكان النسئ من الشيطان وصف رسول الله فى هذه الاحاديث
الاشهر الحرم وبينها فدل ذلك على ان النسئ كان يحرم القتال فيها على ما كان اهل الجاهلية يحرمونه وزاد ذلك
بيانا بعيب اصحاب النسئ اذ كانوا يستحلون القتال فى المحرم ويؤخرونه الى صفر فيحرمون صفر مكان المحرم فعاب الله
عليهم تحليل ما حرم من الشهر وجعله زيادة فى الكفر وقال يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله اى عدة
الاشهر الاربعة التى حرمها الله وقال فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم ومنهم من قال ان الله جعل عدة الشهور
اثنى عشر شهرا بالاهلة على ما عرفته العرب لما وفقوا على معرفة ذلك ولم يوفق غيرهم وانما يعدون السنة بالايام
والعرب تعرفها بالاهلة على ما خلقها خلقها الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم
قال بعضهم فى الاشهر كلها لما جعل هذه الاشهر شهودا عليهم يشهدون بما يعملون فيها من المعاصى والخيرات
وبها تنقضى اجالهم يخبر ان لا تظلمون فى هذه الاشهر التى تاتى بكم بكل خير وبكل نعمة فانها تعرف بما تعملون فيها
من الخير والشر وقال بعضهم قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم اى فى الاربعة الحرم خص الاربعة وان كان الظلم فى الاشهر
كلها لا يحل على ما خص مكة بترك الظلم وان كان الظلم حراما فى الاماكن كلها كقوله سواء العاكف والباد ومن يرد
فيه بالحاد بظلم الاية اى لا تقاتلوا فيها اذ كل ظلم **وقوله** عز وجل ذلك الدين القيم قيل ذلك الحساب حساب
الاشهر قيم اى صحيح مستقيم على ما خلقه الله وقيل ذلك الحساب هو القضاء العدل **وقوله** عز وجل فى كتاب الله يحتمل
كتاب الله اللوح المحفوظ على ما قيل يحتمل فى كتاب الله اى فى حكم الله ذلك وقوله عند الله يحتمل ما ذكرنا من اللوح
المحفوظ ان ذلك عند الله لم يطلع عليه غيره ويحتمل عند الله اى فى علمه على ما عرفته العرب والله اعلم **وقوله** عز وجل
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يحتمل قوله كافة اى مجتمعون اى قاتلوهم مجتمعين على ما يقاتلونكم مجتمعين
ويحتمل كافة الى الابد الى يوم القيامة اى قاتلوهم الى الوقت الذى يقاتلونكم كما يقاتلونكم واعلموا ان الله مع
المتقين فى النصر والمعونة **وقوله** عز وجل انما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا الاية كان هذه
الاية والاية التى قبلها قوله ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا فى مشركى العرب وساير الايات التى قبلها
وهو قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال
الناس بالباطل فى اهل الكتاب يخبر ان ملوك العرب اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا من دون الله حتى يتبعوهم
فى جميع ما يحلونه ويحرمونه كما ان اليهود والنصارى اتخذوا انفسهم اولئك عبيدا فكانه قال للمومنين ان ملوك العرب
واحبار اليهود ورهبان النصارى اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا فانتم يا معشر المؤمنين لا تتخذوا
انفسكم اربابا والاتباع عبيدا الا ترى انه قال فى الاية التى تتلو هذه يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا

فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض قال بعضهم الاية فى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله فى غزوة تبوك كقوله
وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة الاية فيهم ذكر ذلك الوعيد وقال بعضهم الاية فى المؤمنين امروا ان ينفروا
فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض قيل استثقلتم النفر فى سبيل الله واقمتم ويحتمل التثاقل هو ان يروا من انفسهم الثقل
من غير ان اقاموا كما يقال يتعامى ويتصامم من غير ان كان به الصمم او العمى ولكن لما يرى من نفسه ذلك وقال بعض
اهل الادب قوله اثاقلتم اى تثاقلتم وركنتم الى المقام وذلك فى القرآن كثير حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا
وقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الدنيا فى الاخرة الا قليل اى ما متعكم فى الدنيا قليل بما وعد
ان يمتعكم فى الاخرة او ان يقال متاع الحيوة الدنيا من اولها الى اخر ما ينتهى قليل من متاع الاخرة وكراماتها لان كراماتها
الدنيا على شرف الزوال وكرامات الاخرة على الدوام ابدا او ان يقول متاع الحيوة الدنيا قليل من متاع الاخرة لان متاع الدنيا
ومنافعها يشوبها الافات والمضرات ومتاع الاخرة لا يشوبه الافات والمضرات وقوله يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا فى سبيل الله الاية عاتب المؤمنين بالتثاقل بالخروج الى الارض ونهاهم عن الركون الى الدنيا وقوله انما النسئ
زيادة فى الكفر اى لما احدث اولئك الملوك من تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله زيادة فى كفر اولئك احدثوا من وقت
احداثهم وقوله عز وجل يضل به الذين كفروا يحتمل وجهين يحتمل يضل به الذين كفروا ان يهلك به الذين كفروا
اى الذين احدثوا ويحتمل يضل به الذين كفروا اى بما احدثوا اولئك الملوك انما احدثوا ليضل به الاتباع يحلونه
فاما على ما ذكر فى القصة انهم كانوا يستحلون المحرم عاما فيصيبون مما فيه الدماء والاموال ويحرمونه عاما فلا يستحلون
فيه الدماء والاموال وقوله عز وجل ليواطؤا عدة ما حرم الله قيل ليوافقوا عدد ما حرم الله كان عندهم ان التحريم
انما كان بعدد الاشهر لا الاشهر لما فى الاشهر فحفظوا عدد الاشهر ولم يحفظوا الوقت وذلك تأويل قوله ليواطؤا
عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم اى زين تاخير المحلل وتقديم المحرم والله لا يهدى
القوم الكافرين قيل لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر او لا يهديهم فى الاخرة طريق الجنة لكفرهم فى الدنيا وقد ذكرنا
تأويله فى غير موضع قال ابو عوسجة النسئ التاخير يقال نسأت الشهر اى اخرته ويقال انسأ الله فى اجلك اى اخر الله
وقوله ليواطؤا والمواطاة ان يدخلوا شهرا مكان شهر وهو التتابع يقال تواطأ القوم على حديث كذا وكذا اى تتابعوا
وواطات فلانا اى تابعته وقال القتبى النسئ التاخير وكانوا يؤخرون تحريم المحرم منها سنة ويحرمون غيره مكانه
لحاجتهم الى القتال فيه ثم يردونه الى التحريم فى سنة اخرى كانهم يستنسئون ذلك ليواطؤا اى ليوافقوا عدة ما حرم الله
فيحلوا ما حرم الله يقول اذا حرموا من الشهور عدد الشهور المحرمة لم يبالوا ان يحلوا الحرام ويحرموا الحلال وقوله عز وجل
الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما اى ان لم تنفروا يعذبكم عذابا فان كانت الاية فى المنافقين فهو ظاهر وان كانت
فى المؤمنين فيحتمل قوله يعذبكم عذابا اليما يحل بهم ولم يبين ما ذلك العذاب وقال بعضهم شدد الله الوعيد
فى تركهم النفر والخروج فى سبيل الله على ما شدد ببدر فى التولية الدبر بقوله ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة الاية غير انه شدد يوم بدر لما لم يكن ملجأ وكان نفارهم نفار نفاق وههنا شدد لغير ذلك
الوجوه احدها لما فى تخلف المؤمنين عنه موضع العذر للمنافقين بالتخلف عنه انهم ان تخلفوا لعذر فنحن نتخلف
ايضا للعذر ولنا فى ذلك عذر والثانى يكون للكفار موضع الاحتجاج عليهم يقولون انهم يرغبوننا فى الاخرة ويحثوننا
فى ذلك ثم انهم ينفرون عن ذلك ويرغبون عنه والثالث يكون فى تخلفهم الشوكة على المؤمنين اذ يقلون اذا تخلفوا
وقوله عز وجل ويستبدل قوما غيركم على ما استبدل لكم باهل مكة فينصرونه وقال بعض اهل التأويل يستبدل
قوما غيركم اى بشئ قوما غيركم لكن تأويل الاول اشبه الا ترى انه قال فى اخره الا تنصروه فقد نصره الله وقوله ولا تضروه
شيئا وقوله هو ما ذكرنا اى لا تضروا رسول الله بالتخلف عنه وقال بعضهم لا تضروا الله شيئا والاول اشبه لما ذكرنا
وقوله عز وجل الا تنصروه فقد نصره الله يقول ان لم تنصروا رسول الله فالله ينصره على ما نصره فى الوقت الذى
كان فى الغار لم يكن معه احد من البشر الا واحد فان لم تنصروه فالله كافيه فى نصره على ما كفاه ونصره فى الحال التى

لم يكن معه احد من البشر الا واحد كما يوم وينصره ومعه من الانصار والاعوان ما لا يحصى وكان ما استنفرهم رسول الله
وامرهم بالخروج الى العدو ولم يكن يستنفرهم لمكان نفسه اذ يعلم ان الله كافيه فى نصره وانما كان يستنفرهم ويامرهم
بالخروج لمكان انفسهم ليكتسبوا قربا وثوابا عند الله ودليل الا ترى انه قال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما وقال ولا تضروه شيئا
اى ان لم تنفروا ولم تنصروا رسول الله فلا تضروه شيئا اذ الله كافيه فى نصره وانما عاتبهم بترك النفر والخروج لئلا يركنوا
الى الدنيا ولا يرضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة على ما ذكر اولئك الكفرة لان ركونهم الى الدنيا وحبهم اياها هو الذى منعهم عن اتباع
محمد وهو الذى حملهم على الكفر بالله والتكذيب لرسوله وترك الاجابة له فيما يدعوهم اليه فيقول والله اعلم للمؤمنين
لا تركنوا الى الدنيا ولا ترضوا بها من الاخرة ليمنعكم ذلك عن النفر والخروج الى ما يامركم رسول الله على ما منع اولئك الكفرة على
على ما ذكرنا واصله انه انما استنصرهم لا لحاجة له الى نصرهم اذ هو قادر ان ينصر رسوله بما شاء لكن طلب منهم النصر له ليكسبوا
بذلك ثوابا لانفسهم وذكرا فى الاجل وكذلك ما طلب منهم الشكر له على نعمه لا لحاجة فى ذلك ولكن ليستديموا النعم ويصلوا
الى الباقية الدائمة وقوله عز وجل اذ اخرجه الذين كفروا اى اضطروه الى الخروج حين هموا بقتله حتى خرج من بين اظهرهم
وقوله عز وجل ثانى اثنين اذ هما فى الغار ثانى اثنين اى لم يكن معه من البشر الا واحد ليعلموا ان نصره لم يكن باحد من البشر
انما كان بالله تعالى اذ بالواحد لا تكون النصرة والحفظ من الوفاء ويذكر فضل ابى بكر وكان هو ثانيه فى كل امر وقوله
عز وجل اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا لم يكن حزن ابى بكر خوفا على نفسه ولكن اشفاقا على رسول الله ان يصاب
وكذلك روى فى الخبر انه قال لرسول الله يا رسول الله انك ان تصاب يذهب دين الله ولن يعبد الله على وجه الارض
وفى بعض الاخبار ان ابا بكر كان يبكى اشفاقا على رسول الله فقال له رسول الله ما يبكيك فقال ما ذكرنا فقال له يا ابا بكر
ما ظنك باثنين ثالثهما الله وقيل انهما لما اتيا باب الغار سبق ابو بكر فدخل الغار وكان الغار معروفا بالهوام
فالقمها ابو بكر قدميه فاطال ذلك فقال ان كان فيه شئ بدا لى وكلام نحو هذا والله اعلم وقوله ان الله معنا ليس
ينهى عن الحزن ولكن على تخفيف الامر عليه وتيسير الحال التى هو عليها وقوله عز وجل فانزل الله سكينته عليه
قيل انزل سكينته على ابى بكر حين قال له رسول الله ما ظنك باثنين ثالثهما الله حتى سكن قلب ابى بكر من الحزن والخوف
على رسول الله وقال بعضهم انزل السكينة على رسول الله فهو يخرج على وجهين احدهما انه انزل السكينة عليه حتى
راى هو جنودا لم يروها حيث قال وايده بجنود لم تروها والثانى انزل سكينته بالحجج والبراهين لكنه ان كان
ما ذكر فهو قد انزل السكينة عليه فى البدء ولانه كان رسول الله لا يخاف سوى الله ويعلم انه ينصره وكذلك روى
عن ابن عباس قال فانزل سكينته على ابى بكر لان النبى لم تزل السكينة معه وهو اشبه وقوله وايده بجنود لم تروها
يحتمل فى ذلك الوقت ويحتمل فى الغزوات التى نصره بالملائكة يوم بدر وغيره يخبر انه قادر ان ينصره لا بالبشر
ليعلموا انه انما يامرهم بالنفر لا لنصر رسول الله ولكن ليكتسبوا بذلك ما ذكرنا من الثواب وقوله عز وجل وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا اى مكر الله بهم ونصرة رسوله هى العليا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا
الاية ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا دينهم الذى يدينون به ومذهبهم الذى ينتحلونه السفلى اى جعل ذلك
السفلى بالحجج وجعل دين محمد هو العليا بالحجج والبراهين على ما كان ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا السفلى اى جعل
اهل الكلمة الذين كفروا هم السفلى واهل دين الله هم الاعلون كقوله وانتم الاعلون وقوله عز وجل والله عزيز
لا يعجزه شئ حكيم فى امره وقوله عز وجل انفروا خفافا وثقالا اختلف قيل شبابا وشيوخا وقيل مرضى واصحاء
وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل فقراء واغنياء وقيل نشاطا وغير نشاط واصله انفروا مستخفين ومستثقلين
اى انفروا خف عليكم الخروج او ثقل وما ذكر اهل التأويل من الشيخوخة والتشغل والفقر والمرض لان ذلك
بالذى يثقل الخروج والنفر واصله ما ذكرنا ان انفروا خف عليكم ذلك او ثقل وقوله انفروا خفافا وثقالا
انفروا خف على النفس او ثقل او خف على الطبع او ثقل او خف على العقل او ثقل وقوله عز وجل ذلكم خير لكم فى الدنيا
والاخرة اى اعلموا ان ذلك خير لكم من المقام وترك النفر ان كنتم تعلمون وقوله عز وجل لو كان عرضا قريبا وسفرا

قاصدا لاتبعوك قال بعض اهل التأويل لو كان عرضا قريبا اى غنيمة قريبة وسفرا قاصدا اى هينا لاتبعوك فى غزاتك
ولكن بعدت عليهم الشقة يعنى المسير وقيل العرض الدنيا وسفرا قاصدا ليس فيه مشقة واصل قوله لو كان عرضا
قريبا اى منافع حاضرة وسفرا قاصدا اى منافع غايبة والعرض هو المنافع يقول لو كانت لهم منافع حاضرة او منافع
غير حاضرة لاتبعوك فيما استتبعتهم لان عادتهم اتباع المنافع يعنى المنافقين كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف
فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه اخبر انهم يعبدون الله على حرف وهو ما ذكر ان اصابه خير اطمان به
فمن عادتهم انهم انما يتبعون المنافع واليها يميلون واما المؤمنون فانهم يعبدون الله فى كل حال فى حال السعة
وفى حال الضيق ويتبعون رسول الله ولا يفارقونه كانت لهم منافع او لم تكن اصابتهم مشقة او لا هم لا يفارقون
رسول الله على كل حال وقوله عز وجل سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم اى لو كان لنا ظهر وسلاح لخرجنا
معكم ولو كان زاد وما نشترى ما نغازى به لخرجنا معكم ثم كذبهم ان لهم استطاعة على ذلك وانهم كاذبون انه لا استطاعة
لهم حيث قال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة وقالت المعتزلة دل قوله لو استطعنا لخرجنا معكم ان الاستطاعة
يتقدم الفعل لانه اخبر انهم كاذبون فيما يقولون انه ليس معنا ما ننفق وما نشترى به السلاح لكنا نقول ان الاستطاعة
على وجهين استطاعة الاسباب والاحوال واستطاعة الافعال واستطاعة الاسباب والاحوال يجوز ان يتقدم
وهذه الاستطاعة هى استطاعة الاسباب والاحوال الا ترى انه قال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ومن قولهم
ايضا ان استطاعة الافعال لا تبقى اوقاتا ثم ان هذه اخبر انها كانت باقية اوقاتا دل انها هى استطاعة الاسباب والاحوال
وقوله عز وجل يهلكون انفسهم قيل يهلكون انفسهم بايمانهم الكاذبة انهم لا يستطيعون وقيل يهلكون انفسهم بتركهم
الخروج لانهم يقتلون اذا تركوا الخروج كقوله ملعونين الاية ويحتمل يهلكون انفسهم فى الاخرة بنفاقهم فى الدنيا
وقوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يحتمل قوله
حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اى يطلعك الله على نفاقهم فيكون ذلك اية من ايات النبوة اى لم تاذن
لهم بالتخلف وان لم تاذن لهم يتبين لك نفاقهم لانهم يتخلفون ويفارقونك وان لم تاذن لهم والذين صدقوا
لا يفارقونك فيتبين هؤلاء من هؤلاء ويظهر كذب هؤلاء ومن صدق هؤلاء المؤمنين وقوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم دلالة ان النبى انما اذن لهم بالتخلف بلا امر وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لانه لو كان اذن لهم
بالتخلف بالامر لم يكن ليعاتبه على الاذن دل انه انما اذن لهم بالتخلف بالاجتهاد لما ظن انهم انما يستاذنونه
بالقعود للعذر فان قيل كيف عاتب رسوله بما اذن لهم بالقعود وقد اخبر انه انما كان يحكم بما اراه الله
بقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله قيل يحتمل انه انما عاتبه على ترك الافضل لان ترك الاذن لهم
بالقعود افضل من الاذن اذ به يتبين له الصادق من الكاذب ويكون فيه اية من ايات الرسالة ويجوز ان يعاتب
على ترك الافضل ويحتمل ان يكون قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم تعليم من الله انه كيف يعامل الناس بعضهم
بعضا ليس على العتاب ومن الناس من استدل على تفضيل رسول الله على غيره من الانبياء صلوات الله عليهم بهذه
الاية لانه بدا بذكر العفو وكذلك فى جميع ما ذكر من العتاب لم يذكر زلته وذكر فى ساير الانبياء الزلات وقوله عز وجل
لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية اى لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله بالتخلف لغير عذر
انما يستاذنك لعذر انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر بالقعود لغير عذر وارتابت قلوبهم
فهم فى ريبهم يترددون اى عن شكهم يترددون وعن الحسن قال لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله يترددون
نسختها الاية التى فى سورة النور انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى
حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله لكن هذا لا يحتمل لانه ذكر ان سورة التوبة
من اخر ما نزلت وانهم اذا كانوا فى امر جامع لم يذهبوا الا بعد الاستيذان لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين
فى الامور الجامعة واما فى الخلوات فلا وقوله عز وجل ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة يحتمل ان يكون هذه

فى غزوة

فى غزوة تبوك على ما قاله اهل التاويل امروا بالخروج والتاهب للغزو فعزموا ان لا يخرجوا فعوتبوا على ذلك ويحتمل
ان يكون فى جميع الغزاة عزموا واعتقدوا ان لا يخرجوا ولا يتاهبوا له فقط فقالوا لو استطعنا لخرجنا معكم فاكذبهم الله تعالى
انهم كذبة وانهم اغنياء لكنهم عزموا ان لا يخرجوا ولا يعدوا له عدة والله اعلم وقوله عز وجل ولكن كره الله انبعاثهم يحتمل قوله
كره الله انبعاثهم اى لم يرض الله بخروجهم وانبعاثهم ثم بين الوجه الذى لم يرض ما ذكر فى قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا اى فسادا لم يرد الله خروجهم لما علم منهم انه لا يريد خروجهم فى الجهاد الا ما ذكر من الخبال والفساد وقوله عز وجل
فثبطهم قيل حبسهم اى اذ علم منهم ان خروجهم وانبعاثهم لم يزدهم الا فسادا حبسهم ويحتمل ان خلق منهم الفعل الذى كان
منهم من الكسل والتثاقل وفيه دلالة خلق الله فعل الشر ويكون فى ذلك خيرا لغيره وان كان شرا لهم فعلى ذلك خلق
فعل المعصية من العاصى وهو شر له ويكون ذلك خيرا لغيره وقوله عز وجل وقيل اقعدوا مع القاعدين يحتمل قوله
قيل اقعدوا لما استاذنوا رسول الله بالقعود اذن لهم فى ذلك على ما وقع عنده ان لهم عذرا فى ذلك وان كان من الله عز وجل
فهو على التهدد والتوعد ويحتمل ان يكون من الشيطان وسوس اليهم ان اقعدوا ترغيبا منه اياهم بالقعود والتخلف
والله اعلم وقوله عز وجل لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قوله لو خرجوا فيكم اى لو كانوا خرجوا فيكم الا ترى انه قال
ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم دل هذا انهم لم يكونوا خرجوا ولو كانوا خرجوا لم يكن يثبطهم دل انه ما ذكرنا والانبعاث هو الخروج
وكذلك فى حرف ابن مسعود ولكن كره الله خروجهم والتثبيط الحبس واصل التثبيط التثقيل وقال ابو عوسجة الانبعاث
هو القيام والخبال قيل الفساد والشر وقيل الغى وهو واحد وقوله ما زادوكم الا خبالا يحتمل زيادة الخبال وجوها
يحتمل ان يكونوا عيونا للعدو ويخبرونهم عن عورات المسلمين وكانوا يجبنون اهل الاسلام كقولهم ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم ونحوه وقوله عز وجل ولا وضعوا خلالكم قيل هو من ايضاع الابل خلالكم يتخلل فيما بينكم وقيل ولا وضعوا
خلالكم اى رواحلهم حتى يدخلوا بينكم حتى لا يصيبهم الاذى كانوا يستترون بالمسلمين لئلا يصيبهم شىء من البلاد
والشدة وقال القتبى ولا وضعوا خلالكم من الوضع وهو سرعة السير وقال ابو عوسجة هو من الايضاع يكون على الابل
وهو عندى من عدو لا بل يقال وضعت البعير وركضت الفرس واجريت الحمار خلالكم بينكم وقيل الخلال القتال
وهو ما ذكرنا انهم يدخلون فيهم النقصان والقتال والفشل وقوله عز وجل يبغونكم الفتنة قيل يبغون منكم الفتنة
وهو الشرك الذى كانوا هم عليه ويحتمل ما ذكرنا من القتل وادخال الفشل والجبن فيهم والله اعلم وقوله
عز وجل وفيكم سماعون لهم هذا يحتمل وجهين ايضا يحتمل ان هؤلاء المنافقين يكونون سماعا لهم وخبرا وعيونا
يخبرونهم عن عورات المسلمين وضعفهم ويحتمل قوله وفيكم من المؤمنين سماعون لهم لانه قيل انه كان فى اصحاب
النبى اهل محبة لهم وطاعة لشرفهم فيهم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم كان الرجل
يرى الجماعة من المسلمين فيضرب دابته حتى يدخل بينهم ثم يقول ابلغكم ما بلغنى ان العدو امامكم قد عوروا المياه وفعلوا
كذا وهيؤا ويحتمل قوله وفيكم سماعون لهم اى فيكم من المنافقين الذين قعدوا ولم يخرجوا يسمعون للمؤمنين الذين
لم يخرجوا ايضا ما يكرهون يقولون الدبرة على المؤمنين ونحو ذلك من الهزيمة وقوله عز وجل والله عليم بالظالمين
اى لا عن جهل مهلهم على ما هم عليه ولكن اخرهم ليوم كقوله ولا تحسبن الله غافلا الاية وقوله عز وجل لقد ابتغوا الفتنة
من قبل يحتمل الفتنة الوجهين اللذين ذكرتهما وقوله عز وجل وقلبوا لك الامور اى تكلفوا واجتهدوا ليطفئوا هذا
النور وظهر امر الله قيل دين الله الاسلام ويحتمل حجج الله وادلته وهو ما ذكر يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره ويحتمل قوله وقلبوا لك الامور ظهرا لبطن ليمكروا برسول الله ويقتلوه واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك الاية وظهر امر الله ما ذكرنا من دين الله وحججه وهم كارهون لذلك كقوله ليظهره على الدين كله فظهر
دين الاسلام وهم كارهون له وقوله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لى فيه دلالة انه لا كل المنافقين قالوا انما قال ذلك
بعضهم وبعضهم قالوا غير هذا وقوله عز وجل ولا تفتنى قيل لا تؤثمنى وقيل لا تحرجنى وقيل ولا تكفرنى وهو واحد
يقول من قال ولا تفتنى اى لا تكن سبب فتنتى ومعصيتى اى لا تامرنى بالخروج ولكن ائذن لى بالقعود لانك ان امرتنى

بالخروج ولم تاذن لي بالقعود والتخلف فقعدت وتخلفت كنت عاصياً تاركاً لامرك فكنت انت سبب عصياني
وفتنتي والثاني قوله ولا تفتني اي لا تامرني المشقة والشدة ولكن الدعة والسعة لانهم كانوا عباد السعة والرخاء كما قال
مالوا اليهم كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية يقول لا تكن سبب اثمي وانقلابي ومنهم من قال ان رجلا منهم قال
يقال له الجد بن قيس اني اذا رايت النساء لم اصبر حتى افتتن ولكن اعينك بمال ففيه ترك قوله قل انفقوا طوعاً او كرها
لن يتقبل منكم وهو قول ابن عباس يقول ولا تاثمني بالخروج فاني مولع بالنساء لا اصبر اذا رايتهن ولا ندري كيف القصة
لكن الوجه فيه ما ذكرنا انفاً وقوله ولا تفتني ولا تمتحني بالمحنة التي فيها الهلاك والمشقة فقال الا في الفتنة سقطوا
اي الا في المشقة والبلاء والهلاك سقطوا الآية هذا يدل ان اهل النفاق هم كفرة **وقوله** عز وجل الا في الفتنة
سقطوا اي في الشر والاثم سقطوا على تاويل من تاول قوله ولا تفتني لا تؤثمني ولا تحرجني وعلى تاويل من قال لا تفتني
لا تشق علي ولا تامرني بالمشقة والشدة والضيق يقول الا في الشدة والضيق يسقطون **وقوله** عز وجل وان جهنم لمحيطة
بالكافرين اي تحيط بهم حتى لا يجدون منفذاً ولا مخلصاً او تحيط بهم من تحت ومن فوق وامام وخلف ويمين وشمال
تحيط بهم حتى تصيب كل جارحة منهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار الآية اخبر انها تحيط بهم وفيه دلالة ان المنافقين
هم كفار لانه ذكر في اول الآية صفة المنافقين ثم اخبر ان جهنم تحيط بالكافرين **وقوله** عز وجل ان تصبك حسنة تسؤهم
وان تصبك سيئة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل قيل ان تصبك حسنة اي الغنيمة والنصر والظفر على الاعداء تسؤهم
ذلك وان تصبك مصيبة النكبة والهزيمة فرحوا بها يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي اخذنا امرنا بالوثيقة والاحتياط
حيث لم نخرج معهم حتى لم يصبنا ما اصابهم ويحتمل ان يكون قوله قد اخذنا امرنا من قبل اي قد اظهرنا الموافقة للمؤمنين
في الظاهر وكنا مع الكافرين في السر والباطن في الحقيقة وهو ما ذكر من انتظارهم احدى الحسنيين في قوله الذين يتربصون بكم
فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم الآية ويتولوا وهم فرحون يحتمل يتولوا اولئك الكفرة وهم فرحون وفي الآية دلالة
اثبات رسالة محمد ونبوته لانه معلوم ان ما يسوءهم كانوا يضمرون ويسرون عنهم ثم اخبر ما اسروا واضمروا دل انه
انما علم ذلك بالله **وقوله** عز وجل قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قال بعضهم الا ما كتب الله لنا اي قضى الله لنا
اي لن يصيبنا الا ما قضى الله لنا وقال بعضهم الا ما كتب الله لنا اي ما جاء به القرآن وهو قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا ويحتمل قوله لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا من الكرامة والمنزلة والنعيم الدائمة في الآخرة اي لن يصيبنا الا ذلك وان كنتم انتم تفرحون بذلك
فذلك الذي كتب الله لنا هو مولانا اي هو ربنا ونحن عبيده يكتب لنا ما يشاء من الخير والشر اي ما اكرمنا الله لنا
اي ما احل لنا واباح واما القضاء فانه قل ما يقال فيما يكون لهم وانما يقال فيما قضى عليهم واما الكتاب فهو
فيما يحل لهم ويبيح **وقوله** عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون يحتمل وجهين
يحتمل على الاخبار اي على الله يتوكل المؤمنون لا يتوكلون على غيره ويحتمل ان يكون على الامر اي على الله توكلوا ايها المؤمنون
وقوله عز وجل قل تربصون بنا الا احدى الحسنيين عن ابن عباس رضي الله عنه قل هل تربصون بنا
الا احدى الحسنيين يعني الشهادة والحيوة والرزق الدايم والكرامة كقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا الآية ويحتمل الا احدى الحسنيين في الدنيا الغنيمة والظفر يقول هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
اما الحيوة الدايمة في الآخرة والرزق الحسن والكرامة واما الغنيمة والنصر في الدنيا هذا تربصون بنا ونحن نتربص بكم ان يصيبكم
بعذاب من عنده العذاب في الآخرة ان قتلتم او بايدينا اي القتل بايدينا فتربصوا بنا الشر انا معكم متربصون
العذاب بكم هم كانوا لا يتربصون بنا الا الدواير والهلاك وهو ما ذكر في آية اخرى حيث قال ويتربص بكم الدواير هم كانوا
لا يتربصون بنا الحسنى ولكن ما ذكرنا من الدواير لكن ذلك وان كان عند اولئك المنافقين هلاك ودايرة فهو للمؤمنين
الحسنى في الآخرة **وقوله** عز وجل قل انفقوا طوعاً او كرهاً لن يتقبل منكم قال بعضهم الآية في الجهاد ان المنافقين
كانوا يامرون بالجهاد والقتال مع الكفرة على ما امر اهل الايمان بذلك ثم منهم من كان يخرج للجهاد ومنهم من كان

يجهز غنيين ويقعد ومنهم من كان يخرج كارها ونحوه فنزل قوله قل انفقوا طوعا او كرها اي خوفا لن يتقبل منكم
ومنهم من قال الآية في الزكوة ان الله عز وجل فرض الزكوة في اموال المؤمنين والمنافقون قد اظهروا الايمان وكانوا
وكانوا ينفقون ويؤدون الزكوة لكن منهم من كان يؤدي طوعاً ومنهم من يؤدي كرهاً فقال قل انفقوا طوعاً او كرهاً
لن يتقبل منكم لانهم كانوا لا يرون قربة وكانوا ينفقون وهم كارهون في الباطن الا ترى انه قال ولا ينفقون الا وهم
كارهون دل انهم كانوا ينفقون جميعاً وهم كارهون لذلك في الباطن ثم بين ما به لم يتقبل نفقاتهم وهو ما ذكر انكم
كنتم قوماً فاسقين وقال وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الآية في الآية وجهان احدهما دلالة اثبات رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انهم لا ياتون الصلوة الا وهم كسالى وهم في الظاهر كانوا ياتون الصلوة على ما كان
ياتي المؤمنين ثم اخبر انهم ياتونها كسالى دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى وكذلك اخبر انهم ينفقون وهم كارهون
لذلك وكانوا ينفقون في الظاهر مراآة لموافقتهم ثم اخبر انهم كانوا كارهين لذلك في السر دل انه انما عرف ذلك
بالله تعالى والثاني ان لا تقوم قربة ولا تقبل الا على حقيقة الايمان الايمان هو شرط قيام هذه العبادات وقبول القرب
لا ان انفسها ايمان لانهم كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر دل انه ما ذكرنا وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل انكم كنتم
قوماً فاسقين اي انكم كنتم فاسقين ويحتمل قوله كنتم اي صرتم فاسقين بما انفقتم وانتم كارهون اذ هم قد اظهروا
الايمان ثم تركوه كقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا اخبر انهم آمنوا ثم كفروا فعلى ذلك الاول **وقوله** عز وجل ولا ياتون الصلوة
الا وهم كسالى وكسلى وكسالى فيه لغات ثلاث والمعنى واحد وهو انهم لا ياتون الصلوة الا مستثقلين لانهم كانوا لا يرونها
قربة **وقوله** عز وجل فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وقال بعضهم هو
على التقديم والتاخير كانه قال فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقال بعضهم
هو على ما ذكر فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وفي الحيوة الدنيا والتعذيب في الدنيا
هو ما فرض عليهم الجهاد وامروا بالخروج للقتال فكان يشق ذلك عليهم ويشتد فذلك التعذيب لهم وهو ما ذكر في آية
اخرى اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم الآية او التعذيب في الدنيا هو القتل يقتلون ان لم يخرجوا وفي الآية دلالة الرد
على المعتزلة لانهم يقولون لا يعطى احداً شيئاً الا ما هو اصلح له في الدين ثم قال لرسول الله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
ولو كان لا يعطيهم الاموال والاولاد الا للخيرات والصلاح فكانه قال لا يعجبك ما اعطيتهم من الخيرات والصلاح
فذلك بعيد فدل انه قد يعطي خلقه ما ليس باصلح لهم في الدين وكذلك في قوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع في الخيرات الآية دلالة الرد على قولهم لانه قال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
ثم قال بل لا يشعرون انهم يمدهم به لا للخيرات دل انه قد يعطي خلقه ما ليس هو باصلح لهم في الدين وفي قوله انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا دلالة الرد عليهم ايضا لانه اخبر انه يعذبهم في الدنيا والآخرة ولا يعذبهم بما نيا فيما لا فعل لهم
في ذلك دل ان لهم صنع في ذلك وانه انما يعذبهم بفعل اكتسبوه وفي قوله انما يريد الله ليعذبهم بها دلالة ان ليس كل ما يعطيهم
انما يعطيهم ليرحمهم به ولكن يعطيهم لما علم منهم فان كان علم منهم انهم يستعملون ما اعطاهم من الاموال وغيرها فيما فيه
هلاكهم اعطاهم لذلك ومن علم منهم انه يستعمله لما له اعطاه ليرحمهم به فانما اعطى كلا ما علم انهم يكون منهم لانه
لو اعطاهم على غير ما علم منهم انه يكون في عطائه مخطئاً **وقوله** عز وجل وتزهق انفسهم وهم كافرون قيل تخرج انفسهم
وتهلك خوفا قال ابو عوسجة يقال خرج نفسه منه وقيل تذهب انفسهم كقوله زهق الباطل اي ذهب وكذلك
قال ابو عبيدة تزهق اي ذهب وفي الآية دلالة اثبات رسالة رسول الله لانه اخبر ان انفسهم تزهق وهم كافرون
فكان ما ذكر دل انه علم ذلك بالله **وقوله** عز وجل ويحلفون بالله انهم لمنكم في الباطن في الدين لانهم كانوا منهم
في الظاهر وقال وما هم منكم في الباطن في الدين ولكنهم قوم يفرقون اي يخافون القتل فيظهرون الموافقة لهم **وقوله**
عز وجل لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلاً لولوا اليه قيل لو وجدوا حرزاً او مغارات يعني الغيران في الجبال او مدخلا
اي سربا في الارض في الجبال لولوا اليه اي رجعوا اليه وهم يجمحون اي يسعون وعن ابن عباس قال الملجأ الحرز في الجبال

والمغارات الغيران والمدخل السرب قال ابو عبيدة المغارات مثل الملجا وهو شئ يتحصنون فيه ومدخلا هو موضع يدخلونه ايضا وهم يجمحون اى يسرعون يقال جمحت الدابة تجمح جماحا فهو جامح وهو من الاسراع وكذلك قال القتبى وقال ابو معاذ الجموح الراكب راسه وهواه وقال بعضهم قوله او مدخلا لو يجدون ناسا يدخلون بينهم لولوا اليه دونكم واصله انكم انهم لو وجدوا ما منايا منون به لولوا اليه اى لصادوا اليه مسرعين ولا يظهرون لكم الايمان ولكن ليس لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ومنهم يعنى المنافقين من يلمزك فى الصدقات اختلف فيه قال بعضهم يلمزك يزورك لمكان الصدقات طمعا فيها لتعطيهم الصدقات ويلمزك اى يزورك ليسالك من الصدقات اى انما يزورونك لمكان الصدقات لتعطيهم لا يزورونك ولا ياتونك لمكان الرسالة او رغبة فى الدين ولكن لمكان الصدقات فان اعطوا منها رضوا عنك ويعظمونك وان لم تعطهم اذا لم يحظوك لا لان اتيانهم رسول الله وزيارتهم اياه لمكان الصدقة فاذا لم يعطوا منها شيئا سخطوا ومنهم من قال قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات اى يطعن عليك فى الصدقات اى فى قسمة الصدقات روى عن ابى سعيد الخدرى قال بينا رسول الله يقسم قسما له فجاءه رجل يقال له ابن ذى الخويصرة التميمى فقال اعدل يا رسول الله فقال له النبى ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل انا فقال عمر ائذن لى يا رسول الله فاضرب عنقه فقال له النبى دعه فان له اصحابا يحتقر احدكم صلاته الى صلاته وصيامه الى صيامه لحسن صلوته وصيامه فيحتقر صلوته عند صلوتهم اولئك يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ذكر حديثا طويلا وهو كانه كان من الخوارج وهو الذى قتله على بن ابى طالب رضى الله وقوله عز وجل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اتاهم الله من الرزق ورسوله من الصدق وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله وقيل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله من فضله اى من دينه ورسوله وقالوا حسبنا الله كان خيرا لهم مما طمعوا فى هذه الصدقات وطعنوا رسول الله فى ذلك وقال بعضهم رضوا ما اتاهم الله من فضله مما رزق لهم لكان خيرا لهم مما فعلوا وقال بعض اهل التاويل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله من فضله اى من الصدقات التى كان اعطاهم رسول الله منها والى الله رغبوا لكان خيرا لهم مما طمعوا فى تلك الصدقات وطعنوا رسول الله وسخطوا عليه ويقرا يلمزك ويلمزك برفع الميم قال ابو عبيدة اللمز العيب يقال له لماز ولامز وهماز وهامز وقال القتبى يلمزك اى يعيبك ويطعن عليك يقال همزت فلانا ولمزته اذا اغتبته وعبته وكذلك قول الله ويل لكل همزة لمزة وقوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين يشبه ان تكون الاية فى بيان موضع الصدقة على ما تقدم من الذكر بقوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا الاية ما ذكر ان المنافقين كانوا ياتون رسول الله ويسالونه من الصدقات فان اعطاهم رضوا منه وان لم يعطهم طعنوا فيه وعابوا عليه فبين ان الصدقات ليست لهؤلاء ولكن للفقراء من المسلمين والمساكين من المسلمين وكذلك ما ذكر من الاصناف المكاتبين والغارمين انما هؤلاء من المسلمين لا لهم ويدل على ذلك ما جاء من الاخبار روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وضع صدقات باعيانها حملت اليه فى صنف واحد وما روى انه اعطى الاقرع ابن حابس مائة من الابل واعطى فلانا كذا وروى عن الصحابة انهم وضعوا الصدقة فى صنف واحد روى عن حذيفة انه قال هؤلاء اهلها فى صنف وضعتها اجزاك وعن ابن عباس انه قال كذلك وعن عمر انه كان اذا جمع صدقات المواشى والبقر والغنم نظر ما كان منيحة للبن فيعطى لاهل البيت على قدر ما يكفيهم فكان يعطى العشرة شاه للبيت الواحد ثم يقول عطية تكفى خير من عطية لا تكفى او كلام نحو هذا وقد روى عنه انه سئل عن ذلك فقال والله لاردن عليهم الصدقة حتى يروح على احدهم مائة ناقة او مائة بعير وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه اتى بصدقة فبعثها الى اهل بيت واحد هؤلاء نجباء الصحابة استجازوا وضع الصدقة فى صنف واحد ولو كان حق كل صدقة ان تقسم بين هؤلاء الاصناف الذين ذكر بالسوية على ما قال القوم لكان قال الله عز وجل انما الصدقات بين الفقراء وبين من معهم من الاصناف كما يقال الميراث لقرابة فلان اى ليس للاجنبيين فى ذلك حق واذا قيل الميراث بين قرابة فلان كان لكل فى ذلك حقا لان حرف بين يقتضى التسوية بجميعهم وقوله لهم يقتضى انه لا حق فيه لغيرهم الا ترى انه يقال الخلافة لولد العباس يراد انه لا حظ فيها لغيرهم والسقاية لبنى هاشم ونحوه ليس يراد ذلك بينهم بالسوية وانما يراد بذلك

ان لاحق

ان لاحق لغيرهم فيها وبعد فانه لو كان فى الاية انما الصدقات بين الفقراء وبين من ذكر معهم لكان لا يجب قسمة كل صدقة بين هولاء الاصناف المذكورة فى الاية لانه ليس للصدقات انقطاع بل لها مدد اذا دفع صدقة واحدا الى صنف واحد فاذا اتى بصدقة اخرى دفع الى صنف اخر هكذا يعمل فى الاصناف كلها وبعد فانه لم يذكر عن احد من الايمة انه تكلف طلب هولاء الاصناف فقسمها بينهم وكذلك لم يذكر عن احد من ارباب الاموال انهم دفعوا صدقة واحدة بين هؤلاء الذين ذكر فدل انه خرج على ما ذكرنا لانه لو كان على تسوية كل صدقة بينهم لم يجز ان لا يقسموها كذلك ويضيعون حق البعض من هولاء وبعد فانه لو تكلف الامام ان يظفر بهولاء الثمانية ما قدر على ذلك دل انه لم يخرج الخطاب على ما توهم خصومنا ولان الحق لو كان التسوية بينهم فى كل صدقة لكان اذا لم يجد فى بلدة مكاتبين او واحد من هولاء الاصناف يجب ان يسقط مقدار حصة من لم يجد عن اربابها فذلك بعيد فقد جاء فى الخبر انه بعث معاذا الى اليمن فقال له خذ من اغنيائهم ورد فى فقرائهم ويكره اخراج صدقة كل بلد الى غيره من البلدان ثم يحتمل الاية جميع الصدقات التى يتصدق بها على الفقراء والمساكين من الفئ وغيره فبين ان هولاء موضع لذلك كله من نحو قوله واتوا حقه يوم حصاده وقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ويحتمل زكوة الاموال المفروضة والوجه فيه ما ذكرنا فان قيل ان الرجل اذا اوصى فقال ثلث مالى لفلان وفلان وفلان اليس هو مقسوم بينهم بالسوية ما منع ان الاول بمثله قيل لا يشبه الصدقات الوصايا وذلك ان الوصية انما وقعت فى مال معلوم لا يزيد فيه بعد موت الميت شيئا ولا يتوهم لها مدد والصدقات يزيد بعضها بعضا واذا فنى مال جاء مال اخر واذا مضت سنة جاءت سنة اخرى بمال جديد فادفع الامام صدقة بجميع ما عنده الى الفقراء ثم حضره غارمون فحمل اليه صدقة اخرى يجعلها فيهم فيصلح بذلك احوال الجميع لما لا انقطاع للاموال الى يوم القيامة وكيف يقسم الصدقة على ثمانية اسهم ولا خلاف فى ان للعاملين بقدر عمالتهم زاد ذلك على الثمن او نقص منه فاذا زالت القسمة فى احد الاصناف زالت فى الجميع فاعطى كل صنف منهم بقدر حاجته كما اعطى العاملون وكيف يصنع بسهم المؤلفة قلوبهم وقد ارتفع ذلك ونسخ وعلى ذلك جاء عن بعض الصحابة من نحو ابى بكر وعمر انهم لم يعطهم شيئا اليس يرد ذلك على ساير السهام فاذا جاز ان يزاد على الثمن فى وقت جاز ان ينقصوا منه فى وقت وفى قوله والعاملين دلالة ان لا باس للايمة والقضاة اخذ الكفاية من بيت المال ولكل عامل للمسلمين اخذ كفايته ورزقه من ذلك اذا فرغ نفسه لذلك وكفها عن غيرها من المنافع والاعمال ثم اختلف فى الفقراء والمساكين قال بعضهم الفقراء هم من المهاجرين كقوله للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم والمساكين من الذين لم يهاجروا وقال بعضهم الفقير الذى به زمانة والمسكين الذى ليست به زمانة وهو محتاج وقال بعضهم الفقراء هم المتعففون الذين لا يخرجون ولا يسالون الناس كقوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف والمساكين هم الذين يسالون وكذلك قال الحسن وعن عمر قال ليس المسكين الذى لا مال له ولكن المسكين الذى لا يصيب المكسب وعن ابن عباس قال الفقراء فقراء المسلمين والمساكين الطوافون وهو قريب مما قاله الحسن وعن الاصم قال الفقير الذى لا يسال وهو ما ذكر نا بديا والمسكين الذى يسال اذا احتاج ويمسك اذا استغنى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه ابو هريرة رضى الله عنه قال ليس المسكين هذا الطواف الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذى لا يجد ما يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس فهذا لو حمل على ظاهره لدفع قول من قال ان المسكين هو الذى لا يسال الناس ولكن يجوز ان يكون معناه والله اعلم ان الذى يسال وان كان عندكم مسكينا فان الذى لا يسال اشد مسكنة منه ولا يحمل على غير ذلك لان الله قد سمى الذين لا يسالون الناس فقراء ولا يجوز ان يجعل الحديث مخالفا للاية ما امكن ان يكون موافقا لها قال الله تعالى يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة فنقول ذا متربة قيل هو الذى لا حايل بينه وبين التراب لفقره فدل بذلك والله اعلم على ان المسكين هو الشديد الفقر والفقير هو الذى لا يملك شيئا ولم يبلغ فى الفقر والضرورة حال المسكين ويدل لذلك قول عمر ليس المسكين من لا مال له ولكن المسكين من لا مكسب له كانه يقول ان الذى لا مال له وله مكسب هو فقير والمسكين اشد حالا من الفقير وليس له مال ولا مكسب ويحتمل قول النبى عليه السلام ليس المسكين الذى يسال ولكن المسكين الذى لا يفطن به

ولا يسال على ان ذلك الذى لا يفطن به هو اشد مسكنة من الاخر وان كان الاخر مسكينا ايضا كان موافقا للمعنى
الذى ذكرنا لانا قلنا ان المسكين هو الشديد الفقر وقد يكون فقيرا وان لم يبلغ به الضر الاول وقد يخرج قول من قال ان المسكين
الذى يخرج هذا المخرج لان من شان المسلم الفقير انه يتحمل ما كانت له حيلة ويتعفف ولا يخرج فيسال وله حيلة تخرج حيث يدل
على شدة ضيقة وعلى الزيادة فى سوء حاله فكان القولان جميعا يرجعان الى معنى واحد واذا كان الفقير احسن حالا من المسكين
لما ذكرنا فقد يجوز ان يدفع الصدقة الى من له مال قليل لانه فقير وان لم حاله فى فقره حال المسكين الذى لا يملك شيئا والله اعلم
وقوله عز وجل والعاملين عليها اختلف فيه قال يعطى لهم الثمن وقال بعضهم يعطى لهم قدر عمالتهم وقال بعضهم
يعطى لهم قدر كفايتهم وعيالهم اما قول من قال يعطى لهم الثمن لا معنى له لما يجوز ان يبلغ الثمن الوفا وعمالته لا تبلغ عشرعشر
ذلك ومن قال يعطى لهم قدر كفايتهم وكفاية عيالهم فهو والله اعلم اذا كان هو يسلم نفسه لذلك واستعمله الامام فى جميع
امور المسلمين فاذا كان كذلك يعطى له عند ذلك الكفاية له ولعياله واما اذا تولى شيئا من ذلك العمالة فى وقت فيعطى له
الكفاية فلا والاشبه عندنا انه يعطى لهم قدر عمالتهم وهكذا الامام اذا استعمل احدا فى عمل من اعمال اليتيم فانه يعطى له قدر
اجر عمله وقوله عز وجل والمؤلفة قلوبهم قد ذكرنا فيما تقدم انه عليه الصلوة والسلام كان يعطى الرؤساء من المنافقين
من الصدقات يتالف به قلوبهم ليسلموا على ما روى انه كان اعطى فلانا مائة من الابل وفلانا كذا روى انه قسم ذهبة فى اديم
مقروظ بعثها على من اليمن بين الاقرع بن حابس وبين فلان وفلان والحديث فى هذا كثير ان النبى كان يخص به الرؤساء
منهم بالصدقة يتالفهم والاسلام فى ضعف واهله فى قلة واولئك كثير ذو قوة وعدة فاما اليوم فقد كثر اهل الاسلام
وعز الدين وصار اولئك اذلاء بحمد الله فقد ارتفع ذلك وذهب اذ قوى المسلمون وكثروا فيقاتلون حتى يسلموا وعلى ذلك
جاء الخبر عن ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ما دل على ما ذكرنا روى ان الاقرع بن حابس وعيينة بن فلان جاءا الى ابى بكر رضى الله عنه
فقالوا يا خليفة رسول الله ان عندنا ارض سبخة ليس فيها كلاء ولا منفعة فان رايت ان تقطعناها اياها وكتب لهما عليها
كتابا واشهد عمر رضى الله عنه وليس فى قوم فانطلقا الى عمر ليشهداه فلما سمع عمر ما فى الكتاب فتناوله من ايديهما ثم نظر فيه فمحا
فتذمرا وقالا له مقالة سيئة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتالفكما والاسلام يومئذ قليل وان الله تعالى
قد اعز الاسلام اذهبا فاجهدا جهدكما لا ارعى الله عليكما ان ارعيتما ونحن نذهب الى هذا الحديث لان ابا بكر لم ينكر على عمر قوله
وفعله فصار ذلك وفاقا منه له فكفى بقولهما حجة لنا وقولنا فى ذلك وجوه من الحجج احدها ان النبى عليه السلام كان يعاهد
قوما وهو الى مددا اتهم ومعاهدتهم محتاج لما ذكرنا من قلة اهل الاسلام وضعفهم فلما اعز الله الاسلام واكثر اهله رد الى اهل
العهود عهودهم ثم امر بمحاربتهم جميعا والثانى ما قال الله تعالى ما كان لنبى ان تكون له اسرى حتى يثخن فى الارض فكانت
الحال الثانية التى فيها الاسلام وقوى اهله وعزوا مخالفة للحال الاول فى هذه الاشياء فكذلك امر المنافقين جاز الرؤساء
فى الحال الاول محظور فى الحال الثانية والله اعلم وفى الاية دلالة لجواز النسخ بالاجتهاد لارتفاع المعنى الذى به كان
ليعلم ان النسخ قد يكون بوجوه وفى خبر ابى بكر وعمر رضى الله عنهما دلالة ان اذن الامام شرط فى احياء ارض الموات لا تملك
الا باذن لان ذانك الرجلين اللذين اتيا ابا بكر فقالا ارض لا كلا فيها وذلك صورة ارض الموات وقوله عز وجل
وفى الرقاب اختلف فيه قال بعضهم معناه العتق ويجوز ان يعتق عن الزكوة وقال بعضهم هو المكاتبون يستاذنونهم
فى كتابتهم وقالوا لا يشبه الاعتاق ما يدفع الى المكاتب فيؤدى فيعتق لان العتق ليس بتمليك وانما هو ابطال الملك وما يدفع
الى المكاتب فهو تمليك فذلك مختلف وانما تكون الزكوة زكوة اذا زالت من مالك الى مالك والثانى ان العتق يوجب الولا
للمعتق فحقه فيه باق والذى يدفع فيه الزكوة الى المكاتب لعين ولا يرجع اليه بذلك حق ولا يجب فيه ولا نهما مختلفان
والثالث وهو ان الله تعالى قال والغارمين ولو ان رجلا قضى عن غارم دينه بغير امره لم يجزه من زكوة ماله وانما يكون زكوة
اذا دفعها الى الغارم فعتق المزكى العبد بمنزلة قضاء دين الغارم لانه لا يحتاج فى واحد منهما الى قبول من الغارم ولا من
العبد واعطاء المكاتب فى الزكوة كدفعه اياها الى الغارم قد دفعها اليه فى كل الحالين الى من قبلها منه من زكوة وقبضها
وفى ذلك وجه اخر وذلك ان اشترى عبدا من رجل لاعتقه فقد صار ثمنه دينا فى ذمتى قبل ان انفذ المال فاذا قضيته

فانما قضيته

فانما قضيته عن ذمتى دينا قد لزمنى ولا يجوز ان اقضى دينى وقوله عز وجل وفى سبيل الله قيل هم الغزاة ويحتمل
فى سبيل الله اى فى طاعة الله ان كل من سعى فى طاعة الله وسبيل الخيرات فانه داخل فى ذلك وقوله وابن السبيل قيل
الضعيف ينزل به وقيل هو المار عليك وان كانت غنيا المنقطع عن ماله وقوله فريضة من الله يحتمل بيانا من الله واعلاما
اهل الصدقات منهم من غيرهم ويحتمل قوله فريضة من الله اى واجبا من الله وفرضا والله عليم حكيم وقوله عز وجل ومنهم
الذين يؤذون النبى اخبر انهم يؤذون النبى ولم يبين بما كانوا يؤذون فيحتمل يؤذون النبى بتكذيبهم اياه وتركهم الاجابة
والطاعة فيما يدعوهم اليه ويحتمل يؤذونه بكلمات يسمعونه وطعن يطعنونه ويعيبون عليه ويقولون هو اذن قيل الاذن
هو الذى يقبل العذر ممن اعتذر اليه ويسمع منه سواء كان له عذر او لا عذر له لكرمه وشرفه وحسن خلقه فظن اولئك
لما راوه انه كان يعاملهم معاملة اهل الكرم والشرف والجد انه انما يعاملهم هذه المعاملة لسلامة قلبه وصغر همته وقصور
بلغ وهم كانوا اهل كبر وانفة قالوا هو اذن نقول ما شئنا ثم نحلف ونعتذر اليه فيصدقنا ويقبل عذرنا قال الله تعالى قل يا محمد
اذن خير لكم اى الذى يقبل العذر ويسمع خير لكم من الذى لا يقبل ولا يسمع فكيف تؤذونه وتطعنون وتعيبون عليه ولا تصدقونه
ولا تؤمنون به بخبر عن سفههم قال ابو عوسجة الاذن الذى من قال له شيئا اوحدثه حديثا صدقه واستمع منه وكذلك
كان رسول الله يصدق كل من قال له شيئا اوحدثه حديثا واستمع منه لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه لا لما ظن اولئك قيل
يقولون هو اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين قال بعضهم يؤمن بالله اى يصدق بالله بما ينزل عليه من اياته ويؤمن
للمؤمنين اى يصدقهم فيما بينهم من شهاداتهم وايمانهم على حقوقهم وفروجهم واموالهم ويحتمل قوله يؤمن بالله ويصدقه
بما يخبر من سر المنافقين وما استكتموه منه من الكيد له والمكر به ويؤمن للمؤمنين بما يخبرونه من قبل اولئك المنافقين
من الطعن فيه والعيب عليه والايمان باخر هو التصديق بجميع ما فيه والايمان له من خبره وحديثه وقوله ويؤمن للمؤمنين
فيما يشهدون للاخرة له بالتبليغ اليهم كقوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين او ان يكون قوله ويؤمن
للمؤمنين اى يؤمن بالمؤمنين فيما بينهم بالاخوة فى الدين كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين
وقوله عز وجل ورحمة للذين امنوا منكم كان صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين لما استنقذهم من الكفر الى الايمان
ومن الهلاك الى النجاة ويشفع لهم فى الاخرة بايمانهم فى الدنيا والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم فى الاخرة
بقية من الاية الاولى وقوله والغارمين جعل الله الغارم موضعا للصدقة وهو الذى عليه الدين والغرم اى دين
الحقه على ذلك روى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المسئلة لا تحل الا باحدى ثلاث من فقر مدقع
او غرم مفظع او لذى دم موجع وفى بعض الاخبار ان الصدقة لا تحل الا لخمس للعاملين عليها او رجل اشتراها او غارم
او غاز فى سبيل الله وروى عن الحسن والحسين وابن عمر وابن جعفر ان رجلا سالهم شيئا فقالوا ان كانت مسالتك
فى احدى ثلاث فقد وجب حقك فى فقر مدقع او غرم مفظع او دم موجع هذه الاخبار كلها تدل على ان الغارم موضع
للصدقة قل دينه او كثر فان قيل فى الخبر او غرم مفظع قيل الاختلاف بينهم فى ان من دينه غير مفظع فله ان ياخذ بقدر
بقدر دينه من الصدقة فهذا يدل ان الذى روى فى الخبر انما هو لكراهة المسالة لا على التحريم وهكذا نقول ان المسئلة
لا تحل له اذا كان غرمه غير مفظع ولكن يحل وضعه فيه واخذه له مسئله قوله فى سبيل الله هو ما ذكرنا انه المنقطع
عن ماله جعل الله موضعا للصدقة وان كان غنيا فى مقامه للحاجة التى بدت له وعلى ذلك روى عن ابى سعيد الخدرى
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى الا فى سبيل الله او ابن السبيل او رجل له جار مسكين تصدق
عليه فاهدى له وفى بعض الاخبار عنه ما ذكرنا قال لا تحل الصدقة الا لخمس وفيه او فقير تصدق عليه فاهداها
للغنى وقد يكون الرجل غنيا بان يكون له دار يسكنها ومتاع بيته يهياه وثياب عزم على الخروج فى سفر غزو لحتاج من الالات
سفره وسلاح يستعمله فى غزوه ومركب يغزو عليه وخادم يستغنى بخدمته الى ما لم يكن محتاجا اليه فى حال اقامته
فيجوز ان يعطى من الصدقة ما يستغنى به فى حوائجه التى يجدها فى سفره فهو فى مقامه غنى بما يملكه لانه غير محتاج
حينئذ الى ما وصفنا وهو فى حال سفره غير غنى فيحتمل ان يكون معنى قوله لا تحل الصدقة لغنى الا فى سبيل الله

على من كان غنيا فى حال مقامه فيعطى بعض ما يحتاج اليه لسفره لما احدث له السفر من الحاجة الا ترى ان الرجل
قد يكون له المتاع لا يحتاج اليه او الدابة لا يركبها فاذا صار ذلك ما يبتى درهم لم يجز له ان ياخذ من الزكوة فان عرض له
مرض او سفر فاحتاج الى دابة ليركبها انه يخرج من الغنا بما حدث له من الحاجة الى الركوب وكان له ان ياخذ
من الصدقة عندنا لانه لا يستغنى عما هو ماله وانما الغنى من استغنى عما يملكه فكذلك الغارم على العرف
قد يحدث له الحاجة الى اكثر مما يملك وصار ممن يجوز ان يعان وان كان ملكه الذى كان به غنيا قبل ذلك لم ينقص
فهذا والله اعلم يحتمل وابن السبيل ايضا ما ذكرنا من الخبر ان لا تحل الصدقة لغنى الا لابن السبيل ومن ذكر
معه وعلى ذلك اتفاق الامة وهو ما قيل المجتاز من ارض الى ارض وعن ابن عباس رضى الله عنه فى تاويل قوله الا عابرى سبيل
هو المسافر وهو ما ذكرنا انه المنقطع عن ماله وان كان غنيا فى مقامه والفقير الذى يجوز ان يعطى من الصدقة روى
عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسايل حق وان جاء على فرس وعن ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل ولو جاء على فرس وجاء فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يسال عبد او قال احد مسئلة وله ما يغنيه الا جاءت يوم القيامة خدوشا او كدوحا فى وجهه قالوا يا رسول الله
وما ذا يغنيه او ما غناه قال خمسون درهما او حسابها من الذهب وفى بعض الاخبار يقول من سال وله اربعون درهما
فقد الحف وعن على وعبد الله قالا لا تحل الصدقة لمن له خمسون درهما او عوضها من الذهب وعن عمر كذلك وعن ابن عباس
قال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لى اربعون درهما استكثرا نا قال نعم وفى بعض الاخبار عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى وفى بعض الاخبار ولا لقوى
مكتسب وانما جمل قوله لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى خرج على الزجر عن العرض على الصدقة والمسئلة عليها
الا ترى ان النبى قال ان الصدقة لا تحل الا فى احدى ثلاث فذكر احدها او فقر مدقع فذلك يبيح لذى المرة السوى
ان يقبل الا ترى ان الرجلين اللذين سالا رسول الله قال لهما ان شئتما اعطيتكما فلو كان حراما عليهما ما اعطاهما
الحرام ولكن ذلك على الزجر عن المسالة وروى عن سلمان انه حمل الى رسول الله صدقة فقال لاصحابه كلوا ولم ياكل
هو ولا يتوهم متوهم ان اصحابه كانوا زمنى فهذا يبين ان النبى انما اراد الزجر عن المسالة والتعرض لها الا فى حال الضرورة
لا على التحريم لها وان من اخذها وله اقل من مائتى درهم او قيمتها فله فيما يملك سداد من عيش فذلك مكروه الا ترى
انه روى عن الحسن انه قال كان اصحاب رسول الله ياخذون الصدقة ولاحدهم من السلاح والكراع والعقار قيمة عشرة الاف
درهم فهذا حسن والتعفف عنها احسن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله ومن استعف
اعفه الله وقوله لان ياخذ احدكم حبلا فيحتطب خير له من ان يسال الناس شيا اعطوه او منعوه وقوله عز وجل
يحلفون بالله لكم ليرضوكم بما حلفوا عليه ذكر بعض اهل التاويل ان الانصار مشوا اليهم يعنى الى المنافقين فقالوا
قد عيبنا وما نزل فيكم حق متى فكانوا يحلفون للانصار والله ما كان شىء من ذلك فاكذبهم الله فقال يحلفون بالله لكم
ما كان الذى بلغكم ليرضوكم بما حلفوا والله ورسوله احق منكم يا معشر الانصار ان يرضوه حيث اطلع على ما حلفوا وهم كذبة
ان كانوا مؤمنين بقول ولكن ليسوا بمصدقين والاشبه ان تكون الاية نزلت فى معاتبة جرت بين المؤمنين والمنافقين
باستهزاء كان منهم برسول الله او طعن فيه او استهزاء بدين الله فاعتذروا اليهم وحلفوا على ذلك ليرضوهم فقال الله
والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين حقيقة ولكن ليسوا بمؤمنين واما ما قاله بعض اهل التاويل ان رجلا
من المنافقين قال والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعها رجل من المسلمين فاخبر بذلك رسول الله
فدعاه فقال ما حملك على الذى قلت فحلف والتعن ما قاله فنزل قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم هذا لو كان ما ذكر
لكانوا يحلفون لرسول الله لا يحلفون لهم دل ان الاية فى غير ما ذكر ويذكر عن ابن عباس ان الاية نزلت فى ناس من المنافقين
تخلفوا عن رسول الله فى غزوة تبوك فجعلوا يحلفون لرسول الله حين رجع انهم لا يتخلفون عنه ابدا وكذلك قال غيره
من اهل التاويل ولكن لو كان ما قالوا لكانوا يحلفون لرسول الله ويرضونه لا للمؤمنين دل ان الاشبه ما ذكرنا وفيه وجه

احدها

احدها ان فيه دلالة تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ليعلموا انه حق حيث اطلع عليه بما اسروا فى انفسهم وكتموا
من المكر به وانواع السفه والثانى ليحذروا ويمتنعوا عن مثله والمعاودة اليه لما علموا انه يطلع على جميع ما يسرون عنه ويكتمون
والثالث تنبيها للمؤمنين وتعليما لهم منه بانه اذا وقع لهم مثل ذلك لا يشتغلون بالحلف طلبا لرضاء بعضهم بعضا
ولكن يتوبون الى الله ويطلبون به مرضاته وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر نفسه ورسوله ثم اضاف الرضا
الى رسوله بقوله احق ان يرضوه ولم يقل ان يرضوهما فهو والله اعلم لانهم اذا ارضوا رسوله رضى الله عنهم وكان فى رضاهم
رسوله رضاء الله وهو ما ذكر انهم دعوا الى الله ورسوله ثم اضاف الحكم الى رسوله لانهم انما دعوا الى ان يحكم الرسول بينهم
وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه لان الخلاف والخيانة كان فى حق الله وفى حق رسوله لم يكن فى حق المؤمنين
لذلك قال والله ورسوله احق ان يرضوه من المؤمنين ثم ذكر مخادعة الله ورسوله ثم اختلف فقصر على رضاء رسوله
لانهم لم يقصدوا قصد مخالفة الله وانما قصدوا قصد مخالفة رسوله او ان يكون ذكر رضاء احدهما لان فى رضاء
رسوله رضاء الرب كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله عز وجل الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فى الاية
دلالة انهم علموا انهم معاندين فى صنيعهم وعلموا ان من عاند وكابر بغير حق فان له نار جهنم وقوله يحادد الله يحتمل
يعادى الله وقيل يحادد الله يشاقق الله ويخالف الله وهو واحد ثم وقوله الم يعلموا يخرج على وجهين احدهما اى قد علموا
انه من يحادد الله ورسوله فان له ما ذكر لكنهم عاندوا الخلاف والمحادة له مع علمهم والثانى اى اعلموا انه من يحادد الله
ورسوله فان له ما ذكر على ما ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج على الايجاب والالزام وقوله عز وجل ذلك الخزى
العظيم يحتمل وجهين يحتمل الخزى اى الفضيحة العظيمة فى الدنيا ويحتمل ذلك الخزى العظيم فى الاخرة اى نار جهنم خزى
عظيم وقوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم يحتمل قوله يحذر المنافقون
اى الحق عليهم ان يحذروا لما اطلع الله رسوله مرارا على ما اسروا وكتموا ويحتمل على الخبر انهم كانوا يحذرون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم لكثرة ما اطلع الله رسوله من سرائرهم وسفههم وقوله عز وجل قل استهزءوا
ان الله مخرج ما تحذرون فهو والله اعلم ليس على الامر ولكن على الوعيد يقول استهزءوا فان الله يبين ما اسررتم
وكتمتم من العيب والاستهزاء برسوله والطعن فيه وقوله عز وجل ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ذكر
السؤال ولم يبين ما يسالهم ولكن فى الجواب بيان ان السؤال انما كان عن الاستهزاء حيث قال قل ابالله واياته ورسوله
كنتم تستهزءون ذكر ان نفرا من المنافقين كانوا اجتمعوا فى بعض الطريق ليمر رسول الله ويرجع من الغزو فيقتلوه فاطلع الله
نبيه عن اجتماعهم فى ذلك انه لماذا فقال ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وذكر بعض اهل التاويل ان النبى
لما رجع من غزوة تبوك بينا هو يسير اذا هو برهط يسيرون بين يديه يضحكون ويستهزءون فاطلع الله رسوله
انهم يستهزءون بالله وكتابه ورسوله فقال ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقيل بغير ذلك وقيل لئن سالتهم
ليقولن انما كنا نخوض اى لو سالتهم ما تقولون ويقولون لك مما يخوض فيه الركب اذا ساروا وليس لنا الى معرفة كيفية استهزائهم
حاجة ولا ما نية سوى ان فيما ذكرنا من خبر المنافقين تنبيه للمؤمنين وتحذير لهم ليحذروا اسرارهم ما لهم يظهروا على السنتهم
ليعلموا ان الله مطلع على ما يسرون ويجهرون وقوله قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون وقوله ابالله يحتمل الاضافة
الى نفسه اضافة الى نفس المؤمنين لانه لا احد يقصد قصد الاستهزاء بالله ولكنهم كانوا يستهزءون برسول الله وبالمؤمنين
فاضاف الى نفسه كقوله يخادعون الله وكذلك قوله ان تنصروا الله الاية فعلى ذلك الاول كانوا يستهزءون برسول الله
وبالمؤمنين فاضاف الله الى نفسه تعظيما لهم واكراما وقوله واياته يحتمل انهم كانوا يستهزءون بالاحكام التى لها ايات
فاستهزءوا بتلك الاحكام فاضاف الاستهزاء الى الايات كقوله ولا تمسكوهن ضرارا الاية ولا تتخذوا ايات الله هزوا ولم يتخذوا
ايات الله هزوا ولكن هزوا بالاحكام التى لها ايات فاضاف الهزء الى اياته ولكن من استخف بحكم من احكام التى لها ايات كان ذلك
استخفافا باياته والله اعلم وقوله عز وجل لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم اى لا تعتذروا فانه لا يقبل اعتذاركم

لما اعذركم فيما تعتذرون بعد ما قلتم انه اذن لما ظهر منكم الخلاف والكذب في ذلك كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم
اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم اخبر انه لا يصدقهم فيما اعتذروا لما ظهر كذبهم وتبين خلافهم
وقوله قد كفرتم بعد ايمانكم يحتمل كفرتم في الباطن بعدما اظهرتم باللسان ويحتمل قد كفرتم بعد ايمانكم حقيقة قد كفروا بعد
ما آمنوا وقوله عز وجل ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة قال بعضهم قوله ان نعف عن طائفة وذلك ان المنافقين
قد آمن منهم بعد النفاق وتاب فاخبر انه ان يعف عنهم يعذب الطائفة الذين لم يؤمنوا ولم يتوبوا وقيل ان يعف عن طائفة
منكم يعذب طائفة لان المنافقين من قد ماتوا على الايمان ومنهم من قد مات على الكفر فوعد العفو عمن مات على الايمان كقوله
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اخبر انه ان شاء تاب عليهم فقوله ان نعف عن طائفة منكم الطائفة التي يتوب عليهم
وقوله قل أبالله وآياته ورسوله يحتمل وجهين احدهما على الايجاب اي يفعلون بالله ورسوله ذلك ويحتمل على التوعيد
والتوبيخ أبالله يفعلون هذا والله اعلم وقوله عز وجل المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ذكر في اهل الايمان
بعضهم اولياء بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وذكر في الكافرين الولاية لبعضهم ببعض بقوله والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض وقال في المنافقين بعضهم من بعض فهو والله اعلم ان لاهل الايمان دين يدينون به ويتناصرون
ويدعون الناس اليه واهل الكفر يدينون ايضا ويتناصرون به ويتعاونون بعضهم بعضا فصار لكل احد من الفريقين موالات
فيما بينهم موالاة الدين واما المنافقون فانه لا دين لهم يدينون به ولا مذهب ينتحلونه ولا يناصر بعضهم بعضا ولا يعاون
بعضهم ولا يجري بينهم التناصر والتعاون فانما هم عباد النعمة والسعة مالوا حيثما مالت النعمة والسعة فلا موالات فيما بينهم
لما ذكرنا وفي قوله المنافقات دلالة ان من نافق بالتقليد لآخر او كفر بالتقليد لآخر او نافق لا بتقليد سواء في استيجاب
الاسم والتعذيب في ذلك والوعيد لان النساء من اتباع واهل تقليد للرجال ثم سوى بينهم وبين النساء في الاسم والوعيد
وقوله عز وجل يامرون بالمنكر يحتمل قوله يامرون بالمنكر اي بما ينكره العقول وهو الشرك بالله والخلاف له وينهون عن المعروف
اي ينهون عما يعرفه العقول وتستحسنه وهو التوحيد لله والايمان به ويدخل في ذلك كل خير وحسن وفي المنكر يدخل فيه الشرك
وكل معصية وقوله عز وجل ويقبضون ايديهم قيل يقبضون ايديهم من الانفاق في سبيل الخير لكن يحتمل ان يكون على التمثيل
لا على تحقيق قبض اليد ولكن على كف النفس ومنعها عن الاشتغال بالخيرات وخوضها فيها وفي جميع الطاعات لكنه ذكر باليد
لما بالايدي يعمل بها وبها يكتسب الخيرات والسيئات كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وذلك مما لم يقدمه
الايدي ولا كسبت انما ذلك كسب القلب لكنه ذكر اليد لما ذكرنا انه باليد ما يقدم وبها يقبض في الشاهد وجايز ان يكون
ما ذكر من قبض اليد كناية عن بخلهم وقلة انفاقهم في الجهاد كقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وقوله عز وجل نسوا الله
فنسيهم قيل جعلوا الله عز وجل كالشيء المنسي لا يذكرونه ابدا فنسيهم اي جعلهم كالمنسيين في الآخرة من رحمته لا ينالونها
ويحتمل نسوا الله اي نسوا نعم الله التي انعمها عليهم فلم يشكروها فنسيهم على المجازاة لذلك وان لم يكن نسيانا كما سمى
جزاء السيئة سيئة وان لم يكن الثاني سيئة فعلى ذلك ذكر النسيان على مجازاة النسيان وان لم يحتمل النسيان
والثالث نسوا الله اي نسوا المعونة والنصر وسؤال التوفيق فنسيهم الله اي لم ينصرهم ولم يوفقهم وقوله عز وجل ان المنافقين
هم الفاسقون فان قيل اسم النفاق اشر واقبح من اسم الفسق فما معنى ذكر الفسق لهم فهو والله اعلم لانهم كانوا يظهرون
الموافقة للمؤمنين باللسان فاخبر انهم ليسوا على ما اظهروا والله اعلم او ان يكون اسم النفاق اشر واقبح عند الناس من اسم
الفسق فعندهم يحتمل ان يكون اسم الفسق اكبر في القبح او سماهم فاسقين لما ان كل اهل الاديان يانفون عن النسبة الى الفسق
والتسمية بها وان يكونوا يعلمون في انفسهم انهم اهل النفاق ولا يعرفون انهم فسقة واصل الفسق هو الخروج عن امر الله وقوله
عز وجل وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم وعدلهم نار جهنم كان جهنم هي المكان الذي يعذبون فيه
والنار فيها يعذبون خالدين فيها هي حسبهم جزاء لصنيعهم يقول الرجل لآخر حسبك كذا اي كفاك ذلك جزاء لك وقوله
عز وجل ولعنهم الله قيل اللعن هو الطرد في اللغة اي طردهم عن رحمته ولهم عذاب مقيم لا يفارقهم البتة وقوله عز وجل كالذين

من قبلكم كانوا اشد منكم قوة اي هؤلاء المنافقين والكفرة كالذين من قبلكم ولم يبين كاولئك فيما ذا ولكن يحتمل قوله
كالذين من قبلكم اي صرتم الى العذاب كالذين صاروا من قبلكم وكانوا اشد منكم قوة وبطشا واكثر اموالا واولادا وفي الشاهد
انما يدفع العذاب والعقوبة بهذا وبه يتناصر بعضهم من بعض ثم لم يقدروا على دفع ذلك عن انفسهم فانتم دونهم في القوة
وما ذكر كيف تقدرون على دفع ذلك هذا قد قيل وقيل كالذين من قبلكم اي صرتم ما اخترتم من الاعمال كما صار اولئك ما اختاروا
من الاعمال وكل انواع الخلاف لله وتكذيب الرسل وتعاطي ما لا يحل فصرتم انتم كما صاروا هم فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل انتفعوا بخلاقهم اي اكلتم انتم الدنيا بدينكم كما اكل اولئك الدنيا بدينهم وقيل
فاستمتعوا بخلاقهم اي بنصيبهم من الدنيا لم يقدموا شيئا للآخرة فاستمتعتم بنصيبكم من الدنيا ولم تقدموا للآخرة شيئا
كما استمتع اولئك اي بنصيبهم من الدنيا ولم يقدموا شيئا للآخرة والخلاق النصيب كقوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة
اي لا نصيب لهم وقال ابو هريرة الخلاق الدين وكذلك قال الحسن في قولهم بخلاقهم اي بدينهم وقوله عز وجل وخضتم
كالذي خاضوا اي خضتم انتم في الباطل والتكذيب كالذي خاض اولئك من الامم الخالية قال ابو عبيدة قوله خضتم اي لعبتم
بالذي خاضوا اي لعبوا بالتكذيب اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة فلا ثواب لها في الدنيا والآخرة لانها كانت في غير
ايمان فثواب الاعمال انما يكون في الآخرة بالايمان واولئك هم الخاسرون خسرانا بينا وبطلان اعمالهم في الدنيا لما يقبل
واحد من الفريقين من المؤمنين والكفار صنيعهم لانهم يرون من انفسهم الموافقة لكل واحد منهما وما كانوا مع واحد
من الفريقين كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وقوله عز وجل الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح
وعاد الى آخره يحتمل هذا وجهين احدهما قوله الم ياتهم اي قد اتاهم خبر الذين من قبلهم وما حل بهم وما انتقم الله
منهم بتكذيبهم الرسل وسعيهم في قتلهم واهلاكهم وهم من جنس انفسكم واشد قوة وبطشا منكم وانتم تقلدونهم فخذ لكم حل
ما حل بتكذيبهم والخلاف لهم فانتم دونهم في كل شيء واقل منهم في القوة والبطش ولا بد لكم ان يصيبكم ويحتمل قوله الم ياتهم
نبأ الذين من قبلهم اي ياتيهم نبأ الذين من قبلهم وما حل بهم كقوله الم تر كذا اي سترى فعلى ذلك هذا يحتمل وهو حرف
وعيد يحذرهم ما حل بهم اولئك ليمتنعوا عن مثل صنيعهم وقوله عز وجل والمؤتفكات اتتهم رسلهم قال اهل التاويل
هي قريات لوط مؤتفكات اي منقلبات قال القتبي ائتفكت اي انقلبت وقال ابو عوسجة المؤتفكات هي من الافك
وهو الصرف اني يؤفكون اي يصرفون وقال بعضهم المؤتفكات المكذبات اتتهم رسلهم بالبينات فكذبوهم فاهلكوا وهو من
الانقلاب كما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فما كان الله ليظلمهم بتعذيبه اياهم اي لا يعذبهم وهم غير مستوجبين لذلك
العذاب ولكن هم ظلموا انفسهم حيث كذبوا رسله وردوا ما جاءهم من البينات والبراهين وقوله عز وجل والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يحتمل قوله بعضهم اولياء بعض على الايجاب والاخبار ان الدين الذي اعتقدوا وتمسكوا
يوجب لهم الولاية ويصير بعضهم اولياء بعض كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الآية وقوله انما المؤمنون اخوة
ونحوه فهي اخوة الدين وولايته ويحتمل قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض على الامر اي اتخذوا بعضهم
اولياء بعض ولا تتخذوا غيرهم اولياء كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نهى
المؤمنين ان يتخذوا اولياء من غيرهم فكانه امر ان يتخذ المؤمنون بعضهم بعضا اولياء ولا تتخذوا من غيرهم ثم يحتمل الولاية
وجهين ولاية روحانية وهي ولاية في الدين توجب رعاية حقوق تحدث بالدين الذي جمعهم وحفظها والثانية ولاية
نفسانية وهي الولاية التي تكون في الانفس والاموال من نحو ولاية النكاح والميراث وغيره فهذه الولاية نفي الولاية النفسانية
التي كانت بالرحم والنسب فاذا اجتمعوا في دين واحد وجبت تلك الولاية لهم وهي الولاية نفسها وولاية الروحانية هي المحبة
والمودة فيجب رعاته بالدين فتعاهدن وهذا كما تقول حيوة روحانية وحيوة جسدانية وحيوة الروحانية هي العلم والادب
يرعا اشياء ويعرفها من بعد وحيوة الجسدانية هي الروح الذي به يحيى الجسد وبذهابه يموت الجسد والله اعلم وقوله
عز وجل يامرون بالمعروف يحتمل المعروف الذي يوجبه العقول وهو التوحيد لله والايمان به وينهون عن المنكر اي ينهون
عما ينكر به العقول وهو الشرك بالله والتكذيب له وهذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو فيما بين الكوم بامرهم

يامرهم المومنون بذلك ويدعونهم الى ذلك وينهاهم عن ضد ذلك وان كان فيما بين المومنين فهو امر شرع يامر
بعضهم بعضا بما جاء به الشرع وينهاه عما لم يجئ به الشرع او يامر بعضهم بعضا بكل خير وبر وينهى عن كل شر ومعصية ويقيمون
الصلوة ويطيعون الله ورسوله في كل امره ونهيه اولئك سيرحمهم الله وعدا انه يرحمهم ان الله عزيز حكيم قيل حكيم يرى آثار عزه
في كل شئ حكيم يرى آثار حكمته وتدبيره في كل شئ **وقوله** عز وجل وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا ومساكن طيبة في جنات عدن **وقوله** عز وجل ورضوان من الله اكبر اى رضاء الله عنهم اكبر من كل
ما اعطاهم لان فيه حيوة الروح ولذته وما اعطاهم من الجنة والمساكن الطيبة فحيوة الجسد ولذته وحيوة الروح ارفع واكبر
من حيوة الجسد لانه لا يؤثر زيادة في الجسد وكذلك العز والحمد وذكر الحسن فيه حيوة الروح ولذته اذ ليس فيه زيادة في الجسد
انما هو فرح وسرور يدخل فيه واذا اصابه شئ من الذل وسمع مكروها حزن واهتم من غير ان يتالم جسده او يجد الما وشدة
في نفسه وذلك لما اصاب روحه لم يصب جسده واصله ان العمل في الدنيا لطلب رضاء الله ورضياه اكبر من العمل بطلب
بطلب ثوابه لان العمل لطلب رضائه امر عليه والعمل لطلب الثواب امر له فالذى قام باداء ما عليه اعظم درجة واكبر فضلا
من الذى قام بعمل ما له لان كل احد يعمل ما له وله فيه نفع ولا كل احد يعمل لغيره لذلك كان ما ذكر **وقوله** عز وجل
ذلك هو الفوز العظيم لانه فوز ونجاة لا خوف بعده ولا هوان ولا ذل **وقوله** عز وجل يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم يحتمل الامر بالجهاد والفريقين جميعا جهادا بالسيف ويحتمل مجاهدة بالحجج والبراهين الفريقين
جميعا ويحتمل ايضا الامر بالمجاهدة الكفار يجاهدهم بالسيف ويغلظ القول ويشدد على المنافقين ويقيم عليهم
الحدود فان كان على مجاهدة الفريقين جميعا بالسيف فهو والله في المنافقين الذين انفصلوا من المومنين
وخرجوا من بين اظهرهم واظهروا الخلاف للمومنين بعد ما اظهروا الموافقة لهم فامثال هؤلاء يجاهدون بالسيف
ويقاتلون به وهو كقوله لئن لم ينته المنافقون الى قوله ملعونين الآية اخبر انهم يوخذون ويقتلون اينما وجدوا
فيشبه ان تكون الآية في الامر بالجهاد في هؤلاء المنافقين ويحتمل وجها آخر وهو ان المنافقين كانوا يطعنون في رسول الله
ويعيبون عليه فاطلع الله رسوله على ذلك وهم قد علموا ان الله اطلعه على ما يطعنون فيه ويذكرونه بسوء فيقول والله اعلم
جاهدهم اذا طعنوا فيك وذكروك بسوء بعد ذلك وان كان الامر على المجاهدة مجاهدة بالحجج فهو صلى الله عليه وسلم
قد كان حاج الفريقين جميعا بالحجج وخاصة سورة براءة انما نزلت في محاجة المنافقين ويحتمل الامر بالجهاد في الكفار
خاصة وفي المنافقين تغليظ القول والتشديد واقامة الحدود الذى ذكرنا والتعزير اذا ارتكبوا شيئا مما يجب فيه
الحد والتعزير والله اعلم بذلك لما اقاموا بين اظهر المومنين مظهرين لهم الموافقة **وقوله** عز وجل وماويهم جهنم
وبئس المصير هذا في المنافقين الذين ماتوا على النفاق **وقوله** عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
قال بعض اهل التاويل الآية نزلت في شان رجل منافق قال يوما والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعه
ذلك غلام وهو ربيب ذلك القايل فقال له تبا لك الله وجاء الغلام الى النبي فاخبره فارسل اليه النبي فاتاه فجعل يحلف
ما قال ذلك فنزلت الآية فيه يحلفون بالله ما قالوا لكن غير هذا كانه اشبه لان الآية ولقد قالوا كلمة الكفر وقول الرجل
لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير هذا القول نفسه ليس هو كلام كفر انما كلام ذم ذم به نفسه ونعدان في الآية
يحلفون بالله فهو قول جماعة وقيل نزلت في شان عبد الله بن ابى قال لاصحابه فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال سمن كلبك
ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فاخبر النبي بذلك فدعاه فسأله فجعل يحلف بالله
ما قاله لكن يشبه ان يكون الآية صلة قوله ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية كانوا يستهزؤن بالله وباياته
وبرسوله والاستهزاء بذلك كفر وان قالوا قولا كفرا لم يبين الله لنا ذلك فلا نفسر انهم قالوا كذا لما ليس لنا الى معرفة
ذلك القول الذى قالوه حاجة **وقوله** عز وجل وكفروا بعد اسلامهم يحتمل كفروا بعد ما اسلموا اسلام حقيقة ويحتمل
قوله بعد ما اظهروا الاسلام اى رجعوا عما اظهروا من الاسلام وفي الآية دلالة ان الاسلام والايمان واحد لانه قال
وكفروا بعد اسلامهم وقال في آية اخرى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ثم قال كيف يهدى الله قوما كفروا

بعد ايمانهم

338

بعد اسلامهم وقال في آية اخرى كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا فدل ان الاسلام والايمان واحد **وقوله** عز وجل وهموا
بما لم ينالوا قيل هموا بقتل رسول الله والمكر به فلم ينالوا ما هموا به وفيه دلالة اثبات الرسالة لانهم اسروا ما هموا به
ثم اخبر عن ذلك وهو غيب دل انه بالله علم ذلك **وقوله** عز وجل وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله قال
بعض اهل التاويل ان الرجل الذى قال ذلك تاب عن ذلك فقبل منه ذلك وكان له قتيل في الاسلام فوداه رسول الله
فاعطاه ديته فاستغنى بذلك وقال ابن عباس رضي الله عنه وما نقموا منهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله كان
كان رسول الله يعطى المنافقين من الغنايم والصدقات يقول ما نقموا الا ما اعطاهم رسول الله من الغنيمة والصدقة وقوله
نقموا قال بعض اهل الادب ابو معاذ وغيره نقموا اى طعنوا فيه لغتان نقموا بالخفض ونقموا بالنصب يقال نقم ينقم ونقم ينقم
بكسر القاف فهو والله اعلم يقول ما طعنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذكروه بسوء الا ان اغناهم الله لانهم لو كانوا
اهل فقر وحاجة ما اجترؤا على الطعن على رسول الله وما ذكروه بسوء ولكن طعنوا عليه لما اغناهم الله ويحتمل قوله ورسوله
من فضله ما عاملهم رسول الله معاملة الكرام وبسط اليهم حتى قالوا انه اذن يقبل العذر فذلك الذى حملهم
على الطعن **وقوله** عز وجل فان يتوبوا يك خيرا لهم فيه ان المنافق يقبل منه التوبة وان يتولوا يعذبهم الله عذابا
اليما يحتمل قوله بعد ما اسلموا ويحتمل تولوا اى داموا على الكفر والنفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة
بما ذكرنا في الدنيا الامر بالجهاد والقتل والخوف هذا التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة ظاهر **وقوله** عز وجل
وما لهم في الارض من ولى ولا نصير قد ذكرنا هذا في موضع غير هذا **وقوله** عز وجل ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله
لنصدقن قال بعضهم نزلت الآية في ثعلبة بن حاطب سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله ليرزقه مالا
وقال لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ومنهم من قال انها نزلت في حاطب بن ابى بلتعة انه كان له
اموال في الشام فقال لئن اتانى تلك الاموال لاصدقن واكن من الصالحين فقد اتاه الله تلك الاموال فبخل ومنع
ما وعد ومنهم من قال نزلت في المنافقين جملة ليست في شان واحد مخصوص مشار اليه ولكن في المنافقين جملة
وهكذا كانت عادتهم انهم اذا وعدوا شيئا اخلفوا ولم يوفوا الوعد ثم يحتمل قوله ومنهم من عاهد الله انه كان منافقا
وقت ما وعد الله لئن اتاه من فضله ليصدقن ويحتمل انه لم يكن منافقا في ذلك الوقت لكنه صار بما بخل وكذب واعتقد
الخلاف واستحل الخلف لما وعد منافقا فان كان انما صار منافقا بما بخل واستحل الخلاف له والمنع فيكون قوله فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم اى صار في قلوبهم نفاقا وان كان منافقا في ذلك الوقت فيكون قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اى عقبهم
الدوام على النفاق الى يوم القيامة ببخلهم ومنعهم ما وعدوا فيكون هذا كقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الآية وفي قوله
ومنهم من عاهد الله الى قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه دلالة ان النذر تلزم اهلها ويجب الوفاء بها ويواخذون بها
ان تركوا الوفاء ويكفرون ان استحلوا نقض ما عهدوا **وقوله** عز وجل ولنكونن من الصالحين قال بعضهم من المومنين فهو
على تاويل من قال انه كان منافقا وقتئذ ويحتمل ولنكونن من الصالحين اى من الشاكرين وكذلك ذكر في الخبر ان ثعلبة
لما سال رسول الله ان يسأل الله له مالا فقال له قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تؤدى حقه او كلام من نحو هذا **وقوله**
فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون يحتمل تولوا عن وفاء ما وعدوا وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون ايضا
عن طاعة الله ومعرضون عما وعدوا وعهدوا ان يوفوا **وقوله** عز وجل فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه قال بعضهم
اتاهم نفاقا بما بخلوا الى يوم القيامة وقال بعضهم اعقبهم الدوام على النفاق بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
ينبغى للمسلم ان يجتنب الكذب والخلف في الوعد فانه سبب النفاق ونوع من النفاق وعلى ذلك روى في الخبر ان اجتنبوا
الكذب فانه باب من النفاق وعليكم بالصدق فانه باب من الايمان وفي بعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه
كان منافقا اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي بعضها واذا ائتمن خان فان قيل
ان اولاد يعقوب ائتمنوا فخانوا وحدثوا فكذبوا بقولهم اكله الذئب ووعدوا فاخلفوا فترى انهم نافقوا قيل
ما روى ان من اذا حدث كذب اى كذب في امر الدين واما الكذب في غير امر الدين فانه لا يوجب النفاق وفي الآية دلالة

ان لا يبض بالسؤال في شيء على غير طلب الخيرة في ذلك من الله الا ترى ان ثعلبة لما الح على رسول الله في السؤال ان يسال
ربه ليرزقه مالا فغفل فاعقبه الله النفاق الى يوم القيامة ولان اولاد يعقوب قد قدموا التوبة والاصلاح قبل صنيعهم
الذى صنعوا على خوف منهم بما فعلوا فلم يصيروا منافقين واصله ان اعتقاد الكذب واستحلال الخلاف لما عهد والخلف
في الوعد هو الموجب للنفاق فاما ترك فعل الوفاء على غير استحلال منه فلا يوجب ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل
الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم يحتمل هذا وجهين ان قد علموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم لكثرة ما يطلع رسوله
على ما اسروا من الخلاف له وذكرهم السوء في رسول الله والثانى الم يعلموا الحالم بان للذين نافقوا الم يعلموا
ان الله يعلم سرهم ونجواهم يطلع رسوله على سرهم ونجواهم فاتركوا الطعن في رسول الله وذكر السوء فيه والخلاف له
وقوله عز وجل وان الله علام الغيوب اى علام بالغيوب التى غابت عن الخلق والا ليس شيء يغيب عنه ما غاب
عن الخلق وما لم يغب عنه بحال واحد او علام الغيوب وعلام الغيوب بما يكون ابدا فى الاوقات التى يكون وفيه
دلالة انه لم يزل علاما لان علم الغيب هو ما علم انه يكون ما علم وهو كاين دل انه كان لم يزل عالما لما ذكرنا وقوله
عز وجل الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية يشبه ان تكون الآية صلة قوله ومنهم من عاهد
الله الى قوله وتولوا ان اهل النفاق كانوا اهل بخل لا ينفقون الا مراآة وسمعة فظنوا بمن انفق من المسلمين وتصدق
ظنا بانفسهم فقالوا انهم انفقوا وتصدقوا مراآة وسمعة ذكر في بعض القصة ان عبد الرحمن بن عوف اتى بنصف ماله
في غزوة تبوك يتقرب به الى الله وقال يا نبى الله هذا نصف مالى اتيتك به وتركت نصفه لعيالى فدعا له نبى الله
ان يبارك فيما اعطى وفيما امسك فلمزه المنافقون وقالوا ما اعطى الا رياء وسمعة وجاء رجل آخر من فقراء المسلمين
بصاع من تمر فنثره فى تمر الصدقة فقال له نبى الله خيرا ودعا له فقال المنافقون ان الله لغنى عن صاع هذا
فذلك لمزهم فانزل الله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم
اى طاقتهم والجهد الطاقة قال والجهد المشقة وقال ابو عوسجة الجهد انفاق الرجل من الشيء القليل يقال جهد
الرجل اذا كان من الضعفاء ومن الفقر ويقال جهد فى العمل يجهد جهدا وهو اذا بالغ فى العمل قال ابو عبيد الجهد مثل
الوسع والجهد الطاقة وكذلك قال ابو معاذ وفى الآية معنيان احدهما دلالة اثبات رسالة رسول الله لانه معلوم
ان ما كان منه من اللمز ظاهرا ولكن كان سرا ثم اخبرهم رسوله بذلك دل انه انما عرف ذلك بالله والثانى ان الامور التى
فيما بين الخلق انما ينظروا الى ظواهرها وان كان فى الباطن على خلاف الظواهر حيث عوتبوا بما طعنوا فيهم بالرياء والسمعة
ليعلموا ان الامور التى فيما بين الخلق تحمل على ظواهرها ولا ينظر فيها الى غير ظاهرها والحقيقة هو ما بطن واسروا به يخلص
العمل لله والسر هو ما يسر المرء فى نفسه والنجوى هو اجتماع جماعة على نجوة من الارض اى المرتفع من المكان وقوله
عز وجل فيسخرون منهم سخر الله منهم قال بعضهم ان من اعتذر الى آخر فيقبل عذره على علم من المعتذر اليه انه لا عذر له
فيما يعتذر اليه وانه كاذب فى ذلك فقبول المعتذر اليه ما يعتذر من المعتذر سخر به من المعتذر اليه الى المعتذر وقال
بعضهم قوله سخر الله منهم اى يجزيهم جزاء السخرية فسمى جزاءه باسم السخرية وان لم يكن الجزاء سخرية كما سمى جزاء السيئة سيئة وان لم تكن
الثانية سيئة وكذلك سمى جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثانى اعتداء فعلى ذلك سمى جزاء السخرية وان لم تكن سخرية
ويحتمل قوله سخر الله منهم اى سخر اولياء الله منهم فاضيف اليه وكذلك يحتمل قوله الله يستهزئ اى اولياؤه وهو قوله ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا فذلك استهزاؤهم بهم وذلك جائز فى اللغة اضافة الشيء الى آخر والمراد منه غير المضاف اليه وقوله
عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال عامة اهل التأويل انه
لما مات عبد الله بن ابى اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه فاخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال ما امرك الله بهذا
قال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال قد خيرنى ربى فقال افعل
او لا تفعل وفى بعض الروايات قال له عمر لا تستغفر فان الله قد نهاك عن هذا فقال يا عمر افلا استغفر احدا وسبعين
مرة او كلام نحو هذا فانزل الله عند ذلك سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لكن هذا يبعد

يفهم

339

يفهم رسول الله من الآية التخيير وعمر يمنعه عن ذلك ولا يجوز ان يفهم التخيير فى ذلك ويخرج ذلك على التحديد او تكون
هذه منسوخة بالتى فى المنافقين لانه وعيد والوعيد لا يحتمل النسخ والوجه فيه والله اعلم ان استغفرت لهم
فان استغفارك ليس بالذى يرد فلا يجاب لكنهم قوم كفروا بالله ورسوله وقد نعلم من حكمى ان لا اغفر من مات على ذلك
يخرج على الاعتذار لرسوله فى ذلك والنهى له عن الاستغفار لهم كقوله ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا
ولو كانوا اولى قربى وقد علم شرك المنافقين وكفرهم بالله ورسوله فنهاه عن الاستغفار لهم اذ لا يحتمل ان يكون
ذلك قبل ان يطلع رسوله على كفرهم فدل انه بعد العلم بذلك نهاه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة فى قولهم ان صاحب
الكبيرة لا يغفر له لاخباره انه لا يغفر لهم بما كفروا بالله ورسوله فدل ان من لم يكن كفر بالله ورسوله وان له الشفاعة
وصاحب الكبيرة ليس كافرا دل انه ما ذكرنا ثم طلب المغفرة من الله والشفاعة لغيره ان لا يكون الا الخواص من الخلق وهم
الرسل والانبياء على ما يكون فى الشاهد لا يرفع الى ملوك الارض الحاجة لغيرهم الا الخواص لهم ولا يشفعون الا لاهل الشرف
عندهم والمنزلة لكن الله تعالى اذن لنا فى استغفار لغيرنا بقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقوله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم يحتمل قوله
عليهم اى سواء عندهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ويكون طلب استغفارهم من رسول الله استهزاء منهم لما حيث
قال سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يخرج قولهم فاستغفر لنا مخرج
الاستهزاء على هذا التأويل ويحتمل قوله سواء عليهم اى سواء عند الله استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم فانه لا يغفر لهم
بكفرهم بالله ورسوله ثم قوله ان تستغفر لهم سبعين مرة يحتمل ذكر السبعين لان السبعين هو النهاية والغاية
فى الاستغفار على ما روى انه كان يستغفر فى كل يوم سبعين استغفارا فاخبر انك وان انتهيت النهاية فيه لا يغفر لهم
ولا ينفعهم ذلك وقوله عز وجل والله لا يهدى القوم الفاسقين وقت اختيارهم الفسق ولا يهديهم طريق الجنة
فى الآخرة لفسقهم فى الدنيا اذا ماتوا على ذلك وقوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية جمع
اعنى المنافقين جميع خصال الشر التى فعلوا احدها ما ذكر من فرحهم بالتخلف عن رسول الله والثانى كراهتهم الجهاد
مع رسول الله وبخلهم باموالهم والثالث صدهم الناس عن الجهاد والخروج فى سبيل الله بقولهم لا تنفروا فى الحر
جمع الله جميع خصال المنافقين فى هذه الآية وقوله فرح المخلفون ذكر المخلفون وهم كانوا متخلفين فى الحقيقة
لكنه يحتمل وجهين مخلفون خلفهم الله لما ذكر ان خروجهم لا يزيدهم الا خبالا وانهم يبغون الفتنة خلفهم عن ذلك
كقوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم قيل حبسهم فعلى ذلك مخلفون خلفهم الله
لما علم ان خروجهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا ويحتمل مخلفون خلفهم اصحاب رسول الله لانهم لو ارادوا ان يخرجوهم
كرها لقدروا على ذلك فهم كالمخلفين من هذا الوجه لما لو ارادوا اخراجهم اخرجوهم وان كانوا متخلفين فى الحقيقة
وقوله بمقعدهم خلاف رسول الله اى مخالفة رسول الله وقرئ خلف رسول الله اى فرحوا بقعودهم بعد خروج
رسول الله وقوله بمقعدهم يحتمل القعود اى بقعودهم خلفه ويحتمل بمقعدهم اى موضع قعودهم وهو منازلهم واوطانهم
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم ببخلهم وخلافهم الذى فى قلوبهم وقوله عز وجل لا تنفروا فى الحر هذا فى الظاهر
يخرج على اظهار الشفقة للمؤمنين ولكن لم يكن ارادوا ذلك انما ارادوا حبسهم عن الخروج فى سبيل الله لكن المؤمنون
لا يمتنعون عن الخروج فى سبيل الله اذا قالوا لهم مطلقا لا تنفروا فى الحر وهو كقوله الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم كانوا يجبنون المؤمنين عن الخروج الى العدو وكانوا يحتالون فى منعهم المؤمنين عن الخروج فى سبيل الله
ولو اطلقوا القول فى المنع وصرحوه لفهم المؤمنون ذلك ويظهر نفاقهم وجائز ان يكون قولهم لا تنفروا فى الحر قالوا ذلك فيما بينهم
لا للمؤمنين كقوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا غزى وقوله عز وجل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون
اى لو كانوا يفقهون ما انزل على رسول الله لعلموا ان نار جهنم اشد حرا من حر الدنيا او لو كانوا يفقهون انهم لم يخلقوا
فى الدنيا للدنيا خاصة ولكن خلقهم فيها يمتحنهم ليعلموا ان الموعود فى الآخرة اشد مما امتحنوا فى الدنيا والله اعلم وقوله

وقوله عز وجل فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا يشبه ان يكون الضحك كناية عن الفرح والسرور والبكا كناية عن الحزن يقول
ان جاو سروا قليلا وتحزنون في الاخرة طويلا كثيرا وامكن ان يكون على حقيقة الضحك لانهم كانوا يضحكون ويستهزؤن بالمؤمنين
في الدنيا يقول ضحكوا قليلا كان الدنيا قليل تنقطع ويبكون كثيرا في الاخرة لانها لا تنقطع جزاء بما كانوا يكسبون وقوله عز وجل
فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك دل قوله رجعك الله الى طائفة منهم ان ليس كل من تخلف عنه في ذلك
فهو منافق ولا كل المنافقين امتنعوا وتخلفوا عنه وقوله عز وجل فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا
معى عدوا لانه اخبر ان خروجهم معهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا فيقول لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا انه
انكم رضيتم بالقعود اول مرة اى عوقبوا بالقعود اول مرة لنفاقهم وقوله فقل لن تخرجوا معى ابدا اى لو ياذن لكم ان تخرجوا
معى ابدا ولن آذن لكم ان تقاتلوا معى ابدا ويحتمل لن تخرجوا اى وان اذنت لكم بالخروج فلن تخرجوا ابدا فاقعدوا مع الخالفين
قيل مع المتخلفين وهم المنافقون ما ذكر ويحتمل ان اقعدوا مع اصحاب الاعذار وقال بعضهم مع النساء والزمنى وهو واحد
وقوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا يعنى المنافقين ولا تقم على قبره ذكر في بعض القصة انه لما مات عبد الله
ابن ابى نجا ابنه الى رسول الله فقال يا رسول الله ان ابى مات واوصانا ان يكفن في قميصك وان تصلى عليه فخلع النبى
قميصه فاعطاه مثنى فصلى وقام على قبره وروى في بعض الاخبار انه صلى عليه والبسه قميصه وقيل له تلبس عدو الله قميصك
وقال انى لارجو ان يسلم بقميصى من بنى الخزرج الف فذكر انه لما فعل ذلك اسلم الف رجل من المنافقين وروى
انه لم يصل عليه فلا ندرى كيف كان الامر بعد ان جاء النهى عن الصلوة على المنافقين بقوله ولا تصل على احد منهم
مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون سماهم فسقة واسم الكفر اقبح واذم لكنهم
جمعوا مع الكفر انواع الفسق ليعلم ان اعتقادهم الكفر والمذهب الذى يذهبون اليه انما اعتقدوا لهواهم لا ان الفسق
مما يحرمه كل مذهب ودين وكل يانف عن الفسق ويتبرأ منه ولا كذلك الكفر لان كل من آمن بشيء كفر بضده واصل
الفسق هو الخروج من الامر والله اعلم وقوله عز وجل ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم في الدنيا
قال بعضهم من اهل التاويل انه على التقديم والتاخير كانه قال ولا تعجبك اموالهم واولادهم في الدنيا انما يريد الله
ان يعذبهم في الاخرة وفيه نقض قول المعتزلة في الاصلح وقد ذكرنا الوجه الذى يدل على نقض قولهم فيما تقدم
ويحتمل قوله انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وهو القتال والحروب التى امروا فيها ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا وهو التعذيب الذى ذكر لانهم يصيرون مقتولين وقوله عز وجل وتزهق انفسهم قيل تذهب وتهلك
وهم كافرون وقوله عز وجل واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله اى اذا انزلت سورة فيها ان آمنوا
بالله لا انها تنزل سورة بهذا الحرف ولكن فيها ذكر ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله وهو كقوله فاذا انزلت سورة محكمة
وذكر فيها القتال وقوله ان آمنوا بالله بقلوبهم لانهم قد اظهروا الايمان باللسان وهم لم يكونوا مؤمنين بالله حقيقة
وقوله عز وجل استاذنك اولوا الطول منهم قيل اولوا الطول هم اهل الغنا والسعة وقيل اولوا الطول اهل الفضل
والشرف الذين كانوا يصدرون لرأيهم وينظرون الى تدبيرهم وقد كان في اهل النفاق اهل السعة والغنا
واهل النظر والتدبير وقوله عز وجل وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين استاذنوا القعود عن الجهاد والله اعلم
لما كانوا يوالون اهل الكفر سرا فكرهوا القتال مع الاولياء او كانوا يتخلفون ويمتنعون عن الخروج الى القتال واما اهل
الايمان فانهم انما يعملون للعواقب وكذلك اهل الكفر انما يقاتلون اهل الايمان اما غنيمة في العاقبة يتاملون لكنهم كانوا
يستاذنون القعود ويكونون مع القاعدين يرون من انفسهم ان لهم العذر في القعود ثم قوله ذرنا نكن مع القاعدين
يحتمل مع القاعدين من الضعفاء والمرضى والصبيان حتى اذا اتاهم العدو من بعد ما خرج الرجال منهم الى قتال العدو ويقومون
لدفع العدو عن هؤلاء او يكون قولهم ذرنا نكن مع القاعدين من اهل العذر يرون انفسهم لانهم اهل العذر ولم يكن لهم
عذر في ذلك كقوله ان بيوتنا عورة وما هي بعورة الاية فعلى ذلك الاول يحتمل هذا وقوله عز وجل رضوا بان يكونوا مع الخوالف
قيل مع النساء فهذا حرف تعيير وتوبيخ انهم رضوا بان يكونوا في مشاهد النساء دون مشاهد الرجال وقوله عز وجل وطبع

على قلوبهم فهم لا يفقهون ان للايمان نورا يبصر به عواقب الامور ويرفع الحجاب والستر من القلوب ومن الامور فتريها
بادية ظاهرة وللكفر ظلمة تستر الظاهر من الامور والبادى منها فتستر تلك الظلمة قلبه لذلك الطبع وقد ذكرنا الوجه فيه
في غير موضع والله اعلم فهم لا يفقهون ما يلحقهم من التعيير برضاهم بالقعود مع الخوالف والفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال
على نظيره منع تلك الظلمة ان يعرفوا الاشياء بمعانيها وبنظائرها الحجاب الذى ذكرنا وقوله عز وجل لكن الرسول والذين آمنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم يقول والله اعلم ان الرسول والذين حققوا الايمان والتصديق جاهدوا باموالهم
وانفسهم اى بذلوا انفسهم واموالهم لنصر دين الله واظهار سبيله ولم يبخلوا كما بخل اهل النفاق في بذل اموالهم وانفسهم في نصره
بالمجاهدة مع اعدائه ولم يحققوا الايمان والتصديق ثم اخبر ان للمؤمنين الذين حققوا الايمان والتصديق وبذلوا انفسهم
واموالهم وجاهدوا بها في نصر دين الله واظهار سبيله لهم الخيرات قال بعضهم لهم الخيرات الذكر في الدنيا والثنا الحسن
وسلوك الناس طريقهم وفي الاخرة الثواب والجزاء وقيل لهم الخيرات في الاخرة لما بذلوا انفسهم واموالهم في نصر دينه
والمجاهدة مع عدوه وقيل لهم الخيرات الحور العين كقوله فيهن خيرات حسان والله اعلم واولئك هم المفلحون
المفلح هو الذى يظفر بحاجته يقال افلح وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ليعلم ان العظيم ليس يقع فيما فيه الغلظ والكثافة ولكن القدر والمنزلة وقوله
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم قال بعضهم اهل التاويل المعذرون هم الذين يستاذنون القعود ولا عذر لهم
في ذلك وقال الكلبى المعذرون هم الذين لهم عذر وبهم علة وبعضهم قال المعذرون هم المعتذرون وروى عن
ابن عباس رضى الله عنه انه قرا المعذرون بالتخفيف وقال لعن الله المعذرين كانه ذهب الى ان المعذر هو الذى له عذر
والمعذر بالتشديد الذى لا عذر له لذلك لعن المعذر قال ابو معاذ واكثر كلام العرب المعذر الذى له عذر وهو قولهم
قد اعذر من انذر وقال ابو عوسجة المعذر بالتشديد الذى لا يبالغ فيما يريد ان يفعله ويقال عذرت في الامر لم ابالغ
فيه واعذرت في الامر اى بالغت فيه وقال القتبى المعذرون بالتشديد هم الذين لا يجدون انما يعرضون ما لا يريدون
ان يفعلوه يقال عذرت في الامر اذا قصرت واعذرت جددت ثم قال بعض اهل التاويل دل هذا على اهل النفاق
كانوا صنفين صنف كانوا يستاذنون القعود وصنف لا يستاذنون ولكن يقعدون بقوله وجاء المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم دل قوله الذين كفروا منهم لهم عذاب اليم
على ان من اهل النفاق من قد آمن وتاب وان من تاب يقبل ذلك منه لانه قال سيصيب الذين كفروا ولم يقل سيصيبهم
عذاب اليم وقال بعضهم المعذرون بالتخفيف هم المؤمنون الذين لهم عذر والتخلف اتوا رسول الله لينظر في امرهم الاوفق
ان كان الخروج لهم اوفق يخرجون وان كان القعود اوفق يقعدون يدل على ذلك الاية التى هذه وهو وقوله عز وجل ليس
على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون الاية فان قيل كيف احتمل ان يكون لاية واحدة في الفريقين
مختلفين اذا قرئ بالتخفيف فهى في الذين لهم عذر واذا قرئ بالتشديد كانت في الذين لا عذر لهم قيل تصير على اختلاف القراءة
كايتين في حالتين ووقتين مختلفين ان كان تاويل المعذر بالتشديد هو الذى يعتذر ولا عذر له والمعذر بالتخفيف
هو الذى له عذر او كان تاويل احدى القراءتين على ضد الاخرى كان لهم عذر في حال ولا عذر لهم في حال الاخرى والا لا يحتمل
ان تكون القراءتان جميعا في وقت واحد وتاويلهما على الاختلاف الذى ذكروا وهو كقوله قالوا ربنا باعد بين اسفارنا وربنا
بالرفع باعد بين اسفارنا احدهما على الدعاء والاخر على الايجاب هما آيتان صارتا آية واحدة لاختلاف القراءة والله اعلم وقوله
ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج لو لم يذكر المرضى ولا الذين لا يجدون ما ينفقون
لكان المفهوم من قوله ليس على الضعفاء المريض والذى لا يجد ما ينفق وكذلك اذا ذكر المريض كان في ذكره ما يفهم منه كل ضعيف
وكل ما لا يجد ما ينفق وفي كل حرف من هذه الحروف ما يفهم منه معنى الاخر فلما ذكر دل ان المراد من ذكر الضعفاء الزمنى
من نحو الاعمى والاعرج فكان كقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج فتكون الايتان واحدة اعنى معناهما واحد وفيه دلالة
ان ليس في ذكر عدد من الاشياء حظر دخول غير المذكور في حكم المذكور اذا كان في معناه ولهذا قال اصحابنا انه ليس فيما ذكر رسول الله

عذراً في الربوا بقوله والحنطة بالحنطة والذهب بالذهب والفضل ربوا على ان لا المعنى ورد ولا تدخل فيه مالم يذكر
لما ذكرنا انه لو ذكر الضعفاء لذكر المريض والاعمى والاعرج وجميع من ضعف عن الخروج من انواع الاعذار ثم لم يدل ما ذكر
من العدد وتخصيصه على انه لا المعنى ذكر فعلى ذلك خير الربوا ثم جعل العمى والعرج والمرض وعدم النفقة ونحوه عذرا
في ترك الخروج ولم يجعل شدة الحرب وبعد المسافة ونحوه عذراً بقوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حراً
واصله والله اعلم ان كل مالم يعمل في المنع عن الخروج لشهوة اولطمع برجا اسه من التجارة ونحوها لم يكن ذلك عذراً في ترك الخروج
اذ شدة الحر وبعد السفر وخوف العدو ومما لا يمنعهم عن الخروج للتجارة فلم يصر ذلك عذراً في التخلف عن الخروج للجهاد
واما حال المرض والزمانة وعدم النفقة يمنع ويعجزهم عن الخروج في كل ما يهوون ويشتهون صار ذلك عذراً لهم بالتخلف
عن الخروج للجهاد والثاني ان كل ما يقدر على دفعه لم يجعل ذلك عذراً في التخلف وكل ما لا سبيل لهم الى دفعه فهو عذر
والحر وبعد السفر وخوف العدو ويجوز ان يدفع فيصير كان ليس وما ذكر قل نار جهنم اشد حراً اذ ذكر شدة حر جهنم
وبعد سفر الآخرة واهوالها هان عليه الخروج وسهل فارتفع ذلك فلذلك صار احدهما عذراً والآخر لا والله اعلم **وقوله**
عز وجل اذا نصحوا لله ورسوله قيل لم يخدعوا احداً في دينه ولم يغشوا في دينه وقيل اذا نصحوا الله ورسوله اي اطاعوا الله ورسوله
في الحضرة ولم يتركوا طاعته **وقوله** عز وجل والله غفور رحيم بتركهم الخروج وتخلفهم عن الجهاد مع الاعذار
عز وجل ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه ذكر في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لولا اشق على امتي او قال على المؤمنين والا خرجت في كل سرية بعثتها لانهم لا يجدون ما ينفقون فيخرجون ولا احد
ما احملهم عليه فيشق عليهم مفارقتهم اياي فلا حرج بتركهم الخروج اذا لم يجدوا ما ينفقون ولا يحمل عليه ثم قال ولكن
السبيل على الذين يجدون ما ينفقون فيتركون الخروج بقوله انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا
مع الخوالف يعني النساء وطبع الله على قلوبهم يعني النساء وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون هنا قد ذكر ههنا قد طبع الله
على قلوبهم فهم لا يعلمون وذكر في الآية الاولى وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون والفقه هو معرفة الشيء بعينه والعلم
هو وقوع العلم لا بعينه ولذلك يقال لله عالم ولا يجوز ان يقال فقيه فاخبر عز وجل انهم لا عرفوا الشيء بعينه
ولا بنفسه عناداً منهم ومكابرة **وقوله** عز وجل يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم فيه انباء عما
يقول لهم انما فقون اذا رجعوا اليهم ويعلم من الله لرسوله والمؤمنين ما يقول لهم وما ذا يجيبون لهم فقال يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم بما تعتذرون اي بما تظهرون لانفسكم من العذر وقوله لا تعتذروا
ليس على النهي ولكن على التوبيخ والتعيير **وقوله** عز وجل قد نبأنا الله من اخباركم يحتمل قوله قد نبأنا الله من اخباركم
انكم لا تصلحون ابداً كما قال انهم رجس ومأويهم جهنم الآية اخبر انهم رجس وان مأويهم جهنم وقيل قد نبأنا الله
من اخباركم حين قال لهم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً الى قوله يبغونكم الفتنة وقالوا وهذا الذي نبأنا الله
من اخباركم **وقوله** عز وجل وسيرى الله عملكم ورسوله قال بعضهم سيرى الله عملكم ورسوله فيما تستأنفون ويحتمل
قوله سيرى الله عملكم ورسوله اي سيرى الله ورسوله عملكم باطلاً او يقول سيرى الله عملكم اي يجزيكم جزاء عملكم
ورسوله والمؤمنون يشهدون عليكم بذلك **وقوله** عز وجل ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة قد ذكرنا انه ليس
شيء يغيب عنه او يكون شيء عنده اظهر من شيء ولكن ما يغيب عن الخلق وما لا يغيب عنه يحل واحد **وقوله** عز وجل
فينبئكم بما كنتم تعملون يخرج على الوعيد **وقوله** عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا
عنهم يحتمل قوله لتعرضوا اي لتتجاوزوا عنهم ولا تكافئوهم فيكون قوله فاعرضوا عنهم لما سالوا من التجاوز عنهم
وترك المكافاة ويحتمل قوله لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم اي لا تحاجهم ولا تشتغل بهم فانهم لا يصلحون ابداً وانهم
رجس ومأويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون **وقوله** يحلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلون منهم ما يظهرون من العذر
ثم اخبر انكم ان رضيتم منهم وقبلتم ما يذكرون من عذرهم فان الله لا يرضى عنهم لما يعلم انه لا عذر لهم فيما يظهرون لكم
من العذر والله اعلم ليس على النهي عن رضاء اولئك لان ارضاء الخلق بعضهم لبعض انما يكون بالحلف وما يكون من الظاهر

ولكن النهي

ولكن النهي عن ترك الموافقة في الباطن وفيه يتحقق رضاء الله **وقوله** عز وجل الاعراب اشد كفراً ونفاقاً وهو ان
ان رسول الله دعا كفار المدينة ومنافقيها فايأس عن ايمانهم بقوله فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأويهم جهنم الآية
فلما او يئس عن ايمان هؤلاء قيل نحو طائفة من الاعراب الذين كانوا بقرب المدينة وحواليها فاخبر انهم اشد كفراً ونفاقاً
من اهل المدينة ويحتمل انه اراد بالاعراب جملة انهم اشد الكفار منهم واهل النفاق كفراً ونفاقاً من اهل الامصار والمدن
فهو لوجهين احدهما ان الامصار والمدن كانوا يسمعون الآيات والحجج ويخالطون اهل رحمة ورأفة واهل مودة واما الاعراب
واهل البادية كانوا لا يسمعون الآيات والحجج ولا خالطوا اهل رحمة ورأفة فهؤلاء اقسى قلوباً واضيق صدوراً واهل المدن
والامصار الين قلوباً واوسع صدوراً فهم اسرع للاجابة واولئك ابعد وابطأ اجابة والثاني انهم وصفوا بفضل
الجهل ما لم يوصف اهل المدن والامصار بذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمنكم اعرابي وفي بعضها
لا يؤمن اعرابي مهاجراً وفي بعض الاخبار من بدا جفا وذلك والله اعلم لانهم كانوا لا يدخلون الامصار والمدن ليتأدبوا
ويتعلموا الآداب فاذا كانوا كذلك فهم لجهل والايمان هو التصديق والتصديق انما يكون بعد العلم لانه ما لم يعلم لم يصدق
فاذا كانوا بالجهل ما وصفنا كانوا اشد انكاراً وتكذيباً من غيرهم وهو ما ذكر واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله وصفهم بالجهل وبالجهل يكون التكذيب وبالعلم التصديق وهو ما ذكرنا واحد دراحاق واحرى ولجد
وقوله عز وجل حدود ما انزل الله على رسوله قال بعضهم هم اقل علماً بالسنن وقيل بالفرائض ويقال الحدود
ما بين من طاعة الله ومعصيته واصله انهم اهل جهل بجميع الاوامر والنواهي وجميع الآداب وما لا يحل وما يحل والله
عليم على علم بما يكون منهم خلقهم حكيم حيث وضع الخلائق بموضع يدل على وحدانيته والوهيته لو تدبروا فيه
ونظروا **وقوله** عز وجل ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما اي كان لا ينفق حسبة وقال بعضهم ينفق
ولا يراه حقاً انما يراه غرماً يلحقه وغرماً يغرمه واصله انهم لو كانوا علموا حقيقة انهم وما حوت ايديهم لله ليس لهم
لم يعدوا ذلك غرماً غرموا وتبعة لحقتهم ولكن لما يرد الله تعالى في اموالهم حقاً ولم يعلموا ان اموالهم لله حقيقة لا لهم
عدوا ذلك غرماً وتبعة **وقوله** عز وجل ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء قيل الدوائر هو انقلاب الامر
وهو من الدوران ثم يحتمل قوله يتربص بكم ما قال بعضهم موت محمد وقيل دوائر الزمان وحوادثها عليهم دائرة السوء
اي عليهم انقلاب الامر وعليهم ما تربصوا على المؤمنين **وقوله** واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
ليس على حقيقة الانزال من موضع ولكن على خلق ذلك كقوله وانزل لكم من الانعام كذا يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا
وقوله والله سميع عليم لما قال عليم بما اسروا واضمروا **وقوله** عز وجل ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق
قربات عند الله ذكر في الآية انه من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ليعلم ان قوله الاعراب اشد كفراً ونفاقاً كان
في طائفة مشار اليها لا كل الاعراب لانه ذكر ههنا ان منهم من قد آمن وذكر ايضاً ان منهم من ينفق ويتخذ ما ينفق قربات عند الله
وذكر في الآية الاولى ان منهم من يتخذ ما ينفق مغرماً اي لا يراه حقاً واجباً ولكن غرماً يلحقه ومنهم من يرى ذلك حقاً لله واجباً
في اموالهم فيجعلون ذلك قربة لهم عند الله واولئك يرون غرماً لحقتهم لا قربة ثم في الآية خوف دخول المؤمنين في وعيد هذه
الآية الذين لا يؤدون الزكوة ولا ينفقون وخوف لحوق النفاق لانه اخبر انهم يتخذون ما ينفقون مغرماً لمن ترك اداء ما
انما يترك لانه لا يرى ذلك حقاً لانه لو رأى ذلك حقاً واجباً لاداه على ما ادى غيره من الحقوق ولو كان موقناً بالبعث
لانفق وجعل ذلك قربة له عند الله لان المؤمن انما ينفق ويعمل للعاقبة فاذا ترك ذلك يخاف دخوله في وعيد الآية
ولحوق اسم النفاق به وان كان لا نشهد عليه ذلك **وقوله** ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول قال بعضهم
جعلوا ما انفقوا قربات عند الله بصلوات الرسول لانهم اذا انفقوا كان الرسول يدعو لهم بذلك ويستغفر فكان ذلك
لهم قربات عند الله باستغفار الرسول ودعائه وقال بعضهم جعلوا ما انفقوا وصلوات الرسول قربات عند الله ويكون لهم
ما انفقوا قربة عند الله وصلوات الرسول طمأنينة لهم وبراءة من النفاق لان الرسول كان لا يدعو لاهل الكفر والنفاق
فاذا دعا لهؤلاء وصلى عليهم كان ذلك طمأنينة لقلوبهم وعلماً لهم للبراءة من النفاق وعلى ذلك يخرج قوله ان صلوتك سكن لهم

اى يسكن قلوبهم بصلوة الرسول وتطمئن بانهم ليسوا باهل النفاق وانهم براءة من ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل الا انها
قربة لهم ذكر هذا مقابل ماذكر في الاية الاولى وهو قوله ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء اخبر ههنا انما يتربصون
بهم من الدواير عليهم ذلك وههنا اخبر ان ماينفق المومنون ويطلبون بذلك قربة عند الله انها قربة لهم ثم وعدلهم الجنة
بقوله سيدخلهم الله في رحمته اى جنته سمى جنته لما برحمته يدخلون لا استيجابا لهم منه بذلك بل برحمته وفضله ان الله
غفور لما كان منهم من المساوى والشرك اذا تابوا وآمنوا رحيم حيث لم يواخذهم بذلك **وقوله** عز وجل والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان يحتمل هذا ان يكون مربوطا معطوفا على قوله سيدخلهم الله مع السابقين
الاولين اى اولئك الذين آمنوا من بعد واولئك المهاجرين والانصار يدخلهم في الجنة مع السابقين الاولين ويحتمل ان يكون
على الابتداء لا على العطف على الاول ثم تختلف فيه قال بعضهم السابقون الاولون في الاسلام والنصرة وقال بعضهم
الاولون في الهجرة والنصرة والذين اتبعوهم باحسان اى والذين اتبعوا اولئك في الاسلام والنصرة وقال بعضهم الاولون
في الهجرة والنصرة والذين اتبعوهم باحسان على تاويل من جعل المسابقة في الاسلام وعلى تاويل من جعل على الهجرة اتبعوهم
باحسان وذكر عن عمر انه قرا على طرح الواو والانصار الذين اتبعوهم باحسان يجعلهم فريقين المهاجرين والانصار ولا يجعل
طبقة ثالثة واما قراءة العامة من القراء فهي على اثبات الواو وجعل طبقة ثالثة ثم منهم من قال من اهل التاويل السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين بايعوا بيعة الرضوان وقال بعضهم هم الذين صلوا القبلتين وقال بعضهم السابقون
الى الاسلام الاولون من المهاجرين والانصار الذين صلوا القبلتين والذين اتبعوهم على دينهم الى يوم القيمة باحسان ثم خصوص
تسمية اهل المدينة انصارا وان كانوا هم والمهاجرون جميعا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا انصار الله فهو
والله اعلم لانهم نصروا المهاجرين حيث آووهم وانزلوهم منازلهم واوطانهم وبذلوا انفسهم واموالهم وان كانوا جميعا
في النصر لرسول الله شرعا سواء ثم في الاية دلالة الرد على الروافض لانهم يجعلون ابا بكر وعمر وهؤلاء رضي الله عنهم ظلمة
لا على الحق بتوليهم امر الامامة والخلافة لانه معلوم انهم كانوا فيما ذكر عز وجل بقوله من المهاجرين والانصار ثم اخبر الله
راض عنهم وانهم راضون عنه دل انهم كانوا على حق وصواب من الامر وان من وصفهم بالظلم والتعدى هو الظالم والمتعدى
واضع الشئ غير موضعه وفيه جواز تقليد الصحابة والاتباع لهم والاقتداء بهم لانه مدح عز وجل من اتبع المهاجرين
والانصار بقوله والذين اتبعوهم باحسان ثم اخبر عن جملتهم ان الله راض عنهم دل والله اعلم ان التقليد لهم لازم
والاقتداء بهم واجب وانا اجبر والخبر واحد ثوابا بحديث يجب العمل به ولا يسع تركه والله اعلم بذلك **وقوله** وممن حولكم
من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق اخبر ان من حولهم من الاعراب ومن اهل المدينة ايضا منافقون
مردوا على النفاق فقال بعضهم المرد في الشئ هو النهاية في الشر وقال بعضهم مردوا على النفاق اى ثبتوا عليه وداموا
وقال بعضهم مردوا اى عتوا عليه وبالغوا فيه اخبر انهم لشدة مكرهم وخداعهم وعتوهم لا تعلمهم انت نحن نعلمهم لان من المنافقين
من كان يعرفهم الرسول في لحن القول كقوله ولتعرفنهم في لحن القول ومنهم من كان يعرفهم في صلوتهم كقوله واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى ومنهم من كان يعرف نفاقه في تخلفه عن رسول الله يعني عن الغزو فاخبر عز وجل ان هؤلاء لشدة عتوهم
ومكرهم وفضل خداعهم لا تعرف نفاقهم ثم اخبر انه يعذبهم مرتين قال بعضهم القتل والسبى وعن الحسن قال عذاب
في الدنيا وعذاب في القبر وقال بعضهم يعذبهم بالجوع مرتين وقال ابو بكر الاصم قوله سنعذبهم مرتين القتل والسبى
قبل الموت والعذاب الاخر يعذبون في القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ويشبه ان يكون تعذيبه اياهم مرتين حيث
اخذوا بالانفاق على المومنين وبينهم وبين المومنين عداوة وامروا ايضا بالقتال مع الكفار وهم اولياؤهم هذا احد
العذابين لانهم امروا بالانفاق على اعدائهم وامروا ايضا ان يقاتلوا اولياءهم والعذاب الثاني القتل في القتال فان قيل
لم يذكر ان منافقا قتل قيل لم يذكر لعلة انهم كانوا لا يعرفونهم لقوله لا تعلمهم
اذا لم يعرفوا فيقتلون كما يقتل غيرهم من المومنين والله اعلم وقال بعضهم سنعذبهم مرتين عند الموت ضرب
الملائكة الوجوه والادبار كقوله يضربون وجوههم وادبارهم وفي القبر منكر ونكير ثم يردون الى عذاب عظيم

في الآخرة

342

في الآخرة **وقوله** عز وجل وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قال عامة اهل التاويل الاية نزلت في ابي لبابة
واصحابه تخلفوا عن غزوة تبوك عن رسول الله فندموا على ذلك واعترفوا ورجعوا عن ذلك وتابوا فقبل الله توبتهم ووعدلهم
المغفرة بقوله عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وذكر في بعض القصة انه لما رجع رسول الله عن غزوة تبوك جاء هؤلاء
الذين تخلفوا عنه باموالهم الى رسول الله فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا خذها فتصدق بها عنا فكره ان ياخذها
فقال لم اومر بذلك فنزل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وهذا الوعد لكل مسلم ارتكب ذنبا لم يخرجه
من الايمان ثم ندم على ذلك وتاب يرجى والله اعلم ان يكون في وعد هذه الاية لانه ذكر المومنين وما هم عليه وذكر المنافقين
وما هم عليه ثم ذكر الذين خلطوا اعمالهم الصالحة باعمالهم السيئة ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا وعد الله لهم قبول التوبة والمغفرة
وقوله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها تختلف في هذه الصدقة التي امر الله رسوله باخذها
من اموالهم قال بعضهم صدقة فريضة ثم تختلف فيها اية فريضة هي فقال بعضهم فريضة زكوة الاموال وقال بعضهم
هي فريضة كفارة المأثم وذلك ان اولئك الذين تخلفوا عن رسول الله عن غزوة تبوك ندموا على تخلفهم فلما رجع رسول الله
جاؤا باموالهم فقالوا له تصدق باموالنا عنا فان اموالنا هي التي خلفتنا عنك فامر الله رسوله ان ياخذ منهم ذلك
ويتصدق بها كفارة لما ارتكبوا ومن قال هي فريضة زكوة المال لما روى عن ابي امامة قال ان ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله فقال
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال رسول الله ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم جاءه فقال
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال ويحك يا ثعلبة اما ترضى ان تكون مثل رسول الله لو سالت الله ان يسيل الجبال على ذهبا
لسالت ثم اتاه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فوالله لئن اتاني الله مالا لاوتين كل ذي حق حقه فدعا له فقال
اللهم ارزق ثعلبة ثلاث مرات واتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت عليه ازقة المدينة فتنحى بها وكان يصلي
الصلوات كلها مع رسول الله ويخرج اليها ثم ضاقت عليه مراعي المدينة فتنحى بها فكان يصلي الظهر والعصر مع رسول الله ثم يتبعها
ثم يتنحى بها فكان يصلي الجمعة مع رسول الله ثم يتبعها ثم بلغ امره الى ان ترك الجمعة والجماعات فتنحى بها ويتلقى الركبان فيسالهم عن الخبر
فانزل على رسول الله خذ من اموالهم صدقة الاية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة رجلين فكتب لهما فرايض
الصدقة وامرهما ان يسعيا في الناس وياخذا صدقاتهم وان يمرا بثعلبة ورجل من بني سليم فياخذا صدقاتهما فخرجا يصدقان
الناس فمرا بالسليمي فاقرأه كتاب رسول الله فاطاع بالصدقة ومرا بثعلبة فاقرآه كتاب رسول الله فقال والله ما ادري ما هذه
الا الجزية او اخت الجزية فاذا فرغتما فمرا بي حتى ارى رايي فلما فرغا من الناس مرا به فقال لهما مثل مقالته الاولى وقال انطلقا فاني
سائل رسول الله فانزل الله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الى قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى هذا ذهب عامة اهل التاويل
انها نزلت في شان ثعلبة ومنهم من قال ما ذكرنا انها نزلت في شان اهل تبوك الذين تخلفوا عن رسول الله ومنهم من قال ان الصدقة
التي امر الله رسوله ان ياخذها من اموالهم هي صدقة تطوع وتبرع وهو ما ذكر ان رسول الله كان يحث الناس على الانفاق في غزوة
تبوك فجاء عبد الرحمن بن عوف بكذا وفلان بكذا فاخذها منهم وفيه نزل قوله الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات
ومنهم من قال هو في كل صدقة تطوع قلت الصدقة او كثرت امر رسوله ان ياخذ من اموالهم ما راى لا ياخذ الكل لان اخذ الكل
يحوجهم ويشغلهم عن جميع الطاعات والعبادات ولكن امر ان ياخذ قدرا منها وطائفة مقدار ما يكون ما ارتكبوا من المأثم **وقوله**
تطهرهم وتزكيهم بها ان كان صدقة الزكوة فهي تطهر آثامهم وتزكي اخلاقهم حتى يتيسر عليهم اخراج الصدقة واداؤها الى
الى اهلها وان كان صدقة كفارة لمن تخلف عن غزوة تبوك فهي تكفر آثامهم التي لحقتهم بذلك وتزكيهم قيل وتطهرهم
وهو ظاهر وان كان صدقة تطوع فهي مما يطهر ايضا ويزكيهم لما ينفي عنهم البخل ويؤدي الى الجود والكرم الا يرى
انه مدح من اعطى وذم من بخل ومنع بقوله فاما من اعطى الاية واما من بخل الاية **وقوله** وصل عليهم ان صلواتك
سكن لهم قال بعضهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احد بصدقة دعا له ويستغفر وكان لا يستغفر
لاهل النفاق وكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبي لما علموا بذلك انهم ليسوا من اهل النفاق هذا يحتمل ويحتمل
وجها آخر وهو ان الله امر رسوله ان يستغفر لهم ويصلي عليهم ثم لا يحتمل ان يامره بذلك فلا يفعل او فعل فلا يجيبه

فكانت قلوبهم سكن وتطمئن باستغفار النبي اياهم لما قبلت توبتهم وكفرت سيئاتهم والله اعلم والله سميع عليم ٥
قد ذكرنا هذا غير مرة وفي قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم دلالة ان الصدقة اذا وقعت في يد المتولي والعامل عليها سقطت
عن اربابها وان لم تقع في ايدي الفقراء ولم تصل اليهم لان النبي كان لا يحل له الصدقة ثم اخبر انه اذا اخذها منهم كانت طهارة لهم
وتزكية وفيه استدلال لمحمد بن الحسن في الوقف ان الواقف اذا وقف واخرجه من يده وجعله في يدي آخر من لا حق له في ذلك
كان ذلك جائزا ويكون وقفا صحيحا ومن الناس من استدل بهذه الآية على ان للامام ان يطلب بزكاة الاموال وكذلك مضت
السنة عن رسول الله في بعث المصدقين الى احياء العرب والبلدان والآفاق لاخذ صدقات الانعام والمواشي في مواضعها
وعلى ذلك فعل الأئمة من بعده ابو بكر وعمر والايمة الراشدون وظهر العمل بذلك من بعدهم الى هذا الوقت حتى قال ابو بكر
لما امتنعت العرب من اعطاء الزكوة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله لحاربتهم عليها فذلك يؤيد ما ذكرنا
من مطالبة الامام اصحاب الانعام والمواشي بزكوة انعامهم ومواشيهم وقد بين الله تعالى وجوب ذلك بيانا شافيا بقوله
انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية فجعل للعاملين عليها حقا فلو لم يكن على الامام ان يطالب صدقات الانعام في اماكنها
وكان اداء ذلك الى ارباب الاموال ما كان لذكر العاملين وجه ولم يبلغنا ان النبي بعث في مطالبة المسلمين بزكوات الورق
واموال التجارة ولكن الناس كانوا يعطون ذلك ومن حمله منهم الى الايمة يقبلون ما يحمل اليهم منه ولا يسألون احدا عن مبلغ
ملكه ولا يطالبونه به الا ما كان من توجيه عمر العشار في الاطراف وكان ذلك منه عندنا والله اعلم للتخفيف عمن بعد
عن داره وشق عليه ان يحمل صدقته الى امامه فجعل في كل طرف من الاطراف عاشر التجار اهل الحرب والذمة وامران ياخذ
من تجار المسلمين ما يدفعونه اليه وكان ذلك من عمر تخفيفا على المسلمين لان على الامام مطالبة ارباب الاموال اموال
العين واموال التجارة باداء الزكوة سوى المواشي والانعام فان مطالبة ذلك الى الايمة الا ان ياتي احد منهم الامام بشيء
من ذلك فيقبله منه ولا يتعدى ما جرت به السنة الى غيره والله اعلم **وقوله** عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده يحتمل قوله الم يعلموا اي قد علموا ان الله يقبل توبة من تاب ويحتمل على الامر اي اعلموا ان الله هو يقبل التوبة
ممن تاب وياخذ الصدقات قيل يقبل ويشبه اضافة الاخذ الى نفسه اضافة الى رسوله بقوله خذ من اموالهم صدقة
وذلك كثير في القرآن **وقوله** عز وجل ان الله هو التواب الرحيم قال ابو بكر الاصم التواب هو صفة الجاني وهو اسم
للتايب والتواب عندنا هو الموفق للتوبة ثم الكافر اذا اسلم وتاب لم يلزم مع التوبة كفارة اخرى سوى التوبة
وان كان ارتكب مساويا وفواحشا سوى الشرك والكفر والمسلم اذا ارتكب مساويا لزمته التوبة والكفارة جميعا وذلك لان
المسلم لما اسلم اعتقد حفظ ما لزمه من الشرايع فاذا ارتكب ما ذكرنا خرج شرايعه وادخل نقصانا فيما اعتقد حفظه فاذا ترك
حفظه فادخل فيه النقصان لزمته الكفارة يجبر بها النقصان الذي ادخل فيه واما الكافر فليس عليه شيء من الشرايع
انما عليه ان يتوب عن الشرك ويأتي بالايمان لذلك افترقا **وقوله** عز وجل وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
اختلف فيه قال بعضهم ذلك في الذين كانوا تخلفوا عن تبوك ثم ندموا وتابوا عن ذلك فتاب الله عليهم يقول اعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اي ان عدتم الى ما عتبتم وهو التخلف يطلع الله رسوله والمؤمنين على ذلك
وستردون الى عالم الغيب والشهادة وقال بعضهم الآية في المنافقين يقول اعملوا فيما تستأنفون فان الله يطلع رسوله
والمؤمنين على نفاقكم فتفتضحون حيث يطلعون على سرائركم وستردون الى عالم الغيب والشهادة اي تردون الى ما اعد لكم
عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجزيكم جزاء ما كنتم تعملون يخرج ذلك على الوعيد وذكر في بعض الاخبار
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد جنازة والمؤمنون ايضا شهدوها فاثنى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال الملائكة شهداء الله في السماء وانتم شهداء الله في الارض فاذا شهدتم وجبت
ثم قرا قوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فان ثبت هذا ففيه دلالة جواز حجة الاجماع لانه قال
الملائكة شهداء الله في السماء وانتم شهداء الله في الارض فاذا شهدتم وجبت فاذا شهدوا على شر فهو شر واذا شهدوا
على خير فهو خير فعلى ذلك اذا شهدوا على حكم يلزم العمل به **وقوله** وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

ليس على الامر ان يقول لهم جميعا اعملوا كذا ولكن ان كل من يلقنه هذه الآية يتفكر فيها ويتدبر فلا يقدم على عمل لا يستحسنه
ان يكون رسول الله والمؤمنون بحضرته فاذا خلا به لا يبطله وكذلك قوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين ليس على الامر بالسير في الارض ولكن على الامر بالتفكر والتدبر فيما نزل بهم بالتكذيب وكذلك قوله قل هو الله احد
ليس على الامر ان يقول لهم ذلك ولكن يتفكر كل فيه فيعرف انه واحد **وقوله** عز وجل وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب
عليهم قال بعضهم هو صلة قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا كانوا موقوفين محبوسين لا يدرون
ما يحكم الله فيهم او يعذبهم او يتوب عليهم فنزل قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقال
بعضهم هو صلة قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا كانوا اتخذوا مسجدا وكانوا مرجون لامر الله ثم بين ان اتخاذهم المسجد
ضرارا وكفرا وتفريقا وقال بعضهم قوله وآخرون مرجون لامر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا وقال ابو عوسجة وآخرون
مرجون لامر الله اي محبوسين يقال ارجيته اي حبسته وقال القتبي مرجون لامر الله اي مرجون على امره كان هذه الآية
نزلت في الذين تخلفوا عنه للركون الى الدنيا ورغبة فيها وهم المؤمنون والآية التي كانت قبل هذه الآية في المنافقين الذين
تخلفوا للركون الى الدنيا وكفرا ونفاقا **وقوله** والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين عن ابن عباس
رضي الله عنه ان المنافقين اتخذوا مسجدا فلما فرغوا منه جاؤوا الى نبي الله وهو يتجهز لغزوة تبوك فقالوا يا رسول الله
بنينا مسجدا الذي للعلة وللحاجة والليلة المطيرة وانا نحب يا رسول الله ان تاتينا فتصلي فيه قال رسول الله انا على سفر
وحال شغل ولو قدمنا اتيناكم فصلينا لكم فيه ان شاء الله فانزل الله على رسوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية اخبر فيه
انهم لم يقصدوا ببناء مسجدهم ذلك ما ذكروا انا بنينا الذي للعلة وللحاجة والليلة المطيرة والاشفاق على الدين وحفظ
الصلوة بالجماعة ولكن يقصدون به ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين **وقوله** ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين يكون قوله
تفريقا بين المؤمنين تفسيرا لقوله ضرارا يقصدون ببناء المسجد الذي بنوا ريبة ان يفرقوا بين المؤمنين وبين رسول الله
حتى اذا جاءهم العدو وجدهم متفرقين فيكون ايسر واهون عليهم في الكسر عليهم والظفر بهم من ان كانوا مجتمعين روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب اثنا عشر الفا كلمتهم واحدة **وقوله** ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم جعل الاجتماع في الدين نعمة
ونهاهم عن التفرق وهم كانوا يقصدون قصد التفريق بينهم لما ذكرنا وكانوا يقصدون بذلك ان يفرقوا بين ضعفة من المؤمنين
وبين رسول الله فيلبسوا عليهم الدين لانهم كانوا اهل لسان وجدل وذلك كله كفر على ما ذكر وفيه دلالة اثبات رسالة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا واضمروا فيما بينهم من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين فاطلع الله نبيه
على ما اسروا ليعلم انه انما عرف بذلك بالله تعالى **وقوله** عز وجل وارصادا لمن حارب الله ورسوله اي بنوا ذلك المسجد ارصادا
لمن حارب الله ورسوله قال عامة اهل التاويل هو ابو عامر ذكر ان ابا عامر حارب رسول الله ثم فر منه فقال للمنافقين ابنوا
مسجدا واستعدوا فاني ذاهب الى قيصر بالشام فاتي بجند فيخرج محمدا واصحابه من المدينة فذهب الى قيصر بالشام فبنوا مسجدا
ارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر قال القتبي ضرارا اي مضارة وارصادا اي ترقبا بالعداوة وقال ابو عوسجة ضرارا اي مضارا
وارصادا لمن حارب الله ورسوله اي توقفا وانتظارا لفرصة لمن حارب الله على المؤمنين **وقوله** عز وجل وليحلفن ان اردنا
اي حلفوا ما اردنا باتخاذ المسجد الا الحسنى والخير والله يشهد انهم لكاذبون فيه ما ذكرنا من الدلالة على اثبات الرسالة **وقوله**
عز وجل لا تقم فيه ابدا قيل لا تصل فيه لانهم سألوه ان يصلي فيه لانهم سألوه وقيل لا تقم اي لا تأته ولا تدخل وهو واحد
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه قال بعضهم هو مسجد قبا وقال بعضهم هو مسجد رسول الله روي
عن ابي سعيد الخدري قال اختصم او قال اختصمنا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال النبي عليه السلام هو مسجدي هذا
وعن ابي بن كعب قال ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال هو مسجدي هذا وظاهر
ما ذكر ان يكون مسجد قبا لانه ذكر لما نزل فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين قال لاهل قبا ان الله قد احسن
عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغائط والبول وفي بعض الاخبار قالوا يا رسول الله انا نجد
مكتوبا علينا في التورية الاستنجاء بالماء فلا ندعه فقال لا تدعوه **وقوله** عز وجل فيه رجال يحبون ان يتطهروا يحتمل

اى فيه رجال يؤثرون التطهر بالايمان والتوحيد والصلوة فيه وكل مسجد هذا فيه فهو مؤسس على التقوى اى تقوى
الشرك والخلاف لامر الله ومناهيه او يقول فيه رجال يحبون اى يؤثرون التطهر بالتقوى والاعمال الصالحة على غيرها
من الاعمال التى تخبثهم ويحتمل ما ذكر اهل التاويل من التطهير من الاقذار والانجاس كانه قال فيه رجال يؤثرون الابلاغ
فى التطهير من الاقذار والانجاس التى تصيبهم وقوله عز وجل افمن اسس بنيانه على تقوى من الله اى على الطاعة لله والاخلاص له
ورضوان الله وطلب مرضاته خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار اى بنى للاختلاف والتفريق بين المؤمنين والكفر بالله
هذا المثل مقابل مكان بمكان يقول من بنى بناء على قرار من الارض مما يقربه وينتفع به خير ممن بنى بناء على المكان الذى لا يقر ويؤدى
الى الهلاك ولا ينتفع به والاول مقابل فعل بفعل وهو قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين
كالذى بنى لعند ذلك اى ليسا بسواء ثم قال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه هذا مقابلة فعل
بفعل يقول الذين بنوا المسجد على الطاعة لله والاخلاص له وطلب مرضاته والاجتماع فيه خير ممن بنى للكفر بالله والتفريق
بين المؤمنين وضرارهم هذا مقابلة فعل بفعل وقوله افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه
على شفا جرف هذا مقابل مكان بمكان لما ذكرنا وقوله اسس اصل الاس والاسس والتاسيس والاساس واحد وقوله
عز وجل شفا جرف هار قال ابو عوسجة شفا جرف قال شفاه حده والجمع اشفاء وجرف ارض يسيل فيها السيل
حتى يحفرها او يحفر فرجع وقوله هار الهش الذى ليس بصلب ويقال انهار يهار اى انهدم ويقال رجل هار اى ضعيف
وارض هشة اى رخوة سريعة الانهدام والهش الرخوة وقال القتبى شفا جرف هار اى جرف هار والجرف
ما يتجرف بالسيول الاودية والهار الساقط ومنه يقال تهور البناء اذا سقط وانهار وقال ابو عبيدة على شفا جرف
الشفا هو الشفير والجرف ما تجرف من السيول من الاودية وهار يريد هاير وقوله عز وجل فانهار به فى نار جهنم
قال بعضهم خسف الله مسجدهم فى نار جهنم وفى حرف ابن مسعود فخر من قواعده فى نار جهنم وقال حفرت فيه بقعة
فرؤى منها دخان سطع وقال يهوى بنيانهم الذى بنوا فى نار ولا ندرى كيف هو وما معناه وقوله عز وجل لا يزال بنيانهم
الذى بنوا ريبة فى قلوبهم قال بعضهم بنوا ريبة اى حسرة وندامة وقال بعضهم ريبة اى شكا وريبا ومن قال حسرة
وندامة فهو على وجهين يحتمل انهم تابوا وندموا على ما صنعوا ويحتمل حسرة وندامة لما افتضحوا بما صنعوا وبما اراد
بقوله والله يشهد انهم لكاذبون ومن قال شكا ونفاقا الا ان تقطع قلوبهم الى الممات اى هم على الشك والنفاق الى الموت
وهو كقوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه واصل الريبة التهمة يقال فلان مريب اذا كانت به تهمة وقوله
عز وجل الا ان تقطع قلوبهم هذا ايضا على وجهين احدهما على التمثيل ان الخوف والحزن اذا بلغ غايته يقال فلان تقطع
القلب وقوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يحتمل قوله اشترى اى استام
لان قوله اشترى خبر ولكن يحتمل الاستيام اى استام ان يبذلوا انفسهم واموالهم لله ليجعل لهم الجنة ثم بين فقال يقاتلون
فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ويحتمل ان يكون قوله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم خبرا عن قوم باعوا انفسهم
واموالهم كقوله ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل
فى سبيل الله الاية فاذا صاروا بايعين انفسهم كان الله عز وجل مشتريها منهم ثم بين انه كيف يباع وكيف يشترى فقال
يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون اى يقتلون العدو ويقتلون اى يقتلهم العدو وقد قرئ الاول بالرفع فيقتلون
والثانى بنصب الياء فهو ليس على الجمع ان يقتلوا ويقتلوا ولكن ان يقتلوا العدو او يقتلهم العدو وانما كان او يقاتلون العدو
وان لم يقتلوا كقوله ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله الاية سمى الايمان بالله والمجاهدة فى سبيله تجارة
ثم قال بان لهم الجنة يحقق الوعد لهم فضلا منه لا بحق البدل ثم قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
ذكر شرى انفسهم واموالهم منهم وانفسهم واموالهم فى الحقيقة لله له ان ياخذ منهم انفسهم واموالهم وان يتلفهم باى وجه
ما شاء لكنه عامل عباده معاملة من لا ملك له فى ذلك ولا حق كرما منه وفضلا وجودا ووعدهم على ذلك اجرا وبدلا

وكذلك

وكذلك ما ذكر من القرض له ووعد لهم على ذلك الاجر مضاعفا وكذلك ما وعد لهم من الثواب فيما يعملون لانفسهم
كالعاملين له حيث قال جزاء بما كانوا يعملون وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ونحوه وان كانوا فى الحقيقة عاملين
لانفسهم بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية ذكر ما ذكر فضلا منه واكراما اذ هى له فى الحقيقة وهو كما قال لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فانما طلب منهم بذل انفسهم واموالهم له او ذكر والله اعلم شرى ماله فى الحقيقة
ليعلم الخلق انه كيف يعامل بعضهم بعضا وكذلك قال الله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا عاملهم معاملة من لا حق له فى اموالهم
وانفسهم ليعامل الناس بعضهم بعضا فى اموالهم وانفسهم كمن لا حق له فى ذلك وقوله عز وجل وعدا عليه حقا اى وعدا
واجبا فى التورية والانجيل والقرآن اى وعد ذلك فى التورية والانجيل وفى حرف ابن مسعود عهدا عليه حقا فى التورية
والانجيل والقرآن وقوله وعدا عليه حقا فى التورية والانجيل هذه الاية تنقض قول من يقول بان الانجيل ترك على التخفيف والتيسير
والتورية بالشدايد وكذلك قوله فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة وذلك مذكور فى حكم الانجيل الا ان يقال
بان قوله وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل اى كان هذا مذكورا لهذه الامة فى التوراة والانجيل وما ذكر ثم قال ومن اوفى
بعهده من الله هذا على ان قوله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية انما هو عهد عهد اليهم حيث قال ومن اوفى
بعهده من الله اى لا احد اوفى واصدق بعهده من الله وفيتم انتم بعهده الذى عهد عليكم والله اعلم وقوله عز وجل فاستبشروا
ببيعكم الذى بايعتم به يشبه ان يكون الاستبشار الذى ذكر وقت الموت ان يقول لهم الملائكة استبشروا ببيعكم الذى
بايعتم به فى الحيوة هذا يدل ان البيع يكون بيعا بالبدل وان لم يتلفظ بلفظة البيع وقد ذكرنا فيما تقدم ان الاحكام
لم تتعلق بالالفاظ والاسامى بما علقت بمعانى فيها فاذا وجد المعانى حكم بها وذلك هو الفوز العظيم الذى ذكر وقوله
عز وجل التائبون العابدون الحامدون الى اخره قال بعضهم على الصلة بالاول فيما ذكر من الشرى والوعد لهم بالجنة
اذا كانوا على الوصف الذى ذكر وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود وابى رضى الله عنهما ان الله اشترى من المؤمنين التائبين
العابدين الحامدين على الصلة بالاول بالكسر الى قوله والحافظون لحدود الله قراها والقائمين على حدود الله انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة ومنهم من قال على الابتداء بالرفع التائبون العابدون الحامدون الى اخره ويشبه ان يكون الشرى
الذى ذكر فى اول الاية وما وعد لهم ببذل انفسهم واموالهم فى الجهاد يكون ذلك ايضا فى غيره من الطاعات والخيرات
من بذل نفسه لله فيما ذكر من العبادة له والجهد وما ذكر فى الاية فهو بايع نفسه منه كقوله ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء
مرضات الله ونحوه وقوله التائبون يحتمل التائبون من الشرك او من جميع المعاصى العابدون يحتمل الموحدون ويحتمل
العابدون جميع انواع العبادة والحامدون قيل الشاكرون وقيل المثنون على الله فان كان قوله العابدون من العبادة
فيكون الحامدون المثنون على الله لان العبادات كلها شكر وان كان قوله العابدون الموحدون فيكون قوله الحامدون
الشاكرون للنعم التى انعمها الله عليهم السائحون قيل الصائمون وعلى ذلك روى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه سئل
عن السائحين فقال هم الصائمون وقال وسياحة امتى الصيام وقال القتبى اصل السائح الذاهب فى الارض ومنه يقال
ساح اذا جرى وذهب والسائح فى الارض ممتنع من الشهوات فشبه الصائم به لامساكه فى صومه عن المطعم والمشرب
وجميع اللذات وقال ابو عوسجة هم الذين يمضون على وجوههم فى الارض ليست لهم منازل يقال ساح يسيح سيحا وسياحة
الراكعون الساجدون قيل المصلون وقيل الخاضعون لله والخاشعون له وكذلك ذكر فى حرف حفصة الامرون بالمعروف
يحتمل التوحيد اى يامرون الناس بتوحيد الله ويحتمل الامرون لهم بالخيرات والمعروف كلها والناهون عن المنكر
الشرك ويحتمل كل معصية والحافظون لحدود الله قال بعضهم لفرائض الله التى فرضها على عباده وقال بعضهم
لسنن الله ولكن حافظون بجميع احكام الله لا يجاوزون ما حد لهم ولا يفرطون فيها وبشر المؤمنين يحتمل البشارة
لهؤلاء الذين سبقوا ذكرهم ويحتمل على الابتداء اى بشر بجميع المؤمنين كقوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
والله اعلم وقوله عز وجل ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين دلت الاية بما نهانا ان نستغفر
لمن علمنا انه من اهل النار لما ان الله لا يستغفر له لما علم انه لا يؤمن فعلى ما علمنا انه لا يغفر له لم نستغفر له لم يجز لنا

ان نقول انه اراد الايمان لمن يعلم انه لا يؤمن ابدا كما لم يجب ان يغفر لمن وجبت له النار فهذا ينقض على المعتزلة قولهم
ان الله قد اراد لكل كافر الايمان لكنه لم يؤمن ثم **وقوله** ماكان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين قال بعض اهل التاويل
انه رسول الله قد استغفر لاحد والديه وذكر انه دخل على ابي طالب عمه فدعاه الى شهادة ان لا اله الا الله فابى ثم استغفر له وقال
لاستغفرن لك ما لم انه عنه او كلام نحو هذا فنزل قوله ماكان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولى قربى الاية قال الحسن لا يحتمل ان يكون رسول من رسل الله لا يعلم ان الله لا يغفر للكافر اذ في العقل والحكمة ان لا يغفر له
والتعذيب له ابدا وعندنا في الحكمة تعذيب الكافر ابدا وان لا يغفر له لوجوه احدها ان في ذلك تسوية بين العدو والولي
ومن سوى بين عدوه ووليه فهو ليس بحكيم اذ في الحكمة التمييز بينهما والثاني انه اذا عبد غير الله معه انما يعبد غيره بجهله وتلك
الجهالة لا ترتفع ابدا لانه اذا غفر له فيقع عنده انه انما جزى به بما جزى وغفر لعبادته غير الله والثالث انه لو غفر للكافر
لذهب حكمة الافعال لان الافعال انما يؤمر بها لعواقب تتامل اما حمدا واما ذما فاذا غفر له حمد بافعال كان الحق له الذم بها
ففي ذلك خروج عن الحكمة وجايز ان يكون رسول الله يستغفر للمنافقين قبل ان يتبين له انهم منافقون فلما تبين له نفاقهم
كف عن استغفارهم فاما ان يستغفر للكافر على علم منه انه كافر فلا يحتمل على ما يقوله بعض اهل التاويل انه استغفر
لعمه ولاحد والديه **وقوله** عز وجل وماكان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه قال بعضهم وعده اياه
الاسلام فكان استغفاره لابيه على وعد الاسلام فانما كان استغفاره بعد اسلامه الا ترى انه قال ربنا وتقبل دعاء
ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين فانما طلب له المغفرة في ذلك اليوم وقد كان وعد له الاسلام لذلك كان استغفر له
الا ترى انه تبرا منه اذا تبين له انه من اهل النار ويحتمل ان يكون استغفار ابراهيم لابيه طلبا للسبب الذي به منه
يستوجب المغفرة وهو التوحيد وهو كقول هود لقومه ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وكقول نوح استغفروا ربكم
انه كان غفارا ليس يامرهم ان يقولوا نستغفر الله ولكن يامرهم بالاسلام ليغفر لهم ويكونوا من اهل المغفرة فعلى ذلك
استغفار ابراهيم لابيه وكذلك قوله واغفر لابي انه كان من الضالين اي اعطه السبب الذي به يستوجب المغفرة وهو التوحيد
كان سؤاله سؤال التوحيد اذ لا يحل طلب المغفرة للكافر وفي الحكمة لا يجوز ان يغفر له فان قيل فان كان على ما ذكرتم
كيف استثنى الا قول ابراهيم لاستغفرن لك بعد ما اخبر لنا ان في ابراهيم قد وقع بقوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
قيل يحتمل الاستثناء الا قول ابراهيم لابيه اي حتى يعلم المعنى من استغفاره لانا لا نعرف مراد ابراهيم من استغفاره لابيه
وكذلك استغفار الانبياء عليهم السلام لقومهم والمتصلين بهم فاستثنى ذلك الى ان نفهم مرادهم من استغفارهم **وقوله** عز وجل
ان ابراهيم لاواه حليم قيل الاواه الدعاء وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الاواه قال الدعاء الخاشع
المتضرع وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الاواه المؤمن وقيل الاواه الفقيه الموقن وقيل المسيح وقيل الاواه المتاوه حزنا وخوفا
وحليم قيل الحليم ضد السفيه وقيل العليم والحليم هو الذي لا يغضب ولا يسفه عند سفه السفيه **وقوله** عز وجل وماكان الله
ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون اختلف اهل التاويل قال بعضهم الاية في استغفار المؤمنين المشركين
وقال بعضهم الاية في نسخ الاحكام والشرايع التي تحتمل النسخ فان كان في استغفار المشركين فانه ليس هناك نسخ لانه لم يسبق لهم
الامر بالاستغفار ولا الاباحة لهم في ذلك فكانه قال ماكان الله ليجعل قوما ضلالا بالاستغفار بعد ان جعلهم مهتدين
حتى يعلموا بالنهي عن ذلك والله اعلم وهو يحتمل ما ذكرنا من استغفارهم للمنافقين قبل ان يتبين لهم يقول لا يجعلهم
ضلالا بذلك حتى يبين لهم ذلك وان كان في نسخ الاحكام فكانه والله اعلم قال ماكان الله ليجعل قوما ضلالا لاجهالا
بفعلهم الذي فعلوا بالامر حتى يبين لهم ما يتقون اي حتى يعلموا بالذي يلزمهم الانتهاء عنه وهو النسخ هذا في الاحكام
التي يحتمل النسخ واما الاحكام التي لا تحتمل النسخ فلا واصله ان كل ما كان في العقل امتناع نسخه فانه لا يرد فيه النسخ وكل
ما كان في العقل لا امتناع على نسخه فانه يجوز ان يرد فيه النسخ ثم المسيلة فيما عملوا بالمنسوخ قبل العلم به بالنسخ وكل ما كان
ما حال العمل الذي عملوا به يحرجون ويأثمون في عملهم بذلك في حال نسخه او يثابون ويوجرون على ذلك فان كان
الفعل فعل طاعة وقربة فانه يثاب في قصده وفعله ولا يحرج فيه ولكن وان كان الفعل ليس بفعل قربة وطاعة

ولكن فعل

ولكن فعل حل وحرمة فانه في فعله قبل بلوغ العلم بنسخه لا يحرج في فعله نحو ما روي انهم كانوا يشربون الخمر ثم اتاهم
آت فقال الا ان الخمر قد حرمت فصبوها وكفوا عنها فهم في شربهم بعد التحريم قبل بلوغ الخبر اليهم لا يحرجون واما الفعل الذي
هو فعل قربة وطاعة فانهم القربة في فعلهم وهو الصلوة ونحوه ما روي ان نفرا كانوا يصلون الى بيت المقدس فمر عليهم مار فقال
الا ان القبلة قد حولت وهم في الركوع الى الكعبة فتحولوا نحوها فاخبروا عن ذلك رسول الله فلم يامرهم بالاعادة لان الفعل
فعل قربة وطاعة فالطاعة والقربة موجودة في فعلهم لان الافعال التي فرضت لهم تعرض لنفس الافعال انما فرضت للطاعة
والقربة لله فيها فانه يوجر على ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الله بكل شيء عليم بما فيه مصالح الخلق وما ليس فيه كان هذا
والله اعلم خرج لانكار من انكر النسخ في الشرايع يقول ان الله يعلم بما فيه مصالح الخلق وانتم لا تعلمون وفي الناسخ مصالح لهم
وانتم لا تعلمون ويؤكد ذلك **وقوله** عز وجل ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وانتم عبيده وليس للعبد انكار
شيء على سيده وانما على العبد الطاعة لسيده والايتمار للاوامر والانتهاء عن نواهيه يحيي ويميت اي كما له ان يميت بعد الحيوة
ويحيي بعد الموت فله ان يتعبدهم في حال بعبادة وفي حال بعبادة اخرى **وقوله** عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الاية قال بعض من اهل التاويل تاب الله عليهم لزلات سبقت منهم وهفوات تقدمت من غير ان كان منهم زلات
في هذا يعني في غزوة تبوك وهفوات اما التوبة على النبي بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وعلى المهاجرين
والانصار ما كان منهم يوم احد ويوم حنين وهو قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وقال بعضهم
تاب عليهم لهفوات كانت منهم في غزوة تبوك هموا ان ينصرفوا في غير وقت الانصراف على غير اذن لشدايد اصابتهم فقال
تاب عليهم لما هموا بالانصراف في غير وقت الانصراف ويشبه ان تكون التوبة التي ذكر على وجهين سوى ما ذكروا وهو انه تاب
عليهم اي جدد عليهم التوبة من غير ان كان منهم هفوة او ثبتهم على التوبة التي كانت منهم والثاني انه ذكر التوبة وذلك
انهم حيث صبروا على ما اصابهم من الشدايد والجهد كشف الله عنهم اشياء كانت مستورة عنهم وجلاهم اغطية كانت لا تنجلي
لهم من قبل لكن انجلى ذلك لهم وانكشف لصبرهم على الشدايد التي اصابتهم كقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله
وانا اليه راجعون لما صبروا على ما اصابهم من المصايب ازدادهم تفويضا وتسليما الامر والمرجع اليه وكقوله ما اصاب
من مصيبة الا باذن الله الاية ازدادهم بما صبروا هدى وتجلى لهم اشياء لم تكن من قبل فعلى ذلك يحتمل التوبة التي ذكر انهم
لما صبروا على ما اصابهم من الشدة والجهد تجلى لهم اشياء كانت مغطاة والله اعلم وبعد فانه ذكر من بعد ما كاد يزيغ
قلوب فريق منهم ولم تذكر انها زاغت وذكر قلوب فريق منهم ولم يذكر قلوب الكل فهو ما ذكرنا ويحتمل ذكر التوبة على النبي على
الاشتراك لهم مع المؤمنين من غير ان كان له ذنب لانه اخبر ان ذنبه مغفور بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فهو كما اشركه في الاستغفار كقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات امره بالاستغفار لذنبه على الاشتراك له
مع استغفار المؤمنين اذ اخبر انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر والتوبة من الله تخرج على وجوه احدها التوفيق
وفقهم للتوبة واكرمهم بها كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم للتوبة فتابوا والثاني التوبة منه قبولها منهم اي يقبل منهم
التوبة كقوله انه هو التواب الرحيم والثالث تاب عليهم اي تجاوز عنهم وعفا وصفح عنهم على هذه الوجوه الثلاثة تخرج
اضافة التوبة الى الله **وقوله** عز وجل الذين اتبعوه في ساعة العسرة قيل في عسرة النفقة وعسرة الظهر **وقوله** عز وجل
من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ذكر في بعض القصة انه قد اصابهم من الجهد والشدة حتى ان الرجلين ليقتسمان
التمرة بينهما وكانت التمرة يتداولون بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها الماء ثم يمصها هذا ذكر نحو هذا ولكن لا ندري كيف
كان الامر سوى انه اخبر ان قلوبهم كادت تزيغ من الجهد **وقوله** عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال بعضهم
خلفوا عن التوبة نحو قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار فكانوا يبتهلون ويدعون الله حتى تاب الله عليهم
فتابوا وقال قايلون خلفوا عن رسول الله لما تقدمهم القوم فهم مخلفون بتقدم اولئك وقال قايلون خلفوا اي
خلفهم الله اي خلق منهم تخلفهم ويشبه ان يكون قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا هم الذين تخلفوا عن رسول الله
ثم ندموا على تخلفهم فخلفوا رسول الله وهو ما ذكرنا **وقوله** حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم

انفسهم يحتمل هذا على التحقيق ويحتمل ان يكون على التمثيل وللتحقيق وجهان احدهما ضاقت عليهم الارض بما رحبت ما ذكر
انهم شدوا انفسهم بالسوارى والاسطوانات واتوا باموالهم التى منعتهم عن الخروج مع رسول الله وتصدقوا بالارضين
التى منعتهم عن الخروج وضاقت عليهم الارض بعد ما كانت عليهم متسعة يتسعون فيها لانه ذكر فى القصة ان واحدا من هؤلاء
ما حبسته ارضه عن الخروج فتصدق بها على الفقراء وكان له التوسع بتلك الارض ثم ضاقت عليه والثانى ضاقت عليهم
الارض بما رحبت لما حبسوا انفسهم عن اراضيهم وتركوا شهواتهم واما نيهم وما يتلذذون به فذلك ضيق الارض وضاقت عليهم
انفسهم لما شدوا انفسهم بالاسطوانات ويحتمل ان يكون على التمثيل وذلك ان الخوف اذا اشتدت بالانسان وبلغ غايته
حتى يمنعه عن القرار فى الارض والتلذذ فيها يقال ضاقت عليها الارض بسعتها وضاقت عليهم انفسهم لما ذكر كان الناس
لا يكلمونهم ولا يخالطونهم ولا يبايعونهم ولا يكلمهم اهاليهم **وقوله** عز وجل وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه قال بعضهم
ظنوا ان لا نجاة من عقوبة الله الا عفوه اى ايقنوا ان لا مخلص لهم ولا احتراز من عقابه وقيل فظنوا ان لا ملجأ من عذابه
الا الى رحمته وقيل وظنوا ان لا ملجأ من رسول الله الا الى الله لانه ذكر انهم سالوا رسول الله التجاوز عن ذلك فلم يجبهم
فايقنوا عند ذلك ان المفزع والملجأ الى الله لا الى احد دونه **وقوله** عز وجل ثم تاب عليهم اى وفقهم التوبة ليتوبوا ان الله
هو التواب الرحيم اى يقبل التوبة اى قابلها **وقوله** عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فى ظاهر
الآية ان قوما عرفوا بالصدق فامروا بالكون معهم ويشبه ان يكون امر هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله بالكون
مع المهاجرين والانصار الذين كانوا مع رسول الله وفيه دلالة ان الاجماع حجة لانه امر بالكون مع الصادقين فى دينه
فلو لم يلزمهم قبول قولهم لم يكن للامر بالكون معهم وجه وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وكونوا من الصادقين وهو
ظاهر وقوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين يحتمل وجوها احدها احفظوا الله فى حقه ولا تضيعوه وكونوا مع
الصادقين فى وفاء ذلك وحفظه واتقوا الله فيما فى ترك ما امتحنكم به من الخروج والجهاد مع رسول الله وغير ذلك من المحن
او يقول اتقوا مخالفة الله ورسوله فيما يامركم به وكونوا مع الموافقين لامره والله اعلم **وقوله** عز وجل ما كان لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله يشبه ان يكون هذا صلة ما سبق منهم من المبايعة والعهود التى جرت بينهم
وبين رسول الله يقول والله اعلم ما كان اى لم يكن لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله بعد
ما قبلوا النصرة له والمعونة وبايعوه على ذلك هذا محتمل ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون صلة ما ذكر على اثره وهو قوله ذلك
بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله يقول والله اعلم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله وقد جعل بكل ما يصيبهم فى انفسهم من العناء والشدة وفى اموالهم من النقصان وما ينفقون
من النفقة قليلة كانت او كثيرة او يصيبون من العدو من القتل والغنيمة الا كتب لهم بذلك عمل صالح اى ما كان
ينبغى لهم ان يتخلفوا عنه وقد كتب لهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعناء وما يصيبون من الخير العمل الصالح والاجر لهم والله اعلم
او يقول ما كان لاهل المدينة اذا تخلفوا عن رسول الله ان يتخلفوا عنه **وقوله** عز وجل ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
يحتمل قوله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اى ولا يرغبوا بالتخلف عن نفسه يقال جاء فلان بنفسه ورايته بعينه
ونحوه اى جاء هو فعل ذلك ولا يرغبوا اى ما كان ينبغى لهم ان يرغبوا عن رسول الله ويحتمل ولا يرغبوا بانفسهم
اى لانفسهم عن نفسه وذلك الجائز ما ذكرنا **وقوله** عز وجل ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ قيل عطش ولا نصب قيل العناء
والمشقة ولا مخمصة فى سبيل الله اى مجاعة ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار قال بعضهم ولا يقفون موقفا وقال بعضهم
هو من الوطئ والموطئ الشئ الذى يوطأ ولا ينالون من عدو نيلا قيل من قتل فيهم واغارة عليهم الا كتب لهم به عمل صالح
اى يكتب لهم وما عليهم العمل الصالح مكان من تخلف منهم مخافة ان يصيبه ما ذكر من العناء والشدة يقول كتب لهم
بكل ما يصيبهم العمل الصالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين **وقوله** عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا
يقطعون واديا الا كتب لهم هو ما ذكرنا انه يجزيهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعناء فى انفسهم وفى اموالهم
من النقصان وما ينفقون ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون اى يجزيهم لصالح اعمالهم واحسنها ولا يجزيهم لسيئاتهم

وهو كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم لخبر انه يتقبل منهم احسن ما عملوا ويكفر عنهم
سيئاتهم نفعل ذلك يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم للفعل ذلك الاول لخبر انه يجزيهم احسن ما عملوا فى الفعل
ويتجاوز عن سيئاتهم **وقوله** عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين
الآية اختلف اهل التاويل قال بعضهم ان نبى الله كان اذا خرج للغزو خرجوا جميعا فبقى المدينة خالية عن الرجال فنهى الله
عن ذلك وقال وما ينبغى للمؤمنين ان ينفروا كافة مع رسول الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين
وقال بعضهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية خرجوا جميعا فبقى هو وحده لم يبق معه احد ممن يشهد
التنزيل ليخبروا اولئك اذا حضروا وقال آخرون الآية فى الوفود وذلك ان الوفود اذا قدموا من الآفاق المدينة قدموا
مع النساء والذرارى جميعا فامروا ان ينفر الرجال منهم دون النساء والذرارى او من كل قوم نفر ليتفقهوا فى الدين ذكر
فى هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة نهى الكل ان ينفروا وامر فى الآية الاخرى
بنفر الكل بقوله فانفروا ثبات او انفروا جميعا فهو يخرج على وجهين احدهما امر بالنفر الجميع عند قلة المؤمنين
ليكون لهم الكفاية مع العدو والثانى امر بنفر الكل عند النفير فيكون احدى الآيتين فى حال النفير والاخرى نهانى غير
حال النفير او ما ذكرنا فى وقت القلة والكثرة فمن يقول ان الآية فى الذين كانوا يخرجون جميعا مع رسول الله اذا خرج كانه
نهى عن الخروج جملة مع رسول الله خوفا على اهاليهم وذراريهم لعل العدو يسبيهم ويأخذ اموالهم يقول الله فلولا نفر من كل
فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين اى هلا نفر منهم فيخبروا الكفار المقيمين بما انزل الله على رسوله من النصر والمعونة
والهزيمة على الكفار الذين قاتلوا رسول الله فيكون ذلك سبب دعائهم الى الاسلام والى هذا يذهب الحسن والاصم
ويقولون ان هذه الآية نسخت الآية التى قبله وهو قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله يقول الحسن ان عليهم ان يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج فيقول هذا منسوخ بالآية التى تليها
وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ومن يقول بان الآية فى الوفود الذين كانوا ياتون رسول الله المدينة بالنساء
والذرارى قال نهى لذلك لما كانوا يضيقون على اهل المدينة اوطانهم ويغلون اسعارهم ونحوه يقول فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اى يتعلمون الدين والحكمة ثم ليرجعوا الى قومهم فيعلموهم
ومن يقول الآية فى الذين خرجوا ونفروا مع السرايا نهاهم عن خروج الكل لما لعله اذا نزل على رسول الله شيئا فلم يكن معه
احد يبلغه اليهم ثم يبلغ هو الى من غاب عنه ضاع ذلك فيقول فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين
ولينذروا قومهم اى ليعلموا قومهم ما نزل على رسول الله وليبلغوا ذلك الى من غاب عنه **وقوله** من كل فرقة منهم
طائفة قيل من كل عصبة ومن كل قبيلة ومن كل حى وفى الآية دلالة سقوط فرض السفر لتعلم العلم والتفقه فى الدين
عن الكل اذا قام بعض بذلك يخرجون ويتعلمون ثم يعلمون قومهم لانه قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الآية وفيه
ايضا دلالة سقوط فرض الجهاد عن الجماعة اذا قام بعضهم عن بعض وفيه دلالة لزوم العمل بخبر الآحاد وان احتمل
الغلط لان ما ذكر من الطائفة يحتمل ان يجمعوا على ذلك كذبا او غلطا ثم الزم قومهم قبول خبرهم وان احتمل الغلط والكذب
بقوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والآية تخرج على وجهين احدهما ان اهل بلدة واهل قبيلة
يختارون من يصلح للتفقه فى الدين والتعلم فينفر حتى اذا تفقه وتعلم رجع الى قومهم فيعلمهم والثانى يأمر من يصلح
للتفقه بالتخلف عن الجهاد واذا كان بهم غنية ليتفقه عند رسول الله فينذر قومه اذا رجعوا اليه من غزاتهم
وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اختلف فيه قال بعضهم الآية قبل ان ينزل قوله
قاتلوا المشركين كافة كان الامر بالقتال بالادنى فالادنى ثم جاء الامر بقتال الكفار عامة وقال بعضهم ان رسول الله
اذا غزا ربما كان يجاوز كفارا ويتركهم وراءه وتقاتل غيرهم ليكون ذلك آية لنبوته ليعلم انه لا يبالى بمن يقاتل
ولا يخاف من تركهم وراءه ثم امر الله المؤمنين ان يقاتلوا الاقرب فالاقرب منهم والادنى فالادنى وان لا يتركوا
العدو وراءهم الى هذا ذهب بعض اهل التاويل وامكن ان يكون هذا تعليم من الله المؤمنين امر الحرب

بعض عنهم
ع

واسبابه كما علمهم جميع ما يقع لهم من الحاجة الى اسباب الحرب في غير اي من القرآن من ذلك **وقوله** عز وجل يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا **وقوله** اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الاية وقوله واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة الاية وغير ذلك من الآيات ويحتمل ان يكون امر بقتال الاقرب فالاقرب منهم كسائر العبادات **وقوله** عز وجل
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يخرج على وجهين احدهما ما ذكرنا انه يخرج على تعليم امر القتال منه للمؤمنين والثاني
ابناء عن دوام الجهاد والقتال مع الاعداء ابدا لانه كلما فتح ناحية وقوما صار الذين بعد هؤلاء الذين يلونهم **وقوله**
عز وجل وليجدوا فيكم غلظة قيل شدة عليهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وليجدوا فيكم عليهم غلظة اي شدة ويقرا
غلظة برفع الغين ويقرا غلظة بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد واعلموا ان الله مع المتقين اي من اتقى الخلاف له
بالنصر لهم على عدوهم **وقوله** ان الله مع المتقين يخرج على وجوه احدها ما ذكرنا اذا ... الخلاف له
فيما علمهم من امر الحرب يكون معهم بالنصر والثاني معهم في التوفيق والهداية والثالث في الجزاء **وقوله** عز وجل
واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا قال اهل التأويل قوله فمنهم من يقول ايكم زادته هذه
ايمانا يعني يقول المنافقون بعضهم لبعض اذا خلوا عن المؤمنين ايكم زادته هذه ايمانا استهزاء منهم بها وسخرية فاجاب الله تعالى
فقال فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم
اي تكذيبا وكفرا الى تكذيبهم الذي كان منهم لان اهل النفاق والكفر ليسوا باهل انصاف يقبلون الحجة والدلالة اذا قامت
عليهم انما همتهم العناد والتكذيب ورد الحجج والدلايل فكلما ازدادوا الحجج والبراهين ازداد لهم عنادا في التكذيب والرد
واما اهل الايمان فان همتهم قبول الحجج والانصاف فكلما ازداد لهم الحجج والبراهين ازداد لهم ايمانا وتصديقا على ما كان لهم
ثم قوله فزادتهم ايمانا فازادتهم ثباتا وداوما على ما كانوا من قبل بما قامت لهم من الحجج والبراهين وكذلك ازداد لاهل
النفاق والكفر بها الثبات على العناد في تكذيب الحجج والآيات والثاني ازداد لهم ايمانا بالتفسير على ايمانهم بالجملة
وان كانوا مصدقين لذلك كله جملة فاذا نزلت لهم نوازل وفرايض ازداد لهم بذلك تصديقا وثباتا واصله انه لولا
ما كان منهم من الايمان والتصديق لكان هذا منهم ابتداء ايمان واحداث تصديق وكذلك لو لم يكن من اهل النفاق
ما سبق من العناد لكان ذلك منهم احداث تكذيب وعناد فاذا كان منهم ما ذكرنا كان ذلك زيادة على ما كان لما ذكرنا
وقال بعضهم يزداد لاهل الايمان خيرات ولاهل النفاق شر ولكن هو واحد وهو ما ذكرنا **وقوله** عز وجل فزادتهم
ايمانا فزادتهم رجسا يخرج على وجهين احدهما زادت للمؤمنين ايمانا على الذي كان لهم من الايمان والتصديق والثاني
ازداد لهم حجة وبرهانا لما كان وكذلك يزداد لاهل النفاق ضد ذلك **وقوله** عز وجل وهم يستبشرون قيل
يفرحون بنزولها ثم اضافة الزيادة الى السورة بقوله فزادتهم ايمانا لوجهين احدهما اضيف اليها الزيادة على ما اضيف
الغرور الى الدنيا وهو لما ذكرنا انه يبيد ومنها لهم من التزيين ما لو كان ذلك من ذوي الافعال والتغرير كان ذلك غرورا
والثاني اضاف التغرير اليها لما بها اغتر اهلها وكذلك اضافة الزيادة الى السورة لما بها ازداد لهم التكذيب والكفر
وازداد لاهل الايمان بها التصديق فاضيف الزيادة اليها وقال بعضهم ما ذكرنا انها حجة ودلالة فبالحجة يزداد لاهل الايمان
بها اذهم قد اعتقدوا قبول الحجج والدلايل واما اهل النفاق والكفر فانهم اهل عناد ومكابرة اذ قد اعتقدوا العناد ورد الحجج
فكلما ازداد لهم الحجة ازداد لهم عنادا وكفرا وقال ابو بكر الاصم انما اضيف الزيادة اليها لانها كانت سبب الزيادة وقد تضاف
الاشياء الى اسبابها كما تضاف الى حقيقة الافعال ولكن لا يحتمل ان يكون السورة التي نزلت سبب الزيادة الكفر لكن الوجه فيه
ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين قيل يبتلون بالجهاد والغزو فيتخلفون
عنه فيظهر بذلك نفاقهم وكونهم يبتلون بالشدة والجوع فيظهر ايضا بذلك نفاقهم كقوله ومن الناس من يعبد الله
على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وقيل يفتنون في كل عام مرة او مرتين وذلك
انهم كانوا اذا خلوا تكلموا بالكفر فيما بينهم ثم اذا اتوا النبي اخبرهم بما تكلموا به في الخلوة فيفتضحون بذلك فذلك افتتانهم اياهم
وابتلاؤهم كان يظهر بما ذكر نفاقهم مرة في الجهاد في سبيل الله ومرة بالشدة والخوف ومرة بما يطلع الله نبيه مما يضمرون

ويتكلمون به في الخلاء ويحتمل هذه الاية الوجوه الثلاثة الجهاد معه والابتلاء بالشدايد والافزاع ويحتمل اظهار الاسرار
التي اسروا في انفسهم والافتضاح مما اخفوا لكن لو كان هذا فذلك مما يكثر منهم اعني كتمان النفاق واظهار الخلاف لهم
لكن ذكر المرة والمرتين يرجع الى الافتضاح والاظهار فذلك يحتمل ان يكون في العام مرة او مرتين **وقوله** عز وجل
ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون بما ابتلوا من الافتضاح وظهور النفاق منهم والله اعلم **وقوله** عز وجل واذا ما انزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم قال بعضهم الاية صلة قوله واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا اي كان ينظر بعضهم الى بعض ثم يقولون ما ذكر ومنهم من يقول اذا كانت السورة
التي نزلت حجة في اظهار الدين والايمان يسمعون ويقولون ايكم زادته هذه ايمانا واذا نزلت في اظهار نفاقهم
وافتضاحهم نظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا ولا يسمعون منها السورة اشفاقا قالوا لئلا يظهر نفاقهم **وقوله** صرف الله قلوبهم
يحتمل خلق الله منهم انصرافهم فاضيف اليه الصرف ويشبه ان يكون قوله صرف الله قلوبهم عقوبة اي عاقبهم الله بصرف قلوبهم
باعتقادهم العناد وردهم الحجج وتركهم التفهم والنظر والتامل في الحجج وتركهم القبول **وقوله** عز وجل لقد جاءكم رسول
من انفسكم اختلف فيه قال بعضهم من انفسكم اي من البشر وهو امتنان منه عليهم حيث بعث الرسول من البشر الذي بعث
من غير البشر لكنه بعث من البشر ليعرفوا الآيات التي ياتي بها من التمويهات لانهم يعرفون مبلغ وسع البشر في الاشياء
وقدر امكانهم بعلم الاشياء فاذا جاء بالاشياء التي هي خارجة من الطباع ووسع البشر في التعلم عرفوا انها آيات
لا تمويهات مع ما ان يتالف كل ذي جنس بجنسه وينفر من غير جنسه هذا ظاهر في الخلائق ان كل ذي جنس يالف بجنسه
ولا يالف بغير جنسه فبعث الرسول من البشر ومن جنسهم ليتالفوا به ويقبلوا منه ما ياتيهم به ويجيبوه الى ما يدعوهم
اليه وقال بعضهم رسول من انفسكم اي من المكان الذي انتم فيه وهو الحرم وقال آخرون من انفسكم اي من انسابكم وهو
ايضا موضع الامتنان عليهم حيث بعثه من انسابهم يعرفون نسبه ومولده ونشاه من بين اظهرهم سليما عن جميع الآفات
بريا عن جميع المطاعن والعيوب لان المرء اذا كان مولده ونشاه في قبيلة او في مكان لا يعرف له النسب ربما يتمكن فيه الطعن
والعيب ويقع التناكير في نسبه لجهلهم بنسبه ومولده ونشاه على السلامة والصحة والبراءة من العيوب فبعث رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم لئلا يتمكن فيه ما ذكرنا فيه من المطاعن ولا يعرف شيء من العيوب والآفات التي ذكرنا فيه وقال
بعضهم قوله من انفسكم اي من العرب اميا كما هم لا يكتب ولا يقرا ولا يخطه بيمينه على ما وصفه في كتابه النبي الامي الذي
يجدونه الاية وقال ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وذلك ان العرب كانت تتمنى ان يبعث رسول منهم بقوله
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم ذكر مجيء الرسول من انفسهم ليكون ابعد من المطاعن التي طعنوا فيه
والآفات التي ذكروا فيه وابراه عن العيوب التي قرفوا به من نحو السحر والكهانة والجنون والافتراء على الله واقرب الى المودة
بانه رسول لانه لما ياتي بهم من الآيات والحجج يعرفون انها سماوية لما عرفوا انه لم يتعلم السحر ولا اخذوا عليه بكذب
قط ولا جن قط بما كان نشاه فيما بين اظهرهم **وقوله** عز وجل عزيز عليه ما عنتم قيل شديد عليه ما اعنتكم
اي ما ضيق عليكم وضركم وقال القتبي العنت الضيق وقال بعضهم العنت الاثم اي شديد عليه ما اثمتم وقال ابو عوسجة
هو الاثم اقرب وهو يحتمل كل اثم الكفر وغيره حريص عليكم قال بعضهم حريص على من لم يسلم ان يسلم وحريص
عليكم بالهدى والرشد بالمؤمنين رؤوف رحيم رحمة الدين والاسلام لا رحمة الطبع قال الشيخ ابو منصور رحمه الله في قوله
بالمؤمنين رؤوف رحيم سماه بفعله العمل الحسن ورافته ورحمته بذلك اي استحق ذلك الاسم بفعله وانما سماه
بذلك لان عمله كان لله لم يكن عمله لنفسه شيئا وكذلك ماله واكسابه به فلذلك لم يكن ماله ميراثا بين ورثته
وقوله عز وجل فان تولوا اي اعرضوا عن اجابتك ودعايك اياهم الى الايمان والتوحيد فقل حسبي الله اي يكفيني الله
لا اله الا هو ويحتمل قوله فان تولوا عنك وردوا اجابتك والطاعة لك والانقياد وهموا ان يكيدوك ويمكروا بك
فقل حسبي الله اي كفاني لا اله الا هو عليه توكلت اي على ما وعدني من النصر والظفر توكلت اي اتكلت على وعده ووكلت
امري اليه ويحتمل قوله فان تولوا عن نصرتك ومعونتك على الاعداء فقل حسبي الله في النصر والمعونة على الاعداء ويكفيني

عليهم هذا في هذا الموضع اقرب لانه ذكر على اثر ذكر المنافقين ويحتمل ما ذكرنا من الاعراض عن التوحيد والاجابة له عز وجل وهو رب العرش العظيم قيل هو رب الملك العظيم اى كل ملك عند ملكه صغير ليس بملك فان كان العرش هو السرير على ما قال اهل التاويل فهو والله اعلم السرير الذى يكرم به الاخيار من الخلايق والابرار منهم وقد ذكرنا ما قيل فيه فيما تقدم والله اعلم

سورة يونس مكية وآيها مائة وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله تعالى الر تلك آيات الكتاب الحكيم قد ذكرنا الوجه في الحروف المقطعات في صدر الكتاب وقوله تلك آيات الكتاب الحكيم قال بعضهم الحكيم هو الله كانه قال الكتاب آيات الله وقال بعضهم الحكيم هو صفة القرآن والكتاب ثم يحتمل وجهين يحتمل انه سماه حكيما فعيلا بمعنى انه محكم وجايز تسمية المفعول باسم الفعيل نحو قتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح ونحو ذلك فيه الحلال والحرام والامر والنهى او محكم متقن مبرم من الباطل والكذب والاختلاف وهو ما وصفه تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه الآية والثانى سماه حكيما لما ان من تامل فيه ونظر وفهم ما اودع فيه وادرج صار حكيما وهو ما وصفه وسماه مجيدا اى من تامله ونظر فيه صار مجيدا شريفا والحكيم هو المصيب في الحقيقة ان كان صفة القرآن او صفة الله فان كان صفة الله فهو حكيم واضع كل شئ موضعه فان كان صفة القرآن فهو كذلك ايضا واضع كل شئ موضعه وقوله آيات يحتمل آيات الكتاب المعروف ويحتمل الحجج والبراهين اى حجج الكتاب وبراهينه واعلامه وقد تقدم ذكر الآيات في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل اكان للناس عجبا يحتمل وجهين يحتمل اى قد عجبوا ان اوحينا الى رجل منهم ويحتمل يعجبون ان اوحينا الى رجل منهم على الاستيناف كانوا يعجبون من ثلاث من انزل القرآن على رجل منهم بعجز الخلايق عن اتيان مثله ويعجبون من الوحى الى رجل منهم وارساله رسولا من بين الكل ومن البشر كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او كقوله انزل عليه الذكر من بيننا وكانوا يعجبون من البعث كقولهم اذا متنا وكنا ترابا الآية ثم يحتمل قوله الى رجل منهم اى من البشر اى لا يعجبون ان اوحينا الى رجل من البشر فان الايحاء الى من هو من البشر ابلغ في الحجاج واقطع للعذر واقرب الى الرأفة والرحمة لان البشر يعرفون خروج ما هو خارج عن طوق البشر وسعهم ولا يعرفون ذلك من غير جوهرهم وغير جنسهم ويالف كل جنس بجنسه وجوهر بجوهره ولا يالف غير جوهره ولا غير جنسه فاذا كان ما وصفنا كان بعث الرسل من جنس المبعوث اليهم وجوهرهم ابلغ في الحجاج واقطع للعذر واقرب الى الرأفة والرحمة ويحتمل قوله انا اوحينا الى رجل منهم اى من الاميين اى لا يعجبوا ان اوحينا الى رجل منهم امى فان ذلك ابلغ في التعريف والحجاج لانه بعث اميا لم يعرفوه بدراسة الكتب المتقدمة او تلاوة شئ منها ولا عرفوه اختلف الى احد منهم في تعلم كتبهم ولا عرفوا انه كتب شيئا او خط شطا قط ثم اخبر عما كتبهم على موافقة ما فيها وكانت كتبهم بغير لسانه دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى فذلك ابلغ في اثبات الرسالة والحجاج والله اعلم وقوله عز وجل ان انذر الناس قال بعضهم الانذار يكون في كل مكروه مرهوب والبشارة في كل محبوب مرغوب وقال بعضهم ان انذر الناس يعنى الكفار بالنار وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم اختلفوا في قوله قدم صدق عند ربهم قال بعضهم ان لهم الجنة عند ربهم وقيل ان لهم الاعمال الصالحة يقدمون عليها وقيل قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم وقيل ان لهم ثواب اعمالهم الصالحة التى قدموها بين ايديهم قدم صدق اى سلف خير او سلف وعد وعدهم بذلك وكان اصله من القدم قال ابو عوسجة يقال في الكلام لفلان عندى قدم صدق ويد صدق اى نعمة قد اسلفها وقال القتبى قدم صدق يعنى عملا صالحا قدموه وعن ابن عباس رضى الله عنه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول من قال قدم صدق هو الشفاعة فالقدم كناية عن الشفاعة والصدق اى واقعة ومن قال وعد وثواب اعمالهم اى تقدم لهم وعد حق وصدق ويحتمل قدم صدق اى تثبت قدمهم لا تزل على ما وصف من ثبوت قدم المومنين والقرار وتزل قدم الكافر كقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وقوله عز وجل قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ومن قرا السحر عنى هذا القرآن ومن قرا لساحر بالالف

عنى بر النبى

عنى به النبى ثم السحر هو الذى يرى اى في الظاهر انه حق وفي الحقيقة باطل لا شئ ثم هو ياخذ الابصار وياخذ العقول فاما الذى ياخذ الابصار هو ما يرى اى الشئ على غير ما هو في الحقيقة والذى ياخذ العقول هو ان يذهب بعقله فيصير مجنونا وقال فرعون لموسى انى لاظنك يا موسى مسحورا اى مجنونا لكن هولاء لم يريدوا بقوله لساحر مبين السحر الذى ياخذ العقول ولكن ارادوا السحر الذى ياخذ الابصار يعرف انه وان كان اخذ الابصار في الظاهر فهولاء شئ في الحقيقة ولكن في قولهم ان هذا لساحر مبين دليل انهم عجزوا عن رده وعرفوا انه حق لكنهم ارادوا التمويه على الناس كقول فرعون للسحرة حيث آمنوا برب موسى انه لكبيركم الذى علمكم السحر اراد ان يموه على الناس والله اعلم وقوله عز وجل ان ربكم الله خلق السموات والارض في ستة ايام ان القوم يعبدون الاصنام والاوثان ويتخذون الاحبار والرهبان اربابا من دون الله يقول ان ربكم الذى يستحق العبادة والالوهية هو الذى خلقكم وخلق السموات والارض لا الذى تعبدونه وقوله في ستة ايام ثم استوى قد تقدم ذكره في صدر الكتاب وقوله عز وجل يدبر الامر هو ايضا على الاول ان الذى يستحق صرف العبادة اليه وتوجيه الشكر اليه هو الذى يدبر الامر في مصالح الخلق في جر المنافع اليهم ودفع المضار عنهم لا الذين لا يملكون جر المنافع الى انفسهم او دفع المضار عنهم فضلا ان يملكوا جرها الى من يعبدهم او دفع المضار عنهم وقال بعض اهل التاويل يدبر الامر اى يقضيه والتدبير والقضاء واحد وقال بعضهم يدبر يقدر وهو ما ذكرنا التدبير والتقدير سواء وقوله عز وجل ما من شفيع الا من بعد اذنه الشفيع هو ذو المنزلة والقدر عند الذى يشفع اليه لا احد في الشاهد يشفع لآخر الى آخر الا بعد ان يكون الشفيع عند الذى يشفع اليه ذا منزلة وقدر فاذا كان كذلك فمع ذلك ايضا لا يشفع الا من بعد اذنه له بالشفاعة لمن جاء بالتوحيد وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم فاعبدوه يقول ذلكم الذى يستحق العبادة هو ربكم الذى خلقكم وخلق السموات والارض ودبر اموركم فاعبدوه ولا تعبدوا الذى لا يملك شيئا من ذلك افلا تذكرون انه هو المستحق للعبادة وهو المستوجب للشكر لا الذين تعبدون انتم او ان يقول افلا تذكرون ان الذى خلقكم وخلق السموات والارض هو ربكم وهو يدبر امور الخلايق في مصالحهم ما يرجع الى مصالحهم في دنياهم ودينهم لا الذى يعبدونه والله اعلم وقوله عز وجل اليه مرجعكم جميعا اليه مرجع الخلايق كلهم في جميع الاوقات لكنه خص ذلك اليوم بالمرجع اليه لما ان الخلايق كلهم يعلمون يومئذ انهم راجعون اليه وكذلك قوله وبرزوا لله جميعا هم بارزون له في الدنيا والآخرة لكنهم يومئذ يعرفون ويقرون بالبروز له وكذلك الملك يومئذ لله الملك لله في الدنيا والآخرة والاوقات جميعا لكنه خص ذلك اليوم لما لا ينازع في الملك في ذلك اليوم وفي الدنيا من قد نازع في ملكه هذا والله اعلم وجه التخصيص لذلك اليوم بالملك وان كان الملك له في الدنيا جميعا فعلى ذلك المرجع او سمى البعث رجوعا اليه لما المقصود من انشائه البعث فسماه بذلك لما ذكرنا لانه لو لم يكن المقصود من انشائه اياهم سوى الانشاء والافناء كان خلقه عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقوله عز وجل وعد الله حقا يحتمل وعد الله حقا البعث الذى ذكر انه يبدء الخلق ثم يعيده ويحتمل وعد الله حقا من الثواب والعقاب في الآخرة الثواب للمحسن منهم والعقاب للمسئ وقوله انه يبدء الخلق ثم يعيده اى عرفتم انه هو الذى بداكم والخلق جميعا فكذلك هو يعيدكم بعد افنائكم اذ بدء الشئ على غير مثال اشد عندكم من اعادته على مثال كقوله وهو الذى يبدء الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اى اعادة الشئ اهون عندكم من بداه وقوله عز وجل ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط قيل بالعدل لكن ما يجزيهم انما يجزيهم افضالا واحسانا لا استيجابا واستحقاقا ثم يحتمل قوله بالقسط وجوها احدها انه يجزى المحسن والمسئ جزاء الاساءة ويفصل بين الولى والعدو في الآخرة في الجزاء ويجعل للولى علامة واثرا يعرف بها من العدو اذ لم يفصل في الدنيا بين الاولياء والاعداء في الرزق وما يساق اليهم من النعيم ولا جعل علامة يعرف بها الولى من العدو وجعل في الآخرة ذلك حتى يعرف هذا من هذا فهذا العدل الذى ذكرنا يشبه ان يكون هو ذلك ويحتمل القسط الوزن اى يجزيهم بالوزن على تعديل النوع بالنوع لا على القدر اى يجزى بالحسنة قدرا لا يزيد على ذلك ولكن يجزى الخير خيرا والحسنة حسنة

وللسيئة سيئة ويحتمل قوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعدل اى يجزى الذين عملوا بالعدل لم يجوزوا
فيه ولا جاوزوا الحد الذى حد لهم ولكن عملوا بالعدل فيه ويشبه ان يكون على تقديم العدل ليجزى الذين آمنوا بالعدل
اى لا يعذبهم فى النار اذا آمنوا ثم للذين عملوا الصالحات يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله والله اعلم بالصواب من ذلك
وقوله عز وجل ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى يجزيهم فى الآخرة بما اقسطوا فى الدنيا وعدلوا
فيكون القسط على هذا التاويل نعتاً لهم وان كان ما ذكر من القسط راجعاً الى الله ووصفاً له فهو يخرج على وجوه احدها
يجزى زيهنا من المؤمنين بالعدل يجزى لاحسانهم جزاء الاحسان ونكفر عن سيئاتهم وهو كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا الآية وقوله ان الله لا يغفر الآية والثانى يجزيهم بالفضل اذ العدل هو وضع الشئ موضعه اى يضع الفضل
فى اهل لا يضعه فى غير اهله ووضع الفضل فى اهل الايمان عدل اذ هم اهل له والله اعلم وهو كقولهم ويؤت كل ذى فضل
فضله والثالث العدل الذى هو مقابل الاحسان وهو الفضل لا العدل الذى هو ضد الجور كقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء الآية لا يحتمل ان يقول لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء فى العدل الذى هو ضد الجور فى مثل هذا يستطيعون
ان يعدلوا بينهم فعلى ذلك قوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعدل الذى هو مقابل الاحسان وهو الفضل اذ المفضل
درجات واصله ان جزاء الآخرة كله افضال واحسان وانعام لا استحقاقا ولا استيجابا وقوله عز وجل والذين
كفروا لهم شراب من حميم قيل الحميم هو الشراب الذى انتهى حره غايته وقوله عز وجل هو الذى جعل الشمس ضياء
والقمر نوراً ذكر فى الشمس الضياء وفى القمر النور فهو والله اعلم لان الليل مظلم يظهر نور القمر فيه ويقلب على ظلمة
الليل ويقهرها واما النهار فهو مبصر على ما ذكره عز وجل والنهار مبصراً جعل فيه النور فلو جعل فى الشمس النور خاصة
لكان لا يظهر نور الشمس ولا غلب نورها على نور النهار فكانت تذهب المنافع التى جعل فيها للخلق فجعل عز وجل بلطفه
فيها ضياء ليظهر نورها على نور النهار ويغلبه ويقهره ليظهر المنافع التى جعل فيها ولو كان نوراً مثله لم يظهر
نورها من هذا ولم يوصل الى المنافع التى جعلت فيها للخلق وهو ما ذكر انه مد الظل واخبر انه لو شاء لجعله ساكنا
ولو كان ساكنا ممتدا على ما جعل بقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل لكان لا يعرف الظل ثم اخبر انه جعل الشمس دليلا
عليه ليعرف بها الظل فنسخ الشمس ذلك الظل الممدود شيئا بعد شئ فصارت الشمس بها يعرف الظل وبها يظهر
فعلى ذلك الضياء الذى فى الشمس كان به يعرف نورها من نور النهار وبه يوصل الى منافع الشمس ولو كان نوراً لكان
لا يعرف ولا يظهر اذ لا يغلب احدهما صاحبه والله اعلم ولا يعرف آية الشمس من آية النهار ثم جعل آية الشمس غالبة على جميع
الآيات لا يبصر النجوم بالنهار اصلا والقمر وان كان يبصر ويرى بحال فان نور الشمس قد يغلبه ويقهره حتى
لا يظهر ابداً وقوله عز وجل وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب يشبه ان يكون التقدير الذى ذكر لهما
جميعا ويعرف الحساب وعدد السنين بهما جميعا وكذلك ذكر فى حرف حفصة وقدرهما منازل وجايز ان يكون
جعل الشمس بالذى يعرف بها اوقات الصلوات والازمنة من الشتاء والصيف لا يعرف ذلك بالقمر وجعل فى القمر
معرفة الشهور والسنين وفى الشمس معرفة اوقات الصلوات والازمنة لا يعرف بها الشهور والسنون الا بعد
جهد وبالقمر لا يعرف اوقات الصلوات والازمنة جعل الله تعالى فى الشمس منفعتين منفعة التقلب ومعرفة
الازمنة ومنفعة نضج الاشياء ويبسها وفى القمر منفعتين ايضا احدهما معرفة حساب الايام والشهور والسنين
ومنفعة نضج الانزال والاشياء وقوله عز وجل لتعلموا عدد السنين والحساب ليس ان يعرف هذا بهما
ولا يعرف غيره بل يعرف ما ذكر واشياء كثيرة وقوله عز وجل ما خلق الله ذلك الا بالحق قال ابو بكر الاصم الكيسانى
ما خلق الله ذلك الا بالحق اى ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه دلالة معرفته وقال قايلون ما خلق الله ذلك
الا بالحق اى ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه الشهادة له على الخلق وهى شهادة الوحدانية والالوهية وقال
بعضهم ما خلق الله ذلك الا بالحق اى بالحكمة لم يخلق ذلك عبثا باطلا وهو كقوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
باطلا ولكن بحكمة وقوله عز وجل نفصل الآيات لقوم يعلمون قيل نبين او نفسرها لقوم ينتفعون بعلمهم انما ذكر الآيات

فيما ذكر لقوم يعقلون او لقوم يتفكرون ولقوم يفقهون الآيات التى ينتفعون بها ويعقلون الشئ انما يعقلون يكون
للذى ينتفع به لا للذى لا ينتفع به وقوله عز وجل ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات
لقوم يتقون ان فى اختلاف الليل والنهار آية آية البعث ودلالة تدبير صانعهما اما دلالة البعث كل واحد منهما اذا جاء
ذهب الآخر وتلف حتى لا يبقى له الا اثر ثم يجدد ان ويحدثان على ذلك امرهما ويتلف كل واحد منهما صاحبه حتى لا يبقى له
الا اثر فمن قدر على هذا قدر على بعثهم وانشائهم بعد الموت بعد ما صاروا ترابا واما دلالة التدبير هو جريانهما وسيرهما على سنن
واحد وتقدير واحد من غير تغيير يقع فيهما او تفاوت او نقصان يقع فيهما او زيادة وان كان احدهما يدخل فى الآخر
دل ما ذكرنا انهما انما يجريان ويختلفان على سنن واحد وجريان ان فيهما تدبير عن ذاتى وعلم ازلى وانه واحد
اذ لو كان التدبير فيهما العدد لكانا يختلفان ولا يجريان على قدر واحد من غير تفاوت ان فيهما تدبيرا او نقصان
او زيادة دلالة واحد وبالله التوفيق وفى ذلك دلالة وحدانية منشيهما وخالقهما لانه انشاهما وبينهما من البعد
ما بينهما وجعل منافع احدهما متصلة بمنافع الآخر على بعد ما بينهما دل ان منشيهما واحد اذ لو كان فعل عدد منع كل فعله
عن الوصول بالآخر على ما هو فعل ملوك الارض وقوله لقوم يتقون مخالفة ويتقون جميع الشرور والمساوى وقوله
عز وجل ان الذين لا يرجون لقاءنا قال قايلون لا يرجون لقاءنا من الرجاء اى لا يرجون ما وعد للخلق من الثواب
ولا يرغبون فيما يرجى ويطمع من الرغايب وقال بعضهم لا يرجون لقاءنا اى لا يخافون لقاءنا وما من خوف الا وفيه
رجاء وما من رجاء الا وفيه خوف لان الخوف الذى لا رجاء فيه هو اياس والرجاء الذى لا خوف فيه امن لكن الغالب
فى الحسنات والخيرات الرجاء وفيه خوف والغالب فى السيئات والشرور الخوف وفيه ادنى الرجاء وهو ما ذكرنا فى الشكر
والصبر انهما واحد لان الصبر هو كف النفس عن الشهوات واللذات والشكر هو استعمالها فى الخيرات فاذا كفها عن الشهوات
استعملها فى الخيرات لذلك قلنا انهما فى الحقيقة واحد ولان الشكر هو القبول وكذلك الصبر ايضا غير ان الشكر فى قبول النعم
والصبر فى قبول البلايا والمصايب والله اعلم بصير كانه قال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة وقوله عز وجل ورضوا بالحيوة
الدنيا واطمأنوا بها اى اختاروا المقام فيما عملوا بها كانهم مقيمون فيها ابداً والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك ماواهم
النار بما كانوا يكسبون من ردهم الآيات وكفرهم بها وقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها يحتمل وجهين احدهما
سروا بها وآثروا ثواب محاسن الدنيا على ثواب الآخرة والثانى رضاهم بالدنيا والطمانينة فيها منعهم عن التفكر والنظر
فى امر الآخرة وقوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يحتمل وجوها يهديهم ربهم بايمانهم
فى الدنيا طريق الجنة فى الآخرة وهو معنى ما ذكر فى القصة ان المؤمن اذا خرج من القبر يصور له عمله فى صورة
حسنة والثانى يهديهم ربهم بايمانهم فيصيرون مهتدين بهدايته اياهم ويشبه يهديهم ربهم بايمانهم اى يدعوهم
الى الخيرات فى الدنيا بايمانهم والله اعلم فهذا على المعتزلة لانهم يمتنعون عن تسمية صاحب الكبيرة مؤمنا ومعه
ايمان فيلزمهم ان يمتنعوا عما وعد له وان كان معه ايمان فاذ ذكر له الوعد مع هذا الزمهم ان يسموه مؤمنا لما معه
من الايمان وقوله عز وجل تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم يقول اهل التاويل من تحت اهل الجنة وقد ذكرنا هذا
وقوله عز وجل دعواهم فيها سبحانك اللهم قال قايلون قوله دعواهم دعوى الايمان اى يدعون فى الآخرة من الايمان
والتوحيد لله والتنزيه له كما ادعوا فى الدنيا وحدانية الله وتنزهوه وقوله سبحانك اللهم هو حرف تنزيه وتبرئة
الرب عن الاشياء وجميع الآفات التى وصفته المشبهة الملحدة فهذا يدل ان ما خرج مخرج الدعوى فانه لا يختلف
باختلاف الدور وقال عامة اهل التاويل هو من الدعاء لا من الدعوى يقولون انهم اذا اشتهوا طعاما او شرابا
وتمنوا شيئا فيدعون بقوله سبحانك اللهم فيؤتون ما تمنوا واشتهوا لكن ذكر ان لا ينقطع اللذات فى الجنة ولو كان
ما يقولون لكان فيه انقطاع اللذات والشهوات الا ان يقال انهم يلهون شهوات واماني فيشتهون وقال الله عز وجل
ولكم فيها ما تشتهى انفسكم وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وما نعلم ما اراد به وقوله سبحانك اللهم
يخرج على وجهين احدهما يخبر انه ليس على اهل الجنة من العبادات شئ سوى التوحيد وهو كلمة التوحيد والثناء

يقولون ذلك لعظيم ما راوا من النعيم وتعجيبا مما عاينوا والثالث شكرا لما اعطاهم من الوان النعيم والاطعمة **وقوله** عز وجل
وتحيتهم فيها سلام قال اهل التأويل ان الملايكة يأتون من الوان النعيم بما اشتهوا ويسلمون عليهم ويردون السلام
على الملايكة فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام فاذا طعموا وفرغوا قالوا عند ذلك الحمد لله رب العالمين وهو قول ابن عباس
وغيره من اهل التأويل ويشبه ان يكون قوله وتحيتهم فيها سلام والكلام الذي لا عيب فيه ولا مطعن اي كلام بعضهم لبعض
كلام حسن منقى عن جميع العيوب والمطاعن كقوله لا يسمعون فيها لغوا الآية وقوله الا قيلا سلاما سلاما ونحوه **وقوله** وآخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال اهل التأويل يقولون على اثر فراغهم من الطعام والشراب ذلك وقال الحسن
ان الله رضي من عباده بالشكر لما انعم عليهم في الدنيا والآخرة بالحمد لله رب العالمين ويشبه ان يكون قوله وآخر دعواهم
اي دعواهم في الآخرة الحمد لله رب العالمين كما كان دعواهم في الدنيا الحمد لله رب العالمين **وقوله** عز وجل ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم كان الآية على الاضمار كانه قال ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوا
كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوا لقضي اليهم اجلهم لانه ليس يذكر في ظاهر الآية استعجالهم الشر انما يذكر تعجيله ولكن
فيه ما ذكرنا من الاضمار واضمار الاستعجال وهو ما ذكر في غير آي من القرآن استعجالهم العذاب كقوله اتى امر الله الآية
وقوله امطر علينا حجارة الآية ونحو ذلك كانوا يستعجلون العذاب استعجال تضرع فيقول لو عجل لهم العذاب اذا استعجلوا
كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوا لقضي اجلهم يقول لهلكوا وفنوا هذا التأويل في اهل الكفر خاصة عند استعجالهم
العذاب استعجال التضرع وسؤال ويشبه ان يكون هذا في جملة الخلق على غير تصريح سؤال ولكن عند ارتكابهم يقول
لو يعجل الله للناس الشر باكتسابهم الشر وبارتكابهم اياه وقت اكتسابهم كما يعجل لهم الخير وقت اكتسابهم الخير لقضي اليهم
اجلهم اي لو عجل لهم جزاء شرهم وقت اكتسابهم الشر كما يعجل لهم جزاء خيرهم لكان ما ذكر ما يستوجبون بارتكابهم الشر وقت
فعلهم اياه لقضي اليهم اجلهم لكنه لم يعجل له ذلك وآخره الى المدة التي جعل لاجالهم ويمكن وجه آخر وهو ما يدعو
بعضهم على بعض باللعن والخزي يقول الرجل عند شدة الغضب اللهم العن فلانا اللهم اخزه ونحو ذلك من الدعوات
يقول لو عجل لهم هذا كما يعجل لهم عند دعاء بعضهم لبعض بالرحمة والسعة لقضي اليهم اجلهم لهلكوا وفنوا ويكون
ذلك انقضاء اجلهم يكون هذا على وجوه ثلاثة احدها استعجال سؤال وتضرع الذي ذكرنا والثاني بافعالهم وارتكابهم
الشر وقت ارتكابهم والثالث في الاسباب التي بها يرتكبون ويفعلون **وقوله** لقضي اليهم اجلهم يحتمل لقضي اجلهم
قبل المدة التي جعل لهم والثاني لقضي اجلهم اي يعجل اجلهم ذلك ففيه دلالة ان لا يهلك احد قبل اجله لا يقدم
ولا يؤخر وهو ما ذكر لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون **وقوله** عز وجل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون هو ما ذكرنا ان من حكمه ان لا يعاقب احدا من الكفرة في الدنيا بصنعه الذي صنع وقد يعجل لهم جزاء خيراتهم
في الدنيا لما ساق اليهم من انواع النعم ولكن من حكمه ان يؤخر عقوبتهم الى يوم القيامة فذلك تأويله والله اعلم فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم اي نتركهم يترددون في عماهم وحيرتهم الى الوقت الذي وعد لهم العذاب والله اعلم
وقوله عز وجل واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما قال بعض اهل التأويل ان جميع ما ذكر في القرآن الانسان
فالمراد منه الكافر من ذلك قوله يا ايها الانسان انك كادح وقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله والعصر
ان الانسان لفي خسر ونحوه لكن هذا لا نعلم انه اراد به الكافر فلئن كان ما ذكروا فان اهل الايمان يدخلون في هذا
الخطاب اذ كان منهم ما يكون من الكفرة لان من اهل الايمان من يقبل على الدعاء والتضرع الى الله عند مسه الحاجة
والشدة فاذا انجلى ذلك وانكشف عنه ترك ذلك الدعاء الذي كان دعا وذلك التضرع الذي كان يتضرع اليه قد خل
في ذلك ثم **وقوله** دعانا لجنبه او قاعدا او قائما ليس على ارادة حقيقة الجنب والقعود والقيام ولكن على الدعاء
في كل حال اي يدعوه في كل حال لما عرفوا ان الذين كانوا يعبدون من دون الله لا يملكون دفع ما حل بهم من الشدايد والمضار
اقبلوا على الله بالتضرع والدعاء اليه في كشف ذلك عنهم ثم اخبر عن سفههم وشدة تعنتهم وعودهم الى الحال التي
كانوا من قبل فقال فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه يقولون والله اعلم مر كان لم يدعنا قد نسينا

بصنيعه
كذا

في الرجا

350

في الرجاء كانه لم يعرفنا وان التعدي عن الذي جعل له وهو وضع الاموال والانفس والموضع الذي لا يشغلون بها الا
في عبادة الاصنام وغيرها والله اعلم **وقوله** عز وجل ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا فان قيل قد اهلك من قد ظلم
ومن لم يظلم فانه نعلم ان من اهلك من الظلمة انه انما اهلكهم لظلمهم واهلك لصلاح من لم يظلم قيل انه اهلك الظلمة اهلاك
استيصال وعقوبة واهلك من لم يظلم لا اهلاك عقوبة واستيصال انما هو اهلاك باجالهم التي جعل لهم ويحتمل قوله
ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات انما اهلك اولئك لسؤالهم الذي سألوا سؤال تعنت
رسلهم الآيات فاذا جاؤا بتلك الآيات كذبوها فاهلكوا عند ذلك فانتم يا اهل مكة اذا سألتم رسولكم الآية ثم كذبتموها
نعذبكم كما عذب اولئك اذ من حكمه الاهلاك على اثر السؤال كانه نهى اهل مكة عن سؤال الآيات فان على اثره الاهلاك
اذا لم يقبلوها **وقوله** عز وجل وجاءتهم رسلهم بالبينات يحتمل البينات التي تبين ما يؤتى وما يتقى وقد ذكرناها في غير
موضع وما كانوا ليؤمنوا اخبر رسوله انهم وان سألوك الآيات فاذا جئت بها فانهم لا يؤمنون يعني اهل مكة كذلك
نجزي القوم المجرمين كل مجرم **وقوله** عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم يحتمل قوله خلايف اي جعل انفسكم
خلفا نسلا وبنيانا للذين لم يهلكهم يخرج هذا مخرج تذكير النعمة والامتنان والرحمة يذكرهم انه لو شاء اهلك الكل فلا يكون
هؤلاء خلفا اولئك ولكن بفضله ورحمته ابقاكم ويحتمل قوله جعلناكم خلايف في المحنة والعبادة اي جعل عليكم
من المحنة والعبادة كما كان على ابائكم من المحنة والعبادة ويشبه ان يكون قوله جعلناكم خلايف الذين لم يظلموا كيف
لا تتبعونهم لان الذين ظلموا قد اهلكهم فانتم خلايف اولئك الذين لم يظلموا ولم يكذبوا الرسل كيف لا تتبعونهم كانهم
ادعوا ان اباءهم كانوا على ما هم عليه وانهم على مذاهب ابائهم يقول جعلناكم خلايف في الارض من بعدهم اي لستم انا
باول رسول ارسلنا اليكم بل لم يزل الله يرسل رسلا في الامم فكان فيهم لهم اتباع يتبعون رسلهم الى ما يدعونهم
اليه ويجيبونهم فاتبعوني انتم يا اهل مكة فيما دعيتم اليه **وقوله** عز وجل لننظر كيف تعملون لم يزل الله عالما
بما كان ويكون منهم من المعصية والطاعة ولكن ليعلمهم عصاة ومطيعين لان المعصية انما تكون بعد ما يكون النهي
والطاعة انما تكون بالامر فيبتليكم فيعلمكم عصاة كما علم انه يكون منكم معصية ويعلمكم مطيعين كما علم انه يكون
منكم الطاعة وقد ذكرنا امثال هذا فيما تقدم والله اعلم **وقوله** عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
البينات قد ذكرنا في غير موضع والبينات هي التي تبين انها آيات نزلت من عند الله لم يخترعها احد من الخلق
وقد ذكرنا قوله ايضا قال الذين لا يرجون لقاءنا **وقوله** عز وجل ائت بقرآن غير هذا او بدله يشبه ان يكون
قولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله الا ترى انه قال قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي انما اجابهم في التبديل دل ان السؤال
كان سؤال تبديل ولكن كانوا يسألون سؤال استهزاء وتكذيب ثم اختلف اهل التأويل في التبديل الذي سألوا قال
بعضهم سألوا ان يبدل ويجعل مكان آية العذاب آية الرحمة او يبدل احكامه ويحتمل قوله ائت بقرآن غير هذا او بدل احكامه
وانزل لرسمه ويحتمل ما ذكرنا انهم سألوا ان يكون مكان آية العذاب آية الرحمة ومكان ما فيه سب آلهتهم مدحها ونحو
ذلك والله اعلم ونحن لا نعلم ما اراد بالتبديل تبديل الاحكام وتبديل الرسم والنظم انما نعلم ذلك بالسماع ثم اخبر
انه لا يقول ولا يتبع الا ما يوحى اليه ويؤمر به بقوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي **وقوله**
عز وجل اني اخاف ان عصيت ربي ان تركت تبليغ ما امرت بالتبليغ اليكم وهكذا كل من عرف ربه خاف ان عصاه
وخالف امره ونهيه ومن لم يعرف ربه لم يخفه ان عصاه وخالف **وقوله** ائت بقرآن غير هذا او بدله سؤالهم سؤال
تعنت واستهزاء لانه لا منفعة لهم لو اتى بغيره وبدله سوى ما في هذا ولو جاز لهم هذا السؤال جاز ذلك في كل ما اتى
واحدا بعد واحد فذلك مما لا ينقطع ابدا ولا غاية ولا نهاية فهو سؤال تعنت واستهزاء **وقوله** عز وجل
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به موصلة ما تقدم من قوله حيث قالوا ائت بقرآن غير هذا او بدله قد ذكرنا
ان هذا يحتمل وجهين يحتمل انهم سألوه ان يبدل احكامه على ترك رسمه ونظمه ويحتمل قوله ائت بقرآن غير هذا او بدله
اي دفع رسمه ونظمه واحكامه كانهم ادعوا على رسول الله اختراع هذا القرآن من نفسه واختلاقه من عنده فقال

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تأويله والله اعلم لو شاء الله ان لا يظهر دينه فيكم ولا الزمه حجته ولا يبعثني اليكم رسولا
ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اى ولا اعلمكم به ويحتمل قوله ولا ادريكم ولا اعلمكم ما فيه من الاحكام او يقول لو شاء الله
لم يوح الى ولا امرني بتبليغ ما اوحى الى اليكم ولا بالدعاء الى ما امرني ان ادعوكم اليه وفي قوله لو شاء الله ما تلوته عليكم فلو لم يشأ
ان يتلوه ما تلاه دل ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وذلك يرد على المعتزلة قولهم شاء الله ان يؤمن الخلايق كلهم لكنهم
لم يؤمنوا والله اعلم وقوله عز وجل فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون اى فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فلم ادع
ما ادعى الحال ولا تلوت افلا تعقلون انى لم اخترع هذا من نفسي ولكن وحي اوحى الى اذ لو كان اختراعا مني لكان ذلك
مني فيما مضى من الوقت وكنت لابثا فيكم فاذ لم يكن مني ذلك افلا تعقلون انى لم اخترع من نفسي يحتمل هذا الكلام وجوها
احدها انهم لما ادعوا عليه الاختراع من عنده قال انى قد لبثت فيكم من قبله اى قبل ان يوحى هذا الى فلم تر دلى خططت
بيميني ولا اختلفت الى احد في التعلم والدراسة فكيف اخترع من عندي والتاليف لا يلتام ولا يتم الا باسباب مقدمة
والثاني فقد لبثت عمرا سنين لم تعرفوني ولا رايتموني كذبت قط فكيف افترى على الله واخترع القرآن من عند نفسي
الا ترى انه قال على اثر هذه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا والثالث يحتمل
قوله فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فلم اسمع احدا ادعى البعث ولا اقام حجة عليه وانا قد ادعيت البعث واقمت
على ذلك حجة افلا تعقلون هذا انى لم اخترع من عند نفسي وقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
يشبه ان هذا صلة قوله ايت بقرآن غير هذا او بدله اى كيف تطلبون حتى اتيا بغيره وتبديل احكامه وقد تعرفوا
قبح الكذب وفحشه فكيف تسألونني الافتراء على الله وتكذيب آياته ويحتمل ان يكون صلة ما ادعوا عليه انه
افتراه من عند نفسه يقول انكم لم تاخذوني بكذب قط وقد لبثت فيكم عمرا فكيف تنسبوني الى الكذب على الله
وقد عرفتم قبح الكذب على الله وفحشه ويحتمل على الابتداء ثم قد ذكرنا ان قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
استفهام يجوابه ما قاله اهل التاويل لا احد ابين ظلما ولا افحش ممن افترى على الله كذبا لان تفسيره ما قالوه
وقد ذكرنا هذا في غير موضع او كذب باياته الافتراء على الله تكذيب باياته وتكذيب اياته افتراء على الله وقوله
عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم يحتمل وجهين ما لا يضرهم لو تركوا عبادته ولا ينفعهم
ان عبدوه والثاني ما لا يضرهم اى ما لا يملكون الضر بهم ولا ينفعهم اى ولا يملكون جر النفع اليهم يسفههم في عبادتهم
من لا يملك لهم دفع الضر ولا يملك جر النفع وتركهم عبادة من به يكون جميع منافعهم وغذاؤهم ومنه يكون كل خوف وضر
والله اعلم وقوله عز وجل ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يحتمل هذا القول منهم تقليدا لآبائهم كقولهم وجدنا عليها
اباءنا والله امرنا بها ظنوا ان اباءهم لما تركوا وما هم عليه لم يعتنبوا انهم على الحق وان الله قد رضي بذلك وقالوا ذلك لما لم يروا
انفسهم اهلا لعبادة الله والقيام بخدمته وقد يكون مثل هذا في ملوك الارض ان كل احد لا يرى نفسه يصلح لخدمة
الملك فيخدم من دونه المتصلين به رجاء ان يكون بخدمته شفيعا له عند الملك فعلى ذلك هؤلاء طمعوا ان عبادتهم
هؤلاء تقربهم الى الله زلفى ويكونون لهم شفعاء عند الله والله اعلم وقوله عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض يقول اتنبئون الله اتخبرون الله بما لا يعلم اى تعلمون انه عالم اى تقولون من تعلمون انه يعلم ما ذكرتم
لا تعلمون ذلك وقد تعلمون انه لو كان كذلك لكان هو اعلم به منكم والثاني ان تقولوا ما لا يعلم اى يعلم انه ليس كما تقولون
كقول الناس ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون اى ما شاء ان لا يكون لا يكون وقوله سبحانك كلمة جعلت لاجلال الله
عما يحتمله غيره من الاشكال والاضداد ومن العيوب والآفات وحرفه هذا الموضع يتوجه الى وجهين اذ كانوا
يعبدون ما ذكر ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فيقول سبحانه انه يجعل لامثال اولئك شفاعة عنده اذ الشفيع
انه يكون من له منزلة وقدر عند من يشفع له والمنزلة تكون للعبيد بما يتبعه هو فيقومون بتوفير ما يحتمل وسعهم
من العبادة فاما من لا يحتمل التعبد فهو بعيد عما ذكر يعني سبحانه ان يجعل الشفاعة لمن ذكر دون الانبياء والرسل
وهم قد اختبروا انها لا تملك ضرا ولا نفعا وفي الشفاعة ذلك والثاني ان يكون عما اشركوا في العبادة فسبحانه

عن ان يكون معه معبودا وياذن لاحد بعبادة غيره والله اعلم وقوله عز وجل وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا فيه
قال بعضهم قوله ما كان الناس الا امة واحدة اى اهل مكة كانوا كلهم اهل شرك عباد الاوثان والاصنام لم يكن فيهم اليهودية
ولا شيء من اختلاف المذاهب فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فمنهم من آمن به وصدقه واخلص دينه لله ومنهم
من عاند وكابر في تكذيبه بعد ان عرف انه رسول ومنهم من شك فيه ومنهم من لم ينظر في امره قط ولا تفكر فيه فصاروا
اربع فرق وقال بعضهم ما كان الناس الا امة واحدة بالفطرة اى كانوا جميعا على الفطرة وفي فطرة كل احد الشهادة على وحدانية الله
تعالى والوهيته كقوله وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها فخلقة كل احد
الشهادة لله والالوهية بالوحدانية فاختلفوا فمنهم من كان على تلك الفطرة ومنهم من كذب واختار الكفر وهو ما روى
كل مولود يولد على الفطرة الا ان ابويه يهودانه وينصرانه اخبر انهم على الفطرة لو تركوا على ذلك لكن ابويه يمنعانه على الكون
عليها وقيل ما كان الناس الا امة واحدة اى كان الخلايق جملة امم كقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحيه الا امم امثالكم كانه يعاتب هذه الامة يقول ان الامم مع اختلاف جواهرها واجناسها كانوا خاضعين لله
مخلصين له فانتم ايها الناس امة من تلك الامم فكيف اختلفتم واشركتم غيره في الوهيته وربوبيته مع ما ركب فيكم من العقول
والتمييز بين ما هو حكمة وما هو سفه وقد فضلكم على غيرها من الامم في خلو ما خلق في السموات وما في الارض لكم وسخر لكم
ذلك كله ما لم يفعل ذلك بغيرها من الامم ومنهم من قال من اهل التاويل في قوله ما كان الناس الا امة واحدة
زمن نوح ومن دخل معه في السفينة كانوا على دين واحد فاختلفوا بعد ما خرجوا ومنهم من قال آدم فاختلف
اولاده ومنهم من قال ابراهيم لكنا لا نشهد كيف كان الامر فلا نعلم الا بخبر عن الله تعالى وقوله عز وجل ولولا كلمة
سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون قيل لولا ان من حكمه ان لا يعذب هذه الامة عند تكذيبهم الايات
اذا سألوها والا لاهلك كما اهلك الامم الخالية بتكذيبهم الايات عند السؤال ولكن اخر تعذيب هذه الامة الى يوم
القيامة والثاني سبقت من ربك ان لا يستاصل هذه الامة عند تكذيبهم الرسل والعناد لهم اصالة ويلين في ترك
استيصالهم والآخرة تاخير العذاب عنهم الى وقت وقوله لقضي بينهم ببيان يضطرهم الى القبول وقوله عز وجل
ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله جوابه والله اعلم ما ذكر لولا كلمة سبقت من ربك ان لا يعذب
هذه الامة بتكذيبهم الايات عند سؤالها والا لعذبتم انتم كما عذبت الامم الخالية بتكذيبهم الايات عند السؤال وقوله
عز وجل فقل انما الغيب لله اى انكم تعلمون ان علم الغيب لله وقد انزل من الايات ما يبين ويدل على رسالتي
وقوله عز وجل فانتظروا انى معكم من المنتظرين قيل انتظروا هلاكي انى منتظر هلاككم لانهم كانوا يوعدونه الهلاك وقيل
انتظروا مواعيد الشيطان انى منتظر مواعيد الله وهو حرف وعيد والله اعلم وقوله عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة
من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قال اهل التاويل اذقنا الناس يعني اهل مكة اذا اصابهم سعة وفرج ونجاة
مما يخافون عادوا الى ما كانوا من التكذيب وعبادة الاصنام ولكن اهل مكة وغيرهم انهم اذا آيسوا عما يعبدون من الاصنام والاوثان
فزعوا الى الله ويخلصون له الدين كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الآية وقوله واذا مس الانسان
الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما الآية وقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الآية وغير ذلك من الآيات
مما يكثر عددها كانت عادتهم الفزع الى الله عند اصابتهم الشدائد والبلايا لعلمهم ان الاصنام التي كانوا يعبدونها
لا يدفعون عنهم ذلك وقوله عز وجل اذا لهم مكر في آياتنا المكر في الآيات تكذيبها وردها فيشبه ان يكون الآية
ههنا حجة كان هو من اول امره الى آخر آية فمكروا بها لما هو بحقله غيره كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية ويحتمل سائر
الآيات والحجج مكروا فيها اى كذبوا وردوها قل الله اسرع مكرا المكر الاخذ من غير ان يعلم هو به يقول الله اسرع اخذا
ياخذكم وانتم لا تعلمون به ولا تقدرون ان تاخذوا رسول الله وتمكروا به وهو يعلم بذلك فهو اسرع اخذا منكم
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون فهم الحفظة ويحتمل قوله قل الله اسرع مكرا اى اسرع لجزاء المكر منكم او اسرع اخذا من حيث
لا تعلمون انتم وقال بعض اهل اللغة المكر بالآيات هو الرد والجحود لها وقال بعضهم استهزاء بها فهو واحد والله اعلم

وقوله عز وجل هو الذى يسيركم فى البر والبحر اختلف فيه قال بعضهم قوله هو الذى يسيركم اى هو الذى سخر لكم ما به تسيرون فى البر والبحر وهو الدواب والسفن التى يقطع بها البرارى والبحار وهو كقوله لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقيل قوله هو الذى يسيركم فى البر والبحر اى سخر لكم البر والبحر وهما مكانا الخوف والهلاك اى حفظكم فيهما حتى قضيتم فيهما حوائجكم وليس فى وسع الخلق حفظ البرارى والبحار عما فيهما من الاهوال فتولى الله بفضله حفظ السايرين فيهما حتى قضوا فيهما حوائجهم وهو كقوله وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها الى آخر ما ذكر من انواع المنافع فلولا ان الله سخر لهم ذلك وحفظهم فيه والا لم يكن فى وسعهم القيام بذلك وحفظ انفسهم فيه من الاهوال التى فيه يذكرهم نعمه ومننه التى انعمها ليوجوا شكر نعمه اليه ثم قوله يسيركم فى البر والبحر يحتمل يخلق وينشئ سيركم فى البر والبحر وهو كقوله وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى الآية والتقدير هو التخليق والمقدر المخلوق فيه دلاله خلق افعال الخلق لان السير هو فعل الخلق اضاف الى نفسه دل انه منشئ فعلهم والله اعلم ويشبه ان يكون قوله هو الذى يسيركم فى البر والبحر لم يرد به البر والبحر نفسه ولكن اراد تذكير نعمه عليهم فى كل حال وكل وقت ليشكروا الله فى كل حال وهو كقوله ظهر الفساد فى البر والبحر لم يرد به البحر والبر نفسه وما اراد المكان الذى فيه المياه والمكان الذى لا مياه فيه اى ظهر الفساد فى الاماكن كلها فعلى ذلك الاول يذكرهم نعمه التى انعمها عليهم فى الاماكن كلها والاحوال جميعا والله اعلم وقوله عز وجل اذا كنتم فى الفلك اى ركبتم الفلك وجرين بهم بريح طيبة اى تجرى بهم السفن بريح طيبة يخبر ان السفن ليست تجرى فى البحار بجريان الماء لان ما يراها كذا فى الظاهر ولكن الريح هى التى تجريها وتسيرها وكذلك الامواج التى يكون فيها ليست لشدة جريان الماء ولكن الريح هى التى تهيج الامواج وتزعجها لا بنفس الماء وفرحوا بها قيل فرحوا بها سروا بها ويحتمل فرحوا بها اى بطروا بها واشروا وقوله عز وجل جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان اخبر ان الريح اما هى طيبة هى تجرى بها السفن ومنها ما هى عاصفة قاصفة تكسر وتغرق السفن وتهلك اهلها ليعلم ان الاشياء تصلح مرة وتفسد تارة لا لانفسها ولكن لحفظ الحد ودفيها وكذلك النار تحرق مرة وتفسد ومرة تصلح وذلك لحفظ الحد ودفيها وكذلك الماء مرة يصلح ومرة يفسد وذلك اذا حفظ فيه الحد اصلح وان لم يحفظ افسد والا لا يحتمل الشئ الواحد لنفسه يصلح مرة ويفسد تارة ولكن لحفظ الحد ودفيه والله اعلم وقوله عز وجل وظنوا انهم احيط بهم قيل ايقنوا انهم مهلكون ولكن لا ايقان بالشئ الذى يصيب به فى حادث الاوقات انما يكون بالخبر لانه لا يدرى لعل الله يصرف ذلك عنهم فلا يقع به الايقان ولكن جعل غالب الظن فيه فى كثير من الاشياء كالايقان به الا ترى ان الله اباح الميتة فى حال الضرورة لغالب الظن اذ قد يجوز ان لا يهلك بذلك وكذا ما ابيح للمكره بالقتل ان يجرى كلمة الكفر على لسانه لغالب الظن والا ليس يعلم بالاحاطة انه يقتله لا محالة لكن جعل لغالب الظن وفى بعض المواضع حكم اليقين والاحاطة فعلى ذلك قولهم ايقنوا انهم احيط بهم لغالب الظن به وقوله عز وجل دعوا الله مخلصين له الدين انهم لما ايسوا عن الاصنام التى عبدوها فى دفع ما حل بهم منهم فزعوا الى الله واخلصوا الدعاء له وقالوا لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ثم اخبر عن سفههم بعودهم الى ما كانوا من قبل فلما انجيهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق وهكذا كانت عادتهم كانوا يفزعون الى الله عند خوف الهلاك والاياس عن آلهتهم التى عبدوها ويخلصون الدعاء له فاذا كشف ذلك الكرب عنهم ودفع عادوا الى ما كانوا من قبل والبغى فى الارض هو الفساد فيها وقوله عز وجل انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا يحتمل قوله على انفسكم اى بعضكم على بعض ويحتمل على انفسكم اى حاصل بغيكم يرجع على انفسكم والبغى هو الظلم فان كان التاويل من قوله انما بغيكم على انفسكم اى حاصل بغيكم يرجع الى انفسكم فى العاقبة فيكون الوعيد لهم فى ذلك بعينه وان كان التاويل من انفسكم بعضكم على بعض فيكون الوعيد فى قوله ثم الينا مرجعكم وقوله عز وجل ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون هذا قد ذكرنا وهو حرف وعيد والله اعلم وقوله عز وجل انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية قيل فيه ضرب مثل الحيوة الدنيا بالزرع الذى

ذكر بوجوه

ذكر بوجوه قال بعضهم قوله انما مثل الحيوة الدنيا فى سرعة فنائها وانقطاعها ووحية زوالها مثل ذلك الزرع الذى ذكر فى سرعة هلاكه وانقطاعه وزواله عن صاحبه او ان يقال انما مثل الحيوة الدنيا فيما يسر ويتهيج مثل صاحب الزرع الذى ذكر فيما سر به وابتهج ثم كان ما ذكر كان لم تغن بالامس وقال بعضهم انما مثل الحيوة الدنيا فيما ينفقون فيها مثل صاحب الزرع الذى ذكر ينفق عليه لما يامل من المنافع ويطمع منه ثم كان ما ذكر ولو علم فى الابتداء ان احد زرعه يزول ويصير الى ما صار لكان لا ينفق فعلى ذلك صاحب الحيوة الدنيا لو علم ان عاقبة ما انفقته تصير حسرة عليه وندامة ما انفق كما ان صاحب الزرع الذى ذكر وبلغ المبلغ الذى ذكر لو علم ان عاقبته كما كان ما انفق عليه اولم علم انه لا ينتفع به ما انفق تلك النفقة اى لو علم ان سروره وابتهاجه به لا يبقى ولا يدوم الى آخر ما تكلف ذلك اولو علم انها تزول عنه وتنقطع عن تلك لسرعة ما انفق ذلك وما تكلف الذى تكلف ويحتمل ضرب مثل الحيوة الدنيا بما ذكر من النبات وجهين احدهما يخبر عن سرعة زوالها وانقطاعها كالنبات الذى ذكر انه يسارع الى الزوال والانقطاع لما يصيبه من الآفة فعلى ذلك الدنيا والثانى يخبر عن تغييرها وانقلاب امرها كالنبات الذى يتغير فى ادنى مدة ووقت وقوله عز وجل حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وحسنت فابتت من الوان النبات وقال ابو عوسجة زخرفها زينتها من النبت وحصيدا اى محصودا كما يحصد الحصاد والحصاد الزرع كان لم تغن اى لم تعش والمغانى هى المواضع التى يعيش فيها الناس قال وواحد المغانى مغنى وقال القتبى واصل الزخرف الذهب يقال للنقش والذهب وكل زين زخرف وقال كان لم تغن بالامس والمغانى المنازل واحدها مغنى وقال بعضهم كان لم تغن بالامس اى لم تنعم وقيل لم تعمر وقال بعضهم هو من الغنى اى كان لم تكن غنيا بالامس والله اعلم وقوله عز وجل وظن اهلها انهم قادرون عليها اى ظن اهل الدنيا فيما ينفقون انهم قادرون على تلك النفقة كما ظن صاحب الزرع انه قادر على ذلك الزرع وقوله عز وجل اتاها امرنا قيل عذابنا سمى امرا لانه بامره اتاه وفيه انه لم يأته عن غفلة وسهو ولكن عن علم وامر عظة لهم وتنبيها الا ترى انه قال كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون كان الآيات فى هذا الموضع المواعظ ان فيما ذكر من ضرب المثل للحيوة الدنيا بالنبات والزرع الذى ذكر عظة وتنبيه لمن تفكر فيه والله اعلم وقوله عز وجل والله يدعوا الى دار السلام اختلف فيه قيل الجنة والسلام الله اضافها الى نفسه كقوله وان المساجد لله فاضاف الجنة الى السلام ثم ان كان دار السلام هى الجنة فهو والله اعلم لان المساجد هى امكنة يقام فيها القرب والجنة هى مكان اللذة وقضاء الشهوة فاضافها الى السلام لما يسلم اهلها عن جميع الآفات والمساجد خصت بالاضافة الى الله لانها امكنة يقام فيها القرب وقال بعضهم دار السلام الاسلام ثم يحتمل كل واحد من التاويلين وجهين بما سمى الاسلام دار السلام والجنة كذلك سمى الاسلام دار السلام لانه يأمن ويسلم كل من دخل فيه عن جميع الاهوال والآفات التى تكون والثانى سمى السلام الدار الاسلام اضاف الى نفسه كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام الآية اخبر انه على نور من ربه فعلى ذلك اضافة الاسلام اليه ومن قال دار السلام الجنة سمى دار السلام لان كل من دخل الجنة سلم وامن عن الاهوال كلها والآفات جميعا والثانى دار الجنة والسلام الله اضافها اليه لانها دار اوليائه وقد يضاف الى الله على ارادة اوليائه والله اعلم وروى فى بعض الاخبار عن ابى قلابة ان النبى عليه الصلوة والسلام قال قيل لى لتنم عينك وليعقل قلبك وليسمع اذنك فنامت عينى وعقل قلبى وسمعت اذنى ثم قيل لى سيد بنى دارا وجعل مائدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المائدة ورضى عنه السيد ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم ياكل من المائدة ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار الاسلام والمائدة الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم ان ثبت هذا الخبر ففيه ان الدار الاسلام على ما قاله بعض اهل التاويل وفى خبر آخر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال رايت فى المنام كان جبريل عند راسى وميكائيل عند رجلى قال احدهما لصاحبه اضرب له مثلا قال اسمع سمعت اذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولا يدعوا الناس الى طعامه فمنهم من اجاب الرسول ومنهم من تركه

فالله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وانت يا محمد الرسول من اجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل
الجنة ومن دخل الجنة اكل ما فيها يدل لا يضا ان ثبت ان الدار التى ذكر فى الاية هو الاسلام والله اعلم وقوله عز وجل
والله يدعوا الى دار السلام الاية ذكر الاستثناء فى الهداية ولم يذكر فى الدعاء ليعلم الكل من يدعوا الى دار السلام
يهديه وانما يهدى من يعلم منه انه يختار الهدى وذلك على القدرية ثم الهدى على وجوه ثلاثة احدها الدعا كقوله
ولكل قوم هاد والثانى هو البيان كقوله هدى ورحمة يعنى القرآن والثالث التوفيق والعصمة اذا وفق اهتدى
والهدى ههنا هو التوفيق وقوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى وزيادة اختلف فيه قال بعضهم للذين احسنوا
فى الدنيا لهم الحسنى فى الآخرة جزاء ذلك الاحسان وهى الجنة سمى الجنة الحسنى لانها جزاء الاحسان كما سمى النار
السوأى كقوله اساؤا السوء لانها جزاء السوء كقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان وزيادة قيل المحبة فى قلوب
العباد يحبه كل محسن وهيبة له فى قلوب الناس يهابه كل احد على سلطان له ولا يد وقال قايلون قوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة اى مثل تلك الحسنة وزيادة التضعيف حتى تكون عشرا او سبعمائة وما شاء الله يدل على ذلك
قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وقال قايلون الزيادة الرؤية رؤية الرب والنظر كقوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال قايلون الزيادة هو قبول حسناته مع ما فيها من الخلط بالسيئات يقبل حسناته
بفضله وان كانت تشوبها السيئات ورضاه منه وذلك طريقة الفضل والاحسان اذ قد سبق من الله تعالى اليه من النعم
ما لا يقدر القيام على وفاء نعمة منها طول عمره وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة
واحدة لها اربعة ابواب فلا ندرى ما الزيادة التى ذكرها عز وجل فى الآية الا بالخبر عن الله وقال قايلون الحسنى ما يقدر
العقول وتدركها وتصورها الاوهام واما الزيادة فهى التى لا تقدرها العقول ولا تدركها ولا تصورها الاوهام كقوله
صلى الله عليه وسلم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله عز وجل ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة
قيل لا يغشى وجوههم الغبار والرهج على ما وصف وجوه اهل النار وهو قوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة
ولكن على ما وصف وجوه اهل الجنة بقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وذلك والله اعلم اثار لحسناتهم التى
احسنوا فى الدنيا ولما لم يروا النعم التى كانت لهم من سواه ولم يصرفوا شكرها الى غيره والغبرة والقترة التى ذكر لاهل النار
هى آثار السيئات التى عملوها فى الدنيا من عبادتهم دون الله وصرفهم شكر النعم الى غيره ونحو ذلك من صنيعهم الذى صنعوا
فى الدنيا والله اعلم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها جزاء سيئة
بما يوجبه الحكمة ان يجزى بمثلها واما جزاء الاحسان والخير طريق وجوبه الافضال والاحسان ليس طريق وجوبه الحكمة اذ سبق
من الله الى كل احد من النعم ما ليس فى وسعه القيام بمكافاة واحدة منها عمره وان طال واجتهد كل جهده فضلا ان يستوجب
قبله جزاء ما كان منه من الخيرات وقوله وترهقهم ذلة هو ما ذكرنا من آثار السيئات التى عملوها فى الدنيا ذلا وهوانا
لهم ما لهم من الله من عاصم وذلك انهم والله اعلم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان يكونوا لهم شفعاء عند الله فاخبر
ان ليس لهم من عذاب الله مانع يمنع ذلك عنهم كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله عز وجل كانما اغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما قيل لبست واعطيت قطعا مثقلا ومخففا قطعا قيل القطع بالتثقيل هو جمع القطعة والقطع بالتخفيف جزء من الليل يقال
سرنا بقطع من الليل اى بجزء من الليل وقوله فاسر باهلك بقطع من الليل اى بجزء منه والله اعلم ثم شبه وجوههم بظلمة الليل
ولم يشبه بسواد الوجوه على ما يكون من سواد الوجوه فى الدنيا فذلك والله اعلم ان سواد الوجوه على ما يكون فى الدنيا
لا يبلغ من القبح غايته اذ قد يرغب من كان جنسه ونوعه فى ذلك ويحسن ذلك عنده فاذا كانت الرغبة قد تقع فيه
لبعضهم فى بعض لم يبلغ فى القبح نهايته واما ظلمة الليل فان الطباع تنفر عنها ولا تقع الرغبة فيها بحال لذلك شبه وجوه
اهل النار بها والله اعلم ويوم نحشرهم جميعا قال اهل التأويل يعنى العابد والمعبود الذين عبدوا دونه ولكن نحشر
الخلايق جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم وقوله عز وجل مكانكم انتم وشركاؤكم هذا الحرف هو حرف
وعيد يقال مكانك انت كذا وان كان هذا الحرف يجوز ان يستعمل فى الكرامات وبر بعضهم بعضا ولكن انما يعرف هذا من ذا

بالمقدمات

بالمقدمات فما تقدم ههنا يدل انه لم يرد به الكرامة ولكن اراد به الوعيد والله اعلم وقوله عز وجل فزيلنا بينهم
قيل فرقنا بينهم وميزنا بينهم اى بين العابد والمعبود ثم يحتمل التزييل بينهم وجوها احدها فرقنا بينهم فى الحساب
مما عمل ومما صحب والثانى يحتمل فرقنا بينهم لما طمعوا بعبادتهم اياها الشفاعة ان يكونوا لهم شفعاء عند الله فرق
بينهم فى الشفاعة ويحتمل فرقنا بينهم فيما ضل عنهم ما كانوا يفترون فصار ما عبدوا ترابا وهم فى النار وقوله عز وجل
وقال شركاؤهم شركاء وان لم يكونوا شركاء فى الحقيقة لما عندهم انهم شركاء كما سمى الاصنام آلهة لما عندهم انها آلهة والثانى
شركاؤهم لما اشركوها فى العبادة فهم شركاؤهم والله اعلم وقوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ينطق الله
عز وجل هذه الاصنام يوم القيمة وان لم يكن فى خلقتها النطق فى الدنيا كقوله يومئذ تحدث اخبارها وقوله يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الآية انطقهم ليشهدوا عليهم ما كنتم ايانا تعبدون يحتمل الملائكة ان يكونوا هم
الذين انكروا لان منهم من يعبد الملائكة انكروا ان يكونوا عبدوهم لان العبادة لآخر انما تكون عبادة اذا كان من المعبود
امر بها وكانت عبادتهم الاصنام عبادة للشيطان لانه هو الآمر لهم بالعبادة للاصنام كقوله يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد
يقصد قصد عبادة الشيطان لكنه لما كان الآمر لهم بالعبادة للاصنام صار كانهم عبدوه وان لم يقصدوه بها ويحتمل
ما ذكر من الانكار من الاصنام وقوله عز وجل فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم اى كفى الله القاضى والحاكم بيننا وبينكم انا لم نامركم
بعبادتنا وهو العالم بانا كنا عن عبادتكم ايانا غافلين وقوله عز وجل هنالك تبلوا كل نفس قيل عند ذلك وقيل يومئذ
اى يوم القيامة وقوله تبلوا وتتلوا بالباء والتاء قيل تقرأ فى الصحف ما كتب من اعمالهم وتبلوا بالباء من الابتلاء يقال
بلوته وابتليته وخبرته واختبرته ايضا وقيل تبلو تجد وتعلم كل نفس ما قدمت من الاعمال والله اعلم وقوله عز وجل
وردوا الى الله مولاهم الحق قيل يهلكهم الحق لان غيره من الآلهة التى عبدوها قد بطل عنهم وضل فى الآخرة ويحتمل
وردوا الى الله مولاهم الحق اى حق ما تجد كل نفس ما قدمت من اعمالها وحق ان تقرأ كل نفس ما عملت وضل عنهم ما كانوا
يفترون من العبادة للاصنام ونحو الكفر وقوله وردوا الى الله مولاهم الحق يحتمل وجهين احدهما ردوا الى ما اعد لهم
مولاهم الحق والثانى ردوا الى امر مولاهم الحق لا الى امر الاصنام التى كانوا يعبدونها وقوله عز وجل قل من يرزقكم من السماء
والارض امن يملك السمع والابصار الاية يحاجهم يعنى اهل مكة فى التوحيد والربوبية وكان هذه السورة نزلت فى محاجة
اهل مكة فى التوحيد لانها مكية وقوله عز وجل قل من يرزقكم من السماء والارض اى من يدبر الرزق فى الارض يحتمل وجهين
اى من ينزل لكم الرزق من السماء ومن يستخرج لكم الرزق من الارض والثانى من يرزقكم من السماء والارض اى من يدبر الرزق
فى السماء ومن يدبر الرزق فى الارض ولا احد يملك استنزال الرزق من السماء واستخراج الرزق من الارض وكذلك
لا احد يملك تدبيره فى السماء والارض سواه ولا احد يملك انشاء السمع والبصر ولا احد ايضا يملك اخراج الحى من الميت
ولا اخراج الميت من الحى ولا تدبير الامر لا يعرفون حقيقة ماهية السمع والبصر ولا كيفيتهما فكيف يملكون انشاء
السمع والبصر ونصبهما ولا يملك احد سواه اصلاح ما ذكرنا فسيقولون ذلك فاقروا انه لا يملك احد سوى الله ذلك
وهو قولهم فسيقولون الله فقل افلا تتقون بوايقه ونقمته او يقول افلا تتقون عبادة غيره دونه واشراك
غيره فى الوهيته وربوبيته او يقول افلا تتقون صرف شكره الى غيره وقد اقررتم انه هو المنعم عليكم هذه النعم
لا من تعبدون دونه او يقول والله اعلم اذا عرفتم ما ذكر افلا تتقون مخالفته وعصيانه فاذا اقروا ان الذى يملك
تدبير ما بين السماء والارض هو الذى له ملك السموات والارض عرفوا الذى يستحق العبادة والقيام بشكره
فاذا ضيعوا ذلك جعلهم عليه اسم الضلال فذلك قوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقوله فذلكم الله ربكم الحق
اى ذلكم الذى ذكر لكم بالحجج والبراهين فماذا بعد الحق الذى هو حق بالحجج والبراهين الا الضلال لان ما لا حجة له ولا برهان
فهو ضلال وقوله عز وجل فانى تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره او فانى تصرفون عن شكر المنعم الى غير شكر المنعم
او يقول فانى تعدلون الى من لا يملك ما ذكر بمن يملك والله اعلم وقوله عز وجل كذلك حقت كلمة ربك حقت
وجبت وقيل كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا بالفسق انهم لا يؤمنون اى لا ينتفعون بايمانهم بعد ذلك

وقوله كلمة ربك يحتمل وجهين يحتمل كلمة ربك حجج ربك وبراهينه على الذين فسقوا وقوله عز وجل قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قال عامة اهل التأويل ثم يعيده البعث بعد الموت اى لا احد من شركائكم الذين تعبدون يملك بدا الخلق ولا بعثه وقال بعضهم قوله ثم يعيده لا يحتمل البعث لانهم كانوا لا يقرون بالبعث فلا يحتمل الاحتجاج عليهم بذلك ولكن قوله ثم يعيده ما سوى البشر لانهم انما ينكرون اعادة البشر فاما اعادة غيره من الاشياء لا ينكرونه نحو اعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات ونحو الاشياء التى يشاهدونها اى ثم يعيده مثلها الليل ليلا مثله والنهار نهارا مثله وكذلك الخلايق تفنى ثم يعيد مثله فاذا ثبت فى غير البشر ثبت فى البشر ويحتمل الامرين جميعا عندنا البعث واشياء مثله لانه تسليم منه لهم الا ترى انه قال الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قيل تكذبون بتوحيد الله وقد عرفتم انه هو بدا الخلق ثم هو يعيده لا احد يملك ذلك الا ترى انه احتج عليهم ما يلزمهم ذلك بقوله كيف تكفرون بالله الآية وقوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق يحتمل قوله يهدى الى الحق يدعوا الى الحق فاذا كان هؤلاء الاصنام التى تعبدونها لا يملكون الدعاء الى شئ فلا يملكون الضر والنفع ومن الخلايق من لا يملك النفع والضر ويملك الدعاء الى الخير والى النفع فهؤلاء دون الخلايق جميعا اذ لا يملكون الدعاء فيملك فكيف يملكون النفع والضر سبين عز وجل سفههم بعبادتهم هؤلاء الاصنام لعلمهم انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ويحتمل قوله من يهدى الى الحق اى يبين ويقيم الدلايل والبراهين على استحقاقه العبادة لهم فاذا لم يملكوا الدعاء الى العبادة لهم فكيف يملكون نصب الدلايل والحجج على استحقاق العبادة قل الله يهدى للحق اخبر ان الله هو الذى يهدى للحق ثم يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا هو يملك الدعاء الى الحق ويقيم الدلايل والحجج على ما دعاه اليه وهو يستحق العبادة له والربوبية افمن يهدى الى الحق الذى بين البراهين والحجج احق ان يتبع امن لا يهدى اى لا يبين ولا يدعوا الا ان يهدى فان قيل ما معنى الاستثناء وهو وان هدى لا يهتدى قيل يشبه ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله ما كنتم ايانا تعبدون ينطقهم الله عز وجل يوم القيامة فيشهدون عليهم انهم لم يامرهم بالعبادة لهم ولا دعوهم لاشراكهم فى العبادة فيكون قوله الا ان يهدى لما ان يجعلهم الله بحيث يهتدون اذا هدوا ويجيبون اذا دعوا فما لكم كيف تحكمون بالجور وصرف العبادة والشكر الى من لا يملك ما ذكر وقوله عز وجل امن لا يهدى الا ان يهدى قال بعضهم الا ان يهدى لا يحتمل الصنم والوثن الاهتداء وان هدى ولكن المراد منه الانسان وقال بعضهم الا ان يهدى الا ان يحمل الصنم ويوضع فاما ان يهتدى هو بنفسه فلا لكن يحتمل ما ذكرنا انه اذا صير بحيث يتكلم ومن جنس ما ينطق واذن له فى النطق احتمل الاجابة والاهتداء والله اعلم وقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا قال بعضهم هذا فى الايمة والرؤساء منهم حيث عبدوا الاصنام والاوثان وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك من القول يقول ما يتبع اكثرهم فى عبادتهم بانهم يكونون لهم شفعاء عند الله الا ظنا ظنوه وقال بعضهم هذا فى الاتباع والعوام ليس فى الايمة وذلك ان الايمة قد عرفوا البراهين والحجج التى قامت عليهم والآيات التى جاء بها رسول الله لكن ما قالوا ان هذا الا سحر مبين وما هذا الا افك مفترى وان هذا الا اختلاق ونحو ذلك من الكلام ارادوا ان يلبسوا على العوام ويشبهوا عليهم فاتبع العوام الى الايمة فيما قالوا انه كذا وانه كذا وصدقوهم بقول وما يتبع اكثرهم الايمة فى ذلك الا ظنا ظنوا ويشبه ان يكون قوله وما يتبع اكثرهم يعنى اهل مكة اى ما يتبع اكثر اهل مكة الاوايل والاسلاف فى عبادة الاصنام والاوثان الا ظنا لانهم عبدوا الاصنام ويقولون انا وجدنا اباءنا على امة الآية وانا فى نا كذلك يفعلون ثم اخبر ان الظن لا يغنى من الحق شيئا اى الظن لا يدرك به الحق انما يدرك الحق باليقين ان الله عليم بما يفعلون وهو حرف وعيد ليكونوا ابدا على حذر وقوله عز وجل وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله قال بعضهم هو صلة قوله قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله فيقول وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله كقوله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى وقال بعضهم ان كفار قريش قالوا ان محمدا افترى هذا القرآن من عند نفسه وتقوله من نفسه فقال ما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله انما فيه الخبر

اويختلق ولكن تصديق الذى بين يديه اى يصدق هذا القرآن الكتب التى كانت من قبل ولو كان محمد هو الذى افترى واختلقه من عند نفسه لكان خرج هو وساير الكتب المتقدمة مختلفا اذ لم يعرف محمد ساير الكتب المتقدمة اذ كانت بغير لسانه ولم يكن له اختلاف الى من يعرفها ليتعلم ثم خرج هذا على القرآن مصدقا وموافقا لتلك الكتب دل انه من عند الله جاء كقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية وقوله عز وجل وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله يخرج على وجهين احدهما ما كان القرآن بالذى يحتمل الافتراء من دون الله لخروجه عن طوق البشر ووسعهم فذلك بالذى يحيله كونه مفترى بجوهره والثانى لما اودع فيه من الحكمة والصدق يدل على كونه من عند الله اذ كلام غيره يحتمل السفه والكذب ويحتمل الاختلاف وتفصيل الكتاب لا ريب فيه قيل فيه بيان الكتب التى نزلت قبله وتمامه ان هذا وان كان فى اللفظ مختلفا فهو فى الحكمة والصدق مبين موافق للاول وقيل وتفصيل الكتاب اى تفصيل ما كتب لهم وما عليهم او ان يقال الى الله تفصيل الكتب ليس المخرج لا ريب فيه انه من عند رب العالمين او يقول مفصل من اللوح المحفوظ وقوله عز وجل ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله يقول ان كان محمد افتراه من عند نفسه فاتوا انتم بسورة مثله اذ لسانه ولسانكم واحد فانتم قد عرفتم بالعزة والكذب ومحمد لم يعرف به قط ولا احد عليه بكذب قط فانتم اولى ان تأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين اختلف فيه قال بعضهم ادعوا بالهتكم التى تعبدونها ليعينوكم على اتيان مثله وقال بعضهم ادعوا من استطعتم اى من لسانه مثل لسانكم ليعينوكم على ذلك او يقول استعينوا بدراسة الكتب ليعينوكم على مثله ان كنتم صادقين ان محمدا افتريه من نفسه فدل ترك اشتغالهم بذلك على انهم قد عرفوا انه ليس بمفترى وانه سماوى وقوله عز وجل بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه قال بعضهم ما لم يحفظوا نظمه ولا لفظه ولا نظروا فيه ولا تدبروا ليعلموا معناه بل كذبوه بالبديهة والشئ انما يعرف كذبه وصدقه بالنظر فيه والتفكر والتدبر لا بالبديهة فذلك والله اعلم تأويل قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه والثانى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى كذبوا على علم منهم انهم كذبة فيما يقولون ويتقولون انه مفترى ليس بمنزل ولما ياتهم تأويله اى ولما ياتهم العلم بتأويله اى بتأويل القرآن ومعناه والله اعلم انهم كذبوه من غير ان حفظوا نظمه ووعوا لفظه ولا اتاهم العلم بعاقبته واخره وقيل التأويل هو رد كل شئ الى اوليه الامر وقالت الحكماء التأويل آخر كل فعل هو قصد فى اوله وقصد كل شئ فى اوله هو آخر فى فعله او نحوه وقال بعضهم ولما ياتهم تأويله قال ما وعد الله ان يكون قبل ان يكون وقال ابن عباس رضى الله عنه تأويل القرآن بما يكون منه فى الدنيا وبما يكون منه يوم القيامة وهو العذاب الذى وعد وقال بعضهم تأويله ثوابه وقيل عاقبته وقال الواقدى اى لم ياتهم عاقبة بيان ما وعد الله فى القرآن فى الآخرة من الوعيد واصل التأويل هو النظر الى ما يؤل عاقبة الامر وقوله عز وجل كذلك كذب الذين من قبلهم اى كذلك كذب الامم السالفة رسلهم كما كذب كفار مكة رسولهم اى لست باول مكذب بل كذب من كان قبلك من اخوانك ليكون لك التسلى عما هو فيه من تكذيبهم اياه ورد عليه انه ينزل بهم ما نزل باولئك ان هم اقاموا على ما هم عليه والثانى ان يكون الخطاب وان كان خارجا لرسول الله فهو راجع الى قومه يامرهم بالنظر فيما نزل بالامم السالفة وان يتاملوا احوالهم ليكون ذلك سببا لزجرهم عما هم فيه وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة الظالمين بالتكذيب اى كيف يعاقبون او يعذبون والله اعلم وقوله عز وجل ومنهم من يؤمن به قيل من اهل مكة ومنهم من لا يؤمن به يحتمل الرسول ويحتمل القرآن ثم يحتمل قوله من يؤمن به اى من قد آمن به ومنهم من لا يؤمن به ويحتمل على الوعيد فيما يستقبل اى منهم من اهل مكة من يؤمن بهذا القرآن ومنهم من لا يؤمن به وهم كذلك كانوا منهم من قد آمن به ومنهم من لم يؤمن به وقال بعضهم هى فى اليهود ليست فى اهل مكة وظاهره ان يكون فى كفار مكة وعلى ذلك قول عامة اهل التأويل كان هذا يخرج على البشارة ان منهم من يؤمن به لئلا يقطع ويمنع دعاءهم ولكن اخبار منهم من لا يؤمن به ليؤيسه حتى لا يشتد حزنه على كفرهم وجائز ان يكون هذا اى منهم من قد يولد من بعد ويؤمن ومنهم من يولد فلا يؤمن وقوله عز وجل ومنهم من يستمعون اليك

يشبه ان يكون معناه اى على علم بما يكون منهم من الفساد خلقتهم وانشاءهم وليس عن غفلة وجهل بالفساد ولكن عن علم
بذلك لما لا يعنى فساد مفسد ولا ينفعه صلاح مصلح انما عليهم ضرر فسادهم ولهم منفعة صلاحهم ويحتمل ان يكون على الوعيد
اى عالم بفسادهم فيجزيهم جزاء فسادهم والله اعلم وقوله وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم تاويله والله اعلم اى ان كذبت
فيما اخبرتكم انه جاء من عند الله فلى عملى اى نفعل عملى فيما ابلغكم اى نفعل وزر عملى ولكم عملكم اى فعليكم جرم ما رددتم
على فيما بلغتكم عن الله وهو كقوله ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برئ مما تجرمون اى على جرم ما افتريت
ان افتريت وعليكم جرم ما رددتم على فيما بلغتكم عن الله ويحتمل ما قاله اهل التاويل لى عملى اى لى دينى ولكم عملكم
اى لكم دينكم انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون تاويله والله اعلم اى انا لا اواخذ بما دنتم انتم ولا انتم مؤاخذون
بما دنت انا وعملت وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شئ الاية وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل الاية وما على الرسول
الا البلاغ الاية وكقوله لا تسئلون عما اجرمنا الاية وقوله عز وجل ومنهم من يستمعون اليك اخبر ان منهم من يستمع اليه
يعنى الى رسول الله والى ما يتلو من القرآن لكنه لا يؤمن يخبر انه لا كل مستمع الى الشئ ينتفع بما يستمع او يعقل ما يستمع
ويفهم انما ينتفع بالاستماع ويعقل على قدر المقصود والحاجة اليه ومنهم كانوا يستمعون لمعان مرة يستمعون
لقبول القول منهم والمنزلة ومنهم من كان يستمع اليه ليسمع غيره كقوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ومنهم من كان
يستمع ويطيعه فى ذلك فاذا خرج من عنده غيره ويبدله كقوله ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة
منهم غير الذى تقول ومنهم من كان يستمع اليه استهزاء منه وطلب الطعن فيه والعيب كانوا مختلفين فى الاستماع
ثم نفى عنهم السمع والعقل والبصر لوجهين احدهما ما ذكرنا انهم لما لم ينتفعوا باسماعهم وعقولهم وابصارهم وبهذه
الحواس انتفاع من ليست له هذه الحواس نفى عنهم ذلك لان هذه الحواس انما جعلت لينتفع بها لا لتترك سدى لا ينتفع بها
والثانى كان العقل والسمع والبصر وهذه يكون منها مكتسبا بالاكتساب ومنها ما يكون غريزة فهم تركوا اكتساب
العقل الذى جعل مكتسبا فنفى عنهم لما تركوا اكتساب ذلك فيحتمل نفى هذه الحواس لهذين الوجهين اللذين ذكرتهما والله اعلم
ثم نفى عمن لا يستمع العقل حيث قال لا يعقلون ونفى عنهم الاهتداء والابصار بترك النظر وقال افانت تهدى العمى
ولو كانوا لا يبصرون لان بالبصر يوصل الى هذا اداء الطريق والسلوك فيها الا ترى ان البهائم قد تبصر الطريق وتسلك بها
وتتقى بها المهالك ولا تعقل لما ليس لها سمع العقل فلا تعقل لما يسمع القلب يعقل وبظاهر البصر تبصر الاشياء وقوله
عز وجل ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون يخبر ان ما حل باولئك من عذاب استيصال وعقوبة انما حل
بظلمهم لا بظلم من الله تعالى وقوله عز وجل ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار قال فى قبورهم يتعارفون بينهم
اذا خرجوا من قبورهم وقال بعضهم من اهل التاويل كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار فى الدنيا واصله كانهم استقلوا طول
مقامهم فى الدنيا وما انغمروا فيها لما عاينوا من اهوال ذلك اليوم وشدايده او استقلوا لبثهم فى الدنيا ومقامهم لطول
مقامهم فى الآخرة فى العذاب واستقلوا فيه وحبثان وهوانه يذكر من شدة سفههم وغاية جهلهم ان ما يعدهم
من الحشر والعذاب الابد كانهم لا يلبثون فيها الا ساعة من النهار حتى لا يبالون ما يلحقهم من ذلك وما يستوجبون
عليه من العذاب باكتسابهم تلك الاسباب وقوله عز وجل يتعارفون بينهم اى يعرف بعضهم بعضا على قدر
ما يلعن بعضهم على بعض كقوله ويلعن بعضكم بعضا وعلى قدر ما يتبرأ بعضهم من بعض ثم يفرق بينهم كقوله فزيلنا بينهم
اى فرقنا بينهم وقوله عز وجل قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اى خسروا بما وعدوا فى الآخرة من النعم الدائمة
بترك اكتسابهم اياها اذ قد اعطوا ما يكتسبون به نعم الآخرة فاكتسبوا ما به خسروا ذلك وهو كقوله فما اصبرهم على النار
اى ما اصبرهم على اكتساب ما به يستوجبون النار والثانى وقوله عز وجل واما نرينك بعض
الذى نعدهم او نتوفينك حرف اما حرف شك وكذلك حرف او لكن يكون تاويله والله اعلم على حذف اما واضمار حرف
ان كان يقول ان اريناك انما نرينك بعض ما نعدهم لا كل ما نعدهم او نتوفينك ولا نرينك شيئا او ان يكون قوله ان نرينك
بعض ما نعدهم اى لقد نريك بعض ما نعدهم وهو كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا فعلى هذا التاويل يريه بعض ما يعدهم

تؤاخذون ح

ولايريهم

ولا يريهم كل ما وعدهم وعلى التاويل الاول ان اراه انما يريه بعض ذلك او لا يريه شيئا فان قيل حرف شك وكذلك
حرف او كيف يستقيم اضافته الى الله وهو عالم بما كان ويكون وانما يستقيم اضافته الى من يجهل العواقب قيل جميع حروف
الشك الذى اضيف الى الله هو على اليقين والوجوب نحو حرف عسى ولعل ونحو ذلك فعلى ذلك حرف اما واو وهو لم يزل
عالما بما كان ويكون فى اوقاته واما حرف الاستفهام والشك يخرج على مخرج الايجاب والالزام على ما ذكرنا فى حرف
التشبيه او ان يكون رسول الله وعدهم ان يريهم شيئا فقال عند ذلك اما نرينك بعض ما نعدهم او نتوفينك
فلا نريك شيئا كانه يقول ليس اليك ما وعدتهم انما ذلك الينا كقوله ليس لك من الامر شئ وقوله عز وجل فالينا مرجعهم
ثم الله شهيد على ما يفعلون هذا يحتمل ثم الله شهيد لك يوم القيامة على ما فعلوا من التكذيب بالآيات وردها
وهو كقوله قل الله شهيد بينى وبينكم واوحى الى هذا القرآن الاية ويحتمل انه عالم بما يفعلون لا يغيب عنه شئ وهو
وعيد كقوله تعالى والله بصير بما تعملون وهو بكل شئ عليم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ولكل امة رسول اى لكل
فيما خلا رسول بعث اليهم لست انا اول رسول بعث اليكم كقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى
ولا بكم فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط يحتمل هذا وجهين يحتمل فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط
اى يقضى بين الرسل وبين الامم بالعدل بما كان من الرسل من تبليغ الرسالة اليهم والدعاء الى دين الله ومن الامم
من التكذيب للرسل والرد للآيات قضى بينهم بالعدل وهم لا يظلمون لا يزاد على ما كان ولا ينقص ويحتمل قوله قضى
بينهم اى يهلك المكذبون منهم وينجى الرسل ومن صدقهم كقوله تعالى ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا الاية ويجوز ان يقضى
بين المؤمنين وبين المجيبين والمطيعين يوم القيامة وقوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
وذلك انه لما اوعدهم العذاب حين قال واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب فقالوا متى هذا العذاب توعدنا
يا محمد ان كنت صادقا بان العذاب نازل بنا فى الدنيا وهو على التاويل الثانى الذى ذكرنا لقد نريك بعض ما وعدناهم
فقال قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا ولا املك ايضا جر منفعة اليها يقول لا اقدر على ان ادفع عن نفسى سوءا حين
يتنزل بى ولا املك على ان اسوق اليها خيرا البتة فاذا لم املك هذا كيف املك انزال العذاب عليكم انما ذلك الى الله
هو المالك عليه والقادر على ذلك لا يملك احد ذلك سواه وهو كقوله قل انما انا بشر مثلكم وقوله عز وجل لكل امة اجل
فاذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اى اذا جاء اجلهم لا يقدرون على تاخيره ولا يستقدمون
اى لا يقدرون على تقديمه ليس على انهم لا يطلبون تاخيره ولا تقديمه فيسالون ذلك ولكن لا يؤخروا اذا جاء ولا يقدم
قبل اجله وفيه دلالة ان لا يهلك احد قبل انقضاء اجله وهو رد على المعتزلة حيث قالوا من قتل آخر فانما قتله
قبل اجله والله يقول لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وهم يقولون يستقدمون والله الموفق وقوله عز وجل
قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون يقول والله اعلم اى منفعة لكم ان اتاكم عذابه لا منفعة لكم
فى ذلك بل فيه ضرركم فاستعجال ما لا منفعة فيه سفه وجهل يسفههم فى سؤالهم العذاب ويخبر فى قوله لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون ان عذاب الله اذا نزل وجاء وقته لا يملك احد تقديمه ولا تاخيره ولا يحتمل استقدامه
ولا استيخاره بالقدر والمنزلة كما يحتمل ذلك فى الدنيا التقديم والتاخير بالشفاعة والفداء ويذكر عجزهم عن انزال
العذاب عليهم فى قوله قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا وقوله عز وجل اثم اذا ما وقع آمنتم به الآن قيل العذاب اذا نزل بكم
آمنتم به الآن يخبر عنهم انهم اذا نزل بهم العذاب يؤمنون به ثم يحتمل قوله آمنتم به اى بالله وبرسوله كقوله فلما راوا
باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ثم اخبر ان ايمانهم لا ينفعهم عند معاينتهم العذاب وهو كقوله
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ويحتمل قوله آمنتم به الآن اى بالعذاب
لانهم يكذبون رسول الله فيما يوعدهم العذاب وهم يستعجلون به استهزاء وتكذيبا فاذا نزل بهم آمنوا اى صدقوا بذلك
العذاب يقول آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون استهزاء وتكذيبا انه غير نازل بكم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
ثم قيل للذين ظلموا قيل اشركوا فى الوهيته وربوبيته وعبادته غيره ذوقوا عذاب الخلد لانهم يخلدون فيه تعالى

ذلك بعد ما ادخلوا النار هل تجزون الا بما كنتم تكسبون اى لا تجزون الا بما كسبتم فى الدنيا وقوله عز وجل
ويستنبئونك اى يستخبرونك احق هو يحتمل هذا وجوها يحتمل قوله احق هو العذاب الذى كان يوعدهم انه ينزل بهم
على ما قاله عامة اهل التأويل ثم قال قل اى وربى انه لحق اى قل نعم وربى انه لحق انه نازل بكم وما انتم بمعجزين اى بفايتين
عنه ولا سابقين له ويحتمل قوله احق هو ما يدعوهم اليه من التوحيد كقولهم لابراهيم اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين
قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن الآية فعلى ذلك قولهم احق هو ثم اخبروا انه لحق بقوله قل اى وربى انه لحق
وما انتم بمعجزين غايبين فايتين عنه ويحتمل الآيات ومحمدا والقرآن احق هو قل اى وربى قل نعم انه لحق كقوله اذ قال
يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اخبر ان ما يأمرهم به ويدعوهم اليه ليس
هو هزوا ولا لعب ولكن حق امر من الله تعالى فعلى ذلك قوله احق هو وقوله عز وجل ويستنبئونك احق هو هذا الحرف
يحتمل ان يكون من الشاكين منهم فى ذلك طلبوا منه انه احق ذلك اولا ومن المعاندين استعجالا العذاب الذى كان
يوعدهم رسول الله استهزاء به وتكذيبا له من المتبعين له والمطيعين التصديق له والايمان به كقوله ويستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها كانوا فرقا ثلاثة فرقة قد آمنوا به وفرقة قد شكوا فيه وفرقة قد كذبوه
وقوله عز وجل ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به يخبر عنهم انهم يفدون ويبذلون جميع ما فى الارض
لو قدروا عليه عند نزول العذاب بهم لشدة العذاب وان كان الذى منعهم عن الايمان هو حبهم الدنيا وبخلهم عليها
وما فيها بقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وقوله عز وجل واسروا الندامة لما راوا العذاب لندامة لا تكون
الاسرار بالقلب فكأنه قال حققوا الندامة فى قلوبهم على ما كان منهم من التكذيب بالآيات والعناد فى ردها
وقال بعضهم واسروا الندامة اى اظهروا الندامة وهو مما يستعمل فى الاظهار والاخفاء كقوله شعب جمع وشعب فرق
ونحوه وبعد فانه اذا اسر فى نفسه لا بد من ان يضع ذلك فى آخره ويخبره بذلك فذلك منه اظهار وقوله عز وجل وقضى
بينهم بالقسط يحتمل قوله قضى بينهم بالقسط ما يوجبه الحكمة لان الحكمة توجب تعذيب كل كافر نعمة وكل قايل
فى الله ما لا يليق به او ان يكون تفسير قوله بالقسط ما ذكر وهم لا يظلمون ويحتمل قوله بالقسط ما ذكرنا [illegible]
الآية والقسط هو العدل وهم يومئذ عرفوا انه كان يقضى بالعدل فى الدنيا والآخرة والله اعلم وقوله عز وجل الا ان لله
ما فى السموات والارض اى ان ما فى السموات والارض كلهم عبيده واماؤه وملكه لا لمن تعبدون من دونه من الاصنام
والاوثان فمن عنده يملك الدنيا والآخرة اطلبوا ذلك منه لا من عند من لا يملك يبين سفههم فى طلبهم الدنيا
من عند من تعلمون انه لا يملك ذلك والله اعلم وقوله عز وجل الا ان وعد الله حق فى كل وعد ووعيد انه كاين لا محالة
عذابا او رحمة ولكن اكثرهم لا يعلمون اى لا ينتفعون بعلمهم فنفى عنهم العلم فان علموا لما لم ينتفعوا به ويحتمل قوله
لا يعلمون اى لم يكتسبوا اسباب العلم وهو التأمل والنظر فى آياته وحججه ويحتمل نفى العلم عنهم لما يعطوا اسباب العلم
فلم يعلموا فان كان على هذا فيكونون معذورين وان كان على الوجهين الاولين فلا عذر لهم فى ذلك وفى قوله
الا ان لله ما فى السموات وما فى الارض دلالة اثبات البعث من وجهين احدهما فيما يذكر من قدرته من خلق السموات
والارض وما بينهما بغلظهما وكثافتهما وشدتها وعظم خلقتهما وان تلك القدرة خارجة عن وسع البشر وتوهمهم
لمن قدر على ذلك فهو قادر على احياء الخلق بعد فنائهم والثانى يخبر عن حكمته من تعليق منافع الارض بالسماء
على بعد ما بينهما والافتنان على الخلق بانواع النعم التى يكبر الاحصاء وان كل شئ منها قد وضع موضعها فلا يحتمل فى هذا
وسعه فى الحكمة يخلق الشئ عبثا باطلا ولو كانوا للفناء لا لحيوة بعده كان يكون خارجا عن الحكمة فظهر انه خلقهم
لامر ارادهم والله اعلم وقوله عز وجل هو يحيى ويميت واليه ترجعون اى تعلمون انه هو احيى الاحياء وهو يميت الاموات
ايضا وهو الذى احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاذا عرفتم انه هو يحيى الاحياء وهو يميت الاموات
لا غير فاعلموا انه هو يبعثكم واليه ترجعون الزمهم الحجة ولا بالكاين ثم اخبر عما يكون بالحجة التى ذكر وقوله
عز وجل يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وهو هذا القرآن قال بعضهم الموعظة النهى كقوله يعظكم الله

ان تعودوا

ان تعودوا لمثله ابدا قيل ينهاكم ان تعودوا لمثله وقال آخرون الموعظة هى التى تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل
مرهوب وقال بعضهم العظة هى التى تلين كل قلب قاس وتجلى كل قلب قاس مظلم وفى القرآن جميع ما ذكرنا فيه
النهى وفيه الدعاء الى كل مرغوب والزجر عن كل مرهوب وهو يلين القلوب القاسية ويجلى القلوب المظلمة اذا تأملوا
فيه ونظروا وتفكروا والفكر المسترشد وطالب الحق وقيل الموعظة التى هى تلين القلوب القاسية وتدمع العيون اليابسة
وتجلى الصدور المظلمة وقوله عز وجل وشفاء لما فى الصدور ان للدين آفات وداء تضر به وتتلفه كما ان للابدان
آفات وامراض تعمل فى اتلافها واهلاكها ثم جعلت لآفات الابدان وامراضها ادوية يشفى بها الابدان المؤفة المريضة فعلى
ذلك جعل هذا القرآن شفاء لهذا الدين ودواء يداوى به فيذهب بآفات الدين وامراضه كما يعمل الادوية فى دفع آفات
الابدان وامراضها لذلك سماه موعظة وشفاء الصدور والله اعلم وقوله عز وجل وهدى ورحمة قيل هدى من الضلالة
ورحمة من عذابه او يقول وهدى ورحمة هدى اى يدعو الى كل خير ويهدى اليه ورحمة لمن اتبعه هو هدى ورحمة
لمن اتبعه وتمسك به وعمى وضلال لمن خالفه وترك اتباعه وهو ما ذكر وهو عليهم عمى وقال فزادتهم ايمانا اى زاد
للمؤمنين ايمانا الى ايمانهم وفزادتهم رجسا اى زاد للكافرين رجسا الى رجسهم ونحوه والله وقوله عز وجل قل بفضل الله
وبرحمته قال بعضهم فضل الله ورحمته القرآن وقال قايلون فضل الله القرآن ورحمته الايمان وقيل انه بانزال
القرآن مفصل اذ لو ان لا ينزل وقيل ان اهل الفترة يؤاخذون فى حال فترتهم والله اعلم وقوله عز وجل فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون اى فرحكم بما ذكر هو خير مما يجمعون من الدنيا وقال بعضهم قوله قل بفضل الله وبرحمته
انما خاطب المؤمنين يقول قل للمؤمنين بفضل الله الاسلام وبرحمته يعنى القرآن فبذلك الفضل والرحمة فليفرحوا
يعنى المؤمنين هو خير مما يجمعون يعنى مما يجمع الكفار من الاموال من الذهب والفضة وغيرها وقوله عز وجل قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق يحتمل ما انزل الله لكم من رزق اضافه الى السماء وان كانت الارزاق انما تخرج
من الارض لما كانت اسبابها متعلقة بالسماء يكون نضج الانزال وينع الاشجار واصلاح الاشياء كلها اعنى اسباب الارزاق
من نحو المطر الذى به تنبت الارض النبات وبه تخرج جميع انواع الخارج مما يكون فيه غذاء البشر والدواب ومن نحو
الشمس الذى بها ينضج الانزال وبها ينبع الاعناب وجميع الفواكه ونحوه اضاف ذلك الى السماء لما ذكرنا وكذلك قوله
وفى السماء رزقكم وما توعدون اى اسباب ذلك فى السماء لان عين ذلك فى السماء ويحتمل قوله ما انزل الله لكم
من رزق اى ما خلق الله لكم وكذلك جميع ما يضاف الى الله مما يضاف اليه بحق الخلق اى خلقه منزلا كقوله وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج ونحو ذلك اى خلق لكم من الانعام ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فجعلتم منه حراما وحلالا
وقال بعضهم ما حرموا من البحيرة والسايبة والوصيلة وما ذكر فى سورة الانعام والمائدة وقال بعضهم ما حرموا للآلهة
التى كانوا عبدوها اى جعلوها للاصنام وهو ما ذكر فى الانعام وهو قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا
الآية نحو ما ذكرنا فى الآية والله اعلم وقوله عز وجل قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون اى آلله اذن لكم فى تحريم
ما حرمتم وتحليل ما احللتم ام على الله تفترون بل على الله تفترون وذلك ان هذه السورة نزلت فى محاجة اهل مكة
وهم لم يكونوا مؤمنين بالرسل والكتب وانما يوصل الى معرفة الحل والحرمة بالرسل والكتب والخبر عن الله وهم لم يكونوا
مؤمنين بواحد مما ذكرنا فكيف جعلتم منه حراما وحلالا وانتم لا تؤمنون ما به يعرف الحلال والحرام فكيف حرمتم
ما احل لكم او احللتم ما حرم عليكم يخبر عن سفههم وعنادهم وافترائهم على الله فانما اجترؤا ان يفتروا على الله
فعل غيره لجرءة والله اعلم وقوله عز وجل وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة فان قيل كيف
اوعدوا بيوم القيامة وهم كانوا لا يؤمنون بالبعث قيل قد الزمهم الحجة يكون البعث بما اظهر من كذبهم وافترائهم على الله
فى التحريم والتحليل فذلك يظهر كذبهم بتكذيبهم البعث وبعد فانه قد يوعد المرء بما لا يتيقن به ويخوف عليه ويحذر
وان لم يحط علمه به فكذلك هذا وبعد فانه قد جعل فى عقولهم ما يلزمهم الايمان بالبعث والجزاء للاعمال اذ ليس
من الحكمة خلق الخلق للفناء خاصة ويحتمل وجها آخر وهو ان يقول وما ظن الذين يفترون على الله الكذب لو خرج

لوخرج الامرحقا وكان صدقا على ما اخبر رسول الله وقال من البعث والجزاء لما اكتسبوا وقوله عزوجل ان الله لذو فضل
على الناس هو ذو فضل على جميع الناس من جهة وهو ما ساق الى الكل من الرزق كافرهم ومؤمنهم وانواع النعم
وما اخر عنهم العذاب الى وقت ولما بعث اليهم الرسل والكتب من غير ان كان منهم الى الله سابقة صنع يستوجبون به
ذلك ومنه خصوص فضل على المؤمنين ليس ذلك على الكافرين ولكن اكثرهم لا يشكرون لفضله وما انعم عليهم وقوله
عزوجل وما تكون في شان قال بعضهم من اهل التاويل في شان في امرك وحالاتك وما تتلوا منه من قران تبلغهم
به الرسالة وقال بعضهم قوله وما تكون في شان اي في عبادة وما تتلو منه من قران تبلغهم به الرسالة ولا تعملون من عمل
الا كنا عليكم شهودا يخاطب نبيه تنبيها منه وايقاظا والمراد منه هو وغيره الا ترى انه قال ولا تعملون من عمل
عمهم جميعا في ذلك يخبر انكم في كل امر يكون بينكم وبين ربكم وفي كل امر بينكم وبين الناس فالله لكم وعليكم شهودا
وكل عمل تعملون لكم وعليكم الا كنا عليكم شهودا بينهم ويوقظهم ليكونوا على حذر ابدا منتبهين وقيل يكثرون فيه وكله
واحد ثم يحتمل قوله فيه في الحق ويحتمل في الدين ويحتمل في القرآن ويحتمل في رسول الله يقول انا شاهد
فيما تخوضون وفيما تقولون في رسول الله او في دينه او فيما يتلوا عليكم وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء لا يعزب اي لا يغيب عنه ما في الارض ولا في السماء فيما لا امر فيه ولا نهي ولا كلفة فالذي فيه السؤال
والامر والنهي والكلفة احرى واولى ان لا يغيب عنه شيء وقوله عزوجل وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض
هو تحذير وتخويف بتمثيل الوعيد بتقرير وتصريح لان الوعيد على وجهين احدهما على التمثيل والاخر على التقرير
في عينه وتصريح وقوله عزوجل الا في كتاب مبين قيل ما قل وما كثر الا في كتاب اي الا في اللوح المحفوظ مبين
ويحتمل الا في كتاب مبين في الكتب المنزلة من السماء والله اعلم وقال ابو بكر الاصم في قوله اذ تفيضون فيه
اي تنتشرون فيه وتاويله ولا تعملون من عمل تنتشرون فيه الا كنا عليكم شهودا وقوله عزوجل الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قالت المعتزلة دلت الآية على ان اصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين لانهم لو كانوا مؤمنين
لكانوا اولياء الله واذا كانوا اولياء الله لكان لا خوف عليهم ولا حزن فاذا كان لا شك ان على اصحاب الكبائر خوف
وحزن في وقت دون وقت ويجوز ان يكون لاصحاب الكبائر لا خوف عليهم ولا حزن في وقت وليس في الآية ان ليس
على اولياء الله خوف ولا حزن من اول الامر الى آخره ويحتمل قوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
على ما يكون لاهل الدنيا في الدنيا من الخوف والحزن انما خوفهم وحزنهم لعواقبهم ويشبه ان لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون في الجنة وهكذا يكون اذا دخلوا الجنة يامنون عن جميع ما ينغصهم وقال بعضهم اولياء الله هم اهل التوحيد
لكن تلك البشارة وذلك الوعد لاهل التوحيد في الاعتقاد والوفاء جميعا لا لاهل الاعتقاد خاصة وقوله عزوجل
لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة قال بعضهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا الرؤيا الصالحة وعلى ذلك
رويت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الآية ففسر بالرؤيا الصالحة فان ثبت فهو الحق
وقال بعضهم لا يحتمل الرؤيا الصالحة لانه نسق البشرى في الآخرة على البشرى في الحيوة الدنيا ولا شك انه لا يكون
في الآخرة الرؤيا الصالحة ولكن ان ثبت ما ذكرنا في الخبر فهو ذلك ويشبه ان يكون البشارة التي ذكر ههنا نحو قوله
فبشر عبادي الذين يستمعون القول الآية وقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم قدم صدق
عند ربهم وقوله ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات وامثال ذلك وقال بعض اهل التاويل
لهم البشرى في الحيوة الدنيا يبشرهم الملائكة عند الموت وفي الآخرة الجنة والله اعلم وقوله عزوجل لا تبديل
لكلمات الله يحتمل لا تبديل لكلمات الله من وعده ووعيده وذلك مما لا تبديل ولا تحويل ويحتمل لا تبديل لكلمات الله
القرآن لا تبديل لما فيه من الوعد والوعيد وغيره ويحتمل لا تبديل لما مضى من سننه في الاولين والآخرين من الهلاك
والاستيصال بتكذيبهم الرسل والآيات كقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وقوله وقد مضت سنة الاولين
ويحتمل قوله لا تبديل لكلمات الله اي لا تبديل للبشرى الذين ذكر لهؤلاء الذين تقدم ذكرهم ويحتمل لا تبديل لحجج الله

لما ذكر في الخبر صح

وبراهينه

وبراهينه اولا تبديل لوعد الله ووعيده ونحوه والله اعلم وقوله عزوجل ذلك هو الفوز العظيم اي ذلك
البشرى هو الفوز العظيم او ذلك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هو الفوز العظيم اذ لا خوف بعده وقال بعضهم
من اهل التاويل لا خوف عليهم من النار ولا هم يحزنون اي يخرجوا من الجنة ابدا والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله
عزوجل ولا يحزنك قولهم يحتمل قولهم ما قالوا في الله بما لا يليق به من الولد والشريك يقول لا يحزنك ذلك فان العزة
لله جميعا ويحتمل قوله لا يحزنك قولهم قالوا في القرآن انه سحر وانه مفترى وقالوا في رسول الله انه ساحر وانه يفتري
على الله كذبا ويشبه ان يكون قوله ولا يحزنك قولهم مكرهم الذي مكروا بك وكيدهم الذي كادوه يؤيد ذلك قوله فان العزة
لله جميعا اي ان العزة في المكر والكيد لله وهو كقوله وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا اي مكره ينقض مكرهم ويمنعه
وكيده يضيع كيدهم فعلى ذلك قوله فان العزة لله جميعا اي ينقض جميع ما يمكرون بك ويكيدونك والعزة القوة يقول ان القوة
لله ينصرك على اعدائك ويدفع عنك كيدهم ومكرهم الذي هموا بك وهو السميع العليم لقولهم الذي قالوا العليم بمصالحهم
او السميع المجيب للدعاء العليم بما يكون منهم وقوله عزوجل الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي تعلمون ان من في
السموات ومن في الارض كلهم عبيده واماؤه فكيف قلتم ان فلانا ولده وان له شريكا ولا احد منكم يتخذ من عبيده وامائه
ولدا ولا شريكا كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الآية فعلى ذلك هذا او كيف يحتمل ان يتخذ ولدا وله ملك ما في السموات
والارض وانما يتخذ في الشاهد الولد لاحدى خصال ثلاث اما للاستنصار على غيره واما لحاجة تمسه واما الوحشة
اصابته فهو غني له ملك السموات والارض لا حاجة تمسه فكيف نسبتم الولد اليه والشريك وما قالوا فيه مما لا يليق به
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ويخبر عن غناه عما يامرهم وينهاهم ويتعبدهم اي ليس يامر وينهى ويتعبد بانواع العبادات
ويمتحنهم بانواع المحن لحاجة له او لمنفعة له في ذلك ولكن لمنفعة لهم في ذلك وقوله عزوجل وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء اي ما يتبعون فيما يدعون من دون الله من الشركاء بالحجج والبراهين او اليقين بكتاب او رسول انما
انما يتبعون بالظن والحذر وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون فيما يتبعون بدعائهم دون الله لانهم كانوا اهل شرك لم يكونوا
اهل كتاب ولا امنوا برسول فهم قد عرفوا انهم مفترون كاذبون في اتباعهم دون الله اذ سبيل معرفة ذلك الكتاب او الرسول
ولم يكن لهم واحد من ذلك والله اعلم وقوله عزوجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يبصر فيه وقال
في آية اخرى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه يعني في الليل ولتبتغوا فيه يعني في النهار فهو في موضع الامتنان
وتذكير النعم يستادي بذلك شكر ما انعم عليه وفيه ان الليل والنهار يجريان على التدبير والتقدير لانهما لو كانا
يجريان على غير تدبير ولا تقدير لكانا لا يجريان على تقدير واحد ولا سنن واحد ولكن يدخل فيهما الزيادة والنقصان
ولا يجريان على تقدير واحد وان كان يدخل بعضه في بعض فدل جريانهما على تقدير واحد انهما يجريان على تدبير آخر
فيهما اذ لو كان على غير تدبير يجريان على الخراف على الزيادة والنقصان وعلى القلة والكثرة وفيه ايضا انه مدبرهما
واحد لانه لو كان مدبرهما عددا لكان اذا غلب احدهما الآخر دام غلبته ولا يصير الغالب مغلوبا والمغلوب
غالبا فاذا صار ذلك بما ذكرنا دل ان مدبرهما واحد لا عدد وفيه دلالة البعث بعد الموت لان كل واحد منهما اذا جاء يتلف
صاحبه تلفا حتى لا يبقى له اثر ولا شيء ثم يكون نشئه حتى لا يختلف الذاهب من الحادث ولا الاول من الثاني فدل ان الذي
قدر على انشاء ليل قد ذهب اثره واصله لقادر على البعث ومن قدر على احداث نهار وقد فني وهلك لقادر على احداث
ما ذكرنا من الموت وفيه ان الشيء اذا كان وجوبه لشيئين لم يجب اذا عدم احدهما لانه قال والنهار مبصرا وانما يبصر
بنور البصر ونور النهار جميعا لانه اذا فات احد النورين لم يبصر شيئا من النور نور البصر او نور النهار دل ان الحكم
اذا وجب بشرطين لا يوجب الا باجتماعهما جميعا والليل يستر وجوه الاشياء لا انه لا يرى نفسه والنهار يكشف وجوه
الاشياء وفي الليل فيما يستر وجوه الاشياء دلالة ان الحكم اذا كان وجوبه بشرطين يجوز ضعفه بعلة واحدة
لانه يستر نور النهار ونور البصر جميعا وفي قوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجوه من الدلالة احدها
ما ذكرنا من تذكير النعم يدعوهم به الى الشكر وينهاهم عن الكفران وفيه تذكير القدرة له حيث انشا هذا واحدثه واتلف الآخر

لمن قدر على هذا لا يعجزه شيء وفيه دليل السلطان حيث يأخذهم الليل ويستر عليهم الاشياء شاؤوا او ابوا وكذلك
النهار يأتيهم حتى يكشف وجوه الاشيا و يجلي شاؤا او ابوا وفيه دليل التدبير والعلم لما ذكرنا من اتساق جريانهما
على سنن واحد ومجرى واحد وفيه دلالة وحدانية منشئهما بين ههنا فيما جعل الليل حيث قال لتسكنوا فيه اخبر انه
جعل الليل للسكون والراحة فدل ذكر السكون في الليل على انه جعل النهار للسعي وطلب العيش الا ترى انه قال في النهار مبصرا
اي يبصرون فيه ما يتعيشون وهو ما ذكر في آية اخرى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الاية وقوله عز وجل
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ولم يقل يبصرون فظاهر ما سبق من الذكر يجب ان يقال لقوم يبصرون لانه قال
والنهار مبصرا لكن يحتمل قوله يسمعون اي يعقلون كقوله ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون
ويحتمل قوله يسمعون ما ذكر من الآيات من اول السورة الى هذا الموضع ايات لقوم يسمعون ينتفعون بسماعهم او يسمعون
اي يجيبون كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب الله وقوله عز وجل وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني قال بعضهم
ارادوا بقولهم اتخذ الله ولدا حقيقة الولد كقوله ويجعلون لله البنات وقوله
وقالت اليهود كذا وقالت النصارى كذا فنزه عز وجل نفسه عما قالوا بقوله سبحانه هو الغني انه لم يلد احدا ولا ولد هو
من احد وهكذا قال لم يلد ولم يولد اذ في الشاهد لا يخلوا اما ان يكون ولدا من آخر او والدا والخلق كله يخلوا من هذا
فاخبر انه لم يلد هو احدا ولا ولد من احد وقوله سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض تاويله والله اعلم
ان في الشاهد من اتخذ ولدا انما يتخذ لاحد وجوه ثلاثة اما الحاجة تمسه او لشهوة تغلبه او لما يستنصر به على آخر
مما يخافه فاذا كان له ملك السموات والارض وملك ما فيهما كلهم عبيده واماؤه فلا حاجة تقع له الى الولد اذ هو الغني
وله ملك ما في السموات والارض ومن هذا وصفه فلا يحتاج الى الولد ولانه لا احد في الشاهد يحتمل طبعه اتخاذ الولد
من عبيده وامائه فاذا كان الله سبحانه الخلايق كلهم عبيده واماؤه كيف احتمل اتخاذ الولد منهم لو جاز وقد بينا احالة
ذلك وفساده ولان الولد يكون من شكل الوالد ومن جنسه كالشريك يكون من شكل الشريك ومن جنسه فكان في نفي
الشريك نفي الولد لان معناهما واحد وكل ذي شكل له ضد ومن له ضد او شكل فانه لا ربوبية له ولا الوهية وقال بعضهم
قولهم اتخذ الله ولدا لم يريدوا حقيقة الولد ولكن ارادوا منزلة الولد وكرامته وهو ايضا منفي عنه لان من لا يحتمل
الحقيقة اعني حقيقة الولد امتنع عن منزلته وكرامته لان الحقيقة انتفت لعيب يدخل فيه فاذا ثبت له منزلة تلك الحقيقة
والكرامة دخل فيه عيب الحقيقة وقوله عز وجل ان عندكم من سلطان بهذا قيل ما عندكم من حجة على ما تقولون ان له
ولدا لانهم كانوا اهل تقليد لآبائهم واسلافهم وكانوا لا يؤمنون بالرسل والكتب والحجج وانما يستفاد ذلك من جهة الرسالة
والكتب وهم كانوا ينكرون ذلك وقوله عز وجل اتقولون على الله ما لا تعلمون اي تقولون على الله انه اتخذ الولد
ما تعلمون انه لم يتخذ قل ان الذين يفترون على الله الكذب هو ما ذكرنا انهم علموا لم يتخذ ولدا لكن قالوا ذلك افتراء
على الله لا يفلحون في الآخرة لما طمعوا في الدنيا بعبادتهم دون الله الاصنام بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله هؤلاء
شفعاؤنا عند الله لا يفلحون اي لا يظفرون بما طمعوا في الآخرة متاع في الدنيا اي ذلك لهم متاع في الدنيا ليس لهم متاع
في الآخرة ثم الينا مرجعهم يخاطب رسوله بذلك لم يخاطبهم الينا مرجعكم فهو والله اعلم لما اشتد على رسول الله ما افتروا به
على الله يقول الينا مرجعهم فنجزيهم جزاء فريتهم والثاني يقول الينا مرجعهم فنذيقهم العذاب الشديد لما طمعوا من
الشفاعة عندنا والزلفى والله اعلم وقوله عز وجل واتل عليهم نبأ نوح اي خبره وحديثه اذ قال لقومه يا قوم
ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله قال بعضهم ان كان كبر عليكم طول مقامي ومكثي فيكم ودعائي اياكم الى العبادة
الله والطاعة له وتذكيري اياكم بآياته قال بعضهم وتذكيري بعذابه بتركم اجابتي ودعائي ويحتمل قوله ان كان كبر عليكم
مقامي بما ادعي من الرسالة وتذكيري بآيات الله اي بحجج الله على ما ادعيت من الرسالة وفي قوله واتل عليهم نبأ نوح فيه وجوه
احدها ان هذا نبأ نوح وقومه وما ارادوا به من الكيد والمكر به والثاني ذكر عواقب قوم نوح وما حل بهم من سوء معاملتهم
رسولهم والثالث ذكر لهم لعواقب متبعي قومه ومخالفيه وقوله عز وجل فاجمعوا امركم وشركاءكم قال بعضهم

اى اجتمعوا انتم وشركاؤكم ثم كيدون ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي اجعلوا ما تريدون من الكيد والمكر بي ظاهرا غير ملتبس
ولا مشتبه وقال بعضهم فاجمعوا امركم اي اعدوا امركم وادعوا شركاءكم وكذلك روي في حرف ابي فاجمعوا امركم وادعوا
شركاءكم ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي اقضوا ما انتم قاضون وقال بعضهم قوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي لا يكبر عليكم امركم
وقال الكسائي هو من التغطية واللبس اي لا تغطوه ولا تلبسوه اجعلوا كلمتكم ظاهرة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
لا يكن امركم اغتماما عليكم اي فرجوا عن انفسكم كقوله من كان يظن ان لن ينصره الله الاية وقوله عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون
اي اعملوا الي ما تريدون ولا تنظرون وهو كقوله فاقض ما انت قاض وقال الكسائي هو من الانهاء والابلاغ وهو كقوله
وقضينا الى بني اسرائيل الاية وقضينا اليه ذلك الامر اي انهينا اليه وابلغنا اليه وقال ابو عوسجة ان شئت جعلتها ظلمة فلا يبصرون
امرهم يعني غمة وان شئت جعلتها شكا واشتقاقها في اللغة من غم يغم غما اي غطى يغطي تقول غممت رأسه اي غطيته ثم اقضوا الي
اي افعلوا بي ما اردتم وفي قول نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركاءكم الى قوله ولا تنظرون وقول هود فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
وقول رسول الله على دعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون دلالة اثبات رسالتهم لانهم قالوا ذلك لقومهم وهم بين اظهرهم
ولم يكن معهم انصار ولا اعوان دل انهم انما قالوا ذلك اعتمادا على الله واتكالا بمعونته ونصره اياهم وقال بعضهم في قوله
ثم اقضوا الي اي فاوزعوا الي يقال قضى فرغ وهو قول ابي بكر الاصم وقال بعضهم ثم اقضوا الي كقوله فراغ الى اهله وفراغ الحتم
ونحوه وقوله عز وجل فان توليتم فما سالتكم من اجر التولي اسم لامرين اسم للاعراض والادبار كقوله واذا تولى سعى
في الارض واسم للاقبال والقبول ايضا كقوله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا الاية ونحوه فههنا يحتمل الامرين جميعا
اي فان توليتم اي اقبلتم وقبلتم ما اعرضه عليكم وادعوكم اليه فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وان كان في الاعراض
فكانه يقول كيف اعرضتم عن قبوله ولم اسالكم على ذلك اجرا فيكون لكم عذر في الاعراض والرد كقوله ام تسالهم اجرا الاية
اي لم اسالكم على ما اعرضه عليكم وادعوكم اليه عن ما حق يثقل عليكم ذلك الغرم فيمنعكم ثقل الغرم عن الاجابة في هذه الاية
وغيرها دلالة منع اخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم لانه لو جاز اخذ الاجر على ذلك لكان لهم عذر ان لا يبدلوا ذلك
ولا يتعلموا شيئا من ذلك وفي ذلك هدم شرايع الله واسقاطها والله اعلم وقوله عز وجل وامرت ان اكون من المسلمين
اي مسلما نفسي الى الله اي سالما لا اجعل لاحد سواه فيها حقا ولا حظا او امرت ان اكون من المخلصين لله والخاضعين له
يحتمل ذلك كله وقوله عز وجل فكذبوه يعني نوحا كذبه قومه فيما ادعى من الرسالة او ما اتاهم من الآيات او ما اوعدهم
من العذاب بتكذيبهم اياه فنجيناه يعني نوحا ومن معه في الفلك اي من ركب معه الفلك من المؤمنين وجعلناهم خلائف
يحتمل خلائف خلفاء في الارض وسكانا يخلف بعضهم بعضا ويحتمل جعلناهم خلائف اي خلف قوم اهلكوا واستؤصلوا
بالتكذيب واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا يحتمل الآيات الحجج والبراهين التي اقامها على ما ادعى من الرسالة ويحتمل قوله كذبوا
بآياتنا العذاب الذي اوعدهم بتكذيبهم اياه فيما وعد وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كان الانذار
للفريقين جميعا المؤمن والكافر جميعا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر فاذا كان ما ذكرنا فيكون تاويله فانظر كيف كان
عاقبة من اجاب ومن لم يجب عاقبة من اجاب بالثواب وعاقبة من لم يجب العذاب ويحتمل المنذرين الذين لم يقبلوا الانذار
ولم يجيبوا اي انظر كيف كان عاقبتهم بالهلاك والاستيصال ويكون تاويل قوله انما تنذر من اتبع الذكر اي انما يقبل الانذار
من اتبع الذكر وانما ينتفع بالانذار من اتبع الذكر واما من لم يتبع الذكر لم ينتفع والله اعلم وقوله عز وجل ثم بعثنا من بعده
رسلا اي من بعد نوح رسلا الى قومهم اي بعثنا الى كل قوم رسولا لانه بعث الرسل جملة الى قومهم ولكن واحدا على اثر
واحد فجاؤوهم بالبينات يحتمل البينات الحجج والبراهين التي اقاموها على ما ادعوا من الرسالة والنبوة ويحتمل البينات
بيان ما عليهم ان ياتوا ويتقوا ويحتمل البينات بما اخبروهم وانبأوا قومهم بالعذاب انه نازل بهم في الدنيا وقوله عز وجل
فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل قال بعضهم ما كان كفار مكة ليؤمنوا وليصدقوا بالبينات كما لم يصدق به اوائلهم
وقال بعضهم قوله بما كذبوا به من قبل اي قبل بعث الرسل ففيه دلالة ان اهل الفترة يؤاخذون بالتكذيب في حال
الفترة ويحتمل قوله بما كذبوا به من قبل اي من قبل اتيان البينات اي ما كانوا يؤمنوا بعد ما جاؤا بالبينات بما كذبوا به

من قبل مجيء البينات كذلك نطبع على قلوب المعتدين اى هكذا نطبع على قلوب اهل مكة كما طبعنا على قلوب اوايلهم اذ علم
انهم لا يقبلون الآيات ولا يؤمنون بها والاعتداء هو الظلم مع العناد والمجاوزة عن الحد الذى جعل وقوله عز وجل
ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هو يخرج على وجهين احدهما ما كانوا ليؤمنوا بالبينات اذ جاءتهم البينات على السؤال وهكذا
عادتهم انهم لا يؤمنون بالآيات اذا اتاهم على السؤال والثانى ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا على علم منهم انها آيات وانه
رسول والله اعلم وقوله ثم بعثنا من بعدهم اى من بعد من ذكرنا من الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه يعنيهما
الى الملأ وغير الملأ باياتنا يحتمل الوجوه التى ذكرنا فاستكبروا وهذا يدل انهم قد عرفوا ان ما جاء هم الرسل من الآيات
انها آيات لكنهم عاندوا وكابروا ولم يخضعوا فى قبولها وكانوا قوما مجرمين وقوله عز وجل فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا ان هذا لسحر مبين قال بعضهم قوله فلما جاءهم الحق من عندنا اى الحجج والآيات من عندنا قالوا ان هذا يعنون
الحجج والبراهين التى جاءبهم موسى لسحر مبين يسمون الحجج والبراهين سحرا لما ان السحر عندهم باطل لذلك قالوا للحجج انها سحر
ذلك تموبه منهم يموهون على الناس لئلا يظهر الحق عندهم فيتبعونه وقال بعضهم الحق هو الاسلام والدين كقوله ان الدين
عند الله الاسلام قالوا ان هذا لسحر مبين يعنون الحجج والآيات التى جاءبهما للدين لانه جاءهم بالدين وجاءهم ايضا بحجج الدين
وآياته قالوا الحجج الدين والاسلام سحرا فى التاويلين جميعا سموا الحجج سحرا وقوله جاءهم الحق من عندنا اى يامرنا وكذلك قوله
ان الدين عند الله الاسلام اى الاسلام هو الدين الذى امر الله به لا انه يفهم للعند مكان ينتقل من مكان الى مكان
ولكن معنى العند معنى الامر وعلى هذا يخرج قوله ان الذين عند ربك يعنى الملائكة لا يستكبرون عن عبادته
اى ان الذين يامر ربك يعبد ونه لا يستكبرون عن عبادته لما انه لم يفهم من مجيء الحق من عنده مكان فعلى ذلك لا يجوز
ان يفهم من قوله ان الذين عند ربك المكان او قرب المكان منه ولكن التاويل ما ذكرنا ان المفهوم من عند الله امره
والله اعلم وقوله عز وجل قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا والحق ما ذكرنا ولا يفلح الساحرون الا فلاح
هو الظفر بالحاجة يقول ولا يفلح الساحرون اى لا يظفر الساحر بالحاجة ولا يغلب لان السحر باطل ولا يغلب الباطل
الحق بل الحق هو الغالب والسحر هو المغلوب على ما غلب الحق الذى جاء به موسى السحر الذى جاء به سحرة فرعون او يقول
لا يفلح الساحرون فى الآخرة بسحرهم فى الدنيا ويحتمل قوله ولا يفلح الساحرون بسحرهم فى حال سحرهم كقوله لا يفلح الظالمون
ولا يفلح الكافرون اى لا يفلحون بظلمهم فى حال ظلمهم واما اذا تركوا الظلم فقد افلحوا فعلى ذلك السحرة اذا تركوا السحر فقد افلحوا
والله اعلم وقوله عز وجل قالوا اجئتنا لتلفتنا قيل لتصرفنا وتصدنا قال القتبى لفته فلانا عن كذا اذا صرفته
والالتفات منه وهو الانصراف وقال ابو عوسجة لتلفتنا اى تردنا وتصرفنا على ما ذكر القتبى قال يقال لفته
يلفته لفتا وقوله عز وجل عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام والاوثان ويحتمل ما وجدنا عليه اباءنا
من عبادة فرعون والطاعة له وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال اهل التاويل الكبرياء والملك والسلطان والشرف
اى الملك الذى كان لفرعون والسلطان يكون لكما باتباع الناس لكما لان كل متبوع مطاع معظم مشرف ويحتمل قوله وتكون
لكما الكبرياء فى الارض اى الالوهية التى كان يدعى فرعون لنفسه لكما لان عندهم ان كل من اطيع واتبع فقد عبد ونصب
الها وما نحن لكما بمؤمنين اى بمصدقين فيما تدعواننا اليه او ما تدعون من الرسالة وقوله عز وجل ايتونى بكل سحار
عليم هذا من فرعون ينقض ما ادعى من الالوهية حيث اظهر الحاجة الى غيره ولا يجوز ان يكون المحتاج الها
وقوله عز وجل فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله
اى سيبطل عمل السحر الذى قصدوا به اى يجعله مغلوبا كقوله ولا يفلح الساحرون اى لا يغلب الساحرون
ولا يظفرون بالحاجة ان الله لا يصلح عمل المفسدين اى لا يصلح ما افسدوا من اعمالهم فيجعلهم صالحين وقوله عز وجل
ان الله لا يصلح عمل المفسدين هو ما ذكرنا اى لا يجعلهم باعمالهم الفاسدة صالحين او لا يجعل اعمالهم الفاسدة صالحة
وقال بعضهم لا يصلح اى لا يرضى بعمل المفسدين وقوله عز وجل ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون ذكر انه يحق الحق
والحق حق وان لم يحق الحق وذكر كذلك فى الباطل ليبطل الباطل والباطل باطل وان لم يبطل ولكن يحتمل قوله

يحتمل

يحق الحق ويبطل الباطل اى يجعل الحق فى الابتداء حقا فيصير حقا ويجعل الباطل فى الابتداء باطلا فيكون باطلا اى
اى ابطاله الباطل يكون باطلا وبتحقيقه الحق يكون حقا وهو ما يقال هداه فاهتدى واضله فضل اى بهدايته اهتدى
وباضلاله ضل فعلى ذلك بابطاله الباطل بطل وبتحقيقه الحق حق والله اعلم وقوله بكلماته يحتمل وجوها يحتمل
يحق الحق بكلماته اى برسله اذ بالرسل يظهر الحق وبهم يظهر بطلان الباطل وهم حجج الله فى الارض وبالحجج يظهر الحق وكذلك
الباطل ويحتمل ما ذكر اهل التاويل بكلماته آياته التى انزل عليه بها ظهر حقيقة ما اتى به موسى وبها ظهر بطلان ما اتى به
السحرة من السحر ويحتمل بكلماته ما وعد موسى قومه من العذاب التى وعد من الظفر باعدائهم والنصر عليهم وغير ذلك ما وعد
من النعم لهم كقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقوله
عز وجل فما آمن لموسى الا ذرية من قومه يحتمل قوله من قومه من قوم موسى لما قيل ان موسى كان من اولاد اسرائيل فهم
من ذريته من هذا الوجه يقال اهل بيت فلان وان لم يكن البيت له ويحتمل قوله الا ذرية من قومه من قوم فرعون فهو
نسب اليه لما ذكرنا وقال اهل التاويل اراد بالذرية القليل منهم اى ما آمن منهم الا القليل ولكن لا ندرى ذلك وقوله
عز وجل فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون يحتمل قوله ما آمن من آمن من قومه الا على خوف من فرعون
وملائه اى امنوا وان خافوا من فرعون وملائهم ويحتمل ما ترك من قومه الايمان بموسى من ترك الا على خوف من فرعون
ان يفتنهم اى يقتلهم ويعذبهم ففيه دلالة ان الخوف لا يعذر المرء فى ترك الايمان حقيقة وان كان يعذر فى ترك اظهاره
لان الايمان هو التصديق والتصديق يكون بالقلب ولا احد من الخلايق يطلع على ذلك لذلك لم يعذر فى تركه اتيانه
لانه يقدر على اسراره الا ترى الى قوله وقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه كان مؤمنا فيما بينه وبين ربه
وان لم يظهر وقوله عز وجل وان فرعون لعال فى الارض وهو ما قال عز وجل ان فرعون علا فى الارض اى قهر وغلب
على اهل الارض وانه لمن المسرفين وقوله عز وجل قال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
فيه دلالة ان الايمان والاسلام واحد فى الحقيقة لانه بدأ بالايمان بقوله ان كنتم آمنتم بالله وختم بالاسلام بقوله ان كنتم
مسلمين دل انهما واحد هو اعتقاد ترك تضييع كل حق والاسلام اعتقاد تسليم كل حق وترك تضييعه والله اعلم والاسلام
هو جعل كلية الاشياء لله سالمة والايمان هو التصديق بكلية الاشياء فيما فيها من الشهادة لله بالربوبية له والالوهية
وقوله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون قال ذلك لما خافوا مواعيد فرعون
وعقوباته كقوله للسحرة لما آمنوا لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف الآية فقال عند ذلك عليه توكلوا فى دفع ذلك
عنكم فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يحتمل ما قاله
على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم ما قيل اى يقتلهم ويعذبهم والله اعلم هذا يخرج على وجهين احدهما اى لا يجعل لهم
علينا الظفر والنصر فيظنون انهم على هدى وعلى حق ونحن على ضلال وباطل والثانى لا تجعلنا على ايدى الظلمة يعذبونا
فيكون ذلك فتنة لنا ومحنة على ما فعل فرعون بالسحرة لما آمنوا وقوله عز وجل ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
فيه ان قوله الظالمين والكافرين واحد والله اعلم وقوله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا
واجعلوا بيوتكم قبلة الآية يحتمل وجهين يحتمل قوله ان تبوآ لقومكما اى اتخذ لقومكما مساجد يصلون فيها واجعلوا
بيوتكم اى اجعلوا فى بيوتكم التى تتخذونها مساجد قبلة ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا الامر باتخاذ المساجد ويكون فى قوله
اجعلوا بيوتكم قبلة الامر باتخاذ القبلة فى المساجد التى امر ببنائها والثانى قوله ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا اى اتخذ
لقومكما بمصر مساجد على ما ذكرنا وقوله عز وجل واجعلوا بيوتكم قبلة اى اجعلوا فى بيوتكم التى بنيتم لانفسكم قبلة
تتوجهون اليها ويكون فيه دلالة ان نصب الجماعة واتخاذ المساجد والقبلة متوارثة ليست ببديعة لنا وفى شريعتنا
خاصة ويؤيد ما ذكرنا ان فيه الامر باتخاذ المساجد وقوله واقيموا الصلوة ذكر الامر باقامة الصلوة على اثر الامر
بتبوئة البيوت امرا باتخاذ المساجد للقبلة فان قيل هذا فى الظاهر امر باتخاذ المساجد والآية التى ذكر فيها
اتخاذ المساجد تخرج مخرج الاباحة لنا وهو قوله فى بيوت اذن الله ان ترفع هو فى الظاهر اباحة قيل هو امر فى الحقيقة

وان كان في الظاهر اباحة الا ترى انه قال ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها الاية ولا شك ان ذكر اسمه والتسبيح له امر فيه دلالة
ما ذكرنا والله اعلم واما اهل التاويل فانهم قالوا انهم كانوا يخافون فرعون وملائه فامروا ان يجعلوا في بيوتهم مساجد
مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا خوفا من فرعون هذا يحتمل اذا كان قبل هلاك فرعون وقبل ان يستولوا على مصر واذا كان
بعد هلاكه وبعد ما استولوا وملكوا على مصر واهله فالامر فيه ما ذكرنا امر باتخاذ المساجد ونصب الجماعات فيه واقامة الصلوة
فيها وقال بعضهم من اهل التاويل وجعلوا بيوتكم ومساجدكم نحو القبلة لكن هذا بعيد لانه لا يكون بيتا الا ويكون جهة من جهاته
الى القبلة فلا معنى له والوجه فيه ما ذكرنا ويحتمل الامر بتبوئة البيوت لقومهما بمصر وجعل البيوت قبلة وجهين احدهما
الامر بالانفصال من فرعون وقومه حتى اذا ارادوا الخروج من عندهم قدروا على ذلك ولا يكون المرور عليهم وكان ذلك الانفصال
انما كان من جهة القبلة والثاني ما ذكرنا ارادوا ان يعتزلوهم حتى يتهيا لهم الصلوة فيها وكان لا يتهيا لهم في بيوت فرعون
وقوله عز وجل وبشر المؤمنين يحتمل البشارة في الاخرة بالجنة وانواع النعم ويحتمل ان يبشرهم بالملك في الدنيا والظفر
على فرعون وانواع النعم بعد ما اصابوا الشدايد من فرعون كقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ابو عوسجة قوله ان تبوءا لقومكما تهيا من التهيئة اي هيا لهم موضعا كقوله
ولقد بوانا لبني اسرائيل مبوا صدق اي هيانا لهم مهيا صدق وقوله عز وجل وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملائه
زينة يحتمل قوله زينة من انواع ما اتاهم من الانزال والبنات كقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت ونحوه ويحتمل
الزينة التي كانوا يتزينون بها من المراكب والملبس وما يتحلون بها من انواع الحلي واموالا كثيرة سوى ذلك وقوله عز وجل ربنا
ليضلوا عن سبيلك قالت المعتزلة تاويل قوله ربنا انك اتيت فرعون وملائه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا
عن سبيلك اي اتاهم لئلا يضلوا الناس عن سبيله ولكن اضلوهم عن سبيله وقالوا هذا كما يقال لم اتك هذا كذا لتفعل
كذا ولكن فعلت ونحوه من الكلام ولكن عندنا هو ما ذكر اتاهم الاموال وما ذكر ليضلوا عن سبيله لانه اذ علم منهم انهم
يضلون الناس عن سبيله اتاهم ما اتاهم ليضلوا وهو كما ذكر في قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله نسارع لهم
في الخيرات الاية وامثاله فكذا هذا والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم يحتمل هذا
وجهين يحتمل اي اطمس على اموالهم واجعل في قلوبهم قساوة وغلظة تنفر الاتباع ومن يقلدهم عن اتباعهم وتقليدهم فيكون
ذلك اهون علينا في استنقاذ الاتباع منهم وادعى لهم الى الايمان اعني الاتباع ومن يقلدهم ويكون ذلك سببا لابعادهم
عن اتباعهم وتقليدهم اياهم هذا وجه والثاني قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم اي اجعل ذلك اية تضطرهم الى الايمان
فانهم لم يؤمنوا بالايات التي ارسلتها عليهم من الطوفان والجراد وما ذكر من البلايا فيكون قوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم هذا من طمس الاموال وقساوة القلوب وشدتها والله اعلم وقال بعض اهل التاويل واشدد على قلوبهم واطبعها
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق فعند ذلك يؤمنون واما بهذه الايات فلا هذا يحتمل اذا كان الله عز وجل اخبره
انهم لا يؤمنون فيسع له هذا الدعاء واما ما قبل ان يخبره بذلك فلا يسع له ان يدعو بهذا وهو انما ارسله اليهم ليدعوهم الى الايمان
والطمس قال ابو عوسجة هو الذهاب بها اي ذهب بها وقال القتبي قوله ربنا اطمس اي اهلكها وهو من قولك طمس الطريق
اذا عفا ودرس وقال غيره الطمس هو المسح وكقوله فطمسنا على اعينهم اي مسحناهم وقال بعضهم الطمس هو التغيير عن جوهرها
دعا موسى بهذا الدعاء بالامر لما ايس من ايمانهم وهو كقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم
يضلوا عبادك الاية عند الاياس منهم فعلى ذلك موسى والله اعلم وقوله عز وجل قال قد اجيبت دعوتكما قال بعضهم
ان موسى كان يدعو وهرون يؤمن على دعائه فقال الله عز وجل قد اجيبت دعوتكما سمى كليهما داعيا ولهذا قال محمد بن الحسن
رحمه الله في بعض كتبه ان الامام يدعو في القنوت في الوتر والقوم يؤمنون وقوله عز وجل فاستقيما على الرسالة
وما امرتكما به ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وهو كقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون وكقوله
ولا تتبع اهواءهم ونحوه وان كان العلم محيطا ان الانبياء صلوات الله عليهم لا يتبعون سبيل اولئك ولا يتبعون اهواءهم
لما عصمهم عز وجل ولكن ذكر هذا والله اعلم ليعلم ان العصمة لا تزيل النهي والامر بل تزيد خطرا ونهيا والله اعلم وقوله

عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده هذا ظاهر وفي قوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
دلالة خلق افعال العباد لانه اضاف الى نفسه انه جاوزهم وبنوا اسرائيل هم الذين تجاوزوا ودل ذلك ان خالق فعلهم
واما قوله حتى اذا ادركه الغرق اي حتى اذا غرق لانه ذكر في بعض القصة ان فرعون لما انتهى الى ساحل البحر فراى البحر منفرجا طرقا
فقال انما انفرج البحر لي فلما دخل غرق فعند ذلك قال غرقا امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين
ثم ايمانه لم يقبل في ذلك الوقت لوجهين احدهما لما يحتمل ان يكون ايمانه عند رؤية الباس وخوف الهلاك فهو ايمان دفع
الباس لا ايمان حقيقة وهو على ما اخبر عن ايمان الكفرة في الاخرة لما عاينوا العذاب كقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب
وكقوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وكقولهم نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وامثاله ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه فما عاينوا من العذاب اكبر واشد مما عاين فرعون ثم اخبر انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا الي ما كانوا يعملون
لكنهم قالوا ذلك قول دفع فعلى ذلك ايمان فرعون دفع الباس عن نفسه لا ايمان حقيقة واختيار والثاني ان الايمان هو الاسلام
هو تسليم النفس الى الله فاذا امن في وقت خرجت نفسه من يده لم يصر مسلما نفسه الى الله اذ نفسه ليست في يده ولذلك
لم يقبل الايمان في ذلك الوقت وقت الاشراف على الهلاك ويحتمل وجها اخر وهو ان الايمان بالله انما يكون بالاستدلال
بالشاهد على الغايب ولا يمكن الاستدلال على الغايب في ذلك الوقت اذ لا يكون ذلك الا بالنظر والتفكر وفي ذلك الوقت
لا يمكن النظر والتفكر لذلك لم يكن ايمان حقيقة والله اعلم واما قوله ننجيك ببدنك قيل فيه بوجوه قوله ننجيك من النجوة
اي نلقيك على النجوة وهو مكان الارتفاع والاشراف ليراه كل احد انه هلك ليظهر لهم انه لم يكن الها على ما ادعى واما
ابدان قومه لم تلق على النجوة ولكن بقيت في البحر والثاني قيل ننجيك اي نخرجك من البحر ولا نتركك فيه لتكون لمن خلفك
اية والثالث ننجيك ببدنك ولا ننجي بدنك وروحك لانه ذكر في القصة انهم لما غرقوا هو واغرقوا الى النار كقوله مما خطاياهم
اغرقوا فادخلوا نارا اخبر انه لم ينج جسده بروحه الى النار ولكن اخرج بدنه وهوت روحه الى النار مع ساير قومه والله اعلم
لئلا يرى جسده ويظهر كذبه ولا يشتبه امره عليهم وقوله عز وجل لتكون لمن خلفك اية يحتمل وجهين يحتمل ليكون هلاكك
اية فلا يدعي احد الربوبية والالوهية مثل ما ادعى هو او يقول لتكون لمن خلفك اية اي من شاهد لعل كذلك غرقت
ملقى كان اية له وقوله عز وجل وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون قال بعض اهل التاويل يعني اهل مكة عن اياتنا
لغافلون عن هلاك فرعون وقومه لما قالوا ما هذا الا افك مفترى وما هذا الا سحر يقولهم
غافلون عما اصاب اولئك اذ مثل هذا لا يفترى اعني هذه القصص ويحتمل وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون
اي كثيرا منهم كانوا غافلين عما اصابهم والغفلة تكون على وجهين احدهما غفلة اعراض وعناد بعد العلم ومعرفة
ان ذلك حق والثاني يغفل بترك النظر والتفكر فكلا الوجهين مذموم وقوله عز وجل ولقد بوانا بني اسرائيل
مبوا صدق قال عامة اهل التاويل بوانا انزلنا بني اسرائيل منزل صدق وقال بعضهم بوانا هيانا لبني اسرائيل
مبوا صدق مهيا صدق حسنا كقوله واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين الاية اي تهيئ للمؤمنين وقال بعضهم قوله بوانا
بني اسرائيل مبوا صدقا اي مكناهم تمكين صدق وهو كقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة
ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض الاية يحتمل ما ذكر من التبوئة التمكين الذي ذكر في هذه الاية وقوله مبوا صدق
قال بعضهم منزل صدق اي كريم وقال منزل صدق اي حسن ويحتمل وجهين اخرين احدهما انه وعدهم ان يمكن لهم
في الارض فانجز ذلك الوعد فهو مبوا صدق اي تمكين حيث انجز ذلك الوعد وصدق الوعد ما ذكر واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون الاية والثاني مبوا صدق اي مبوا اهل صدق لان الشام كان لم يزل منزل اهل صدق وعلى هذا
يخرج قوله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الاية اي اخرجني مخرج اهل صدق وادخلني مدخل
اهل صدق والله اعلم وقوله عز وجل ورزقناهم من الطيبات قال اهل التاويل يعني المن والسلوى ولكن الطيبات
هي التي طابت بها الانفس مما حل بالشرع مما لا تبعة على اربابها مما لم يعص فيها وقوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد
ما جاءهم العلم اي فما اختلفوا في الدين الا من بعد ما جاءهم العلم انه حق وقيل فما اختلفوا في محمد انه رسول الله

الا من بعد ما جاءهم العلم انه رسول الله وقيل فما اختلفوا في القرآن والآيات التي انزلها على رسوله الا من بعد ما جاءهم العلم انه منزل من عند الله ويحتمل قوله فما اختلفوا في موسى انه رسول الله الا من بعد ما جاءهم العلم انه رسول الله

وقوله عز وجل ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون الآية ظاهرة من الوجوه التي ذكرنا وقوله ان ربك يقضي بينهم يحتمل وجهين احدهما الجزاء والثواب والثاني نبين الحق من المبطل وقوله عز وجل فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسال الذين يقرؤن الكتاب اختلف فيه قال بعضهم الخطاب به والمراد به رسول الله ما كنت في شك مما اخبرتهم وانبأتهم فمن قال الخطاب لرسول الله والمراد به غيره وهو ما ظهر في الناس انهم يخاطبون من هو اعظم منزلة عندهم وقدرا ويريدون به غيره والا لا يحتمل ان يكون رسول الله يشك فيما انزل اليه فظاهره كقوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما الآية ومعلوم انه في وقت ما خاطب به لم يكن ابواه احياء دل انه اراد به غيره فعلى ذلك الاول ومن قال الخطاب والمراد به من حضر رسول الله يقولان الوفود من الكفرة كانوا يتقدمون رسول الله فيسألونه شيئا فشيئا فيخاطب يتقدم وقد كان يحضره الواحدان والجماعة يقول فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسال الذين يقرؤن الكتاب وقوله انزلنا اليك على هذا التاويل هو منزل اليه اذ كل منزل على رسول الله منزل عليه واليه والى كل احد كقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امرهم باتباع ما انزل اليهم دل ان كل منزل على رسول الله منزل عليهم ومن قال الخطاب والمراد به غيره لما لا يحتمل ان يكون رسول الله يشك في شيء مما انزل اليه ولكنه يريد به التقرير لقول الكفار الذي يلقي على محمد شيطان فيريد به التقرير عنده او يخاطب كل شاك كقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم هو يخاطب انسانا واحدا ولكن المراد به كل انسان معروف وكل كافر وذلك جائز ونحو ذلك جائز وفي القرآن كثير ان يخاطب به كل نفسه ومن قال خاطب به رسوله واراد هو ايضا وهو كان في الابتداء على غير يقين انه يوحى اليه اولا كقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب وقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقال فان كنت في شك مما انزل اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب يخبرونك انه نزل اليك وقال ابو بكر الاصم تاويله ما كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب بالانباء التي اخبرتهم وانبأتهم وادعيتها انها وحيت اليك يخبرونك على ما اخبرتهم وقوله فسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال بعضهم فاسال الذين يقرؤن الكتاب يعني من آمن منهم وقال بعضهم سل اهل الكتاب منهم يخبرونك لانه مكتوب عندهم كقوله يجدونه مكتوبا عندهم الآية وقوله عز وجل لقد جاءك الحق من ربك قيل الحق القرآن جاءك من ربك وقيل جاءك البيان انه من عند الله وقوله فلا تكونن من الممترين الشاكين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين هو ما ذكرنا انه يريد بالخطاب غيره والا لا يحتمل ان يكون رسول الله يكون من الشاكين او يكون من الذين يكذبون بآيات الله او يكون من الخاسرين وقوله عز وجل ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون قوله حقت عليهم كلمة ربك هو قوله عز وجل لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين هذا يكون في الختم من يختم به يعني بالكفر فقد حقت كلمة ربك لاملأن جهنم او حقت عليهم كلمة ربك ما ذكر في آية اخرى اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب بالآية او كلمة ربك ما ذكر ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقوله حقت عليهم كلمة ربك اي علم ربك باحوالهم من كان في علمه انه لا يؤمن فلا يؤمن وقت اختياره الكفر كقوله من يضلل الله فلا هادي له اي من يضلل الله فلا هادي له وقت اختياره الكفر وكذلك قوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقت اختياره الظلم ونحو ذلك فالتاويل الاول يرجع الى الختم به والثاني الى وقت من ثبت عليه ربه انه لا يؤمن الى وقت انه لا يؤمن في ذلك الوقت وقوله عز وجل ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم قيل في الدنيا ايمان دفع العذاب ويحتمل في الدنيا وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم الآية اي لم تكن القرى آمنت عند معاينة الباس ايمانا نفعها الا ايمان قوم يونس فانهم آمنوا ايمان حقيقة وعلم الله صدقهم من ايمانهم فنفعهم ايمانهم هذا يخرج على وجوه احدها ان سائر القرى كان ايمانها عند اقبال العذاب اليهم ووقوعه عليهم فلم ينفعهم ايمانهم الا قوم يونس فان ايمانهم انما كان لتخويف العذاب فنفعهم والثاني يحتمل ان يكون قوم يونس كان نزول العذاب بهم على التخيير والتمكين ان قبلوا الايمان وآمنوا دفع عنهم وان لم يقبلوا انزل بهم

والثالث كان ايمان سائر القرى بعد ما عاينوا مقامهم في النار فآمنوا فيكون ايمانهم ايمان اضطرار وقوم يونس آمنوا قبل ان يعاينوا ذلك ويشبه ان يكون قوله فلولا كانت قرية كانت آمنت بعد وقوع العذاب والباس فنفعها ايمانها الا قوم يونس فانهم آمنوا اذا عاينوا العذاب قبل ان يقع بهم العذاب بهم وانفسهم في ايديهم بعد فقيل وهو ما ذكر عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم الآية آمنوا عند ما عاينوا قبل ان يقع بهم وسائر الامم الخالية كان منهم الايمان بعد وقوع العذاب بهم من نحو عاد وثمود وامثالهم واصله ما ذكرنا آنفا وقوله عز وجل لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي قوله كشفنا عنهم الوعد بحلول العذاب بهم وعذاب الخزي هو العذاب الفاضح والخزي هو العذاب وقوله عز وجل ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا قالت المعتزلة قوله لو شاء ربك لآمن من في الارض مشيئة القهر والقسر لو شاء لاجبرهم وقهرهم جميعا فيؤمنوا والا فقد شاء ان يؤمنوا مشيئة الاختيار ولكنهم لم يؤمنوا واستدلوا على ذلك بقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فيقال لهم ان مشيئة الاختيار هي الظاهرة عندكم ومشيئة الجبر والقهر غايته فاذا وجد منه مشيئة الاختيار فلم يؤمنوا ولم ينفذ مشيئته فيهم كيف يصدق في الاخبار عن المشيئة التي هي غايته انها لو كانت لآمنوا هذا فاسد على قولهم وبعد فان المشيئة لو كانت مشيئة القهر لكانوا مؤمنين بتلك المشيئة وهي خلقته لان كل كافر مؤمن بخلقته لان خلقة كل احد تشهد على وحدانية الله فاذا كانوا مؤمنين بالخلقة ثم ذكر انه لو شاء لآمنوا دل انه لم يرد به مشيئة القهر ولكنه اراد مشيئة الاختيار وتاويله عندنا هو ان عند الله تعالى لطف لو اعطاهم كلهم لآمنوا جميعا لكنه اذ علم انهم لا يؤمنون لم يعطهم وهو التوفيق والعصمة لكنه اذ علم منهم انهم لا يؤمنون شاء ان لا يؤمنوا ثم لا يحتمل ان يتحقق الايمان بالجبر والقهر لانه عمل القلب والجبر والاكراه مما لا يعمل على القلب فهو وان تكلم بكلام الايمان فلا يكون مؤمنا حتى يؤمن بالقلب فيكون التاويل على قولهم ولو شاء ربك فلا يؤمنوا فهذا تناقض فاسد وبعد فان الايمان لا يكون في حال الاكراه والاجبار لان الاكراه يزيل الفعل عن المكره كان لا فعل له في الحكم وقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فان قيل اليس قال الله عز وجل تقاتلونهم او يسلمون اي حتى يسلمون وذلك اكراه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فذلك اكراه فكيف يجمع بين آيتين قيل لوجهين احدهما ما ذكر ان هذه السورة مكية وقوله تقاتلونهم او يسلمون مدنية فيحتمل قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لا تكرههم ثم امر بالمدينة بالقتال والحرب والاكراه عليه والثاني يجوز ان يجمع بين الآيتين وهو ان يكون قوله تقاتلونهم او يسلمون اي تقاتلونهم حتى يقولوا قول الاسلام ويتكلموا بكلام الايمان دليله ما روي حتى يقولوا لا اله الا الله والقول بلا اله الا الله على غير حقيقة ذلك في القلب ليس بايمان وفي هذه الآية حتى يكونوا مؤمنين وبالاكراه لا يكونون مؤمنين حقيقة لانه عمل القلب والاكراه مما لا يعمل عليه والله اعلم وتاويل قوله افانت تكره الناس اي لا تملك ان تكرههم وكان رسول الله لشدة حرصه ورغبته في ايمانهم كاد ان يكرههم على الايمان اشفاقا عليهم كقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله عز وجل وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله قيل بمشيئة الله وقيل بعلم الله وقيل بامر الله وبارادته وهو ما ذكرنا لا تؤمن نفس الا بمشيئة الله وارادته في ذلك ولا يحتمل قوله الا باذن الله سوى المشيئة والارادة لانه لم ما امر بالايمان لم يؤمن فلم يحتمل الامر ولا يحتمل الاباحة لانه لا يباح ترك الايمان في حال واصله ما ذكرنا انه لا يحتمل ان يكون الله عز وجل يعلم من خلقه اختيار عداوته والخلاف له يشالهم الولاية لانه يخرج ذلك مخرج العجز لان في الشاهد من اختار عداوة احد فلا اخر يختار ولايته انه انما يختار لضعفه وعجزه فيه وقوله عز وجل ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قيل الاثم على الذين لا يعقلون وقيل ويجعل العذاب على الذين لا يعقلون قيل الاثم على الذين لا يعقلون وقيل ويجعل العذاب على الذين لا يعقلون اي لا يستعملون عقولهم حتى يعقلوا وعلى الذين لا ينتفعون بعقولهم وقال بعضهم في قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها اي لم تكن قرية آمنت فنفعها ايمانها عند نزول العذاب الا قوم يونس وقال بعضهم فهلا كانت آمنت اذا رأت باسنا فكانت مثل قوم يونس فانهم آمنوا حين رأوا العذاب واصله ما ذكرنا انه لا يحتمل ان يكون الله تعالى يعلم من خلقه اختيار عداوته والخلاف له يشالهم الولاية لانه يخرج ذلك مخرج العجز

لان في الشاهد من اختار عداوة احد فالاخر يختار ولايته انه انما يختار لضعفه وعجزه فيه والله اعلم وقوله عز وجل
وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله قيل وما كان لنفس في علم الله انها لا تؤمن فتؤمن اي لا تؤمن نفس في علم الله انها لا تؤمن
انما يؤمن في علم الله انه يؤمن واما من في علم الله انه لا يؤمن فلا يؤمن وقيل وما كان لنفس لا تؤمن نفس الا بمشيئة الله اي اذا امنت
انما تؤمن بمشيئة الله ما يفعل انما يفعل بمشيئة الله كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقال بعضهم قوله الا باذن الله اي بامره
معناه اذا امنت انما تؤمن بامره لا تؤمن بغير امره فالاول اقرب والله اعلم وقوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي يجعل
جزاء الرجس اي جزاء الكفر على الذين لا يعقلون اي الذين لا ينتفعون بعقولهم والله اعلم وقوله عز وجل فانظروا ماذا في السموات
والارض تاويله والله اعلم اي انظروا الى ما اثار نعمه واحسانه التي في السموات والارض لكي تشكرون او يقول انظروا الى اثار
ربوبيته والوهيته في السموات والارض فتوحدوه وتؤمنوا به او يقول انظروا الى اثار سلطانه وقدرته فتخافوا نقمته
وعقابه او انظروا الى اجناس الخلق واتساقه على تقدير واحد ليدلكم على وحدانيته ونحو ذلك ليس شي في السموات والارض
يقع عليه البصر الا وفيه دلالة الربوبية حتى طرفة العين ولحظة البصر وقوله عز وجل وما تغني الايات والنذر عن قوم
لا يؤمنون يحتمل وجوها يحتمل وما تغني الايات والنذر عن قوم همتهم المكابرة والمعاندة تغني انما تغني الايات عن همته
القبول والانقياد واما من همته المكابرة والعناد فلا تغني وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى
الاية ويحتمل وما تغني الايات والنذر في الاخرة عن قوم لا يؤمنون في الدنيا انما تنفع وتغني لقوم يؤمنون ٥
واما من لا يؤمن فلا تغني والثالث وما تغني الايات والنذر ثم النذر يحتمل الرسل ويحتمل المواعيد التي اوعدوا
والاحوال التي تغيرت على اوايلهم والله اعلم وقوله عز وجل فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي
اي فهل ينتظرون نجي يوما من الهلاك الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي الا مثل ما انتظروا الذين خلوا من قبلهم برسلهم
من الهلاك فهو يخرج على التوبيخ لانتظارهم هلاك الرسل وذهابهم ويحتمل وجها اخر فهل ينتظرون نزول العذاب
بهم الا مثل ما انتظر اولئك من نزول العذاب بهم الى هذا يذهب بعض اهل التاويل ويحتمل قوله فهل ينتظرون من تاخيرهم
الايمان الى وقت نزول العذاب بهم الا مثل ما اخر اولئك الذين خلوا من قبلهم الايمان الى وقت نزول العذاب بهم فهذا يخرج
على الاياس من ايمانهم اي لا يؤمنون الى ذلك الوقت الذي لا ينفعهم ايمانهم والوجه الاول على التوبيخ والتعيير وقوله عز وجل
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ذلك وقوله عز وجل ثم ننجي رسلنا والذين امنوا قوله ننجي اي انجينا الرسل والذين امنوا
لانه لم يكن بعد رسول وتاويله والله اعلم انه وعد ان ينجي الرسل والذين امنوا كذلك حقا علينا ان ننجي ما وعدنا
ان ننجي الرسل والذين امنوا والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني قوله ان كنتم في شك
من ديني الذي ادين به او ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا اعبد الذين تدعون من دون الله اذا شككتم
في ديني الذي ادعوكم اليه كنتم شاكين في دينكم الذي انتم عليه فتركتم ديني الذي انا عليه بالشك ثم تدعونني الى دينكم الذي
انتم عليه بالشك يذكر سفههم بتركهم اجابته بالشك ودعائهم اياه بالشك الى دينهم لان الشك يوجب الوقف في الاشياء
ولا يوجب الدعاء اليه انما يوجب الدعاء اليه بطلان غيره لا الشك هذا والله اعلم محتمل وهو يخرج على وجهين ايضا
احدهما على الاضمار والاخر على المنابذة والاضمار ما ذكرنا ان كنتم في شك في ديني الذي ادين به وادعوكم اليه فانا لا اشك
فيه هذا وجه الاضمار ووجه المنابذة يقول ان كنتم في شك مما اعبد وادين به فلا تعبدون ذلك ولا تدينون به
فانا لا اعبد ما تعبدون ولا ادين ما تدينون به وهو كقوله لكم دينكم ولي دين وقوله عز وجل ولكن اعبد الله الذي
يتوفيكم والتوفي هو النهاية والغاية في الاضرار وما تعبدون من الاصنام دونه لا يملكون ولا الاضرار لكم ان لم تعبدوها
يذكر سفههم ويلزمهم الحجة ان الذي يتوفاهم هو المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وقوله عز وجل وامرت
ان اكون من المؤمنين يشبه ان يكون قوله من المؤمنين من المرسلين كقوله انهما من عبادنا المرسلين وقال انه من عبادنا
المؤمنين فعلى ذلك هذا ويحتمل الايمان نفسه على ما نهي ان يكون من المشركين او الشاكين فعلى ذلك امر ان يكون من المؤمنين
المخلصين له المسلمين انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا اي امرت ان اقيم نفسي سالمة

سالمة

سالمة لا اشرك فيها غيره ولا اجعل لسواه فيها نصيبا او ان يقول اني امرت ان اقيم نفسي على ما عليها شهادة خلقتها
اذ خلقة كل نفس تشهد على وحدانية الله والوهيته او يقول اقم وجهك لما تدين به وتقيم عليه ولا تكونن من المشركين
هذا ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان اطعته واجبته ولا يضرك ان تركت اجابته
وطاعته وقوله ولا تدع من دون الله يحتمل لا تعبد من دون الله ما لا يملك جر المنفعة ويحتمل الدعاء نفسه اي لا تسم ٥
من دون الله الها وقوله عز وجل فان فعلت فانك اذا من الظالمين ذكر ههنا الظلم ان فعل ما ذكر والمراد منه الشرك
وذكر في قصة ادم وحوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقد قرباها ولم يكونا مشركين انما كانا عصاة ليعلم
ان ليس في الموافقة في الاسماء موافقة في الحقايق والمعاني انما يكون الموافقة في الحقايق في موافقة الاسباب لذلك كان
ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فيه نهي الرجاء والطمع الى من دونه وانه اخبر
انه لا يوجد ذلك من عند غيره وقوله عز وجل وان يردك بخير فلا راد لفضله اخبر انه اذا اراد خيرا وفضلا فلا راد
لذلك الفضل والخير والايمان من اعظم الخيرات وافضلها فاذا اراد الانسان كان ولا يملك احد دفع ما اراد ولا رده ولانه
اذا اراد الايمان لاحد كان مؤمنا فهو ينقض على المعتزلة حيث قالوا انه اراد الايمان للخلق كلهم لكنهم لم يؤمنوا اذا اخبر
انه اذا اراد به خيرا فلا راد لفضله وهم يقولون بل يملك العبد رد ما اراد له ودفعه وبالله العصمة وفيه انه ليس على الله
فعل الاصلح في الدين لانه سماه فضلا والفضل هو فعل ما ليس عليه وهو المفهوم في الناس ان ما عليهم من الفعل
لا يسمون فضلا انما يسمون الفضل ما ليس عليه والله اعلم وقوله عز وجل يصيب به من يشاء من عباده ويصيب به
من يشاء من الفضل والخير ومن الشر وفيه دلالة تخصيص بعض على بعض حيث قال يصيب به من يشاء من عباده وهو
الغفور الرحيم لا يعجل بالعقوبة وقوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم قيل الحق محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الحق القرآن الذي انزل عليه وامكن ان يكون الحق هو الدين الذي كان يدعوهم رسول الله اليه لانه قال يا ايها
الناس ان كنتم في شك من ديني فيشبه ان يكون الحق هو الدين الذي شكوا فيه اي قد جاءكم ما يزيل عنكم ذلك الشك ٥
انكم تكابرون لما اقام عليهم الحجج والبراهين ويحتمل الحق محمدا صلى الله عليه وسلم على ما ذكره بعض اهل التاويل كان رسول الله
في اول نشوه الى اخره اية ويحتمل الحق القرآن على ما ذكره بعضهم وهو ما ذكر لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد سماه باسماء مختلفة سماه حقا وسماه نورا وشفاء ورحمة وهدى ونحوه وفيه كل ما ذكر من تامله وتفكر
فيه وتمسك به وقوله عز وجل فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها اي من اهتدى فانما منفعة
اهتدائه له في الدنيا والاخرة ومن ضل فانما يرجع ضرر ضلالته اليه وجنايته عليه اي ما يامر وينهى ليس يامر وينهى
لمنفعة تحصل له او حاجة نفسه انما يامر وينهى لمنفعة الخلق ولحاجتهم وقوله عز وجل وما انا عليكم بوكيل ٥
اي بمسلط قال بعض اهل التاويل هو منسوخ نسخته اية القتال لكنه لا يحتمل لانه وان كان مامورا بالقتال فهو ليس بوكيل
ولا مسلط على حفظ اعمالهم انما عليه التبليغ كقوله ان عليك الا البلاغ وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ٥
ما حملتم وكقوله ما عليك من حسابهم الاية وقوله عز وجل واتبع ما يوحى اليك يحتمل القرآن وغيره من الوحي غير القرآن
وقوله عز وجل واصبر حتى يحكم الله اي اصبر على اذاهم لانهم كانوا يؤذونه ويقولون فيه بما لا يليق به يقول اصبر على اذاهم
ولا تعجل عليهم بالعقوبة حتى يحكم الله عليهم بالعقوبة وقت عقوبته وهو خير الحاكمين او اصبر على تكذيبهم اياك
حتى يحكم الله بينك وبين مكذبيك وهو خير الحاكمين او اصبر على تبليغ الرسالة والقيام لما امرت به والله الموفق

سورة هود مكية وآيها ماية وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله تعالى الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد
وقال بعضهم احكمت اياته بالوعد والوعيد ثم فصلت بالامر والنهي وقال بعضهم احكمت اياته لا تحتمل اياتها الباطل

من بين يديها ولا من خلفها ولا يملك احد التبديل ثم فصلت بينت ما يولي واما يتقي وبينت ما لهم وما عليهم وما لله عليهم
وقال بعضهم احكمت اياته فلم تنسخ ثم فصلت بالحلال والحرام وقيل فصلت اي فرقت في الانزال انزل شيء بعد شيء على قدر
النوازل والاشياء فلم ينزل جملة لانه لو انزل جملة لاحتاجوا الى ان يعرفوا الكل سببه وشانه وخصوصه وعمومه فانزل
متفرقا في اوقات مختلفة على النوازل والاسباب عرفوا ذلك على غير اعلام وبيان والتفصيل هو اسم التفريق واسم التبيين
وذلك يحتمل المعنيين جميعا والله اعلم وقوله عز وجل احكمت اياته اي احكمت حتى لا يرد عليها النقض والانتقاض واحكمت
حتى لا يملك احد التبديل والتغيير او احكمت عن ان يقع فيها الاختلاف وقال بعضهم احكمت اياته بالفرايض وفصلت بالثواب
والعقاب ثم الايات يحتمل وجوها احدها العبر والثاني الحجج والثالث العلامة ثم الاية كل كلمة في القرآن تمت فهي عبرة
او حجة او علامة لا تخلوا عن احد هذه الوجوه الثلاثة وقوله عز وجل من لدن حكيم خبير من عند حكيم عليم
جاءت هذه الايات وقوله عز وجل الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير اي من الله ينذر من ينذر ومن عنده
يبشر من يبشر من اتبع وينذر من خالف وقوله الا تعبدوا الا الله في شهادة خلقتكم هو المستحق للعبادة ويحتمل ان لا تعبدوا
ان لا توحدوا الا الذي في شهادة خلقتكم وحدانيته وقوله عز وجل وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان كانت
الاية في الكفار فيكون قوله استغفروا ربكم اي اسلموا ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه عن كل معصية وكل اثم تاتونها
وان كان في المسلمين فهو ظاهر فيكون قوله استغفروا وتوبوا واحدا وقوله عز وجل يمتعكم متاعا حسنا اي يمتعكم
في الدنيا متاعا يستحسنون في الاخرة ذلك التمتع واما الكفار فانهم لا يستحسنون في الاخرة ما متعوا في الدنيا
لان تمتعهم في الدنيا للدنيا والمؤمن ما يتمتع في الدنيا يتمتع لامر الاخرة والتزود لها والله اعلم وقوله عز وجل ويؤت
كل ذي فضل فضله يحتمل قوله يؤت كل ذي فضل في الدنيا جزاء فضله في الاخرة ويحتمل يؤت بمعنى اي اعطى كل
ذي فضل في الدنيا انما اتاه بفضله وقوله ويؤت كل ذي فضل فضله اي ويؤت كل ذي فضل في دينه في الدنيا فضله
في الاخرة او يقول كل ذي فضل في الدنيا والاخرة فضله لان اهل الفضل في الدنيا هم اهل الفضل في الاخرة وان تولوا
ولم يسلموا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الاية ظاهرة وقال عظيم في موضع اخر وهذا ما يكبر على الخلق ويعظم ذلك
اليوم وقال بعض اهل الفقه في قوله الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت دلالة تاخير البيان لانه قال احكمت اياته ثم فصلت وحرف
ثم من حروف الترتيب ففيه جواز تاخير البيان والله اعلم وقوله عز وجل الى الله مرجعكم اي الى ما اعد لكم مرجعكم من وعد
ووعيد وهو على كل شيء قدير اي وهو على كل ما وعد واوعد قدير وقوله عز وجل الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا
منه عن عبد الله بن شداد كان احدهم اذا امر بالنبي تغشى بثوبه وحنى صدره وقال قتادة كانوا يخفون صدورهم
كيلا يسمعوا كتاب الله وذكره وقال بعضهم نزلت الاية في رجل يقال له الاخنس بن شريق الثقفي كان يجالس النبي ويظهر له
امرا حسنا وكان حسن المنظر حسن الحديث وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه حديثه ويقربه مجلسه وكان يضمر خلاف
ما يظهر فانزل الله الا انهم يثنون صدورهم يقول يكتمون ما في صدورهم ويستترون وهو قول ابن عباس واصل
تثنية الصدور هو ان يضم احد طرفي الصدر الى الطرف الاخر ليكون ما اضمر واسر واخفى ويشبه ما ذكر من ثني الصدور
ان يكون كناية عن ضيق الصدور كقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا او عبارة عن الكبر كقوله ثاني عطفه
ليضل عن سبيل الله الاية وكان اصله الميل الى غيره وهو ما قال ابو عوسجة يثنون صدورهم اي يميلون الى غيره وكذلك
قوله ثاني عطفه وقوله ليستخفوا منه قال بعضهم من الله وقال بعضهم منه اي من رسول الله لكن ان كانت الاية
في المنافقين على ما ذكره بعض اهل التاويل فهو الاستسرار والاستتار من رسول الله لانهم كانوا يظهرون الموافقة ويضمرون
الخلاف له والعداوة وان كانت الاية في المشركين فهو على الاستتار والاستتار من الله لانهم لا يبالون الخلاف
لرسول الله واظهار العداوة وعندهم ان الله لا يطلع على ما يسرون ويضمرون في قلوبهم فاخبر انه يعلم ما اسروا وما اعلنوا
ففيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يسرون ذلك عنه ويضمرونه فاخبرهم بذلك ليعلم
انما علم ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل الا حين يستغشون ثيابهم اي يستترون بها قال الحسن الا حين يستغشون

ثيابهم

ثيابهم في ظلمة الليل وفي اجواف بيوتهم يعلم تلك الساعة ما يسرون وما يعلنون واصله انهم يعلمون ان الله هو الذي
انشا هذه الصدور والقلوب والثياب هم الذين يسوونها واكتسبوها ثم لا يملكون الاستتار بما كسبوهم فلان لا يملكوا
الاستتار بما تولى هو انشاؤه احق وقوله الا حين يستغشون الا انما هو تاكيد الكلام وهو قول ابي عبيدة وغيره
وقوله عز وجل انه عليم بذات الصدور قال اهل التاويل عليم بما في الصدور لكن يشبه ان قوله عليم بذات الصدور
عبارة عن صدور لها التدبير والتمييز وهو البشر وقوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها قال بعضهم
عنى بالدابة الممتحن بها وهو البشر واما غيره من الدواب فقد سخرها للممتحن به وكان قايلون اراد كل دابة تدب على وجه
الارض من الممتحن به وغيره وتمامه ما من دابة في الارض جعل قوامها وحياتها بالرزق الا على الله انشاء ذلك الرزق لها ثم
من الرزق ما جعله بسبب ومنه ما جعله بغير سبب وقوله الا على الله رزقها اختلف ايضا قال بعضهم قوله على الله
رزقها اي على الله انشاء رزقها وخلقها الذي به قوامها وحياتها كقوله وفي السماء رزقكم اي ينشئ ويخلق رزقنا بسبب
من السماء من المطر وغيره فعلى ذلك قوله على الله رزقها اي على الله انشاء رزقها وخلقها وقيل على الله رزقها اي على الله
ان يبلغ اي على الله ان يبلغ اليها رزقها وما قدر لها وما به معاشها كقوله وقدر فيها اقواتها الاية عليه تبليغ رزقها وما به
معاشها ثم قوله على الله قال بعضهم ما جاءها من الرزق انما جاء من الله لم ياتها من غيره وعلى الله بمعنى من الله وذلك
جاير في اللغة كقوله اكتالوا على الناس اي من الناس وهو قول مجاهد ويحتمل قوله على الله رزقها اي على الله وفاء ما وعد
وقد كان وعد ان يرزقها فعليه وفاء وعده وانجازه ويحتمل وجها اخر وهو انه لما خلقها ان يبقيها الى وقت عليه
تبليغ ما به تعيش الى ذلك الوقت والاجل الذي خلقها ليبقيها الى ذلك وبعضه قريب من بعض وقوله عز وجل ويعلم مستقرها
ومستودعها اختلف فيه قال بعضهم مستقرها بالليل ومستودعها بالنهار ومعاشها وقال بعضهم المستقر الرحم
والمستودع الصلب وقال بعضهم مستقرها بالليل ومستودعها بالنهار وقال بعضهم المستقر الصلب والمستودع الرحم
وقال بعضهم المستقر المتقلب في الدنيا والمستودع مثواها في الاخرة كقوله والله يعلم متقلبكم في الدنيا وتحركم في معاشكم
ومثواكم اي قراركم ومقامكم في الاخرة وقال بعضهم مستقرها في الدنيا ومستودعها في القبر ويشبه ان يكون هذا على العلم
في كل حال سكونها وفي حال حركتها لانها لا تخلوا من ان تكون ساكنة تارة او متحركة اي يعلم عنها كل حالها ويشبه ان يكون
صلة ما تقدم وهو قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الاية يخبر انه لم يخف عليه كون كل دابة في بطن الارض
وما تغيض به الارحام وما استودع في الاصلاب كيف يخفى عليه اعمالكم التي عليها العقاب ولكم بها الثواب وبها الامر والنهي
والله اعلم وكل في كتاب مبين اي مبين في كتابه قيل في اللوح المحفوظ ويحتمل القرآن وغيره وقوله عز وجل وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في موضع اخر خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وقال في موضع
اخر قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وقال فقضاهن سبع سموات في يومين وقال وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام يجوز ان يكون جعل للارض يومين يوما لوجودها ويوما لعدمها وكذلك السماء جعل يوما لوجودها ويوما لعدمها كقوله
يوم تبدل الارض غير الارض الاية وكقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ويوم تشقق السماء بالغمام وكذلك ما بينهما جعل
يوما لوجوده ويوما لعدمه فيكون يوم السابع يوم البعث يكون لكل من ذلك يومين يوما لوجوده ويوما لعدمه وقد ذكرنا شيئا
في ذلك مما احتمل وسعنا في سورة الاعراف وفي الاية دلالة ان السماء والارض دخلتا تحت الاوقات بقوله في ستة ايام
اذ الايام عند الناس انما هو مضي الاوقات فان دخلتا تحت الاوقات ليستا بازليتين على ما يقول بعض الملحدة انهما ازليتين
كانا كذلك والله اعلم وجايز ان يكون اليوم السابع هو اليوم الذي انشا الممتحن فيه وهو المقصود في خلق ما ذكر من الاشياء
اعني البشر وقوله عز وجل وكان عرشه على الماء ان كان العرش اسم الملك والسلطان على ما قال بعض اهل التاويل
فتاويله والله اعلم كان اظهر ملكه عن الماء بمعنى من وذلك جايز في اللغة لانه بالماء ظهور كل شيء وبدؤه كقوله وجعلنا
من الماء كل شيء حي وان كان العرش اسم السرير والكرسي على ما قاله بعض الناس فهو عرش الملك وسريره خلقه ليكرم به
اولياءه الممتحن ملايكته بحمله والخدمة له على ما يكون للملوك في الارض سرير يستخدمون خدمهم في ذلك وهو خلق من خلايقه

اضافه اليه كما يضاف الاشياء الى الله لكنه يضاف الاشياء اليه مرة بالاجمال جملة ومرة بالاشارة والافراد لكن
ما اضاف اليه بالاشارة فهو على تعظيم ذلك الشئ وما اضيف اليه الاشياء بالاجمال والارسال فهو على ذكر عظمته وكبريائه كقوله
لله ملك السموات والارض وخلق السموات والارض ونحوه فيه ذكر سلطانه وعظمته وقوله بيت الله وان المساجد لله ونحوه هو
يخرج على ذكر تعظيم البيت والمساجد والله اعلم وقوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا اى خلق السموات والارض وما فيهما للممتحن
لم يخلق هذه الاشياء لانفسها انما خلقها للممتحن فيهما كقوله وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا لان خلقها لانفسها عبث
لانها مخلوقة للفناء خاصة فكل مخلوق للفناء خاصة فهو عبث لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ولئن قلت انكم
مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين قوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت هذا القول
نفسه انكم مبعوثون من بعد الموت يقولون هذا سحر ولكن اذا اخبر انهم مبعوثون من بعد الموت واقام الحجج والبراهين على
البعث وبراهينه ما هذا الا سحر ويحتمل وجها آخر وهو ان يذكر سفههم انهم اعتادوا نسبة كل شئ الى السحر حتى الاشياء
التى لا تحتمل السحر وهو الاخبار لان السحر انما يكون فى تقليب الاشياء واما فيما يخبر عن شئ يكون فلا وقوله عز وجل ولئن اخرنا
عنهم العذاب الى امة معدودة قيل الى وقت معلوم وهو البعث ذكر امة والله اعلم لانه وقت به ينقضى حال الامم جميعا
ليقولن ما يحبسه اى لو كانوا يقولون ما يحبس عنا العذاب الذى يعد فالم تزل عادتهم استعجال العذاب استهزاء بهم
وقوله عز وجل الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم ذلك العذاب اذا جاء لا يملك احد صرفه عنهم كقوله ليس لهم من دونه
ولى ولا شفيع وقوله ما لهم من الله من واق ونحوه وقوله وحاق بهم قيل نزل بهم وقيل حق بهم ما كانوا به يستهزؤن
جزاء استهزائهم بالرسول والكتاب وقوله الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم اى لا يصرف عنهم بشفاعة من طمعوا بشفاعته
كقوله واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون ونحو ذلك لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان تشفع لهم وقوله
عز وجل ولئن اذقنا الانسان منا رحمة قيل سعة فى المال ونعمة ثم نزعناها منه انه ليؤس يائسه ذهاب ذلك المال عنه
ونزعه منه عن العود ذلك اليه ويقنطه والاياس قد يكون كفرا كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
ويحتمل قوله انه ليؤس فى حال ذهاب النعمة والكفور فى حال النعمة والسعة كفور لما راى نزع ذلك المال والسعة منه
جورا وظلما فهو كفور وعن ابن عباس قال ولئن اذقنا الانسان يعنى الكافر منا رحمة يقول نعمة العافية وسعة فى المال
وما يسر به ثم نزعناها منه يعنى الرحمة انه ليؤس يعنى قنوط آيس واقنطه من رحمة الله وهو كقوله واذا اذقنا
الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن
ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور الفرح هو الرضا كقوله فرحوا بالحيوة الدنيا اى رضوا بها وقيل الفرح البطر يبطر فى حال
السعة والرخاء كقوله ان الله لا يحب الفرحين والفرح قد يبلغ كفرا ويكون الفرح سرورا ولا يكون كفرا فخور يفتخر على الفقراء
بالمال الذى اعطى او يفتخر على الانبياء والرسل بالتكذيب وكذلك كان عادة رؤسائهم انهم كانوا ذوى مال وسعة فلا يرون
الرسالة تكون فيمن دونهم فى المال والسعة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكقولهم نحن اكثر اموالا
واولادا ونحوه ويحتمل قوله ليؤس فى حال الشدة كفور لله فى نعمه والرخاء واصله وذلك انهم كانوا لا ينظرون فى النعم
الى من انعم عليهم انما ينظرون الى اعين النعم وانفسها لذلك حملهم نزع ما اعطوا منهم على الاياس والقنوط واعطاؤها اياهم
على الكفران والفرح والفخر ولو نظروا فى تلك النعم الى المنعم لم يقع لهم اياس عند النزع ولا الكفران والفرح عند النيل بل يصبرون
عند النزع من ايديهم ويشكرون للمنعم عليهم فى حال النيل ثم استثنى فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات قال بعض
اهل التاويل الا الذين صبروا اى آمنوا على ما ذكر فى غير واحد من الآيات الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات كقوله ان الانسان
لفى خسر الا الذين آمنوا ويكون قوله الا الذين صبروا عن المعاصى فلم يرتكبوها وعملوا الصالحات اى الطاعات والايمان نفسه
هو اعتقاد الانتهاء عن المعاصى كلها والاتقاء عن جميع ما يدخل نقصا فيها واتيان الطاعات جميعا وهكذا يعتقد كل مؤمن
ان يتقى وينتهى كل معصية ويأتى بكل طاعة ويعمل بها هذا اعتقاد كل مؤمن وحقيقة الوفاء بذلك كله وقوله عز وجل
اولئك لهم مغفرة واجر كبير يشبه ان يكون قوله لهم مغفرة لما ارتكبوا على الصغاير من الذنوب وانتهوا عن الكباير منها

واجر كبير على ما اتوا وعملوا من الكباير من الطاعات ويحتمل لهم مغفرة الستر فى الدنيا ستر عليهم تلك الذنوب
فى الدنيا فلم يطلع عليها الخلق واجر كبير بما اظهر منهم ما كان من الطاعات والخيرات حتى نظر الناس اليهم بعين عظيم
بما ظهر منهم من الخيرات وخفى عليهم بما ارتكبوا من المعاصى هذا التاويل يكون فى الدنيا والاول فى الآخرة وقوله عز وجل
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك حرف لعل يحتمل وجهين يحتمل النهى اى لا تترك بعض ما يوحى اليك وان كان معلوما
انه لا يترك كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وامثاله نهاه وان كان معلوما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يفعل ذلك وانما احتمل النهى كما يقال الرجل لآخر لعلك تريد ان تفعل كذا فهو نهاه عن ذلك
والثانى يقال عند القرب الى الفعل والدنو منه كقوله لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يقال حرف كاد عند الميل
اليه والقرب منه طمعا منه فى ايمانهم وذلك فيما يحل له الترك وذلك ما قيل من نحو سب آلهتهم وذكر العيب
فيها ويحل له ترك سب آلهتهم وشتمها وكذلك يخرج قوله لعلك باخع نفسك على هذين الوجهين على المنع ان لا يحمل
على نفسه اشفاقا على انفسهم ان لا يؤمنوا ما يوجب تلفه والثانى على التخفيف كقوله ولا تحزن عليهم الآية وقوله
ولا تخافى ولا تحزنى هو على التخفيف ليس على النهى وفى قوله فلعلك تارك الآية وجه آخر وهو نهى يخرج مخرج
البشارة مما كان يخاف من ضيق صدره واشتغال قلبه عند سوء معاملتهم اياه فيقع له فيه تأخير فى ابلاغ
ما امر بتبليغه فامنه الله عن ذلك وعصمه والوجه الثانى فى النهى عن ذلك هو ما يقع له فيه الرجاء وذلك
ان الاخيار اذا ابتلوا بالاشرار قد يؤذن لهم بمفارقتهم وترك الامر فيهم فلعله كان يقع له فى مثل الرجاء
انه قد يؤذن له فى حال من الاحوال بتاخير التبليغ فايأسه عن ذلك وكلفه بتبليغ ما امر له فى جميع احواله وبعض
ما يوحى اليك يحتمل ما ذكر اهل التاويل من سب آلهتهم وعيبها وما تدعوا اليه وقوله عز وجل وضائق به
صدرك يضيق صدره بما يقولون له استهزاء وكذا الحق ان كل من استهزئ به ان يضيق صدره او يضيق صدره
لما لا يقدر على اتيان ما طلبوا منه من الملك وانزال الملك وقد وعدوا ان يؤمنوا لو فعل والله اعلم وقوله
عز وجل لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك لان للكنز والملك محلا فى قلوب اولئك وقد قالوا لولا انزل
عليه كنز فيعظموه فيصدق على ما يوحى ويدعى وكذلك الملك له محل عظيم عندهم اذا كان معه عظموه
وصدقوه وقوله عز وجل انما انت نذير على اثر قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك اى انما انت نذير
ليس عليك اتيان ما سالوا انما ذلك تحكم منهم على الله وانما فى فعليك البلاغ ما انزل اليك كقوله ان عليك الا البلاغ
والله على كل شئ قدير وكيل اى حفيظ لكل ما يقولون فيك ويتفوهون به او هو الوكيل والحفيظ لا انت كقوله لست
عليهم بمسيطر وقوله وما انت عليهم بوكيل ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ام يقولون افتراه اى قالوا انه
اى محمد افترى هذا القرآن من عند نفسه قل يا محمد ان كان افتريته على ما تقولون فاتوا انتم بعشر سور مثله
مفتريات لانكم اقدر على الافتراء من محمد لانكم قد دعوتم انفسكم الكذب والافتراء ومحمد لم تأخذوه بكذب
قط ولا ظهر منه افتراء قط فمن عود نفسه الافتراء والكذب اقدر عليه ممن لم يعرف به قط فاتوا بعشر سور مثله وادعوا
ايضا شهداءكم من الجن والانس من استطعتم من دون الله يعينوكم على اتيان مثله ان كنتم صادقين انه افتراه
من عنده او يقول يأتوا بعشر سور مثله مفتريات اى ان محمدا قد جاء بسور فيه انباء ما اسررتم واخفيتم ولا سبيل
الى معرفة ذلك والاطلاع عليه الا من جهة الوحى من السماء واطلاع الله اياه فاتوا انتم بسورة مفتريات فيها انباء ما اضمر
هو واسر وتطلعون انتم على سرائره ما اطلع هو على سرائركم وادعوا من استطعتم من تعبدون من دون الله من الآلهة
ان كنتم صادقين انه افتراه او يقول ان لسانكم مثل لسان محمد فان قدر هو على الافتراء افتراء مثله من عنده تقدرون
انتم على الافتراء مثله فاتوا به وادعوا ايضا ممن لسانه مثل لسانكم حتى يعينوكم على ذلك ان كنتم صادقين انه افتراه
والله اعلم وقوله عز وجل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وقال فى موضع آخر فاتوا بسورة من مثله قال بعضهم
بعشر نزلت قبل ولم يقدروا على مثله وقوله فاتوا بسورة من مثله دعوا اولا ان يأتوا بعشر سور فلما عجزوا عن ذلك

عند ذلك قيل لهم ايتوا بسورة من مثله وقوله بعشر سور مثله مفتريات فان قيل كيف ذكر فاتوا بسور
مفتريات قيل معناه ان كان هذا مما لا يحتمل الافتراء على ما تزعمون فاتوا بمثله انتم لانكم اقدر على الافتراء
من محمد فان لم تقدروا ولم يقدر احد على ذلك وقوله عز وجل فان لم يستجيبوا لكم اى فان لم تقدروا انتم ولم يجيبوكم
اولئك على الاعانة على اتيان مثله فاعلموا انه انما انزل بعلم الله وباذنه اتاه ومن عنده نزل ليس بمفترى على ما تزعمون
وان لا اله الا الله لا الوهية لمن تعبدون دونه من الاصنام والاوثان والثانى فان لم يستجيبوا لكم يا اصحاب
رسول الله ولم يقدروا على مثله فاعلموا انتم انه انما انزل بعلم الله ومن عنده نزل على التنبيه والتذكير لهم وان كانوا
علموا انه من عنده نزل كقوله فاعلم انه لا اله الا الله على التنبيه والتذكير ليس على انه لا يعلم قبل ذلك الاول
وقوله عز وجل فهل انتم مسلمون خاضعون له مخلصون وعلى التاويل الاول على حقيقة الاسلام والايمان
والله اعلم وقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية اختلف فيه قال بعضهم الاية فى اهل الايمان
الذين عملوا الصالحات مراآة للخلق يقول نوف اليهم اعمالهم فيها من الذكر فيها والشرف وما طلبوا باعمالهم فى الدنيا
من المباحات وغيرها اتاه الله فى الدنيا جزاء لتلك الاعمال التى عملوها ويبطل ما صنعوا وبطل ما كانوا يعملون لانهم
عملوا لغير الله فلا يجزون فى الاخرة باعمالهم تلك والى هذا يذهب ابن عباس وروى فى بعض الاخبار ان نبى الله
صلى الله عليه وسلم سئل ما بال العبد المعروف بالخير يشدد عليه عند الموت والرجل المعروف بالشر يهون عليه
الموت فقال المومن تكون له ذنوب فيجازى بها عند موته فيفضى الى الله فى الاخرة ولا ذنب عليه والكافر يكون له
الحسنات فيجازى بها عند الموت يخفف كرب الموت ثم يفضى الى الاخرة وليست له حسنة اوكلام نحوه وقال بعضهم
الاية فى اهل الكفر يعملون اعمالا هى فى الظاهر صالحة نحو التصدق على الفقراء وعمارات الطرق واتخاذ القناطير والرباطات
هى فى الظاهر صالحة يقول نوف لهم جزاء اعمالهم التى عملوها فى الدنيا لا ننقص منها شيئا فهو ما وسع عليهم الدنيا
وجائز ان يكون قوله نوف اليهم اعمالهم اى نرد اليهم اعمالهم التى عملوها فلا يقبلوها ويكون ايفاء اعمالهم الرد وقوله
عز وجل وهم فيها لا يبخسون اى لا ينقصون ما قدر لهم من الرزق الى انقضاء مدتهم واجالهم بشركهم بالله وقوله عز وجل
اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار على هذا التاويل ظاهر ليس لاهل الكفر فى الاخرة الا النار وعلى التاويل
الاول الذى قال انها فى اهل الايمان اى لا يستوجبون بتلك الاعمال التى عملوها مراآة الا النار لانه اذا راءى فيها لم يخلصها لله
وضيع امره وكل من ضيع امر الله وفريضته يستوجب التعذيب عليه وله العفو وليس فى الاية انه لا محالة يعذبهم بعملهم
المراآة والله اعلم وقوله عز وجل فاعلموا انما انزل بعلم الله فيه دلالة نقض قول الجهمية والمعتزلة بنفيهم العلم عن الله
وفى الاية اثبات العلم له بقوله انزل بعلم الله وقوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد قوله
افمن حرف يقتضى الجواب لكن الجواب له لم يخرج فى الظاهر لان جوابه ان يقول فمن كان على بينة من ربه كمن ليس على بينة
من ربه كما قال فى اية اخرى افمن يخلق كمن لا يخلق وكقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك كمن هو اعمى لا يعلم فعلى ذلك
جواب قوله افمن كان على بينة من ربه كمن لا يكون على بينة لكن الجواب عندنا يكون على وجوه مرة يكون بالتصريح وهو
ما ذكرنا ومرة بالاشارة ومرة بالكناية على غير تصريح ثم منهم من يجعل جوابه ما تقدم وهو قوله من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها الاية يقول افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا وزينتها اى لا يكون كذلك ومنهم من يجعل جوابه
فيما تاخر وهو قوله ومن يكفر به من الاحزاب كانه يقول افمن كان على بينة من ربه كمن يكفر به من الاحزاب اى لا يكون
كذلك وقالوا يجوز تقديم الجواب وتاخيره كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه
لم يخرج لهذا ايضا جواب التصريح ثم اختلفوا فى جوابه قال بعضهم جوابه فيما تاخر وهو قوله قل هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون امن هو قانت وصف الذين يعلمون فكانه يقول امن يعلم كمن لا يعلم ومنهم من يجعل جوابه فى قوله
واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله
قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار يقول من جعل لله اندادا وضل عن سبيله وصار من اصحاب النار كمن هو قانت

انا الليل

365

اناء الليل ساجدا او قائما اى ليسا بسواء وقال مقاتل ليس الذى على بيان من ربه كالذى موعده النار والله اعلم وجائز
ان يكون على طرح الالف فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى الاية يقول فمن كان على بيان من ربه
اولئك يؤمنون به ثم قوله بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قال بعضهم دين من ربه اى من كان على دين من الله ويتلوه شاهد
منه اى يتلوا لما هو عليه من الدين شاهد منه كمن كان على دين الشيطان او لا شاهد له عليه وقال بعضهم قوله افمن كان
على بينة من ربه اى على برهان من ربه وحجج ويتلوه شاهد منه على ذلك كمن لا على برهان من ربه ولا حجج ولا شاهد له على ذلك
ثم قال بعضهم قوله يتلوه شاهد منه جبريل وملك غيره يتلو عليه القرآن وقال بعضهم يتلوه شاهد منه لسانه وقال بعضهم
يتلوه شاهد منه هو القرآن ونحوه ثم قوله افمن كان على بينة من ربه يحتمل اصحاب عيسى الذين آمنوا به ومن قبله كتاب موسى
اصحاب التورية الذين آمنوا به اولئك يؤمنون به اى هولاء الذين آمنوا بهولاء هم الذين يؤمنون بمحمد عليه افضل الصلوات
وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة قيل فيه بوجوه قيل ومن القرآن كتاب
موسى جاء به جبريل الى موسى كما جاء بهذا القرآن اماما يقتدى به ورحمة من العذاب لهم ويحتمل قوله ومن قبله يعنى قبل القرآن
كتاب موسى التوراة اماما فيها ابناء هذا القرآن وابناء محمد انه رسول كقوله يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل
وقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وامثاله ويحتمل قوله اماما ورحمة وعن ابن عباس رضى الله عنه قال اماما ورحمة كان
كتاب موسى وهو التوراة اماما يقتدى به وكان رحمة اولئك يؤمنون به قال اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا به
من اهل الكتاب وغيرهم ويحتمل قوله اولئك يؤمنون به اى مومنى اهل التوراة يؤمنون بالقرآن ويقتدون به
كما آمنوا بالتورية واقتدوا بها وقوله عز وجل ومن يكفر به اى بالقرآن من الاحزاب الاحزاب الفرق والاصناف يحتمل
من يكفر به اى بالقرآن من الفرق ويحتمل يكفر به اى بمحمد ويحتمل الدين الذى هو عليه ويدعوهم اليه والنار موعده
ان مات على ذلك واما اذا اسلم ومات على الاسلام فلا يكون النار موعده وقوله عز وجل فلا تك فى مرية منه يحتمل
فى قوله الوجوه الثلاثة الذى ذكرنا من الدين والقرآن والنبى يحتمل هو نفسه ويحتمل الخطاب غيره لما ذكرنا فى قوله
فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الجاهلين وامثاله فكذلك هذا وقد ذكرنا ان العصمة لا تزيل
النهى والامر بل تزيدهما لان بالعصمة يظهر بموافقة الامر ومخالفة النهى والمحظور وقوله عز وجل انه الحق من ربك
يحتمل القرآن ويحتمل الدين الذى عليه ويدعوهم اليه ويحتمل هو نفسه الحق من ربه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وقوله
عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هو ما ذكرنا ان لا احد اظلم على نفسه ممن اخذ نفسه من معبوده وشغلها
فى عبادة من لا يملك له نفعا ان عبده ولا ضرا ان ترك عبادته او يقول لا احد اظلم على نفسه ممن القى نفسه الطاهرة
فى عذاب الله ونقمته ابدا بافترائه على الله وبالله العصمة والقوة وفى التاويل لا احد اظلم على نفسه ممن افترى على الله كذبا
وفى المعنى لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله كذبا بعد معرفته ان جميع ما له من الله وقوله عز وجل اولئك يعرضون على ربهم
اى اولئك الذين تعرض اعمالهم على انفسهم عند ربهم فان وافقت اعمالهم ما فى شهادة خلقتهم ادخلوا الجنة وان خالفت اعمالهم
شهادة خلقتهم ادخلوا النار وتعرض اعمالهم على انفسهم عند ربهم لان الله عز وجل عالم بما كان منهم من الاعمال والاقوال
على ربهم اى عند ربهم كقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اى عند ربهم وتاويله ما ذكرنا يعرضون على ربهم لانفسهم
لانهم انما يؤمرون وينهون ويمتحنون لانفسهم ولمنفعة انفسهم فيكون عرضهم لهم او ان يكون قوله اولئك يعرضون
على وعد هم ربهم فى الدنيا او يقول اولئك يعرضون لانفسهم على ربهم من غير غيبة كان منه والله اعلم وقوله عز وجل
ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم اختلف فيه قيل الاشهاد الرسل والانبياء والرسل فهو لقوله لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وكقوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ومن قال هم الملائكة كقوله ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين الاية ونحوه ومعناه والله اعلم انه تعرض
اعمالهم واقوالهم على انفسهم فان اقروا بها بعثوا الى النار وان انكروا يشهد عليهم ما ذكر من الشهداء فان انكروا يقال له
اقرا كتابك الاية فان انكروا ذلك فعند ذلك تشهد عليهم جوارحهم كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية

ويحتمل ان تكون الملائكة نادوا فى ملاء الخلق قبل ان يدخلوا النار هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويحتمل ما ذكر فى شهادة الذين
كانوا موكلين بكتابة اعمالهم واقوالهم يخبرون بما كتبوا فى الكتب وقوله عزوجل الا لعنة الله على الظالمين اللعنة قال بعضهم
هى الطرد عن جميع المنافع والابعاد عن رحمة الله فى الدنيا وفى الآخرة عن ثوابه وقال بعضهم اللعنة هى العذاب وقوله عزوجل
الذين يصدون عن سبيل الله يصدون يحتمل وجهين ان اعرضوا هم بانفسهم عن دين الله ويحتمل صرفوا الناس عن دين الله لكنه
يتبين ذلك بالمصادر انه اذا اريد به الاعراض بنفسه صد يصد صدودا كقوله يصدون عنك صدودا ويقال
فى صرف غيره صد يصد صدا وقوله عزوجل يبغونها عوجا قال بعضهم هم بغاة على دين الله بالجور وقال بعضهم
يبغون من الابتغاء الميل عن دين الله الى دينهم فذلك هو بغى العوج كل سبيل غير سبيل الله فهو عوج وبغى كانه قال يبغون
سبيلا غير سبيل الله وهم بالآخرة هم كافرون فى الدنيا وقوله عزوجل اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض اى اولئك
لم يكونوا معجزى الله فى الدنيا من ان يعذبهم وينتقم منهم ان شاء والثانى اولئك لم يكونوا سابقى الله فى الآخرة فى دفع العذاب
عن انفسهم وجايز ان تكون الآية فى الائمة منهم والجبابرة يخبرهم غير معجزين الله فيما يريد منهم من التعذيب لهم وقوله
عزوجل وما كان لهم من دون الله من اولياء حسبوا ان اولئك الذين عبدوا دون الله يكونون لهم اولياء لانهم
يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كانوا يطمعون فى شفاعة الاصنام التى كانوا يعبدونها
او الذين اتبعوهم يكونون لهم اولياء فاخبر ان ليس لهم اولياء على ما ظنوا وحسبوا بل يكونون لهم اعداء كقوله واذا حشر
الناس كانوا لهم اعداء الآية وامثاله كثير وكقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وكقوله واتخذوا
من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا اى لم يكن لهم ما طمعوا وقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا اضدادا والهم
اعداء على ما ذكر ويحتمل ما كان لهم من دون الله من اولياء اى لا ينفعهم ولاية من اتخذوا اولياء كقوله فما تنفعهم شفاعة
الشافعين ونحوه وقوله عزوجل يضاعف لهم العذاب هذا يدل على ان قوله الذين يصدون عن سبيل الله فى الائمة
الذين صرفوا الناس عن دين الله لانه اخبر انه يضاعف لهم العذاب وهو يحتمل وجهين احدهما لما ضلوا هم بانفسهم والآخر
لما صرفوا الناس عن دين الله وقوله عزوجل ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قالت المعتزلة فيه
بوجهين احدهما انهم كانوا يسمعون ويبصرون لكنه قال لا يستطيعون السمع ولا يبصرون استثقالا منهم لذلك وهو
كما يقول الرجل ما استطيع ان انظر الى فلان ولا اسمع كلامه وهو ناظر اليه سامع كلامه لكنه يقول ذلك لاستثقاله النظر
اليه وسماع كلامه فعلى ذلك الاول كانوا يسمعون ويبصرون لكنهم كانوا يستثقلون السمع والنظر اليهم فنفى ذلك
والثانى كانوا لا يستطيعون السمع اى كانوا كانهم لا يستطيعون السمع ولا النظر وهو ما اخبر انهم صم بكم عمى كانوا
يتصامون ويتعامون الحق واما عندنا فالجواب للتاويل الاول انهم كانوا لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
السماع سمع الرحمة والنظر اليه يعنى الرحمة والقبول منهم من ذلك الوجه كانوا لا يستطيعون والثانى يحتمل سمع
القلب وبصر القلب وهم كانوا لا يستطيعون السمع سمع القلب وبصر القلب كقوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى
فى الصدور وهذه الاستطاعة عندنا هى استطاعة الفعل لا استطاعة الاحوال اذ جوارحهم كانت سليمة صحيحة
فدل انها الاستطاعة التى بها يكون الفعل لما ذكرنا وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون
السمع ثم سئل الحسن عن ذلك فقال هو قول الله الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا
اذا سمعوا الوحى نفعوا فى ثيابهم فلم يستطيعوا احتمال ذلك وفى حرف حفصة وما كانوا يستطيعون السمع بالواو
واما فى حرف ابن مسعود ظاهرها وتاويله اى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلم يسمعوا عنادا وابطأ
واصله ما كانوا يستطيعون السمع المكتسب والبصر المكتسب عندنا ما ذكر من السمع والبصر هو السمع المكتسب والبصر
المكتسب والحيوة المكتسبة لان سمع الآخرة وحيوتها مكتسبا وحيوة الدنيا والسمع والبصر مخلوقة وقوله عزوجل
اولئك الذين خسروا انفسهم فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا عبادتهم غير معبودهم الذى كان منه جميع النعم والمنافع
وما لحقهم بذلك من الذل والصغار واما فى الآخرة فالعذاب والهوان الدايم بدلا عن النعم الدايمة وضل عنهم اى بطل عنهم

ماكانوا يفترون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الآية وامثاله وقوله عزوجل لا جرم انهم فى الآخرة
هم الاخسرون قال ابو عوسجة لا جرم واجب من الكلام اى حقا انهم فى الآخرة هم الاخسرون وقال بعضهم لا جرم اى نعم انهم
فى الآخرة هم الاخسرون وقال الفراء قوله لا جرم اى لا بد ولكن اكثر الناس كثروا استعماله فصار فى استعارتهم حقا ولا بد
فى الحقيقة حقا لانه اذا كان لا بد فهو حق وقوله عزوجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة
تاويله والله اعلم ان الذين آمنوا بالله وبجميع ما انزل على رسوله وعملوا الصالحات ولزموا ذلك حتى صاروا الى الله اولئك
اصحاب الجنة وهو كقوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى اى من تاب من الشرك وآمن بالله وعمل صالحا
ثم اهتدى اى ثم لزم ذلك حتى صار الى الله هكذا فعلى ذلك قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
اى لزموا ذلك كله حتى صاروا الى الله ويحتمل قوله ثم اهتدى سخن الذين اولئك كذا وقوله عزوجل واخبتوا
الى ربهم اختلف فيه قال بعضهم الاخبات التخشع والتواضع اى تخشعوا وتواضعوا فرقا من ربهم وقال بعضهم اخبتوا
اى اطمانوا على ذلك اولئك كذا وعن ابن عباس رضى الله عنه اخبتوا قال خافوا من ربهم وقال القتبى اخبتوا اى تواضعوا
لربهم وقال الاخبات التواضع والوقار وقال ابو عوسجة الاخبات التوبة والمخبت التايب وقال غيرهم الاخبات الانابة
اخبتوا الى الله اى انابوا الى الله وبعضه قريب من بعض ومن قال الاخبات هو التواضع والخشوع فمعناه والله اعلم اى تواضعوا
وخشعوا بالاجابة الى ما دعاهم اليه ربهم وندبهم اليه وقوله عزوجل مثل الفريقين اى الصنفين اللذين
سبق وصفهما وهو قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية فهو وصف الكافر والفريق الآخر قوله افمن كان على بينة
من ربه الى آخر ما ذكر وفيه وصف المؤمن او يكون وصف الكافر ما ذكر ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون
على ربهم الى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون هو وصف احد الفريقين وهم الكفار والفريق الآخر ما ذكر ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم هذا والله اعلم الفريقين اللذين ضرب مثلهما بالاعمى والاصم والبصير والسميع ثم ذكر
ضرب مثل الكافر بالاعمى والاصم والمؤمن بالبصير والسميع فهو والله اعلم ان الكافر اعمى القلب واصم السمع لم يبصر ما غاب عنه
من الموعود ولا سمع ما غاب عنه من الموعود انما ابصر ظواهر الامر وكذلك انما سمع ظواهر من الامور وبادیها لم ينظر الى الغايب
من الموعود ولا سمع ذلك وهو لم يخلق لمعرفة ذلك الظاهر خاصة انما خلق لما وعد واوعد فى الغايب والمؤمن ابصر ذلك
الغايب وسمع ما غاب من الموعود فيقول كما لم يستو عندكم فى الظاهر البصير والاعمى والسميع والاصم لم يستو من كان عمى القلب
بما كان بصر القلب بذلك ولم يستو ايضا من به صمم القلب من كان سميعا بذلك افلا تذكرون انهما لم يستويان ويقول افلا تذكرون
اى فلا تتعظون بما انزل من القرآن وتنتهون عما نهيتم والله اعلم وفى قوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلا افلا تذكرون وجوه من الاسولة احدها ان يقال كيف احتج عليهم وهو ما ذكر انهم عميان وصم وكالعميان
والصم ولا تكلف الاعمى الابصار والنظر ولا الاصم السماع والثانى يقولون انا بصراء سمعاء ليس بنا صمم ولا عمى بل انتم العميان
والصم والثالث كيف ذكر المثل لهم وهم لا يتفكرون ولا ينظرون فى المثل ولا يلتفتون اليه اما جواب الاول بانه احتج عليهم
لانهم تركوا اكتساب بصر الآخرة وسمع سماع الآخرة فنفى عنهم السمع والبصر والحيوة لانه يبصر المخلوق يكتسب بصرا
فى الدين وسمعا فى امر الدين وحيوة الدين فيصير بذلك مكتسبا الحيوة الدايمة والبصر الدايم والسمع الدايم فيكونون فى الآخرة
بصراء سمعاء احياء كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم والثانى نفى عنهم هذه الحواس لانهم لم ينتفعوا بها
لان هذه الحواس انما انشاءت لهم وخلقت لينتفعوا بها وهو المقصود بانشائها فاذا تركوا الانتفاع بها كانها ليست لهم
واما جواب ما قالوا انا بصراء وسمعاء وانتم العميان والصم فيقال لهم ان اهل الاسلام اذا سمعوا ذلك قد اشتغلوا بالتفكر
فيما قرع اسماعهم من الآيات والنظر فيها وانتم لا بل تعاميتم عنها وتصاممتم فدل تفكرهم ونظرهم فيها على انهم بصراء وسمعاء
واحياء وانتم يا اهل الكفر العميان والصم والاموات والثانى ان هذه الآيات انما نزلت فى محاجة اهل مكة وهم قد علموا
ان اباهم لم يكونوا حكماء وعلماء فلم يكونوا ما ذكر بصراء ولا احياء ولا سمعاء فصار واصما عميا اموات ولان احد الفريقين
لا محالة ما ذكرنا وهم ثم قد استووا فى هذه الدنيا فى العقل والحكمة التفريق بينهما فدل انهم بما ذكرا ولى واما جواب

ذكر المثل لهم على علم منهم انهم لا يعقلون المثل ولا ينظرون بانه انما ذكر لاهل الاسلام ولان ذكر المثل به ربما يجتهم
على النظر فيه والتفكر وقوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اخبر انه ارسله الى قومه ولم يفهم منه الارسال من مكان
الى مكان وكذلك قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم ولم يكن مجيئه من مكان الى مكان فهذا يدل انه لا يفهم من ذكر المجيء بالانتقال
من مكان الى مكان وكذلك الارسال وقوله عز وجل انى لكم نذير مبين اى نذير لمن عصى بالنار وبعقابه بين الانذار
وقوله عز وجل الا تعبدوا اى لا تجعلوا عبادتكم الا المعبود هو معبود بشهادة خلقتكم لان خلقتهم تشهد على انه هو المستحق
للعبادة لا من تعبدون من الاصنام والاوثان ويحتمل قوله الا تعبدوا الا الله تعالى اى وحدوا الله ولا تصرفوا الالوهية
الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم اضاف الالم واليوم ليس بمولم لكنه والله اعلم اضاف
اليه لما فيه يولم وهو كقوله وجعل الليل سكنا والليل لا يسكن ولا يوصف لكنه يسكن فيه وكذلك قال والنهار
مبصرا والنهار لا يبصر لكنه يبصر فيه فعلى ذلك قوله يوم اليم لما فيه يكون العذاب الاليم وقوله عز وجل انى اخاف عليكم
اى الخوف فى غيره لا يكون فى الحقيقة خوفا وكذلك الرجاء فى غيره لا يكون فى الحقيقة رجاء او فى نفسه يكون فى الحقيقة
خوفا ورجاء لما يلحقه ضرر فى نفسه ان حل به ذلك لغيره ويلحقه نفع فيكون الخوف فى نفسه حقيقة خوف والرجاء
حقيقة رجاء واما فى غيره لما لا يلحقه ضرر وان حل ذلك لغيره ولا ينال من النفع فى الرجاء ان نال ذلك الغير لكنه
يخرج على وجهين احدهما على العلم اى انى اعلم انه ينزل بكم العذاب نحو قوله وان خفتم شقاق بينهما اى علمتم وقوله
فان خفتم الا يقيما حدود الله اى فان علمتم ان يقيما حدود الله والثانى يخاف عليهم اشفاقا منه لان الخلق
جبلوا على ان يتالم بما لم يحل بغير حق لا يكون فى وسع بعض ان يرد ذلك فى غيره على هذين الوجهين يخرج
الخوف على غيره وفى الخوف رجاء وفى الرجاء خوف لان الخوف اذا لم يكن فيه رجاء فهو ايس وقال الله عز وجل
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء اذا لم يكن فيه خوف فهو امن وقال فلا يامن مكر الله الاكذا وقوله
عز وجل فقال الملأ الذين كفروا من قومه قيل اشراف قومه وايمتهم ما نراك الا بشرا مثلنا وكذلك قال عامة القوم
لرسلهم الذين بعثوا اليهم ما انتم الا بشر مثلنا كان هذا احتجاجهم فى رد الرسالات يحتجون على الرسل فيقولون والله اعلم
ان الرسل فى الشاهد انما يجيبون من عند المرسل وانتم نشأتم من بين اظهرنا لم تاتوا من احد فى الظاهر والرسول
هو الذى ياتى من عند غيره ويكون للرسول خصوصية عند المرسل ولا نرى لك خصوصية لا فى الخلقة ولا فى القدرة
والمال وغيره فكيف بعثتم الينا رسلا دون ان نبعث نحن اليكم رسلا اذ انتم ونحن فى الخلقة سواء وفى الامور الظاهرة
سواء ونحوه من الكلام واحتجوا على رسلهم فى رد الرسالة وكذلك كان عادة الكفرة يقولون للرسل اذا لزمتهم الحجة
واقيم عليهم نسبوها الى السحر ونسبوا الرسل انهم بشر مثلهم فجواب هذا كله ما ذكروا ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن
على من يشاء من عباده وما قال لهم نوح يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى رحمة من عنده اى اتانى رحمة من عنده
وجعل لى بينة وبرهانا عليها اتانى رحمة من عنده بمثل هذا يحتج عليهم ويقال ايضا انكم لا تنكرون فضل الله وتخصيص
بعض على بعض لما جعلكم ايمة ورؤسا بامور الدنيا على غيرهم فكيف تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على بعض بفضل
الدين والرسالة وقوله عز وجل ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى احتجوا ايضا فى رد الرسالة
يقولون ان الاراذل هم اتباع لكل من دعاهم واهل طاعة لكل متبوع فليس فى اتباع الاراذل اياك والضعفاء دلالة
ثبوت رسالتك اذ هم لا دليل ولا حجة وهم فروع واتباع لغيره ولم يتبعك احد من الاصول لكن يقال ان هؤلاء الاراذل
لما اتبعوا الرسول ولم يتبعوا الايمة والروساء الذين معهم الاموال والدنيا ولم يكن فى ايدى الرسل ذلك ثم تركوا اتباع اولئك
وفى ايديهم ما يدعوهم اليه واتبعوا الرسل دل انهم انما اتبعوا الرسل بالحجة والبرهان التى اقاموها عليهم ونحوه
والاراذل قيل هم السفلة والضعفاء وقال القتبى اراذلنا اشرارنا وبادى الراى قال بعضهم ظاهر الراى من قولك بدا لى
ما كان خفيا وقال بعضهم بادى الراى خفيف الرأى لا يعرفون حقائق الامور انما يفهمون ظواهرها كانهم يقولون
انما اتبعك من كان خفيف الرأى وبادية لم يتبعك من يعرف حقائق الامور والاصول وقد قرئ بادى الراى بالهمز

وقد قرئ بغير همز ومن قراه بالهمز فهو من الابتداء اى فى اول الراى وابتدائه لا ينظر فى عواقب الامور ومن قراه بغير همز
فهو من الظهور اى ظاهر بالرأى على غير تفكر ونظر فيه وقوله عز وجل وما نرى لكم علينا من فضل الآية يحتمل هذا اى فضلا
فى الخلقة او فى ملك او مال ولا فى شىء لكن جواب هذا ما سبق وقوله عز وجل بل نظنكم كاذبين هكذا كانت عادة
الكفرة يردون دلالات الرسل والحجج بالظن لم يردوا بحقيقته ظهرت وقوله عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربى اى على بيان من ربى او على حجة من ربى وبرهان فيما اتانى من رحمته والرحمة يحتمل النبوة لانهم كانوا ينكرون
رسالته لما انه بشر مثلهم فكيف خص هو بها دونهم وهو مثلهم فيقول واتانى رحمة اى النبوة واتانى ايضا على ذلك بينة
وحجة ويحتمل الرحمة الدين الذى كان يدعوهم اليه والله اعلم وقوله عز وجل فعميت عليكم قرئ بالتخفيف والتشديد
اى لبست والتبس عليكم حيث اعرضتم عنه ومن قراه بالتشديد عميت عليكم يرجع الى الاتباع والسفلة اى عميت عليهم
القادة والرؤساء منهم ولبست وعميت بالتخفيف اى التبس وعمى على القادة والرؤساء وقوله عز وجل انلزمكموها اى انوجبها
عليكم وهى التى ذكر انه اتاها اياه والبينة التى ذكر ايضا او الدين الذى كان يدعوهم اليه اى لا نوجبها عليكم ولا نلزمها
وانتم لها كارهون بلا حجة ولا برهان وانتم لها كارهون اى لا نلزمها لكم بلا حجة شئتم او ابيتم ولكن يحجه وفيه ان الدين
لا يقبل بالاكراه وقوله عز وجل ويا قوم لا اسالكم عليه مالا على تبليغ الرسالة اليكم او على اقامة الحجة على ما ادعى الرسالة
او على الدين الذى يدعوهم اليه اى لا اسالكم على ذلك اجرا فبما اذا تعرضون عما ادعوكم اليه واقيمه عليكم ليكون لكم الاحتجاج
او الاعتذار وكذلك يخرج قوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اى لا تسالهم اجرا على ما نبلغه اليكم وندعوكم اليه فيمنعكم
ثقل ذلك الغرم اجابتكم اياه فعلى ذلك الاول ذكر هذا لان ما يلحق الانسان من الضرر انما يمنعه عن الاذعان بالحق والاجابة
اليه والقيام بوفائه او يمنع ذلك بما لا يتبين له الحق لئلا يكون لهم الاحتجاج والاعتلال عند الله وان لم يكن لهم حجة وهو
كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ليس على انه اذا سالهم على ذلك اجرا يكون لهم عذر فى رد ذلك وترك الاجابة له
اذ لله ان يكلفهم الاجابة والطاعة له بالمال وبغير المال والثانى بقوله لا اسالكم على ما ادعوكم اليه وابلغه اليكم مالا مع
حاجتى وقلة مالى فيقع عندكم انى ادعوكم اليه رغبة فيما فى ايديكم من الاموال والمنفعة لنفسى بل انما ادعوكم الى ما ادعوكم
اليه لمنفعة انفسكم وقوله عز وجل ان اجرى الا على الله اى ما اجرى الا على الله فى ذلك ليس عليكم وقوله عز وجل وما انا بطارد
الذين آمنوا فيه دلالة انهم كانوا سالوا رسولهم ان يتخذ لهم مجلسا على حدة ويعقد لهم ذلك دون الاراذل والضعفاء
الذين اتبعوه ويطرد الضعفاء وهو كقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية وقال اهل التأويل وما انا
بطارد الذين آمنوا اى ما انا بالذى لا اقبل الايمان من الاراذل والضعفاء عندكم لقولهم حيث قالوا وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى لانهم يقولون اتبعوك الاراذل ظاهرا واما فى الباطن فليسوا على ذلك وكذلك قال
ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم يعنى ما فى قلوب السفلة فيقول ما انا بطارد
الذين آمنوا ظاهرا الله اعلم بما فى قلوبهم وقوله عز وجل انهم ملاقوا ربهم يحتمل وجهين اى ملاقوا ربهم فيشكون
منى اليه فى رد ايمانهم ويخاصمون فى ذلك ويطالبوننى فى طردى اياهم والثانى انهم ملاقوا ربهم بايمانهم ظاهرا كان
ايمانهم او باطنا اى فى اى حال هم يلاقون ربهم فيجزيهم بما هم عليه كقوله ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون وقوله عز وجل
ولكنى اراكم قوما تجهلون يحتمل تجهلون ما ادعوكم اليه او تجهلون فى قولكم انهم انما آمنوا واتبعوا فى ظاهر الحال واما فى السر
فلا او تجهلون ما يلحقنى فى طردهم وقوله عز وجل ويا قوم من ينصرنى من الله اى من يمنعنى من عذاب الله ان انا طردتهم
على ما تدعوننى اليه او من يمنعنى من عذاب الله ان لم اقبل منهم الايمان افلا تذكرون انه لا يسع لى ما تدعوننى اليه من طرد هؤلاء
او رد ايمانهم او افلا تذكرون فتؤمنون وما روى وفى حرف ابى بن كعب انلزمكموها من شطر انفسنا معناه انلزمكموها نحو انفسنا
وانتم قوم معاندون وفى حرف ابن عباس انلزمكموها من شطر انفسنا اى من تلقاء انفسنا اى لا نقدر ان نلزمكم ذلك من تلقاء
انفسنا وانتم كارهون لذلك وقوله عز وجل ولا اقول لكم عندى خزائن الله يخرج على وجهين احدهما يقول ليس عندى
خزائن الله والسعة فابذل لكم لتؤمنوا رغبة فى المال والسعة والثانى يقول ليس عندى سعة فيقع عندكم انى ادعوكم

للحق

الى ما ادعوكم اليه افتعالا ورغبة في المال على ما يفعل المتعاطون للرغبة في المال ولكن لتعلموا اني متكلف في ذلك وثلث
يحتمل ما ذكرنا من اسولة كانت منهم وقوله عز وجل ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك
هذا القول منه لهم يحتمل الوجهين احدهما انه قال ذلك لهم على اثر امور واسولة كانت منهم من نحو قولهم قولهم
ولولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وقولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا او تكون لك جنة وقولهم ويكون لك بيت من زخرف وامثال ما كان منهم فيقول لهم ليس ذلك عندي
وبيدي انما ذلك عند الله وبيده ولا اعلم الغيب يحتمل ان يكون سالوه ان يخبرهم عن امور تستقبلهم قبل ان يستقبلهم
ان كان شرا فيدفعوه في دفعه وان كان منافع فيستقبلوها ويتاهبوا فيقول لهم ذا غيب فانا لا اعلم الغيب انما العلم
في ذلك الى الله ولا اقول اني ملك اعلم اخبار السماء والامور التي فيها انما انا بشر مثلكم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
ولا اقول لكم عندي خزائن الله اي مفاتيح الله في الرزق فهذا كانهم سالوه السعة فيتبعونه فيقول ليس عندي ذلك ويحتمل
ان يكون قال لهم الرسول هذا لدفع الشبه عنهم وذلك ان من الكفار من اتخذ الرسول الها فعبدوه بعد ما عاينوا انه
من البشر ومنهم من قال انه ابن الله ومنهم من قال انه ملك وكانوا يعبدون الملائكة وكانوا يخبرونهم عن اشياء غابت
عنهم فظنوا انه انما علم ذلك لانه اله فيقول لهم ذلك ليدفع عنهم تلك الشبه ويتبرا من ذلك ولذلك قال عيسى
اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا هو عليه السلام كان يعلم في نفسه انه عبد الله ولكن يقول لهم
لئلا ينسبوه الى الالوهية والربوبية على ما نسبوا اليه فاقر بالعبودة له والله اعلم بذلك وقال بعض اهل التاويل
لا اقول لكم عندي خزائن الله اي مفاتيح الله بانه يهدي السفلة دونكم ولا اعلم الغيب اي لا اقول ان عندي غيب ذلك
ان الله يهديهم وهم مومنون في السر وذلك كقوله وما علمي بما كانوا يعملون وقوله الله اعلم بما في انفسهم من الصدق
ولا اقول اني ملك اي انما انا بشر لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا الى اخر الاية ثم قال ولا اقول للذين تزدري اعينكم
قيل الذين تحقرونهم يعني السفلة والاتباع وقال ابن عباس الذين لم تاخذهم اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا يعني ايمانا
الله اعلم بما في انفسهم من الصدق اني اذا لمن الظالمين لهم ان لم اقبل منهم الايمان او طردتهم والله اعلم وقوله عز وجل
قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قالوا ذلك لانه قد كان طال عمره وهو بين اظهرهم ويدعوهم الى الايمان
فاكثر حجاجه ومجادلته اياهم فقالوا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وكان يعدهم العذاب
ان لم يجيبوه كقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وما كان وعد لهم في غير اية من القران ان لم يجيبوه فقالوا ائتنا بما تعدنا من العذاب
فقال انما ياتيكم به الله ان شاء اي ليس الي اتيان ذلك انما ذلك الى الله ان شاء عجل وان شاء اخر الى ما بعد الموت وهو كقوله لرسوله
لقومه لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم وقوله عز وجل وما انتم بمعجزين اي لا تعجزون الله عن تعذيبكم فتفوتون
عنه وقيل وما انتم تسابقون الله باعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها وهو واحد والله اعلم وقوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
ان كان الله يريد ان يغويكم تاويله والله اعلم لا ينفعكم دعائي الى ما به نجاتكم ان كان الله يريد ان يغويكم ثم اختلف في وقت ذلك
قال بعضهم لا ينفعكم نصحي عند اتيان العذاب اليكم ان كان من حكم الله ان تكونوا من الغاوين في ذلك الوقت وقال بعضهم قوله
ولا ينفعكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي لا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يعذبكم في نار جهنم ويقول الغي العذاب كقوله فسوف
يلقون غيا اي عذاب جهنم من الكلام وما عندنا انه على ما اخبر ان كان الله يريد اغواء قوم ابدا فهم في الغواية واضلال الله
اراد غواية من في علمه انه يختار الغواية واراد ضلال كل من في علمه انه يختار الضلال لان من في علمه انه يختار الغواية والضلال
اختار عداوته ولا يجوز ان يريد هو هداية من في العلم انه يختار عداوته لان ذلك يكون من الضعف ان يختار المرء ولاية
من يختار عداوته فدل انه لم يرد الهداية لمن علم منه اختيار الغواية والضلال ثم اضافة الاغواء والازاغة والاضلال
الى الله يخرج على وجهين احدهما انه ينشئ ذلك الفعل منهم غيا وزيغا وضلالا لان فعلهم فعل غواية وزيغ والثاني انه
خذلهم ولم يوفقهم ولم يرشدهم ولم يعصمهم ولا سددهم فمن ذا الوجه ليس فعله فعل الذم عليه حتى يخرج في الاضافة
اليه ومن الاضافة الى الخلق يكون على الذم لان فعلهم نفسه فعل غواية وضلال فاستوجبوا الذم عليه بذلك والاغواء

من الخلق هو الدعاء الى ذلك او الامر به فهو مذموم يذمون على ذلك وليس على ذلك وليس من الله من هذا الوجه
ولكن على الوجهين اللذين ذكرناهما وفي قوله ولا ينفعكم ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم دلالة تعليق
الشرط على الشرط وقوله عز وجل ام يقولون افتراه اي بل يقولون انه افتراه من عند نفسه قيل ان افتريته فعلي اجرامي
وانا بريء مما تجرمون اختلف فيه قال بعضهم قال قوم نوح لنوح عليه السلام انه افترى على الله انه رسول اليهم من الله
على ما سبق من دعائه قومه الى دين الله فقالوا له انه افتراه وقال بعضهم هو قول قوم محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
افترى محمد هذا القران من نفسه ليس هو من الله على ما يزعم وهو ما قال في صدر السورة وهو قوله ام يقولون افتراه
قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات الى اخر ما ذكر فعلى ذلك هذا هو قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه
افترى هذا القران الذي يقول هو من الله من نفسه فقال قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون
اي ان افتريته فعلي جرم افترائي وجزاؤه وانا بريء مما تجرمون معناه والله اعلم اي لا تؤاخذون انتم بجرم افترائي
ان افتريته وانا لا اؤاخذ باجرامكم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ما عليك من حسابهم
من شيء فعلى ذلك اجرامي وامكن ان يكون هذا القول لهم لما ايس من ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم لما ايس عن ايمانهم
وانقطع طمعه ورجاؤه عن اسلامهم قال لهم ذلك ان لا محاجة بيننا وبينكم بعد هذا والله اعلم وقوله عز وجل
واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن قال بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بالهلاك
ما دام يرجو ويطمع من قومه الايمان فاذا ايس وانقطع رجاؤه فحينئذ دعا عليهم بالهلاك كقوله رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك الاية وعرف الاياس عن ايمانهم بقوله واوحي الى نوح الاية
وكذلك سائر الانبياء والرسل لم يؤذن لهم بالدعاء على قومهم بالهلاك والخروج من بين اظهرهم ما داموا يرجون
ويطمعون منهم الايمان والاجابة لهم اذا ايسوا وانقطع رجاؤهم وطمعهم عن ذلك فعند ذلك اذن لهم بالدعاء عليهم
بالهلاك والخروج من بين اظهرهم وفي قوله لن يؤمن من قومك الا من قد امن دلالة ان للايمان حكم التجدد
والابتداء في كل وقت وكل حال لانه اخبر ان الذي قد امن قد يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك يخرج الزيادات التي ذكرت
في الايمان فزادتهم ايمانا ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل فلا تبتئس بما كانوا يفعلون قيل لا تحزن بما كانوا يفعلون
فهو يحتمل وجهين احدهما لا تحزن بكفرهم بالله وتكذيبهم اياك ليس على النهي عن الحزن في ذلك ولكن على دفع الحزن
عنه والتسلي به لان الانبياء عليهم السلام كانوا يحزنون بكفر قومهم بالله وجعلهم انفسهم اعداء له كقوله لرسوله
لعلك باخع نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وامثاله كان الانبياء عليهم السلام اشد الناس حزنا
بكفر قومهم بالله وتكذيبهم اياه واشدهم رغبة في ايمانهم وكان حزنهم لم يكن على هلاكهم الا ترى ان نوحا دعا عليهم بالهلاك
وكذلك سائر الانبياء عليهم السلام انما حزنهم كان لمكان كفرهم بالله وتكذيبهم اياه لا لمكان هلاكهم اشفاقا على انفسهم
والثاني قوله فلا تبتئس بما كانوا يفعلون يحتمل انهم كانوا هموا قتله والمكروه به فقال لا تحزن بما كانوا يسعون في هلاكك
فاني اكفيهم قال ابو عوسجة قوله فلا تبتئس هو من الحزن يقال ابتئس يبتئس ابتئاسا قال الكيسائي ايضا لا تبتئس
اي لا تحزن هو من البائس يقال لا تبتئس بهذا الامر وقوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا قال بعض اهل
التاويل باعيننا بامرنا ووحينا وقال بعضهم بمنظرنا ومرأى منا ولكن عندنا يحتمل وجهين احدهما قوله باعيننا
اي بحفظنا ورعايتنا يقال عين الله عليك اي حفظه عليك ثم لا يفهم من قوله باعيننا نفس العين على ما لا يفهم من قوله
ذلك بما قدمت ايديكم وكسبت ايديكم ولكن ذكر الايدي لما في الشاهد انما يقدم باليد ويكتسب باليد فعلى ذلك ذكر العين
لما بالعين يحفظ في الشاهد والثاني قوله باعيننا اي باعلامنا اياك لانه لولا تعليم الله اياه اتخاذ السفينة وتجرها لم يكن
ليعرف ان كيف يتخذ وكيف يجري انما عرف ذلك بتعليم الله اياه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون هذا يحتمل وجهين يحتمل اي لا تشفع الي في نجاة الذين ظلموا فانهم مغرقون في حكم الله والثاني لا تخاطبني
في هداية الذين هم في حكم الله انهم يموتون ظلمة اي لا تسالني ايمان من في علم الله انه لا يؤمن وفيه نهي السؤال عما في علم الله

انه لا يكون لانه اذا اخبر انه لا يكون او لا يفعل فاذا سأله كان يسأله ان يكذب خبره الذي اخبر انه لا يكون وفيه ان من
انتهى اراد الله ايمان احد آمن ومن لم يرد ايمانه لا يؤمن وقوله عز وجل ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه الملأ الاشراف
والرؤساء من قومه سخروا منه هم الذين سخروا منه قال بعضهم سخريتهم منه ان قالوا صار نجارا بعدما ادعى لنفسه
الرسالة وقال بعضهم سخريتهم منه لما رأوه يتخذ الفلك ولم يكن هنالك بحر ولا واد ولا مياه جارية انما هي اباطحهم
فقالوا يتخذ السفينة ليسيرها في البراري والمفاوز ونحوه من الكلام وقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم وقالوا سخريته
منهم اذا ركبوا الفلك رأوهم يغرقون قالوا كنتم على حق وعلى هدى ونحوه من الكلام لكن هذا لا نعلم ولا حاجة لنا
الى معرفة سخريتهم انه كيف كانت سواء فيه انهم سخروا منه ويحتمل قوله فانا نسخر منكم اي نجزيهم جزاء سخريتهم وقوله عز وجل
فسوف تعلمون هو وعيد اي سوف تعلمون ان حاصل سخريتكم يرجع اليكم كقوله وما يخدعون الآية اي سوف تعلمون
اذا نجي فانجي وغرقتم انتم من يأتيه عذاب يخزيه اي عذاب يفضحه ويهلكه وهو الغرق ويحل عليه عذاب مقيم اي عذاب
يدوم وقال بعضهم عذاب مقيم هو عذاب الآخرة كقوله اغرقوا فادخلوا نارا واما قول اهل التأويل ان سفينة نوح
كان طولها وعرضها كذا وقامتها كذا فليس لنا بذلك علم ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك فان صح ذلك فهو ما قالوا وقولهم
كان لها ثلاثة ابواب وثلاثة اطباق فذلك ايضا لا نعرفه ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل حتى اذا جاء امرنا وفار
التنور قوله جاء امرنا اي جاء وقت امرنا بالعذاب الذي استعجلوه كقولهم فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
وكذلك كانت عادة الامم السالفة استعجال العذاب من رسلهم وسمى العذاب امر الله لما لا صنع لاحد فيه وكذلك
المرض سمى امر الله لما لا صنع لاحد من الخلائق وسمى الصلوة امر الله لما بامره يصلي وقوله عز وجل وفار التنور قال ابو عوسجة
وفار التنور يقال فار الماء اي خرج يفور فورا اي غلا كما تغلي القدر وتصديقه قوله وهي تفور تكاد قالوا فار اي خرج
وظهر والتنور اختلف فيه قال بعضهم هو وجه الارض قالوا اذا رأيت الماء وخرج ونبع وظهر على وجه الارض
فاركب وقال بعضهم التنور هو التنور الخابزة التي يخبز فيها قالوا اذا رأيت الماء نبع من تنورك فاركب قالوا كان الماء
ينزل من السماء وينبع من الارض كقوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا لكن جعل علامة وقت ركوبه
السفينة هو خروج الماء من الارض ونبعه منها وقوله عز وجل قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ويحتمل هذا وجهين
يحتمل ان كنا قلنا له اذا فار التنور احمل فيها من كل زوجين اثنين ويحتمل ان قلنا له وقت فور الماء من التنور احمل فيها
من كل زوجين وقوله عز وجل من كل زوجين اثنين الزوج هو اسم فرد لذي شفع ليس هو اسم الشفع حتى يقال عند
الاجتماع ذلك ولكن ما ذكرنا انه اسم فرد لذي شفع كان الاناث صنف وزوج والذكور صنف وزوج فيكون الذكور
والاناث زوجين والله اعلم وقوله عز وجل زوجين اثنين اي من ذكور واناث ثم يحتمل زوجين من ذوي الارواح التي
تكون لهم النسل لئلا ينقطع نسلهم ويحتمل ذوي الارواح وغيره والله اعلم وقوله عز وجل واهلك الا من سبق
عليه القول قال بعضهم قوله واهلك اراد اهله والذين آمنوا معه يقول احمل فيها من كل زوجين اثنين واحمل اهلك
ايضا الا من سبق عليه القول اي الا من كان في علم الله انه لا يؤمن والا من كان في علم الله انه يهلك وقال بعضهم قوله واهلك
اراد اهله خاصة ثم استثنى من سبق عليه القول وهو ابنه وزوجته وهما من اهله الا ترى انه ذكر من بعد ومن آمن
معه وهو قوله ومن آمن معه اي احمل اهلك الذين آمنوا من اهلك الا من سبق عليه القول من اهلك وعنى انه في الهالكين
او يقول الا من سبق عليه القول انه لا يؤمن فهذا يدل ان في اهله من كان ظالما كافرا حيث استثنى من اهله والله اعلم
وقوله عز وجل وما آمن معه الا قليل يذكر هذا والله اعلم تذكير الرسول صلى الله عليه وسلم منته ونعمه التي انعمها
عليه لان نوحا عليه السلام مع طول مكثه بين اظهر قومه وكثرة دعائه قومه الى دين الله ومواعظه لم يؤمن من قومه
الا القليل منهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قلة مكثه وقصر عمره آمن من قومه الكثير يعرفه نعمه عليه وفيه دلالة رد
قول من يقول ان المواعظ انما تنفع الموعوظ على قدر استعمال الواعظ وليس هكذا ولكن على قدر قبول الموعوظ اياها وقد
الاقبال اليها لان نوحا عليه السلام كان اشد الناس استعمالا للمواعظ واكثرهم ثم لم يؤمن من قومه الا القليل دل انه

لما فهموا ولكن لما ذكرنا واما ما ذكر اهل التأويل انه حمل في السفينة حبات العنب فاخذه ابليس فلم يعطه الا ان اعطاه الشركة
فذلك شيء لا علم لنا به فان ثبت ذلك فيكون فيه دلالة ان ليس له في سائر الانبذة والاشربة نصيب انما يكون له فيما يخرج
من العنب وتقدير الثلث والثلثين انما يكون في عصير العنب خاصة ليس في غيره والله اعلم وقوله عز وجل وقال اركبوا فيها
بسم الله مجريها ومرساها يحتمل قوله بسم الله مجريها انه لما قال لهم نوح اركبوا فيها قولوا بسم الله مجراها ومرساها وهو
كقول الناس بسم الله من اوله على ما يقال ويذكر اسم الله في افتتاح كل امر وكل عمل من ركوب ونزول وغيره ويحتمل قوله بسم الله
مجراها ومرساها اي به تجري وبه ترسو وانه ليس كسائر السفن التي باهلها تجري وبهم تقف وهم الذين يتولون ويتكلفون اجراها
ووقفها واما سفينة نوح كانت جريتها بالله وبه رسوها لا صنع لهم في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان ربي لغفور
رحيم هو ظاهر لمن آمن به وصدق رسوله ينجيه من الغرق والهلاك وقوله عز وجل وهي تجري بهم في موج كالجبال هذا
يدل على ما ذكرنا انها كانت بالله تجري وبه ترسو حيث لم يخافوا الغرق مما كان من الامواج واما سائر السفن فان اهلها خافوا
من امواجها لما كانوا هم الذين يتولون ويتكلفون اجراءها ووقفها والله اعلم وقوله عز وجل وهي تجري بهم في موج كالجبال
هذا يدل على انها كانت آية لان الامواج تمنع عن جريان السفينة وسيرها فاذا اخبر انها لم تمنع هذه من جريانها دل انه اراد ان يريهم
آية لهم وقوله عز وجل ونادى نوح ابنه وكان في معزل يحتمل قوله وكان في معزل اي بمعزل من نوح او كان بمعزل من السفينة
او ما كان وقوله عز وجل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين يحتمل مع الكافرين للغرق او لا تكن مع الكافرين لنعم الله وقوله
عز وجل سآوي الى جبل يعصمني من الماء ظن مسكين ان هذا الماء كغيره من المياه التي يعلم انها بالالتجاء
الى الجبال فاخبر عليه السلام انه لا مانع اليوم من امر الله اي من عذاب الله سمى عذابه امر الله لما ذكرنا امر الله امر تكوين لانه
هو النهاية في الاحتجاج كقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه الآية وهو كما يسمى البعث لقاء الله لانه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر
فعلى ذلك سمى عذابه امر الله وهو امر تكوين لانه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر العذاب وقوله عز وجل الا من رحم الله بهدايته
اياه والا من سبقت له الرحمة من الله بالهداية له والنجاة وقوله وحال بينهما الموج يحتمل قوله بينهما بين ابنه وبين نوح
ويحتمل بينه وبين السفينة فكان من المغرقين وقوله عز وجل فكان من المغرقين يحتمل صار من المغرقين ويحتمل كان في علم الله
انه يغرق وهذا يدل على ان قوله في ابليس انه كان من الكافرين انه يخرج على وجهين احدهما انه كان في علم الله انه يكفر او صار
من الكافرين كما ذكر وكان من المغرقين اذ لم يكن من المغرقين في الازل وقوله عز وجل وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
قال بعضهم عاد كل ماء الى حيث خرج ما ارسل من السماء عاد اليها وما خرج من الارض غاض في الارض وغار فيها وقال بعضهم
لا ولكن امسك السماء من ارساله وامسكت الارض من نبعه وقوله عز وجل وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ليس
على القول لهم ولكن الله امسكهما من ارساله ونبعه ويحتمل على القول منه لهم باللطف جعل فيهم ما يفهم هذا وغيض الماء
اي غار الماء في الارض وقضي الامر باهلاك قوم نوح ويحتمل على التكوين على ما ذكر واستوت على الجودي اي استقرت على الجودي
وهو جبل وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا ويحتمل بعدا للقوم الظالمين من رحمة الله وقال القتبي مرساها اي تقف
وقوله عز وجل يعصمني من الماء يمنعني من الماء وقال لا عاصم اليوم من امر الله قال القتبي لا معصوم اليوم من عذاب الله
كقوله من ماء دافق اي مدفوق واصله لا عاصم اليوم من امر الله اي لا شيء يمنع اليوم من نزول عذاب الله عليهم ولا دافع لهم منه
وقوله عز وجل ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق الآية فقال يا نوح انه ليس من اهلك هذا
والله اعلم كان عند نوح ان ابنه كان على دينه لانه كان يظهر الموافقة له والا لا يحتمل ان يقول ان ابني من اهلي
ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي في سؤال مثله حيث قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولا يحتمل ان يكون
يعلم انه على غير دينه ثم يسأل له النجاة بعد ما نهاه عن المخاطبة في الذين ظلموا فقال انه ليس من اهلك في الباطن والسر
والا خرج هذا القول مخرج تكذيب رسوله لكن الوجه فيه ما ذكر انه كان في الظاهر عنده انه على دينه لما كان يظهر له الموافقة
وكان لا يعرف ما يضمر فسأله على الظاهر الذي عنده وكذلك اهل النفاق كانوا يظهرون الموافقة وكان لا يعرف
ما يضمرون فسأله على الظاهر الذي عنده وكذلك اهل النفاق يظهرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويضمرون الخلاف

وكانوا لايعرفون نعاتهم الابعد اطلاع الله اياه فعلى ذلك نوح كان لايعرف مايضمر هو لذلك خرج سؤاله فقال
انه ليس من اهلك الذى وعدت النجاة لهم اوليس من اهلك لانه لم يؤمن بك ولم يصدقك فيما اخبرت انه عمل غير صالح
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقرا عمل غير صالح بغير تنوين وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرا عمل غير صالح
بالتنوين فمن قرا بالنصب عمل غير صالح اى ان ابنك عمل غير صالح ومن قرء عمل يكون معناه والله اعلم ان سؤالك
عمل غير صالح بالتنوين وكلا القراءتين يجوز ان يصرف الى ابنه اى انه عمل غير صالح وهو عمل الكفر وعمل غير صالح اى الذى
كان عليه عمل غير صالح والله اعلم وقوله ان ابنى من اهلى ثم قال انه ليس من اهلك هذا فى الظاهر يخرج على التكذيب له
لكن الوجه فيه انه من اهلك على ما عندك وليس هو من اهلك فيما بشرتك من نجاة اهلك وقوله عز وجل وان وعدك
الحق يحتمل وجهين يحتمل وان وعدك باغراق الظلمة حق والثانى وان وعدك بنجاة المؤمنين حق وانت احكم الحاكمين
وقوله عز وجل فلا تسألن ما ليس لك به علم يحتمل هذا نهيا عن سؤال ما لم يؤذن له من بعد لان الانبياء عليهم الصلوة
والسلام كانوا لا يسألون شيئا الا بعد الاذن لهم فى السؤال وان كان يسع لهم السؤال او ان يكون عتابا بما سبق والانبيا
عليهم السلام كانوا يعاتبون فى اشياء يحل لهم ذلك نحو قوله لرسول الله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين
صدقوا وقد كان منه الامر بالقعود والنهى عن الخروج بقوله فقل لن تخرجوا معى ابدا ونحوه وقوله عز وجل انى اعظك
ان تكون من الجاهلين هو كما نهى رسول الله فلا تكونن من الجاهلين وامثاله وان كان معلوم انه لا يكون من الجاهلين
وهو ما ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهى عن الشئ بل بالنهى يظهر العصمة وقوله عز وجل قال رب انى اعوذ بك ان اسألك
ما ليس لى به علم انى اعوذ بك ان اعود الى سؤال لا اعلم بالاذن فى السؤال هذا يحتمل وقوله والا تغفر لى وترحمنى
اكن من الخاسرين ان لم تغفر لى بالعصمة من العود الى مثله اكن من الخاسرين هذا يشبه ان يكون ذكر هذا لما لا يستوجبوا
المغفرة والرحمة الا برحمة الله وفضله على ما روى عن رسول الله انه قال لن يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته وقوله عز وجل والا تغفر لى وترحمنى هو طلب المغفرة بالكناية
وهو ابلغ واكبر من قوله اللهم اغفر لى كان فى قوله والا تغفر لى وترحمنى قطع المغفرة من غيره واخبار ان لا يملك
احد ذلك وليس فى قوله اغفر لى قطع كون ذلك من غيره لذلك كان ذلك ابلغ من هذا وكذلك سؤال آدم وحوى
المغفرة حيث قالا ربنا ظلمنا انفسنا الآية هو سؤال بالكناية هو ابلغ فى السؤال وقوله عز وجل قيل يا نوح اهبط قال
بعضهم اى انزل من الجودى الى قرار الارض وقال بعضهم قوله اهبط انزل واقر على المقام والمكث فى المكان ليس على الهبوط
من مكان مرتفع الى المكان منحدر وقوله عز وجل اهبط بسلام منا وبركات عليك السلامة هو ان يسلم عن الشر وروى ان
والبركة هى نيل كل خير وبر على غير تبعة ثم هما فى التحصيل واحد لانه اذا سلم عن كل شر وآفة نال كل خير وبر واذا نال
كل خير سلم عن كل شر وآفة هما فى الحقيقة واحد لكنهما فى العبارة مختلف وهو كالبر والتقوى من العبد البر هو كسب
كل خير والتقوى هو اتقاء كل شر ومعصية هما فى العبارة مختلفان وفى الحقيقة واحد لانه اذا اتقى كل شر ومعصية
عمل كل خير وبر واذا كسب كل خير وبر اتقى كل شر ومعصية وعلى ذلك يخرج الشكر والصبر هو كف النفس عن كل مأثم
والشكر هو استعمال النفس فى كل طاعة هما ايضا فى العبارة مختلفان وفى الحقيقة واحد لانه اذا كف نفسه عن كل مأثم
استعملها فى الطاعة واذا استعملها فى الطاعة كفها عن كل مأثم ومعصية وعلى ذلك يخرج الاسلام والايمان الاسلام
هو تسليم النفس لله خالصة سالمة لا يجعل لغيره فيها حقا والايمان هو ان يصدق الله بالربوبية فى نفسه وفى كل شئ
وهما فى الحقيقة واحد وفى العبارة مختلفان لانه اذا جعل نفسه وكل شئ لله سالما اقر بالربوبية فى نفسه وفى كل شئ
واذا صدقه واقر له بالربوبية فى نفسه وكل شئ جعلها لله وكل شئ له هذه اشياء فى العبارة مختلفة وفى التحصيل واحد
ثم قوله اهبط بسلام منا وجائز ان يكون جواب قوله والا تغفر لى وترحمنى آمنه عما خاف وطلب منه المغفرة والرحمة
والثانى السلام لمنه هو الثناء الحسن كقوله سلام على نوح فى العالمين وقوله عز وجل وبركات عليك يحتمل
ان يكون جواب قوله انزلنى منزلا مباركا والبركة هى اسم كل خير لا انقطاع له واسم كل شئ لا تبعة له عليه فيه ثم قوله

بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم على قول بعض اهل التأويل ذلك السلام وتلك البركات
السلام لما سلموا من الغرق والبركات ما نالوا فى الدنيا من الخيرات والمنافع وعلى قول بعضهم السلام والبركات جميعا
فى الآخرة ثم جعل عز وجل المؤمن والكافر مشتركين فى منافع الدنيا وبركاتها وجعل منافع الآخرة وبركاتها للمؤمنين
خاصة بقوله والعاقبة للمتقين وبقوله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم قال قل هى للذين
آمنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة اشرك المؤمن والكافر فى زينة الدنيا ثم جعلها للمؤمنين خالصة يوم القيامة
فذلك قوله وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم اخبر انه يمتعهم ثم يصيبهم عذاب اليم ويمتع المؤمن ايضا فى هذه الدنيا
بانواع المنافع ثم اخبر ان العاقبة للمتقين ثم جعل العاقبة بازاء ما جعل لهم عذابا اليما اعنى الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل
وعلى امم ممن معك ولم يكن مع نوح امم يومئذ انما كانوا معه نفر لكنه اراد والله اعلم الامم التى كانوا من بعدهم كانه قال وعلى امم
يكونون من بعدك فهذا يدل ان دين الانبياء والرسل عليهم السلام دينا واحدا وان اختلفت شرايعهم لان تلك الامم لم يكونوا
بانفسهم مع نوح ولا كانوا معه فى العبادات التى كان فيها نوح دل انهم كانوا جميعا على دينه وهو واحد وعلى ذلك يخرج دعاؤه
رب اغفر لى ولوالدى الآية دعاء بالمغفرة له لكل مؤمن ومؤمنة يكونون من بعده وكذلك يلحق على كل كافر دعاؤه ولا تزد
الظالمين الا تبارا وقوله عز وجل تلك من انباء الغيب نوحيها اليك يحتمل قوله تلك اى قصة نوح من انباء الغيب غابت
عنك لم تشهدها ولم تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ان كان المراد من قوله تلك من انباء الغيب قصة نوح خاصة وانباؤه
كان يجب ان يقول هذه من انباء الغيب نوحيها اليك لكنه كانه على الاضمار اى هذه الانباء وتلك الانباء التى ذكرت فى كتبهم
وان كان المراد هذه وغيرها من الانباء يصير كانه قال هذه من تلك الانباء ويحتمل قوله تلك من انباء الغيب القصص كلها قصة
نوح وغيره من الانباء من انباء الغيب غابت عنك لم تشهدها ولا تعلمها انت ولا قومك خص قومه لان غيرهم من الاقوام
قد كانوا عرفوا تلك الانباء فيخبرونهم فيعرفون به صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة اثبات رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهم على ما اخبر اولئك الذين عرفوا تلك الانباء بكتبهم ليعلم انه انما عرف ذلك بالله ان تلك
الانباء اذ تلك الانباء كانت بغير لسانه ولم يعرف انه اختلف الى احد منهم دل انه انما عرفها بالله تعالى وقوله عز وجل
فاصبر يحتمل قوله فاصبر على تكذيبهم اياك وعلى اذاهم او اصبر على ما امرت ونهيت او اصبر على ما صبر اخوانك من قبل
كقوله كما صبر اولوا العزم من الرسل ونحوه وقوله عز وجل ان العاقبة للمتقين يشبه ان يكون قوله للمتقين الذين
اتقوا الشرك ويمكن الذين اتقوا الشرك والمعاصى كلها والاشبه ان يكون المراد اتقاء الشرك لانه ذكر بازاء قوله وامم
سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم وهو فى العقد اشبه وقال بعض اهل التأويل فى قوله اهبط بسلام من السفينة
بسلام منا فسلمه الله ومن معه من المؤمنين من الغرق وبركات عليك وعلى امم ممن معك يعنى بالبركة انهم توالدوا وكثروا
بعد ما خرجوا من السفينة وعن ابن عباس رضى الله عنه وقوله وبركات عليك وعلى امم ممن معك ممن سبق له فى علم الله البركات
والسعادة من البنين وغيرهم وقوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا هذا والله اعلم صلة قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فيقول وقد ارسلنا هودا الى عاد اخاهم ثم يحتمل قوله اخاهم الاخوة تكون على وجوه اخوة جنس يقال هذا اخو هذا يجمعهما
الباب يقال لاحدهما هذا اخو هذا ونحو احد زوجى الخف وامثاله واخوة فى النسب واخوة فى الدين كقوله انما المؤمنون اخوة
فهود لم يكن اخاهم فى الدين فهو يحتمل انه فى الجنس وفى النسب لان الناس كلهم ينسبون الى آدم فيقال بنو آدم بعد ما بينه
وبينهم فعلى ذلك يكون بعضهم لبعض اخوة مع بعد النسب الذى بينهم والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره يعبد اى الذى تعبدون ليسوا بآلهة لا يستحقون العبادة انما الاله الذى يستحق العبادة الله الذى
خلقكم وخلق لكم اشياء وقوله عز وجل ان انتم الا مفترون اى ما انتم الا مفترون لا يحتمل ان يكون هود قال لهم
هذا فى اول ما دعاهم الى التوحيد وفى اول ما ردوا اجابته وكذبوه لانهم امروا باللين القول لهم وتذكير النعمة عليهم
كقوله لموسى وهرون حيث بعثهما الى فرعون بقوله فقولا له قولا لينا الآية ولكن كانه قال لهم ذلك بعد ما سبق منه اليهم
دعاء غير مرة واقام عليهم الحجة والبراهين فردوا ما فعند ذلك قال لهم هذا حيث قالوا يا هود ما جئتنا ببينة الآية

عز وجل ان انتم الا مفترون يحتمل في تسميتهم الاصنام التي عبدوها يقول ان انتم الا مفترون في ذلك ويحتمل انه سماهم مفترون
فيما قالوا الله امرهم بذلك يقول انتم مفترون فيما ادعيتم الامر بذلك او مفترون في انكارهم البعث او الرسالة وقوله عز وجل
يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني هذا قد ذكرنا في غير موضع يقول لهم والله اعلم اي لا اسالكم على ما ادعوكم اليه
اجرا يمنعكم ثقل ذلك الاجر وغرمه عن الاجابة فما الذي يمنعكم عن الاجابة لي ويحملكم على الرد لما ادعوكم اليه ما ترغبون
فيه فكيف يمنعكم عن الاجابة والنظر فيما ادعوكم اليه افلا تعقلون اني رسول اليكم بآيات وحجج جئت بها او افلا تعقلون انها آيات
وحجج ونحوه او يقول افلا تعقلون ان الله واحد وانه رب كل شيء وخالق كل شيء ومنشيه وقوله عز وجل ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يحتمل ان يكون قوله استغفروا ربكم ثم توبوا اليه واحدا ويحتمل على التقديم والتاخير توبوا اليه ثم استغفروا
ما كان منكم من المساوي اي اقبلوا الى طاعة الله واندموا على افعالكم وقوله استغفروا ربكم معلوم انه هو لم يرد بقوله استغفروا
ان يقولوا نستغفر الله ولكن امرهم ان يطلبوا السبب الذي به يجب لهم المغفرة ويحق وهو التوحيد كانه قال وحدوا ربكم فاسوا به
ثم توبوا اليه او يقول اطلبوا المغفرة بالانتهاء عن الكفر كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله عز وجل يرسل السماء
عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم قال بعض اهل التاويل انه قد كان انقطع عنهم المطر وانقطع نسلهم فاخبرهم انهم ان تابوا الى الله
واستغفروا ربكم يرسل السماء عليكم مدرارا الاية حتى تناسلوا وتوالدوا ويحتمل قوله ويزدكم قوة اي يزدكم قوة افعالكم الى قوة
ابدانكم لانهم كانوا اهل قوة واهل بطش بقوتهم قالوا من اشد منا قوة ويحتمل على الابتداء يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم
قوة الى قوتكم فقوله ولا تتولوا مما ادعوكم فيه فتكونوا مجرمين المجرم قال ابو بكر هو الوثاب في الاثم وقيل هو المكتسب وقوله
عز وجل وقوله قالوا يا هود ما جئتنا ببينة على ما تدعونا اليه او على ما تدعي من الرسالة فعند ذلك قال لهم هود ان انتم الا مفترون
وما نحن بتاركي آلهتنا اي ما نحن بتاركي عبادة آلهتنا عن قولك اي بقولك كان لا يدعوهم هود الى ترك عبادة آلهتهم بقوله خاصة
ولكن قد دعاهم واقام على فساد ذلك الحجج والبراهين لكنهم قالوا استحننا مكابرين وما نحن لك بمؤمنين فيما تدعونا اليه وتنهانا
ان نعبد ما يعبد آباؤنا وقوله عز وجل ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قيل هو كان يسب آلهتهم ويذكرهم بالعيب فيقولون
انه يعتريك من بعض آلهتنا بسوء او يصيبونك بجنون او خبل فلا نحب ان يصيبك منها فاجتنبها سالما لذلك يخرج منهم مخرج الامتنان
اي انما انا ننهاك عن سب آلهتنا وذكر العيب فيها اشفاقا عليك لئلا يصيبك منها شيء وقال ابن عباس رضي الله عنه قالوا شتمت آلهتنا
فخبلتك واصابتك بالجنون فتاويله والله اعلم انك انما تدعونا الى ما تدعونا اليه وتدعي ما تدعي لما اصابتك آلهتنا بسوء
واعترتك الجنون كانوا يخوفونه ان تصيبه آلهتهم بسوء بتركه عبادتها على ما كانوا يرجون ويطمعون بعبادتهم اياها شفاعتهم لهم
قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون به وتعبدونه من الآلهة واشهدوا انتم ايضا باني بريء من ذلك فكيدوني
جميعا انتم وآلهتكم فيما تدعون من الهلاك والسوء ثم لا تنظرون اي ثم لا تمهلون في ذلك ويحتمل قوله فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم
يقول اعملوا انتم وآلهتكم جميعا التي تزعمون انها خبلتني واجننتني ثم لا تنظرون اي لا تمهلون وهذا من اشد آيات النبوة لانه يقول لهم
وهو بين اظهرهم وحيدا فلولا انه يقول ذلك لعلمه بقوة من الله والاعتماد له عليه والانتصار به والا ما اجترا احد ان يقول
مثل هذا بين اعدائه علم انه قال ذلك بالله تعالى وكذلك قول رسول الله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون الاية وقول نوح ثم اقضوا
الي الاية وقول شعيب يا قوم اعملوا على مكانتكم الاية وامثاله قالوا ذلك بين اظهر الاعداء ولم يكن معهم انصار ولا اعوان دل انهم
انما قالوا ذلك بالله وذلك من آيات النبوة وقوله عز وجل اني توكلت على الله اي فوضت امري اليه او وكلت في جميع عملي اليه
او وثقت به واعتمدت فيما توعدونني من الهلاك او توكلت عليه في دفع ما اوعدتموني ربي وربكم اي كيف توعدونني بآلهتكم
التي تعبدون ولا اخاف منها الذي تعلمون انه ربي وربكم اي كيف توعدوني وهو كما قال ابرهيم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون
انكم اشركتم بالله الاية وقوله عز وجل ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها يميتها متى شاء وقوله آخذ بناصيتها اي في ملكه وسلطانه
يقال فلان اخذ بحلقوم فلان وفلان في قبضة فلان ليس انه في قبضته بنفسه او آخذ بحلقوم فلان ولكن يراد انه في سلطانه
وملكه وفي قبضته ان ربي على صراط مستقيم اي على الذي امرني ربي ودعاني اليه او يكون قوله ان ربي على صراط مستقيم
اي الذي امرني ربي ودعاني اليه هو صراط مستقيم كقوله ان ربك لبالمرصاد وقال ابو عوسجة الاعتراء الاخذ يقال اعترته

الحمى اي اخذته وقال القتبي الاعتراء الاصابة يقول الا اعتراك اصابك يقال اعتريت اصبت وهو ما ذكرنا وقوله
عز وجل فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يحتمل على الاضمار اي فان تولوا عن اجابتك وطاعتك فقل قد ابلغتكم
رسالات ربي لان قوله تولوا انما هو خبر وقوله عز وجل ابلغتكم خطاب وامكن ان يكونا جميعا على الخطاب يقول فان توليتم
عن اجابتي فيما ادعوكم اليه فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم وليس علي الا تبليغ الرسالة اليكم كقوله ما على الرسول الا البلاغ
وكقوله ان عليك الا البلاغ يقول انما علي ابلاغ رسالته اليكم ليس علي جرم توليكم عن اجابتي كقوله فان تولوا فا
نما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ويستخلف ربي قوما غيركم خلفهم لانهم كانوا يقولون
من اشد منا قوة يقول والله اعلم ان قوة ابدانكم وبطشكم لا يعجز الله عن اهلاككم وفيه ان عادا ليس هم النهاية في العالم
بل يكون بعدهم قوم غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل ولا تضرونه شيئا اي لا تضرونه بتوليكم عن اجابتي
ورد رسالة الله اليكم ليس كملوك الارض اذا تولى عنهم خدمهم وحشمهم ضرهم ذلك والثاني لا تضرونه كما يضر ملوك الارض
بالقتال والحرب بعضهم بعضا والثالث لا تضرونه لانه لا منفعة له فيما يدعوكم حتى يضره ضد ذلك اذ ليس
يدعوكم الى ما يدعو للحاجة نفسه ولا المنفعة انما يامركم ويدعوكم لحاجة انفسكم والمنفعة لكم ويحتمل ان يكون لا تضرونه
شيئا جواب قوله فكيدوني جميعا الاية ان ربي على كل شيء حفيظ لا يخفى عليه شيء وان لطف فكيف يخفى عليه اعمالكم واحوالكم
مع ظهورها وبدوها او يقول ان ربي على كل شيء حفيظ فيجزيه على علمه اي لا يذهب عنه شيء ولا يفوته والله اعلم وقوله
عز وجل ولما جاء امرنا نجينا هودا قوله جاء امرنا امر تكوين لا امر يقتضي الساعة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون فعلى ذلك هذا هو امر تكوين وقد ذكرناه وقوله عز وجل نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا هذا يدل
انه من نجا انما نجا برحمة منه لا بعمله وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل احد الجنة
الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته لا على ما يقوله المعتزلة ان من نجا انما نجى
بعمله لا برحمته ثم يحتمل قوله برحمة منا وجوها يحتمل الرحمة ههنا هودا اي رحمهم به حيث بعث اليهم رسولا فنجا من اتبعه
فان كان هذا ففيه ان اهل الفترة معاقبون في حال لا انه اخبر ان من نجا انما نجا بهود فدل انهم معاقبون قبل بعث الرسل
اليهم ويحتمل قوله برحمة منا اي بتوفيق منا اياهم فنجا من نجا منهم والثالث ونجيناهم من عذاب غليظ قال بعضهم
نجيناهم من العذاب الذي اهلك هؤلاء ويحتمل ان يكون على الوعد ان ينجيهم في الاخرة من عذاب غليظ وقوله عز وجل
وتلك عاد جحدوا اي وتلك اهل قرية عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله الكفر بالآيات كفر بجميع الرسل والكفر
بواحد من الرسل كفر بالرسل جميعا وبالله التوفيق لان كل واحد من الرسل يدعو الى الايمان بالله وبجميع الرسل فالايمان بواحد
منهم ايمان بالله وبجميع الرسل والآيات والكفر بواحد من هذا كفر بالله وبجميع الرسل وانما كان الكفر بالآيات كفرا بالله
لان الله انما يعرف من جهة الآيات والكفر بالآيات كفر به وقوله عز وجل واتبعوا امر كل جبار عنيد قيل اخبر انهم اتبعوا امر
الجبابرة واطاعوهم وتركوا اتباع الرسل وطاعتهم قيل الجبار هو المتجبر الذي يتجبر على الرسل ويتكبر عليهم لان الرؤساء منهم
كانوا يتجبرون على الرسل ويتكبرون ثم الاتباع اتبعوا الرؤساء في عملهم قال ابو عوسجة الجبار هو المتجبر والعنيد هو
المعاند المخالف وقال القتبي العنود والعنيد والعاند المعارض لك بالخلاف عليك وقال ابو عبيدة العنيد والعنود
والعاند هو الجائر وقوله عز وجل واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة قال بعضهم اللعن هو العذاب اي تبعوا
في الدنيا وفي الاخرة بالعذاب كقوله الا لعنة الله على الظالمين اي عذاب الله وقوله عز وجل واتبعوا اي الحقوا وقيل
ان اللعن هو الطرد طردوا عن رحمة الله حتى لا ينالونها في الدنيا ولا في الاخرة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم
هود اي لا بعدا من رحمة الله وقوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا هو ما ذكرنا اي ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا
وقوله اخاهم قد ذكرنا ايضا ان الاخوة تتجه الى وجوه ثلاثة اخوة في الدين واخوة في الجنس واخوة في النسب فهو
لا يحتمل ان يكون اخاهم في الدين لكنه يحتمل ان يكون اخاهم من الوجهين الاخرين في الجنس والنسب وقوله عز وجل
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان الرسل جميعا صلوات الله عليهم اول ما دعوا قومهم انما دعوا الى توحيد الله

وجعل العبادة له لان غيره من العبادات انما يقوم بالتوحيد وكان اول ما دعاهم قومهم اليه لم يزل عادة الرسل
وعلمهم الدعاء الى توحيد الله والعبادة له وقوله عز وجل هو انشاكم من الارض قال بعض اهل التأويل هو انشاكم من الارض
يقول هو خلقكم من آدم وخلق آدم من الارض لكنه اضاف خلق الخلائق اليها كما اضاف في قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة
الآية اخبر انه خلقنا من نفس واحدة اي آدم وان لم تكن انفسنا فيه فعلى ذلك اضافته ايانا بالخلق من الارض وان لم يخلق انفسنا
منها اي خلق اصلنا وانشاه من الارض فاضاف انشانا اليها بانشا اصلنا ويشبه ان يكون قوله هو انشاكم من الارض اي جعل
نشا الخلائق كلهم ونماهم وحيوتهم ومعاشهم بالخارج من الارض اذ به نشاهم وحيوتهم وقوامهم منها وقوله عز وجل واستعمركم
فيها قال بعضهم اسكنكم فيها وقال بعضهم استخلفكم فيها وقال غيره قوله واستعمركم فيها اي جعلكم عمار الارض تعمرونها لمعادكم
ومعاشكم جعل عمارة هذه الارض الى الخلق هم الذين يقومون بعمارتها وبنائها وانواع الانتفاع بها ويرجع كله الى واحد
وقال بعضهم في قوله واستعمركم اي جعل عمركم طويلا وقوله عز وجل فاستغفروه ثم توبوا اليه هذا قد ذكرنا فيما تقدم
في قصة نوح اي كونوا بحال يغفر لكم وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف كانه قال فان انتهوا عن الكفر يغفر لكم
وقوله عز وجل ان ربي قريب لحفظ الخلائق او قريب لمن انعم عليهم وامثاله او قريب الى كل من يفزع اليه مجيب ٥
لدعا كل داع استجاب له كقوله واذا سالك عبادي عني الآية وكقوله واوفوا بعهدي الآية وقوله عز وجل قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا قال بعضهم قولهم قد كنت فينا مرجوا كنت ترحم
الضعفاء وتعود المرضى ونحوه من الكلام فالساعة صرت على خلاف ذلك وقال بعضهم كنت فينا مرجوا كنا نرجوا ان ترجع
الى ديننا قبل هذا الذي تدعونا اليه فالساعة صرت تشتم آلهتنا وتذكرها بعيب اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
اي ما كنا نعرف ان اباءنا عندك سفهاء من قبل هذا فالساعة تسفههم لحلامهم في عبادتهم الاصنام وانا لفي شك مما تدعونا
اليه مريب وكانوا يذكرون هذا له احتجاجا لهم عليه فيما دعاهم الى توحيد الله وعبادتهم اياه فقالوا انا على يقين
ان اباءنا قد عبدوا هذه الاصنام وانا على شك مما تدعونا اليه مريب اي يريبنا امرك ودعاؤك لنا الى هذا الدين قد قيل
هذا ولكنا لا نعلم ما كانوا يرجون فيه وما المعنى الذي قالوا له قد كنت فينا مرجوا سوى انا نعلم انه كان مرجوا فيهم
بالعقل والدين والعلم والبصيرة ونحوه فكانوا يرجوا فيهم بالاشياء التي ذكرنا هذا نعلم ولا نعلم ما عنى اولئك بقولهم
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي ان كنت على حجة وبرهان
وبيان من ربي فيما ادعوكم الى توحيد الله وصرف العبادة اليه والثاني قوله ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي قد كنت
على بينة من ربي واتاني منه رحمة يحتمل قوله رحمة اي اتاني هدى ونبوة من عنده فمن ينصرني من الله اي من يمنعني من عذاب الله
ان عصيته ورجعت الى دينكم اي لا احد ينصرني لو اجبتكم الى ما دعوتموني اليه اي لا احد ينصرني دون الله لو اجبتكم واطعتكم
فيما دعوتموني اليه ثم الذي دعوه اليه يحتمل ترك تبليغ الرسالة اليهم او دعوة الى عبادة الاصنام التي عبدوها وقوله
عز وجل فما تزيدونني غير تخسير قيل فيه بوجوه قيل فما تزيدونني بجدالكم اياي فيما تجادلونني الا خسارا وقال بعضهم
فما تزدادون بمعصيتكم اياي الا خسارا لا نفسكم وقال القتبي غير تخسير اي غير نقصان وقال ابو عوسجة غير تخسير
غير تخسير هو من الخسران يقال خسرته اي الزمته الخسران وقوله عز وجل ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل
في ارض الله وقال لهم هذا حين سالوا منه الآية فقال هذه ناقة الله لكم آية على صدق صالح فيما ادعى من الرسالة
او هذه ناقة الله لكم آية اي لكم آية التي سالتموها من الرسالة وقوله عز وجل ناقة الله اضافها اليه لخصوصية كانت
فيها نحن لا نعرف ذلك ليست تلك الخصوصية في غيرها من النوق لما جعلها آية لرسالته ونبوته خارجة عما عاينوا
من النوق وشاهدوها وهكذا كانت آيات الرسل كانت خارجة عن وسع البشر وطوقهم ليعلم انها سماوية ثم لا يعرف
اية خصوصية كانت لها اعظم جسمها وغلظ بدنها حيث قسم الشرب بينهم وبينها حتى جعل يوما لها ويوما لهم بقوله لها
شرب ولكم شرب يوم معلوم ولم يقسم مراعيها بينها وبينهم بقوله فذروها تاكل في ارض الله واما ما قال بعض
الناس انها خرجت من صخرة كذا وانها كانت تحلب كل يوم كذا واشياء آخر ذكروها فانا لا نعرف ذلك ولا نقطع القول فيه

انه كان كذلك سوى انا نعرف ان لها كانت خصوصية ليست تلك الخصوصية لغيرها من النوق ولو كانت لنا الى تلك
الخصوصية حاجة لبينها لنا واصله ما ذكرنا انه اذا اضيف جزئية الاشياء الى الله فهو على تعظيم تلك الجزئيات المضاف اليه
واذا اضيفت اليه كلية الاشياء فهو على ارادة التعظيم لله والتبجيل له نحو قوله له ملك السموات والارض وله كل شيء ونحوه
وقوله عز وجل ولا تمسوها بسوء نهاهم ان يمسوها بسوء ولم يبين ما ذلك السوء فيحتمل ان يكون ذلك شيء عرفوا منه نهاهم
عن ذلك وقال بعض اهل التاويل لا تمسوها بسوء اي لا تعقروها فياخذكم عذاب قريب لما كان ذلك على اثر عقرهم
الناقة بثلاثة ايام حيث قال فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وما ذكر ايضا
ان وجوههم اصفرت في اليوم الاول ثم احمرت في اليوم الثاني ثم اسودت في اليوم الثالث ثم نزل بهم العذاب في اليوم الرابع
فذلك ايضا مما لا نعرفه وقوله عز وجل عذاب قريب قيل سريعا لا تمهلوا حتى تعذبوا وقوله ذلك وعد من الله غير
مكذوب ليس فيه كذب وكان عذابهم انما نزل على سؤال الآية سالوا ذلك فلما ان جاءهم بها فنزل بهم العذاب
وهكذا السنة في الامم السالفة انهم اذا سالوا الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا بها نزل بهم العذاب وهو قوله وما منعنا
ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها الآية والله اعلم وقوله عز وجل
ولما جاء امرنا اي جاء ما امر به كما يقال جاء وعد ربنا اي جاء موعود ربنا لان وعده وامره لا يجيء ولكن جاء
ما امر به وما وعد به وهو العذاب او يقول جاء اي اتى وقت وقوع ما امر به ووعد وهو العذاب الذي وعد ولربه
والله اعلم نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا بنعمة منا او بفضل منا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله
عز وجل ومن خزي يومئذ قيل الخزي هو العذاب الذي يفضحهم وقيل كل عذاب فهو خزي اي نجاهم من خزي
ذلك اليوم وقوله عز وجل ان ربك هو القوي العزيز قيل القوي هو الذي لا يعجزه شيء والعزيز هو الذي يذل
من دونه وقيل القوي هو المنتقم المنتصر لاوليائه من اعدائه العزيز هو المنيع في ملكه وسلطانه الذي لا يعجزه شيء ٥
وقوله عز وجل واخذ الذين ظلموا الصيحة قيل عذابهم كان صيحة صاح بهم جبريل وقيل الصيحة الصاعقة وكل عقوبة
فهو صيحة لكن لا ندري كيف كان او ان يكون عذابهم قدر صيحة لسرعة وقوعه بهم او يسمى ذلك العذاب صيحة لما
ما يصيحون فيما بينهم او ما ذكرنا وقوله عز وجل فاصبحوا في ديارهم جاثمين قال ههنا ديارهم وقال في سورة الاعراف
دارهم والقصة واحدة قال بعضهم دارهم قراهم وديارهم منازلهم ولكن هو واحد اصبحوا جاثمين في دارهم ومنازلهم
سواء وقوله جاثمين قيل خامدين موتى واصل قوله جاثمين اي منكبين على وجوههم يقال الجثم الطاير اذا انكب على وجهه
مخافة الصيد وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل كان لم يغنوا فيها قيل كان لم يعيشوا فيها وقيل كان لم يسكنوا فيها وقيل
كان لم يعمروا فيها واصله انهم صاروا كان لم يكونوا فيها لما لا يذكرون بعد هلاكهم فصاروا من حيث لا يذكرون كان لم يكونوا
واما الاخيار والابرار فانهم وان ماتت ابدانهم وصارت كان لم تكن في الذكر كانهم احياء حيث يذكرون بعد موتهم
وقوله عز وجل الا ان ثمود كفروا ربهم قيل كفروا نعمة ربهم او كفروا بايات ربهم فذلك كله كفر بالله وقوله عز وجل
الا بعدا لثمود اي الا بعدا لثمود من رحمة الله وقوله عز وجل ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اختلفوا في هذه
البشارة قال بعضهم جاؤهم ببشارة اسحق وحافده وهو قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقال بعضهم
جاؤا ببشارة اهلاك قوم لوط واهله قيل لان لوطا كان ابن اخي ابراهيم وكان لوط فزع الى الله بسوء عمل قومه
وصنيعهم ودعا بالنجاة منهم وهو قوله اني لعملكم من القالين الآية حتى ذكر في بعض القصة ان سارة قالت لابراهيم
ضم ابن اخيك الى نفسك فان قومه يعذبون كانها عرفت انه لا يتركهم على ما هم عليه بسوء عملهم قالوا بالبشارتين
جميعا بشارة الولد والحافد وبشارة هلاك قوم لوط ونجاة لوط واهله الى هذا يذهب بعض اهل التاويل
وقوله عز وجل قالوا سلاما قال سلام هذا يدل ان السلام هو سنة الانبياء والرسل والملائكة في الدنيا
والآخرة لم تخص هذه الامة له كانت سنة الرسل الماضية والامم السالفة هو تحية اهل الجنة بقوله سلام عليكم
طبتم ونحوه هذا يدل ما ذكرنا ثم انتصاب قوله سلاما وارتفاع الثاني لان الاول نصب لوقوع القول عليه كقولك

قال قولا والثاني حكاية لقولهم وقوله عز وجل فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله فما لبث ان جاء اي ما لبث عندهم حتى
اشتغل بتقديم شيء اليهم والا قد يكون في ذبح العجل وشويه لبث الا ان يكون العجل مشويا فان لم يكن مشويا فتأويله ما ذكرنا
ان لم يلبث عندهم في المؤانسة والحديث معهم على ما يفعل مع الاضياف حتى جاء بما ذكر وفيه ما ذكرنا من الادب وفيه دلالة
فيمن نزل به ضيف ان لا يشتغل بالسؤال عن احوال ضيفه من اين والى اين وما حاجتهم ولكن يشتغل بقراهم وازاحة حاجتهم
لان ابراهيم صلوات الله عليه انما اشتغل بقراهم لم يشتغل بالسؤال عن احوالهم ولكن اشتغل بما ذكرنا فجاء بعجل حنيذ وهذا
هو الادب في الضيف الا ترى انه لو كان سأل عن احوالهم فعرف انهم من الملائكة لكان لا يشتغل بما ذكر اذ عرف انهم من الملائكة
والملائكة لا يأتون ولون شيئا من الطعام وقوله بعجل حنيذ قال بعضهم الحنيذ السمين وهو ما ذكر في موضع آخر فجاء بعجل
سمين وقال بعضهم الحنيذ هو المشوي الذي خد في الارض خدا ثم مشوي بالحجر المحمي وقال بعضهم الحنيذ هو المشوي الذي
يسيل منه الماء وقال ابن عباس هو نضيج الحنيذ النضيج وقوله عز وجل فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم قال بعضهم
نكرهم وانكرهم واستنكرهم واحد وهو من الانكار اي لم يعرفهم ظن انهم لصوص لان اللصوص من عادتهم انهم كانوا
اذا ارادوا السرقة من قوم لم يتناولوا من طعامهم ولم ياكلوا شيئا عندهم وقيل نكرهم انهم من البشر واوجس منهم
خيفة قيل اضمر منهم خيفة قال بعضهم خاف لما ظن انهم سراق ولصوص حيث لم يتناولوا شيئا مما قدم اليهم وقال بعضهم
خيفة اي وحشة اي اضمر وحشة حيث لم يتناولوا شيئا مما قرب اليهم فحينئذ علم انهم ليسوا من البشر لان منزل ابراهيم
كان بناحية من البلد ولم ينزل لاحد من البشر الا وقد احتاج الى الطعام فلما لم يتناولوا ولو علم انهم ليسوا من البشر فما جاؤوا
الا لامر عظيم لتعذيب قوم وهلاكهم فخاف لذلك فقالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وقال في موضع آخر لا تخف
وبشروه بغلام عليم وقال فما خطبكم ايها المرسلون يذكر ههنا ان قولهم انا ارسلنا على اثر سؤال وفيما نحن فيه لا كذلك
فالمعنى فيه والله اعلم ان ذلك كان على اثر سؤال ابراهيم بقوله فما خطبكم لكنه جمع ذلك فيما نحن فيه بالحكاية عن قولهم
وان كان مفصولا عنه وخرجت الحكاية في موضع آخر على ما كان في الحقيقة وذلك مستقيم في كلام العرب والله اعلم وقوله
عز وجل وامرأته قائمة فضحكت قال بعضهم قائمة على رؤس الاضياف لانها كانت عجوزة ولا بأس للعجوز ذلك الا ترى
الى قول الله تعالى والقواعد من النساء الاية وقال بعضهم قائمة من وراء الباب لكن لسنا ندري اي ذلك كان وقوله
عز وجل فضحكت قال بعضهم ضحكت تعجبا من خوف ابراهيم انهم لصوص وهم كانوا ثلاثة او اربعة دون عشرة وكان خدام
ابراهيم عليه السلام يبلغ عددهم ثلثمائة على ما ذكر في القصة ضحكت تعجبا انه كيف يخاف من نفر عددهم دون عشرة وعنده
من الخدم ما يبلغ عددهم ما ذكرنا وقال بعضهم ضحكت تعجبا مما بشروها بالولد وقد بلغ سنها ما بلغ من الكبر وهو كذلك
وقالت أألد وقد كبرت من السن كذا وقال بعضهم ضحكت اي حاضت من قولهم ضحكت الارنب اذا حاضت وهو قول
ابن عباس وعكرمة وقال لو ضحكت حاضت غير مسموع ولا معروف فعلى تأويل من قال انها ضحكت تعجبا مما بشرت بالولد
فهو على التقديم والتأخير كانه قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقال بعضهم ضحكت سرورا بالامن منهم
لانهم خافوا منهم وقوله ومن وراء اسحق يعقوب ظاهر هذا انها بشرت باسحق ومن وراء اولاد اسحق بولد يعقوب
ولكن لم يكن يعقوب وُلد من ابراهيم انما وُلد من اسحق وهو حافد ابراهيم بن اسحق فتأويله من وراء اسحق حافد فانما البشارة
بالولد وبالحافد وهم كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وقال في هذه السورة وامرأته قائمة فضحكت وقال في موضع
آخر فاقبلت امرأته في صرة فصكت فان كان على ما قالوا انها كانت قائمة وراء الباب فيكون اقبالها خروجها الى القوم ولكان
قيامها على رؤسهم فيكون معنى الاقبال هو الاقبال في ضرب وجهها وصكها لكن ذلك من القدوم لكنه على الاقبال بفعل ما اخبر
عنها من صك وجهها والله اعلم وقوله عز وجل يا ويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب هي لم تتعجب قدرته
انه قادر على ان يهب الولد في كل وقت ولكنها تعجبت لما رأت العادة في النساء والرجال انهم اذا بلغوا المبلغ الذي كانوا لم يلدوا
فتعجبت انها تلد في الحال التي هما عليها او يردان الى حال الشباب فعند ذلك يولد لهما وكلاهما عجيب بحيث الخروج على خلاف
العادة لا بحيث قدرة الرب وهو كما ذكرنا من قول زكريا انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وفي موضع آخر

وقد بلغت من الكبر عتيا وقوله اني يكون لي غلام في الحالة التي انا عليها او يرد الى شبابي فعلى ذلك قولها أألد وانا عجوز
وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب وقوله عز وجل قالوا اتعجبين من امر الله قال اهل التأويل اتعجبين من قدرة الله هذا
[illegible] وقوله رحمت الله وبركاته
عليكم يشبه ان يكون هذا صلة قوله قالوا سلاما لانه معلوم انهم لم يقولوا سلاما حسب لم يزيدوا على هذا بل زادوا فكانهم
قالوا سلام عليكم ورحمة الله وبركاته او قالوا سلام الله ورحمته وبركاته عليكم اهل البيت بالنصب كانه قال يا اهل البيت كقوله
صلى الله عليه وسلم حيث قال تركت بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي اي يا اهل بيتي انه حميد مجيد يحتمل حميدا الذي يقبل
اليسير من المعروف ويعطي الجزيل كالشكور والمجيد من المجد والشرف وقيل الحميد المحمود والمجيد الماجد وهو الكريم والله اعلم
وقوله عز وجل فلما ذهب عن ابراهيم الروع قيل الروع هو الفرق والفزع الذي دخل فيه بمجيء الملائكة وجاءته البشرى في الولد
والحافد وفي نجاة لوط واهله وهو ما ذكرنا في قوله ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى وقوله عز وجل يجادلنا في قوم لوط
قال بعض اهل التأويل مجادلته اياهم في قوم لوط ما ذكر في القصة انه قال لهم ارأيتم ان كان فيهم من المؤمنين كذا اتعذبونهم
قالوا لا ونحوه من الكلام فان ثبت هذا والا لا نعلم مجادلته اياهم وامكن ان يكون مجادلته اياهم في دفع العذاب عنهم او تأخيره
دليله قوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويحتمل مجادلته اياهم في استبقاء
قوم لوط شفقة عليهم ورحمة لعلهم يؤمنون ويقبلون ما يدعون اليه لئلا ينزل بهم العذاب ما اوعد ويستشفع اليهم
ليسألوا ربهم ان يبقيهم والله اعلم وقوله عز وجل ان ابراهيم لحليم اواه منيب قيل الحليم هو الذي لا يكافئ من ظلمه ولا يجازي
به او يحلم عن سفه كل سفيه اواه قيل الاواه الموقن بلغة الحبش وقيل الاواه المتأوه وهو الدعاء وهو كثير الدعاء وقيل
الاواه المتقي الذي لا يفتر لسانه عن ذكره وقيل الاواه المحزون فيما بينه وبين ربه جمع في هذه الاحرف الثلاثة جميع انواع الخير
والطاعة ما كان فيما بينه وبين ربه وما كان بينه وبين الخلق حيث ذكر انه حليم وانه اواه وانه منيب والمنيب قيل المخلص
وقيل هو المقبل الى الله بقلبه وبدنه وقد ذكرنا هذا في سورة التوبة وقوله عز وجل يا ابراهيم اعرض عن هذا يعني
عن المجادلة التي كان يجادلهم انه قد جاء امر ربك اي جاء ما امر به ربك وجاء موعود ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود
اي غير مدفوع لا يحتمل الرد بالشفاعة ويحتمل قوله يا ابراهيم اعرض عن هذا عن المجادلة لما التي ذكر انه قد جاء امر ربك
بالانصراف والرجوع عنك ويحتمل جاء امر ربك من انزال العذاب بهم وقوله عز وجل ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
قوله سيء بهم قيل اي ساءه مجيئهم ومكانهم وكرههم لصنيع قومه بالغرباء مخافة ان يفضحوهم وضاق بهم ذرعا اي لم يدر
كيف يصنع بهم وكيف يحتال ليدفع عن ضيفه سوء قومه والذرع قيل هو المقدرة والقوة اي ضاق مقدرته وقوته
وقال هذا يوم عصيب قيل قطيع شديد لانه يوم يهتك الاستار ويفضح الرجال وفيه دليل جواز الاجتهاد لانه قال
يوم عصيب قطيع فبعد لم يظهر له شدته لكنه قال اجتهادا والله اعلم ثم قوله ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم
ذرعا يحتمل ان يكون قوله سيء بهم وضاق بهم ذرعا بسوء صنيع قومه باضيافه الحرفان جميعا ينصرف الى لوط لمكان
قومه او لمكان اضيافه او يكون احد الحرفين لمكان ضيفه والآخر لمكان ضيفه وما ينزل بقومه والله اعلم وقوله
عز وجل وجاءه قومه يهرعون اليه قال بعضهم يسرعون اليه وقال بعضهم يهرعون اليه اي يهرولون اليه وهو
سير بين السعي وبين المشي بين بين وقال بعضهم قوله يهرعون اليه من الروع اي فزعين اليه والله اعلم وقوله
عز وجل ومن قبل كانوا يعملون السيئات هذا يحتمل وجهين قوله من قبل ان يبعث لوط رسولا اليهم كانوا يعملون السيئات
ويحتمل قوله من قبل اي من قبل نزول الاضياف بلوط كانوا يعملون السيئات والسيئات تحتمل الشرك وغيره
من الفواحش التي كانوا يرتكبونها والله اعلم وقوله قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم اختلف في قوله بناتي قال بعضهم
اراد بنات قومه لان الرسل هم كالآباء لاولاد قومهم ينسبون اليهم الا ترى الى قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وهو اب لهم مما ازواجه امهاتهم والنبي اب لهم فعلى ذلك يحتمل
قول لوط هؤلاء بناتي اراد بنات قومه فنسبهن الى نفسه لما ذكرنا انه كالاب لهم ثم يحتمل معنى جعل النبي لاولاد قومه

كالاب وازواجه كالام وجهين احدهما نسبوا اليه للشفقة هو اشفق بهم من الاب والام او لحق التربية وتعليم الدين
كالاب لهم فهو اولى بهم من انفسهم لهذين الوجهين وقال بعضهم اراد بنات نفسه ثم اختلف فيه قال بعضهم كان
ذلك منه تعريضهم للنكاح يقول هولاء بناتى هن اطهر لكم نكاحا ان كنتم قابلين للايمان ومنهم من قال هو تعريض منه
لما هو زنا عندهم لانه عرض ذلك عند نفسه وهذا كما يقولون ان من اكره على ان يشتم محمدا صلى الله عليه وسلم فلا بأس
بان يشتم ويقصد بشتمه محمدا آخر يحل له شتمه وان كان عند المكره انه يشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان لخطر
الشاتم فى قلبه غيره وكذلك اذا كره على ان يشتم الله فيقصد بالشتم شتم آلهتهم وان كان عندهم انه انما يشتم الهه
الذى يعبده فعلى ذلك يحتمل قول لوط هن اطهر لكم تعريض زنا عندهم وان كان عنده انه ليس لذلك يقصد وقال
قايلون قال هذا ليريهم قبح الفعل الذى كانوا يقصدون باضيافه لان الزنا كان عندهم محرم فعرض عليهم بناته
ليعرفوا قبح ذلك الفعل حيث احتمل قلبه فى بناته ولم يحتمل فى اضيافه فيمتنعوا عن ذلك او يحتمل ان يكون قال ذلك وان كان
كلاهما لا يحلان لكن احدهما ايسر واهون ويجوز الجمع بين شرين فيقال هذا اطهر واحل من هذا وهذا ايسر من هذا واهون
وان كان كلاهما شرين قال الزنا وان كان حراما فذلك مما يحل وادبار الرجال لا يحل بحال وقال بعضهم انهم كانوا يخطبون
بناته وكان ابى ان يزوجهن منهم لما لم يكونوا كفوا لهن ثم عرض عليهم فى ذلك الوقت ليعلموا قبح ذلك الفعل الذى قصدوا
باضيافه او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى وقال فى موضع آخر فلا تفضحون
فى ضيفى ليعلم ان الاخزاء هو الفضيحة هذا يدل ان الخزى هو الذى يفتضح من نزل به وقوله عز وجل اليس
منكم رجل رشيد قال بعضهم هم ان يزوج بعض بناته من يصدر لرأيه فيمنعهم عنهم كانه يقول اليس منكم من يرشد
ويصدر لرأيه وقوله عز وجل اليس منكم رجل رشيد اى اليس منكم رجل يقبل الموعظة ويرشدكم ويعظكم او يقول اليس
اى ليس منكم رجل رشيد على النهى فيمنعهم عما يريدون ويقصدون وقوله عز وجل لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق
على التاويلين اللذين ذكرناهما ليكون الحق حق النكاح او حق الاستمتاع وفى بعض التاويلات من حق حاجة وبذلك يقول
عامة اهل التاويل ما لنا فى بناتك من حق اى من حاجة وانك لتعلم ما نريد يعنون الاضياف قال لو ان لى بكم قوة اى قوة
فى نفسى او آوى الى ركن شديد قيل عشيرته والركن الشديد عند العرب العشيرة يقول لو ان لى بكم قوة فى نفسى او عشيرة
لقاتلتكم فيه دلالة ان من راى آخر على فاحشة فله ان يقاتله وقوله عز وجل ما لنا فى بناتك من حق تاويله والله اعلم
انك تعلم انه ليس لنا فى بناتك من حق كما ليس لنا فى اضيافك حق فكيف تمنعنا عنهم وتعرض علينا بناتك فنحن فيما ليس لنا
فيهن حق كاولئك والله اعلم قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك قيل قالوا ذلك للوط لن يصلوا اليك لما طمس
اعينهم وهو كقوله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابى ونذر وقال قايلون قالوا ذلك
للوط حين طمس اعينهم ان ضيفك سحروا ابصارنا فستعلم غدا ما تلقى انت واهلك فقالوا عند ذلك لن يصلوا اليك
بسوء غدا بانهم يهلكون ودل قوله لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد على انهم قد هموا لوطا واوعدوه حتى قال
ما قال الا ترى ان الملائكة قالوا له انهم لن يصلوا اليك فهذا على ما ذكرنا وقوله عز وجل فاسر باهلك بقطع من الليل
قيل قطع من الليل آخره وهو وقت السحر وقيل هو ثلث الليل او ربعه من آخره وهو واحد والله اعلم وقوله عز وجل
ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك قيل لا يتخلف احد منكم الا امرأتك فانها تتخلف ويصيبها ما اصاب اولئك وقال
بعضهم ولا يلتفت من الالتفات والنظر وقيل لا يترك احد منكم متابعتك الا امرأتك فانها لا تتبعك فيصيبها ما اصاب
اولئك وقوله عز وجل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك يحتمل النهى عن الالتفات كانه يقول لا يلتفت احد ويحتمل الخبر
كانه يقول لا يلتفت منكم احد الا من ذكر وهو زوجته فذلك علامة لخلافها له وقوله عز وجل ان موعدهم الصبح
فقالوا اليس الصبح بقريب كان لوطا استبطأ الصبح لعذابهم فقالوا اليس الصبح بقريب هذا من لوط لا يحتمل ان يكون قال
ذلك وهو بين اظهرهم ويعلم ان قراه يقلب اعلاها واسفلها اعلاها ولكن قال والله اعلم بعد ما اخرجوه واهله
من بين اظهرهم فعند ذلك قال ما قال واستبطأ وقت نزول العذاب بهم والله اعلم وقوله عز وجل فلما جاء امرنا

يحتمل

يحتمل جاء الامر بالمراد بامرنا او امره هو جعله عاليها سافلها ثم قال اهل التاويل قوله جعلنا عاليها سافلها
ادخل جبريل جناحه تحت قريات لوط فرفعها الى السماء ثم قلبها فجعل ما هو اعلاها اسفلها فهوت الى الارض فذلك قوله
والمؤتفكة اهوى قيل اهوى بها جبريل من السماء الى الارض ويمكن ان يكون اذا اهلكهم جعلهم تحت الارض فذلك جعل اعلاها
اسفلها لكن اهل التاويل اجمعوا على ما ذكرنا ولجوا على ذلك وقال بعضهم قلبت القرى وجعل اعلاها اسفلها على ما ذكرنا وارسل
الحجارة على من كان غايبا عنها وقوله عز وجل وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال بعضهم امطر الحجارة عليها ثم قلبها جبريل
وقال بعضهم امطر عليها الحجارة بعد ما قلبها جبريل ليشوبها وكل واحد منهم كان غايبا عن بلده جاءت حجارة مكتوب
عليها اسمه فقتله حيث كان والله اعلم وقوله عز وجل من سجيل قال بعضهم السجيل هو اسم المكان الذى منه رفع
الحجر الذى امطر وقال بعضهم هو طين مطبوخ كالآجر وعن ابن عباس رضى الله عنه قال سنك وكل منضود نضد الحجر
بالطين والصق بعضه ببعض مسومة قيل معلمة مخططة بسواد وحمرة وقال بعضهم مسومة اى مكتوب عليها اسم صاحبها
وقوله عز وجل وما هى من الظالمين ببعيد قال بعضهم ما هى من ظلمة قوم لوط ببعيد وقال بعضهم ما هى من ظالمى
اهل مكة وحواليهم ببعيد اى عذاب الله ليس ببعيد يعذبهم ان شاء ويحتمل قوله وما هى من الظالمين ببعيد اى تلك القرى
والامكنة التى اهلك اهلها ليست ببعيدة من مشركى اهل مكة وهو ما ذكر وانكم لتمرون عليهم مصبحين الآية
وفيه تذكير منه على هذه الامة حيث لم يجعل عذابهم عذاب استيصال بحيث لا يملكون العود عنه والرجوع ولكن جعل
عذابهم بحيث لو ارادوا الرجوع عنه وملكوا والله اعلم وقوله عز وجل والى مدين اى الى مدين ارسلنا اخاهم شعيبا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هذا قد ذكرنا فيما تقدم ان كل نبى اول ما دعا قومه انما دعا الى توحيد الله وجعل العبادة له
وفى قوله اخاهم شعيبا وما ذكر فى غيره من الاخوة دلالة على ان الرسل من قبل كانوا من البشر من جنس قومهم لا من الملائكة
حيث قال اخاهم شعيبا ومعلوم انهم لم يكونوا اخوة لهم فى الدين وفيه ان الاخوة لا توجب فضيلة المواخاة لانه ذكر
ان الرسل اخوة اولئك الاقوام وهم كفرة وذلك يرد قول الروافض فى تفضيل على على ابى بكر بالمواخاة التى كانت بين رسول الله
وبين على ولان الخلة توجب الفضيلة وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو اتخذت سوى ربى خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا وقوله عز وجل ولا تنقصوا المكيال والميزان ذكر انهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ولا يوفون للناس
حقوقهم فنهاهم عن ذلك فهو والله اعلم لوجهين احدهما انهم انما نهوا عن ذلك لحق الربا لان النقصان اذا كان برضا
من صاحبه يجوز فدل انه انما نهاهم لحق الربا وفيهما يجرى الربا والثانى فيه ان هبة المشترى للبايع وتقلبه فيه
قبل قبضه على قيام البيع فيما بينهم غير جايز والله اعلم وقوله عز وجل انى اراكم بخير قيل فى سعة من المال وقيل فى رخص
من السعر وانما يحمل المرء على النقصان والظلم على تحرز الشئ وضيق الحال فكيف تنقصون انتم فى حال السعة ورخص السعر
او يقول انى اراكم بخير فى غير هذا فلا تظلموا الناس فى هذا ولا تبخسوا حقوقهم وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط اى يوم
يحيط بهم العذاب ان كانت الاحاطة مضافة الى اليوم فهو محيط بالكل وان كانت الاحاطة مضافة الى العذاب فهو محيط
بالكفرة خاصة وهو والله اعلم انه ما منجا رحمة من ظاهره وباطنه الا وقد يصيبها العذاب ويحيط بها ليس كعذاب الدنيا
يأخذ جزءا دون جزء بل يحيط به النهى بتخصيص نقصان الكيل والميزان لا يدل على ان لم يكن فيهم من المآثم والاجرام سوى
ذلك لكنه خص هذا لما كان الظاهر فيهم نقصان الكيل والوزن فذكر ذلك وهو ما خص قوم لوط بقوله اتاتون الذكران
من العالمين وانكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها الآية ذكر هذا وخصهم ليس على انهم لم يكونوا ياتون من الفواحش غيرها
لكن خص هذا لان الظاهر فيهم هذا فعلى ذلك نقصان الكيل والميزان فى قوم شعيب والله اعلم وقوله عز وجل ويا قوم
اوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم خص المكيال والميزان لما كانوا يطففون المكيال وينقصون
الميزان رغبة فيهما وفيهما يجرى الربا لما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيه دلالة ان المشترى يملك
المبيع قبل ان يقبضه لانه قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم اضاف الى الناس اشياءهم فلو كان لا يملك لم يكن اشياء الناس
انما كان اشياء البايع فانما نقص ماله ولا تعثوا فى الارض مفسدين وهو ما ذكر فى موضع آخر ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها

وقوله عز وجل بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين قال بعضهم ما ابقى الله لكم من ثوابه في الآخرة خير لكم ان كنتم آمنتم به
واطعتموه مما تجمعون من الاموال وقال بعضهم بقيت الله خير لكم اي ما جعل الله لكم مما يحل خير لكم مما يحرم عليكم من نقصان
الكيل والوزن اذ كنتم مؤمنين بالحلال او بالآخرة وقال بعضهم طاعة الله وهو ما يامركم به ويدعوكم اليه خير لكم مما تفعلون
وقال الحسن رض قال الله خير لكم من بخسكم الناس حقوقهم لكن هذا يرجع الى ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وما انا عليكم بحفيظ
يحتمل ما انا عليكم بحفيظ اي لست اشهد وابايعكم واشريكم حتى اعلم بخسكم الناس المكيال والميزان لكن انما اعرف ذلك بالله
وفيه دلالة اثبات رسالته والثاني ما انا عليكم بحفيظ اي بمسلط عليكم انما ابلغ اليكم كقوله ما على الرسول الا البلاغ وقوله
عز وجل قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء قال بعض اهل التاويل
صلواتك اي قراءتك تامرك هذا وقال ابن عباس قالوا ذلك له لان شعيبا كان يكثر الصلوة كان يخرج على الاضمار يقولون
اصلوتك تامرك بان تامرنا بترك عبادة ما عبد آباؤنا وقوله صلوتك وصلواتك يحتمل ان يكون له صلوات معروفة
يفعلها فيقولون اصلواتك التي تفعلها تامرك ان نترك كذا ام صلوة واحدة تكثرها فقالوا ذلك تخصيص الصلوة
من بين غيرها من الطاعات لما لعلها كانت من اظهر طاعاته عندهم فقالوا له هذا ثم يحتمل وجهين احدهما كانهم
قالوا اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل كذا على التسفيه له والتجهيل لكن يوبخ آخر ويسفهه يقول
اعقلك يامرك بذلك او ايمانك يامرك بهذا كقوله قل بئسما يامركم به ايمانكم ونحوه من الكلام يخرج على التسفيه له والتجهيل
والثاني يقال ذلك على الانكار ويقول الرجل لآخر ايمانك يامرك بذلك او عقلك يامرك بهذا اي لا يامرك بذلك فعلى ذلك
يحتمل قوله هؤلاء اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء اي لا يامرك بذلك هذا
اذ كانت الصلوة التي ذكروها مرضية عندهم فان لم تكن مرضية فالتاويل هو الاول وقوله عز وجل اصلوتك تامرك
حبب اليهم تقليدا باتهم في عبادة الاصنام واتباعهم آباءهم والاموال التي كانت لهم فمنعهم هذا عن النظر في الحجج
والآيات لما حبب اليهم ذلك وهكذا لجميع الكفرة انما منعهم عن النظر في آيات الله والتامل في حججه احد هذه الوجوه
التي ذكرنا حب النفاق ودوام الرياسات والميل الى الشهوات ظنوا انهم لو اتبعوا رسل الله واجابوهم الى ما دعوهم اليه
لذهب عنهم ذلك ثم وقوله او ان نفعل في اموالنا ما نشاء يحتمل قضاء جميع الشهوات ويحتمل ما ذكر من نقصان المكيال
والميزان يقولون اموالنا لنا ليس لاحد فيها حق نفعل فيها ما نشاء وقال بعضهم قوله او ان نفعل الالف صلة
وان نفعل في اموالنا ما نشاء وقوله عز وجل انك لانت الحليم الرشيد قال اهل التاويل قالوا ذلك له استهزاء به
ويحتمل يكنوا بالحليم عن السفيه وبالرشيد عن الضال اي انت السفيه حيث سفهت آباءك في عبادتهم الاصنام الضال
حيث تركت ملتهم ومذهبهم وقال بعضهم على النفي والانكار اي ما انت الحليم الرشيد ويشبه ان يكون على حقيقة الوصف
له بالحلم والرشد لانهم لم ياخذوا عليه كذبا قط ولا رأوا على خلاف ولا على سفاهة قط وقالوا انك لانت الحليم الرشيد
اي كنت هكذا فكيف تركت ذلك وهو ما قال قوم صالح لصالح حيث قالوا فقد كنت فينا مرجوا وقوله عز وجل قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي على بيان وحجج وبرهان من ربي على ما ذكرنا فيما تقدم اي تعلمون اني كنت
على بيان من ربي وحجج ورزقني منه رزقا حسنا يحتمل هذا منه مكان ما قال اولئك الانبياء وآتاني رحمة من عنده
اي قال هود ورزقني منه رزقا حسنا الدين والهدى او النبوة على ما ذكرنا وامكن ان يكون الرزق الحسن هو الاموال
الحلال الطيبة التي لا تبعة عليه فقال ذلك وما رزق اولئك عليهم تبعة في ذلك لانهم اكتسبوها من وجه لا يحل وقوله
عز وجل وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه من الناس من يقول قال لهم ذلك بازاء ما قالوا فيما ذكر في الاعراف لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا يقول ادعوكم الى الايمان بالله والتوحيد له وانهاكم عن الكفر به
ثم ارتكب ما انهاكم عنه واترك ما ادعوكم اليه وقال قتادة لم اكن انهاكم عن امر واركبه وهو واحد ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت اي ما اريد الا الاصلاح لكم ما استطعت وفيه دلالة ان الاستطاعة تكون مع الفعل لا يخلو اما ان يكون اراد
استطاعة الارادة او استطاعة الفعل فكيف ما كان فقد اخبر انه يريد لهم من الصلاح ما استطاع ففيه ما ذكرنا

فقالوا

وهو نقض على المعتزلة مذهبهم لانهم يقولون الاستطاعة تتقدم على الفعل وهي لا تبقى وقت الفعل فيصير
على قولهم ارادة الصلاح لهم بما عدم من الاستطاعة وقوله عز وجل وما توفيقي الا بالله قال بعضهم التوفيق
هو صفة كل مطيع والخذلان هو صفة كل عاص وقال بعضهم التوفيق هو ما يوفق بين قوله وفعله في الطاعة
والخذلان ما يفرق بين قوله وفعله في المعصية وقال الحسين النجار التوفيق هو قدرة كل خير وطاعة والخذلان
هو قدرة كل شر ومعصية وعندنا التوفيق هو ان يوفق بين عمل الخير والاستطاعة والخذلان هو ان يفرق
بين عمل الخير والاستطاعة او ان يقول هو ان يوفق بين عمل الشر والاستطاعة وهما واحد وقوله عز وجل عليه توكلت
اي عليه اعتمدت في جميع امري واليه وكلت واليه انيب اي ارجع او يقول اليه اقبل بالطاعة وقوله عز وجل
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح بالغرق وقوم هود بالريح الصرصر وقوم صالح بالصيحة
على ما ذكر قال بعضهم لا يجرمنكم اي لا يحملنكم شقاقي قيل خلافي ان يصيبكم مثل ما اصاب اولئك وقال بعضهم قوله
لا يجرمنكم اي لا يؤثمنكم شقاقي اي عداوتي ان يصيبكم مثل ما اصاب اولئك وقيل لا يجرمنكم لا يكسبنكم عداوتي
وقال الحسن شقاقي ضراري لكن كله يرجع الى معنى واحد لانه اذا ثبتت العداوة ثبتت المخالفة والبغض والضرر
فكل ما ذكر وانه واحد واصل الجرم الاثم والكسب ثم يخرج انذاره اياهم بمن هلك من الامم على وجهين احدهما
ان قوم شعيب قوم لا يؤمنون بالبعث وبالقيامة فلينذرهم بمن هلك من الامم السالفة لانه لو كان ينذرهم
بالبعث لكان لا ينجع فيهم لانهم لا يؤمنون والثاني انذرهم باولئك لانهم كانوا يقلدون آباءهم في عبادة
الاوثان ويتبعونهم فيقول انكم تقلدون آباءكم وتتبعونهم في عبادة الاوثان فاتبعوهم ايضا بما بلغوا اليكم ما
من هلاك اولئك بعبادتهم الاوثان وتكذيبهم الرسل فاذا قلدتموهم في ذلك فهلا تقلدونهم وتتبعونهم فيما اصابهم
بما اصابهم او يقول لهم انكم تقلدون آباءكم الذين عبدوا الاوثان وقد هلكوا فهلا تقلدون من لم يعبد منهم
ونجا وقد عرفتم ان من هلك منهم بم هلك ومن نجا منهم بم نجا والله اعلم وقوله عز وجل وما قوم لوط منكم ببعيد
اي ان نسيتم من مضى منهم فلا تنسون ما نزل بقوم لوط وليس هم ببعيد منكم وقوله عز وجل واستغفروا ربكم
اي اطلبوا من ربكم المغفرة اي اطلبوا السبب الذي يقع لكم المغفرة من ربكم وهو التوحيد ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه
ولا تعودوا الى ما كنتم من قبل وقوله عز وجل ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه رجوعا حتى لا تعودوا الى مثل صنيعكم
ابدا ان ربي رحيم يرحم من تاب اليه والله يرحمه ودود يحتمل وجهين احدهما ودود اي حق ان يود لانه منه كل شيء وكل احسان
والناس جبلوا على حب من احسن اليهم والثاني ودود لمن توسل اليه وتقرب وقوله عز وجل قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا
مما تقول قوله ما نفقه يحتمل ما نفهم وما نعقل كثيرا مما تقول كانهم يقولون ذلك على الاستهزاء والهزء به كانهم نسبوه
الى الجنون يقولون لا نفهم مما تقول لان كلامك كلام مجانين وهذه هي عادة القوم كانوا ينسبون الرسل الى الجنون ويحتمل
ما نفقه ما نقبل كثيرا مما تقول فان كان على الفهم فهو كقوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وهم
كانوا فريقين فريق كانوا يقولون قلوبنا اوعية للعلم كقولهم قلوبنا غلف فان كان ما تقول حقا نفهم ونعقل كما نعقل
غيره وفريق قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر كانوا يعقلون انهم لا يفهمون ولا يفقهون لان قلوبهم
في اكنة وفي آذانهم وقر والفريق الاول يقولون ان قلوبنا اوعية للعلم فلو كان حقا لنعقل كما عقلنا غيره فهؤلاء
كانوا يصرفون العيب الى الرسول واولئك الى انفسهم فعلى ذلك قوم شعيب يحتمل ان يكونوا كذلك والله اعلم وقوله
عز وجل وانا لنراك فينا ضعيفا يحتمل هذا وجهين احدهما اي انك لست من كبرائنا واجلتنا انما انت من وساطنا
وعلى ذلك الانبياء انما بعثوا من اوساط الناس لا من كبرائهم في امر الدنيا فالقوي والعزيز عند اولئك القوم من عنده الدنيا
والمال واما من لم يكن عنده المال فهو عندهم ضعيف ذليل لانهم لا يعرفون الدين ولا يؤمنون بالآخرة لذلك
قالوا ما قالوا والثاني لست انت بذي قوة وبطش في نفسك وقد ذكر انه كان ضعيفا في بصره ونفسه يحتمل وصفهم
بالضعف لهذين الوجهين والله اعلم وقوله عز وجل ولولا رهطك اي قبيلتك وقيل عشيرتك لرجمناك الرجم

يحتمل القتل ويحتمل اللعن والشتم ثم يحتمل قوله لولا رهطك لرجمناك وجهين احدهما لولا رهطك اى لولا حرمة
رهطك والالرجمناك كانهم كانوا ليحترمون لموافقة رهطه اياهم فى العبادة اعنى عبادة الاوثان وعلى ما هم عليه
والثانى لولا رهطك لرجمناك خوفا منهم لما ذكر انه كان كثير العشيرة والقبيلة كانوا يخافون عشيرته فلم يؤذوه والله اعلم
وقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز اى ما انت من اجلتنا وكبرائنا انما انت من اوساطنا او ما انت علينا بعزيز
لان العزيز عندهم من كان عنده المال والدنيا لايعرفون العز فى غير ذلك ولم يكن عند شعيب الدنيا لذلك
نسبوه الى ما ذكر او انت ذليل عندنا لست بعزيز فيكون صلة قوله وانا لنراك فينا ضعيفا والله اعلم وقوله عز وجل
قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله هذا يخرج على وجهين يحتمل يا قوم ارهطى اعظم حقا عليكم من الله واكثر حرمة
حتى تركتم ما اوعدتمونى من النقمة لحقهم وحرمتهم والثانى قوله يا قوم ارهطى اعز عليكم اى رهطى اشد خوفا عليكم
واكثر نكاية من الله لانا قلنا فى قوله ولولا رهطك لرجمناك انه يخرج على وجهين احدهما على الاحترام لرهطه لموافقتهم
اياهم فى جميع ما هم عليه والمساعدة لهم والثانى على الخوف والنكاية لقوتهم وكثرتهم وفضل بطشهم تركوا
ما اوعدوا له خوفا من رهطه فقال خوفكم من رهطى اشد واكثر عليكم من الخوف من الله وقد بلغكم من نكاية الله
ونقمته فيما حل بالامم الماضية او حرمة رهطى عندكم وحقهم اعظم من حق الله وحرمته وقد تعلمون احسانه اليكم ونعمه
عليكم وقوله عز وجل واتخذتموه وراءكم ظهريا قال بعضهم قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا قال بعضهم
قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا اى حملتموه على ظهركم وحملهم اياه على ظهرهم اخطاطهم اياه قال تقول العرب فلان حمل
الناس على ظهره اى عظمهم على نفسه ولكن لا ندرى يقال هذا ام لا فان قيل هذا فهو محتمل ما قال وهو قول ابى بكر الاصم
وقال غيره من اهل التاويل قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا اى نبذتم الله وراء ظهركم اى نبذتم حق الله وامره وكتابه الذى
انزل اليكم وراء ظهركم لا تعملون به ولا تكترثون اليه هو كالمنبوذ وراء ظهركم هذا على التمثيل اى جعلوا امر الله
ودينه الذى دعوا اليه كالمنبوذ وراء ظهورهم لا ينظرون اليه ولا يكترثون وهو ما ذكر فى قوله نكص على عقبيه
وقوله انقلبتم على اعقابكم على التمثيل اى الذى انتم عليه فى القبح كالانقلاب على الاعقاب ان ربى بما تعملون محيط هذا
يخرج على وجهين ايضا اى ان ربى بما تعملون من الاعمال الخبيثة محيط فيجزيكم بها او يقول ان ربى بما تعملون من الكيد برسول الله
والمكر به محيط فيفضح عليكم وقوله عز وجل ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل هذا يخرج على وجهين احدهما ان كونوا
على دينكم الذى انتم عليه وانا اكون على دينى كقوله لكم دينكم ولى دين لان قوم شعيب قالوا لشعيب لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا فقال لهم عند ذلك وهذا انما يقال عند الاياس عن ايمانهم كقوله لا حجة بيننا
وبينكم وامثاله والثانى قوله اعملوا على مكانتكم انى عامل اى اعملوا فى كيدى والمكر فى هلاكى انى عامل ذلك بكم وهو كما قال غيره
من الرسل فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون وقوله فانتظروا انى معكم من المنتظرين ونحوه وقوله عز وجل سوف تعلمون فى العاقبة
وعيد من ياتيه عذاب يخزيه اوسوف تعلمون فى العاقبة من ياتينا عذاب يخزيه نحن او انتم ومن هو كاذب وتعلمون ايضا
فى العاقبة من الكاذب منا نحن او انتم لان كل واحد من الفريقين تدعى على الفريق الاخر الكذب والافتراء على الله فيقول
سوف تعلمون فى العاقبة الكاذب منا والمفترى على الله والصادق عليه وارتقبوا انى معكم رقيب ارتقبوا هلاكى وانا ارتقب
هلاككم اوارتقبوا لمن العاقبة منا لنا او لكم انى معكم رقيب والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين
آمنوا معه برحمة منا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل الصيحة صيحة جبريل اى هلكوا
بصيحته وقال بعضهم الصيحة اسم كل عذاب وكذلك الرجفة سمى العذاب باسماء مختلفة مرة صاعقة ومرة صيحة ومرة رجفة
وقوله عز وجل فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود هذا ايضا قد ذكرنا فيما تقدم
قال بعض اهل التاويل قوله الا بعدا لمدين فى الهلاك كما بعدت ثمود كما اهلكت ثمود لان كل واحد منهما اهلك بالصيحة
فمن ثم اختص ذكر ثمود من بين الامم وعن ابن عباس رضى الله عنه لم يعذب بعذاب واحد الا قوم شعيب وصالح ه
فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب من فوقهم قال فنشات لهم سحابة فيها عذابهم فلم يعلموا كهيئة الظلمة

فهاديع فلما راوها اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فسال عليهم العذاب من فوقهم فذلك قوله فاخذهم عذاب
يوم الظلة وقوله الا بعدا لمدين من رحمة الله كما بعدت ثمود من رحمته ويحتمل الهلاك الذى ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين وهى الحجج يحتمل قوله باياتنا وسلطان مبين واحد على التكرار فان كانت الايات
هى الاوامر والنواهى وما يؤتى وما يتقى فقوله وسلطان مبين هى الحجج والبراهين على ذلك وقوله عز وجل الى فرعون وملائه
قد ذكرنا ان الملأ اسم لشيئين اسم للجماعة واسم للاجلة والاشراف وهو كان مبعوثا الى الاشراف من قومه والى الجماعة
جميعا خص بعثه الى فرعون وملائه وان كان مبعوثا الى الكل لما العرف فى الملوك انهم انما يخاطبون الكبراء منهم والاشراف
وان كان المقصود من الخطاب الكل وقوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد قال بعضهم هو ما ذكر
فى حم المؤمن حيث قال لهم يا قوم ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فاطاعوا فرعون فى قوله يقول الله وما امر
فرعون برشيد اى يهديهم ويقولون الامر الذى عليه فرعون برشيد بل هو ضلال ولكن عندنا انهم اطاعوا فرعون فى جميع
امره ونهيه فى عبادة الاصنام وغيره وهو ما ذكر فاستخف قومه فاطاعوه وقوله عز وجل وما امر فرعون برشيد
اى ليس بهدى بل كان امره ضلالا حيث كان هو ضالا مضلا وقوله عز وجل يقدم قومه يوم القيامة قال بعضهم
اى صار قدامهم وقال بعضهم يقدم اى يقود قومه الى النار حتى لا يوردهم النار ويحتمل قوله يقدم قومه اى يكون
اماما لهم فى الاخرة يتبعون اثره كما كان امامهم فى الدنيا فاتبعوه كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم وكقوله وجعلناهم
ايمة يدعون الى النار لحيراتهم يكونون ايمة لهم فى الاخرة ويشبه ان يكون قوله فاوردهم النار اى دعاهم فى الدنيا
وامرهم بامور تورد هم النار تلك الاعمال كقوله فما اصبرهم على النار اى ما اصبرهم على عمل اهل النار وقال بعضهم
يتبعونه حتى يدخلهم النار وقوله عز وجل وبئس الورد المورود قال بعضهم بئس المدخل المدخول والورد هو الدخول
والمورود المدخول سمى الجزاء باسم سببه قال ابن عباس رضى الله عنه جميع ما ذكر فى القران من الورود فهو دخول لقوله
قوله بئس الورد المورود وقوله وان منكم الا واردها وقوله وانتم لها واردون ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال والله
ليردنها كل بر وفاجر ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقوله عز وجل واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة
يحتمل اللعنة فى الدنيا العذاب الذى نزل بهم ويحتمل لعن الخلايق ايضا من راهم يلعنهم من ذكرهم وفى الاخرة يحتمل الوجهين
جميعا يحتمل يعذبون فى الاخرة ايضا كما عذبوا فى الدنيا ويحتمل لعن الخلق ايضا من راهم لعنهم الله واللعن هو الطرد فى اللغة
طردوا عن رحمة الله ولم يرحموا فى عذاب الدنيا ولا يرحمون فى عذاب الاخرة وقوله عز وجل بئس الرفد المرفود عن ابن عباس
بئس الرفد المرفود يقول لعنة الدنيا والاخرة وقال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله لعنة الدنيا ولعنة الاخرة ولكن على تاويلهم
يجب ان يقال الردف من الترادف وقال بعضهم الرفد العون وهو قول القتبى وقال القتبى الرفد العطية والمرفود المعطى
يقال رفدته اذا اعطيته واعنته كما يقال بئس العطاء المعطى وكذلك قال ابو عوسجة بئس ما اعطوا واعينوا وبئس المعطى
والله اعلم وقوله عز وجل ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد قوله ذلك من انباء القرى ذلك ما سبق
من ذكر القرى والقرون فى هذه السورة من انباء الغيب نقصه عليك ليعلم بها رسالتك ولتكون اية لنبوتك
لانك لم تشاهدها ولا اختلفت الى احد منهم فتعلمت ولا كانت الكتب بلسانك فيقولون نظرت فيها فاخذت ذلك منها
ثم انبات على ما كان وقصصت عليهم ليعلم انك انما عرفت بالله فتكون اية لرسالتك وقوله منها قائم وحصيد
قال بعض اهل التاويل منها قائم ترى مكانها وتنظر اليها ومنها حصيد لا ترى له اثرا ولا مكانا وقال بعضهم قائم
اى خاوية على عروشها وحصيد مستاصلة وعن الحسن قال منها قائم وما حصد الله اكثر اى وما اهلك الله من القرى
اكثر واصله عندنا منها قائم نحو قرى عاد وثمود ومدين اهلك اهلها وبقيت القرى لا اهل الاسلام لانه يقول فى قرى
عاد فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم الاية ومنها حصيد ما اهلك اهلها والقرى جميعا نحو قوم نوح اهلكوا ببنيانهم ونحو
قريات قوم لوط اهلكت باهلها ايضا حتى لم يبق لا الاهل ولا البنيان فذلك والله اعلم تاويل قوله منها قائم
هلك اهلها وبقى البنيان ومنها حصيد هو ما اهلك البنيان باهله حتى لم يبق لها اثر وفيه وجوه ثلاثة احدها

آية لرسالته لما ذكرنا وعبرة لاهل التقوى وهو ما ذكر في آخره ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة اى عبرة
لمن خاف عذاب الآخرة وزجر اهل الشرك والكفر لانهم يذكرون ما نزل باولئك فينزجرون من صنيعهم فيه هذه الوجوه
التي ذكرها والله اعلم وقوله عز وجل وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم وقوله وما ظلمناهم فيه وجهان اى لم نظلمهم لانهم
وبنيانهم ملك الله تعالى وكل ذي ملك له ان يهلك ملكه ولا يوصف بالظلم من اتلف ملكه وهم ظلموا انفسهم اذ انفسهم ليست لهم
في الحقيقة وكذلك بنيانهم ومن اتلف ملك غيره فهو ظالم والثاني ان الظلم هو وضع الشيء غير موضعه يقول وما ظلمناهم
بالعذاب يستوجبون ذلك بما ارتكبوا فلم نضع العذاب في غير موضعه بل هم الذين وضعوا انفسهم في غير موضعها حيث
صرفوها الى غير مالكها عبدوا غيره فهو ظلم هذا التاويل في انفسهم واما البنيان فهو فانه انما جعله لهم فاذا هلكوا هم
اهلك ما جعل لهم انما ابقي لهم ما داموا فاما اذا بادوا هم فلا معنى لابقاء البنيان وما ذكر من ظلم انفسهم يحتمل وجوها احدها
ظلموا انفسهم بعبادتهم غير الله والثاني ظلموا انفسهم بصرفهم الناس وصدهم عن سبيل الله عن عبادة الله وتوحيده
الى عبادة غير الله والثالث ظلموا انفسهم بسؤالهم العذاب وقوله فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء
لما جاء امر ربك في هذا وجهان احدهما ما اغنت عنهم عبادة آلهتهم التي عبدوها من دون الله لما جاء امر ربك اى عذاب
ربك كقولهم ما نعبدهم الآية يخبران عبادتهم الاصنام لا تنفعهم المنفعة التي طمعوا والثاني فما اغنت عنهم انفس آلهتهم
في دفع العذاب عنهم في حجج حال اليها لعجزهم في انفسهم وضعفهم كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا لم يملكوا ذلك
في وقت الحاجة اليهم فكيف يملكون في غيره من الحال والله اعلم وقوله عز وجل وما زادوهم غير تتبيب يحتمل ما زاد عبادتهم
اياها غير تتبيب او ما زاد آلهتهم التي عبدوها غير تتبيب والتتبيب قال عامة اهل التاويل هو التخسير وقال ابو عوسجة
غير تتبيب غير فساد والتتبيب الفساد وكذلك قال في قوله وما كيد فرعون الا في تباب اى فساد وقال غيره الا في خسار وما غير
غير تخسير وكذلك قالوا في قوله تبت اى خسرت وقال ابو عبيدة غير تتبيب غير تدمير واهلاك وكذلك قالوا في قوله تبت يدا
ابي لهب وتب وكذلك قالوا في قول الناس تبا لك وقال بعضهم غير تتبيب غير شر وقال التتبيب الشر والتباب الشر والخسران
وهما واحد وقوله عز وجل وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى اى هكذا ياخذ كفار هذه الامة كما اخذ اولئك اى كما عذبنا
الامم الخالية وهي ظالمة مشركة كافرة كذلك نعذب هذه الامة لكن اخر عن هذه الامة وفيه رحمة ان اخذه اليم شديد
اى ان اخذه بالعذاب لاليم شديد الاخذ نفسه يوصف بالشدة ولكن لا يوصف بالالم والعذاب يوصف بالالم لكن لما وصف
بالالم والشدة دل ان الاخذ اخذ بعذاب الله والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة هو
ما ذكرنا فيه عبرة لاهل التقوى ولمن خاف عذاب الآخرة وقوله عز وجل ذلك يوم مجموع له الناس خص الناس بالذكر
وان كان الجمع لهم ولغيرهم لان الآية التي ذكر تكون لهم آية اولما هم المقصودون بالجمع وبذلك اليوم والله اعلم
قيل يجمع فيه الاولون والآخرون وذلك يوم مشهود قال بعضهم يشهد اهل السماء واهل الارض للعرض والحساب والله اعلم
وقوله عز وجل وما نؤخره الا لاجل معدود اى ما نؤخر العذاب عن هذه الامة الا لاجل معدود ذكر هذا والله اعلم جواب
ما استعجلوه بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحوه فقال وما نؤخر العذاب عنهم الا لاجل معدود
الا الوقت موقوف اى لاجل معدود عند الله ولو كان ما ذكر ابن عباس انه سبعة الآف فيكون معدودا عند الناس ويكون
وقت القيامة معلوما على قوله وقد اخبر لا يجليها لوقتها الا هو الآية وقوله عز وجل يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه اى
اى لا تكلم نفس بالشفاعة لاحد الا باذنه كقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى ولا تكلم نفس لاهوال ذلك اليوم ولفزعه
كقوله مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وكقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن او لا تكلم نفس
من الاجلة والعظماء الا حدمة دونهم بالشفاعة الا باذنه وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فمنهم شقي وسعيد فمنهم
شقي باعماله الخبيثة التي اذا اختارها وعملها ادخلته النار ومنهم سعيد بما اكرم من الطاعة والخيرات التي اذا اختارها
وعملها ادخلته الجنة وكل عمل يعمل فيدخل الجنة فهو سعيد به وكل عمل يعمل يدخله النار فهو شقي به روي
في ذلك الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية فمنهم شقي وسعيد

سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله نعلام يعمل على شيء قد فرغ منه او شيء لم يفرغ منه قال بل على شيء
قد فرغ منه وجرت به الاقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له فان ثبت هذا فهو يدل لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فاما
الذين شقوا ففي النار لما ذكرنا لهم فيها زفير وشهيق قال بعضهم الزفير هو كزفير الحمار في الصدر وهو اول ما ينهق
واما الشهيق فهو كشهيق الحمار في الحلق فهو آخر ما يفرغ من نهيقه فهو شهيق وقال بعضهم الزفير هو ما لا يفهم منه شيء
انما هو كالانين والجزع من شيء يصيبه لا يتبين منه كقوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا والشهيق هو ما يرتفع منه
الصوت يسمى شهيقا ويحتمل ما ذكر من الشهيق والزفير انهم يصيرون بعد كثرة دعائهم ونداءهم حتى يكون منهم الزفير
والشهيق لا يفهم كصوت الدواب اذا اصابها الم وقوله عز وجل خالدين فيها ما دامت السموات والارض عن الحسن قال
ما دامت السموات والارض تبدل سماء غير هذه السماء وارض غير هذه الارض فما دامت تلك السماء وتلك الارض لان هذه
اخبر انها تنشق وتطوى وتبدل كقوله يوم تشقق السماء ويوم نطوي ويوم تبدل ونحوه وقال بعضهم قوله ما دامت
السماوات والارض انما هو صلة الكلام كانه قال خالدين فيها الا ما شاء ربك وقد يتكلم بمثل هذا على الصلة وقال بعضهم
يدوم لهم العذاب ابدا ما دامت السموات والارض لاهل الدنيا ما كانوا فيها لانهما انما يفنيان بعد فناء اهلها وبعد
احياء الاهل والبعث فاخبر ان العذاب يدوم لهم كما يدوم لاهل الدنيا السماء والارض وقال بعضهم خالدين فيها
ما دامت السموات والارض اى ما دامت سماء الجنة وارض الجنة وسماء النار وارض النار ولكن ذكر هذا لئلا يتوهم اهل الجنة
والنار قبل هلاك سمائها وارضها على ما يتوهم في توهم هلاك اهل الدنيا قبل هلاك سمائها وارضها وقال بعضهم خالدين
فيها ما دامت السموات والارض اى ما دامت الارض ارض والسماء سماء يتكلمون على ما بعد من اوهامهم فنائهم او على الصلة يقول
الرجل لآخر لا اكلمك ما دام الليل والنهار اى ابدا هذا تاويل قوله ما دامت السموات والارض واما قوله الا ما شاء ربك
قال بعضهم ان ناسا من اهل التوحيد يعذبون في النار على قدر ذنوبهم وخطاياهم ثم يخرجون منها وقد روي في ذلك
آثار روي عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستثناء في الآيتين كلتاهما لاهل الجنة
يعني الذين يخرجون من النار من اهل التوحيد الا ما شاء ربك يقول لم تشقوا شقاء من يخلد في النار وقال في الذين
سعدوا الا ما شاء ربك هم اولئك الذين لم ينالوا من السعادة ما نال اهل الجنة الذين لم يدخلوا النار وفي بعضها عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اما من يريد الله اخراجه منها فانهم ياتون فيها اماتة وقال في خبر آخر اما من يريد الله له الخلود
فلا يخرجون منها وامثال هذا من الاخبار فان ثبت هذا فهو المعتمد وقال بعضهم قوله الا ما شاء ربك اى قد شاء لاهل
النار الابد والخلود وشاء لاهل الجنة عطاء غير مجذوذ اى غير منقطع ويؤيد هذا التاويل ما ذكر في حرف ابن مسعود
وابي ما دامت السموات والارض في الآيتين وفي الاولى الا ما شاء ربك وفي الاخرى ما دامت السموات والارض عطاء غير
مجذوذ وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي انهما لم يذكرا الثنيا في اهل الجنة واصله هذا ما ذكر ابو عبيد قال الاستثناء
الذي هو في اهل السعادة فهو المشكل لانه يقال كيف يستثني وقد وعدهم خلود الابد في الجنة وقال في ذلك اقوالا
لا ادري الى من يسند الا ان لها مخارجا في كلام العرب وشواهد في الآثار وانما يتكلم الناس في هذا على معاني العربية والله اعلم
بما اراد قال فاحد هذه الوجوه في الاستثناء فيما يقال كالرجل يوجب على نفسه الشيء ثم يقول ان شاء الله وعزمه ضميره مع
استثنائه انه فاعله لا يريد غيره ومما يقوي هذا المذهب قول الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين فاستثنى
وقد علم انهم داخلوه البتة ومنه ما روي في حديث مكة عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ولا تحل لقطتها
الا لمنشد وقال بعضهم استثنى المنشد وهي لا تحل له كما لا تحل لغيره والوجه الثاني بان يكون الا في معنى سوى
فان العرب تفعل ذلك تقول عليك الف درهم من قبل كذا وكذا الا الالف التي قبل ذلك اى سوى الالف التي قبل
ذلك والا الالف التي قبل ذلك فيكون المعنى على هذا انه وعدهم خلود الابد سوى ما اعد لهم من الزيادة
في الكرامة والمنزلة التي لم يذكرها لهم ومما يقوي هذا التاويل ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله الذي ما اطلعتم عليه ثم قرا

فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين الاية افلا ترى ان ههنا من الزيادة ما لم يطلعهم عليه والوجه الثالث ان تكون
الاستثناء من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها ما بين البعث والحساب وقد قيل ما ذكرنا اذ ما بين الموت والبعث وهو
البرزخ الذى ذكر الى ان يصيروا الى الجنة ثم هو خلود الابد يقول فلم يغيبوا عن الجنة الا بقدر اقامتهم في الحساب ومما يقوي
هذا المذهب ما قيل في قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قيل ما بين الموت والبعث والله اعلم بذلك وقوله عز وجل
واما الذين سعدوا فقد اختلف القراء في قراءتها قراها الكسائى وحمزة بضم السين سُعِدوا واما ابو عمرو واهل المدينة وغيرهم
من القراء قرؤا بفتح السين سَعِدوا على قياس شقوا قال ابو عوسجة لا اعرف سعد وابضم السين وانما هو سَعِدُوا بفتح السين
وقال ابو عوسجة غير مجذوذ اى غير مقطوع كقوله فجعلهم جذاذا اى اقطاعا وقد ذكرنا قولهم في الزفير والشهيق على قدر
حفظنا له وقوله عز وجل فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل تاويله والله اعلم لا تكن
يا محمد في شك بان هؤلاء قد بلغوا في عبادتهم الاصنام والاوثان الحد الذى بلغ آباؤهم في عبادتهم الاصنام فاهلكوا
اذا بلغوا ذلك الحد فهؤلاء ايضا قد بلغوا ذلك المبلغ اى مبلغ الهلاك لكن الله برحمته وفضله اخر عنهم الى وقت
او يقال ان هؤلاء قد بلغوا العبادة لغير الله بعد نزول القرآن والحجة المبلغ الذى كان بلغ اباؤهم قبل نزول
الحجة والبرهان في عبادتهم غير الله او كان في قوم قد اظهروا الموافقة لهم وكانوا يعبدون الاصنام في السر على ما كان يعبد
اباؤهم فقال هؤلاء وان اظهروا الموافقة لك قد بلغوا بصنيعهم في السر مبلغ ابائهم والله اعلم هذا يحتمل وجهين احدهما
اخبار عن قوم خاص منهم انه لا يؤمن احد منهم فيجعل شغله بغيرهم والثانى اخبار ان لا يؤمن جميع قومك كما لم يؤمن قوم موسى
بالجمعهم بل قد آمن منهم فريق ولم يؤمن فريق فعلى ذلك يكون قومك وقوله عز وجل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص
قال بعضهم وانا لموفوهم نصيبهم في الدنيا من الارزاق وما قدر لهم من النعم غير منقوص لا ينقص ما قدر لهم اى لا يهلكون
حتى يوفى لهم الرزق وقال قايلون وانا لموفوهم باعمالهم غير منقوص اى لا ينقصون من اعمالهم شيئا ولا يزادون عليهم
ان كان حسنا فحسن وان كان شرا فشر هو على الجزاء وقال بعضهم قوله وانا لموفوهم نصيبهم يقول انا نوفر لهم حظهم من العذاب
في الآخرة غير منقوص عنهم ذلك العذاب وقوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ان كان التاويل في قوله فلا تك في مرية
مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل على الاياس من قوم علم الله انهم لا يؤمنون فيكون تاويله ما ذكر في آية اخرى
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وان كان الثانى فهو ما ذكر في آية اخرى قوله وان كلا لما ليوفينهم
ربك اعمالهم الاية وقوله عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب اى التوراة فاختلف فيه اى اختلف في الكتاب والاختلاف فيه
يحتمل وجوها ثلاثة احدها الايمان به والكفر منهم من آمن به ومنهم من كفر والثانى اختلفوا فيه في الزيادة والنقصان والتبديل
والتحويل والتحريف كقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الاية وكقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وقوله
يحرفون الكلم عن مواضعه وامثاله من الايات والوجه الثالث من الاختلاف اختلفوا في تاويله وفي معناه بعدما آمنوا به
وقبلوه فالاختلاف في التاويل مما احتمل كتابنا واما التبديل والتحريف والزيادة والنقصان فانه لا يحتمل لما ضمن الله
حفظ هذا الكتاب بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل الاية وجعله مبشرا على السن الناس وقلوبهم
حتى من زاد او نقص او بدل وحرف شيئا او قدم واخر عرف ذلك فهو والله اعلم لما لا يحتمل احكام هذا نسخها ولا شرايعه تبديلها
واما الكتب السالفة فانما جعل حفظها اليهم بقوله بما استحفظوا من كتاب الله فهو والله اعلم لما احتمل شرايعها واحكامها
نسخها وتبديلها لذلك كان الامر ما ذكرنا وقوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ذكر هذا لرسول الله يصبره
على ما اختلف قومه في الكتاب الذى انزل عليه يقول وقد اختلف فيما انزل على من كان قبلك كما اختلف فيما انزل
على من كان قبلك كما اختلف فيما انزل عليك وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم بالهلاك
اهلاك استيصال واستيعاب وكلمته التى سبقت يحتمل ما كان من حكمه ان يختم الرسالة بمحمد وان يجعله
من خاتم النبيين وامته اخر الامم بهم يقوم الساعة يحتمل ان يكون كلمة التى ذكر هذا الذى ذكرنا ويحتمل وجها
آخر وهو ان كان من حكمه انهم اذا اختلفوا في الكتاب والدين وصاروا بحيث لا يهتدون الى شىء ولا يجدون سبيلا

الى الدين ان يبعث رسولا يبين لهم الدين ويدعوهم الى الهدى لولا هذا الحكم الذى سبق والا لقضى بينهم بالهلاك
والثالث لولا ما سبق منه ان يؤخر العذاب عن هذه الامة الى وقت والا لقضى بينهم بالهلاك وقوله عز وجل
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم يحتمل الكلمة التى ذكر انها سبقت في قوم موسى وهو انه لا يهلكهم بعد الفرق
اهلاك استيصال والتوراة انما انزلت من بعد فقد من آمن من قومه قوم وهو ما قال ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق الاية وقوله عز وجل وانهم لفى شك منه مريب يحتمل قوله لفى شك منه في الدين مريب وقال بعضهم لفى شك منه
يعنى من العذاب مريب وقد ذكرنا الفرق بين الشك والريب فيما تقدم وقوله عز وجل وان كلا لما ليوفينهم قيل لما ههنا
صلة يقول والله اعلم وان كلا ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم في الآخرة ان كان شرا فشر وان كان حسنا فحسن ومن قراءة
لما بالتشديد فتاويله يحتمل وجهين احدهما الا والثانى لما اى لمما اجتمع فيها ميمات طرحت الواحدة وادغمت احديهما
في الاخرى وقوله عز وجل انه بما تعملون خبير هو وعيد وقوله عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا
وقال في موضع آخر فلذلك فادع واستقم كما امرت قال بعضهم قوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك الاستقامة هو التوحيد
اى استقم عليه حتى ياتيك ربك كقوله ان قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ذلك حتى اتوا على الله به وقال بعضهم قالوا
ربنا الله ثم استقاموا بما تضمن قوله ربنا الله لان قوله ربنا الله اقرار منه له بالربوبية فيجعل في نفسه وجميع اموره الربوبية
لله والالوهية له ويجعل في نفسه العبودية له هذه هى الاستقامة التى ذكر والله اعلم ان يجعل في نفسه وجميع اموره
الربوبية لله والالوهية له ويأتى ما يجب ما يؤتى وينتهى ما يجب ما ينتهى ويتبع جميع اوامره ونواهيه والله اعلم وقوله
عز وجل فاستقم لرسول الله يحتمل على تبليغ الرسالة اليهم وقوله فاستقم كما امرت يخرج على وجهين احدهما استقم
على ما امرت ومن آمن معك ايضا يستقيم على ما امر والثانى يقول امض الى ما امرت حرف كما يخرج على هذين الوجهين
اللذين ذكرناهما على ما امرت والى ما امرت وقوله ومن تاب معك من الشرك ادعوهم على ان يستقيموا على ما اقروا
وادوا بلسانهم ولا تطغوا قال منهم الطغيان هو المجاوزة عن الحد الذى جعل له وقوله انه بما تعملون بصير هذا وعيد
وقوله عز وجل ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال الحسن هو صلة قوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقال الحسن بينهما دين الله بين الركون الى الظلمة والطغيان في النعمة الاية
وان كانت في اهل الشرك فهى فيهم وفي غيرهم من الظلمة ان كل من ركن الى الظلمة يطيعهم او يودهم فهو يخاف ان يكون
في وعيد هذه الاية وما لكم من دون الله من اولياء فيدفع العذاب عنهم او احدا ينفع لهم ثم لا تنصرون لا ناصر لهم دونه
ولا مانع والله اعلم وتاويل قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا في ظلمهم فتمسكم النار الاية وان خرجت مخرج العموم فهى خاصة
لانه لا كل ظالم يركن اليه تمسه النار وكان انما خاطب به الاتباع يقول لا تركنوا الى الكبراء منهم والقادة في ظلمهم
وفيما يدعوكم اليه فتمسكم النار الاية وقال بعض اهل التاويل نزل قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا في رسول الله حين دعا
اهل الشرك الى ملة ابائه يقول ولا تميلوا الى اهل الشرك ولا تلحقوا بهم وقوله عز وجل واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا
من الليل ظاهر هذا ان يكون فيها ذكر صلوات ثلاث صلوة الفجر في الطرف الاول وصلوة العصر في الطرف الاخير وزلفا
من الليل صلوة المغرب لانه ذكر زلفا من الليل والزلف يعنى القرب لان الزلفى هى القرابة والوسيلة ليكون قوله
وزلفا من الليل اى قريبا من طرفى النهار من الليل وهو المغرب ويكون ذكر ساير الصلوات وفي قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس
الى غسق الليل ذكر دلوك الشمس وهو زوال الشمس وغسق الليل العشاء وفي قوله فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون حين تمسون صلوة العصر وحين تصبحون صلوة الفجر
وعشيا صلوة العشاء وحين تظهرون صلوة الظهر وليس لصلوة المغرب ذكر في الاية لكنها ذكرت في قوله وزلفا
من الليل وقال بعضهم زلفا من الليل هو ساعات الليل الا ان بعض اهل التاويل يصرفونها الى الصلوات الخمس وقالوا
قوله طرفى النهار صلوة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل صلوة المغرب والعشاء وقال الحسن هما زلفتان
من الليل صلوة المغرب وصلوة العشاء وعلى ذلك جاءت الآثار في قوله ان الحسنات يذهبن السيئات الحسنات

بين الصلوات الخمس وروي ان رجلا اصاب من امرأة كل شيء الا الجماع فندم على ذلك فاتى رسول الله فسأله فقال
رسول الله ما ادري عليك حتى ياتي فيك شيء من الله قال فبينما هم كذلك اذ حضرت الصلوة فلما فرغ من صلوته نزل
عليه جبريل بتوبته فقال اقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية صلوة الغداة والظهر والعصر وزلفا من الليل صلوة
المغرب والعشاء ان الحسنات يعني الصلوات الخمس يذهبن السيئات ذلك يعني الصلوات الخمس ذكرى للذاكرين قال توبة للتائب
فقرأ رسول الله فقال عمر يا رسول الله اخاص له ام عام قال لا بل عام للناس كلهم فان ثبت هذا فهو الاصل في ذلك
وعن عثمان في بعض الاخبار انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس الصلوات الخمس الحسنات يذهبن السيئات
فقالوا فما الباقيات الصالحات يا عثمان فقال لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارة للخطايا واقرأوا
ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات وعن ابن عباس ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس وعن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات
والاخبار في هذا كثيرة وقال بعضهم فيه ذكر اربع صلوات يقول طرفي النهار الفجر والعصر وزلفا من الليل المغرب
والعشاء وقد جاءت الآثار ان الحسنات هن خمس صلوات وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات قال بعضهم
فعل الصلوات نفسها وهو ما ذكرنا من الاخبار ان ثبت وقوله يذهبن السيئات وقال بعضهم نفس الصلوة لا تكفر
ولكن يذكر ما ارتكب من الذنوب فيندم عليها فذلك يكفر وهو كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر الآية اخبر
ان الصلوة تنهى ولا تنهى الا بعد ان تذكر ذلك وقال بعضهم قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء اي تمنع عن الفحشاء اي ما دام
فيها ويحتمل قوله ان الحسنات يذهبن السيئات الصلوات وغيرها من الحسنات فيه اخبار ان من الحسنات تكفر
شيئا من السيئات والله اعلم وقوله ذلك ذكرى للذاكرين ذلك الذي سبق ذكره ذكرى عظة للمتعظين وقوله
عز وجل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ظاهر ما ذكر من الكلام ان يقول فان الله لا يضيع اجر الصابرين لانه ذكر
الصبر بقوله اصبر لكن يحتمل قوله واصبر من الشرور كلها فاحسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين بل يجزيهم جزاء
جزاء احسانهم او يقول اصبر على اداء ما كلفت من الطاعات وتبليغ ما كلفت التبليغ اليهم ويحتمل وجها آخر اصبر على اذاهم
ولا تكافئهم فقد احسنت اليهم فان الله لا يضيع اجر المحسنين او يقول ان الحسنات والله اعلم قال ابو عوسجة قوله
زلفا من الليل ساعات وقال الزلفة المرحلة والزلفة القربة كقوله وان له عندنا لزلفى اي القربة وقال
ابو عبيدة الزلف زلفة وهي الساعة وهي المنزلة على ما قلنا وقوله عز وجل فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ظاهر هذا يخرج على المعاتبة او التنبيه والتذكير لانه يقول فلولا كان
من القرون اي لم لا كانوا كذا فليس ثم من اولئك من يعاتب او ينبه لكنها يخرج على وجهين احدهما فلولا كان من القرون
من قبلكم اولو بقية اي فهلا كانوا ذوي بقية ينهون عن الفساد في الارض ومعناه والله اعلم هلا كثر اهل الاسلام
فيهم حتى قدروا على النهي عن الفساد في الارض لانهم اذا كانوا قليلا لم يقدروا على النهي عن الفساد في الارض
نحو لوط واهله كانوا عددا قليلا كيف كان يقدر على النهي عن الفساد او المنع عن ذلك وكنوح ايضا كان معه
نفر يقل عددهم لم يقدر على منع قومه عن الفساد ونحوه فاذا كان ما ذكرنا فكانه والله اعلم يقول هلا كثر
اهل الاسلام واولو بقية ينهون عن الفساد في الارض والثاني فلولا كان من القرون من قبلكم اي قد كان منهم
اولو بقية لكنهم لم ينهوا عن الفساد في الارض فاهلكوا جميعا الا قليلا ممن انجينا منهم وذلك القليل قد نهوا عن الفساد
في الارض فنجوا بين اولئك حاصل هذا يخرج على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما احدهما لم يكن منهم اولو بقية ينهون
عن الفساد في الارض على ما قاله بعض اهل التأويل والثاني كان فيهم اولو بقية لكنهم لم ينهوهم عن الفساد في الارض
الا قليلا منهم فانهم قد نهوهم عن ذلك والله اعلم وقوله عز وجل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه هو يخرج على وجهين
يحتمل واتبع الاتباع والسفلة الذين ظلموا ما اترفوا فيه من الاموال اي وسع عليهم واعطوهم الاموال وهم الاجلة والائمة

منهم

منهم اي اثروا اتباع الائمة والاجلة الذين اترفوا فيه على اتباع الرسل والانبياء والثاني واتبع الذين ظلموا وهم
الاجلة والائمة ما اترفوا فيه اي ما اعطوا من الاموال اي اثروا الدنيا وما فيها على اتباع الرسل والانبياء احد التاويلين
يرجع الى السفلة والاتباع وهو الاول والثاني الى الاجلة والائمة هم اثروا اتباع الدنيا الى اتباع الرسل ثم تبعهم الاتباع
والسفلة في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون اي ما كان ربك
ليهلك القرى اهلاك استيصال وانتقام واهلها كلهم مصلحون او اكثر اهلها مصلحون انما يهلك القرى اذا كان اهلها كلهم
مفسدين او عامة اهلها مفسدون هذا يدل ان الحكم في الدار انما يكون بغلبة اهلها ان كان اكثر اهلها مصلحين اهل
الاسلام فالحكم حكم الاسلام وان كان عامة اهلها اهل الحرب والكفر فالحكم حكمهم ولا يسمى اهلها كلهم بالكفر والفساد اذا كان
اكثر اهلها مصلحين الا ترى انه قال في قوم لوط انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء سمى اهل قريته
وان كان فيها لوط واهله مصلحين لم يعد لوطا واهله من اهلها وقوله وما ربك ليهلك القرى بظلم اي لا يكون في اهلاكهم
ظالما ثم هو يخرج على وجهين احدهما ان الخلق له فهو باهلاكه لم يكن ظالما لانه اهلك ما له والثاني انه انما يهلكهم
بظلم كان منهم كقوله وما ظلمناهم الآية انما يهلكهم بشيء اكتسبوه فهو بما اكتسبوا ظلموا انفسهم وهو كقوله وما ظلمناهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة قالت المعتزلة هذه المشية مشية القهر
والقسر وذلك مما يدفع المحنة ويزول لديه المثوبة والعقوبة وكذلك في قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا واما عندنا فلو شاء لجعلهم امة واحدة مشية لا تزول معها المحنة والذي يدل عليه خصال احدها
ان الله قد عرفنا الايمان والدين الذي يقع به اجتماع او فيه الاختلاف بما ركب فينا من العقول التي بها يعرف حقائق
الاشياء ومجازاتها ومحاسن الامور وقبحها بمعونة السمع او بالتامل فيما يحس بالامرين جميعا انه لا يكون الا بالاختيار
ولا يوصل الى السبب الذي به يدان الا بالاستدلال او التعليم اذ هو طاعة وتصديق وذلك يكون ممن لا يحس وطريقه الاجتهاد
وكل ذي اضداد القسر محال ان يعود الكون لو شاء على وجه قد عرفنا انه لا يكون سمعا وعقلا فيكون في الحقيقة كانه قال لو شاء
ان يكون لا يكون على ان ذا من يقبل عنه هذا الدعوى على قولهم وهو منذ كان الخلق حين ان كان فيما شاء اثباته من افعال
الخلق فلم يكن ولم يشاء فكان عندهم فهو لكن ظهر عجزه بجميع ادلة العجز ثم يدعي ان له القدرة بها يقهر ما يشاء
فذلك لكن لا يقوم للانتصاب والنهوض فيدعي انه يقدر على الصعود او من لا يملك امساك مثل ذرة انه ممسك السموات
والارض على انه لو كان كذلك لجاز ان يكون يقدر على فعل الكفر والسفه والكذب اذ من يقدر على فعل شيء لا يقدر
على فعل ضده عندهم ليس ذلك بقدرة ثم لو كان ذلك كله بلا قدرة غير تصيير له فعلا فكان يكون في الحقيقة سفيها
كذوبا ومن كان ذلك وصفه فهو رب ولا حكيم ومن ربوبيته تحت قدرة غيره او حكمته تحتمل المضادات فهو مسؤول
عما يفعل مطالب بالحجة فانى يكون لمن ذلك وصفه ربوبية جل عن ذلك والثاني ان الذي يكون بالقسر والقهر
يكون اهل الخلقة لا امر فعل العبد وذلك في الحقيقة لله لا للبشر وما هو له من جهة الخلقة موجود لان نفس
كل احد بالخلقة مؤمن وقد شاء الله تلك المشية فالقول بلو شاء لا معنى له بل قد شاء وكان ولا قوة الا بالله والثالث
انه وعد ان لو شاء ان يجعل كذا لفعل وهو لو فعل لكان يجعل من قد آمن منهم في الحقيقة مؤمنا في المجاز كافرا في الحقيقة
لانهم بهذا يصيرون امة واحدة اذ صار كثير منهم مؤمنين بالاختيار لا يحتمل ان يجعلهم على غير ذلك فيكون مجوزا
عدلا والله الموفق ثم الاصل ان الله تعالى قد جعل ادلة كل موعود في الحسن ظاهرا وكل مقدور عليه بالوعد والدعوى
بما يجعل عليه او تربا وهذا النوع من المشية عندهم والدعوى بما جعل جميع مانعا لان يكون كذلك فيصير بالذي
به ادعى لنفسه من القدرة مكذبا بما جعل لمنع مثله الادلة ومن ذلك وصفه فهو غير حكيم جل الله عن هذا المثال
بما اخبر بجحد حقيقته دون ان يحتاج الى دليله يوضح قدرته على ما ادعى على بقاء المحنة سبيلا سهلا بحمد الله
لا يحتاج الى ما ذكروا من المكابرة وهو ما قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الآية ومعلوم انهم
لو كفروا جميعا بما ذكر لكانوا مختارين والى ما جاءوا به غير مضطرين فاذا استقام كونهم على دين الكفر بذلك لا يحتمل ان لا يكون

ذلك بقاء على الايمان لوكانوا فيقدر على قولهم ان يجعلهم كفارا بالمحنة لا يقدر على ان يجعلهم مؤمنين بها
لان ذلك وصف العجز عندهم وان كان لا يكون كذلك عندنا لانه مستقيم القول بالاقدار على احداث غيره ومحال
القول على جعل غيره قديما او على احواج غيره اليه لا يحتمل الوصف بالقدرة على اغناء غيره عنه وعليهم ان ضع ازلجاد
له القدرة على كل حركة للعبد وسكون بالاضطرار ولم يجوزوا ذلك الاختيار اللهم الا ان يقولوا لا يجوز ان يكون
العبد غير كامل القدرة وهي القدرة على متضادات الاشياء والله يجوز الوصف له بالقدرة الناقصة فيكون قريبا
مما جعلوا للعبد قدرة على ما يجعل الرب ويجعله كاذبا فيما يخبر على بقاء الربوبية له والله لا يقدر على مثله في العبده
على بقاء العبودة له بالمحنة او ما قدروا العبد على اهلاك من وعد الله فيه بالابقا ويؤيد ذلك وذلك فضله وعدله
مع ذلك ان يعطيه كذا فيأتي معانده فيقتل ويمنع الرب عن انجاز وعده وعن سلطان بقاية جل الرب عن هذا وذلك
في قولهم فيما يضرب الله للنبي وصديق اجلا يرى به مصلحة عباده تقديرا الكافر على قتله قبل مجيء ذلك الاجل وابطال
جميع ما وعد والايفا بما هو صنيعه من ابقاء الحياة فيه ولا يقدر الله على انجاز ما وعد وايفائه على ما اراد والعبد
يجاله لا ان يحزم او يميته او يجعله زمنا والله المستعان ثم الاصل ان كل مريد بفعله فيما فعله امرا لا يكون ذلك
وهو لم يكن فعله الا لذلك يوجب حدا من في الحكمة اما جهلا بالعواقب وخطا بالفعل لمن يفعل فعلا يحزن عليه
او يلحقه به مكروه فهو لا يفعله لم يظهر فاعله انه عن جهل فعل وعلى الخطا خرج فعله وعلى ذلك معنى التحذير في الخلق
والتنبيه بقولهم لدوا للموت وابنوا للخراب وسرق ليقطع وباد ليقتل من حيث كان الثاني متصلا بالاول ينبه عن الغفلة
على ارادة التحذير انه اليه يؤل امر فعله وعلى ذلك قوله فالتقطه آل فرعون الآية وان يقال ذلك على انه كذلك
في فعله عند الله وان جهله هو او يوجب السفه في الفعل والعبث اذ هو يقصد بفعله ما يعلم انه لا يكون او يريد
ما يتيقن انه لا يبلغ واذا كان كذلك فاعطا الله تعالى القدرة ليؤمن او خلقه ليعبد واراد ان يفعله ذلك واختيار ذلك
الفعل لذلك يوجب احد ذينك الوجهين جل الله عنهما وتعالى وقد ثبت ان الله عالم بالعواقب متعال عن العبث ثبت انه خلق
من خلق واعطى ما اعطى لما علم انه يكون وقد علم انه ما يكون وعلى هذا التقدير يخرج الامر في قوله ولقد ذرأنا لجهنم الآية وقوله
ولا تعجبك اموالهم الآية **وقوله** عز وجل ولا يزالون مختلفين انه خلقهم للذي علم انهم يصيرون اليه من اختلاف
او اتفاق او عداوة او ولاية لا يريد غير الذي علم ولا يعلم غير الذي يكون ممن يعلم ما يكون ولا قوة الا بالله ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم اي للرحمة خلقهم فقال بعض متكلمي اصحابنا ان الرحمة تذكر بالتانيث وهو انما ذكر
بالتذكير حيث قال ولذلك خلقهم ولم يقل ولتلك خلقهم دل انه ليس على ما يقولون قال قايلون للاختلاف
خلقهم الا من رحم ربك وقال بعضهم هو صلة قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون اي خلقهم
لئلا يهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وعندنا ما ذكرنا ان الله خلقهم للذي علم انه يكون منهم وانهم يصيرون اليه
من الاختلاف والاتفاق والعداوة او الولاية لا يخلقهم لغير الذي علم انه يكون منهم ولا يريد ايضا غير ما علم
انهم يصيرون اليه ولا يعلم غير ما يكون منهم والله الموفق وتاويل المعتزلة في قوله ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة انها مشيئة القسر والقهر فذلك بعيد لانه لا يكون في حال القهر والاضطرار ايمان لان من اكره واضطر
على الايمان حتى آمن فانه لا يكون ايمانه ايمانا انما يكون الايمان ايمانا في حال الاختيار اذا آمن مختارا ممتحنا فيه
فعند ذلك يكون ايمانه ايمانا دل ان تاويلهم فاسد **وقوله** عز وجل وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فؤادك تاويله والله اعلم كل الذي نقص عليك او قصصنا عليك من انباء الرسل نبا بعد نبا ونبا على اثر نباه
ما نثبت به فؤادك وقوله ما نثبت فؤادك يحتمل وجوها احدها نثبت به فؤادك لما يحتمل ان نفسه كانت تنازعه
وتناقشه بان الذي انزل او يأتي به ملك وكان ذلك من القاء الشيطان والقايه عليه ووساوسه فقص عليه
من انباء الرسل واخبارهم ليكون له آية بينة بينه وبين ربه ليعلم ان ما انزل عليه وما يأتي انما هو ملك
من الله جاء ليدفع به تنازع نفسه وخطرته اذ لا سبيل للشيطان الى معرفة تلك الانباء ولا في وسعه القاؤها عليه

فيكون له بها طمانينة قلبه وهو كقوله ابراهيم حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى لانه
كان نفس ابراهيم تنازعه في كيفية احياء الموتى فساله ربه ليريه ذلك ليطمئن بذلك قلبه وان كان يعلم انه يحيي الموتى
وانه قادر على ذلك والثاني قص عليه انباء الرسل واحدا بعد واحد ليثبت به فؤاده ليعلم كيفية معاملتهم قومهم
وماذا القوا من قومهم فكيف صبروا على اذاهم ليصبر هو على ما صبر اولئك وليعامل من قومه بمثل معاملتهم ويشبه
ان يكون قوله ما نثبت به فؤادك نبا بعد نبا لينظر ويتفكر في كل نبا وخبر ويعرف ما فيه فيكون ذلك اثبت في قلبه وهو
كقوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة لنثبت به فؤادك بانزال الآية واحدة بعد واحدة
وسورة بعد سورة وذلك اثبت في فؤاده من انزاله جملة لانه يزدحم في مسامعه وفؤاده واذا كان بالتفاريق
نظر وتفكر فهو اثبت في قلبه وفؤاده والله اعلم **وقوله** عز وجل وجاءك في هذه الحق قال بعضهم جاءك في هذه
اي في هذه الانباء التي قصها عليك جاءك فيها الحق وهو ما ذكرنا وقال بعضهم جاءك في هذه السورة الحق وهو ما ذكر
من الانباء نبا بعد نبا وهو كالاول وقال بعضهم جاءك في هذه الحق اي في هذه الدنيا الحق يعني الآيات والحجج والبراهين
لرسالته ودينه وموعظة وذكرى للمؤمنين اي جاءك ما تعظ به قومك وتذكر به المؤمنين وقوله وموعظة وذكرى
للمؤمنين خص المؤمنين بذلك لما يكون منفعة الموعظة والذكرى للمؤمنين والا هو موعظة وذكرى للكل **وقوله** عز وجل
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم المكانة المنزلة والقدرة ويقول اعملوا انتم على مكانتكم ومنزلتكم التي لكم
عند اتباعكم كانه يخاطب به الاشراف منهم والرؤساء انا عاملون على المكانة والمنزلة التي لنا عند الله فتنظر
اينا ارجح نحن او انتم واينا احسن نحن او انتم **وقوله** عز وجل اعملوا على مكانتكم انا عاملون يخرج على وجهين احدهما
على التوبيخ والتخويف عند ما بالغ في الحجاج فلم ينجع فيهم فقال عند ذلك كقوله لكم دينكم ولي دين ونحوه
والثاني على الاعجاز عما اراد وابه من المكر والكيد بقوله اعملوا ما تريدون وانا اعمل **وقوله** عز وجل وانتظروا
انتم بنا ذلك انا منتظرون بكم ذلك او يقول هذا لما كانوا يوعدونه ويخوفونه من انواع الوعيد فيقول له
انتظروا بنا ذلك ما تخوفون بنا انا منتظرون بكم ما نخوفكم نحن والله اعلم **وقوله** عز وجل ولله غيب السموات
والارض قال بعض اهل التاويل ولله غيب نزول العذاب وغيب ما في الارض كانه خرج جواب ما سالوه
من العذاب كقوله ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وكقوله متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين وقوله ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فقال ولله غيب السموات والارض اي علم ذلك عند الله
وكقوله لو ان عندي ما تستعجلون لقضي الامر بيني وبينكم وامثاله ويشبه ان يكون جواب ما تحكموا على الله من انزال
القرآن وجعل الرسالة في غيره كقوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولولا نزل هذا القرآن جملة
واحدة فقال لهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم الآية وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته فعلى ذلك قوله ولله غيب
السموات والارض لا الى الخلق والله اعلم بما اراد واليه يرجع الامر كله اليه يرجع امر الخلق كله وتدبيرهم فاعبده
اي اعبده وخاص نفسك وتوكل عليه في تبليغ الرسالة اليهم اي لا يمنعك كيدهم ومكرهم بك عن تبليغ الرسالة
ولا تخافن منهم فان الله يحفظك من كيدهم ومكرهم بل يعلم ذلك وينصرك وينتصر منهم وهو كقوله لموسى
وهرون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني
معكما اسمع وارى اي اسمع قوله وجوابه اياكما وارى ما يفعل اي نصركما فلا تخافا فعلى ذلك الاول والله اعلم

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين ذكر تلك وهي كلمة اشارة الى شيء سبق ذكره ولم يتقدم
فيه ذكر شيء يشار اليه وذكر آيات ايضا وليس هنالك ذكر آيات او شيء يكون آية في الظاهر لكن يشبه

ان يكون قوله تلك بمعنى هذه آيات ويجوز استعمال تلك مكان هذه على ما يجوز ذكر ذلك مكان هذا لقوله
الم ذلك الكتاب اي هذا الكتاب او ان يكون قوله اشارة اليها في السماء اي الذي في السماء آيات الكتاب او يقول
تلك اشارة اليها في اللوح المحفوظ او اشارة الى ما في الكتب المتقدمة اي تلك آيات الكتاب المبين يحتمل المبين انها آيات
الرسالة او بين انها من عند الله وقوله آيات هذا يشبه ان يخرج على وجهين احدهما اشارة الى الحروف المقطعة
المبهمة فقال تلك الحروف المقطعة اذا جمعت كانت تلك آيات الكتاب او ان يكون الله اراد امرا لا نعلم ما اراد فنقول تلك
آيات الكتاب اي ذلك الذي اراد هو آيات الكتاب والله اعلم بما اراد به وقوله المبين قيل المبين اي يبين فيه
الحلال والحرام وما يؤتى وما يتقى كقوله تبيانا لكل شئ وقال بعضهم ليبين بركته وهداه ورشده او بين فيه الحق
من الباطل والعدل والجور والكتاب هو اسم ما يكتب وسمي قرآنا لما يقرأ وكتابا لما عن كتاب اخذ ورفع والقرآن
لما قرئ عليه وقوله عز وجل انا انزلناه قرآنا عربيا قوله انزلناه انها كناية عن كتاب الذي تقدم ذكره قرآنا
عربيا انزله بلسان العرب ولا ندري باي لسان كان في اللوح المحفوظ غير انه انزله بلسان العرب وهكذا كل كتاب
انزل انما انزل بلسان المنزل عليهم لم ينزل بغير لسانهم وقوله عز وجل لعلكم تعقلون ما لكم وما عليكم
وما تاتون وما تتقون او تعقلون ان هذه الانباء التي يخبركم بها محمد صلى الله عليه وسلم من الله تعالى لانها كانت
في كتبهم بغير لسانه فاخبر على ما كانت في كتبهم دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى ولعلكم تعقلون انه لغير شئ فكم
لانكم تصيرون متبوعين لا يحتاج الناس لمعرفة ما فيه ولا يوصله ذلك لانكم فتكونون متبوعين والناس
اتباع لكم وهو كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قال اهل التاويل فيه شرفكم والله اعلم وقوله عز وجل
نحن نقص عليك احسن القصص قال بعضهم قوله نقص عليك اي نبين عليك احسن البيان بما اوحينا اليك
هذا القرآن وقال بعضهم نقص عليك اي نخبر احسن ما في كتبهم من القصص واحسن من الانباء
والاحاديث وقوله احسن القصص اصدقه وكذلك قوله الله نزل احسن الحديث اصدقه هو احسن القصص
اي اصدقه واحسن الحديث اصدقه وقوله عز وجل وان كنت من قبله اي وقد كنت من قبله لمن الغافلين
عن هذه الانباء وعن قصصهم فهذا يدل ان الايمان بجملة الانبياء والرسل واجب وان لم يعرف نفس الانبياء والنفس
الرسل باساميهم لانه اخبر انه كان غافلا عن انبائهم وعن قصصهم ولا شك انه كان مؤمنا بالله مخلصا والنعمة
وقال ابن عباس رضي الله عنه احسن القصص كلام الرحمن وقال مجاهد الله نزل احسن الحديث كلام رب العالمين
وقوله تلك آيات الكتاب يخرج على وجهين احدهما ان يكون الذي سالوا عنه رسول الله عن قصة يوسف وصيرورة
بني اسرائيل بمصر وقد كانوا من قبل بالشام فقال تلك الانباء والقصص بجملها آيات هذه السورة التي هي
من الكتاب المبين او تلك آيات حجج وبراهين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه من انباء الغيب عنهم فعلم انه انباءها
بالله سبحانه وتعالى وقوله عز وجل اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
دل قوله اني رايت احد عشر كوكبا ان اخوة يوسف كانوا علماء وعيون الارض نجوما يقتدى بهم ويهتدون اذا بالنجوم
يقتدى في الارض وبها يهتدون الطرق والمسالك ودل قوله والشمس والقمر خرج على ابويه انه كان بهما جميع منافع
الخلق اذ بهما صلاح جميع الاغذية في الارض ونضج جميع الفواكه والاثمار وجميع المنافع التي بها للناس حاجة الى ذلك
ودل قوله اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ان الرؤيا تخرج على غير ما ترى وتخرج على غير
بالمعنى الذي يتصل به لانه راى الكوكب والشمس والقمر تخرج على اخوته وابويه كان المراد بالكواكب والقمر غير الكواكب
وغير الشمس والقمر وذلك المعنى وذكر السجود وخرج على غير السجود وحقيقته وكذلك ما راى ابراهيم في المنام
ذبح ولده خرج الذبح على حقيقة الذبح وهو ذبح الكبش وراى ابنه وكان المراد منه الكبش فهذا اصل لنا ان الخطاب
يخرج والمراد منه على غير ذلك الخطاب لا غير وقد يخرج لمعنى فيه فاذا اتصل ذلك المعنى بغير وجب ذلك الحكم
وفيه جواز الاجتهاد وطلب المعنى في الخطابات وكذلك ما ظهر في الناس من تعبير الرؤيا على الاجتهاد دليل على جواز

العمل

العمل بالاجتهاد وقال بعض اهل التاويل ان يوسف لما قص رؤياه على ابيه بين يدي اخوته قال له هذه رؤيا النهار
ليس بشيء وقال ليوسف في السر اذا رايت رؤيا بعد هذا فلا تقصها على اخوتك لكن هذا كذب فلا يجوز ان تكذب رسول الله
يعقوب يقول رؤيا النهار ليس بشيء ثم يعبر له في السر ولا يتوهم على نبي من انبياء الله الكذب فهو كذب فان كان فهو
بالامر وقوله عز وجل يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك دل قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك على ان ما راى
يوسف من سجود الكواكب له وسجود الشمس والقمر انما كان راى ذلك في المنام ويدل ما ذكر في آخره ايضا على ذلك
وهو قوله يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل ودل قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان يعقوب
انما عرف ذلك بالوحي حيث قطع القول في قوله فيكيدوا لك كيدا ولم يستثن في ذلك وقد فعلوا به ما قال وفيه دلالة
ان اخوته قد كانوا يعرفون تعبير الرؤيا وكانوا علماء حكماء حيث قال لا تقصص رؤياك على اخوتك لانهم لو كانوا
لا يعرفون تاويلها ولا علموا تعبيرها لم يكن لينهاه عن ان يقص على اخوته لانه لو قصها او لم يقصها اذا لم يعلموا سواء
وفيه دلالة ان الزوج لا يتهم في اخيه ويكون من الاخ الخيانة الى اخيه والاب والام يتهمان في الابن والولد
يتهم في والديه ولا يكون من بعض الى بعض خيانة في الغالب لان يعقوب نهى ولده يوسف ان يقصها على اخوته
واخبر انهم اذا علموا بذلك كادوه وحسدوه ولم يتهمه بمثله في امه دل ان الاخ لا يتهم في شهادة اخيه ويتهم
الاب والام في شهادتهما لولدهما وكذلك الولد يتهم في الديه وكذا قال اصحابنا ان شهادة الوالد لولده لا تقبل
وكذلك شهادة الولد لوالديه واما شهادة الاخ لاخيه تقبل وانما كان كذلك لما ينتفع الولد بمال والديه والوالد
بمال ولده ولا ينتفع الاخ بمال اخيه وكل من انتفع بمال اخ اتهم في شهادة له ولم تقبل شهادته وكل من لم ينتفع به
قبلت والله اعلم وقوله عز وجل ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة وقال موسى حين قتل ذلك
هذا من عمل الشيطان انه عدو وكل شر يكون من الشيطان يقذف في القلوب ويخطر في الصدور ثم تكون العزيمة
على ذلك الفعل من العبد وهو ما قال واما ينزغنك من الشيطان نزغ وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم الآية
واللطيف والنزغ هو القذف والوسوسة فاذا ذكر الله ذهب وقيل الكيد والمكر وهو قول ابي عوسجة وقال القتبي
الكيد هو الاحتيال والاغتيال وقيل الكيد هو ان يطلب ايصال الشر به على غير علم منه وكذلك المكر وقوله عز وجل
وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل
تاويله والله اعلم اي كما اجتبى ربك ابويك بالرسالة والنبوة واصطفاهم بانواع الخيرات واتم نعمته
عليهم كذلك يجتبيك ربك ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ويحتمل قوله وكذلك يجتبيك ربك اي كما اجتباك
ربك بالرؤيا التي رايت يفعل ذلك بك وقوله عز وجل ويعلمك من تاويل الاحاديث قيل تعبير الرؤيا وقال
بعضهم علمه تاويل الصحف التي كانت لابراهيم وغيره وعلمه تاويل تلك الصحف والاحاديث وقوله عز وجل
ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها قال بعضهم على ابويك من قبل ابراهيم واسحق حين اراد ذبح ابنه فجعل
مكانه كبشا فعلى ذلك يتم نعمته عليك ويبعد لك اخوتك وابويك ثم من الناس من استدل بهذا ان الذبيح كان اسحق
لانه ذكر اتمام نعمته على ابراهيم واسحق ودل قوله وعلى آل يعقوب على انه قد اجتباهم بالنبوة من بعد اعني اولاد
يعقوب لان ولده من آله وقد اخبر ان يجتبيهم ويتم نعمته عليهم كما فعل بابويه ابراهيم واسحق وكذلك روي
عن الحسن انه قال في اخوة يوسف نبئوا بعدما صنعوا بيوسف ما صنعوا وقال بعضهم تاويل الاحاديث العلم
والكلام قال وكان يوسف اعبر الناس وهو ما قال الله تعالى ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وقوله عز وجل ان ربك
عليم بما صنع اخوته وعليم بما ذكر من الاتمام حكيم وضع كل شيء موضعه والله اعلم وقوله عز وجل لقد كان في يوسف
واخوته آيات للسائلين لانه آية للسائل اذا كان السائل يسترشد وكذلك القرآن كله هو حجة وآية
للمسترشد واما المتعنت فهو آية عليه ثم يحتمل قوله آيات للسائلين السائلين الذين سالوا على ما ذكر في بعض
القصة ان اليهود سالوا النبي عن امر يوسف ونبائه فاخبر بالحق في ذلك على ما كان فهو آية لهم ان ثبت ذلك

ويحتمل قوله آيات للسايلين السايلين الذين يسالون من بعد الى آخر الدهر عن نباء يوسف كل من سال عن خبره وبنائه فهو آية له ثم وجد بنبائه آية يحتمل وجوها احدها انه جعل قصة يوسف ونباه سورة وتلك السورة هي آيات الكتاب على ما ذكر الر تلك آيات الكتاب المبين جعل قصة يوسف ونباه آيات من الكتاب ويحتمل ايضا انه جعل آيته اى حجته لنبوة رسوله ورسالته لان قصته ونباه كان فى كتبهم بغير لسانه من غير ترجمة احد منهم ولا التعليم ثم اخبرهم على ما كان فى كتبهم من غير زيادة ولا نقصان دل انه انما علمه بالله تعالى لا انه اخذ من كتبهم وهو ما ذكر فى القصة ان اليهود سمعوا النبى يقرا سورة يوسف فقالوا يا محمد من علمكها قال الله علمنيها فتعجبوا من قراته اياها على ما كانت فى كتبهم دل انه انما عرفها بالله ثم يحتمل انه يكون آية لمن سال عن حجة رسالته او هى آية لمن سال عنها والله اعلم وقوله عز وجل اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة فى الاية دلالة ان لا باس للرجل ان يخص بعض ولده بالعطف عليه والميل اليه اذا كان فيه معنى ليس ذلك فى غيره ولهذا قال اصحابنا انه لا باس للرجل ان يخص بعض ولده بالهبة له او الصدقة عليه اذا لم يقصد بها الجور على غيرهم من الاولاد ثم يحتمل تخصيص يعقوب يوسف واخاه بالحب لهما وجوها احدها لما راى فيهما من الضعف فى انفسهما والعجز فى ابدانهما فازدادت شفقته لهما وعطفه عليهما لذلك وهذا مما يكون فيما بين الخلق اوكان ذلك منه لهما لصغرهما وهذا ايضا معروف فى الناس ان الصغار من الاولاد يكون عندهم احب وقلوبهم اليهم اميل وعليه اعطف ولهم ارحم من الكبار منهم او خصهما بذلك لفضل خصوصية كانت لهما اما من جهة الدين او العلم او غيره لم يعلم الله بذلك الناس دون غيرهما او لما بشر يعقوب بنبوة يوسف فكان يفضله على ساير اولاده ويؤثر عليهم لذلك وانما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا باثار تظهر عندهم والا حقيقة المحبة لا تعرف وقوله عز وجل ونحن عصبة قيل العصبة الجماعة وقال بعضهم العصبة من عشرة الى اربعين والعصبة الجماعة اى نحن جماعة ولنا منعة ولهذا ما قال اصحابنا ان التسعة مع الامام تكون منعة يستوجبون ما يستوجب السرية اذا دخلت دار الحرب فغنمت غنايم يخمس منها وقوله ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين لم يعنوا ضلال الدين انما قالوا ذلك والله اعلم انا جماعة نقدر على دفع من يروم الضر ويقصد قصده الشر بنفسه وماله ونحن اولوا قوة بنا يقوم معاشه واسبابه فكيف يؤثر هولاء علينا وكذلك قوله ووجدك ضالا فهدى لم يرد به ضلال الدين ولكن وجها آخر وقالوا لما كانت له منافع من انفسهم لم يكن تلك المنافع من يوسف واخيه وابدا انما يؤثر المرء حب من له منافع من قبله لا حب من لا منفعة له منه فهو فيه فى ضلال مبين حيث يؤثر لا منفعة له منه على حب من كانت له منه منافع وامثاله والله اعلم وقولهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم لا يحتمل ان يكونوا عزموا على قتله ولكن على المشاورة فيما بينهم نفعل ذا او ذا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ليس على العزيمة على واحد ولكن على المشورة فيما بينهم يدل على ذلك قوله يخل لكم وجه ابيكم انهم ارادوا ان يخلوا وجه ابيهم لهم لا قتله انما ارادوا غيبته عنه وقال بعضهم يخل لكم وجه ابيكم اى يقبل عليكم ابوكم بوجهه وقال بعضهم اى يفرغ لكم من الشغل بيوسف وقوله عز وجل وتكونوا من بعده قوما صالحين يحتمل صالحين اى تائبين وقال بعضهم تكونوا صالحين عند ابيكم من بعد وقال بعضهم يصلح امركم وحالكم منه ابيكم بعد ذهاب يوسف وجايز ان يكونوا قوما صالحين فى الاخرة وقالوا انهم تابوا قبل ان يزلوا ويعصوا كه وقوله عز وجل قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه فى غيابة الجب قال ابو عوسجة يعنى فى قعر البئر والغيابة ما يغيبه ويواريه والجب البئر والجباب جمع وقال ابو عبيدة الغيابة كل شىء غيبت عنك شيئا له فهو غيابة وقوله عز وجل يلتقطه بعض السيارة اى يرفعه بعض السيارة ولذلك يقال للطاير يلتقط الحب ويلقط اى يرفع ان كنتم فاعلين ان كنتم لا بد فاعلين ان يغيبوه عنه واما قول اهل التاويل انه قوله لا تقتلوا يوسف قاله فلان او فلان فذلك مما لا نعرفه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم وقال ابو عوسجة السيارة اصلها من السير هو مثل المسافر وهى القافلة يعنى العير وقيل الجب الركية التى لم تطو بالحجارة

فاذا طويت فليس بجب وقوله عز وجل قالوا يا ابانا مالك لا تامنا على يوسف دل قوله مالك لا تامنا على يوسف على انه اخراجه من ابيهم غير مرة لان مثل هذا الكلام لا يتكلم به مبتدا على غير مسابقة شىء من امثاله فدل انهم قد استاذنوه فى اخراجه غير مرة وانا له لناصحون الناصح هو الدال على ما به نجاته او الدال على كل خير والله اعلم وقوله عز وجل ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كان يعقوب خاف على نفسه اعنى يوسف الضيعة بتركهم حفظه فامنوه على ذلك بقولهم يرتع اى ياكل وخاف قلبه ان يكلفوه بقوله وانا له لحافظون وخاف عليه الضياع من جهة الجوع بتركهم حفظه او قلة الاكل فامنوه على ذلك بقولهم يرتع اى ياكل وخاف قلبه ان يكلفوه امرا يشق عليه ويشتد فامنوه ايضا على ذلك بقولهم ويلعب لانه ليس فى اللعب مشقة ولا شدة فخاف عليه الضياع بالوجوه التى ذكرنا فامنوه على تلك الوجوه كلها حتى استنقذوه من يديه وقوله يرتع ويلعب قال بعضهم يرتع ياكل ويلعب يلهو كانه خرج جوابا لقوله انى ليحزننى ان تذهبوا به قالوا له لا تحزن عليه فانه يرتع ويلعب على التقديم والتاخير وقال بعضهم يرتع ينشط ويلعب يلهو وقرئ بالنون نرتع ونلعب قال بعضهم نرتع اى ناكل يقال رتعت الابل اذا رعت وارتعتها اذا تركتها ترعى ويقرا نرتع بكسر العين والمراد منه ان نتحارس ويرعى بعضنا بعضا اى يحفظ ومنه يقال ارعاك الله اى حفظك الله وقوله يرتع ويلعب قالوا يلعب فيما يحل ويسع من نحو الاستباق وغيره وهو ما ذكروا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا واللعب فى مثل هذا يحل وقد روى ايضا فى الخبر انه قال لا يحل اللعب الا فى ثلث وفيه معالجة الرجل فرسه او قوسه وملاعبة الرجل امراته لخبر انه لا يحل الا ثلاث والله اعلم وقوله عز وجل انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب قال انى ليحزننى عند الواقع بهم والغايب عنه من النعمة التى انعمها عليه لانه كان نعمة عظيمة له فات المنظر اليه فذكر الحزن على ما فات عنه وذكر الخوف لما خاف وقوعه فى وقت ياتى وما سيقع فهذا تفسير قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا يحزنون لانه موجود للحال غير فايت ولا خوف عليهم اى لا يخافون فوته لا نخوف فوت النعمة ينقص على صاحبه النعمة فامنهم على ذلك وهو ما ذكرنا ان الحزن يكون بالواقع للحال والخوف على ما سيقع والله اعلم وقوله واخاف ان ياكله الذئب قال بعض اهل التاويل كان يعقوب عليه السلام راى فى المنام ان يوسف اخذ الذئب فمن ثمه قال واخاف ان ياكله الذئب لكن هذا لا يحتمل لان رؤيا الانبياء كلها حق وصدق فلا يحتمل ان راى ذلك ثم يعوق اخاف ان ياكله الذيب او يدعه يذهب معهم لكنه خاف عليه اكل الذيب على ما يخاف على الصبيان فى المفاوز والبرارى اذ الخوف على الصبيان فى المفاوز والبرارى والضياع عليهم يكون بالذيب اكثر من وجه آخر لانه جايز ان يفترسه سبع من السباع عند مفارقة اخوته واشتغالهم بما ذكر من الاستباق لا يحتمل الضياع من الناس ياخذه واحد من بين نفر وقال بعض اهل التاويل ان قوله واخاف ان ياكله الذيب كناية عن بنيه اى اخاف ان تهلكوه وتضيعوه وقوله عز وجل قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة او لو قوة انا لخاسرون تاويله والله اعلم لئن اكله الذئب ونحن عصبة اى جماعة انا اذا لخاسرون اى كانا نحن سلمنا الى الذيب وعرضناه للضياع هذا والله اعلم معنى الخسران الذى ذكروا والالم يلحقهم الخسران اذا اكله الذيب لانه اذا كان بهم قوة المنع فلم يمنعوه فكانهم ضيعوه وقوله عز وجل فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب غيابة الجب قد ذكرنا وقوله عز وجل واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون يحتمل قوله واوحينا اليه وحى نبوة او وحى بشارة النجاة من ذلك الجب او بشارة الملك له والعز ثم قوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون قال بعضهم هو قول يوسف حيث قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف الاية قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى هذا الذى نباهم يوسف وهم لا يشعرون بذلك ويشبه ان يكون قوله واوحينا اليه اى الى يعقوب لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ويكون قوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون هو ما قال لهم يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه الاية امرهم ان يطلبوه ويتحسسوا من امره كانه علم انه حى كقوله واوحينا اليه

لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون انه حي الا ترى انه قال لا اجد ذيح يوسف ولهذا قال حين القي الثوب على وجهه
فارتد بصيرا اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك تاويل قوله وهم لا يشعرون ان كانت الآية في يعقوب وان كانت في يوسف
فهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل وجاؤا اباهم عشاء يبكون الآية في الآية دلايل احدها انه من ارتكب صغيرة فانه يخاف
عليه التعذيب ولا يصير كافرا ومن ارتكب كبيرة لم يخرج من الايمان لان اخوة يوسف هموا بقتل يوسف وطرحه في الجب
والتغييب عن وجه ابيه واخلائه عنه وذلك لا يخلوا منهم اما ان تكون صغيرة او كبيرة فان كانت صغيرة فقد استغفروا
عليها بقولهم يا ابانا استغفر لنا الآية دل انهم انما استغفروا لما خافوا العذاب عليها وان كان كبيرة فلم يخرجوا من الايمان
حيث صاروا انبياء من بعد وصاروا قوما صالحين حيث قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين دل لما ذكرنا على قول المعتزلة
في صاحب الصغيرة ان لا تعذيب عليه وصاحب الكبيرة انه يخرج من الايمان وتنقض قول الخوارج في قولهم انه اذا ارتكب
كبيرة او صغيرة صار به كافرا مشركا وفيه نقض قول من يقول انه من كذب او وعد فاخلف او ائتمن فخان يصير منافقا
لان اخوة يوسف ائتمنوا فخانوا ووعدوا فاخلفوا وحدثوا فكذبوا فلم يصيروا منافقين لانهم قالوا اكله الذئب
ولم ياكله وهو كذب وائتمنوا فخانوا حين القوه في الجب ووعدوا انهم يحفظونه ولم يحفظوه فان قيل روي عن رسول
صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من علامات النفاق من اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد فاخلف فكيف
يوفق بين الآية والخبر اذ هو لا يحتمل النسخ لانه خبر والخبر لا يحتمل النسخ قيل يشبه ان يكون هذا في قوم خاص
من الكفرة او تمنوا بما اودع في التوراة من بعث محمد فغيروه ووعدوا ان يبينوه فاخلفوا وكتموه وحدثوا انهم بينوه
فكذبوا او يصير منافقا بما ذكر اذا كان ذلك في امر الدين واما في غيره فانه لا يصير به منافقا ولا يكون تلك من اعلام
المنافق والله اعلم **وقوله** عز وجل وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين هذا القول منهم له في الظاهر عظيم لانهم
قالوا وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ولا يحتمل ان يكونوا عنده صدقة ثم يكذبهم يكون نبي من الانبياء يعلم صدق
انسان ثم لا يصدقه هذا بعيد لكن يحتمل قولهم وما انت بمؤمن لنا في هذا ولو كنا صادقين عندك من قبل في غير
هذا او يكون قوله وما انت بمؤمن لنا اي تتهمنا ولا تصدقنا لانه اتهمهم هذا قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف
ان ياكله الذئب فاعترضت له التهمة وليس في الاتهام تكذيب بما فيه الوقف لانه من ائتمن آخر في شيء ثم اتهمه فيه
لا يكون في اتهامه اياه تكذيبه فعلى ذلك قولهم وما انت بمؤمن لنا اي تتهمنا لما سبقت من التهمة ولو كنا صادقين على هذين
الوجهين يخرج تاويل الآية والا لم يجز ان يكون نبي من الانبياء يكذب من يعلم انه صادق في خبره وقوله فان قيل في قوله
واخاف ان ياكله الذئب كيف خاف ذلك وقد قال له يعقوب وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم
عليك نعمته وعلى آل يعقوب الآية انباه انه يجتبيه ويعلمه من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليه فكيف خاف اكله الذئب
والضياع وذلك لا يحتمل ان يقول له الا بعلم من الله والوحي اليه قيل يحتمل ان يكون ما ذكر على شرط الخوف انه يخاف مما ذكر
فيكون له ما قال من الاجتباء وتعليم الاحاديث واتمام النعمة عليه او خاف ذلك على ما خافوا جميعا على ما هم عليه من الدين
وان عصموا عملا خافوا جميعا حيث قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومعلوم انه ابراهيم
لا يعبد الاصنام وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين وامثاله وهو ما ذكرنا في غير موضع ان العصمة
لا تزيل الخوف ولا تؤمن عن ارتكاب معصية بل يزيد الخوف على ذلك وعلى ذلك الاخيار والابرار كان خوفهم
واشفاقهم على دينهم اكثر من غيرهم والله اعلم **وقوله** عز وجل ذهبنا نستبق قال بعضهم ننتضل الصيد
وقال ابو عوسجة نستبق هذا من السباق اي يعدون حتى ينظروا ايهم نستبق اي يتقدم من صاحبه ويغلبه
في العدو وقال القتبي نستبق اي ننتضل يسابق بعضنا بعضا في الرمي يقال سابقته فسبقته والله اعلم **وقوله**
عز وجل وجاؤا على قميصه بدم كذب الدم لا يكون كذبا ولكنه والله اعلم جاؤا على قميصه بدم قد كذبوا فيه
انه دم يوسف وان الذئب اكله ولم يكن وقال الفراء بدم كذب بدم مكذوب والعرب قد تستعمل المصدر في موضع
المفعول ثم قال بل سولت لكم انفسكم اي زينت لكم انفسكم والتسويل هو التزيين في اللغة وتاويله والله اعلم

اي زينت لكم انفسكم ودعتكم الى امر تفصلون وتفرقون بيني وبين ابني لكنا لا نعلم ما ذلك الامر الذي زينت
انفسهم لهم ويشبه ان يكون ذلك قوله يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا والله اعلم **وقوله**
عز وجل فصبر جميل يحتمل وجهين يحتمل صبر لا جزع فيه جميل نرضى بما ابتلينا به لان الصبر هو كف النفس عن الجزع
والثاني صبر جميل كف النفس عن الجزع وجميل لا مكافاة فيه والله اعلم **وقوله** عز وجل والله المستعان لانهم
بما فعلوا بيوسف كانوا مستوجبين المكافاة فقال صبر كف النفس عن الجزع بذلك وجميل لا مكافاة فيه والله
اعلم **وقوله** عز وجل والله المستعان على ما تصفون الآية اي بالله استعين على الصبر بما تصفون او يقول
اي به استعين على ما تقولون من الكذب حين تزعمون ان الذئب اكله ونحوه **وقوله** عز وجل وجاءت سيارة قيل
السيارة هي جماعة السايرين كالمسافرين وارسلوا واردهم الوارد هو طالب الماء ومستقيه فادلى دلوه اي ارسل دلوه
في البئر وجده وقال يا بشرى هذا غلام قال بعضهم بشرى هو اسم ذلك الرجل الذي كان مع المدلي الدلو فقال له
يا بشرى هذا غلام كما يقال يا فلان هذا غلام وقال بعضهم هو من البشارة كانه قال لما ابشر بهذا الغلام
وفي بعض القراءة يا بشراي على الاضافة الى نفسه فكانه بشر نفسه اي البشرى لي بهذا الغلام ويشبه
ان يكون هذا كناية كلام كان هنالك لكن لم يبين لنا ذلك والله اعلم بذلك كقوله وقاسمهما اخبر انه
اقسم لكن لم يبين لنا ما ذلك القسم **وقوله** عز وجل واسروه بضاعة قال بعضهم الاسرار هو اسم للاخفاء
وللاظهار جميعا كقوله واسروا الندامة لما رأوا العذاب اي اظهروا الندامة فان كان ما ذكر انه اسم لهما
جميعا فكانه قال اظهروا بضاعة فان كان على حقيقة الاخفاء والاسرار فهو على الاضمار كانه قال واسروا
على ما كان واظهروا بضاعة لئلا يطلب اصحابهم في ذلك شركة والله عليم بما يعملون اي عليم بما عمل اخوة يوسف
بيوسف وعليم بما عمل السيارة من الاسرار والاظهار والله اعلم **وقوله** عز وجل وشروه بثمن بخس اي باعوه بثمن
دراهم معدودة قال بعضهم البخس هو النقصان اي باعوه بثمن لا يباع مثله بمثله وقال بعضهم البخس الظلم
الظلم باعوا ظلما واخذوا ثمنه ظلما لانهم باعوا حرا وبيع الحر حرام واخذوا ثمنه ظلما حراما لان ثمن الحر حرام
وقال بعضهم بثمن بخس دراهم اي دراهم بهرجة وزيف وكانوا فيه من الزاهدين اي كانت السيارة
في يوسف من الزاهدين حيث باعوا بثمن الدون والنقصان بما لا يباع مثله بمثل ذلك الثمن خشية ان يجيبهم
طالب لما علموا ان مثل هذا لو كان مملوكا لا ينزل هكذا لا يطلب فباعوه بادنى ثمن يكون لهم لا كما يبيع الرجل ملكه
على رغبة منه خشية الطلب والاستنقاد من ايديهم وقال عامة اهل التاويل قوله وشروه بثمن ان اخوة يوسف
هم الذين باعوه من السيارة بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين اي لم يعرفوا منزلته ومكانه
والا ولما اشبه **وقوله** عز وجل وكانوا فيه من الزاهدين اي كانوا فيه من الزاهدين كانوا في شرائه من الزاهدين
اي خافوا من الثمن ان كان مسروقا **وقوله** عز وجل وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه اي مقامه
ومنزلته عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا انما صدق التجار انه بضاعة عندهم او نتخذه ولدا ان ظهر انه مسروق
وانه حر لما وقع عندهم ان البضاعة لا تباع بمثل ذلك الثمن الذي باعوه وكذلك مكنا ليوسف في الارض تاويله
والله اعلم كما مكنا ليوسف عند العزيز وامراته كذلك يمكنك عند اهل الارض ولكن ذكر مكنا على الخبر لانه كان
ممكنا في ذلك اليوم عند العزيز والملك ويشبه ان يكون قولنا مكنا اي كذلك جعلنا ليوسف مكانا ومنزلة
عند الناس وفي قلوبهم مكان ما اخذ له اخوته لم يعرفوا مكانه ومنزلته وبعد ما كان شبه المملوك عند
اولئك والله اعلم **وقوله** عز وجل ولنعلمه من تاويل الاحاديث هذا قد ذكرناه فيما تقدم **وقوله** عز وجل
والله غالب على امره اي لا مرد لقضائه اذا قضى امرا كان لقوله لا معقب لحكمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وقال اهل التاويل انه بيع بعشرين درهما او بعشرين ونيف وذلك مما لا يعلم الا بخبر سوى ان فيه انه بيع
بثمن الدون والنقصان بقوله بخس والبخس هو النقصان يقال بخسته اي نقصته كقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم

اى لا تنقصوا وهو ما قال ولا تنقصوا المكيال والميزان وقيل البخس الظلم والحرام وقد ذكرها والله اعلم وقوله
عز وجل ولما بلغ اشده الاشد هو اشتداد كل شىء ونهاية كل نوع فى الكمال يحتمل اشده انتهاء بلوغه وانتهاء شبابه
وانتهاء عقله فى التمام لا يخلوا من هذه الوجوه الثلاثة وقول اهل التأويل من ثمانى عشرة سنة الى اربعين لانه يتم
ويكمل كل نوع من ذلك الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك آتيناه حكما وعلما قوله حكما الحكم من الناس والعلم
فى الحكم ويحتمل قوله حكما اى اعطيناه النبوة وعلما علم الاحاديث وتاويلها على ما تقدم ذكره او ان يكون اذا اعطاه الحكم
اعطاه العلم واذا اعطاه العلم اعطاه الحكم وقوله عز وجل وكذلك نجزى المحسنين يحتمل الاحسان فى الاعمال
اى عمل اعمالا حسنة صالحة ويحتمل الاحسان الى الناس اى احسن اليهم واحسن الى نفسه لا تخلوا من هذه
الاوجه الثلاثة او ان يكون قوله وكذلك نجزى المحسنين اى كذلك نجزى من احسن صحبة نعم الله واحسن وقام بشكر
ذلك كذلك اى مثل الذى جزاء يوسف لا يريد انه يجزى عين عين ما جزى يوسف ولكن يجزيه جزاء الاحسان
وقوله عز وجل وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ذكر قوله فى بيتها انا البيت قد يجوز ان يضاف الى المرأة وان كان
البيت فى الحقيقة لزوجها الى ما اضاف بيت زوجها اليها وقوله وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه المراودة قيل هى الدعوة
والطلبة راودته اى دعته الى نفسها وقال اهل التأويل راودته اى ارادته وغلقت الابواب وقالت هيت لك
قيل ان هذه كلمة اخذت من الكتب المتقدمة ليست بعربية ونحن لا نعرف ما ارادت بها لكن اهل التأويل قال بعضهم
هلم لك وقال بعضهم تهيات لك وفى بعض القراآت هيت لك بالهمز ومعناه ما ذكرنا اى تهيات لك ويشبه
ان يكون قوله هيت لك ها انا لك قال معاذ الله اى اعوذ بالله والجأ اليه انه ربى احسن مثواى قال اهل التأويل
ربى اى سيدى الذى اشتراه احسن مثواى اى اكرم مقامى ومكانى دليله قوله لزوجته اكرمى مثواه هذا يدل ان قوله
اكرمى مثواه اى احسنى مثواه ولكن يشبه ان يكون اراد بقوله انه ربى احسن مثواى ربه الذى خلقه وقوله عز وجل
انه لا يفلح الظالمون يظلمهم وقت ظلمهم والمثوى الموضع الذى يثوى فيه والثوا المقام والثاوى المقيم ومعاذ الله
قيل اعوذ بالله والجأ اليه واتحصن به او لا يفلح الظالمون اذا ختموا بالظلم واما اذا انقلبوا عنه فقد افلحوا وقوله عز وجل
لقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اما ما قال اهل التأويل انها استلقت له وهم بها اى حل سراويله
وامثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان يقال فيه شىء من ذلك والدلالة على فساد ذلك وجوها
منصوب بنزع الخافض احدها قوله هى راودتنى عن نفسى ولو كان منه الارادة والمراودة لم يكن ليقول ذلك لها
ويبرأ نفسه من ذلك والثانى قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان شىء مما ذكروا من حل
السراويل والجلوس بين رجليها لم يكن السوء مصروفا عنه والثالث قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب
ولو كان منه ما ذكروا لقد خانه بالغيب والرابع قولها ما علمنا عليه من سوء وقولها الآن حصحص الحق انا راودته
عن نفسه هذا كله يدل ان ما قاله اهل التأويل فاسد لا يحل ان يتكلم فيه بشىء من ذلك وليس فى ظاهر الآية شىء
مما قالوا من قليل ولا كثير اذ ليس فيه سوى ان همت به وهم بها ثم يحتمل الآية وجوها عندنا احدها همت به هم
عزم وهم بها هم خطر ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه وهو قول الحسن والثانى همت به
وهم الارادة والتمكن وهم بها هم دفع لكنه يدخل عليه قوله لولا ان رأى برهان ربه لو كان همه بها هم دفع
لم يكن لقوله لولا ان رأى برهان ربه معنى لكنه يشبه ان يكون هم بها اى هم قتلها فاذا كان هم بقتلها فرأى برهان ربه
فتركها لما لا يحل قتلها والثانى كان يهم بها لولا ان رأى برهان ربه على الشرط كان يهم بها لولا ما رأى
من برهان ربه وهو كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم لو لا كان من نبيناً اياك وكذلك يخرج
قول ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون اى لو كان هو الذى ينطق لفعل هو ثم اختلف
فى قوله لولا ان رأى برهان ربه قال بعض اهل التأويل رأى يعقوب عاضا على شفتيه وقال بعضهم مثل له يعقوب
وصور له فرأى عاضا على اصبعه وقال بعضهم رأى برهان ربه قال بعضهم رأى آية من كتاب الله ولا تقربوا الزنا

انه كان فاحشة الآية هذا كله لا يدرى واصل البرهان الحجة اى لولا ما رأى من حجة الله والا كان يهم بها ولكن لا ندرى
ما تلك الحجة والله اعلم بذلك والبرهان هو الحجة والآية لولا ان رأى حجة ربه وبرهان ربه وآياته او الرسالة
ويشبه الحجة اى النبوة وقوله عز وجل واستبقا الباب قال بعضهم استبقا الباب استبقت هى لتغلق الباب واستبق
هو ليخرج ويمنع لكن قوله لتغلق الباب لا يحتمل لان الابواب كانت مغلقة بقوله وغلقت الابواب ولكن استبقت
هى لتحبسه وتمنعه واستبق هو ليخرج ويهرب وقوله عز وجل وقدت قميصه من دبر لما جرت لتحبسه وقوله
عز وجل والفيا سيدها اى وجدا سيدها هذا يدل ان قوله ربى احسن مثواى لم يرد به العزيز الذى اشتراه
ولكن العزيز الذى خلقه لانه قال سيدها ولم يقل سيدهما وقوله عز وجل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوء
الا ان يسجن او عذاب اليم هذا يدل ان الارادة تكون مع الفعل لانها كانت لا تعلم ارادة ضميره فاخبرت عما عرفت
من الميل واظهار الفعل وكذلك قوله اخوة يوسف ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وكانوا لا يعرفون ما فى ضميره
من الحب سوى ما ظهر لهم منه من الميل اليه وابداء الشفقة له فهذا يدل ما ذكرنا من كون الارادة مع الفعل
والله اعلم وقوله عز وجل قال هى راودتنى عن نفسى اى دعتنى والمراودة قد ذكرنا انها هى الدعوة كقوله
ستراود عنه اباه اى سندعو امنه ونطلب فان قيل كيف هتك سترها بقوله هى راودتنى عن نفسى قيل ليس فيه
هتك الستر عليها بل فيه نفى العيب والطعن عن نفسه فالواجب على المرء ان ينفى العيب وما يشينه عن نفسه
على ما فعل يوسف وقوله عز وجل وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من كذا فهو كذا وان كان كذا فهو كذا
من كذا قال بعض اهل التأويل ذلك الشاهد هو ابن عم لها رجل حليم يقال كذا وقال بعضهم شق القميص
من دبر هو الشاهد وامثاله لكن هذا لا يعلم من كان ذلك الشاهد وقيل صبى فى المهد وليس لنا الى معرفة ذلك
حاجة وقوله عز وجل ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين هذا لان القميص اذا كان قد من قبل فهو انما يتقدم من دفعها اياه عن نفسها واذا كان القميص
قد من دبر فهو انما يتقدم من جرها اياه الى نفسها لا من دفعها اياه عن نفسها هذا هو الظاهر فى العرف
لذلك قال الشاهد ان كان قميصه قد من قبل فصدقت فهو من كذا وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو
من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن الآية استدل على انه انما تمزق من جرها اياه لا من دفعها
عن نفسها ففيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لان القميص فى الغالب لا يتمزق من دبر الا عن من وراء ولا عن قبل الا عن
من قدام لذلك دل على ما ذكرنا والله اعلم وان كان يجوز ان يكون فى الحقيقة على غير ذلك لكن نظرا الى الغالب وقال
ابو عوسجة قوله وقدت قميصه اى شقت وخرقت وقد ومقدود اى مشقوق من دبر اى من خلف ومن قبل اى من قدام
وهو مأخوذ من القبل من قبل المرأة وقوله والفيا سيدها لدا الباب ولم يقل سيدهما فهذا يدل ما ذكرنا لدا الباب
وهو ظاهر اى وجدا سيدها عند الباب وفى قوله ان كان قميصه قد من قبل فهو كذا وان كان قميصه قد من دبر
فهو من كذا دلائل يستدل بها المسائل لاصحابنا من ذلك قولهم فى حانوت فيه لؤلؤ واهاب تنازع فيه دباغ ولؤلؤى
فانه يقضى باليد لكل واحد منهما فى ذلك للؤلؤى باللؤلؤ وللدباغ بالاهاب باليد يستدل بغالب الامر وظاهر اليد
على ما قضى عليها بالمراودة بتمزق القميص من دبر وامثال هذا مسائل يكثر عددها يقضى بالدلالة الغالبة وان كان
يجوز فى الحقيقة على خلاف الظاهر وقوله عز وجل فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم
يشبه ان يكون كيدها انها لما راودته من نفسه وامتنع على اظهار ذلك وافشائه عليه فافتت عليه ذلك حيث
الى اجابتها فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا ذلك العوك منها من كيدهن واصل الكيد والمكر هو الاخذ على الامن
والله اعلم وفى الآية دلائل لقول اصحابنا وقوله فى المتاع يختلف فيه الزوجان فان كان من متاع الرجال فهو
فى يد الرجل وان كان من متاع النساء فهو فى يد المرأة فى قول ابى يوسف ومحمد وقوله عز وجل يوسف اعرض عن هذا
يحتمل قوله اعرض عن هذا عن جميع ما كان بينهما اى استر عليها ولا تهتك عليها سترها وقوله عز وجل واستغفرى

لذنبك قال ليوسف ذلك القايل اعرض عن هذا وقال للمرأة استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين
لما ظهر عنده انها هي التي راودته ودعته في نفسها ثم اختلف في تاويل هذا القول قال بعضهم هو زوجها
قال ليوسف اعرض عن هذا ولا تهتك عليها سترها لكنهم قالوا انه كان قليل الغيرة وقال بعضهم ذلك
القايل هو رجل لحن هو ابن عم لها وهذا اشبه وقوله واستغفري لذنبك قال بعضهم قال هذا لها لانهم
وان كانوا يعبدون الاصنام فانما يعبدونها ليقربوهم الى الله زلفى حيث قال لها واستغفري لذنبك وقال بعضهم
من اهل التاويل قوله واستغفري لذنبك الى زوجك حيث خنته فان كان التاويل هذا فذلك يدل ان القايل
لذلك رجل آخر لا زوجها فان كان التاويل هو الاول فانه يحتمل كليهما ايهما كان والله اعلم وقوله عز وجل
وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه يشبه ان يكون استكتمت سرها عند نسوة
في المدينة امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه يشبه انكون استكتمت سرها عند نسوة في المدينة فافشين
سرها عند اهل المدينة ليبلغ ذلك الخبر الملك وان لم تكن اعلمت ذلك النسوة فلا بد من ان يعلم ذلك بعض خدمها
فالخادم اعلمت سرها وافشت عند نسوة في المدينة فقلن عند ذلك تراود فتيها اي تدعوا عبدها الى نفسها
وقوله عز وجل قد شغفها حبا قال بعضهم الشغاف هو حجاب القلب وغلافه قد شغفها حبا اي بلغ حبها
اياه الشغاف والمشغوف قيل المجنون حبا وهو من العشق قال الحسن الشغف انيكون قد بطن لها حبه والشغف
انيكون مشغوفا به قال ابو عوسجة شغفها حبا اي دخل الحب في شغاف القلب وهو غطاؤه وقال من قراها
شغفها اي ذهب بعقلها اي عشقها لكن هذا قول ولئن النسوة فلا ندري ما ارادوا بذلك انما ذلك خبر اخبر
عن قول قلن هن والله اعلم وقوله عز وجل انا لنريها في ضلال مبين حيث خانت زوجها او في ضلال مبين
اي في حيرة من حبه والله اعلم وقوله عز وجل فلما سمعت بمكرهن اي بقولهن المكر هو الاخذ في حال الامن
وهو الخيانة فيما ايتمن واستكتم فهذه كانها استكتمت سرها وحبها ليوسف عن الناس وافشت ذلك للنسوة
في المدينة على ان يستكتمن عن الناس وافشين عليها ذلك فذلك المكر الذي سمعت والله اعلم الى هذا
ذهب بعض اهل التاويل وامكن ان يكون المراة لم تفش سرها اليهن لكن بعض خدمها الذي اطلعت على ذلك
هي التي افشت اليهن فافشين هن ذلك فلما سمعت ذلك منهن ارسلت اليهن اما تنويشا ودعا للضيافة
واما استزادة بزدنها واما قول اهل التاويل ان النسوة كانت امراة الخباز والساقي ولا ادري من هذا فذلك
لا نعلمه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل واعتدت لهن متكا قال الحسن متكا طعاما
وشرابا ومتكاه وقال بعضهم الاترج والترنج وقال بعضهم متكيا او وسايدا وما يتكا عليه وقال ابو عوسجة
متكيا ممدود يعني هيات المجلس ما يتكا عليه ومن قرا متكا مقصور وهو الاترج وطعاما على ما قال الحسن
وكذلك قال القتبي قال ويقال البزماورد وقوله عز وجل اتت كل واحدة منهن سكينا اي اعطت كل واحدة
منهن سكينا ظاهر وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه ههنا كلام انه كيف اطاع يوسف بالخروج على النساء
بقولها اياه اخرج عليهن فذلك مما لا يحل لكنه يخرج على وجوه احدها انه انما يكره الدخول عليهن والخلوة
بهن واما الخروج عليهن فهو ليس بمكروه اذ فيه الخروج منهن لانه اذا خرج عليهن كان يقدر ان يخرج منهن
فكانه لما اذنت له بالخروج عليهن خرج رغبة ان يخرج من عندهن اذ لم يقدر ان يخرج من البيت عليهن
بغير اذن منها فالامر بالخروج عليهن افاده اذنا بالخروج من البيت اذ لا سبيل له الى الخروج منه بلا اذن له
منها فخرج عليهن ثم من عندهن الى غيره من المكان وذلك مما لا يكره اذا كان مما لا سبيل الى ما سواه ويشبه
انيكون منها الامر بالخروج حسب اذ خرج ولم تقل عليهن ولم تعلم يوسف انها انما تامر بالخروج على النساء
فخرج لكن الله عز وجل اخبر عن مقصودها وكان مقصودها من الامر بالخروج خروجا عليهن فاخبر عن مقصودها
بقوله وقالت اخرج عليهن ومثل هذا قد يكون في الكلام وجايز ان يكون قوله اخرج عليهن اي عنهن وذلك جايز

في اللغة

في اللغة على مكان عن كقوله اذا اكتالوا على الناس اي عن الناس وامثاله كثيرة وفي هذه الاية دلالة ان مشتري
يوسف كان يمنع يوسف عن الخروج الى البلد والسوق ومن ان تخالط الناس انا اشفاقا على نفسه ولئلا يفتن
النساء او ليلا يطلع على نفس يعقوب لما وقع عنده انه مسروق فكيفما كان ففيه ان على المرء ان يحفظ ولده وعبيده
اشفاقا عليه وقوله فلما رأينه اكبرنه اي اكبرنه واعظمنه من حسنه ان يكون مثل هذا بشرا لا ترى
انهن قلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقطعن ايديهن قيل جزا بالسكين وقوله عز وجل حاش لله
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم حاش لله قال اهل التاويل اي معاذ الله وقال بعضهم حاش لله كلمة تنزيه
من القبيح ودل هذا القول منهن انهن لن يؤمن بالله حيث قلن معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
قوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم كان الملك وان لم يرونه حسن عندهم ينسبون كل حسن الى الملائكة
والشيطان لعنه الله عندهم قبيح فنسبوا كل قبيح اليه وقوله بشرا قرا بعضهم بشرا بالتنوين اي ما هذا بمشتري
وقوله عز وجل قالت فذلكن الذي لمتنني فيه يقولهن امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه اي انكن
لمتنني فيه اراود عن نفسه وانتن قطعتن ايديكن اذا رايتن وانكرتن ان يكون هذا بشرا فذلك اعظم
وقوله عز وجل ولقد راودته عن نفسه اي دعوته الى نفسي فاستعصم قيل امتنع كقوله لا عاصم اليوم
من امر الله اي لا مانع ويشير قوله استعصم بالله او بدينه وشوته او بعقله هذا يدل على انه لم يكن منه ما قال
اهل التاويل من حل السراويل ونحوه حيث قالت فاستعصم وقوله عز وجل ولئن لم يفعل ما امره قالت ذلك
امراة العزيز ليسجنن وليكونا من الصاغرين يشبه انيكون قولها ليسجنن وليكونن في السجن من الصاغرين
او ليسجنن وليكونا من المذلين الصاغر هو الذليل لانه قال لامراته اكرمي مثواه فكان مكرما عندها معظما فلما لم
يجبها الى ما دا ودته فقالت ليسجنن وليكونا من الصاغرين اي من الذليلين وقوله عز وجل رب السجن احب الي مما تدعونني
اليه فيه دلالة انه قد كان منهن من المراودة والدعاء ما كان من امراة العزيز من المراودة والدعا الى نفسها حيث قال
السجن احب الي مما تدعونني اليه الا ترى انه قال في موضع آخر ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه وكذلك قالت
امراة العزيز فذلكن الذي لمتنني فيه اي كنتن تلمتنني فيه ان راودته عن نفسه والآن قد راودته عن نفسه
وقوله يوسف رب السجن احب الي مما يدعونني اليه اي ذلك الذل والصغار احب الي اي اثر عندي واختير في الدين
مما يدعونني اليه وان كان ما يدعونه اليه تهواه نفسه وتميل اليه وتحبه فاخبر ان السجن احب اليه اي آثر واختير
في الدين اذ النفس تكره السجن وتنفر عنه الا ترى انه قال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فهذا
يدل على ان ما قال السجن احب الي مما يدعونني اليه انما اراد به محبة الاختيار والايثار في الدين لا محبة النفس واختيارها
بل كانت النفس تحب وتهوى ما تدعونه اليه دليله قوله اصب اليهن واكن من الجاهلين وليس الدعا في قوله رب السجن
احب الي مما يدعونني اليه كما تقول بعض الناس انه انما وقع في السجن لانه سال ربه السجن فاستجيب له في ذلك ولكن الدعاء
في قوله والا تصرف عني كيدهن وهو كقول آدم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا الآية ليس الدعا في قوله ربنا ظلمنا انفسنا
لانه اخبار عما كان منهم انما الدعا في قوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وكذلك قول نوح رب
اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني وفي قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن دلالة ان عند الله
لطفا لم يكن اعطى يوسف ذلك اذ لو كان اعطاه لكان كيدهن وشرهن مصروفا عنه حيث قال والا تصرف عني كيدهن
ولو كان اعطى ذلك لم يكن لسواله ذلك معنى فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله قد اعطى كلا قدر كل طاعة
وقوة كل خير والدفع عن كل شر وقوله والا تصرف عني كيدهن اي لا احد يملك صرف كيدهن عني لو لم تصرف انت
وكذلك قوله والا تغفر لي وترحمني وهو ابلغ في الدعا من قوله اللهم اغفر لي وارحمني وقوله اصب اليهن قال بعضهم
اميل اليهن وقال بعضهم قال لو لم تصرف عني كيدهن لاتابعهن ويقال الصبو هو الخروج من الامر يقال كل من خرج من دينه
فقد صبا وبهذا كان المشركون يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابيا اي خرج مما هو عليه وقال ابو بكر الاصم الاصبو الا

المعجب وقوله واكن من الجاهلين اى يكون فعلى فعل الجهال لا فعل العلماء والحكماء ان لم تصرف عنى كيدهن وقوله
عز وجل فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن اى اجاب له ربه فصرف عنه كيدهن هذا يدل على ان الدعا كان
فى قوله والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن ليس فى قوله رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه انما هو خبر اخبر حيث
اخبر انه اجاب له ربه فصرف عنه كيدهن وقوله عز وجل انه هو السميع العليم لكل قول وكلام خفيا كان على الخلق
او ظاهرا العليم به لا يخفى عليه شئ وفى قوله والا تصرف عنى كيدهن فصرف عنه كيدهن دلالة انهن كن يدعونه
الى ذلك من وجه كان يخفى عليه ولم يشعر به فالتجأ الى الله فى صرف ذلك عنه وقوله عز وجل ثم بدا لهم من بعد
ما راوا الآيات ليسجننه حتى حين ذكر فى بعض القصة انها قالت لزوجها ما زال يوسف يراودنى فى نفسى
فابيت عليه فصدقها فحبسه فى السجن وقوله عز وجل من بعد ما راوا الآيات قال اهل التاويل هو قد القميص
من دبر وخمش الوجه وغيره ولكنه يشبه ان يكون الآيات التى راوها آيات نبوته ورسالته وقال بعضهم
حبسوه ليتقوا عن المراة ما رميت به ولينقطع ذلك عن الناس ويموت ذلك الخبر ويذهب فيه انهم حبسوه
بعد ما راوا آيات عصمته وبراءته عما اتهموه وانهم ظلمة فى حبسه والله اعلم وقوله عز وجل ودخل معه السجن
فتيان قيل عبدين للملك غضب عليهما الملك قال احدهما انى اعصر خمرا وقال بعضهم ارض يدعى العنب
بها خمرا باسم سببه وباسم اصله وجائز فى اللغة تسمية الشئ باسم سببه وباسم اصله وقال الآخر
انى ارانى احمل فوق راسى خبزا كان احدهما خباز الملك والآخر ساقيه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين
قال بعضهم لحسانه فى السجن لما كانوا راوه يداوى المرضى ويعزى حزينهم ويجتهد فى نفسه فى العبادة لربه هذا
يحتمل لعله كان يرى اهل السجن ويصلهم ويجتهد فى العبادة لله فى الصلوة له والصوم وانواع العبادة التى
تكون فيما بينه وبين ربه فسماه محسنا لذلك ويشبه ان يكون قالوا انا نراك من المحسنين لما تاويله سيما الخير
واثاره او يدعوهم الى توحيد الله والعبادة له وخلعهم عن عبادة الاصنام والاوثان والانتزاع من ذلك
فسمياه محسنا لذلك ويحتمل قوله انا نراك من المحسنين لما راوه فاحسن الى اهل السجن ويحتمل الاحسان ههنا
العلم انا نراك من العالمين وهو قول الفراء وقوله عز وجل نبئنا بتاويله سمى التعبير تاويلا لان التاويل
هو الاخبار عن العواقب لذلك سموا تاويلا ثم خرج تاويل الذى كان يعصر الخمر على العود الى ما كان فى امر
من السقى للملك وهو كان ساقيه على ما ذكر فلما راى انه دام على امر اول له بالعود الى امر الذى كان فيه والآخر
كان خبازا على ما ذكر وهو انما كان يخبز للناس فلما راى انه حمل الخبز على راسه وانه ياكل الطير علم انه يخرج
من الامر الذى كان فيه وحين وجه يكون هلاكه لانه كان من قبل يخبز للناس فصار يخبز لغيرهم فاستدل
بذلك على حين وجه من امره وعلمه لكنه اخبر انه يصلب لانه كان قايما منتصبا فاول ما كان امره والله اعلم وقوله
عز وجل لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما هذا والله اعلم كان يقول لهم ذلك ليعرفهم
ان عنده علم ذلك علم ما لا يحتاج اليه فيعلم ما يحتاج اليه احرى ان يعلم ذلك وهذا والله اعلم منه احتيال
لينزعهم عما هم فيه من عبادة الاوثان وعبادتهم غير الله ويرغبهم فى توحيد الله وصرف العبادة اليه
ولهذا قال ذلكما مما علمنى ربى هذا بالطف ما اضاف اليه انه علمه والا التعليم لا يكون الا باختلاف الملائكة اليه
وذلك لطف من الله نعمة للرسل عليهم الصلوة والسلام وقوله لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل
ان ياتيكما تاويله والله اعلم اى لا ياتيكما طعام دائما اثار ذلك فى المنام الا نباتكما بتاويل ذلك قبل ان ياتى ذلك
وقوله عز وجل انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله اخبر انه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله الآية وقوله تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله ليس انه كان فيه ثم تركه ولكن تركه ابتداء ما لو لم يكن تركه كان اخذا بغيره وهو كقوله
رفع السموات ليس انها كانت موضوعة فرفعها ولكن رفعها اول ما خلقها وكذلك قوله والارض وضعها ليس انها
مرفوعة ثم وضعها اى انشاها مرفوعة وموضوعة وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ليس انهم كانوا فيها فاخرجهم

ولكن عصمهم

ولكن عصمهم حتى لم يدخلوها فيها فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق
ويعقوب قال فى الآية الاولى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله واخبر انهم كافرون بالله واليوم الآخر وفيه ان
انه من لم يؤمن بالله واليوم الآخر فهو كافر فهذا ينقض على المعتزلة حيث جعلوا بين الكفر والايمان رتبة ثالثة
ويوسف يخبر انه من لم يؤمن بالله فهو كافر وهم يقولون صاحب الكبيرة غير مؤمن بالله وهو ليس بكافر
ثم اخبر انه ترك ملة اولئك الذين لا يؤمنون بالله واتبع ملة آبائه ابراهيم ومن ذكر ثم اخبر عن ملة آبائه وهو
ما ذكر ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ عرفهم ملة آبائه ودينهم وهو ترك الاشراك بالله وجعل الالوهية له
وصرف العبادة اليه وفيه ان الملة ليس الا ملتين ملة كفر وملة الاسلام واخبر ان من لم يكن فى ملة الاسلام
كان فى ملة الكفر ثم خص بذكر هؤلاء ابراهيم واسحق ويعقوب لان هؤلاء كانوا مكرمين عند الناس كافة كل اهل
الدين يدعون انهم على دينهم اولئك فاخبر انهم على دين الاسلام والحنيف المخلص ليس على ما تزعمون انتم ولهذا قال
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وفى قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون
دلالة ان الكفر كله ملة واحدة حيث اخبر انه ترك ملة قوم لا يؤمنون على اختلاف مذاهبهم وقوله عز وجل ذلك
من فضل الله علينا وعلى الناس اى ذلك الدين والملة التى انا عليها واياى من فضل الله علينا وعلى الناس لانه عز وجل
فطر الناس على فطرة يعرفون وحدانية الله وربوبيته بعقول ركب فيهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضل الله وما ركب
فيهم من العقول او ذلك الدين والهداية الذى اعطاهم من فضل الله لكن الناس يتركون ذلك وتلك الهداية والله اعلم
وقوله عز وجل يا صاحبى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يوسف لما سئل عن تاويل الرؤيا دعاهم
الى توحيد الله ودلهم عليه فقال ذلكما مما علمنى ربى وقال يا صاحبى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
اى عبادة رب واحد وارضاؤه خير ام عبادة عدد وارضاهم لانه اذا عبد بعضا واجتهد فى ارضائهم اسخط
الباقين فلا سبيل الى الوصول الى المقصود والظفر بحاجته اذ لا يقدر على ارضائهم جميعا وان اجتهد واما الواحد فانه
يقدر على ارضائه اذ لا يزال يكون فى عبادته وارضائه فيصل الى الحاجة والظفر بمقصوده والثانى يخبر ان الواحد القهار
يقهر غيره من الارباب ومن تعبدون فعبادة الواحد القهار خير من عبادة عدد مقهورين وقوله عز وجل ما تعبدون
من دونه من الاصنام والاوثان الا اسماء سميتموها آلهة انتم وآباؤكم ولا يستحقون العبادة ولا التسمية بالالوهية
انما المستحق لذلك الذى خلقكم وخلق السموات والارض وما انزل الله بها من سلطان اى ما انزل الله على ما عبدتموهم
وسميتم انتم وآباؤكم آلهة من حجة ولا برهان ان الحكم الا لله اى ما الحكم فى الالوهية والربوبية والعبادة الا لله ليس
كما تقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول ما الحكم فى العبادة
والالوهية الا لله او يقول ما الحكم فى الخلق الا لله كقوله الا له الخلق والامر اى له الخلق وله الامر فى الخلق امر ان لا تعبدوا
الا اياه حكمه هذا امر ان لا تعبدوا الا اياه وقوله عز وجل ذلك الدين القيم اى عبادة الله وتوحيده هو الدين القيم
لانه دين قام عليه الحجة والبرهان واما ساير الاديان فليست بقيمة اذ لا حجة قامت عليها ولا برهان والقيم هو القايم
الذى قام بحجة وبرهان وقال اهل التاويل القيم المستقيم وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحتمل
لا يعلمون لما لم يتفكروا فيه ولم ينظروا فلم يعلموا ولو نظروا فيه وتفكروا لعلموا وهذا يدل ان العقوبة تلزم وان جهل
اذا امكن له العلم به فلا عذر له فى الجهل اذا مكن العلم به او علموا لكنهم لم ينتفعوا بعلمهم فنفى عنهم العلم لذلك والله اعلم
وقوله عز وجل يا صاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من راسه هو ما ذكرنا انه
تاول رؤيا الساقى وجهها على العود الى ما كان من قبل لما راى انه كان عمل على ما كان يعمل من قبل وعبر رؤيا الخباز
بالهلاك لما راى انه حمل الخبز على الراس والخبز اذا خبزه الخباز لا يحمله على راسه فراى انه قد انتهى امره اذ حمل على خلاف
ما كان يعمل من قبل فتاكل الطير من راسه فعبر انه يصلب وتاكل من راسه لما راى انه حمل الخبز على راسه لما كان
يخبز من قبل للعباد فلما راى انه خبز لغيره عبر انه يهلك فتهلك الطير من راسه وقوله عز وجل وقضى الامر

الذى فيه تستفتيان قال بعض اهل التاويل انه لما عبر لهما رؤياهما قال الذى عبر له الصلب والقتل
لم ار شيئا انما كنا نلعب فقال لهما يوسف قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى فرغ وانتهى لكن هذا لا يعلم الا ذلك
امر لم يقولا سوى ان فيه انه عبر رؤياهما وكان ما عبر لهما وقد علم ذلك بتعليم من الله اياه بقوله ذلكما مما علمنى ربى
وقوله عز وجل وقال للذى ظن انه ناج منهما قال بعضهم ظن الذى صدق هو ذلك الرجل فكان الظن فى موضع
الظن وان كان الظان هو يوسف فهو علم ويقين اى علم وايقن انه ناج منهما لانه لا يحتمل على حقيقة الظن
من يوسف اى وقال للذى ناج منهما انه يذكره عند ربه وهو على التقديم والتاخير وقوله عز وجل اذكرنى
عند ربك قال بعض اهل التاويل ان يوسف لما فزع الى غير الله وطلب اخراجه من السجن من الملك انساه الله
فيه سنين واخذ فيه عقوبة له حين رجا غير ربه لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يكون يوسف يفزع الى غير الله
ويدفع قلبه عن الله ويشغله بمن دونه لكنه راى والله اعلم ان الله عز وجل جعل سبب نجاته على يديه وانه بقى
فيه منسيا لما علم انه لم يكن منه سبب يلزمهم الحبس فى السجن سوى الاعتذار الى الناس والاعتلال لهم على نفى
ما قرفت به زوجته او لينقطع ذلك الخبر عن السن الناس ويبعد عنا وهامهم فراى انه اذا ذكره لعله اخرجه
من ذلك لما راى انه جعل سبب نجاته على يديه لا انه راى ذلك منه ورفع قلبه عن الله وهكذا جعل الله تعالى امور
الدنيا كلها وعلى ذلك تعبد عباده باستعمال الاسباب مع اعتقاد القلب القدر من الله نحو ما جعل لانزال الزراعة
باسباب يكتسبونها ونحو الاسلحة التى اتخذت للحرب والقتال بها مما يكثر عدد ذلك وانما يحاربون بالله وبه
يقاتلون ومن عنده ينصرون وقد امر بذلك كله وبتلك الاسباب فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وليس
كل من فعل هذا كان فزع الى غير الله او راى النصر والنجاة من ذلك الشىء والسبب بل راى ذلك كله من الله
ومن عنده فعلى ذلك يوسف لا يجوز ان يتوهم انه فزع الى مخلوق مثله وراى نجاته من عند ذلك ولكن للوجه الذى
ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اذكرنى عند ربك يحتمل وجهين احدهما اذكرنى عند ربك لعلى حبست
بلا علم منه وبغير امره لان تلك المرأة هى التى اوعدت له السجن فوقع عنده انها هى التى احتالت فى حبسه فقال
له ذلك ما قال والثانى يقول اذكرنى بالذى رايت منى وسمعت لانه دعاهما فى السجن الى التوحيد حيث قال
ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وقوله عز وجل فانساه الشيطان ذكر ربه قال بعض اهل التاويل
انسى الشيطان يوسف دعاء ربه الذى انشأه وخلقه فلم يدع ربه الذى هو فى الحقيقة رب وقال بعضهم قوله
فانساه الشيطان الذى قال له يوسف اذكرنى عند ربك ذكر ربه وهذا اشبه والاول بعيد لانه قال فى آخر
وادكر بعد امة اى بعد حين انا انبئكم بتاويله فارسلون دل هذا انه انما انسى الشيطان على ذلك الرجل فلم يذكره
عنده حينا وقال بعضهم لم ينسه الشيطان ولكن تركه عمدا لم يذكره عنده لعله يتذكر ما تقدم من المقال فيزداد
غضبا عليه فتركه عمدا الى ان جاءه وقته والله اعلم لان بدء كل شر يكون من الشيطان واضاف الانساء الى الشيطان
وكذلك قال موسى عليه السلام وما انسانيه الا الشيطان فهو والله اعلم لان بدء كل شر يكون من الشيطان لانه
يخطر بباله ويقذف فى قلبه ويوسوسه ثم يكون من العبد العزيمة على ذلك والفعل وفائدة النسيان والله اعلم هو
ان الله تعالى اراد ان يظهر آية رسالته وحجة نبوته بكونه فى السجن ويظهر براءته فى شان تلك المرأة بشهادة اولئك النسوان
وذلك علم الاحاديث التى ذكروا والرؤيا التى عبرها وقوله عز وجل فلبث فى السجن بضع سنين قال بعضهم
خمس سنين وقال بعضهم سبع سنين ونحو ذلك ولكن لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه
انه لبث فيه حينا وقال ابو بكر الاصم قوله يا صاحبى السجن سماهم اصحاب السجن لانهم كانوا فى السجن كما يقال لاصحاب النار
واصحاب الجنة ونحوه لكنه لو كان ما ذكر لقال يا صاحبا السجن بالالف فلما لم يقل هذا دل انه اضاف الى نفسه
كانه قال يا صاحبى فى السجن لانهما كانا معه فى السجن وقوله قضى الامر الذى فيه تستفتيان قيل فرغ وقيل انتهى
الامر الذى فيه تستفتيان وانهى كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل الآية وقوله قضى الامر الذى فيه تستفتيان كانه بلغ

اليهما وحيا اليه وامر به اى هو كائن من غير رجوع كان منهما على ما يقوله اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل
وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ذكر انه راى وليس فيه ذكر انه راى فى المنام ولكن ذكر فى آخره الرؤيا دل
انه راى فى المنام بقوله ان كنتم للرؤيا تعبرون وفيه ان من الرؤيا ما هو حق ولها حقيقة ومنها باطل لا حقيقة لها
لانه قال يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام فكان الرؤيا هى حق ولها حقيقة
يتامل عواقبها واضغاث احلام لا حقيقة لها وقوله عز وجل انى ارى سبع بقرات سمان اما البقرات هى السنون والسمان
هى الخصبات الواسعات ياكلهن سبع عجاف العجاف هن المجدبات وسبع سنبلات خضر السنبلات سنبلات وخضر
عبارة عما يحصد واخر يابسات عبارة عما لا يحصد اى لا يكون فيه ما يحصد فيه دلالة ان فى الرؤيا ما يكون مصرحا مشارا اليها
يعلم بالبديهة ومنها ما يكون كناية مبهما غير مفسر لا يعلم الا بالنظر فيها والتفكر والتامل لانه قال انى ارى سبع بقرات
وسبع هو سبع لا غير وبقرات هن كناية عن السنين وسمان كناية عن الخصب والسعة ياكلهن على حقيقة الاكل لا غير وكذلك
سبع عجاف السبع هو سبع والعجاف كناية عن الشدة والجدب وسبع سنبلات هن عين السنبلات وخضر هن كناية
عما يحصد ويابسات كناية عما لا يكون فيه ما يحصد ففيه ان من الخطاب ما يكون مصرحا مبينا مشارا اليه
يفهم المراد منه بالبديهة وقت قرع الخطاب السمع ومنه ما يكون مبهما غير مفسر فهو على وجهين منه ما يفهم بالنظر
فيه والتفكر والثانى لا يفهم بالبديهة ولا بالنظر فيه والتفكر الا ببيان يقترن به سوى ذلك على هذا يخرج
المخاطبات فيما بين الله وبين الخلق والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى ان كنتم
للرؤيا تعبرون خاطب الاشراف من قومه العلماء بقوله يا ايها الملأ على ما ذكرنا فيما تقدم ان الملأ هو اسم
للاشراف منهم والرؤساء وهكذا العادة فى الملوك انهم اذا خاطبوا انما يخاطبون اعقلهم واعظمهم منزلة
عندهم واكرم مثواهم ودل قوله افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون انه انما راى ذلك فى المنام والله اعلم
وقوله افتونى فى رؤياى الآية كانه نهاهم ان يتكلفوا التعبير للرؤيا التى رآها اذا لم يكن لهم بها علم
وكذلك الواجب على كل من سئل عن شىء لا يعلم ان لا يشتغل به ولا يتكلف علما اذا لم يكن له به علم حيث
قال افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون وقوله عز وجل قالوا اضغاث احلام قال بعضهم اباطيل الاحلام
الكاذبة وقال بعضهم اخلاط احلام الكاذبة مثل اضغاث احلام النبات تجمع فيكون فيها ضروب مختلفة وهو
كما قيل فى قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث اى جماعة من اغصان الشجر وقال بعضهم اضغاث احلام
الضغث والاضغاث ما لا يكون له تاويل ويقال للنوع من الكلام ضغث وهو الملتف شبه الهذى ونحوه وقيل
ان الضغث والاحلام هما اسمان لشىء لا معنى له ولا تاويل وهما واحد واصل الاحلام كان يخرج من وجهين
احدهما العقول دليله قوله ام تامرهم احلامهم بهذا اى عقولهم ام هم قوم طاغون والثانى من الاحلام وهو
ما ذكرنا من الحلم كقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم الآية فيشبه ان يكون يخرج على هذا لان الصبى ما لم يعقل
لا يلعب به الشيطان ولا يحتلم كان الاحتلام هو من لعب الشيطان به فسمى الرؤيا الباطلة الكاذبة احلاما لانها
من لعب الشيطان به كما سمى احتلام الصبى حلما لانه اذا بلغ العقل لعب به الشيطان وقوله عز وجل وما نحن بتاويل
الاحلام بعالمين يحتمل قوله تعالى وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لما لا تاويل لها كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى
وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اى لا شفيع لهم ويحتمل قوله وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لها تاويل
ولكن نحن لا نعلمها والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذى نجا منهما من الهلاك وهو الساقى الذى ذكر وقوله عز وجل
وادكر بعد امة اى تذكر بعد امة قال الامة ههنا الحين اى ذكر بعد حين ووقت كقوله ولئن اخرنا عنهم العذاب
الى امة معدودة قيل حين ووقت معدودة وقال الحسن وادكر بعد امة اى بعد امة من الناس ويقرأ بعد امه
قال ابو عوسجة الامة النسيان والسهو اى تذكر بعد نسيان وسهو كقوله فانساه الشيطان ذكر ربه يقال منه فى الكلام
امه يامه امها وهو النسيان اى نسى والامة من الام والقرون التى مضت والامة النعمة والام جمع والامة ايضا الدين والسنة

كقوله انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون اى على دين ويقال الامة القامة ايضا يقال فلان حسن الامة اى حسن القامة ويقال الام القريب فهو يحتمل ههنا الوجهين اللذين ذكرناهما اى ذكر بعد حين ووقت او بعد نسيان من قرأه بالنصب والله اعلم وقوله عز وجل انا انبئكم بتاويله معناه اى انا آتيكم ببيان تاويلها لانه كان بينهم هو بنفسه الا ترى انه قال فارسلون يوسف فيه اضمار كانه قال فارسلون الى يوسف وليس فى تلاوة الآية انه ارسل اليه ولا اتيانه اليه ولكن فيه دليل ارسل اليه فاتاه فلما اتاه قال ايها الصديق قيل الصديق هو كثير الصدق كما يقال شريب وفسيق وسكير اذا كثرت ذلك منه والصديق هو الذى لم يوخذ عليه كذب قط او سماه صديقا لما عرف انه رسول الله وهو ما قال فى ابراهيم انه كان صديقا نبيا او يقول انا انبئكم بتاويله اى انا اتعلم منه فانبئكم بتاويله وقوله عز وجل افتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فافتاها له وعبرها عليه وهو ما قال تزرعون سبع سنين دابا الى آخر ما ذكر وقوله ثم ياتى من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون هذا تعبير رؤيا الملك الذى ساله وقوله عز وجل لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون هذا يحتمل وجوها يحتمل يعلمون ان هذه الرؤيا حق ولها حقيقة ليس كما قال اولئك اضغاث احلام والثانى يعلمون فضلك على غيرهم من الناس ويعلمون انك تصلح لحاجاتهم التى فى حال يقظتهم فيرفعونها اليك كما صلحت ما كان لهم فى حال نومهم ثم علمهم الزراعة وجميع الطاعات والادخار كيف يدخر حتى تبقى لهم ذلك الوقت فقال تزرعون سبع سنين دابا قال بعضهم اى دائما اى تداومون الزراعة فيها وقال ابو عوسجة دابا من الدوب من الجد والتعب وقال القتبى دابا اى جدا فى الزراعة ومتابعة وكله واحد وقوله عز وجل فما حصدتم فذروه فى سنبله لا تبعوه لان ذلك ابقى له من ذا بقى ومميز الا قليلا مما تاكلون فتبقون انشيتم اى قدر ما تاكلون وقوله ثم ياتى من بعد ذلك سبع شداد قيل مجدبات من السنبلة ياكلن ما قدمتم لهن اى مما ادخرتم لهن الا قليلا مما تحصنون قال بعضهم تدخرون وقال بعضهم تحرزون قال ابو عوسجة احصنته اى ادخرته وقوله عز وجل ثم ياتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس قال بعضهم هو من الغيث وهو المطر اى يمطرون وقيل يغاثون بالمطر من الاغاثة والغوث وقوله عز وجل وفيه يعصرون قال بعضهم هو من عصر الاعناب والدهن والزيت وغيره انما هو اخبار عن الخصب والسعة وقال بعضهم قوله يعصرون قال بعضهم يعصرون اى ينجون بعوله من العصر يعنى الملجأ اى يلجاؤن الى العنب والعصرة المنجاة وهو قول ابى عبيدة واما قول غيره من اهل الادب والتاويل فهو من العصر يعنى عصر العنب وغيره والله اعلم وقوله عز وجل وقال الملك ائتونى به يعنى يوسف فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن فيه دلالة ان قول يوسف للرجل اذكرنى عند ربك انما طلب بذلك براءة نفسه فيما اتهم به ليس كما قاله اهل التاويل لانه لو كان غير ذلك لا يرد الرسول اليه ولكنه خرج والله اعلم وقوله فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن يحتمل هذا وجهان احدهما انهن على كيدهن بعد ما رجعن عن ذلك والثانى ليعلم الملك براءته مما قرف به واتهم ليظهر عنده انه كان بريئا مما قرف به اتهم وقوله عز وجل ان ربى بكيدهن عليم انهن كدن ثم قال هن الملك ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هذا يدل ان الملك قد علم انهن راودن يوسف عن نفسه لانه قال ما خطبكن اذ راودتن ولم يقل لهن اراودتن ام لا ولكنه قطع القول فيه وقوله عز وجل قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء بدأ بهن حتى اقررن انه كان بريئا مما قرف به واتهم ثم اقرت امرأة الملك بعد ذلك لما اقرت النسوة فقالت الآن حصحص الحق قيل الآن تبين الحق وتحقق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى وقوله ما خطبكن ما شانكن وامركن والخطب الشان راودتن قد ذكرناه وقوله قلن حاش لله قيل معاذ الله وقيل هى كلمة تنزيه وتبرئة من القبيح وقوله ما علمنا عليه من سوء قال اهل التاويل الزنا ولكن قوله ما علمنا عليه من سوء هو السوء الذى قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا هو ذلك السوء قالت انه اراد بها قلن ما علمنا منه ذلك

وقوله حصحص الحق قد ذكرناه انه تبين الحق وفى قوله ما علمنا عليه من سوء دلالة ان لم يكن منه ما قاله اهل التاويل من حل السراويل وغيره لانه لو كان منه ذلك قد علمن منه السوء وقوله عز وجل ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قوله ذلك الرد الذى كان منه وترك الاجابة لرسول الملك حيث قال ائتونى به ليعلم الملك انى لم اخنه بالغيب فى اهله اذا غاب عنى ورد القولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا وتصديقا لقوله حيث قال هى راودتنى عن نفسى وقال بعض اهل التاويل ذلك ليعلم الله انى لم اخنه يعنى الزوج بالغيب لكن هذا بعيد انه قد علم يوسف ان الله قد علم انه لم يخنه بالغيب وقول اهل التاويل لما قال يوسف ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له الملك ولا حين هممت بما هممت فقال وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء هذا مما لا يعلم وقد ذكرنا التاويل فى قوله ولقد همت به وهم بها ما يحل ويسع ان يتكلم به وفساد تاويل اهل التاويل من الوجوه التى ذكرنا ومعنى قوله وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اى عصم ربى والله اعلم انه لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب لما عصمنى الله عن ذلك ولو لم يكن عصمنى لكنت اخونه ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اى ما عصم ربى لان النفس جبلت وطبعت على الميل الى الشهوات واللذات والهوى فيها والرغبة والتوقى عن المكروهات والشدائد الا ترى انه قال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى الماوى والايثار الحيوة الدنيا وشهواتها هذا يدل ان قوله رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه هو محبة الاختيار والايثار فى الدين لا ما تختار النفس وتوثر النفس ابدا تختار وتوثر ما هو الذ واشهى وتنفر من الشدائد والمكروهات على هذا طبعت وجبلت وقوله عز وجل وان الله لا يهدى كيد الخائنين اى لا يحتمل فعل الكيد والخيانة هدى ورشدا انما يجعل فعل الكيد والخيانة ضلالا وغواية وقوله عز وجل وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى اى اجعله لنفسى خالصا لحوائجى وان يكون قوله استخلصه لنفسى اصدر لرأيه واطيع امره فى هذا يقع استخلاصه اياه ولذلك قال مكنا ليوسف الآية الا ان يجعله لحاجة نفسه خالصا دون الناس لا يشرك غيره فيه دلالة ما ذكر فى حرف حفصة انك اليوم لدينا مطاع امين وقوله عز وجل فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم يذكر فيه انه اتى به ولكن قال فلما كلمه فهذا يدل انه قد اتى به وان لم يذكر انه حيث قال فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قيل المكين الوجيه وقيل المكين الامين المرضى عندنا والامين على ما استامنك وقوله عز وجل قال اجعلنى على خزائن الارض سال هذا لما علم انه ليس فى وسعهم القيام باصلاح ذلك الطعام وعلم انه لو ولى غيره الخزاين لم يعرفوا انزال الناس منازلهم فى تقديم من يجب تقديمه والقيام بحاجة الاحق من غيره وعلم انه اليه يرجع ويقع حوائج اكثر الناس وبه قوام ابدانهم فساله ليقوم بذلك كله وعلى يديه يجرى ولذلك قال انى حفيظ عليم قال بعضهم حفيظ بما وليت عليهم بامرهم وقيل حفيظ اى حاسب عليم بالالسن كلها وقيل حفيظ لما فى الارض من غلة عالم بها وعن ابن عباس رضى الله عنه حفيظ لما تحت يدى عليم بالناس وقيل حفيظ بصير بتقدير عالم بساعات الجوع حين يقع انى حفيظ لما استحفظت عليهم بحوائج الناس وعليم بتقديم الاحق وقوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يقول والله اعلم كما برانا يوسف مما قرف به واظهرنا براءته منه مكناه فى الارض حتى احتاج اهل نواحى مصر واهل الآفاق اليه او ان يقال كما حفظناه ونجيناه مما قصد به احوته من الهلاك تمكن له فى الارض وحاينو ان يكون قوله وكذلك مكنا ليوسف جوابا كما مكنا ليوسف فى الارض بعد ما اخرج من علته الابرار والصم كذلك تمكنك فى الارض ونووى بعد ما احوجك من عليه اليك وقوله عز وجل يتبوأ منها حيث يشاء اى ينزل منها حيث يشاء او تسكن منها حيث يشاء وقوله عز وجل نصيب برحمتنا من نشاء يحتمل قوله برحمتنا سعة الدنيا ونعيمها كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ويحتمل برحمتنا من خاء امر الدين من النبوة والعصمة وهو على المعتزلة لانهم يقولون ليس لله ان يختص احدا برحمة ولا يصيب من رحمة انسانا دون انسان وعلى قولهم لم يكن من الله الى محمد من الرحمة الا وكان الى ابليس مثله وقوله عز وجل ولا نضيع اجر المحسنين اى لا نضيع اجر من احسن صحبة الله

في الدنيا والآخرة اي يجزيه جزاء احسانه او يقول ولا نضيع اجر من احسن صحبة نعم الله وقبلها بالشكر له وقوله
عز وجل ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا اي ثواب الآخرة واجرها خير لهم من ثواب الدنيا واجرها وقوله
امنوا صدقوا وكانوا يتقون الشرك او امنوا صدقوا وكانوا يتقون المعاصي والفواحش وقوله عز وجل وجاء اخوة
يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لما اراد الله تبليغ امر يوسف فيما اراد ان يبلغ جعلهم بحيث لا يعرفونه
لذلك قال فعرفهم وهم له منكرون اي لا يعرفونه كقوله قوم منكرون اي غير معروفين عند ابراهيم والمنكر هو
الذي لا يعرف في الشرع ولا في العقل وقوله عز وجل ولما جهزهم بجهازهم اي اعطاهم الطعام الذي طلبوا
منه قال ابو عوسجة الجهاز المتاع والجهاز ايضا متاع المرأة التي تجهز به ولا يقال جهاز بخفض الجيم وقال
اهل التاويل ان يوسف عليه السلام قال لهم حين دخلوا عليه انتم عيون بعثكم ملككم تنظرون الى اهل مصر
ثم تاتونه بالخبر وتاتنا بكذا وذلك مما لا نعلم انه قد كان قال لهم ذلك ام لا وغير ذلك من الكلمات التي قالوا
انه قال لهم كذا وقالوا هم له كذا نحن كذا وكذا رجلا فهلك منا كذا ولنا اب كذا مثل هذا لا يكون كلام الانبياء
انما هو كلام بعض العوام الغوغاء والله اعلم وقوله عز وجل قال ايتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل
وانا خير المنزلين مثل هذا لا يحتمل ان يقوله يوسف ابتداء على غير سبب او كلام كان هنالك لكنه لم يذكر الذي
كان ونحن لا نعرف ما الذي كان جرى هنالك فيما بينهم وكذلك قوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون اما اهل التاويل فانهم قالوا قال لهم ايتوني باخ لكم من ابيكم الآخر ما ذكر لانه لما قال انكم جئتم
عيونا لملككم فامر بحبسهم فقالوا نحن بنوا يعقوب النبي وكنا اثني عشر رجلا فهلك منا رجل في الغنم
ووجدنا على قميصه دما فاتينا آبانا فقلنا كذا وقد خلفنا عند ابينا اخا له من امه الذي هلك فعند ذلك
قال لهم ايتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين لكن هذا الذي ذكر والا يكون سببا
لقوله ولا جوابا له وقد ذكرنا انه لا يصح الكلام مبتدأ لكنا نعلم بالتعقل انه كان هنالك سبب ومعنا امر يوسف
ان يقول لهم ذلك والا لا يحتمل ان يقول لهم يوسف لا كيل لكم عندي ولا تقربون وهو كان يعلم ان اباه يعقوب
يحتاج الطعام ويعرف حاجتهم في ذلك هذا لا يسع الا بسبب كان ثم امر يوسف بذلك وقوله فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون فيما يستقبل اي لا تاتوني والله اعلم ويحتمل قوله الا ترون اني اوفي الكيل وجهين احدهما قال
ذلك لهم انه يوفي لهم الكيل لان اهل ذلك المكان كانوا ينقصون ويبخسون الكيل في الضيق فقال هو لا ترون
اني اوفي الكيل ولا ابخس والثاني الا ترى اني اوفي الكيل على غير الحاجة وكان يجعل لغيرهم الطعام على الحاجة
وضيق الطعام اني اوفي الكيل على قدر الحاجة وانا خير المنزلين في الاحسان اليكم والتوسيع عليكم لان اهل ذلك
المكان لا يحسنون الى النازلين بهم ولا يوسعون عليهم لضيق الطعام وكان قوله الا ترون اني اوفي الكيل مؤخر
عن قوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون كانه قال ايتوني باخ لكم من ابيكم فان تاتوني به فلا كيل لكم
عندي ولا تقربون فعند ذلك قال الا ترون اني اوفي الكيل والله اعلم وقوله عز وجل سنراود عنه اباه وانا
لفاعلون هذا الكلام في الظاهر ليس هو جواب قول يوسف وانا لفاعلون جوابا فلا يحتمل حيث قال
ايتوني باخ لكم من ابيكم وجوابه ان يقولوا له ناتي به او لا ناتي فاما ان يجعل قولهم سنراود عنه اباه وانا لفاعلون
جوابا له فلا يحتمل مع ما انه في قلوبهم سنراود عنه اضطراب يملكون او لا يملكون وقولهم وانا لفاعلون
على القطع لكن يشبه ان يخرج على وجهين احدهما على الاضمار سنراود عنه اباه فان اذن له وانا لفاعلون ذلك
او على التقديم والتاخير يكون جواب قوله ايتوني باخ لكم في قولهم وانا لفاعلون كانه لما قال لهم يوسف
ايتوني باخ لكم من ابيكم قالوا انا لفاعلون ثم قالوا فيما بينهم سنراود عنه اباه على هذين الوجهين يشبه
ان يخرج والله اعلم وقوله سنراود عنه اباه قال ابو عوسجة المراودة الممارسة وهو شبه المخادعة وهي المعالجة
وقيل سنراود اي سنجهد ونطلب وقوله عز وجل وقال لفتيانه ولفتيته الفتية الخدم والفتيان المماليك اجعلوا

بضاعتهم

بضاعتهم في رحالهم قيل اجعلوا دراهم في اوعيتهم فيه دلالة ان الهبة قد تصح وان لم يصرح بها اذا وقع
في يدي الموهوب له وقبضه وان لم يعلم هو بذلك وقت ما جعله لان يوسف جعل بضاعتهم في رحالهم
هبة لهم منه وهم لم يعلموا بذلك وهو وقت ما جعل ذلك لهم ملكا ليوسف ولهذا قال اصحابنا ان من وضع
ماله في طريق من طرق المسلمين ليكون ذلك ملكا لمن رفعه كان ما فعل والله اعلم وقوله عز وجل لعلهم يعرفونها
اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون هذا يحتمل وجهين احدهما يرجعون مخافة ان يعرفوا بالسرقة والثاني ما قال
اهل التاويل لما تخوف يوسف ان لا يكون عند ابيه من الورق ما يرجعون به مرة اخرى فجعل دراهم في
اوعيتهم لكي يرجعوا الينا فلا يحبسهم عنا عدم الدراهم لانهم كانوا اهل ماشية وقوله عز وجل فلما رجعوا
الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فيما يستقبل ويستانف بقوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
فارسل معنا اخانا نكتل بالنون وبالياء يكتل وبالنون اقرب لانهم قالوا منع الكيل فارسل معنا اخانا نكتل
نحن بسببه ويكتل هو ان ارسلته وانا له لحافظون لا يحتمل ان يقولوا هذا من غير سبب كان هنالك من خوف
خاف عليه ابوهم من ناحيتهم وتهمة اتهم لانه كان اخوهم من ابيهم خاف عليه ان يضيعوه او ان استقبله
امر لا يعينونه او امر كان لم يذكر ولسنا ندري ما ذلك المعنى والله اعلم بذلك قال هل امنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه من قبل وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه هل تحفظونه الا كما حفظتم اخاه يوسف
من قبل في هذا دلالة ان من ظهرت منه تهمة او خيانة في امر يجوز ان يتهم فيما لم يظهر شيء حيث اتهم
يعقوب في ابن يامين بخيانة كانت منهم في يوسف وان لم يظهر له منهم في اخيه شيء وهو حجة لاصحابنا
ان من ظهر فسقه في شيء او كذب في شيء صار مجروح الشهادة في غيره وقوله فالله خير حافظا وهو ارحم
الراحمين اي ان ارسلته فانما اعتمد على حفظ الله واليه اكل في حفظه لست اعتمد على حفظكم وهو ارحم الراحمين
اي هو بكل مكروب وملهوف ارحم من كل راحم لانه كل من يرحم انما يرحم برحمته تعالى منه والله اعلم وقوله
عز وجل ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم هذا قد ذكرنا وقوله عز وجل قالوا يا ابانا ما نبغي
هذه بضاعتنا ردت الينا وقوله ما نبغي سوى الثمن فقد ردت الينا دراهمنا ويكون قوله ما نبغي وراء هذا
كبير شيء انما نبغي ثمن بعير واحد وثمن بعير واحد يسير لانه قد ردت بضاعتنا وهو ثمن عشرة ابعرة
ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير لانه ذكر ان يوسف كان لا يعطي كل رجل الا حمل بعير واحد
ولا يعطي اكثر من ذلك فقالوا ونزداد كيل بعير به ومن اجله ذلك كيل يسير قال بعضهم ذلك كيل يسير
اي سريع لا حبس فيه وقال بعضهم وذلك كيل يسير اي يسير علينا الكيل ولا يحبس عنا الطعام ولا يثقل عليه
ذلك بقوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم فان لم ناته به فلا كيل لنا
وقد جئنا عنه والله اعلم ويشبه ان يكون فيه وجه آخر اقرب مما قالوا وهو ان قوله ذلك كيل يسير اي طلب ثمن
كيل بعير يسير لانه قد ردت اليهم بضاعتهم وهو ثمن كيل عشرة ابعرة فانما احتاجوا الى ثمن كيل بعير واحد
فقالوا طلب ثمن كيل بعير واحد يسير وتكلفه سهل وهو ثمن كيل بعير ابن يامين والله اعلم وقوله عز وجل قال
لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله اي حتى تاتوني بمواثيق من الله وبعهود منه لتاتنني به فيه دلالة
انه وان قال فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين واعتمد في الحفظ على الله ورأى الحفظ منه لم يرسله
معهم الا بالمواثيق والعهود من الله وهذا امر ظاهر بين الناس انهم وان كان اعتمادهم على الله واليه يكلون
في جميع امورهم في الاموال والانفس ومنه يرون الحفظ فانه ياخذ بعضهم من بعض المواثيق والعهود فعلى ذلك
يعقوب انه وان اخبر اعتماده وكلامه في حفظ ولده على الله لم يرسله معهم الا بعد ما اخذ منهم العهود والمواثيق
لتاتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان يجمعكم امر ويهمكم ويحيط بكم الهلاك جميعا فعند ذلك تكونون معذورين
فاما ان يخص به امر فلا والثاني الا ان يجيء امر عظيم يمنعكم عن رده كانه خاف عليه من الملك حيث طلبه منهم ان ياتوه به

وقوله عز وجل فلما اتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل اى الله على المواثيق والعهود التى
اخذتها منكم شهيدا ويقول الله له حفيظ كما قال فالله خير حافظا والله اعلم وقوله عز وجل يا بنى لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال بعضهم من اهل التاويل ان يعقوب خاف عليهم العين لانهم كانوا
ذوى صور وجمال وبهاء فخشى عليهم العين لذلك امرهم ان يدخلوا متفرقين وقال بعضهم خشى عليهم البيات
والهلاك لانهم كانوا اهل قوة ومنعة فيخافهم اهل البلد ويتهمونهم السرقة فامرهم بالتفرق وهو قول ابن عباس
فاذا كانوا متفرقين فلا يهلكون الكل وانما يهلك بعض ويبقى بعض ولا يدرى ما اراد بهذا وقال بعضهم علم يعقوب
انهم لا يهلكون لما رأى يوسف من الرؤيا ان يسجد له اخوته ولكن خاف ان يصيبهم النكبة لذلك امرهم ان يدخلوا
من ابواب متفرقة او سكك متفرقة او من طرق متفرقة او ما قالوا وقوله عز وجل وما اغنى عنكم من الله من شئ
اى لا ادفع عنكم من الله من شئ ان اصابكم نكبة او عين فان قيل لو كان امره اياهم بالتفريق لخوف العين
او لخوف اهل البلد منهم السرقة والاغارة كيف لم يامرهم بذلك فى المرة الاولى وخوف العين لم يخش ذلك
لما قد يقع الاجتماع ما ذكر ابن عباس رضى الله عنه انه يخافهم اهل البلد اذا راوهم مجتمعين انهم لصوص وانهم كذا
ولكن جائز ان يكون فى المرة الاولى لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع فى امثال ذلك من الرفقاء والصحابة فلا يكون
فى ذلك الخوف الذى ذكروا واذا عادوا فى المرة الثانية قد يحتمل ذلك الخوف من العين وغيره اذا علم اهل البلد
ان ذلك العدد تحت اب واحد وامرهم بالتفريق فى الابواب بمحنة امتحن بذلك وامر به او لمعنى غاب عنا
لا نحتاج اليه والله اعلم وقوله وما اغنى عنكم من الله من شئ اى لا ادفع عنكم بما احال لما قدر الله وقضى ان يصيبكم
يصيبكم لا محالة وينزل بكم ان الحكم اى ما الحكم فى ذلك الا لله ما فى حكمه وقضائه ان يصيبكم فيصيبكم لا محالة وقوله
عز وجل وعليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون هذا اصل كل امر يخاف المرء ان ياخذ بالحذر ويتوكل مع ذلك على الله
على ما امر يعقوب عليه السلام بنيه بالحذر فى ذلك ثم توكل على الله فى ذلك والحذر هو العادة فى الخلق والتوكل تفويض
الامر الى الله والاعتماد عليه والله اعلم وقوله عز وجل ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة ما كان
يغنى عنهم من الله من شئ اى ما كان يدفع ذلك عنهم ما حكم الله عليهم انه يصيبهم وقوله عز وجل الا حاجة فى نفس
يعقوب قضاها الحاجة فى النفس احد شيئين اما الرغبة واما الرهبة كقوله ولا يجدون فى صدورهم حاجة
فعلى ذلك حاجة يعقوب لا تخلو اما ان كانت رغبة منه او رهبة فى اجتماعهم فقضى تلك الحاجة وقوله عز وجل
وانه لذو علم لما علمناه يشبه ان يكون هذا صلة ما قال يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة اى وانه لذو علم لما امرهم بالدخول على التفرق والنهى عن الاجتماع وقوله ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انه ما اراد بقوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وعن ابن عباس رضى الله عنه
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من السكك المتفرقة ما كان يغنى عنهم من قضاء الله شيئا الا حاجة فى نفس يعقوب
قضاها يقول بداها فتكلم بها وانه لذو علم لما علمناه يقول حافظا لما علمناه وقيل حافظا له لما علمناه وقيل
حافظا له عالما به وقيل لذو علم لما علمناه اى عمل بجميع ما علم وانتفع به ولكن اكثر الناس لم ينتفعوا بما علموا
ويحتمل وانه لذو علم بقصة يوسف من اولها الى آخرها لما اخبرناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ه
وجائز ان يكون قوله وانه لذو علم لما علمناه اى بما اصابه من الحزن بذهاب يوسف واخيه وما اصابه من الشدة
والنكبة لم يؤثر ذلك فى علمه الذى علمناه وان اثر ذلك فى نفسه وبدنه اى علمه بما علمناه بعد ما اصابه
كهو ما كان قبل ذلك لم يعمل فيه ولم يؤثر وعن الحسن فيما اظن فى قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة قال اما والله ما كانت به طيرة تطير بها ولكن قد علم او ظن ان يوسف سيلقى اخاه فيقول
انى انا اخوك واكثر اهل التاويل قالوا قوله الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها اى خيفة العين على بنيه
لجمالهم وبهائهم وحسن صورهم او لما يكون لواحد كذا كذا عدد من البنين فيقصدون قصدهم بالنكاية عليهم

لما ذكرنا

لما ذكرنا او ما اراد بذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه هذا يحتمل وجهين
يحتمل انهم لما دخلوا البلد الذى فيه دعا يوسف اخاه وضمه اليه ويحتمل انهم دخلوا جميعا على يوسف فضم اخاه
الى نفسه فقال انى انا اخوك قال بعض اهل التاويل لم يقل له انا اخوك بالنسبة ولكنه قال انا اخوك مكان
اخيك الهالك وقوله عز وجل فلا تبتئس يقول لا تحزن بما كانوا يعملون لم يقل له انا اخوك بالنسبة ولكنه قال
هذا يحتمل وجهين يحتمل لا تبتئس بما كان عمل اخوتك كانه لما دعاه فضمه الى نفسه شكا اليه عن اخوته فقال عند
ذلك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ويحتمل فلا تبتئس بما يعمل بك هؤلاء اى خدمه وعماله كانه اخبره بما كان
يريد ان يكيد بهم من جعل الصاع فى رحله فقال فلا تبتئس بما كانوا يعملون بك لانه لا يجوز ان يجعل اخا متهما
يعرف به من غير ان ظهر منه شئ وقد اخبره انه اخوه والله اعلم دل انه اراد ان يعلمه بما يريد ان يكيدهم
ليكون هو على علم من ذلك وقوله عز وجل جعل السقاية فى رحل اخيه السقاية قيل هما الاناء الذى كان يشرب
فيه الملك وقيل هو الصاع الذى كان يكال به الطعام ولكن لا نعلم ما كان ذلك سوى انا نعلم انها كانت ذات قيمة
وثمن الا ترى ان ذلك الرسول قال ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم فلولا انها كانت ذات قيمة وثمن والا لم يعط
لمن جاء به حمل بعير الطعام وكان قيمة الطعام عندهم فى ذلك الوقت ما كان ثم اذن مؤذن اى نادى منادى
انكم لسارقون لا يحتمل ان يكون يوسف يامر رسوله ان يقول لهم انكم لسارقون وقد علم انهم ليسوا بسارقين
ولكن قال لهم ذلك المنادى ناداه والله اعلم انكم لسارقون من نفسه وهو من بعض من يتولى كيل الطعام
على الناس وامثاله لا يبالون الكذب او قال لهم ذلك قوم كانوا بحضرتهم ايتها العير انكم لسارقون او ان يكون
على الاستفهام والتقرير فان كان هذا فهو يحتمل من يوسف واما غيره فلا لانه كذب وضم يوسف اخاه
يحتمل وجهين يحتمل لمكان سؤاله اياهم ان ياتوا به او لمكان فضله ومنزلته ليعلموا ان ما كان ليوسف
واخيه عند ابيهم من فضل المحبة والمنزلة من الله اذ جعل ذلك لهما عند الملك وغيره والله اعلم وقوله
عز وجل قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك اى اناء الملك سماه مرة صاعا ومرة سقاية فيجوز
ان يستعمل فى الامرين جميعا فى الاستقاء والكيل جميعا قالوا المنادى ماذا تفقدون قال ابو عوسجة اى ضللتم
يقال افتقدته وتفقدته اى تعهدته وقال القتبى فلا تبتئس هو من البؤس والسقاية المكيال وقيل مشربة
الملك وصواع الملك وصاعه واحد وقوله عز وجل ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قيل ضمين لذلك الطعام
وكفيل به والزعيم كانه ايضا اسم لرئيس القوم وقوله عز وجل قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا
سارقين هذا يحتمل وجوها يحتمل انهم قالوا ذلك لانكم رددتم الينا الدراهم وجعلتم فى اوعيتنا ثم رددنا
عليكم مخافة ان نعرف بالسرقة والفساد فى الارض فكيف تقرفوننا بهذا والثانى انكم تعلمون انا ابناء النبى والرسول
والانبياء لا يكون منهم السرقة ولا الفساد فى الارض ومثل هذا لم يظهر فى اهل بيتنا قط ولا قرفنا به فكيف تتهموننا
بهذا والثالث انكم ترونا صوامين قوامين ومن هذا فعله فانه لا يتهم بالسرقة او ان يكون قوله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد فى الارض لما راوهم دخلوا من ابواب متفرقة ولو كانوا لصوصا لدخلوا مجموعين لان عادة السراق الاجتماع
لا التفرق ثم قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين اى ان كان فيكم من يكذب ويظهر ذلك منه فما جزاؤه قالوا جزاؤه
من وجد فى رحله فهو جزاؤه هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله فهو جزاؤه اى يصير رقيقا مملوكا بها له او يصير
محبوسا بها عنده والله اعلم وقوله عز وجل فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ظاهر هذا الكلام ان يكون يوسف
هو الذى فتش اوعيتهم وطلب ذلك فيها حيث نسب ذلك اليه بقوله قبل وعاء اخيه لكنه نسبه اليه لما يأمره به
فتش اذ الملوك لا يتولون ذلك بانفسهم وفيه انه قد فصل بينهم وبين ابن يامين حيث سماه هذا اخا ولم يسم
اولئك بقوله بدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه وهو يخرج على وجهين احدهما انه قد ذكر هذا انه اخوه حيث قال انى انا اخوك
ولم يذكر اولئك فسمى هذا اخاه ونسبه اليه بالاخوة لما كان ذكره ولم يسم اولئك لما لم يذكرهم انهم اخوتهم

والثاني انه لم يكن لهذا اعني ابن يامين لمكان يوسف سوء صنيع ولا شر بل هو على الاخوة والصداقة التي كانت بينه وبينه واما اولئك اعني غيره من الاخوة فقد كان منهم اليه ما كان من سوء صنيعهم وقبح فعالهم فيخرج ذلك مخرج التبري من الاخوة بسوء ما كان اليه وهو كقوله لنوح ونم انه حين قال ان ابني من اهلي يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح نفى ان يكون من اهله بسوء عمله وفعله غير صالح فعلى ذلك الاول يشبه ان يكون على هذا والله اعلم وقوله عز وجل ثم استخرجها من وعاء اخيه ذكر هذا انه قد كان منه ايضا التفتيش الطلب في وعاء اخيه على ما كان في اوعيتهم لما يستخرجها على غير تفتيش وقوله عز وجل كذلك كدنا ليوسف هذا يحتمل وجهين يحتمل كذلك كدنا اي علمنا يوسف منا ولـ الامر الى تحره ما يكيد ويحتال في امساك اخيه عنده وصفه عنهم لان يخلوهم وحب ابيهم جزاء ما طلبوا هم ان يخلوهم وحب ابيهم بتغييب يوسف عن ابيه لان اباهم قال لحتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما بلغه ذلك الخبر تولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف الاية هذا والله اعلم جزاء كيدهم الذي كادوا بيوسف ليخلوهم وحب ابيهم ليتولى عنهم ابوهم هذا يشبه ان يكون والثاني كدنا ليوسف اي علمناه ان كيف يفتش اوعيتهم لئلا يشعروا هم انهم عن علم استخرجها من وعاء اخيه لا عن جهل وظن فبدا بالبداية في التفتيش باوعيتهم لئلا يقع عندهم انه عن علم ويقين ياخذه يشبه والله اعلم ان يخرج قوله كذلك كدنا ليوسف على هذين الوجهين او كدنا ليوسف اي امرنا يوسف بالكيد بهم جزاء ما عملوا بمكانه لما اهتموا بامساك اخيهم وقوله عز وجل ما كان لياخذ اخاه في دين الملك اي في حكم الملك ذكر ان حكم اخوة يوسف وقضاهم فيهم ان من سرق يكون عبدا بسرقته للمسروق ويستعبد بسرقته ومن حكم الملك ان يغرم السارق ضعفي ما سرق ويضرب ويؤدب ثم يخلى عنه ولا نعلم ما حكم الملك في السرقة سوى انه اخبر ان ليس له اخذ اخيه في دين الملك وقوله عز وجل الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك او يجعل له حق الاخذ وحبسه وان لم يكن ذلك في حكمه او ان يكون قوله الا ان يشاء الله على ما كان من ابراهيم ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي الاية وكان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه يذكرون الثنيا على حقيقة المشية او يقول الا ان يكون في علم الله مني زلة نا ستوجب عند ذلك الكون في دين ذلك الملك فيشاء ما علم مني وكذلك قول ابراهيم حيث قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا اي لا اخاف ما تشركون به الا ان يكون مني ما استوجب ذلك بزلة فيشاء الله ذلك مني وقوله عز وجل نرفع درجات من نشاء الدرجات هي الفضايل يرفع بعضهم فوق بعض بالنبوة والعلم وفي كل شيء وفوق كل ذي علم عليم من عالم وان لطف علمه وكثر الا وقد يكون فوقه من هو الطف علما منه واكثر واعلم في شيء او يكون قوله وفوق كل ذي علم عليم وهو الله تعالى فوق كل ذي علم يعلمهم العلم والله اعلم من يقول انه عالم لا يعلم يحتج بظاهر هذه الاية حيث قال وفوق كل ذي علم عليم اثبت لغيره العلم ولم يذكر لنفسه بل قال عليم لكنه اذا قال عليم اثبت العلم ولانه اذا قال وفوق كل العلماء عليم يكون كذلك وقوله عز وجل ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال بعض اهل التاويل كانت سرقته انه كان صنم من ذهب لجده ابي امه يعبده فسرق ذلك منه لئلا يعبد دون الله ولكنا لا نعلم ذلك ونعلم انهم كذبوا في قولهم فقد سرق اخ له من قبل وارادوا ان يتبرؤا منه وينفوا ذلك عن انفسهم ليعلم انه ليس منهم فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا عند الله قيل ان يوسف اسر هذه الكلمة في نفسه لم يظهر ها لهم او اسر وانما اتهموه بالسرقة وجازا ان يكون ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل خاطبوا به اخاه ابن يامين دون يوسف ان سرقت فقد سرق اخ له من قبل يقولون فيما بينهم وقد ذكر في بعض الحروف انه سرق فقد سرق اخ له من قبل بالتشديد فان ثبت فالتاويل هو لقولهم وقال بعضهم قوله انتم شر مكانا اي انتم اشر صنعا بيوسف والله اعلم بما تصفون من الكذب انه سرق اخ له من قبل وقوله عز وجل قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه ارادوا والله اعلم ان يرقوا قلبه بهذا ان له ابا شيخا كبيرا لما يكون قلب الشيخ بولده الصغير اميل وهو عنده

اثر واكثر قدرا ووه منزلة منا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين لما احسن اليهم في الكيل والانزال في المنزل والضيافة والقرى قدرا وه وعلموه محسنا وقوله عز وجل قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده قيل هذا قول يوسف معاذ الله اي اعوذ بالله اي ناخذ ونحبس بالسرقة الا من وجدنا متاعنا عنده فان قيل كيف تعوذ على ترك اخذه واخذ غيره مكانه ولم يكن وجب له حق الاخذ اذ لم يكن سرقة وانما يتعوذ على ترك ما لا يسع تركه قيل انه لم يتعوذ على ترك اخذ اخيه انما تعوذ على اخذ غير من وجد المتاع عنده انا اذا لظالمون عندكم لو اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده اذ في حكمهم اخذ من سرق بالسرقة والحبس بها والله اعلم وقوله عز وجل فلما استيأسوا منه قيل ايسوا عن ان يرد اليهم اخوهم خلصوا نجيا قيل خلوا من الناس خلصوا منهم يتناجون فيما بينهم في امر اخيهم او في الانصراف الى ابيهم او في المقام فيه قال كبيرهم الم تعلموا قال اهل التاويل كبيرهم في العقل ليس في السن وهو فلان قال بعضهم وهو يهوذا وقال بعضهم هو شمعون ولكن لا نعلم من كان قايل هذا لهم ولا يحتاج الى معرفة ذلك سوى ان فيه قال كبيرهم اما ان كان كبيرهم في العقل او كبيرهم في السن الم تعلموا ان اباكم الم تعلموا او الم تروا حرفان يستعملان في احد امرين في الامر انا علموا كذا او في موضع التنبيه والتعزير ههنا كانه قال ذلك على التقرير والتنبيه اي قد علمتم ان اباكم قد اخذ موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف هذا يدل ان التاويل في قوله الا ان يحاط بكم هولاء ان يحكم امر ويجمعكم فتهلكون فيه جميعا وليس كما قال بعض اهل التاويل الا ان يجيء ما يمنعكم عن رده الا ان تغلبوا فتعجزوا عن رده لانه قد جاء ما يمنعهم عن رده ثم امر كبيرهم الرجوع الى ابيه دل ان التاويل هو هذا ومن يقول ان التاويل في قوله الا ان يحاط بكم الا ان يجيء ما يمنعكم عن الرد استدل بقوله ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق فلو كان على ما يعمهم ويجمعهم لم يكن ليامرهم بالرجوع الى ابيهم دل انه ما ذكروا اما اهل التاويل الاول يقولون ان قوله ارجعوا الى ابيكم ليس على الامر ولكن اذا رجعتم الى ابيكم فقولوا ان ابنك سرق وكذلك يخرج قوله واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها ليس على الامر ولكن لو سألت اهل القرية واهل العير لاخبروك انه كما قلنا فعلى ذلك قوله ارجعوا ليس على الامر ولكن لو رجعتم اليه فقولوا كذلك وقوله عز وجل ومن قبل ما فرطتم اي من قبل ما ضيعتم امر ابيكم في يوسف او ضيعتم امر الله وعهده في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي هذا يحتمل وجهين يحتمل حتى ياذن لي بالرجوع اليه اذا ظهر عنده عذرنا وصدقنا في امر ابنه او ياذن لي ابي بالمنازعة في القتال مع الملك حتى استنقذ اخي واستخلصه منه او يحكم الله لي في الرجوع ايضا او في القتال معه وهو خير الحاكمين او يحكم الله لي باظهار عذرنا وصدقنا عند ابينا وهو خير الحاكمين في اظهار العذر لانه اذا حكم باظهار العذر ظهر ذلك للخلق جميعا ولا كذلك حكم غيره لان كل من حكم يحكم يجوز ان يحكم بحكم هو حكم الله فهو خير الحاكمين وكذلك قوله وهو ارحم الراحمين لان من رحم من الخلق انما يرحم برحمته فهو ارحم الراحمين وقوله عز وجل ارجعوا الى ابيكم يحتمل على الامر على ما هو في الظاهر ويحتمل ما ذكرنا اي لو رجعتم اليه فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق يشبه ان يكون هذا منه تعريضا في الخطية على ما كان يؤثره على غيره من الاولاد اي الذي كنت تؤثره علينا بالمحبة وميل القلب اليه قد سرق ويشبه ان يكون ليس على التعريض ولكن على الاخبار على ما ظهر عندهم من ظاهر الامر وما شهدنا الا بما علمنا بما اخرج المتاع من وعائه وما كنا للغيب حافظين هذا على التاويل الذي قيل في قوله الا ان يحاط بكم اي يعمكم ويجمعكم اي ما كنا نعلم وقت اعطاء الوثق والميثاق انه يسرق والا لم نعطك العهد على الله ويحتمل وما كنا للغيب حافظين وقت ما اخرج المتاع من وعائه واتهم انه سرق او لم يسرق او هو وضع الصاع في رحله او غيره وضع اي ما كنا نعلم في الابتداء ان الامر يرجع الى هذا والا لم يخرجه معنا وقوله عز وجل واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها اي لو سالت اهل القرية واهل العير لاخبروك انه على ما نقول وانا لصادقون

على ذلك ما نزل بنا من استخراج الاناء من وعائه والله اعلم وقوله عز وجل قال بل سولت لكم انفسكم امرا فان قيل
كيف قال لهم بل سولت لكم انفسكم امرا وجعل ما اخبروه من تسويل انفسهم وتزيينها ولم يخالفوهم فيما امرهم
في امر ابن يامين ولا تركوا شيئا مما امرهم به وليس هذا كالاول الذي قال لهم في امر يوسف بل سولت لكم انفسكم
لانه قد كان منهم خلاف لما امرهم به والسعي على اهلاكه فكان ما ذكر من تسويل انفسهم وتزيينها في موضع التسويل
والتزيين واما ههنا فلم يات منهم اليه خلاف ولا ترك لامره فكيف قال بل سولت لكم انفسكم امرا لكن يشبه
ان يكون قال ذلك لانهم لما اتهموا جميعا بالسرقة فقيل انكم لسارقون قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين قطعوا فيه القول انهم لم يكونوا سارقين وهو كان فيهم فكيف قطعتم فيه القول بالسرقة
ان ابنك سرق ولكن سولت لكم انفسكم امرا من البغض والعداوة من الايثار له وليوسف عليهم والميل اليهما دونهم
حيث قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة والله اعلم فسولت لكم انفسكم ببغضكم وعداوتكم حتى
تركتم التفحص عن حاله وامره الا كل من وجد في رحله شيء يكون هو واضع ذلك الشيء بل قد يضع غيره فيه على غير علم
منه وقوله فصبر جميل قد ذكرناه وقوله عسى الله ان ياتيني بهم جميعا قال اهل التاويل قال ياتيني بهم جميعا
لانهم صاروا جماعة يوسف وابن يامين اخوه ويهوذا وشمعون قد تخلفا لسبب جنس يوصف اخاه او يوسف واخوه
وقال بعض اهل التاويل ان جبريل اتى يعقوب على احسن صورة فساله من يوسف في الاحياء ام في الاموات فقال
بل هو في الاحياء فقال عند ذلك عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وعلم يعقوب ان يوسف في الاحياء وانه غير هالك
لما راى يوسف من الرؤيا من سجود الكواكب والقمر له علم انه في الاحياء وانه لا يهلك الا بعد خروج رؤياه وغير ذلك
من الدلايل لكنه كان لا يعلم اين هو فقال ذلك انه هو العليم الحكيم وقوله عز وجل وتولى عنهم اي اعرض عنهم وعاتبهم
حين اخبروه ان ابنه سرق وقال يا اسفى على يوسف قيل يا حزنا على يوسف وقيل يا جزعا وقال القتبي الاسف
اشد الحسرة واصله ان الاسف كانه النهاية في الحزن اذا بلغ غايته ونهايته يقال اسف وهو النهاية في الغضب
ايضا كقوله فلما اسفونا اي لما اغضبونا انتقمنا منهم وقوله عز وجل يا اسفى على يوسف يحتمل ان يكون لا على اظهاره
القول باللسان ولكن اخبار عما في ضميره وذلك جائز كقوله انما نطعمكم لوجه الله اخبر عما في قلوبهم لا ان قالوا
ذلك باللسان ويحتمل القول به على غير قصد منه وقوله عز وجل فهو كظيم الكظيم هو كف النفس عن
عن الجزع وترديد الحزن في الجوف على غير اظهار في افعاله والجزع هو ما يظهر في افعاله والذي يهيج الحزن
هو الذي يهيج الغضب لان الحزن يكون على من فوقه والغضب من تحت يده وسبب هيجانهما واحد وان يكون
الكظيم هو الذي يمسك الحزن في قلبه والغم كانه هو الذي يستر ويغطي القلب اذا حل به والهم هو ما يبعث
على القصد من الهم به والحزن هو على ما يوثر التغيير في الخلقة ولا يظهر في الافعال والجزع يظهر في الافعال
ولا يغير الخلقة عن حالها الا ذلك في ضعف نفس يعقوب وعمل في اهلاك بعضه حيث ذهبت عيناه وابيضت
من الحزن والكظيم ما ذكرنا هو الذي يردد الحزن في جوفه ولا يظهر ويكفه عن الجزع وقوله عز وجل قالوا تالله ت
هو يمينهم مكان والله وبالله وكذلك قال ابراهيم تالله لاكيدن اصنامكم وقوله عز وجل تفتؤ تذكر يوسف
اي لا تزال تذكر يوسف ولا تنسى ذكره حتى تسلو من حزنه كانهم دعوه الى السلو من حزنه لانه بالذكر يتجدد الحزن
ويحدث فقالوا له لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا قيل دنفا وقيل حرضا هرما واصل الحرض الضعف وتكون
من الهالكين كذلك صار يعقوب ضعف في بدنه من الحزن وصار بعض بدنه من الهالكين حيث ابيضت عيناه ذهبت
من الحزن وقوله عز وجل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله قال القتبي الحرض الدنف والبث اشد الحزن لانه
صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه اي يشكوه وكذلك روي في الخبر من بث فلم يصبر اي شكا وما ذكر من الشكاية
الى الله ليس على اظهار ذلك باللسان ولكن امساك في القلب وقال الحسن اشكو بثي اي حاجتي وحزني
الى الله ويشبه ان يكون البث والحزن واحدا ذكر على التكرار وقال بعضهم الحرض الذي ذهب عقله من الكبر

اوتكون

اوتكون من الهالكين فتموت والله اعلم وقوله عز وجل واعلم من الله ما لا تعلمون قال بعض اهل التاويل قوله
اعلم من الله من تحقيق رؤيا يوسف انه كاين ما لا تعلمون انتم وانا ستسجد له وقال ابن عباس رضي الله عنه
قوله واعلم من الله ما لا تعلمون انه حي لم يمت وهو بما ذكر انه كان يعلم من الله ما لا تعلمونهم ويشبه ان يكون
قوله اعلم من الله اي انتفع بعلم ما لا تنتفعون انتم واصله ان اخوة يوسف لو علموا ان امر يوسف يبلغ ما بلغ
من الملك والعز ما قصدوا قصد تغييبه عن والده ولا سعوا فيه فيما سعوا من افساد امره لكنهم لم يعلموا
والله اعلم او علم من الله شيئا لم يبين ما لا يعلمون هم كقول ابراهيم وما ذكر اهل التاويل ان يعقوب قال كذا
من النياح على يوسف والجزع عليه لا يحتمل ذلك لانه قال حين اخبروه بذلك فصبر جميل وما ذكروهم منه
ليس هو بصبر فضلا ان يكون جميلا وقوله يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه قال اهل التاويل
تحسسوا اطلبوه واستخبروا عنه وعن اخيه لكن غير هذا كانه اقرب وهو من وقوع الحس عليه كانه
قال اذهبوا فانظروا اليه والى اخيه لانهم ان لم يكونوا يعلمون ان يوسف اين هو فلقد كانوا يعلمون حال
اخيه ابن يامين انه اين هو فلو كان على الطلب والبحث والاستخبار على ما قاله اهل التاويل ان احتمل
في يوسف فذلك لا يحتمل في اخيه اذ هم كانوا يعلمون مكانه واين هو وان كانوا لا يعلمون مكان يوسف
ولا اين هو وهو انما امرهم ان يتحسسوا عنهما جميعا فدل والله اعلم انه من وقوع الحس والبصر عليهما الا
الا من البحث والطلب والله اعلم فكانه علم بالوحي انه هالك واخوه معه لكنه لم يخبر بنيه انه هالك
لما علم انهم يتكاسلون ويتثاقلون عن الذهاب اليه فانما امرهم بذلك امر تعريض لا امر تصريح او ان يكون
قوله فتحسسوا من يوسف على الاضمار اي تحسسوا من يوسف واسالوا منه رد اخيه لما علم ان اخاه
يكون معه وقالت عامة اهل التاويل انما قال لهم هذا وعلم انه في الاحياء لانه راى ملك الموت
فقال له هل قبضت روح يوسف مما قبضت من الارواح قال لا وقال بعضهم راى في المنام ملك الموت
فقال له ما ذكرنا فعند ذلك قال هذا القول لكنا نقول انه كان عالما في الاحياء ليس بهالك لما راى
من الرؤيا وغيره فعلم انه لا يهلك الا بعد خروج رؤياه على الصدق والحق لكنه لم يكن يعلم انه اين هو
من قبل ثم علم من بعد بالوحي عن مكانه وحاله فامر بنيه ان ياتوه فينتظروا اليه والى اخيه واصل هذا
ان ما حل بيعقوب من فوت يوسف وغيبته عنه محنة امتحنه ربه وبلية ابتلاه بها ليبتلى بذلك التحرج
عليها الا ترى ان يوسف لو اراد ان يعلم اباه يعقوب عن مكانه وحاله عليه لانه كان يعلم بمكان ابيه
وان كان يعقوب لا يعلم بمكان يوسف فلم يفعل الا بعد الامر بالاعلام والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تياسوا قيل من رحمة الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون اخبر انه لا يياس من رحمة الله
الا القوم الكافرون لان من آمن يعلم انه متقلب في رحمة الله ونعمته واما الكافر فانه لا يعرف رحمة الله
ولا تقلبه في رحمته فيياس من رحمته نهاهم عن الاياس لما كان عندهم انه هالك حيث قالوا انك لفي ضلالك
القديم لما قال لهم اني لاجد ريح يوسف واخوه كان محبوسا بالسرقة والمحبوس لا يرد في حكمهم او يقول نهاهم
وان لم يكونوا آيسين ثم يقول انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون خبر عن الله اخبر انه لا يياس
من رحمته الا القوم الكافرون وكذلك لما بشر ابراهيم بالولد حيث قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين
نهاه عن القنوط ولا يحتمل ان يكون ابراهيم قانطا عن ذلك لكنه نهاه ثم اخبر فقال ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون والآية ترد على المعتزلة قولهم لقولهم ان صاحب الكبيرة خالدا مخلدا في النار وانه
ليس بكافر وهو آيس على قولهم من روح الله وقد اخبر انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون وهم
يقولون ان صاحب الكبيرة آيس من روح الله وهو ليس بكافر وقوله عز وجل فلما دخلوا عليه اي على يوسف
قالوا يا ايها العزيز سموه عزيزا لما لعلهم يسمون كل ملك عزيزا او سموه عزيزا لما كان عند الملك عزيزا بقوله

اكرمي مثواه ولما كان بالناس اليه حاجة بالطعام الذي في يده وهو كان غنيا عما في ايديهم والله اعلم وقوله مسنا واهلنا الضر وقال اهل التأويل اصابنا الشدة والبلا والجوع وجينا ببضاعة مزجاة قيل دراهم نفاية بهرجة لا تنفق في الطعام كاسدة لانه كان في عزة وتنفق في غيره وقال ابو عوسجة وجينا ببضاعة مزجية اي قليلة وكذلك قال القتبي اي قليلة وقال ابن عباس هي الورق الردية التي لا تنفق حتى يوضع وقال ابو عبيد الازجا في كلام العرب الدفع والسوق وهو كقوله الم تر ان الله يزجي سحابا اي يسوق ويدفع وقال بعضهم ناقصة وقال بعضهم جاؤا بسمن وصوف وقيل جاؤا بصوبر وحبة الخضراء وامثال هذا ويشبه ان يكون مزجية من التزجية كما يقال تزجي يوما بيوم وقوله عز وجل فاوف لنا الكيل قال بعضهم اوف لنا الكيل بسعر الجياد وتاخذ النفاية وتكيل لنا الطعام بسعر الجياد لكن قوله فاوف لنا الكيل اي سلم لنا الكيل تاما لان الايفاء هو التسليم على الوفاء كقوله واوفوا الكيل والميزان وتصدق علينا بفضل ما بين الثمنين في الوزن وقيل ما بين الكيلين وقال بعضهم وتصدق علينا اي رد لنا شيئا يكون ذلك صدقة لنا منك لكن يشبه على ما قالوا وطلبوا منه الصدقة حط الثمن لان الصدقة لا تحل للانبياء ويجوز الحط لهم ويجوز حط من لا تجوز صدقته نحو العبد المأذون له في التجارة يجوز حطه ولا يجوز صدقته وكذلك نبي الله كان يجوز الشرا له بدون ثمنه ولا يحل له الصدقة ويحتمل قوله مسنا واهلنا الضر بهذا بصرا بهم مسهم بذلك واهلهم الضر وقوله عز وجل وتصدق علينا اي رد علينا ابن يامين لعل الله يرد بصره عليه ان الله يجزي المتصدقين قال اهل التأويل ان الله يجزي المتصدقين ان كانوا على دين الاسلام كانهم ظنوا انه ليس على دين الاسلام ولو انهم ظنوا انه مسلم لقالوا ان الله يجزيك بالصدقة وقوله عز وجل هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه هو ظاهر لا يحتاج الى ذكره واما ما فعلوا باخيه قال اهل التأويل هو ما قالوا انه سرق لكنهم لم يعقولوا الا قدر ما ظهر عندهم فلم يلحقهم بذلك القول فضل تعيير لكن يشبه ان يكونوا آذوه بانواع الاذى ولا شك انهم كانوا يبغضون يوسف واخاه حيث قالوا ليوسف واخاه احب الى ابينا منا وقوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه قد كانوا علموا هم ما فعلوا بيوسف لكنه كانه قال هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وانتم جاهلون ذلك ناسون يقول لهم اذكروا ما فعلتم بيوسف وتوبوا الى الله عن ذلك ولا تكونوا جاهلين عن ذلك او يقول لهم هل رجعتم وتبتم عن ذلك او انتم بعد فيه وقوله عز وجل اذ انتم جاهلون قال بعض اهل التأويل اذ انتم جاهلون اي مذنبون ولكن اذ انتم جاهلون قدر يوسف ومنزلته لانهم لو علموا ما قدر يوسف عند الله وما منزلته ما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وما خطؤا اباهم في حبه اياه حيث قالوا ان ابانا لفي ضلال مبين وما فعلوا به ما فعلوا والله اعلم قالوا اءنك لانت يوسف كانهم عرفوا انه يوسف بقول يوسف لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه او عرفوا بقول ابيهم حيث قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه لما ذكره اخاه ورأوه معه عرفوا انه يوسف لذلك قالوا والله اعلم قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر يحتمل من يتق معاصيه ويصبر على بلاياه او اتقى مناهيه وصبر على اداء ما امر به او من اتقى وصبر فقد احسن او يقول انه من يتق الجفا ويصبره على البلا فقد احسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين ويشبه ان يكون قوله وتصدق علينا اي رد اخانا علينا وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا تالله لقد آثرك الله علينا قسم قد اعتادوه في مجرى كلامهم على غير ارادة يمين بذلك هكذا عادة العرب والا كان يعلم يوسف ان الله قد آثره عليهم ويشبه ان يكون يخرج القسم ههنا على تاكيد معرفتهم فضله ومنزلته اي لم تزل كنت موثرا مفضلا علينا وان كنا لخاطئين اي قد كنا خاطئين فيما كان منا اليك من الصنيع ان يكون قوله لقد آثرك الله علينا فيما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا اي لما كان يؤثرهما عليهم فقالوا لو كنت مؤثرا على ما كان ابونا يؤثرك علينا وقد كنا لخاطئين فقال يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال القتبي قوله لا تثريب اي لا تعيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم

وقال بعضهم

وقال بعضهم لا تثريب عليكم اي لا تنغيص عليكم وقيل اصل التثريب الافساد يقال ثرب علينا الامر اي افسد وقال ابو عوسجة التثريب الملامة يقول لا لوم عليكم في صنيعكم وقال ابن عباس رضي الله عنه لا تثريب عليكم اي لا اعيركم بعد هذا اليوم ابدا ولا اعيره عليكم وهو يحتمل هذين الوجهين احدهما لا تعيير عليكم ولا ملامة اي ليس في العقل تعيير ولا ملامة اذا تبتم واقررتم بالخطاء وهكذا كل من اذنب ذنبا او ارتكب كبيرة ثم انتزع عنها وتاب عنها لا يعير هو عليه ولا يلام وكذلك قيل في قوله ولا تنابزوا بالالقاب ذكر انهم كانوا يعيرون اهل الكفر في كفرهم وينابزونهم ثم اسلموا فنهوا ان ينابزوهم ويصنعوا بهم مثل صنيعهم بهم في حال كفرهم ولو وجب التعيير والملامة بعد الانتزاع عنه والتوبة او يجوز ذلك لكان اصحاب رسول الله معيرين ملامين لانهم كانوا اهل الكفر في الابتداء فهذا مما لا يحل في العقل والثاني قوله لا تثريب عليكم لا اعيركم على ما قال ابن عباس رضي الله عنه اي لا اذكر ما كان منكم الينا آمنهم عن ان يذكر شيئا مما كان منهم اليه ولذلك قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وذكر ان الشيطان هو فعل الذي فعل ما كان بينه وبين اخوته وكذلك فعل حيث قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اضاف ذلك الى الشيطان ولم يضف الى اخوته وقوله عز وجل يغفر الله لكم قطع فيه القول بالمغفرة لهم حين اقروا بالخطايا وتابوا عما فعلوا وهكذا كل من تاب عن ذنب ارتكبه ونزع عنه ان يقطع القول فيه بالمغفرة والرحمة وقوله يغفر الله لكم لم يخرج على الدعاء لهم بالمغفرة او على الاخبار بالوحي انه يغفر لهم او قد غفر لهم او يقول استغفر الله الذي كان بيني وبينكم يغفر لكم وهو ارحم الراحمين لان كل من يرحم من الخلائق انما يرحم برحمة منه اليه فهو ارحم الراحمين بما قلنا على ما قلنا في قوله خير الحاكمين واحكم الحاكمين لان من يحكم من الخلائق يحكم يجوز انما يحكم بحكم بالله منه وقوله عز وجل اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا دل هذا من يوسف حيث قطع فيه القول انه يصير بصيرا انه عز وجل قال هذا لا عن راي منه واجتهاد اذ قطع القول فيه انه اذا القي على وجهه بصير بصيرا وقوله يأت بصيرا هذا يخرج على وجهين احدهما يصير بصيرا على ما ذكرنا والثاني يأتيني بصيرا وقوله عز وجل واتوني باهلكم اجمعين اراد والله اعلم حيث امرهم ان يأتوا باهلهم اجمع ان يبرهم ويكرمهم حين تابوا عما فعلوا به واقروا له بالخطا في امره وقوله عز وجل ولما فصلت العير قيل خرجت وفصلت وانفصلت واحد قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف قال اهل التأويل كان بينهما ثمانين فرسخا يعني بين مصر وبين كنعان مكان يعقوب وقيل مسيرة ايام ما بين الكوفة والبصرة ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك ان كم كان بينهما سوى انا نعلم انه كان بينهما مسيرة ايام ثم وجد يعقوب ريح يوسف من ذلك المكان ولم يجد غيره ممن كان معه فذلك آية من آيات الله حيث وجد ريحه من مكان بعيد لم يجد ذلك غيره وذلك من آثار البشارة والسرور الذي يدخل فيه بقدومه قال بعض اهل التأويل ذلك القميص هو من كسوة الجنة كان الله كسا ابراهيم وكساه ابرهيم اسحق وكساه اسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف لذلك وجد ريحه لانه كان من ثياب الجنة فهو وان ثبت ما قالوا فذلك ايضا حيث وجد هو ذلك ولم يجد غيره وكان ايضا هو لا يجد ذلك الريح قبل فصول العير وكان مع يوسف يحتمل ما قالوا واحتمل ان يكون قميصا من قميصه والله اعلم وقوله عز وجل لولا ان تفندون قيل تعجزون وقيل تهرمون وقيل تكذبون وقيل تضعفون وقيل تخزون وقيل تجهلون وقيل تسفهون وقيل تحمقون وقيل لولا ان تقولوا ذهب عقلك والمفند معروف عند الناس هو الذي يبلغ في الكبر غايته كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر وقوله لولا اذا كان على الابتداء فهو على النهي اي لا تفندون واذا كان على الخبر فهو على النفي كقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها اي لم ينفع وقوله عز وجل قالوا تالله هو ما ذكرنا انه يمين اعتادوه في كلامهم على غير ارادة القسم به انك لفي ضلالك القديم قيل في حب يوسف وذكره القديم كان عندهم بانه هالك لذكر انكروا عليه وخطؤه فيما يجد من ريحه وعندهم انه في الاحيا لذلك كان ما ذكروا والله اعلم

وقوله عز وجل فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا اى رجع بصيرا على ما كان قال اهل التاويل
البشير كان يهوذا وقيل البريد ولا ندرى من كان وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان المدفوع اليه الثوب
كان واحدا وان قال فى الابتداء اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى وقوله عز وجل قال الم اقل لكم انى اعلم
من الله ما لا تعلمون قال بعض اهل التاويل وذلك ان يعقوب قال لهم قبل ذلك انما اشكوا بثى وحزنى الى الله
واعلم من الله ما لا تعلمون قال بعض اهل التاويل وذلك ان يعقوب قال لهم انتم من تصديق رؤيا يوسف وانه
حى وكان يعلم هو من الله اشياء ما لا يعلمون هم وقوله عز وجل قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين
قال يعقوب سوف استغفر لكم ربى طلبوا من ابيهم الاستغفار فاخرهم ذلك الى وقت وطلبوا من يوسف العفو
واقروا له بالخطا والذنب فعفا عنهم وقت سؤالهم العفو فمن الناس من يقول انما اخر يعقوب الاستغفار وعفى
عنهم يوسف لان قلب الشاب يكون الين وارق من قلب الشيخ لذلك كان ما كان لكن هذا ليس بشئ انما يكون
هذا فى عوام من الناس فاما الانبيا كلما مضى وقت فتزداد قلوبهم لينا ورقة وخشوعا ومنهم من يقول انما كان
كذلك لان وجد يعقوب كان اكثر من وجد يوسف لذلك كان لجابهم يوسف وقت سؤالهم العفو واخر
يعقوب الى وقت قال الشيخ ابو منصور رحمه الله والوجه فيه عندنا والله اعلم انهم انما سألوا يعقوب وطلبوا
منه الاستغفار من ربهم ليكون لهم شفيعا فاخر ذلك الى وقت الاستغفار والشفاعة اذ ليس كل الاوقات
يكون وقتا للاستغفار وطلبوا من يوسف العفو منه فعفا عنهم وقت طلبهم منه العفو لهذا الوجه يحتمل ان يخرج
معناه والله اعلم او ان يكون يعقوب اخر الاستغفار لان الذنب فى ذلك كان بينهم وبين ربهم واخر الى ان يجئ
الاذن من ربه واما الذنب فى يوسف فيما بينهم وبين يوسف فعفى عنهم من ساعته ويحتمل قوله سوف استغفر لكم
ربى ان استغفرتم انتم او قال يوسف استغفر لكم ربى اذا جا وقته فهو ما قال ابن عباس رضى الله عنه انه اخر
وقت الاستغفار الى السحر وان يكون اخره الى ان يقدم شيا بين يدى الاستغفار والشفاعة ليكون اسرع اجابة
وقوله عز وجل فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ظاهر هذا ان يوسف
كان تلقاهم خارجا من المصر فقال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ثم لما دخلوا المصر آوى الى نفسه ابويه وضمهما
اليه ويشبه ان يكون قال لهم هذا القول وقت ما قال لهم ايتونى باهلكم اجمعين وادخلوا مصر ان شاء الله آمنين
ثم لما جاؤهم ودخلوا مصر ضمهم اليه ابويه وامرهم اياهم ان يدخلوا مصرا آمنين لان المصر كان اهله اهل كفر وكانهم
خافوا الملك الذى كان فيه فذكر لهم الامن لذلك والله اعلم وذكر الثنيا فيه لانه وعد منه وعلمهم والانبياء
عليهم الصلوة والسلام كان لا يعدون شيئا الا ويستثنون فى آخر كقوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله وانما ذكر الثنيا فى الامن لم يذكر فى الدخول لان الدخول منه امر وما ذكر من الامن فهو وعد فهو ما ذكرنا
انه يستثنى فى الوعد ولا يستثنى فى الامر وقوله عز وجل ورفع ابويه على العرش يشبه ان يكون قوله اوى اليه
ابويه هو ما ذكر من رفعه اياهما على العرش وخص بذكر ابويه بالرفع على العرش فيحتمل ان يكون رفع ابويه والاخوة
جميعا لانه لو لم يرفعهم وقد كان عفى عنهم لما اقروا بالخطا وقال لا تثريب عليكم اليوم لكان يقع عندهم
انه قد بقى شئ مما كان منهم اليه لكنه خص ابويه بالذكر لشرفهما ومجدهما على ما يخص الاشراف والاعاظم كقوله
ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه ونحوه فدل رفع ابويه على العرش على ان اتخاذ
العرش والجلوس عليه لا باس به اذ لو كان لا يحل ولا يباح ذلك لكان يوسف لا يتخذه ولا كان يعقوب
يجلس عليه دل ذلك منهما ان ذلك مباح لا باس به والله اعلم وقوله عز وجل وخروا له سجدا قال بعضهم
من اهل التاويل كانت تحيتهم يومئذ فيما بينهم السجود يسجد بعضهم لبعض مكان ما يسلم بعضنا على بعض
واما اليوم فهو غير مباح وانما التحية فى السلام لكن السجود لدون الله ليس يكره لنفس السجود وانما يكره ويهى عما
فى السجود وهو العبادة والتسفل لا يحل لاحد ان يجعل العبادة والتسفل له دون الله واما نفس السجود فانه كالقيام

والقعود

والقعود وغيره من الاحوال يكون لها المرء والله اعلم ويحتمل قوله وخروا سجدا اى خروا له خاضعين له ذليلين
وقال بعضهم وخروا لله سجدا اى خروا لله سجدا شكرا له لما جمع بينهم وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقوله عز وجل
وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا اى حق تلك الرؤيا التى رايتها من قبل وجعلها صدقا
راى يوسف رويا فخرجت رؤياه بعد حين ووقت وزمان طويل فهذا يدل ان الخطاب اذا قرع السمع يجوز ان ياتى
نبايه من بعد حين وزمان ويجوز ان يكون مقرونا به وليس فى تاخير بيان الخطاب تلبيس ولا تشبيه على ما قال بعض
الناس وقوله عز وجل وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن ذكر احسانه اليه ومنته ولم يذكر محنته بالتصريح انما ذكرها
بالتعريض حيث قال وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن ولم يقل بمحنة وحبست وامثاله ما كان ابتلاه الله به
وقوله عز وجل وجاء بكم من البدو قيل من البادية لانهم كانوا اهل بادية اصحاب المواشى وقوله عز وجل من بعد ان نزغ
الشيطان بينى وبين اخوتى قال بعضهم نزغ اى فرق بعد ما فرق الشيطان بينى وبين اخوتى وكان النزغ هو الافساد
على ما ذكره اهل التاويل اى بعد ما افسد الشيطان بينى وبين اخوتى واضاف ذلك الى الشيطان لما كان قال لهم
لا تثريب عليكم حين اقروا له بالفضل والخطا فى فعلهم وقوله عز وجل ان ربى لطيف لما يشاء هو اسم لشيئين
اسم البر والعطف يقال فلان لطيف اى بار عاطف والثانى يقال لطيف اى عالم بما يلطف من الاشياء ويصغر
كما يعلم بما يعظم ويجسم او يقال لطيف اى يعلم المستور من الامور والخفية على الخلق كما يعلم الظاهرة
منها والبادية لا يخفى عليه شئ يعلم السر واخفى يقال له عظيم ولطيف ليعلم ان ليس يفهم من عظمه ما يفهم
من عظم الخلق اذ لا يجوز فى الخلق ان يكون عظيما لطيفا ويجوز فى الله ليعلم ان ما يفهم من هذا غير ما يفهم
من الآخر والله اعلم وقوله عز وجل انه هو العليم الحكيم اى العليم بما كان ويكون وما ظهر وما بطن وما يسر
ويعلن وبكل شئ او عليم بعواقب الامور وبداياتها الحكيم حكم بعلم ووضع كل شئ موضعه لم يحكم بجهل
ولا غفلة ولا سفه على ما يحكم الخلق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
ثلاث آيات فى سورة يوسف على المعتزلة قوله والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن اخبر انه لو لم يصرف عنى كيدهن
مال اليهن وهم يقولون قد صرف عن كل احد السوء والكيد لكن لم ينصرف عنه كذلك قوله ان النفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربى اخبر اذا رحمه امتنع عن السوء والا حرمه وهم يقولون انه وان رحم لا يمتنع السوء ولا الا حرمه وكذلك
قوله نصيب برحمتنا من نشاء وهم يقولون ليس له ان يصيب احدا دون احد من رحمته ولا ان يخص احدا بذلك
وقوله عز وجل رب قد آتيتنى من الملك قال ابو بكر الاصم ذكر من الملك لانه لم يؤت كل الملك اذ كان فوقه ملك اكبر
منه لكن لا لهذا ذكر من الملك اذ معلوم انه لم يؤت لاحد كل ملك الدنيا قال الله تعالى تؤتى الملك من تشاء ويكون
فى وقت واحد ملوك وقال مقاتل من صلة كانه قال رب قد آتيتنى الملك لكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله
قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث توفنى مسلما الى آخر ما ذكر قدم دعاه وسؤاله ربه ما سبق من الحسنات
اليه ومحامده وصنايعه ليكون ذلك له وسيلة الى ربه فى الاجابة وفى ذلك دلالة تنقض قول المعتزلة من وجهين
احدهما يقولون ان كل احد شفيعه عمله فيوسف لم يذكر ما كان منه انى فعلت كذا فافعل بى كذا ولكن ذكر نعم الله
واحسانه اليه والثانى من قولهم انه لا يؤتى احدا ملكا ولا نبوة الا بعد الاستحقاق ومن قولهم ان كل احد
هو المتعلم لان الله يعلم احدا وقد اضاف يوسف التعليم الى الله حيث قال وعلمتنى من تاويل الاحاديث
وهم يقولون لم يعلمه ولكن هو تعلم وقوله عز وجل وعلمتنى من تاويل الاحاديث قال اهل التاويل تعبير الرؤيا
ولكن الاحاديث هى الانباء والتاويل هو علم العاقبة وعلم ما يؤول اليه الامر كانه قال علمتنى مستقر الانباء
ونهايتها كقوله تعالى لكل نبأ مستقر والله اعلم وقوله عز وجل فاطر السموات كانه على الثناء والدعاء ذكر يا فاطر
السموات والارض لذلك انتصب وقوله عز وجل انت وليى فى الدنيا والآخرة يشبه ان يكون تاويله انت
ولى نعمتى فى الدنيا والآخرة كما يقال فلان ولى نعمة فلان ويحتمل انت وليى فى الدنيا والآخرة او انت رقيب

وسيدى فى الدنيا والآخرة وقوله عز وجل توفنى مسلما تمنى صلى الله عليه وسلم التوفى على الاسلام والاخلاص
بالله والالحاق بالصالحين فهو والله اعلم وذلك ان الله قد اتاه النهاية فى الشرف والمجد فى الدنيا دينا
لان نهاية الشرف فى الدين هى النبوة والرسالة ونهاية الشرف فى الدنيا الملك فاحب له ان يكون له فى الآخرة
مثله فقال توفنى مسلما والحقنى ثم يحتمل سوآله ان يلحقه بالصالحين بكل صالح ويحتمل انه سال الله ان يلحقه
بالصالحين باباية واجداده وبجميع الانبياء والرسل وقوله عز وجل توفنى مسلما والحقنى بالصالحين هو ينقض
على المعتزلة ايضا ومن قولهم انه اعطى كل احد ليس له ان يتوفاه مسلما فيكون فى دعايه عابثا على قولهم والثانى
على قولهم لا يملك ان يتوفاه مسلما الا ان من قولهم انه اعطى كل احد ما به يكون مومنا حتى لم يبق عنده شيئا ومن سال
اخر شيئا يعلم انه ليس عنده فهو يهزؤ به او يكون كتمان النعمة وفى كتمان النعمة كفرانها وقوله عز وجل ذلك من انباء
الغيب الآية ذلك اى خبر يوسف واخوته وقصصهم التى قصصنا عليك واخبرناك من اوله الى آخره من انباء
الغيب لم تشهدها انت ولم تحضرها لقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ليعلم انك انما علمت وعرفتها
بالله وحيا ليدلهم على رسالتك ونبوتك والله تعالى اعلم وقوله عز وجل وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
اى ما كنت لديهم ولا بحضرتهم ثم اثبات على ما كان ليدل على ما ذكرنا من الرسالة وقوله عز وجل وهم يمكرون بابيهم
واخيهم اما مكرهم بابيهم حيث قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون اخبرو انهم له
ناصحون فخانوه ومكرهم باخيهم حيث قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون ضمنوا الحفظ
فلم يحفظوه مكروا بهما جميعا والمكر هو الاحتيال فى اللغة والاخذ على جهة وقد فعلوهم بابيهم يعقوب واخيهم
يوسف عليهما السلام وقوله عز وجل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اى ما اكثر الناس ولو حرصت يا محمد
ان يكونوا مومنين كقوله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدي من يشاء كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
بلغ من شفقته ورحمته على الخلق ورغبته فى ايمانهم حتى كادت نفسه تهلك فى ذلك حيث قال لعلك باخع
نفسك الآية وقوله فلا تذهب نفسك ولا تحزن عليهم كان حرصه على ايمانهم بلغ ما ذكر حتى خفف ذلك
عليه بهذه الآيات وقال بعض اهل التاويل قوله تعالى وما اكثر الناس يعنى اهل مكة ولو حرصت بمؤمنين
وهم كذلك كانوا كان اكثرهم غير مومنين واهل مكة وغيرهم سواء كلهم كذلك كانوا وقوله عز وجل وما تسألهم
عليه من اجر اى على ما تبلغ اليهم وتدعوهم الى طاعة الله وجعل العبادة له وتوجيه الشكر اليه لا تسألهم
على ذلك اجرا فالذى يمنعهم عن الاجابة لك والايمان بربك هذا يدل انه لا يجوز اخذ الاجر على الطاعات
والعبادات حيث نهى واخبر انه لا يسالهم على ما يبلغ اليهم اجرا وهو لم يتول تبليغ جميع ما امر بتبليغه بنفسه
الى الخلق كافة بقوله وما ارسلناك الا كافة للناس الآية ولكنه ولى بعضه غيره كقوله تعالى الا فليبلغ
الشاهد الغايب فاذا لم يجز له اخذ الاجر فيما يبلغ هو فالذى كان مامورا ان يبلغ عنه ايضا لا يجوز ان ياخذ
الاجر على ما يبلغ وفى قوله وما تسألهم عليه من اجر وجهان احدهما انه ليس يسالهم على الذى يبلغه اليهم
ويدعوهم اجرا حتى يمنع بذلك ذلك ويثقله عن الاجابة والثانى اخبار ان ليس له ان ياخذ وان يجمع
من الدنيا شيئا كقوله ولا تمدن عينيك الآية ومعلوم انه لا يمد عينيه الا ما لا يحل فيكون النهى عن اخذ المباح
وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين اى هذا القرآن الذى تبلغهم ليس الا ذكرى وهو عظة للعالمين او نفسه
عظة وذكرى للعالمين اعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقوله ان هو الا ذكر للعالمين اى شرف وذكرى
لمن اتبعه وما قام وهو ما ذكر فى آية اخرى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقوله لآية للمؤمنين اى منفعته
تكون لمن اتبعه فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل وكاين من آية الآية اى كم من آية فى السموات والارض قال بعض
اهل التاويل الآيات التى فى السماء الشمس والقمر والنجوم والسحاب وامثاله والآيات التى فى الارض من نحو الجبال
والانهار والبحار والمداين ونحوها لكن السماء نفسها آية والارض نفسها آية وما يخرج منها آية من النبات يمرون عليها

وهم عنها

وهم عنها معرضون اى هم عنها معرضون عما جعلت هن آيات لانها انما جعلت آيات لوحدانية الله والوهيته
فهم عما جعلت هن من آيات معرضون وبالله الهداية والعصمة وقال بعضهم فى قوله وكاين من آية اى كم من دليل
وعلامة على وحدانية الله فى خلق السموات والارض وهو قريب مما ذكرنا وقال بعضهم آيات السماء ما ذكر من نحو
الشمس والقمر والكواكب وآيات الارض فمثل آيات الامم التى اهلكوا من قبل من نحو قوم نوح وعاد وثمود وقوم
لوط وغيرهم ممن قد اهلكوا يمرون عليها ويرونها ولا يتعظون بهم والوجه فيه ما ذكرنا انهم معرضون عما جعلت
تلك آيات وانما جعلت آيات لوحدانيته له والوهيته او معرضون عن التفكر فيها والنظر اعراض معاندة ومكابرة
ثم يحتمل الاعراض وجهين احدهما اعرضوا اى لم ينظروا فيها ولم يتفكروا اليدلهم على وحدانية الله والوهيته فهو
اعراض عنها والثانى نظروا وعرفوا انها آيات لوحدانيته لكنهم اعرضوا مكابرين معاندين ليس فى السموات
ولا فى الارض شئ وان لطف الا وفيه دلالة وحدانية الله والوهيته وآية الوهيته وقوله عز وجل وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون يحتمل هذا وجهين احدهما فى الاعتقاد وما يؤمن اكثرهم بالله بانه الاله الا وهم مشركون
الاصنام والاوثان فى التسمية وسموها آلهة كقوله عز وجل قل لو كان معه آلهة الا الله كما تقولون اذا لابتغوا
الى ذى العرش سبيلا والثانى اشراك فى الفعل اى وما يؤمن اكثرهم بالله عز وجل الا وهم عبدوا غيره من الاصنام
والاوثان او ان يكون وما يؤمن اكثرهم بالله تعالى بلسانهم الا وهم مشركون بقلوبهم ويقول وما يؤمن اكثرهم
بالله فى النعمة انها من الله سبحانه وتعالى الا وهم مشركون فى الشكر له تعالى وقوله عز وجل افامنوا ان تاتيهم غاشية
من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون اى كيف امنوا ان ياتيهم عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة
وقد سمعوا الاتيان العذاب بمن قبلهم وهلاكهم وقد جاء ما يخوفهم اتيان الساعة وخاوفها وان لم يعلموا بذلك
حقيقة لما تركوا العلم بها تركا معاندة ومكابرة لا ترك ما لم يبينه لهم ومن لم ياته التخويف والاعلام وغاشية
من عذاب الله تعالى قال ابو عوسجة رحمه الله اى مجللة تغشيهم ومنه قوله هل اتيك حديث الغاشية وهو ما ياتيهم
العذاب من فوقهم وقال غيره غاشية من عذاب الله اى عذاب من عذاب الله سبحانه وتعالى وهو كقوله ولئن مستهم
نفحة من عذاب ربك يجب ان يكون اهل الاسلام معتبرين بقوله وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها
وكذلك بقوله افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وان كانت الآيات نزلت فيهم لانهم
يمرون بما ذكر من الآيات ولا يعتبرون بما ذكر وكذلك لا يكونوا امنين عن غاشية من عذاب الله سبحانه وقوله عز وجل
قل هذه سبيلى قيل السبيل يؤنث ويذكر ويحتمل هذه الطاعة او العبادة لله تعالى يحتمل قوله تعالى سبيلى
هذه التى انا عليها ويحتمل هذه سبيلى التى ادعوكم الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى البصيرة العلم والبيان والحجة البينة
التى يدعى اليها على الهوى والشهوة بغير حجة ولا برهان ومن اتبعنى اى ومن اتبعنى ايضا فانما يدعوكم ايضا على حجة وبرهان
اذ من يجيبنى فانما يجيب على بصيرة وبيان وحجة وسبحان الله وما انا من المشركين قيل هذا صلة قوله وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون سبحان الله تنزيها لما قالوا وتبرئة عما قالوا فى الله بما لا يليق به وما انا
من المشركين فى الوهيته وربوبيته غيره وفى عبادته والله اعلم وقوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
يوحى اليهم ذكر رجالا والله اعلم اى لم نبعث رسولا من قبل الا بشرا لم نبعث ملكا ولا جنا فكيف انكرتم رسالة محمد
بانه بشر ولم ترد رسولا من قبل ولا سمعوا الا من البشر كقولهم ابعث الله بشرا رسولا وكقوله ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا هذا والله اعلم الا رجالا لامثالك بشرا الا ملكا ولا جنا او ذكر رجالا لانه لم يبعث امراة
رسولا وقوله عز وجل يوحى اليهم من اهل القرى اى انما ارسل الرسل جملة من اهل الامصار والمدن
لم يبعثوا من اهل البوادى واهل البرارى والقرى انما يريد الامصار والبنيان وقال الله تعالى وضرب الله مثلا
قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان قيل هى مكة وجميع ما ذكر فى القرآن من القرية والقرى

يريد به الامصار والمدن وانما بعث الرسل والانبياء من الامصار ولم يبعثهم من البوادي ومن اهل البراري
لوجهين والله اعلم احدهما لان اهل الامصار والمدن اختلاطا باصناف الناس وامتزاجا بانواع الخلق ويكون لهم
تجارب بالخلق فهم اعقل واحلم وابصر من اهل البادية والبرية اذ اختلاطهم وامتزاجهم انما يكون بالماشية وانواع
البهايم لذلك بعثوا من الامصار دون البادية وبعد فان الرسل يكون لهم اسباب واعلام تتقدم عن وقت الرسالة
يحتاج ان يظهر ذلك للخلق ليكون ذلك اسرع الى الاجابة لهم وادعى وانفذ الى القبول فاذا كانوا من اهل البوادي لا يظهر
ذلك للخلق والثاني انه يراد من الرسالة اظهارها في الخلق في الافاق والاطراف والامصار والمدن هي الامكنة
التي ينتاب الناس اليها في التجارب وانواع الحوايج من الافاق والاطراف فيظهر ذلك فيها وفي اهل الافاق واما
البوادي والبراري ليس يدخلها ولا ينتاب اليها الا الشاذة من الناس ولا يقضي فيها الحوايج فلا يظهر في الخلق
الرسالة وما يراد بها **وقوله** عز وجل افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين اي الم ينظروا ولم يتفكروا فيمن هلك من قبلهم من الامم بتكذيبهم الرسل كيف كان عاقبتهم بالتكذيب في الدنيا ليمتنعوا
عن تكذيب رسولهم افلم يسيروا في الارض الاية يخرج على وجهين احدهما اي قد ساروا ونظروا كيف كان
عاقبة المكذبين لكنهم عاندوا ولم يعتبروا والثاني اي سيروا في الارض وانظروا ولكن ليس على نفس السير
في الارض ولكن على السؤال عما نزل باولئك **وقوله** عز وجل ولدار الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والخلاف
ورسوله افلا تعقلون ان ذلك افضل واخير ومن لم يتق بذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل حتى اذا استيأس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا وكذبوا كلاهما لغتان قال بعضهم ايس الرسل عن ايمان قومهم وتصديقهم الرسل ثم يحتمل استياسهم
عن ايمانهم لكثرة ما راوا من اعتنادهم الايات وتفريطهم في ردها ايسوا عن ايمانهم وكان اياسهم
بالخبر عن الله انهم لا يومنون كقوله واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن الاية وامثاله
وقوله وظنوا انهم قد كذبوا قال بعضهم وظن الرسل ان اتباعهم الضعفة قد كذبوهم لكن هذا ان كان
من الرسل فهو ظن من الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم لكثرة ما اصابهم من الشدايد وطال عليهم البلاء
واستاخر عنهم النصر فوقع عند الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم لكثرة ما اصابهم وان كان من الاعداء فقد استيقن
الرسل انهم قد كذبوهم وروي عن عروة بن الزبير انه سال عايشة قال فقلت ارايت قول الله حتى اذا استيأس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا قال فقال بل كذبهم قومهم قال فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم قد كذبوهم
وما هو بالظن فقالت يا عروة لقد استيقنوا بذلك قال قلت فلعلهم ظنوا ان قد كذبوا قال معاذ الله لم تكن
الرسل لتظن ذلك بربها وما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء
واستاخر عنهم النصر حتى اذا استيأست الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله
عند ذلك وقال بعضهم حتى اذا استيأس الرسل عن ايمان قومهم وظن قومهم ان الرسل فقد كذبوا فيما وعدوا
من العذاب انه نازل بهم لما ابطا عليهم العذاب وقال بعضهم وظنوا انهم اي ظن قومهم ان رسلهم قد كذبوهم
خبر السماء جاءهم نصرنا فان كان الاية في اتباع الرسل على ما ذكر بعضهم فهو كقوله والذين امنوا معه متى نصر الله
الا ان نصر الله قريب فان كان في غيرهم من المكذبين فقد جاء الرسل نصر الله قوله فنجي من نشاء من المومنين
فهو في ظاهره خبر على المستقبل انه ينجي من يشاء من هولاء من المومنين ويشبه ان يكون على الخبر
في اولئك فان كان على هذا فنجي ان يكون نجينا من شينا منهم واهلكنا من نشاء منهم لكن يجوز هذا في اللغة
او يكون في الاخرة ينجي من نشاء **وقوله** عز وجل ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اي لا يرد عذابنا
اذا نزل عن المجرمين **وقوله** عز وجل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب يحتمل قولهم في قصصهم
قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب ويحتمل قصص الرسل والامم السالفة جميعا لاولي الالباب والاعتبار

انما يكون لاولي الالباب الذين ينتفعون بلبهم وعقلهم **وقوله** عز وجل ما كان حديثا يفترى يحتمل اي ما حدث
محمد صلى الله عليه وسلم وما اخبر من القصص واخبار الرسل والامم السالفة بالذي افترى بل انما اخبر
ما كان في الكتب السالفة على غير تعلم منه ولا دراسة ويحتمل ما كان هذا القرآن بالذي يقدر ان يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه اي تصديق الذي نزل على رسول الله الكتب التي كانت من قبل وتفصيل كل شيء
اي تفصيل ما للناس حاجة اليه وهدى من الضلالة لمن اهتدى ورحمة للمومنين وفيما ذكر من قصة يوسف
واخوته على رسول الله دلالة التصبير على اذى قريش يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين والنسب والموالاة
عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر به فقومك مع مخالفتهم اياك في الدين احرى ان تصبر على اذاهم

سورة الرعد مكية وقتادة مدنية واياتها اربعون وثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل المر تلك ايات الكتاب يحتمل ان يكون قوله المر كناية عن الاحرف المقطعة المعجمة
فيكون قوله تلك ايات الكتاب تفسير المر هذا هو الظاهر ان يقال في كل حرف المعجمة والمقطعة ان يكون ما ذكر
من بعدها على اثرها كان تفسيرها والثاني يشبه ان يكون قوله المر كناية عن الحجج والبراهين وساير الكتب
كانه قال تلك الحجج والبراهين وساير الكتب جعلناها ايات القرآن وحججه وقد ذكرنا القول في الحروف
المقطعة فيما تقدم اختلف في قوله تلك ايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك هو القرآن الذي انزل قال بعضهم
تلك ايات الكتاب التورية والانجيل وساير الكتب المتقدمة وقوله والذي انزل اليك من ربك هو القرآن الذي
انزل على محمد عليه الصلوة والسلام وقال بعضهم تلك ايات الكتاب هو القرآن والذي انزل اليك من ربك ايضا
هو القرآن لكنه اخبر انه منزل من ربك الحق وقوله الحق يحتمل هو الحق اي منزل من الله ليس كما قال اولئك انه
ليس من الله انما يقوله محمد من تلقاء نفسه ويحتمل الحق اي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والله اعلم
وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يومنون انه من الله او اكثر الناس لا يومنون انه ايات الله وحججه والله اعلم
وقوله عز وجل الله الذي رفع السموات قوله رفع اي انشاها مرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها
في الابتداء مرفوعة ممدودة لا انها كانت وكذلك قوله والارض وضعها للانام ومد الارض والجبال الرواسي
ونحو ذلك اي انشاها مرفوعة ممدودة لا انها كانت مرفوعة فوضعها او كانت منقبضة فبسطها ولكن انشاها
كذلك **وقوله** عز وجل بغير عمد ترونها قال بعضهم هي بعمد لكن لا ترونها اي ترونها بغير عمد وقال بعضهم
هي بغير عمد على ما اخبر ولكن اللطف والاعجوبة بما يمسكها بعمد لا ترى كاللطف والاعجوبة فيما يمسكها بغير عمد
لان في الشاهد لم يعرف ولا قدر على رفع سقف فيه سعة وبعد بغير عمد لا ترى لكن ما يرتفع انما يرفع بعمد
ترى فاللطف في هذا كاللطف في الاخر وفيه دلالة قدرته على البعث لانه ذكر هذا ثم قال لعلكم بلقاء ربكم
توقنون ان من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد وبعدها بلا عمد بقادر على اعادة الخلق وبعثهم
واحيايهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشيء بعد فنايه اذ في الشاهد
من قد يقدر على اعادة اشياء بعد فنايها ولا يقدر على رفع سقف ذي سعة وبعد بغير عمد من ذا الوجه
امر انه يحتج والله اعلم **وقوله** عز وجل ثم استوى على العرش لما لم يفهم من قوله سميع بصير عليم مدبر المكان
وان كان في الشاهد يفهم عنه المكان اذا اضيف الى المخلوق لم يجز ان يفهم من استوايه ما يفهم من استواء
الخلق وبعد فان في الشاهد اذا قيل فلان استولى امر بلد كذا او استوى امر لم يفهم منه المكان بل فهم
منه نفاذ الامر والسلطان والمشية فعلى ذلك لم يجز ان يفهم من الله اذا اضيف اليه المكان واصله
ما ذكرنا فيما تقدم انه اخبر انه ليس كمثله شيء فهو في كل شيء وكل وجه لا يشبه الخلق اذ الخلق في الشاهد

ليس يشبه بعضه بعضا من جميع الجهات انما يشبه بعضهم بعضا بجهة ثم صاروا جميعا اشكالا واشباها
بتلك الجهة التي وقعت بينهم تشابه فاذا الله سبحانه لما اخبر انه ليس كمثله شيء دل انه انما نفي عنه الجهات التي
يقع بها التشابه والمثل فهو يخالف للخلق من جميع الوجوه وهذه مسئلة مذكورة فيما تقدم اختلف في العرش
قال بعضهم العرش هو الممتحنون بهم استوى تدبير انشا غيرهم من العالم لانهم هو المقصودون في انشا ذلك
كله وقال بعضهم العرش البعث به استوى وتم تدبير انشا الخلايق ما لولا البعث يكون انشاهم عبثا باطلا كقوله
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل عدم الرجوع اليه انشاء الخلق عبثا وقال بعضهم العرش
هو الملك وبه تم ما ذكر وقيل هو سرير الملك وقوله عز وجل يدبر الامر على ما في العقل انه عن تدبير مدبر
خرج وعن علم وحكمة وضع ليس على الجزاف بلا تدبير ولا علم وقوله عز وجل يفصل الايات يحتمل يبين
الحجج والبراهين ويحتمل يفصل الآيات اي ايات القرآن انزلها بالتفاريق لا مجموعة لعلكم بلقاء ربكم توقنون
هو ما ذكرنا ان فيما ذكر من الآيات والتدبير ورفع السماء بلا عمد دلالة البعث والاحياء بعد الموت
وقوله عز وجل بلقاء ربكم هو ما ذكرنا في قوله اليه مرجعكم جميعا ومصيرهم وبروزهم واشباهه والله اعلم
وقوله عز وجل هو الذي مد الارض وقال في اية اخرى والارض بعد ذلك دحاها وقال في موضع اخر والى الارض
كيف سطحت وكله واحد وقال الارض فراشا ومهادا يذكرهم نعمه التي انعمها عليهم مد الارض اي بسطها
وجعل فيها رواسي ذكر انها بسطت على الماء فكانت تتكفؤا باهلها وتضطرب كما تتكفؤا السفينة فارسيها بالجبال
الثقال فاستقرت وثبتت وذكر انها مدت وبسطت على الهواء ثم اثبتها بما ذكر من الجبال ولكن لو كان ما ذكر لما
كان يجب ان لا يكون بالجبال ثباتها واستقرارها لان الارض والجبال من طبعها التسفل والانحدار في الماء والهواء
فكلما زيد من ذلك النوع كان في التسفل والانحدار اكثر وازيد فلا يكون بها الثبات والاستقرار بل انما يكون الثبات
والاستقرار بشيء من طبعه العلو والارتفاع فيمنع ذلك الشيء الذي طبعه العلو عن التسفل والانحدار الا ان يقال
انها كانت لا تتسفل ولا تتسرب ولكن تضطرب وتميد باهلها على ما ذكره عز وجل وجعلنا في الارض رواسي
ان تميد بهم فان كان على هذا فيكون بالجبال ثباتها واستقرارها ومنعها عن الاضطراب والميلان او ذكر هذا ليعلم
ليعلم لطفه وقدرته حيث امسكها بشيء من طبعه التسفل والانحدار وهي في نفسها كذلك ليعلم قدرة الله ولطفه
في كل شيء والله اعلم بذلك وقوله عز وجل مد الارض اي انشاها ممدودة لا انها كانت مجموعة في مكان فبسطها
على ما ذكر من رفع السماء ونحوه وجعل فيها رواسي وانما جعل الله عز وجل الاشياء اكثرها باسباب ليعلم منه الخلق
ليكون ذلك عليهم اهون وان كان جعل الاشياء عليه باسباب وبغير اسباب سواء اذ هو قادر بذاته يذكر
هذا انما يحقق النعم التي انعمها عليهم من مد الارض وبسطها واثبات بالرواسي التي ذكر وجعل الانهار فيها ليصلوا
الى الانتفاع بها ليستادي بذلك شكره او يذكر تحقق الاخبار عن قدرته وسلطانه لانه جعل الارض بحيث لا يدخل
فيها شيء فاخبر انه ادخل فيها الجبال مع كثافتها وعظمتها ليعرفوا قدرته وقوله عز وجل وانهارا اي جعل فيها
انهارا اخبر انه مد الارض وبسطها وجعلها مستقرة ثابتة ليقروا هم عليها ثم اخبر انه جعل فيها انهارا لينتفعوا بها
من جميع انواع المنافع ثم اخبر انه جعل فيها من كل الزوجين الثمرات زوجين قال بعض اهل التاويل زوجين
اثنين اي لونين وقال بعضهم ذوا طعمين لكن يكون منها الوان اكثر من اثنين احمر وابيض واسود واصفر ونحو
وكذلك الطعم يكون حامض وحلو ومر ونحوه الا ان يقال زوجين اثنين الطيب والخبيث فلا يكون ثالث واما اللون
فانه يكون ذو الوان وذو طعوم وقال بعضهم الذكر والانثى فهذا يصح اذا اراد به الشجر فمنه ما يثمر ومنه ما لا يثمر
هو انثى والذي لا يثمر هو ذكر واما على غير هذا فانه لا يصح واصل الزوجين هو اسم الاشكال والامثال واسم الاضداد
ففيه دليل نفي ذلك كله عن الله واصل الزوج هو من له المقابل من الاشكال والاضداد اخبر انه جعل الخلق
كله ذا اشكال واضداد من نحو الليل والنهار والذكر والانثى فهو في حق المنافع كشيء واحد وفي حق الاسم كالاشياء

وقوله عز وجل يغشي الليل النهار اي يذهب ظلمة الليل بضوء النهار وضوء النهار بظلمة الليل ويلبس
احدهما الاخر او يغطي الليل ما هو بالنهار باديا ظاهرا للخلق وبالنهار ما هو مستور خفي على الخلق والله اعلم
وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيما ذكر دلالة البعث والاحياء ودلالة التدبير والعلم
والحكمة ودلالة الوحدانية لقوم يتفكرون في اياته وحججه لا لقوم يعاندون اياته ويكابرونها وقوله ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون ذكر ان الايات تكون ايات لهم بالتفكر والنظر فيها والله اعلم لا ان تصير ايات بجانا
بالبديهة او يقول ان منفعة الايات تكون لمن تفكر فيها الا لمن ترك التفكر والنظر والله اعلم وقوله عز وجل
وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب دل قوله قطع متجاورات ان التجاور انما يذكر ويثبت اذا كانت
الارض قطعا واما اذا كانت الارض ارضا واحدة فانه لا يقال فيها التجاور فهذا يبطل قول من يقول ان التجاور
انما يذكر فيما فيه الشركة فيجب الشفعة فيما فيه الشركة واما في غيره فلا يجب واما عندنا هو ما ذكر عز وجل
انه انما اثبت التجاور في الارض التي صارت قطعا وقوله عز وجل قطع متجاورات وجنات من اعناب القطع المتجاورات
هي الارضون الضواحي التي تصلح للزرع وجنات من اعناب اي جنات متجاورات ايضا والجنات هي البساتين
المحفوفة بالاشجار فيها الوان الثمار وزروع ونخيل صنوان وغير صنوان قيل صنوان هو النخلتان
في اصل واحد وغير صنوان النخل المتفرق وقيل الصنوان ما كان اصله واحدا وهو متفرق وغير صنوان التي
تنبت وحدها وقيل صنوان هي النخلة تخرج فاذا خرجت انشعبت بعد خروج الاصل فهو الصنوان ولهذا
قيل عم الرجل صنو ابيه تسقى بماء واحد اي تسقى ما ذكر من الزروع والنخيل والجنان بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل يذكر هذا والله اعلم ان جواهر الارض كلها واحد وهي قطع متجاورة بعضها ببعض
ثم هي مختلفة في حق الثمار والفواكه وكذلك الاشجار والنخيل كلها من جوهر واحد من جنس واحد والارض
في جوهرها وتسقى كلها بماء واحد ثم يخرج مختلفا في الوانها وطعومها وطيبها وخبثها ومناظرها ليعلم انها لم تكن
بنفسها ولا بالاسباب التي جعل لها ولكن بلطف واحد مدبر عليم حكيم لانها لو كانت بانفسها وطباعها او بالاسباب
لكانت كلها واحدة متفقة في طيبها وخبثها والوانها وطعومها فلما لم يكن ما ذكرنا على لون واحد ولا طعم واحد
ولا منظر واحد دل انه كان بتدبير مدبر واحد عليم لطيف وقوله عز وجل ونفضل بعضها على بعض في الاكل
قيل في الحمل بعضها اكثر حملا من بعض وبعضها يحمل وبعضها لا ولكن ما ذكرنا في الطيب والخبيث والطعم واللون
والمنظر مفضل بعضه على بعض واصله ان الارض واحدة متجاورة متصلة بعضها ببعض والماء واحد ايضا
ثم خرجت الثمار والفواكه والزروع مختلفة متفرقة ليعلم ان ذلك ليس هو عمل الارض ولا عمل الماء ولا عمل
الاسباب والطباع ولكن باللطف من الله لانه لو كان بالماء او بالارض او بالاسباب والطباع لكانت متفقة
مستوية ان في ذلك لايات لها لما ذكرنا من وحدانيته وتدبيره وعلمه وحكمته لقوم يعقلون اي لقوم همتهم
العقل والفهم والنظر والتفكر في الايات لا لقوم همتهم العناد والمكابرة او لقوم ينتفعون بعقلهم وعلمهم
وقال الحسن هذا مثل ضربه لقلوب بني ادم كانت الارض في الاصل طيبة واحدة فسطحها الرحمن ثم بطحها فصارت
الارض قطعا متجاورات فينزل عليها الماء من السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج نباتها ويحيي
مواتها ويخرج هذه سبخها وملحها فصارت الارض قطعا متجاورات وخبثها وكلتاهما تسقى بماء واحد فلو كان الماء
مالحا قيل استسبخت هذه من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من ادم عليه السلام فينزل عليهم من السماء تذكرة
واحدة فترق قلوب فتخشع وتخضع وتقسو قلوب فتسهوا وتلهو وتجفوا وكلام ونحوه ثم قال الحسن والله ما جالس
القران احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان ثم تلا قوله وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا وقوله عز وجل وان تعجب فعجب قولهم قال الحسن ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك في الرسالة
فعجب قولهم حيث قالوا ائذا كنا ترابا انا لفي خلق جديد وقال بعضهم وان تعجب يا محمد مما اوحينا اليك من القرآن

كقوله في الصافات بل عجبت ويسخرون فعجب قولهم اى فاعجب ايضا قولهم يقول لكن قولهم اعجب عندك حين قالوا
اذا كنا ترابا انا لفى خلق جديد تكذيبا للبعث واصله والله اعلم يقول انك تعجب وقولهم في تكذيبهم اياك في الرسالة
ولم تكن رسولا من قبل فقولهم وانكارهم قدرة الله على البعث والاحياء بعد الموت اعجب اذ قد رأوا وشاهدوا
من قدرة الله واياته بعد الهلاك ما اعجب من تكذيبهم ما لو تفكروا وتاملوا ولم يعاندوا وعرفوا انه قادر على ذلك
كله فوصفهم الله تعالى بالعجز وانه لا يقدر على البعث والاحيا بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم اياك في الرسالة
ولم يكن سبق منك اليهم ما يوجب رسالتك وتصديقك وقد سبق من الله اليهم ما يعرفهم قدرته على ذلك وعلى كل
واصله والله اعلم وان تعجب لانكارهم رسالتك وتكذيبهم اياك ولم يكن منك اليهم حقيقة الهداية والنعم
والايات والحجج وانما كان منك البيان والدعا فاعجب قولهم في انكارهم قدرة الله على البعث وقولهم في الله
سبحانه ما قالوا فيه بعد معرفتهم حقيقة ذلك كله بالله اليهم والله اعلم وقوله عز وجل اولئك الذين
كفروا بربهم يشبه ان يكونوا لما كفروا بالبعث كان كفرهم بالبعث كفرا بالله لانهم عرفوه عاجزا حيث قالوا
لا يقدر على بعث الخلق ومن عرف ربه عاجزا فهو لم يعرف الرب الحقيقة والاله الحقيقة وقوله عز وجل واولئك
الاغلال في اعناقهم قال بعضهم صار الكفرة في اعناقهم اغلالا حيث انكروا الرسالة في البشر ثم جعلوا الاصنام
والاوثان معبودهم يعكفون لها ويخضعون فذلك هو الاغلال في اعناقهم وقال بعضهم قوله فاولئك الاغلال
في اعناقهم في الاخرة كقوله خذوه فغلوه الاية واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقوله عز وجل
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال يكون على وجهين يكون طلب الفعل نفسه كقوله ادعوني استجب لكم
قيل اجيب لكم وقوله فليستجيبوا لي اى ليجيبوا لي وقوله ويستعجلونك فان كان على طلب الفعل فهو ما سالوا
رسوله العذاب كقوله سال سائل بعذاب واقع وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقولهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فيه فاسوالهم الهلاك قبل سوالهم بتاخير العذاب
وامهاله وتاخير العذاب عندهم وامهاله من الحسنة فاستعجلوا بهذا قيل هذا وان كان الفعل نفسه فقوله
يستعجلونك اى يعجلونك يا محمد بالسيئة اليك قبل ان تكون منهم اليك حسنة حيث كذبوك في الرسالة واذوك
في نفسك ولم يكن منهم اليك احسان من قبل والله اعلم بذلك وقيل بالسيئة العذاب ما ذكرنا قبل الحسنة اى قبل
العفو وسوالهم السيئة والعذاب يجهل منهم انه رسول وانه صادق فيما يخبر ويوعد من العذاب كانوا لا يسالون
لانهم يعلمون ان الله يقدر على ان ينزل عليهم العذاب لكن سالوا ذلك بجهلهم بانه رسول سوال استهزاء وسخرية
وان كان هذا سوالهم كان فيه دلالة ان العقوبة والعذاب قد يلزم من جهل الامر اذا كان سبيل العلم به
والنظر والتفكر فيه وهولاء جهلوا انه رسول الله لتركهم النظر والتفكر والله اعلم وقوله عز وجل وقد خلت
من قبلهم المثلات قال بعضهم العقوبات اى قد كان في الامم الخالية العقوبات بسوالهم العذاب والمعاندة
في الايات اذا جاءت كانه والله اعلم يصبر رسوله على سفه قومهم لسوالهم العذاب والايات ثم المعاندة فيها يقول
كان في الامم الماضية من سوال العذاب والايات ثم المعاندة من بعد نزولها فنزلت بهم العقوبات فعلى ذلك
هولاء وقال بعضهم المثلات الامثال والاشباه وكذلك ذكر في حرف حفصة وقد خلت من قبلهم الامثال وتاويله
والله اعلم اى وقد خلت من قبلهم الامثال ما لو اعتبروا بها كان مثلا لهم ولكن لا يعتبرون فيمنعهم عن امثال
ذلك وقوله عز وجل وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال بعضهم لذو مغفرة اى ذو ستر على ظلمهم وتاخير
العذاب الى وقت كقوله انما يؤخرهم ليوم وقوله وما نؤخره الا لاجل معدودة وقال بعضهم لذو مغفرة للناس
على ظلمهم اذا تابوا وماتوا عليها او يكون قوله لذو مغفرة للمؤمنين على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب للكفار لمن تاب
ومات على الظلم والشرك وقوله وان ربك لشديد العقاب للكفار وعلى التاويل الاول وانه لشديد
العقاب اذا عاقب وقوله عز وجل ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقال في موضع فلياتنا

بآية كما ارسل

بآية كما ارسل الاولون وقال في اية اخرى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر ما ذكر فيحتمل سوالهم
الاية كما ارسل الاولون عين تلك الايات التي اتت بها الرسل الاولون وليس عليه ان ياتي بعين تلك الاية انما عليه
ان ياتي باية تخرج عن عرفهم وطباعهم والرسل جميعا لم ياتوا باية واحدة انما جاوا بايات مختلفات كل جا باية سوى
ما جا بها الاخر فقال له ليس عليك انما انت منذر وسالوا ايات سوال الاعنتا دليها هلاكهم على ما فعل الاولون
فقال انما انت منذر قد منعا هذه الامة ايضا ايات وانزالها لديها هلاكهم وان كانوا هم في سوالهم الايات
معاندين لانهم قد جاءهم من الايات على اثبات رسالته واظهارها ما كفتهم لكنهم يعاندون وقوله عز وجل انما انت
منذر لا تملك الايات اتيان الايات قل انما الايات عند الله وقالوا قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر الاية
او يقول انما انت منذر ليس اليك انشا الايات واختراعها قل انما الايات عند الله وقوله عز وجل ولكل قوم هاد
اى داع يدعوا الى توحيد الله ودينه كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله ولكل قوم هاد يحتمل لكل وقت هاد
ثم اختلفوا في من ذلك الداعي قال بعضهم الله وقال بعضهم نبي من الانبياء وقال بعضهم داع دليل سوى النبي
وقالت الباطنية هو امام يكون معصوما مثل النبي لئلا يزيغ عن الحق ولكن عندنا معصوما كان او لم يكن معصوما
فان في القرآن ما يمنع عن الزيغ ويعرف ذلك منه اذا زاغ وضل عن الحق ولكل قوم هاد اى داع وهو كما قال وان من امة
الا خلا فيها نذير وقوله عز وجل الله يعلم ما تحمل كل انثى قيل تعليم انها حملت انثى او ذكرا مستويا او غير مستو
هو ما يخبر عز وجل من علمه وقدرته انه لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء فان قيل هذا دعوى ما الذي يعلمنا انه يعلم
ذلك قيل اتساق تدبيره ولطفه يدل على علم ذلك فيه حيث رباه فيه وانشاه مستويا غير موف سليما عن الافات
ومن الحوايج كلها على الاستواء لا يكون بعضها اكبر واعظم وبعضها انقص وبعضها اتم نحو العينين تراهما مستويتين
لا زيادة في احديهما دون الاخرى بل تتموان على الاستواء وكذلك اليدين والرجلين والاذنين وامثاله فدل ذلك
على العلم له به والتدبير وقوله عز وجل وما تغيض الارحام وما تزداد اى يعلم ما تغيض الارحام وما تزداد
قال عامة اهل التاويل ما تغيض الارحام ما تنقص عن التسعة الاشهر وما تزداد على التسعة الاشهر كان الحسن
يقول فيغوضة الرحم ان تضع لستة اشهر او سبعة اشهر او ثمانية واما الزيادة فما زاد على التسعة اشهر وفي حرف ابي
الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تضع ولكن يحتمل قوله وما تغيض الارحام وما تزداد وجهين احدهما ما تغيض
الارحام اى ما لا تحمل شيئا وهي التي تكون عقيما لا تلد والغيضوضة تكون ذهاب الشيء قال الله وغيض الماء اى ذهب
وما تزداد اى ما تحمل وما تغيض الارحام فتلد بدون الوقت الذي تلد النساء وما تزداد على الوقت الذي تلد النساء
وما تغيض الارحام وما تزداد في زيادة عدد الاولاد ونقصانهم ما تحمل واحدا واكثر من واحد او يكون في زيادة
قدر نفس الولد ونقصانه لان من الولد ما يصيبه في البطن آفة فلا يزال يزداد وله نقصانا في البطن ومنه ما ينمو ويزداد
وامثاله والله اعلم وكل شيء عنده بمقدار مقدر بالتقدير ليس على الجزاف على ما يكون عند الخلق ولكنه بتقدير
وتدبير عالم الغيب قال بعضهم لا يغيب عنه شيء ولكن هو عالم بالذي يغيب عن الخلق ويشهد الخلق اى ما يغيب
عنهم وما يشهدونه عنده يجل واحد في العلم به وقال بعضهم عالم الغيب ما غاب بنفسه وما شهد بنفسه فالغائب
بنفسه هو ما لم يوجد بعد ولم يكن والشهادة ما قد وجد وكان يعلم ما لم يوجد بعد انه يوجد او لا يوجد
واذا وجد كيف يوجد ومتى يوجد وفي اى وقت يوجد وما وجد وشهد يعلمه شاهدا موجودا على هذين
الوجهين يجوز ان يخرج الاية والله اعلم ويعلم ما غاب عنهم مما شهدوا من نحو قوة الطعام في الطعام
والقوة التي في الما وماية البصر والسمع والعقل والروح وكيفتها وهذا كله مما غاب عن الخلق وقوله عز وجل
الكبير المتعال المتعالي عن جميع ما يحتمل الخلق يقال هذا عظيم القوم وكبيرهم هذا واحد زمانه لا يعنون
عظيم النفس وكبيره او توحده من حيث العدد ولكن من حيث نفاذ الامر له والمشية فيهم والعز والسلطان وله الخلق
والخضوع فعلى ذلك لا يفهم فيما وصف هو به ما يفهم من الخلق من عظم الجسم وكبر النفس وعلى ذلك ما وصف هو

باسماء لا يحتمل ذلك في الخلق يقال اول وآخر وظاهر وباطن وعظيم ولطيف ليعلم انه ليس بينهم ما اضيف
اليه و وصف هو به ما يفهم مما يضاف الى الخلق اذ من قيل في الشاهد انه عظيم لم يقل انه لطيف ومن قيل
انه اول لم يقل به آخر وكذلك الظاهر والباطن اذا وصف باحدهما انتفا عنه الاخر و ذلك مما وصف به
الغايب واضيف اليه ليعلم انه لا يفهم بما يوصف هو به ويضاف اليه ما يفهم مما وصف به الخلق واضيف
اليهم والله اعلم **وقوله** عز وجل سواء منكم من اسر القول في نفسه في حال انفراده ومن جهر به يعني ومن هو
مستخف بالليل في ظلمة الليل وسارب بالنهار قيل ظاهر بالنهار وقال بعضهم وسارب بالنهار يكون في المراعي
وهو الغادر بالنهار وقال بعضهم من هو مستخف بالليل اي ساكن بالليل في مقره وسارب بالنهار اي متصرف
متقلب بالنهار في حوايجه ذكر هذا صلة ما تقدم وهو قوله يعلم ما تحمل كل انثى ويعلم ما تغيض الارحام
ويعلم ايضا ما تزداد وما ذكر انه عالم الغيب والشهادة يقول ايضا يعلم من اسر القول ومن جهر ومن كان
مستخفيا بالليل او سارباً بالنهار اي يعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء من عمل سرا من الخلق وعمل بظاهر
منهم يذكر هذا والله اعلم ليكونوا على حذر من المعاصي لان من علم ان عليه رقيبا حفيظا يكون احذر واخوف
ممن يعلم ان ليس عليه ذلك وقال مقاتل سواء منكم عند الله من اسر القول ومن جهر به وسواء منكم من هو مستخف
بالليل وسارب بالنهار اي من هو مستخف بالمعصية في ظلمة الليل وهو منتشر بتلك المعصية بالنهار معلن
بها فعلم ذلك كله عند الله سواء في ذلك تذكير امرين احدهما يذكرهم نعمة التي انعمها عليهم من اول احوالهم
الى آخر ما ينتهون اليه يستاوى بذلك شكره ليستديموا بذلك تلك النعم ابداً ما كانوا والثاني يذكرهم
علمه بجميع احوالهم وافعالهم ليكونوا ابدا على حذر من معاصيه والخلاف له اما علمه هو ما ذكر الله يعلم
ما يحمل كل انثى الى قوله سواء منكم الاية واما نعمة ما ذكر له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله **وقوله** له معقبات قال بعضهم هم الامراء والشرط الذين يحفظونه في ظواهر من امره يخبر انه
محفوظ عليه الخفيات من امره حيث قال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الاية حيث اخبر انه يعلم ذلك
ومحفوظ عليه الظواهر من امره وقال بعضهم له معقبات الملائكة الذين يحفظونه وعلى ذلك روي في الخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمعون فيكم عند صلوة العصر وصلوة الصبح يحفظونه من بين يديه
ومن خلفه مثل قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد قال الحسنات من بين يديه السيئات من خلفه الذي
عن يمينه **وقوله** عز وجل له معقبات يحتمل قوله اي لله معقبات يحفظونه ويحتمل من كل ذكر وانثى يكون
مثله قوله يعلم ما تحمل كل انثى **وقوله** عز وجل يحفظونه من امر الله يحتمل قوله يحفظونه من امر الله اي يحفظون
نفسه من البلايا والنكبات التي تنزل على بني آدم فان كان في حفظ نفسه فقوله من امر الله اي من عذاب الله
وبلاياه حتى اذا جاء امرنا وهو عذابنا ويحتمل قوله يحفظون اعماله بامر الله ثم يحتمل قوله من بين يديه
ومن خلفه وجوها يحتمل من بين يديه الخيرات التي يعملها ومن خلفه الشرور والسيئات ويحتمل قوله من بين يديه
ومن خلفه وجوها ما قدم من الاعمال ومن خلفه ما بقي واخر كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ويحتمل من بين
يديه ما مضى من الوقت ومن خلفه ما بقي والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
يشبه ان يكون هذه النعمة نعمة الدين من رسول الله او قرآن او ما كان في امر الدين لا يغير ذلك عليهم الا بتغيير
يكون منهم كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وكقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ويحتمل ان يكون ذلك في النعمة
الدنياوية من الصحة والسلامة والمال لا يغير ذلك عليهم الا بتغيير ذلك من انفسهم فان قيل ان الانبيا قد كانوا
بلوا بشدايد وبلايا ولا يحتمل ان يكون ذلك منهم البداية في التغيير قيل ابدلت لهم مكان تلك النعمة خيرا منها
فليس ذلك بتغيير ولكن لما ذكرنا انه ابدلت لهم مكان النعمة نعمة هي خير منها ثم ما كان من النعم والافضال
من الطاعات لها حق التجدد والحدوث يكون التغيير عليهم حالة اختيارهم وتغييرهم على انفسهم واما الافعال

التي لها حق

التي لها حق البقا يكون التغيير من الله من بعد و هو من نحو السلامة والصحة والسعة والنكد حق التجدد
والحدوث الطاعات والمعاصي **وقوله** عز وجل واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له الاية ترد على المعتزلة قولهم
لانهم يقولون انه لا يريد الا هو اصلح لهم في الدين وقد اخبر انه اراد بهم سوء فلا مرد له الاية دل هذا انه قد يريد
السوء اذا غيروا هم ما انعم الله عليهم اراد ان يغير عليهم والمعتزلة يقولون يملك الخلق دفع سوء اراده الله بهم
واذا اراد الخير يملكون رد ذلك والله يقول فلا راد لفضله ولا مرد لسوء **وقوله** عز وجل وما لهم من دونه
من وال اي ليس لهم في دفع العذاب الذي اراد بهم ولي يدفع عنهم او نصير ينصرهم كقوله وما لهم من دون الله
من ولي ولا نصير **وقوله** عز وجل هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا اي تخوفا وتطمعوا طمعا او ما تخافون
وتطمعون وقال اهل التأويل خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقيل خوفا لاهل البنيان وطمعا لاهل الانزال
وعندنا يطمعون ويخافون قوم واحد يطمعون نفعه في وقت المنفعة ويخافون ضرره في غير وقت النفع
او يطمعون نفعه ويخافون ضرره او يطمعون مضيه ويخافون نزوله والضرر به في غير وقت النفع ونحوه
ويحتمل وجها آخر في قوله يريكم البرق خوفا وطمعا او يريكم خوفا موعودا وطمعا موعودا لان البرق نور ونار
يطمع النور الموعود في الجنة والنار يخوف النار الموعودة في الآخرة لان فيها نار الا ترى انه اذا اشتد خيف
على من اصابه **وقوله** عز وجل وينشئ السحاب الثقال قيل اي يرفع السحاب الثقال الذي فيه المطر والماء
قال ابو عوسجة وينشئ السحاب الثقال يقال نشأت السماء اذا ارتفع الغيم فيها ويسمى الغيم نشا وقوله انشا
اي اخذ فيه ويقال انشأ الله الخلق اي خلقهم نشا ارتفع وانشا رفع وهو من هذا والله اعلم ويسبح الرعد
بحمده اختلف في الرعد والبرق قال بعضهم هو اسم ملك من الملائكة موكل بالسحاب صوته تسبيحه
وعلى ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال اقبلت يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم
اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق بالنار يسوق بها السحاب حيث
شاء الله فقالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره السحاب اذا زجره حتى ينتهي الى حيث امر قالوا صدقت
فانبئت هذا نبو هو وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن البرق والرعد قال الرعد الملك والبرق ضربه السحاب
بمخراق من حديد وقيل الرعد ملك على ما ذكرنا يزجر السحاب بالتسبيح ويسوقه فاذا شذت سحابة ضمها واذا اشتد
غضبه صار من فيه النار فهي الصواعق وقيل هي الريح تسوق السحاب فاذا تراكمت السحاب فلم تجد منفذا صوتت
فذلك صوتها وقال بعض الفلاسفة انما هي ريح تختنق تحت السحاب فتصدعه فذلك الصوت منه واي شيء كان
الرعد الملك او الريح او ما كان فالتسبيح يحتمل من كل شيء على ما اخبر الله تعالى التسبيح من كل شيء حيث قال وان من شيء
الا يسبح بحمده فيحتمل تسبيح الخلقة جعل في خلقة كل شيء حمد صانعه وبراءته منشيه من كل ما وصفه الملحدون
ودلالة الوهيته وربوبيته ويحتمل التسبيح قول جعل في سرية كل شيء تسبيحه وتنزيهه ما لا يفهم الخلق
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال الرعد ملك وهذا تسبيحه والبرق صوته الذي يزجر به السحاب قيل
امثال هذا كثير والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى انه هول هايل يهول الخلق ويذكرهم
سلطانه وعظمته ولولا انهم اعتادوا ذلك والا لم تقر انفسهم لسماع ذلك وقوله ويسبح الرعد بحمده اي يذكرهم
سلطانه وعظمته فيكون ذلك تسبيحه وما ذكروا من سلطانه وعظمته والملائكة من خيفته اي تسبيح الملائكة
من خوف الرعد يسبح ويذكر الخلق عظمة الله وسلطانه فذلك الثنا عليه والملائكة يسبحونه فيما بينهم وبين
ربهم فلم يذكر فيهم التسبيح بحمده وذكر في الرعد والملائكة من خيفته اي من خوفه ثم الخوف يخرج على وجهين
احدهما خوفا من عقوبته لانه قد جاء فيهم الوعيد اذا زلوا كقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم الاية والثاني خوف رهبة وهيبة لا خوف عقوبة لان الله تعالى وصفهم بالطاعة له والاستسلام
كقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله ولا يستحسرون الاية ويخوف ذلك ثم خوف الهيبة

لا يزول في الآخرة وخوف العقوبة بزوله وقوله عز وجل ويرسل الصواعق قيل الصعقة الصيحة التي فيها
موت البعض ويذهب عقل البعض كقوله فصعق من في السموات ومن في الارض وقيل هي اسم العذاب وقد ذكرنا
فيما تقدم ذكر في بعض الاخبار ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن شيء من امر الرب فجاءت صاعقة
فاحرقته ونزل ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال وقوله عز وجل
وهم يجادلون في الله اي في توحيد الله لان اهل الكفر كلهم كانت مجادلتهم في توحيد الله والوهيته وقوله
عز وجل وهو شديد المحال قال بعضهم شديد الانتقام والعقوبة وقيل شديد القوة وقيل شديد الاخذ وقال القتبي
المحال من الكيد والمكر واصل المحال الحيلة لكن سمي باسم الاول لانه جزاء الحيلة فيكون كتسمية جزاء السيئة
سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء والكيد والمكر ما ذكرنا انه الاخذ من حيث لا من حيث لا يشعرون به وقال
ابو عوسجة المحال عندي وقال المعقبات الحفظة الذين يحفظون بامر الله ويقال عقبته اي حفظته واما قوله
لا معقب لحكمه اي لا راد لحكمه قال ويقال في غير هذا اعتقب فلان فلانا اي ذهب هو وجاء هذا ويقال عقبت
اي رجعت وماخذهما من العقب ويقال رجع على عقبيه اي من حيث جاء وقال القتبي معاقبات ملائكة تعقب
بعضها بعضا في الليل والنهار اذا مضى فريق خلف بعده فريق آخر يحفظونه من امر الله اي بامر الله وقوله وما لهم
من دونه من وال اي ولي مثل قادر وقدير وحافظ وحفيظ وذلك جائز في اللغة وقوله عز وجل له دعوة الحق
يحتمل وجهين يحتمل اي له عبادة الحق وليس لمن دونه عبادة الحق اي هو المستحق للعبادة ليس من يعبدونه بالذي
يستحق العبادة وعبادة الحق له ليس لمن دونه والثاني له دعوة الحق اي له اجابة دعوة الحق ليس يملك من دونه
اجابة من دعا بالحق فعلى التاويل الاول العبادة وعلى الثاني الدعوة الاجابة اي له اجابة دعوة من دعا بالحق
والله اعلم هو يملك اجابة دعوة الحق فاما من عبد دونه ودعى دونه لا يملك ذلك يدل على ذلك قوله والذين
يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء اي والذين يدعون من دونه لا يملكون الاجابة او لا يملكون ما يا ملون من عبادتهم
الاصنام فيكون مثله ما ذكر الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وجه صرف مثل من يدعون من دون الله
بباسط كفيه الى الماء هو والله اعلم ليس من يدعون من دون الله الا كباسط كفيه الى الماء فيدعو الماء فكما لا يجيبه
الماء وان دعاه فعلى ذلك من يدعو الاصنام لا يملكون اجابته والله اعلم بذلك او ان يكون وجه ضرب هذا المثل
ان من عبد دون الله او دعا من دونه ليس الا كباسط كفيه الى الماء وهو على بعد من الماء فكما لا يصل هو الى الماء لا يصل
من عبد دون الله الى ما يؤمل ويطمع او يحتمل من وجه آخر وهو ان الماء يعتر فاذا قبض الكف ولا سبيل الا الاعتراف
اذا بسطت فعلى ذلك من عبد دون الله وقوله عز وجل وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي دعاؤهم وعبادتهم
لا يعقبهم الا الخسار في الآخرة حاصله يضل ذلك كله عنهم لا يصلون الى ما يا ملون بالدعاء والعبادة
كقوله وضل عنهم ما كانوا يعملون او يفترون وقوله عز وجل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
يحتمل قوله يسجد على حقيقة السجود يسجد له المؤمن والكافر جميعا اما المؤمن فانه يسجد له بالاختيار والطوع
ويحتمل ما ذكر من السجود وجوها احدها حقيقة السجود فان كان هذا فهو في الممتحنين خاصة والثاني سجود
الخلقة فان كان على هذا فهو في جميع الخلايق جعل الله في خلقة كل شيء دلالة وحدانيته وآية الوهيته
وربوبيته والثالث سجود الاحوال فهو في المؤمن والكافر جميعا اما المؤمن فهو يسجد له في كل حال واما الكافر
فانه يسجد له ويخضع في حال الشدة والضيق ولا يسجد له في حال السعة والرخاء ويشبه ان يكون الكافر
يكون سجوده لله اختيارا وطوعا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ثم وان عبدوا الاصنام فيرون السجود والعبادة لله لكنه لم يقبل ذلك لاشراكهم غيره في ذلك
وقوله عز وجل وظلالهم بالغدو والآصال اي يسجد ظلالهم بالغدو والآصال ينتقل ظل كل احد بانتقال
نفسه ينتقل حيث ينتقل نفسه فذكر الغدو والآصال لانه بالغدو والعشي يظهر الظل ويحتمل السجود انه يسجد

اي يخضع له من في السموات والارض طوعا وكرها فان كان على الخضوع فهو في الخلايق كلهم في البشر وغير
البشر وذي الروح وغير ذي الروح وظلالهم بالغدو والآصال اي ظلالهم تخضع له ايضا بالغدو والآصال ويحتمل
ان يكون المراد من السجود سجود الخلقة فيسجد له خلقة كل احد فان قيل ما معنى الغدو والآصال قيل يحتمل ابدا دايما
ليس على اراد الوقت ولكن على الاوقات كلها وقوله عز وجل قل من رب السموات قل الله امره ان يسالهم من رب السموات
والارض ثم امره ان يجيب لهم فيقول الله وهو في الظاهر دعوى اكثر ما في هذه الآية دعوى وبعضه حجاج وهو
قوله لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وقوله خلقوا كخلقه لانهم يقرون بهذا لا يخلقون كخلقه ولا يملكون
دفع الضر ولا جر النفع وقوله قل من رب السموات والارض قل انما امره ان يسالهم من رب السموات والارض
ولم يقل ربكم فانما امره ان يسالهم ما لا يحتاجون ان يقولوا الاصنام التي يعبدونها هي ارباب السموات ولم يقل
من ربكم فانما امره ان يسالهم ما لا يحتاجون ان يقولوا الاصنام يعبدونها هي ارباب السموات والارض فلا بد
من ان يقروا والله رب السموات فاذا اقروا بهذا انه رب السموات والارض قد دخل ما في السموات والارض
في ربوبيته او السموات والارض انما خلقتهما لاهلهما فاذا كان رب السموات والارض كان ربا لما فيهما وكان بعضهم
قل من رب السموات والارض قل الله امره ان يسالهم ان يسبقهم بالاجابة لانه هو السابق بكل خير وهم يجيبون له
انه رب السموات والارض دليله حرف ابي وابن مسعود وحفصة حيث قرؤوا من رب السموات والارض قالوا
الله يدل انه امره ان يسبقهم بالاجابة كما كان هو السابق على كل خير وقوله عز وجل افاتخذتم من دونه اولياء
يقول والله اعلم اذا اقررتم ان رب السموات والارض هو الله وهو الاله فكيف اتخذتم من دونه هذه الاصنام
آلهة اربابا وعبدتموها او كيف جعلتم من ليس هو برب السموات والارض اولى ممن اقررتم بالعبادة له
انه ربهما والله اعلم وقوله عز وجل لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا اذ لا يملكون نفعا لانفسهم ولا دفع
الضر عنها فكيف يملكون نفع غيره او دفع ضر عن غيره نعرفهم انه لا يملكون ذلك وان الله هو المالك
فكيف تركتم عبادة من يملك ذلك وعبدتم من لا يملك فيخرج تاويله على وجهين احدهما يقول
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف اتخذتم دون الله آلهة والثاني لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
مع وجود الحاجة فيها فكيف تعبدون على رجاء النفع لكم بقولكم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله عز وجل
قل هل يستوي الاعمى والبصير اي تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها انها اعمى لا تبصر شيئا والله هو
البصير فكيف تركتم عبادة من يبصر وعبدتم من لا يبصر هل يستوي ذلك اي لا يستوي او يقول لهم انكم
بعبادتكم الاصنام طمعتم شفاعتهم عند الله وهم عمي وانتم بصراء فهل رايتم اعمى يقود بصيرا في الشاهد او هل
او هل رايتم من لا يبصر يكون دليلا لبصير فاذا لم تروا ذلك فكيف طمعتم من الاصنام ذلك وقال اهل التاويل
قل هل يستوي الاعمى والبصير الاعمى الكافر والبصير المؤمن ام هل يستوي الظلمات والنور الظلمات الكفر
والنور الايمان ووجه قولهم حيث شبهوا الكفر بالظلمة والايمان بالنور لان الظلمة تحجب وتستر كل شيء والنور
يرفع ذلك الحجاب وذلك الستر فالايمان له دلايل وحجج يرفع تلك الحجب والستر فينور له كل شيء والكفر ليس له
حجج ودلايل يرفع ذلك فهو ظلمة لم يضئ له شيئا والايمان نور حيث اضاء ونور كل شيء بالدلايل والحجج التي
ذكرنا فصار الكافر كالاعمى لا يبصر شيئا لانه في الظلمة والمؤمن كالبصير لان معه الدلايل والحجج وقوله عز وجل
ام جعلوا لله شركاء في العبادة بعد ما علموا انهم لا يملكون نفعا ان عبدوها ولا ضرا ان تركوا العبادة لها
وقوله خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم اي خلق هؤلاء الاصنام التي عبدوها واشركوها في الوهيته كخلق الله
فتشابه عليهم خلقه من خلق الاصنام اي عرفوا انها لم تخلق شيئا كما خلق الله فكيف اشركوا هذه الاصنام في عبادة الله
والوهيته وهم كانهم قد اقروا ان الله هو خالق كل شيء وهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله
لم يخلق افعال الخلق ولا يقدر على خلقها فاذا كان الله لم يخلقها فهو خلقوها على زعمهم فيكون موضع تشابه الخلق

عليهم على قولهم فيدل على بطلان قولهم وفساد مذهبهم والله الموفق وقوله عز وجل قل الله خالق كل شئ في السموات
والارض وهو الواحد القهار اى كل شئ تحت قدرته وقهره وسلطانه والاصنام التى تعبد وتهامقهورة مغلوبة
وقوله عز وجل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الى آخر ما ذكر من الامثال
الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض قال بعض
اهل التاويل هذا مثل ضربه الله لليقين والشك فاحتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فاما الشك فلا ينفع
منه عمل واما اليقين فينفع الله به اهله وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك فاما ما ينفع الناس
فيمكث في الارض وهو اليقين وكما لا يجعل الحلى في النار فيوخذ خالصه ويترك خبيثه في النار كذلك يقبل الله
اليقين ويترك الشك وهو قول ابن عباس وقال قتادة قوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
الصغير بصغره والكبير بكبره فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول عاليا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية
او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء والجفاء ما يتعلق بالشجر من الزبد
واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض فضرب المثل للحق والباطل يقول والله اعلم كما اضمحل هذا الزبد الذى
ظهر على فوق الماء فصار جفاء لا ينتفع به ولا يرجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن اهله كما اضمحل هذا الزبد
وكما مكث هذا الماء في الارض وقرارها فامرعت وربعت بركته كذلك واخرجت له نباتها كذلك يبقى الحق
لاهله كما بقى هذا الماء في الارض ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية يقول يبقى هذا الذهب والفضة
حين ادخل في النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله او متاع يعنى هذا الحديد والصفر الذى ينتفع به
وفيه منافع يقول كما بقى هذا خالص الحديد وهذا الصفر حين ادخل النار وذهب خبثه كذلك تبقى الحق
لاهله كما بقى خالصهما وقال الكلبى قوله انزل من السماء ماء وهو القرآن فاحتملت القلوب ما هو انها
دون اليقين على قدر يقينه وذو شك على قدر شكه فاحتملت الاهواء باطلا كثيرا وجفاء فالماء هو الحق والاودية
هى القلوب والسيل الاهواء والزبد الباطل والحق المتاع والحلية قال كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد
فيذهب جفاء فاما ما ينفع الناس فيمكث في الارض فالزبد وخبث الحديد وخبث المتاع هو الباطل من اصاب
من هذا شيئا لم ينتفع به فكذلك الباطل يوم القيامة لا ينفع بباطله واما الحلية والماء والمتاع فهو الحق من اصاب
شيئا منه انتفع به وكذلك صاحب الحق يوم القيامة ينتفع بالحق اما الحلية فالذهب والفضة واما المتاع
فالصفر والحديد والرصاص والنحاس ونحوه ليس شئ من هذا ينتفع به حتى يدخل النار فيخرج صفوه من خبثه
وقال الحسين بن واقد وهو قول مقاتل ضرب الله الكفر والايمان ومثل الحق والباطل انزل من السماء ماء
فسالت اودية بقدرها سال الوادى الكبير على قدر كبره والصغير على قدر صغرها فاحتمل السيل زبدا رابيا اى عاليا
ثم قال ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية الذهب والفضة ثم قال او متاع المشية والحديد والصفر والرصاص
زبد مثله اى السيل زبد لا ينتفع به والماء ينتفع به والحلى والمتاع ايضا زبد مثل زبد السيل اذا دخل النار وهو
خبثه لا ينتفع به والحلى والمتاع وما خلص منهما ينتفع به فمثل الاودية مثل القلوب ومثل السيل مثل الاهواء ومثل
الماء والحلى والمتاع الذى لا ينتفع به مثل الباطل فكما ينتفع بالماء وما خلص من الحلى والمتاع الذى ينتفع به اصله في الدنيا
فكذلك الحق ينفع اهله في الآخرة وكما لا ينفع الزبد وخبث الحلى وخبث المتاع اهله في الدنيا فكذلك الباطل لا ينفع
اهله في الآخرة كذلك اى هكذا يضرب الله الامثال اى يبين الله ما ذكر من مثل الحق والباطل فاما الزبد فيذهب
جفاء قال يعنى يابسا فلا ينتفع به واما ما ينفع الناس من الماء فيمكث في الارض فيسقون ويزرعون عليه وينتفعون به
فهذه ثلاثة امثال ضربها في مثل واحد يقول هكذا يبين الله الامثال والاشباه للذين استجابوا اى اجابوا لربهم
في الدنيا بالايمان والتوحيد الحسنى لهم وهى الجنة في الآخرة فضرب الله مثل الايمان والحق ووصفهما بالثبات
والقرار والطيب بالارض الطيبة مرة وبشجرة طيبة ثانيا وضرب مثل الكفر والباطل بالارض الخبيثة والشجرة الخبيثة ووصفهما

بالخبث

بالخبث والذهاب نفاقه ومثل كلمة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى اكلها كل حين قال
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقال والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
الآية وضرب مثل المؤمن مرة بالبصير والسميع ومثل الكافر بالاعمى والاصم فقال مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا وضرب مثل الكفر مرة بالظلمات ومرة بالرماد والموت ومثل
الايمان بالنور والضياء والحيوة ونحوه فهذه الامثال التى ضربها الله عز وجل تخرج كلها مخرج الدعوى في الظاهر
اذ ليس فيها بيان الحق منها وبيان الحق من غير الحق سوى ان فيها هل يستوى ذا مع ذا لا يستوى على ما ذكر وهل يستوى
الطيب الخبيث والبصير والسميع الاصم والاعمى او الميت الحى او الظلمات النور وامثاله هذا كله غير مستو وكل اهل
الاديان وان اختلفت مذاهبهم يقول كل انا الذى عليه هو الحق والباطل هو الذى عليه غيرى وينفى كل عن نفسه
العمى والصمم وكونه في ظلمة ويدعى كونه في النور ونحوه فليس في نفس الامثال التى ضربت بيان الحق من الباطل والحق
من غيره فذلك يعرف بغيرها بالدلايل والحجج والبراهين وهو ما ذكر وتلك الامثال نضربها للناس الآية فبالدلايل
والحجج والبراهين يعرف الحق من الباطل والحق من غير الحق فللايمان وللحق دلايل وحجج يعرف ذو العقول بالعقول
حسنه وطيبه وما يعقب من ثمرته ويبين قبح الكفر والباطل الذى العقول بالعقول واستخبائهم الباطل وما يعقب
لاهله من الخبث والقبح والشر وقال القتبى زبدا رابيا اى عاليا على الماء ابتغاء حلية اى حلى او متاع آنية يعنى
من فلز الارض وجواهرها مثل الرصاص والحديد ونحوه والذهب والفضة حيث تعلوها اذا اذيبت مثل
زبد الماء والجفاء ما رمى به الوادى الى جنباته يقال اجفات القدر بزبدها اذا القيت زبدها عنها وقال
ابو عوسجة رابيا اى مرتفعا فوق ظهر الماء وهو واحد ويقال زبد الماء اذا صار له زبد ابتغاء حلية هو من الحلى
من الذهب والفضة مما يحلى به فيذهب جفاء اى باطلا لا ينتفع به واما الجفاء فهو اظهارها لهما ونبالانسان
وقلة الاكتراث له والاستخفاف به وقال الجفا هو الغثا ويقال قد اجفا الوادى اذا علاه ذلك ثم جرى
الماء قال ابو عوسجة والغثا عندى ما حمله السيل من العيدان والبعر وما يشبه ذلك وقال القتبى قوله فجعله
غثاء احوى اى يبسا قال ابو عبيد الجفاء الجمود ويذهب الى ان الزبد يجمد ويجتمع على الماء ثم ذهب
بما نها وقال الفراء يذهب جفا اى يذهب سريعا كما جاء وقال الشيخ رحمه الله عليه ويشبه ان يكون المثل الذى ضرب
بالماء هو للدين وهو ان الدين الحق الذى انزل من السماء واحد لكن الناس اتخذوا اديانا متفرقة ومذاهبا
مختلفة كقوله وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فالدين الذى امر بسلوكه واتباعه واحد
وهو كالماء الذى انزل من السماء واحد صاف وهو الاصل فحدث منه اشياء لا يعبا به ولا يكترث فعلى ذلك
السبل او ان يكون وجه ضرب مثله بالماء وهو ان الماء اذا انزل من السماء انزل طيبا عذبا لكن اختلف الوانه
وطعومه باختلاف جواهر الارض بعضه خرج ملحا اجاجا وبعضه لا ينتفع به وبعضه عذب وذلك على
على اختلاف جواهر الارض والا كان المنزل من السماء كله عذب طيب فالذى ينتفع به واحد وهو العذب
فعلى ذلك الدين الذى ينتفع به واحد والبواقى لا ينتفع بها كالمياه المرة والمالحة او يكون غير هذا ونحن
لا نعرفه والله اعلم وقوله عز وجل كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم اى اجابوا ربهم فيما دعاهم
اليه وانما دعاهم الى السبب الذى يوجب لهم دار السلام وهى الجنة بقوله والله يدعوا الى دار السلام
ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم دعاهم الى دار السلام ومكن لهم من الاجابة له والرد فمن اجابه فيما دعا
كان له دار السلام والحسنى الذى ذكره ومن رد دعاه كان له النار ودار الهوان فايهما اختار فله الموعود
الذى وعد ان اختار اجابته الى ما دعاه فله النعيم الدايم الذى وعد ودار السلام وان اختار الرد وترك
الاجابة فله ما وعد من العذاب الدايم والهوان والامثال التى ذكرنا للذين استجابوا لربهم الحسنى
هو هكذا للمؤمنين لانهم هم المنتفعون بها وكذلك ما ذكر من القرآن انه هدى ورحمة للمؤمنين واما على اهل الكفر

فهو عمى وضلال وكذلك قوله ويشف صدور قوم مؤمنين وأما قلوب الكفرة فاذكر فزادتهم رجسا
الى رجسهم وفى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وامثاله وقوله عز وجل لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به اى ضعفه معه لافتدوا به يذكر هذا والله اعلم ان الذين كان يمنعهم عن الاجابة الى ما دعاهم
اليه رغبتهم فى هذه الدنيا وميلهم اليها يتمنون لما يحل فيهم من العذاب والشدائد ان يكون لهم ما فى الارض
جميعا ان يفتدوا به اولئك لهم سوء الحساب اى يحاسبون حسابا يسوءهم لان حسناتهم التى عملوها وطمعوا
الانتفاع بها لم تنفعهم بل صارت كالسراب الذى ذكر يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده وزعن سيئاتهم
ومأويهم جهنم وبئس المهاد الذى ياوون اليه هو جهنم وبئس المهاد لما يسوءهم ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق اى من يعلم الحق حقا كمن هو عمى عنه ولا يعلم او من يعلم
الحق انه حق كمن يعلمه باطلا ليسا بسواء كقوله هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله عز وجل
انما يتذكر اولوا الالباب اى انما يتذكر بالتذكير اولوا الالباب وذووا العقول الذين ينتفعون بعقولهم ولبهم
ثم بين منهم فقال الذين يوفون بعهد الله يحتمل عهد الله عهد خلقته يوفون ما فى خلقتهم من العهد اذ فى خلقة
كل احد دلالة وحدانيته وشهادة الوهيته فوفوا ذلك العهد ويحتمل عهد الله ما جرى على السن الرسل
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وهو ما ذكر فى آية اخرى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب الاية ولا ينقضون الميثاق العهد والميثاق واحد وسمى العهد ميثاقا لانه يوثق المرء
يمنعه عن الاشتغال بغيره والله اعلم وقوله عز وجل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل الصلوة التى
امر الله بها ان توصل على جهات ومراتب اما ما بينه وبين المؤمنين ان لا يحبهم الا ما يحب ولا يصحبهم
الا بما يجب هو ان يصحب واما فيما بينه وبين محارمه ان يؤذى ويحفظ الحقوق التى جعل الله لبعضهم على بعض
ولا يضيعها واما فيما بينه وبين الرسل فهو ان من حقهم ان يوصل الايمان بالنبيين جميعا والكتب كلها
هذا والله اعلم الصلة التى امر الله ان يوصل بها ويخشون ربهم اما فى التقصير فيما امر ان يوصل واما بالتفريط
فى ذلك وترك الصلة ويخافون سوء الحساب اى شدة الحساب حين لم تنفعهم حسناتهم ولا يتجاوز عن شئ
من سيئاتهم فذلك يسوءهم والله اعلم وقوله عز وجل والذين صبروا قد ذكرنا فيما تقدم ان الصبر هو
كف النفس وحبسها عما تهواه على ما تكره ويثقل عليها ثم يحتمل كفها وحبسها عن الجزع فى المصايب وعلى اداء ما افترض الله
عليهم وامرهم بها او كفوا انفسهم وحبسوها عن المعاصى يكون الصبر على الوجوه الثلاثة التى ذكرنا والله اعلم
وقوله عز وجل ابتغاء وجه ربهم يحتمل وجهين يحتمل ابتغاء رضوان الله ويحتمل ابتغاء وجه يكون لهم
عند الله وهو المنزلة والرفعة ولذلك سمى الرفيع وذو منزلة وجيها كقوله وجيها فى الدنيا والآخرة
اى ذو منزلة ورفعة فى الدنيا والآخرة وعلى ذلك يخرج قوله فاينما تولوا فثم وجه الله اى ثم الجهة التى
امر الله ان يتوجه اليها تعالى ذلك هذا صبروا ابتغاء وجه ربهم اى ابتغاء المنزلة والرفعة التى عند ربهم
او ابتغاء رضوان الله ومرضاته والله اعلم وقوله عز وجل واقاموا الصلوة اى داموا على اقامتها ليس انهم
اقاموا مرة ثم تركوها ولكن داموا على اقامتها وعلى ذلك قوله اقيموا الصلوة اى دوموا على اقامتها ويحتمل قوله
واقاموا الصلوة اى جعلوها قايمة ابدا وقوله عز وجل وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يحتمل كل نفقة الصدقة
والزكوة وما ينفق على عياله وولده سرا وعلانية اى ينفق فى كل وقت سرا من الناس وعلانية منهم
اى ينفق على جهل من الناس وعلى علم منهم ينفقون على كل حال لا يمنعهم علم الناس بذلك عن الانفاق بعد
ان يكون ابتغاء وجه ربهم وقوله عز وجل ويدرؤن بالحسنة السيئة اى يدفعون بالحسنة السيئة
ثم يحتمل وجهين احدهما يدفعون بالاحسان اليهم العداوة التى كانت عليهم كقوله ادفع بالتى هى احسن
فاذا الذى بينك وبينه عداوة الاية والثانى يدرؤن الاساءة التى كانت لهم اليهم بالخير اليهم بالمعروف

ولايكافون

ولا يكافون بالسئ السئ وبالشر الشر ولكن يدفعون بالخير وقال بعضهم فى قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة
اى اذا سفه عليهم حلموا والسفه سيئة والحلم حسنة اولئك لهم عقبى الدار اى عقبى اولئك الذين صبروا
على ما ذكر من وفاء العهد والصلة التى امروا بها ان يصلوا والصبر على اداء ما امر به وافترض عليه والانتهاء
عما نهى عنه الدار التى دعاهم اليها بقوله والله يدعوا الى دار السلام والثانى اولئك لهم عقبى الدار اى عقبى
حسناتهم دار الجنة اولئك لهم عقبى هذه الدار الجنة او عاقبتهم دار الجنة ثم نعت تلك الدار فقال جنات عدن
يدخلونها عدن قال اهل التأويل عدن هو بطنان الجنة وهو وسطها وقال بعضهم عدن هو الاقامة اى جنات
يقيمون فيها يقال عدن اى اقام وقوله عز وجل ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم فان قيل كيف خص
بالذكر الآباء والازواج والذرية وهم قد دخلوا فى قوله الذين يوفون بعهد الله وفى قوله يصلون ما امر الله به
ان يوصل والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم فما معنى تخصيصهم بالذكر هذا يحتمل وجوها احدها انهم اسلموا
فاخترموا اى ماتوا كما اسلموا ولم يكن لهم مما ذكر من الخيرات والحسنات فاخبر ان هؤلاء يدخلونها ايضا
ويلحقون باولئك والثانى لم يبلغوا الدرجة التى بلغ اولئك فاخبر عز وجل انه يبلغهم درجة اولئك ويلحقهم
كقوله والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الاية يضم بعضهم الى بعض فى الآخرة وفى قوله
كما كانوا فى الدنيا يضم كل ذى قرين فى الدنيا قرينه اليه فى الآخرة وفى قوله ومن صلح من آبائهم وما ذكر
دلالة ان صلاح غيره وان قرب منه لا ينفعه حتى يكون فى نفسه صلاح حيث قال ومن صلح من آبائهم
الى آخر ما ذكر وهو ما قال لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح دل هذا ان صلاح الوالد او قريبه لا يجدى
نفعا فى الآخرة والله اعلم وقوله عز وجل والملائكة يدخلون عليهم من كل باب هذا يحتمل ان يكون لمقامهم
ومنازلهم ابواب فيدخل عليهم من باب ملك والثانى يحتمل ان ياتى كل ملك بتحفة غير التحفة التى ياتى بها الآخر
على اختلاف خيراتهم وقدر اعمالهم من كل باب اى من كل نوع من التحف وفيه وجهان احدهما ان الملائكة
يكونون خدم اهل الجنة وفى ذلك تفضيل البشر عليهم او ان يكون على حق المصاحبة لما احبوهم اهل الخير
من البشر فى الدنيا الخير هم فجعل الله بينهم الرفقة والصحبة فى الآخرة والله اعلم بذلك وقوله عز وجل
سلام عليكم بما صبرتم كقوله تحيتهم فيها سلام وقوله عز وجل فنعم عقبى الدار هو ما ذكرنا فى قوله اولئك لهم
عقبى الدار وقوله عز وجل والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه العهد قد ذكرناه فى غير موضع
وكذلك النقض وقوله عز وجل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض كل حرف من هذه
الاحرف يقتضى معنى الحرف الآخر اذا نقضوا العهد والميثاق قد قطعوا ما امر الله به ان يوصل وسعوا
فى الارض بالفساد واذا قطعوا ما امر الله به ان يوصل نقضوا العهد وسعوا فى الارض بالفساد الا ان يقال
ان نقض العهد يكون بالاعتقاد وذلك يكون بينهم وبين نسائهم وكذلك قطع ما امر الله به ان يوصل
اذا كان الامر الذى امر به صلة الايمان بالنبيين والكتب جميعا فان كان صلة الارحام فهو فعل والسعى فى الارض
بالفساد فعل ايضا من زنا وسرقة وقطع الطريق وغير ذلك من المعاصى وقطع الطريق وقوله عز وجل
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل ما امر الله به ان يوصل ما ذكرنا من وصل الايمان ببعض الرسل
بالكل وبجميع الكتب ويحتمل صلة الارحام التى فرض عليهم صلتهم قطعوا ذلك او امرهم ان يصلوا اعمالهم
بما اعتقدوا وقوله عز وجل اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار اللعنة الطرد فى اللغة والابعاد كانهم طردوا
وابعدوا عن رحمة الله فى الآخرة او طردوا وابعدوا من هداية الله وارشاده فى الدنيا ولهم سوء الدار
قد ذكرنا انهم دعوا الى دار وحذروا عن دار دعوا الى دار السلام فان اجابوا فلهم الحسنى على ما ذكر وحذروا
عن دار الهوان فلم يحذروا دار السوء والهوان او سماها سوء الدار لما يسوء مقامهم فيها او ذكر لاهل النار
سوء الدار مقابل ما ذكر لاهل الجنة حسن المآب وحسن الثواب والحسنى وقوله عز وجل الله يبسط الرزق

لمن يشاء ويقدر يرغبهم فيما عنده ويؤيسهم عما في ايدي الخلق ويقطع رجاهم عن ذلك لان الذي
كان يمنعهم عن الايمان به ويحملهم على تكذيب الرسل وترك الاجابة هذه الاموال التي كانت في ايديهم ولذلك
وبها رأوا دوام الرياسة والعز والشرف لهم في هذه الدنيا فقال هو الباسط لذلك والقابض لا اولئك
هو يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء ليس ذلك الى الخلق وذكر انه يبسط الرزق لمن يشاء من اوليائه
واعدائه ويقتر على من يشاء ليس ذلك الى الخلق ليعلموا ان التوسيع في الدنيا والبسط لا يدل على الولاية
ولا التقتير والتضييق على العداوة ليس كما يكون في الشاهد يوسع على الاولياء ويبسط ويضيق على الاعداء
لان التوسيع في الدنيا والتضييق بحق المحنة وفي الآخرة بحق الجزاء ويسوى في المحنة الولي والعدو
ويجمع بينهما في المحنة ويفرق بينهما في الجزاء وقوله عز وجل وفرحوا بالحيوة الدنيا يحتمل قوله فرحوا
صلة ما تقدم وهو قوله الذين ينقضون عهد الله الى قوله ويقطعون ما امر الله به ويفرحون بالحيوة
الدنيا ثم الفرح يحتمل وجوها يحتمل فرحوا بالحيوة الدنيا اى رضوا بها كقوله ورضوا بالحيوة الدنيا
واطمأنوا بها او فرحوا سروا بها فان قيل ان المؤمن قد يسر بالحيوة الدنيا قيل يسر ولكن لا يلهى سرورهم بها
ولا يغفل عن الآخرة واما الكافر فانهم لشدة سرورهم بها وفرحهم عليها يلهى عن الآخرة وعن جميع الطاعات
وهكذا يعرف في الناس انه اذا اشتد بالمرء السرور بالشيء فانه يلهى عن غيره ويغفل عنه او يكون
قوله فرحوا اى اشروا وبطروا كقوله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وهو الاشر
والبطر والله اعلم وقوله عز وجل وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع تأويله والله اعلم اى ما الحيوة
الدنيا مع طول تمتعهم بها بمتع الآخرة الا كمتاع ساعة وكمتاع بشيء يسير وهو كقوله لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها وكقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار يصون مع طول ما تمتعوا في هذه الدنيا عند متاع الآخرة كانهم
ما تمتعوا بها الا ساعة فعلى ذلك قوله وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع وهو ما ذكر في موضع آخر فما متاع
الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل عند متاع الآخرة لان متاع الآخرة ونعيمها دائم متصل غير منقطع لا يشوبه آفة
ولا حزن ولا خوف ومتاع الدنيا منقطع غير متصل مشوب بالآفات والاحزان لذلك كان قليلا عند متاع الآخرة
ونعيمها وقال بعض اهل التأويل وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع اى الا لهو وباطل لكن الوجه فيه ما ذكرنا
وقوله عز وجل ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه يحتمل سؤالهم الآية انفس الآيات التي
اتت بها الرسل من قبل قومهم او سألوا آيات سموها كقوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآية او يكون لك بيت
من زخرف الى آخر ما ذكر من الآيات سألوها منه او سألوه آيات تضطرهم وتقهرهم على الايمان كقوله ان نشأ
ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وفيه دلالة انه لو شاء لانزل عليهم آيات لآمنوا كلهم بها
واهتدوا وعنده اشياء لو اعطاهم لكان ذلك سببا اهتدائهم وتوحيدهم ولذلك لو اعطى شيئا لكان ذلك
سبب كفرهم جميعا كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية
لكنه لا يترك الآية على شهواتهم واما نيهم ولكن ينزل اشياء يكون عند التأمل والنظر حجة فمن تأمل فيها وتفكر
اهتدى وآمن بالاختيار ومن اعرض عنها ولم يتفكر ضل وزاغ بالاختيار ويحتمل قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء
آية اى نشأ ايمانهم واهتداءهم ننزل عليهم آية وذلك تأويل قوله على اثر سؤالهم الآية قل ان الله يضل من يشاء
ويهدي اليه من اناب اى ينزل من الآيات ما يهتدى بها المنيب اليها والمقبل ويضل المعرض عنها والصادر عنها
بالاختيار ويكون اهتداؤهم باختيارهم وضلالهم باختيارهم لا باضطرار والقهر الا ترى انه قال الذين آمنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله وهو القرآن الذي انزله على رسوله فهو وصف المقبل المنيب الى ذكر الله يسكن ويطمئن قلوبهم
بالتأمل والتفكر فيها واصله ان الله عز وجل شاء اهتدى من علم انه يختار الاهتداء والايمان وشاء ضلال
من علم انه يختار فعل الضلال والزيغ يشاء لكل لما علم منه انه يختار ذلك وقوله عز وجل الا بذكر الله تطمئن

القلوب وتسكن اليه وقال بعض اهل التأويل هو في الحلف في الخصومات الا في الحلف بالله تطمئن
وتسكن قلوب الذين آمنوا لا تطمئن بالحلف بغير الله وقال بعضهم الا بالقرآن وبما في القرآن من الثواب يسكن
ويطمئن قلوب الذين آمنوا ويشبه ان يكون قوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اى تفرح وتستبشر قلوب الذين
آمنوا بذكر الله الا بذكر الله يستبشر وتفرح قلوب الذين آمنوا لانه ذكر في الكفرة الفرح بالحيوة الدنيا وهو قوله وفرحوا
بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وذكر في المؤمنين الاستبشار والفرح بذكر الله وفي اولئك ذكر ان قلوبهم تشمئز بذكر
الرحمن وتستبشر بذكر من دونه وهو قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون اخبر عز وجل ان قلوب المؤمنين تستبشر وتفرح بذكر الله و
قلوب اولئك تشمئز وتستبشر بذكر من دونه وقوله عز وجل الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله
يخرج على وجهين احدهما تطمئن قلوبهم بذكر الله لهم وذكر الله لهم التوفيق والتسديد والعصمة ونحوه
والثاني تطمئن قلوبهم بذكر الله وذكرهم الله لاحسانه ونعمه وعظمته وجلاله ونحوه وقوله عز وجل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب قيل خير لهم وغبطة وقيل حسنى لهم ونعم لهم وقيل
يقال طوبى لك ان اصبت خيرا وقيل هو اسم الجنة بلسان الحبشة وقيل بالهندية وقيل اسم شجرة في الجنة
اصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم واغصانها في دار امته فان كان هذا وهو اسم شجرة فذلك لا يستقيم
الا على تقدمه كان اهل الكتاب ادعوها لانفسهم فاخبر انها للذين آمنوا الا لهم كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى ثم قال عز وجل بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن ادعوا الجنة لانفسهم فاخبر انها ليست لهم ولكن
للذي اسلم واخلص وجهه لله فعلى ذلك يشبه ان يكونوا ادعوا طوبى لانفسهم فاخبر انها ليست لهم ولكن
للذين آمنوا وان كان في مشركي العرب فهم ينكرون البعث والجنة والنار فيشبه ان يكونوا قالوا ان كان بعث
على ما يقولون وجنة طوبى فهي لنا كقوله لاجدن خيرا منها منقلبا وقال بعضهم طوبى كلمة مدح الله بها ثوابهم
وغبطهم بها وقال بعضهم طوبى كرامة اعداء الله تعالى لاوليائه وهي مذكورة في الكتب وقوله عز وجل كذلك
ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم اى كما ارسلنا الى امم من قبلك رسلا وهم يكفرون بالرحمن وقالوا ربنا
لا اله الا هو عليه توكلت الآية اى كل رسول كان ارسل قبلك كان امرا ان يقول ما ذكر كذلك ارسلناك الى قوله
رسولا وان كانوا يكفرون بالرحمن فقل انت ما قال اولئك الرسل ربي لا اله الا هو الآية لم تخل امة عن رسول
كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك يشبه ان يكون هذا صلة قوله لولا انزل عليه آية
من ربه يقول ارسلناك لتتلو انباء الرسل والامم الذين كانوا من قبلك عليهم ليكون آية لرسالتك ليعلموا
انك انما علمت تلك الانباء بالله تعالى وقوله عز وجل وهم يكفرون بالرحمن يقول والله اعلم هم يكفرون بالرحمن
وفي كل الخلائق آية توحيد الرحمن والوهيته ولا في كل الخلائق آية لرسالتك وهم مع هذا كله يكفرون بالرحمن
فعلى ذلك يكفرون بآيات رسالتك وقال ابو بكر الاصم وهم يكفرون بالرحمن هو صلة قوله لولا انزل عليه آية
من ربه وكانوا اهل التهدد من الكبر افقال لو جئتهم بقرآن سيرت به الجبال او قطعت به الارض وكلم به
الموتى يقول لو جئت بذلك كله كان امرهم التكذيب والعناد وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية
وقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الآية يخبر عز وجل من عنادهم انهم لا يؤمنون بالآية وان عظمت الا ان يشاء الله
وقوله عز وجل لله الامر جميعا كقوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله اى لا مر لله من شاء ان يؤمن
فيؤمن ومن شاء ان لا يؤمن فلا يؤمن البتة وقال بعضهم قوله وهم يكفرون بالرحمن اى يكفرون باسم الرحمن
لانهم قالوا ان محمدا كان يدعونا الى عبادة الله وتوحيده فالساعة تدعونا الى عبادة الرحمن والوهيته
فذلك عبادة اثنين فقال قل هو ربي لا اله الا هو اى دعائى الى العبادة الرحمن والوهيته هو دعائى الى عبادة الله
هو واحد ليس هو باثنين ولا عدد كقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اى عدد الاسماء لا يوجب عدد الذات

اويكون لشئ واحد في الشاهد اسما مختلفة فاختلاف الاسما يوجب اختلاف الذات فعلى ذلك في الله وقال
بعضهم الرحمن اسم من اسماء الله في الكتب الاولى قالوا كتبها رسول الله ابوا ان يقروا به قالوا وما الرحمن انا لا نعرفه
فنزل وهم يكفرون بالرحمن والله اعلم وقوله عز وجل ولو ان قرانا سيرت به الجبال الى اخر ما ذكر
قال بعض اهل التاويل تاويله لو ان قرآنا ما غير قرانك سيرت به الجبال عن اماكنها او قطعت به الارض او كلم به الموتى
لفعلناه بقرانك ايضا ذلك ولكن لم نفعل بكتاب من الكتب التي انزلنا على الرسل الذين من قبلك ولكن شئ اعطيته
انبيائي ورسلي بل لله الامر جميعا يقول بل جميع ذلك الامر كان من الله وليس من قبل القرآن اي لو فعل بالقرآن
ذلك كان جميع ذلك من الله تعالى وقوله عز وجل بل لله الامر جميعا ان شاء فعل ما سالتم وان شاء لم يفعل ويشبه
ان يكون غير هذا اقرب ان يكون صلة ما تقدم من سؤالهم الآيات وهو قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه آية من ربه فيقول لو ان قرانك الذي تقراه عليهم لو سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لما آمنوا
ولما صدقوك على رسالتك على ما لا يؤمنون بالرحمن وكل الخلايق له آية لوحدانيته والوهيته يخبر عن شدة
تعنتهم وتمردهم في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان سؤالهم الآية سؤال تعنت وتمرد ليس سؤال
استرشاد واستهداء وقال بعضهم قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي لو ان قرآنا ما عمل ما ذكر لكان هذه
القرآن تعظيما لهذا القرآن والتاويل الذي ذكرنا قبل هذا كانه اقرب والله اعلم وقوله عز وجل افلم يياس الذين
آمنوا قال بعضهم هو صلة ما تقدم من قوله وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الآية يقول والله اعلم
افلم يياس الذين آمنوا عن ايمان من كان على وصفنا لله وتمام هذا كان المؤمنين سالوا لهم الآيات ليؤمنوا لما سالوهم
آيات من رسول الله فيقول افلم يياس الذين آمنوا عن ايمان هؤلاء وهو كما قال واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها كان المؤمنين سالوا لهم الآيات ليؤمنوا فقال وما يشعركم انتم يا ايها المؤمنون انها
اذا جاءت لا يؤمنون اي يؤمنون على طوع لا على هذا التاويل وقال بعضهم افلم يياس الذين آمنوا افلم يتبين للذين
آمنوا انهم لا يؤمنون لكثرة ما راوا منهم من العناد والمكابرة فسر الاياس بالعلم والآيس لان الاياس اذا علت
يعمل عمل العلم كالخوف والظن ونحوه جعلوه يقينا وعلما الغالبة لانه اذا غلب يعمل عمل اليقين والعلم
وقال بعضهم افلم يياس اي افلم يعلم الذين آمنوا ان الله يفعل ذلك لو شاء لهدى الناس جميعا وقوله افلم يياس
الذين آمنوا قالت عايشة رضي الله عنها قوله افلم يياس خطا من الكاتب انما هو افلم يتبين للذين آمنوا ان لو يشاء الله
نفعناه اي قد تبين للذين آمنوا وقال بعضهم قوله افلم يياس اي افلم يعلم الذين آمنوا اي قد علم الذين آمنوا ان لو يشاء الله
ايمان الناس لاهتدائهم لآمنوا واهتدوا وقال صاحب هذا التاويل انه جايز في اللغة يياس يعلم وذكر انها
لغة نخع وغيرها والله اعلم وقال بعضهم قوله افلم يياس الذين آمنوا مقطوع من قوله ان لو يشاء الله الآية
وهذا موصول بما تقدم من قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه ثم قال جوابا لما قالوا كانه
قال لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء اي علم منه انه يختار الضلال ويؤثر
يشاء ذلك له ومن علم منه انه يختار الهدى يشاء ذلك له ويكون قوله افلم يياس الذين آمنوا مقطوع لا جواب له
كانه قال افلم يياس الذين آمنوا عن ايمانهم لكثرة ما راوا منهم من العناد والتعنت بعد رؤيتهم الآيات والحجج
كان اهل الايمان والاسلام سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات التي سالواهم رغبة في اسلامهم واشفاقا
عليهم فيقول والله اعلم اما آن للذين آمنوا الاياس من ايمانهم اي قد آن للذين آمنوا ان ييأسوا من ايمانهم كقوله
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية فعلى ذلك يقول قد آن للذين آمنوا ان ييأسوا من ايمانهم ولو يشاء الله لهدى
الناس جميعا كقوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا قال بعضهم الذين
حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تصيبهم بما صنعوا قارعة القارعة هي اسم ما يقرع القلوب ويكسرها
ثم قرعهم يكون بعذاب وقتل وغيره من الهزيمة ونحوه ويسبي ذراريهم ويغنم المسلمين اموالهم او تحل قريبا

قريبا من دارهم قال بعضهم او يكون القارعة يجيء اليهم الذين اقرب منكم دارهم وقال بعضهم لا تزال السرايا
من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل ببعضهم او ينزل لهم قريبا منهم حتى ياتي وعد الله ووعيد الله
يكون بوجهين احدهما ان يظفر بهم جميعا وان يورث المؤمنين ارضهم وديارهم واموالهم والثاني يكون
وعد الله فتح مكة كقوله واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها الآية ان الله لا يخلف الميعاد ما وعد رسوله
من الفتح والنصر وغيره وقوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة تحتمل ما ذكر من اصابة
القارعة الجوع والشدايد التي اصابتهم وتحتمل القتال والحروب التي كانت بينهم وقوله او تحل قريبا
من دارهم نزول السرايا بقرب من دارهم حتى ياتي وعد الله يحتمل فتح مكة اي تحل قريبا من دارهم
حتى ياتي ما وعد الله من فتح مكة عليك وان يكون وعد الله هو البعث والله اعلم وقوله عز وجل ولقد استهزئ
برسل من قبلك يقول وقد استهزئ برسل من قبلك قومهم كما استهزئ بك قومك يعزي نبيه ليصبر على تكذيبهم
وقال ابو بكر الاصم ولقد استهزئ برسل من قبلك من تقدم من الرسل سالهم قومهم الآيات والعذاب
بالهزء ثم بين بهذا ان ما سالوه من الآية ارادوا الهزء وهو صلة ما تقدم من قوله ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه آية من ربه وقوله عز وجل فامليت للذين كفروا يقول امهلتهم في كفرهم وهزئهم هذا يدل ان تاخير
العذاب عنهم لا يؤمنهم وقوله عز وجل ثم اخذتهم وهم آمنون فكيف كان عقاب يقول اهلكتهم جزاء ما كانوا
يهزؤن منه وقال بعضهم فكيف عقاب الله اي شديد عقابه وهو كقوله وكاين من قرية امليت لها الآية
وقيل كيف رايت عذابي لهم اي ليس وجدوه شديدا والثالث فكيف كان عقاب اي ليس ما اوعدهم الرسل
من العذاب كان حقا صدقا وقوله عز وجل افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت قال ابو بكر الاصم يقول
من الذي هو قايم على كل نفس بما كسبت الله ام شركاؤكم فالقايم هو المدبر لها فقط بكل ما فيه للخلق ويشبه
ان يكون تاويله افمن هو قايم اي حافظ وعالم على كل نفس بما كسبت وبالرزق لهم والدفع عنهم كمن هو اعمى
عن ذلك من ذلك ليسا بسواء كقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق الآية او يقول افمن هو قايم على كل نفس
بما كسبت كمن هو غير قايم عليه ليسا بسواء وقال مقاتل افمن هو قايم على رزقهم وطعامهم ثم قال وجعلوا لله
شركاء اي وصفوا الله شركاء وعبدوها والله احق ان يعبد من غيره يقول الله انا القايم على كل نفس
رزقهم واطعمهم فاكون انا وشركاي الذين لا يفعلون ذلك سواء والوجه فيه ما وصفنا افمن هذا افمن
هو قايم على كل نفس بما كسبت اي يرزق ويبصر ويجعل ما تحمل وتكسب من انواع البلايا كمن هو اعمى جاهل عاجز
عن ذلك كله اي ليس هذا كذلك ويسفههم في اشراكهم الاصنام التي عبدوها في الالوهية والعبادة وهي
بالوصف الذي ذكر كمن هو اعمى عاجز عن ذلك اي ليسا بسواء وقوله افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت يحتمل
قايم على كل نفس بما كسبت فيما قدرها وقواها او في الجزاء يجزي على ما تكسب وجعلوا لله شركاء في العبادة
وفي تسميتهم آلهة لا يعلمون ما كسب لها ولا يملكون جزاء ما كسبوا لها ايضا يبين سفههم في جعلهم هذه
الاصنام والاوثان شركاء لله في العبادة وتسميتهم آلهة مع علمهم انهم لا يقدرون ولا يملكون شيئا
من ذلك وقوله عز وجل قل سموهم قال بعض اهل التاويل قوله قل سموهم بذلك الاسم ولو سموهم
بكذب وباطل وزور وعندنا قوله قل سموهم اي لو سميتموها آلهة واتخذتموها معبودا فسموها ايضا باسماء
سميتهم من نحو الخالق والرازق والرحمن والرحيم ونحوه يقول والله اعلم اذ سميتم هذه الاصنام آلهة
ومعبودا سموها ايضا خالقا ورازقا ورحمانا ورحيما وهم يعلمون انها ليست كذلك والله اعلم وقوله
عز وجل ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض اي ام تنبئون الله وهو عالم بما في السموات وما في الارض وعالم بكل
شئ وهو لا يعلم في الارض ما تقولون من الآلهة وما تصفونه بالشركاء وكذلك يخرج قوله قل اتنبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام تنبئونه بما ليس في الارض شئ مما تقولون وتصفونه شئ اي يقول

اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات والارض وهو عالم بكل شيء اي تقرون انه عالم بكل شيء وهو لا يعلم ما تقولون
وتسمونه من الشركاء وغيره والثاني ام تنبؤنه بما لا يعلم اي ليس في الارض وقوله عز وجل ام بظاهر
من القول قال اهل التاويل بظاهر من القول اي بباطل من القول وزور ويشبه ان يكون بظاهر من القول
اي بضعيف من القول بخفيف يسمون الشيء الذي لا حقيقة له ولا ثبات ظاهرا باديا كقوله الا الذين هم
اراذلنا بادي الراي اي ضعيف الراي وخفيفه لا حقيقة له ولا قرار ويحتمل قوله ام بظاهر من القول في الخلق
والاسلاف اي لم يظهر ما يقولون ويسمون اشراك هذه الاصنام وتسميتها آلهة ومعبودا فيكون ام في موضع
حقيقة ويقين على هذا التاويل والله اعلم وقوله عز وجل زين للذين كفروا مكرهم قال بعض اهل التاويل
مكرهم قولهم الذي قالوه من الكذب والزور انها آلهة وانها شركاء لله لكن يشبه ان يكون قوله مكرهم
اي مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث احتالوا حيلا ليقتلوه دليلا يظهر هذا الدين في الارض
ويطفؤن هذا النور ليدوم عزهم وشرفهم في هذه الدنيا وهو كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا والمكر هو
الاحتيال والاخذ من حيث لا امن والله اعلم وقوله عز وجل وصدوا عن السبيل صدوا الماء علم من مكرهم
واختيارهم ما اختاروا والسبيل المطلق هو سبيل الله والا كان جميع الاديان والمذاهب يسمى سبيلا كقوله
ولا تتبعوا السبل لكن ما ذكرنا ان السبيل المطلق وسبيل الله والكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق
دين الله وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد من اضله الله فلا يملك احد هدايته وهداه
فلا يملك احد اضلاله وقوله عز وجل لهم عذاب في الحيوة الدنيا العذاب لهم في الحيوة الدنيا يحتمل
القتل والقتال والخوف والجوع وانواع البلايا كقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها
رزقها رغدا من كل مكان الاية وقوله عز وجل ولعذاب الآخرة اشق اي اشد وما لهم من الله من واق
اي ما لهم من عذاب الله من واق يقيهم من عذابه وقوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون يحتمل وصف
الجنة التي وعد المتقون وصفة الجنة التي وعد المتقون ويحتمل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار
من ماء غير آسن الاية يقول والله اعلم كشبه النار التي وعد الكافرون اي ليسا بشبهين ولا مثلين لا تكون هذه
مثل هذه ولا شبيهها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الاية يقول والله اعلم
يقول الذي وصف كذا من النعم الدايمة كالذي يكون عذابه ووصفه كذا اي لا يكون فعلى ذلك الاول وقوله
عز وجل تجري من تحتها الانهار اكلها دايم اي ثمارها دايمة لا تزول ولا تنقطع ليس كثمار الدنيا الا وهي
تزول ونعيمها ليس ثمرة من ثمار الدنيا الا وهي تزول وتنقطع في وقت فاخبر ان ثمار الآخرة وما فيها
من النعيم غير زايلة ولا منقطعة وكذلك عذابها دايم لا يزول وظلها ايضا اخبر ان الظل الجنة لا يزول
ولا ينقطع لا يكون فيها شمس يزول ظلها بزوالها وصف جميع ما فيها بالدوام والمنفعة الظل شيء لا اذى فيه
وفيه منافع والشمس فيها اذى ومنافع وكذلك جميع ما يكون من الاشياء في الدنيا يكون من الاشياء فيها منافع
ومضار وانها تزول وتنقطع فاخبر ان ظل الآخرة وما فيها من النعم دايمة باقية غير زايلة ولا منقطعة
ولا مضرة فيها ليس كنعيم الدنيا وظلها والله اعلم وقوله عز وجل تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين
النار اي جزاء الكافرين النار ظاهر هذا ان يكون الذين اتقوا الشرك لانه ذكر عقبى الكافرين النار
وعقبى ما ذكرنا اي تلك الجنة جزاء الذين اتقوا الشرك وعقبى الكافرين النار اي جزاء الكافرين النار
او عقبى هذه للذين اتقوا الجنة وعقبى اولئك النار وقال بعضهم تلك عقبى الذين اتقوا اي عاقبة اعمالهم
وحسناتهم الجنة وعاقبة اعمال الذين كفروا بتوحيد الله النار وقوله عز وجل والذين آتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك يشبه ان يكون الاية صلة قوله وهم يكفرون بالرحمن فاخبر عز وجل الذين
آتيناهم الكتاب بذكر الرحمن ثم اختلف في قوله الذين آتيناهم الكتاب قال بعضهم اصحاب محمد فرحوا بما انزل

الى رسول الله وقال بعضهم الذين آتيناهم الكتاب اهل التوراة يفرحون بما انزل اليك يذكر ههنا
انهم يفرحون بما انزل اليك ويذكر في موضع آخر ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل
عليكم وقال في موضع آخر الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون فمن تلا منهم الكتاب حق تلاوته
ولم يبدله ولم يغيره فهو يؤمن به ويفرح بما انزل على محمد ومن غيره وبدله فهو لم يفرح بما انزل عليه وقوله
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك تاويله والله اعلم كانه قال والذين آتيناهم منافع الكتاب اولئك
يفرحون اليك وهو ما قال في آية اخرى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته لان اكثرهم لا يفرحون بما انزل
على محمد وقوله عز وجل ومن الاحزاب من ينكر بعضه يحتمل اهل الكتاب كانوا ينكرون بعض ما انزل اليه لا ينكرون
كل ما انزل اليه وانما ينكرون نعته وصفته لانهم كتموا نعته وصفته التي في كتبهم ويحتمل قوله ومن الاحزاب
من ينكر بعضه مشركي العرب وهم ايضا انكروا بعض ما انزل اليه وهو ما ذكر وهم يكفرون بالرحمن وقوله اجعل
الآلهة الها واحدا ونحوه لم ينكر واكله وقوله عز وجل قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا كان هذا
قاله على اثر قول كان منهم كانهم دعوه الى ان يشاركهم في عبادة الاصنام او دعوه ان يكون على ما كان آباؤهم
فقال قل انما امرت ان اعبد الله وامرت ان لا اشرك به ويحتمل قوله ولا اشرك به قال ذلك من نفسه اليه ادعوا
يقول الى توحيد الله ادعوا غيري ثم اخالف واعبد غيره واليه مآب اي اليه المرجع وقوله عز وجل وكذلك
انزلناه اي كما علمناك آدابا واعطيناك النبوة كذلك انزلنا عليك حكما عربيا قيل حكمة عربية وكانت العرب
لا تفهم الحكمة او انزلنا ما فيه حكم وتفسير قوله وكذلك انزلناه حكما عربيا ما ذكر في آية اخرى وهو قوله الر
تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا سمى القرآن حكما لانه للحكم انزل وقوله عز وجل ولئن اتبعت
اهواءهم بعد ما جاءك من العلم هذا يدل انهم كانوا يدعونه الى ان يشاركهم في بعض ما هم فيه ما لك من الله
من ولي ينصرك ويمنعك من عذاب الله ولا واق يقي العذاب وقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية قال بعض اهل التاويل نزل هذا وذلك ان اليهود عيروا رسول الله وطعنوا في كثرة النساء
والاولاد وقالوا لو كان نبيا على ما يزعم لكان لا يتمتع بالنساء ولا يطلب الاولاد كما يفعله غيره وكانت النبوة
تشغله عن ذلك فانزل الله ولقد ارسلنا الآية اي الاستمتاع بالنساء والاستكثار منهن لم يمنع عن الاختصاص
بالنبوة والرسالة على ما لم يمنع غيره من الرسل الذين كانوا من قبله والله اعلم وقوله عز وجل وما كان لرسول
ان ياتي بآية الا باذن الله اي لا يملكون انزال الآيات من انفسهم انما يتولى الله انزالها ان شاء ذلك وهو
كقول عيسى حيث قال وابرئ الاكمه والابرص الآية اخبر ان ما ياتي من الآيات انما ياتيها باذن الله وبامره
لا من نفسه يحتمل ان يكون جوابا ما ذكر اهل التاويل وجوابا عن ذلك ايضا وهو طعنهم الرسل بالاكل والشرب
والمشي في الاسواق وسؤالهم الآيات التي سألوهم وجوابا انكارهم الرسل من البشر يقول لست انت باول رسول
طعنت بما طعنك به قومك ولكن كان قبلك رسل طعن قومهم بما طعن به قومك وسألوهم من الآيات ما سأل به قومك
فلم يكن ذلك لهم حذرا في ردّ ما ردوا وترك ما تركوا بل نزل بهم العذاب فعلى ذلك قومك وقوله عز وجل لكل
اجل كتاب اختلف فيه قال قايلون لكل كتاب اجل وهي الكتب التي انزلت على الرسل يعمل بها الى وقت ثم تنسخ ويترك
العمل بها وقال قايلون هو ما قال لكل اجل كتاب اي لكل ذي اجل اجله الى وقت انقضائه ليس يراد به الكتابة
باليد ولكن الاثبات كقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت ليس ان كتب هنالك باليد فعلى ذلك قوله
لكل اجل كتاب اي اثبات الى وقت ويحتمل قوله لكل كتاب اجل اي لكل ما كتب الله الاجل وجعل له الوقت من العذاب
ينزل بالمعاندين والنصر للرسل فانه لا يكون قبل ذلك الوقت ولا يتاخر ايضا عن ذلك الوقت وهو كقوله فاذا جاء
اجلهم لا يستاخرون ساعة الآية وقوله عز وجل يمحو الله ما يشاء ويثبت ذلك قال قايلون يمحو الله ما يشاء
المحو ههنا ان انشاه في الابتداء يمحوا ليس على ان كان مثبتا فمحا ولكن انشاه هكذا يمحوا وهو كقوله فمحونا آية الليل

ليس انه كان مثبتا كذا ثم محى ولكن انشاءه فى الاية يمحو وكقوله رفع السموات ليس انها كانت موضوعة ثم رفعها ولكن انشاها
مرتفعة كما هى فعلى ذلك هذا ثم يحتمل ذلك الاعمال التى كانت معفوة فى الاصل من نحو اعمال الصبيان والاعمال التى لا جزاء عليها
وقال قايلون على احداث محو ثم يحتمل وجوها يحتمل ما نسخ من الاحكام فهو على محو الحكم به والعمل ليس على محو نفسه
ويثبت وهو ما لا ينسخ ولا يترك العمل به والحكم ويحتمل المحو محو الاحوال وهو ما ينقل ويحول من حال الى حال من حال النطفة
الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال المضغة يحوله وينقله من حال الى حال اخرى فذلك هو المحل ويحتمل المحو ايضا هو
ما يختم به العمر السعادة او الشقاوة اذا كان كافرا ثم اسلم فى اخر عمره محيت الاعمال التى كانت له فى حال كفره فابدلت
حسنات واذا كان مسلما ثم ختم بالكفر محيت اعماله التى كانت له من الصالحات فلم ينتفعوا بها وان يكون ما ذكر
من المحو والاثبات هو ما يكتب الحفظة من الاعمال والافعال يمحى عنها ما لا جزاء لها ولا ثواب ويبقى ما له الجزاء والثواب
ويترك مكتوبا كما هو او يكون للخلق مقاصد فى افعالهم والحفظة لا يطلعون على مقاصدهم فيكتبونهم ما هو فى الحقيقة
حسنة لقصده سيئة لظاهر ما عمل او حسنة فى الظاهر وهو فى الحقيقة سيئة فيغفر ذلك فيجعل ذلك ما هو
فى الحقيقة شر وفى الظاهر خير شرا بالقصد وما هو فى الحقيقة خير وفى الظاهر شر خيرا او ان يكون فى كتابه الحفظة
لكنه من وجه اخر وهو ان الحفظة يكتبون الاعمال ثم يعارض ذلك بما فى اللوح المحفوظ فيمحى من كتابه الحفظة
من الزيادة ويثبت فيها ما كان فيه من النقصان والله اعلم وقوله عز وجل وعنده ام الكتاب هذا يحتمل
عنده الذى يعارض به كتب الملائكة ويحتمل وعنده ام الكتاب الذى يستنسخ منه الكتب التى نزلت على الانبياء
والرسل وهو اللوح المحفوظ وفيه دلالة ان اختلاف الالسن لا يوجب تغيير المعنى لانه لا يدرى ان تلك الكتب
فى اللوح باى لسان هى ثم انزل منه كل كتاب على لسان الرسول الذى نزل عليه وكذلك الملائكة الذين يكتبون
اعمال بنى ادم لا يحتمل ان يكتبوا بلسان الخلق لانه يظهر لو كانوا يكتبون بلسان هولاء فدل انهم انما يكتبون
بلسان انفسهم فهذا كله يدل ان اختلاف اللسان لا يوجب اختلاف المعنى والله اعلم وقوله عز وجل واما نرينك
بعض الذى نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب كان صلوات الله عليه طمع او سال ان يريه
جميع ما وعد له من انزال العذاب عليهم وانواع ما وعد فقال ان شينا نرينك بعض ما وعدناهم وان شينا نتوفينك
ولم نرك فانما عليك البلاغ اى ليس لك من الامر شىء اى ليس اليك هذا انما عليك البلاغ وهو كقوله ليس لك
من الامر شىء الاية انما عليك كذا فيخرج مخرج العتاب والتوبيخ ليس مخرج الوعد والعدة اذ قوله اذا او ذا حرف شك
فهو يخرج على الوعيد وعلى النهى عن سؤال كان من رسول الله فان كان على النهى فكانه نهاه ان يسال انزال العذاب
عليهم يقول ان شينا انزلنا وان شينا لم ينزل وان كان على الوعد فقوله نرينك بعض ما وعدنا ولا نرينك كله
والا ظاهره حرف شك وقوله وعلينا الحساب يحتمل حساب ما وعد وجزاء ويحتمل الحساب المعروف الذى
يحاسبهم يوم القيامة والله اعلم وقوله عز وجل اولم يروا قد ذكرنا فيما تقدم انه انما هو حرف تعجيب وتنبيه
فهو يخرج على وجهين احدهما على الخبر اى قد راوا انا فعلنا ما ذكر والثانى على الامر اى راوا انا فعلنا ما ذكر وهو
ما ذكر من قوله اولم يسيروا فى الارض اى قد ساروا فى الارض او سيروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها
قال بعضهم هو ما جعل من ارض الكفرة للمسلمين بالفتح لهم والنصر على اولئك والاخراج من سلطان اولئك
الكفرة وايديهم وادخالها فى ايدى المسلمين فذلك النقصان والله اعلم لما وعد لرسوله ان يريه بعض ما وعدهم
فقال الكفرة عند ذلك اين ما وعد ان نريك فقال عند ذلك اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها اى الم يروا انه
جعل بعض ما كان لهم من الارضين للمسلمين فانه قادر على جعل البعض الذى كان لهم لهولاء كما قدر ان يجعل
الكل لهم فلا يعتبرون هذا والله اعلم ما اراد بما ذكر من النقصان وقال قايلون ونقصان الارض موت فقهائها
وعلمائها وفناها ووجه هذا وهو ان الفقهاء والعلماء هم عمار الارض واهلهم وبهم صلاح الارض فوصف
الارض بالنقصان بذهاب اهلها وهو كما وصف الارض بالفساد وهو قوله لفسدت الارض وقوله ظهر الفساد

فى البر والبحر فالارض لا تفسد بنفسها ولكن وصفت بالفساد لفساد اهلها فعلى ذلك لا تنقص هى بنفسها ولكن
وصفت بالنقصان لذهاب اهلها وعمارها فقهائها وعلمائها ثم يحتمل ذهاب العلماء المتقدمين الذين
تقدموا رسول الله فى الامم السالفة وهم علماء اهل الكتاب فيقول الا يعتبرون باولئك فيصنعوا ويتقاتلوا
من علمائهم فلا بد من رسول يعلمهم الاداب والعلوم ويجدد لهم ما درس من الرسوم وذهب من الاثار فكيف انكروا
رسالته وفى بعث الرسول حدوث العلماء وذلك وقت حدوث العلماء وزمانه فان كان اراد العلماء المتاخرين
وفقهاءهم فيخرج ذلك مخرج التعزية له اى تغيير الارض بحال توصف بالنقصان بذهاب العلماء والفقهاء والله اعلم
وقوله عز وجل والله يحكم لا معقب لحكمه قيل لا راد لحكمه وحكمه يحتمل العذاب الذى حكم على الكفرة يقول لا راد
للعذاب الذى حكم عليهم وهو كقوله رب احكم بالحق اى احكم بالعذاب الذى حكمت عليهم ويحتمل قوله لا معقب لحكمه
اى لا يتعقب احد حكمه ولا يعقب احد سلطانه كما يكون فى حكم الخلايق يتعقب بعض عن بعض وكما ذكر فى الحفظة له
معقبات من بين يديه يتعقب بعض عن بعض فى الحفظ وفيما سلطوا والله اعلم وهو سريع الحساب هذا قد ذكرنا
فى غير موضع وقوله عز وجل وقد مكر الذين من قبلهم اى مكر الذين من قبلهم برسلهم كمكر هولاء بك يصبر
رسوله على اذاهم بر ثم يحتمل المكر به وجهين احدهما مكروا بنفسه هموا قتله واهلاكه والثانى مكروا بدينه الذى
دعاهم اليه وارادوا اظهاره هو هم اطفاء ذلك وابطاله وكذلك مكر الذين من قبلهم برسلهم يخرج على هذا
والله اعلم وقوله عز وجل فلله المكر جميعا هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما يقول فلله جزاء المكر جميعا يجزى
كلا بمكره والثانى اى لله حقيقة المكر ياخذهم جميعا بالحق من حيث لا يشعرون واما هم فانما ياخذون ما ياخذون
لا بالحق ولكن بالباطل ولا يقدرون على الاخذ من حيث لا يشعرون الا قليلا من ذلك لحقيقة المكر الذى هو
مكر بالحق فى الحقيقة لله لا لهم ويحتمل قوله فلله المكر جميعا اى لله تدبير المكر جميعا ان شاء امضاه وان شاء
منعه اليه ذلك لا اليهم او لله حقيقة المكر يغلب مكره مكر اولئك وقوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس من خير وشر
وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار يشبه ان يكون عقبى الدار معروفا عندهم وهى الجنة فيكون صلة قولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى فيقول والله اعلم سيعلمونهم لمن عقبى الدار هى لهم ام هى للمومنين او ان يكون جواب
قوله ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا انهم لما راوهم مفضلين فى امر الدنيا ووسع عليهم الدنيا ظنوا
ان لهم فى الاخرة كذلك فقال ذلك جوابا لهم وقوله عز وجل ويقول الذين كفروا اى قالوا لست مرسلا اى
اى لن يبعثك الله رسولا وهم كانوا يقولون كذلك له فامره ان يقول لهم كفى بالله شهيدا بينى وبينكم انى نبى رسول
اليكم بالايات التى اتيتها او كان قال لهم هذا لما بالغ فى الحجاج والبراهين فى اثبات الرسالة والنبوة فلم يقبلوا
ذلك فايس من تصديقهم فعند ذلك قال كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب اى يعلم من كان
عنده علم الكتاب يعنى التورية فيشهد ايضا انى رسول نبى اى يعلم من كان عنده علم الكتاب انى على حق وانى رسول الله
وهو كقوله اولم يكن لهم اية الاية وقوله فاسئلوا اهل الذكر ومن قراء بالخفض ومن عنده علم الكتاب فتاويله
والله اعلم اى من عند الله جاء علم هذا الكتاب الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكذلك
روى فى بعض الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقرا ومن عنده علم الكتاب بالخفض واما القراء
جميعا فانهم يختارون بالنصب ومن عنده علم الكتاب قال ابو عبيد وقرا بعضهم ومن عنده علم الكتاب بخفض الميم
والدال ورفع العين وقال لكنى لا ادرى عمن هو وروى عن عبد الله بن سلام انه قال فى نزل قل كفى بالله
شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب هذا يؤيد ان ثبت قول اهل التاويل حيث قالوا ومن عنده
علم الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه والله اعلم بالصواب

سورة ابراهيم مكية الا الم تر الى اخر الايتين مدنية واياتها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر كتاب الركاية عن حروف مقطعة جعلها بالحكمة كتابا انزلناه اى جمعناها كتابا اعنى تلك الحروف المقطعة كتابا وانزلناه اليك بعد ما لم تكن تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقوله ولا تخطه بيمينك لتخرج الناس وما يضاف الاخراج الى الله فانه يكون باعطاء الاسباب وحقيقة ما يكون به الافعال وهى القدرة وما يضاف الاخراج الى الرسل فانه لا يكون الا باعطاء الاسباب لانه لا يملك احد سواه اعطاء ما به يكون الفعل ثم الاسباب يكون بوجهين لاحدهما الدعاء الى ذلك والثانى ما اتى بهم من البيان والحجة على ذلك فهو الاسباب التى يملك الرسل اشيائها واما ما به حقيقة الفعل فانه لا يملك الا الله وقوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور قيل من الكفر الى الايمان التى يملك الرسل اشيائها يسمى الكفر ظلمات وهو واحد لانه يستر جميع منافذ الجوارح من البصر والسمع واللسان يبصر ما لا يصلح ويسمع ما لا يصلح وكذلك القول يقول ما لا يصلح وكذلك جميع الجوارح والايمان يرفع ويكشف جميع الحجب والستور وتضئ له كل مستور والثانى قوله من الظلمات اى من الشبهات الى النور اى الى الايمان والهدى وقوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور الاخراج المضاف الى الله والهداية يخرج على وجوه اربعة احدها يامر ويدعوهم الى ما ذكرنا والثانى يكشف ويبين والثالث يرغب ويرهب حتى يرغبوا فى المرغوب ويحذروا المرهوب والرابع تحقيق ما يكون به الهداية وذلك لا يكون الا بالله وهو التوفيق والعصمة واما الوجوه الثلاثة الاول فانها تكون برسول الله يامر ويدعو ويرغب ويرهب ويبين ويكشف والله اعلم وقوله عز وجل الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس كانه قال كتاب انزلناه اليك لتامر الناس بالخروج مما ذكر الى ما ذكر والثانى انزلناه لتخرج به الناس مما ذكر باذن ربهم قيل بامر ربهم اى يدعوهم بامر ربهم وقال قايلون بعلم ربهم اى انزل هذه الحروف المقطعة بعلمه والثالث يحتمل بتوفيق ربهم الاذن من الله يحتمل احد هذه الوجوه التى ذكرنا الامر والعلم والتوفيق وقوله عز وجل الى صراط العزيز الحميد العزيز الحميد هو الله اى يدعوهم الى طريق الله الذى من سلكه نجا العزيز الحميد سمى عزيزا لان كل عزيز به يعز ويقال عزيز لانه عزيز بذاته ليس بغيره كالخلايق او العزيز هو الذى لا يطلب والحميد هو الذى لا يلحقه الذم فى فعله كالحكيم هو الذى لا يلحقه الخطا فى تدبيره وقال اهل التاويل العزيز المنيع والحميد الذى هو يقبل اليسير من العباد وقوله عز وجل الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض من قرا بالخفض صيره موصولا بالاول وجعله كلاما واحدا واتبع الخفض بالخفض ومن قرا بالرفع الله الذى جعله مقطوعا عن الاول على حق الابتداء فقال الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ذكر قوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ليعلم الله بما يامر الخلق ويدعوهم الى دينه ويمتحنهم بانواع المحن لا يفعل ذلك لمنافع نفسه او لحاجته فى ذلك بل لحاجة الممتحنين ولمنافعهم وقوله عز وجل وويل للكافرين من عذاب شديد قال قايلون الويل الشدة وقيل الويل هو اسم واد فى جهنم وقال الاصم الويل هو نداء كل مكروب وملهوف من شدة البلاء وقول الحسن كذلك وقوله عز وجل الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وصفا ولئك الذين ذكر انهم الويل منهم فقال الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة اى اثروا واختاروا الحيوة الدنيا على الاخرة اى رضوا بها واطمانوا فيها كقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها اختاروا الحيوة الدنيا للدنيا لم يجعلوها للاخرة فالدنيا انشات لا للدنيا ولكن انما انشات للاخرة فمن اختارها لا ليسلك بها الى الاخرة ضل وزاغ عن الحق وقوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وهو ما ذكرنا يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة حتى يلهوا عن الاخرة ويسهوا فيها ويغفلوا والا اهل الاسلام ربما يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وهو ما ذكرنا انهم يختارون ذلك للاخرة واولئك للدنيا وقوله

عز وجل ويصدون عن سبيل الله يحتمل يصدون وجهين احدهما اعرضوا هم بانفسهم والثانى صرفوا الناس عن سبيل الله الذى من سلكه نجا لكن انما يتبين ويظهر ذلك بالمصدر صد يصد صدا صرف غيره وصد يصد صدودا اعرض هو بنفسه ويبغونها عوجا اى طعنا وعيبا فيه دل هذا على ان الاية فى الرؤساء منهم والقادة الذين كانوا يصدون الناس عن سبيل الله ويبغونها فى دين الله الطعن والعيب فما وجدوا الى ذلك سبيلا قط وقوله عز وجل اولئك فى ضلال بعيد الضلال يحتمل وجوها يحتمل الضلال اى هلكوا هلاكا لا نجاة فيه قط ويحتمل الحيرة والبتة اى تحيروا وتاهوا حتى لا يهتدون ابدا ويحتمل الضلال البطلان اى فى بطلان بعيد حتى لا يصلحوا ابدا وهو فى قوم علم الله انهم لا يهتدون ابدا ويموتون على الضلال والله اعلم وقوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لو كان غيره من الكتب ارسلت بغير لسان الامم لكان هذا الكتاب يجب ان يكون مبعوثا بلسان قومه لانه جعل هذا الكتاب نفسه حجة واية لرسالته لانهم يعجزون عن اتيان مثله وهو كان بلسانهم ليعلموا انه من الله جاء اذ لو كان من اختراع الرسول لقدروا على اختراع مثله لان لسانهم مثل لسانه فاذا عجزوا عن اتيان مثله دل انه منزل من الله تعالى لا من عند الخلق ثم يحتمل قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وجوها قال قايلون هذا بعد ما اختلف الالسن ارسل هذا وفيه انباء اوايلهم الذين كان لسانهم غير لسان هولاء واخبارهم ليعلموا انه انما عرف تلك الانباء والاخبار التى كانت بغير لسانهم بالله وقال بعضهم ارسل بلسان قومه ليلا يكون لهم مقال كقوله لولا فصلت اياته الاية والثالث انه اذا كان بلسانهم يكون الف واقرب الى القبول من ان كان بغيره اذ كل ذى نوع وجنس يكون بجنسه ونوعه الف من غير نوعه وجوهره كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اذ ليس فى وسع البشر رؤية الملك والنظر اليه على ما هو عليه فعلى ذلك كل ذى لسان يكون بلسانه افهم واقرب للقبول والف من غيره وقوله عز وجل ليبين لهم قال قايلون ليكون ابين لهم وانهم وقال قايلون ليبين لهم فيفهمون قول رسولهم وقوله عز وجل فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء اى يضل الله من اثر سبب الضلال ويهدى من يشاء من اثر سبب الذى به يهتدى يهديه ذلك وقال قايلون يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء هذا حكم الله انه يضل المكذبين ويهدى المصدقين لكن الوجه فيه ما ذكرنا بدءا انه يضل من اثر سبب الضلال ويهدى من يشاء هذا حكم الله ان يضل المكذبين ويهدى المصدقين اى من اثر سبب الاهتداء وهو العزيز الحكيم لان جميع الخلايق مفتقرون اليه اذ لا به يعز من عز او ان يكون العزيز هو الذى لا يغلب والحكيم هو الذى لا يلحقه الخطا فى الحكم والتدبير او الحكيم فى بعث الرسل وفى جميع فعله ولم يوخذ عليه فى فعله خطا قط مصيب ومنع كل شئ موضعه وقوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا يحتمل اياته حججه وبراهينه التى ارسل بها على وحدانية الله والوهيته ويحتمل اياته التى بعثها الى موسى ليقيمها على رسالته ان شيت قلت اياته حججه وان شيت سميتها اعلاما والايات والاعلام والحجج كله واحد فيكون اعلام وحدانية الله والوهيته واعلام رسالته وقال قايلون باياتنا اى بديننا اى ارسلنا موسى بديننا ليدعوهم اليه ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وعلى ذلك بعث جميع الرسل والانبياء بعثوا ليخرجوا قومهم من الظلمات الى النور وقد ذكرنا هذا فى غير موضع وقوله عز وجل وذكرهم بايام الله التذكير هو العظة اى عظهم بايام الله قال قايلون ايام الله نعمه قال قتادة امرهم ان يذكرهم بنعم الله التى انعمها عليهم فان الله عليكم ايام من النعم كايام القوم كم من خير قد اعطاه الله لكم وكم من سوء قد صرفه الله عنكم وكم من غم قد فرجه الله عنكم فالله ربنا لك الحمد وقال قايلون ايام الله وقايعه اى ذكرهم وقايع الله فى الامم السالفة كيف اهلكهم لما كذبوا الرسل هذا يحتمل يذكرهم بنعم الله التى كانت على المصدقين بتصديقهم وهو ما انجا المصدقين من التعذيب والاهلاك اهلاك تعذيبا وذكر المكذبين منهم بالوقايع التى كانت على اولئك بالتكذيب وهو الاهلاك ويشبه ان يكون قوله بايام الله الايام المعروفة نفسها امره ان يذكرهم بها لان الايام تاتى بارزاقهم وتمضى باعمالهم واعمارهم ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وتفنى

اعمارهم واجالهم وفيما ياتى بارزاتهم نعم من الله عليهم وفى ذهاب اعمارهم واجالهم اظها رسلطان الله
وقدرته فامره ان يذكرهم بذلك والله اعلم هذا يشبه ان يكون امر موسى ان يذكر بنى اسرائيل ما كان عليهم
من فرعون من انواع التعذيب فى الانجا من بعد يقول والله اعلم ذكرهم الايام الماضية وما يتلوها وهذا اشبه
واقرب والله اعلم وقوله عز وجل ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور قد ذكرنا ان الصبر هو كف النفس
عن معاصى الله وعن جميع مناهيه والشكر هو الرغبة فى طاعته اخبر انه فيما ذكر ايات لمن كف نفسه عن المعاصى
ورغبة طاعته لا لمن تطاول على الرسل وتكبر عليهم وترك اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم اليه ليس
لامثال هؤلاء عبرة واية لمن ذكرنا ويشبه ان يكون الصبار وتكبر عليهم وترك اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم
اليه ليس لامثال هؤلاء عبرة واية لمن ذكرنا ويشبه ان يكون الصبار والشكور كناية عن المؤمن لان كل
من آمن بالله ووحده اعتقد الكف عن جميع معاصيه والرغبة فى كل طاعته وان كان يقع احيانا فى معصيته
فكانه قال ان فى ذلك لآيات للمؤمنين على ما ذكر فى غيره من الآيات من ذلك قوله ان فى ذلك لاية لل
للمؤمنين وللموقنين وللمتقين ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يشبه ان يكون هذا على الاضمار وهو ما ذكر فى اية اخرى اى اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الاية واذكروا ايضا اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم قيل يعذبونكم
سوء العذاب وقال قايلون يكلفونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم السوم الاذاقة
والتعريض يقال سامنى كذا اى اذاقنى وعرضنى ويقال سمت الدابة على الحوض اى عرضتها وفى ذلكم بلاء
من ربكم عظيم هذا ايضا قد ذكرناه فيما تقدم فى سورة البقرة والاعراف والله اعلم وقوله عز وجل
واذ تاذن قال بعضهم واذ تاذن قال ربكم وقيل اذ اعلم ربكم واخبر والعرب ربما قالت افعلت فى معنى
تفعلت فهذا من ذلك ومثله فى الكلام اوعدنى وتوعدنى وهو قول الفرا وحقيقته وعد ربكم او كفل
ربكم لئن شكرتم لازيدنكم لم يقل لئن شكرتم نعم كذا ولا بين اى نعم النعم كلها او نعمة دون نعمة ولا قال الشكر ثم
عاذا وقال لازيدنكم لم يذكر الزيادة فيماذا ام اذا ومن اى شئ هو فيشبه ان يكون قوله لئن شكرتم بالتوحيد
اى وحدتم الله فى الدنيا فيما خلقكم خلقا وركب فيكم ما يتلذذون وتتنعمون فى الدنيا وفيما قومكم من حسن
تقويم لازيدنكم النعم الدايمة فى الآخرة فيصير على هذا التاويل كانه قال لئن اتيتم شاكرين فى الآخرة
لازيدنكم النعم الدايمة والى هذا يذهب ابن عباس رضى الله عنه او قريب منه الا ترى انه قال ولئن كفرتم
ان عذابى لشديد اى ولئن كفرتم ولم توحدوه واشركتم غيره فيه وصرفتم شكر تلك النعم الى غيره ان عذابى
لشديد ويحتمل ان يكون كل نعمة يشكرها يزيد له من نوعها فى الدنيا ويدوم ذلك له وفى قوله لئن شكرتم لازيدنكم
لطف وفضل لان الشكر هو المجازاة والمكافاة لما سبق والله تعالى لا تكافى فيما انعم لانهم يستزيدون
لانفسهم الزيادة بالشكر الذى ذكر فهو ليس بشكر فى الحقيقة لكن هذا منه لطف ذكره وهو كما قال الله تعالى واقرضوا
الله قرضا حسنا الاية وقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية فهذه الانفس والاموال
فى الحقيقة لله ليست فيهم فيما يقرضون لانفسهم وكذلك فى الشرى يشترون لانفسهم من مولاهم لكنه ذكر
شراه لطفا منه وفضلا فعلى ذلك فيما ذكر من الشكر له يطلبون الزيادة لانفسهم لطفا منه وان كان
الشكر فى الظاهر موضوعه المكافاة لما سبق فهو فيما بين الرب والعباد ليس بمكافاة ولكن سبب الزيادة
ولكن سمى شكرا لطفا منه وفضلا على ما ذكر التصدق قرضا والله اعلم الا ترى انه قال ان تكفروا انتم ومن فى الارض
جميعا فان الله لغنى حميد اى غنى بذاته ليس يامر ما يامر لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن ما امتحنكم انما امتحنكم
لحاجة انفسكم ولمنفعة ابدانكم وقال بعضهم قوله ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد
اى غنى عن عبادة خلقه حميد عند خلقه وهو ما ذكرنا انه ليس يامرهم فيما يامر لمنفعة نفسه او لحاجة نفسه

ولكن لمنافع

ولكن لمنافع تحصل للخلائق ولحوايج تبدو لهم وكذلك النهى عما ينهى ليس ينهى لخوف مضرة تلحقه ولكن للضرر
يلحقهم ولآفة تتوجه اليهم يخبر عز وجل عن غناه عما يامر خلقه فى طاعته وعبادته وتوجيه الشكر اليه والحميد
هو الذى لا يلحقه الذم فى فعله يقول والله اعلم انهم وان كفروا وكان علم منهم انهم يكفرون فعله بذلك
لا يخرجه فى انشائهم من ان يكون حميدا والله اعلم وقوله عز وجل الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح الاية يشبه ان يكون
الخطاب لاهل الايمان منهم الرسل خاطبهم عز وجل تصبيرا منه لهم وتنبيها على تكذيب الكفرة اياهم واذاهم واستهزائهم
بهم فقال الم ياتكم نبوا الذين من قبلكم اى قد اتاكم نبوا الذين من قبلكم ما فيه مزجركم عن مثل معاملتهم الرسول
وهو ما ذكره ولقد جاءهم من الانبا ما فيه مزدجر ما ذا انزل بهم بتكذيبهم الرسل والاستهزاء باتباعهم
يذكر هذا لهم ليهون ذلك عليهم وليخف لان من علم ان له شركا فيما يلى به وامتحن كان ذلك عليه اهون واخف
من ان يكون هو المخصوص فيه ويحتمل ان يكون الخطاب لاهل الكفر منهم يقول الم ياتكم نبوا الذين من قبلكم
اى قد اتاكم خبر الذين من قبلكم انه ما ذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل واستهزائهم باتباعهم فينزل بكم ما نزل بهم
لان الذى انزل ذلك عليهم حى قادر على انزال مثله فيخرج ذلك مخرج التوبيخ والتعيير والوعيد ليحذروا
عن صنيع اولئك والله اعلم وقوله عز وجل لا يعلمهم الا الله فيه دلالة ان تكلف معرفة الانساب وحفظها
الى آدم شغل وتكلف لانه اخبر ان فيهم من لا يعلمه الا الله وروى فى الخبر انه كان ينسب الى معد ولا ينسب
الى اكثر من ذلك قال ابو بكر الاصم قوله لا يعلمهم الا الله يكذب من ادعى معرفة الانساب المتقدمة لانه قال
لا يعلمهم الا الله وقد اخبر ايضا انه لم يقص عليه خبر الكل بقوله منهم من قصصنا عليك الاية فمن البعيد
ان يتكلف تعرف ما لم يقص على رسوله والله اعلم وقوله عز وجل جاءتهم رسلهم بالبينات قيل البينات
بينات على وحدانية الله والوهيته ويحتمل الحجج التى اتى بها الرسل على اثبات الرسالة والنبوة وقال بعضهم
البينات ما يتقون وما ياتون وما يحل عليهم وما يحرم وقوله عز وجل فردوا ايديهم فى افواههم يحتمل ان يكون
هذا على التمثيل والكناية عن التكذيب وترك الاجابة لان رد الايدى فى افواههم يمنعهم عن التصديق كقوله
كباسط كفيه الى الماء الاية اذا ترك اجابته وقوله يردوكم على اعقابكم وامثاله ويشبه ان يكون على تحقيق
جعل الايدى فى افواههم يخرج على وجهين احدهما ردوا ايديهم فى افواههم فى افواه الرسل فيقولون
انكم كذبة ويحتمل الايدى فى افواه انفسهم يصولون ويستهزؤن بهم وباتباعهم كقوله وما كان صلوتهم
عند البيت الاية وقد ذكرنا معناه فى موضعه فعلى ذلك هذا يحتمل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به الاية وقد ذكرنا معناه يحتمل قوله بما ارسلتم به التوحيد لانهم ارسلوا بالدعا
الى توحيد الله والعبادة له يدل ذلك قولهم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب وقول الرسل افى الله شك
الاية ويحتمل قوله انا بما كفرنا بما ارسلتم به من اثبات الرسالة واقامة الحجة عليها وانا لفى شك مما تدعوننا
اليه من التصديق بالرسالة والنبوة مريب هذا يدل انهم كانوا على شك مما يعبدون من الاوثان والاصنام
لانه لو كان لهم بيان وحجة ودعا اليه لكانوا لا يقولون انا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب ولكن كانوا يقطعون
فيه القول فدل انهم كانوا على شك وريب فى عبادتهم الاصنام والاوثان التى عبدوها ثم الشك والريب
قال بعضهم هما سواء وقال بعضهم الشك هو الشك المعروف والريب هو النهاية فى الشك وقال بعض
اهل التاويل فى قوله تعالى فردوا ايديهم فى افواههم اى عضوا على اصابعهم غيظا على ما دعوا وقال
بعضهم ردوا عليهم قولهم وكذبوهم وهو ما ذكرنا بديا وقال ردوا عليهم بافواههم وقوله عز وجل
قالت رسلهم افى الله شك اى افى الوهية الله شك او فى عبادة الله شك اى ليس فى الوهيته شك
ولا فى عبادته شك او تقولون انتم انه الله وانه معبود وكذلك انا نقر ايا فكر انه الله وانه معبود فليس
فى الوهيته ولا فى عبادته شك انما كان الشك فى عبادة من تعبدون دونه من الاوثان والاصنام

والوهيتها لان اباؤكم اقروا بالوهية الله وانه معبود حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واقروا انه خالق السموات والارض وفاطر جميع ما فيهما بقوله ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وان الاصنام التي عبدوها لم تخلق شيئا فليس في الله شك
عندكم انما الشك فيما تعبدون دونه او في وحدانية الله ويقول افي الله شك انه لم يزل انه معبود اليس
في الله شك انه لم يزل معبودا انما الشك في الاصنام التي قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فاما في الله
فلا شك انه لم يزل معبودا فاطر السموات والارض ويشبه ان يكون على الاضمار اي افي الله شك وقد تقرون
انه فاطر السموات والارض وتعلمون انه خالقهما ويحتمل ان يكون على الاحتجاج اي افي الله شك وهو
فاطر السموات والارض اي تعلمون انه فاطر السموات والارض وتقرون انه خالقهما وقوله عز وجل
يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم هذا يحتمل وجهين يحتمل ليغفر لكم ذنوبكم التي كانت لكم في حال الفترة
اذا اسلمتم وفيه دلالة والله اعلم ان المآثم التي كانت لهم في وقت الفترة مأخوذة عليهم ثم وعدهم
المغفرة اذا اسلموا والثاني وعد المغفرة والتجاوز لما كان منهم من الافتراء على الله والقول
فيه بما لا يليق به اذا اسلموا وتابوا عن ذلك اي انكم وان افتريتم على الله وقلتم فيه ما قلتم وكذبتم رسله
فاذا اسلمتم وتبتم وصدقتم رسله غفر لكم ذلك كله وفيه ذكر لطفه وحسن معاملته خلقه ويحتمل ايضا
قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى جواب ما قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا ويحتمل ايضا قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يقول اذا اسلمتم وتبتم لا تتخطفون ولكن
تبلغون الى آجالكم المسماة ويؤخركم الى اجل مسمى يتعلق المعتزلة بظاهر هذه الآية ان لكل انسان
اجلين اجل في حال اذا كان فعل كذا واجل في حال اذا فعل كذا لكن جعل الاجلين انما يكون بجهل في العواقب
من يجهل العواقب فاما الله سبحانه وتعالى هو عالم بما كان ويكون فلا يحتمل ان يجعل له اجلين وهو عالم
بما يكون فانما جعل اجله بالذي علم انه يكون منه في الوقت الذي جعل والله الموفق وقوله عز وجل قالوا
ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا في قولهم تناقض من وجهين احدهما
انهم تركوا طاعة رسلهم واتباعهم لانهم بشر مثلهم ثم اطاعوا اباءهم واتبعوهم في عبادة الاصنام
وهم بشر مثلهم حيث قالوا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فذلك تناقض في القول والثاني انهم
لم يروا الرسل متبوعين لانهم بشر ثم لا يخلو هم بانفسهم من ان يكونوا متبوعين استتبعوا غيرهم
من دونهم او كانوا اتباعا لغيرهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فذلك
تناقض في القول فأتونا بسلطان مبين سألوا الحجة على ما دعوا اليه من الوهية الله تعالى وربوبيته
وعلى ما دعوا من الرسالة من الله وفي كل شيء وقع عليهم بصرهم دلالة وحدانية الله والوهيته لكنهم سألوا
ذلك سؤال تعنت وعناد وكذلك قد اقاموا الحجج على ما دعوا من الرسالة لكنهم تعاندوا وكابروا في رد
ذلك فسألوا سؤال الآية وحجة تضطرهم وتقهرهم على ذلك ويكون عند اتيانها هلاكهم فاجابهم الرسل
فقالوا وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ما كان لنا ان نأتيكم باية يكون بها هلاككم انما ذلك
الى الله ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وقوله ان نحن الا بشر مثلكم اي ما نحن الا بشر مثلكم رد قول الباطنية
لانهم ينكرون كون الرسالة في جوهر البشرية ويقولون انما يكون الرسالة في جوهر الروحانية ثم صلوات الله
عليهم انما اجابوا قومهم حيث قالوا لهم ما انتم الا بشر مثلنا وقولهم ان نحن الا بشر مثلكم لم يذكروا شيئا
سوى البشرية فدل ان قول الباطنية باطل حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله لا يختص احدا بالرسالة الا من كان
منه ما يستحق به الرسالة وهم صلوات الله عليهم لم يذكروا سوى منة الله عليهم دل انه يمن عليهم ويختصهم

لا بشيء

لا بشيء من الاستحقاق يكون منهم من الاعمال ولكن بالمنة والفضل منه عليهم وقوله عز وجل
وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله هو ما ذكرنا الاذن موضوعه الاباحة هو مقابل الحجر لكن
الاذن المذكور في القرآن ليس كله على وجه واحد ولكن يجب في كل موضع ويحتمل على ما يليق به قال الله تعالى
عز وجل فهزموهم باذن الله اي بنصر الله لان الهزيمة على موضع النصر يحمل عليه وقال واحيي الموتى
باذن الله اي بانشاء الله فعلى ذلك الاذن ههنا حيث قال وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله
اي بانشاء الله السلطان واجرائه على ايدينا ويحمل الاذن المذكور في القرآن على ما يصلح ويليق بما تقدم
ذكره ويحتمل الاذن ههنا الامر اي بامر الله يأتي اي امرنا الله بذلك نأتي به وقوله عز وجل وعلى الله
فليتوكل المؤمنون يشبه ان يكون هذا على اثر وعيد وأذى كان منهم اليهم فقالوا على الله يتكل ويعتمد
المؤمنون في دفع وعيدكم واذاكم وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون هذا يخرج على وجهين احدهما على الامر
اي على الله توكلوا ايها المؤمنون في جميع ما يوعدكم اهل الكفر وفي جميع اموركم ويحتمل على الاخبار عن صنيع
المؤمنين انهم انما يتوكلون على الله وبه يعتمدون في جميع امورهم ومنه يرون كل خير وبر لا بالاسباب
التي لهم ولا يرون منها واما اهل الكفر فانما يتوكلون ويعتمدون بالاسباب ومنها يرون كل سعة وخير
والله اعلم وقوله عز وجل وما لنا ان لا نتوكل على الله كان هذا يخرج على اثر جواب كان منهم لما قال الرسل
وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فاجابوهم بحرف فعند ذلك
قال الرسل وما لنا ان لا نتوكل على الله لكنه لم يذكر ما كان منهم ولكن ذكر جواب الرسل لهم وما لنا ان لا نتوكل على الله
وقد هدانا سبلنا قال بعضهم وقد بين لنا سلوك سبلنا وعندنا قوله وقد هدانا اي وفق لنا السلوك
في السبل التي علينا ان نسلكها واكرمنا بذلك اي ما لنا ان لا نتوكل عليه في النصر والظفر عليكم وقد وفقنا واكرمنا
السلوك في السبل التي علينا سلوكها وذلك اعسر من القيام للاعداء والنصر بهم وقد اكرمنا ما هو اعسر واعظم
فان ينصرنا اولى والله اعلم وقوله عز وجل ولنصبرن على ما آذيتمونا يحتمل ان يكون هذا قبل ان يأمروا
بالقيام لهم والانتصار منهم امروا بالصبر على اذاهم فقالوا ولنصبرن على ما آذيتمونا ويشبه ان يكون قوله وما لنا
ان لا نتوكل على الله انهم قالوا ذلك لما كان اهل الكفر في كثرة وكان اهل الاسلام واتباع الرسل في قلة يستقلون
اهل الاسلام ويهابون على ذلك فعند ذلك وما كان لنا ان لا نتوكل على الله بالنصر لنا على اعدائنا والغلبة
عليهم وقد اكرمنا بما ذكر وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون كانه يخرج على الامر اي على الله فتوكلوا
لا تتوكلوا على غيره ويشبه ان يكون على الخبر اي لا يتوكل المؤمن الا على الله لا يتوكل على غيره كقول الرسل
حيث قال اني توكلت على الله الآية وهو قول هود وقول المؤمنين على الله توكلنا ربنا افتح بيننا الآية ونحوه
وقوله عز وجل وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا الاخراج يحتمل وجوها ثلاثة احدها
على حقيقة الاخراج من البلد الى غيره من البلدان والارضين ويحتمل الاخراج الحبس لنخرجنكم اي لنحبسنكم عن الانتفاع
بالبلد وباهله وبما فيه ويحتمل الاخراج القتل اي نقتلكم وقد كان اهل الكفر يوعدون ويخوفون
الرسل واتباعهم بهذه الثلاثة كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية ونحوه ثم في وعيدهم الذي اوعدوا الرسل
وجوها ثلاثة حيث تجاسروا واقبلوا الرسل بمثل هذا الوعيد ومع الرسل آيات وحجج احدها انهم رأوا
انفسهم مسلطين على اولئك قاهرين عليهم وكانوا اهل كبر وتجبر الا ترى انه قال واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيد دل هذا انهم كانوا رأوا انفسهم كما ذكرنا اهل تسليط وتجبر والثاني قالوا ذلك لهم لما لم يكن عندهم
ما يدفعون حجج الرسل وبراهينهم فهموا قتلهم واخراجهم لعجزهم عن دفع ما الزمهم الرسل وهكذا الامر المتعارف
بين الخلق ان الخصم لا يقصد اهلاك خصمه ما دام له الوصول الى الحجاج فاذا عجز عن ذلك فعند ذلك يهم
بقتله ويقصد اهلاكه والثالث جواب الرسل اياهم عند القول السيء بالقول الذي ليس فوقه لحسن

وقوله عز وجل او لتعودن في ملتنا الملة الدين كقوله لا يتوارث اهل الملتين وقوله ملة ابراهيم حنيفا
اى دين ابراهيم وقوله لتعودن ليس انهم كانوا فيها فتركوها ولكن على ابتداء الدخول فيها على ماذكرنا وقوله
عز وجل فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم وعدهم النصر والظفر عليهم والتمكين
في ارضهم مع قلة عدد اتباع الرسل وضعف ابدانهم ومع كثرة الاعداء وقوة ابدانهم ليعلموا انهم انما قالوا ذلك
بوحي من الله ووعده اياهم لا من حيث انفسهم والله اعلم فكان على ما اخبر وافكان ذلك من آيات رسالتهم
وماينبغي لهم ان يطلبوا من الرسل الآيات والحجج على ما ادعوا لانهم لم يدعوهم الى طاعة انفسهم او عبادتها
انما دعوهم الى وحدانية الله تعالى والوهيته وجعل الطاعة والعبادة له دون ما عبدوها من الاصنام وذلك
في شهادة خلقتهم وشهادة كل خلقة وان لطف وصغر فلم يحتجوا الى ان يقوموا البراهين والحجج على ما ادعوا ودعوهم
اليه لكنهم كانوا قوما معاندين مكابرين لا يقبلون قولهم ولا يصدقونهم تعنتا منهم وتكبرا لم ينظر في خلق الله
ليدركوا اثار وحدانيته والوهيته فكلفوا اقامة الحجج والآيات ليلا يكون لهم مقال واحتجاج وان لم يكن لهم
الاحتجاج والله اعلم وقوله عز وجل ذلك لمن خاف مقامي الآية قوله تعالى ذلك يحتمل وجوها لانه قد سبق خصال
ثلاث ما يحتمل رجوع هذا الحرف الى كل واحد من ذلك احدها قوله ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده فيحتمل قوله ذلك المن والفضل لمن خاف مقامي وخاف وعيد وسبق ايضا قوله ومالنا ان لا نتوكل
على الله اى ذلك الهدى والسبل التي هدانا اليها اى ذلك الهدى والهداية لمن خاف مقامي وخاف وعيد
وسبق ايضا فاوحى اليهم ربهم الآية اى ذلك النصر والظفر بهم والتمكين في الارض لمن خاف مقامي وخاف وعيد
ثم قوله ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد قال بعضهم خاف مقامي في الدنيا والآخرة وتاويله والله اعلم
اى خاف سلطاني ونقمتي وعذابي في الدنيا والآخرة اما في الدنيا لما نزل بمكذبي رسله وانبيائه وخاف وعيد
وعذابه في الآخرة حيث وعد انه يحل بهم بالتكذيب وترك الاجابة وقال بعضهم خاف مقامي في الآخرة
وهو كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين يخاف ذلك المقام وخاف ما وعد من العذاب في النار ثم قوله
مقامي حيث اضاف اليه ليس في الاشتباه باقل من قوله استوى على العرش واقل من قوله وجاء ربك والملك وقوله
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله الآية وامثاله فكيف اشتبه هذا على التشبيه ولم يشتبه قوله مقامي حيث سالوا
في ذلك ولم يسالوا في هذا وهذا ان لم يكن اكثر في الاشتباه فليس باقل والاصل في هذا وامثاله من قوله اليه المصير
واليه مرجعكم واليه مآب ومتاب ذكر هذا وان كان الخلايق جميعا في الدارين جميعا يكون مصيرهم ومرجعهم
اليه لانه جل وعلا لم يخلقهم للمقام في الدنيا والدوام فيها انما خلقهم للزوال عنها والفنا والمقام في الآخرة
والدوام فيها لكن خلقهم في هذه الدنيا ليمتحنهم ويبتلون فيها ثم يصيرون الى دار المقام فالآخرة هي المقصود
في خلقهم في الدنيا لا الدنيا فاذا كان كذلك اضاف المصير الى نفسه لما هو المقصود في خلقهم وان كانوا في الدنيا
والآخرة صايرين اليه غير غايبين عنه طرفة عين ولا فايتين وبالله النجاة ذكر الله عز وجل انبا الرسل الماضية
واتباعهم وانبا اعدائهم وما عامل بعضهم بعضا وما نزل بالاعدا بما عاملوا رسلهم من العذاب والاستيصال
وانواع البلايا وما اكرم رسله واتباعهم واولياءهم من النصر على اعدائهم والظفر والتمكين في الارض وجعل ذلك
كله كتابا بالحكمة يتلى ليعلم ان كيف يعامل الاعداء والاولياء وليرغب فيما استوجب الاولياء من الكرامات وليحذر
عن مثل صنيع الاعداء وليعلموا ان كيف عامل الله رسله واولياءه وكيف عامل الرسل وبهم اصناف الرسل
جميع ما نالوا من الخيرات والكرامات انما الله كان لا صنع لهم في ذلك حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده ذكر قوله ان نحن الا بشر مثلكم ليعلم ان الخير ليس يكون بالجوهر ولكن بفضل من الله تعالى
ورحمته وقوله عز وجل ومالنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا وامثاله واضافوا ذلك اليه كانهم
لا صنع لهم في ذلك وذكر الله عز وجل ما اكرم اولياءه ورسله من النصر والتمكين والانزال في الديار كانهم استوجبوا

ذلك بفعل كان منهم وهو قوله ذلك اى ذلك النصر والتمكين وماذكرنا من الوجوه لمن خاف مقامي وخاف
وعيد ذكر كانهم استوجبوا ذلك لان كان من الله ذلك من الله بحق افضاله وامتنانه ليعلموا معاملة الله رسله
واولياءه ومعاملة الرسل والاولياء سيدهم ومولاهم والله اعلم وقوله عز وجل واستفتحوا يحتمل وجهين
احدهما الاستنصار استنصروا الله على اعدائهم كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون
والثاني استفتحوا اى تحاكموا الى الله في النصر للاحق منهم والاقرب الى الحق كقوله ربنا افتح بيننا الآية وهو الحاكم
اليه وقوله عز وجل وخاب كل جبار عنيد هو ماذكرنا تحاكموا الى الله فنصر اولياءه واهلك اعداءه على ما ذكر
ان ابا جهل قال اللهم دينك القديم واياديك الحسنة اينا كان احب اليك واقرب من الحق فانصره فنصر المومنين
واهلك الاعداء وقوله وخاب كل جبار عنيد اى تجبر على رسله واوليائه والعنيد قيل المعرض المجانب عن الحق
والطاعة وقال بعضهم الجبار القاتل على الغضب والضارب على الغضب وهو ماذكرنا وقوله عز وجل من ورائه
جهنم اى من وراء عذاب الدنيا لهم جهنم وعذابه وقوله من ورائه جهنم الوراء قد تستعمل في امام وخلف اى من امام
ما حل بهم جهنم ويحتمل وراء ما اصابهم ماذكر وقوله عز وجل ويسقى من ماء صديد اى يسقى في جهنم صديدا مكان
ما يسقون في الدنيا وهو الذي يسيل من القروح جعل الله للكافر في الآخرة مكان ما كان لهم في الدنيا لباسا
وشرابا وطعاما ما كانت تكرهه انفسهم جعل مكان ما يسقون في الدنيا من الماء في النار الصديد والغسلين
والحميم ومكان الطعام في الدنيا في النار الزقوم والضريع ومكان اللباس القطران ونحوه ومكان القرين
والصديق في الدنيا يجعل قرينه الشيطان كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
اذ ذلك كله يمنعهم عن دين الله ويصدهم عن ذكره ليكون جزاءهم من نوع ما كان يمنعهم في الدنيا عن طاعته
ثم قال بعضهم ان الصديد الذي يسقون هو ان النار تخرجهم وتقرحهم فيسيل من ذلك الصديد فيسقون
من ذلك فقال بعضهم لا ولكن يجعل شرابهم فيها صديدا كشراب اهل الجنة وطعامهم من غير اصل وقوله ويسقى
من ماء صديد ويحتمل يسقى من ماء في ظنهم ماء وهو في الحقيقة صديد ويحتمل ان يكون في الحقيقة والظاهر صديد
لكن يشربون رجاء ان يدفع عطشهم وقوله عز وجل يتجرعه قال ابو عوسجة التجرع ما يشربه مكرها عليه ولا يكاد يسيغه
يقال اسغته اى ادخلته في الحلق يقال اسغته فساغ اى دخل سهلا من غير ان يوذيه وكذلك قيل في قوله
سايغ شرابه اى سهل في الحلق وساغ في حلقه اذا دخل دخولا سهلا لا يوذيه وقوله عز وجل وياتيه الموت من كل مكان
قال قايلون ياتيهم الغم والهم من كل مكان وكذلك المتعارف في الخلق اذا اشتد بهم الغم والهم والشدة يقال
كانك ميت وتموت غما وقال بعضهم وياتيه الموت اى اسباب الموت ما لو كان من قضائه الموت فيها لماتوا الشدة
لشدة ما يحل بهم ولكن قضاؤه اى لا يموتون فيها وما هو بميت موت حقيقة يستريح من العذاب وقوله من كل مكان
قال بعضهم من كل ناحية من فوق ومن تحت ومن خلف ومن قدام كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش اخبر ان النار تاتيهم وتاخذهم من كل جانب ومن كل جهة
ويحتمل من كل مكان اى من كل سبب من تلك الاسباب التي تاتيهم ما لو كان قضاؤه الموت لماتوا بكل سبب من تلك
الاسباب وقال بعضهم اى ليس من موضع من جسده ومن ساير جوارحه الا الموت ياتيه منها من شدة ما يحل بهم حتى
يجدوا طعم الموت وكربه وقوله عز وجل ومن ورائه اى من وراء ذلك العذاب عذاب غليظ لا ينقطع ولا يفتر
وصفه بالغلظ والشدة لدوامه والاياس عن انقطاعه والله اعلم وقوله عز وجل مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم
كرماد هو والله اعلم على التقديم اى مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح ثم يحتمل اعمالهم
الاعمال التي كانت لهم في حال ايمانهم ثم كفروا بما احدثوا من الكفر بطل ذلك الاعمال الصالحة في الايمان وهو ما ذكر
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله او يكون محاسنهم التي كانت لهم في حال الكفر طمعوا ان ينتفعوا بتلك
المحاسن في الآخرة فما انتفعوا بها فصارت كالرماد الذي تذروه الريح الشديدة لم ينتفع صاحبه بذلك الرماد

بعد ما عملت به الريح ما عملت فعلى ذلك الاعمال الصالحة التى عملوها فى حال كفرهم او اعمالهم الصالحة التى
كانت لهم فى حال الايمان ثم احدثوا الكفر لا ينتفعون بها وقال فى آية اخرى اعمالهم كسراب بقيعة فيشبه
ان يكون هذا فى اعمالهم السيئة فى انفسها فراوها صالحة حسنة كقوله سوء عمله فراه حسنا فيشبه ما كان
فى نفسه سببا بالسراب لانه لا شئ هنالك بما يرى خيالا فعلى ذلك اعمالهم السيئة فى انفسها فراوها
حسنة صالحة وما كان وما شبهه بالرماد فهى اعمال صالحة فى انفسها لكن الكفر ابطلها وقوله عز وجل فى يوم
عاصف اليوم لا يكون عاصفا ولكن على الاضمار كانه قال فى يوم فيه ريح عاصف كقوله والنهار مبصرا
لنهار لا يبصر ولكن يبصر فيه او يبصر به والعاصف قيل هو القاصف الكاسر الذى يكسر الاشياء ويكون
قوله اشتدت به والعاصف والقاصف حرفان يوديان جميعا معنى واحدا وقوله عز وجل لا يقدرون
مما كسبوا على شئ كالرماد الذى ذكرنا ان صاحبه لا يقدر به بعد ما عملت به الريح و ذرته والله اعلم وقوله
عز وجل ذلك هو الضلال البعيد يحتمل ذلك الكفر هو الضلال البعيد لا نجاة فيه ابدا او ذلك الكفر
الذى لو ابه بعيد عن الحق والله وقوله عز وجل الم تر ان الله خالق السموات والارض الم ترحرف تنبيه
من عجيب بلغه وعلم به فغفل عنه او نفوك حرف حث تنبيه عن عجيب لم يبلغه بعد ولم يعلم به على هذا الوجهين
يشبه ان يكون والله اعلم وقوله عز وجل خالق السموات والارض بالحق قال عامة اهل التاويل بالحق
اى للحق وتاويل قولهم والله اعلم للحق اى للكافرين لا محالة وهى الاخرة لانه خلق العالم الاول
للعالم الثانى والمقصود فى خلق هذا العالم هو العالم الثانى فكان خلقهما للثانى لا للاول لانه
لو كان للاول دون الثانى يحصل خلقهما للفناء وذلك خارج عن الحكمة وهو ما قال افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقال قايلون للحق الذى وجب له عليهم بالامتحان والابتلاء
خلقهما للشهادة له على الممتحن او نفوك خلقهما بالحق اى بالحكمة وقوله ان الله خالق السموات والارض
بالحق ان كان الخطاب به لرسول الله فيصير كانه قال قد رايت وعلمت ان الله خالق السموات والارض
بالحق وان كان الخطاب به لغيره من اوليك يقول اعلموا ان الله خلق السموات والارض بالحق لم يخلقهما
عبثا باطلا وقوله عز وجل ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد قال بعض اهل التاويل هذه المخاطبة
يخاطب بها اهل مكة يذكر قدرته وسلطانه على بعثهم بعد الموت والهلاك يقدر على اذهابكم واهلاككم
ويقدر ايضا ان ياتى بغيركم فعلى ذلك يقدر على بعثكم بعد مماتكم وقوله عز وجل وما ذلك على الله بعزيز
قال بعض اهل التاويل اى عليه هين يسير ولكن عندنا والله اعلم وما ذلك اى ذهابكم وفناءكم عليه
ليس بشديد عليه ولا شاق ليس كملوك الارض اذا شى من مملكتهم يشتد ذلك عليهم فاما الله سبحانه وتعالى بريد
الخلق فى سلطانه ولا فى ملكه ولا ينقص فناهم وذهابهم منه شيئا كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
اى شديد عليهم وهو ما وصفهم عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم ذكر مكان الشدة العزة ومكان الذلة
ههنا الرحمة او ان يكون قوله وما ذلك على الله بعزيز اى ما بعثكم واحياكم بعد الممات على الله بشاق ولا شديد
وقوله عز وجل وبرزوا لله جميعا قال مقاتل خرجوا الى الله من قبورهم جميعا وقال جميعا لانه لا يغادر
احدا لا بعث ويحتمل وجها آخر سوى ذلك وهو ان قوله وبرزوا لله اى لامر الله او لوعده الذى وعد
انهم يبعثون او يريد لحكم الله يحكم فى بعثهم وبرزوا اى ظهروا به ووجدوا فيكونون موجودين ظاهرين
بعد ان كانوا فايتين ذاهبين غايبين اى عندهم فى الدنيا انهم فايتين غايبين عن الله فيومئذ يعلمون انه
كان لا يخفى عليه شئ من افعالهم واحوالهم وهو ما ذكرنا فى قوله ليعلم الله من يخافه ورسله بالغيب وقوله
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وامثاله ان يعلم مجاهدين صابرين كما علم غير مجاهدين وغير صابرين
وكقوله عالم الغيب والشهادة ويعلم شهودا كما علم غيبا فعلى ذلك قوله وبرزوا لله جميعا اى يكونون له موجودين

ظاهرين

ظاهرين والله اعلم واضافة البروز اليه فى الآخرة وان كان بروزهم له فى الدارين جميعا وكذلك من المصير
والمرجع اليه والماب ونحوه فهو والله اعلم لما لا ينازع احد فى البروز فى ذلك اليوم وقد ينازعونه فى الدنيا
او خص ذلك البروز بالاضافة اليه لما هو المقصود من انشائه اياهم وخلقهم ليس المقصود فى خلقهم
وانشائهم الاول ولكن الاخر فخص ذلك بالاضافة اليه والله اعلم وقوله وبرزوا لله جميعا اى يومئذ
يعلمون انه كان لا يخفى شئ وكانهم لم يكونوا يعلمون قبل ذلك وقوله عز وجل فقال الضعفاء للذين
استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قال قايلون قوله فهل انتم مغنون
عنا اى دافعون عنا عذاب الله اذ كنا لكم اتباعا وانتم متبوعين فادفعوا عنا ذلك لكن هذا بعيد
ان يطلبوا منهم دفع العذاب عنهم وقدرا وهم فى العذاب فلو قدروا على دفع ذلك عنهم لدفعوا ولا
عن انفسهم الا ان يكون فيهم حيرة وعمى كما كان فى الدنيا فللحيرة ما قالوا كقوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة
اعمى والاشبه انهم يطلبون منهم دفع بعض العذاب عنهم وتحمل بعض لان مونة الاتباع فى العرف يتحملها
المتبوع فيطلبون منهم دفع شئ وتحمل بعض ما حل بهم وهو ما ذكر فى آية اخرى فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار وطلبوا منهم تحمل بعض ما حل بهم وقوله عز وجل قالوا لو هدانا الله لهديناكم قال بعض
اهل العلم ان الكفرة جميعا اتباعهم ومتبوعهم اعلم بهداية الله من المعتزلة لانهم قالوا لو هدانا الله لهديناكم
علموا ان الله عز وجل لو هداهم لاهتدوا ويملك هدايتهم والمعتزلة يقولون قد هدى الله جميع الكفرة
وجميع الخلايق فلم يهتدوا وانه لو اراد ان يهدى احدا لم يملك والكفرة حيث قالوا لو هدانا الله لهديناكم
دلوا وعلموا ان الله لو هداهم لاهتدوا ولانهم لو لم يهتدوا بهدايته اذا هداهم لم يعتذروا الى اتباعهم
لهديناكم وكذلك قال ابليس رب بما اغويتنى اضاف الاغواء اليه وهم يقولون لا يغوى الله احدا فابليس
اعلم بهذا من المعتزلة وقولهم لو هدانا الله اى لو رزقنا الله الهدى واكرمنا به لهديناكم ولكن لم يرزقنا
ذلك ولم يكرمنا وقال ابو بكر الاصم تاويل قولهم لو هدانا الله لهديناكم لو كان الذى كنا عليه هدى
لهديناكم فهذا صرف هذه الآية عن وجهها بلا دليل فلو جاز له هذا جاز لغيره صرف جميع الآيات
عن ظاهرها بلا دليل مع ما ان الاتباع قد علموا ان الذى كانوا عليه لم يكن هدى فلا معنى لهذا وقوله عز وجل
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال اهل التاويل انهم قالوا فيما بينهم تعالوا حتى نجزع
لعل الله يرحمنا فجزعوا حينا فلم يرحموا ثم قالوا تعالوا نصبر لعل الله يرحمنا فلم يرحموا فعند ذلك
قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص لكن لا يحتمل ان يقولوا ذلك بعد الامتحان والاختبار
لكن كانهم قالوا ذلك بالذى سمعوا وهو قوله فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
ولما سمعوا ذلك عند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اى منجى ومخلص لا يحتمل ان يقولوا
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فى اوائل احوالهم وامورهم ولكن يحتمل ما ذكر اهل التاويل
انهم يقولون ذلك عند الاياس وقوله عز وجل وقال الشيطان لما قضى الامر قال بعضهم قضى الامر اى ادخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقوم ابليس خطيبا فى النار فخطب كما ذكر وقال قايلون قضى الامر
اى ميز وبين اهل الجنة من اهل النار قبل ان يدخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة قام خطيبا
فخطب لاتباعه كما ذكر ويحتمل قوله لما قضى الامر اى لما فرغ من الحساب ومن امرهم عند ذلك يخطب ما ذكر
وهو كقوله فلما قضى الامر ولوا الى قومهم منذرين اى لما فرغ من السماع فعلى ذلك هذا وقال بعضهم لما قضى الامر
اى قضى ولما نزل بهم العذاب ويشبه ان يكون قوله لما قضى الامر هو ان الله كان وعد ان يقوم ابليس خطيبا لهم
فقضى الامر اى انجز ما وعد انه يخطب او ان يكون لاهل الكفر لجاجات ومنازعات فيما بينهم يوم القيامة كقوله
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وكقوله فيحلفون له كما يحلفون لكم الآية يكذبون فى الآخرة

ويكون لهم لحاجة على ما كان منهم في الدنيا او يحتجون فيقولون ان ابليس هو كان غلبنا وقهرنا لانه كان
يرانا ونحن لم نكن نراه فالمغلوب المقهور غير ماخوذ بما كان منه في حكمك يحتجون بمثل هذه الخرافات
واللجاجات ويقولون هو الذي اضلنا فيقوم عند ذلك ابليس خطيبا بينهم وقال وما كان لي عليكم من سلطان
حتى اقهركم واغلبكم الا الدعاء فاستجبتم لي طايعين غير مقهورين ولا مضطرين والله اعلم بذلك وقوله
عز وجل ان الله وعدكم وعد الحق يشبه ان يكون وعد ما وعد على السن الرسل ان البعث والجنة والنار
والحساب والعذاب كاين لا محالة او جميع ما وعد من مواعيده فذلك كله حق اى كاين لا محالة ووعدتكم يحتمل
ما ذكر حيث قال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وامثاله من عداته كانت كلها اماني وغرورا وكذبا وقوله
عز وجل وما كان لي عليكم من سلطان يحتمل السلطان وجهين احدهما اى ما كان لي عليكم من ملك وقهر وغلبة
اقهركم واغلب عليكم الا الدعاء فاستجبتم طوعا ويحتمل قوله من سلطان من حجة وبرهان اى لم يكن لي حجة
وبرهان على ما دعوتكم اليه انما كان لي دعاء ووساوس وكان الرسل حجج وبراهين فتركتكم اجابتهم فاستجبتم لي
بلا حجة وبرهان اى لم اقهركم ولم اغلب عليكم لكن هذا لا يصح لانه لو كان له عليهم سلطان القهر والغلبة لكانوا
معذورين غير معذبين لان المقهور والمغلوب مضطر فالمضطر معذور ولكن السلطان هو الحجة وقوله عز وجل
فلا تلوموني ولوموا انفسكم ليس مراده لعنه الله انه لا يلام ولكن مراده ارجعوا الى لايمة انفسكم واشتغلوا بها
فان ذلك كان منكم لم يكن مني الا الدعاء وقوله عز وجل ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي قيل ما انا بناصركم
وما انتم بناصري وقيل ما بمغيثكم وما انت بمغيثي وقيل ما انا بنافعكم وما انتم بنافعي ما نزل بي هذا كله
واحد وقوله وما انا بمصرخكم اى ما انا بمالك اغاثتكم وانقاذكم وما انتم بمالكي اغاثتي والا لو كان لهم
ملك ذلك لفعلوا وقوله عز وجل اني كفرت بما اشركتمون من قبل اى كفرت بما اشركتموني في عبادة الله
وطاعته اى كنت بذلك كافرا ويحتمل اني كفرت اى تبرات اليوم بما اشركتموني مع الله في الطاعة والعبادة
من قبل احد التاويلين ترجع الى انه يتبرا في ذلك اليوم وقت ما قام خطيبا والثاني اني كنت تبرات
من ذلك في الدنيا وقت ما اشركوه ان الظالمين لهم عذاب اليم وقوله عز وجل وادخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات اى اذن لهم بالدخول في الجنة قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار وقوله خالدين فيها باذن ربهم الاذن ههنا كانه الرحمة اى خالدين فيها برحمة ربهم
تحيتهم فيها سلام يحتمل السلام ويحتمل الثنا اى يثنون على ربهم كقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الاية وقوله عز وجل تحيتهم فيها سلام قال بعضهم يسلم بعضهم على بعض ويحيي بعضهم بعضا بالسلام
وقال بعضهم السلام هو اسم كل خير ويمن وبركة كما قال لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما والله اعلم وقوله
عز وجل الم تر قد ذكرنا ان كلمة الم تر حرف تنبيه عن عجيب كان بلغه فغفل عنه او تنبيه عن عجيب لم يبلغه
وقال ابو بكر الاصم هي كلمة تفتتح بها العرب عند الحاجة يقول الرجل لاخر الم تر الى ما فعل فلان ونحو هذا
يحتمل في غيره من المواضع واما في هذا فانه غير محتمل وقوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا قيل
بين الله مثلا واظهر كلمة طيبة كشجرة طيبة قال ابو بكر الكيساني كلمة طيبة هو هذا القران وكلمة خبيثة
هي الكتب التي احدثها الناس شبه القران بالشجرة الطيبة وهي النخلة على ما ذكر انه ثبت او كل شجرة مثمرة
وشبه الكتب التي احدثها الناس بالشجرة الخبيثة وهي التي لا تثمر وقال انما شبه القران بالشجرة الطيبة لان الشجرة
الطيبة هي باقية الى اخر الدهر ينتفع بها الناس بانواع بجميع انواع المنافع لا يقطعونها فهي تدوم وتثمر كذلك
فعلى ذلك القران ينتفع بها الناس وهو دايم ابدا وقوله عز وجل اصلها ثابت وفرعها في السماء اصلها ثابت لها
قرار فعلى ذلك القران هو ثابت بالحجج والبراهين والكتب التي احدثها اولئك هي باطلة فاسدة لا حجة معها
ولا برهان كالشجرة الخبيثة التي هي غير مثمرة لا بقاء لها ولا قرار ولا ثبات وقال بعضهم الكلمة الطيبة

هي الايمان

هي الايمان والتوحيد شبهها بالشجرة الطيبة وهي التي تثمر وتنمو وتركوا هي على وصفها عز وجل في قوله
تؤتي اكلها كل حين باذن ربها فعلى الايمان والتوحيد لا يزال يثمر لاهله الخيرات والاعمال الصالحة كالشجرة
التي وصفها انها تؤتي اكلها اجلها في كل حين وكل وقت اصلها ثابت بالحجج والبراهين وفرعها في السماء في كل وقت
يرتفع ويصعد به العمل الى السماء والكلمة الخبيثة هي الكفر لانها لا منفعة لاهلها فيها اذ لا عاقبة له ولا حجة معها
ولا برهان انما شيء اخذوه عن شهوة واماني فكان كالشجرة الخبيثة التي لا ثمرة لها ولا منفعة لاحد فيها فهي
لا تبقى ولا تدوم فذلك قوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ويشبه ان يكون ضرب المثل لغير هذا المعنى
وهو انه ذكر جواهر طيبة وجواهر خبيثة مما يقع عليها الحواس ويقع عليها البصر ليكون كل جوهر من هذه الجواهر
التي يقع عليها الحواس ويقع عليها البصر من خبيث او طيب دليلا وشاهدا على ما غاب عن الخلق ولا يقع عليها الحواس
وهكذا جعل الله تعالى هذه المحسوسات والاشياء الظاهرة دليلا وشاهدا لما غاب عنهم ولا يقع عليه
الحس تدرك العقول التي ركب فيهم ليرغب الطيب مما يقع عليه الحس والبصر على الموعود الغايب ويحذر الخبيث
المحسوس عما غاب واوعد وكذلك هذه الالام والامراض والشدايد التي جعل في هذه الدنيا لتزجرهم عن الافعال
التي بها يستوجبون مثلها في الاخرة كذلك النعم التي في الدنيا واللذات جعلها لتذلهم على النعم الدايمة على هذا
يجوز ان يخرج لانه اراد بالشجرة الطيبة الشجرة نفسها او بالشجرة نفسها ولكن ما وصفنا والله اعلم بذلك وقال
قايلون ضرب الله مثل الشجرة الطيبة مثلا للمؤمن هو في الارض وعمله يصعد في السما كل يوم كما تؤتي الشجرة
اكلها كل حين كذلك المؤمن يعمل الله في ساعات الليل والنهار وقوله عز وجل كل حين قال قايلون كل عام لانها
تثمر كل عام مرة وقال قايلون ستة اشهر من وقت طلوعها الى وقت ادراكها وقال قايلون كل عشية وغدوة
كقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال قايلون شهرين وامثاله ويشبه ان يكون ما ذكرنا انه ليس
في وقت دون وقت ولكن الاوقات كلها في كل وقت وكل ساعة فان قال لنا ملحد ان الكلمة التي ضرب الله مثلها
بالشجرة الطيبة كلمتنا ونحن المراد بذلك والكلمة الخبيثة التي ضرب الله مثلها بالشجرة الخبيثة هي كلمتكم وانتم المراد بها
لا يجئ قيل قد سبق هذا المثل امثال ودلايل على ان الكلمة الطيبة هي التي لها عاقبة واخره وكل امر له عاقبة والنظر
في اخره فهو الحق والذي انتم عليه لا عاقبة له ولا اخرة وفي الحكمة ان كل امر لا عاقبة له فهو باطل والكفر لا عاقبة له
والثاني ان الايمان والتوحيد له الحجج والدلايل والكفر مما لا حجة له ودلايل انما هو ماخوذ بالاماني والشهوة في صنعة
من تسويل الشيطان وتزيينه لذلك كان ما ذكرنا ويحتمل الكلمة الطيبة ايضا ان يكون الوحي الذي اوحى الله الى رسله
والكلمة الخبيثة ما اوحى الشيطان اليهم كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم الاية فوحي الله هو ثابت دايم
ينتفع بها اهلها في الدنيا والعاقبة ووحي الشيطان هو باطل مضمحل لا عاقبة له ولا ينتفع به اهله والله اعلم وقوله
عز وجل اجتثت من فوق الارض قال بعضهم استوصلت وقيل انتزعت وقال ابو عوسجة اقتلعت من اصلها
يقال جثثت الشجرة اجثها جثا اذا قلعتها من اصلها وقوله عز وجل ما لها من قرار هو ما ذكرنا وقال
بعض اهل التاويل شبه كلمة الشرك بحنظلة قطعت فلا اصل لها في الارض ولا فرع في السماء اى لا يصعد له
عمل ولا حمل وشبه كلمة الايمان في نفعها وفضلها وثباتها وقرارها في الارض بما ذكر من الشجرة والله اعلم
ثم من الناس من احتج بهذا المثل في خلق الايمان والكفر فقال لانه ضرب مثله بما هو مخلوق وهو الشجرة
فعلى ذلك الايمان ولكن عندنا لا بهذا يجب ان يستدل في خلقه ولكن لما ثبت ان مشيتهما واحد لانه لو كان
مشيتهما مختلفا لكان لا يضرب مثل هذا بهذا ولا هذا بهذا فاذا ضرب دل ان مشيهما واحد فاذا ثبت ذلك
دل على ما وصفنا ومن المتشابه الناس من استدل بهذا انه يزداد وينتقص حيث شبهه بالشجرة وهي تزداد
وتنقص ونحن نقول ليس فيه دلالة ما ذكروا لان الشجرة في نفسها ليست بذي حد والايمان ذو حد فما يزداد
انما هو في حق التزيين والتحسين واما الايمان نفسه فانه لا يزداد كالشجرة اذا تورقت وخرجت ثمارها

توصف بالزينة والحسن فاما نفس الشجرة فلا توصف بالزيادة فعلى ذلك الايمان وقوله عز وجل
ويضرب الله الامثال للناس يحتمل يبين الله الامثال التى يقع عليها الحس ويقع عليها البصر
والاشياء الظاهرة لتدلهم على ما استتر وغاب عنهم يدركون بالعقول ما استتر وخفى بالظاهر
والمحسوس لعلهم يتذكرون لعلهم يتعظون وقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة الكلمة الطيبة يحتمل
التوحيد وفروعها هى الخوف والخشوع والخضوع والرغبة والرهبة واكلها هو الاعمال الصالحة والخيرات
تكون منه والكلمة الخبيثة هى الشرك وفروعها ما يكون منه فى الشرك من القساوة والتمرد والعناد واكلها
هو الاعمال التى تكون منه فى الشرك وان تكون الكلمة الطيبة هى الايمان وفروعها هى الشرايع والاحكام التى
تعمل واكلها هو ما يثاب عليه فى الدنيا والاخرة ابدا والله اعلم وقوله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ذكر مرة بالتثبت ومرة بذكر الزيادة وقوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
ومرة بذكر الابتداء والتجديد بقوله يا ايها الذين آمنوا بالله وقوله اهدنا الصراط المستقيم فالتجديد
والابتداء فى حادث الوقت لان تلك الاعمال تنقضى وتذهب ولا تبقى واما الزيادة على ما كان وكله
واحد فى الحقيقة وقوله عز وجل ويضل الله الظالمين اضاف الاضلال مرة الى نفسه ومرة الى الشيطان
ولا شك ان ما اضيف الى الشيطان انما اضيف على الذم فاذا كان ما ذكر فيكون للجهة التى اضيف الى الله غير الجهة
التى اضيف الى الشيطان لجهة التى اضيف الى الله هو ان خلق فعل الضلال من الكافر وما اضيف الى الشيطان
هو على التزيين والتسويل لقبح الاضافتان ولو كان على التسمية على ما يقوله المعتزلة ان سماه ضالا لكان
كل من سمى آخر ضالا كافرا جاز ان يسمى مضلا فاذا لم يسم بتسمية ضالا او كافرا مضلا دل انه انما سمى الله نفسه مضلا
لتحقيق الفعل له فيه وهو ما ذكرنا ان خلق فعل الضلال منه والمعتزلة يقولون ان الله هدى الخلق جميعا
لكنهم لم يهتدوا وضلوا من غير ان يكون الله اضلهم فهذا صرف ظاهر الآية الى غيره بلا دليل وقوله
عز وجل ويفعل الله ما يشاء وعلى قول المعتزلة لا يقدر ان يفعل ما يشاء لانهم يقولون انه شاء ايمان
جميع البشر لكنهم لم يؤمنوا وكذلك قال فعال لما يريد وهم يقولون اراد ايمانهم لكنه لم يفعل ما اراد ولا يملك
وقد اخبر انه اراد فعال لما يريد ولما يشاء وهم يقولون لم يملك ان يفعل ما شاء واراد بل العباد يفعلون
ما شاؤا وغيرها شاء هو فتأويلهم خلاف الظاهر القرآن والله اعلم وقوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة يشبه ان يكون هذا صلة قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة على تأويل من يقول
ان الكلمة الطيبة هى القرآن يكون القول الثابت هو القرآن يقول والله اعلم يثبت الله الذين آمنوا فى الحيوة الدنيا
حيث تلقوه بالاجابة والقبول والعمل به وفى الآخرة اى بالآخرة والبعث يقرون به ويضل الله الظالمين
حيث تركوا الاجابة وتلقوه بالرد والمكابرة والعناد ومن يقول الكلمة الطيبة فى التوحيد والايمان يكون القول
الثابت هو الايمان يثبتهم فى الحيوة الدنيا باختيارهم وفى الاخرة قيل فى قبورهم يثبتهم لاجابة منكر ونكير
ويمكن لهم ذلك ويضل الله الظالمين الذين تركوا الاجابة فى الحيوة الدنيا وفى القبور حيث تركوا الاجابة
فى الدنيا ويحتمل ان يكون قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا هو ما ذكر والله
يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم ثبت من اجاب الله الى ما دعا فى الدنيا وفى الاخرة
يهديه الطريق الذى به يوصل الى دار السلام والكافر حيث ترك اجابته الى ما دعاه ويضله فى الآخرة
طريق دار السلام بتركه اجابته فى الدنيا والله اعلم بذلك وقوله ويفعل الله ما يشاء فى هداية من اختار
الاجابة والاهتداء واضلال من اختار ترك الاجابة والغواية وقوله عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفرا اختلف فى نزوله قال بعضهم هذه السورة كلها نزلت بمكة الا هذه الآية فانها نزلت بالمدينة
وقال بعضهم نزلت بمكة كلها فمن يقول نزلت بالمدينة يقول قوله واحلوا قومهم دار البوار جهنم هو بدر

اى حملوهم الى بدر حتى قتلوا لانه لم يكن بمكة بدر انما كان بالمدينة ومن يقول نزلت بمكة يقول دار
البوار هى جهنم على تفسيره ظاهر الكتاب وهو الاشبه بظاهر الآية لانه بين تلك الدار فقال جهنم
وفى الآية دلالة ان الآية كانت فى عظمائهم وكبرائهم حيث قال واحلوا قومهم الآية ثم اختلف فى النعمة التى
ذكر انهم بدلوها كفرا فهو يحتمل وجوها احدها ان الله عز وجل قد انعم عليهم فى هذه الدنيا ووسعها
عليهم فحرموا تلك النعم على انفسهم فجعلوها للاصنام التى عبدوها وسيبوها ولم ينتفعوا بها من نحو البحيرة
التى ذكر والسايبة والوصيلة والحامى وما جعلوا للاصنام هو ما ذكر هذا الشركاينا فذلك تبديل النعمة
كفرا حيث حرموا ما انعم الله عليهم كفرا واحل لهم والثانى تلك النعمة محمد والقرآن والاسلام وهو نعمة
كذبوهم اوان يكونوا بدلوا الشكر الذى عليهم بما انعم عليهم كفرا جعلوها سببا للكفر فلم يشكرون بما انعم
عليهم وقوله عز وجل بدلوا نعمة الله كفرا حقيقته يخرج على وجهين احدهما بدلوا وصرفوا ما انعم الله
عليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم عن انفسهم حتى اخذ منهم بدلوا به كفرا والثانى بدلوا به كفرا بعد
ما سالوا ربهم واقسموا بالله الآية فلم يشكروا ما انعم عليه وبدلوا الشكر كفرا وقوله عز وجل واحلوا قومهم
دار البوار اى انزلوا دل هذا ان الآية نزلت فى الرؤساء الكفرة والايمة منهم حيث اخبر انهم احلوا قومهم
دار البوار ذكر احلوا قومهم على الماضى لانه قد وجد منهم الجناية بالاحلال فى دار البوار وذكر فى دخولهم جهنم
على الاستئناف بقوله جهنم يصلونها وبئس القرار لما لم يوجد بعد سيوجد ويجوز ان يستدل بهذا لاصحابنا
لمسيلة وهو ان العبد اذا حفر بئرا ثم اعتق فوقع فى البئر انسان ينظر الى قيمة العبد يوم حفر لان الحفر
منه جناية والى الواقع فيه يوم الوقوع لا يوم الحفر لانه لم يوجد بعد يوم الحفر جناية اوان لما قال احلوا
ارواحهم دار البوار فتدخل اجسادهم يومئذ لم تدخل بعد وقوله عز وجل وجعلوا لله اندادا ثم فسر
انهم لم احلوا قومهم دار البوار فقال وجعلوا لله اندادا اعدالا وامثالا ليضلوا عن سبيله يحتمل قوله جعلوا
لله اندادا فى العبادة يعبدون كما يعبد الله اوفى التسمية يسمونها آلهة كما يسمى الله جعلوه اندادا فى هذين الوجهين
يذكر سفههم حيث جعلوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يدفع ولا يضر امثالا واعدالا على علم منهم ان الله هو
الذى خلقهم ورزقهم وينعم عليهم وهو الذى يدفع عنهم كل بلاء وشدة وجايز ان يكون قوله وجعلوا لله
اندادا ليضلوا عن سبيله هو تفسير ما ذكر من تبديل النعمة كفرا وقوله عز وجل تمتعوا بهذه النعم التى ذكر انهم
بدلوها كفرا فان مصيركم الى النار وهذا فى قوم ماتوا على الكفر او يقول قل تمتعوا فى الدنيا او تمتعوا بالكفر فان مصيركم
الى النار وهذا فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وفيه دلالة اثبات الرسالة وقال ابو عوسجة البوار الهلاك والفناء
يقال بار الرجل يبور بورا فهو باير وقوم بور اى هالكون ويقال بارت السوق وبارت السلعة اذا كسدت ويقال
بارت المرأة تبور بورا فهى بايرة اذا كبرت وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من بوار الايم قيل
يعنى من كسادها والله اعلم وقوله عز وجل قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة يحتمل اقامة الايمان قيل
فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو اقامة الايمان به اذ لا يحتمل الحبس الى ان يقيموا اقامة
الفعل والوفاء اذ فى ذلك حبسهم ابدا ويحتمل اقامة الوفاء بها والفعل لانه انما خاطب المؤمنين على اقامتها
وقد سبق منهم ما ذكرنا من الايمان بها قيل هذا جايز يامرهم باقامة الايمان بها فى حادث الوقت اذ للايمان حكم
التجدد فى كل وقت وهو كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله اى آمنوا فى حادث الوقت فعلى ذلك هذا محتمل
الامر باقامتها اقامة الايمان بها ويحتمل ما ذكر من اقامة الصلوة فى الآية والانفاق هى الصلوة المعروفة المعهودة
المفروضة والادامة لهما واللزوم بهما ويحتمل القبول والوفاء بهما وقوله عز وجل وينفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية قال الحسن الانفاق مما رزقناهم الزكوات المفروضات الا ترى انه ذكر الوعيد فى آخره
وقال من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلال ولا يحتمل الوعيد فى صدقات التطوع وهو ما ذكر ايضا فى آية اخرى

وانفقوا مما رزقناكم ان يأتى احدكم الموت ولا يحتمل طلب الرجوع والتاخير الى اجل فى النوافل دل انه اراد به الزكوات
المفروضات وقال بعضهم وينفقوا مما رزقناهم سرا هى التطوع والعلانية الفريضة لان الفريضة لا بد من ان تظهر
وتعلن وليس فى ادائها رياء والله اعلم وقوله عز وجل من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال يوم لا بيع فيه اى يوم
لا يقدر احد ان يبيع نفسه من ربه وفى الدنيا يقدر ان يبيع نفسه من ربه كقوله ومن الناس من يشرى نفسه
ابتغاء مرضات الله وقوله ان الله اشترى وقوله من قبل ان يأتى يوم لا يقدر احد بيع نفسه من ربه ويحتمل
نفسه يوم لا بيع فيه اى لا ينفعه بيع نفسه منه فى ذلك اليوم وان باع كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت
من قبل وقوله فلما رأوا بأسنا الآية فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل ولا خلال هو مصدر خاللت وهو من الخلة
والصداقة ثم هو يحتمل وجهين احدهما ان لا تنفعهم الخلة التى كانت بينهم فى الدنيا لان كل خلة كانت
فى الدنيا مما ليست لله فهى تصير عداوة فى الآخرة كقوله الاخلاء يومئذ الآية اخبر ان الاخلاء الذين كانوا يخالون
فى الدنيا للدنيا فهم الاعداء الا الخلة التى كانت لله فهى تنفع اهلها وهو ما ذكر عز وجل ويوم القيامة يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وامثاله يخبر ان الخلة كانت بينهم فى الدنيا لا لله فهى تصير عداوة فى الآخرة
حتى يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم من بعض والثانى ان يكون لهم شفعاء واخلاء ولكن لا يشفعون كقوله
لا يشفعون الا لمن ارتضى او يشفع لهم لكن لا يقبل كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله عز وجل الله الذى
خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم الى آخر ما ذكر فيه دلالة ان تدبير
الله محيط متسق بجميع ما فى السموات والارض وعلمه محيط بجميع الخلائق حيث ذكر انزل من السماء ماء فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم يعنى البشر جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل انه عن تدبير
فعل هذا وعلم وانه تدبير واحد عليم قدير ثم ما ذكر من تسخير السموات والارض مع شدة السماء وصلابتها
وغلظ الارض وكثافتها وتسخير البحر مع اهواله وامواجه وتسخير الانهار الجارية وتسخير الشمس والقمر والليل
والنهار لهذا البشر فى ذلك كله وجهان احدهما يذكرهم نعمه التى انعمها عليهم من المنافع التى جعل لهم فى تسخير
هذه الاشياء التى ذكرهم على جهل هذه الاشياء انهن مسخرات لغيرهم يستأدى بذلك شكرها والثانى يذكر
سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الاشياء مع شدتها وصلابتها وغلظها واهوالها ومن قدر على تسخير ما ذكر قادر
على البعث والاحياء بعد الموت ويحتمل ما ذكر من تسخير الاشياء التى ذكر انه انشأ هذه الاشياء مسخرة مذللة لنا وانه
سخرها لنا اى علمنا من الاسباب والحيل التى بها يتهيأ لنا الانتفاع بها والتسخير وقوله عز وجل وآتاكم من كل ما سألتموه
فيه لغتان وتأويلان قال بعضهم وآتاكم من كل على التنوين ما سألتموه على الجحد اى آتاكم من غير ان سألتم الاشياء
التى ذكر انه سخرها لنا اى آتاكم من غير سؤال ولا طلبة والثانى وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه لانه اعطانا
اشياء قبل ان نعلم انه يجب ان نسأل خلق هذه الاشياء التى ذكر من قبل ان يخلقنا وقال الحسن من كل ما سألتموه
قال ما لم تسألوه وهو ما ذكرنا فان قيل انا نسأل اشياء لم نعطها فما معنى الآية قيل بوجوه احدها ذكر حرف التبعيض وهو ما قال
من كل ما سألتموه والثانى وآتاكم علم منافع ما سألتموه قبل ان تسألوا وجهة علم الانتفاع به والثالث وآتاكم من كل ما يحق
السؤال ويليق على هذه الوجوه يخرج الآية والله اعلم وقوله عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال بعضهم لا تحصوها
اى لا تشكروها اى لا تقدروا شكرها وقال بعضهم اى لا تقدروا احصاها وعدها وهكذا انا قال لنا من نعمة لو تكلف
احصاء ما اعطاه ما قدر عليه من حسن الجوهر والصورة واستقامة التركيب والبنية وسلامة الجوارح وغير ذلك
مما لا سبيل له الى ذكرها واحصائها الا بعد طول التفكر والنظر وقال بعضهم وان تعدوا نعمة الله لا تحيطوا بكنهها
ونهايتها وقوله عز وجل ان الانسان لظلوم كفار لظلوم اى ظلم نفسه حيث صرفها الى غير الجهة التى جعلت
وامروا دخلها فى المهالك والقاها فى التهلكة كفار لنعمه حيث صرف شكرها الى غير الذى جعلها له والله اعلم واستدل
بعض المعتزلة بقوله قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتى يوم

لابيع فيه

لا بيع فيه ولا خلال ان صاحب الكبيرة يخلد فى النار لانه اوعد بترك الصلوة والزكوة التخليد ابدا وترك
الصلوة والزكوة من غير عذر من الكباير ذلك انه ما ذكرنا فنقول بعون الله وبالله التوفيق ان الآية يحتمل الامر باقامة
الصلوة وما ذكر من الزكوة والصدقة اقامة الايمان بها على ما ذكرنا من تأويل بعض المتأولين فان كان على هذا
على اقامة الايمان بها فمن ترك ذلك فهو يخلد ابدا لا شك فيه او يكون من استحل تركها فهو بالاستحلال يكفر فهو
يخلد او يترك لعذر فهو لا يخلد على اتفاق القول فاذا كان ما ذكرنا محتملا دل ان الآية مخصوصة ثم معرفة
تخليد صاحب الكبيرة انما هى بالدلايل سوى هذا اذ ليس فى ظاهر الآية دلالة التخليد لما ذكرنا من احتمال الخصوص
دل انه انما يطلب الدليل من وجه آخر قال القتبى لا خلال مصدر خاللت فلانا خلالا ومخالة فالاسم الخلة والخلة
وهى الصداقة وقال ابو عوسجة ولا خلال قال من المخالة يعنى المودة دائبين قال يجريان ابدا وهو من الدؤب
اى من التعب وقوله عز وجل واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا اى مأمنا سمى آمنا لما يأمن الخلق فيه كما سمى
النهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن يبصر فيه ومثله كثير ثم يحتمل قوله اجعل هذا البلد آمنا قال بعض اهل
التأويل انما طلب ابراهيم ان يجعله آمنا على اهله وولده خاصة لا على الناس كافة اذ قد سفك فيه الدماء وهتك
فيه الحرم دل انه جعله آمنا على اهله وولده خاصة ولكن لو كان ما ذكروا محتملا ما يصنع بقوله ألم يروا انا جعلنا
حرما آمنا الآية وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وغيره من الآيات اخبر انه جعل تلك البقعة مأمنا
للخلائق يأمنون فيها ثم يحتمل وجهين احدهما جعله آمنا بحق الابتلاء والامتحان الزم الخلق حفظ تلك البقعة
عن سفك الدماء فيها وهتك الحرم وغير ذلك من المعاصى وان كانوا ضيعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يصلح كالمساجد التى
بنيت للعبادة واقامة الخيرات الزم اهلها وعلى جميع الخلائق حفظها عن ادخال ما لا يصلح ولا يحل ثم ان الناس قد ضيعوا
ذلك وعملوا فيها ما لا يليق بها ولا يصلح فعلى ذلك الحرم الذى اخبر انه جعله مأمنا والثانى جعله مأمنا بالخلقة
من ذا الوجه يجوز ان يقال كيف سفك فيه الدماء وهتك فيه الحرم وهو بالخلقة جعله مأمنا قيل يجوز هذا
بحق العقوبة وان كان آمنا الا ترى انه قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية الطيبات
بالخلقة حلال لكنه حرم عليهم ذلك بالظلم الذى كان منهم بحق العقوبة والانتقام فعلى ذلك الحرم جعله مأمنا بالخلقة
ثم قتل فيه عقوبة لما كان منهم من المعاصى والله اعلم وقوله عز وجل واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام الآية
فان قيل كيف دعا وطلب منه العصمة وقد عصمه بالنبوة والرسالة واختاره له عن ذلك كله قال بعض اهل التأويل
انما سأل عصمة ولده وذريته لما علم ان ذريته قد يختلفون فى دين الله وتوحيده وما ذكر نفسه لما المعروف
ان من دعا الآخر بدأ بنفسه قالت المعتزلة دعا ابراهيم وطلبه العصمة مما ذكر يدل انه قد يجوز ان يدعى بدعوات
عبادة وان كان قد اعطاه ذلك ويعلم انه مفعول به قيل دعى ابراهيم وغيره من الانبياء عليهم السلام يجوز
ان يكون عصمتهم كانت مقرونة بما طلبوا منه وسألوه وتضرعوا اليه اذ معلوم انهم لم يستفيدوا تلك العصمة باعمالهم
انفسهم وتركهم اياها سدى بل بما اوجبهم ذلك بما اجهدوا انفسهم فى طاعة الله ثم الآية على المعتزلة
من وجهين احدهما ان ابراهيم طلب منه العصمة عن عبادة الاصنام وهو علم انه يعتصم اذا عصم عن ذلك واهتدى
اذا هداه وهم يقولون الله يعصم ولا يعتصم العبد ويهدى ولا يهتدى العبد ويقولون اذا اعطى احدا ذلك
خرج ذلك من يده ولا يملك اعطاء ذلك فعلى قولهم يخرج دعوات الرسل على الهزء او على الكتمان لان من سأل
من آخر شيئا يعلم انه ليس ذلك عنده فهو هزء او سأل وهو يعلم انه قد اعطاه ذلك فهو كتمان وكان خوف
الانبياء والرسل والكبراء من الخلق اشد واكثر على دينهم والزيغ عما هم عليه لما خافوا ان يكونوا عند الله
على غير ما هو عند انفسهم كانوا ابدا وجلين خائفين على سلب ما هم عليه وهكذا الواجب ان يكون الخوف على نعمه
عليه اكثر وخوفه اشد فقال ابو عوسجة اجنبنى اى باعدنى وجنبنى ايضا وقال القتبى اى جنبنى واياهم وقوله
عز وجل رب انهن اضللن كثيرا من الناس نسب الاضلال الى الاصنام وان لم يكن لها صنع فى الاضلال لانهم بها

بها ضلوا وكانت الاصنام سببا ضلالهم وقد ينسب الاشياء الى الاسباب وان لم يكن للاسباب صنع فيها نحوه
ما ذكرنا من قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والسورة لا تزيدهم رجسا لكن نسب الرجس اليها
لما كانت هي سبب زيادة رجسهم وهوانها لما نزلت يزدادهم بها تكذيبا وكفرا بها فنسب ذلك اليها فعلى ذلك
الاول والثاني ينسب الى الاحوال التي كانت بها ما لو كانت تلك بذوات الارواح لكانت تضل وتغوي ممن يكون
منه الاضلال لانها تزين وتحلى بالاشياء نحو ما نسب الغرور الى الدنيا وان كانت الدنيا لا تغر لانها تكون بحال
لو كانت تلك الاحوال من ذي الروح لكان ذلك تغريرا فعلى ذلك نسبة الاضلال الى الاصنام والله اعلم وقوله
عز وجل فمن تبعني فانه مني يشبه ان يكون مني اي موافق في الدين او في الولاية وحاصله والله اعلم معي في الدين
وفي امر الدين وكذلك من غش فليس منا اي ليس بموافق لنا او ليس معنا او ليس من ملتنا وكذلك قوله فانه مني
اي من ملتي وحاصله فمن تبعني واجابني فيما دعوته اليه وامرته به فانه مني اي مما انا عليه وكذلك قوله
من غش فليس منا اي ليس مما نحن عليه وقوله عز وجل ومن عصاني فانك غفور رحيم يشبه قوله ومن عصاني
ليس عصيانه شركا ولكن عصيانا ما دون الشرك فانه غفور رحيم او من عصاني فانك غفور اي ساتر
عليه الكفر الى وقت معلوم اذ الغفران هو الستر فستر عليه الى اجل كقوله انما يؤخرهم ليوم او يقول ومن عصاني
فانك غفور رحيم اي تمكن له من التوبة والاسلام فيسلم ويتوب فتغفر له ما كان منه من العصيان وترحم عليه
وقوله ومن عصاني فيما دعوته اليه وامرت به فانك غفور رحيم تمكن له من التوبة والرجوع عما كان منه فيغفر له
ويرحمه وقوله عز وجل ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع لا يحتمل ان يكون قال هذا اول ما قدم تلك
البقعة لانه قال عند بيتك المحرم ولا بيت هنالك دل انه انما دعا بهذه الدعوات ربنا اني اسكنت من ذريتي
وما ذكر ربنا واجعلنا مسلمين لك الى آخر ما ذكر بعد ما رفع البيت وقوله عز وجل اسكنت من ذريتي دل انه انما اسكن
بعض ذريته لم يسكن ذريته كلها حيث قال من ذريتي قد امتحنه الله بمحن ثلاثة لم يمتحن بمثلها احدا من الانبياء
احدها امتحنه باسكان ولده بواد غير ذي زرع وغير ذي ماء مما لا يحتمل قلب بشر تركه في مثل ذلك المكان
مثله دل انه انما فعل بامر الله تعالى والثاني امتحنه بذبح ولده حتى اذا اشرف على الهلاك فداه الله بكبش وامتحنه
بالقائه في النار فالقي حتى اذا اشرف على الهلاك جعلها الله تعالى عليه بردا وسلاما ففي ذلك كله دلالة
رسالته وكان له هجرتان احديهما الى مكة حيث اسكن فيها ولده والهجرة الثانية الى بيت المقدس
وهو ما ذكر ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها الآية ثم قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير
ذي زرع هو دعاء بتعريض لا بتصريح والدعاء بالتعريض والسؤال بالكناية ابلغ واكثر من السؤال بالتصريح
وهو كدعاء آدم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا الآية فهذا ابلغ في السؤال من قوله اغفر لنا وارحمنا لان مثل هذا
قد يشغل من دونه ولا يكون فيه ما ذكر فيه من الخسران وقوله من ذريتي يحتمل ان يكون كلمة من صلة اي اسكنت
ذريتي ويحتمل على التبعيض اي اسكنت بعض ذريتي على ما ذكر في بعض التاويلات اسمعيل واسحق وقوله عز وجل
عند بيتك المحرم يحتمل قوله المحرم وجهين احدهما حرم ان يستحل فيه ما لا يحل ولا يصلح لكنه خص تلك
البقعة بالذكر وان كان ذلك لا يحل في غيرها من البقاع لفضل الحرمة التي جعلها الله تعالى لها كما خص المساجد
باشياء لفضلها على غيرها من الامكنة والبقاع والثاني قوله عند بيتك المحرم اي الممنوع يقال حرم اي منع كقوله
وحرمنا عليه المراضع ليس ذلك على التحريم ان لا يحل له المراضع ولكن على المنع اي منعناه عنه لنرده الى امه
فعلى ذلك قوله عند بيتك المحرم اي الممنوع عن الخلق لله حتى لم يقدر احد من الفراعنة والملوك الغلبة عليها
وادخالها في منافع انفسهم بل هي ممنوعة عنهم على ما كان وفيه آية الوحدانية له والالوهية والله اعلم وقوله
عز وجل ربنا ليقيموا الصلوة قال بعض اهل التاويل فيه تقديم يقول اجنبني وبني ان نعبد الاصنام ليقيموا الصلوة
لك عند بيتك ويحتمل ايضا غير هذا وهو ان يقال اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع اي ليس فيه ما يشغلهم

عن الصلوة لان الزرع وغيره من النعيم يمنع الناس عن اقامة الصلوة ثم يحتمل الصلوة الصلوة المعروفة
ويحتمل الصلوة الدعاء والاذكار وغيرها من الدعوات ويحتمل قوله ربنا ليقيموا الصلوة الصلوة نفسها
وغيرها من الطاعات وكذلك قوله رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وقوله عز وجل فاجعل افئدة
من الناس يحتمل سؤاله ربه ان يجعل افئدة الناس تهوي اليهم وجهين احدهما لما اسكن ذريته في مكان
لا انيس فيه ولا نبات ولا زرع ففي مثل هذا المكان يستوحش المقام فيه فسال ربه ان يجعل افئدة الناس
تهوي اليهم ليأتوا ذلك المكان فيذهب عنهم تلك الوحشة فيستأنس بهم او ساله ان يجعل افئدة الناس تهوي
اليهم ليتعيشوا بما ينقل اليهم من الزاد والاطعمة اذ اسكنهم في مكان لا زرع فيه ولا ما يتعيشون فيه به وقد جعل
الله بنية هذا البشر ان لا قوام لهم الا بالاغذية والاطعمة فسال ربه ليتعيشوا بما يحمل اليهم وقال اهل التاويل
فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم للحج وقالوا لو قال فاجعل افئدة الناس تهوي اليهم ولم يقل من لحجة الخلق
جميعا الكافر والمومن لكن لا يحتمل عندنا ان يكون سؤال الله للخلق جميعا او يكون قوله واذن في الناس بالحج للخلائق
جميعا الكافر والمومن بل يرجع ذلك الى الخصوص والله اعلم وقوله عز وجل وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون
يحتمل وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون تلك الثمرات ويحتمل لعلهم يشكرون بما جعل لهم من التعيش
بما يحمل اليهم من الاغذية والاطعمة وقوله وارزقهم من الثمرات ليس على تخصيص الثمرات ولكن سال الثمرات وما به
غذاؤهم وقوامهم وقوله عز وجل ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن لا يحتمل ان يكون مثل هذا الدعاء منه
مبتدأ بل كانه والله اعلم عن نازلة دعاء ان يعلم صلوات الله عليه انه كان يعلم ما يخفون وما يعلنون لكن
لم يبين ما تلك النازلة واهل التاويل يقولون قال هذا اي تعلم ما نخفي من الحزن والوجد على اسمعيل
وامه حين تركهما بواد لا ماء فيه ولا زرع ويقولون وما نعلن وهو قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي لكن
لا نعلم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء كان هذا جوابا
عن الله واخبارا منه اياه انه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي لا يخفى عليه ما لا امر فيه ولا نهي ولا جزاء
فكيف يخفى عليه الاعمال التي عليها الجزاء والامر وقوله عز وجل الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحق قال اهل التاويل انه وهب له الولد وهو ابن كذا وامراته ابنة كذا لكن لا نعلم ذلك سوى ما ذكر انه
وهب له الولد على الكبر في وقت الاياس عن الولد حيث بشر بالولد فقال ابشرتموني على ان مسني الكبر
وحيث قالت امراته لما بشرت بالولد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا يعلم انه وهب له الولد وهما كانا كبيرين
في وقت الاياس عن الولد وقوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق يكون حمد على الامرين
جميعا على الهبة وعلى الولادة في حال الكبر وهو حال الاياس اذ كل واحد مما يوجب الحمد عليه والثناء وقوله
عز وجل ان ربي لسميع الدعاء قيل لمجيب الدعاء وقوله عز وجل رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي قد سبق
من الله الامر باقامة الصلوة وهو المقيم لها فدل الدعاء منه والسؤال على ان يجعله مقيم الصلوة ان عند الله
لطف سوى الامر لم يعطه فسأله ذلك وهو التوفيق وعلى قول المعتزلة لقولهم انه قد اعطى كل شيء حتى
لم يبق عنده ما يعطيه وقوله عز وجل ربنا وتقبل دعاء قال بعضهم تقبل دعائي في اقامة الصلوة لنفسي
وذريته لكن لا يجب ان يخص دعاء من الدعوات التي سال ربه وقد دعا ربه بدعوات كثيرة نحو ما قال اجنبني
وبني ان نعبد الاصنام وقوله ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وقال ربنا واجعلنا
مسلمين لك وغير ذلك من الدعوات وقوله عز وجل ربنا اغفر لي ولوالدي طلب منه ربه المغفرة
لوالديه قال الحسن ان امه كانت مسلمة واما ابوه فكان كافرا لانه قال اغفر لابي انه كان
من الضالين خص والده بالضلال دل ان امه كانت مسلمة لكنا لا نعلم ما حال الام امه كانت مسلمة او كافرة
واما ابوه فهو لا شك انه كان كافرا ثم يحتمل دعاؤه لوالديه وهما كافران ان كانت امه كافرة الا على اضمار

الاسلام اى اغفر لهما ان اسلما او ان يكون سؤال المغفرة لهما سؤال الاسلام نفسه او ان يكون طلب منه الستر عليهما فى الدنيا وان لا يفضحهما ولا يخزيهما لكنه سال المغفرة يوم يقوم الحساب ولا يحتمل طلب الستر الا ان يفصل بين قوله ربنا اغفر لى ولوالدى وبين قوله وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وقد ذكرنا هذا فيما تقدم و دعا ابراهيم وسؤاله المغفرة لوالديه يكون سؤال السبب الذى يستحقان به المغفرة من ربهما ويكونا اهلا لها وهو التوحيد ومعرفة المولى وهو ما ذكرنا فى امر نوح قومه الاستغفار وكذلك قول هود حيث قال ويا قوم استغفروا ربكم الاية **وقوله** عز وجل يوم يقوم الحساب يحتمل قوله يوم يقوم الحساب بالعدل هو يقول الرجل لاخر اقم حسابى اى اعدل فيه واقامة الحساب العدل فيه على ما يوجبه الحكمة لا يزاد ولا ينقص كقوله ونضع الموازين القسط وقال بعضهم يوم يقوم الحساب يوم يحاسبون قيام الحساب هو المحاسبة نفسه والله اعلم ويحتمل قوله انك تعلم ما نخفى وما نعلن كانت حاجات اخفاها طلب قضاها فقال تعلم حاجاتى اخفيتها او ان اعلنتها قال ذلك او ان يكون قومه طعنوا فى شئ فقال ذلك على التبرى من ذلك انه يعلم ما نخفى وما نعلن ولم يعلم ذلك الذين يطعنون فى منى والله اعلم كقول عيسى تعلم ما فى نفسى او ان يكون قال ذلك لان اهل الاديان جميعا كانوا يتولون ابراهيم ويدعون انه على دينهم وكذلك قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية برأه الله مما ادعى كل فريق منهم من كان من هذه الفرق يدعون الامر اعز الله ولا اخفاه عنه فقال هذا ليعلم الناس توحيده انه لا يخفى عليه شئ اخفى او اعلن ليعرفوا توحيده انه ليس بشئ يخفى عليه والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال بعضهم المخاطبة بهذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة على علم منه ان رسول الله كان لا يظن ان الله يغفل عما يعمل الظالمون لكنه خاطب به كما خاطب به فى قوله ولا تدع مع الله الها اخر وقوله ولا تكونن من المشركين وامثاله نهاه مع العلم انه لا يفعل ذلك واصله فى هذا ان العصمة لا ترفع المحنة الا الامر والنهى اذ لو رفعت العصمة المحنة والامر والنهى لذهبت فائدة العصمة ولا حاجة تقع اليها فدل ان العصمة تزيد فى المحنة ومع المحنة يحتاج اليها وينتفع بها ويحتمل ان يكون الخطاب بالاية غيره كل ظان يظن بالله الغفلة عن ظلم الظالم وهو كما خاطب بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم انما خاطب به كل غار به الكريم لا كل انسان فعلى ذلك خاطب بقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون كل ظان بالله الغفلة عن ظلم الظالم ثم ان الذى حملهم على الظن بالله الغفلة عن ظلم الظالم حلمه وتاخيره العذاب عنهم عن وقت ظلمهم وترك اخذه هم بذلك فمنهم من ادعى الغفلة عن ذلك لما راوا ان عادة ملوك الارض ان من ظلم احدا منهم انتقم منه فى العاجل وقت يقدر على الانتقام منه فحمل تاخير الله العذاب عنهم والانتقام منهم على القول بالغفلة ومنهم من ادعى الرضا بما اختار واهم من الشرك والكفر بالله وادعوا الامر بذلك الظالم يا حذم ولم يستاصلهم بصنيعهم فاستدلوا بذلك رضاه بفعله وامره اياهم بذلك فاخبر رسوله ان تاخير العذاب عنهم وامهاله اياهم ليس عن غفلة منه ولا عن سهو ولا لرضاه وامره ولكن انما يؤخره ليوم ثم وصف ذلك اليوم لشدة هوله وفزعه فقال ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم قال بعضهم هذا كله يرجع الى الطرف والبصر يقولون شاخصة ابصارهم مهطعين ناظرين اليه اى الى الداعى مقنعى رؤسهم رافعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم لهول ذلك اليوم هذا كله يصرفون الى الابصار دون النفس لان الاهطاع والاقناع هو النظر والشخوص الابصار ومنهم من صرف قوله تشخص فيه الابصار ولا يرتد اليهم طرفهم الى البصر وصرف قوله مهطعين مقنعى رؤسهم الى النفس وهو ما ذكر فى موضع اخر مهطعين الى الداعى اى مسرعين اليه لاجابة رجاء التخلص والنجاة عما حل بهم بترك الاجابة والاهطاع قيل هو النظر الدائم والاقناع هو الرفع رفع الرؤس مهطعين اى مديمى النظر مقنعى رؤسهم رافعيها وعلى تاويل بعضهم مسرعين على ما ذكرنا وقال بعضهم مقنعى رؤسهم اى رافعيها ملتزقة الى اعناقهم **وقوله** ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون يخرج على وجهين احدهما يقول لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقت خلقه الخلق وانشاهم عما يكون منهم من الظلم اى لا عن غفلة وسهو عن ظلم الظالمين انشاهم وخلقهم ولكن

على علم بما يكون منهم انشاهم وخلقهم لكن انشاهم على علم منه بذلك لان منافع ما يكون منهم وضرره يرجع اليهم فلم يخرج انشاؤه اياهم على علم منه ذلك عن الحكمة والثانى ما ذكرنا ان تاخيره العذاب عنهم ليس لغفلة منه بذلك ولكن فى اخذهم بالعذاب وقت صنيعهم زوال المحنة لانه يصير العذاب والثواب مشاهدا **وقوله** عز وجل وافئدتهم هواء خالية لهول ذلك اليوم اى خالية عن التدبير لان فى الشاهد ان من بلا ببلايا وشدايد يتدبر ويتفكر فى دفع ذلك فيتحير افئدتهم هواء يومئذ اى خالية عن التدبير اذ افئدتهم لا يكون معهم لشدة اهواله وقال بعضهم وافئدتهم هواء اى لا شئ فيها ما ينتفعون بها وهكذا الهواء هو كل شئ يوصف بالخلاص عن كل شئ والله اعلم **وقوله** عز وجل وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب يحتمل قوله وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب قولهم الذى يقولون يومئذ ربنا اخرنا الى اجل قريب ويحتمل وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب الذى يحل بهم ثم اخبر عما يقولون اذا حل بهم العذاب ربنا اخرنا الى اجل قريب قال بعضهم الى الدنيا والدنيا اجلها قريب لكن هذا لا يحتمل لان الدنيا اولى والاخرة اخرة فلو جاز هذا لكونا الاخرة اولى فذلك بعيد لكن طلبوا والله اعلم الرد الى حال الامن ليجيبوا داعيه اذ لم ينفعهم اجابتهم فى حال الخوف والهول وما حل بهم انما حل بتركهم فى حال الامن فطلبوا الرد الى الامن ليجيبوا داعيه لينفعهم اجابتهم حيث قالوا نجب دعوتك ونتبع الرسل **وقوله** عز وجل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال لم يبين بما اقسموا فى هذه الاية وهو ما بين فى اية اخرى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم قوله ما لكم من زوال قال قائلون ما لكم من زوال من الدنيا اى كنتم تقولون ان ليس الا الدنيا لا زوال لنا عنها احياء وموتى كقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى الاية على ما ذكر من قسمهم انهم لا يبعثون وقال قائلون قوله ما لكم من زوال جواب لسؤالهم ربنا اخرنا الى اجل قريب على الاستيناف قال ما لكم عما انتم فيه من العذاب الى ما تسألون من المدة والتاخير اى ما لكم الى ذلك سبيل وقال بعضهم فى قوله وافئدتهم هواء اى تنزع قلوبهم حتى صارت فى حناجرهم فلا تخرج عن افواههم ولا تعود الى اماكنها لشدة هول ذلك اليوم وفزعهم وهو على التمثيل والكناية كقولهم اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم الاية لشدة خوفهم وهو على التمثيل اذ لا يحتمل بلوغ القلوب الحناجر فى الدنيا حقيقة اذ لو بلغت ذلك لخرجت فماتوا اذا الدنيا تحتمل الموت فيها فدل ان ذلك على التمثيل لشدة خوفهم **وقوله** عز وجل وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بتكذيبهم الرسل وتاويله والله اعلم انهم كانوا يطلبون من ربهم الرد الى حال الامن ليجيبوا بقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل والله اعلم فقال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بتكذيبهم الرسل اى سكنتم فى الدنيا فى مثل منازلهم ومساكنهم فرايتم ما نزل باولئك الذين صنعوا مثل صنيعكم وذلك **وقوله** عز وجل وتبين لكم كيف فعلنا بهم من التعذيب والاستيصال ثم لم يتعظوا بما حل بهم فعلى ذلك اذا رددتم الى حال الامن لا تتعظون بما حل بكم فى هذه الحال وهو ما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فيما يقولون انهم يجيبون دعوته هذا والله اعلم تاويله وقال بعض اهل التاويل وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم اى عملتم مثل اعمالهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم من الاستيصال بالتكذيب بتكذيبهم الرسل فلم تتعظوا بذلك فلا يتعظون بهذا ايضا اذا رددتم والله اعلم وفى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم الى اخر ما ذكر دلالة لزوم النظر والاستدلال ولزوم القياس ودلالة لزوم العقوبة وان كان لم يعلموا به بعد ان مكنوا من العلم اما دلالة النظر والاستدلال هو قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم فهلا نظرتم ما حل بهم من تكذيبهم الرسل واتعظتم به ودلالة القياس هو ما خوفهم ان ينزل بهم ما نزل باولئك لانهم اشتركوا فى المعنى الذى نزل باولئك ما نزل بتكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم **وقوله** عز وجل وضربنا لكم

الامثال اى ضربنا لكم من الامثال ما لو تفكرتم فيها ونظرتم لكان ذلك لكم موعظة وزجرا عن مثل صنيعكم
او يقول وضربنا لكم الامثال اى قد بينا لكم الامثال والاشباه ما يعرفكم لو تاملتم ان اولئك لكم اشباه وامثال
وصنيعهم لصنيعكم اشباه وامثال فينزل بكم ما نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم مكروا
واحتالوا على اهلاك الرسل وقتلهم كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وكيدهم الذى ذكر فى غير اى ان قالوا
ان رسل الله حق قال الرسل فكيدونى جميعا ومكروا ايضا بدين الله الذى اتت به الرسل مكروا واحتالوا له
على اطفاء ذلك النور فابى الله ذلك عليهم واظهر دينه وابقى نوره الى يوم القيامة كقوله يريدون ان
ليطفؤا نور الله كان مكرهم وحيلهم يرجع فى احد الى نفس الرسل حين هموا بقتلهم واهلاكهم
والثانى يرجع الى اطفاء الدين الذى اتى به الرسل والنور الذى دعوا اليه وقوله عز وجل وعند الله مكرهم
يحتمل عند الله جزاء مكرهم الذى مكروا برسول الله وبدينه او عند الله مكرهم اى عند الله العلم
بمكرهم محفوظ ذلك عنده لا يفوت ولا يذهب عنه شئ فيجزيهم بذلك فى الاخرة او عند الله مكرهم
اى عند الله الاسباب التى بها مكروا من عند الله استفادوا وهو النعيم الذى اعطاهم والاموال التى
ملكهم والعقول التى ركب فيهم بما قدروا على المكر والاحتيال عند الله والله اعلم وقوله عز وجل وان كان
مكرهم لتزول منه الجبال اختلف فى تلاوته وقراءته وتاويله قرا بعضهم وان كاد مكرهم بالدال
وهو حرف عمرو بن مسعود وابى وابن عباس رضى الله عنهم وقرا بعضهم وان كان مكرهم بالنون ثم اختلف
فى قوله وان كان قال الحسن وغيره وان بمعنى ما اى ما كان مكرهم لتزول منه الجبال قال كان مكرهم
اوهن واضعف من ان يزول منه الجبال وان بمعنى ما كثير فى القرآن كقوله لاتخذناه من لدنا ان كنا
فاعلين اى ما كنا فاعلين وكقوله ان نحن الا بشر مثلكم اى ما نحن الا بشر مثلكم وقد يستعمل ان فى موضع
كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا اى قد كان وعد ربنا لمفعولا فى جملة ما فقد استهان بمكرهم واستخف به
فقال ان مكرهم اوهن واضعف من ان يزول منه الجبال والجبال اوهن واسرع زوالا من رسالة الرسل
ودين الله بل رسالة الرسل ودين الله اثبت من الجبال لان دين الله ورسله معهما حجج الله وبراهينه
فاذا لم يعمل مكرهم فى ازالة الجبال لا يعمل فى ازالة دين الله ورسالة الرسل ومعهما الحجج والبراهين ومن قال
وان كان قد كان حمله على الاستعظام بمكرهم وعلى ذلك من قرا كاد بالدال على الاستعظام بمكرهم كقوله
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا اى دعوا للرحمن ولدا من عظيم ما قالوا فى الله
كادت السموات ان تنشق فعلى ذلك مكرهم جميعا الوجهين ان يستهان مرة ويستعظم الا ان يقال ان كلمتهم
من حيث الشرك والكفر عظيمة ومن حيث احتيالهم ومكرهم فى ازالة ذلك النور واطفائه ضعيف والله اعلم
وقوله عز وجل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الخطاب به يحتمل ما ذكرنا اى لا تحسبن ان ما تاخر
من نزول ما وعدا نه يخلف وعده الذى وعد رسله كما لم يكن تاخير العذاب عنهم من وقت ظلمهم عن غفلة
وسهو ولكن كان وعده الى ذلك الوقت وخلف الوعد فى الشاهد من الخلق انما يكون لوجهين احدهما
للا يملك انجاز ما وعد والثانى لما يضر الانجاز فالله تعالى عن ذلك كله وقوله عز وجل ان الله عزيز ذو انتقام
قال بعضهم عزيز لا يعجزه شئ وقيل عزيز قاهر يقهر ويذل فالخلايق كلهم اذلاء دونه وقوله عزيز
اى غالب قاهر ذو انتقام لاوليائه من اعدائهم اى غالب لاعدائه وقاهرهم وناصر لاوليائه واما ما قال
اهل التاويل فى قوله وقد مكروا وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال انه نزل
فى شان فلان نمرود وانه اتخذ تابوتا وربط نسورا على قوايمه وما ذكروا الى آخره فلا علم لنا الى ذلك
واظنه انه كله خيال فلا نقول الا القدر الذى ذكر فى الاية ولتزول بنصب اللام الاولى وبرفع الاخرة على معنى
التوكيد ولتزول بكسر الاولى ونصب الاخرة على الجحد اى ما كانت الجبال لتزول من مكرهم وهو ما ذكرنا

والله اعلم وقوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال الحسن تفنى هذه الارض ثم تعاد ثم
من ساعته مستوية لا شجر فيها ولا جبل ولا اكام قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقال بعضهم تبدل هذه
الارض ارضا غير هذه بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها بالمعاصى وكذلك السموات ومنهم من يقول
لا تبدل عينها ولكن بتغيير صفتها وزينتها كما يقول الرجل لآخر تبدلت يا فلان لا يريد تبدل اصله وعينه ولكن
تغير الاخلاق والدين فعلى ما ذكر من تبديل الارض والسموات والاشياء تكون على اختلاف الاحوال لانه
ذكر فى آية يومئذ تحدث اخبارها وقال واذا الارض مدت وقال يوم تشقق واذا السماء انشقت واذا السماء
انفطرت وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ويوم نسير الجبال وقال ويسالونك عن الجبال
وقال فجعلناه هباء منثورا ذكر مرة بمد الارض وذكر انها مرة تخبر وتحدث عما عمل عليها وذكر فى السماء
بالتشقق والانفطار وفى الجبال بالتسيير والمرور مرة ومرة بالرفع واخبر انه جعلها هباء منثورا وامثاله فيشبه
ان يكون هذا كله على اختلاف الاحوال والاوقات اذ يوم القيامة يوم ممتد فيكون كل ما ذكر على ما قال يومئذ
فهم لا يتساءلون وقال فى آية واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال ولا يتساءلون وقوله ويساله من فى السموات
والارض فهو والله اعلم ذلك على اختلاف الاحوال والاوقات فعلى ذلك الاول والله اعلم بذلك وتبديل
الارض والسموات يحتمل وجهين احدهما تبديل اهلها على ما يذكر الارض والقرية والمراد منها الاهل كقوله
واسال القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وقوله قرية كانت آمنة الاية ونحوه كثير والثانى تبديل
نفس الارض ثم يحتمل كل واحد من الوجهين اما تبديل اهلها هو ان يكونوا مستسلمين خاضعين له فى ذلك اليوم يكونوا
فى الدنيا والثانى تبديل اهلها هو ان يكون الاولياء فى النعم الدايمة واللذات الباقية والاعداء فى عذاب اليم
وشدة وكانوا فى هذه الدنيا جميعا مشتركين الاولياء والاعداء فى اللذات والآلام فان كان تبديل نفس
الارض فهو يخرج على وجهين احدهما تغيير زينتها وصفتها والثانى تبديل عينها وجوهرها وهو ما ذكر ان ارض
الجنة تكون من مسك وزعفران ونحو ما روى فى الخبر والله اعلم كان قوله يوم تبدل الارض غير الارض صلة
قوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الاية فقالوا متى يكون ذلك فقال يوم تبدل الارض غير الارض يخرج
جوابا لسؤالهم والله اعلم وقوله عز وجل وبرزوا لله الواحد القهار قد ذكرنا تخصيص بروزهم لله يوم القيامة
انه والله اعلم ان هذا العالم الاول العالم الثانى فالعالم الثانى هو المقصود فى انشاء هذا العالم فخص
بروزهم يومئذ له لما هو المقصود فى انشائهم وقال قايلون تخصيص البروز له يومئذ لانهم يخرجون
من قبورهم للحساب لا لغيره فهو يحاسبهم فاضاف البروز اليه لا لما يخرجون الا له واما فى الدنيا فانما يخرجون
لحوايج انفسهم لذلك خرج التخصيص له والاضافة وقوله وبرزوا لله يحتمل وجهين احدهما برزوا له مستسلمين
خاضعين قايلين طايعين ولم يكونوا فى الدنيا كذلك والثانى يبرزون لله لما وعدوا واوعدوا بارزون
للوعد وللوعيد ولما دعوا اليه ورغبوا فيه والثالث يبرزون لله لما لا يملكون اخفاء انفسهم وسترها بل ظاهرين
له وقوله عز وجل الواحد القهار الذى لا شبيه له والقهار يقهر الخلايق كلهم ويغلبهم الجبابرة والفراعنة
او يبرزون لله ليجزيهم على ما ذكر تعالى ليجزى الله كل نفس ما كسبت والله اعلم وقوله عز وجل وترى المجرمين
يومئذ مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران قيل القطر هو النحاس والآن الذى قد انتهى حره كقوله حميم آن
وقيل الصفر وقال بعضهم من قطران اى من نحاس آن لهم ان يعذبوا به وقال بعضهم هو من القطران المعروف
الذى يطلى به الابل ذكر هذا لانه اشد احتراقا واشتعالا وقوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد
الى آخر ما ذكر جعل الله عذاب الكفرة فى الاخرة بالاسباب والاشياء التى كانوا يفتخرون بها فى الدنيا
من اللباس والشراب والاصحاب وغيره وهو كان سبب منعهم عن اجابة الرسل فيما دعوهم اليه فجعل
تعذيبهم فى الاخرة بذلك النوع من النار فقال وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد يقرن ويعقد بعضهم

ببعض كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الآية لانه كان يتبعه ويأتمر بامره وكقوله احشروا الذين
ظلموا الآية وكذلك الرؤساء منهم والمتبوعين وقوله سرابيلهم من قطران لما كانوا يفتخرون في الدنيا بلباسهم
وكذلك كل نوع يفتخرون به في الدنيا ويمنعهم عن الاجابة اجابة الرسل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والاصفاد قيل
الاغلال اى قد قرن بعضه الى بعض في الاغلال واحدها صفد وهو قول القتبي وكذلك قول ابي عوسجة في الاصفاد
الا انه قال واحدها صفاد والصفد العطية سرابيلهم قميصهم واحدها سربال من قطران القطر ما ذكرنا النحاس
والآني الذي قد اشتد حره وهو قول القتبي وابي عوسجة ذكر هذه المواعيد والشدائد وانواع ما يعذبون به
في الآخرة ونعيمها على السن من قد ظهر صدقهم بالآيات والحجج ليحذروا ما اوعدوا ويرغبوا فيما رغبوا لئلا يكون لهم
الاحتجاج يومئذ كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله ليهلك من هلك عن بينة الآية ونحوه
والله اعلم وقوله عز وجل وتغشى وجوههم النار لان ايديهم مغلولة الى اعناقهم فلا يقدرون ان يتقوا النار
بايديهم ذكر هذا لان في الشاهد من اصاب وجهه اذى يتقي عنه بيده فيخبر انهم انما يتقون ذلك بوجوههم
والله اعلم ليجزي الله كل نفس ما كسبت لما ذكرنا يبرزون لله ليجزيهم من خير وشر وقوله عز وجل ان الله سريع
الحساب قال بعضهم كان قد حاسبه والثاني ذكر هذا لان الحساب انما يبطئ لا يتذكر من له الحساب
لمن يحاسبه في الشاهد فيما يحاسبه فيطول الحساب او لاشتغال بشيء يشغله عنه او يجهل بالحساب
فاما الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء ولا يشغله شيء عن شيء كله محفوظ عنده فهو سريع الحساب والله اعلم
او نقول انما يطول الحساب في الشاهد ويمتد لما يحتاج الى التفكر والنظر والتذكر في ذلك فالله سبحانه متعال
عن التفكر والنظر بل كل شيء محفوظ عنده والله اعلم وقوله عز وجل هذا بلاغ للناس ولينذروا به يحتمل
قوله هذا بلاغ القرآن هو بلاغ للناس على ما ذكر في صدر السورة كتاب انزلناه اليك الآية هو بلاغ على ما ذكر
والله اعلم ولينذروا به اى بالقرآن ايضا على ما ذكر وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه
ولتنذر ام القرى ومن حولها ويحتمل قوله هذا بلاغ ما ذكر من المواعيد وهو قوله وترى المجرمين يومئذ
مقرنين في الاصفاد الى آخر ما ذكر اى هذا الذي ذكر بلاغ يبلغهم لا محالة ولينذروا بما ذكر وليعلموا انما هو
اله واحد لا شريك له بالآيات التي اقامها على وحدانية الله والوهيته وليذكر اولوا الالباب اى ذو العقول والله اعلم

سورة الحجر مكية وآيها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قد ذكرنا فيما تقدم انه يحتمل ان الحروف المقطعة كناية
عن كتابه او آياته انه حملها على ما توجبه الحكمة فجعلها كتابا او آيات كتاب يتلى ويكون كناية عن الانباء والاخبار
عن الامم السالفة التي لم يشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الانباء والاخبار التي جعلناها كتابا
او آيات ليعلموا ان هذا الكتاب انما نزل من السماء وانه انما علم بالوحي من الله وقد ذكرنا هذا في غير موضع
وقرآن مبين قال يبين فيه ما يؤتى وما يتقى او مبين يبين بين الحق والباطل والله اعلم وقوله عز وجل ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال عامة اهل التاويل انما يودون الاسلام والتوحيد بعد ما عذب بالنار
قوم من اهل التوحيد بذنوبهم ثم اخرجوا منها بالشفاعة او بالرحمة فعند ذلك يتمنى اهل الشرك ويودون الاسلام
والتوحيد لو كانوا مسلمين لكن هذا بعيد ان لا يتمنوا الا في النار بعد ما اخرج اولئك وقد اصيبوا الشدائد
والبلايا من قبل ان يأتوا النار وقال الله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
الآية اخبر انه يتمنى عند حلول الموت الاسلام حيث طلب الرجوع الى الدنيا دل انهم يودون الاسلام قبل الوقت
الذي ذكروا ويتمنون الاسلام اذا حوسبوا واذا بعث اهل الجنة الى الجنة وبعثوا هم الى النار يتمنون الاسلام

قبل ذلك

قبل ذلك في مواضع ربما يتمنى الآحاد من الكفرة ويودون لو كانوا مسلمين في احوال واوقات يظهر لهم الحق
لكن الذي يمنعهم وقد بان لهم الحق ولكن الذي يمنعهم عن الاسلام فوت شيء من الدنيا وذهاب شيء
قد طمعوا فيه وقال الحسن في قوله الر تلك آيات الكتاب قسم لما ذكر ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
يقول اقسم بالحروف المقطعة انهم يودون الاسلام والله اعلم وقوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
هذا ليس على الامر ولكن على التوعيد والتهديد والبلاغ في الوعيد وتاكيد كقوله اعملوا ما شئتم الآية هو
الوعيد حيث قال انه بما تعملون بصير فعلى ذلك قوله ذرهم يأكلوا وعيد بقوله فسوف يعلمون ويشبه
ان يكون ذرهم ولا تكافئهم بصنيعهم وقوله عز وجل فسوف يعلمون المحق والمبطل وان المحق والمبطل
من انت او هم او سوف يعلمون نصحك اياهم وشفقتك لهم انك نصحت لهم واشفقت عليهم لا ان خنتهم
او يعلمون بما يعز وابكم وهزؤا وقوله ويلههم الامل الامل الطمع اختلف فيه قال بعضهم اى منعهم طمعهم
انهم وآباؤهم قد اصابوا الحق ذلك منعهم عن الاجابة والنظر في الآيات والحجج والثاني تقديرهم بامتداد
حيوتهم ليبقى لهم الرياسة والشرف ذلك الذي كان يمنعهم عن الاجابة والانقياد له والنظر في الآيات
والحجج والثالث يطمعون هلاك النبي صلى الله عليه وسلم ويتمنون ذلك وانقطاع ملكه وامره والعود
اليهم فذلك الذي كان منعهم ونحو حفصة ذرهم يخوضوا ويلعبوا ويلههم الامل وقوله ذرهم
يأكلوا ويتمتعوا الآية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون آيس رسوله عن ايمانهم وهو كقوله ونذرهم
في طغيانهم يعمهون وقوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قال الحسن وما اهلكنا اهل
قرية اهلاك تعذيب الا وقد ارسلنا اليهم رسلا بكتاب معلوم تتلو ذلك الكتاب المعلوم عليهم
فاذا كذبوهم وآيسوا عن ايمانهم فعند ذلك يهلكون اهلاك تعذيب وهو ما قال وما كان ربك مهلك
القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا فعلى ذلك الاول وقال بعضهم وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم يقول كتاب فيه اجل معلوم موقت لها على هذا التاويل كانه قد خرج جوابا
بالقول كان من اولئك الكفرة من استعجالهم الاهلاك وقوله عز وجل ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
اى ما تسبق امة من اجلها الذي جعل الله لها بالاهلاك وما تستأخر عنه وهو ما قال لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله يجعل لخلقه اجلا ثم يجيء
آخر فيقتله قبل الاجل الذي جعل الله له والله يقول لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال
ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب يخبر انه جاءهم العذاب يخبر انه جاءهم
العذاب لولا ما جعل من اجل مسمى قد وعد جل وعلا انه يفي بما وعد من البلوغ الى الاجل الذي سمى وعلى قول
المعتزلة لا يملك انجاز ما وعد لانه يجيء انسان فيقتله فيمنع الله عن وفاء ما وعد فذلك عجز وخلف في الوعد
فنعوذ بالله من السرف بالقول والزيغ عن الحق وقوله عز وجل وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعني
القرآن انك لمجنون قال الحسن قوله يا ايها الذي تدعي انه نزل عليه الذكر انك لمجنون فيما تدعي من نزول
الذكر هو على الاضمار الذي قال الحسن والا في الظاهر متناقض لانهم كانوا لا يقرون بنزول الذكر عليه
لانهم كانوا لا يقرون بنزول الذكر عليه لانهم لو اقروا بنزول الذكر عليه لكان قولهم متناقضا فاسدا
انك لمجنون سموه مجنونا والذي حملهم على تسميتهم اياه مجنونا وجوه احدها انهم لما رأوه انه قد اظهر الخلاف
لذوي العقول منهم والافهام والدعا الى غير ما هم فيه فرأوا انه ليس يخالف اهل العقول والفهم الا المجنون
فسموه مجنونا والثاني رأوه قد اظهر الخلاف للفراعنة والجبابرة الذين كانت عادتهم القتل والهلاك
من اظهر الخلاف لهم في امر من امورهم الدنياوية فكيف من اظهر الخلاف لهم في الدين فظنوا انه ليس يخالفهم
ولا يخاطر بنفسه وروحه الا المجنون فيه والثالث قالوا ذلك لما رأوه كان يتغير لونه عند نزول الوحي

عليه فنظنوا ان ذلك لآفة فيه وقل تامل حقيقة ذلك علم ان من رمته بالجنون به هو المجنون لا هو
حيث قالوا ولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة الآية وقال ما انت بنعمة ربك بمجنون اخبر انهم لو تفكروا عرفوا
انه ليس به جنة ولكن عن معاندة ومكابرة يقولون وجهل وسموه ساحرا فذلك تناقض في القول لانه
لا يسمى ساحرا الا الفضل بصر وعلم فذلك تناقض وقوله عز وجل لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين
تاويله والله اعلم يقولون له انك تزعم ان الملائكة يا تونك بالوحي فهلا اظهرت لنا اذا اتوك فننظر
اليهم ملائكة هم على ما تزعم ام شياطين وقال بعضهم لوما تاتينا بالملائكة فيشهدوا انك رسول الله
وانك ارسلت على ما تدعي من الرسالة فقال ما تنزل الملائكة الا بالحق الا بالموت وما كانوا اذا منظرين
قال بعضهم ان ليس في وسع البشر رؤية الملائكة على صورتهم فقال ما تنزل الملائكة الا بالحق الا بالموت
لو راوا لماتوا لم يجعل في وسعهم رؤية الملائكة وهو كقوله وقالوا لولا انزل عليه ملك الآية اخبر
انه لو انزل عليهم الملك لماتوا اذ ليس في وسعهم رؤية الملك على صورته ثم اخبر ايضا انه لو جعله
ملكا لجعله رجلا ويكون في ذلك لبس على اولئك وقال بعضهم ما تنزل الملائكة الا بالحق اي لا بالحجج والآيات
والبراهين على الرسل وعلى من هو اهل لذلك ليس على كل احد وقال بعضهم الا بالحق اي بالعذاب
الذي يكون فيه هلاكهم وهكذا ان الملائكة لا تنزل الا بالعذاب الذي فيه هلاكهم او بالحجج والبراهين
والله اعلم وقوله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر يعني القرآن وانا له لحافظون حتى لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وفيما وكل الحفظ الى نفسه لم يقدر احد من الطاعنين مع كثرتهم منذ نزل موضع الطعن
فيه وذلك يدل انه سماوي وانه محفوظ وقال بعضهم وانا له لحافظون اي محمدا عليه افضل الصلوات
اي نحفظه بالذكر الذي انزل عليه كقوله والله يعصمك من الناس وكقوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي الآية
اخبر انه انما يهتدي بما يوحي اليه ربه فعلى ذلك يحفظه بالقرآن الذي انزل عليه ويحتمل ان يكون
الذكر النبوة اي انا نحن نزلنا النبوة وانا له اي لرسوله لحافظون بالنبوة والرسالة وقوله عز وجل
ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين قيل في ملك الاولين وقيل في فرق الاولين وقيل في جماعات
وهو واحد وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون يصبر رسوله على استهزاء قومه اياه واذاهم يقول
والله اعلم لست انت المخصوص بهذا ولكن لك شركاء واصحاب في ذلك ليخف ذلك عليه ويهون لان العرف
في الخلق ان من كان له شركاء واصحاب في شدة اصابته او بلاء ومصيبة كان ذلك ايسر عليه واهون من ان يكون
مخصوصا به من بين ساير الخلايق والله اعلم كان هذه الآية صلة قوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر فكانه
لما سمع هذا اشتد عليه وضاق صدره بذلك فعند ذلك قال ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين الى آخره
يصبره على اذاهم وهزئهم به فانما يشتد عليه ذلك على قدر شفقته ونصيحته لهم وكان بلغ نصيحته وشفقته لهم
ما ذكر لعلك باخع نفسك وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كادت نفسه تهلك او ذكر هذا له لما ان هؤلاء
اعني قومه انما استهزؤوا به تقليدا لآبائهم واقتداء بهم وتلقنوا منهم لا انهم انشاؤوا ذلك من انفسهم واولئك
اعني الاوايل انما استهزؤوا برسلهم لا تقليدا باحد ولكن انشاء من ذات انفسهم فمن استهزء باخر وشتمه تقليدا
واقتداء وتلقينا كان ذلك ايسر عليه واخف من فعل به من ذاته لانه انما يلقن المجانين والصبيان ومن به آفة
بمثل ذلك فهم الذين يعملون بالتلقين واما العقلاء والسالمون عن الآفات فلا فلذلك هون عليه من استهزاء
اولئك برسلهم والله اعلم وقوله عز وجل كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اختلف فيه قال بعضهم
كذلك نسلك التكذيب والاستهزاء في قلوب المجرمين لا يؤمنون به يقول من حكم الله ان يسلك التكذيب في قلب
من اختار التكذيب وكذب به ومن حكمه ان يسلك التصديق على قلب من صدق واختاره كقوله فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم وكقوله وما يضل به الا الفاسقين وقال بعضهم قوله كذلك نجعل الكفر والتكذيب في قلوب المجرمين

بكفرهم

بكفرهم كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الآية وقوله وجعلنا قلوبهم قاسية ونحوه ويحتمل
قوله نسلكه في قلوب المجرمين الحجج والآيات يكون تكذيبهم وردهم الآيات والحجج وتكذيبهم تكذيب عناد
ومكابرة لا يؤمنون به وقوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي مثل الذي سلكنا في قلوب المؤمنين من قبول الآيات
والحجج والتصديق لها لما علم انهم يختارون ذلك نسلك في قلوب المجرمين من تكذيب الآيات والحجج وردها
لما علم منهم الرد والتكذيب لها هذا محتمل ويحتمل غير هذا ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وقد خلت سنة
الاولين يحتمل قوله وقد خلت سنة الاولين بالتكذيب والرد والمعاندة والمكابرة بعد قيام الحجج والآيات
ويحتمل وقد خلت سنة الاولين الهلاك والاستيصال عند مكابرة حجج الله ومكابرتهم اياها وقال بعض اهل
التاويل كذلك نسلكه اي نجعله على ما ذكرنا الكفر بالعذاب في قلوب المجرمين لا يؤمنون به اي لا يصدقون به
بالعذاب وقد خلت سنة الاولين بالتكذيب لرسلهم بالعذاب فهؤلاء يستنون بسنتهم وقال ابو عوسجة
كذلك نسلكه اي ندخله يقال السالك الداخل والسلوك الدخول وسلكت اي دخلت وتصديقه قوله كذلك
سلكناه وقال اسلك يدك في جيبك اي ادخل وقوله عز وجل ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يخبر جل وعلا عن سفههم وعنادهم في سؤال الآيات وطلب نزول الملائكة بقوله لوما تاتينا بالملائكة ان كنت
من الصادقين يقول ان سؤالهم الآيات وما سالوا متعنتين مكابرين ليسوا هم بمسترشدين لكن اهل الكلام
لا يعرفون تعنتهم بالذكر حيث قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية الآية ثم قال وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون وذلك ان المؤمنين كانوا يشفعون لهم بسؤالهم الآيات لعلهم يؤمنون فاخبر وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون فعلى ذلك قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يخبر انهم بسؤالهم نزول الملائكة
معاندين مكابرين ليسوا بمسترشدين ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ولو فتحنا عليهم يعني على الملائكة
بابا حتى راوا وعاينوا الملائكة ينزلون من السماء ويصعدون فلا يؤمنون وقالوا انما سكرت ابصارنا
قيل حيرت وسدت بل نحن قوم مسحورون اي سحرت اعيننا فلا نرى ذلك وقال بعضهم قوله ولو فتحنا
عليهم اي لهم بابا من السماء كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله عز وجل فظلوا فيه حتى يعرجون فيه
ويعاينون نزول الآيات ويشاهدون كل شيء لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون يقولون
ذلك لشدة تعنتهم وسفههم وينكرون معاينة ذلك وقوله عز وجل ولقد جعلنا في السماء بروجا قيل نجوما
ويحتمل البروج المنازل التي ينزل فيها الشمس والقمر والنجوم جعل لكل واحد منها منزلا ينزل في كل ليلة
في منزل على حدة ويحتمل ما ذكر من البروج هي مطالع من الشمس والقمر والنجوم وقوله عز وجل وزيناها للناظرين
يعني السماء للناظرين دلالة نقض قول من ينهى عن النظر الى السماء من القراء لانه اخبر انه زينها للناظرين ولا يحتمل
ان يزينها للناظرين ثم ينهى عن النظر اليها دل انه لا باس للناظرين وقال في آية اخرى هو الذي جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها الآية وقال في موضع اخر ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعل الله في الشمس والقمر والنجوم
منافع يهتدون بها الطرق في ظلمات الليل وجعلها مصابيح في الظلمات واخبر انه زينها للناظرين
لان ما يقبح في العين من المنظر لا يتفكر الناظر فيه ولا ينظر اليه فزينها لهم ليحملهم ذلك على التفكر فيه
والنظر اليها ليعلموا انه تدبير واحد حيث جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض بعد ما بينهما وجعل
اشياء هي في الظاهر اشباها وهي في الحقيقة كالاضداد لها ومنها ما هي في الظاهر اضدادا وهي
كالاشكال نحو النور والظلمة هي في الظاهر اضداد صارت كالاشكال حيث يضيء النجوم في ظلمات الليل
حتى ينتفع بذلك اهل الارض وهما في الظاهر اضداد فصارت بما يظهر منافعهما كالاشكال وجعل
لا ينتفع بضوء النجوم مع نور القمر ولا ينتفع بنور القمر مع ضوء الشمس وهن اشكال بما يذهب كل واحد
منهما بسلطان الآخر كالاضداد ليعلم انه تدبير واحد حيث صارت الاضداد كالاشكال والاشكال

كالاصداد في حق المنفعة وقوله عز وجل وحفظناها يعني السماء من كل شيطان رجيم ذكر ان الشياطين كانوا
يصعدون السماء فيستمعون من اخبار السماء من الملائكة مما يكون في الارض من غيث وغيره ثم زادوا فيها ما شاؤا
فيلقون ذلك الى الكهنة فيخبر الكهنة الناس فيقولون الم نخبركم بالمطر في يوم كذا وكذا وكلت حقا ثم منعوا صعودهم
اعني السماء وحفظوا عنهم فجعلوا يسترقون السمع فسلط الله الشهب عليهم حتى يقذفون وهو قوله ويقذفون
من كل جانب دحورا وقوله فاتبعه شهاب ثاقب ويحتمل وحفظناها اي اهلها من الشيطان الرجيم لما ذكرنا من ذكر
اشياء من القرية والمطر والعير وغيره والمراد منه اهله فعلى ذلك هذا الا ان اهل السماء باجمعهم اهل ولاية
الله واهل طاعته واما اهل الارض ففيهم من الغاوين الضالين فهم اهل اولياء الشيطان كقوله انما سلطانه على الذين
يتولونه الاية ويحتمل حفظ السماء نفسها بالملائكة وهو ما ذكر ويقذفون الاية ويحتمل بالشهب التي في غيراى
من القرآن وقال بعضهم الرجيم اللعين وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود من كل شيطان لعين واللعين في اللغة
هو المطرود المبعد وهو على ما ذكر دحورا وقوله عز وجل والارض مددناها والقينا فيها رواسي وقال في آية اخرى
وجعلنا فيها رواسي ان تميد بهم يعني الجبال في ظاهر هذا ان الارض كانت تضطرب وتنكفي باهلها فاثبتها بالجبال
والا من طبعها التسفل والانحدار وكذلك الجبال من طبعها التسفل والانحدار فكيف كان ثباتها بشيء طبعه التسفل
والتسرب الا ان يقال ان طبعها كان الاضطراب والانكفاء فاثبتها بالجبال عن الاضطراب والانكفاء او نقول
من طبعهما ما ذكرنا التسفل والانحدار الا ان الله بلطفه اثبت ما هو طبعه التسفل ما هو طبعه كذلك ليعلم لطفه
وقدرته وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وانبتنا فيها من كل شيء موزون قال بعضهم فيها يعني
في الجبال من كل شيء موزون اي ما يوزن من نحو الذهب والفضة والحديد والرصاص ونحوه مما يستخرج
منها وهذا كانه ليس بصحيح لانه لا يقال في الذهب والفضة والحديد انه انبت في الارض كما يقال ذلك
للنبات وما ينبت فيها وانما يقال للذهب والفضة والحديد جعلنا فيها او خلقنا فيها وقال بعضهم وانبتنا
فيها يعني في الارض من كل الوان النبات موزون اي معلوم مقدر بقدره كقوله وما ننزله الا بقدر معلوم ويحتمل
وانبتنا فيها ما يصير موزونا في الآخرة من الزروع وغيرها والحبوب او ما ذكرنا اي معلوم مقدر والله اعلم
ليس على الجزاف على ما يكون من فعل جاهل على غير تدبير ولا تقدير ويحتمل قوله من كل شيء موزون
ما لو اجتمع الخلائق لم يعرفوا قدر ما يزداد وينمو من النبات في لحظة واحدة وطرفة عين في اول ما يخرج
ويبدو من الارض وذلك موزون عنده معلوم قدره ليعلم لطفه وتدبيره وقدرته وعلمه وانه تدبير
واحد حيث لم يختلف ذلك ولم يتفاوت والله اعلم قال ابو عوسجة فظلوا فيه اي صاروا يومهم يعرجون يرتقون
ويصعدون وقال غيره ظلوا اي مالوا كقوله فظلت اعناقهم اي مالت وقال قوله سكرت ابصارنا اي حيرت يقال سكر
بصره اذا تحير وقال يقال ايضا حيرت يقال سكر الله بصره اي حيره وسكرت الريح تسكر سكرا اذا سكنت ويقال
ليل ساكر اي ساكن وسكرت الماء اسكره سكرا اي حبسته والسكر السد والسكور جمع والسكر مصدر سكر يسكر سكرا
فهو سكران وقوم سكرى وسكارى والسكرة الغمرة والغمرة الشدة وقال عز وجل وجاءت سكرة الموت بالحق
اي شدته وغلبته وقال القتبي سكرت غشيت ومنه يقال سكر النهر اذا سد فالسكر اسم ما سكرت وسكر الشراب
منه انما هو الغطاء على العقل والعين وقال الحسن سكرت بالتخفيف وسحرت وقوله عز وجل بروجا قال اثنى عشر
بروجا واصل البرج الحصن والقصر وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع يقول حفظناها
من ان يصل اليها شيطان او يعلم من امرها شيئا الا استراقا ثم يتبعه شهاب مبين اي كوكب مضيء وقال ابو عوسجة
الا من استرق السمع اي تغفلت قوما حتى سمعت حديثهم وهم لا يعلمون وهكذا لو علم الملائكة ان الشياطين يسترقون
السمع ويختطفون لمنعوا عن ذلك وامتنعوا عن التكلم به حتى لا يستمعون كلامهم وحديثهم والشهاب وقيل الشهاب
خشبة في طرفها نار والشهبان جماعة وقال بعضهم شهاب مبين لرسول الله كان له خاصة لم يكن قبل والله اعلم

وقوله عز وجل
وجعلنا لكم

وقوله عز وجل وجعلنا لكم فيها معايش اي في الارض والجبال وقوله عز وجل ومن لستم له برازقين
قال الحسن اي جعلنا لكم في الارض ما تعيشون به ولمن حولكم ايضا جعل فيها معايش لا ترزقونه انتم انما ذلك
على الله هو يرزقهم واياكم وقال بعضهم ومن لستم له برازقين الوحوش والطير واما الانعام فانه قد اشركهم
البشر في المعايش وكان غير هذا اقرب واوفق وهو ان اهل مكة كانهم يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولون نحن ربيناه وعذبناه وانفقنا عليه ورزقناه ثم نفعل بنا كذا فخرج هذا جوابا لهم جعلنا لكم فيها
معايش ومن لستم له برازقين اي محمدا وقوله عز وجل وان من شيء الا عندنا خزائنه يحتمل هذا والله اعلم
وان من شيء يختزن في الخلق الا عندنا خزائنه اي الا عندنا تلك الخزائن اي ما تختزنون من الاشياء
فتلك عندنا وفي خزائننا وما ننزله الا بقدر معلوم على هذا وما ننزله الا بقدر معلوم على هذا وما ننزله
اي ما نعطيه الا بقدر معلوم اي وان كان عندكم مخزونا محبوسا فانه ذلك كله في خزائنه اعطى من شاء
وحرم من شاء ويحتمل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه الخزائن هي الامكنة الخفية التي تختزن فيها الاموال
وبواطن من الارض نقول والله اعلم وان من شيء كان في بواطن الارض وامكنة خفية الا عندنا تدبير ذلك
وعلمه يخبر ان تدبيره وعلمه في الحقيقة من الامكنة كهو في الظاهر لا يخرج شيء عن تدبيره وعلمه
بل كله ذلك في تدبيره وعلمه وقال الحسن وان من شيء الا عندنا خزائنه اي الماء الذي به جعل
حيوة كل شيء لا يخرج شيء عن منافعه فهو خزاينه الاشياء كلها وبه قوام كل شيء وقال الا ترى انه قال
وما ننزله الا بقدر معلوم وذكر الانزال وهو الذي ينزل من السماء ظاهر هذا الذي قاله محتمل
لكن تمامه ان يقال الماء خزانة والخزانة هي الموضع الذي يختزن فيه وفي الماء قوة ومعنى يكون فيه
حيوة الخلق ومنافعهم فيما جعل فيه لا في نفس الماء الا ترى انه يصيب عروق الشجر فيظهر منافعه في غصونها
في اعلاها فتثبتان فيه قوة سرية ومعنى يكون المنافع بها لا بنفس الماء والله اعلم بذلك ثم ما ذكر من الخزاين
والرياح والماء والمطر وغير ذلك من النعم يذكر على الاحتجاج عليهم لانه انما انشأ هذه الاشياء
وخلقها لهؤلاء لا انه انشأها لنفسها فاذا كان انشأها لهم فلا يحتمل ان يتركهم لا يامرهم ولا ينهاهم
ولا يمتحنهم ولا يجعل لهم عاقبة يثابون ويعاقبون ولذلك قال في آخره وان ربك هو يحشرهم وقوله
عز وجل الا بقدر معلوم على التاويل الاول ما ذكرنا اي ما نعطيه الا بقدر معلوم وان خزنه وحبسه
ويحتمل الا بقدر معلوم اي بقدر سابق معلوم ذلك اي ان كان على هذا فانه يدل على ان ما يكون ويحدث
انما يكون لقدر سابق لا يكون غير ما سبق تقديره او بقدر معلوم محدود اي ليس بنزل جزافا ولكن معلوما
محدودا والله اعلم وقوله عز وجل وارسلنا الرياح لواقح قال بعضهم لواقح حوامل قال بعضهم هذا لا يصح
لو كان على هذا لكان ملاقح وملقحات وقال ابو عوسجة لواقح تلقح الشجر اي تنبت ورقها وهي ملقحة وقال يقال
ناقة لاقح اي حامل قد حملت ونوق لواقح ويقال حرب لاقح اي شديدة وسحاب لاقح الذي فيه ماء اي مطر
وريح لاقح اي ملقح يلقح الشجر اي تنبت ورقه وحمله ويقال الملقح ويقال القح الرجل اذا لقحت ابله اي حملت ورجل
ملقح والملقوح الناقة التي معها ولده صغير والجمع لقاح وجمع الجمع لقائح واللقح اللواقح وهي الحوامل من الابل
قال القتبي قال ابو عبيدة لواقح انما هي ملاقح جمع ملقحة يريد انها تلقح الشجر وتلقح السحاب كانها تنتجه واللواقح
المنتجة والثمار من الاشجار والسحاب وغيره والله اعلم وقوله عز وجل فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
وما انتم له بخازنين هو ما ذكرنا على التاويل وان من شيء الا عندنا خزائنه وما انتم له بخازنين وهو
وعلى تاويل الحسن هو ما ذكر في الماء والمطر وما انتم له بخازنين اي حابسين لما جرى به الذكر من المطر
والماء الذي ذكر انه انزل من السماء ويحتمل وما انتم له اي لله خازنين اي ليست خزائنه في ايديكم ولا بيد
احد ولكن بيد الله عز وجل وعلى تاويل الآخر وما انتم له بخازنين بمدبرين ما خزن في الارض ودفن

وقوله عز وجل وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون اى الباقون بعد فناء الخلق كله فيبقى هو ولذلك
سمى من خلف الميت وارثا لانه يموت ويبقى الوارث وهو باقى وكذلك يخرج قوله انا نحن نرث الارض ومن عليها
والله اعلم وقوله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين قال بعضهم ولقد علمنا
المستقدمين من المكذبين منكم ما حل بهم بالتكذيب وقد علمنا المستاخرين من المكذبين منكم وقال بعضهم
ولقد علمنا منهم ومات وعلمنا المستاخرين من يكون منهم ويولد وكذلك قال وان ربك هو يحشرهم
من مضى ومن بقى لم يكن بعد الى يوم القيامة وقال الحسن ولقد علمنا المستقدمين منكم فى الخير والمستاخرين
فى الشر وقال بعضهم فى الصف الاول والاخر لكنه بعيد وقوله عز وجل انه حكيم عليم الحكيم هو الذى
يضع الاشياء مواضعها والثانى هو الذى يجعل الاشياء مواضعها فالاول قد يعرف الخلق وضع الاشياء
مواضعها واما الثانى فلا يكون ذلك الا بالله وقوله عليم عليم بمصالح الخلق وما لهم وما عليهم او عليم بوضع الاشياء
مواضعها وقوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماء مسنون وقال فى اية اخرى خلقكم
من طين وقال من طين لازب وقال فى اية اخرى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال خلقناكم
من تراب ذكر مرة الحماء المسنون وقيل هو الطين الاسود المتغير وذكر مرة التراب ومرة الطين اللازب
وهو الملتزق ومرة من سلالة الطين فيشبه ان يكون على الاحوال واختلاف الاوقات كان فى حال الاول
ترابا وفى حال طينا لازبا وفى حال حماء مسنونا وهو الذى اسود وتغير لطول مكثه وصلصالا وفخارا
فيحتمل ان يكون خلقا مركبا الجوارح فيه والعظام كان عليه هذه الاحوال الثلاثة على ما اخبر من تغير احوال
اولاده حيث قال خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ذكر فيه احوالا ثلاثة قبل ان يجعل
لحما وعظما فى حال كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة فعلى ذلك يحتمل ما ذكر فى ادم من تراب وطين
وحماء ونحوه ان كان على اختلاف الاحوال على ما ذكرنا او ان يكون على التشبيه والتمثيل ووجه التمثيل
بالطين الذى ذكر وهو ان الطين الذى يكون كالصلصال والفخار واللازب ونحوه هو الطين الطيب الذى
يكون منه البنيان والاوانى والقدور وجميع انواع المنافع واما الطين الذى يخبث فانه لا يتخذ منه شئ
مما ذكرنا ولا يتخذ ولا يتهيأ اتخاذ شئ من ذلك فشبه خلق آدم بالطين الذى يجتمع فيه جميع انواع المنافع
فعلى ذلك جميع فى ادم جميع انواع المنافع والخير كالطين الطيب ثم فيه دلالة قدرته وسلطانه وذكر نعمه
حيث اخبر انه خلق ادم من تراب وطين وما ذكر وليس فى التراب ولا فى الطين من اثر البشرية شئ وكذلك
ليس فى النطفة التى خلق البشر منها اثر البشرية شئ ليعلم انه قادر على انشاء الاشياء من شئ ومن لا شئ اذ ليس
فيما ذكر من الطين والتراب الذى خلق منه ابا البشر من اثر البشرية فيه شئ ولا فى النطفة التى خلق منها اولاده
من اثر البشرية والانسانية من اللحم والعظم والشعر وغيره وما ركب فيهم من العقل والعلم والتدبير والجوارح
وغير ذلك شئ ليعلم قدرته وسلطانه على خلق الاشياء لا من شئ وليعرفوا نعمه التى انعمها عليهم حيث اخبر انه
خلق ادم من طين لازب وصلصال وما ذكر وذلك وصف الطين الطيب لان ما خبث من الطين لا يبلغ المبلغ
الذى وصف ولا يصير الى تلك الحال وان طال مكثه لانه لا ينتفع به لا من اتخاذ البنيان والاوانى والقدور
ولا ينبت الزروع ايضا فيحتمل على التمثيل الذى ذكرنا لا على التحقيق او على التحقيق على الاحوال المختلفة فدل انه
انما خلقه من طين طاب اصله فعلى ذلك يحتمل النطفة التى يخلق منها البشر تكون طاهرة وهى لا تصيب
شيئا وهو على غير الوصف الذى يخرج لانه قال من ماء دافق وقال من ماء مهين والصلصال قال هو التراب
اليابس والحماء الطين الاسود والمسنون المنتن المتغير وقال بعضهم الصلصال هو الذى اذا ضربته تصوت
ومنه يقال صلصلة اللجام والفرس اذا كان يصلصل وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقال القتبى الصلصال
الطين اليابس الذى لا يصيبه النار فاذا نقرته صوت فاذا مسته النار فهو فخار والمسنون المتغير الرائحة المسنون

ايضا المصبوب

ايضا المصبوب وسننت الشئ اذا صببته صبا سهلا وسن الماء على وجهك وهو قول القتبى وقال ابو عوسجة
من حماء مسنون الحماء التراب الاسود يكون فى اسفل البير ومن هذا سمى الحماء لانه يحمى ان يدعى ويقال الحميت
الحرب والشمس والتنور يحمى اذا اشتد حره ومسنون اى مخلوق وقال الحسن المسنون الذى سن عليه خلقة الخلق
يعنى اولاده على خلقته اى على خلقته خلق الخلق وامثال هذا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل والجان خلقناه
من قبل من نار السموم قال بعضهم الجان هو ابليس وقال بعضهم الجان هو ابو الجن وابليس هو ابو الشيطان
سموا شياطينا لتمردهم فى فعلهم ذلك مقتدر من فعلهم الا ترى انه ذكر من الانس والجن شياطين وهو قوله
شياطين الانس والجن وذلك لتمردهم والجان مقتدر عن الجن والله اعلم بذلك والسموم قال بعضهم
السموم لهب النار وليس له دخان وهو المارج من نار والمارج هو المنقطع منها وقال بعضهم من جنس النار كانه
اراد لهبها وقال نار السموم الحارة التى تقتل فان كان السموم والمارج ما ذكر بعضهم انه لهب النار فمن طبعه
الارتفاع والعلو فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الارتفاع والعلو وهو الجان الذى ذكر والطين طبعه التسفل
والانحدار الى الارض فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الهوى الى الارض والميل اليها والجان قال ابو عوسجة الجن
واحد الجان الجمع جان سمى ذلك لاستجنانه وقال غيره الجن الجماعة والجان الواحد وقوله عز وجل واذ قال
ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته اى تممته ونفخت فيه من روحى وقال
فى اية اخرى فنفخنا فيه من روحنا فيشتبه هذا على الناس ولم يفهموا من قوله ونفخت فيه من روحى ونفخنا
فيه من روحنا ما فهموا من نفخ الخلق فما بالهم فهموا من قوله ثم استوى على العرش واستوى الى السماء ونحو
استواء الخلق بل فهم نفخه من فهم نفخ الخلق اكثر من استوائه لانه امكن صرف الاستواء الى وجوه ولا يمكن
صرف النفخ فيه لكنه اشتبه عليهم لانهم اقتدروا فعل الله بفعل الخلق ولا يجب ان لا يقتدروا بالخلق على ما لم يقتدروا
فى قوله حد ويد الله وحكم الله وعباد الله وخلق الله وامثاله وقد اخبر انه ليس كمثله شئ او تلقين من الشيطان
وقوله روحى وروحنا اى الروح الذى به حيوة الخلق اى خلق الذى يكون به حيوة الخلق على ما ذكرنا وقوله عز وجل
فقعوا له ساجدين يحتمل ان يكون قوله خالق بشرا ما ذكر خبرا انه سيفعل وامرهم بالسجود فيكون الامر
بالسجود بعد ما خلقه اياه فهذا يدل انه قد يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل والله اعلم وقوله عز وجل فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ظاهر الامر بالسجود والاستثناء الذى ذكر يدل ان ابليس
من الملائكة لان فيهم كان الامر بالسجود ومنهم وقع الثنيا وقد ذكرنا اختلافهم واقاويلهم فيما تقدم مقدار
ما حفظناه قال والاصل بان كل ما خرج مخرج الاستثناء فيجب ان تسقط اسم ما اجمل نحو قول الرجل لاخر لك
على عشرة الا اف درهم يسقط الاستثناء ما اجمل من الاسم حتى صار تسعة وكذلك اذا قال الفا الا خمسين ونحوه
واذا لم يسقط ذلك الاسم فلا بد ان يكون الكل فيه مضمرا نحو قول الرجل رايت علماء بلدك كذا الا فلانا يجب ان يعنى
فيه حرف الكل حتى يقع على كل نحو ان يكون رايت كل علماء بلد كذا الا فلانا فعلى ذلك تخصيص العموم وقال الحسن
فى قوله من صلصال من حماء مسنون قال الصلصال هو الطين الحر الذى يتصلصل من صلابته ويبوسته والحماء الطين
والمسنون قال مسنون خلقته فهو سنة الخلق بعد فى ذريته ان يخلقوا على خلقته وكقوله ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين يقول استلها من بين ظهرانى الطين لا من كل طين خلقه وكذلك قال فى تناسل ذريته
وهو قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ليس من كل ما خلقه ولكن استلها من بين ظهرانى الماء وقال
الجان ابليس هو ابو الجن خلقناه من قبل اى من قبل ادم من نار السموم يقول السموم هو اسم من اسماء جهنم
ولها اسماء كثيرة اخبر انه خلقه من نار السموم اى جهنم والله وقوله عز وجل الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين
قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون وقال فى موضع اخر الا ابليس ابى واستكبر
وقال له يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال فى موضع اخر ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقال فى موضع اخر

ما منعك ان تسجد وقال في موضع آخر خلقتني من نار وخلقته من طين ذكر مثل هذا على اختلاف الالفاظ
ومعلوم ان هذه المخاطبات معدم تكن مرارا ولكن بمرة وبحدة قال ابو بكر الاصم ذكر الله قصة ابليس وقصة الانبيا
جميعا في مواضع على اختلاف الالفاظ لانها كذلك كانت في كتبهم فذكرها على ما في كتبهم ليعلموا ان نبي الله
انما عرف ذلك بالله ليدلهم على صدقه وفيه دلالة ان اختلاف الالفاظ وتغييرها لا يوجب اختلاف الحكم
بعد ان لا يغير المعنى فهذا يدلك ان الخبر اذا ادى معناه على اختلاف لفظه فانه يجوز وكذلك اذا قرئ بغير لسان
الذي انزل فانه يجوز اذا اتى بمعناه والله اعلم وقوله عز وجل فاخرج منها فانك رجيم قوله فاخرج منها
قال بعضهم اخرج من السماء الى الارض وقال بعضهم اخرج من الارض الى جزاير البحر وقال بعضهم اخرج من الجنة
وامثاله او اخرج من صورة الملائكة الى صورة الابالسة وجائز ان يقال اخرج من كذا اي تحول من مكان كذا
الى مكان كذا على غير حقيقة الخروج ولسنا ندري كيف كان كذلك وقوله عز وجل رجيم قيل الرجيم
الملعون وقيل الرجيم ما يرجم بالكواكب وقوله عز وجل وان عليك اللعنة الى يوم الدين اللعنة هي الطرد في اللغة
والخذلان طرد عن رحمة الله الى يوم الدين حتى لا يهتدي الى دين الله وهداه ثم يوم الدين له العذاب الدايم
واللعنة القايمة وقوله عز وجل قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم لعن اللعين وطرد عن رحمته الى يوم الدين اي لا يدركه الهداية لان الهداية في الدنيا انما يدركه برحمته
والرحمة في الآخرة هي العفو عما لزمه ووجب عليه مسالة تكلموا فيه ما الحكمة في خلق الله تعالى ابليس مع علمه
ما يكون منه من افساد خلقه والدعاء الى المعاصي وانظاره الى يوم الوقت المعلوم وقد علم انه انما ينظره ليفسد
عباده فمع ما علم ما يكون منه فما الحكمة في خلقه قال بعضهم خلق ابليس واهل المعاصي مع علمه ذلك ليعلم انه
لم يخلق لمنافع نفسه ولا لحاجة نفسه وان معاصيه لا تضره ولا تدخل نقصانا في ملكه فخلقه مع علمه بما يكون
منه ليعلم انه لم يخلق الخلق لمنافع نفسه ولا لحاجته ولكن لمنافع انفسهم ولحاجاتهم وقال بعضهم خلق
الاعداء والاوليا نظرا للاولياء ليعلم اولياوه الاختصاص الذي اختصهم به ولو كانوا جميعا اولياء لم يعرفوا
فضيلة الله واختصاصه اياهم وهكذا النعم واحسان الله لا يعرف بنفس النعم ونفس الاحسان وانما يعرف بالبلايا
والشدايد التي تحل بغير ذلك الاولياء لو لم يكن الاعداء لم يعرفوا اختصاص الله لهم وفضايله التي اكرمهم بها
وقال بعضهم خلق الاعداء نظرا للاولياء على ما ذكرنا لكن من وجه آخر واصله ان الله عز وجل
جايز ان ينشئ اشياء فيها حكمة وسرية لا يبلغها علم الخلق ولا يدركها حكمة البشر على ما جعل النعم الظاهرة فيها
حكمة معنى لا يبلغه علم الخلق ولا حكمة البشر وكذلك البلايا والشدايد فيها حكمة لا يبلغها علم الخلق فعلى ذلك
جايز انه خلق ابليس والعصاة والغواة لحكمة جعل في ذلك حكمة لا يبلغها علم الخلق ولا يدركها حكمة البشر على ما ذكرنا
من النعم الظاهرة والشدايد الظاهرة واصله ان الله تعالى خلق الخلق على علم منه انهم يعصون ويعادون
لكن مكن لهم من الاختيار والايثار ما به نجاتهم وهلاكهم اذا اختاروا ذلك فاذا اختاروا ما به نجاتهم نجوا
واذا اختاروا ما به هلاكهم هلكوا فيكون هلاكهم باختيارهم ونجاتهم باختيارهم واصله ما ذكرنا في غير موضع
انه انشاهم في هذه الدنيا ليمتحنهم فيها وفي خلق ما ذكر من ابليس وغيره من الاعداء ليتم لهم المحنة وفي ترك خلق
ذلك ذهاب المحنة وهي دار الامتحان وقوله عز وجل فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال بعض اهل التاويل
الى النفخة الاولى وقيل الى النفخة الثانية ونحوه لكنا لا نعلم ذلك وكانه تعالى انظره الى الوقت المعلوم ولم يبينه له
ذلك الوقت ولم يطلعه عليه حيث قال واني جار لكم فلما تراءت الفيتان نكص على عقبيه الآية لخبر انه يرى
ما لا يرون هم وانه يخاف الله ولو كان بين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف هلاكه قبل ذلك الوقت فهذا
يدل على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض قال الحسن قوله بما اغويتني
اي لعنتني وهذا منه احتيال وفرار عن مذهب الاعتزال وما يلزمهم في قوله اغويتني يلزم في قوله لعنتني لان اللعن

هو الطرد فاذا طرده من رحمته فقد خذله فالطرد والاغواء والاضلال سواء فيلزم في اللعن ما يلزمهم في الاغواء
وقال ابو بكر الاصم الاغواء واللعن من الله شتم لكن هذا بعيد لا يجوز ان يضاف الى الله الشتم انه يشتم ه
لان الشاتم والساب لا يخونه الشاهد بما يشتمه مذموم عند الخلق فلا يجوز ان يضاف الى الله ما به يذم بما اغويتني
لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين كانه يقول رب بما اغويتني لازيدن لهم في الغواية بما اغويتهم
وقد ذكرنا هذا وامثاله فيما تقدم فان قيل قوله اغويتني قول ابليس وهو كاذب بالاضافة اليه قيل لو كان
فيما اضاف اليه الاغواء كاذبا لكذب فيه ورد عليه قوله كما كذب في قوله ورد عليه انا خير منه خلقتني
من كذا وخلقته من كذا حيث فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فلما لم يرد عليه ولم يكذبه فيما اضاف اليه
صرف الاغواء دل ان الاضافة اليه الاغواء والاضلال حقيقة او ان يكون قوله خلقتني من نار وخلقته من طين
انما ذلك منه ذكر فضله ولحسانه حيث اخبر انه خلقه مما هو افضل واعظم مما خلق آدم فيخرج ذلك منه مخرج
الشكر واما قوله اغويتني ليس على ذلك فلا يحتمل ان لا يكذبه ولا يرد عليه قوله ان كان كاذبا فيه لان فعل ما اضافه
اليه اذا لم يكن منه الاغواء لذلك اختلفا او لو كان قول ابليس لعنه الله كذبا فما تصنعون بقول نوح عليه السلام
حيث قال ان كان الله يريد ان يغويكم وقال موسى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ثم قوله رب بما اغويتني
لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين يحتمل ان يكون منه عزم على ما ذكر
دون ان تفوه بذلك فاخبر عز وجل عنه ما كان عزم من الاغواء وغيره بالقول وذلك جايز في العزم
والقصد كقوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا لا يحتمل ان يكون هذا القول الذي اخبر عنهم
قولا منهم لانه لا احد من المتصدقين يقول بمثل ذلك عند التصديق لكنه اخبار عما قصدوا وعزموا بالتصدق
فعلى ذلك يشبه ان يكون هذا من الله اخبارا عما عزم ابليس وقصد على غير التفوه به والقول وهو ما ذكر والله علم
ما تبدون وما تكتمون اخبر انهم كتموا فيه واضمروا ويحتمل ان يكون على التفوه بما ذكر قال ذلك لما قال عز وجل
ان عليك اللعنة الى يوم الدين لما شهد الله عليه باللعن الى يوم الدين ايس لعنه الله عن الهدى فقال رب بما اغويتني
اي لعنتني وشهدت علي بذلك لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين بخفض اللام
هو الذي خلص له الاعتقاد والعمل والوفاء والمخلص بنصب اللام هو الذي اخلصه الله وحفظه وعصمه واختصه
بذلك والمخلص لا يقال الا بعد ان يكون لله فيهم صنع ولهم اختصاص وفضايل اختصهم بذلك برحمة الله
وفضله والمعتزلة يقولون لا يستوجب احد الاختصاص والفضيلة الا بفعل يكون منه لا يستوجب بالله
ويقولون الله لا يغوي احدا الا ابليس ولا احدا من اتباعه فابليس اعرف بالله من المعتزلة حيث ولو ان الله
لا يغوي احدا ولا يختص احدا الا بصنع يكون منه وقوله عز وجل قال هذا صراط علي مستقيم قال بعضهم
قوله علي بمعنى الي اي الى صراط مستقيم يقول بيدي ليس بيد احد وقال بعضهم الحق يرجع الى الله وعليه
طريقه لا يعوج على شيء ويحتمل قوله علي مستقيم اي علي بيانه وهو مستقيم كقوله وعلى الله قصد السبيل اي بيان قصد
السبيل وقال بعضهم لما قال ابليس لاغوينهم اجمعين قال الله تعالى هذا صراط علي مستقيم يقول علي ممر
من هويته وتابعك كقوله لا تحسبوا اذا اوعدته ان طريقك علي والله اعلم وقوله عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان يحتمل قوله ليس لك عليهم سلطان اي ليس لك عليهم حجة الا من اتبعك من الغاوين فانهم يتبعونك
بلا حجة ولا برهان ويحتمل قوله ليس لك سلطان تقهرهم وتضطرهم على ذلك الا من اتبعك من الغاوين فانهم
يتبعونك على غير قهر واضطرار اي من كان في علم الله ان يتبعك ويختار الغواية وان لم يكن اغواه اياه فان لك
عليه سلطانا وقوله وان جهنم لموعدهم اجمعين اي لموعد ابليس واتباعه وقوله عز وجل لها سبعة ابواب
يحتمل الابواب المعروفة ويحتمل الابواب الموارد والجهات التي تكون لها الا ترى انه قال لكل باب منهم جزء مقسوم
فهذا يدلك ان المراد بالابواب الموارد والدركات لا نفس الابواب اذ جزء مقسوم انما يكون للدركات

لا يكون للابواب نفسها قال الحسن والاصم لها سبعة ابواب يعنون بالابواب الطبقات والدركات لكل باب
منهم جزء مقسوم لليهود باب وللنصارى باب وللمجوس باب وللذين اشركوا باب وللمنافقين باب ولاهل الكباير
باب وذكر ايضا بابا لفريق دخلوا اهل الكباير فيها والصابيين والدهرية وعندنا ان ظاهر الآية في الكافرين لانه
قال ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين والغاوون هم الكافرون وكذلك قوله لاغوينهم فاذا كان
كذلك فالسبعة الابواب التي ذكرها لاهل الكفر لا يدخل اهل الكباير فيه ويحتمل باب للجاهلية وهم الذين
ينكرون العالم الشاهد والغايب لا يقرون بشيء وباب للدهرية الذين ينكرون الصانع وباب للثنوية
وهم الذين يقولون بالاثنين وباب للذين اشركوا وهم يقولون بالواحد لكنهم يشركون فيه غيره يعبدون
الاصنام والاوثان وباب لليهود وباب للنصارى وباب للمنافقين فذلك سبعة ابواب وليس لاهل
الكباير باب مسمى معلوم انما ذلك كله لاهل الكفر وقوله عز وجل ان المتقين في جنات وعيون ان كان
اهل الكباير في قوله لها سبعة ابواب فيكون قوله ان المتقين الذين اتقوا الكباير وان كان اصحاب الكباير
لم يدخلوا في قوله لها سبعة ابواب فيكون قوله ان المتقين الذين اتقوا الشرك وقوله عز وجل في جنات
اي في بساتين والبساتين هي التي التفت بالاشجار والنخيل والعيون قد تكون جارية في الدنيا وقد تكون
غير جارية فاخبر في آية اخرى ان عيون الآخرة تكون جارية بقوله فيهما عينان تجريان وعيون قال بعضهم
ذكر العيون ليعلم ان مياه الجنة ليست تكون من الثلوج والانهار العظام على ما تكون في الدنيا ولكن تنبع
فيها وقال بعضهم ذكر العيون لانه ينبع في بستان كل احد عين على حدة لا ياتي بستانه من ملك آخر ومن بستان
آخر على ما يكون في الدنيا ولكن تنبع في جنة كل احد عين على حدة على ما اراد الله ليس انها تتصل بالارض
كما ذكر في قصة بني اسرائيل فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ان شاء الله في ذلك الحجر ما يخرج لهم على غير
اتصاله بالارض ولكن بلطفه ينشئ فيه ماء تعالى ذلك في الجنان التي وعد ويشبه ان يكون ذكر هذا لاختلاف
رغايب الناس في الدنيا لان منهم من يرغب في الدين ويتلذذ بالنظر اليها ومنهم من يرغب في النهر الجاري فذكر
مرة العيون ومرة الانهار كقوله تجري من تحتها الانهار على ما ذكر مرة الخيام والقباب والغرف وانواع الفرش
والبسط والكيزان والاكواب والجواري والغلمان وغير ذلك على ما يرغب الناس في الدنيا منهم من يرغب
في نوع آخر فذكر فيها كل ما يرغبون ليبعثهم ذلك على العمل الذي به يوصل الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
ادخلوها بسلام آمنين قال بعضهم قوله ادخلوها بسلام اي اجعلوا دخولكم فيها بسلام على ما امرهم في الدنيا
ان يجعلوا الدخول في المنازل كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية الآية وعلى ما اخبر ان الملائكة
يسلمون عليهم كقوله سلام عليكم طبتم وكقوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما وقال
بعضهم قوله ادخلوها بسلام آمنين اي ادخلوها بسلام لا يصيبكم مكروه آمنين لا ينقصهم خوف ولا حزن
على ما اخبر لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال بعضهم وقوله
عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل قال بعضهم هو صلة قوله ان المتقين في جنات وعيون اي نزعنا
ما في صدورهم من غل الذي كان في الدنيا بالكفر فصاروا اخوانا بالاسلام الذي هداهم الله اليه فكانوا
اخوانا ثم قيل لهم ادخلوا الجنة بلا غل وهو ما قال فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار
فانقذكم منها قد نزع من قلوبهم الغل في الدنيا فصاروا اخوانا فدخلوا الجنة وقال بعضهم قوله
ونزعنا ما في صدورهم من غل في الآخرة اذا دخلوا الجنة وتقابلوا واتكأوا على سرر فعند ذلك ينزع
الغل من قلوبهم والمظالم التي كانت بينهم فان كان هذا فهو بين اهل الاسلام وعلى ذلك يحتمل ان يكون
كل من جفا اخاه في الدنيا ان ينسي الله ذلك منهم في الجنة لان ذكر الجفا ينغص النعم التي فيها وكذلك
ما يكون بين الرجل وولده من الجفاء والعقوق يجوز ان ينسي ذلك عليهم وعلى ذلك ما روي عن علي رضي الله عنه

قال اني لارجو ان اكون انا وطلحة والزبير قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
وقوله عز وجل متقابلين قال بعضهم يجعل الله منازلهم بعضها مقابل بعض فينظر بعضهم الى بعض ويزور
بعضهم بعضا وقال بعضهم بامر الله السرر التي هم عليها جلوس ليكون بعضها مقابل بعض اذا اشتهى بعضهم زيارة
بعض ولا يكونون مدبرين ولا معرضين بل مقبلين يخبر عن اجتماعهم في الآخرة في الشراب وانواع المطاعم
على ما يستحسن في الدنيا الاخوان بينهم الاجتماع على الشراب والطعام والتلذذ والنظر بعضهم الى بعض فعلى ذلك
اخبر ان لهم في الآخرة كذلك الاجتماع في الشراب والنظر وانواع التلذذ والله اعلم وقوله عز وجل
لا يمسهم فيها نصب اي عناء ومشقة اخبر انه لا عناء يمسهم كما يكون في الدنيا لان في الدنيا من اطال المقام في موضع
يمل عن ذلك ويسأم كذلك اذا اكثر من نوع من الطعام او الشراب او الفاكهة يمل عن ذلك ويسأم ويؤذيه
ولا يوافقه فاخبر ان اهل الجنة لا يملون ولا يؤذيهم طعامها وان اكثروا وقوله عز وجل وما هم منها بمخرجين
اخبر انهم لا يخرجون منها ولا هم يطلبون الخروج منها كقوله لا يبغون عنها حولا لان حول زوال النعم ينغص
على صاحبها تلك النعمة وطيبها فاخبر انهم فيها ابدا وتلك النعم لهم دايمة غير زايلة عنهم والله اعلم وقوله
عز وجل نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم قال بعضهم نبئ عبادي اي اخبرهم اني انا الغفور الرحيم لمن استغفرني
وتاب عما ارتكب من معاصيه وان عذابي هو العذاب الاليم لمن عصاني ولم يستغفر ولم يتب اليه ويحتمل غير هذا
وهو ان يقول نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ليلا ييأسوا عن رحمتي ولا يقنطوا مني ولكن يرجون رحمته وعفوه
ويخافون عذابه ونقمته ونبئهم ايضا ان عذابي هو العذاب الاليم ليلا يكونوا آمنين ابدا فيكون فيه امر بان يبشر
وان ينذر كانه قال بشر اوليائي اني انا الغفور الرحيم لاوليائي وان عذابي شديد اليم لاعدائي وفي قوله نبئ عبادي
فيه بشارة ونذارة اما البشارة فهو قوله اني انا الغفور الرحيم والنذارة قوله وان عذابي هو العذاب الاليم
وقوله عز وجل ونبئهم عن ضيف ابراهيم اي نبئ قومك عن ضيف ابراهيم اي نبئهم بتمام ما فيه من الزجر والموعظة
لان في ذلك اخبارا ما نزل بالمكذبين بتكذيبهم الرسل وهو الاهلاك ونجاة من صدق الرسل ففيه تمام ما يزجرهم
ويعظهم من الترهيب والترغيب فان فيهم آية لرسالتك ونبوتك لانه يخبرهم على ما في كتبهم لم يشهدها
هو فيدلهم انه انما عرف ذلك بالله ونبئهم فان ذلك ما يزجرهم عن مثل صنيعهم وفيه ذكر نعم الله لانهم
جاؤا بالبشارة بشارة الولد وجاؤا باهلاك قوم مجرمين فذلك بالذي يزجرهم عن مثله والبشارة ترغبهم
في مثل صنيع ابراهيم فنبئهم فان فيه ما ذكرنا وقد دل قوله ضيف ابراهيم ان الضيف اسم كل نازل على آخر طعم
عنده او لم يطعم وكان نزوله للطعام او لا وقوله عز وجل اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي سلموا على ابراهيم
فرد ابراهيم السلام عليهم وقال ابو بكر الاصم السلام جعله الله امانا بين الخلق وعطفا فيما بينهم وسببا
لاخراج الضغاين من قلوبهم وقال بعضهم جعل الله السلام تحية على كل داخل على آخر وهو ما ذكرناه وقال
بعضهم السلام هو اسم كل خير وبر وبركة كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما والله اعلم وقوله عز وجل انا منكم
وجلون اي خايفون قال بعض اهل التاويل انما خاف لانه ظن انهم لصوص واهل ريبة لكن هذا لا يحتمل
ان يخافهم ويظن انهم لصوص واهل ريبة وقد سلموا عليه وقت ما دخلوا عليه واللصوص واهل ريبة
اذا دخلوا بيت آخر لا يسلمون عليه لكنه انما خافهم اذا راى ايديهم لا تصل اليه كما قال فلما راى ايديهم لا تصل اليه
نكرهم واوجس منهم خيفة عند ذلك خافهم فلما راى ذلك ظن ابراهيم انهم ملايكة انما جاؤا لامر عظيم
حيث لم يتناولوا مما قرب اليهم وبين ابراهيم وبين المكان الذي يرتحل منه مكان يقع لهم الحاجة الى الطعام
وقوله عز وجل لا توجل اي لا تخف انا نبشرك بغلام عليم وقال في آية اخرى فبشرناه بغلام حليم والحلم
هو الذي ينفي عن صاحبه كل اخلاق دنية والعلم هو الذي يدعو صاحبه الى كل خلق رفيع ليعلم انه اجتمع
جميع الخصال الرفيعة ونفى عنه كل خلق دني وقوله عز وجل ابشرتموني على ان مسني الكبر اي بشرتموني بولد

وانا على الحالة التى انا عليها او يرد الى شبابى وشباب امراتى فبم تبشرون على الحال التى انا عليها وامراتى
او يرد الشباب الينا والا لا يحتمل ان يخفى عليه قدرة الله هبة الولد فى حال الكبر لكنه لم ير الوالد يولد فى تلك
فى تلك الحال فاستخبرهم انه يولد فى تلك الحال ثم الواجب على كل من انعم عليه بنعمة ان يشتغل بالشكر للمنعم
لا يستكشف عن الوجوه ثم او يرد الى حالة اخرى حال الشباب والله اعلم وقوله عز وجل قالوا بشرناك بالحق
اى بما هو كاين لا محالة والواجب على كل ما انعم عليه بنعمة ان يشتغل بالشكر للمنعم لا يستكشف عن الوجوه
التى انعم والاحوال التى يكون عليها ثم فى البشارة الولد بشارتان احدهما بشارة بالغلام والثانى بالبقاء الى البلوغ
الى وقت العلم حيث قالوا انا نبشرك بغلام عليم وهو ما قال فى آية اخرى ويكلم الناس فى المهد وكهلا
ففى قوله كهلا دلالة وبشارة انه يبقى الى ان يصير كهلا والا الكهل يضعف وقوله عز وجل فلا تكن من القانطين
قد ذكرنا فيما تقدم ان الانبياء قد نهوا عن اشياء قد عصموا عنها ما لا يحتمل ان يكون منهم ما نهوا عنه
نحو قوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين ومن الظالمين الكافرين وامثاله وذلك مما لا يتوهم
كونه منهم وذلك لما ذكرنا ان العصمة لا ترفع المحنة لانها لو رفعت لذهبت فايدة العصمة لانه انما يحتاج اليها
عند المحنة فاما اذا لم يكن محنة فلا حاجة تقع اليها فعلى ذلك ابراهيم لم يكن قنط من رحمة ربه انه لا يهب الله الولد
فى حال كبره ولكن ما ذكرنا ثم بين انه لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون اخبر ان القنوط من رحمة الله هو
ضلال والاياس من رحمته كفر فعندهم تضيق رحمته حتى لا يسع فيها الكباير والمعتزلة يقنطون من رحمة ربهم
لقولهم فى اصحاب الكباير ما يقولون وقوله عز وجل قال فما خطبكم ايها المرسلون قيل فما خبركم وما قصتكم
وما شانكم والخطب الشان اى على اى امر وشان ارسلتم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لم يحتمل ان يكون
اول ما اخبروا ابراهيم وقالوه هذا ولكن كان فيه ما ذكر فى آية اخرى انا مهلكوا اهل هذه القرية كانوا
ظالمين وانا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون فقال ابراهيم ان فيها لوطا
قالوا نحن اعلم بمن فيها يذكر ههنا على الاختصار فذلك يدل ان الخبر اذا ادى معناه يجوز وان لم يؤت
بلفظة على ما كان وقوله عز وجل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط كان الثنيا ههنا تكون على الاشخاص
والنفس اهل القرية عن قوله مجرمين لان آل لوط لم يكونوا مجرمين فلا يحتمل الاستثناء عن ذلك
او لا يكون على حقيقة الثنيا وان كان فى الخبر استثناء وقوله عز وجل الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين
الا امراته اخبر انهم يهلكون قومه ثم استثنى آله منهم ثم امراته من آله ففيه دلالة ان الثنيا ليس برجوع
لانه لو كان رجوعا لكان يوجب الكذب فى الخبر ولكن فى الثنيا بيان تحصيل المراد مما لجمل فى اللفظ وفيه
دلالة ايضا انه يجوز ان يستثنى من الاستثناء لانه استثنى امراته من آله بقوله الا آل لوط الا امراته فحصلت
المراة من قومه حيث استثناها من آله وفيه انه قد يجوز ان يستثنى من خلاف نوعه لانه استثنى آل لوط
من قومه والمجرم ليس من نوع الصالح ثم استثنى امراته من آله وهى ليست منهم وفيه ايضا ان آل الرجل يكون اتباعه
حيث استثنى آله منهم يدخل فيه من تبعه الا ترى انه قال آل فرعون وانما هم اتباعه وآل موسى وآل هرون
وآل عمران كل يرجع الى اتباعهم فيدخل فى قولهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كل من تبعه والله اعلم وقوله
الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين قال ابو بكر الاصم قدرنا انها اى اخبرنا لكن هذا منه احتيال على تقوية
مذهب الاعتزال لانهم ينكرون ان يكون افعال العبيد مقدرة لله مخلوقة ففى ذلك دلالة ان افعالهم
مخلوقة لله مقدرة له واصله اى قدرنا بقاها من الاصل وقوله عز وجل لمن الغابرين اى الباقين قال
ابو عوسجة الغابرون الباقون والغابرون الماضون ايضا يقال غبر يغبر غبرا اذا بقى واذا مضى ايضا وقوله
عز وجل فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اى انكم قوم منكرون لا تعرفون باهل هذه البلدة
وانما قال لهم هذه لان قومه انما يعملون ما يعملون بالغرباء لا يعملون باهل البلد الا ترى انهم قالوا له او لم ننهك

عن العالمين ان تضيف احدا منهم والله اعلم وقوله عز وجل قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون هذا
ليس بجواب لما سبق من قوله انكم قوم منكرون ولكن قالوا ذلك له والله اعلم بعد ما كان بين لوط وبين
قومه مجادلات ومخاصمات من ذلك قوله ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وغير ذلك
من المخاصمات وقد كان لوط يعدهم العذاب يصيبهم الذى كانوا يستعجلون وكذلك قالوا له ائتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين فعند ذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون قال بعضهم بما كانوا فيه يشكون
بما كان يعدهم من العذاب وقال بعضهم بما كانوا فيه يمترون اى بما كانوا يجادلون وينازعون او يقول بل جئناك
بجزاء ما كانوا يمترون ثم امتراهم يحتمل مجادلتهم اياه ويحتمل ما كانوا عليه من الريبة وقوله عز وجل
وآتيناك بالحق وانا لصادقون قال بعضهم وآتيناك بالحق اى بنجاتك ونجاة اهلك واهلاك قومك وقال
بعضهم وآتيناك بالحق اى بالعذاب الذى كنت تعدهم وانا لصادقون بما نقول يحتمل هذا ان لم يكن هذا
منهم قولا قالوه لان لوطا يعلم انهم صادقون بما يقولون حيث علم انهم ملائكة الله لكن الخبر عنهم ما كانوا
عليه على غير قول كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل فاسر باهلك بقطع من الليل اى ببعض من الليل
وقال بعضهم بسحر على ما قال نجيناهم بسحر وهو بعض سحر كان او غيره واتبع ادبارهم اى سر من ورائهم
وهكذا الواجب على كل مولى امر جيش ان يتبع اثرهم او يامر من يتبع اثرهم ليلحق بهم من تخلف منهم ويحمل
المنقطع منهم ويكون ذلك احفظ لهم وقوله عز وجل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك فانها تخلف عنهم
فيصيبها ما اصابها ولئن هذا يدل ان ليس فى تقديم الكلام وتاخيره منع ولا فى تغيير اللسان ولفظ بعد
ان يودى المعنى خطر لان قصة لوط وغيرها من القصص ذكرت وكررت على الزيادة والنقصان وعلى اختلاف
الالفاظ واللسان فدل ان اختلاف ذلك لا يوجب تغييرا فى المعنى ولا باس بذلك وقال بعضهم فى قوله
لا يلتفت منكم احد اى لا ينظر احد وراءه فهو والله اعلم لما لعلهم اذا نظروا وراءهم فراوا ما حل بهم
من تقليب الارض وارسالها عليهم لا يحتمل بنيتهم وقلوبهم فيهلكون او يصعقون الا ترى ان موسى مع قوته
لم يحتمل اذ كان للجبل ولكن صعق فصار مدهوشا فى ذلك الوقت فهؤلاء اضعف وما حل بقومهم اشد فبنيتهم
احرى ان لا تحتمل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقضينا اليه ذلك الامر من قوله قضينا قيل اوحينا اليه
كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب اى اوحينا اليهم وقال بعضهم قوله اى انهينا اليه واعلمناه وهو قول
الكسائى والقتبى وقوله عز وجل ذلك الامر يحتمل قوله ذلك الامر هو ما ذكر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
هذا الذى اوحى اليه واعلمه ويحتمل قوله وقضينا اليه ذلك الامر اى اوحينا الى محمد صلى الله عليه وسلم
ان ذلك الامر الذى بلغك مقطوع مصبحين ويحتمل الوحى الى لوط على البشارة ان دابر قومه مقطوع
مصبحين اى مقطوع نسلهم فيه اخبار عن قطع نسلهم وفى الخبر عن قطع نسلهم اخبار عن هلاكهم وقوله
عز وجل ان دابر هؤلاء قال بعضهم اصل هؤلاء وقال بعضهم دابر هؤلاء مقطوع اى مستاصلون مصبحين
ليس يريد به حين اصبحوا وحين بدا طلوع الفجر ولكن اراد طلوع الشمس الا ترى انه قال فاخذتهم الصيحة
مشرقين واشراق الشمس هو ارتفاعها وبسطها فى الارض دل انه ما ذكرنا والله اعلم والصيحة يحتمل وجوها
احدها ذكر الصيحة لسرعة هلاكهم اى قدر صيحة والثانى اهلكوا بالصيحة او صاح اولئك لما اهلكوا والصيحة
اسم كل عذاب وقوله عز وجل وجاء اهل المدينة يستبشرون يحتمل يبشرون بنزول امتيافه او يبشر
بعضهم بعضا لما راوهم من حسن الهيئة والنظر ورفعة اللباس وقوله عز وجل ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون
يحتمل هذا وجهين فلا تفضحون فى ضيفى فانهم انما نزلوا بنا على امن منا فلا تفضحون عندهم وهو ما قال
فى آية اخرى ولا تخزون فى ضيفى ويحتمل لا تفضحونى فى الخلق يقولون ان فى اهل بيت لوط يفعل بالاضياف
كذا وانما عرف اهل بيتى عند الخلق بالصلاح والامن فلا تفضحونى فى الخلق واتقوا الله فى صنيعكم بالرجال

ولا تخزون عند الخلق قيل هو من الهوان وتيسير ان يكون قوله واتقوا الله ولا تخزون ان يكون لا تخزوا
هو الفضيحة دليله ما ذكر ان هولاء ضيفى فلا تفضحون فيكون هذا تفسير ذلك ويحتمل الهوان وكذلك قيل
فى قوله ان الخزى اليوم اى الهوان اليوم وقوله عز وجل اولم ننهك عن العالمين هذا يدل على انه قد كان سبق
النهى عن انزال الاضياف كانه قد نهوه عن انزال الاضياف لذلك قالوا اولم ننهك عن العالمين قال ابو بكر الاصم
يخرج قولهم اولم ننهك عن العالمين مخرج الاعتذار له لانهم كانوا يعظمون الرسل على اقوام الرسل جميعا
اذ لم يكن من الرسل اليهم سوى الخلاف فى الدين والدعاء الى دين الله فهم وان كذبوا الحجج التى اتت بهم الرسل
فقد كانوا يعظمونهم الا ترى انه قال لرسولنا صلوات الله عليه قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون الآية والاول
اشبه والله اعلم وقوله عز وجل هولاء بناتى ان كنتم فاعلين وفى موضع آخر هولاء بناتى هن اطهر لكم وقد ذكرنا
ذلك فى السورة التى فيها ذكر هود قال بعضهم انما عرض عليهم نساء قومهم لانه كالاب لهم على ما ذكر
ان نساء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امهاتهم وقال بعضهم فى ذكر البنات اخبار منه لهم بنهاية
فحش صنيعهم لانه يجوز ورود الشرع على بنات ترلهم ولا يجوز حل ذلك بحال وقوله عز وجل لعمرك انهم
لفى سكرتهم يعمهون قال الحسن يقسم الله بما شاء من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله وانما اقسم بحيوة
محمد عليه الصلوة والسلام وقال بعضهم اقسم بحيوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقسم بحيوة غيره وبغيره
وقال بعضهم قوله لعمرك كلمة تستعملها العرب فى اقسامهم على غير ارادة القسم بحيوة احد ومنهم
من قال انما ذلك على التعريض واصله ان الله قد اقسم باشياء اقسم بالشمس والقمر والليل والنهار
واقسم بالجبال والسماء وغيرها من الاشياء التى تعظم عند الخلق كرسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اخبره انه ارسله رحمة للخلق وهدى ولحان يعظم بالقسم به الا ترى انه قال وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فمن كان رحمة للعالم كله اولحان يعظم من غيره اذ منافعه اعم واكثر وقال بعضهم
لعمرك القسم ليس بحيوة الرسول ولكن بدينه وهو قول الضحاك وقوله عز وجل انهم لفى سكرتهم
يعمهون قال بعضهم السكرة الشدة التى تحل بهم عند الموت شبههم بحيرتهم التى فيهم بسكرة الموت
يعمهون اى يترددون وقال بعضهم فى ضلالتهم وكفرهم يعمهون يتحيرون وقوله عز وجل فاخذتهم
الصيحة قد ذكرنا فى غير موضع اختلافهم فى الصيحة قال بعضهم الصيحة هى العذاب نفسه اى اخذهم
العذاب وقال بعضهم سمى صيحة لسرعة نزوله بهم واخذه اياهم وقوله عز وجل مشرقين قال بعضهم
اشرقت الشمس اذا ارتفعت واضاءت وشرقت اذا نزعت وهو قول الكيسانى وقال ابو عوسجة مشرقين اى حين اشرقت
اذا طلعت الشمس عليهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها قد ذكرنا فى السورة
التى فيها ذكر هود وقوله عز وجل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين قال بعضهم للمتوسمين للمتفرسين
من الفراسة وروى فى ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه ابو سعيد الخدرى قال اتقوا
فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله قال ثم قرا ان فى ذلك لآيات للمتوسمين فان ثبت الخبر وثبت تلاوة هذه
الآية على اثر ما ذكر فهو هو وقال بعضهم للمتوسمين للمعتبرين وقيل المتفكرين وقيل الناظرين ذكروا انه آية
للمعتبرين ولكن لم يبينوا من اى وجه يكون آية لمن ذكر فيحتمل وجوها احدها آية للمتوسمين المعتبرين لرسالته
لانه ذكر قصة ابراهيم ولوط على ما كان وهو لم يشهدها فذلك يدل على صدقه وآية لرسالته والثانى آية لصدق
خبر ابراهيم وصدق لوط لانهم كانوا يخبرون قومهم ان العذاب ينزل بهم وغير ذلك من الوعيد فيدل ذلك
على صدق خبر الانبياء عليهم السلام فى كل ما يخبرون والثالث فى هلاك من اهلك منهم ونجاة من نجى
منهم آية لمن ذكر من هلك منهم هلك بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق فيكون لهم آية والرابع قد بقى
من آثار من هلك منهم آية فيكون هلاكهم آية لمن ذكر واصل هذا ان الله ذكر ان فى ذلك لآية للمتوسمين ه

اى المؤمنين

او لم ننهك عن العالمين فيه قولان

اى المؤمنين المتقين والاعتبار والتفكر للمؤمنين لانهم هم المنتفعون قال والمتوسم هو الذى يعمل بعلامة
وكذلك المتوسم هو الذى يعمل بعلامة فى غيره ينظر فى غيره بان هلاكهم كان فينزجر عن صنيعه
ويتعظ به وهو كالمتفقه الذى يعمل بالمعنى والله اعلم وقوله عز وجل وانها لبسبيل مقيم اى طريق
دايم لا يزول نعلم ان فى ذلك لآية للمؤمنين وهو ما ذكرنا ان الآية تكون للمؤمن والله اعلم ذكر فى الآية الاولى
لآيات لانه انباء ابراهيم وقصته وقصة قوم لوط ففى ذلك آيات لمن ذكر وذكر فى هذه الآية لآية للمؤمنين
لانه ذكر شيئا واحدا وهو السبيل وقوله عز وجل وان كان اصحاب الايكة لظالمين اى وقد كان اصحاب الايكة
لظالمين والايكة ذكروا انها الغيضة من الشجر وهى ذات آجام وشجر كانوا فيها فبعث اليهم شعيب وهم فى الغيضة
وذكر بعض اهل التاويل ان شعيب بعث الى قومين الى اهل غيضة مرة والى مدين مرة على ما ذكر والى مدين اخاهم
شعيبا وقال فى آية اخرى كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون وقوله وان كان اصحاب
الايكة لظالمين سمى الله تعالى الكفرة باسماء مختلفة سماهم مرة ظالمين ومرة فاسقين ومشركين واسم الظلم
قد يقع فيما دون الكفر والشرك وكذلك اسم الفسق يقع فيما دون الكفر والشرك ثم الكفر لم يقبح اسم الكفر
وكذلك الايمان لم يحسن لاسم الايمان اذ ما من مؤمن الا وهو يكفر باشياء ويومن باشياء قال الله تعالى فمن يكفر بالطاغوت
ويومن بالله المؤمن يكفر بالطاغوت وبالاصنام كان اهل الكفر عبدوها وكذلك الكافر يومن باشياء ويكفر باشياء
يؤمن بالاصنام ويكفر بالله فثبت ان الكفر لاسم الكفر ليس بقبيح وكذلك الايمان لاسم الايمان ليس بحسن ولكن ه
انما حسن لانه ايمان بالله والكفر انما قبح لانه كفر بالله واما الظلم فهو لاسم الظلم قبيح وكذلك الفسق لاسم الفسق
قبيح فسماهم باسماء هى باسمها قبيح لان الايمان المطلق هو الايمان بالله والكفر المطلق هو الكفر بالله وان كان يسمى
بدون الله كفرا وايمانا كما قلنا الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله وان كان ان اسم الكتاب والدين
يقع على ما دونه وقوله عز وجل فانتقمنا منهم ذكر الانتقام منهم ولم يذكر ها هنا بم كان الانتقام وقال فى آية اخرى
فاخذتهم الرجفة وقال فى آية اخرى فاخذتهم الصيحة وقال فى آية اخرى فاخذهم عذاب يوم الظلة فيحتمل
ان يكون الرجفة لقوم والصيحة لقوم ويوم الظلة لقوم منهم او كان كله واحد فسماها باسماء مختلفة وليس لنا
الى معرفة ذلك العذاب حاجة سوى ما عرفنا انهم انما اهلكوا او عذبوا بالتكذيب ليكون ذلك آية لمن بعدهم ليحذروا
مثل صنيعهم والله اعلم وقوله عز وجل فانتقمنا منهم للرسل كما انتقمنا من قوم لوط للوط بسوء صنيعهم وسوء معاملتهم
اياه فتعلم بذلك ننتقم من اهل مكة لمحمد صلى الله عليه وسلم بسوء صنيعهم ومعاملتهم اياه وقد كان ما نزل
باصحاب الايكة كفاية مزجرا لهم وعظة لا يحتاج الى ما ذكر ما نزل بقوم لوط وقوله عز وجل وانهما قال بعضهم
يعنى قوم لوط وقوم شعيب وقوله عز وجل لبامام مبين اى طريق مستبين اى بين هلاكهم وقوله عز وجل
وانها لبسبيل مقيم وانهما لبامام مبين واحد اى بين واضح آثارهم من سلك ذلك الطريق او دخل قراهم
ومكانهم لاستبان لهم آثار هلاكهم وما حل بهم وقوله لبامام مبين اى طريق يؤم ويقصدون بين واضح وقوله
عز وجل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال اهل التاويل اصحاب الحجر هم قوم صالح ثمود وقالوا الحجر هو
اسم واد وقيل هو اسم القرية على شط الوادى نسبوا اليه وقوله ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال اهل التاويل
يعنى بالمرسلين صالحا وحده لكن ذكر المرسلين لان صالحا كان يدعوهم الى ما كان دعا ساير الرسل فاذ كذبوه
فكان قد كذبوا الرسل جميعا اذ كل رسول كان يدعوا الى الايمان بالرسل جميعا فاذ كذب واحد منهم فقد كذب
الكل والله اعلم وقوله وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يحتمل الآيات آيات وحدانية الله وحججه ويحتمل
جميع الآيات آيات الوحدانية وحججه وآيات رسالتهم معرضين اى لم يقبلوها فاذ لم يقبلوها فقد اعرضوا عنها
او اعرضوا عنها اى كذبوها وقوله عز وجل وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين يحتمل آمنين عما وعدهم صالح
من عذاب الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين كانوا آمنين عن ذلك وقال بعضهم

الايج كل بيت مربع مسطح وبضمتين الحصن ج آجام
قاموس

الغيضة بالفتح مجتمع الشجر
ق

قوله تعالى وان كان اصحاب الايكة

كانوا آمنين عن ان يقع عليهم ما نحتوا لحذاقتهم وهو ما قال وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين على تأويل بعضهم حاذقين **وقوله** عز وجل فاخذتهم الصيحة مصبحين يحتمل اخذتهم ظاهرة بالنهار **وقوله** عز وجل فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يحتمل قوله فما اغنى عنهم اى ما كانوا يخشون لا يغنيهم من عذاب الله من شئ ويحتمل فما اغنى عنهم ما عملوا من عبادة الاصنام والاوثان حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هولاء شفعاؤنا عند الله اى لم يغنهم ما عبدوا من عذاب الله او يقول ما اغنى عنهم ما انفقوا وانعموا في هذه الدنيا في دفع عذاب الله عن انفسهم كقوله فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم الاية اى وان اعطوا ما ذكر من السمع والبصر والافئدة اذا لم ينظروا ولم يتفكروا في آيات الله وجحدوها **وقوله** عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يحتمل بالحق الحق الذى جعل تسمية على اهلها والحق الذى لبعض على بعض والحق هو اسم كل محمود مختار من القول والفعل والباطل اسم كل مذموم من القول والفعل قال بعضهم تأويله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا شهود الله بالحق على اهلها **وقوله** عز وجل الا بالحق اى لم يخلقهما لغير شئ ولكن خلقهما للمحنة يمتحنهم بالعبادة فيها والى هذا ذهب الحسن وقيل خلقهما وما بينهما لامر كاين اى لعاقبة للثواب والجزاء لم يخلقهم للفناء خاصة ولكن للعاقبة لان خلق الشئ خاصة عبث وهو ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر ان خلقهم لا للرجوع اليه ولا للعاقبة عبث وقد ذكرناها فيما تقدم وجايز ان يكون قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية على الاحتجاج على اولئك لانكارهم الساعة لوجهين احدهما ما ذكرنا انه لو لم تكن الساعة حصل خلقهما وما بينهما للفناء خاصة وخلق الشئ للفناء خاصة عبث باطل كبناء البناء للنقض خاصة لا لعاقبة تقصد عبث والثانى انه يكون في ذلك التسوية بين الاعداء والاولياء وفي الحكمة التفريق بينهما وما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا الاية لم يكن ظنهم انه خلقهما باطلا ولكن لما انكروا البعث صار في ظنهم خلقهما باطلا **وقوله** عز وجل وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل قال بعضهم فاصفح الصفح الجميل اى اعرض عنهم ولا تكافهم بما آذوك بالسنتهم وفعلهم وان الساعة لآتية فانا الكافيهم عنك على ذاهم اياك وصنيعهم يومئذ والصفح الجميل هو ما لا نقص فيه ولا منة في العرف اى اصفح الصفح ما يوصف فيه بتمام الاخلاق وما لا نقص فيه ولا منة يحتمل الصفح الجميل هو ان تصفح ولا تمن عليهم كانه امر ان يصفح صفحا لا منة فيه وان الساعة لآتية فتجزى انت على صفحك الجميل وهم على اذاك والله اعلم **وقوله** عز وجل ان ربك هو الخلاق العليم هذا يحتمل وجهين احدهما انه على علم بما يكون منهم خلقهم من المعصية والخلاف لا خلقهم عن غفلة وجهل بذلك ليعلم انه لم يخلق الخلق لحاجة نفسه ولا المنفعة نفسه ولكن خلقهم ليمتحنهم بما امرهم ونهاهم ولما يرجع الى منافعهم وحوائجهم والثانى ان ربك هو الخلاق لخلقه العليم بمصالحهم بان الصفح الجميل لهم ذلك اصلح في دينهم من المكافاة والله اعلم **وقوله** عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم اختلف في قوله سبعا من المثانى قال بعضهم سبعا من المثانى المثانى هو القرآن كله كقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى وقيل سمى مثانى لترديد الامثال فيه والعبر والانباء فان كان على هذا فيكون قوله سبعا من المثانى اى سبعا من القرآن العظيم ثم يحتمل السبع الطوال على ما ذكر بعض اهل التأويل كانه قال آتيناك سبعا من القرآن العظيم ويحتمل سبعا يعنى فاتحة الكتاب من القرآن اى آتيناك فاتحة الكتاب من القرآن وقال قوم يقولون سبع المثانى فاتحة الكتاب ويروون على ذلك حديثا عن رسول الله روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القرآن وام الكتاب والسبع المثانى وعن ابى رضى قال قال صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة والانجيل مثل ام القرآن وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سال ومنهم من يقول المثانى القرآن كله يذهب الى ما ذكرنا من الآية وبما يروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزلت

في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور والقرآن مثلها يعنى ام القرآن وانها السبع من المثانى والقرآن العظيم الذى اعطيت ذكر وانها السبع من المثانى فان كان سبع المثانى فاتحة الكتاب يصير كانه قال ولقد آتيناك سبعا وهى من المثانى هى السبع الطوال يكون هكذا اى آتيناك سبعا وهو المثانى وروى ايضا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال اتانى السبع الطوال مكان التوراة والثانى مكان الانجيل فضلنى ربى بالمفصل ثم ان ثبت ما روى في الخبر ان سبع المثانى فاتحة الكتاب والا الكف والامساك عن ذلك اولى لانه لا حاجة بنا الى معرفة ذلك وليس يكون تسميتنا اياها سوى الشهادة وما خرج مخرج الشهادة من غير حصول النفع لنا فالكف عنه والامساك اولى ومنهم من يقول هو المفصل ومن قال المثانى فاتحة الكتاب قال لانها تثنى في كل ركعة او ما جعل فيها مكررة معادة لان كل حرف منها يؤدى معنى حرف آخر فسمى مثانى بذلك فمن قال المثانى هو القرآن قال لما ذكرنا لان امثاله وانباءه وعبره معادة مرددة ومن قال المثانى السبع الطوال فقال لانه يثنى فيها حدود القرآن وفرايضه وعامة احكامها والله اعلم **وقوله** عز وجل والقرآن العظيم سماه عظيما وسماه مجيدا وحكيما وهو اسم الفاعلين ولا عمل له ولا فعل في الحقيقة لكنه يخرج والله اعلم على وجوه يحتمل سماه عظيما مجيدا لما عظمه وشرفه ومجده فهو عظيم مجيد حكيم اى محكم الفعيل بمعنى المفعول وذلك جايز في اللغة او سماه بذلك لان من تمسك وعمل به يصير عظيما مجيدا وسماه عظيما مجيدا حكيما وسماه اى جاء من عند عظيم مجيد حكيم واصل الحكيم هو المصيب واضع كل شئ موضعه والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم يحتمل المراد بقوله عينيك نفس العين ثم هو يحتمل وجهين احدهما نهى رسوله ان ينظر الى ما متع اولئك مثل نظرهم لانهم ظنوا انهم انما متعوا بهذه الاموال في الدنيا لخطرهم وقدرهم عند الله وعلى ذلك قالوا ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وقال ولئن رجعت الى ربى الاية ونحوه ظنوا انما متعوا في هذه الدنيا لخطرهم وقدرهم عند الله لذلك قالوا ما قالوا فنهاه ان ينظر الى ذلك بعين الذين نظروا هم اليه ولكن بالاعتبار والثانى نهاه ان ينظر الاستكبار والتجبر على المؤمنين والاستهزاء بهم على ما نظروا هم لانهم بما متعوا من انواع المال استكبروا على الناس واستهزؤا بهم اذ البصر قد يقع من غير تكلف فيصير كانه نهاه عن الرغبة والاختيار فيما متعوا فيه لان ما متعوا به هو ما ذكر ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وقال في آية اخرى لنفتنهم فيه وقوله لا تمدن عينيك فيما متعوا فانهم انما متعوا لما ذكر ويحتمل النهى عن مد العين لا العين نفسه ولكن نفسه كانه قال لا تمنين نفسك فيما متعوا هم ولا ترغبنها في ذلك فانه ليس بوسع ذلك عليهم لخطرهم وقدرهم ولكن ليعلم ان ليس لذلك خطر عند الله وقدر حيث اعطى من افترى عليه وجحد نعمه وفضله وفي الاية تفضيل الفقر على الغنا لانه نهى رسوله ان يمد عينيه الى ما متعوا ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد الى ذلك ليس يمد للدنيا ولا للشهوات ولكن ليستعين به في امر جهاد عدوه ويعين به اصحابه في سبيل الخيرات ثم نهاه مع ذلك عنه دل ان لا خير ولا فضل ما اختار من الفقر وقصور ذات يده والله اعلم **وقوله** عز وجل ازواجا منهم اى اصنافا من الاموال والوانا من النعم وقال بعضهم ازواجا منهم اى الاغنياء منهم واشباها فان كان قوله ازواجا منهم هو اصناف الاموال فهو على التقديم والتاخير كانه قال لا تمدن عينيك الى ما متعنا منهم ازواجا منهم هو اصناف الناس فهو على النظم الذى جرى التنزيل اى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به قوما منهم وفي قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله لا يعطى احدا شيئا الا ما هو اصلح له في الدين ولو كان ما متع هؤلاء اصلح لهم في الدين لم ينه رسوله عن مد عينيه اليه دل انه قد يعطى ما ليس باصلح في الدين وكذلك قوله ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا انما اخبر انه انما يملى ليزدادوا اثما وهم يقولون يملى لهم ليزدادوا خيرا وكذلك قوله ولا تحسبن الذين كفروا يبخلون بما آتاهم الله

من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم الآية هذه الآيات كلها تنقض عليهم قولهم وقد ذكرنا هذا في غير موضع
فيما تقدم وقوله عز وجل ولا تحزن عليهم يحتمل النهي نفسه نهاه ان يحزن عليهم اشفاقا عليهم بل امره ان يغلظ
عليهم كقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يحتمل النهي نفسه وعلى هذا يخرج قوله واخفض جناحك
للمؤمنين اي ارفق بهم ولين عليهم واشدد على اولئك واغلظ عليهم وهو ما وصفهم اشداء على الكفار
رحماء بينهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اخبر انهم اهل شدة على الكفار واهل غلظة رحماء بينهم
واهل ذلة على المؤمنين واهل شدة عليهم اي على الكفار فعلى ذلك هذا ويحتمل ان ليس على النهي ولكن على التخفيف
والتسلي ورفع الحزن عن نفسه لانه كان يحزن لكفرهم بالله وتركهم الايمان حتى كادت نفسه تتلف
لذلك كقوله لعلك باخع نفسك الآية وقوله فلا تذهب نفسك الآية وامثاله ويحتمل ايضا وجها آخر
وهو انه كان يحزن عليهم وتضيق صدره لما مكروا به وكادوه كقوله ولا تحزن عليهم ولا تكن
في ضيق مما يمكرون فاني اكافيهم والله اعلم وقوله عز وجل وقل اني انا النذير المبين يحتمل انا النذير
على معاصيه المبين على طاعاته او النذير على العصاة من عذاب الله المبين لاموره ونواهيه والله اعلم وقوله
عز وجل كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال الحسن الكتب كلها قرآن يعني كتب الله
اقتسموها وجعلوها عضين اي فرقوها بالتحريف والتبديل فما وافقهم اخذوه وما لم يوافقهم غيروه
وبدلوه كقوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ونحوه فذلك اقتسامهم
وتعضيتهم على قوله وكقوله يجعلونه قراطيس يبدونها وتخفون كثيرا وقوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا
ونحوه وقال بعضهم اقتسامهم وهو ان نفرا من قريش كانوا اقتسموا اعقاب مكة ليصدوا الناس عن رسول الله
فيقول طائفة منهم اذا سئلوا عنه هو كاهن وطائفة اخرى هو شاعر ساحر مجنون ونحوه وعضين
قولهم هو سحر كهانة اساطير الاولين افترى على الله كذبا وامثال ما قالوا فذلك اقتسامهم وعضيهم
وقال بعضهم هو على التقديم اي آتيناك المثاني والقرآن العظيم انزلناه عليك كما انزلنا التورية والانجيل
على اليهود والنصارى فهم المقتسمون كتاب الله فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقال ابو عوسجة يقال عضيت
الجزور اي قسمتها عضوا عضوا وقال غيره هو من العضة وهو السحر بلسان قريش يقال للساحر عاضهة وقال القتبي
المقتسمون قوم تحالفوا على عضة النبي صلى الله عليه وسلم وان يذيعوا ذلك بكل طريق ويخبروا به
النزاع اليهم وعضين اي فرقوه وعضوه وقيل فرقوا القول فيه وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قوله فوربك قيل قسم قسم به تعالى لنسألنهم اجمعين قال بعضهم
الخلائق كلها كقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين لخبرانهم يسألهم جميعا الرسل عن تبليغ
الرسالة والذين ارسل اليهم عن الاجابة لهم وقال بعضهم قوله فوربك لنسألنهم اجمعين هؤلاء الذين
سبق ذكرهم المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين والذين استهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه يسألهم عن جميع ما فعلوا والمعنى الذي حملهم على سوء معاملة رسوله وكتابه ولاي شيء نسبتم رسولي
وكتابي الى السحر والكذب والكهانة والافتراء على الله لا يسألون ما فعلتم واي شيء عملتم لان ذلك يكون
مكتوبا في كتبهم يقرؤن كقوله اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وهو وعيد شديد في نهاية الوعيد
والشدة لانه وعيد مقرون بالقسم وكل وعيد قرن بالقسم فهو في غاية الشدة اذ لو جاء نا ذلك الوعيد
من ملك ملوك البشر يجب ان يخاف فكيف من ربنا وقوله عز وجل فاصدع بما تؤمر وقال بعضهم فاصدع
بما تؤمر اي استقم كما تؤمر كقوله فاستقم كما امرت فهو في كل ما امر به وقال بعضهم اصدع اي امض بما تؤمر
من تبليغ الرسالة واعرض عن المشركين اي اعرض عن مكافاتهم والله اعلم امض على ما تؤمر من تبليغ الرسالة
اليهم ولا تخفهم ولا يمنعك شيء عن تبليغ الرسالة الخوف ولا القرابة ولا شيء من ذلك ولكن امض على ما تؤمر

وهو كا

وهو كما قال ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقال كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
ولو على انفسكم اي لا يمنعكم عن القول بالحق والعدل بغضكم اياهم ولا قرابتكم التي فيما بينكم فعلى ذلك قوله
فاصدع بما تؤمر اي امض على ما امرت من تبليغ الرسالة ولا يمنعك عن ذلك الخوف والوعيد والقرابة
التي فيما بينك وبينهم وقال القتبي اصدع بما تؤمر اي اظهر ذلك واصله الفرق والفتح يريد اصدع الحق
الباطل بحقك حتى ياتيك الموقن به وهو الموت وقال ابو عوسجة اصدع اي امض على ما تؤمر وصدعت
اي مضيت وذلك من المضي واصل هذا كله الشق ويقال تصدعوا اي تفرقوا والله اعلم وقوله عز وجل
واعرض عن المشركين اي اعرض عن مكافاتهم انا كافيهم عنك على ما اذوك وقال بعض اهل التاويل قوله
واعرض عن المشركين هو منسوخ باية السيف لكن على الوجه الذي ذكرنا ليس بمنسوخ ويحتمل واعرض عن المشركين
ان كان اراد به القتال والدعاء الى التوحيد فهو في وقت دون وقت او في قوم خاص علم الله انهم لا يجيبونه
ولا يؤمنون به ايأس رسوله عن ايمانهم فقال اعرض عن هؤلاء ولا تشتغل بهم ولا تدعهم فانهم لا يؤمنون
ولكن ادع قوما آخرين والله اعلم وقوله عز وجل انا كفيناك المستهزئين قال بعضهم قوله كفيناك
المستهزئين الكفرة جميعا فمنعناهم عن ان يصلوا اليك على ما قصدوا اليك من اهلاكك وغيره كقوله
نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقال بعضهم قوله كفيناك المستهزئين الذين كانوا على الطرق والمراصد ليصدوا الناس
عن رسول الله عليه الصلوة والسلام على ما ذكر في القصة العدد الذي ذكر سبعة او خمسة كفاه الله باهلاكهم
بما ذكر اهل التاويل ان الذين استهزؤا به اهلكوا جميعا بعقوبات مختلفة وقوله عز وجل الذين يجعلون
مع الله الها آخر قوله يجعلون ليس على الجعل لانهم لو جعلوا لكان لان كل مجعول كائن موجود ولكن قوله
يجعلون اي يزعمون ان مع الله الهة آخر اما في التسمية او في العبادة وكذلك قوله جعلوا القرآن عضين هم
لا يقدرون على ان لا يجعلوه عضين ولكن زعموا انه كذا لان الله وكل حفظه الى نفسه بقوله وانا له لحافظون
وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اخبر انه يحفظه حتى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
فلو قدروا على جعله عضين لكان قد اتى الباطل من بين يديه دل انه على القول الذي قالوا وهو على المجاز وكذلك
قوله فراغ الى الهتهم وقوله اجعل الآلهة الها واحدا فهو كله على المجاز على ما عندهم اما بحق التسمية لها انها
آلهة واما بصرف العبادة اليها ظاهر هذا ان المستهزئين الذين ذكرهم انه كفاه عنهم هم الكفرة جميعا
لكن يحتمل ان الذين ذكرهم اهل التاويل كانوا على مراصد مكة اضاف ذلك اليهم ونسب لانهم هم الذين امروا
غيرهم ان يجعلوا دونه الهة فكانهم فعلوا ذلك وهم قالوا وقوله كفيناك المستهزئين الذين فعلوا به
ما فعلوا ممن تقدم ذكرهم فيكون قوله الذين يجعلون على اضمار كان اي الذين كانوا يجعلون مع الله الها آخر
وان كان في الذين يكونون من بعد فهو على ظاهر ما ذكر يجعلون على المستقبل وقوله عز وجل فسوف يعلمون
وعيد اي سوف يعلمون ما عملوا من الاقتسام والعضة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
اذا نزل العذاب بهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وما قالوا من الاقتسام
والعضة والاستهزاء به وانواع الاذى الذي كان منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم اي نعلم ذلك وهو
محفوظ عندنا نجزيهم على ذلك فلا يضيقن صدرك لذلك فهو على التصبير على الاذى والتسلي عن ذلك وترك المكافاة
لهم والله اعلم وكان يضيق صدره مرة لتركهم الاجابة له ومرة للاذى باللسان والثاني على علم منا بما يكون
منهم ومن ضيق صدرك بذلك لكن انشاناهم ومكناهم على علم منا بذلك امتحانا منا اياك بذلك واياهم وقوله
عز وجل فسبح بحمد ربك قال بعض اهل التاويل اي صل بامر ربك وكن من الساجدين اي من المصلين وقوله فسبح
هو امر فاذا فعل ذلك كان بامر ربه فلا معنى لذكر الامر من بعد بقوله بحمد ربك ان كان الحمد هو الامر على ما قال بعض
اهل التاويل ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله فسبح اي نزه الله عن جميع ما قالت الملحدة فيه اذ التسبيح هو التنزيه في اللغة

بحمد ربك اى بثناء ربك اى تنزه عن ذلك كله بثناء تثنيه عليه وكن من الساجدين اى من الخاضعين اذ السجود هو
الخضوع او ان يكون امره اياه بالتسبيح على التسلي وتوسيع صدره بالذي يكون منهم اى فسبح بدل مكان ذلك وقوله
عز وجل واعبد ربك يحتمل التوحيد اى وحد ربك وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه كل عبادة ذكرت في القرآن
فهو توحيد بامره باعتقاد الاخلاص له في كل امر ويحتمل العبادة نفسها يامره بالعبادة له شكر الله على ما روي في الخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت ساقاه فقيل له الم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال بلى
افلا اكون عبدا شكورا وقوله عز وجل حتى ياتيك اليقين اى ما تيقنت به وهو الموقن به وكذلك قوله ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله اى من يكفر بالمؤمن به فقد حبط عمله لان الايمان لا يكفر به نفسه ذلك اليقين لا ياتيه ولكن ياتيه
الموقن به وكذلك ما ذكر الصلوة امر الله اى بامر الله وهو المأمور به لان الصلوة لا تكون امر الله لكن بامر الله وكذلك
ما يجيء من هذا النحو ويحتمل قوله حتى ياتيك اليقين منهم وهو ما وعد من العذاب فيهم اى يتيقنون بذلك والله اعلم تاويله
بعض اهل التاويل سورة النحل كلها مكية الا ثلاث آيات لانها نزلت بالمدينة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة النحل مكية الا وان عاقبتم الى آخره وآيها ماية وثمانية وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه في قوله اتى امر الله فلا تستعجلوه وجهان احدهما ان يعرف قوله امر الله واراد
وما الذي استعجلوه وانما استعجلوه الساعة والقيامة بقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها الآية ونحوه من
الآيات وقال بعضهم امر الله هو عذابه وكذلك ما ذكر في جميع القرآن من امر الله المعنى منه عذابه كقوله جاء
امر الله اى عذابه ونحوه ويحتمل قوله اتى امر الله رسوله الذي كان يستنصر به اهل الكتاب على المشركين كقوله وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا الآية وكان يتمنى مشركو العرب ان يكون لهم رسول كسائر الكفرة كقوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم الآية فلا تستعجلوه ذهاب ما كنتم تتمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم او شيء آخر والله اعلم ثم انه لم يرد بقوله
اتى امر الله وقوعه ولكن قرب اى قرب اتيان امر الله كما يقال اتانا الخير واتانا الامر كذا على ارادة القرب لا على الوقوع
وجائز ان يكون قوله اتى امر الله اى ظهر اعلام امر الله وآثاره وليس على اتيان نفسه امره من مكان الى مكان كقوله جاء
الحق وزهق الباطل وآثاره هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان به يختم النبوة فهو كان اعلام الساعة على ما روي
عنه صلى الله عليه وسلم فقال انا والساعة كهاتين اشار الى اصبعين لقرب بعضه والله اعلم وقوله عز وجل
فلا تستعجلوه لانه لا منفعة لكم فيها فلما ذا تستعجلونه كقوله قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه
المجرمون اذ لا منفعة لهم فيه بل فيه ضرر عليهم وقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون سبحان كلمة اجلال الله
يجري بها على لسن اوليائه على تبرئة ما قالت الملحدة فيه وتعاليه عن جميع ما نسبوا اليه من الولد والمصاحبة والشريك
وغيره من الاشباه والاضداد تعالى عن ذلك سبحان الله حرف يذكر على اثر شيء مستبعدا ومستعجبا ومستعظما
جوابا لذلك وهو ما ذكره على اثر وصف وقوله لا يليق بالله من الولد والشريك مما وصفوه وقوله عز وجل ينزل
الملائكة بالروح من امره قال بعضهم قوله بالروح اى بالوحي الذي نزل على رسله والرحمة او الروح الرحمة وهو الذي
حياة كل من رحم الله وهداه لدينه وهو ما ذكر حيث قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل الرسالة والنبوة
وما ذكر روحا لانه به حيوة الدين كما سمي الذي به حيوة الابدان ارواحا وقال الحسن قوله بالروح من امره اى الحيوة
من امره وهو ما ذكرنا من حيوة الدين وقوله عز وجل على من يشاء من عباده اى على من يشاء ان يختص من عباده ويختار
وهو مشيئة الاختيار وان كان غيره يصلح لذلك وفيه دلالة اختصاص الله بعضهم على بعض وان كان غيره يصلح لذلك
وقوله عز وجل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون على هذا اجاب الرسل والانبياء عليهم السلام جميعا بالانذار
والدعاء الى وحدانية الله وتوجيه العبادة اليه وقوله ان انذروا هو صلة ما تقدم من قوله ينزل الملائكة ان انذروا

ولا يوصل بما تاخر ثم يخرج على الاصنام اى انذروا وقولوا انه لا اله الا انا فاتقون وقوله عز وجل خلق السموات
والارض بالحق قد ذكرنا قوله بالحق في غير موضع انه لم يخلقهما وما فيهما عبثا انما خلقهم لامر كاين او للمحنة
والجزاء ونحوه وقوله عز وجل تعالى عما يشركون من لا يخلق ولا ينفع ولا يضر ولا يدفع في الذي يخلق وينفع
ويضر ويدفع تعالى عن ذلك وتبرأ وقوله عز وجل خلق الانسان من نطفة يذكرهم عز وجل نعمه عليهم وقدرته
وسلطانه وعلمه لانه لو احتج الخلايق كلهم على ان يدركوا المعنى الذي به يصير النطفة نسمة وانسانا ما قدروا
عليه حيث خلق من النطفة انسانا على احسن تقويم واحسن صورة وفيه نقض قول الدهرية حيث انكروا خلق الشيء من لا شيء
لانهم لم يدركوا المعنى الذي به خلق الانسان من النطفة فيلزمهم الاقرار بخلق الشيء من لا شيء وان لم يشاهدوا ذلك
ولم يدركوا وفيه دلالة البعث لان من قدر على انشاء الانسان من النطفة وليس فيها من آثار الانسان شيء يقدر على البعث
والانشاء والاشياء لا من شيء وقوله عز وجل فاذا هو خصيم مبين قال بعضهم الخصيم هو الذي يجادل بالباطل
مبين اى ظاهر مجادلته بالباطل ومخاصمته وقال بعضهم الخصيم هو الجدل الذي يجادل فيم كان قال ابو عوسجة
الخصيم هو المخاصم والمخاصم كلاهما خصيم ويقال فلان خصيمي اى خصمي مبين ظاهر خصومته والخصيم هو فعيل
والفعيل قد يستعمل في موضع الفاعل والمفعول جميعا فكانه قال فاذا هو خصيم مبين اى منقطع عن الخصومة
بين انقطاعه وهو ما ذكر من خصومته في آية اخرى وانقطاع حجته حيث قال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فهذا احتجاج عليه فاذا انقطعت
حجته وبهت الذي انكر قدرته على البعث حيث لم يتهيأ له جواب ما احتج اليه وقوله عز وجل والانعام خلقها لكم
يحتمل قوله خلقها لكم على الظاهر ان خلق هذه الاشياء لنا فيها دفء ومنافع كقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا وقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ويحتمل قوله والانعام خلقها اى هو خلقها ثم اخبر انا
فيها منافع يذكر انواع المنافع والنعم التي انعم علينا مفسرة مبينة واحدة بعد واحدة في هذه السورة وفي غيرها
من السور انما ذكرها مجملة غير مشار الى كل واحدة منها على ما اشار ما في هذه السورة ليعرفوا بشكرها وليعلموا
قدرته على خلق الاشياء لا من الاشياء ثم قوله فيها دفء قال بعضهم الدفء نسل كل دابة وقال بعضهم ما ينتج منه وقال
القتبي الدفء ما استدفأت به ويشبه ان يكون تفسير الدفء والمنافع التي ذكرهما في آية اخرى وهو قوله والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم الآية جعل الله
عز وجل الانعام وما ذكر وقاية بجميع انواع الاذى من السماوي وغيره مما يهيج من الانفس من الحر والبرد والجوع
وغير ذلك مما يكثر مدها ويطول مدها وذكرها وجعل فيها منافع كثيرة من الركوب والشرب والاكل كما قال
ولكم فيها منافع وقال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة الى اجل مسمى واخبر ايضا
جمالا وزينة بقوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون قال قائل اى جمال يكون لنا فيها حين الاراحة
وحين السرح وقال بعض اهل التاويل وذلك انه اعجب ما يكون اذا راحت عظاما ضروعها طوالا اسنمتها وحين تسرحون
اذا سرحت لرعيها او ان يكون الجمال عند الاراحة والسرح شرب البانها وقرى الضيف من البانها في الرواح والمساء وقال
بعضهم ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك انهم كانوا يسرون عند الاراحة والتسريح وذلك السرور يظهر
في وجوههم فاذا ظهر ازداد لهم جمالا وحسنا وهكذا المعروف في الناس انهم اذا سروا يظهر ذلك السرور في وجوههم
فيزداد لهم بذلك جمالا واذا حزنوا واصابهم غم يؤثر ذلك الغم نقصانا في خلقتهم فيزداد لهم قبحا وتشويها
وقال بعضهم انهم اذا راحوها او سرحوها راى الناس ان اربابها اهل غنى واهل ثروة وانهم لا يحتاجون الى غيرهم
ويكون لغيرهم اليهم حاجة فيكون لهم بذلك ذكر عند الناس وشرف وذلك جمالهم وشرفهم فيها والجمال لهم فيها
ظاهر لان ما يبسط ويفرش انما يتخذ منها ومن اصوافها وكذلك ما يلبس انما يكون منها وانما يبسط ويفرش ويلبس
ويلبس للتجمل والبهاء والله اعلم وقوله عز وجل وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ذكر ايضا

ماجعل فيها لنا من النعم ماتحمل من الاثقال من مكان الى مكان ومن بلد الى بلد مالم يكن انشاء من اعني الانعام
التي اخبر انها تحمل اثقالنا الى ذلك بدونه الا بجهد وشدة وذلك والله اعلم ان الله جعل في هذه الانفس حوايج
وقواما مالا قوام لها الا بذلك فلعله لا يتفق بما به قوام النفس الا في بلد آخر او مكان آخر فلو تحمل ذلك بنفسه لكان
في ذلك تلف نفسه وذهاب ما به قوامه فذكر انه خلق لنا ما يحمل به من بلد الى بلد مما به قوام انفسنا وحاجاتنا والله اعلم
وقوله عز وجل ان ربكم لرؤف رحيم اي من رحمته ورافته ما جعل لكم من المنافع في الانعام وما ذكر او ذكر هذا ليحمل
على هذه الانعام التي خلقها لهم في الانفاق عليها والاحسان اليها وذكر فيه ومنها تاكلون وذلك لا يوصل الى اكله الا بالذبح
ليعلم ان الذبح فيما يوكل ليس بخارج من الرحمة والرافة وذلك ينقض على الثنوية قولهم حيث انكروا ذبح هذه الاشيا
ويقولون انهم يتالمون بالذبح والضرب والقتل كما تتالمون انتم فمن قصد قصد احدكم بالقتل فهو سفيه عندكم
عندكم غير حكيم ولا رحيم بل موصوف بالقساوة والسفه فالله سبحانه موصوف بالحكمة والرحمة والرافة لا يجوز
ان يامر بالذبح والقتل لهذه الاشياء اذ ذلك مما يزيل الرحمة والحكمة فيجاب لهم بوجوه احدها ان الله خلق هذا
البشر في هذه الدنيا للمحنة ولعاقبة قصدها اما ثوابا واما عقابا ولتعبر انه خلق هذه الاشيا لنا وجعل لنا
فيها منافع تتامل وتقصد وقد نجد في الشاهد من هو موصوف بالرحمة والرافة على نفسه يخرج نفسه الجراحات
ويحمل عليها الشدايد والمكروهات لمنافع تقصد وخير يتامل في العاقبة ثم لم يوصف بالسفه ولا بالخروج عن الحكمة
والرحمة من نحو الحجامة والافتصاد وشرب الادوية الكريهة الشديدة ما لو لم يتامل في العاقبة ثم لم يوصف بالسفه
ولا بالخروج عن الحكمة والرحمة لما قصد من النفع والعاقبة في العاقبة ما يحمل تلك المكروهات والشدايد فذلك
ما وصفنا ان يحمل الاذى والالام والمكروه غير خارج عن الحكمة والرحمة ولا الفعل بما فعل سفه اذا كان لمنافع تقصد
في العاقبة وعاقبة تتامل فيبطل قول الثنوية ان ذلك مما يزيل الرحمة على ان هذه الانعام والبهايم لم تخلق للمحنة
والجزاء في العاقبة ولكن خلقت لمنافع البشر فلهم الانتفاع بها مرة بلحومها ومرة بحمل اثقالها والانتفاع بظهورها
مع ما ذكرنا ان تحمل المكروهات وانواع الشدايد والالام لا يخرج الفعل عن الحكمة ولا يزيل الرحمة والرافة
اذا قصد به النفع في العاقبة وطمع فيه الخير وهذا يدل انه ابيح لنا الانتفاع بها والذبح على غير جعل حقيقتها لنا
حيث لم يبح لنا اتلافها اذ لو كان اصول الاشياء لنا لكان لا يمنع عن الاتلاف فدل انه ابيح لنا الانتفاع بها على غير جعل
للحقيقة والاصول لنا فيبطل قول من يقول ان الاشيا في الاصل على الحل والاباحة حتى يقوم ما يحظر قال ابو عبيد
حين تريحون يقال منه ارحت الابل اريحها اراحة والاراحة عند العرب ان يصدر الرعاة مواشيها بالليل الى مأويها
ولهذا يسمى ذلك الموضع المراح وقوله وحين تسرحون هو اخراجها الى المرعى يقال سرحتها اسرحها سرحا وسروحا وكذلك
قال القتبي وابو عوسجة والدفء ما ذكرنا انه من الاستدفاء وقوله عز وجل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
وقوله وزينة يحتمل وجهين احدهما ان الماشي هو دون الراكب والمشي يؤثر نقصانا في الوجه والركوب لا وذلك
زينة على ما ذكرنا في قوله ولكم فيها جمال والثاني ان الراكب اذا نظر الى الماشي سر بركوبه فالسرور يظهر في وجهه وذلك
يزيد في حسنه وجماله واصله ما ذكر عز وجل والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع الآية والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة بين انه لماذا خلق الانعام وما جعل فيها وهو ما ذكر انه جعل فيها الدفء والمنافع ومنها تاكلون وبين انه
لماذا خلق الخيل وهو ما ذكر لتركبوها وزينة وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن لحوم الخيل فقال والخيل والبغال
والحمير لتركبوها ولم يقل لتاكلوها فكره اكلها لذلك وتمام هذا ان الله ذكر الانعام وما ذكر من النعم والانتفاع بها وبالغ
في ذكرها لانه قال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون وقال ولكم فيها جمال حين تريحون وحين
تسرحون الآية وقال هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر وقال ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل
والاعناب ومن كل الثمرات وقال وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا الى آخر ما ذكر ذكر جميع ما ينتفع به
من انواع المنافع ذكرا شافيا بالغا غير مكنى فذكر ما ذكر في الخيل من الركوب وكذلك في البغال والحمير على انه

ليس فيها منفعة اخرى سوى ما ذكر وهو الركوب اذ خرج الذكر لها على المبالغة والاستقصاء ليس على الاكتفاء ولو كان
هنالك منفعة اخرى لذكر على ما ذكر في غيره والله اعلم والثاني من الاشيا اشياء يعرف خبثها بنفار الطباع
والصبيان اول ما بلغوا يعنون في ذكرها الا احد برغبة اكلها الا من غير طبعه عما كان مجبولا به فهو يرغب
في اكله واما من ترك وطبعه يستخبث وينفر طبعه عن اكله والله اعلم وروى عن جابر قال لما كان يوم خيبر
اصاب الناس مجاعة واخذوا الحمر الاهلية فذبحوها فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الانسية ولحوم
الخيل والبغال وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وحرم الخلسة والنهبة وروي عن جابر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك قال اطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر
وعن اسما بنت ابي بكر قالت نحرنا فرسا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلنا وفي بعض الاخبار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر واذن لنا في لحوم الخيل قلنا قد يجوز ان يكونوا اكلوه في الحال التي كان يوكل
فيها الحمر لان النبي انما نهى عن اكل لحوم الخيل صحيحا فقد يجوز ان يكونوا اكلوا لحم الفرس في حال الاباحة ثم لم يذكروا
الوقت وعن الحسن قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكلون لحوم الخيل في مغازيهم وكان الحسن
لا يرى فيها باسا على كل حال وقول الحسن انهم كانوا ياكلون لحوم الخيل في مغازيهم يدل على انهم كانوا ياكلون في حال
الضرورة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل لثلاثة فهي لرجل كذا ولرجل آخر كذا وعلى رجل
وزر بين انها لا تصلح لغير ذلك ولو صلحت للاكل لقال الخيل لاربعة ولقال ولرجل طعام ومما يبين
ما ذكرنا ان البغل حرام وهو من الفرسة فلو كانت امه حلالا كانت هو ايضا حلالا ولان حكم الولد حكم امه
لانه منها او هو كبعضها فمن حرم لحم البغل لزمه ان يحرم لحم الفرسة في حكم النظر والمقاييس الا ترى ان
حمار وحش لو نزى على حمارة اهلية لم يوكل ولدها ولو ان حمارا اهليا نزا على حمارة وحشية فولدت اكل ولدها
افلا ترى انه جعل حكم الولد حكم امه ولم يعتبر بالفحل فلما كان لحم البغل حراما وجب ان يكون لحم الفرسة كذلك
الا ان ابا حنيفة رحمه الله كان لا يطلق تحريم اكلها لما فيها من الشبهة والاختلاف والاحاديث المروية عن رسول الله
لكنه ذكر الكراهة للشبهة التي فيها وكان ابو يوسف رحمه الله يبيح اكلها وقد يجوز ان يحتج لابي يوسف في الفرق
بين المولود من الفرسة وبين ولد الحمارة الوحشية اذا نزا عليها حمار اهلي ان ولد الحمارة لم يتغير عن جنس امه
فحكمه حكمها والبغل ليس من جنس امه هو من جنس ثالث فلذلك لم يكن سبيلها بسبيله والله اعلم وقوله عز وجل
ويخلق ما لا تعلمون اخبر انه يخلق ما لا نعلم فليس لنا ان نتكلف في علم ذلك او نتكلف من النعم فيما خلق ما لا تعلمون
انتم انها نعم او قال يقول هو قادر ليس له ان يخلق شيئا لا يطلعه الممتحن وقوله عز وجل وعلى الله قصد السبيل
اختلف فيه قال بعضهم اي على الله بيان قصد السبيل وهو الهدى بين الهدى من الضلالة وبينه السبل
التي توفقت عن سبيله كقوله ثم ان علينا بيانه وقوله عز وجل ومنها جاير اي عليه بيان ما يجوز منها قصد السبيل
بعدل وبحياد ويقال وبالله يوصل الى قصد السبيل وقال بعضهم وعلى الله اي وبالله يوصل بقصد السبيل وهي
السبل التي ذكرنا ومنها جاير كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وقال بعضهم طريق الحق
والعدل لله وقد يستعمل حرف على مكان له وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم
اي لربهم وكقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومنها جاير وهي السبل المتفرقة عن سبيل وقوله
عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين قد ذكرنا تاويله وقوله ولو شاء لهديكم اجمعين يخرج على وجهين
احدهما لو شاء اكرم الخلق كله اللطف الذي اكرم اولياءه فان اهتدوا به فهم يهتدون والثاني لو شاء اعطاهم
جميعا الحال التي يكون بها الاهتداء وهو ما قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة الى آخر ما ذكر لكن لا يحتمل انه
اذا كان ذلك مع الكفار لكفروا جميعا واذا كان تلك الحال للمسلمين لا يسلمون وقوله عز وجل هو الذي انزل من السماء
موصول بقوله خلق السموات والارض بالحق وقوله خلق الانسان من نطفة وقوله والانعام خلقها لكم والخيل والبغال

يقول الذي خلق لكم ماذكر من الاشياء هو الذي انزل من السماء ما لكم منه شراب ومنه شجر هذا يحتمل ماذكرنا
انه انزل من السماء ماء لنا ثم اخبر انه منه شراب ومنه شجر ويحتمل هو الذي انزل من السماء ماء ثم اخبر لكم منه شراب
ومنه شجر ثم يحتمل قوله منه شراب جميع ما يشرب من الاشربة اذ منه تكون من الاشربة جميعا وجميع الاشيا ويحتمل منه
شراب الماء خاصة ومنه شجر الشجر معروف هو الذي يعلو ويرتفع في الارض لا يسمى الحشيش وما ينبسط على وجه الارض
شجرا فظاهر هذا ان يرجع الى ذلك المعروف الا انه ذكر شجر فيه تسيمون اي ترعون دل هذا انه انما اراد بالشجر
المنبسط على وجه الارض والمرتفع عليها وقال القتبي السايمة الراعية وكذلك قال ابو عوسجة وقال ابو عبيد
اسمت سايمتي اي رعيتها وكذلك قوله والخيل المسومة اي الراعية **وقوله** عز وجل ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل
والاعناب ومن كل الثمرات اي ينبت لكم بالماء الذي ذكر انه انزل من السماء الزرع والزيتون وجميع ماذكر
جعل الله بلطفه الماء لقاح كل الاشياء المختلفة والمتفقة ليس كغيره من الدواب حيث لم يجعل لقاح شيء من جنس
آخر انما جعل لقاح كل نوع من نوعه وجعل في الماء بلطفه سرية توافق جميع الاشياء المختلفة لو اجتمع الخلايق على ادراك
ذلك وان اجتهدوا لم يقدروا عليه يعرفون الماء ظاهرا ولكن لا يدركون ما فيه من اللطف والسرية الذي به يكون
حيوة كل احد وموافقة **وقوله** عز وجل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ذكر ان فيه اية لقوم يتفكرون
ولم يذكر انه آية لقوم يتفكرون بالتفكر يعرف انه آية لماذا وهذا يدل على ان الاشياء التي غابت عنا ظواهرها
بالتفكر والنظر تدرك **وقوله** عز وجل وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وما ذكر وجه تسخير هذه
الاشيا لنا وهو ان الله خلق هذه الاشياء وجعل فيها منافع للخلق تتصل تلك المنافع الى الخلق شيئين
او ابين احبين او كره من جعل في النهار معاشا للخلق وتقلبا فيه يتعيشون ويتقلبون وجعل الليل راحة
لهم وسكنا ينتفعون بهما شاء او ابيا وكذلك ما جعل في الشمس والقمر والنجوم من المنافع من انضاج الفواكه
والثمرات وادراك الزروع وبلوغها ومعرفة الحساب والسنين والاشهر ومعرفة الطرق والسلوك بها وغير ذلك
من المنافع ما ليس في وسع الخلق ادراكه لينتفع الخلايق بما جعل فيها من المنافع شاءت هذه الاشياء او ابت
فذلك وجه تسخيرها لنا ويحتمل ما ذكر من تسخير هذه الاشياء لنا ما جعل في وسعنا استعمال هذه الاشيا والانتفاع
بها والحيل التي بها نقدر على استعمالها في حوايجنا ويحتمل تسخيرها لنا ما ينتفع به من شئن او ابين بالطباع
والله اعلم **وقوله** عز وجل مسخرات بامره يحتمل وجهين يحتمل اي بامره تنفع الخلايق ويحتمل بامره اي كونها في الاصل
هكذا بان تنفع الخلق والله اعلم **وقوله** عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وقال في الآية الاولى
لقوم يتفكرون جعل الله عز وجل التفكر سبيلا للعقول الى ادراك المغيبة بالحواس الظاهرة اذ لا سبيل
للعقل الى ادراك ما غاب عنه الا بالحواس الظاهرة والتفكر فيها لان ما غاب عن الحواس الظاهرة لا يدرك العقل
فجعل الحواس الظاهرة سبيلا للعقول الى درك المغيب منها ذكر عز وجل في الآية الاولى لقوم يتفكرون
في الآية الثانية لقوم يعقلون وفي الآية الثالثة لقوم يذكرون وفي الرابعة لقوم يشكرون فهو [illegible]
على مراتب لانه بالتفكر فيها يعقل ويعلم ثم بعد العلم والعقل والفهم يتذكروا اذا تذكر عند ذلك شكر نعمه
ثم قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ويتفكرون وما ذكر فيه دلالة وحدانية الله تعالى ودلالة تدبيره وعلمه
وحكمته ودلالة بعث الخلايق ودلالة قدرته وسلطانه لان الليل والنهار ياتيان الجبابرة والفراعنة ويذهبان
بعمرهم ويفنيانه شاؤا او ابوا فذلك آية سلطانه وقدرته ليعلم ان له السلطان والقدرة لا لهم وفيهما دلالة
البعث لانه اذا اتى هذا ذهب الآخر حتى لا يبقى له اثر ثم ينشى مثله بعد ان لم يبق من الاول شيء ولا اثر فالذي
قدر على نشاة النهار والليل بعد ما ذهب اثره وتلاشى لقادر على انشاء الخلق [illegible] ما ذهب اثرهم وكذلك الشمس
والقمر والنجوم وما ذكر لما اتسق هذا كله على سنن واحد وتقدير واحد على غير تفاوت فيها ولا تفاضل
وعلى غير تقديم ولا تاخير بل جرى كله على سنن واحد وتقدير واحد وميزان واحد من غير تفاوت

ولاختلاف

ولا اختلاف دل انه على تدبير واحد خرج ذلك لا على الجزاف وان مدبر ذلك كله واحد اذ لو كان تدبير
عدد يخرج مختلفا متفاوتا فدل انه تدبير واحد لا عدد وانه على تدبير عزيز خرج وجرى كذلك لا بنفسه
وانه على حكمة وعلم جرى كذلك فيدل على لزوم الرسالة والعبادة له فهذا والله اعلم تاويل قوله ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون **وقوله** عز وجل وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه اي مختلفا اصنافه وجواهره
يخبر عز وجل عن قدرته وسلطانه ونعمه التي انعمها عليهم اما سلطانه وقدرته ما خلق في الارض وانبت فيها
بالملائم يرجع الى جوهر الارض وجنسها ولا الى جوهر الماء وجنسه وهما كالوالدين لما كالاب والارض كالام
فلم يرجع ما خرج منهما من جنسهما ولا من جوهرهما كما كان في ساير الاشياء رجع التوالد منها الى جنس الوالدين وجوهرهما
بل رجع التوالد والنشو من الارض والماء الى جنس البذر وجوهره ليعلم قدرته وسلطانه الى انشاء الاشياء
با سباب وبغير اسباب ومن شيء ومن لا شيء ويذكر نعمه حيث اخبر انه خلق في الارض من الاصناف المختلفة
والجواهر المتفرقة لينتفعوا بها ويحتمل قوله مختلفا الوانه من جنس واحد من شيء واحد لانه يكون من جنس واحد
الوان مختلفة ومن قدر على انشاء الوان مختلفة من شيء واحد لا يعجزه شيء **وقوله** عز وجل ان في ذلك لاية
لقوم يذكرون وفي آية لقوم يعقلون وفي آية لقوم يتفكرون وفي آية لكل صبار شكور وللمتوسمين وفي آية للمؤمنين
فيحتمل ان يكون كله كناية عن المؤمنين كانه قال ان في ذلك لاية للمؤمنين اذ يجمع الايمان جميع ما ذكر من التفكر
والتذكر والعقل والاعتبار والصبر والشكر وغيره ويحتمل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ويعقلون
ويذكرون اي لقوم همتهم التفكر والنظر في الآيات ولقوم همتهم التفهم والاعتبار فيها لا لقوم همتهم العناد
والمكابرة والاعراض عن النظر في الآيات والفكر فيها وفي ذكر الاية للمتفكرين والعاقلين والمتذكرين لما منفعة
الاية تكون لهؤلاء وان كانت الآيات لهم ولغيرهم لمنفعتها لمن ذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل وهو الذي
سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتسخيره اياه لنا هو ما بذل للخلق ما فيه من انواع الاموال التي خلقها
فيه من الحلي والجوهر واللؤلؤ وبذل ما فيه من الدواب السمك وغيره فلولا تسخير الله اياه للخلق وتعليمه اياهم
الحيل التي بها يوصل الى ما فيه من الاموال النفيسة والا ما قدروا على استخراج ما فيه والوصول اليه لشدة اهواله
وافزاعه **وقوله** عز وجل لتاكلوا منه لحما طريا يحتمل السمك خاصة ويحتمل السمك وما فيه من الدواب
من نوع ما لو كان بريا اكل من نحو الجواميس وغيرها **وقوله** عز وجل وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يحتمل الحلية اللؤلؤ
والمرجان الذي ذكر في آية اخرى حيث قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ثم يحتمل قوله حلية اي ما يتخذ منه حلية
وهذا جايز ان يكون يسمى الشيء باسم ما يتخذ منه وباسم ما يصير به في المتعقب ويسمى حلية لانه زينة
ولا شك ان اللؤلؤ والمرجان هما زينة وجمال وفي الخيل والبغال كذلك فالزينة في اللؤلؤ والمرجان اكثر
والجمال فيه اظهر اخبر انه جعل لنا الوصول الى ما قعر البحر وهو ما ذكر من اللؤلؤ وانواع الحلي وما في بطن البحر
وهو ما ذكر من اللحم الطري وما هو على وجه الماء وهو السفن التي ذكر ووجه تسخيره ايانا الحيل والاسباب التي
علمنا حتى نصل الى ما فيه فكانه قال سخرت لكم البحر من اسفله الى اعلاه وفي ذلك دلالات احدها اباحة التجارة
بركوب الاخطار لانه يطير في البحر يخاطر بنفسه وروحه وكذلك راكب السفن فلولا انه مباح له طلب ذلك
والا ما ذكر على منه منه اذ هو يخرج مخرج ذكر الامتنان والله اعلم **وقوله** عز وجل وترى الفلك مواخر فيه قال الحسن
والاصم المواخر السفن المشحونات الموقرة احمالها واثقالها يذكر منته التي من بها عليهم حيث جعل لهم
السفن والفلك التي يحمل بها الاحمال الثقال العظام في البحار ما سبيلها التسفل والانحدار في البحر فامسكها
فيه بالسفن العظام الثقيلة وقال بعضهم مواخر اي جارية مقبلة مدبرة بريح واحدة في الجريان ماء البحر
راكد فاجرى السفن فيه بالرياح حيث ارادوا وقصدوا اذ الاشياء قد تجري على جري الماء اذا كان له جرية
واما اذا كان راكدا ساكنا فلا سبيل الى ذلك فيذكر عظيم منته وقدرته على اجراء السفن في الماء الراكد بالريح

وقال بعضهم مواخر اى جوارى تشق الماء شقا والمخر قد يقال مخرت السفينة ومنه مخر الارض انما هو شق الماء
لها وهو قول القتبى وكذلك قال ابو عبيدة انه من شق السفن الماء وقال ابو عوسجة المواخر المستقبلة يقال استمخر
الانسان الريح اذا استقبلها وقال ابو عبيد مواخر منه لاستدبار يقال اذا اراد احدكم البول فليستمخر الريح
اى يستدبرها والله اعلم وقوله عز وجل ولتبتغوا من فضله يحتمل بالتجارة التى جعل فيها حيث جعل سبيل
قطع البحار الى بلاد نائية بعيدة بالسفن لتبتغوا ما به قوام ابدانهم وانفسهم اذ جعل بنيتهم بنية لا تقوم
الا بالاغذية ولعلهم لا يظفرون ما به قوام ابدانهم وبنيتهم فى بلادهم فيحتاجون الى البلاد النائية البعيدة
عنهم فمن عليهم بذلك كما كان يقطع المفاوز والبرارى بالدواب بقوله وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس او قال ولتبتغوا من فضله بما يستخرج منه ولعلكم تشكرون جميع ما ذكر من الوان النعم
والمنافع من اول السورة الى آخرها يستادى به شكره وفى قوله ولتبتغوا من فضله دلالة اباحة التجارة وطلب
الفضل بركوب الاخطار واحتمال الشدايد حيث اخبر انه سخر البحر حتى امكنهم ركوبه بالحبل والاسباب التى
علمها لهم لان الغواص يخطر بروحه ونفسه وكذلك راكب السفينة وقوله عز وجل والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم
اى القى فى الارض الجبال لئلا تميد بكم قال بعض اهل التاويل قوله تعالى القى فى الارض رواسى لئلا تميد بكم لانها
بسطت على الماء فكانت تكفوا باهلها كما تكفوا السفينة فى الماء فاثبتها فى الجبال لتقر باهلها لكن لو كان على ما ذكروا
انها بسطت على الماء لكانت لا تكفوا ولا تضطرب ولكنها تتسرب فى الماء وتنهار فيه لان من طبعها التسفل
والتسرب فى الماء الا ان يقال ان الله عز وجل جعل بلطفه طبعها طبع ما يضطرب وتكفوا فعند ذلك يحتمل ما ذكروا
والله اعلم ولو قال انها بسطت على الريح لكان يحتمل ما قالوا ويكون اشبه بقولهم الا ترى ان السراج فى الابار
والسروب لا يضئ بل ينطفئ كما اسرج فيشبه ان يكون انطفاؤه لريح يكون فى الارض وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والله اعلم
بذلك وقال بعضهم بسطت على ظهر الثور فكانت تضطرب بتحركه فارسيها بما ذكر والله اعلم ثم قوله والقى
فى الارض رواسى ان تميد بكم وانهارا وسبلا يخرج ذكر ذلك منه ذكر الامتنان والنعم لان لله ان يترك
الارض على ما خلقها ولا يثبتها بالجبال لتميد باهلها وتميلها فلا يقدروا على القرار عليها والانتفاع بها لكنه
بفضله ومنه اثبتها بالجبال ليقروا عليها ويقدروا على الانتفاع بها وكذلك له ان لا يجعل لهم فيها انهارا
جارية فيكون مياههم من آثارها وكذلك له ان يحوجهم بانواع الحوايج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل التى
بها يصلون الى قضاء حوايجهم ويكلفهم طلب الطرق والسبل التى بها يصلون الى قضاء حوايجهم ويكلفهم طلب
الطرق والسبل التى بها يقضى حوايجهم بانواع الحوايج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل لكنه بفضله ومنه بين لهم
الطرق والسبل التى تفضى الى البلدان والامكنة التى فيها تقضى حوايجهم وكذلك بفضله جعل لهم فى الارض
انهارا جارية واثبت الارض بالرواسى ليقروا عليها وذلك كله بمنه وفضله وقوله عز وجل لعلكم تهتدون الطرق
والسبل التى تفضيهم الى الحوايج ويحتمل تهتدون الهدى المعروف بما ذكر من نعمه ومنه والله اعلم وقوله عز وجل
وعلامات وبالنجم هم يهتدون هذا ايضا يخرج مخرج ذكر المنن والنعم عليهم لانه لو ما جعل الله اعلاما
فى البحار والبرارى يعرفون بها السلوك فيها والا لم يقدر احد معرفة الطرق فى البحار والبرارى ثم يحتمل
الاعلام مرة بطعم الماء والجبال التى جعل فيها وبالرياح ومرة يكون بالنجم يعرفون بطعم الماء ان هذا الطريق
يفضى الى موضع كذا وكذلك يعرفون بالجبال وبالرياح يعرفون السبل الى حوايجهم ومقصودهم وكذلك
بالنجم يعرفون الطرق فالاعلام مختلفة بها يهتدون الطرق والسبل ويحتمل يهتدون بما ذكر من الاعلام والنجم
سببا اهتدائهم الى توحيد الله وقوله عز وجل افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون يحتمل هذا وجهين احدهما
على الاحتجاج عليهم اى لا تجعلوا من لا يخلق ولا ينفع ولا ينعم كمن هو خالق الاشياء كلها منعم النعم عليكم افلا تذكرون
اى ان صرفا العبادة والشكر الى غير خالقكم وغير منعمكم جور وظلم والثانى يخرج مخرج تسفيه احلامهم

انهم

انهم يعبدون من يعلمون انه ليس بخالق ويتركون عبادة من يعلمون خالق الاشياء كلها افلا تذكرون والله
اعلم وقوله عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا يحتمل وجوها احدها وان تعدوا انفس نعم الله
التى انعمها عليكم واعينها لا تقدروا على عدها لكثرتها والثانى وان تعدوا وان تكلفتم واجتهدتم كل جهدكم
ان تقوموا الشكر ما انعم الله عليكم ومن ما قدرتم على القيام لشكر واحد منها فضلا ان تقوموا للكل والثالث يخرج على العتاب
والتوبيخ اى كيف زعمتم لعبادة من لا يخلق ولا ينعم عن عبادة من خلق وانعم وكنتم لا تقدرون على احصاء ما انعم
عليكم فضلا ان تقوموا لشكره وقال الحسن فى قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تعرفوا كل النعم لانكم من النعم
ما لا يعرفه الخلق كقوله نعمة ظاهرة وباطنة فاذا لم يعلموا لم يقدروا احصاها وقوله عز وجل ان الله لغفور
رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما انكم وان افتريتم على الله وعاندتم حججه وآياته وكذبتم رسله ثم
فاذا استغفرتم وتبتم عما كان ذلك منكم يغفر لكم ذلك كله كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والثانى لغفور
اى يستر عليكم ما كان منكم ما لو ظهر ذلك لافتضحتم لكنه برحمته ستر ذلك عليكم رحيم بالستر عليكم او ذكر
لغفور رحيم على اثر ذكر النعم وانواع المنافع ليكونوا رحماء على ما ذكر بما سخر لنا وانزل والله اعلم وقوله
عز وجل والله يعلم ما تسرون وما تعلنون هذا يخرج على وجهين احدهما ذكر هذا ليكونوا ايقظ واحذر
لان فى الشاهد من يعلم ان عليه رقيبا حافظا بما يفعل كان هو ارقب واحفظ لاعماله ويكون احذر
ممن يعلم انه ليس عليه حافظ ولا رقيب والثانى يعلم ما تسرون من المكر برسول الله والكيد له من القتل
والاخراج وغير ذلك كله منكم ما اسررتم واعلنتم وهو يخرج على نهاية التوعيد والتغيير وقوله عز وجل
والذين يدعون من دون الله يحتمل يدعون اى يسمونها آلهة وربما كانوا يدعونهم عند الحاجة ويحتمل
يدعون يعبدون اى الذين يعبدون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فهذا يرجع الى الاول
افمن يخلق كمن لا يخلق وقوله عز وجل اموات غير احياء الآية فيحتمل المراد بقوله اموات غير احياء الذين
عبدوا الاصنام والاوثان وجميع من كفر بالله هم اموات غير احياء لان الله تعالى سمى الكافر فى غير آى من القرآن
ميتا فيشبه ان يكون قوله اموات غير احياء ايضا وما يشعرون ايان يبعثون اى يشعرون حين يبعثون اى لو شعروا
هذا فى الدنيا ما شعروا فى الآخرة لم يعملوا ما عملوا ويحتمل قوله اموات غير احياء الاصنام التى عبدوها هى اموات
غير احياء قال بعضهم اموات لانها لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر كالميت غير احياء اى ليس فيها
ارواح ينتفع بها كالبهايم والانعام ويكون قوله وما يشعرون ايان يبعثون راجعا الى الذين عبدوا الاصنام
لانها لا تشعر ايان يبعثون وهم يعلمون انها لا تشعر ذلك لكن هم يشعرون حين يبعثون وقال بعضهم قوله
وما يشعرون ايان يبعثون يبعث الآلهة والذين عبدوها جميعا كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله
وقال بعضهم يحشر اولئك الذين عبدوا الاصنام وما يشعرون هم ايان يبعثون اى حين يبعثون وما شعروا
ذلك فى الدنيا ما فعلوا وان كان قوله والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون راجعا
الى الملائكة والملوك الذين عبدوا دون الله يكون تاويل قوله وما يشعرون ايان يبعثون اى لا يشعرون
وقت يبعثون وان كان راجعا الى الاصنام فقوله وما يشعرون ايان يبعثون اى لا يشعرون انهم يبعثون لا يحتمل
ان يكون قوله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ان يقال ذلك فى الاصنام لان اولئك يعلمون انهم لا يخلقون
وانما يقال ذلك فى الاصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع فذلك ان ذلك راجع الى الملائكة والذين عبدوهم وقوله
عز وجل والهكم اله واحد قد ذكرنا فيما تقدم ما يبين ابطال ما كانوا يعبدون وما لا يليق بامثالها العبادة لها
وتسميتهم آلهة ثم ذكر ما يبين جعل الالوهية والربوبية انه لواحد وانه هو المستحق لذلك دون العدد الذى
عبدوا اولئك وقوله عز وجل فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة يحتمل قوله قلوبهم منكرة اى منكرة للايمان

بالآخرة والبعث بعد الموت او قلوبهم منكرة لجعل الالوهية والربوبية لواحد وصرف العبادة اليه كقولهم
اجعل الآلهة الهاً واحداً ان هذا لشئ عجاب ويحتمل قوله قلوبهم منكرة لما جاء به الرسول وهم مستكبرون
على ما جاء به من الله وقوله عز وجل وهم مستكبرون يحتمل مستكبرون على رسول الله لم يروه اهلاً للخضوع
لامثالهم لمثله او مستكبرون الى ما دعتهم الرسل لان الرسل جميعا دعوا الخلق الى وحدانية الله وجعل العبادة له
وقوله عز وجل لاجرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون يحتمل قوله ما يسرون من المكر برسول الله والكيد له
وما يعلنون من الظاهرة عليه ويعلم ما يسرون من اعمالهم الخبيثة التي اسروها وما اعلنوها يخبر انه
لا يخفى عليه شئ من اعمالهم اسروا او اعلنوا وقوله لاجرم قال الاصم لاجرم كلمة تستعملها العرب في ايجاب
تحقيق او نفي تحقيق كقولهم حقا ولعمري وايم الله ونحوه وقال الحسن هو كلمة وعيد وقال بعضهم لاجرم
حقا وبلى لابد وكله في الحاصل يرجع الى واحد وهو وعيد لان قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون وعيد له
والله اعلم وقوله عز وجل انه لا يحب المستكبرين لانه لا يحب الاستكبار ولا يليق لاحد من الخلايق ان يتكبر
على غيره من الخلق لان الخلق كلهم اشكال وامثال ولا يجوز لكل ذي مثل وشكل ان يتكبر على شكله لان تكبر
بعض على بعض كذب وزور اذ جعل كلهم امثالا واشكالا لذلك كان زورا وكذبا وقد حرم الله الكذب
والزور وجعله قبيحا في العقول وقوله عز وجل واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين اي قال
الاتباع للرؤساء ماذا انزل ربكم قال الرؤساء انزل اساطير الاولين يخرج على الاضمار كانهم قالوا لهم
ماذا يقولون انه انزل ربكم عليه فقالوا عند ذلك اساطير الاولين والا لا يحتمل ان يكون قولهم اساطير الاولين
جواب سؤالهم ماذا انزل ربكم منفرد لانهم كانوا يقرون الله بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله فلا يحتمل ان يكونوا اذا سئلوا ماذا انزل ربكم فيقولون اساطير الاولين الا ان يكون في السؤال
زيادة قول او في الجواب اضمار فيكون والله اعلم كانه قال واذا قيل لهم ماذا يزعم هذا انزل عليه ربكم قالوا
عند ذلك يقول اساطير الاولين كقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي قالوا يا ايها الذي تزعم انه
نزل عليه الذكر او يكون قوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم فقالوا لم ينزل الله شيئا ان ما يقول اساطير الاولين
ومثل هذا يحتمل ان يكون وقوله اساطير الاولين قال ابو عوسجة احاديث الاولين والواحد اسطور وهي
الاحاديث المختلفة كقوله ان هذا الا اختلاق اي لا اصل له واصله الكذب وهكذا عادة اولئك الكفرة يقولون
للانبياء اساطير الاولين وكانوا ينسبون ما يقرأ عليهم الى السحر ولو كان في الحقيقة سحرا او احاديث الاولين كان
دليلا له او قالوا ذلك على الاستهزاء وذلك جائز ان يخرج قولهم ذلك على الاستهزاء والله اعلم وقوله
عز وجل ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم هذا يحتمل وجهين
احدهما انهم يحملون اوزارهم كاملة يعني الذين قالوا للرسل اساطير الاولين ومن اوزار الذين يقلدون
رسلهم ووفدهم الذين بعثوا عن السؤال عن رسول الله فحملوا اوزار انفسهم واوزار الرسل واوزار الذين
يقلدون الرسل ويقتدون بهم بغير علم لانهم لم يعلموا ان اولئك يقتدون بالرسل فيضلون وهم
وان لم يعلموا فذلك عليهم لانهم هم الذين سنوا ذلك وهو كما روي من سن سنة سيئة فله وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ويحتمل ليحملوا اوزارهم ومن اوزار الذين طعنوا الاسلام اذا اسلموا سقط
تلك الاوزار عنهم وقوله ليحملوا اوزارهم هم لم يفعلوا ما فعلوا ليحملوا اوزارهم ولكن معناه والله اعلم
اي ليصيروا حاملين لاوزارهم الذين اضلوهم وقوله عز وجل بغير علم يحتمل بغير علم اي بسفه لا بما
ما يزرون اي ساء ما يحملون وقوله بغير علم اي لم يعلموا ان تضيعوا اوزارهم عليهم او لم يعلموا ما يحق بهم
وقوله عز وجل قد مكر الذين من قبلهم لم يزل كانت عادة الكفرة بالمكر برسل الله والكيد لهم وكذلك
مكر كفار مكة برسول الله يذكر هذا والله اعلم لرسول الله ليصبر على اذاهم اياه كما صبر اولئك على مكر قومهم

قد مكر الذين من قبلهم

وترك

وترك مكافاتهم اياهم كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم مكرهم الذين ذكر كان يخرج على وجهين
احدهما فيما جاءت به الرسل كانوا يتكلفون تلبيس ما جاءت به الرسل على قومهم والثاني يرجع مكرهم الى انفس
الرسل من الهم بقتلهم واخراجهم من بين اظهرهم ونحوه تخوف بذلك اهل مكة بصنيعهم لرسول الله ان ينزل بهم
كما نزل باولئك الذين مكروا برسلهم لئلا يعاملوه بمثل معاملة اولئك رسلهم والله اعلم وقوله عز وجل فاتى الله
بنيانهم من القواعد قال الحسن هذا على التمثيل بالبناء الذي بني على غير اساس ينهدم ولا يعلم من اي سبب ينهدم
فعلى ذلك مكرهم يبطل ويتلاشى كالبناء الذي بني على غير اساس ويشبه ان يكون على التمثيل من غير هذا الوجه
وهو انهم قد مكروا واحكموا مكرهم بهم فيتحصنون بذلك كالبناء الذي يتحصن به فابطل الله مكرهم كقوله ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا ومكر الله الآية وقوله عز وجل فخر عليهم السقف من فوقهم هو ما ذكرنا من ابطال مكرهم الذي به
كانوا يتحصنون كوقوع السقف الذي به يتحصن من انواع الاذى والشرور ويحتمل على التحقيق وهو ما نزل بقوم لوط
من الخسف وتقليب البنيان وامطار الحجر عليها واما ما ذكر بعض اهل التاويل من الصرح الذي بني نمرود وبناؤه
ووقع عليهم فانا لا نعلم ذلك وقوله عز وجل واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون كذلك كان ياتي العذاب
الظلمة الكذبة من حيث لا علم لهم بذلك كقوله فاخذناهم بغتة الآية وقوله فاتى الله بنيانهم هو من الاتيان
ومعلوم انه لا يفهم من اتيانه الانتقال من مكان الى مكان ولكن اتيان عذابه اضيف اليه الاتيان لما يا من
ياتيهم ومنه فعلى ذلك لا يفهم من قوله وجاء ربك وقوله الا ان ياتيهم الله في ظلل
الآية اتيان الانتقال ومجيئه من مكان الى مكان وقد ذكرنا هذا وامثاله في غير موضع وقوله عز وجل
ثم يوم القيامة يخزيهم اخبر انه يخزيهم يوم القيامة بعد ما عذبهم في الدنيا بقوله واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون وقوله يخزيهم قال اهل التاويل يعذبهم وكان الاخزاء هو الاذلال والاهانة والفضح
يذلهم ويهينهم ويفضحهم في الآخرة مكان ما كان منهم من الاستكبار والتجبر على النبي واصحابه وكذلك قوله
يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا اي لا يذلهم ولا يهينهم لتواضعه للمؤمنين وخفض جناحه لهم والله اعلم
وقوله عز وجل ويقول اين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم اي تعادون اوليائي فيهم او تعادونني فيهم وقوله
اين شركائي ليس له بشركاء ولكن اضاف الى نفسه شركائي على ما زعمتم في الدنيا انها شركاؤه وكذلك قوله
فراغ الى آلهتهم اي الى ما في زعمهم وتسميتهم اياها آلهة وقوله عز وجل كنتم تشاقون فيهم اي كنتم تخالفونهم
وتعادون اي تخالفون المؤمنين في عبادتهم اياها لانهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله ونحوه كانوا يخالفون المؤمنين وكانوا يشاقون في ذلك الا انه اضاف ذلك الى نفسه لانهم
اولياؤه والمضادين له او اضاف اليه المخالفة والمشاقة لانهم خالفوا امر الله وقوله قال الذين اوتوا العلم
قال اهل التاويل الذين اوتوا العلم الملائكة الكرام الكاتبون لهم وغيرهم من المؤمنين يحتمل وقوله عز وجل
ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين اي الذل والهوان والافتضاح وكل سوء على الكافرين هكذا يقابل كل معاند
ومكابر في حجج الله وبراهينه مكان استكبارهم وتجبرهم في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل الذين تتوفاهم
الملائكة قال الحسن تتوفاهم الملائكة من بين يدي الله يوم الحساب الى النار وقال بعضهم تتوفاهم الملائكة
وقت قبض ارواحهم ظالمي انفسهم بالشرك والكفر بالله وعلى تاويل الحسن يكون قوله ظالمي انفسهم في الدنيا ويجوز
ان يوصفوا بالظلم في الآخرة ايضا يكذبهم فيها في قولهم ما كنا نعمل من سوء وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
وامثاله من الكذب بحيث ينكرون الاشراك في الوهية الله وعبادته كان هذا الانكار والكذب منهم في اول حالهم
ظنا منهم ان ذلك ينفعهم فاذا لم ينفعهم انكارهم طلبوا الرد الى الدنيا والى حالة لامن ليعملوا غير الذي عملوا
كقولهم او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فاذا لم يردوا وايسوا عن ذلك فعند ذلك انطق الله جوارحهم حتى
تشهد عليهم بما كان منهم فعند ذلك يقرون ويعرفون بذنوبهم كقوله فاعترفوا بذنبهم وقوله عز وجل الذين

تتوفاهم الملائكة فالقوا السلم قال بعضهم يسلمون ويستسلمون لامر الله ولكن لو كان ما ذكر والم يكونوا
ينكرون عمل السوء كقولهم ماكنا نعمل من سوء وقال بعضهم فالقوا السلم هو الاستخذاء والخضوع والتضرع
ويشبه ان يكون قوله فالقوا السلم عند الموت يؤمنون عند معاينة ذلك او يسلموا عليهم في الآخرة على ما داموا
في الدنيا المؤمنين يسلم بعضهم على بعض وقوله عز وجل ماكنا نعمل من سوء في الآخرة والله اعلم بذلك فاكذبهم الله
في قولهم ماكنا نعمل من سوء فقال بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون هذا وعيد يخبر ان لا يجوز كذبهم في الآخرة ولا يحتمل
كما جاز في الدنيا ولم يظهر وقوله عز وجل فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها وقوله فلبئس مثوى المتكبرين اى بئس
مقام المتكبرين الذين تكبروا على دين الله او تكبروا على ما جاء به الرسل من الله وما انزل الله عليهم وقوله
عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قال اهل التاويل هذا قول المؤمنين مقابل قول
المشركين واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ثم اختلف في قوله قالوا خيرا قال بعضهم
قوله قالوا خيرا اى قولهم الذى قالوا انه ارسل بحق وانه كذا خير وقال بعضهم قوله قالوا خيرا حكاية عما انزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرا اى انزل عليه ربنا خيرا او ان يكون الناس الذين ياتون من الآفاق
يسالون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سالوا المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا واذا سالوا الكفرة
قالوا اساطير الاولين وجائز ان يكون اتباع المؤمنين سالوا كبراءهم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا مقابل ما كان كبراء
الكفرة لاتباعهم اساطير الاولين وقوله عز وجل للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة من النصر لهم والظفر
على عدوهم ولدار الآخرة خير لهم مما كان اعطاهم في الدنيا وقالوا بعضهم للذين احسنوا العمل في هذه الدنيا لهم
حسنة في الآخرة ولدار الآخرة خير لهم مما كان اعطاهم في الدنيا اى الجنة خير وافضل للمؤمنين مما اوتوا
في الدنيا ولنعم دار المتقين قال هذا للمؤمنين مكان ما قال للكافرين فلبئس مثوى المتكبرين ثم نعت الدار التى وعد
للمتقين فقال جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من اللذات والشهوات وان قيل
ارايت لو شاؤا ان يكون لهم درجات الانبياء ومنازل الابرار والصديقين ان يكون لهم ما شاؤا قيل لا يشاؤن
هذا لان مثل هذا انما يكون في الدنيا اما حسدا واما تمنيا فلا يكون في الجنة حسدا لان الحسد هو ان يرى لاحد شيئا
ليس له فيحسد او يتمنى مثله فاهل الجنة يجدون جميع ما يتمنون ويخطر ببالهم فلا معنى لسؤالهم بهم ما لغيرهم
والله اعلم وقوله عز وجل كذلك يجزى الله المتقين ظاهر وقوله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة طيبين على اولا
الحسن تتوفاهم الملائكة وهم طيبون من بين يدى الله يوم الحساب يقولون لهم سلام عليكم ادخلوا الجنة
وقد ذكر ان السلام هو تحية جعل الله بين الخلق في الدنيا والآخرة وقد ذكرنا في غير موضع وقال بعضهم
الذين تتوفاهم الملائكة تقبضهم الارواح في الدنيا يقبضون ارواحهم وهم طيبون وقال بعضهم طيبون احياء واموات
وهم المؤمنون الذين طابت اعمالهم في الدنيا يحتمل السلام وجهين احدهما تحيتهم الملائكة بالسلام في الجنة
كما يحيى اهل الايمان في الدنيا بعضهم بعضا والثانى السلام يكون منهم امن عن جميع الآفات والمكروهات والله اعلم
وقوله عز وجل هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى امر ربك هذا الحرف يخرج على الاياس من ايمانهم اى ما ينظرون
لايمانهم الا وقت قبض ارواحهم او وقت نزول العذاب عليهم اى لا يؤمنون الا في هذين الوقتين ولا ينفعهم ايمانهم
في هذين الوقتين لان ايمانهم ايمان اضطرار كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكقوله وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته يؤمنون عند معاينتهم باس الله لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت يخبر انهم ينظرون
ذلك الوقت يؤيس رسوله عن ايمانهم لما علم انهم لا يؤمنون ليرفع عنه مؤنة الدعاء الى الايمان والقتال معهم وقوله
او ياتى امر ربك يحتمل العذاب في الدنيا ويحتمل عند معاينتهم العذاب في الآخرة وقوله عز وجل كذلك فعل
الذين من قبلهم هذا يحتمل وجهين احدهما كذلك فعل المعاندون والمكابرون الذين كانوا من قبل برسلهم
من التكذيب لهم والعناد وتركهم الايمان الى الوقت الذى ذكر كما فعل قومك من التكذيب لك والجحود والعناد ويحتمل

كذلك

كذلك فعل الذين من قبلهم اى هكذا انزل العذاب بمن كان قبل قومك بتكذيبهم الرسل والعناد معهم والله اعلم
وقوله عز وجل وما ظلمهم الله بما عذبهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث وضعوا انفسهم في غير موضعها الذى
وضعها الله وحيث صرفوها عن عبادة من نعمهم وانعم عليهم واستحق ذلك عليهم الى من لا يملك نفعا ولا ضرا
ولا يستحق العبادة بحال فهم ظلموا انفسهم حيث صرفوها عن الحكمة الى غير الحكمة لا الله اذ الله وضعها حيث توجب
الحكمة ذلك والظلم هو وضع الشئ في غير موضعه والحكمة هى وضع الشئ في موضعه فهم وضعوا انفسهم في غير موضعها
فاما الله سبحانه وتعالى قد وضعها في المواضع التى توجب الحكمة وضعها وقوله عز وجل هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملائكة او ياتى امر ربك كانه قال ما ينتظرون للايمان بعد الحجج السمعيات وبعد الحجج العقليات والحجج الحسيات
الا نزول الملائكة بالعذاب الى الله تعالى عليهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقام عليهم الحجج السمعيات والعقليات
والحسيات فلم يؤمنوا به ولم يصدقوه فيقول انهم ما ينتظرون الا الحجج التى تقهرهم وتضطرهم فعند ذلك يؤمنون
وهو ما ذكر من نزول العذاب بهم او يقول ما ينتظرون بايمانهم الا الوقت الذى لا ينفعهم ايمانهم وهو الوقت الذى
تخرج انفسهم من ايديهم فاخبر ان ايمانهم لا ينفعهم في ذلك وهو ما قال فلم يك ينفعهم ايمانهم الآية وقوله عز وجل
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين
من قبلهم وقال في سورة الانعام كذلك كذب الذين من قبلهم وقال قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وقال ههنا
فهل على الرسل الا البلاغ المبين وهل هو حرف استفهام في الظاهر ولكن المراد منه ما على الرسول الا البلاغ المبين
على ما قاله اهل التاويل لما قد كان من البيان ان ليس على الرسل الا البلاغ المبين وكذلك قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم
الملائكة اى ما ينظرون الا ان ياتيهم كذا وكذلك قوله ام للانسان ما تمنى ام هو حرف شك ومراده ما للانسان
ما تمنى وامثاله لما سبق من الله ما يبين لهم ان ليس للانسان ما قد ذكر قوله وقال الذين اشركوا في سورة الانعام
ويحتمل قولهم هذا وجوها احدها قالوا ذلك على الاستهزاء كقوله ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا
والثانى قولهم لو شاء الله اى لو امر الله ان نعبدك ولا نعبد غيره لفعلنا كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها الآية والثالث قالوا لو لم يرض الله منا ذلك ما تركنا نفعل ذلك ولكن اهلكنا وقوله عز وجل
ولقد بعثنا في كل امة رسولا يخبر رسوله انك لست باول مبعوث الى امتك ولكن قد بعث الى كل امة رسولا
وهو كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير يصبره على ما يصيبه منهم من المكروه والاذى اى لست باول من يصيبه
ذلك بل كان لك قبلك اصابهم من امتهم ما يصيبك من امتك وقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
هو على الاضمار كانه قال ولقد بعثنا في كل امة رسولا وقلنا لهم قولوا ان اعبدوا الله الآية ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت على ذلك كان بعث الرسل جميعا الى قومهم بالدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له والنهى عن عبادة
الاوثان دونه كقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ويكون قوله اجتنبوا الطاغوت كقوله ما لكم من اله
غيره هما واحد والطاغوت قال بعضهم كل من عبد دون الله فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت هو الشيطان
اضيف العبادة اليه بقوله ولا تعبد الشيطان لان من يعبد دونه يعبد بامره فاضيف لذلك اليه وقد ذكرنا هذا
ايضا فيما تقدم وقوله عز وجل فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة هذا يدل انه لم يرد بالهدى البيان
على ما قاله بعض الناس اذ قد سبق منه البيان لكل احد وما ذكر ايضا ومنهم من حقت عليه الضلالة وهذا يرد
على المعتزلة قولهم حيث قالوا الهدى البيان من الله لكن الهدى منه في هذا الموضع ليس هو البيان هو ما يكرم الله
به عبده ويوفقه لدينه وقوله فمنهم من هدى الله لاختيار الهدى ومنهم من حقت عليه الضلالة اى لزمته لزوم
الضلالة واختيار اياها وقوله عز وجل فسيروا في الارض قال الحسن قوله فسيروا ليس على الامر ولكن كانه قال
لو سرتم في الارض لرايتم كيف كان عاقبة المكذبين بالتكذيب وقال بعضهم سيروا كانه على الحجاج عليهم ان سيروا
في الارض فانكم ترون اثار من كان قبلكم الذين اهلكوا بالتكذيب كان النبي يخبرهم من انباء الامم الخالية

وما نزل بهم فينكرون ذلك فقال عند ذلك فسيروا في الارض فانظروا الى آثار من كان قبلكم ويشبه
ان يكون ليس على السير نفسه ولكن على التامل والنظر في آثار اولئك وامورهم انه بم نزل بهم ما نزل والله اعلم
وقوله عز وجل ان تحرص على هداهم قال ابو بكر الاصم كان يحب ويحرص على هدى قرابته كقوله انك لا تهدي من احببت
فقال فان الله لا يهدي من يضل اى لا يهديهم بضلالهم وقت ضلالهم او لا يهدي وقت اختيارهم الضلال
او لا يهدي من علم انه يختار الضلال او لا ينجي من يهلك على الضلال وفيه لغات ثلاث فان الله لا يهدي من يضل
اى لا يهدي من اضله الله اى اذا اضله الله فليس احد يهديه ولا يُهدى من يضل ما ذكرنا ولا يهدي من يضل اى لا يهتدي
من اضله الله والله اعلم بذلك او لا يهدي في الآخرة طريق الجنة من اضله الله في الدنيا لاختياره الضلال
وهو كقوله والله لا يهدي القوم الكافرين والله لا يهدي القوم الظالمين وقت اختيارهم الكفر والظلم او لا يهدي
من علم منه انه يختار الضلال والظلم او لا يهدي من يلزم الضلال وقت لزومه وقوله عز وجل وما لهم من ناصرين
ظاهر تاويله وقوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فان قيل لنا ما الحكمة والفايدة
في ذكر قسمهم الذي اقسموا في القرآن وجعل ذلك آية تتلى وذلك القسم الذي اقسموا كان بحضرة النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه وهم علموا ذلك ليس كالانباء والقصص التي كانت من قبل اذ كان ذلك شيء غاب عنه لم يشهدها
فاخبرهم على ما كان ففي ذلك اثبات رسالته ونبوته فالحكمة والفايدة من ذكرها في القرآن وجعلها آيات تتلى ليعلم
انه انما عرف ذلك بالله تعالى واما القسم الذي اقسموا ليس فيه ما ذكرنا من اثبات الرسالة وهم قد علموا ذلك فما الفايدة
في ذكره قيل يشبه ان يكون ذكره لنا عز وجل لنعلم نحن عظيم سفه اولئك وقلة عقولهم وحلم الرسول واحتماله
ما احتمل منهم من الاذى والمكروه لنعلم نحن كيف نعامل السفهاء واهل الفساد والعصاة من الناس على ما عامل
رسل الله اقوامهم مع عظيم سفههم وقلة عقلهم فهذا فايدة ذكر قسمهم في القرآن قد تكلف اولئك الكفرة الكبراء
منهم في تلبيس الآيات والحجج التي اتت بها الرسل مرة بالقسم الذي ذكر حيث اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم
لا يبعثون ومرة بالنسبة الى السحر ومرة بالافتراء ومرة بالنسبة الى الجنون وفي الانباء بانه انما يعلمه بشر وما يريدون
بذلك التلبيس على الاتباع ثم البعث واجب بالعقل والحكمة واخبار الرسل اذ ليس خبر اصدق من اخبار الرسل
وآثارهم وهم ممن يقبلون الاخبار فاخبار الرسل اولى بالقبول والتصديق من غيره لان معهم آيات صدقهم
ودلالات حقيتهم واما العقل فهو ان كون هذا العالم وانشائه للفناء خاصة خارج عن الحكمة اذ كل عمل لا يكون له
عاقبة عبث وهو كما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا الآية اخبر انه اذا لم يكن رجوع اليه يكون خلقه اياهم عبثا
واما الحكمة فهي ان الانتقام لاوليائه من الظلمة واجب لظلمهم والاحسان لاهل الاحسان فلو لم يكن بعث والحيوة
بعد الموت لينتقم من الظالم لظلمه ويجزي المحسن لاحسانه يذهب فايدة الترغيب على الطاعة والاحسان ووعيد
الظالم بالانتقام فالبعث واجب للوجوه التي ذكرنا والتفريق بين الاولياء وقد جمعهم في هذه الدنيا وفي الحكمة
التفريق بينهما وقوله جهد ايمانهم ذكر ان مشركي العرب كانوا لا يقسمون بالله الا ما يعظم في الامر ويشتد عليهم
تعظيما له واجلالا انما كانوا يقسمون بالاصنام والاوثان التي عبدوها فاذا حلفوا بالله الا ما يعظم من الامر
فذلك جهد ايمانهم وقوله عز وجل بلى وعدا عليه حقا قوله بلى رد على قولهم لا يبعث الله من يموت فقال بلى
يبعث وقوله وعدا عليه حقا يحتمل وعدا اى وعدا انه يبعثهم فحق عليه ان ينجز ما وعد وحقا عليه
ان يعد البعث والانجاز له والله اعلم وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذا يحتمل وجهين
احدهما انه نفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بعلمهم فهو كما نفى عنهم السمع والبصر وغيرهما من الحواس لما لم ينتفعوا بها
انتفاع ما لذلك كان خلقها فنفى ذلك عنهم والثاني نفى عنهم ذلك على حقيقة النفي لانهم لم ينظروا ولم يتاملوا
في الآيات والاسباب التي بها جعل لهم الوصول الى العلم فلم يعلموا ثم لم يعذرهم بجهلهم ذلك
لما جعل لهم سبيل الوصول الى علم ذلك بالنظر والتامل في الآيات والحجج لكنهم شغلوا انفسهم في غيرها

ولم ينظروا

ولم ينظروا في الاسباب التي جعلها لهم سبيل الوصول اليه فهذا يدل ان من جهل امر الله ونهيه يكون مواخذا به
بعد ان جعل له سبيل الوصول اليه بالدلايل والاشارات فلا يخرج مواخذته اياه وعقوبته بترك امره عن الحكمة
واما في الشاهد من امر عبده شيئا ولم يعلمه ما امره ثم عاقبه بذلك فهو خارج عن الحكمة اذ لا سبيل الى الوصول بما امر به
الا بالتصريح ولم يكن منه تصريح اعلام لذلك كان ما ذكر الا ترى انه اوعد لهم الوعيد الشديد في آخره بقوله ليبين لهم
الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل قوله ليعلم الذين كفروا اى ليعلم اتباعهم ان الروساء كانوا
كاذبين والا كان الروساء منهم كانوا كاذبين عند انفسهم او ان يكون قال ذلك لما ادعى اولئك الكفرة ان الآخرة لهم
كقوله ولئن رجعت الى ربي الآية فقال جوابا له ليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين لادعائهم الآخرة لانفسهم ثم قوله
ليبين لهم الذي يختلفون فيه قال بعضهم انما اختلفوا في البعث منهم من صدقه ومنهم من كذبه بقوله يبين لهم
ذلك ويحتمل قوله الذين يختلفون فيه اى في الدين والمذهب لانهم اختلفوا في الدين والمذهب وكل من ادعى دينا
ومذهبا حتى دعا غيره الى دينه ومذهبه يتبين لهم الحق منهم من غيره والصادق منهم من الكاذب وقوله وليعلم
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل كفرهم بالبعث وانكارهم اياه او كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم
او وحدانية الله انهم كانوا كاذبين في انكار ما انكروا ويتبين لهم ذلك في الآخرة وقوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون يخبر عن سرعة نفاذ امره وسهولة الامر عليه انه يكون اسرع من لحظة بصر ولمحة عين وفيه دلالة
ان خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء لانه عبر بكن عن تكوينه ويكون عن المكون وكذا كنى عنه بالشيء لقوله انما قولنا لشيء
فكنى عنه بوقوع القول عليه والتكوين ثبت ان التكوين غير المكون ثم لا يخلو من ان يكون التكوين بتكوين آخر الى ما لا نهاية له
والا بتكوين وقد بينا فسادهما جميعا وهما وجها الحدث ثبت ان الله تعالى به موصوف في الازل وبالله التوفيق والثاني
من فعله كسب سمي كاسبا ومن فعل باسم سمي به فلو كان فعل الله كلية الخلق يسمى به فيسمى ميتا محركا ساكنا خبيثا
طيبا صغيرا كبيرا ونحو ذلك فاذا كان يتعالى عن هذا وتقدس فاعلا مميتا محييا محركا مسكنا جامعا مفرقا ثبت
ان فعله هو غير مفعوله وانه بذاته يفعل الاشياء لا بغيره وفي ذلك لزوم الوصف له به في الازل والله الموفق وقوله
عز وجل والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا كان ظلمهم اياهم على وجوه منهم من ظلم بالاخراج من الديار والطرد
من البلد كقوله انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم الآية ومنهم من ظلم بالمنع في الحج ومنهم
من ظلم بالمنع من اظهار الاسلام والعمل له وانواع ما اوذوا وظلموا باظهارهم الاسلام واجابتهم رسول الله واتباعهم
اياه ثم وعدهم في الدنيا حسنة فقال لنبوئنهم قيل لنعطينهم وقيل لنرزقنهم وهو واحد في الدنيا حسنة يحتمل الحسنة
في الدنيا العز بعد الذل والسعة بعد الضيق والسلة والنصر والغلبة لهم بعد ما كانوا مقهورين مغلوبين في ايدي
الاعداء والذكر والشرف بعد الهوان هذه الحسنة التي بواهم في الدنيا والمهاجرة المقاطعة كانه قال والذين
قاطعوا ارحامهم واقاربهم واموالهم ومكاسبهم وديارهم فابدل الله لهم مكان الارحام والاقارب اخلاء
واخوانا ومكان اموالهم اموالا اخرى وكذلك الدور وكل شيء تركوا هنالك فابدلهم مكان ذلك كله واما قوله
ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون يشبه ان يكون ذكر هذا عن حسد كان من الكفرة للمهاجرين لما انزلهم في المدينة
وبواهم فيها واعزهم ورفع ذكرهم وامرهم ونصرهم حسدا اهل الكفر بذلك فعند ذلك قال ولاجر الآخرة
لهم اكبر واعظم في الآخرة لو كانوا يعلمون ما وعد لهم في الآخرة ويحتمل ايضا قوله ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا
يعلمون هؤلاء المهاجرون فيخف عليهم احتمال ما اوذوا وظلموا ويهون والله اعلم وقوله عز وجل الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون قال الحسن اى على ربهم يتوكلون في انجاز ما وعد لهم في الآخرة انه ينجز ذلك ويحتمل قوله صبروا على امر
او صبروا على الهجرة انقطاع ما ذهب عنهم وفراق ما كان لهم وقوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي
اليهم هذا والله اعلم يكون على اثر ما كان من الكفرة نحو ما قال اهل التاويل انهم قالوا ابعث الله بشرا رسولا
وقالوا لولا انزل علينا الملائكة ونحوه من كلامهم فقال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم اى الا بشرا اى لم نرسل

من غير البشر فيكون قوله الا رجالا كناية عن البشر او نكون قوله الا رجالا يوحى اليهم اى لم نبعث من السماء رسولا
انما بعث الرسل من الرجال الى الرجال والنساء والله اعلم وقوله عز وجل فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال بعضهم
ليس على الامر بالسؤال ولكن لو سألتم اهل الذكر لاخبروكم انه لو بعث الرسول من قبل الا من البشر وقال بعضهم
هو على الامر بالسؤال اى سلوا اهل الذكر فتقلدوهم اى ان كان لا بد لكم من التقليد فاسألوا اهل الذكر فقلدوهم ولا تقلدوا
اباءكم ومن لا يعرف الكتاب ولكن قلدوا اهل الذكر قال بعضهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والحجج لانهم
كانوا اهل تقليد لم يكونوا اهل نظر وتفكر فى الحجج والبينات ويحتمل ان يكون قوله ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر
والرسل التى اتت بها الرسل فيكون تاويله اى سألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر التى اتت بها الرسل
ليخبروكم ان الرسل انما بعثوا من البشر بالبينات والكتب فيكون على التقديم الذى ذكره بعض اهل التأويل وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا يوحى اليهم بالبينات والزبر ويحتمل قوله فاسألوا اهل الذكر اى اهل الشرف من اهل الكتاب
ليبينوا لكم البينات والزبر لانهم يانفون الكتمان والكذب وان كان اهل الذكر جميع اهل الكتاب فالسؤال عن الرسل
انهم كانوا من البشر والرجال لانهم يعلمون ذلك وقوله وانزلنا اليك الذكر قيل انزل اليك القرآن لتبين للناس ما نزل
اليهم يحتمل قوله لتبين للناس من انباء الغيب وما غاب عنهم وما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وتبين لهم جميع
ما يوتون وما يتقون وما يحل وما يحرم ولعلهم يتفكرون فى ذلك ويحتمل قوله وانزلنا اليك الذكر لتبين لهم
ما حرفوا من كتبهم وبدلوه وغيروه فيكون فيه اية لرسالتك ويكون الذى انزل اليه كالمنزل اليهم حيث ذكر انه يبين لهم
ما انزل اليه والله اعلم وقوله عز وجل افامن الذين مكروا السيئات قوله افامن قد ذكرنا انه حرف استفهام الا انه
من الله عز وجل يحتمل ذلك وهو على الايجاب ذلك هو ثم يخرج على وجهين احدهما على الخبر انهم قد امنوا مكره والثانى
على النهى اى لا تامنوا كقوله فامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون هذا يشبه ان يكون على هذا الذى ذكرنا
انه لحقنا دعنا منهم مكر الله وعلى النهى ان لا يامنوا ثم اخبر انه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الكافرون لانهم
كذبوا الرسل فيما اوعدوا لهم من العذاب فامنوا لذلك ولما لم يعرفوا الله ولم يعرفوا حقوقه ونعمته ونقمته
فامنوا لذلك واما من عرف الله وعرف حقه ونعمته وعرف نقمته فانه لا يامن مكره والله اعلم ثم قوله مكروا السيئات
قال بعضهم مكرهم السيئات هو ما مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ما لو اصابهم ذلك لساءهم وما ظاهروا
عليهم عدوهم وقال بعضهم مكرهم السيئات هو اعمالهم التى عملوها وكل ذلك قد كان منهم كان مكروا برسول الله
واصحابه وكانوا ظاهروا عليهم عدوهم وقد عملوا اعمالهم الخبيثة السيئة وقوله عز وجل ان يخسف الله بهم الارض
اى امنوا حين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون فى الحال التى لا يكون لهم
امن ولا خوف وقوله عز وجل او ياخذهم فى تقلبهم قيل فى اسفارهم وفى تجاراتهم لان الناس انما يسافرون
ويتجرون فى البلدان فى حال امنهم او ياخذهم على تخوف قال بعضهم على تقريع وقال بعضهم على تنقيص من الاموال
وغير ذلك كقوله ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع الاية وقال بعضهم او ياخذهم على تخوف ان ياخذ قرية فقرية وبلدة
فبلدة حتى ياتى قريبا منهم ثم ياخذهم كلما اخذ قرية كان لهم من ذلك خوف فذلك اخذ بتخوف وهو ما قال
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم الاية وعد الله حلولا قريبا من دارهم كانهم خوفهم
حتى نزل بساحتهم فذلك اخذ بالتخوف يخبر ان عذابه لا يؤمن حلوله واخذه اياهم فى كل حال فى الحال التى ليس لهم
امن ولا خوف اى لم يغلب هذا على هذا وفى الحال التى يكونون امنين فى تقلبهم وحوائجهم وفى الحال التى يكونون متخوفين
وقوله عز وجل فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لم يستاصلكم ولم ياخذكم بما كان منكم من الافتراء على الله والتكذيب
لرسله والمكابرة والمعاندة لاياته وحججه وقتئذ ولكن امهلكم واخر ذلك عنكم او رؤوف رحيم اذا تبتم ورجعتم عما كان
منكم يرحمكم ويغفر لكم ذلك وقوله عز وجل اولم يروا الى ما خلق الله من شىء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل
سجدا لله ويخضع له فقال ذلك لهم لا تخضعون له مع ما ركب فيكم العقول وجعل فيكم الافهام وغيرها والثانى على الامر

اى اعلموا

اى اعلموا ان كل شىء من خلق الله يسجد ويخضع وقد اقام لهم من الحجة على ذلك ما لو تاملوا وتفكروا لعلموا انه
ان كل شىء يخضع ويسبح ولا ظاهر قوله اولم يروا الى ما خلق الله من شىء يتفيؤ ظلاله ان يقولوا لم نر ان كان الخطاب
لاهل مكة على ما ذكره اهل التأويل لكن يخرج على هذين الوجهين اللذين ذكرهما ويشبه ان يكون ذكر قوله اولم يروا
الى ما خلق الله الاية لما استوحش اهل الاسلام مما عبدوا ولذلك لكثرة الاصنام وعظيم ما قالوا فى الله ما قالوا فقال
لذلك ولم يروا الى كذا وقوله يتفيؤ ظلاله قال بعضهم يريد بالظلال شخص ذلك الشىء والظلال كناية عن الشخص
كما يقال رايت ظل فلان اى شخصه وقال بعضهم اراد بالظل الظل نفسه لكن خضوعه وسجوده يكون للشمس والقمر
وعلى تاويل من يجعل الظل كناية عن الشخص يجعل كل نفس تتفيؤ خضوعا وسجودا ثم معنى سجود هذه الاشياء الموات
وخضوعهن من نحو قوله يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله ومن نحو قوله يسبحن بالعشى والاشراق وقوله
يا جبال اوبى معه والطير وقوله وان من شىء الا يسبح بحمده وقوله تكاد السموات يتفطرن منه وامثاله يحتمل وجوها
احدها ان يجعل الله عز وجل بلطفه فى سرية هذه الاشياء معنى تعلم السجود لله والخضوع له وهو كما ذكر فى الريح
التى تجرى بامره رخاء حيث اصاب اخبر انها تجرى بامره دل انها تعلم امر الله وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء اخبر انها تشهد
وتنطق ولو انها تفهم وتعقل الخطاب والا ما خوطبت وان كانت مواتا فعلى ذلك تسبيحها وخضوعها جائز
ان يكون الله يجعل فى سرية هذه الاشياء ما تعرف السجود والتسبيح وتفهمه والثانى يكون سجود هذه الاشياء
وتسبيحها بالتسخير جعلها مسخرات لذلك وان لم تعلم هى ذلك ولم تعرف لكن جعلها بالخلقة كذلك والثالث انه
جعل خلقة هذه الاشياء دالة على وحدانية الله والوهيته فهن مسبحات لله وساجدات وخاضعات له بالخلقة التى
جعلها دالة وشاهدة على وحدانية الله والوهيته هذا والله اعلم معنى سجودهن وخضوعهن والله اعلم وقوله
عز وجل وهم داخرون قيل صاغرون ذليلون وقوله عز وجل ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة
وهم لا يستكبرون يذكر هذا والله اعلم يسجد له اعلى الخلائق واعلمهم وهم الملائكة ويسجد له اشد الخلق واصلبه
وهو الجبال والسموات والارض ويسجد ايضا ويخضع اسفه الخلق واجهله وهو الدواب وغيرها وانتم ابيتم
السجود له والخضوع واستكبرتم عن عبادته فهؤلاء الذين ذكرهم يسجدون ويخبر عن سفهاء ولذلك فى ابائهم السجود له
والخضوع واستكبارهم عليه وقوله عز وجل يخافون ربهم من فوقهم قال بعضهم خوف الملائكة والرسل
خوف هيبة الله وجلاله لا خوف نزول شىء من نقمته عليهم وخوف غيرهم من البشر خوف نزول شىء يصيبهم وكذلك
رجاؤهم وطمعهم رجاء نفع يصل اليهم رجاء الملائكة والرسل وطمعهم رجاء رضاء الله عنهم لا رجاء نفع يصل اليهم
وقال بعضهم يخافون خوف العقوبة والانتقام لانهم ممتحنون وكل ممتحن يخاف عذاب الله ونقمته الا ترى انه كيف
اوعدهم الوعيد الشديد وقال ومن يقل منهم انى اله من دونه وقال ابراهيم عليه السلام اجنبنى وبنى ان نعبد
الاصنام خاف عبادة غير الله ومن خاف ذلك يخاف وعيده وعذابه والله اعلم وقوله عز وجل يخافون ربهم
من فوقهم الفوق والتحت والاسفل ونحوه فى الامكنة والمجلس ليس فيه فضل عز وشرف ومرتبة لما يجوز ان يكون
الذى كان فوق هذا فى المكان والمجلس تحته واسفل منه فلا يزداد لهذا بما صار فوقه عزا وشرفا ومرتبة
ولا لهذا بما كان تحته ذل وهو دل هذا انه لا يفهم من فوقه فوق المكان ولا تحته لان من صعد الجبال
والامكنة المرتفعة لا يوصف بالعلو والعظمة واذا قيل فلان امير على العراق او على خراسان كان فى ذلك
تعظيم لانه ذكر بالقدرة والسلطان ونفاذ امره ومشيته وقدرته وسلطانه فيهم واطلاعه على جميع ما يسرون
ويضمرون ويعلنون ويظهرون وعلمه على جميع افعالهم على هذا يجوز ان يتاول الفوق والله اعلم وقوله
عز وجل ويفعلون ما يؤمرون وصفهم الله عز وجل بفضل طاعتهم له وخضوعهم اياه وهو ما قال لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو ما قال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون

ما يومرون مثله وقوله عز وجل وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد لا نعلم الخطاب بهذا انزل لمن كان
الخطاب بهذا لاهل مكة فهم قد اتخذوا آلهة بقولهم اجعل الآلهة الها واحدا الآية الا ان يخاطب به الثنوية والزنادقة
فانهم يقولون باثنين ويشبه ان يكون اهل مكة وان اتخذوا آلهة فانهم في الحقيقة عباد اثنين لانهم انما كانوا يعبدون تلك
الاصنام بامر الشيطان وطاعتهم اياه فنسبوا لعبادة لما بامر يعبدون هذه الاصنام والله اعلم الا ترى ان ابراهيم
قال لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان وان كان في الظاهر لا يعبد الشيطان لكن لما يامر يعبد الاصنام اضاف العبادة
اليه او ان يكون المراد من ذكر اثنين انما هو على الزيادة على الواحد كانه قال لا تتخذوا ولا تعبدوا اكثر من اله واحد
وقوله عز وجل فاياي فارهبون لا تخافوا الاصنام التي تعبدونها فانكم ان تركتم عبادتها لا تضر وقوله عز وجل
وله ما في السموات والارض اي وله يخضع ما في السموات والارض وانتم لا تخضعونه او ما في السموات والارض كلهم عبيده
واماؤه فكيف اشركتم عبيده في الوهية الله تعالى وربوبيته وقوله عز وجل وله الدين واصبا قال بعضهم دايما لان غيره
من الاديان كلها يبطل ويضمحل ويبقى دينه في الدارين جميعا وقال بعضهم وله الدين واصبا اي مخلصا من الوصف التعب
وتأويله والله اعلم اي وله دين لا يوصل اليه الا بتعب وجهد فاجتهدوا واتعبوا لتخلصوا له الدين هذا معنى
قوله مخلصا وقوله عز وجل افغير الله تتقون اي مخالفة غير الله تتقون اي لا تخافوا ولكن اتقوا مخالفة الله لا تتقوا
مخالفة غيره او يقول لا تخافوا غير الله ولا تتقوا سواه ولكن اتقوا الله واتقوا نقمته وقوله عز وجل وما بكم من نعمة
فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون اي تتضرعون يخبر عن سفههم وقلة عقلهم انهم يعلمون ان له ما في السموات
والارض وان كل ذلك ملكه وان ما لهم من النعمة وان ما يحل بهم من البلاء والشدة هو الكاشف لهم والدافع عنهم
ثم يكفرونه ويصرفون شكرها منه الى غيره في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال الشدة والبلاء فيقول انا المنعم عليكم
تلك النعم وانا المالك عن الكشف عنكم لا الاصنام التي عبدتموها فكيف كفرتم في وقت الرخاء والسعة وآمنتم بي في وقت الضيق
والبلاء كانوا يخلصون له الدين في وقت ويشركون غيره في وقت فيقول لا دعوا الى الدين واصبا ولا تتركوا الايمان في وقت
وتؤمنوا في وقت وكذلك كان عادتهم كانوا يكفرون بربهم في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال البلاء والشدة
كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله الآية ويحتمل ان يكون فرض الجهاد على المسلمين والقتال معهم لهذا المعنى لان من عادتهم
الايمان في وقت البلاء والشدة والخوف ففرض عليهم القتال معهم ليضطروا الى الايمان فيؤمنوا ويديموا الايمان ومنذ فرض
القتال معهم كثر اهل الاسلام فدخلوا فيه فوجا فوجا وكان قبل ذلك يدخل فيه واحدا واحدا وفيه دلالة اثبات
رسالة محمد عليه الصلوة والسلام حيث قال وما بكم من نعمة فمن الله فانما اخبر عما عرفوا وتقرر عندهم ان كل ذلك
من عند الله ليعلموا انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل ليكفروا بما آتيناهم هذا يحتمل وجهين احدهما ان يجعلوا
ما آتاهم الله وانعم عليهم سبب كفرهم بالله والثاني يكفرون بنعم الله تعالى بعبادتهم الاصنام وصرفهم الشكر عنه ويشبه
ان يكون لحنا عن سفههم من وجه آخر وهو انهم لم يروا في البشر لحدا يطاع ويخضع الا احد رجلين دافع بلاء عنه
او جار نفع اليه فالاصنام التي عبدوها ليس منها دفع بلاء ولهوانهم ولا جر منفعة فلماذا يعبدونها وقال ابو بكر ليكفروا
بما آتيناهم اي بالقرآن وقوله عز وجل فتمتعوا فسوف تعلمون هذا وعيد من الله لهم بقول فسوف تعلمون ما نزل بكم
من كفران نعمه وصرف الشكر عنه انه مهلكهم ومنزل بهم ما نزل به وفي قوله وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجأرون اي تتضرعون موعظة للمؤمنين ايضا لانهم يجعلون يتضرعون الى الله اذا اصابهم الضر والبلاء واذا انكشف
ذلك عنهم تركوا ذلك التضرع ونسوا ربهم فيعظهم لئلا يصنعوا مثل صنيع اولئك يقول والله اعلم اذا اصابهم الضر والبلا
واذا انكشف عنهم تركوا ذلك التضرع اي تعلمون ان ما بكم من نعمة فمن الله فكيف تصرفون شكرها الى غيره في حال وقوله
عز وجل ويجعلون اي يقولون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم من الانعام والحرث وغيره الذي جعل الله لهم قال بعضهم
يجعلون للاصنام والاوثان التي يعبدونها نصيبا مما رزقناهم من الانعام والحرث وغيره جعل الله لهم ولا يعلمون لهم
نصيبا في ذلك وهو كقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وحرموا

على انفسهم

على انفسهم ما جعل الله لهم وجعلوه لآلهتهم ويحتمل قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا وهو الشيطان اي يجعلون
للاوثان فذلك للشيطان في الحقيقة هو الذي امرهم بذلك وهو الذي دعاهم الى ذلك وهو كقوله يا ابت
لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنهم اذا عبدوا الاوثان كان قد عبدوا الشيطان
لانه هو امرهم بذلك وهو دعاهم الى ذلك فعلى ذلك ما يجعلون للاوثان فذلك للشيطان لما ذكرنا لكن لا يعلمون
ان ذلك له نصيب ويحتمل قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا اي يعلمون ان ليس لها نصيب في ذلك ولكن يجعلون
ذلك لها على علم منهم اي لا نصيب للاوثان في ذلك وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض
اي تنبئون الله بما يعلم انه ليس ونحوه اي يعلم غير الذي تنبئون وقد ذكرنا قوله يجعلون على القول اي يقولون
ولا لا يملكون جعل ذلك وقوله عز وجل تالله لتسألن عما كنتم تفترون يحتمل قوله تفترون تسميتهم الاصنام
آلهة ويحتمل افتراؤهم على الله ما قالوا والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها زعموا انه
فعل آباؤهم وفعلوهم كان بامر من الله ورضاه حيث تركهم على ذلك فذلك افتراؤهم وقوله تالله لتسألن عما كنتم
تفترون يحتمل السؤال الجزاء اي تالله لتجزون عما كنتم تفترون ويحتمل السؤال سؤال الحجة يسألون على ما ادعوا على الله
من الامر الحجة على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ويجعلون لله البنات اي يقولون لله البنات يخبر عن شدة سفههم
حيث يأنفون ويستحيون عن البنات ثم تنسبون ذلك الى الله ويضيفونها اليه يصبر رسوله على اذى الكفرة حيث قالوا
فيه ما قالوا انه ساحر وانه مفتر ونحوه على علم منهم ويقين انه ربهم وخالقهم فمن انكر رسالته اولى بالصبر على قوله والحلم
سبحانه كلمة تنزيه عما قالوا فيه وحرف تعجب حيث نسبوا الى الله ما كرهوا لانفسهم ولهم ما يشتهون يجعلون لانفسهم
البنين ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم وقوله عز وجل واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم قال بعضهم
قول العرب قبح الله وجهك وسود الله وجهك ليس على ارادة السواد والقبح ولكن على ارادة ما يكرهه وقال الحسن قوله
ظل وجهه مسودا اي متغيرا من الغم وهو كظيم اي حزين وهكذا العرف في الناس انه اذا اشتد بهم الحزن والغم يظهر ذلك
في وجوههم قبحا وسوادا يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون يذكر فيه كيف يصنع به ايمسكه على هون
اي على هون يصوبه ويستحيي صحبته ام يدسه في التراب وهو حي فيقول ان ربي اختار البنات فابعث بها الى ربي فانه احق بها
وهي الموؤدة التي قال الله واذا الموؤدة سئلت وانما كانوا يصنعون ذلك خشية املاق كقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق وقوله عز وجل الا ساء ما يحكمون في جعلهم لله ما كرهوا لانفسهم او في قولهم والله امرنا بها او في قولهم هذا لله
وهذا لشركائنا ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء قال بعضهم قوله مثل السوء اي لهم
جزاء السوء وهو النار وقال الحسن مثل السوء اي صفة السوء التي وصفوا بها ربهم انه اختار البنات ولله المثل
الاعلى اي الصفة الاعلى التي ليس لها شبه فان تلك الصفة من صفته ويشبه ان يكون قوله لهم مثل السوء بما سماهم
مرة موتى ومرة ضيقة ومرة ظلمة ومرة هم في الظلمات وامثاله لهم ذلك الوصف بما انكروا الآخرة وذلك مما يوجبه الحكمة
والعقل والشريعة فلهم ذلك الوصف والمثل السوء بما انكروا واما توجبه الحكمة والعقل والشريعة ويحتمل مثل
السوء شبه السوء ويحتمل مثل السوء النعت والصفة فان كان هو على الشبه فهو في الدنيا لما شبههم في غير آي
من القرآن بالشجرة الخبيثة والكلمة الخبيثة وبالرماد وبالزبد والتراب ونحوه وان كان على النعت والصفة
فهو في الآخرة وهو ما ذكر الذين يحشرون على وجوههم وقوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي لاولياء الله
المثل الاعلى وهم المؤمنون لما ان الله وصف المؤمنين بالحياة والنور والعدل وغير ذلك من الاسماء الحسنة
وذلك لله في الحقيقة لكنه بفضله ومنه وصفهم وسماهم بذلك فاضيف الى الله لما بفضله استوجبوا لا باستحقاق
انفسهم وكذلك قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها اضيف ذلك اليه بفضله يستوجبون تلك الاسماء التي
سماهم ويحتمل قوله ولله المثل الاعلى اي لاولياء الله المثل الاعلى كانه قال وللذين يؤمنون بالآخرة مثل الاعلى
مقابل ما ذكر حيث قال للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء وهو العزيز الحكيم قال الحسن العزيز بالغلبة منه

فى الاشياء كلها على ما امر وكل شئ دونه دليل الحكيم بالعدل منه فى كل ما قضاه وقضى وقد ذكرنا فى غير موضع
وقوله العزيز الحكيم فى هذا الموضع كانه قال هو العزيز بنفسه لا بخلقه واوليائه كما يكون الملوك الارض يكون عزهم
بجندهم وحشمهم فاذا ذهبوا او عصوه يصير مقهورا ومغلوبا فاما الله سبحانه وتعالى هو عزيز بذاته والحكيم
اى انشاؤه العصاة منهم على علم منه بذلك لم يخرج ذلك على غير الحكمة والله اعلم وقوله عز وجل ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة دل قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ان لله ان يستأصلهم ويهلكهم بما كان
منهم لكنه بفضله تركهم الى المدة التى ضرب لهم لانه لو لم يكن له ذلك لم يكن لوعيد الذى اوعد معنى وقال ابو زيد
البلخى ان الله بما اوعد من الوعيد ليس يوعد لمضرة نفسه ولا لنفع يصل اليه ولكن يوعد بما توجبه الحكمة فذلك الوعيد
لازم واجب ونحن نقول يوعد بما توجبه الحكمة وقد امهلهم بعد الوعيد فعلى ذلك يجوز ان يخرجهم من النار بعد
ما ادخلهم النار بما ارتكبوا من الكباير ثم فى قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية دلالة نقض قول المعتزلة لانهم
يقولون ليس لله ان يهلك قوما قد علم منهم الايمان فى وقت ويكون فى اصلابهم من يؤمن اذ قد كان ممن اوعد
ذلك الوعيد من بعضهم الايمان او فى اصلابهم من قد آمن كان آمن فذلك الوعيد لهم انه قد يهلك من يعلم انه يؤمن
فى آخر عمره اذ لا يوعد الا بما لله ان يفعل لكنه بفضله اخره الى وقت وفيه دلالة ان له ان يفعل بما ليس ذلك
باصلح لهم فى الدين ثم اختلف فى قوله بظلمهم قال بعضهم هذا للكفرة خاصة وقال بعضهم هم للمؤمنين كلهم تكب ذلة
اذ ما من احد ارتكب ذلة الا وقد استوجب العقوبة بذلك وللمؤاخذة به لكنه بفضله عفا وقوله عز وجل ما ترك
عليها من دابة قال ما ترك عليها من دابة اى على ظهر الارض من دابة لان الدواب انما يتعيش بالذى يتعيش الناس
فاذا هلكوا هم هلكت الدواب ايضا لما ذهب سبب عيشها وجايز ان يكون اراد بالدابة البشر اى ما تركهم بظلمهم
ولكن يهلكهم وسماهم دابة لانه اذا ذكرهم فى موضع الظلم وان كان سماهم فى غير موضع بالاسماء الحسنة وهو
كما سماهم فى موضع آخر دابة حيث وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ولا شك ان البشر دخلوا فى هذه التسمية فعلى ذلك
جايز دخولهم فى الاخرى وان كان المراد بما ذكر من الدابة البشر فالانبياء والرسل انما يكون هلاكهم يقطع نسلهم
لان الانبياء اكثرهم ولدوا من الاباء الظلمة فاذا اهلك آباؤهم لم يولد الرسل والانبياء فيكون هلاكهم لا بظلم هؤلاء
ولكن بقطع النسل وان كان المراد بتلك الدابة الدواب نفسها فلان الدواب انما انشات للبشر ولمنافعهم فاذا هلكت
الدواب اهلك المنشأ لهم والله اعلم وفى قوله لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون
يجعل الله للخلق آجالا ثم يجئ كافر فيقتله دون بلوغ الاجل الذى جعله الله حيث اخبرانهم لا يستأخرون ساعة بعد
الاجل المضروب لهم ولا يستقدمون قبل ذلك وهم يقولون بل استقدمه كافر فيقتله فتلك سرف فى القول وهذا
يخرج على وجهين احدهما لا يتأخر الاجل الذى جعل لهم ساعة ولا يتقدم عن ذلك والثانى لا ايجاب فى التأخير ولا فى
ولا فى التقديم وقوله عز وجل ويجعلون لله ما يكرهون كانوا يجعلون لله اشياء يكرهون ذلك لانفسهم من نحو البنات
يقولون لله البنات ويكرهون لانفسهم البنات ويجعلون له الشركاء من عبيده وهم كانوا يكرهون لانفسهم الشركاء من عبيدهم
وامثاله كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الآية يخبر عز وجل عن سفههم وسرفهم فى القول ويخبر عن حلمه حيث لم يستأصلهم
ولم يهلكهم بما قالوا فى الله من عظيم القول من الولد والشريك ليعلم انه لم يمهلهم لغفلة ولا سهو ولكن حلم لا يهلم الخلق
فى ذات الله ولا يعجل فى العقوبة اذ لو اراد اهلاكهم لاهلكهم ساعة قالوا ذلك ولا يمهلهم يعيشون لكن اخرهم الى يوم
وهو ما قال ولا تحسبن الله غافلا الآية وجايز ان يكون قوله ويجعلون لله اى يجعلون لاولياء الله مما يكرهون لانفسهم
لانهم يقولون ان لهم الحسنى فى الآخرة وهى الجنة وللمؤمنين النار بقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
وقوله عز وجل وتصف السنتهم الكذب قال ابو بكر الاصم يقولون انا دين الله وعلى الحق لعبادتنا يقولون ان لهم
الحسنى يعنون انهم محسنون فى اعمالهم وبما هم عليه من دين وقال بعضهم قوله ان لهم الحسنى يعنون البنين لانهم
كانوا يضيفون البنات الى الله وينسبون البنين الى انفسهم فذلك الحسنى الذى ذكروا وقال بعضهم بان لهم الحسنى

اى الجنة كقوله ولئن رجعت الى ربى الآية ثم كذبهم فى قولهم فقال لا جرم ان لهم النار وليس لهم الحسنى
على ما زعموا ولكن النار وقد ذكرنا قوله لا جرم فيما تقدم كان اهل الكفر فرقا منهم من ادعى الاشتراك فى نعيم
الآخرة كما كان لهم اشتراك فى نعيم الدنيا كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ومنهم من ادعى الآخرة لانفسهم
كما كانت لهم الدنيا فجايز ان يكون قوله ويجعلون لله ما يكرهون هم الذين ادعوا الحسنى وهى الجنة لانفسهم وقوله
عز وجل وانهم مفرطون هو من الفرط وهو من السبق والتقدم كان الآية فى الرؤساء اخبر انهم سابقون
اتباعهم الى النار وهو كقوله وقالت اولاهم لاخراهم الاولى هم المتبوعون واخراهم الاتباع وقال بعضهم اليها
بين يدى اتباعهم وقال بعضهم مفرطون اى متروكون منسيون فى النار وقال بعضهم مفرطون مبعدون عن رحمة الله
لكن هذين يتشابهان وبل الآية اذ كل من فى النار فهو منسى متروك فيها مبعد عن رحمة وقال بعضهم وانهم
مدخلون فيها والوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك هذا لا يحتمل ان يكون هذا
القسم منه ابتداء لكن كانه عن انكار منهم للرسالة فعند ذلك اقسم بقوله تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
واكد بما انكروا الرسالة بالقسم الذى ذكر فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد قوله تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك كما ارسلناك الى امتك فزين لهم الشيطان اعمالهم كما زين لامتك فهو كان وليهم يومئذ كما هو
ولى لامتك اليوم يصيرهم وقوله عز وجل فزين لهم الشيطان اعمالهم يقول ليس هؤلاء باول من يزين لهم
الشيطان اعمالهم ولكن كان فى الامم الماضية من زين لهم الشيطان اعمالهم فيكذبون رسلهم فلست انت
باول مكذب بل كان لك شركاء فى التكذيب فهو وليهم اليوم فى الدنيا لان الدنيا هى دار الولاية بينهم كقوله بعضهم
اولياء بعض وقوله اولياؤهم الطاغوت واما فى الآخرة فيصيرون اعداء كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين وقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الآية وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته ونحوه
ولا يحتمل ان يكونوا اولياء فى الآخرة ثم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض فذلك علامة العداوة
وقال بعضهم قوله فهو وليهم اليوم فى الآخرة اى اولى بهم فيقرون بهم كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين فهو وليهم اى صاحبهم كقوله احشروا الآية وكقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وقوله
عز وجل وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه قال بعضهم قوله الذى اختلفوا فيه الكتب التى
كانت من قبلهم لانهم اختلفوا فى كتبهم فمنهم من بدل ومنهم من غير وحرف فيقول والله اعلم وما انزلنا عليك
الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فى كتبهم لان هذا الكتاب انزله مصدقا لما بين يديه من الكتاب يبين هذا
الكتاب ما اختلفوا فى كتابهم الحق من الباطل وقال بعضهم الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه فى الرسل والاديان فى الكتاب
المنزل عليه اختلفوا فى ذلك كله يبين لهم الحق من الباطل فى جميع ما اختلفوا فيه بالكتاب الذى انزله عليه اذ فيه
انباء الامم الماضية وهو لم يشهدها ولم يختلف الى من يخبره منها ثم انباهم على ما كانت فدل انه انما عرف ذلك بالله و
ومنه نزل ذلك وفيه دلالة ان الحوادث التى علم الله انهم يبتلون بها الى يوم القيامة انه جعل لهم سبيل الوصول الى بيانها
فى الكتاب اما بيان كناية واما بيان تصريح حيث قال وما انزلنا عليه الكتاب الآية حيث لم يدعهم فى الاختلاف على غير
بيان فعلى ذلك حيث علم انهم يبتلون بالحوادث التى ليس لها منصوص فى الكتاب لا يحتمل ان لا يبين لهم ذلك ويدعهم
حيارى لكن البيان على وجهين بيان تصريح يعقل ببديهة العقل وبيان كناية يدرك بالنظر والتامل والاستدلال
واصله فى قوله الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه اى الا لتبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه لانهم اختلفوا فى الحق فى ذلك
لان كل فريق منهم ادعى انه هو المحق وان الذى هو عليه الحق وان غيره على باطل فاخبر انه انزل الكتاب عليه ليبين لهم
الحق فيما اختلفوا فيه وقوله عز وجل وهدى ورحمة لقوم يؤمنون جعل الله تعالى رسوله وكتابه هدى ورحمة
للمؤمنين لانهم آمنوا بهما وصدقوهما وقبلوهما فصار ذلك لهم هدى ورحمة ونورا واما من كذبهما ولم يقبلهما
فهو عذاب عليهم وعمى وهو كقوله فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض الآية

وهو ما ذكر وهو عليهم عمى وقوله عز وجل والله الذي انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
يذكر عز وجل قدرته وسلطانه حيث اخبر انه ينزل من السماء ماء فيحيي به الارض وهي ميتة ويخرج منها
نباتا وزروعا واشجارا لمن قدر على هذا القادر على احياء الارض بعد موتها انه لا في فيبين احيائهن لمن قدر
على احدهما قدر على الاخر ان في ذلك فيما ذكرنا لاية لقوم يسمعون قال بعضهم لاية لقوم يسمعون المواعظ
وقال بعضهم لاية لقوم يسمعون الايات والحجج واما من لم يسمع فلا يكون له اية واصله ان في ذلك لاية لقوم
ينتفعون بسماعهم ولاية لقوم يعقلون اي ينتفعون بعقولهم واصله ان هذا كله يصير اية للمومنين على ما ذكر
كله لانهم هم الذين قبلوا عن الله ما امرهم به وما نهاهم عنه وهم يسمعون آياته ومواعظه وكله كناية
عن المومنين والله اعلم وقوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة والعبرة الاية اي انشا لكم انعاما فيه
الاية هو صلة قوله والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها اي انزل من السماء ماء وانشا
الانعام لكم فيه الاية انشاء جل وعلا في الانعام لبنا غذاء الاولاد في الوقت الذي لا يحتمل الغذاء بالعلف وجعل
لاربابها الانتفاع بذلك اللبن في الاشياء التي لا يوكل لحمها لم يجعل لاربابها الانتفاع بما يفصل من اللبن
لم يجعل لها فضل لبن وقوله عز وجل نسقيكم مما في بطونه ذكر في التذكير فظاهره ان يذكر بالتانيث لانه
اما ان يريد به الامهات التي يدر منها اللبن او جماعة من الذكران منها فكيف ما كان فهو يذكر بالتانيث
لكن بعضهم يقولون ذكر باسم التذكير على ارادة الاصل الذي به كان اللبن وهو الفحل وهذا يدل لابي حنيفة
واصحابه رحمهم الله لقولهم في لبن الفحل انه يحرم وقال بعضهم ذكر باسم التذكير على ارادة الجنس
والجوهر من بين الاجناس والجواهر دون العدد والجماعة وقوله عز وجل من بين فرث ودم لبنا
خالصا سائغا للشاربين قال ابن عباس رضي الله عنه معنى استخراج اللبن من بين فرث ودم وذلك
ان العلف اذا وقع في الكرش طبخه الكرش فيجعل الفرث اسفله والدم اعلاه واللبن بين ذلك ثم يسلط الكبد
عليهم فيجلي الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش كما هو وقال بعض الفلاسفة ان العلف
اذا وقع فيه يصير فيه فرثا ثم يصير منه دما ثم يصير لبنا خالصا فهو كالنطفة التي وقعت في الرحم يصير علقة
ثم تصير مضغة ماكولة فعلى ذلك اللبن الذي ذكر والله اعلم ويحتمل ما قال بعض الفلاسفة ان العلف
يصير فرثا ثم دما ثم لبنا ويحتمل ان يكون مجرى اللبن بين ما ذكر من الفرث والدم فاي الوجهين كان فيه
اللطف الذي ذكرنا ووجه ذكر هذا والله اعلم على الامتنان وكذلك ما ذكر من الثمرات والاعناب انه بلطفه
اخرج اللبن خالصا في اصفى الاشياء والطفه من بين اخبث الاشياء واكدرها في راي العين لمن قدر على حفظ هذا
الاشياء مما ذكر بلا حجاب يدرك او حاجز يعرف لقادر على انشاء الاشياء من لا شيء لان الخلائق لو اجتمعوا على
على ان يدركوا السبب الذي به كان حفظ هذا من هذا وامتناعه عن الخلط بالخبث ما ادركوا ذلك وكذلك
ما يخرج من النخيل والكروم الثمرات الطيبة والاعناب الحلو من غير ان يرى اثر ذلك فيها ومن غير ان يدركوا
السبب الذي كان به الاعناب والثمرات دل انه قادر على انشاء الاشياء من لا شيء اذ هي خشبية يابسة
والله اعلم وقوله عز وجل تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال بعضهم السكر ما يحرم منه والرزق الحسن
ما يحل من ثمرها وقال بعضهم السكر ما يتخذ منه من الشراب والرزق الحسن ما يوكل تمرا وزبيبا ونحوه وقال
بعضهم السكر خمر الاعاجم والرزق الحسن ما ينبذون ويخللون وياكلون وروي في بعض الاخبار انه حرم
السكر ولم يعتبر الاية وفي الاخبار انه بعث معاذا الى اليمن وامره ان ينهاهم عن نبيذ السكر وعن عبد الله قال
ان اولادكم ولدوا على الفطرة فلا تسقوهم السكر فان الله تعالى لم يجعل في حرام شفاء وليس بين فقهاء الامصار
في تحريم السكر ونقيع البسر ونقيع الزبيب اذا اسكر كثيرها ولم يطبخ اختلاف انها حرام وقد ذكرنا هذا في سورة
البقرة ان في ذلك لاية لقوم يسمعون يعقلون وقال القتبي الفرث ما في الكرش لان اللبن كان طعاما

الانفس في

تخلص من ذلك الطعام دم وبقي منه فرث في الكرش وخلص من الدم لبنا سائغا اي سهلا في الشرب لا يشجى به شاربه
ولا يغص وكذلك قال ابو عوسجة اسغته اي ادخلته في حلقي سهلا وقوله تتخذون سكرا ورزقا حسنا اي تتخذون منه
ما يحرم اكله ورزقا حسنا ما يحل منه وهو كقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية او يخرج على تذكير النعم
في الوقت الذي كان السكر حلالا اي تتخذون منه سكرا ما تشربون ورزقا حسنا سوى الشراب وقوله عز وجل واوحى
ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا الى اخر ما ذكر قال بعضهم اوحى اي قذف في قلوبها انا نعلم ما ذكر والوحي
هو القذف سمي بذلك لسرعته وقرعه ونفاذه في القلوب من غير ان يشعر الملقى فيه والمقذوف في قلبه ان احدا فعل ذلك
والقاه فيه وهو ما مكن الله للشيطان من الوسوسة في القلوب من غير ان يعلم الموسوس اليه والمقذوف في قلبه ان احد
ادعاه الى ذلك او زينه ذلك وكذلك ما يلهم الملائكة بني آدم من اشياء من غير ان علموا ان احدا دعاه الى ذلك او القاه
في قلوبهم فهذا كله يرد على من ينكر الشيطان والملائكة وهم طائفة من الملحدة يقولون ان الشهوات والاماني التي جعلت
في انفسهم هي التي تبعثهم وتهيجهم على ذلك لا الشيطان فيقال لهم ان الانسان قد نجد له اشياء من غير ان كان منه تفكر
في ذلك يدل ان غيره القى ذلك في قلبه وقذف لا عمل الاماني والشهوات وهذا ايضا يدل على لطف الله في البشر انه
يوفقهم على الطاعات ويحثهم عليها من غير ان علموا ان غيره في ذلك صنعا وكذلك الخذلان في المعاصي وانواع
الاجرام التي يكتسبونها ثم يحتمل قوله واوحى ربك الى النحل اي النحل وغيرها من البهائم وجهين احدهما يحتمل
انه انشا هذه البهائم على طبايع تعرف بالطبع مصالحها ومهالكها ومعاشها وما به قوام ابدانها وانفسها وما به فسادها
وصلاحها من غير ان يعلم ان احدا يدعوهم الى ذلك او يشير اليها او يامرونهم لكنه بالطبع يعرف ذلك ويعلم
من نحو اشياء يعلمن اشياء بالطباع من غير ان يعلم ان احدا علمه ذلك من نحو الوز يسبح في الماء بالطبع من غير ان يعلم
انها تسبح وكذلك الطير الذي يطير في الهواء من غير ان يعلم بالطيران فعلى ذلك يحتمل هم هذه البهائم وعرفانها
ما ذكرنا من المصالح والمهالك من غير ان يعلم انها تعرف ذلك والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون الله عز وجل جعله
خلقة هذه الاشياء بالذي يعقلون على المخاطبات والامر والنهي يعرفون ذلك كما يعرف مثله البشر الا ترى ان البشر
لا يعرف المهالك والمصالح الا بالتعلم والبهائم وان صغر ذلك تعرف حتى تتوقى المهالك وترغب في المصالح وما يلها
ان هذه الاشياء مما يفهم الامر والنهي والخطابات قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء الا ترى انهم فهموا الخطاب حيث ردوا عليهم
الجواب بقوله انطقنا الله فذلك ما ذكرنا والله اعلم فذلك الوحي والقذف لكل البهائم لا النحل خاصة لما ذكرنا
من معرفتها المهالك والمصالح وما به معاشها وغذاها مما به فسادها وهلاكها حتى يعرف ذلك من غير ان تعلم
والبشر لا يعرف الا بالتعلم فهو والله اعلم لوجهين احدهما المحنة ان البشر امتحنوا بالتعليم فذلك من الله امتحانهم
والبهائم لا محنة عليهم فعرفوا ذلك على غير تعلم او كان ذلك للبشر تفضل بعض على بعض في العلم بالتعلم اذ البهائم
يستوي صغيرها وكبيرها في معرفة ذلك وفي بني آدم يتفاضل ويتفاوت بالتعلم والله اعلم فان قيل فاذا كان
البهائم كلها مشتركة في ذلك الالهام والوحي فما معنى تخصيص النحل في الذكر من غيرها من البهائم قيل يحتمل تخصيص
النحل بالذكر والله اعلم لما ان هذه الاشياء غير النحل لا تعطي تلك المنافع التي جعلت فيها ولا تبذل للبشر الا بالرياضة
والنحل تعطي ذلك لهم وتبذل من غير تعلم ولا رياضة والله اعلم ثم قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا وقوله ثم كلي
من كل الثمرات وقوله فاسلكي سبل ربك ذللا ونحوه ظاهره لكن حقيقته تمكين وتسهيل نحو قوله سيروا في كذا
هو في الظاهر امر وفي الحقيقة تمكين وتيسير ثم في هذه الاية وفي قوله يخرج من بطونها شراب وفيما سبق من الايات
وهو قوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا دلالة قدرته على انشاء الاشياء من لا شيء ودلالة علمه وتدبيره لانه اخرج من هذه الجواهر
المختلفة اشياء من غير جوهرها وجنسها ما لم يكن شيء مما اكل منها هذه البهائم من الجواهر التي اخرج منها من نحو العسل

الذي اخرج من الفواكه التي اكلت واللبن من العلف الذي اكل والعصير والسكر والاعناب من الكروم اذ ليس شي خرج
منها من جنس ما اكل ولا من جوهر ما سقى دل انه كان بغير علم قادر على انشاء الاشياء من لا شي ولا سبب وفيه
دلالة علمه وتدبيره وحكمته لانه انشاء ذلك اللبن في البطن على غير جوهر ما تناولت ومن خلاف لونه في تلك الظلمات
دل انه علمه غير مقدر بعلم الخلق وان حكمته غير مقدرة بحكمة الخلق وكذلك قدرته غير مقدرة بقدرة الخلق
ثم قوله فاسلكي سبيل ربك قيل طرق ربك ذللا وقيل مطيعة وقيل من الذل اي الرفق واللين كقوله اذلة على المؤمنين
وقوله واخفض جناحك الاية من الذل ومن الرفق واللين وهذا يخرج على وجهين احدهما ذلك سبيل ربها
وسهل السلوك فيها حتى تسلك كيف شاءت وقوله عز وجل ومما يعرشون قيل مما يبنون ويتخذ مما يتخذ من العرش
وهو الذي يتخذ من الخشب وقوله عز وجل مختلف الوانه قال الحسن الشهد والعسل وقال بعضهم مختلف في الطعم
وقيل في الالوان الابيض والاحمر والاصفر وقوله عز وجل فيه شفاء للناس قال بعضهم فيه شفاء للناس من كل داء
حتى القروح وكل شي وقال بعضهم قوله فيه شفاء من داء دون داء وقال بعضهم فيه شفاء يعني في القرآن فيه شفاء
القلوب للدين ويحتمل قوله فيه شفاء فان اراد هذا فهو ظاهر لا شك ان فيه ذلك الشفاء ويحتمل فيه شفاء
للدين فان كان هذا فيكون ذلك من جهة النظر فيه يدرك ويوصل الى ذلك الشفاء وقوله ثم كلي من كل الثمرات قال بعضهم
من نوع ما تاكل النحل وقال بعضهم من جميع الثمرات التي تكون في الجبال عن عبد الله قال القرآن والعسل هما الشفاء
ان القرآن شفاء الدين والعسل شفاء الابدان وقال بعضهم من اهل اللغة ان الوحي في كلام العرب على وجوه منها
وحي النبوة فهو ارسال الله الملائكة الى انبيائه ورسله كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ومنها وحي الاشارة
كقوله فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ومنها وحي الالهام وهو قوله واوحى ربك الى النحل وقوله واوحينا
الى ام موسى وقوله بان ربك اوحى لها ونحوه ومنها وحي الاسرار كقوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول الاية وقال بعضهم
ان اصل الوحي عندنا هو ان يلقي الانسان الى صاحبه شيا للاستتار والاخفاء وقد يكون ذلك بالايماء والخط واصل
الوحي ما ذكرنا انه سمي به لسرعته ووقوعه وقذفه في القلب وقال ابو بكر تاويل الوحي ان يعلم الذي يوحي اليه
ويرشد وذلك على وجهين احدهما ان الله ارشد كل دابة سوى الانسان الى مصلحتها والهرب عن مهلكها ومتلفها بما فطرها
الله عليه كما ارشد الانسان الى ما يصلحه في دينه ودنياه بالتعليم فشل الله تعليم كل دابة ما فيه مصلحتها ومفسدتها
بما دبرها عليه كما علم الانسان بالعقول والبيان فقال واوحى ربك الى النحل اي ارشدها ودلها بفطرتها ان اتخذي
من الجبال بيوتا ومن الشجر بيوتا فيها ومما يعرشون يعني واتخذي مما يبني الانسان لمسكنهم وقال العريش الحيطان
التي لا سماء لها بعضها تتخذ خلاياها في كل ذلك لمنافع الخلق ثم قال ثم كلي من كل الثمرات والثمرات مختلفة الطعم
والمنظر والمشم فاسلكي سبل ربك وهو ما سبل الله لها من الرزق والماوى ذللا قال يقول ذلك ذلل لك كل شي قدر
لرزقك ومسلكك وذلك في طلبها سبل لك لبني ادم وجعلها سببا لمنافعهم وصغر قدرك ليريهم بذلك قدرته
وسلطانه على ما شاء ليعلموا ان خالقهم لا يعجزه شي وانه القدير على ما يعدهم من البعث والثواب والعقاب وقوله
يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه يقول الجنس واحد ثم هو ضروب كالوان التمر والعنب وساير الثمار في مذاقه
ومشامه ومنظره وكله عسل فيه شفاء للناس لمنافعهم وملاذهم وفيما اراهم الله من قدرته على ما يشاء من ذلك
فيه شفاء في الدين والعلم يعلمون بما يشاهدون من تدبير الله وقدرته على ما بينا وقوله عز وجل ان في ذلك
لاية يقول لعبرة ودليلا وبرهانا لقوم يتفكرون فيما يشاهدون من تدبير الله وتقديره وقدرته
على ما يشاء والله اعلم وقال في قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب يقول ولكم عبرة ودليل ان النخل اجذاع
خشب لا طعم فيها والكرم خشب ايضا وما فيهما من سعف وورق لا عسل فيها ولا عنب فاخرج الله عنهما ثمرات
مختلفات فيه عسل وفيه تمر وزبيب وتتخذون منه ما تلذذون من الشراب وقال هذا قبل تحريم الخمر
والسكر كلها اسكرهم وتتخذون منه ايضا رزقا حسنا اي طيبا وهو ما تاكلون منها سوى ما تشربون وتكسبون بها

اموالا كثيرة من الله به عليهم وقال بعضهم السكر كل شي حرمه الله من ثمارها من الشراب الخمر من العنب
والسكر من التمر والرزق الحسن ما احل من تمرها الزبيب والتمر والنبيذ وقال السكر ما اسكر والرزق الحسن
واشباهه ان في ذلك لاية ودليلا وبيانا لقوم يعقلون ما ينبهون فيعلمون ان الذي لم يعجز عما خلق لهم من الثمار
من خشب يابس يقدر ان يحيي الموتى ويخلق ما يشاء وما عرف الخلق انه يكون من النطفة الولد ومن الماء
والاشجار الفواكه ومن العلف اللبن وغير ذلك من الحوادث التي تحدث من الاشياء وتلك اسبابها
ما لم يدرك كون تلك الاشياء فيها ولا يرى لا يعرف ذلك الا بتعليم من هو عالم بذاته لان علم ذلك لو كان بتعليم
لو اجتهد واكل جهده لم يدركوا حدوث تلك الاشياء مما ذكرنا ولا كونها منها دل ان الذي علم هو عالم بذاته
فاذا ثبت كونه بعالم بذاته وان كانوا لم يشاهدوا الا عالما بغير نعلي ذلك هو قادر على انشاء الاشياء من لا شي
وان كانوا لم يعاينوا في الشاهد شيئا الا من شي وفيه ان ما يحدث ويكون من اللبن بالعلف الذي ياكل
او الطعام الذي يتناول والفواكه والثمار التي تخرج ليس تكون بنفس الماء وبنفس الطعام والعلف ولكن
باللطف من الله تعالى لانه قد يسقي ذلك الماء الشجر والنخل في حال ثم لا يكون فيه الثمر وكذلك الدواب
تعلف في حال لا يكون ذلك منه وقوله عز وجل والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر
لكي لا يعلم بعد علم شيئا فان قيل لنا اي منة له علينا في ذكر خلقنا ثم توفاه ايانا ورده لنا الى الحال التي
ذكر وهو حال الجهل حتى لا نعلم شيئا قيل ذكر هذا والله اعلم يحتمل هذا وجوها احدها يذكرهم
انه هو الذي خلقكم ثم هو يتوفيكم ثم هو يملك ردكم الى الحال التي لا تعلمون شيئا وفي ملكه وسلطانه تتقلبون
فكيف عبدتم الاصنام والاوثان التي لا تملكون شيئا من ذلك واشركتموها في الوهيته وعبادته او يذكر
هذا انه خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفيكم بعد ما احياكم ثم يردكم الى الحال التي لا تعقلون شيئا بعد ما جعلكم
عقلاء علماء فمن تملك هذا ويقدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت والبعث بعد الفناء او يذكر
ليعلموا انه لم يكن المقصود بخلقهم الفناء خاصة لكن لامر اخر قصد بخلقهم وهو ما ذكر فيما تقدم من انواع
النعم وتسخير ما ذكر من الاشياء لهم ليعلموا ان المقصود في خلقهم لم يكن الفناء خاصة اذ لو كان الفناء خاصة
لم يحتج الى ما خلق لهم من الاغذية والنعم التي انشاها لهم الاشياء التي سخرها لهم وقال ابو بكر الاصم قوله
والله خلقكم وكنتم نطفا امواتا فاحياكم ثم يتوفاكم اطفالا وشيوخا ومنكم من يعمر الى ارذل العمر يقول يرده
بعد قوة وعلم وتدبير الامور الى الخرف والجهل بعد العلم ليتبين لخلقه ان العمر والرزق ليس بما دبر
وقوي لانهما ثابتان ثم يبلى ويفنى بهما ويرجع الى الجهل ولكن بلطف من الله وتدبير منه لا بالاغذية والله اعلم
ان الله عليم بما دبر في خلقه مما يدركون به قدرة خالقهم وتصريفه الامور وبما يكونون به حكماء وعلماء ان الذي
دبرها حكيم قدير على ما شاء الحكمة فيما ذكر من تفريق الاجال ليكونوا ابدا خائفين راجين لانه لو كانت
اجالهم واحدة يامنون ويتعاطون المعاصي على امن لما يعلمون وقت نزول الموت بهم والثاني ليعلموا ان التدبير
في انفسهم وملكهم لغيرهم لا لهم لان التدبير والامر لو كان اليهم لكان كل منهم يختار من الحال ما هو
اقوى واكد وقوله عز وجل والله فضل بعضكم على بعض في الرزق قال بعض اهل التاويل يذكر هذا مقابل
ما اشركوا خلقه وعبادته في الوهيته وعبادته يقول فضل بعضكم على بعض في الرزق والاموال حتى بلغوا
السادة والموالي فلا ترضون ان يكون عبيدكم ومما ايديكم شركاء في ملككم واموالكم فكيف ترضون لله
ان يكون عبيده ومما لكيه شركا الى هذا يذهب بعض اهل التاويل وقال ابو بكر الاصم قوله فضل بعضكم
على بعض في الرزق اغنى بعضكم وافقر بعضا وجعل منكم احرارا وعبيدا فما الذين فضلوا بالغنى والتمليك
برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم من عبيدهم فهم فيه سواء ان يستوي المولى وعبده فيما ملكت يمينه يقول
فليس احد منكم يرضى ان يكون عبده بمنزلته فيما يملك سواء فاذا ابيتم انتم ذلك نقصا بكم لو فعلتم فكيف زعمتم

ان الله اشرك بينه وبين احجار حتى اشركتم وما ملكتم الله بينه وبين الاوثان فى العبادة وفيما اتاكم
من رزق فقلتم هذا لله وهذا لشركائنا افنعمة الله يجحدون نقول انعم الله عليهم بانفسهم وارزاقهم واموالهم
واولادهم فاشركوا غير الله فيها وجحدوا انعم الله عليهم بها الاسباب التى اكتسبوها عصوا وبها كفروا ثم الزمهم
النظر فى الفضل الذى ذكر انه فضل بعضهم على بعض الى عين الفضل الذى كان من الله لا الى الاسباب التى له
اكتسبوها ليعلموا انهم لم ينالوا تلك الفضايل باستحقاقهم ولكن انما قالوا بفضل منه ورحمة فيكون ذلك
دليلا لهم فيما انكروا من افضال الله واختصاصه بعضهم بالرسالة والنبوة وان كانوا جميعا من بشر ومن جنس
واحد على ما فضل بعضهم فى الرزق والسعة والملك والحرية والسلطان وان كانوا جميعا فى الجنس فاذا لم تنكروا
هذا النوع من الفضل والاختصاص لبعض على بعض فكيف انكرتم ذلك الفضل والاختصاص على بعض فكيف انكرتم
ذلك الفضل والاختصاص على بعض فكيف انكرتم ذلك الفضل والاختصاص بالرسالة من فضله ورحمته فلذلك
قال والله اعلم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات اخبرانه برحمته وفضله ينال ما ينال من الرسالة وغيرها بالاستحقاق والاستيجاب كان منهم او ان يذكر
سفههم بانهم يانفون ان يشركوا عبيدهم ومماليكهم واموالهم ولهم منهم منافع من الخدمة والاعانة فى الامور فما لهم
يشركون احجارا وخشبا لا منفعة لاحد منها فى الوهية الله وربوبيته وفى عبادته افبنعمة الله يجحدون وعلى تاويل
النبوة بفضل الله ورحمته يجحدون انه لا يفضل بعضا على بعض بالرسالة او يجحدون ما اتاهم الله من النعم فيصرفون
نعم الى غيره وهى الاصنام التى عبد وها وقالوا هذا لشركائنا او يصرفون شكر نعم الى غيره وهى الاوثان التى عبدوها
والله اعلم **وقوله** عز وجل جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة قال الحسن وغيره
الحفدة الخدم والمماليك فهو على التقديم على تاويل هؤلاء يقول جعل لكم ازواجا وخدما من جنسكم لانه ذكر فيما تقدم
والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق لانه يذكرهم نعمه وفضله الذى ذكر انه جعل لكم من جنسكم ازواجا وخدما تحت
ايديهم يستمتعون بالازواج ويستخدمون الخدم والمماليك وهم من جنسهم وجوهرهم يذكرهم فضله ومنته عليهم
ويشبه ان يكون هذا صلة قوله واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا الاية كانوا يانفون عن البنات ويدفنونهن
احياء اذا ولدت انفا منهن يقول والله اعلم كيف تانفون منهن وقد جعل لكم من البنات ازواجا تستمتعون بهن حتى
لا تصبروا عنهن وكذلك جعل لكم من البنات البنين الذين ترغبون انفسكم فيهم ما لولا البنات لم تكن لكم الازواج التى
تستمتعون بهن ولم يكن لكم البنون الذين ترغبون فيهم والانصار والاعوان والخدم الذين ترغبون فيهم بنين ويذكر
تناقضهم فى الانفة منهن يانفون منهن ومن البنات يكون ما يرغبون فيهن فهذا يدل ان النساء يصرن كالملك للازواج
ويصرن تحت ايديهم فى حق ملك الاستمتاع كالمماليك فى حق ملك الرقاب ثم جعل عز وجل التناسل فى الخلق على التفاريق
وتقليبهم من حال الى حال وتقلبهم ابدا كذلك ليكون اذكر لتدبيره وانظر فى اياته ودلالته ولو شاء لانشاء الخلق كله
بمرة واحدة وافناهم بدفعة واحدة وكذلك ما جعل لهم من الارزاق وانواع النبات لو شاء لاخرج لهم ذلك بمرة وفى
وقت واحد لكنه انشاهم بالتفاريق ليذكرهم النظر فى اياته وتدبيره ليكون ذلك لهم ادعى الى المرغوب
واحذر للمرهوب وكذلك ما رد من الانباء والقصص والمواعيد وذكر الجنة والنار فى القران فى غير موضع ليبعثهم
ويحثهم على النظر فى اياته وتدبيره ويرغبهم فى كل وقت فى المرغوب ويحذرهم عن المحذور والمرهوب ثم قوله جعل لكم
من انفسكم ازواجا وقال فى اية اخرى فسلموا على انفسكم وقال ولا تقتلوا انفسكم ونحوه ذكر الانفس فى كله ثم لم يفهم اهل
الخطاب من هذا كله معنى واحدا وشيئا واحدا وان كان فى حق اللسان واللغة واحدا لكنه فهموا فى كل غيرما فهموا
فى اخر فهذا يدل انه لا يفهم الحكمة والمعنى فى الخطاب بحق ظاهر اللسان واللغة ولكن بدليل الحكمة المجعولة فى الخطاب
ومن اعتقد فى الخطاب الظاهر حسم باب طلب الحكمة فيه والمعنى لانه يجعل المراد منه الظاهر **وقوله** عز وجل
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة هو ما ذكرنا وحفدة اختلف فيه قال بعضهم الحفدة الخدم والمماليك

وقال بعضهم

وقال بعضهم الحفدة ولد الولد وقال ابن مسعود رضى الله عنه الحفدة الاختان وروى عنه انه قال الحفدة
الاصهار فالاصهار والاختان عنده واحد وقيل الحفدة الاعوان والانصار يذكرهم التناقض فيما يانفون
من البنات انكم كيف يانفون عنهن ومنهن يكون لكم الاعوان والانصار والاختان فى امر الدنيا وقال ابو عوسجة
الحفدة بنو البنين وقال ايضا الحفدة الاعوان والحافد المجتهد فى العبادة وفى العمل يقول حفد يحفد اى خدم
واجتهد وقوله واليك نسعى ونحفد اى نجتهد وقال القتبى الحفدة الخدم والاعوان يقال هم بنون وخدم
وقال اهل الحفد مداركة الخطو والاسراع فى المشى وانما يفعل ذلك الخدم فقيل لهم حفدة واحدها حافد
وقال ومنه يقال فى دعاء الوتر واليك نسعى ونحفد وقال ابو عبيد واصل الحفد العمل وقال ومنه الحرف
فى القنوت نحفد اى نعمل والله اعلم **وقوله** عز وجل ورزقكم من الطيبات قال بعضهم الطيبات الحلالات
وقال بعضهم الطيبات اى كل ما طاب ولان ولطف ورزق غيركم من الدواب والبهايم كل ما خشن وخبث
يذكرهم منته عليهم ونعمه ليستادى بذلك شكره **وقوله** عز وجل افبالباطل يؤمنون قال بعضهم ابالشيطان
يصدقون ويجيبونه الى ما دعاهم من الانفة من البنات وبنعمة الله هم يكفرون اى هذه البنات لكم نعمة فكيف
تكفرونها فقال افبالباطل يؤمنون اى بالشيطان الى ما دعاكم وبنعمة الله اى بمحمد يكفرون او بالاسلام او بالقران
وقال ابو بكر الاصم افبالباطل يؤمنون يقول تقرون بانكم عبيد الاحجار تدينون لها وتعبدونها وبنعمة الله هم
يكفرون يقول وبما انعم الله عليكم فى انفسكم وما حولكم ورزقكم تكفرون به وكان الشكر اولى بكم والله اعلم **وقوله**
ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا فايدة ذكر هذا لنا والله اعلم لئلا نتبع بعض
المخلوقين باهوائنا ولا نكل فى امورنا الى من نعلم انه لا يملك ضرا ولا نفعا ولا يستطيع شيئا من الرزق كما تبع اولئك
فى عبادة من يعلمون انه لا يملك شيئا ولا نفعا ولا ضرا فيعبدون يذكر سفههم من عبادتهم من يعلمون انه لا يملك
شيئا من النفع والضر والرزق قليلا يعمل نحن مثل صنيعهم بمن دون الله من المخلوقين ثم اختلف فى قوله ما لا يملك لهم
رزقا من السموات والارض شيئا قال الحسن هو على التقديم اى يعبدون من دون الله شيئا لا يملك لهم ما ذكر
وقال بعضهم يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض ولا يستطيعون شيئا وقال بعضهم
يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض ولا شيئا فلا تضربوا لله الامثال اى لا تتخذوا لله
امثالا من الخلق واشباها فى الوهيته وعبادته او لا تقولوا لله ان له اشباها وامثالا او يقول فلا تجعلوا لله امثالا
فى العبادة واشباها فى تسميتها الهة على علم منكم انما يكون لكم انما يكون بالله لا بالاصنام التى امثالا لله
فى العبادة والالوهية وجايز ان يكون فلا تضربوا لله الامثال اى فلا تضربوا لاولياء الله الامثال فانه قد بين
محل اوليائه ومكانهم **وقوله** عز وجل ان الله يعلم ان لا مثل له من الخلق ولا شبه وانتم لا تعلمون ذلك
او ان الله يعلم بمصالحكم وانتم لا تعلمون ما به صلاحكم وهلاككم **وقوله** عز وجل ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شىء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا ضرب المثل بهذا من وجهين احدهما
ان من لا يقدر ولا يملك ان ينفق فى الشاهد عندكم ليس كمن يملك ويقدر ان ينفق فهو كقوله هل يستوى الاعمى والبصير
وكقوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع اى ليس يستوى البصير والاعمى ولا الاصم والسميع فعلى ذلك
لا يستوى من يملك الانفاق والانعام على الخلق وهو المعبود الحق كمن لا يملك ذلك وهو المعبود الباطل والثانى
ضرب مثل المؤمن والكافر ان الكافر لا ينفق ما انعم عليه من المال فى طاعة الله ولا فى خيراته والمؤمن ينفق
جميع ما انعم عليه واعطى فى طاعة الله وخيراته فليسا بسواء من نفق فى طاعة الله كمن لا ينفق شيئا احدهما يكون
ضرب مثل الاله الحق والمعبود الحق بالمعبود الباطل والثانى مثل المؤمن بالكافر ثم فى الاية وجوه من الدلايل
احدها ان القدرة لا تفارق الفعل حيث قال عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ثم قال ومن رزقناه منا
رزقا حسنا فهو ينفق منه جعل مقابل الفعل القدرة فلو كانت تفارق الفعل لكان ذكر مقابل القدرة مثلها

اومقابل الفعل فعلامثله فلما ذكر مقابل القدرة الفعل انها لا تفارق الفعل وفيه ان العبد لا يملك حقيقة
الملك حيث ذكر عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وان قدر ما يملك انما يملك باذن من له الملك وكذلك الخلايق كلهم لا يملكون
حقيقة الاملاك انما حقيقة الملك فى الاشياء لله وان قدر ما يملكون بالاذن على قدر ما اذن لهم وفيه ان العبد
لا يملك الانفاق والتصدق حيث قال عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ثم قال فمن يملك ومن رزقناه منا رزقا حسنا
فهو ينفق دل انه لا يملك العبد الانفاق والهبة وقوله عز وجل هل يستويان الحمد لله قال بعضهم ذكر الحمد لله على اثر
ما ذكر لانه عرف رسوله النعم وانواع المنافع ثم عرفه على اثر ذلك الحمد لله وقال بعضهم الحمد لله ثناء لخير
الا ان اكثرهم لا يعلمون حمد الله وثناءه وقوله ومن رزقناه منا اى من اوليائنا او من اولياء ديننا وذلك جايز
سايغ فى اللغة ثم قوله لا يعلمون يحتمل نفى العلم عنهم لما لم ينتفعوا بما علموا او على حقيقة النفى لما لم ينظروا فى الايات
والحجج ولم يتأملوا فيها فلم يعلموا والله اعلم وقوله عز وجل وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شئ
وهو كل على مولاه الى اخر الاية قالوا هذا المثل كالاول يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما فى الاول احدهما المؤمن
والكافر شبه الكافر بالمملوك الابكم الذى لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه لا ياتى المولى بخير ولا ينتفع به وشبه
المؤمن بالذى ياتى المولى بكل خير ونفع يقول هل استوى هذا عندكم لا يستوى فكذلك لا يستوى الكافر
الذى لا يعمل شيا من طاعة الله ولا ياتى بخير والمؤمن الذى يعمل كل طاعة الله ويأتى بكل خير ويامر بكل عدل
بمن هو ابكم والثانى ضرب مثل الاله المعبود بالحق بالمعبود الباطل يقول هل يستوى من اتاكم بكل نعمة وكل خير
ويامر بكل عدل بمن هو ابكم لا يقدر على شئ ولا يضر ولا ينفع ولا يجيب وهو عيال على من يعبده ويخدمه هل يستوى
هذا مع ذلك لا يستويان مثلا البتة غير ان المثل ههنا ضرب بالذى لا ينطق بالحق ولا يامر بالعدل الذى
يامر بالعدل ذكر مقابل الابكم الذى يامر بالعدل وفى الاول ضرب المثل الذى لا يملك الانفاق بالذى يملك الانفاق
وقوله عز وجل وهو على صراط مستقيم اى هو على الحق المستقيم وهو المعبود بالحق قال ابو عوسجة الكل العيال
وكذلك قال غيره من اهل الادب وقال بعضهم الكل العقيم وهو واحد والاخرس والابكم الاخرس وهو الذى
لا ينطق البتة وقالوا ومن يامر بالعدل والتوحيد وقوله عز وجل ولله غيب السموات والارض هذا يحتمل وجوها
احدها ما ذكر اهل التاويل من السؤال عن الساعة وعن وقتها كقوله يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل انما
علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لخفائها على اهلها الا ان كل خفى ثقيل اخبر انه
لا يجليها لوقتها فوقت قيامها لا يعلمه غيره والثانى ولله علم ما غيب اهل السموات واهل الارض اى ما غيب
بعضهم من بعض فذلك ليس بغيب عن الله بل ما غاب عن الخلق وما ظهر لهم فذلك لله كله ظاهر بمحل واحد
وهو كقوله يعلم ما تسرون وما تعلنون والثالث قوله ولله غيب السموات والارض اى له علم ما فى سرية هذه
الاشياء الظاهرة ما لا سبيل للخلق الى علم ذلك وان كانوا هذه الاجسام والاشياء الظاهرة ويقع حواسهم
عليها لا يعلمون ما فى سريتها من نحو الماء الذى به حيوة كل شئ ونحو النطفة التى يخلق منها الانسان لا يعلمون المعنى
الذى به يصير انسانا ومن نحو السمع والبصر والعقل يعلمون ويريدون ظواهر الحواس ولكن لا يدركون المعنى الذى
يسمع وبه يبصر وبه يعقل ويفهم ويقول والله اعلم ولله علم ما غاب عن الخلق لنا فى هذه الاشياء الظاهرة والاجسام
المرئية او يقول ولله ما غاب عن اهل السموات واهل الارض وملك ما لم يغب عنهم وظهر فيكون كقوله
ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير كانه قال والله اعلم وله العلم الذى غيب عن اهل السموات
واهل الارض وهى الساعة لم يطلع عليها غيره وقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر قال بعضهم قوله وما امر الساعة
اى امر الساعة اهون على الله وايسر من لمح البصر اذ ليس شئ ايسر واهون على الانسان من لمح البصر لانه يلمح البصر
وهو اوهو اقرب اى بل هو اقرب اى ايسر من لمح البصر وقال الحسن اعادة الخلق على الله ايسر اهون من لمح البصر لانه
يلمح بصره فيبصر به بلحظة ما بين الارض الى السماء وهو مسيرة خمسمائة عام يقول من قدر ان ينشئ خلقا من خلايقه

ما يبصر بلحظة البصر مسيرة خمسمائة عام لقادر على اعادة الخلق وبعثهم بعد الفناء بل هو اقرب اى اعادته
اياهم اسرع واقرب من لمح البصر الى هذا يذهب الحسن وقال بعضهم وما امر الساعة اى ما وقت قيام
الساعة الا كلمح البصر اى ليس بين وقت قيامها وبين كونها الا لمح البصر بل هو اقرب من لمح البصر لكنه مثل لمح البصر
لما ليس شئ عند الناس اسرع واهون من لمح البصر لما ذكرنا انه يلمح ولا يشعر به لسرعته وخفته عليه فذكر هذا على التمثيل
ليس على ارادة حقيقة الوقت بقدر لمح البصر ولكن على المبالغة فى السرعة وذكر اقصى ما يقع فى الاوهام ويتصور
من نحو ما قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وشرا يره وما قال ما يملكون من قطمير ولا يظلمون فتيلا ولا يظلمون نقيرا
وامثاله كله يذكر على التمثيل ليس على التحقيق اى ما يعمل من قليل او كثير من شر كان او خير وكذلك لا يظلمون فتيلا
ونقيرا اى لا يظلمون شيئا وكذا ما يملكون من قطمير اى لا يملكون شيئا لان القطمير لا يملك فانما يذكر هذا وامثاله
على التمثيل الذى ذكرنا او ان يكون تاويل قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر اى ليس ما بين الساعة وبينكم مما مضى
من الوقت الا وقدر لمح البصر اى لم يبق من وقت قيامها مما مضى الا ما ذكر من لمح البصر او اقرب مما ذكر على الاستقصار
مما بقى ان الله على كل شئ قدير وعلى البعث والاعادة وعلى كل شئ لا يعجزه شئ وظاهر الاية ينقض على المعتزلة قولهم
لانكارهم خلق افعال العباد لانه اخبر انه على كل شئ قدير وعلى قولهم هو غير قادر على الفعل شئ وقوله عز وجل
والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا يذكر بهذا قدرته وسلطانه على ما سبق من ذكر سرعة القيامة والعلم بها
والحكمة التى جعلت البعث فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا خلق الولد فى ظلمات ثلاث وجعل
غذاءه بغذاء الامهات وبقواهن ثم تقلبه فى تلك الظلمات من حال الى حال ما لو اجتمع الخلايق ان يعلموا اغتذاءه
بغذاء الامهات وتقليبه من حال الى ومن جوهر الى جوهر ما قدروا على ذلك فيدل هذا على ان من قدر على هذا
وعلم هذا فى تلك الظلمات لقادر على البعث واعادة الخلق بعد الفناء وعلم ما غاب عن الخلق او يذكرنا ابتداء
احوالنا من بطون امهاتنا ونحن لا نعلم شيئا ثم صيرنا بها لصرنا عالمين اشياء يذكرنا نعمه ومنته علينا فى بلوغنا
الى الاحوال التى صرنا اليها بعد ما كنا ما ذكر والثانى يذكرنا انكم كنتم بالحال التى ذكر لنعلم انه صيرنا فى البطون
بلا استعانة باحد منا ولا عون منه الى احد والله اعلم وقوله عز وجل وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
فمن قدر على جعل السمع حتى يسمع الاصوات ويميز بها وبالبصر يميز الاجسام والفؤاد ليفهم ويعقل ما له وما عليه
ما لا يدركون ماهية ما به يسمعون ويبصرون ويعقلون وما به يميزون بين ما ذكرنا فمن قدر على انشاء الخلق
بعد الفناء والاعادة بعد الموت ثم ذكر على اثر قوله لا تعلمون شيئا السمع والبصر والافئدة فذلك يدل
على ان هذه الاشياء من اسباب العلم بالاشياء وبها يوصل الى العلم بالاشياء فمن اعطى اسباب العلم بالشئ فكانه
قد اعطى له العلم به والله اعلم وقوله عز وجل لعلكم تشكرون هو حرف شك فى الظاهر ذكر والله اعلم
لانه لا كل الناس يشكرون نعمه او لكى يلزمهم الشكر وقوله عز وجل الم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء
ما يمسكهن الا الله اى من قدر على امساك الطير وهى اجسام كغيرها من الاجسام فى الهوى بلا دعامة فى الاسفل
ولا تعلق بشئ من الاعلى لقادر على انشاء الخلق واعادتهم بعد الفناء او يقول اولم يروا الى اللطف الذى جعل
فى الطير والحكمة التى انشا فيها حتى قدرت على الاستمساك فى الهوا والطيران فى الجو ما لو اجتمع الخلايق جميعا ان يدركوا
ذلك اللطف او تلك الحكمة ما قدروا على ادراكه وفى ذلك نقض قول المعتزلة لان الطيران فعل الطير ثم اضاف
ذلك الى الله حيث قال ما يمسكهن الا الله دل ذلك ان لله فى ذلك صنعا وفعلا وقوله عز وجل ان فى ذلك
لايات لقوم يؤمنون جميع ما ذكر يكون اية لمن امن لانه هو المنتفع قال ابو عوسجة لمح البصر سرعة المنظر وجو السماء
هواها ويقال بطن السماء ويقال جوف السماء ويقال الجو ما اطان من الارض والاول اشبه وقوله عز وجل
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ظاهر هذا انه قد جعل لنا من البيوت ايضا ما ليس بسكن لانه قال جعل لكم
من بيوتكم سكنا وهو ما ذكر فى قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة وهو كالمساجد والرباطات

وغيرها ويشبه ان يكون ذكر هذا النعم فوا عظيم منته هو نعمه حيث جعل الارض بحال يقرون عليها ويمكن لهم المقام بها
بالرواسي التي ذكر انه اثبت فيها بعد ما كانت تميد بهم ولا تقر بها اخبر انه فيها رواسي وان يكون حرف من صلة اي جعل لكم
بيوتا تسكنون فيها ثم جعل لكم من بيوتكم سكنا يحتمل وجهين احدهما اي نجز لكم الارض حتى قدرتم على اتخاذ المساكن
تسكنون فيها او جعل لكم بيوتا اي علمكم ما تبنون فيها من البيوت ما لولا تعليمه اياكم ما تقدرون على بناء البيوت فيها
يذكر منته عليهم والله اعلم وفي هذه الآيات في قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وتحو
ذلك دلالة نقض قول المعتزلة لانه ذكر انه جعل بيوتا سكنا والسكن فعل العباد دل ان لله في فعلهم صنعا
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا قال اهل التاويل جعل لكم من جلود الانعام اي من صوفها لكنه اضافها الى الجلود
لما من الجلود يخرج ومنها يجز ويؤخذ وهو ما ذكر ومن اصوافها وهو صوف الغنم واوبارها وهو صوف الابل
واشعارها ما يخرج من المعز يوم ظعنكم قيل يوم سفركم وسيركم ويوم اقامتكم قال بعضهم في المصر وقال بعضهم
في السفر حين النزول والعمل في هذا يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا في قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا احدهما
على التسخير لهم والثاني على التعليم ذكر عز وجل في البيوت المتخذة من المدر السكنى حيث قال من بيوتكم سكنا ولم يذكر
في البيوت المتخذة من الجلود والاوبار والاشعار فكانه ترك ذكره في هذا لذكره في الاول او ذكر في الاول
ذكر تصريح وذكر في الثاني ذكر دلالة **وقوله** عز وجل اثاثا قيل الاثاث والرياش واحد وهو المال وقيل ما يتخذ
من الثياب والامتعة **وقوله** عز وجل ومتاعا الى حين يحتمل الى حين الى وقت يبلى ذلك الاثاث او الى حين وقت
فنائهم **وقوله** عز وجل والله جعل لكم مما خلق ظلالا لا يحتمل قوله ظلالا الا البيوت التي ذكر وهي تظللهم ويحتمل
الاشجار وجعل لكم من الجبال اكنانا وهي الغيران والبيوت التي تتخذ في الجبال تقيهم عن الحر والبرد وجعل لكم
سرابيل قيل القميص والدروع ثم ذكر ان ما ذكر من البيوت والاكنان والسرابيل تقيكم الحر وتقيكم ايضا باس العدو
كذلك يتم نعمته عليكم ما ذكر من انواع النعم **وقوله** عز وجل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ذكر انها تقي من الحر
وهي تقي الحر والبرد جميعا فكان في ذكر احدهما ذكر الاخر ذكر كفاية وقوله كذلك يتم نعمته عليكم اي كذلك
يتم نعمته عليكم ليلزمهم الاسلام وحجته ثم يحتمل النعمة ما تقدم ذكره ويحتمل الرسول **وقوله** عز وجل لعلكم
تسلمون جميع ما ذكر من النعم والآيات في هذه السورة من اولها الى آخرها انما ذكر لهذا الحرف وهو قوله لعلكم
تسلمون وما ذكر لعلكم تشكرون ولعلكم تهتدون يحتمل ان يكون هذه الاحرف كلها واحدا ويحتمل ان يكون
لكل حرف من ذلك معنى غير الاخر والله اعلم **وقوله** عز وجل فان تولوا عن الاجابة لك وعما تدعوهم اليه فانما عليك
البلاغ المبين اي ليس عليك اجابتهم انما عليك التبليغ اليهم والبيان لهم **وقوله** عز وجل يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
يحتمل النعمة ههنا محمدا صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه لكن انكروه كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وما ذكر
يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويحتمل نعمة الله يعرفون نعمة الله وهو ما ذكر عرفوا انها من الله
ثم ينكرونها بعبادتهم الاصنام وصرفهم شكرها الى غيره كقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله مع ما يعرفون انه
هو خالقهم وان ما لهم كله من عند الله يعبدون الاصنام فتكون عبادتهم دون الله كفران نعمة الله وقال ابو عوسجة
يوم ظعنكم يوم سيركم ظعن يظعن سار والسرابيل القميص يقول تقيكم اي تستركم وقال القتبي ظلالا اي ظلال
الشجر والجبال وقوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون هذا والله اعلم في قوم علم الله انهم يؤمنون بما ذكر لهم
من انواع النعم والافضال ليعلم ان الاسلام من اعظم نعم الله لا يناله احد الا بنعمته وقال بعض اهل التاويل سميت
سورة النحل سورة النعم لما فيها من ذكر النعم وانواع منافع الخلق من اولها الى آخرها **وقوله** يوم نبعث في كل امة
شهيدا قال بعضهم شهيدها ان يشهد عليهم من نحو ما ذكر من شهادة جوارحهم عليهم وهو قوله يوم يشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم الآية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم الآية وقوله يومئذ تحدث اخبارها ونحو ذلك
من الآيات التي فيها ذكر الشهادة عليهم عند انكارهم اعمالهم التي عملوها وقال بعضهم شهيدها رسولها الذي بعث اليهم

يشهد عليهم انه قد بلغ اليهم رسالات ربهم وهو كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير والنذير هو الرسول المبعوث
اليهم وهو ما ذكر ايضا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وكقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اخبر انه يجيء بمحمد صلى الله عليه وسلم شهيدا
على اولئك ان الرسل قد بلغوا الرسالة اليهم وهو ما ذكر فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وقوله يوم
يوم يجمع الله الرسل الآية وقوله ويوم يناديهم يسال الرسل عن تبليغ الرسالة الى قومهم ويسال قومهم عما اجابوا الرسل
الى هذا يذهب بعض اهل التاويل والله اعلم جميع ما ذكر في القرآن من مجيئه واتيانه ونحوه جائز ان يكون
ذلك البعث تفسير ذلك كله قوله يوم نبعث من كل امة كذا من ذلك وقوله وجاء ربك والملك هل ينظرون الا ان ياتيهم
وقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فهو البعث والله اعلم **وقوله** عز وجل ثم لا يؤذن للذين كفروا وقال الحسن
لا يؤذن لهم بالاعتذار لانه لا عذر لهم وهو ما قال هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون لانه
لا عذر لهم واعتذارهم لا ينفع لهم شيئا اذا اعتذارهم من نحو قولهم ربنا هؤلاء اضلونا وقولهم لولا انتم لكنا
مؤمنين ونحو هذا مما لا ينفعهم ذلك فلا يؤذن لهم لذلك ولا هم يستعتبون قال الحسن ولا هم يقالون
وكذلك قال في قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي من المقالين اي لا يقالون عما كان منهم وقال بعضهم
لا يؤذن لهم ولا يمكن لهم من التوبة والرجوع عما كانوا الان ذلك الوقت ليس هو وقت التوبة والرجوع كقوله فلما راوا
باسنا قالوا امنا بالله وحده الآية وقال فلم يك ينفعهم ايمانهم ونحوه ولا هم يستعتبون العتاب في الخلق وهو
تذكير ما كان من الفرط ليرجع عما كان منه وذلك في الآخرة لا يحتمل ويحتمل قوله ثم لا يؤذن للذين كفروا اي لا يؤذن لهم
بالكلام كقوله اخسؤوا فيها ولا تكلمون او لا يؤذن للشفعاء ان يشفعوا للذين كفروا ويؤذن للشفعاء ان يشفعوا
للمؤمنين **وقوله** عز وجل واذا راى الذين ظلموا العذاب اي وقعوا فيه دليله ما ذكر فلا يخفف عنهم دل هذا
انه لم يرد به رؤية العذاب ولكن الوقوع فيه فلا يخفف عنهم لانه يدوم ولا تخفيف من العذاب ولا هم ينظرون
اي يمهلون من العذاب والثاني يخفف عنهم عما استحقوا واستوجبوا وما ذكرنا انه لا يكون لعذابهم
انقطاع **وقوله** عز وجل واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك
قال الحسن قوله شركاؤهم اي قرناؤهم واولياؤهم من الشياطين كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الآية
وكقوله وقيضنا لهم قرناء الآية وقوله نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله يحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا
الآية وقوله قال شركاؤهم واولياؤهم كانوا لهم في الدنيا فهم شركاؤهم الذي ذكر وقولهم هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك على هذا التاويل كنا ندعوك واياهم من دونك فالقوا اليهم القول اي يقولون لهم
انكم لكاذبون وقال بعضهم قولهم هؤلاء شركاؤنا الذين ندعوا من دونك الاصنام التي عبدوها فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون اي يكذبونهم وهو ما ذكر ان كنا عن عبادتكم لغافلين يكذبونهم فيما قالوا ويخبرون انهم
كانوا غافلين عن عبادتهم وقال بعضهم شركاؤهم الملائكة الذين عبدوهم كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اخبروا انهم
انما عبدوا الجن بامرهم ولم يعبدوهم ويكون شركاؤهم رؤساءهم الذين انقادوا الاتباع لهم ويحتمل الاصنام
وما ذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون هو ما ذكرنا يقولون لهم انكم لكاذبون او يكذبونهم
فيما يزعمون ويدعون **وقوله** عز وجل والقوا الى الله يومئذ السلم اي يخضعون كلهم لله يومئذ
ويخلصون له الدين ويسلمون له الامر والالوهية وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل عنهم ما طمعوا بعبادتهم
الاصنام والاوثان التي عبدوها من الشفاعة وغيرها كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله بطل عنهم ما طمعوا ورجوا من عبادتهم اولئك من الشفاعة لهم والقربة الى الله **وقوله**
عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قال بعضهم

هولاء كانوا روساء الكفرة وقادتهم ضلوا هم بانفسهم واضلوا اتباعهم فلهم العذاب الدايم بكفرهم بانفسهم
وزيادة العذاب باضلال غيرهم وهو كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم وكقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم الاية اخبرانهم يحملون اوزارهم واثقالهم واوزار الذين
اضلوهم ومنعواهم عن الاسلام فعلى ذلك قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما اضلوا اتباعهم وسعوا فى الارض
بالافساد وهو قول ابى بكر الاصم وقال بعضهم ان عذابهم كلما اراد ان يفتر ينضج الجلود زيدت لهم بتبديل الجلود
نارها كلما ارادت ان تخمد زيد لهم سعيرا كقوله بدلناهم جلودا غيرها وقوله خبت زدناهم سعيرا فذلك هو الزيادة
فى العذاب ويحتمل غير هذا وهو ان عذاب الكفر دايم ابدا فيزداد لهم عذابا بما كان لهم بالكفر سوى الكفر اعمال
ومساو كما يعفى ويتجاوز عن المومنين بما كان منهم من المساوى كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم مقابل ما كان
يعفى عن المومنين المساوى زيد لاهل الكفر على عذاب الكفر لمساويهم وفى حرف ابن مسعود زدناهم عذابا ضعفا
بما كانوا يفسدون واصله ان جزاء الآخرة من الثواب والعذاب على المضاعفة لانه دايم لا انقطاع له وما ذكر
من الزيادة والفوق وغيره فهو على المضاعفة **وقوله** عز وجل يوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يحتمل
قوله من انفسهم اى من البشر ويحتمل ما ذكرنا من شهادة الجوارح عليهم **وقوله** عز وجل وجئنا بك شهيدا على هولاء
هو ما ذكرنا يشهد الرسول عليهم بالتبليغ ويشهد لمن اجابه بالطاعة وعلى من رده وكذبه بالرد والتكذيب **وقوله**
عز وجل ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء يحتمل قوله تبيانا لكل شىء ما ذكر فى هذه السورة لانه ذكر فيها
جميع اصناف النعم وجواهرها ووجوه الاسباب التى بها يوصل اليها وذكر فيها ما سخر لهم من انواع الجواهر
وفيه ذكر ما وعد واوعد وامر ونهى وذكر ما حل بالاعداء وما ظفر اولياوه بهم وفيه ذكر سلطانه وقدرته
وذكر سفه الكفرة وعنادهم وذكر ما يوتى ويتقى فذلك تبيانا لكل شىء وفى القرآن ما ذكرنا من الامر والنهى والوعد
والوعيد واخبار الامم الماضية وامثالهم وجميع ما يوتى ويتقى ففيه تبيان كل شىء من الوجه الذى ذكرنا وان يكون
انزل عليه الكتاب تبيانا لكل ما دعا به الرسل وجاءت به الرسل والكتب جميعا فى هذا الكتاب جميع ما اتى به الرسل
والكتب من الامر والنهى والوعد والوعيد كقوله ومهيمنا عليه ثم اختلف فى ذلك البيان قال بعضهم يحتمل الاية وجهين
احدهما الخصوص على الاصول دون الفروع كذكر الكمال للدين لكن ذلك وصف الدين وقد يقع له الكمال بالكتاب والسنة
وهذا الكتاب فلم يجز التقصير عن الاشتمال عما لزمت الحاجة فى امر الديانة وذكر ان الكتاب تبيان لكل ما وقعت عليه
حاجة فى اصول الدين من الايمان وانواع العبادات والاحكام مع الحدود والحقوق ومكارم الاخلاق التى تنتظم
صلة الرحم وعشرة الاخوان وصحبة الجيران ونحو ذلك فتشتمل هذه الجملة على اصول الدين وما وراءها يكون نحو كذا
الى بيان الرسول ليفى الكتاب بما شهد له تلاوة ودلالة الوجه والوجه الثانى ان يكون تبيانا لكل شىء منتظما لما فيه
جملة ومبهمة ومشكلة ولبيان الرسول جمله وتفسير مبهمه وايضا ودلالته على مشكله وقال والسنن كلها بيان
للكتاب لارتباط بعض ببعض ثم قد يحتمل الايات التى فيها ذكر البيان والتفصيل وجوها غير الوجهين اللذين ذكرتهما
احدهما انه تبيان كل شىء ظهر فيه التنازع بين اهل الاديان والزمتهم الضرورة فيه الى البيان فجعل الله الكتاب
تبيانا الزمهم بالتدبير العلم بانه من عند الله بعجز وجه عما عليه وسع القوم عن نوع ما ذكر فيه من الحجج والادلة
وبما اعجزهم عن الطمع فى تاليف مثله ونظمه ليعرفوا ان الله قد اعانهم فيما مستهم الحاجة والجاتهم الضرورة
الى من يطلعهم عن الحق فيما الواهملوا عن ذلك لتولد منه العداوة والعناد فانعم الله عليهم به وبين فيه جميع ما بهم
اليه من الحاجة لدوام الاخرة والثانى ان يكون فيه تبيان كل شىء بالطلب عنه وبالبحث فيه اللطف به بكل ما ينزل بهم
من الحاجات الى الابد فيكون هو اصل ذلك لكن باختلاف الاسباب يوصل الى الحقيقة به وذلك نحو ما جعل الماء
حيوة لكل شىء ووصفا فى السماء رزق جميع الخلق فانه انزل من السماء اللباس والرياش واخبر انه خلقنا من تراب
ثم اخبر انه خلقنا جميعا من نفس واحدة على رجوع كل ما ذكر باختلاف الاسباب والتولد اليه والله اعلم وذلك قال

اهل الكلام فى جعل المحسوسات ادلة لكل غائب جعلها الله ادلة توصل اليه بالتامل والنظر فيكون المحسوس
مبينا عن ذلك دالا على اختلاف الدرجات فى حد البيان مع ما قد جعل الله كذلك حتى ان فى الفلاسفة من تكلف
استخراج كلية امور العالم العلوى والسفلى وما على ذلك مدار ما عليه من هذا المحسوس فمثله امر القرآن والله الموفق
والثالث ان يكون فيه بيان على الرمز والاشارة مرة وعلى الكشف ثانيا فما كان منه على الرمز فهو مطلوب فى المعانى
وطريق الرسول الى ما فى تلك المعانى من الامور مختلفة منها ما يقع بمعونة الوحى من غير الكتاب على اختلاف وجوه
الوحى من ارسال على لسان ملك او رويا او الهام والتامل فى ذلك والاستدلال بما قدا وصحه بعد توفيق الله
المحق فى ذلك وعصمته عن الزيغ او على ما شاء من ترتيب الحكماء فى حق التفاهم لغوامض الامور او غير ذلك
مما يريد الله ان يطلع عليه نبيه فان لطف رب العالمين بما عامل به الاحيا دجل عن احتمال العبارة عنه او تصويره
فى الاوهام نحو كتابة الحفظة وقبض ملك الموت ارواح الخلق فى وقت واحد فى اطراف الارض ونحو ذلك وذلك
كله حد اللطف الذى يعجز البشر عن الاحاطة فعلى ذلك امر تبيان كل شىء مع ما يحتمل الرجوع بتاويل الاية الى اغلب
الامور واعمها كقوله تعالى وجعلنا من الماء كل شىء حى وغيره ولا قوة الا بالله والاصل عندنا انه ليس للبيان
عدد يجب حفظ العدد على ما ذكره قوم انه على خمسة اوجه بما هو امران احدهما ما يباين هو والثانى ما يبين غيره
لكن الوجوه التى بها يقع ما غاب عن الحواس بالبيان اصله الواقع تحت الحواس اذ البين الذى من حد حرم اوله درجات
البيان او منع عن فهم العجو دعند الجحود وكونه كلامولنه خصوصة ثم غير مما يصير بالتامل على الوجوه التى جعلت
للوصول اليه وان بعد او قرب بدليله كالمحسوس اذ التامل فى الاسباب هو سبب الوصول الى ما غاب كاستعمال
الحواس فيما يشهد فمن اراد القطع على حد او شى يحتاج الى دليل فيه واصل البيان حقيقة هو الظهور واسباب
الظهار الاشياء متفاوتة وعلى ذلك مقاديرها من الظهور وجملته ارتفاع السواتر عن القلوب وتجلى حقايق الامور لها
على قدر العقول فى الادراك وما يتجلى للقلوب على مقدار ما يحتمل من الظهور **وقوله** عز وجل وهدى ورحمة
يجب ان يكون قوله تبيانا لكل شىء وقوله وهدى ورحمة كله واحد الرحمة والهدى والبيان برحمته وبهداه يبين لهم
وينفع لكنهم قالوا البيان للناس كافة يتبين وينتفع الا من عانده وكابر والهدى والرحمة للمومنين خاصة على ما ذكر
وهدى وبشرى للمسلمين ذلك للمسلمين خاصة والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان
الى آخر ما ذكر قال الحسن قوله ان الله يامر بالعدل فيما بين الناس اى يامر بالحكم فيما بينهم بالعدل
والاحسان هو ما كلفهم بالطاعة له او ان يكون الامر بالاحسان الى انفسهم او الى الناس وجايز ان يكون الامر
بالعدل فيما بينه وبين الله والاحسان فيما بينه وبين الخلق اى يعامل ربه بالعدل لان العدل هو وضع الشى
موضعه وهو لا يقدر على المجاوزة عن العدل حتى يكون فى حد الاحسان فيما بينه وبين ربه ويقدر ان يصنع
الى خلقه اكثر مما يصنعون هم اليه فيكون محسنا اليهم واما الى الله فلا يكون محسنا وايتاء ذى القربى الصدقة
من غير الزكوة المفروضة وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى هى المعاصى اى نهى عن المعاصى كلها وقال ابو بكر الاصم
يامر بالعدل اى بالحق الذى له عليهم والاحسان هو ما تعبدهم من العبادات والطاعات التى جعل سبب عطف بعضهم
على بعض وايتاء ذى القربى صلة القرابة والارحام وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال ابن عباس ومقاتل
وقتادة وهولاء قوله يامر بالعدل والاحسان بالتوحيد والاحسان اى اداء الفرايض وهو قول ابن عباس
وقتادة وقال مقاتل قوله والاحسان هو فيما بينهم يحسن بعضهم الى بعض وايتاء ذى القربى صلة الارحام
وينهى عن الفحشاء اى الزنا والمنكر اى الشرك والبغى مظالم الناس وقال بعضهم المنكر ما لا يعرف فى الشرايع
والسنن ويقال المنكر ما اوعد الله عليه النار والبغى الاستطالة والظلم ثم يجب حقيقة العدل لما هو فهو والله اعلم
وضع كل شى موضعه فيدخل فيه كل شى التوحيد وغيره فجعل الربوبية والالوهية لله لا شريك فيها غيره
ولا يصرفها الى غيره ولا يضيف بل ينسب الربوبية والالوهية الى الله والعبودة الى العباد لا يصرف العبودة

الى الله ولا الربوبية والالوهية الى العباد فذلك العدل ووضع كل شئ موضعه الربوبية فى موضعها
هذا والله اعلم معنى العدل واما الاحسان فهو ما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان جبريل ساله عن الاحسان
حين ساله عن الايمان والاسلام فقال ما الاحسان فقال ان تعمل لله كانك تراه فاذا لم تكن تراه فانه يراك ومن يعمل
لآخر بحيث يراه وينظر اليه يكون ابداً طالب رضاه فى ذلك العمل واخلاصه له وطلب مرضاته فيه فهو يحتمل وجوها
ثلاثة اعنى الاحسان احدها ما ذكرانه يعمل له كانه يراه وذلك فيما بينه وبين ربه والثانى فيما بينه وبين الخلق
وهو ان يحب لهم كما يحب لنفسه فيما اذن فى ذلك او نقول على الاطلاق يحب لهم كما يحب لنفسه فان عورض بالقتال
والحروب التى بيننا وبين اهل الحرب وذلك بالذى لا نحب لانفسنا ونحب لهم قيل فى ذلك طلب نجاتهم وتخليصهم
من الهلاك والعذاب الدايم الابدى وذلك مما نحبه نحن لانفسنا الا ترى احد فى نجاة احدنا من المهلكة الا ترى
انه قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وليس فى القتال فى الظاهر رحمة لكن فى الحقيقة رحمة حيث يحملهم القتال
على الاسلام اذ كان قبل نصب القتال والحروب معهم لم يسلم الا قليل منهم فلما نصب الحروب معهم والقتال دخلوا
فى الاسلام افواجاً افواجاً فصار ذلك فى الحقيقة رحمة وان كان فى راى العين فى الظاهر ليس برحمة وكذلك هذه
المصايب والبلايا التى تحل بالخلق هى فى الحقيقة نعمة ورحمة ولذلك عدها وسماها بعض الناس لما تعقب
من الثواب والنعمة اذا صبر عليها وراى ذلك منه حقاً وعدلا وراى حال الضراء والسراء منه فهو يطيب فى جميع الاحوال
تنصرف به من الشدة والضيق فاذا راى نعمة لما تعقب من الخير والنفع فى العاقبة فمن هذه الجهة يجوز ان يقال ذلك
نعمة ورحمة واما فى ظاهر الحال فلا وذلك ان كل بلاء ينزل باحد فصبر عليه كان فى ذلك خصال اربعة احدها تكفير
ما كان ارتكب من المعاصى والثانى معرفة العبودة وملك غيره عليه والثالث ما يعقب من الثواب والنعيم الدايم
والرابع معرفة النعم من الشدة يعرف النعم واما الاحسان الى نفسه وهو ان يحفظها عما فيه هلاكها وقوله وينهى عن الفحشاء
هو ما يكبر ويفحش من الشئ والمنكر هو الشئ الغريب الذى لا يعرف الا ترى الى قول ابراهيم انكم قوم منكرون سماهم منكرين
لما لم يعرفهم فالمنكر ما يفعل من هو معروف بالخير والصلاح من الزلات لما يكون ذلك منهم غريبا اذ لم يعرفوا بذلك
فذلك منهم منكر والفحشاء ما يكون من اهل الفساد والشرور وذلك مما يكبر ويفحش ذلك منهم والبغى هو الظلم
ويحتمل ان يكون هذا كله المنكر والفحشاء والبغى وكله واحد الفحشاء هو المنكر والفحشاء هو البغى والمنكر هو الفحشاء
والبغى والله اعلم **وقوله** عز وجل يعظكم قال بعضهم اى ينهاكم عما ذكر كله لعلكم تذكرون وتنتهون عنه وقال بعضهم
والموعظة هى التى تلين القلوب القاسية وتصرفها الى طاعة الله وقد ذكرنا **وقوله** عز وجل واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يحتمل امرها بوفاء العهد العهود التى تعطى بعضهم لبعض امرهم بوفاء ذلك
ونهاهم عن نقضها ويلزمهم وفاء عهد الله وان لم يعاهدوا فى ذلك لكنه ذكر وفاء العهد اذا عاهدوا ونهى عن النقض
لان ترك وفاء ما عاهدوا ونقض ما اعطوا على ذلك شرطاً اقبح واوحش مما لم يعاهدوا وهو كقوله واذكروا
نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به وقلتم سمعنا واطعنا ترك الوفاء ونقضه بعد قولهم سمعنا واطعنا
اوحش والفحش من نقضه اذا لم يكن لهم عهد سابق وشرط متقدم وهذا والله اعلم معنى امر بوفاء العهد اذا عاهدوا
وان كان وفاء العهد لازماً لهم وان لم يعاهدوا اذ جعل الله البشر بحيث يقبلون الحكمة والمحنة وجعل بنيتهم
وخلقتهم بحيث يقدرون على القيام بذلك كقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها
الاية اى فى خلقتهم وبنيتهم اى لم يجعل خلقة هذه الاشياء وبنيتها بحيث تحتمل ذلك وحملها الانسان اى خلقته
وبنيته تحتمل ذلك والقيام بها ويحتمل ان يكون العهود التى امر بوفائها اذا عاهدوا هى الايمان التى يقيمون بها
حيث قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ذكر الايمان ونهى عن نقضها ثم لا يحتمل ان يكون النهى عن النقض فى الايمان
التى ياثم بها المرء اذا حلف لانه نهى عن نقضها ولو كان ياثم بعقدها لكان لا ينهى عن نقضها لان الايمان التى ياثم المرء
بها اذا حلف يؤمر بنقضها ولا يؤمر بوفائها وحفظها ثم ذكر فيه بعد توكيدها ولم يسع نقض اليمين وان لم يؤكدها

اذا لم يكن

اذا لم يكن فى الوفاء بها اثم لكنه ذكر التوكيد لان النقض بعد ذلك اقبح وافحش من النقض على غير التوكيد دل
على ما ذكر من القبح والفحش فى بعض العهود بعد ما عاهدوا وقال بعضهم قوله بعد توكيدها هو حلفهم بالله
لان مشركى العرب كانوا لا يقيمون بالله الا ما يعظم من الامر ويجل وذلك آخر اقسامهم ولذلك
قال بعض اهل التاويل فى قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم يقول جهد ايمانهم هو قسمهم بالله **وقوله**
عز وجل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا قيل كانوا يحلفون فيما بينهم على جعل الله كفيلا عليهم وقيل الكفيل
هو الشهيد الحافظ وهكذا يوخذ الكفيل فيما يوخذ ليحفظ المال والنفس **وقوله** عز وجل ان الله يعلم
ما تفعلون من الوفاء بما عاهدوا او النقض والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها
من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هى اربى من امة اختلف فى تاويل الآية
قال بعضهم الاية نزلت فى مخالفة اهل الكفر بعضهم بعضا وهو ان يرث بعضهم بعضا وينصر ويعين
بعضهم بعضا ويحلفون على ذلك ويقيمون وان هلكوا فى ذلك اى فى نصر بعضهم بعضا واعانة بعضهم
بعضا ثم اذا راوا الكثرة والغلبة مع غير الذين حالفوا نقضوا ذلك ورجعوا الى الذين معهم الكثرة والغلبة
فنهوا عن ذلك وقال بعضهم الآية فى الذين يكونون بعد رسول الله واصحابه لما علم انه يكون خوارج واهل
اختلاف فى الدين فربما كانت الكثرة والغلبة لهم على اهل العدل فنهى من عاهد اهل العدل وبايعهم
ان يتركوا بكثرتهم وغلبتهم الكون مع اهل العدل واعانتهم ونقض ما عاهدوا ولذلك قال انما يبلوكم الله
به وقال هذا يدل انه فى اهل الاسلام وقال بعضهم الآية فى اهل النفاق انهم كانوا يقسمون بالله انهم ينصرون
رسول الله واصحابه ويقولون انا معكم كقوله ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم الآية كانوا يرون من انفسهم
الموافقة لهم والنصر والعون لهم على اعدائهم ويحلفون على ذلك ثم اذا راوا الكثرة مع الكفرة والغلبة
وقلة المؤمنين تحولوا الى اولئك ونقضوا ايمانهم وكانوا معهم كقوله فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن
معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم الآية ويحتمل قوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها
من بعد قوة اى لا تكونوا فى نقض العهود والمواثيق كالمراة التى تنقض غزلها من بعد قوة وجايز ان يكون غير هذا
يقول ولا تظنوا بالله انه يكون فى انشاء الخلق كالمراة التى نقضت غزلها من بعد قوة فلو لم يكن بعث لكان
يكون فى انشاء الخلق كالمراة التى نقضت غزلها من بعد قوة وقد عرفتم قبح ذلك فعلى ذلك انشاء الخلق اذا لم يكن
بعث يكون فى القبح ما ذكرتم ضرب الله مثل من اعطى العهد والمواثيق وكذا الايمان فى ذلك ثم نقض ذلك
بامراة تغزل ثم تنقض ذلك الغزل من بعد قوة انكاثا يقول والله اعلم كما لم تنتفع هذه المراة بغزلها اذ نقضت
من بعد ابرامها اياه كذلك لا تنتفع ولا يوثق بمن اعطى العهد ثم نقض يقول فلا هى تركت الغزل تنتفع به ولا هى
تركت القطن والكتان كما هو فكذلك الذى يعطى العهد ثم ينقضه فلا هو حين اعطاه وفى به ولا هو تركه فلم يعطه
ونحوه ثم اختلف فى تلك المراة قال بعضهم هى امراة من قريش حمقاء بمكة كانت اذا غزلت نقضته وقال بعضهم
هذا على التمثيل يقول والله اعلم اى لو سمعتم بامراة نقضت غزلها من بعد ابرامه لقلتم ما احمق هذه فعلى ذلك
من اعطى العهد والميثاق ثم نقض فهو كذلك **وقوله** عز وجل تتخذون ايمانكم دخلا بينكم قال ابو بكر الاصم
الدخل الذى لا يصح ولا يستقيم يقال هذا مدخول اى غير صحيح وقال غيره دخلا اى خديعة ومكرا يخدع
بعضكم بعضا وهو قول ابى عوسجة ايضا قال القتبى دخلا بينكم اى خيانة ودغلا بينكم ان تكون امة اى فريق
اربى من فريق وقال ابو عوسجة انكاثا هى جمع نكث والنكث من الحبل خيوط تنكث ثم تطرق وتصير صوفا
ثم من بعد ذلك تفتل قال والمطرق قضيب يضرب به الصوف حتى ينفش ويلين كما يندف القطن يقال
طرقت الصوف اطرقه طرقا اى ضربته ويقال نفشته انفشه نفشا اى فرقت بينه فتفرق ومنه قوله
كالعهن المنفوش ويقال حبل مثنى اذا كان ذا طاقين ومثلوث ومربوع ومخموس ومسدوس ومسبوع

ومثون ومعشو ر وقال القتبي الانكاث ما نقض من غزل الشعر وعنى واحد ها نكث يقول لا توكد واه على انفسكم الايمان والعهود ثم تنقضوا ذلك وتحنثوا فتكون كامرأة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك فجعلته انكاثا
والله اعلم عز وجل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة قال الحسن لو شاء الله المشية ههنا مشية القهر والقسر اى لو شاء لجبرهم وقهرهم على الايمان فآمنوا جميعا فهذا فاسد لانه لا يكون بالقهر والجبر ايمان لانه لا صنع للعبد في حال القهر والجبر فيبطل تاويله اذ لا يجوز ان يثبت ايمان في تلك الحال وقال ابو بكر تاويله قوله لو شاء لانزل لهم آية حتى يؤمنوا جميعا لتلك الآية كقوله ان نشاء ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اخبر انه لو انزل الآية يكونون لها خاضعين لكن عندنا انهم ليسوا يؤمنون ويخضعون للآية ولكن بما شاء لهم ذلك ولا يحتمل ان تحملهم الآية على الايمان شاؤا وابوا الا ترى انهم يكذبون يوم الحشر عند معاينتهم الآيات وهو قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الى قوله والله ربنا ما كنا مشركين اخبر انهم يكذبون وقد عاينوا الآيات وليست الآية التي تنزل عليهم في الدنيا باعظم من الآيات التي يعاينونها يوم القيامة ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب دل ان الآية ليست تحملهم على الايمان ولا تضطرهم عليه ولكن لو شاء لآمنوا بالاختيار فيبطل تاويلهم الآية تحتمل عندنا وجهين احدهما قوله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة بظاهر السبب الذي اذا اعطاهم لآمنوا له كما ولولا ان يكون الناس امة واحدة الآية اخبر انه لو ما يرغب الناس في الكفر فيكونون كفارا كلهم والاجعل سقف الكفر ومعارجهم من فضة فلو ان جعل ذلك بعينه لاهل الاسلام وفي ايديهم لآمنوا ايضا كلهم لانه لا يحتمل ان يكون ذلك في ايدي الكفرة فيحمل اهل الاسلام على الكفر واذا كان ذلك بعينه لاهل الاسلام لاجل اهل الكفر على ترك الكفر والدخول في الاسلام والوجه الثاني لو شاء لجعلهم امة واحدة بلطف منه يشرح صدرهم للاسلام من غير ان يعلم ان احدا القى ذلك في قلبه من نحو ما مكن للشيطان عدو الله حتى يقذف في قلوب الخلق ويلقي وساوس من غير ان يعلموا ان احدا دعا الى ذلك او القى الى قلوبهم الا ترى ان ابليس لما وسوس الى آدم ءم ليتناول من الشجرة التي نهى عنه ربه لو علم انه ابليس لما اجابه وكذلك ما مكن للملائكة من تثبيت قلوب الذين آمنوا والقاء اشياء في قلوبهم ويلهمونهم وهو قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا من غير ان يعلموا ان احدا دعاهم الى ذلك او القى احد ذلك في قلوبهم فمن ملك تمكين عدوه وملائكته على ما ذكرنا يملك شرح الصدر للاسلام والدعاء الى ذلك من غير ان يعلموا ان احدا فعل ذلك **وقوله** عز وجل ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء على قول الحسن على الحكم لذلك وقال ابو بكر يضل بالنهي من نهى ويهدي بالامر لكن هذا فاسد لانه لو كان بالنهي مضلا وبالامر هاديا لكان مضلا للانبياء والرسل لانه قد نهاهم بمناهي فيكون مضلا لهم فان قيل لم يصير ما ذكرت لانهم لم يرتكبوا المناهي قيل الارتكاب فعلهم فلا يحتمل ان يكون بفعلهم ذلك فدل ان ما ذكرنا فاسد وعلى قوله يكون بالنهي ماضيا مضلا وعندنا قوله يضل من يشاء اي يخلق فعل الضلال منهم او يضلهم من علم انه يختار الضلال على الهدى ويهدي لهم **وقوله** عز وجل ولتسألن عما كنتم تعملون هو ظاهر **وقوله** ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم قد ذكرنا **وقوله** عز وجل فتزل قدم بعد ثبوتها قال ابو بكر دل قوله فتزل قدم بعد ثبوتها ان الآيات التي تقدم ذكرها في اهل الاسلام لانه اخبر انه تزل قدم بعد ثبوتها وهو الكفر بعد الاسلام وعندنا ما ذكرنا ان قوله فتزل قدم بالخوف بعد ثبوتها اي بعد ما كانوا آمنين لانهم بايمانهم كانوا يامنون وتنقضهم العهد والايمان يخافون فيكون قوله فتزل قدم كناية عن الخوف والثبوت كناية عن الامن اي صاروا خائفين بنقضهم العهود والايمان بعد ما كانوا آمنين والله اعلم **وقوله** عز وجل وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله على هذا التاويل يذوقون ذلك في الدنيا بالقتل والقهر ويحتمل في الآخرة بما صدوا الناس عن دين الله واستبدلوا بالكفر بعد الايمان ولكم عذاب عظيم **وقوله** عز وجل ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا قال بعضهم عهد الله الذي عهد اليهم ويحتمل عهد الله ما اعطوا من العهد والايمان اي ينقضونها بشيء يسير انما عند الله هو خير لكم

دايم باق وهذا زايل فان او ما يجزي بوفاء ما عهد والخير لكم من هذا اي ما يجزيكم بوفاء ما ذكر من العهد خير لكم من غيره والله اعلم **وقوله** عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق اي ما اخذتم من الاموال واكتسبتم بنقض العهود والايمان ينفد ويفنى وما عند الله من الجزاء والثواب بوفاء العهد باق ولنجزين الذين اجرهم يحتمل قوله على ما امروا به ونهوا عنه وصبروا على وفاء العهد باحسن ما كانوا يعملون يحتمل قوله باحسن اي الجزاء الذي يجزيهم على الصبر احسن من وفاء العهد ويجزيهم باحسن ما عملوا اي يجعل سيئاتهم حسنات كقوله فاولئك يبدل سيئاتهم حسنات وقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم والله اعلم **وقوله** عز وجل من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ه اختلف اهل التاويل في قوله فلنحيينه حيوة طيبة قال بعضهم قوله حيوة طيبة في الآخرة وهي الجنة وقال بعضهم حيوة طيبة في الدنيا فمن قال الحيوة الطيبة الجنة في الآخرة يكون تاويله من يكن عمله في الدنيا صالحا فلنحيينه في الآخرة حيوة طيبة والا ظاهر قوله من عمل صالحا انما هو على عمل واحد وكذلك قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة ظاهرة على حسنة واحدة لكن الوجه فيه ما ذكرنا من يكن عمله في الدنيا صالحا فيفعل ما ذكر وقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة اي ما تؤتينا في الدنيا آتنا حسنة او ان يكون على الختم به اي من ختم بالعمل الصالح فيحييه الله حيوة طيبة في الجنة كقوله من جاء بالحسنة فله كذا وقال الحسن الحيوة الطيبة هي الجنة لان في الدنيا ما ينغص حيوته وقال بعضهم الحيوة الطيبة في الدنيا فتاويله من يكن همه وجهده في الدنيا العمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة اي نوفقه وننشره للخيرات وللخيرات العمل الصالح والطاعات وهو ما روي انه قال كل ميسر لما خلق وكقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وكقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ونحوه فذلك هو الحيوة الطيبة في الدنيا حيث يسر عليه العمل الصالح ووفق للطاعات والخيرات وقال بعضهم قوله من عمل صالحا من ذكر او انثى اي قنع في الدنيا بما قسم الله ورزقه ورضي به فلنحيينه في الدنيا حيوة طيبة بما ازال عنهم طلب الفضل وغمه وذلك حرصه عليه لان اكثر هموم الناس في الدنيا وذلهم لما لم يرضوا بما قسم الله لهم ولم يقنعوا به فهو يحيى حيوة طيبة لما عصم عن ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ولنجزينهم اي في الآخرة باحسن ما كانوا يعملون على تاويل من قال الحيوة الطيبة في الدنيا وقال بعضهم وهو قول ابي بكر ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون في الدنيا ما ذكر هؤلاء وقال بعضهم حيوة طيبة الرزق الحلال وقوله باحسن ما كانوا يعملون وقد ذكرنا **وقوله** عز وجل فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال في آية اخرى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال في آية اخرى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الآية فيجب ان يتعوذ من همزاته على امر رسوله او عند نزغ الشيطان على ما ذكر لكنه اذا تعوذ منه تعوذ من همزاته ونزعاته فان قيل كيف خص قراة القرآن بالتعوذ منه دون غيره من الاذكار والعبادات والاعمال الصالحات قيل قد يتعوذ منه دون غيره ايضا في غيره من العبادات والاذكار بقولهم بسم الله او لا يفتتح شيء الا به فذلك تعوذهم منه لكن التعوذ في هذا تعوذ بكتابه والتعوذ في قراة القرآن بالتصريح وذلك انه حجة وبرهان فطعن الاعداء فيما هو حجة في نفسه اكثر من الافعال التي فعلوها الا ترى انه كان يلقنهم اعني الشيطان اولياءه انه سحر وانه اساطير الاولين وانه انما يعلمه بشر ونحوه وقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم كانوا يطلبون الطعن في القرآن لانه حجة وبرهان ولم يشتغلوا في طعن فعل من الافعال او ذكر من الاذكار ففي ذلك يجوز ان يكون التعوذ منه فيما هو حجة بالتصريح وفي غيره بكتابه والله اعلم ثم في هذه الآية وفي غيرها من قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لم يفهم اهلها منها على ظاهر المخرج ولكن فهموا على مخرج الحكمة لان ظاهر المخرج ان يفهم التعوذ بعد فراغه من القراءة وكذلك يفهم من الامر بالقيام الى الصلوة الوضوء بعد القيام اليه ثم لم يفهموا في هذه ونحو

هذا ولكن فهموا اذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله وكذلك فهموا من قوله اذا قمتم اي اذا اردتم القيام
الى الصلوة فاغسلوا كذا ولم يفهموا كل قيام انما فهموا قياما دون قيام اي اذا القيام الى الصلوة وانتم محدثون وفهموا
من قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وفهموا من قوله فاذا طعمتم فانتشروا وكذلك فهموا من قوله
فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله الفراغ منها دل ان الخطاب لا يوجب المراد والفهم على ظاهر المخرج ولكن على مخرج
الحكمة والمعنى واصل التعوذ هو الاعتصام بالله من وساوس عدوه وكيده وقوله عز وجل انه ليس له سلطان
على الذين آمنوا قال بعضهم ليس له سبيل على الذين آمنوا وقال بعضهم السلطان الحجة اي ليس له ملك القهر على الذين
آمنوا وقال بعضهم اي ليس له ملك على الذين آمنوا ملك القهر والغلبة انما ملكه على الذين يتولونه لكن ليس له ملك
القهر على الذين يتولونه ايضا انما يتبعونه ويطيعونه باشارات منه طوعا فدل ان تاويل الملك لا يصح في السلطان
ويكون تاويله السبيل والحجة ثم يحتمل قوله ليس له سلطان على الذين آمنوا بالقرآن لانه ذكر على اثر ذكر القرآن
ويحتمل الذين آمنوا بربهم فهما واحد في الحاصل انما سلطانه حجته او سبيله على الذين يتخذونه وليا
فيطيعونه في كل امر وجميع اشاراته وما يلقونه اليهم واصله ليس له سلطان على الذين آمنوا بربهم وعلى ربهم
يتوكلون في جميع احوالهم وساعاتهم اي لا سلطان له ولا سبيل على من آمن به وتوكل عليه وقوله عز وجل والذين هم به
مشركون بربهم والتوكل هو الاعتماد به وتفويض الامر اليه في كل حال في حال السراء والضراء وفي وقت الضيق
والسعة فذلك التوكل به وقوله عز وجل واذا بدلنا آية مكان آية الآية يحتمل وجهين احدهما ما قال اهل التاويل
على النسخ ان يبدل آية وهو على تبديل حكم آية بحكم آية اخرى لا على رفع عينها والثاني قوله واذا بدلنا
آية مكان آية اي بدلنا حجة بعد حجة وآية بعد آية لرسالته قالوا انما انت مفتر كلما اتاهم حجة على اثر حجة
وآية بعد آية يقولون انما انت مفتر ينسبون اليه الافتراء انه هو افترى وكذلك كان عادتهم المعاندة
والمكابرة كقوله وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وكقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث
الا استمعوه وهم يلعبون ونحوه من الآيات كلما اتى بهم حجة وآية بعد آية كانوا يستقبلونه بالتكذيب لها ونسبة
رسول الله الى الافتراء من نفسه ويزداد لهم بذلك كفرا وهو ما قال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول
ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم اخبر انه كان يزداد لاهل الايمان بما ينزل عليهم من سورة ايمانا ويزداد لاهل الشرك
رجسا وكفرا لكفرهم مثل هذا ولو كان يحتمل ان يكون حق فاذا امكان لو لكان اقرب ويكون تاويله ولو انزلنا
حجة بعد حجة وآية على اثر آية جديدة فما آمنوا كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا وكقوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الآية اي لو ان هذا القرآن قرآن سيرت به
الجبال او كلم به الموتى فما آمنوا به لعنادهم فعلى ذلك الاول ويحتمل قوله واذا بدلنا آية مكان آية اي اذا بدلنا انه
بالسؤال مكانا آية قالوا انما انت مفتر وقوله عز وجل والله اعلم بما ينزل يحتمل قوله والله اعلم بما ينزل لما به
صلاحهم وغير صلاحهم او ان يكون والله اعلم بما ينزل من تثبيت قلوب الذين آمنوا كقوله ليثبت الذين آمنوا او ان يكون
والله اعلم بما ينزل جبريل على رسوله جوابا لقولهم انما انت مفتر وكقوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق
اي ليس بمفتر ولكن نزله جبريل من ربه وقوله عز وجل قل نزله روح القدس من ربك بالحق يحتمل قوله بالحق
اي بالحق الذي لبعضهم على بعض والحق في الاقوال هو الصدق وفي الافعال صواب ورشد وفي الاحكام عدل
واصابة والحق هو الشيء الذي يحمد عليه فاعله وقوله عز وجل ليثبت الذين آمنوا هذا تفسير قوله فاما الذين
آمنوا فزادتهم ايمانا لانه اخبر انه انزله ليثبت الذين آمنوا فما ذكر من زيادة الايمان هو التثبيت الذي ذكر هنا
قوله فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وذكر قوله انما انت مفتر مقابل قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم ليعلم ان الزيادة التي ذكر في سورة التوبة هي ما ذكرها هنا من التثبيت والصمانية ونحو

وقوله عز وجل وهدى وبشرى للمسلمين اي هدى من الجهالات والشبهات التي كانت تعترض لهم
او من الضلالة وبشرى للمسلمين وقال في آية اخرى وهدى ورحمة للمؤمنين ليعلم ان الايمان والاسلام
واحد وقوله عز وجل ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر هم لم يقولوا انما يعلمه بشر ولكن كانوا ينصون
واحدا فلانا لكن الخبر من الله على ذكر البشر الا ترى انه اخبر ان لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا
لسان عربي مبين دل ان البشر الذي اخبر عنهم انهم يقولون انه يعلمه كان منصوصا عليه مشارا اليه حيث قال
لسان هذا اعجمي ولسان النبي عربي فكيف فهم هذا عن هذا وهذا من هذا ولسان هذا غير لسان هذا وما قال
اهل التاويل انه كان يجلس الى غلام يقال له كذا وهو يهودي يقرأ التوراة فيستمع الى قراءته وكان يعلمه
الاسلام حتى اسلم فعند ذلك قالت له قريش انما يعلمه بشر ولو كان ما ذكروا انه كان يعلمه الاسلام فاسلم
فلقائل ان يقول كيف فهم ذلك الرجل منه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولسانه غير لسانه على ما اخبر
لكن يحتمل ان يكون ذلك في القرآن حيث قالوا انما انت مفتر ثم يقولون انما يعلمه بشر فيقول والله اعلم
انه كيف علمه هذا القرآن وهؤلاء يفهم من لسانه الا اليسير منه فانتم لسانكم عربي لا تقدرون ان تاتوا بمثله
ولا بسورة من مثلها ولا باية فكيف قدر على مثله من لا يفهم لسانه ولا كان ذلك بلسانه يخرج ذلك على الاحتجاج
عليهم وبعد فان في قولهم ظاهر التناقض لانهم قالوا انما انت مفتر ثم قالوا انما يعلمه بشر فالذي علمه
غيره ليس بمفترى انما يكون الافتراء من ذات نفسه فهو ظاهر التناقض وقوله عز وجل عربي مبين
يحتمل مبين ما لهم وما عليهم او مبين الحقوق التي لله عليهم وما لبعضهم على بعض او مبين اي بين انه من عند الله
نزل ليس بمفتر وهذه الآية ترد على الباطنية قولهم لانهم يقولون ان رسول الله هو الذي الف هذا القرآن
بلسانه ولم ينزل الله عليه بهذا اللسان فلو كان ما ذكر وان كان لا ولئك ادعاء ما ادعوا على رسول الله من الافتراء
وقوله يلحدون اليه قال بعضهم يميلون اليه وهو قول ابي عوسجة والقتبي قالوا الالحاد الميل ولذلك سمي الملحد
لحدا لميله الى ناحية القبر وقال الكسائي هو من الركون اليه اي يركنون وقوله عز وجل ان الذين لا يؤمنون
بايات الله فهو ليس بمهتد عند الله وقال ابو بكر لا يهديهم الله بتكذيبهم الآيات فهو كله خيال على من يشكل ه
ويخفى ان من كذب بايات الله فهو غير مهتد ومن يظن هذا وقول ابي بكر ايضا من يتوهم ان من كذب بايات الله
انه يهديه هذا فاسد خيال كله واصله عندنا قوله ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم لعنادهم ومكابرتهم
لانهم كانوا يعاندون ايات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم انها آيات وانها حق او قال ذلك لقوم علم انهم
لا يؤمنون ويموتون عليه في علم منه انه لا يؤمن لا يهديه وقوله عز وجل انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
لا الذين يؤمنون بها ويصدقونها اولئك الذين كذبوها هم الكاذبون وقوله عز وجل من كفر بالله من بعد ايمانه
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان قوله من كفر بالله من بعد ايمانه يحتمل وجهين حيث ذكر من كفر بالله احدهما
كفر بالله في زعم المكره لانه اكرهه به ففي زعمه كافر بالله لطلبه ذلك منه وهو كقوله فراغ الى آلهتهم في زعمهم
لانهم لم يكونوا آلهة وكقوله وانظر الى الهك سماه الها لانه في زعم السامري اله والثاني من كفر بالله شارحا صدره
بالكفر هو الكافر به واما من اظهر الكفر بلسانه بالاكراه وقلبه معتقد بالايمان على ما كان مطمئنا به فهو ليس
بكافر واصله ان من اعتقد مذهبا ودينا انه يعتقد بخصال ثلاث احدها ينقله آخر لما راه ابصر واحد واعلم
فيه وهو لا يبلغ ذلك فيقلده لفضل بصره وعلمه فيه ورايه والثاني يعتقده للشبهة لما يتراءى عنده انه الحق
فيعتقده لذلك للشبهة التي ذكرنا والثالث يتضح له الحق فيعتقده فلهذه الوجوه الثلاثة يعتقد من يعتقد
دينا او مذهبا فاما ان يعتقد الانسان مذهبا مجانا على الجزاف فلا فاذا كان اظهار كفر هذا لاكراه من اكرهه
لم يصر كافرا واصله ان الايمان والكفر انما يكونان بالاختيار فالاكراه يزيل الاختيار اختيار الكفر لذلك يبقى على الايمان
على ما كان لما لم يوجد منه اختيار الكفر فان قيل اليس امرنا ان نقاتل اهل الكفر ليسلموا وذلك اسلام باكراه وعلى ذلك

نطق الكتاب وهو قوله تقاتلونهم او يسلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله ثم اذا اسلم لخوف السيف كان اسلامه اسلاما في الظاهر مانع كذلك انه اذا اكره على الكفر
فاجرى كلمة الكفر على لسانه كان كفره كفرا في الظاهر فيحكم بحكمه كما حكم في الاسلام على الاكراه في الفرق فيه قيل كذلك
كان يجب الا ان الله تعالى عفى عباده عن ذلك فابقاهم على الايمان وحكمه وان اظهروا بلسانهم كلام الكفر بعد ان تكون
قلوبهم مطمئنة بذلك فضلا منه ونعمة والا القياس ان يحكم بحكم الكفر اذا تكلم بكلام الكفر واما الطلاق والعتاق
والنكاح ونحوه هو ظاهر على ما تكلم به عامل واقع ولان الطلاق والعتاق ونحوهما مما تعلقا بالكلام نفسه
لا غير فهو وان اكره على ذلك فهو مختار للتكلم به قاصد له لان المكره لو احب ان يستعمل لسانه بالتكلم بما ذكرنا قدر
عليه دل انه على الاختيار تكلم واما البيع والشراء ونحوه لم يتعلق بالكلام نفسه اذ قد يكون بالاخذ والتسليم دون
التكلم به لذلك عمل الاكراه في ابطاله فابقاهم على الايمان وحكمه وان اظهر بلسانه كلام الكفر بعد ان يكون فيه
مطمئنا بذلك وعلى ذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عفوت عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا
عليه وذلك في الكفر ليس في غيره لان الاكراه على الكفر كان ظاهرا يومئذ ولم يكن في غيره من طلاق وغيره
واما قتالنا اياهم ليسلموا فهو يحتمل وجوها احدها على المجازاة كقوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
فنقاتلهم ليظهروا على الاسلام وان لم يعرف حقيقته على المجازاة والثاني قبلنا منهم الاسلام على الاكراه لنقرهم
فيما بين المسلمين فيرون الاسلام ويتعلمون منهم حقيقته الا ترى انه قال اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات سماهن
مؤمنات ثم امر بامتحانهن بقوله فامتحنوهن فانما يمتحن ليظهر حقيقة ايمانهن والا لم يكن للامتحان معنى لولا ذلك
واصله ان الله جعل حقيقة الايمان والكفر بالقلب دون اللسان وغيره من الجوارح لان غيره من الجوارح يجوز
استعمالها بالاكراه واما القلب فانه لا يملك احد سواه استعماله وذلك لفضله ومنه ولكن من شرح بالكفر صدرا
ومن شرح صدره بالكفر فهو كافر بان كان ذلك على الاكراه لما ذكرنا انه باختياره الكفر ينشرح له الصدر لما لا يعمل الاكراه
على القلب فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ظاهر وقوله عز وجل ذلك بانهم اي ذلك الغضب والعذاب
بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة يحتمل وجهين احدهما استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة جحودا وانكارا
ولا نفس الاستحباب فقد يكون من المؤمن فلا يزول عنه اسم الايمان كقوله يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لهم انفروا
في سبيل الله الى قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا بالآخرة فلم يزل عنهم اسم الايمان باختيارهم واستحبابهم الحيوة
الدنيا فدل ان الاول على الجحود له والانكار وهذا على الميل اليه دون الجحود او ان يكون كذلك لما لم يروا الآخرة
كائنة لا محالة ولكن ظنا ظنوا لعلها كائنة كقولهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين واما اهل الاسلام لم يكونوا
فيها ظانين شاكين ولكن متحققين مستيقنين فاستحقوا بذلك وقوله عز وجل وان الله لا يهدي القوم
الكافرين وقت اختيارهم الكفر وان الله لا يهدي القوم المختارين الكفر على الايمان وقال ذلك لقوم علم الله انهم
يختارون الكفر وانهم يموتون على الكفر فلا يهديهم وقوله عز وجل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وابصارهم الطبع هو التغطية تغطي ظلمة الكفر نور القلب والسمع نور البصر كان لكل احد نوران وبصران ظاهر
وباطن يبصر بهما جميعا فاذا ذهب احدهما او عمي صار لا يبصر لكن يبصر ببصر الظاهر بما يبصر بنور بصره ونور الهواء
فاذا دخل في احدهما آفة ذهب الانتفاع وصار لا يبصر شيئا فعلى ذلك القلب له بصر خفي وبصر ظاهر الذي هو معروف
فاما يبصر بهما فاذا غطى ظلمة الكفر بصر القلب صار لا يبصر شيئا الا ترى انه قال لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور واخبر ان الابصار الظاهرة لم تعم ولكن عميت القلوب التي في الصدور وهذا يدل على ما ذكرنا والله اعلم
معنى طبع السمع والبصر وقوله عز وجل واولئك هم الغافلون يحتمل غافلون عن النظر في آياته وحججه ويحتمل غافلون
عما يحل بهم بكفرهم وتكذيبهم آيات الله وحججه والله اعلم وقوله عز وجل لا جرم قد ذكرنا ما قيل فيه لا بد وحقا
وقيل هو حرف وعيد لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون قال الحسن انهم والله خسروا الجنة ورحمة الله وخسروا

اهلهم

اهلهم ومنزلهم الذي كان لهم في الجنة وخسروا انفسهم حيث قذفوها في النار وقال ابو بكر الاصم
خسروا النعم الدائمة الباقية بالزائلة الفانية وخسروا انفسهم حيث قتلوا واسروا في الدنيا والله اعلم
وقوله عز وجل ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا قيل عذبوا على الايمان بمكة ثم جاهدوا مع النبي
واصحابه عدوهم وصبروا على ذلك ان ربك من بعدها لغفور رحيم قيل من بعد الفتنة لغفور لما كان منهم
رحيم ذكر مرتين احدهما قوله ثم ان ربك للذين هاجروا ثم قال ان ربك من بعدها لغفور رحيم قيل
من بعد الفتنة فيجيء ان يكتفى بواحد بقوله لغفور رحيم موصولا بقوله للذين فعلوا ما ذكر لكنه ذكر مرتين والله اعلم
انه غفور لهم يعني هؤلاء الذين فتنوا وعذبوا ولغيرهم ذكر اهل التاويل ان اناسا من المؤمنين خرجوا
الى المدينة فادركهم المشركون ليردوهم فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله ثم ان ربك
للذين هاجروا الآية ومنهم من يقول ايضا فيهم نزل قوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا الآية
واكثرهم قالوا ان قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان انما نزل في عمار بن
ياسر وليس لنا الى ذلك حاجة انما الحاجة فيما ذكرنا من الحكم به والحكمة والله اعلم وقوله عز وجل يوم تأتي
كل نفس تجادل عن نفسها قال الحسن تجادل اي تخبر عن نفسها عما عملت من خير او شر وقال ابو بكر الاصم ان كل نفس
رهينة بما كسبت من شر حتى يكون طائره في عنقه ولكن ليس فيما ذكر هؤلاء مجادلة المجادلة المخاصمة كانها
تخاصم عن نفسها من ارتكاب اشياء ودعوى اشياء على ما ذكر من غير آية من قوله لم تكن فتنتهم وقال بعضهم ان جهنم
تزفر زفرة حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وقد جثا بركبتيه خوفا منها فعند ذلك تجادل وتخاصم
كل نفس عن نفسها ويشبه ان يكون مجادلتهم على غير هذا وهو ما ذكر شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فتلك مجادلتهم انفسهم وكقوله ثم لم تكن فتنتهم وكذلك
ما ذكر في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الآية وذلك كله مجادلتهم انفسهم او ان يقال تجادل
لكن لا يفسر ما تلك المجادلة لان الله تعالى ذكر المجادلة ولم يذكر ما تلك المجادلة وقوله عز وجل وتوفى كل نفس
ما عملت اي توفر كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون اي لا ينقصون من حسناتهم ولا يزدادون على سيئاتهم وهذه
الآية ترد على المعتزلة لانهم يقولون بالتخليد لصاحب الكبيرة وقد اخبر انه توفى كل نفس ما عملت فما بالها
توفر ما عملت من سوء ولا توفر ما عملت من الخيرات والطاعات وقوله عز وجل وضرب الله مثلا قرية كانت
آمنة مطمئنة اختلف في ضرب المثل بهذه الآية وفي نزولها قال بعضهم ضرب المثل لاهل مكة وفيها نزلت
بعقوبات نزل بهم العذاب بتكذيبهم رسلهم في بني اسرائيل يحذر اهل مكة بتكذيبهم رسول الله نزول العذاب
كما نزل باوائلهم وقال بعضهم ضرب المثل لاهل المدينة وفيهم نزل باهل مكة يحذر اهل المدينة لئلا يكذبوا
محمدا كما كذب اهل مكة فيحل بهم كما حل باهل مكة من لباس الجوع والخوف بالتكذيب وقوله عز وجل قرية كانت آمنة
مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان قيل هي مكة وهكذا كانت مكة اهلها كانوا آمنين فيها من خير او شر
مطمئنين يأتيهم رزقهم من كل مكان ويحتمل قرية اخرى غيرها كانوا على ما ذكر وقوله عز وجل فكفرت بانعم الله
اي كفرت بالشكر لانعم الله اي لم يشكروها ليس انهم لم يروها من الله تعالى وقوله عز وجل فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف اللباس هو ما يستر وجوه الجواهر الا ترى انه سمى الليل لباسا لما ستر وجوه الاشياء فعلى ذلك
الجوع يرفع الستر واللباس الذي كان قبل الجوع لان الجوع اذا اشتد غير وجه صاحبه ورفع ستره والجوع
ما ذكر انه اصابهم جوع حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والخوف ذكر انه بعث رسول الله اليهم
الا ترى انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقيل الخوف القتل وقوله رغدا قال الكسائي رغد الرجل
اذا اصاب مالا وعيشا من غير عناء وكد وقال القتبي رغدا اي كثيرا واسعا وقوله عز وجل ولقد جاءهم رسول
منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون قوله رسول منهم اي من انفسهم من نسبهم وحسبهم يعرفونه

كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون بالتكذيب حيث وضعوا
الشئ في غير موضعه او ظالمون على انفسهم اخبر انه بعث الرسول من جنسهم ومن حسبهم لانه اذا كان من غير
جوهرهم لم يظهر لهم الاية من غير الاية ولا الحجة من الشبهة لانه اذا خرج على غير المعتاد والطوق من قوانه
اية وانه حجة اذ لا يعرفون من غير جوهرهم الخارج عن المعتاد والطوق ويعرف ذلك من جوهرهم الخارج
وكذلك يعرف صدق من نشاء بين اظهرهم من كذبه ولا يعرف اذا كان من غيرهم وقوله عز وجل فكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا قال بعضهم الحلال والطيب واحد وهو الحلال كانه قال كلوا مما حل لكم كقوله
فانكحوا ما طاب لكم اي ما حل لكم وقال بعضهم حلالا طيبا اي حلالا يطيب لكم ما تتلذذون به لان من الحلال ما لا يتلذذ به
النفس ولا تستطيب بل تكره وقوله تستطيب له انفسكم وتلذذ به لا ما تستخبث لان الله جعل غذاء البشر
ما هو طيب والذي جعل للابهام والانعام ما هو خبيث والخشن لان ما هو طيب ادعى للشكر له ويحتمل ان يكون
قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا لا تبعة عليكم وفي الاية دلالة انه قد يرزق ما يخبث ولا يحل على ما يختاره
حيث شرط فيه الحلال وقوله عز وجل واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون الشكر له عليهم لازم
وان لم تعبدوا وهو كقوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين طاعته وطاعة رسوله واجبة
وان لم تكونوا مؤمنين او يقول وجهوا شكر نعمه اليه ان كنتم عابدون له بجهة اي فعلوا العبادة له والشكر
في الاموال كلها وقوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير اي حرم اكل الميتة وما ذكر
كانه قال هذا او ذكر على اثر تحريمهم اشياء احل لهم حرموا على انفسهم اشياء احل لهم من الحرث
والانعام والبحيرة والسائبة وما ذكر فقال لم يحرم ذلك ولكن انما حرم ما ذكر من الميتة والدم ولحم
الخنزير ونحوه على هذا يجوز ان يخرج تاويله واما على الابتداء فانه يبعد والله اعلم وقوله عز وجل فمن اضطر
الى ما ذكر من المحرمات غير باغ على ما نهى عنه وهو الشبع كقوله فمن اضطر غير باغ في مخمصة غير متجانف لاثم
ولا عاد اليه وقال بعضهم غير باغ يستحله في دينه ولا عاد ولا متعد في اكله وقال بعضهم غير باغ على المسلمين
مفارق لجماعتهم مشاق لهم ولا عاد عليهم يستقيم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم واقاويلهم واما تاويله
عندنا غير باغ على المسلمين سوى دفع الاهلاك عن نفسه ولا عاد متعد ومتجاوز اضطراره ولا يحتمل
ما قال بعض الناس غير باغ على الناس ولا متعد عليهم لوجهين احدهما انه لا يحتمل البغي على الناس في حال
الاضطرار لانه لا يقدر عليه والحال ما ذكروا لم يبح له التناول من الميتة يكون باغيا على نفسه لانه ان لم يتناول
هلكت نفسه فيصير باغيا على نفسه فدل انه على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام يحتمل اي لا تعودوا الى ما وصفت السنتكم من الكذب هذا حلال وهذا حرام
او ان لا تقولوا الكذب الذي تصف السنتكم هذا حلال وهذا حرام وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
لا تقولوا لما احللتموه هذا حلال ولما حرمتموه هذا حرام وهو كقوله قل ارايتم ما انزل الله اليكم من رزق
الاية وفي هذه الاية دلالة ان لا يسع لاحد ان يقول هذا مما احله الله وهذا مما حرمه الله الا باذن من الله
ومن يقول بان الاشياء في الاصل على الاباحة او على الحظر فهو مفتر بذلك على الله الكذب لان الله لم ياذن له
ان يقول ذلك بل نهاه عن ذلك مما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لتفتروا على الله الكذب اي تكونون
مفترين على الله الكذب اذا قلتم ذا فان قيل كيف سماهم مفترين على الله بتسميتهم الحرام حلالا والحلال
حراما قيل لان التحليل والتحريم والامر والنهي ربوبية فاذا حرموا شيئا احله الله او احلوا شيئا حرمه الله
فكانهم على الله افتروا انه حرم او احل وحرموا هم او احلوا فاضافوا ذلك الى الله تعالى او ترك الانتفاع
بالحلال كفر انما يصير اثما مجرما وكذلك تارك الامر ومرتكب النهي وقوله عز وجل ان الذين يفترون على الله الكذب
في تحليل ما حرم عليهم وفي تحريم ما احله وقولهم والله امرنا بها وقوله عز وجل لا يفلحون اي لا يفلحون

وهم مفترون على الله واما اذا انتزعوا من الافتراء وتابوا افلحوا ولا يفلحون في الاخرة اذا كانوا مفترين
على الله في الدنيا ثم قوله متاع قليل على الابتداء سمى قليلا والله اعلم لوجوه احدها ان متاع الدنيا على الزوال
والانقطاع فكل ما كان على الشرف الزوال والانقطاع فهو قليل كما قيل لكل ات قريب لما ياتي لا محالة فعلى ذلك
كل زايل منقطع قليل والثاني سمى قليلا لما هو مشوب بالافات والاحزان وانواع البلايا والشدايد فهو قليل
في الحقيقة او ان سماه قليلا لما ان متاع الدنيا قليل عما وعد في الاخرة لما فيها من متاع الاخرة قليل
لما ليس فيها الوجوه التي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل
وهو ما قص في سورة الانعام وهو قوله حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وقوله فبظلم
من الذين هادوا الاية وقوله عز وجل وما ظلمناهم بتحريم ما حرمنا عليهم لانا انما حرمنا عليهم تلك الطيبات
عقوبة لهم وجزاء ببغيهم وهو ما قال في سورة النساء وهو قوله فبظلم من الذين هادوا وهو ما قال
ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر انه انما حرم عليهم ذلك بظلم كان منهم عقوبة وجزاء لبغيهم لكن هم
ظلموا انفسهم في ذلك او ان يكون قوله وما ظلمناهم لانهم عبيده واماؤه ولله ان يمتحن عباده واماءه
بتحريم مرة وبتحليل ثانيا ولكن ظلموا انفسهم حيث وجهوها الى غير مالكها وصرفوا شكر ما انعم عليهم الى غيره
وقوله عز وجل ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اي عمل السوء بجهالة ويحتمل وجهين احدهما
ان الفعل فعل جاهل وسفيه وان لم يجهل يقال لمن عمل السوء يا جاهل يا سفيه والثاني جهل ما يحل به
بعمله السوء ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة الى اخره يحتمل ان يكون في الاية اضمار لم يذكر لانه قال
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ثم كرر ذلك الحرف على الابتداء من غير
ان ذكر له جواب وهو قوله ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة من بعدها لغفور رحيم فظاهر الجواب ان يقول
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك لغفور رحيم على ما ذكرنا في قوله ثم ان ربك
للذين هاجروا والاية لكن يخرج على الاضمار وعلى التكرار على ارادة التاكيد وعلى الابتداء والاكتفاء بجواب ذكره
في موضع اخر ثم قال الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم هذا والله اعلم جوابه
ان ربك من بعد التوبة لغفور رحيم فكهو قبل ان يعمل عمل السوء والعرب قد تكرر اشياء على ارادة
التاكيد والله اعلم وقوله عز وجل ان ابراهيم كان امة قانتا قال عبد الله بن مسعود الامة الذي
يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله وقال بعضهم امة قانتا اي مؤمنا اي موحدا والناس كلهم
كفار وقال بعضهم كان امة اي اماما يقتدى به في كل خير كقوله اني جاعلك للناس اماما وقال الحسن
كان امة اي سنة يقتدى به ويحتمل ان يكون سماه امة لما كان كالامة والجماعة من القيام مع الاعداء لانه
وان كان منفردا وحده فكان قيامه مع الاعداء والاكابر منهم كالجماعة والامة والممتنع عنهم لا كالمنفرد
واصل الامة قيل الجماعة والعدد ويحتمل قوله كان امة اي يجمع كل خير وكل طاعة لما عمل هو من الخير
عمل الجماعة واجتمع فيه كل خير فسمي امة لهذا الذي ذكرنا وان يكون تفسير الامة ما ذكر على اثره قانتا لله
حنيفا والقانت قيل هو المطيع والقنوت كما ذكر انه سئل عن افضل الصلوة فقال طول القنوت اي طول القيام
فعلى هذا المعنى هو القائم لله في كل ما يعبد وامر به وقيل امة اي دينا كقوله ان هذه امتكم امة واحدة
اي دينكم دينا واحدا وقوله عز وجل حنيفا قيل الحاج وقيل الحنيف المسلم وقيل المخلص وفيه كل ذلك كان
حاجا مسلما مخلصا لله واصل الحنيف الميل اي كان مايلا الى امر الله وما تعبد به والله اعلم وقوله عز وجل
ولم يك من المشركين لا شك انه لم يكن من المشركين لكنه ذكر هذين لوجهين احدهما لما ادعى كل اهل
الاديان انهم على دينه وانتسب كل فرقة اليه فبرأه الله من ذلك واخبر انه ليس على ما هم عليه من الدين
وهو ما قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية والثاني ذكر هذا انه لم يكن من المشركين بقوله هذا ربي

لانه هو كان ذلك منه على ظاهر ما نطق كان ذلك في الظاهر اشراكا ففيه شبه في ظاهره فبرأه الله عن ذلك
واخبر ان ذلك منه لم يكن اشراكا ولكن على المحاجة خرج ذلك منه محاجة قومه كقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
على قومه والله اعلم وقوله عز وجل شاكرا لانعمه اى لم يصرف شكر نعمه الى غير المنعم بل صرف شكرها الى منعمها
عليه ولا يتفرغ احد عن اداء ما عليه من احسان الله عليه فضلا ان يتفرغ لما كافاته لكن الله عز وجل بفضله
ومنّه سمى ذلك شكرا وان لم يكن في الحقيقة شكرا كما ذكر الصدقة التي يتصدق بها العبد اقراضا كما سمى
تسليم نفسه وبذله لامر الله شراء وان كانت انفسهم واموالهم في الحقيقة له ولا يطلب المرء في العرف
القرض من عبده وكذلك الشرى لكنه بلطفه عامل عباده معاملة من لا ملك له في انفسهم واموالهم فضل
ذلك في تسمية الشكر والله اعلم وقوله عز وجل اجتباه قال بعضهم لرسالته وبنوته واجتباه من بين ذلك
القوم وجعله اماما يقتدى به وقوله عز وجل وهداه الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام وهو ما ذكر
قل انني هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما الآية وقوله عز وجل وآتيناه في الدنيا حسنة قال بعضهم
الثناء الحسن وقال بعضهم الحسنة في الدنيا لان جميع اهل الاديان يتولونه ويرضونه ويحتمل ان يكون قوله
وآتيناه في الدنيا حسنة اى ما آتاه الله لم يؤته الا حسنة على ما ذكر في قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة اى ما آتيتنا
في الدنيا آتنا كلها حسنة لان قوله حسنة انما هى اسم حسنة واحدة او ان يكون وآتيناه في الدنيا حسنة
عند قبض روحه اى على الحسنة قبض روحه وقوله عز وجل وانه في الآخرة لمن الصالحين اى لم ينقص
ما آتاه في الدنيا عما يؤتيه في الآخرة وقال بعضهم في قوله وآتيناه في الدنيا حسنة النبوة والرسالة واتّفق
انه لم يبين الحسنة التي اخبر انه آتاها اياه لكنه خص به كما هو خص في قوله اللهم صل على محمد كما صليت
على ابراهيم حنيفا اى دين ابراهيم وسبيله وذكر في بعض الاخبار عن نبى الله انه من بين غيره فكذلك الاول
والله اعلم وقوله عز وجل ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا اى دين ابراهيم معنى وسبيله وذكر
في بعض الاخبار عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال جاء جبريل الى ابراهيم صلوات الله يوم التروية فراح به
الى منى فعلّمه المناسك كلها واراه اياها فاوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان
من المشركين فنحن امرنا ان نتبع ملته في الحج وفي غيره واصل الملة الدين والله اعلم كقوله لا يتوارث اهل
ملتين اى اهل دينين وقوله عز وجل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال بعضهم اختلافهم
وذلك ان موسى امر بنى اسرائيل ان يتفرغوا في كل سبعة ايام يوما للعبادة وهو يوم الجمعة وينزعوا فيه
عمل دنياهم فقالوا نتفرغ يوم السبت فان الله لم يخلق يوم السبت شيئا فقال فريق منهم انظروا الى ما يأمركم
نبيكم فخذوا به فذلك اختلافهم فجعل لهم يوم السبت على ما سألوا فاستحلوا فيه المعاصى فحرم الله عليهم العمل
فيه عقوبة لهم وقال الحسن وقتادة انما جعل السبت اى انما لعن في السبت فمسخوا قردة الذين اختلفوا فيه
وكان اختلافهم انه حرمه بعضهم واستحله بعض وقال ابو بكر اختلافهم كان في تكذيبا لرسل والانبياء
فمنهم من صدق ومنهم من كذب فحرم عليهم يوم السبت عقوبة لهم وان يكون اختلافهم ما سألوا موسى
من الآيات المحجبة والاسولة الوحشة كقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وكقوله اجعل لنا آلهة كما لهم
آلهة ونحوه بعد ما اقام عليهم من الآيات كانت لهم فيها كفاية فليشبه ان يكون اختلافهم الذى ذكر ذلك
وقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يخرج على وجهين احدهما انما جعل محنة السبت على الذين
اختلفوا فيه اى على الذين فسقوا فيه حيث قال بما كانوا يفسقون والثانى انما جعل عقوبة السبت على الذين
اعتدوا فيه دون الذين اختلفوا فيه لان فريقا منهم قد نهوهم عن ذلك وفريقا قد اعتدوا فاهلك
الذين اعتدوا دون الذين نهوهم وقوله اختلفوا انه يحتمل فيه اى في موسى او في يوم السبت الذى
اختلفوا فيه وعوقبوا فيه والله اعلم وقوله عز وجل وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه

يختلفون

يختلفون يحكم بينهم بالجزاء ويحكم بما بين لهم المحق من المبطل حيث فريقا وان جا فريقا فكيف قال يحكم
بينهم فيما كانوا فيه يختلفون لكن يشبه ان يكون ذلك بالجزاء على ما ذكرنا وقوله ادع الى سبيل ربك قيل دين ربك
بالحكمة قال الحسن الحكمة القرآن اى ادعهم الى دين الله بالقرآن وقال بعضهم بالحكمة بالحجة والبرهان اى ادعهم
الى دين الله بالحجج والبراهين اى الزمهم دين الله بالحجج والبراهين حتى يقروا وقوله عز وجل والموعظة الحسنة
قال الحسن اى عظهم بالمواعظ التي وعظهم الله تعالى وقال ابو بكر اى ذكرهم النعم التي انعم عليهم وجادلهم
بالتي هى احسن اى جادلهم بحسن المجادلة بلين القول وخفض الجانب والجناح لعلهم يقبلون دينهم ويخضعون
لربهم وكذلك اختلفوا في قوله واذ علمتك الكتاب والحكمة وقوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة قال الحسن الكتاب والحكمة
واحد اسم مثنى وهو القرآن وقال بعضهم الكتاب هو القرآن وهو سماع الوحى والحكمة وحى الالهام وهو السنة وقال بعضهم
الكتاب هو التنزيل والحكمة هى المعنى المودع فيه فمن يقول ان الكتاب والحكمة واحد وهى القرآن يقول في قوله ادع
الى سبيل ربك بالحكمة القرآن ومن يقول انهما غير يقول هاهنا ان الحكمة الحجة والبرهان اما من جهة الالهام او من جهة
الانتزاع من الكتاب ويحتمل ان يكون قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة التي ذكر في هذه السورة من ذلك قوله يخرج من بطونها
شراب مختلف الوانه يعنى من بطون النحل وقوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم
لبنا خالصا سائغا للشاربين وما ذكر انه يخرج من الخشب لياسة الاعناب وانواع الثمرات ونحوه فذلك
كله بحكمة اى ادعهم الى دينه وذكرهم بهذا وهم يقرون به ليقبلوا دينه ويخضعوا الامر والموعظة الحسنة ما ذكر
في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وذلك كله مستحسن في العقل وتوجبه الحكمة لان العدل والاحسان
وما ذكر من ايتاء ذى القربى الصدقة مستحسن في عقل كل احد والانتهاء ايضا عن الفحشاء والمنكر مستحسن مستقبح
ارتكابه واتيانه كان الحكمة هى التي تشتمل على العلم والعمل جميعا كانه قال ادعهم الى دين الله بالعلم والعمل جميعا
حتى يجمع ذلك فيهم وادعهم بالدين وخفض الجناح مرة بالعنف والخشونة ثانيا فيكون وضع الشيء موضعه ثم قال
يعظكم لعلكم تذكرون وقوله عز وجل وجادلهم بالتي هى احسن يحتمل والله اعلم اى جادلهم بالذى يقرون
على ما ينكرون وهو ما ذكر افمن يخلق كمن لا يخلق الآية وقوله ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا وقوله ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا الآية وقوله وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء الآية وقوله والله فضل
بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم الآية ونحو هذا جادلهم باحسن المجادلة
بالذى يقرون انه كذلك على الذى ينكرون ليلزمهم العبودة والخضوع له ثم في الآية دلالة تعظيم المناظرة في الدين
وكيفية المعاملة بعضهم بعض فيها حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة التي عنده بالقرآن او غيره من الحجج
والبينات والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى احسن هكذا يجب ان يناظر بعضهم بعضا بالوجه الذى وصف الله
وعلى ذلك ما ذكر الله في كتابه مناظرة الانبياء والرسل مع الفراعنة والاكابر وهو ما قال الم تر الى الذى حاج
ابراهيم في ربه الى ما ذكر وقوله وحاجه قومه قال اتحاجونى في الله الآية ومناظرة فرعون مع موسى صلوات الله عليه
حيث قال وما رب العالمين قال رب السموات والارض الآية وما قال رب المشرق والمغرب وقوله فات به
ان كنت من الصادقين فالقى عصاه وما قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وامثاله
مما يكثر فهذه مناظرة الرسل والانبياء مع الفراعنة والاعداء فكيف المناظرة بين الاولياء فهذا كله يرد
على من يابى المناظرة في الدين ويمتنع عن التكلم فيه والاحتجاج وقوله عز وجل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
الآية نسبتهم الى الضلال اشارة وكناية لا تصريحا لانه لم يقل لهم مصرحا انكم قد ضللتم عن سبيله
لحسن معاملته التي علم رسوله وامره ان يعاملهم لان ذلك اقرب الى القبول واميل الى القلوب والاخذ الا ترى
انه قال لموسى وهرون حين ارسلهما الى فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقوله عز وجل
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اختلف في سبب نزول ذلك قال بعضهم في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك ان نفرا منهم قد مثلوا يوم احد مثلة سية من قطع الاذان وتجديع الانوف وبقر البطون ونحوه
فقال اصحابهم لئن اراناالله منهم لنفعلن ولنفعلن كذا وكذا فارادوا ان يجازوا ذلك فانزل الله
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الاية وفيه البشارة لهم بالنصر والظفر على اعدائهم لانه لو لم يكن لهم الظفر بهم
كيف يقدرون على معاقبة مثل ما عوقبوا دل انه على البشارة لهم بالنصر والظفر بهم وفيه دلالة جواز اخذ
من لم يتول القتل والاخذ والضرب لما لعلهم لا يظفرون باولئك الذين تولوا ذلك لكن يؤاخذ اخوانهم بهم
لما بمعونة بعضهم بعضا فعلوا ويكون فيه دليل اخذ قطاع الطريق بالقتل والقطع وان كان الذي تولى ذلك بعضا
منهم لما ان من تولى ذلك انما تولى بمعونة من لم يتول وقال بعضهم انما نزلت الاية في ابتداء الامر الذي كان
القتل مع الكفرة قتل مجازاة مثل قوله وقاتلوا المشركين كافة وكقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم ومثله فاذا كان
على المجازاة امران لا يجاوزوا عقوبتهم ولكن مثله واما اذا كان القتال معهم لا قتال مجازاة فانهم يقتلون
جميعا اذا ابوا الاسلام بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية وقوله عليه الصلوة والسلام أمرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وقال بعضهم لا ولكن الاية نزلت في اهل الاسلام
وحكمه في القصاص والقطع فيما دون النفس والجراحات امران لا يجاوزوا جعوتهم كقوله وجزاء سيئة
بمثلها وقوله فمن اعتدى عليكم الاية وقوله كتب عليكم القصاص في القتلى الاية وقوله عز وجل ولئن صبرتم
على ما ذكر لهو خير اى الصبر خير للصابرين ودل قوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين على ان الاية في القصاص لا في الحرب
لانه في الحرب لا يقال اصبر ولا يكون الصبر خيرا دل انه في غير المحاربة والله اعلم وقوله عز وجل واصبر
يا محمد وما صبرك الا بالله اى ما توفيقك على الصبر الا بالله كقول شعيب وما توفيقي الا بالله الاية والثاني
واصبر وما صبرك الا بالله اى تركك القصاص لامر الله حيث امرك به لا لضعف وعجز فيك وقوله ولا تحزن عليهم
قال بعضهم انه كان يحزن ويضيق صدره لمكان كفرهم بالله وتركهم الايمان بالله كقوله لعلك باخع نفسك
ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقال ولا تحزن عليهم لذلك على التسلي
والتخفيف لا على النهي عن ذلك ويحتمل ان يكون قوله لا تحزن على المؤمنين الذين قتلوا واستشهدوا لانهم
مستبشرون فرحون عند ربهم بما اتاهم الله كقوله بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله
من فضله اى لا تحزن عليهم وهم فيما ذكرنا ولا تحزن على المؤمنين ولا يضيقن صدرك بما يمكرون اولئك
الكفرة اذ كانوا يمكرون برسول الله وباصحابه ويؤذونهم اخبر ان لا يضيقن صدرك لذلك وقال بعضهم
نزلت في امر حمزة سيد الشهداء انه مثل وجرح جراحات عظيمة فاشتد على النبي فقال لئن ظفرنا باولئك
لنفعلن كذا ولنفعلن كذا فنزلت الاية وان عاقبتم بمثل ما عوقبتم به لكن ان ثبت هذا فانه يكون في الوقت الذي
كان يؤخذ غير القاتل والجارح بالقتيل وذلك قد كان في الابتداء الا ترى انه قال الحر بالحر والعبد
بالعبد كانوا هموا ان يأخذوا الحر بالعبد والذكر بالانثى حتى نزل هذا فصار منسوخا به وبقوله ولكم
في القصاص حيوة ولو كان يؤخذ غير القاتل بالقصاص لم يكن فيه حيوة او ان قالوا في الحرب مع الكفرة
فذلك لا يحتمل لانه في الحرب لهم ان يقتلوا الكل وان لا يتركوا احدا منهم دل انه يخرج على احد وجهين
على النسخ الذي ذكرنا او على النهي عن اخذ اكثر من حقه كقوله فاعتدوا عليه الاية وقوله عز وجل ان الله
مع الذين اتقوا يحتمل اتقوا مخالفة الله ورسوله بالنصر لهم والعون فان الله ناصركم ومعينكم عليهم
وقوله عز وجل والذين هم محسنون في العمل والتوحيد او يقول ان الله مع الذين اتقوا محارم الله وارتكاب
مناهيه بالنصر لهم والعونة والذين هم محسنون الى نعم الله بالقيام بالشكر لها والله تعالى اعلم

سورة الاسراء مكية واياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان كلمة اجلال الله عن الاكفاء وتنزيهه
عن الشركاء وتبرئته عما قالت المعطلة فيه ونطقت الملحدة من الولد والحاجات والافات وجميع معاني
الخلق وروي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله قال هو تنزيه الله
عن كل سوء ومعنى قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى هو والله اعلم كانه ذكر
ان من قدر على ان يسرى بعبده ليلا مسيرة شهر يقدر على احياء الموتى بعد الموت ويملك حفظ رسوله والنصر له
واظهار ايات نبوته ورسالته وقطع جميع حيل المكذبين له والمخالفين وقوله من المسجد الحرام سماه اقصى وهو
الابعد من قصى يقصى قصى فهو قاص كانه لم يكن يومئذ الا المسجد الحرام ومسجده بالمدينة ومسجد بيت المقدس
فسماه لذلك والله اعلم المسجد الاقصى وقوله عز وجل الذي باركنا حوله قيل سمي مباركا لكثرة انزاله
وخيراته وسعته وقيل سمي مباركا لانه مكان الاولياء ومقامهم فبورك فيه وبهم والله اعلم وقوله عز وجل
لنريه من اياتنا اى لنريه من اياتنا الحسية بعدما اراه الايات العقلية لان الايات الحسية اكبر في قطع الشبه
ودفع الوساوس من العقلية اذ لا يشك احد فيما كان سبيل معرفته الحس والعيان وقد يعترض ربما الشبه
والوساوس في العقليات لانه لا يشك احد في نفسه انه هو فاحب عز وجل ان يرى رسوله ايات حسية تضطر
المتعنتين على قبولها والايمان بها والاقرار له انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلمون انما كان يخبرهم
من اخبار حيث قال انه راى عير فلان وامورا يعلمون انه لا يعرف الا عن مشاهدة وعيان لانه كان ما اتى
من الايات العقليات قالوا انه سحر وما ذكر من الانباء التي كانت في كتبهم المتقدمة قالوا اساطير الاولين
وانما يعلمه بشر وذلك عمل سحر ولا افك ولا افتراء ولا اساطير الاولين على ما نسبوه الى السحر مرة والى الافك
والافتراء ثانيا ونحوه وقوله عز وجل انه هو السميع البصير اى من قدر على ما ذكر لا يحتمل ان يخفى عليه شئ
من قول او عمل ثم ما روي من الاخبار انه عرج به الى السماء حتى راى اخوانه الانبياء الماضين قبله وما ذكر
فيها ونحن نقول ما قال الصديق رضوان الله عليه ان كان قال ذلك فانا اشهد على ذلك والا نقول على مقدار
ما في الاية انه اسرى به الى بيت المقدس المسجد الاقصى ولا نزيد عليه من اخبار الاحاد فلا يسع الشهادة له
وقوله عز وجل واتينا موسى الكتاب يعني التوراة وجعلناه هدى لبني اسرائيل كل كتاب الله هدى
لمن استهدى ورشد لمن استرشد وبيان لمن استوضح لانها دعت الى ثلث خصال دعت الى معالي الامور ومكارم
الاخلاق ومصالح الاعمال ونهت عن ثلاث عن مساوي الاعمال وعن سفاسف الامور ودناءة الاخلاق
ورداءتها ذكر انه جعل الكتاب هدى لبني اسرائيل لان منفعة الكتاب حصلت لهم لانهم هم الذين استهدوا به
فعلى ذلك هو هدى لمن استهدى والله اعلم وقوله عز وجل الا تتخذوا من دوني وكيلا اى معتمدا اى قلنا لهم
فيه او ذكرنا لهم فيه او امرناهم فيه الا تتخذوا من دوني وكيلا اى معتمدا اى قلنا موكولا الوكيل هو موكول
الامر اليه معتمد في الاحوال عليه قائم في جميع ما وكل اليه بالتبرع والتفضل وقوله عز وجل ذرية من حملنا
مع نوح قال بعضهم يعني بالذرية الانبياء الذين كانوا من قبل اى كانوا من ذرية نوح ومن حمل معه وهم بشر
قال ذكر هذا لانكارهم بعث الرسل من البشر حيث قالوا ابعث الله بشرا رسولا والثاني يحتمل غيرهم اى من ذرية
من حملنا مع نوح اى هؤلاء من ذرية من حملنا مع نوح فكيف خالفوا اباءهم الذين كانوا على الهدى وتابعوا
غيرهم او يذكر ان هؤلاء الرسل من ذرية من حملنا مع نوح وهم بشر فكيف انكروا الرسول من بشر ثم قال
قال بعضهم هو على النداء والدعاء يا ذرية من حملنا مع نوح في السفينة في اصلاب الرجال وارحام النساء زمن
الطوفان لا تتخذوا من دوني وكيلا قيل ربا والها وقيل شريكا واصله ما ذكرنا ان الوكيل هو المعتمد انه كان
عبدا شكورا يعني نوحا قال بعضهم سماه شكورا لانه كان يذكر ربه في كل احواله وقال بعضهم الشكور هو الذي

يبتغي مرضات منعمه ويجتنب مساخطه وقال بعضهم الشكور هو المطيع لله وقد ذكرنا معنى الشكر انه
اسم المكافاة اويقال كانت عبادته لله عبادة شكر لاعبادة استغفار اى كان شكورا فى عبادته لا مستغفرا
وقوله عز وجل وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين اختلف فى قوله وقضينا
قال الحسن وغيره اوحينا اليهم واخبرناهم واعلمناهم فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين
وقال بعضهم قضينا عليهم وقال بعضهم كتبنا عليهم فكيف ما كان ففيه نقض قول المعتزلة لانه لخبر
انه اخبرهم واعلمهم على تاويل من زعم ان القضا ههنا هو الاعلام والاخبار لهم فيقال لهم كان اخبرهم
واعلمهم ليصدق خبره اولا فان كان اخبرهم فذلك منه حكم انهم ليفسدن فى الارض مرتين فان كان
تاويل القضا الكتاب والحكم فهو ظاهر وهو ما نقول ان كل فاعل فعلا طاعة كانت او معصية كان بحكمه
ثم من سال الآخر عن المعصية انها كانت بقضاء الله فلا يجب ان يجاب له على الاطلاق بنعم او بلا الا ان يبين
انه ما يريد بالقضاء وما يفهم منه لان القضاء يتوجه الى وجوه يرجع الى الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات
اى خلقهن والقضاء الامر بقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اى امر ربك والقضاء الحكم كقوله فاقض ما انت
قاض اى احكم ما انت حاكم ولم يعرف القضا الحمل والدفع على ما يقوله المعتزلة ونحوه فلا يجاب على الاطلاق
الا ان يبين انه ما اراد بالقضا فان اراد بالقضا الحكم فعند ذلك يقال نعم كان بقضائه وحكمه وليس فيما قضى
وحكم دفعه فى المعصية ثم اختلف فى قوله مرتين قال بعضهم من اهل التاويل ان بنى اسرائيل عتوا ربهم
فسلط الله عليهم جالوت فقتلهم وسبى ذراريهم واموالهم فكانوا كذلك زمانا ثم تابوا ورجعوا عن ذلك
ثم بعث الله داود فقتل جالوت واستنقذهم من يديه وردهم الى مكانهم ثم عادوا الى ما كانوا من قبل ثم سلط
عليهم بخت نصر ففعل بهم ما فعل جالوت ثم تابوا فبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بعث اولا
بخت نصر ثم فلانا وفلانا وهو ما قال فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا الى قوله وان عدتم عدنا
اى ان عدتم الى العصيان عدنا الى العقوبة ولكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه من وجوه الحكمة
والدلالة احدها فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عما كان فى كتبهم من غير ان علم
ما فى كتبهم ولا اختلف الى احد منهم فكان على ما اخبر دل انه انما عرف ذلك بالله بما اخبر فى كتابه
وفيه انه لم يهلك قوما بنفس الكفر اهلاك استيصال حتى كان منهم مع الكفر السعى فى الارض بالفساد والعناد للآيات
وفيه ان ليس على الله حفظ الاصلح لهم واعطاؤه فى الدين حيث لم يمتهم على الايمان ولكن تركهم حتى عصوا ربهم
ثم سلط عليهم من قتلهم على تلك الحال ودعاهم الى دينه وهو كفر فلو كان عليه اعطاء الاصلح لاماتهم على الاسلام
فذلك اصلح لهم فى الدين وقوله عز وجل ولتعلن علوا كبيرا قيل لتجترون جراءة عظيمة وقيل لتقهرن
ولتغلبن غلبة كقوله ان فرعون علا فى الارض اى قهر وغلب الا ترى انه قال وجعل اهلها شيعا يستضعف
طايفة منهم ثبت انه على الغلبة والقهر وقيل العلو هو العتو والجراءة والتكبر وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل
فاذا جاء وعد اولاهما اى جاء وعد هلاك من عصى منهم اولا وخالف امر الله وكفر به بعثنا عليكم عبادا لنا
اولى باس شديد قال الحسن قوله بعثنا عليكم ليس على بعث الوحى اليهم ولكن على التخلية اى خلينا بينهم وبين
عبادا اولى باس شديد اى اولى باس بطش شديد وقوة كقوله الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اى سلطنا
عليكم وقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديد على المعتزلة لانه ذكر انه بعث عليهم عبادا اولى باس شديد
وانما بعثهم لجزاء اساءتهم ولسوء صنيعهم وذلك شر يفعل بهم دل ان لله صنعا فى جميع فعل العباد وقوله
عز وجل فجاسوا خلال الديار قال بعضهم جاسوا من التجسس اى يتجسسون اخبارهم ويسمعون احاديثهم
وهم جنود جاؤا من فارس وقال بعضهم فجاسوا اى قتلوا الناس فى الازقة وقيل فى الطرق وقوله عز وجل وكان
وعدا مفعولا اى الذى قال لتفسدن فى الارض مرتين وعدا كاينا مفعولا اى كان وعدا موعودا مفعولا

كاينا

كاينا وكان الوعد لاياتى وكذلك قوله وكان وعدا ماتيا اى موعودا ماتيا وكذلك ما اشبه هذا وقوله
عز وجل ثم رددنا لكم الكرة عليهم اى الغلبة والهلاك عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر
نفيرا اى اكثر رجالا منكم قبل ذلك ثم اذا عصوا ثانيا وكفروا بربهم سلط الله عليهم قوما آخرين قدموا عليهم
فذلك قوله فاذا جاء وعد الآخرة الهلاك والتدمير اى موعود الآخرة ليسوؤا وجوهكم ثم وعد لهم الرحمة ان تابوا
ورجعوا عن ذلك بقوله عسى ربكم ان يرحمكم ثم اوعدهم العود اليهم بالعقوبة بقوله وان عدتم عدنا اى وان عدتم
عدنا اى وان عدتم الى المعاصى عدنا عليكم بالعقوبة ثم قول اهل التاويل انه سلط عليهم بخت نصر
وجالوت ثم فلانا وفلانا فذلك لا يعلم الا بالخبر عن رسول الله وليس فى الآية سوى انه بعث عليهم عبادا لنا
اولى باس شديد فلا يزاد على ذلك الا بالخبر سوى انه ذكر هذا لنا وفيه وجوه من الحكمة احدها ما ذكرنا
من اثبات نبوة محمد ومن صدق رسولهم حيث حذرهم العقوبة بعصيانهم فكان كما قال وفيه تحذيرنا
عن مثل صنيعهم لانهم ليسوا بذلك اولى من غيرهم وقال القتبى فجاسوا خلال الديار اى عاثوا بين الديار
وافسدوا ويقال جاسوا وحاسوا ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة وقوله عز وجل اكثر نفيرا اى عددا وقال
ابو عوسجة اكثر نفيرا من الخروج والنفر ومعناه اكثر عددا وقال ابو عبيدة فجاسوا خلال الديار
معناه اى فقتلوا فى ديارهم وقال قتادة النفير المقاتلة الذين يستنفرون للقتال اى لو استنفرتم
انتم واستنفروا اولئك كنتم اكثر منهم ثم قوله قال فاذا جاء وعد اولاهما الى قوله فجاسوا خلال الديار معلوم
انه لم يكن فى كتابهم بهذا اللفظ بعثنا عليكم فجاسوا على الابتداء ولكن كان والله اعلم اذا كان وعد اولاهما
لنبعثن عبادا اولى باس شديد يتجسسون او يجاسون لكنه خاطب بهذا والله اعلم الذين كانوا بحضرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان كانوا هم لم يفعلوا ما ذكر لكن لما فعل اوايلهم لكنه خاطب هؤلاء لما كانوا يفتخرون
باوايلهم ويقولون هم ابناء الله واحباؤه فيذكر هؤلاء نعمه التى انعم على اولئك ويحذرهم صنيعهم وهو
ما خاطبهم بقوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك الآية وقوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ونحو ما خاطب
هؤلاء الذين كانوا بحضرة رسول الله وعاتبهم على صنيع اولئك وفعلهم وان كان هؤلاء لم يفعلوا ذلك
لما رضوا بصنيع اولئك وفعلهم استيداء منهم الشكر لما انعم على اولئك وتحذيرا لهم عن مثل صنيعهم والله اعلم
وقوله عز وجل ان احسنتم احسنتم لانفسكم لا لله اذ اليكم يرجع منفعة ذلك وانتم تجزون على ذلك
وان اساتم فلها اى فعليها كقوله من عمل صالحا فلنفسه الآية اى عليها ضرر ذلك وعلى ذلك جميع ما امر الله
عباده من الاعمال ونهاهم عنها انما امر ونهى لمنفعة انفسهم ولحاجاتهم لا لمنفعة له او لحاجة له وقال بعضهم
وان اساتم فلها اى اليها اى الى انفسكم تسيئون وقوله عز وجل فاذا جاء وعد الآخرة اى اذا جاء وعد
موعود الآخرة وهو العقوبة بعصيانهم وتكذيبهم رسل الله وقوله فاذا جاء وعد الآخرة بالتغيير وتبديل
ليسوؤا وجوهكم بواوين على الجماعة وبواو واحدة على الواحد ليسوء وجوهكم ولم يبين من يسوء وجوههم
فيشبه ان يكون يبعث قوما يسوؤن وجوههم كما ذكر فى الوعد الاول فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم
عبادا لنا اولى باس شديد فهم يسوؤن وجوهكم ومن قرا بالنون لنسوء وجوهكم اضاف الى نفسه لما يامر
بما كان يفعل وبتسليطه اياهم عليهم وقال بعضهم ذكر الوجه ههنا كناية عن الحزن والهم والاهانة لهم كما يقال
فى السرور اكرم وجهه اى دخل فيه سرورا او ذكر الوجه لما بالوجه يظهر ذلك التغيير والقبح والله اعلم
وقوله عز وجل وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة فى ظاهر الآية ان يدخل الاولون المسجد فى المرة الثانية
كما دخلوا فى المرة الاولى لانه قال كما دخلوه اول مرة لكن يحتمل ليدخل عباد آخرون المسجد فى المرة الثانية
كما دخل الاولون فى المرة الاولى وقال بعضهم المسجد ههنا الكنيسة او البيعة وقوله وليتبروا ما علوا
تتبيرا اى يهلكوا ما علوا به اى ما غلبوا به وقهروا اى الاسباب التى بها عصوا وقال ابو عوسجة ما علوا

اى ليفسدوا واما هلكوا والمتبار الفساد يقال علوت الشئ اى ملكت وقوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يحتمل
ان يكون ذلك لاولئك الذين تقدم ذكرهم وفيهم نزل ما نزل يرحمهم ان تابوا ويشبه ان يكون على الابتداء
عسى ربكم ان يرحمكم بمحمد وان عدتم عدنا اى وان عدتم الى التكذيب والعصيان عدنا الى العقوبة والقتال
الى يوم القيامة وقوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قيل سجنا لا يخرجون منها وقيل محبسا
وحصيرا يحصرون فيها والله اعلم وقوله عز وجل ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم معنى التانيث فى قوله
للتى هى اقوم قيل بوجوه قيل ان هذا القرآن يهدى للملة التى هى اقوم الملل واعدلها والملة هى الدين دين الله
وقال بعضهم يهدى الى الامور التى هى اعدل الامور واصوبها وقيل يهدى الى السبيل التى هى اقوم السبل
واعدلها يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التى ذكرناها وجائز ان يكون قوله يهدى للتى هى اقوم اى للاعمال
الصالحات والخيرات لان الاعمال الصالحات قوامها به ثم قوله يهدى يحتمل وجهين يحتمل يبين والثانى
يدعوا فهو يهدى الكل لو استهدوا لكن خص هؤلاء لما منفعة تكون لمن ذكر وقد ذكرنا ان هذا القرآن وغيره
من كتب الله هدى ورحمة يدعوا الى ثلاث خصال الى معالى الامور ومكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومصالحها
وينهى عن مساوى الاعمال ودانى الامور وسوء الاخلاق ودناءتها فهو هدى ورحمة على ما اخبر لمن استهدى به
ورشد لمن استرشد وقوله عز وجل ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات البشارة المطلقة انما جعل
للمؤمنين الذين عملوا الصالحات لم يذكر للمؤمنين خاصة على غير العمل الصالح فالمسئلة فيهم غير المسئلة
فى هؤلاء وفيه دلالة ان يقع اسم المؤمنين بدون العمل الصالح لانه قال المؤمنين الذين يعملون الصالحات
دل ان ذلك الاسم يقع بدون ذلك الاسم وفيه دلالة ان اسم الايمان قد يستحق بدون العمل الصالح حيث
يشترط فيه العمل الصالح وقوله عز وجل ان لهم اجرا كبيرا سماه كبيرا لكبير خطره عند الله كما سمى الثواب
عظيما لعظيم خطره عنده وسماه كبيرا لانه اكبر ما يقصد اليه ويرغب فيه وهو ثواب الجنة والنار اعظم ما يحذر بها
ويرهب عنها وقوله عز وجل وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما انكارهم البعث وكفرهم به
هو الذى حملهم على تكذيبهم وكفرهم بالله ليسلم لهم شهواتهم فى الدنيا لان الرسل جميعا دعوهم الى ترك شهواتهم
فى الدنيا ورغبوهم بما يوجب لهم الثواب فى الآخرة وحذرهم عما يوجب العقاب فانكروا الآخرة والبعث
راسا ليسلم لهم الدنيا فذلك الذى حملهم على انكار الرسل وتكذيبهم اياهم الا ترى انه قال والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به اى بالقرآن او بمحمد ايمانهم بالبعث حملهم على الايمان بالقرآن والرسول وتكذيبهم الآخرة
حملهم على تكذيب الرسل والله اعلم وقوله عز وجل ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير قال بعضهم اذا غضب
يدعوا على نفسه وولده واهله ويلعن كدعائه عليهم بالخير لذلك انتصب قوله دعاءه وقال الحسن ان الانسان
يتضايق صدره وقلبه بادنى شئ يكره فيلعن على نفسه واهله فلا يجيبه الله ثم يدعوا بالخير فيعطيه ونحوه
من الكلام وقوله ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير هذا يحتمل وجهين احدهما ويدعوا الانسان بالشر على العلم منه
بذلك كدعائه بالخير على العلم منه بذلك والثانى يدعوا الانسان بالشر لو اجيب فيه على الجهل منه والغفلة
كدعائه بالخير لو اجيب فى ذلك ثم ان كان ذلك الانسان هو الكافر فهو يدعوا على الاستهزاء كقوله فامطر علينا حجارة
من السماء الآية وكذلك قوله سال سائل بعذاب واقع ونحوه وان كان مسلما فهو يدعو بالشر على نفسه واهله
عند الغضب على علم منه انه شر ويدعوا ايضا بالشر على السهو والغفلة منه نحو ما يسأل الاموال والنكاح ولعل
ذلك شر له وقوله عز وجل وكان الانسان عجولا قال بعضهم هذا الآدم لانه لما خلقه الله فنفخ الروح فى بعض جسده
هم ان يقوم فسماه عجولا لكن كل الانسان خلق فى الطبع من الاصل عجولا الا ترى انه لا يصبر على امر واحد ولا على شئ
واحد وان كان نعمة لم يصبر عليها ولكن يمل عنها وكذلك فى ادنى شدة وبلاء اذا بلى به لم يصبر عليه فابدا
يريد الانتقال من حال الى حال الا ترى ان قوم موسى قد كرمهم الله بكرامات من انزال المن والسلوى عليهم من غير كد ولا جهد

ولامؤنة

ولا مؤنة وكذلك القياس ثم لم يصبروا على ذلك حتى قالوا لن نصبر على طعام واحد فسألوا ربهم القوم
والبصل ونحوه على طبع الانسان ملولا عجولا الا ترى ان الله مكن فى باطنه وجعل فى وسعه رياضة نفسه وصرفها
الى احد الوجهين اللذين يجهد عليه ولا يذم وهو ان يروضها ويعودها على الصبر والحلم والوقار ويصرف
تلك العجلة الى الخيرات والطاعات التى يحمد عليها المرء بالعجلة والا فى ظاهر الخلقة والطبع منشأ
على العجلة وما ذكر الا ترى انه قال ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا
الا كذا وهو ما ذكرنا والله اعلم لكن بما امتحنه من الامر والنهى والترغيب فى الموعود والترهيب حين يحيث
يملك اخراجه عما طبع والشئ الى حالة اخرى بالرياضة التى ذكرنا الا ترى انه ذكر الهلع والجزع ثم استثنى
الا كذا وعلى ذلك خلق الله الخلق على همم مختلفة واطوار متشتتة لم يخلقهم جميعا على همة واحدة بحيث يرغبون
جميعا فى معالى الامور ومعاظم الحرف وارفع الاسماء بل طبعهم على طباع مختلفة فمنهم من يرغب فى معالى الامور
ومعاظم الامور والحرف ومنهم من كانت همة الرغبة فى الدون من الامور والحرف فى الحجامة والدباغة والحياكة
ونحوها وكذلك فى الاسماء ومنهم من كانت همته معالى الامور ومعاظم الاعمال ولو كانت همتهم همة واحدة
لذهبت المنافع والمعارف جميعا والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا الليل والنهار آيتين اختلف فيه قال بعضهم
المراد بالليل والنهار والشمس والقمر اى جعلنا فى الشمس والقمر الا ترى انه اضاف الآية الى الليل والنهار حيث
قال فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وحيث قال ايضا ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما يعلم
ذلك بالقمر الا ترى انه قال ايضا هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا الآية انما اضاف معرفة عدد السنين
والحساب الى القمر دل انه بالقمر يعلم ذلك وهو قول على وابن عباس رضى الله عنهم وغيرهم من اهل
التأويل ويكون تأويل المحو ذكر فى قوله فمحونا آية الليل ما قالوا فى محوه وهو السواد الذى يرى والنقصان
الذى يكون فيه فى آخره وقال بعضهم محى منه تسعة وستون جزءا من سبعين جزءا الى هذا يذهب هؤلاء
واما الحسن وابو بكر وهؤلاء فهم يقولون ليس فى الآية ذكر الشمس والقمر انما ذكر الليل والنهار واخبر انه
جعلهما آيتين فهما كذلك آيتان وبهما يعلم عدد السنين والحساب لانه بالايام يعرف ذلك فاما
الشهور فانه انما تعرف بالقمر لا تعرف بالايام ويكون تأويل قوله فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة اى جعلنا آية الليل فى الابتداء ممحوة مظلمة وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة فى الابتداء ليس
ان كان جميعا مبصرتين مضيئتين ثم محى آية الليل وابقيت آية النهار مضيئة ولكن انشأ آية الليل فى الابتداء
مظلمة وانشأ آية النهار فى الابتداء مبصرة وهو كقوله والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت
اى انشأهما فى الابتداء كذلك لا ان السماء كانت موضوعة فرفعها وكذلك مبسوطة ثم نصبها ولكن انشأهما
فى الابتداء كذلك فعلى ذلك قوله فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة اى جعلهما فى الابتداء هذا
مظلما ممحوا مبصرا مضيئا وجعلنا الليل والنهار وهما آيتان مختلفان بل متضادتان يضاد كل واحد منهما
صاحبها اذ كل واحد تنسخ الاخرى حتى لا يبقى لها اثر وهما آيتان دالتان على وحدانية الله تعالى لانه
لو كان فعل عدد لكان اذا اتى هذا على هذا وغلب عليه منع عن ان يكون للآخر سلطان او امر فاذ لم يكن
دل انه صنع واحد وفيهما دلالة تدبيره حيث جريا على سنن واحد ومقدار واحد على غير تفاوت
يكون فيهما وتفاضل وتغير على ما كان ومضى دل انه عن تدبير خرجا وكانا كذلك وفيه دلالة علمه وحكمته
لما جعل فيهما من المنافع ما لو كان الليل سرمدا ذهب منفعة الليل نفسه ولو كان النهار سرمدا لذهب
منفعة النهار راسا وفيه دلالة البعث لانه يتلف احدهما اذا جاء الآخر حتى لا يبقى له اثر ثم يعيده على ما كان
من غير ان يعلم انه غير الاول ثم قوله آيتين والآية علامة وعلامتهما لا تعرف الا بالتامل والنظر فيهما فعلى ذلك
لا يفهم ما فى القرآن والمعنى المودع فيه الا بالتامل والنظر فيه وفيهما دلالة نقض قول اصحاب الطبائع واصحاب النجوم

والدهرية وجميع الملحدة اما نقض قول اصحاب الطبايع لما ذكرنا من اتساق مجراهما على سنن واحد دل انه بالتدبير ما صار كذلك لا بالطبع واما نقض قول اصحاب النجوم لما جعل النجوم مسخرة لمنافع الخلق ومغلوبة يغلبها ضوء الشمس ونور القمر حتى لا ترى دل انه لا تدبير لها وان التدبير لغيرها وعلى غيرهم من الملحدة ما ذكرنا من اتصال المنافع هذا بهذا ومنافع هذا بهذا دل انه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لتبتغوا فضلا من ربكم يحتمل الفضل الذى ذكر الرزق والمعاش الذى ذكر فى آية اخرى وجعلنا النهار معاشا ويحتمل انواع فضل تكون فى الدين ولتعلموا عدد السنين والحساب هو ما ذكرنا انه بهما يعرف عدد السنين والحساب وقوله عز وجل وكل شئ فصلناه تفصيلا يحتمل التفصيل تفصيل آية من اخرى اى لم يجعلهما آية واحدة على ما ذكر وقال الحسن اى فصل وبين ما امر عباده ونهاهم اى بين وفصل ما يؤتى مما يتقى وفصلناه اى فصله تفصيلا لم يترك فيهما بل بين غاية البيان وقوله عز وجل وكل انسان الزمناه طايره فى عنقه اختلف فى قوله طايره قال بعضهم طايره شقاوته وسعادته ورزقه وعيشه وقال بعضهم عمله الذى عمل من خير او شر وقال بعضهم حظه ونصيبه من عمله وهو جزاؤه ونحو ذلك فذلك كله يرجع الى معنى واحد لانه انما يسعد ويشقى بعمله الذى يعمله وكذلك جزاء عمله ولذلك قال الحسن فى تاويل قوله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اى باعمالنا التى عملناها ثم يخرج تسمية العمل وما ذكروا طايرا لوجهين احدهما على وجه التقول والطيرة كانوا يتفاولون ويتطيرون باشياء بالطاير وغيره ويقولون جرى له الطاير بكذا من الخير وجرى له من الشر على طريق الفال والطيرة فخاطبهم على ما يستعملون واخبر ان ذلك يلزم اعناقهم وهو ما قال الله تعالى يطيروا بموسى ومن معه وكقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وقوله ايضا قالوا اطيرنا بك وبمن معك الآية ونحوه والثانى سمى الاعمال التى عملوها طايرا لما ان الذى يتولد منه تلك الاعمال كالطاير وهو الهمة او لا يخطر بباله شيئا فى الاخطار لا صنع له فيه ثم يهم ثم تبعث الهمة على الارادة ثم تبعث على الطلب والعمل فالهمة التى فى النفس يتولد منها الاعمال كالطاير فسماه لذلك باسمه والله اعلم وقوله عز وجل فى عنقه يحتمل ان يكون العنق كناية عن النفس اى الزمناه نفسه وذلك جايز يقال هذا لك علىّ وفى عنقى والثانى ذكر العنق كما يقول الرجل لآخر اذا اراد التخلص من عمل قلدتك هذا العمل وجعلته فى عنقك اى تكون انت الماخوذ به أمّا ان كان فى ذلك شر وانت الماخوذ به المثاب ان كان فيه خير والمعنى من قوله وكل انسان الزمناه طايره فى عنقه اى لا يؤخذ غيره بعمله وبشقايه ولكن هو الماخوذ به وهو ما قال من اهتدى فانما يهتدى لنفسه وقوله الا تزر وازرة وزر اخرى هذه الآيات الثلاث معناها واحد وهو ما ذكرنا ان لا يؤخذ غيره بعمل آخر ولا تحمل نفس خطيئة اخرى ولا وزرها ولكن كل نفس هى تحمل خطيئة نفسها وقوله عز وجل ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا هذا يحتمل وجهين احدهما اى يجعل ما الزم عنقه كتابا يلقاه منشورا والثانى اى يجعل بما الزم عنقه كتابا وقوله عز وجل اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قيل شهيدا وقيل كافيا وحاسبا وهو واحد ان المؤمن بما سبق من صالحاته يقف فيها لا يقطع القول فيها الرجاء فى رحمته وخوفه عن مساويه فلا يشهد على نفسه بالعقوبة واما الكافر فانه يشهد على نفسه بالنار لما لم يكن له ما يطمع رحمته وقوله اقرأ كتابك اى تخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وفى ذلك لطف عظيم بقراءة كتابه باى لسان كان لانه لم يبين باى لسان يكتب ثم يتذكر جميع ما عمل فى عمره وقد ينسى الرجل عملا يعمل فى ادنى مدة لكن هذا يتذكر فى ساعة وهلة ما كان عاملا منه وقوله عز وجل من اهتدى فانما يهتدى لنفسه اى من اهتدى لما جعل الله عليه من انواع النعم وقال باداء شكرها فانما فعل ذلك

لنفسه لانه هو المنتفع به او يقول من اختار الهدى واجابه الى ما دعاه مولاه فانما يهتدى لنفسه اى فانما اختار ذلك لنفسه لانه هو المنتفع به وهو الساعى فى فكاك رقبته وقوله عز وجل ومن ضل اى من اختار الضلال فانما يضل عليها اى فانما يرجع عليها ضرره وهو ما ذكر من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وقوله ومن ضل عن ذلك فانما يضل عليها اى الى نفسه يرجع ضرر ضلاله كقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه وقوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى هو ما ذكرنا اى لا تحمل نفس خطيئة اخرى ولا تاثم بوزر اخرى والله اعلم ذكر هذا ليعلم ان امر الآخرة خلاف امر الدنيا لان فى الدنيا قد يؤخذ نفس مكان اخرى وتحمل نفس مؤنة اخرى وفى الآخرة لا تؤخذ نفس بدل اخرى والثانى قد يتبرع بعض عن بعض بتحمل المؤنات والقيام فى كفايتها واما فى الآخرة فلا يتبرع بذلك وقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يحتمل ما كنا معذبين تعذيب استيصال فى الدنيا الا بعد دفع الشبه ورفعها عن الشبه الحجج من كل وجه وبعد تمامها وان كانت الحجة قد لزمتهم بدون بعث الرسل ليدفع عنهم عذرهم من كل وجه وان يكون قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا افضالا منه ورحمة وان كان العذاب قد يلزمهم والحجة قد قامت عليهم والعذاب الذى كانوا يعذبونهم فى الدنيا ليس هو عذاب الكفر لان عذاب الكفر ابدا لا انقطاع له وهذا مما ينقطع وينفصل لكن يعذبون باشياء كانت منهم من العناد ودفع الآيات واما عذاب الكفر فهو فى الآخرة ابدا لا ينقطع وفى الآية دلالة ان حجة التوحيد قد لزمتهم وقامت عليهم بالعقل حيث قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فلو لم تلزمهم لكان الرسل اذا دعوهم الى ذلك يقولون من انتم ومن بعثكم الينا فاذا لم يكن لهم هذا الاحتجاج دل ان الحجة قد قامت عليهم لكن الله بفضله اراد ان يدفع الشبه عنهم ويقطع عنهم عذرهم برسول يبعث اليهم لما ان اسباب العلم بالامور ثلاثة فمنها ما يعلم بظاهر الحواس بالبديهة ومنها ما يفهم بالتامل والنظر ومنها ما لا يعلم الا بالتعليم والتنبيه وقال القتبى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وهو ما ذكرنا اى نخرج بذلك العمل كتابا وقال ابو عوسجة اى نكتب ما عمل ثم نقلده فى عنقه فيجئ به يوم القيامة وقال ابو عبيدة طايره حظه وقال غيره من المفسرين ما عمل من خير او شر الزمناه عنقه وقال القتبى وهذان المعنيان يحتاجان الى بيان والمعنى فيما ارى والله اعلم ان لكل امرء حظا من الخير والشر قد قضاه فهو لازم عنقه والعرب تقول لكل ما لزم الانسان قد لزم عنقه وهو لازم طاير عنقه هذا لك علىّ وفى عنقى حتى اخرج منه وانما قيل للحظ من الخير والشر طاير لقول العرب ما ذكرنا جرى له الطاير بكذا من الخير وجرى له الطاير بكذا من الشر على وجه الفال والطيرة على مذهبهم فى تسمية الشئ بما كان له سببا وهو ما ذكرنا وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا التعذيب يكون على وجوه ثلاثة احدهما يعذبهم فى الدنيا ابتداء بتعذيب امتحانا وابتلاء بلا اجرمية كانت منهم كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحوه فيكون تنبيها وتذكيرا لهم لا تكفيرا والثانى يعذب تعذيب العناد والمكابرة وهو تعذيب هلاك واستيصال فهو عقوبة لهم وموعظة للمتقين وعبرة لغيرهم وهو الذى ياتى على اثر وعيد والثالث عذاب الموعود فى الآخرة يقول وما كنا معذبين فى الآخرة حتى نبعث رسولا فى الدنيا والاشبه ان يكون ما ذكر من التعذيب هو تعذيب استيصال والله اعلم وقوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها بالتخفيف والتثقيل امرنا مترفيها ثم من قال امرنا بالتثقيل يحتمل وجهين احدهما امرنا مترفيها من الامارة والتسليط من الاملاك عليهم اى امرنا عليهم وسلطنا مترفيها اى اكثرنا عددهم وسلطنا مترفيها فساقها ومستكبريها والثانى امرنا مترفيها اى اكثرنا عددهم ومنعمهم يذكرهم هذا لعتوهم وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة الآية وقولهم نحن اكثر اموالا واولادا الآية

كانوا يزعمون انهم لا يعذبون لانهم قد انعموا في هذه الدنيا واكثروا اموالهم واولادهم فاخبرهم
عز وجل انه ما اهلك من الامم الخالية الا بعد ما كثر عددهم ووسع عليهم الدنيا لم يهلكوا في حال القلة والضيق
كقوله ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا اي كثروا وقوله حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون لم ياخذ بالعذاب الامم الخالية الا في حال كثرتهم وامنهم وعزتهم بالسعة يحذر هؤلاء
ليلا يغتروا بكثرة اموالهم واولادهم وعددهم ومن قال امرنا مترفيها بالتخفيف هو من الامر اي امرنا عظماءهم
وكبراءهم طاعة الرسول والاجابة الى ما دعاهم اليه حتى عصوا رسله وتركوا اجابتهم على العناد والمكابرة
فعند ذلك يهلكون لما ذكرنا انه لم يستاصل الامم الخالية الا بعد عنادهم في آيات الله ومكابرتهم في دفعها
وتكذيبها لا يهلكهم في اول ما كذبوا آيات الله وخالفوا رسله وقوله مترفيها قال بعضهم المترف المنعم
وقال بعضهم المترف المكرم والمستكبر وكله واحد وفي قوله واذا اردنا ان نهلك قرية دلالة ان الارادة
عن المراد لانه اخبر بتقدم الارادة عن وقت الاهلاك دل انها غير وفيه انه اراد السبب الذي به يهلكون
وهو التكذيب والعناد لما علم منهم انهم يختارون ذلك اذ لا يحتمل انه يريد هلاكهم وهو يعلم منهم غير سبب
الهلاك فهذا يرد قول المعتزلة ان الارادة هي المراد وانه لم يرد ما كان منهم من سبب الهلاك والله اعلم
وقوله عز وجل فحق عليها القول بما اراد اهلاكهم وجب عليهم ويكون قوله فحق عليها القول بما اخبر عن الامم
الخالية وهو قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل الآية وقوله عز وجل فدمرناها تدميرا اي اهلكناها
اهلاكا وقوله عز وجل وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
يحتمل ان يكون الخبير والبصير واحدا ويشبه ان يكون بينهما فرق الخبير العالم باعمالهم والبصير
بمصالحهم ومعاشهم وبجزائهم يقال فلان بصير في امر كذا وفلان ابصر من فلان ويحتمل ان يكون
بذنوب عباده وهو مكرهم الذي كانوا يمكرون برسول الله فقال وكفى بمكرهم الذي يمكرون بك وقوله
عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد يحتمل هذا وجهين احدهما انهم كانوا
يعملون باعمالهم الحسنة في حال كفرهم من نحو الانفاق والصدقات وبذل الاموال وغير ذلك
يريدون بذلك العز والشرف والذكر في الدنيا فاخبر انه من اراد بما يفعل ذلك عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد والثاني يكون قوله من كان يريد العاجلة اي لا يريد بها الا جمع الاموال وسعتها عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد ثم اخبر انه لا كل من ارادها يعجل له ذلك ولا ما اراد يعجل له ذلك ولكن انما يعجل ما اراد الله
ولمن اراد انه لا كل من اراد شيئا يعطى له ذلك ثم اخبر عما يعطى في الآخرة من اراد العاجلة فقال
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا اي مذموما بما يسمى باسماء قبيحة دنية مذمومة عند الخلق
او يذم ويلام في النار مدحورا مطرودا من الاسماء الحسنى ومن الخيرات ومبعدا عن رحمته
وقوله مذموما عند نفسه اي يذم نفسه يومئذ ومذموما عند الملائكة والخلق جميعا وفي قوله
وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وجهان احدهما يحتمل ان يكون اراد باهلاكه اياهم موتهم باجالهم لقولهم
كانوا عددا قليلا زمن نوح ثم كثروا حتى صاروا قرونا ثم ماتوا حتى لم يبق منهم احد ويحتمل ان يكون الاهلاك
ههنا اهلاك استيصال فهو يخرج على وجهين احدهما انه قد استووا في هذه الدنيا اعني الولي والعدو
وفي الحكمة التمييز بينهما والتفريق فلا بد من دار تفرق بينهما فيها ويميز والثاني قد هلكوا جميعا وفي العقل
والحكمة انشاء الخلق للافناء خاصة بلا عاقبة تقصد عبث باطل فدل ان هنالك دارا اخرى هي المقصودة
حتى صار خلق هؤلاء حكمة وفيه لزوم البعث وقوله عز وجل ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
تفسير قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد كانه قال من كان يريد العاجلة وهو
كافر بربه مكذب بالآخرة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ومن كان يريد الآخرة وهو مؤمن بربه مصدق بالآخرة

وسعى لها سعيها وهو مؤمن هذا يدل انهم بما ارادوا العاجلة بكفرهم بالآخرة ثم اخبر ان من اراد
بعمله في الدنيا الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن بها فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مجزيا
مقبولا وقوله عز وجل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اي المؤمن والكافر يعطى هذا وهذا اي لا يحرم عن العاجلة
من اراد الآخرة بخيرا ولئك الكفرة بكفرهم بالآخرة انه ليس يعطى الدنيا وسعتها لمن يكفر بالآخرة حيث قال
كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اي يعطي المؤمن والكافر والبر والفاجر وقوله عز وجل وما كان عطاء ربك محظورا
اي رزق ربك وفضله محظورا قال بعضهم محبوسا وممنوعا وقال بعضهم محظورا اي منقوصا فهو في الآخرة
اي لا ينقصون في الآخرة من جزائهم وروي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يعطي
على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
العبد همه الآخرة كف الله له من ضيعته وجعل غناه في قلبه واذا كان همه الدنيا افشى الله عليه ضيعته
وجعل فقره بين عينيه فلا يمسي الا فقيرا ولا يصبح الا فقيرا وقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد اي من كان يريد العاجلة للعاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد واما من كان يريد العاجلة للآخرة
ويراها للآخرة فهو ليس بمذموم فهو ما ذكر في قوله فاولئك كان سعيهم مشكورا وهو ما قال من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الآية وقوله اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو حيوة الدنيا للدنيا لعب
ولهو واما من اراد الحيوة الدنيا الحيوة الآخرة فهو ليس بلعب ولهو لان الدنيا لم تنشا لنفسها انما انشات للآخرة
فمن راها لها لنفسها فهو لعب ولهو ومن يراها للآخرة واراد بها الآخرة فهو ليس بلعب ولا لهو وقوله عز وجل انظر
كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا في الرزق وفي الخلقة يكون بعضهم اعمى وبعضهم بصيرا ويكون اصم ويكون
سميعا ونحوه فعلى ما يكون في الدنيا على التفاوت والتفاضل يكونون في الآخرة كذلك في المنزلة والقدر عنده
لا في الضيق والسعة والاحوال التي يكونون في الدنيا حيث قال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
ولم يقل اكثر ولا اوسع دل انه على القدر والمنزلة عند الله لا على اختلاف الاحوال التي يكونون في الدنيا
والله اعلم وقوله عز وجل ولا تجعل مع الله الها آخر قد ذكرنا فيما تقدم ان النهي في مثل هذا والخطاب
لرسوله وان كان غير موهوم ذلك منه للعصمة التي عصمه فانه غير مستحيل التي عصمه لما ذكرنا ان العصمة
انما ينتفع بها مع النهي والامر ما احتيج اليها او خاطبه به على ارادة غيره ما يخاطب به ملوك الارض الا قرب اليهم
والاعظم والخطير منهم دون خساس الناس وارذالهم والثاني انه يخاطب كلا في نفسه ليس انه يخص
رسوله بذلك ولكن كل موهوم ذلك منه ويحتمل ان يخاطب به كقوله يا ايها الانسان ويا ايها الناس
ليس انسان احق بهذا الخطاب من انسان فعلى ذلك الاول او يقول يخاطب رسوله ليعلم من دونه
ان ليس لاحد وان عظم قدره عند الله وارتفع محله ومنزلته محاباة في الدين لان الرسل
هم المكرمون على الله المعظمون عنده فاذا لم يعفوهم في هذا لم يعف من دونهم الا ترى انه قال
للملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهم اكرم خلق الله حيث وصفهم انهم
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فعلى ذلك الرسل الا ترى انه قال على اثره وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله اما يبلغان عندك الكبر احدهما او كلاهما ومعلوم ان ابويه كانا
ضالين فلا يحتمل ان يخاطب رسوله في قوله وقل رب ارحمهما دل انه خاطب به كل محتمل ذلك منه
وموهوم وقوله عز وجل فتقعد مذموما عند الناس مخذولا اي ذليلا مقهورا لان الخذلان هو
ضد النصر والعون الا ترى انه قال ان ينصركم الله الآية ذكر الخذلان مقابل النصر فعلى ذلك قوله مخذولا
اي مقهورا ذليلا غير منصور والله اعلم وقوله عز وجل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه قال بعضهم
قضى حكم وقال بعضهم قضى ههنا امر اي امر ربك الا تعبدوا الا اياه وقال بعضهم قضى ربك اي وصى ربك

وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما انهما كانا يقرآن ووصى ربك وقال بعضهم
وعهد ربك وقال القتبي وقضى ربك اي حتم ربك وهو من الفرض والالزام اي فرض ربك والزم الا تعبدوا
الا اياه وكذلك حكم ربك وهو اشبه الا ترى انه قال في اية اخرى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله
امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ثم قال ومن يعص الله ورسوله دل قوله ومن يعص الله ورسوله ان قوله
اذا قضى الله ورسوله معناه اي فرض الله ورسوله وحكما امرا ثم قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فرض
وحتم وحكم وامر ان لا تعبدوا الا اياه الا الاله المعبود الحق المستحق للعبادة والربوبية لا تعبدوا دونه
احدا وقد بان لنا انه هو الاله والرب المستحق للعبادة والالوهية والربوبية لا الذين تعبدون دونه
من الاوثان والاصنام بوجوه ثلاثة احدها عجز العقول وجهالتها عن درك كيفية العقول ومائيتها لان العقول
لا تعرف كيفية انفسها ولا مائيتها وتعرف محاسن الاشياء ومقابحها فقد عرفنا الالوهية له وحسن العبادة له
وقبحها لغيره والثاني بما يوجد في جميع الخلائق من آثار الوهيته وربوبيته وجعل العبادة له شكرا له وعلى ذلك
في كل جارحة من جوارح الانسان عبادة شكرا له لما فيها من آثار الوهيته والثالث لسمع انبائنا ان لا معبود الا الله
ولا الوهية لسواه دونه فذلك معنى ما فرض على خلقه وامرهم ان لا تعبدوا الا اياه وتاويل حكم ربك الا اياه لما انشأ
في خلقه كل احد آثار وحدانيته وشهادة ربوبيته واستحقاق العبادة له فذلك تاويل من قال فقضى اي حكم
واما تاويل من قال اي امر ربك وكلفنا ان لا تعبدوا الا اياه يكون فيه امر بالعبادة له والنهي عن عبادة غيره
كانه قال امر ربك ان اعبدوه ونهاكم ان تعبدوا غيره ثم الفرق بين الطاعة والعبادة يجوز ان يطاع غيره
ولا يجوز ان يعبد غيره لان الطاعة هي الايتمار كقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي ايتمروا
واما العبادة هي الاستسلام والخضوع له والشكر له ولا يجوز ذلك لغير سوى الله وان يكون في العبادة معنى
لا يدرك كمعنى الرحمن لا يدرك حيث لم يجوز تسمية غيره به فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل
وبالوالدين احسانا كانه قال وفرض عليكم ايضا وحكم لحسان الوالدين ثم الاحسان في عرف الناس هو الفعل الذي
ليس عليه انما هو فضل ومعروف يصنعه الى غيره هذا هو الاحسان في العرف واللغة لكن المراد من الامر بالاحسان الى الوالدين
هو الشكر لما ذكرنا من الاحسان المعروف عند الناس وهو ما ذكر في اية اخرى ان اشكر لي ولوالديك لان الشكر
هو المكافاة والجزاء لما انعم وصنع من المعروف فهو والله اعلم وان ذكر الاحسان في هذا وفي غيره من الآيات وهو قوله
ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وقال في اية اخرى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا
وغيرها من الآيات فالمراد منه والله اعلم الشكر لهما لما ذكر في اية اخرى ان اشكر لي ولوالديك والشكر هو المكافاة
امر ان يكافيهما ويجازي ببعض ما كان منهما اليه من التربية والبر والعطف عليه والوقاية من كل سوء ومكروه
في البطن وبعد ما خرج من البطن حتى كانا يؤثرانه على انفسهما في السرور ويجعلان انفسهما وقاية له من كل سوء ومحذور
فامر الولد ان يشكر لوالديه جزاء ومكافاة لما كان منهما اليه مما ذكرنا هذا ذكر في الحال التي عجزا هما عن القيام
لامر انفسهما والحوائج لهما وذلك والله اعلم لانهما اذا كانا قويين قادرين لحوائج انفسهما ومنافعهما يبران ولدهما
ويحسنان اليه فيحمل برهما واحسانهما اليه على الطاعة لهما في البر والاحسان اليهما على المجازاة وهكذا المعروف
عند الناس انه اذا بر بعضهم بعضا يبعث ذلك على المكافاة ليدوم ذلك بينهم وان لا ينقطع لذلك ذكر والله اعلم
الاحسان الى الوالدين في الحال التي هو حال ضعف وعجز حيث قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما
ثم امر ان يذكر الحال التي هو عليها وهو حال طفوليته وصغره ان كيف ربياه وبراه وعطفا عليه ولا نالاه قولا وفعلا
حتى لم يستقذرا منه شيئا ما يستقذر الناس بعضهم من بعض ولم يبعداه منهما ما يبعد الخلق بعضهم من بعض
من انواع الاذى والخبث فامر ان يعاملهما اذا بلغا الحال التي كان هو عليها من الجهل والضعف والعجز عن القيام
بالحوائج على ما كان هو وبلغا المبلغ الذي يستقذر منهما ويبعد عنهما اي لا يستقذر هو منهما ولا يبعد عنهما كما لم يستقذرا

منه

منه ولا ينهرهما عند السؤال والحاجة اليه كما لم يفعلا هما له بل يلين ويذل كما لانا هما له وخضعا
وهو ما قال والله خلقكم ثم يتوفاكم الاية وقال في اية اخرى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف
قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اخبر انه يرد من بعد القوة والعلم الى الحالة التي كانوا عليها وهو
حال الضعف والجهل حيث قال والله اخرجكم من بطون امهاتكم الاية وقال خلقكم من ضعف الاية
فقال فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقال بعضهم قوله فلا تقل لهما اف هو كناية عن اظهار الكراهة لهما
في الوجه ولا تنهرهما اي لا تعنفهما في القول والكلام على ما لم يفعلا هما بك وقال بعضهم اف المراد منه
هو اف لا غير ولا تنهرهما اي لا تعنفهما ولا تخشن لكنه ذكر اول حال الاستثقال والكراهة منه
وآخرها اي لا تقل لهما اف على ما يستثقل الناس شيئا ويكرهون في اول حال يرون شيئا مستثقلا
مكروها يقولون اف اي لا تقل اف فيما يحمل ذلك على العنف والخشونة والنهر وعلى هذا المعنى قالوا في قوله
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الاية قال بعضهم يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم لان النظر يحمله على الزنا في الفرج ومنه يكون بدء الفجور وقال بعضهم قوله يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم ذكر اول حال وآخرها ليمتنعوا عن كل ذلك فعلى ذلك قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما
ذكر اول الحال وآخرها والثاني اي لا تظهر في وجهك من الكراهة والاستثقال ليحمل ذلك على العنف والانتهار
فان كان تاويل قوله اف لا غير ففيه حجة لابي حنيفة رحمه الله في قوله اذا نفخ المصلي في موضع سجوده
هو كلام يقطع صلوته قال فلا تقل لهما اف اي لا تتكلم به والله اعلم وقوله عز وجل وقل لهما قولا كريما
حيث نهاه ان يقول لهما ونهاه ان ينهرهما فاذا امتنع عن الاف والنهر كان بعد ذلك قولا لينا لطيفا
قال ابو عوسجة يقال نهرته وانتهرته وهو الخشن من الكلام شبه الوعيد وقال ابو بكر الكيساني الكريم
هو الذي يتولى على آخر نعمه ويهنيه بترك الاذى والمن كقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال غيره
في وصف السخي فقال الذي يبذل لما احتوى عليه لمن احتاج اليه وقطع طمعه عما احتوى عليه غيره عند حاجته
اليه ويشبه ان يكون الكريم قريبا منه فان قيل ان الوالدين كالمجبولين المطبوعين على البر لاولادهما والشفقة
عليهم ولا كذلك الاولاد فكيف يشبه بر من كان مجبولا به مطبوعا عليه بر من لم يكن ذلك بطبعه قيل لذلك
ذكر هذا في الولد دون الوالدين وامرهم بذلك لان ما يفعل الوالدان من البر والاحسان الى الولد يفعلان
بطبع والولد لا لذلك كان ما ذكر والله اعلم وهذا ما لم يجعل ولم يشرع قتل الوالد بولده اذ القصاص جعل
حيوة بينهم وجعل قتل الولد بوالديه اذ في الوالدين من الشفقة والرحمة ما يمنع قتل الولد وليس في الولد
ذلك فجعل في قتل الولد والده القصاص ولم يجعل في قتل الوالدين ولدهما فعلى ذلك هذا في البر والاحسان
فان قيل ما الحكمة فيما قرن الله من شكر والديه شكره في غير آي من القرآن اشكر لي ولوالديك قيل لانهما
كانا سببا وجوده من اول حاله الى آخر ما انتهى اليه من التغذية والتربية والوقاية من كل سوء والحفظ عن كل آفة وشر
وفي الاية دليل لقول ابي حنيفة حيث قال في المكاتب اذا اشترى والده او امه صار مكاتبا مثله واذا اشترى
اخاه او ذا رحم محرم منه لم يصر مكاتبا لان الاب والام يصيران كذلك بحق الجزاء والشكر فعليه ذلك
واما الاخ وغيره من المحارم بحق المعروف فلكه لا يحتمل ذلك والخطاب من الله وان كان مع رسوله فالمراد منه
غيره لان رسول الله معلوم انه لم يدرك والديه في الوقت الذي ارسل اليه وخاطبه بما خاطب دل انه اراد
بالخطاب غيره كل من يحتمل ذلك وهو موهوم منه وامر ان يعاملهما بالمعاملة التي ذكر والله اعلم وقوله
عز وجل واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يحتمل ان يكون الجناح كناية عن اليدين لان اليدين في الانسان
بموضع الجناح للطاير وموضع الطاير يداه فكانه قال اخفض واخضع لهما بيدك كما امر ان يخضع لهما
بلسانه بقوله وقل لهما قولا كريما اي اخضع لهما قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الجناح كناية عن النفس

اى اخضع لهما بجميع النفس والجوارح وقوله الذل يحتمل ان يكون المراد من الذل الذل نفسه اى كن لهما
كالمستعين المحتاج اليهما لا كالمعين لهما قاضى الحاجة ولكن ذليل كالمستعين من الاخر رافع الحاجة اليه
ويحتمل ان يكون الذل كناية عن الرحمة التى تكون فى القلب اى اخضع لهما برحمة القلب والجوارح جميعا الا ترى
انه قال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اى رحماء على المؤمنين اشداء على الكافرين الا ترى انه قال فى اية اخرى
اشداء على الكفار رحماء بينهم ذكر مقابل الذل فى تلك الاية الرحمة فى هذا ومقابل العز الشدة فعلى ذلك
يحتمل ان يكون قوله جناح الذل كناية عن الرحمة فيكون معناه ان اخضع لهما بالظاهر والباطن جميعا على ما ذكرنا
فى قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما والله اعلم وقوله عز وجل وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا قال بعضهم
رب ارحمهما كما ربيانى اذ ربيانى صغيرا ويحتمل ان يكون على الاضمار فيكون والله اعلم كانه قال رب ارحمهما
كما رحمانى وربيانى صغيرا وقول اهل التاويل ان هذا منسوخ نسخه قوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين الاية بعيد وامكن ان يكون الاية فى المؤمنين والكافرين فالرحمة التى ذكر تكون فى الكافرين سؤال
الهداية لهم وجعلهم اهلا للرحمة والمغفرة جايز كقول نوح لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا اى استهدوا
ربكم فيهديكم فيغفر لكم ما كان منكم انه كان لم يزل غفارا اذ لا يحتمل ان يامرهم بالاستغفار ويعدهم
بالمغفرة على الحال التى هم عليها وكذلك استغفار ابراهيم لابيه او ان يكون من الرحمة التى يتراحم
بعضهم لبعض والشفقة التى تكون بين الناس كما يتراحم الصغار والضعفاء ثم مثل هذه المعاملة التى
امر الولد ان يعامل ابويه يلزم المؤمنين من جهة الدين ومكارم الاخلاق ان يعامل الناس بعضهم بعضا
غير ان هذا فيما بين الناس ليس بفرض لازم وذلك فرض لازم لانها بحق الشكر والجزاء لهما بما كان منهما
اليه من البر والاحسان وحق التربية او التعظيم حقهما وجليل قدرهما وخصوصيتهما وهو كما قال لرسوله واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والا فقد وصف المؤمنين يتراحم بعضهم على بعض رحماء على ما ذكر بينهم وامرهم
بذلك وقوله عز وجل ربكم اعلم بما فى نفوسكم وهو كما قال عيسى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما تفعله نفسى ولا اعلم
ما فى نفسك من التدبير والتقدير ففعل ذلك هذا وجايز ان يكون قوله ربكم اعلم بما فى نفوسكم صلة قوله فلا تقل لهما
اف الاية اى ربكم اعلم بما فى ضميركم من الاستقذار اياهما والاستثقال والكراهة اذا بلغا المبلغ الذى
ذكر ولكن لا تظهر ذلك لهما ولا توافق ظاهرك باطنك او ان يقول ربكم اعلم بما فى نفوسكم ولا يعلم غيره
ما فى نفوسكم فلا يرون الناس ولا تصرفوا ما فى ضميركم الى من لا يعلم ذلك يخاطب الكل على الابتداء ان يجعل
ما فى قلبه لغيره بل يخلصه له او ان يكون قوله ربكم اعلم بما فى نفوسكم اى ما تفعله انفسكم وتدبر وقوله
عز وجل ان تكونوا صالحين اى تصيروا صالحين لان قوله تكونوا انما هو حادث الوقت وقوله عز وجل
فانه كان للاوابين غفورا اى فانه لم يزل غفورا للاوابين ولمن شاء ثم اختلف فى الاواب قال بعضهم الاواب
الرجاع التواب وهو قول ابى عوسجة وقال القتبى الاواب التايب مرة بعد مرة وهو من اب يؤب اى رجع وهما
واحد وقال بعضهم الاواب المطيع وقيل المسبح ونحوه وقال ابو عوسجة فى قوله واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة اى لن لهما وارفق بهما ذكر بر اللسان للوالدين ولطفه اياهما قولا وفعلا وليس فى ظاهر الاية
ذكر البر بالمال والانفاق عليهما فيشبه ان يكون ذلك داخلا فى قوله وبالوالدين احسانا ولم يذكر ذلك
لما ان مال الولد مال لهما الا ترى الى ما روى عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم
ومعه ابوه فقال يا رسول الله ان لى مالا وان لى ابا وله مال وان ابى يريد ان ياخذ مالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم
انت ومالك لابيك ولا ترى ايضا انه اضاف بيوت الولد اليهما حيث قال ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباءكم
قوله من بيوتكم معناه بيوت ابنائكم وقال بعضهم فى قوله انه كان للاوابين غفورا انه صلوة الضحى
ويروى فى ذلك خبر روى زيد بن ارقم قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم على قوم وهم يصلون الضحى

فقال صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال وفى خبر اخر عن ابى هريرة رضى الله عنه قال امرنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بثلاث امرنى ان اصوم ثلاثا فى كل شهر وان لا انام الا على وتر وان اصلى ركعتى الضحى فانها
صلوة الاوابين وقد روى احاديث كثيرة فى الحث على صلوة الضحى وفعلها وانه صلى هو ركعتين واربعا وستا
وثمانيا ما يكثر ذكرها ويطول ومن صلاها فانما صلاها على سبيل التطوع ليس على سبيل اللزوم او السنة المؤكدة
لان النبى صلى الله عليه وسلم صلاها مرة وتركها مرة فكان كصلوة الليل بعد ذلك فاعلها الفضل وقوله عز وجل
وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل كان الاية هى صلة قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الا تعبدوا
وبالوالدين احسانا اى وقضى ايضا ان تؤتى ذا القربى حقه ومن ذكر اى فرض وحتم وحكم على اختلاف ما قالوا وهو
كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى الاية امر عز وجل ببر الوالدين لله
والشكر لهما وصلة ذى القربى فريضة ومن ذكر ثم اختلفوا فى قوله قال بعضهم ذلك الحق فريضة وهو الزكوة
حيث جعل ذلك صلة ما هو فرض وهو الشكر لله وجعل العبادة له وشكر الوالدين جزاء لما كان منهما اليه
وقد ذكر ان ذلك فرض لازم فعلى ذلك صلة هؤلاء اذ صلتهم فريضة لما جاء من المواعيد الشديدة فى قطع الرحم
والترغيب فى صلتهم ومنهم من قال ذلك الحق نفل الا ترى انه قال ولا تبذر تبذيرا ولا تبسطها كل البسط
وقال واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فلا يحتمل ما ذكر من الاعراض عنهم ابتغاء رحمة ربك ترجوها
فى الفرض دل انه فى النفل والله اعلم وقوله عز وجل ولا تبذر تبذيرا قال بعضهم التبذير والاسراف واحد وهو
المجاوزة عن الحد الذى جعل فى الانفاق والحقوق والمجاوزة عن الحق غير الحق وروى عن ابن مسعود انه سئل
عن التبذير فقال الانفاق المال فى غير حقه وكذلك قول ابن عباس رضى الله عنه وقال بعضهم التبذير هو الانفاق
فيما لا ينتفع به ويحتمل ما ذكرنا انه يترك الانفاق على الحق وهم ذوو القربى وينفق على الاجنبيين وقوله
عز وجل ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اى كانوا اولياء الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا اى كفورا
لنعم ربه وقوله عز وجل واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها عن الحسن قال كان النبى صلى الله
عليه وسلم يسال فيقول ما لال محمد وانهم لتسعة اهل ابيات الا صاع من طعام فانزل الله تعالى فقل لهم
قولا ميسورا اى عدهم ان سوف ياتى بالرزق وعن ابن عباس رضى الله عنه قال فى قوله واما تعرضن عنهم
اذا سالوك وليس عندك شئ انتظرت رزقا من الله ياتيك فقل لهم قولا ميسورا يكون ان شاء الله شبه العدة
وامثال لهذا قالوا ويحتمل قوله واما تعرضن عنهم اعراض الوجه ويحتمل اعراض الوجه ويحتمل اعراض الاجابة
فذلك يكون بالاستثقال والاستخفاف مرة ولما ليس عنده شئ يعطيهم ثانيا لكن لا نعرف ان الاعراض كان
للاستثقال والاستخفاف ولما ليس عنده ما يعطيهم فامر ان يبين لهم ان الاعراض عنهم ليس للاستثقال
والاستخفاف وكذلك ترك الاجابة لهم ولكن لما ليس عنده شئ ليعلموا ان الاعراض عنهم ليس للاستخفاف
ولا للاستثقال ولكن لما ليس عنده ما يعطيهم او يطلب ما يعطيهم وهو ما قال فقل لهم قولا ميسورا جمع اهل
التاويل ان هذا الاعراض هو السؤال لانه كان يعرض عنهم لابتغاء ما يعطيهم فذلك الاعراض يرجع منفعته الى السؤال
ثم اختلفوا فى قوله ميسورا قال بعضهم عدهم عدة حسنة اذا كان ذلك اعطيناكم وقال بعضهم
اى عدهم خيرا وقال بعضهم قل لهم قولا لينا وسهلا وقال ابو عوسجة ميسورا اى حسنا وهو من التيسير
ونحو ذلك قالوا اى رد عليهم ردا حسنا ليقع عندهم ان الاعراض لما ليس عنده شئ لا لوجه اخر وقوله عز وجل
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فى الانفاق اذا كان عندك ولا تبسطها كل البسط فيلومك من رجاك ولكن لما قال
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا والاية امر الله ان ينفقوا نفقة ليس فيها سرف ولا اقتار وهو قول ابن عباس
رضى الله عنه وغيره وقال بعضهم لا تمسك عن النفقة فيما امرك ربك به عن الحق ولا تبسطها كل البسط فيما نهاك عنه
فتقعد كذا وقال بعضهم هذا نهى عن البخل والسرف فلئن كان هذا نهيا عن البخل كان قوله ولا تبسطها كل البسط

نهيا من الجود وَلا يحتمل ان ينهى احداً عن البخل والجود لانهما غريزتان طبعيان ولا ينهى احد عما كان سبيله
الطبع والغريزة ولكن ما ذكرنا والله اعلم من كف اليد وقبضها عن الانفاق في الحق والحقوق وبسطها في غير الحق وذي الحق
وقال ابو بكر الاصم دل قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ان قول اليهود يد الله مغلولة انهم لم يريدوا
حقيقة اليد ولكن التضييق والتقتير وكذلك لم يرد بقوله بل يداه مبسوطتان حقيقة بسط اليد ولكن اراد التوسيع
في الرزق والتكثير الا ترى انه قال ينفق كيف يشاء ثم يحتمل الخطاب في هذه الآيات اوجه الثلاثة التي ذكرنا
فيما تقدم في غير موضع احدها انه خاطب رسوله بذلك كله وشارك فيه قومه وفي القرآن كثير انه خاطب
رسوله باشياء فيشرك قومه في ذلك والثاني خاطب كلا في نفسه نحو ما ذكرنا في قوله يا ايها الانسان ويا ايها الناس
وقوله قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ونحوه من الخطابات خاطب كل احد في نفسه
اذ لا يحتمل ان يخاطب في قوله قل هو الله احد رسول الله خاصة ولا يخاطب غيره بل الخطاب به كل الناس وكل انسان
والثالث خاطب رسوله على ارادة غيره على سبيل الخصوصية له نحو ما يخاطب ملوك الارض خواصهم واعقلهم
من رعيتهم على ارادة ذلك الخطاب غير المخاطبين فعلى ذلك يحتمل هذا او ان يكون خاطب بقوله ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك غيره ممن يمسك ويخاطب بقوله ولا تبسطها كل البسط رسول الله لانه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يحتمل ان يكون ما ذكر وقد يحتمل البسط لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فتقعد ملوما
محسورا يحتمل قوله ملوما عند نفسك وعند الناس تلوم نفسك بانك لم انفقت وعند الناس لما لم تجد
ما تنفق عليهم وعند الله ايضا اذا انفقت في غير حق محسورا قال القتبي اي تحسرك العطية وتقطعك كما يحسر السير
البعير فيبقى منقطعا وقال ابو عوسجة هو من الحسرة وهي الندامة يقال حسر الرجل فهو محسور وقال التدبير
الفساد وملوما اي مغموما محزونا وقوله عز وجل ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي هو يوسع الرزق
على من يوسع وهو يقتر ويضيق على من يضيق ويقتر اي ذلك الى الله لا الى الخلق ليقطعوا الرجاء من الخلق
ويروا ذلك من الله لا يرون من غيره والثاني ذكر هذا ليذم الفضل لمن ذكر الفضل ويتبين لهم حيث
قال انظر كيف فضلنا بعضهم وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ومن الناس من قال بان قوله ان ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر صلة قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط يقول
والله اعلم انك ان منعته وحرمته وكان في تقدير الله التوسيع عليه والبسط لم يضره منعك ولا حرمانه
ولو وسعت عليه وبسطت وكان في تقديره التضييق والتقتير لم ينفعه بسطك ولا توسيعك ليعلموا
ان التوسيع والبسط والتضييق والمنع من الله او ذكر ليقطعوا الرجاء من الخلق ويطمعوا في رحمته وفضله
والله اعلم وقوله عز وجل انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي عالما يا عالما لهم بصيرا بمصالحهم وما لهم
وما عليهم او ان يكون الخبير والبصير واحدا وذكر هذا ليعلم انه على علم بما يكون منهم انشاهم من
من الخلاف لامره والرد والتكذيب لرسله ولم يخرج فعله وانشاؤه اياهم على علم بما يكون منهم عن الحكمة
لانه لا منفعة له في طاعتهم اياه وايتمارهم ولا مضرة عليه ولا تبعة في خلافهم اياه بل المنفعة والمضرة
في ذلك راجعة اليهم لذلك كان انشاؤه اياهم على علم بما يكون منهم حكمة ومن ملوك الارض
سفاهة وجهلا لان ما يؤملون من الرسل ويهابون من الاعمار ويسعون لمنافع اولادكم ولدفع مضارهم
فاذا فعلوا شيئا يضرهم على علم منهم بالضرر كان ذلك سفها والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق قال ابو بكر الاصم ان من عادة العرب انهم كانوا يقتلون البنات ويقتلون
البنين اذا صاروا بحيث لا ينتفعون بهم ويقتلون الآباء والامهات اذا بلغوا ارذل العمر فنهى الله
اهل الاسلام عن الاستنان بسنتهم وامران يبروا الآباء والامهات اذا بلغوا ذلك المبلغ وهو ما قال
وبالوالدين احسانا اما يبلغان عندك الكبر احدهما او كلاهما الى آخر ما ذكر وفي قتلهم كانوا يقتلون

من البنات

من البنات قطع التناسل والتوالد الذي كان المقصود من انشاء هذا العالم ذلك والمقصود من انشاء العالم
هذا الذي ذكرنا وفي قتل البنات قطع ذلك وذهاب المقصود من انشائه ثم قال نحن نرزقهم واياكم اي هم
لا ياكلون من رزقكم بل لكل منكم رزق على حدة ليس في بقائهم نقصان من رزقكم ولا فنائهم بل كل ياكل رزقه
اولا ترون انه قد انشا لهم رزقا لا شركة لكم فيه وهو ما انشا لهم من اللبن في الضرع ولا تنتفعون انتم به
فظهر ان كلا ياكل رزقه لا يدخل بعض في رزق بعض نقصانا ثم قال ان قتلهم كان خطأ كبيرا اي ان قتلهم
في العقول كان خطأ كبيرا لما ذكرنا ان في قتلهم قطع ما به قصد في انشاء هذا العالم وفنائه او يقول
ان قتلهم كان خطأ كبيرا في الامم الخالية ويشبه ان يكون خطاب ما خاطب في هؤلاء الآيات من قتل
الاولاد والزنا وقتل النفس بغير حق وغير ذلك مما تقدم وما تاخر لوجهين احدهما ما كان للعرب افعال
وعادات السوء مما يخرج على السفه والقبح في العقل خارجة عن الحكمة نهاهم عن ذلك والثاني ذكر هذا
ونهى لما علم انه قد يكون في خلقه ان يفعل ذلك خشية ما ذكر ويحملهم ذلك على ما ذكر والله اعلم وقوله
عز وجل ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا اي في العقل كان وقت ما كان فاحشة لان في اباحة
الزنا ذهاب المعارف التي بها يوصل الى الحكمة والعلم او كان فاحشة في الحكمة الا ترى انه قال ان الله لا يامر بالفحشاء
دل قوله ان الله لا يامر بالفحشاء على ان هنالك فحشاء قبل الامر في الحكمة او في العقل حتى قال لا يامر بالفحشاء
اذ لو لم يكن لكان قال لا يامر حسب وفي اباحة قتل الانفس ذهاب ما به قصد من انشاء العالم اخبر عز وجل في قتل
الاولاد انه كان خطأ كبيرا وهو ما يعظم في العقل وذكر في الزنا فاحشة وهو ما يفحش في العقل والحكمة وذكر
في قتل النفس الاسراف وقال فلا يسرف في القتل والاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له ويحتمل
قوله ولا تقربوا الزنا اي لا تزنوا فانه كان فاحشة ويحتمل لا تقربوا الاسباب التي بها يوصل الى الزنا وقوله
عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق والحق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يحل دم امرئ مسلم الا في ثلاث كفر بعد اسلام او زنى بعد احصان او قتل نفس بغير حق حرم الله قتل
النفس بغير حق اذ في اباحته ذهاب ما قصد من انشاء العالم وفي التحريم حيوة الانفس وفي اباحة الزنا
ذهاب المعارف وجهالتها وفي تحريمه حيوة المعارف وابقائها والوصول الى الحكمة والعلوم التي
يطلب بعضهم من بعض اذ لا يعرف اهل الحكمة من غيرهم ففي ذلك ذهاب العلوم والحكمة وفي القتل على الدين
اذا استبد له حيوة الدين لان من تفكر قتل نفسه اذا ترك الدين اعني دين الاسلام ورجع عنه لم يترك دينه
الاسلام ومن تفكر رجمه بالزنا امتنع عن الزنا وتركه ومن تفكر انه يقتل اذا قتل غيره امتنع عن قتله ولذلك
قال ولكم في القصاص حيوة فان قيل في المرأة اذا ارتدت عن الاسلام انها لا تقتل قيل لانه ليس في قتلها حيوة
الدين لان النساء اتباع للرجال في الدين لانهن يسلمن باسلام ازواجهن ويصرن ذمة بذمة الازواج فاذا كان
كذلك فليس في قتلهن حيوة الا ترى انه روي ان فلانا اسلم واسلم معه كذا كذا نسوة والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق والحق ما ذكرنا وقوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله يحتمل بالاسلام
او بالذمة باعطاء الجزية والا بالحق ما ذكرنا وقوله عز وجل ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
قيل سلطانا اي تسلطا وقهرا وقال بعضهم سلطانا اي حجة على القتل فيما يستوجب به القصاص ثم ذكر انه جعل
لولي القتيل سلطانا ولم يذكر اي ولي فيشبه ان يكون المراد من الولي الذي يخلف الميت في التركة وهم الورثة اذ هو
حق كغيره من الحقوق فذلك الى الورثة فصار ذلك حق الدم فكانه قال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لورثته سلطانا
اي حجة فيما يستوجب وفي ظاهر هذه الآية دلالة ان الواحد من الورثة القيام باستيفاء الدم اذ لو كان
للكل الاستيفاء لدخل في ذلك الاسراف الذي ذكر فلا يسرف في القتل اذ لو ضرب كل الورثة لصار في ذلك
مثله وقد نهوا عن ذلك فاذا كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالة لقول ابي حنيفة رحمه الله حيث قال ان الورثة

اذا كان بعضهم وبعضهم كبارًا للكبار ان يقوموا بالاستيفاء دون ان ينتظروا بلوغ الصغار والله اعلم وقوله
عز وجل فلا يسرف في القتل قال بعضهم لا يقتل غير قاتل وليه اذا كان من عادة العرب قتل غير القاتل
وقال بعضهم فلا تسرف في القتل اي في القتل الاول حيث قتل نفسا بغير حق فذلك اسراف كما قال من قتل نفسا
بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله فلا يسرف في القتل هذا يحتمل ان يكون خاطب به
ولي القتيل فقال فلا تسرف في القتل اي لا تجاوز الحد الذي جعل له على ما روي اذا قتلت فاحسن القتل والثاني
خاطب به القاتل يقول لا تقتل فانه اسراف والله اعلم وقوله عز وجل انه كان منصورا قال بعضهم ان المقتول كان
منصورا بالولي ينصره الولي بقوله فقد جعلنا لوليه سلطانا ويحتمل منصورا بالمسلمين اي على المسلمين
والحكام وغيرهم دفع ذلك القتل عنه هذا على تاويل من يتاول في قوله فلا تسرف قتل غير قاتل وليه او يزيد في
جراحاته ويمثل مثلا يقول احذر واذلك فان على المسلمين دفع ذلك عنه او كان منصورا في الآخرة وفي ظاهر
هذه الآية دلالة ان القصاص واجب بين الاحرار والعبيد وبين اهل الاسلام واهل الذمة لان الله عز وجل
قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فكانت انفس اهل الذمة والعبيد داخلة في هذه الآية لانها محرمة
وفيه ما ذكرنا ان للكبير من الورثة قتله وان كان فيهم صغار وروي ان الحسن بن علي رضي الله عنهما قتل قاتل ابيه
فلانا وفي الورثة صغار لم يدركوا يومئذ ويحتمل ان يكون انه كان منصورا في ظاهر هذا ان القاتل هو كان منصورا
ولم يقتل هو منصور فجايز ان يقول كان منصورا قبل قتل هذا اذا كان على المسلمين نصرة فلما قتل كان غير منصور
الا ان يقال ان الولي صار منصورا وذلك جايز وقوله ولا تقربوا الزنا يحتمل النهي عن نفس الزنا ويحتمل اسباب الزنا
من نحو القبلة والمس وغيره على ما ذكر العينان تزنيان واليدان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله او يكذب وقوله
عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن قوله احسن اي افعل فان كان في الاشكال فهو على غاية الحسن وان كان
في الجوهرين فهو على طلب الحسن كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي اتبع ما هو طاعة كانه قال ولا تقربوا
مال اليتيم الا ما هو خير له وحسن وهو ما قال ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا يقول لا تاكلوا اسرافا وبدارا
ولكن اقربوا ما هو خير له وان كان على طلب الغاية من الحسن فهو ما قال ابو حنيفة رحمه الله اذا قرب مال اليتيم لمنفعة
نفسه فلا يقربه الا لمنفعة حاضرة لليتيم لا يقرب ماله لمنفعة مرجوة واذا قرب مال اليتيم لليتيم فانه يجوز
ان يقربه لمنفعة مرجوة له وان لم يكن فيه منفعة حاضرة وقد ذكرنا تاويله وما فيه من الدلالة لقول ابي حنيفة
فيما تقدم في سورة الانعام ثم من الناس من احتج بهذه الآية لقول ابي حنيفة حيث قال ان للوصي ان يبيع
مال اليتيم من نفسه اذا كان خيرا له لان له ان يبيع من غيره بمثل قيمته فدل ان ذكر الخير لما ذكر بيع من نفسه
وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن كانه على الاضمار اي لا تقربوا مال اليتيم الا بالوجوه التي هي احسن له
وانفع له وهو الحفظ له وطلب الربح والنماء والله اعلم وقوله عز وجل حتى يبلغ اشده اي حتى يستحكم عقله ويتم
تدبيره في ماله وامره فعند ذلك يكون الامر اليه وليس فيه انه لا يكون بعد ذلك الامر الى الوصي ان كان ولكن باذنه
يبيع ويشتري وقوله عز وجل واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا يحتمل ان يكون قوله بالعهد العهود والمواثيق
التي بين الناس امروا بوفاء ذلك ويحتمل الامر بوفاء العهد ما ذكر في هذه الآيات من الامر والنهي من نحو ما قال
وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الى هذا الموضع اي واوفوا بذلك فان ذلك كله كان مسئولا
يسال عنه وفاؤه كان ذلك نقضا وقال بعضهم ان العهد كان مسئولا اي ناقض العهد كان مسئولا ثم ان العهد
على وجوه احدها عهد خلقة او العهد الذي اخذ عليهم على لسن الرسل والعهد الذي يجري بين الناس والله اعلم
وقوله عز وجل واوفوا الكيل اذا كلتم امرهم بتوفير الكيل اذا كالوا والوزن اذا وزنوا لهم وايفاء حقوقهم وهو ما قال
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ان من عادتهم اذا كالوا او وزنوا بخسوا الناس
اشياءهم وطربوا واحقوقهم فنهاهم عن ذلك واوعدهم بالوعيد الشديد وهو قوله ويل للمطففين الذين

اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ذكر تخصيص الكيلي والوزني من بين ساير
الاشياء يحتمل وجهين احدهما لما بهما يجري عامة معاملة الناس فامرهم بالايفاء ذلك والثاني لخوف الربوا لان الكيلي
والوزني هما اللذان يكونان دينا في الذمة فاذا اخذ شيء منهما اخذ عما كان دينا في الذمة فاذا نقص او زاد فيكون ربوا
لذلك خصوا ان كان غيره من الاشياء يؤمر بالايفاء وقوله عز وجل وزنوا بالقسطاس المستقيم قال بعضهم
القسطاس حرف اخذ من الكتب السالفة ليس بعربية وقال بعضهم هو العدل اي زنوا بالعدل وقال بعضهم هو الميزان
كقوله واوفوا المكيال والميزان بالقسط وقال بعضهم القسطاس القبان فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا من الامر
بتوفير الكيل والوزن والايفاء لحقوقهم والنهي عن البخس والنقصان وقوله عز وجل ذلك خير واحسن تاويلا
يحتمل قوله ذلك خير ما ذكر من توفير الكيل والوزن وايفاء الحقوق خير في الدنيا لما فيه امنهم من الناس واحسن
تاويلا اي احسن عاقبة في الآخرة ويحتمل قوله ذلك ما ذكر في هذه الآيات من اولها الى آخرها اذا عملوا بها خير لهم
في الدنيا واحسن تاويلا اي عاقبة وقوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم قيل لا تقف اي لا تقل وقيل لا تتبع
لا ترم وقيل لا تتبع فكيف ما كان ففيه النهي عن القول والرمي فيما لا علم له به ولا ترم ما ليس لك به علم ولا تقل ما ليس لك به
علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا قال بعضهم كل اولئك يعني السمع والبصر والفؤاد يسال
عما عمل صاحبه كقوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم الآية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
يسال هؤلاء عما عمل صاحبها فيشهدون عليه وقال بعضهم هو عن كل اولئك كان مسئولا اي يسال المرء عما استعمل
هذه الجوارح وانه فيم استعملها وقال بعضهم قوله كل اولئك يعني الخلايق جميعا عنه يعني عما ذكر من السمع والبصر
والفؤاد مسئولا وقال بعضهم في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم يقول لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت
ولم تعلم ومنهم من قال في شهادة الزور فان احتج محتج بهذا في ابطال القياس والاجتهاد فيقول اذا قاس الرجل فقد قال
ما ليس له به علم لكن ليس كذا لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تكلموا في حوادث بارائهم وشاوروا في امورهم وولي
ابو بكر وعمر رضوان الله عليهم الخلافة بغير نص من الرسول عليها وجعلها عمر شورى بينهم ولم يرو ذلك عن النبي
صلى الله عليه وسلم ولا نقول انهم فعلوا ذلك بغير علم ولا قالوا ما لا يعلمون فدل لما ذكرنا ان معنى قول الله ولا تقف ما ليس لك به
علم ليس يدخل فيه الاجتهاد في الاحكام وتشبيه الفرع الحادث بالاصل المنصوص عليه والله اعلم وقال القتبي حتى يبلغ
اشده اي يتناهى في الثبات الى حال الرجال ويقال ثماني عشرة سنة وقال اشد اليتيم غير اشد الرجل في قوله حتى اذا بلغ
اشده وبلغ اربعين سنة والاشد ما ذكرنا من استحكام عقله وتدبيره الى ان لا يؤخذ بالنقصان وهو ان لجا وزا اربعين
ياخذ في النقصان والى اربعين يكون على الزيادة والنماء ويحتمل قوله ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر
والفؤاد اي لا تقف ما ليس لك علم باسباب العلم وهو ما ذكر من السمع والبصر وجايز ان يكون ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا يسال عن شكر هذه الاشياء او يسال عما اعطي بهذه الاشياء وفي قوله واوفوا الكيل وزنوا
بالقسطاس المستقيم دلالة لتجويز الاجتهاد لانه امر بايفاء الكيل والوزن ولا يقدر على ذلك الا باجتهاد الكايل والوازن
لان كيل الرجل يزيد على كيل غيره وينقص وربما كال الرجل الشيء ثم يعيد كيله هو بنفسه فيزيد وينقص ولا يكاد يستوي
الكيلان وان كانا من رجل واحد وانما تكليف الاجتهاد في كيله وترك التعمد للزيادة او النقصان فيه فاذا فعل ذلك
فقد وفى الكيل وادى الواجب وهذا عندنا اصل الاجتهاد والاستحسان لان الكايل انما يجتهد في توفية الحق ولا يعلم
يقينا انه وفى ما كان عليه من الكيل الذي سماه في العقد فعلى ذلك الاستحسان انما هو اجتهاد العالم في اختيار احسن
ما يقدر عليه اذا لم يكن للحادثة اصل يردها عليه ويشبهها به والله اعلم وقوله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا ليس النهي
عن المشي نفسه انما النهي للمشي المرح ثم النهي عن الشيء يوجب ضده وكذلك الامر ثم ان النهي عن الشيء يوجب الامر بضده
والامر بالشيء يوجب النهي عن ضده وههنا نهى عن المرح فيكون امرا بما ذكر كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض
هونا وقال بعضهم مرحا بطرا واشرا وقيل متعظما متكبرا بالخيلاء وقوله عز وجل انك لن تخرق الارض ولن تبلغ

الجبال طولا قال بعضهم ذكر خرق الارض وبلوغ الجبال طولا لان من الخلايق من يخرق الارض ويدخلها
ويبلغ طول الجبال وهم الملائكة ثم لم يتكبروا على الله ولا تعظموا عليه ولا على رسوله بل خضعوا له فمن لم يبلغ في القوة
والشدة ذلك احرى ان يخضع له ويتواضع ولا يتكبر ويحتمل ان يكون ذكر هذا لما انهم كانوا يسعون في اطفاء
هذا الدين وقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول كانه يقول انكم خرق الارض وبلوغ الجبال طولا لم يهيا لكم
اطفاء دين الله وقهر رسوله وهو ما ذكر ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه ويذكر هذا يقول انك لن تبلغ
بكبرك وعظمتك مرتبة الرؤساء والقادة ومنزلتهم على هذا التمثيل يحتمل ان يخرج والله اعلم يقول انك
لن تخرق الارض اي لا تقدر ان تخرق الارض فتستخرج ما فيها من الكنوز والمنافع فتنتفع بها ولا تقدر ان تبلغ
الجبال طولا فتنتفع بما في رؤس الجبال من المنافع فكيف تتكبر وتمرح على غيرك ومثلك في القوة والشدة
واصل الكبر ان من عرف نفسه على ما هي عليه من الاحداث والآفات وانواع الحوايج لم يتكبر على مثله والله اعلم
وقوله عز وجل كل ذلك اي كل ما امر الله به ونهى عنه في هؤلاء الآيات كان سيئة بالعقل عند ربك
مكروها سيحتاط وفيه دلالة ان الامر الذي امر في هذه الآيات ونهاهم عنه لم يكن امر ادب ولا نهي ادب
ولكن امر حتم وحكم حيث ذكر ان ذلك عند ربك مكروها اذ لو كان ادبا لم يكره اي شيء ما ذكر في هذا مكروه
عند ربك وهو كقوله فيتبعون احسنه اي يسمعون الكل فيتبعون احسنه ويتركون غيره فعلى ذلك الاول
والله اعلم وقوله عز وجل ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي ذلك الذي امر الله به ونهى عنه
في هؤلاء الآيات من الحكمة ليس من السفه اي ما امر فيها هو حكمة وما نهى عنه وقال بعضهم الحكمة هاهنا القرآن
وقوله ذلك اي ذلك الذي اوحى اليك هو حكمة وقال بعضهم الحكمة الاصابة اي ذلك الذي اوحى اليك
صواب وقوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي ما ذكر في هذه الآيات وامر به ونهى عنه هو
من الحكمة والحكمة هي وضع الشيء موضعه يقول الحكمة وضع الشيء كل شيء موضعه لا وضع الشيء غير موضعه
وقوله عز وجل ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا معلوم ان رسول الله لا يجعل معه
الها آخر ان عصمه واختاره لرسالته لكنه ذكر هذا ليعلم انه لو كان منه ذلك فيفعل به ما ذكر فمن هو دونه
احق ان يفعل به ما ذكر وهو ما قال في الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الآية
انه عصمهم حتى اخبر انهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فمن لم يكن معصوما لم يوصف انه لا يسبق بالقول
فعلى ذلك قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما عند الله او عند نفسك او عند الخلق مدحورا
مبعدا مطرودا من رحمته في الناس او خاطب به رسوله واراد به غيره على ما ذكرنا في غير موضع والله اعلم وقوله
عز وجل افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا يخبر من سفه مشركي العرب انهم نسبوا الى الله البنات
والبنين الى انفسهم بقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم البنون ما يشتهون والذي حملهم على ذلك
قول اهل الكتاب حيث وصفوا الله بالولد فرأوا ان ما يكون له الولد يكون له البنات فقال انكم لتقولون
قولا عظيما لم يرد على هذا العظيم ما قالوا في الله فلم يضرب لقولهم ذلك مثلا لما ليس وراء ذلك مثل يضرب
لانه ضرب مثل ما قالوا بالولد له بانفطار السماء وانشقاق الارض وخرور الجبال حيث قال تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا الآية اخبر ان السموات وما ذكر كادت ان تنقلب عن وجهها لعظيم
ما قالوا في الولد من الولد وقال في الشريك ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء الآية فهذا غاية ما ذكر من الامثال
لمن قال له بالولد والشريك فليس وراء هذا يذكر لمن قال له بالبنات ولكن قال انكم لتقولون قولا عظيما لم يرد
على ذلك لان الذي قالوا له ونسبوا اليه نهاية في السفه والسرف في القول تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
او يقول انكم لتقولون قولا عظيما في عقولكم لو تفكرتم وتدبرتم لعلمتم ان ما قلتم في الله سبحانه وتعالى عظيم قال ابو عوسجة
افاصفاكم ربكم اي اعطاكم ربكم يقال اصفيته اعطيته واصفاكم اي اختاركم وقوله عز وجل ولقد صرفنا في هذا القرآن

يذكروا

ليذكروا قال الحسن ولقد صرفنا نقول بينا في هذا القرآن ما ترك بمكذبي الرسل من الامم الخالية بتكذيبهم الرسل
امثر قايمة ليذكروا ما ترك بهم فينتهوا عن تكذيبهم وما يزيدهم ما بينا لهم الا نفورا اي تكذيبا للرسل وقال بعضهم
ولقد صرفنا في هذا القرآن اي بينا في هذا القرآن والآيات التي تقدم ذكرها جميع ما يؤتى ويتقى وما لهم وما عليهم
ليعتبروا به فيؤمنوا وما يزيدهم القرآن الا تباعدا من الايمان به وهو ما ذكر ذلك مما اوحى اليك ربك الآية
وقال بعضهم صرفنا في هذا القرآن من المواعيد الشديدة انه ما ينزل بهم في الآخرة من العذاب والعقوبة بصنيعهم
وتكذيبهم الرسل لكن او لم يؤمنوا بالآخرة لم يزدهم ذلك الوعيد الا نفورا وبعد فان الله قد ذكر في القرآن
المواعظ الكبيرة ما لو نظروا فيه وتأملوا لكانت تمنعهم ويزجرهم عن مثل صنيعهم لكن لم ينظروا اليه للتعظيم
ولكن نظروا اليه بالاستهزاء والاستخفاف به لذلك اضيف زيادة النفور اليه او اضاف ذلك اليه لما لحد
بنزوله الكفر والتكذيب له فاضاف ذلك اليه لما ازدادهم التكذيب وحدث لهم الكفر به اذا نزل
كما كان لاهل الاسلام يزدادهم الايمان واليقين اذا نزل ويجاز ان يكون قوله ولقد صرفنا في هذا القرآن
ليذكروا اي ليشرف اكقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم او ليذكروا ما نسوا وتركوا واغفلوا عنه
ثم قوله صرفنا في هذا القرآن ليذكروا ومعناه والله اعلم انزله ليلزمهم الذكر او ليكون عليهم او ليأمرهم بالذكر وهو
ما ذكرنا في قوله وما خلقت الجن والانس الآية وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اي ليلزمهم العبادة
او ليأمرهم بالعبادة والطاعة او ارسل وخلق لمن علم منه العبادة والطاعة وقوله عز وجل ليذكروا اي
ليكون لهم الذكرى بذلك لانه لا يحتمل ان يبين لهم ويجعل لهم بيانا ليذكروا ثم لا يكون ولكن ما ذكرنا
ليكون لهم الذكرى وقد كانت لكن لم تنفعهم وقوله عز وجل وما يزيدهم الا نفورا ليس القرآن بالذي يزيدهم
نفورا ولكن لما نظروا اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء زادهم بذلك نفورا عندنا وتكذيبا والا القرآن
لا يزيد الا هدى ورشدا على ما وصفه وقوله عز وجل قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا
الى ذي العرش سبيلا قال عامة اهل التأويل الآية في الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها اي لو كانت
هي آلهة معه كما تقولون اذا لابتغوا التقرب والزلفى الى ذي العرش سبيلا وقال بعضهم لو كانت لهم عقول
لابتغت ومكنهما من الطاعة والعبادة اذا لابتغت الى ذي العرش سبيلا بالطاعة له والعبادة وهو ما قال
في الملائكة اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الآية لكن الاشبه ان يكون الله تعالى لا يقول
في الاصنام مثل هذا لو كان معه آلهة انما هي خشب لكن قال فيها ما قال لا تسمع ولا تعقل ولا تبصر وما ذكر في آية
اخرى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وما قال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
الآية مثل هذا يجوز ان يقال في الاصنام واما ما ذكر لو كان معه آلهة كما تقولون الآية معلوم انها يستقبل
الابتغاء الا ان يقال ما ذكر بعضهم اي لو كانت الاصنام التي تعبدونها آلهة على ما تزعمون اذا لابتغوا الى الله سبيلا
بالطاعة لو مكن لهم ذلك وكانوا من اهلها لكن الاشبه ان كان في الذين يعبدون الملائكة على ما تزعمون
اذا لابتغوا الى الله سبيلا ويتخذونهم معبودا او في الثنوية الذين يقولون بالعدد الذين لهم تدبيرا والذين
يقولون بقدم العالم واصوله فهو يخرج على وجوه فنقول والله اعلم لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا
اي اذا لاظهروا دلالة ربوبيتهم والوهيتهم بانشاء الخلايق كما اظهر الله سبحانه الوهيته وربوبيته بانشاء
الخلايق ولم يظهر ممن يدعون لهم الوهية انشاء شيء من ذلك فدل انه ليس هنالك له غيره وقال بعضهم لو كان
معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا اي صاروا كهؤلاء يعني الله اي في الانشاء والافناء والتدبير ومنعوه عن انفاذ
الامر له في خلقه والمشيئة له فيهم واتساق التدبير فاذا لم يكن ذلك منهم دل انه لا اله معه سواه ويكون كقوله ما كان
معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق الآية وقال بعضهم لو كان معه آلهة كما تزعمون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا
في المناصبة والمغالبة اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا في القهر والغلبة على ما عرف من عادة ملوك الارض انه يسعى

كل منهم في غلبة غيره وقهر لحو ويناصبه كقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى
بعضهم من بعض اي غلبت وقهر وناصب ويحتمل غير هذا وهو ان يمنع كل منهم ان يكون لله الواحد بالخلق
دلالة الوهيته وربوبيته وجهة الاستدلال له بذلك فاذا لم يمنعوا ذلك دل انه لا الوهية لسواه وهو الاول
بعينه وقال بعض اهل التاويل لعرفوا فضله ومرتبته عليهم ولابتغوا ما يقربهم اليه وقيل ولابتغت
الحوايج اليه وهذا هو الذي ذكرناه بدءا من طلب الطاعة له وقوله سبحانه نزه نفسه وبراها عما يقول الملحد
فيه ووصفوه بالشركاء والاشباه والولد ومالا يليق به فقال سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ثم قال
تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ثم يحتمل تسبيح ما ذكر وجهين احدهما جعل الله تعالى في خلقه السموات
والارض ما ذكر دلالة على وحدانية الله والوهيته وشاهدة له انه واحد لا شريك له ولا شبيه فان كان
على هذا فيدخل فيه كل شئ ذو الروح وغيره فيكون قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم الكفرة خاصة واما اهل
الاسلام يفقهون ذلك والثاني انه جعل الله في سرية هذه الاشيا ما ذكر من التسبيح والتنزيه لكن لا نفقه
نحن ذلك ولا نفهمه على ما اخبر ولكن لا يفقهون تسبيحهم وهي لا تعرف ايضا ان ذلك تسبيح على ما جعل
في الجوايج والاعضاء تسبيحا وعبادة له وان كانت هي لا تعرف ذلك انه تسبيح والثالث انه جعل صوت هذه
الاشياء تسبيحا له حقيقة على معرفة هذه الاشياء انه تسبيح وان كان لا يعرف ذلك الا الخواص من الناس وهم
الانبياء والله اعلم وقوله عز وجل انه كان حليما غفورا الحليم هو ضد السفيه وهو الحكيم والثاني يقال حليم
ليس بعجول اي لا يعجل بالعقوبة غفورا اذا تابوا او غفورا حيث ستر عليهم فضايحهم الحلم ما ذكرنا ضد السفه والعجلة
ذكرهها على اثر ما ذكر منهم من القول الوحش فيه والعظيم انه حليم ليعلموا انه عن حلم لم يأخذهم بالعقوبة عاجلا
وغفورا ليعلموا انهم وان عظموا القول فيه يغفر لهم ويعفو عنهم ان رجعوا وتابوا فان قال لنا ملحد انكم تصفون
ربكم بالحلم والرحمة ثم تقولون انه يعذب ابدا لابدين في النار ويكون كان منه فاني يكون فيه رحمة وحلم قيل
انكم لا تعرفون ما الحلم وما الرحمة ولو عرفتم ما قلتم ذلك ولو لم يعذب على الكفر ابدا الآبدين لم يكن حليما ولكن سفيها
وكذلك الرحمة وليس خروج الشئ على غير موافقة الطبع بالذي يخرج صاحبه عن حد الحكمة والرحمة فانتم
انما تصورتم الحكمة والرحمة على موافقة طباعكم وليس كذا وكذلك يقال للمعتزلة حيث قالوا انه لا يفعل الا ما هو
اصلح لنا في الدين لانه جواد فلو منع الاصلح والاخير لم يكن جوادا موصوفا بالجود فيقال لهم انكم لستم تعرفون الجود
وانما قدرتم وقلتم على ما وافق طباعكم وانفسكم ولو عرفتم حقيقة بالجود ما قلتم ذا ولا خطر على بالكم شئ من ذلك
وانما على الله ان يختار لكل ما علم منه انه يختار دون ما لا يؤثره لانه لا يجوز ان يختار الولاية لمن علم منه انه يختار عداوته
وكذلك لا يجوز ان يختار العداوة لمن علم منه انه يختار ولايته وليس على الله تعالى حفظ الاصلح لاحد في الدين
بل عليه حفظ ما يوجب الحكمة والربوبية وفي ذكر تسبيح ما ذكر جميع الموات على اثر ما ذكر من قول اولئك الكفرة من وصف
الله تعالى بالولد والشركاء ويخرج يخرج على وجوه احدها يذكر سفههم انهم مع دعائهم العقل والعلم والتميز والسؤدد
وصفوا الله بالذي لا يليق به وما يسقط الالوهية والربوبية عنه على زعمهم فالذين ليس لهم شئ من ذلك التميز
والفهم والعقل نزهوه عن ذلك كله وبراوه عن جميع ذلك والثاني ذكر تسبيحهم على اثر ذلك ليعلم ان لا حاجة له
الى تسبيحهم ولا منفعة له في ذلك اذ سبح له جميع الخلايق سواهم بل منفعة تسبيحهم ترجع اليهم والثالث
ذكر لاثبات الرسالة للرسل لانه ذكر وتسبيح الموات ولا يفهم ذلك ولا يعقل الا بوحي من السماء فذلك يدل
على الرسالة فعلى هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرنا يجوز ذكر تسبيح ما ذكر على اثر ذكر ما ذكر وكذلك ذكر سجود الموات
يخرج على هذه الوجوه التي ذكرناها والله اعلم وقوله عز وجل واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا قال بعضهم ان الكفرة كانوا يمنعون رسول الله عن تبليغ الرسالة الى الناس وقراءة ما انزل
اليه من القرآن عليهم وقدامه بتبليغ الرسالة فانزل الله عليه هذه الآية فاخبر انه جعل بينه وبين اولئك حجابا مستورا

ومكنه

ومكنه التبليغ اليهم بالحجاب الذي ذكر ثم اختلف في ذلك الحجاب قال بعضهم شغلهم في انفسهم بامور واشغال
حتى بلغ اليهم ومنهم من يقول في قلوبهم الرعب والخوف حتى لم يقدروا على منع ذلك ومنهم من يقول صيرهم
بحيث كانوا لا يرونه ويسمعون قراءته وتلاوته ولم يقدروا على اذاهم به والضرر عليه فبلغهم وجايز ان يكون
ما ذكر من الحجاب هو حجاب الفهم وذلك انهم كانوا ينظرون اليه بالاستخفاف والاستهزاء به فحجبوا عن فهم ما فيه
وهو كقوله ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق الآية يدل على ذلك قوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه الآية ثم قال الحسن في قوله جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا اي
اي طبع على قلوبهم حتى لا يؤمنون ومذهبه في هذا انه يقول ان الكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع له
على قلبه فلا يؤمن ابدا واستوجب بذلك العقوبة والاهلاك بالذي كان منهم الا ان الله بفضله ابقاهم لما علم
انه يلد منهم من يؤمن ويبقيهم لمنافع غيره والا قد استوجب الهلاك فيقول الحسن اضاف ذلك الى نفسه
لما استوجبوا هم بفعلهم وقال ابو بكر الاصم اضاف ذلك اليه لانهم نفوا عن اتباع الرسل وتكبروا عليهم
فاستكبروا لكن نقول له الاستكبار الذي ذكرت فعلهم لا فعل الله فما معنى اضافة ذلك اليه فهو خيال
وفرار عما يلزمهم في مذهبهم وقال جعفر بن حرب في الاضمار لما هم اضافوا ذلك اليه انه هو جعل كذلك وهو
ما قالوا قلوبنا في اكنة وقلوبنا غلف ونحو من الخيال فهو جاز صرف هذه الآيات الى ما ذكروا من الخيال جاز
لغيرهم صرف الكل الى مثله فهذا بعيد ولكن عندنا ان اضافة ذلك الى نفسه تدل على ان له فيه صنعا
وفعلا وهو ان يخذلهم باختيارهم ما اختاروا واضاف ذلك اليه لما خلق ظلمة الكفر في قلوبهم وهذا
معروف في الناس ان من اعتقد الكفر يضيق صدره ويخرج قلبه حتى لا يبصر غيره وهو ليس يعتقد الكفر
ليلا يبصر غيره ولا يهتدى الى غيره لكن لا يبصر غيره فيدل هذا انه يصير كذلك لصنع له فيه وكذلك
من اعتقد الايمان يبصرون اشياء وهو ليس يعتقد الايمان ليبصر شيئا من اشياء غابت عنه دل انه
بغيره ادرك ذلك وكذلك المعروف في الخلق ان من اعتقد عداوة آخر يضيق صدره بذلك وكذلك
من اعتقد ولاية آخر ينشرح صدره له باشياء فهذا كله يدل ان لغيره في ذلك فعلا وهو ما ذكرنا من
من الخذلان والتوفيق وخلق ذلك منهم والله اعلم فيدخل فيما ذكرنا في قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة الآية
واصله ان ما ذكر من الحجاب والغلاف والاكنة انما هو على العقوبة لهم لعنادهم ومكابرتهم للحق لانهم كلما
ازدادوا عنادا وتمردا ازدادت قلوبهم ظلمة وعمى وهو ما ذكر في غير آية حيث قال فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم الآية وقال ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون لجزاء ان
على قلوبهم بكسبهم الذي كسبوا وازاغ قلوبهم باختيارهم الزيغ وصرف قلوبهم باختيارهم الانصراف
فعلى ذلك ما ذكر من جعل الحجاب والاكنة عليها بما كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل واذا ذكرت ربك
في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال بعضهم الشيطان اذا ذكر الله ولى عنه واعرض وفر منه
وهو ما ذكر واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا الآية وقال بعضهم ولوا على ادبارهم نفورا الا شراء ولوا عما دعوهم اليه واقبلوا
نحو اصنامهم التي عبدوها وقوله واذا ذكرت ربك في القرآن يحتمل واذا ذكرت دلالة وحدانية ربك والوهيته
وربوبيته او ذكرت دلالة رسالتك او دلالة البعث يحتمل ذكر دلالة هذه الاشياء الثلاثة لانهم كانوا
منكرين لهذه الاشياء فعند ذلك ذكرها يولون على ادبارهم نفورا ويحتمل الهرب والاعراض ويحتمل النكاة
عن الانكار والتكذيب وقوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى كانهم كانوا
يستمعون الى القرآن اما لما يستحلون نظمه ورصفه او يستمعون اليه لما فيه من الاشياء العجيبة او يستمعون
اليه ليجدوا موضع الطعن فيه فان كان استماعهم للوجهين الاولين فاذا جاء موضع الخلاف والتنازع

وهو ما يذكر فيه من دلالة الوحدانية ودلالة الرسالة ودلالة البعث عند ذلك كانوا يولّون الادبار
ونافرين لانكارهم ذلك وان كان الاستماع لطلب الطعن فهو محتمل ايضا واختلف في قوله نحن اعلم
بما يستمعون به قيل كانوا يستمعون اليه ليكذبوا عليه كقوله فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن
الشمال عزين كانوا يسرعون الى استماع ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكذبوا عليه وقال بعضهم
كانوا يستمعون اليه ليجدوا موضع الطعن فيه وقال بعضهم استمعوا اليه ليروا الضعفة والاتباع انهم انما يطعنون
فيه بعد ما استمعوا اليه وعرفوه فيقع عندهم ان الطعن كان في موضع الطعن والله اعلم وقوله واذ هم نجوى
قيل اي يتناجون فيما بينهم انه مسحور وانه مجنون وانه كاهن ثم اخبر الله نبيه ما اسروا فيه وتناجوا
بينهم ليدلهم على رسالته وانه انما عرف بالله وسماهم ظالمين لما علموا انه ليس بمجنون ولا مسحور ولكن قالوا
ذلك له ونسبوه الى ما نسبوه من السحر والجنون على علم منهم انه ليس كذلك وقوله عز وجل انظر كيف ضربوا لك
الامثال بالمجانين والسحرة والكهنة فضلوا اوضربوا لك الاسباب التي تزجر الناس وتمنعهم عن الاقتداء بك
بما وصفوا له ونسبوه اليه من السحر والجنون والكهانة فذلك كان يمنعهم عن اجابته من اراد اجابته والاقتداء به
وقوله عز وجل فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اختلف فيه قال بعضهم لا يستطيعون الى ما قصدوا من منع الناس
عنك وصدهم سبيلا وقال بعضهم لا يستطيعون الى المكر بك والكيد له سبيلا لانهم قصدوا به ذلك وقال بعضهم
لا يستطيعون الى ما نسبوه اليه سبيلا وقال الحسن لا يجدون الى الهدى والايمان سبيلا لما طبع على قلوبهم
وجعلها في اكنة وغلف ويحتمل ان يكون قوله فلا يستطيعون الى الاحتجاج على الحجج والدلالات التي اقامها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوحيد والرسالة والبعث سبيلا والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا
أإذا كنا عظاما ورفاتا اي أإذا كنا عظاما بالية ناخرة ورفاتا قيل ترابا وقيل غبارا وقيل رفاتا اي بالية
حتى اذا فتتت تكسرت وذهبت كقوله أإذا كنا عظاما ناخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي غير كائنة
قالوا ذلك كله انكارا للبعث واستهزاء به انهم يبعثون ويجزون باعمالهم وهذا كانهم قالوا ذلك على التعجب
والاستبعاد عن كون ذلك والاستهزاء بذلك والجهل به هو الذي حملهم على التعجب والاستهزاء بما ذكر
انكر هؤلاء الكفرة قدرة الله على البعث كما انكر المعتزلة قدرته على خلق افعال العباد وليس لهم الاحتجاج
على اولئك الكفرة بانشاء الاول لان لهم ان يقولوا انكم تقرون بالقدرة على خلق الاول وتنكرون خلق افعالهم
وليس لكم الاحتجاج وقوله عز وجل قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم قال بعض اهل
التاويل اي لو كنتم حجارة او حديدا فيميتكم لكن هذا بعيد لانهم لم يكونوا ينكرون الموت اذ كانوا يشاهدون
الموت فلا يحتمل الانكار ولكن كانوا ينكرون البعث بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا ورفاتا الا ان يقال انكم
لو كنتم بحيث لا تبعثون ولا تجزون باعمالكم لكنتم حجارة او حديدا لم تكونوا بشرا لان الحجارة والحديد
ونحو ذلك غير ممتحن ولا مامور بشيء ولا منهي عن شيء واما البشر فانهم لم ينشأوا الا للامتحان بانواع المحن
والامر والنهي والحل والحرمة فلا بد من الامتحان فاذا امتحنوا باشياء لا بد من البعث للجزاء والعقاب
فاذ لم تكونوا ما ذكر ولكن كنتم فاعلموا انكم تبعثون وتجزون باعمالكم على هذا يحتمل ان يصرف تاويلهم
لا الى ما قالوا ولا ظاهر ما قالوا وتاولوا لا يحتمل لما لا احد انكر الموت ويحتمل قوله كونوا حجارة او حديدا او خلقا
مما يكبر في صدوركم اي لو كنتم ما ذكر حجارة او حديدا او اشد ما يكون من الخلق لقدر ان ينشئكم بشرا في ذلك
فكيف اذ كنتم بشرا في الابتداء ان يعيدكم بشرا على ما كنتم كما انشاكم في الابتداء من ماء وتراب وليس في ذلك
الماء والتراب من آثار البشر شيء من العظام واللحوم والعصب والجلد وغيرها فمن قدر على انشاء هذا
قدر على انشاء البشر بعد الموت وبعد ما صار ترابا ورفاتا على هذا يجوز ان يتاول ووجه آخر ان يقال
ظنوا ان لو كنتم حجارة او حديدا او ما ذكر لبعثكم فكيف تظنون انه لا يبعثكم اذا كنتم ترابا ورفاتا وكلام

نحو

نحو وقوله عز وجل او خلقا مما يكبر في صدوركم ذكروا هذا وكل ما يكبر في صدورهم على ما ذكر فسيقولون
من يعيدنا استهزاء منهم به قل الذي فطركم اول مرة انهم وان قالوا ما قالوا استهزاء به وسخرية فقد امر الله تعالى
اولياءه والمؤمنين ان يحاجوهم محاجة العقلاء والحكماء مع الحجج والبراهين وان كانوا قالوا ما قالوا سفها
واستهزاء وعلى ذلك عاملهم الله وان كانوا سفهاء في قولهم مستهزئين وكذلك امر رسله ان يعاملوا قومهم
احسن المعاملة حيث قال وجادلهم بالتي هي احسن وقال وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وانما ذكر الله
هذه الآيات ليحاج بها هؤلاء وليعلم ان كيف المعاملة مع هؤلاء اذ قد اقام الله تعالى من الآيات والحجج على بعثهم
واحيائهم حججا كافية ما لم يحتج الى مثل هذا لكنه ذكر هذا لما ذكرنا والله اعلم كان الذي حملهم على انكار ذلك
وجوه من الاعتبار احدها انهم لم يروا من الحكمة اماتتهم ثم الاحياء على مثل ذلك اذ لو كان يحييهم
ثانيا لكان لا يميتهم كنقض البناء على قصد بناء مثله والثاني لما رأوا اقواما قد ماتوا من منذ طويل
ثم لم يبعثوا فيقال لهم انه قد تاخر كونكم وانشاؤكم ثم لم يدل تاخركم على انكم لا تكونون فعلى ذلك لا يدل
تاخر البعث على انه لا يكون واما جواب الاول فانه يقال لهم انكم تقرون انه انشاكم اول مرة وانه يميتكم فليس
من الحكمة انشاء ثم الاماتة لانه يكون كمن بنى بناء للنقض والافناء فاذا كان حكمة كان الثاني ايضا حكمة والله اعلم
وقوله عز وجل قل الذي فطركم اول مرة اي يعيدكم الذي خلقكم اول مرة ولم تكونوا شيئا على ما ذكرنا واعادة
الشيء في عقولكم اهون وايسر من ابتدائه اذ لا احد في الشاهد يتكلف تعلم اعادة الشيء ومعرفته وانما تكلفوا
تعلم ابتداء الصناعات ومعرفتها ثم يعرفون اعادة ذلك بمعرفة ابتدائه فدل ذلك انه اهون وايسر وهو
ما قال وهو اهون عليه اي في عقولكم ذلك اهون وايسر وقوله عز وجل فسينغضون اليك رؤوسهم
اي يحركون رؤوسهم استهزاء به وهزؤا ويقولون متى هو على الاستهزاء ايضا اي لا يكون وقوله عز وجل
ويقولون متى هو قالوا ذلك جهلا به وانكارا والا لو علموا انه كائن لا محالة لكانوا لا يقولون ذلك
بل يخافون كما خاف الذين آمنوا به وقوله عز وجل قل عسى ان يكون قريبا وعسى من الله واجب اي يكون
لا محالة وقوله عز وجل قريبا اي كائنا القريب يقال على الكون اي كائنا ويقال على القرب والبعيد كذلك
يقال على الانكار راسا ويقال على الاستبعاد كقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا اي لا يرونه كائنا ونراه كائنا
كائنا كقوله يستعجل الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون كانوا يستعجلون بها لما لم يكونوا يرونه كائنا
والمؤمنون يرونه كائنا والله اعلم وقوله عز وجل يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده يحتمل هذا الدعاء والاجابة
دعاء للخلقة واجابة للخلقة لما كانت خلقتهم تعظم ربهم وتحمده في كل وقت وتثني على ما ذكرنا في غير آي
من القرآن ويحتمل دعاء القول واجابة القول والعمل لما كانوا عاينوا قدرته وعظمته اجابوا بالحمد والثناء
كقوله مهطعين الى الداع ونحوه او ان يكون قوله يوم يدعوكم يوم القيامة كقوله يوم يدع الداع الى شيء نكر الآية
وقوله مهطعين مقنعي رؤوسهم الآية اخبر انهم يجيبون داعيهم يومئذ ويثنون على الله لما راوا من الاهوال
من ترك الاجابة في الدنيا وقوله عز وجل فتستجيبون بحمده اي يجيبون داعيه بثنائه وبحمده اي يثنون على الله
ويحمدونه وقوله عز وجل وتظنون ان لبثتم الا قليلا قال الحسن قوله تظنون اي يعلمون ويتيقنون انكم ما لبثتم
في الدنيا الا قليلا وكذلك قال قتادة اي يستحقرون الدنيا ويصغرونها لما عاينوا القيامة واهوالها وجائز
ان يكون قوله وتظنون انهم ان لبثتم الا قليلا في القبر وجائز ان يكون في الدنيا يستقصرون المقام فيها لطول
مقام الآخرة واهوالها ثم من انكر عذاب القبر احتج بظاهر هذه الآية حيث قال وتظنون ان لبثتم الا قليلا
وقوله لبثنا يوما او بعض يوم ومثله قالوا في العذاب والشدة لم يكونوا يستقصرون ويستصغرون
المقام فيه اذ كل من كان في عذاب وبلاء وشدة يستعظم ذلك ويستكثر ولا ينساه ابدا هذا المعروف
عند الناس فانهم استقلوا ذلك واستقصروا حتى قالوا يوما او بعض يوم وقالوا قليلا وفي ذلك دليل

انهم لم يكونوا في عذاب وبلاء وبيانا وثلون قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا على التقديم والتأخير
يقولون تأويله ويوم القيامة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها وعشيا ليس ان لا يكون لهم
عذاب فيما بين ذلك ولكن على ماذكر في الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ومن يقول بالعذاب في القبر يقول
وتظنون ان لبثتم الا قليلا في الدنيا او يقولون ذلك في وقت وهو ما بين النفختين كذلك يقولون انه يرفع عنهم
العذاب ما بين النفخة الاولى والثانية وهذا احتيال ويقال ايضا ليس في استقلالهم المقام والاستقصار
ما يدل على ان لم يكن لهم عذاب في القبر لان العرف في الناس انهم اذا كانوا في بلاء وشدة ونوع من المرض ثم نزل بهم
ما هو اشد من ذلك واعظم استصغروا ما كانوا هم فيه ونسوا ذلك فعلى ذلك هؤلاء اذا عاينوا عذاب القيامة
واهوالها وافزاعها استصغروا ما كان بهم من العذاب في القبر ونسوا ذلك الا ترى انهم اذا عاينوا الجنة ونعيمها
نسوا ما كان لهم من النعم في الدنيا ولا شك انه قد كان لهم نعيم في الدنيا فعلى ذلك العذاب وقال ابو عوسجة
ورفاتا قال متكسر وفتتة اي كسرته وقال القتبي في اكنة جمع كنان مثل غطاء واغطية واذ هم نجوى
اي متناجون وانه ساحر كاهن واساطير الاولين وقال بعضهم كان نجويهم ما ذكر في سورة الانبياء حين قالوا هل هذا
الا بشر مثلكم افتأتون السحر الآية فذلك قوله وقال الظالمون ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا قال
ابو عبيدة مسحورا اي قد سحر به وقد بينا تناقض قولهم وقد ذكرنا تناقض قولهم فيما تقدم والله اعلم وقوله
عز وجل وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن يحتمل قوله التي هي احسن الوجوه الثلاثة احدها الدعوة كقوله
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة امر ان يدعو الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فالثانية الدعوة
كانه قال ادعوهم الدعوة التي هي احسن الدعوة على اضمار الدعوة وجائز على اضمار الحسنة اي قل لهم ان يقولوا لهم
الحسنة التي هي احسن الاقوال والا ظاهره ان يقول يقولوا الذي هو احسن والثاني على اضمار المجادلة والمناظرة
معهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن امر رسوله ان يجادلهم احسن المجادلة والمحاجة معهم والثالث في حسن المعاملة
معهم والعفو والصفح عما كان منهم الى المسلمين من انواع الاذى فامرهم ان يحسنوا معاملتهم ويصفحوا عنهم كقوله فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وكقوله ادفع بالتي هي احسن الآية وقوله والكاظمين الغيظ الآية ونحوه
من الآيات امرهم ان يعاملوا اولئك احسن المعاملة ولا يكافؤهم بسوء صنيعهم ولكن يعفون عنهم ويصفحون
لما لعلهم يكونون اولياء وحميما على ما اخبر ويصيرون اخوانا لهم من بعد هذا في حق هذه الآية واما جهة
الحكمة وهو ان الله تعالى انشأ هذا اللسان وجعله ترجمانا بين الخلق يبين بعضهم من بعض وبه يقضي الحوائج
بعضهم من بعض وبه قوام معاشهم ومعادهم وبه بعث الرسل والكتب جميعا فاذا كان كذلك فالواجب ان لا يستعمل
الا في الخير والحكمة ولا ينطق به الا ما هو احسن واصوب والله اعلم وقوله عز وجل ان الشيطان ينزغ
بينهم اي يفسد بينهم ويوسوس اليهم ويغري بعضهم على بعض ليفسد بينهم وذلك دأبه ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا اي كان الشيطان منذ كان للانسان عدوا ظاهر العداوة بينا جعل الله تعالى الشيطان بحيث يوسوس
اليهم ويدعوهم الى اشياء يظنون ان ذلك خير لهم وابدا يلقي اليهم ما يقع عندهم ان ذلك انفع لهم ويحبب الى كل منهما
يقع عنده هو الحق فيقصد بذلك الافساد والقاء العداوة بينهم ابدا هذا دأبه وشانه يجر كلا الى جهة ويرى كل احد
جهة غير الجهة التي يرى الآخر والله اعلم وقوله عز وجل ربكم اعلم بكم هذا يحتمل وجهين احدهما اعلم بكم ٥
بمصالحكم وما لا يصلح لكم في الدنيا والآخرة والثاني ربكم اعلم بكم بما تسرون وما تعلنون وما تعملون وتفعلون
والا فلا شك انه اعلم بنا منا وقوله عز وجل ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم قال بعضهم ان يشأ يرحمكم ينجكم
من اذى هؤلاء او ان يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم والثاني ان يشأ يرحمكم فيهديكم الى دينه ويوفقكم لسبيله ٥
او ان يشأ يترككم ويخذلكم ولا يهديكم الى سبيله ولا يوفقكم لدينه وقوله ان يشأ يرحمكم يحتمل الرحمة في الدنيا
والآخرة اما في الدنيا هو ان يوفقهم على الطاعة ويعينهم على ذلك وفي الآخرة ينجيهم ويدخلهم الجنة واما التعذيب

في الدنيا ان يخذلهم ويتركهم على ما يختارون وفي الآخرة يعذبهم في النار بالذي اختاروا في الدنيا وقوله
عز وجل وما ارسلناك عليهم وكيلا قال بعضهم اي لم نجعلك حفيظا على ردهم واجابتهم ولا على صنيعهم
وقال بعضهم وكيلا اي كفيلا باعمالهم اي لا تؤاخذ انت بصنيعهم كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقال بعضهم وما ارسلناك عليهم وكيلا
اي مسلطا عليهم وقاهرا لهم وقوله عز وجل وربك اعلم بمن في السموات والارض يحتمل ما ذكرنا
انه اعلم بمصالحهم ومفاسدهم وما يسرون وما يعلنون ويحتمل غير هذا جوابا لقولهم لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته يقول والله اعلم وربك اعلم
بمن في السموات اي اعلم بمن يصلح للنبوة والرسالة وبمن لا يصلح ومن هو اهل لها ومن ليس باهل لها
او يقول اعلم بمن في السموات والارض اي عن علم بما يكون منهم انشأهم لا عن جهل اي اعلم بهم من انفسهم
والله اعلم وقوله عز وجل ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض مثل هذا لا يكون الا في نازلة لكنه لم يذكر
النازلة التي عندها نزلت ثم اختلف فيما ذكر من تفضيل بعض على بعض قال بعضهم انه اعطى كلا شيئا
لم يعط غيره من نحو ما ذكر انه كلم موسى واتخذ ابراهيم خليلا واعطى عيسى احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص وهو روح الله وكلمته واعطى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده واعطى داود زبورا واعطى سيدنا
محمدا ان بعثه الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومثله وقال بعضهم فضل بعضا على بعض
في الدرجة والمنزلة والقدر عنده فالاول يكون التفضيل في الآيات والحجج والثاني في انفسهم في المنزلة والقدر
ويحتمل ما ذكر من تفضيل بعض على بعض في الآيات والحجج ويحتمل في كثرة الاتباع بعضهم على بعض بكثرة
الاتباع والثالث يفضل بعضهم على بعض في القيام بشكر ما انعم عليه وبصبر ما ابتلاه به والرابع
وعلى قول المعتزلة لا يكون لاحد فضيلة عند الله الا باستحقاق منه وقوله عز وجل
وآتينا داود زبورا جميع كتب الله زبور لان الزبور هو الكتاب وقد ذكرنا انا لا ندري لاية نازلة ذكر هذا
ولا يحتمل ذكر مثله على الابتداء والاستئناف لكن فيه ان التفضيل والمنزلة انما يكون من عند الله ٥
ومن عنده يستفاد لا تدبير من انفسهم واستحقاق حيث قال انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا لئلا يرى احد الفضل والمنزلة لنفسه باسباب منه ولكن من عند الله
وقال الاصم في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض يقول يخاطب به اهل الكتاب ان اوائلكم كانوا يرون
بعض على بعض فاضلا في الدنيا والدين ثم ان اولئك المفضلين كانوا يتبعون الرسل لما رأوا لهم من الفضل
والخصوصية فما بالكم يا اهل مكة لا تتبعون محمدا وقد ترون له فضائل وخصوصية ما لا ترون
ذلك لانفسكم ولا لاحد سواه او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وفي سورة سبأ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال
ذرة الآية فيشبه ان يكون الآية عند ما نزل بهم البلايا والشدائد على ما قاله اهل التأويل فامروا عند
عند ذلك ان يطلبوا كشف ذلك عنهم من الذين يعبدون دون الله فيقول لهم ادعوا الذين زعمتم انها
آلهة دونه تكشفوا عنكم ما نزل بكم ويشبه ان يكون لا على نازلة ولكن على تسفيه سفههم اولئك حيث
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله اخبر ان ليس لهؤلاء شفاعة
عند الله وان عبادتهم اياها لا تقربهم الى الله زلفى كقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون اخبر انهم لا يملكون ما يطمعون بعبادتهم اياها او ان يذكر هذا يقطع ما يرجون من دون الله
من كشف ضر عنهم ودفعه او جر نفع اليهم وسوق خير على ما اخبر انه لا يملك ذلك احد سواه كقوله ما يفتح الله
للناس من رحمة الآية وقوله وان يمسسك الله الآية اخبر انه لو فتح هو رحمة لا يملك احد دونه امساكه ولو امسك

هو لا يملك احدا رسا له دونه ولو مس ضر لا يملك احد كشفه وان اراد خيرا لا يملك احد دفعه ورده
هذا يذكر والله اعلم للمسلمين لئلا يرجوا احدا من الخلايق دون الله ولا يخافوا احدا سواه ثم صرف اهل التاويل
تاويل الاية الى الملايكة لكن الاية يحتمل كل معبود دون الله الملايكة والجن والاصنام التي عبدوها واما
الاية الثانية التي تتلوها ظاهرها في الملايكة او الجن وهو قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
اي اولئك الذين يعبدون من دونه يبتغون هم الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
الاية اختلف فيه منهم من صرفها الى الملايكة ومنهم من صرفها الى الجن وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
يقول ان قوما من العرب كانوا يعبدون الجن ثم اسلم الجن فبقي اولئك كانوا يعبدونهم بعد اسلامهم فيقول
اولئك الذين تدعون من دون الله يبتغون الى ربهم الوسيلة فكيف تعبدونهم ومن قال انها في الملايكة اختلفوا
في قوله ويرجون رحمته ويخافون عذابه قال الحسن يرجون محبته ورضاه ويخافون عذابه اي خوف الهيبة
والاجلال والعظمة لا خوف عذاب النار ونقمته لان الله عصمهم من ان يرتكبوا ما يوجب لهم النقمة والعذاب
حيث قال لا يعصون الله ما امرهم وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقال في قوله ومن يقل
منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم هذا اخبار انهم لو قالوا ذلك لفعل به ما ذكر ليس على ان يقول احد منهم
ذلك وقال ابو بكر يرجون رحمته ثوابه ويخافون عذابه نقمته حيث قال فيهم من الوعيد ما قال ومن يقل
منهم الاية فقد اثبت لهم الوعيد فيه لكن ثوابه ما يتلذذ به وعذابه ما يتالم به ويتوجع ومنهم من يقول من اهل
التاويل يرجون رحمته اي جنته لكن هذا يشبه ان يكونوا يرجون صحبة اهل الجنة كقوله يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم الاية وجايز عند ناصرف قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الى الاصنام
التي عبدوها من دونه ايضا ويكون تاويله يدعون يبتغون اي لو مكن لهم من العبادة والطاعة وركب فيهم
من اسبابه لكانوا كما ذكر وهو كقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل اي لو مكن له وركب فيه ما ركب في البشر
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله على ما ذكر من سفه اولئك الذين عبدوا دون الله يقول كيف تعبدون
من لو مكن من العبادة والطاعة لكانوا يبتغون بذلك الوسيلة الى ربهم او كيف تعبدون من هو بطاعة ربه
يبتغي الوسيلة اليه ان كانت الاية في الملايكة كانه يذكر سفه اهل مكة حيث سالوا العذاب بقوله فامطر علينا
حجارة الاية ويخوف اهل السماء والارض جميعا يحذرون عذابه وقوله قل ادعوا الذين زعمتم فلا يملكون
ما ذكر ليس هو بامر في الحقيقة وان كان ظاهره امرا ولكن اخبار عن عجز ما يدعون من دونه وتعجيز ما ذكر من كشف
الضر ودفعه والتحويل وكذلك قوله قل كونوا حجارة الاية ليس هو بامر انما هو اخبار عن قدرته انه لا يعجزه شي
وان بدلتم اصلب الاشياء واعظمها وقوله عز وجل فلا يملكون كشف الضر عنكم اي دفعه ورده ولا تحويلا
يحتمل وجهين احدهما ولا يملكون تحويل ذلك الضر الى غيركم ولا صرفه والثاني ولا تحويلا من الاشد والاثقل
الى الاخف والايسر وقوله عز وجل ان عذاب ربك كان محذورا اي يحذره اهل السماء واهل الارض
وقوله عز وجل وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا قال ابو بكر الاصم
وان من قرية الا نحن مميتوها وقد يستعمل الهلاك في موضع الموت كقوله امرؤ هلك اي مات ويقال ايضا هلك
فلان اي مات فعلى ذلك يقول قوله الا نحن مهلكوها اي مميتوها قبل يوم القيامة كقوله كل نفس ذايقة الموت
وكقوله كل من عليها فان او معذبوها اي منتقموها عذابا شديدا فعلى تاويله يصح على جميع القرى والمدن ليس قرية
دون قرية ولا مدينة دون مدينة ولكن على الكل على ما اخبر من هلاك الكل بقوله كل نفس ذايقة الموت وكل
من عليها فان ويحتمل ما ذكر من اهلاك القرية اهلاك الاهل من اهلاك القرية بعد اهلاكهم على ما فعل بكثير
من القرى وجايز ان يكون يهلك الاهل ويبقي القرية على حالها ثم تهلك بنفسها قبل يوم القيامة والله اعلم على تاويل
ابي بكر يفعل ذا او ذا اما يميتهم موتا باجالهم او يعذبهم عذاب اهلاك وقال الحسن قوله الا نحن مهلكوها اي مميتوها

على ما قال

463

على ما قال ابو بكر او معذبوها عذابا شديدا يقول اذا قامت الساعة قبل يوم القيامة كقوله ونفخ في الصور
فصعق من في السموات الاية وقوله ان زلزلة الساعة الاية فذلك كله قبل يوم القيامة وهو يقول ان الساعة
تقوم على شرار الناس فيكون ما ذكر من التعذيب لاولئك الذين تقوم بهم الساعة على قوله وقال قتادة هذا قضاء
من الله كما تسمعه ليس منه بد اما ان يهلكها بموت كقوله كل نفس ذايقة الموت واما ان يهلكها بعذاب مستاصل
اذا تركوا امره وكذبوا رسله وهو ما ذكرنا من الانتقام وقال بعضهم يميت القرية باجالهم واما القرية
الظالمة فياخذها بالعذاب الذي ذكر فهو في القرون الماضية ان احتمل ذلك ويشبه ان يكون قوله
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة وهو ان يهلك رؤسا اهل الكفرة وقادتهم فيصير الدين كله
دينا واحدا وهو الاسلام على ما قال بعض اهل التاويل في قوله اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها
قالوا هو ان يهلك اهل الكفر فيجعل ملك اهل الكفر لاهل الاسلام فذلك نقصانها من اطرافها لا يزال ينقص
اهل الكفر قرية فقرية وبلدة فبلدة حتى تصير الارض كلها لاهل الاسلام وهو ما روي عن نبي الله صلى الله
عليه وسلم انه قال زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فذلك والله اعلم
تاويل قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها اي نهلك اهل الكفر ويشبه ان يكون قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا على ما اخبر انه كان يعني جميع من كان على وجه الارض ويجعل الارض
مستوية لا ابنية فيها ولا ارتفاع حيث قال كل من عليها فان وقال ويسالونك عن الجبال الاية وقال وبست
الجبال بسا الاية اخبر انه لا يبقى عليها احد ولا ابنية فيصير كلها قاعا صفصفا لا عوج فيها ولا امتا فذلك
اهلاكها وتعذيبها والله اعلم وقوله عز وجل كان ذلك في الكتاب مسطورا قال بعضهم كان ذلك
في الكتاب الذي عند الله وهو اللوح المحفوظ مكتوبا وقال بعضهم كان ذلك في جميع كتب الله التي انزلها
على رسله مكتوبا اي ما من كتاب انزله الله على رسله الا وكان فيه كل من عليها فان وكل نفس ذايقة الموت
مسطورا والله اعلم وقوله عز وجل وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون اخبر انه
ليس يمنعه من انزال الا تكذيب الاولين بها فان قيل فاي شي فيما يكذب الاولون بالايات ما يمنع انزالها
على هؤلاء قيل كانه على الاضمار اي ما منعنا ان نرسل بالايات الا علمنا بان الاخرين يكذبون بها كما كذب بها
الاولون فان قيل عن هذا يسال ان علمه بتكذيب الاخرين كعلمه بتكذيب الاولين ثم لم يمنع علمه
بتكذيب الاولين اياها انزالها كيف منع علمه بتكذيب الاخرين ذلك وليس قد ارسل الرسول وانزل الكتاب
على علم منه انهم يكذبون الرسول والكتاب ثم لم يمنع علمه بذلك انزال الكتاب وارساله الرسول فكيف
منع علمه بتكذيب الايات منهم عن ارسال الايات ولم يمنع علمه بتكذيب الرسول على بعث الرسول وانزال الكتاب
قيل انه قد مضى من سنته انه اذا انزل الايات على اثر السوال اعني سوال الايات فكذبوها اهلكهم هكذا
مضت سنته في القرون الاولى ثم قد سبق من وعده ان لا يهلك هذه الامة اهلاك تعذيب واستيصال
في الدنيا رحمة منه وفضلا على ما اخبر رسوله حيث قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فرحمتان من عليهم
بابقايهم وازالة العذاب عنهم في الدنيا واستيصالهم فكانه قال والله اعلم وما منعنا ان نرسل بالايات
الا ما سبق من وعدنا ورحمتنا ان لا نهلك هذه الامة اهلاك استيصال وتعذيب فذلك الوعد والرحمة
الذي ذكرنا منعنا عن ارسال الايات على علم منا انهم يكذبونها اذا ارسلنا اليهم وقد مضت السنة منا
على الاهلاك اذا انزلنا الايات على اثر سوالهم اياها ثم التكذيب من بعد ثم قد سبق الوعد لهؤلاء
ان لا يهلكوا في الدنيا اهلاك تعذيب رحمة منه لهم على ما اخبر انه لم يرسل الا رحمة للعالمين واصله
ان الله عز وجل قد انزل الايات والحجج على اثبات رسالة الرسل ايات كافية وحججا تامة ما لم يقع لهم
الحاجة الى غيرها من الايات والحجج فاسالوا من الايات والحجج من بعد انما سالوا سوال تعنت وتمرد لا سوال

استرشاد واستهداء فاذا كان سؤالهم الآيات سؤال عناد وتعنت اهلكوا اذا كذبوها ولم يناظروا كقوله
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون وقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ونحوه الا ترى
ان عيسى عم سالوه ان يسال ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء لتكون لهم آية منه فسأله فاخبر انه ينزلها
عليكم ثم اخبر ما يفعل بهم اذا كفروا بعد ذلك وهم كانوا يسئلونه سؤال تعنت وتمرد فقال اني منزلها عليكم
فمن يكفر بعد منكم الآية هكذا كانت سنته فيمن سال الآيات سؤال التعنت والعناد وجايز ان يكون الذي منع
عن ارسال الآيات على اثر السؤال واهلاك هذه الامة ما يكون من الاسلام من نسل هذه الامة بعد سببهم وابقاء
التناسل الى يوم القيامة والله اعلم **وقوله** عز وجل وآتينا ثمود الناقة مبصرة قيل آية لرسالة صالح
وقال بعضهم مبصرة اي معاينة يعاينونها انها آية من الله لهم حيث راوها مخالفة لنوقهم وهو ما قال هذه
هذه ناقة الله لكم آية فظلموا بها وجحدوها ثم عقروها بعد علمهم انها آية من الله لهم حيث راوها وما نتوها
خلافا لنوقهم خارجة عن نوق البشر والله اعلم **وقوله** عز وجل وما نرسل بالآيات الا تخويفا قال ابن عباس
والحسن وغيرهما الموت الذريع الحال السريع وقال بعضهم وما نرسل بالآيات الا تخويفا للناس فان لم يؤمنوا بها
عذبوا في الدنيا او يقول وما نرسل بالآيات مقرونة بالسؤال سؤال التعنت فكذبوها الا تخويفا بالهلاك على ما ذكرنا
من الآيات التي سألوها او ان يكون قوله وما نرسل بالآيات على اثر السؤال بها ثم التكذيب لها الا تخويفا لمن تأخر
ممن سال مثلها فكذب او كلام نحوه ويحتمل الآيات التي ذكر كسوف الشمس والقمر وغيره وما نرسل ذلك الا تخويفا
للناس والله اعلم **وقوله** عز وجل واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي وقد قلنا لك ان ربك احاط بالناس
الاحاطة بالشيء تكون بالوجوه الثلاثة احدها بالغلبة والقدرة والسلطان كقوله وظنوا انهم قد احيط بهم
اي اخذهم الهلاك والغلبة وقدر عليهم والثاني الاحاطة العلم به كقوله وكان الله بكل شيء محيطا اي عالما
وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه اي لا يعلمون والثالث الاحاطة المعروفة بين الخلق من احاطة بعضهم
بعضا فذلك لا يحتمل في الله سبحانه وتعالى فهو على الوجهين الاولين على احاطة العلم بهم او القدرة عليهم
والغلبة ثم اختلف فيه قال بعضهم احاط باعمالهم بما لهم وما عليهم وبما لا يصلح لهم وما يصلح وهو ما ذكرنا
في قوله وربك اعلم بمن في السموات والارض وقال بعضهم انهم كانوا يمكرون برسول الله صلى الله عليه
وسلم ويريدون اطفاء نوره ويمنعونه عن تبليغ الرسالة كقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية فيقول ان ربك
احاط بالناس اي قد علم بمكرهم بك على علم منه بمكرهم بك بعثك رسولا اليهم وكلفك على تبليغ الرسالة
اليهم لكنه وعدك ان يعصمك منهم ويمنعك عنهم حتى تبلغ الرسالة بقوله والله يعصمك من الناس وقوله فانه
يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا الآية كان عز وجل يبعث الرسل ويكلفهم تبليغ الرسالة اليهم على علم منه
بما يكون من قومهم من المنع والمكر برسله لكنه عصمهم ومكنهم حتى بلغوا الرسالة اليهم فعلى ذلك قوله
ان ربك احاط بالناس بالعلم او القدرة والغلبة عليهم والله اعلم **وقوله** عز وجل وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس قال عامة اهل التاويل ان الرؤيا التي اراها اياه لم تكن رؤيا المنام ولكن كانت
يقظة ورؤيا عين معاينة بالتي تنام لا بالذي لا ينام منه لانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تنام
عيناي ولا ينام قلبي فانما اراه من الرؤيا بالعين التي كانت تنام لا رؤيا قلب وعلم قال سعيد بن المسيب
هي رؤيا منام روي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم راى قوما على منابر فساءه ذلك فذكر انهم كانوا يعطون
مالا فذلك فتنة لهم وقال بعضهم انه اري رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام كانه يدخل المسجد الحرام آمنا
فاخبر بذلك اصحابه انه راى ذلك فلما كان عام الحديبية وصرف عن البيت ارتاب بعض الناس في رؤياه
فذلك فتنة للناس على ما اخبر لكنه لم يبين له متى يدخل فيه وقد وعد انه يدخل فيه آمنا وهو ما قال
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية **وقوله** عز وجل الا فتنة للناس والفتنة المحنة الشديدة

فان كان ذلك في الرؤيا التي راها في مسيره بيت المقدس وما اخبر من الآيات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم
بشر ولا بعمر فذلك الذي اخبرهم انه راى فتنة لهم ومحنة في التصديق والتكذيب في الخبر الذي اخبر
من الآيات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر فان كان على رؤيا منام فهو فتنة لهم لما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل
والشجرة الملعونة في القرآن اي كانت الشجرة الملعونة التي ذكرت في القرآن ايضا فتنة لهم كقوله انا جعلناها
فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم الآية ووجه فتنتها لهم ما ذكر في القصة انهم قالوا ان محمدا
يقول ان في النار شجرة والنار من طبعها ان تاكل الشجرة فكيف يكون في النار الشجرة وهي تاكلها ولكن لم يعرفوا
ان شجر النار يكون من النار وشرابهم من النار وكذلك طعامهم من النار لم ياكلها النار ومنهم من قال الزقوم
هو الزبد والتمر فكيف يكون فهذا ذلك فيدعون بذلك الكذب عليه فيما اخبرهم ان في النار شجرة فتلك
الشجرة ايضا كانت فتنة لهم ومحنة في تصديق رسول الله وتكذيبه وسمي ملعونة قال بعضهم ان العرب سمت
كل ضار موذ ملعونا فلذلك سميت شجرة الزقوم ملعونة اذا كانت ضارة لاهلها موذية قال الحسن سميت ملعونة
لما لعن اهلها بها فسميت باسم اهلها وهو ما سمي النهار مبصرا والنهار يبصر به فسمي باسمه فعلى ذلك هذا واصل اللعن
الطرد فطرد منها كل خير ونفع فهي ملعونة وكقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس اضافا الاضلال الى الاصنام
لا صنع لها في ذلك لكن كثيرا من الناس ضلوا بهن فكانها اضللن وكقوله وغرتهم الحيوة الدنيا اي اغتروا بها وقوله
في القرآن اي ذكرت في القرآن والا الشجرة لا تكون في القرآن وهو ما ذكر في المصايب وغيرها كقوله ما اصاب من مصيبة
في الارض الآية والمصايب لا تكون في الكتاب لكن ذكرت فيه ونخوفهم بما ذكرنا **وقوله** عز وجل فما يزيدهم الا طغيانا
كبيرا هو ما ذكرنا في قوله ما زادهم الا نفورا وقوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم زادهم
ما ذكر لانهم نظروا اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء فزادهم ما ذكر واما اهل الاسلام فزادهم ايمانا وهدى
لانهم نظروا بعين التعظيم والتبجيل **وقوله** عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد
لمن خلقت طينا قوله أأسجد اي لا اسجد كقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال فدل هذا ان قوله أأسجد معناه
اي لا اسجد ذكر في قصة ابليس الفاظ مختلفة مرة قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال في موضع ما منعك
ان تسجد وفي موضع آخر ما منعك ان لا تسجد ونحوه جايز ان يكون ذكر هذا على اختلاف الاحوال لا في حال واحد
هذا من هذا على ما ذكر في قصة آدم من اختلاف الاحوال حيث قال مرة من تراب وقال مرة من طين
ومرة من صلصال ونحوه وذلك اخبار عن احوال تغيرت فيها وجايز ان يكون ذلك بغير هذا اللسان فذكرهنا
بالفاظ مختلفة والزيادة والنقصان لان اختلاف الالفاظ لا يغير المعنى **وقوله** عز وجل قال ارايتك
هذا الذي كرمت علي قد اقر ابليس لعنه الله بالفضيلة لآدم والاكرام له اما من الطاعة او النبوة التي اعطاها الله
وان ادعى لنفسه الفضيلة عليه من جهة الخلقة بانه ناري وهو طيني حيث قال ارايتك هذا الذي كرمت علي اقر
بالفضل له عليه والاكرام اما الطاعة لهم له او لما جعله رسولا الى خلقه **وقوله** عز وجل لئن اخرتن الى يوم القيامة
لاحتنكن ذريته الا قليلا لا يحتمل ان يخاطب ربه ويقول لئن اخرتني الى كذا لاحتنكن لانه لما يطلب التاخير والبقاء
الى يوم القيامة طالب نعمة منه ومنة فيقول مقابل ما يطلب من النعمة لئن اعطيتني ذلك لاعصينك انما يذكر مقابل
طلب النعمة الطاعة له والشكر على ما قال ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن انما يقابل بطلب النعمة
الطاعة له واما مقابلة المعصية فلا تعرف ثم يخرج قوله لئن اخرتني الى يوم القيامة على وجهين على التاكيد
يقول اني لك وان اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته او على التمني منه الامرين جميعا التاخير واحتناك
ذريته وسؤاله اياهما ثم اختلف في قوله لاحتنكن ذريته قال بعضهم لاحتوينهم ولا احيطن بهم وقال بعضهم
لاضلنهم على ما ذكر في آية اخرى ولاضلنهم ولامنينهم وقال بعضهم لاحتنكن لاستنزلن وقيل لاستولين وقال القتبي
لاحتنكن اي لاستاصلنهم ويقال هو من حنك الدابة حنك دابته يحنكها حنكا اذا شد في حنكها الاسفل حبلا يقود به

وقال القتبي اى لاقودنهم كيف شيت ثم قوله لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته كانه سال ربه
التاخير على ما ذكر في اية اخرى حيث قال فانظرني الى يوم يبعثون كان اللعين لما سمع قوله وان عليك
اللعنة الى يوم الدين علم انه لا ينال الرحمة في الايمان به حيث ذكر اللعنة عليه الى يوم الدين واللعين هو
المطرود عن رحمته فعند ذلك سال ربه النظرة الى يوم الدين ليغوين عباده وقد علم اللعين ان طاعة
خلقه له لا تزيد في ملكه شيئا وعصيانهم لا ينقص في ملكه شيئا لذلك قال لاحتنكن ذريته ولاغوينهم ولاضلنهم
وما ذكر وقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم مع احسانى اليهم وانعامى عليهم فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا وقوله عز وجل واستفزز من استطعت منهم بصوتك هذا يخرج على وجهين احدهما على التمكين
والاقدار على ما ذكر اى مكن له ذلك واقدر عليه خذلانه اياه لما عصى ربه وترك امره لما امر بالسجود لادم جواز
منه حيث قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين مكن له ذلك ليتم له اللعنة والخذلان والثاني قال
ذلك له على التوعد والتهدد الا ترى انه ذكر هذا على اثر وعيد وهو قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا فيخرج قوله واستفزز على اثر ذلك مخرج الوعيد له ولمن تبعه واجابه كقوله اعملوا ما شئتم انه
بما تعملون بصير هذا وان كان ظاهره امرا فهو وعيد فعلى هذا قوله واستفزز من استطعت منهم فان لك
ولمن تبعك كذا ولما ذكرنا من التمكين له ذلك والاقدار على ذلك ليتم له الخذلان واللعن الذى لعنه ولا يجوز
ان يكون الله يامر بما ذكر ان يخرج الامر بما ذكر مخرج سفه والامر بالفحشاء وقد اخبر انه لا يامر بالفحشاء والمنكر
وانما يامر بالعدل كقوله ان الله لا يامر بالفحشاء وقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى فلو حمل هذا على الامر لكان امرا بالفحشاء والمنكر فدل انه يخرج على احد الوجهين اللذين ذكرناهما
او على الاستبعاد والاياس عن ان يملك او يقدر عليهم بما ذكر الا من اختار منهم اتباعه وهو ما ذكر ان عبادى ليس لك
عليهم سلطان الاية والله اعلم وقوله عز وجل واستفزز قال القتبي اى استخف والرجل الرجالة وقال ابو عوسجة
واستفزز اى استخف اى دعاه فاجابه وامره فاطاعه وعلى هذا يخرج قوله فاستخف قومه فاطاعوه اى امرهم فاطاعوه
او دعاهم فاجابوه وقوله عز وجل بصوتك يحتمل وجوها ثلاثة احدها على حقيقة الصوت يكون له صوت
يدعوه الناس به فيسمع ذلك الصوت النفس الحقيقة التى تكون في هذه النفس الظاهرة الكثيفة فلا يسمعه النفس
الظاهرة على ما يخطر اشياء بالقلب من غير ان يعلم به الانسان انه من اين جاء ومن اين هيجانه وعلى ما يقذف ويوسوس
اشياء في القلوب من غير ان يعلم ذلك ويطلع عليه فعلى ذلك يجوز ان يكون له صوت يدعوا الناس به
وان كنا لا نسمعه لكنه يسمع النفس الخفية بما يسمع النفس الظاهرة وبها تبصر اعنى بالنفس الخفية الا ترى ان النايم
يرى شيئا ويكون في اقصى الدنيا ونفسه الظاهرة ملقاة ههنا فذلك كله بالنفس الخفية والثاني على التمثيل ليس
على التحقيق تحقيق الصوت لما بالصوت يرسل الى اعلام بعضهم بعضا وبه يدعوا بعضهم بعضا عند البعد فذكر
الصوت لمكان الوسوسة التى يوسوس الناس اشياء من بعد ويدعوهم به الى معاصى الله وكذلك قال الحسن
في قوله فوسوس اليه الشيطان من بعد من غير ان كان هنالك تقرب منه والثالث على اضافة عمل كل عاص من
الغنا والمزامير وغيره او ما يضاف عمل كل طاغ وكل ضال اليه اضيف ذلك اليه على ما اضاف اليه موسى حيث قال
هذا من عمل الشيطان وقوله وما انسانيه الا الشيطان ولم يكن ذلك عمل الشيطان حقيقة ولكن قال ذلك واضافه
اليه لما يامره ودعايه بعمل ذلك وقال عامة اهل التاويل بصوتك اى بدعايك وقوله عز وجل واجلب عليهم
بخيلك ورجلك قال بعضهم اجلب اى اجمعهم ويقال واجلبهم اى عنهم ايضا وهو قول ابى عوسجة وقوله بخيلك
ورجلك يخرج على الوجوه الثلاثة التى ذكرنا احدها ان يكون له خيل ورجالة من جنسه وجوهر يجلبهم بهم
وان كنا لا نراهم كما قال انه يريكم هو وقبيله الاية فجايز ان يكون له خيل ورجالة وجنود لا نراهم وهم يروننا
والثاني على ما ذكرنا انه على التمثيل لكنه ذكر الخيل والرجل لما بالخيل والمشى يصل بعض الى بعض عند الحاجة اليه

في البعد والقرب فذكر ذلك له على ما ذكرنا في الصوت والثالث انه اضاف كل خيل راكب في معصية الله
او كل ماش في معصية الله اليه على ما ذكرنا في الصوت انه اضاف كل صوت في معصية الله اليه والله اعلم وقوله
جزاؤكم جزاء موفورا قال القتبي موفورا اى موفرا وقال غيره وافرا وفي قوله لئن اخرتني الى يوم القيامة
وقد علم انه اذا اعطاه ذلك له بقى له ما وعد وابقاه الى ذلك الوقت وهم لم يعرفوا ذلك بل قالوا انه يجوز
عبد فيقتله فيمنعه عن وفاء ما وعد والابقاء الى الوقت الذى وقت له فهو اعرف بربه منهم وكذلك قال رب
بما اغويتنى وهم يقولون لم يغوه فهو اعرف به منهم وقوله عز وجل وشاركهم في الاموال والاولاد قال بعض
اهل التاويل مشاركته في الاموال هى ان يجعلوه البحيرة والسايبة والوصيلة والحامى على ما كانوا يفعلونه
واما الاولاد فانهم هودوهم ونصروهم ومجسوهم وهو قول قتادة وقال بعضهم مشاركته في الاموال
هى ان يكتسبوها من خبيث وحرام وينفقوها في شئه وفيما لا يحل واما الاولاد هم ما ولدوا من الزنا
وقال بعضهم الاموال لما كانوا يذبحون لالهتهم ويجعلون لها من الحرث والانعام والاولاد ما ولدوا من الزنا
وجايز ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك
ورجلك الى اخر ما ذكر حتى يشاركهم في الاموال والاولاد ثم معنى المشاركة له فيما ذكر والله اعلم هو ان هذه
الاموال والاولاد لله تعالى حقيقة لما هو انشاها وخلقها لحقيقة الملك له بما ذكرنا وظاهر الانتفاع بعينه اذ هذا
كله لله بحق المحنة يمتحنهم وحقا لا انتفاع لهم اذ لا يجوز ان يخلق الله شيئا لمنفعة نفسه ولكن يخلق لمنافع انفسهم
يمتحنهم بها وقد شرع الله لهم شرايع وشرع لهم ابليس شرايع وهو ما ذكر ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
ما لم ياذن به الله فاذا صرفوا ذلك الى ما شرع لهم ابليس دون ما شرع الله فقد اشركوه فيها وكل ما اطيع فيها مما شرع
ابليس وشرع لهم فذلك شركته فيها وذلك ان الاولاد في الشاهد انما تطلب لاحد الوجوه الثلاثة اما للاستيناس
بهم في حال الوحشة واما للاستنصار بهم والعون على اعدائهم واما للذكر بعد الوفاة وكذلك الاموال
يطلب منها ما ذكرنا الانتفاع بها في حال الحيوة واما للمعونة على الاعداء او الذكر بعد الموت لخيرات يتركونها فاذا صرفوها
الى ما امرهم ابليس اشركوه فيها ومشاركته اياه في الاموال حتى ان يامرهم ويدعوهم الى اكتساب ما يحرم والانفاق
فيما لا يحل وفي الاولاد كذلك يامرهم بالمعصية ويدعوهم اليه فيطيعونه ويجيبونه في ذلك فذلك
والله اعلم مشاركته وقوله عز وجل وعدهم قال عامة اهل التاويل اى وعدهم ان لا جنة ولا نار
ولا بعث لكن يعدهم بخلاف ما وعدهم الله وخوفهم على ضد ما خوفهم الله ما كان من الله لهم وعد رجاء
يكون منه وعيد وما كان من الله وعد خوف يكون منه وعد رجاء وهو ما قال ان الله وعدكم وعد الحق
ووعدتكم فاخلفتكم اخبر ان ما وعدهم قد اخلف فذلك تاويل قوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا اى كذبا
وباطلا لانه يخرج كله على خلاف ما وعد وقوله عز وجل ان عبادى ليس لك عليهم سلطان يحتمل قوله سلطان
وجوها ثلاثة احدها القدرة والقهر والثاني الحجة والبرهان والثالث الولاية فاما القدرة والقهر فليس له عليهم
ذلك لانه لم يجعل له قدرة القهر عليهم شاؤا او ابوا وكذلك ليس له عليهم الحجة فيما يدعوهم اليه ويامرهم به كقوله
يوم القيامة متحينا بقوله وما كان لى عليكم من سلطان الاية واما سلطان الولاية فان له ذلك على من اختار اتباعه
وتوليه كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه وقوله ان عبادى المخلصين الذين اخلصوا لى ليس لك عليهم سلطان
يحتمل قوله سلطان اى حجة لانهم انما يتبعون امر الله بحجة فلا يتبعوا الشيطان بامانيه التى يمنيهم وشبهاته التى يشبه
عليهم او ان يكون قوله ليس لك عليهم سلطان اى سلطان القهر والغلبة انما له عليهم الدعاء والتزيين لا غير
او ان يكون قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان من الحجة والملك على ما ذكرنا انما سلطانه عليهم سلطان الولاية
على الذين يتولونه وقوله عز وجل وكفى بربك وكيلا يحتمل وكيلا عاصما يعصمك عن تمويهاته وتسويلاته وناصرا
ينصرك على مكايده او مفزعا تفزع اليه او معتمدا تعتمد عليه في جميع امورك والله اعلم وقوله عز وجل ربكم الذى

يزجي لكم الفلك في البحر يجري ويسير ويسوق الفلك في البحر قال الحسن اي سخر الفلك والسفن لنا
في البحر والدواب في البر لنقطع بها البحار والمفاوز والبراري لنصل بذلك الى حوايجنا التي جعلت لنا
في البلدان النائية والامكنة البعيدة وكذلك قال في قوله تعالى يسيركم في البر والبحر اي سخر لنا ذلك
ونحن نفوق كذلك سخر لنا ما ذكر الان اضافة ذلك اليه على قولنا هو ان خلق سيرنا وجريتنا في البر والبحر
اي سخر لنا ذلك ونحن نفوق كذلك سخر لنا ما ذكر الان اضافة ذلك اليه على قولنا ان افعالنا مخلوقة له
ثم يذكر فيه قدرته وسلطانه وعلمه حيث خلق الخشب وجعل فيها معنى تقر على وجه الماء مع ثقله
ومن طبع الشيء الثقيل التسرب في الماء والتسفل فيه ولا نفهم المعنى الذي فيه تقر على وجه الماء وان كان
دون ذلك في الثقل يتسفل فيه ويتسرب وجعل ذلك بطبعه بحيث يقر على وجه الماء ولا يتسرب فيه لطفا
منه فمن قدر على انشاء ما يقر على وجه الماء لمعنى جعل فيه لا تعقله نحن او بلطفه لقادر على انشاء هذا
الخلق واعادته بعد فنائه وذهابه وان كانت عقول الخلائق لا تدرك ذلك واوهام البشر تعجز عن دركه
فكما قدر على انشاء ما هو طبعه التسرب في الماء والتسفل فيه بحيث يقر ويركد على الماء لقادر على ما ذكرنا وحيث
قدر على تسكين الامواج في البحر ليعبر فيها وخلق رياحا فيها لتجري بها السفن كما تجري بالماء الجاري فمن قدر
على هذا القدر على ما ذكرنا من الاحياء بعد الفناء وفيه ما ذكرنا من تذكير نعمه لنا لنشكره وتذكير قدرته
وسلطانه لنهاب منه ولا ننكر قدرته وسلطانه في شيء من الاشياء كما انكر قدرته بعض خلقه لقصور عقولهم
عن درك ذلك وفيه وجوه من الدلالة احدها تعليم الاسباب التي بها يوصل الى قطع البحار والبراري من اتخاذ
السفن والحمل عليها وغير ذلك والثاني تسخير البحار والبراري لنا ما لولا ذلك ما تهيأ لنا استعمال ذلك
والثالث دلالة الرسالة اذ لولا خبر السماء والا ما يعرفنا ما نحتاج اليه هو في تلك البلدان النائية والامكنة
وما يعلم ان ذلك الطريق يفضي الى تلك الامكنة الا بخبر الرسول عن الله تعالى وقوله عز وجل انه كان بكم
رحيما قال بعضهم اي من رحمته ان جعل لكم الفلك والدواب لتصلوا بها الى ارزاقكم التي جعل لكم في البلاد
النائية البعيدة وقال بعضهم انه لم يزل بكم رحيما اذا تبتم ورجعتم عن ذلك وكانت الاية في المؤمنين فهو
لم يزل بهم رحيما وان كانت في الارزاق فيهم جميعا فان قالت الثنوية انكم تصفون ربكم بالرحمة والرافة وهو يميتكم
ويقتلكم ويحمل عليكم الشدائد والمؤن العظام فذلك ليس من صفة الرحيم قيل انا قد ذكرنا لكم في غير موضع
جواب السؤال ان المرء رحيم على نفسه وله الرحمة والشفقة عليها ثم مع ذلك يحمل على نفسه الشدائد والمؤن العظام
لما يامل من النفع في العاقبة من نحو الحجامة والافتصاد وشرب الادوية الكريهة ما لولا يامل من النفع في العاقبة
ما تحمل ذلك وكذلك الوالدان فيهما من الرحمة والرافة لولدهما ما لا يخفى ذلك على احد ثم يحملان على ولدهما
ما ذكر من الشدائد والمؤن العظام لما ياملون من النفع لهم في العاقبة ثم لا يمنع ذلك من الوصف بالرحمة والرافة
فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى لا يمنع ما يحمل علينا من الشدائد عن ان يوصف بالرحمة ولا يخرجه ذلك عن الحكمة
بل هو على ما قال وهو ارحم الراحمين وقوله عز وجل واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه اي بطل ما كانوا
ياملون من عبادتهم الاصنام الا العبادة التي كانت لله فانه لم يبطل ما لم يؤمل من عبادتهم اياه لانهم كانوا يعبدون
الاصنام والاوثان ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فاخبر عز وجل
عن سفههم لعبادتهم الاصنام وعجزهم عما ياملون منها في الاخرة حيث لم يملكوا دفع شيء مما مستهم وكشف
ما اصابهم في الدنيا فكيف ياملون ذلك في الاخرة او ان يكون ضل من تدعون الا اياه اي ضل الالهة التي
عبدوها دون الله الا الله الحق المستحق للعبادة فانه اعانكم ونجاكم من الهلاك وقوله عز وجل فلما نجاكم
الى البر اعرضتم هكذا كانت عادتهم انهم اذا خافوا الهلاك على انفسهم اخلصوا الدعاء لله كقوله فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين الاية وكقوله وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين

له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا فريق منهم بربهم يشركون ويحتمل قوله
فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن وفاء ما عهدتم لانهم قالوا لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ه
فاعرضوا عن هذا والوعد ولم يوفوا ذلك وقوله عز وجل وكان الانسان كفورا لنعم ربه يذكر سفههم
من وجهين احدهما عبادتهم من يعلمون انه لا ينعم عليهم في حال الرخاء ولا يدفع عنهم البلاء في حال
الشدة والثاني ان في الشاهد من انعم على اخر نعمة واحسن اليه يشكر له ويثني عليه واذا حل به بلاء
وشدة من احد من الخلائق يدعو عليه ويلعنه فعاملة اولئك الكفرة مع الله على خلاف معاملة الخلق
بعضهم بعضا يخلصون له الدعاء في حال الشدة والبلاء ويكفرون نعمه في حال الرخاء والله اعلم وقوله
عز وجل افامنتم ان يخسف بكم جانب البر على ما خسف قوما في البر او يرسل عليكم حاصبا على ما ارسل
على قوم من الحصباء وهي الحصى فاهلكهم ثم لا تجدوا لكم وكيلا ناصرا ينصركم او معتمدا تعتمدون عليه وقوله
عز وجل ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى اي يحوجكم الى ركوب البحر مرة اخرى فيغرقكم بما كفرتم
او يذكر هذا من قدر على انشاء ما ذكر من الفلك واجرائها في البحر وتسكين امواجه ودفع اهواله
عنكم لقادر على اهلاككم في البر واعادتكم في البحر ثانيا واغراقكم فيه وفي قوله يزجي لكم الفلك
في البحر وقوله يسيركم في البر والبحر دلالة ان الله في فعل العباد صنعا لانهم هم الذين يسيرون
في البحر وهم الذين يجرون الفلك فيه ثم اضاف الاجراء الى نفسه وكذلك التسيير ليعلم ان له فيه صنعا
وفعلا وقوله عز وجل ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال بعضهم تبيعا اي من يتبعنا بدمائكم ويطالبنا بها
وقال ابو عوسجة التبيع الكفيل ويقال المتقاضي في موضع وقال غيره هو من التبعة اي لا تجدوا لكم علينا
تبعة وهو ما ذكرنا وقال القتبي الحاصب الريح سميت بذلك لانها تحصب اي ترمي بالحصباء وهي الحصا الصغار
والقاصف الريح الشديدة التي تقصف الشجر اي تكسرها وكذلك قال ابو عوسجة القاصف الشديدة من الرياح
وقوله عز وجل ولقد كرمنا بني ادم كرمهم بان خلقهم في احسن صورة كقوله وصوركم فاحسن صوركم
وقومهم في احسن تقويم واحسن قامة كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكرمهم بان ركب
فيهم العقول التي بها يعرفون الكرامات من الهوان ويعرفون بها المحاسن من المساوي والحكمة من السفه
والخير من الشر وكرمهم بان جعل لهم لسانا يتكلمون بها الحكمة وكل خير وبها يتوصلون الى درك الحكمة
وجمعها وكرمهم بان جعل ارزاقهم اطيب الارزاق وجعل لغيرهم ما خبث منها وما فضل منهم وكرمهم بان خلق
جميع ما على وجه الارض لهم كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا وكرمهم بان سخر لهم جميع الخلائق وسخر لكم ما في
ما في السموات وما في الارض جميعا منه وجعل بني ادم هم المقصود دون خلق جميع الخلائق ونحوه وكرمهم
حيث جعلهم بحيث يتهيأ لهم استعمال السماء والارض واستعمال الشمس والقمر واستعمال البحار
والبراري وجميع الصعاب والشدائد في حوايجهم ومنافعهم ما لا يتهيأ لغيرهم من الخلائق ذلك فذلك
تفضيلهم وجايز ان يكون كرم بني ادم لانه كرم ادم لانه اسجد ملائكته له وبعثه رسولا اليهم حيث قال
انبئهم باسمائهم فلما كرم ادم صار بنوه مكرمين ايضا ولهذا نقول بان الاب يصير مشتوما بشتم ابنه
وما قاله اهل التاويل ان فضل بني ادم على غيره من الحيوان والدواب حين اكلوا وشربوا هم بايديهم
وساير الدواب ياكلون بافواههم هذا الذي ذكروا هو من التفضيل الا ان ذكره له خاصة ليس فيه كثير
حكمة وفضل لكن فضلهم وكرمهم بما ذكرنا من وجوه الكرامات والله اعلم وقوله عز وجل وحملناهم
في البر والبحر هذا تفسير ما ذكر من تكريم بني ادم وتفضيله اياهم ثم يحتمل هذا وجهين احدهما ان جعلهم
البر والبحر مسخرين حتى يصلوا الى ما في باطن البحر وظاهره من انواع المال والمنافع وكذلك البر سخر لهم حتى يصلوا
الى ما في باطنه من الاموال والمنافع وظاهره والثاني ان جعلهم بحيث يقضون حوايجهم التي كانت لهم من وراء

البحر ووراء البر ما لم يجعل ذلك لغيرهم من الخلايق قضاء الحوايج من ورايهما وذلك معنى
تفضيلهم الذي ذكرتم ما ذكر على اثر قوله كرمنا بني آدم وهو تفسير تفضيله واكرامه حيث قال وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وجايز ان يكون ما ذكر من تكريم بني آدم وتفضيله اياهم هو ما جعل فيهم
من الانبياء والرسل والاتقياء والاخيار منهم ما لم يجعل ذلك من غيرهم الا ترى ان موسى قال يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم الآية وقوله ورزقناهم من الطيبات هو ما ذكرنا ان جعل ارزاقهم وغذاءهم ما بلغ في الطيب غايته
ولا كذلك غذاء غيرهم من الدواب ورزقهم لانهم لا ياكلون الا بعد ان تستخرجوا منه ما فيه من اذى وخبث
وخشونة من النخالة وغيرها وفي الطبخ والنضج حتى يبلغ في الطيب واللين غايته واما غيره من الدواب
فانما ياكلون كما هو نيا غير مطبوخ ولا نضيج وفيه من الخبث والاذى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
اما بعض اهل التاويل قال فضلناهم على كثير ممن خلقنا على الجن والشياطين واصحابهم غير الملائكة
وقال بعضهم على كثير ممن خلقنا من الحيوان والدواب تفضيلا بالاكل بالايدي وجعل رزقهم من غير رزق
الدواب ويحتمل على كثير ممن خلقنا على وجه الارض من الجن وغيرهم لما لم يرسل الى الجن رسولهم ولا انزل
عليهم كتاب على حدة وما جعل ادناهم مما يفضل من البشر من العظام والسرقين وغيره على ما ذكر فذلك وجه
تفضيلهم عليهم واما الكلام في تفضيل البشر على الملائكة والملايكة على البشر فانا لا نتكلم في شيء من ذلك لما نعلم
ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة فلا امر فيه في تفضيل هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء ليس الينا من ذلك
شيء ولا جايز ان يجمع بين شرار البشر وافسقهم وبين الملائكة الذين لم يعصوا الله طرفة عين فيقال هم افضل
من الملائكة ولكن ان كان لا بد فانما يجمع بين الانبياء والرسل واتقى الخلايق وبين الملايكة فيتكلم حينئذ
بتفضيل بعض على بعض فهو ما ذكرنا ان الامر في ذلك الى الله ليس الينا من ذلك شيء والله اعلم وقوله عز وجل
يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال الحسن هذا صلة قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فيقول اي يوم فيقول
يوم يدعوا كل اناس بامامهم ثم اختلف في قوله بامامهم قال بعضهم ندعوا بامامهم اي بدينهم الذي دانوا به
عنه ويدعى كل بدينه الذي دان به وذب عنه وقال بعضهم بامامهم اي برؤسايهم وايمتهم الذين اضلوهم
اي يدعى الاتباع بايمتهم ورؤسايهم الذين اضلوهم حتى يلوم بعضهم على بعض ويلعن بعضهم على بعض ويتبرا
بعضهم من بعض كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية وقوله ويلعن بعضكم بعضا وقوله يقول الذين
استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين يدعى الاتباع بالمتبوعين وقال بعضهم يدعى كل اناس
بداعيتهم الذي دعاهم ان كان رسولا فبالرسول وان كان شيطانا فبالشيطان وهو قريب مما ذكرنا وقال بعضهم
بامامهم كتابهم الذي كتبت الملائكة اعمالهم فيه وقال بعضهم يدعى بكتابهم الذي نزل عليهم يدعى كل بما ذكر ليعلموا
ان الحجة قد قامت عليهم ووجب لهم العذاب باتباعهم ما اتبعوا بلا حجة ولا برهان وحاصل تاويل هؤلاء يرجع
الى وجوه ثلاثة احدها يوم ندعوا امام كل اناس كان امامهم في خير او شر فيجزى له جزاءه ثم يكلفهم دما اتباعه
الى ما اعد لهم من الثواب والعقاب والثاني يدعى كل امام ورئيس في خير وشر باتباعه الذين يتبعونه
فيما يدعوهم اليه نحو كل رسول يدعى بقومه الذين اتبعوه وكل رئيس وشيطان استتبعهم والثالث امامهم
كتابهم الذي كتب لاعمالهم الذي كتبوا كقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ونحوه وقوله عز وجل
فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم كلهم قد يقرؤن كتابهم غير ان المومن اذا نظر في الكتاب فرح به
واستبشر بما فيه فسهل عليه القراءة وهان لما كان يتبع حجج الله واما الكافر اذا نظر في الكتاب حزن واغتم به
فعسر عليه قراءة كتابه وهو كقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت
اني ملاق حسابيه الآية ويقول الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه الآية لانه اتبع ما اتبع بلا حجة او ان يكون المومن
اذا نظر في كتابه راى سيئاته مغفورة كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم فرح

بذلك

بذلك والكافر راى سيئاته باقية عليه وحسناته قد بطلت حزن بذلك واهتم لذلك قال ما قال
والله اعلم وقوله عز وجل ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا قال بعضهم
من كان في هذه الدنيا اعمى عن توحيد الله والايمان به مع كثرة آياته ودلالته على وحدانيته فهو
عن الايمان في الآخرة والبعث بعد الموت اعمى وقال بعضهم من كان في هذه الدنيا اعمى عن الحق فهو في الآخرة
اعمى عن حججه لانه اذا عمى عن الحق نفسه فهو عن حججه اعمى فتكون في معنى هذا الآيات والدلالات
على وحدانية الله اكثر واظهر من الدلالة على البعث والآخرة اذ ليس شيء الا وفيه اثر وحدانيته
ودلالة الوهيته ولا كذلك الآخرة فهو عن الايمان بها اشد عمى وقال بعضهم من عمى في هذه الدنيا
عن الايمان بالله فهو في الآخرة اعمى عن الايمان به لان الدنيا مما يقبل فيها الايمان وفي الآخرة لا يقبل
وهو ما قال وحيل بينهم وبين ما يشتهون اي حيل بينهم وبين ما يشتهون من الايمان
كما فعل باشياعهم من قبل اي كما حيل بين اشياعهم وبين الايمان به عند معاينة باس الله وعذابه وهو
قول الحسن وقال ابو بكر قريبا من هذا وهو ان من عمى عن الرشد والحق في هذه الدنيا لجهله به فهو في الآخرة
عند علمه بالرشد والحق اشد عمى وكلام نحو هذا وقال بعضهم من عمى قلبه في الدنيا عن الايمان بالله والتوحيد له
فهو في الآخرة يكون اعمى الوجه والحواس كقوله لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وكقوله ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وبكما وصما الآية ما ذكر ذاهبة حواسهم لما تركوا الانتفاع بها في الدنيا لما جعلت لهم الحواس ويشبه
ان يكون قوله من كان في هذه اعمى بالافتراء على الله فهو في الآخرة اعمى اي مفتر على الله ايضا كقوله ثم لم تكن
فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ونحو يفترون في الآخرة ويكذبون كما كذبوا في الدنيا وكقوله او نرد
فنعمل غير الذي كنا نعمل ثم اخبر عنهم فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال قتادة
ومن كان في هذه اعمى يقول ومن كان في الدنيا فيما اراه الله من آياته من خلق السموات والارض والجبال والنجوم
فهو في الآخرة الغايبة عنه التي لم يرها اعمى واضل سبيلا وهو قريب مما ذكرنا وقال ابن عباس رضي الله عنه
ومن كان في هذه النعم اعمى ان يعلم انها من الله فهو في الآخرة اعمى عن حجته ويقال عن دين الله واضل طريقا ويقال
ضل عن حجته وقال غيره من اهل التاويل من كان في هذه النعم اعمى يعني الكافر عمى عنها وهو يعاينها فلا يعرف انها
من الله فيشكر ربها فهو في الآخرة اعمى يقول عما غاب عنه من امر الآخرة من البعث والجزاء اعمى واضل سبيلا
واخطا طريقا وبعضه قريب من بعض والله اعلم وقوله عز وجل وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك
دل على هذا انه قد كان من الكفرة شيء من الدعاء الى الشيء يصير به مفتونا والجاهم الى ذلك وكذلك كانت عادة
الكفرة كادوا ان يضلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفتنوه عن الذي وحي اليه ويصرفوه عنه كقولهم ايت
بقران غير هذا او بدله هكذا كانت عادتهم كانوا يطلبون منه الافتراء على الله والضلال على وجه المكر به لاضلال
تصريح وكفر تصريح ولكن معنى يؤدي ذلك الى الضلال والكفر ويريدون منه المساعدة لهم في بعض ما هم فيه
بما كانوا يرونه من الموافقة له والمساعدة لكن الله عصم رسوله عن جميع ما كانوا يطلبون منه بالآيات التي ذكر
في كتابه وبالعقول كقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية اخبر انهم لا يؤمنون حتى
لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضى ومن لم يكن معصوما يجوز ان يوجد منه حرج مما قضى به وكقوله ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ومن لم يكن معصوما يجوز ان يؤذي ولا يلحقه اللعنة وقوله
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية فمن لم يكن معصوما يجوز ان يكون لهم الخيرة من امره وقوله اطيعوا الله ورسوله
وامثاله من الآيات مما يكثر عددها وكذلك العقول تشهد انه كان معصوما فمن اراد ان يصرف ويزيل
عنه العصمة بتاويل يتاوله في بعض الآيات وحديث يرويه فانا لا نقبل تاويله ولا خبره الذي روى
ونشهد انه كذب ويجوز ان يكون في خبره الذي روى معنى آخر سواه فليس له ان يروي الا بالمعنى الذي

كان فيه فتنا ويل اهل التاويل انه القى عليه الشيطان ولقنه عند تلاوته افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى وقال بعضهم لا ندعك تستلم الحجر
الا ان تستلم آلهتنا ونحو ان ذلك كله فاسد جدا لانه كان لا يحوم حوم اصنامهم فى حال صغره ولا زاوره
دنا منها حتى لم يطمعوا ذلك منه ما دام صغيرا فكيف طمعوا ذلك الاستلام لها بعد ما اوحى اليه وصار
رسولا وكذلك ما ذكروا انهم طلبوا منه ان يطرد بعض الذين اتبعوه عنه ليكونوا هم اتباعه فهم ان يفعل
ذلك فنزل وان كادوا ليفتنونك عن الذين اوحينا اليك لكن ذلك كله فاسد جدا لا يحتمل ما توهموا فيه
لانهم لم يعرفوه حق معرفته والا لو عرفوه حقيقة المعرفة ما توهموا فيه شيئا من ذلك وبالله التوفيق والمعونة
ثم قوله ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره قد ذكرنا ان عادتهم ذلك الا ان الله عصمه عن ذلك
ثم قوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا فظاهر الآية ترد جميع ما قال اهل التاويل
فى هذه الآية لانه يقول ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اخبر انه وقد ثبته فلم يركن لانه اخبر انه
قد ثبته فلم يكد ان يركن اليهم وقال شيئا قليلا سمى ذلك شيئا يسيرا ولو كان ما قالوا اولئك لكان شيئا كبيرا
عظيما بل يبلغ الكفر لانه لم يكن ما ذكروا وقال لقد كدت تركن وكاد هو حرف قارب اى قارب ان تركن كقوله
تكاد السموات اى قارب ان يتفطرن وليس فيه انه ركن اليهم فقولهم فاسد للوجوه التى ذكرنا شيئا قليلا وما قالوا
كبير عظيم بل فان يبلغ الكفر والثانى قال كدت وهو حرف تقارب والثالث ذكر على الشرط ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا فلم يركن لما ثبته وهو ما قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
ان كانوا ينطقون وما ذكرنا فى قصة يوسف ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه ليس فيه انه هم
ولا فيه انه ركن لانه خرج على الشرط وقال الحسن فى قوله لقد كدت تركن اليهم اى هممت لكنه هم به
هم خطر خطره ابليس وكذلك قال فى قصة يوسف همت به هم عزم وهم بها هم خطر وقال غيره ارادوا منه
ان يجعل لهم مجلسا على حدة ليسلموا فهم به ان يفعل ذلك حرصا على اسلامهم واشفاقا عليهم فمثل هذا يجوز
الفعل الا ان الرسل لا يجوز لهم ان يفعلوا ذلك شيئا وان صغر الا باذن من الله الا ترى ان يونس لما خرج
من عند قومه مغاضبا عليهم بغير اذن منه عاتبه ربه بذلك معاتبة عظيمة حيث قال فلولا انه كان من المسبحين
للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ومثل هذا لو فعله غيره من دونهم كان ممدوحا محمودا فى ذلك فهذا يدل
ان الانبياء لم يكن لهم صنع شئ وان قل الا باذن من الله والله اعلم وقوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات اى ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات وقال ابو عوسجة ضعف الحيوة
اى مثل الحيوة وغيره قال ضعف الحيوة عذاب الدنيا وضعف الممات عذاب الآخرة وقوله عز وجل
ثم لا تجد لك علينا نصيرا قيل مانعا وقيل ناصرا ينصرك وشافعا يشفعك الينا والله اعلم وقوله عز وجل
وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قال الحسن قوله ليستفزونك اى كادوا ليقتلونك
ليخرجوك منها بالقتل وقد كانوا هموا قتله لكن الله عصمه عن ذلك بقوله والله يعصمك من الناس وقوله
عز وجل واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا هكذا كان سنة الله فى الامم الخالية انهم اذا قتلوا نبيهم لم يلبثوا
بعده الا قليلا حتى هلكوا وقال بعضهم هو على الاخراج نفسه الا ان الله عز وجل اخرجه اخراج هجرة
الى المدينة لما سبق من رحمته وفضله ان لا يهلك هذه الامة اهلاك استيصال فلو كانوا هم اخرجوه لاستوجبوا به
الاهلاك لما كان من سنته فى الاولين اهلاكهم اذا اخرجوا رسولهم من بينهم وقال بعضهم هو على حقيقة
الاخراج منهم لخرجوا رسول الله من بينهم وفعلوا ذلك فلم يلبثوا بعده الا قليلا حتى اهلكهم الله بالقتل
يوم بدر وغيره وهو ما قال وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم
ففيه دلالة انهم اخرجوه وانهم اهلكوا بذلك وكذلك كانت سنة الله فى الرسل اذا فعل بهم قومهم مثل ذلك

وقال

468

وقال اهل التأويل فى قوله وان كادوا ليستفزونك اى ليستزلونك من ارض المدينة حيث نزل بالمدينة
قالت له اليهود ان هذه الارض ليست بارض الانبياء والرسل انما ارض الانبياء والرسل ارض الشام فان كنت
نبيا رسولا فاخرج اليها فخرج الرسول عليه الصلوة والسلام متوجها الى الشام فعسكر على راس اميال كذا ينتاب اليه
اصحابه فنزل به جبريل بهذه الآية لكن ذكرنا ان هذا وامثاله لا يحتمل لانه لا يجوز ان يخرج رسول الله من ارض
المدينة الى ارض الشام بقول اولئك اليهود من غير ان كان من الله اذن له فى ذلك هذا لا يحتمل ولا يتوهم منه ذلك
والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم ويشبه ان يكون قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك اى كادوا
ان يفتنوك بالمكر والكيد والخديعة لك ليستفزونك من الارض لانهم كانوا يطمعون فيه ان يفتنوه ويضلوه
عن الذى اوحى اليه على التصريح والافصاح ولكن على جهة المكر به والخديعة والله اعلم وقوله عز وجل
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا على قول الحسن السنة فى الامم الذين قبله انهم اذا قتلوا الرسول هلكوا
وعذبوا وعلى قول بعضهم السنة فيهم انهم اذا اخرجوا الرسول من بينهم على علم منه انهم لا يؤمنون بعده
الاهلاك وعلى قول بعضهم على الاخراج نفسه وهؤلاء قد اخرجوا رسولهم من بينهم بقوله الا تنصروه فقد
فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين الآية وقوله وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى
اخرجتك اهلكناهم لكنهم عذبوا تعذيب رحمة واهلاك رحمة لا اهلاك استيصال وقوله عز وجل ولا تجد لسنتنا
تحويلا اى لعذابنا تحويلا وقوله عز وجل اقم الصلوة يحتمل الامر باقامة الصلوة الامر بها لدوام
عليها واللزوم بها اى الزم بها وادمها او اسم التمام والكمال اى تممها واكملها بالشرائط التى
امرت بها ويحتمل قوله اقم فعلها ويفهم من قوله اقم الصلوة الانتصاب على ما ينتصب الشئ ويقام به
فدل انه لا يفهم من الخطاب ظاهره وقوله عز وجل لدلوك الشمس اختلف فيه قال بعضهم دلوك الشمس
زوالها الى غسق الليل اى الى ظلمة الليل وقرآن الفجر اى صلوة فيقول بعض الناس فى هذه الآية بيان اوقات الصلوات
الخمس جميعا لانه ذكر اول ما يجب من الصلوات وهى الظهر الى ما ينتهى وهى الفجر فعلى ذلك هذا التاويل الا ان يكون
غاية ولكن تكون كانه قال اقم الصلوة لدلوك الشمس وغسق الليل والله اعلم ومنهم من يقول فيه ذكر صلوات
النهار لانه ذكر دلوك الشمس وهو زوالها الى غسق الليل وغسق الليل هو بدو ظلمة الليل فيدخل فيه الظهر والعصر
فعلى تاويل هذا يكون حرفا الى غاية لا يدخل صلوة الليل فيه ثم تخصيص الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والامر باقامة الصلوة يكون كانه قال اقم لهم الصلوة فان كان هذا ففيه دلالة صحة صلوة القوم بصلوة
الامام حيث قال اقم لهم الصلوة ولو كان كل احد يقيم صلوة نفسه لكان لا يقول اقم لهم الصلوة ولكن يقول
صل الصلوة فدل انه على ما ذكرنا ثم قوله لدلوك الشمس يحتمل وجهين احدهما اقم الصلوة الذى يلزمك الشمس
كقوله تتفيؤ ظلاله الآية والثانى اقم الصلوة لوقت الذى يتلو دلوك الشمس الصلوة ثم تخصيص الفجر لما ذكر حيث قال
ان قرآن الفجر كان مشهودا التخصيص لقرآن الفجر لانه مشهود والفرضية بها بقوله اقم قراءة الصلوة على ما ذكرنا ثم قوله
ان قرآن الفجر كان مشهودا اى لم يزل فى علم الله كان مشهودا او صار مشهودا ثم قال وقرآن الفجر وهى
صلوة الفجر وانما ذكر صلوات النهار فدخل صلوات الليل بقوله ومن الليل فتهجد به لكنهم يقولون فى التهجد
بعد النوم وقد يكره النوم قبل فعل المغرب والعشاء فلا يصح هذا ومنهم من يقول دلوك الشمس غروبها
وهو قول عبد الله بن مسعود وغيره وقال بعضهم فيه ذكر صلوة الليل لانه ذكر بدو ظلمة الليل وذلك الغروب
وقرآن الفجر هو آخر ما ينتهى ظلمة الليل لانه يبقى ظلمة الليل الى وقت الفراغ من الفجر وقوله عز وجل وقرآن الفجر
يحتمل هذا وجهين احدهما القرآن يكون كناية عن صلوة الفجر كانه قال اقم الصلوة لدلوك الشمس واقم ايضا
صلوة الفجر لانه نسق على الاول ويحتمل قوله وقرآن الفجر اى قراءة الفجر اى اقم قراءة الفجر ويجوز ان يقال
القرآن مكان القراءة كقوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اى قراءته ثم من الناس من احتج بفرضية القراءة فى الصلوة

بهذا لانه نسق على الاول على ما ذكرنا كانه قال اقم القراءة ومنهم من يقول انما حث على قراءة الفجر دون غيرها
من الصلوات لما طول القراءة فيها لتقصيرها عن الاربع لانه لم يجعل غيرها من الصلوات ركعتين فحث
على قراءتها لهذا والله اعلم **وقوله** عز وجل ان قرآن الفجر كان مشهودا قال عامة اهل التاويل تشهد ملائكة
الليل وملائكة النهار اى حرس الليل وحرس النهار وعلى ذلك رويت الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن الصحابة وقوله ان قرآن الفجر كان مشهودا اى قراءة الفجر تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار على هذا
حمله اهل التاويل وعلى ذلك رويت الاخبار والاجاز ان يقال فيه اخر وهو ان تشهد القلوب والسمع
والعقول لان ذلك الوقت هو وقت الفراغ عن جميع الاشغال والموانع التى تشغل عن الاستماع والفهم
عنه ما لا يكون ذلك الفراغ لغيرها من الصلوات من صلوة المغرب والعشاء لانهما يقرب من الاشغال والحوايج
الا ترى ان الجهر بالقراءة انما جعل فى الاوقات التى هى اوقات الفراغ عن الاشغال وهى المغرب والعشاء
ثم وقت الفجر هو اخلى وقت عن غيره لانه بعد فراغ النوم وقيل هجوم وقت التقلب فالقراءة فيها والقلوب
اشهد لها لكن اهل التاويل صرفوا ذلك الى ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن الليل فتهجد به نافلة لك
قال بعضهم النافلة الغنيمة كقوله يسالونك عن الانفال اى الغنايم وقوله نافلة لك اى غنيمة لك تغنم بها غنايم
او كلام نحو هذا وقال الحسن قوله نافلة لك اى خالصة لك وخلوصه له وهو ان لا يغفل هو عن شئ منها
فى حال من الاحوال وغيره من الناس يغفلون فيها من اشياء وقال بعضهم ذكر انه نافلة له لانه كان مغفورا
له فما يعمل يكون له نافلة واما غيره فان ما يعمل من الخيرات يكون كفارة لذنوبهم فلا يكون لهم نافلة والله اعلم
وقوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يبعثك ربك مقاما محمودا تحمد عاقبته بالتهجد
اى يبعثك ربك مقاما تحمد انت تلك العاقبة جزاء تهجدك فى الدنيا وقال بعضهم مقاما محمودا يحمدك
كل الخلايق الاولون والاخرون وقال بعضهم مقاما محمودا هو مقام الشفاعة والله اعلم اى تشفع امتك
واهل العصيان منهم وجايز ان يكون هو صلة قوله ما تقدم من قوله فتقعد مذموما مخذولا وقوله فتقعد
ملوما محسورا وقوله فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا وما ذكر من المواعيد لما سمع هذا ووقع سمعه ذلك اخافه
وافزعه فنزل قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ان عبدت الله واطعته فى جميع اموره ونواهيه واقمت
الصلوة والصيام **وقوله** عز وجل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق ظاهر هذا الخطاب يكون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث امره ان يدعو بما ذكر وقد عرف هو ما امره من الدعاء بقوله رب ادخلنى
مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق فلا حاجة تقع لنا الى ان نطلب المراد من ذلك الا ان يكون لغير فذلك
اشتراك فعند ذلك يتكلف فيه ويطلب المراد منه وقد تكلم اهل التاويل فى ذلك قال بعضهم قوله رب
ادخلنى مدخل صدق كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة منها الى المدينة وامر ان يدعو بهذا الدعاء
رب ادخلنى فى المدينة مدخل صدق آمنا على رغم اليهود واخرجنى من المدينة الى مكة مخرج صدق آمنا على رغم كفار مكة
ظاهرا عليهم الا ترى انه قال واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا عليهم ففعل الله ذلك له واجابه وقد ذكرنا
فى غير موضع ان حرف السلطان يتوجه الى وجوه ثلاثة يكون مرة عبارة عن حجة قاهرة غالبة ويكون عن ولاية
نافذة غالبة ويكون عبارة عن اليد الظاهرة الغالبة ايضا وقد كان يجمع الله ومنه لرسول الله على الكفرة ذلك
كله وقال بعضهم رب ادخلنى مدخل صدق فى مكة ليعلم اهل مكة انى قد بلغت الرسالة واخرجنى منها مخرج صدق
ليعلم يهود المدينة انى نصحت وبلغت ما امرت به وقال الحسن اخرجنى من مكة مخرج صدق وادخلنى فى الجنة مدخل
صدق وقال بعضهم رب ادخلنى مدخل صدق فيما حملتنى من الرسالة والنبوة وما امرتنى به لاوديها على ما امرتنى
وابلغ الرسالة الى الخلق على ما كلفتنى واخرجنى مخرج صدق اى اخرجنى مما كلفتنى سالما لا تبعة على وكلام نحوه
واصله كانه امره ان يسال ربه الصدق فى جميع افعاله واقواله وفى جميع ما يقصد به من الدخول فى امر والخروج

منه اذ لا يخلوا العبد من هذين من الدخول فى امر والخروج منه ساله الصدق فى كل حال وكل دخول
وكل خروج وقال مجاهد رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق فى الرسالة والنبوة وهو
ما ذكرنا **وقوله** عز وجل واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال بعضهم حجة منه وقد اقامها على الكفرة
وقال بعضهم سلطانا نصيرا اى اجعل فى قلوب الناس هيبة يهابونى وقد كان من الهيبة بحيث هابوه
من مسيرة شهرين وقال بعضهم هو السلطان الذى يقهرون به الدين ويقيمون الحدود والاحكام ونحوه
وقيل السلطان هو اقامة الحدود والاحكام والشرايع وهو تفسير الولاية لانه بالولاية ما يقيمها وهو ما ذكرنا
من الولاية اقامة الاحكام ثم قيل فى الصدق والاخلاص قال بعضهم الاخلاص هو ان لا يجعل لشئ بقلبه
نصيبا لاحد سواه والصدق وان جعل لا يجد لذلك لذة الصدق عندنا ان يجعل الفضل فى جميع افعاله
لله لا يجعل لنفسه شيئا من الفضل وعلى ذلك يلزمه الشكر له به فى جميع خيراته وعن الحسن قال لما مكر كفار مكة
برسول الله ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه فاراد الله بقاء اهل مكة فامر نبيه ان يخرج منها مهاجرا الى المدينة
وعلمه ما يقول فانزل الله وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا
نصيرا ووعده الله لينزعن ملك فارس والروم ويجعله لامته **وقوله** عز وجل وقل جاء الحق وزهق
الباطل قال بعضهم جاء الحق وهو الاسلام وقيل جاء الحق القرآن اى محمد ويقول جاء آثار الحق فذهب
الباطل واثاره وجاء حجج وبراهينه وذهب شبه الباطل وتمويهاته والحق يحتمل ما ذكرنا من الاسلام
ورسول الله **وقوله** عز وجل وزهق الباطل اى ذهب وبطل غيره من الاديان وغيره من المذاهب
وعبادة الاصنام ونحو ذلك قالوا واصله ان الناس كانوا فى حيرة وتيه قبل بعث الرسول لما كانوا
فقدوا دين الله وسبيله منذ كان رفع عيسى من الارض الى السماء لا يجدون سبيل الله ولا يهتدون الى شئ
حيارى حتى بعث الله محمدا ليدعوهم الى دين الله ويبين لهم سبيل الذى كان يتمسك به الانبياء من قبله
ويخرجهم من تلك الحيرة التى كانوا فيها ففعل صلى الله عليه وسلم فذلك الذى قال الله تعالى جاء الحق وزهق
الباطل اى جاء الحق الذى فقدوه بذلك وزهق الباطل اى ذهب واضمحل ان الباطل كان زهوقا اى ذاهبا
مضمحلا لا يجدى خيرا ولا يعقب لاهله نفعا والحق هو الذى يعقب ويجدى نفعا لاهله ثم قوله جاء
الحق وزهق الباطل لم يفهم اهل الخطاب بمجئ الحق الانتقال من مكان الى مكان ولا بذهاب الباطل
على ما يفهم من مجئ فلان وذهاب فلان بل فهموا من مجئ الحق ظهوره وعلوه وفهموا من زهوق الباطل
وذهابه فناءه واضمحلاله وتلاشيه وعلى ذلك لم يفهموا من مجئ الاعراض ما فهموا من مجئ الاجسام
والاجساد فعلى ذلك لا يجب ان يفهموا من قوله وجاء ربك الانتقال من مكان الى مكان وكذلك
لا يفهم من قوله ثم استوى على العرش استواء الخلق ولا من نزوله نزول الخلق على ما لم يفهم مما اضيف
الى الاعراض من الافعال ما فهموا الى الله تعالى ما يفهم مما اضيف الى الخلق بل يتعالى عن ان يشبه الخلق
او يشبهه الخلق فى معنى من المعانى او فى وجه من الوجوه بل هو كما وصف نفسه ليس كمثله شئ وهو السميع
البصير وقوله سبحانه وتعالى عما يصفون وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا **وقوله** عز وجل
وننزل من القرآن ما هو شفاء كان الآية نزلت فى ابتداء الامر حيث قال وننزل ولم يقل ونزلنا من القرآن
ما هو شفاء وجايز ان يكون قوله وننزل من القرآن ما هو شفاء نفس القرآن وهو ما ذكرنا ويحتمل المواعيد
التى فى القرآن من وقايع تكون عليهم وكان فى ذلك شفاء للمؤمنين كقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية
او نقول بانه يجوز ننزل بمعنى نزلنا وذلك كثير فى القرآن ثم قوله ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين اى شفاء
للمستشفين فى الدنيا ورحمة لمن يتمسك به فى الآخرة فيه شفاء لمن استشفاه فى الدنيا ورحمة فى الآخرة
لمن تمسك به وعمى وخسار وظلمة لمن اعرض عنه ونظر اليه بعين الاستخفاف والاستثقال واما من نظر

اليه بعين التعظيم والاجلال فهو له شفاء ورحمة وان كان القرآن نفسه شفاء ونورا وهكذا ما
فى الشاهد ان من ابصر شيئا انما يبصر بنور البصر وبنور الهواء وبارتفاع ما يستر النورين جميعا لانه اذا كان
عمى البصر لم يبصر شيئا وان كان نور الهواء متجليا وكذلك لا يبصر اذا كان نور البصر متجليا بعد ان سترت الظلمة
نور الهواء فاذا كان ما ذكرنا انه لا يبصر فى الشاهد شيئا الا بنورين نور البصر ونور الهواء فالكافر لم يبصر
نور القرآن وشفاءه لما سترت الظلمة نور قلبه والمومن ابصر نوره وشفاءه بنور ايمانه وهكذا الادوية
فانها لا تجدى نفعا وان كانت نافعة شافية فى انفسها الا بقبول الطبيعة لان الطبع اذا لم يقبلها وان كانت
شافية نافعة لم تنفع صاحبها ولم يكن له شفاء وصارت كانها فى الاصل كانت ضارا غير شافية فعلى ذلك
القرآن وان كان فى نفسه شفاء ونورا صار للكافر عمى وخسارا كان لا شفاء فيه ولا رحمة لما سترت ظلمة الكفر
نوره فصار كالزايد له رجسا ونفورا وطغيانا وهو ما قال ولا يزيد الظالمين الا خسارا **وقوله** عز وجل
واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه يشبه ان يكون النعمة التى ذكر هو محمد صلى الله عليه وسلم
لما ذكرنا انهم كانوا فى حيرة وعمى لا يجدون السبيل الى دين الله وقد اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم
نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فذلك الاعراض الذى ذكر والله اعلم
فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ليدعوهم الى دين الله ويبين سبيله فذلك منه نعمة عظيمة اعرضوا عنه
وتباعدوا عنه ويشبه ان يكون ما قال اهل التاويل انه اذا وسع عليه الرزق والعيش اعرض عن الدعاء له وتباعد
بجانبه **وقوله** عز وجل واذا مسه الشر كان يؤسا اى ايسا من الخير ان لا يعود اليه اصلا وهكذا كانت
عادتهم انهم كانوا يخلصون الدعاء له اذا مسهم سوء واصابتهم شدة ويكفرون به اذا تجلى ذلك لهم وانكشف
كقوله فاذا ركبوا فى الفلك الاية واذا انعمنا على الانسان الاية وامثاله وكان الناس كلهم فرقا اربعة منهم
من كان مذهبهم ما ذكرنا انهم كانوا يخلصون لله الدعاء فى حال الشدة ويكفرون فى حال الرخاء والنعمة ويكفر
فى حال الشدة كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية وهم اهل النفاق ومنهم من يكفر به فى الاحوال
كلها كقوله والفرقة الرابعة هم اهل الاسلام يؤمنون به فى حال الرخاء وحال الشدة
فى الاحوال كلها على هذا كانوا فى الاصل وعلى هذا يجئ ان يكون قوله واذا مسه الشر كان يؤسا من الاصنام
كقوله ضل من تدعون الا اياه فيكون اياسهم من الاصنام التى عبدوها لكن اهل التاويل صرفوا الى ما ذكرنا
من الاياس عن الخير من ان يعود اليهم **وقوله** عز وجل قل كل يعمل على شاكلته لسنا نعلم انه اى سبب
كان هنالك حتى قال قل كل يعمل على شاكلته اذ لا يجوز ان يقال هذا بلا سبب كان منهم ابتداء لكن
يشبه ان يكون قال هذا على الاياس من ايمانهم لما لم يزدهم دعاؤه اياهم وكثرة تلاوته اياه عليهم واقامة
حججه عليهم الا عنادا وانكارا فقال عند ذلك قل كل يعمل على شاكلته اى على دينه وطريقته لقوله لكم دينكم
ولى دين وكقوله وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون فهو كله على الاياس
عن ان يؤمنوا به ويقبلوا دينه ثم قال فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى ربكم اعلم بمن منا على الهدى
ومن ليس او من منا اهدى سبيلا نحن او انتم وقال ابو عوسجة الشاكلة الناحية اى على ناحيته وقال القتبى
شاكلته اى على خليقته وقال قطرب على طريقته وكان هذا اشبه وقال بعضهم على نيته وقيل على دينه
ومذهبه وقيل على جديلته ومنهاجه وكله يرجع الى واحد ويشبه ان يكون اى كل يعمل بما هو اشبه به
واشبه لان الشكل هو ما يشبه الشئ يقال هذا شكل هذا وقوله قل كل يعمل على شاكلته على قول من يقول
على خليقته خلق عليها لانه خلق ما علم منه انه يختار ويؤثر والله اعلم وقوله ان الباطل كان زهوقا
قيل ذاهبا باطلا لا يجدى لاهله نفعا لانه يتلاشى ولا يبقى والحق يجدى لاهله نفعا ويبقى وعلى ذلك
ضرب الله مثل الحق بالشئ الذى يبقى وضرب مثل الباطل بالذى لا يبقى ولا يثبت فقال كذلك يضرب الله

للحق

الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وقد ذكرنا فى موضعه ضرب مثل
الباطل بالزبد وهو يتلاشى لا ينتفع به فعلى ذلك الباطل وضرب مثل الحق بالماء وهو يبقى فى الارض وينفع
الناس وضرب مثل الباطل ايضا بالشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الارض ولا يكون لها بقوله ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة الاية وضرب مثل الحق بالشجرة الطيبة النابتة فى الارض ذات قرار وثبات قوله الم تر كيف ضرب الله
مثلا كلمة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء فهو على ما وصفهما الحق ثابت باق وله قرار ينفع اهله والباطل
يرى ثم يتلاشى ولا بقاء **وقوله** عز وجل ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى اختلف فيه قال ابو بكر الاصم
الروح القرآن ههنا كقوله ينزل الملائكة بالروح من امره وكذلك قوله اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى
ما الكتاب ولا الايمان الاية قل الروح من امر ربى اى من تدبير ربى لو اجتمع الخلايق ما قدروا على مثله
فان قيل كيف سألوا عن القرآن وهم لم يقروا بالقرآن فقال سموه قرآنا وروحا على ما عنده اعنى عند
رسول الله كقوله وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام وهم لم يكونوا اقروا انه رسول ولكن سموه رسولا
لما عنده نفسه وزعمه رسول اى ما لهذا الذى يزعم انه رسول يأكل الطعام فعلى ذلك قوله ويسألونك
عن الروح وهو الذى به حيوة الابدان من هلاك الضلال اى من تمسك به نجا من هلاك الضلال **وقوله**
عز وجل قل الروح من امر ربى اى بامر ربى يكون وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الروح من امر ربى
اى من خلق ربى وهما واحد وقال بعضهم الروح هو الملك وانما سألوه عنه كقوله تنزل الملائكة والروح
فيها يعنى الملك وقال بعضهم انما سألوه عن الروح المعروف الذى به حيوة الابدان لكنه لم يجبهم فوكل امره
الى الله لما لا يدركون ذلك لو بين لهم وامثاله وروى عن ابى يوسف رحمه الله انه كان ينهى عن الخوض فى الكلام
ويحتج بظاهر هذه الاية حيث سألوه عن الروح فلم يجبهم ولكن فوض امره الى الله وما سئل من الاحكام
الا وقد بين لهم كقوله يسئلونك عن الخمر والميسر الاية ويسئلونك عن الانفال الاية ويسألونك
عن اليتامى ويسألونك عن المحيض ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن مثل هذا ما سئل عن شئ
من الاحكام الا وقد اجابهم وبين لهم بيانا شافيا وقال ههنا قل الروح من امر ربى وقال جعفر بن حرب
ان الله قد امر بالتكلم فى الكلام بقوله وجادلهم الاية وقال فلا تمار فيهم الاية ونحوه فكيف نهى عن الخوض
فى الكلام لكن ابا يوسف انما نهى عن الخوض فى الكلام الذى لا يدرك ولا يزيد الخوض فيه الا حيرة وضلالا نحو
ما روى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفكروا فى المخلوق ولا تتفكروا فى الخالق لانه لا يدرك فالتفكر
فيما لا يدرك لا يزيد الا عمى وحيرة وتيها واما الخوض فى الذى يدرك ويعقل فانه لم ينه عن مثله واصله
ما ذكرنا من اباحة التكلم فى الدين والخوض فى الكلام كثير من الايات من ذلك قوله وجادلهم بالتى هى احسن الاية
ونحوه قال الشيخ رحمه الله ولا نفسر الروح ما هو لما لا نعلم انهم ما ارادوا بالروح وهم قد علموا ما ارادوا به
وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوا وانما سألوا ذلك عما فى كتبهم ليعلموا صدقه فيما يدعى من الرسالة
لما علموا ان غير الرسول لا يعلم ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال بعضهم
اعما اوتيتم من العلم الذى به مصالحكم وما جاءكم الا قليلا وقال بعضهم اى ما اوتيتم من العلم الذى انشاه
والعلم الذى عنده الا قليلا وهو هكذا انا لم نؤت من العلم الا علم ظواهر الاشياء وباديها لم نؤت علم
بواطن الاشياء وحقايقها وذلك انا نعلم ان البصر يبصر والسمع يسمع واللسان ينطق واليد تقبض وتاخذ
والرجل تمشى والعقل يدرك لكن لا نعلم المعنى الذى جعل فيه به يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه ياخذ وبه
يمشى وبه يدرك وكذلك نعرف هذه الجواهر التى نشاهدها ونعاينها بان هذا حار وهذا نور وهذا
كذا ولكن لا نعرف المعنى الذى صار هذا حارا وهذا نورا وكذلك كل جواهر واجناس فلا نعرف من العلوم
التى انشاها الله الا القليل منها ظواهرها واما الحقايق فلا **وقوله** عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذى

يسألونك عن الروح

سؤال جعفر ابن حرب

قول المصنف علم تفسير الروح

اوحينا اليك من يقول بان الروح الذى سالوه عنه هو الوحى والقرآن الذى انزله عليه يحتج بهذه
الآية وبقوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله لما خرج ذكرها على اثر سؤال
الروح فدل انه ماذكرنا وقد ضل بهذه الآية فريقان الحشوية والمعتزلة اما الحشوية فانهم يقولون ان القرآن
والكلام هو صفة الله الذى هو لم يزل به موصوف وانه لايزايله ثم يقولون ان القرآن فى المصاحف بعينه
وهو فى الارض وفى القلوب قال الشيخ ابو منصور رحمه الله اما الذى فى المصاحف هذا ما يفهم به ذلك وما يوافق
ذلك اعنى القرآن ويقال هذا حكاية عن ذلك واما المعتزلة فانهم ينكرون خلق افعال العباد ثم يقولون
ان القرآن مخلوق فعلى زعمهم يكون القرآن والكلام مايكتب ويثبت ويمحى وذلك فعل العباد ثم يقولون افعالهم
غير مخلوقة فذلك تناقض فى القولين وعلى قولنا ماذكر من الذهاب والمجئ كله على المجاز اى الموافقة
لا على الحقيقة كما يقال سمعت كلام فلان وقول فلان وكتبت حديث فلان ونحوه فذلك كله على المجاز لا على الحقيق
لانه يسمع قول فلان حقيقة ولا كلامه ولا حديثه ولكن يسمع صوتا يفهم به قوله وكلامه وحديثه فعلى ذلك
الاول يذهب بالذى يسمع ويكتب فاما حقيقة ذلك فلا يوصف بشئ من ذلك وبعد فانه قد اضيف المجئ الى الذى
لايعرف ذلك منه ثم يحتمل قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ان يكون صلة قوله ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربى ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك حتى لا ينطق به والا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعلم انه لو شاء لذهب بالذى اوحى اليه وقادر عليه وله رفعه وكذلك يعرف هذا كل مؤمن
وان كانت الآية على الابتداء فهو يخرج على ذكر المنة والرحمة اى له ان يرفع هذا الذى اوحى اليه ليعلموا ان ابقاء
والوحى فضل منه وكذلك الوحى اليه فى الابتداء وبعثه رسولا اليهم فضلا واختصاصا لا استحقاقا منه وايجابا
كقوله والله يختص برحمته من يشاء وقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء اخبر ان النبوة له وما ارسل اليه
اختصاصا منه وفضلا لا استحقاقا منه فعلى ذلك ابقاء النبوة والوحى رحمة وفضلا منه وفيه دلالة نقض قول
المعتزلة من وجوه احدها ما قالوا ان لايختار الله لاحد الرسالة والنبوة الا من كان مستحقا لها ومستوجبا
لذلك وقد اخبر انه بفضله واختصاصه ارسله رسولا وبفضله ورحمته ابقاها او تركها بعد ما اوحى اليه
وارسله رسولا والثانى فيه ان له ان يفعل ما ليس هو باصلح لهم فى الدين حيث اوعدهم برفع ما اوحى اليه
واذهابه اياه ولا يوعد الا بما له ان يفعل ما اوعد اذ لا يوعد بما ليس له الفعل فى الحكمة ثم لا شك ان ابقاء النبوة
وترك ما اوحى اليه اصلح لهم من رفعها وتركه اياهم خلوا عن ذلك دل انه قد يفعل ما ليس هو باصلح لهم فى الدين
وفيه انه قد يكلف خلقه التوحيد والايمان وان لم يرسل رسولا ولا اوحى اليه وحيا لانه معلوم انه لو لم يرسل
الرسول ولا كانوا مكلفين فى انفسهم لكان خلقه اياهم عبثا ليتركهم سدى فدل انهم مكلفون بتوحيده ومعرفته
وان لم يرسل ولا اوحى حيث اخبر ان بعث الرسالة وابقاها فضل منه ورحمة بقوله الا رحمة من ربك ان فضله
كان عليك كبيرا وقوله الا رحمة من ربك اى ابقاء النبوة والوحى رحمة من ربك وفضله ايضا فى ابقاء ذلك كبيرا
وفيه ان الحفظ والنسيان وان كانا من العبد فلله فيهما صنع به يحفظ حيث قال ولئن شئنا لنذهبن بالذى
اوحينا اليك اخبر انه لو شاء لذهب بالمحفوظ فى القلب وينسيه دل ان له قدرة فى فعل العبد وفى قوله
ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك وجه آخر من الحكمة وهو ان يعلم المؤمنون ان الفضل كله من الله
ليلا يروا لانفسهم فى ذلك فضلا ومعنى اليه يضيفون جميع ما يجرى على ايديهم من افعال الخير والطاعة والله اعلم
وقوله عز وجل قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله يشبه ان يكون هذا
صلة قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ثم لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثله ما قدروا
عليه وقوله بمثله اى به كقوله ليس كمثله شئ اى ليس كهو شئ اذ لا مثل له فدل ان قوله لاياتون بمثله اى لايقدرون
ان ياتوا به بعد ما عرفوه وعاينوه فلان لايقدروا على اتيانه ابتداء قبل ان نظروا فيه وعرفوا امثاله اشد

وابعد

قد ضل الفريقان بهذه الآية المعتزلة والحشوية

قول الشيخ رحمه الله

يحتمل قوله تعالى ولئن شئنا

وفى الآية دلالة ان لسان الجن لسان العرب

وابعد ان نظم الشئ وتصويره بعد ما عاينوا الاشياء والصور اهون وايسر من تصويرها ونظمها
قبل ان يعاينوها ويشاهدوها وجايز ان يستدل بهذه الآية على انه كان مبعوثا الى الانس والجن جميعا
حيث قال قل لئن اجتمعت الانس والجن لانه لو لم يكن مبعوثا الى الفريقين جميعا لم لذكرهما معنى وفايدة وفيه
دلالة ان فى الجن من لسانه لسان العرب اذ لو لم يكن ذلك لم يكن يذكر اولئك ثم جايز ان يكون قوله لئن اجتمعت الانس
والجن مع الجن او الانس مع الجن وهؤلاء مع هؤلاء على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله وقال بعض اهل التأويل
انما ذكر هذا لقولهم انه سحر وانما يعلمه بشر وقولهم ما هذا الا افك مفترى وقولهم ان هو الا رجل افترى
على الله كذبا ومثله يقول انا لا افك والسحر وما ذكر ثم لايكون الا من هذين من الجن والانس فاخبر انهم لو اجتمعوا
على ان ياتوا بمثله ما قدروا عليه والدلالة على انهم عجزوا عن ذلك ولم يطمع احد منهم ذلك الا سفيه
اظهر الله سفهه وكذبه فى القرآن حيث قال لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء لم يسأل التوفيق ان كان هو حقا ولكن سال
العذاب دل انه كان سفيها غاية السفه وان هذا الا اساطير الاولين ثم ارتاب فيه وشك بقوله ان كان هذا
هو الحق من عندك والا لم يطمع ولم يخطر ببال احد من الخلايق التكلف لذلك دل انه آية معجزة من الله تعالى
ثم اختلف فى قوله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن قيل بمثل نظمه ورصفه وقيل مثل حقه وصدقه ويحتمل مثل
حججه وبراهينه ويحتمل مثل علمه وحكمته ويحتمل مثل احكامه واتقانه يحتمل قوله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن
لاياتون بمثل هذه الوجوه الخمسة التى ذكرنا ثم قوله بمثله يحتمل ما ذكرنا اى بالذى دفع وذهب به على التأويل
الذى جعلناه صلة قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ولئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القرآن بالذى ذهب به ودفع لاياتون بمثله اى لايقدرون على اتيانه وان كان على الابتداء فهو
على المثل اى لايقدرون على ان ياتوا بمثله على ما لم يقدروا عليه بعد ما قرع سمعهم هذا فلو كان فى وسعهم
هذا لفعلوا ليخرج قولهم صدقا وقول الرسول كذبا فاذ لم يفعلوا ذلك ولم يتكلفوا دل انهم عرفوا ان ذلك
من الله وانه آية معجزة خارجة عن وسعهم وقوله عز وجل ولقد صرفنا اى بينا ويحتمل ضربنا ويحتمل
فرقنا للناس من كل مثل اى ذكرنا للناس مثلا على اثر مثل ومثلا بعد مثل ما لم تفكروا فيه وتاملوا لعرفوا
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب انفسهم وسفههم ولعرفوا الحق من الباطل والمحق من المبطل
ولكن لم يتفكروا فيه ولم يتاملوا وعاندوا وقوله عز وجل من كل مثل لايريد كل الامثال ولكن ماذكرنا
من كل مثل لو تاملوا فيه وتفكروا لكان لهم معتبرا وفى قوله ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل
يكون ما ذكر من تصريف الامثال وضربها للناس من وجوه ثلاثة احدها ضرب المثل لهذه الامة من شهد رسول الله
وعاين من مكذبيهم ومصدقيهم بالامم الماضية ما ذا حل بالمكذبين منهم رسل الله من نقمته وعذابه
وقد اخبر ان تلك سنته فى المكذبين منهم وذكر ان سنته تلك لاتحول ولاتبدل وهو قوله ولن تجد
لسنة الله تبديلا وتحويلا فهو لايبدل ولايحول فكان لاولئك معجلة ولهذه الامة موخرة وهى غير محولة ولامبدلة
لواحدة من الامم والثانى يحتمل تصريف الامثال هو ما بين لهم وذكر ما به صلاح معاشهم ومعادهم وصلاح
دينهم ودنياهم ما لو تاملوا فيها وتفكروا وادركوا ذلك والثالث يكون تصريف الامثال التى ذكر دعاه
الى دين الله وسبيله بالحكمة والموعظة الحسنة الى هذه الوجوه الثلاثة يصرف جميع ما ذكر من الامثال
فى القرآن والله اعلم وقوله عز وجل فابى اكثر الناس الا كفورا يحتمل اى اكثر الناس الا كفورا بالامثال التى
ضربها فى القرآن وصرفها لهم او يقول فابى اكثر الناس الا كفورا بنعم الله فى صرفها لشكر الغير او كفورا فى غيره
وحدانية الله والوهيته وقوله عز وجل وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة
من نخيل وعنب الى آخر ما ذكر من الاسولة يشبه ان يكون هذه الاسولة جميعا من فريق واحد ويجوز ان يكون من كل فريق

سؤال لم يكن ذلك من غيره من الفرق كقوله وقالوا كونوا هودًا او نصارى تهتدوا كان من كل فريق غير ما كان
من الآخر كان من اليهود كونوا هودًا تهتدوا ومن النصارى كونوا نصارى تهتدوا فعلى ذلك يشبه ان يكون
الاول كذلك ثم ان الذى حملهم على هذه الاسولة المحالة الفاسدة وجوه احدها سؤاله بما كان يعدهم
رسول الله الجنان والانهار الجارية والبساتين المثمرة انهم تابوا واجابوا وكان يوعدهم العقوبات ان تركوا
اجابته من اسقاط السماء كسفا كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام الآية سالوه ذلك استعجالا
منهم على الاستهزاء كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها او ان يكون اهل الكتاب علموا مشركى العرب الذين لا كتاب لهم
هذه الاسولة الفاسدة المحالة التى عرفوا انهم لا يجابون فيها ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فانه لا يجيبهم
ليرى السفلة منهم والاتباع ان لو كان رسولا لاجابهم فيتمادون فى طغيانهم وضلالاتهم ويبقون على ما هم عليه
او ان يكون الرؤساء منهم والقادة سالوه عن ذلك على علم منهم انه لا يجيبهم ليرى اتباعهم وسفلتهم انهم
قد حاجوا رسول الله واعترضوا حججه وبراهينه لئلا ينظروا الى حججه وبراهينه ليبقى لهم الرياسة والمنافع التى
كانت لهم ولا يذهب ذلك عنهم ثم بين ان اسولتهم التى سالوها سؤال التعنت وعناد لا سؤال استرشاد وحاجة
ماذكر فى قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتى بالله والملائكة قبيلا **وقوله** عز وجل او ترقى فى السماء
ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه دل هذا كله ان سؤالهم اياه كله سؤال معاندة لا سؤال استرشاد
واستهداء لانه لو كانوا يسالون انما يسالون سؤال استرشاد واستهداء لكانوا لا يسالون اسقاط السماء عليهم
اذ لا منفعة لهم فى ذلك وان فى سؤالهم الجنة منفعة يذكر سفه القوم وتعنتهم وسوء معاملتهم رسول الله
ثم الحكمة والفائدة فى جعل سفههم قرانا يتلى الى يوم القيامة ليعرف المتاخرون معاملة السفهاء اذا بلوا بهم
ان كيف يعاملونهم بمثل معاملة رسول الله **وقوله** عز وجل قل سبحان ربى امر ان ينزه ربه من ان يكون
لاحد الاحتكام عليه والحكم والذى سالوه احتكام منهم على الله وفى قوله قل سبحان ربى هل كنت الا بشرًا
رسولا ينزه ربه عن ان يملك سواه ما سالوه من اتيان الجنة وغير ذلك ما ذكر فى الآية والله اعلم **وقوله**
عز وجل هل كنت الا بشرا رسولا اى هل كنت بشرًا كغيره من الرسل الذين كانوا من قبل من البشر فلم يسالوهم
بمثل الذى تسالونى انتم من الاسولة او ان يسالوا ذلك فلم يجابوا كقوله ام تريدون ان تسالوا رسولكم
كما سئل موسى من قبل او ان يكون قوله هل كنت الا بشرا رسولا اى ليس للرسول ان يعترض على الرسل بشىء انما على
الرسول تبليغ ما ارسل وامر بتبليغه او يقول انى لا املك عما تسالونى سوى تسبيح ربى وتنزيهه **وقوله**
قل سبحان ربى اى تعاظم ربى وتعالى من ان يكون لعباده عليه احتكام واختيار وقال ابو عوسجة والقتبى
الينبوع العين والينابيع جمع والكسفة القطعة والكسف جمع وقال غيره الكسف بالجزم عذاب وكسفا مثقل قطعا
والله اعلم **وقوله** عز وجل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اى اذ جاءهم الرسول بالهدى الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا وقال فى سورة اخرى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم
الا ان تاتيهم سنة الاولين لكن هذا على الاياس عن ايمانهم انهم لا يؤمنون الا عند معاينتهم باس الله والايمان
فى ذلك الوقت لا يقبل ولا ينفعهم واما قوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله
بشرا رسولا فيخرج هذا القول منهم مخرج الاحتجاج لو شاء ان نؤمن لانزل ملايكة كقوله قالوا لو شاء ربنا لانزل
ملايكة ففيه موضع الشبهة لهم ان يقولوا هو بشر ونحن بشر فليس هذا اولى بالرسالة الينا منا ان نكون نحن
رسلا اليه فذلك موضع الشبهة فاجابهم لذلك لما استنكروا واستبعدوا بعث الرسول اليهم من جوهرهم
وجنسهم فقال قل لو كان فى الارض ملايكة يمشون مطمئنين اى مقيمين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا ثم اختلف فيه قال بعضهم لو كان فى الارض ملايكة اى لو كان سكان الارض ملايكة فبعث اليهم
رسولا منهم اكان لهم ان يقولوا ابعث الله ملكا رسولا اى ابعث الله الينا من جوهرنا اى ليس لهم ان يقولوا ذلك

فعلى ذلك اذا كان سكانها البشر ليس لهم ان يقولوا ابعث الله الينا من جوهرنا رسولا والثانى لو كانت
الارض مكان الملايكة وهم سكانها لكان لكم ان تقولوا ابعث الله بشرا رسولا من غير جوهرنا
فاما اذا كانت الارض مكان البشر وهم سكانها فليس لهم ان ينكروا بعث الرسول منهم ومن جوهرهم
لانهم لا يعرفون الملايكة ولا من كان من غير جوهرهم ويعرفون من كان من غير جوهرهم
ويعرفون من كان من جوهرهم فيبعث الرسول من جوهرهم او يقول لو كان فى الارض ملايكة ويشرفوا
الملايكة لكان لهم ان يسألوا رسولا من الملايكة لما عرفوهم فاما اذا كان سكان الارض ليسوا الا البشر
فليس لهم ان يعولوا ذلك لانهم لم يعرفوا قوى الملايكة ولا قوى الجن وقد عرفوا قوى البشر فيعرفون
الايات والحجج من المتوهمات اذ عرفوا قواهم ولم يعرفوا قوى الملايكة والجن فلا يعرفون ما اقاموا
انها ايات وحجج او كان ذلك بقواهم ويعرفون ذلك من البشر اذا خرجت من احتمال وسعهم وقواهم
وبعد فانهم قد اقروا برسالة البشر لانهم لا يعرفون الملايكة الا بخبر من البشر انه ملك اذ لم يكن
معهم خلط ليعرفوهم وانما يعرفونهم بخبر من البشر انه ملك فليس لهم ان ينكروا رسالة البشر واصله
ما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لما ذكرنا انهم لا يعرفون الملايكة ومن كان من غير جوهرهم فلا بد
من ان يكون رجلا فكان فى ذلك تلبيس عليهم ما اخبر والله اعلم **وقوله** عز وجل قل كفى بالله شهيدًا
بينى وبينكم قال بعضهم كفى بما اقام الله من الايات والحجج على رسالتى وانى رسوله اليكم اذ كان ذلك
من قوة كان منا ولتلك الكفوة من انكار الرسالة وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلك على الاياس من ايمانهم
كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا الآية **وقوله** عز وجل انه كان بعباده خبيرا بصيرًا يذكر هذا
والله اعلم بانه عن علم باجابتهم وردهم بعثه اليهم رسولا لا عن جهل باحوالهم وليس فيما يعلم
انهم يردون ولا يجيبون رسله خروج عن الحكمة لانه ليس فى اجابتهم منفعة للرسل ولا فى ردهم
ضرر لهم انما المنفعة فى الاجابة لهم وفى الرد الضرر عليهم لذلك لم يكن فى بعث الرسل على علم منه
بالرد خروجا عن الحكمة وفى الشاهد كان خروجا من الحكمة لان فى الشاهد انما يبعث الرسول لمنفعة
يتامل ويصل اليه او دفع ضرر عنه فاذا علم انه يرد رسالته ولا يجيب كان فى وقت بعث الرسول اليه
بعد علمه بالرد خروجا من الحكمة او يخرج قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرًا على الوعيد وكذلك امثاله
وان احتج علينا بعض المعتزلة بقوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى يقولون له منعنا القضاء
والقدر اذ من قولكم ان ما يفعل الانسان من فعل معصيته او طاعته فانما يفعل بقضائه وتقديره فيكون
لهم الاحتجاج عليه بان يقولوا منعنا قضاؤك وتقديرك لكن هذا فاسد لانهم لا يفعلون هم ما يفعلون
عند وقت فعلهم لان الله قضى ذلك وقدر ولو جاز لهم هذا الاحتجاج لانه كذلك قضى وقدر
فاذا كانوا هم عند انفسهم لا يفعلون ما يفعلون لانه كذلك قضى عليهم وقدر لم يكن لهم الاحتجاج عليه
بذلك لان القضاء والقدر لم يضطرهم الى ذلك ولا قهرهم عليه بل كان غير ممكنا لهم لذلك لم يكن لهم
الاحتجاج بهذا اعنى بالقضاء والقدر لكان لهم الاحتجاج عليه ايضا بالعلم اذ لا شك انه علم
ذلك منهم فاذا لم يكن الاحتجاج عليه بما علم منهم ذلك اذ لا يقدرون ان يفعلوا غير الذى علم منهم
فعلى ذلك لم يكن الاحتجاج عليه بالقضاء والقدر لكن القضاء والقدر لما علم
انه يختارون ذلك ويوثره على ضده لجاز ذلك لهم بالعلم ويجوز ذلك ان ذلك ليس بشىء لما قضى ذلك
عليهم وقدر واذا كانوا هم عند انفسهم لا يفعلون وقت فعلهم لما كذلك قضى عليهم فلم يكن الاحتجاج لهم
عليه بذلك اذ القضاء والقدر لم يمنعهم عن ذلك لما لا يضطرون على ذلك وانما قضى ذلك لما علم انهم
يفعلون ويختارون ذلك لذلك كان ما ذكرنا وكذلك كل من قضى فى الشاهد على آخر انما يقضى لما سبق منه

العلم به وقوله عز وجل ومن يهدي الله فهو المهتدي اي من وفقه الله لقبول ما كان من الهدى وعصمه
عما وسوس اليه الشيطان فهو المهتدي عند الله وعند من عقل الهدى ومن يضلل اي من خذله ولم يعصمه
حتى يقبل من الشيطان ما جاء من وساوسه فهو ضال فلن تجد لهم اولياء من دونه يحتمل لن تجد لهم
اولياء من دونه يهدونهم لدينهم ويوفقونهم او لن تجد لهم اولياء ينصرونهم من دونه ويدفعون عنهم
ما نزل بهم من العذاب والله اعلم وقوله عز وجل ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما
قال الحسن يحاسبون حتى يعلموا سوء صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا ثم يحشرون الى جهنم ما ذكر عميا وبكما
وصما او كلام نحو هذا ثم يحتمل قوله الذين يحشرون ما ذكر في اية لخزي يوم يسحبون في النار على وجوههم
وقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب الاية انما يتقي بوجهه لما يكون ايديهم مغلولة الى اعناقهم وقوله عميا
وبكما وصما هذا يحتمل بوجهين احدهما سماهم عميا وبكما وصما لذهاب منافع هذه الحواس ولذاتها
في الاخرة ليس على حقيقة ذهابها لكن حال بينهما وبين الانتفاع بها ما ذكر لهم من فوقهم ظلل الاية فتلك
الظلل تحول بينها وبين رؤية الاشياء وسماهم في الدنيا عميا وبكما وصما ليس على حقيقة ذهاب اعينها
ولكن لما لم ينتفعوا بهذه الحواس في الدنيا ولم يستعملوها فيما امروا استعمالها نفى ذلك عنهم فعلى ذلك
في الاخرة ويحتمل على حقيقة ذهاب اعين هذه الحواس عقوبة لما لم يستعملوها في الدنيا لما له خلقت
كقوله لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقوله عز وجل مأويهم جهنم اي مقامهم جهنم واليها ياوون وقوله
عز وجل كلما خبت زدناهم سعيرا اختلف فيه قال الحسن قوله كلما خبت زدناهم اي كلما خمد لهيبها وسكن
زدناهم سعيرا قال خمد لهيبها من غير ان يذهب وجع اصابهم ثم يزدادهم سعيرا قال بعضهم كلما خبت
اي نضجت جلودهم وسكنت النار زدناهم سعيرا اي نعود بنار على ما كان وجعلت تلتهب وتستعر كقوله
كلما نضجت جلودهم وقال بعضهم وذلك ان النار اذا اكلتهم فلم يبق منهم غير العظام وصاروا فحما سكنت
النار وهو الخبت ثم بدلوا جلودا غيرها جددا لها فتكون وقودا لها والله اعلم وكله واحد وقال بعضهم
كلما خبت اي كلما احرقتهم النار فصاروا رمادا خلقوا لها خلقا جديدا فتعاودهم النار فتحرقهم وذلك
قوله زدناهم سعيرا وهو قول الله لا تبقي ولا تذر لا تبقي منهم شيئا اذا اخذت حتى تحرقهم وقوله
عز وجل ذلك جزاؤهم اي ذلك الذي ذكر جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا قالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ثم قال اولم يروا اي ولم يعتبروا ولم ينظروا ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم هذا الاعتبار يحتمل وجهين احدهما انكم تقرون ان الله هو خالق
السموات والارض وخالقكم فخلق السموات والارض على الابتداء وخلق ساير الخلايق على الابتداء بلا احتذاء
فقدم وسبق اعظم واكبر من خلق من دونه فمن قدر على انشاء ذلك فهو على انشاء امثالكم واعادتكم اقدر
واعادة الشيء في عقولكم اهون وايسر من ابتدائه والثاني تعلمون انه خلق السموات والارض وخلقكم
ايضا فلم يخلقهما للفناء خاصة اذ خلق الشيء للفناء خاصة لا لعاقبة عبث ولعب فدل انه خلقكم وخلق
السموات والارض لعاقبة وهي البعث وعلى ذلك يخرج قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه انه كاين لا محالة
وجايز ان يكون قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه جوابا لما استعجلوا من العذاب فقال وجعل لهم اجلا لا
يتقدم عنه ولا يتاخر وان يكون قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه الموت الذي به ينقضي اجالهم
لكنهم لم يخلقهم للموت خاصة ولكن للعاقبة وهو ما ذكرنا وقال القتبي خبت اي سكنت يقال خبت
اذا سكن لهيبها فخبوها فاذا سكن لهيبها ولم يطفأ الجمر قلت خمدت تخمد خمودا فاذا طفيت ولم يبق منها شيء
قيل همدت تهمد همودا وقوله عز وجل زدناهم سعيرا اي نارا تتسعر اي تتلهب وقال ابو عوسجة السعير
النار يقال سعرت النار اذا اوقدتها ويقال نار مسعورة اي موقدة وقوله عز وجل فابى الظالمون

الا كفورا اي كفروا بالبعث الظالمون ههنا هم الكافرون ولو قال فابى الكافرون الا ظلما كان واحدا
وقوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق يحتمل الاية وجوها وقال بعضهم
هي صلة ما تقدم من سؤالهم وهو قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل
وعنب او يكون لك بيت من زخرف وقوله او يكون له جنة ياكل منها كانوا يسالون هذه الاشياء على التعنت
والعناد والاستهزاء فاخبر انه وان اعطاهم ما سالوا لا ينتفعون بل لا يمسكون عن الانفاق ومن سنته
انه اذا اعطاهم ما سالوا على السؤال فتركوا الايمان به والوفاء انهم يهلكون فاخبر انهم يسالون سؤال التعنت
لا سؤال ما يتوسعون بها وفي الاية اثبات الرسالة وهو ما بين عن بخلهم وامساكهم عن الانفاق وقال
بعضهم قوله قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق في قوم خاص علم الله انهم
لو اعطوا ما سالوا لفعلوا ما ذكر لا ان في كل منهم وهو كقوله ااندرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون الاية وكقوله
ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة الاية كان في قوم علم الله انهم لا يؤمنون فعلى ذلك الاول ويحتمل ان يكون
الاية في قوم ضمنوا الله الانفاق والتوسيع وعاهدوا الله على ذلك ان وسع عليهم فاخبر انهم لا يؤمنون لما عاهدوه
وضمنوا كقوله ومنهم من عاهد الله لين اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الاية ويحتمل ان يكون
هذا اخبارا منه عن طبع الخلق وعادتهم وذلك انهم لما استكثروا من الاموال وجمعوا زاد لهم بذلك حرص
على جمعها وبخل على التوسيع والانفاق لما لم يكن قبل الجمع والاستكثار وهذا المعروف في الناس فاخبر انهم يمسكون
عن الانفاق والتوسيع اذا ملكوا ما ذكر على ما طبع الانسان بالبخل والتضييق عند الاستكثار ما لم يكن قبل ذلك
وقوله عز وجل وكان الانسان قتورا يحتمل ان يكون هذا صفة كل كافر وكذلك قوله ان الانسان خلق
هلوعا ومنوعا يكون عادتهم البخل والجزع عند المصايب وجايز ان يكون هذا صفة كل انسان في الابتداء هكذا
يكون ثم بالامتحان والتجربة يكونون اسخياء صابرين او يكون يخبر انهم لو ملكوا واعطوا جميع ما يرزقون في عمرهم
على التفاريق بدفعة واحدة مجموعا لامسكوا عن الانفاق خشية الفقر اذا اخر عمرهم اذ لا يعلمون الى ما ينتهي
من اجالهم فيحملهم ذلك على البخل والامساك ويذكر لما انه جبلهم وانشاهم على الامساك والمنع في الابتداء
وان لم يكن لهم حاجة الى ذلك ترى الصبيان والصغار من الاولاد يمنعون ما في ايديهم عن غيرهم وان لم يكن لهم
حاجة الى ذلك هذا معروف فيهم وانما جبلهم وانشاهم هكذا ليمتحنهم بالجود والتوسيع والبخل والتضييق
والا كان ذلك في اصل خلقتهم وابتداء انشاهم انشاء على ما ذكرنا شحة بخلا وهو ما اخبر ان الانسان خلق هلوعا
وجزوعا وكان الانسان عجولا انشاهم جزوعا عن الالم والمصايب غير صابرين عليها وكذلك انشاهم
عجولا لا يصبرون على امر واحد ولا حال واحد ثم امتحنهم على الصبر وترك الجزع والعجلة فعلى ذلك قوله
وكان الانسان قتورا اي طمعا بخيلا ممسكا مضيقا والله اعلم ثم ترك ذلك واعتياد ذلك وخلافه وقوله
عز وجل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هذا والله اعلم فيما اتاه من الايات وامر ان يحاج بها فرعون
والا كانت ايات موسى عليه السلام اكثر من تسع كانها تبلغ عشرين وتزداد عليه اذ كان في عصاه اربع
من الايات احدها حيث ضرب بها البحر فانفلق وحيث كان يضرب بها الحجر فينفجر منه عيونا وحيث القاها
فصارت ثعبانا وحيث كانت تلقف حبالهم وعصيهم وامثاله كانها تبلغ الى ما ذكرنا لكنه ذكر تسع ايات
بينات التي امر ان يحاج بها فرعون وقومه وقوله عز وجل بينات انها من عند الله جاءت وانها ليست
من البشر وانها سماوية او بينات اي مبينات ما يبين صدق موسى في جميع ما يخبر ويقول ويبين عدله
في حكمه وفعله لان في ايات الرسل يحتاج الى هذا ان تبين للناس صدقهم في قولهم وعدلهم في حكمهم
لانهم يدعون الى عبادة الله والطاعة له وذلك يوجب على كل عقل وطبع سليم فالحاجة الى الايات
ليست الا لصدقهم وعدلهم في حكمهم ثم اختلف في الايات قال بعضهم العصا واليد والحجر والطمس

والخمس التي ذكر في سورة المص وهو قوله فارسلنا عليهم الطوفان وقال بعضهم الخمس التي ذكر في سورة المص
والعصا والموت الذي ارسل عليهم واليد البيضاء وانفلاق البحر وقال بعضهم انما الخمس التي ذكر في سورة
المص وحل العقدة التي بلسانه وفي العصا آيتان وقال ابن عباس رضي الله عنه العصا واليد والسنون
ونقص من الثمرات ثم منهم من يجعل السنين ونقصان من الثمرات آية واحدة ومنهم من يجعلها آيتين
وكذلك العصا منهم من يجعل آية واحدة ومنهم من يجعل آيتين ومنهم من يعد الطمس ومنهم من لا يعد ويجعل
فيجعل العصا آية واحدة والسنين ونقصا من الثمرات آية واحدة والطمس آية والخمس التي ذكرت في سورة المص
فتكون ثمانيا التاسعة قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصاير لانه قال لقد علمت
انها آيات ولم يكذبه فرعون ولم يستقبله بشيء يكذبه في قوله وهو ما قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا اخبر انهم جحدوا بها بعدما استيقنوا انها آيات وجحدوا ظلما وعلوا وما روى صفوان بن عسال المرادي انه قال
ان يهوديين اتيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن تسع آيات التي ذكرانه اتاها موسى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تسحروا
ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان فيقتله ولا تاكلوا الربوا ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم
خاصة يا يهود ان لا تعدوا في السبت قال فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي الله فقال عليه
الصلوة والسلام فما يمنعكما ان تسلما قالا انا ان اسلمنا يقتلنا اليهود فان ثبت هذا الخبر عنه فلا يجوز
ان يتعدى الى غيره من التاويل والله اعلم وقوله عز وجل فاسال بني اسرائيل اذ جاءهم يعني موسى صلوات الله
عليه قال بعضهم امر رسولنا صلى الله عليه وسلم ان يسال بني اسرائيل الآيات التسع التي كانت في كتبهم
على التقرير عندهم انه انما عرف ذلك بالله وانه رسوله لما علموا انه كان تلك الآيات في كتبهم بغير لسانه
وكان لا يخط بيده ولا كان اختلف الى احد منهم ليعرف ذلك فدل انهم علموا انه انما عرف ذلك بوحي السماء
وقال بعضهم ليس هو على الامر ان يسألهم ذلك ولكن لو سالتهم لاخبروك عنها كقوله فاسالوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون الآية وقوله عز وجل اني لاظنك يا موسى مسحورا في عقلك اي سحرت والمسحور هو المغلوب في العقل
وقولهم متناقض لانهم قالوا مرة ساحر ومرة مسحور فالساحر هو الذي يبلغ بالبصيرة غايته والمسحور المغلوب
وقوله عز وجل قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصاير علمت بالرفع والنصب جميعا
قوله علمت بالنصب والرفع جميعا قد قريا وامكن ان يكون قال في الابتداء الامر قد علمت ما انزل هذه الآيات
الا رب السموات والارض وقال في آية اخرى لما اقامها عليه لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصاير ما يبصر بها الحق من الباطل من لم يعاند ولم يكابر وقوله عز وجل واني لاظنك يا فرعون مثبورا قال
موسى عليه السلام لفرعون اني لاظنك يا فرعون مثبورا مقابل ما قال له فرعون حيث قال اني لاظنك يا موسى
مسحورا قال بعضهم مثبورا هالكا وقيل ملعونا وقال بعضهم مبدلا ويحتمل قوله لاظنك يا فرعون مثبورا
اي تدعوا على نفسك بالثبور وهو الهلاك كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا
اي هلاكا والظن يكون في موضع الظن ويكون في موضع العلم وقوله عز وجل فاراد يعني فرعون ان يستفزهم
من الارض قال اهل التاويل اراد ان يخرجهم ويستخفهم من الارض اي ارض مصر لكنهم قد كانوا خرجوا
طايعين قبل ان يخرجهم من حيث امر موسى باخراجهم بقوله واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي ليلا انكم
متبعون الآية فيكون تاويل قوله فاراد ان يخرجهم من الارض بالقتل والهلاك من الدنيا الا ترى انه قال
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها اراد من مشارق الارض والا قد كانوا هم
قد خرجوا منها رشده على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فاغرقناه ومن معه جميعا هو ما قال في آية اخرى
فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا الآية وقوله عز وجل وقلنا من بعده لبني اسرائيل اي بعد هلاك

فرعون

فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض اختلف فيه قال بعضهم قوله اسكنوا الارض ارض مصر الذي كان يسكن
فرعون وهو كقوله واورثكم ارضهم وديارهم وقال بعضهم اسكنوا الارض ارض الشام والارض المقدسة
كقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقال بعضهم اسكنوا الارض ليس في ارض دون ارض
ولكن اسكنوا اي ارض شيتم مشارقها ومغاربها آمنين لا خوف عليكم على ما ارادوا ان يخرجكم من مشارق
الارض ومغاربها بالقتل كقوله واورثنا القوم الذين كانوا الآية وهو قول ابن عباس رضي الله عنه
وعلى هذا قال في قوله فاذا جاء وعد الآخرة بعث عيسى بن مريم جئنا بكم لفيفا اي جميعا مجتمعون من مشارق
الارض ومغاربها على ما تفرقوا وقال بعضهم فاذا جاء وعد الآخرة يعني حيوة عيسى ونزوله من السماء
جئنا بكم لفيفا اي جميعا النزاع من القرى ههنا وههنا لفوا جميعا وهو مثل الاول واما عامة اهل التاويل
فانهم قالوا فاذا جاء وعد الآخرة يوم القيامة جئنا بكم لفيفا اي جميعا انتم وفرعون وجنوده حتى يروا
كراماتكم التي اكرمتم بها ويروا هوانهم وقوله عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل قال الحسن ان في القرآن
حكما وانباء وحكمه عدل وانباؤه صدق وحق وهو كقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا فيما فيه
من الانباء وعدلا فيما فيه من الحكم فيذلك الحق الذي فيه من الحكم العدل والانباء الصدق انزله ويقال
في الاخبار والانباء والعدل في الاحكام والحق وقوله عز وجل وبالحق نزل اي بذلك الحق الذي فيه
دام وقر فيكم او كلام نحو هذا ويحتمل قوله وبالحق انزلناه اي بالحق الذي لله على عباده انزله وبالحق الذي
لبعضهم على بعض وبالحق نزل اي بذلك الحق الذي لله على خلقه دام واستقر وبالحق الذي لبعضهم على بعض
ثبت واستقر واصله ان قوله وبالحق انزلناه وبالحق نزل ان الحق اسم كل محبوب ومحمود والباطل
اسم كل مكروه ومذموم فمن اتبعه صار محبوبا محمودا ومن خالفه وترك اتباعه صار مذموما وان يكون قوله
وبالحق نزل اي لم ياته التغيير والتبديل وقوله عز وجل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اخبر انه
لم يرسله الا للبشارة والنذارة لكن هذا في حق الرسالة لم يرسله الا لهذين الذين ذكر والا قد كان محنة
في نفسه بمحن كثيرة فلم يكن في جميع الاوقات مشغولا بهذين خاصة لكنه في حق الرسالة لم يرسله الا للبشارة
والنذارة اي لم يرسلك حافظا ولا وكيلا ولا مسلطا عليهم بل ارسلك لتبليغ الرسالة اليهم ثم البشارة
والنذارة وهما امران يكونان في عواقب الامور البشارة تكون عاقبة كل محمود ومحمود والنذارة عاقبة
كل فعل مكروه ومذموم ثم لقايل ان يقول في قوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا البشارة لمن اجابه
فيما امره به ودعاه اليه والنذارة لمن ارتكب ما نهى عنه فكيف لا دل هذا على ان النهي يوجب الحظر والتحريم
حيث الحقه النذارة بارتكاب ما نهى عنه قيل ان النذارة عاقبة كل مكروه ومذموم والبشارة عاقبة
كل محبوب ومحمود فيكون ذلك في الآداب وغيرها ولان الرسل لم يبعثوا الا لتغيير مناكير وفواحش
ظهرت في الخلق وغيره من الفواحش والمناكير لم يبعثوا الصغاير ظهرت فيهم ثم دخل الصغاير والآداب
فيما ارسل تبعا والا كان سبب ارسالهم الكباير والفواحش فاذا كان ما ذكرنا كان في النهي نهي ادب
ونهي حتم وحكم وبعد فان الله تعالى قد اخبر انه قد يعفوا عن كثير من السيآت وما عفي عنه لم يجز
فيه النذارة والوعيد والله اعلم وقوله عز وجل وقرآنا فرقناه بالتخفيف والتثقيل فرقناه قال بعضهم
فرقناه بالتخفيف اي احكمناه وبيناه حتى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال بعضهم
فرقناه وقطعناه في الانزال سورة فسورة وآية فآية على ما انزل لتقراه على الناس على مكث فهو والله اعلم لوجوه
احدها ما ذكر في قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك فاخبر
عز وجل انه انما انزله بالتفاريق ليثبت به فؤاده لان ذلك اثبت في القلب وايسر في الحفظ والثاني انزله
بالتفاريق على قدر النوازل ليجدد لهم البصيرة ويزداد لهم الحجة بعد الحجة ولو كان جملة لم يكن ليجدد لهم

ذلك ولا يزداد لهم البصيرة او ان يكون انزله بالتفاريق للتنبيه ليثبتهم فى كل وقت ويعظهم فى كل حال
اذ ذلك انبه لهم واوعظ من ان يكون منزلا جملة واحدة الا ترى ان الآية اذا دامت تكون فى التنبيه اقل واذا كانت
منقطعة فى الاوقات كانت احوف وانبه نحو كسوف الشمس بالليل صار بالدوام غير مخوف ولا منبه لهم للدوام
وكسوفها بالنهار صار تنبيها للانقطاع فعلى ذلك الاول والله اعلم **وقوله** عز وجل قل آمنوا به او لا تؤمنوا
ظاهر هذا خرج على التخيير لكن المراد منه يخرج على حتم المواعظ وتاكيد الوعيد وتغليظه وكذلك قوله
اعملوا ما شئتم ظاهره على التخيير لم يفهموا منه على ما خرج ظاهره لكن فهموا منه تاكيد الوعيد وحتم
الوعظ وهكذا المعروف فى الشاهد ان الشاهد انسانا لو امر آخر بامر ووعظه مرارا فلم ينجع فيه يقول له ان شئت
فافعل وان شئت لم تفعل على انك لو فعلت او لم تفعل فانما ضرر ذلك عليك ان تركته ونفعه يرجع اليك
لو فعلت فعلى ذلك قوله قل آمنوا به او لا تؤمنوا فلا ضرر علينا فى ترككم الايمان به ولا يرجع نفعه الينا
لو آمنتم به انما نفعه لكم وضرره عليكم ان شئتم فعلتم وان شئتم لم تفعلوا فهو كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اسأتم فلها وكقوله من عمل صالحا فلنفسه الآية ونحو ذلك مما يخبر ان كل من عمل خيرا فلنفسه عمل ومن عمل
شرا فعلى نفسه ضرر ذلك فهذا ينقض على اصحاب الظواهر حيث قالوا انهم من الخطاب بظاهره لا يتعدى
عن ظاهره حيث لم يجب ان يفهم من قوله قل آمنوا به او لا يؤمنوا التخيير لكن فهموا الوعيد والتوكيد والتغليظ
وحتم المواعظ فان قيل ما الحكمة فى لزوم الامر واقتراضه اذا كان ما يامرنا وينهانا لمنافع انفسنا ولضرر
على انفسنا ومن لم يعمل فى الشاهد لنفسه ولا سعى لنفع نفسه فلا لائمة عليه ولا مؤاخذة قيل فى الحكمة
ان يعرض علينا السعى فكان لانفسنا ودفع الهلاك عن انفسنا وفى امر ايانا امر بالسعى فكان
انفسنا ودفع الهلاك عنها وحاصل امره ونهيه يكون المنفعة لنا لا له وكذلك الضرر وعلى ذلك يخرج قوله
وما ظلمنا هم الآية وعلى ذلك يخرج دعاء آدم عليه السلام وغيره ربنا ظلمنا انفسنا الآية **وقوله** عز وجل
ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا وهذا ايضا ينقض على اصحاب الظواهر
لانه لا كل من اوتى العلم منهم يخر للاذقان على ما خرج ظاهره فدل ان الاعتقاد ليس بالظاهر على ما قرع
السمع ولكن على ما توجبه الحكمة ثم قوله ان الذين اوتوا العلم اى ان الذين اوتوا منفعة العلم يخرون للاذقان
سجدا ثم يحتمل قوله يخرون للاذقان سجدا على التمثيل ليس على حقيقة السجود ولكن على الانقياد لما سمعوا
والخضوع له والذلة على ما ذكرنا من التمثيل فى قوله انقلبتم على اعقابكم ليس على حقيقة الانقلاب على الاعقاب
ولكن على التمثيل الرجوع وترك العمل فعلى ذلك الاول وكقوله فنبذوه وراء ظهورهم على ترك العمل به
ويحتمل ان يكون السجود كناية عن الصلوة اى يصلون لله ويحتمل ان يكون على حقيقة السجود خروا لله سجدا
اذا تتلى عليهم آيات الله وحججه وهو كسجود سحرة فرعون حين عاينوا آيات الله وحججه وهو كقوله فالقى السحرة
ساجدين فعلى ذلك يحتمل سجود هؤلاء والله اعلم **وقوله** عز وجل ويقولون سبحان ربنا عما قالت الملحدة
فيه ان كان وعد ربنا لمفعولا اى قد كان موعود ربنا لمفعولا وكذلك قوله وكان امر الله مفعولا وكان
امر الله قدرا مقدورا اى كان ما يامر الله لكائنا ومفعولا اى قد كان ما يامر ووعد مفعولا وهو ما ذكرنا
كان وعد الله مفعولا **وقوله** عز وجل وعد ربنا لمفعولا اى قد كان ما وعد ربنا فى كتابهم انه يبعث رسولا
كان موعوده وما اخبر به كائنا مفعولا **وقوله** عز وجل ويخرون للاذقان يبكون فان كان التاويل
من السجود الصلوة ففيه دليل لقول ابى حنيفة رحمه الله ان المصلى اذا بكى فى صلوته خوفا على نفسه واشفاقا
او سرورا على ما انعم الله عليه واكرمه دينه لم تفسد صلوته واذا كان البكاء للتسلى عما حل به من الشدايد
والبلايا تفسد صلوته واصله ان البكاء اذا كان لله فهو لا يفسد الصلوة واذا كان للدنيا او لحاجة نفسه
فهو يفسد **وقوله** عز وجل ويزيدهم خشوعا اى يزيد ما يتلى عليهم من القرآن خشوعا وخضوعا لهم

دعاء آدم ربنا ظلمنا

فالقى السحرة ساجدين

او الآيات

475

العرب لا تعرف ذكر الرحمن

او الآيات وقال الحسن الخشوع هو الخوف الدائم فى القلب **وقوله** عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ذكر هذا والله اعلم وذلك ان العرب كانت لا تعرف الرسل والكتب المنزلة
من السماء ولا يؤمنون بهما ولا كانت لا تعرف ذكر الرحمن ولا التسمية به وكذلك غيره من الاسماء الا الاسم
المعروف ذلك انما بالسن الرسل والانبياء واما بالكتب المنزلة من السماء فاذ لم يؤمنوا بالرسل ولا عرفوا
الكتب حملهم ذلك على الانكار والجحود لاسمائه ولذلك قالوا وما الرحمن وقوله وهم يكفرون بالرحمن اى يكفرون
بذكر الرحمن واسمه ذكرتا وان يكونوا انكروا اسم الرحمن لما لم يعرفوا انه ماخوذ من الرحمة ولو عرفوا انه من الرحمة
ما انكروا على ما لم ينكروا الرحيم لانهم عرفوا ان الرحيم ماخوذ من الرحمة واما الله فهم يسمون كل معبود الها
وعلى ذلك سموا الاصنام التى كانوا يعبدونها آلهة ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله فيسمونه الله لما هو المعبود عندهم ورجعت عبادتهم الاصنام الى الله حيث زعموا
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كانوا يطلبون بعبادتهم الاصنام القربة الى الله لذلك انكروا غيره
من الاسماء على ان العرب لم ينكروا الشئ الواحد اسمين واكثر وعرفوا ان الاختلاف الاسماء وكثرتها
لا توجب اختلاف المسمى به ولا اوجب عدده وان ما قالوا انه كان يدعوهم الآن الى عبادة واحد
فالساعة تدعوا الى عبادة اثنين واكثر انما قالوا على التعنت والعناد والا قد عرفوا لشئ واحد اسمين
واكثر لكنهم انكروا والله ذلك لما ذكرنا تعنتا منهم وعنادا على هذا يجوز ان يتاول الآية والله اعلم
ثم اختلف فى تخصيص ذكره بهذين الاسمين قال بعضهم وجه تخصيصهما لانهما اسمان مخصوصان له
لا يجوز ان يسمى غيره بهذين الاسمين واما غيرهما من الاسماء فانه يجوز ان يسمى غيره بها وقال الحسن
خص بذكرهما لانهما اسمان معظمان عند الخلق ما لم يجعل لغيرهما من الاسماء من التعظيم ما جعل
لهذين وقال ابو بكر الاصم خص بذكر هذين لان غيرهما من الاسماء اسماء اخذت عن صفاته واما هذان
فهما ليسا اخذا عن صفة وقال الزجاج الرحمن هو ماخوذ من الرحمة الا انه النهاية فى الرحمة لانه فعلان وهو
ما يقال غضبان اذا انتهى غضبه غايته ولا قوله الرحيم والرحمن كلاهما من الرحمة الا ان الرحمن فعلان والفعلان
هو النهاية من وصف الرحمة لما ذكرنا وغيره من الخلائق لا يبلغون فى الرحمة ذلك المبلغ لذلك خص بذكر
الرحمن دون الرحيم وهذا كله واحد ليس فيه خلاف واصله ما ذكرنا لا يشارك غيره فى هذين ويجوز فى غيره
وقوله عز وجل فله الاسماء الحسنى اى اسماؤه التى يسمى بها كلها الحسنى ليس شئ منها قبيحا او ان يكون
قوله فله الاسماء الحسنى اى كل اعمال صالحة وامور حسنة له اى تنسب اليه ويضاف ولا يجوز ان يضاف
وينسب ما قبح منها وسمج واصله ما ذكرنا اليه ينسب اليه كل حسن وكل صالح على الاشارة والتسمية به وهو ما يذكر
التحيات لله والصلوات والطيبات الى آخره ينسب اليه كل طيب وكل حسن **وقوله** عز وجل فله الاسماء الحسنى
هذا يحتمل وجهين احدهما له اسماء حسنة يسمى بها والثانى ان كل حسن يسمى به غيره فهو راجع اليه
فى الحقيقة وهو مسمى به وكل حسن منسوب اليه **وقوله** عز وجل ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ
بين ذلك سبيلا اختلف اهل التاويل فى ذلك قال بعضهم قوله لا تجهر بصلوتك اى لا تجعل صلوتك
فى مكان غيظا للمشركين ولا تخافت بها اى ولا تسر عن اصحابك فتخفى عليهم لكن ابتغ بين ذلك سبيلا
وقال بعضهم لا تجعل كل صلوتك فى جماعة ولا تخافت بها ولا كلها فى غير جماعة وابتغ بين ذلك سبيلا
ولكن اجعل بعضها بالجماعة وبعضها لا بالجماعة وقال بعضهم لا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اى لا تجاوز
الحد فى الامور والاعمال التى امرتك بها ولا تقصرها عن الحد الذى حددت لك فيها ولكن ابتغ بين ذلك
سبيلا وقال بعضهم ولا تجهر بصلوتك مراءاة للناس ولا تخافت بها اى ولا تجب بها للاخفاء وجائز ان يكون
قوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اى لا تجهر بجميع الاذكار التى فى الصلوة او بجميع القراءة التى فيها ولا تخافت

بالكل ولكن بعضها بالجهر وبعضها بالمخافتة وقال بعضهم انه كان يجهر في صلوته بحيث يسمعه المشركون
فيؤذونه فامره ان لا يجهرها لئلا يؤذوه ولا تخافت كل المخافتة فيسمع اصحابك فياخذوا قراءتك وقال بعضهم ذلك
في الدعاء الى الله وتوحيده في حق التبليغ والمسالة وامثاله ولكن لا يجوز ان يقطع التاويل في هذا وامثاله
فيقال انه كان كذا الا بخبر منه ثابت لان الخطاب به خطاب له فقطع التاويل فيه والقول على شيء واحد
شهادة على الله وعلى رسوله ولا يحل الشهادة على الله ولا على رسوله بالاحاطة انه اراد ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ذكر في هذه الاية جميع ما يقع به الحاجة
الى التوحيد لان من نفى التوحيد وانكره انما نفى لاحد الوجوه التي ذكر منهم من قال له بالولد وهم اليهود والنصارى
ومنهم من قال لله بالشريك وهم مشركوا العرب ومنهم من قال له بالولي والعون من الذل وهم الثنوية وغيرها
حيث قالوا انشاء هذا النور ليستعين به على التخلص من وثاق الظلمة فنزه نفسه وبرأها عن جميع ما قالوا فيه
ونسبوا اليه لان الولد في الشاهد انما يطلب اما للتلهي واما للاستيناس والله يتعالى عن ان يقع له الحاجة الى ذلك
ويتعالى عن ان يكون له شريك لان الشركاء في الشاهد انما يتخذ للمعونة والتقوي بهم على بعض ما لهم وما هم فيه
والولي من الذل انما يتخذ في الشاهد للاستنصار والاستعانة على عدائه فالله يتعالى عن ان تقع له الحاجة الى شيء
من ذلك فنفى عنه جميع معاني الخلق وجميع ما ينسب اليهم ويضاف ويوصفون به وقوله عز وجل وكبره تكبيرا ه
اي صفه بما وصف نفسه وانف عنه جميع معاني الخلق فيكون في ذلك تعظيمه وتكبيره او يقول اعرفه بما ذكر
فاذا عرفت هكذا فقد عظمته وكبرته والولد في الشاهد انما يتخذ ويطلب لوجوه احدها للتسلي والاستيناس
عن وحشة او لحاجة تمسه فيستعين به على قضائها او لذلك يخاف من عدو له فيستنصر به عليه والله يتعالى
عن ان يصيبه شيء من ذلك وقوله ولم يكن له ولي من الذل اي لم يتخذ الاولياء ليستعز بهم من الذل بل انما اتخذ
اولياء رحمة منه وفضلا ليتعززوا هم بالله ويكونون عضاه وذكر لم يتخذ ولدا وقد خلق الاولاد للخلق
ليعلم ان ليس في خلق الشيء ما يصلح ان يتخذ لنفسه وقوله ولم يكن له شريك في الملك ولو كان على ما تقوله
المعتزلة لكان له شريك في الملك على قولهم لانهم يقولون ان الله لم يرد لاحد من الكفرة الملك لهم
وانما اراد لاوليائه فعلى قولهم صار الفراعنة شركاء في الملك حيث لم يكن ما اراد هو وكان ما ارادوا هم ه
والله اعلم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

سورة الكهف مكية وآيها مائة وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب تاويل الحمد ههنا وفي امثاله والله اعلم
اي حق الحمد للذي منه وصلت الى كل احد نعمة اي نعمة وان وصلت على يدي من وصلت الى كل من وصلت
فان حق الحمد والثناء له في تلك النعمة وان حمد من دونه اذ منه ذلك لا من الذي وصلت على يديه وان الذي
وصلت على يديه كالمستعمل له فحق الحمد والثناء له لا لمن دونه او ان يكون قوله الحمد لله اي قولوا له الحمد والثناء
لانه في جميع ما ذكر الحمد له الحق به شيئا اما قدرته وسلطانه واما نعمه التي انعم على الخلق كقوله الحمد لله الذي
خلق السموات والارض الاية والحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ونحوه وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا ما ذكر الحمد لنفسه والثناء الا ذكر على اثره اما قدرته وسلطانه واما نعمه فما كان المذكور على اثره
النعمة فهو يستادى به شكره وحمده وان كان الملحق به القدرة والسلطان فيخرج القول منه مخرج الامر
بالتعظيم له والهيبة والاجلال والله اعلم وقوله انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما اي لم يجعله
عوجا ويجوز زيادة اللام في مثله كقوله ردف لكم وردفكم هذا جائز في اللغة ثم قوله انزل على عبده الكتاب

ولم يجعله

ولم يجعله عوجا قيما اي لم يجعله عوجا وهو يخرج على وجهين احدهما على التقديم والتاخير على ما قال اهل
التاويل اي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعله عوجا والثاني على زيادة بل كانه قال انزل على عبده الكتاب
ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما على احد هذين الوجهين يخرج والله اعلم ثم قوله ولم يجعل له عوجا قيما
اذا لم يكن عوجا كان قيما واذا كان قيما كان غير عوج في كل واحد من الحرفين معنى الاخر الا ان من عادة
العرب تكرار الكلام واعادته على التاكيد كقوله محصنات غير مسافحات واذا كن مسافحات لم يكن محصنات
حرفا مؤديان معنى واحدا الا انه كرر لما ذكرنا من عادة العرب التكرار وكذلك ما ذكر لينذر باسا شديدا البأس
هو الشديد والشديد هو البأس هما واحد فعلى ذلك الاول ثم اختلف في قوله قيما وقال بعضهم القيم
هو الشاهد اي القيم على الكتب المتقدمة والشاهد عليها في الزيادة والنقصان وفي التغيير والتحريف
يبين ما زادوا فيها وما نقصوا وما حرفوه وما غيروه كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم الاية
وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه وقوله وان منهم لفريقا الاية كانوا يحرفون نظمه ووصفه ومنهم
من كان يحرف احكامه وشرايعه فهذا القرآن شاهد وقيم في بيان ما فعلوا وقال بعضهم قوله
قيما اي ثابتا قايما ابدا لا يبدل ولا يغير ولا ينسخ ولا يزاد ولا ينقص وهو على ما وصفه لا ياتيه
الباطل الاية وهو على ما وصف الحق بالثبات والقيام والباطل بالذهاب والتلاشي كقوله كذلك يضرب الله
الحق والباطل الاية وما وصف الكلمة الطيبة بالثبات والقيام لها والخبيثة بالزوال والتغيير والذهاب
فعلى ذلك هذا القرآن لانه حق وقال بعضهم قيما اي مستقيما وتاويل المستقيم المستوي الموافق اي يصدق
بعضه بعضا ويوافق اوله آخره وآخره اوله اي لم يخرج مختلفا وهو على ما قال ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولو كان من عند غير الله على ما قال اولئك الكفرة لكان يخرج مختلفا متناقضا
ينقض اوله آخره وآخره اوله فاذ لم يكن دل انه من عند الله نزل ولو كان على ما يقولون اصحاب العموم
والظاهر ايضا لم يكن قيما ولا مستقيما بل يخرج مختلفا متناقضا لانهم يعتقدون على العموم والظاهر
ثم يخصون بدليل فهو مختلف واصله قيم بالحجج والبراهين على اي تاويل كان وبالله التوفيق وقوله عز وجل
لينذر باسا شديدا اي انزله على عبده لينذركم باسا شديدا اي لينذر ببأس شديد والبأس العذاب
وقوله عز وجل من لدنه هذا يحتمل وجهين احدهما انزل على عبده الكتاب من لدنه اي من عنده والثاني
لينذر الكفار باسا شديدا ينزل من عنده والله اعلم وقوله عز وجل ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
فيه دلالة انه قد يكون المؤمنون ويستحقون اسم الايمان وان لم يعملوا الصالحات حيث ذكر المؤمنين ثم ذكر
الاعمال الصالحات خص المؤمنين بعمل الصالحات لكن البشارة المطلقة انما تكون للمؤمنين الذين عملوا الصالحات
لانه لم يذكر البشارة المطلقة في جميع القرآن الا للمؤمنين الذين عملوا الصالحات ثم المؤمنون الذين عملوا غير
الصالحات في مشية الله ان شاء عفى عنهم وان شاء عذبهم بقدر عملهم الذي كانوا وان شاء قابل سيئاتهم
بحسناتهم فان فضلت حسناتهم على سيئاتهم بدل سيئاتهم حسنات على ما اخبر فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات هم في مشية الله على ما ذكر وليست لهم البشارة المطلقة التي ذكر للمؤمنين الذين عملوا الصالحات
وقوله عز وجل ان لهم اجرا حسنا لا سوء فيه ولا قبح وقوله ان لهم اجرا حسنا دون قوله ان لهم اجرا كبيرا
كبيرا في الذكر لكنه صار مثله بقوله ماكثين فيه ابدا لا يخرجون منه ابدا وهم مقيمون فيه ثم يحتمل وجهين
احدهما ماكثين فيه اي لا تاخذهم سآمة ولا ملالة فيه فيريدون التحول منه الى غير على ما يكون في الشاهد انه يسأم
المرء ويمل من طعام وان كان رفيعا ويرغب فيما دونه وهو ما قال خالدين فيها لا يبغون عنها حولا والثاني
ماكثين فيه ابدا لان خوف الخروج والزوال عن النعمة ينغص النعمة على صاحبها وهو ما قال خالدين فيها ابدا
وقال لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله عز وجل وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم

هذا يحتمل وجهين احدهما اى يعلمون انه لم يتخذ ولدا ولكن يقولون ذلك على العلم منهم كذبا وزورا كقوله
وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم اى اشرك ما اعلم منه ليس هو لشريك له وكقوله قل اتنبئون
الله بما لا يعلم فى السموات اى اتنبئون الله بما يعلم انه ليس على ما يقولون والثانى يحتمل قوله ما لهم به من علم
اى عن جهلهم يقولون ما يقولون من الولد والشريك لا عن علم تقليدا لآبائهم لانهم ليسوا باهل كتاب يعرفون به
ولا كانوا يؤمنون بالرسل واسباب العلم وهذين الكتاب والرسل فما قالوا انما قالوا من جهل لا عن علم وكذلك
آباؤهم فان كان على هذا ففيه دلالة ان من قال شيئا عن جهل فانه مؤاخذ به حيث قال وينذر
الذين قالوا الآية **وقوله** عز وجل كبرت كلمة تخرج من افواههم اى كبرت وعظمت تلك الكلمة التى
قالوها على من عرف الله حق المعرفة حتى كادت السموات والارض ان تنشق لعظم ما قالوا فى الله كقوله تكاد السموات
يتفطرن منه الآية وقوله ان يقولون الا كذبا ثم تكلم اهل الادب فى نصب كلمة قال بعضهم
انتصب على المصدر اى كبرت كلمتهم التى قالوها كلمة كقوله وكلم الله موسى تكليما وقال قطرب هو على الوصف
كما يقال بئس رجلا ونعم رجلا على الوصف به وذلك جائز فى اللغة فعلى ذلك هذا وقال الخليل انما انتصب
لانها نعت لاسم مضمر معرفة وهو بمنزلة قوله ساء مثلا وانما كان نعتا لاسم مضمر لانه قال وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا فهذا القول هو قريبة فتاويله كبرت الفرية كلمة وقد قيل كبرت المقالة كلمة
وهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل تخرج من افواههم اى كبرت كلمة تكلموا بها ويقول كبرت كلمة
تكلموا بها **وقوله** عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا وقال فى آية اخرى لعلك باخع
نفسك ان لا يكونوا مؤمنين اخبر انه فاعل ما ذكر ولم يقل لا تفعل ولا تفعل فى هذا فيشبه ان يكون
النهى ما ذكر فى آية اخرى وهو قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولهذا قال بعض الناس ان فى قوله
فلعلك باخع نفسك نهى عن الحزن عليهم وعندنا ليس يخرج على النهى ولكن على التسلى والسلوة ثم اختلف
فى قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا فى الاسف قال بعضهم الاسف هو النهاية فى الحزن كقوله يا اسفى
على يوسف اى يا حزنى ويحتمل ان يكون منه الحزن اشفاقا عليهم ان تتلف نفسهم فى النار بتركهم الايمان
او كانت نفسه تغضب عليهم بتركهم الاجابة والقول فى الله سبحانه على ما قالوا فيه وكلاهما يجوز ان ذكر
ذلك الله كادت نفسه ان تتلف حزنا عليهم اشفاقا منه او كادت تتلف غضبا عليهم وفيه دلالة انه لم يكن
يقاتل الكفرة للقتل والتلف ولكن كان يقاتلهم ليسلموا حيث كادت نفسه تتلف اشفاقا عليهم
وفيه فلا يحتمل ان يكون يقاتلهم للقتل والتلف فى القتل ترك الشفقة ولكن كان يقاتلهم ليضطرهم
القتال الى الاسلام فيسلموا فلا يهلكون وفيه تذكير للمسلمين وتنبيه لهم من وجهين احدهما اخبر
عن عظيم محل الذنوب فى قلبه فلعل ذلك يؤذيه فيلحقهم اللعن كقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
الآية وفى ذلك زجر عن ارتكاب ما يسوؤه ويؤذيه والثانى تعليم منه لامته ان كيف يعامل الكفرة
واهل المناكير منهم يقاتلون فى الظاهر ويضمرون الشفقة لهم فى القلب على ما فعل بهم رسول الله
وعاملهم وقوله بهذا الحديث سمى القرآن حديثا وهو ما قال الله نزل احسن الحديث سماه
باسامى قصصا وحديثا وذكرا وروحا وامثاله والنهاية فى الحزن والغضب للانبياء انفسهم
تقوم لهذين واما غيرهم من الخلائق فلا يحتمل انفسهم الا احدهما اذا كان الحزن ذهب الغضب
واذا كان جاء الغضب ذهب الحزن فالانبياء هم المخصوصون بهذا **وقوله** عز وجل انا جعلنا ما على الارض
زينة لها اختلف فيما اخبر انه جعل للارض زينة قال بعضهم كل ما على وجه الارض من النبات
والشجر والانسان وغيره هو زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فان كان التأويل على هذا فيكون قوله
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا القيمة يعنى جميع ما على وجه الارض فتبقى قاعا صفصفا وذلك

اخبار عن القيامة وقال بعضهم زينة لها هو النبات التى عليها وما جعل لهم من الرزق ليبلوهم بما جعل لهم
من الارزاق بالامر والنهى والعبادات وغيره ثم يجعل ذلك النبات عليها وتلك الارزاق مجانا ولكن ليختبرهم
بانواع الامتحان فاذا كان كذلك ففيه دلالة ان ليس لاحد ان يتناول مما عليها الا بالاذن ولا يتقدم على شىء
منها الا بامر من اربابها وقال ابو بكر عبد الرحمن بن كيسان زينة لها اهلها جعل ذلك ليبلوهم ذكر ههنا
انه جعل ما على الارض ليبلوهم ايهم احسن عملا وقال فى آية اخرى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا
ثم من الناس من يجمع بين الآيتين فيقول جعل الحيوة للابتلاء والموت للجزاء فيستدل على ذلك بقوله انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا اخبر انه يبلوهم بالزينة والحيوة لا بالضيق والموت ومنهم من يقول
امتحنهم بهما جميعا بالحيوة ليتزودوا فيها لما بعد الموت كما يتزود فى حال السعة والرخاء لحال الضيق والشدة
فمن لم يتزود فى حال السعة فلا زاد له فى حال الضيق فعلى ذلك من لم يتزود فى الحيوة فلا زاد له بعد الموت **وقوله**
عز وجل وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اى نبتليهم ونختبرهم ايضا بذهاب النبات والانزال وبلية
ان يبتليهم بالرخاء والسعة وبالضيق والشدة كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله ولنبلونكم بشىء من الخوف
والجوع الآية وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحوه فعلى ذلك قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا والله اعلم اى نبتليهم بالسعة والضيق والرخاء والشدة
وقال القتبى باخع نفسك اى مهلك نفسك وقال ابو عوسجة باخع بخع نفسه اى اخرجها وقالا جميعا الاسف الحزن
وقال غيرهما الاسف الغضب ايضا دليله قوله فلما اسفونا انتقمنا منهم اى اغضبونا وقال القتبى الصعيد
المستوى ويقال وجه الارض ومنه قيل للتراب صعيد لانه وجه الارض والجرز الارض التى لا تنبت شيئا
يقال ارض جرز وارضون اجراز وكذلك الارض ومنه قال ابو عوسجة والجرز التى لا تنبت فيها والصعيد التراب
وقوله عز وجل ام حسبت قيل احسبت وقيل قد حسبت ويحتمل ام بمعنى بل حسبت كقوله ام يقولون افترى
اى بل يقولون فعلى ذلك قوله ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم وقد ذكرنا فى غير موضع ان حرف الاستفهام
من الله يكون على الايجاب والالزام ثم هو يخرج على وجهين احدهما على الامر لحسب واعلم ان انباء الكهف والرقيم
كانوا من آياتنا عجبا او ما ذكرنا بل حسبت وهو كذلك او يقول لا تحسبن ان اصحاب الكهف والرقيم من آياتنا
عجبا ليس بعجب منها بل آتاك آيات اعجب منها بكثير والله اعلم ثم اختلف فى الرقيم قال بعضهم الرقيم الكتاب كقوله
كتاب مرقوم اى مكتوب وقال بعضهم الرقيم الوادى الذى فيه كهفهم وقيل الرقيم اللوح الذى كتب فيه اسامى الفتية
وقيل الرقيم القرية التى خرجت الفتية منها وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما ادرى ما الرقيم
لكنى سألت كعبا عنها فزعم انها القرية التى خرجوا منها وقيل الرقيم هو الكلب الذى كان معهم قالوا امثال ما ذكرنا
وليس بنا الى معرفة الكهف والرقيم حاجة انما ذلك بلسانهم ولم يسألوا عن الكهف والرقيم وانما سألوا عن اصحاب
الكهف والرقيم فما ينبغى لهم ان يشتغلوا به ثم ما قال اهل التأويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
عن قصة اصحاب الكهف والرقيم وانبائهم فقال اخبركم غدا ولم يستثن فعاقبه الله فيه ان حبس عنه الوحى كذا
كذا يوما فنزل ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله لكن ذلك فاسد وما توهموا على رسول الله
محال لانه كذب لا يجوز ان يكون رسول الله يقول اخبركم غدا والله لم يأمره بذلك وان قال ولم يستثن
فيحبس الله الوحى عنه ولا يخبرهم فى الوقت الذى قال انه يخبرهم فيظهر كذبه عندهم بعد ما اختاره لرسالته
واصطفاه لموضع وحيه ثم يكذبه فيما اخبر هذا فاسد محال غير محتمل ما توهموا به على الله وعلى رسوله
قد كان من كفار مكة السعى فى منع رسول الله عن تبليغ الرسالة الى الناس والحيلولة عن الدعاء الى ما امر
ان يدعوهم واستقبال حججه وبراهينه بتمويهاتهم وقد ذكر فى غير قصة وخبر انهم سألوا اليهود عنه وعن نعته
هل تجدون نعته فى كتبكم اذ لم تكونوا اهل كتاب يعلمون ذلك فاحتاجوا الى من يعلمهم ويخبرهم عن ذلك

فسألوا يهود المدينة عنه وعن خبره فقالوا نجد نعته في كتابنا كما تقولون فهذا وقت خروجه وانه فقالوا لهم
حدثونا بشيء نسأله لا يعلمه الا نبي فقالوا سألوه عن ثلاث خصال فان اجابكم فهو نبي والا فهو كذاب سألوه
عن اصحاب الكهف وسألوه عن ذي القرنين فانه كان ملكا وكان من امره كذا وكذا وسألوه عن الروح فان اخبركم
فهو نبي وان لم يخبركم فهو كذاب فسألوه فاخبرهم عن ذلك وفي بعض القصة سألوه عن الروح فان اخبركم
عنه فهو ليس بنبي وان لم يخبركم ولكنه وكل امره الى الله فهو نبي ثم قوله ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
من آياتنا عجبا يحتمل ان يكون الخطاب به وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره على ما خاطبه
في غير آي من القرآن والمراد به غيره ويحتمل ان يكون الخطاب له والمراد هو وان كان هو المخاطب بهذا فانه
يحتمل قوله ام حسبت الى آخره وجهين احدهما يقول قد حسبت ان انباءهم واخبارهم كانت من آياتنا لك
لرسالتك ونبوتك عجبا فيكون الحسبان على هذا التاويل في موضع العلم واليقين كانه قال قد علمت ان انباء
اصحاب الكهف واخبارهم آية عجيبة لرسالتك والثاني اخبارهم عن احوالهم وتقلبهم من حال الى حال
فان كان على هذا فيكون الحسبان في موضع الحسبان كانه قال قد حسبت ان احوالهم وتقلبهم كان من آياتنا
عجبا هذا اذا كان الخطاب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم واما اذا كان الخطاب به غيره فانه يجوز على الحسبان
والظن وغيره والله اعلم وقوله عز وجل اذ اوى الفتية الى الكهف اي انضم قال بعضهم الكهف الغار في الجبل
وقيل الفضا وقيل الملجأ ولكن قد ذكرنا انا لا ندري ما الكهف وما الرقيم ذلك بلسانهم وليس لنا الى معرفة ذلك
حاجة واسم الفتية اسم الاحداث منهم والشبان لا اسم المشيخة ثم يكون المماليك والخدم ويكون الاحرار والله اعلم
وقوله عز وجل فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال الحسن ربنا آتنا من لدنك رحمة اي جنة وهيئ لنا من امرنا
رشدا اي نورا وهو كقوله ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا فهذا ليس بدعاء انما هو تلقين
والهام منه اياهم فيكون تفسيرا للاول وقال بعضهم قوله آتنا من لدنك رحمة اي رزقا لانهم كانوا يفارقون قومهم
لكفرهم ليسلم لهم دينهم الذي هم عليه وهو الاسلام وقد عرفوا انه يسع مفارقة الناس طلبا لسلامة الدين
ولكن لم يعرفوا انه يسع مفارقة قومهم وما به قوام انفسهم الى مكان خال عن ذلك فسألوا ربهم الرزق اشفاقا على انفسهم
بقولهم آتنا من لدنك رحمة اي رزقا وهيئ لنا من امرنا رشدا اي اجعل جميع امورنا على الصواب والرشد على ما ذكرنا
انهم عرفوا سعة المفارقة للدين ولكن لم يعرفوا سعة ذلك اذا كان فيه خوف هلاك انفسهم فسألوا ربهم ان يجعل
امرهم ذلك على الرشد والصواب ويحتمل آتنا من لدنك رحمة نعمة وسعة وهيئ لنا من امر ديننا صوابا يقول آتنا
من لدنك رحمة دينا وهيئ لنا من امرنا وقوله عز وجل فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا الضرب على الآذان
هو المحو محو الاسماع ويقال اضرب على حديث كذا اي امحه ثم يحتمل محو الاسماع وجهين احدهما محو الارواح
التي بها تحيى الانفس فيكون كناية عن الموت او يكون محو ارواح الاسماع التي بها يسمع لا الموت فيما قال في آية اخرى
وتحسبهم ايقاظا وهم رقود دل انه انما اراد محو ارواح الاسماع لا محو الارواح التي بها حيوة الانفس وهو كقوله
وهو الذي يتوفاكم بالليل الآية وقوله عز وجل ثم بعثناهم من رقودهم لنعلم اي الحزبين اي ليعلم ما قد علمنا
غائبا شاهدا اذ كان عالما بما يكون منهم وتاويله ما ذكرنا ليعلم للخلق شاهدا كما علم هو غائبا او ليعلم
المخطئ منهم من المصيب اذ محال وصفه بالعلم بالمخطئ ولا مخطئ ثم وبالمصيب ولا مصيب ثمة فاذا كان كذلك
فيكون قوله ليعلم المخطئ من المصيب والمصيب من المخطئ اذا كان واصله انه يعلم كائنا على ما علم انه يكون وقوله
عز وجل احصى لما لبثوا امدا يحتمل ليعلم اي الحزبين احصى للسبب الذي لبثوا به فيه والثاني احصى للمدة التي
لبثوا فيها والله اعلم ثم اختلف في قوله اي الحزبين قال بعضهم مشركيهم ومؤمنيهم ومنهم من قال الملك
والفتية وقال بعضهم هم اختلفوا في ملتهم اذ بعثوا قال بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم وقال بعضهم ربكم اعلم
بما لبثتم ولكن لسنا ندري من اي الحزبين وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما ذكرنا قول اهل التاويل

وقوله عز وجل نحن نقص

وقوله عز وجل نحن نقص عليك نبأهم بالحق الحق في النبأ الصدق والحق في الاحكام العدل وفي الافعال
الصواب وقال بعضهم الحق ههنا هو القرآن فيكون قوله بالحق اي في الحق وهو القرآن اي نقص عليك نبأهم
في القرآن والله اعلم وقوله عز وجل انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم هذا الحرفان
معناهما واحد الزيادة والربط كل واحد منهما يؤدي معنى صاحبه زيادة الهدى اي ثبتناهم على الهدى
ويجوز ان يقال هو التثبيت والربط كذلك ويجوز ان يقال على التجديد والابتداء اذ للايمان حكم التجدد
في كل وقت اذ هو يكون منكرا جاحدا للكفر في كل وقت فهو مجدد للايمان كذلك في كل وقت فان شئت
حملته على الثبات والزيادة على ما كان وان شئت على الابتداء والتجدد وكذلك قوله فزادتهم ايمانا وقال
الحسن في قوله زدناهم هدى اي من حكم الله ان من اهتدى زاده هدى كقوله والذين اهتدوا زادهم
هدى لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان لا يجوز ان يكفر اذا اهتدى مرة اذا اهتدى مرة لا يزال يزيد له هدى
فاذا لم يكن دل انه لا يصح ذلك والوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل اذ قاموا فقالوا ربنا يحتمل قوله اذ قاموا
بالحجج والبراهين ويحتمل اذ قاموا بالنهوض الى الكهف حين انضموا اليه وقاموا لله ولدينه او قاموا من عند
اولئك الكفرة فقالوا لما ذكر ربنا رب السموات والارض اي قالوا ربنا هو رب السموات والارض ورب
ما بينهما وقوله عز وجل لن ندعو من دونه الها يحتمل قوله لن ندعو من دونه الها اي لن نسميهم آلهة
على ما سمى قومهم الاصنام التي عبدوها آلهة وقوله عز وجل لقد قلنا اذا شططا اذا سميناهم آلهة
ويحتمل قوله لن ندعو اي لن نعبد ولن نتخذ من دونه الها كما عبدوا اولئك واتخذوا من دونه آلهة
فسموهم آلهة على زعمهم وعلى ما عندهم كقوله فراغ الى آلهتهم وقوله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا لا يجوز ان يسمي الانبياء الاصنام التي كانوا يعبدونها آلهة وهي ليست بآلهة ولكن قالوا ذلك على زعمهم
وعلى ما عندهم فعلى ذلك قوله لن ندعو من دونه الها اي لن نعبد فان كان على العبادة ففيه اضمار
اي لن نعبد من دونه الها غير الله كفعل قومنا ولو فعلنا لقد قلنا شططا اي جورا وظلما ثم قالوا هؤلاء
قومنا اتخذوا من دونه آلهة يعبدونها لولا يأتون عليهم بسلطان بين اي هلا يأتون على تسميتهم آلهة واستحقاقهم
العبادة لها بحجة بينة ثم حرف هلا يستعمل في الماضي ويستعمل في المستقبل فان كان على الماضي فهو
على الانكار اي لم يكن وان كان على المستقبل فهو على السؤال اي ايتوا بحجة بينة انها آلهة كما قالوا هم ان الله
هو الاله الحق انه خالق السموات والارض ورب ما بينهما قال القتبي فضربنا على آذانهم اي انمناهم والامد
هو الغاية وربطنا على قلوبهم اي الهمناهم الصبر وثبتنا قلوبهم وقوله شططا اي غلوا يقال اشط علي اذا غلا
في القول وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن جعل مع الله آلهة وقد ذكرنا
تأويله في غير موضع وقوله عز وجل واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنه واذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فتأويل الآية على القراءة الظاهرة وما يعبدون
الا الله اي وان اعتزلتموهم والذين لا يعبدون الا الله فلا تعتزلوا عبادة لانهم كانوا يعبدون الاصنام
ويعبدون الله ايضا ويرونه معبودا فكانهم قالوا واذ اعتزلتموهم والذين يعبدون الا الله فلا تعتزلوه
وهو كقول ابراهيم عليه السلام لقومه حيث قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون الآية استثنى
عبادة رب العالمين من بين عبادة من يعبدون من دونه اذ كانوا يعبدون الاصنام ويعبدون الله ويرونه
معبودا الا ان بعضهم لا يرون انفسهم بلغت مرتبة عبادة الله فيعبدون الاصنام رجاء ان تشفع لهم عنده
او تقرب عبادتهم الى الله زلفى وامثاله وجائز ان يكون قوله واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله على التقديم
والتقدير اي واذ اعتزلتموهم فأووا الى الكهف لانهم كانوا لا يعبدون الا الله يعني اصحاب الكهف والثاني ما ذكرنا
واذ اعتزلتموهم وما يعبدون هم في الحقيقة الا الله وان كانوا في الظاهر يعبدون غير الله وتاويل قراءة

عبدالله بن مسعود رضى الله عنه واذا عتزلتموهم وجميع مايعبدون من دون الله ويحتمل ان يكون هذا
منهم ليس على القول والنطق ولكن الق فى قلوبهم وقذف انهم اذا فارقوا قومهم وباينوا ونياوؤوا الى الكهف ينشر لكم
ربكم من رحمته وقال الحسن ان فى قومهم من قد امن سراهم فقالوا لكم اذا باينتم وفارقتم فاووا الى الكهف
فلا تبعدوا منهم فلعلهم يلحقونكم ويطلبون لقاكم فلا تبعدوا منهم ويشبه ان يكون قوله فاووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته لما عزموا ان يفارقوا قومهم اعترض لهم الشيطان فقال لكم تفارقون قومكم الى مكان
وليس معكم شراب ولا طعام تهلكون انفسكم فدفعوا وساوسه بقوله ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم
مرفقا ثم قوله ينشر لكم ربكم من رحمته قال بعضهم يخلق لكم ربكم كقوله وانظر الى العظام كيف ننشزها بالرا
اى كيف نخلقها وقال بعضهم ينشر لكم اى يبسط والنشر هو البسط **وقوله** عز وجل من رحمته يحتمل الرزق ويحتمل
كل شئ به يدفع الهلاك عن انفسهم **وقوله** عز وجل ويهيئ لكم من امركم مرفقا اى ما ترتفقون به وتنتفعون وهو
قول ابى عوسجة وهو من الرفق والمرفق ايضا مثله لانه ينتفع به وقال القتبى مرفقا ما يرتفق به وقال ابو عبيد
المرفق ما ارتفقت به فاما فى اليدين فهو مرفق والله اعلم **وقوله** عز وجل وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم
ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال قال بعضهم ان الشمس كانت لا تصيبهم لا عند طلوعها ولا عند
غروبها لان الكهف كان مستقبل بنات النعش وكل شئ مستقبل بنات النعش لا تصيبه الشمس وقال بعضهم لا
ولكن كان ثمة حجاب وستر يحجب الشمس عن ان يقع عليهم لكن هذا لا يصح لان الله عز وجل جعل لهم اية
من اياته وكرامة من كراماته فليس مما لا يقع عليهم الشمس لحجاب او ستر كبير اية ومنة انما الاية فيما تقع الشمس
عليهم ثم تدفع عنهم ضررها واذاها فاذا كانوا بحيث لا تصيبهم الشمس فاذاها وضررها ايضا لا يصيبهم فليس فى ذلك
كبير اية وحكمة اذ ليس فيها لا يصيب الشمس ضررا واذى ولكن يذكر لطفه حيث منع ضرر الشمس واذاها عنهم
مع اصابة الشمس اياهم ووقوعها عليهم والله اعلم **وقوله** عز وجل تزاور عن كهفهم ذات اليمين يمينهم او يمين
او يمين القبلة وكذلك ذات الشمال شمالا ولنا او شمال القبلة فاما يمين الجبل والغار على ما قال اهل التاويل
فانه ليس للجبل يمين ولا شمال **وقوله** عز وجل وهم فى فجوة منه قال بعضهم الفجوة الظل وقال بعضهم الفجوة
الفضاء وقال بعضهم هى سعة المكان يخبر عز وجل عن لطفه ومنته انه قد حشرهم الى الغار وكانوا يسعون فيه حتى يتقلبون
فيه والغار الذى يكون فى الجبال لا هكذا يكون بل يكون ضيقا **وقوله** عز وجل ذلك من ايات الله هذا يرد قول من ينكر
جرى الايات على يدى غير الانبياء لانه جعل فى اصحاب الكهف عددا من الايات كلها خارجة عن احتمال وسع
الخلق وعادتهم لمفارقتهم قومهم لسلامة دينهم احدها ما اخبر انه ضرب على اذانهم وانامهم نوما خارجا عن طبع الخلق
وعادتهم وهو ثلثمائة سنة ثم بعثهم ليتساءلوا بينهم على ما اخبر عز وجل والثانى لم تبل ثيابهم فى مثل تلك المدة
ومثل المكان ولم تتغير الا ترى انهم قالوا حين بعثوا لبثنا يوما او بعض يوم ولو كانت ثيابهم بالية او متغيرة
لم يستقلوا ولا استقصروا كل هذا يوما او بعض يوم الا ترى انهم فزعوا الى الطعام ولم يفزعوا الى الثياب حيث قالوا
فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة ولو كانت ثيابهم بالية او متغيرة لكان فزعهم الى الثياب كهو الى الطعام وهو
اولى والثالث ما اخبر من تزاور الشمس اذا طلعت ذات اليمين وقرضها اياهم ذات الشمال والرابع دفع الحر
والبرد عنهم اذ من طبعهما الاهلاك والافساد اذا اشتد وكثر والخامس ما ذكر من تقليبه اياهم ذات اليمين وذات الشمال
وحفظه اياهم عن ان تفسدهم الارض وتاكلهم اذ من طبع الارض ذلك عند امتداد الوقت والسادس ما ذكر فى الاية
من الهول والهيبة اذا دخل عليهم واطلع حيث قال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا خوفا عما ترى
فيهم من الاهوال هذا لرسول الله فكيف لمن دونه والسابع حفظه اياهم عن جميع الخلائق حتى لم يطلع ولم يعثر عليهم
احد من الخلائق والثامن ابقاؤهم احياء اكثر من ثلثمائة سنة بلا غذاء والانفس لا تبقى بلا غذاء بدون ذلك وذلك
باللطف وامثال هذا كثير مما يكثر عددها واحصاؤها كله من ايات عظيمة خارجة عن وسع الخلق وعادتهم فللخلق

باختيارهم دين الله من بين قومهم وبمفارقتهم اياهم ليسلم لهم دينهم اذ الغلبة فيهم يومئذ الكفر فاكرمهم
الله بذلك بالكرامات التى ذكرنا فلا ننكر ان يعطى الله احدا من اوليائه قطع مسيرة ايام بيوم او بساعة او المشى
على الماء ونحو ذلك ليس بمستبعد ولا مستنكر **وقول** اهل التاويل انهم كانوا كذا والكلب كذا واساميهم كذا
وعددهم كذا ونحوه فذلك مما لا يعلم الا بخبر الصدق وقول الحق وقد نهى رسوله ان يستفتى فيهم منهم
احدا حيث قال ولا تستفت فيهم منهم احدا وهو ما ذكر هؤلاء كله من الاستفتاء الذى نهى رسوله عليه عن ذلك
وقال ابو عوسجة تزاور اى تميل وتزور مثله تقرضهم اى تدعهم على شمالها اى ان الشمس لا تصيبهم طالعة ولا غاربة
عند طلوعها وغروبها ويقال قرضته تركته اقرضه قرضا ويقال قرضت موضع كذا اى جاوزته وتركته خلفى ويقال
قرضته اى قطعته بمقراض وتزاور يتزاور اى عدل ومال وهم فى فجوة منه اى سعة وفجوات جمع ويحتمل قوله
ذلك من ايات الله اى ذلك النبأ وما ذكر من قصة اصحاب الكهف من ايات قدرة الله او من حجج الله على اثبات رسالة
رسوله او من ايات كراماته للفتية ولمن اختار دين الله واثر على غيره **وقوله** عز وجل من يهد الله فهو المهتد
ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا قد ذكرنا فى غير موضع وقال بعضهم تزاور وتقرضهم كلاهما واحد
وهو ان تميل عن كهفهم فتدعهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم اى تدعهم ذات **وقوله** وهم فى فجوة منه
اى فى ناحية من الكهف قال ابو معاذ الزايغة قدر ما يصلح وقال بعضهم فى قوله يهيئ لكم اى يبوئ لكم كقوله
تبوئ المؤمنين اى تهئ وهيئ لنا من امرنا رشدا الرشيد الصالح وقال مقاتل رشدا اى مخرجا ويهيئ لكم من امركم
مرفقا قال ابن عباس رضى الله عنه غذاء تاكلونه وهو ما ذكرنا كل ما يرتفق به ويقال مخرجا **وقوله** عز وجل
وتحسبهم ايقاظا وهم رقود قال بعضهم لانهم كانوا مفتحة الاعين والابصار كاليقظان وقال بعضهم وتحسبهم
ايقاظا لانهم كانوا يتقلبون فى رقودهم اليمين والشمال كما يتقلب اليقظان يمينا وشمالا وقال بعض اهل التاويل
انما كان تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ليدفع عنهم اى دنى الارض وضررها لئلا يفسدوا ولا يبلوا وان كان
الله قادرا ان يدفع عنهم الاذى وضرر الارض لا يتقلب من جانب الى جانب وان كان مما يفعل من لا يملك
دفع الاذى بما ذكرنا فاما من كان قادرا بذاته مستغنيا عن الاسباب التى بها يدفع فغير محتمل وقوله على التعليم
منه اياهم انه كيف يتقى الاذى وكيف يدفع الضرر اذا لم يكن بمشهد من الخلق فلا معنى له وقال بعضهم
قوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود لانهم كانوا فى مكان الريبة واللصوص مما لا ياوى اليه الا هارب من عدو
وشر او قاصد ريبة وطالب غرة ومكابرة لم يكونوا فى مكان يشام فيه ويرقد ولا يختار للنوم مثله فقال
وتحسبهم ايقاظا وهم رقود لما كانوا فى مكان لا ينام فيه للخوف كانهم ايقاظ وهم رقود والله اعلم
ولكن لا ندرى لاى معنى ذكر انه يحسب الناظر اليهم كانهم ايقاظ وهم رقود اذ لم يبين الله ذلك فلا نفسر
وقوله عز وجل ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال هو ما ذكرنا وقوله قد يتقلبون فى نومهم من جانب الى جانب
وذكر التقليب وجائز ان يكون لما ذكر بعضهم من دفع اذى الارض وضررها او ذكر فعله لما له فى تقليبهم صنع وفعل
والله اعلم **وقوله** ذات اليمين وذات الشمال ان لا يفهم من ذات الشئ غير ذلك الشئ او شيئا اخر سواه لانه
ذكر ذات اليمين فهو اليمين والشمال نفسه لا غير فعلى ذلك فى قولنا عالم بذاته لا يفهم غير علمه اى عالم **وقوله** عز وجل
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال بعضهم الوصيد هو فناء الباب وقال بعضهم الوصيد هو عتبة الباب
قال القتبى الوصيد الفناء ويقال عتبة الباب وهذا اعجب الى لانهم يقولون اوصد بابك اى اغلقه ومنها انها
عليهم موصدة اى مطبقة واصله ان تلصق الباب بالعتبة اذا اغلقته فان كان الوصيد هو عتبة الباب
ففيه ان الكلب كان داخل باب الغار وان كان الفناء ففيه انه كان خارج باب الغار وفيه ايضا ابقى الكلب
ثلثمائة سنة على ما ابقاهم وان لم يكن من جوهرهم بلطفه **وقوله** عز وجل لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا ولملئت منهم رعبا قال بعض اهل التاويل وذلك ان شعورهم قد طالت واظفارهم قد امتدت وعظمت

وعظمت نكانوا بحال يرعب عنهم ويهاب لكن هذا لا يحتمل لانهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فلو كانوا له
على الحال التي ذكروا من تطاول الشعور وامتداد الاظفار وتغير احوالهم لم يكونوا ليقولوا لبثنا يوما او بعض
يوم اذ لو نظروا الى انفسهم من تغير الاحوال لعرفوا انهم لم يلبثوا ما ذكروا من الوقت دل ذلك ان ذلك الخوف
والهيبة لا لذلك وقال بعضهم لانهم كانوا في مكان الريبة فيما لا يؤوى الى مثله لا لخوف ريبة او طلب ريبة
لا يأوي اليه الا الذين هاربين من شر او طالب شر على اخر على ما ذكرنا ان من اقام في مهاب ومكان مخوف يهاب منه
ويخاف وانهم يكونوا بحيث يهابون ويخاف منهم ليلا يدنوا منهم احد ولا يقرب فلا يوقظهم احد ليبقوا الى المدة
التي اراد الله ان يبقوا فيه وكذلك يحتمل هذا المعنى في تقليب اليمين والشمال وجايز ان يكون قوله لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ذلك الخوف وتلك الهيبة هيبة الدين على ما روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وذلك لدينه ولحقيقة امره فعلى ذلك جايز ان يكون ما ذكر
من هيبة احوالهم لدينهم الذي اختاروا من بين قومهم وفارقوهم ليسلم دينهم الى مكان لا طعام فيه ولا شراب
وذلك لحقيقة ما اختاروا من الدين كان ذلك لمعنى لم يطلع الله رسوله على ذلك فلا نفسر والله اعلم وقوله
عز وجل وكذلك بعثناهم اي كما انباكم من انبائهم وقصصهم كذلك بعثهم او كما ضرب على اذانهم وانامهم
سنين كذلك يبعثهم وقوله وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم بعثهم لما علم ما يكون منهم وهو التساؤل وهكذا
جميع ما يخلق ويشئ انما يخلق ويشئ لما يعلم انه يكون منهم كقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا الاية ذراهم لما علم انه
يكون منهم وهو عمل اهل جهنم وكذلك قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون من علم انه يعبد ويعمل له
عمل اهل الجنة خلقه لذلك هكذا كل ما يخلق انما يخلق لما يعلم انه يكون منه اذ يخرج الفعل لذلك يخرج
العجز والجهل بالعواقب فاذا كان الله عالما بما كان ويكون ويتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيئا
لغير ما علم انه يكون وهكذا في الشاهد من عمل عملا او فعل فعلا لغير ما علم انه يكون فهو عابث وجاهل فيه
وبالله العصمة وقوله عز وجل قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال بعضهم تاويله ما ذكر
ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا وقوله عز وجل لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ذلك لما يروا في انفسهم
اثارا واعلاما تدل على طول المكث والمقام فيه ثم لما تذكروا احوالهم وما يرى النايم في نومه من العجايب واشياء
كثيرة عرفوا ان ذلك القدر من الاشياء ومثل ذلك من العجايب التي راوا لا يحتمل ان يكون في يوم او بعض يوم فعند
ذلك وكلوا الامر الى الله فقالوا ربكم اعلم بما لبثتم واما الذي اماته مائة عام لما بعثه قطع القول في ذلك ولم يكل الامر
الى الله حيث قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم لانه كان ميتا والميت لا يرى شيئا ولم يكن في نفسه اثار تدله
على ذلك فقطع القول فيه ولم يكل الامر الى الله واما النايم فانه يرى في نومه اشياء فيعرف انه لا يكون في وقت قصير
لذلك وكلوا الامر الى الله تعالى وقوله عز وجل فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فيه انهم لما فارقوا ومعهم
ومعهم زاد وهو الورق وقام بعضهم بعضا ان يبعث بالورق ليأتيهم بالطعام وفيه انه اضاف الورق اليهم لا شك انه
كان له فيه نصيب حيث قال بورقكم هذه وفيه دلالة لجواز المناهدة في الاسفار وغيرها اذ كان ذلك الورق
بينهم وفيه دلالة لجواز الوكالة وانها ليست بمبدعة ولكن كانت في القرون الماضية وهي متوارثة وقوله عز وجل
فلينظر ايها ازكى طعاما اختلف فيه قال بعضهم قوله ازكى طعاما اي احل طعاما لان بعض اهل تلك المدينة يذبحون
للاصنام وباسم الاوثان التي كانوا يعبدونها فامروا ان يأتيهم بحلال يحل لهم اكله والتناول منه وقال بعضهم
ازكى اي ارخص واكثر لانهم كانوا في مكان لا يدرون متى يخرجون منه فطلبوا الاكثر لشدة حاجتهم اليه
ويكفي لوقت مقامهم ونحوه وقال بعضهم ازكى طعاما اي اطيب واجود لان الطيب ازيد للعقول واصلح للانفس
وانفع ولذلك جعل الله ارزاق البشر ما هو اطيب والين لما يزيد ذلك في العقول والفهم وجعل لغيرهم من الدواب
كل خشن خبيث لما ليس لهم عقول يحتاج الى ما يزيد لها فيها واصل الزكا النما والزيادة وقوله عز وجل وليتلطف

ولا يشعرن بكم احدا يحتمل قوله وليتلطف اي ليرفق بهم ليلا يشعروا انه من اولئك الذين فارقوهم لدينهم
وامر بالتلطف اي بالسماحة والسهولة في الشرا كما جاء في الخبر رحم الله سهل البيع سمح الشرا ولا يشعرن بكم احدا
انه فلان بن فلان وانه من قوم كذا فيعرفون انه من اصحاب الكهف او لا يشعرن بمكانكم احدا من الناس وقوله
عز وجل انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم يحتمل يقتلوكم او ما ارادوا به او يعيدوكم في ملتهم اي في دينهم الكفر وقوله
عز وجل ولن تفلحوا اذا ابدا اي ما دمتم في ملتهم ودينهم هذا كانهم لم يعرفوا التقية والا لو اعطوهم بلسانهم
ولم يعطوهم بقلوبهم لكانوا قد فلحوا او عرفوا التقية الا انه لم يكن للقرون الماضية التقية ولم يؤذن لهم فيها
او هي رخصة رخص لهم نحو الافضل ان لا يعطى ذلك ولا يظهر والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم
اختلف في قوله وكذلك قال بعضهم كما اخرج المبعوث بشراء الطعام من الكهف مع الورق المتقدم ضربها
فكان ذلك سبب اعلام اهل المدينة عن الفتية كذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم والله اعلم وجايز ان يكون
قوله وكذلك اعثرنا عليهم اي كما ضرب على اذانهم ليعلموا ان ما وعدهم الرسل عن الله حق ثم اختلفت
في اطلاعهم عليهم قال بعضهم اطلع الله الملك الذي هربوا منه واهل المدينة بعد ما اناموهم لكن حيل بينهم
وبين اولئك وقال بعضهم اطلعهم قبل ان ينيمهم فحيل بينهم وبينهم فسدوا باب الكهف فيقول هنالك
ثم اناموهم بعد ذلك ما ذكر فهلك ذلك الملك وانقرض تلك القرون ثم ولي ملك اخر مسلم صالح ثم اطلع
ذلك الملك عليهم وامثال ذلك قد قالوا فلا ندري كيف كانت القصة وفي ظاهر الاية انه اطلع عليهم بعد
ما انامهم وبعثهم وليس فيه بيان انه من اطلع عليهم الملك الاول او الثاني او القوم او غيرهم ولا يجوز ان يقطع
فيه القول انه فلان لان هذه الانباء ذكر في القرآن حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلو قطع القول على شيء
او زيد او نقص عما كان في كتبهم خرجت من ان يكون حجة له وقوله عز وجل ليعلموا ان وعد الله حق يشبه
ان يكون الرسل من قبل كانوا يخبرون قومهم ان نفرا يهربون من ملكهم اشفاقا على دينهم ويلجؤون الى الكهف
فينامون كذا كذا سنة ثم يبعثون فاكذبهم قومهم بما اخبروا قومهم من انبائهم فقال اعثرنا عليهم ليعلموا
ان ما وعد الرسل واخبروهم من نبا اصحاب الكهف حق والثاني يحتمل ان يكونوا ينكرون البعث
والساعة والرسل يخبرون انهم يبعثون فاطلع على اولئك ليعلموا ان البعث والقيامة حق لان الاعجوبة
في ابقاء النفس اصحاب الكهف في نومهم ثلثمائة سنة او اكثر بلا اغذاء يغتذون ولا طعام يطعمون ولا شيء يقوم
الانفس ان لم تكن اكثر واعظم من احياء الموتى وجميع العظام الناخرة البالية لا تكون دونه لما لم يروا الانفس
تبقى اياما بلا اغذاء فضلا ان تبقى سنين كثيرة ثلثمائة او اكثر فبعث هؤلاء ليعلم منكر البعث ان من قدر
على ابقاء الانفس مدة مديدة طويلة بلا اغذاء تغتذي لقادر على احياء الموتى وبعثهم بعد الموت وان يكون
ما ذكرنا بدءا ان الرسل السالفة اخبروا قومهم عن قصة اصحاب الكهف فكذبوهم فاطلع الله نباهم وخبرهم
ليعلم اولئك الذين اخبرهم الرسل حق وصدق والله اعلم ثم ان هذه الانباء والقصص المتقدمة ذكرت
في القرآن حجة لرسول الله ودلالة في اثبات رسالته فلا يجوز ان يقطع القول في شيء لم يبين فيه ولم يوضح ولم يفسر
لما يخاف فيه الكذب على الله ولا الزيادة فيها والنقصان على ما ذكر فيه لما لعلها تخرج مخالفة لما ذكرت في كتبهم
فلا يكون له فيها حجة ولا دلالة فان قيل كيف علموا ان ما اخبرهم الرسل حق اذ كانوا لا ينكرون ان وعد الله
حق ولكن يظنون ان ما وعدهم الرسل ويخبرونهم انما هو اختراع منهم لا وعد من الله وخبر عنه
قيل علموا ان ذلك حق بوجوه احدها ما راوا من الدراهم التي كانت في يدي المبعوث بشراء الطعام من الضرب
المتقدم وان كان يجوز ان يكون تلك الدراهم من كنز اصاب ذلك الرجل لا من دراهم اصحاب الكهف
فاذا صدقوا ذلك الرجل فيما اخبر انها من دراهم اصحاب الكهف فتصديق الرسل اولى وخبرهم احق بالتصديق
والثاني علموا لما راوا انهم اناموهم مدة طويلة خارجة عن العادة وحفظهم من كل ضرر واذى وفساد وابقاهم

قصة اصحاب الكهف اس من آيات العظام

من غير طعام ولا شراب على علم منهم ان الانفس لا تبقى ولا تقوم بغير طعام ولا شراب بدون تلك المدة
بكثير فضلا ان تبقى الى مثل تلك المدة فعلموا ان من قدر على حفظ ما ذكرنا وابقاهم لقادر على البعث والاحياء
ولا يعجز عن شيء يريد كونه وانه فعال لما يريد والثالث علموا ان ذلك حق لما راوا انه انامهم وقتا طويلا وحفظهم
عن جميع الآفات ثم بعثهم واحياهم انه لم يمتهم ولم يبعثهم الا لعاقبة تتامل وحكمة تقصد فعلى ذلك احياء
الخلق واماتتهم ليس الا لعاقبة تتامل وحكمة تقصد والله اعلم وقوله عز وجل اذ يتنازعون بينهم امرهم
لستا ند ری فيماذا تنازعوا امرهم فيما بينهم وقوله عز وجل فقالوا ابنوا عليهم بنيانا او تنازعوا في السبب
الذي به احيوا او الى الكهف ويشبه ان يكون تنازعهم في البناء الذي ذكر في المسجد وغيره ويحتمل في عددهم
ونحوه ولكن لا نقطع القول فيه اذ وكل امرهم الى الله حيث قال ربهم اعلم بهم وقوله عز وجل قال الذين غلبوا
على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ثم قوله لنتخذن عليهم مسجدا يحتمل بناء المسجد عليهم اكراما لهم واعظاما
ليذكروهم في ذلك المكان على قرب منهم على ما ظهر عندهم من اكرام الله اياهم او يتخذون مسجدا لعبادة انفسهم
ليعبدوا الله على قرب منهم لينالوا من بركتهم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال بعضهم كان عددهم سبعة
والثامن الكلب لانه ذكر في الثلاث والخمس رجما بالغيب اي قذفا بالغيب وظنا وقيل ترجمة بالغيب اي بلا علم
ولم يذكر في قوله سبعة وثامنهم كلبهم وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه وقال انا من القليل الذين
استثناهم الله وكانوا سبعة والثامن الكلب لعل ابن عباس قال انا من القليل ظنا واستدلالا بالذي ذكر
او كان سماعا من رسول الله ذلك وقال الحسن وابو بكر وغيرهما ان الله تعالى قال قل ربي اعلم بعدتهم ثم استثنى
قليلا من عباده فلا نعلم بان اولئك القليل من الملائكة او من البشر او منهم فلا ندري من هم ولا كم عددهم
وبه نقول نحن وهو ما قال فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا نهى رسوله ان يستفتي
منهم احدا لما يحتمل ان يكون ذلك غير مبين في كتبهم فلا يطلع رسوله خوف التكذيب ثم اختلف في وقتهم
قال بعضهم كان فيما بين عيسى ومحمد وقال بعضهم ذلك كان قبل بعث موسى وهو قول الحسن وابي بكر
وهؤلاء وهذا اشبه لانهم انما سالوا عنهم اهل التوراة وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون بعد عيسى وهم لا يؤمنون
بالانجيل وقول اهل التاويل كان اساميهم كذا وكذا لا يعلم الا بخبر ثابت وقد اخبر انه اعلم بعدتهم
وانه لم يطلع على ذلك الا القليل وليس بنا الى معرفة اساميهم وعددهم حاجة ولو كانت لتولى الله بيان ذلك
في الكتب وقال القتبي رجما بالغيب اي ظنا بالغيب اي يقولون بالظن وقيل قذفا بالغيب على غير استيقان
وهما واحد وقوله عز وجل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا الى قوله الا ان يشاء الله يحتمل الخطاب بهذا كل الناس
ليس احد اولى به من غيره فيخرج ذلك مخرج التعليم لهم في ترك المراء مع الكفرة الا مراء ظاهرا وكذلك في ترك
الاستفتاء وكذلك تعليمهم وادبهم ان لا يعدوا عدة الا والثنيا بها ملحق ويحتمل ايضا ان يكون الخطاب
لرسول الله لكن ليس لانه قد كان منه ما ذكر من المراء والاستفتاء والوعد بغير ثنيا ولكن خاطب به رسوله
ليتادب غيره من الناس بذلك الادب وهو ما خاطب به بقوله ولا تكونن من المشركين ونحو من الخطاب التي
خاطب بها فخاطبه بها الا ان كان منه ذلك او كان فيه ما ذكر ولكن لما ذكرنا من الوجوه فيما تقدم ثم اختلف
في قوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا قال بعضهم ذلك في امر اصحاب الكهف اي لا تمار فيهم ولا تستفت فيهم
منهم الا قدر ما كان في كتبهم فانك لو ماريتهم بما ليس في كتابهم كذبوك ولكن قدر ما في كتبهم هذا
اذا كان على المسئلة فاذا كان على غير المسالة في غير امر اصحاب الكهف على ابتداء المحاجة والحجاج فهو يحتمل
وجهين احدهما اي لا تمار فيهم الا بما هو اظهر ويعرفون ذلك ظاهرا من نحو ما يعرفون ان الاصنام التي عبدوها
لا تنفع ولا تضر ولا تبصر ولا تسمع ونحو ذلك مما يعرفون انها كذلك والثاني لا تحاجهم بلطايف الحكمة

ودقايقها

ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان شاء الله تعالى

ودقايقها ولكن بشيء محسوس ظاهر من الآية لا بما يلطف ويدق على ما يحاجهم الانبياء بآيات حسيات
وفي قوله ولا تستفت منهم احدا دلالة ان لا يسع النظر في كتاب الفلاسفة الا على جهة العرض لما فيها
على كتاب الله فيوخذ بما يوافقه ويترك الباقي وقوله عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله لو كان فيهم الخطاب على ظاهر ما خرج لكان في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله نهي عن العدة بالثنيا فاذا لم يفهم هذا ولكن فهموا لا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان تقول
ان شاء الله على اضمار القول دل ان الخطاب ليس يحمل على ظاهر المخرج ولكن على ما توجبه الحكمة والدليل
ثم نهى ان يعد عدة ولا يستثني فيها وقاس بعض الناس الايمان على العدات فيقول اذا حلف فانه
يلزمه ان يستثني فيها وذلك فاسد لان الايمان يخرج على تعظيم الرب واجلاله فلا يجوز ان يؤمر
بالثنيا فيها لان الثنيا نقض ذلك التعظيم وكذلك ما روي اذا حلفتم فاحلفوا بالله ولا تحلفوا بآبائكم
ولا بالطواغيت نهي عن الحالف بغير الله لما في الحلف به تعظيم لذلك الشيء واما العدة فانما هي اضافة
الفعل الى نفسه وهو لا يملك حقيقته لذلك امر ان يلحق الثنيا فيه لئلا يلحقه الخلف في الوعد اذا لم يفعل
ما وعد وعلى ذلك ذكر عن الانبياء انهم اذا وعدوا استثنوا فيه كقول موسى ستجدني ان شاء الله
صابرا الآية ثم اذا لم يصبر لم يعاتبه بترك الصبر ولو كان خلفا لعاتبه كما عاتب صاحب موسى
حيث قال انك لن تستطيع معي صبرا وقد ظهر من الانبياء والرسل الايمان والقسم ثم لم يذكر عن احد
منهم الثنيا في ذلك دل ان الثنيا في العدات لازم وفي الايمان لا وفي قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله دلالة ان لا يكون شيء الا بمشيئة الله حيث ندبه الى الثنيا ثم اذا خرج على غير ما وعد
لم يلحقه الخلف في الوعد دل انه قد شاء ذلك وانه اذا لم يشا شيئا لم يكن لانه لو كان شيئا لم يشاء هو او شاء
شيئا فلم يكن لم يكن لقوله الا ان يشاء الله معنى اذ كان ما لم يشاء هو ولم يكن ما هو شاء دل انه ان شاء هو كان
وما لم يشاء لم يكن وفيه انه قد شاء ما ليس بطاعة اذ معلوم ان رسول الله كان لا يعد ما ليس بطاعة بل كانت
عداته ابدا بما هو طاعة لله وقد شاء الله كل طاعة وارادها وان لم يفعل ولم يذكر لقولهم ان الله قد شاء كل
طاعة وخير من العبد فلو لم يشاء ما ليس بطاعة لكان لا يستثني وقد علم انه قد شاء ذلك فدل ثنياه
على انه قد يشاء ما ليس بطاعة اذ علم انه يختار ذلك وذلك على المعتزلة فان قيل انما امر بالثنيا في العدة
لما لعله سيموت قبل ان يفعل ما وعد او يذهب عنه القدرة فيعجز عما وعد قيل ان لو هلم لا ترجع الى ذلك
بل الامكان مشروط فيه وان لم يذكر نحو ما لا يؤمر الانسان بالطيران لعدم الامكان وكذلك جميع ما يؤمر وينهى
انما يؤمر وينهى اذا كان الامكان فيه موجودا فهو كالمشروط وان لم يذكر فعلى ذلك في العدة والايمان وغيرها جائز
ان يكون المراد بهذا الخطاب غير النبي وهو اشبه لما لا يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يعد عدة
ولا يذكر الثنيا لما لا يعرف ان لا يكون شيء الا بمشيئة الله وارادته واما غير النبي فجايز ان لا يعرف ذلك
لذلك كان غيره اولى به فيخرج منه على التعريف لهم والعلم وقوله عز وجل واذكر ربك اذا نسيت هذا يحتمل
وجهين احدهما واذكر ربك اذا نسيت اي اذا ذكرت بعدما نسيت فاذكره كقوله واما ينسينك الشيطان فلا تقعد
بعد الذكرى مع القوم الظالمين فعلى ذلك هذا والثاني واذكر ربك اذا نسيت اي الثنيا في آخر الكلام اذا نسيت
في اوله اعني الثنيا اذ المستحب ان يستثني في اول كلامه على التبرك كقوله وانا ان شاء الله لمهتدون
واستثنوا اولا ثم وعد فهو المستحب فكانه قال واذكر ربك الثنيا في آخر كلامك اذا نسيت في اوله وهو
الثنيا وهذا يرد على اصحاب الظاهر لان ظاهر الكتاب ان يخاطبهم بذكره اذا نسوا ولا يجوز ان يخاطب احدا
في حال نسيانه فاذا لم يفهم من هذا دل انه لا يفهم على ما خرج ظاهره ولكن على ما يصح ويوجبه الحكمة
والله اعلم وقوله عز وجل وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا قال بعضهم ان قل عسى

ان يهدينى ربى لاقرب هى اوضح على دلالة رسالتى واخذ مما تسالونى من امر اصحاب الكهف لانهم قالوا يسالونه
عن خبرهم فيستدلون على رسالته وصدقه ويقول قد هدانى ربى الاية على دلالة رسالتى اوضح مما تسالونى
ولاخذ للقلوب اذ كانت له آيات حسيات على رسالته وقال الحسن قوله قل عسى وعسى من الله واجب قد هدانى
ربى الرشد والصواب وغيره من اهل التاويل يقولون انه وعد لاولئك ان يخبرهم غدا عما سالوه وقال عسى
ان يرشدنى ربى لاسرع من هذا الميعاد الذى وعدت والله اعلم وقوله عز وجل ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين
قال بعضهم هو صلة قوله اولئك الذى قالوا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الاية مع قوله انهم لبثوا فى كهفهم ماذكر
فامر ان يقول لهم الله اعلم بما لبثوا الاية وقال بعضهم هو قول الله اخبر انهم لبثوا ما ذكر من المدة وازدادوا تسعا
قال بعضهم تسع سنين لكن ليس فيه بيان انه اراد تسع سنين او تسعة الاية اشهرا وتسعة ايام فلا ندرى
اراد بذلك ذا او ذا فالامر فيه الى الله على ما امر رسوله ان يقول لهم الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض
فان قيل فى قوله ثلثمائة سنين الا قال ثلثمائة سنة كما يقال ثلثمائة رجل وثلثمائة درهم ونحوه قال بعض اهل
الادب انه لم يضف ثلثمائة الى السنين ولكنه اراد تمام الكلام لقوله ثلثمائة لذلك نون فيها ثم اخبر ما تلك الثلثمائة
فقال سنين على القطع من اول القطع والله اعلم وقوله عز وجل قل الله اعلم بما لبثوا هو ما ذكرنا انه جعل علم مدة
لبثهم فى كهفهم الى الله تعالى وقوله عز وجل له غيب السموات والارض يحتمل هذا وجوها ثلاثة احدها له علم ما غاب
عن اهل السموات واهل الارض كقوله عالم الغيب والشهادة والثانى له علم ما غيب واسر اهل السموات والارض
بعضهم من بعض والثالث له غيب ما شاهد اهل السموات واهل الارض لان فيما شاهدوا من الاشياء وعاينوها
غيبا وسرا لم يعلموه من نحو الشمس شاهدوها وعرفوا انها شمس ولكن لم يعلموا ما فيها من المعنى الذى به صلاح
الاشياء ومنافعها وكذلك القمر وانما شاهدوا هذه الاشيا ولكن لم يعرفوا المعنى الذى به صارت نافعة للاشيا
ومصلحتها وكذلك السمع والبصر والعقل ونحوه من الحواس عرفوا هذه الحواس على ظواهرها ولكن لا يعرفون
المعنى الذى به صارت نافعة للاشياء ومصلحتها وكذلك يسمعون ويبصرون ويفهمون فيقول له علم ما غاب
عنكم من هذه الاشياء التى تشاهدونها والله اعلم وقوله عز وجل ابصر به واسمع هذا كلام يتكلم على النهاية
والغاية والابلاغ من الوصف ويقال اكرم به من فلان اذا كان بلغ الكرم به غايته وكذلك يقال احسن به
من فلان اذا بلغ فى الحسن غايته ونحوه فعلى ذلك قوله ابصر به واسمع هو وصف له على النهاية كما يقال ما اعلمه
وما ابصره وما اكرمه وما احسنه فى العلم انه يعلم ما غاب عن الخلق وما شاهدوا ابصر به من الافعال التى
يفعلوا له واسمع به من الاقوال التى يتفوهون اى يعلم ما غاب عنهم مما لم يفعلوا ولم يقولوا فالذى قالوه
وفعلوه احق ان يعلم يحذرهم عز وجل عن افعالهم واقوالهم والله الموفق وقوله عز وجل ما لهم
من دونه من ولى يحتمل ما لهم من دون الله الها وربا ويحتمل ما لهم من دونه من يتولى هدايتهم وتوفيقهم
او ما لهم من دونه من يتولى نصرهم والمعونة او يتولى دفع نقمة الله عنهم وعذابه والله اعلم وقوله عز وجل
ولا يشرك فى حكمه احدا يحتمل لا يشرك فى الوهيته وربوبيته احدا ويحتمل ولا يشرك فى حكمه اى الحكم له
ليس لاحد دونه حكم انما عليهم طلب حكم الله فيما يحكمون ولا يشرك فى تقديره وتدبيره الذى يدبر فى خلقه احدا
ويحتمل ولا يشرك فى قسمته التى يقسم بين الخلق احدا ولا يشرك فى حكمه اى فيما جاءت به الرسل ودعت الخلق
اليه وقوله عز وجل واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك يحتمل كتاب ربك اللوح المحفوظ اى بلغ ما اوحى اليك
من اللوح الذى عند الله من متلو كقوله بلغ ما انزل اليك من ربك وهو جميع ما انزل اليه من المتلو وغير المتلو
ويحتمل من كتاب ربك الكتاب الذى انزل عليه وهو القرآن اى اتل عليهم ذلك الكتاب فان كان هذا
فقضيته ان القرآن مما يتقرب بتلاوته ثم فى قوله بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله واتل ما اوحى اليك
فريضة ضيعناها وذلك انه امر رسوله بتبليغ رسالته وما انزل اليه ثم معلوم انه ان كان فى اقصى الدنيا وابعد

اطرافها

اطرافها لم يقعد رسوله ان يتولى التبليغ بنفسه وكذلك بعد وفاته لا يجوز ان يؤمر هو ان يتولى بتبليغه
فكان ذلك القيام يلزم المسلمين وايمتهم بتبليغه فضيعوا ذلك ولهذا ما رخص والله اعلم بدخول المسلمين
دار الحرب بالتجارات ودخولهم ولتلك دار الاسلام للتجارة ايضا لتنتهى اليهم خبر هذا الدين حيث علم انه يكون
ايمة فى آخر الزمان لا يهتمون لدينه ولا يتولونه بتبليغ ما امروا بتبليغه ويضيعون امره فيلزمهم حجة الله لما
والا ما الحاجة فى تلك التجارة والاموال التى يتجرون فيها ولكن ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
لا مبدل لكلماته قال بعضهم لا مبدل لسنته اذ سنته فى المكذبين الاهلاك وفى المصدقين النجاة هذا
سنته وان امكن تعجيلها وتاخيرها فاما نفس سنته فهى لا تبدل ولا تحول كقوله ولا تجد لسنة الله تبديلا
وتحويلا وقال الحسن فى قوله لا مبدل لكلماته ما وعد واوعد لهم فى الدنيا فذلك فى الاخرة لا يبدل
ولا يحول اذ وعد للمؤمنين الجنة وللكافرين العذاب فذلك لا يبدل وقال بعضهم لا مبدل لكلماته
وهى القرآن لا يبدل ولا يغير ولا يزاد ولا ينقص كقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه وقال بعضهم لا مبدل
لحججه وبراهينه التى جعل لدينه واقام له ذلك يلزم الاسلام ودينه الا من قصر عليه فى العبارة او كان المقام
عليه الحجة معاندا مكابرا واما من لم يكن هذا المعنيان يسلم لا محالة والله اعلم وقوله عز وجل ولن تجد من دونه
ملتحدا هذا الخطاب وان كان فى الظاهر لرسول الله فهو يخرج مخرج التنبيه على ما ذكرنا فى غير آى من القرآن
وقوله ملتحدا قال بعضهم مدخلا ولذلك سمى اللحد لحدا لما يدخل فيه وقال بعضهم ملجا والله اعلم وقوله عز وجل
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يحتمل واصبر نفسك بالغداة والعشى مع الذين يدعون
ربهم فيكون فيه الامر بالجلوس لهم بالغدوات والعشيات للتذكير وتعلم العلم على ما تعارف الناس الجلوس
للناس لذلك فى هذين الوقتين اذ ذلك الوقتان خاليان عن الاشغال التى تشغلهم عن ذلك وان يكون ذلك
ذلك الغداة والعشى لما لم يجعل عليهم بعد صلوة الغداة صلوة وكذلك بعد العصر للذكر الذى ذكرنا وتعليم
ما يحتاجون فى ليلهم ونهارهم وان يكون ذلك كناية عن صلوة الفجر والعصر لما جاء لهما من فضل ووعيد لم يجئ
فى غيرهما من الصلوات نحو ما ذكر وقرآن الفجر كان مشهودا وما روى فى العصر من الوعيد من فاته العصر
فكانما وتر اهله وماله ونحوه امره بصبر نفسه على حفظ هذين لما ذكرنا مع ذكر وان يكون لا على ارادة غداة
او عشى ولكن بالكون مع اتباعه فى كل وقت والصبر معهم وقال اهل التاويل ذكر هذا لان رؤساء كفار مكة
سالوه ان يطرد اتباعه من عنده ويتخذ لهم مجلسا فنزل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الاية
وقوله واصبر نفسك الاية وقالوا فى قوله واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته نزل فى اصحاب الكهف
يقول واخبرهم ما سالوك مما اوحينا اليك من اخبار اصحاب الكهف ولا تزيد ولا تنقص عليه فان كان فى امرهم
نزل هذا فرسول الله كان لا يخبرهم الا ما اوحى اليه وانزل عليه من امرهم والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل ولا تعد عيناك عنهم قيل لا تعد منهم الى غيرهم وقيل لا تصرف ولا ترفع عينيك عنهم ولا تجاوزهم
الى غيرهم تريد زينة الحيوة الدنيا هذا يحتمل وجهين احدهما ان كان على تاويل اهل التاويل انهم سالوه
ان يتخذ لهم مجلسا دون اولئك فيكون تاويل قوله تريد زينة الحيوة الدنيا اى تريد اولئك الذين
يطلبون منك مجلسا على حدة يريدون بذلك زينة الحيوة الدنيا لا يريدون بذلك وجه الله والثانى لو فعلت
ما سالوك كان فعل ذلك فعل من يريد زينة الحيوة الدنيا لان المجلس الذى يحضره الاشراف والرؤساء
انما يراد به زينة الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا تاويل الاية
على قولنا ظاهر فنحن نقول على ما نطق ظاهر الاية من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى من خلقنا ظلمة الكفر
بكفرهم فى قلوبهم او خذلناهم بكفرهم الذى فعلوا واما المعتزلة فانهم قد تحيروا فيه وتاهوا
واكثروا التاويلات فيها حتى ان من صرف القراءة عن وجهها فقال ولا تطع من اغفلنا بنصب اللام

وقلبه برفع الباء معناه ان من اغفل قلبه عن ذكرنا على قول المعتزلة على صرف الغفل الى القلب وكذلك قالوا فى قوله من شر ما خلق ليصح على مذهبهم ويستقيم ومنهم من قال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا ه اى لا تطع من وجدنا قلبه غافلا وقال ذلك مستقيم فى اللغة يقال قاتلناهم فما اجبناهم اى ما وجدناهم جبناء ويقال فسالناهم فما ابخلناهم اى ما وجدناهم بخلاء ونحوه من الكلام وهو تاويل الجبائى فيما اظن وقال بعضهم ولا تطع من اغفلنا بعضهم قلبه اى من خلينا بينه وبين من يفعل وهو كما يقال لمن خلى عبده حتى افسد كثيرا من الناس يقال له سلطت عبدك على الناس وهو لم يسلطه عليهم لكنه يقال له لما قدر على منعه عن ذلك والحيلولة بينه وبين ما فعل اضيف ذلك اليه فعلى ذلك قوله اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم وهو تاويل جعفر بن حرب وقال بعضهم اضاف ذلك الى نفسه للاسباب التى اعطاهم من السعة والغنا والشرف فى الدنيا فتلك الاسباب التى اعطاهم هى التى حملتهم على ذلك فاضيف اليه ذلك وهو ما قال ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وهو تاويل ابى بكر الاصم وقال الحسن اغفلنا قلبه اى خذلناهم وطبعنا على قلوبهم وهو يقول ان للكفر حدا اذا بلغ ذلك الحد يخذله ويطبع على قلبه فلا يؤمن ابدا فقال خذله فى اول حال الكفر او بعد ذلك باوقات وزمان فان قال فى اول حال كفره فهو قولنا وان قال لا فى اول حاله الكفر او بعد ذلك باوقات ولكن بعد زمان فهو كافر موفق ومؤمن مخذول على قوله فنعوذ بالله مما قالوا ثم الجواب للاول ما ذكرنا من صرف التنزيل عن وجهه وظاهره فلو جاز لهم ذلك جاز لغيرهم صرف جميع الايات عن ظاهر التنزيل وذلك بعيد محال واما تاويل الجبائى اى وجدناهم كذا فانما يسوغ له هذا اذا كان جميع حرف افعل يخرج على ما يقوله فى اللغة فاما ان يقال فى بعض فان ذلك غير مستقيم وبعد فانه لو كان كما ذكر لكان يقول ولا تطع من اغفلته عن ذكرنا اى وجدته غافلا عن ذكرنا لانه نهى عن ان يطيع من وجده غافلا فهو لا يعلم من وجده الله غافلا انما يعلم من وجده بنفسه غافلا فاما اذا كان ما ذكرنا لم يكن للنهى عما ذكر معنى فدل ان تاويله فاسد وخيال وان اضافته اليه لمعنى يكون من الله واما جواب تاويل جعفر ابن حرب انه على التخلية والتسليط فهو انما يقال لمن يقال سلطت عبدك على كذا على الذم لا على المدح فلا يجوز ان يقال ذلك فى الله على الذم ويضاف اليه ايضا ذلك وكذلك يقال لابى بكر حيث قال انما اضاف ذلك اليه للاسباب التى ذكر انه اعطاهم يقال له ذلك ويضاف على الذم انك اعطيت كذا حتى فعل فاما ان يقال على المدح فلا فبطل قوله وتاويله فدل اضافة ذلك الى نفسه انه كان منه فى ذلك معنى يستقيم اضافته اليه وهو ما ذكرنا من خلق الظلمة فى قلوبهم بكفرهم الذى اختاروا وخذلانه اياهم لما اختاروا واثروا والله اعلم وقوله عز وجل وكان امره فرطا قال بعضهم فرطا اى ضياعا وهلاكا وقال بعضهم فرطا اى خسرانا وخسارة وقال ابو عوسجة هو من التفريط وقال غيره افرط فى القول ليس كما قال انا دوس من مضر ان تسلم يسلم الناس بعدنا على ما ذكر فى بعض القصة وقال ابو عبيدة فرطا اى ندما وقوله عز وجل وقل الحق من ربكم كانه على الاضمار اى قل قد جئتكم بالحق من ربكم او يقول قل لهم قد تعلمون انى قد جئتكم من الآيات والحجج على ما ادعوكم اليه ما لا يحتمل بليتى ويخرج عن وسعى وطاقتى وقوله عز وجل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم يحتمل هذا وجوها احدها من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فانه انما يعمل لنفسه ليس يعمل لاحد سواه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية فعلى ذلك يقول والله اعلم والثانى يقول انى بلغت الرسالة اليكم فلا اكرهكم انا على الاسلام ولا احد سواى فمن شاء منكم فليؤمن ومن شاء فليكفر فانه انما يؤمن باختياره ومشيته ومن كفر فانما يكفر باختياره ومشيته لا يكره على ذلك والثالث ان الايمان والكفر قد بين الله لهما العواقب ما عاقبة من اختار الايمان وما عاقبة من اختار الكفر وهو ما قال انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها الى اخر ما ذكر وقال للمؤمنين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

انالانضيع

483

انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن الاية يقول قد بين لكل واحد منهما عاقبته فمن شاء اكتسب لنفسه فى العاقبة الجنان وما فيها من النعيم ومن شاء اكتسب ما ذكر فى العاقبة من النار وانواع العذاب فذلك كله يخرج على الوعيد وقوله عز وجل انا اعتدنا للظالمين وقت دخولهم النار نارا وهو فى الاخرة وقوله عز وجل احاط بهم سرادقها يحتمل هذا وجهين احدهما على ارادة حقيقة السرادق والثانى على التمثيل اى يحيط بهم النار فلا يقدرون على الخروج منها على ما يمنع السرادق من الخروج فى الدنيا ودفع الحر والبرد فان كان على حقيقة السرادق فهو والله اعلم على ما جعل الله لهم من انواع ما كانوا يتفاخرون فى الدنيا من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك يجعل لهم فى الاخرة من ذلك النوع من النار وهو ما ذكر سرابيلهم من قطران وما قال ليس لهم طعام الا من ضريع والشراب ما ذكر من الصديد والغسلين وغير ذلك من النوع الذى كانوا يتفاخرون به فى الدنيا ويمنعهم عن الايمان جعل لهم فى الاخرة من ذلك النوع من النار وبه يعاقبهم فعلى ذلك يحتمل ان يكونوا يتفاخرون به فى الدنيا بالسرادق اذا خرجوا فى السفر فيعاقبهم الله فى النار بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يحتمل استغاثتهم هو ما ذكر فى الاية ان افيضوا علينا من الماء فيغاثون بماء كالمهل ويحتمل ان يطلبوا فى النار الماء بعد ما طعموا فيها منها فيغاثون بالمهل ثم المهل قال عامتهم المهل هو دردى الزيت والعصير لكنهم اختلفوا فى معنى التشبيه به قال بعضهم شبهه به لغلظه لان الشئ الغليظ يكون الصق واحد من غيره وقال بعضهم شبهه به لسواده وقال الحسن وابو بكر تشبيهه به لكثرة تلونه من الحمرة والصفرة والسواد ونحوه لشدته وهو ما ذكر يوم تكون السماء كالمهل شبهه كالمهل لتلونه لشدة ذلك اليوم وهوله وقوله عز وجل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا اى ساءت النار مرتفقا اختلف فيه قال بعضهم المرتفق المتكا وقال بعضهم المجتمع اى بئس الاجتماع ذلك الاجتماع وقال بعضهم منزلا وقال بعضهم مجلسا وقال بعضهم بئس المنزل النار قرنا وهم فيها الكفار والشياطين وقوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا قال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه قال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم قال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن الى اخر ما ذكر وقال بعضهم ليس على التقديم والتاخير ولكن على ما ذكر ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا منهم ثم بين ما لهم فقال اولئك لهم جنات عدن الى اخر ما ذكر قال ابو عوسجة السرادق البناء الذى يبنى من الكرابيس شبه الدار والحجرة وساءت مرتفقا اى متكا ومنزلا وقال القتبى السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط قال وهو الدخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الظل ذو الثلاث الشعب والمهل دردى الزيت ويقال ما اذيب من النحاس والرصاص وساءت مرتفقا اى مجلسا واصل الارتفاق الاتكاء على المرفق وقوله اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب يذكر ثواب ثواب المؤمنين الذين تركوا شهواتهم فى الدنيا لها ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق قالوا الاستبرق الديباج الغليظ والسندس هو الرقيق والغليظ منه لا يلبس لكنه كانه جمع بين ما يلبس وبين ما يبسط فذكر اللبس لما يلبس كما يقال اطعمت فلانا طعاما وشرابا والشراب لا يطعم وقيل ان الاستبرق هو الرقيق من الديباج بلغة قوم فان كان ما ذكر فكانه انما ذكر ذلك لاولئك والله اعلم وقوله عز وجل متكئين فيها على الارائك قال بعضهم الارائك السرر فى الحجال والاريكة السرير فى الحجلة وقال بعضهم الارائك السرر عليها الحجال وقال ابو عوسجة الارائك الوسادة وحسنت مرتفقا قيل منزلا واصل هذا انه وعدهم فى الاخرة ما كانت انفسهم ترغب فيه فى الدنيا ليتركوا ذلك فى الدنيا للموعود فى الاخرة وكذلك حذرهم فى الاخرة باشياء تنفر انفسهم وطباعهم فى الدنيا ليحذروا ما يستوجبون الموعود فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب الى اخر ما ذكر جائز

ان يكون هذا المثل كان في الامم المتقدمة وكتبهم سئل رسول الله عن ذلك ليعلم وليتبين لهم صدقه
بانه رسول الله على ما يدعي على ما سئل هو عن قصة ذي القرنين ونباه ونبا اصحاب الكهف واخبارهم ليتبين لهم
صدقه اذ علموا ان تلك الانبا والقصص لا يعلم ولا يعرفها الا من علم كتاب الله اذ كان ذلك في كتب الله وهو
لم يعرف تلك الكتب لانها كانت بغير لسانه ولم يرو اختلف الى من يعرفها ليتعلم منه ثم انباهم على ما كان في كتبهم
فدل ان ذلك انه انما عرف بالله وانه صادق فيما يدعي من الرسالة على هذا يجوز ان يقال والله اعلم فيكون
في ذلك اية لرسالته ونبوته او ان يكون قوله واضرب لهم مثلا رجلين الى اخره اي اضرب لهم مثلك ومثلهم
مثل رجلين فيكون مثلك ومثلهم مثل ما ذكر من رجلين الى اخره او ان يكون قوله واضرب لهم مثلا رجلين اي اضرب
للمعتبرين والمتوسمين مثل رجلين كل رجلين هذا سبيلهما يرغب احدهما في الدنيا وزينتها ويطلبها لا يرى
غيرها والاخر يرغب في الزهد فيها وترك الطلب لها والرغبة في الاخرة فان كان على هذا او ما ذكرنا
من ضرب مثله ومثلهم ولذلك فهو على الابتداء فيخرج على الاعتبار والتفكر فيما ذكر تنبيها وايقاظا وان كان
على السوال عما كان فهو ليس على الاعتبار ولكن على الانباء انه رسول ففيه اية لرسالته ونبوته ثم قوله واضرب لهم
مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا اي بين الجنتين كلتا الجنتين
اتت اكلها خرج على اسم واحد وان كان في المعنى على التثنية وذلك جائز في اللغة كقوله كلتا المراتين صالحة
وكلا ناصح وفيه قول الشاعر ؎ كلانا شاعر من حي صدق ؎ ولكن الرحى تعلو الثفالا ؎ وقوله
عز وجل ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص من ثمرها شيئا وقوله عز وجل وفجرنا خلالهما نهرا اي اجرينا بينهما
مياها جارية وقوله عز وجل وكان له ثمر قال بعضهم من قرا ثمر بالرفع فهو كل ما كان يملك من الجنات
وغيرها ومن قرا بالنصب فهو على الثمر وقال بعضهم الثمر بالنصب فهو الثمر والثمر بالرفع فهو جميع الثمار
والله اعلم وقوله عز وجل فقال لصاحبه وهو يحاوره يكلمه او يجيبه او ينازعه ويناظره انا اكثر
منك مالا واعز نفرا لا يحتمل ان يكون هذا الخطاب منه على الابتداء لانه لا يصح على الابتداء فيشبه ان يكون
كان من صاحبه له وعيد وتخويف فعند ذلك قال له ما ذكر او ان يكون قال يعطيني ربي في الاخرة
مثل ذلك وخيرا منها فقال له عند ذلك انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي قد تفضل علي في الدنيا وفضلني
عليك فيفضلني ايضا في الاخرة عليك حيث قال لاجدن خيرا منها منقلبا ان كان ما تزعم صدقا انا نبعث ونرد
الى الله والا على الابتداء لا يصح وقوله عز وجل ودخل جنته وهو ظالم لنفسه يحتمل اي ظالم نفسه ويحتمل ان يكون
قوله نفسه بدنه وهو ظالم المعنى الذي يكون في النفس به يستعملها فيما يستعمل والله اعلم وقوله عز وجل
وما اظن ان تبيد هذه ابدا قال بعضهم ما اظن اي ما اوقن وما اعلم وقال بعضهم هو الظن لان صاحبه كان
يناظره فيه فاضطرب في فنائها وقيام الساعة فشك فيه والله اعلم وقوله عز وجل ان تبيد هذه ابدا ما دامت
نفسه او كانه لم يشاهد الهلاك ولم ينظر اليه فقال ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولئن رددت الى ربي لاجدن
خيرا منها منقلبا اي لو رددت الى ربي على ما تزعم لاجدن خيرا منها منقلبا ان كنت صادقا وقوله قال له
صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة اي خلق اصلك من تراب وخلقك من نطفة
ثم سواك رجلا اي صحيحا وقوله رجلا جاز ان يكون محاجته اياه في هذه لانكاره البعث اي كفرت وانكرت
قدرة الله على البعث والاعادة وهو خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة فانت اذا مت وهلكت
تصير ترابا او ماء فاذ قدر على خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من ماء لقادر على اعادتك وبعثك بعد ما صرت
ترابا او ماء او يكون محاجته في انكاره حكمة الله فيقول خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة ثم سواك
وصححك فاذا لم يبعث ويعدك وكان خلق اصلك وخلقك بما ذكر عبثا غير حكمة اذ من بنى بناء ثم نقضه على غير
قصد الانتفاع به كان في بنائه في الابتداء عابثا في بنائه سفيها غير حكيم فعلى ذلك خلقك وخلق اصلك

من غير اعادة من بعد يكون سفيها على غير حكمة وقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية صير خلقهم على غير رجوع
اليه عبثا او يكون محاجته في تسفيهه اياه في عبادته غير الله يقول اكفرت نعمة الذي خلق اصلك من تراب وخلق
نفسك من نطفة ثم سواك صحيحا فصرفت شكر نعمه الى غيره وعبدت غيره على هذه الوجوه الثلاثة ويحتمل محاجته
اياه اما في انكار قدرته في بعثه واعادته او انكاره الحكمة في البعث او في انكاره نعمه وصرفه الشكر الى غيره والله اعلم
وقوله عز وجل لكنا هو الله ربي كانه قال لكن الذي خلق اصلك من تراب وخلق اصلك من نطفة هو ربي
ولا اشرك بربي احدا وقال الخليل لكنا انما هو على تاويل لكن انا اقول هو الله ربي كقوله اني انا اخوك انهم حذفوا
الالف منه اذا اثبتوها بعد النون والله اعلم وقوله عز وجل ولولا اذ دخلت جنتك اي هلا اذ دخلت جنتك
نظرت الى ما انعم الله عليك وقمت بشكره دون ان اشتغلت بان درايه ونظرتها الى غلة ذات حالي وبدي واشتغلت
بالافتخار علي وكذلك قال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ثم ذكر طمعه ورجاه على ربه وخوفه حيث قال
فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء اي يرسل على جنتك حسبانا من السماء
قال اهل التاويل الحسبان العذاب الا ان ابا بكر الاصم قال عذابا على حساب ما عملوا وذلك جزاؤهم في الكفر
وهو ما ذكر في الجنتين اللتين اهلكهما حيث قال ذواتي اكل الى قوله جزيناهم الاية وقال ابو عوسجة حسبانا
اي عذابا والحسبان الصغار من النبل والحسبانة واحدة والحسبان جميع والاول عذاب وقوله عز وجل
فتصبح صعيدا زلقا قال ابو عوسجة صعيدا زلقا اي الذي ليس عليه نبت وزلقا اي مستوية وقال القتبي
الصعيد الاملس المستوي والزلق الذي تزل عنه الاقدام وقوله عز وجل او يصبح ماؤها غورا هذا يخرج على وجهين
احدهما يقول ويرسل عليها حسبانا من السماء اي عذابا فتصبح صعيدا زلقا املس لا نبات عليها او يذهب بنباتها
فتهلك بذهاب الماء اذ هلاك البساتين يكون بذهاب الماء مرة وبالعذاب النازل عليها ثانيا وقوله عز وجل
فلن تستطيع له طلبا هذا يحتمل وجهين احدهما لن تستطيع له طلبا اي تطلبه فلا يستطيع له طلبا او لن تستطيع
وجودا وقال في قوله ان ترن انا اقل منك بالنصب لان الكلام مبني على قوله ان ترني وجعل انا صلة واما قوله
انا اكثر وصف انا بالاكثر فارتفع وقوله عز وجل واحيط بثمره اي اهلك بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق
فيها هكذا عادة الناس انهم اذا اصابهم خسران ومصيبة يقلبون كفوهم بعضهم على بعض على الندم والحسرة على ما فات
وقوله عز وجل وهي خاوية على عروشها قيل ساقطة على عروشها ويحتمل خاوية ذاهبة البركة وقوله
عز وجل يا ليتني لم اشرك بربي احدا ان كان هذا القول في الدنيا فذلك منه توبة لان التوبة هي الندامة
على ما كان منه وقال بعضهم هذا القول منه في الاخرة فان كان في الاخرة فانه لا ينفعه ذلك والله اعلم وهكذا
كل كافر يومن في الاخرة لكن لا ينفع وقوله عز وجل ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا
هذا والله اعلم مقابل لما قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي لم يغنه عن عذاب الله ما ذكر من النفر ولا قدر
ان يقوم بنفسه منتصرا بالمال الذي ذكر وقوله عز وجل هنالك قال بعضهم عند ذلك وقال بعضهم هنالك
اي هكذا ولاية الله ثم تختلف في تلاوته وتاويله قرا بعضهم الولاية لله بالفتح وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود
هنالك الولاية لله الغفور وهو الحق بالرفع وفي حرف حفصة وهنالك الملك والولاية لله الغفور ذي الرحمة
وقرا بعضهم لله الحق اي الولاية الحق لله والولاية بالنصب من الموالاة قال ابن عباس رضي الله عنه لا يبقى احد
الا تولى الله وامن به وعلم انه حق والولاية بالكسر من الامارة والملك على ما ذكر في حرف حفصة وفي حرف ابي
هنالك الولاية الحق لله يقرا الولاية لله وهو الحق ويقرا هنالك الولاية لله الحق الولاية لله الحق بالخفض
ويقرا هنالك الولاية الحق لله وذكر هذا المثل لرسول الله والله اعلم لان فيه دلالة رسالته وحجة
توحيد الله وقدرته وسلطانه وقوله عز وجل هو خير ثوابا وخير عقبا اي ثواب هذا المؤمن منها
افضل ثوابا في الاخرة وافضل عاقبة من عقبى ذلك الكافر قال ابن عباس قوله واضرب لهم يعني لاهل مكة

مثلا رجلين اخوين من بنى مخزوم احدهما مسلم والآخر كافر وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله فى سورة
الصافات انى كان لى قرين الى قوله فرآه فى سواء الجحيم تصدق المسلم منهما بماله وطلب الآخرة وطلب الاخر به
الدنيا وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان اخوين ورثا عن ابيهما مالا فاقتسماه فاما احدهما التمس بماله
الدنيا وزينتها واما الآخر تصدق به وطلب الآخرة حتى لم يبق له شئ الى هذا يذهب هؤلاء والله اعلم
وقوله عز وجل واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء اختلف اهل التاويل فى ضرب هذا
المثل قال بعضهم ضرب هذا المشركى العرب لانهم ينكرون فناء الدنيا وهلاكها وانها لا تبيد ابدا فيقول
ان الذى يعاينوه من فناء ما ذكر من النبات وغيره وهلاكه هو جزء منها فاذا احتمل جزء منها الفناء
والهلاك فعلى ذلك الكل وقال بعضهم وجه ضرب هذا المثل وهو ان اهل الدنيا وطلابها اذا ظفروا فى الدنيا
وصعوا الانتفاع بها والاستمتاع حال بينهم وبين الانتفاع والاستمتاع بها كما طمع الزراع الظفر بذلك
الزرع والوصول الى الانتفاع به ثم حيل بينهم وبين الانتفاع بالزرع والوصول الى مقصودهم فعلى ذلك
الدنيا حال بين اهلها وطالبيها وبينها وقال بعضهم وجه ضرب مثل الدنيا بما ذكر من النبات للتزين
والتحسين لاهلها والتعجب لهم لانها تتزين وتحسن لاهلها كالنبات الذى ذكر انه يعجب اهلها ويتزين لهم
ثم يفسد ويصير موقا فعلى ذلك الدنيا وهو ما ذكر فى آية اخرى كمثل غيث اعجب الكفار نباته الآية وهكذا
الدنيا وما فيها كلها مشوب بالآفات والفساد وفى هذا المثل وجوه من الحكمة والدلالة احدها العظة
والاعتبار للمتفكرين والمعتبرين والحجة على المعاندين والمكابرين فى انكارهم حدث العالم
ومحدثها وانكارهم فناء العالم وانكارهم البعث اما حدث العالم لما عاينوا حدوث اشياء منه واحدا
بعد واحد فعلى ذلك الكل واراهم ايضا فناء اشياء منها حتى لم يبق لها اثر ثم حدث مثلها فاذا ظهر هذا
فى بعض منها فكذلك الكل فاذا ظهر حدوثه وفناؤه لا بد من قاصد محدثها وفيه دلالة البعث بما اراهم
يجدد ويحدث هذه الانزال والامجاد والنبات وغيره والعود على ما كان بعد فنائها فعلى ذلك اعادة
العالم الذى هو المقصود فى انشاء تلك الاشياء وذلك اولى بالاعادة من غيرهم من الاشياء اذ هم المقصودون
فى خلق غيرهم من الاشياء وبعد فانهم قد اتفقوا على ان خلق الشئ وفنائه الهلاك خاصة من غير مقصود
وعاقبة عبث ليس بحكمة فلو لم يكن بعث ولا اعادة لم يكن فى خلقه اياهم حكمة لانه يحصل خلقه للفناء
والهلاك خاصة وفى قوله كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض دلالة علمه وتدبيره وقدرته
لانه اخبر انه ينزل من السماء ما يختلط به نبات الارض والماء من طبعه افساد النبات اذا اختلط به فاذا لم يفسد
ولكن احياه بالاختلاط دل فى ان فى الماء معنى به يحيى النبات لا يعلم ذلك غيره دل انه عالم بذاته والتدبير
هو ما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل ان ذلك كان بواحد عليم مدبر قادر بذاته
ان من قدر ما ذكر من الاحداث والافناء قادر على الاعادة والبعث والله الموفق وقوله عز وجل فاصبح
هشيما قيل كسيرا مكسورا تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا هو مفتعل من قدرت وقوله عز وجل
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات كان هذا ذكر على مقصود الناس ان من كان قصده
فى الدنيا الخيرات والآخرة فهو الباقيات ابدا ثم اختلف فى الباقيات الصالحات قال بعضهم هو قوله
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعلى ذلك روى فى بعض
الاخبار عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر هن الباقيات
الصالحات وفى بعض الاخبار انه قال لاصحابه خذوا جنتكم قالوا من عدو حضر قال خذوا جنتكم من النار
فقولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فانهن المقدمات المؤخرات
الباقيات الصالحات وفى بعض الاخبار لابى الدرداء خذهن قبل ان يحال بينك وبينهن فانهن الباقيات الصالحات

وهن كنز

وهن كنز من كنوز الجنة قال وما هى يا رسول الله فذكر سبحان الله الى آخره فان ثبت هذه الاخبار فهى الاصل
لا يجوز غيره وقال بعضهم الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وهو قول ابن عباس وغيره فانهما كان ففيه
معنى الآخر وان كل واحد منهما يجمع جميع انواع الخيرات والعبادات فى الحقيقة لان سبحان هو تنزيه الرب
عن كل آفة وعيب والحمد لله هو الثناء له بكل نعمة وصلت منه الى الخلق وجعله مستحقا الحمد والثناء له دون من سواه
وان لا اله الا هو لا معبود سواه وان لا يستحق العبادة غيره والله اكبر هو الاجلال له عن كل ما قيل فيه ونفى
كل معانى الخلق عنه ولا حول ولا قوة الا بالله هو التبرى وقطع الطمع عمن دونه وتفويض الامور بكليتها اليه
والتسليم له فكل حرف من هذه الحروف يجمع فى الحقيقة كل انواع العبادات والخيرات لما ذكرنا وكذلك الصلوات
ايضا تجمع كل انواع العبادات لانه يستعمل كل جارحة من جوارحه فيها فى كل حال منها فهى تجمع جميع العبادات لا اصل
فى قوله والباقيات الصالحات انها كل الخيرات والطاعات لان الله تبارك وتعالى ذكر ووصف الحق بالبقاء
والثبات فى غير آى من القرآن ووصف الباطل بالبطلان والتلاشى والذهاب من ذلك قوله كذلك يضرب الحق
والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض الآية وقال الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة الآية
وامثاله فعلى ذلك قوله الباقيات الصالحات هى باقية خير عند ربك ثوابا وخير املا اى خير ما يأملون قال
ابو عوسجة فاصبح هشيما اى يابسا باليا وقال القتبى ومنه سمى الرجل هاشما وقال ابو عوسجة تذروه الرياح
اى تطير به وقال القتبى اى تنسفه كقوله فقل ينسفها ربى نسفا وعن ابن عباس قال خير عند ربك ثوابا اى خير
ما يثاب الناس عليه وخير املا اى خير ما يامل الناس من اعمالهم يوم القيامة والله اعلم وقوله عز وجل
ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة يذكرهم جل وعلا عن شدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه حيث
سار اثبت شئ رأوا فى الدنيا وتكسر اصلب شئ رأوا فى الدنيا وهو الجبال لشدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه وقال
فى آية اخرى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال فى آية اخرى وكانت الجبال
كثيبا وقال فى آية اخرى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وقال فى آية اخرى هباء منثورا وامثاله
يذكرهم عن شدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه حيث صار اثبت شئ فى الدنيا واشد على الوصف الذى ذكره وبدون
هذه الاهوال والافزاع التى ذكر لا تقوم انفس البشر فى الدنيا وفيما بها لمثل هذه الاهوال التى ذكر اخرى ان لا تقوم
الا ترى ان موسى صلوات الله عليه كان اشد الناس واقوى البشر ثم لم تقم نفسه لما دك الجبل حتى صعق الا ان الله
حكم ان لا هلاك يومئذ بعد ما احياهم والا كانت انفسهم لا تقوم بدون ما ذكر من الاهوال ثم ما ذكر من احوال
الجبال لا يكون ذلك فى اختلاف الاحوال والاوقات يكون فى ابتداء ذلك اليوم ما ذكر انها تسير وانهم يرونها
جامدة وهى ليست بجامدة ثم تصير كثيبا مهيلا ثم تصير كالعهن المنفوش فى وقت ثم تصير هباء منثورا
يكون على الاحوال التى ذكر على اختلاف الاحوال والاوقات على قدر الشدة والهول والله اعلم ثم يحتمل قوله
وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب لشدة ذلك اليوم تتراى كانها جامدة وهى تمر مر السحاب
وقد يتراى فى الشاهد مثله للهول والفزع والثانى تتراى لازدحام الجبال واجتماعها وقد تتراى
فى الشاهد السائر كالجامد والساكن للكثرة والازدحام نحو عسكر عظيم يسير يراه الناظر اليه كانه ساكن
لا يسير فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل ان يكون هذه الاهوال التى ذكر لاهل الكفر والعصاة منهم فاما اهل
الايمان والاحسان يكونون فى امن وعافية من تلك الاهوال كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا الآية وقوله عز وجل وترى الارض بارزة اى ظاهرة ليس عليها
بناء ولا شجر ولا جبال ولا حجر ولا شئ تصير مستوية على ما ذكر قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ويحتمل
قوله وترى الارض بارزة اى يكون اهلها بارزين لله كقوله وبرزوا لله جميعا وقوله عز وجل وحشرناهم فلم نغادر
منهم احدا اى نجمعهم جميعا كقوله قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وقوله عز وجل

وعُرضوا على ربك صفا قال بعضهم عُرضوا على ربك جميعا ثم يحتمل قوله وعُرضوا على ربك للحساب وقال
بعضهم يُعرضون على مقامهم اى يُعرض كل فريق على مقامه اى يبعث كقوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم
للغاوين ويحتمل معنى العرض عليه فى ذلك اليوم وان كانوا فى جميع الاحوال والاوقات فى الدنيا والاخرة
معروضين عليه عالم باحوالهم لما يقرون له جميعا يومئذ منكرهم ومقرهم بالعرض والقيامة كقوله وبرزوا
لله جميعا والامر يومئذ لله والامر فى جميع الاوقات لله وكذلك هم بارزون له فى جميع الاحوال لكنه خص ذلك
اليوم بالاضافة اليه لما يقرون له جميعا فى ذلك اليوم بالالوهية له والملك ويعرفون حقيقته فعلى ذلك هذا
والله اعلم وقوله عز وجل لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة يحتمل هذا وجوها يحتمل لقد جيتمونا بالاجابة
والاقرار لنا كما اجابت خلقتكم فى اول خلقنا اياها فى الدنيا والثانى لقد جيتمونا كما قلنا فى الدنيا انكم
تبعثون وتحشرون وتقوم لكم الساعة والثالث ما قاله اهل التاويل لقد جيتمونا فرادى بلا انصار
ينصرونكم ولا اعوان يُعينونكم على ما كنتم فى الابتداء وقال بعضهم كما خرجتم من بطون امهاتكم عراة حفاة ليس
معكم مال ينفعكم ولا انصار يناصركم وهو ما قال ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم وقوله عز وجل بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا هذا يدل ان تلك الاهوال التى ذكر انما تكون للعصاة
والفسقة من خلقه دون المؤمنين وقوله عز وجل ووُضع الكتاب قيل الحساب ويحتمل الكتاب
الذى كتبته الملائكة وُضع ذلك الكتاب فى ايديهم وقوله عز وجل فترى المجرمين مشفقين اى خايفين
وجلين وقال بعضهم لما نظروا فى الكتاب فراوا من اعمالهم الخبيثة فيه عند ذلك خافوا مما فيه وقوله عز وجل
ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من اعمالهم السيئة الا احصاها اى حفظها
ويقال لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الحسنات والسيئات الا احصاها ويحتمل قوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
اى لا يترك شيئا مما يجزى به الانسان وما لا يجزى به الا احصاها اى حفظها ووجدوا ما عملوا حاضرا وقال
بعضهم هذا خبر عن الله انهم وجدوا ما عملوا فى الدنيا حاضرا فى الاخرة محفوظا غير فايت عنه شئ
ولا غايب منه وقال بعضهم انما هو قول الملك يقول لهم ذلك كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
اى حفيظ والله اعلم وقوله عز وجل ولا يظلم ربك احدا اى يجزى كلا على قدر عمله لا يزيد على قدر عمله
ولا ينقص المؤمن من حسناته والكافر لا يترك له سيئة الظلم هو فى الشاهد وضع الشئ غير موضعه
يقول لا يظلم ربك احدا اى لا يكون بما يجزى كلا على عمله ظالما واضعا شيئا غير موضعه وقوله عز وجل
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم ذكر الله عز وجل قصة ادم وابليس فى غير موضع من القرآن على الزيادة
والنقصان وانما ذكر كذلك وكرر لما كذلك كان فى الكتب المتقدمة مكررا معادا فذكر فى القرآن على ما كان
فى تلك الكتب ليكون ذلك آية لرسالة محمد حيث علموا انه كان لا يعرف الكتب المتقدمة او ان ما كرر لحاجات
كانت لهم ولفوايد تكون لهم فى التكرار وكرر ليكون لهم عظة وتنبيها فى كل وقت وكل حال وقد يكرر الشئ
ويعاد على التذكير والتنبيه والله اعلم بذلك وقوله عز وجل فسجدوا الا ابليس كان من الجن اختلف فيه
قال بعضهم سمى من الجن لانه كان من الجان الذين يعملون فى الجنان فنسب اليه وقال بعضهم ان من الملائكة
قبيلة يقال لها الجن فكان ابليس منها فنسب اليها وقال الحسن ما كان ابليس من الملائكة قط طرفة عين
ولكنه من الجن كما قال الله فهو اصل الجن وهو اول من عصى ربه من الجن كما ان ادم هو اصل الانس وهو
ابوهم فعلى ذلك ابليس ابو الجن وقال بعضهم كان من الجن اى صار من الجن وكذلك قالوا وكان من الكافرين
اى صار من الكافرين وقال بعضهم كان من الجن اى ابى السجود لادم وقد ذكرنا هذا كان فى علم الله فى الازل انه
يكون من الجن وكان فى علم الله فى الازل انه يكون من الكافرين وقت عصيانه ربه وابايه السجود لادم ؏
وقد ذكرنا هذه المسئلة فيما تقدم وقوله عز وجل ففسق عن امر ربه قيل عتى وعصى واصل الفسق

الخروج اى خرج عن امر ربه وكذلك قال القتبى ففسق اى خرج عن طاعته يقال فسقت الرطبة اذا خرجت
من قشرها وقوله عز وجل افتتخذونه وذريته اولياء من دونى هذا يحتمل وجهين احدهما انه اراد بقوله
من دون نفسه فكانه قال افتتخذونه وذريته اربابا والهة من دونى وهم لكم عدو وليسوا بالهة ولا ارباب
فكيف يجوز ان يتخذ العدو ربا والها والثانى انه اراد بقوله اولياء من دونى اى من دون اوليايى فكانه قال
افتتخذونه وذريته اولياء من دون اوليايى وهم لكم عدو اى كيف تتخذون الاعداء اولياء وتتركون منهم لكم
اولياء ولا تتخذونهم اولياء والله اعلم وقوله عز وجل بئس للظالمين بدلا اى بئس ما استبدلوا بعبادة
ربهم ان عبدوا ابليس واطاعوه فبئس ذلك لهم بدلا او انه يكون قوله بئس للظالمين بدلا اى ما اتخذوا ؏
اعداءهم اولياء بدلا عن اوليايهم او بدلا عن الوهيته وربوبيته وقوله عز وجل ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم قال بعضهم قال هذا لمشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله والاصنام التى
عبدوها انها الهة وانها شركاوه فيقول ما اشهدتهم خلق الملائكة وخلق الارض ولا خلق انفسهم ولا كان لهم
كتاب ولا امنوا برسول فكيف عرفوا ما قالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه واسباب العلم
والمعارف هذا اما المشاهدة واما الكتاب واما الرسول فاذ لم يكن لهم واحد مما ذكرنا فكيف عرفوا
ربهم وبم علموا ما قالوا فى الله من الولد والشركاء والى هذا يذهب الحسن ومنهم من قال لاتخاذهم
ابليس وذريته اولياء وارباباً وهو صلة ما قال افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو والاية
وفيه وجوه من التاويل يقول ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اى ما استحضرتهم خلق
انفسهم لانهم لم يكونوا فى ذلك الوقت ولا خلق السموات والارض لانه خلقهما وهم لم يكونوا ايضا شيئا ؏
او ما اشهدتهم ما علمتهم تدبير خلق السموات والارض ولا تدبير خلق انفسهم فكيف قالوا ما قالوا فى الله
من الدعاوى والثالث ما اشهدتهم اى ما استعنت بهم فى خلق السموات والارض ولا فى خلق انفسهم فكيف
اشركوا فى الوهيتى وربوبيتى وما استعنت بهم فى ذلك والله اعلم وقد استدل كثير من المتكلمين بهذه الاية
على ان خلق الشئ هو غير ذلك الشئ لانه قال ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقد شهدوا
السموات والارض وشهدوا انفسهم حتى قال لهم وفى انفسكم افلا تبصرون ثم اخبر انه لم يشهدهم خلق السموات
والارض وخلق انفسهم دل ان خلق السموات والارض وخلق انفسهم غير السموات والارض وغير انفسهم وقوله
عز وجل ما كنت متخذ المضلين عضدا قال بعضهم وما كنت متخذ المضلين عن الايمان والهدى اعوانا فى الدين
والثانى وما كنت متخذ المضلين عبادى ينصروننى او يعينون اوليايى وقال بعضهم وما كنت متخذ المضلين الذين
اضلوا بنى ادم عونا فيما خلقت من خلق السموات والارض وخلق انفسهم وهو ابليس وذريته او ما كنت متخذ
المضلين اولياء انما اتخذهم اعداء وما كنت لاولى المضلين عضدا على اوليايى كقوله لا ينال عهدى الظالمين
وهذه وجوه وكله قريب بعضه من بعض وقوله عز وجل ويوم يقول نادوا شركايى الذين زعمتم قال شركايى زعمكم
والا لم يكن لله شركاء فدعوهم يعنى دعوا الاصنام التى عبدوها فلم يستجيبوا لهم قال ابو بكر الاصم لم يجيبوهم
فى وقت ولجابوهم فى وقت اخر وهو ما قالوا انا كنا عن عبادتكم لغافلين ولكن قوله فلم يستجيبوا لهم لما كانوا
يعبدونها فى الدنيا وانما كانوا يعبدونها طمعا ان يكونوا لهم شفعاء وانصارا كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا فيكون قوله
فلم يستجيبوا لهم ما طمعوا بعبادتهم الاصنام من الشفاعة والنصرة ودفع ما حل بهم عنهم والمنع عن عذاب الله
والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا بينهم موبقا اى بينا ولنك وبين الاصنام موبقا قال بعضهم مهلكا
وقال بعضهم الموبق الذى يفرق بينهم وبين الهتهم فى جهنم وقال بعضهم الموبق واد فى جهنم وقال بعضهم
هو فيها وقال بعضهم جعلنا وصلهم فى الدنيا الذى كان بين المشركين وبين الاصنام موبقا اى مهلكا وقوله

عز وجل فظنوا انهم مواقعوها اى علموا وايقنوا انهم داخلوها ولم يجدوا عنها مصرفا اى لم يقدر الاصنام
التى عبدوها ان تصرف النار عنهم قال ابو عبيدة ولم يجدوا عنها مصرفا اى معدلا وقوله عز وجل من كل مثل
يحتمل وجهين احدهما من كل مثل اى من كل صفة كقوله ولله المثل الاعلى اى الصفات العليا والثانى المثل هو التشبيه
كقوله ليس كمثله شئ فان كان التاويل التشبيه فكانه يقول والله اعلم ولقد صرفنا اى بينا فى هذا القرآن
من كل مثل من كل ما بهم حاجة الى معرفة ما غاب عنهم جعل لهم شبيها مما شاهدوا وعرفوا ليعرفوا به ما غاب عنهم
وان كان تاويل المثل الصفة فكانه يقول والله اعلم ولقد بينا فى هذا القرآن من كل ما يؤتى وما يتقى وصفة يعرفون بها
ما لهم وما عليهم وما يأتون وما يتقون والله اعلم وقوله عز وجل وكان الانسان اكثر شئ جدلا قال اهل التاويل
وكان الانسان يعنى الكافر اكثر شئ جدلا اى جدلا كقوله ويجادل الذين كفروا بالباطل ويشبه ان يكون قوله
وكان الانسان اكثر شئ جدلا اى وكان جوهر الانسان اكثر جدلا من غيرهم من كل الجواهر لان الجن لما عرض
عليهم القرآن والآيات قبلوها على غير مجادلة ذكرت حيث قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا الآية وكذلك الملائكة لم يذكر
منهم الجدال ولا المحاجة فى ذلك وقد ظهر من جوهر الانسان المجادلات والمحاجات فى الآيات والحجج من ذلك
قوله ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم الآية وقوله وجادلهم بالتى هى احسن وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتى هى احسن وقوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وامثال هذا ولذلك احتيج الى انزال كثرة الآيات
والحجج لكثرة ما ظهرت منهم من المجادلة وفيه الاذن بالمجادلة والمحاجة فى الدين على الوصف الذى ذكر والله اعلم
وقوله عز وجل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اى لم يمنع الناس ان يؤمنوا الا التعنت والعناد لانه
قد اكثر عليهم من الحجج والآيات ما لم يعاندوا ولا كابروا الا لزمتهم الايمان بها والتصديق لكن الذى منعهم
عن الايمان ما ذكرنا من عنادهم وتعنتهم الا ان تاتيهم سنة الاولين وسنة الاولين الاستيصال والاهلاك
فيقول لا يؤمنون الا فى ذلك الوقت والايمان لا ينفعهم فى ذلك الوقت كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا
باسنا وقوله عز وجل او ياتيهم العذاب قبلا اى عيانا جهارا قال ابو عبيدة او ياتيهم العذاب قبلا
اى مقابلة وقبلا استينافا وقال مجاهد قبلا فجاة وقال قبلا قبيلا قال ابو عوسجة قبلا اى مواجهة
وكذلك قبلا وقال القتبى قبلا وقبلا اى مقابلة وعيانا والله اعلم وقوله عز وجل وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين اى لم نرسلهم الا لما يوجب لهم البشارة والنذارة انما ارسلوا للامر والنهى ليامروا
الناس بالطاعة طاعة الله وينهوهم عن معاصيه لهذا ارسلوا فالبشارة لمن اتبع امرهم وانتهى عما نهوا عنه
والنذارة لمن ارتكب ما نهوا عنه فيكون البشارة للمتبعين لهم فى امرهم والنذارة للمرتكبين المنهى والله اعلم
وقوله عز وجل ويجادل الذين كفروا بالباطل يحتمل قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل ما نسبوه الى السحر
والكهانة والافك وغيره به يجادلونه وهو باطل او ان يكونوا ان ما يجادلونهم به ويحاجونهم باطل وانما يدعوهم
الرسول الى الله حق وصدق ولكن يعاندونه ويجادلونه وعندهم انهم على باطل كقوله يريدون ان يطفئوا
نور الله بافواههم الآية عرفوا انه نور لكنهم عاندوه فى المجادلة والمحاجة بالباطل والله اعلم وقوله عز وجل
ليدحضوا به الحق اى ليبطلوا به الحق وقوله عز وجل واتخذوا آياتى وما انذروا هزوا قال بعضهم آياته
الشمس والقمر وغيره وما انذروا به ما انذر الرسل هو القرآن وقال بعضهم قوله واتخذوا آياتى القرآن
والحجج التى اقامها وما امروا به غير القرآن هى المواعيد هزوا وقال صاحب هذا التاويل تاويل الاول
باطل لا يصح لانه قال على اثره ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها يقول هذا يدل انه اراد بالآيات ما ذكرنا
من الحجج والبراهين لا ما ذكر وجائز انهم اذا لم يعملوا بآياته ولم يستعملوها نسبهم الى الهزو بها والسخرية وانما هزءوا
وهو ما سماهم عميا وبكما وصما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولم يستعملوها فيما جعلت له وان لم يكونوا فى الحقيقة
كذلك فاذا كان فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل مجادلتهم اياهم ما قالوا هذا سحر وكهانة وانه افك

وشعر

وشعر ونحوه او ان يكون مجادلتهم قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم ما انتم الا بشر مثلنا واشباه
ذلك من المجادلات التى كانت منهم والله اعلم وقوله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها
يحتمل قوله ذكر بآيات ربه اى وعظ بالآيات التى نزلت بمكذبى الرسل من الامم الماضية فيكون تاويله
اى لا احد اظلم على نفسه ممن وعظ بآيات ربه فاعرض عنها ما لو اتعظ بما وعظ كان به نجاته او ان يكون
ذكر بآيات ربه وهو ما اقام من حججه وبراهينه على توحيده ورسالة الرسول فلم يقبلها ولم يصدقها
اى لا احد اظلم على نفسه ممن لم يتعظ بما ذكر من الآيات والحجج ولم يقبلها والله اعلم وقوله عز وجل
فاعرض عنها يحتمل الاعراض عنها فى الابتداء اى لم يقبلها ولم يكترث اليها ولم ينظر فيها او اعرض عنها
بعد ما عرفها انها آيات وانها حجج تعنتا وعنادا وقوله عز وجل ونسى ما قدمت يداه يحتمل اى نسى من الجناية
والشرك او ان يكون قوله ونسى ما قدمت يداه موصولا بالاول اى لا احد اظلم على نفسه ممن وعظ وجعل
سبيل التخلص والنجاة مما قدمت يداه فلم يتعظ به والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا ان الكفر مظلم اذا اتى به انسان يستر على نور القلب وعلى نور كل جارحة
منه والايمان منير ينير القلب وينير كل جارحة منه وعضو وهو ما ذكرنا فى غير موضع ان الانسان
انما يبصر الشئ بنورين ظاهرين بنور نفسه وبنور ذلك الشئ فاذا ذهب احدهما ذهب الانتفاع
بالآخر والايمان ما ذكرنا انه منير وفى القلب نور فاذا اجتمع النوران معا فعند ذلك انتفع به
فجعل يفقه ويعقل الشئ بنور القلب وبنور الايمان وكذلك كل جارحة منه من البصر والاذن واللسان جعل
يبصر الحق به ويعتبر به ويستمع الحق والصواب والكفر مظلم يمنع ويستر على نور الجوارح فجعل لا يبصر ولا يعتبر
ولا يستمع ولا يتكلم بالحق وهو ما ذكرنا ان الانسان انما يبصر الشئ بنور العين وبنور الهواء فاذا ذهب احدهما
صار لا يبصر شيئا فعلى ذلك ما ذكرنا وفى الآية دلالة نقض قول المعتزلة لانهم لا يجعلوا الكفر من ان يكون مظلما
قبيحا ذميما بنفسه او بالله تعالى فان قيل بنفسه صار كذلك قيل ينبغى ان يجوز حدوث الاشياء بنفسها
اذ لا فرق بين ان يكون الشئ مظلما قبيحا ذميما بنفسه وبين ان يكون الاشياء بانفسها على ما كانت فانه
يبطل بنفسه مظلما قبيحا ثبت ان الله هو الذى جعل مظلما قبيحا وهو ما يقول يجئ ان الله خلق فعل الكفر
من الكافر مظلما قبيحا وخلق فعل الايمان من المؤمن منيرا حسنا والله الموفق وقوله عز وجل وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا هذا فى قوم مخصوصين علم الله انهم لا يؤمنون ابدا والا لا يحتمل
فى جميع الكفار اذ من الكفار من قد آمن وقال الحسن هو فى الذين جعل على قلوبهم الغطاء والطبع اذ من قوله
ان للكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه فلا يؤمن ابدا وقال بعضهم هو فى قوم عادتهم العناد
والمكابرة وتكذيب الآيات والحجج فاخبر انهم لا يؤمنون ابدا لعنادهم واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل وربك الغفور ذو الرحمة يحتمل ان يكون على وجهين احدهما الغفور حيث ستر عليهم ولم يعاقبهم
وقت عصيانهم وذو الرحمة يقبل توبتهم اذا تابوا والثانى الغفور اذا استغفروا وتابوا وذو الرحمة يرحمهم
ويتجاوز عنهم ما سبق لهم من الذنوب وقوله عز وجل لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب فى الدنيا
بل لهم موعد قال الحسن جعل الله لكل امة يهلكون لهلاكهم موعدا واجلا كقوله ان موعدهم الصبح وقال
فى آية اخرى تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وجعل موعد هذه الامة الساعة وهو قوله
بل الساعة موعدهم الآية قال بعض اهل العلم اهلك الله كل امة كذبت رسولها لتتعظ الامة التى تاتى بعدها
وجعل هلاك امة محمد بالساعة لانه ليس بعدها امة تتعظ به وقوله عز وجل لن يجدوا من دونه موئلا
قيل ملجأ قال القتبى يقال لا وألت نفسك اى لا نجت ويقال وال فلان الى كذا اى لجأ وقوله عز وجل وتلك
القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يجعلون للمهلك

هالكاً قبل اجله وقد اخبر عز وجل لمهلكهم موعداً لا يتقدم ولا يتأخر طرفة عين وفي قوله قدمت يداه
ذكر تقديم اليد وان لم يكن لليد صنع في ذلك لما في العرف الظاهر انه انما يتقدم ويؤخر باليد وكذلك ما ذكر
من الكسب فيما كسبت ايديكم لانه في الشاهد انما يكتسب باليد ونحوه فهو يرد على اصحاب الظاهر ان الخطاب
على مخرج الظاهر حيث لم يفهم من ذكر اليد ههنا اليد نفسها ولكن فهم غير اليد وقوله عز وجل واذ قال موسى
لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين قال اهل التاويل لا ابرح اي لا ازال حتى ابلغ كذا فان كان على هذا
فهو ظاهر والاحرف البراح يعرف البراح عن المكان اي لا ابرح المكان حتى ابلغ مجمع البحرين وهو كانه على
الاضمار اي لا ابرح اسير معك حتى ابلغ كذا كانه سبق من فتاه انه ليس يدري الى ذلك المكان دونه على ما يقول
الخادم لمولاه اذا اراد ان يسير لحاجته انا اسير وانا اذهب فعند ذلك قال له موسى لا ابرح اي لا افارقك
واسير معك حتى ابلغ ما ذكر اي امرت بذلك وقال بعضهم سماه فتى لانه كان خادمه يخدمه وقال بعضهم
سماه فتى لانه كان يتبعه ويصحبه ليتعلم منه العلم وقوله مجمع البحرين اي ملتقى البحرين وقوله عز وجل او امضي
حقبا قيل زمانا ودهرا وقيل الحقب ثمانون سنة وقال بعضهم هو بلغة قوم سنة وقال بعضهم هو على التمثيل
على ما يبعد وقيل سبعون سنة ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما
اضاف النسيان اليهما وان كان الذي نسيه هو فتاه وقال بعضهم اضاف النسيان اليهما على الترك لانهما
فارقا ذلك المكان وتركا الحوت فيه وانما اضاف النسيان اليهما لما تركاه جميعا فيه وفارقاه وان كان الفتى
هو الذي نسيه دون موسى حيث قال وما انسانيه الا الشيطان وكل منسي متروك وقال بعضهم
اضاف اليهما لما كان منهما جميعا النسيان نسي الفتى ان يذكره ويخبره ان سرب في البحر ونسي موسى ان يستخبر
فقد كان منهما جميعا النسيان عن الفتى للاخبار والتذكير وعن موسى للاستخبار عن حاله وقال بعضهم اضاف
ذلك اليهما لما نسيا مكان الرجل الذي امر موسى ان ياتيه ويقتبس منه العلم فهو على الجهل يخرج على هذا
التاويل اي جهلا مكانه والله اعلم وقوله عز وجل فاتخذ سبيله في البحر سربا قال ابو عوسجة سربا اي دخل
في البحر كما يدخل في السرب والسرب هو داخل الارض يقال بالفارسية سمج وقال القتبي سربا اي مذهبا ومسلكا
وقول اهل التاويل ان الحوت كان مشويا فاحياه الله وقال بعضهم كان طريا ولكن ليس لنا الى معرفة الحوت
انه كان مشويا او طريا حاجة وهو قادر على ان يحييه مشويا او طريا في اي حال كان والله اعلم وقوله عز وجل
فلما جاوزا يعني مكانه قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فيه دلالة ان لا باس للرجل
اذا اصابته مشقة وجهد ان يذكر اصابني كذا وللمريض يقول ابي من المرض كذا ولا يخرج ذلك مخرج الشكوى
والجزع عن الله حيث قال موسى عليه السلام لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا وجهدا وقوله عز وجل
قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وفي حرف ابن مسعود
ان اذكره قال الحسن لم يكن نسيه ولكن تركه متعمدا مضيعا وانما اضاف الى الشيطان يقول ان الشيطان يقول
ان الشيطان هو الذي حملني حتى تركت ذكره لك وكذلك يقول في قوله قصة آدم فنسي اي ضيع امره وتركه
ونحوه من المحال ولكن لا يحتمل ان يترك ان يذكر له عمدا والشيطان مما يسعى بالحيلولة في مثل هذا في امر
الدين وفي النعم اذا اكثرت واتسعت على انسان فينسى بالانساء في مثله وقوله عز وجل واتخذ سبيله
في البحر عجبا قال بعضهم عجب موسى من الفتى ان كيف نسي ان يذكره وقد احتاج الى ان يتحمل مؤنة عظيمة
في حمله وقال بعضهم عجب موسى منه حين يبس له الماء واثره فيه والله اعلم ثم ذكر موسى بخبر الحوت
وما صنع فقال ذلك ما كنا نبغ اي نطلب من حاجتنا من الظفر بذلك الرجل يقول ذلك لفتاه ثم في الآية وجوه
من الفوائد احدها ان يلزم الانسان طلب العلم واقتباسه اذ كان به وبالناس حاجة اليه وان بعدت
الشقة وتناءى الموضع حيث قال موسى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا وفيه ان لا باس لاثنين ان يسافرا

ولا كل واحد

ولا كل واحد واثنين يكونا شيطانين على ما ذكر في بعض الاخبار ان الواحد شيطان والاثنين شيطانان
ولكن واحد دون واحد واثنين دون اثنين وفيه انه لا يسافر الا بالزاد حيث تزود موسى والفتى الحوت
الذي ذكر حين خرجا الى حيث امر موسى ان يخرج مجمع البحرين فاما اهل التاويل فانهم قالوا جميعا انه امر موسى
ان ياتي الخضر ليتعلم منه العلم ولكن في القرآن ذكر الخضر انما فيه ذكر عبد من عباده حيث قال فوجدا عبدا من عبادنا
وفيه ان الثنيا انما تلزم في كل فعل مستقبل مما يشك فيه ويرتاب فاما كان سبيل معرفته الوحي واليقين فانه
لا يستثنى فيه حيث قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا قال ذلك من غير ثنيا لانه
عز وجل امره ان ياتيه ولا يحتمل ان يؤمر بالاتيان في مكان ثم هو يشك انه لعله لا ياتيه لذلك قطع القول فيه
وكذلك قول ذلك العبد الصالح لموسى انك لن تستطيع معي صبرا قطع القول فيه من غير ثنيا لانه علم بالوحي انه
لا يصبر على ما يرى منه واما موسى فانه قد استثنى فيما وعد انه يصبر لانه اضاف الى حادث من الاوقات على الشك
منه انه يصبر او لا يصبر وعلى الارتياب ليس على اليقين فقال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا
مما ذكرنا وفيه ان الرجل اذا اختلف الى عالم يقتبس منه العلم ويتعلم منه فرأى منه مناكير ومظالم يلزمه ان يفارقه
ولا يتعلم منه العلم كصنيع موسى بصاحبه لما راى منه ما رآى من خرق السفينة وقتل الغلام وغيره مما كان منكرا
وظلما في الظاهر وان كان ما فعل هو فعل لامر كره موسى صحبته وندم على ذلك اشد الندامة حتى جعله على علم
من ذلك كله فهكذا الواجب على الرجل اذا راى مناكير من الذي ياخذ منه العلم ومظالم ان يفارقه ولا ياخذ من علمه
والله اعلم وفي قوله ستجدني ان شاء الله صابرا دلالة ان الاختيار والمستحب في الثنيا ان يكون في ابتداء الكلام لان موسى
ابتدأ به وكذلك قوله وانا ان شاء الله لمهتدون فاذا تركه في اول كلامه او نسي يستثني في آخره فيعمل عمله في دفع
الخلف في الوعد والكذب وعلى هذا تاول بعض الناس قوله واذكر ربك اذا نسيت اي استثن في آخره اذا نسيت في اول
كلامك والله اعلم ثم هذه القصص والانباء التي ذكرت لرسول الله على اثر سؤال كان منهم على ما ذكرنا في قصة اصحاب
الكهف وغيرها من القصص او على غير سؤال ولكن كانت في كتبهم فذكر له ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى ثم اختلف
اهل التاويل في السبب الذي امر موسى على طلب العلم من عند ذلك الرجل وبعثه عليه قال بعضهم وذلك ان موسى
قام خطيبا في قومه فخطب خطبة لم يخطب قط مثلها فاعجبه ذلك فوقع عنده ان ليس احد اعلم منه فاخبر ان في مجمع
البحرين رجلا اعلم منك فامر بالمصير اليه والتعلم منه وقال بعضهم لا ولكن موسى قد اعطي التوراة وفيها علوم كثيرة
فظن انه ليس احد اعلم منه فاخبر ان في مجمع البحرين عبدا من عبادنا اعلم منك فامر بالمصير اليه والتعلم منه
فان كان على ما ذكر اهل التاويل من السبب فيخرج الامر له بالمصير اليه والتعلم منه مخرج العقوبة له والعتاب لما خطر
بباله ووقع في وهمه ما وقع وجائز ان يكون الامر له بالمصير اليه والتعلم منه ابتداء محنة من الله تعالى اياه بتعلم العلم من غير سبب
كان موسى على ما يؤمر المرء بتعلم العلم ابتداء من غير سبب محنة من الله يمتحنه بها نحو ما امر موسى بالمصير الى الطور
واعطى هنالك التوراة في الالواح على غير سبب كان منه ولكن ابتداء محنة يمتحنه بها فعلى ذلك يحتمل امره له بالمصير
اليه امرا والتعلم منه ابتداء محنة امتحنه بها وقول اهل التاويل ان صاحب موسى الذي امر موسى بالمصير اليه
والتعلم منه الخضر وفتاه الذي كان يصحبه ويتبعه يوشع بن نون فذلك لا يعلم الا بالسمع والخبر عمن يوحى اليه
فيعلمه بالوحي واما من لم يخبر ذلك وقاله لا عن وحي فلا يعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انما الحاجة الى معرفة
ما اودع فيه من انواع الحكمة والعلوم واما ما ذكروا انه فلان وانه كان في موضع كذا في البحر وان موسى قال له كذا
وهو قال لموسى كذا فان سبيل معرفة ذلك السمع فان ثبت السمع فيه والا لم يجب ان يذكر فيه اكثر مما ذكر في الكتاب
لان هذه الانباء والقصص التي ذكرت في القرآن انما ذكرت لتكون آية لرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلو قيل فيها
ما لم يذكر في كتبهم من الزيادة او النقصان لكان ذلك سببا لاكذابه لا تصديقه على ما يدعي من الرسالة وقوله عز وجل
ما كنا ذلك اي فقد الحوت هو ما كنا نبغي اذ كان ذلك علما لوجود مكان ذلك الرجل وقوله عز وجل فارتدا على آثارهما

فقصا قال بعضهم اى رجعا وعودهما على بدائهما وقال بعضهم اى رجعا يقصان طريقهما وآثارهما الذى
مشيا فيه يطلبان المكان الذى فقد الحوت فيه اذ ذلك المكان هو مكان علم وجود ذلك الرجل الذى امر موسى
بالمصير اليه وقال بعضهم اقتصا اثر الحوت فى الماء لكن الاول اشبه لان فى الآية ذكر آثارهما لا ذكر اثر الحوت
وقوله عز وجل فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا يحتمل قوله رحمة من عندنا النبوة حيث قال
لموسى انك لن تستطيع معى صبرا لا يحتمل ان يقول له هذا الا على علم وحى وحيث قال وما فعلته عن امرى اخبر انه
لم يفعل ما فعل عن امر نفسه ولكن امر الله والله اعلم ويحتمل قوله رحمة من عندنا كل خير وكل بركة اعطاها الله
اياه او ان يكون رحمة القلب وشفقته التى كانت منه على اهل السفينة بخرقها وقتل ذلك الغلام الذى قتله اشفاقا
منه على والديه او على الناس واقامة الجدار التى كاد ان ينقض فاقامه وامثاله وقوله عز وجل وعلمناه من لدنا علما
هو ظاهر وقوله عز وجل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمنى فى قوله هل اتبعك دلالة انه كان على سفر ولم يكن
مقيما فى ذلك المكان ومن يتعلم من آخر علما فانه يتبعه حيث يذهب هو فى حوائجه لا يؤمر بالمقام حيث يقيم المتعلم
لانه قال هل اتبعك على ان تعلمنى وقوله عز وجل مما علمت رشدا يحتمل اى رشدنى الى ما علمت او تعلمنى مما علمت
من المرشد والصواب وقوله عز وجل انك لن تستطيع معى صبرا اى لن تستطيع معى صبرا بما ترى منى من الامور ما يخرج
فى الظاهر مخرج المناكير او يقول انك نبى ورسول والرسول اذا راى منكرا فى الظاهر لا يسع له ترك الانكار عليه
والتغيير وانت لا تصبر على ما ترى منى لما لم تعرف سببه الا ترى انه وسع له الانكار عليه والتغيير حيث قال له وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبرا اى ما لم تعلم علما والله اعلم وقوله عز وجل قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا
يحتمل ان يكون الثنيا منه على الامرين جميعا على الصبر الذى وعد وعلى قوله ولا اعصى لك امرا ويشبه ان يكون على وعد
الصبر خاصة دون قوله ولا اعصى لك امرا لان قوله ولا اعصى لك امرا عهد منه والثنيا لا تستعمل فى العهود واما قوله
ستجدنى ان شاء الله صابرا انما هو فعل اضافه الى نفسه فلا بد من ان يستثنى فيه وقوله عز وجل فان اتبعتنى
فلا تسألنى عن شىء مما تنكره نفسك وتكرهه حتى احدث لك منه ذكرا اى لما ذا فعلت ما فعلت وقوله عز وجل
فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها هذا الكلام يخرج على وجهين يخرج على الانكار عليه
اى اخرقتها لتغرق اهلها او لتعيبها او لماذا وظاهر هذا الحرف استفهام لولا قوله لقد جئت شيئا امرا فان كان على الاول
على الانكار عليه والرد فقوله لقد جئت شيئا امرا ظاهرا او جئت شيئا عظيما شديدا وان كان على الاستفهام فهو على الاثبات
كانه قال اخرقتها لتغرق اهلها فلئن خرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اى عظيما شديدا وان كان التاويل على الانكار
فهو كما يقال لمن يبنى بناء ثم يتركه لا ينفق عليه فى عمارته بنيت لتخرب او لتهدم وكما يقال لمن زرع زرعا ثم يترك
سقيه زرعت لتفسد ونحوه وان كان لم يبن لذلك ولم يزرع لما ذكر ولكن لما كذلك يصير فى العاقبة اذا ترك
سقيه او عمارة ما بنى فان قيل كيف قال له موسى اخرقتها لتغرق اهلها وبعد لم يعلم ان ذلك الخرق مغرق اهلها
وقد يجوز ان يكون غير مغرق قيل انما اخبر عما يؤول الامر فى العاقبة والظاهر من الخرق ان يغرق فى الآخرة وهو
كما ذكرنا من امر البناء والزرع بنيت لتخرب وزرعت لتفسد وان لم يكن بناؤه وزراعته لذلك فعلى ذلك قول موسى
لصاحبه والله اعلم وقوله عز وجل الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا هذه الآية على المعتزلة لانه قال له انك
لن تستطيع معى صبرا ولانه كان يحتاج الى استطاعة تقارن الفعل فيكون بها الفعل والا قد كانت له اسباب
لو لم يؤثر غيره لا استطاع الصبر معه دل ان استطاعة الفعل لا يتقدم الفعل ولكن تقارنه وقال الحسن
انما يقال هذا للاستثقال كما يقول الرجل لآخر لا استطيع ان انظر اليك بغضا وهو ناظر اليه لكن يقال ذلك على
الاستثقال والبغض ليس على حقيقة نفى الاستطاعة فعلى ذلك الاول فيقال له هو كما يقال لا استطيع ان انظر
اليك نظر الرحمة فهو وان كان ناظرا اليه لما ذكر فهو غير ناظر اليه نظر رحمة وشفقة فهما سواء وهو ما يقوله والله اعلم
وقوله عز وجل لا تؤاخذنى بما نسيت يحتمل هذا الكلام وجوها احدها على التعريض من الكلام اى لا تؤاخذنى بما لو نسيته

كقول ابراهيم حيث قال فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم ونحوه اى ساسقم والثانى على حقيقة النسيان
نسى قوله فلا تسألنى عن شىء بعدها لما رأى من المناكير فى الظاهر وهكذا كانت عادة الانبياء انهم اذا راوا منكرا
لا يملكون انفسهم حزنا وغضبا على ما راوا فلا ينكر ان يكون نسى ما قال له وقال بعضهم على التضييع والترك فهو
يخرج على الاول والله اعلم وقوله عز وجل ولا ترهقنى من امرى عسرا قال بعضهم لا تكلفنى من امرى ما يعسر
على وقال بعضهم الارهاق هو الشدة والتعب وقال بعضهم ولا ترهقنى اى لا تغشنى عسرا وقوله عز وجل
فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس يحتمل هذا الكلام ايضا وجهين
على الانكار والرد عليه والثانى على الاستفهام والسؤال على ما ذكرنا فى الاول اقتلت نفسا زكية بغير نفس او بحق
او لماذا وعلى الانكار والرد على ما راى فى الظاهر قتل نفس ولم يعرف الوجه الذى به يجب القتل وقوله عز وجل
لقد جئت شيئا نكرا هو على ما ذكرنا على الانكار ظاهر وعلى الاستفهام والسؤال على الاضمار اقتلت نفسا زكية
بغير نفس فلئن فعلت لقد جئت شيئا نكرا اى منكرا ثم اختلف فى قوله نكرا وقال بعضهم نكرا اكبر من قوله
امرا لان فيه مباشرة القتل واهلاك النفس بغير نفس فهو اكبر وليس فى نفس الخرق اهلاك وانما هو سبب
الاهلاك وقد يجوز ان لا يهلك وقال بعضهم قوله امرا اكبر من قوله نكرا لان فيه اهلاك جماعة وههنا اهلاك
واحد فهو دون الاول والله اعلم وقوله عز وجل الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ما ذكرنا فى الاول
وقوله عز وجل قال ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فى ترك المصاحبة عذرا
لما قلت لك انك لن تستطيع معى صبرا او لم يصبر وقوله عز وجل فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية سمى قرية وهى كانت
مدينة الا ترى انه قال فى آخره واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة دل انها كانت مدينة والعرب
قد تسمى المدينة قرية وقوله عز وجل استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
فاقامه قال الحسن كان ذلك الجدار كهيئة عند الناظر انه يسقط وقال ابو بكر الاصم يريد ان ينقض لا ارادة
صفة كل فاعل له حقيقة الفعل بعد ان يضاف اليه الفعل الا ترى انه يقال للجدار سقط وان كان فى الحقيقة
يسقط وعندنا انما يقال ذلك لقرب الحال وعند الاشراف على الهلاك والسقوط الا ترى ان الرجل يقول اردت
ان اموت واردت ان اهلك واردت ان اسقط وهو لا يريد الموت ولا السقوط ولكنه يذكر ذلك لاشرافه
على الهلاك وقرب الحال اليه ليس على ارادة الحقيقة فعلى ذلك قوله يريد ان ينقض اى اشرف وقرب على حال
السقوط والله اعلم وقوله عز وجل قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا هذا القول من موسى يحتمل من موسى
وجهين احدهما قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا لشدة حاجته الى الطعام لئلا يقع لهما حاجة الى اهل تلك
البلدة اذ قد وقع لهما اليهم حاجة حيث قال استطعما من اهلها مرة فلم يطعموها فاراد ان ياخذ على ذلك اجرا
لئلا يقع لهما حاجة اليهم ثانيا والثانى قال له ذلك لما لم ير اهل تلك البلدة اهلا اليهم المعروف لما راى
فيهم من البخل والضنة فى الطعام حيث استطعماهم فلم يطعموهما بخلا منهم وضنة والله اعلم وذكر فى بعض
القصة ان الجدار الذى اقامه صاحب موسى كان طوله خمسمائة ذراع وقامته مائتى ذراع وعرضه اربعين ذراعا
ونحوه مما طريقه العلم لكن لا حاجة الى معرفة ذلك انما الحاجة الى ما فيه من انواع الحكمة والفوائد وقوله
عز وجل قال هذا فراق بينى وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اى سانبئك بتاويل ما لم تستطع
عليه صبرا اى سانبئك بيان ما قلت لك انك لن تستطيع معى صبرا ثم بين وفسر له فقال اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها اى اجعلها معيبة وقوله وكان وراءهم ملك ذكر فى بعض الحروف
وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا فعلى ذلك التاويل فيه فاردت ان اعيبها اى اجعلها معيبة لئلا ياخذها
ذلك الملك غصبا اذ كان لا ياخذ الا سفينة صالحة صحيحة والله اعلم وقوله عز وجل واما الغلام
فكان ابواه مؤمنين اختلف فى سن ذلك الغلام قال بعضهم كان ذلك الغلام كبيرا بالغا والعرب قد تسمى الرجل

البالغ الذي لم يلتح بعد ولم يستوحيته غلاما لقربه بوقتنا البلوغ ولذلك قال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس
والصغر مما لا يقتل اذا قتل نفسا بغير حق فلو كان صغيرا لم يكن لقول موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس وجه كما روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ان ايمانكم تحقن دماءكم اى ايمانكم اذا اظهر منهم الدم وكقوله لولا ايمانكم لكان لى
ولهما شان اذا ظهر منهما الزنا فعلى ذلك قوله اقتلت نفسا زكية بغير نفس لو كانت محملة القتل بالنفس والله اعلم
ثم اختلف في سبب قتل ذلك الغلام قال بعضهم قتله لكفره كان كافرا وكذلك ذكر في حرف ابي بن كعب واما الغلام
فكان كافرا الا ترى انه قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا دل هذا انه كان بالغا كافرا اذ لو لم يكن كافرا
لم يلحق والديه منه الطغيان والكفر وقال بعضهم انما قتله لانه كان لصا قاطع الطريق يقطع الطريق على الناس
ويأخذ اموالهم وعلى قول من يقول انه كان صغيرا قتله لانه علم انه لو بلغ كافرا والله اعلم بذلك وليس لنا
الى معرفة ذلك السبب الذي قتله حاجة ولا انه كان صغيرا وكبيرا الا انه اخبر انه انما قتله بامر الله لا من تلقاء
نفسه حيث قال وما فعلته عن امري ولكن انما فعلته بامر الله ولله ان يامر عبدا من عباده بقتل الصغير على ما له
ان يميته وعلى ما يامر ملك الموت بقبض ارواح الخلق فعلى ذلك له ان يميته على يدي آخر وان يقبض روحه
انه له الخلق والامر وقوله عز وجل فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ليس هو الخوف ولكن العلم اى علمنا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا وكذلك ذكر في حرف ابي فان قيل كيف احتج على قتله واهلاكه بما علم انه يلحق ابويه منه الطغيان
والكفر وقد ترك ابليس وجنوده يعيشون الى آخر الدهر على علم منه انهم يحملون الناس على الطغيان والكفر
ويرهقونهم انواع المعاصي والفواحش وكذلك هؤلاء الظلمة الذين لا يكون منهم الا كل شر وجور على الناس من تركهم
على علم منه بما يكون منهم فما معنى الاحتجاج في قتله واهلاكه بما ذكر من ارهاق الطغيان والكفر بالوالدين قيل
لهذا جوابان احدهما ان الله عز وجل قد يمتحن البشر بمعان وعلل واشياء امتحنهم تلك المعاني والاشياء على الرغبة
والحث فيما امتحنهم وان كان له الامتحان لا على تلك المعاني والعلل نحو ما امتحنهم بانواع العبادات والطاعات بثواب
وجزاء ذكرهم فيها لو فعلوا وان كان له الامتحان بذلك على غير ثواب ولا جزاء وكذلك العقوبات وغير ذلك
من المحن فعلى ذلك الاول والثاني ذكر هذا ليطيب بانفسهم احسانا منه اليهم والا فما عليهم اذ له ان يميتهم صغارا
وكبارا وعلى ذلك يخرج قوله ولو بسط الله الرزق لعباده الآية وقد وسع على كثير من الخلق وكذلك قوله كلا
ولولا ان يكون الناس امة واحدة الآية وقد جعل لكثير من الخلق ذلك لكن هذا لما له ان يفعل ذلك الكل فمن لم يفعل
ذلك له انما لم يفعل احسانا منه وافضالا فعلى ذلك الاول انما ذكر ما ذكر احسانا منه وافضالا والله اعلم وقوله
عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما قال بعضهم خيرا منه زكوة اى صلاحا واقرب
رحما اى اوصل رحما وابر لوالديه وقال بعضهم خيرا منه زكوة اى عملا واقرب رحما اى احسن منه برا لوالديه قال
ابو عوسجة رحما من الرحم والقرابة وقال القتبي رحما اى رحمة وعطفا وذكر انهما قد اعطيا خيرا منه اى خيرا من القتيل
والله اعلم وقوله عز وجل واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما اختلف في ذلك
الكنز قال بعضهم كان ذلك الكنز مالا كنزه ابوهما قال ابن عباس حفظ لصلاح ابيهما وما ذكر منهما صلاحا
وقال بعضهم كان ذلك الكنز مصحفا فيها علم قال ابو بكر الاصم لا يحتمل ان يكون علما لان العلم مما يعلمه العلماء
ويشترك الناس فيه فلا يحتمل ان يحفظ ذلك لهما دون الناس فان ثبت وحفظ ما روى في الخبر فهو مال وعلم
وروى عن ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تحت الجدار الذي قال الله في كتابه وكان تحته كنز لهما
لوح من ذهب فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف
يحزن وعجبت لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها محمد رسول الله فان حفظ هذا عن رسول الله
ففيه مال وعلم لان اللوح من الذهب مما يكثر ويعظم قدره وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم وقوله
عز وجل فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك اى نعمة من ربك واحسانا عليهما ان كان له

انه لا يحفظ

ان لا يحفظ ذلك لهما ولا يوصله اليهما على ما لم يعط لكثير من اليتامى والمساكين شيئا من ذلك لكن ذلك منه
اليهما فضل وانعام ورحمة عليهما والله اعلم وقوله عز وجل وما فعلته عن امري هو ما ذكرنا انه اخبر
عن امر الله فعل ما فعل لا عن امر نفسه وقوله عز وجل ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اى تاويل ما قلت له
في بدء الامر انك لن تستطيع معي صبرا ثم لا يحتمل ان يكون موسى حيث امر بالذهاب الى ذلك الرجل والاتباع له
والصحبة معه ليتعلم منه العلم فلم يستفد منه الا علم ما انكر عليه وسبب حل ذلك له ان كان ذلك
بانكار ما انكر عليه من الافعال التي هي في الظاهر منكرة لكن جائز ان يكون استفاد منه علوما كثيرة سوى
ذلك لكنه لم يذكر لنا ذلك والله اعلم وقول اهل التاويل اسم الغلام الذي قتله صاحب موسى خشنوذا ولا ادرى
ماذا ووالداه اسمهما كذا لا نعلم ذلك وليس بنا الى معرفة اساميهم حاجة وكذا اسم الغلامين اليتيمين
صاحبا الجدار اصرم وصريم ولا ادري ماذا ولا حاجة بنا الى ذلك وقولهم كان صاحب موسى خضرا وانه انما سمي
خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت فذلك ايضا مما لا يعلم الا بالخبر عن الوحي وحي السماء فلا نقول فيه
الا قدر ما ذكره الكتاب فانه يخرج ذكره مخرج الشهادة على الله من غير حصول النفع لنا في ذلك عمل وغيره
وليس في الكتاب الا ذكر عبد من عبادنا وذكر الغلامين وذكر الفتى وذكر غلامين يتيمين في المدينة وامثاله
يقال ما فيه ولا يزاد على ذلك مخافة الشهادة على الله بالكذب والله اعلم وقوله عز وجل ويسالونك عن ذي القرنين
قل ساتلوا عليكم منه ذكرا في الآية دلالة ان الآية نزلت على رسول الله قبل ان يسال هو من خبر ذي القرنين
لانه قال يسئلونك ولم يقل سالوك والخبر الذي روى عقبة بن عامر الجهني يدل على ذلك ايضا لانه روى
ان نفرا من اهل الكتاب جاؤا بالصحف والكتب فقالوا لي استاذن لنا على رسول الله لندخل عليه
فانصرفت اليه فاخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي ولهم يسالون عما لا اعلم انما انا عبد
لا علم لي الا ما علمني ربي ثم قال ابلغني وضوءا فتوضا به فتوضا ثم قام الى مسجد في بيته فركع فيه ركعتين فما انصرف
حتى بدا لي السرور في وجهه ثم قال لي اذهب فادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي قال فادخلهم فلما دخلوا على
النبي قال لهم ان شئتم اخبرتكم بما اردتم ان تسالوني عنه وان شئتم اخبرتكم كما تجدونه في كتابكم فهذا ه
ان ثبت يدل انه نزل عليه نبأ ذي القرنين وخبره قبل ان يسال واما اهل التاويل قالوا جميعا انه سئل
قبل ان ينزل عليه خبره ثم نزل من بعد السؤال والله اعلم ثم اختلف فيه قال الحسن كان نبيا دليله ما قال
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال هذا تحكيم من الله اياه فيما ذكر ولا يوتى
الحكم الا من كان نبيا واما علي بن ابي طالب رضي الله عنه فانه سئل عن ذلك كان نبيا او ملكا فقال لا واحد
منهما وقال غير هؤلاء انه كان ملكا يدل على ذلك الخبر الذي روى عقبة ابن عامر الجهني ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عن خبره ونبائه قال فقال رسول الله كان غلاما من الروم اعطي ملكا فسار حتى بلغ
كذا في الخبر ولا يشبه ان يكون انه كان ملكا الا ترى انه قال انا مكنا له في الارض اى ملكنا له الارض ذكر
ذكر تمكين الارض له جملة يصنع فيها ما يشاء لم يخص له ناحية منها دون ناحية وليس كقوله اولم نمكن لهم
حرما آمنا الآية كقوله ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه ههنا خص مكانا لهم دون مكان واما في ذي القرنين
ذكر التمكين له في الارض لم يخص ناحية منها دون ناحية فهو ان ملكه ومكن له الارض كلها وقول الحسن انه
حكمه وولى له الحكم فهذا لا يدل انه كان نبيا لان الملوك هم الذين كانوا يتولون الجهاد والغزو في ذلك الزمان
الا ترى الى قوله ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ان الملوك هم الذين كانوا يتولون الجهاد والغزو والقتال
في ذلك مع العدو فعلى ذلك هذا وقوله اما من ظلم فسوف نعذبه واما من آمن فله كذا يحتمل هذا منه الهام
من الله تعالى او تعليم الملك الذي كان فيه او كان معه نبي فاخبره بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وآتيناه
من كل شيء سببا اختلف في ذلك السبب قال بعضهم علم المنازل ان منازل الارض ومعالمها وآثارها وقال

العلم والقوة وقال بعضهم اعطاه السبب الذى به صلاح ما مكن له وملك له مما يقع له الحاجة اليه وقال بعضهم
ذلك السبب كان انعاما كان عليها يحمل الخشب فيتخذ منه سفينة ان استقبله بحر فيعبر بها ثم ينقضها ويحمل
الخشب على الانعام ويعبر البر على الدواب فذلك السبب الذى ذكر واصله انه ذكر اتاه السبب الذى به صلاح
ما مكن له وملك عليه ولم يبين ما ذلك السبب فلا ندرى ما اراد بذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل حتى اذا بلغ مغرب
الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة كانه اراد وطلب ان يعرف انها اين تغرب حيث قال وجدها تغرب فى عين حمئة
وفيه لغتان حامئة وحمئة قالوا من قرأها حامية اراد فى عين حارة ومن قرأ حمئة مهموزة بغير الف اراد الحماة وهى
الطينة السوداء والله اعلم بذلك **وقوله** عز وجل ووجد عندها قوما قال بعضهم كانوا كفارا ومؤمنين الفريقان
جميعا فقال فى الكفار اما ان تعذب وهو القتل وقال فى المؤمنين واما ان تتخذ فيهم حسنا ليس على التخيير ولكن
على الحكم فى كل فريق على حدة وقال بعضهم كانوا كلهم كفارا فيكون تاويل قوله اما ان تعذب اذا لم يجيبوك واما ان تتخذ
فيهم حسنا اذا اجابوك وآمنوا بالله **وقوله** عز وجل قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه
عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى هذا ما ذكرنا انه حكم بذلك بتعليم نبى او ملك كان معه
او حكم بذلك لما كان عرف ان سنة الله فى الكفار القتل والاهلاك وفى المؤمنين الترك والاحسان او الهم
الهاما بذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل وسنقول له من امرنا يسرا قال الحسن يسرا اى عارفا وقال بعضهم يسرا
معروفا وقال بعضهم اليسر هو اسم كل خير وبركة والله اعلم **وقوله** عز وجل ثم اتبع سببا قال الحسن سببا
اى بلاغا حاجته وقال غيره ما ذكرنا من السبب الذى به ملك طريق المغرب والمشرق وبه بلغ ما بلغ والله اعلم ثم اختلفوا
فيما سمى ذو القرنين قال بعضهم سمى ذو القرنين لانه دعا قومه الى توحيد الله والايمان به فضربوه على قرنه الايمن
ثم غاب عنهم ما شاء الله وفى بعض الاخبار مات ثم حضر فدعاهم ثانيا فضربوه على قرنه الايسر فبقى عليه لذلك
اثر فسمى لذلك ذا القرنين لانه كان له قرن كقرن الثور وقال بعضهم سمى ذو القرنين لانه كان له ذوابتان اعنى
ضفيرتان وقال بعضهم سمى ذا القرنين لانه بلغ قرنى الشمس مغربها ومطلعها وقال بعضهم سمى ذا القرنين لانه عاش
حيوة قرنين والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة **وقوله** عز وجل حتى اذا بلغ مطلع الشمس بالسبب الذى
ذكر انه اعطاه كما بلغ مغرب الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال الحسن ان تلك الارض تميد
وتميع لا تقر ولا تسكن لا يحتمل البناء والحجر فاذا طلعت الشمس طلعت عليهم لما لم يكن لهم بناء ولا ستر تهوروا
فى البحار فاذا ارتفعت عنهم خرجوا وقال ابن عباس ان الشمس اذا طلعت كانت حرارتها اشد عند طلوعها فغربوها
فتحرق كل شىء حتى لا يبقى لهم ثوب ولا بناء ولا خشب ولا غيره الا احرقته **وقوله** عز وجل كذلك وقد احطنا بما لديه
خبرا اختلف فى قوله كذلك قال بعضهم قوله كذلك اى كذلك اخبرنا رسول الله من نبأ ذى القرنين وخبره
على ما كان وكان بعضهم كذلك اعطيناه من السبب حتى بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها بالسبب الذى ذكر وقال بعضهم
كذلك قيل له فى المطلع من قوله اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا كما قيل له فى المغرب والله اعلم **وقوله**
عز وجل وقد احطنا بما لديه خبرا قال بعضهم هو صلة قوله قل سأتلوا عليكم منه ذكرا وقد احطنا بما لديه خبرا
اى عن علم سأتلوا عليكم وقال بعضهم هو على الابتداء ليس على الربط والصلة على الاول اى قد احطنا علما بما لديه
ثم اتبع سببا ما ذكرنا فى بلوغه مغربها ومطلعها اى اعطيناه من السبب حتى بلغ بين السدين فى بعض القراآت السدين
بالنصب فان كان بين اللغتين فرق فيشبه ان يكون السدان بالرفع الجبلين اللذين كانا هنالك والسدين
بالنصب هو بناء ذى القرنين وان لم يحتمل الفرق فهو ما بناه هو او مكانا فى الخلقة ثم اختلف فى ذلك السد قال بعضهم
هو المنفذ الذى كان بين طرفى الجبل الذى كان محيطا بالارض يدخل فيه ياجوج وماجوج الى هذه الارض فسد
ذو القرنين ذلك المنفذ وقال بعضهم لا ولكن كانا جبلين احدهما سترا بين ياجوج والثانى بين ماجوج فسد
ذلك والله اعلم كيف كان **وقوله** عز وجل وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قال الحسن كانوا يفقهون ما به

صلاح معاشهم وما به بقاؤهم ولكن كانوا لا يفقهون الهدى من الضلال والخير من الشر ونحوه وقال بعضهم
لا يفقهون قولا من غير كلامهم ولسانهم ولكن يفقهون بلسانهم وكلامهم وذو القرنين كان يعرف الالسن كلها
نفقهوا منه وفقه هو منهم حيث قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض فهل لك خرجا
اى جعلا اجرا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقال هو ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى بقوة فهم ذو القرنين منهم
وفهموا ايضا منه ما ذكرنا فدل ذلك انهم كانوا يفقهون بلسانهم ولا يفقهون بلسان غيرهم وفى الاية دلالة انهم
كانوا يفقهون شيئا قليلا من القول وان كانوا لا يفقهون كثيرا لانه يقول لا يكادون يفقهون فهو يتكلم على الغرب
لا على النفى راسا والله اعلم **وقوله** عز وجل قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض فهل
نجعل لك خرجا جعلا واجرا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير على تاويل الحسن يكون قوله
ما مكنى ربى من النبوة خير لانه يقول انه كان نبيا حيث قال له انا مكنا له فى الارض الاية وعلى قول غيره يكون
ما مكنى فيه ربى من الملك والسبب الذى اعطانى وابلغ به مغرب الشمس ومطلعها خير مما تذكرون **وقوله** عز وجل
فاعينونى بقوة اى بما اتقوى به اجعل بينكم وبينهم ردما اى سدا **وقوله** عز وجل آتونى زبر الحديد وقال بعضهم
سالهم الحديد لان المكان كان مكان الحديد وقال بعضهم ان الحديد كان الين لهم واطوع من اللبن والقطر
ولكن لا نعلم ذلك الا بالسمع **وقوله** عز وجل حتى اذا ساوى بين الصدفين اى بلغ ذلك السد راس الصدفين
وهما جبلان وسوى بهما والله اعلم **وقوله** عز وجل قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى افرغ عليه قطرا
اى اصب عليه قطرا قيل نحاسا وقيل رصاصا ذكر انه كان يبسط الحديد صدرا ثم يبسط الحطب فوقه صدرا
ثم حديدا فوق الحطب حتى بلغ راس الجبلين وسوى بهما على هذا السبيل ثم اذيب القطر فصب فيه فجعل يحرق الحطب
ويذيب الحديد حتى دخل القطر مكان الحطب وصار مكانه فالتزق القطر بالحديد على هذا ذكر انه بنى ذلك
السد وقال الحسن كان القطر له كالملاط لنا والله اعلم **وقوله** عز وجل فما استطاعوا ان يظهروه اى يعلوه
يعنى على ذلك السد وما استطاعوا له نقبا فى اسفله ولا يزاد على المذكور فى الكتاب فى هذه الانباء والقصص
خوفا للشهادة على الله والكذب عليه ولكن نذكر فى الكتاب لا نزيد على ذلك وفى الكتاب القدر الذى ذكرنا والله اعلم
قال القتبى يقال للجبل السد زبر قطع والقطر النحاس **وقوله** ان يظهروه اى يعلوه يقال ظهر فلان السطح اذا علاه
وكذلك قال ابو عوسجة وقال السدين ناحيتى الجبل والردم السد الصدفين هو مثل السدين افرغ عليه قطرا
اى صب عليه نحاسا **وقوله** عز وجل قال هذا رحمة من ربى يحتمل ان السد الذى بنى وحال بينهم وبين ياجوج
وماجوج فذلك منه رحمة اى برحمته كانت تلك الحيلولة او كان ذلك منه نعمة من الله والرحمة هى النعمة اى هذا
السد بينكم وبينهم نعمة من ربى عليكم ثم فيه وجهان احدهما ذكر ان ذلك كان برحمة من الله اذا فرغ منه وقد كان
فى الابتداء حين سألوه ان يجعل لهم السد اضاف الفعل الى نفسه حيث فاعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما
فدل ذلك ان ما فعل برحمة منه وفضل وان له فى ذلك صنعا والثانى فيه ان له ان يفعل بالخلق ما ليس هو
باصلح لهم فى الدين لانه لا يخلو اما ان كان الاول لهم اصلح فى الدين ثم فعل الثانى فلا يكون الثانى اصلح لهم فى الدين
الثانى فالاول لم يكن ثم ذكر ان ذلك رحمة منه **وقوله** عز وجل فاذا جاء وعد ربى اى فاذا جاء الذى به كان
وعد ربى وهو الموعود ولان الوعد لا يجيء نكانه قال موعود ربى وهو خروج ياجوج وماجوج او فتح ذلك
السد جعله دكا اى كسرا وهدما على ما ذكرنا وجعله دكا اى هدمه وسواه بالارض وقال القتبى جعله دكا اى الصقه
بالارض يموج فى بعض اى يختلط بعضهم فى بعض **وقوله** عز وجل وكان وعد ربى حقا هذا وعد والاول موعود **وقوله**
عز وجل وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض اى يختلط بعضهم فى بعض ثم يحتمل قوله يموج فى بعض عند السد الذى بناه
ذو القرنين يموجون منه فى فتح ذلك السد او يذكر هذا لكثرتهم وازدحامهم والله اعلم **وقوله** عز وجل ونفخ
فى الصور فجمعناهم جمعا ظاهره على الماضى والمراد منه المستقبل اى ينفخ فى الصور فيجمعهم جمعا ومثل هذا كثير

في القرآن يذكر الماضي بحرف المستقبل والمستقبل بحرف الماضي **وقوله** عز وجل وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا يحتمل ان يكون عرضها عليهم قبل ان يدخلوا فيها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين ويشبه ان يكون العرض كناية
عن التعذيب بها بعد ما ادخلوا فيها كقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا **وقوله** عز وجل كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان ظلمة الكفر تستر وتحجب نور القلب ونور كل حاسة من حواسه
من السمع والبصر والفؤاد وغيره اذ لكل حاسة من هذه الحواس نور وضياء في سببها لا تبصر ولا تسمع الحق والحجة
الا بنورين جميعا نور الظاهر ونور السرية والباطن فالكفر يستر ويغطي ذلك النور فيجعل لا يبصر الحق ولا ينظر
العبر ولا يتفكر ولا يتجلى له الحق بنور الظاهر وللايمان نور وضياء يبصر به ويسمع ويرفع له غطاء كل شيء حتى
يتجلى له الحق ويعرف به حسن كل حسن وقبح كل قبيح فهو كما يرى الانسان الشيء بنور بصره وبنور الهواء فاذا ذهب
احدهما صار بحيث لا يبصر ولا يرى شيئا فعلى ذلك انما يعرف الشيء ويظهر له حقيقته بنورين بنور القلب وبنور الحواس
فاذا غطى ظلمة الكفر نور القلب صار لا يبصر شيئا ولا يعتبر ولا يسمع ولا ينطق بالحق والايمان ينور ذلك ويفتح
فيجعل يبصر كل شيء ويتجلى له الحق من الباطل وعرفوا الآيات من التمويهات والله اعلم **وقوله** عز وجل وكانوا لا يستطيعون
سمعا فيه وجهان من الدلالة احدهما انه نفى عنهم استطاعة السمع وقد كان لهم السمع فدل ان الاستطاعة التي
هي استطاعة الفعل تقترن الفعل لا يتقدم ولا يتأخر حيث قال وكانوا لا يستطيعون سمعا وكذلك قول صاحب موسى
حيث قال له انك لن تستطيع معي صبرا في مواضع فدل ما نفى عنه الفعل انما يقارن الفعل لا يحتمل التقدم والتأخر
والثاني فيه دلالة ان هنالك استطاعة هم يستفيدون بها وعداه ويستوجبون به فضيعوها باشتغالهم بغيرها
حيث عوتبوا واستوجبوا ذلك العتاب والتوبيخ بالتضييع الذي كان منهم فلو لم يكن ذلك منهم لم يكن للعتاب والتوبيخ
الذي عوتبوا ووجوا معنى قال وقد انما نفى عنهم ذلك لاستثقال الذي كان منهم وقد يقال مثله على المجاز للاستثقال
دون الحقيقة يقول الرجل لآخر ما استطيع ان انظر اليك لكذا وهو ناظر اليه لكن قد ذكرنا انه على الوجه الذي قال
لا استطيع ان انظر اليك وهو ناظر اليه غير مستطيع النظر اليه وهو نظر رحمة وشفقة وقال بعضهم هو على الطبع وهو
قول الحسن وقال بعضهم انما نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به كما نفى عنهم السمع والبصر والنطق لما لم ينتفعوا به ليس على انهم
لم يكن لهم تلك الحواس فعلى ذلك ما نفى عنهم من الاستطاعة لما لم ينتفعوا بها ليس على انها ليست فيهم هكذا نفى عنهم ذلك
لما عموا وصموا عن ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء قال بعضهم
قوله افحسب الذين عبدوا في الدنيا الملائكة والرسل واتخذوهم من دوني اولياء ان يكونوا لهم اولياء في الآخرة ويتولون
شفاعتهم يشفعون لهم وينصرون كلا ان يصيروا لهم اولياء كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى والثاني افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي المخلصين من دوني اولياء ويتولونهم اي لا يقدرون على ان يتخذوا
اولياء من دوني وقد كانوا يدعون المؤمنين الى دينهم والتولي لهم وهو ما قال انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والثالث افحسب الذين كفروا اما عبدوا واتخذوا من دوني اولياء اني امرتهم
بذلك واذنت لهم حيث قالوا والله امرنا بها ونحوه كلا انا امرتهم بذلك او اذن لهم في ذلك ومن قرأ افحسب على الجزم
فهو على اسقاط الف الاستفهام يعني افحسب الذين كفروا فهو يخرج على وجوه ثلاثة احدها افحسب الذين كفروا واتخذوا
واتخذوا من دوني اولياء ما اعتدنا لهم من جهنم كقوله حسبهم جهنم يصلونها الآية والثاني حسب الذين كفروا
ما اتخذوا من دوني اولياء اي ما كفاهم ذلك وما حان ان يرجعوا الى عبادتي والوهيتي وقد قامت لهم الآيات والحجج
على ذلك والثالث حسب لهم من الذل ما اتخذوا من دوني اولياء **وقوله** عز وجل انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا
قال بعضهم نزلا هو النزول وهو المنزل وقال بعضهم هو من النزل والانزال اي ياكلون فيها النار فيكون ماكلهم
ومشربهم من النار وقال القتبي النزل ما يقدم للضيف ولاهل العسكر **وقوله** عز وجل قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا يشبه ان يكون هذا خرج على مقابلة قول كان من رؤساء الكفرة وجوابهم وهو

ان الرؤساء منهم كانوا يوسعون الدنيا على بعض اتباعهم ويحسنون اليهم ثم صار اولئك الاتباع اتباعا لرسول الله
ودخلوا في دينه فضاقت عليهم الدنيا وذهبت المنافع التي كانت لهم منهم فعيرهم بذلك اولئك الكفرة
ويحتجون على ما اختاروا من الدين انه لو كان حقا لاتسع عليهم كما اتسع علينا وعليهم ما داموا على ديننا او كلام نحو هذا
فاجابهم الله بذلك فقال قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية ويحتمل ان يكون على الابتداء في اهل الصوامع
منهم والرهبان الذين اعتزلوا الناس وحبسوا انفسهم لعبادة الاصنام والاوثان وجهدوا فيها وحملوا
على انفسهم الشدايد والمشقة فاخبر عز وجل ان هؤلاء اخسروا عملا واضلهم سعيا من الذين طلبوا الدنيا والرياسة
فيها ولم يفعلوا ما فعل هؤلاء وان كانوا في الكفر سواء والاخسر هو الوصف بالخسران على النهاية والغاية
وجائز ان يستعمل افعل في موضع فعل هذا في اللغة غير ممتنع فيكون تاويله قل هل ننبئكم بالخاسرين
اعمالا كقوله الله اكبر اي كبير **وقوله** عز وجل الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا يحتمل وجهين احدهما
ضل اي ذلوا العبادتهم التي عبدوا تلك الاوثان والاصنام وخذلوا انفسهم بذلك وعلى ذلك يخرج اولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة اي ذلوا انفسهم في الدنيا بعبادتهم الاصنام والثاني ضل سعيهم الذي سعوا
في الدنيا والآخرة حيث لم يصلوا الى ما املوا وطمعوا بعبادتهم الاصنام في الآخرة لانهم قالوا ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحوه فضل ما املوا في الآخرة بسعيهم في الدنيا والله اعلم **وقوله**
عز وجل وهم يحسبون بعبادتهم الاصنام التي عبدوها انهم يحسنون صنعا كلا ويحسبون بما انفقوا
على اولئك ووسعوا عليهم انهم يحسنون صنعا اي خيرا او معروفا اي ليس لهم ذلك بصنع ولا خير وفيه
دلالة انهم يواخذون بفعلهم الذي فعلوا وان جهلوا الحق وهكذا قولنا ان من فعل فعلا وهو جاهل فانه يواخذ
بعد ان يكون له سبيل الوصول الى الحق بالطلب والتعلم حيث قال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم اخبر
من هم فقال اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بحججه وبراهينه وقال الحسن دينه وقد ذكرنا ذلك في غير موضع
وقوله ولقائه البعث والمصير اليه وهو مذكور ايضا **وقوله** عز وجل فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا اي لا نقيم لهم وزنا واما عليهم فانه يقيم وزنا وهو ما قال عز وجل فما ربحت تجارتهم فاذا لم تربح لهم
خسرت عليهم وقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم هذا يدل ان قوله
لا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قد يقام عليهم الوزن ثم اخبر عز وجل عن جزائهم فقال جزاؤهم جهنم بما كفروا
واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ثم ذكر للمؤمنين من الثواب والجزاء باعمالهم التي عملوها في الدنيا واختاروا فيها
مقابل ما ذكر للكفرة فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وكان الجنان
التي وعد المؤمنين اربعة جنات النعيم وجنات المأوى وجنات عدن وجنات الفردوس ثم كان في كل
واحدة منها اعني الجنان فيها معنى الاخرى لانه قال جنات المأوى وهو ما يؤوى اليه وجنات النعيم ظاهر
وجنات عدن من المقام او غيره والفردوس سميت فردوسا لانها تكون ملتفة محفوفة بالاشجار ففي كل واحدة
منها ذلك كله **وقوله** نزلا قيل منزلا من النزول وقيل من النزل وهو من الانزال **وقوله** عز وجل خالدين فيها
لا يبغون عنها حولا اي تحولا اخبر انهم لا يملون ولا يسامون عن نعيمها كما يمل اهل الدنيا عن نعيمها ويسامون
لان السرور ربما يمل عن نعمة ويرغب في اخرى فاخبر ان اهل الجنة لا يملون فيها ولا يسامون ولهم فيها ما يشتهون
ولهم فيها ما يتخيرون وروي ان ابن عباس سال كعبا عن الفردوس فقال هي جنات الاعناب بالسريانية
وقال بعضهم ما ذكرنا انها سميت لكثرة اشجارها والتفافها وروي عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال للجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض الفردوس اعلاها درجة من فوقها
يكون الفردوس منها تتفجر انهار الجنة الاربعة فاذا سالتم الله الجنة فسلوه الفردوس وقال القتبي لا يبغون عنها حولا
اي تحولا وكذلك قال ابو عوسجة هو من التحول وقال نزلا قال هذا من الطعام والشراب وجمع النزل انزال وجمع

وجمع الفردوس فراديس وقال القتبي النزل مايقدم للضيف والله اعلم وقوله عز وجل قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي يشبه ان يكون هذا خرج مقابل قوله ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شئ وقوله وتفصيل كل شئ وجوابا لما ذكر فيه تبيانا لكل شئ وتفصيل كل شئ فقالوا كيف يحتمل هذا القدر
ان يكون فيه تبيانا لكل شئ وتفصيل كل شئ فقال عز وجل عند ذلك نجوا بالعقولهم انه لو بسط ما اودع فيه من نحو
المعاني والحكمة وشرح ذلك فكتب بما ذكر لبلغ القدر الذي ذكر واز داد وقال الحسن قوله لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي اي لخلق ربي اي لو قال ما خلق وامل اني خلقت كذا وخلقت كذا فيكتب جميع ما خلق لبلغ القدر الذي ذكر فيرجع
تاويله الى ما خلق من اصناف الخلق واجناس الاشخاص وقال ابو بكر الاصم قوله لكلمات ربي لبيان ما خلق ربي فهو يرجع
الى الاول وقال فايدة ما ذكر هو ان يعرفوا ان خلايقه وما انشا لما خرج عن الوقوع في الاوهام فالذي انشا ذلك وخلقه
احرى ان يكون خارجا عن الوقوع في الاوهام والتصور فيها والثاني ان يعرفوا قدرته وسلطانه واحاطة علمه بالخلايق
وما انشا فيعلموا ان من قدر على هذا هو على البعث الذي انكروا اقدر ومن احاط علمه بما ذكر فهو على الاحاطة بافعالهم
واقوالهم اعلم واعرف ليكونوا على الحذر ابدا في كل وقت ثم يحتمل قوله كلمات ربي حججه واياته التي اقامها على وحدانيته
وربوبيته اي لو كتب ذلك لبلغ ذلك الذي ذكر وان كان المراد من الكلمات القرآن فالتاويل ما ذكرنا بديا انه كان
خرج على الجواب والمقابلة لقول كان منهم ويحتمل ما قاله الحسن وابو بكر ان كلماته خلقه او البيان عن خلقه
وقوله عز وجل ولو جئنا بمثله مددا هذا ليس على التحديد ولكن على التعظيم والابلاغ وهو ما قال ولو انما في الارض
من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله دل هذا على ان قوله ولو جئنا بمثله مددا انه ليس
لذلك المدد حد ولا نهاية ولكن ذكر على التعظيم له والابلاغ وفيه دلالة ان ليس لما خلق الله من العلوم نهاية ولا غاية
يدركه الخلايق ولكن يوخذ من كل جنس شئ فيعمل به وفيه ان ليس الامر بتعلم العلم والمقصود منه العلم نفسه
ولكن المقصود منه العمل بما يعلم اذ ليس للعلوم نهاية ولا احد يبلغ ذلك البشر فدل انه لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد امر ان يخبرهم انه بشر مثلهم ثم يكون لذلك الامر والخبر اياهم انه
بشر مثلهم وجوه من المعنى احدها انهم كانوا يسالونه آيات خارجة عن وسع البشر وطوقهم فامر ان يخبرهم انه بشر
مثلهم لا يقدر على ما يسالونه من الآيات التي تخرج عن وسع البشر وطوقهم وليس لاحد التحكم على الله والتخيير عليه
في شئ انما ذلك الى الله ان شاء انزل وان شاء لم ينزل وانا لا املك شيئا من ذلك والثاني ذكر هذا ليعرفوا انه اذا جاء
من الآيات التي لا يحتمل وسع البشر ان ياتوا بمثلها انه انما اتى بذلك من عند الله لا من ذات نفسه اذ علموا ان وسع البشر
لا يحتمل ذلك فلما اتاهم بذلك انما اتى بها عند الله وانه رسول على ما يقول والثالث امر ان يقول لهم هذا انه بشر
مثلهم لئلا يحملهم فرط حبهم على ان يتخذوه الها ربا على ما اتخذ قوم عيسى الها ربا لفرط حبهم اياه وقوله عز وجل فمن كان
يرجوا لقاء ربه فان كانت الآية في مشركي العرب فهم ينكرون البعث ولا يرجونه لكنه يكون ذكر لقاء ربه لهم لانهم
عرفوا في انفسهم قديم احسان الله اليهم ونعمه عليهم فامروا ان يعمل العمل الصالح ليستديموا بذلك الاحسان الذي كان من الله
اليهم فيحملهم العمل على التوحيد بالله والاقرار بالبعث وان كانت الآية في المومنين فيكون تاويله فمن كان يرجو
لقاء ربه اي ثواب ربه فليعمل عملا صالحا ليثاب عليه اذ الثواب انما يكون للعمل الصالح دون غيره وفيه ما ذكرنا
ان المقصود من العلم العمل الصالح والعلم مما ليس له نهاية فالامر بطلب ما لا نهاية له ليس لنفسه ولكن للعمل به
والله اعلم وقوله عز وجل ولا يشرك بعبادة ربه احدا يحتمل حقيقة الاشراك في العبادة والالوهية
على ما اشرك اولئك اشركوا الاصنام والاوثان التي عبدوها في عبادته والوهيته ويحتمل المراآة
في العمل على ما يرائي بعض اهل التوحيد في بعض ما يعملون من الطاعات والخيرات والله اعلم

سورة مريم مكية وآيها تسع وثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قيل كهيعص اسم من اسماء القرآن وقيل اسم من اسماء الله وعلى ذلك روي عن علي رضي الله عنه
انه قال يا كهيعص اغفر لي قال ابو بكر الاصم لا يصح هذا من علي لان هذا لم يذكر في اسماء الله المعروفة
التي يدعى بها وقال بعضهم حروف من اسماء الله فتح بها السورة فهو ما ذكرنا وهو الاول وقال بعضهم الكاف
مفتاح اسمه كافي والهاء مفتاح اسمه هادي والعين مفتاح اسمه عالم والصاد مفتاح اسمه صادق وقال ابن عباس
الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وقال الربيع بن انس الياء من قوله
وهو يجير ولا يجار عليه وقال الكلبي هو ثناء اثنى الله على نفسه فقال كاف هاد عالم صادق يقول كاف لخلقه
هاد لعباده عالم ببريته وبامره صادق في قوله وقال بعضهم لم ينزل الله كتابا الا وله فيه سر لا يعلمه الا الله
وسر القرآن فواتحه وقال بعضهم تفسيره ما ذكر على اثره وهو قول الحسن وامثال هذا قد اكثروا فيه وقد ذكرنا
الوجه في الحروف المقطعة فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل ذكر رحمت ربك عبده زكريا هذا يحتمل وجهين
احدهما على الامر اي اذكر لهم برحمت ربك عبده زكريا بالاجابة له عند سؤاله الولد في الوقت الذي ايس عن الولد
في ذلك الوقت فيكون فيه دلالة رسالته حيث ذكر لهم رحمة ربه على زكريا ولخبرهم على ما في كتبهم والثاني ذكر
رحمت ربك اي هذا ذكر رحمت ربك لعبده زكريا في دعائه وعلى هذا التاويل يكون الذكر هو القرآن وقد سمى الله
القرآن ذكرا في غير اي من القرآن والله اعلم وقوله عز وجل اذ نادى ربه نداء خفيا قال بعضهم نداء خفيا اي
في قلبه على الاخلاص من غير ان ينطق به وقال بعضهم نداء خفيا عن قومه ومن حضره ثم يحتمل وجهين احدهما
اخفاه واسره منهم اخلاصا لله واصغاء له والثاني اخفاه واسره منهم حياء ان يعيبوه انه سال ربه الولد
في وقت كبره واياسه والله اعلم وقوله عز وجل قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف ورق واشتعل الرأس
شيبا اعتذر اليه وقدم زكريا ما حل به من الكبر وبلوغه الوقت الذي لا يطمع في ذلك الوقت الولد اي بلغت
المبلغ الذي ضعف بدني ورق عظمي ثم سال ربه الولد ليس على انه كان لا يعرف قدرة الله انه قادر
على هبة الولد وانشائه في كل وقت في وقت الكبر والضعف وبالسبب وتغيير السبب لكنه لا يعرف انه
يسع ويصلح سؤال الولد وهبته في الوقت الذي لا يطمع فيه الولد في الاغلب وهو ما ذكر في سورة آل عمران
كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك
عرف زكريا انه يسع دعاء هبة الولد وسؤاله في وقت الاياس حيث راى عندهم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة
الصيف في الشتاء على غير متغيرة عن حالها فسال عند ذلك ربه الولد وهو قوله هنالك دعا زكريا ربه
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة الآية والله اعلم وقوله عز وجل ولم اكن بدعائك رب شقيا قال بعضهم
اي كنت تعودني الاجابة في دعائي اياك فيما مضى وقال بعضهم اي لم يكن دعائي مما يخيب عندك وهما واحد ذكر منه
وفضله الذي كان منه اليه وقوله عز وجل واني خفت الموالي من ورائي قال الحسن خاف مواليه ان يرثوا ماله
فاما علمه ونبوته فيما لا يورث قال ابو بكر الاصم هذا لا يصح لا يحتمل ان يخاف زكريا وراثة ماله مواليه فيسال
ربه لذلك الولد ليرث ماله ولكن كانه خاف ان يضيع مواليه دينه وسنته من بعده فسال ربه ان يهب له
الولد ليقوم مقامه في حفظ دينه وسنته وقال لا يحتمل وراثة المال لما روي في الخبر انا معاشر الانبياء
لا نورث ما تركنا صدقة فلا يخلو هذا من احد وجهين اما ان كان هذا في المال له دون ساير الانبياء واما
وان اذا لم يكن زكريا نبيا فدل هذا انه لا يحتمل وراثة المال فدل انه على العلم اي يضيع الموالي علمي من ورائي
ويحتمل قوله واني خفت الموالي من ورائي وسؤاله الولد وجها آخر وهو انه سال ربه الولد الرضي الطيب
ليذكر هو به بعد وفاته بالاعمال والصنيع الذي كان منه في حيوته ويدعو له لئلا ينقطع ذكره ودعاء الخلق له وهذا
هو المعروف في الخلق انهم يذكرون ويدعون لهم بالخيرات التي كانت في حال حيوتهم اذا كان له ولد صالح فعلى ذلك

سؤال زكريا الولد والله اعلم وقوله عزوجل وكانت امرأتي عاقرا اي لا تلد وقوله عزوجل فهب لي من لدنك وليا يرثني اي يلي امري وقوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال بعض اهل التأويل ما ذكر يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وقال فهب لي من لدنك وليا وارثا يرثني مكاني وجودتي ويرث من آل يعقوب الملك لانهم كانوا ملوكا وكانوا اخواله وهو كان حبرا والله اعلم بذلك ولكن قوله يرثني ما كان له من العلم والحكمة والدين وغيره ويرث من آل يعقوب ما كان لهم من العلوم وغيرها فان ثبت ان آل يعقوب كانوا اخواله ففيه دلالة ان ذوي الارحام يرثون بعضهم من بعض والله اعلم وقوله عزوجل يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا اي لم نجعل مثل يحيى من قبل في الفضل والمنزلة لانه روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكن من ولد آدم الا وقد عمل خطيئة او هم بها غير يحيى بن زكريا فانه لم يهم بخطيئة ولا عمل بها وقال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا اي لم يسم احد قبله يحيى وجايز ان يكون قوله لم نجعل له من قبل سميا اي تولى الله تسميته يحيى لم يؤل تسميته غيره وساير الخلايق تولى اهلوهم تسميتهم وقوله عزوجل قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقال الحسن عبادا لله ان زكريا استوهب ربه الولد فاجابه وبشره فقال اني يكون لي غلام وطلب منه الاية لذلك فقال اجعل لي آية فعاتبه على ذلك ولا وجه وكنى رحما وكلام نحو هذا وقال غيره انما امسك لسانه واعتقله عقوبة لما سأل من الاية هؤلاء كلهم يجعلون ذلك منه زلة الا ان الحسن قال لم يعبه على ذلك ولا عاقبه عليه ولكن ذكر ذلك رحمة منه اليه وغيره يجعل ذلك عقوبة لما كان منه وجايز ان يخرج ذلك على غير ما قالوا وهو ان قوله اني يكون لي غلام اي على اي حال يكون مني الولد على الحال التي انا عليها او اردّ الى الشباب ففي تلك الحال يكون مني الولد فذلك منه استخبار واستعلام عن الحال الذي يكون منه الولد ليس على انه لم يعرف انه قادر على انشاء الولد في حال الكبر وبسبب وبلا سبب وعلى ذلك يخرج قوله حيث قال كذلك قال ربك هو علي هين ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا اي قبل ان تخلقك لم تك شيئا وطلب الاية والعلامة بعد ما بشر يخرج على وجهين احدهما انه لما بشر بالولد لعله اشكل عليه بان تلك بشارة ملك وغيره فطلب منه العلامة ليعرف ان تلك بشارة ملك وانما من الله ومن غيره لانه ذكر في الاية فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى فطلب الاية يخرج منه على الاستعلام بشارة الملك وان ذلك من الله لا انه لم يعرف قدرة الله انه قادر على خلقه في كل حال هذا لا يظن باضعف مؤمن في الدنيا فكيف يظن بنبي من الانبياء او ان يكون طلب الاية منه ليعرف وقت حملها الولد ووقت وقوعه في الرحم ليسبق له السرور بحمله عن وقت الولاد وعن وقت وقوع بصره عليه والله اعلم وقوله عزوجل علي هين لاني اخلق بسبب وبغير سبب وقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا فمن قدر على خلق الاشياء من لا شيء وبلا سبب قادر على خلق الولد في حال الكبر ومن امرأة عاقر عن الولد وقوله عزوجل قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وقال بعضهم آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال وانت سوي صحيح وقال بعضهم ثلاث ليال سويا اي ثلاثا تاما بأيامها على ما قال الله في آية اخرى ثلاثة ايام الا رمزا ذكر هاهنا ثلاث ليال وفي تلك الاية ثلاثة ايام والقصة واحدة وقوله عزوجل فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا قوله فاوحى اليهم قيل اومى اليهم وقيل كتب لهم على الارض وجايز ان يكون اومى اليهم بالشفتين على ما ذكر في آية اخرى ثلاثة ايام الا رمزا والرمز هو تحريك الشفة والايماء بها قال ابو عوسجة عاقر وعقيم المرأة التي لا تلد قوله عتيا قال هو اشد الكبر شيبا اي كثر الشيب والمحراب قال ان شيت قصرا او دارا وقال القتبي عتيا وعسيا بمعنى واحد ويقال ملك عات اذا كان قاسي القلب غير لين وسويا اي سليما وقوله فاوحى اليهم قد ذكرنا انه اومى اليهم وقال بعضهم كتب لهم على الارض وقوله ان سبحوا بكرة وعشيا يحتمل قوله ان سبحوا اي صلوا لله بكرة وعشيا فان كان التسبيح هو الصلوة ففيه ان الصلوة كانت في الامم الماضية في ختم الليل ويحتمل التسبيح نفسه والثناء على الله والدعاء له بالغدوات والعشيات والله اعلم وقوله عزوجل يا يحيى خذ الكتاب بقوة قال بعضهم خذ الكتاب بما اوحى الله

زلة

واعانك وقال بعضهم خذ الكتاب واصبر على العمل بما فيه وقال بعضهم خذ الكتاب بقوة اي بجد قال ابو بكر الاصم الجد هو الانكماش في العمل والقوة هي احتمال ما حمل عليه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون بان القوة يتقدم الفعل ثم لا تبقى وقتين فيكون على قولهم آخذا بغير قوة وقد امر ان يأخذه بقوة فقولهم على خلاف ما نطق به ظاهر الكتاب وقوله عزوجل وآتيناه الحكم صبيا قال بعضهم آتيناه الحكم اي النبوة في حال صباه وقال بعضهم آتاه الله الفهم واللب وقال بعضهم الحكمة والعلم فكيف ما كان ففيه فساد مذهب المعتزلة لانهم يقولون ان الله تعالى لا يخص احدا بنبوة ولا شيء من الخيرات الا بعد ان يسبق من المختص له ما يستوجب ذلك الاختصاص ويستحقه فما الذي كان من يحيى في حال صباه وطفوليته ما يستوجب به النبوة وما ذكر من الحكم اياه فدل ذلك ان الاختصاص منه يكون لمن كان افضالا منه وانعاما ورحمة لا باستحقاق من المختص له واستيجابا به وفي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة دلالة انه كان نبيا حيث اخبر انه آتاه الكتاب وقوله عزوجل وحنانا من لدنا هو على قوله وآتيناه الحكم صبيا وآتيناه حنانا وزكوة ايضا ثم اختلف في قوله وحنانا من لدنا وقال بعضهم اي رحمة من لدنا وهو قول الحسن وقال بعضهم الحنان المحبة وقال ابو عوسجة حنانك وحنانيك كلاهما يعني رحمتك وقال اصله من الحنين وهو الترحم وقال القتبي اصله من حنين الناقة على ولدها وقوله وزكوة وكان تقيا قال بعضهم زكوة اي صدقة تصدق بها على زكريا وزوجته في الوقت الذي لا يرجى من مثلهما الولد وقال بعضهم زكوة اي صلاحا وما يمنوا به من الخيرات وجايز ان يكون الزكوة اسم كل خير وبركة وهو كالبر من التقوى كانه قال اعطيناه كل بر وخير وقوله عزوجل وكان تقيا عن جميع الشرور كقوله تعاونوا على البر والتقوى اي تعاونوا على البر وتعاونوا ايضا على دفع الشرور وقوله عزوجل وبرا بوالديه هو على قوله وآتيناه الحكم وآتيناه البر بوالديه وقوله عزوجل ولم يكن جبارا عصيا بل كان خاضعا لله ذليلا مطيعا وقال الحسن لم يكن جبارا عصيا اي لم يكن ممن يجبر الناس على معصية الله وقال اهل التأويل ولم يكن جبارا اي قتالا اي لم يكن ممن يقتل على الغضب ويضرب على الغضب واصله ما ذكرنا انه كان على ما ذكر خاضعا لله مطيعا له على ما ذكر انه لم يرتكب ذنبا ولا هم به وقوله عزوجل وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا يحتمل السلام عليه الوجوه الثلاثة احدها هو اسم كل بر وخير اي عليه كل بر وخير في هذه الاحوال التي ذكر والثاني السلام هو الثناء اثنى الله عليه في اوله الى آخره وبعد الموت في الآخرة او ان يكون قد وسلام عليه اي السلامة عليه في هذه الاحوال التي للشيطان في تلك الاحوال الاعتراض والنزغ فيها لانه وقت الولادة يعترض ويفسد الولدان وجد السبيل اليه وكذلك عند الموت يعترض ويسعى في افساد امره فاخبر ان يحيى كان سليما سالما عن نزغات الشيطان محفوظا عنه حتى لم يرتكب خطيئة ولا هم بها والله اعلم وفي قوله يوم يموت دلالة ان الموت والقتل سواء وان كان في الحقيقة مختلفا لانه ذكر في القصة ان يحيى قتل ثم يذكر الموت فذلك انهما واحد فهذا يرد على المعتزلة حيث قالوا ان المقتول ميت قبل اجله وفيه ان قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات انما نهانا ان نسميهم امواتا في جهة ليس في الجهات كلها حيث سمى يحيى ميتا وهو كان شهيدا على ما ذكر انه قتل وفي قوله وآتيناه الحكم صبيا استدلال لابي حنيفة رحمه الله حيث وقف في اولاد المسلمين والمشركين فقال لا علم لي بهم ولم يقطع فيهم القول لما يجوز ان يجعل الله لهم من المعرفة التمييز والفهم في حال صغرهم حتى يعرفوا خالقهم ومنشيهم على ما اعطى يحيى وعيسى في حال صباهما وصغرهما الحكم والفهم والمعرفة وقوله عزوجل واذكر في الكتاب مريم قال الحسن هو صلة قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا اي اذكر رحمة ربك مريم وقال بعضهم واذكر نبأ مريم وقصتها في الكتاب وقوله عزوجل اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا اي نحو المشرق ثم يحتمل قوله انتبذت من اهلها اذا بلغت مبلغ النساء فارقت اهلها وانتبذت منهم لئلا يقع بصر غير ذي الرحم المحرم عليها

وان لا يراها احد ولا يصلح النظر اليها وقال بعضهم مكانا شرقيا اى جلست فى المشرقة لانه كان فى الشتاء وقوله
عز وجل فاتخذت من دونهم حجابا قال بعضهم احتجبت من دونهم بالغيبة عنهم وقال بعضهم اتخذت من دونهم حجابا
اى سترا وقال مقاتل اتخذت من دونهم الجبل حجابا وسترا اى جعلت الجبل بينها وبين اهلها فلم يرها احد منهم
وقوله عز وجل فارسلنا اليها روحنا قال ابى بن كعب روحنا هو روح عيسى ارسله الله اليها فى صورة بشر فتمثل لها
بشرا سويا وقال غيره من اهل التاويل فارسلنا اليها روحنا جبريل وقد سمى الله جبريل روحا فى غير اى من القرآن
روح القدس وغيره فتمثل لها بشرا سويا اى ببشر لم يكن به اثر غير البشر وقال بعضهم بشرا سويا لا عيب فيه
ولا نقصان بل كان سويا صحيحا كاملا والله اعلم وقوله عز وجل قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال قيل كيف
تعوذت بالرحمن ان كان تقيا وانما يتعوذ بالرحمن من الفاجر والفاسق قال الحسن قوله ان كنت تقيا مفصول من قوله
انى اعوذ بالرحمن منك فيكون على الابتداء كانها قالت ان كنت تقيا لا ينالنى منك سوء ولا يمسنى شر ويحتمل قوله ان كنت
تقيا اى ما كنت تقيا اى حيث دخلت على من غير استيذان منك ولا استيمار ما كنت تقيا ويحتمل قوله ان كنت تقيا
اى وقد كنت تقيا فعلى هذا التاويل كانه دخل عليها على صورة بشر عرفته بالتقى والصلاح فكانها قالت قد كنت
عرفتك بالتقى والصلاح فكيف دخلت على بلا اذن ولا امر وقد يجوز ان يستعمل ان مكان ما ومكان قد وفى القرآن
كثير والله اعلم وقوله عز وجل انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا هو على الاضمار كانه قال انما انا رسول
ربك بالقول بان اهب لك غلاما زكيا اى ارسلنى اليك بهذا القول وهو قوله لاهب لك غلاما زكيا وفى حرف ابن مسعود
انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا وقوله زكيا اى صالحا طاهرا عن جميع الشرور وقوله عز وجل قالت انى يكون لى
غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا اذ قالت لم يمسسنى بشر يعلم انه لم يمسها بشر لا تقيا ولا غيره لكن كانها قالت
لم يمسسنى بشر نكاحا ولم اك بغيا ولا بغيا انى يكون لى ولد كانها لم تعرف الولد الا بسبب لذلك قالت انى يكون لى
غلام وقوله عز وجل قال كذلك قال ربك اى خلق بسبب وبلا سبب وقوله عز وجل هو على هين اى خلق
الشىء بسبب وبغير سبب هين على وقال بعضهم قوله كذلك قال ربك للانبياء الذين كانوا من قبل انه يخلق ولدا
بلا اب ولا اما وقوله عز وجل ولنجعله اية للناس اى نجعل ولاده بلا اب على ما اخبر الانبياء من قبل اية للناس
لرسالتهم لانهم اخبروا انه يولد ولد بلا اب ولا اما فكان ما اخبروا فدل ذلك انهم انما عرفوا ذلك بالله فيكون
ذلك اية لصدقهم ويكون قوله وكان امرا مقضيا اى بذلك الخبر الذى اخبر الانبياء من قبل والوعد الذى وعدهم امرا
مقضيا كاينا وقال اهل التاويل فى قوله ولنجعله اية للناس اى نجعل عيسى اية للناس حيث ولد بلا اب وكلم الناس
فى المهد وغير ذلك من الايات التى كانت فيه وجائز ان يكون اية للناس للبعث لانه انشاه بلا اب ولا سبب
وهم انما انكروا البعث لما لم يعاينوا ولم يعاينوا الولد بغير اب ايضا ثم كان فعل ذلك البعث اذ لا فرق بينهما لانه قدر
على انشاء الولد بلا اب ولا اما قدر على الاحياء بعد الموت بل هو اولى وقوله عز وجل ورحمة منا اى رحمة منا
للخلق لان من اهتدى واتبعه كان له به نجاة وهو ما قال الله عز وجل لرسوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وعلى ذلك جميع الانبياء والرسل الذين بعثهم الله الى خلقه كان ذلك رحمة منه الى خلقه وقوله عز وجل وكان
امرا مقضيا اى كان امرا كاينا وعلى التاويل الذى ذكره ابو بكر الاصم فى قوله قال كذلك قال ربك هو على هين
ولنجعله اية للناس يكون قوله وكان امرا مقضيا اى كان وعدا وخبرا معلوما على ما اخبر الانبياء عن نبا عيسى
وامه وقوله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا دل هذا على ان الولاد ولم يكن على اثر الحمل ولكن كان
بين الولاد وبين الحمل وقت لكن لا يعلم كم ذلك الوقت الا بخبر عن الله وقوله عز وجل فانتبذت به مكانا
قصيا قال بعضهم تباعدت به حياء من اهلها وقال بعضهم انفردت به مكانا قصيا متباعدا وقوله عز وجل
فاجاءها المخاض قال القتبى فاجاءها المخاض اى جاء بها من المجىء والجاها اليها يقول جاءت بى الحاجة اليك
واجاتنى الحاجة والمخاض هو الحمل ودل قوله فانتبذت به مكانا قصيا ان النخلة التى الجاها المخاض اليها كانت

يابسة على ما قاله اهل التاويل لانه انما انتبذت مكانا قصيا وتباعدت حياء من اهلها فلو كانت
تلك النخلة رطبة ذات ثمار لكان الناس يا دون اليها ويقيمون عندها فلا يحتمل ان ياوى بها مريم وعندها
ماوى الناس ثم الجاءها الى النخلة لتتساندا اليها وتستعين بها على ما يقع لحاجة النساء وقت الولادة لشىء تستعين
عملها به من الشدة والله اعلم وقوله عز وجل قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا يحتمل ان يكون
يا ليتنى مت قبل هذا او كنت نسيا منسيا لا اذكر بعد الموت بذلك لانه ذكر انها كانت من اهل شرف وكرم
ومن اهل بيت النبوة فتمنت ان تكون غير معروفة لئلا تذكر بسوء بعدها ولا يقذف وقال اهل التاويل وكنت
نسيا منسيا اى حيضة ملقاة وكذلك قال ابو عوسجة النسئ الحيض قال ابو بكر الاصم لا يحتمل هذا لانها قد عرفت
قدرها عند الله فلا يحتمل ان تتمنى ما ذكر لكن الانسان ربما يتمنى لامر العظيم النسئ اذا اشتدت به الامر نحو ما يتمنى
الموت فى بعض الوقت لعظيم ما يحل به فعلى ذلك غير منكر هذا من مريم ان تتمنى ما ذكر اهل التاويل والله اعلم وقوله
عز وجل فناداها من تحتها ومن تحتها اختلف فيه قال بعضهم ناداها ملك وقال بعضهم ناداها ابنها عيسى قال
ابو بكر لا يحتمل ان يكون الذى ناداها ملكا لانه قال من تحتها ولو كان ملكا لناداها من فوقها لكن هذا ليس بشىء
لان الملك انما ينادى من حيث يؤمر من تحت ومن فوق وقال بعض اهل التاويل ناداها جبريل من تحت الوادى
الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وقال اشبه ان يكون ابنها عيسى لانها كانت تحزن ان تشتم وتقذف به
فعيسى اذا تكلم وصار بذلك الحمل تسرى بذلك لما تعلم انه ينفى عنها بعض ما طعنت به وقرفت ويحتمل حزنها من وجه
اخر وهو انها كانت حزنت خوفا على نفسها وعلى ولدها لانها قامت فى مكان لا ماء فيه ولا طعام تخاف على نفسها
وولدها الهلاك فحزنت لذلك فبشرت حيث قال لها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا امنها عن الخوف
الذى كان لها ثم السرى قال بعضهم من اهل التاويل هو الجدول وهو النهر الصغير وقوله عز وجل وهزى اليك
بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فيه دلالة لزوم الكسب لانه امر مريم ان تهز النخلة لتتساقط عليها
الرطب ولو شاء لسقط من غير فعل يكون منها لتجتنى هى وذلك عليها اهون وايسر على ما كان رزقها عند ما كانت
مونتها على زكريا وفيه دلالة ان لا يسع المرء المسالة ما دام به ادنى قوة يقدر على قوته وفيه دليل ان زكريا كان
افضل منها واكبر منزلة عند الله حيث رزقها عند ما كانت فى عيال زكريا من غير تكلف كان من زكريا ولا مونة
فلما فارقت زكريا امرها بالكسب وفيه دلالة ان الايات التى تكون للانبياء يجوز ان يجريها على غيرهم لان الانبياء
حيث جعل لمريم نخلة يابسة رطبة تثمر رطبا وحيث جعل من تحتها سريا اى نهرا جاريا وحيث رزقها عند
ما كانت فى عيال زكريا من غير تكلف احد فذلك يشبه ايات الانبياء والرسل ويقاربها وهذه المحن التى
امتحن بها مريم فى الظاهر عظيمة عند الناس وفى الباطن من اعظم كراماته اليها لانه لعلمه انه تعالى اصطفاها
على نساء العالمين بقوله ان الله اصطفاك على نساء العالمين وسماها صديقة بقوله وامه صديقة وكذلك لا يسمى
الا من بلغ من البشر فى الصدق والصبر له غاية والله اعلم وقال بعضهم فى قوله فناداها من تحتها اى من تحت النخلة
وقوله فكلى واشربى وقرى عينا اى كلى الرطب الذى يتساقط عليك واشربى من السرى الذى جعل تحتك وقرى
عينا اى وارضى بمكان ما حزنت عليه وخفت على نفسك وعلى ولدك وطيبى نفسا وقوله عز وجل فاما ترين
من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا وسكوتا وكذلك روى فى بعض الحروف وهو فى حرف ابى
وقال ثم قوله فقولى ليس على القول نفسه ولكن اشارة اشارت اليهم انى نذرت للرحمن صوما فان كان على هذا
ففيه دلالة ان الاشارة اذا كانت معلومة مفهمة المراد تعمل عمل القول نفسه والكلام وكذلك وقع الطلاق بالاشارة
والنكاح وكل عقد من الاخرس وغيره اذا كانت الاشارة مفهومة معقولة وقال بعضهم قوله فقولى هو على حقيقة القول
اى امرت ان تقول انى نذرت للرحمن صوما فكان نذرها الصوم للرحمن بعد هذا القول والى هذا يذهب الحسن
وقوله عز وجل فاتت به قومها تحمله اى بعيسى قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا قال ابو بكر الاصم

لقد فريت عظيما من الامر لكنه يخرج تاويله فريت من التقدير يقال فرءاى قدد وقال بعضهم لقد فريت
عظيما وهو قذف تصريح بالزنا كقوله يفترينه بين ايديهن وارجلهن وقال بعضهم شيئا فريا كل قايم
من عجب او من عمل فهو فري وهو ههنا عجب فري وهذا اقرب اذ لا يجوز ان يحمل كلامهم على تصريح القذف
ثم لتعريض القذف مساغ ووجه والله اعلم وقوله يا اخت هرون قال بعضهم كانت اخت هرون بن عمران اخي
موسى وعلى ذلك روي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثبت فهو هو وقال بعضهم لا ولكن كان لها
اخ من ابيها يقال له هرون بن ماثان لذلك نسبوها اليه فقالوا يا اخت هرون وقال بعضهم ان هرون
كان رجلا صالحا ناسكا فيهم فشبهوها به ونسبوها اليه لصلاحها ونسكها وقال بعضهم ان بني اسرائيل
يسمي كل رجل صالح هرون حبا لهرون لذلك سموها ونسبوها الى هرون لنسكها وصلاحها وقوله عز وجل
ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا اي ما كان ابوك ما ذكر ولا امك ولا انت فمن اين كان لك هذا
تعريض من الكلام ليس بتصريح فهو ما ذكرنا انهم قالوا ذلك على التعجب ليس على تصريح الفرية والقذف لها وقوله
عز وجل فاشارت اليه اي الى ابنها عيسى ان كلموه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا اي كيف نكلم من كان
صبيا في المهد وقوله عز وجل قال اني عبد الله آتاني الكتاب اي آتاني علم الكتاب ولا تعرف كتاب
هو الانجيل والتورية او غيره لانه قال في آية اخرى ونعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
فذكر الكتاب وذكر معه التوراة والانجيل فهذا يدل ان الكتاب غير التوراة والانجيل وقوله عز وجل
وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت هذا يدل انه تكلم بعد هذه الكلمات وليس كما قال اهل التاويل انه تكلم
بهؤلاء الكلمات ثم لم يتكلم بعد ذلك الى ان بلغ المبلغ الذي يتكلم الصبيان لانه اخبر انه جعله نبيا
وجعله مباركا فلا يحتمل ان يكون نبيا ولا يتكلم ولا يدعو الناس الى دين الله واي بركة تكون فيه اذا لم يتكلم بكلام خير
فدل ذلك منه ان ليس على ما قالوا هم والبركة هي اسم كل خير وصلاح والله اعلم وقوله عز وجل واوصاني بالصلوة
والزكوة ما دمت حيا يحتمل الصلوة المعروفة والزكوة المعهودة ويحتمل الصلوة الثناء له والدعاء في كل وقت وفي كل
مكان والزكوة كل ما تزكو به النفس وتصلح وتنمو من كل خير فان كان الاول الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة
فهو على تعليم الناس كانه قال اوصاني ان اعلم الناس واعلمهم عن الزكوة اذ لم يكن يملك عيسى ما يجب فيه الزكوة
فهو يخرج على اعلام الناس عن حكم الزكوة او ان يكون على المواساة فذلك مما قل وكثر سواء وان كان الثاني فهو
وغيره من الناس في تلك الزكوة سواء والله اعلم وقوله عز وجل وبرا بوالدتي اي جعلني برا بوالدتي صلة
بقوله وجعلني نبيا وجعلني مباركا وجعلني برا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا قد ذكرناه في قصة يحيى وقوله
عز وجل والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا هذا ايضا قد ذكرناه ايضا في قصة يحيى
غير ان الله تعالى هو سلم على يحيى في تلك الاحوال وههنا ذكر ان عيسى سلم على نفسه وذكر في بعض القصة
ان عيسى ويحيى عليهما الصلوة والسلام التقيا فقال يحيى لعيسى انت خير مني فقال عيسى بل انت خير مني
سلم الله عليك وسلمت انا على نفسي والله اعلم وقوله عز وجل ذلك عيسى ابن مريم اي ذلك عيسى بن مريم
ليس على ما قالت النصارى وغيرهم انه ابن الله وانه ثالث ثلاثة على ما قالوا ولكن عيسى بن مريم عند الله كما اقروا
بالعيون حيث قال اني عبد الله ويحتمل قوله ذلك عيسى بن مريم اي ذلك الذي انباتهم من نبإ عيسى قول الحق
الذي فيه يمترون اي هؤلاء الكفرة حيث انكروا انه ليس على انباتهم من نبائه اي الذين يشكون فيه هو قول
الحق والله اعلم وقوله عز وجل ما كان الله ان يتخذ من ولد سبحانه نزه نفسه عن ان يتخذ ولدا لانه لا تقع
الاسباب التي لها يتخذ الولد ويطلب منه او يقول ان اتخاذ الولد يسقط الالوهية لان الولد في الشاهد
يكون شكل الاب وشبيها له فلا يحتمل ان يكون الالوهية لمن يشبه الخلق لان الولد في الشاهد انما يتخذ
ويطلب لاحد وجوه ثلاثة اما لوحشة تاخذه فيستانس به واما لحاجة تمسه فيستغني به في دفعه

اوالخوف يخاف من اعدائه فيستنصر به فاذ كان الله يتعالى عن ذلك وله من سرعة نفاذ امره ما ذكر في قوله
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فما له من سرعة نفاذ الامر ما ذكر لا تقع له الحاجة الى الولد في معنى من المعاني
ولا وجه من الوجوه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم قوله اصلا انا ويدل انه نفخ في جيب درعها اي في انفها
او في غيره وغير ذلك من القصص التي ذكروها مما ليس في الكتاب ذكرها فلا يجوز ان يقال ذلك الا بخبر عن الله تعالى
او عن وحي اليه فانه لم يعلم صدقه ولا ثبوته فنذكر مقدار ما في الكتاب لا نزاد على ذلك ولا ينقص لان هذه الانباء
انما ذكرت لرسول الله ليكون آية لرسالته ونبوته لانها كانت مذكورة في الكتب المتقدمة وكان هنالك من يعرفها
فذكرت له هذه الانباء على ما كانت في كتبهم ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله فلو زيد فيه او نقص لكانت غير دالة
لهم على ذلك قال القتبي الصوم الامساك صوما اي صمتا فريا اي عظيما عجيبا والبغي يقال امراة بغي ونسوة بغايا اي فاجرات
وكذلك قال ابو عوسجة وقوله عز وجل ان الله ربي وربكم فاعبدوه انهم كانوا يعرفون ان الله هو ربهم حيث قالوا ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه فكان عيسى قال لهم ارجعوا الى عبادة الذي تعرفون انه ربي وربكم واتركوا العبادة
لمن تعرفون انه ليس بربكم وقوله عز وجل فاختلف الاحزاب من بينهم اختلف فيه قال بعضهم اختلف الذين تحزبوا
في عيسى في حيوته منهم من قال هو ساحر وقال بعضهم هو كاهن وقال بعضهم كذا من هذا النحو وقال بعضهم اختلف الذين
تحزبوا في عيسى بعد ما رفع من بينهم فمنهم من قال هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم هو ثالث ثلاثة وامثال
ما قالوا على علم منهم انه لم يكن على ما وصفوه وقالوا فيه لكنهم عاندوا وكابروا وقال بعضهم قوله فاختلف الاحزاب من بينهم
الذين تحزبوا واختلفوا في رسول الله لما بعث فمنهم من قال انه ساحر وانه كاهن ومجنون وانه مفتر وانه كذاب
ونحو ما قالوا فيه على علم منهم ان ما يقول هو يوافق كتبهم وان كتابه مصدق لكتبهم وانه يؤمن بالرسل الذي يؤمنون هم بهم
لكنهم قالوا ذلك على المعاندة والمكابرة فقال اصحاب هذا التاويل الويل والوعيد واختلفوا فيه والله اعلم والويل لكل كافر
ما من كافر الا وله ذلك الوعيد وقوله عز وجل من مشهد يوم عظيم وصف ذلك اليوم بالعظم لما فيه يجمع الاولين
والآخرين ويشهد الجن والانس والملائكة فهو مشهد عظيم ويحتمل انه وصفه بالعظم لانه هو المقصود في خلق العالم
في الدنيا فهو انما خلقهم لامر عظيم وهو ذلك اليوم وقوله عز وجل اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا قال الحسن يكونون
سمعا وبصراء في الآخرة ليس على ما كانوا في الدنيا عمي بكم صم وقال بعضهم ما اسمعهم وما ابصرهم يوم ياتوننا وقال بعضهم
لا يصح هذا لان هذا ليس على وجه التهزؤ والتعجب ولكن تاويله اي يسمعون ما قالوا ويبصرون ما عملوا وقال بعضهم
اسمع بهم وابصر اي اسمع بحديثهم اليهم واعلمهم وابصر كيف تصنع بهم يوم ياتوننا والله اعلم وقوله عز وجل لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين اي في حسرة بينة او في هلاك بين وقد ذكرنا ذلك في غير موضع وقوله عز وجل
وانذرهم يوم الحسرة قال عامة اهل التاويل الحسرة هي ان يصور الموت بصورة كبش املح فيذبح بين الجنة
والنار فينظر اليه اهل النار واهل الجنة فيندم اهل النار ويكون لهم الحسرة لما كانوا يطمعون الموت تاسون
منه فذلك الحسرة التي ذكر لكن هذا لا يعلم الا بخبر عن رسول الله فان ثبت شيء عنه فهو ذاك والا فالحسرة لهم في اعمالهم
التي عملوا في الدنيا وهو ما قال كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وقوله يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله
وقوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ونحوه كل عمل عملوا في الدنيا يكون لهم ذلك حسرة في الآخرة وندامة وقوله
عز وجل اذ قضي الامر اي ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وهم في غفلة اي هم كانوا في غفلة
من هذا وهم لا يؤمنون بالله وقوله عز وجل انا نحن نرث الارض ومن عليها هذا والله اعلم كناية عن فناء
الخلق جميعا وبقاء الخالق فذلك معنى الوراثة والله اعلم وعلى ذلك سمي الوارث في الشاهد وارثا لانه باق
بعد فناء مورثه والله اعلم وقوله عز وجل واذكر في الكتاب ابراهيم قال الحسن هو صلة كهيعص ذكر رحمت
ربك عبده زكريا يقول اذكر رحمت ربك ابراهيم وكذلك يجعل جميع ما ذكر في هذه السورة من نحو هذا صلة تلك
كانه ذكر كهيعص في كل ذلك لانه يجعل تفسير كهيعص ما ذكر على اثره وكذلك يقول في جميع الحروف المقطعة انه تفسيرها

ما ذكر على اثرها واما غيره من اهل التاويل فانه يقول واذكر لهم نبأ ابراهيم وقصته في الكتاب وكذا يقولون في جميع
ما ذكر في هذه السورة من قوله واذكر في الكتاب مريم اي اذكر نبأها وقصتها في الكتاب لهم واذكر في الكتاب نبأ موسى
وخبره وذكره والله اعلم وقوله عز وجل انه كان صديقا نبيا انما يقال لمن كثر منه ما يستحق ذلك الاسم
وكذلك التشديد انما يشدد اذا كثر الفعل منهم وصار كالعادة له والطبع فكان سمي بهذا لما لم يكن يجعل
بين ما ظهر له من الحقوق والفعل وبين وفائها واداءها نظرة ولا مهلة بل كان يفي بها ويؤديها كما ظهر له ولذلك
سماه والله اعلم وبقوله وابراهيم الذي وفى وقال في آية اخرى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن سماه وفيا
لما كانت عادته القيام بوفاء ما ظهر له واتمام ما ابتلاه به والله اعلم وقوله عز وجل اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع اذا دعوته ولا يبصر لو عبدته ولا يغني عنك شيئا اذا احتجت اليه وسالته ويحتمل ان يكون قوله
ما لا يسمع اي لا يجيب لو دعوته واحتجت اليه ولا يبصر حاجتك اذا احتجت اليه ولا يغني عنك شيئا اي لا يغني لك
وقال بعضهم ولا يغني عنك شيئا من عذاب الله في الآخرة يقول كيف لا تعبد من اذا دعوته سمع واذا عبدته
ابصر ونصرك اذا احتجت اليه وسالته والله الموفق وقوله عز وجل يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك
اي من البيان ما يحل بك بعد الموت اذا مت على ما انت عليه ما لم ياتك ذلك فاتبعني اي ما ادعوك
اليه من دين الله اهدك صراطا سويا اي دينا عدلا سويا قيما لا عوج فيه فهذا يدل منه انه قد اوحي اليه في ذلك
الوقت ويشبه ان يكون عرف ذلك استدلالا منه واجتهادا على غير وحي كقوله هذا ربي هذا اكبر حتى انتهى
الى قوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وكل ذلك كان له من الله الا ترى انه قال في آخره
وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وقوله عز وجل يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا
هم لم يكونوا يعبدون الشيطان عند انفسهم ولكن يحتمل اضافة عبادتهم الى الشيطان وجوها احدها ان
الاصنام التي عبدوها كانت لا تامرهم بالعبادة ولا تدعوهم اليها ثم عبدوها فانما عبدوها بامر الشيطان
وبدعائه اياهم فاضاف ذلك اليه للامر الذي كان منه بذلك والثاني ذكر ان الشيطان كان ينطق من جوف
الصنم فعبدوها للكلام فكانهم عبدوا الشيطان والله اعلم وقوله عز وجل يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن قال بعضهم قوله اني اخاف اي اعلم ان يمسك عذاب من الرحمن لو مت على الكفر وختمت به فان كان
تاويل العلم فهو على هذا الشرط يخرج ويحتمل ان يكون الخوف في موضع الخوف اي اني اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن ان لم تنجز وعدك فتكون للشيطان وليا اي قريبا في العذاب وقوله عز وجل قال اراغب انت
عن آلهتي يا ابراهيم ولا شك انه كان راغبا عن عبادة آلهتهم وقوله عز وجل لئن لم تنته لارجمنك يحتمل قوله
لئن لم تنته لارجمنك وجوها احدها لئن لم تنته عن دينك الذي انت عليه لارجمنك اي لاقتلنك والثاني
لئن لم تنته عن دعائك اياي الى دينك لارجمنك اي لاطردنك والثالث لئن لم تنته عن قذف آلهتنا
وسبها وذكرها بسوء لارجمنك اي لاشتمنك مكان شتمك وقذفك آلهتنا فالرجم يشتمل على هذه
الوجوه الثلاثة القتل والطرد والشتم فان كان على القتل فهو مقابل الدين اي لئن لم تنته عن دينك لاقتلنك
وان كان على الطرد فهو مقابل الدعاء اي لئن لم تنته عن دعائك اياي الى ما تدعو لاطردنك وان كان
على الشتم فهو مقابل الشتم اي لئن لم تنته عن شتمك آلهتنا لاشتمنك والله اعلم وقوله عز وجل
واهجرني مليا قال بعضهم طويلا وقال بعضهم بعيدا وقال بعضهم دهرا فان كان مليا اي بعيدا فهو على بعد
منه اي ابعد مني وتباعد مني من داري ومقامه وان كان على الدهر والطول فهو يخرج ان لا تكلمني
ابدا والله اعلم وقوله عز وجل قال سلام عليك يحتمل انه ليس على ان سلم عليه ولكن كلمه بكلام السداد كقوله
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما هو ان يقولوا لهم كلام السداد ليس على ان يسلموا عليهم ويحتمل سلام
عليك على حقيقة السلام المعروف لكنه يخرج على الاضمار اي سلام عليك اذا اسلمت وقوله عز وجل سأستغفر لك

ربي

ربي اذا اسلمت على نحو ما قلنا ويحتمل قوله سأستغفر لك ربي اي اسال ربي ليوفقك على السبب الذي
يستوجب به الاستغفار وتكون اهلا للاستغفار وقوله عز وجل انه كان بي حفيا قال بعضهم اي برا لطيفا
وقال بعضهم حفيا عالما وقال بعضهم انه كان عودني الاجابة اذا دعوته قال ابو عوسجة الحفي العالم بالامر ويقال
حفي الرجل اذا سار بلا نعل ولا خف وجمعه حفاة واحتفى يحتفي اذا اجتنى حشيشا وقوله عز وجل واعتزلكم وما تدعون
من دون الله الاعتزال ههنا اعتزال الهجرة الى ارض الشام ومفارقته اياهم مفارقة المكان والدار كقوله ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين فقوله ونجيناه النجاة بالفراق منهم وقوله عز وجل وما تدعون من دون الله
اي واعتزلكم ما تعبدون من دون الله ايضا ففيه اخبار عن اعتزاله عنهم بالدار والمكان وعن فعلهم ايضا اعتزلهم
عن الامرين جميعا وقوله عز وجل وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا هذا يحتمل وجهين احدهما اي ادعو
ربي عسى ان لا اكون بعبادة غير الله شقيا كما كان قومه بعبادة غير الله شقيا والثاني ان لا اكون بدعاء ربي
اذا دعوته شقيا اي خائبا مردودا لدعائي والله اعلم وقوله عز وجل فلما اعتزلهم اعتزال الدار والمكان بالهجرة
الى الارض المباركة التي ذكرنا نجاة واعتزل ايضا صنيعهم الذي كانوا يصنعون من عبادتهم غير الله وقوله
عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب وقال في آية اخرى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ذكر الهبة لان الولد هبة
من الله تعالى لخلقه على الافضال منه والانعام عليه لانه يعطي لا عن حق كان لهم عليه فذلك فائدة ذكر الولد هبة
وقوله عز وجل وكلا جعلنا نبيا هو ظاهر وهب له ما ذكر ثم اخبر عز وجل انه جعلهم انبياء وقوله عز وجل
ووهبنا لهم من رحمتنا اختلف فيه قال بعضهم الرحمة ههنا هي النبوة اي وهبنا لهم النبوة وقال بعضهم الرحمة
النعمة اي من نعمته وهب لهم ما وهب من النبوة وغيرها والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا لهم لسان صدق عليا
اختلف فيه قال بعضهم قوله لسان صدق هي الكتب التي انزلها الله فيها انباء صدقهم وفضلهم ومنزلتهم هي
لسان صدق عليا وقال بعضهم لسان صدق عليا هم اولادهم الذين جعلهم انبياء رسلا يذكرون ويعظمون
من بعدهم لان جميع الانبياء والرسل عليهم السلام كانوا من نسل ابراهيم من لدنه الى لدن محمد صلى الله عليه وسلم
فهم كانوا لسان صدق عليا حيث يذكرون بكل خير وبكل بركة ويمن وقال بعضهم لسان صدق عليا هو ما اثنى
جميع اهل الاديان به اعني بابراهيم ودانوا جميعا به وعلى ذلك يخرج تخصيص ابراهيم وآله بالصلوة وبالبركة عليهم
والثناء على قوم حيث قالوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقوله عز وجل
واذكر في الكتاب موسى هو ما ذكرنا في قوله واذكر في الكتاب ابراهيم وقوله واذكر في الكتاب مريم على قول الحسن
صلة قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا اي اذكر رحمة ربك موسى وعلى قول غيره من اهل التاويل اي اذكر لهم نبأ
موسى وقصته في الكتاب وهو ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل انه كان مخلصا ومخلصا قد قرئ بالنصب
والخفض جميعا قال بعضهم مخلصا اخلصه الله واصطفاه واختاره لرسالته ونبوته وقوله مخلصا بالخفض اي اخلص
عبادته وتوحيده له وقوله عز وجل وكان رسولا نبيا قال بعضهم الرسول هو الذي يبني ويخبر عن التاويل
وقال بعضهم الرسول هو الذي ينزل عليه الوحي والكتاب والنبي هو الذي ينبئ لا عن لسان واصل النبي هو الذي
ينبئ عن كل خير وبركة وسمي نبيا لاحتمال الخصال فيه كالصديق لا يسمى به الا بعد اجتماع كل خصال الخير والبركة
ما لو انفرد بكل خصلة من تلك الخصال سمي صادقا فاذا اجتمع ذلك سمي صديقا فعلى ذلك النبي سمي نبيا لاجتماع خصال
وهو ما روي في الخبر الرؤيا الصالحة جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والسمت الحسن جزء من خمسة وعشرين
جزءا من النبوة فهذا يدل ان النبي انما سمي نبيا لاجتماع خصال الخير والبركة فيه كما ذكرنا في الصديق
والله اعلم وقوله عز وجل وناديناه من جانب الطور الايمن فان كان الايمن من اليمن والبركة فيكون تاويله
وناديناه من جانب الطور المبارك واليمن وكذلك روي في الخبر ان موسى عليه السلام قال اتاني ربي
من جبل طور سيناء واطلع من جبل ساعير واظهر من جبل فاران ومعناه اتاني وحي ربي من جبل طور سيناء

واطلع من جبل ساعورا اى اتى وحى عيسى من جبل ساعورا واتى وحى محمد فى جبل فاران هو على اليمن يمن الجبل وبركته وقال بعضهم هو يمن الجبل وقال بعضهم يمين موسى قال ابو بكر الاصم هذا لا يعلم الا بالخبر ولا نفسره انما ذا اراد به مخافة التغيير لانه ذكر هذا فى موضع الاحتجاج عليهم فان زادوا ونقصوا على ما فى كتبهم يبطل الاحتجاج عليهم وقوله عز وجل وقربناه نجيا قال اهل التاويل هو تقريب بالمكان ولكن عندنا هو تقريب المنزلة والقدر والفضل هنا معروف وهو اسلم نجيا من المناجاة اى ناجاه من حيث لم يطلع على ذلك غيرهما وسمى موسى فهذا لانه اخلص نفسه لله وسلمه له ولذلك سمى المصلى ايضا مناجيا ربه على ما روى فى الخبر انظر من تناجى حيث فرغ نفسه عن جميع الاشغال وسلمها اليه فسمى لذلك مناجيا والله اعلم وقوله عز وجل ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا هو ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل واذكر فى الكتاب اسمعيل على قول الحسن هو صلة قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا اى ذكر لهم رحمة ربك اسمعيل وعلى قول غيره من اهل التاويل على الابتداء اى ذكر لهم نبا اسمعيل وقصته فى الكتاب على الاحتجاج له عليهم لان هذه الانباء والقصص كانت فى كتبهم فاخبر رسوله عن تلك الانباء والقصص على ما كانت ليخبرهم فيعلموا انه انما عرفها بالله ليدلهم ذلك على نبوته ورسالته ثم اختلف فى اسمعيل قال عامة اهل التاويل هو اسمعيل بن ابرهيم صلوات الله عليهما وقال بعضهم هو الذى قالوا ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ولكن لا نعلم ذلك الا بالخبر عن الله وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل انه كان صادق الوعد قال عامة اهل التاويل سماه صادق الوعد لانه وعد رجلا ان يقيم عليه وان ينتظر حتى يرجع اليه فاقام مكانه اياما ينتظر لميعاده حتى رجع اليه لكن لا يحتمل ان يكون مثل اسمعيل يعد عدة ولا يستثنى وقد نهى الله رسوله ان يقول انه فاعل كذا غدا حتى يستثنى وهو قوله ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ويكون قوله صادق الوعد اى صديقا والصديق هو القايم بوفاء كل حق ظهر له لان كل مؤمن يعتقد فى اصل ايمانه طاعة ربه فى كل امر يامره والانتهاء عن كل نهى ينهاه ووفاء كل حق عليه فسماه صادق الوعد لقيامه بوفاء كل حق ظهر له وتجلى والله اعلم وقوله عز وجل وكان رسولا نبيا قد ذكرناه وقوله عز وجل وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة اى قومه بالصلوة والزكوة فان كانت الصلوة هى الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة ففيه انهما كانت فى الامم الماضية وان كانتا الدعاء والثناء وما به تزكو الانفس وتصلح فهو على جميع الخلايق ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وكان عند ربه مرضيا ظاهر وقوله عز وجل واذكر فى الكتاب ادريس هو ما ذكرنا وقوله عز وجل انه كان صديقا نبيا قد ذكرنا ايضا وقوله عز وجل ورفعناه مكانا عليا قال الحسن رفعناه اى نرفعه فى الجنة وقال اهل التاويل رفعه الى السماء الرابعة فهو ميت فيها كلام هو هذا ولكن عندنا يشبه ان يكون رفعنا اياه فى المنزلة والقدر والرفعة عند الله وعند الناس جميعا على ما ذكرنا فى قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقوله عز وجل اولئك الذين انعم الله عليهم اى بالنبوة او الرحمة التى ذكر فيما تقدم والرحمة هى النعمة فهذا يرد قول اهل الاعتزال لانهم يقولون لا يخص الله احدا بالنبوة او بشىء من الافضال الا من يستحق ذلك ويستوجبه فاخبر الله عز وجل ان ذلك منه انعام وافضال عليهم من النبيين من ذرية ادم الانبياء كانوا من ذرية ادم ومن ذرية من حمل مع نوح ومن ذرية ابراهيم ايضا ومن ذرية اسرائيل اى يعقوب ومن ذريته من هداه الله التوحيد واجتباه للرسالة والنبوة والله اعلم وقوله عز وجل اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا قال بعض اهل التاويل هذا فى مؤمنى اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه اذا تتلى عليهم ايات القرآن بعد ما امنوا خروا سجدا وبكيا ويشبه ان يكون هذا فى اولئك الذين ذكر انه انعم عليهم كانت لهم ايات فى كتبهم فيها سجود اذا تليت عليهم خروا لله سجدا وبكيا او ان يكون لا على حقيقة السجود ولكن على الخضوع له والقبول لحججه وبراهينه التى تليت عليهم او ان يكونوا لا يملكون انفسهم ذا را وا ايات الله وسلطانه ولكن وقعوا سجدا على ما اخبر عن سحرة فرعون عند معاينتهم الايات حيث قال فالقى السحرة سجدا وساجدين لسان سجدوا لله ولكن يلقون

سجدا

سجدا لما لا يملكون انفسهم عند معاينتهم الآيات قال ابو عوسجة بكيا فيه ثلاث لغات بكيا وبكيا وبكيا وهو جماعة الباكى وقوله نجيا يقال فلان نجى فلان اى موضع ويحتمل قوله اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا ان يكون كناية عن الصلوة وصفهم عز وجل انهم كانوا يكونون فى الصلوة خاشعين باكين ثم قال فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات اى خلف من بعد اولئك الذين وصفهم عز وجل بالصلوة لله والخشوع له فيها والبكاء خلف اضاعوا الصلوة اى جعلوها لغير الله وهى الاصنام التى كانوا يعبدونها فاذا جعلوها وصرفوها الى غير الذى يصلى اولئك فقد اضاعوها لانهم كانوا يصلون للاصنام الصلوة التى كان يصلى اولئك لله ويحتمل ان يكون قوله اضاعوا الصلوة لان الصلوة هى اخر ما يترك ويضيع لانه روى فى الخبر انه قال سينقض عرى الاسلام عروة عروة اولها الامانة واخرها الصلوة وقال بعض اهل التاويل اضاعوا الصلوة اضاعتها تاخيرها عن مواقيتها لا ان تركوها اصلا فهذا فى اهل الاسلام ان ثبت والله اعلم وقوله عز وجل واتبعوا الشهوات اى اثروا الشهوات على العبادات وجعلوا الشهوات هى المعتمدة دون العبادات وقوله عز وجل فسوف يلقون غيا قال بعضهم الغى واد فى جهنم لكن هذا لا يجوز ان يقال الا بالخبر عن رسول الله انه قال واد فى جهنم وقال بعضهم الغى العذاب وقال بعضهم الغى الشر وجائز ان يكون سمى جزاء اعمالهم التى عملوها فى الدنيا بالغواية باسم عملهم غيا ويجوز تسمية الجزاء باسم سببه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ونحوه ثم استثنى فقال الا من تاب اى الا من تاب عن الشرك وامن بالله وعمل صالحا وقوله عز وجل فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا يشبه ان يكون قوله لا يظلمون شيئا اى لا ينقصون من حسناتهم التى عملوها فى حال ايمانهم لمكان ما عملوا من الاعمال فى حال كفرهم بل يبدل سيئاتهم حسنات على ما اخبر فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال فى اية ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اخبر انهم اذا امنوا وانتهوا عن الشرك لا يؤاخذهم بما كان منهم فى حال كفرهم والله اعلم ثم بين اية جنة فقال جنات عدن التى وعد الرحمن عباده الذين امنوا بالغيب ثم يحتمل ايمانهم بالغيب اى بالله امنوا به بالخبر وان لم يروه ويحتمل الغيب الجنة اى صدقوا بها وان لم يروها والنار والبعث بالغيب وقوله عز وجل انه كان وعده ماتيا اى كان موعوده اتيا ولكن ذكر ماتيا لان كل من اتاك فقد اتيته فسمى لذلك ماتيا وقوله عز وجل لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال فى موضع لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما اى لا يسمعون باطلا ولا ما يكره بعضهم من بعض ولا ماثما ثم بعضهم بعضا الا سلاما والسلام كانه اسم كل خير وبركة وقوله عز وجل ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال الحسن ان اطيب العيش واحبه الى العرب الغداء والعشاء فاخبرهم الله عز وجل ان لهم فى الجنة الغداء والعشاء واطيب العيش الى العجم لباس الحرير واللؤلؤ فاعلمهم ان لهم فى الجنة ذلك بقوله يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ويقول اهل التاويل ليس فى الجنة بكرة ولا عشى ولا ليل ولا نهار ولكن يؤتون على ما يحبون من البكرة والعشى وعن ابن عباس قال على مقادير الليل والنهار ويشبه ان يكون قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ليس على تخصيص وقت دون وقت ولكن الاوقات كلها فى كل وقت يحبون ويشتهون كقوله وفيها ما تشتهيه الانفس وفاكهة مما يتخيرون ويخرج ذكر البكرة والعشى ان زمان الجنة يكون شبه البكرة من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس ومثل الوقت الذى يكون بعد غروب الشمس الى ان يظلم لانه اخبر ان ظلها ممدود بقوله وظل ممدود ثم اخبر ان تلك الجنة التى ذكر ان فيها كذا هى التى نورث من عبادنا من كان تقيا يحتمل ان يكون وعد الجنة للبشر كلهم بشرايط شرط عليهم ان وفوا بها فلهم الجنة جميعا وانهم يفوا بها فلا وفى وفى بشرايطها التى شرط يجعل الذى كان وعد للذى لم يف اذا وفى للذى وفى بذلك فهو الميراث الذى ذكر وعلى ذلك يخرج قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الاية والوارث هو الباقى عن المورث والخلف عن الميت وقوله فخلف من بعدهم خلف قال بعضهم الخلف بالجزم يستعمل فى موضع الذم والخلف بالتحريك والنصب فى موضع المدح وقال بعضهم هما سواء ويستعملان جميعا فى موضع واحد وقوله عز وجل وما نتنزل

الا بامر ربك هذا الكلام منه لا يكون الا عن سؤال كان منه فكانه قد كان استبطأ نزول جبريل عليه فعند
ذلك قال له انا لا نتنزل الا بامر ربك ثم فيه انه لم يقل ذلك له الا بامر الله لان الله اخبر انهم لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون فلا يحتمل ان يقول له ذلك من تلقاء نفسه فيجعل ذلك آية في كتاب الله تتلى وقوله عز وجل له ما بين
ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك كان هذا الكلام موصول بقوله وما نتنزل الا بامر ربك لانهما جميعا كانا يعلمان
ان له ما بين ايديهم وما خلفهم وما بين ذلك فدل ذلك انه موصول بالاول ووجه الصلة بالاول هو ان يقال لما نتنزل
الا بامر ربك لا يتقدم لا بامر ولا يتاخر ولا نعمل شيئا الا بامره وهو كقوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
واما غيره من اهل التأويل اختلفوا فيه قال بعضهم قوله له ما بين ايدينا هو الآخرة هو وما خلفنا ما مضى
من الدنيا وما بين ذلك الحال التي يجيء فيها وقال بعضهم قوله له ما بين ايدينا وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك
ما بين النفختين وامثال هذا لكن الذي ذكرنا بديا اولى واشبه اذ هو على الصلة بالاول انه لا يتقدم ولا يتاخر
ولا يعمل شيئا الا بامره والله اعلم وقوله عز وجل وما كان ربك نسيا هذا يخرج على وجوه ثلاثة احدها
ما قاله بعض اهل التأويل ان جبريل قد كان احتبس عنه زمانا فقال اهل مكة قد ودعه ربه وقلاه فنزل
والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى على ما قال المشركون فيخرج على هذا قوله وما كان ربك نسيا على الترك
اي ما كان ربك تركك لما قالوا ولذلك من التوديع والقلى ويحتمل ما كان ربك نسيا كملوك الارض يطلب حذرهم
وخولهم وقت سهوهم وحالة غفلتهم فيقضون حوائجهم وحوائج من يطلب منهم القيام بها اي ما كان ربك بالذي
يسهو ويغفل كملوك الارض والثالث وما كان ربك نسيا بتاخير نزولي عن وقت النزول بل انزل عليك في الوقت
الذي هو وقت النزول فهذان الوجهان يخرجان على السهو والغفلة والاول على الترك وقوله عز وجل
رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته اي اصبر نفسك عليها وعلى طاعته وقوله عز وجل
هل تعلم له سميا اي ما تعلم له شريكا تشتغل بعبادته عن عبادة الله انما هو اله واحد لا راحة لك عن عبادته
ولا ما يشغلك عنه وقال بعض اهل التأويل هل تعلم احدا اسمه الله سواه وقال بعضهم هل تعلم له مثلا
وشبيها وقوله عز وجل ويقول الانسان ايذا ما مت لسوف اخرج حيا هذا الكلام يخرج على وجهين احدهما
على انكار البعث لسوف اخرج حيا اي ما اخرج حيا والثاني على التهزؤ والهزء وجواب ما قال لهم اهل الاسلام
انكم تبعثون وتحيون فقالوا عند ذلك على الهزء بهم والسخرية ثم ذكرهم بدء حالهم حيث لم يكونوا شيئا
فخلقهم فقال او لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فاذ قدر على خلقه في الابتداء ولم يك
شيئا كان على احيائه وبعثه بعد ما كان شيئا اقدر ثم اقسم انهم يبعثون فقال فوربك لنحشرنهم والشياطين
اي لنجمعنهم والشياطين الذين اضلوهم كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله
الآية وقوله عز وجل ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قال بعضهم جثيا جماعات كقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا وقال بعضهم جثيا على الركب لان اقدامهم لا تحمل لشدة هول ذلك اليوم وقوله عز وجل ثم لننزعن
من كل شيعة قال بعضهم الشيعة الصنف اي من كل صنف والشيعة الاتباع كقوله هذا من شيعته وهذا
من عدوه اي من اتباعه وقوله عز وجل ايهم اشد على الرحمن عتيا اي تمردا وعنادا والعاتي هو القاسي
المتمرد في عتوه وقوله عز وجل ثم لننزعن اي لنخرجن اي نبدا بهم من كان منهم اشد على الرحمن تمردا
وعنادا وهم القادة والرؤساء منهم فيقذفون في النار ولا ثم الامثل فالامثل على المراتب التي كانوا في الدنيا
وقوله عز وجل ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي اعلم بمن اولى بها صليا اي يصلى بالنار دوم
القادة والكفرة وقوله يلقون غيا قال ابو عوسجة الغي الشر جثيا قال جماعات والجاثي هو البارك
على ركبتيه والشيعة الصنف من الناس وقال القتبي جثيا جمع جاث وفي التفسير جماعات وقال قتادة
في قوله هل تعلم له سميا قال لا سمي لله ولا عدل ولا مثل كل خلقه يقر له ويعرفه ويعلم انه خالقه وقال بعضهم

لايسمى احد

لا يسمى احد باسمه يعني بالله وقال بعضهم بالرحمن وقوله عز وجل وان منكم الا واردها اختلف فيه
قال بعضهم الآية في الكفرة خاصة واستدل باول الآية بقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين الى آخر ما ذكر والمؤمنون
لا يحشرون مع الشياطين ولكن انما يحشر الكفار مع الشياطين كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا
يعبدون من دون الله ويكون قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا على ابتداء منع الورود عليها
والنجاة منها وقال بعضهم الآية في المؤمنين والكافرين جميعا لكن اختلف في الورود وقال بعضهم الورود الحضور
دون الدخول لان الله عز وجل اخبر ان من ادخل النار فقد اخزاه بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
وقال بعضهم الورود الدخول فيها واستدل بقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
وبقوله يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار والآية يقول يدخل الفريقان جميعا فيها لكنها تصير جامدة وبردا
على المؤمنين على ما صارت بردا وسلاما على ابراهيم ثم تصير حارة محرقة للكفار والظلمة قال الحسن لا يحتمل
ان يدخل اهل الايمان النار لان الله عز وجل امن المؤمنين ان يكون عليهم خوف وحزن بقوله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فلو كانوا يدخلون النار لكان لهم خوف وحزن وقد اخبر ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
دل انهم لا يدخلونها وجائز ان يكونوا واردين جميعا داخلين فيها لا دخول تعذيب فيها وعقاب لانه ذكر ان مرهم
جميعا على الصراط والصراط جهنم كالسطح للدار ومن حلف ان لا يدخل دارا فتسور سورها او صعد سطحها من سطح
حنث ويصير داخلا فيها فعلى ذلك جائز انهم اذا مروا على الصراط نجا اهل الايمان لمرورهم وزل اقدام الكفار
فيها فيقعوا فيها فكان الفريقان جميعا يوصفون بالدخول على الوجه الذي وصفنا وقال بعضهم ورود المسلمين
المرور بهم على الجسر بين اظهرها وورود المشركين ان يدخلوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم الزالون والزالات
وما ذكر الحسن انه آمن المؤمنين ان لا يكون عليهم خوف ولا حزن فجائز ان يكون
الله يدخلهم فيها على غير جهة العقوبة فلا يكون لهم خوف ولا حزن الا ترى انه اخبر انه جعل الملائكة اصحاب
النار بقوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ثم لا يكون لهم خوف ولا حزن وهم مما اوعدوا بها اذا خالفوا امر الله
وعصوه بقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الآية الا ترى انه اخبر ان اهل الجنة يطلعون على اهل
النار في النار ثم لا يخافون ولا يحزنون بقوله فاطلع فرآه في سواء الجحيم وهم في الدنيا اذا اطلعوا عليها لا شك
انهم يخافون ويحزنون ويسوءهم ذلك اشد الخوف ثم في الآخرة لا فعلى ذلك جائز ان يكونوا يردونها ويدخلونها
ولا يخيفهم ذلك ولا يحزنهم ولا يسوءهم والله اعلم وقوله عز وجل كان على ربك حتما مقضيا اي قضاء واجبا
ثم ننجي الذين اتقوا الشرك والفواحش ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبهم وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قد ذكرنا وقوله قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا كان هذا القول
من الكفرة يخرج جوابا لما احتج عليهم اهل الايمان بالآيات التي ذكر وحاجوا عليهم فيقولون انكم تقولون ان الدنيا
والآخرة لله فقد وسع علينا الدنيا وضيق عليكم فعلى ذلك يوسع الآخرة علينا ويضيق عليكم كما فعل في الدنيا
اذ لا يجوز ان يوالينا في الدنيا ويعادينا في الآخرة وعلى هذا قولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
فظنوا انه لما وسع عليهم الدنيا واحسن لهم الندي والمجلس كذلك يكونون في الآخرة فاكذبهم الله ورد عليهم ذلك
فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اخبرهم بما عرفوا انهم كانوا اهل السعة والزينة ثم اهلكوا
بتكذيبهم الرسل وعصيانهم ربهم فلو كان ما ذكر هؤلاء الكفرة لكانوا لا يهلكون فيلزمهم بما ذكرت من وسع عليه
الدنيا وضيق على الآخر انما يكون بحق المحنة لا بحق المنزلة والقدر واما الثواب والجزاء فهو بحق القدر والمنزلة
والخذلان وقوله عز وجل اثاثا قيل المتاع والمال ورئيا اي منظرا وقوله عز وجل قل من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا اي خير وسعة في الدنيا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب هو العذاب والهلاك الذي وعدهم
رسول الله في الدنيا واما الساعة القيامة وقوله عز وجل فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا هذيك

ان قولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا ارادوا المقعد والحواشى حيث قال واضعف جندا قال
ابو عوسجة حتما مقضيا اى واجبا نديا اى مجلسا والآية جمع والاثاث المتاع ورئيا منظرا ويمد له اى نطيل عذابه
وقال القتبى نديا اى مجلسا يقال للمجلس ندى ونادى ومنه قيل دار الندوة التى كان المشركون يجلسون ويتشاورون
فى رسول الله والاثاث المتاع والرئى المنظر والشارة والهيئة وقوله فليمدد له الرحمن مدا اى يمد له فى ضلالته
ونرثه ما يقول اى نرثه المال والولد الذى قال لاوتين وقوله ويأتينا فردا لا شئ معه وقوله عز وجل
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى جميع ما ذكر الله عز وجل من زيادة الهداية وابتداء الهداية فهو انما يزيد لله الهداية
وتهديه ابتداء اذا كان من العبد رغبة فى ذلك وبغية وطلب اذا كان مهتديا يزيد له الثبات على ما كان عليه فى وقت
رغبته وطلبه منه او ان لم يكن مهتديا يهديه ابتداء هدايته فى وقت رغبة وقوله على هذا يخرج عندنا ما ذكر
بحق الزيادة او بحق الابتداء او يحتمل قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اى يوفقهم اذا اهتدوا وعرفوا وحدانيته
لانواع الخيرات والطاعات وقالت المعتزلة البيان وهو هداية عامة والهداية الثانية هى شرح الصدر لها
والتوفيق وهو هداية خاصة تكون فى وقت ثان بحق الثواب على زعمهم يجب ان لا يكفر احد بعد ما هداه الله
مرة ابدا لانهم يقولون اذا اهتدوا وقبلوا هدايته مرة يوفقه ويشرح صدره فى الوقت الثانى فهو ابدا يكون
على الهداية والايمان فاذا وجد عن كثير ممن اهتدى وارتد الكفر من بعد دل ان تأويلهم فاسد وان التأويل ما ذكرنا
يحتمل انه يزيد لهم الهداية وقت رغبتهم وطلبهم الهداية ان كان بحق الزيادة او بحق الابتداء والله اعلم وقوله عز وجل
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يحتمل الباقيات الامور الباقية التى لها البقاء اى
ما يبقى لكم عند الله خير مما يبطل لان الله عز وجل وصف الحق والخير بالبقاء والمكث ووصف الباطل
بالذهاب والتلاشى بقوله فاما الزبد الآية وقال فى آية ومثل كلمة طيبة الآية وقال ومثل كلمة خبيثة الآية
وقال فى آية وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا اى ذاهبا فيشبه ان يكون قوله والباقيات الصالحات
خير اى الاعمال التى لها البقاء خير لكم عند الله ثوابا من الذى ليس لها البقاء ويحتمل الباقيات اى ما ابقى
الله لكم فى الآخرة من الثواب خير لكم مما اعطى لكم فى الدنيا لان هذا فان وذلك باق والله اعلم وقوله عز وجل
افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا قال بعضهم هذا القول قاله العاص بن وائل
السهمى لما حاجه اهل الايمان فى امر الآخرة انما لهم دون الكفرة قال لهم عند ذلك لاوتين مالا وولدا فى
الآخرة ان كان ما تقولون انتم حقا انما نبعث ونحيى كما اوتيت فى هذه الدنيا وقال الحسن قال هذا القول
قول الوليد بن المغيرة وهو ما قال تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا
ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا وكان يطمع ان ازيد له فى الدنيا ابدا فقال كلا ردا على ذلك
وقال ههنا اطلع الغيب ان يكون له فى الآخرة ذلك على التأويل الاول او فى الدنيا فى وقت آخر ذلك
على تأويل الحسن ام اتخذ عند الرحمن عهدا اى له بذلك عند الله عهد كلا ردا على ما ادعوا سنكتب
ما يقول اى سنحفظ ونمد له من العذاب مدا قال بعضهم قوله ونمد له اى نزيد له من العذاب فى كل يوم
كقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقال بعضهم نمد له من العذاب مدا اى نعذبه عذابا لا انقطاع له
والله اعلم وقوله عز وجل ونرثه ما يقول قال بعضهم اى نرثه المال والولد الذى قال لاوتين اى الله
ما يقول بانه له من المال وغيره لا له وقال بعضهم قوله نرثه انه يعطى فى الجنة ما يعطى المؤمنون فنرثه عنه
ونعطيه غيره وجايز اضافة الوراثة اليه على ارادة اوليائه اى نرثه ذلك اوليائه وقوله عز وجل ويأتينا
فردا فى الآخرة لا شئ معه ولا اهل كقوله ولقد جئتمونا فرادى ويحتمل قوله ويأتينا فردا فى الدنيا فى وقت
لا شئ معه ولا اهل ولا ولد على تأويل من يقول فى قوله لاوتين مالا وولدا فى الدنيا والله اعلم ثم اختلف
اهل التأويل فى العهد الذى ذكر ان له عند الله قال بعضهم شهادة ان لا اله الا الله فى الدنيا وقال بعضهم

قدم عملا صالحا وقال بعضهم الصلوة وهو قول مقاتل وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال اتخذوا عند
الرحمن عهدا فان الله يقول يوم القيامة من كان له عندى عهد فليقم فقيل كيف هو قال اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك فى هذه الحيوة الدنيا انك ان لا تكلنى الى عملى يقربنى من الشر ويباعدنى
من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعله لى عندك عهدا تؤديه الى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ويرفعه
ابن مسعود هذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول كان اشبه ان ثبت الخبر وقوله عز وجل واتخذوا
من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا فان كان على حقيقة العز فهو فى القادة منهم والمتبوعين الذين عبدوا
تلك الاصنام والاوثان ليتعززوا بذلك ولا يذلون ويدوم لهم الرياسة التى كانت لهم فى الدنيا فظنوا انهم
ان آمنوا تذهب تلك الرياسة والماكلة عنهم ويحتمل قوله ليكونوا لهم عزا اى نصرا ومنعة فان كان هذا فهو
فى الرؤساء منهم والاتباع فى الدنيا فى الآخرة اما ما طمعوا بعبادتهم الاصنام النصر فى الآخرة وهو كقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله طمعوا بعبادتهم النصر والشفاعة فى الآخرة واما فى الدنيا ظنوا
ان آلهتهم التى اتخذوها وعبدوها ينصرونهم فى الدنيا حيث قالوا ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فكيف
ما كان فقد رد الله عليهم ما طمعوا منها عزا كان او نصرا يقول كلا لانهم اذلوا انفسهم لخشب وحجر ظهورهم
فكفى بذلك ذلا وصغارا وقوله عز وجل سيكفرون بعبادتهم قال الحسن سيكفر عبدة الاصنام فى الدنيا ومن عبدوه
فى الآخرة انهم ما كفروا وما عبدوها كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ينكرون
فى الآخرة ان يكونوا اشركوا فيه وغيره او عبدوا دونه وقال غيره من اهل التأويل سيكفر المعبودون
بالعابدين لهم ويتبرؤن منهم وهو كقوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وقوله فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون ونحوه وقوله عز وجل ويكونون عليهم ضدا قال بعضهم ضدا اى عونا وتأويل القول
هو ان يلقى تلك الاصنام معهم فى النار فيحرقون فيها معهم فيزداد لهم بها عذابا فكانت عونا على احراقهم
وعلى هذا يخرج قول من يقول الضد البلاء اى يكونون بلاء عليهم على ما ذكرنا وهو ما قال انكم وما تعبدون
الآية فاذا صاروا حطبا كانوا بلاء وعونا على احراقهم وقال بعضهم يكونون عليهم ضدا اى قرناء فى النار بعضهم
بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض ويخاصم بعضهم بعضا ويكذب بعضهم بعضا فذلك كله ضد ما طمعوا منها
لانهم عبدوها فى الدنيا رجاء ان يكون لهم شفعاء فى الآخرة ونصرا فكانوا لهم على ضد ذلك اعداء وقال
ابن عباس يكونون عليهم ضدا اى حسرة وكله واحد وقوله عز وجل الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
تؤزهم ازا قال بعضهم ارسلنا اى سلطنا عليهم كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه وقال بعضهم ارسلنا
الشياطين اى قيضناهم بهم كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو فى الحقيقة واحد لانه
اذا ارسلهم اتصلوا بهم فاذا اتصلوا بهم قيضوا وقرنوا بعضهم ببعض وقال الحسن وابو بكر الاصم وغيرهما ارسلنا
الشياطين على الكافرين اى خلينا بينهم ولم يمنعهم منهم ما ذكر لكن لو كان تأويل الارسال التخلية وتأويل
القيض كذلك لم يكن لتخصيص الكفار بذلك معنى اذ قد كان ذلك القدر من التخلية بينهم وبين المسلمين
ان كان تأويل التخلية انه لم يمنعهم منهم ولم يحل بينهم فدل تخصيص الكفار بهذا وامثاله ليس هو التخلية
لا غير وان تخصيص هؤلاء بهذا وامثاله من قوله طبع الله على قلوبهم وقوله جعلنا على قلوبهم اكنة ونحو
وان كان هنالك من الله معنى فى الكفار ليس ذلك فى المؤمنين وفى المؤمنين معنى ليس ذلك فى الكافرين
وهو والله اعلم اذا علم فى المؤمنين الرغبة والاجابة وفقهم على ذلك وهداهم واذا علم من الكفار خلاف
ذلك وضده خذلهم واضلهم فذلك تخصيصه اياهم بما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل تؤزهم ازا
قال بعضهم تزعجهم ازعاجا وقال بعضهم تشليهم اشلاء وتغريهم اغراء وقال الحسن تحركهم تحريكا وقال بعضهم
تقدمهم اقداما الى الشر وقال بعضهم تأمرهم امرا وقال بعضهم توقعهم ايقاعا ونحوه وكله واحد وقوله

عز وجل فلا تعجل عليهم اى لا تكافهم على اذاهم اياك ولا تعاقبهم انما نعد لهم عدا اى انفاسهم يتنفسون في الدنيا
فهى معدودة تنقضى آجالهم عن قريب فلا تكافهم على ذلك وما يستقبلونك بالمكروه والسوء ثم وجه ما ذكر
من ارسال الشياطين عليهم والتمكين لهم من الوسوسة في الصدور واعنى صدور المؤمنين والنزغ في دونهم من غير
ان يملكوا القهر والقسر على ذلك وما جعلهم بمحل لامزيهم بحق وهم يرونا على ما اخبر انه يريكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم فهو والله اعلم وذلك ان من علم بحضرته وقربه عدوا له يراقبه ويطلب الفرصة عليه يكون احذر واهيب
ممن لا يعلم ذلك ولا كان يقربه وحضرته عدو وعلى ذلك ما جعل الله عز وجل من الحفظة والكرام الكاتبين صلوات الله
عليهم على بنى آدم رقباء عليهم في قليل ما يفعلون ويتفوهون وكثيرهم وان كان قادرا على حفظ ذلك عليهم ولا يذكرهم
واحدا بعد واحد شيئا على اثر شئ وذلك لما ذكرنا ان من علم ان عليه رقيبا يراقبه ويكتب عليه كل قليل
وكثير كان احذر واهيب ممن لم يعلم ذلك على نفسه رقيبا والله اعلم وقوله عز وجل يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا اى الذين اتقوا مخالفة امر الله في كل ما لا يغلب عليهم لان المومن لا يرتكب المعصية الا لغلبة شهوة او لغلبة
رجاء الى مغفرة ربه وعفوه او توبة يصنعها بعد ارتكابها على هذا يكون ارتكاب المومن مخالفة ربه وقوله
عز وجل الى الرحمن اى الى ما وعدهم الرحمن من الثواب وقوله عز وجل وفدا الوفد في الشاهد هم اهل الكرامة
والمنزلة يبعثون لامور فكانه ذكر ان المتقين يحشرون وهم مكرمون معظمون ولهم منزلة عند الله وقدر
والله اعلم وقوله عز وجل ونسوق المجرمين الى جهنم وردا الوارد هو طالب الماء والورد الجمع فكانه قال
ونسوق المجرمين الى جهنم عطاشا طلاب الماء وعلى ما قاله اهل التاويل والمجرم قال ابو بكر الاصم هو الوثاب
في المعصية واصل الاجرام الاكتساب ولهذا قال بعض الناس في قوله لا يجرمنكم شنآن قوم اى يكسبنكم واصله
هو كسب الاثم وقوله عز وجل ونسوق المجرمين فيه انهم انما يساقون على كره منهم اذ ذكر في الكافرين السوق
وذكر في المومنين الجمع والحشر وقوله عز وجل لا يملكون الشفاعة الشفاعة انما تكون فيمن استوجب العذاب
والعقوبة فاما من لا عقوبة عليه مغفور الذنب فانه لا معنى لها ولا فائدة فهو يرد على المعتزلة مذهبهم لان صاحب
الكبيرة لا يغفر له وصاحب الصغيرة مغفور له فالشفاعة التى ذكر لا تخلوا ان تكون لاهل الكباير فيغفر لهم
بالشفاعة فيبطل قولهم او لاهل الصغاير فله تعذيبهم فكيف ما كان فهو يرد في قولهم اذ لا معنى لذكر
لذكر الشفاعة في المغفورين وقالوا ان الشفاعة في الشاهد ان يذكر محاسن الانسان عند آخر ليعرف
محاسنه ومناقبه ليكون له منزلة وقدر عنده لكن مثل هذا يجوز من يجهل ذلك ولا يعرف محاسنه
فاما الله سبحانه هو عالم بذاته يعلم حال كل احد فلا يحتمل ذلك وقوله عز وجل الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا قال بعضهم شهادة ان لا اله الا الله وقال بعضهم العمل الصالح وقال بعضهم الصلوة على ما ذكرنا
واصل العهد هو ان يشترط عليه شرط الوفاء حتى يفى بما شرط عليه وهو الوفاء بما امر به ونهى عنه
والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قال بعضهم الاية في مشركى العرب لانهم هم الذين
قالوا الملايكة بنات الله لكن اهل الكتاب قالوا ايضا قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
فهو في كل من قال ذلك ثم قوله لقد جيتم شيئا ادا يخرج على الاضمار وحين اخبر عنهم انهم قالوا اتخذ الله
ولدا ان قل لهم يا محمد لقد جيتم شيئا ادا اى عظيما منكرا او ان يكونوا لما قالوا ذلك اقبل عليهم فقال لهم
لقد جيتم شيئا ادا عظيما منكرا والله اعلم وقوله عز وجل تكاد السموات يتفطرن وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال بعضهم مثل هذا انما يقال على المبالغة في العظيم من الامور والنهاية
من الضيق والشدة على التمثيل يقول الرجل لآخر اظلمت الدنيا عليه وضاقت عليه الارض بما رحبت ونحوه
على الابلاغ في الضيق والشدة فعلى ذلك هذا ذكر على الابلاغ والنهاية في العظيم من القول الذى قالوا الله سبحانه
ثم جعل مثل ما قالوا في العظيم لله بما يعظم من المحسوسات في العقول وما ذكر من انفطار السموات وانشقاق

الارض وهد الجبال وهى اصلب الاشياء واشدها ليعرفوا اعظم ما قالوا فيه وهكذا يعرف الامور
الغايبة التى سبيل معرفتها الاستدلال بالمحسوسات من الاشياء والمشاهدات منها وجايز ان يكون ما ذكر من انشقاق
الارض وهد الجبال وانفطار السماء على حقيقة ما ذكر ان يكون فيها وان لم يشاهد ذلك منها ولم يحس كقوله
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وقال قايلون ذكر في اهل السموات والارض انهم يكونون كما ذكر بما قالوا
تعظيما لذلك وانكارا والله اعلم وقوله عز وجل وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا اى ما ينبغى له ولدا ان كل ما في
السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وفي الشاهد لا احد يتخذ الولد من عبيده فكيف ينبغى من له ملك السموات
والارض وكلهم عبيده ان يتخذ ولدا من عبيده ان يتخذ ولدا من عبيده او ما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا واسباب
الاولاد التى بها يتخذ الولد ليست فيه لان في الشاهد انما يتخذ الولد لثلاث وقد ذكرناه في غير موضع فان كان الله
سبحانه يتعالى عن ذلك كله لم ينبغ له ان يتخذ الولد وقال بعضهم في قوله الا آتى الرحمن عبدا في الآخرة اى كلهم
يقرون بالعبودة له يومئذ وقوله عز وجل لقد احصاهم وعدهم عدا يحتمل قوله احصاهم وعدهم عددا
من عدد انفسهم واحصا انه اى لا يخفى عليه شئ او ان يكون على الوعيد ان يحصى اقوالهم وافعالهم بما سلط عليهم
من الملايكة ما يراقبون ذلك منهم كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله كراما كاتبين قال ابو عوسجة
الضد الخصم والاد السوق الشديد وقوله شيئا ادا اى شديدا والورد اى يوردهم اياها اى يدخلهم
وقال الورد النصيب من الماء وقوله هدا اى صوتا يهدم اى يهدم وقوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يحتمل هذا وجوها ثلاثة احدها خاطب به اهل مكة انكم اذا آمنتم وعملتم
الاعمال الصالحات يرفع الله ما بينكم من التباغض والتعادى فيبدل مكانه المحبة والمودة كقوله واذكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم صاروا بالايمان اخوانا مؤلفة قلوبهم
بنعمة من الله وفضله والثانى يجعل لهم الرحمن ودا في الجنة اى ينزع عنهم ما في قلوبهم من غل وغش كقوله
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين والثالث سيجعل لهم الرحمن ودا في قلوب الانبياء
والاخيار واصحاب الدين لانهم انما ينظرون الى الانسان لدينه ولخلوص عمله لله وصفائه له لا الى الدنيا ولمحبوبه
ويجوز ان يكون على ما رويت الاخبار ان ثبتت روى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله
عبدا نادى انى قد احببت فلانا فاحبوه وكذلك هذا في البغض وقال كعب وجدت في التورية انه لم تكن محبة لاحد
من اهل الارض حتى يكون بدوها من الله تعالى ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وكذلك قال في البغض
ثم قال وكذلك وجدت في القرآن فقرا هذه الآية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا يحبهم ويحببهم الى المؤمنين في صدورهم فعلى هذا ان ثبت يجب ان يخاف المرء على نفسه اذا راى الناس
لا يحبونه ان يكون سوء عمله والله اعلم وقوله عز وجل فانما يسرناه بلسانك قال بعضهم يسرناه تبليغ
الرسالة على لسانه حتى بلغها الى الفراعنة منهم والاكابر الذين كانوا يقتلون من يخالفهم ويستقبلهم بغير الذى هم
عليه قولا وفعلا ويعاقبون على ذلك يسر ذلك عليه حتى بلغها الى امثال هؤلاء وقدر على ذلك من غير ان قدروا
على اهلاكه حيث اخبر انه عصمه منهم بقوله والله يعصمك من الناس وقال بعضهم يسره على لسانه
حتى قدر على التكلم به والنطق لانه كلام رب العالمين قال ابو بكر الاصم هذا لا يحتمل لانه انزله بلسانه
ولسان العرب فلا يحتمل ان لا يقدروا على التكلم بلسانهم وقال قايلون يسره على لسانه حيث جعله
بحيث يحفظونه ويقرونه عن ظهر قلوبهم ليس كساير الكتب المتقدمة انهم كانوا لا يقدرون على حفظها
والقراءة عن ظهر القلب والله اعلم وقوله لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وقال في آية اخرى
انما تنذر من اتبع الذكر وقال في آية اخرى لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين مرة ذكر النذارة للناس
جميعا ومرة للذين ظلموا خاصة ومرة للذين اتبعوا الذكر والاصل في النذارة والبشارة ان البشارة اذا كانت

خاصة لاحد فهي له على شرط الدوام على ذلك ابداً وفيها النذارة له ان لم يدم وكذلك النذارة الخاصة لاحد هي له ما دام مبذلك ملتزما فان تاب ويرجع عن ذلك فله فيها البشارة على هذا فيكون البشارة الخاصة والنذارة الخاصة يكون في كل واحدة منهما اخرى واما البشارة المطلقة هي بشارة لا يكون فيها النذارة وكذلك النذارة المطلقة لا يكون فيها البشارة على هذه الاقسام يخرج البشارة والنذارة والله اعلم **وقوله** عز وجل وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا يخوف به اهل مكة باهلاكه القرون الماضية في الدنيا بتكذيبهم الرسل لئلا يكذبوا محمدا كما كذب اولئك الذين من قبلهم فينزل بهم العذاب والهلاك كما نزل باولئك يقول لنبيه هل تحس منهم من احد اي هل ترى وتبصر منهم احدا اي لا ترى ولا تبصر منهم احدا او تسمع لهم ركزا قيل صوتا وقيل ذكرا اي لا يذكرون بعد هلاكهم الابسوء يحذر اهل مكة لئلا يكذبوا رسولهم كما كذب الذين من قبلهم الرسل فيكونون كما كان اولئك وصاروا امثالهم قال القتبي الالد جمع الد وهو الخصم الجدل والركز الصوت الذي لا يفهم وقال ابو عوسجة الالد هو شديد الخصومة هل تحس هل تراه ركزا اي ذكرا والركز ايضا الصوت وقال هذا اي صوتا اذا انهدمت وقال ابو معاذ وللعرب في البشرى ثلاث لغات بشرته بالتخفيف فانا ابشره وبشرته بالتشديد فانا مبشره وابشرته فانا مبشر والرجل مبشور ومبشر ومبشر وقوله وكلهم آتيه يوم القيامة فردا اي وحده ليس معه في دنياه شيء وقال الحسن قوما لدا قال صماصم اذان القلوب وقال بعضهم فجارا وقيل عوجا عن الحق واصله ما تقدم ذكره والله اعلم

سورة طه مكية وآيها مائة وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل طه قال بعضهم من اهل التاويل قوله طه يا رجل بالنبطية وقال بعضهم بالسريانية وقيل يا فلان هو اسم من اسماء الله وقيل حي وفي اسمائه ونحو ذلك وقد ذكرنا القول في الحروف المقطعة فيما تقدم في غير موضع **وقوله** عز وجل ما انزلنا عليك القرآن لتشقى لا يحتمل ان يكون هذا نزل على الابتداء من غير سبب ولا امر لكنه لم يبين السبب به نزل هذا فيحتمل ان يكون سببه وجوها احدها ما حمل نفسه من الشدائد والمؤن العظام واجهد نفسه في ذلك فنزل ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اي لتتعب به نفسك كقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اي تتعب الا ترى انه قال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى والثاني انه لما كف نفسه عن الشهوات ومنعها عن جميع ما تهواه من اللذات فقال اولئك الكفرة انه شقي حيث رآه لم يعط نفسه شيئا من شهواتها ولذاتها والثالث انهم قالوا ذلك لما راوا انه دعا الفراعنة والجبابرة الى دينه واتباعه واظهر لهم الخلاف واستقبلهم بما يكرهون وكانت عادتهم القتل واهلاك من يظهر لهم الخلاف فخاطر بذلك فعند ذلك قالوا انه شقي حيث يخاطر نفسه فقال ما انزلنا عليك القرآن لتشقى على ما يقول اولئك بل انزله عليك لتسعد حيث اخبر انه عصمه بقوله والله يعصمك من الناس وان لا يعيش ولا يذكر ذلك الامر والسبب الذي به نزل لانه لم يبين ولا حاجة بنا الى معرفة ما ذكر وهو قوله الا تذكرة لمن يخشى اي ما انزلنا عليك لتشقى بل انزلناه لتسعد وانزلناه ليتذكر به من يخشى كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب **وقوله** عز وجل الا تذكرة لمن يخشى اي عظة لمن يتقي ما به يخشى ويحتمل قوله لمن يخشى كل مؤمن لان كل مؤمن يعتقد في اصل ايمانه الخشية منه ولا تقا من نقمته وعذابه **وقوله** عز وجل تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى كان هذا نزل على اثر قول قاله اولئك الكفرة وهو ما قالوا انه ساحر وانه مفتر وانه شاعر وانه انما يعلمه بشر ونحوه فقال جوابا لقولهم تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ليس كما يقول اولئك انه سحر وانه مفتر وانما يعلمه بشر بل تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى والله اعلم **وقوله** عز وجل الرحمن على العرش استوى قال الشيخ رحمه الله

القول

القول بالكون على العرش وهو موضع بمعنى كونه بذاته او في كل الامكنة لا يعدو امن احاطة ذلك به او لاستوائه او مجاوزته عنه او احاطته فان كان الاول فهو اذا محدود محاط به منقوص عن الخلق اذ هو دونه ولو جاز الوصف له بذاته بما يحيط به الامكنة لجاز بما يحيط به الاوقات فيصير متناهيا بذاته مقصرا عن خلقه وان كان على الوجه الثاني فلو زيد في الخلق لا ينقص ايضا وفيه ما في الاول ولو كان على الوجه الثالث فهو الامر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من ان يتشيء عنه مع ما يذم ذا من فعل الملوك ان يفضل عنهم من المقاعد شيئا وبعد فان ذلك تجزيه بما كان بعضه ذي ابعاض وبعضه يفضل عن ذلك وذلك كله وصف الخلائق والله يتعالى عن ذلك وبعد فانه ليس في الارتفاع الى ما يعلو من المكان للجلوس شرف ولا علو ولا وصف بالعظمة والكبرياء لكن يعلو السطوح او الجبال لانه لا يستحق الرفعة على من دونه عند استواء الجوهر فلا يجوز صرف تاويل الآية اليه بل فيها ذكر العظمة والجلال اذ ذكر في قوله له ما في السموات والارض وما بينهما وصفه بالعظمة والسلطان له والقدرة فكذلك على تعظيم العرش اي شيء كان من نور او جوهر لا يبلغ علم الخلق واضافة الاستواء اليه لوجهين احدهما على تعظيمه بما ذكر على اثره ذكر سلطانه في ربوبيته وقدرته وخلقه ما ذكر والثاني على تخصيصه بالذكر بما هو اعظم الخلق واجله على المعروف من اضافة الامور العظيمة الى اعظم الاشياء كما يقال تم فلان ملك بلد كذا واستوى على موضع كذا لا على خصوص ذلك في الحق ولكن معلوم ان من له ملك ذلك فما دونه احق به وعلى ذلك قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية بما صار له ام القرى وايس الذين كفروا من دينهم وكذا ما ذكر من ارسال الرسل الى الفراعنة والى ام القرى لا لتخصيص ذلك ولكن يذكر عظم الامر فيشمله امر العرش وهو كقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وقوله امرنا مترفيها على الحق وغيرهم ويحتمل ان يكون على المنع بوصف المكان اذ هو على الامكنة عند الخلق ولا يقدر العقول شيئا فاشار اليه ليعلم علوه عن الامكنة وتعاليه عن الحاجة وعلى ذلك قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الآية والنجوى ليس من نوع ما يضاف الى المكان ولكن يضاف الى الاسرار فاخبر بعلوه عن الامكنة وتعاليه عن ان يخفى عليه شيء ثم بقدرته وقوته بقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي بالسلطان والقوة وبالوهيته في البقاع كلها لانها امكنة العبادة بقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ويملك كل شيء بقوله له ملك السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وبقوله له ملك السموات والارض ثم يعلوه وجلاله بقوله فوق كل شيء وهو بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير يجمع في هذه الاحرف ما فرق في تلك ليعلم انه بكل ما سمي به ووصف كان ذلك له بذاته لا بشيء من خلقه وكذلك عزه وشرفه ومجده جل ثناؤه عن الاشياه ولا اله غيره وقال بعضهم يريد بالعرش الملك اذ هو اسم ما ارتفع من الاشياء وعلا حتى سمي به السطوح ورؤس الاشجار والاستواء قيل فيه باوجه ثلاثة احدها الاستيلاء كما يقال استوى فلان على كورة كذا بمعنى استولى والثاني العلو والارتفاع كقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك وقوله اذا استويتم عليه اي علوتم والثالث التمام كقوله حتى اذا بلغ اشده واستوى اي تم واستحق وقد قيل بالقصد واني ذلك وجه بعض اهل الادب قوله ثم استوى الى السماء بمعنى خلق على التمثيل بفعل الخلق فيما يتلو فعلهم فعلا ان يكون بالقصد وان كان لا يقال له القصد ولا قوة الا بالله ثم الوجه في ذلك لو كان على الاستيلاء والعزيز الملك انه مستول على جميع خلقه وعلى هذا التاويل المحمول عن هذا يدل على الامرين قوله وهو رب العرش العظيم بمعنى الملك العظيم وفيه اثبات عروش غيره فذلك يحتمل ما يحمل ويحف به الملائكة والله الموفق واما على تاويل التمام والعلو فهو ان الله تعالى قال قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية فاخبر بخلق ما ذكر في ستة ايام على التفاريق ثم اجملها في موضع فقال ان ربكم الله الذي خلق السموات الى قوله ثم استوى بمعنى خلق المنتهى من خلق الارض والسموات فيهم ظهر تمام الملك

وعلا وارتفع اذ هم المقصودون من خلق ما بينا فبذلك تم معنى الملك وعلا اذ وصل الى الذين لهم خلقوا وقد قيل
ذلك في خلق البشر خاصة بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الاية وقوله لكم ما في السموات ونحوه وذكر
عن ابن عباس رضي الله ان البشر خلق اليوم السابع فيه التمام والعلو اذ خلق لهم كل شيء وهم لعبادة الله ولحق بهم
الجن بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الاية لكن المقصود البشر اذ تسخير ما ذكرت كله انما يرجع الى منافعهم
والله الموفق والاصل عندنا في ذلك ان الله عز وجل قال ليس كمثله شيء فنفى عن نفسه شبه خلقه وقد بينا انه في فعله
وصفته متعال عن الاشباه فيجب القول بالرحمن على العرش استوى على ما جاء به التنزيل وينفى عنه شبه للخلق
لما اضاف اليه واذ لزم القول في الله بالتعالي عن الاشباه ذاتا وفعلا لم يجز ان يفهم من الاضافة اليه المفهوم
من غيره في الوجود والله الموفق وقد ذكرنا هذا في غير موضع من القران وفي قوله له ما في الارض وما بينهما وما تحت
الثرى يوصف له بالسلطان والقدرة والملك على ما ذكرنا وفي قوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الوصف له
بالعلم في الغيب والسر والعلانية جميعا ليكونوا ابدا على حذر وخوف وتيقظ في جميع افعالهم واقوالهم وفي الاول
لتصير قواطعهم ورجاهم من الخلق الى خالقهم وان لا يطمع ولا يرجى غيره ثم اختلف في قوله وان تجهر بالقول
فانه يعلم السر واخفى قال بعضهم السر ما اسررت به الى غيرك واخفى ما اضمرته واكننته في نفسك لم تسر الى احد
وقال قايلون السر ما اسررت به وحدثت به نفسك واخفى ما علم الله انه كاين يكون ولم يكن بعد ولم تعلم به
وقال قايلون السر ما اسر في نفسه واخفى ما خطر في قلبه وهو لا يضبطه ونحو ذلك واصله في قوله وان تجهر بالقول
كانه يقول وان تجهر بالقول او تسر فانه يعلم السر واخفى والله اعلم وقوله عز وجل الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى قال ابو بكر الاصم اي وحدوا الله باسمائه فله الحسنى وهي الجنة وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل
وهل اتيك حديث موسى اذ راى نارا ظاهر هذا سؤال واستفهام لكن المراد منه الايجاب ثم اختلف في معنى
الايجاب قال الحسن وابو بكر قوله وهل اتيك اي لم ياتك حديث موسى وسياتيك ثم اخبر واعلمه بحديثه وبنبائه
وقال بعضهم هل اتاك اي قد اتاك حديث موسى لتخبرهم عما كان في كتبهم ليكون اية لنبوتك ورسالتك وقوله
عز وجل فقال لاهله امكثوا اني انست نارا قيل رايت نارا وقيل علمت نارا لعلي اتيكم منها بقبس ليس في هذه الاية
بيان ان موسى في اي حال وفي اي وقت لكن في موضع اخر بيان ذلك وهو ما قال فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس
من جانب الطور نارا هذا يدل انه كان في حال السير والسفر راى ذلك وقال في اية اخرى لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة
من النار لعلكم تصطلون فهذا يدل انه كان في ايام الشتاء والبرد حيث قال لعلكم تصطلون قال ابو عوسجة لعلي اتيكم
منها بقبس القبس النار والاقتباس النيران ويقال قبس يقبس قبسا اي جاء بالنار ويقال اقبسني نارا اي اعطني
نارا واقتبست ايضا تعلمت وهذا من ذاك لان العلم ضوء ويقال اقبستك اي علمتك واقتبست اي سالت النار
والعلم وقال القتبي انست نارا ابصرت ويكون في موضع اخر علمت كقوله فان انستم منهم رشدا اي علمتم منهم رشدا وقوله
عز وجل او اجد على النار هدى هذا يشبه ان يكون قد استقبلته الطرق فلم يعلم الطريق الذي له من غير
فقال لعلي اجد على النار هدى اي من يدلني ويرشدني على الطريق وان كان قد ضل الطريق وعدل عنه فقال عند
ذلك ما قال والله اعلم وقوله عز وجل فلما اتيها نودي اي نداء وحي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك قال
بعضهم انما امر ان يخلع نعليه لانهما كانا من جلد ميتة وقال قايلون امر بنزع نعليه ليمس قدماه بركة ذلك الوادي
او يصيبه من يمنه وقال بعضهم امر بذلك للتواضع والخضوع له لان لبس النعل يخرج مخرج المباهات فامر بذلك
الوادي ليكون اخضع له واكثر تواضعا والله اعلم بذلك ليس لنا ان نفسر ذلك انه لماذا امر بذلك اذ له ان يامر
بخلع نعليه لا لمعنى وليس لنا ان نقول امر لهذا او لهذا امر بذلك لمعنى اخر او لا لمعنى فيخرج ذلك مخرج الشهادة
على الله تعالى وقوله عز وجل انك بالواد المقدس طوى المقدس المطهر ولعله سماه مطهرا لما لم يعبد عليه سواه
ودونه وسماه مطهرا لمعنى خص به لفضل عبادة او غيرها على ما خص بقاعا بفضل عبادة تقام فيها نحو المساجد

واللحوم وغيره وقوله عز وجل طوى قال بعضهم هو من وطي الارض اي وطاء الوادي المبارك حافيا وقال
بعضهم طوى قد قدس مرتين وهو قول الحسن وقال بعضهم طوى يقول يطوى مسيرة نحو هذا قد قالوا لكن
الاصوب ان لا يفسر الا بعد حقيقة به لانه انباء كانت في كتبهم ذكرت لرسول الله ليكون له حجة ودلالة على رسالته
عليهم وفي التفسير خوف دخول الغلط فيه وتغيير فاذا تغير لم يصر له عليهم حجة ودلالة على رسالته كذلك كان
السكوت عنه اولى والله اعلم وقوله عز وجل وانا اخترتك اما بالرسالة والنبوة او باشياء اخر كقوله
واصطنعتك لنفسي الاية وقال في اية اخرى انه كان مخلصا اخلصه الله لنفسه باشياء وقوله عز وجل فاستمع
لما يوحى هذا يدل ان النداء الذي نودي كان نداء وحي وهو قوله فلما اتاها نودي وقوله عز وجل
انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وهو ظاهر كذلك امر رسله اول ما امروا بذلك وقوله عز وجل
واقم الصلوة لذكري قال بعضهم اقم الصلوة لذكري لتكون ذاكرا لي لان اكثر ما يذكر المرء ربه انما يذكر
في الصلوة لان الصلوة من اولها الى اخرها ذكر الله ولذلك سمى الصلوة مناجاة الرب وان يكون قوله
اقم الصلوة لذكري اي لتذكرني بها يا موسى وقال قايلون اقم الصلوة لذكري اي اتم الصلوة اذا انت نسيت
اذا ذكرتها وعلى هذا رويت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك وقرا هذه الاية ثبتت
وجايز ان يكون قوله اقم الصلوة لذكري اي اتم الصلوة لتستوجب بها ذكري وقال القتبي اقم الصلوة لذكري
اي لتذكرني فيها وقوله عز وجل ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال الحسن اكاد صلة كان قال ان الساعة اتية
اخفيها وفي حرف ابي بن كعب ان الساعة اتية اكاد اخفيها من نفسي ثم يحتمل قوله من نفسي وجهين احدهما
اخفيها من خلقي ولا يجب ان يفهم من نفسه ذاته بالاضافة اليه كما لم يفهم من قوله روحي وروحنا وهو اخفى
من النفس ذاته ولكن فهم منه خلقه فعلى ذلك لا يفهم من قوله من نفسي ذاته هذا يحتمل والله اعلم والثاني ان يكون
قوله اكاد اخفيها من نفسي اي من اخيار عبادي اي اخفيها من اخيار عبادي مع عظيم قدرهم ومنزلتهم عندي
من نحو الملايكة والانبياء والرسل اذ من عادة ملوك الارض انهم لا يكتمون سرايرهم من خواصهم بل يطلعونهم
على ذلك فاخبر عز وجل والله اعلم انه اخفاها من خواص عباده واخيارهم فكيف من دونهم فيكون اضافة
اياهم الى نفسه لعظيم قدر اولئك وفضل منزلتهم كقوله ان تنصروا الله ينصركم والله لا ينصر ولكن ان تنصروا
دين الله ينصركم او ان تنصروا اولياء الله ينصركم وكذلك قوله يخادعون الله والله لا يخادع ولكن يخادعون
اولياء الله ونحوه فعلى ذلك قوله اخفيها من نفسي اي من خواصي واخيار خلقي والله اعلم هذا على اسقاط
قوله اكاد وجعله صلة واما على اثبات اكاد فهو على وجهين احدهما يقال كاد اراد اي اريد اخفيها وهو معروف
باللغة والثاني كاد يقال قارب وهو سايغ في اللغة جار كاد على ارادة مقاربة كادت الشمس ان تطلع او تغرب
اي قاربت كدت ان اسقط اي قاربت والا لا يريد السقوط فاذا كان على هذا فهو قال على ذلك والله اعلم على التعظيم لها
اي قاربت ان اخفيها من نفسه فكيف من غيره وقال ابن عباس قريبا من هذا اي اكاد اخفيها من نفسي فكيف اعلنها لكم
اي لا اظهر عليها ابدا غيري فكانه استجاز الاخفاء في موضع الاظهار باللغة نحو ما قالوا في قوله واسروا الندامة
لما راوا العذاب اي اظهروا وفعل ما كان الاسرار في موضع الاظهار والكتمان فعلى ذلك را والاخفاء مستعملا في الامرين
جميعا وكذلك قال ابو عوسجة اخفيها اي اظهرها والله اعلم وقوله عز وجل لتجزى كل نفس بما تسعى اي لهذا
ما اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى لانها لو كانت ظاهرة يعاينها كل احد ويعلمها لما كان ذلك جزاء ولكن كان دفعا
لان الله يعاين كل انسان بما نزل بهذه النفس بما سعت من العذاب يمتنع هو عنه واذا راى كل احد ثواب هذا بسعيه
يرغب في مثله فيكون ذلك كله بمعنى الدفع لا بمعنى الجزاء فاخبر انه اخفاها للجزاء والمحنة لا للدفع والله اعلم
وقوله عز وجل فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها اي عن الايمان بها من لا يؤمن بها يعني الساعة والله اعلم
اي لا يصدنك عنها باسباب القاها اليك وقد يمتنع الانسان عن الشيء باسباب تعترض وشبه تستقبله ثم يقال

على منعه بالتصريح والافصاح والله اعلم اى لا يصدنك عن الايمان بها يعنى الساعة من لا يؤمن بها واتبع هواه فى التكذيب بها
بالشبهة والاسباب التى ذكرنا فتردى اى فتهلك لو صدك عنها فالخطاب وان كان لرسول الله فهو لكل احد من المؤمنين
على ما ذكرنا فى غير اى من القرآن فيما خاطب رسوله به وقوله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى اتوكأ عليها
الآية كان موسى صلوات الله عليه لم يفهم مراده بسؤاله اياه انه ما اراد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى ان يساله عن اسمها
او يساله عما له فيها فاجاب للامرين جميعا عن اسمها وعما له فيها حيث قال هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى
ولى فيها مآرب اخرى ثم قال الحسن انه والله كان يعلم ان فى يده عصا لكنه اراد ان يقرر عنده انه عصا لا حية ليريه
منها آية فيعلم ذلك وان يريد بذلك تنبيهه وايقاظه ليعلم انه وقت ما اخذها عصى فيعلم انها اذا صارت
كذا بالآية التى جعلها له لا انها كانت يومئذ كذلك حية والله اعلم قال القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى
ثم يحتمل جعلها حية وان الآية له منها لما ان قوم فرعون كانوا اهل بصر وحذق فى ذلك النوع من السحر فاحب
ان يريهم الآية والعلامة من النوع الذى كان لهم فيه بصر وحذاقة ليعلموا عجز وجاعن وسعهم وطوقهم
انها آية وعلامة سماوية وربوبية ولا بشرية اذ الاعلام التى جعلها الله آيات واعلاما لرسله على رسالتهم انما جعلها
ما كانت خارجة عن وسع البشر وطوقهم ليعلموا بذلك انها سماوية وربوبية لا بشرية سحرا ولا كهانة والله اعلم
ثم قوله خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى على ما كانت فى الحالة الاولى عصا كان موسى خاف حين
صارت حية وهو ما قال فى آية اخرى فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا فعند ذلك قال له خذها
ولا تخف واخبر انه يعيدها عصا على ما كانت والله اعلم وفى قوله وما تلك بيمينك يا موسى دلالة ان العصا
انما تمسك باليد اليمنى قال ابو عوسجة فتردى اى تهلك يقال ارداه اى اهلكه ويقال تردى الرجل اذا وقع
فى البئر او من فوق حائط ويقال رديته اى البسته الرداء وارتديت اى لبست الرداء وترديت مثله وقوله
اتوكأ عليها اى استعين بها على المشى وقوله واهش بها على غنمى اى اضرب الشجرة حتى ينتثر ورقها فتاكله غنمه
والهش الكريم والبش من البشاشة قال والمآرب الحوايج والارب ايضا الحاجة والآراب جمع ويقال اربت للشئ
فسمته وجعلته اربا اى قسما اى جزيئة اجزاء وفى قوله وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى دلالة ان الانسان
اذا استخبر عن شئ فان عليه ان يخبر المستخبر عما يستخبر على الاجابة له وان كان يعلم ان المستخبر له عن ذلك
عالم بذلك لان موسى كان يعلم ان ربه كان اعلم بما فى يده منه ولم يقل له حين استخبره اما فى يدى ربى انت اعلم به
منى ولكنه قال هى عصاى اجابة له وتعظيما لامره والله اعلم وقوله عز وجل واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء
من غير سوء آية اخرى وقال فى آية اخرى وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وكان فى هذا
تفسير الاول وقوله من غير سوء قال عامة اهل التاويل من غير سوء اى من غير برص كانهم ذهبوا الى ان
البياض فى الانسان اذا اشتد به حتى يخالف ساير بدنه لا يكون الا بالبرص لذلك قال من غير سوء اى من غير
برص بل آية اخرى سوى آية العصا وجائز ان يكون قوله من غير سوء اى من غير آفة وعيب بك واذى لان التغيير
اذا وقع فى بعض بدن الانسان لا يكون لعيب وآفة تحل به واخبر ان ذلك البياض ليس لآفة بك ولا عيب
فى بدنك ولا فيه اذى ولكنه آية لنريها منها والله اعلم وقوله عز وجل لنريك من آياتنا الكبرى قال قايلون
الآية فى اليد اكبر من العصا لان الآية فى العصا لان السحرة اولئك كان فى العصى والحبال لم يكن فى غيرها فاراهم آية فى غير
ما لهم فيه علم وبصر ليعلموا ان ذلك ليس بسحر ولكنه آية من الله اراها اياهم وجائز ان يقال ان آية العصا اكبر
من آية اليد لان اولئك كانوا اهل بصر وعلم فى السحر فى العصى فخروج عصى موسى عما احتمل وسعهم وما به
فيه بصر وعلم يدل على انما اتى موسى ليس هو بسحر ولكنه آية من الله لان فضل بصر الرجل وعلمه فى شئ انما يظهر
بمجاوزته فى ذلك عن اهل بصره فى ذلك النوع وعلمه لا يظهر ذلك على اهل الجهل فى ذلك فعلى ذلك امر عصا
موسى وجائز ان يكون قوله لنريك من آياتنا الكبرى التى ذكر فى آية اخرى وهو قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات

بينات فالآيات الكبرى هى التسع التى ذكر فى هذه الآية اذ كان لموسى آيات سوى التسع لكن التسع هى اكبر
او ان يكون ذلك لا على تخصيص آية دون آية بالكبر والعظم ولكن على وصف الكل بذلك كقوله وما نريهم من آية الا هى
اكبر من اختها هو على وصف آياته كلها بالكبر والعظم وهو كقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا هو على اثبات النفع
فى كل واحد منهما على ما فى الآخر فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى الطغيان هو المجاوزة
عن الحد والذى جعلت وكذلك كان فرعون قد تعدى وجاوز الحد فى كل شئ حتى ادعى لنفسه الربوبية حيث
قال انا ربكم الاعلى وقوله عز وجل قال رب اشرح لى صدرى ان موسى سأل ربه ان يشرح له صدره وذكر فى محمد
انه شرح له صدره بقوله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك ثم جائز ان يكون شرح صدرهم لتوسع ما حمل
عليهم من ثقل النبوة والرسالة ليتسع صدرهم لذلك ويقدروا على القيام بذلك والوفاء به او ان يكون سأله
شرح صدره لما كان الرسل يغضبون لله عند تكذيبهم قومهم حين دعوهم الى دينه ويحزنون على ذلك فيمنعهم
غضبهم وحزنهم عن القيام بتبليغ الرسالة كقوله قال رب انى اخاف ان يكذبون الآية اخبر انه يخاف عند تكذيبهم
قومه ضيق صدره وثقل لسانه فساله لذلك ان يشرح له صدره ويطلق له لسانه ويحتمل ما قاله بعض اهل التاويل
اشرح لى صدرى اى لين لى قلبى لان الانبياء قد يتحولون فى حال واحدة بشيئين متضادين بالغضب لله عند تكذيب
قومهم اياهم والرافة لهم والرحمة بما حل بهم بالتكذيب من العذاب فذلك امران متضادان خص الرسل بهما فجائز
ان يكون سأل ربه ان يشرح له صدره ليتسع له الامرين جميعا الغضب له والرحمة عليهم وقوله عز وجل ويسر لى امرى
يحتمل تبليغ الرسالة اليهم والقيام بهما او سأله التيسير بجميع ما امره به ونهاه عنه وقوله عز وجل واحلل
عقدة من لسانى يفقهوا قولى يحتمل ما ذكرنا انه اذا اشتد به الغضب يكل لسانه ويثقل حتى يمنعه عن النطق به
فيظن به ذلك العى انه لخوف صار كذلك وان يكون سأل ذلك لآفة كانت بلسانه ما كان يمنعه عن التكلم به
فساله ان يحل تلك الآفة والرتوتية التى كانت به واما اهل قول التاويل انه اخذ بلحية فرعون فلطمه فاراد ان يعاقبه
فقالت له امرأته انه لا يعقل ذلك لانه لا يعقل فاتى بطشت من جمر وطشت من حلى فهم ان يتناول من الحلى فاهوى جبريل
بيده الى الجمر فاخذه وجعله فى فيه فتلك الرتوتية التى سأله ان يحلها لذلك لكن ذلك لا يعلم الا بالوحى عن الله
انه كذلك والله اعلم وقوله عز وجل واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى سأل ربه ان يجعل اخاه معه وزيرا له
ويشاوره ويحمل عنه بعض ما حمل عليه من الاثقال اذ قيل الوزير هو الذى يحمل عن الملك بعض ثقل ما حمل وقوله عز وجل
اشدد به ازرى قال بعضهم قوى ظهرى وقال بعضهم اشدد به ازرى اى عونى وكذلك ذكر فى حرف حفصة
وقرأ بعضهم اشدد به ازرى على الخبر من موسى وكذلك فى قوله واشركه فى امرى واما قراءة عامة القراء فهو على الدعاء
والسؤال وقال ابو عوسجة اشدد به ازرى اى ظهرى ويقال الازر اى عنته ويقال توازروا اى تعاونوا واستوزرته
اى استعنت به ومن هذا اخذ الوزير وقال القتبى ازرى ظهرى ويقال آزرت فلانا على الامر اى قويته عليه فاما وازرته
فصرت له وزيرا واصل الوزارة من الوزر وهو الحمل كان الوزير يحمل عن السلطان بعض الثقل ويرفع عنه
وموسى سأل ربه ان يعينه باخيه ويقويه به فيما حمله وان يشركه فيما قلده من الرسالة والقيام بها فاجابه الله
لذلك حيث قال سنشد عضدك باخيك وقوله عز وجل كى نسبحك كثيرا يحتمل كى نسبحك كثيرا بالجماعة لان الصلوة
بالجماعة تتضاعف على الصلوة وحدها وان يعين بعضنا بعضا على التسبيح لك والذكر ونحوه وقوله عز وجل انك كنت
بنا بصيرا اى انك بضعفنا وعجزنا فيما حملتنا وقلدتنا بصيرا عالما والله اعلم وقوله عز وجل قد اوتيت سؤلك
يا موسى اى اعطيت ما سالت وكان سأله اشياء فاوتى فقوله وسؤلك ومسألتك لغات ثلاث كلها واحد وقوله
عز وجل ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى الآية يشبه ان يكون المنة حين نجاه فيما ابتلى
بالتردد واشتباه الطريق حتى قال انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فتلك المنة
الاخرى او ان يكون المنة التى ذكرها ما نجاه الله حيث قتل ذلك القبطى فاشتد له ذلك الخوف حتى بلغ الاياس

فتلك المنة التى ذكر وما ذكر من الوحى الى امه ان اقذفيه فى التابوت قال بعضهم مننا عليك مع النبوة مرة اخرى
ثم بين النعمة ثم قال اذ اوحينا الى امك ما يوحى الى اخر ما ذكر والى هذا ذهب اهل التاويل والا قد كان منه اليه من المنن
ما لا يحصى والله اعلم ثم الكلام فيما الهم امه والقى فى روعها ان تقذفه فى البحر انه يسع لهذا ان يفعل ذلك ويحل ولا اذ لك يجوز
ان يكون من الشيطان مثل هذا اخر ما قال لا غالب لكم اليوم من الناس الاية فلم يعرفوا وقت ما كلمهم بهذا هو شيطان او غيره
فعلى ذلك يجوز ان يلقى الشيطان اليها فكيف وسع لها ان تعمل ما عملت من الاخطار لكن يجوز ان يكون فى ذلك الالهام
وما القى اليها اية ومعنى عرفت بذلك ان ذلك من الله لا من احد سواه او ان يكون الله رفع الحجاب والموانع من قبلها
وصار لها ذلك كالعيان او صارت كالمضطر الى ذلك فوسع لها ذلك لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والقيت عليك
محبة منى قال عامة اهل التاويل القى عليه محبته فى قلب امرأة فرعون حيث قالت قرت عين لى ولك لا تقتلوه الاية
لكن القى محبته فى قلب امرأته وقلب فرعون ايضا حتى كان اشفقوا الناس عليه واحبهم بعد ما كان يقتل الولدان بسببه
ليجده ويظفر به يذكره عز وجل رحمة عليه ومنته له وهو المنة التى ذكر حيث قال ولقد مننا عليك مرة اخرى وقوله
عز وجل ولتصنع على عينى والصنع هو فعل الخير والمعروف اى لتصنع اليك المعروف والاحسان وقوله على عينى قال بعضهم
لتغتذى على حفظى بقال عين الله عليك اى كن فى حفظ الله وهو قول الحسن وقتادة وقال بعضهم لتربى على عينى
اى على علمى والاول اشبه وقوله عز وجل اذ تمشى اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله اى من يضمه يسمى كافل اليتيم
الذى يضمه ويحفظه وهو كقوله انه يكفل مريم اى يضمها ويحفظها فهذا يدل انه كان عندهم من احب الناس اليه
واشفقهم عليه حيث قال هل ادلكم على من يكفله والله اعلم وقوله عز وجل فرجعناك الى امك كى تقر عينها حيث قال لها
انا رادوه اليك وعدلها ان يرده اليها فرده وقوله عز وجل كى تقر عينها ولا تحزن اى يذهب حزنها الذى كان
لانها قد كانت حزينة بطرحها اياه فى اليم الا ترى انه قال ان كادت لتبدى به الاية هذا يدل ان قوله ولا تحزن
اى يذهب حزنها الذى كان لها وقوله عز وجل وقتلت نفسا فنجيناك من الغم يحتمل ان يكون الغم الذى اخبر
انه نجاه منه هو الخوف الذى كان به يقتل ذلك القبطى حيث قال انى اخاف ان يقتلون وقوله فخرج منها خائفا
يترقب ونجى او نجاه من انواع الغموم اذ كان له غموم وفى الاية دلالة ان لا قصاص يجب فى شبه العمد وان كان
الضرب بشئ لا نجاة فيه لان موسى صلوات الله عليه كانت له قوة اربعين نفرا على ما ذكر فانما لطمه لطمة فقضى عليه
ثم قال هذا من عمل الشيطان هذا يدل انه كان لا يحل له قتله ثم قال فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم
الظالمين سماهم ظلمة فلو كان يحل القتل ويجب القصاص لكان لا يسميهم ظلمة والله اعلم وقوله عز وجل وفتناك فتونا
قال بعضهم فتونا هو جمع فتنة اى فتناك فتنا وقال بعضهم وفتناك فتونا هو مصدر الفتنة اى ابتليناك ابتلاء
اى بلاء والفتنة فى البلايا والشدايد والغموم التى ذكر انه نجاه منها ويحتمل النعم والخيرات اذ لم يكن الانبياء فى جميع
الاوقات فى البلاء ولكن كانوا فى وقت فى بلاء وشدة وفى وقت اخر فى نعمة وخير او فتنة بهما جميعا على ما اخبر
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقوله عز وجل فلبثت سنين فى اهل مدين هذا والله اعلم من المنة
الذى ذكر حيث قال ولقد مننا عليك مرة اخرى ثم جئت على قدر يا موسى قال بعضهم بالنبوة والرسالة وقال بعضهم
هو موعودا وعلى قدر وقت المجئ فكيف ما كان ففيه انه يجئ العبد وذهابه وجميع سعيه يكون بقدر من الله وتقدير منه
وفيه انه يجعل الامور باسباب وان كان قادرا ان يجعل بغير اسباب وقوله عز وجل واصطنعتك لنفسى اى
اى اخترتك واصطفيتك لرسالتى ونبوتى فذكر نفسه لانه يامر يقوم باداء ذلك وقوله عز وجل اذهب انت واخوك
باياتى هو ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تنيا فى ذكرى اى لا تضعفا فى الدعاء الى دينى وتوحيدى وفى حرف عبد الله
ابن مسعود ولا تهنيا فى ذكرى فى البلاغ الى فرعون انه طغى امرهما ان لا يقصرا ولا يعجزا فى تبليغ الرسالة اليه والدعاء
الى دينه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا قال ابو عوسجة ولتصنع على عينى اى تربى بعينى
وسيل عن العين فقال العين العلم ههنا والعين فى غير هذا المال والعين الاديم المحزق والعين المصدر من عان يعين

فهو عاين والمفعول به معيون اذا اصابه بعين والعين الحقيقة كقولك هذا بعينه اى بحقيقته قال والعينة السلف
ومثله وقوله واصنع الفلك باعيننا اى بعلمنا على من يكفله اى يضمه ويضمنه وقال ابو عوسجة ثم جئت على قدر يا موسى
اى وقت المجئ واصطنعتك اى اخلصتك لنفسى ولا تنيا فى ذكرى اى لا تقصرا ولا تعجزا والله اعلم وقوله عز وجل فقولا له
قولا لينا لان القول اللين يكون اوقع واثبت فى القلوب وانجع واقرب الى الاجابة والقبول من القول الخشن البارد
وخاصة فى الملوك والرؤساء اذ طباعهم لا تحتمل ذلك ولا تنجع فيهم بل اكثر صولتهم من دونهم انما يكون عند استقبالهم
بالخلاف وبما يكرهون فامر عز وجل رسوله موسى وهرون ان يقولا له قولا لينا ويلطفا معاملته ليكون اوقع واثبت
فى قلبه وانجع ولذلك قال لعله يتذكر او يخشى قال الحسن كل لعل هو من الله فهو على الايجاب لانه قد تذكر وخشى حيث
قال لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الاية وحيث قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل لكن لم ينفعه ايمانه
فى ذلك الوقت لانه ايمان دفع واضطرار وقال بعضهم لعله يتذكر او يخشى فى علومكم فان كان على هذا فهو يحتمل الشك
وان كان على الاول فهو على الايجاب لا يحتمل الشك ثم اختلف فى القول اللين قال ابن عباس قال هو قوله هل لك الى ان تزكى
واهديك الى ربك فتخشى فوحد قال هذا القول اللين وعن الحسن قولا لينا اى قولا حقا قولا له ان لك معادا الرجوع
وقال بعضهم قولا لينا قول لا اله الا الله وقال بعضهم اى كنياه ونحوه واصله ما ذكرنا بديا وقوله عز وجل قالا ربنا اننا
نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال اهل التاويل قوله ان يفرط علينا اى يعجل بالعقوبة من قبل ان يسمع حجتنا او ان يطغى
يقتلنا بعد ما سمع الحجة منا وحاجنا ان يكون احد هذين فى الفعل والاخر فى القول ان يفرط علينا او ان يطغى ايهما كان لانه
قال فى الجواب لهما قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما فهذا يدل والله اعلم
ان قوله ان يفرط علينا او ان يطغى يرجع احدهما الى القول والاخر الى الفعل لانه قال فى وقت ذرونى اقتل موسى
وليدع ربه ونحوه والله اعلم وقوله لا تخافا يحتمل على نفى الخوف والامن منه كقوله ولا تحزن عليهم ليس على النهى عن الحزن
فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل اننى معكما فى النصر والمعونة لكم والذب عنكم والدفع اسمع ما يقول وارى ما يفعل
وقد كان كل منه اليهما النصر والمعونة لهما والدفع عنهما وقوله عز وجل فأتياه فقولا انا رسولا ربك يشبه ان يكون
قوله ولا تنيا فى ذكرى هذا اى لا تضعفا فى تبليغ الرسالة ولكن قولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل لا يحتمل
ان يكون ترك ما اتياه فقالا ان ارسل معنا بنى اسرائيل بل قد سبق منهما الدعاء الى توحيد الله والاقرار له بالالوهية
والربوبية فاذا ترك الاجابة فعند ذلك قالا له فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم هذا يحتمل وجهين احدهما
كانه كان يمنع بنى اسرائيل عن الاسلام وهم ارادوا الاسلام فقالا ارسل معنا بنى اسرائيل ولا تمنعهم عن الاسلام
او كان يستعبدهم فامر ان يستنقذهم من يديه كقوله ان عبدت بنى اسرائيل الا ترى انه قال ولا تعذبهم وقوله
عز وجل قد جئناك باية من ربك وهو ما قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقوله عز وجل
والسلام على من اتبع الهدى هذا يدل انه لا يبدأ بالسلام على اهل الكفر ولكن يبدأ باهل الاسلام وفيه ان تحية اهل
الاسلام هو السلام لا قول الناس اطال الله بقاك ونحو وقوله عز وجل انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى
كانه قال والسلام على من اتبع الهدى والعذاب على من كذب به وتولى والسلام هو اسم كل خير وبر وقال القتبى ان يفرط
علينا اى يعجل ويقدم وقال الفرط التقدم والمسبق وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض
وهو من السبق وكذلك قال ابو عوسجة ان يفرط علينا اى يعجل يقال فرط يفرط فرطا اى عجل وقال ولا تنيا فى ذكرى
اى لا تقصرا ولا تعجزا فى الابلاغ واصطفيتك اى استخلصتك لنفسى فانه يفهم من قوله لنفسى ذاته كيف يفهم ولتصنع
على عينى ما لم يفهم من الخلق ولا يتصور هذا وامثاله فى وهم احد الا من اعتقد التشبيه ولم يعرف ربه والا لو عرف ربه
حق معرفته لكان لا يتصور فى وهمه تشبيه الخلق به ولا تشبيهه بخلقه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وقوله
عز وجل قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال فى اية اخرى وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما الاية ورب المشرق والمغرب وما بينهما سأله عن ماهيته فاجابه موسى عن اثار صنعه

في خلقه وانه رب كل شيء ورب ما ذكر لم يجبه عما سأله من مائيته وكيفيته حيث قال فمن ربكما يا موسى فجوابه عن المائية ربنا فلان وانه كذا ففيه دلالة ان الله لا يعرف من جهة المائية والكيفية اذ لا مائية له ولا كيفية اذ هما وصفا الخلق فالله سبحانه يتعالى عن ان يوصف بشيء من صفات الخلق ثم يحتمل قوله اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وجوها احدها اعطى كل شيء صورته وهيأته او ان اعطى كل شيء جنسه وشكله او اعطى شيء خلقه ما به معاشه وقوامه ان يقال اعطى كل شيء يكون صورة ما قد كان معاشه وقوامه ليعلم انه قادر على بعثهم على الصورة التي كانت وقوله عز وجل ثم هدى فهو على قوله اعطى كل شيء ثم هدى فان كان تأويل اعطى كل شيء صورته وهيأته فقوله ثم هدى للنجاة وان كان اعطى جنسه وشكله ثم هدى للنسل وان كان قوله اعطى كل شيء ما به معاشهم وقوامهم ثم هداه لما يتعيشون به ويقومون به وهداه لما يصلح لهم وما لا يصلح لهم والله اعلم وقوله عز وجل قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب قال بعضهم انما سأل فرعون موسى عن القرون الاولى لانه سمع من ذلك الرجل المؤمن حين قال اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ولم يكن لموسى بهم علم فوكل علمهم الى الله ثم ان الله علمه التوراة فبين له فيها امرهم وقال بعضهم سأل فرعون موسى ذلك لان موسى اخبر انه بعث وحذر على ذلك فعند ذلك قال فما بال القرون الاولى لم يبعثوا منذ هلكوا فقال له ما قال وقال بعضهم قوله فما بال القرون الاولى انما سأله عن حال القرون الاولى فقال علمها عند ربي اي اعمالهم عند ربي في كتاب كقوله كتاب مرقوم وقوله سائق وشهيد وقوله في كتاب قال بعضهم الكتاب الذي كتبت فيه اعمالهم وقال بعضهم في اللوح المحفوظ لا يضل ربي ولا ينسى قال هو واحد لا يضل ولا ينسى ذلك الكتاب وقرئ لا يضل ولا يضل من ختم بالهدى ولا يضل اي لا يضل ذلك الكتاب الذي ذكر ليس انه يرجع الى قوله لا يضل ربي وقوله عز وجل الذي جعل لكم مهادا هو على قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا والذي سلك لكم فيها سبلا والذي انزل من السماء ماء يذكر نعمه التي انعمها عليهم يقول جعل لكم الارض بحيث تفترشون وتعيشون فيها وتقرون عليها بعدما كانت تميد بكم وسلك لكم فيها سبلا اي طرقا لتسلكون فيها وتختلفون الى البلدان النائية في حوائجكم وما به معاشكم ما لولا ذلك ما قام معاشكم ولا قضيت حوائجكم وانزل من السماء ماء فاخرجنا به اي بالماء ازواجا من نبات شتى ما به معاشكم وقوامكم وقوام انعامكم على اختلاف ما جعل لكل دابة من ذلك قوة وغذاء لم يجعل ذلك لغيرها لان من الدواب ما يأكل النبات ومنها ما يأكل الحب ومنها ما يأكل اللحم ونحوه كلوا وارعوا انعامكم اي كلوا انتم ما به قوامكم وارعوا انعامكم فيها به قوامها ان في ذلك لآيات لاولي النهى قال بعضهم لاولي النهى اي لاولي العقول وقال الحسن ان في ذلك لآيات للذين يتناهون عما نهوا عنه وقال بعضهم لاولي الورع واولي النهى هم اهل العقول لانه بالعقل ينهى وبه ينتهى وبه يؤتمر فذلك آيات لهم وكذلك قال القتبي لاولي النهى اولي العقول وقال النهية العقل وقال بعضهم فما بال القرون الاولى اي ما حالها يقال اصلح الله بالك اي حالك وقوله عز وجل منها خلقناكم وفيها نعيدكم يحتمل قوله منها خلقناكم وجوها احدها منها خلقنا اصلكم وهو خلق آدم لكنه اضاف خلقنا اليه وان لم يخلق منها كما اضاف الانسان الى النطفة وان لم يكن الانسان منها لكنه اضاف اليها لانها اصل الانسان فعلى ذلك اضافة خلق انفسنا الى الارض والثاني نسبنا اليها لانا من اول ما ننشأ الى آخر ما ننتهي اليه يكون قوامنا ومعاشنا من الخارج من الارض فنسب خلقنا اليه وهو ما قال قد انزلنا عليكم لباسا واللباس على هيئته ما هو لم ينزل من السماء لكنه اضافه اليه لانه كان باسباب من السماء واصل منه وقال بعضهم ذكر ان الملك ينطلق فيأخذ من تراب ذلك المكان الذي يدفن فيه الانسان فيذره على النطفة التي قضى الله منها الولد فيخلق من التراب والنطفة فذلك معنى الاضافة اليها لكن هذا سمعي لا يعرف الا بالخبر فان ثبت فهو هو والا لا يجوز ان يقال ذلك رأيا وقوله عز وجل وفيها نعيدكم يحتمل قوله فيها نعيدكم اذا متم اي تقبرون فيها فيخرج مخرج الامتنان علينا وذلك لخاصة دون غيرنا من الحيوان لئلا يتأذى بهم كقوله ثم اماته فاقبره او ان يكون قوله وفيها نعيدكم اي تصيرون ترابا اذا متم فيخرج قدرته وسلطانه اي من قدر على ان صير الانسان ترابا بعدما ان لم يكن ترابا لقادر على ان يصيره انسانا على ما كان بعدما صار ترابا

وهو ما

وهو ما قال ومنها نخرجكم تارة اخرى اي منها نبعثكم وننشئكم مرة اخرى والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اريناه آياتنا كلها ولم يره جميع آياته انما اراه بعض آياته لكن ان كان المراد منها الاعلام له فقد اعلم له الآيات كلها لانه اذا اراه آية ولحق او بعضها تدل على اعلام غيرها من الآيات فهو على الاعلام قد اعلمه كلها وهو ما قال له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض علم اللعين انها الآيات وليس بسحر وان يكون يريد بالآيات كلها الآيات التي ارسلها الى موسى فقد اراه ذلك كلها فكذب بتلك الآيات وابى ان يصدقها ويقبلها فيسلم وقوله عز وجل قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى قد علم اللعين انه لم يجيئهم ليخرجهم من ارضهم ولكنه يريد منهم الاسلام لكنه اراد ان يغري قومه عليه كقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فهذا اغراء منه قومه عليه وقوله عز وجل فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال بعضهم سوى المكان الذي نحن فيه لان وغير هذا المجلس وقال بعضهم مكانا عدلا لا نخلفه نحن ولا انت ذلك المكان وقال بعضهم مكانا سوى اي منصفا وقال القتبي مكانا سوى وسطا بين فريقين وقال الكسائي سوى وسوى يريد به سواء وهما لغتان الا انه يقرأ سوى وقال ابو عبيدة هو مثل طوى وهو النصف وقوله عز وجل قال موعدكم يوم الزينة قال بعضهم يوم عاشوراء وقال بعضهم يوم العيد وقال بعضهم يوم سوقهم لكنا لا نعلم ذلك وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة وهم قوم قد عرفوا ذلك حيث رضوا بذلك ولم يتنازعوا فيه وقوله عز وجل وان يحشر الناس ضحى بينوا اليوم وبينوا الوقت وهو وقت الضحى وان يحشر الناس ضحى قال بعضهم اي نهارا جهارا كقوله ان يأتيهم بأسنا ضحى نهارا يعني جهارا وقوله عز وجل فتولى فرعون اي اقبل على امره وجمع كيده ليس على الاعراض عما دعوا اليه ثم اتى بهم وهو كقوله واذا تولى سعى في الارض اي اقبل على السعي في الارض بالفساد وقوله عز وجل قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا هذا يحتمل وجهين احدهما لا تفتروا على الله كذبا فيما بان لكم الحق وظهر لكم الحجة باتخاذكم فرعون الها لانكم اذا اتخذتم دونه سواه الها [illegible] فقد افتريتم عليه والثاني لا تفتروا على الله كذبا فيما بان لكم الحق وظهر لكم الحجة فلا تفتروا على الله كذبا بقوله انكم سحر وانه كذا وقوله عز وجل فيسحتكم بعذاب برفع الياء ونصبها جميعا فيسحتكم قال ابو معاذ يقال اسحته وسحته وفيهما لغتان قال اهل التأويل اي يهلككم ويستأصلكم بعذاب ثم يحتمل ذلك العذاب في الدنيا وعدهم بعذاب يأتيهم اذا افتروا على الله كذبا بعدما بان الحق وظهر لهم البرهان والحجة وقوله وقد خاب من افترى في الدنيا والآخرة وقوله عز وجل فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قال بعضهم قوله فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى اي السحرة فيما بينهم سرا من فرعون فذلك قوله واسروا النجوى من فرعون فقال لهم ان هذان لساحران يعنون موسى وهرون وقال بعضهم فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى من موسى وهرون فنجواهم ان قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما والاشبه هذا انهم اعتزلوا قومهم واسروا النجوى عنهم فيما بينهم انهما كذا ثم قوله ان هذان بالالف قال ابو عبيدة هذه لغة قوم من العرب يقال مررت ورأيت رجلان فهو على تلك اللغة وقال بعضهم ان هذه الالف لا تسقط في الوحدان حال يقال مررت بهذا ورأيت هذا ونحوه فهو كالاصل لا يحتمل السقوط في الاحوال كلها في الوحدان والتثنية وقال بعضهم ان هذان لساحران اي نعم هذان وذلك لغة قوم ايضا يقولون ان مكان نعم كقول القائل في لحى بيته فقلت انه اي نعم وقال بعضهم لا ولكن هذا خطأ من الكاتب وكذلك روي عن عثمان انه لما نظر في الكتاب فقال اني ارى فيه خطأ سيقومها العرب بالسنتها او نحو هذا وقوله عز وجل يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما هذا القول انما اخذ من فرعون حيث قال يريد ان يخرجكم من ارضكم الآية وقوله ايضا حيث قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى علم فرعون ان ذلك ليس بسحر لكنه اراد ان يغري قومه عليه لئلا يتبعوه وقوله عز وجل ويذهبا بطريقتكم المثلى اختلف فيه قال الحسن قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بعيشكم امثل العيش لانهم كانوا جبابرة وفراعنة وكان بنو اسرائيل لهم خدما وخولا يستخدمونهم ويستعملونهم في حوائجهم فكان تعيشهم بهم فقال ويذهبا بطريقتكم المثلى اي يذهبا بدينكم ومذهبكم الامثل لانه يقولان الذي يدعوهم هو اليه هو الرشاد وان الذي يدعوهم

موسى اليه هو باطل وانه سحر وفساد كقوله ذروني اقتل وليدع ربه انى اخاف ان يبدل دينكم او
وان يظهر في الارض الفساد وحيث قال وما اهديكم الا سبيل الرشاد وحيث قالوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض ويذرك والهتك ونحوه يدعى ان ما يدعوهم اليه هو الرشاد وان الذى يدعوا موسى اليه السحر والفساد
وقال بعضهم قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى اى خياركم واشرافكم والامثل الامثل منكم قال القتبي فيسحتكم
اى يهلككم ويستاصلكم يقال سحته الله واسحته وقال ويذهبا بطريقتكم المثلى اى الاشراف ويقال هؤلاء
طريقة قومهم اى اشرافهم اشتقاق الطريقة من الشريف ويقال اراد بسنتكم ودينكم والمثلى مؤنث امثل مثل كبرى
واكبر فاجمعوا كيدكم اى حيلتكم وقال ابو عوسجة بطريقتكم المثلى اى بدينكم الافضل وهو من الامثل وقال ابو عبيدة
ثم ايتوا صفا اى مصلى والصف المصلى وقال حكى عن بعضهم انه قال ما استطعت ان اتى الصف اليوم اى المصلى وقال
القتبي صفا اى جميعا وكذلك قال غيره من اهل التاويل وقوله من استعلى اى غلب **وقوله** عز وجل فاجمعوا
كيدكم حرف الاجماع يستعمل في العزم مرة والاجتماع ثانيا اما في العزم فما ذكر في الخبر لا صوم لمن لم يجمع رايه
من الليل اى لمن لم يعزم عليها وروى في الخبر لا صوم لمن لم يعزم من الليل واما الاجتماع ظاهر فان كان على الاجتماع
فكانه قال فاجتمعوا على عمل واحد لا تختلفون فيه وعلى العزم اى عزموا شيئا واحدا او اقصدوا امرا واحدا كى تغلبوا
ثم ايتوا صفا قال بعضهم جميعا غير متفرقين وقال بعضهم ثم ايتوا صفا اى المصلى الذى كان موعودا لاجتماع
وهو يوم الزينة **وقوله** عز وجل وقد افلح اليوم من استعلى قيل من غلب كقوله ان فرعون علا في الارض
اى غلب وجائز ان يكون قوله استعلى اى طلب العلو واراد ان يسعد بما وعد فرعون للسحرة من الاجر ان كانوا هم
الغالبين كقوله ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين فذلك هو ما طلبوا منه
فاخبر انهم يظفرون بذلك هذا اذا كان القول من فرعون والله اعلم **وقوله** عز وجل قالوا يا موسى اما ان تلقى
واما ان نكون اول من القى قال بل القوا انما قال لهم بل القوا بامر من الله واذن منه **وقوله** عز وجل فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه اى الى موسى من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى اى وقع في قلبه الخوف
وخاف اذ صنع القوم ما صنعوا من السحر ثم يحتمل ذلك الخوف منه وجهين احدهما خاف على ما طبع البشر عليه من خوف
الطبع لا خوف غلبة لانه قال لهم ما جئتم به السحر ان الله سيبطله كان يعلم صلوات الله عليه ان تمويهات السحرة
لا تبطل حجج الله واياته فذلك انه خاف خوف الطبع والجبلة لا خوف القهر والغلبة او ان يكون خوفه لما اخذ
سحرهم اعين الناس خاف موسى ان يمنعهم ذلك عن ان يبصروا ما جاء هو من الاية والبرهان وقال بعضهم خاف
ان يشكوا فيه فلا يتابعوه ويشك فيه من تابعه وهو ما ذكرنا قريبا منه والله اعلم **وقوله** عز وجل قلنا لا تخف
انك انت الاعلى اى الغالب فان كان الخوف الذى ذكر خوف طبع وما جبل عليه المرء فيكون قوله لا تخف على تسكين
القلب وتثبيته وان كان الثانى فهو على البشارة له والاخبار على ان يمنع سحرهم اولئك عن ان يبصروا ما تاتي به من الاية
والله اعلم **وقوله** عز وجل والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا هذا يدل ان سحر اولئك انما صار سحرا بعد
ما القوا ما في ايديهم لم يكن سحرا وقت كونه في ايديهم وكذلك عصى موسى انما صارت اية وحجة بعد ما القاها لم يدع
لم تكن وقت كونها في يده كذلك حيث قال والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا اى تلقم وتاكل ما صنعوا انما صنعوا كيد
ولا يفلح الساحر حيث اتى اى لا يفلح الساحر حيث اتى بسحره والا فقد افلح سحرة فرعون وفي حرف ابن مسعود اين اتى
وقال بعضهم حيث كان وحيث لغتان وهو قول الكسائي **وقوله** عز وجل فالقى السحرة سجدا قالوا امنا
برب هرون وموسى لانهم عرفوا حقيقة ما اتى به موسى فعلموا انه سماوى وانه اية ليس بسحر فامنوا ايمانا لم يرتابوا
فيه قط وهذا يدل ان كل ذى بصر وعلم في شئ ذلك الشئ من غيره حيث لم ينظروا الى ما اتى به موسى وعاينوا
وقتا فيه ينظروا بل لسرعة معرفتهم ذلك لم يملكوا انفسهم بل القوا على وجوههم على ما اخبر حيث قال
فالقى السحرة ساجدين وسجدا وقال القتبي فاوجس في نفسه خيفة موسى اى اضمر خوفا وقال غيره وقع في قلبه

حيث اتى حيث كان وقال ابو عوسجة يخيل اليه اى يظن يقول يخيل الى اى يرينى فهمى وعلى ان هذا لشئ كذا
وكذا فاوجس اى احس تلقف وتلقم واحد **وقوله** عز وجل قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم
السحر قال بعضهم يعنى موسى وقال بعضهم كبير السحرة الذى علم غيره السحر وقال في اية ان هذا لمكر مكرتموه
في المدينة لتخرجوا منها اهلها الاية قد علم فرعون ان ذلك ليس بسحر ولا مكر مكروا به لكنه اراد ان يموه على قومه
ويلبس عليهم امر موسى وما جاء من الايات والحجج لانه هو الذى رباه ونشاه بين ظهرانيه واهله فعلم انه لم يتعلم
السحر من احد لما فارقه وخرج من عندهم الى مدين لم يكن هنالك ساحر يتعلم من السحر لكنه اراد التمويه والتلبيس
على قومه وكذلك اهل مكة حيث نسبوا رسول الله الى السحر والكهانة والافتراء والجنون وغيره علموا انه ليس بساحر
ولا كاهن ولا مجنون ولا مفتر لانه نشا بين اظهرهم صغيرا لم يوخذ عليه كذب قط على احد من الخلائق فكيف
على الله تعالى ولا راوه اختلف الى احد من السحرة والكهنة في تعلم ذلك لكنهم ارادوا بذلك التمويه والتلبيس على الناس
لئلا يتبعوه ولا يجيبوه الى ما دعاهم اليه من دين الله وتوحيده ثم الرسل صلوات الله عليهم لو لم يكن معهم الايات
والمعجزة ولا الحجج النيرة كانت انفسهم وما عليه طبعوا من السيرة الحسنة والاخلاق الكريمة الجميلة وما اختاروا
من الامور العظيمة الرفيعة دالة على رسالتهم ونبوتهم فكيف وقد جاؤا بالايات المعجزة والبراهين النيرة وما طبع
السحرة من السيرة المذمومة والاخلاق الدنية والامور الخسيسة يدل على كذبهم وافتعالهم فكيف اشكل عليهم
معرفة السحر من الرسالة والتمويه من الحجة لكنهم ارادوا بذلك ما ذكرنا من التمويه على قومهم والله اعلم **وقوله** عز وجل فلاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل يشبه ان يكون هذا الوعيد منه في وقتنا وعدم اولا
بقطع اليد والرجل من خلاف على الابقاء رجاء ان ينتهوا عما اختاروا فاذا لم ينتهوا عنده فعند ذلك وعدهم بالقتل
والصلب اذ في القتل والصلب اتلاف ما دونه من الجوارح فان كان على هذا ففيه ان كل احد يراد به الابقاء فانه
لا يؤتى على الجوارح كلها والقطع في السرقة قد يراد به الابقاء لذلك لا يؤتى على الجوارح كلها وكذلك قطاع الطريق
اذ يراد به الابقاء لم يزد على قطع اليد والرجل من خلاف **وقوله** عز وجل اينا اشد عذابا وابقى لو ذاق اللعين
شيئا من عذاب ربه لم يقل مثل هذه المقالة ولولا ما عرف من حلم ربه والا لم يتجاسر ان يتكلم بمثل هذا ولو علم
ان عذابه اشد من عذاب الله **وقوله** عز وجل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات اى لن نؤثرك بالربوبية
والعبادة لك والطاعة على ما جاءنا من البينات على ربوبية الله والوهيته وعبادته **وقوله** عز وجل
والذى فطرنا قال بعضهم لن نؤثرك ايضا على الذى خلقنا لكن غيره كانه اشبه وهو ان قوله والذى فطرنا
على القسم اى بالذى فطرنا كانهم ايأسوه عن العود الى عبادته وخدمته **وقوله** عز وجل فاقض ما انت قاض
ليس على الامر لكن على الاياس عن ذلك اى انك وان فعلت بنا ما اوعدت فانا لا نؤثرك **وقوله** عز وجل انما تقضى
هذه الحيوة الدنيا اى انما تقضى في هذه الحيوة الدنيا **وقوله** عز وجل انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما
اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى يحتمل قوله والله خير معبود وثوابه ابقى من ثواب غيره
او ان يكون هذا جواب قوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى فيقول عذاب الله ابقى والله اعلم قال ابو عوسجة
جذوع النخل سوق النخل واصله **وقوله** عز وجل انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى
ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى اصل هذا والله اعلم انه من قبل من الله
حيوته بالشكر وطيبها بالاعمال الصالحات طيب الله حيوته وعيشه في الاخرة ومن لم يقبل حيوته من الله
بالشكر في الدنيا بل كفرها وخبثها وقبحها بالاعمال القبيحة الخبيثة الدنية خبث حيوته في الاخرة وعيشه **وقوله**
عز وجل فاولئك لهم الدرجات العلى الدرجات هى ما يرتفع ويعلو والدركات ما يستفل وينحدر في الارض
والدرجات للمؤمنين في الاخرة لاختيارهم في الدنيا الاعمال الصالحة الرفيعة العالية فعلى ما اختاروا
في الدنيا من الاعمال الرفيعة العلوة فلهم في الاخرة مقابل ذلك الدرجات العلى واما الدركات فهى لاهل الكفر

مقابل ما اختار وانفد الدنيا من الاعمال الدنية للجنيشة واخزاهم كمثل من زرع بدرا لشوك لم يحصد برا فقط

وقوله عز وجل وذلك جزاء من تزكى اى ذلك الذى ذكر جزاء من اصلح عمله وانماه والزكوة هى النما فى اللغة وقوله

عز وجل ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى وهو السير بالليل وقوله عز وجل فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا

اى اضرب بعصاك البحر لجعل لهم طريقا فى البحر يابسا كقوله فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق الاية

وقوله عز وجل لا تخاف دركا ولا تخشى اى لا تخاف لحوق فرعون وجنوده ولا تخشى غرقا بالبحر ليس على النهى

ولكن على رفع الخوف عنه وكلامن عن ان يدركهم ويلحقهم الا ترى انه قال كلا انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين

وقوله عز وجل فاتبعهم فرعون بجنوده دل قوله بجنوده على ان كان معه جنود لا جند واحد واما العدد فانهم كانوا

كذا كذا الفا وقوم موسى كذا كذا الفا فذلك لا يعلم الا بالخبر وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل فغشيهم

من اليم ما غشيهم اى من الغرق والهلاك وقوله عز وجل واضل فرعون قومه وما هدى قال بعضهم واضله

فرعون قومه وما هداهم حيث قال وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقيل اضل قومه وما هدى نفسه وقال بعضهم

وذلك جزاء من تزكى اى آمن وذلك انه بالايمان تزكوا الايمان وتنموا به يثاب عليها ويوجر وقال القتبى لا تخاف

دركا اى لحاقا وقوله فاتبعهم فرعون بجنوده اى لحقهم وقوله عز وجل يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم هذا

خبر يخبر عما انعم عليهم ومن على اوائلهم وآبائهم من حضر رسول الله يذكر هولاء بما انعم ومن على اولئك

والا لم يكن هولاء يومئذ وفيه تذكير النعم والمنن على الصحابة فى اواخر امورهم لانه آمنهم فى آخر امرهم من عدوهم

وايأسهم عن عود هولاء الى دينهم وفيه تذكير لنا فيما انعم علينا ومن فى اوائل امورنا وآخرها السل لتذكير لبنى اسرائيل

خاصة ولكن لنا ولكل من انعم عليه وقوله عز وجل وواعدناكم جانب الطور الايمن لسنا ندرى ان الايمن هو اسم

ذلك الجبل او سماه الايمن ليمنه وبركته وقال عز وجل فى آية اخرى فلما اتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن هو

او سماه الايمن بيمن موسى عليه السلام فان كان من اليمن والبركة فهو كذلك كان لانه به كان بدو وحى موسى

عليه السلام وقوله عز وجل ونزلنا عليكم المن والسلوى يذكر هولاء ما وسع على اوائلهم من الرزق وخصهم

يستادى بذلك الشكر على ما انعم عليهم وذلك تذكير لنا ولمن وسع عليه ذلك اذ لم يزل علينا يوسع الرزق

من اول عمرنا الى آخره وقوله عز وجل كلوا من الطيبات ما رزقناكم اى قلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم

ثم يحتمل وجهين احدهما ان يكون قوله طيبات ما رزقناكم اى من حلالات ما رزقناكم فان كان على هذا ففيه

دلالة ان قد يرزق ما ليس بحلال والثانى من طيبات ما رزقناكم اى ما تطيب به انفسكم ففيه دلالة انه يجوز لنا

ان نختار من الاطعمة ما هو اطيب ان كان غيرها ما تستطيب به الانفس وقوله عز وجل ولا تطغوا فيه الطغيان

هو المجاوزة عن الحد والتى جعلت اى لا تطغوا فيما رزقكم من الطيبات وتجعلونه فى غير ما جعل وتجاوزون

عن القدر الذى جعل وقوله عز وجل فيحل عليكم غضبى برفع الحاء والخفض جميعا يحل ان ينزل عليكم

غضبى ويحل بالرفع يجب وقوله ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى قيل هوى هلك اى من يجب عليه عذابى

فقد هلك وكذلك قال القتبى هوى اى هلك يقال هوت امه اى هلكت وقيل فقد هوى اى سقط فى النار

يقال هوى فى موضع كذا وقوله عز وجل وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى يحتمل قوله

غفار لمن تاب عن الشرك ورجع عنه وآمن بتوحيده وعمل صالحا فيما بين ذلك ثم اهتدى فحفظ امره

وانتهى عما نهى والثانى غفار لمن تاب عن جميع المناهى وآمن بجميع ما امر وقوله ثم اهتدى اى دام على ذلك

وثبت كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله عز وجل وما اعجلك عن قومك يا موسى قال بعضهم

ان موسى صلوات الله عليه خرج بنفر من قومه الى الجبل لياخذ التوراة فعجل حتى خلفهم وتركهم وراءه

فعند ذلك قال له ربه وما اعجلك عن قومك يا موسى وقال بعضهم لم يخرج بنفر ولكن خرج وحده

وترك قومه فاصابهم ما اصابهم من الافتتان بالعجل الذى اتخذه السامرى وقوله عز وجل قال هم اولاء على اثرى

هذا على التاويل الاول اى هم يجيئون على اثرى وعلى التاويل الثانى اى تركتهم على دينى وسبيلى وهو قول

الحسن وقتادة وقوله عز وجل وعجلت اليك رب لترضى اى عجلت اليك ربى فيما دعوتنى اجابة لك وطاعة

فيما امرتنى لترضى هذا على التاويل الذى قال انه خرج وحده وعلى التاويل الذى يقول انه خرج بنفر يقول والله اعلم

وعجلت اليك رب لترضى اذ لم يكن لى سبب ولا معنى يمنعنى عن الاسراع الى ما دعوتنى وامرتنى وهكذا عندنا انه لزمه

الاسراع والعجلة الى القيام باداء فاذا لم يكن هناك سبب يمنعه عن التعجيل له والقيام به والله اعلم وقوله عز وجل

قال فانا قد فتنا قومك من بعدك الفتنة هى المحنة التى فيها شدايد وبلايا ومعنى الافتتان ههنا هو ما فتنهم

بالعجل الذى اتخذه السامرى جعله جسدا بدم ولحم على ما ذكر ونفخ فيه الروح وجعل له خوار فذلك معنى

الافتتان منه اياهم والله اعلم وقوله عز وجل واضلهم السامرى اضاف الاضلال الى السامرى لانه كان سبب

اضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى فاضاف الاضلال اليه لما ذكرنا

من دعايته اليه والسبب الذى كان منه والا لم يملك احد اضلال احد واضاف الافتتان الى نفسه لما ذكرنا من جعل

العجل جسدانى من لحم ودم وروحانى فان قيل ما معنى اجراء ما اجرى على يدى السامرى مع ضلاله من الاية قيل

هو والله اعلم انه لو ادعى لنفسه الرسالة لكان لا يتهيأ له ذلك لكنه انما ادعى انه اله واثار العبودية فيه ظاهرة قائمة

يعرفه كل احد انه ليس باله واما الرسالة فانه يجوز ان يشتبه على الناس وتلتبس عليهم فيمنع الله عز وجل من ليس برسول

اذا ادعى الرسالة اقامة دلالة الرسالة لاشتباهها على الناس واما الالوهية فلا يمنع عن اجراء ذلك لان آثار العبودية

واعلام العجز فيها ظاهرة يعرفه كل احد وهكذا اتى قريته لم يبلغهم هذا القرآن فقراه هذا القرآن وقال انى رسول الله

اليكم لم يقدره الله على قراءته ولو ادعى الربوبية لم يمنع لان آثار العجز عن اتيان مثله ظاهرة وفى الرسالة

لا لذلك افترقا والله اعلم وقوله عز وجل فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف هو النهاية فى الغضب

والنهاية فى الحزن وهكذا جبل الله رسله وانشاهم على نهاية الغضب لله والاسف له عند معاينتهم الخلاف لله

والتكذيب له كقوله لرسوله لعلك باخع نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والله اعلم وقوله

عز وجل يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا على تاويل الحسن وعدا حسنا هو الثواب الذى وعدهم بالدين

والسبيل قال هم اولاء على اثرى اى على دينى وسبيلى وقال بعضهم وعدا حسنا اى عدلا وصدقا حيث

وعدهم انه يرجع اليهم عند راس اربعين او ثلثين ليلة على ما ذكر عز وجل افطال عليكم العهد على تاويل الحسن

افطال عليكم عهد ما وعدكم من الثواب والجزاء على دينه وسبيله حتى نسيتم ذلك وعلى تاويل من قال

ان الوعد هو ما وعد انه يرجع اليهم على راس كذا يقول افطال ذلك عليكم ومضى وعدى حتى فعلتم ما فعلتم

وقوله عز وجل ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اى ام تعمدتم الخلاف فيحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم

موعدى يحتمل الوعد الوجهين اللذين ذكرناهما فيما مضى وقوله عز وجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا

برفع الميم وكسره فمن قرا بملكنا برفع الميم اى بسلطاننا وطاقتنا اى لم نفعل بسلطاننا وطاقتنا ومن قرا

بملكنا بكسر الميم ما ملكت ايدينا وقال الكيسانى من قرا بملكنا معناه بسلطاننا ومن قرا بملكنا بكسر الميم ونصبه

بملكنا معناهما واحد هو ما ملكت ايدينا وقوله عز وجل ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم قيل اثقالا من زينة

اى من حلى القبط وقوله عز وجل فقذفناها اى قذفنا ما حملنا من حليهم وقوله عز وجل فكذلك القى

السامرى اى كذلك قذف ما حمل السامرى من حليهم وجائز ان يكون قوله فكذلك القى السامرى ما اخذ

من قبضته من اثر الرسول كقوله فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وقوله عز وجل فاخرج لهم عجلا

جسدا له خوار اى عجلا جسدا جسد عجل وليس هو بعجل فى الحقيقة وقال بعضهم عجلا جسدا لا يتعيش

كما يتعيش العجل المولود من البقر والاول اشبه وقوله عز وجل فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى هذا القول

انما قاله السامرى وقوله عز وجل فنسى قال بعضهم نسى السامرى حيث قال لهم هذا الهكم واله موسى فيكون

النسيان على هذا التأويل التضييع والترك كانه قال ضيع السامري بعدما علم وعرف رب العالمين ونسب
الالوهية الى العجل وقال بعضهم ان السامري لما قال هذا الحكم واله موسى لكن موسى نسي هذا حيث خرج
في طلب غيره ولا يحتمل ان يقبلوا هذا القول منه ويجعلوا العجل الذي اتخذه السامري الها وقد علموا انه انما اتخذه
من حلي حملوه من القبط لكنه كان في معتقدهم انه يجوز اتخاذ الاله دون الله رب العالمين والعبادة له رجاء
ان يقرب عبادتهم تلك الآلهة الى الله وعلى هذا كانوا يعبدون الاصنام دون الله كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وكذلك قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة وكذلك ما اتخذهم
فرعون من آلهة عبدوها دونه والا لم يحتمل ان يقع عندهم ان رب العالمين هو ذلك العجل لكنه ما ذكرنا انهم
كانوا يستجيزون في اعتقادهم عبادة من دونه فقال عند ذلك ورد عليهم اعتقادهم فقال افلا يرون الا يرجع
اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لا يرون ان لا اذن في عبادة من يرجع اليه القول ويملك النفع
والضر وهو البشر فكيف اذن في عبادة من لا يملك شيئا من ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولقد قال لهم هرون
من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن يذكر والله اعلم بهذا رسوله ان الذين كذبوك وجحدوا رسالتك
لم يكذبوك لجهلهم بالرسالة ولكن لتعنتهم وعنادهم على ما ذكروا انباه من قول هرون لقومه لما عبدوا العجل حيث
قال لهم يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فكان يؤيسه عن ايمان اولئك لعنادهم وهو ما قال افتطمعون ان يؤمنوا لكم
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله وقوله عز وجل انما فتنتم به اي بالعجل وان ربكم الرحمن وقوله عز وجل
فاتبعوني اي اجيبوا الى ما ادعوكم به واطيعوا امري اي ما امركم به وقوله عز وجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين
حتى يرجع الينا موسى قال بعضهم لن نبرح اي لن نزال على عبادة العجل مقيمين حتى يرجع الينا موسى وقال
بعضهم لن نبرح اي لن نفارق عبادته ثم قال موسى يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا هذا يدل ان قول هرون لهم
انما فتنتم به اراد به الضلال حيث قال له موسى اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري يحتمل الا تتبعني اي ما منعك
اذ رايتهم ضلوا الا صرت الي ما كنت صرت انا وقد علمت الي اين صرت انا او ان يكون قوله الا تتبعن اي الا تتبع ديني
وسنتي وكانت سنته ومذهبه القتال والحرب معهم اذا ضلوا وتركوا دين الله فاعتذر اليه هرون فقال
اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما اني خشيت ان اتبعك
وصرت الى ما صرت انت تقول لي فرقت بين بني اسرائيل لانك لو نهيتهم عما اختاروا من عبادة العجل وبينت لهم
السبيل لعلهم يتبعونك فحيث لم تفعل فانت الذي فرقت بينهم والثاني على تاويل القتال والحرب في قوله الا تتبعن
اني خشيت لو قاتلتهم ونصبت الحرب بينهم صاروا فريقين فاذا تفرقوا اقتتلوا وسفكوا الدماء وتفانوا فترك القتال
لما طمعوه الايمان اذا رجع اليهم موسى ونهاهم عن ذلك فلعل سنته في القتال مع من لم يطمع منه الايمان
هذا على تاويل من يقول بان هرون اعتزلهم لما عبدوا العجل مع عشرة آلاف نفر واكثر او اقل على ما ذكروا لما الحسن
فانه يقول كلهم قد عبدوا العجل الا هرون فعلى قوله لا يحتمل الحرب والقتال معهم وقوله عز وجل ولم ترقب قولي
قيل هو ما قال واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ودل قوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي بان كان له الشعر تكنى بالراس
عن الشعر وقوله عز وجل فما خطبك يا سامري قال الحسن ما حجتك يا سامري على ما فعلت ولا حجة كانت له قط
وقال غيره ما خطبك من شانك وما امرك والخطب هو الشان والامر في اللغة وتاويله والله اعلم فما شانك اي ما الذي
حملك على صنيعك الذي صنعت ثم قوله بصرت بما لم يبصروا به بالياء والتاء جميعا ثم بين ما الذي بصر هو ما لم يبصروا هم
فقال فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها اما عامة اهل التاويل فانهم يقولون انه قبض قبضة من تراب من اثر
فرس جبريل فنبذها وليس في الآية ذكر التراب ولا ذكر الفرس ولا ان ذلك الرسول جبريل او غيره ويشبه ان يكون
قبضه هو تراب من اثر الفرس على ما قال اهل التاويل وقد ذكر في حرف ابي فقبضت قبضة من اثر فرس الرسول فان ثبت
ما قالوا والا لم نزد على ما ذكر في الكتاب لان هذه الانباء والقصص كانت في كتبهم فذكرت في القرآن ليحتج بها

رسول الله على اولئك ليعرفوا انه انما عرف ذلك بالله تعالى فلو نزيد او ننقص عما في كتبهم لذهب موضع الاحتجاج
عليهم بل يوجب ذلك شبه الكذب عليهم لذلك وجب حفظ ما حكي في الكتاب من الانباء والاخبار من غير
زيادة ولا نقصان مخافة الكذب الا ان يثبت شيء يذكر عن رسول الله انه كان فحينئذ يقال والا الكف
اولى لما ذكرنا في قراءة الحسن وقتادة فقبصت قبصة بالصاد والقبصة هو الاخذ باطراف الاصابع والقبضة
هو بالكف فلا يحتمل ان يصح الحرفان جميعا لان الاخذ باطراف الاصابع دون الكف فهو خبر يخبر عما في كتبهم فاما
ان يكون لما او ذا فاما ان يكونا جميعا فلا يحتمل الا ان يقال انه اخذه باطراف الاصابع ثم رده الى الكف فحينئذ يكون
او ان يكون مرتين والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك سولت لي نفسي هذا يحتمل وجهين احدهما اي كذلك
سولت لي نفسي انك متى تاخذ قبضته من اثر الرسول فنبذتها في الحلي يحيى او ان يكون سولت له نفسه
على ما كان عادتهم وطبيعتهم انهم لا يعبدون لا يرونه ولا يقع بصرهم عليه حيث قالوا يا موسى اجعل لنا
الها كما لهم آلهة وكقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال سولت لي نفسي ان اتخذ لهم عجلا يرونه
فيعبدونه او سولت لي نفسي انه اخذ قبضة اثر الرسول نبأ عظيما او قال ذلك اعتذارا لجميع
ما كان منه من اول الامر الى آخره والله اعلم وقوله عز وجل قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس
قال بعضهم اي لا تزال تقول لا مساس لا تقول غيره عقوبة له وجزاء لصنيعه وقال بعضهم ان تقول
لا مساس لم يمسني ولا امسك اي لا تمسني ابدا اخرجه من بين اظهرهم لما علم موسى منه وقوله عز وجل
وان لك موعدا لن تخلفه يحتمل وان لك موعدا لعذابك لن تخلفه يحتمل ذلك في الدنيا والآخرة وقوله عز وجل
وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا قوله وانظر الى الهك الذي تزعم انه اله لا ان موسى ذلك الها وهو
كما قال فراغ الى آلهتهم التي في زعمهم آلهة وقوله عز وجل ظلت عليه عاكفا فقوله ظلت يقال بالنهار وفي الليل
تقال بات وقوله عز وجل لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا وفي هذا اثبات آية لموسى حيث قال لنحرقنه والعجل
الذي هو من لحم ودم ليس من طبع النار احراقه وكذلك الحلي والذهب والفضة ليس من طبع احراقهما حتى تصير رمادا
ولكن من طبعهما الاذابة ثم اخبر انه محرقة فدل انه آية وفي قوله لنحرقنه لغتان لنحرقنه بالتشديد وبرفع النون
وهو التحريق بالنار ولنحرقنه بنصب النون وهو القطع بالمبرد وقال ابو معاذ في قراءة لنحرقنه بنصب النون
فقد كان العجل من الحلي فلم يقدر على تحريقه بالنار فحرق بالمبرد ومن قرا لنحرقنه برفع النون والتشديد
يقول كان لحما ودما فاحرق بالنار فصار رمادا ثم نسف في اليم قال ابو معاذ يا سبحان الله ان كنت احرقته
بالنار فما حاجتك الى المبرد لكنه اراد مقاتل ان يجمع القراءتين والتاويلين في قراءة واحد لكنه عندنا لا يجوز
ان يكون العجل من لحم ودم في احدى القراءتين وفي الاخرى من الحلي لا لحم فيه ولا دم وتكون القراءتان جميعا منزلتين
وما قاله مقاتل انه حرق بالنار ثم حرق بالمبرد حسن لان النار لا تحرق العجل اذا كان لحما ودما ولكنها تذيب
فابرد بالمبرد فعند ذلك نسفه في اليم قال ابو معاذ تقول العرب نسفت البرد انسفته نسفا اذا اخرجت المنسفة
فطيرت غباره ويقال في المشي مالنا ننسف يوما كله نسفا اي نمشي وقال ابو عوسجة لننسفنه اي لنرمينه
نسفا اي رميا والنسف القلع من الاصل وصرفه نسف ينسف نسفا وقال لن نبرح اي لن نزال بصرت
بما لم يبصروا به يقال بصرت وابصرت بصر يبصر بصرا وقبضت قبضة والقبضة باطراف الاصابع وقال
لا مساس اي لا يمسك احد ولا يؤذيك وقال ظلت عليه لغة سوء وانما هو ظللت وظلت وروي في حرف ابن مسعود
بصرت بما لم يبصروا به اذ جاء الرسول فقبضت قبضة فالقيتها وفي حرف حفصة اذ مر الرسول وفي حرف ابي
ابن كعب ان لك في الحيوة ان لا مساس ليس فيه ان تقول وفي حرف حفصة ان لك في الحيوة الدنيا ان تقول لا مساس
وقال بعضهم تاويله لا تخالط الناس ولا يخالطونك قال ابو معاذ المساس مصدر ماسه مماسا ومماسة
كما يقال ضاره ضرارا ومضارة وساره سرارا ومسارة ومن قرا لا مساس كان كقيلك نزال ودراك

في حرف ابن مسعود وابي وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا وانظر كيف يفعل بالهك الذي ظلت وقوله
سولت لي نفسي قال بعضهم بجعت وظاهره زينت لي نفسي وقيل سمي السامري سامريا لانه كان من قبيلة يقال لها
السامرة وقول هرون لموسى يا ابن ام وكان اخاه لابيه وامه قيل اراد بذلك ان يرققه عليه فيتركه وقوله
عز وجل انما الهكم الله الذي لا اله الا هو جايز ان يكون موسى لما احرق العجل ونسفه في البحر قال عند ذلك
انما الهكم الله الذي تعرفونه لا اله الا هو وسع كل شي علما لا يعزب عنه شي ولا يخفى عليه شي فيشبه ان يكون
موسى ذكر هذا لهم لما اضمروا واسروا وحب العجل في قلوبهم على ما اخبر الله عنهم بقوله واشربوا في قلوبهم العجل
بكفرهم فقال لهم وسع كل شي علما يعلم ما تسرون وما تظهرون او ان يكونوا لا يعلمون انه يعلم ما يسرون وما يضمرون
وما يغيب عن الخلق ويكون عندهم كملوك الارض يعلمون الظاهر من الامور الحاضرة منها والغايب فاخبر انه عز وجل
يعلم الظاهر والباطن والسر والعلانية والحاضر والغايبة والله اعلم وقوله عز وجل كذلك نقص عليك من انبا
ما قد سبق اي هكذا نقص عليك من انبا ما قد سبق ليكون اية لرسالتك ونبوتك وان يقول كما قصصنا عليك
هذا النبا كذلك نقص عليك ساير النبا والله اعلم وقوله عز وجل وقد اتيناك من لدنا ذكرا قال اهل التاويل الذكر
ههنا القرآن وهو ظاهر الا ترى انه قال على اثره من اعرض عنه فانه كذا وجايز ان يكون قوله اتيناك من لدنا ذكرا
اي شرفا وذكرا يذكر هو بعده ابدا ومن اتبعه واجابه الى ما دعاه يصير مذكورا به وقوله عز وجل من اعرض عنه فانه
يحمل يوم القيامة وزرا والوزر الحمل وسميت الاثام حملا لان الاثام تنقض ظهور اصحابها في النار وتكسرها كالحمل
في الدنيا ينقض ظهر صاحبه ويكسره وهو ما ذكر ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عز وجل
خالدين فيه اي في ذلك الوزر اي لن يفارقهم اوزارهم ابد الابدين وقوله عز وجل وساء لهم يوم القيامة حملا
حمل السوء حمل يورد صاحبه النار وبئس الحمل حمل يورد صاحبه النار ويقال بئس ما حملوا على انفسهم من الاعمال
وقوله من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا يحتمل الاعراض عنه وجهين احدهما اعرض عنه اي كفر به وكذب به
ولم يلتفت اليه والثاني اعرض عنه اي لم يعمل بما فيه ومن لم يعمل من المسلمين بما فيه يخاف ان يكون في وعيد هذه الاية
وقوله عز وجل يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا قيل يتسارون بينهم
ويتكلمون فيما بينهم كلاما خفيا ان لبثتم الا عشرا مثل هذا الكلام انما يقولون تلهفا وتحسرا على ما كان منهم في وقت قليل
لاستقلالهم واستصغارهم الدنيا يقولون كيف كان منا كل هذا العمل في ذلك الوقت القليل ثم اختلفوا في ذلك اللبث
الذي قالوا ذلك قال بعضهم في الدنيا استقلوا مقام الدنيا لما عاينوا الاخرة وقال بعضهم ذلك في القبور ويستدل
من ينكر عذاب القبر بهذه الاية يقول لانهم استقلوا مقامهم في القبور ولو لا كان لهم عذاب في ذلك لاستعظموا ذلك
واستكثروا لان قليل اللبث في العذاب يستعظم ولا يستكثر لا يستقل ولا يستحقر فلما استقلوا ذلك دل انهم لا يعذبون
في القبور واستدلوا ايضا بنفي العذاب فيه بقوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ومن يقول بعذاب القبر يزعم ان ذلك
انما قالوا في القبر يقول ذلك بين النفختين يقول هم يعذبون ويكونون في العذاب الى النفخة الاولى ثم يرفع عنهم
العذاب الى النفخة الثانية عند ذلك يرقدون فيستصغرون مقامهم للنوم وقد يستصغر الوقت الطويل ويستقل
في حال النوم على ما ذكر في قصة اصحاب الكهف حين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وهم قد قاموا ثلثماية سنة وزيادة
وجايز ان يكون عذاب القبر عذاب عرض وعذاب الاخرة عذاب عين كقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
فاستصغروا عذاب العرض واستقلوه عند معاينة عذاب العين ومن يقول ذلك في الدنيا يقول صغرت الدنيا
في اعينهم ومقامهم فيها حين عاينوا الاخرة واهوالها وقوله عز وجل نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم
طريقة ان لبثتم الا يوما قوله امثلهم قيل اعقلهم واعلمهم وقيل افضلهم ان لبثتم الا يوما من كان ابصر واعلم بامور
الاخرة واهوالها كان اكثر استحقارا بالدنيا واستحقارا لها وفي حرف ابن مسعود نحن اعلم بما يقولون اذ غيل عليهم
اذ يقول امثلهم طريقة قال ابو معاذ قوله غيل عليهم اي اشتبه وخفي وفاتهم علمه وقال ومنه يقال غالت الفريضة

تقول عولا اذا جاوزت السهام فاشكل على الفارض واشتبه ومنه قيل عيل صبري وقوله عز وجل ويسالونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يشبه ان يكون سؤالهم عن احوال الجبال في ذلك اليوم لما بين لهم احوال الناس
في الساعة بقوله ان زلزلة الساعة شي عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية وكقوله وترى الناس
سكارى الاية وصف لهم احوال الخلق في ذلك اليوم ولم يصف احوال الجبال والارض فعند ذلك سالوا عن احوال الجبال
فامر رسوله ان يخبرهم بما ذكر انه ينسفها ربي نسفا وما ذكر ايضا في اية اخرى هباء منثورا وكالعهن المنفوش كالفراش المبثوث
ونحو ذلك فجايز ان يكون ذلك على اختلاف الاحوال وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا قال بعضهم قاعا صفصفا اي مستوية والقاع والصفصف واحد وقال بعضهم هي الارض الملساء
التي لا نبات فيها ولا زرع وقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا قيل لا واديا ولا امتا ولا رابية وقال بعضهم العوج
الارتفاع والامت الهبوط وقال بعضهم العوج الانحناء الاودية والامت التلال وقيل لا انخفاضا ولا ارتفاعا والقاع
الصفصف هو تفسير لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى فيها عوجا ولا امتا تفسير كقوله قاعا صفصفا وقوله
عز وجل يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له لا اختلاف له ليس كالداعي في الدنيا منهم من يطيعه ويجيبه ومنهم من لا يطيعه
ولا يجيبه فاخبر انهم في الاخرة يجيبون الداعي في اي حال كانوا لا يخالفونه وقوله عز وجل وخشعت الاصوات لا تخشع
لكن تخفض وتلين عند خوف اهلها وترتفع عند الامن وان يكون خشوع الاصوات كناية عنهم اي يخشعون ويذلون
لشدة فزعهم لاهوال ذلك اليوم وقوله عز وجل فلا تسمع الا همسا قيل الهمس الكلام الخفي الذي لا يكاد يسمعه وقيل وقع
الاقدام ونقلها وهو تحركها قال ابو عوسجة يتخافتون بينهم اي لخفي صوته وقوله امثلهم طريقة اي افضلهم فاما صفصفا
قال القاع الارض الصلبة التي لا شي فيها والصفصف المستوية والصفاصف جميع والقيعان جمع القاع عوج وعوج
واحد ولا امتا والامت هو العوج وهو التل وقوله عز وجل وخشعت الاصوات اي سكنت والهمس الخفي وقوله
عز وجل لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا هذا يحتمل وجهين احدهما لا تنفع الشفاعة
ليس ان يكون لهم الشفعاء فلا تنفع ولكن لا شافع لهم الا من اذن له الرحمن بالشفاعة لاحد ورضي له بقول الشفاعة
انه لا احد يتكلم يومئذ الا باذنه فضلا ان يوذن لاحد بالشفاعة كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
والثاني لا تنفع الشفاعة الا من وقوله بما يستوجب الشفاعة له ورضي له قولا وسال له ذلك وهو قول الشهادة
والتوحيد فيرجع احد التاويلين الى الشفعاء انه لا احد يشفع لاحد الا باذنه ورضاه بالقول قول الشفاعة والثاني
يرجع الى المشفوع له انه لا احد يستوجب شفاعة الا من وفق له الرحمن في الدنيا بالتوحيد وشهادة الاخلاص والله اعلم
وقوله عز وجل يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يحتمل قوله ما بين ايديهم قبل ان يخلقوا وما خلفهم بعد ما خلقوا
وكانوا او ان يكون قوله ما بين ايديهم بما قدموا من الاعمال وما خلفهم من بعدهم او ان يكون قوله ما بين ايديهم كناية
عن الخيرات اي يعلم ما يعملون من الخيرات وما خلفهم من الشرور وما نبذوا وراء ظهورهم وجايز ان يكون المراد
من البين والخلف الاحوال كلها اي عالم بجميع احوالهم وبكل شي يكون منهم وهو كقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد اي لا ياتيه الباطل البتة لانه ليس للقرآن بين ولا خلف ولكن المراد ما ذكرنا في التاويل
الاول وجايز ان يكون المراد منه ليس البين ولا الخلف ولكن اخبار عن احاطة علمه بهم والله اعلم وقوله
عز وجل ولا يحيطون به علما هذا يحتمل وجهين لا يحيطون بالله علما ولكن انما يعرفونه على قدر ما يشهد لهم
الشواهد من خلقه لان الخلق انما يعرفون ربهم من جهة ما يشهد ويدل لهم من الدلالات من خلقه والاحاطة
بالشي انما تكون ما كان سبيل معرفته الحس والمشاهدات فاما ما كان سبيل معرفته الاستدلال فانه لا يحاط به
العلم والثاني لا يحيطون به علما اي بعلمه كقوله ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شاء وكقوله عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الاية وقوله عز وجل وعنت الوجوه للحي القيوم قيل عنت ذلت وخضعت
الوجوه وجايز ان يكون ذكر الوجوه كناية عن انفسهم لما بالوجوه يظهر الذلة والخضوع فكنى بها عنهم فان كان

ما اخبر من خضوعهم وذلهم في الآخرة فهو على اخبر من خضوع الخلايق في الآخرة وان كان بعضهم يتكبر في الدنيا
وان كان في الدنيا فهو على خضوع الخلقة له خضعت خلقة الخلايق كلهم له وقوله الحي القيوم قد ذكرنا تاويل الحي
القيوم فيما تقدم وقوله عز وجل وقد خاب من حمل ظلما اي قد خاب من حمل الشرك والظلم ههنا الشرك وقد خاب
من حمل ما ذكر من الحمل والوزر وهو ما ذكر في قوله من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم
وساء لهم يوم القيامة حملا اي خاب من حمل ذلك الحمل والله اعلم وقال بعضهم في قوله يعلم ما بين ايديهم من امر الآخرة
وما خلفهم من امر الدنيا ولا يحيطون به يعني الملائكة به علما يقول هم لا يعلمون من كلامه الا ما علمهم اياه فان كان هذا
في الملائكة خاصة فانه لا يحتمل ما ذكرنا من التاويل في قوله وما خلفهم من الشرور وما نبذ وه وراء ظهورهم لانهم
مطيعون لله لا يعصونه طرفة عين ويحتمل غيره من التاويلات التي ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم في قوله يومئذ
لا تنفع الشفاعة عنده الا من اذن له الرحمن في الشفاعة ورضي له قوله قول لا اله الا الله مسلما في الدنيا مؤمنا
حقا فذلك الذي رضي والشفاعة تحل لهم فاما غيرهم فلا يشفع لهم وهو ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم
في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم اي عملت الوجوه للحي القيوم قالوا وتاويل عنت العمل اي خضعت له بالعمل الصالح
في الدنيا على ما ذكر بعضهم من الركوع والسجود وغيره وهو في المؤمنين خاصة ليس ان يكون تاويل قوله وعنت اي عملت
حقيقة ولكن من الوجه الذي ذكرنا وان كان التاويل في الآخرة فهو في الفريقين جميعا يذلون له جميعا ويخضعون
في الآخرة وان كان بعضهم التكبر في الدنيا وقوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فيه دلالة انه
قد يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحات حيث قال ومن يعمل من الصالحات حيث قال ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فيه ان الايمان شرط في قبول الصالحات وجعلها طاعة لله حيث شرط الايمان فيه وقوله عز وجل
فلا يخاف ظلما ولا هضما الظلم ههنا على مذهبنا النقصان لا ظلم الجور لان الثواب على الاعمال الصالحات
بحق الافضال لا بحق العدل فاذا كان على هذا فيخرج قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ان ينقص
من حسناته شيئا او يزيد في سيئاته شيئا ويجوز في اللغة ذكر الظلم على ارادة النقصان كقوله في ذكر الجنتين
كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا والجنة لا توصف بالظلم الذي هو ظلم جور فدل انه اراد بالظلم ههنا
النقصان اي لم تنقص بل اتت بثمارها وافية وافرة وان كان على الظلم الذي هو ظلم الجور فهو على النهي اي لا تخف منه
الظلم والجور وقوله عز وجل وكذلك انزلناه قرآنا عربيا اي كما ذكرنا ان من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف
ظلما ولا هضما كذلك انزلناه في القرآن العربي وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون حرف لعل في جميع ما ذكر
في القرآن يحتمل وجهين احدهما على الوعد انهم يتقون فهو على الايجاب والثاني لعلهم يتقون اي الزمهم ان يتقوا
بما صرف فيه من الوعيد وان كان على الوعد والايجاب منه فهو لمن علم انهم يتقون وان كان على الالزام اي الزمهم
فهو في الكل ثم ان كان على الوعد فيخرج قوله او يحدث لهم ذكرا فيكون كقوله لعله يتذكر او يخشى اذ تذكر خشي
واذ خشي تذكر ذلك اذا اتقى فقد احدث له الذكر واذا احدث له الذكر اتقى وان كان الزمهم ان يتقوا فهو على الزم
قال بعضهم ذكرا اي عذابا وقوله عز وجل فتعالى الله الملك الحق مثل هذا انما يذكر على نوازل كانت اما قولا او فعلا
يقال فتعالى الله عن ذلك لكن لم يذكر النوازل والله اعلم وقوله عز وجل ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه
يحتمل ما قاله اهل التاويل ان جبريل كان اذا اتاه بالسورة وبالآي فيتلوها عليه فلا يفرغ جبريل من التلاوة
حتى يتكلم رسول الله باولها مخافة ان ينساها فانزل الله ولا تعجل بالقرآن فتقراه من قبل ان يفرغ من تلاوته
عليك وقد امنه عن النسيان بقوله سنقرئك فلا تنسى الآية وكذلك ولا تحرك به لسانك لتعجل به الآية
ثم امره عز وجل ان يسأله ان يزيده علما ويحتمل ان يكون قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك
وحيه اي لا تعجل بما ذكر من الوعيد لهم في القرآن من قبل ان ياتي وقته كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا
وقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه جائز ما قال اهل التاويل انه يتلو مع تلاوة جبريل فقال له

لا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ان تثبت عنه انه كان يتلو مع تلاوة جبريل وجائز النهي من غير
ان كان يتلو ذكروا والله اعلم على ما نهى هو عنه اشياء من غير ان كان منه ذلك وقوله عز وجل ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال الحسن وعامة اهل التاويل ان قوله نسي اي ضيع وترك ليس نسيان
السهو لانه عوتب عليه وعوقب به ولا يعاتب المرء على ما هو حقيقة السهو والنسيان فدل انه على التضييع والترك
على النسيان والسهو الى هذا يذهب هؤلاء لكن يقبح هذا ان يقال في آدم او في نبي من انبيائه او في رسول
من رسله صلوات الله عليهم انه ضيع والنسيان عندنا على قسمين نسيان يكون عن غفلة منه وشغل ما لولا ذلك
الشغل منه والغفلة لحفظه وذكره ولا ينساه وجائز المعاتبة على هذا النسيان اذ لو كان يتكلف لكان لا ينساه
ولا يقع فيه ونسيان آخر يقع فيه من غير سبب كان منه لا يملك دفعه وذلك نسيان ما لا يعاتب عليه
ولا يعاقب به وهكذا الكلفة من الله تعالى والمحنة انه جائز ان يكلف ويمتحن من لا يعلم ولا يعقل الكلفة وقت تكليفه
اياه بعد ان يحتمل عقله ادراك ذلك لو استعمله فاما من كان عقله لا يحتمل ادراك ما كلفه وان استعمله واجهد
نفسه فيه فانه لا يكلف البتة فعلى ذلك النسيان الذي ذكر من آدم جائز انه لو تكلف لحفظه وذكره فانما عوتب
لذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولم نجد له عزما قال الحسن اي منعا من الشيطان وقال بعضهم حفظا لم يحفظ
امره وقال بعضهم صبرا ونحوه والعزم حقيقته القصد والقطع على الشيء وهو ضد النسيان الذي ذكر وقال
بعضهم العزم هو المحافظة على امر الله والتمسك به وقوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس ابى قال لولا قول اهل التاويل في صرف سجود الملائكة لآدم الى حقيقة السجود والا جائز ان يصرف
الامر بالسجود الى الخضوع لله والسجود هو الخضوع حيث قال يا آدم انبئهم باسمائهم وقد يؤمر الانسان بالخضوع
لمن يتعلم منه العلم وقوله عز وجل فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى قال اهل التاويل ليس شقاء الدين ولكن
تعب النفس والنصب في العمل وقوله عز وجل ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى
اي لا يصيبك الشمس وقوله عز وجل فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
اي لا يفنى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان من ورق الجنة قد ذكرنا هذا فيما تقدم قال ابو عوسجة
قوله وعنت الوجوه للحي اي ذلت يقال عنا يعنو عنوا وقال ولا هضما اي ظلما يقال هضمته اي ظلمته واهضمته
مثله وقال ابو عبيدة الهضم النقصان وقال قاعا صفصفا القاع الارض التي يعلوها الماء وهو قريب مما ذكرنا
والله اعلم وقوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى كل من عصى فقد غوى العصيان والغواية واحد وقوله
عز وجل ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قوله ثم اجتباه يحتمل وجوها احدها اجتباه للتوبة وهداه لها
او اجتباه ربه للرسالة وهداه لها او اجتباه ربه للدين وهداه للتوحيد وهذا جائز عندنا لان التوحيد
والايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت وكل ساعة لانه مامور بترك الكفر ونفيه في كل وقت فاذا كان
مامورا بترك الكفر في كل وقت منهيا عنه كان مامورا بالايمان والتوحيد فاذا كان ما ذكرنا دل ان للايمان
والتوحيد حكم التجدد والحدوث في كل وقت والاظاهر قوله ثم اجتباه ربه انه لم يكن يجتبي قبل ذلك فاجتباه
من بعد لكن الوجه ما ذكرنا من اجتباء اياه للرسالة واجتباه للتوحيد والطاعات والخيرات ونحوه والله اعلم
وقوله عز وجل قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو وقال الحسن قوله اهبطا اي آدم والشيطان بعضكم لبعض
عدو يعني ذرية آدم وذرية ابليس بعضهم لبعض عدو وقال فيما قال اهبطوا اعني آدم وحوى وابليس والهبوط
ليس هو الانحدار والتسفل من المكان العالي المرتفع انما هو النزول في المكان فجائز ان يكون قوله اهبطوا بعضكم
لبعض عدو واراد ذريتهما ذرية آدم وذرية ابليس وعلى ذلك يخرج قوله فاما ياتينكم مني هدى يعني الذرية
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقت اتباعه الهدى او لا يضل ولا يشقى اذا ختم بالهدى او لا يضل طريق الجنة
ولا يشقى في النار والله اعلم وقوله عز وجل ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الضنك هو الشدة

والضيق ثم اختلفوا فيه قال بعضهم فان له معيشة ضنكا في الدنيا وان كانت في الظاهر واسعة عليه
لانهم ينفقون ولا يرون لنفقتهم خلفا ولا عاقبة ويرون الدنيا انها تدوم فذلك يمنعهم عن التوسيع في الانفاق
خوفا لنفاد ذلك المال وبقاء انفسهم لما ذكرنا انهم لا يرون لنفقتهم خلفا ولا عوضا ولا عاقبة لها
فذلك الضنك وقال بعضهم فان له معيشة ضنكا لانهم يعصون بما اعطوا من المال وانعموا فيه لان توسعهم
يكون في معصية فنفى عنهم الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان باستعمالهم هذه الجوارح في المعصية على قيامها
لما ذهبت منافعها في الطاعة وقال بعضهم فان له معيشة ضنكا في عذاب القبر لكن لا يقال لمن في القبر
ان له معيشة ضنكا حتى يوصف بالضيق وعذاب القبر سبيل معرفته السمع فان ثبت السمع والا فالترك اولى
وقال قايلون ذلك في الآخرة والله اعلم كقوله مكانا ضيقا مقرنين **وقوله** عز وجل ونحشره يوم القيامة اعمى
قال بعضهم نحشره اعمى عن حجته في دينه لكن متى كانت له الحجة في الدنيا حتى يعمى عنها في الآخرة وقال بعضهم نحشره
يوم القيامة اعمى على الحقيقة كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فهو على حقيقة عمى البصر
وهو اشبه والله اعلم قال مجاهد قوله رب لم حشرتني اعمى قال بلا حجة لي وقد كنت بصيرا في الدنيا لكن الاشبه
هو ما ذكرنا من حقيقة ذهاب البصر اذ لم يكن للكافر حجة في الدنيا حتى يقول وقد كنت بصيرا ثم اختلف فيه قال بعضهم
ذلك بعد ما حوسبوا وسيقوا الى النار نعوذ بالله من النار فعند ذلك يعمى عليه البصر وقال بعضهم لا ولكن
يبعثون من قبورهم ويحشرون عميا والله اعلم **وقوله** عز وجل قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى اى كما اتتك اياتنا فصيرتها كالشيء المنسي لم تكترث اليها ولم تنظر فيها ولم ترغب فيها كذلك
تصير في النار كالشيء المنسي عن رحمته لا يكترث اليك ولا ينظر اليك وان يعوك كما ضيعت اياتنا التي اتتك
يجازيك كذلك تضيع انت وتترك في النار لا نجاة لك **وقوله** عز وجل وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات
ربه اى كذلك نجزي كل من اسرف في الدنيا ولم يؤمن بايات ربه ليس احد المخصوص بذلك دون غيره ولكن
كل من هذا صنيعه في الدنيا **وقوله** عز وجل ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قد سبق منه الوعيد لهم في الدنيا
بعذاب ثم قال ولعذاب الآخرة اشد وابقى من العذاب الذي اوعدتم والا فعلى الابتداء لا يقال هذا **وقوله**
عز وجل افلم يهد لهم جميع ما ذكر في القرآن مثل هذا افلم يهد لهم افلم يسيروا اولم يروا امثاله كله انه
قد بين لهؤلاء انهم قد وافقوا اولئك الذين اهلكهم من القرون الماضية وما نزل بهم بتكذيبهم الرسل والآيات
التي اتوا بها وهم آمنون يمشون في مساكنهم فكيف أمن هؤلاء من عذاب الله مع موافقتهم اولئك في جميع صنيعهم
او يقول افلم نبين لهم سنتي فيمن كان قبلهم من القرون الماضية بتكذيبهم الرسل وردهم الآيات وهم كانوا
آمنين في مساكنهم فكيف امن هؤلاء من عذابه وقد ساووا اولئك في جميع صنيعهم وفعلهم وهما واحد **وقوله**
عز وجل ان في ذلك لآيات لاولي النهى قال بعضهم لاولي الورع وقال بعضهم لاولي النهى هم الذين انتهوا عما نهاهم الله
عنه وهم ذوو العقول وقد ذكرنا هذا في غير موضع قال ابو عوسجة وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى اى لا تظهر للشمس
والظمأ العطش والضحى الحر قال ابو عبيدة وقال ابو عوسجة وطفقا وعلقا واحد يقال علق يعلق علقا فهو عالق
وطافق وقال يقال لمن الخصف خصفت خفا ذا نعلته ونعلت الخف ويسمى تلك المغيلة والمغايل جميع
وقال قوله معيشة ضنكا اى ضيقة قال ابو عبيدة وكل ضيق من دار وغيره فهو ضنك **وقوله** عز وجل ولولا
كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى هو على التقديم والتاخير اى لولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى
لكان العذاب لازما لهم يقول والله اعلم يلزم كل انسان بما عمل وقال والاجل المسمى الساعة التي قال بل الساعة
موعدهم والساعة ادهى وامر وجايز ان يكون قوله على غير التقديم والتاخير لكنه على الاضمار اى لولا كلمة سبقت
من ربك لكان لزاما ولكن سيلزمهم الى اجل مسمى وهو ما ذكر في آية اخرى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وقوله ولولا كلمة
سبقت من ربك معناه عندنا والله اعلم ولولا كلمة سبقت من ربك بما يكون بحق الافضال او توجبه الحكمة

لكان العذاب لازما لهم وحق الافضال ما سبق منه من الوعيد انه يؤخر ولا يقال فيما كان طريقة الافضال
لم تفضلت واصل هذا لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما لولا ما سبق من وعده انه لا يعذب الامة بعذاب
الهلاك وقت تكذيبهم الرسل وردهم الآيات ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو ما ذكرنا وهو قوله بل الساعة
موعدهم والساعة ادهى وامر **وقوله** عز وجل فاصبر على ما يقولون يصبر رسوله على اذاهم بلسانهم من السب
والنسبة الى السحر والجنون والافتراء على الله تعالى ونحوه وان كان وعد انه يعصمه منهم حتى لا يقدروا على قتله واهلاكه
لان في حفظ نفسه من الاتلاف والاهلاك له آية من آيات رسالته اذ بعثه الى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم
وعادتهم قتل من خالفهم في شيء واهلاك من يستقبلهم بما يكرهون فدل عجزهم عن اتلافه واهلاكه وحفظ نفسه
منهم انه كان ذلك لآية في نفسه واما اذاهم اياه باللسان ليس في حفظه عنه آية لان ذلك لو كان آية فيهم وذلك
مما لا يؤثر نقصا في نفسه او شيئا الا ترى انهم قالوا في الله ما لا يليق به من الولد وغيره فدل انه ليس في حفظ نفسه
عن اذاهم بلسانهم آية انما الآية فيما ذكرنا من حفظ نفسه من الاتلاف والله اعلم **وقوله** عز وجل وسبح بحمد ربك
وقال اهل التأويل صل بامر ربك وتاويل قولهم هذا صل بامر ربك لانه امره ان يصلي له بقوله اقم الصلوة
وقوله اقيموا الصلوة فيكون قوله سبح اى صل بامر ربك الذي امرك بقوله اقم الصلوة ولولا صرف اهل التأويل التسبيح
في هذه الآية الى الصلوة ولا يجوز ان يصرفه الى غيرها من الاذكار في كل وقت لكن صرفوا الى الصلوة لان الصلوة تشتمل
على معان قولا وفعلا وسائر الاذكار لا يشتمل الا على معنى الذكر قولا فهي اجمع واشمل للذكر والله اعلم ثم قوله قبل طلوع
قبل صلوة الفجر وقبل غروبها صلوة العصر وقال بعضهم قبل غروبها الظهر والعصر **وقوله** عز وجل ومن آناء الليل
قيل صلوة المغرب والعشاء **وقوله** عز وجل واطراف النهار قيل صلوة الفجر والعصر فهو على التكرار والاعادة تاكيدا
كقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ذكر الصلوات بجملتها ثم خص الصلوة بالذكر لمعنى فعلى ذلك جايز ان يكون
قوله واطراف النهار ذكرها لتكرار منه لصلوة الفجر والعصر لمعنى وجايز ان يكون قوله واطراف النهار انه ليس على ارادة
وقت دون وقت ولكن يريد به الاوقات كلها وعلى ذلك يخرج قول من كان في قوله وقبل غروبها صلوة الظهر والعصر
والله اعلم **وقوله** عز وجل لعلك ترضى بالنصب والرفع جميعا ترضى اى يرضيك ربك بما عملت او يرضى بذلك **وقوله**
عز وجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم هذه الآية يحتمل وجهين احدهما لا تمدن عينيك اى لا ترغبن
في هذه الدنيا ولا تركنن الى ما متع به هؤلاء من الوانها وزهرتها وهو كقوله تعالى ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الآية
والثاني قوله ولا تمدن عينيك على حقيقة مد البصر اى لا تمدن ببصرك الى اعين الدنيا والى ظاهر ما هم عليه من الورود
والتزيين ولكن النظر الى الدنيا الى ما جعلت الدنيا والى ما فيها من سمومها وتنغيصها على اهلها فان من نظر اليها لما فيها
من سمومها وتنغيصها لزهد فيها ورغب عنها ومن نظر اليها والى عينها وظاهر ما هي عليها من الغرور والتزيين لاغتر بها
ورغب فيها وركن اليها ومن نظر الى الحقيقة ما هي عليه وجعلت على ما ذكرنا لزهد فيها ورغب عنها ثم معلوم ان رسول الله
لم يكن يمد بصره الى الدنيا او يركن اليها او يرغب فيها لها وانما هو ابتداء نهي لرسوله ومعلوم ايضا انه رغب في شيء منها
لم يكن ليرغب ليتمتع هو به انما يرغب ويتناوله ليوسع به على اهل الحاجة والفقر ثم نهاه عن ذلك فدل ان الزهد فيها
والرغبة عنها خير من الاخذ منها والوضع في حق حيث نهاه عن ذلك على علم منه انه لا يتناولها ليتمتع هو به ليوسع
على نفسه ولكن ياخذها ليضع في المحتاجين لهم ثم اختلف اهل التأويل في التقديم والتاخير قال الحسن هو على تقديم
قوله منهم على قوله ازواجا يقول تأويله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به منهم ازواجا زهرة الحيوة الدنيا فعلى تأويله
ازواجا زهرة الحيوة الدنيا اى الوانا واصنافا من النبات فذلك زهرة الدنيا وقال بعضهم على غير تقديم ولكن
على سياق ما ذكر في الآية فعلى هذا يكون تاويل الازواج اى رجالا منهم والله اعلم **وقوله** عز وجل لنفتنهم فيه
قال اهل التأويل اى لنبتليهم ونختبرهم وكان الفتنة هي المحنة التي فيها شدة وبلاء كانه اخبر انه انما متعهم بما متع
من زهرة الحيوة الدنيا ليمتحنهم فيها بالشدايد كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الآية وقال في آية اخرى ونبلوكم

السر والخير فتنة وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات ففي هذه الآيات دلالة ان السعة والضيق فيها
ليس لفضل اهله ولا لهوانهم ولكن انما هو محنة يمتحنهم فيمتحن بعضهم بالسعة والغناء وبعضهم بالشدة والضيق فالكلام
بان هذا خير من هذا كلام لا معنى له مع ما ذكرنا من البيان في قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ان الزهد في الدنيا
وترك التناول منها حلاله ووضعها موضعها وقوله عز وجل ورزق ربك خير وابقى اي ما رزقك ربك من النبوة
والرسالة والتوحيد له والايمان به خير وابقى مما متع هؤلاء من الوان زهرة الحيوة الدنيا واصنافها وقال بعضهم
ورزق ربك خير وابقى اي حظك من ربك خير في الخير وابقى في البقاء مما متع به هؤلاء من زهرة الدنيا وهو قول
اهل التاويل ان نبي الله صلى الله عليه وسلم نزل به ضيف فاستسلف من يهودي طعام فابى ان يعطيه الا برهن فرهن
درعه عنده فنزل قوله لا تمدن عينيك الآية تعزية له عن الدنيا لكن لسنا نعرف نزول الآية على ما ذكروا الا ان يثبت
والله اعلم وقوله عز وجل وامر اهلك بالصلوة قال بعضهم اراد باهله قومه وقد يسمى قوم الرسل اهلهم وجائز
ان يكون المراد بالاهل الذين تاهلهم وكانوا في عياله وقوله عز وجل واصطبر عليها اي دوام عليها والزمها فيه ان الصلوة
فرضت على الدوام عليها واللزوم وقوله عز وجل لا نسالك رزقا قال بعضهم لا نسالك جعلا واجرا على نبوتك ورسالتك
وقوله عز وجل نحن نرزقك قال بعضهم لا نسالك الخلق رزقا بل نحن نرزقهم وقوله عز وجل والعاقبة للتقوى
اي لاهل التقوى كقوله والعاقبة للمتقين وقوله عز وجل وقالوا لولا ياتينا باية من ربه سالوا ان ياتيهم باية
من عند ربه على رسالته ونبوته فقال عز وجل اولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى اي قد اتاهم بينة على رسالته
ونبوته في الصحف الاولى لان الكتب المتقدمة كانت بغير لسان رسول الله ولم يكن يعرف الكتابة بلسانه فضلا ان يعرف
غيرها من الكتب التي كانت على غير لسانه ثم اخبر عن الانباء التي كانت في الكتب المتقدمة على ما كانت فيها دل انه انما عرف
تلك الانباء والقصص التي كانت في كتبهم بالله تعالى فهذا والله اعلم تاويل قوله اولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى اي قد اتاهم
على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل رسوله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك من الناس من يقول ليس لله ان يعذبهم تعذيب اهلاك قبل ان يبعث رسولا ويحتج بظاهر هذه الآية ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وعندنا له ان يهلكهم بعذاب قبل بعث الرسول اليهم
لانه تعالى قد اقام عليهم حجة العقل ما لو تاملوا ونظروا فيه لعرفوا وادركوا حق الله عليهم فاذا كان كذلك فكان اهلاكه
اياهم اهلاكا عن بينة وحجة لكنه بفضله ورحمته لا يهلكهم باول اية يرسل عليهم حتى يرسل الآيات تفضلا منه
ومنة والا كان له اهلاكهم باية واحدة فيكون قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا كذا انما ذلك لقطع ذلك
القول منهم لا ان كان لهم ذلك القول والاحتجاج بذلك ولان قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا كذا يخرج
مخرج الامتنان به انه لم يهلكهم قبل بعث الرسل فدل ان له اهلاكهم قبل بعث الرسول لما ذكرنا من اقامة حجة العقل
عليهم والله اعلم وقوله عز وجل قل كل متربص كانوا يتربصون هلاك رسول الله وانقلاب امره ورسول الله يتربص بهم
عذاب الله ومواعيده فيهم قال الحسن قل كل متربص فتربصوا انتم مواعيد الشيطان ونحن نتربص مواعيد الله
وقوله عز وجل فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى قوله فستعلمون في الاخرة علم عيان من اصحاب الصراط السوي
ومن اهتدى نحن وانتم وفي الدنيا لو تاملوا ونظروا لعلموا علم استدلال وادراك من اصحاب الصراط السوي قال بعضهم العدل
وقال السوي القيم وفي حرف ابن مسعود وابي ومن اهتدى ومن على الهدى والله اعلم

سورة الانبياء مكية واياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله اقترب للناس حسابهم قال الحسن اي محاسبتهم وقوله عز وجل وهم في غفلة معرضون ظاهر
هذا انه نزل في المشركين لانها نزلت بمكة وكان اكثر اهلها اهل شرك لكن لاهل الاسلام في ذلك حظ

وشرك فيما وصفهم بالغفلة عن ذلك والاعراض عنه واهل الاسلام قد يغفلون عن الحساب لا ان غفلة الكفرة
غفلة تكذيب واعراضهم اعراض تكذيب بالحساب والآيات التي انزلها عليهم وغفلة اهل الاسلام ليس كذا قد آمنوا بالحساب
وصدقوا باياته وعرفوها لكنهم غفلوا عن الحساب بالشهوات مكنت فيهم وغلبت شهواتهم واغفلتهم عنه فمن هذه الجهة
كاولئك فاما من جهة الايمان به والتصديق بالآيات فليسوا كاولئك ثم وصف الحساب والساعة بالقرب والدنو والاتيان
كقوله اقتربت الساعة وقوله اتى امر الله واقترب للناس حسابهم وامثاله هي قريبة كالماتية عند الله لان الله تعالى
عرف جملة الاوقات فهي في جملة ما عرف قريبة كالماتية واما الخلق فانهم قد استبعدوها لانهم انما يقدرون ذلك باجالهم
واعمارهم وما جاوز اعمارهم فهو عندهم بعيد ليس بقريب وهذا انما يكون بعد ذهاب اعمارهم وقال قتادة ذكر انه
لما نزلت هذه الآية اقترب للناس حسابهم واتى امر الله فلا تستعجلوه قال ناس من اهل الضلال يزعم هذا الرجل
ان الساعة قد اقترب فتناهوا قليلا ثم عادوا الى اعمالهم وكذلك قالوا في قوله اتى امر الله تناهوا عنها ثم لما تاخر
ذلك عنهم عادوا الى ما كانوا من قبل هذا لانهم فهموا من قرب الساعة واتيان امره وقتا يقرب ومدة تدنوا فلما مضى
ذلك وقع عندهم ان الخبر كذب فكذبوه لانهم انما قدروا باجالهم وما عرفوا هم من القرب والدنو وقوله وهم في غفلة
معرضون ما ذكرنا من غفلة تكذيب واعراض تكذيب بعدما عرفوا انها ايات الله والله اعلم وقوله عز وجل ما ياتيهم
من ذكر من ربهم محدث قوله من ذكر ما يذكرهم ما ياتون وما يتقون او ما يذكر ما وعدوا وخوفوا او من ذكر
يذكرهم ما لهم وما عليهم وقوله محدث قال بعضهم محدث محكم احكمه من ان ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
واحكمه لما اعجز الخلق عن ان ياتوا بمثله وقال بعضهم محدث لان الله انزل هذا القران بالتفاريق والحدث انزاله
في كل وقت على قدر الحاجة فعلى ما نزل بالتفاريق احدثوا هم شيئا من الكفرة تكذيبه ورده على ما ذكر فزادتهم رجسا
الى رجسهم ونحو فهو محدث من الوجوه التي ذكرنا لان كل موصوف بالاتيان فهو محدث وقوله عز وجل الا استمعوه
وهم يلعبون دل قوله الا استمعوه وهم يلعبون ان استماعهم اياه استماع استهزاء به وقوله عز وجل لاهية قلوبهم
واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الذي اسروا فيما بينهم هل هذا
الا بشر مثلكم افتاتون السحر هذا كان نجواهم وقوله لاهية قلوبهم قيل غافلة قلوبهم عن الذكر واسروا النجوى الذين
ظلموا الذي اسروه هو ما ذكرنا قولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون السحر وفي حرف ابن مسعود
وابي واسروا النجوى الذين كفروا وقال الكسائي وفي بعض الحروف واسروا النجوى الذين ظلموا قال وفي حرفنا واسروا النجوى
ثم اخبر عز وجل عنهم خبر مستانفا فقال الذين ظلموا كقول الله تعالى ثم عموا وصموا ثم قال كثير منهم وهذا على كلامين
والله اعلم وقوله عز وجل قل ربي يعلم القول في السماء والارض يشبه ان يكون قوله يعلم القول في السماء والارض
القول الذي اسروا فيما بينهم هل هذا الا بشر مثلكم وقوله افتاتون السحر وانتم تبصرون وقوله اضغاث احلام بل افتراه
بل هو شاعر وامثال ما قالوا فيه ونسبوه اليه اي قل لهم ربي يعلم ذلك القول منكم في السماء والارض لينتهوا عن ذلك
لان من يعلم في الشاهد ان احدا يطلع على جميع ما يختاره من القول والفعل ترك ذلك وامتنع عن التفوه به ولا يقدم
على ما يختار او ان يكون قال ذلك على الابتداء والايتنا فانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم
السميع لقولهم العليم بافعالهم ثم اخبر عن سفههم وقلة نظرهم في قولهم وكلامهم وحفظهم عن التناقض فقال
بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فيما نسبوه الى الشعر والسحر والافتراء وانه اضغاث احلام تناقض
في قولهم لان السحر غير اضغاث احلام كل حرف من هذه الحروف التي نسبوه اليه يناقض الاخر ويبطله فدل انهم
انما قالوا ذلك ونسبوه الى ما نسبوا متعنتين مكابرين لا عن معرفة وعلم قالوا ذلك لتناقض قولهم وكلامهم اذ السحر
لا يدوم ولا يبقى في وقت اخر فاذا عرفوا وعلموا انه دام وبقي الى اخر الدهر وكذلك ما قالوا اضغاث احلام والافتراء
اعني ما اتى رسول الله بهم ويعد فانه لو كان ما اتاهم به سحرا كان ذلك اية وعلامة على صدقه ونبوته لان السحر
لا يعرفه احد الا بالتعلم فاذا داوه نشا بين اظهرهم ولم يكن في قومه ساحر حتى يتعلم منه ولا اختلف الى احد من السحرة

يتعلم منهم التسحر ثم انى بر لكان ذلك يدل على انه انما عرف ذلك بالله تعالى فكيف وقد اتاهم بالحجج النيرة
الواضحة والآيات المعجزة الخارجة عن وسع البشر وطوقهم لكنهم كابروا وعاندوا في ردها وتكذيبها وا سالوا فى وقوله
فليأتنا بآية كما ارسل الاولون قد علموا علم حقيقة انه قد اتاهم بآيات وحجج مالو تاملوا فيها ولم يكابروا لدلهم
على صدقه ورسالته وقد عرفوا انه صادق لكنه سالوا في قوله فليأتنا بآية الآية التى تنزل عند المكابرة
والعناد وهى الآية التى نزلت فى الامم الخالية عند مكابرتهم الآيات والحجج وهو اهلاكهم واستيصالهم اذ من سنته
وحكمه فى الاولين الاهلاك والاستيصال عند مكابرتهم الايات والحجج وسنته وحكمه فى هذه الامة ختم النبوة بهم
وابقاء شريعة محمد صلوات الله عليه الى الساعة وسنته فى الامم الماضية نسخ شرايعهم واستبدال احكامهم
فاذا كان ما ذكرنا جعل وقت اهلاكهم الساعة وهو ما قال بل الساعة موعدهم الآية وقوله عز وجل ما آمنت
قبلهم من قرية اهلكناها اى ما آمنت قبلهم من قرية سالوا الآية سؤال المكابرة والعناد وقوله عز وجل افهم
يؤمنون اى لا يؤمن هولاء وان اتاهم بآية فانهم لا يؤمنون كما لم يؤمن اولئك المتقدمون لانهم يسألون سؤال
عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد واستهداء وقوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم كانه
خرج جوابا لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم كذا وجواب قولهم ابعث الله بشرا رسولا
وجواب قولهم لولا انزل عليه ملك فقال وما ارسلنا قبلك الا رجالا اى بشرا يوحى اليهم لعامة الخلق
اى الرسالة فى الامم الذين من قبله الى عامة الخلق كانت فى البشر لم تكن فى الملائكة والا كانت الرسالة الى الخواص
فى الملائكة وهم الرسل فعلى ذلك لا نجعل الرسالة فى هذه الامة الى عامة الخلق فى الملائكة ولكن نجعل
فى البشر على ما جعل فى الامم الاولى فى البشر وجايز ان يكون قوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم اى جعلها
فى الذكور منهم لم يجعلها فى النساء والاناث لما لم يستكمل شرايط الرسالة والنبوة فكان الاول فى بيان الجنس
اى لم يجعل الرسالة الى عامة الخلق الى الملائكة ولكن جعلها فى البشر والثانى فى بيان استكمال شرايط الرسالة
واستحقاقها وفى حرف ابن مسعود وابى وما ارسلنا قبله الا رجالا يوحى اليهم فعلى حرفهما كانه خاطب به اولئك
الكفرة اى ما ارسلنا قبل محمد الا رجالا يوحى اليهم وفى القراءة الظاهرة المشهورة يكون الخطاب لرسول الله اى قل لهم
انه ما ارسل الله من قبلنا الا رجالا يوحى اليهم وقوله فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال بعضهم
انما خاطب به مشركى العرب وامرهم ان يسألوا اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالرسل المتقدمة ليخبروكم انه لم يجعل
الرسالة فيهم الى عامة الخلق الا فى البشر وقال بعضهم انما خاطب به من كفر من اهل الكتاب من لا يعرف الكتاب
وغيره يجيبهم ان سألوا اهل الذكر اى من آمن منهم ليخبروكم ان محمدا رسول الله اليكم ان كنتم لا تعلمون انتم انه
رسول الله وهذا التاويل فى رسول الله خاصة والتاويل الاول فى جميع الرسل وقوله وما جعلناهم جسدا
لا يأكلون الطعام قال بعضهم ما جعلناهم اجسادا لا ارواح فيها لا يأكلون ولا يشربون ولكن جعلناهم اجسادا فيها
ارواح ولاجساد يأكلون ويشربون ويمشون فى الاسواق وجايز ان يكون قوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
الطعام ومن نحو الملائكة والجن ولكن جعلناهم بشرا وحاصله انهم كانوا يطعنون الرسل باشياء مرة قالوا ابعث الله
بشرا رسولا وقالوا هل هذا الا بشر مثلكم ونحو كانوا لا يرون الرسالة يكون من نوع المبعوث اليه فالزمهم ان الرسل
الذين كانوا من قبل الذين صدقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى ومرة طعنوا
الرسل انهم يأكلون الطعام ويشربون وينكحون ويمشون فى الاسواق كغيرهم من الناس كقولهم مال هذا الرسول
يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ونحوه فالزمهم عز وجل ولخبرهم ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا يأكلون ويشربون
ويمشون ويقضون حوايجهم حيث قال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين فى الدنيا وما قال
فى آية اخرى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم
هو كساير الرسل كانوا من قبل هو ممن يأكل ويشرب وينكح وهو بشر وانه بشر كساير الرسل وهو رسول الله

على هذا

على هذا يخرج تاويل الآية وهذه الآية ترد على الباطنية قولهم ومذهبهم لانهم يقولون ان الرسالة لا تكون
فى الجوهر البسيط الذى لا يأكل ولا يشرب ولا يبيد ولا يفنى فاخبر عز وجل انه لم يجعلهم جسدا لا يأكلون الطعام
ولا يبيدون بل جعلهم اجسادا يأكلون ويموتون بقوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين
وقوله عز وجل ثم صدقناهم الوعد اخبر انه وعد الرسل وعدا لكنه لم يبين ما كان ذلك الوعد الذى
وعد رسله لكن فى آخره بيان ان الوعد الذى وعدهم كان وعد اهلاك وتعذيب لانه قال فانجيناهم
ومن نشاء واهلكنا المسرفين دل قوله فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين ان الوعد كان وعد اهلاك فقول
كان وعد عز وجل الرسل الذين من قبل اهلاك من كذبهم فكان كما وعدوا وان تاخر ذلك الموعود ثم وقت لوعد
فعلى ذلك ما وعدكم محمد من العذاب فانه نازل بكم وان تاخر نزوله والله اعلم وقوله عز وجل ولقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم يحتمل قوله ذكركم ما يذكركم ما تاتون وتتقون او يذكركم ما لكم وما عليكم وقال بعضهم
فيه ذكركم اى شرفكم ونبلكم لو اتبعتم وقال الحسن فى قوله فيه ذكركم اى فيه دينكم الذى امسك عليكم به
وقال غيره فيه شرفكم ونبلكم لو اتبعتموه كقوله وانه لذكر لك ولقومك اى شرف لك وقوله عز وجل وكم قصمنا
من قرية كانت ظالمة قصمنا اهلكنا واصل القصم الكسر جعل فاهل مكة بتكذيبهم محمدا ما نزل باولئك بتكذيبهم
الرسل وقوله عز وجل وانشانا من بعدها قوما آخرين وقوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون
قوله احسوا قال بعضهم علموا بالعذاب اذا هم يركضون اى يعزبون ويهربون وقال بعضهم يعدون وهو واحد
وقوله عز وجل لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه اى نعمتم فيه ومساكنكم مثل هذا يخرج مخرج الاستهزاء بهم
وقوله عز وجل لعلكم تسألون قال بعضهم تعذبون وقال بعضهم تحاسبون وقال بعضهم لعلكم تسألون
الايمان كما سالتموه قبل نزول العذاب وقيل لعلكم تسألون عن قتل نبيكم لانهم قتلوا نبيهم تسألون فيما قتلتموه وقال
بعضهم كان هذا فى نازلة والله اعلم تلقتهم الملائكة وهم هاربون فادون فقالوا لهم لا تركضوا وارجعوا
الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون استهزاء بهم وقال بعضهم لعلكم تسألون تفقهون قال بعضهم اضغاث
احلام قال الضغث ما لا تاويل له ويقال حلم واحلام ويقال حلم يحلم حلما فهو حالم اذا رأى حلما اى شيئا
فى النوم واحتلم يحتلم لا يكون حلم يحلم ويقال من الحلم حلم يحلم حلما فهو حليم ويقال حلمته اى جعلته
حليما والافتراء الكذب والشاعر انما سمى شاعرا لانه يشعر من الكلام ما لا يشعر به غيره والقصم الكسر والمراد منه
الهلاك قصم غيره وانقصم بنفسه اى انكسر وقال احسوا اى استيقنوا بعذابنا ويقال احسست اى وجدت
واحسست علمت واستيقنت ويقال احسست قطعت وتحسست اى تحيرت والحسة الفرجون وقال يركضون اى
يهربون الى ما اترفتم فيه اى انعمتم ومتعتم والاتراف الاكرام وقال ابو عبيدة يركضون يعدون وقوله لا تركضوا وارجعوا
الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ليس على الامر ولكن اى لو رجعتم الى ما اترفتم فيه وكذلك قل سيروا فى الارض
فانظروا وكذا ليس على الامر ولكن لو سرتم فانظروا كذا فعلى ذلك قوله ارجعوا الى ما اترفتم فيه اى لو رجعتم لعلكم
تسألون الحوايج على ما كنتم تسألون من قبل فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء جزاء لصنيعهم والله اعلم وقوله عز وجل
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين يقرون يومئذ بالظلم لكن لا ينفعهم ذلك ويندمون على سوء صنيعهم فيطلبون العود
الى دنياهم كقوله يا ليتنى قدمت لحياتى وقوله عز وجل فما زالت تلك دعويهم اى ما زالت تلك اى قولهم يا ويلنا
انا كنا ظالمين دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين فان كان هذا القول منهم فى الدنيا فيكون قوله حتى جعلناهم
حصيدا خامدين بالقتل والسيف والاهلاك وان كان ذلك منهم فى الآخرة فيكون قوله حصيدا خامدين
فى النار فى الآخرة والله اعلم وحصيدا اى هالكا وهو محصود وخامدين كما يقال خمدت النار اذا طفيت
وقوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اخبر انه لم يخلق السماء والارض وما بينهما لتكون
سماء وارضا على ما هما عليه ثم تفنيان وتبيدان ولكن خلقهما لعاقبة قصدها وهو ان يمتحن اهلها لأمر عمل

اى لم يزل دعواهم وهى قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين حتى جعلناهم حصيدا خامدين شرح

الحصيد الهالك وهو المستاصل وهو يعنى مجرى المصدر الذى يوصف الجمع والتثنية والذكر والانثى به على لفظة واحدة وانما شبههم بالزرع المحصود لان الزرع اذا حصد يبس شرح وجف

في الشاهد عملا لا يقصد به عاقبة يامل ويرجوا مرامه في عمله عابث لاغ ولو كان على ما عند اولئك الكفرة بان لا بعث
ولا حساب ولا جزاء ولا ثواب لكان انشاؤهما وما بينهما باطلا لعبا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون صير عدم الرجوع اليه خلقهم عبثا باطلا وقال الحسن لم يخلقهما عبثا ولكن خلقهما لحكمة نظرا اليهما دالا
على وحدانية منشيهما وسلطانه وقدرته وعلى علمه وتدبيره وقوله عز وجل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا
قال بعضهم لهوا اي زوجة لكن هذا بعيد لانه احتج عليهم على نفي الولد بنفي الصاحبة بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له
صاحبة فلولا انهم اقروا وعرفوا ان لا صاحبة له والا لم يكن للاحتجاج عليهم على نفي الولد بنفي الصاحبة معنى ويكون
قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا اي ولدا لان الناس يتلهون بالولد فسماه لهوا لذلك قال لاتخذناه من لدنا ان كنا
فاعلين هذا يخرج على وجهين احدهما لاتخذناه من لدنا بحيث لا يبلغ افهامكم ولا يدركه علمكم لان الولد يكون
من جنس الوالدين ومن شكلهما وسبيل معرفته وعلمه الاستدلال الحسي فاذا لم يعرفوه بالحس فكيف يعرفون من هو
يكون منه لو كان والثاني ان الغايب انما يعرف بالاستدلال بالشاهد فلو كان له الولد على ما تزعمون لكان لا يعرف
لانه لا صنع للولد في الشاهد اذ هو الواحد المتفرد بانشاء العالم فيذهب معرفة الولد وادراكه لو كان على ما تزعمون وقوله
لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ليس على انه يحتمل ان يكون له الولد وان يحتمل ان يتخذ ولدا ولكن لو احتمل
ان يكون لم يحتمل ان يدرك ويعلم وكذلك يخرج قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ليس انه يحتمل ان يكون فيهما آلهة
ولكن لو احتمل ان يكون فيهما آلهة لفسدتا وقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل يشبه ان يكون الحق الذي
اخبر انه يقذف على الباطل القرآن الذي نزل على رسوله او الرسول نفسه او الآيات التي جعلها لوحدانيته والوهيته
فيدمغه اي يبطل ذلك الذي قالوا في الله ما قالوا من الولد والصاحبة وغيره مما يليق به فاذا هو زاهق اي هو ذاهب
متلاشي وقوله ولكم الويل مما تصفون من الولد والصاحبة وجميع ما وصفوه مما يليق به وقوله وله من في السموات
والارض كانه ذكر هذا جوابا لقولهم وردا على وصفهم اياه بالذي وصفوه فقال من عبيده واماءه فاذا لم ترضوا
هذا في الخلق انفا من ذلك واستنكافا فكيف قلتم ذلك في الله سبحانه وتعالى واضفتم اليه او ان يخبر عن غناه
عن الخلق بان له من في السموات والارض والولد في الشاهد انما يطلب لحاجات تسبق فاذا كان الله سبحانه
غنيا بذاته بما ذكر ان لله كذا لا حاجة تقع له الى الولد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يشبه ان يكون ذكر هذا لقولهم الملائكة بنات الله فاخبر انهم ليسوا كما وصفتم ولكنهم
عبيد لي لا يستنكفون عن عبادتي ولا يفترون او ان يكون ذكر هذا لمكان من عبد الملائكة واتخذهم آلهة دونه
فاخبر انهم لا يستكبرون عن عبادتي ولا يفترون ولم يدعوا لهم الالوهية لانفسهم فكيف نسبتم الالوهية اليهم وعبدتموهم
دوني او ان يكون قال ذلك لكم ان استكبرتم عن عبادتي فلم يستكبر عنها من هو ارفع منزلة واعظم قدرا منكم
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ينزهون الله ويبرئونه عما وصفه الملحدة من الولد وجميع ما قالوا فيه مما
لا يليق به وهذه الاية تنقض قول المعتزلة ومذهبهم حيث قالوا ان الاعمال لانفسها متعبة منصبة ولو كانت الاعمال
لانفسها متعبة على ما ذكروا لكان البشر والملائكة فيها شرعا سواء فلما اخبر عنهم انهم لا يعيون ولا يفترون
ولا يتعبهم العبادة دل انها صارت متعبة لصنيع غيرها لا لانفسها وهذه المسالة في خلق افعال العباد هم يكونون
خلقها ونحن نقول هي خلق الله عز وجل كسب العباد وقد ذكرنا هذا في غير موضع كلاما كافيا قال ابو عوسجة فيدمغه
اي يبطله وقال غيره يهلكه وهو من قولك ضربت الرجل فدمغته اذا وصلت الضربة الى الدماغ واذا كان كذلك مات
فكذلك يدمغ الحق الباطل اي يهلكه وقوله فاذا هو زاهق اي ذاهب وميت زهق اي مات وهلك والزاهق في غير هذا
السمين ولا يستحسرون اي لا يعيون ومنه حسير ومحسور ايضا لا يفترون والفتور الاعياء ايضا وقوله ام اتخذوا
آلهة من الارض قوله ام اتخذوا استفهام في الظاهر من الخلق لكن ذلك من الله على الايجاب كانه قال قد اتخذوا
آلهة وهكذا كل ما خرج في الظاهر من الله على الاستفهام فانه على الايجاب لانه عالم بما كان ويكون لا يخفى عليه شيء

وانما يعرف انه الاله الواحد المتفرد بالاستدلال بالعالم الشاهد اذ هو يدل على الصانع الواحد الحكيم العزيز العليم فاما هو لا يدل على ان يكون له الولد فيذهب معرفة الولد وادراكه لو كان على ما تزعمون شرح

مبحث في خلق الافعال عندنا

فتموت فكذلك يدمغ الحق الباطل

يقال زهق اي مات وهلك

واما الخلق

واما الخلق فانه يجوز ان يستفهم بعض من بعض لما يخفى على بعض امور بعض فيطلب بعضهم من بعض العلم والفهم
بذلك والله الموفق وقوله هم ينشرون يحتمل قوله هم ينشرون وجهين احدهما ينشرون اي يخلقون
اي اتخذوا آلهة لا يخلقون كقوله خلقوا كخلقه وكيف اتخذوا آلهة لا يخلقون وانما يعرف الاله بالخلق وبآثار تكون
في الخلق فاذا لم يكن من هؤلاء خلق كيف اتخذوها آلهة والثاني هم ينشرون اي يبعثون ويحيون فان كان على البعث
والاحياء فكانه يقول كيف اتخذوا من لا يملك البعث والاحياء آلهة وخلق الخلق للبعث والاحياء بعد الموت
يخرج على غير الحكمة في الظاهر لان من بنى بناء في الشاهد بناء لنقضه خاصة لا لعاقبة تقصد به كان غير حكيم
في فعله عابثا في بنائه وكذلك قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل خلق الخلق لا للمرجوع اليه
عبثا فيخرج هذا على وجهين ام اتخذوا آلهة اي قد اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون او لم يتخذوا آلهة من الارض
هم يملكون النشر والنشور والله اعلم وقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة
لو كان فيهن آلهة غير الله لفسدن ثم يحتمل قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وجوها لفسدتا اي لم يكونا
من الاصل لان المعروف في الملوك ان ما بنى هذا واشبه يريد الاخر نقضه وافناه فلم يثبتا ولم يكونا من الاصل لو كان لعدد
والثاني لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لم يكن منافع احدهما متصلة بمنافع الاخرى لخلق اذ منع كل واحد منهم
منافع ما خلق هو من ان تتصل الى الاخرى فاذا اتصلت منافع احدهما بالاخرى دل انه صنع واحد وتدبير واحد
لا عدد والثالث لو كان عددا لا يخرج تدبيرهما على حد واحد في كل عام فاذا اتسق التدبير وجرى الامر في كل عام
على سنن واحد في الفصول الاربعة دل انه تدبير واحد دل انه تدبير واحد لا عدد اذ لو كان لعدد لكان يختلف
الامر في كل عام ولم يتسق على سنن واحد ولا جرى على امر واحد وقال بعضهم لفسدتا هو قوله ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض على ما هو من عادة ملوك الارض وقوله فسبحان الله
رب العرش عما يصفون من الولد والشريك وقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون هذا يحتمل وجوها احدها
انه لا يسأل لان ما يفعل يفعل في ملكه وسلطانه وانما يسأل من فعل في سلطان غيره وملك غيره ففي ذلك دلالة
انه لا يجوز التناول في شيء الا بالامر والاباحة من مالكه فيبطل قول من يقول على الاطلاق والاباحة
في الاصل والثاني لا يسأل عما يفعل لانه حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة فانما يسأل من يحتمل فعله السفه
فاما من لا يحتمل فعله الا الحكمة فانه لا يحتمل السؤال لم فعلت ولماذا فعلت والثالث لو احتمل السؤال عما يفعل
لاحتمل الامر والنهي ان افعل كذا ولا تفعل كذا وذلك محال ولو ثبت الامر فيه لكان يخرج سؤاله سؤال حاجة
لان من يامر من فوقه بامر فانما يكون امره سؤال حاجة ومن يامر من دونه فيكون امره امرا وقوله ام اتخذوا من دونه
آلهة قل هاتوا برهانكم فيه دلالة لزوم الدليل على النافي لانه لما قال هاتوا برهانكم كان لهم ان يقولوا هات
انت البرهان على ما ادعيت من الالوهية ونحن ننكر ذلك فاذا لم يكونوا يقولون ذلك دل ان الدلالة تلزم النافي
وقوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي اي هذا القرآن ذكر من معي وذكر من قبلي قال بعضهم هذا القرآن
فيه ذكر من معي من الحلال والحرام امهم وذكر من قبلي اي فيه ذكر اعمال الامم السالفة واخبارهم وما صنع الله بهم
والى ما صاروا اليه او ان يكون قوله هذا ذكر من معي اي خبر من معي وخبر من قبلي فيكون فيه دليل رسالته
لانه اخبر عن انباء الامم السالفة واخبارهم على ما ذكرت في كتبهم من غير ان علم ما في كتبهم بتعلم منهم او ينظر
كان منه فيها ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله ويشبه ان يكون تاويل قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اي هذا ذكر من معي وذكر الرسل من قبلي ومن معهم
اي بهذا الذكر ارسلني الى من معي وارسل الذين من قبلي الى قومهم والله اعلم وقوله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم
معرضون كذلك كانوا لا يعلمون الحق باعراضهم عنه وقوله وما ارسلنا من قبلك الا يوحى اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون اخبر انه لم يرسل رسولا من قبل الا بما ذكر من قوله انه لا اله الا انا فاعبدون ثم يحتمل قوله فاعبدون

لو شاء ذا كانا اثنين لم يكن منافع

اى وجد و فى الالوهية عنه لا تصرفوا الالوهية الى غيرى ولا تشركوا من دونى والله اعلم **وقوله** وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون دل قوله بل عباد مكرمون انهم لم ينسبوا الولد اليه وقالوا ذلك انه اتخذ ولدا على حقيقة الولاد ولكن قالوا ذلك على التصفوة واصطفات من اضافوا ونسبوا اليه لانه اخبر ان الذين قالوا انهم ولد من نحو عيسى وعزير والملائكة ليسوا كما وصفوا ولكنه عباد مكرمون ثم اخبر بما اكرمهم فقال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون اخبر انهم لا يتقدمونه فى قول ولا فعل الا باذن منه وامره او ان يكون قوله لا يسبقونه بالقول اى لا يامرون بشئ ولا ينهون عن شئ الا باذن من الله وامر منه والله اعلم **وقوله** يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم هذا قد ذكرناه فى سورة طه **وقوله** ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال فى اية اخرى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا فيكون تاويل قوله الا لمن ارتضى اى الا لمن اذن له ثم يتوجه قوله الا لمن ارتضى الى الشفيع اى لا يوذن لاحد بالشفاعة الا من كان مرضيا مرتضى دينا وعملا ويتوجه قوله الا لمن ارتضى الى المشفوع له اى لا يشفع الا لمن ارتضى عند الرب مذهبا وعملا حتى لم يدخل نحوه تقصير وقوله ثم الشفاعة انما جعلت فى الاصل للتجاوز فى العمل من التقصير ثم لا يخلو الذى يشفع له اما ان يكون صاحب الصغيرة فيجوز ان يعذب عليها او ان يكون صاحب كبيرة ففيه دلالة التجاوز والعفو عن صاحب الكبيرة لانا قد قلنا ان الشفاعة انما جعلت لمن منه التقصير فى العمل ففيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان صاحب الصغيرة معفو عنه الصغيرة حتى لا يجوز ان يعذب عليها وصاحب الكبيرة لا يجوز العفو عنه والتجاوز بل هو معذب ابدا **وقوله** وهم من خشيته مشفقون هذا والله اعلم كان صلة قوله لا يسبقونه بالقول الاية اى من خشية عذابه وهيبته لا يتقدمون بقول ولا فعل ولا امر ولا نهى خوفا منه وهيبة والله اعلم **وقوله** ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين هذا كانه مقطوع عما سبق وتقدم ذكره غير موصول لان ما سبق هو القول منهم انه اتخذ الرحمن ولدا فلو كان اتصاله بالاول لكان يقول ومن يقول منهم انى ولد الله لانهم قالوا اتخذ الرحمن ولدا ولم يقولوا انه اتخذ الها فلو كان على الصلة الاول والجواب له فهو يخرج على الجواب لهم ومن يقل منهم ولد الله لكن كانهم كانوا فرقا منهم من قال اتخذ ولدا ومنهم من عبد دونه الملائكة واتخذهم الهة فخرج هذا جوابا لذلك فقال ومن لم يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية فان قيل لنا فى قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقد عبد عيسى دونه وعبد الملائكة دونه فيكونون حصب جهنم على ظاهر ما ذكر قلنا تاويل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اى انكم وما تعبدون من دون الله يا مراد الذين عبدوا وقالوا اعبدونى حصب جهنم دليله ما ذكر فى الاية ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين اى المشركين الظالمين ههنا المشركين الكافرين ثم قال الحسن فى قوله ومن يقل منهم انى اله من دونه لا يحتمل ان يكونوا يقولون ذلك لما وصفهم بالطاعة له وترك الخلاف لامره لكنه ذكر هذا ليعلم الخلق انه من قال ذلك وان عظم قدره عنده وجلت منزلته انه يجزيه بما ذكر وانه يستوجب لذلك ولكن عندنا المعصية من الملائكة ممكن محتمل دليله قوله ومن يقل منهم انى اله من دونه ولانه قد مدحهم بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية وقوله لا يستكبرون عن عبادته الاية فدل ذلك كله على انهم مختارون فى ذلك غير مجبولين عليه وقال بعضهم من اهل التاويل ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم هو ابليس هو كان منهم وهو الذى قال ذلك انى اله من دونه فاعبدونى والله اعلم **وقوله** اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قوله اولم ير يخرج على وجوه احدها ان اعلموا وقد راوا ان السموات والارض كانتا كذا والثانى لو تفكروا وتاملوا لعلموا انهما كانا كذا والثالث على التنبيه اى قد راوا وعلموا انهما كانت كذا وكذلك هذا فى كل ما ذكر من قوله اولم تروا الى كذا والم تر كذا فهو كله يخرج على هذه الوجوه ثم يكون قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى وجعلنا فى الارض رواسى وجعلنا فيها فجاجا سبلا وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس كل هذا كان فى قوله اولم ير الذين كفروا انه بقوله اولم يروا كذا

فى مؤاخذة الصغيرة وعفو الكبيرة

فيبطل معنى الشفاعة على مذهبهم شح

الصلة بالاول شرح

اولم يروا انا جعلنا لهم من انواع ما ذكر ثم ذكر هذا لوجوه احدها ان يذكر نعمه عليهم حيث اخبر ان السماء والارض كانتا رتقا ففتق منهما ارزاقهم وذكرهم انه جعل بالماء حيوتهم وجعل لهم الارض بحيث تقر باهلها وتسكن بهم وجعلها مهادا لهم وفراشا بالجبال حتى قدروا على المقام بها والقرار ثم قال انه جعل فيها فجاجا وسبلا ليصلوا الى حوائجهم وشهواتهم ومنافعهم التى جعلت لهم التى جعلت فى البلاد النائية وذكرهم نعمه ايضا فى حفظ السماء عن ان تسقط عليهم على ما اخبر انه يمسكها هو بقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وذكرهم ايضا نعمه فيما جعل لهم من الليل والنهار وفى الشمس والقمر من المنافع يستاذى بذلك كله الشكر على ما انعم عليهم او ان يذكرهم بهذا قدرته وسلطانه انه قدر على فتق السماء من الارض وجعل حيوة كل شئ فى الماء وامساك السماء وحفظها عن ان تسقط بلا عمد وما ذكر من خلق الليل والنهار وقطع الشمس والقمر بيوم واحد مسيرة خمسمائة عام انه قادر على كل ما ذكر لقادر على بعثهم واحيائهم بعد الموت وبعدما صاروا ترابا او ان يذكره غناه بذاته وملكه ان من كان هذا سبيله فانى يقع له الحاجة الى اتخاذ الولد والشريك والصاحبة ردا على ما قالوا اتخذ الله ولدا من دونه الهة ونحوه ويبين فساد ذلك كله ويطلانه حيث قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الا الله وقوله ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ونحوه ويبين بهذا كله فساد ما ادعوا على الله انه اتخذ كذا ثم اختلف فى قوله كانتا رتقا قال بعضهم فتق السماء بالمطر والارض بالنبات فتق السماء وهى اشد الاشياء واصلبها بالين شئ وهو الماء وكذلك الارض فتقها بالين شئ وهو النبات مع شدتها وصلابتها وهو ما ذكر من لطفه وقدرته وقال بعضهم كانتا رتقا ملتزقتين ففتقهما وجعل بينهما هواء ومكانا للخلق وقال بعضهم كانت السماء واحدة والارض كذلك فجعل من السماء ومن الارض كذلك سبعا فذلك فتقه اياهما والله اعلم **وقوله** وجعلنا من الماء كل شئ حى قال بعضهم اراد بالماء النطفة اى من النطف حيوة الخلق واصلهم وقال بعضهم الماء نطفة الرجال منه يخلق الخلائق وقال بعضهم وجعلنا من الماء الذى خلق فى الارض وانزل من السماء حيوة كل شئ يعلم حيوة خلايق الارض بهذا الماء ولكن لا يعلم حيوة اهل السماء بماذا والله اعلم **وقوله** وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم هذا يدل ان الارض لم يكن من طبعها فى الاصل التسفل والترسب فى الماء على ما قاله بعض الناس لانه لو كان طبعها التسفل والترسب لكان الجبال تدير التسفل فى الماء والترسب فاذ لم يكن دل ان طبعها كان الاضطراب والزوال والتحرك والميد باصلها فى التسفل والترسب ولكن على ما ذكرنا فاثبتها بالجبال وان كنا نشاهد بعض اجزائها تسفل وترسب وهذا كما تقولون بعض العالم متعلق ببعض وانه لا يخلوا عن مكان وكل العالم لا تعلق له به ولا الامكنة احدث لها فعلى ذلك الارض وان كان طبعها التسفل والترسب جعلها بحيث تقر وتسكن بشئ طبيعة التسفل ايضا باللطف **وقوله** وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال بعضهم الفجاج والسبل واحد وهى الطرق التى جعلها فى الجبال وقال بعضهم الفجاج السعة والفسحة والسبل الطرق وقال بعضهم الفجاج هى الطرق التى فى الجبال والسبل هى التى فى المفاوز **وقوله** وجعلنا السماء سقفا محفوظا قال بعضهم محفوظا اى محبوسا عن ان تسقط عليهم وقال بعضهم محفوظا من الشياطين اى صار محفوظا منهم حتى لا يستمعوا كلام الملائكة بعدما كانوا يستمعون من قبل والله اعلم **وقوله** وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون قال بعضهم الفلك السماء وقال بعضهم استدارة السماء وقيل الفلك المجرى والسرعة وقيل الفلك فلكة كفلكة المغزل وهو دورانه وكذلك فلكة الطاحونة هو ما يدور به الطاحونة وهى الحديدة التى يدور بها الطاحونة وقالوا ان الفلك هو استدارة وكل شئ دار فهو فلك وهو ما ذكرنا وقوله يسبحون قال بعضهم يجرون وقال بعضهم يسبحون يعملون وكذلك روى فى حرف عبد الله كل فى فلك يعملون وظاهر الاية ان يكون هنالك بحر او نهر فيه يجرى الشمس والقمر وفيه تغربان ومنه تطلعان لانه قال فى فلك يسبحون والسباحة هى المعروفة عند الناس وهو ما يسبح المرء فى بحر او نهر وهذا ظاهر الاية وعلى ذلك جاءت الاخبار روى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله بحرا دون سماء الدنيا مقدار ثلاث فراسخ فهو موج مكفوف قائم فى الهواء بامر الله تعالى لا يقطر منه قطرة والبحور كلها ساكنة وذلك البحر جار فى سرعة السهم ثم انطباقه فى الهواء

انه ان كان طبعها الاضطراب

مستوكانه جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب فتجري الشمس والقمر والخنس في ذلك البحر فذلك قوله كل في فلك
يسبحون والخنس هي التي تخنس بالنهار وتجري بالليل والفلك دوران العجلة في لجة غمر ذلك البحر وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو بدت الشمس من ذلك البحر لحرقت كل شيء في الارض حتى الصخور ولو بدا القمر
من ذلك البحر لافتتن به اهل الارض كلهم يعبدونه من دون الله الا من عصمه الله وفي خبر بعض الاخبار الفلك
ما مكفوف يجري فيه الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار ويقال الشمس والقمر والليل والنهار كله دون السماء
يدور به الفلك ومثل هذا قد قيل فيه والله اعلم بذلك وظاهر الآية في الخبر ما ذكرنا ان الشمس والقمر اللذان
يجريان ويسبحان في ذلك الماء وعلى تاويل بعضهم انهما على حالهما لا يجريان لكن الفلك هو يجري فيظهران ويبدوان
في وقت ويختفيان في وقت ويختفيا في وقت آخر ولو كانا هما اللذان يجريان لكانا على حالة واحدة ويظهران في الاحوال
كلها لكنا لا نعلم ذلك الا بالخبر عن الله انه كذلك والله اعلم وقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت
فهم الخالدون كان هذا خرج جوابا لقول اولئك الكفرة في رسول الله صلوات الله عليه والاشبه ان يكون ه
ما اصابهم من الشدائد والضيق والهلاك كانوا يتشاءمون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيرون به ان ذلك
انما يصيبهم به وقالوا لولا هو ما يصيبنا من ذلك شيء فقال جوابا لهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد بل حكمه ان يموت
الكل على ما اخبر كل نفس ذائقة الموت فاذا لم يكن لاحد من قبلك الخلد بل كلهم قد ماتوا كيف يتشاءمون بك ان ذلك
انما يصيبهم بسببك وشومك افان مت فهم الخالدون اي وان مت انت وتخرج من بينهم لا يخلدون هم فيها
لان من حكمه ان كل نفس ذائقة الموت وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون قد ذكرنا تاويله فيما تقدم
في غير موضع وقوله واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم كان رسول الله
كان يذكر آلهتهم بسوء ويعيبها فيهزؤون به مكان ما يعيب هو آلهتهم ويقولون اهذا الذي آلهتكم ثم يحتمل ان يكون هذا
من القادة منهم والرؤساء اغواء لاتباعهم عليه انه يذكر آلهتكم بسوء او ان يقول بعضهم لبعض اذا خلوا عنه كقوله
واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم الآية وقوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون قال بعضهم كانوا يقولون لا نعرف
ما الرحمن فيكفرون باسم الرحمن ويحتمل ان يكون قوله بذكر الرحمن بنعمة الرحمن وهو محمد عليه الصلوة والسلام
اي يكفرون بنعمة او ان يذكر هذا ليصبر رسوله ويعزيه على تكذيبهم ليس بأول ذلك اليهم بأكثر منا بأيادي الرحمن فهم ه
يكفرون به ويكذبونه ويقولون فيه ما يقولون فاصبر انت على اذاهم وما قالوا والله اعلم وقوله خلق الانسان
من عجل وقال في آية اخرى وكان الانسان عجولا قال الحسن عجولا اي ضعيفا وضعفه هو ان يضيق صدره ويحرج عند
اصابته ادنى شيء حتى يحمله ضيق صدره على ان يدعو على نفسه وعلى مجيئه بالهلاك لضيق صدره وذلك لضعفه
فيه وعندنا انه خلقه عجولا حتى لا يصبر على حالة واحدة وان كانت الحالة حالة نعمة ورخاء حتى يمل عنها ويسأم
ويريد التحول الى حالة دون تلك الحالة ويرضى بشيء دون شيء لكنه وان خلقه على ما اخبر جعل في وسعه رياضة نفسه
حتى يصير صبورا حليما وهو ما اخبر ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين
اخبر انه خلقه هلوعا جزوعا ثم استثنى المصلين دل انه بالرياضة يتحول عن الحالة التي خلقه الى حالة اخرى
وهي حالة الحلم والصبر وكذلك ما اخبر وكان الانسان قتورا كان كذلك في الابتداء لكنه بالرياضة والعادة يصير
سخيا جوادا وكذلك ما قال واحضرت الانفس الشح ثم قال ومن يوق شح نفسه اخبر ان الانفس احضرت الشح
ثم اخبر ان من يوق شح نفسه فله كذا دل بهذا كله انه بالرياضة والعادة يحتمل التحول الى حالة السخاء والجواد
بعد ما كان شحيحا قتورا بخيلا فعلى ذلك ما ذكر من العجلة والهلع والجزع فيه يحتمل بالرياضة والعادة الى ان يصير
حليما صبورا في الامور غير ملول فيها وليست المحنة الا الرياضة والعادة فامره ان يروض نفسه ويعودها القيام
بجميع ما امر الله ويكفها عن جميع ما نهى عنه فيعتاد اتباع امره والانتهاء عن نهيه والله الموفق وقوله سأريكم آياتي
فلا تستعجلون يشبه ان يكونوا سألوا رسول الله الآيات على رسالته انه رسوله وسألوا آيات على وحدانيته

والتكلف لا الرياضة والنزوع العادة تعويدها خلافا امر الله تعالى كل كلف ان يروض نفسه

وربوبيته

وربوبيته فقال سأريكم آياتي من الوجه الذي يريد ربي ويبين لكم ذلك من الوجه تريدون انتم وتسألونه
وقال بعض اهل التاويل سأريكم آياتي فيما نزل من العذاب فيهم وفي منازلهم فلا تستعجلون انتم العذاب على من كان قبلكم
من الامم بتكذيبهم الرسل فان سافرتم ومررتم في الارض رأيتم آثار العذاب فيهم وفي منازلهم فلا تستعجلون انتم العذاب الذي
نعدكم الرسول كان يخوفهم العذاب ويعدهم اياه فكذبوه في ذلك فقال عند ذلك ما قال ويقولون ايضا متى هذا
الوعد الذي تعدنا ان كنتم صادقين بان العذاب ويجوز ان يكون الآية فيهم بتكذيبهم الساعة والقيامة وانكارهم
اياها فقال سأريكم آياتي التي تكون قبل وقوعها فلا تستعجلون وقوعها ووجوبها دليله ما ذكر لو يعلم الذين
كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون وقوله بل تأتيهم بغتة الآية وقوله
لو يعلم الذين كفروا ما ينزل بهم بوقوع القيامة حتى لا يملكون كفها عن وجوههم ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
انما يحيط بهم حتى لا يملكون هم دفعها عن انفسهم ولا يملك ما اتخذوا انصارا واعوانا في الدنيا دفع ذلك ايضا
وهو كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار الآية وقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله بل تأتيهم
بغتة اخبر انها تأتيهم بغتة اي فجأة لا يعلم اهلها عن وقت وقوعها فتبهتهم قال اهل التاويل فتبهتهم اي
فتفجأهم والبهتة كانها حيرة يقول تأتيهم بغتة فجأة فتحيرهم فهو ما اخبر وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى وذلك لحيرتهم في انفسهم وهو ما ذكر انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الآية يصيرون حيارى
لشدة اهوالها وقوله فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون اخبر انهم لا يملكون دفعها اذا وقعت بهم ولا هم ينظرون
في وقوعها ان من ابتلي بالبلايا في الشاهد فانما يملك دفعه عن نفسه اما بقوة نفسه واما بانصار واعوان ينصرونه
ويعينونه في دفعه عنه واما بالتضرع والابتهال والاستسلام كقوله فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا الآية
فاخبر عز وجل لا يملكون دفعها بقوى انفسهم ولا بانصارهم الذين استنصروا حيث قال ولا هم ينظرون بالتضرع
والاستسلام وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فيه تصبير رسول الله على ما يستهزئوا قومه به لانه قال
ولقد استهزئ برسل من قبلك اي لست انت باول رسول استهزأ به قومه وفيه تخويف اولئك باستهزائهم به بما نزل
باوائلهم باستهزائهم برسلهم وقوله فحاق قال اهل التاويل حاق نزل ووجب ووقع وامثاله وقال بعض اهل
المعاني الحيق هو ما اشتمل على الانسان من مكروه فعله بفعله كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله وقال بعضهم حاق
اي رجع عليهم واحاط بهم وقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اي من يحفظكم ويحرسكم من عذاب الرحمن
وقيل من يدفع عنكم عذاب الرحمن ثم هذا يخرج على وجهين احدهما قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اي لو سألتهم
من يكلؤكم من عذاب الرحمن لاقروا لك ان الرحمن هو الذي يكلؤهم ويحفظهم من عذاب الرحمن لا الآلهة التي يعبدونها
وهو كقوله قل من رب السموات والارض وقل من بيده ملكوت كل شيء ونحوه فسيقولون الله لا الآلهة التي يعبدونها فقل
ان كيف عدلتم عن عبادته وعبدتم دونه من لا يكلؤكم ولا يدفع عنكم العذاب وقد عرفتم ان الرحمن هو الذي يكلؤكم بالليل
والنهار وهو اله السموات والارض فكيف عبدتم من ليس هو باله فيخرج على الاحتجاج عليهم ولزوم الحجة لهم لئلا يقولوا
انا كنا عن هذا غافلين والثاني يخرج على التذكير والتنبيه لهم لانهم كانوا ينكرون الرحمن ويقولون ما الرحمن وقوله
وهم يكفرون بالرحمن فيخرج قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار اي كيف تنكرون الرحمن وتكفرون به وهو يكلؤكم بالليل
والنهار عن عذابه وعلى هذا يخرج بل هم عن ذكر ربهم معرضون اي بل هم عن ذكر الرحمن معرضون اي منكرون له
والله اعلم وقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا اي ليس لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا هو على النفي اي ليس لهم
الآلهة من دونه وان كان ظاهره استفهاما لانا قد ذكرنا ان الاستفهام من الله يخرج على تحقيق الايجاب وان كان
ظاهره استفهاما ثم بين موضع الاحتجاج عليهم وهو ما اخبر عن عجزهم حيث قال لا يستطيعون نصر انفسهم
ولا هم منا يصحبون اي لا يستطيع الآلهة نصر انفسها اذا ارادوا بها سوءا ولا هم منا يصحبون اي ينصرون تاويله كيف
عبدتم من دونه واتخذتموهم آلهة وجاء شفاعتهم ووسيلتهم حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحو

وفي قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا كانوا لا يملكون نصر انفسها ان اصابها سوء ولا يصحبها من يدفع عنها السوء فكيف اتخذتم آلهة دونه فمن كان عن دفع السوء عن نفسه ونصرها عاجزا فهو عن دفعه عن الآخر ونصره اعجز ثم بين الذي حملهم على ذلك وهو ما قال بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ظنوا بما متعهم وآباءهم واطال عليهم العمر ولم ياخذهم بالعقوبة باعمالهم التي عملوها ان الله راض عنهم وانهم على الحق ولهذا قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ادعوا رضاء الله بما هم عليه وآباؤهم ثم بين انه وان تركهم وتمتعهم ومتعهم عليه انه قد نقص عما كانوا يملكونهم حيث غلب عليهم رسول الله على بعض املاكهم وجعله ملكا للمسلمين وهو قوله افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها وجعلناها ملكا للمسلمين ثم اختلف في تاويل هذا فالحسن قوله افلا يرون ننقصها من اطرافها اي علموا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اي نحشرهم يوم القيامة من اطراف الارض الى المحشر فذلك نقصها وقال غيره افلا يرون ان رسول الله كلما بعث الى ارض ظهر عليها قال ننقصها بالظهور عليها ارضا فارضا انهم الغالبون اي ليسوا هم الغالبين ولكن رسول الله هو الغالب عليهم وقال ابن عباس ننقصها ذهاب فقهائها وخيار اهلها وقال قتادة ننقصها بالموت وكذلك قال عكرمة ننقصها من اطرافها بالموت وقال لو كانت الارض تنقص لو كانت الارض تنقص لم يوجد للرجل مجلس فيه ونحو هذا قد قال راميه **وقوله** قل انما انذركم بالوحي هذا والله اعلم يخرج على وجهين احدهما خرج جوابا لقولهم ما انت الا بشر مثلنا انهم كانوا ينكرون رسالته ويقولون انه بشر كيف خص هو به فيقول اني لست انذركم بما انذركم لاني بشر ولكن انما انذركم بالوحي من الله وانتم ممن لا تقبلون بشارة ربي ونذارته والثاني قال ذلك لما تقدم منه في الآيات النذارة المرسلة غير مضافة الى الله فامر ان يقول لهم اني فيما انذرتكم من النذارات لم انذركم من ذات نفسي ولكن انما انذركم بالوحي من ربي فمعناه والله اعلم اي فيما انذرتكم مما نزل بالامة المتقدمة والانباء التي اخبرتكم عنها لم اشهدها ولا انتم بل انما انذركم بالوحي فذلك موضع الاحتجاج عليهم في اثبات رسالته **وقوله** ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون هذا والله اعلم يقول ان الصم اذا اريد ان يدفع عن المهالك لا سبيل ان يدفع عنها ويكف بالنداء والدعاء ولكن انما يكف ويدفع عن المهالك بالايدي والراحات كانه قال ذلك لما اكثر دعاءهم الى ما به نجاتهم فابوا ذلك ولم يجيبوه فقال حينئذ ذلك انكم لا تسمعون الدعاء والنداء الى ما به نجاتكم ولكن تعرفون ذلك بالقتل والسيف وان يقول ذلك انكم صم عن الحق حتى لا يسمعونه كالصم بالسميع والصم بالسميع لا يدعى ولا ينادى لانه لا يسمع ولكن يدعى باليد والاشارة فعلى ذلك انتم صم عن الحق لا تدعون بالنداء ولكن بالذي يعرف الدعاء وهو اليد والله اعلم **وقوله** ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك قال الحسن نفحة اي طايفة من عذاب ربك وقال بعضهم نفحة من ربك وقال بعضهم النفحة الدفعة وقال بعضهم عقوبة ربك واصل النفحة الرمية ولذلك سمي نفحة الدابة اي رميتها وهو ما ذكر من رمي الشرر كقوله انها ترمي بشرر كالقصر **وقوله** ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين **وقوله** ونضع الموازين القسط ليوم القيامة في ظاهر الآية ان الموازين هي القسط والقسط هو العدل لانه قال ونضع الموازين القسط فكانه قال ونضع الموازين التي توضع في الدنيا ويعرف بها حقوق الناس في الآخرة العدل الذي به يعرف حدود الاشياء واقدارها فيكون على هذا التاويل الموازين العدل وتفسير العدل ما ذكر بقوله فلا تظلم نفس شيئا اي لا ننقص من حسناتها او تزاد على جزاء سيئاتها ولكن يوفى كل جزاء عمله ويحتمل ان يكون قوله ونضع الموازين القسط على الاضمار اي نضع الموازين التي تكون في الدنيا يوم القيامة بالعدل لا تطفف ولا تنقص ولا تخسر كما تفعلون في الدنيا ولكن العدل لا تطفف ولا تنقص تسوي وتستوفي مستويا من غير زيادة ولا نقصان لان الزيادة والنقصان انما تكون في الشاهد لوجوه اما للجهالة او للحاجة او للجور فيحمله ذلك كله على الزيادة والنقصان والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك كله لانه عالم بذاته غني بذاته عادل فلا وجه للخسران منه والزيادة فيه **وقوله** وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها اي جئنا بها واتينا بها اي بعينها

من نفسي حتى يقولوا انك بشر مثلنا ولكن انما انذركم

نفحة الدابة ضربته بحد حافرها مغرب

من غير زيادة ولا نقصان شرح

قالوا ادللا عنه ... سهم عذابه واعترفوا بظلمهم شرح

اي الموازين العدل والقسط هو العدل في اللغة ونظاير الآية ان الموازين هي العدل لان النعت يرجع الى غير المنعوت يقال رجل الظريف فالظريف هو الرجل والرجل هو الظريف كانه قال الموازين القسط التي وضعنا في الدنيا ونضع في الآخرة هو العدل الذي يعرف به حدود الاشياء واقدارها شرح

لا يفوت عن علمه شيء ولا يغيب

اي لا يفوت شيء ولا يغيب عنه وليس المراد من ذكر مثقال حبة ومثقال ذرة الذرة والحبة ولكن ذكر على التمثيل اي لا يفوت عنه شيء ولا يغيب ذلك المقدار من الخير والشر عنه فايت عنه ولا منسي ولكن محفوظ محاسب **وقوله** وكفى بنا حاسبين لا يشغله كثرة الحساب وازدحامه ليس كمن يحاسب احدا في الشاهد انه اذا كثر الحساب عليه وازدحم شغله ذلك عن حفظ الحساب والله اعلم **وقوله** ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء كل كتب الله تعالى فرقان ونور وضياء ومبارك وروح وذكر اما الفرقان فهو ما يفرق بين الحق والباطل وبين الشبه والواضح وبين ما يؤتى ويتقى وبين ما عليهم ولهم والنور ما يتجلى به حقائق الاشياء والضياء هو ما يظهر به حسن ما يتجلى واستناده والروح هو ما به حيوة كل شيء القرآن سماه روحا لانه به حيوة الدين وسمى الماء حيوة لانه به حيوة الابدان والمبارك هو ما ينال به ويصل اليه من كل خير والذكر هو ما يذكر ما لهم وعليهم وذكرا قيل هو الموعظة والموعظة قيل هي التي تلين القلوب وتوسع الصدور وتفتح وتخشع بها الفؤاد على هذا الوصف جميع كتب الله الذي وصف هذا القرآن بها ثم بين انها على الوصف الذي ذكر لمن فقال للمتقين وان كانت هي في انفسها على الوصف الذي ذكر فانها انما تتجلى بها الشبه من الحقايق والحق من الباطل لمن قبلها واقبل نحوها ونظر اليها بعين التعظيم والاجلال فاما من اعرض عنها فليست لهم على ما ذكر لكن على ما اخبر بقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم ثم بين من المتقون فقال الذين يخشون ربهم بالغيب يحتمل قوله يخشون ربهم اي يخشون العذاب الموعود في الغيب وهو هذا بالآخرة ونعتها ان المؤمنين خافوا العذاب الموعود في الآخرة فيحذرون ما به يحل ذلك واما الكفار فانهم لم يخافوا العذاب الموعود في الآخرة ولم يصدقوه انما يخافون العذاب المعاين المشاهد فاما العذاب الموعود في الغيب ويحتمل ايضا قوله يخشون ربهم اي يهابون ربهم ويخافونه لما يرون لما راوا من آثار سلطانه وملكه **وقوله** وهم من الساعة مشفقون خايفون فحاسبوا انفسهم في الدنيا اشفاقا على محاسبة انفسهم في الآخرة **وقوله** وهذا ذكر مبارك انزلناه الذكر المبارك ما ذكرنا **وقوله** افانتم له منكرون ظاهره وان كان استفهاما فهو في الحقيقة ايجاب كانه قال وهذا ذكر مبارك انزلناه وتعرفونه انه كذلك فانتم مع هذا له منكرون يذكر سفههم ويخبر عن عنادهم **وقوله** ولقد آتينا ابراهيم رشده دينه وهداه وقال غيره رشده النبوة ويشبه ان يكون قوله آتينا ابراهيم رشده حججه وبراهينه التي حاج بها قومه على غير تعليم من احد وفيه دلالة ان ليس كل رشد وهدى بيان لانه لو كان كله بيانا لم يكن لتخصيص ابراهيم بالرشد كثير معنى اذ هو في ذلك البيان وغيره من الكفرة والفراعنة سواء فدل قوله آتينا ابراهيم رشده ان يكون من الله للمهتدين فضل صنع ليس ذلك في الكافرين وهو التوفيق والعصمة **وقوله** من قبل قال بعضهم من قبل الاوقات التي يعطى البشر الرشد وهو حال الصغر ويحتمل قوله من قبل اي من قبل محمد وقال بعضهم من قبل موسى وهرون ويحتمل آتينا ابراهيم رشده من قبل ايمان اهل الاديان كلها لان جميع اهل الاديان يدعون انهم على دين ابراهيم فلا يحتمل ان يكون دينه ورشده الذي آتيه الله وهو كل ذلك بل انما كان ذلك واحدا فوجب النظر فيه والتامل في ذلك ليظهر الدين الذي كان عليه ابراهيم **وقوله** وكنا به عالمين اي بالدين والرشد الذي عليه ابراهيم عالمين من قبل او ان يكون قوله وكنا به عالمين اي كنا بجميع ما يكون في ابراهيم عالمين **وقوله** اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون كانه قال ما هذه التماثيل التي تتخذتموها انتم لها عاكفون اي انما يعبد من يعبد لفعل يكون من المعبود الى من يعبد فاما ان يعبد بما يفعل بالمعبود ولا يحتمل وهو ما قال ابراهيم اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون يسفههم ويعيب عليهم لعبادتهم ما ينحتون هم بايديهم ويتركون عبادة من خلقهم وخلق اعمالهم **وقوله** قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقد انقطع حجاجهم لما قال لهم ابراهيم ما قال واظهر سفههم ففزعوا الى تقليد آبائهم فقالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين لم ينكر عليهم فعل آبائهم وعبادتهم الاصنام ولكن اقرهم اباءهم ثم حجهم واياهم واخبر انهم وآباؤكم في ضلال مبين بعبادة الاصنام **وقوله** قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لما علموا ان مثل هذا القول لا يقول الا من كان عنده حجة وبرهان فقالوا اجئتنا بما تقول بحجة ام انت من اللاعبين تلعب وتهزء واخبر انه جاءهم بالحجة

هو بالمعبود بان نحته وتعلق ... يعبد بهذا لا يحتمل وهو ما قال ابراهيم

وبين لهم ذلك الحق فقال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن لا الاصنام التى تعبدونها اى ربكم
رب السموات والارض الذى يعرف بالدلالات والبراهين وآثار الصنعة فى غيره لا الذى أحد ثم انتم وتخذتموه
والله اعلم وقوله وانا على ذلكم من الشاهدين يحتمل وانا على جميع ما قال وكان منه من الحجاج واقامة الحجج
على الوهية الله تعالى وتسفيه اولئك فى عبادة الاصنام من الشاهدين او من الشاهدين على خلقهما ويجوز ان يقال
الشاهد المبين وانا على ذلكم من المبينين والله اعلم وقوله وتالله لاكيدن اصنامكم ان الاصنام لا يقصد اليها
بالكيد لكن تأويله والله اعلم لاكيدن لكم فى اصنامكم وقوله بعد ان تولوا مدبرين قال عامة اهل التأويل
ان ابراهيم انما قال ذلك لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين من الاصنام الى عيدهم لانهم كانوا يخرجون الى عيدهم
لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين عنى وكان تولية ذلك الوقت بحضرة الاصنام الا يرى انه قال لهم ما هذه
التماثيل التى انتم لها عاكفون ومثل هذا الكلام لا يقال الا بحضرة الاصنام لانه اشار الى الاصنام فقال ما هذه
التماثيل التى انتم لها عاكفون فقال عند ذلك تالله لاكيدن اصنامكم اى لاكيدن لكم فى اصنامكم بعد ان تولوا
مدبرين عنى على التأويل الاول يكون توليهم الادبار عن الاصنام الى عيدهم وعلى التأويل الثانى يكون توليهم
الادبار عن ابراهيم والله اعلم وقوله فجعلهم جذاذا وجذاذا قال بعضهم قطعا وقال القتبى جذاذا فتاتا وكل شئ
كسرته فقد جذذته ومنه قيل للسويق جذيذ والجذ هو القطع والمجذود المقطوع وذلك قوله غير مجذوذ
اى غير مقطوع وقوله الا كبيرا لهم لم يكسره لعلهم اليه يرجعون قال بعضهم لعلهم اليه يرجعون يقول
الى الصنم الاكبر الذى لم يكسره ابراهيم يرجعون اى يتذكرون وجائز ان يكون قوله لعلهم اليه يرجعون وقيل
هو احج القولين اى من الحجة وقال بعضهم لعلهم اليه يرجعون اى يرجعون الى ما يريد ان يكيد لهم اذا رجعوا
الى اصنامهم لانه انما يريد ان يكيد لهم اذا رجعوا الى الاصنام فرأوها مجذوذة والكيد هو الاخذ على الامن
وكذلك المكر وقوله قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين لو تأملوا كانوا هم الظلمة فى الحقيقة لانهم كانوا
يعبدون تلك الاصنام رجاء منفعة تكون لهم حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله فاذا هم لا يقدرون على دفع الكسر والقطع عن انفسهم ودفع من فعل بهم ذلك كيف طمعوا منها نفعا
او دفع الضر عن انفسهم لان من عجز عن دفع الضر عن نفسه فهو عن دفعه عن غيره اعجز فهم الظلمة فى الحقيقة حيث طمعوا
النفع ودفع الضر ممن لا يملك ذلك لنفسه لكن قالوا سفها ذلك منهم وقوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالكيد لهم
حين قال لاكيدن اصنامكم سمع ذلك القول منه ناس فاخبروا قومهم لما قالوا من فعل هذا بآلهتنا فعند ذلك
قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالكيد لهم يقال له ابراهيم وجائز ان يكون قوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالعداوة وهو
حين قال فانهم عدو لى الا رب العالمين اخبر ان اولئك الذين عبدوا الاصنام اعداء لهم فالمعبود الذى
عبدوه يكون عدوا له ايضا فاستدلوا بذلك القول منه انه هو فعل بهم ما فعل والله اعلم وقوله قالوا فأتوا به
على اعين الناس لعلهم يشهدون قال بعضهم على رؤس الناس وقيل بحيث ينظر الناس اليه او بحيث يراه الناس
وهو واحد وقوله لعلهم يشهدون اختلف فيه قال بعضهم يشهدون عقوبته بما فعل باصنامهم فيكون نكالا له
وزجرا لغيرهم عن ان يفعل بها مثل ما فعل هو ولذلك قالوا حرقوه نكالا وزجرا لغيرهم كقوله فجعلناها نكالا
لما بين يديها وما خلفها اى زجرا وكقوله فشرد بهم من خلفهم وقال بعضهم لعلهم يشهدون بفعله الذى فعل
بالاصنام لم يريدوا ان يعاقبوه بلا بينة ولا حجة وقال بعضهم لعلهم يشهدون انه قال لآلهتهم ما قال والله اعلم
وقوله قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون
اختلف فى هذا قال بعضهم هذا القول من ابراهيم كذب فى الظاهر فيما اراد ان يكيد لهم وان لم يكن فى الحقيقة عنده
كذبا وقال بعضهم انه انما قال ذلك على ان يريهم من نفسه الموافقة لهم فى الظاهر ليكونوا كذبه وان لم يرد
هو به فى الحقيقة كذبا وقال بعضهم انه انما قال ذلك للحجج اسمع وللبراهين اقبل فيكون تأويله والله اعلم

لعل كبيرهم

لعل كبيرهم فعل بهم هذا او ان يعرف اكبرهم فعل هذا بهم وكذلك قالوا فى قوله هذا ربى قال بعضهم ليس
على هذا ولا فيه كذب فى الظاهر ولكن قال ذلك على الشرط حيث قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون
اى بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون على فعله بشرط النطق فاذا كانوا لا ينطقون لم يفعله وقوله انى سقيم اى بى سقم
وكل حى يسقم يوما وقوله هذا ربى اى ليس هذا ربى ومثل هذا قد قالوه والله اعلم وقوله فرجعوا الى انفسهم اى رجعوا
الى انفسهم باللائمة فقالوا فيما بينهم انكم انتم الظالمون هذا يحتمل وجوها انكم انتم الظالمون حيث نسبتم الفعل
بهذه الاصنام والكسر الى ابراهيم وقلتم انه هو فعل ذلك بهم هذا كبيرهم لما وقع عندهم ان كبيرهم هو الذى فعل بهم
والثانى انكم انتم الظالمون حيث اتخذتم مع كبيرهم لكم هؤلاء شركاء فى العبادة حتى غضب عليهم فكسرهم وان يكون قوله انكم انتم
الظالمون يعنون الاصنام المكسورة يا هؤلاء انكم انتم الظالمون حيث حملتم الكبير على كسركم والله اعلم بما ارادوا
بذلك ولا يجوز لنا ان نزيد او ننقص فى هذه الاشياء المذكورة فى الكتاب او نقطع على جهة دون جهة لانها انما ذكرت
ليحتج عليهم بما فى كتبهم فلو زيد او نقص قطع على جهة دون جهة يذهب الاحتجاج بها عليهم والله اعلم وقوله ثم نكسوا
على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قوله نكسوا على رؤسهم للتفكر والنظر فى قول ابراهيم حيث قال بل فعله كبيرهم
هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون انما علق فعل الكبير بهم ان نطقوا فقالوا لقد علمت يا ابراهيم ما هؤلاء ينطقون
فكيف قلت بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم فاذا كانوا لا ينطقون لم يفعل كبيرهم ثم قال افتعبدون من دون الله
ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم فان قيل ان ابراهيم لم يحتج عليهم ان كيف تعبدون من دون الله ما لا ينطق ولكن قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم قيل قد كان احتج عليهم من ذلك النوع حيث قال هل يسمعونكم اذ تدعون
او ينفعونكم او يضرون وبعد فانه قد احتج عليهم لعجزهم عن النطق حيث قال فاسألوهم ان كانوا ينطقون ثم قال لهم
افتعبدون من دون الله شيئا ان عبدتموهم ولا يضركم ان تركتم عبادته اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف هو كلام
مستخف بآخر ومستحقر له فى فعله يقول اف لكم فابراهيم حيث قال ذلك لهم انما قال استخفافا بهم وبما عبدوه
افلا تعقلون ان عبادة من لا ينفع ولا يضر لا يصلح ولا يحل وفى انباء ابراهيم خصال ليست تلك فى غيرها من الانباء احديها
انه لم يترك صنما كان يعبدون الله الا وقد نقض ذلك والثانية انه حاج قومه اولا فى فساد مذاهبهم وفساد
ما اعتقدوه ثم بعد ذلك اقام عليهم حججه وبراهينه لانه قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الآفلين وقال بل فعله
كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وقال ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ونحو ذلك اراهم
فساد مذهبهم فعند ذلك ذكر حججه وبراهينه على اثبات الالوهية حيث قال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض
حنيفا وقال الذى خلقنى فهو يهدين الآية وهكذا الواجب على كل مناظر ان يبدا اولا باظهار فساد مذهب خصمه فاذا اراه
فساد مذهبه فحينئذ يذكر حجج مذهبه وبراهين ما يعتقد ليكون لها اسمع وعند اقامتها اقبل والثالث انه
لم يبتل نبى قط بفرعون مثل فرعونه ولا قوم مثل قومه فى السفه والبغض والهم بقتله بالنار وجائز ان يكون
خصوصيته بالخلة لهذه الخصال التى ذكرناها والله اعلم وقوله قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين
هذا ظاهر وقوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم جائز ان يكون قوله كونى بردا وسلاما اى جعلها فى الخلقة
بردا وسلاما على ابراهيم خاصة واما على غيره فهى على ما هى فى طبعها من الاحراق والحر فيكون ذلك من اعظم آيات
رسالة ابراهيم ونبوته او ان يكون على الوحى والالهام على ما قاله اهل التأويل انه اوحى اليها ان كونى بردا وسلاما
على ابراهيم لكنه ان كان على هذا فجائز ان يجعل فى سريتها ما تفهم امره ويمكن فيها ما تعقل ذلك فلم تحرقه
وقول اهل التأويل انها بردت حتى لم ينتفع بها اهل المشرق واهل المغرب ثلثة ايام فذلك لا يعلم الا بالسمع
وقوله وارادوا به كيدا الكيد هو الاخذ من حيث الامن فجائز ان يكونوا كادوه ان حبسوه فى موضع ثم جمعوا عليه
الحطب من غير ان علم هو ذلك ثم اوقدوا عليه النار او ان يكونوا اخذوه مغافصة فجعلوه فى المنجنيق ثم رموه فى النار
على ما قاله بعض اهل التأويل او ان يكونوا كادوه كيدا آخر سوى ذلك لم يذكر فنحن لا نعلم ذلك وقوله فجعلناهم

الاخسرين لانهم في الآخرة من الاخسرين واما خسرانهم في الدنيا فلا نعلم ما ذلك الخسران والله اعلم وقال
بعضهم في قوله واردوا به كيدا وذلك انهم جعلوا في النار فانجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما على ابراهيم
وامر الله تعالى بالخروج الى الارض المقدسة فخرج اليها فطلبوه وبعث ملكهم الى اصحاب المناظر فقال لا يمر بكم انسان
يتكلم بالسريانية الا حبستموه قال فحول الله لسانه بالعبرانية فمر بهم فعرض عليهم فانطلق ابراهيم متوجها نحو اهله
فذلك قوله وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اي الاسفلين واعلاهم ابراهيم صلوات الله عليه **وقوله** ونجيناه
ولوطا دل هذا على ان ابراهيم كان كالمشرف على الهلاك لان لفظة النجاة لا يقال الا فيما كان هنالك اشراف على الهلاك
وفيه ان لوطا كان معه وان كان ابراهيم هو المحق في ذلك وهم كانوا يقصدون قصدا هلاك الرسل والاتباع جميعا
وقوله الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال الحسن بركته ما ذكر في آية اخرى وهو قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار
ومعين كثيرة المياه والنبت ونحوه وقال بعضهم بركته سعته على اهلها وقال بعضهم بركته لانها كانت مكان
الانبياء والرسل صارت مباركة بهم وجايز ان يكون صارت مباركة بابراهيم ولوط لما بهم ظهر الاسلام
هنالك والله اعلم **وقوله** ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال بعضهم النافلة العطية وقال بعضهم
النافلة الفضل واصل النافلة الغنيمة كقوله يسألونك عن الانفال اي الغنائم والولد وولد الولد فضل
منه وعطية وغنيمة لانه سمى الولد هبة بقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وسمى الولد مواهبا
وخاصة ابراهيم لم يكن يطمع ان يولد له الولد في ذلك الوقت فكيف يطمع ولد الولد **وقوله** وكلا جعلنا صالحين
يحتمل قوله صالحين رسلا وصالحين في كل امر وكل شيء **وقوله** وجعلناهم ائمة قادة في امر الدين يهدون
بامرنا يحتمل قوله يهدون اي يدعون الناس بامرنا كقوله ولكل قوم هاد اي داع وجايز ان يكون قوله يهدون
بامرنا اي يهدون الناس الى ما به امر الله والى دينه **وقوله** واوحينا اليهم فعل الخيرات دل قوله واوحينا
اليهم انهم كانوا رسلا ثم يحتمل قوله فعل الخيرات اي لعمل الخيرات **وقوله** واقام الصلوة وايتاء الزكوة فيه
ان الصلوة والزكوة كانتا في شرايع المتقدمين **وقوله** وكانوا لنا عابدين موحدين او عابدين له في كل وقت
وقوله ولوطا آتيناه حكما وعلما قال بعضهم حكما يعني النبوة وقال بعضهم حكما اي الفهم والعقل وعلما
وجايز ان يكون قوله حكما اي الحكم الذي يحكم بين الناس وعلما اي العلم الذي كان به يحكم بين الناس ومن قال
حكما هو النبوة قال لان الانبياء انما يحكمون بين الناس بالنبوة فكنوا بالحكم عن النبوة ومن قال بالفهم فهو لانه
انما يحكم بين الناس بعد ما فهم من الخصوم والا فاصل الحكم هو الحكم بين الناس وعلما اي العلم الذي به يحكم
وعلما فيما بينه وبين ربه والله اعلم **وقوله** ونجيناه من القرية التي تعمل الخبايث وكذلك ذكر اضاف
عمل الخبايث الى القرية ومعلوم ان القرية لا تعمل شيئا لكن معناه نجيناه من القرية التي كان اهلها يعملون الخبايث
وكذلك ذكر في حرف حفصة وقوله الخبايث كل انواع الخبث من الكفر والتكذيب بالآيات واللواطة وغيرها
وقوله انهم كانوا قوم سوء في افعالهم واعمالهم التي كانوا يعملونها فاسقين اي خارجين عن امر الله تاركين له والفسق
هو الخروج عن الامر **وادخلناه** برحمته يدخل فيها وتدركه وقال غيره في رحمتنا اي نعمتنا ونعمة النبوة كقوله
لعيسى ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجايز ان يكون قوله في رحمتنا اي اعطيناه كل انواع الخير برحمتنا
اذ كل من اصاب خيرا في الدنيا والآخرة انما يدرك برحمته **وقوله** انه من الصالحين من النبيين او من
الصالحين اي كان يعمل بكل انواع الصلاح **وقوله** ونوحا اذ نادى من قبل قال بعضهم من قبل ابراهيم واسحق
ويعقوب لانه ذكر هؤلاء على اثره ثم اختلف في ندائه قال بعضهم نداؤه هو قوله فدعا ربه اني مغلوب فانتصر
وقال بعضهم نداؤه هو قوله رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا او ان يكون قوله رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا وقوله رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا الآية وامثاله **وقوله** فاستجبنا له
فنجيناه واهله اهله اتباعه من اهله ومن غيرهم **وقوله** من الكرب العظيم قال عامة اهل التاويل من الكرب العظيم

فاسقين انهم كانوا قوم سوء

هو الغرق

هو الغرق والهول الشديد الذي كان به وجايز ان يكون الكرب العظيم هو ما قاسى من قومه ولقي منهم بدعايه
اياهم الى دين الله في تسعمائة وخمسين عاما وما كانوا يسخرون به ويؤذونه من انواع الاذى كقوله ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم ونحو ذلك من الاذى الذي قاساه منهم فانجاه من الكرب والله اعلم **وقوله** ونصرناه من القوم الذين
كذبوا باياتنا وفي حرف ابي بن كعب ونصرناه على القوم الذين كذبوا باياتنا والنصر هو اسم لامرين اسم للمنع واسم
للظفر فمن قرا ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا اي منعناه من ان يقتله قومه ويهلكوه والنصر المنع كقوله
فلا ناصر لهم اي مانع لهم ومن قرا على القوم الذين كذبوا باياتنا اي اظفرناه على قومه كقوله وما النصر الا من عند الله
وقد كان له الامران جميعا المنع والظفر **وقوله** انهم كانوا قوم سوء ما ذكرنا من افعالهم واعمالهم **وقوله**
فاغرقناهم اجمعين حتى لم ينج منهم احد قال ابو عوسجة الكرب واحد وجمعه كروب وهو الهموم
والشدايد والكربة واحدة والكرب جمع وهو مثل الكروب قال والاكراب تكون للدلاء وهي جماعة الكرب
وهو حبل يشد في عراقي الدلو وعرقة الدلو خشبات الدلو الواحدة عرقوة قال والكراب الحرث **وقوله**
وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم الآية قال بعض الناس دل تخصيص سليمان
بالتفهيم على انه لم يفهم داود ذلك ويدل على ذلك وجوه احدها اشراكه عز وجل اياهما جميعا في الحكم
والعلم وغيره حيث قال اذ يحكمان في الحرث وقال وكلا آتيناه حكما وعلما ذكر ما كانا مشتركين فيه
وخص سليمان بالتفهيم فدل التخصيص بالشيء لاحدهما والاشراك في الآخر على انه كان مخصوصا به دون الآخر
والثاني ان هذه الانباء انما ذكرت لنا لنستفيد بها علما لم يكن فلو لم يكن سليمان مخصوصا بالفهم دون داود
لكان لا يفيد تاسي الحكم والعلم وكنا نعلم انهما قد اوتيا حكما وعلما وكانا يحكمان بالعلم فاذا كان كذلك
فدل التخصيص بالتفهيم لاحدهما على ان الآخر لم يكن مفهما ذلك والله اعلم والثالث فيه دلالة ان المجتهد
اذا حكم واصاب الحكم انه انما اصاب بتفهيم الله اياه وبتوفيقه حيث اخبر انه قد اتاهما جميعا العلم ثم خص
سليمان بالتفهيم والتفهيم هو فعل الله حيث اضاف ذلك الى نفسه ثم ان كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالة
لاصحابنا فمن قتل مسلما في دار الحرب اسلم هنالك ان عليه الكفارة وليست عليه الدية حيث قال ومن قتل مؤمنا
خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
ذكر في الاولين الدية والكفارة جميعا ثم خص الثالث بذكر الكفارة دون الدية فدل التخصيص له باحدهما على انه ليس
عليه الآخر لانه لو لم يكن كذلك لكان يذكر في الاول الدية والكفارة ولا يذكر في الآخرين فيكون ما ذكر
في الاول كالمذكور في الآخرين او لا يذكر ذلك كله في الكل فاذا لم يفعل هكذا ولكنه ذكر كل الواجب في الاثنين
على الابلاغ وترك في الواحد احدهما وذكر الآخر فدل تخصيص الثالث باحد الحكمين على انه ليس عليه الآخر ثم استدلوا
بهذه الآية على جواز العمل والقضاء بالاجتهاد والراي فمنهم من استدل باصابة المجتهد فيما يجتهد وان لم يصب
هو الحكم الذي هو حكم عند الله فيه حقيقة وهو قول من يقول كل مجتهد مصيب فيما عليه من الاجتهاد في تلك
الحادثة وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله ومنهم من يستدل بخطا احد المجتهدين وعذره في خطائه فيذهب
الى ان المقصود مما كلف من الحكم في ذلك واحد لا حكمين مختلفين فاذا كان المقصود مما كلف من الحكم فيه واحدا
فلا يجوز ان يحكم اثنان في شيء واحد بحكمين مختلفين والمقصود فيه واحد فيكونان جميعا مصيبان
حيث خص احدهما بالتفهيم بقوله ففهمناها سليمان فلو كانا جميعا مصيبين كانا جميعا مفهمين فاذا اخبر
انه فهم سليمان ولم يفهم الآخر دل ان المصيب هو المفهم منهما وهو قول ابي حنيفة وبشر وغيرهما ومن استدل
باصابته يستدل بقوله وكلا آتينا حكما وعلما لما خبر انه اتاهما حكما وعلما فدل ذلك على انه لم يكن عليهما غيرهما فلا
وحكما فيه وان لم يصيبا الحكم الذي هو حكم حقيقة عند الله ثم ذكر في الآية انهما يحكمان في الحرث ولم يذكر انهما حكما

فمن قتل مسلما في دار الحرب

بالضمان او البراءة عن الضمان او كيف كان حكمها فدل بيان ترك ما حكما فيه على ان ليس علينا ذلك الحكم
اذ بين لنا ما علينا ذلك الحكم اذ بين لنا ما علينا العمل فيه وهو العمل بالاجتهاد حيث قال ففهمناها سليمان
ولم يبين لنا الحكم الذي حكما فيه فدل بيان احدهما وترك بيان الآخر على ان ليس علينا الذي ترك ذكره وبيانه
الا ان اهل التأويل حملوا حكمها على الضمان والبراءة وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
روي ان ناقة لرجل ضارية دخلت حايط رجل فافسدت ما فيه فكلم رسول الله فقضى ان حفظ الحوايط بالنهار
على اهلها وان حفظ المواشي بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما اصابت الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شيء لكن الخبر
انما جاء في المدينة وفي المدينة انما تدعى الماشية في السكك ليس لها مراعي ونحن نقول ان من ارسل ماشية في مكان عجلها
او كرم اشياء او حايط فافسد فانا نوجب عليه الضمان ضمان ما افسدت وهو كمن يرسل الماء في ملكه في مكان لا يتعدى
فتعدى الى ملك جاره فافسد فعليه ضمان ما افسد منه ومن الناس من يجعل الخبر منسوخا بما جاء جرح العجماء جبار
لكن الوجه فيه ما ذكرنا وانما جرحها جبار اذا تعدت هي من غير ارسال صاحبها فاما اذا كان بصنع صاحبها فعليه
الضمان والله اعلم وقال القتبي نفشت اي رعت ليلا يقال نفشت الغنم بالليل وهو ابل نفش وانفاش ونفاش واحدها
نافش وسرحت وسربت بالنهار وقال ابو عوسجة نفشت فيه غنم القوم يقال نفشت الغنم اذا اثرناها في الليل
فرعت وهو النفش ونفشت اي انتشرت بغير علم اهلها نفشت تنفش نفشا فهي نافشة قال ابو عبيدة النفش بالليل
ان تدخل في زرع فتاكله او رعت فتاكل وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ذكر التسبيح هنا في الجبال ولم يذكر
في الطير ولكن ذكر في آية اخرى حيث قال والطير محشورة كل له اواب اي مسبح له ثم يحتمل ان يكون تسبيح الجبال
ههنا والطير تسبيح خلقة لكنه لو كان تسبيح خلقة لكان تسبيحها مع داود وغيره سواء وقد ذكر يسبحن مع داود
ليعلم ان الله جعل هذه الاشياء تسبيحا يسبح الله ويذكره وكذلك ما روي في الاخبار ان الطعام سبح في كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه اخذ حجرا فسبح في يده وانه اخذ كذا فسلم عليه وامثال هذا كثير وذلك
كله آية لرسل الله على رسالتهم وقوله وكنا فاعلين اي كنا فاعلين ما نريد ان اردنا ان يسبحن سبحن وان اردنا
ان لا يسبحن لا يسبحن اي كنا فاعلين جميع ما نريد ليس كالخلايق لانهم يريدون اشياء لا تلتئم لهم وقوله
وعلمناه صنعة لبوس لكم وقال في آية اخرى والنا له الحديد ان اعمل سابغات الآية ثم يحتمل قوله والنا له الحديد
اي علمناه السبب الذي به يلين الحديد له فيصنع به ما شاء كما علم غيره من الخلق السبب الذي به يلين الحديد
ويحتمل ان جعل له الحديد لينا بلا سبب تسخيرا له كما سخر له غيره من الاشياء الشديدة الصلبة كما اعطى ولده
عين القطر حيث قال واسلنا له عين القطر وذلك لم يكن لاحد سواه وكذلك الحديد الآن لو الان حتى يعمل به
ما شاء ما لم يكن ذلك في حديد سواه وقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم قيل اي دروع الحديد لتحصنكم من باسكم اي تقيكم
من باسكم اي من عدوكم ومن امر حربكم وفيه قراآت لتحصنكم بالتاء وليحصنكم بالياء ولنحصنكم من باسكم اي تقيكم
من باسكم ولنحصنكم بالنون قال الكسائي من قرأ بالتاء لتحصنكم اي الصنعة تحصنكم من باسكم ومن قرأ بالياء
ليحصنكم اي اللبوس يحصنكم من باسكم ومن قرأ بالنون لنحصنكم فانه يقول الله نحصنكم نحن من باسكم وقوله فهل انتم
شاكرون ما اعطاكم من النعم التي ذكر من تسخير الجبال له والطير والحديد والرياح وغيره فهل انتم شاكرون
ذلك اي اشكروا الله في نعمه لان الاستفهام من الله على الايجاب والالزام وقوله ولسليمان الريح عاصفة تجري
بامره ذكر ههنا عاصفة وقال في آية اخرى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب اي لينة فهو يحتمل وجوها
قال بعضهم كانت تشتد اذا اراد سليمان وتلين اذا اراد وقال بعضهم كانت تشتد وقت حمل السرير وتلين
وقت سيره ويحتمل ان يكون عاصفة شديدة في الخلقة لكنه كانت تلين له وترخو فكانه يقول سخرنا لسليمان
الريح العاصفة الشديدة حتى كانت تلين له وقوله تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها لا يقصد غيرها وقوله

وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك ذكر نعمه التي كانت عليهم
حيث اخبر انه سخر لهما اشد الاشياء واصلبها من نحو الجبال والرياح والبحار والحديد والشياطين ايضا وهم
اعداء بني آدم سخر له الاعداء الشياطين والرياح وقوله وكنا لهم حافظين يحتمل وجوها احدها وكنا لهم حافظين
حتى لا يضلوا الناس وقال بعضهم وكنا لهم حافظين على سليمان لئلا يتفرقوا عنه لان سليمان كان لا يملك امساكهم
واستعمالهم لكن الله سخرهم له حتى عملوا له وذلوا له وخضعوا له والثالث وكنا لهم حافظين عن الخلاف له
والله اعلم وقوله وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وقال في آية اخرى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
ذكر في سليمان انه سلطه على الشياطين وجعلهم مسخرين له يستعملهم في كل امر وعمل شاء وذكر في ايوب على اثر
قصة سليمان انه سلط الشياطين عليه وصار هو كالمسخر لهم حيث قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
حتى يعلم ان تسخير الشياطين لسليمان كان له افضال وانعام لم يكن سبق منه ما يستوجب به ذلك ويستحقه
ولان كان من ايوب اليه من العصيان ما يستحق ذلك وما اصابه من البلاء منه عدل وكان ما يعطي من السلامة
والصحة رحمة منه ونعمة وله ان يعطي من شاء ما شاء ويحرم من شاء ما شاء الا ترى انه قال في الكرم لما رده عليه
ما اخذ منه وكشف عنه البلاء رحمة منا ولو كان ذلك حقا له على الله لم يكن لذكر الرحمة معنى فهذا يرد على المعتزلة
مذهبهم ان على الله الاصلح لهم في دينهم لان ما اصاب ايوب من البلايا اضاف ذلك الى الشياطين حيث قال مسني
الشيطان بنصب وعذاب ولو كان ذلك اصلح له في دينه لكان لا يضيف فعل الاصلح له في الدين الى الشيطان فدل انه
ليس على ما يذهبون اليه ثم قوله وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر يشبه ان يكون فيه اضمار دعاء كانه قال
اني مسني الضر فارحمني وعافني وانت ارحم الراحمين الا ترى انه قال فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر دل انه
على الدعاء خرج والثاني قوله اني مسني الضر وصرت بحال لا يرحمني من رآني من الخلق وانت ارحم الراحمين
والله اعلم وقوله فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر هو ظاهر انه كشف عنه ما اصابه من البلاء في بدنه
واهله حتى عاد الى الحال التي كان قبل ذلك وقال بعضهم اوتي اهله في الدنيا ومثل اجورهم في الآخرة
وقال بعضهم وآتيناه اهله فاحياهم الله ومثلهم معهم وكانت امرأة ايوب ولدت قبل البلاء اولادا بنين
وبنات فاحياهم الله وقال بعضهم وآتيناه اهله اي ما يتاهل به من الاهل والانصار على ما كان له قبل والله اعلم
وقوله رحمة من عندنا وذكرى للعابدين يحتمل وجوها احدها ان من ابتلي ببلاء فصبر على ما صبر
ايوب على بلائه ففرج الله عن ذلك البلاء فيفرج عنه كما فرج لايوب والثاني ليعلم انما اصابه ليس لاجل
سبق منه ولكن ابتداء محنة من الله امتحنه بها وله ان يمتحن من شاء بما شاء من المحن وقوله واسمعيل وادريس
وذا الكفل يشبه ان يكون ذا الكفل اسم من اسمائه وجائز انه سمي ذا الكفل لامر كان منه ذكر انه كان رجلا صالحا
تكفل لنبي بامر قومه فوفى ما تكفل به فسمي لذلك ذا الكفل ثم اختلف فيه قال بعضهم هو رجل صالح
على ما ذكرنا وقال بعضهم كان نبيا لكن لسنا نعلم ذلك سوى انه ذكر انه من الصابرين سماهم صابرين على الاطلاق
وكذلك سماهم صالحين على الاطلاق وذلك والله اعلم لانهم جمعوا جميع انواع الصبر وجميع انواع الصلاح صبروا
على ما ابتلوا به وامتحنوا وصبروا على جميع ما امروا به من الطاعات والقيام بها والقيام بجميع الخيرات وكذلك الصلاح
سماهم به لما جمعوا جميع انواع الصلاح والله اعلم وقوله وادخلناهم في رحمتنا قال الحسن ادخلناهم في رحمتنا وهي الجنة
وجائز ان يكون جميع ما نالوا من الصبر والصلاح كان ذلك كله برحمة الله وفضله وهكذا ان من نال شيئا من الخيرات
والطاعات فانما نال ذلك كله برحمته والله اعلم وقوله وذا النون قال بعضهم ذا النون هو اسم من اسمائه سمي به
وقال بعضهم سماه ذا النون لكونه في بطن النون وهو الحوت اي صاحب النون سمي باسمين مختلفين احدهما اسم
موضوع والآخر مشتق من فعله وهو كما كان به وخلق ما يسمى عيسى مرة وسماه مسيحا اخرى احدهما اسم له
موضوع والآخر مشتق من فعله وهو كما كان يمسح به المرضى والموتى فيبرؤن وكذلك ذا الكفل يخرج على هذين

الاسمين احدهما موضوع له والآخر مشتق من فعله على ما ذكرنا والله اعلم وقوله اذ ذهب مغاضبا اختلف فيه
قال بعضهم مغاضبا لربه اى حزينا له لانه كان اراد ان يهلك الله قومه لما ايس من ايمان قومه وقد كثر عنادهم
ومكابرتهم فخرج حزينا لذلك وقال بعضهم مغاضبا للملك وذلك ان قومه قد اسرهم عدوهم قيل رسالته
وقد كان الله اوحى اليهم فقال اذا اسركم عدوكم او اصابتكم مصيبة فادعوني فاذا دعوتموني استجبت لكم فلما اسروا
نسوا او يدعوه زمانا حتى اذا ذهبت ايام عقوبتهم ونزلت ايام عافيتهم اوحى الله تعالى الى نبى من انبياء بنى اسرائيل
ان ابعثوا رجلا قويا امينا فانى ملقى فى قلوب الذين اسروا قومهم ان يرسلوهم وفى القصة طول غيرانا نختصر
فبعث ملكهم يونس الى اولئك الاسارى يستنقذهم من ايديهم فخرج وائتمر بامره لكنه غضب عليه لما اشتد عليه
فذلك قوله ذهب مغاضبا للملك حيث امره بالخروج الى اولئك الاسارى وقال بعضهم ذهب مغاضبا لقومه وذلك
يخرج على وجوه احدها خرج من عندهم لما ايس من ايمان قومه خرج تكيدة لقومه لان السنة فيهم انه اذا خرج
رسولهم من بين اظهرهم نزل بهم العذاب فخرج من عندهم ليخافوا العذاب فيؤمنوا والثانى خرج اشفاقا
على نفسه لئلا يقتل لما ان قومه هموا بقتله فخرج لئلا يقتل اشفاقا على نفسه كما خرج رسول الله من بين اظهر
قومه لما هموا قتله لكن رسول الله خرج باذنه ويونس بغير اذنه والثالث خرج من عندهم لما اكثروا العناد
والمكابرة وايس من ايمانهم خرج ليفرغ نفسه لعبادته اذ كان مامورا بالعبادة لربه ودعا قومه الى ذلك فلما ايس
من ايمانهم خرج لما ذكرنا بغير اذن من ربه وان كان فى خروجه منفعة له ولقومه فعوتب لذلك والله اعلم
وقوله فظن ان لن نقدر عليه قال بعضهم فظن ان لن نقدر عليه اى لن نضيق عليه الامر ولا نبتليه بالضيق والشدة
لما خرج من عندهم فقال فلان مقدر عليه ومقتر اى مضيق عليه الامر وهو كقوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
اى يضيق وقوله فقدر عليه رزقه اى ضيق عليه رزقه وقوله فنادى فى الظلمات قالوا فى ظلمات ثلاث ظلمة الليل
وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقال بعضهم التقم الحوت حوت آخر فكان فى بطن حوت وحوت آخر وظلمة البحر
فقال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وحد ربه ونزهه عن جميع ما قيل فيه ثم اعترف بذلته
وذنبه فقال انى كنت من الظالمين فسمع الله دعاءه وقبل توبته واخبر انه كشف عنه الغم الذى كان له حيث قال
فاستجبنا له ونجيناه من الغم واخبر انه كذلك ننجى المؤمنين فيرجى ان من ابتلاه الله بالبلاء والشدة فدعا
بما دعا به يونس ان يفرج الله عنه حيث قال وكذلك ننجى المؤمنين وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من دعا بدعوة ذى النون استجيب له ثم قال بعضهم التقمه ذلك من الارض لما بلغ القرار الارض
فقال ذلك وقال بعضهم كان رجلا صالحا عابدا وكان عود نفسه ذلك قبل ان يدخل بطن الحوت فلما دخل فيه
فكان يقول فيه على ما كان يقول من قبل وهو كقوله فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الآية قال بعضهم
هذا انه كان من المسبحين قبل هذا والا للبث فيه الى ما ذكر وقال بعضهم لولا انه قال هذا القول لا اله الا انت
سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فيه فيكون على هذا التاويل كان من المسبحين اى صار من المسبحين
والاول اشبه ثم اختلف فى قوله ونجيناه من الغم قال بعضهم ذلك الغم هو ما ابتلاه الله بالضيق فى بطن الحوت
والبحر فنجاه من ذلك الغم ولكن جائز ان يكون نجاه من الغم الذى كان به بسبب خروجه من بين اظهرهم وقول اهل
التاويل ان يونس مكث فى بطن الحوت اربعين يوما او ثلاثة ايام ونحو هذا فذلك لا يعلم الا بالوحى فان ثبت الوحى
فهو هو والا ليس بنا الى معرفة ذلك حاجة وقال القتبى وذا النون يعنى ذا الحوت والنون الحوت وقال ابو عوسجة
انما سمى ذا النون لان الحوت التقمه والنون الحوت والنينان الجميع وقال القتبى قوله فظن ان لن نقدر عليه اى لن نضيق
عليه يقال فلان مقدر عليه ومقتر ومنه فقدر عليه رزقه اى ضيق عليه ومنه قوله ايضا يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر اى يضيق والله اعلم وقوله وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا قوله لا تذرنى
فردا فى الظاهر نهى وكذلك قوله ربنا لا تزغ قلوبنا وامثاله يخرج فى الظاهر مخرج النهى وقوله ربنا ما وعدتنا

ذلك لدعاء من الارض فانه لما بلغ القرار الارض سمع ذلك من الارض فقال ذلك

نجى بنون واحد

لعين الكلام بالكسر فهمه

على سبيل وهو يخرج فى الظاهر مخرج الامر والنهى ذلك من العبد للسيد فهو تعوذ واذا كان من السيد للعبد
فهو امر ونهى ليس بتعوذ ولا دعاء ولكن حقيقة الامر والنهى وكذلك سؤال الامير لرعيته امر ونهى وسؤال الرعية
للامير تضرع وتعوذ ودعاء ثم قوله رب لا تذرنى فردا يحتمل وجهين احدهما لا تذرنى فردا فى الطاعة
والعبادة والذكر والتسبيح والتحميد ما دمت حيا ولكن اشرك لى فى العبادة والذكر من يعيننى على ذلك وهو
كقول موسى واجعل لى وزيرا من اهلى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ويكون
قوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب اى هب لى من لدنك وليا يعيننى على عبادتى اياك وذكرى
وما انا فيه ما دمت حيا ويرثنى ويرث من آل يعقوب اذا مت والثانى يكون قوله رب لا تذرنى فردا بعد مماتى
فى قبرى ولكن هب لى من يذكرنى ويدعو لى بعد وفاتى ويحيى امرى وقوله وانت خير الوارثين اى وانت خير
من يرث العباد على هذا التاويل وعلى التاويل الاول وانت خير من يعين على العبادة والطاعة والله اعلم
وقوله فاستجبنا له اى دعاءه ووهبنا له يحيى قال الحسن انه كان يحيى على ما سماه الله فى الطاعة والعبادة وفى الآخرة
يحيى فى الكرامات والثواب الجزيل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله واصلحنا له زوجه يخرج على وجهين
احدهما ان جعلناها بحيث يرغب فيها زوجها ذات هيئة ومنظر لانه ذكر فى القصة انها بلغت فى السن مائة
عشر انهن شىء والعرف فى النساء انهن اذا بلغن المبلغ الذى ذكر انها بلغت زوجة زكريا يكن من القواعد اللاتى لا يرغب
فيها احد فاخبر انه اصلحها وصيرها بحيث يرغب فيها ذات هيئة ومنظر والثانى اصلحنا له زوجه اى ولودا
بحيث تلد لانه لما بشر بيحيى قال انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا والعاقر هى التى لا تلد فيكون قوله
واصلحنا له زوجه ولودا بحيث تلد والله اعلم هذان الوجهان محتملان واما قول من يقول بان فى لسانها
بذاء وطول وفى خلقها سوء فذلك لا يحل ان يقال الا بثبت وهو على خلاف ما ذكرهم ووصفهم حيث قال انهم
كانوا يسارعون فى الخيرات ثم المسارعة فى الخيرات انه كان لا يمنعهم شىء عن الخيرات وهذا المؤمن هو يرغب
فى الخيرات كلها الا ان يمنعه شىء من شهوة او سهو وقوله ويدعوننا رغبا ورهبا اى يدعوننا رغبا
فيما عندنا من جزيل الثواب ورهبا من اليم عقابنا والثانى رغبا فيما عندنا من اللطائف من التوفيق على الخيرات
والعصمة من المعاصى ورهبا مما عندنا من النقمات والخذلان والزيغ وقوله وكانوا لنا خاشعين قال بعضهم
الخشوع هو الخوف الدائم الملازم للقلب لا يفارقه وقال بعضهم متواضعين ذليلين لامر الله تفسير الخشوع
ما ذكر بقوله ويدعوننا رغبا ورهبا وقوله والتى احصنت فرجها اى عفت فرجها وقوله فنفخنا فيها
من روحنا قال اهل التاويل ان جبريل اتاها فنفخ فى جيبها او فى فرجها وهذا ليس فى الآية فلا يجوز
القول به الا بثبت ولكن قوله فنفخنا فيها من روحنا كقوله فى آدم ونفخت فيه من روحى اى انشأت فيه من روحى
آدم لم يقل احد فيه بالنفخ اى جبريل نفخ فيه فعلى ذلك قوله فنفخنا فيها من روحنا والله اعلم وقوله وجعلناها
وابنها آية للعالمين ذكر فيها آية واحدة لانها ولدت بغير زوج وولده بلا اب فهو واحد اذ كانت هى
ولدته بغير زوج فيكون بغير اب فهو آية واحدة والآية فيها ما ذكر يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين وآية عيسى تكلم فى المهد فقال انى عبد الله آتانى الكتاب الآية قال ابو عوسجة احصنت اى عفت
ويقال امرأة حصان ونسوة حاصنات وحواصن قال والحصان ويقال امرأة حصان اى عفيفة ومحصنة
اى قد احصنها زوجها ومحصنة اى عفيفة وامرأة حصان ونسوة حاصنات وحواصن قال والحصان ذكر الخيل
وحصن جميع وقوله ان هذه امتكم امة واحدة قال بعضهم ان هذه ملتكم وشريعتكم ومذاهبكم ملة
واحدة وشريعة يعنى شريعة الاسلام وملته واحدة ليست بمتفرقة وقال بعضهم ان هذه دينكم دين واحد
ليس كدين الامم الخالية اديانا مختلفة وان يكون الامة ما يؤم اليها ويقصد لان الامة هى الجماعة وهى المقصودة
وجائز ان يكون اخبارا عن هذه الامة انهم على دين واحد وملة واحدة ليسوا بمختلفين فيه ولا بمفترقين كسائر الامم

يعنى شريعة الاسلام ملة واحدة ليست بمتفرقة ولكن اراد بهذا فى اصل الدين واصل الشريعة فاما الفروع فيختلف قال الله تعالى لكل منكم شرعة ومنهاجا
شرح

الخالية كقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الآية وقوله ولا تتفرقوا فيه الآية اخبر عنهم انهم غير متفرقين ونهاهم عن ان يتفرقوا كما تفرق الاولون الا ترى انه قال على اثره وتقطعوا امرهم بينهم هذا يدل على انه اخبار عن اهل الاسلام في صدر الامر انهم على شيء واحد وقال الزجاج ان هذه امتكم امة واحدة ما لزموا الحق واتبعوه واما اذا تركوا الحق وتركوا اتباعه فهي ليست بامة واحدة والله اعلم وقوله وانا ربكم فاعبدون وقال في آية اخرى وانا ربكم فاتقون ليعلم ان العبادة والتقوى واحد في الحقيقة لان الاتقاء ما يجتنب من الافعال والعبادة ما يؤتى من الافعال والعبادة فاذا اجتنب ما يجب اجتنابه فقد اتى بما يجب اتيانه واذا اتى بما يجب اتيانه فقد اجتنب ما يجب اجتنابه وهو كقوله ان الصلوة كانت تنهى عن الفحشاء والمنكر لانه بفعله اياها مجتنب عن الفحشاء والمنكر وجايز ان يكون قوله وانا ربكم فاعبدون اي توحدونه على ما قال اهل التاويل لانه انما خاطب به اهل مكة وقوله وتقطعوا امرهم بينهم اخبر عن الاولين انهم اختلفوا في دينهم وتفرقوا كل الينا راجعون من تفرق ولم يتفرق كقوله واليه ترجعون واليه المصير وقوله فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فيه دلالة ان لا يقبل من الاعمال الصالحات الا بالايمان لانه شرط في قبولها الايمان كقوله وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اي يشكر سعيه ويقبل ولا يجحد ولا يكفر كقوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه بالتاء والياء فلن يكفروه واصل الكفران الستر والشكر هو الاظهار فيخبر عز وجل انه لا يستر ما عملوا من الحسنات والخيرات بل يشكر ويظهر وقوله وانا له كاتبون اي يكتب لهم تلك الحسنات والخيرات كقوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة وقوله وحرام على قرية اهلكناها وحرم بالالف ايضا ثم قوله وحرم وحرام على قول اهل اللسان واللغة واحد يقول حرم عليك كذا وحرام كما يقال حل وحلال واما على قول اهل التاويل فانهم يفرقون بينهما فيقولون حرم حتم وواجب على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون لقول حتم وواجب على قرية اهلاكهم لبعد ما علم انهم لا يرجعون اي لا يتوبون لانه انما يهلكهم لما علم منهم انهم لا يتوبون او ان يكون قوله وحرم على قرية اراد الله اهلاكها انهم لا يرجعون وظاهر قوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ان يكون لهم الرجوع لانه يقول حرام انهم لا يرجعون الا ترى الى قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وظاهره انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب الوعد الحق فعند ذلك يرجعون لقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا او ان يكون ذكر هذا انهم لا يرجعون لقول قوم لان قوما يقولون ان الخلق كالنبات ينبت ثم ييبس ثم ينبت فعلى ذلك الخلق يموتون ثم يعودون ويرجعون وبعض من الروافض يقولون يرجع علي وفلان فاخبر انهم لا يرجعون ردا عليهم وتكذيبا لخبرهم لان القرآن قد صار حجة عليهم وان انكروه لما عجزوا عن ان ياتوا بمثله والله اعلم بذلك كله وقوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج كانه قال والله اعلم اضاف فتح ذلك السد الى نفسهم وهم جماعة والا لست اعرف لتانيث فتح السد وجها والله اعلم وقوله وهم من كل حدب قيل الحدب الشيء المشرف وقيل الحدب كل ما ارتفع من الارض وقيل الحدب الاكمة وقيل من كل حدب من كل جهة من كل مكان ينسلون قيل يسرعون وقيل يخرجون اخبر انهم من كل حدب اي من كل ناحية ومن كل جهة يسرعون كانهم لما سد عليهم ذلك السد وحيل بينهم وبين ما يتعيشون ويرتزقون من هذا العالم تفرقوا في تلك الامكنة لطلب ما يتعيشون فاذا بلغهم خبر فتح السد اتوا من كل جهة وناحية التي كانوا متفرقين فيها ينسلون يسرعون لانهم مذ سد عليهم السد في جهد من فتح ذلك السد فلما فتح خرجوا مسرعين وهو ما ذكر وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وقوله واقترب الوعد الحق قوله اقترب اي وقع ووجب الوعد الحق لانه قد اخبر من قبل هذا الوقت انه قد اقترب بقوله اقتربت الساعة واقترب للناس حسابهم وهو كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ليس على القرب ولكن على الوجوب فعلى ذلك الاول يحتمل ان يكون اخبارا عن الوقوع والوجوب وجايز ان يكون على القرب ايضا ويكون وجوبها ووقوعها في قوله واذا هي شاخصة ابصار الذين

في موضع آخر ان الوقت قد اقترب وهو قوله اقترب للناس حسابهم
صح

كفروا

كفروا وقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا كقوله انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الآية وكقوله مهطعين الى الداع الآية وقوله يا ويلنا اي يقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا كانهم تذاكروا فيما بينهم انا كنا في غفلة عن هذا ثم تداركوا انهم لم يكونوا في غفلة ولكن قالوا انا كنا ظالمين في ذلك ضالين اعترفوا بالظلم والضلال وقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يقال الحروف من يتكلم عن البشر ونحو ما انما يتكلم عما سواهم من العالم فاذا كان على هذا الذي ذكروا فما ينبغي لاولئك ان يفهموا من قوله وما تعبدون عيسى وعزيرا والملايكة وهولاء يقولون هولاء عبدوا دون الله فهم حصب جهنم على زعمهم الى هذا يذهب اهل التاويل ويقولون ثم نزل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فالوا استثنى من عمله من عبد دون الله من سبقت له عنه الحسنى وهو عزير وعيسى وهولاء لكن قد ذكرنا انه لا يجوز ان يفهم عن هذا هولاء ولكن الاصنام والاحجار التي عبدوها كقوله وقودها الناس والحجارة او ان يكون قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الشياطين الذين امروهم ودعوهم الى العبادة لغير الله فيكون العبادة لمن دون الله للشيطان حقيقة لانه هو الامر لهم بذلك والداعي الى ذلك دون من ذكروا لان هولاء اعني عيسى وعزيرا والملايكة لم يامروهم بذلك فيكون على هذا كانه قال انكم والشياطين الذين تعبدون من دون الله حصب جهنم وهو ما ذكر في آية اخرى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الى قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين دل هذا ان القرين هو الشيطان كقوله نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله حصب جهنم بالضاد وقرئ بالطاء حطب جهنم قال ابن عباس الحصب بلسان الزنجية هو الحطب وقال بعضهم هو حطب بلسان الحبشة ويقال ايضا بالضاد حضب جهنم قال بعضهم الحصب هو من الرمي يحصب جهنم بهم اي يرمى بهم والحطب هو معروف والحضب هو التهييج اي يهيج النار عليهم وقال الكسائي حصبت النار اي القيت فيها الحطب وعن عايشة حضب جهنم بالضاد وقوله انتم لها واردون اي واقعون فيها وقوله لو كان هولاء آلهة ما وردوها اي لو كان الذين عبدوا دون الله آلهة على ما زعموا ما وردوا النار فان قيل انهم لم يقروا انها ترد النار بل انكروا ذلك فكيف احتج عليهم بهذا لو كان هولاء آلهة ما وردوها قيل انهم وان لم يقروا بذلك فقد الزمهم عز وجل الحجة من جهة الكتاب انها ترد النار لما عجزوا عن اتيان مثله فقد لزمتهم الحجة فكانهم اقروا انهم واردوها وهو كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الآية هم لم يقروا انهم يحيون بعد ما ماتوا ولكن لما عرفوا انهم كانوا امواتا فاحياهم فقد لزمهم الاقرار والحجة بالاحياء بعد الموت فعلى ذلك الاول كانهم اقروا بانها واردون بما لزمتهم الحجة وقوله وكل فيها خالدون ظاهر وقوله لهم فيها زفير قيل الزفير هو الصوت الخفيض الذي فيه انين والشهيق هو الصوت الرفيع الذي لا انين فيه وقيل الشهيق اول نهيق الحمار والزفير هو آخر نهيقه وقوله وهم فيها لا يسمعون قيل لا يسمعون الخير ويسمعون غيره وقال بعضهم لا يسمعون لانهم يكونون صما بكما عميا في النار كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وقال القتبي وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي حرام عليهم ان يرجعوا ويقال وجب وقال هو حرم وحرام كما قال حل وحلال وقال وهم من كل حدب ينسلون اي من كل نشز من الارض واكمة ينسلون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشي الذيب اذا بادر وقال ابو عوسجة الحدب ما ارتفع من الارض الواحدة حدبة ينسلون اي يجيئون وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال عامة اهل التاويل انه لما نزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قالت الكفرة ان عيسى وعزيرا والملايكة قد عبدوا من دون الله فهم حصب جهنم فنزل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى استثنى من سبق له الحسنى منه وهو عيسى وهولاء وكذلك في حرف ابن مسعود الا الذين سبقت لهم منا الحسنى على الاستثناء روي عن علي رضي الله عنه قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى

الحضب في وحتر النار

ذلك عثمان وطلحة والزبير وانا من شيعة عثمان وطلحة والزبير ثم قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الآية
ولكن قد ذكرنا الوجه فيه فان ثبتت انه نزلت بشان هؤلاء والا فهو لكل من سبق له من الله الحسنى يحتمل الجنة كقوله
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى اى بالجنة فعلى ذلك قوله سبقت لهم منا الحسنى ويحتمل الحسنى السعادة
والبشارة بالجنة وثوابها وقوله اولئك عنها مبعدون اى لا يعودون اليها ابدا ليس على بعد المكان كقوله اولئك
في ضلال بعيد اى لا يعودون الى الهدى ابدا وان يكون قوله مبعدون عنها مكانا لكن قد ذكر في آية فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وقال في آية فاطلع فرآه في سواء الجحيم ولا نعلم هذا انه يجعل له قوى
اهل الجنة انهم متى ما ارادوا ان ينظروا الى اولئك ويروهم يقدرون على ذلك وتقرب النار اليهم فينظرون اليهم
والله اعلم والاول اشبه انهم لا يعودون اليها ابدا وقوله لا يسمعون حسيسها اى صوتها وهو ما ذكر من الابعاد
اذا بعدوا منها لم يسمعوا حسيسها وقوله وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وهو ما قال في آية اخرى وفيها
ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر اى لا يحزنهم اهوال يوم القيامة
وافزاعها وتتلقاهم الملائكة اى تلقاهم الملائكة بالبشارة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية ٥
او لا يحزنهم الفزع الاكبر اى لا يحزنهم ما يحل بالكفرة من الفزع والعذاب ليس كمن راى في الدنيا انسانا في بلاء وشدة
او يعذب بعذاب فانه يحزن ويهتم بما حل فاخبر انهم لا يحزنون بما حل بالكفرة من العذاب والشدايد قال
ابو عوسجة حصب جهنم قال الحصب والحطب واحد قال وما اكثر من العرب من يتكلم بهذه اللفظة قال والاعراب
حضب جهنم بالضاد وقال غيره ما ذكرنا من الحطب والتهييج وقوله انتم لها واردون اى داخلون وقوله
لهم فيها زفير الزفير هو شدة النفس في الصدر يقال زفر يزفر زفيرا وزفرا قال بعضهم الزفير هو انين
كل محزون ومكروب وهو قريب مما ذكرنا وقوله لا يسمعون حسيسها اى صوتها وهو من الحس وهو الصوت وقال
القتبي حصب جهنم ما القي فيها واصله من الحصباء وهي الحصى يقال حصبت فلانا اى رميته حصبا بتسكين الصاد ٥
وما رميت به حصب بفتح الصاد كما تقول نفضت الشجرة نفضا وما وقع نفض واسم حصى الجمار حصب وقوله يوم نطوي
السماء كطي السجل للكتب كان هذا خرج على اثر سؤال سالوه لا على غير ابتداء لانه لا ابتداء بمثله على غير تقدم امر
لا يحتمل فكانه والله اعلم لما ذكر اهل النار في قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الى قوله انتم لها واردون
وذكر اهل الجنة ووصفهم بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى آخر ما ذكر من قوله هذا يومكم الذي كنتم توعدون
فكانهم قالوا متى يكون ذلك فقال عند ذلك يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب اخبر ان السماء تطوى كما يطوى
السجل الكتاب ثم ذكر في السماء الطي مرة والتبديل في آية بقوله يوم تبدل الارض غير الارض الآية وذكر الانشقاق
في آية كقوله اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت ونحو كما ذكر في الجبال احوالا قال وتكون الجبال كالعهن
المنفوش وقال في آية ينسفها ربي نسفا وقال في آية اخرى هباء منثورا وقال في آية اخرى وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب ونحو فجايز ان يكون كذلك على اختلاف الاحوال على ما ذكرنا فيما تقدم ثم تتلاشى
وتفنى حتى لا يبقى منها شيء كما ذكر هباء منثورا فعلى ذلك السموات والارضون يختلف عليها الاحوال على ما ذكر ثم يكون
آخرها التبديل كما ذكر يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وفيما ذكر في هؤلاء الآيات من تغيير الجبال
والسموات والارضين دليل فناء هذا العالم بجملته واسره لان فناء السموات والجبال والارض يبعد عن اوهام
الخلق واما غيرها من الخلايق فانهم يشاهدون فناءه فذكر فناء ما يبعد في اوهامهم ليعلموا ان هذا العالم
يفنى باسره ويستبدل عالما آخر يحتمل البقاء والجزاء والله اعلم وقوله كما بدانا اول خلق نعيده هذا ايضا لا يحتمل
الا على تقدم ذكر فهو محتمل ما ذكرنا مما سبق من ذكر اهل الجنة واهل النار فقالوا كيف يحيون فقال عند ذلك كما بدانا
اول خلق نعيده ثم اختلف فيه فقال بعضهم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم لحما ثم ينفخ فيهم الروح
وقال بعضهم كما بدانا اول خلق نعيده حفاة عراة على ما خلقوا في الابتداء وقال بعضهم كما بدانا اول خلق نعيده

يعني السموات

يعني السموات السبع يطويها الله فيجعلها سماء واحدة كما كانت اولا قبل ان يخلق منها ست سموات والارضين
كذلك وجايز ان يكون ذكر هذا اخبارا انه قادر ان يعيدهم كما قدر على ابتداء خلقهم وقوله وعدا علينا انا كنا
فاعلين اى بعثهم وعدا علينا لا نخلف ذلك على ما قال انه لا يخلف الميعاد ثم اختلف في السجل وفي قراءته
قال بعضهم السجل اسم رجل وهو كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم هو اسم الملك الذي
يكتب وقال بعضهم السجل الصحيفة ثم قال بعضهم من قرا السجل بالتشديد فهو الصحيفة ومن قراه السجل بالتخفيف
هو ملك موكل بالصحف بمنة السجل ويقرا الكتاب وللكتب قال ابو عوسجة كطي السجل للكتب قال يقال اسجلت
وسجلت اى كتبت اسجالا وتسجيلا وسجلت ايضا عملت وسجل خلق يقال منه سجل يسجل سجلا والمساجلة المفاخرة
ويقال ساجلته فاخرته ويقال اسجلت الكلام فهو مسجل اى اطلقته وارسلته والله اعلم وقوله ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال بعضهم ان كل كتاب الله التي انزلها هي زبور
من بعد الذكر اى الكتاب الذي عند الله وهو اللوح المحفوظ معناه والله اعلم على هذا التاويل اى كتبنا في الكتب
التي انزلناها بعد ما كان مكتوبا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها كذا وقال بعضهم كتب الله في الزبور المعروف
وهو زبور داود بعد ما كتب من بعد الذكر اى التورية ان الارض يرثها يعني الجنة يرثها عبادي الصالحون
وكتب ذلك في هذا القرآن فقال ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وقال بعضهم ولقد كتبنا في الزبور اى زبور
داود بعد ما كتب في الذكر الذي عنده وجايز ان يكون قوله كتبنا في الزبور في بعض كتاب اى في بعض السور
من بعد الذكر اى من بعد السورة ان الارض يرثها كذا وجايز ايضا كتبنا في كتاب من بعد الذكر اى من بعد ما ذكرهم
ووعظهم ان الارض يرثها كذا ثم اختلفوا في قوله ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال عامة اهل التاويل
هي الجنة اخبر ان الجنة انما يرثها عبادي الصالحون وهو ما ذكر في آية اخرى اولئك هم الوارثون الذين
يرثون الفردوس هم فيها خالدون فيكون هذا تفسيرا لذلك وقال بعضهم ان الارض يعني ارض بيت المقدس
يرثها عبادي الصالحون وهو كذلك كانه لم يزل بها عباد الله الصالحون الى يوم القيامة وجايز ان يكون قوله
ان الارض يرثها امة محمد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فذلك وراثتها وهم عباد الله الصالحون كقوله كنتم خير امة الآية اخبر انها
خير الامم والله اعلم وقوله ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين يحتمل قوله في هذا اى فيما ذكر من قوله
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون في ذلك بلاغا لقوم عابدين اى لقوم همتهم
العبادة او لقوم مطيعين موحدين وجايز ان يكون قوله ان في هذا فيما تقدم من الآيات وهو قوله
واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الى قوله انتم لها واردون وما ذكر من قوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الى آخر ما ذكر ان فيما ذكر كله لبلاغا لقوم عابدين وجايز ان يكون بلاغا للناس
جميعا كقوله هذا بلاغ للناس فيكون قوله لقوم عابدين اى لقوم يلزمهم العبادة وقال بعضهم ان في هذا
القرآن لبلاغا ابلغهم عن الله لقوم عابدين وفي حرف ابن مسعود ان في هذا لذكرى لقوم عابدين وقوله
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين جايز ان يكون كل رسل الله رحمة من الله للعالمين وكذلك كل كتب الله رحمة للعالمين
على ما ذكر في عيسى ورحمة منا وكان امرا مقضيا وجايز ان يكون ذلك لرسول الله صلوات الله عليه خاصة
فيكون على وجهين احدهما وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وما ارسلناك الا جعلناك رحمة للعالمين
او ان يقال وما ارسلناك الا رحمة منا للعالمين والعالمين هم الجن والانس لانه بعث اليهم ثم الرحمة فيه يحتمل وجوها
احدها تاخير العذاب عنهم والثاني انه رحمة حتى اذا اتبعوه يكون به نجاتهم وبه عزهم في الدنيا والآخرة والثالث
شفاعته لاهل الكباير في الآخرة ونحو ذلك وقوله قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد كانه على الدعاء خرج
الامر كانه قال امرني ربي ان اخبركم ان الهكم اله واحد فاصرفوا العبادة اليه ولا تشركوا معه غيره او ان يقول

اي كان بعثهم واعادتهم وعدا علينا
نسخة

فيكون معناه يطوي السماء كطي الكاتب الكتاب
نسخة

اختلاف في السجل

سجلت الماء فانسجل اي صببته فانصب

اوحى الى ان ادعوكم الى الهكم الذى هو اله واحد والا كان رسول الله يعلم انه اله واحد لكنه خرج على الدعا والاخبا
انه اله واحد وانه بخبرهم انى الى ما ادعوكم اليه وامركم به انما ادعوكم وامركم بالوحى بما اوحى الى لا من تلقا
نفسى قل انما انذركم بالوحى والله اعلم وقوله فهل انتم مسلمون ظاهر وان كان استفهاما فهو على الامر والايجاب
كانه قال قد اوحى الى ان الهكم اله واحد فاسلموا لله واخلصوا العبادة له لا تشركوا فيها غيره والاسلام هو
ان يجعل كلية الاشياء والاعمال كلها لله عز وجل ثم هو يكون على وجهين احدهما على الاعتقاد ان يعتقد كلية الاشيا
لله لا على تحقيق ذلك الفعل والثانى على تحقيق جعل الاشيا كلها اعتقادا وفعلا وقولا منه يخاف ومنه يرجوا
لا يخاف غيره ولا يرجوا من دونه فهو حقيقة الاسلام وقوله فان تولوا هذا يدل ان الاول خرج على الامر
والدعا حيث قال فان تولوا عن الاجابة الى ما دعوتكم اليه فقل آذنتكم على سواء اى اعلمتكم على عدل وحق كقوله
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم اى عدل بيننا وبينكم فعلى ذلك هذا محتمل ان يكون قوله على سواء
اى على عدل وحق ويحتمل ايضا آذنتكم على سواء اى اعلمتكم حتى صرت انا وانتم فى العلم على سواء اى على الاستواء
فى العداوة والمخالفة ونحو كل امر على الاستواء وهو كقوله فانبذ اليهم على سواء اى على الاستواء فى العداوة اى انبذ
اليهم حتى تكون انت وهم على الاستواء فى العلم بالمنابذة والله اعلم وقوله وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون
اى ما ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون ثم يحتمل قوله ما توعدون الساعة والقيامة التى كانوا يوعدون بها
وهم كانوا يستعجلون بها كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فيقول ما ادرى اقريب ما توعدون ام بعيد
ويحتمل قوله ما توعدون من العذاب الذى كان يعد لهم انه نازل بهم فى الدنيا وهم كانوا يستعجلون به
كقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فيقول ما ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون من العذاب
والله اعلم وقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون يخرج ذلك على الوعيد والتنبيه والزجر
عن المكر برسول الله والقول فيه بما لا يليق به يخبر انه يعلم ما تظهرون من القول وما تكتمون اى ما تسرون
من المكر به وفيه دلالة اثبات رسالة محمد حيث اخبرهم بما اسروا فيما بينهم من المكر به وقوله وان ادرى
لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ذكر انه ما ادرى لعله فتنة لكم ولم يبين ما الذى يكون فتنة لهم لكن
بعض اهل التاويل قال ما ادرى ما قلت لكم من العذاب والساعة ان يؤخر عنكم لمدتكم ولمتاع لكم الى حين فيصير
ما قربت لكم من العذاب والساعة فتنة لكم فيقولون لو كان ما خوفنا به محمد حقا لكان نزل بعد فيصير قوله
ذلك فتنة لكم هذا محتمل ويحتمل هذا وجها آخر وهو لما قال وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون انه كان
خوفهم نزول العذاب بهم ولكن لم يبين لهم الوقت انه متى ينزل بهم فيقول ما ادرى لعل تخويفى اياكم العذاب
على بيان وقته فتنة لكم لانه اذا تاخر عنهم العذاب يامنون عنه فيحملهم ذلك على تكذيبه فيما خوفهم من العذاب
ويكون ما يامنون من العذاب متاعا لهم لانه لو كان وقت نزول العذاب مبينا لكانوا ابدا على خوف فينغص
ذلك الخوف ويمنعهم عن المتاع وان لم يبين لهم الوقت فاذا تاخر عنهم يامنون ويتمتعون فيقول ما ادرى لعل
تخويفى اياكم لكم فتنة او لا يجب ان يفسر قوله لعله فتنة لكم انه اى شى اراد وهم قد عرفوا انه ما اراد به وليس لنا
ان نفسر ذلك انه اراد كذا الا ببيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله قال رب احكم بالحق
تعلق اكثر المعتزلة بظاهر هذه الآية فى مسايل لهم يقولون يحتجون يجوز ان يدعى بدعوات يعلم الداعى انه قد
قد اعطى ذلك له من نحو سؤال المعتق رب اغفر لى وهو مغفور ورب اعطنى كذا وهو معطى له ذلك ويقول
رب اغفر لى وهو يعلم انه لا يغفر له ونحو هذا من المسايل لهم فيحتجون بظاهر قوله قال رب احكم بالحق
امر رسوله ان يدعو به على علم منه انه لا يحكم الا بالحق ونحن نقول انه لا يجوز ان يدعى بمثل هذا الدعا على الاطلاق
الا على اعتقاد معنى آخر فى ذلك كان لله فعل ذلك فيكون ذلك منه عدلا وحقا فجوابه ان يكون قوله قل رب احكم
بالحق اى بالنصرة والظفر على عدائه ولولا ذلك لا يصح ويكون ذلك عدلا منه وحقا وان يكون المراد به احكم بالحق

اى بالعذاب الذى هو حكمك على مكذبى الرسل فاما ان يعتقد من قوله رب احكم بالحق ما اعتقد المعتزلة
فيحصل الدعا به اللهم لا تجر ورب اعدل ومن عرف ربه هكذا فهو ليس يعرفه حقيقة وقال ابو عبيد
فى قوله رب احكم بالحق اى رب احكم بحكمك وهو الحق وهو محتمل مستقيم وقد ذكرنا هذه المسالة وامثالها
فيما تقدم وقوله وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون امر رسوله ان يستعين بالله على ما يقولون
من تكذيبهم اياه فيما يدعو ويعد قال القتبى آذنتكم على سواء اى اعلمتكم فصرت انا وانتم على سواء وانما يريد آذنتكم
وانذرتكم واعلمتكم ذلك فاستوينا فى العلم وهو ما ذكرنا وقال ابو عوسجة قوله آذنتكم على سواء اى كلكم والله اعلم بالصواب

سورة الحج مكية الا من هذان الى ست او مدنية وآيها سبعون واربع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم قد ذكرنا تاويله فى غير موضع وقوله ان زلزلة الساعة شى
عظيم قال الحسن ان بين يدى الساعة آيات تحجب التوبة وقبول الايمان منها الزلزلة التى ذكر ومنها
طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال والدابة وخروج ياجوج وماجوج وامثاله وهو كقوله يوم ياتى
بعض آيات ربك يوم ياتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا
وجائز عندنا ان يكون هذه الآيات غاية لقبول التوبة والايمان يقبل الى ذلك الوقت ولا يقبل بعد ذلك
وان تابوا وآمنوا او ان يكون قوله لا ينفع نفسا ايمانها لانهم لا يؤمنون لما يشغلهم تلك الآيات عن ذلك فلا يؤمنون
لان تلك الآيات تعم الخلايق كلهم المؤمن والكافر جميعا فلا يعرف المبطل والضال انه على الضلال والباطل
فيرجع الى الهدى والحق ليس كعذاب ينزل على قوم خاص لان ذلك يعرف اولئك انه انما ينزل بهم خاصة
لما فيهم من التكذيب والعناد واذا كانت الآيات عامة لم يعرف اهل الضلال انهم على باطل وانه انما ينزل بسببهم
لما يرونه انه قد عم الخلايق كلها فقوله لا ينفع لانهم لا يؤمنون كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اى
اى لا يكون لهم من يشفع ليس ان يكون لهم شفعاء فيشفعون فلا تقبل شفاعتهم فعلى ذلك جائز ان يكون
قوله لا ينفع لانهم يشغلون عن الايمان فلا يؤمنون فلا ينفع لهم على ما ذكرنا ثم اختلف فيه قال بعضهم زلزلة
الساعة قبل القيامة وقال بعضهم ان زلزلة الساعة هى الساعة وصفها بالشدة والفزع فقال يوم ترونها
تذهل اى لا تشغل كل مرضعة لشدة اهوالها وافزاعها وتضع كل ذات حمل حملها هذا على قول من يقول ان زلزلة
الساعة قبل الساعة يكون على التحقيق اى تذهل عما ارضعت وتضع حملها لانها تكون فى ذلك الوقت مرضعة
وحاملا فتذهل لاهوال ذلك وافزاعها عن ولدها وتضع ما فى بطنها كقوله يوم يفر المرء من اخيه الآية فذكر
هؤلاء لانه من اصاب شيئا من البلاء فى هذه الدنيا يفزع الى هؤلاء فيخبر انه فى ذلك اليوم يفر بعض من بعض
لشدة ذلك اليوم وهوله لشغله بنفسه وعلى قول من يقول ان زلزلة الساعة هى الساعة فيخرج قوله
تذهل كل مرضعة عما ارضعت الآية على التمثيل اى تذهل عما ارضعت انه لو كانت مرضعة وتضع حملها اى لو كانت
حاملا لشدته وهوله والله اعلم وقوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى اى من مكن له وقوى
يرى الناس كلهم سكارى وما هم بسكارى والا لم يجز ان تريهم سكارى ويسميهم بسكارى فى الحقيقة
وانما قلنا انه يرى من مكن له وقوى والا لو كانوا كلهم بسكارى لكان لا يريهم سكارى لان السكران لا يرى
من مكان فى مثل حاله سكران او ان يكون خاطب به رسوله ولا يكون فيه ذلك الهول الذى يكون فى غيره او ان يكون
ذلك على التمثيل ليس على التحقيق وقول اهل التاويل يقول لآدم فى ذلك قم فابعث بعث النار فيقول
يا رب كم فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فى النار وواحد فى الجنة ويروون الاخبار
فى ذلك عن رسول الله فان ثبت ما روى عنه فى ذلك والا الكف عن مثله اولى لانه يخرج حيث يؤمر ان يتولى

الاهوال والافزاع قدم

اختلف فى وقت الزلزلة

لانه هذا مما يحزن لادم حيث يؤمر بان يتولى بعث ولده الى النار ولا يجوز ان يصيبه الحزن فى الآخرة من عذاب كان منه ما يستوجب به العقوبة اذ هو دار جزاء لا دار محنة نسخه

بعث وليه الى النار ومن غير ان كان ما يستوجب هذه العقوبة قال القتبى تذهل اى تسلوا عن ولدها وتتركه
وقال ابو عوسجة تذهل اى تنسى يقال ذهل يذهل ذهولا واذهلته اى انسيته وقال غيره اى تشتغل والحمل
بالنصب ما فى البطن والحمل بالخفض ما على الظهر والزلزلة الرجفة يقال زلزلت اى حركت وتزلزلت اى تحركت
وقوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ذكر المجادلة فى الله ولم يبين فيم جادلوا وقد كانت مجادلتهم من وجوه
منهم من جادل فى هستية الله تبارك وتعالى ومنهم من جادل ان هذا العالم منشأ ام لا ومنهم من جادل فى وحدانيته
انه واحد او عدد ومنهم من جادل فى بعث الانبياء وارسال الرسل ومنهم من جادل فى انزال الكتب ومنهم من جادل
فى دين الله تعالى المدعو اليه ومثل هذا قد كثرت مجادلاتهم فيما ذكرنا وكل ذلك كان مجادلة بغير علم لانهم
لو تفكروا فى هذا العالم ونظروا فيه حق النظر لعرفوا ان لهذا العالم منشأ وانه واحد لا عدد وانه عالم قادر بذاته
وانه بعث الرسل والكتب وعرفوا ايضا انه يبعث هذا العالم ويحييهم وانه قادر على ذلك لكنهم لم يتفكروا فيه ولم ينظروا
حق النظر فجادلوا فيه بغير علم وقوله ويتبع كل شيطان مريد يحتمل ان يكون قوله ويتبع كل شيطان مريد الشيطان
المعروف نفسه يتابعه فى كل ما يدعوه ويجوز ان يكون اراد انه يتبع كل من يعمل عمل الشيطان
وهم القادة الذين كانوا يدعون الى اتباع ما يدعوا الشيطان ويوحى اليهم كقوله وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم ليجادلوكم اخبر ان الشياطين يوحون الى اوليائهم من الانس ليجادلوكم فذلك معنى قوله ويتبع
كل شيطان مريد قيل فعيل بمعنى فاعل على ما ذكر فى اية اخرى من كل شيطان مارد وقال بعضهم كل متمرد فى العناد
والمكابرة فهو مارد وقال بعضهم هو المجاوز عن جنسه فى عتوه وتمرده ولذلك سمى الذى لا لحية له امرد
لخروجه ومجاوزته اجناسه ورجاله والمارد بالفارسية ستنبه وقوله كتب عليه انه من تولاه فانه يضله
قال بعضهم كتب على الشياطين ان من تولاه واتبعه انه يضله ويهديه اى يدعوه الى عذاب السعير وهو ما قال
فى اية اخرى ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وقال بعضهم كتب على من تولى الشيطان واتبعه انه يضله
اى يدعوه الى ما به ضلاله وهلاكه وقوله كتب قيل حكم وقيل قضى وكتب يحتمل الاثبات اى اثبت فى ام الكتاب ان من تولى
الشيطان واتبعه انه يضله وقد ذكر اضلال الشيطان فى غير موضع وقوله يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث
فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة اى خلقنا اصلكم من تراب وخلقنا اولاده من نطفة ثم من علقة الاية تاويله
والله اعلم ان كيف تشكون فى البعث وتنكرونه وليس سبب انكاركم البعث الا ان تصيروا ترابا او ماء فى العاقبة وقد كنتم
فى مبادى احوالكم ترابا وماء فكيف انكرتم بعثكم اذا صرتم ترابا او ان يكون معناه ان كيف انكرتم البعث وقد رايتم انه
يقلبكم من حال النطفة الى حال العلقة ومن العلقة الى المضغة ولا تقلب من حال الى حال بلا عاقبة لقصد فلو لم يكن
بعث كما تزعمون لكان خلقكم وتقليبكم من حال الى حال عبثا على ما اخبر ان خلق الخلق لا للرجوع اليه عبثا
فعلى ذلك الاول او ان يكون تاويله والله اعلم فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الى اخر الاية ولو اجتمع حكماء
البشر وعلماؤهم ليعرفوا السبب الذى خلق البشر من ذلك التراب ومن النطفة ما قدروا عليه وما وجدوا للبشر
فيه اثرا ولا معنى البشرية فيه فمن قدر على ابتداء انشاء هذا العالم من التراب ومن النطفة من غير سبب وجد
فيه ولا اثر لقادر على اعادتهم واعادة الشىء فى عقولكم اهون وايسر من الابتداء فمن قدر على الابتداء فهو
على الاعادة اقدر وقوله مخلقة وغير مخلقة قال بعضهم مخلقة اى مخلوقة خلقا وغير مخلقة اى غير
مخلوقة خلقا نطفة على حالها وقال بعضهم مخلقة اى تامة وغير مخلقة اى غير تامة خلقا وهو الاشبه لان التشديد
انما يذكر لتكثير الفعل والتخفيف لتقليله فكانه قال مخلقة اى قد تم خلقها من الجوارح والاعضاء وغير مخلقة
اى غير تامة خلقا بل ناقصة وقوله لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى كان قوله ونقر فى الارحام
ما نشاء موصولا بقوله ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم نقر فى الارحام ما نشاء الى اجل
مسمى من ستة اشهر الى سنتين او ما شاء الله ثم نخرجكم من الارحام بعد الاقرار فيها طفلا قال بعضهم ثم نخرجكم

زلزلت اى تحركت وقالت زلزلت اى تحركت صح

اذ لهذا العالم منشأ اولا صح

تخلقها

منكم طفلا

منكم طفلا وقال بعضهم اسم الطفل يجمع ويفرد ثم لتبلغوا اشدكم قال بعضهم الاشد هو ثلاث وثلثون سنة
وقال بعضهم هو من ثمانى عشرة سنة الى ثلاثين سنة والاصل الاشد هو اشتداد كل شىء وتقوى كل شىء عنه من الجوارح
والاعضاء وكل ما ركب فيه العقل وغيره ثم عند ذلك يبين لهم ويكون قوله لنبين لكم بعد هذا كله اذا بلغوا المبلغ
الذين يعرفون تقليبه اياهم من حال الى حال على ما ذكر ثم يحتمل قوله لنبين لكم وجوها احدها يبين قدرته وسلطانه
ان من قدر على تحويلهم من حال التراب الى حال الانسانية والبشرية ومن حال النطفة الى حال العلقة ثم الى اخر ما ذكر
قدر على البعث والاحياء بعد ما صاروا ترابا ويبين علمه فى الظلمات الثلاث الذى كان الولد فيها ان كيف قلبه
من حال الى حال فى تلك الظلمات ليعلموا انه لا يخفى عليه شىء ويبين حكمته وتدبيره فى خلق الانسان من التراب ومن
ومن النطفة ما لو اجتمع جميع الحكماء من البشر والعلماء ليعرفوا المعنى الذى به خلق الانسان منه وصار به بشرا ما قدروا
عليه ولا عرفوا السبب الذى به صار كذلك ليعلموا انه حكيم بذاته وعالم قادر بذاته لا بتعليم غيره ولا باقدار غيره
فمن كان هذا سبيله لا يعجزه شىء ينشئ الاشياء من الاشياء ولا من الاشياء على ما شاء وكيف شاء وقوله ومنكم
من يتوفى اى من يتوفى قبل ان يبلغ اشده دليله قوله ومنكم من يتوفى من قبل اى من قبل ان يبلغ ذلك المبلغ وهو
الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر اى الى وقت يستقذر منه ويستخبث ليس كالصغير لان الصغير والطفل
مما يؤمل منه فى العاقبة المنافع والزيادات وهذا لا يرجى منه ولا يؤمل منه العاقبة بل كلما مر عليه وقت
كان اضعف فى عقله ونفسه ولا كذلك الصغير وهو ما قال خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل
من بعد قوة ضعفا وشيبة قال القتبى ارذل العمر اى الخرف والهرم وقوله لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى
لكيلا يعلم من بعد ما كان يعلم من بعد ما كان يعلمه شيئا ثم ذكر قدرته وسلطانه فقال وترى الارض هامدة قال
بعضهم ميتة وقيل خاشعة وقيل يابسة وقيل بالية وقوله فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت قال الزجاج
وربت من الزيادة والنماء وكذلك قال ابو عوسجة يقال ربا يربو اى زاد وهو من الربو والربات من الارتفاع ربا يربو
ربوة كقوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ثم اضاف الاهتزاز والزيادة الى الارض وهى لا تهتز ولا تربو
انما تربو وتهتز ما يخرج منها من النبات لكن اضاف ذلك اليها لما بها كان اهتزاز ذلك النبات وبها كان النماء
فاضيف اليها او ان كان من الارتفاع والربو فهى ترتفع وتنتفخ وتهتز بالمطر وقوله وانبتت من كل زوج بهيج قيل
البهيج الحسن يخبر فى هذا كل قدرته وسلطانه ان من قدر على احياء الارض بعد ما كانت يابسة ميتة لقادر
على احياء الموتى بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا وقوله من كل زوج بهيج اى من كل جنس حسن بهيج اى يسر وهو فعيل
بمعنى فاعل فقال امرأة ذات خلق باهج وقال ابو عوسجة الهامد البالى يقال همد الثوب اذا بلى والهامد
ايضا الخامد خمدت النار تخمد خمودا وقال بعضهم قوله وربت اى اضعفت النبات وقوله ذلك بان الله
هو الحق اى ذلك الذى تقدم ذكره من الساعة وزلزلتها واهوالها وما ذكر من خلق الانسان وتقليبه من حال الى حال
وما ذكر من البعث والاحياء بعد الموت واحياء الارض بعد ما كانت هامدة هو الحق ذلك بان امره هو الحق اى كائن
لا محالة الا ترى انه قال وانه يحيى الموتى وانه على كل شىء قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث
من فى القبور هذا يدل كله ان قوله ذلك بان الله هو الحق فى تحقيق البعث والاحياء بعد الموت وانه لا يعجزه
شىء وانه قادر بذاته عالم وقال بعضهم ذلك يقول هذا الذى فعل وظهر من صنعه يدل على ان الله هو الحق وعين
من الالهة التى يعبدونها باطل وانه يحيى الموتى فى الاخرة لا الالهة التى يعبدونها وانه على كل شى قدير على ما شاء
وهو ما اخبرنا وقال الحسن الحق هو اسم من اسماء الله تعالى سمى به لانه يحكم بالحق وقوله ومن الناس من يجادل فى الله
بغير علم يحتمل قوله بغير علم حسى ولا هدى اى لا بيان دليل من جهة العقل ولا كتاب منير اى ولا وحى
ينير ما يجادل فيه ويخاصم ويحتمل ان يكون قوله بغير علم اى بغير اذعان من عنده العلم ولا هدى ولا استسلام
لمن عنده الدليل ولا خضوع لمن عنده كتاب منير وقوله ثانى عطفه قال بعضهم لاوى عنقه الى المعصية الله

وقال بعضهم ناظرته عطفه اى فى جانبه ومثل هذا لكن حقيقته يخرج على وجهين احدهما على التمثيل والكناية
عن اعراضه عن دين الله الحق والصدود عنه كقوله انقلب على وجهه وقوله انقلبتم على اعقابكم ونحوه كله على التمثيل
والكناية عن الاعراض عن الحق والصدود عنه لا على حقيقة الانقلاب على الاعقاب فعلى ذلك يجوز قوله
ثانى عطفه يخرج على التمثيل والكناية عن الاعراض عن الحق ويجوز ان يكون على حقيقة عطف العنق والميل عنهم
تكبرا وتجبرا منه عليهم ثم بين انه لم يفعل ذلك فقال ليضل عن سبيل الله اى ليضل الناس عن سبيل الله
ثم اخبر ماله فى الدنيا بصنيعه فقال له فى الدنيا خزى قال بعضهم الخزى هو العذاب الذى يفضح واصل الخزى
الهوان والذل وهم لما اعرضوا عن عبادة الله ودينه بلوا بعبادة الاصنام واتباع الشيطان فذلك الخزى لهم
فى الدنيا ثم اخبر ماله فى الاخرة من الجزاء فقال ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق وعامة اهل التأويل
يصرفون الاية الى واحد منهم وهو النضر بن الحارث ويقولون له فى الدنيا خزى لانه اسر يوم بدر فضرب
عنقه وقتل صبرا فذلك الخزى له والحسن يقول هذا الخزى لجميع الكفرة لانه لم يزل هذا صنيعهم منذ كانوا
فلهم الخزى فى الدنيا الخسف والغضب على ما كان فى الامم الخالية وقوله ذلك بما قدمت يداك ليس على تحقيق
تقديم الايدى ولكن على التمثيل لما بالايدى يقدم فذكر اليد لذلك عاما من انقلاب الاعقاب وقوله وان الله
ليس بظلام للعبيد لانه لا يأخذ احدا بغير ذنب ولا يأخذ بذنب غيره وقوله ومن الناس من يعبد الله
على حرف اختلف فى قوله على حرف قال بعضهم يعبد الله على حرف اى على شك يمتحن ربه على ان اعطاه
طمعه وامله فى هذه الدنيا حقق له الالوهية والعبادة وان لم يجد طمعه واملَه لا يحقق له ذلك ويقول
ليس هو باله اذ لو كان الها لاعطاه ما يطلب منه على هذا الشك يعبد بالامتحان وقال بعضهم على حرف اى على شرط
اى يعبده على شرط الاعطاء يقول اذا اعطانى املى عبدته وان لم يعطنى ذلك لم اعبده يكون عبادته على هذا الشرط
وقال بعضهم يعبد الله على حرف اى على حال واحدة وعلى جهة واحدة ليس يعبده على حالين كالمؤمن يعبده فى حالين
جميعا حالة الظاهر والباطن وحالة الضراء والسراء وحالة السعة والشدة على ما تعبده الله كقوله ونبلوكم
بالحسنات والسيئات ونحوه عبد المؤمن على الحالين جميعا على ما تعبده الله والمنافق انما يعبده على حالة السعة
والخصب لانه ليس يعرف ربه حق المعرفة فانما يعبد لسعة والرخاء واما المؤمن فاذ عرف ربه عبده فى الاحوال
كلها لما عرف نفسه عبدا لسيده ولم ير للعبد سعة ترك العبادة لمولاه فى كل حال ورأى للمعبود حق استعباده
واستخدامه فى كل حال فى حال الضيق وحال السعة او ان يكون رأى بما يصيبه من الشدائد والبلايا بتقصير كان
منه وتفريط وعبدوه فى الاحوال كلها او لما رأى وعرف نعمة ربه عليه كثيرة ورأى شكر تلك النعم عليه لازما
فعبده فى الاحوال كلها شكرا لتلك النعم واما اولئك لم يروا لله على انفسهم نعما فانما عبدوه على الجهة التى ذكرنا
كانوا فى قلبى الكفرة من يعبد الله فى حال الشدة والضيق ولا يعبده فى حال السعة والرخاء كقوله واذا مسكم الضر
فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ونحوه ومنهم من كان يعبده
فى حال السعة والرخاء وهو ما ذكرنا من امر المنافق واما المؤمن فهو يعبده فى الاحوال كلها لما رآه معبودا حقيقة
على ما ذكرنا وقوله وان اصابته فتنة قد ذكرنا ان الفتنة هى المحنة التى فيها بلاء وشدة وقوله انقلب
على وجهه وقال بعضهم هو على التمثيل على ما ذكرنا فى قوله نكص على عقبيه وقوله انقلبتم على اعقابكم وقال
بعضهم على تحقيق انقلاب وجهه لانه كان عبادته ظاهرة لم يكن يعبده فى الباطن فى حال السعة فلما اصابته
الشدة ترك عبادته ظاهرة على ما كان باطنه فهو انقلاب وجهه والله اعلم وقوله خسر الدنيا والاخرة
اما خسران الدنيا لانه فات عنه ما كان يأمل بزوالها وخسران الاخرة ظاهر العذاب والشدائد ويجوز
ان يكون خسران الدنيا هو خضوعه لمن لا يضر ولا ينفع للعبادة للاصنام ذلك هو خسران المبين لانه خسر
فى الدارين جميعا امله وطمعه والله اعلم وقوله يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه قيل الآية

فالمنافق

فى المنافقين وهم كانوا يعبدون لكن ذكر انهم يعبدون على حرف والعبادة على حرف ليست بعبادة لله
انما هى عبادة للشيطان فاخبر انه يعبد ما لا يضره ان ترك العبادة له ولا ينفعه ان عبده يدل على ذلك قوله
ذلك هو الضلال البعيد لانه عبد من لا يضره انه لم يعبده ولا ينفعه ان عبده فذلك هو الضلال البعيد وقوله يدعوا
لمن ضره اقرب من نفعه قال بعضهم قوله يدعو تأويله من يعبد ما اقرب من نفعه وقال بعضهم قوله يدعوا
لمن ضره اقرب من نفعه هذا ان عبده ضر عبادته اياه فى الاخرة والا ولى حيث قال ما لا يضره ان ترك عبادته
فى الدنيا ولا ينفعه ان عبده والله اعلم وقوله لبئس المولى ولبئس العشير قال بعضهم لبئس المولى الولى
وهو الشيطان ولبئس العشير يعنى الصاحب كقوله وعاشروهن بالمعروف اى صاحبوهن بالمعروف وقال بعضهم
لبئس المولى اى الولى وهو الشيطان ولبئس العشير اى القرين الذى لا يفارق وقال القتبى اى الصاحب والخليل
وهو ما ذكرنا كله واحد وقال ابو عوسجة العشير الرفيق الذى تعاشره وتصاحبه وتخالطه والعشير الزوج ايضا
وقال القتبى ثانى عطفه اى يتكبر معرضا وكذلك قال ابو عوسجة ثانى عطفه اى متكبرا متجبرا والعطف فى الاصل
الجانب والاعطاف جميع وقوله من يعبد الله على حرف قال لا يدرى احق هو ام باطل وهو الشك يعنى يقال انى
من هذا الامر على حرف اى على شك لست بمستيقن وقال القتبى على حرف واحد وعلى وجه واحد وعلى مذهب واحد
وقال قتادة على شك على ما ذكرنا وقال ابو عبيد على حرف اى لا يدوم ويقول انما انا على حرف اى لا اثق به ونحو هذا
واصله ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم قوله يدعوا لمن ضره فى الاخرة اقرب من نفعه وقوله انقلب على وجهه
اى رجع الى دينه وقوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله
يفعل ما يريد المعتزلة كذبت هذه الاية والاية التى تلى هذه الاية وهو قوله وان الله يهدى من يريد لانهم
يقولون اراد ايمان جميع الخلائق ثم لم يفعل ذلك واراد جميع الخيرات والكف عن الشر ودم لم يقدر على وفاء
ما اراد ويقولون لا صنع له فى افعال العباد ولا تدبير فعلى قولهم لم يفعل الله مما اراد واحدا من ذلك وقوله
ان الله اراد هدى جميع الخلائق لكنهم لم يهتدوا وهو اخبر انه يهدى من يريد وهم يقولون يريد هدى
الخلق كلهم فلم يهتدوا ونحن نقول من اراد الله هداه اهتدى وما اراد ان يفعل فعل وهو ما اخبر فعال
لما يريد اخبر انه يفعل ما يريد فيخرج هذا على قولهم على احد الوجهين اما على الخلف فى الوعد واما على الكذب
فى القول والخبر فنعوذ بالله من السرف فى القول وقوله من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والاخرة
فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تأويل الاية عندنا يخرج على وجهين
احدهما من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا صلوات الله عليه ثم نصره فغاظه نصره اياه فيدوم غيظه
فليمدد بسبب اى بحبل من السماء فيختنق ويقتل نفسه ليذهب غيظه الذى غاظه نصره يستريح مما غاظه
والثانى يخرج على الوعد بالنصر والخبر انه ينصره يقول من كان يظن ان ما وعد له من النصر لا يفعل
ذلك له ولا ينصره ولا ينجز ما وعد فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع اى يحبس ما وعد له من النصر ان غاظه
ما وعد ليذهب غيظه الذى غاظه فعلى هذا التأويل يكون السماء سماء الاصل اى يحبس السبب الذى ينزل
من السماء وقال بعضهم قوله من كان يظن ان لن ينصره الله ان لن يرزقه الله ويجعله صلة قوله ومن الناس
من يعبد الله على حرف لانه يجعل الاية فى اهل النفاق يقول من كان يظن من اهل النفاق ان الله لا يرزقه اذا كان
فى ذلك الدين الذى كان فيه ودام فليمدد بما ذكر وقال مجاهد كيده ما يغيظ قال ذلك خيفة ان لا يرزق
واهل التأويل صرفوا السماء الى سقف البيت ويقولون القطع الخنق وقال القتبى من كان يظن ان لن ينصره الله
اى لن يرزقه الله وهو قول ابى عبيدة يقال مطرنا مطرا وارض منصورة اى ممطورة وقال المفسرون من كان
يظن ان لن ينصر الله محمدا فليمدد بسبب اى بحبل الى سقف البيت ثم ليقطع اى ليختنق فلينظر هل يذهبن كيده
اى حيلته غيظه اى ليجهد جهده وقال ابو عوسجة فليمدد بسبب قال هذا شئ لا يكون ولا يقدر عليه هذا دم

المعول فيه لانه جعل السماء سماء الاصل **وقوله** فليمدد اى يمدد يده وقوله والسبب فى الاصل الحبل اى يعلق سببا فيرتقى فى السماء والسبب الحمار وسبوب جميع اى خمر قال والسبب الحبل بلغة هذيل وقوله ما يغيظ هو شدة الغضب **وقوله** وكذلك انزلناه آيات بينات اى مثل هذا او هكذا انزلناه آيات بينا تبين ما لهم وما عليهم **وقوله** ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا اما الصابئون فان الناس اختلفوا فيهم قال بعضهم اهل الكلام هم الثنوية قال اهل التاويل هم عبّاد الملايكة وقد ذكرنا اقاويلهم فيه فى سورة المايدة فتركنا ذكره هاهنا لذلك والذين اشركوا قيل هم مشركوا العرب وهم عبدة الاوثان والاصنام **وقوله** ان الله يفصل بينهم يوم القيامة يحتمل قوله يفصل بينهم اى يحكم بين هولاء يوم القيامة لاختلافهم فى الدنيا كقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ ثم قال فالله يحكم بينهم يوم القيامة فالفصل بينهم يوم القيامة هو الحكم الذى ذكر فى هذه الاية ويحتمل قوله يفصل بينهم يوم القيامة فى المقام يبعث هولاء الى الجنة وهولاء الى النار فذلك الفصل بينهم وجايز ان يكون قوله يفصل اى يبين لهم الحق من الباطل حتى يفترقون جميعا بالحق ويؤمنون به لكن لا ينفعهم ذلك يومئذ **وقوله** ان الله على كل شئ شهيد من اعمالهم وافعالهم واقرارهم واقوالهم وجميع ما كانوا فيه **وقوله** الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض حرف من فى ظاهر اللغة واللسان انما يعبر به عن المميز من البشر والجن والملايكة واما الموات فانه لا يعبر به عنه وانما يعبر عنه بحرف ما لكن ذكر فى آخره وهو قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال الاية ما يدل لانه اراد الكل المميز والموات جميعا حيث قال كثير من الناس وكثير حق عليه العذاب والاظاهره ما ذكرنا انه انما يعبر بمن عن المميز وبحرف ما عن الكل وجايز ان يكون عند الاجتماع يذكر باسمه المميز على ما يذكر عند اجتماع الذكور والاناث باسم الذكور ثم ما ذكر من سجود هذه الاشياء يخرج على وجوه احدها سجود خلقة يسجد كل شئ ذكر بخلقته لله على ما ذكرنا فى التسبيح والثانى سجود عبادة وهو سجود كل ممكن منه السجود وتركه وهو سجود المميز والثالث سجوده بذل ما جعل فى هذه الاشياء من المنافع لا تاتى بذلها لاحد من الماء والشمس والشجر والدواب وكل شئ والرابع ما الهم هذه الاشياء من الطاعة لله والخضوع له الا يرى انه قال ائتنا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين الا يرى انه الهم الدواب معرفة اتيان المصالح لهم واتقاء المهالك فجايز ان يعرفن طاعته والخضوع له والله اعلم **وقوله** وكثير من الناس فى الجنة وكثير حق عليه العذاب فى النار ومن يهن الله فما له من مكرم هذا يحتمل وجهين احدهما من خذله الله وطرده عن عبادته وبابه فما له من مكرم كقوله ومن يضلل الله فما له من هاد وان يقول ومن اهانه الله بالعذاب فما له من منجي ينجيه عن ذلك ان الله يفعل ما يشاء هذا على المعتزلة لانهم يقولون شاء اشياء فلم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء **وقوله** هذان خصمان اختصموا فى ربهم اختلفوا فى تاويله قال بعضهم نزل هذا فى ستة نفر بادروا ثلاثة من المسلمين حمزة بن عبد المطلب وعلى بن ابى طالب وعبيدة بن الحارث وثلاثة من المشركين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فذلك اختصامهم وقال بعضهم اهل الاسلام واهل الكتاب فى الدين قالت اليهود والنصارى نحن اولى بالله منكم يا معشر المسلمين لان نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم فقال المسلمون بل نحن اولى بالله آمنا بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وبكل كتاب انزله الله ثم كفرتم انتم بنبينا وبكتابنا وبكل نبى كان قبل نبيكم فانزل الله تعالى ما فصل بين المؤمنين واهل الكتاب فقال هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا بمحمد وبالقرآن وهم اليهود والنصارى قطعت لهم ثياب من نار الى آخر ما ذكر وقال فى المؤمنين ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار الاية وقال بعضهم هذان خصمان اختصموا فى ربهم النار والجنة قالت النار جعلنى الله للعقوبة للعصاة والفسقة وقالت الجنة جعلنى الله للرحمة للانبياء والاولياء ونحوه لكن متى يكون للنار مخاصمة وكذلك للجنة وهو بعيد وقال بعضهم اختصم المسلم والكافر فى البعث وجايز ان يكون اختصامهم ما ذكر

من اول السورة الى هذا الموضع من ذلك قوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم وقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وقوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا يكون اختصامهم بين هولاء الذين ذكرهم فى هذه السورة وهم اهل الاسلام واهل الكفر وفى الاية بيان ذلك حيث قال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار وقال فى المؤمنين ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ثم جايز ان يكون هذا الذى ذكر هو الفصل الذى ذكر فى الاية الاولى حيث قال ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ينزل اهل الاسلام فى الجنة واهل الكفر فى النار والله اعلم **وقوله** قطعت لهم ثياب من نار كقوله سرابيلهم من قطران الاية **وقوله** يصب من فوق رؤسهم الحميم قيل الحميم الحار الذى انتهى حره غايته **وقوله** يصهر به ما فى بطونهم قال القتبى يصهر يذاب يقال صهرت النار الشحمة والصهارة ما اذيب من الالية وكذلك قال الصهارة ما يبقى من الشحم والالية اذا اذيبا يقال صهرت الشحم اى اذبت اصهره صهرا ولهم مقامع من حديد قال بعضهم المقامع الاعمدة من الحديد وهو قول ابى معاذ وقال بعضهم المقامع شبه العصا الواحدة مقمعة قال ابو معاذ معنى قوله يصهر به ما فى بطونهم اى يذاب ما فى بطونهم خاصة واما الجلود فانها تحرق لان الجلد لا يصهر ولا ينصهر وقال هذا مثل قول العرب اتيته فاطعمنى والله ثريدا اى والله ولبنا قارصا اى حامضا اى والله وازارا ورداء اى والله وحملانا فارها تضمن الكلام فعلا يشاكله وفى القرآن مثله كثير وكذلك فى اللسان **وقوله** كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها قال بعضهم ان جهنم اذا جاشت القت من فيها الى اعلاها فيريدون الخروج منها فيعيدهم الخزان فيها بالمقامع وتقول لهم الخزنة ذوقوا عذاب الحريق وقال بعضهم ان فى جهنم دركات فاذا اشتد العذاب بهم ينقلبون من دركة السفلى الى دركة العليا ويصعدون ثم يريدون الخروج منها فيعادون فيها كقوله سارهقه صعودا وقال بعضهم ان النار تضربهم بلهبها فرفعتهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بمقامع من حديد فاذا انتهوا الى سفلها ضربهم زفرها فرفعتهم والله اعلم بذلك **وقوله** ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار اى من تحت اهلها وهو كما ذكر فى آية اخرى تجرى من تحتهم الانهار **وقوله** يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ذكر هذا والله اعلم لقوم رغبوا فى هذه الدنيا بالتحلى بما ذكر وتفاخروا به فيها وبما ذكر فلولا التى عليه اسورة من ذهب والا فليس مما يرغب الناس فى الدنيا فى التحلى بما ذكر الا النساء خاصة فاما ان ذكر للنساء او لقوم تفاخروا به فى الدنيا فوعدهم فى الآخرة ذلك كقوله وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين **وقوله** ولؤلؤا قال الكسائى من قرا ولؤلؤ بالخفض فهو يخرج على وجهين احدهما يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ والثانى يحلون فيها من اساور من ذهب ويحلون فيها من لؤلؤ حلية سوى الاساور ومن قرا بالنصب ولؤلؤا اى يحلون فيها لؤلؤا **وقوله** ولباسهم فيها حرير وكذلك ذكر فى الخبر هو لهم فى الدنيا ولنا فى الآخرة **وقوله** وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد جايز ان يكون هذا فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا هو قول التوحيد وشهادة الاخلاص واما فى الآخرة كقوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فهو القول الطيب الذى هدوا اليه وقال بعضهم قوله وهدوا الى الطيب من القول هو القرآن وهدوا الى صراط الحميد الاسلام وشرايعه وقال قتادة الهموا التسبيح والتحميد كما الهموا النفس وقال الطيب من القول هو كل قول حسن وقوله الحميد يحتمل صراط الحميد اى صراط الله كقوله صراط الله ويحتمل ان يكون نعت ذلك الصراط اى صراط حميد والله اعلم **وقوله** ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام قوله كفروا هو خبر ماض وقوله ويصدون خبر مستقبل نسق المستقبل على الماضى قال الزجاج ان الكافرين والصادين عن سبيل الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وعندنا تاويله ان الذين كفروا قبل ان يبعث محمد ويصدون الناس عن سبيل الله اذ بعث محمد ثم يحتمل قوله والمسجد الحرام اى يصدون الناس عن دخول المسجد الحرام اى كانوا يمنعون المسلمين عن دخول المسجد الحرام للاسلام والسؤال عنه

والثاني اخراجهم منه كقوله واخراج اهله منه اكبر عند الله وقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ظاهر هذا ان يكون الذي جعل فيه العاكف والبادي سواء هو المسجد الحرام لانه قال جعلناه للناس سواء لكن اهل التاويل صرفوا ذلك الى مكة وقالوا سواء العاكف فيه والباد في النزول في المنازل وظاهر ما ذكرنا ثم يحتمل ان يكون المسجد الحرام مخصوصا بهذا كساير المساجد التي لها اصل ان اهلها احق بها من غيرهم واما المسجد الحرام فان الناس فيه شرعا سواء العاكف والبادي ويحتمل ان يكون ذكر هذا في المسجد الحرام ان الناس فيه سواء ليعلموا ان الحكم في ساير المساجد كذلك ان الناس فيها سواء اهلها وحيا اهلها والله اعلم وقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال بعضهم الحاد فيه هو الشرك فيه والكفر وقال الالحاد هو كل المعاصي واصل الالحاد هو العدول والميل عن الطريق وتاويله ومن يلحد فيه الحادا ظلما نذقه كذا وقال بعضهم منهم فيه بالحاد بظلم نذقه كذا ثم يحتمل تخصيص ذلك المكان بما ذكر وجوها احدها ليعلموا ان لكثرة الخيرات وتضاعفها ما لا يعمل في اسقاط المساوي فيه وهو ما روي ان صلوة واحدة بمكة تعدل كذا كذا صلوة في غيرها من الاماكن وكذلك كل حسنة فيها والثاني خصت بالذكر فيه على التغليظ والتشديد على ما خصت تلك البقعة بتضاعف الحسنات والثالث ان اولئك ادعوا انهم اولى بالله من غيرهم ليتركوهم ذلك المكان فاخبر ان من يرد فيه بكذا اذاقه بكذا ليس تخصيص ذلك المكان بما ذكروا العقوبة عليه ولكن بما ذكرنا وقال بعضهم معناه من يرد فيه الحادا بظلم والباء زايدة ومثله قوله تنبت بالدهن معناه تنبت بالدهن وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احتكار الطعام بمكة الحاد وكذلك روي عن عمر وابن عمر وجايز ان يكون ما ذكرنا من التغليظ والتشديد وتضاعفا لعقوبة ولذلك كره قوم الجوار بمكة لما يتضاعف عليهم العقوبة اذا ارتكب فيه ماثما والحد فيه وجايز ما ذكرنا وقد كره قوم بيع رباع مكة واجارتها بقوله سواء العاكف فيه والباد وعلى ذلك روية الاخبار بالنهي عن ذلك روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مكة مناخ لا يباع رباعها ولا يواجر بيوتها وعن عمر رضي الله عنه قال يا اهل مكة لا تتخذوا الدوركم ابوابا لينزل البادي حيث شاء ونهاهم ان يغلقوا ابواب دورهم وليس في ظاهر الاية ذكر مكة انما في الاية ذكر المسجد حيث قال والمسجد الحرام الذي للناس سواء العاكف فيه والباد انما ذكر ذلك في المسجد خاصة وقال ابو حنيفة اكره اجارة بيوت مكة في الموسم من الحاج والمعتمر فاما المقيم والمجاور فلا يرى باخذ ذلك منهم باسا وهو قول محمد وقوله واذ بوانا لابراهيم مكان البيت قال بعضهم بوانا اي هيانا له مكان البيت لينزل فيه والتبوية الانزال كانه قال بوانا لابراهيم مكان البيت اي نزلنا ابراهيم مكان البيت ليتخذ فيه بيتا وقلنا لا تشرك بي شيئا وهكذا بعث الانبياء جميعا بعثوا ان لا يشركوا بالله وامروا ان يدعوا الناس الى ترك الاشراك بالله تعالى وقوله وطهر بيتي للطايفين وادعوا الناس ايضا الى ان لا يشركوا بالله شيئا ثم يحتمل قوله وطهر بيتي للطايفين ومن ذكر اي طهره من الاصنام والاوثان التي فيه ليلا يعبد فيه غيره وجايز ان يكون قوله طهر بيتي عن جميع الخبايث وعن كل انواع الاذى من الخصومات والبياعات وغيرها وذلك المسجد الحرام ولغيره من المساجد يطهر ويجتنب جميع انواع الاذى والخبث والفحش وقوله للطايفين والقايمين والركع السجود قال اهل التاويل للطايفين هم القادمون من البلدان والقايمين المقيمين هنالك والركع السجود قال اهل التاويل للطايفين هم القادمون في المصلين ويحتمل قوله للطايفين لكل طايف به والقايمين والعاكفين لكل عاكف فيه والعكوف هو المقام للعبادة والقايمين لكل قايم عاكف فيه والركع السجود لكل راكع وساجد فيه اي لكل مصلي وهذا اشبه والله اعلم وقوله واذن في الناس بالحج يحتمل وجهين احدهما على الاعلام ان اعلم الناس ان الله عليهم الحج بالبيت كقوله ولله على الناس حج البيت الاية والثاني واذن في الناس بالحج اي ادع الناس وناديهم ان يحجوا البيت قال اهل التاويل لما امر الله ابراهيم ان ينادي في الناس بالحج فنادى فاسمع الله صوته ما بين المشرق والمغرب

حتى

حتى اسمع صوته ونداه في اصلاب الرجال وارحام النساء فقالوا لبيك ومن حج بيته فهو الذي اجاب ابراهيم لما ناداهم بالحج لكن لا يعلم ذلك الا بالخبر عن رسول الله انه كان ما ذكروا والا السكوت عنه وعن مثله اولى قالوا ان قوله واذن في الناس بالحج موصولا بقوله واذ بوانا لابراهيم الاية وجايز ان يكون قوله واذن في الناس بالحج لرسول الله او لكل رسول بعث الامر بذلك في كل زمان والله اعلم بذلك وقوله ياتوك رجالا اي على الارجل مشاة وعلى كل ضامر اي بعير ويذهب سمنه لبعد السفر وهو ما ذكرنا ياتين من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد ثم قوله واذن في الناس بالحج على الدعاء والامر فيكون جواب قوله ياتوك رجالا دلالة لزوم الحج على المشاة كانه قال مرهم يحجون مشاة على الارجل وركبانا وان كان على الاعلام فهو على الوعد والخبر انهم ياتوك على الارجل مشاة وعلى الدواب وقوله ياتين من كل فج عميق اضاف الاتيان الى الدواب لانه بالدواب ياتون فاضاف اليها لذلك والله اعلم وقال ابو عوسجة يحلون فيها من الحلي من الذهب والفضة تقول حليت المراة اي اتخذت لها حليا ويقال حلي الشيء يحلى حلى اذا حسن ويقال حلي بعينه اذا حسن في عينه ويقال حلى الشيء يحلو حلاوة فهو حلو ويقال تحليت ان شيت جعلته اكلت حلوا وتدوان شيت جعلته من الحلي ويقال حلات الابل عن الماء اي منعت ويقال حليت الشيء واحليته اي جعلته حلوا وقال القتبي سواء العاكف فيه والباد اي المقيم فيه والبادي هو الطاري من البدو وسواء فيه ليس المقيم فيه باولى من النازع اليه وقوله ومن يرد فيه بالحاد اي من يرد فيه الحادا وهو الظلم والميل عن الحق فزيدت الباء كما يقال تنبت بالدهن وهو ما ذكرنا وقوله وعلى كل ضامر اي ركبانا على ضمر من طول السفر من كل فج عميق اي بعيد غامض وقال ابو عوسجة العاكف المقيم والبادي من كان في البادية والالحاد الميل عن الحق ومنه اشتق اللحد لحد القبر على كل ضامر اي على كل بعير ضامر اي خميص البطن ياتوك رجالا تقول رجل الرجل يرجل رجلة فهو راجل والفج الطريق العميق البعيد يقال عمق اي بعد يعمق عمقا فهو عميق وقوله ليشهدوا منافع لهم قال الحسن يشهدون مشاهد فيه فيذكرون الله فيها ويكتسبون اشياء تنفع لهم في الاخرة فذلك منافع لهم التي يشهدونها وقال غيره من اهل التاويل منافع لهم التجارات والمنافع التي كانوا يكتسبونها اذا خرجوا الحج وقال بعضهم التجارة في الدنيا والاجر في الاخرة وهو مثل الاول وجايز ان يكون قوله ليشهدوا منافع لهم الارزاق التي جعلت لهم في البلدان النايية البعيدة ما لو لم يشهدوها لم يسق الله ذلك اليهم لان من الارزاق التي جعلت لهم في البلدان ما يساق الى اهلها وهم في مقامهم واماكنهم ومن الارزاق ما يساق اهلها اليها ما لو لم ياتوها لم يسق ذلك اليهم فجايز ما ذكر من المنافع هو ما غاب عنهم من المنافع والارزاق التي جعلت لهم في البلدان النايية البعيدة اذا خرجوا الحج نالوها واذا لم يخرجوا الم ينالوا وقال بعضهم ليشهدوا منافع لهم اي مناحرهم وقضاء مناسكهم وقوله ويذكروا اسم الله في ايام معلومات اختلف فيه قال الحسن هو يوم النحر خاصة وجايز اضافة الواحدة الى الجماعة كقوله وجعل القمر فيهن نورا وانما جعل في السماء الدنيا وكما يقال توارى فلان في دور بني تميم وانما توارى في دار من دورهم ومثل هذا كثير وذلك جايز في اللسان وقال بعضهم الايام المعلومات هو يوم النحر ويومان بعده وقال بعضهم المعلومات والمعدودات هي ايام التشريق جميعا وقال بعضهم الايام المعلومات هي ايام العشر لانها هي ايام الذكر فيها وجايز ان يكون قوله ويذكروا اسم الله في ايام معلومات كناية عن الذبح وايام الذبح ثلاثة يوم النحر ويومان بعده الا ترى انه قال على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها ذكر الاكل ولم يذكر الذبح فذلك يدل على ان قوله ويذكروا اسم الله كناية عن الذبح وانما كان كناية عنه لانه بالذكر يقوم الذبايح ولا يخلو منه دونه والله اعلم وقوله فكلوا منها قال بعضهم من الاضاحي لان التناول من الاضاحي كان لا يحل فخرج ذلك مخرج رخصة التناول منها والحل لكن الاضاحي لا يحتمل لان الوقت ليس هو وقت الاضاحي ولا اماكنها انما هو وقت دم المتعة والقران ودم التطوع وفيه اباحة التناول من دم المتعة والقران وقوله واطعموا البايس الفقير قال بعضهم البايس

من البؤس وهو ما اشتد به من الحاجة والشدة وقال بعضهم البائس الذي سائل والمتعفف الذي لا شيء له ٥
وقال بعضهم البائس هو الذي به زمانة والفقير الصحيح الذي لا شيء له وهو مثل الاول **وقوله** ثم ليقضوا تفثهم قال بعض
اهل الادب التفث لا يعرف في لسان العرب ما يراد به وقال الحسن التفث هو التقشف وهو ترك الزينة يدل على ذلك
ما روي انه سئل عن الحاج فقال كل اشعث ثقيل وقال ابو عوسجة التفث فاصل الوسخ يقال امرأة تفثة اذا كانت
خبيثة الريح وهو قريب مما قال الحسن انه ترك الزينة واهل التاويل يقولون التفث هو حلق الراس وقص الاظفار
والشارب والرمي والذبح ونحوه وقال بعضهم ثم ليقضوا تفثهم المناسك كلها وروي في الخبر من وقف بعرفة بليل
وصل معنا الجمع فقد تم حجه وقضى تفثه ظاهر قوله قضى تفثه اي نسكه وجايز ان يكون قوله قضى تفثه
اي جاء وقت الزينة وهو وقت الحلق واللباس والله اعلم **وقوله** وليوفوا نذورهم اي ليوفوا ذبح ما اوجبوا بجه
ذكرنا ساق من الهدي لمتعته ولجنته الاكل منه كقوله وكلوا منها ولم يذكر الاكل فيما اوجب بالنذر فكذلك يقول
اصحابنا انه يجوز له التناول من هدي المتعة والقران ولا يجوز التناول مما كان وجوبه النذر والكفارة بل عليه
ان يتصدق بالكل وهو ما قال ففدية من صيام او صدقة او نسك والله اعلم **وقوله** وليطوفوا بالبيت العتيق هو
طواف الزيارة وهو طواف يوم النحر وهو الفرض عندنا ولا يحتمل ما قاله بعض الناس انه طواف الصدر لان الله تعالى
قال ولله على الناس حج البيت وحج البيت هو الطواف بالبيت لا غير وطواف الدخول وطواف الصدر ليس على اهل مكة
ذلك الطوافان وعليهم الحج كما كان على غيرهم من الناس فدل ما ذكرنا على ان قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال بعضهم
هو طواف الزيارة وهو حج البيت الذي قال الله ولله على الناس حج البيت **وقوله** بالبيت العتيق قال بعضهم سماه
عتيقا لانه اعتقه الله عن الجبابرة عن ان يتجبروا عليه وكم من جبار قد صار اليه ليهدمه فمنعه الله عن ذلك
وقال بعضهم سماه عتيقا لانه رفع السماء الرابعة فذلك المرفوع هو البيت العتيق والبيت العتيق عندنا هو الذي
بناه ابراهيم صلوات الله عليه واسسه ويكون قوله وليطوفوا بالبيت العتيق الذي اسس ابراهيم لا بالبيت الحادث
الذي احدث الناس الا ترى انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعايشة لولا ان قومك حديث عهد بالاسلام
والا لرددت البيت على اساس ابراهيم وجعلت له بابين بابا يدخل فيه وبابا يخرج منه وروي في بعض الاخبار يرويه
عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار فان ثبت هذا
فهو هو **وقوله** ذلك ومن يعظم حرمات الله قوله ذلك جايز ان يكون الذي تقدم ذكره من قوله ياتين من كل فج
عميق ليشهدوا منافع لهم الى اخر ما ذكر لهم ذلك الذي ذكر ومن يعظم حرمات الله وجايز ان يكون لا على ذلك ولكن
حرف يذكر عند ختم قصته والفراغ مبتدأ لا على ربط شيء نحو قوله هذا ذكر وان للمتقين كذا وان للطاغين كذا قوله
وان للمتقين وان للطاغين يصح دون ذكر هذا لكنه ذكر على ختم كلام الاول وابتداء اخر فعلى ذلك جايز ان يكون
قوله ذلك ومن يعظم حرمات الله وخرج للحج وانفق المال واتعب النفس فما له عند ربه من الثواب فذلك خير له
من حفظ ماله وحفظ نفسه والا لا شك ان من عظم حرمات الله خير له ممن لم يعظمها **وقوله** واحلت لكم الانعام
وفي حرف ابن مسعود واحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم من المحرمات من الميتة والدم
وما ذكر في سورة المايدة وقد ذكرنا هذا والله اعلم **وقوله** فاجتنبوا الرجس من الاوثان جايز ان يكون قوله فاجتنبوا
الرجس وهو الاوثان وجايز ان يكون قوله فاجتنبوا عبادة الاوثان فانه رجس وليس فيه ان غير الاوثان ليس برجس
كقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس فيه ان يحل قتل الاولاد في غير خشية الاملاق فعلى ذلك هذا
وقوله واجتنبوا قول الزور ويحتمل كل قول زور ويحتمل الزور الذي قالوا في الله من الولد والشرك وما لا يليق به
واجتنبوا قول الزور حنفاء لله تاويله والله اعلم واجتنبوا قول الزور وكونوا حنفاء لله غير مشركين به
وقوله حنفاء لله قد ذكرنا وجايز ان يكون قوله غير مشركين به تفسير قوله حنفاء لله اي كونوا مخلصين لله ٥
في جميع اموركم غير مشركين به في ذلك والله اعلم **وقوله** ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير

وتمام الحج

وطواف الصدر ليس على اهل مكة وعليهم الحج

او تهوى به

530

او تهوي به الريح في مكان سحيق يحتمل ضرب مثل من اشرك بالله بالساقط من السماء واختطاف فتخطفه الطير
او تهوي به الريح في مكان سحيق وجوها احدها ما وصف وضرب مثله بشيء لا قرار له ولا ثبات نحو ما قال
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ونحو ما قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
يحسبه الظمآن ماء الاية ضرب مثل الكفر بشيء لا قرار له ولا ثبات فعلى ذلك ضرب مثله بالساقط من السماء تخطفه
الطير او تهوي به الريح لا يدري اين هو ولا اين يطلب ان اراد الطلبة ولا يظفر به فعلى ذلك الكافر والثاني ضرب مثله
بالساقط من السماء وهي ابعد البقاع في الاوهام لا ينتفع من سقط منها ولا بشيء من نفسه ولا يبقى نفسه فعلى ذلك الكافر
لا ينتفع بشيء من محاسنه ولا تبقى نفسه ينتفع بها لبعده عن دين الله والثالث من سقط من السماء اثر سقوطه منها
في نفسه وفي جميع جوارحه وظهر ذلك كله فيه حتى لا يرجى برؤه وصحته فعلى ذلك الكافر يظهر آثار الكفر
في نفسه وجوارحه لبعده عن دين الله والله اعلم وقال بعضهم هذا مثل ضربه الله لمن اشرك به في هلاكه وبعده
من الهدى والسحيق البعيد وهو قريب مما ذكرنا **وقوله** ذلك هو ما ذكرنا في قوله هذا وان للطاغين لشر مآب **وقوله**
ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب تاويله والله اعلم اي ومن يعظم شعاير الله بالجوارح فذلك التعظيم
من تقوى القلوب وهكذا الامر الظاهر في الناس انه اذا كان في القلب شيء من تقوى او خير ظهر ذلك في الجوارح
وكذلك الشر ايضا اذا كان في القلب ظهر في الجوارح وقوله حرمات الله وشعاير الله قال بعضهم هما واحد وهي المناسك
وقال بعضهم الحرمات هي جميع محارم الله ومعاصيه يتقيها تعظيما لها وقد ذكرنا تاويل شعاير الله في سورة المايدة
والسحيق هو المكان البعيد يقال سحق المكان يسحق سحقا فهو سحيق اذا بعد والسحق ايضا الشيء الخلق يقال اسحق الثوب
وسحق يسحق سحقا واسحق فهو مسحق والسحوق النخلة الطويلة وقوله او تهوي به الريح اي تذهب به يقال هوى يهوي
هويا اي ذهب بنفسه **وقوله** لكم فيها اي فيما ذكر من الشعاير منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق قال بعضهم
لكم فيها منافع من ظهورها والبانها واصوافها الى اجل مسمى اي الى ان تقلد وتهدى ثم محلها اذا قلدت واهديت
الى البيت العتيق وكذلك يقول اصحابنا ان من اوجب بدنة او اهدى بدنة لا يحل له الانتفاع بها ولا بشيء منها
الا في حال الاضطرار فاذا بلغت محلها وذبحت حل الانتفاع بلحمها ومنهم من قال في قوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى
الى وقت محلها من الركوب بظهرها وحلب اللبن وجز الصوف وغير ذلك مما كانوا ينتفعون بها من قبل ويروى
في ذلك خبر روي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا ساق بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة
يا رسول الله قال اركبها قال انها بدنة يا رسول الله قال اركبها ويلك وبه يقول بعض الناس يبيحون الانتفاع بالهدايا
والقلايد قبل ان تنحر وتذبح لكن عندنا ذلك في وقت الحاجة الشديدة المضطرة اليها في مثل ذلك الانتفاع بها لا غير
يدل فعلى ذلك بالهدايا ينتفع بها بما ذكرنا ويضمن ما نقصها ركوبه بها وجايز ان يكون قوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى
الى ان تهلك او تهلكون انتم كقوله ومتاع الى حين الى وقت هلاكها فعلى ذلك الاول ثم يكون قوله ثم محلها الى البيت
والله اعلم ابتداء سؤال سئل عن محل الهدايا والقلايد فقال عند ذلك محلها الى البيت العتيق والله اعلم والاول
اشبه واقرب لما ذكرنا **وقوله** الى البيت العتيق ذكر البيت العتيق ومعلوم انه لم يرد به نفس البيت ولكن انما اراد
البقعة التي فيها البيت لان الدماء لا تراق في البيت انما تراق في تلك البقعة التي هو فيها الحرم كله منحر ومذبح واراد
بقوله وليطوفوا بالبيت العتيق نفس البيت الا ترى انه قال هاهنا بالبيت فانما يطاف به وقال هنالك الى البيت
اضاف اليه دل انه لم يرد به نفس البيت ولكن البقعة التي فيها البيت والله اعلم **وقوله** ولكل امة جعلنا منسكا
قال بعضهم المنسك الموضع الذي يعبدون ويتنسكون فيه ويصيرون اليه لعبادتهم ومن ثمه يقال للرجل العابد
ناسك وكذلك قال منسكا اي عيدا يصيرون ويخرجون اليه للعبادة وقال النسك الدين وقال الشريعة
وقال بعضهم النسك الذبح وجايز ان يسمى في اللغة كقوله ففدية من صيام او صدقة او نسك
وهو الذبح وقوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ولو كان النسك عبادة كذكر الصلوة وهي عبادة لكان

لا يذكر النسيان فدل لانه اراد بالنسك الذبح وقوله ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام دل قوله
ليذكروا اسم الله ان ذكر اسم الله من شرط الذبيحة حيث ذكر ذكر اسم الله ولم يذكر الذبح فهموا من ذكر اسم الله الذبح
دل انه من شرط جوازه وحله سوى الشافعى فانه لم يفهم ما فهم الناس والامم جميعا حيث لم يجعل ذكر اسم الله من شرط
الذبيحة وقوله فالهكم اله واحد كانه ذكر قوله ولكل امة جعلنا منسكا لقوم انكروا الذبايح فقال ولكل امة جعلنا
منسكا اى ذبحا ذبحوا وذكروا اسم معبودهم عليه ثم اخبر ان معبودهم واحد فله اسلموا اى اخلصوا ذلك كله ٥
وبشر المخبتين قال المتواضعين وقال بعضهم المطمئنين وقال بعضهم الخاشعين وقال بعضهم كل مجتهد
فى العبادة وهو المخبت ويقال المخلصين وتفسير المخبت ما ذكره على اثره حيث قال الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم الاية ومن قال المخبت المطمئن قال والخبتة الطمانينة قوله منسِكا ومنسَكا فيه لغتان قال الكسائى
من قرا منسِكا بكسر السين فهو من نسك ينسِك ومن قرا منسَكا بالنصب فهو من نسك ينسُك ثم لا خلاف بين
اهل العلم فى ان البدن التى تساق والهدايا التى تقلد فى الحج والعمرة لا يجوز ان تنحر فى غير الحرم انما اختلفوا
فى المحصر اذا اراد ان يحل ان ينحر ويذبح هديه الذى يحل به وقد ذكرنا اقاويلهم واختلافهم فى سورة
البقرة ولم يختلف فى ان معنى قوله ثم محلها الى البيت العتيق يدخل فيه الحرم كله على ما ذكرنا وعلى ما رويت
الاخبار روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفة كلها موقف ومنا كلها منحر
وكل فجاج مكة طريق ومنحر وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عرفة موقف
وكل منا منحر وفى بعض الاخبار وفى كل ايام التشريق ذبح وعن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم
اتى الجمرة فرمى بها ثم اتى المنحر فقال هذا المنحر ومنا كلها منحر وعن ابن عباس رضى الله عنه قال انما المنحر
بمكة ولكنها نزهت عن الدماء ومنا من مكة وقوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى خافت وفرقت خوفا
منه والصابرين على ما اصابهم من المصايب والرزايا والمقيمى الصلوة ومما رزقناهم ينفقون هذه الاية ذكرنا
تاويلها فى سورة الانفال وقوله والبدن جعلناها لكم من شعاير الله قال بعضهم من فرايض الله وقال الحسن
من دين الله والاشبه ان يكون قوله من شعاير الله اى من معالم دينه وعبادته ونسكه لان الشعاير هى المعالم
فى اللغة خصت بها المناسك دون غيرها من العبادات فجعلها معالما لها والبدنة سميت بدنة لما تعظم
فى نفسها وتبدن ويقال للرجل اذا عظم فى نفسه بدن فلان وظاهر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال البدنة تجزى عن سبعة والبقر تجزى عن سبعة ان البدنة هى الجزور الابل حيث قال البدنة
تجزى عن سبعة والبقر تجزى عن سبعة فرق بين البدنة والبقرة بالذكر والله اعلم وقوله لكم فيها خير ٥
قال بعضهم المنافع الحاضرة من الركوب والحلب والحمل عليها بعد ما قلدت واوجبت هديا وقال بعضهم
لكم فيها خير الى ان تقلد فاذا قلدت فلهم الاجر فى الاخرة وكان هذا اشبه ان يكون قوله لكم فيها خير
اى الاجر فى الاخرة لانه لا انتفاع بها لا يحل اذا اوجبت بدنة الا فى حال الاضطرار لانه قال فى اية اخرى لا تحلوا
شعاير الله وفى الانتفاع بها احلال شعايره لذلك قال اصحابنا لا ينتفع بالبدن وما روى عنه صلى الله عليه وسلم
انه راى رجلا يسوق بدنة فقال له اركبها فقال انها بدنة يا رسول الله فقال له النبى اركبها فقال انها بدنة
فقال اركبها ويحك وفى بعض الاخبار ويلك وهذا عندنا لما راى بالرجل الحاجة الشديدة الى ركوبها وهو
ما ذكرنا ان الانتفاع بها يجوز فى حال الاضطرار ولا يجوز فى حال الاختيار اذ الانتفاع بالمحرمات يجوز فى حال الاضطرار
فعلى ذلك بالبدن التى جعلت معالما للمناسك والله اعلم وقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف دل هذا ان ذكر
اسم الله من شرط الذبيحة لانه لم يذكر الذبح بنفسه وانما ذكر اسمه فلولا انهم فهموا من ذكر اسم الله عليها ذبحها
ونحرها والا لم يكتف بذكر اسمه دون ذكر الذبح فدل انهم انما عرفوا ذلك به وانه من شرط جوازها والله اعلم وقوله
صواف فيه لغات ثلاث احديها صوافى بالياء وهو من الاخلاص لله والصفو له والثانية صوافن بالنون وهو

من عقل

من عقل ثلاث قوايم منها وترك اخرى مطلقة والثالثة صواف بالتنوين اى قياما مصطفة وكان يجمع ما ذكر
يراد ان يجمع فيها من الاخلاص له وعقل القوايم والقيام وكذلك جاءت السنة والاثار وفى حرف ابن مسعود صوافن
بالنون وتاويله ما ذكرنا وظاهر الاية يدل على القيام لانه قال فاذا وجبت جنوبها وقوله وجبت اى سقطت
والسقوط انما يكون من القيام فدل انها تنحر قياما لا مضطجعة والله اعلم وقوله وكلوا منها قد ذكرنا هذا فيما تقدم
فى قوله فكلوا منها واطعموا البايس الفقير والبايس الفقير من سالك هذا قول بعض وقال بعضهم البايس المعروف
بالبؤس والفقير المتعفف الذى لا يسال وقال بعضهم البايس المسكين والفقير فقير وقال بعضهم البايس الضرير
والقانع المعتر وقال بعضهم القانع هو الراضى وهو من القناعة وقال بعضهم هو السايل وهو من القنوع
والمعتر الذى يعتريك ولا يسال والقانع هو الجالس فى بيته ونحوه وقال القتبى القانع السايل يقال قنع يقنع
قنوعا ومن الرضا قنع يقنع قناعة والمعتر الذى يعتريك ولا يسال يقال اعترنى وعرنى واعترانى وعرانى
وقال ابو عوسجة القانع السايل والقنوع السؤال والقناعة من الرضا يقال منه قنع يقنع قناعة ويقول
قنعته اى ارضيته وقنعته اى غطيت راسه بالقناع ونحوه ويقال من المعتر اعترا اعترارا واعترى وعرا يعرو
كلها واحد وقال صوافا اى قياما مصطفة وقال ويكون صافن وصوافن اى قايما على ثلاث قوايم يقال
صفن الفرس يصفن صفونا اذا قام على ثلاث قوايم وقوله وجبت جنوبها اى سقطت الى الارض يقال وجب
يجب وجوبا فهو واجب اذا سقط ووجبت الشمس اذا غابت وهذا كله من الصوت يقال سمعت وجبة اى صوتا
وقال منسكا اى موضعا ينسكون اليه للعبادة وعن ابن عباس قال القانع الذى يقنع بما اعطيته والمعتر الذى
يريك نفسه ولا يسال وقوله كذلك سخرناها لكم اى البدن التى ذكرناها ثم يحتمل ما ذكر من تسخيرنا اياها
وجهين احدهما كذلك سخرناها اى كما سخرناها لكم لركوبها والحمل عليها وانواع الانتفاع بها فى حال الحيوة ٥
كذلك سخرناها لكم ذبحها ونحرها حتى قدرتم على ذلك لعلكم تشكرون له على ذلك او ان يكون قوله كذلك
سخرناها لكم اى مثل الذى وصفته لكم كل ذلك من تسخيرنا اياها لكم والله اعلم وقوله لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم هذا يحتمل وجهين احدهما لن يتقبل الله ذلك الا من كان من اهل التقوى
لا يقبلها من اهل الكفر لانهم قد كانوا ينحرون البدن فى الجاهلية على ما ذكرنا فاخبر انه لا يقبل ذلك الا من كان
من اهل التقوى وهو كقوله انما يتقبل الله من المتقين والثانى ان يكون قوله لن يناله الله اى لن يرفع الى الله الا الاعمال
الصالحة الزاكية وما كان بالتقوى واما ما كان غيرها فانه لا يرفع ولا يصعدها وهو ما قال ولكن يناله التقوى
منكم وقال بعض اهل التاويل ذكر هذا لان اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن نضحوا بدمائها حول البيت
ويقولون هذا قربة الى الله فاراد المسلمون ان يفعلوا مثل صنيعهم فنزل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
منكم كذلك سخرها لكم قد ذكرنا ما ذكرنا وقوله لتكبروا الله على ما هداكم اى لتصفوا الله بالعظمة والكبرياء على ما هداكم
من اسباب تسخير البدن التى بها يوصل الى الانتفاع بها من انواع الانتفاع اذ لولا ما هدانا الله وعلمنا الاسباب
التى بها تسخر وتذلل والا ما قدرنا على الانتفاع بها لقوتها ولشدتها وصلابتها والثانى بان يكون قوله على ما هداكم
من امر الدين والهدى وقوله وبشر المحسنين يخرج قوله المحسنين على وجوه احدها محسنين الى انفسهم والمحسنين
الى اخوانهم او الذين حسن افعالهم وصلح عملهم فاما المحسنين الى الله فلا يحتمل والله اعلم وقوله ان الله يدافع
عن الذين امنوا وفى بعض القراءات ان الله يدفع عن الذين امنوا بغير الف وتاويل يدفع اى يدفع عن الذين امنوا
جميع شرور الكفرة واذاهم وتاويل يدافع اى يدافع الكفار عنهم ويضل المؤمنين عليهم وكان قوله يدافع عن الذين
امنوا انما نزل بمكة وعد الذين امنوا هنالك النصر والدفع عنهم فى حال قلتهم وضعفهم وكثرة اولئك الكفرة
وقوتهم وهنالك كانوا كذلك اعنى بمكة قليلا ضعفاء ويكون نزول قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور بالمدينة
لان هنالك كان اهل خيانة لانهم كانوا اهل كتاب او تمنوا على رسالة محمد واشياء فخانوهم وكتموها ولم يكن

يعتريك

الجبة فرو شدن آفتاب

يومئذ بمكة لحد منهم انما كانوا جميعا اهل شرك فيشبه ان يكون ما ذكرنا وان يكون قوله ان الله لا يحب كل
خوان كفور بازاء ما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه فاخبر انه لا يحب كل خوان كفور على ما يقولون بل يبغضهم
وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انهم ينصرهم ويدفع عنهم اذاهم وشرهم وانهم
خونة فكان على ما اخبر فدل انه بالله عرف ذلك وقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال بعض اهل التاويل
ان المشركين كانوا لا يزالون يؤذون اصحاب رسول الله ويقاتلونهم وهم لم يؤمروا بقتالهم بعد فلما هاجروا
الى المدينة امروا بقتالهم بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال بعضهم انه لم يكن لهم الامر بقتالهم ولا الاذن
حتى امروا بذلك واذنوا فقال اولئك انكم لم تؤمروا بقتالنا فكيف تقاتلوننا فاخبر انهم اذنوا وامروا
بالقتال معهم والله اعلم بذلك وظاهره انه كان هنالك منع عن القتال حتى اذنوا وامروا ولكن لا ندري
لاية جهة كان ذلك والله اعلم وقوله وان الله على نصرهم لقدير ظاهر على ما اخبر وقوله الذين اخرجوا
من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله قال بعض اهل التاويل اخرج الكفار اصحاب رسول الله من مكة
بغير حق بان قالوا ربنا الله وامنوا به ووحدوه لهذا ما اخرجوهم وقال بعضهم على التقديم والتاخير يقول كانه
قال اذن للذين ظلموا واخرجوا من ديارهم بغير حق ان يقاتلوهم الا ان يقولوا ربنا الله فاذا قالوا ذلك يرفع
عنهم القتال لان اهل مكة كانوا يقرون بالله ولا يؤمنون به فاذا قالوا ذلك واقروا بانه ربهم رفع عنهم
القتال واما من يقر به ويصدقه لكنه ينكر رسالة محمد ونبوته فما لم يقر بها ولا يصدق بها فان القتال
لا يرفع عنهم ومن يقر به ويصدقه بانه رسوله الا انه ينكر الشرايع فانه يقاتل حتى يقر بها ويصدق بها
فاذا اقر بها رفع عنهم القتال وذلك كله روي في الخبر انه قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وفي خبر اخر حتى يقولوا لا اله
الا الله واني رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة الى اخر ما ذكر فالاول للذين لا يقرون بوحدانية الله
فاذا اقروا به رفع عنهم القتال والثاني في الذين يقرون به ولا يؤمنون بالرسالة فاذا امنوا بها رفع عنهم
القتال والثالث في الذين يقرون بالله ويؤمنون برسوله لكنهم ينكرون الشرايع فاذا اقروا بها رفع عنهم
القتال كانوا انواعا ثلاثة على ما ذكرنا فجاء في كل فريق ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع الى اخر ما ذكر وقال في اية اخرى ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض وفي موضع اخر لفسدت السموات والارض ونحو قال بعضهم دفع بالنبيين عن
المؤمنين ودفع بالمجاهدين عن القاعدين ما لو لم يدفع لهدمت كذا وما ذكر اي دفع بالاخيار عن الاشرار
وبالاخيار عن الاذون والا لهدمت وفسد ما ذكر وقال بعضهم لولا ان الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي
وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يفعل الخيرات عمن لا يفعل
والا لفسدت الارض ولهدمت الصوامع وما ذكر وعلى ذلك عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه صلى باهل دمشق
صلوة الصبح فقال لو يعلم الناس ما في هذه الصلوة من الخير لحضروها ثم قال لولا ان الله يدفع بمن يحضر المساجد
عمن لا يحضرها وبالغزاة عمن لا يغزو لجاءهم العذاب قبلا او كلام نحو هذا وقال الحسن ان في الصوامع والبيع
والكنايس من الرهبان والاحبار من يتمسك بالاسلام وشرايعه فيدفع بهم عمن لا يتمسك منهم وقال بعضهم لولا
لولا دفع الله باهل هذا الدين اي الاسلام عن الاديان كلها لكان كذا وقال بعضهم دفع بالمسلمين عن مسجدهم وبالنصارى
عن بيعتهم وباليهود عن كنيستهم الى هذا ذهب اهل التاويل والمتقدمون ولو قيل غير هذا كان اشبه واقرب
وهو ان الله خلق هذا الخلق وجعل بعضهم عونا لبعض وردءا في امر المعاش والدين جميعا وجعل منافع بعضهم
متصلة ببعض ما لو كلف كلا القيام بنفسه فيه لهلكوا ولم يكن في وسعهم القيام بذلك فهو ان لم يكلف احدا القيام
بجميع ما يحتاج اليه من الحراثة والزراعة والحصاد والدياس والتذرية والطحن والخبز وغيره ما لو كلف واحدا

فان الكفار انواع وفرق فجاء من كل فريق ما ذكرنا

القيام

532

القيام بنفسه بذلك كله لهلك ولكن جعل بعضهم عونا لبعض وردءا لهم والانتفاع بعضهم ببعض وكذلك
الغزل والنسج والخياطة والقطع والغسل كله على هذا القياس ما لو كلف كلا بنفسه القيام بذلك كله
لهلكوا فاذا هلكوا اهلك ما لهم خلق من السموات والارض وما فيها وما سخر لهم وقال بعضهم دفع
بما يذكر اهل المساجد في المساجد من اسم الله عن اهل الصوامع والبيع والكنايس وهو قريب مما ذكرنا من قبل
ثم اختلف فيما ذكر من الصوامع والبيع والصلوات قال بعضهم الصوامع للراهبين والبيع للنصارى والصلوات
الكنايس التي تكون لليهود والمساجد للمسلمين وقال بعضهم الصلوة للصابئين وقال القتبي الصوامع للصابئين
والبيع للنصارى وصلوات بيوت صلوات اليهود والمساجد للمسلمين وقال ابو عوسجة الصوامع للرهبانية
والبيع للنصارى مصلاهم والصلوات لليهود وهي شبه البيعة على ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولينصرن الله
من ينصره اي من ينصر دين الله نصره الله او من نصر اولياء الله نصره وقال الحسن من حكمه انه من نصر الله نصره
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع وقوله ان الله لقوي عزيز يحتمل قوي لنصر اوليائه عزيز لانتقام اعدائه
او ان يكون قوله لقوي عزيز اي قوي فيضعف كل قوي من دونه عند قواه ويذل كل عزيز عنده عز او قوي
لا قوي سواه عزيز لا عزيز سواه وفي ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات وما ذكر
دلالة ترك هدم الكنايس والبيع وما ذكر والنهي عن هدمها لانه ذكر الصوامع والبيع وعلى ذلك تركت الكنايس
والبيع في امصار المسلمين لم تهدم ولا خلاف بين اهل العلم في ذلك وانما يمنعون عن احداث البيع والكنايس
في امصار المسلمين وقراهم واما العتيقة منها فانهم يتركونه وذلك والله اعلم وقوله الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة الى اخره قال بعضهم هذا نعت من الله لاصحاب رسول الله ومن تبعه
ومدح لهم بالدوام على دينه الذين قبلوه ولحذرهم في حال الخوف بعد ما مكن لهم في الارض وامنهم من ذلك
الخوف الذي كان في الابتداء واخبر انهم داموا على ذلك ولم يتركوا ما كانوا عليه بل زاد لهم حرصا على ذلك
وجهدا وكذلك الاية التي ذكر في سورة النور وهو قوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض الى اخر الاية فان كان التاويل هذا فهو يرد على الروافض قولهم ومذهبهم لانهم يقولون
انه لما ولي ابو بكر ارتدوا جميعا وتركوا الدين الذي اختاروه فالايتان تدلان على نقض قولهم انهم ارتدوا
لان الله عز وجل اخبر انه مكن لهم في الارض واستخلفهم ووعد لهم الجنة وانما ارتد من كان اسلامه
بالقهر والغلبة فاذا امكن لهم تركوا ذلك وقال بعضهم الاية وان كان ظاهرها خبرا ووعدا فهي في الحقيقة
اهم اي افعلوا كذا الى اخر ما ذكر وهو كقوله وقوله ولله عاقبة الامور يحتمل قوله
عاقبة الامور اي ترجع اليه الامور في الاخرة كقوله والى الله ترجع الامور وجايز ان يكون قوله عاقبة الامور
ان يكون عاقبة الامر لاوليائه من النصر والقهر على اعدائه فالمراد بالاضافة اليه اولياؤه كقوله ان تنصروا
الله ينصركم اي تنصروا اولياءه او تنصروا دينه ينصركم والله اعلم وقوله وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح الاية هذا يخرج على وجهين احدهما وان يكذبوك فيما اخبرت لهم وذكرت من التمكين والثبوت
على الدين ووعدت لهم الجنة فقد كذبت لهم الامم الذين من قبلك رسلهم اذا اخبروا لهم بشيء او وعدوا لهم
بنصر او غيره وجايز ان يكون قوله وان يكذبوك في الرسالة وفيما اخبر عن الله من الاخبار ليصبره بقوله لست انت
باول مكذب في الخلق ولكن قد كذب الاقوام الذين كانوا من قبلك رسلهم في الرسالة وهو ما قال وكلا نقص
عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك الاية وقوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير اي لم يعاقب الله
قوما كذبوا رسولهم وقت تكذيبهم الرسول بل امهلهم حتى اغتروا بتاخير العذاب عنهم وزاد لهم تكذيبا وعنادا
فعند ذلك اخذوا وعوقبوا بالتكذيب وهو ما اخبر عنهم وهو كقوله لولا يعذبنا الله بما نقول قال الحسن
ان الله لم يهلك قوما باول التكذيب ولكن امهلهم قرنا فقرنا وقوما بعد قوم ورسولا بعد رسول فعند ذلك

وهو قوله ولله عاقبة الامور صح

اذا علم منهم انهم لا يؤمنون اهلكهم وان كان يعلم في الازل من يؤمن منهم ومن لا يؤمن حتى يعلم علم ظهور
وعلم ابتلاء انهم لا يؤمنون وهو كقوله حتى يعلم المجاهدين منكم على ظهور منه للخلق وان كان يعلم علم باطن
وخفي **وقوله** وكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة لم يهلك الله عز وجل اهل قرية اهلاك استيصال وتعذيب
الا بعد عناد اهلها وظلم شرك كقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وكقوله وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم وامثاله كثير على ما ذكرنا **وقوله** فهي خاوية على عروشها قال قاذا ذهبت السقف وبقيت الحيطان فهي خاوية
على عروشها وقال بعضهم خاوية خربة ساقطة حيطانها على سقوفها وقال الحسن العريش كل ما ارتفع من الارض
وعلا يقال عرش وعروش جمع وهكذا كان ما اهلك الله من القرى منها ما اهلك اهلها وترك القرى والبنيان على حالها
لا وليائهما من ذلك فرعون وقومه وغيره من الاقوام ومنها ما اهلك القرى باهلها لم يترك منها شيئا من نحو
قريات لوط وثمود وعاد وهولاء وقال بعضهم العروش هي اجذام البنيان واجذام الشجر كانها اسطوانته واصل
الخاوية تخلا وها عن الاهل وكذلك **وقوله** وبير معطلة عطلها اهلها ليس بها احد لانها خربت على ما ذكرنا
من اهلاك اهلها **وقوله** وقصر مشيد قال بعضهم مشيد مجصص والشيد الجص وقال بعضهم مشيد اي مرتفع والمشيد
بالتشديد المطول المرتفع قال القتبي المشيد المبني بالشيد وهو الجص والمشيد المطول ويقال هما سواء وهو
مطول وكذلك قال ابو عوسجة او قريبا منه وكانه ذكر هذا لاهل مكة لوجهين احدهما ان كانت لهم قرية فيها قصور
مشيدة محصنة يتحصنون بها يخبر ان من كان قبلكم اشد قوة واكثر حصنا وقصورا فلما كذبوا رسولهم بعثهم
ذلك ولكن نزل بهم العذاب فعلى ذلك انتم يا اهل مكة اذا كذبتم رسولكم ينزل بكم مثل ما نزل باولئك والثاني ان يكونوا
امنين فيها مطمئنين فقال ان اولئك قد كانوا امنين مطمئنين في قراهم كامنكم ثم نزل بهم ما نزل فانتم
وان كنتم امنين فينزل بكم ما نزل باولئك فهو وهو ما قال عز وجل وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة
الاية والله اعلم **وقوله** افلم يسيروا في الارض اي هلا ساروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها فينظروا
ليعرفوا ما حل باولئك بالتكذيب فيمتنعوا عنه واذان يسمعون بها اي لم يسيروا فيستمعوا الى الاخبار التي فيها ذكر
هلاكهم وما نزل بهم بالتكذيب والعناد لان ما حل بالاولين انما يعرف ذلك باحد امرين اما بالمعاينة بالنظر
اليهم واما بالسماع من الاخبار او ان يكون قوله افلم يسيروا في الارض اي قد ساروا في الارض لكن لم تكن لهم قلوب
عقول وافهام يعقلون بها ما نزل باولئك بالتكذيب فيعتبروا بذلك ولا كانت لهم اذان يستمعون ما حل بهم
اي كانت لهم عقول يعقلون بها لو نظروا حق النظر واذان يسمعون بها لو سمعوا حق السماع لكنهم لما لم ينتفعوا بعقولهم
واسماعهم نفى ذلك عنهم وهو ما قال فانها لا تعمى الابصار الظاهرة ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو
ما نفى عنهم السمع والبصر لتركهم الانتفاع بها صم بكم عمي وقال بعضهم هذه الاية في شان عبد الله بن زايدة
ابن ام مكتوم الاعمى معناه ان العمى عمى القلب ليس عمى البصر وهو كان عمى البصر لا عمى القلب هذا معناه ان ثبت والله اعلم
وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده اي لن يخلف الله وعده الذي وعد في نزول العذاب انه
ينزل بهم لا يتقدم ولا يتاخر عن ميعاده **وقوله** وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال عامة اهل
التاويل نحو ابن عباس والضحاك ومجاهد وهولاء انها هي الايام التي خلق الله فيها الدنيا وجعلها اجلا لها
يعد كل يوم من تلك الايام كالف سنة والى هذا صرف عامة اهل التاويل فلا نعلم لذلك وجها وقال بعضهم
وان يوما عند ربك من عذابهم في الاخرة كالف سنة مما تعدون في الدنيا اليوم الواحد الف سنة ووجه هذا
ان الوقت القصير القليل يجوز ان يصير طويلا لشدة العذاب والبلاء نحو ما قيل لهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم قصر مقامهم في الدنيا لشدة ما عاينوا من العذاب فعلى ذلك هذا والله اعلم وجايز ان يكون
هذا التوقيت واللذة اذ الاخرة مما لا غاية لانتهائها وكل شي لا غاية لا نهاية له فذكر الوقت لم يخرج مخرج
التمثيل لا التوقيت كقوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض وقال عرضها السموات والارض ليس على التحديد لها

والتوقيت

والتوقيت ولكن على ما خرج عن الاوهام ذكر ذلك ومثلها به فعلى ذلك الاول والله اعلم **وقوله** وكاين من قرية
امليت لها وهي ظالمة اي امهلت لها لم اخذها وقت ظلمهم ثم اخذتها من بعد والي المصير قل يا ايها الناس
انما انا لكم نذير مبين هو ظاهر قد ذكرناه في غير موضع **وقوله** فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
لذنوبهم ومعاصيهم ورزق كريم قال بعضهم سماه رزقا كريما لان نعم رزق ذلك واعطي بكرم ويعظم قدره
وقال بعضهم سماه كريما لان الكريم هو الذي يقضي عنه الحوايج والحاجات فعلى ذلك هذا الرزق من ناله
واصاب قضي عنه الحوايج لذلك سمي كريما والله اعلم **وقوله** والذين سعوا في اياتنا معاجزين وفي بعض القراات
معجزين قال بعضهم معاجزين مثبطين مبطئين يثبطون الناس عن اتباع النبي والاشبه عندنا ان يكون قوله
معاجزين سابقين فايتين لكنه على الاضمار كانه قال والذين سعوا في اياتنا معاجزين على ظن منهم انهم سابقون
فايتون عن عذابنا اولئك اصحاب الجحيم **وقوله** وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى اي تلا القى
الشيطان في امنيته اي في تلاوته وقراءته الاية قال عامة اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تمنى اي تلا في صلوته او حدث نفسه القى الشيطان على لسانه عند تلاوته بالنجم اذا هوى حتى اذا انتهى الى قوله
افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى وذكروا انه اتاه على صورة جبريل
فالقى عليه ما ذكروا ثم اتاه جبريل فاخبره النبي بذلك فقال له انه لم ينزل عليه قط شيئا مثله وامثال
ما قالوا لكنه لو كان ما ذكر هولاء كيف عرفه في المرة الثانية انه جبريل وانه ليس بشيطان ولا يؤمن ان ابليس
عليه في وقت اخر في امثاله وقال قتادة انه صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان يذكر الله الهتهم بعيب فلما نزلت تلك
الاية ومناة الثالثة قال انهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى عندهم يعني به عندنا ولئك الكفرة وهم نحو ذلك
كانوا يعبدونها وقال الحسن انه اراد بقوله تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى الملايكة لانهم كانوا يعبدون
الملايكة رجاء ان يشفعوا لهم يوم القيامة فاخبر ان شفاعة الملايكة وهذان التاويلان اشبه من الاول
والاشبه عندنا ان يكون على غير هذا الذي قالوا وهو ان قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي عند تلاوته القران او في تلاوته القران في قلوب الكفرة ما يجادلونه
رسول الله ويحاجونه فيشتهون بذلك على الاتباع ليتبعوهم وهو نحو قولهم انه يحرم ما ذبحه الله
ويحل ما ذبح هو بنفسه ونحو قولهم عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها
واردون فقالوا ان عيسى وعزيرا والملايكة عبدوا دون الله فهم حصب جهنم اذا ونحو صرفهم قوله الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه الى حساب الجمل وامثال هذا مما حاجوا رسول الله وجادلوه به فاخبر انه ينسخ مجادلتهم ومحاجتهم
رسوله وانه يحكم اياته حيث قال وانه عند قولهم انه يحل ذبيح نفسه ويحرم ذبيح الله فبين انه بم حرم هذا
وبم حل الاخر وهو قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق ولكن كلوا مما ذكر اسم الله عليه فبين انه انما حل
هذا بذكر اسم الله عليه وحرم الاخر بترك ذكر اسم الله عليه وبين في قولهم ان عيسى عبد دون الله والملايكه
عبدوا دونه فهم ليسوا بحصب جهنم حيث استثنى اولئك فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية فابطل
مجادلتهم ومحاجتهم وصرفهم الاية الى حساب الجمل بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات الاية
فهذا والله اعلم تاويل قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته نسخ ما القى الشيطان في قلوب اولئك
الكفرة ما به جادلوه وحاجوه واحكم اياته بما ذكرنا ثم ان ثبت ما ذكر ابن عباس وعامة من ذكرنا حيث قالوا جرى
على لسانه ذلك فجايز عندنا ان يجري الخطا على لسان من عصم اذا عرف السامع منه مذهبه ودينه الذي يدين به
عرف ان ما جرى على لسانه جرى غلطا وخطا نحو من يعتقد مذهبا وينتحل نحلة فجرى على لسانه خلاف ما يعرف
منه الاعتقاد يعرف انه جرى على لسانه غلطا فعلى ذلك الذي ذكره اهل التاويل ان ثبت ما ذكروا عنه انه قال
والاشبه فيه ما ذكرنا من القاء الشيطان في قلوب الكفرة ما يجادلون به رسول الله ويحاجونه كقوله ان الشياطين

ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم الآية وقال الا اذا تمنى اى تلا القرآن القى الشيطان فى امنيته او فى تلاوته
وكذلك قال ابو عوسجة وقال واماني مشددة جميع وقال غيرهم اذا تمنى اذا حدث وفي امنيته فى حديثه قال بعضهم
تمنى وامنيته هو من تمنى النفس كقوله ولا تتمنوا ما فضل الله الآية ونحو وهو قول الحسن تمنى كبعض ما يتمنى الناس
من الدنيا وقال قتادة بمنى ما ذكرنا من تمنى النفس ان يذكر آلهتهم التى كانت تدعى وترجى شفاعتهن على ما ذكرنا والله اعلم
وقوله ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض هذا تأويل القوم يجعل ما يلقى الشيطان فى قلوب اولئك
الكفرة فتنة للذين ذكر لما ظنوا ان الله لا يقدر الاجابة لهم ولا يحضر ما يجيبهم فيكون ذلك فتنة لهم
والله اعلم وقوله فى قلوبهم مرض كانهم هم المنافقون لانهم هم الموصوفون المسمون بهذا الاسم كقوله
واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله والقاسية قلوبهم كانهم
هم الرؤساء المكابرون المعاندون لرسول الله والكفرة كلهم موصوفون لقساوة قلوبهم كقوله ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وقوله وان الظالمين لفى شقاق بعيد يحتمل اى لفى عناد ومكابرة
بعيد عن الاجابة له او بعيد لاستماع الحق وقبوله وقيل شقاق اى خلاف بعيد اى لا يرجعون الى الوفاق
ابدا وقوله وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا وقوله ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه هذه الآية
كالآيات التى ذكرناها فيما تقدم من ذلك قوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين
آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض الآية ونحوها من الآيات التى وصف اهل التوحيد
بالقبول لها والخضوع والاقبال اليها ووصف اهل الكفر بالرد والتكذيب فعلى ذلك قوله وليعلم الذين اوتوا العلم
انه الحق من ربك علم الذين اوتوا العلم ان القرآن ومحمدا الحق من ربك لانهم نظروا اليه بالتعظيم والتبجيل والخضوع له
فاقروا به فزادهم بذلك هدى ورحمة وشفاء واولئك نظروا اليه بالاستخفاف والهوان والتكذيب
فزادهم بذلك رجسا وضلالا وقساوة وقوله عذاب يوم عقيم قال بعضهم هو يوم بدر وقال بعضهم
هو عذاب يوم القيامة وهو شديد وجايز انه سماه عقيما لانه لا يرجى النجاة منه ولا الخير وكذلك سميت
المرأة التى لا تلد عقيما لما لا يرجى منها الولد وقوله الملك يومئذ لله يحكم بينهم دون الخلائق لان فى الدنيا من قد حكم
غيره فاما يومئذ فالحكم له وعندنا تخصيص الملك له يومئذ بالذكر وان كان الملك فى الايام كلها له لانهم
جميعا والى الله المصير والى الله ترجع الامور ونحوه فعلى مثل هذا والله اعلم وقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ظاهر تأويله وقوله
والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا اما اهل التأويل فانهم صرفوا تأويل الآية الى الغزاة والمجاهدين
فى سبيل الله قتلوا او ماتوا حتف انفهم فان لهم ما ذكر من الرزق الحسن والمدخل المرضى وظاهره ان يكون
فى الذين هاجروا الى رسول الله فان كان فيهم ففيه دلالة نقض قول الروافض حيث قالوا ارتدت عامتهم حيث
شهد الله لهم بالجنة والرزق الحسن والمدخل المرضى قتلوا او ماتوا حتف انفهم فلا يحتمل ان يكون منهم ما قالوا
قال القتبى قوله فتخبت له قلوبهم اى تخضع وتذل وهو كما ذكرنا فى قوله وبشر المخبتين وقال عذاب يوم عقيم
كانه عقيم من ان يكون فيه خير او فرج للكافر وقال ابو عوسجة عذاب يوم عقيم شديد وهو ما ذكرنا وقوله
ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل هو الجنة لانه انما ذكر بعد الموت والقتل فلا يكون رزق حسن الا فى الجنة
يستحسنها كل طبع وعقل وقوله وان الله لهو خير الرازقين اخبر انه خير الرازقين وان لم يكن رازق سواه
لانهم كانوا يطمعون ويطلبون الرزق والسعة من عند من سواه حيث كانوا يعبدون من دونه طمعا فى السعة
فاخبر انه هو الرازق ومنه يطمع الرزق لانه هو المالك لذلك وهو ما قال احسن الخالقين وان لم يكن خالق
سواه وقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو الجنة ايضا يرضى بها كل طبع وعقل وان الله لعليم حليم عليم بما صنع
باوليائه اعدائه او ما صنع هو باوليائه حليم حيث اخر الانتقام من اعدائه لم ينتقم منهم وقت صنيعهم بما صنعوا

باوليائه والله اعلم وقوله ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به قد ذكرنا فيما تقدم انه جائز فى اللغة ذكر حرف
ذلك وحرف هذا على الابتداء وان كان مما يخبر عن غايب نحو قوله هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب هذا وان للطاغين
يستقيم ذكره بدون ذكر هذا وهو ان يقول وان للمتقين كذا وان للطاغين كذا فعلى ذلك هذا وان يكون ذكر ذلك
صلة ما سبق من ذكر الانباء والاخبار يقول ذلك الذى ذكرت وانباتك من عاقب بمثل ما عوقب به ثم اختلف
فى سبب نزول هذه الآية قال بعضهم هى فى القصاص ان من قتل ولى آخر فاقتص منه ثم ان المقتص منه بغى
على ولى المقتول فقتله لينصرنه على من بغى عليه وهو ما ذكر فى آية اخرى وهو قوله فمن عفى له من اخيه شىء فاتباع
بالمعروف واداء باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ثم قال فمن اعتدى بعد ذلك فله كذا لكن ذكر ههنا الاعتداء
بعد ما اخذ المال وعفا وفى الاول ذكر البغى بعد القصاص وهو واحد فى معناه وقال بعضهم نزلت فى المؤمنين
وذلك ان المشركين عاقبوا المؤمنين بعقوبات واعتدوا عليهم بعد البغى وقال بعضهم قريبا من هذا وهو
ان المشركين ثم ان المسلمين ظفروا بهم فعاقبوهم جزاء عقوبتهم ثم ان المشركين بغوا على المؤمنين فوعدهم الله
النصر عليهم بعد البغى وقال بعضهم قريبا من هذا وهو ان المشركين كانوا يؤذون اصحاب رسول الله ومن آمن منهم
ويعاقبونهم فى اشهر الحج ولم يكن للمؤمنين اذن بقتالهم فى ذلك الوقت فقاتلوهم مكافاة لهم فاخبر الله عز وجل
ووعد لهم النصر اذا بغى اولئك عليهم من بعد فعلى هذا التأويل يكون وعد النصر لهم اذا بغى اولئك عليهم
من بعد وعلى التأويل الاول ليكون لهم الوعد بالنصر بعد ما بغى اولئك على هؤلاء والله اعلم بذلك وقوله
ان الله لعفو غفور للمؤمنين بقتالهم اولئك فى اشهر الحج حيث كان لم يأذن لهم بالقتال وان الله لعفو
غفور اذا تابوا ورجعوا عما فعلوا والله اعلم وقوله ذلك بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل
قد ذكرنا ان حرف ذلك يستقيم ذكره على الابتداء والاستيناف على غير صلة وجايز ان يكون صلة قوله لينصرنه
اى ذلك النصر لمن ذكر لان من قدر على ايلاج الليل فى النهار وايلاج النهار فى الليل قادر على ما وعد من النصر لهم
وقوله وان الله سميع بصير سميع لاقوالهم بصير بحوائجهم والسميع يقال هو المجيب اى مجيب له عليم بصير بما يكون
من الاعداء او ان يكون على الابتداء فى كل امر وكذلك ذلك بان الله هو الحق ما ذكرنا وقال بعضهم ذلك بان الله
اى هو الذى يفعل هذا وقوله ذلك بان الله هو الحق قال الحسن الحق هو اسم من اسماء الله به يعطى وبه يمنع
وبه يحكم بين الخلق وبه يقضى ونحو وجايز ان يكون قوله ذلك بان الله هو الحق اى عنده يتحقق ما يطمع فى العبادة
ويطلب اذ هو المالك الذى له ذلك وقوله وان ما يدعون من دونه هو الباطل اى ما تطمعون بعبادة من دونه
باطل وهو الاصنام التى عبدوها رجاء الشفاعة او طمعا فى السعة فاخبر انها لا تملك ذلك وانما يملك ذلك الله
وقوله وان الله هو العلى الكبير اى من عنده يطلب العلو ومن عنده يطلب ويطمع الرزق والسعة والشفاعة
والنصر والظفر والاجابة لا من عند هؤلاء الاصنام التى يعبدونها يذكر سفههم بعبادتهم الاصنام من دون الله
وقوله الم تر اختلف فيه قال بعضهم الم تر انما هو حرف تعجيب يعجب رسول الله جميع ما يفعل من افعال الله ونعمه
الم ترحرف فى ايضاح الحجج وانارة براهينه كقوله تر الى ربك كيف مد الظل ونحوه واصله ان ظاهره وان كان استفهاما
فهو فى الحقيقة تحقيق ولهذا فالم تر اى قد رايت واخبرت وهكذا جميع ما خرج الظاهر فى الكتاب مخرج الاستفهام
فهو فى الحقيقة ايجاب والزام ثم فى قوله ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة وجهان من الاستدلال
على منكرى البعث احدهما يخبر عن قدرته وسلطانه ان من قدر على انزال الماء من السماء وشق الارض واخراج
النبات منها مع لينه وضعفه وصلابة الارض وشدتها قادر على احياء الخلق بعد الموت ولا يحتمل ان يعجزه شىء
والثانى حيث قدر على احياء الارض بعد موتها وبيبسها لقادر على البعث والاحياء وقد عرفوا ان اعادة الشىء
اهون من ابتدائه اذ يقدر على الاعادة من لا يملك على الابتداء اذا عرفنا الابتداء وقوله ان الله لطيف خبير
قال الحسن اللطيف فى الشاهد انما يقال على وجوه ثلثة احدها انه يقال للشىء لطيف لرقته وذلك عن الله منفى

والثاني يقال لطيف لما يتأتى له الاشياء ولا يصعب عليه والثالث اللطيف هو الرحيم وهذا الوجه
يضاف الى الله والاول لا يجوز اضافته اليه خبير عليم وقوله له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو
الغني الحميد يخبر ان له ما في السموات وما في الارض وانهم عبيده واماؤه وانه لم يخلقهم لحاجة نفسه ولكن
انما خلقهم لحاجة انفسهم حيث اخبر انه الغني بذاته والثاني يخبر انه لم يأمرهم ولم ينههم ولا امتحنهم لمنافع
تكون له ولكن لمنافع الممتحنين الحميد هو المحمود في فعاله والحميد الحامد وقوله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
والفلك تجري في البحر بامره يذكرهم نعمه ليستأدي به شكره لانه اخبر انه سخر لهم ما في الارض من انواع المنافع
ليعلموا انه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سدى لان من كان خلقه لما ذكر لم يكن خلقه ليكون خلقا ميتا وكالسدى
ويخبر انه اعطاهم الاسباب التي بها يصلون الى منافع الارض مع شدتها وصلابتها والاسباب التي بها يصلون
الى منافع البحر وهي الفلك التي خلقها لهم ليصلوا بها الى منافع البحر حيث خلق الخشب قارة على وجه الماء غير متسربة
وغيره من الاشياء من طبعها التسفل والتسرب في الماء من الحديد ونحوهما من الاشياء ليعرفوا فضله ورحمته
ان كيف ثبت وقر هذا على وجه الماء ولم يثبت الحديد والحجر ونحوه ثم ثبت الحديد على وجه الماء مع الخشب اذ السفن
لا تخلو عن الحديد وبه يقوم السفن ثم لم يتسرب والله اعلم وقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه
اي يمسك السماء لا بالاسباب ولا بالاشياء التي يمسك الاشياء في الشاهد وهو ما قال ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا الاية وقوله ان الله لرءوف رحيم اي من رأفته ورحمته ما خلق لهم وسخر ما ذكر وقوله وهو الذي
احياكم ثم يميتكم هذا قد ذكرناه وقوله ان الانسان لكفور جائز ان يكون قوله ان الانسان اي الكافر لكفور للبعث
اي جاحد له او لكفور لربه في نعمه التي انعمها عليهم حيث ذكر انه سخرها لهم في قوله سخر لكم كذا لانه ينظر
في النعم الى اسبابه والحيل التي يحتال لا الى فضل ربه وافضاله في تلك النعم لذلك صار كفورا لربه في نعمه واما المؤمن
فانه ليس ينظر الى الاسباب والحيل فيها ولكن ينظر الى فضل الله وافضاله وانعامه عليه فيها فيكون شكورا له
فيها غير كفور والكافر ينظر الى ما ذكرت لذلك كان ما ذكر وعلى المعتزلة في قوله ان الانسان لكفور لانه يقول
هو الذي سخر الفلك وهم يقولون لم يسخر الفلك ولكن انما سخر الخشب التي منها يتخذ الفلك لانهم لا يرون لله
في فعل العباد تدبيرا ولا صنعا وهم يكفرون نعمة ربهم فيما ذكر من تسخير الفلك لنا وهم داخلون
في ظاهر هذه الاية على الوجه الذي ذكرنا وقوله ولكل امة جعلنا منسكا اختلف في المنسك قال بعضهم
منسكا اي جعلنا لكل امة دينا يدعون اليه اي كل امة تدعى الى دين واحد وهو دين الاسلام وهو قول
الحسن وقال بعضهم لكل امة جعلنا منسكا اي شريعة فهذا على الاختلاف اي جعلنا لكل امة شريعة على حدة هم
ناسكوه ذلك كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال عامة اهل التأويل منسكا اي ذبائح وعيدا قالوا
ذكر هذا والله اعلم لان من الناس من ينكر ان يكون الذبح شريعة الله فاخبر ان الذبح سنة الله وشريعته
في الامم كلها ليس على ما قالت الثنوية وقوله فلا ينازعنك في الامر على تأويل من يقول ان المنسك هو الدين اي
اي لا يخاصمنك في نفسك ان الذي انت عليه هو دين الله وادع الناس اليه وعلى تأويل من يقول هو الذبائح
يقول فلا ينازعنك اي لا يصدنك عن الذبح من ينكر ذلك كقوله ولا يصدنك عن ايات الله وقوله وادع الى ربك
اي ادع الى توحيد ربك او ان يكون قوله ادع الى ربك الى عبادة ربك وانههم عن عبادة من دونه وقوله انك
لعلى هدى مستقيم هذا يدل ان التأويل الذي ذكرنا في المنسك وهو الدين اشبه واقرب لانه ذكر انك لعلى هدى
مستقيم فلا يخالجن في نفسك شك في ذلك والله اعلم وقوله وان جادلوك في امر الذبيحة او في الدين وقد جادلوك
في الدين كثيرا لكن ذلك قالوه والله اعلم عند اياسه عن توحيدهم واسلامهم يقول والله اعلم وان جادلوك
في التوحيد والدين فقل الله اعلم بما تعملون وهو كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير فعلى ذلك
قوله الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون من الدين قال بعض اهل التأويل هذه الاية

والمعتزلة داخلون تحت قوله ان الانسان لكفور

منسوخة نسختها اية القتال لان فيها خطرا عن القتال والترك على ما هم عليه وتسليم الامر الى الله يحكم
بينهم يوم القيامة لكن جائز ما ذكرنا انه انما قال ذلك عند الاياس منهم عن توحيدهم وقوله الم تعلم ان الله
يعلم ما في السماء والارض قد ذكرنا في غير موضع ان حرف الم حرف يتوجه الى وجوه الى التعجب مرة والى التنبيه
والايقاظ ثانيا والى ايضاح الحجج والبراهين ثالثا وقوله ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وقوله
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حججا وبراهينا ليس لهم به علم يخبر عن سفههم انهم
يعبدون غير الله ولا سلطان ولا حجة لهم ولا هم بذلك علم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول يخبرهم
ولا كان لهم كتاب فيعملون به فيقول انهم يقولون الله امرهم بذلك ولا حجة لهم في ذلك ولا علم وفيه انه
انما بعث الرسل اليهم على علم له منهم انهم يكذبون الرسل من ينكر بعث الرسل الى من يعلم انه يكذبهم ويترك
اجابتهم لكن لا يبعث في الشاهد رسولا الى من يعلم انه يكذبه ولا يجيبه فعلى ذلك يقولون لا يجوز ان يكون الله بعث
الرسول الى من يعلم انه يكذبه ولا يجيبه لكن الله اخبر انه على علم منهم بالتكذيب وترك الاجابة بعثهم حيث قال
الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض واما قولهم ان من علم في الشاهد تكذيب المرسل اليه رسوله فانه
فانه لا يبعثه اليه لان المرسل انما يبعثه لحاجة نفسه ومنافعه فاذا علم منه تكذيبه وترك الاجابة له لم يبعثه
فاما الله سبحانه وتعالى انما يرسل الرسول لحاجة المرسل اليه ومنافعه لا لحاجة نفسه ومنفعته فلا ضرر يلحقه
في تكذيبه وجحوده فجاز ارساله على علم منه بالتكذيب وقوله ان ذلك في كتاب قال بعضهم ان ذلك العلم
في الكتاب الذي عنده ان ذلك على الله يسير بغير كتاب لا يصعب عليه حفظ شيء لانه عالم بذاته لا بسبب ولا تعليم
وانما يصعب ذلك على من كان علمه بالشيء بسبب وتعليم وقوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك
في كتاب ان ذلك على الله يسير فيه دلالة رد قول القدرية حيث قالوا يكذب من كذب الرسول لا بارادة الله
فذكر انه على علم منه ذلك بعثهم وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في اخر الزمان
ناس من امتي يكذبون بالقدر سيكفيكم من الرد عليهم ان تقولوا الم تعلموا ان الله يعلم ما في السماء والارض وتاويل هذا
والله اعلم ان يسألوا فيقال لهم اراد الله ان يصدق في خبره الذي اخبر او يكذب فان قالوا اراد ان يصدق في خبره
لزمهم ان يقولوا اراد جميع ما كان منهم وان قالوا اراد ان يكذب خبره فيكون كفرا محضا وقوله ويعبدون من دون الله
ما لم ينزل به سلطانا هو ما ذكرنا انه يسفههم بعبادتهم دون الله بلا حجة ولا برهان ولا علم وتركهم عبادة الله
مع الحجج والبراهين والعلم انه الله وانه ربهم مستوجب للعبادة وقوله وما للظالمين من نصير ينصرهم ويمنعهم
من عذاب الله فيه دلالة اثبات رسالته لانه انما قال ذلك لرؤسائهم والقادة فلم يتهيأ لهم نصرة شيء
ولا ارد ما قال بشيء دل انه بالله كان ذلك والله اعلم وقوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تحتمل الايات الحجج
والبراهين وتحتمل القرآن المنزل عليه تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار واثار العناد والرد للايات والكراهية
والبغض له يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يخبر عن سفههم وشدة تعنتهم وعتوهم عند تلاوة
الايات عليهم واقامة الحجج عليهم حيث قال يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم يسطون قيل ياخذون لهذا
وقيل يبطشون بطشا وقال القتبي يسطون اي يبطشون ويوقعون بالمكروه من الشتم والضرب وقال ابو عوسجة يكادون
يسطون اي يقعون بهم يقال سطا يسطو سطوة ورجل ذو سطوة وبطشة اي ذو قوة وقدرة قال ويقال
سطوت بفلان اي اخذته اخذا شديدا وبطشت به كذلك ثم قال قل افانبئكم بشر من ذلكم النار ظاهر الاية
ليس بجواب لما تقدم ولا صلة وليس على الابتداء ولكن على نازلة واحد كان منهم لم يذكر لنا ذلك فاما ابن عباس
وغيره من اهل التاويل قالوا انما نزلت جوابا لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه حيث قالوا ما نعلم
قوما اشقى منكم ولا اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم حيث راوهم قد حظرت الدنيا عليهم لم يعطوا من الدنيا شيئا
فنزل جوابا لهم قل افانبئكم بشر من ذلكم النار الاية وقال بعضهم هو جواب قوله يكادون يسطون بالذين يتلون

لا على الجهل صح

لتعاليه عن الحاجة والمنفعة

كقولهم ان المعاصي ليس بارادة الله فذكر انه على علم منه بذلك

قل انبئكم بشر من ذلكم النار كقوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله الاية وقوله
يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له قد ذكرنا معنى ضرب الامثال والحاجة اليها وذلك ان العقول يجوز
ان يعترض ما يستر عليها سبيل الحق ويحجب عنها ادراك الحق فضرب الامثال ليرفع عنها ذلك الحجاب والستر ليدرك
العقول سبيل الحق والا لم يجز ان لا يدرك العقول لما جعلت العقول له من درك الحق لكن يمنع درك الحق وسبيله
ما ذكرنا من اعتراض السواتر والحجب فيستكشف ذلك بما ذكرنا من الامثال ثم في هذا المثل وجهان احدهما يخبر عن تسفيه
احلامهم في عبادتهم من لا يقدر على خلق اضعف خلق وهو ما ذكر لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وتركهم عبادة
من هو خالقهم وخالق جميع الخلائق والثاني يخبر عن قطع ما يأملون ويطمعون من عبادتهم الاصنام حيث قال
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ويتركون عبادة من يؤمل منه ويطمع كل خير والله اعلم وقوله
فاستمعوا له قال بعضهم اجيبوا له وقال بعضهم استمعوا له لا استماع من ينظر ويأمل الحق ويتقبله ومعناه
اذا ظهر له لا استماع من لا ينظر الى الحق ولا يتقبله والله اعلم وقوله ان الذين تدعون من دون الله قال بعضهم تدعون
اي تعبدون من دون الله وقال تدعون من دون الله على الدعاء اي تسمونهم الهة من دون الله وقد كان منهم الامران
جميعا العبادة للاصنام من دون الله وتسميتهم اياها الهة من دون الله وقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
فيه ما ذكرنا من الوجهين من تسفيه احلامهم في عبادتهم من لا يملك خلق اضعف خلق الله وعجزهم عما يأملون
من النفع وعن دفع من يروم بهم الضرر وسلب ما ذكر منها ثم اختلف في قوله ضعف الطالب والمطلوب قال بعضهم الطالب
الصنم والمطلوب هو الذباب لكن على هذا التاويل يضمر فيه لو اي ضعف الصنم لو كان طالبا وقال بعضهم الطالب
هو الذباب والمطلوب هو الصنم فان قيل وصفهما جميعا بالضعف الذباب والصنم جميعا على تأويلهم اعني هؤلاء فالصنم
ضعيف عاجز على وصف واما الذباب فهو ليس بضعيف لانه غلب ذلك الصنم ان كان طالبا او مطلوبا فكيف وصفه
بالضعف وهو الغالب عليه في الحالين لكنه كانه رجع قوله ضعف الطالب والمطلوب الى العابد والمعبود كانه قال
ضعف العابد عما يأمل ويطمع من عبادته اياه وضعف المعبود عن ايفاء ما يؤمل ويطمع منه فهذا كانه اشبه
واقرب الى التاويل من الاول والله اعلم وقوله ما قدروا الله حق قدره اختلف فيه قال بعضهم ما قدروا الله حق قدره
اي ما عرفوا الله حق معرفته حيث قالوا له بالشريك والولد والصاحبة ومما قالوا فيه مما لا يليق به لانهم لو عرفوه حق معرفته
لم ينسبوا اليه شيئا مما نسبوا اليه ولا وصفوه بالذي وصفوه وعرفوا براءته وتعاليه من ذلك لكن حيث لم يعرفوه
حق معرفته شبهوه بواحد من خلقه على ما ذكرنا وقال بعضهم ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا الله حق عظمته حيث
صرفوا العبادة والشكر الى غيره اذ لو عظموه حق تعظيمه ما صرفوا عبادتهم وشكرهم الى غير الذي انعم عليهم وما اشركوا
غيره في ذلك على علم منهم انه انما وصلت اليهم تلك النعم من الله لا ممن عبدوه وبالله العصمة والصواب ثم يكون تعظيم ومعرفته
على الحقيقة بتعظيم اموره وقبولها والقيام بها لا في قوله يا عظيم يا كبير ونحوه ولكن على ما ذكرت من تعظيم اموره
وقيامه بها وكذلك المحبة له انما تكون في القيام باموره واقباله نحوها والانتهاء عن مناهيه لا فيما في قوله انا احبك
او تصوير شيء في قلبه ولكن على ما ذكرت والله اعلم وقوله ان الله لقوي عزيز يحتمل قوله ان الله لقوي عزيز لنصر اوليائه
وجعل العاقبة لهم عزيز اي منتقم من اعدائه او يقول لقوي لانه يضعف جميع القوى عند قوته عزيز لجميع العزيز
عند عزته او يقول لقوي لانه به يقوى من قوي ومنه يستفيد ذلك عزيز لانه به يعز من عز ومنه كان ذلك
والله اعلم وقوله الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس يحتمل قوله يصطفي من الملائكة رسلا اي اختار رسلا
من الملائكة في بعض ما امتحنهم من انواع العبادات له والطاعات بعث منهم اليهم رسلا بتبليغ ذلك على ما اختار من الناس
رسلا اليهم فيما امتحنهم ويحتمل اصطفى رسلا من الملائكة الى الرسل من الانس ومن الناس اي اختار منهم اعني من الناس
رسلا الى الانس والله اعلم كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وقوله ان الله سميع بصير جائز ان يكون قوله بصير
لمن يصلح للرسالة ومن لا يصلح وبصير لمن اختارها ومن لم يختر سميع لما يتلقى المرسل اليه الرسول من الاجابة والقبول

ويتقبله اذا ظهر له لا استماع من لا ينظر الى الحق

حرف لو

والرد

والرد والتكذيب وانه على علم منه بالرد والتكذيب ارسل وفيه دلالة انه انما اصطفاهم للرسالة لا بشيء
يستوجبون منه ذلك ولكن افضالا منه وانعاما منه لهم حيث قال الله يصطفي كذا وهو ينقض قول المعتزلة
حيث قالوا لا يختار للرسالة الا من كان منه ما يستحق ذلك وقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يحتمل قوله
ما بين ايديهم اي يعلم ما كان قبل ان يخلقهم وما خلفهم بعد ما خلقهم وقال الحسن يعلم باوايل امورهم وباواخرها
وقال بعضهم ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة وقال بعضهم ما بين ايديهم من الاخرة وما خلفهم من الدنيا
وجائز ان يكون قوله يعلم ما بين ايديهم ما عملوا بانفسهم في حيوتهم وما خلفهم ما سنوا لغيرهم من بعدهم كقوله علمت
نفس ما قدمت واخرت ما قدمت ما عملوا هم وما اخرت ما سنوا لغيرهم من بعدهم وجائز ان يكون لا على حقيقة بين
الايدي ولا خلف ولكن لا يخفى عليه شيء من افعالهم واقوالهم والى الله ترجع الامور قد ذكرنا معناه فيما تقدم وقوله
يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير في الاية دلالة ان الايمان هو شيء خاص وشيء
وشيء واحد لا اسم جميع الخيرات وهو التصديق لانه اثبت لهم اسم الايمان ثم امرهم بالركوع والسجود وفعل
الخيرات لا ان جميع المخاطبين بهذه الاية عرفوا من خوطب بها فلو كان اسما لجميع الخيرات لكان لا يعرف المخاطب بها
لانه لا يقدر احد على جميع الخيرات فدل انه شيء معروف خاص مما يرجع صاحبه الى احد المعرفة حيث عرف المخاطب
والله اعلم ثم يحتمل قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير وجوها احدها ان اجعلوا ركوعكم وسجودكم
وعبادتكم عبادة لله لا تشركوا فيها غيره على ما اشرك اهل مكة وغيرهم من الكفار في عبادتهم غيره وهي الاصنام التي
عبدوها والثاني اعبدوا ربكم بالاسباب والاشياء التي عرفكم انها عبادة وكذلك افعلوا الخيرات التي عرفكم انها
خيرات والثالث ان اجعلوا احوالكم التي انتم عليها من قيام وقعود وحركة وسكون عبادة لله تعالى واجعلوا
تقلبكم ايضا للمعاش الذي ابيح لكم واذن فيه عبادة فالاول هو عبادة بنفسه التي جعلها الله عبادة نصا والثاني
هو الذي يصيره عبادة بالنية والقصد فيكون في جميع احواله مؤدي عبادة وهكذا الواجب على المرء ان يكون في جميع
ما يؤدي من النوافل من الصلوة والصيام وغيره مؤدي فرض وهو ان يؤدي جميع ذلك بنية الشكر لنعمه وتكفير
لمعاصيه وكلاهما لازمان واجبان فان فعل ذلك كان مؤدي لازم والله اعلم وقوله لعلكم تفلحون ظاهره
خرج على الترجي وفي الحقيقة على الوجوب على ما ذكرنا فيما تقدم وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده ليس لحق الله
غاية يوصل اليها وكذلك قوله اتقوا الله حق تقاته لانه لو كان لحقه غاية لكان الرسل والملائكة يقومون بوفاء ذلك
ويتوهم منهم المجاوزة من ذلك ان كل ذي حد وغاية يتوهم المجاوزة فيه فان لم يحتمل المجاوزة دل ان حقه
ليس بذي حد وغاية ويكون تاويل قوله وجاهدوا في الله حق جهاده وحق تقاته حقه الذي احتمل وسعكم وبنيتكم
وطاقتكم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم فيكون هذا تفسيرا لقوله حق تقاته وحق جهاده ثم يحتمل قوله وجاهدوا
في الله اي جاهدوا انفسكم في شهواتها وامانيها او جاهدوا اعداء الله في دفع الوسواس والمحاربة معهم وقوله
هو اجتبيكم يحتمل وجهين احدهما هو اجتبيكم للايمان والهدى والتوحيد او هو اجتباكم جنسا من افضل الاجناس
واكرمهم من بين ساير الاجناس كقوله ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر وقال عامة اهل التاويل
في قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم اي وحدوا ربكم وجعلوا كل عبادة مذكورة في الكتاب توحيدا فيكون
ذكر العبادة ههنا كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله كانه قال يا ايها الذين امنوا وحدوا ربكم ثم اختلف في قوله
يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا قال بعضهم فيه وجوب سجدة التلاوة وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال فضلت سورة الحج بسجدتين على غيرها من السور فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما وكذلك
روي عن عمر رضي الله عنه انه قرأها يسجد فيها مرتين ثم قال ما ذكرناه وتاويله عندنا ان قوله فضلت بسجدتين
السجدة التي هي من صلب الصلوة وسجدة التلاوة في اول السورة فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما واصله في وجوب سجدة التلاوة
ان كل سجود ذكر في القرآن للخضوع لله فهو واجب للتلاوة لازم له وكل سجود كان الامر به بحق سجود الصلوة فانه

اركعوا واسجدوا اي اجعلوا

انه قال فضلت سورة الحج بسجدتين

لا يلزمه السجدة بالتلاوة فالامر بالسجود في قوله اركعوا واسجدوا امر بسجود الصلوة لا غير لم يلزم تاليه السجود بالتلاوة
والله اعلم وقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج يحتمل تاويله وجوها احدها ان عليهم معرفة وحدانية الله
والوهيته وتعاليه عن الاشياء والشركاء عليهم معرفة نعمه والقيام بشكرها لله والخضوع له في كل وقت وان لم يبعث
الرسل لكنه بفضله ورحمته بعث اليهم الرسل ليكون ايسر عليهم معرفة ذلك واهون والقيام باداء ذلك احف
لان معرفة الاشياء بالسماع من لسان الصدوق والعدل ايسر والادراك بها اهون من معرفتها بالنظر والتفكر
وهو ما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا اخبر انه لولا فضله ورحمته في بعث الرسل
لاتبعوا الشيطان الا قليلا والقليل الذين استثناهم الذين يتفكرون وينظرون فيعرفون بالتفكر والنظر وذلك
لا يعرف الا بجهد وتكلف فضل ذلك قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج ولكن بعث اليكم الرسل ليكونوا وضع لسبيل
الحق ومعرفته وان كان له ان لا يرسل ويكلف ذلك بالنظر والتفكر والثاني لم يجعل عليكم في الدين من حرج في قطع
ما يقع لهم الحوايج وتحريم كل انواع المطاعم والمشارب واللباس عليهم لكنه اذا حرم نوعا منها اباح نوعا اخر
بازائه مما يسد به حاجته ويدفع به علته ولو حرم كل انواعها كان حرجا في الدين وضيقا والثالث لم يجعل عليهم
من العبادات والفرايض التي كلفهم بها والقيام باداءها ما لا يحتمل وسعهم ولا بنيتهم ولا حمل عليهم امورا شاقة
خلاف ما عليه طباعهم وامر معاشهم ولكن كلفهم بعبادات تحتمل بها وسعهم وبنيتهم وحمل عليهم امورا غير شاقة
موافقة لما عليه امر معاشهم وطباعهم وان يعدوناي عليهم والرابع انه لم يجعل توبتهم عما ارتكبوا من المعاصي
والماثم قتل بعضهم بعضا واهلاك بعضهم بعضا على ما جعل ذلك لقوم حيث قال لهم فتوبوا الى باريكم فاقتلوا
انفسكم ولو كلف ذلك كان حرجا في الدين وامثال ذلك والخامس جايز ان يكون قوله وما جعل عليكم في الدين
من حرج اي من شك وشبه اي قد ازاح عنكم الشبه والشك بالحجج والبراهين التي اقامها لكم والله اعلم وقوله ملة ابيكم
ابراهيم هذا يحتمل وجهين احدهما على ان الامر ان الزموا ملة ابراهيم والثاني ان هذا الذي ذكر هو ملة ابيكم
اي الله سماكم المسلمين وقال بعضهم هو سماكم المسلمين من قبل حيث قال ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب
يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ورسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان من ولد اسمعيل
وقد دعا له ولذريته بذلك وقوله من قبل وفي هذا قال بعضهم من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن
وقال بعضهم من قبل في الامم الذين كانوا من قبل لانه ما من قوم وامة الا وفيهم مسلمون متسمون بهذا الاسم
وفي هذا في قومه اي كنتم متسمين بهذا الاسم في الامم الخالية كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس اي كنتم
خير امة في الامم التي كانت من قبل انها تخرج في هذا الوقت والله اعلم وقوله ليكون الرسول شهيدا عليكم قال
قايلون عليكم بمعنى لكم وذلك جايز في اللغة كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب فعلى ذلك جايز في هذا عليكم
اي لكم ويكون تاويله يكون الرسول لكم شهيدا بالتصديق له وتكونوا انتم شهداء للناس بالتصديق لرسول الله
اذا صدقتم اياه وقال بعضهم ليكون الرسول شهيدا عليكم بمعنى عليكم وتاويله يكون شهيدا عليكم اذا خالفتموه
لم تصدقوه وتكونوا انتم اذا صدقتم رسولكم ووافقتموه شهداء على ساير الناس اذا كذبوا رسولهم انهم كذبوه
وخالفوه وفي هذه الاية دلالة اتفاق قرن حجة على من بعدهم حيث جعلهم شهداء على من بعدهم ومن قبلهم
وقد ذكرنا تاويل الاية في سورة البقرة وقوله فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فان اراد الصلوة المعروفة
والزكوة المعروفة ففي الامر باقامة الصلوة امر باصلاح ما بينهم وما بين ربهم وفي الزكوة اصلاح ما بينهم وبين
الخلق كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي حرف عبد الله بن مسعود ان الصلوة تامر بالعدل وتنهى
عن الفحشاء والمنكر وقوله واعتصموا بالله قال بعضهم بدين الله وهو ما ذكر فيما تقدم ذكره من قوله اركعوا
واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير الى اخر ما ذكر فكانه يقول اعتصموا بالذي ذكر واصل الاعتصام هو الالتجاء
اليه فكانه قال اعتصموا به من كل ما نهى عنه من الشرور وبكل ما امر به من الخير وقوله هو موليكم قال الحسن

دلالة الاجماع

هو مولى كل من تولاه بالطاعة وقال بعضهم المولى الناصر اي هو ناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير المانع
والنصير المنتصر ينتصر لهم من اعاديهم ويمنع عنهم الاعداء وجايز ان يكون قوله هو موليكم اي ربكم وسيدكم
كما يقال لمولى العبد هذا مولاه وسيده والله اعلم ويكون في قوله ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا
ويكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم قال ابو عوسجة ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته
يقال في الكلام ما قدرتك حق قدرك اي ما عرفتك حق معرفتك وقالوا الحرج الضيق في هذا وفي غير هذا الموضع
قيل هو شك في قوله فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك والضيق انما يكون من الشك اذا شك في شيء ضاق
صدره فيه قال ابو معاذ واصل الحرج في كلام العرب شجر من شوك ملتف والواحدة حرجة ومنه حرجه سلم
وقوله هو اجتباكم اي اختاركم وفي حرف ابن مسعود وابي هو اجتباكم وسماكم المسلمين من قبل وفي هذا وهذا
يؤيد تاويل من يقول هو سماكم المسلمين اي الله سماكم وقال بعضهم في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج
قال لم يفرض الله على هذه الامة شيئا الا جعل فيه رخصة لهم عند الاضطرار مثل التيمم اذا لم يجد ماء وتصلي
قاعدا ومضطجعا في المرض وتفطر اذا كنت مريضا في نحو هذا ليس فريضة الا فيها رخصة ولم يكن من قبل
ذلك وهو قول مقاتل ابن حيان وقال قتادة قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق قال اعطيت
هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي اذهب فليس عليك حرج وقال الله لهذه الامة وما جعل عليكم
في الدين من حرج وكان يقال للنبي انت شهيد على قومك وقال الله لهذه الامة وتكونوا شهداء على الناس وكان يقال
للنبي سل تعطه وقال الله لهذه الامة ادعوني استجب لكم وقال بعضهم في قوله اركعوا واسجدوا اي صلوا الله كقوله
واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون يقول صلوا لا يصلون وقال قتادة اركعوا واسجدوا قال لا صلوة الا بركوع وان قواما
احدثوا بدعا يسجد احدهم ماية سجدة لا يركع فيهن وكان يقال ثلاث مما احدث الناس رفع الايدي
في الدعاء والاصوات عند المسالة والاختصار في السجود وقال ابو هريرة لا يصلح سجود الا بركوع

سورة المؤمنون مكية وآيها ماية وعشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قد افلح المؤمنون الفلاح قال قايلون الفلاح هو البقاء اي بقي المؤمنون وقال قايلون
الفلاح السعادة وقال الفلاح الفوز وامثاله وفي قوله قد افلح المؤمنون الى اخر ما ذكر دلالة ان المؤمنين
من هولاء بهذا الوصف الذي وصف هولاء وان اسم الايمان يقع بدون الذي في هذه الاية لانه لو لم يكن
لذكر ما ذكر من الخشوع في صلوتهم والحفظ لفروجهم والاعراض عن اللغو معنى دل انه يكون مؤمنا بغير الوصف
الذي وصف هولاء وكذلك في قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله ممن ترضون من الشهداء فذلك فيهم
من ليس بعدل وفيهم من لا يرضى في الشهداء حيث خص العدل والمرضي في الشهادة وقوله الذين هم في صلوتهم
خاشعون قال الحسن الخشوع هو الخوف الدايم اللازم في القلب وقال غيره الخشوع في القلب واصل الخشوع
كانه اثار ذل من الخوف تظهر في الوجه وفي الجوارح كلها لا الخوف الذي ذكر هولاء الا ترى انه قال وجوه
يومئذ خاشعة وقال خاشعة ابصارهم ذل هذا ان الخشوع هو اثار ذل من خوف يظهر في الوجه
والجوارح كلها وكذلك قال بعضهم الخشوع في الصلوة هو ان لا يعرف من عن يمينه وشماله لان ذلك يشغله
عن العلم بمن يليه واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله والذين هم عن اللغو معرضون اللغو كانه اسم كل باطل
واسم كل ما يلغى ولا يعبا به اخبر انهم يعرضون عن كل باطل وعن كل ما نهوا عنه ويقبلون على كل طاعة وبكل
ما امروا به والذين هم للزكوة فاعلون يحتمل الزكوة التي بها تزكوا انفسهم عند الله وجايز الزكوة المعروفة
المعهودة اخبر انهم فاعلون ذلك مؤدون وجايز ان يكون هذا من المؤمنين من الطاعة لله والايتمار لامره

السلم شجر من العضاة الواحدة سلمة

اصوات عند المسالة

ودايموا في الجنة على الابد كذا روي عن ابن عباس اي طالت ايدهم في الجنة

اريد به الخشوع في القلب

اخبارا عن طاعتهم لله تعالى

والرضا به مقابل ما كان من المنافقين من الكراهية في الانفاق والصلوة على الكسل والمراآة كقوله واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس الآية وقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وقولهم لا تنفقوا على من عند
رسول الله نعتهم بالكسل والخلاف وترك الانفاق والمراآة في الطاعات ونعت المؤمنين بضد ذلك وبالرغبة
في اوامره والانتهاء عن معاصيه ونواهيه وقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم استثنى في هذا لان هذا مما يحل في حال ويحرم في حال واما اللغو وما ذكر من اول الآية الى آخره لا يحل
بحال واللغو حرام في الاحوال كلها وكذلك ترك اداء الامانة والزكوة والصلوة مما لا يحل تركه بحال وقوله فانهم
غير ملومين ذكر ان لا يلحقهم لائمة في ذلك والله اعلم لوجهين احدهما لقول الشنوية لانهم لا يرون التناكح فاخبر
ان لا لائمة في هذين وانما اللائمة في غير هذين والثاني ذكر لابطال المتعة لانه استثنى الازواج وما ملكت
ايمانهم والمتعة ليست في هذين اللذين استثناهما ثم اخبر ان لا لائمة في هذين وفيما عداهما لائمة والمتعة
مما عدا هذين وهو ما قال ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء والى هذا يصرف حفظ الفروج والا كان عامة الناس
يحفظون فروجهم عن الزنا ويعرفون حرمته لكنهم كانوا يستبيحون المتعة والاجارة فيها فحرم ذلك ثم قال
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والعادي هو المجاوز عن الحد الذي حد له وقوله والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون يحتمل الامانات العبادات والفرايض التي فرضت عليهم راعوها اي ادوها في اوقاتها
والعهود التي فيما بينهم وبين ربهم او ان يكون الامانات التي وضعت عندهم والعهود التي فيما بينهم وبين الخلق
راعوها اي حفظوها وادوها الى اربابها ولم يضيعوها والله اعلم وقوله والذين هم على صلوتهم يحافظون
يكون محافظة الصلوة بوجوه احدها يحافظونها باركانها وفرايضها ولوازمها وادابها والثاني يحافظونها باشيا
التي جعلت لها من الاوقات والطهارات وستر العورات وغيرها من الاسباب التي لا تقوم الصلوة الا بها
والثالث يحافظونها بالخشوع والوقار واظهار الذل له والاخلاص له وغير ذلك من الاشياء مما ندب المصلي
وعلى ذلك جميع ما ذكر من الامانات وغيرها والله اعلم وقوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
الوارث هو الباقي عن المورث وقال الله عز وجل انا نحن نرث الارض اي انا باق عن الخلق اي يفنى الخلايق وهو
يبقى وان يكون قوله الذين يرثون الفردوس هكذا هو ما وعد الله عباده الجنة ان اجابوه واليها دعاهم بقوله
والله يدعوا الى دار السلام لمن ترك اجابته يصير الموعود الذي وعد له ان اجاب لمن اجابه فذلك الوراثة التي
ذكر الله وقوله الفردوس قيل هو بلسان الروم بستان سمى الله تعالى الجنة باسماء مختلفة منها عدن ونعيم ومأوى
وفردوس وفي الحقيقة واحد لان العدن هو المقام والنعيم هو ما ينعم ومأوى فهي كذلك ثم فردوس وعدن
ومأوى ونعيم وروي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس ربوة الجنة العليا
وهي اوسطها واحسنها فان ثبت هذا فهو ما ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الذين هم في صلوتهم خاشعون
قال الاقبال عليها والذلة وعن علي رضي الله عنه قال الخشوع في القلب وان تلين كنفك للمرء المسلم وان لا تلتفت
في صلوتك وقيل التواضع واصله ما ذكرنا وقوله لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين قال بعضهم انما ذكر
سلالة لانه سل من كل تربة وقال ابو عوسجة السلالة الخالص من كل شيء وقوله من سلالة من طين اي من جوهر
الطين ذكر مرة من سلالة من طين ومرة من صلصال من حمإ مسنون ومرة قال فانا خلقناكم من تراب ومرة
كالفخار ونحوه وهو آدم عليه السلام وذلك على تغيير الاحوال والله اعلم بالصواب وقوله ثم جعلناه نطفة
اي ثم خلقنا ولده وذريته من نطفة اخبر اصل ما خلق آدم منه واصل ما خلق ولده منه وهي النطفة وقوله
في قرار مكين قال بعضهم الرحم وجايز ان يكون القرار هو صلب الرجل لان النطفة لا تخلق في الصلب اول ما خلق
الانسان ولكن تجعل فيه من بعد فيكون الصلب قرارها ومكانها الى وقت خروجها منه الى الرحم وعلى ذلك قوله
فمستقر ومستودع الرحم وقال بعضهم المستقر الرحم والمستودع الصلب وجايز ان يكونا جميعا واحدا انهما كانا

خبا منهم لا ينفقوا

ولم يستثن فيما ذكر نا وله الآية من اللغو وغيره لان هذا

الخشوع هو الاقبال عليها مع الذلة والخضوع

كنفا الطاير جناحاه

وان ذلك كله وصف ما خلق منه آدم وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم وقوله ثم جعلنا

الرحم او الصلب لانه كليهما قرار وما يستودع فيه وقال ابن عباس وغيره السلالة صفوة الماء وقوله ثم خلقنا
النطفة علقة والنطفة هي المعروفة والعلقة الدم والمضغة القطعة من اللحم الى آخر ما ذكر يخبرهم عن تحويله
اياهم وتقليبه من حال الى حال لوجوه احدها يخبر عن قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره ليعلموا ان من قدر
على انشاء العلقة من النطفة ما لو اجتمع الخلايق جميعا على ان يعرفوا سبب خلق هذا من هذا مع احاطة علمهم
انه ليس فيها من آثار العلقة شيء ما قدروا على ذلك وعلى ذلك جميع ما ذكر من العلقة من النطفة والمضغة
والانسان من ذلك كله على انه قادر بذاته فمن قدر على هذا يقدر على انشائهم من الاصل من لا شيء ويقدر
على احيائهم بعد ما صاروا ترابا والاعجوبة في خلق الانسان مما ذكر من النطفة والعلقة والمضغة ليستبدون خلقه
اياهم من التراب من الوجوه التي ذكرنا وفيه دلالة علمه الذاتي لان من قدر على تحويلهم من حال الى حال
التي ذكر في الظلمات الثلاث دل انه عالم بذاته لا بعلم مستفاد من احد ولا قوة مكتسبة ولكنه بالعلم الذاتي
والقوة الذاتية لان من علمه مستفاد ومن قوته مستفادة ومكتسبة لا يبلغ ذلك وفيه دلالة تدبيره لخروج
الخلق جميعا وتوالدهم من اولادهم الى آخر ما ينتهون على جري واحد وسنن واحد على غير تغيير في التوالد
والتناسل الذي جعل فيهم وكذلك جميع ما يخرج من الارض من النبات ومن الاشجار والاوراق في كل عام وفي كل
يخرج على جرية واحدة وسنن واحد لا يتغير ولا يتفاوت وقت خروجه بل على تقدير واحد وميزان واحد
دل انه على تدبير ذاتي خرج لا على الجزاف وبالله الحول والقوة وفيما ذكر من تحويله اياهم وتقليبه من حال الى حال
دلالة انه لم ينشئهم لانفسهم وان ما انشأ من العالم سواهم انما انشاه لهم وانشأ انفسهم لعاقبة لانه لو كان انشاء
اياهم لانفسهم وللفناء الذي ذكر في قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون لكان يتركهم على حالة واحدة ولا يحولهم
من حال الى حال فاذ حولهم وقلبهم من حال الى حال دل انه لا للموت الذي ذكر خلقهم خاصة بقوله ثم انكم بعد ذلك
لميتون ولكن لعاقبة تقصد وهو البقاء الدايم لا فناء فيه وهو ما ذكر ثم انكم يوم القيامة تبعثون وقوله ثم انشاناه
خلقا آخر اما اهل التاويل فمنهم من قال نفخ الروح فيه وهو قول ابن عباس وغيره وقال بعضهم انبات الشعر
ونحو وهو قول قتادة وغيره وعن الحسن وغيره ذكرا وانثى وجايز ان يكون قوله انشاناه خلقا آخر غير ما قال
هؤلاء وهو اظهار الجوارح والاعضاء وتركيبها فيه دلالة لانه اخبر انه يقلبه من حال الى حال وانما يقلبه شيئا وحالا
مصمتا ليس به هذه الجوارح والاعضاء انما يكون فيه آثارها لا اعينها فيركب فيه اعين الجوارح والاعضاء حتى يكون
انسانا فذلك هو انشاء خلق آخر ويكون نفخ الروح ونبات الشعر في تركيبها ذكرنا والله اعلم ومن ينكر خلق الشيء لا من شيء
ويقول بقدم العالم انما ينكر ذلك لما لم ير في الشاهد صنع شيء لا من شيء فيقال له وهل رأيت انشاء شيء من شيء
على اتلاف الاصل حتى لا يبقى له اثر فاذ لم تر هذا في الشاهد وقد رأيت في الغايب انشاء شيء من شيء على اتلاف الاول
منه نحو النطفة تصير علقة على تلف النطفة فيه والعلقة مضغة على اتلاف العلقة فيها الى آخر ما ذكر كل ذلك
منشأ من آخر انما كان بعد تلف الاصل فهلا كان ذلك ان عدم الانشاء في الشاهد لا من شيء لا يدل على عدمه في الغايب
وانه حيث قدر على هذا يقدر على كله وقوله فتبارك الله احسن الخالقين من الناس من يستدل على انه اذا لم يكن
سواه خالقا لم يكن لقوله احسن الخالقين معنى كقوله ارحم الراحمين واحكم الحاكمين ونحوه انما قال هذا لما يكون
سواه رحيما حكيما كريما فاخبر انه احكم الحاكمين وارحم الراحمين فعلى ذلك ما قال احسن الخالقين ولكن جايز القول
بمثل هذا عند الناس على غير اثبات آخر سواه في ذلك حقيقة وهو يخرج على وجوه احدها احسن الخالقين
مما تنسبون انتم اليه وتجعلونه خالقا عندكم كقوله فراغ الى آلهتهم ابراهيم لم يسم معبودهم الذي عبدوه
الها على جعل الالوهية له ولكن على ما سموهم ونسبوا الالوهية اليه وكذلك قول موسى حيث قال وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا على ما عندهم ليس على تسمية الالهية له حقيقة دل ما ذكرنا على ان تسمية ما ذكرنا
وذكره يجوز وان لم يكن هنالك سواه الها وخالقا وكذلك قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين ليس

والمضغة من العلقة والعظم من المضغة والانسان من ذلك كله ما لو اجتمع الخلايق

وهو تعلق بعض المعتزلة في خلق بعض افعال العباد منهم وانكار ذلك من الله تعالى ولكن عندنا جايز

على ان لهم شفعاء يشفعون لهم ولكن لا شفعاء لهم تعالى ذلك ما ذكرنا والثانى تاويل احسن الخالقين
اى لو جاز ان يكون خالق آخر سواه لكان هو احسن الخالقين ولكن لا يجوز وهو كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا
لاصطفى مما يخلق ما يشاء اى لو جاز ان يتخذ ولدا لاصطفاه مما ذكر لكن لا يجوز وكذلك قوله لو اردنا ان نتخذ
لهوا لاتخذناه من لدنا اى لو جاز ان يكون كذا لكان كذا ليس على انه يجوز ان يكون وكذلك قوله ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق الاية اى لو جاز ان يكون معه اله لذهب بما ذكر لكن
لا يجوز تعالى ذلك قوله فتبارك الله احسن الخالقين اى لو جاز ان يكون هنالك خالق غيره لكان هو احسن
الخالقين ولكن لا يجوز والله الموفق والثالث ذكر احسن الخالقين لما ان العرب تسمى كل صانع شى خالقا
فخرج الذكر لهم على ما يسمونهم ليس على حقيقة الخلق لمن دونه كقول عيسى حيث قال انى اخلق لكم من الطين
او ان يكون ذكر هذا القول من يقول العالم كان من اربع طبايع من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة
او ان يكون لبعض الفلاسفة ان العالم اصله من اربع او من خمس من الماء والارض والنار وغير فاخبر انه
ليس كذا ولكن هو خالقهم لا من الاشياء توهموا اهم وعلى قول من يقول انه يكون غيره خالقا لكان الخلق غير دال
على معرفة الخالق لانه قال خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم اخبر انه لو كان سواه خالقا او عددا لكان فى ذلك
تشابه الخلق عليهم فاذا تشابه لم يكن سببا لمعرفته على ما اخبر فى اثبات عدد الالهة كقوله وما كان معه من اله
اذا لذهب كل اله بما خلق فاذ بطل هذا ولم يجز عدد الالهة واثبات الالوهية لغيره تعالى ذلك فى الخلق
على الوجه الذى ذكرنا وقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون قد ذكرنا فيما تقدم ان المقصود
من خلق هذا العالم لم يكن الاماتة والافناء ولكن عاقبة تتامل وتقصد حيث تقلبهم من حال الى حال لم يتركهم
على حالة واحدة فلو كان المقصود من خلقهم الفناء والهلاك لا غير لكان تركهم على حالة واحدة ولم يقلبهم حالا
الى حال فدل التحويل والتقليب من حال الى حال على ان المقصود من الخلق العاقبة على ما ذكرنا والله اعلم اخبر ان خلقهم
لا لعاقبة يقصد بها عبث حيث قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا صير خلقهم لا الى مرجوع اليه عبثا وقال فى اية اخرى
ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها الاية صير نقض الغزل بعد ابرامه وقد تسعها منها فلا جايز ان يسفه تلك المراة
تنقض غزلها بعد الاحكام والابرام بلا نفع يكون لها ثم هو لفعل ذلك اذ خلق الخلق للفناء والهلاك خاصة
عبث ولعب وعلى ذلك بنى البناء فى الشاهد لا لعاقبة ومنفعة ولكن للهدم والنقض سفه ولعب لذلك
قلنا ان خلق الخلق لا للموت خاصة ولكن لما ذكرنا من قوله ثم انكم تبعثون اى تحيون قال القتبى يقال للولد سلالة
ابيه وللخمر سلالة وللنطفة سلالة ويقال انما جعل آدم من سلالة لانه جعل من كل تربة وقال ابو عوسجة
السلالة الخالص من كل قال ابو معاذ النسل الولد يسل من تحت كل شعر وقال القتبى المضغة اللحمة الصغيرة
سميت بذلك لانها بقدر ما يمضغ كما قيل غرفة بقدر ما يغرف وقوله فى قرار مكين اى مكانا حريزا وهو الرحم
او الصلب انهما كان فهو ما وصف وقوله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال بعضهم سبع سموات وقال بعضهم
سبعة افلاك يذكر هذا والله اعلم انهما كان السموات والافلاك التى جعل الامر الخلق وحوايجهم لوجهين احدهما
يخبر عن قدرته وسلطانه وغناه ان من قدر على خلق ما ذكر وانشايه بلا سبب لقادر على انشاء الخلق
لا من شئ والثانى ان من قدر على هذا يقدر على بعثهم واحيائهم بعد الموت قال القتبى سبع طرائق اى سبع سموات
كل سماء طريقة ويقال هى الافلاك كل واحد طريق وانما سمى طرائق لان بعضها فوق بعض يقال طارقت الشئ اذا جعلت
بعضه على بعض ويقال ريش طرائق وغيره قال طرائق اهواء مختلفة وقوله وما كنا عن الخلق غافلين اى لم يخلقهم
على جهل هذا باحوالهم ولكن على علم منا بذلك ولا يحتمل ان يكون خلقه اياهم على علم منه ثم يخلقهم
للفناء لا لعاقبة تتامل لان من يفعل هذا فى الشاهد انما يفعل اما لجهل به او لحاجة والله يتعالى
عن ذلك كله او ان يكون قوله وما كنا عن الخلق غافلين خلق ما ذكر اى اذا عرفتم ان خلق هذه الاشياء لا لانفسها

انما سمى النطفة سلالة لانها سلت من ... وهو الماء يسيل من تحت كل شعر

يقال مكانا حرزا حريزا صح

ريش طراق اذا كان بعضه فوق بعض صحاح

ولكن

ولكن لانفسكم ولمنافعكم فلا يحتمل ان يكون خلقها لكم بلا محنة ولا ابتلاء فاذا ثبت المحنة فيكم ثبت الثواب
والعقاب فاذا ثبت هذا ثبت البعث والحيوة والله اعلم وقوله وانزلنا من السماء ماء بقدر قال بعضهم
بقدر يعلم متى وقال بعضهم بقدر ما يقع لهم الحاجة والكفاية وجايز ان يكون قوله بقدر اى معلوم مقدر
لا يتقدم ولا يتاخر ولا يزداد ولا ينتقص ولكن علما قدر وكذلك جميع الاشياء وقوله فاسكناه فى الارض
يذكر هذا ويخبر عن قدرته وسلطانه ان من قدر على اسكان الماء من السماء يقدر على البعث وعلى خلق
الشئ لا من شئ اذ لا احد من الخلايق يقدر على ذلك الا بالحيل التى علمه الله او ان يكون بقوله انه حيث
جعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء ومنافع السماء بمنافع الارض لبعد ما بينهما دل اتصال منافع احدهما
بالاخر مع بعد ما بينهما على ان منشيهما واحد ومدبرهما واحد عالم بذاته وقوله وانا على ذهاب به
لقادرون كقوله ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا الاية وقوله فانشانا لكم به اى بالماء جنات من نخيل واعناب
اى الكروم يذكر نعمه التى انعمها عليهم من الماء الذى به حيوة الابدان والاشياء جميعا ليتادى به شكره وعبادته
وقوله فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة فان كان قوله لكم فيها منه الجنات حيث
ذكر انه انشا لها الفواكه كثيرة ففيه حجة لابى حنيفة رحمه الله ان من حلف ان لا ياكل فاكهة فاكل عنبا
او رطبا حيث ذكر النخيل والاعناب وذكر فيها الفواكه على حدة وان كان لا يعنى به النخيل فليس فيه والاعناب
فليس فيه حجة له وقوله وشجرة تخرج من طور سيناء اى انشا لكم ايضا شجرة تخرج من طور سيناء ثم الشجرة التى
يكون فى الجبال لا صنع للخلق فى انباتها وما يكون فى الجنان والبساتين انما يكون بانبات الخلق ثم اضاف كليهما
ما يكون للخلق فيه صنع وما لا يكون دل كما ضافة ذلك اليه كله على ان الله فى فعل العباد صنعا وان جميع
ما يكون انما يكون بصنع منه ولطف ويذكرهم نعمه التى انعمها عليهم من انشاء الجنان لهم والنخيل والاعناب
والفواكه التى ذكر لتادى بذلك شكره وفيه دلالة قدرته وسلطانه حيث انشا الشجرة واخرجها من الجبل وهو
وهو اشد الاشياء واصلبها فى تلك الشجرة الدهن وهو الين الاشياء والطفها فيخبر ان من قدر على اخراج الين
الاشياء من اشدها واصلبها يخرج شى وفيه ان لا باس بقران شئ الى شئ فهو كان جميعا وضم بعضهم الى بعض
ويجمع فى الاكل حيث قال تنبت بالدهن وصبغ للآكلين والصبغ هو الادام ثم اختلف فى قوله طور سيناء قال بعضهم
الطور الجبل بالسريانية والسيناء الحسن بالحبشية وقال بعضهم الطور الجبل وما ذكر والسيناء الشجرة الحسنا
وقال بعضهم الطور هو الجبل الذى كلم الله موسى واوحى اليه والشجرة هى شجرة الزيتونة وقال بعضهم السيناء الحجارة
وقال بعضهم الطور السيناء المبارك بما اوحى على موسى وقال بعضهم الطور الجبل والسيناء شجر وله وفى حرف
ابن مسعود وحفصة وشجرة تخرج من طور سيناء تخرج الدهن وصبغا للآكلين قال بعضهم تخرج الثمر قال ابو معاذ
انبت النبات ونبت لغتان كقيلك اسرى وسرى وقال زهير حتى اذا انبت البقل قال الكسائى تقول
خرجت بزيد واخرجت زيدا ولا تقول اخرجت بزيد الا ان تقول اخرجت بزيد عمرا قال القتبى وصبغا
للآكلين مثل الصباغ وهو ما اصطبغت به من شئ اى غمرة فيه وقوله وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم
مما فى بطونها وفى سورة النحل مما فى بطونه قال بعضهم انما ذكره على الفرد والوحدان وفيما ذكره على التانيث
على الجمع وقال بعضهم فيما ذكره بالتذكير اراد به جنسا من الانعام نسقيكم مما فى بطونه وهذا اشبه وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم ثم قوله وان لكم فى الانعام لعبرة وجه العبرة فيها من وجوه احدها ما قال ابن عباس
وهو ما ذكر عز وجل من بين فرث ودم الاية فى ذلك عبرة ودلالة على وحدانيته وربوبيته وقدرته وتدبيره
ولطفه اذ ليس شئ منها الا وفيها دلالة وحدانيته وربوبيته ودلالة علمه وقدرته وتدبيره وفيه انه لم ينشئ
هذه الانعام لانفسها ولكن انشاها للبشر حيث اخبر انه سخرها لنا لينتفع بها ثم اختلف فى الانعام قال المقاتل
الانعام كل شئ يؤكل لحمه ويشرب لبنه فليس من الانعام وقال ابو معاذ ان من الانعام وما لا يؤكل لحمه

والكروم صح

للجبل والسيناء صح

او له
رايت ذوى الحاجات حول بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل
قطين اى اقام

ولا تشرب لبنه وقال بعضهم الانعام كل بهيمة حتى الوحش والاشبه ان يكون الانعام هو الابل ولكنا لا نعلم
حقيقته انما هو اللسان فهو على ما يسميه اهل اللسان وقوله ولكم فيها منافع كثيرة قيل من الحمولة وغيرها وقد ذكرنا
هذا في سورة النحل وقوله وعليها وعلى الفلك تحملون يذكرهم نعمه فيما سخر لهم من الانعام والسفن ليتادى به
شكره وقوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يرد عز وجل انباء اولى العزم
من الرسل واخبارهم ويكررها على رسول الله ليكون ابدا يقظانا متنبها ويعرف انه كيف عامل اولوا العزم قومهم
وكيف صبر اولوا العزم من الرسل على اذى قومهم وتكذيبهم اياهم ليعامل هو قومه مثل معاملتهم ويصبر هو على اذى
قومه على ما صبر اولئك على اذى قومهم وتكذيبهم اياهم لهذا ما يردد ويكرر انباءهم عليه ويعرف قومه ايضا
ان لا يظفرون بما يأملون من تكذيبهم العاقبة بل العاقبة تصير له على ما صارت لاولى العزم من الرسل لا لقومهم
والله اعلم وقوله افلا تتقون يحتمل وجوها احدها افلا تتقون مخالفة الله ومخالفة رسوله او افلا تتقون
عذابه ونقمته او وعيده او افلا تتقون عبادة غير الله وقوله فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر
مثلكم يريد ان يتفضل عليكم هذا الذي قالوا هو تناقض لانهم قالوا انهم بشر مثلهم يريد ان يتفضل عليكم
بما ادعى من الرسالة والاجابة له لما دعاهم ثم هم اعني الرؤساء منهم والقادة ادعوا لانفسهم الفضل
بما استتبعوهم السفلة وطلبوا منهم الموافقة لهم والاجابة وهم بشر امثالهم فذلك تناقض
في القول ثم اقروا بتفضيل بعض الخلق على بعض وعرفوا قدرة الله على ذلك حيث قالوا ولو شاء الله لانزل ملائكة
فاذ قدر على تفضيل الملائكة على البشر قدر على تفضيل بعض البشر على بعض ثم اخبر عن نوح انه لا يريد بما ادعى
من الرسالة التفضل عليهم ولكن يريد به النصح لهم والاشفاق عليهم حيث قال ولا ينفعكم نصحي ان اردت
ان انصح لكم وقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وعذاب يوم الظلة ونحو ما قال اخبر انه انما اراد النصح لهم
والشفقة لا التفضل الذي قالوا هم وقوله ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين هذا قولهم وقد كذبوا في قولهم
وقوله ان هو الا رجل به جنة قد عرفوا انه ليس به جنون ولكن يقولون ما يفعل هذا الا المجنون فيه وآفة
اصابته في عقله اراد التلبيس والتمويه على قومهم حيث خالفهم في جميع امورهم وعادى الرؤساء منهم والقادة
ويقولون ما يفعل هذا الا المجنون فيه وآفة اصابته في عقله والا عرفوا هم في انفسهم اعني القادة انه ليس بمجنون
ولكن ارادوا التمويه على قومهم ثم قالوا فتربصوا به حتى حين لسنا ندري ما ارادوا بالحين ارادوا الموت او وقت
ارتفاع ما قالوا فيه من الجنون او ارادوا وقتا آخر قال مقاتل يريد ان يتفضل عليهم بالرسالة وليس له عليكم فضل
في شيء فتتبعونه وقوله ما سمعنا بهذا قال بعضهم اي بالعذاب في آبائنا الاولين ويقال ما سمعنا التوحيد
في آبائنا الاولين كما يدعو نوح وقوله قال رب انصرني بما كذبون لم يدع عليهم باول ما كذبوه ولكن انما دعا عليهم
بعد ما آيس من عودهم الى تصديقه وهو ما قال اني مغلوب فانتصر وقال اهل التاويل انصرني بتحقيق
ما وعدتهم من العذاب فانه نازل بهم في الدنيا وعذبهم بما كذبوني نجح قولي بان العذاب نازل بهم في الدنيا
وان يكون قوله انصرني بما كذبون اي اجعل لي الظفر عليهم بالتكذيب ونحوه وقوله فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا قال بعضهم بمنظرنا وقال بعضهم بمرأى منا وجائز ان يكون صلوات الله عليه ظن لما امر باتخاذ الفلك انهم
لا يتركونه ان يتخذ الفلك فاخبره عز وجل انك تتخذ بحيث يراه وينصرك عليهم بحيث لا يملكون منعك
عن اتخاذها وقوله ووحينا اي بامرنا وقوله فاذا جاء امرنا وفار التنور اي اذا جاء الموعود بامرنا وفار التنور
او ان يقول اذا جاء وقت امرنا بالعذاب وفار ما ذكر اي خرج الماء من التنور وظهر وقوله فاسلك فيها قيل ادخل
فيها يقال سلكت واسلكت وهو الادخال كقوله اسلك يدك في جيبك اي ادخل وتفسير اسلك ما ذكر في آية
اخرى قلنا احمل فيها وقوله من كل زوجين اثنين يحتمل ان يكون قوله اثنين نعت لقوله من كل زوجين من ذكر
والانثى وجائز ان يكون قوله من كل زوجين اي من كل زوجين عددين لونين ابيض واسود وطيب وخبيث

وقوله واهلك اي احمل اهلك ايضا في السفينة وقوله الا من سبق عليه القول بالعذاب والهلاك وقد ذكرنا هذا
في سورة هود وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اختلف فيه قال قايلون انما نهاه عن مخاطبته
في الذين ظلموا حيث قال ان ابني من اهلي نهاه عن ان يسأله فان كان على هذا فقوله ولا تخاطبني اي لا تراجعني
الكلام في الذين ظلموا وقال قايلون قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا في جميع ظلمة قومه انهم مغرقون وان كان
على هذا فهو نهي عن ابتداء السؤال في نجاتهم والله اعلم وقوله فاذا استويت انت ومن معك من المؤمنين على الفلك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين هكذا الواجب على كل من انجاه الله من الظلمة ان يحمد ربه على ذلك ويسأله
النجاة اذا ابتلي بهم كما علم نوحا ان يقول ما ذكر ويحمده على النجاة منهم وكما قال موسى حين خرج من عندهم
خايفا رب نجني من القوم الظالمين وكما سالت امرأة فرعون النجاة من فرعون وقومه حين قالت ونجني من فرعون
وعمله ونجني من القوم الظالمين ثم علمه ربه ان يسأله الانزال في منزل مبارك حيث قال وقل رب انزلني
منزلا مباركا وانت خير المنزلين ثم يحتمل سؤاله المنزل المبارك جميع الخيرات والحسنات وعمل الصالح ويحتمل
سؤاله المنزل المبارك الموضع الذي فيه السعة والخصب على ما قاله بعض اهل التاويل المبارك بالماء والشجر وغيره فان كان
هذا ففيه دلالة اباحة سؤال السعة والخصب والله اعلم وقوله ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين قال قايلون
قوله ان في ذلك لايات اي في هلاك قوم نوح واغراقهم لايات لمن بعدهم وان كنا لمبتلين بايات تفضلا منا واحسانا
سوى ذلك ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله وان كنا لمبتلين بسور الايات التي كانت وجائز في اللغة ان بمعنى ما
ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله وان كنا لمبتلين اي وقد كنا لمبتلين اي قد ابتلاهم قبل اهلاكه اياهم ولسنا نعرف
ما حقيقة هذا الكلام وما مراده والله اعلم وقال القتبي فاسلك فيها اي ادخل فيها فقال سلكت الخيط في الابرة
واسلكته وقال ابو عبيدة كذلك وقال ابو عوسجة وان كنا لمبتلين هذا من الابتلاء اي اختبار ومن البلاء مبلون
وقوله ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين قيل من بعد قوم نوح قرنا آخرين عادا وغيرهم فارسلنا فيهم رسولا
منهم قالوا هودا ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره جميع الانبياء والرسل انما بعثوا بالدعاء الى توحيد الله وجعل
العبادة له وقوله افلا تتقون مخالفته او عبادة من دونه وجميع معاصيه على ما ذكرنا من قبل وقوله وقال الملأ
من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة اي بالبعث واترفناهم في الحيوة الدنيا قال بعضهم اترفناهم بسطناهم
في الدنيا حتى ركبوا المعاصي وقال بعضهم المترف الغني الطاغي وقوله ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه
ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم الآية وقد ذكرنا فيما تقدم انهم تناقضوا في قولهم ما هذا الا بشر
مثلكم الى قوله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون لما انهم منعوا الاتباع عن ان يتبعوا الرسل ويطيعوه
لانه بشر مثلهم ثم طلبوا منهم الطاعة لهم والاتباع في امورهم وهم بشر امثالهم فذلك تناقض في القول وفساد
وقوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون قال بعضهم قوله
هيهات هيهات استبعاد لامر وانكاره اي بعيدا بعيدا اي امر لا يكون وقوله ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
ان كان هذا القول من الثنوية والدهرية فقوله نموت ونحيا بانفسهم لانهم يقولون يموت الانسان فيحيا غيره
من البقل واللحم وغيره من تراب اذا اكل وان كان هذا القول من غير الثنوية فيقول قوله نموت ونحيا اي نموت نحن
ويحيى الابناء وذكر في حرف ابن مسعود وابي نحيا ونموت وما نحن بمبعوثين وقوله ان هو الا رجل افترى على الله
كذبا وما نحن له بمؤمنين هذا قولهم وقوله قال رب انصرني بما كذبون قد ذكرناه قال عما قليل ليصبحن نادمين
اي عن قريب يندمون بالتكذيب عن هذا القول الذي قالوه والانكار الذي انكروه لا شك في ذلك وقال القتبي
واترفناهم اي وسعنا عليهم حتى اترفوا والترفة منه ومثلها التحفة كان المترف هو الذي يتحف وقال
غيره اترفناهم اي انعمنا عليهم وبسطنا لهم فكله يرجع الى واحد قال ابو عوسجة قوله هيهات هيهات
هذا تبعيد للامر اي انه امر بعيد على ما ذكرنا انه لا يكون وقوله فاخذتهم الصيحة بالحق قد ذكرنا وقوله فجعلناهم

غثاء قال بعضهم اليابس الهامد كنبات الارض اذا يبس وقال بعضهم الغثاء هو الذى يحمله السيل بالموج قال ابو معاذ غثاء احوى اى اسود وقال بعضهم غثاء اى موتى وجايز ان يكون قوله غثاء اى كالشئ المنسى الذى لا يذكر البتة لان اولئك الفراعنة والاكابر اذا هلكوا لم يذكروا البتة ولا افتخر احد من اولادهم بهم من بعد الهلاك كما افتخر اولاد الانبياء والرسل والصالحين باباءهم واجدادهم من بعدهم وصاروا مذكورين الى ابد الابدين فاما اولئك صاروا خاملى الذكر كالشئ المنسى المنسى المتروك وقوله فجعلناهم غثاء الغثاء ما ذكرنا على قول بعضهم كالرميم الهامد الذى يحمله السيل وعلى قول بعضهم كالشئ البالى المتغير وعلى قول بعض الغثاء ما ارتفع على الماء مما لا ينتفع به وكله واحد وقال القتبى غثاء اى هلكى كالغثاء وهو ما علا السيل من الزبد والقمش لانه يذهب ويتفرق قال ابو عوسجة الغثاء ما يحمل السيل من العيدان والبعر والاغثية جميع والغثاء حميل السيل ثم ذكر انفس قوم عاد وثمود وشبهها بما ذكر من الغثاء وكذلك يذكر انفس جميع اهل الشرور والفساد وذكر فى اهل الخير اعمالهم لا انفسهم لان لهم اعمال الخير والصلاح فجعل انفسهم جنة بالاعمال كقوله فجعلناهم احاديث جعل اعمالهم احاديث فيما بينهم واما اهل الكفر والشرفانه لا اعمال لهم تذكر فتذكر انفسهم بعدا وسحقا وقوله ثم انشانا من بعدهم قيل من بعد قوم عاد وهؤلاء قرونا آخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون كانه ذكر هذا لما كانوا يستعجلون العذاب الموعود والهلاك الذى وعدوا فاخبر ان لكل امة اجل لا تسبق اجلها باستعجال من يستعجل ولا يستاخرون اجلها الذى جعل لهم وقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى قال بعضهم تترى تباع واحد بعد واحد وبعض على اثر بعض كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا فى الهلاك الاول فالاول وجعلناهم احاديث لمن بعدهم ولمن بقى منهم يعنى الذين اهلكوا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى قد ذكرنا فاستكبروا وكانوا قوما عالين كقوله ان فرعون علا فى الارض وقال بعضهم متكبرين ومتجبرين قال قال ابو عوسجة هو من العلو ليس من التعالى والتعالى لا يوصف به الخلق قال القتبى تترى اى تتابع بفترة بين كل رسولين وهو من التواتر والاصل وترى فقلبت الواو تاء كما قلبوها فى التقوى والتخمة والتكلان وقال ابو عوسجة تترى بعضهم على اثر بعض وهو من المتابعة وفى قوله ثم ارسلنا رسلنا تترى دلالة ان اهل الفترة ومن كان فيما بين بعث الرسل لا عذر لهم فى شئ لابقاء الحجج والبراهين قبل ان بعث آخر وحسن آثارهم واعلامهم اعنى آثار الرسل واعلامهم لخبر انه ارسل الرسل تباعا بعضا على اثر بعض وان كان بين بعضهم فترة لما ابقى الحجج والبراهين وآثار الرسل واعلامهم والله اعلم وقوله فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون قال بعضهم نذهب نرفعهم بعد ما كنا غالبين عليهم بجعلهم غالبين علينا وكانوا لنا عابدين اى نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا كيف نصنع ذلك وذلك والله اعلم حين اتوهم بالرسالة فكذبوهما فكانوا من المهلكين صاروا من المهلكين بالتكذيب وقوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون يشبه ان يكون حرف لعل لموسى اى آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون عنده ولعل حرف رجاء وترج لكن يستعمل مرة على الايجاب والالزام ومرة على النهى كقوله لعلك باخع نفسك اى لا تبخع نفسك وقوله لعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لا تترك بعض ما يوحى اليك وذلك جايز فى اللغة يقول الرجل لآخر لعلك تفعل كذا اى لا تفعل ونحوه وحرف لعل من الله يحتمل الايجاب والالزام والنهى ومن الخلق على النهى والترجى والله اعلم وقوله وجعلنا ابن مريم وامه آية خص عيسى وامه بان جعلهما آية وجميع البشر فى معنى الآية واحد اذ خلقوا جميعا من نطفة ثم حولت النطفة علقة والعلقة مضغة الى آخر ما ينتهى اليه فيصير انسانا فالآية والاعجوبة فى خلق الانسان من النطفة ومما ذكرنا ان لم تكن اكثر واعظم لم تكن بدون خلقه بلا اب ولا زوج وما ذكر لكنه خصهما بذكر الآية فيهما لخروجهما عن الامر المعتاد فى الخلق والعادة الظاهرة فيهم ان يخلقوا من النطفة والاب والتزاوج والتناسل الذى يجرى فيما بينهم والاسباب التى جعل التوالد للخلق فلخروجهما عن الامر المعتاد والعادة الظاهرة خصهما بذكر الآية

جعلت التوالد

والاية

والا الآية والاعجوبة فى خلق البشر من النطفة وما ذكر ان لم تكن اكثر واعظم لم تكن دونه وهو ما خص بنى اسرائيل بالخطاب بالشكر لما انعم عليهم من المن والسلوى ولما انجاهم من آل فرعون لقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون وقال يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين وقد كان عليهم من النعم ما هو اعظم واكثر مما ذكر من المن والسلوى ونجاتهم من فرعون وآله لكنه خصهم بذكر المن والسلوى واستادعى منهم الشكر بذلك من بين ساير النعم لانها خرجت عن المعتاد من النعم المعروفة وهم كانوا مخصوصين بهذا من بين غيرهم فعلى ذلك عيسى وامه كانا خارجين عن الامر المعتاد مخصوصين بذلك لذلك خصهما بذكر الآية والآية ما ذكر بعض اهل التاويل انه خلق من غير اب وولدته امه من غير بعل وقال بعضهم الآية فى عيسى بان كلم الناس فى المهد صبيا ونحو من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى ومثله وقوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ذكر انه اواهما الى ربوة كما يؤوى الاب والام الولد المكان يعيش به اذ الربوة هى مكان التعيش فيه الا ترى انه ذكر ذات قرار ومعين وذات القرار هو المكان الذى يستقر فيه ويتعيش وقوله ومعين المعين هو الماء الجارى الظاهر الذى تاخذه العيون وتقع عليه الابصار وقوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال عامة اهل التاويل انما خاطب بهذا محمدا خاصة على ما يخاطب هو والمراد منه جميع امته فى ذلك ولكن جايز ان يقال خاطب به جميع الرسل لانهم جميعا مخاطبون بهذا كله من اكل الطيبات والعمل الصالح هذا الخطاب فيه وفى غيرهم اذ عمهم جميعا بهذا ثم الطيبات يحتمل ان يراد به الحلالات كانه قال كلوا حلالا غير حرام الا ترى انه قال واعملوا صالحا ولا تعملوا سيئا فعلى ذلك قوله كلوا من الطيبات اى كلوا حلالا ولا تاكلوا حراما ما خبث وفيه انهم يمتحنون كما يمتحن غيرهم بالامر والنهى ويحتمل ايضا قوله كلوا من الطيبات ما طابت به انفسكم وتلذذت فان كان على هذا فهو يخرج على الاباحة والرخصة ليس على الامر معناه لكم ان تاكلوا ما تستطيب به انفسكم ولكم ان تؤثروا غيركم به على انفسكم وان كان الامر فهو على الامر يخرج والنهى والله اعلم وقوله انى بما تعملون عليم ظاهر وهو وعيد وقوله وان هذه امتكم امة واحدة جايز ان يكون قوله وان هذه امتكم امة واحدة فى الكتب المتقدمة وعلى لسان الرسل السالفة كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس اى كنتم خير امة فى الكتب المتقدمة وفى الامم الماضية فعلى ذلك هذا وقال بعضهم قوله وان هذه امتكم امة واحدة اى دينكم دين واحد وملتكم ملة واحدة وهى الاسلام وقال بعضهم لسانكم لسان واحد وجايز ان يكون قوله امتكم واحدة لا تختلفون فى رسولكم الى يوم القيامة كما اختلفت الامم الذين من قبلكم فى رسلهم بل تجعلوا رسولكم رسولا على ما هو عليه واما ساير الامم فانهم قد فرطوا فيهم حتى كان فيهم من جعل الرسول ابنا له كقوله وقالت اليهود عزير ابن الله والنصارى كذلك واما هؤلاء فانهم لا يزالون على امر واحد والله اعلم وقوله وانا ربكم فاتقون وقال فى آية اخرى فاعبدون جايز ان يكونا واحدا وجايز ان يكون قوله فاتقون اى خافون وفاعبدون اى اعبدونى واطيعونى وقوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا قال بعضهم فقطعوا امرهم وتقطعوا واحد وهما لغتان تفرقوا وقرئ زبرا برفع الباء وزبرا بنصب الباء قال ابو معاذ من قرا بالنصب زبرا فمعناه قطعا كقوله آتونى زبر الحديد وزبرا بالرفع اى كتبا كقوله تجعلونه قراطيس وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ونحوه وقال فى حرف ابن مسعود وابى وقطعوا الزبور بينهم قال ابو معاذ قطعوا وتقطعوا لغتان كقيلك علقت الشئ وتعلقته وحولت وتحولت ووليت وتوليت ونحو كثير كل حزب بما لديهم فرحون راضون او مسرورون بما لديهم من الدين او ما ذكرنا فذرهم فى غمرتهم حتى حين وقال فى آية اخرى فذرهم يخوضوا ويلعبوا وقال ونذرهم فى طغيانهم يعمهون فذلك يحتمل وجوها احدها قال ذلك عند الاياس عن اجابتهم لما علم انهم لا يؤمنون وذلك فى قوم مخصوصين كانه قال ذر هؤلاء واقبل نحو هؤلاء الذين يقبلون امرك ويجيبون دعاءك ويسمعونه والثانى فذرهم فى غمرتهم ولا تكافئهم حتى نكافيهم كقوله فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون والثالث امر انيذرهم

وآتيناهما

الربوة المكان المرتفع

ويعرض عنهم لئلا يخوضوا في السب لله والطعن في آياته كقوله واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا الآية

وقوله حتى حين يحتمل القيامة ويحتمل وقتا آخر لم يبين والله اعلم قال ابو عوسجة قوله الى ربوة المكان

المرتفع وآويناه اى آذيناه وقال القتيبي الربوة الارتفاع وكل شى ارتفع او زاد فقد ربا ومنه الربوا في البيع

قال ابو معاذ للعرب في الربوة اربع لغات رُبوة ورَبوة ورِبوة ورَباوة وقوله ذات قرار ومعين قال ابو عوسجة

المعين الماء الظاهر الجاري والقرار الثبات وتقول منه قرّ يقرّ قرارا فهو قارّ واقررته اى اثبته

وكذلك قال القتيبي وقال معين ماء ظاهر وهو مفعول من العين كان اصله معيون كما يقال ثوب مخيط

ومبيع مكيل وقوله في غمرتهم قيل في ضلالتهم وغفلتهم وقال الغمر الماء الكثير وغمرة الحرب وسطها

وغمرة الموت شدتها رجل غمر اى سخى ليس له جمع وجمعه غمار ويقال غمر الماء اى صار فوقه قال والغمر

العداوة والغمر الذى لم يجرب الامور وقوم اغمار والغمر الدسم والغمرة الشدة والغمرات جميع والغمر

القدح الصغير والمغامرة المخاطرة تقول غامر بنفسه اى خاطر بها وقوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين

نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون حسبا ولئك الكفرة ان ما امد لهم من الاموال والبنين ما اعطى لهم لما علم

خيرا لهم وبرا لا شرا فاخبر عز وجل وكذبهم في حسبانهم الذى حسبوا فقال بل لا يشعرون انه انما اعطى لهم

ذلك شرا وانما فعل ما حسبا ولئك الكفرة فيما اعطوا من الاموال والبنين انما اعطوا خيرا حسب المعتزلة في قولهم

ان الله تعالى لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو اصلح له في الدين فاخبر ان ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا اصلح لهم

وهو ما ذكر في قوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما وهم يقولون انما يملى لهم ليزدادوا خيرا وبرا وكذلك قالوا في قوله

قال القتيبي الغمر الماء

فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها وهم يقولون لا بل انما اراد ليرحمهم بها فيقال لهم انتم

اعلم ام الله كما قال لاولئك الكفرة حيث قال انتم اعلم ام الله الا ان يكابروا في قوله بل لا يشعرون لما انهم قالوا

ذلك على الظن والحسبان لا على العلم حيث قال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين فقال بل لا يشعرون

حيث قالوا ذلك ظنا وحسبانا وانما الواجب عليهم ان يعلموا ذلك علم احاطة ويقين فجواب هذا ان يقال ان عندهم

ان ذلك انما اعطى لهم واملى لهم خيرا وبرا لهم فكانوا على يقين من ذلك واحاطة عند انفسهم وانما ذلك الظن

والحسبان لهم مما عند الله والا كانوا على حقيقة العلم عند انفسهم انه انما اعطاهم ذلك وامد لهم خيرا فاكذبهم الله

في ذلك ورد عليهم قولهم انه انما اعطاهم ذلك لما ذكروا بل اخبر انه انما اعطاهم لضد ذلك وقوله ان الذين هم

من خشية ربهم مشفقون جايز ان يكون هذا موصولا بقوله نسارع لهم في الخيرات على التقديم والتاخير فكانه

قال انما نسارع لهم في الخيرات للذين هم من خشية ربهم مشفقون الى آخر ما ذكر لا ولئك الكفرة جايز ان يكون

على الابتداء وصف الذين آمنوا ونعتهم فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اى من عذاب ربهم خايفون

وقوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون الايمان بالآيات يكون ايمانا بالله حقيقة لان الآيات هي الاعلام

التى تدل على وحدانية الله وربوبيته والايمان هو التصديق فاذا صدق آياته وهي اعلام واخبار تخبر

عن وحدانية الله فاذا صدقها صدق الله وآمن به لذلك قلنا الايمان بآياته يكون ايمانا بالله وقوله والذين هم

بربهم لا يشركون اى لا يشركون غيره في عبادتهم وقوله والذين يؤتون ما آتوا وفي بعض القراءات

والذين ياتون ما اتوا مقصورة وهي قراءة عايشة فمن قرا ياتون ما اتوا تاويله اى الذين يعملون من عمل

وجلت له قلوبهم ان يتقبل منهم ام لا ومن قرا يؤتون ومن يؤتون ما آتوا فهو من الاعطا والانفاق يقول

والذين يعطون وينفقون ما انفقوا وقلوبهم وجلة ان ذلك يقبل منهم ام لا وفيه دلالة ان المطيع فيما يطيع

ربه يكون على خوف منه كالمسى في اساءته وكذلك روى عن عايشة انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن هذه الآية قالت اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ويزنون فقال لا ولكنهم الذين يصومون ويصلون

ويتصدقون وهم يخافون ان لا يقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات وجايز ان يكون قوله وقلوبهم وجلة

والقراة المعروفة من الايتا وهو الاعطا والانفاق صح

لا على ذلك

لا على ذلك ولكن على ما يذكر اى قلوبهم وجلة انهم يرجعون الى ربهم على السعادة ام على الشقاوة والله اعلم

وقوله اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون اخبر ان الذين نعتهم ووصفهم هم الذين يسارعون

في الخيرات لا اولئك الكفرة الذين تقدم ذكرهم وقوله وهم لها سابقون يحتمل اى سبقوا الى الخيرات

او سبقوا اولئك الكفرة والله اعلم وقوله ولا نكلف نفسا الا وسعها جايز ان يكون ذكر هذا وقاله لما عمل

اولئك الكفرة من الاعمال التى لا تسع ولا تحل فقالوا الله امرهم بذلك بقولهم والله امرنا بها فقال ولا نكلف

نفسا الا وسعها اى الا ما يسعها ويحل كقوله تعالى ان الله لا يامر بالفحشاء ردا لقولهم وتكذيبا ويحتمل وجها آخر

كما اخبر عز وجل عليهم يقولون والله امرنا بها

وهو ان يقول لا نكلف نفسا من الاعمال الا وسعها اى طاقتها وذلك يحتمل وجهين احدهما اى لا نكلف

احدا من العمل ما يتلف طاقته ووسعه فيه لا يكلف الغنى من الاعطاء ما يتلف به غناه وكذلك لا يكلف

كل حى من العمل ما يتلف به طاقته وحيوته ولكنه انما امر وكلفه بامور يحتمل طاقتهم ذلك العمل والامر فان كان

كذلك فذلك انه لم يرد به طاقة العمل وقدرته ولكن طاقة الاحوال التى يجوز تقدمها عن الاحوال والثانى

على الاحوال

ذلك هذا لئلا يقولوا انا لم نطق ما كلفتنا لانهم تركوا الاعمال التى امروا بها وكلفوا باعمال مثلها التى

تركوها وهى المعاصى التى عملوها فما امروا من الاعمال ليس يفوق التى عملوها ولكن مثلها فلا يكون لهم في ذلك

احتجاج وقوله ولدينا كتاب ينطق بالحق قال قايلون هو الكتاب الذى يكتب فيه اعمالهم وافعالهم

من الخيرات والسيئات وذلك كله محفوظ محصى عليهم كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

فان كان هذا فيكون قوله بالحق اى بالصدق وقال قايلون هو الكتاب الذى نزل الينا وهو هذا القرآن

ينطق عليكم بالحق اى بالحق الذى لله علينا وبالحق الذى يكون لبعض على بعض وهو كقوله هذا كتابنا ينطق

عليكم بالحق وهو ما ذكرنا من الحق الذى له علينا ومن الحق الذى لبعضنا على بعض وجايز ان يكون هو اللوح المحفوظ

فان كان هذا ففيه ان الله لم يزل عالما بما كان ويكون في الاوقات التى يكون ابدا لا بدين وهم لا يظلمون

فان كان على الكتاب الذى يكتب فيه اعمالهم فيكون قوله وهم لا يظلمون اى لا ينقص من اعمالهم التى عملوا

من الخيرات ولا يزاد فيه على سيئاتهم بل يحفظ ما عملوا وان يكون لا يظلمون اى لا يزاد على الجزاء على قدر اعمالهم

ولا ينقص من قدرها بل يجزون على قدر اعمالهم والله اعلم وقوله بل قلوبهم في غمرة من هذا قيل في عماية

وجهالة وغفلة من هذا قال قايلون قوله من هذا من الكتاب الذى كتب فيه اعمالهم واحصى عليهم وقال قايلون

قوله بل في قلوبهم في غمرة من هذا اى من هذا القرآن الذى ينطق بالحق اى قلوبهم في عماية وغفلة من هذا

القرآن وجايز ان يكون قوله من هذا من الاعمال التى ذكر للمؤمنين فيما تقدم من ذلك قوله ان الذين هم

من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون الى آخر ما ذكر من اعمالهم فاخبر ان قلوب

اولئك الكفرة في غفلة وعماية من الاعمال التى عملها المؤمنون والله اعلم وقوله ولهم اعمال من دون ذلك

هم لها عاملون اختلف فيه قال بعضهم ولهم اعمال من دون ذلك اى من دون ما عملوا ولئك الكفرة من الاعمال التى

تقدم ذكرها من قوله فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات

بل لا يشعرون على ما ذكر ثم اخبر ان لهم اعمالا من دون ما ذكر وقال قايلون ولهم اعمال يعنى المؤمنين الذين

ذكر اعمالهم اى لهم اعمال دون الذى ذكر لهم دون تلك الاعمال وقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب

اذا هم يجارون قال اهل التاويل ذلك في العذاب الذى اخذ اهل مكة في الدنيا من الجوع سنين حتى

اكلوا الجيف والعظام المحرقة ونحوه لكن الاشبه ان يكون ذلك في عذاب الآخرة الا ترى انه يقول اذا هم يجارون

اى يتضرعون ويقول ايضا قد كانت آياتى تتلى عليكم على اعقابكم تنكصون فانما يخبر ان كنتم تفعلون

كذا في الدنيا ويذكر اذا هم يجارون فلا يحتمل ان يتضرعوا اليه في الدنيا ثم لا يقبل منهم ذلك التضرع

او ينهاهم عن التضرع بقوله لا تجاروا اليوم فدل ذلك انه في الآخرة وهو ما ذكر فلما راوا باسنا الآية

مثل هذا يكون في الآخرة وفي الدنيا ما ذكر ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
ذكر في هذا الدنيا انهم لم يتضرعوا في الدنيا عند نزول العذاب بهم ثم لا يقبل منهم التضرع والاستكانة دل ذلك
انه ما ذكرنا الا ترى انه قال لا تجأروا اليوم نهاهم عن التضرع ولا يحتمل النهي عن ذلك وقوله انكم منا لا تنصرون
اي لا تمنعون من عذابه وقوله قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون قوله على اعقابكم ترجعون
على التمثيل ليس على التحقيق لانهم اذا رجعوا على الاعقاب صار ما كان امامهم وراءهم فكانهم نبذوا ذلك وراء ظهورهم
او ان يكون المتقلب على الاعقاب كالمكب على الوجه والمكب على وجهه مذموم عند جميع من رآه وعاينه لهذا شبهه
وبه ضرب مثله والله اعلم وقوله مستكبرين به قال عامة اهل التأويل قوله به اي بالبيت ووجه هذا انهم
لما رأوا انفسهم آمنين بمقامهم عند البيت وفي حرم الله واهل سائر البقاع في خوف ظنوا ان ذلك لهم لفضل
كرامتهم ومنزلتهم عند الله فحملهم ذلك على الاستكبار على رسول الله ومن تابعه وقال بعضهم مستكبرين به اي بالقرآن
وتأويله اي استكبروا على الله ورسوله لما نزل القرآن واضافة الاستكبار الى القرآن لانهم بنزوله تكبروا على الله
فاضاف استكبارهم اليه لانه كان سبب تكبرهم وهو كقوله واذا ما انزلت سورة فزادتهم رجسا الى رجسهم الآية اضاف
زيادة رجسهم الى السورة لما بها ازداد رجسهم وكانت سبب رجسهم وان كانت لا تزيد رجسا في الحقيقة وقوله
سامرا تهجرون قال الزجاج السمر هو ظل القمر فيه كانوا يهجرون والسمر هو حديث بالليل وقوله تهجرون
وقال قائلون تهذون وقال بعضهم تهجرون القرآن اي كانوا لا يعملون به ولا يعبأون فهو الهجر وهو لغة اخرى تهجرون
وتفجرون وهو كلام الفحش والفساد وقوله افلم يدبروا القول قيل اي في القرآن يحتمل قوله افلم يدبروا الآن لا يردوا
ذلك القول الذي يقولون في الآخرة في الدنيا وهو قولهم او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل وما ذكر من تضرعهم
في الآخرة وهو قوله اذا هم يجأرون وجائز ان يكون قوله افلم يدبروا القول اي قد تدبروا القول لكنهم
تعاندوا وكابروا واستكبروا ولم يخضعوا له انفا واستكبارا الا ترى انه اذا قرع اسماعهم قوله فأتوا بسورة
من مثله وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الآية لا يحتمل ان لا يدبروا
فيه دل انهم قد تدبروا فيه وعرفوه الا انهم تعاندوا وكابروا واستكبروا انفا منهم واستكبارا واستنكافا عن اتباعه
والخضوع له قال ابو عوسجة اذا هم يجأرون اي يستغيثون قال واصله من الصياح وقال بعضهم يجأرون يضجون
وقيل يصيحون وقوله سامرا تهجرون ما ذكرنا من الحديث بالليل تهجرون اي تهذون كما يهذي النائم والمريض الشديد
المرض قال واهجر يهجر من الهجر وهو الفحش وهجر يهجر اذا سار في الهاجرة وهي شدة الحر وقوله تنكصون قال بعضهم
ترجعون وقال بعضهم تستأخرون كقوله نكص على عقبيه ترجعون وتستأخرون واحد وقوله افلم يدبروا القول
قد ذكرنا انه يخرج على وجهين احدهما على ترك التدبر فيه والتفكر والاعراض عنه اي لم يدبروا فيه ولم يتفكروا
والثاني على ايجاب حقيقة التدبير فيه والتفكر اي قد تدبروا فيه وعرفوا انه منزل من الله لكنهم تركوا اتباعه
عنادا وتمردا اشفاقا على ذهاب رياستهم وطمعا على بقائها ودوام ما كلتهم فاي الوجهين كان ففيه لزوم
حجج الله وبراهينه على من جهلها ولم يعرفها بالاعراض عنها وترك التدبر فيها حيث استوجبوا عذاب الله ومقته
لجهلهم بها بترك التدبر فيها بعدما كان لهم سبيل الوصول الى معرفتها وظاهر قوله افلم يدبروا استفهام لا انه
في الحقيقة ايجاب لما لا يجوز ان يستفهم الله احدا فهو على الايجاب لانه علام الغيوب وقوله ام جاءهم ما لم يأت
آباءهم الاولين اي قد جاءهم ما جاء آباءهم الاولين من الرسول لم يأت هؤلاء شيء الا ما اتى اباءهم لم يخصوا هم
بالرسول فكيف انكروه الا ترى انهم قالوا لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم قد اقروا ان في الامم المتقدمة
رسولا حيث قالوا ليكونن اهدى من احدى الامم وعلى ذلك يخرج قوله ام لم يعرفوا رسولهم اي قد عرفوا رسولهم
لكنهم انكروه وتركوا اتباعه لما ذكرنا في القرآن من احد الوجهين عنادا وتكبرا اشفاقا على رياستهم لكي تبقى الا ترى
انه قال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الآية وعلى هذا ام يقولون به جنة اي قد عرفوا انه ليس به جنة وجائز ان يكون قوله

ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين اي قد جاء هؤلاء ما لم يأت آباءهم وخص هؤلاء بما لم يخص آباءهم وكذلك قال
ابن عباس لعمري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين وجائز ان يكون قوله افلم يدبروا القول الى آخر ما ذكر
من قوله ام يقولون به جنة لانه يخرج على الامر بالتدبر فيه ومعرفة الرسول انه ليس كما يصفونه من الجنون وغيره
كقوله اولم يتفكروا اي تفكروا فيه فانه ليس به جنة على ما يصفونه او على ما ذكرنا انهم تفكروا وعرفوا انه ليس بمجنون
ولا شيء مما وصفوا به لكنهم ارادوا ان يلبسوا امره على اتباعهم وسفلتهم اشفاقا على بقاء ما ذكرنا وقال بعضهم قوله
ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين من البراءة من العذاب وقوله بل جاءهم بالحق بالرسالة والقرآن من عند الله
وجعل العبادة له من دون الاصنام التي عبدوها ولكن اكثرهم للحق كارهون كرهوا الحق لما ظنوا ان في اتباعه ذهاب
الرياسة والاسباب التي كانت لهم على اتباعهم بعد معرفتهم انه حق او كرهوا لما لم يعرفوا في الحقيقة انه حق
والا لا احد ممن يوصف بصحة العقل وسلامته يكره الحق ويترك اتباعه الا للوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم
وقوله ولو اتبع الحق اهواءهم قال عامة اهل التأويل الحق ههنا هو الله اي لو اتبع الله اهواءهم في كفرهم
وشركهم لفسدت السماوات والارض ومن فيهن وتأويل هذا ان الكفر والشرك مما لا عاقبة له وكل شيء لا عاقبة له
فهو في الحكمة والعقل فاسد باطل غير مستحسن وقال بعضهم الحق ههنا كتاب الله وهو القرآن اي لو جاء
القرآن على ما يهوون هم لفسد ما ذكر لانه يكون خارجا من الحكمة وجائز ان يوصل قوله ولو اتبع الحق الذي سبق ذكره
وهو قوله بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون اي ذلك الحق ان كان رسالة او قرآنا او كل خير لان الحق
هو اسم كل خير واسم كل مستحسن وممدوح في العقل والحكمة لو اتبع ذلك الحق وعلى ما هوت به انفسهم
واشتهت من عبادة غير الله وتسميتهم اياها آلهة وانكارهم البعث والتوحيد وغير ذلك من الافعال التي
كانوا اختاروها وعلوها لفسدت السموات والارض وما ذكر لانه يكون خلقهم وخلق ما ذكر من السموات والارض
وما فيهن لما لا توجبه الحكمة واذ خلقهم وخلق ما ذكر لافعالهم التي يفعلون فاذ خرج افعالهم على غير ما توجبه الحكمة
والعقل بل على السفه والجهل خرج الذي لها خلق ومن اجلها الشيء كذلك اذ خلق الشيء وفعله لا لعاقبة
تقصد خارج عن الحكمة والله اعلم بذلك وجائز ان يكون الحق هو رسول الله اي رسول الله لو اتبع اهواءهم
لفسد ما ذكر وقوله بل اتيناهم بذكرهم قال اهل التأويل بشرفهم وذكرهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك
فهم عن ذكرهم معرضون اي عن شرفهم معرضون وجائز ان يكون الذكر هو الحق الذي تقدم ذكره اي لو قبلوا
ذلك الحق الذي واقبلوا نحوه يكون في ذلك ذكرهم من بعد هلاكهم كما يذكر اصحاب رسول الله من بعد
مماتهم الا ترى ان اولادهم يذكرون آباءهم يتعيشون يقولون انا من بني فلان فيبرهم الناس بذلك ويكرمونهم
واما اولئك فانهم لا يذكرون بشيء من ذلك فذلك يدل على ما ذكرنا ويحتمل قوله بل اتيناهم بذكرهم الثناء
عليهم ان لو آمنوا كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس الآية وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله والسابقون
الاولون الآية ونحو ذلك مما اثنى الله على من آمن منهم لو آمنوا استوجبوا بذلك الثناء وجائز ان يكون قوله
بل اتيناهم بذكرهم اي يدعى لهم وهو ما ادعى الملائكة والرسل للمؤمنين كقوله ويستغفرون للذين آمنوا
الآية وقوله واستغفر لذنبك وقول نوح رب اغفر لي ولوالدي الآية وقول ابراهيم ودعاءه لهم لو آمنوا
استوجبوا دعاء هؤلاء الملائكة والرسل جميعا او ان يكون ما ذكرنا من بقاء ذكرهم الى يوم القيامة
كما بقي ذكر اولئك الذين آمنوا به وصدقوه فيكون في ذلك كله شرفهم وقدرهم على ما قال اهل التأويل والله اعلم
وقوله ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير جائز ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله ام جاءهم ما لم يأت
آباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم اي قد عرفوا رسولهم ام يقولون به جنة اي ليس به جنة اي ليس به شيء
يمنعهم عن الاجابة له والايمان به بما يعذرونهم في ترك الايمان به فعلى ذلك قوله ام تسألهم خرجا اي لم تسألهم
اجرا على ما تدعوهم اليه حتى يمنعهم ثقل ذلك الاجر عن اجابته وتصديقه كقوله ايضا ام تسألهم اجرا

ثم من بعد هم متقلون يقطع مما ذكر جميع اعذارهم وحججهم وانه لم يكن لهم عذر ولا حجة في ترك الاجابة له
وقال بعضهم الخراج الرزق اي لا تسالهم رزقا ثم لحسبرا نا جر ربك خير وهو خير الرازقين وقوله وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم المستقيم القايم بالآيات والحجج ليس كالسبل التي يسلكون هم بلا آيات ولا حجج ولا برهان
وقوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون هذا يحتمل وجهين احدهما ان انكارهم البعث
والآخرة هو الذي حملهم على العدول عن الصراط المستقيم والثاني ان الصراط الذي في الدنيا هو المجعول
للآخرة فاذا تركوا سلوكه لشهوات منعتهم عن ذلك انكروا الآخرة او كلام نحو هذا وقوله لناكبون اي لعادلون
من العدول عنه والمجانبة والميل الى غيره وقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون
ذكر الضر ولم يذكر اي شي كان وليس لنا ان نقول كان الجوع او كذا الا بثبت وفيه وجهان من المعتبر احدهما ان رفع المحن
التي امتحنهم من البلايا والشدايد انما يكون برحمة منه وفضل لا على ما قاله بعض الناس بالاستحقاق حيث
رحمته بكشف ذلك عنهم والثاني فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه وان كشف
ذلك الضر عنهم للجوا في طغيانهم فكشف عنهم ذلك فلجوا في طغيانهم على ما اخبر فدل انه بالله عرف ذلك والله اعلم
وقوله ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون يخبر عن سفههم وجهلهم بالله وقسوة
قلوبهم وتمردهم وعنادهم حيث اخبر انهم وان اخذوا بالعذاب لم يتضرعوا اليه وما استكانوا له لجهلهم بعذاب الله
حيث اخبر انهم وان اخذ واحق اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون اختلف في قوله
مبلسون قال بعضهم المبلس الآيس من كل خير وهو ما وصفهم انهم ليؤس كفور وفيؤس قنوط ونحوه وقال الزجاج
المبلس الساكت المتحير لا يدري ما يعمل به فعلى ذلك هم كانوا حيارى لما نزل بهم العذاب لا يدرون ما يعملون به
في دفع ذلك عنهم وقال الكسائي المبلس المنقطع الحجة النطق قال ومنه سمي ابليس لانه ايس من رحمة الله وانقطع
رجاؤه عنه وقال ابو عوسجة المبلس اليائس الحزين ويقال ابلس الرجل اي يئس وحزن وابلس غيره ايضا
وانما سمي ابليس ابليس لانه يئس عن رحمة الله وحزن قال وقوله فما استكانوا لربهم اي لم يذلوا لربهم بالطاعة له
والخضوع لما ذكرنا وقوله وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون يذكرهم نعمه التي
انعمها عليهم ليتادى بذلك الشكر له عليها لكنه ذكر امهات النعم لم يذكر غيرها وهو السمع والبصر والفؤاد الذي ذكر
اذ بها يوصل الى معرفة كل ضار ونافع وكل طيب وخبيث وكل لين وخشن وكل سهل وشديد وكل حلو ومر وكان
الانسان مطبوعا على حب النافع والطيب واللين والسهل واختيار ما على اضداد والهرب من كل ضار ومؤذ
والفرار عن اضداد ما ذكرنا من المختارات عنده فاخبر انه اعطاهم ما يعرفون به النافع من الضار والطيب
من الخبيث ونحو مشاهدة وخبرا وما به يميزون ذا من ذا ويختارون ما هو المختار عندهم من غيره وما ينفعهم
مما يضرهم ليستادي بذلك شكره ويذكرهم في قوله وهو الذي ذراكم في الارض اي جعلكم سكان الارض بقدرته
وسلطانه واخبر انه لم يخلقكم عبثا ولكن للبعث بعد الموت والحشر اليه لما ذكرنا في غير موضع ان خلق الخلق للفنا
خاصة لا للبعث والاحياء بعد الموت عبث ولعب ولخبر عن قدرته وسلطانه حيث قال وهو الذي يحيي
ويميت وله اختلاف الليل والنهار ان من قدر وسلك على احياء الموتى واماتة الحي لقادر على البعث ومن ملك
على انشاء الليل بعد ما ذهب اثر النهار وانشاء النهار بعد ما ذهب اثر الليل لقادر على الاحياء والبعث بعد الموت
ثم قال افلا تعقلون اي افلا تعقلون انه كذلك فكيف تنكرون قدرته على البعث والاحياء بعد ما صرتم رمادا
وترابا وكيف تشركون غيره في عبادتكم اياه وتصرفون الى غيره فيما انعم عليكم ثم اهل التاويل صرفوا قوله وهو الذي
انشا لكم السمع والابصار والافئدة الى الكفار وهم يكفرون بنعمه ذكروا منها ولم يشكرون راسا
بقوله قليلا ما تشكرون الا ان يقال انهم في بعض الاحايين ربما يشكرون الله ويتضرعون اليه نحو قوله فاذا ركبوا
في الفلك الآية ونحوه من الآيات التي ذكر فيها دعاهم وتضرعهم الى الله عند ما اصابهم الضر فذلك منهم شكر

المعتزلة

وان يقال ان قوله قليلا ما تشكرون اي ما تشكرون راسا كقول الرجل لآخر قليلا ما تفعل كذا اي لا تفعل اصلا
فعلى ذلك هذا ان كان المراد منها والخطاب بها اولئك الكفرة والا فالخطاب بها يجب ان يكون راجعا الى المؤمنين
اذ هم الذين يقومون ببعض الشكر لنعمه وقليله واما الكفرة فهم يكفرونها وينكرون راسا وقوله وقوله بل قالوا
مثل ما قال الاولون قالوا اءذا متنا وكنا ترابا يخبر جل وعلا رسوله سفه قومه وقولهم الذي قالوا له
بعد ما بين لهم حكمته في خلقهم وانشاءه اياهم وذكرهم نعمه التي انعم عليهم وذكر قدرته وسلطانه فيما ذكر
من قوله وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة وقوله وهو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون
وقوله وهو الذي يحيي ويميت ذكرهم ما ذكر في هؤلاء الآيات من حكمته في خلقهم وقدرته في انشاءه اياهم
ومن نعمه ذلك حتى عرفوا ذلك كله ثم بين سفههم في جوابهم رسوله فقال بل قالوا مثل ما قال الاولون يخبر
رسوله ان هؤلاء ليسوا باول مكذبي الرسل ولكن كان لهم شركاء واصحاب في التكذيب قلد هؤلاء اولئك
الاولين يصبر رسوله على سفه هؤلاء واذاهم ليصبر على ذلك كما صبر اخوانه الذين كانوا من قبل اذ يذكر
هذا ليسلي بعض ما تداخل فيه بتركهم اجابته وخوضهم فيما فيه هلاكهم لانه كان صلى الله عليه وسلم
كاد ان يهلك نفسه لذلك حتى قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لعلك باخع نفسك فبين ما قالوا
اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير
الاولين اي احاديث الاولين ثم امر رسوله ان يسالهم ما يلزمهم الاقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال
قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فقالوا لله لم يجحد وا ابدا من ان يقولوا لله ويقروا به لانهم لو انكروا ذلك
جهلهم ويظهر جهلهم عند كل الخلايق فقالوا لله فيقول فاذا عرفتم ان ذلك كله له وهو خالقهم فكيف تركتم
طاعته وانا لست ادعوكم الا الى ذلك ان تجعلوا الارض وما فيها كله لله افلا تعقلون ويعرفون بما ادعوكم
اليه وعلى ذلك قوله من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله لا بد لهم من ان يقروا بذلك
فاذا عرفتم بذلك واقررتم به افلا تتقون مخالفته وتتقون نقمته وكذلك ما قال قل من بيده ملكوت كل شي
فاذا عرفتم ذلك واقررتم به فانى تسحرون قيل فانى تصرفون عن ذلك وقال بعضهم فانى تخدعون وتغرون
في ذلك اذا عرفتم ذلك انه كله لله وجايز ان يكون قوله فانى تسحرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون
انه ساحر وانه كذاب وهو ليس يدعوكم الا الى ما اقررتم واعترفتم به فانى تنسبونه الى السحر والله اعلم وقوله
ملكوت كل شي قد ذكرنا فيما تقدم وقوله وهو يجير ولا يجار عليه اي هو يؤمن كل خايف ولا يقدر احد
ان يؤمن من اخافه هو وهو كقوله وان يمسسك الله بضر الآية قال ابو عوسجة قوله وهو يجير ولا يجار
اي لا يمنع ولا يجار عليه اي لا يقدر ان يمنع منه احدا فانى تسحرون اي تغرون وتخدعون تقول سحرت اي خدعت
وغررت وقال تسحرون اي تخدعون وتصرفون عن هذا وسمي السحر من هذا وقوله بل اتيناهم بالحق
الحق قد ذكرنا انه يحتمل وجوها احدها بالحق اي بوحدانية الله والوهيته وتعاليه عن الشركاء والولد
وعما وصفوه او ان يكون قوله بالحق اي بالقرآن الذي عرفوا انه حق وانه من عند الله او انه يريد بالحق
محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا انه حق وانه رسول الله اليهم او ان يكون الحق ما ذكر من ذكرهم وما فيه شرفهم
ومنزلتهم او بالحق الذي يكون لله عليهم وما بعضهم على بعض من الحقوق والله اعلم وقوله وانهم لكاذبون
في وصفهم ربهم بما وصفوه بما لا يليق ومنعه به او كاذبون بان القرآن مفترى ومختلق من عند غير الله وكاذبون
في قولهم بانه ساحر ومجنون وانه ليس برسول كذبوا في جميع ما انكروا والله اعلم وقوله ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق جايز ان يكون قوله كل حرف من هذه الحروف موصولا
بعضه ببعض لما تقدم وجايز ان يكون كل حرف من هذه الاحرف منفصلا من الاول مستبدا بنا نفسه فان كان
على الاول فيكون قوله ما اتخذ الله من ولد ولو كان اتخذ ولدا لكان الها اذ الولد يكون من جنس الوالد

ومن جوهره لا يكون من خلاف جوهره ولا من غير جنسه في المتعارف فإذ كان إلهاً من الوجه الذي
ذكرنا لذهب إذاً كل إله بما خلق وإن كان منفصلاً فهو على ما ذكر من فساد ذلك كله لأنه قال ولو كان اله
على ما زعموا إذاً لذهب كل إله بما خلق من الخير والشر ولا دلالة على الوهيته ولعلا بعضهم على بعض
أي قهر وغلب بعضهم بعضاً على ما يكون من عادة ملوك الأرض فإذ كان ما قالوا ذهب دلالة الالوهية والربوبية
فإذ لم يكن ذلك دل أنه واحد لا شريك معه ولا ولد إذ اتساق التدبير وجري الأشياء على حد واحد وسنن
واحد دال على الوهيته واحد لا العدد إذ لو كان العدد لكان ما ذكر من غلبة بعض وقهر بعض لبعض ثم ما ذكر
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ثم معلوم أن مثل هذا الاحتجاج لا يكون مع الذين ينكرون الوهية الله
ويعبدون الأصنام وهم مشركو العرب وكفار مكة ولكن إنما يكون مع الذين يقرون بالالوهية لله لكن يجعلون
معه شريكاً لحاجة تقع له وهم الثنوية والدهرية والمجوس وأولئك الذين يجعلون خالق الشر غير خالق
الخير وخالق هذا غير خالق هذا فيكون قوله سبحان الله عما يصفون على هذا أي يتعالى عما وصفوه بالحاجة له
في خلق ما خلق والنفع له في ذلك وكذلك قوله سبحانه وتعالى عما يشركون وأما على ظاهر ما تقدم ذكره من اتخاذ
الولد والشريك سبحان الله عما يصفونه من الولد والشريك وما قالوا فيه ونسبوا إليه مما لا يليق به وإن يكون
قوله سبحان الله عما يصفون كما يوصف المخلوق المحدوث لأنهم وصفوه بالولد والولد في متعارف الخلق لا يكون
إلا من الوالد والأم هذا التوالد المعروف فيما بين الخلق فإذ وصفوه باتخاذ الولد شبهوه بالمخلوق المحدث
من الوجه الذي ذكرنا فنزه نفسه عن ذلك وقوله قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم
الظالمين وقوله إما تريني ما يوعدون يحتمل وجهين أحدهما رب إما تريني ما يوعدون فلا تجعلني في القوم
الظالمين لأنه كان وعد له أن يريه بعض ما وعدهم بقوله فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فلا يريك
شيئاً فقال رب إذ أريتني ما يوعدون أو لا تريني فلا تجعلني في القوم الظالمين والثاني أنك وإن أريتني
ما تعدهم على التحقيق فلا تجعلني في القوم الظالمين ثم يحتمل قوله فلا تجعلني في القوم الظالمين وجهين
أحدهما لا تجعلني في القوم الظالمين في العذاب الذي وعدت لهم أن ينزل لأنه من العدل أن يعذبه ويعامله
معاملة أهل العدل كأنه يقول رب لا تعاملني معاملتك إياهم وإن كان ذلك من العدل أن تعاملني
مثل ما تعامل أولئك لأن رسل الله وإن لم يكن زلات ظاهرة فلقد كان من الله إليه من النعم والإحسان ما لو أخذ
يشكر ذلك لم يقدر على أداء شكر واحدة منها فضلاً عن أن يؤدي شكر الكل ألا ترى أنه روي عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله فقيل ولا أنت يا رسول الله فقال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته
ويحتمل قوله فلا تجعلني في القوم الظالمين في الزيغ والغواية يسأل ربه أن يعصمه عن الزيغ بالضلال والغواية
الذي عليه القوم الظالمون وهو كدعاء إبراهيم ربه وسؤاله العصمة عن الزيغ يقول رب اجعل هذا البلد آمناً
واجنبني وبني أن نعبد الأصنام وإن كان وعد لهم العصمة عن ذلك والله أعلم وقوله وإنا على أن نريك
ما نعدهم لقادرون هذا أيضاً يحتمل وجهين أحدهما يخبر رسوله أنه ليس لعجز يؤخر ما وعد لهم
من العذاب ولكن بحلم منه وعفو وهو كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم
ليوم على التنبيه والإيقاظ فعلى ذلك يحتمل هذا والثاني يعزي رسوله ويصبره على أذاهم إياه يقول إنا نعم قدرنا
على إنزال العذاب عليهم والانتقام منهم أحلم منهم وأعفو عنهم فاستمع ضعفك على ذلك وإن تصبر على أذاهم
وعلى هذا يخرج قوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة أي لا تكافئهم لأذاهم إياك ولا تشتغل بمجازات ذلك
ولكن ادفع ذلك بأحسن ذلك وكلهم كافاتهم المحتج انا اكافيهم ونحن أعلم بما يصفون من الكذب والأذى الذي
يؤذونك والثاني ادفع بالتي هي أحسن السيئة أي ادفع سيئاتهم المتقدمة بإحسان يكون منك إليهم ليكونوا لك أولياء
واخواناً في حادثات الأوقات وهو كقوله ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم

وقوله وقل رب

علم رسوله

الرجيم من همزه نسخ

همزاته ونزغاته واحد

وإن كان المخاطب به واحداً صح

ولم أؤد منه حقك صح

وقوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وقال في آية أخرى وإما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وأمر أن يتعوذ به من الشيطان الرجيم اللعين إذا نزغه ونزغه وسوسته
وأمر أيضاً أن يتعوذ من همزه أيضاً وهو همته وقصده بذلك وأمره أن يتعوذ أن يحضروه مكان الوسوسة حتى يدفع
عنهم ولا يحضرون ذلك المكان وكان التعوذ عن نزغهم ليدفع عنه لئلا يؤثروا في نفسه بعد ما حضروه
ووسوسوه والتعوذ عن همزهم هو أن يدفع عنهم طعنهم ونخسهم لئلا يشغلوه بالذي قصدوه به والتعوذ عن حضورهم
مكان الوسوسة قال الحسن همز الشيطان الموتة غشيان القلب روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه كان يتعوذ من الشيطان الرجيم قال من همزه ونفخه ونفثه وقال بعضهم همزاته ونزغاته واحد وقال القتبي
همزات الشياطين نخسها وطعنها ومنه قيل للعايب همزة كأنه يطعن ويعيب قال أبو عوسجة همزات الشياطين
وساوسهم يقال همز يهمز همزاً أي وسوس ومن وجه آخر همز يهمز همزاً أي عاب يعيب ومنه قوله ويل لكل
همزة لمزة ثم في قوله رب أعوذ بك من همزات الشياطين إلى آخر ما ذكر وجهان على المعتزلة أحدهما أنه
أمر رسوله أن يتعوذ به مما ذكر فلو كان عنده لطفاً لم يعطه ما لو أعطاه الله لدفع به ما ذكر وأنه مالك لذلك ولو كان
غير مالك لذلك لخرج السؤال به مخرج الهزء به إذ من طلب من آخر شيئاً يعلم أنه ليس عنده ذلك خرج ذلك الطلب
مخرج الهزء به فعلى ذلك هذا والثاني أن كل ما هو بالتعوذ جعل الله له الإعاذة عما يتعوذ عنه فالوجهان
جميعاً ينقضان على المعتزلة في قولهم إن الله قد أعطى كلاً الأصلح في الدين وأعطى كلاً العصمة عن كل زيغ وضلال
وقوله حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ظاهر هذا أن يكون قوله رب ارجعوني بعد الموت وبعد
ما عاين أحوال الآخرة وأفزاعها لأن الموت ليس هو شيء يأتي من مكان إلى مكان إنما هو شيء يذهب بالحيوة التي
فيهم إلا أن أهل التأويل قالوا إن ذلك عند معاينتهم ملك الموت وعند هجومه عليهم بأهواله فعند ذلك
يسألون الرجعة إلى الدنيا والأول أشبه وأقرب ثم قوله حتى إذا جاء أحدهم الموت ليس هو صلة قوله وقل رب
أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ولا جوابه لأنه ليس من نوعه ولا من جنس ذلك ولكنه
والله أعلم صلة قوله بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون وجواب قوله وأكثرهم للحق كارهون ونحو الذي تقدم
ذكره يقول وإنهم على ذلك حتى إذا جاء أحدهم الموت فعند ذلك يرجع إلى الحق والتصديق لكن ذلك لا ينفعه
في ذلك الوقت وقال رب ارجعون ولم يقل رب ارجعني وذلك يخرج على وجهين أحدهما سأل على ما يسأل الملوك
ويخاطبون افعلوا كذا على الجماعة وإن كان إنما يخاطب واحد على ما خرج جواب الله وقوله إنا فعلنا كذا ونفعل
والثاني أن يكون قوله رب ارجعون يسأل ربه أن يأمر الملائكة الذين يتولون قبض أرواحهم أن يرجعوه
إلى ما ذكر والله أعلم وقوله لعلي أعمل صالحاً فيما تركت قال بعضهم فيما تركت أي فيما كذبت وقال بعضهم
فيما تركت في الدنيا من الأعمال الصالحة فأعمل بها وجائز أن يكون قوله فيما تركت من الأموال فأؤدي منه حقك لأن
من الكفرة ما كان سبب كفرهم منع الزكوة وجحوده كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة كافرون
فيسأل ربه أن يرجع إلى المال الذي تركه ليؤدي الحق الذي كان فيه منعه كقوله فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب
فأصدق وأكن من الصالحين وقوله فأصدق أي فأتصدق بالصدقة التي منعتها لأن الخطاب في الصدقة بقوله
وأنفقوا مما رزقناكم الآية وهذا أشبه والله أعلم وقوله كلا هو رد لما سألوه من الرجعة وقوله إنها كلمة هو قائلها
قال بعضهم قوله إنها كلمة هو قوله ولن يؤخر الله نفساً الآية هو قائلها يعني الكافر عند معاينة العذاب
وهو قوله رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ثم قوله كلا على هذا يحتمل وجهين أحدهما أنه لا حقيقة
لسؤاله الذي يسأله من الرجعة ليعمل العمل الصالح أي أنه وإن رد ورجع لا يعمل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه والثاني أن لا منفعة لهم في سؤالهم الرجعة إذ لو رجعوا لا يصلون إلى ما يأملون لأنهم إنما يسألون
ليؤمنوا والإيمان سبيله الاستدلال فإذ لم يستدلوا به وقت أمنهم وفسحتهم فكيف يقدرون على الاستدلال في وقت

خوفهم والله اعلم وقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال بعضهم وراءهم اى امامهم قال ابو معاذ
ومشتقة من توارت عنك فكل ما توارى عنك ما امامك كان او خلفك فهو وراءك وقال بعضهم من ورائهم
على حقيقة الوراء برزخ الى يوم يبعثون قال بعضهم البرزخ هو ما بين النفختين وقال بعضهم البرزخ
هو الاجل بين الموت والبعث وهو قول الكلبي وقتادة وقال مجاهد البرزخ هو حاجز بين الموت والرجوع
الى الدنيا وقال القتبي وابو عبيدة البرزخ ما بين الدنيا والآخرة وقالا كل شئ بين شيئين فهو برزخ
وقال ابو عوسجة البرزخ ما بين الحدين يعني الدنيا والآخرة الارض المستوية واصل البرزخ الحاجز
ومنه قوله وجعل بينهما برزخا اى حاجزا وتاويله اى صار والى الوقت الذى يحجزهم عما يتمنون ويشتهون
وهو كقوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانما يشتهون ويتمنون الايمان والاعمال الصالحة وجائز ان يكون
قوله ومن ورائهم برزخ اى من وراء احوالهم الممكنة الايمان فيه لحوال لا يمكن فيها الايمان وما تمنوا من العمل
الصالح والله اعلم وفيه نقض قول الباطنية لانهم يقولون البعث هو ان يجعل للمؤمن من الاعمال الصالحة
صورة روحانية تبقى ابدا يثاب تلك الصورة الروحانية ومن الاعمال القبيحة السيئة للكافر صورة
قبيحة روحانية هى تعاقب وتعذب ابدا فذلك البعث عندهم فاخبر عز وجل ان بين موتهم وبين البعث
برزخ وهو الاجل الذى ذكرنا او الحاجز فدل ذلك على نقض قولهم ان ليس البعث الاخروج الصورة الروحانية
وقوله فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم ولا يتساءلون ان كان قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
فى الناس كلهم فذلك فى لاختلاف المواطن على ما قاله ابن عباس وغيره من اهل التاويل واختلاف الاوقات لا يتساءلون
فى مواطن وفى وقت ويتساءلون فى وقت آخر الا ترى انه قال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ونحوه وان كانت
الآية فى الكفرة خاصة فهو يخرج على وجهين احدهما لا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون لانه كان يتناصر
بعضهم ببعض على غيرهم ويستعين بعضهم بعضا ويكونون ردءا لهم فى هذه الدنيا وشفعاء واعوانا وانصارا
فاخبر ان ذلك ينقطع بينهم ويذهب ذلك التناصر عنهم فى الآخرة والعرب خاصة كان يتفاخر بعضهم على بعض
بالانساب ويتناصر فاخبر ان ذلك منقطع عنهم فى الآخرة والثانى لا انساب بينهم وما ذكر يومئذ لشغلهم
بانفسهم لفزع ذلك اليوم واهواله ينسى بعضهم بعضا ويهرب منه كقوله مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد
اليهم طرفهم الآية وقوله يوم يفر المرء من اخيه الآية وقال فى آية اخرى وترى الناس سكارى الآية
فذلك كله لشدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه كان لكل فى نفسه شغلا حتى لا يتفرغ الى احد وان قرب عنه
لشغلهم بانفسهم وان كان فى الناس جميعا فهو ما ذكرنا ان ذلك يكون فى اختلاف المواطن والاوقات يسألون
فى وقت ولا يسألون فى موطن ولا يسألون فى موضع او يسألون عن شئ ولا يسألون عن آخر وروى الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال كل نسب كان فهو منقطع الا نسبى او كلام نحو هذا ثم يحتمل قوله الا نسبى وجهين الشفاعة
فى انسابه لا يكون ذلك لغيره فى نسبه فان اراد هذا فهو على حقيقة نسبه والثانى اراد بقوله الا نسبى المعتزله
فى دينه لان كل من اتبعه فقد انتسب اليه فكانه قال ان كل شفاعة دونى فهو منقطع الا شفاعتى فمن اتبعنى
وانتسب بقبوله دينى وقوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه جائز ان يكون قوله
فمن ثقلت موازينه اى من عظم قدره ومنزلته عند الله بالاعمال التى عملوها من الصالحات والحسنات فهو من المفلحين
ومن خفت منزلته وقدره عند الله باعماله الخبيثة السيئة فهو من الذين خسروا انفسهم والله اعلم وقد ذكرنا
اقاويل اهل التاويل فى الموازين فيما تقدم وقوله تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال بعضهم تلفحهم النار
لفحة فلم تدع لحما على عظم الا القته وهم فيها كالحون قال بعضهم عابسون وقال بعضهم تلفح اى تنفخ وقال بعضهم
تلفح تشوى وتحرق وذلك عادة النار انها تعمل كل هذا العمل وقال ابو عوسجة تلفح اى تضرب واللفح الضرب يقال
لفحته النار اى ضربته فاحرقت وجهه تلفح لفحا فهى لافحة والكالح العابس وقوله الم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها

تكذبون كذلك كانوا يكذبون آياته وقد ذكرنا فى غير موضع وقوله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا قال اما ما
قال اهل التاويل غلبت علينا اى ما كتبت علينا من الشقاء فانه لا يحتمل لانهم يقولون ذلك القول
اعتذارا لما كان منهم من التفريط فى امره والتضييع فلا يحتمل ان يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم اذ لو كان
ما ذكر اولئك لكان فى ذلك طلب العذر لانفسهم وهم فى ذلك الوقت لا يطلبون عذرا لانفسهم ولكن يقرون
بما كان منهم كقوله فاعترفوا بذنبهم لكن يحتمل وجهين احدهما يقولون ربنا شقينا باعمالنا التى عملناها
وظلمنا انفسنا وكنا قوما ضالين والثانى عملنا اعمالا استوجبنا بذلك الاعمال جزاء فنحن اولى بذلك الجزاء
تغلب علينا جزاء تلك الاعمال او كلام نحو هذا واما ما قاله اولئك من اهل التاويل غلبت اى كتبت فهو بعيد
لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختار لا يكتب غير الذى علم انه يفعل ويختار والله اعلم وقوله ربنا اخرجنا

ولا يكتب غير الذى علم انه يفعل او يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا فى الفعل والله اعلم

منها فان عدنا فانا ظالمون قوله فانا ظالمون ظلم عيان وظلم ظاهر والا قد كانوا اقروا بالظلم بقولهم فاعترفوا
بذنوبهم وقوله وكنا قوما ضالين قد اقروا بالظلم لكنهم اقروا بظلم خبر وظلم سماع لا ظلم عيان فقالوا اخرجنا
منها فان عدنا فانا ظالمون ظلم عيان والله اعلم وقوله قال اخسؤوا فيها قال بعضهم قوله اخسؤوا اى اسكتوا وقال
بعضهم اخسؤوا اى ابعدوا فيها قال ابو عوسجة يقال خسأت فلانا وخسأته اى باعدته وخسأ اى تباعد وقوله
ولا تكلمون يحتمل وجهين احدهما جائز ان يكون هذا السؤال منهم فى اول ما ادخلوا فيها فقال لهم اخسؤوا فيها
ولا تكلمون فانكم ماكثون او ان يكون هذا السؤال منهم بعد ما سألوا الملك الموت مرة بقوله ونادوا يا مالك الآية
وسألوا مرة تخفيف العذاب بقوله ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلما ايسوا منه فعند ذلك يسألون
ربهم اخراجهم منها والاعادة الى المحنة فقال اخسؤوا فيها اى ابعدوا فيها ولا تكلمون اى يصيرون بحال لا يقدرون
على الكلام لشدة العذاب فعند ذلك يكون منهم الشهيق والزفير وقوله انه كان فريق من عبادى يقولون
ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون يخبر
عز وجل اولئك الكفرة الذين يسألون الاخراج من النار انكم قد اتخذتم فريقا من عبادى آمنوا بى سخريا وكنتم منهم
تضحكون يذكر هذا لهم والله اعلم ليكون ذلك حسرة عليهم ونكالا وقولهم سخريا اختلف فى قراءته وتاويله قرأ بعضهم
سخريا بكسر السين وقرأ بعضهم برفعه قال ابو معاذ من قرأ برفع السين فهو من العبودة والخوله اى اتخذتموهم
خولا وعبيدا ومن قرأ بكسر السين فهو من الاستهزاء والهزء وقال الكسائى بالرفع والكسر جميعا من الاستهزاء والا فهما
فى العبودة الا برفع السين وقال بعضهم هما سواء وقوله حتى انسوكم ذكرى قال بعضهم حتى انساكم الهزء بهم عن العمل
بطاعتى وقيل اضاف الانساء الى الذكر لانهم كانوا يذكرونهم ودعاءهم الى ذكر الله يهزؤون بهم فاضاف اليه لذلك فكان
كاضافة الرجس الى السورة لان ذلك انما يزداد لهم عند تلاوة السورة فاضيف ذلك الى السورة والا كانت السورة
لا تزيد رجسا فعلى ذلك اضاف الانساء الى ذكر هم لما عند ذكره ودعائهم اليه وحملهم الى ذلك والله اعلم فاضيف اليه وقوله
انى جزيتهم اليوم بما صبروا اى فجزيتهم اليوم الفوز بما صبروا فى الدنيا على اذى اولئك الكفرة او على اذى ما امروا به
ونهوا عنه او ان يكون ذلك كقوله انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ونصره اياهم هو ان صارت لهم عاقبة
والله اعلم وقوله قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم اختلف فيه قال مقاتل بن سليمان
فى القبور وقال ابو معاذ قد اخطأ مقاتل وذلك قول من ينكر عذاب القبر وهو قول الجهمية لان من كان فى عذاب
وشدة لا يقتصر المقام فيه كل هذا الاقتصار حتى يقول لبثت يوما او بعض يوم بل يزداد له مقام يوم فى العذاب
على سنة واكثر فقال الا ان يكون عنى ما بين النفختين حتى يؤذن للارواح فترقد فاذا بعثوا استقلوا قدر ذلك
المقدار بما كانوا قاسوا قبل الرقدة من العذاب فى القبور والى هذا يذهب بعض اهل التاويل وجائز عندنا ما قاله
مقاتل ومحمد بن اسحق بان ذلك يكون فى القبر وذلك لا يدل على نفى عذاب القبر لانهم لا يعذبون فى القبور بالعذاب
الذى يعذبون فى الآخرة فجائز ان يستقلوا عذاب القبر بعذاب الآخرة ويستقصروا ذلك الوقت بعذاب الآخرة

لشدته واهواله وذلك جايز في متعارف الخلق ان يكون الرجل في بلاء وشدة ثم يزداد له البلاء والشدة
فيستقل ذلك البلاء الذي كان به لشدة ما حل به فعلى ذلك هم جايز ان يكونوا في عذاب في قبورهم
لكنهم اذا عاينوا عذاب الاخرة استقلوا عذاب القبر واستقصروه لشدة عذاب الاخرة او ان يكون عذاب
القبر على النفس التي هي في حال النوم ليس على روح الحيوة فهي النايم يرى نفسه في بلاء
وعذاب في نومه ويكون في انواع وكانت نفسه ملقاة في مكان لاعلم لها بذلك ولا خبر وبها آثار الاحياء
فجايز ان يكون عذاب القبر على هذا السبيل على الروح الذي به يدرك الاشياء لا على روح الحيوة الذي به يحيي
وقال قايلون ذلك في الدنيا استقلوا حيوة الدنيا لحيوة الاخرة وهو كقوله فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل
الا ترى انه قال فاسال العادين هذا يدل على ان ذلك في الحيوة الدنيا اشبه حيث امران يسال الذين يعدون وذلك
انما يكون في الدنيا لا في الاخرة ثم اختلف في العادين قال بعضهم هم الملايكة الذين يكتبون اعمالهم في هذه الدنيا
ويرقبونهم وقال بعضهم هم ملك الموت واعوانه وقوله قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون اي ما لبثتم
الا قليلا لو كنتم تعلمون ولكن لا تعلمون قال القتبي سخريا بكسر السين اي يسخرون منهم وسخريا بضمها اي يتسخرونهم
من السخرة وقوله حتى انسوكم ذكري اي شغلكم امرهم عن ذكري والوجه فيه ما ذكرنا فيما تقدم وقوله افحسبتم انما خلقناكم
عبثا قوله افحسبتم يحتمل وجهين احدهما افحسبتم اي قد حسبتم انما خلقناكم عبثا والثاني افحسبتم اي لا تحسبوا
انا انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلقه الخلق لا للرجوع اليه والبعث عبثا لوجهين احدهما لان خلقه
اياهم لا لعاقبة تتامل او لمنافع تقصد للهلاك خاصة وللفناء عبث كبناء الباني لا لمنفعة تقصد به
ولكن للنقض يكون عبثا في الشاهد وهو ما قال في اية اخرى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا
سفهها في غزلها للنقض خاصة لا لمنفعة قصدت به ونهانا ان نفعل مثل فعلها فلو لم يكن المقصود من خلق الخلق
الا الموت والفناء خاصة لا لعاقبة تقصد كان سفها وعبثا والثاني ما اخبر انه انما انشا هذا العالم غير البشر
لهذا البشر وله سخر ذلك كله حيث قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه اذ ليس لغير البشر منفعة
بهذه النعم التي انشاها لهم من نحو الجن والملايكة ونحوهم اذ لهم قوام بدون ذلك من الشمس والقمر والنجوم
من النعم انما ذلك للبشر خاصة فاذا كان كذلك لا يحتمل ان يجعل لهم كل هذه النعم التي ذكرها وانشاها لهم
ثم لا يمتحنهم بالشكر على ذلك ولا يامرهم باوامر ولا ينهاهم بمناهي فدل ما انشا لهم من النعم وسخر لهم من الاشياء
انهم يبعثون ويرجعون اليه حتى يجزون لا جميعا المحسن جزاء الاحسان والمسيء جزاء الاساءة اذ في العقول التفرقة
بين الولي والعدو وبين المحسن والمسيء وبين الشاكر والكافر ثم رايناهم جميعا في هذه الدنيا عاشوا على السواء
في الضيق والسعة لم نرهما يفصل بين الولي والعدو وبين المحسن والمسيء وبين الشاكر والكافر فدل ما لم نر
من التفرقة بين ما ذكرنا في هذه الدنيا على ان هنالك دارا اخرى دار الجزاء هنالك يفصل بين ما ذكرنا في الجزاء
والله الموفق لا ترجعون قيل لا تبعثون وقيل لا ترجعون اليه بالاعمال التي عملتموها كقوله يا ايها الانسان انك كادح
الى ربك كدحا فملاقيه وقوله فاستقيموا اليه واستغفروه وقوله فتعالى الله الملك الحق قال اي يتعالى الله
عن ان يكون خلق الخلق منه عبثا او يتعالى ان يكون خلق الخلق لا للحكمة الملك الحق قال الحسن الحق اسم من اسماء الله
او الملك الحق الذي خلق الخلق للحكمة لا اله الا هو تنزيه وتبرية عن جميع ما قالوا فيه وقوله رب العرش الكريم يشبه
ان يكون على الاول يتعالى الملك الحق ورب الملك الكريم عن ان يخلقهم لا للحكمة او للبعث وقالت الباطنية العرش القيامة
ويحتمل ان يكون العرش القيامة على ما قالوا هم الا انهم يقولون هو قايم الزمان وقلنا نحن هي القيامة المعروفة وهي ساعة
رب القيامة وهي الملك الذي ذكرنا كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار خص ذلك اليوم بالملك له وان كان
الملك له في الدارين جميعا لما لا ينازع في ملكه يومئذ وقد نوزع في الدنيا فخلص له ملك ذلك اليوم وصفا له
يومئذ وقال بعض اهل التاويل العرش السرير اضافه الى نفسه ومنزلته عند الله والكريم هو نعت ذلك السرير

اي الحسن كقوله ومقام كريم اي حسن وهكذا يوصف كريم بالحسن وقال بعضهم هو نعت لرب اي ذو عفو
وصفح والله اعلم وقوله ومن يدع مع الله الها اخر ظاهر هذا يوحي ان هنالك الها اخر لانه قال
ومن يدع مع الله الها اخر لكنه يخرج على وجهين احدهما لا تجعل مع الله الها اخر كقوله ولا تجعلوا مع الله الها اخر
والثاني ومن يدع مع الله الها اخر اي من يسم مع الله الها اخر اذ كانوا يسمون
وقوله لا برهان له به اي لا حجة لهم
الاصنام التي كانوا يعبدونها الهة على هذين الوجهين يخرج تاويل الاية وقوله
بذلك لان الحجة انما تكون بوجوه ثلاثة اما بالاختيار التي تجوز الشهادة على صدقها وصحتها واما العقول
تشهد على ذلك واما من جهة الحس يدل على ذلك فلم يكن لهم واحد من هذه الوجوه ثم الحس يكون بالدلالة
من وجهين احدهما بوقوع الحس عليه بالبديهة او باثار تدل على الالوهية فلو كان في ظاهر وقوع الحس
دلالة ذلك ولا كان بها اثار تدل على ذلك بل فيها اثار العبودة والذل فضلا ان يكون لها اثار الالوهية
ولا عذر لهم في ذلك لان العادة لا تخرج انما تكون لوجوه اما النعم والايادي يكون منه اليه فيعبده شكرا لما انعم
عليه واحسن اليه واما الحوايج يطمع قضاها له من عنده او لما يرى له في نفسه من اثار العبودة له فاذ لم يكن
واحد من هذه الوجوه التي ذكرنا لا عذر لهم في عبادة تلك الاصنام فان قالوا لنا برهان وحجة في ذلك قيل
قطع حججكم بما ذكر من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره الاية وقوله فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا ونحو ذلك من الايات فيها قطع حججهم ونحو حرف حفصة لا برهان لها اي سلطان له به وقوله
فانما حسابه عند ربه قال قايلون حسابه عند ربه هو قوله انه لا يفلح الكافرون وقال بعضهم حسابه
جزاؤه لصنيعه عند ربه كقوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقوله وقل رب اغفر وارحم وانت
خير الراحمين جايز ان يكون هذا تعليما من الله لكل احد سوال المغفرة والرحمة وقيل هو لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو يخرج على وجهين ان في حكمته وعدله ان لا يرحم ولا يغفر احدا وان كان في فضله ورحمته
ان يرحم ويغفر والثاني يجعل له العصمة والرحمة بهذا الدعاء او ان يكون العصمة والرحمة بهذا الدعاء او ان يكون
العصمة تزيد في الخوف كقول ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقوله
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وقوله وانت خير الراحمين لان رحمته اذا ادركت احدا
اغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته

سورة النور مدنية وايها ستون واثنتان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سورة انزلناها سماها سورة وجعل تلاوتها سورة ولم يجعل لغيرها من السور التلاوة
سورة كما جعل لهذه نجابة ذلك لكثرة ما فيها من الاحكام من الفرايض والاداب ما بالناس الى ذلك حاجة والمعنى
لم يذكره اولا المعنى ولكنه ذكر هكذا ولله الخلق والامر قال ابو عوسجة السورة القطعة من كل شيء يقول سورت
الشيء اي قطعته وقال بعض العلماء انما سمي القران لجماعة السور وسميت السورة مقطوعة من الاخرى فلما قرن بعضها
الى بعض سمي قرانا كقوله ان علينا جمعه وقرانه اي تاليف بعضها الى بعض فاذا قراناه فاتبع قرانه اي فاذا جمعناه
والفناه فاتبع قرانه اي ما جمع فيه فاعمل به من امر ونهي ويقال ليس لشعره قران اي نظم وتاليف
ويقال للمراة ما قرات سلى قط اي لم تجمع في بطنها ولدا وقال بعضهم سورة بلا همز هي المنزلة والرفعة وبالهمز
سورة البقية ومنه سمي سور الكلب وسور الهرة وسور الطاير اي بقيته والقطعة منه ثم قريت بالنصب
سورة انزلناها والرفع جميعا سورة وهي القراة الظاهرة فمن قراها بالنصب اوقع الفعل عليها اي انزلنا سورة والفعل
اذا وقع على شيء انتصب تقدم الفعل او تاخر كقولك زيدا ضربناه وضربنا زيدا وقال بعضهم انما انتصب لاضمار فيه

كانه قال اتبعوا سورة او اذكروا سورة انزلناها كقوله ناقة الله بالنصب اي احذروا ناقة الله ومن قرا بالرفع
رفع على الابتداء فكل ما يبتدأ به فهو رفع وقال بعضهم رفع على اضمار هذه سورة انزلناها وذلك كله جايز
في اللغة والله اعلم وقوله وفرضناها قرئ بالتخفيف فرضناها والتشديد فرضناها قال الزجاج فرضناها
بالتشديد يخرج على وجهين احدهما اكثرنا فيها الفرايض والاحكام والثاني فرضناها اي فصلنا فيها بين ما يؤتى
وبين ما يتقى وبين ما امر فيها وبين ما نهي وقال واما بالتخفيف فرضناها اي الزمنا ما فيها من الفرايض واوجبنا وقال القتبي
فرضناها بالتخفيف اي بينا فيها الفرايض وقال ابو عوسجة من قراها بالتخفيف فرضناها اي انزلنا فيها فرايض مختلفة
ومن قرا فرضناها بالتشديد يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم على التكثير والله اعلم وقوله وانزلنا فيها آيات بينات
يحتمل قوله آيات بينات اي حججا بينة يعضها ويعرفها كل احد بالبديهة والتامل وان يريد بالآيات التي جمع فيها
اشياء وتتلى لان الآية انما تستحق اسم الآية اذا جمع فيها كلمات وحروف فاما كلمة واحدة وحرف واحد لا يسمى بهذا الاسم
او ان يكون قوله آيات بينات ما ذكر فيها وبين مما يؤتى ويتقى وبين ما يحل وما يحرم فذلك كله مبين فيها والله اعلم
وقوله لعلكم تذكرون اي تتعظون بما ذكر فيها من المواعظ وبين فيها ما يزجر عن المعاودة وهي الحدود والتي ذكرها
لان سبب الاتعاظ احد شيئين المواعظ التي تلين القلوب والحدود التي تزجر وقوله الزانية والزاني فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة لو كان الخطاب يجب اعتقاده على ظاهر المخرج والعموم على ما قاله بعض الناس لكان لكل احد
ان يقيم على آخر حدا بظاهر قوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فيقول الله امرني بذلك بقوله فاجلدوا كما
او ان يضربوا جميعا واحدا من الزناة بظاهر قوله فاجلدوا وفيه زاد الضرب والحد على ما حده الله اضعافا مضاعفة
فدل ان اعتقاد العموم فاسد بظاهر المخرج او ان يقول قايل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العينان
تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله او يكذب سمى الناظر الى ما لا يحل نظره اليه
زانيا والماس لها كذلك فيلزمه الحد بظاهر قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ه
فاذا لم يفهم من ظاهر قوله الزانية والزاني ما ذكرنا كله دل ان الاعتقاد على عموم المخرج فاسد وان المراد من قوله
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يرجع الى الخصوص الى مقيم دون مقيم والى زان دون زان وهو
الزاني الذي يجمع في فعل الزنا جميع بدنه العين واليد والرجل والفرج وجميع بدنه ورجع الخطاب به الى البكرين الحرين
او الثيبين الحرين اللذين لم يستجمعا جميع احكام الاحصان فاما من استجمع جميع اسباب الاحصان فان حده الرجم
على اتفاق القول منهم جميعا الا ان طايفة من اهل العلم اوجبوا عليه مع الرجم الجلد وفي البكر مع الجلد تغريب عام
والدليل على ان المراد به راجع الى الحرين البكرين والثيبين اللذين لم يستجمعا اسباب الاحصان ما ذكرنا من القول
المتفق وقوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب دل ايجاب نصف ما على المحصنات
على الاماء على انه اراد بالمحصنات الحراير التي لم يستجمعن جميع اسباب الاحصان وان الخطاب بقوله الزانية والزاني
الى آخر ما ذكر راجع الى الحرين اللذين ذكرناهما ثم لم يصرف في الزنا الذي به زنى وهو الفرج وقطع في السرقة الذي به
سرق وهو اليد فهو والله اعلم لما جعل الحدود زواجر عن المعاودة لم يجعل دافعة مذهبة امكان ذلك الفعل من الاصل
وفي ضرب الفرج ذهاب امكان الفعل من الاصل ولا كذلك في قطع اليد في السرقة اذ يبقى اخرى بها ياخذ وبها يقبض
لذلك افترقا او ان يقال في ضربها الفرج خوف هلاك في الاغلب وليس ذلك في قطع اليد يبقى حيا والقاو وقد ذكرنا
ان الحدود لم تجعل مهلكة متلفة ولكن جعلت زواجر عن المعاودة لذلك افترقا وفي قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة دلالة على ان النفي ليس من عذاب الزانيين ولا من عقوبتهما لانه قال وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
والنفي مما لا يحتمل ان يؤمر بشهوده لانه لا يمكن فدل انه ليس من عذابهما ويدل ايضا قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب لانهم اجمعوا على ان لا نفي على الاماء اذا زنين وقد وجب عليهن اذا زنين نصف
ما على المحصنات وان ثبت النفي فهو يحتمل وجهين احدهما انه اراد به قطع الشيئين اختبهما بفعل الزنا لانه ليس جرم

اي احذروا س

فرضناها

وهو قول الشافعي س

من الاجرام اكثر شينا واشد من فعل الزنا فاراد ان ينقطع ذلك من بين الناس او ان يكون اراد به قطع
الشهوة التي حملتهم على الزنا بذل السعي وذلة الغربة او صار منسوخا لما شدد في الضرب بقوله ولا تاخذكم بهما رافة
في دين الله وفيما ذكر النفي لم يذكر فيه الشدة انما ذكر فيه الجلد حسب بقوله عليه السلام اما على ابنك هذا
جلد مائة وتغريب عام فجايز ان يكون الضرب كان بالتخفيف وفيه نفي فلما شدد في الضرب ارتفع النفي وقد جاء
عن عمر رضي الله عنه انه نفى رجلا فارتد عن الاسلام ولحق بالروم فقال كفى بالنفي فتنة وقال لا انفي بعد هذا
ابدا وكذلك روي عن علي رضي الله عنه والله اعلم وقوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله قال بعضهم لا تاخذكم
بهما رافة في تخفيفها فهو والله اعلم لانه من اعظم الاجرام في الشين ثم للمعتزلة تعلق بظاهر قوله ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله قالوا ان الله وصف نفسه بالرحمة بقوله رؤوف رحيم ووصف المؤمنين بالرحمة فيما بينهم
والشدة على الكفار بقوله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ثم نهاهم ان ياخذهم رافة على الزانيين
وفي اقامة الحد عليهم دل ان الزاني قد خرج بفعله من الايمان لما ذكرنا من رفع الرافة والرحمة عنهما لكن عندنا
في الآية دلالة انه ليس على ما ذهبوا اليه لان الزاني لو كان يخرج من الايمان بفعل الزنا لكان لا يحتاج
الى ان يقول ولا تاخذكم بهما رافة لانهم كانوا على ما وصفهم بالشدة على غير المؤمنين بقوله اشداء على الكفار
دل ان الزنا لم يخرجه عن الايمان فنهاهم ان لا تاخذهم بهما رافة الايمان والدين في تعطيل الحد وتخفيفه وان يكون
النهي عن اخذ الرافة يحتمل ذلك الحد والاثم لينتفع به في الآخرة وهو ان لا يعذب به الا ترى انه قال ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر وفايدته ما ذكرنا انه لا تاخذكم بهما رافة في اضاعة الحد لما يتامل من النفع
في الآخرة نحو من يشرب الادوية الكريهة ويفتصد ويحتجم لما يطمع البرء به والنفع في العاقبة فعلى ذلك
جايز ان يكون النهي عن اخذ الرافة في حد الزاني ليقام ذلك عليه ويحمل الله ينجو في الآخرة عن عذابه والله اعلم
وقوله وليشهد عذابهما طايفة من المؤمنين وقال بعضهم الطايفة واحد واثنان فصاعدا وكذلك قالوا
في قوله وان طايفتان من المؤمنين وقال بعضهم اقتتلوا هما رجلان اقتتلا دل على ذلك قوله فاصلحوا
بين اخويكم وهما اثنان في الظاهر لكن ان ينضم الى كل واحد منهما جماعة من عشيرته فيكون الطايفة
جماعة لا واحدا وقال بعضهم الطايفة جماعة من العشرة فصاعدا ثم يجب ان ينظر لاي معنى امر ان تشهد
عذابهما طايفة من بين ساير الاجرام فهو والله اعلم يحتمل وجوها احدها المحنة اراد ان يمتحن من حضر
ذلك اذ المرء قد يتالم على ضرب آخر وما يحل بغيره ليزجر عن مثله والثاني لانتشار الخبر في الناس
ليزجروا عن مثله والثالث لئلا يتعدى الضارب والمقيم ذلك الحد ويجاوز على الحد الذي جعل له
فان هو تعدى منعه من حضر عن المجاوزة والتعدي والرابع لدفع التهمة عن الحاكم لئلا يتهمه الناس انه
انما اقام عليه الحد بلا سبب كان منه ولا جرم فان كان الامر بشهود الطايفة عذابهما هذه الوجوه الثلاثة
التي ذكرنا من انتشار الخبر ودفع التهمة عنه ومنع المجاوزة فالطايفة يحتاج ان يكون جماعة كان الواحد منهم
كاف لذلك وان كان الاول وهو المحنة فالواحد وما فوقه يكون يمتحن كل في نفسه محظور ذلك الحد ليتالم به
وقد ذكرنا ان بعض اهل العلم قالوا انه يجمع مع الرجم الجلد واحتجوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام فاما الجلد فلا خلاف في انه
حد البكر واما النفي فاختلفوا فيه فمنهم من رآه واجبا ومنهم من رآه عقوبة لهم يضم الى الحد ونحن قد ذكرنا
المعنى في ذلك ان ثبت ما يغنينا عن تكراره ونزيد ايضا نكتة وهي ان الحدود وهي نهايات المقادير وغايات
ولذلك سميت حدودا لان لها نهاية وغاية كما يقال هذا حد فلان وحد الدار انه منتهاها وآخرها فلما لم يكن
للنفي مكان معلوم ينفى الزاني اليه دل انه ليس بحد ولكن اراد به الوجوه التي ذكرنا اما حبسا كما يحبس الداعر
حتى يحدث توبة او قطع الشين والذكر الذي يحدث الناس به لينسى ذلك ويترك او قطع الشهوات التي

وهو الحديث لم يذكر فيه النفي س

وفيه زيادة التغليظ من حبسه ارتفع النهي وانتسخ ذلك بهذا او يحتمل ان يراد بالنفي الحبس كما قال تعالى في قصة قطاع الطريق او ينفوا من الارض واريد به الحبس فيحبس كما يحبس الداعر حتى يحدث توبته س

حملهم على ذلك بذلة السعف والغربة او ان كان ثم صار منسوخاً بما شُدّد فيه الضرب والله اعلم واما قول اصحابنا رحمهم الله في ان آلة الجلد عن الثيب اذا كان محصناً لقول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اغدُ يا انيس على امراة هذا فان اعترفت فارجمها ولم يذكر جلداً وذهبوا ايضا الى حديث ماعز بن مالك لما رجمه النبي باعترافه ولم يُذكر انه جلد وروي ان ابا بكر رضي الله عنه ولم يذكر انه جلد قال له لما اعترف ثلاثاً لو اعترفت في المرة الرابعة لرجمتك ولم يقل جلدتك فعلم انه لا يجمع مع الرجم الجلد وما روي عن عمر رضي الله عنه انه امر برجم امراة زنت ولم يجلدها وروي عن ابن عمر عن عمر مثله الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا رحمهم الله ويقولون لا يجتمع على رجل في فعل واحد حدان الجلد والرجم جميعا كما لا يجتمع في غيره من الاجرام في فعل واحد حدان او عقوبتان وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب يجلد ويرجم يحتمل الجلد ثيباً غير محصن ويرجم ثيباً آخر محصناً او يجلد ثيباً في حال ويرجم في حال وقد ذكرنا هذه المسألة في سورة النساء الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك في ظاهر الآية ان لا يحل للزاني ان ينكح الا الزانية من المؤمنات او المشركة وكذلك الزانية من المؤمنات لا ينكحها العفيف من المؤمنين وانما ينكحها الزاني منهم او المشرك وفي ظاهر الآية النهي للزاني عن نكاح العفايف واباحة نكاح الزانيات او المشركات فان كان كذلك فكان قوله ولا تنكحوا المشركات الا الزناة منكم فانه يحل لهم ان ينكحوا المشركات وكذلك قوله ولا تنكحوا المشركين الا الزانيات فانه يحل هذا ظاهره لكنهم اجمعوا على ان لا يحل للمؤمن وان كان زانياً ان ينكح المشركة وكذلك لا يحل للمشركة ان يتزوج بالزاني من اهل الايمان ثم اختلف اهل التاويل في تاويله قال مقاتل ومحمد بن اسحق وهؤلاء الزاني من اهل الكتاب لا ينكح اي لا يتزوج الا زانية من اهل الكتاب ومشركة من غير اهل الكتاب والزانية من اهل الكتاب لا ينكحها الا زان من اهل الكتاب ومشرك من غير اهل الكتاب يزنين علانية وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت الآية في نفر من اهل مكة هاجروا الى المدينة وكانوا ذوي عسرة وكان بالمدينة بغايا يبغين بانفسهن ظاهرات بالفجور وكن مخصبات او مخاصب البيوت فهم اولئك المهاجرون ان يتزوجوا اولئك البغايا ليصيبوا من خصبهن وسعتهن فذكروا ذلك لرسول الله واستاذنوه في ذلك فنزلت الآية في شانهم الزاني من اهل القبلة المعلن به لا ينكح الا زانية من اليهود او مشركة الآية وحرم ذلك على المؤمنين ان نكاحهن على المؤمنين لكن هذا يصلح اي لو كان اولئك المهاجرون مثلهن زناة فاما ان كانوا مهاجرين اهل ايمان وعفة فلا يصلح ان يقال فيهم الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وهم لم يكونوا زناة الا ان يقال على الابتداء انه لا يفعل ذلك وقال بعضهم قوله الزاني لا ينكح اي لا يجامع ولا يزني الا بزانية مثله وكذلك الزانية لا تزني الا بزان مثلها او مشرك لا يحرم الزنا وهو قول الضحاك وهؤلاء وقال سعيد ابن المسيب نسخت هذه الآية وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامايكم قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن رجل يزني بالمراة ثم يتزوجها قال هما زانيان ما اصطحبا وجايز ان يكون النهي عن نكاح الزانية والزاني نهيا عن الزنا نفسه لا عن نكاح كانه قال لا تزنوا فانكم اذا زنيتم معروفين به لا تجدون ان تنكحوا الا زانية او مشركة التي لا تحرم الزنا لان العفايف منهن لا يرغبن في نكاح من صار معلن الزنا فاذا لم يرغبن لم يجدوا الا من ذكر وهو ما قال لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ليس النهي عن قربان الصلوة ولكن النهي عن السكر وشرب المسكر وكذلك ما روي عنه قال لا صلوة للمراة الناشزة ولا للعبد الآبق انما النهي عن نشوزها وعن اباقه ليس عن الصلوة فعلى ذلك جايز ان يكون قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية الا زان او مشرك انما نهى عن الزنا اي لا تزنوا لا يرغب العفايف من المؤمنات فيكم ولا تزني النساء لا يرغب اهل العفاف من المؤمنين فانكم اذا زنيتم وصرتم معروفين به معلنين لا تجدوا الا نكاح من ذكر من الزانية او المشركة وان يكون ما ذكرنا لا يرغب الزاني الا في نكاح زانية او مشركة وكذلك المراة الزانية لا ترغب الا في نكاح زان مثلها او مشرك ولا يرغب الزاني في الزنا الا بزانية او مشركة التي لا تحرم الزنا وكذلك الزانية لا ترغب الا بزان مثلها او مشرك الذي لا يحرم الزنا وحرم ذلك على المؤمنين

الازنا زنا ... الزناء اللغتين

وحرم الزنا على المؤمنين او ان كان على النكاح فيكون تاويل قوله وحُرّم اي مُنع عن ذلك المؤمنين اعني نكاح الزواني والزناة قال ابو عوسجة الزانية والزاني يقال منه زنى يزني زناء وأما زنأ يزنأ زنوءاً اي ارتقى يرتقي ويقال الزناء الضيق ويقال زنيته ازنه زناً اي ظننت والقذف التهمة والرمي اشد من القذف ومن جعل الآية في الزانيين المسلمين وجعل قوله لا ينكح على التزويج لزمه ان يجيز للزانية المسلمة ان تتزوج الزاني المسلم والمشرك على ما ذكرنا بدنا وهذا لا يقوله احد وفي بطلان هذا القول بيان ان الآية ان كان المراد بها عقد النكاح فانها نزلت في الزانية المشركة تريد المسلم ان يتزوجها كما ذكر في حديث مرثد وان كان المراد بها ذكر النكاح منها الوطي فهو كما قال ابن عباس في احدى الروايتين عنه انه الجماع ليس يحتمل الآية غير هذين الحالين والله اعلم بما اراد وقد زعم قوم ان المراة اذا زنت على زوجها فكانهم ذهبوا الى انه لما لم يحل له ان يطاها لانها اذا كانت زانية لم يحل المقام عليها اذا زنت وهي زوجه لكن التاويل في الآية على خلاف ما توهم اولئك بما وصفنا فلا وجه لتحريمهم الزانية على زوجها ولو كان التاويل على ما توهموا لوجب ان تحرم الزانية على زوجها من حيث كان ممنوعاً من تزويجها الا ترى انه لا يجوز للرجل ان يتزوج امراة في عدة من غيره ولو ان رجلا وطي امراة رجل بشبهة فوجبت عليها من عدة لم يحرم على زوجها افلا ترى ان العدة اذا كانت على النكاح مخالفة للنكاح في العدة واحتجوا ايضا بان الرجل اذا قذف امراته تفرق بينهما وفرق لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله والذين يرمون المحصنات ذكر الرمي ولم يذكر بم فيعرف ذلك بالنازلة ولقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء ذكر الاربعة للشهود والزنا هو المخصوص بالشهود الاربعة دون غيره من الاجرام فدل ذكر ذلك على اثر ذلك على ان الرمي المذكور فيه هو الزنا ثم قوله المحصنات هن الحراير في هذا الموضع لا العفايف لان قاذف الامة يلزمه التعزير الا ترى انه قال فان اتين بفاحشة الآية الا ترى انه اوجب على الاماء نصف ما على المحصنات وهن الحراير ولانا لو جعلنا قوله المحصنات عبارة وكناية عن العفايف دون الحراير لاسقطنا شهادة الشهود لان العفة تكذبها وكذلك يدل قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الغافلات عبارة عن العفايف فدل ان المحصنات عبارة عن الحراير ثم ادخل المحصنين في حكم هذه الآية في الرمي والقذف وغيره وان لم يذكروا في الآية ثم شدد الله تعالى في الزنا وغلظ في امره ما لم يشدد ولم يغلظ في غيره من الاجرام مثله مما نهى من تعطيل الحد فيه واضاعته وتخفيفه حيث قال ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ومنها ما امر برجمه اذا كان محصناً مثل ما يرجم الكلاب ويقتل بالحجارة ومنها ما اوجب على الرامي به الحد اذا لم يات باربعة شهداء والزنا فيه هذا كله مخصوص من بين غيره من الاجرام وذلك والله اعلم لقبحه في العقل والطبع جميعا وكذلك في الشرع والدليل على انه قبيح في الطبع والعقل جميعا انه ينفر عنه طبع كل مسلم وينفر كل عقل سليم ناى ولو كان ينفر عنه لكان لا يرتكبه ولا ياتيه قيل ينفر عنه الا ان الشهوة التي تمكنت فيه وركبت تغلبه وتمنعه عن النفار عنه الا ترى انه لو تفكر مثله في المتصلات به من الام والابنة وجميع المحارم لم يحتمل قلبه ذلك وبمثله روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه فقال له ايذن لي في الزنا لو فعل بابنتك وامك مثله اكنت تكرهه فقال نعم اكره لغيرك ما تكره لنفسك دل ذلك انه قبيح في الطبع والعقل جميعاً الا ان الشهوة تمنعه عن النفار عنه وفيه اشتباه الانساب والمعارف التي جعلت فيما بين الخلق حتى لا يهتدي احد المعلم بعلم الحكمة والادب ومعالم السنن ولا العلم بالآباء وارتفع التواصل وحفظ الحقوق التي يقوم بعض لبعض والشفقة التي جعل لبعض على بعض من التربية في الصغار وحقوق المحارم وغيرهم وبها امتحن البشر والعالم الصغير وبطل خلق ما ذكر من الانشاء لهذا العالم وتسخير ما ذكر مما في السموات والارض لهم فهذا كله يدل على قبح الزنا ونهايته في الفحش والمنكر حتى لا يعرف هذا العالم قبحه ونهاية فحشه وانما لم يعرف العالم الروحاني الذي لم يمكن فيهم هذه الشهوة ولم يمتحنوا بها واما هذا العالم الذي جعلت فيهم الشهوة لا يعرفون قدر قبحه وفحشه لما تغلبهم وتمنعهم عن النفار عنه والنظر في معرفة قبحه هذا والله اعلم ما شدد الله تعالى امر الزنا وغلظ في احكامه ما لم يغلظ بمثله في غيره من الاجرام وعظم شانه من بين ساير الآثام

ثم الذكر انما جرى في الجاري بما ذكرنا فهو بالرجال من الاحرار ان لم يكن اكثر فما يكون دونه لان العذر فيهن
اكثر وهي الشهوة التي تغلب وتمنع الانقيار عنه وفي الرجال قلنا العذر فيهم الا ترى انه ذكر الحد في الاماء بقوله
فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولم يذكر في العبيد شيئا فيلزم العبد ذلك الحد
اذا ارتكبه فعل ذلك انما ذكر من الحد في النساء والقذف فهو في الرجال مثله ثم اجمعوا ان على قاذف الامة التعزير ولا حد
عليه وقد سمى الزوجة وان كانت محصنة امة وقال فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب وقال والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم سمى ملك اليمين محصنة بقوله احصن اي تزوجن وقوله
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اي الحراير فقد بان في هذه الاية ان الاحصان قد يكون بالحرية ويكون بالتزوج
وان كانت الزوجة امة اذا كان لها زوج وسمى المطبقة من النساء محصنة قال تعالى محصنات غير مسافحات يعني العفايف
فالاحصان على ثلاثة اوجه وانما يجب الحد على قاذف الحر المسلم والحرة المسلمة فان كان حرا وحرة فعليهما الحد ثمانين
وكان عبدا او امة فعليه الحد اربعين سوطا على ما ذكرنا وقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة فظاهره انه لا يقع عند حضرة القذف ولكنه ان ياتي الى وقت اياسه وهو الموت كمن حلف
بيمين ولم يوقت لها وقتا فانما وقعت الى وقت اياسه فحنث عند ذلك فعلى ذلك يجئ على ظاهره ان يقع على الابد
ليس عند حضرة القذف لكنه لو وقع على الابد لكان فيه سقوطه اذ لا يقام الحد بعد الموت وان اراد بذكر الشهود الاربع
زجره عن قذف المحصنات لما لا يجد الشهود على الحلال فالذي هو احق واسرابعد والثاني ان الحد تذكر فيه بالقذف
فان اراد اسقاطه لم يسقط الا ببينة تقوم حضرة ذلك كمن يقر بقصاص او حق من الحقوق ثم ادعى العفو في ذلك واسقاط
ما قد لزمه والخروج منه لم يصدق الا ببينة تقوم على حضرة ذلك فعلى ذلك قوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء وقع ذلك على حضرة
القذف فان اتى بهم الا حد والله اعلم ثم المسألة بان الزاني باربعة فساق درئ عن نفسه الحد عندنا والقياس انه لا يبطل
بشهود عدول لان العدول لا يشهدون المشهد ولا ينظرون اليه انما يشهده الفساق لحق ان يدرأ بهم الحد عنه من العدول
وليس كالشهادة على اقامة حد الزنا لان قصدهم بالنظر الى ذلك المكان قصدا اقامة الشهادة وايجاب الحد على فاعل
ذلك لذلك لم يصيروا فسقة ولانهم لا يشهدون بذلك الا عن توبة تكون منهم اذ يملكون التوبة ولان الفساق من اهل
الشهادة ليسوا كالكفار والعبيد وهولاء وان كانت لا تقبل شهادة الفساق فهم من اهل الشهادة الا ترى
ان من قذف فاسقا او كانت امراة فقذفها زوجها وهو فاسق انا نحد قاذف الفاسق ويلاعن بين الزوج وبين
امراته وان قذف مسلم كافرا او قذف حر له عبدا لم يحد وان قذف احدهما زوجته لم يلاعن بينهما من خالفنا
هذا اللعان فليس يخالفنا في ان الحر اذا قذف العبد والمسلم اذا قذف الكافر فلا حد على واحد منهما فهذا كله يدل
ان الفساق من اهل الشهادة والكافر والعبد والمحدود في القذف ليسوا من اهل الشهادة وان لم تقبل شهادتهم في غيره
فاوجب ذلك شبهة والحدود مما يدرء بالشبهات لذلك درئ عنه الحد واما الكافر والعبد والمحدود في قذف
فانهم لم يكونوا من اهل الشهادة لم يوجب شبهة في درء الحد عنه لذلك افترقا ثم المسألة اذا جاء الشهود متفرقين
حدوا ولم تقبل شهادتهم والقياس عندنا ان لا يحدون لانهم انما يقومون في الشهادة محتسبين لا يقصدون
قذفه ولا شتمه واما الرامي فانه يقصد قصد شتمه وقذفه ولان الشاهد يقول رايته فعل كذا والرامي يقول انت كذا
فكان كمن يقول لاخر رايته كفر لم يضرب بهذا القول ولو قال يا كافر ضرب لان هذا خرج مخرج الشتم والاول
لا فضل في ذلك الا ولكنهم اقاموا الحد على الشهود اذا جاءوا متفرقين لان الله اكد الشهادة بالزنا بامرين احدهما ان لا يقبل
فيها اقل من اربعة وان لا يقبل حتى لا يقولوا زنى بها فيانون بهذه اللفظة ويصفوا باكثر مما يوصف غيره من النكاح
وغيره فالشهادة بالزنا احوج الى الاجتماع الشهود في موطن واحد من اجتماع الشهود على النكاح ومن قولهم ان النكاح
اذا عقد بشاهدين متفرقين لم يكن نكاحا فالزنا الذي كان امره اوكد والحاجة اليه احوج واكثر احرى ان لا يقبل
والثاني ما جاء عن عمر ان ثلثة شهدوا على رجل بالزنا وفيهم ابو بكرة فجلدهم عمر جميعا لما لم يشهد الرابع كما شهدوا هم

وكان ذلك بحضرة اصحاب النبي عم فلم ينكر عليه احد فكان ذلك اجماعا الا ترى ان ابا بكرة قال بعد ذلك انا اشهد
فهم عمر ان يجلده فقال له علي رضي الله عنه ان جلدت هذا فارجم صاحبك فلم ينكر عليه علي في جلده
اياهم اذا لم يتم اربعة انما انكر اذا تم والله اعلم لذلك قلنا انهم اذا جاءوا فرادى متفرقين صاروا قذفة ولا ينتظر
حضور من بقي منهم كما لم ينتظر عمر ثم مسألة اخرى انه اذا جاء اربعة واحدهم زوج قبل عندنا ودرء عنه
الحد لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف ولان الشهادة عليها او شهادة الزوج على امرأته
تقبل وانما ترد اذا شهد لها الا ترى انه لو شهد عليها في الديون والقصاص والسرقة وغير ذلك من الحقوق
قبل فعلى ذلك في هذا فان قيل ان الزوج انما يشهد لنفسه وفيه منفعة له لان حد اللعان اذا قذفها فهو يريد
ان يزيل اللعان عن نفسه قيل انما يكون حد الزوج اللعان اذا قذفها قبل ان يرتفعا الى الحاكم فاذا فعل ذلك
ثم شهد مع ثلثة لم تجز شهادته واما اذا كان اول ما بدا بان جاء مع ثلثة فشهدوا عليها بالزنا فليس يبطل
بشهادته عن نفسه شيئا وجب عليه الا ترى ان الاجنبي اذا قذف امراة ثم جاء يشهد بذلك عليها مع ثلثة
ان شهادته لا تجوز لان الحد قد لزمه قبل شهادته فهو يدفع الحد الذي وجب عليه شهادته فلا تقبل وانه لو جاء
مع ثلاثة وكان اول امرهم ان يشهدوا عليها بالزنا فشهادتهم جايزة ولا يقال ان احدهم يدفع عن نفسه شيئا
يجب عليه فعلى ذلك الزوج وقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون تسمية الفسق لهم
لا يخلو اما ان كان لما رموا وقذفوا به بريئا من ذلك ولما هتكوا عليه الستر من غير ان هتك هو على نفسه فان كان
الاول فذلك لا يعلم الا الله تعالى فذلك توبة لا تظهر عندنا فانما ذلك فيما بينه وبين ربه فكانه قال واولئك هم
الفاسقون عند الله الا الذين تابوا وان كان الثاني فانا نعلمه فكانه قال واولئك هم الفاسقون عندكم الا الذين
تابوا لكن لا تظهر توبته عندنا لان توبته هو ان يعزم ان لا يهتك على اخر ستره ان يعزم ان لا يقذف بريئا من الزنا
ابدا فاي الوجهين كان تسميته فسقهم فان التوبة من ذلك لا تظهر عند الناس لذلك لم تقبل ولذلك قال ابن عباس
وانما توبته فيما بينه وبين الله اذا تاب غفر الله له ذنبه العظيمة وكذلك روي عن غير واحد من السلف
من هو يحس وابراهيم وامثالهم قالوا توبته فيما بينه وبين ربه وقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ليس ثمة شهادة
رفعت الى الحاكم فردها ولكن لا تقبلوا لهم شهادة يرفعونها الى الحكام فالجرح على كل شهادة يرفعون من بعد ثم ما جلد
اذا شهد بعد ما قذف قبل ان يحد قبلت شهادته وهو قاذف فدل ان شهادته انما ترد بعد ما جلد لما اتهمه
الحاكم وكل شهادة ردت لتهمة فهي لا تقبل ابدا والتهمة التي بها جلد القاذف هي لا تزول ابدا وان يكون توبته قوله
فقد كذبت فيما قذفت ترد شهادته لتهمة الكذب فاذا كذب نفسه تقبلها لتحقق الكذب فهذا بعيد واصله
ان كل توبة كانت بعد التمكين فهي لا ترفع الحكم الذي جعل له والحد وكل توبة كانت قبل التمكين فهي ترفع العقوبات
كقوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فلو لم يرفعوا عنهم تلك العقوبات لكانوا يتمادون في السعي في الارض
بالفساد واما فيما يجيء فيه فليس تخ ذلك التمادي فيه وزعم الشافعي ان حاله قبل الحد وبعد ذلك سواء وهذا
خلاف ما نص الله عليه قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة
الاية وقال فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون فجعلهم كاذبين عند العجز عن اقامة الشهداء
وكان امرهم قبل ذلك موقوفا فالواجب ان يجعلهم كاذبين عند عجزهم عن تصحيح ما قالوا وهي الحال التي جعلهم الله
فيها كاذبين فبان بما وصفنا ان من جعل حال المحدود بعد ان ضرب الحد كحاله قبل ذلك مخطئ ودليلا وصفنا
على انه لا يجب ان يستدل بجواز شهادته قبل ان يجلد على جواز شهادته اذا تاب بعد الجلد على ما ذكرنا لانا بالجلد
علمنا انه قاذف لانما كان من رميه المراة قبل ان يجلد ومن الدليل على اختلاف الحالين ان عمر لما جلد ابا بكرة
قال له ان تبت قبلت شهادتك وانه قبل ان يجلد لم يرد شهادته لانه لو كان عنده مجروحا بالقذف
لم يسمع شهادتهم ولا اعلم بين اهل العلم خلافا انه لا يقبل شهادته بعد الجلد ما لم يتب وانما يختلفون في شهادته

بعد التوبة وان شهادته قبل الجلد مقبولة فكيف يشتبه الحالتان مع ما وصفنا وقال غيرهم التوبة تزيل
فسقه ولا يجوز شهادته وقالوا الاستثناء على آخر الكلام على الذي يليه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما يدل على بطلان شهادته وان تاب ما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا في قذف وعن ابن عباس قال لما نزل قوله والذين يرمون
المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وذكر حديثا فيه طول وفيه لم يلبثوا الا قليلا
حتى جاء هلال بن امية وهو احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم قال يا رسول الله لقد رايت فلانا مع اهلي
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا هلال قال والله يا رسول الله لقد رايته وسمعته باذني قال فشق
على رسول الله للذي جاء به ثم قال ايجلد هلال ويبطل شهادته في المسلمين فاشتد ذلك على رسول الله وجعل
يقول يجلد ما هلال ويبطل شهادته في المسلمين وقول رسول الله يضرب هلال ويبطل شهادته في المسلمين
وما ظهر من غمه بذلك وجزعه يدل على ان المحدود لا يقبل شهادته بعد توبته لان توبته لو قبلت وكان كساير الاشياء
التي اذا أنيب منها جازت شهادته لعال النبي يبطل شهادته بعد توبته لان توبته لو قبلت في المسلمين الا ان يتوب
لانه لا يقال في شيء من المعاصي فلان فعل كذا وكذا فبطلت شهادته في المسلمين حتى يقرن الى ذلك الا ان يتوب وقد ذكر
عن ابن عباس في قوله الا الذين تابوا قال فتاب الله عليهم من الفسق فاما الشهادة فلا تجوز وكذلك روى عن كثير
من السلف انهم قالوا توبته فيما بينه وبين ربه وفيه وجه آخر وهو ان القاذف اذا ضرب الحد فهو يقول
ما لم يرجع انا صادق في نفسي ولم يلزمني الحد فيما بيني وبين ربي وانما لزمني في ذلك الحكم فاذا تاب فهو
يقول كان الحد واجبا علي فيما بيني وبين ربي وفي الحكم فذلك احرى ان لا يزول عنه من ابطال شهادته بذلك
الحد وجه آخر وهو ان القاذف لم يبطل شهادته بقوله فلان زان لانه مدعي بقوله هذا شيئا قد يجوز
ان يكون حقا وانما يصير قاذفا اذا عجز عن اقامة البينة وضربه الحاكم الجلد فاذا كانت شهادته انما بطلت بحكم حاكم
لم يزل ذلك الحكم الا بحكم حاكم بجواز شهادته في شيء جازت شهادته فيه فان قيل يلزمكم على هذا ان تقولوا انه اذا قال
حاكم قد اجزت شهادته في كل شيء ان يجوز لان الحاكم قد رفع ما لزم من بطلان شهادته بالحكم الاول قيل له
قول الحاكم قد اجزت شهادته في كل شيء ان يجوز ليس بحكم انما هو فتوى والحكم انما يكون فيما تقام له البينة او يقع
الاقرار فان قيل فما تقولون في رجل زنى ثم حده الحاكم هل يجوز شهادته ان تاب قيل بلى فان قال لم بطلت
شهادته بحكم آخر وتوبته مقبولة بغير حكم حاكم فما منع ان يكون القذف مثل ذلك قيل الزنا فعل ظاهر يعرف به
فسق الزاني وان لم يحد والقذف لا يعلم كذب القاذف فيه من صدقه لانه شيء يدعيه على غيره وانما يعلم
انه كاذب في قذفه بما ينفذ عليه من حكم الحاكم فلذلك افترقا ومن الدليل ايضا على ان شهادة القاذف اذا حد
لا تقبل وان تاب انه اذا قال تبت من قذفي فلانا وكنت في ذلك كاذبا فلسنا ندري هل هو صادق في قوله
كنت كاذبا ام هو في قوله ذلك كاذب لان المقذوف ان كان في الحقيقة زانيا فقول القاذف كنت في قذفي اياه
كذبا منه وهو في ذلك آثم فاذا كنا لا نقف بتكذيبه نفسه على كذبه فيه من صدقه لم نجعله توبة لان التوبة
انما يكون ان يظهر عند الحاكم من الافعال ما يعلم بنفسها انها طاعة وانه فيها على خلاف ما ظهر من نفسه في الوقت
الاول فلما لم يعرف كذب المكذب لنفسه من صدقه لم يجعل ذلك منه توبة وقلنا توبته فيما بينه وبين
ربه لان الله يعلم هل هو كاذب في تكذيبه نفسه او صادق ونحن لا نعلم ولا دليل لنا من الظاهر عليه
فلم نجعل توبته توبة في الحكم وقلنا حاله الآن كحاله قبل ذلك ودليل آخر انا قد علمنا كذبه بقول الله فاولئك
عند الله هم الكاذبون فاذا قال كذبت في قذفي قلنا له لم تفدنا بتكذيبك نفسك فايدة لم نعرفها فانت
في هذا الوقت كاذب فانك في الوقت الاول قد اعلمنا الله كاذب فحالك الآن في شهادتك كحالك قبل ذلك
على ما ذكرنا ان الشافعي يقول لا ترجع الملاعنة الى زوجها وان تاب فاذا كانت توبته لا تبطل ما لزمها من الحكم

في رجوعها اليه فكذلك لا يبطل ما لزمه من الحكم في بطلان شهادته والله اعلم وقوله فاجلدوهم ثمانين جلدة
ان كان الجلد مأخوذا من الجلود فجائز ان يستخرج منه حد الضرب وهو ان لا يجاوز الجلود ولكن يضرب مقدار
ما يتألم به ويتوجع ولا يمزق به الجلود ولا يخرقها ويستخرج منه التفريق في الاعضاء كلها والجوارح لانه لو ضرب
في مكان واحد لخرقه ومزقه سوى الرأس والوجه والمذاكير لما فيه من التأثير والمجاوزة فان كان كذلك
ففيه حجة لابي حنيفة رحمه الله في قوله ان الشهود اذا شهدوا على حد فضربه الامام فاصابه الجراحات ثم رجعوا
لا يضمنون ما اصابه من الجراحات لانهم لم يشهدوا على ضرب يجرح ويؤثر فيه ما اصابه لذلك لم يضمنوا
وقول عمر لابي بكرة تقبل شهادتك ان تبت فهو يحتمل اي تقبل روايتك عن رسول الله ومشاهداتك التي
شهدتها وقد ذكرنا ان الحكم والحد في الآية انما جرى في قذف المحصنات دون المحصنين بقوله والذين
يرمون المحصنات الآية لكن قذف المحصن وشتمه لم يكن اكثر في الشين واعظم في الوزر لا يكون دونه
فالذكر وان جرى في المحصنات فالمعنى وجود المعنى الذي جرى به ذلك في المحصنات في المحصن وهو ما قال
ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم هو الايمان والاحصان
والعفة لذلك لزم الحكم في هذا كما لزم في المحصنات وقد ذكرنا ايضا فيما تقدم ان لا يجلد من قذف مملوكة
او مملوكا او قذف كافرة اما المملوك فلقوله والذين يرمون المحصنات وقد ذكرنا الدليل على ان المراد بالمحصنات
الحراير دون غيرهن لذلك لم يجلد قاذف المملوك ولانا لو اوجبنا على قاذفه الجلد اوجبنا جلد ثمانين
فهو لو اتى بفعل الزنا لحد خمسين فلا يجوز ان يوجب على قاذفه بما به قذف من الجلد اكثر مما يوجب عين
ذلك الفعل لو اتى به فسقط بما ذكرنا الجلد على قاذف المملوك واما الكافر والكافرة فسقط على قاذفهما
الحد لما ذكرنا من قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات شرط فيه الايمان والاحصان والعفة
فاذا عدم واحد مما ذكرنا لم يضمن ولانا لو اوجبنا الحد وحددناه حددناه لقذف عدو الله ولا يجوز
ان يجلد مسلم بقذف عدو من اعداء الله مع ما فيما ذكرنا من المسايل اجماع بين اهل العلم في ذلك والله اعلم
وقوله والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله
روى عن ابن عباس قال لما انزلت هذه الآية قال عبد الله بن عدي الانصاري ان دخل منا رجل بيته فوجد
رجلا على بطن امرأته ان اراد ان يخرج فيجيء باربعة رجال شهود يشهدون على ذلك قد قضى الرجل حاجته وخرج
وان هو عجل فقتل قتل به وان هو قال وجدت فلانا مع فلانة ضرب به الحد ولاعن امرأته وان سكت سكت
على غيظ فذكر انه ابتلي بذلك من بين الناس فاتى رسول الله فاخبره بذلك وقال وجدت فلانا على بطنها
فارسل رسول الله الى امرأته والى فلان فجمع بينهما وبين عاصم فقال للمرأة ويحك ما تقول زوجك قالت
يا رسول الله انه لكاذب ما راى شيئا من ذلك لكنه رجل غيور فذلك الذي حمله على ان يتكلم فلان فلان ضيفا
عندك يدخل ويخرج علي وهو يعلم ذلك فلم يهاني عن ذلك ساعة من ليل ونهار ان يدخل علي فسأله فسأله عن ذلك
فقال يا عاصم اتق الله في حليلتك ولا تقل الا حقا قال يا رسول الله اقسم بالله ما قلت الا حقا ولقد رايته
يغشى على بطنها وهي حبلى وما قربتها منذ كذا فكذا فامرهما رسول الله ان يتلاعنا عند ذلك وقال يا عاصم قم فاشهد
اربع شهادات بالله انه لما قلت وانك لمن الصادقين فقولك عليها ثم قال والخامسة ان لعنة الله عليك ان كنت
من الكاذبين ففعل ما ذكر ثم قال للمرأة مثل ذلك فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين عليها والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين عليها في قوله فلما تلاعنا وفرغا من اللعان فرق بينهما ثم قال للمرأة ان ولدته
فلا ترضعيه حتى تاتيني به فلما انصرفوا عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ولدته احيمر مثل الدبس
فهو الذي يشبه اباه الذي نفاه وان ولدته اسود ادعج جعدا قططا فهو يشبه الذي رميت به فلما وضعت
اتت به رسول الله فنظر اليه فاذا هو اسود ادعج جعد قطط على ما نعته رسول الله صلى الله عليه وسلم

لان القذف يستتر الى الزنا دفعا لذلك
العار عن المقذوف فاذا كان عند
تحقق ذلك لا يجب على الحد الاجنبين
كيف يجب لدفع ذلك العار عنه
ثمانون فهذا يمنع العقول وكذلك
الكفر لما ذكرنا من قوله والذين
يرمون المحصنات
شرح

يشبه الذي رميت به فقال رسول الله لولا اللعان والايمان التي سلفت لكان لي فيها رأي وفي بعض الاخبار
انه لما جمع بينهما قال لهما اتقيا الله فان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فان عذاب الآخرة اشد
من عذاب الدنيا وفي بعض الاخبار ان الآية نزلت في شان هلال بن امية فذكر فيه ما ذكرنا والله اعلم ثم في هذا
مسايل احديها انه ذكر قذف الازواج وذكر فيه اللعان ولم يبين في ظاهر الآية الزوج والزوجة كافران او حران
مسلمان او مملوكان او كيف فعندنا انه اذا كان احدهما كافرا او مملوكا او كانا جميعا لم يكن بينهما لعان الا ان يكونا
جميعا من اهل الشهادة وحجتهم في ذلك ان الله جعل على الاجنبي الحر اذا قذف اجنبية حرة الحد ثمانين وجعل
حد الزوج اذا قذف زوجته وهما حران مسلمان اللعان ثم قد ذكرنا اجماعهم على ان الحر اذا قذف امة او يهودية
فلا حد عليه فلما لم يكن على الحر القاذف للامة من الحد على ما قاذف الحرة اذا قذف امة لم يكن على زوج
الامة من اللعان ما على زوج الحرة واصل هذا ان الله ذكر الشهادة في رمي الاجنبية المحصنة وابراء القاذف
عن الجلد اذا اتى بها وامر باقامة الحد اذا عجز عن اقامتها ثم استثنى من الشهداء الذين ذكر في قذف الاجنبية
شهادة الزوجين بقوله ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله فاذا لم يدخلا في تلك
الشهادة اذا كانا مملوكين او كافرين او احدهما لم يدخلا فيما استثنى اذ الثنيا استخراج من تلك الجملة المستثناة
وتحصيل منها فلذلك بطل اللعان ووجه آخر في الكافر وهو ان المرأة تقول في الخامسة عليها غضب الله ان كان
من الصادقين وغضب الله يكون عليها بغير شرط فحال ان يقول القاضي لها عليك غضب الله بشرط ان كان
الزوج صادقا وهم يعلم ان غضب عليها في كل حال لذلك بطل والمخالف لنا اولى بابطال اللعان للحر والامة
والمسلم والذمية منا لانهم يزعمون ان العبد ليس بكفو للحر ولا الكافر بكفو للمسلم في القصاص في النفس
وفيما دون النفس فكيف جعلوها في ايمانها اكفاء لايمان الاحرار المسلمين كان يجب ان يقولوا ليست يمينها
ليمين المسلم فلا يوجبون بينهما لعانا والوجه فيه ما ذكرنا بديا ثم المسئلة في اباء الايمان اذا ابى احدهم
الايمان حد عند بعض اهل العلم وهو قول الشافعي وعندنا انه لا يحد بالاباء فذهب من اوجب الجلد
بالاباء الى ظاهر قوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم اوجب الجلد في قذف الاجنبي اذا عجز عن اقامة
الشهود ودرء عنه الحد اذا اتى باربعة يشهدون فعلى ذلك درء عن الزوجين الحد اذا شهد كل واحد منهما
اربع شهادات بالله فوجب اذا ابى احدهما الايمان ان يحد اذ بالايمان يدرء الحد ويوجب اللعان والثاني ما قال
ويدرء عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله جعل الايمان سبب درء الحد عنها فاذا ابت ذلك لزم الحد وعندنا
انه لا يحد بالاباء لانه ليس في الاباء ظهر الكذب اذ ليس كل من ابى اليمين يظهر كذبه فيه وانما يحد لظهور كذبه في القذف
وهو لا يعلم لا يظهر بالاباء وانما حد في الاجنبية اذا لم يأت باربعة شهداء لانه في الظاهر عند الناس كاذب لانه
ليس بينه وبين الاجنبية سبب ولا معنى يبعثه على اظهار ما ذكر واما فيما بينه وبين زوجته سبب ومعنى
يحمله على اظهار ذلك وهو الغيرة فاذا كان كذلك فهو في قذف الزوجة في الظاهر صادق عند الناس للسبب الذي
ذكرنا لانه طالب حق قبلها على ما دوى لا يوطئن فرشهن من يكره الازواج فلا يزال صدقه باباء اليمين واما في قذف
اجنبية فهو كاذب في الظاهر لعدم السبب الحامل على اظهار ذلك الكذب حتى يأتي بما يزيل الكذب وهو الشهود
وفي الزوجة على الصدق حتى يظهر كذبه ولا يظهر بالاباء لذلك افترقا ولان الحد لا يقام بالاباء البتة ولان
الايمان لا تقابل بشهادة العدول بحال الا ترى ان من شهد عليه شاهدا عدل بحق فحلف هو بايمان لم تكن تقابل
الايمان بتلك الشهادة في سقوط الحق واما قوله ويدرء عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله جايز ان يكون ذلك
في تلك المرأة التي في امرها نزلت الآية علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبها بالوحي الا ترى انه قال ان جاءت
بكذا فهو لكذا وان جاءت بكذا فهو لكذا ثم جاءت به شبيها بالذي رميت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا
الايمان لكان لي ولها شان علم كذبها حيث قال لولا الايمان لكان لي ولها شان فدرأت تلك المرأة العذاب الذي دعتها

الحبس

وتتصل بظاهر الآية فانه ذكر قذف الازواج

الحبس اذ من قولنا ايهما ابى اليمين حبس حتى يشهد اربع شهادات بالله او يقر بالزنا او يكذب نفسه فدرء
الحبس عنها بالايمان التي ذكر وانما لم يحد بالاباء لان الاباء لا يظهر الكذب كالاقرار ولان الاباء في الحقيقة
اباحة ولو ان انسانا اباح للحاكم ان يقيم عليه الحد لم يقم او لما يجوز انه يابى فعلى ذلك هذا ولما يجوز ان يأتي
عن الايمان صونا لنفسه عن اللعن والغضب الذي ذكر فلم يحد لما ذكر ثم مسئلتان في هذا نذكرهما وانه لم يذكر
في ظاهر هذه الآية احديهما في الحاق الولد امه والاخرى في تفريق الحاكم بينهما اذا تلاعنا قال بعض اهل العلم
اذا فرغ الزوج من ايمانه وقعت بينهما الفرقة وان لم يفرق الحاكم وقلنا نحن لا يقع الفرقة بينهما حتى يفرغا
من تلاعنهما ويفرق الحاكم بينهما والاخرى في الحاق الولد قال اولئك ايضا اذا فرغ الزوج من لعانه نحق الولد
امه وان لم يلتعن المرأة والقياس في لحوق الولد ما قال اولئك انه يلحق بفراغه من اللعان والقياس في وقوع
الفرقة ما قال اصحابنا انه لا يقع الا بعد فراغ الزوجين جميعا وتفريق الحاكم بينهما لان الزوج انما شهد اربع
شهادات بالله انه لمن الصادقين فقد الزم امرأته الزنا في الظاهر فاذا ظهر ذلك ظهر ان الولد ليس منه فجاز
لحوقه بالام بفراغه من اللعان واما الفرقة فانها لا تقع بظهور الزنا الا ترى ان امرأة الرجل اذا زنت لا تقع
بينهما الفرقة الا ترى ان دعوى المرأة باقية بعد فراغ الزوج من ايمانه لذلك افترقا والاخبار تدل لمذهب
اصحابنا في المسئلتين جميعا لانه روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا لاعن امرأته في زمان رسول
صلى الله عليه وسلم وانتفى من ولدها ففرق رسول الله بينهما والحق الولد بالمرأة وعن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما لاعن بينهما فرق بينهما وروي في الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما الله يعلم
ان احدكما كاذب فهل منكما تائب قال ذلك لهما ثلاثا فابيا ففرق بينهما وفي بعض الاخبار قال لحسابكما على الله
احدكما كاذب لا سبيل لك عليها فان قيل انما فرق النبي بينهما لان الفرقة قد وقعت بينهما فاخبر النبي انه
انه لا تحل له وقال لا سبيل لك عليها قيل قولكم ان الفرقة قد وقعت بينهما باللعان دعوى منكم وظاهر الاخبار
يشهد لنا وعلى وهم الخصم ثم يقال لهم السنا نقول في المولى اذا مضت مدته فارتفعا الى الحاكم هل تقع الفرقة
بينهما اذا امتنع من قربانها وطلاقها ما لم يقل القاضي قد فرقت بينكما فان قيل فرقة الايلاء طلاق وفرقة اللعان
غير طلاق عندنا قيل هما عندنا طلاق فان قيل انكم تزعمون ان فرقة الايلاء تقع بمضي الاجل فامتنع ان يقع
الفرقة باللعان بتمام اللعان قيل لم يكن للحاكم في الايلاء صنع فلا يحتاج الى حكمه وفي الآخرة لا يتم اللعان الا بالقاضي
فلا تقع الفرقة الا بالقاضي ويقال لهم ما تقولون في رجل ادعى حقا فاقام عليه شاهدين عند قاض هل يلزم
الحكم قبل ان يقول القاضي قد حكمت بذلك فان قالوا لا يلزم الحكم حتى يقول قد حكمت فيقال ما منع ان اللعان
مثله ويقال لهم ايضا ما تقولون في العنين اجله الحاكم بينهما فان قالوا لا تقع حتى يفرق الحاكم بينهما قيل ما منع
في فرقة اللعان انه كذلك فان قالوا انما صارت الفرقة لا تقع في العنين والمولى حتى يوقعها الحاكم يقول للزوج طلقها
او فيء اليها او يقول لامرأة العنين اختاري الفرقة او المقام معه فلما كان للحاكم ينظر ما يقول المرء وامرأة العنين
لم يقع الفرقة حتى يوقعها وليس في اللعان شيء ينتظر الحاكم لذلك افترقا فقيل بل ينتظر الحاكم تكذيب المرأة نفسها فيحدها
وتكون امرأته وكذلك ان اكذب الزوج نفسه حد وتركها عنده امرأته واصله انه لا يقع الفرقة الا بعد التعانهما
جميعا وتفريق الحاكم بينهما لانهما اذا التعنا جميعا عند ذلك يكون احدهما ملعونا ايهما كذب ولا انتفاع بالملعون
حرام الا ترى انه روي في الخبر انهما لما التعنا قال لهما انها موجبة اي اللعنة التي ذكرت فانما يلحق اللعن
احدهما اذا التعنا جميعا فاما بالتعان الزوج خاصة فلا يقع فاذا كان كذلك فيحتاج الى ان يفرق الحاكم بينهما
ويطرد احدهما من صاحبه اذ اللعن هو الطرد في اللغة وهو عندنا كالعقود التي تفسخ لا يكون الا بالحاكم نحو
ما ذكرنا من العنين والذي يابى الاسلام وغيرهما من العقود فانه لا يقع بينهما الفرقة الا بالحاكم فعلى ذلك هذا
وروي عن عمر انه قال المتلاعنان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان ابدا ثم مسئلة اخرى انه اذا فرق بينهما باللعان

بين عاصم بن عدي وبين امرأته فرق بينهما

فاكذب الملاعن نفسه يجوز له ان يتزوجها ام لا فعند بعض اهل العلم ليس له ان يتزوجها احتجوا بما روي عن عمر
وعلي رضي الله عنهما المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وعن عبد الله كذلك وعند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله له ان يتزوجها
اذا اكذب نفسه وليس في الخبر لا يجتمعان ابدا وان تاب واكذب نفسه فجايز ان يكون قوله لا يجتمعان ابدا ما داما
في تلاعنهما وما اقام على قوله ولم يكذب نفسه وان كان فيه حجة لمن قال اذا قال لا يجتمعان قبل التوبة وبعدها
يدل على ما ذكرنا قوله انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا قوله ولن تفلحوا اذا ابدا
ما داموا في ملتهم فاما اذا انقلعوا منها فقد افلحوا فعلى ذلك لا يجتمعان ابدا ما داموا في تلاعنهما وما اقام الزوج على قوله
فاما اذا رجع عن ذلك لهما الاجتماع واجمعوا انه اذا اكذب نفسه وادعى الولد لحق به فعلى ذلك هي والثاني لو اكذب
الزوج نفسه بعد اللعان قبل الفرقة وجب ان يحد ويكونان على نكاحهما فيجب اذا اكذب نفسه بعد اللعان قبل الفرقة
فحد فله ان يتزوجها ثم فرقة اللعان عندنا طلاق وهي تطليقة باينة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين
عويمر وامرأته قال كذبت عليها ان امسكتها هي طالق ثلاثا فصارت سنة في المتلاعنين فاذا كانت منه الفرقة بين
المتلاعنين الطلاق الذي اوقعه عويمر واجبا ان يكون كل فرقة تقع باللعان طلاقا ومن الدليل على ذلك ان قذف الزوج
كان سبب هذه الفرقة وكل فرقة يكون من الزوج او يكون الزوج سببها ويقع بقوله فانها طلاق كالعنين والخلع والايلاء
ونحوه فعلى ذلك فرقة اللعان تطليقة باينة لان الزوج سببها وتقع به وعلى ذلك جاءت الآثار عن السلف ان كل فرقة
وقعت من قبل الرجال بقوله فهي طلاق منهم ابراهيم والحسن وسعيد وقتادة وهؤلاء وكذلك يقول اصحابنا
ان كل فرقة جاءت من الرجال بقول فهي تطليقة فان عورض بافعال يكون من الرجال فيقع به الفرقة والحرمة نحو الجماع
ونحوه فذلك ليس بمعارضة لما ذكرنا والله اعلم ثم قوله **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** هذا الحرف مما يقتضي
الجواب ثم يحتمل ان يكون جوابه لولا فضل الله عليكم ورحمته لاظهر الكاذب منهما ومن الصادق والمذنب وغيره
ويحتمل لولا فضل الله عليكم ورحمته لاظهر الملعون منهما من غيره لكن لا ينتفع به اذ احدهما مما لحقه اللعن الذي ذكر ولا يحل
الانتفاع بالملعون الا ترى انه روي في الخبر ان امرأة ركبت ناقتها فلعنت فاستجيبت فامرت ان ترفع ثيابها وتخلى سبيلها
لكن بفضله ورحمته ستر على الملعون حتى يجوز لغيره ان ينتفع به وان كان لا يجوز لواحد منهما ان ينتفع بصاحبه ما دامت
اللعنة فيهما قايمة وجايز ان يكون وجها آخر وهو ان يقال لولا فضل الله عليكم ورحمته لاظهر الملعون منهما ولا يجعل
العقوبة بين الزوجين كهي بين الاجنبيين وهو الحد ولا اظهر الزاني منهما لكن بفضله لم يجعل والله اعلم **وقوله** وان الله
تواب حكيم جايز ان يكون تواب يقبل التوبة اذا تاب واكذب نفسه فيرفع اللعن منهما بالتوبة فاذا رفع اللعن
جاز لهما الانتفاع والاجتماع بينهما ففيه حجة لقول ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله في جواز نكاحهما اذا اكذب نفسه
حكيم حيث حكم بما حكم بين المتلاعنين او حكيم وضع كل شيء موضعه وفيه نقض قول المعتزلة في قولهم ان الله لا يفعل
باحد الا ما هو اصلح له في الدين والخير اذ لو لم يكن له ان يفعل غير الذي فعل لم يكن لتسميته ما فعل فضلا ورحمة معنى
فدل ان له ان يفعل غير الاصلح في الدين **وقوله** ان الذين جاءوا بالافك اي بالكذب عصبة منكم اي جماعة منكم ثم
اختلف في قوله منكم قال قايلون كانوا من اصحاب عايشة رموها بما ذكر في الآية وقال بعضهم كانوا منافقين منهم عبد الله
ابن ابي راس المنافقين وحسان بن ثابت وهؤلاء وقال بعضهم كان ذلك من الفريقين جميعا من اصحاب ابي بكر
واقربائه والمنافقين ايضا فان كان ذلك من اصحاب عايشة رض وقراباتها فذلك يخرج منهم على الغفلة والعثرة ليس
على الانتقام والحقد لان القرابات والمتصلين بالرجل لا يقصد بعضهم ببعض الانتقام والحقد بمثله فاذا كان كذلك
فيخرج ذلك منهم ان كان مخرج الغفلة والذلة لا مخرج الانتقام وان كان ذلك من المنافقين فهو على الانتقام وطلب
الشين منهم لها وكان في ظاهر الآية دلالة ان ابتداء ذلك الافك من المنافقين ثم تسامع المؤمنون بعد ذلك ويتلقى
بعضهم من بعض حيث قال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا فان كان ذلك فهو على ما وصفنا
ان ذلك من المؤمنين غفلة وذلة وعثرة ومن المنافقين انتقام وطلب شين والله اعلم **وقوله** لا تحسبوه شرا لكم بل هو

خير لكم وقال بعضهم لا تحسبوه شرا لكم لانكم توجرون في الآخرة على ما قيل فيكم من الفحش والقذف بما قرفوا به
بل هو خير لكم في الآخرة على ما ذكرنا من الاجر ويحتمل قوله بل هو خير لكم في الدنيا لما برأه الله مما قرفوا به ودفع
عنهم تمكين ما قرفوا به ووعدهم الجنة بقوله اولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم وكان قبل نزول
هذه الآية موهوم عند الناس فيها متمكن احتماله ذلك الفعل الا ترى انه قال في آية اخرى يا نساء النبي من يأت
منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقال ومن يقنت منكن لله ورسوله الآية كان الامران جميعا
موهوم عنهن عند الناس محتمل ذلك فلما قرفت بما قرفت رفع الله ما كان موهوما عند الناس قبل ذلك ووعدهم
الثواب الكريم والرزق الحسن بقوله اولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم فلا شك ان ذلك خير لهم
في الدنيا والآخرة وشر لاولئك الذين رموها حتى لم يتجاسر احد بعد ذلك ولا اجترأ ان يظن فيها ظن السوء
فضلا عن ان يقول فيها شيئا وقصة عايشة رضي الله عنها طويلة لكنا نذكر ما كان بنا الى ذلك حاجة او ان يقال
بل هو خير لكم لما انزل الله تعالى لشأنهم آيات فيها براءتهم عما قرفوا به تتلى تلك الآيات الى يوم القيامة وذلك
خير لهم والله اعلم **وقوله** لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي اثم ما قرفها به والذي تولى كبره منهم عذاب عظيم
هو ذلك المنافق الذي لقي ذلك في الناس وله عذاب عظيم فيه دلالة انه يموت على نفاقه وكذلك مات على نفاقه
فلحقه ذلك الوعيد قيل هو عبد الله بن ابي بن سلول والله اعلم وقال بعضهم والذي تولى كبره اي عظمه
من المعصية يعني عبد الله بن ابي بن سلول له عذاب عظيم لانه كان منافقا **وقوله** لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا قال بعضهم هلا اذ سمعتموه قذف عايشة رضي الله عنها بصفوان كذبتم به اولئك
القذفة تقول لا ظن بعضهم ببعض خيرا وهلا قالوا هذا افك مبين يقول الله هلا قالوا القذف كذب
مبين وعلى هذا يخرج ايضا قوله لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اي هلا قالوا لهم جيئوا باربعة شهداء على قذفكم
اياها فاذ هم لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ويحتمل ان يكون قوله لولا اذ سمعتموه
ظننتم بهم ظنا ما يظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا دون ان قالوا افك مبين او ان يكون التاويل
ان لم يظن احد منكم بنفسه اذا كان مع ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ظن بصفوان ذلك اذ كان
هو مع ازواجه او ان يقال اذا لم يكن يظن احد منكم باهله ومحارمه ذلك الظن فكيف ظن بازواج رسول الله
وهي امهاتكم وامهات جميع المؤمنين والله اعلم **وقوله** لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اي لم يكن لهم بما قذفوا
شهداء ولا يجدون على ذلك شهداء وجايز ان يكون قوله لولا اي لم يكن كقوله فلولا كان من القرون من قبلكم
اولوا بقية اي لم يكن من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا والا على تاويل هلا يبعد
لانه لم يكن لهم شهداء على ذلك فكيف ياتون **وقوله** فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
وان اتوا بالشهداء على امر عايشة كانوا كاذبين ايضا فدل ان تاويل قوله لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اي لم يكن لهم
شهداء فكيف قذفوها والله اعلم **وقوله** ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه
عذاب عظيم هذا يحتمل وجهين لولا فضل الله عليكم ورحمته حيث انزل في قذفكم عايشة بصفوان آيات في براءتها
حتى تبتم عن ذلك والا لمسكم العذاب في الآخرة بذلك والثاني لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب ولعاقبكم
بما قلتم في عايشة في الدنيا على هذا التاويل العذاب الموعود في الدنيا وعلى التاويل الاول الوعيد في الآخرة
لكن بفضله ورحمته دفع عنكم والله اعلم **وقوله** فيما افضتم فيه اي خضتم فيه وقال بعضهم في قوله بانفسهم خيرا
اي بامثالهم خيرا تاويله لولا ظن المؤمنون بامثالهم خيرا دون ان يظنوا بهم شرا وفيما عظم الله عز وجل امر القذف
وشدد فيه ما لم يشدد في غيره ولم يعظم وجوه احدها قطع طمع اهل الفجور والريبة فيهن لئلا يطمع احد منهم
في المحصنات واولاد الكرام وذلك الفعل فقطع طمعهم بما شدد فيه لئلا يقرفن بذلك ولا يطمع فيهن ذلك والثاني
لئلا يترك الناس الرغبة في مناكحة المحصنات واولاد الكرام ويرغبون فيمن دونهن ويحدث ايضا الضغاين

والعداوة بين القذفة وبين المتصلين بالمقذوفات وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكان كذا هذا منه
على الايجاب اى قد كان منه ذلك واذا كان ممتنا فالى الخلق فهو على انه لم يكن ذلك ولذلك تاولوه هلا وعن ابن عباس
انه قال فى قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات يقول قال للمؤمنين لولا هلا اذ بلغكم عن عايشة وصفوان
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا يقول فظننتم بعايشة ظنكم بانفسكم وعلمتم ان امتكم لا تفعل ذلك
وكذلك المؤمنة لا تفعل ذلك وقلتم هذا افك مبين لولا هلا جاؤا عليه باربعة شهداء على قولهم ويصدقوهم على مقالتهم
فاذ لم ياتوا بالشهداء كذبتموهم فاولئك عند الله هم الكاذبون وهو قريب مما ذكرنا فيما تقدم **وقوله** اذ تلقونه
بالتشديد اى تقبلونه وتلقونه بالتخفيف اى تاخذونه من الولق وهو الكذب وكذلك
قرات عايشة وقال ابو عوسجة اذ تلقونه قال تلقيت الكلام ولقنته وتلقنته واحد ثم قوله اذ تلقونه بالسنتكم
من غيركم وتقولون بافواهكم فيما بينكم وجايز ان يكونا جميعا واحدا اى تتكلمون بالسنتكم وتقولون بافواهكم
ما ليس لكم به علم اى من غير ان تعلموا ان الذى قلتم من القذف قد كان والله اعلم **وقوله** وتحسبونه هينا قال بعضهم
تحسبون القذف ذنبا هينا وهو عند الله عظيم فى الوزر وجايز ان يكون قوله وتحسبونه هينا فى الدين لان القذف
يحدث نقصانا فى الدين والنقصان فى الدين عظيم عند الله وتحسبونه انتم هينا ثم وعظ الذين خاضوا فى امر
عايشة فقال ولولا يقول هلا اذ سمعتموه اى القذف قلتم ما يكون لنا اى ما ينبغى لنا ان نتكلم بهذا الامر وهلا قلتم
سبحانك هذا بهتان عظيم لعظم ما قالوا فيها والبهتان الذى يبهت فيقول ما لم يكن من قذف وغيره وقال ابو عوسجة
البهتان الكذب يقال بهت اى كذب **وقوله** يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اى القذف ابدا ان كنتم مؤمنين
ويبين الله لكم الآيات فى بيان ذلك وبراءتهم او يبين اوامره ونواهيه والله عليم حكيم اى عليم بكل شىء ثم قوله
او فعل حكيم يضع كل شىء موضعه **وقوله** ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا كان اصل
النفاق هم الذين احبوا ان تشيع الفاحشة والا اهل الاسلام لا يحبون ذلك ثم يحتمل قوله ان تشيع
الفاحشة فى الذين آمنوا فى عايشة وصفوان او احبوا ان يشيع قذف عايشة وصفوان فى المؤمنين واهل
النفاق هم الذين القوا ذلك فى المؤمنين لهم عذاب اليم فى الآخرة لنفاقهم وقذف عايشة واما فى المؤمنين فهو ما قال
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين وروى عن عمرة عن عايشة قالت لما نزل عذرى قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل امر برجلين وامراة فضربوا حدهم وعن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبد الله بن ابى وحسان ومسطح بن اثاثة الحد وفى بعض الاخبار والمراة
ايضا وهى حمنة لكل واحد ثمانين جلدة ثم ما ذكر من قذف عايشة انه بهتان عظيم وقوله وتحسبونه وهو عند الله
عظيم ونحو فجايز ان يكون ذلك فى قذف كل محصنة برية دون ان يكون ذلك خصوصا لعايشة وهو كما ذكر فى قذف
المحصنات والذين يرمون المحصنات الآية وقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا هذا يحتمل وجهين
احدهما يشيعون الفاحشة ويذيعونها فى الذين آمنوا هم الذين تولوا اشاعتها واذاعتها فلهم ما ذكر من العذاب
الاليم والثانى يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ليكون ذلك ذريعة لهم فى المؤمنين فيقولون ان دينكم
لم يمنعكم عن الفواحش والمنكر لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة لانهم كانوا منافقين منهم كان اول بدا القذف وبهم
شاع لذلك كان لهم هذا الوعيد **وقوله** والله يعلم وانتم لا تعلمون اى والله يعلم حقايق الاشياء وانتم لا تعلمون
حقايقها وفيه دلالة تعليق الحكم بالظواهر دون تعليقه بالحقايق **وقوله** ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
رؤف رحيم لم يذكر جواب قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته فجوابه ما ذكر فى قوله ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا يفضله يزكو من زكا وبرحمته يصلح من صلح لا بصنيع من نفسه **وقوله** يا ايها الذين
آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان لكنه قال ومن يتبع فانه يامر بالفحشاء والمنكر نهى المؤمنين ان يتبعوا خطوات
الشيطان ولم يبين ما خطوات الشيطان لكنه قال ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر

سماه بهتانا عظيما لعظم ما قالوا فيها

بجوابه

بجوابه ان يقول فان خطواته كذا ولم يقل ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يفعل الفاحشة ولكنه قال
فانه يامر بالفحشاء والمنكر لكن جوابه ما قال فى آية اخرى وما قال فى آية اخرى يا ايها الناس
كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء الآية
اخبر ان من اتبعه امره بالفحشاء والمنكر خطوات من الخطوة والخطوات وهما محل رفع القدم ووضعه واصله هو
نهى عن اتباع آثاره **وقوله** ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء التزكية
يحتمل التوفيق والعصمة يزكون بما اعطى لهم من التوفيق والعصمة او يزكون بما ارسل اليهم من الكتب والرسل والتوفيق
والعصمة اشبه وفيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر ان من زكى انما يزكو بفضله ورحمته وهم يقولون لو فعل
غير الذى فعل كان جايزا عندهم فعلى قولهم ليس بمفضل ولكن ما دل لانه فعل ما عليه ان يفعل فعلى قولهم
لا يكون مفضلا ولكن عادلا اذ لم يسم فى الشاهد من فعل ما عليه ان يفعل مفضلا وعلى قولهم انه قد اعطى كلا ما به
يزكون ويصلحون لكنهم لم يزكوا هم فعلى قولهم لم يزك من زكا به ولكنه انما زكى بما اعطاه له فقد اخبر ان من زكا
انما زكا به وانه قد ابقى عنده ما لو اعطاهم ذلك لزكوا وقد اعطى ذلك من زكا وصلح ولم يعط ولم يزك **وقوله**
والله سميع عليم اى سميع لاقوالهم وعليم لافعالهم واصله ما ذكر يعلم ما يسرون وما يعلنون **وقوله**
ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة قال بعضهم قوله ولا ياتل اى ولا يحلف وهو يفتعل من الايلاء وقال ابو عوسجة
لا ياتل اى لا يعجز ولا يقصر يقال ايتلى ياتلى والا يا لوا لوا وهو التقصير وترك المبالغة ثم يحتمل قوله اولوا الفضل
منكم اى من له الفضل والسعة ويحتمل اولوا الفضل من له الافضال والمعروف وبر اولوا ولى القربى والمساكين
والمهاجرين فى سبيل الله ذكر اهل التاويل ان ابا بكر كان حلف ان لا ينفع مسطحا بنافعة وكان قريبه بما تكلم
فى عايشة فانزل الله النهى عن ذلك فقال ولا ياتل اولوا الفضل منكم لكن الآية وان نزلت فى ابى بكر ومعنى كان
من ابى بكر فان غيره من الناس يشترك فى معنى ذلك وفى ذلك النهى وكذلك ما قال فى آية وهو قوله ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم الآية ذكر ان قوما كانوا يحلفون ان لا يبروا الناس ولا يصلحوا بذلك ان يكون حلفهم فى ذلك عندكم
فى ترك الانفاق عليهم والتعاون والاصلاح بين الناس فنهوا عن ذلك وذلك ايمان لهم ولمن كان فى معناهم
ليس لهم خاصة فعلى ذلك قوله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الآية وان كان فى ابى بكر فهو فيه وفى الذى
فى معناه وان كان حلف هذا بترك الانفاق لاساءة كانت منهم اليهم والاول على الابتداء وكذلك هذه
الآيات نزلت لنازلة كانت فى عايشة وصفوان فانما نزلت لتلك النازلة لمعنى لا نزلت لانها كانت عايشة
وابو بكر ولكن لمعنى بكل من وجد ذلك المعنى فيه شرك فى ذلك ويجعل كان هذه الآيات كلها نزلت فيه وهو ما قال
ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات فكل محصنة مؤمنة غافلة برية مما رميت به دخلت فى الآية
وكل رامى محصن مؤمن غافل برئ مما رمى به فى الآية لوجود المعنى الذى نزلت الآية وعلى ذلك جميع القرآن اذا نزل
بسبب بالمرء امر نازلة لمعنى يشترك من وجد ذلك المعنى فيه شرك فى ذلك ويجعل كان هذه الآيات كلها نزلت
وهو ما قال ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات فكل ذى محصنة مؤمنة غافلة برية مما رميت به
دخلت فى الآية وكل رامى محصن مؤمن غافل برئ مما رمى به فى ذلك الحكم فعلى ذلك ما نزل فى ابى بكر من النهى بترك
الانفاق وما عوده من اصطناع المعروف اليه لما كان منه اليه من الاساءة ثم امر بالعفو والصفح وهو قوله
وليعفوا وليصفحوا اى اعفوا عن اساءته واصفحوا اى لا تذكروا عفوكم اياه عن اساءته ولا يذكروا زلته ايضا
لان ذكر العفو يخرج مخرج الامتنان كقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اخبر ان المن يبطل الصدقة وذكر
الزلة يخرج مخرج التعيير والتوبيخ وامره بالعفو وهو ظاهر والصفح ما ذكرنا من ترك ذكر العفو والزلة
والاساءة جميعا والله اعلم **وقوله** الا تحبون ان يغفر الله لكم اى قد تحبون ان يغفر الله لكم ما كان منكم اليه من
الاساءة وان احببتم الى ذلك فاعفوا عمن اساء اليكم والله غفور رحيم **وقوله** ان الذين يرمون المحصنات

فذلك قوله والله يزكى من يشاء

والمؤمنات ظاهر صح

واما اذا تابوا عن النفاق وعما وجد منهم من القذف فان الله غفور رحيم ومما يدل على ان الاية في المنافقين ما ذكر على اثره وهو قوله يوم تشهد

الغافلات المؤمنات قد ذكرنا ان المحصنات ههنا من الحراير والغافلات من برئات من الفاحشة المؤمنات ظاهر وقوله لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم كان الاية نزلت في المنافقين الذين كانت منهم ابتداء القذف واشاعته في الناس لذلك ذكر فيهم اللعن والعذاب العظيم فهو كما قال ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والمومن لا يحب شياع الفواحش في المؤمنين انما ذلك عادة المنافقين ثم اللعن في الدنيا هو الحد الذي ضرب في الاخرة العذاب الاليم وعظيم كانه ذكر اللعن والعذاب الاليم اذا لم يتوبوا وما توا على النفاق فعند ذلك يكون لهم ما ذكر ويدل لما ذكرنا ان الاية في المنافقين قوله يوم تشهد عليهم السنتهم الاية وانما تشهد هذه الجوارح على الكافر لانكاره باللسان واما المؤمن فانه مقر بذلك كله لا يحتاج الى ان تشهد عليه الجوارح وهو ما قال اليوم نختم على افواههم ونحوه كانهم ينكرون ذلك في الاخرة كما انكروا في الدنيا كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم اخبر انهم يحلفون لله في الاخرة كما كانوا يحلفون لرسول الله في الدنيا فخاين السنتهم تشهد عليهم بعد ما انكروا ويشهد عليهم ساير الجوارح اذا انكروا وهو ما قال في اية اخرى شهد عليهم سمعهم الاية وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا الاية يكون شهادة الالسن بعد ما انكروا منهم ذلك وحلفوا فعند ذلك تشهد عليهم السنتهم والله اعلم وقوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يؤمنون به جميعا يومئذ ويقرون بالحق لكن لا ينفعهم ايمانهم يومئذ كقوله نفسا ايمانها ويعلمون ان الله هو الحق المبين اي يعلمون ان ما دعاهم الرسول اليه من توحيد الله والاقرار بالربوبية له والالوهية هو الحق المبين اي تبين ذلك لنا والحق المبين ما يبين ما يوقى مما يتقى وما يحل مما يحرم وقوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات اختلف فيه قال بعضهم الخبيثات من الكلمات والاقوال للخبيثين من الرجال والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلمات والقول والطيبات من الكلمات للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من الكلمات وقال مجاهد هو القول السيء والقول الحسن فالحسن للمؤمنين والسيء للكافرين وذلك ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين كل بريء مما ليس له نحو من الكلام وابن عباس رضي الله عنه يقول هذا نزل في الذين قذفوا عايشة بصفوان وهم حسان بن ثابت واصحابه يقول الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال لا حق ان يليق بهم بما قيل لهم والخبيثات من الكلام تخرج من الخبيث من الرجال يعني بهم حسانا واصحابه الذين تكلموا بالفرية ثم قال والخبيثون من الرجال للخبيثات يعني ما تكلم به حسان واصحابه من الفرية ثم قال والخبيثون فلو كانوا هم صالحين طيبين تكلموا بالحسن من الكلام والطيب ولكن كانوا خبيثات تكلموا بالخبيث من الكلام ثم قال اولئك يعني عايشة وصفوان مبرؤن مما يقولون ولئك القذفة ثم قال الله اولئك يعني عايشة وصفوان مبرؤن مما يقولون اولئك القذفة لهم مغفرة ورزق كريم اي حسن قال ابن عباس صرف الاية الى عايشة وصفوان والى قذفتهم وذلك محتمل وهو قريب من الاول وقال بعضهم الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال لكن هذا يتوجه الى النكاح شرعا ووجودا اما الشرع نهيه المؤمنين عن نكاح المشركات بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة فالمشركات من الخبيثات فهن للخبيثين منهم وهم المشركون وكذلك الزانيات للزناة منهم والمؤمنات هن الطيبات فهن للمؤمنين وكذلك المحصنات الغافلات هن الطيبات فهن للمحصنين من اهل العفاف والصلاح هذا هو شرع واما الوجود فهو ما صبر ازواج المنافقين والكفرة على كفر ازواجهن والسبل رسول الله والاذى له وذلك لخبثهن وموافقة ازواجهن فلو كن طيبات لكن لا يصبرن على الكفر كما لا تصبر المؤمنة بكفر زوجها والزوج بكفر امراته ومن صبر على ذلك انما صبر لخبثه فبعضهم لبعض اكفاء الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وكذلك الطيبات والطيبون والله اعلم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ان الكلمة الخبيثة لتكون في جوف الرجل الصالح فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الخبيث

فيضمها

فيضمها الى ما عنده من الشر وان الكلمة الصالحة ليكون في جوف الرجل الخبيث فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الصالح فيضمها الى ما عنده من الخير ثم تلا عبد الله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين الاية وجايز ان يكون الخبيثات هن الدركات التي يكون في النار للذين عملوا اعمال الخبيثة في الدنيا والطيبات هي الدرجات التي يكون في الجنة للطيبين الذين عملوا في الدنيا اعمال الطيبة فالدرجات في الجنة للطيبين الذين عملوا الطيبات في الدنيا والدركات في النار للذين عملوا الخبايث والفواحش في الدنيا وقال بعضهم قوله ان الذين يرمون المحصنات الى قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين انزلت في المنافقين الذين قذفوا عايشة عبد الله بن ابي واصحابه وكان قذفها منافقون ومؤمنون وهو ما ذكرنا ان المؤمنين لم يقصدوا به قذفها ولكن كان ذلك زلة منهم وغفلة واما المنافقون فقد قصدوا به القذف والفرية فاوجب للمنافقين الحد واللعن والعذاب العظيم على ما ذكر لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم ولهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة واما المؤمنون فقال لهم لولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم به عذاب عظيم وقال بعضهم فضله الاسلام ورحمته القرآن اي لولا ذلك لعذبكم كما عذب اولئك ثم قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس من نحو ما ذكرنا ولئك الا انه زاد فيه من القول والعمل وذلك كله قريب بعضه ببعض والله اعلم بذلك وقال بعضهم ان الرجل الصالح يتكلم بكلمة العوراء فيقول القايل قال فلان كذا وكذا فيقول الاخر ما هذا من كلام فلان وروي عن كعب قيل عبد الله فقال ان الكلمة الخبيثة تخرج من لسان العبد فتصعد الى السماء فلا يفتح لها ابواب السماء وترجع الى الارض فلا تجد لها مستقرا وتذهب الى البحر فلا تجد لها فيها مكانا فتقول ما اجد لي مكانا فتقول مكانا فتقول ما اجد لي موضعا اسكنه غير الموضع الذي خرجت منه فترجع الى صاحبها ثم تلا كعب هذه الاية الخبيثات للخبيثين الاية وقوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها روي عن عبد الله بن عباس انه كان يقرؤها حتى تستاذنوا وتسلموا على اهلها وقال تستانسوا وهم من الكاتب وقال بعضهم الاستيناس الاستيذان وقال بعضهم الاستيناس الاستعلام وهو ان يطلب من اهل البيت الاذن بالدخول والاستيذان هو طلب الاذن منهم للدخول وروي عن ابي ايوب قال قلنا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فما الاستيناس قال ان يرفع صوته بالتحميد او بالتسبيح او بالتكبير ليؤذن بالدخول فان ثبت هذا فهو الى الاستعلام اقرب وهو من قوله فان انستم منه رشدا اي علمتم ثم قال بعضهم قوله حتى تستاذنوا وتسلموا على اهلها على التقديم والتاخير اي حتى تسلموا او تستانسوا وهو ان يبدا فيقول السلام عليكم ورحمة الله ادخل يسلم اولا ثم يستاذن وهو ما روي السلام قبل الكلام ولكن عندنا ان الاستيذان للدخول فاذا اذن بالدخول فدخل فعند ذلك يسلم عليهم كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية فانما امر بالسلام بعد الدخول فعلى ذلك يسلم عليهم كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فانما امر بالسلام بعد الدخول فعلى ذلك هذا يستاذن للدخول فاذا اذن له فدخل فبعد الدخول يسلم عليهم لانهم لو سلم اولا ثم استاذن احتاج الى ان يسلم ثانيا فاذا دخل فهذا الذي ذكرنا اشبه بعمل الناس وظاهر الاية والله اعلم ثم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم لم يرجع الى المساجد ونحوه بل يرجع ذلك الى البيوت المسكونة فذلك يدل كقولنا ان من حلف ان لا يدخل بيتا فدخل المسجد لم يحنث وقوله ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون اي ذلك الاستيذان والتسليم خير لكم من ترك الاستيذان لانه ترك التادب بما ادبه الله وعلمه لعلكم تذكرون اي تتعظون باداب الله وروي في بعض الاخبار ان من دخل بيتا بغير اذن قال له الملك الموكل به عصيت واذيت فيسمع صوته الخلق كله غير الثقلين ويصعد صوته الى السماء الدنيا فيقول ملايكة السماء اف لفلان عصى ربه واذى وقوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم هذا يدل على ان الاستيذان

وطلبا لاذن لاخبث لانفسهم خاصة ولكن لانفسهم ولما لهم في البيوت من الاموال لانه قال فان لم تجدوا فيها
احدا فلا تدخلوها لم ياذن لهم بالدخول فيها احد حتى ياذن ارباب الاموال والمنازل بالدخول فيها ليعلم ان النهي
عن الدخول للانفس والاموال جميعا لان الناس يتخذون البيوت والمنازل صونا للانفس والاموال جميعا فكما يكرهون
اطلاع غيرهم على انفسهم وعيا لانهم فلا يطيب انفسهم ايضا على اموالهم وامتعتهم فلا يدخل الا باذن من اهلها والله اعلم
وقوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم ذكر في بعض الاخبار ان الاستيذان ثلاث من لم يؤذن له فيهن
فليرجع اما الاول فيستمع الحي واما الثانية فياخذون حذرهم واما الثالثة فان شاؤا اذنوا وان شاؤا ردوا
وقيل لا تقعدن على باب قوم ردوك عن بابهم فان للناس حاجات ولهم اشغال والله اعذر للعذر
وفي بعضها وما انتم من شيء يا ابن ادم هو ازكى لكم وقوله هو ازكى لكم لانه اذا لم يؤذن بالدخول فقعدوا على بابهم
ولم يرجعوا اورث ذلك معاينا تكره احدها تهمة على اهل الدار على ما يقعد على ابواب اهل التهم من الشرطي
وغيره فذلك مكروه عند الناس والثاني للناس اشغال وحاجات في منازلهم وخارج المنازل فان انتظر
وقعد على بابهم ضاق بذلك ذرعهم وشغل قلوبهم ذلك فلعل حاجاتهم لا تلتايم لشغلهم به لذلك كان
الرجوع ازكى لهم وخيرا لهم من القعود على الباب والانتظار والله اعلم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الاستيذان ثلاث فان اذن لك فيهن والا فارجع وقال بعضهم معناه وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول
ان سكت عنكم فلم يؤذن لكم فقد قيل لكم ارجعوا وان لم يقولوا بالسنتكم ارجعوا وقوله والله بما تعملون عليم
وعيد كقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ثم الاستيذان على محارمه لازم ان يحدث وان كان يجوز له
ان ينظر الى شعر ذات محرمه ووجهها فانه منهي عن النظر الى ما سوى ذلك من عورتها لما تخشى ان يبدو
من عورة المراة ان دخل عليها بغير اذن روى ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال انا اخدم امي
وافرشها استاذن عليها قال نعم فاساله ثلاثا فقال ايسرك ان تريها عريانة قال لا فاستاذن عليها
وكذلك روى عن حذيفة ان رجلا ساله فقال استاذن على اختي فقال ان لم تستاذن عليها رايت ما يسوؤك
وكذلك قال ابن مسعود وابن عباس عن احدهما في الام وعن الآخر في الاخت لكن امر في الاستيذان على هولاء
اسهل وايسر من امر الاجنبي اذ كان مطلقا له ان ينظر الى شعر محرمه ووجهها والله اعلم وقوله ليس عليكم
جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة يحتمل قوله بيوتا غير مسكونة يحتمل وجهين احدهما بيوتا غير محتملة
للسكنى وهي الخرابات والمواضع التي يقضى فيها الحوايج وكذلك ذكر في حرف حفصة بيوتا غير معمورة لكم
فيها متاع والثاني بيوتا غير مسكونة محتملة للسكنى الا ان اهلها لم يسكنوها لنزول الناس فيها وهي نحو
الخانات والرباطات التي تكون للمارة وعلى ذلك روي في الخبر انه لما نزلت آية الاستيذان قال ابو بكر
يا رسول الله فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة وبين المدينة والشام ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ليس عليكم
جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وذكر في حرف ابن مسعود ليس عليكم جناح في بيت ليس فيه
ساكن ان تدخلوه وقوله فيها متاع لكم كان ذلك البيوت الخانات والبيوت التي ينزل فيها اهل السفر فيكون
قوله فيها متاع لكم اي فيها منفعة لكم من الدفء في الشتاء والظل في الصيف ودفع الحر في ايام الحر ودفع البرد
في ايام البرد وان كان البيوت هي الخربات واقباب واسقاطات التي كانوا يضعون في الطهور لقضاء الحوايج فيكون
قوله فيها متاع لكم اي الخلاء والبول والله اعلم وقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قال لما تبدون من السلام
وما تخفون منه او في كل شيء كقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون يذكرهم ليكونوا ابدا على حذر وخوف
والله اعلم وقوله قل للمؤمنين يغضوا ابصارهم ويحفظوا فروجهم روي عن علي رضي الله عنه قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا علي ان لك كنزا في الجنة وانك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة
وعن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم لك اول نظرة فاياك الثانية وعن جرير قال سالت النبي

صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة فامرني ان اصرف بصري وعن ابن عباس قال يغضوا ابصارهم عن شهواتهم
فيما يكره الله ثم يحتمل قوله يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وجوها ثلاثة احدها غضوا ابصارهم
لكن يحفظوا فروجهم فان حفظ الفرج انما يكون بغض البصر وحفظه والثاني يغضوا ابصارهم عن النظر الى كل
من الاجنبيات لانه لا نظر الى المحارم ويحفظوا فروجهم عن الكل من المحارم والاجنبيات الا الذين استثناهم
في آية اخرى والثالث غضوا ابصارهم عما في ايدي الخلق ولا تمتدوها الى ما في ايديهم كقوله ولا تمدن عينيك الى
ما متعنا به ازواجا منهم الآية وقوله ذلك ازكى لهم اي اطهر لهم وادعى لهم الى الصلاح من النظر وعلى هذا
الوجه يخرج قوله وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وقوله ولا يبدين زينتهن
الا ما ظهر منها روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال الا ما ظهر الرداء والثياب وعن ابن عباس قال
الا ما ظهر منها الكحل والخاتم وفي رواية الخضاب الكف والوجه وعن عائشة قالت الا ما ظهر منها القلب والفتخة
والخاتم اصبع الرجل وعن عبد الله الزينة زينتان زينة باطنة لا يراها الا الزوج فاما الزينة الظاهرة فالثياب
والباطنة فالاكليل والسوار والخاتم فان كان التاويل ما روي عن ابن مسعود حيث حمل على الثياب وغير
ففيه دلالة ان لا يحل النظر الى وجه امراة اجنبية وان كان ما قال ابن عباس ففيه دلالة حل النظر الى الوجه
المراة لا يشتهي وان كان ما قالت عائشة من القلب والفتخة ففيه دلالة جواز النظر الى الكفين والقدمين
لانهما ظاهرتان بايتان الاخرى انهما من الظواهر في غسل الوضوء وان كان ذلك ففيه دلالة جواز
صلوتها مع ظهور القدم وجايز ان يكون النظر الى وجه المراة حلالا اذا لم يكن يشتهي لكن غض البصر وترك النظر
اوفق وازكى كقوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك
ادنى ان يعرفن فلا يؤذين كان ادنى لا امانة والذي يدل ان المراة ان لا تغطي وجهها ولا ينبغي
للرجل ان يتعهد النظر الى وجه امراة الا عند الحاجة اليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لا تتبع النظرة
الاولى وليست لك الآخرة وفي بعضها لك الاولى والآخرة عليك لانه لكن انما يتعهد النظرة الثانية لشهوة
تحدث في قلبه واذنه للذي يريد ان يتزوج امراة ان ينظر اليها يدل على ان نظر الرجل الى وجه المراة غير حرام
لانه لو كان حراما لم ياذن فيه النبي لاحد ونرى والله اعلم ان النظر الى وجه المراة ليس بحرام اذا لم يقع في قلب
الرجل منه ذلك شهوة فاذا وجد له شهوة ولم يمنع له ان يؤتيه ذلك الى ما يكرهه يحظر عليه ان ينظر الا الى بينه
معرفتها او النكاح فانه قد رخص في ذلك روي ان المغيرة اراد ان يتزوج امراة فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذهب فانظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما وقال في بعض الاخبار اذا خطب احدكم المراة فلا باس
ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها للخطبة وان كانت لا تعلم واحسن الشابة وافضلها لمن تستر وجهها وبدنها
عن الرجال ليس ذلك حرام ولكن لما يخاف في ذلك من حدوث الشهوة ووقوع الفتنة بهن اذا لم يكن للناظر
عند ذلك شهوة بان كان شيخا كبيرا وكانت المراة دميمة او عجوزا فانه لا يحظر النظر الى الوجوه امثالهن ولا ينظر
الى ما سوى ذلك واستدل بقوله تعالى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى
ان يعرفن فلا يؤذين وهذا يدل على ان الوجه والكفين جايزان لا يكونا يعرف بان المراة لا تصلي وعورتها مكشوفة
ويجوز ان تصلي ووجهها ويداها ورجلاها مكشوفة فاذا كان كذلك دل ذلك على ان النظر الى ذلك جايز اذا لم يكن
ذلك لشهوة وحيث ذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان لان زناء العين لا يكون الا النظر
للشهوة فاذا كان لشهوة وحيث ذلك معنى قول رسول الله وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل
على ان الوجه والكفين ليسا بعورة ما روي عن عائشة قالت دخلت على اختي اسماء وعليها ثياب شامية رقاق
وهو اليوم عندك بمعافة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ثياب لا تقبها سورة النور فامر بها فاخرجت
فقلت يا رسول الله زارتني اختي فقلت لها ما قلت فقال يا عائشة ان المراة اذا حاضت لا ينبغي ان يرى منها الا وجهها

الفتخة بالتحريك خلقة من فضة لا فص فيها فاذا كان فيها فص فهو الخاتم ويجمع فتخ وفتخات وربما جعلتها المراة في اصابع رجليها صحاح

فيه ان النظر الى وجه المراة غير حرام الا لم يقع في قلب الرجل من ذلك شهوة

الادم الفت الكلفه

بلغت

وكفاها فان ثبت هذا عنه فهو تبيين ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن
فروجهن قد ذكرنا ان المراة يكره لها النظر الى الرجال من غير محرمها كما يكره للرجل الى المراة الاجنبية الا ترى انه روى
ان اعميين دخلا على رسول الله صلى الله وسلم وبعض ازواجه عند عايشة واخرى فقال لهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوما فقالتا انهما اعميان يا رسول الله فقال لهما اهما وانكما تا اعميين فانتما لستما باعميين وكلام
نحو هذا فدل انه ما ذكرنا وعلى ذلك الاخبار روى عن خالد بن معدان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تبيت في كل مكان تسمع فيه نفس رجل ليس بمحرم ولا يحل لامرء يؤمن بالله
واليوم الاخر ان تبيت في مكان يسمع نفس امراة ليست له بمحرم وفي بعض الاخبار انه لم يرخص للمراة ان يرى
غير ذي محرم منها الا الوجه والكف وما ظهر وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على كوع عايشة وقال هذا
وعن الحسن انه قال في قوله الا ما ظهر منها الوجه وما ظهر من الثياب فان ثبت ما ذكرنا من المروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث رخص الى الوجه والكف لقوله الا الوجه والكف استثنى الوجه والكف من بين
ساير الجوارح كان ذلك تفسيرا لقوله الا ما ظهر منها كانه قال ولا يبدين زينتهن للاجنبيين الا ما ظهر منها
وهو الكحل والخاتم ثم الكحل يكون في الوجه والخاتم في اليد فذكر الزينة يكون كناية عن مواضعها لان النظر
الى الزينة حال الكل احد اذا كان المراد بالزينة الحلي وما ذكره القوم فدل ان المراد بذكر الزينة مواضع الزينة
لا نفس الزينة والحلي ثم رخص للاجنبيين النظر الى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف
ولم يرخص ما خفي منها وما بطن ثم استثنى المحارم منها ورخصهم النظر الى ذلك بقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
او ابايهن الى اخر ما ذكر ثم مواضع الزينة الخفية منها الصدر ومنها الاذنان وهما في الراس ومنها السا قان ثم جميع
بين الاب ومن سمى معه وبين الزوج في النظر الى زينة المراة والاختلاف في ان الاب لا يجوز له ان ينظر من عورة
ابنته الا الى راسها وفي الراس الاذنان وقد يكون فيهما القرط ونحوه واذا جاز له ان ينظر الى راسها والخمار عليها
فله ان ينظر الى صدرها وهو موضع الزينة لانه مما يغطيه الخمار وينظر الى ذراعيها وموضع الخلخال من قدميها
ورجليها وهو مواضع الزينة الباطنة التي لا يجوز للاجنبي النظر اليها ثم النظر الى الوجه احق ان يحرم النظر اليه
للاجنبي من الراس وغيره من مواضع الزينة لان الوجه يجمع فيه جميع المحاسن وغيره من مواضع الزينة ليس
فيه محاسن لكن انما حرم النظر الى هذا المواضع لانها عورة في نفسها فالنظر الى العورة حرام للاجنبي ولان النظر
اليها اعني مواضع الزينة لا يكون الا للشهوة والنظر الى الشهوة حرام اليها فاما المحارم منها فانهم لا ينظرون الى هذه
المواضع منها للشهوة ولا يقصدون به ذلك البتة فابيح لهم النظر اليها للحاجة وكل من يخشى من المحارم النظر اليها
لشهوة لا ينظر اليها ثم غيرها من المحرمة لا يحل لاحد النظر اليها الاب وغيره الا للزوج خاصة وللمولى الى مملوكته وهو
ما قال والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم استثنى الازواج والموالي من بين غيرهم
لان النظر الى ذلك لا يكون الا للشهوة لا يقع فيه حاجة فلا يباح ذلك الا لمن له قضاء الشهوة والوطي وهو الزوج والمولى
فانقسم العورة الى جهتين جهة يحل للمحارم منها النظر اليها لحاجة وضرورة تقع لهم وجهة لا تحل لهم الا للازواج
لما لا يقع لهم حاجة ولا ضرورة بالنظر الى ذلك ان الامة ينظر الى شعرها وذراعيها وساقيها وصدرها اذا اراد شراءها
ولا ينظر الى ما سوى ذلك فانه جاز للاجنبي ان ينظر اليه من الامة جاز للمحرم منها النظر الى ذلك من المراة للحاجة
التي ذكرنا ثم ذكر في الاية المحارم جميعا الا الاعمام والاخوال قال بعضهم انما لم يذكرا في هذه الاية لانها تحل لبنيهما
بالنكاح فكره ان تصفاها لبنيهما وهذا كره من كره للمراة المسلمة ابتداء الزينة الخفية للكافرة من اليهودية والنصرانية
لما لعلهما تصف لذلك المشركين فيرغبون فيها ويتكلفون ذلك وصرف قوله او نسايهن اي المسلمات لكن جايز عند
اهل العلم والخال انما لم يذكرهما للكثرة والتطويل لما يكثر ذلك ولما ذكر من اجناسهم وامثالهم فذكر الرخصة في امثالهم
كافية والله اعلم **وقوله** او نسايهن يحتمل وجوها يحتمل النساء يختلطن بهن او نساء قراباتهن وارحامهن والنساء التي

الكوع طرف الزند الذي يلي الابهام ديوان

في ظاهر الاية اباحة النظر الى المواضع الزينة الخفية وهي الصدر والاذنان والراس والساقان ونحو ذلك شرح

الكافرة

توافقهن في دينهن وهن المسلمات على ما قاله اولئك والله اعلم **وقوله** او ما ملكت ايمانهن قال قايلون
او ما ملكت ايمانهن كقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ونحوه قال قايلون الاماء والعبيد جميعا فان كان
المراد به الاماء فهو ظاهر وان كان المراد به الامة والعبيد اباحة نظر العبد الى شعر مولاته على ما يقوله بعض الناس
والاشبه ان يكون المراد به والله اعلم الاماء دون العبيد ما ذكر في اخر الاية او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل
من الرجال او ذكر التابع والتابع وان كان خصيا او عنينا او معتوها على ما قالوا فانه لا يحل لهؤلاء النظر الى تلك
المواضع على حال فعلى ملك العبد فيكون الدخول عليهن مضمرا في الاية وكون النساء متاقيات وقت دخول العبيد
والتابعين عليهن لانه ذكر التابعين وهم تابعوا الازواج ووقت دخول هؤلاء يكون معلوما عندهن فيتاهبون
ويسترن والله اعلم بذلك الا ترى انه لا يحل للمراة ان تسافر بعبدها لما انه ليس بمحرم لها لذلك لم يحل له النظر
الى شعر مولاته فان قيل ما معنى ذكر امايهن ونسايهن وكل النساء يجوز لهن النظر الى المراة والى هذه التي ذكرنا
قيل خص عز وجل بالذكر امايهن ونسايهن دون نساء الاجنبيات تاديبا لا خطرا وذلك ان المراة قد يضيق
عليها ان تستتر من امهاتها ونسايها اهل بيتها لكثرة رؤيتهن لها وقد تقدر ان تستتر من الاجنبية محاسنها
وزينتها لقلة رؤيتها لها الا ترى انه قد نهى المراة ان تضرب برجلها ليعلم ما تخفي من زينتها وفي ذلك صيانة للرجل
والمراة وابعادهما مما يحذر عليهما ويخاف فليس ببعيد ان يجعل نهي المراة ان تظهر زينتها ومحاسنها للاجنبية
لما يخاف على الاجنبية من فساد قلبها وحدوث الشهوة لها صيانة للنساء والرجال جميعا وابعادا لهم من الزينة
ويلا تصفها الرجل يفتتن بها ويتكلف الوصول اليها والله اعلم **وقوله** وليضربن بخمرهن على جيوبهن روي
عن عايشة رضي الله عنها انها قالت لما نزلت هذه الاية اخذ النساء ازرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن به
وعن ابن عباس بخمرهن على جيوبهن يقول وليشددن بخمرهن على جيوبهن لعول ليرخين بخمرهن على الصدر والنحر
فلا يرين منها شيئا قال وكن النساء قبل هذه الاية انما يسدلن خمرهن سدلا من وراءهن كما يصنع النبط فلما نزلت
هذه الاية شددن الخمر على النحر والصدر وفي الاية دلالة ان دروع النساء كانت ذات جيب لان الجيب انما يكون
للدروع وذلك كان لباس النساء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى الرجال عن لبسة النساء وانه لعن
المتشبهين من الرجال بالنساء وروي انه لعن الرجل يلبس لبسة المراة والمراة تلبس لبسة الرجل وعن ابن عباس لعن الله
المؤنثين من الرجال والمذكرات من النساء وكانه مكروه للرجل والله اعلم ان يلبس قراعة وحدها الا قميص تحتها
لان ذلك لباس النساء الا ان يكون لها شق ذيل تخرجت من لبس النساء ولم يكره للرجال والله اعلم **وقوله** ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها جايز ان يكون قوله الا ما ظهر منها انما يباح النظر الى الوجه للحاجة واما على غير الحاجة فلا يباح
لما ذكرنا من قوله يدنين عليهن من جلابيبهن الاية وقوله اذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر
لقلوبكم وقلوبهن فعلى ذلك ترك النظر الى وجه المراة اطهر للنساء وللنساء جميعا فلا يباح ذلك الا عند الحاجة اليه وهو
معرفتها ليقيم به الشهادة فان قيل اليس النظر يسع الى المواضع الزينة الخفية للاجنبي التداوي بها قيل يسع ذلك
للضرورة واما الحاجة فلا ومسئلتنا في الحاجة ليست في الضرورة ثم قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الى اخر ما ذكر
جايز ان يكون المراد برخصة النظر الى الزينة لهؤلاء المسمين في الاية رخصة النظر الى نفس الزينة في موضع الزينة
لا موضع الزينة فيدخل في هذه الرخصة من ذكر من التابعين غير اولي الاربة من الرجال ونحو لان الزينة في الصدر
وما ذكر انما تكون من وراء ثياب تكون على الصدر ثم رخص النظر للمحارم الى مواضع الزينة الخفية لغير هذه الاربة
او ان يكون رخصة النظر للمحارم الى مواضع الزينة ولغير المحارم من المماليك والتابعين غير اولي الاربة ومن ذكر
رخصة الدخول عليهن فيكون في الاية اضمار الدخول كانه قال ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ومن ذكر من المحارم
ولا يدخل عليهن الا العبيد والتابعون ومن ذكر من غير اولي الاربة فيكن في وقت دخول هؤلاء متاهبات لان وقت
دخول هؤلاء يكون معلوما يعرفن فيتاهبن لهم لان العبيد انما يدخلون على ساداتهم ومواليهم عند حاجاتهن اليهم

والتابعين ومن ذكر انما يدخلون اذا دخل ازواجهن عليهن فيتاهبن لذلك ومثل هذا الاضمار جايز في الكلام
يتبين ذلك بالثنيا كقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم دل قوله غير محلي الصيد
انه قد كان الصيد مذكورا فيه مرارا اذ لو لم يكن مذكورا لم يكن استثنى منه فعلى ذلك جايز ان يكون في الاول
اضمار الدخول فيه لهولاء الذين لا يحل لهم النظر الى مواضع الزينة منهن ورخصة الابداء للمحارم او ان يكون ما ذكرنا
فيما تقدم والله اعلم **وقوله** او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قال بعضهم الشيخ الكبير الذي لا حاجة له في النساء
وقال بعضهم المعتوه الاحمق الذي لا يشتهيه النساء ولا يغار عليه الازواج وقال بعضهم العنين والخصي وهولاء الذين
لا يطيقون الجماع لكن عندنا لا يسع للعنين ولا الخصي ان يخلو بامراة اجنبية وقال الحسن غير اولي الاربة من الرجال
هم المخنثون روي عن عايشة قالت كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة
قالت فدخل النبي ذات يوم وهو ينعت امراة فقال لا ارى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم فحجبوه وعن ام سلمة
ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندنا مخنث فاقبل على اخي ام سلمة فقال يا عبد الله ان فتح الله لكم غدا الطايف
دللتك على بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال لا ارى يعرف ما ههنا لا يدخلن عليكم وقال بعضهم
غير اولي الاربة الذين لا تهمهم الا بطونهم ولا يخاف على النساء وكله واحد وهم الذين ليست لهم الحاجة الى النساء
قال ابو عوسجة الاربة الحاجة والارب جمع وكذلك قال القتبي وقال ابن عباس هو الذي لا يستحيي منه النساء **وقوله**
او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء قال بعضهم هو الاطلاع اي لم يطلعوا ولم يعقلوا ولم يدروا ما هو من الصغر
وقال بعضهم لم يظهروا على عورات النساء اي لم يبلغوا الحلم والاول اشبه عندنا وذلك ان الطفل الذي لم يحتلم قد امر
بالاستيذان في بعض الاوقات لقوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم فالذي يومر بالاستيذان
هو اصغر من ذلك وهو الذي لا يطلع على عورات النساء لصغره والله اعلم **وقوله** ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن اي لا يضربن باحدى رجليها على الاخرى ليقرع الخلخال بالخلخال ليعلم ما يخفين من زينتهن اي ما تواري
الثياب من الزينة وهو الخلخال قد اخفاه الثياب نهيت المراة عن ضرب رجلها ليعلم الرجال ما يخفى من زينتها وذلك محظور
عليها انما يخرج ذلك مخرج ترغيب الناس وحثهم عليها اذ الزينة في الاصل ما جعلت الا للترغيب والتحريض على انفسهم وهي
الداعية الى النظر والشهوة ونهى ترك ذلك وترك ابداء الزينة صيانتها وصيانة الرجال وابعادهم جميعا من الريبة والرغبة
فكشف الشابة عن وجهها ونظر الرجل لشهوة اليها احرى ان يكون محظورا عليه منهيا عنه والله اعلم بالصواب **وقوله**
وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله توبوا الى الله اي رجعوا الى الله بالطاعة
والخضوع لتكونوا مفلحين او ان يكون قوله وتوبوا الى الله اي رجعوا عما قدمتم من المعاصي والمساوي واجعلوا مكان
ذلك طاعة لله ليعفو عنكم ما قدمتم من المعاصي والله اعلم **وقوله** وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامايكم الامر
بالانكاح وان خرج مخرج امر واحد في الظاهر فهو في الحقيقة على اقسام الامر في تزويج الاماء والعبيد يخرج مخرج المعونة
والتقوية لان من بلغ ولده النكاح ذكرا او انثى استشار اقرباءه واهل انسابه والمتصلين به في ذلك واستعانتهم على ذلك
ولا كذلك السادات في المماليك دل ان الامر في احدهما يخرج على المعونة وفي الاخر على الترغيب ثم تزويج العبد يخرج
كانه فعل المعروف اذ في ذلك الزام مون بلا عوض يحصل له الا ترى انه لا يملك الا من يملك المعروف من نحو المعاصي والاب
والمكاتب والعبد الماذون له في التجارة ولا كذلك تزويج الاماء اذ يملك هولاء ذلك وكل مكتسب خيرا له لنفسه او لغيره
ثم جرى الوفاق بينهم ان للمولى ان يزوج امته شاءت هي او ابت واختلفوا في تزويج العبد امراة قال بعضهم له ذلك الا برضا
العبد وقال بعضهم له ذلك شاء او ابى ثم الناس اختلفوا في قوله وانكحوا الايامى منكم قال بعضهم الايامى منهن الاناث
من الاحرار دون الذكور واستدلوا ببطلان النكاح وفساده اذا كان بغير اذن الولي بهذه الاية لان الله تعالى امر الاولياء
وخاطبهم ان يزوجوهن كما امر المولى بتزويج امته فاوجب للولي الولاية كما اوجبها للمولى وان كانا مختلفين في الولاية
لكن عندنا لو كانت الاية خرجت على التفسير على ما يقول خصومنا انكحوا الايامى منكم الاناث لم يكن فيه دليل على ما قالوه

ويخرج ذلك

ويخرج ذلك على وجوه احدها على الترغيب في انكاحهن لما يتولين عقد النكاح بانفسهن حياء ويستحيين التكلم بذلك
حتى من فعل ذلك منهن بنفسها صارت مطعونة عندهن او ان يخرج ذلك مخرج المعونة لهن على ما ذكرنا الا ترى
الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه على المعونة بتزويج ابنه ولا يوجب ذلك
عليه ولاية اذا كره ذلك فكذلك يكون ماموراً بتزويج ابنته من طريق المعونة او جهة الحياء او ان يخرج ذلك على ما قال
خصومنا من ايجاب الولاية له عليها ثم راينا انها اذا رغبت في النكاح ورضيت بزوجه وليها ذلك جبر الولي
على الانكاح وان هي كرهت النكاح وابت ورغب الولي ذلك وشاء لم تجبر هي على ذلك دل ذلك على ان الحق لها عليه
دون ان يكون الحق في ذلك له عليها فاذا كان الحق لها عليه جاز ذلك اذا تولت بنفسها لما ذكرنا ان الخطاب للاولياء
يخرج على الوجوه الذي ذكرنا والله اعلم هذا اذا كان في الاية ذكر الاناث دون الذكور فكيف ان ليس في الاية
ذكر تخصيص الاناث دون الذكور واسم الايم يقع على الاناث والذكور جميعا الا ترى انه روي عن عمر رضي الله عنه
قال لما نزلت هذه الاية ما رايت مثل ما يلتمس بعد هذه الاية ابتغوا الغنى في الباءة وما روي عن جدة ان عمر
دعانا الى ان ينكح من ايامانا وفي الشعر لله در بني علي ايم منهم وناكح وفي بعضها وايمة تابي من القوم ايماتا
جمع فيها اسم الايم الرجال والنساء ومن الدليل ايضا على ذلك قوله والصالحين من عبادكم وامايكم فدل ذلك
على انه حث على تزويج البالغين من الاحرار برجالهم ونسايهم فان قيل فما وجه امره بتزويج الرجال والامر اليهم
فجواب ذلك ما ذكرنا من المعونة والترغيب فيه ثم قوله والصالحين من عبادكم جايز ان يكون قوله والصالحين
اي المومنين وجايز ان يكون الصالحين من طلب منكم الصلاح والعفة او ذكر الصالحين لما كانت العادة في الملوك انهم
يخاطبون اهل الصلاح منهم والاخيار لا على اخراج غيرهم من حكم ذلك الخطاب والله اعلم **وقوله** ان يكونوا فقراء
يغنيهم من فضله من الناس من استدل بهذه الاية ان العبد يملك لانه ذكر العبيد والاحرار جميعا ثم ذكر في اخره الغنا
دل انه يملك ويستدل بقوله فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن اضاف الاجور والايتاء اليهن دل انهن
يملكن لكن عندنا المماليك يملكون ملك التوسيع وملك التصرف ويقع لهم غناء التوسيع وغناء التصرف ولا يقع لهم
التمليك ولا حقيقة الملك والدلالة على ذلك قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي
رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء لو كان ما ملكت ايمانهم يملكون ما يملك الموالي والسادات لكان المماليك يفضلون
على السادات في الملك اذ هم الذين يتصرفون ويكتسبون الاموال دون السادات فدل ذكر تفضيل بعض على بعض انهم
لا يملكون ما يملك الموالي والثاني قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الاية ولو كانوا يملكون على ما يملك السادات
لكانوا لهم فيه شركاء دل انهم لا يملكون حقيقة الملك ولكن يملكون ملك التوسيع والتصرف وان يكون قوله يغنيهم الله
من فضله راجعا الى الاحرار منهم دون المماليك وذلك جايز في اللسان كقوله . ثم روي عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حق على الله تعالى ان يغنيهم المجاهد في سبيل الله والناكح يريد العفاف والمكاتب
يريد الاداء وعن عمر قال ما رايت مثل الرجل لا يلتمس في الباءة والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله وروي
في الخبر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر
واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وروي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب
ما فعلت بنات لك قال هن عندي يا رسول الله قال وقد حضن قال نعم قال انك لم تحبس واحدة منهن عن كفو الا نقص
من اجرك كل يوم قيراط وفي بعض الاخبار من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فاحدث فالاثم بينهما **وقوله** وليستعفف
الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله الاستعفاف هو طلب العفاف كانه قال طلب الاسباب التي تمنعه
عن الزنا وتصيره عفيفا حتى يغنيه الله من فضله واسباب العفة يكون اشياء احدها ما روي عن نبي الله صلى الله
عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فانه له وجاء ونحوه يكتسب اسباب العفة ان لم يكن عنده ما ينكح حتى لا يقع في الزنا الى ان اغناه الله كقوله

كقوله عليه السلام من استعف اعفه الله وجايز ان يكون قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا
لم يجعل الله عز وجل للذي عجز عن النكاح استباحة الفروج والاستمتاع بها زنا اذا لم يكن عنده ما ينكح كما جعل
في الاموال وغيرها رخصة التناول في ملك غيره عند الحاجة والضرورة يبدل لوجوه ان رخصة التناول في ملك غيره
انما يكون عند الضرورة والضرورات لا تقع في الفروج وفي الاستمتاع بها فجاز لذلك لا تبيح والثاني ان الاستمتاع
بالنساء في الاصل كانه انما جعل وابيح لبقاء النسل والتوالد لا لحاجة انفسهم وقضاء الشهوة فاذا لم يكن عنده ما ينكح
ارتفع عنه ابقاء النسل والتوالد والثالث ان السعة والغناء وانواع النعم هي الداعية الى الحاجة وقضاء الشهوة
فاذا كان فقيرا لا يجد ما ينكح زال عنه الاسباب التي تدعوه الى ذلك لذلك لم يبح واما الحاجات والضرورات
وما ذكر فكلها تقع في الاموال وانما الحاجة في التناول منها لانفسهم ولابقائها لذلك افترقا والله اعلم ثم في قوله
حتى يغنيهم الله من فضله وقوله ان يكونوا فقراء يغنهم من فضله وجهان من المعتبر على نقض قول المعتزلة احدهما
انه اضاف الاغناء الى نفسه وهو ليس يعطي احدا شيئا يطرحه ويلقيه فيه بلا سبب ولكن انما يغنيه ويعطيه باسباب
يجعل لهم فدل اضافة الاغناء الى نفسه على ان له في تلك الاسباب التي بها هم اغنياء صنعا وفعلا ليس على ما يقوله
المعتزلة ان لا صنع لله في افعال عباده والثاني فيه دلالة ان غناهم وسعتهم فضل منه ورحمة لا شيء يستوجبونهم
بانفسهم ذلك قبله لكن افضالا منه لهم واحسانا اذ لو كان عليه ذلك كان منه عدلا لا فضلا فدل تسميته
الفضل ذلك على ان ما اعطاه الله يقال ذلك اعطاه فضلا منه وانعاما لا استيجابا واستحقاقا وذلك رد عليهم
في الاصلح في الدين ثم من الناس من استدل بهذه الاية بقوله يغنهم الله من فضله وحتى يغنيهم الله من فضله على تفضيل
الغناء على الفقر قالوا لانه سماه فضلا بقوله من فضله وسماه في غير اي من القرآن رحمة وحسنة وسماه خيرا
ايضا في غير موضع وسمى الفقر والضيق بلاء مرة وسيئة ثانيا وشرا وشدة ثالثا بقوله وبلوناهم بالحسنات
والسيئات وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
وغير ذلك من الايات وكان ما سمي من البلاء والشدة والشر والضر والسيئة كله عبارة وكناية عن الضيق والفقر
وما ذكر من الخير والحسنة والرحمة ونحوه كله عبارة عن السعة والغناء فدل تسمية الغناء خيرا وحسنة ورحمة
على انه افضل اذ لا شك ان الخير والحسنة والرحمة خير من الشر والسيئة والبلاء لذلك كان الغناء افضل من الفقر فيقال لهم
هو كما قلتم انها خير مما ذكرتم الا ان هذه الاسباب التي ذكرتم هي الداعية الى الغناء والباعثة على قضاء الحاجات والشهوات
وانواع المعاصي والتعاطي في انواع المحرمات فضلا ان تدعو وتبعثه الى الهلاك فقولنا انه افضل للمعنى الذي ذكرنا فهو
انتم او ان يكون ما ذكر وسمي خيرا اعني السعة عند الناس وكذلك ما ذكر من الضيق شرا وسيئة عندهم لانه كذلك عند الناس
لا انهما في الحقيقة كذلك لما يحتمل ان يكون الغناء والسعة سبب الفساد والضيق والفقر سبب منعه من الفساد او لا يتكلم
في تفضيل احدهما على الاخر اذ هما مختلفان يمتحن بهما العباد هؤلاء بالصبر على الفقر والضيق وهؤلاء بالشكر على النعمة والسعة
فالتكلم في فضل احدهما على الاخر فضل والله اعلم وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ظاهر
هذا ليس على الكتابة ولكن على الكتاب المعروف وهو كتاب الله تعالى لان الكتاب المطلق هو كتاب الله تعالى يسألون سادتهم
تعليم الكتاب لهم الا ان الناس لم يفهموا من هذا ولكن فهموا كتابة العبيد والاماء حيث صرفوا الاية اليها ثم قوله فكاتبوهم
ليس على الوجوب والالزام ولكن على الترغيب فيها والحث دليله ترك الامة المماليك يفعلونهم مواريث لورثتهم من لدن
رسول الله الى يومنا هذا ولو كان على الوجوب واللزوم لم يكونوا يتركون لازما عليهم فدل تركهم ذلك على انه خرج
مخرج الترغيب عليها والحث لا على الوجوب والله اعلم وقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا اختلف فيه قال بعضهم
اي كاتبوهم ان علمتم انهم يرغبون في انواع الخير واقامة الصلوة وانواع الصلاح ورغبوا انفسهم لذلك وقال بعضهم
ان علمتم فيهم خيرا اي وفاء وامانة وصلاحا وهو قول الحسن وتاويل هذا اي كاتبوهم ان علمتم انهم يقدرون
على وفاء ما كوتبوا وادا ذلك وقال قايلون خيرا اي حيلة وقال قايلون مالا وقال قايلون خيرا اي حرفة

ورووا في ذلك

ورووا في ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسرا عن يحيى بن كثير قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان علمتم فيهم خيرا اي حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس ان ثبت هذا لا يحتاج الى غيره من التفسير ولو كان
قال ان علمتم لهم خيرا جاز ان يقال معنى ذلك مالا ولكنه قال ان علمتم فيهم خيرا والمال لا يكون فيهم وانما يكون لهم
فاشبه ذلك والله اعلم ان يكون الخير حرفة كما روي في الخبر او وفاء وامانة ثم في الاية دلالة ان العبيد لا يملكون
شيئا لانهم لو كانوا يملكون لكان يرغبهم ويحثهم على العتاق دون الكتابة فدل ترغيبه اياهم عليها انهم لا يملكون حتى
تجعل الكتابة الكسب لهم والخدمة دون الموالي وفي الكتابة ايضا نظر للموالي لانهم ان قدروا على وفاء ما قبلوا وادائه
والا كان للموالي ردهم الى منافع انفسهم ولو كان عتقا لم يملكوا ردهم الى منافع انفسهم ويبطل حقهم بلا شيء يصل اليهم
والله اعلم وفي قوله وكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا دلالة القول بعلم العمل على ظاهر الاسباب دون تحقيق العلم به
حيث قال ان علمتم فيهم خيرا وانما يوصل الى ما ذكر من الخير باسباب تكون لهم على نحو ما ذكروا فيه من الحرفة والوفاء
واداء الامانة وامثاله وذلك اسباب توصل الى الخير على اكبر الظن والعلم لا على الحقيقة وفيه دلالة العمل
بالاجتهاد على ما يرى بهم من ظاهر الاسباب والله اعلم وقوله واتوهم من مال الله الذي اتاكم اختلف في خطابه
قال الحسن وغيره هو شيء حث الناس عليه مولاه وغيره فيخرج ذلك على وجهين احدهما ما جعل الله من الحق للمكاتبين
في الصدقات بقوله انما الصدقات للفقراء الى قوله وفي الرقاب وهم المكاتبون امر اربابا الاموال بدفع الصدقات
الى المكاتبين وجعلهم اهلا لها ليستعينوا بها على اداء ما عليهم من الكتابة فان كان ذلك فذلك حق لهم والثاني جايز ان يامر
الناس بمعونة هؤلاء المكاتبين على اداء ما عليهم من الكتابة باموالهم من الصدقات ليفكوا رقابهم عن ذل الرق والكسب
وقال قايلون انما الخطاب للموالي خاصة لما ان اول الخطاب بالكتابة راجع الى الموالي فعلى ذلك هذا ثم اختلفوا فيه
روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال يترك الموالي الثلث من مكاتبته له وروي عنه انه قال ربع المكاتبة
وروي عن عمر رضي الله عنه انه كاتب غلاما له فحط عنه اول نجمه وقال له حط عني اخره فقال عمر لعلي لا اصل اليه
او كلام نحو هذا ثم تلا هذه الاية قوله والذين يبتغون الكتاب الاية وروي عن غلام لعثمان بن عفان رضي الله عنه قال
كاتبني عثمان ولم يحط عني شيئا دل ما روي عن عثمان انه لم يحط عنه شيئا على ان الامر بالايتاء للمكاتبين من الاموال
والحط عنهم انما هو على الاختيار والافضال ليس على الوجوب واللزوم لانه لو كان على الوجوب لكان عثمان بن عفان
لا يحتمل ان لا يحط عنه شيئا ومن جعل ذلك واجبا على المولى ان يؤتيه من ماله ويجعله له كان ذلك خارجا عما روي
من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين خلافا لهم لانه روي عن بعضهم الحط عنهم والوضع دون الايتاء من ماله
وروي عن بعضهم الاستيفاء على الكمال لا حط فيه ولا ايتاء دل ان قول من يامرهم بالايتاء من اموالهم دون الكتابة
خارج من قولهم جملة ثم يبطل ذلك من وجهين احدهما ان من قال لعبده اذا اديت كذا فانت حر فحط عنه بعض ذلك
فادى البقية لم يعتق حتى يؤدي الكل فدل ان قوله واتوهم من مال الله الذي اتاكم ليس على الوجوب ولكن على الاختيار
والثاني انه لا يسمى بعد الاداء مكاتبا فانما هو حر وانما ذكر الايتاء اياهم وهم مكاتبون حيث قال فكاتبوهم ثم قال
واتوهم فلو كان على ما يقوله قوم لكان ذلك باطلا للوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم وقوله ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء ان اردن تحصنا ليس قوله ان اردن تحصنا بشرط فيه لانهن لا يكرهن على البغاء وان لم يردن التحصن دل
ان ذلك ليس بشرط فيه ولا يتمكن الاكراه فيما ذاكن اطعن فيه لكنه خرج ذلك على ما ذكر في القصة كانوا يكرهونهن على
ابتغاء المال وهن كن يردن التحصن فخرج الخطاب والنهي على فعلهم دون ان يكون ذلك شرطا فيه او ان يكون ذلك
اكراها اذ كن مطاوعات في ذلك وفيه دلالة بطلان المتعة وفسادها لانهم كانوا يكرهون اماءهم على ان يواجروا
انفسهن للزنا ابتغاء الاجر وليست المتعة الا كذلك وقال اهل التاويل ان الاية نزلت في نفر من المنافقين عبد الله
ابن ابي وفلان وفلان كانوا يكرهون فتياتهم على الزنا ابتغاء عرض الدنيا فان كان ما ذكروا ففيه دلالة ان الزنا
حرام في الاديان كلها وقوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم هذا يحتمل وجهين

احدهما يرجع الى الاماء يقول قال الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم والثاني يرجع الى السادات فان الله لهم
غفور رحيم اذا تابوا واصلحوا والله اعلم **وقوله** ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات بخفض اليا ونصبها ثم يحتمل ان يكون
المراد بالآيات آيات القرآن جميعاً وقوله مبينات بالخفض اى بيّن للخلق ما لهم وما عليهم وما بعضهم على بعض ومبينات
بالنصب اى مبينات انها من عند الله وجايز ان يكون المراد بالآيات الحجج والبراهين فان كان هذا فقوله مبينات بالخفض
اى تبين وحدانية الله تعالى وعلم رسالة رسوله ومبينات بالنصب اى واضحات بينات انها حجج وبراهين **وقوله** ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين اى انزلنا اليكم ايضا مثل الذين خلوا من قبلكم ما حل بهم ونزل بالمكذبين
من العذاب وموعظة ما يتعظ المتقون او جعل لكم فيما انزل من الآيات عليكم امثالا من الذين خلوا من قبلكم ليتعظوا به
والله اعلم **وقوله** الله نور السموات والارض قال بعضهم الله هادى السموات والارض ثم انقطع الكلام فاخذ
في بعث محمد صلى الله عليه وسلم وما ضرب له من الامثال فقال مثل نوره يقول مثل نور محمد اذ كان في صلب ابيه
كمشكوة اى كوة بلغة الحبش غير نافذة فيها مصباح اى سراج المصباح يقول والله اعلم ذلك السراج المضيء ضوءه في زجاجة
الزجاجة نعتها الصافية التامة الصفاء والمشكاة صلب ابيه عبد الله والزجاجة وصفاؤها محمد رسول الله وطهره
من الادناس والمعاصي والمصباح نوره وصفاء قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه من الايمان والحكمة والنبوة
كانها كوكب دري اى محمد صلى الله عليه وسلم وذكره مع اسماء الانبياء والرسل في اللوح المحفوظ عند الله في الفضيلة
على تلك الانبياء والرسل عليهم السلام كفضل الكوكب الدري اى المضيء وهي الزهرة على ساير الكواكب **وقوله** توقد من شجرة
مباركة يقول والله اعلم استناد نور محمد من نور ابراهيم لان محمدا على دين ابراهيم وعلى سنته ومنهاجه فمثل ابراهيم
مثل الشجرة المباركة واصل محمد من قبيل ابراهيم صلوات الله عليهم **وقوله** زيتونة لا شرقية ولا غربية والزيتونة الحال
وطاعة ابراهيم لربه فنفعه الله بحسن طاعته يوم القيامة وفي غيره من المواطن كما نفع الزيتونة اهلها في الدنيا فهي فاكهة وطعام
وهي ادام وهو الصباغ والدهن والدباغة يعني زيتونة لا شرقية ولا غربية يقول ان ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن نصرانيا
لقول النصارى هو نصراني يصلي قبلة النصارى من قبل المشرق ولا يهوديا لقول اليهود انه كان على ديننا يصلي قبل المغرب
ببيت المقدس يقول الله تعالى لم يكن كما قال هؤلاء ولكن كان حنيفا مسلما مصليا الى الكعبة وهي قبلته والحاج **وقوله** يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يقول والله اعلم لو ان ابراهيم لم يكن نبيا لاصاب بحسن طاعة الله في الدنيا الفضل
مع الانبياء والرسل في الدنيا والدرجات العلى في الآخرة **وقوله** نور على نور لان محمدا وما جاء به من الدين والكتاب
اصل نوره من قبل ابراهيم لانه على دينه وسنته وكتابه ومنهاجه ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء الذي جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم وهو النور وهو القرآن من يشاء ممن سبق في علمه السعادة ويضل عنه من يشاء ممن سبق له في علمه الشقاء
ثم قال ويضرب الله الامثال للناس يعني ويصف الله الامثال للناس ليؤمنوا بالله وبتوحيده ويعرفوا نور ربهم من صنيعه
ويصدقوا بابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام انهما رسولا الرب وهو تاويل مقاتل وقال اهل الكلام قوله الله نور
السموات والارض منقطع من قوله ان الله كان الله لاهل السموات والارض مثل نوره الذي بدأنا ما ذكر مثل المشكاة الذي ذكر
الى آخره وجايز ان يكون قوله الله نور السموات والارض اى بالله نور اهل السموات واهل الارض الا ترى انه قال مثل نوره كذا
ولم يقل مثله ولو كان النور هو الله على ما قاله قوم وفهموه لقال الله نور السموات والارض مثله كذا ولم يقل مثل نوره
فدل قوله مثل نوره اى لم يرد بالنور نفسه ولكن ما ذكر انه به نور اهل السموات واهل الارض الا ترى انه قال في آخره يهدي الله
لنوره من يشاء انه لم يرد بالنور ما فهموا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور دل انه ليس على ما فهموه بل انه نور كساير الانوار
التي عاينوه وشاهدوه وهم المشبهة وعلى هذا يخرج تاويل ابن عباس حيث قال الله هادي اهل السموات والارض وقوله
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري وجايز ان يكون قوله مثل نوره اى مثل نور المؤمن
الذي في قلبه مثل مشكاة فيها مصباح لان المشكاة هي الكوة التي لا منفذ لها يدخل فيها الانوار فتكون مظلمة فاذا جعل فيها
المصباح اضاء ذلك كله وانار حتى لا يبقى فيها ناحية الا وقد اصاب الضياء والنور فعلى ذلك القلب وهو مظلم اذ ليس له

منقذ

او نشرها

560

منفذ يدخل فيه النور من الخارج فاذا آمن انار الله قلبه بايمانه حتى ظهر ذلك النور واثره في جميع نواحيه
وجوارحه وهو ما قال فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اخبر ان من شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فهذا يدل ان قوله مثل نوره انما هو مثل نور المؤمن وعلى ذلك روي في حرف ابي بن كعب انه قرأه
مثل نور المؤمن كمشكوة وفي حرف ابن مسعود مثل نوره في قلب المؤمن وقال الحسن مثل نوره قال مثل القرآن في قلب المؤمن
كمشكوة كوة فيها مصباح او ان يكون قوله الله نور السموات والارض اى به تنجلي الظلمات وتنكشف الحجب والسواتر
ان النور انما سمي نورا لما به تنجلي المظالم وتنكشف السواتر والحجب لا انه نور الا ترى انه سمي القرآن نورا والرسول نورا لما
تنجلي الشبهة والظلمات وبه ترتفع السواتر والحجب وان كانا في انفسهما ليسا بنور وسمي نورا لما ذكرنا من تجلي الاشياء بهما
وارتفاع السواتر فعلى ذلك جايز ان يسمى الله نورا لما به يكون تجلي الظلمات والشبه وانكشاف السواتر وارتفاع
الحجب لا انه نور **وقوله** مثل نوره قال بعضهم مثل نور المؤمن على ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم مثل نوره في صدر المؤمن
وقال بعضهم مثل نور محمد على ما ذكر مقاتل وغيره وقال بعضهم مثل نور القرآن **وقوله** كمشكوة قال الكوة التي
لا منفذ لها للنور وقال بعضهم موضع الفتيلة من القنديل وقال بعضهم الحديد التي تعلق بها القنديل **وقوله** لا شرقية
ولا غربية قال بعضهم هي شجرة مضحية تطلع عليها الشمس اذا طلعت وتغرب عليها اذا غربت وهو اجود الزيت
وقال بعضهم هي شجرة في كن لا تطلع عليها الشمس اذا طلعت ولا تغرب عليه اذا غربت وقال بعضهم ليست بشرقية
لا غرب لها ولا غربية ولا شرق لها ولكنها شرقية غربية فكيف ما كان انما ذكر الزيت لصفائه وخلوصه فيجب
ان يسال اهله فيقال اي الزيت اجود واصفى الذي تصيبه الشمس او الذي لا تصيبه في وقت ولا تصيبه في وقت وقال
بعضهم الله نور السموات والارض هو الله سبحانه هادي اهل السموات واهل الارض كما هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت
الصافي يضيء قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك يكون قلب المؤمن يعمل الهدى قبل
ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وعن ابي بن كعب قال في قوله مثل نوره
يقول مثل نور المؤمن وكذلك يقرأها مثل نور المؤمن على ما ذكرنا عن قيل قال فهو عبد قد جعل القرآن والايمان
في صدره قال كمشكوة قال المشكاة صدره فيها مصباح قال المصباح القرآن والايمان الذي جعل في صدره قال
المصباح في زجاجة فالزجاجة قلبه قال الزجاجة كانها كوكب دري يقول كوكب مضيء توقد من شجرة مباركة
قال الشجرة المباركة اصله فالمبارك الاخلاص لله وحده لا يشرك به قال لا شرقية ولا غربية قال فمثله كمثل شجرة
التفت بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا يصيبها الشمس على اي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك هذا المؤمن
قد اجير من ان يصله شيء من الفتن وقد ابتلي بها فثبته الله فيها هو بين اربع خلال ان ابتلي صبر وان اعطي
شكر وان قال صدق وان حكم عدل فهو في ساير الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات قال نور على نور قال فهو
يتقلب في خمسة من النور كلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة الى الجنة
قال ثم ضرب مثل الكافر فقال
وهو يحسبه ان له عند الله خيرا فلا يجده
فيدخله النار وقال في آية اخرى له مثلا فقال او كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه
سحاب فهو يتقلب في ظلمات وقال بعضهم في قوله الله نور السموات والارض اى بنوره يهتدي من في السموات ومن
في الارض على ما ذكرنا مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة وهي الكوة غير النافذة على ما ذكرنا فيها مصباح اى سراج
كوكب دري مضيء اى منسوب الى الدر وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة كمشكوة الكوة التي تكون في الحائط ومشكاة جماعة
وكوى جماعة الكوة وكوكب دري شديد الضوء ودري هو ايضا من الضوء ماخذهما جميعا من الدر وكواكب
دراري مضيئة وعن كعب مثل نوره قال ضرب مثل محمد كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها
كوكب دري فمثل لسانه وصدره وقلبه يكاد زيتها يضيء قال يكاد محمد يبين للناس وان لم ينطق وعن الضحاك بن مزاحم
كانها كوكب دري قال خلقت الكواكب من نار يقال لها درق ثمة قال كوكب دري وقد ذكرنا قولهم في المشكوة

الشبهات ع

قال بعضهم الكوة التي لا منفذ لها وقال بعضهم الفتيلة التي في جوف القنديل وقال بعضهم القنديل نفسه
وقال بعضهم القايم في وسط القنديل وهو موضع الفتيلة وقال بعضهم هي الحدايد التي يعلق بها القنديل واما
الزجاجة فهي القنديل ثم ان قوله مثل نوره اي نور المؤمن فليس ذلك وصف كل مؤمن ونعته ولكن وصف المؤمن
الذي يجتمع فيه جميع شرايط الايمان وجميع الاخلاق الحسنة والآداب لانه وصفه بطهارة نفسه وجسده وقلبه
وجميع اعماله وافعاله لانه قال كمشكوة وهي قلبه فيها مصباح وهو صدره الذي في قلبه المصباح في زجاجة وهو الايمان
الذي في صدره ثم نعت الزجاجة فقال كانها كوكب دري اي مضيء وقال بعضهم من الدر فوصف الكل بالضياء
والنور وطهارة الداخل منه والخارج وتعاونه فهو المؤمن الذي يجتمع فيه جميع الشرايط والخصال المحمودة واما كل مؤمن
فلا يحتمل وهذا اشبه الا ترى انه ذكر نعت الكافر بعده وخبثه حيث قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
وان كان وصف محمد ففيه جميع ما ذكر ونعته وان كان القرآن فهو كذلك ايضا وقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار التي ذكرنا يحتمل المؤمن ويحتمل محمدا ويحتمل القرآن ويحتمل ابراهيم في كله نور على نور وقوله يهدي الله
لنوره من يشاء يحتمل يهدي الله لنوره محمد ويحتمل القرآن ويحتمل الايمان والهدى وقال بعضهم نور على نور
قال فالزيت نور والمصباح نور والقنديل نور وقال المؤمن نور وعمله نور وكلامه نور ويحتمل قوله
يهدي الله لنوره من يشاء اي بنوره وقال بعضهم الله نور السموات والارض يقول بنوره اضاءت السموات والارض
على ما ذكرنا مثل نوره يقول في قلب المؤمن وهو في حرف ابن مسعود رضي الله عنه في قلب المؤمن وهذا مثل
ضربه للايمان والقرآن والقلب حين يدخله الايمان والقرآن كمشكوة يعني الكوة فيها مصباح يعني الايمان والقرآن
في زجاجة يعني القلب والمشكوة الصدر فكما دخل هذا المصباح في الزجاجة فاضاءه فكذلك اضاء القلب
ثم خرج من الزجاجة فاضاءت المشكوة فكذلك اضاء الصدر ثم نزل الضوء من الكوة فاضاء البيت فكذلك نزل
النور من الصدر فاضاء الجوف كله فلم يدخله حرام والله اعلم وقوله ويضرب الله الامثال للناس يحتمل ضرب الله
الامثال لهم وجهين احدهما ضرب لافعالهم واقوالهم مثلا ليعرفوا مقاديرها في الحسن والجمال ليعلموا قدرها
من الجزاء والثواب وضرب الامثال لهم للانفس المكرمين المعظمين المستوجبين كل خير ليرغبوا في مثل ذلك
فيستوجبوا اولئك وكان ضرب مثل الايمان او القرآن اوهما وما كان على اختلاف ما قالوا بالانوار التي صيرها
والله اعلم لما انه قد اقام الحجج والبراهين على الايمان والقرآن ومحمد حتى صاروا كالانوار التي شبههم بها
من الحسن والجمال والضياء اليها حتى يعرف حسن هذه الانوار وبهاؤها كل احد فعلى ذلك المضروب بها المثل صار
في الحسن والبهاء والضياء بالحجج والبراهين كالانوار التي لا يخفى حسنها وبهاؤها على احد ولا ينكرها الا معاند
ومكابر وكان مثل الكفر والعناد من القبح والفساد والبطلان كالظلمات التي ذكر بعضها فوق بعض وكالسراب
والزبد الذي ذكر حيث قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وكالظلمات التي ذكر حيث قال او كظلمات
في بحر لجي الآية ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال ابن عباس رضي الله عنه كانها كوكب دري قال الانجم
الخمسة كلهن دري زهرة وعطارد والمشتري وبهرام والزحل قال قتادة الدري
النجم المنير قال الكسائي من همز دري فهو حسنه وظهوره وارتفاعه يقول درأ النجم وهو فاش ظاهر في كلام العرب
ومن رفع الدال وسكن لم يهمز فهو ينسبه الى الدر ومنهم من يرفع الدال ويهمز واظنها لغة وقال ابو عمرو بن العلا
الدري النجم الذي تراه يتلألأ كانه يجيء ويذهب وقد روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الرجل من اهل عليين ليشرف على اهل الجنة فتضيء الجنة بوجهه كانه كوكب دري وان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
لمنهم وانعما وايضا روي دري بالرفع وفي خبر آخر عنه ان اول زمرة تدخل الجنة وجوههم على صورة القمر (وانما روي صح)
ليلة البدر دري بالرفع والذين يلونهم على اضوء كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان
يرى مخ سوقهما من وراء اللحم والذي نفس محمد بيده ما فيها عزب وقوله توقد من شجرة مباركة اختلف (ساقيهما صح)

فى قرائه

في قراءته قرأ بعضهم يوقد بالياء ورفعها ونصب القاف يقول المصباح يوقد ومن قرأها بالتاء ورفع الدال
ونصب التاء رده على الزجاجة اراد تتوقد ثم طرح احدى التائين ومن قرأ توقد بالتاء ورفعها يعني الزجاجة
التي توقد واهل مكة توقد بالنصب وتشديد القاف يعني المصباح توقد فلذلك انتصب ومن قرأ يوقد يعني
الكواكب والمصباح وقوله لا شرقية ولا غربية قد ذكر بعض اقاويلهم فيما تقدم لكنا نزيد فيها شيئا قال قايل
هي شجرة ضاحية من حين يطلع الشمس الى ان تغرب ليس لها ظل شرقي ولا غربي وزيتها اصفى الزيت واعذبه
واطيبه وقال قايل ليست بشرقية يحوزها المشرق دون المغرب وليست بغربية يحوزها المغرب دون المشرق
ولكنها بارزة في صحراء او راس جبل تصيبها الشمس النهار كله وهو مثل الاول وقال الكسائي ليست بشرقية وحدها
ولا بغربية وحدها ولكنها شرقية وغربية كما تقول لا آتيك ولا آتي فلانا له معنيان ان شيت كان معناه لا آتي
واحدا منهما وان شيت كان معناه انك تاتيهما معا ومثله والله لا آكل ولا يأكل زيد له معنيان وكان يقال رجل
لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ويحب الفتنة انه رجل صالح اما الفتنة فالمال والولد قال الله تعالى انما اموالكم
واولادكم فتنة وهو يرجو الجنة ويخاف النار على ما فسرنا وقال بعضهم لا شرقية لا تضحى للشمس من اول النهار
الى آخره ولا غربية عليها الظل من اول النهار الى آخره ولكنها شرقية وغربية يصيبها الشمس والظل والعرب تقول
لا خير في شجرة في مغناة ولا خير في شجرة في مضحاة وقايل يقول لا تطلع الشمس ولا تغرب وقايل يقول هي شجرة
بالشام ليست بالمشرق وليست بالمغرب والحسن يقول والله لو كانت هذه الزيتونة في الارض لكانت شرقية او غربية
والله ما هي في الارض ولكن هذا مثل ضربه الله تعالى لنوره وهو هذا القرآن واما قوله نور على نور قال بعضهم
ايمان المؤمن نور وعمله نور فهو نور على نور قال بعضهم نور النار على نور الزيت فذلك نور على نور وموجودة
يعني الزيت وقال بعضهم نور النار ونور الزيت حين اجتمعا اضاءا ولا يضيء واحد بغير صاحبه كذلك نور القرآن
ونور الايمان اذا اجتمعا لا يكون احدهما منيرا الا بصاحبه وقال بعضهم ما ذكرنا من نور الايمان كما ذكرنا والعمل
ثم معنى تشبيه ما ذكرنا الزيت لان الزيت اصفى شيء واطهره واطيب شيء واضوء للسراج كل المانع من الادام والدواء
وعين وقوله في بيوت اذن الله ان ترفع اختلف فيه قال بعضهم قوله ان ترفع اي تعظم ويرفع قدرها وهي
المساجد على غيرها من البيوت المسكونة يذكر اسم الله فيها والتسبيح والتنزيه من الاقذار والانجاس ومن الامور
الدنيوية وقال بعضهم قوله ان ترفع اي تبنى وتتخذ فان كان التاويل هذا ففيه الامر ببناء المسجد واتخاذها وان كان
الاول ففيه الامر بتعظيم المساجد ورفع قدرها بما ذكر من ذكر الله والتسبيح فيها ثم الاذن في هذا الامر لوجهين احدهما (ثم المراد من الاذن هو الامر ههنا لوجهين)
يحق اقامة الجماعات فيها في هذه الصلوات المعروفة اذ الارض كلها في الاصل جعلت مسجدا حيث قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا فهي من حق جواز الصلوة مسجد فيخرج الامر به مخرج الامر ببنائها لاقامة
الجماعات والثاني امر بها خصوصا للمساجد اذ غيرها من البيوت المسكونة انما اتخذت وبنيت بالاذن والاباحة
فخص المساجد بالاذن ببنائها خصوصا لها اذ لو كان الاذن على ظاهر ما ذكر لكان المساجد وغيرها من البيوت سواء
والله اعلم وقوله ويذكر فيها اسمه فان كان تاويل قوله ان ترفع اي تعظم ويرفع قدرها فيكون ويذكر فيها اسمه
يسبح له تفسيرا لذلك التعظيم والقدر الذي امر اي امر ان تعظم ويرفع قدرها بذكر اسم الله فيها وما ذكر من التسبيح
وان كان التاويل هو الامر بالبناء فيكون قوله ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها كذا على الابتداء اي امر ان تبنى بيوتا مساجد (مساجد صح)
وامر ان يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال ثم اختلف في تلاوة قوله يسبح له قرأ بعضهم يسبح له بنصب
الباء وقرأ بعضهم يسبح بخفض الباء فمن قرأها بالنصب صيره على الاول يذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والآصال ثم ابتداء
فقال رجال لا تلهيهم تجارة ومن قرأها بالخفض اعني خفض الباء صيره مقطوعا من الاول مبتدأ اي يسبح له فيها
رجال بالغدو والآصال ثم ابتداء في قوله لا تلهيهم تجارة ثم قوله ويذكر فيها اسمه جايز ان يراد بذكر اسم الصلوة
وكذلك بالتسبيح ويحتمل ان يريد بذكر اسمه جميع انواع الاذكار من الخير ويراد بالتسبيح بالغدو والآصال الصلوة

المفروضة ثم قال بعضهم الغدو صلوة الغداة والآصال صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فيجعل الاصيل
عبادة عن هذه الصلوات في اوقاتها وقال بعضهم الآصال صلوة العصر خاصة فاما غيرها من الصلوات فما عرف
لا بهذا ولكن بشيء آخر والغدو هو صلوة الفجر والله اعلم وقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع اي لا تشغلهم تجارة
ولا بيع ذكر التجارة والبيع تجارة ولكن كان اسم التجارة يجمع انواع التقلب واسم البيع يقع على خاص ولذلك
يقال للذي يجمع انواع التقلب تاجر وللذي يبيع شيئا خاصا بايع اخبر ان لا يشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
ثم جايز ان يكون قوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اي لا يشتغلون بالتجارة والبيع ولكن فرغوا انفسهم
لذكر الله واقامة الصلوة وما ذكر وجايز ان يكونوا يتجرون ويبيعون لكن تجارتهم وبيعهم لا تشغلهم ولا تمنعهم
عن ذكر الله يكونون ابدا في ذكر الله ثم قوله عن ذكر الله يحتمل الصلوة وقوله واقام الصلوة اي اتمام الصلوة
بركوعها وسجودها وقراءتها وجميع اسبابها وشرايطها وجايز ان يكون قوله عن ذكر الله جميع انواع الاذكار واقام
الصلوة اقامة الصلوة نفسها وايتاء الزكوة وقال بعضهم جايز ان يكون قوله عن ذكر الله الخطبة واقام الصلوة
صلوة الجمعة لانه قال واذا راوا تجارة الاية وقال اذا نودي للصلوة وهي الخطبة غير مسموع من اهل التاويل
ولكنه محتمل والله اعلم وقوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وهو يوم القيامة يخبر عن شدة
هول ذلك اليوم وخوفه لا تثبت القلوب والابصار فزعا منه وخوفا كقوله مهطعين مقنعي رؤسهم الاية وكقوله
اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وجايز ان يكون قوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار يعرفون مرة ويجهلون
تارة او يعتبرون يومئذ بما لم يعتبروا في الدنيا ويقرون بما لم يقروا وقال بعضهم يخافون يوما تتقلب فيه
القلوب حين زالت عن اماكنها من الصدور فنشبت في حلوقهم عند الحناجر ثم قال والابصار اي تقلب ابصارهم
فيكونون زرقا وهو قول مقاتل وقوله ليجزيهم الله بها كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا اي يجزيهم الله جزاء
احسانهم ويكفر عن مساويهم ولا يجزيهم بها كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية وكقوله ويجزيهم
اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وقوله ويزيدهم من فضله على قدر حسناتهم والله يرزق من يشاء بغير حساب
قال بعضهم ليس فوقه ملك يحاسبه فهو الملك يعطي من يشاء بغير حساب لا يخاف من احد يحاسبه كقوله
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويحتمل قوله بغير حساب اي يعطيهم بلا حساب يحاسبهم ويدخلهم الجنة بلا محاسبة
وجايز ان يكون بغير حساب اضعافا مضاعفة ما لا يحصى لا على قدر اعمالهم والله اعلم وقوله والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء جايز ان يكون في ضرب مثل اعمال الكفرة بالسراب الذي ذكر من وجهين
احدهما انهم قد عملوا في الظاهر اعمالا طمعوا ان يصلوا اليها في الآخرة وينتفعوا بها من نحو الصدقات والنفقات
وصلة الارحام ونحوه مما هي في الظاهر اعمال الخير فاذا هم حرموا ذلك ولم يجدوا شيئا كالذي يرى السراب
من بعيد يحسبه ماء فلما راه فاذا هو لا شيء فعلى ذلك الكفار عملوا تلك الاعمال على طمع منهم انهم ينتفعون بها فاذا هم
على لا شيء كالعطشان الذي يرى السراب فيحسبه انه ماء فاذا هو سراب والثاني ضرب مثل اعمالهم بالسراب الذي
ذكر وذلك انهم قد عبدوا الاصنام والاوثان رجاء ان ينتفعوا بشفاعتهم في الآخرة كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانت عبادتهم الاصنام لما ذكروا من شفاعتهم فاذا هم لم ينتفعوا بها
فصاروا كالعطشان الذي يرى السراب يحسب انه ماء فاذا جاءه وجده سرابا لم يجد ما حسبه الى هذا تمام المثل
ثم ابتداء فقال ووجد الله عنده فوفيه حسابه اي وجد الله يوفيه حساب عمله وجزاءه او يقول قدم على عمله
يوم القيامة لم يجد عمله الذي عمل في الدنيا شيئا الا كما وجد هذا العطشان هذا السراب ووجد الله عنده
فوفيه حسابه يقول على الله فوفاه حسابه اي عمله وقال بعضهم هذا المثل ضرب للكفار وذلك انهم يبعثون
يوم القيامة وقد تقطعت اعناقهم من العطش فيرفع لهم سراب بقيعة من الارض فاذا نظروا اليه حسبوه ماء فاتوه
ليشربوا منه فلم يجدوا شيئا ويؤخذون ثمة فيحاسبون وكذلك اعمالهم تضمحل يوم القيامة فلا يصيبون منها

خيرا

خيرا وقوله او كظلمات في بحر لجي يغشيه موج هذا مثل آخر ضربه الله لاحوال الكافر او كظلمات جسده
شبهه بظلمات وذلك ان البحر اذا كان عميقا كان اشد كظلمة فقال والبحر اللجي قلب الكافر يغشاه موج فوق الماء
من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات فهو ظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة السحاب هذه ظلمات بعضها فوق بعض
فكذا الكافر قلبه مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم لا يبصرون الايمان كما ان صاحب البحر اذا اخرج يده في تلك
الظلمة لم يكد يريها اي لم يرها البتة او ان يكون ضرب المثل بظلمات ثلاث كظلمات احواله لا يزال يزداد ظلمة كفره
في كل وقت وفي كل حال بعمله الذي يعمله كالظلمات التي ذكر فكان كفره بالمثل الذي سبق لانوار احوال المؤمن
حيث قال مثل نوره كمشكوة او لنور جسده وصدره وقلبه ثم قوله او كظلمات ليس هو حرف شك ولكنه
كانه قال ان ضربت مثل عمله بالسراب فمستقيم وان ضربته بالظلمات التي ذكر فمستقيم بايهما ضربت فمستقيم
صحيح لانه ذا او ذا ثم ذكر في اعمال الكفرة مثلين احدهما السراب والثاني الظلمات فجايز ان يكون في المؤمن ايضا
مثلين الظلمة التي ذكر مقابل النور الذي ذكر في المؤمن والسراب الذي ذكر لاعمالهم مقابل ما ذكر من اعمال المؤمنين
حيث قال في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الى قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب وقوله ومن لم يجعل الله
له نورا فما له من نور قال بعضهم من لم يجعل الله ايمانا فما له من ايمان وقيل هدى فما له من هدى وهما واحد والاية
على المعتزلة لانهم يقولون لم يجعل الله للمؤمن من النور الا وقد جعل مثله للكافر وفي الاية اخبار انه لم يجعل للكافر
النور اذ لو كان جعل للكافر كما جعل للمؤمن لم يكن لقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور معنى دل انه لم يجعل للكافر
النور وقوله فوفيه حسابه يقول فجازاه بعمله فلم يظلم وقوله والله سريع الحساب قد ذكرناه في غير موضع
قال القتبي السراب ما رايته من الشمس كالماء نصف النهار والآل ما رايته في اول النهار وآخره الذي يرفع كل شيء
والقيعة القاع وقال ابو عوسجة السراب الذي يثيره الحر فتراه كانه ماء يجري وهو الذي يكون نصف النهار
الى السماء والآل في اول النهار الى قريب من نصف النهار والقيعة القاع وهي الارض اليابسة الطيبة التي يستنقع
فيها الماء وقاع واحد وقيعان جميع والظمآن العطشان وقوم ظماء وامراة ظمأى ونسوة ظماء واظمأته اعطشته
وظلمات ايضا بحر لجي اللجي الكثير الماء واللجة وسط البحر يغشيه موج اي يصير فوقه قال الموج طرائق في الماء تكون
تكون زاهبتا الريح وقال الكسائي الظمآن والصديان والعطشان واحد والسراب قبل الزوال والآل قبل الزوال
وهو ارفع من السراب والرقراق بعد العصر وقال بعضهم في قوله اذا اخرج يده لم يكد يريها يقول لم يقارب البصر كقول
الرجل لم يصب ولم يقارب الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض قوله الم تر والم تعلم ونحوه
في الظاهر حرف تعجب واستفهام يقول الرجل لآخر الم تر كذا والم تعلم كذا على التعجب وعلى الاستفهام لكنه يخرج
من الله على وجهين احدهما اي قد رايت وعلمت اذ الاستفهام لا يجوز عنه والثاني على الامر اي اعلم ورده على ما ذكرناه
في غير موضع وقوله يسبح له من في السموات والارض يحتمل يسبح من ذكر وجهين احدهما تسبيح خلقه وصنعته اي خلقة
كل احد دلالة وحدانيته وتعاليه عن الاشباه وتنزيهه والشهادة له بالربوبية بالالوهية له والثاني يجعل الله
في هذه الخلائق من الطيور والدواب وغيرها معنى يسبحون له بذلك يفهمونه هم ذلك من انفسهم ويعرفونه انه
تسبيح وان لم يفهم غيرهم من الخلائق نحو ما ذكر من تسبيح الجبال والطير في قصة سليمان في قوله يا جبال اوبي
معه والطير وقال في آية اخرى يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب ولو كان التسبيح منه تسبيح
خلقه لكان سليمان وغيره من الناس في ذلك شرعا سواء وان العشي وغيره من الاوقات سواء فدل تخصيص سليمان
في ذلك وتخصيص الاوقات من بين غيرهم على ان تسبيح هذه الاشياء ليس تسبيح خلقة ولكنه تسبيح عبادة بالمعنى
الذي جعل له فيه وان لم يفهم غيره من الخلائق تسبيحهم الا يرى ان الله تعالى اخبر عن نملة القول حيث قال
قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الاية ثم معلوم انه لم يكن في النملة حقيقة قول كقول المميز والممتحن
ولكنه معنى مفهوم منها ذلك فعلى ذلك الا ولا الا ترى انه اخبر من نطق الجوارح وشهادتها عليه يومئذ حيث قال

واراها

چنانك مى كويد ياجبال

يوم تشهد عليهم الاية وقال شهد عليهم الاية فيفهم هولاء من شهادة الجوارح عليهم ما لم يفهم غيرها حتى انكروا عليها
دل ذلك انه ما ذكرنا وذلك جايز ان يكون لمعنى فيهم نفهم هم ولا يفهم غيرهم الا ترى ان الله جعل في برية الماء
معنى يحيي به كل شيء انما اصابه و وصل اليه وذلك المعنى لا يعلمه الا الله او من اطلعه الله عليه وارتضاه لنفسه
رسولا فعلى ذلك تسبيح من في السموات والارض والطير وغيره جعل في بنيتهم معنى يعرفونهم من انفسهم ذلك تسبيحا لله
وتنزيها وان لم يفهم غيره والله اعلم كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم وقوله يسبح له
من في السموات حرف من انما يعبر به عن المميز وحرف ما يعبر به المميز وقوله كل قد علم صلوته وتسبيحه
قال بعضهم كل من فيها قد علم صلوته وتسبيحه من الملائكة وغيره بلغته ولسانه على كفاد الانس والجن وجايز ان يكون
قوله كل قد علم صلوته وتسبيحه ما ذكرنا ان كلا منهم يعرف ويفهم انه يسبح له وان لم يفهم غيره كانه يذكر سلطانه
وملكه وغناه عن عبادة هولاء والتسبيح ان من سبح له كل شيء في السموات والارض فترك عبادة هولاء لم
وعبادته يحل ولحد لا ينفع ولا يضر او ان يقول من له ملك السموات والارض لا يقع له الحاجة الى عبادة احد
ولا طاعته انما الحاجة والمنفعة في الطاعة والعبادة لهم دون الله ولذلك قال ولله ملك السموات والارض
على اثر ذلك وقوله والله عليم بما يفعلون جايز ان يكون هذا على الاول اي عليم بما يفعل من ذكر من التسبيح
وغيره وان يكون على الابتداء وعيد للخلق اي عليم بجميع ما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير
قد ذكر في غير موضع وقوله والطير صافات اي قد صفت اجنحتها في الطيران وكذلك قال ابو عوسجة
اي صفت اجنحتها في الهواء فلا يحركها وقوله الم تر ان الله يزجي سحابا قيل يسوق سحابا ثم يولف بينه
اي بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما قال فيها تقديم وتاخير ثم يجعله ركاما اي قطعا يحمل بعضه على اثر بعض
ثم يولف بينه وجيه اي يضم السحاب بعضه الى بعض بعد الركام وقال بعضهم قوله يزجي اي يجر جبرم الارض
فليستخرج بين السماء والارض ثم يجعله ركاما وقوله فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله وقيل خلله اي خلال
السحاب وينزل من السماء من جبال فيها من برد قال بعضهم جبال من ثلج وينزل الله على السحاب منها الثلج
والبرد وقال بعضهم جبال خلقها الله من برد في السماء ثم ينزل وليس في الاية بيان ان الجبال التي ذكر انه
ينزل من السماء انها من ثلج او برد سوى انه اخبر ان فيها بردا فالاشياء تشبه بالجبال وتنسب اليها اما الكثرة
واما للشدة والغلظ والعظم ثانيا كقوله وترى الجبال تحسبها جامدة الاية فجايز ان يكون الجبال المذكورة
في هذه الاية هي الجبال التي اخبر انه ينزلها ولا يدرى اين هي في السماء او فيما بين السماء والارض وقوله
فيصيب به من يشاء في نفسه او زرعه او ثمره فيضره ويصرفه عمن يشاء فلا يصيبه وان كان على هذا فهو
يخرج على التعدد وكذلك عمل البرد يفسد في مكان ويترك مكانا لا يعم ولكن يصيب مكانا ويخطي مكانا وجايز
ان يكون قوله فيصيب به من يشاء من بركته ويصرفه عمن يشاء من بركته يكاد سنا برقه قيل ضوء برقه كاد ان يقال
ان يذهب ضوء البرق بالابصار من الشدة نور يقلب الله الليل والنهار تقليبهما الليل والنهار اختلافهما ياتي بهذا
ويذهب بالاخر يذكر هذا والله اعلم صلة قوله ولله ملك السموات والارض الاية يخبر عن سلطانه وقدرته وتدبيره
وعلمه وحكمته ووحدانيته اما سلطانه وقدرته ما ذكر من سوق السحاب بين السماء والارض وتصييره وضم بعضه
الى بعض دل ذلك انه قادر بذاته لا يعجزه شيء ودل نزول المطر واصابته في مكان وتخطيه موضعا دون موضع
مع اتصال السحاب وانضمام بعضه على بعض على السواء انه على التدبير والعلم كان ذلك لا بطباع السحاب وعلى
الجزاف ودل جريان الامر واتساق التدبير فيما ذكرنا وفي اختلاف الليل والنهار وتقليبهما من حال الى حال
من النقصان الى الزيادة ومن الزيادة الى النقصان واتصال منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما انه تدبير
واحد لا عدد اذ لو كان تدبير عدد لمنع بعض بعضا عما يريد من التدبير والنفع دل ذلك كله على انه واحد
عليم قادر مدبر لا يعجزه شيء وكذلك قال ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ولما ذكرنا فيه من وجوه الاستدلال والاعتبار

قال القتبي وابو عوسجة يزجي اي يسوق ركاما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله وخلله
سنا برقه ضوءه قال ابو عوسجة والركام هو الكثير المتراكم الذي بعضه فوق بعض يقال ارتكم الشيء اي صار بعضه
على بعض ويقال ركمت المتاع اركمه ركما اذا جعلت بعضه فوق بعض والودق المطر يقال ودقت السماء تدق ودقا
اي مطرت يخرج من خلاله اي من بينه و واحد الخلال خلل يكاد سنا برقه السنا مقصور وهو الضوء ويقال السنا النار
وهو واحد وقوله والله خلق كل دابة من ماء هو والله اعلم صلة قوله ولله ملك السموات والارض الاية
ذكر السحاب وما فيه من التدبير والعلم والحكمة وذكر ايضا تقليبه الليل والنهار وما فيهما من التدبير والعلم
والحكمة والقدرة فعلى ذلك قوله والله خالق كل دابة من ماء يذكر قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره اخبر انه خلق
الخلايق كلهم من هذا الماء على اختلاف اجناسهم وجواهرهم من شيء واحد دل انهم لم يكونوا بالطباع كذلك ولكن
بتدبير واحد عالم بذاته لا يعلم وتدبير مستفاد ولكن علم ذاتي اذ لو كانوا بالطباع لخرجوا على تقدير واحد
وصفة واحدة والثاني انه لا احد من حكماء البشر يدرك كيفية انشاء هذا العالم وخلق هذه الخلايق من هذه
المياه فانه خلق ذلك وليس في تلك المياه معنى ولا شيء من جوهر الخلايق دل انشاؤه اياهم انه قادر بذاته لا يعجزه شيء
يخلق بسبب وبغير سبب وانه خلق هذه الخلايق بحكمة ذاتية اذ لم يدرك ذلك حكماء البشر ودل خلق هذه
الخلايق على هذه المعاني والاسباب انه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهيهم فاذا ثبت الامر والنهي
ثبت الاحياء من بعد الممات للجزاء ودل قدرته على خلق هذه الخلايق من الماء انه قادر على الاحياء وانه لا يعجزه
لان من قدر على هذا قادر على ما ذكرنا ثم وقوله فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين يذكر هذا
والله اعلم لاحد وجهين اما تذكيرا اياه نعمه ومنته وفضله الذي اعطاهم واحسانه الذي احسن اليهم
لانه اخبر انه خلق هذا العالم معتدلا سويا من غير ان كان منهم اختيار لذلك او يستوجبون ذلك قبله وخلق
غيرهم من الدواب منكبين على وجوههم وماشين على بطونهم وذلك تفضل منه ونعمة او ذكر مثالا لحال الكفرة
في الاخرة كقوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الاية اخبر ان الكفرة يكونون منكبين على وجوههم واهل
الاسلام يمشون منتصبين مستوين يخلق الله ما يشاء بسبب وبغير سبب ان الله على كل شيء قدير لانه قادر بذاته
لا بقدرة مستفادة من غيره وقوله لقد انزلنا ايات مبينات الاية قد ذكرنا وقوله ويقولون امنا بالله
وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم اختلف فيه قال بعض اهل التاويل ابن عباس وغيره انه وقعت
بين علي بن ابي طالب وبين عثمان رضي الله عنهما خصومة في ارض اشتراها عثمان من علي فاختصما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في تلك فقضى لعلي على عثمان والزمه الارض فقال قوم عثمان انه ابن عمه واكرم عليه
منك فقضى عليك له او نحو هذا من الكلام فنزل في قوم عثمان ذلك الى اخر ما ذكر لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يكون
عثمان او قومه يخطي ببالهم في رسول الله ما ذكر وقال بعضهم نزل هذا في بشر المنافق وذلك ان رجلا من اليهود
كان بينه وبين بشر خصومة وان اليهودي دعا بشرا الى رسول الله ودعاه بشر الى كعب بن الاشرف فقال انه يحيف
يحيف علينا ونحو من الكلام فنزل هذا لكنا لا نعلم انه فيمن نزل سوى ان فيه بيانا انها انما انزلت في المنافقين
وفي ظاهر الاية دلالة انهم علموا ان رسول الله لا يقضي الا بالحق الا ترى انه ذكر في اخره وان يكن لهم الحق ياتوا اليه
مذعنين اي مسرعين مطيعين ولو كان عندهم انه يقضي بالجور لكانوا لا ياتونه للقضاء وان كان الحق لهم مخافة
الجور والظلم عليهم لكن ما ذكر في سياق هذا يمنع هذا التاويل وهو قوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون
ان يحيف الله عليهم ورسوله في هذا من الدلالة ان عندهم انه لا يقضي بالحق لهم وانه يجور حيث قال افي قلوبهم
ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله فمن كان على هذا الوصف فهو يخاف جوره وحيفه الا ان يجعل
الاية في فرق من المنافقين فرقة منهم عرفوا انه لا يقضي الا بالحق وفرقة منهم كان في قلوبهم مرض وفرقة
ارتابوا وفرقة خافوا جوره وهم كانوا فرقا الا ترى انه قال ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله

ومنهم من قال كذا او ان يكون تاويل قوله وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين اى وان لم يكن القضا
بالحق اتوه مذعنين اى ذاعرفوا انه يقضى لهم لا محالة اتوه والا لا يأتونه فان كان على هذا فما ذكر على سياقه
من المرض والارتياب والخوف فى الحيف فستقيم على هذين الوجهين يحتمل ان يخرج تاويل الآية واما على غير ذلك
فانا لا نعلم والله اعلم **وقوله** وما اولئك بالمؤمنين لان من ارتاب وشك فى رسالته او خاف جوره
وحيفه فهو كافر ليس بمؤمن وفى قوله افى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون يخرج على وجهين وان كان ظاهره
حرف شك احدهما على الايجاب والتحقيق اى فى قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا على ما ذكرنا فى حرف الاستفهام
انه فى الظاهر وان كان استفهاما فهو فى التحقيق علم وايجاب اى قد علمت ورايت ونحو ذلك لما لا يجوز الاستفهام منه
فعلى ذلك هذا والثانى ما ذكرنا انه فى فرق فرقة عرفت انه لا يقضى الا بالحق وفرقة منهم ارتابت وفرقة منهم
خافت جوره وظلمه قال القتبى قوله مذعنين اى خاضعين وقال ابو عوسجة مسرعين مطيعين يقال ناقة مذعان
اى سريعة ونوق مذاعين والحيف الجور حاف يحيف حيفا فهو حايف **وقوله** واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم قوله دعوا الى الله يحتمل اضافة الدعا الى الله وجهين احدهما دعوا الى كتاب الله والى رسوله اذا فريق
منهم معرضون كقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
والثانى اضافته الى الله هى اضافته الى رسوله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله جعل طاعة الرسول طاعة الله
فعلى ذلك جايز ان يراد باضافة الدعاء الى رسول الله وعلى ذلك يخرج افى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون
ان يحيف الله عليهم ورسوله لا يحتمل ان يكونوا يخافون حيف الله وجوره لكن انما يخافون جور رسوله وكتابه
والله اعلم **وقوله** انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله قد ذكرنا اضافة الدعاء الى الله فى قصة
المنافقين ونعتهم فعلى ذلك فى نعت المؤمنين **وقوله** ان يقولوا سمعنا واطعنا ليس على حقيقة القول منهم
والنطق به يحتمل قوله سمعنا اى سمعنا الدعاء واطعنا الامر ويحتمل سمعنا اجبنا واطعنا الامر وجايز ان يكون قوله
سمعنا واطعنا ليس على حقيقة القول منهم والنطق به ولكن اخبار من الله تعالى عما هم عليه واعتقدوا به اذ كل مؤمن
يعتقد فى اصل اعتقاده طاعة الله وطاعة رسوله فيكون كما ذكر فى آية اخرى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا هذا اخبار عما اطعموا ليس انهم قالوا باللسان انما نطعمكم لكذا ولكن اخبار عما فى قلوبهم فعلى ذلك
الاول **وقوله** واولئك هم المفلحون المفلح هو الذى بحاجته دنياوية يقال فلان افلح اى ظفر بحاجته والله اعلم
وقوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه يحتمل قوله ويخش الله اى يخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه
فيما بقى من عمره او يخشى الله على ما يكون منه من التقصير والتفريط ويتقه ذلك وكل معصية الله ومخالفته
فاولئك هم الفايزون وفى حرف ابن مسعود وابى وحفصة فاولئك هم المؤمنون فهما واحد **وقوله** واقسموا بالله
جهد ايمانهم قال بعضهم كل يمين بالله فهى جهد اليمين لانهم من عاداتهم انهم كانوا لا يحلفون بالله الا فى العظيم
من الامر والخطير فاما الامر الدون فانما يحلفون بغيره فيكون على هذا كل يمين بالله فهو جهد اليمين ويحتمل
ان يكونوا حلفوا بيمين غليظة شديدة على ما يغلظ الناس فى ايمانهم ربما سمى ذلك جهد اليمين او ان يكون جهد اليمين
ما ذكر على اثره وهو قوله لئن امرتهم ليخرجن قوله لئن امرتهم ليخرجن هو جهد ايمانهم والله اعلم **وقوله** لئن امرتهم ليخرجن
قوله لئن امرتهم يحتمل وجوها يحتمل لئن امرتهم ليخرجن من ارضهم التى تخاصموا اليه فيها اى ليخرجن ويسلمونها
الى خصمهم ويحتمل لئن امرتهم ليخرجن من جميع املاكهم وما تحويه ايديهم تعظيما لامرك واجلالا فكيف لا يتبعون
لقضائك وينقادون لحكمك وجايز ان يكون قوله ليخرجن من المدينة بعيالاتهم وجميع حواشيهم الى بلاد اخرى
وقال بعضهم لئن امرتهم ليخرجن اى امرتهم ان يخرجوا فى الجهاد ليخرجن لانهم كانوا يحلفون ثم امر رسول الله ان ينهاهم
عن القسم الذى اقسموا فقال قل لا تقسموا طاعة معروفة يقول الطيعوا وقولوا المعروف وقال بعضهم قوله
لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا ثم الكلام ثم قال طاعة معروفة وفى هذا الكلام حذف والايجاز يستدل الظاهر عليه

كان القول كما قالوا فقولوا ويحلفون فى الظاهر على ما يضمرون خلافه فقيل لهم لا تقسموا هى طاعة معروفة
صحيحة لا نفاق فيها لا طاعة فيها نفاق وقال بعضهم لا تحلفوا ولتكن هذه منكم للنبى طاعة معروفة حسنة
وقال بعضهم طاعة معروفة يقول طاعة يعرف انها طاعة بالقول والعمل لا تكونوا كاذبين فيها بالقول
دون العمل وبعضه قريب من بعض ان الله خبير بما تعملون فلا تقسموا وفيه دلالة اثبات رسالته لانهم كانوا
يسرون ويضمرون فيما بينهم التولى والاعراض عن حكمه ثم اخبرهم بذلك فعلموا انه بالله عرف ذلك **وقوله**
قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا اى تولوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم
قال فانما على النبى ما امر بتبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم وامرتم من الطاعة لله ورسوله ويحتمل فانما عليه ما حمل
من الفرايض وعليكم اداء ما حملتم وامرتم من الفرايض وجايز ان يكون قوله فانما عليه ما حمل اى لا يسأل هو ولا يؤاخذ بما
عليكم تسالون انتم ولا تؤاخذون ايضا بما عليه انما يسأل كل عما عليه كقوله ما عليك من حسابهم من شىء
وما من حسابك عليهم من شىء والله اعلم **وقوله** وان تطيعوه تهتدوا لا شك انهم ان اطاعوه اهتدوا وما على الرسول
الا البلاغ المبين ظاهر **وقوله** وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين
من قبلهم قال بعضهم مكث رسول الله بمكة سنين من بعد ما اوحى اليه خايفا هو واصحابه يدعون الناس الى الله
سرا وعلانية ثم امر بالهجرة الى المدينة فكانوا بها خايفين يصبحون فى السلاح ويمسون فى السلاح فقال رجل
من اصحابه يا رسول الله اما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح فقال رسول الله لن تلبثوا الا يسيرا حتى يجلس
الرجل منكم فى الملاء العظيم محتبيا ليس فيهم حديدة فانزل الله هذه الآية على اثر ما ذكر وقال بعضهم لما صد المشركون
رسول الله واصحابه يوم الحديبية وعد الله المسلمين ان يظهرهم وان تفتح لهم مكة وقال وتصديق ذلك
ما ذكر فى سورة الفتح وهو قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام الآية حتى قال فى آخر ذلك هو الذى ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الآية وعد رسوله فى القرآن انه يستخلفهم فى الارض وينزلهم كما استخلف
الذين من قبلهم فجعلهم خلفاء فى الارض وقال قايلون كان وعد اياهم فى التورية والانجيل والزبور انه يجعلهم
خلفاء فى الارض كما فعل بالذين من قبلهم ولكن كيف ما كان ذلك الوعد لهم فى القرآن او فى الكتب المتقدمة ففيه امران
اثنان احدهما البشارة للمسلمين والحجة على الكافرين لانه وعد لهم الامن فى النصر لا يرجعون ولا يطمعون النجاة
فضلا ان يطمعوا الاستخلاف والتمكن فى الارض واظهار الدين الذى ارتضى لهم وهو الاسلام على الاديان كلها
فاذا كان مثل ذلك الوعد والبشارة لا يطمع ولا يرجى فى مثل ذلك الوقت والخوف علم انه انما بشرهم بذلك بالوحى
من الله ووعده فكان ما وعد دل انه بالله وعد ذلك وبشر فذلك حجة على اولئك وبشارة على المؤمنين والله اعلم
وقوله ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون قوله ومن كفر بعد ذلك ليس يشترط فيه لانه لو كفر قبل ذلك
ايضا فهو فاسق ثم من الناس من قال ومن كفر بعد هذه النعم التى انعمها عليهم ولم يشكر عليها فهو كذا وجايز ان يكون
قوله ومن كفر بعد ذلك وليس له جواب **وقوله** واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول فيما امركم ونهاكم عنه
لعلكم ترحمون اى ترحمون هو ظاهر قد ذكرنا هذا فيما تقدم فى غير موضع ثم قال لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض
قال بعضهم معجزين اى فايتين فى الارض هربا من عذابه فلا يدركهم وقال بعضهم سابقين فى الارض هربا ايضا حتى
لا يجزون بكفرهم وهو واحد ومأويهم النار ولبئس المصير قد ذكرنا ايضا **وقوله** لا تحسبن كان رسول الله يعلم انهم
ليسوا بفايتين ولا سابقين عنه لكنه ذكر له هذا كما ذكر فى قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون هما واحد
وفى حرف ابن مسعود وابى وحفصة حسب الذين كفروا ان يعجزوا الله فى السموات والارض انه وان اختلفت
الحروف فالمعنى واحد والله اعلم **وقوله** يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم
منكم قال بعضهم ذكر ان رجلا وامراته تسمى اسماء ابنت مرشد اتخذا طعاما للنبى فجعل الناس يدخلون بغير اذن
فقالت اسماء ما اقبح هذا يا رسول الله ان يدخل على الرجل وامراته بغير اذنه وهما فى ثوب واحد غلامهما المملوك

خرج لا يعجزوا

فانزل الله ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم وقال بعضهم نزل هذا في شان عمر بن الخطاب وهو مما قال وافقت
ربي في ثلاث ذكران رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج الى عمر بن الخطاب ظهيرة
ليدعوه فانطلق الغلام اليه ليدعوه فوجده نايما قد اغلق عليه الباب فسال الغلام عنه فاخبره انه في هذا البيت
قال فدفع الغلام الباب على عمر وسلم فلم يستيقظ عمر فرجع الغلام ورد الباب فقام من خلفه وحركه فلم يستيقظ
فقال الغلام اللهم ايقظه لي قال ودفع الباب ثم ناداه ودخل فاستيقظ عمر فجلس فانكشف منه شئ فراه
الغلام وعرف عمر ان الغلام قد راى ذلك منه فقال عمر وددت والله ان الله نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا
ان يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله فوجده قد نزل عليه هذه الاية وامر
بالاستيذان على دخولهم في هذه الساعات لكن لا حاجة لنا الى ان نعرف انها نزلت في شان فلان او فلان او في
فلان وسببه سوى ان نعرف المودع فيها وما ذكر من انواع الاداب والاحكام بالاستيذان المستاذن عليه المستأذن
والسادات والاباء ومن يعول الصغار حيث قال ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم وذلك
الخطاب والله اعلم يخرج مخرج الامر للاباء والسادات بتعليم امور الدين والقيام بما يحتاجون اليه والتاديب على ذلك
ان ابت انفسهم وكذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال امروا صبيانكم بالصلوة اذا بلغوا سبعا
واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع خاطب به الاباء والاولياء ان يامروهم بامور الدين امر
عادة والتعليم لهم والتاديب ان امتنعوا عن ذلك ولم يخاطبهم في انفسهم لجهلهم وقلة معرفتهم بامرهم واذا بلغوا
او عرفوا الامر والامر فعند ذلك خاطبهم بانفسهم بالاستيذان في انفسهم وما داموا صغارا خاطب به الاباء والاولياء
لما لا يجرى عليهم القلم وليس الخطاب والامر والنهي الا لجرية القلم عليهم وترك الامر والخطاب لدفع القلم عنهم
واما الامر للاباء لهم بذلك يخرج مخرج الشفقة عليهم والقيام ببعض مصالحهم وذلك جايز ثم اختلف فيما ملكت
ايمانكم قال جماعة هن النساء دون الرجال فانهم يستاذنون في جميع الاوقات وقال بعضهم هم النساء والرجال
جميعا والنهي عن الدخول في هذه الاوقات الثلاث اذ هي اوقات غرة وساعات غفلة للذكور والاناث جميعا
ومنهم من يقول هم الكبار منهم دون الصغار والاشبه ان يكون في الصغار منهم لان الكبار منهم والاحرار سواء
في حظر النظر الى العورة واباحته الا ترى انه قال والذين لم يبلغوا الحلم منكم وهم الاحرار والصغار فعلى ذلك قوله
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الصغار منهم امر السادات بتعليم ما ذكرنا من الامور والله اعلم **وقوله** الذين لم يبلغوا الحلم
منكم هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله لم يبلغوا الحلم اي لم يحتلموا ويحتمل والذين لم يبلغوا الحلم اي لم يبلغوا مبلغ
الحلم بعد ما جعلهم في مراتب ثلاثا عني الصغار في حال لا يؤمرون ولا ينهون وهي الحال التي لا يميزون بين
العورة وبين غير العورة وهو ما قال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء اي لا يعرفون العورة
من غير العورة وحال يعرفون ذلك الا انه لا يقع لهم الحاجة اليها فيؤمرون بالستر عنهم وحال يقع الحاجة
اليها وقضاء الوطر فيؤمرون بالحجاب والتفريق في المضاجع والله اعلم **وقوله** ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر
وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم يحتمل قوله ثلاث عورات لكم احدهما
ثلاث اوقات عورات لكم وساعاتها ويحتمل ثلاث عورات اي ثلاث حالات يظهر فيها العورة كقوله ان بيوتنا
عورة اي ليس مما يمنع السراق عن السرقة فيها وفيه ان العمل بالاجتهاد في الاغلب والاكبر من الراي والامر
ليس على الحقيقة جايز لانه قد سمى ثلاث عورات ونهى عن الدخول بلا استيذان وان كان يجوز ان يكون العورة
مستورة واباح في غيرها من الاوقات الدخول بلا استيذان ويجوز ان يكون هنالك كشف العورة حيث قال
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي بعد ثلاث ساعات طوافون عليكم بعضكم على بعض لكنه اباح وحظر
بالاغلب والاكبر لا على الحقيقة وهكذا العمل بالاجتهاد والله اعلم **وقوله** طوافون عليكم اي يخدمونكم بعد هذه
الثلاث ساعات يدخلون عليكم بغير اذن بعضكم على بعض بالخدمة ولا اذن عليهم لما ذكرنا ان الاغلب ان يكون

العورات

العورات مستورة في غير هذه الثلاث ساعات وفي الثلاث لا قال القتبي الذين ملكت ايمانكم العبيد والاماء
ثلاث عورات لكم يريد هذه الاوقات لانها اوقات التجرد وظهور العورة اما قبل صلوة الفجر فللخروج من ثياب
النوم ولبس ثياب النهار واما عند الظهيرة فلوضع الثياب للقيلولة واما بعد صلوة العشاء فلوضع
الثياب للنوم بعدهن اي بعد هذه الاوقات ثم قال طوافون عليكم يريد انهم خدمكم فلا باس ان يدخلوا
قال الله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون اي يطوف عليهم في الخدمة وقال ابو عوسجة الظهيرة نصف النهار
وظها يرجميع واظهرت اي دخلت في الظهيرة **وقوله** واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا فقد ذكرنا
انه خاطب به الاولياء في تعليم الاداب وامور الدين الصغار ولم يخاطبهم هو حيث ليستاذنكم الذين ملكت
ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم واذا بلغوا خاطبهم بانفسهم حيث قال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا
ثم يحتمل قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم وجهين يحتمل اذا احتلموا ويحتمل اذا بلغوا وقت الحلم فالاول
على حقيقة الاحتلام والثاني على قرب بلوغ الاحتلام فكان الاول اشبه لانه خاطبهم في انفسهم وامرهم
بالاستيذان فلم يكونوا بالغين لم يخاطبهم ولكن خاطب به الاولياء كما خاطبهم في الاية الاولى وفيه دلالة
ان الحد في بلوغ الصغير الاحتلام وعلى ذلك اتفاق القول منهم الا ترى انه قال فليستاذنوا كما استاذن
الذين من قبلهم يحتمل والله اعلم ما امر به قبل هذه الاية البالغين ان لا يدخلوا بيوتا حتى يستاذنوا على اهله
او ان يكون قوله كما استاذن الذين من قبلهم يعني الكبار ان يكون الاستيذان في الكبار معروفا ظاهرا وفي الصغار
لا فامر اذا بلغوا ان يستاذنوا كما يستاذن الكبار منهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق ظاهر الاية
وهو ما قال رفع القلم عن ثلاث احدهم الصبي حتى يحتلم واما اذا بلغ خمس عشرة سنة فمما اختلف
اصحابنا فيه راه ابو يوسف ومحمد بالغا لحديث ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اجازه
في القتال وهو ابن خمس عشرة سنة ولم يجزه وهو ابن اربع عشرة سنة لكن ليس فيه انه اجازه
لبلوغه ولم يجزه لانه لم يبلغ جايز اجازه في العام الثاني لقوته وطاقته على القتال ولم يجزه في العام
الاول لضعفه ووهنه وعجزه عن القتال واحتج بعض مشايخنا رحمهم الله لقول ابي حنيفة في تحديده بثماني عشرة
سنة لبلوغ الغلام اذا لم يحتلم قال لان الوسط من احتلام الغلمان ان يبلغوا خمس عشرة سنة وربما احتلموا
قبل ذلك وربما تاخر احتلامهم عنه ووجدوا المعروف فيمن نقصت سنه عن اثنتي عشرة ان لا يحتلم فاذا بلغها
فربما احتلم فجعل حد الزيادة على الخمس عشرة سنة التي هي وسط بين المختلفين ثلاث سنين كما كان
مقدار النقصان عنها ثلاث سنين وهذا القول من قوله استحسان والله اعلم **وقوله** كذلك يبين الله لكم
اياته والله عليم حكيم قوله كذلك يبين الله لكم اياته اعلامه اي يبين لكم الاعلام التي تحتاجون اليها
وتعرفون ما يسع لكم مما لا يسع وما تؤتى مما تتقي وقال بعضهم اياته ههنا امره ونهيه والله اعلم **وقوله** والقواعد
من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا قال اهل التاويل قوله لا يرجون نكاحا اي لا يريدون نكاحا لكن
الاشبه ان يكون قوله لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن ان يرغب فيهن الرجال لكبرهن والا كن يردن النكاح
وان كبرت وعجزت **وقوله** فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وقال بعضهم ثيابهن
الرداء وكذلك روى في حرف ابن مسعود انه قرا ان يضعن من ثيابهن وهو الرداء وقال بعضهم على الجلباب
هو القناع الذي يكون فوق الخمار فلا باس ان تضع ذلك عند اجنبي وغيره بعد ان يكون عليها خمار صفيق
غير متبرجات بزينة يقول والله اعلم من غير ان يكون وضعت الرداء او الجلباب تريد بذلك للناظر اليها الزينة
والتبرج **وقوله** وان يستعففن خير لهن اي وان لا يضعن ما ذكرنا من الثياب خير لهن من ان يضعن
وقال بعضهم الخمار لكنه لا يحتمل لانه معلوم ان المراة وان كبرت وعجزت لا تكشف عورتها لاحد ثم الزينة
ربما تكشف للمحارم ولا تكشف للغريب وهو الراس والصدر فاذا بلغت في السن مبلغا لا يطمع ان يرغب

في نكاحها لا تتزين ومعها لا تفعل لا يحل للاجنبي ان ينظر الى شعرها ولا الى صدرها ولا الى ساقها وانها
وان صلت وراسها مكشوف فصلوتها فاسدة واذا كان كذلك فليس يجوز ان يجعل تاويل وضع الثياب الخمار
لما ذكرنا ولكن الرداء او الجلباب الذي يلبسن اذا خرجن من منازلهن فان قيل انما اطلق لهما بهذه الاية ان تضع
خمارها عن راسها اذا لم يرها احد قيل لا لشابة ايضا يجوز لها ان تضع الخمار عن راسها اذا خلت في البيت فذلك
يدل على ان العجوز اذن لها ان تضع ثوبها وهو الجلباب والملاءة الذي كانت تغطي وجهها اذا خرجت واذا كان
المطلق لها هنا فالواجب على الشابة ان لا تظهر وجهها اذا كانت تشتهى ولا يديها فاذا كان كذلك كان قوله
الا ما ظهر منها هو الزينة التي لا يمكن سترها مما دونها هو الكحل والله اعلم **وقوله** غير متبرجات بزينة قال بعضهم
اي غير مظهرات محاسنهن **وقال** بعضهم غير متبرجات اي غير متزينات بزينة والمتبرجة المتزينة لاظهار الزينة
والزينة هي الداعية المرغبة الى النظر اليها وقضاء الشهوة فكانه اباح لها وضع الثياب اذا كانت غير متزينة
واذا كانت متزينة فلا واباح لها ايضا اذا لم يكن محاسن يرغب فيها واذا كان بها ذلك لم يبح **وقوله** وان يستعففن
خير لهن يحتمل وجهين يحتمل وان يستعففن ولا يبدين محاسنهن خير لهن من ان يبدين **والثاني**
وان يستعففن ولا يضعن ثيابهن حتى يكون ذلك علما بين معرفة الحرة من الامة خير لهن من الوضع كقوله يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين اي يعرفن انهن حراير فلا يؤذين كما تؤذى الاماء والله اعلم
وقوله والله سميع عليم كان قوله سميع ههنا صلة قوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والا ليس في هذه الاية
ما يوصل به او ان يكون جوابا له **وقال** القتبي القواعد من النساء هن العجز واحدها قاعد ويقال انما قيل لها قاعد
لقعودها من الحيض والولد ومثلها لا ترجوا النكاح اي لا تطمع فيه ولا اراها سميت قاعدا بالقعود عما ذكر الا انها اذا اسنت
عجزت عن التصرف وكثرة الحركة واطالت القعود فقيل لها قاعد بلا هاء ليدل بحذف الهاء على انه قعود كبر
كما قالوا امراة حامل بلا هاء ليدل على انه حمل حبل وقالوا في غير ذلك قاعدة في بيتها وحاملة على ظهرها
وقال العرب تقول امراة واضع اذا كبرت فوضعت الثياب ولا يكون هذا الا في الهرمة **وقال** ابو عوسجة غير متبرجات
اي غير مظهرات محاسنهن والمتبرجة المتزينة باظهار الزينة **وحاصل** قوله ليس عليهن جناح ان يضعن
ثيابهن غير متبرجات بزينة يخرج على وجهين والله اعلم احدهما يكون معنى قوله لا يرجون نكاحا غير متبرجات
بزينة كل واحد من الحرفين يكون معناه معنى الاخر كقوله محصنات غير مسافحات اذا كن محصنات كن غير مسافحات
واذا كن غير مسافحات كن محصنات فعلى ذلك قوله لا يرجون نكاحا اذا كن لا يرجون النكاح كن غير متبرجات والله اعلم
لان التزيين انما يكون منهن طمعا في النكاح والثاني مع ما لا يرجون النكاح يتزين وتبرجن فقال ليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن غير مظهرات الزينة على هذين الوجهين جاز ان يخرج تاويل الاية **وقوله** وان يستعففن عن ذلك
كله خير لهن والله اعلم **وقوله** ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج الاية اختلف في تاويله قال بعضهم ان الرجل
الصحيح كان يتحرج مواكلة الاعمى والاعرج والمريض شفقا عليهم ورحمة يقول ان لا يبصر طيب الطعام فلعله
ياكل الخبيث وانا اكل الطيب **ويقول** ان الاعرج لا يستوي جالسا اذا قعد فلا يقدر ان يتناول فيما اتناول انا وان المريض
لا ياكل مثل ما ياكل الصحيح وكان الرجل لا ياكل من بيت ابيه ولا من بيت اخيه اذا لم يكونا فيه وكذلك ما ذكر الى اخر
حتى يكونوا فيه وكذلك الصديق وهؤلاء فانزل الله هذه الاية في رخصة ذلك كله **وقال** بعضهم ان هؤلاء الزمنى وذوي العاهات
والعرج والمرضى واولي الحاجة منهم يستتبعهم رجال الى بيوتهم ويستضيفونهم فان لم يجدوا لهم طعاما او شيئا
ياكلونه ذهبوا بهم الى بيوت ابائهم ومن عدد معهم فكره ذلك المستتبعون التناول من غير بيوت اولئك بلا دعوة
ولا اذن سبق منهم فانزل الله في ذلك اباحة لهم ورخصة واحل لهم الطعام حيث وجدوه **وقال** ان الاعمى
والاعرج والمريض وهؤلاء الذين كانت بهم زمانة كانوا يتحرجون مواكلة الاصحاء مخافة ان يتقذروا منهم ويستقذروا
يقول الاعرج لا اواكل الناس لاني اخذ من المجلس مكان رجلين واضيق عليهم **وقال** الاعمى لعلي افسد عليهم طعامهم

والله سميع عليم
صحيحا

وكذلك

566

وكذلك المريض منهم يقول مثل ذلك فانزل الله الرخصة في ذلك ورفع عنهم الجناح في مواكلتهم فيقول
ان الخلق عليهم ان يرحموكم لما بكم من الزمانة وان يدعوا لكم بالرفع عنكم التقذر والاستقذار عنكم **وقال** بعضهم
ان الرجل الغني كان يدخل على الرجل الفقير والزمن فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لاجنح والتحرج ان اكل من طعامك
وانا غني وانت فقير فانزل الله في ذلك ولا على انفسكم الى اخر الاية **وقال** بعضهم كان يقول هذا في اهل الجهاد
ان الرجل كان يخرج الى الجهاد فيخلف اخاه في منزله في حفظ ماله واهله والقيام بكفايتهم فكان يتحرج ولا ياكل
من ماله شيئا ولا من طعامه لما لم يسبق منه الاذن في ذلك فانزل الله في ذلك رخصة واباحة التناول من ذلك
الى هذا انتهت اقاويل اهل التاويل وتاويلهم **والاشبه** عندنا ان يكون تاويل الاية في غير ما ذهبوا هم اليه
وهو ان يكون قوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي ليس على هؤلاء حرج ان ياكلوا
من بيوت آبائهم وامهاتهم او بيوت اخوانهم او بيوت اخواتهم او بيوت اعمامهم الى قوله او بيوت خالاتكم لانهم
انما ياكلون بالحق لان من كان زمانة كان له التناول من اموال من ذكر من الاباء والامهات والقرابات لفرض لهم النفقة
في اموالهم فيكون في ذلك دلالة وجوب النفقة لهم في اموالهم **ويكون** قوله ولا على انفسكم جناح ان تاكلوا
من بيوتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم اي لا باس ان تاكلوا من بيوتكم او ما ملكتم مفاتحه او من بيوت صديقكم
اذ ليس يباح للرجل التناول من مال نفسه ومن مال صديقه في حال عذر ولا يباح في حال الصحة والسلامة
بل يباح في الاحوال كلها **دل** ان التاويل الذي ذكرنا اشبه فيصرف تناول الزمنى في اموال القرابات بحق النفقة والحق
ومن ليس به زمانة في حاله وحال صديقه بحق الملك والصداقة ولا يرفع القرابة ولا يزول صلتها **ثم اختلف**
في قوله ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم **قال** بعضهم من بيوت اولادكم **وقال** بعضهم من بيوت ازواجهم ونسائهم
وقال بعضهم من بيوت انفسهم وهو ما يجد الرجل في بيته من طعام فانه لا باس ان ياكله **وكذلك** لا باس للرجل ان يتناول
من بيت زوجته لانه لم يذكر في الاية بيت الولد وبيت الزوجة على الاشارة والتفسير **فيصرف** تاويل قوله
ان تاكلوا من بيوتكم الى هؤلاء **وقوله** او ما ملكتم مفاتحه اي خزائنه يحتمل العبيد لان السيد يملك مال عبده
ويحتمل الوكيل والخازن ان ياكل من طعامه واذنه بغير اذن السيد **ويحتمل** قوله او ما ملكتم مفاتحه السيد نفسه
صاحب الخزانة وما لكها **ثم** ذكر الاكل من بيوت من ذكر على التاويل الذي ذكرنا واستدللنا على ايجاب النفقة لهؤلاء
الزمنى في اموال من ذكرنا من القرابات يخرج على وجهين **احدهما** ذكر البيوت لانهم اذا كانوا زمنى يستوجبون
السكنى ايضا مع النفقة فذكر البيوت لكونهم فيها وسكناهم معهم **والثاني** ذكر الاكل من بيوتهم لئلا يفهم الاكل
الاخذ منها لانه ذكر في آيات الاكل والمراد المفهوم منه الاخذ كقوله يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما **وقوله** لا تاكلوا الربوا مفهوم المراد المذكور في هذه الايات الاخذ
لا الاكل نفسه فذكر ها هنا الاكل من بيوتهم لئلا يفهم منه الاخذ كما فهم من ذلك وعلى تاويل مستقيم ظاهر ذكر
البيوت اذ لا يحملون ذلك الاكل والتناول منه اكلوا وتناولوا بحق **وقوله** ليس عليكم ان تاكلوا جميعا او اشتاتا **قال**
بعضهم ذكر هذا لان قوما لا ياكلون وحدهم ولا يرون ذلك حسنا في الخلق ويتحرجون ذلك حتى يكون معهم غيره فرخص
الله تعالى لهم ذلك ورفع عنهم الحرج فقال ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا **وعلى تاويل** من يقول انهم
استضافوا قوما فلم يجدوا في بيتهم شيئا ياكلون ذهبوا بهم الى بيوت هؤلاء فيتحرج اولئك الاضياف لا كل
من بيوت من ذكروا ارباب البيوت ليسوا فيها فرخص لهم في ذلك **وعلى تاويل** من يقول انهم كانوا يتحرجون الاكل
مع هؤلاء تقذرا واستقذارا يرغبهم في الاكل مع اولئك وترك التقذر عن ذلك **ويدل** ان التاويل الاول ما روي
عن اصحاب رسول الله **روي** عن محمد بن علي قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى احدهم انه احق
بالدنانير والدراهم من اخيه المسلم قال **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس زمان يكون
الدينار والدرهم احب الى الرجل من اخيه المسلم **وعن** ابن عمر قال لقد رايتني وما الرجل المسلم احق بدينار

ودرهمه من اخيه المسلم وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اى يسلم بعضكم على بعض فصير المسلمين
اجمع بعضهم لبعض كانفسهم كقوله ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا وقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
ونحو ذلك من الآيات نصير بعضهم لبعض كانفسهم لانهم كشئ واحد يتالم بعضهم بالم بعض ويحزن بعضهم ويحزن بعضهم
بحزن بعض ويسر بعضهم بسرور بعض ونحوهم جميعا كشئ واحد وانفسهم جميعا كنفس واحدة لذلك جعل
سلام بعضهم على بعض فى حق السلام واحدا ويحتمل وجها آخر وهو ان بعضهم اذا سلم على بعض يرد عليه مثله كانه هو
يسلم على نفسه وكذلك قوله ولا تقتلوا انفسكم ولا يقتل احدا آخر فيقتل به فيكون كانه قتل نفسه اذ لولا قتله اياه لم يقتل
وكذلك قوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل انه اذا اكل مال غيره بغير رضاه ضمنه فاذا ضمنه فكانه اكل ما لنفسه
بالباطل ويحتمل انه اراد به السلام على انفسهم اى يسلم كل على نفسه وان لم يكن فيه احد وكذلك روى عن ابن عباس
قال اراد المساجد اذا دخلتها فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعلى ذلك رويت الاخبار من دخل بيتا
او مسجدا ليس فيه احد فليقل السلام علينا من ربنا والسلام على عباد الله الصالحين وعلى ذلك جايز ان يكون قوله
لا تقتلوا انفسكم بترك الانفاق عليها وكذلك قوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وجايز ان يراد بالانفس اهلهم
اى سلموا على اهليكم وهو الاولى ثم اختلف فى السلام قال بعضهم السلام من السلامة اى عليك السلامة من جميع
الآفات والنكبات وقال بعضهم السلام هو اسم من اسماء الله فتاويله عليك اسم الله الذى لا يضر معه
شئ ولا يلحقك به اذى كقوله بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وقوله تحية من عند الله
التحية كانها الكرامة كانه قال كرامة من عند الله لكم وقوله مباركة المبارك هو الذى ينال به كل خير وبر
او ان يسمى مباركة لما به ينمو الشئ ويذكوا وقوله طيبة اى ما يستطيب به كل احد وقال بعضهم طيبة اى حسنة
فتاويله ما يستحسن به كل احد وقال بعضهم قوله تحية من عند الله يقول سلام من الله لكم مباركة بالاجر طيبة
بالمغفرة والله اعلم وقوله وكذلك يبين الله اى مثل الذى يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون اى كى تعقلون
مالكم وما عليكم وما لله عليكم وما لبعضكم على بعض وقوله بيوتكم ما ذكرنا قال بعضهم المساجد وقال بعضهم البيوت
المسكونة كقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله واذا كانوا معه على امر جامع
لم يذهبوا حتى يستاذنوه وقال فى آية اخرى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الآية وقال فى اخرى
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا هذا والله اعلم ليس ان ما ذكر
من الاستيذان وترك الارتياب وزيادة الايمان بالتلاوة ونحوه من شرط الايمان ولكن والله اعلم ان الاولى بالمؤمنين
هذا ان لا يذهبوا حتى يستاذنوا رسوله وان لا يرتابوا وان يجاهدوا وان يزدادهم بالتلاوة ما ذكر والله اعلم
ثم ذكر فى هذه الآية ان المؤمنين لا يذهبون عنه ولا يفارقون الا بالاستيذان منهم من رسول الله وذكر ان المنافقين
يذهبون ويفارقونه تسللا ولواذا حيث قال قد يعلم الله الذين يتسللون لواذا وقال فى آية اخرى لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر ذكر انهم لا يستاذنونه وانما يستاذنه المنافقون بقوله انما يستاذنك الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر فهذه الآيات فى ظاهر المخرج مختلفة وان كانت فى المعانى المدرجة فيها موافقة فهذا يبطل قول
من يحتج بظاهر المخرج اذ للملحد ان تقول هو مختلف فى الظاهر وانه من عند غير الله بقوله ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فدل لما ذكرنا ان الاحتجاج بظاهر المخرج باطل والاعتقاد به فاسد حيا لم جاير ان يكون
ما ذكر من استيذان المؤمنين وترك استيذان اولئك الخروج منه لما لا يستاذنه المؤمنون للخروج الا بعذر واولئك
يستاذنونه للخروج لا للعذر كقوله ان بيوتنا عورة وما هى بعورة واما المؤمنون فلا يستاذنونه الا بعذر او ان يكون
ذلك فى نوازل مختلفة او فى فرق او ان يكون المؤمنون يظهرون له عذرهم ويفوضون امورهم الى رسول الله على ان
فى ذلك فان راى الصواب ان يصرفهم صرفهم وان راى الصواب الكون والمقام معه قاموا معه والمنافقون لا على ذلك
كانوا يفعلون على هذا والله اعلم جائز ان يخرج تاويل الآيات التى ذكرنا ثم قوله واذا كانوا على معه اى مع رسول الله

على مجامع اختلف فيه قال بعضهم يوم الجمعة ويوم العيد وقال بعضهم فى الغزو والجهاد فى سبيل الله يجتمع
اذا المؤمنين يكونون معه لا يذهبون عنه الا باذنه والمنافقون يتسللون ويذهبون مستخفين منه او يعقدون
ويخرجون من عنده واصله واذا كانوا معه على امر جامع اى على امر طاعة لله لم يذهبوا حتى يستاذنوه وقال بعض
من اهل التاويل هذه الآية نسخت الآية التى فى سورة براءة حيث قال عفا الله عنك لم اذنت لهم الآية وقال
فى سورة النور فاذن لمن شئت منهم اذن له بالاذن لهم فى هذه الآية وخيره فى ذلك بالاذن لهم لكن الوجه فيه ما ذكرنا
والله اعلم وقوله واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم الامر بالاستغفار لهم يخرج مخرج الامر بالتشفع لهم وقوله
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا يحتمل وجهين احدهما لا تجعلوا دعاء الرسول اياكم كدعاء بعضكم
بعضا اياكم المعتاد دعوكم اليه كدعاء بعضكم بعضا مرة تجيبونه ومرة لا تجيبونه اى لا تجيب بعضكم بعضا اذا دعاه مرة
ولا يجيبه تارة بل اجيبوا رسول الله فى جميع ما يدعوكم اليه وفى كل حال يكونون والثانى لا تجعلوا دعاءكم الرسول
اذا دعوتموه كما يدعو بعضكم بعضا يا فلان ويا فلان ولكن ادعوه باسم هو مخصوص به يا رسول الله ويا نبى الله
علمهم الله وتيهم انه مخصوص من بينكم ليس كمثلكم فعلى ذلك فى الدعاء والاجابة اجعلوه مخصوصا تعظيما له واجلالا
خصوصيته له وفضيلة له وهو ما ذكر فى آية اخرى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال بعضهم ان المنافقين اذا كانوا فى مجامع فيسمعون
رسول الله يذكر مثالبهم ومساويهم وعيوبهم فيتسللون كراهية لما سمعوا يلوذ بعضهم ببعض وقال بعضهم نزل هذا
فى المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون من عنده بغير استيذان منهم اياه وقوله لواذا اى يستترون بالشئ
ويلوذ بعضهم ببعض ويستتر بعضهم ببعض ويخرجون وقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره يحتمل قوله يخالفون
عن امره يخالفون امره وحرف عن يكون صلة فيه ويجوز ان يكون على ظاهرها ذكر يخالفون عن امره فان كان
على هذا كانه قال يخالفون عن امره اى يعدلون عن امره ويرتفعون عنه كقوله ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه
من عذاب السعير وقوله ان يصيبهم فتنة يحتمل الفتنة الكفر ويحتمل الفتنة القتال والتعذيب فى الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم فى الآخرة والله اعلم وقوله الا ان لله ما فى السموات والارض ليس هاهنا ما يستقيم ان يجعل
قوله الا ان لله ما فى السموات والارض صلة له الهم الا ان يجعل ذلك صلة قوله من يجعل له الولد والشريك
او صلة قوله ما هذا الا بشر مثلكم فيقول من له ما فى السموات والارض لا يحتمل ان يقع الحاجة الى الولد والشريك
او منه ملك ما فى السموات والارض يختار لرسالته من يشاء بشرا وملكا ليس لاحد ان يقول فى ذلك والله اعلم
وقوله قد يعلم ما انتم عليه هذا وعيد منه واعلام انه مراقبهم مطلع عليهم فى جميع احوالهم ليكونوا ابدا على حذر
لانه من علم ان عليه رقيبا وحافظا كان انتبه وايقظ واحذر ممن لم يعلم ذلك اوان يكون على علم باحوالكم
وما انتم عليه من الخلاف لامر خلقكم اوما ارسل اليكم رسولا لا على جهل بذلك وغفلة بل ويؤخر عنكم العذاب
على علم بما انتم عليه ليوم الموعد لا بسهو وغفلة كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الآية
فعلى ذلك قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا اى بما يؤخر ذلك عنهم الى يوم
الرجوع اليه فعند ذلك ينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم قال ابو عوسجة يتسللون اى يذهبون مستخفين ويقال انسل الرجل
اى انسل من الناس اى فارقهم ولا يعلمون به والتسلل من الجماعة وقوله لواذا يقال لاذ متى اى يستتر بى
وقال القتبى قوله يتسللون منكم لواذا اى من يستتر بصاحبه فى انسلاله ويخرج يقال لاذ فلان بالواذ مصدر

ومعنى امكن التوفيق ام حمل على النسخ الا باجماع الامة على النسخ والله اعلم شع

والتسلل انما يستعمل اذا كان الا مستخفيا من الجماعة شع

سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل تبارك قال اهل التاويل تبارك من التفاعل وهو من تعالى لان البركة هو اسم كل خير وفضيلة

وشرف فكان تاويله تعالى من التعالى والارتفاع وقال اهل الادب تبارك هو من البركة والبركة هي اسم كل فضل
وبر وخير اي به ينال كل فضل وشرف وبر قال ابو عوسجة هو تنزيه مثل قولك تعالى وقال الكسائي والقتبي
هو من البركة وهو ما ذكرنا وقوله نزل الفرقان على عبده سماه فرقانا قال بعضهم لانه يفرق بين الحق والباطل
وبين الحلال والحرام وبين ما يؤتى وما يتقى وعلى هذا جايز ان يسمى جميع كتب الله التي انزلها على رسله فرقانا لانها
كانت تفرق بين الحق والباطل وبين ما يحل وما يحرم وبين ما يؤتى وما يتقى ولذلك سميت التورية فرقانا بقوله
ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان واما القرآن هو من قرن بعضه الى بعض يقال قرنت الشيء الى الشيء اذا ضممته
اليه قرن يقرن قرنا وقال بعضهم سمي القرآن فرقانا لانه انزل بالتفاريق متفرقا وساير الكتب انزل مجموعة لكن
الوجه فيه ما ذكرنا بديا وهو اقرب واشبه وقوله ليكون للعالمين نذيرا جايز ان يكون قوله نذيرا للعالمين اي القرآن
الذي انزله عليه يكون نذيرا لمن ذكر ويحتمل قوله ليكون للعالمين نذيرا اي ليكون محمد بالقرآن الذي انزل عليه نذيرا
كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وكقوله واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ اي من بلغه القرآن من الخلق
فهو رسول الله نذير ثم قوله للعالمين جايز ان يراد به الانس والجن ثم ذكر النذارة فيه ولم يذكر البشارة فان كان
على هذا فهو حجة لابي حنيفة رحمه الله ان ليس للجن ثواب اذا اطاعوا سوى النجاة من العقاب ولهم عقاب بالاجرام لان الله
تعالى لم يذكر لهم الثواب في الكتاب وذكر لهم العقاب بالعصيان حيث قال يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم
الاية جعل ثوابهم نجاتهم من عذاب اليم وجايز ان يكون في النذارة بشارة ايضا ما كان وما يكون الى يوم القيامة
لانهم اذا اتقوا مخالفة الله ومعاصيه كانت لهم العاقبة فلهم بشارة في ذلك ونذارة كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقوله الذي له ملك السموات والارض جايز ان يكون قوله له ملك السموات والارض صلة قوله
تبارك الذي نزل الفرقان ووجهه والله اعلم اي تعالى من ان يكون النذير الذي بعثه اليهم انما بعثه لحاجة
نفسه لجر منفعة اليه او لدفع مضرة عنه على ما يبعثه ملوك الارض من الرسل لحوايج انفسهم اما لجر منفعة اليهم
او لدفع مضرة عنهم ولكن انما يبعث النذير والبشير الى الخلق لمنافع انفسهم اذ لا يحتمل ان يكون من له ملك السموات
والارض ان يبعث النذير والبشير لمنافع نفسه ولحاجته لغناه واما ملوك الارض لا يملكون ذلك فايرسلون
ويبعثون من الرسل انما يبعثون ويرسلون لمنافع انفسهم وحوايجهم لدفع مضرة او جر منفعة وجايز ان يكون قوله
تبارك اي تعالى من ان يتخذ ولدا او شريكا في الملك على ما نسبوا اليه من الولد والشريك فقال تعالى من ان يكون له الولد
او الشريك اذ له ملك السموات والارض فالولد في الشاهد انما يتخذ لاحدى خلال ثلاث وقد ذكرنا وبعد فان الولد
في الشاهد انما يكون من جنس الوالد ومن جوهره ويكون من شكاله وكل ذي شكل وجنس يكون فيه منقصة وآفة وكذلك
الشريك انما يكون من جنسه ومن شكله وانما يقع الحاجة الى الشريك اما لعجز او آفة فاذا كان الله سبحانه له ملك السموات
والارض وهو خالقهما فانى يقع له الحاجة الى الولد والشريك وقوله وخلق كل شيء فيه دلالة نقض قول المعتزلة
لانه اخبر كل شيء وعلى قولهم اكثر الاشياء لم يخلقها من الحركات والسكون والاجتماع والتفرق وجميع الاعراض لانهم
يقولون انها ليست بمخلوقة لله ولا صنع له فيها وقوله فقدره تقديرا جايز ان يكون قوله فقدره تقدير الحكمة او قدره
لوحدانية الله والوهيته او قدره تقديرا اي جعل له حدا لو اجتمع الخلايق على ذلك ما عرفوا قدره ولا احد من صلاح وغير
ما لم يقدر ذلك لعبده وقوله واتخذوا من دونه آلهة اي معبودا ثم تسميته اياها اعني الاصنام التي عبدوها آلهة
على ما عندهم وفي زعمهم انها آلهة والاله عند العرب المعبود يسمون كل معبود الها وكذلك قوله فراغ الى آلهتهم عندهم
وفي زعمهم وقول موسى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا في زعمهم وعندهم ان كل معبود اله والا فلعابهم بتسميتهم
الاصنام آلهة ثم بين سفههم وقلة فهمهم في عبادتهم الاصنام وتسميتهم اياها آلهة حيث قال لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون اي يتركون عبادة من يعلمون انه خالق كل شيء ويعبدون من يعلمون انهم لا يخلقون وهم يخلقون ويتركون
عبادة من يعلمون انه يملك النفع والضر ويعبدون من لا يملك النفع لهم ولا الضر ولا يملكون موتا ولا حيوة ه

ومن لم يهمز القرآن وهو قراءة
اهل مكة جعله على وجهين
احدهما انه من قرأت غير انه
الوجه الاول في المعنى
الا انه حذف همزه استخفافا
لكثرة الاستعمال والوجه
الثاني انه من قرنت لانه
من قرنت النون منه لام
الفعل سمي بذلك لانه
قرن السور وبما منها بعضها
الى بعض قال الشاعر
وكنت اعوذه بالقرآن
وانفل كي له حيث نحله
ايضاح

ولا نشورا اي يعبدون من يعلمون انه لا يملك النفع لهم ولا الضر ان تركوا عبادته ولا يملكون النفع والضر
لانفسهم ايضا وهو قوله ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا لغيرهم فعلى هذا الظاهر
يجب ان يكونوا هم سموا انفسهم آلهة لا الاصنام لانهم يملكون ضرر الاصنام ونفعها والاصنام لا تملك ذلك لهم ولا لانفسها
وقال بعضهم في قوله لا يملكون موتا اي الموت الذي كان قبل ان يخلق الناس كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
واما قوله ولا حيوة يقول لا يملكون ان يزيدوا في هذا الاجل المؤجل ولا نشورا اي بعثا بعد الموت وقال بعضهم
لا يملكون ان يميتوا احيا قبل اجله ولا حيوة ولا يحيون ميتا اذا جاء اجله ولا نشورا اي بعثا علينا ما ذكرنا والله العصمة
وقوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتريه يعنون هذا القرآن الذي انزل على رسول الله وكان يقرأه
عليهم يقولون ما هذا الا افك اي كذب افتراه من تلقاء نفسه ويخترعه من نفسه لانه من اهل الشرك لم يكن يعرف
الانباء والاخبار من غير ان كانت لهم اسباب التي بها يوصل الى معرفة صدق الاخبار وكذبها وذلك عادتهم
وهمتهم والاسباب التي يعرف بها صدق الاخبار وكذبها الكتب السماوية والرسل التي يطلعوا عن وحي السماء فاذا كان
لم يكن لهم واحد من هذين فكيف ادعوا على رسول الله اختلاق هذا القرآن واختراعه من نفسه وانه مفترى على غير
كون اسباب معرفة الكذب والصدق ولهم في الاخبار مع ما ظهرت لهم آيات رسالته واعلام صدقه في الاخبار
حيث لم يوجد عليه كذب قط ولا رأوا اختلف الى احد من اهل الكتاب ولا كان يحسن الخط بيده فيما وما قرع
اسماعهم منا ولا من اخرا لابد قوله فاتوا بسورة من مثله وقوله فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فقد اعجزهم
وترك تكلمهم ذلك على انهم عرفوا انه من عند الله وانهم كذبة في قولهم انه افك مفترى وقوله واعانه عليه
قوم آخرون وقالوا انه افك مفترى واعانه على ذلك قوم آخرون في افترائه واختراعه وهم قوم من اهل الكتاب
اسلموا وقد كانوا يجدون في التورية والانجيل نعته وصفته وما كان انباهم رسول الله ويخبرهم من الانباء
المتقدمة والاخبار الماضية فاخبروهم بذلك حين سالهم اولئك المشركون عما يخبرهم رسول الله وقالوا انه كان يعني
وانه صادق في ذلك كله وانا نجد ذلك في كتابنا فلما سمعوا ذلك من اهل الكتاب ما سمعوا من تصديقهم اياه عند ذلك
قالوا واعانه عليه قوم آخرون ثم اخبر انهم جاؤا ظلما وزورا اما قوله ظلما لانهم كذبوه وانه مفترى من غير ان كان لهم
اسباب معرفة الكذب والصدق فهو ظلم حيث وضعوا ذلك غير موضعه واما قوله وزورا لانهم قالوا انه مختلق
وانه سحر وانه انما يعلمه بشر وانه اعانه عليه قوم آخرون وانه اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا
قد ظهر كذبهم بهذا فيما بينهم لانهم متى رأوه اختلف الى احد منهم يعلمه ذلك او متى رأوه كتب شيئا قط
او يحسن الكتابة قط وقولهم اساطير الاولين فاذا عرف تلك الانباء والاحاديث التي كانت من قبل ولا شك
انها لم تكن بلسانه وانما كانت بلسان اولئك دل اخباره عما في كتبهم بلسانه انه انما عرف ذلك بالله وقوله فهي تملى عليه
بكرة واصيلا قال اهل التاويل غدوة وعشيا فلو كان على ذلك لكان يحضرونه في البكرة والعشي يسمعونه ويشاهدونه
ما يملى عليه اذ الوقت وقت الحضور ولكن عندنا كانهم ارادوا بالبكرة والعشي اول الليل وآخر الاوقات التي هي ليست
باوقات للحضور والجلوس يقولون يأتونه سرا فتملى عليه ويعلم فلو كان ذلك ايضا لكانوا يراقبونه ويحافظونه سرا
ليعرفوا ذلك ويشاهدوه فاذ لم يفعلوا ذلك دل انهم كانوا يعرفون صدقه وانهم كذبة في زعمهم لكنهم كابروا وعاندوا
في ذلك ثم اخبر انه انما انزله عليه الذي يعلم السر في السموات والارض حيث قال قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض ليس بمختلق منه ولا مفترى ثم قوله يعلم السر في السموات والارض اي يعلم الاعمال الخفية والسرية من اهل
السموات والارض اي يعلم الكوامن التي في السموات والارض وخفياتها وقال بعضهم قوله قل انزله الذي يعلم السر
اي قل لهم يا محمد انزله اي هذا القرآن الذي يعلم السر وذلك انهم قالوا بمكة سرا ما هذا الا بشر مثلكم فانه بشر مثلكم
بل هو ساحر افتاتون السحر وانتم تبصرون فنزل ذلك دلالة اثبات رسالته لانهم قالوا سرا فيما بينهم ثم اخبرهم بذلك
دل انه بالله عرف ذلك وقوله انه كان غفورا رحيما في تاخير العذاب عنهم رحيما حين لا يعجل عليهم بالعقوبة

بلسان نفسه من غير ان يعرفوا انه
معلما ولا كان له معرفة بلسانهم
ولا معرفة بالكتابة والقراءة ه
عن الكتاب عرفوا انهم عرفوا انه
علم ذلك بالله تعالى
شرح

اذا تابوا و رجعوا عن التكذيب الى التصديق على ما ذكرنا و قوله انه كان غفورا رحيما فى تاخير العذاب يحتمل قوله
غفورا رحيما اذا تابوا عن ذلك وامنوا به و رجعوا الى الحق او غفور رحيم لا يعجل بالعقوبة اى برحمته وفضله لا يعجل
بعقوبتهم لعلهم يتوبون وقال القتبى تبارك مشتق من البركة وكذلك قال وقد ذكرنا ذلك وقال ابو عوسجة
تنوير مثل قولك تعالى على ما ذكرنا وقال الفرقان هو الحق فرق بين الحق والباطل والقرآن هو من قرن بعض الى بعض
والزبور هو اسم كتاب والزبر جمع وزبرت كتبت والزبر قطع الحديد كقوله آتونى زبر الحديد اى قطع الحديد
الواحدة زبرة والتورية اسم كتاب لا اظنه بالعربية قال ابو معاذ الاساطير الاحاديث واحدها اسطورة كارجوزة
واراجيز واحدوثة واحاديث واعجوبة واعاجيب وفى حرف حفصة وهى تملى عليه وهما لغتان وفى سورة البقرة
ان يمل هو الا فليملل وليه بالعدل وقوله وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق كان الكفرة
يطعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيئين احدهما انه من البشر بقولهم ما هذا الا بشر مثلكم وان انتم الا بشر
مثلنا كانوا لا يرون ان يكون من البشر رسول كقوله وقالوا لولا انزل عليه ملك الاية وقولهم لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا ونحو ذلك والثانى كانوا يطعنونه بالفقر والحاجة وصفاته اليه حيث قالوا او يلقى اليه كنز
او تكون له جنة وحيث قالوا ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق كانهم ينكرون الرسالة فى الفقراء وذوى الحاجة ويرونها
فى ذوى الملك والاموال ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فعلى ذلك قولهم ياكل الطعام
كما ياكل الفقراء ويمشى فى الاسواق فى حوايجه كما يمشى الفقراء ولو كان رسولا لكان ملكا غنيا ياكل الطعام الملوك
ولا يقع له الحاجة الى ان يمشى فى الاسواق فى حوايجه فاجاب لهم فى طعنهم فيه انه بشر مثلهم وانكارهم الرسالة
فى البشر بوجوه احدها قوله لولا انزل عليه ملك قال ولو انزلنا ملكا لقضى الامر الاية معناه والله اعلم
انه لا ينزل الملك الا بالعذاب فلو انزل لانزل بالعذاب فاهلكوا والثانى ما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا تاويله والله اعلم انه لم يجعل فى وسع البشر رؤية الملك على صورته وعلى ما هو عليه اذ جنس هذا غير جنس
اولئك وجوهرهم غير جوهر اولئك ولو جعلناه هكذا كما لبسنا ما كان يلبس اولئك القادة على الاتباع
كقولهم انه ساحر وانه كذاب وانه مجنون فكان فى ذلك تلبيس عليهم والثالث ما قال قل لو كان فى الارض ملائكة
الاية اى لو كان اهل الارض ملائكة لكنا انزلنا عليهم بالرسول ملكا من جنسهم وجوهرهم لانهم اعرف به واظهر صدقا
عندهم ممن هو من غير جوهرهم وجنسهم فاذا كان اهل الارض بشرا فالرسول اذا كان منهم فهم اعرف به وصدقه
اظهر عندهم وقلوبهم اليه اميل الى من هو من غير جنسهم واجاب لطعنهم فى اكله ومشيه فى الاسواق حيث قال وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فى حوايجهم اى غيره من الرسل الذين تؤمنون
انتم بهم كانوا فقراء ياكلون الطعام ويمشون فى حوايج انفسهم ثم لم يمنع ذلك عن ان يكونوا موضعا لرسالته فعلى ذلك
محمد والفقير وذو الحاجة احق ان يكون موضعا لرسالته من الغنى المثرى لان الناس يتبعون الغنى ومن له الملك
والثروة فلو كان الرسول غنيا مثريا ملكا لكان لا يظهر متبع الحق من غيره واذا كان فقيرا محتاجا لظهر ذلك
اللهم الا ان يكون ملكا هو اية الرسالة نحو ملك سليمان وداود وذلك لنفسه اية لرسالته على ما قال وهب لى
ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى والله اعلم وقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا كانهم قالوا ذلك لما نزل قوله
تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قالوا عند ذلك لولا نزل اليه ملك الاية وقالوا او يلقى اليه
كنز او تكون له جنة ياكل منها عند سماع قوله الذى له ملك السموات والارض اى قالوا لو كان محمد رسول من له ملك
السموات والارض ونذير العالمين على ما يقول لكان انزل معه ملك نذيرا ولكان اعطى هو كنزا اى مالا او تكون له جنة
ياكل منها على ما يكون لرسل ملوك الارض لكن الجواب لهم ما ذكر تبارك الذى جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى
من تحتها الانهار الاية اى لو شاء اعطاك خيرا مما يقولون من البستان والقصور على ما اعطى غيرك لكن ليس فيما منع
منقصة لك ولا فيما اعطاهم فضيلة وقوله وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا اى ما تتبعون الا رجلا مسحورا لانزال

صغر اليد
٤

الصف
تمى شلئ

عادتهم

عادتهم بنسبة الرسول الى السحر والجنون والكذب وقوله انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فتاويله
والله اعلم اى انظر الى سفههم الى كيف ضربوا لك الامثال وشبهوك بها ونسبوك مرة الى السحر وقالوا انك ساحر
ومرة الى الجنون وقالوا انك مجنون ومرة الى الشعر انك شاعر ومرة الى الكذب حيث قالوا بل هو كذاب اشر ونحو هذا
مما كانوا ينسبونه اليه فيقول والله اعلم انظر الى سفههم اذ كيف ضربوا لك الامثال ونسبوك الى ما ذكروا وعلم
منهم انك لست كذلك ولا على ذلك وانك على الحق وهم على باطل وكذب وان يكون قوله انظر كيف ضربوا لك
الامثال ما قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وامثال
ما سالوه فيقولون لو كان ما يقول انه رسول لكان ذلك له اعلام الرسالة وامارات صدقه فيخبر ان الاعلام والايات
لست تاتى على شهوات سؤال المعاندين واما نيهم ولكن انما تجئ على ما توجبه الحكمة مما يدل على صدق ما ادعى
ويظهر كذب من عاند وتولى وقد اتاهم بحمد الله الحجج والبراهين ما اظهر لهم صدقه ما ادعى من الرسالة والنبوة لكنهم
عاندوها وكابروا فلم يقروا بها حتى ان يذهب عنهم رياستهم وقوله فضلوا لا شك انهم قد ضلوا عن الهدى
اى ضلوا اى عدلوا بضربهم الامثال له ونسبتهم اياه الى ما نسبوه اليه فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى او الى ما سالوه
من الاشياء وفى حرف حفصة فلا يهتدون سبيلا وقال بعضهم فلا يستطيعون مخرجا من الامثال التى ضربوها لك
والله اعلم وقوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك قد ذكرنا انه خرج جواب ما سالوه من الاشياء
من الملك والكنز والجنة وانواع الطعن الذى طعنوه اى لو شاء لاعطاك خيرا من ذلك ثم اخبر ان الذى حملهم
على ذلك السؤال وانواع الطعن فيه هو تكذيبهم بالساعة حيث قال بل كذبوا بالساعة حيث لم يروا لامورهم
عاقبة ينتهون اليها يثابون عليها او يعاقبون ثم اخبر ما اعد لهم بتكذيبهم الساعة فقال واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا ثم وصف ذلك السعير فقال اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله راتهم من مكان بعيد
يحتمل وجهين احدهما يجعل لها اسبابا ترتهم كما يرونها او اذا صاروا فى مكان بحيث يرونها كانها راتهم
وقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا قيل ان النار ترفع ويعلا لهبها وتردى من مكان من اعلاها الى اسفلها
وترد من كان فى اسفلها الى اعلاها فيجمعهم جميعا فيضيق عليهم المكان ويشتد بهم العذاب كلما ضاق عليهم المكان
كان العذاب لهم اشد مقرنين قال بعضهم مقيدين بعضهم ببعض ثم قال بعضهم الشيطان يقرن ويقيد
كل بشيطانه الذى دعاه الى ما دعاه واتبعه كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الاية وقال بعضهم
يقرن العابد والمعبود من دون الله وهو الاصنام التى عبد وها كقوله احشروا الذين ظلموا الاية وقوله دعوا هنالك
ثبورا اى هلاكا والثبور الهلاك كقوله وانى لاظنك يا فرعون مثبورا اى هالكا والثبور والويل هما حرفان يدعو
كل من كان فى الهلكة والشدة فقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اى لا تدعوا هلاكا واحدا كما يكون
فى الدنيا ان من هلك مرة لا يهلك ثانيا واما فى النار فان لاهلها هلكات لا تحصى كقوله ويأتيه الموت
من كل مكان اى اسباب الموت تاتيهم من كل مكان وما هو بميت وكقوله كلما نضجت جلودهم الاية وانما يسالون
ويدعون بالهلاك لما يرجون من الهلاك النجاة من ذلك العذاب وهكذا كل من ابتلى بشديد يتمنى الهلاك
والموت وقوله قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون يشبه ان يكون قال هذا لقولهم لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها فيقول اذلك الذى سالتموه انه خير ام جنة الخلد
التى وعد المتقون او يكون قال ذلك لهم لما راوا لانفسهم الفضل والمنزلة فى الدنيا لما وسع عليهم الدنيا
واعطوا من حطامها فقال اذلك الذى اعطيتم فى الدنيا من السعة خير ام جنة الخلد التى اعطى المتقون والله اعلم
وقوله لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا يحتمل قوله وعدا مسؤلا مما سالت لهم الملائكة
كقوله ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم الاية او سؤال الرسل كقوله ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك الاية
او وعدا مسؤلا مما سالوا هم ربهم فوعد لهم ذلك فهذا يدل انهم انما يدخلون الجنة بالسؤال والشفع لهم

محمد صلوات الله عليه وسلامه
بحجج وبراهين
نخ

لها

والتضرع لانهم يستوجبون ذلك باعمالهم وقال بعضهم في قوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين في السلاسل
وذلك انهم اذا القوا فيها تضايق عليهم كتضايق الزج في الرمح فالاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يخفضهم اللهب
فيزدحمون في تلك الابواب الضيقة تضايق عليهم فعند ذلك يدعون بالثبور يقولون يا ثبوراه ويا ويلاه يقولون وا
وهلاكا قال الله تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ثم قيل اذلك خير يعني الذي ذكر
ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء لاعمالهم ومصيرا اي منزلا قال ابو عوسجة التغيظ من الغيظ
والزفير والشهيق يكون في الحلق وشهق يشهق شهيقا وشهقا وهو نفس في الحلق شديد له صوت وقال ثبورا
اي هلاكا وصرفه ثبر يثبر ثبرا وثبورا فهو مثبور وقال القتبي تغيظا وزفيرا اي تغيظا عليهم كذلك قال المفسرون
وقال بعضهم بل يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم واعتبروا ذلك بقول الله تعالى لهم فيها زفير وشهيق
واعتبر الاولون بقوله تكاد تميز من الغيظ هذا اشبه التفسير ان شاء الله لانه قال سمعوا لها ولم يقل سمعوا فيها
ولا منها وقال ثبورا اي بالهلكة كما يقول القايل واهلاكاه والله اعلم وقوله ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله
فيقول أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اختلف فيه قال بعضهم يحشر اولئك الذين عبدوا دون الله
والمعبودين وهم الملايكة لان من العرب من قد عبد الملايكة كقوله في اية اخرى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملايكة
أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم الاية وقال بعضهم هو عيسى بن مريم أانت قلت
للناس الاية وقال بعضهم يحشر الاصنام ومن عبدها ثم ياذن لها في الكلام فيقول أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا
السبيل كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم الى قوله ان كنا عن عبادتكم
لغافلين ولو كان عيسى والملايكة لكانوا عالمين بعبادتهم اياهم غير غافلين دل ذلك انها الاصنام التي عبدوها
دون الله واياها يسالوا وكل ذلك محتمل اذ قد كان منهم ذلك كله والله اعلم وقوله فيقول أانتم اضللتم عبادي
هؤلاء ام هم ضلوا السبيل والله عز وجل كان عالما بما كان منهم لكن السؤال اياهم والله اعلم يخرج مخرج توبيخ اولئك
الكفرة وتعييرهم لانهم يعبدون من ذكر من دون الله ويقولون هم امروهم بذلك وكانوا مقبولي القول عندهم
صادقين فيما يخبرون ويقولون فاراد ان يظهر كذبهم عند الخلايق لذلك سالهم والله اعلم والا كان اعلم
بالكاين منهم من انفسهم لكنه يخرج على ما ذكرنا ثم نزهوه عن جميع ما يليق به وبرؤا انفسهم عن ان كان منهم امر وشي
مما نسبوا اولئك اليهم وهو اعلم بهم فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء قال
اهل التاويل اولياء اي اربابا وهم لم يتخذوا اربابا من دونه لكنه عندنا يخرج على وجهين احدهما ما كان ينبغي لنا
ان نتخذ من دون اوليائك اولياء وهم المؤمنون او ان يكون ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونه ولايتك
ولاية سواك وفي بعض القراءات ان نتخذ من دونك اولياء برفع النون لكن اهل التاويل الادب يقولون هو خطا
وقوله ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر هذا يحتمل وجهين احدهما ان اباءهم قد امهلوا ومتعوا في هذه الدنيا
حتى ماتوا على ذلك من غير ان اصابهم شي مما اوعدوا في كتابهم وما اوعدهم الرسل من العذاب والهلاك على ما اختاروا
من الدين وصنيعهم فظنوا انهم على حق من ذلك حيث لم يصبهم من المواعيد المذكورة في كتابهم وما اوعدهم
رسلهم بشي فعلى هذا التاويل الذكر الذي نسوه هو كتابهم وما اوعدهم رسلهم لشي والله اعلم فاذا كان على هذا
فالاية في اهل الكتاب منهم ويحتمل ان يكون الاية في الفراعنة والقادة من هؤلاء الكفرة متعوا في هذه الدنيا باحوال
ورياسة ووسع عليهم المعيشة حتى دعوا الناس واتباعهم الى ما هم عليه من التكذيب برسوله وما انزل عليه
فاجيبوا بالاموال التي عندهم فنسوا ما في القران من الوعيد وكانوا قوما بورا والبور قال بعضهم الهلاك
وقال بعضهم البور الفساد وقوله فقد كذبوكم اي فقد كذبكم اولئك المعبودون بما تقولون انهم امرونا
بذلك وكانوا عندهم صدقة وقوله فما يستطيعون صرفا ولا نصرا اي ولا استطاعوا هذا يحتمل وجوها احدها
اي ما يستطيع اولئك الكفرة صرف قول من عبدوه وتكذيبهم حين كذبوهم قولهم ولا نصرا اي ولا استطاعوا

الانتصار

الانتصار منهم حين كذبوهم وعلى ذلك يخرج قراءة من قرا بالتاء فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ويحتمل فما يستطيعون
اولئك المعبودون صرف عذاب الله ونقمته عنكم ولا كانوا لهم نصرا لانهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى والثالث فما يستطيعون صرفا اي فداء ولا نصرا اي ولا ناصرا اي لا يقبل منهم الفداء ولا كان لهم
ناصر ينصرهم في دفع العذاب عنهم كقوله لا يقبل منها عدل ولا ينفعها شفاعة وقال القتبي وابو عوسجة قال بعضهم الصرف
الحيلة من قولهم ليتصرف وقال بعضهم الصرف النافلة سميت صرفا لانها زيادة على الواجب والعدل الفريضة
وقد روي في الخبر من طلب صرف الحديث يبتغي به اقبال وجوه الناس لم يرح رايحة الجنة اي من طلب تحسينه
بالزيادة فيه وقال بعضهم الصرف الدية والعدل رجل مثله كانه يريد لا يقبل منه ان يفتدي برجل مثله وعدله
ولا يصرف عن نفسه بديته ومنه قيل صارف وصرف الدراهم بالدنانير لانك تصرف هذا الى هذا واصله
ما ذكرنا قال القتبي وابو عبيدة قوما بورا اي هلكى وهو من بار يبور اذا هلك وبطل يقال بار الطعام اذا كسد وبارت
الايم اذا لم يرغب فيها وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من بوار الايم قال ابو عبيدة يقال
رجل بور وقوم بور لا يثنى ولا يجمع وقال ابو عوسجة قوما بورا لا خير فيهم ورجل باير وكذلك قال ابو زيد بورا
اي ليس فيهم من الخير شي وقال قتادة بورا فاسدين بلغة اهل عمان وقال ما نسي قوم ذكر الله قط الا باروا
وفسدوا وقوله ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا اما على قول بعض الخوارج كل ظلم ارتكبه فهو في ذلك الوعيد
على اصل مذهبهم وعلى قول المعتزلة كل صاحب كبيرة في ذلك الوعيد واما على قول المسلمين فذلك الوعيد لمرتكبي الظلم
ظلم كفر وشرك واما ما دون ذلك فهو في مشية الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه وقوله وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق قد ذكرنا فيما تقدم ان هذا انما خرج جوابا لقولهم
مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق على ما ياكل هو ويمشي ثم من الناس من كره الركوب في الاسواق بهذا وقال
انه اخبر عن الانبياء والرسل جملة انهم كانوا يمشون في الاسواق لم يذكر منهم الركوب فدل ذلك منهم انه مكروه منهي فيشبه
ان يكون ما قال هؤلاء وانه يكون مكروها لانه يخرج الركوب في الاسواق مخرج التعزز والمباهات فالواجب على كل مسلم
ان يكون تعززه بالاسلام وبدينه التي اختار الله تعالى وخاصة على العلماء يجب ان يكون تعززهم ومباهتهم بالعلم الذي
اعطاه الله لهم واكرمهم فانه عز لا يعقبه ذل ولا يورثه صغارا ولا قهرا واما كل عز كان سوى ما ذكرنا فهو الى ذل ما يصير
سريعا كانه ليس بعز في الحقيقة لو تامل والله اعلم وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الفتنة كانها هي المحنة التي فيها
شدة وبلاء ثم قال اهل التاويل انه لما اسلم عبد الله وابو ذر وعمار وبلال وصهيب وامثال هؤلاء قالت الفراعنة
من قريش نحو ابي جهل والوليد وامثالهما انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا اتبعوه من موالينا واعرابنا رذالة كل قوم
فازدروهم واذوهم واستهزؤا بهم فانزل الله هذه الاية لهؤلاء الفقراء الذين اتبعوا رسول الله ليصبرهم على اذاهم
فقال فتنة اتصبرون اي اصبروا على الاذى هذا محتمل وقال الحسن قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة جعل اهل البلوى
فتنة لغيرهم وغير اهل البلوى فتنة لاهل البلوى يقول الاعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان ويقول الفقير
لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان وكذلك يقول السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان لكنه اعطى لاهل البلوى البلوى
وامرهم بالصبر عليه واعطى لاهل النعمة النعمة وامرهم بالشكر عليها وجايز ان يكون غير هذا وهو قريب من هذا وذلك
انه اعطى بعضا النعمة والسعة وجعل بعضهم اهل ضيق وشدة ثم جعل كل فريق محتاجا الى الفريق الاخر جعل الغني
والمثري محتاجا الى الفقير في بعض اموره والفقير محتاجا الى الغني لغناه وجعل لبعض على بعض مؤنة ما لولا تلك
الفقير لم يعرف الغني قدر غناه ولا الفقير قدر فقره ولا قام بعض بكفاية مؤنة بعض ثم امر كلا بالصبر على تحمل
مؤنة الاخر بقوله اتصبرون اي اصبروا على الامر يخرج وان كان ظاهره استفهاما وسؤالا والله اعلم وقوله
وكان ربك بصيرا اي على بصر وعلم جعل بعضا فتنة لبعض لا على سهو وغفلة وقوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا
قال اهل التاويل لا يرجون اي لا يخافون ولا يخشون لقاءنا اي البعث بعد الموت وقال اهل الكلام الرجا هو الرجاء

اذا الخوف لكن جايز ان يكون في الرجاء خوف وفي الخوف رجاء لان الرجاء الذي لا خوف فيه هو امن والخوف الذي
لا رجاء فيه اياس فكلاهما مذمومان الاياس والامن جميعا وقوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا جايز ان يكون
قولهم لولا انزل علينا الملائكة رسلا دون ان انزل البشر رسلا الينا لانكارهم البشر رسولا كقولهم ما هذا الا بشر
مثلكم ويحتمل قولهم لولا انزل علينا الملائكة بالوحي والرسالة لنا دونك ونحن الرؤساء والملوك والقادة وانك
يقولون لو كان ما تقول حقا وصدقا انك رسول وانه ينزل عليك الوحي والملوك فنحن اولى بالرسالة منك اذ نحن
الملوك والرؤساء كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال هذا لانكارهم الرسالة
لمن هو دونهم في الدنيا ودنيا او ان يكون ذلك كقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ويكون له شاهدا انه
رسول او نرى ربنا عيانا ونكلمه ونسأله عن ذلك والله اعلم وقوله لقد استكبروا في انفسهم الاستكبار هو ان يرى
غيره مثلا لها ولا عدلا ولا شكلا في نفسه وامره فاذا كان هذا فهو ما لم يروا رسول الله اهلا للرسالة وموضعا لها
لصغره وحاجته وراوا انفسهم اهلا لها فاستكبارهم هو ما لم يروا غيرهم مثلا ولا شكلا لانفسهم فاستكبروا
ولم يخضعوا الرسول الله ولم يطيعوه ولم يتبعوه انفا منه بعد علمهم انه محق لذلك وانه رسول اليهم وقوله وعتوا
عتوا كبيرا قال بعضهم العتو هي الجراءة وهو اشد من الاستكبار وقال بعضهم العتو هي الغلو في القول غلوا شديدا
وقال بعضهم هو من التكبر وقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا قال الحسن
حجرا محجورا كلمة من كلام العرب اذا كره احدهم الشيء قال حجرا حراما هذا فاذا راوا الملائكة كرهتهم وقالوا حجرا محجورا
فعلى هذا القول الكفرة هم يقولون حجرا محجورا اذا راوا الملائكة وما معهم من المواعيد قال بعضهم ان الملائكة تتلقى
المؤمنين بالبشرى على ابواب الجنة ويقولون للكفرة لا بشرى لكم ويقولون حجرا محجورا اي تقول الملائكة حرام
البشرى للمجرمين او حرام عليهم الجنة ان يدخلوها والحجر على هذا القول هو الحرام وقال بعضهم الحجر ههنا هو المنع
والحظر يقولون انهم يمنعون ويحظرون عما طمعوا وقصدوا بعبادتهم الملائكة والاصنام التي عبدوها حيث قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فيقول يمنع عنهم ما قصدوا وطمعوا بعبادتهم او يكون المنع
ثواب الخيرات التي عملوها في هذه الدنيا من صلة الارحام والصدقات ونحوها مما هي في الظاهر خيرات منعوا ثوابها
في الآخرة كقوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وقوله ولئن رددت الى ربي ان لي عنده للحسنى
ونحو ذلك كله والله اعلم به وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا هو ما ذكرنا من الاعمال
عملوها في هذه الدنيا رجاء ان يصلوا اليها في الآخرة فجعلناه هباء منثورا قال اهل التاويل قدمنا اي عمدنا وقصدنا
الى ما عملوا من عمل لكن عندنا اي جعلنا اعمالهم تلك في الاصل هباء منثورا قال بعضهم منبثا وهو رهج الدواب
وقال بعضهم الهباء المنثور هو غبار الثياب وقال بعضهم هو الغبار الذي يكون في شعاع الشمس وهو الذي
يسمى الذر وقال بعضهم قوله حجرا محجورا اي عوذا معاذا يقول المجرمون يستعيذون من الملائكة قال ابو عوسجة
وعتوا عتوا كبيرا هو من التكبر ويقال من الخلاف عتا عتيا اذا خالف يقال في الكلام لا تعت على اي لا تخالفني
وقال بعضهم هو من الشدة واليبس كقوله وقد بلغت من الكبر عتيا اي يابسا وقال حجرا محجورا اي حراما محرما
وحجرت عليه ماله اي منعته منه حجرا حجرا ويقال حجرت عيشه اي الطخت اجفانها بشيء من الذي وقوله هباء منثورا
اي لا شيء والهباء هباء النار اي رمادا يكون على النار اذا خمدت ويقال هبت النار تهبو هبوا اذا خمدت
والجمرة على حالها الا انه قد غطاه ذلك الهباء وكل شيء ليس بشيء فهو هباء وتقول هذا هباء اي لا شيء ومنثور
قد نثر وقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وصف عز وجل اعمال الكفرة مرة بالهباء المنثور
ومرة بالرماد ومرة بالسراب ومرة بالتراب الذي يكون على الصفوان وهو الحجر الاملس اذا اصابه الوابل ووصف
اعمال المؤمنين بالثبات والقرار ونحوه وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل
اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة ثم قرأ اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وكذلك في حرفه

في سورة الصافات ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قرأه ثم ان مقيلهم لالى الجحيم اي الى الجحيم ويشبه ان يكون ذكر هذا
لقولهم او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها اي لنا اموال وجنان وليس له من ذلك شيء فقال جوابا لهم
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وصف
السماء لهول ذلك اليوم باوصاف وذكرها احوالا فقال في آية اخرى واذا السماء كشطت واذا السماء انشقت
واذا السماء انفطرت وقال يوم نطوي السماء ويوم تبدل الارض ونحو ذلك وذلك في اختلاف الاوقات يكون
في كل وقت على الحال التي وصف كذلك ما وصف الجبال مرة بالهباء المنثور ومرة كالعهن المنفوش ومرة كثيبا مهيلا
ومرة قال وترى الجبال تحسبها جامدة الآية ونحوه من الاوصاف التي وصفها وذلك في اوقات مختلفة تكون في كل وقت
على حال ووصف التي وصف فعلى ذلك السماء لشدة هول ذلك اليوم وفزعه وقوله تشقق السماء بالغمام
اي تنشق عن الغمام فتبقى بلا غمام كقوله واذا السماء كشطت وجايز ان يكون قوله بالغمام اي تبقى الغمام فوق رؤوس
الخلائق يظلهم وهذا يدل ان قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام انما معناه بظلل من الغمام فان كان
على هذا فيرتفع الاشتباه والله اعلم وقوله الملك يومئذ الحق للرحمن يحتمل اضافة ملك ذلك اليوم اليه وان كان
الملك له في جميع الايام في الدنيا والآخرة وجوها احدها لما ان ملك الآخرة ملك دايم باق لا فناء له وملك الدنيا جعله
فانيا لا دوام ولا بقاء والثاني يقر له جميع الخلائق بالملك له في ذلك اليوم وان لم يقر له البعض بملك الدنيا والثالث
لما لا ينازعه احد في ملك ذلك اليوم وان كان له منازع في الدنيا او ان يكون المقصود بخلق هذا العالم في ذلك اليوم
يظهر للخلق ويومئذ يتم يعلم كل احد ان خلقهم في الدنيا لذلك اليوم كان لا للدنيا خاصة وقوله للرحمن ذكرها الرحمن
وقال في آية اخرى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لتعلم العرب ان الرحمن المذكور في هذه الآية هو الله الذي لا اله الا هو
ذكر في تلك الآية لان العرب تسمي وتعرف كل معبود الها ولا تعرف الرحمن معبودا ولا تسميه الرحمن فعرفهم ان الله والرحمن
الذي ذكرهما واحد وقوله وكان يوما على الكافرين عسيرا ظاهر لا شك فيه فكذلك يكون وقوله ويوم يعض
الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الآية قال بعض اهل التاويل نزلت الآية في عقبة بن
ابن ابي معيط كان يواخي رسول الله ويوادده وكان رسول الله يجيبه اذا دعاه الى طعامه فدعا يوما رسول الله
الى طعامه فقال لا حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فتشهد بذلك فطعم من طعامه فبلغ ذلك ابي بن خلف
فاتاه فقال صبوت يا عقبة محمدا واجبته الى ما دعاك اليه فعزم على ذلك حتى يرجع عقبة عن ذلك وارتد
عن دينه وفي الحديث طول فنزلت الآية في شانه وصنيعه وندامته وحسرته عليها فعل فقال ويوم يعض الظالم
على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الى آخر ما ذكر وذكر ان عقبة وابي بن خلف قتل احدهما يوم بدر
والآخر يوم احد ولكن الآية في كل ظالم وكل كافر يكون على ما ذكر ثم يحتمل قوله يعض الظالم على يديه على التمثيل والكناية
عن الندامة والحسرة لان من اشتد به الندامة والحسرة والغيظ على شيء كاد ان يعض يديه غيظا منه على ذلك كما كني
بغل اليد عن ترك الانفاق وبالبسط عن كثرة الانفاق والمجاوزة فيه كما كني بالنبذ وراء الظهر عن ترك الانتفاع
وترك النظر فيه والاكتراث اليه وكقوله نكص على عقبيه عن الرجوع ونحوه وقوله يردوكم على اعقابكم وقوله فتزل
قدم بعد ثبوتها وامثال هذا كل هذا على التمثيل والكناية عن الرجوع والثبات والاخذ والترك فعلى ذلك جايز
ان يكون عض الايدي كناية عن شدة الندامة والغيظ على ما حل به ويشبه ان يكون على التحقيق تحقيق عض اليد يجعل الله
عقوبته بعض اليد كما جعل عقوبة انفسهم بانفسهم حيث جعل السنتهم حطبا النار يعذبون ويعاقبون والله اعلم
وقوله يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا السبيل الذي دعاه الرسول اليه يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يحتمل
الانسان ويحتمل الشيطان اي لم اتخذ الشيطان خليلا ولم اطعه فيما دعاء او الانسان الذي فتنني وقوله
لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني يحتمل قوله عن الذكر اي الشرف الذي يذكر به المرء اضلني عن ذلك الشرف
او اضلني عما يذكر في هذا او اضلني عن الذكر اي عن القرآن وما فيه من الذكرى والله اعلم وقوله وكان الشيطان

للانسان خذولا اى تاركا له متبرئا منه يقول كما قال فى آية اخرى حكاية عنه انى برئ منك ويقول كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الآية او ان يكون كما ذكر ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الآية وان يكون ببعض ذلك الخذلان منه له فى الدنيا يمنيه بامانى ويزين له اشياء ثم لا يوصله اليها وقوله وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا قال بعضهم المهجور هو الذى لا ينتفع به ولا يعمل وقال ابو عوسجة والقتبى مهجورا اى تركوه مهجورا اى متروكا ويقال مهجورا اى جعلوه كالهذيان والهجر الاسم يقال فلان يهجر فى منامه اى يهذى وهو بالفارسية بلا يه كفتن وقوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين اى مثل الذى جعلنا لك من العدو من الكفرة جعلنا لكل نبى من قبلك عدوا ثم العداوة يكون فى الدين مرة ومرة فى الانفس واحوالها فانه كان العدو عدوا فى الدين لجميع الكفرة له اعداء لخلافهم له فى الدين ويكون حرف من صلة اى جعلنا لكل نبى المجرمين اعداء وان كان على تحقيق واشباتها فالعداوة عداوة فى الدين والاحوال وذلك راجع الى الفراعنة واضداد الرسل لما من رسول الا وله فراعنة واضداد يناذعونه ويقاتلونه ويهمون قتله ثم بشر رسوله بالحفظ له والنصر والظفر على عدائه وهو قوله وكفى بربك هاديا ونصيرا وقوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ذكر بعض اهل التأويل ان اهل مكة كانوا ياتون رسول الله يتعنتونه ويسألونه ويقولون يا محمد اتزعم انك رسول من عند الله أفلا اتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما انزلت التورية جملة واحدة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود فقال لنثبت به فؤادك اى بمثل الذى نثبت به فؤادك ثم يحتمل قوله لنثبت به فؤادك وجهين احدهما انزلناه متفرقا لنثبته فى فؤادك تحفظه وتذكره لان حفظ الشئ اذا كان سماعه بالتفاريق كان حفظه اهون وايسر من حفظه اذا سمع جملة واحدة وخاصة اذا كان الكلام من اجناس وانواع والثانى لنثبت به فؤادك اى لنثبت بما فى القرآن من الحكمة والمعانى فى فؤادك ثم يحتمل قوله فؤادك انه يراد به فؤاد من يستمع اليه ويسمعه فان كان هذا فهو كقوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث الآية على ما ذكرنا انه يكون اسرع حفظا واهون شيئا من سماعه جملة وجائز ان يكون فؤاده كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه وقوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله كان يعجل بحفظه اذا قرئ عليه خوفا ان يذهب فاخبر انه نثبت فؤاده وينزله بالتفاريق لكى يحفظه ويذكره ثم ان كان المراد بتثبيته فى الفؤاد هو ما فيه من الحكمة والمعانى وقراءته على الناس على مكث كذلك هو والله اعلم ينزله على قدر النوازل والحوايج ليكونوا احفظ لتلك المعانى واعرف بمواضعها وتقدير غيرها من النوازل به من ان نزل جملة فى دفعة واحدة والله اعلم وقوله ولا يأتونك بمثل اى بصفة يشتبهون على الخلق الا جئناك بصفة هو لحق مما اتوها هم فترفع تلك الشبه عنهم اعنى عن الخلق وان يقال ولا يأتونك بصفة هى باطلة الا جئناك بحق بصفة هى حق فتبطل تلك وتضمحل واحسن تفسيرا اى بيانا من الاول على التأويل الاول وعلى التأويل الثانى ظاهر لا شك انه احسن ولحق قال ابو عوسجة ورتلناه ترتيلا اى انزلنا بعضه بعد بعض وعلى اثر بعض لم ينزل فى مرة واحدة وكذلك قال فى قوله ونزلناه تنزيلا وقال بعضهم قوله ورتلناه ترتيلا اى بيناه تبيانا وقال بعضهم فى قوله ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا قال لا يخاصمونك بشئ ولا يجادلونك الا جئناك بالحق يعنى القرآن واحسن تفسيرا يقول جئناك بالقرآن باحسن مما جاؤا به تفسيرا وهو قريب مما ذكرنا بديا وفى حرف حفصة الا جئناك بالحق منه واحسن تفسيرا وهو شبيه ببعض التأويلات التى ذكرنا وقوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا يشبه ان يكون ذكر هذا على مقابلة سبقت والا على الابتداء لا يستقيم ذكره فجائز ان يكون ذكره على مقابلة قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا الآية هذا ذكر مقام اهل الجنة فذكر مقاتل ذلك مكان اهل النار فقال الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا اى شر مكانا فى الآخرة واضل سبيلا فى الدنيا ويكون مقابل قوله قال الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا فقال الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا من الذين آمنوا بل مقامهم الجنة اعنى المؤمنين ومقام الكفرة النار فهم شر مكانا منهم وفى بعض الاخبار ان رجلا قال

ورتلناه ترتيلا ثم قوله لنثبت به فؤادك يحتمل وجهين احدهما انزلناه

يا نبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال ان الذى انشأه على رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه وقوله ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا ذكرها هنا انه كان وزيرا له وذكر فى آية اخرى انه كان نبيا حيث قال ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا فكان ما ذكر ذلك كله كان نبيا ورسولا وكان له وزيرا والوزير هو العون والعضد كانه قال وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا اى عونا وعضدا كقوله واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى الآية سال ربه المعونة له والاشراك فى امره وقال فارسله معى ردءا يصدقنى وقال الزجاج الوزير هو الذى هو يلتجأ اليه فى النوايب ويعتصم بامره وهو واحد وقوله فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا كانه قال فقلنا اذهبا الى القوم فادعواهم الى التوحيد فذهبا اليهم فدعوا فكذبوا بآياتنا ثم دمرناهم تدميرا اى اهلكناهم اهلاكا وقوله وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم جائز ان يكون قوله لما كذبوا الرسل نوحا خاصة لانه ذكر قوم نوح فان كان ذلك ففيه دلالة جواز تسمية الواحد باسم الجماعة وجائز ان يكون نوح دعاهم الى الايمان به وبجميع فكذبوه وكذبوا الرسل جميعا والله اعلم وقوله اغرقناهم لم يغرقهم على اثر تكذيبهم اياه ولكن انما اغرقهم ما دعاهم الف سنة الا خمسين عاما وقوله وجعلناهم للناس آية اى آية للمكذبين والمصدقين لما بين حكمه فى المكذبين منهم الاهلاك والاستيصال وفى المصدقين منهم النجاة والخلاص منه فذلك آية لكل مكذب ومصدق لما اليه يؤل عاقبة امرهم عاقبة المكذبين الاهلاك وعاقبة المصدقين النجاة فان قيل انهم جميعا قد هلكوا المصدقون منهم والمكذبون قيل اهلك المكذبون منهم اهلاك عقوبة وتعذيب والمصدقين هلاك بانقضاء آجالهم لا اهلاك عقوبة ثم ذكر وجعلناهم للناس آية يعنى جعل نفسهم آية ما ذكرنا وقال فى آية اخرى وجعلناها آية للعالمين اى السفينة قال بعضهم جعل السفينة لهم آية لان من طبع السفن انها اذا امتدت الاوقات وطال الزمان انها تفسد وتتلاشى وهى باقية كما هى اعنى سفينة نوح لكن ذلك لا يعلم انه كما ذكر اولا فالوجه فيه ما ذكرنا وقوله واعتدنا للظالمين عذابا اليما هكذا جزاء كل ظالم ظلم كفر وشرك ان يعد له العذاب الاليم وقوله وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا اخبر انه اهلك هؤلاء كلهم بالتكذيب عادا وهم قوم هود وثمودا وهم قوم صالح واصحاب الرس قال بعضهم سموا اصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم فى بئر اى دسوه فيها وقال بعضهم الرس هو اسم البئر كانوا نزولا عليها فبعث اليهم شعيبا فكذبوه فسموا بذلك ونسبوا الى تلك البئر وعن ابن عباس انه سال كعبا عن اصحاب الرس انكم معاشر العرب تدعون البئر رسا والقبر رسا وتدعون الخد رسا فخدوا اخدودا فى الارض فاوقدوا فيها النيران للرسولين اللذين ذكر الله فى يس اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والله اعلم بذلك وقوله وكلا ضربنا له الامثال اى ذكرنا لاهل مكة امثال من تقدم منهم من الامم من المكذبين والمصدقين وما حل بهم وما اليه آل عاقبة امرهم بالتكذيب حيث قال وكلا تبرنا تتبيرا اى اهلكنا اهلاكا وقال بعضهم تبرنا اى كسرنا بالنبطية يقول احدهم للشئ اذا اراد ان يكسر اتبره وقوله ولقد اتوا يعنى والله اعلم اهل مكة على القرية التى امطرت مطر السوء وهى الحجارة يعنى والله اعلم قريات لوط اى مر عليهم اهل مكة فى تجاراتهم ويأتونها وهو كما قال فى الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين الآية افلم يكونوا يرونها ما حل بهم بالتكذيب فيعتبروا بل كانوا لا يرجون نشورا اى بعثا بعد الموت واحياء اى انما كذبوا الرسل لانهم لا يؤمنون بالبعث ولا يخافون نشورا وقوله واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذى بعث الله رسولا كانوا اذا راوه هزؤوا به واذا خلا بعضهم الى بعض يقولون فيما بينهم ابعث الله بشرا رسولا هكذا كانت عادة الكفرة يهزؤون اذا حضروه واذا غابوا عنه قالوا ما ذكر وقوله ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها وفى قوله كاد ليضلنا عن عبادة آلهتنا دلالة انه انما اراد ان يضلهم عن عبادتهم الاصنام بالحجج والآيات اذ ليس فى وسع النبى صرفهم ومنعهم عن ذلك الا من جهة لزوم الآيات والحجج الا انهم تركوا الآيات والحجج وكابروها وثبتوا على عبادة الاصنام والاوثان والا علموا من جهة الآيات

والحجج التي اقامها عليهم انه على الحق وانهم على باطل ثم قوله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ه
اي يعلمون حين لا يقدرون على الجحود والانكار اذا نزل بهم العذاب ووقع من اضل سبيلا لهم اي يعلمون او المؤمنون
لانهم وان علموا بالآيات والحجج انه على الحق وانهم على باطل وعلموا الموعود من العذاب فاخبر انهم يعلمون عند وقوعه بهم
علما لا يقدرون على جحوده ولا انكاره كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده الآية وقوله او نرد فنعمل
غير الذي كنا نعمل وقوله ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا وامثال ذلك اذا عاينوا الموعود في الدنيا
يقرون به ولا يقدرون على الجحود فكذلك قوله وسوف يعلمون علما لا يقدرون على الانكار والجحود حين يرون العذاب
من اضل سبيلا وقوله ارايت من اتخذ الهه هواه قال بعضهم انهم كانوا يعبدون اشياء حجرا او غيره
فاذا راوا الاحسن منه في رأي العين والمنظر تركوا عبادة ذلك وعبدوا ما هو احسن منه وقال بعضهم كلما هوت
انفسهم شيئا عبدوه وكلما اشتهوا شيئا اتوه لا يحجزهم عن ذلك ورع ولا تقوى الله ويحتمل وجهين آخرين
سوى ما ذكر هؤلاء احدهما تركوا عبادة الاله الذي قامت الحجج والآيات بالوهيته وربوبيته ولزموا عبادة من لم تقم
الآيات والحجج بذلك بهواهم والثاني انهم عبدوا ما عبدوا من الاصنام بلا امر كان لهم بالعبادة لا بد من ان يؤمروا بها
بل عبدوا بهواهم او كلام نحو هذا وقوله افانت تكون عليه وكيلا اي لست انت بوكيل ولا تسلط عليهم ولا حافظ
اي لا تسال انت عن اعمالهم ولا تحاسب عليها بل هم المسؤلون عنها وهم محاسبون عليها كقوله ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل الآية والله اعلم وقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او يعقلون قوله ام تحسب وان كان في الظاهر استفهاما فهو في الحقيقة على الايجاب وهكذا كل استفهام من الله
يخرج على الايجاب او على النهي كانه قال فلا تحسب ان اكثرهم يسمعون ويعقلون اي لا ينتفعون بما يعقلون ان هم
الا كالانعام بل هم اضل قال بعضهم هم كالانعام لان همتهم ليست الا همة الانعام وهو الاكل والشرب ليست لهم
همة سواه ليس للانعام همة للعاقبة فعلى ذلك الكفرة هم كالانعام من هذه الجهة وقوله بل هم اضلوا قال قائلون
قوله اضل لان الانعام تعرف ربها وخالقها وتذكره وهم لا يعرفون ربهم وهم لا يذكرون او هم اضل لان انهم
ينسبون الى الله ما لا يليق به من الولد والشريك ويشركون غيره في العبادة والانعام لا فهم اضل وقال بعضهم هم اضل
لان الانعام اذا هديت الطريق اهتدت وهم يهدون ويدعون الى الطريق فلا يهتدون ولا يجيبون فهم اضل وانما قال
هم اضل لانهم يضلون ويضلون غيرهم ويمنعونهم عن الهدى والانعام لا والله اعلم وقوله الم تر قد ذكرنا
في غير موضع الم تر ان حرف الم تر هو حرف تعجب واستفهام لكنه في الحقيقة على الايجاب اي قد رايت وقوله الم تر
الى ربك اي الى تدبير ربك ولطفه انه كيف مد الظل وهو لا يؤذي ولا يضر ولا يمس ولا يشعر به احد بكونه
احد بكونه فيه ولا يثقل ولا يخف ولا يستر ولا يكشف عن وجوه الاشياء انما النور هو الكاشف
عن وجوه الاشياء والظلمة هي الساترة لذلك ونحو ذلك مما يكثر ذكره مما يحيط بالخلائق كلها ليعلم ان من المحسوسات
التي يقع عليها الحواس مما لا يدرك حقيقته من نحو الظل الذي ذكرنا هو ما لا يدرك حقيقته من نحو الظل الذي ذكرنا
هو ما لا يدرك حقيقته ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق باللسان ونحو ذلك من المحسوسات وهو لا يدرك حقيقته
ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق ليعلم ان الذي سبيل معرفته الاستدلال وهو منشئ هذه الاشياء احرى ان لا يدرك
ولا يحاط بتدبيره ولطفه ليعلم ان من بلغ تدبيره ولطفه هذا المبلغ لا يحتمل ان يعجزه شيء او يخفى عليه شيء يخبر
عن قدرته وتدبيره ولطفه ليعلم انه قادر ومدبر بذاته لطيف وقوله ولو شاء لجعله ساكنا اي دائبا لا يذهب
ابدا ولا يصيبه الشمس ولا يزول وقال بعضهم ساكنا اي مستقرا دائما لا تنسخه الشمس كظل الجنة وقوله ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا قال بعضهم اي تتلوه وتتبعه حتى تاتي على كله وقال بعضهم قوله جعلنا الشمس عليه دليلا يقول
حيث ما يكون الشمس يكون الظل واصله انه بالشمس يعرف الظل انه ظل ولولا الشمس ما عرف الظل فهو دليل معرفته
وكونه انه ظل وقوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قال بعضهم هينا خفيا واصله انه يقبض بالشمس الظل

ويقبضه شيئا

ويقبضه شيئا فشيئا حتى تاتي على كله وقوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا قيل سكنا يسكن فيه الخلائق
وقيل لباسا اي سترا والنوم سباتا قال بعضهم اي راحة يقال سبت الرجل يسبت سباتا فهو مسبوت
وقال بعضهم اصل السبات التمدد وقال بعضهم سبت الرجل اذا نفس وقيل رجل مسبوت لا يعقل كانه ميت وجعل
النهار نشورا نحو جعل السبات النوم جعل قوله والنهار نشورا اي حيوة يحيون فيه ومن يقول السبات راحة
يجعل النهار نشورا ينتشرون فيه للمعاش والكسب وابتغاء الرزق وقال بعضهم يذكر نعمته
ومنته على عباده لتادي شكره وقال ابو معاذ قال مقاتل مد الظل يعني الفيء من اول وقت صلوة الفجر الى طلوع
الشمس واخطا لا يسمى ذلك الظل فيئا وقال الكسائي العرب تقول الظل من حين يصبح الى انتصاف النهار فاذا زالت
الشمس عن كبد السماء فما خرج من ظل فذلك الفيء ويقال للفيء الظل ولا يقال للظل فيء قبل الزوال وقوله وهو الذي
ارسل الرياح نشرا قال بعضهم نشرا اي حيوة وقال بعضهم للسحاب تنشر اي تبسطه وعلى التاويل الاول تنشر اي تحييها
وقوله بين يدي رحمته اي بين يدي المطر سمي المطر رحمة لما برحمته يكون وكذلك ما سمي الجنة رحمة لانها برحمته
ما يدخل من دخل فيها وقوله بين يدي رحمته هذا يدل انه لا يفهم باليد اليد المعروفة التي هي الجارحة حيث ذكر
للمطر ذلك ولا يعرف ذلك اعني اليد ليعلم انه لا يفهم من قوله بيد الله او بين يدي الله ذلك وبالله العصمة وقرأ
بعضهم بشرا بالباء وهو من البشارة كقوله ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات اي تبشرهم بالرحمة والسعة والله اعلم
وقوله وانزلنا من السماء ماء طهورا اي ماء يطهر به الانجاس والاقذار الظاهرة منها والباطن وكذا الطهور
انه يطهر حيث ما اصابه وقوله ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا فيه لغتان اسقى وسقى بالالف
وبغير الالف يقال سقى بحرثه وماشيته وسقيته اي ناولته ما يشرب وهو قول القتبي وابي عوسجة وقوله
واناسي كثيرا قال بعضهم الاناسي جمع انسي وقال بعضهم هي جمع انسان واصله بالنون اناسين لكن ابدلت
النون ياء وقال ابو عوسجة والقتبي اناسي مشددة يعني ناس واناسي جماعة الانسان على ما ذكرنا ثم يحتمل قوله
ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي نسقيه من الماء الطهور المنزل من السماء كثيرا من الانعام وكثيرا
من الاناس وكثيرا ما يسقى من المياه المنتزعة من الارض وقوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا اي صرفنا المطر
او السحاب بينهم يمطر في مكان ولا يمطر في مكان ويسوق السحاب الى مكان ولا يسوق الى مكان آخر كقوله وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض الآية وكقوله فسقناه الى بلد ميت الآية يذكرهم في هذه الآيات من قوله
الم تر الى ربك كيف مد الظل الى قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا تدبيره وقدرته وحكمته ونعمه اما تدبيره
حيث ترى السحاب في موضع ولا تراه في موضع ولا تراه منبسطا في الآفاق ثم يمطر في موضع ولا يمطر في موضع آخر
ولا يرسل في مكان ويرسل في مكان آخر ليعلم انه عن تدبير كان هكذا لا بالطبع لانه لو كان بالطبع كان ذلك كله
لا جائز ان يمطر في مكان ويترك في مكان آخر دل انه بالتدبير كان ما كان وبالامر واما قدرته ما ذكر من احياء الارض
الميتة بعد موتها واماتتها بعد حيوتها مما يعلم كل احد حيوتها وموتها ويقر بذلك لمن قدر على هذا قادر على احياء
الموتى بعد الموت ولا يعجزه شيء واما حكمته ان ما خلق مما ذكروا انشاء لم ينشئه عبثا يهملهم لا يامرهم ولا ينهاهم
ولا يمتحنهم بشيء ولا يجعل لهم عاقبة يثابون ويعاقبون ولا يستادي منهم شكر ما انعم عليهم من انواع النعم
مما يعجز عقولهم عن ادراكه ويقصر افهامهم عن تقدير مثله ليعلم انه قادر بذاته لا يعجزه شيء ثم قال فابى اكثر
الناس الا كفورا قال الكسائي الكفور برفع الكاف الكفر والكفور بفتح الكاف الكافر والشكور بضم الشين الشكر
والشكور بفتح الشين الشاكر وهو المؤمن فيكون تاويله فابى اكثر الناس الا كفرا بالله وتكذيبا لنعمه بصرفهم العبادة
الى غيره او لنقائهم وتطيرهم انه هذا من نوء كذا او نوء كذا والله اعلم وقوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
هذا يحتمل وجهين احدهما لو شئنا لخففنا عنك بعض ما حملنا عليك من المؤن من مؤنة التبليغ والقيام بذلك
وحملنا ها غيرك فيكون عليك ايسر واهون من القيام بالكل والثاني لو شئنا لجعلنا غيرك ايضا اهلا للرسالة

وموضعا لها في زمانك وحينئذ فبعثناه في بعض القرى والمدن لكنا لم نجعل غيرك اهلا لها وخصصناك لها
من بين غيرهم من الناس فهو على الامتنان يخرج والاختصاص له ثم لا يخلوا ذلك من ان يكون فيهم من يصلح
للرسالة ويصلح ان يكون اهلا لها وموضعا فلم يرسلا وكان لم يكن فيهم من يصلح لذلك فيكون تاويله لو شئنا لجعلنا
فيه من يصلح للرسالة ويصلح ان يكون اهلا لها وموضعا فاي الوجهين كان فهو ينقض على المعتزلة قولهم لانه ان كان
فيهم من يصلح لها وارسل كان اصلح له فلم يرسل فقد ترك ما هو اصلح له واخير وان يكون لا يصلح فيهم احد لذلك
لكنه يملك ان يصلحه ويجعله اهلا لها فهو اصلح له واخير ثم لم يفعل دل ان له ان يترك الاصلح والاخير في الدين
وقوله فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا فيه وجهان احدهما انه لا يجوز للرسل التقية والامتناع عن التبليغ
اليهم والقيام بمجاهدتهم وان خافوا على انفسهم الهلاك حيث قال فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ولم يكن
معهم الا قليل ممن اتبعه اذ كان ذلك بمكة لان سورة الفرقان فيها نزلت والثاني فيه دلالة اثبات رسالته
لانه امر بالخلاف لهم والقيام بمجاهدتهم بالحجج والآيات وهم يعلمون ان لا يكون في وسع واحد القيام لذلك لامثالهم
وكانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فعلموا انه انما قام لذلك بالله لا بنفسه اذ لا يملك واحد القيام لذلك
والله اعلم وقوله وهو الذي مرج البحرين قال بعضهم مرج اي خرج ماء المالح على ماء العذب وقال بعضهم مرج
اي ارسل البحرين احدهما عذب والآخر اجاج وقال بعضهم مرج اي فاض احدهما على الآخر قال ابو معاذ العرب تقول
مرجت الدابة اذا خليتها وتركتها تذهب حيث شاءت ومرج الوالي الناس من السجون اذا ارسلهم فاذا رعيت دابة في المروج
قلت امرجت دابتي امرجها امراجا وانما سمي المرج مرجا لانه متروك للسباع غير معمور والمرج الذي يرعى دابته
في المرج والدابة الممرجة وقال ابو عوسجة مرج البحرين مرجهما اي خلطهما فهو مارج وقال فهم في امر مريج
اي مختلط ويقال مرجت عن كل شيء اذا خلطت والله اعلم ثم اختلف في البحرين قال بعضهم احدهما بحر الارض
والآخر بحر السماء وجعل بينهما برزخا اي حاجزا عن ان يختلط احدهما بالآخر وهو الهواء وقال بعضهم احدهما
بحر السماء والآخر بحر تحت الارض وجعل بينهما برزخا وهو الارض وقال بعضهم بحران على وجه الارض احدهما بحر الروم
والآخر بحر الهند وقال بعضهم بحران احدهما بحر الشام والآخر بحر العراق احدهما مالح اجاج والآخر عذب وكان
الاجاج هو الذي بلغ في الملوحة غايته والفرات هو الذي يبلغ في العذوبة غايته ذكر منته وفضله ولطفه
حيث لم يخلط احدهما بالآخر بل حفظ كلا على ما هو عليه الى ان تقوم الساعة فعند ذلك يصير الكل واحدا
كقوله واذا البحار سجرت ثم ان كان احدهما بحر السماء والآخر بحر الارض فالحاجز بينهما الارض وان كانا بحرين
في الهواء فالحاجز بينهما ليس الا اللطف وكذلك ان كان الثالث ليعلم ان من قدر على حفظ هذا من هذا بلا حجاب
ولا حاجز باللطف لقادر على احياء الموتى وبعثهم ولا يعجزه شيء وله الحول والقوة وقال ابو عوسجة ماء اجاج
شديد الملوحة ويقال اج الماء يؤج اجا فهو اجاج ويقال ماء عاج اي ماء روي وقوله وهو الذي خلق من الماء بشرا
اي من النطفة يخبر عن لطفه ومنته وقدرته ولطفه اما لطفه وقدرته حيث خلق البشر من النطفة ولو اجتمع جميع
حكماء البشر على ان يعرفوا او يدركوا البشر من النطفة او يدركوا كيفيته لم يقدروا على ذلك دل انه قادر بذاته لطيف لا يعجزه
شيء واما فضله ومنته ما اخبر انه جعل لهم نسبا وصهرا اما النسب فيه يتعارفون ويتواصلون ما لولا ذلك
ما تعارفوا ولا تواصلوا واما الصهر فلما به يتزاوجون ولا يتوادون ويتوالدون كقوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة وقال وجعل بينكم مودة ورحمة يذكر فضله ومنته لتأدية شكره ليعلم
ان خلق مثل هذا لا يخرج عبثا باطلا بلا محنة ولا عاقبة وكان النسب مما لا يجري بينهم التناكح والتزاوج وفي حرمة
حفصة وهو الذي خلق من الماء نسبا وصهرا قال ابو معاذ الصهر الختن والاختان ابو المرأة والختنة
ام المرأة والاختان آل المرأة واهلها والاصهار آل الختن واهله وقال ابو عوسجة وصهرا من المصاهرة وكلهم اصهار
من الجانبين جميعا والمعروف عندنا انه انما يسمى قرابة الزوج اختانا وقرابة اصهارا وذلك لسان على ما تعارفوا

الملح غير ماء العذب

الاجاج شور شديد الملوحة

بينهم والله اعلم

بينهم والله اعلم وقوله ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي يعبدون من دون الله ما يعلمون
الله لا ينفعهم في الآخرة ان عبدوه ولا يضرهم في الدنيا ان تركوا عبادته وهو كما ذكر هلا هن كاشفات ضره الآية
وامثالها ذكر في غير آي من القرآن سفه اولئك بعبادتهم للاصنام وتركهم عبادة الله تعالى وقوله وكان الكافر على ربه
ظهيرا اي تاويله والله اعلم وكان الكافر للكافر ولوليه ظهيرا على من اطاع ربه يكون بعضهم لبعض عونا وظهيرا
على اولياء الله والا لا يكون الكافر على الله ظهيرا ولكن على اوليائه ويكون ذكر الذي على ارادة وليه ومن اطاعه كقوله
ان تنصروا الله ينصركم وكقوله يخادعون الله ونحو ذلك مما يراد به اولياؤه لا نفسه وقوله وما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا مبشرا لمن اطاعه ونذيرا لمن عصاه والبشارة هي الاعلام لما يلحق من السرور والفرح في العاقبة بالاعمال
الصالحة والنذارة هي الاعلام لما يلحق من المكروه والحذر في العاقبة بالاعمال السيئة القبيحة وقوله قل ما اسألكم
عليه من اجر اي ما اسألكم على الدين الذي ادعوكم اليه من اجر كقوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لا اسألكم اجرا
على ذلك حتى يمنعكم ثقل الغرم عن اجابتي فعلى ذلك قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا كان
فيه اضمار اي لا اسألكم عليه اجرا الا من شاء اي ولكن انما اسألكم اي تتخذوا الى ربه سبيلا او ان يقول قوله الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا اي ولكن من اراد ان يتخذ الى ربه سبيلا اطاعني واجابني ويحتمل قوله قل ما اسألكم على تبليغ
الرسالة اليكم وما ادعوكم اليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فيبرني او ان يكون قوله الا من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا فوادني كقوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله وتوكل على الذي لا يموت اي توكل على الله
والتوكل هو الاعتماد عليه بكل امر وقوله وسبح بحمده اي نزهه ربك وبرئه عن الآفات كلها والعيوب بثناء تثني عليه
وهو التسبيح بحمده وقال اهل التاويل اي صل بامر ربك لكن التاويل ما ذكرنا وقوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا
اي كفى به عالما بذنوب عباده اي لا احد اعلم بها منه وقوله الذي خلق السموات والارض وما بينهما قد ذكرنا هذا
وقوله فاسأل به خبيرا قال قائلون قوله فاسأل بالله خبيرا لما يسأل عنه محمد وذلك ان بعض كفار مكة قالوا يا محمد
ان كنت تعلم الشعر فض لك فقال النبي ما اشعر هذا ان هذا كلام الرحمن فقالوا اجل لعمر الله انه الكلام الرحمن الذي باليمامة
هو يعلمك فقال النبي الرحمن هو الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما من عنده ياتيني ذلك فقالوا اتزعم
ان الله واحد وهو يقول الله يعلمني والرحمن يعلمني الستم تعلمون ان هذا الهان او كلام نحو هذا وجاز ان يكون قولهم
وما الرحمن لما لا يعرفون الرحمن وعرفوا الله فانكروا ذلك لما لم يكونوا يسمعون ذلك فعرفهم بقوله قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن الآية او ان يكونوا يعرفون كل معبود الها وكذلك يسمون الاصنام التي عبدوها الهة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم الى عبادة الرحمن فظنوا انه غير فقالوا فلئن جاز ان نعبد غير الله فنحن
نعبد الاصنام فلم تمنعنا عن ذلك فاخبر ان الرحمن والاله واحد ليس هو غيرا حيث قال تبارك الذي جعل في السماء
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا الى آخر ما ذكر يقول الله تعالى لا يكون الرحمن غير الاله بل الرحمن هو الذي جعل
في السماء بروجا وقد كانوا يعلمون ان الذي جعل في السماء البروج وهي النجوم وجعل فيها البروج وهي الشمس
والقمر هو الله فاخبر ان الرحمن هو ذلك لا غير وفي قول بعضهم ان قوله الذي خلق السموات والارض الآية من المكتوم
وفي الآية دلالة انه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم ويفسر حيث قال فاسأل به خبيرا ولو كان مما لا يعلم لكان لا يامر
ان يسأل به خبيرا او انه امر بالسؤال لكان لا يحتمل ان لا يخبره دل ذلك انه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم لكن
لا يعلمه الا الخبير والخبير هو العالم ثم يحتمل الله او جبريل او من يعلمه والله اعلم وقوله فاسأل به قال بعضهم
بالله وقال بعضهم بالذي سبق ذكره من قوله ثم استوى على العرش وقوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا
وما الرحمن قد ذكرنا بعضهم انسجد لما يامرنا بالياء والتاء جميعا وقوله وزادهم نفورا اي زادهم دعاؤك
الى عبادة الرحمن نفورا عن رسول الله وقال بعضهم في قوله فاسأل به خبيرا يقول ما اخبرتك من شيء فهو حق
كما اخبرتك لا شك فيه والله اعلم وقوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا قوله تبارك قد ذكرنا ان بعضهم

اقسم هنا

يقولون هو من البركة وقال بعضهم هو من التعالي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا هو ما ذكرنا
انه خرج جوابا لقولهم وما الرحمن وكذلك قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي جعل احدهما خلف الاخر
اذا ذهب هذا جاء هذا لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يذكر الليل لمن اراد ان يتذكر لمواعظه او يشكر لنعمه لانهما
يذكران قدرته وسلطانه حيث يقهران الجبابرة والفراعنة ويغلبانهم حيث يظلانهم ويأتيانهم شاؤوا او كرهوا لا يقدرون
دفعهما عن انفسهم وفيهما دلالة الاحياء والبعث بعد الفناء والهلاك حيث ذهب بهذا ثم اتى باخر بعد ان لم يبق من اثره
شيء فمن قدر على هذا قدر على البعث والاحياء بعد الموت وذهاب اثره ويذكران ايضا نعمه والآئه لانه جعل النهار
متقلبا لمعاشهم ومطلبا لرزقهم وما به قوام انفسهم وجعل الليل مستراحا لابدانهم وسكونهم لا قوام للابدان لاحدهما دون
الاخر الا ترى انه كيف ذكر نعمه فيهما حيث قال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة الاية وقال
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه الاية يذكرهم عظيم
نعمه فيهما اعني في الليل والنهار لتتأدى به شكره فعلى ذلك هذا ما ذكرنا قوله جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر
او اراد شكورا او يكون كل واحد منهما خلفا للاخر فيما يفوت فيه من التذكر والشكر لله اي ما فات في احدهما من التذكر
والشكر يقضي في الاخر وقال الحسن قريبا مما ذكرنا وقال من فاته شيء بالليل ادركه بالنهار ومن فاته شيء بالنهار ادركه
بالليل وعلى مثل ذلك روي عن عمر ان رجلا قال له يا امير المؤمنين اخي فاتتني الصلوة الليلة فقال عمر ادرك ما فاتك
من ليلك في نهارك وما فاتك في نهارك من ليلك ثم قرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال بعضهم خلفة
من الاختلاف اي يخالف احدهما الاخر ثم يحتمل الاختلاف وجهين احدهما مجيء هذا وذهاب الاخر على ما ذكرنا كقوله
واختلاف الليل والنهار والثاني هو اختلاف اللون من السواد والبياض احدهما اسود والاخر ابيض والله اعلم وقوله
جعل في السماء بروجا قال بعضهم البروج هي النجوم العظام والواحد برج وهو قول ابي عوسجة الاعرابي وقال بعضهم
البروج القصور في السماء فيها تنزل الشمس في كل ليلة وروي عن عمر عن سلمان ان رجلا اتاه فقال يا سلمان
اني لا استطيع قيام الليل قال ان كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار وذكر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول اصيبوا من هذا الليل ولو ركعتين ولو اربعا وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي
بيده ان في كل ليلة ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيرا الا اعطي له في هذا الليل والنهار فانهما
مطيتان تقحمان الناس الى اجالهم تقربان كل بعيد وتبليان كل جديد وتجيئان بكل موعود حتى يؤدي ذلك
الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يصير الناس باعمالهم الى الجنة والى النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت
وقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وصف عز وجل اهل الصفوة والاخلاص من عباده انهم يمشون
على الارض هونا الى اخر ما ذكر والا كانوا كلهم عباد الرحمن لكن وصف اهل الصفوة منهم والاخلاص والتقى وقوله يمشون
على الارض هونا قال بعضهم حلماء اتقياء بغير مرح ولا بطر وقال بعضهم هونا اي متواضعين لا اختيالا ولا كبرياء ولا مرحا
وعن الحسن قال هم المؤمنون قوم ذللت والله الاسماع والابصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى والله
ما بالقوم من مرض وانهم لاصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم وفي بعض الاخبار مرفوعا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ واصله
انهم يمشون هونا من غير ان يتأذى بهم احد او يلحق باحد منهم ضرر او معنى والله اعلم وقوله واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما قال بعضهم اذا جاهلهم الجاهلون وسافههم السفهاء لا يجاهلون اهل الجهل والسفه ولكن قالوا
السلام عليكم وقال بعضهم واذا سمعوا الشتم والاذى قالوا سلاما اي سدادا وصوابا من القول وردا معروفا اعرضوا
عن سفههم وجهلهم بهم ولم يكافؤهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الاية يخبر عز وجل
عن صحبتهم اهل السفه والجهل وحسن معاشرتهم اياهم ورفقهم بهم فكيف يعاملون اهل الخير والعقل
منهم ويصاحبونهم فهذه معاملتهم الخلائق على الوصف الذي وصف ثم اخبر عن صنيعهم لله وركونهم اليه

جوابا لما سمعوا وردا معروفا نسخ

فقال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما عن الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله الذين يبيتون الليل وايديهم على ركبهم ثم قال من صلى ركعتين بعد العشاء فقد بات لله تعالى ساجدا
وقائما وقال الحسن كانوا يبيتون لله على اقدامهم ويفترشون وجوههم سجدا لربهم يجري دموعهم على خدودهم
فرقا من ربهم وقال لامر ما سهر لله ليلهم ولامر خشع له نهارهم وقوله والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم يحتمل ان يكون هذا اخبارا من الله تعالى عما في ضميرهم ليس على حقيقة القول والدعاء لان من بلغ في العبادة
والورع المبلغ الذي وصفهم لا يشغلون انفسهم بالسؤال عن دفع المضار وجر النفع ويحتمل على الدعاء والقول على ما اخبر
والله اعلم ثم اخبر عن عذابها فقال ان عذابها كان غراما قال الحسن الغرام اللازم الذي لا يفارق صاحبه
وكل غريمه يفارق غريمه غير عذاب جهنم وقال بعضهم الغرام الهلاك وقال انها ساءت مستقرا ومقاما
اي جهنم بئس المستقر وبئس المقام لاهلها هو مقابل ما ذكر لاهل الطاعة الجنة حيث قال حسنت مستقرا ومقاما
وقال بعضهم غراما عزموا في الاخرة ما نعموا في الدنيا وفي حرف ابن مسعود كان غراما انا ابتنينا انها ساءت مستقرا
ومقاما وقال ابو عوسجة هونا هو من الرفق يقال هان يهون هونا فهو هاين وقوله اذا عز اخولنا اي اذا اشتد
فارفق به والغرام الهلاك وكذلك قال القتبي غراما اي هلكة وقال مشيا هونا رويدا سلاما اي سدادا من القول
لا رفث فيه ولا هجر وقوله اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال بعضهم لم يسرفوا في غير حق كسبوا طيبا وانفقوا قصدا
واعطوا فضلا ولم يجوروا ويستبشروا ولم يقتروا اي ولم يمسكوا عن الحق وقوله وكان بين ذلك قواما اي بين الاسراف
والقتر مقصدا وهو تاويل مقاتل وقال بعضهم الاسراف هو الانفاق في معصية الله ولم يقتروا اي لم يمنعوا عن طاعة
وكان بين ذلك قواما اي عدلا لا يمسك عن حق ولا ينفقون في باطل ولكن نفقة في طاعة الله وقال بعضهم
الاسراف في النفقة هو الانفاق فيما لا ينتفع من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة التي كانوا يتركونها سدى
ولا ينتفعون والاقتار هو الامساك عن الانفاق فيما ينتفع به وقال بعضهم الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي
جعل له في الانفاق في الاكثار والاقتار هو المنع عن الحد الذي جعل له وكان بين ذلك قواما اي وسطا
كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولكن بين ذلك واصله لم يسرفوا اي لم ينفقوا
ولم يضعوا الا فيما امروا ان يضعوا فيه وكان بين ذلك قواما اي قائما في ذلك ضربان ما يفعلون لا يغلون
الاباء واخبر انهم لا يدعون مع الله الها اخر ثم يحتمل هذا وجهين لا يدعون اي لا يعبدون دون الله غير
ولا يسمون غير الله ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون اخبر في الاية الاولى في قوله يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما عن معاملتهم للخلق وصنيعهم بينهم وبين العباد
حيث اخبر انهم يمشون هونا لا يؤذون احدا ولا يضرونه واذا ذاهم اهل الجهل والسفه لم يكافئوهم
لا يكافؤهم ولكن احتملوا ذلك منهم وتجاوزوا وقالوا لهم قولا سديدا هذه معاملتهم فيما بينهم وبين الخلق
بالنهار واخبر عن معاملتهم ودعائهم ربهم بالليل حيث قال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين
يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم الاية ثم اخبر عن صنيعهم في اموالهم التي في ايديهم انهم لا يضعونها الا فيما امروا
بالوضع فيها واخبر عن صفوتهم واخلاصهم لله في العبادة وكفهم عن محارم الله حيث قال اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وقوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون وقوله
والذين لا يشهدون الزور موصول بهذا ايضا ومقدم عن قوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما كانه قال ولا يزنون
ولا يشهدون الزور ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من قتل النفس المحرمة والزنا وشهادة الزور والشرك يلق اثاما
قال بعضهم اثاما اي واديا في جهنم وقال بعضهم اثاما عذابا في النار وقوله لا يشهدون الزور قال بعضهم لا يشهدون
مكان الزور وهو الغناء اي لا يشهدون المكان الذي يتغنى فيه وقال بعضهم لا يشهدون بشهادة الزور وهو
الكذب وقوله واذا مروا باللغو مروا كراما مرور الكرام اي ان قدروا على تغيير ما عاينوا من اللغو والمنكر غيروه

اي مروا مرور الكرام

ومضوا على وجههم من غير ان دخل في ذلك فساد وان لم يقدروا مضوا ولم يعبأوا به ولا يشتغلوا به كقوله
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وفي قوله ولا تقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون دلالة نقض قول الخوارج
باكفارهم اصحاب الكبائر لانه اخبر انها محرمة بعد ارتكابها الزنا والقتل كما هي قبل ارتكابها بالحق حيث قال ولا تقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق دل انها محرمة بعد غير كافر الا بالحق اما بحق القصاص واما بحق واما بحق الارتداد على ما ذكر
في الخبر لا يحل قتل امرئ مسلم الا في احدى ثلث خصال زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق
ولو كانت كافرة بارتكاب ما ذكر لكانت غير محرمة فدل انه ما ذكرنا وقال ابو عوسجة الاسراف الفساد والتقتير
والتضييق ولم يقتروا اى لم يضيقوا تقليلا لا يكفي عيالهم قال والقوام الوسط ويقال لا قوام لي في هذا الامر اى لا طاقة لي
فيه ولا اقوم هذا الامر اى لا اطيقه والقوام العصمة قال ابو معاذ في قوله لم يقتروا لغات اربع لم يقتروا
برفع الياء وبخفض التاء غير مثقل ويقتروا مثقل ويقتروا بنصب الياء وخفض التاء ويقتروا برفع التاء والمعنى
كله واحد وقوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال بعضهم يقول اذا ذكروا بآيات ربهم
لم يصموا عن الحق ولم يعموا قال هم والله قوم عقلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتاب الله من يقرأها بلسانه يخر
عليها اصم واعمى كانه يخبر ان اولئك اعني اهل صفوة الله واخلاصه لم يخروا على تلك الآيات صما ولا عميانا كالكفرة
الفسقة ولكن خروا عليها متذكرين ومتفقهين متيقظين عاملين بما فيها عاملين كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم الآية وقوله يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا قال قيل اخبر ههنا انه يضاعف له
العذاب وقال في آية اخرى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها فما معنى الضعف ههنا قيل يحتمل هذا وجهين احدهما
يضاعف العذاب للذين تقدم ذكرهم اذا كفروا بالله بعد ما بلغوا المبلغ الذي وصفهم والرتبة التي ذكر وهو قوله
وعباد الرحمن الآيات واحدا منهم اذا كفر يضاعف له العذاب يضاعف عذابه على قدر منزلته ومرتبته عند الله
وعلى قدر نعم الله عليه اذا كان منه عصيان وكفران لذلك وهو كما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى ضعف عذاب الحيوة
وضعف عذاب الممات وما ذكر ايضا لازواجه حيث قال يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين كل من كان اعظم قدرا واكثر نعما عليه فعقوبته اذا عصى ربه اكثر واشد من الذي لم يبلغ ذلك
المبلغ ولا تلك الرتبة فيكون ضعف غيره وجزاء مثله والثاني ان يكون ذلك للائمة اعني الكفرة والرؤساء دون الاتباع
لانهم عملوا هم بانفسهم ودعوا غيرهم الى ذلك كقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم او ان يكون ذلك
لهم للعناد الذي كان منهم والمكابرة ثم استثنى من تاب منهم فقال الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية فان كان
الآية في الذين قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا فكان فيه دلالة قبول توبة المرتد اذا تاب ورجع
الى الاسلام حيث استثنى من تاب منهم وقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات هذا يحتمل وجهين احدهما
يوفق الله اذا تابوا وندموا على ما فعلوا من السيئات في الدنيا حتى يعملوا مكان كل سيئة عملوها فذلك معنى تبديل الله
حسنات اى يوفقهم على ذلك والثاني يبدل الله سيئاتهم حسنات في الآخرة لما كان منهم الندامة والحسرة
على كل سيئة كانت منهم في الدنيا وعلى ذلك روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ليأتين اقوام يوم القيامة ودوا
انهم استكثروا من السيئات فقيل له يا ابا هريرة ومن هم قال هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات وكانه روي
مثله عن عبد الله بن مسعود وقوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا لا يرجع منها ابدا وعلى ذلك
يخرج قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين اى ان يكن منكم عشرون فليثبتوا يغلبوا مائتين على الامر
دليله قوله حيث قال خفف الله عنكم الآية والثاني ان يكون ذلك لقوم خاص علم الله انهم اذا تابوا توبة لا يرجعون
عنها ابدا والا ليس كل من تاب يكون على توبته ابدا وقوله والذين لا يشهدون الزور قد ذكرناه واذا مروا باللغو مروا
كراما قد ذكرناه ايضا وقال بعضهم اذا اوذوا صفحوا وقال بعضهم انهم كانوا اذا اتوا على النكاح او غيره كنوا عنه قال ابو عوسجة

ربهم

والعتبى

والعتبى يلق اثاما اى عقوبة الآثام العقوبة وقوله مروا كراما اى لم يخوضوا فيه واكرموا انفسهم منه صما وعميانا
اى لم يتغافلوا عنها وقال بعضهم انهم اذا وعظوا بالقرآن لم يخروا عليها صما وعميانا عند تلاوة القرآن فلا يسمعون
ولا يبصرون ولكن يخرون عليها سمعا وبصرا وهو واحد وقوله والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين قد نعتهم عز وجل في معاملتهم ان كيف عاملوا ربهم بالليل والنهار ونعتهم ايضا في معاملتهم عباده ان كيف
عاملوا عباده ثم نعتهم في معاملتهم اهليهم ودعائهم لهم فقال يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
فهو والله اعلم لما امرهم ان يقوا انفسهم واهليهم النار بقوله قوا انفسكم واهليكم نارا الآية فعند ذلك دعوا ربهم
وسألوه ان يهب لهم من ازواجهم وذرياتهم ما تقر به اعينهم في الدنيا والآخرة وقال بعضهم اجعلهم صالحين
مطيعين فان ذلك يقر اعيننا قال الحسن والله لا اعلم شيء احب الى العبد المسلم من ان يرى ولده او حميمه يطيع الله
وقال نريهم يعملون بطاعتك فتقر بذلك اعيننا والله اعلم وقوله واجعلنا للمتقين اماما قال بعضهم اى اجعلنا ائمة
هدى وتقوى يقتدى بنا وقال بعضهم واجعلنا بحال يقتدى بنا المتقون واصله والله اعلم فانهم سألوا ربهم
ان يجعلهم بحال من اقتدى بهم صار متقيا لا من اقتدى صار ضالا فاسقا هذا والله اعلم ثم اخبر عن جزائهم في الآخرة
بصنيعهم في الدنيا وصبرهم على ما امروا فقال اولئك يجزون الغرفة بما صبروا والغرفة هي اعلى المنازل واشرفها
اخبر انهم يجزون ذلك ويكونون فيها وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه اولئك يجزون الجنة بما عملوا لجائز ان يكون
الغرفة المذكورة في الآية كناية عن الجنة يدل له حرف ابن مسعود وجائز ان يراد به نفس الغرفة وهو لارتفاعها وعلوها
على غيرها من المنازل وذلك مما يحتاج لكون فيها في بعض الاوقات في الدنيا والناس يرغبون فيها لاشرافها وارتفاعها
على غيرها فرغبهم بذلك في الآخرة وقوله ويلقون فيها بالتخفيف والتشديد ويلقون فيها تحية وسلاما اى يلقيهم
الملائكة بالتحية والسلام كقوله سلام عليكم بما صبرتم وقوله سلام عليكم طبتم او يلقى بعضهم بعضا بالتحية والسلام
ويحيي بعضهم بعضا ويسلم بعضهم على بعض وقوله خالدين فيها دائمين حسنت مستقرا ومقاما تأويله والله اعلم
اى حسنت لهم الجنة مستقرا ومقاما حتى لا يملوا فيها ولا يسأموا ولا تأخذهم الوحشة والكآبة كنعيم الدنيا
يمل عنها ويسأم عند الكثرة وطول المقام فيها وقوله قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم قال بعضهم ما يعبأ بكم ربي
اى ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى التوحيد لتوحدوه وتطيعوه وقال بعضهم ما يعبؤ اى ما يصنع بكم ربي
وتأويله والله اعلم اى ما يصنع ربي بعذابكم ان وحدتموه واطعتموه بقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
وقوله فقد كذبتم فسوف يكون لزاما اختلف فيه قال بعضهم هو عذاب يوم بدر يعني الزم بعضهم بعضا وكذلك
قال ابن مسعود قال مضت آية الدخان والبطشة واللزام يوم بدر وقال بعضهم لزاما اى عذابا ملازما غير مفارق
وهو عذاب الآخرة وقال ابو عوسجة ما يعبؤ بكم ربي اى ما يصنع يقال عبأت له اعبؤ عبأ فهو عابئ اذا احتاج اليكم ويقال
ما عبأت بهذا الامر اى ما اصنع به ويقال عبأت بفلان اى احتجت اليه وكذلك قول القتبي والله اعلم بالصواب

سورة الشعراء مكية الا والشعراء الى آخرها وآيها مائتان وعشرون وست

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل طسم قد ذكرنا تأويل الحروف المعجمة فيما تقدم وكذلك قوله تلك آيات الكتاب
المبين قد ذكرنا تأويله ايضا وقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين كان يشتد على رسول الله
تركهم الايمان وتكذيبهم اياه اشفاقا وخوفا عليهم وتعظيما لله واجلالا لحقه كادت نفسه تهلك
حزنا على ذلك كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا والاسف هو النهاية
في الحزن كقول يعقوب على يوسف وقال بعضهم الاسف هو النهاية في الغضب كقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم
قيل اغضبونا وقد ذكرنا في سورة يوسف على ما ذكر الله رسوله ووصفه كان مطبوعا على الحزن والتأسف لمكان كفرهم

بانه كان مطبوعا على حزن يوسف

وتكذيبهم كقوله عزيز عليه ما عنتم الآية يحزن عليهم اشفاقا عليهم ويغضب عليهم لله تعظيما لله واجلالا لامره
لما ضيعوا امره ونهيه وهكذا الواجب على كل من رأى آخر في فاحشة او كبيرة ان يحزن ويترحم عليه ويغضب لله
لما ارتكب من الفاحشة وقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين قالت المعتزلة قوله ان نشأ
ننزل عليهم من السماء آية مشية قسر وقهر حتى يضطروا لها فيؤمنوا لكن عندنا مشية الايمان والاختيار اي ان نشاء
ايمانهم ننزل عليهم آية فيؤمنوا الا ان الآية لا تضطر احدا ولا تقهر على الايمان دليله قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى الآية اخبر انهم لا يؤمنون وان فعل ما ذكر ولا يضطرهم ذلك على الايمان وكذلك ما اخبر عنهم في الآخرة
حيث قال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الآية وقوله ثم لم تكن فتنتهم الآية اخبر عن حلفهم وانكارهم في الآخرة
انهم لم يكونوا على ما كانوا ولا تكون آية اعظم مما عاينوا من انواع العذاب ثم لم يمنعهم ذلك عن التكذيب ولا اضطرهم
على الاقرار والتصديق دل ان الآية وان كانت عظيمة لا تضطر اهلها على الايمان والتصديق وقد ذكرنا هذه المسألة
فيما تقدم ما يغنينا عن ذكرها في هذا الموضع وقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين اي مالت وخضعت لها والاعناق
كانها كناية عن انفسهم وعن ابن عباس قال فظلت اعناقهم لها خاضعين قال سيكون لنا دولة على بني امية فتذل لنا
اعناقهم بعد صعوبة وهوانا بعد عزة فقد كان ذلك وقال بعضهم الاعناق السادة والقادة والواحد عنق له
اي اذا اسلم القادة اسلم الاتباع اتباعا لهم والله اعلم وقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث قال بعضهم
يقول كلما نزل شيء بعد شيء من الموعظة والذكر فهو محدث من الاول وجائز ان يكون قوله وما يأتيهم من ذكر اي ما يأتيهم
من ذكر مما به فيه ذكرهم في الآخرين وشرفهم في الخلق الا كانوا عنه معرضين لانهم لو آمنوا لذكروا في الناس وتوهم
ذكر وشرف كذكر الانبياء والرسل فيهم الى آخر الدهر وقوله محدث هو محدث على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما
قال القتبي وابو عوسجة فظلت اعناقهم كما تقول ظللت اليوم قالا والاعناق السادة والواحد منه عنق له
وقوله فقد كذبوا الآية هي ظاهرة قد ذكرنا تأويله فيما تقدم وقوله اولم يروا الى الارض هذا يحتمل
وجهين احدهما قد رأوا ما انبتنا واخرجنا منها والثاني على الاسراء رأوا ما انبتنا في الارض واخرجنا منها
من كل زوج كريم قال الحسن الكريم الحسن كالبهيج وقوله من كل زوج اي جنس حسن وقوله ان في ذلك لآية
يحتمل قوله لآية لوحدانية الله والوهيته وآية لسلطانه وقدرته وآية لعلمه وتدبيره لان من قدر
على احياء النبات والارض بعد ما يبس وجف لقادر على احياء الموتى وبعثهم ودل اخراج النبات من الارض كل عام
على حد واحد وعلى قدر وميزان واحد على انه انما خرج ذلك عن تدبير وعلم ذاتي وقدرة ذاتية ليست بمستفادة
فدل ذلك كله انه فعل واحد قادر مدبر عالم لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه والله اعلم وقوله وما كان اكثرهم مؤمنين
يحتمل قوله وما كان اكثر الذين بعث اليهم محمد مؤمنين وهم الذين كانوا وقت مبعثه وجايز ان يكون وما اكثر
ما يكونون مؤمنين وقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم جايز ان يقال العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه
ويحتمل العزيز على الخلايق كلهم وهم اذلاء دونه به يعز من عز وقوله واذ نادى ربك موسى اي امر ربك
موسى واوحى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون فيه دلالة ان موسى صلوات الله عليه كان مبعوثا
مرسلا الى فرعون وقومه وان كان لم يذكر في بعض الآيات قومه حيث قال اذهب الى فرعون انه طغى وقال
في بعضها الى فرعون وملائه فهذا لانهم كانوا الرؤساء والقادة فان آمنوا هم اتبعهم الاتباع في ذلك والا كان
مبعوثا في الحقيقة رسولا اليه والى قومه جميعا الاتباع والمتبوعين لما ذكر في الآية وقوله قوم فرعون الا يتقون
كانه على الاضمار ان ائت القوم الظالمين وقل لهم الا تتقون ثم قوله الا تتقون يحتمل وجهين احدهما الا تتقون مخالفة
امر الله ونهيه او نقول الا تتقون نقمة الله وعقوبته والله اعلم وقوله قال رب اني اخاف ان يكذبون لم يقطع
موسى القول في التكذيب ولكنه على الرجاء قال ذلك وذلك والله اعلم كقوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
فكانه رجاء ذلك منه لهذا والله اعلم وجايز ان يكون على القطع والعلم منه بالتكذيب كانه قال اني اعلم ان يكذبون

ولذلك قال خاضعين ولم يقل خاضعات ولو كان المراد منه جميع الصنوف فانه وهو الجيد لكانه يجمعه خاضعات لان جمع ما لا يعقل وجمع بعض ما يعقل بالالف والتاء وجمع ما يعقل بالالف والنون الا شيء قليل على غير قياس وقيل الاعناق السادة شه

والخضوع الانقياد والميل قيل معناه انهم صاروا خاضعين للآية شه

ونالنجازيه المعة وقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني لان عليه ان يغضب لله اذا كذبوه فاذا اشتد
بالمرء الغضب ضاق صدره وكل لسانه وهو ما ذكر وهو ما نحاده وسأله حيث قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
واحلل عقدة من لساني الآية وهو ما ذكرنا ان الغضب اذا اشتد بالمرء يضيق صدره حتى يمنعه عن الفهم ويكل لسانه
حتى يمنعه عن العبارة والبيان وجايز ان يكون ذلك لان كانت بلسانه ثم ضيق الصدر يكون لوجهين احدهما
لعظم امر الله وجلال قدره اذا كذبوه وردوه رسالة وامره ضاق لذلك صدره او يضيق ما ينزل عليهم من عذاب
ونقمته بالتكذيب اشفاقا عليهم منه والله اعلم وقوله فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون قوله
فارسل الى هرون كسؤاله اياه حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري فقال
قوله فارسل هرون يكون معينا في الرسالة وكقوله هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا الآية وذنبه الذي ذكر
ان عليه هو قتل ذلك القبطي وهو قوله فوكزه موسى فقضى عليه ذنبه الذي لهم عليه ثم قال كلا فاذهبا بآياتنا
انا معكم مستمعون وقوله كلا رد على قول موسى فاخاف ان يقتلون كانه قال لا تخف وهو ما قال في آية اخرى
حيث قالا انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال عند ذلك لا تخافا انني معكما اسمع وارى فعلى ذلك قوله
كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون وقال في تلك الآية انني معكما اسمع وارى في اسمع ما يقولون لكما وارى
ما يفعلون بكم كانه منعهم عنكما لانهما ذكرا الخوف منه من شيئين من الفعل والقول حيث قالا انا نخاف ان يفرط
علينا بالفعل او ان يطغى بالسان وقوله فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل
وقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل ليس على حقيقة الارسال معه ولكن على ترك استعبادهم كقوله ان ارسل معنا
بني اسرائيل ولا تعذبهم اي خل بينهم وبين استعمالك اياهم واستعبادك والله اعلم ثم قال له فرعون الم نربك
فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين يذكر نعما التي انعمها عليه بتربيته اياه صغيرا وكونه فيهم دهرا وكفرانه
موسى لها ثم عليه وهو ما قال وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين وهو قتل ذلك القبطي الذي وكزه
موسى فقضى عليه فاقر له موسى بذلك فاخبر انه فعل ذلك حيث قال فعلتها اذا وانا من الضالين وقوله فعلتها
اذا وانا من الضالين اي فعلت ذلك وانا كنت من الجاهلين لانه لم يعلم ان وكزته تقتله والا لو علم ما وكزه
لانه لم يكن يحل له قتله حيث قال هذا من عمل الشيطان دل ذلك منه انه كان لم يحل قتله لانه جرى ذلك على يده
خطأ وجهلا وفيه دلالة ان الرجل قد يؤخذ ويؤاخذ بما يجري على يده خطأ وجهلا ويخاطب بذلك حيث قال
فعلتها اذا وانا من الضالين ثم قال ففررت منكم لما خفتكم وهو حين قال له ذلك الرجل ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك فاخرج فخرج منها خائفا يترقب وذلك فر منهم وقوله فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين
قال بعضهم قوله فوهب لي ربي حكما اي نبوة وقال بعضهم حكما اي علما بالحكم وجعلني من المرسلين وقد ذكرنا ذلك
كله وقوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وهو استعبادك لنا اياهم اذا ذكرت هذا فاذكر ذاك
هذا يحتمل وجوها احدها ان تذكر ما انعمت علي وتمنها ولا تذكر مساويك ببني اسرائيل وهو استعبادك
اياهم اي اذا ذكرت هذا فاذكر ذاك والثاني تلك نعمة تمنها علي حجة لم تعبد وعبدت بني اسرائيل بحيث يخرج
على قول المنة منه والثالث وتلك نعمة لو خليت من بني اسرائيل ولم تستعبدهم لولا ذلك عنك وتمام
هذا يقول موسى لفرعون اتمن علي يا فرعون بان اتخذت بني اسرائيل عبيدا وكانوا احرارا فقهرتهم وقال بعضهم
فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين بذلك لم يعلم انه يتولد من وكزته الموت وكذلك روي في بعض الحرف
وانا من الجاهلين دل انه على الجهل ما فعل لا على القصد وقال بعضهم في قوله وتلك نعمة على بعض الوجوه
وهذه منة تمنها بقوله الم نربك فينا وليدا يقول تمن بها علي ان تستعبد بني اسرائيل وتمن علي بذلك
ثم قال فرعون لموسى وما رب العالمين فقال له موسى رب السموات والارض وما بينهما من خلق ان كنتم موقنين
ثم قال لمن حوله الا تستمعون انما قال اللعين هذا والله اعلم لما وقع عنده ان موسى حاد عن جواب ما سأله

ولا اشكال ان الله تعالى اذا جعل رسولا كيف رده وقال فارسل الى هرون لكن نفهم منه انه يسأل الله تعالى بان يعطي هرون مثل ما هو كما سأل اياه شه

لانه انما سأله عن ماثيته فهو انما اجاب عن فعله وربوبيته فظن انه حائد عن جواب ما سأله وكذلك قال لقومه الا تستمعون الى ما يقول موسى تعجباً منه انى اسأله عن شئ وهو يجيبنى عن شئ آخر ثم قال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين فقال عند ذلك ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون نسبه الى الجنون لما ذكرنا انه ظن انه حائد عن الجواب فى كل ما ذكر انما كان السؤال منه عن الماهية وهو لم يجبه عنها فعند ذلك قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون لم يجبه موسى فى كل ما ذكر عن الماثية ولكن اجابه فى الاول فى بيان ربوبيته والوهيته حيث قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ذلك تعرف اللعين انه ليس هو رب السموات والارض لما لا يعلم ان لا صنع له فى ذلك وانه لم ينشئهما ولكن انشأهما رب العالمين على ما ذكر موسى لكن كانه لم يعرف حدثهما ولا فناءهما بما ذكر له موسى لما لم يشاهد حدثهما وفناءهما فلم يتقرر ذلك عنده لما يقع عنده انهما كذلك كانا ويكونان ابداً فعند ذلك احتاج الى ان ذكر له ما يشاهد حدثهما وفناءهما وهو ما قال ربكم ورب آبائكم الاولين ذكر له ما شاهد حدثه وفناءه فاذا عرف حدث ما ذكر وفناءه يعرف انه لم يكن بنفسه ولا كون نفسه ولكن بمحدث احدثه وبمدبر دبّره ثم قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ذكر ههنا قدرته وسلطانه وهو ما يأتى بالنهار من المشرق وبالليل من المغرب ويطلع الشمس من المشرق ويغربها من المغرب وكذلك القمر والنجوم ففيه دلالة البعث لان من قدر على ان يأتى بالنهار من كذا وبالليل من ناحية كذا والشمس والقمر من كذا قادر على البعث لا يعجز شئ ففى كل حرف من هذه الاحرف دلالة واستدلال على شئ ليس ذلك فى الاخرى وفى قوله رب السموات والارض دلالة ربوبية الله والوهيته وفى قوله ربكم ورب آبائكم الاولين دلالة حدث ما ذكر وفنائه ودلالة محدث ومدبر وفى قوله رب المشرق والمغرب دلالة قدرته وسلطانه على البعث على الوجه الذى ذكرنا وفى ذلك دلالة ان الله تعالى لا يعرف بالماثية ولا بما يحس ولكنه انما يعرف من جهة الاستدلال بخلقه وبالآيات التى تدل على وحدانيته حيث سأل فرعون موسى عن الماثية فاجاب له على الاستدلال بخلقه ثم قال اللعين لئن اتخذت الهاً غيرى لاجعلنك من المسجونين قال بعضهم انما وعد السجن ولم يوعد القتل لانه طلب منه الحجة على ما ادّعى من الرسالة حيث قال فأت بها الآية ولو قتله لكان لا يقدر على اتيانها وقال بعضهم لا ولكن كان سجنه اشد من القتل ومن كل عقوبة فقال له موسى اولو جئتك بشئ مبين اى ما يبين ربوبية الله والوهيته او ما يبين انى رسول فقال له فرعون فأت بها ان كنت من الصادقين بالرسالة وبما ادعيت فدل قول فرعون لموسى حيث قال له فأت بها ان كنت من الصادقين انه قد عرف انه رسول وانه ليس باله على ما ادعى وان الاله غيره حيث طلب منه الآية وقوله ان كنتم موقنين بالآيات التى تدل على وحدانية الله تعالى وهستيته ذكر هذا مقابل انكارهم الصانع والايقان هو العلم الذى يستفاد من جهة الاستدلال ولذلك لا يقال لله موقن وقوله ان كنتم تعقلون ذكر مقابل ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون **وقوله** فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين قال بعضهم الثعبان هى الكبيرة العظيمة من الحيات وقال فى موضع آخر تهتز كانها جان وقال فى موضع فاذا هى حية تسعى فجائز ان يكون كالثعبان بعد ما طرحها والقاها وقيل ان يطرحها كالجان وهى الحية الصغيرة والله اعلم **وقوله** ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين بياضاً خارجاً عن خلقة البشرية وخارجاً عن الآفة على ما ذكر فى آية اخرى من غير سوء **وقوله** قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره هذا منه اغراء وتحريش منه لقومه على موسى لئلا ينظروا اليه بعين التعظيم لعظيم ما اتاهم من الآية وأراهم حيث قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وموسى كان لم يرد اخراجهم من ارضهم ولكن ذلك اغراء منه لهم عليه لئلا يتبعوه كانه يقول يريد ان يخرجكم من ارضكم فيفسد عليكم معاشكم ويضيق عليكم مقامكم ومتقلبكم **وقوله** فماذا تأمرون هذا يبين انه كان عرف انه ليس باله فيبين دناءته وقلة معرفته لانه لا يقول ملك من الملوك لقومه ماذا تأمرون وخاصة من يدعى لنفسه الالوهية بقوله ما علمت لكم من اله غيرى فدل انه كان خسيس الهمة دنئ الرأى

ولا يتصور فى حالة واحدة ان يكون الشئ الواحد على هذه الاحوال هذا اشكال ثم الانفصال عنه قال بعضهم انما وصفها بهذه الاوصاف وسماها بهذه الاسامى لمشابهة لها فكل منها فى شئ خاص لانه يكون لها عظم الثعبان وسرعة الحية وتنبه الجان واطلاق الاسم جائز باعتبار المشابهة فى وصف يعرف بالمسمى والثانى جائز ان يكون الثعبان فى يد موسى عليه السلام قبل ان يطرحها حتى يتمكن هو من اخذها واذا طرحها والقاها تصير كالثعبان والحية اسم جنس لها يدخل تحته الصغير والكبير والله اعلم
شرح
وقوله ونزع يده

والباب

والباب **وقوله** قالوا ارجه واخاه واخاه اى احبسه واخره وابعث فى المدائن حاشرين الحاشر الجامع والحشر الجمع يأتوك بكل سحار عليم وكان يجب ان يعرفان السحر يقابل بسحر مثله ولا يحتاج الى ان يسأل قومه ذلك لكنه كان اللعين ما ذكرنا من قلة البصر فى الامر وخساسة الهمة ودناءة الرأى **وقوله** فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين قال اللعين نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ولم يقل نتبعهم اذا كان معهم الحجة ليعلم انه قد علم وعرف ان لا حجة معهم وان الحجة مع موسى حيث وعد اتباع الغالبين دون من معهم الحجة وفى حرف ابن مسعود وقال للناس هل انتم مستمعون الى السحرة انهم يتغالبون لعلنا نتبع منهم الغالبين **وقوله** فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجراً ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذاً لمن المقربين هذا ظاهر لكن اهل التاويل قالوا كان السحرة كذا كذا عدداً وان موسى قال لاكبرهم ساحراً اتؤمن بى ان غلبتك وقال الساحر كذا وغير ذلك من الكلام مما ليس ذلك فى الكتاب ذكره وليس ينبغى لهم ان يشتغلوا بشئ من ذلك او ان يتاولوه شيئاً ليس فى القرآن لما يدخل فى ذلك من الزيادة والنقصان فيكون للكفرة مقال فى ذلك وطعن فى رسالة رسول الله لان هذه الانباء كانت فى كتبهم فذكرت لرسول الله لتكون آية له فى الرسالة فان زادوا او نقصوا يقولون هذا كذب لم يذكر فى كتبنا ذلك فلهذا الوجه ما ينبغى لهم ان يزيدوا على ما ذكر فى الكتاب وينقصوا لئلا يجدوا لذلك مقالاً فى تكذيب رسول الله **وقوله** قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فان قيل كيف قال موسى لاولئك السحرة القوا وهو يعلم ان ما يلقون هو سحر فكيف امرهم بالسحر قيل هذا وان كان فى الظاهر امراً فهو فى الحقيقة ليس بامر انما هو تهدد وتوعد اى القوا لترواعجزكم وضعفكم وذلك كثير فى القرآن ظاهره امر وهو فى الحقيقة توعد وذلك كثير فى القرآن ظاهره امر وهو فى الحقيقة توعد كقوله لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك الآية ليس يخرج على الامر ولكن على التوعد والتهدد اى ان فعلت ذلك فلا سلطان لك عليهم كقوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقوله اعملوا ما شئتم والثانى امرهم بذلك ليظهر كذبهم ويتبين صدقه وحجته اذ بذلك يظهر او قال لهم ذلك لما كان ذلك سبب ايمان اولئك السحرة والله اعلم **وقوله** فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون هذا يدل ان السحرة كانوا يعبدون فرعون حيث قالوا بعزة فرعون وقد علموا عجز فرعون وضعفه حيث فزع اليهم وقالوا فماذا تأمرون **وقوله** فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون وقد قرئ تلقف بالتخفيف قال ابو عوسجة تقول تلقفت الشئ والتقفته اى اخذته وقال غيره تلقف اى تلقم وهو واحد وقوله يأفكون وهو الفاعل بمعنى المفعول اى ما يؤفك وذلك جائز فى اللغة وامثاله كثير كقوله فى عيشة راضية وهو **وقوله** فالقى السحرة ساجدين اخبر لسرعة ما سجدوا كانهم القوا لما بان لهم من الحق وظهر فقالوا آمنا برب العالمين قال اهل التاويل ان فرعون قال عند ذلك انا رب العالمين فقالت السحرة رب موسى وهرون لكن الامتناع عن هذا وامثاله مما لم يذكر فى الكتاب اولى لما ذكرنا انه انما يحتج عليهم بهذه الانباء على تصديق من اهل الكتاب له فى ذلك لما هى مذكورة فى كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذبونه فى ذلك فيذكر القدر الذى فى الكتاب لئلا يدخل فيه الزيادة والنقصان فيفرقوا به ويكذبوا الا ما ظهر عن رسول الله القول به فيقال والا الامتناع والكف اولى ثم قال فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر ان فرعون قد علم ان ما جاء به موسى هو حجة لكنه كان يلبس على قومه واصحابه ويغررهم عليه فقال مرة ان هذا لساحر عليم وقال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وقال مرة انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون وقال ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة الآية ثم اوعدهم بمواعد فقال فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين فقالوا لهم لا ضير انا الى ربنا منقلبون اى انا الى ثواب ربنا الذى وعد لنا الراجعون لا يضرنا ما توعدنا به قال ابو عوسجة والقتبى لا ضير هو من ضار يضور ويضير بمعنى ضر وقد قرئ وان تصبروا لا يضركم كيدهم شيئاً بالتخفيف بمعنى لا يضركم فقالوا انا لا نطمع ان يغفر لنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين

ومطلقا فى رسالته ان الكاذب لا يصلح ان يكون رسولاً والله اعلم
شرح

قال بعضهم ان كنا اول المؤمنين وقال بعضهم ان كنا اى اذ كنا اول اهل مصر ايمانا وجايز ان كنا اول المؤمنين بالحال وقال
بعض اهل التاويل ان فرعون قد فعل بهم ما اوعد من قطع الايدى والارجل والقتل لكن ليس فى الاية بيان حلول ما اوعدهم
فلا نقول به لمخافة الكذب وقوله واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى انكم متبعون السرى سير الليل وهو ما قال
فى اية اخرى فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون اى يتبعكم فرعون وقومه وقوله فارسل فرعون فى المداين حاشرين
اى ارسل فى المداين من يحشر الجنود والعساكر وقالوا ان هؤلاء يعنون اصحاب موسى لشرذمة قليلون قال بعضهم
الشرذمة الجماعة العصابة اى عصابة قليلة وقال بعضهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون اى طايفة قليلة وانهم لنا
لغايظون اى لغايظون فى الحلى الذى استعاروا منا اى ذهبوا به مغايظة لنا لغايظون بما فعلناهم من قتل اولادهم
واستعباد نسايهم ورجالهم يفعلون بنا ما فعلنا بهم ان ظفروا بنا وقوله وانا لجميع حاذرون وحذرون قال بعضهم
من الحذر وقال بعضهم انا لجميع حاذرون اى مؤدون اى مقوون اى معنا اداة اصحاب الحرب والمقوى الذى دابته
قوية وقال بعضهم حاذرون اى مستعدون للحرب وقال بعضهم حاذرون لما حلت لهم من الخوف والحذر الهلاك
حذر المعاودة اى حذروا ان يعودوا اليهم وحذرون اى كما لم نزل منهم على حذر وقال ابو معاذ حاذرون مؤدون
من الاداة اى تام السلاح وفى خروج موسى ببنى اسرائيل مع كثرتهم على ما ذكر انهم كانوا ستمائة الف فصاعدا من غير
ان علم القبط بذلك اية عظيمة اذ لا يقدر نفر الخروج من محلة او ناحية الا ويعلم اهلها بخروجهم ففى ذلك كان
اية عظيمة حيث خرجوا من بينهم من غير ان علم احد منهم بذلك وقوله واخرجناهم يعنى فرعون وقومه من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم اى حسن كذلك واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم مشرقين اى تبع فرعون وقومه
حين شرقت الشمس اى طلعت ومشرقين اى كانوا فى الشمس اى قوم موسى صاروا فى الشمس يقال اشرقنا اذا صرنا
فيها وقوله فلما تراءى الجمعان جمع موسى وجمع فرعون اى ذا ترآى بعضهم بعضا قال اصحاب موسى انا لمدركون قال موسى
كلا ان معى ربى سيهدين كان قوم موسى لم يعلموا بالبشارة التى بشرها الله موسى انهم لا يدركونكم وهو ما قال لا تخاف
دركا ولا تخشى اى لا تخاف دركهم ولا تخشى فرعون وقومه لذلك قالوا انا لمدركون وكانت البشارة لهم جميعا
لا لموسى خاصة يدل ذلك قول موسى كلا ان معى ربى سيهدين على اثر قولهم انا لمدركون اى كلا انهم لا يدركونكم
وقوله فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اى انشق وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود فانشق
فكان كل فرق كالطود العظيم والطود واحد اى كالجبل العظيم والطود واحد واطواد جماعة وقوله وازلفنا
ثم الاخرين قال الحسن ازلفنا اى اهلكنا ثم الاخرين وقال بعضهم جمعنا ومنه قيل ليلة المزدلفة
اى ليلة الازدلاف وهو الاجتماع وكذلك قيل للموضع جمع فان كان تاويله هذا ففيه دلالة ان لله
فى فعل العباد صنعا وتدبيرا لانه اضاف الجمع اليه وهم انما كانوا خرجوا للمعصية فدل ذلك انه على ما ذكرنا
وقال بعضهم وازلفناهم ثم الاخرين اى ادنيناهم وقربناهم ومنه ازلفك الله اى قربك الله ويقال ازلفنى
كذا عند فلان اى قربنى منه والزلف المنازل والمراقى لانها تدنو بالمسافر ومنه وازلفت الجنة للمتقين
اى ادنيت وقربت وكذلك قال ابو عوسجة والقتبى وقوله وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا
الاخرين الاية ظاهرة وقوله ان فى ذلك لاية اى فى هلاك فرعون وقومه وانجاء موسى ومن معه متعظ ومزجر
لمن بعدهم حيث راوا انه اهلك الاعداء وابقى الاولياء وقوله وما كان اكثرهم مؤمنين هذا يحتمل وجوها
قال بعضهم لم يكن اكثر اهل مصر مصدقين بتوحيد الله اذ لو كان اكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا ولكن
غير هذا كان اشبه اى لو لم يهلكهم الله تعالى ولكن ابقاهم لم يؤمن اكثرهم وقال بعضهم وما كان اكثرهم
من بنى اسرائيل مؤمنين اى لم يدم اكثرهم على الايمان بل ارتد اكثرهم من بعد ما انجاهم حيث قالوا
لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة والله اعلم وقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم المنتقم من فرعون وقومه
الرحيم بموسى ومن معه من المؤمنين هذا فى هذا الموضع يستقيم ان يصرف تاويل العزيز الى الاعداء والرحيم

الحذر المتيقظ والحاذر المستعد

من الاداة اى معنا اداة الحرب يقال رجل مؤد اى تام السلاح واداة الحرب كما يقال رجل مقو اى صاحب دابة قوية
شرح

الى الاولياء

الى الاولياء كالحيوة فمن ذلك الى الفريق الذى يستوجب ذلك الرحمة الى المؤمنين والنقمة الى الاعداء وقوله واتل
عليهم نبأ ابراهيم اى اتل على اهل مكة نبأ ابراهيم وحججه لانهم كانوا من اولاد ابراهيم ومن نسله وهم يقلدون
فى اباءهم فى عبادتهم الاصنام وابراهيم فهلا اتبعوا ابراهيم ومن كان معه فى بعض اولاده اسمعيل واسحق وهؤلاء كانوا
مسلمين عباد رب العالمين لا عباد الاصنام فهلا اتبعوا ابراهيم ومن كان معه على دينه من اباءهم دون من عبد
الاصنام يسفه احلامهم فى عبادتهم وتقليدهم اولئك الذين عبدوا من اباءهم الاصنام وتركهم تقليد من لم يعبدها
وعبد الله ثم قوله ابراهيم حيث قال لابيه وقومه ما تعبدون يحتمل قوله ما تعبدون على ما ذكر فى اية اخرى ما ذا تعبدون
ايفكا ويحتمل ما تعبدون اى من تعبدون فقالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اى نقيم لها عابدين اى ندوم
على عبادتها والعكوف على الشئ هو الاقامة عليه والدوام قال ابو معاذ يجرى ظل اى يقال ظل الانهار ومحال
ان يقال ظل ليله يصنع كذا حتى يقول بات ليلة ومنه الحديث ظل نهاره صائما وبات ليله قائما هل يسمعونكم
اذ تدعونهم ويحتمل هل يسمعونكم على السماع نفسه اى هل يسمعون دعاكم اذ تدعونهم كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاكم الاية وقوله اذ تدعون يحتمل تعبدون ويحتمل الدعاء نفسه وان كان على العادة فلا يحتمل تاويل السماع
وقوله او ينفعونكم او يضرون وهل يقدرون على نفعكم وضركم اذا دوا ذلك كبروها قالوا ان يكون ما ذكر
اهل التاويل هل ينفعونكم ان عبدتموها واطعتموها او يضرون ان عصيتموها وتركتم عبادتها فبهتوا ولم يقدروا
على الجواب له سوى ما ذكروا من تقليد اباءهم فى ذلك فقالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون لما عرفوا ان تلك التى
عبدوها لا تملك ضرا ولا نفعا لكنهم عبدوها تقليدا لاباءهم [illegible] عندهم ان اباءهم ما عبدوها الا [illegible]
ذلك بابى ما تركوا لكن قد ذكرنا ان فى اباءهم من لم يعبدها قط ثم لم يقلدوهم فكيف قلدوا اوليك دل ان الاشتغال
فاسد وقوله افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون ثم قال انهم واباءهم الذين عبدوا الاصنام من قبل
عدو لى الا رب العالمين استثنى رب العالمين فيكون الاصنام اى فانهم جميعا عدو لى يقول هم عدو لى وانا برئ
منهم الا ان يكون فيكم من يعبد رب العالمين فيكون على الاصنام اى فانهم جميعا عدو لى الا من عبد رب العالمين وقال
بعضهم يقول ان العابد والمعبود كلهم عدو لى الا رب العالمين اى الا المعبود بالحقيقة الذى يستحق العبادة فانه ولى
وقال بعضهم ليس على الاستثناء ولكن على الابتداء كانه قال انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى ولكن رب العالمين
الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع
ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين ذكر هذا لهم ان الاله المستحق للعبادة هو هذا الذى يصنع هذا وهو المالك
للنفع ودفع الضرر لا الاصنام التى عبدتم انتم واباؤكم وقوله رب هب لى حكما قال بعضهم فهما وعلما وجايز
ان يكون ابراهيم سال ربه الانقياد على الحكم اذ كان قد اعطاه العلم والحكم كقوله اهدنا الصراط المستقيم وسال الزيادة
على ما اعطاه كقوله وقل رب زدنى علما ويحتمل ان يكون سال ربه نبوة حكمة فى الخلق ورفع الحرج له عن قلوبهم
على ما ذكر فى حكم رسول الله حيث قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية وقوله والحقنى بالصالحين
اى توفنى على ما توفيت الصالحين حتى الحق بهم هذا والله اعلم معنى هو الله الالحاق بالصالحين ان يتوفاه على الذى
توفى اولئك وهو الاسلام ليلحق بهم والله اعلم وقوله واجعل لى لسان صدق فى الاخرين اى اجعل لى الثناء الحسن
فى الناس وكذلك ابراهيم صلوات الله عليه جميع اهل الاديان على اختلافهم قد انقادوا له وانتسبوا اليه وادعوا
انهم على دينه وان دينه هو الذى هم عليه ليس من اهل ملة الا وهم يتولونه وقوله واجعلنى من ورثة
جنة النعيم اى اجعلنى باقيا من بعد موتى فى جنة النعيم اذ الوارث هو الباقى عن الموروث وكذلك تاويل قوله
انا نحن نرث الارض ومن عليها اى نبقى بعد فناء اهلها اذ الوارث هو الباقى فعلى ذلك قول ابراهيم اجعلنى من الباقين
فى جنة النعيم والله اعلم وقوله واغفر لابى انه كان من الضالين لا يحتمل ان يكون استغفار ابراهيم لابيه والله اعلم
على ما ذكر فى ظاهر الاية واغفر لابى فانه من الضالين يطلب من ربه المغفرة له لانه من الضالين لانه لا يجوز ان يدعوا

وقوله اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون امر الله تعالى رسوله حتى يخبرهم بما قال ابوهم ابراهيم عليه السلام لابيه وقومه وما احتج عليهم فيكون ذلك لازما عليهم ثم قوله ما تعبدون قيل ما ذا تعبدون كانت رأيهم الاصنام فقال ما هذا الذى تعبدون كما ذكر فى اية اخرى ما ذا تعبدون ايفكا الهة دون الله تريدون ويحتمل انه لم يرهم فى عبادة الاصنام واشكل عليه حالهم فسالهم وقال ما تعبدون اى من تعبدون اى تعبدون رب السموات والارض او غيره فقالوا مجيبا له نعبد الاصنام كما اخبر الله عنهم بقوله تعالى قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
شرح

وهو كذلك لكن كان من ابراهيم الاستغفار له فاخبر الله له انه من الضالين فيكون هذا الثاني اخبارًا من الله
لابراهيم انه من الضالين والاول قول ابراهيم وكذلك قال بعض اهل التاويل في قصة بلقيس حيث قالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة فصدقها الله تعالى في مقالتها وقال وكذلك
يفعلون يجعلون قوله وكذلك يفعلون تصديقا من الله لها لا قول تلك المراة ومثال ذلك كثير في القرآن
يكون بعضه مفصولا من بعض ولو القي معاذيره لا تحرك به لسانك قوله ولو القي معاذيره مفصول من قوله
لا تحرك به لسانك لا وصل بينهما فعلى ذلك دعاء ابراهيم يحتمل ان يكون قوله واغفر لابي مفصولا عن
من قوله انه كان من الضالين هذا جايز ان يكون اخبارا من الله لابراهيم حين دعا له بالمغفرة انه من الضالين
وجايز ان يكون قوله واغفر لابي اي اعط له ما به تغفر خطاياه وهو التوحيد فيكون سؤاله سؤال التوحيد له
والتوفيق على ذلك وبه يغفر ما يغفر من الخطايا كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك يخرج دعاء
دعاء هود لقومه حيث امرهم ان يستغفروا ربهم وهو قوله ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اي توبوا اليه
واسلموا له طلب منهم ابتداء الاسلام اذ لا يحتمل ان يقول لهم قولوا استغفر الله ولكن امرهم ان ياتوا ما به
يغفر لهم وهو التوحيد وكذلك قول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا وقول اهل التاويل ان ابراهيم
كذب ثلاثا كلام لا معنى له لا يحتمل ان يكون لله بهتان ويجعل رسالته في الذي يكذب بحال وقوله ولا تخزني
يوم يبعثون قال اهل التاويل لا تخزني اي لا تعذبني يوم يبعثون وكان الاخزاء هو العذاب الذي يهتك
الستر على صاحبه فسأله ان لا يهتك الستر عليه لما خاف ان كان منه ما يهتك الستر عليه فسأل ربه
ذلك اذ العصمة لا ترفع عن اصحابها الخوف بل كلما عظمت العصمة كان الخوف اشد لان الانبياء صلوات الله عليهم
كان خوفهم اشد على دينهم وانفسهم من غيرهم ثم الامثل فالامثل بهم كذلك اشد خوفا منهم ممن هو دونهم
الا ترى الى قول ابراهيم حيث قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين
ومثله كثير وقوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم لا ينفع ويضر لا يكون في نفي النفع
دفع الضر كقوله لا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة وكقوله ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم وكذلك قوله لا يجزي والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيئا وقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وقوله يود المجرم لو يفتدي من عذاب
يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي ظاهر
ما استثنى من الآية دلالة ان ينفع المال والبنون اذا اتوا بقلب سليم حيث قال لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم ويشبه ان يكون كذلك ينفعهم اموالهم واولادهم اذا اتوا ربهم بقلوب سليمة لما استعملوا اموالهم في الطاعات
وانواع القرب وعلموا الاولاد الآداب الصالحة والاخلاق الحسنة فينفعهم ذلك يومئذ كقوله وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اخبر انهم
اذا آمنوا وتابوا يقربهم اموالهم واولادهم عنده وجايز ان يكون على غير ذلك اي لا ينفع مال ولا بنون
وانما ينفع من لقي ربه بقلب سليم والقلب السليم هو السالم عن الشرك والسليم عن الآفات والذنوب والخالص
لربه لا يجعل لغيره فيه حقا ولا نصيبا وشرط فيه اتيانه ربه ما ذكر ليعلم انه ما لم يقبض على السلامة والتوحيد
لا ينفعه ما كان منه من قبل من الطاعات اذا لم يقبض على التوحيد وكذلك شرط في الحسنات الاتيان فقال
من جاء بالحسنة فله كذا ولم يقل من عمل الحسنة وهو ما ذكرنا ان يخرج من الدنيا على التوحيد ولا يفسد ما عمل
من الحسنات والله اعلم وقوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين يحتمل قوله ازلفت وبرزت
اي تزلف وتبرز وان يقال يومئذ ازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وذكر في حرف ابن مسعود
رضي الله عنه وابي رضي الله عنه وقربت الجحيم للضالين وفي هذه القراءة الظاهرة برزت اي ظهرت وقوله وقيل لهم

اين ما كنتم تعبدون من دون الله في الدنيا اي ثم يقال لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله في الدنيا هل
هل ينصرونكم ويمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون هم من العذاب لانهم يطرحون جميعا العابد والمعبود في النار
كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وانما قالوا ذلك لهم لانهم كانوا يقولون في الدنيا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وانما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فيقال لهم مقابل ذلك في الآخرة هل ينصرونكم الآية وقوله فكبكبوا فيها هم
والغاوون قال الزجاج هو من كبّ اي كبوا لكن ذكر كبكبوا على التكرار والاعادة مرة بعد مرة اي يكبون ثم يكبون
لم يزل عليهم ذلك او كلام نحو هذا وقال القتبي فكبكبوا فيها القوا على رؤوسهم وقذفوا واصل الحرف كببوا من ذلك
كببت الاناء فابدلت مكان الباء الكاف وهو الطرح والالقاء على الوجوه يقال كبكبتهم اي طرحتهم في النار
او في البئر وهو من قوله فكبت وجوههم في النار والغاوون قيل الضالون يقال غوى يغوي غيا وغواية
فهو غاو اي ضل وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقال ابو معاذ فكبكبوا اصله كبوا وقال بعضهم جمعوا فيها وجنود
ابليس اجمعون قال بعضهم الغاوون هم الشياطين وجنود ابليس ذريته اي الشياطين الذين اضلوا بني آدم وهو قول الكلبي
وقال بعضهم الغاوون هم كفار الجن وجنود ابليس هم الشياطين وقال بعضهم الغاوون هم الائمة من الكفار
وجنود ابليس ساير الكفار اي اتباعهم وذريتهم والله اعلم وقوله قالوا وهم فيها يختصمون ذكر انهم يختصمون في النار
ولم يذكر فيم يكون خصومتهم فجايز ان يكون خصومتهم ما ذكر في آية اخرى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا
لولا انتم لكنا مؤمنين الى آخر ما ذكر وقوله قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار الآية وقوله ربنا هؤلاء
اضلونا فآتهم عذابا ضعفا الآية وامثاله من المجادلات التي تجري فيما بين الاتباع والمتبوعين وقال بعضهم اختصامهم
ما ذكر على اثره حيث قال تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين الآية هذه مخاصمتهم وقوله تالله
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين قال كان قولهم هذا للاصنام التي عبدوها وذلك في تسميتهم
آلهة وجعلهم العبادة لها يسوونها برب العالمين في التسمية والعبادة وان كان قولهم هذا للشياطين فهو
في اتباعهم امرهم ودعاهم الذي والا لا احد من الكفرة يقصد قصد عبادة الشيطان او يسميه الها ولكن على ما ذكرنا
من متابعتهم امرهم وفي حرف ابن مسعود اذ نسويكم برب العالمين اذ كنا نشرككم برب العالمين وقال بعضهم اذ كنا
نطيعكم كما نطيع رب العالمين وقال بعضهم اذ نعدلكم برب العالمين وبعضه قريب من بعض وقوله وما اضلنا
الا المجرمون اي ما اضلنا الا اولنا وكذلك في حرف ابن مسعود وما اضلنا الا الاولون وتاويل هذا انهم لما راوا الاولين
تركوا على ما كانوا عليه من الكفر والشرك ولم يعذبوا في الدنيا ولا اصابتهم نقمة ظنوا انهم امروا بذلك ورضي الله
عنهم بذلك وهو ما ذكر في آية اخرى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها وقوله فما لنا
من شافعين لانهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله فلم يشفعوا لهم اي ليست لنا شفعاء يشفعون ولو كانت لهم
شفعاء لا تنفعهم شفاعتهم على ما قال فما تنفعهم شفاعة الشافعين وهو ما قال لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به ليس انه كان ينفعهم فعلى ذلك هذا وقوله ولا صديق حميم الحميم القريب اي ليس لهم حميم يهتم بامرهم
وقوله فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين وقوله فلو ان لنا كرة اي لو ان لنا رجعة الى المحنة فنكون من المؤمنين فاخبر الله
انهم لو ردوا لعادوا بقوله ولو ردوا لعادوا الى ما كانوا نهوا عنه وقد ذكرناه وقوله ان في ذلك لآية
ما ذكرنا من الاخبار والانباء الآية وعبرة لمن اعتبر وما كان اكثرهم مؤمنين قال بعضهم لو كان اكثرهم مؤمنين
ما عذبوا في الدنيا وجايز ان يكون لو ردوا الى المحنة التي سألوا الرجعة اليها ما كان اكثرهم مؤمنين وجايز ان يكون
نفر منهم والله اعلم وان ربك لهو العزيز الرحيم قد ذكرنا وقوله كذبت قوم نوح المرسلين ذكر كذبت بالتانيث
على اضمار جماعة كانه قال كذبت جماعة قوم نوح والا القوم يذكر ولا يؤنث وقوله المرسلين لان من كذب
رسولا من الرسل فقد كذب الرسل جميعا لان كل رسول يدعو الخلق الى الايمان بجميع الرسل وبعد فان نوحا كان
يدعو قومه الى الايمان بالرسل الذين يكونون بعده لذلك والله اعلم كذبت قوم نوح المرسلين وقوله اذ قال لهم

اخوهم نوح قال اهل التاويل كان اخاهم في النسب وليس باخيهم قال الشيخ ابو منصور رحمه الله عليه ان الله تعالى سمى الناس جميعا بني آدم على بعدهم من آدم فيجوز ايضا تسميتهم اخوة على بعد بعضهم من بعض وقوله الا تتقون نقمة الله وعذابه في مخالفتكم امره ونهيه او يقول الا تتقون عبادة غير الله وطاعة من دونه وقوله اني لكم رسول امين هذا يخرج على وجهين احدهما اي كنت امينا فيكم قبل هذا فتصدقونني في جميع ما اخبرتكم وانباتكم فما بالكم لا تصدقونني الآن اذا اخبرتكم اني رسول الله اليكم والثاني يقول اني لكم رسول امين ايتمنني الله وجعلني امينا على وحيه فابلغكم الرسالة واؤدي الامانة شئتم او ابيتم قبلتم او لم تقبلوا فلا اخافكم ما توعدونني بعد ان جعلني الله امينا وايتمنني على امانته كقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقوله فاتقوا الله واطيعون اي اتقوا نقمة الله وعذابه واتقوا مخالفة الله في امره ونهيه واطيعون فيما ابلغكم عن الله وادعوكم اليه وما اسئلكم عليه من اجر اي لا اسئلكم على ما ادعوكم اليه وابلغكم اجرا او شيئا يمنعكم ثقل ذلك عن الاجابة ولا احملكم في اموالكم وانفسكم مؤنة فيما ادعوكم اليه بل ادعوكم اليه والى عبادة الواحد اهون واخف على انفسكم من عبادة العدد ولا احملكم ايضا في اموالكم مؤنة تمنعكم تحمل ذلك عن اجابتي ان اجري اي ما اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله ما ذكرنا اي اتقوا نقمة الله وعذابه واتقوا مخالفة الله في امره ونهيه واطيعوني فيما ادعوكم اليه وقوله قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون يقولون نصدقك وانما اتبعك الضعفاء منا والسفلة من لا عقل لهم ولا تدبير ولو كنت صادقا لاتبعك الاشراف والرؤساء فكان في اتباع الارذل له ومن ذكر واعظم آية الرسالة من اتباع الاشراف وذلك ان الارذل من الناس هم اتباع لغيرهم لما يا ملون من فضل مال ونيل منهم او رياسة ومنزلة تكون لهم او لفضل بصر وحفظ وعلم في الدين فيصيرون اتباعا لمن كان عنده من هذه الخصال شيء فالرسل صلوات الله عليهم حيث لم يكن عندهم اموال ولا طمع رياسة ومنزلة اتبعهم الضعفاء والسفلة مع خوف لهم على انفسهم من اولئك الاشراف من القتل والصلب لمخالفتهم اياهم فاتبعوهم الا لما تبين عندهم انهم على حق وان ما يدعون صدقا في اتباع من ذكرنا اعظم دلالة على صدق الرسل فيما ادعوا من الرسالة تاملوا التفكر في ذلك وقول نوح وما علمي بما كانوا يعملون يحتمل وجهين احدهما يقول لم اكن اعلم ان الله يهديهم للايمان والتوحيد من بينكم يعني الضعفا ويدعكم لا يهديكم ثم قال ان حسابهم اي ما جزاء هولاء الذين اتبعوني من الارذل الا على ربي لو تشعرون والثاني وما علمي بما كانوا يعملون اي ما انا بعالم بما يعملون هم في السر وما ذلك علي ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي حسابهم عليهم فيما يعملون في السر فهذا يدل ان التاويل الاخير اشبه واقرب من الاول وكان من اولئك طعن في الذين آمنوا بانهم يعملون في السر على خلاف ما اظهروا حتى قال لهم ذلك وفي بعض القراآت لو يشعرون بالياء فهو راجع الى المؤمنين الذين اتبعوه يقول حسابهم على الله فيما يعملون في السر لو يشعرون ذلك ولا يعملون في السر خلاف ما يعملون في العلانية والله اعلم وقوله وما انا بطارد المؤمنين قال اهل التاويل انهم سالوا نوحا ان يطرد اولئك الذين آمنوا به من الضعفاء حتى يؤمنوا هم فقال عند ذلك وما انا بطارد الذين آمنوا الآية وما انا بطارد المؤمنين ويحتمل ان يكونوا طعنوا في الذين آمنوا انهم قالوا ذلك ظاهرا واما في السر فليسوا على ذلك فقال نوح عند ذلك وما انا بطارد المؤمنين وما انا بطارد الذين آمنوا يدل على ذلك قول نوح حيث قال ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا هذا القول منه يدل على ان كان منهم طعن في اولئك آمنوا به حيث وكل امرهم الى الله فقال الله اعلم بما في انفسهم والله اعلم وقوله ان انا الا نذير مبين قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع وقوله قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين المرجوم هو المقتول بالحجارة وهو اشد قتل لذلك اوعدوه وقال بعضهم لتكونن من المشتومين باللسان لكن الاول اقرب لانه قد كان منهم الشتم فلا يحتمل الوعيد به ثم دعا نوح عند ذلك فقال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا اي اقض بيني وبينهم قضاء اي تقضي عليهم بالعذاب والهلاك الا ترى انه قال ونجني ومن معي من المؤمنين فدل سؤاله نجاة نفسه ومن معه

انصدقك ع

من المؤمنين على ان قوله فافتح بيني وبينهم فتحا سال ربه هلاك من كذبه وهو ما قال في قصة اخرى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الذي وعدت انه ينزل بهم وهو العذاب فعلى ذلك هذا ثم لا يحتمل ان يكون هذا منه في اول تكذيب كان منهم بل كان ذلك بعد ما ايس من ايمانهم لانه لبث فيهم ما قال الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما وفي كل ذلك دعاهم الى توحيد الله وانما دعا عليهم بالهلاك بعد ما اخبره الله تعالى عن امرهم واياسه عن ايمانهم فقال لن يؤمن من قومك الا من قد آمن واذن له بالدعاء عليهم بما دعاهم اذ الانبياء صلوات الله عليهم لا يدعون على قومهم بالهلاك الا باذن من الله في ذلك الا ترى انه ذكر انه عاتب يونس بالخروج من بينهم بلا اذن كان من الله له بالخروج من بينهم فاذا عوتب هو بالخروج بلا اذن فلا يحتمل ان يدعوا بالهلاك بلا اذن والله اعلم وقوله فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون الفلك المشحون قيل المملو قال ابو معاذ والعرب تقول شحنت السفينة فلم يبق الا الدفع وهو السوق وتقول العرب شحنا عليهم بلادهم خيلا ورجلا اي ملأناها وقال بعضهم المشحون المجهز الذي قد فرغ منه فلم يبق الا دفعه وهو واحد وانما شحنت باصناف من الخلق والا كان المؤمنون قليلي العدد وهو ما قال فيها من كل زوجين اثنين اخبر انه انجى من كان معه في الفلك المشحون واهلك الباقين وقوله ان في ذلك لآية اي في نبأ نوح لآية لمن كان بعدهم او ان في هلاك قوم نوح واغراقهم لعبرة لمن بعدهم وما كان اكثرهم مؤمنين الى آخر القصة قد ذكرنا وقوله كذبت عاد المرسلين هو والله اعلم ما ذكرنا اي ما كذبت جماعة من المرسلين وقوله المرسلين لما ذكرنا ان كل رسول كان دعا قومه الى الايمان به وبجميع الرسل فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الكل وقوله اذ قال لهم اخوهم هود هو كان اخاهم في النسب لانهم جميعا ولد آدم على بعيد من آدم فعلى ذلك هم اخوة فيما بينهم على بعد بعضهم من بعض وقوله الا تتقون يحتمل وجهين احدهما الا تتقون نقمة الله وعذابه والا تتقون مخالفة امر الله ومناهيه اني لكم رسول امين فيما ايتمنني الله وبعث على يدي اليكم هدايا فاقبلوا مني هداياه ورسالته او ان يكون ما ذكرناه من قبل والله اعلم وقوله فاتقوا الله واطيعون ما ذكرنا وما اسالكم عليه من اجر اي اسعى في نجاتكم وتخليصكم من عذاب الله وما اسالكم على ذلك اجرا وفي الشاهد لا يعمل احد لاحد الا ويطمع على ذلك منه اجرا وانا لا اسالكم على ذلك اجرا يمنعكم ذلك عن قبول ذلك مني ان اجري اي ما اجري الا على رب العالمين وقوله اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع هذا يحتمل وجوها احدها انهم كانوا يبنون بنيانا لا حاجة لهم الى ذلك البنيان ولا ينتفعون به فهو عبث لان كل من بنى بناء او عمل عملا لا ينتفع به ولا يحتاج اليه فهو عابث لذلك سمى ما بنوا عبثا والثاني يحتمل ان يكون ذلك المكان لهم كان مكان العبث والاجتماع للهو فبنوا على ذلك المكان فسماه عبثا لما لم يكن اجتماعهم في ذلك الا للعبث واللهو والثالث ان يكون ذلك المكان مكانا يمر فيه الناس فبنوا فيه اعلاما يضلون الناس بها يرون انه طريق ولم يكن ذلك فكان قصدهم بذلك البناء باطلا وكل باطل عبث والله اعلم وقوله لعلكم تخلدون ولا تموتون اي تنفقون نفقة من يطمع ان يخلد في هذه الدنيا ليس نفقة من يموت ويرجو ثوابه وعاقبته او ان يكون قوله لعلكم تخلدون لما وسع عليهم الدنيا ورزق لهم الدعة يحسبون انهم يخلدون لان من وسع عليه الدنيا ويكون الدعة والسعة في هذه الدنيا يطمئن فيها ويسكن وهو كما قال يحسب ان ماله اخلده فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين كي والله اعلم بالجبار الظالم والمعتدي اي واذا بطشتم بطشتم ظالمين والريع هو المكان المرتفع وقال بعضهم هو الطريق ومصانع قال بعضهم البنيان وقيل الحياض وقال ابو عبيدة الريع ما ارتفع من الارض وجمع الريعة ريع وجمع الريع ارياع وهما واحد الريع والريع ايضا تقول اراع المال اذا ربحت عليه وجمعه ارياع ومصانع في هذا موضع قصور وفي موضع حياض يجتمع فيها الماء الواحد مصنعة من كلاهما وقال البطش الاخذ يقال بطشت بفلان ابطش بطشا اذا اخذته وقبضت عليه وقال القتبي ايضا الريع الارتفاع من الارض والمصانع البناء واحدها مصنعة فكان المعنى انهم يستوثقون في البناء والحصون ويذهبون الى انهم تحصنهم من اقدار الله وقضائه وهذا يشبه ان يكون ما ذكر لانه قال في آخره لعلكم تخلدون اي تبنون بناء

كانهم يخلدون ولا يموتون وقال واذا بطشتم بطشتم جبارين اى اذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين واذا عاقبتم
قتلتم وقال بعضهم بطشتم اخذتم بالظلم والاعتداء والاستطالة رحمه الله وقال ابو معاذ وكل بناء مصنعة
وفى حرف حفصة وتبنون مصانع كانكم خالدون والاية العلم وقال بعضهم الريع ما استقبل الطريق من الجبال
والظراب وقال قتادة كل نشز فى الارض وقال محمد بن اسحق انهم كانوا اذا سافروا فلا يهتدون الا بالنجوم فبنوا
القصور الطوال العشاء علما بكل طريق يهتدون بها فى طرقهم وقال بعضهم مصانع اى مجالس ومساكن لعلكم تخلدون
ما بقيت مصانعكم والجبار هو الذى يضرب ويقتل بلا حق بلا خوف تبعة فى العاقبة وقوله فاتقوا الله
واطيعون قد ذكرنا وقوله واتقوا الذى امدكم بما تعلمون امدكم قيل اعطاكم وهو من المدد اى اعطاكم النعم تباعا
واحدة بعد واحدة لا تنقطع ثم هو يحتمل وجهين احدهما اتقوا كفران الذى اعطاكم النعم فلا توجهوا شكرها
الى من لم ينعم عليكم ولم يمدها لكم وانتم تعلمون وهو عبادتهم الاصنام التى لا يقدرون على اعطاء شىء من النعم والثانى
اتقوا نقمة الذى اعطاكم هذه النعم فان الذى قدر على انشائها قدر على الانتقام منكم وعلى التاويل الاول اتقوا كفرانها
فان الذى قدر على اعطائها قدر على صرفها عنكم على هذين الوجهين والله اعلم ثم ذكر الذى امدهم من النعم
فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون هذا وغير مما لا يحصى انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال
بعضهم انى اخاف اى اعلم ان ينزل بكم عذاب يوم عظيم وقال بعضهم الخوف ههنا هو الخوف نفسه لانه كان
يرجو الايمان منهم بعد فقال انى اخاف عليكم العذاب ان دمتم على هذا فقالوا عند ذلك جوابا له سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين الوعظ هو الاخبار عن عواقب الامور من ترغيب وترهيب اى سواء علينا خوفتنا العذاب او لم تخوفنا
لا نصدقك ولا نجيبك الى ما تدعونا اليه ثم قالوا ان هذا الا خلق الاولين قيل فيه بوجوه احدها اى ما هذا الذى
نحن عليه الا دين الاولين وما اتيتنا انت وتدعونا اليه هو حادث بديع والخلق يجوز ان يكنى به عن الدين كقوله
لا تبديل لخلق الله اى لدين الله وقال بعضهم قوله ان هذا اى ما هذا الذى تقول له الا كذب الاولين واختلاقهم
اى تكذب وتختلق كما اختلق الذين كانوا من قبلك من الرسل كقوله ما هذا الا اساطير الاولين وقالوا هكذا كانت فان كان
على هذا فيكون قوله فكذبت عاد المرسلين هذا لانهم كذبوا الرسل جميعا وقال بعضهم قوله ان هذا الا خلق الاولين
قالوا هكذا كان الناس قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقال بعضهم الوعظ هو النهى
كقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اى ينهيكم وقوله وما نحن بمعذبين عليه على ما نزعم وتخبر كما يعذب
الاباء وقوله فكذبوه فاهلكناهم قيل اهلكوا بالريح كقوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الاية وقوله ان
ان فى ذلك لاية قد ذكرناه وقال ابو عوسجة والقتبى خلق الاولين اى اختلاقهم وكذبهم يقال خلقت الحديث
واختلقته اذا افتعلته قال الفراء والعرب تقول للخرافات احاديث الخلق قال ومن قرا خلق الاولين بضم الخاء
اراد عادتهم وشانهم وقوله كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون قد ذكرنا تاويله فيما تقدم
انى لكم رسول امين اى كنت امينا قبل ذلك فكيف تتهموننى اليوم ويقال امين على الرسالة ناصح لكم وقد ذكرنا تاويله
الى قوله ان اجرى الا على رب العالمين وقوله اتتركون فيما ههنا امنين يخرج على وجهين احدهما اتتركون
هذا وان خرج على الاستفهام فكانه قال على الاخبار ولا تتركون فيما ذكر امنين والثانى اتتركون اى تظنون ان تتركوا
فيما ههنا امنين اى لا تظنوا اى تتركوا فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم قال بعضهم الهضيم المنهشم
وقال بعضهم الذى ارطب بعضه وهو الذى يسمى المذنب وعن ابن عباس قال هو الذى قد ارطب واسترخى وهو الذى
وعن الحسن الذى ليس له نوى وقال بعضهم هو من الرطب الهضيم وهو الذى ينقطع لينه ومن اليابس الهشيم يتكسر
ليبوسته وقال القتبى والهضيم الطلع قبل ان ينشق عنه القشر وينفتح وقال ابو عوسجة الهضيم الذى لا شوك فيه
ولا مشقة وقال بعضهم الهضيم هو الذى يتراكم بعضه بعضا ويكون فوق بعض ولو قيل ان الهضيم هو الهنى المرى
الذى لا داء فيه ولا مشقة يهضم كل ما فيه داء ومرض ولذلك سمى الهاضوم هاضوما وهو الذى يهنئ الطعام

ويهضمه

ويهضمه والله اعلم وقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بالالف وفرهين بغير الف فارهين اى حاذقين
مجيدين اى لهم حذاقة وبصر فى نحت البيوت فى الجبال يقال فاره فى امر كذا اى حاذق وفرهين اشرين بطرين
اى فرحين قال القتبى والفرح قد يكون السرور ويكون الاشر ومنه قول الله تعالى ان الله لا يحب الفرحين اى الاشرين
وقال ومن قراها فارهين بالالف فهى لغة اخرى يقال فره وفاره كما يقال فرح وفارح ويقال فارهين حاذقين
وقال ابو عوسجة فارهين وفرهين اى مسرورين ويقال فره يفره فرها فهو فره وفاره وقوله فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين اى لا تطيعوا امر من ظهر لكم منه الاسراف والفساد ولكن اطيعوا امرى اذ لم يظهر لكم منى
اسراف ولا فساد ولا تطيعوا الذين تعلمون انهم يفسدون فى الارض ولا يصلحون او ان يكون قوله ولا تطيعوا امر
المسرفين مؤخرا عن قوله ما انت الا بشر مثلنا يقول لهم صالح تتركون طاعتى والاجابة لى لانى بشر مثلكم فلا
فلا تطيعوا اذا بشرا هو دونى وهم الذين ظهر لكم منهم الفساد والاسراف ولم يظهر لكم منى شىء من ذلك يخبر
عن سفههم وقلة تمييزهم حيث تركوا اتباع الرسل وطاعتهم لانهم بشر ادونهم فى كل شىء ثم اجابوا صالحا
ولا تطيعوا امر المسرفين فقالوا انما انت من المسحرين اختلف فيه قال بعضهم يقولون انما انت سوقة مثلنا لست
بافضلنا وانما نتبع نحن الملوك وذوى ثروة وانت لست بملك ولا ذى ثروة فيهم والله اعلم طعنوا صالحا كما طعن
كفار مكة رسول الله حيث قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقال بعضهم يقولون
انت بشر مثلنا فى المنزلة لا تفضلنا بشىء لست بملك ولا رسول فات باية ان كنت من الصادقين يقولوا انت بشر
بانك رسول فنتبعك كما اطعنا اولئك وقال القتبى انما انت من المسحرين ممن له سحر والسحر الرئة واسحار جميع
وقال بعضهم من المسحورين لكنه عند الكثرة يشدد والله ثم قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ذكر
اهل التاويل ان الماء ينقسم بينهم كان يوم لهم ويوم للناقة استدلوا بقوله ولكم شرب يوم معلوم فلما كان يوم لهم
معلوم كان يومها معلوم لكن ليس فى الاية دلالة ان الامر ما وصفوا ولكن فى الاية ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر
وظاهره ان الماء بينهم بالقسمة لا الشرب وقوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم جائز ان يكون الماء بينهم بعضه للناقة
وبعضه لهم ثم لهم يوم معلوم ليس للناقة فى ذلك اليوم شىء والله اعلم وقد ذكرنا ان هذه الانباء انما ذكرت
فى كتبهم حجة لرسول الله فلا يزاد على ما ذكر فى الكتاب مخافة ان يذهب حجته عليهم اعنى اهل الكتاب لئلا يكذبوا
رسول الله فيما يخبر من الانباء التى فى كتبهم وقوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا
نادمين يحتمل قوله اصبحوا نادمين اذا اهلكوا والا لو ندموا على صنيعهم وتابوا قبل ان يهلكوا العقبان لهم
وقوله فاخذهم العذاب كل اية اتاهم الرسل على اثر السؤال فكذبوها اخذهم العذاب فاهلكوا وقوله ان فى ذلك
لاية قد ذكرنا وقوله كذبت قوم لوط المرسلين قد ذكرنا لتانيث على ضمار جماعة كانه قال كذبت جماعة
قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون الى قوله العالمين قد ذكرناه فيما تقدم وقوله اتاتون الذكران
من العالمين وقال فى اية اخرى ائنكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين وقوله وتذرون ما خلق لكم
ربكم من ازواجكم اى وتذرون ما جعل الله ذلك طلبا لابقاء هذا النسل لانه لم يجعل النساء لهم لقضاء الشهوة
خاصة وانما جعل لهم الازواج لابقاء هذا النسل ودوامه فيعيرهم لوط بتركهم اتيان النساء لما فى ذلك انقطاع
ما جعلن هن له وهو ابقاء النسل واشتغالهم بالرجال وليس فى ذلك ابقاء النسل والله اعلم معنى قوله وتذرون
ما خلق لكم ربكم من ازواجكم اى انما خلق لبقاء النسل لا لقضاء الشهوة خاصة لكن جعل فيهم ومكن قضاء الشهوة
ليرغبهم على ذلك ليبقى هذا النسل الى يوم القيمة والا لو لم يجعل ذلك فيهم لعلهم لا يتكلفون ذلك ولا يتحملون
هذه المؤن التى يتكلفون حملها لذلك وفى الاية دلالة ان المراة هى المملوكة عليها دون الزوج والزوج هو المالك
عليها حيث قال وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم وقال فى اية اخرى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا الاية
اخبر انه خلق النساء لنا لا انه خلقنا لهن وفى ذلك حجة لاصحابنا فى قولهم ان المسلم اذا تزوج نصرانية بشهادة

السوقة خلاف الملك
ربه

نصر اثنين جاز النكاح لانه هو المتملك عليها النكاح وهي المملوكة والله اعلم وقوله بل انتم قوم عادون اي بل انتم
قوم معتدا وزون حد الذي حد لكم او عادون حقه الذي له عليكم او عادون وقوله قالوا لئن لم تنته
يا لوط لتكونن من المخرجين ذكر لانتهاء ولم يبين مماذا الجايز ان يكونوا قالوا لئن لم تنته يا لوط من تعييرك الذي تعيرنا به
لتكونن من المخرجين حيث قال ماسبقكم الاية وقوله وتذرون ماخلق لكم ربكم من ازواجكم ويحتمل لئن لم تنته
من دعائك الذي تدعونا اليه لتكونن كذا وقوله لتكونن من المخرجين يحتمل نفس الاخراج اي نخرجك من القرية
ومن بيننا وجايز ان يكون اراد بالاخراج اخراجا بالقتل كقول قوم نوح حيث قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن
من المرجومين وهو اشبه ثم قال لوط اني لعملكم من القالين اي من المبغضين اي كيف توعدوني بالاخراج واني لعملكم
الذي تعملون من المبغضين اكره المقام فيكم وابغض رؤية اعمالكم التي تعملون فكيف توعدوني بالاخراج ثم دعا
فقال رب نجني واهلي مما يعملون هذا يحتمل وجهين احدهما رب نجني واهلي من عذاب ما يعملون وجايز ان يكون
رب نجني واهلي من عمل ما يعملون من الخبايث كقول ابراهيم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام او ان يقول رب نجني
واهلي عن رؤية ما يعملون ومعاينته ثم قال فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين قد ذكرنا هذا فيما تقدم
وقوله وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين يحتمل ان يكون امطر عليهم الحجارة بعد ما قلبهم ظهرا لبطن وبطنا
لظهر كقوله فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة وجايز ان يكون جعل عاليها سافلها بما امطر عليهم من الحجارة
وجايز ان يكون جعل القريات ومن فيها عاليها سافلها وامطر على من كان غايبا منهم الحجارة قال ابو عوسجة والقتبي
من القالين اي من المبغضين يقال قليت الرجل اذا ابغضته ومن ذلك قوله ما ودعك ربك وما قلى والغابر
الباقي وقوله كذب اصحاب الايكة المرسلين قال بعضهم هي شجرة نسبوا اليها وقال بعضهم الايكة الغيضة اذ قال لهم
الا تتقون قال بعض اهل التاويل وانما لم يقل هاهنا في شعيب اخوهم لان شعيبا لم يكن من نسلهم اعني من نسل
اصحاب الايكة لذلك لم يقل اذ قال لهم اخوهم شعيب وقال في سورة هود حيث قال والى مدين اخاهم شعيبا لانه
كان من نسل اهل مدين ويقولون ان شعيبا كان بعث الى اهل مدين وهو كان منهم والى اصحاب الايكة وهو لم يكن
منهم لذلك قال ثم اخاهم ولم يقل هاهنا لكن ليس فيما لم يقل انه اخوهم ما يدل انه لم يكن من نسلهم ولا من نسبهم
لان جميع اولاد آدم اخوة اذ يسمى جميع البشر بنوه فعلى ذلك اولاده اخوة واخوات ثم لا ندري ان مدين غير الايكة او
والايكة غير المدين فبعث شعيبا اليهم جميعا او هما واحد نسبوا الى مدين والى الايكة مرة والى مدين ثانيا والله اعلم
بذلك وقال القتبي الايكة الغيضة وجمعها ايك وقال ابو عوسجة الايكة شجرة والايك جمع ايكة وقال لا اعرف ليكة
بلا الف وكذلك قال ابو عبيدة وقال ابو زيد اصحاب ليكة اصحاب بادية والله اعلم وقوله اوفوا الكيل ولا تكونوا
من المخسرين وكذلك قال لاهل مدين في سورة ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ذكر فيهما جميعا ايفاء الكيل فلسنا ندري انه قد ظهر فيهما جميعا نقصان الكيل والوزن فامرهما بايفاء
ذلك او كانت القصة واحدة فذكر فيهما ذلك ثم في قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم جواز الاستدلال من جهات
احدهما وقوع المبيع بملك المشتري وان لم يقبضه المشتري والثاني جواز بيع الجزء من الكيلي والوزني شايعا من الكل
لانه قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم اضاف الاشياء الى الناس ونسبها اليها فلولا ان ذلك ملك لهم والا لم يكن
اشياء هؤلاء اذ لا يخلو ذلك اما ان كان ثمنا او كان مبيعا فكيف ما كان فهو موصوف بالملك لهم دون الذين
عليهم ايفاء ذلك وقوله اوفوا الكيل كانه قال اوفوا الكيل والوزن فيما عليكم ايفاؤه ولا تستوفوا من الناس
اكثر مما لكم عليهم وزنوا بالقسطاس المستقيم قال بعضهم العدل اي زنوا الناس حقوقهم بالعدل ولا تنقصوها
وقال بعضهم القسطاس هو القبان وهو الميزان وقوله المستقيم المستوي كانه قال وزنوا بالميزان المستوي
لا تجعلوا احدى الكفتين اثقل من الاخرى كانهم يجعلون الكفة التي يوفون بها حقوق الناس اثقل والكفة التي يستوفون
من الناس اخف فامرهم ان يسووا الكفتين جميعا وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تفسدوا فيها وقوله

واتقوا الذي

واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين اي اتقوا نقمة الذي خلقكم وخلق الجبلة الاولين انه كيف عذبهم وانتقم
منهم بظلمهم والجبلة هي الخليقة يقال جبل اي خلق قالوا انما انت من المسحرين قال بعضهم هو الذي سحر مرة
بعد مرة فعلى هذا التاويل يكون انما انت من المسحرين لكن التشديد للتكثير قال بعضهم انما انت مخلوق وبشر
مثلنا وقد ذكرنا وقوله وان نظنك لمن الكاذبين هذا يدل انهم انما قالوا ذلك ظنا منهم لا يقينا وحقا فاسقط
علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين سالوا شعيبا العذاب تعنتا كما سال غيرهم امطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم فنزل بهم العذاب من حيث سالوا من السماء وعن الحسن قال سلط الله الحر على قوم شعيب سبعة ايام
ولياليهن حتى كانوا لا ينتفعون بظل بيت ولا ببرد ماء ثم رفعت لهم سحابة في البرية فوجدوا تحتها الروح فجعل
بعضهم يدعو بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها اشعلها الله نارا فاحرقتهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة الاية
وقال بعضهم سقطت عليهم تلك السحابة فقتلتهم والظلة قال ابو عوسجة حر شديد وقال القتبي كسفا اي قطعة
من السماء والكسف القطع وقال بعضهم اصابهم حر شديد وغم في بيوتهم فخرجوا يلتمسون الروح قبله فلما غشيتهم
تلك السحابة اخذتهم الرجفة فاصبحوا جاثمين وقال بعضهم ظلل العذاب اياهم وبعضه قريب من بعض وعن ابن عباس قريبا
من هذا قال بعث الله عليهم وهدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلما احسوا بالموت بعث لهم سحابة فاظلتهم فتنادوا
تحتها فلما اجتمعوا سقطت عليهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة والظلة السحابة وهو قريب من الاول
وقول شعيب ربي اعلم بما تعملون من نقصان الكيل وغيره من صنيعهم وقوله فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
كذبوه فيما اخبر من نزول العذاب بهم او كذبوه فيما ادعى من الرسالة وما سوى ذلك هو مذكور فيما تقدم وقوله
وانه لتنزيل رب العالمين وانه اي القرآن لتنزيل رب العالمين اي نزله رب العالمين نزل به الروح الامين
كقوله انما يعلمه بشر وقوله نزل به الروح الامين على قلبك قوله على قلبك يحتمل وجوها احدها ان جبريل لما نزل
من القرآن انما ينزله على قلبه لا يحجبه شيء عن قلبه والثاني على قلبك اي لا يذهب منه بل الله يجمعه في قلبك كقوله
لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه او ان يكون قوله على قلبك اي يثبته على قلبك لقولهم لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك وان يكون قال ذلك لما انتهى الى قلبه وحفظه غاية حفظه
قال على قلبك كانه لقي في قلبه وكذلك يقال وقوله لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين كانه والله اعلم
على التقديم والتاخير يخرج اي نزل به الروح الامين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من المنذرين والباطنية
يقولون انزله على رسوله كالخيال غير موصوف بلسان ثم ان رسوله اداه بلسانه الوحي المبين اي بينه لكنه ليس كذا
لانه قال في اية اخرى انا انزلناه قرانا عربيا فيبطل قولهم انه اداه بلسانه عربيا من غير ان انزله كذلك ولو كان
على ما يقول الباطنية انه لم ينزله بهذا اللسان اعني لسان العربي وان الرسول هو الذي صيره بهذا اللسان واداه به لكان
لا يصير جوابا لقولهم انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ولا حجة عليهم فاذ كان
هذا جوابا لقولهم وحجة عليهم دل انه انما انزل عليه عربيا وان تاويل الاية ما ذكرنا على التقديم والتاخير وقوله
وانه لفي زبر الاولين قال بعض اهل التاويل وانه اي بعث محمد وصفته كان في كتب الاولين وجايز ان يكون قوله
وانه اي هذا القرآن كان ذكره في كتب الاولين انه ينزل على رسول الله محمد لا ان عينه كان فيها او ان كان بعضه في زبر
الاولين لا الكل والله اعلم وقوله اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل قال بعض اهل التاويل اولم يكن لهم
محمد اية ان علماء بني اسرائيل كانوا يعلمون انهم يجدونه مكتوبا عندهم في الكتب لكن تاويله اولم يكفهم علم
علماء بني اسرائيل اية انه رسول ثم الاية تكون بوجهين احدهما ما ذكر ان اهل مكة ارسلوا الى اليهود بالمدينة
يسالونهم عن رسول الله فاخبروهم عنه انه يخرج في وقت كذا وان نعته كذا وهذا وقت خروجه والثاني
يقول اولم يكفهم اية اسلام علماء بني اسرائيل وفقهائهم انه رسول نحو ابن سلام وغيره اذ كانوا لا يسلمون الا عن علم
وثبت انه رسول اذ كان في اسلامهم ذهاب ماكلتهم ورياستهم والله اعلم وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه

عليهم ما كانوا به مؤمنين قال بعضهم نزلناه على رجل منهم عربي فلم يؤمنوا به فكيف لو نزلنا على اعجمي وقال بعضهم
لو نزلنا هذا القرآن على بعض الاعجمين فقراه عليهم يقول اذاً لكانوا شر الناس فيهم ما يفهمون وما دروا ما هو وهو قريب
الاول وقال بعضهم لو نزلناه على بعض الاعجمين من الدواب فكلمهم هذا ما صدقوا يذكر سفههم وتعنتهم ويحتمل ان
ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي لو نزلنا اعجميا فلم يفهموه لقالوا لولا فصلت آياته أاعجمي وعربي ولكن نزلناه عربيا
لئلا يقولوا ذلك والله اعلم **وقوله** كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال بعضهم هكذا سلكنا الكفر
والتكذيب وادخلناه في قلوب المجرمين وقال بعضهم كذلك سلكناه يعني البيان والحجج في قلوب المجرمين حتى عقلوه
ولزمتهم الحجة لكنهم تركوا الايمان به تعنتا وعنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم حين لا ينفعهم ايمانهم
لان ايمانهم عند معاينة العذاب ايمان دفع واضطراب لا ايمان اختيار وهو كما قال فلما راوا باسنا قالوا
امنا بالله وحده لانه ايمان دفع العذاب عن انفسهم حين خرج الفسهم من بين ايديهم وايمان اضطرار لا ايمان
اختيار لذلك لم ينفعهم **وقوله** فيأتيهم بغتة اي يأتيهم العذاب فجأة وهم لا يشعرون لانه عز وجل اذ علم منهم
انهم لا يؤمنون ابداً فانزل عليهم العذاب بغتة ولو علم منهم انهم يؤمنون حقيقة عند معاينة العذاب لانزل
عليهم العذاب معاينة مجاهرة ليؤمنوا فيقبل منهم ذلك ودفع العذاب عنهم كما قبل ايمان قوم يونس حيث قال
فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا قبل منهم الايمان
عند معاينتهم العذاب لما علم منهم انهم يحققون الايمان في ذلك واما من كان همتهم العناد والمكابرة فهم
لا يحققون الايمان **وقوله** فيقولوا هل نحن منظرون لا يزالون يطلبون النظرة والرجعة الى الدنيا وتاخير العذاب
عن انفسهم اذا نزل بهم كقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب وكقوله يا ليتنا نرد فيتمنون الرجوع والنظرة لكن
لا يجابون الى ذلك **وقوله** افبعذابنا يستعجلون قال اهل التاويل هذا جواب لهم لما اوعدهم النبي العذاب
ينزل بهم متى العذاب تكذيباً له واستهزاءً يقول الله عند ذلك افبعذابنا يستعجلون ولقولهم متى هذا
الوعد وقولهم امطر علينا حجارة ومثله والا ليس هذا في الظاهر جوابا لقوله فيقولوا هل نحن منظرون وجواب
والله اعلم **وقوله** افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
يقول ما يغني تاخير العذاب عنهم وامهالهم عن وقت يمنعون من عذاب الله من شيء لا ينفعهم ذلك او ان يكونوا
سالوا العذاب في الظاهر واستمهلوا في الحقيقة فخرج قوله افرايت ان متعناهم سنين الآية جوابا لاستمهالهم او يكون
بعضهم استعجل العذاب واستمهل غيرهم فخرج هذا جواب من استمهل ثم خوفهم فقال وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون ذكرى يقول وما اهلكنا من قرية اهلاك استيصال وانتقام الا بعد الانذار واقامة الحجة والبيان ذكرى
اي موعظة وزجراً عما هم فيه او ذكرى يذكر ما لهم وما عليهم وما لبعضهم على بعض **وقوله** وما كنا ظالمين في تعذيبهم
اي لم نعذبهم بلا ذنب ولا جرم ولكن بعنادهم ومكابرتهم لان العذاب في الدنيا لا يكون لنفس الكفر ولكن لعناد
ومكابرة وانما عذاب الكفر في الآخرة وعلى ذلك يخرج قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اي ما كنا معذبين في الدنيا
تعذيب انتقام حتى نبعث رسولا فيظهر منهم العناد والمكابرة فعند ذلك يعذبهم الله وقال بعضهم وما كنا ظالمين
اي ما كنا نعذبهم الا من بعد البيان والحجة وقطع العذر والله اعلم وفي مصحف ابي وما اهلكنا من قرية الا بذنوب اهلها
وقوله وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم قال بعضهم ما تنزلت بالقرآن الشياطين فذلك جواب لقول
اهل مكة ان محمدا كاهن معه رئي هو ياتيه بما يقول يعنون بالرئي الشيطان وكانت الشياطين من قبل يقعدون
من السماء مقاعد يستمعون منها الوحي من الملائكة فينزلون به على الكهان فمن بين مصيب ومخطئ فقالوا لمحمد
كذلك فاكذبهم الله تعالى في مقالتهم تلك فقال وما تنزلت به اي بالقرآن الشياطين وما ينبغي لهم ان ينزلوا
بالقرآن وما كانوا يستطيعون اي قد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب واخبر انهم عن السمع لمعزولون وقوله
وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون دلالة ان من اراد ان يجعل القرآن حجة لغير الذي جعل هو حجة

لم يقدر

584

لم يقدر على النطق به ولا التلاوة نحو من ياتي افكاً من افاق الارض لم يثبته اليهم هذا القرآن فادعى لنفسه النبوة
وجعل يحتج بهذا القرآن فانه لا يقدر على تلاوته ولا النطق لانه انما جعل حجة وبرهانا للمحق لا للمبطل حيث قال
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم ان ينزلوا وما يستطيعون اخبر انهم لا يستطيعون ذلك وانهم معزولون
عن ذلك وقد ذكرنا وجه النهي لرسول الله في قوله فلا تدع مع الله الها آخر وامثاله والله اعلم **وقوله** وانذر
عشيرتك الاقربين روي عن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الآية وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قريشا فخص وعم فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك من الله نفعا ولا ضرا
يا معشر بني قصي انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم من الله ضرا ولا نفعا وقال يا معشر بني عبد مناف
انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم من الله ضرا ولا نفعا وكذلك قال لبني عبد المطلب وقال لفاطمة ابنته
يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني لا املك لك من الله ضرا ولا نفعا ولكن لك رحم وسابلها ببلالها
اي سا صلها وفي بعض الاخبار انه قال عند نزول هذه الآية اني ارسلت الى الناس عامة وارسلت اليكم يا بني هاشم
وبني عبد المطلب خاصة وهم الاقربون وهو اخوان ابناء عبد مناف وعن الحسن قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جمع اهل بيته قبل موته فقال الا ان لي عملي ولكم عملكم الا اني لا املك لكم من الله شيئا الا ان اوليائي
منكم المتقون الا لا اعرفنكم يوم القيامة تاتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم ويأتي الناس بالآخرة وعن قتادة
ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات ليلة على الصفا يفخذ عشيرته فخذا فخذا يدعوهم الى الله قال
في ذلك المشركون لبات هذا الرجل يهوت منذ الليلة يقول يصيح فانزل الله في ذلك قل انما اعظكم بواحدة
ان تقوموا لله مثنى وفرادى الآية ومعنى التخصيص في انذار عشيرته في هذه الآية يحتمل وجهين وان كانوا داخلين
في جملة انذار الناس جميعا في قوله نذيرا للعالمين اذ هم من العالمين احدهما جائز ان يكونوا هم يطمعون شفاعة
رسول الله يوم القيامة بقرابته واتصالهم به وان لم يطيعوه ولم يجيبوه الى ما يدعوهم اليه على ما روي عنه
انه قال كل حسب وسبب منقطع يومئذ الا نسبي وسببي فيشبه ان يكونوا يطمعون شفاعته يومئذ
وان خالفوه بحق القرابة والوصلة مما لا يطمع ذلك غيرهم من الناس الا بالطاعة والاجابة فامر ان ينذرهم
لئلا يتكلوا الى شفاعته ولكن احتالوا حيلتهم بالطاعة له والعمل لما يأمر وهو ما ذكر في الاخبار التي ذكرنا اني
لا املك لكم من الله نفعا ولا ضرا الا ان اوليائي منكم المتقون اخبر ان لا ولاية لهم اذا لم يتقوا مخالفته ولم يطيعوه
والثاني **وقوله** واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قيل الن جانبك لمن اتبعك من المؤمنين
كانه امر رسوله ان يتواضع لهم ويرحم وقال في الوالدين واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال في المؤمنين بعضهم
لبعض فيما بينهم رحماء بينهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ذكر الذل فيما بينهم والرحمة ولم يذكر في رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذل والله اعلم لان الذل كانه يرجع الى الخضوع واستخدام بعضهم بعضا وذلك في رسول الله
بعيد لا يحتمل ان يامر بالخدمة لهم وجايز ان يمتحن بعضهم بخدمة بعض والله اعلم **وقوله** فان عصوك فقل اني بريء
مما تعملون قالوا انه راجع الى قوله وانذر عشيرتك الاقربين وموصول به كانه قال وانذر عشيرتك الاقربين
فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون قد كان رسول الله بريئا مما كان يعمل اولئك الكفرة لكنه يحتمل ان يكون اولئك
لما انذرهم رسول الله طلبوا منه ان يطيعهم في بعض امورهم ويشاركهم في بعض اعمالهم حتى يطيعوا اولئك له
في بعض ما يامرهم ويدعوهم اليه ويشاركوه في بعض اعماله فقال عند ذلك اني بريء مما تعملون يتبرأ مما يدعونه
اليه وطلبوا منه مساعدته اياهم والاغماض عما يعملون فقال وتوكل على العزيز الرحيم كانه آمنه عن شرهم
وكيدهم فقال توكل على العزيز الرحيم ولا تخف مخالفتهم اياك فيما تدعوهم اليه او امره ان يكل نفسه اليه
ويفوض جميع اموره في كل وقت فقال وتوكل على العزيز الرحيم العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه والشديد
باعدائه الرحيم باوليائه او ذكر العزيز لانه به يعز من يعز وهو رحم من يرحم من لم يعز هو لا يكون عزيزا ومن لم يرحمه

هو لا يمتنع ترحم عليه والعزيز هو الذي لا يعجزه شئ **وقوله** الذي يريك حين تقوم في ظلمة الليل وحدك
قايما وجالسا وعلى حالاتك يراك في تقلبك ايضا في الساجدين في الصلوة مع الناس في الجماعة وبعضهم يقول
كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من امامه لكن هذا ليس تأويل الاية الا كلام قاله من ذات نفسه ولو كان
ما ذكر لكان يقول يريك برفع الياء لا بالنصب وروى في بعض الاخبار انه قال اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع
ولا بالسجود ولا بالقيام فاني اراكم خلفي كما اراكم امامي والذي نفسي بيده لو رايتم ما رايت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا
يا رسول الله وما رايت قال رايت الجنة والنار وقال بعضهم يريك حين تقوم الى الصلوة فتصلي وحدك ويراك
مع المصلين في جماعة وهو مثل الاول وفي حرف حفصة وتقلب وجهك في الساجدين انه هو السميع العليم السميع
لمقالتهم مما يخفون ويسرون وما يعلنون والعليم ايضا بما يرم وخفياتهم والسميع المجيب لمن دعاه العليم باعمالهم
وافعالهم **وقوله** هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم خرج هذا والله اعلم وما تقدم
ذكره من الايات جوابا لقول كان من رؤساء الكفرة وقادتهم لا يزالون يلبسون على اتباعهم والسفلة امر
رسول الله وما ينزل فقالوا مرة اساطير الاولين ومرة ما هذا الا افك مفترى وانه شاعر وانه ساحر
ومرة قالوا انما يعلمه بشر وامثال هذا فجايز ان كان منهم ايضا قول ان الشياطين هم الذين يتنزلون بهذا القرآن
عليه على ما ذكر انهم قالوا انما يجئ به الرآى وهو الشيطان فيلقيه على لسانه فقال عند ذلك جوابا لهم وما تنزلت به
الشياطين وما ينبغي لهم الاية ولكن انما يتنزل به جبريل حيث قال قل نزله روح القدس الاية ثم اخبر عن الشياطين
انهم على من ينزلون حيث قال هل انبئكم على من تنزل الشياطين فقال تنزل على كل افاك اثيم ذكر هذا لما عرفوا هم
ان الشياطين لا يتنزلون الا بكذب وباطل فهي لا يتنزل الا على كذاب افاك وكان
معلوما عندهم ان محمدا لم يكذب قط ولا افك ابدا اذ لم ياخذوه بكذب فيما بينهم قط فيقول والله اعلم كيف يتنزل
عليه الشياطين وهو معروف عندكم انه ليس بكذاب ولا افاك وقد تعلمون ان الشياطين لا يتنزلون الا بكذب
وباطل على هذا يخرج تاويل هذه الايات والا على الابتداء لا يحتمل ان يكون ثم اخبر عن صنيع الشياطين فقال يلقون
السمع واكثرهم كاذبون وقال بعضهم يلقي الشياطين باذانهم الى السمع في السماء لكلام الملائكة وذلك ان الله اذا اراد امرا
في الارض علم به اهل السماء من الملائكة فتكلموا به فيسمع الشياطين ذلك فيخبرون به الكهنة فيخبر الكهنة اهل
الارض بذلك فيقولون انه يكون في الارض كذا في وقت كذا ثم قال واكثرهم كاذبون على هذا التاويل اي اكثر الشياطين
كاذبون فيما يخبرون الكهنة من اخبار السماء وقال بعضهم ان الجن كانوا يصعدون الى السماء فيسترقون اسماعهم
الى السماء فيسمعون من اخبار اهلها ثم ينزلون به على الكهنة ويسمع الكهنة ايضا من اخبار الرسل ويخلطون ما سمعوا
من الرسل من الحق بما سمعوا من الشياطين من الباطل فيحدثون الناس بذلك فما كان من الرسل حقا وما كان من الشياطين
فيكون باطلا فذلك تاويل قوله واكثرهم كاذبون اي اكثر الكهنة كاذبون فيما يخبرون الناس مما سمعوا من الشياطين
وقال بعضهم كانوا يسمعون من الجن حقا لكنهم يخلطون من عند انفسهم كذبا فيحدثون به الناس حتى اذا كان الناس
يتركون ما يسمعون منهم من التكذيب حدثوهم بذلك الحق الذي نزل به من السماء فيراجعوا بهم ويصدقونهم فذلك
قول الله واكثرهم كاذبون اي اكثر قولهم كذب والله اعلم بذلك **وقوله** والشعراء يتبعهم الغاوون قال بعضهم
رجلان شاعران كانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما من الانصار والاخر من قوم اخرين فهجوا رسول الله
واصحابه ومع كل واحد منهما غواة من قومه فذلك قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال فاستاذن شعراء المسلمين النبي
ان يقتصوا من المشركين فاذن لهم النبي فهجوا المشركين ومدحوا النبي وذلك قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
اخبر في الاول والشعراء يتبعهم الغاوون فاستثنى شعراء المسلمين بقوله الا الذين امنوا وقال بعضهم الشعراء عصاة الجن
يتبعهم غواة الانس كقوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض وقال بعضهم هم الكفار يتبعون ضلال الجن
والانس وهو مثل الاول **وقوله** الم تر انهم في كل واد يهيمون قال بعضهم في كل فن ياخذون اي يمدحون قوما بباطل

المسلمين ٤

ويذمون قوما بباطل وانهم يقولون ما لا يفعلون وانهم يصفون ما لا يعلمون وكذلك ذكر في بعض الحروف
انه كذلك وقال بعضهم انهم في كل لغو وباطل يخوضون وانهم يقولون ما لا يفعلون يقول في اكثر قولهم يكذبون
وقال بعضهم وانهم يقولون ما لا يفعلون اي يقولون فعلنا كذا وفعلنا كذا وهم كذبة لم يفعلوا ذلك وقال ابو عوسجة
يهيمون اي يذهبون ويمضون ويركبون كل واد هام يهيم هيما فهو هايم ويقال الهايم العطشان يقول هام يهيم
هيما وهيمان عطشان وقوم هيم والهايم الوامق المحب الذي هو عطشان الى لقاء من يحب والتهويم النوم يقال
هوم يهوم تهويما وقوله فشاربون شرب الهيم هم العطاش والواحد هيمان وقال القتبي في كل واد يهيمون اي في كل
واد من القول وفي كل مذهب يذهبون كما يذهب الهايم على وجهه **وقوله** الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا هذا الاستثناء يحتمل ان يكون من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون وهو ما ذكرنا انهم قال
اولئك الشعراء وهم القادة منهم نحن نقول بمثل ما اتى محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الشعر وانشدوه ويجتمع
اليهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبي واصحابه فاستثنى شعراء
المسلمين الذين قالوا الشعر وانشدوه في انتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات فانهم لا يتبعهم الغاوون او ان يكون الاستثناء من قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم
يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يهيمون في كل واد ويقولون ما يفعلون ولا يقولون
بل يذكرون الله كثيرا وينتصرون رسوله وانفسهم من بعد ما ظلموا فيكون الاستثناء في احد الشيئين من الايتين
وفي الاخر من الايمة والقادة فكان منهم قول سبق في ذلك حتى قال والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخر ما ذكر
اذ لا يحتمل على الابتداء دون قول كان منهم على ما ذكرنا في قوله وما تنزلت به الشياطين وقوله هل انبئكم على من تنزل
الشياطين الاية قد كان من اولئك الكفرة قول وطعن بان الشياطين هم الذين يتنزلون به عليه حتى خرج
جوابا لهم وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وان لم يذكر ذلك يظهر ذلك في الجواب ان كان منهم قول وطعن
وان لم يذكر ثم اوعدهم وقال وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون يحتمل في الاخرة في منقلب الظلمة وهي النار
اي يعلمون علم عيان يومئذ وان لم يعلموا ذلك في الدنيا علم استدلال لما تركوا النظر فيه او يعلمون ذلك
علم عيان في الاخرة وان علموا في الدنيا علم استدلال لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا والله اعلم بالصواب

سورة النمل مكية وايها تسعون وثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طس قد ذكرنا فيما تقدم تاويل الحروف المعجمة واقاويل الناس فيها وكذلك الايات قد ذكرنا
وقوله وكتاب مبين يحتمل قوله مبين اي بين واضح لان ابان قد يستعمل في موضع بان يقال بان وابان
ويحتمل وكتاب مبين اي يبين انه رسول من الله او يبين ما لله عليهم او ما لبعضهم على بعض او ما لهم وما عليهم
وقوله هدى وبشرى للمؤمنين قوله هدى يحتمل وجهين احدهما دعاء كقوله ولكل قوم هاد اي داع يدعو
الخلق الى توحيد الله فعلى ذلك يحتمل قوله هدى اي دعاء يدعوهم الى توحيد الله تعالى فان كان هذا فهو للناس
كافة والثاني جايز ان يريد بالهدى الهدى الذي هو نقيض الضلال وضده فهو للمؤمنين خاصة وان كان
اراد به البيان والدعاء فهو للكل **وقوله** هدى وبشرى للمؤمنين جميعا وعلى الدعاء يكون قوله وبشرى للمؤمنين
اي يدعوهم الى الايمان بالله وبرسوله فاذا امنوا به كان لهم بشرى ثم نعت المؤمنين ووصفهم فقال الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة يحتمل قوله يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اي يقرون بهما ويؤمنون لان من الناس
من كان يؤمن بالله وبرسوله لكنهم ابوا الايمان بالصلوة والزكوة كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة فخلوا سبيلهم
لا يحتمل انه يامرهم بحبسهم الى ان تمضي السنة فتجب الزكوة عليهم فيؤتون فحينئذ يخلون سبيلهم ولكن الامر

بحسبهم الان يقروا بهما ويؤمنوا فيخلون عند ذلك سبيلهم وكذلك قوله بالذين لا يؤتون الزكوة لا يؤتون
لا يقبلونهما ولا يقرون بهما ليس على فعل الايتاء فعلى ذلك الاول يحتمل هذا والثاني يحتمل الامرين جميعا القبول
والاقرار بهما والايتاء جميعا انما اذا قبلوهما واقروا بهما واعطوها فحينئذ يستوجبون هذه البشارة التي ذكرت
وقوله وهم بالآخرة هم يوقنون الايقان بالشئ هو العمل به من جهة الاستدلال والاجتهاد والاسباب التي
يستفاد بها العلم بالاشياء لا العلم الذاتي ولذلك لا يوصف الله على الايقان بالشئ ولا يقال يا موقن لانه عالم
بذاته لا بالاسباب وبالله التوفيق وقوله ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم يحتمل قوله زينا لهم
اعمالهم الاعمال التي لهم فيها بما ركب فيهم من الشهوات والاماني ويحتمل زينا لهم اعمالهم الاعمال التي هي عليهم عندنا
الخيرات والطاعات لكنهم ابوا ان يأتوا بها فالمعتزلة قالوا بهذا التأويل وابوا ان يقولوا بالاول ان يكون
من الله تزيين ما هم فيه من الشرك والكفر وانواع افعال الكفر اذا اضاف تزيين ذلك الى الشيطان حيث قال
وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وقال الشيطان سول لهم ونحو ذلك من الآيات فقالوا اضاف
الى الشيطان ولا يجوز ان يضاف الى الله ذلك بعينه فقالوا ان الله انما زين لهم اعمالهم التي عليهم من الايمان والخيرات
لا الاعمال التي هم فيها لكن عندنا يجوز اضافة تزيين اعمالهم التي هم فيها الى الله من جهة ما ركب فيهم من الشهوات
والاماني التي توافق طباعهم وانفسهم لان التزيين يقع بنفس الكفر وافعال الكفر نفسه ليس بمزين ولا مستحسن
انما هو شتم رب العالمين ولكن تزيينه واستحسانه هو موافقة ما يعمل من الاعمال طباعه والجهة التي تضاف
الى الشيطان من التزيين والاضلال غير الجهة التي تضاف الى الله اذ الجهة التي تضاف الى الشيطان هو دعاؤه
وتمنيته الى ما يوافق طباعهم فمن هذه الجهة يجوز اضافته الى الشيطان والجهة التي تضاف الى الله هو ما ركب فيهم
من الشهوات والاماني وجعل الطباع موافقها والا الصدق وجميع الخيرات انما يكون مزينا مستحسنا في العقل
للعاقبة والكفر وجميع المعاصي مستقبح في العقل للعاقبة اذ حمد احدهما واثيب على فعله وذم الآخر وعوقب
لسوء اختياره او ان يكون اضافة ذلك الى الله لما خلق افعالهم واعمالهم التي عملوها واخرجها من العدم الى الوجود
وهي من هذه الجهة فعله وهو يرد قولهم في ابائهم خلق افعال العباد وقوله فهم يعمهون قيل يترددون
واصل العمه الحيرة اي يتحيرون اولئك الذين لهم سوء العذاب اي لهم ما يسوءهم من العذاب في الآخرة
لاختيارهم سوء الاضلال في الدنيا وهم في الآخرة هم الاخسرون الاخسرون والخاسرون واحد وجائز ان يقال هم
الاخسرون للقادة منهم والرؤساء لانهم ضلوا بانفسهم واضلوا غيرهم هم اخسر من الاتباع كقوله ليحملوا
اوزارهم كاملة يوم القيامة وقوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم هذا يحتمل وجهين احدهما لتلقى القرآن
من الله على يدي رسوله وهو جبريل وجائز ان يكون حكيم عليم هو جبريل نفسه اي انك لتلقى القرآن من لدن جبريل
وهو حكيم يصنع الوحي والقرآن حيث امر بوضعه فيه اذ الحكيم هو المصيب في فعله الواضع للشئ موضعه وعليم بما امر به
وارسل وهو كذلك كان اذ يجوز ان يقال للمخلوق حكيم عليم الا ترى الى قول يوسف حيث قال اني حفيظ عليم
فعلى ذلك هذا جائز والاول اشبه اي انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم على يدي رسوله جبريل فانما ياخذه
من رسوله كانه ياخذ من عند مرسله اذ الرسول انما يؤدي كلام مرسله وقال ابو عوسجة وانك لتلقى القرآن يقال
تلقيته اخذته ولقيته وتلقيته واحد وكذلك قال القتبي لتلقى اي تأخذ وقال محمد بن اسحق وانك لتلقى القرآن
اي لتؤتى بالقرآن كقوله وما يلقاها الا الذين صبروا اي وما يؤتيها والله اعلم وقوله اذ قال موسى لاهله اني آنست
نارا قيل رأيت وابصرت سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس وقال في آية اخرى لعلي آتيكم منها بقبس او اجد
على النار هدى هذا يدل انه كان ضل الطريق على ما ذكره اهل التأويل وقال في آية اخرى اني آنست نارا لعلي آتيكم
منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون ذكر على التقديم والتاخير على اختلاف الالفاظ والحروف والقصة
واحدة والمعنى بذلك موسى لا غير فهذا يدل ان ليس على الناس تكلف حفظ الالفاظ والحروف بلا تقديم

ولا تاخير

ولا تاخير ولا تغيير بعد ان اصابوا المعنى المودع فيها اعني في الالفاظ وحفظوها من غير تغيير يدخل
في المعنى المودع اذ قصة موسى هذه وغيرها من قصص الانبياء صلوات الله عليهم ذكرت في الكتاب على التقديم
والتاخير على اختلاف الالفاظ والحروف في كثير من الاحكام في الشهادات والاخبار وغيرها انما عليهم اصابة
المعنى ثم قوله بشهاب قبس قال بعضهم الشهاب خشبة في طرفها نار والقبس النار وشهاب جميع ولا يسمى النار
قبسا الا ما يحمل من موضع الى موضع يقال قبست النار قبسا واقتبست وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقال بعضهم
القبس الجمر والشهاب النار الموقدة وهو قول ابي عبيدة وقال بعضهم الشهاب النور والشهاب الكوكب سمي شهابا
لضوئه ونوره وقال بعضهم بشهاب قبس اي شعلة من نار والجذوة كانها خشبة فيها نار وهو مثل الاول ودل
قوله لعلكم تصطلون على ان الوقت وقت البرد وايام الشتاء حيث ذكر الاصطلاء وهو الاستدفاء والله اعلم
وقوله فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها اضطربت اقاويل اهل التأويل في هذا صرف بعضهم
تأويله الى ما يؤديه الى سماجة وبعدا عن الحق والصواب وعمى لكن لو جاز ان يعبر ويكنى بحرف من عن غير مميز
وغير ذي فهم وعقل لاستقام التأويل فيه ولم يقع فيه شبهة فيجعل كانه قال ان بورك ما فيه النار
وما حولها ويكون عبارة عن المكان الذي فيه النار وما حولها من الامكنة اي بورك في ذلك المكان الذي فيه النار
وما حولها لانه قال له في آية اخرى انك بالواد المقدس طوى اي طوي فيه البركات وقال في آية باركنا حوله
اخبر عن بركة ذلك المكان فعلى ذلك لو جاز ان يعبر بحرف من عن غير المميز والفهم ويكنى به جاز صرف التأويل
الى ما ذكرنا من المكان او ان يقال بورك من في النار ومن حولها اي بورك ما في النار من النور وما حول ذلك وما يستنار به
ويستضاء وهو ما استفاد به من النبوة والرسالة هذا كله اذا جازت العبارة والكناية بحرف من عن غير ذي التمييز
والفهم فان جاز هذا الاستفهام ان يقال هذا او ان يكون التأويل منصرفا الى ما ذكر في حرف ابن مسعود وابي
على طرح حرف من وحرف في ذكر ان في حرفهما نودي ان بوركت النار ومن حولها وذلك جائز في اللغة ان يقال
بورك في فلان وبورك فلانا وبوركت وبورك فيك وكذلك ذكر عن الكسائي انه قال ذلك فان كان ما ذكر
عن ابن مسعود وابي ثابتا صحيحا لم يقع فيه شبهة ولا ريب وان لم يجز العبارة بحرف من عن غير التمييز فجائز ان يصرف
حرف من الى موسى فيكون كانه قال بورك في الذي اتى النار وهو موسى وبورك فيمن جعل له اقتباس النار فينصرف
تأويل من الى موسى وقد جعل له من البركة في تلك النار ما لا يحصى من استفادة النبوة والارشاد الى الطريق
والاصطلاء وغير ذلك والله اعلم بذلك وقوله وسبحان الله رب العالمين ذكر هذا والله اعلم تنزيها عن جميع
ما قاله بعض التأويل وتبرئة منه عن ذلك كله من نحو مقاتل ومن قال بمثل قوله مما يؤدي الى التشبيه وشبه
وقوله يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم اي الذي اعطاك ذلك الله العزيز الحكيم او يقول اي الذي جعل لك ذلك
الله العزيز الحكيم او ان يقول انه الذي اراك هذا واكرمك به انا الله العزيز الحكيم او ان يقول انه الذي اراك اي الذي
جعل لك ذلك الله العزيز الحكيم العزيز الذي لا يعجزه شئ الحكيم المصيب في فعله غير مخطئ او ان يقال عزيز لانه لا يذل
ابدا قط لانه عزيز بذاته الحكيم يضع كل شئ موضعه لا يخطئ قال ابو معاذ وقال مقاتل بن سليمان يا موسى انه يقول
ان النور الذي رأيت انا الله وهذا محال لا وجه له لانك لا تقول ان الذي رأيت انا الانسان رآه او لشئ آخر
ولكن تقول انا الذي رأيت ومحال ايضا قوله لما ذكر في حرف ابن مسعود نودي يا موسى لا تخف يكلمه الله ويخاطبه
ثم يقول ان النور الذي رأيت انا ومحال ايضا لقوله اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر قال الله فلما اتيها ولم يقل اتاه
ومحال ايضا ان يكون الله نفسه الا انك لا تقول بان الذي رأيت انا اخوك فقال قول مقاتل محال من اربعة اوجه
خلاف لظاهر الآية واصله ما ذكرنا فيما تقدم وقوله والق عصاك فلما رآها تهتز في الآية الامر بالقاء العصا
ولم يذكر انه القاها ولكن فيه اضمار الق عصاك فالقاها فلما رآها تهتز اي تتحرك كانها جان ثم ذكر اهل التأويل
ان الجان هي الحية الصغيرة ليست بعظيمة لكنه اخبر ان موسى خافها وولى مدبرا وموسى لا يحتمل ان يخاف من حية

صغيرة على الوصف الذى ذكر فكانها كانت عظيمة لكنها فى تحركها والتوائها كانها صغيرة اذ الحية العظيمة
الكبيرة لا تقدر على التحرك والالتواء كالصغيرة لذلك خافها موسى حتى نهاه الله عن ذلك وقال لا تخف
انى لا يخاف لدىّ المرسلون **وقوله** ولم يعقب قال بعضهم لم يرجع وقال بعضهم لم يلتفت وهو ماخوذ من العقب
والجان قال بعضهم من الجن والجان الحية ولا يكون الا من الجن وهو قول ابى عبيدة **وقوله** لا تخف انى لا يخاف
لدىّ المرسلون فان قيل كيف نهاه عن الخوف واخبر انه لا يخاف لديه المرسلون وقد مدح الله الملائكة وغيرهم
من الخلايق بالخوف من ربهم حيث قال يخافون ربهم من فوقهم وقال فى اية اخرى يدعون ربهم خوفا وطمعا
ويدعونه تضرعا وخيفة وامثال ذلك من الايات مما فيها مدحهم بالخوف من ربهم لكنه يخرج على وجوه احدها
انه قد امن موسى حيث قال لا تخف انك من الامنين فكانه قال ههنا لا تخف بعد ما امنتك انى لا يخاف
لدىّ المرسلون اذا امنتهم والثانى لا تخف من غيرى انى لا يخاف لدىّ المرسلون من غيرى فكانه قال والله اعلم
على هذا التاويل انما نهاه عن الخوف من غيره واخبر انه لا يخاف لديه المرسلون من خوف يومئذ ثم استثنى
والثالث اخبار وامن له منه من خوف الاخرة واهوالها كانه قال لا تخف فانى سامن المرسلين من خوف يومئذ
ثم استثنى فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء هذا ايضا يخرج على وجوه احدها لا يخاف لدىّ المرسلون
الا من ظلم اذا بدل حسنا بعد سوء والثانى لا يخاف لدىّ المرسلون ولكن من ظلم ممن سواهم ثم بدل حسنا بعد سوء
فانه غفور رحيم رجاء المغفرة وطمع العفو فيما كان منه والثالث لا يخاف لدىّ المرسلون الا من ظلم منهم
نحو موسى بقتله النفس واخوة يوسف ثم بدل حسنا وتاب عن ذلك فانه يخاف ايضا والله اعلم **وقوله** وادخل
يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فالله تعالى قادر ان يجعل يده ابيضا من غير ادخاله اياها فى جيبه
لكنه امتحن موسى بالامر بادخالها فى جيبه وكذلك قادر ان يصير عصاه فى يده حية لكنه امتحن بالامر بالقائها
ولله ان يمتحن عباده بكل انواع المحن **وقوله** تخرج بيضاء من غير سوء قيل من غير افة من برص وغيره وقد ذكرنا
معناه فيما تقدم **وقوله** فى تسع ايات الى فرعون وقومه قال بعضهم يد موسى فى تسع ايات اى من تسع ايات
وقد يجوز استعمال حرف فى مكان من كما يقال لفلان كذا كذا نوقا فيها فحلان اى منها فحلان وقال بعضهم فى تسع ايات
اى مع تسع ايات قال ابو معاذ وقد يكون معنى فى ومع واحدا فيما لا يحصى عدده تقول خرجت فى اهله والى اهل مكة
ومع اهل مرو الى مكة فاذا قلت خرجت فى تسعة اختلفا لانك احصيت العدد فى تسعة انت تاسعهم ومع تسعة انت
عاشرهم وقال بعضهم هو على الانقطاع من الاول كانه قال لرسوله محمد ولقد بعثنا موسى فى تسع ايات الى فرعون
كما قال ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات **وقوله** الى فرعون وقومه دل هذا انه كان مبعوثا الى فرعون
وقومه جميعا اذ ذكر فى اية الى فرعون خاصة وفى اية الى فرعون وملائه وذكرها هنا الى فرعون وقومه فكان مبعوثا
الى الكل **وقوله** فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اى يبصر بها ويعلم كقوله والنهار مبصرا اى يبصر به وقرا بعضهم مبصرة
بنصب الصاد اى بينة ظاهرة يبصر فيها وكذلك قال موسى لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصاير وقالوا هذا سحر مبين لم يزل لعادة فرعون اللعين تلبيس امر موسى واياته على قومه ليلا يؤمنوا به ولا يطيعوه
فيما يدعوهم مرة قال هذا ساحر مبين وان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وامثال ذلك مما
يلبس على قومه امره ويغريهم عليه ليلا يطيعوه فيما يدعوهم اليه ولا يجيبوه **وقوله** وجحدوا بها اى جحدوا بالايات
وجايز فى اللغة ان يقال جحد بها وجحدها كلاهما واحد ثم قال بعضهم ان الجحود لا يكون الا بعد العلم به ولا يقال
ولكن يجوز ان يقال الجحد بعد المعرفة والعلم وقبل ان يعلم به ويعرف اذ الجحود ليس الا الانكار وقد يكون الانكار
للشىء للجهل به وبعد المعرفة وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه قال فلما جاءتهم اياتنا مبصرة جحدوها
ظلما وعلوا واستيقنتها انفسهم انها من الله وانها ايات ليست بسحر ولو كان سحرا فى الحقيقة لكان اية
لان السحر على غير تعلم يكون منه اية سماوية وقوله ظلما لانهم جحدوا الايات وسموها سحرا فوضعوا الايات

يعنى قدم الكلام بقوله تخرج بيضاء من غير سوء ثم ابتدا الكلام فقال لرسوله محمد بقوله ولقد بعثنا

موضع السحر

موضع السحر لم يضعوها موضعها والظلم هو وضع الشىء غير موضعه **وقوله** وعلوا اى تكبرا وعنادا فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين ليس على الامر بالنظر فى ذلك ولكن على تنبيه اولئك والزجر لهم عما هم فيه
اى انظر ما ينزل بهم لجحودهم الايات وعنادهم فيها على ما نزل باوايلهم والله اعلم **وقوله** ولقد اتينا داود
وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين فيه وجهان من الاستدلال احدهما
فى خلق افعال العباد والثانى فى ترك الاصلح اما الاستدلال على خلق الافعال لانه قال اتينا داود وسليمان
علما وقال على اثره علمنا منطق الطير وقال فى رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغى له وقال الرحمن علم القران
خلق الانسان علمه البيان ونحوه من الايات فيما اضاف التعليم والفعل الى نفسه فلو لم يكن له فى ذلك صنع
لم يكن لاضافة ذلك اليه معنى فدل انه خلق افعالهم منهم فان قيل انما اضاف ذلك الى نفسه بالاسباب
التى اعطاهم قيل لا يحتمل ذلك لانه قد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع اسباب الشعر ولم يكن غيره
من الشعراء احق باسباب الشعر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخبر انه لم يعلمه الشعر دل انه لم يرد به
الاسباب ولكن اراد ما ذكرنا واما فى ترك الاصلح فهو ما ذكر من قوله ولقد اتينا داود وسليمان علما وقال
يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شىء انه انما ذكر هذا على الامتنان والافضال فلو كان لا يجوز له
ان لا يعطيه ذلك ولا كان له ترك ما فعل بهم من الافضال لم يكن لذكر ذلك له على الافضال والامتنان معنى
ولا كان داود وسليمان يحمدانه على ما اعطاهما ولا كان هو يستوجب الحمد بذلك اذ فعل ما عليه ان يفعل دل انه
انما اعطى ذلك لهم وفعل بهم ذلك على جهة الافضال والامتنان وكان له ترك ما فعل وان كان ذلك لهم
اصلح فى الدين فهذان الوجهان ينقضان على المعتزلة مذهبهم فى انكارهم فى خلق الافعال وجواز ترك
الاصلح فى الدين ثم قوله علما قال بعضهم علما بالقضاء والحكم والعلم بكلام الطير والدواب وقال بعضهم
فضلا بالنبوة والعلم لكن عندنا ذكر انه اتاهما العلم ولم يبين ما ذلك العلم انه علم ماذا مخافة الكذب
على الله والله اعلم **وقوله** وورث سليمان داود قال اهل التاويل ورث النبوة والحكم والوارث
هو الباقى بعد هلاك الاخر وفنايه كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها اى نبقى بعد هلاك اهلها وفنايهم
وقوله وانا لنحن الوارثون اى الباقون بعد فنايهم لانه ورث شيا لم يكن له من قبل وكذلك قوله واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم الاية اى ابقاكم وتركم فى ارضهم وديارهم وقوله وتلك الجنة التى اورثتموها
اى ابقيتم فيها وامثال ذلك كله راجع الى البقاء فعلى ذلك قوله وورث سليمان داود اى بقى فى ملكه ونبوته
وعلى ذلك ما ذكر سال زكريا ربه من الولد حيث قال فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب لا يحتمل
ان يسال ربه ولدا يرث ماله من بعد وفاته ولكن كان سال ربه الولد ليبقى فى نبوته ورسالته بعد وفاته ليبقى
النبوة فى نسله والله اعلم **وقوله** وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شىء لا يحتمل ان يذكر هذا
صلوات الله عليه على الافتخار والمباهاة ولكن ذكر فضل الله ونعمه التى اعطاه ومن عليه كقوله واما بنعمة ربك
فحدث الا ترى انه قال ان هذا لهو الفضل المبين ثم قوله واوتينا من كل شىء لا يحتمل كل شىء لانهم لم يؤتوا كل شىء
حتى لم يبق شىء الا اوتوا شيئا دون شىء ولكن كانه قال واوتينا من كل شىء ساكنا ان يؤتينا او ان يكون واوتينا
من كل شىء مما يؤتى الانبياء والملوك وما يحتاج اليه والله اعلم **وقوله** وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير
فهم يوزعون قال بعضهم فهم يوزعون اى يحبس اولهم على اخرهم كانه لا يدعهم ان ينتشروا ويتفرقوا ولكن يسيرهم
مجموعين كل صنف منهم وزعة ترد اولهم على اخرهم وذلك من سيرة الملوك وامراء العساكر الحشم وجنودهم
مجموعة غير منتشرة ولا متفرقة وقال ابو عوسجة فهم يوزعون اى يساقون ويقال وزعنى اى الهمنى والوزع
من الكف والسوق تقول وزع اى كف ووزع اى ساق وقال مرة يوزعون يجمعون يقال وزعت الابل
اى جمعته ازع وزعا وقال القتبى يوزعون اى يدفعون واصل الوزع الكف والمنع يقال وزعت الرجل اذا كففته

فى باب الملك والنبوة شرح

ووازع للجيش هو الذي يكفهم عن التفرق والانتشار وهو على ما ذكرنا **وقوله** حتى اذا اتوا على واد النمل هذا يدل
ان النمل وتنبيذ لا تخالط الناس حيث اضاف الوادي اليها بقوله حتى اذا اتوا على واد النمل ولو كانت تخالط
الناس لكي لا ان لقال حتى اذا اتوا على الوادي الذي فيه النمل دل انها كانت لا تخالط الناس وكان لهن مكان
على حدة والله اعلم **وقوله** قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
يخرج قوله قالت نملة على وجهين على حقيقة القول من النملة كما يكون من البشر اطلع الله سليمان ذلك والقاه
في مسامعه لطفا منه وفضلا من بين ساير الخلايق على ما ذكرنا في قوله وان من شيء الا يسبح بحمده الاية والثاني
ان يجعل الله في سرية النمل معنى يفهم بعضها من بعض لما يريدون فيما بينهم من انواع الحوايج على غير حقيقة
القول اطلع الله سليمان على ذلك حتى فهم منها ما كانت تفهم بعضها من بعض لطفا منه وفضلا وهو كقوله انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ليس احد يقول لاخر اذا تصدق عليه ذلك لكن الله اخبر عما علم من ضميرهم ومرادهم
من التصدق على غير حقيقة القول منهم فعلى ذلك قول النمل اخبر سليمان عما كان في سريتها فيما بينهم من غير ان كان
منها نطق او كلام يفهم منه الخلق والله اعلم وقالت الباطنية ليس المراد من ذكر النمل النمل المعروفة وفوقها وكذلك
قالوا في الهدهد انه لم يرد به الهدهد المعروف اذ لا يجوز لهدهد من العلم اكثر مما يكون لسليمان ولغيره ولكن
اراد به الرجل وهو الامام الذي يدعو الناس الى الهدى ويدلهم على الرشد وليس كما قالوا لانه انما ذكر هذا على التعجب
ولو كان ذلك انسانا ممن يكون له قول وكلام لم يكن لذكر ذلك منه كبير تعجب ولا فايدة دل انه ليس كما قالوا **وقوله**
لا يحطمنكم اي لا يكسرنكم والحطم هو الكسر وفي حرف ابن مسعود لا يحطمنكم على طرح النون والتشديد **وقوله**
وهم لا يشعرون قال بعضهم هذا من النملة ثناء على سليمان ومدح عليه لعدله في ملكه وسلطانه انه لو شعر بكم
لم يحطمكم ولم يهلككم وقال بعضهم وهم لا يشعرون اي لا يشعر جنوده كلام النمل وهذا يدل ان النملة كانت رئيس
ساير النمل وسيدتها حيث قالت ذلك من بين غيرها من النمل وعلى كل رئيس وسيد القوم ان يحفظ رعيته
وحواشيه او ما يحملهم على الفساد وقول من قال ان النمل يومئذ كانت كالذباب عظيما لا يحتمل لانها لو كانت
كما ذكر لم يكن لقوله وهم لا يشعرون معنى لانها لو كانت كالذباب يشعرون بها فدل انها كانت على ما هي اليوم والله اعلم
وقوله فتبسم ضاحكا من قولها قال بعضهم تبسم ضاحكا اي سبح سليمان من قول النمل وحمد عليه وتبسم
الانبياء التسبيح وجايز ان يكون التبسم هو السرور وان التبسم انما يكون لسرور يدخل في الانسان فقوله فتبسم
ضاحكا اي سر بما اعطاه الله من عظم النعمة له والملك الا ترى انه سال ربه الالهام ليشكر نعمه التي اتاه الله حيث قال
رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي سال ربه الالهام واللطف الذي يكون فيه ليشكر نعمه ولو كان
الالهام هو الاعلام على ما قاله بعض الناس لم يكن سليمان يسال الله ذلك لانه كان يعلم ان عليه شكر نعمه وكذلك
يعلم كل احد ان عليه شكر منعمه فدل سؤاله الالهام على الشكر انه انما سال اللطف الذي عنده به يشكر نعمه
اذا اعطاه وهو التوفيق لا الاعلام الذي قالوه **وقوله** وعلى والدي فيه ان يجب على المرء شكر النعم التي انعم الله
على والديه وسال ربه ايضا ان يوفقه على العمل الذي يرضاه منه حيث قال وان اعمل صالحا ترضيه **وقوله**
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين جايز ان يكون سؤاله هذا بادخاله فيما ذكر كسؤال يوسف حيث قال
توفني مسلما والحقني بالصالحين سال ربه التوفي على الاسلام والالحاق بالصالحين فعلى ذلك سؤال سليمان
يشبه ان يخرج على ذلك ثم فيه دلالة ان النجاة ودخول الجنة انما يكون برحمة الله لا بالعمل حيث قال وادخلني
برحمتك بعدما سال ربه العمل الصالح المرضي عنده **وقوله** اوزعني اي الهمني والايزاع الالهام والوزع الكف
والسوق وقال القتبي واصل الايزاع الاغراء بالشيء يقال اوزعته بكذا اي اغريته وهو موزع بكذا ومولع بكذا
وقوله وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغايبين عن ابن عباس رضي الله عنه قال تدرون
كيف تفقد سليمان الهدهد ثم قال انه اذا كان في فلاة من الارض دعا الهدهد فساله من بعد الماء في الارض

وعونه فهو يعجله من بين غيره من الطيور ولذلك تفقده وساله عن ذكر انها حاله وذكر انه ابن سلام عن ذلك
فاخبر بذلك لكن هذا بعيد لان سليمان صلوات الله عليه كانت له الريح مسخرة ذكر انها كانت تحمله وتسير
كل غداة مسيرة شهر وكل عشية كذلك وهو قوله ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر فلا يحتمل انه اذا وقعت
له الحاجة الى الماء حتى يحتاج الى ان يحفر له البير فيستخرج منه الماء او ما كان له من الشياطين والجن مسخرين له
مذللين حتى قال واحد منهم انا اتيك به يعني عرش بلقيس قبل ان تقوم من مقامك وقال الاخر انا اتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك فمن له سلطان وقوة على القدر الذي ذكر لا يحتمل ان يقع له الحاجة الى الماء او اذا وقعت يحتاج
الى ان يتكلف وصوله اليه بالهدهد مع تكلف الحفر في الارض هذا بعيد مرة والله اعلم الا ان يخرج على الامتحان
ويكون تفقد الطير لما كان عليه حفظهم جميعا ومنعه اياهم عن الانتشار في الارض والتفرق فيها
لا لما ذكروا هم والله اعلم لما على كل ملك وامير حفظ رعيته وحاشيته والتفقد عن احوالهم واسبابهم
فعلى ذلك هذا ثم يحتمل ان يكون من كل صنف من الطير واحد لا عدد حتى قال ما لي لا ارى الهدهد
اذ لو كان عددا من الهداهد لقال ما لي لا ارى هدهدا من الهداهد الا ان يكون الذي فقده كان رئيسا لغيره
من الهداهد سيدهم فجايز ان يقال ذلك ما لي لا ارى الهدهد من بين غيره يعني عن بصري ولا ادركه
ام كان من الغايبين فكانه سال واحدا منهم عن ذلك فاخبر انه من الغايبين فعند ذلك قال لاعذبنه عذابا
شديدا الاية فقالت الباطنية في ذلك ان سليمان لا يحتمل ان يعذب من ليس بمخاطب في شيء ولا يجري عليه
القلم فدل وعيده اياه من التعذيب والذبح انه لم يكن هدهدا معروفا ولكن كان رجلا ممن يخاطب
ويجري عليه القلم وكذلك قالوا في النملة انه كان رجلا ممن يكون منه الكلام والفهم واما النملة المعروفة
فلا تحتمل لكن الجواب لهم في ذلك ان الله خلق هذه الدواب والطير وغيرها من الاشياء لمنافع البشر ولحاجاتهم
فجايز تعذيبها ونجها المرد الى منافعهم اذا امتنعت عن الانتفاع بها على ما تؤدب الدواب وتعذب للرياضة
والتعليم لردها الى الانتفاع بها او يعذبه لما يشغله عن ذكر الله والقيام ببعض اموره على ما ذكر في اية اخرى
حيث قال اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت
بالحجاب الاية لما شغلته عن ذكر ربه فعلى ذلك جايز ان يكون تعذيب الهدهد على الوجوه التي ذكرنا ومن الناس
من استدل بهذا على مخاطبة الطيور والدواب وغيرها وتكليفها باموركما يكلف غيرها من الخلايق واحتج
على هذا بقوله وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم اخبر ان الطير وغيره امم امثالنا
وقد اخبر في اية اخرى انه لم تخل امة عن ان يكون فيها نذير بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير الا ان التي
هي امثالنا من الانس والجن دليله قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس وهو كثير وقوله الا امم امثالكم ليس في الخطاب والتكليف ولكن في اشياء كثيرة **وقوله**
فمكث غير بعيد اي لم يمكث طويلا حتى جاءه وفي حرف ابن مسعود فمكث غير بعيد ثم جاءه فقال احطت
بما لم تحط به كانه ساله اين كنت فقال عند ذلك له احطت بما لم تحط به وفي حرف ابي احطت بما لم تحط به
انت ولا احد من جنودك اي بلغت ما لم تبلغ انت او علمت ما لم تعلم انت ولا احد من جنودك ثم قال وجيتك
من سبا بنبا يقين لا شك فيه فكانه ساله عن ذلك النبا فقال عند ذلك والله اعلم اني وجدت امراة
تملكهم واوتيت من كل شيء اي اوتيت من كل شيء يؤتى الملوك على ما ذكرنا في قوله واوتينا من كل شيء ثم العجب
من امر بلقيس انه كيف خفي خبرها وامرها على سليمان كل ذلك الخفاء وكانت بقرب منه وكانت ملكة جبارة
ذات سلطان وملك وكان يذهب في كل غدو مسيرة شهر وفي كل رواح كذلك كيف لم يطلع على امرها وخبرها
وكانت الجن والشياطين مسخرين له ومذللين يعملون له الاعمال الصعبة الشديدة ويطوفون في الافاق والافق
وكان هو بعث الى الدعاء الى توحيد الله كيف خفي عليه امرها وخبرها كل هذا الخفاء حتى اخبر بذلك

الهدهد هذا والله اعلم عجب ومن عادة الملوك ايضا انهم يطلع بعضهم على امور بعض ويعلم باحواله لكن يحتمل
خفاء خبرها عليه لما لا يتجاسر كل احد ان يكلمه فى ذلك وان يخبره عن حالها وان كان لا يعلم هو ذلك الا بعد
السؤال وطلب الخبر تعظيما له واجلالا وهكذا الملوك يتجاسر كل احد عن ان يخبره عن كل امر وخبر الا بعد السؤال
اياه تعظيما لهم وتوقيرا فعلى ذلك امر سليمان مع بلقيس او ان يكون لامر وسبب لم يبلغنا ذلك ولم نشعر به وقال
بعض اهل التاويل فى قوله وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد انما طلبه وتفقده لان الطير قد تظله
على راسه من الشمس فلما نظر الى الطير وجد موضع الهدهد خاليا يقع عليه الشمس فعند ذلك قال مالى لا ارى
الهدهد ام كان من الغائبين وقالوا فى قوله لاعذبنه عذابا شديدا اى لانتفن ريشه حتى تصيبه الشمس فذلك
هو العذاب الشديد لكن لا نفسر ما ذلك العذاب الشديد الذى اوعد سليمان مخافة الكذب والله اعلم وقوله
فمكث غير بعيد قال بعضهم غير طويل وجايز ان يكون فمكث وقتا يا فى مثله من مكان بعيد لانه انما يعتبر
عن المكان لا عن الوقت فى الظاهر فقال احطت بما لم تحط به كانه يريد المناصحة له والشفقة يقول اتيتك من العلم
والخبر مالم تات انت ولا احد من جنودك فكيف تعذبنى وفى حرف عبد الله فتمكث غير بعيد ثم جاءه قال ابو معاذ
مكث بنصب الكاف ورفعها مكث لغتان وقوله وجئتك من سبا بنبا يقين قال بعضهم حق لا شك فيه اى عند
هدهد واما عند سليمان فلا الا ترى ان سليمان قال له سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين وقف فى خبره
لينظر اصدق ما يقول ام كذب وقال بعضهم بنبا يقين اى عجيب ثم اختلف فى قوله من سبا بنبا قال بعضهم
سبا اسم رجل ينسب القرية اليه وقال بعضهم اسم بلدة وقال ابو عوسجة سبا ابو اليمن فمن جعلها اسم بلدة
لم يجر ومن جعلها اسم رجل جره والله اعلم وقوله انى وجدت امراة تملكهم كانه على الاضمار اى وجدت امراة تملكهم
اى تملك اهل سبا الا ترى انه قال فى اخره وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ذكر القوم فى اخر الاية
دل ان الاهل كان مضمرا فيه وقوله واوتيت من كل شئ اى اوتيت من كل شئ كما يؤتى الملوك من الذكور من الاسباب
والهيئة والهيبة وغير ذلك وقال بعضهم واوتيت من كل شئ فى بلادها ولها عرش عظيم قال اهل التاويل اى
لها سرير حسن عظيم ضخم كذا كذا ذراعا طوله وكذا كذا ذراعا عرضه وجايز ان يكون العرش كناية عن الملك
كانه قال ولها عرش عظيم اى ملك عظيم وقوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله قال هذا العظم ما وقع
عند الهدهد من السجود لغير الله ليعلم ان الطير وغيرها من البهايم يعرفون الله ويوحدونه وهو كقوله وان من شئ
الا يسبح بحمده ثم قوله يسجدون للشمس من دون الله اى يعبدون الشمس من دون الله وجايز يطيعون للشمس
ويخضعون لها من دون الله وقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم اى زين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة السيئة حتى
راوها حسنة فصدهم عن السبيل وهو سبيل الله لان السبيل المطلق هو سبيل الله وهو الاسلام والكتاب المطلق
كتاب الله وقوله فهم لا يهتدون فان كان هذا من قول من هدهد فتاويله فصدهم عن السبيل فهم غير مهتدين
لانه لا يحتمل ان يعرف انهم لا يهتدون فى حادث الوقت وان كان من الله فهو اخبار انهم لا يهتدون ابدا لما علم انهم
لا يهتدون والله اعلم وقوله الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء اختلف فى تلاوته وتاويله بالتخفيف والتشديد
فمن قراه بالتشديد الا يسجدوا فهو يخرج على وجهين احدهما على طرح لا كانه فهم لا يهتدون ان يسجدوا اى هم لا يهتدون
ان يسجدوا والثانى صلته قوله فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا ومن قرا بالتخفيف فهو يخرج على الامر اى الا فاسجدوا
لله وقال بعضهم الا بالتخفيف هلا يسجدوا لله وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود انه قراه هلا يسجدوا لله وهو حجة
ومن قراه بالتخفيف وفى حرف ابى الا تسجدوا لله بالتاء على المخاطبة الى قوله ويعلم ما تسرون وما تعلنون وذكر فى حرف
حفصة الا تسجدون بالنون قال الكسائى ومن شدد الا فتاويله زين لهم الشيطان ان لا يسجدوا وعلى ما ذكرنا واما التخفيف
فهو على وجه الامر اى اسجدوا والا صلة ويا صلة ايضا ثم قال بعضهم من قراه بالتخفيف يلزمه السجود لانه امر واما من قراه
بالتشديد فلا يلزم لكن عندنا سواء يلزمه السجود بالتلاوتين جميعا لانه لا يحتمل ان يلزم السجود بما يامر غيره بالسجود

ولا يلزم فيما يخبر عنهم انهم لا يسجدون بل لزوم السجود فيما يخبر انهم لا يسجدون اولى لخلافا لصنيعهم واظهارا
للطاعة لله فى ذلك والله اعلم وقوله يخرج الخبء فى السموات والارض الخبء ما يخبا من الشئ ما كان قال بعضهم
خبا فى السماء المطر فيخرج وفى الارض النبات فيخرج ذلك النبت ويحتمل الخبء ما يخباه بعضهم من بعض ويسوء
بعضهم بعضا يخبر انه يظهر ذلك ويعلمه الا ترى انه قال يعلم ما يخفون وما يعلنون على الوعيد ليكونوا على حذر
ابدا وفى حرف حفصة الا يسجدون لله الذى يعلم غيب السموات والارض وقوله الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم ذكر هذا والله اعلم جواب قوله ولها عرش عظيم يقول رب العرش العظيم هو الله الذى لا اله الا هو
لا هى اعنى بلقيس وقوله سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اى ننظر اصدقت فيما اخبرت واتيت من امر بلقيس
ام كنت من الكاذبين فى ذلك وقف فى خبره ولم يصدقه ولم يكذبه الى ان يظهر له الصدق او الكذب
وهكذا الواجب على كل من اخبر بخبر ان يقف فيه الى ان يظهر له الحق فى ذلك اذا كان الخبر ممن يحتمل الغلط
والكذب ثم قال له اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم لا يحتمل ان يكون سليمان امر الهدهد بذهاب الكتاب اليها وتوليه
بتبليغ ذلك اليها وهو اعظم من خبره الذى اخبره بذلك بعدما وقف فى خبره قبل ان يتبين ويظهر له صدقه
فى خبره فدل توليته اياه تبليغ الكتاب اليها انه قد ظهر له صدقه فيما اخبره من امر تلك المراة اما بوحى من الله تعالى اليه
او انتهاء اليه من الخبر ما قد علم بذلك علم يقين واحاطة فعند ذلك ولاه تبليغ الكتاب اليها حيث قال له اذهب
بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون وقوله ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون يحتمل وجهين
احدهما الق الكتاب اليهم ثم تول عنهم اى استتر واختف عنهم فانظر ماذا يقولون وما ذا يرددون فيما بينهم من الكلام
والجواب والثانى على التقديم والتاخير كانه قال الق الكتاب اليهم فانظر ماذا يرجعون من الجواب ثم تول عنهم اى اعرض
عنهم ففعل ما قال له سليمان من القاء الكتاب اليها وان لم يذكر فى الاية حيث قالت يا ايها الملاء انى القى الى كتاب كريم
فكانهم قالوا ممن ذلك الكتاب فقالت عند ذلك انه من سليمان وقوله كتاب كريم قال بعضهم اى حسن لما ان فيه
من الكلام الحسن والقول اللطيف وقال بعضهم كتاب كريم اى مختوم وقد ذكر فى الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كرم الكتاب ختمه او كلام نحو هذا او شبيهه وجايز ان يكون فيه اضمار انى القى الى كتاب انسان
كريم وسليمان كان معروفا بالكرم فيشبه ان يكون قد اتاها خبر كرمه والملاء قالوا هم الاشراف واهل السودد وقال
الزجاج سموا لما اجتمع عندهم من حاجات الناس وحسن الراى والتدبير فى كل شئ من الامور او نحو هذا كلام نحوه
وقوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم هو ما ذكرنا كانهم سالوها ممن ذلك الكتاب فقالت انه
من سليمان وسالوها ايضا ما فى ذلك الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على واتونى مسلمين
وقوله الا تعلوا على اى لا تستكبروا ولا تتعظموا على واتونى مسلمين مخلصين لله بالتوحيد اى اجعلوا انفسكم سالمة
لله خالصة له لا تجعلوا لاحد سواه فيها شركا ولا حقا لانه اخبر انهم كانوا يسجدون للشمس من دون الله فيخبر
فى الكتاب حيث فتح ببسم الله الرحمن الرحيم ان الذى يستحق السجود والعبادة هو الله الرحمن الرحيم لا ما تعبدون
انتم ثم من عادة الانبياء والرسل الايجاز فى الكلام والرسائل لا يشتغلون بفضول الكلام وتطويله على ما ذكر من كتاب
سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على واتونى مسلمين ذكر ان هذا القدر كان الكتاب والله اعلم
وقوله قالت يا ايها الملاء افتونى فى امرى ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون استشارت اشراف قومها وطلبت منهم الراى
فى ذلك وهكذا عمل الملوك وعادتهم انهم اذا ارادوا امرا او استقبلهم امر يستشيرون اولى الراى من قومهم واهل الحجى
والتدبير منهم ثم يعملون بما يعملون بتدبير يكون لهم وما يرون ذلك صوابا وعلى ذلك امر الله رسوله ان يشاور
اصحابه بقوله وشاورهم فى الامر ثم امره اذا عزم على الامر ان يتوكل على الله فى ذلك وان يكل امره اليه وقوله
حتى تشهدون يحتمل وجهين ما كنت قاطعة امرا حتى تحضرونى وما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون انه صواب وانه
حق واجابوها فيما طلبت منهم الراى والتدبير فى ذلك فقالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد اى نحن اولوا قوة

في انفسنا واولو باس اي حرب وقتال شديد اي لنا معرفة في ذلك ومع ما قالوا وكلوا الامر اليها حيث قالوا والامر اليك فانظري ماذا تامرين وهكذا الواجب على وزراء الملوك والرعية انهم اذا استشاروهم في امر ان يدلوهم على الاصوب والاحسن لهم ثم يكلوا الامر اليهم وقصة سليمان صلوات الله عليه مع ما فيها من العجايب والاداب ففيها معرفة سياسة الملوك وتعلم ادابهم من ذلك ما قال سليمان فهم يوزعون ومن ذلك قوله وتفقد الطير الاية وقوله لاعذبنه عذابا شديدا ومن ذلك استشارة بلقيس اشراف قومها في ذلك وجوابات قومها لها واخبارها اياهم من طبع الملوك وعاداتهم من الافساد والقتل والاذلال حيث قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون قال اهل التاويل هذه شهادة من الله لها بما قالت والتصديق لها فيما اخبرت انهم كذلك يفعلون بكبرائهم ثم قال واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ذكر انها قالت ان لي في هذا رايا فان يك صاحب دنيا فعسى ان نرضيه بالمال فيسكت عنا ويكف شره وان يك نبيا فلا يقبل ذلك منا وسوف فعلت ذلك وارسلت اليه بهدايا فلم يقبلها سليمان فعرفت انه نبي وهذا كان منها تدبيرا وحسن الراي في الامر واحتيالا وفقت في ذلك لم تشتغل بالحرب والقتال على ما اشارها قومها وقال ابن عباس قالت بلقيس لما اتاها كتاب سليمان واستشارت قومها في ذلك وطلبت فتياهم فافتوها بما افتوا قالت ابعث اليه بهدية فان قبلها فهو ملك فاحاربه وان لم يقبلها فهو نبي اتابعه قال ابو عوسجة فناظرة انتظر بما قال انظرة نظرة اي امهلته والنظر في الدين خاصة فهو الانتظار وقوله فلما جاء سليمان الرسول الذي بعث بلقيس الهدية ويحتمل فلما جاء سليمان المال الذي بعثت اليه يحتمل ذا وذا وقوله قال اتمدونن بمال اي اتعطونني بمال وقال اهل الادب اتمدونن بمال من المدد والمد الزيادة كما يمد القوم ويكون الاعطاء كقوله وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ويحتمل هذه الزيادة والله اعلم وقوله فما اتاني الله خير مما اتاكم اي ما اتاني الله من النبوة والعلم والحكمة خير مما اتاكم من الاموال ويحتمل فما اتاني الله فاوتيكم اذا اتيتموني مسلمين خير مما اتاكم اذا لم تاتوني واتيتم الاسلام او كلام نحو هذا وقال بعض اهل التاويل فما اتاني الله من الملك خير مما اتاكم من الملك لانه سخر له الجن والانس والشياطين والطيور والرياح وجميع الاشياء فذلك خير له واعظم من ملكها والاول اشبه واقرب اذ لا يحتمل ان يفتخر سليمان بملكه على غيره انما يكون افتخاره بالدين والنبوة والله اعلم وقوله بل انتم بهديتكم تفرحون قال بعضهم بل انتم بهديتكم تفرحون اذا ردت اليكم لكن هذا بعيد لا تفرح برد الهدية اذا ردت عليه ولم تقبل بل الحرب على ذلك وتهتم لكنه يقول والله اعلم بل انتم اولى بالفرح بالمال والهدايا منا اذ مرادكم المال والدنيا ومرادنا الدين والدار الاخرة او كلام نحو هذا والله اعلم بذلك وقوله ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها قال ذلك والله اعلم للرسول الذي اتاه بالهدية ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لناتينهم بجنود لا طاقة لهم بها ان لم ياتوني مسلمين ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان لم ياتوني مسلمين ثم قال سليمان عليه السلام يا ايها الملاء انما خاطب به اشراف قومه وهكذا العادة في الملوك انهم اذا خاطبوا احدا بشيء انما يخاطبون اهل الشرف والمنزلة منهم ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال بعض اهل التاويل انما قال هذا لانه علم نبي الله انهم متى ما اسلموا يحرم اموالهم مع دمائهم فاحب ان يؤتى به قبل ان يكون ذلك منهم وقيل ان يحرم ذلك عليه لكن هذا محال بعيد وفحش من القول لا يحتمل ان يكون رغبة سليمان في الاموال هذا الذي ذكر بعد ما رد هدايا هاوخبر انكم تفرحون بها لانكم اهل الدنيا في الاموال ونحن اهل الدين رغبتنا في الدين به نفرح ويستعجل كل هذا الاستعجال رغبة في مالها وعرشها لكنه والله اعلم يخرج على وجهين احدهما انه اراد ان يريهم قوته وسلطانه ان يرفع واحد من جنوده عرشها مع عظمه بمعاينة منهم ومشاهدة وحمله من بينهم ليعلموا ان من قدر على هذا لقادر ان ياتيهم بجنود لا طاقة لهم بها تصديقا لما قال فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ويقدر على قهرهم وغلبتهم والثاني اراد ان يريهم اية من ايات نبوته اذا اتوه قبل ان ياتوني مسلمين ليعلموا انه نبي ليس بملك وهذا التاويل الذي ذكرنا اية لكنه

من الملك والمال

قبل ان ياتوهم ليعلموا انه نبي ليس بملك وقوله قبل ان ياتوني اي مصالحين وذلك جايز في اللغة وقوله انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك قال بعضهم مقامه مجلسه الذي كان يقضي فيه الى ان يفرغ من قضائه حتى يؤتى به واني عليه لقوي امين لان الجن اقوى من الانس وصف نفسه بالامانة لان الجن لا يرغبون في الاموال ما يرغب الانس وقال بعضهم امين على فرج تلك المراة مقامه مجلس الرجل يكون فيه حتى يقوم ولكن لا ندري ما اراد بمقامه الذي ذكر وقال بعضهم اراد سليمان ان يكون اعجل من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب ذكر انه كان رجلا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ثم اختلف في ارتداد طرفه قال بعضهم هو ان يبعث رسولا الى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به وقال بعضهم هو الرجل ينظر الى الشيء البعيد قبل ان يرجع اليه طرفه فلما راه مستقرا عنده قال بعضهم دخل في نفق الارض فخرج بين يدي سليمان يعني العرش كانه والله اعلم اتاه اذا دعاه بذلك الاسم من غير ان تكلف هو حمله واتيانه به فهذا يدل ان الايات قد تجري على غير ايدي الرسل لكن تكون الاية للرسول وان كانت على ايدي غيرهم ثم قال هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر ام اكفر قال بعضهم والله ما جعله فخرا ولا اشرا ولا بطرا ولكنه بطرا جعله شكرا وتواضعا قال بعضهم لما دعا ذلك الرجل بذلك الاسم فراه مستقرا عنده وقع في قلب سليمان شيء وخطر بباله اني يكون رجل عنده علم ما ليس عندي من العلم قال فعزم الله له على الخير وقيل لانه ممن خولك الله فقال سليمان هذا من فضل ربي يقول ما اعطي ذلك الرجل ما لم يعطني ليبلوني اشكر اذ كان مثله تحت يدي ام اكفر لكن لا يحتمل ان يشكر الله على ما اعطي غيره ثم يحتمل قوله هذا من فضل ربي اتيانه ولك مسخرين او النبوة والعلم الذي اتاه الله قال ذلك من فضل ربي اراد تسخير ما سخر له ليبلوني اشكر ام اكفر اي ليمتحنني اشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ليعلم انه انما يمتحن بالشكر ويامر به لا لمنفعة نفسه ولكن لمنفعة الممتحن المامور به وقوله فان ربي غني كريم غني عن شكره كريم يقبل القليل منه واليسير وقوله قال نكروا لها عرشها قال اهل التاويل نكروا اي غيروا لها عرشها كانه امر ان يغيروا بعض ما عليه من الزيادة والنقصان ليمتحنها وتعرف انها عرشها ام لا والمنكر هو الذي لا يعرف كقوله قوم منكرون وقوله نكرهم واوجس منهم خيفة اي لم يعرفهم وقوله نكروا لها عرشها كان يجيء ان يقال نكروا عرشها ويكون لها زايدة الا ان يقال نكروا لها اي نكروا لاجلها عرشها وهذا يشبه ان يكون وقوله ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون وقال اهل التاويل وقال اهل التاويل اتهتدي انه عرشها او لا تهتدي اليه وجايز ان يكون قوله ننظر اتهتدي الى دين الله وتوحيده ام تكون من الذين لا يهتدون الى دين الله وقوله فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو قال بعضهم شبهت هي عليهم وليستاثر كما فعلوا بها من تغيير عرشها عليها وتلبيسه عليها لكن قولها كانه هو لم يقطع فيه القول لما رات فيه من التغيير والتنكير ورات فيه شبه سريرها وتقت فيه ودل قوله فلما جاءت قيل اهكذا عرشك ان العرش لم يحمل وهي عليه نايمة على ما قاله بعض اهل التاويل انه حمل دونها من قبل ثم جاءتهم بعد ذلك والله اعلم الا ترى انه لو امرهم ان يغيروا عرشها وهي عليه لم تشعر به هذا بعيد والله اعلم بذلك وقوله واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ان كان هذا القول من سليمان فكانه يقول قد اوتينا العلم من قبل علمها به انه عرشها ولنا غنية عن السوال لها عنه لكن نسالها مستخبرين عن ذلك ممتحنين لها وقوله وكنا مسلمين اي جميعا مسلمين جميعا او ان يكون هذا صلة قوله ولقد اتينا داود وسليمان علما فهذا العلم الذي قال واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين والا في الظاهر ليس هذا صلة ما تقدم من قوله قالت كانه هو والله اعلم وقوله وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال بعضهم صدها عبادتها الشمس والاصنام التي عبدوها دون الله عن الاسلام وعبادة الله وقال بعضهم وصدها سليمان عن عبادة ما كانت تعبد من دون الله لانه ذكر انها اسلمت وقوله قيل لها ادخلي الصرح قال بعضهم الصرح حصن البلد وهو قول الزجاج وقال القتبي وابو عوسجة واكثر اهل التاويل الصرح هو القصر ثم لا ندري ما سبب بناء ذلك الصرح وما سبب امره اياها بالدخول فيه وكشفها عن ساقيها اما اهل التاويل فانهم قد اختلفوا في ذلك قال بعضهم قالت الجن لما اقبلت بلقيس لقد لقينا من سليمان ما لقينا من التعب فلو اجتمع سليمان وهذه المراة وما عندها من العلم لهلكنا

وكانت ام هذه المراة جنية فقالوا ابغضها ونكرهها الى سليمان فقيل لسليمان ان رجليها مثل حافر الدواب
لان امها كانت فامر سليمان جنية فامر سليمان عند ذلك فبنى له بيت من قوارير فوق الماء وارسل فيه السمك
لتحسب انه ماء فتكشف عن رجليها فينظر سليمان اصدقت الجن ام كذبت فلما رأته حسبته الماء وكشفت عن ساقيها فنظر اليها
سليمان فاذا هي احسن الناس قدمين وساقين فلما رات الجن ان سليمان راى ساقيها قالت الجن لاتكشفي عن ساقيك انه صرح
ممرد من قوارير وقال بعضهم لا ولكن ذكر لسليمان ان على ساقيها شعرا وانهما شعراوان فامر بذلك ليعرف ذلك وقال بعضهم
لا ولكن خافت الجن عند ذلك ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه اشياء كانوا اطلعوها عليه وافشوا اليها فارادوا
ان يكرهوها اليه فطعنوها بعيوب في عقلها ونفسها فقالوا يا نبي الله لا نريك عقلها فان في عقلها شيئا قال بلى
فجاءت الجن بماء فاجروه فتركوه لجة ثم جاءوا بالسمك والضفادع فارسلوها في الماء ثم جيء بها الى ذلك الماء ولا يميز
فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فقالوا لسليمان ان في عقلها آفة الا ترى انها لا تعرف الصرح من الماء
ولا تميز بينهما او نحو هذا من الكلام لكن لا نعلم ما سبب ذلك ولا يحتمل ان يكون سليمان يحتال هذه لينظر الى ساقها
وهي اجنبية ثم جائز ان يكون لغير ذلك اراد ان يريها آية من آيات نبوته حيث اتخذ صرحا ممردا من قوارير يرى
للطافته وذلك الخارج عن تدبير البشر لتعلم هي ان ذلك تدبير السماء لا تدبير البشر او ان يكون اراد بذلك والله اعلم
ان يريها عظم ملكه وسلطانه لتعلم انه يفعل ما يشاء قادر على ذلك لا ينفعها سوى الطاعة له والاجابة والخضوع
والاسلام له فعند ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي فيما عبدت دون الله واسلمت مع سليمان لله رب العالمين
اي اخلصت واسلمت نفسي لله رب العالمين قال القتبي عفريت اي شديد وثيق واصله العفر زيدت التاء فيه يقال
عفريت نفريت وعفرية ونفرية وعفاريت ونفاريت وقال ابو عوسجة العفريت الخبيث المارد وعفاريت جمع
وقال صدها اي ردها ومنعها وقال الصرح القصر والصروح جميع ولجة الماء المجتمع الكثير وقال الممرد هو المملس
بالطين او بالجص او بما كان وقال غيره الممرد الطويل وقال القتبي ومن ذلك الامرد الذي لا شعر على وجهه ويقال
للرملة التي لا تنبت مرداء ويقال الممرد المطول ومنه قيل لبعض الحصون مارد وقال الكسائي الممرد الاملس ويقال
منه سمي الامرد امرد **وقوله** ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله يحتمل هذا لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم
صالحا وامرناه ان يقول لهم اعبدوا الله وجائز ان يكون قوله ان اعبدوا الله بالرسالة اي ارسلناه ليدعوهم
الى عبادة الله وقوله اعبدوا الله يحتمل وحدوا الله ويحتمل العبادة نفسها ان اعبدوا الله ولا تشركوا غيره فيها
او لا تشركوا في تسمية الالوهية غيره ولكن وحدوه فكيف ما كان ففيه امر بالتوحيد له في العبادة وجعل الالوهية له
وقوله فاذا هم فريقان يختصمون قيل فريقان مؤمن بصالح ومكذب به ولم يبين فيم كانت خصومتهم وبين من كانت
له هذه الآية لكنه بين في آية اخرى وفسر وهو ما قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون
هذه الخصومة التي ذكرنا قوله فاذا هم فريقان يختصمون بين الرؤساء من الكفرة والمؤمنين بصالح والله اعلم
وقوله يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اي لم تستعجلون قبل الرحمة واستعجالهم العذاب والسيئة ما ذكر
في آية اخرى وهو قوله فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فذلك
استعجالهم السيئة قبل الحسنة **وقوله** لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون اي لولا توحدون الله ولا تشركوا
غيره في العبادة وتسمية الآلهة لكي يرحمكم وفيه اطماع لهم انهم لو آمنوا وتابوا عنه لرحمهم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقوله قالوا اطيرنا بك وبمن معك اي تشاءمنا بك وبمن معك لم يزل الكفرة لرسول الله صلوات الله عليهم ولمن آمن منهم
اطيرنا بكم اذا اصابتهم الشدة والبلاء يتطيرون بهم ويتشاءمون ويقولون انما اصابنا هذا بشؤمكم واذا اصابهم
رخاء وسعة فقالوا هذا لنا بنا ومن انفسنا وهو ما قال قوم موسى حيث قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه
الآية وكذلك قال اهل مكة لرسول الله حيث قال وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا

هذه من عندك كانوا يتطيرون برسول الله ويتشاءمون بما يصيبهم من الشدة وما ينزل بهم من البلاء فامر الله
رسوله وامره ان يقول لهم كل من عند الله اي الرخاء والشدة من عند الله ينزل وهو باعث ذلك لا انا فعلي ذلك
قوله طائركم عند الله اي ما ينزل لكم ويصيبكم من الشدة والرخاء انما ينزل من عند الله لا بنا ولا بكم او يقال ما ينزل بكم
من العذاب في الآخرة انما يصيب بتكذيبكم اياي في الدنيا او ان يقال طائركم عند الله اي جزاء طيرتكم عند الله
هو يجزيكم بها بعذاب الدنيا والآخرة بل انتم قوم تفتنون يحتمل قوله بل انتم قوم تفتنون ابتداء مرة بالشدة
ومرة بالرخاء لا بما تكسبون من الاعمال وجائز ان يكون قوله تفتنون بالعذاب بما تكسبون من الاعمال في الدنيا
اي تعذبون بها قال ابو عوسجة طائركم عند الله يقول الله اعلم بطائركم وما تطيرتم به وقال القتبي طائركم
عند الله اي ليس ذلك بي وانما هو من الله وهو ما ذكرنا **وقوله** وكان في المدينة تسعة رهط قال بعضهم الرهط
انما يقال من ثلاثة الى تسعة واذا نقص عن ذلك او زاد فانما يقال رجال وقال ابو عوسجة الرهط النفر والرهط
و رهوط جميع ثم يحتمل الرهط وجهين احدهما تسعة رهطا اي تسعة نفر من الاتباع وغيره يفسدون في الارض
ولا يصلحون والثاني تسعة رهط لا تسعة نفر من الرؤساء ولكل احد منهم رهط من الاتباع يفسدون في الارض ولا يصلحون
جائز ان يكون هذا اخبارا من الله انهم يفسدون ابدا في الارض ولا يؤمنون ابدا وجائز ان يكون اخبارا عن حالهم
اي يعملون الفساد والمعاصي ولا يصلحون اي لا يسعون بالصلاح وقال ابن عباس ان هؤلاء التسعة كانوا من ابناء
اشرافهم وكانوا بالحجر وكانوا فساقا فقال بعضهم لبعض لنقتلن صالحا واهله ثم لنقولن لوليه اي لقومه من ورثته
ما قتلناه وهو قوله لنبيتنه واهله ثم لنقولن ما شهدنا مهلك اهله فتحالفوا على ذلك فاتوا صالحا ليلا فدخلوا
عليه باشيائهم ليقتلوه واهله وعند صالح ملائكة جاءوا من الله تعالى يحرسونه فقتلوا الرهط في دار صالح بالحجارة
فذلك قوله ومكروا مكرا بصالح واهله ومكرنا مكرا اي اهلكناهم وهم لا يشعرون انهم يهلكون وقال بعضهم
هؤلاء التسعة الرهط تواثقوا انهم يبيتون صالحا ويقتلونه واهله بعدما عقروا الناقة وقالوا فيما بينهم فان خوصمنا
في ذلك لنقولن ونتقاسمن ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا في هلاكهم على هذا التاويل يكون على التقديم
والتاخير وقال بعضهم هؤلاء التسعة كانوا شرار قومه خرجوا يجيئون الى بعض المغار ليشربوها ثم ليبيتوا على صالح
واهله فنشبوا هنالك فانهد بهم الصخر وغدت بواقيه فذلك قوله ومكروا بقتل صالح وهلاكه مكرا ومكرناهم
حيث اهلكناهم مكرا وهم لا يشعرون والمكر هو الاخذ بغتة وقوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا اي جزيناهم جزاء
مكرهم ثم اختلف في قراءة لنبيتنه واهله ثم لنقولن بالنون فذلك قول بعضهم لبعض وقرأ بعضهم بالتاء
لتبيتنه واهله ثم لتقولن فذلك قول الرؤساء للاتباع ومن قرأ بالياء يجعله خبرا من الله تعالى لهم **وقوله**
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اي لم تسكن فيها احدا ولكن تركناها خالية كذلك وقال بعضهم خاوية اي خربة
بما ظلموا كقوله وهي خاوية على عروشها اي ساقطة خربة وقد كان ذلك كله منها ما جعل لغيرهم مسكنا اذا اهلكهم
من نحو ما اورث بني اسرائيل ديار القبط واموالهم وانزلهم فيها ومنها ما تركها كذلك خالية بعدما اهلك اهلها
ومنها ما اهلك اهلها وخربها وتركها كذلك **وقوله** ان في ذلك لآية اي في هلاك من ذكر لآية ولعبرة يعتبرون
ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون مخالفة الله ومخالفة امره ونهيه **وقوله** ولوطا اذ قال لقومه كان فيه اضمار
كانه قال ارسلنا لوطا الى قومه اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون اي تاتون الفاحشة وانتم تبصرون
وتعلمون انها فاحشة ائنكم لتاتون الرجال شهوة اي اشتهاء لكم من دون النساء يقول تاتون الذكور وتدعون
النساء وهو ما قال في آية اخرى اتاتون الذكران من العالمين الآية **وقوله** بل انتم قوم تجهلون قال بعضهم ولكنكم
قوم تجهلون اي تجهلون الامر فتعصون ويشبه ان يكون هذا جواب قوله كان من قومه نحو ما قالوا لئن لم تنته يا لوط
لتكونن من المخرجين فقال عند ذلك بل انتم قوم تجهلون ما تقولون اي على جهل ما تقولون ذلك وكلام نحو هذا والله اعلم
وقوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم قوله فما كان جواب قومه في وقت الا ان قالوا

كذلك فى الاوقات كلها لانه قد كان منهم قول وجوابات نحو ما قالوا ايتنا بعذاب الله الآية ونحو وقولهم
انهم اناس يتطهرون دل هذا منهم انهم قد علموا ان ما ياتوا ويعملون من خبيث وفحش ومنكر حيث قالوا انهم
اناس يتطهرون ثم يحتمل قولهم هذا وجوها احدها انهم قالوا ذلك استهزاء منهم بهم والثانى قالوا اخرجوا آل لوط
فانهم يستقذرون اعمالنا وافعالنا والثالث على التحقيق انهم اناس يتطهرون وقوله فانجيناه واهله الا امرأته
قدرناها من الغابرين فيه دلالة ان غير الزوجة يجوز ان يسمى اهلا قال عامة اهل التاويل اهله بناته
وقوله قدرناها من الغابرين دلالة خلق افعال العباد حيث اخبر انه قدرناها من الغابرين والقبود والبقاء
فعلها فاخبر انه قدر ذلك منها وخلق وقوله من الغابرين اى الباقين فى عذاب الله وفى حرف ابن مسعود ولقد
وقينا اليه اهله كلهم الا عجوزا فى الغابرين وقوله وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين اى ساء مطر
المنذرين الذين لم يقبلوا الانذار ولم تنفعهم النذارة وقوله وقل الحمد لله امر نبيه بالحمد له والثناء عليه
على هلاك اعداء الرسل الخالية ثم قال وسلام على عباده الذين اصطفى وهم الرسل والانبياء صلوات الله عليهم
وجايز ان يكون امر اياه بالحمد له والثناء عليه لما انعم عليه من انواع النعم منها ما ذكروا من هلاك اعداء الرسل
وابقاء اوليائهم تخويفا لاعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهلكوا كما اهلك اعداء الرسل الخالية وان يكون
امره اياه بالحمد له والثناء عليه لما انعم عليه فى نفسه من انواع النعم من النبوة والرسالة والهداية ونحوه والله اعلم
وقوله وسلام على عباده الذين اصطفى يحتمل الرسل كقوله وسلام على المرسلين ويحتمل الامر بالسلام على اصحابه
وجميع المؤمنين كقوله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم امر رسوله بالسلام على المرسلين وعلى اصحابه
ثم فى قوله اصطفى دلالة ان لا احد يستوجب الصفوة الا بالله حيث قال اصطفى وقوله آلله خير اما يشركون
اى الذى فعل هذا بالامم الخالية من الهلاك للاعداء وابقاء الرسل والاولياء ام الاصنام التى تشركون فى عبادته وهى لا تملك
شيئا من ذلك يقول والله اعلم انكم تعلمون ان الله يملك ما ذكر من اهلاك اعدائه وابقاء رسله والاصنام التى تعبدونها
دونه لا تملك شيئا فكيف تشركونها فى الوهيته ولم يذكر جواب قوله آلله خير اما تشركون وجوابه ان يقولوا بل الله خير
وكذلك روى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرا هذه الآية قال بل الله خير وابقى واجل
واكرم وقوله امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة يذكرهم بهذا وجهين
احدهما قدرته وسلطانه فى خلق ما ذكر من السموات والارض وانزال الماء من السماء وانبات النبات من الارض واخراجه
على اقرار منهم ان الله خالق ذلك لا غيره فيقول فاذ علمتم ان الله هو خالق ذلك كله فكيف اشركتم غيره من لا يملك
ذلك ولا يقدر فى تسمية الالهية والعبادة والثانى يخبر عن اتساق الامور والتدبير فيهما جميعا واتصال منافع
احدهما بالآخر على تباعد ما بينهما ليعلم ان منشيهما ومدبرهما واحد لا عدد فاذ عرفتم ذلك فكيف اشركتم غيره فيها
وهو كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وهذا الحرف على الثنوية والدهرية وهؤلاء لتوهمهم بالعدد والكثرة
الواحد والاول على المقرين بالواحد الا انهم اشركوا الاصنام فى التسمية والعبادة وقوله حدائق ذات بهجة قال بعضهم
الحدائق الحيطان والبساتين ما دون الحيطان وقال بعضهم الحدائق الحوايط التى خصت بالاشجار والبساتين هى الملتفة بها
وقال ابو عوسجة الحدائق البساتين والرياض والحديقة الروضة وقال القتبى الحدائق البساتين واحدها حديقة
سميت بذلك لانها تحدق بها اى تحظر ذات بهجة حسن المنظر وجايز انها سميت ذات بهجة لما يبتهج صاحبها اذا نظر
اليها ويسر وقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اى ما تقدرون انتم ان تنبتوا شجرها فمن هو دونكم اشد وابعد فكيف اشركتم
فى العبادة وتسمية الالهية من هو دونكم فى كل شىء وقوله أاله مع الله اى لا اله مع الله بل هم قوم يعدلون هذا
يحتمل وجهين يحتمل يعدلون اى يجعلون من لا يملك ما ذكر عديلا لله والثانى يعدلون اى يعدلون عن الله ويميلون
الى غيره من العدول والله اعلم وقوله امن جعل الارض قرارا يقرون عليها ويتقلبون فيها ويبيتون وجعل خلالها انهارا
ينتفعون بها انواع المنافع ويشربون وجعل لها رواسى اى الجبال لئلا تميد بهم وجعل بين البحرين حاجزا قال بعضهم

جعل بين

جعل بين بحر الفارس وبحر الروم جزيرة العرب حاجزا وسمى جزيرة لما جزر الماء عنها اى ذهب وقال بعضهم
بحر الشام وبحر العراق وقال بعضهم قوله وجعل بين البحرين حاجزا بين العذاب والمالح حاجزا بلطفه لا يختلط
هذا بهذا ولا هذا بهذا لطفا منه يذكرهم نعمه عليهم ولطفه ان كيف اشركتم فى عبادته والوهيته من لا يملك ذلك
وصرفتم شكرها الى غير المنعم أاله مع الله اى لا اله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون لان من لا ينتفع بما يعلم فكانه
جاهل نفى عنهم العلم لتركهم الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان والعقل لتركهم الانتفاع بهذه الجوارح
والحواس وان كانت لهم هذه الجوارح فعلى ذلك جايز نفى العلم عنهم لتركهم الانتفاع به والثانى بل اكثرهم
لا يعلمون لما لا يتكلفون النظر فيما ذكروا ولا يعلمون ان بينهما حاجزا والله اعلم وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض يخرج على الصلة بقوله آلله خير اما تشركون كانه يقول من يملك
اجابة المضطر وكشف السوء عنه وجعلكم الخلفاء فى الارض خير ام من لا يملك من ذلك شيئا فجواب ذلك ان يقولوا
بل الذى يملك ذلك خير ممن لا يملك ولا يقدر ذلك ويخرج على الوجهين اللذين ذكرتهما احدهما انكم تعلمون ان الذى
يجيب المضطر ويكشف السوء هو الله تعالى لا الاصنام التى تعبدونها فكيف اشركتموها فى الالهية والعبادة والثانى
انه اذا اجاب دعوة المضطر وكشف السوء وجعلكم خلفاء الارض بعد هلاك اوائلكم فدل ذلك انه واحد لا عدد اذ لو كان
بغير عدد لكان اذا اجاب هذا وكشف السوء رد الآخر ومنع فدل بقاء ذلك كله واتساق الامر انه واحد لا شريك له
فهذا على الثنوية والاول على المشركين غيره فى العبادة له وتسمية الالهية وقوله أاله مع الله اى لا اله مع الله
قليلا ما تذكرون وعلى ذلك يخرج قوله امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته
على الوجوه التى ذكرناها وكذلك قوله امن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض امن يقدر على ما تقدم
ذكره يملك البعث بعد الموت واحياءه يلزمهم البعث بهذا اى من يقدر هذا يقدر بما ذكر أاله مع الله اى لا اله مع الله
بل الله هو المتفرد بذلك دون من يعبدون وتشركون وقوله قل هاتوا برهانكم اى حجتكم فى هذا وانكروا ذلك
وادعى الشرك فيه لغيره قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فى مقالتكم وقوله بشرا من البشارة ونشرا بالنون من التفرق
والرقع وقوله خلفاء الارض يخلفون من قبلهم من الامم قال ابو معاذ وواحد الخلفاء وواحد الخلائف خليفة
والخليف من الخالف كالعليم من العالم وقوله أاله مع الله يقول والله اعلم يفعل ذلك بكم يرزقكم وينزل لكم من السماء
ماء وينبت لكم من الارض ما تاكلون وترعى انعامكم او مع الله اله يهديكم فى ظلمات البر والبحر ويرسل لكم الريح بشرا
او يجيب المضطر ويكشف السوء عنه وكل ما ذكر اى ليس معه اله سواه بل الله هو يفعل ذلك كله بكم فكيف اشركتم
غيره فى الهيته وعبادته على علم منكم ان الذى تعبدون من دونه لا يملك شيئا ان يفعل ذلك بكم يذكر سفههم
وقلة بصرهم ومعرفتهم ثم قال قل هاتوا برهانكم ان كنتم ان الله اله فعل ذلك بكم ان كنتم صادقين ثم قال
قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله كانه قال والله اعلم لرسوله قل لا يعلم ممن تعبدون من اهل السموات
ومن فى الارض الغيب الا الله لان بعضهم كان يعبد اهل السموات وهم الملائكة وبعضهم كانوا يعبدون من فى الارض يقول
لا يعلم ممن تعبدون من دون الله من فى السموات والارض الغيب انما يعلم الغيب الله ثم قوله الغيب يخرج على وجهين احدهما
ما يغيب بعضهم من بعض يقول ما يغيب بعضهم من بعض فهو يعلم ذلك والثانى لا يعلم الغيب الا الله اى ما كان وما يكون
الى ابد الآبدين لا يعلم ذلك الا الله وان اعلموا او علموا ذلك ومنهم من صرف الغيب الى البعث والساعة يقول لا يعلم
الساعة احد متى يكون الا الله وقوله وما يشعرون ايان يبعثون قال عامة اهل التاويل وما يشعر اهل مكة متى
يبعثون لكن لو كان الجهل عن وقت البعث فاهل مكة وغيرهم من اهل السموات واهل الارض فى جهلهم بوقت البعث
شرعا سواء لا احد يعلم من اهل السموات والارض انه متى تبعث الا ان يكون الآية فى منكرى البعث فحينئذ جايز
صرفه الى بعض دون بعض فاما فى وقت البعث فالناس فى جهلهم بوقت البعث سواء وهو ما قال فى آية اخرى يسالونك
عن الساعة ايان مرساها الآية اخبر انه لم يطلع احدا على علم ذلك عنده الله وقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة

بل هم في شك منها عمون اختلف في قراءته وتاويله اما القراءة فانه قرا بعضهم ادارك بالتشديد والالف وقرا بعضهم ادرك باسقاط الالف والتشديد وقرا بعضهم بلى باثبات الياء في بلى وعلى الوقف عليها وادرك على الاستفهام بلى اادرك ومنهم من قرا على الاستفهام اادرك على غير اثبات الياء في حرف بل وعلى غير قطع منه فمن قرا ادارك بالتشديد على غير استفهام يقول معناه تدارك واجتمع اى تدارك علمهم في الاخرة يقول ابلغ علمهم بالاخرة اى لم يدرك ولم يبلغ علمهم بل هم في شك منها بل هم منها عمون بسفههم وجهلهم يقول ما بلغ علمهم بالاخرة وقال بعضهم بل ادرك علمهم في الاخرة اى ام ادرك علمهم وقال بعضهم ادرك علمهم في الاخرة اى غاب علمهم عن الاخرة وادرك في الاخرة حين لم ينفعهم وعن الحسن قال بل ادرك علمهم اى ضمحل علمهم وذهب وعن ابن عباس وغيره قالوا بل ادرك علمهم في الاخرة بل اجمع علمهم بان الاخرة كاينة وهم مشركوا العرب بل هم في شك منها قال يقولون مرة الاخرة كاينة ثم يشكون فيها فيقولون ما ندرى كاينة ام لا بل هم منها عمون يعنى جهلة بها وجايز ان يسمى الشاك في شئ عميا وابو عوسجة والقتبي يقولان ادارك علمهم اى تدارك ظنهم في الاخرة وتتابع بالقول بل هم منها عمون اى بين عليها وقال بعضهم من اهل الادب لا يستقيم قراءة من قرا باثبات الياء في بلى والصلة بالاول لان بلى بالياء انما تقال في الايجاب والاثبات وما تقدم من الكلام هو على الانكار والنفى وذلك غير مستقيم في اللغة والكلام والله اعلم وقوله وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا واباؤنا اينا لمخرجون كانهم قالوا ذلك لاحد وجهين اما استهزاء بما يخبرهم الرسل انكم تبعثون او قالوا ذلك احتجاجا احتجوا به على الرسل بقول لهم الذى قالوا لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين يحتجون فيقولون لقد وعد اباؤنا بالبعث كما وعدنا نحن ثم لم نرهم بعثوا منذ ماتوا فعلى ذلك نحن وان وعدنا فلا نبعث اباؤنا ثم قال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين يقول والله اعلم لو سرتم في الارض فنظرتم الى ما حل بمكذبي الرسل من العذاب والرسل انما كانوا يدعون الى توحيد الله والاقرار بالبعث بعد الموت فكل ذلك ينزل بكم ما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل بالبعث وغيره فيكون قوله سيروا في الارض ليس على حقيقة الامر بالسير ولكن على ما ذكرنا اى لو سرتم لعرفتم ما حل بهم بتكذيبهم او ان يكون الامر بالسير في الارض امرا بالتفكر فيما نزل باولئك لا امرا بالنظر في عاقبة امرهم امر بالاعتبار فيهم ونحوه امرا ولكن امرهم بهذا ليزجرهم ذلك عن مثل صنيعهم ونحوه وقوله ولا تحزن عليهم قال قايلون قوله لا تحزن عليهم بما يحل بهم من العذاب ان لم يحزنوا هم على انفسهم ولم يرحموها وقال بعضهم قوله ولا تحزن عليهم ان لم يسلموا كقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وكقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وامثال ذلك كادت نفسه تهلك وتتلف شفقا عليهم بما ينزل بهم بتركهم الاسلام فقال ولا تحزن عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ليس على النهى ولكن على تسكين نفسه وتقريرها على ما هى عليه لئلا تتلف وتهلك وهو ما قال انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين وقوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون هذا يحتمل وجهين احدهما لا تكن في ضيق مما يستهزؤن بكم ويسخرون بما توعدهم من العذاب والهلاك الا ترى انهم قالوا على اثر ذلك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قالوا ذلك له استهزاء بما يوعدهم فكانه قال لرسوله لا تكن في ضيق مما يستهزؤن بما توعدهم فان الله يجزيهم جزاء استهزائهم بكم والثانى لا تكن في ضيق مما يمكرون اى مما يريدون ويهمون قتلك فان الله يحفظك ويحوطك فلا يصلون اليك مما يريدون من قتلك واهلاكك وهو ما قال والله يعصمك من الناس وفيه دلالة اثبات رسالته حيث امنه واخبره انه يحفظه ويعصمه من جميع الاعداء وهو بين اظهرهم فذلك اية من ايات النبوة والرسالة والله اعلم وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قد ذكرنا انهم انما يقولون ذلك استهزاء وتكذيبا بما كان يوعدهم من العذاب بتكذيبهم اياه ثم كان يوعدهم مرة بعذاب ينزل بهم في الدنيا كما نزل باوايلهم بتكذيبهم الرسل ومرة يوعدهم بعذاب ينزل بهم في الاخرة فيكذبونه في ذلك كله ويستهزؤن به ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وكذلك قال اوايلهم لرسلهم فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ثم قال قل عسى ان يكون ردف لكم

بعض

بعض الذى تستعجلون هذا يحتمل وجهين احدهما قوله ردف لكم بعد هذه الحال وبعد هذا القول الذى قالوا بعض الذى تستعجلون اى ينزل بكم بعد هذه الحال بعض الذى تستعجلون وهو العذاب وقوله ردف لكم اى يدنوا منكم ويقترب والثانى عسى ان يكون ردف لكم بعد الحزن والمكروه الذى يحل بكم بالموت بعض الذى تستعجلون وهو عذاب القبر لانهم وقت الموت يحزنون ويكرهون لما شاهدوا وعاينوا من حالهم ولذلك يسالون ربهم الرجوع والرد الى المحنة ثانيا نحو قولهم رب ارجعون وقولهم او نرد فنعمل ونحوه وقوله وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون يحتمل قوله ذو فضل على الناس وجوها احدها ذو فضل على الناس في تاخير العذاب عنهم ولكن اكثرهم لا يشكرون ذلك الفضل ولكن يستعجلون والثانى ذو فضل على الناس في دينهم في بعثه وارساله اليهم من يزجرهم ويبصرهم عما يستوجبون من عذاب الله ومقته وهو الرسول لكنهم لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه بل يعاندونه ويكابرونه اولذو فضل على الناس فيما انعم عليهم في اموالهم وانفسهم لكنهم لا يشكرون في ذلك بل يصرفون شكره الى غير المنعم والله اعلم وقوله وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون قوله تكن صدورهم يحتمل وجهين احدهما ما تكنون انتم في صدوركم وتسرون فيها وما تعلنون اى ما تبدون وتظهرون فيها يعلم ذلك كله او ما تكن صدورهم اى ما تخفى انفس الصدور وتسر فيها وما تعلنون وما تحمل الصدور واصحابها على ابداء ما فيها واظهاره وهو ما ذكر في الخبر حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الانسان مضغة اذا صلحت صلح جميع بدنه وهو القلب والله اعلم وقوله وما من غايبة في السماء والارض الا في كتاب مبين هذا يخرج على وجهين ايضا احدهما ما من غايبة في السماء والارض مما كان ويكون ابدا الابدين الا كان ذلك مبينا في كتاب مبين يخبر انه كان لم يزل عالما بما كان منهم ابد الابدين وانه عن علم بافعالهم وصنيعهم خلقهم وانشاهم لا عن جهل وغفلة والثانى وما من غايبة في السماء والارض اى ما من غايبة عن الخلق ما يغيب بعضهم من بعض ويسر بعضهم بعضا الا كان ذلك في كتاب مبين كان عند الله محفوظا مرقوبا ينبئهم ليكونوا على حذر يقول ان ما يغيب بعضهم من بعض فهو عند الله محفوظ رقيب لا يغيب عنه شئ كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والله الموفق قال بعضهم في قوله عسى ان يكون ردف لكم اى عجل لكم وقوله ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون مقطوع من قوله ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل كانه قال يقص على بنى اسرائيل اى يبين لهم ثم قال على الاستيناف اكثر الذى هم فيه يختلفون وقال بعضهم لا ولكن هو موصول بعضه ببعض ان هذا القران يقص اى يبين على بنى اسرائيل اكثر مما اختلفوا فيه فان كان على ما يقول هذا فانهم بانفسهم يبينون الاختلاف الذى هم فيه لا يحتاج الى ان يبين القران الذى هم فيه يختلفون اذ هم يبينون ما اختلفوا فيه ولكن تاويله والله اعلم ان هذا القران يبين لهم الحكم في اكثر ما يختلفون او يبين لهم الحق في اكثر ما يختلفون فيه وفي ظاهر الاية انه يبين لهم الذى هم فيه يختلفون انه قد بقى شئ مما اختلفوا فيه لم يبين لهم حيث قال اكثر الذى هم فيه يختلفون لكن قوله اكثر الذى هم فيه يختلفون اى يبين لهم ما فيه نص القران ولم يبين لهم ما فيه دليل القران او يبين لهم ما فيه نص القران ولم يبين ما فيه سنة الرسول ونحوه والله اعلم وقوله وانه اى القران الذى ذكر لهدى ورحمة اى هدى ورحمة اى هدى من الضلالة لمن اتبعه في الدنيا وعمل به ورحمة في دفع العذاب عنهم في الاخرة فيكون هو هدى ورحمة لمن امن به وقوله ان ربك يقضى بينهم بحكمه حكمه هو عدله كانه يقول ان ربك يقضى بينهم بعدله لا يجوز ولا يظلم في الحكم والقضاء وهو العزيز العليم العزيز الذى لا يعجزه شئ العليم الذى لا يخفى عليه شئ عزيز بذاته عالم بذاته وقوله فتوكل على الله اى توكل على الله واعتمد عليه ولا تخف مكرهم وما يريدون ويقصدون اى بكيدهم واياك كقوله والله يعصمك من الناس وقوله انك على الحق المبين لانه معك حجج وبراهين ليس مع اولئك حجج وبراهين وان كان كل منهم يقول انا على الحق فانت على الحق المبين

لانهم لا ان معك حجج وبراهين الذى انت عليه حق وان الذى هم عليه باطل ليس بحق انك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قال بعض اهل التاويل بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى
يوم بدر يا فلان ويا فلان وهم قتلى بعد ما امر ان يجمعوا فى قليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا الم تكذبوا نبيكم
وتكفروا بربكم وتقطعوا ارحامكم فانزل الله تعالى هذه الاية انك لا تسمع الموتى لكن عندنا ان الله تعالى سمى الكافر
ميتا فى غير اية من القرآن لما لم يجهدوا انفسهم فى عبادة الله ولا استعملوها فى طاعته فهم كالموتى وسماهم صما
لما لم يسمعوا الحق ولم يقبلوه وسماهم بكما لما لم ينطقوا بالحق ولا تكلموا به وسماهم عميا لما لم يبصروا الحق وسماهم موتى
لما لم يستعملوا ابدانهم فى الحق فنفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولا استعملوها فيما انشئت وخلقت
وان كانت لهم هذه الحواس فعلى ذلك سماهم موتى وهلكى وفى موضع اخر شبههم بالانعام واخبر انهم اضل لما لم يستعملوا
انفسهم فيما انشئت هى له ولم ينتفعوا فان قيل ما معنى قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين اخبر انه لا يقدر
على ان يسمع الصم اذا ولوا مدبرين ولا يقدر ان يسمع الصم وان كانوا مقبلين ولم يولوا قيل معناه والله اعلم انهم صاروا
صما لا ينتفعون بها سمعوا لاعراضهم وترك امكان النظر فيه ولو اقبلوا اليه لانتفعوا به فيصير سمعا لهم بخبر
عن شدة تعنتهم ومكابرتهم انهم كالصم المدبرين لا يمكن اسماعهم بحال ولا تفهيمهم وان جهدوا اما الصم المقبلون
فانهم قد يمكن اسماعهم وتفهيمهم بجهد بالاشارة والايماء ونحوها والله اعلم بذلك وقوله وما انت بهادى العمى
عن ضلالتهم وفى بعض القراآت وما انت تهدى العمى عن ضلالتهم هذا يدل ان ليس كل الهدى البيان على ما قالت المعتزلة
لانه لو كان الهدى كله بيانا فى جميع المواضع على ما قالوا هم لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدر ان يبين الكفار
عن ضلالتهم وقد بين لهم ثم اخبر رسوله وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم فدل هذا ان عند الله هداية ولطف
اذا سألوه وطلبوا منه ذلك فاعطاهم لاهتدوا به وآمنوا فهذا ينقض على المعتزلة قولهم وقوله ان تسمع الا من يؤمن
باياتنا فهم مسلمون اى ما تسمع الا اهل الايمان بالآيات واهل الاسلام منهم فاما اهل العناد والمكابرة فلا
واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض قال بعضهم قوله واذا وقع القول عليهم اى اذا وقعت الحجة عليهم
ولزمت فكذبوها اخرجنا لهم دابة وقال بعضهم واذا وقعت السخطة والغضب عليهم اخرجنا لهم دابة وقوله وقال الكلبى
اذا وقع القول عليهم اى اذا بلغوا فى الكفر حدا يعلم الله انهم لا يؤمنون ابدا بعد ذلك اخرجنا لهم دابة لكن قد ذكرنا
فى غير موضع ان هذا لا يصح ولا يجوز لان الله عز وجل لم يزل عالما بما كان ويكون منهم ابدا لا يبدو فليس علمه باحوالهم
بما يكون منهم اذا بلغوا ذلك الحد بل لم يزل عالما بما يكون منهم وهذا الحرف الذى يقول هذا القائل يومى الى انه انما يعلم
ذلك منهم اذا بلغوا ذلك الحد وقبل ذلك لا فهو قبيح وقول من قال اذا وقعت الحجة عليهم فهو لا يحتمل ايضا لان الحجة قد كانت
قامت قبل ذلك الوقت وليست تقوم الحجة عليهم فى ذلك الوقت فيكون التاويل احد وجهين احدهما ما ذكرنا من وقوع
العذاب ووجوب العقوبة والسخطة عليهم كقوله اولئك الذين حق عليهم القول اى العذاب وجب عليهم والثانى واذا اتى وقت
خروج الدابة التى وعدنا لهم انها تخرج اخرجنا لهم فى ذلك اى لا يتقدم خروجها عن الوقت الموعود ولا يتاخر كقوله
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وهكذا كل شىء جعل الله لظهوره ذلك وكونه وقتا لا يتقدم
ولا يتاخر ذلك الوقت والله اعلم يشبه ان يكون تاويل الاية وقوله تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون قرأ العامة
بالتشديد تكلمهم من التكليم والتحديث وكذلك فى بعض الحروف يحدثهم وتنبئهم وقد قرئ تكلمهم بالتخفيف وهو من الجراحة
وهو ما ذكر فى الاخبار والقصص ان الدابة اذا خرجت تجرح الكافر وتسمه بسمة وعلامة حتى يعرف الكافر من المؤمن
فيقال يا مؤمن ويا كافر وسئل ابن عباس عن ذلك وقال تكلم المؤمن وتحدثه وتجرح الكافر والله اعلم ثم اختلف فى قوله
ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اختلف فى تلاوته وتاويله ان الناس بنصب الالف وان الناس بكسرها فمن قرأها بالنصب
ان الناس جعل ذلك القول من الدابة ثم يخرج على وجهين احدهما تقول الدابة ان الناس كانوا بى وبخروجى لما وعدوا
لا يوقنون اى اخرج فيها اذا خرجت والثانى انها تخبر عن الله وتنبئ ان الناس كانوا بالدابة وبغيرها من الآيات

لا يوقنون ومن قرأ بالخفض ان الناس يجعل ذلك القول من الله ابتداء اخبارا انهم كانوا لا يزالون لا يوقنون باياتنا
وفى خروج الدابة اعظم آيات فى اثبات رسالة رسوله ونبوته لانه اخبر انها تخرج فى وقت كذا فتخرج على الخبر فى ذلك
على الوصف الذى وصف فيدلهم على صدقه وقوله ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا يجمع القادة منهم
والاتباع والمتبوعون فيساقون الى النار جميعا كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية وكقوله وسيق الذين كفروا
الاية وكقوله ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون قال اهل التاويل يوزعون اى يحبس اولهم على آخرهم
حتى يجتمعوا وقد ذكرنا الوزع فيما تقدم وما قيل فيه وقوله حتى اذا جاؤا اى حتى اذا جاؤا جميعا واجتمعوا يعنى
الكفار قال لهم اكذبتم باياتى ولم تحيطوا بها علما يحتمل ولم تحيطوا بها علما اى قد احطتم بها علما انها آيات
لكن كذبتم وانكرتم انها آيات عنادا ومكابرة اذ يجوز ان يتكلم بالنفى على اثبات منه كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم
فى السموات ولا فى الارض اى يعلم بضد ذلك وبخلاف ما يقولون انتم وذلك جائز فى القرآن كثير وان يكونوا
قوله ولم تحيطوا علما لما لم يتفكروا فيها ولم ينظروا اليها نظر التعظيم والاجلال لكى تعرفوا واحطتم بها انها آيات
والا لو كان التاويل على ظاهر ما ذكر لكان لهم عذر فى تكذيبها اذ لم يحيطوا بها علما اذ من لم يحط العلم بالشىء
فله عذر الرد وترك القبول لكن يخرج على الوجهين اللذين ذكرتهما والله اعلم ثم قال اماذا كنتم تعملون فى تكذيب
الآيات والاعمال التى عملوها بلا حجة ولا برهان ووقع القول عليهم اى وجب القول بالعذاب ووقع ما وعدوا من العذاب
بما ظلموا حيث قال لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ونحوه وقوله فهم لا ينطقون اى لا ينطقون بالحجة
مما يكون لهم به عذر وقوله الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لايات اى فى الليل
والنهار لايات لقوم ثم الآيات التى ذكر فيهما يكون من وجوه احدها دلالة وحدانيته ودلالة علمه وتدبيره وحكمته
ودلالة كرمه وجوده ودلالة قدرته وسلطانه ودلالة القدرة على البعث والاحياء بعد ما صار رمادا و
ترابا اما دلالة كرمه وجوده ما جعل لهم فى الليل والنهار منافع تدوم ما داموا هم ثم تلك المنافع تكون على وجهين
احدهما جعل النهار للتقلب فيه والتصرف لمعاشهم وما به قوام دنياهم وجعل الليل راحة لهم وسكونا ولو جعلهما
جميعا للتقلب ما قام به معاشهم وما به قوام انفسهم وابدانهم ابدا لانه لا يلتئم ذلك الا بالراحة ولو جعلهما جميعا
للراحة لم يقم امر معاشهم فمن رحمته وفضله جعل احدهما للراحة والاخر للتقلب وهو ما ذكر فى اية اخرى ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والثانى من النعمة التى ذكر انه جعل الذى للتقلب مما جعل
ذلك للتقلب مما جعل ذلك للكل لا لبعض دون بعض وكذلك الذى هو مجعول للراحة والقرار انما جعله كذلك
للكل لا لقوم دون قوم ولو جعل كذلك لكان لا يقوم امر معاشهم ولا ما به يقوم ابدانهم وانفسهم ولكن من رحمته
وفضله جعل المجعول وقتا للراحة للكل لا لبعض دون بعض وكذلك المجعول للتقلب ليظفر المشترون بالباعة والباعة
بالمشترين ليلتئم امر معاشهم ودنياهم واما دلالة وحدانيته ما جعل منافع احدهما متصلة بالاخر اذ لا يقوم
احدهما الا بالاخر على اختلاف جوهرهما ليعلم ان مدبرهما ومنشئهما واحد اذ لو كان عددا لكان ما اراد هذا
ايصاله منع الاخر فاذ لم يكن ولكن جريا على سنن واحد والشاق واحد دل انه تدبير واحد لا عدد ودلالة
علمه وحكمته انهما منذ كانا على ميزان واحد وعلى تقدير واحد من غير تغير وتبدل يقع فيهما دل ان لمنشئهما علما
ذاتيا وحكمة ذاتية لا علما مكتسبا مستفادا كعلم الخلق واما دلالة القدرة والسلطان لانهما يقهران الخلق كلهم
من الجبابرة والفراعنة شاؤا او ابوا حتى اذا اراد واحد منهم فى منع احدهما او يزيد فى احدهما او ينقص من الاخر لم يقدر
عليه او ان اجتمعوا جميعا على دفعهما او دفع احدهما دون الاخر لم يقدروا عليه دل ان لمنشئهما قدرة وسلطانا
اذ من قدر على انشاء هذا لا يعجزه شىء ودلالة القدرة على البعث لانه يتلف احدهما ويذهب به حتى لا يبقى اثره
ثم ياتى بالاخر على تقدير الاول فمن قدر على انشاء هذا بعد ذهاب الاخر بكليته وذهاب اثره لقادر على انشاء
الخلق بعد فنائهم وهلاكهم وانه لا يعجزه شىء ثم لما جعل هذا ما ذكرنا وخلق ما خلق من المنافع التى ذكرنا لهذا العالم

خلق هذا العالم للمحنة يامرهم وينهاهم وجعل لهم عاقبة فيها يثاب من اطاعه ويعاقب من عصاه اذ لو لم يكن
عاقبة لكان خلقهم عبثا لا حكمة فيه لان من بنى بناء للفناء والنقض خاصة لا لعاقبة يتامل نفعه كان بناؤه عبثا
غير حكمة تعالى ذلك خلق الخلق لا لعاقبة تقصد عبث ليس بحكمة والايات لمن آمن بها وصدقها اما من لم يؤمن وكذب بها
فهما آيات عليهم لا لهم **وقوله** ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض اختلف في النفخ ما هو
وفي عدده وقد اختلف في الصور ايضا ما هو وكيف هو اما الاختلاف في النفخ فمنهم من يقول ليس على حقيقة النفخ ولكن
اخبار عن خفة قيام القيامة على الله خبر بالنفخ عنها لانه اخف شيء على الخلق واهونه فاخبر به عنها وهو ما قال وما امر
الساعة الا كلمح البصر شبه امرها بلمح البصر لما ليس شيء اخف على المرء من لمح البصر فعلى ذلك ذكر النفخ عند قيامها لخفته على الخلق
ومنهم من يقول ذكر النفخ لسرعة نفاذ الساعة اذ ليس شيء اسرع نفاذا من النفخ وهو ما قال الا صيحة
ذكر ذلك وشبهها بالصيحة والرجفة لسرعة نفاذها اذ ليس شيء اسرع نفاذا من الصيحة والرجفة فيقول ليس على حقيقة
النفخ ولكن اخبار عن خفتها على الله او سرعة نفاذها على ما ذكرنا وهو ما قال فنفخنا فيه من روحنا ليس انه ينفخ فيه نفخا
ولكن يجعل كانه قال وجعلنا فيه من روحنا ومنهم من يقول على حقيقة النفخ فان كان على هذا فهو ان يمتحن الملك من غير
ان يقع له الحاجة الى ذلك نحو ما امتحن الكرام الكاتبين بكتابة اعمال الخلق وافعالهم من غير وقوع الحاجة اليه لكن
امتحانا منه ملائكته بذلك او ان يكونوا احدا اذ هو عالم بما كان وبما يكون كيف يكون ومتى يكون واي شيء يكون واما اختلافهم
في عدد النفخ قال قايلون انه واحد يحتج بقوله الا صيحة واحدة **وقوله** وانما هي واحدة ومنهم من يقول
بالنفختين يقول بقوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة اخبر انه يردف الاولى غيرها ويحتج بقوله ايضا ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى ومنهم من يقول بالنفخات الثلاث يقول الاولى للفزع
والثانية للصعق على ما ذكر في الآية والثالثة للاحياء ومنهم من يقول بالثلاث الا انه يجعل ذلك كله بعد الموت
احدها للفزع في القبور والثانية للاحياء فيها والثالثة للاخراج منها والنشر ويقول هذا القايل بعذاب اهل القبر
من النفخة الثانية الى النفخة الثالثة وعلى ذلك روي اخبار في ذلك فان ثبت فهو ذلك والا نقف فيه واما اختلافهم
في الصور قال قايلون ينفخ في الخلق والصور جمع صورة قال الزجاج لا يحتمل هذا لان الصور على سكون الواو وليس هو من فرد
الصور ولا من جمعها لان المفرد هو صورة لها وجمع الصورة صور بتحريك الواو على ما ذكر في الآية فاحسن صوركم ومنهم
من يقول هو قرن ينفخ فيه كقرن كذا او بوق كبوق كذا لكنا لا نفسر شيئا مما ذكر من النفخ والصور انه كذا ولا نشير الى شيء انه
الا ان ثبت شيء من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال به وليس هو بشيء يوجب العمل به فيتكلف صحته وسقمه
انما هو شيء يجب التصديق به فنقول بالنفخ والصور على ما جاء ولا نفسر والله اعلم **وقوله** ففزع من في السموات ومن في الارض
وقال في آية اخرى فصعق من في السموات ومن في الارض انما هو اخبار عن شدة هول ذلك اليوم كقوله وترى الناس سكارى
الآية وكقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ونحوه **وقوله** الا من شاء الله قال بعضهم الا من شاء الله هم الشهداء
في الارض وعلى ذلك روي في بعض الحديث انه قال ما اعطي آدمي بعد النبوة افضل من الشهادة لا يسمع الشهيد الفزع
يوم القيامة الا كرجل قال لصاحبه اتسمع قال اسمع كاذين الصلوة وقال بعضهم هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت
وقال بعضهم هم الانبياء والرسل لكن لا نقول نحن ان اهل الثنيا هم كذا ولا نشير الى احد لانا لا نعلم ذلك الا ان ثبت في ذلك
في ذلك خبر عن رسول الله فنقول به وجايز ان يكون الذين استثناهم عن الذين اخبر عنهم في هذه الآية انهم يكونون آمنين
من فزع ذلك اليوم وهوله وهو ما قال من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون **وقوله** وكل أتوه
قرئ بالمد آتوه وتطويله مضمومة التاء فيه على مثال فاعلون وهو جمع آت كقوله الا آتي الرحمن عبدا وآتوه جمع آتا
وهو من يأتون وقرأ بعضهم بقصر الالف ونصب التاء على الاتيان قد أتوه **وقوله** داخرين قيل صاغرين ذليلين
دخر اي ذل **وقوله** وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب قال بعضهم وهي تمر كذا لكثرتها وازدحامها
يرى الناظر اليها ويحسبها كانها جامدة وكذلك العسكر العظيم يحسب الناظر اليه كانه ساكن جامد لكثرتهم وازدحامهم

واتوه نعت الفاعلين على معنى الفعل كانه قال وكل يأتون

بمنزلة السحاب الذي يستوعب السماء وهي تمر ولا يحس مرورها لازدحامها واشتمالها السماء فهذا كذلك وكذلك العسكر

تعالى ذلك

آية النمل

تعالى ذلك الجبال وقال بعضهم لا ولكن لشدة ذلك اليوم وهوله وفزعه على الناس يحسبونها كانها جامدة وهي تمر
مر السحاب وهو ما ذكر وترى الناس سكارى وما هم بسكارى الآية لشدة هول ذلك اليوم وفزعه وقال بعضهم لا ولكن
الجبال لهول ذلك اليوم وفزعه تمر مر السحاب وسيرها كقوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش واصله انما يذكر هذا وامثاله
من هول ذلك اليوم وشدته على الخلق ليتعظوا وينزجروا **وقوله** صنع الله الذي اتقن كل شيء قال بعضهم اتقن احكم
وابرم وقال بعضهم اتقن اي احسن كل شيء قال بعض المعتزلة كيف يكون الكفر حسنا وهو قبيح لانه شتم ربه ولا يجوز
ان يقال ان الله خلق شتم نفسه واحسن شتم نفسه او احسن كفر الكافر وغير ذلك من الخرافات فيقال لهم لا نقول
انه خلق الكفر واحسنه ولحسن شتم نفسه على هذا الاطلاق ومن قال ذلك فهو كافر ولكن يقول فعل الكفر من الكافر
قبيحا وخلق فعل المعصية من العاصي قبيحا لكنه من حيث خلقه ذلك وجعله حجة عليه حسنا متقنا محكما وان كان ذلك
الفعل منه قبيحا باطلا سفها جورا الا ترى ان من تكلف ان يعرف فعل الكفر منه سفها وجورا كان غير
مذموم لانه يتكلف ان يعرف ما هو سفه في الحقيقة سفها ويعرف ما هو حق حقا فهو من هذا الوجه عارف حق وحكمة لان الحكمة
توجب ان يعرف كل شيء على ما هو في نفسه حقيقة تعالى ذلك خلق فعل الكفر من الكافر على الوجه الذي ذكرنا هو حسن متقن
محكم وان كان من حيث فعل الكافر قبيحا سفها باطلا وهذا كما يصفه على الاطلاق انه رب كل شيء وخالق كل شيء ولا نقول
يا خالق الاخباث ويا رب الاقذار ونحوه وان كان هذا داخلا في الجملة انه خالقها وربها لانه على الاطلاق يخرج
مخرج المدح له والثناء وعلى التخصيص الذم له تعالى ذلك الاول **وقوله** صنع الله الذي اتقن كل شيء على اثر وصف الجبال
بما وصف من انتقاضها واضدادها واخراجها الصفة التي انشاها الى ما ذكر لم يخرج من الاتقان والاحكام والابرام ليعلم
ان ليس في افساد الشيء خروج عن الاتقان اذا كان ذلك محكمة والله اعلم **وقوله** انه خبير بما تفعلون وعيد لهم **وقوله**
من جاء بالحسنة قالوا جميعا الحسنة ههنا التوحيد والايمان **وقوله** فله خير منها قيل فيه بوجوه احدها من جاء بالتوحيد
توحيد ربه بالبعث فله خير منها ونجيته ربه بالتوحيد اذا ختم به فله ما ذكر شرط المجيء به ولم يقل من عمل بالحسنة فله
كذا لان الرجل قد يعمل بالحسنات ثم يفسدها ويبطلها فلا يثاب بها عليها ليعلم ان ما ينتفع بالحسنات في الآخرة الحسنة
التي ختم بها عليها وجاء بها ربه وقال بعضهم قوله فله خير منها اي ما يعطى في الآخرة لدى الثواب والثواب للجزاء
انما يكون من الحسنة التي كانت منه في الدنيا منها يكون له جميع الخيرات في الآخرة وقال بعضهم فله خير منها اي الذي
اعطي له في الآخرة من الخيرات خير مما ترك في الدنيا من النعم وصبر عليها فذلك خير مما ترك كقوله الا الذين صبروا
وعملوا الصالحات اولئك لهم كذا وقال بعضهم فله خير منها اي رؤية الرب ولقاؤه خير مما اعطي غيرها من الخيرات
على ما يكون في الدنيا رؤية الملك ولقاؤه على الرعية اعظم وافضل عندهم من غيره من الكرامات وان عظمت
وجلت وقال بعضهم ذلك الثواب والجزاء في الآخرة خير مما عملوا به من الخيرات في الدنيا لان الثواب وجوبه
الفضل والرحمة لا الاستيجاب والاستحقاق اذ في الحكمة والعقل وجوب العمل وليس فيهما وجوب الثواب فما هو سبيله
فضل الله خير مما هو غيره لكنه عورض بان كل ما كان سبيل وجوبه الحكمة والعقل خير مما كان سبيل وجوبه
الافضال اذ ما كان سبيل وجوبه بالحكمة والعقل لا يسع تركه وما كان وجوبه الافضال له تركه لكنه قال ان قوله فله خير منها
اي في طباعكم ووهمكم ذلك الثواب خير من ذلك لانه في الحقيقة خير وهو كقوله وهو اهون عليه اي في طباعكم ووهمكم
ان اعادة الشيء اهون من ابتدائه اذ ليس شيء اهون على الله من شيء ولكن عندكم ان اعادة الشيء اهون من ابتدائه فعلى ذلك
الاول والله اعلم **وقوله** وهم من فزع يومئذ آمنون اخبر انهم اذا اتوا ربهم بالتوحيد يكونون آمنين من فزع
ذلك اليوم وهوله **وقوله** ومن جاء بالسيئة اي بالشرك فكبت وجوههم في النار المنكب على الوجه هو الملقى
على الوجه كقوله يوم تقلب وجوههم في النار المنكب على الوجه كقوله يوم تقلب وجوههم في النار **وقوله** هل تجزون الا ما كنتم
تعملون اي ما تجزون الا باعمالكم **وقوله** انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها **وقوله** حرمها يحتمل وجهين يحتمل
حرمها اي منعها من الاستلاب والاختطاف فيها كقوله وحرمنا عليه المراضع ليس على التحريم حتى لا يحل له ذلك ولكن على المنع

ولخطر اي منعنا منه المراضع والثاني على التحريم نفسه وهو ما جعل في كل احد من الكافر والمسلم في الجاهلية والاسلام
حرمة ذلك المكان حتى لا يتنا ولاحد من صيد تلك البقعة ومن شجرها وحشيشها والله اعلم وقوله وامرت ان اكون من المسلمين
وان اتلو القرآن اي وامرت ان اتلو القرآن ايضا عليكم كانهم اوعدوه بوعيد وخوفوه به وطلبوا منه الموافقة لهم فقال
عند ذلك لهم انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة وهو رب كل شيء اي امرت ان اكون عبدا له لا اجعل نفسي عبدا لغيره
وامرت ايضا ان اجعل نفسي سالما له لا اجعل لاحد فيها شركا كما جعلتم انتم وامرتم انتم ايضا بذلك كله وامرت ايضا
ان اتلو القرآن عليكم فانا اتلو عليكم كذبتموني او لم تكذبوني فاني لا اخاف كيدكم ولا مكركم والله اعلم وفي قوله انما امرت
ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها دلالة لزوم الرسالة لان اهل مكة وغيرهم قد اقروا جميعا بحرمة تلك البقعة
من اوايلهم واواخرهم لما عرفوا ذلك الا بالرسل دل ان اوايلهم يقرون بالرسالة والنبوة فعلى ذلك يلزم هؤلاء الاقرار بها
والله اعلم وقوله فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه يخبر ان من امن وقبل الهدى فانما يفعل ذلك لمنفعة نفسه
ومن ضل ايضا فانما يكون ضرره عليه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله فقل انما انا من المنذرين اي ليس
علي الا الانذار فاما غير ذلك فذلك عليكم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء وقوله وقل الحمد لله سيريكم اياته هذا يحتمل وجهين احدهما سيريهم ايات وحدانيته
وربوبيته وايات رسالته صغرا وقوله فتعرفونها اي بالايات ما ذكر كقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم والثاني
سيريهم ما وعدهم من النصر والمعونة ليعرفوه عيانا على ما عرفوه خبرا وقوله وما ربك بغافل عما تعملون قال بعضهم
هذا الحرف توبيخ للظالم وتعيير وزجر وتعزية للمظلوم وتسلية له وقال بعضهم هذا الحرف ترغيب
وترهيب قال القتبي قوله ردف لكم اي تبعكم واللام زايدة كانه قال ردفكم

سورة القصص مكية وآيها ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل طسم تلك ايات الكتاب المبين قد ذكرنا تاويل هذا فيما تقدم في غير موضع ما يغني ذكره
في هذا الموضع وقوله نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق من نبا موسى وفرعون اي من خبرهما وقوله بالحق
اي بالصدق ما يعلم انه صدق وحق وجايز ان يكون قوله بالحق اي بالحق الذي لموسى على فرعون وقومه او بالحق الذي
لله عليه والله اعلم وقوله لقوم يؤمنون يحتمل وجهين احدهما نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون للمؤمنين لانهم
هم المنتفعون بالانباء وما فيها واما من لا يؤمن فلا ينتفع بها فلا يكون والثاني لقوم يؤمنون بالانباء والكتب المتقدمة
هم يعرفون انه حق لما في كتبهم ذلك والله اعلم وقوله ان فرعون علا في الارض قال بعضهم تجبر واستكبر وابى
ان يخضع لموسى ولامثاله وقال بعضهم علا في الارض اي بغى وقهر فيكون تفسيره ما ذكر على اثره يستضعف طايفة
منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم هذا والله اعلم يشبه ان يكون علوه وبغيه في الارض ويشبه ان يكون
قوله علا في الارض اي علا قدره وارتفع رتبته في الارض لما ادعى لنفسه الالوهية والربوبية بعد ما كان عبدا كساير
العبيد او دونهم فعلا قدره وارتفعت منزلته بدعواه بذلك وعلا في الارض اي غلب وقوله وجعل اهلها شيعا
فرقا يستضعف طايفة ويذبح طايفة ويستحيي طايفة ويعذب طايفة وجايز ان يكون قوله وجعل اهلها شيعا
اي جعل لكل طايفة منهم عبادة صنم لم يجعل ذلك لطايفة اخرى وطايفة جعل طايفة اخرى على عمل اولئك
وحوايجهم ليتفرغوا العبادة الاصنام التي استعبدهم لها لان الشيع فرق يرجعون جميعا الى اصل واحد والى
واحد وقوله انه كان من المفسدين كذلك كان لعنه الله وقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
هذا في الظاهر لحبيبه ولرسوله انه سيفعل ذلك لانه من عليهم وفعل ذلك لانه يقول نريد ان نمن على الذين كذا
وقد من عليهم بذلك فهلا قال وقد مننا على الذين استضعفوا في الارض لكن معناه والله اعلم اي كنا نريد

فالاول

فالاول ان نمن عليهم الى الاول ان نمن عليهم وان نجعلهم ايمة وان نجعلهم الوارثين والا الظاهر ما ذكرنا وقوله
ونجعلهم ايمة يحتمل وجهين احدهما جعلهم جميعا ايمة لنا بهم نقتدي وننقاد لهم او ان يكون قوله ونجعلهم ايمة
اي نجعل فيهم ايمة وقادة لهم اي نجعل بعضهم لبعض كقوله لموسى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء والايمة المذكورة
هاهنا كانهم هم الانبياء الذين ذكر في هذه الاية ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض هذا كما ذكر في اية اخرى واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الاية اي يرثون الارض وملكهم بعد فرعون وقومه والوارث
هو الباقي على ما ذكرنا كانه قال يبقون هم في ارضهم وملكهم بعد هلاكهم كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها
اي نبقى نحن بعد هلاك الارض وهلاك من عليها والله اعلم وقوله ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
اي يرون ما كانوا يحذرون منه وهو الهلاك وذهاب الملك هذا كانوا يحذرون فاريهم ذلك لانه كان يذبح
ابناءهم اشفاقا على بقاء ملكه ويحذر زواله به قال الزجاج ان من حماقة فرعون وقلة عقله ان كان يذبح ابناءهم
لقول الكهنة انه يذهب ملككم بغلام يولد في العام الذي قالوه فلا يخلوا اما ان صدقوا في قولهم فيذهب ملككم وان قتل
الابناء واما ان كذبوا في قولهم فلا معنى لقتل الابناء لانه لا يذهب لكنه فعل ذلك بهم لحماقته وسفهه وجهله بنفسه
وقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض بالنجاة من فرعون واله واستنقاذه اياهم من يديه ومن قتل الولدان
وغير ذلك من انواع التعذيب والله اعلم وفي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى اخر ما ذكر وجوه
على المعتزلة في قولهم ان ليس لله ان يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم في الدين وانه لو لم يفعل ذلك كان ذلك جايرا فيقال
لو كان عليه فعل الاصلح لهم في دينهم على كل حال لكان لا معنى لذكر المنة على الذين استضعفوا في جعلهم ايمة وابقائهم
في ارضهم وتمكينه اياهم في ملكهم ووراثتهم اموالهم لانه على زعمهم فعل بهم ما عليه ان يفعل اذ ذاك اصلح لهم في الدين
وكل من فعل فعلا عليه ذلك الفعل لا يكون له الامتنان على المفعول به ذلك فلما ذكر المنة فيما ذكر انه فعل بهم على انه
فعل ما لم يكن عليه ذلك ولكنه فعل ذلك بهم مفضلا ممتنا وله ان لا يفعل ذلك ويقولون ايضا ان في هلاك فرعون
وقومه اصلح لهم من ابقائهم وكذلك في ابقائه كل كافر فلم يذكر فيه المنة دل ذلك انه ليس على ما يقولون هم وان ذلك
منقوض مردود عليهم ويقولون ايضا ان الارادة من الله لهم امر لهم يامرهم به فلو كان امرا على ما يزعمون لكان الامر منه
قد شمل الكل ثم لم يصيروا جميعا ايمة وقادة ولكن انما صار بعض دون بعض دل ان الارادة غير الامر وانه اذا اراد لاحد
شيئا كان ما اراد ليس على ما يقولون انه اراد ايمان كل كافر لكنه لم يؤمن بعد ما اعطاه جميع ما عنده من القوة والعون
على ذلك حتى لم يبق عنده شيء من ذلك الا وقد اعطاه فدل ما ذكر على فساد مذهبهم وقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
قال عامة اهل التاويل ان الوحي هاهنا وحي الالهام والقذف في القلب لا وحي ارسال صارت رسوله وذلك لا يجوز لكنه
يقال جايز ان تلهم هي رضاعه والقاءه في اليم فاما ان تلهم ما ذكر لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
هذا مما لا سبيل الى معرفة ذلك وعلمه الا بتصريح قول ومشافهة اخر الهمهم الا ان يقال انه كان بموسى ايات الرسالة واعلام بها
لما عرفت هي تلك الاعلام والايات التي كانت له ان يرد اليها وانه يبقى رسولا الى وقت وقد كانت بالرسل اعلام وايات
الرسالة في حال صغرهم وصباهم نحو عيسى حيث كلم قومه في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب الى اخر ما ذكر ونحو ما ذكر ان محمدا
لما ولد بالليل استنارت تلك الناحية واستضاءت بنوره حتى ظنوا ان الشمس قد طلعت ونحوه فعلى ذلك جايز ان يكون
اعلام وايات عرفت امه بها انه رسول وانه يرد اليها وانما تكلفنا بهذا التخريج قول اهل التاويل انه وحي الهام وقذف في القلب
لا غير وعندنا جايز ان يكون الوحي اليها وحي ارسال رسول اليها واخبار من غير ان صارت هي بذلك رسولا نحو ما ذكر
في قصة مريم ان الملك لما دخل تعوذت بالله منه حيث قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول
ربك لاهب لك غلاما زكيا وذلك من البشارة التي بشروها بالولد فلم تصر هي بارسال اليها من الرسل وشافهوها رسولة
فعلى ذلك ام موسى ونحو بشارة الملايكة لامراة ابراهيم بالولد وهو قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب
ونحوه مما يكثر ذكره لم يصيروا بذلك رسلا فعلى ذلك الوحي الى ام موسى يحتمل ما ذكرنا وجايز ذلك من غير ان صارت

لم يصيرو

بذلك رسولة وهو اشبه واقرب والله اعلم **وقوله** فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً قال بعضهم
في الاية اضمار لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ولكن كان فيه اضمار اي التقطه آل فرعون ليتخذوه ولداً ووليا
فكان لهم عدواً وحزناً اذا كبر نحو هذا وقال بعضهم ذلك اخبار عما في علم الله انه يكون ما ذكر معناه والله اعلم
التقطه آل فرعون فكان في علم الله تعالى انه يكون لهم عدواً وحزناً وذلك جايز في اللغة يقال لدوا للموت
وابنوا للخراب لا يلدون للموت ولا يبنون للخراب ولكن اخبار عما يؤول امرهم في الآخرة والله اعلم **وقوله** ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ظاهر وفيه نقض قول المعتزلة **وقوله** وقالت امرأة فرعون
قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولداً هذا لطف من الله ورحمة حيث القى محبته في قلوبهم وحلاه
في اعينهم وهو ما ذكر منته عليه حيث قال والقيت عليك محبة مني لتتادى بذلك الشكر عليه قال ابو معاذ
قال مقاتل قوله قرة عين لي ولك لا يقول ليس لك بقرة عين قال ابو معاذ وهذا محال ولو كان كذلك لكان في القراءة
تقتلونه وهذا ايضا محال لقوله عسى ان ينفعنا ولو كانت القراءة قرة عين لي ولك لا تقتلوه لكان مقاتل مصيباً
وقوله وهم لا يشعرون يحتمل وجهين احدهما وهم لا يشعرون ان هلاكهم واستيصالهم على يديه والثاني لا يشعرون
انه هو المطلوب يقتله من بين الكل والله اعلم على يديه **وقوله** واصبح فؤاد ام موسى فارغاً قال بعضهم فارغاً
من هم موسى وحزنها عليه وقال بعضهم فارغاً من كل شيء الا عن موسى وذكره وكان قوله واصبح فؤاد ام موسى
فارغاً صلة قوله ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك الاية وهو يحتمل وجهاً احدهما ان الله رفع الحزن
والخوف وطيبها من غير ان كان سمعه قول او كلام والثاني على القول لها لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين فان كان على هذا فهو على البشارة لها بالرد اليها وجعله رسولا او على النهي والزجر
عن الحزن عليه والخوف عليه والحزن عليه هو حزن مفارقته عنها والخوف عليه خوف الهلاك كقول يعقوب حيث قال
اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب ذكر الحزن عند المفارقة والذهاب عنه والخوف عند الهلاك
فرفع الله عنها حزن المفارقة وبشرها بالرد اليها وجعله رسوله وآمنها عن الهلاك فيكون قوله واصبح فؤاد ام موسى
فارغاً مما خافت عليه وحزنت والله اعلم **وقوله** ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها كادت لتبدي به
لولا ان ربطنا على قلبها لكنه ربط على قلبها بما ذكر من قوله لا تخافي ولا تحزني الاية فلم تكد ان تبدي وهو كما ذكر
ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اي كان يهم بها لو لم ير برهان ربه لانه هم بها وهو كقوله ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اي كان يركن اليهم شيئا قليلا لو لم يثبته لكنه ثبته فلم يركن اليهم
ونحو ذلك فعلى ذلك الاول وقال اهل التاويل ربط قلبها بالايمان وجايز ان يكون ربطه قلبها لما ذكر من قوله ولا تخافي
ولا تحزني الاية وقال بعضهم فارغاً من عهد الله الذي كان عهد اليها انساها عهد الله عظم البلاء الذي حل بها
فكادت تبدي به ثم تداركها الله بالرحمة فربط على قلبها فذكرت وارعوت وقال بعضهم اتخذه فرعون ولدا فصار
الناس يقولون ابن فرعون فادركتها الرقة وحب الولد فكادت تقول بل هو ابني والاول اشبه وفي حرف
ابن مسعود وابي وحفصة ان كادت لتشعر به **وقوله** وقالت لاخته قصيه اي تتبعي اثره **وقوله** فبصرت به عن جنب
قيل عن بعد اي كانت تتبع اثره عن بعد منه وقال بعضهم الجنب ان يسمو بصر الانسان الى موضع بعيد وهو الى جنبه
بقرب منه وذلك عند الناس معروف ظاهر فيهم ذلك وقال بعضهم في قوله فبصرت به عن جنب قال مشت
بجنابته وهي معرضة عنه كاجنبية **وقوله** وهم لا يشعرون ان هذه تراقبه وتنظر اليه وتحفظه او لا يشعرون
ان هلاكهم على يديه بصرت وابصرت واحد **وقوله** عن جنب عن ناحية بعيدة وجوانب جماعة ويقال رجل
جنب وقوم اجناب وجانب واجناب واجنبي واجانب غريب وهذا كله من الاجتناب وهو قول ابي عوسجة
والقتبي **وقوله** وحرمنا عليه المراضع من قبل حرم تحريم منع وحظر الذي ضد الاطلاق والارسال لا التحريم
الذي ضد الحل وذلك لطف من الله تعالى وفضل ورحمة حيث منع موسى عن ان يرتضع من النساء وهو طفل وهمة امثاله

اي ثباتا لا يزلها ودفع الخوف صح

الارتضاع

الارتضاع والرغبة في التناول من كل لبن ومن كل مرضع ترضعه لا تميز لهم في الارتضاع فذلل امتناعه وكفه
نفسه عن الارتضاع من النساء اجمع ان ذلك لطف من الله اعطاه ليمتنع منه فعلى ذلك جايز ان يكون عند الله لطف
لو اعطي الكافر الذي همته الكفر والرغبة فيه لآمن واهتدى لكنه لما عرف رغبته وهمته فيه واختياره له منع
ذلك عنه ولم يعطه وهذا الحرف ينقض على المعتزلة مذهبهم في زعمهم ان الله قد اعطى كل كافر السبب الذي به
يؤمن وما به يصير مؤمنا حتى لم يبق شيء مما يكون به ايمانه الا وقد اعطاه لكنه لم يؤمن فينقض قولهم ما ذكرنا
من امر موسى ان عنده لطيف لم يعطه لو اعطاه لآمن واهتدى لكنه لم يعطه لما ذكرنا وفيه لطف آخر وهو ان
آل فرعون والقبط كانوا يقتلون الولدان من الذكور ليصير الذي يخاف هلاكه وذهاب ملكه على يديه مقتولا
فجعل الله بلطفه ورحمته محبته في قلب فرعون وقلوب اهله حتى صار احب الخلق اليهم وصاروا هم اشفق
الناس وارحمهم عليه حتى خافوا هلاكه وطلبوا له المراضع لئلا يهلك بعد ما كانوا يطلبون هلاكه وتلفه
وذلك لطف منه له ورحمة وهو ما قال والقيت عليك محبة مني وبالله يستفاد كل فضل ونعمة **وقوله**
فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم قوله فقالت اي اخته التي كانت تتبعه وتمشي على اثره وذلك منها
تعريض الدلالة لهم الى امه لئلا يشعروا انها امه حيث قالت هل ادلكم على اهل بيت ولم يقل على امراة لها لبن وهي ترضع
ولعلها لو قالت لهم ذلك وقع عندهم انها امه ولكن دلتهم الى اهل بيت ليقع عندهم انهم اهل بيت قبل ولدهم
وهم وَلَدٌ يكفلونه لكم اي يقبلونه ويضمونه الى انفسهم وهم له ناصحون يحتمل قولهم وهم له ناصحون اي لفرعون
لا يخونونه فيه ويحتمل وهم له ناصحون لموسى **وقوله** فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن يحتمل قوله كي تقر عينها
بالمقام معه والكون عندها ولا تحزن على فراقه او ان يقال كي تقر عينها ولا تحزن اي تسر برده اليها وذلك
معروف في النساء ظاهر انهن يحزن بمفارقة اولادهن ويتهنين لذلك ويسررن اذا رجعوا اليهن واجتمعوا **وقوله**
ولتعلم ان وعد الله حق كانت تعلم هي والله اعلم ان وعد الله حق كاين لا محالة لكن كانت علم خبر لا علم عيان
ومشاهدة وكانه قال لتعلم علم عيان ومشاهدة ما علمت علم خبر لان علم العيان والمشاهدة اكبر وابلغ وادفع
للشبهة من علم الاخبار الا ترى ان ابراهيم سال ربه ان يريه احياء الموتى وان كان يعلم حقيقة انه يحيي الموتى
وانه قادر على ذلك لكنه كان يعلم علم خبر فاحب ان يعلمه علم عيان ومشاهدة لانه اكبر وابلغ وادفع للوساوس
من علم الاخبار فعلى ذلك الاول **وقوله** ولكن اكثرهم لا يعلمون والمعتزلة فيهم لانه اخبر انه يملأ جهنم من الجنة
والناس اجمعين حيث قال لاملأن جهنم وهم يقولون اراد ان لا يملأ جهنم لانهم يقولون ان الله اراد ايمان كل الناس
جميعا وشاء ذلك لهم فلم يؤمنوا فعلى قولهم اذا شاء ذلك لهم شاء ان يملأ جهنم منهم فذلك خلف منه في الوعد
وكذب في القول على قولهم **وقوله** ولما بلغ اشده واستوى قال بعض اهل التاويل الاشد هو ما بين ثماني عشرة
سنة الى ثلثين سنة ثم هو ما بين الثلثين الى الاربعين استواء الشدة ثم ياخذ بعد الاربعين في النقصان
ثم غير بعد الاربعين سنة وقال بعضهم بلغ اشده ثلث وثلثون سنة واستوى اربعون وعن ابن عباس مثله
وقال بعضهم بلغ اشده قال الاشد الحلم والاستواء اربعون سنة واصل الاشد ان يشتد كل شيء منه وصار
يحتمل ما قصد به وجعل فيه ويدخل في ذلك العقل وكل شيء واستوى اي استوى ذلك واستحكم وصار بحيث يحتمل
ذلك وجايز ان يكون الاستواء هو تفسير الاشد الذي ذكر وقال ابو عوسجة والقتبي واستوى اي استحكم وانتهى شبابه
واستقر فلم يكن فيه زيادة واصله ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** آتيناه حكما وعلما اي آتيناه الحكم الذي يحكم به
بين الناس وعلما بمصالح نفسه ومصالح الخلق وقال بعض اهل التاويل الحكم الفقه والعقل والعلم قبل النبوة
وقوله وكذلك نجزي المحسنين يحتمل قوله وكذلك نجزي المحسنين في الآخرة بالوعد وعدلهم في الدنيا كما جزى
موسى بالجزاء بما وعدلهم او ان يكون من موسى احسان وجهد في طلب العلم وغير ذلك مما اعطاه ذلك واخبر انه
كذلك يجزي من ذكر كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ولتعلم ان وعد الله حق كان وعد اياها

ان يردّه اليها ويجعله من المرسلين ومعناه ما ذكر فيما تقدم قال الكسائى يقال امرأة مرضع ما دامت ترضع
فاذا فطمت سميت مرضعة ما دامت حبلى فهى مرضعه اى مسترضع **وقوله** ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها
قال عامة اهل التاويل على حين غفلة اهل المدينة وهو عند الظهيرة وذلك وقت القايلة وقال قايلون على حين غفلة
اهل المدينة وهو عند الظهيرة وذلك وقت القايلة وقال قايلون على حين غفلة اهل البلد عن دخول موسى
اى دخلها من غير ان شعروا به وعرفوا انه موسى على هذا التاويل الغفلة تكون على دخول موسى عليهم وعلى الاول
على غفلة اهل المدينة اى وقت غفلتهم فان كان على هذا يحتمل ان يكون غفلة اهلها هو ان كان ذلك يوم عيدهم
خرجوا اليه فدخل هو المدينة ليطلع احوالها واسبابها الا ان يكون العادة فيهم انهم باجمعهم يقيلون فذلك محتمل
والله اعلم **وقوله** فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه قال بعض اهل الادب ان قوله
هذا من شيعته وهذا من عدوه انما يقال للشاهد المشار اليه فاما الغايب فانه لا يقال لكن قالوا ان فيه اضمارا
ولطفا كانه قال فوجد فيها رجلين يقتتلان من نظر اليهما يقول هذا من شيعته وهذا من عدوه ثم قال اهل التاويل
احدهما كان اسرائليا والاخر قبطيا فان قيل كيف سمى الاسرائلى من شيعة موسى وذلك اول ما دخل موسى المدينة وبنو اسرائيل
يومئذ كانوا عباد الاصنام وقد حبب ذلك اليهم حتى قالوا لموسى بعد ما اخرجهم من المدينة وبعد هلاك فرعون
والقبط جميعا اجعل لنا الها كما لهم الهة وكذلك يقول مقاتل كانا كافرين جميعا الا ترى انه قال فلن اكون ظهيرا
للمجرمين لكن يخرج هذا على الاضمار كانه قال يكون هذا من شيعته وهذا من عدوه او يقول يكون هذا من قومه من شيعته
ويبقى هذا عدوا فى قومهم اعداوه وعلى هذا يخرج قوله فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما اى يبقى
عدو لهما لانا بامعان النظر يستدل على وهم مقاتل ووجهه فى تاويله انهما كانا كافرين جميعا لكن يخرج على ما ذكرنا
والله اعلم **وقوله** فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه اى استغاثه الذى كان فى علم الله انه يكون من شيعته
على الذى فى علم الله انه يبقى عدوا له يضرمه والاستغاثة هى الاستعانة والاستنصار اى سأله ان يكون من شيعته
وقوله فوكزه موسى فقضى عليه قال ابو عوسجة الوكز الطعن فى الصدر وقال الزجاج والقتبى وهولاء الوكز
الدفع فوكزه اى دفعه فقضى عليه قال بعضهم اى فرغ منه كقوله فلما قضى موسى الاجل وقوله قضى الامر الذى
تستفتيان اى فرغ ونحوه وقال بعضهم فقضى عليه اى قتله وكلاهما سواء اذا قتله فقد فرغ منه وهو لم يتعمد قتله
ولا قصده لكن الله قضى اجله وجعل القضاء عمدا بوكزه موسى وهو فى الظاهر قاتل لانه قال انى قتلت منهم
نفسا فاخاف ان يقتلون ولم يكذبه الله موسى فى قوله انك لم تقتل وقال ايضا انى ظلمت نفسى فاغفر لى الاية وفيه دلالة
جواز الاستدلال لقول ابى حنيفة حيث قال من قتل آخر بحجر عظيم او خشبة عظيمة مما لا يجى من مثله انه لا يقتل به
ولا يجب القصاص فيه لان موسى لما وكز ذلك القبطى فمات وذكران له قوة اربعين رجلا لم ير القصاص به واجبا
حيث قال له ذلك الرجل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خايفا يترقب
قال رب نجنى من القوم الظالمين ولو كان القصاص واجبا لكان اولئك لم يكونوا ظلمة فى قتله بل يكون هو الظالم فيه
ولا يحتمل ان يكون القصاص واجبا ايضا وموسى فر من ذلك وهرب وفى ذلك ابطال حقهم دل انه لم يجب ولا شك
ان وكز من له قوة اربعين رجلا الى الهلاك اسرع واقرب واعمل من الضرب بالحجر العظيم والخشبة العظيمة فانه لم يجب
فى هذا لم يجب فى ذلك والله اعلم **وقوله** رب بما انعمت على قال بعضهم بما انعمت على بالمغفرة فلم تعاقبنى بقتل النفس
وعصمتنى من ان اعاقب به فى الدنيا وجايز ان يكون بما انعم عليه هو قوته التى اعطاها اخبر انه لا يكون بها ظهيرا للمجرمين
والله اعلم **وقوله** فاصبح فى المدينة خايفا يترقب اكثر ما ذكر فى القرآن اصبح اى صار كقوله او يصبح ماؤها غورا
اى صار وقوله ان اصبح ماؤكم غورا ونحوه واما هاهنا قوله فاصبح فى المدينة خايفا انما يريد الصباح نفسه **وقوله**
يترقب قال عامة اهل التاويل يترقب اى ينتظر سوءا يناله منهم وقال ابو عوسجة الترقب الخوف كانه قال خايفا
يخاف هلاكه واصل الترقب هو النظر والترقب ان يرقب من يطلبه ومن ياتيه فى طلبه وهو من الرقيب **وقوله** فاذا الذى

استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين كان الرجل الذى اخبر انه من شيعة موسى كان ضعيفا
فى نفسه حيث لا يقدر ان يقوم لواحد فيستنصر به من موسى ويستعينه به الا انه كان يخاطب وينازع ويقاتل
لسوء فيه وبلاء يقاتل وينازع والا لم يكن بنفسه من القوة ما يقوم لواحد فمن حيث لا يقاتل مثله ولكنه لما ذكرنا
من سوء به ولذلك قال له موسى انك لغوى مبين لكن موسى انما عرف غوايته بالاستدلال الذى ذكرنا لا بالمشاهدة
ولذلك اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما لئلا يقتله ولا يهلكه لما عرف غوايته بالاستدلال لا حقيقة وذكر هاهنا
البطش وهو الاخذ باليد وفى الاول ذكر الوكزة وهى الدفع والطعن على ما ذكرنا فهو والله اعلم لانه لما وكز الاول
فاتت الوكزة على نفسه فقتلته فاخذ هذا من هذا ليمنعه عن اهلاكه واتلافه ولا يأتى على نفس الاخر كما فعلت الوكزة
ثم قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس اختلف فى قايل هذا قال عامة اهل التاويل ان قايل هذا
هو الذى استصرخه واستغاثه قالوا لانه ظن ان موسى انما اراد بطشه واخذه واليه قصد لذلك قال
اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس وقال قايلون هذا القول انما قال له ذلك القبطى فان كان هذا فهو يدرك
ان قتله ذلك الرجل بالامس كان ظاهرا حيث علم به القبطى وكان قوله على حين غفلة من اهلها اى من دخول
موسى المدينة وان كان هو الاول كان قتله اياه خفيا غير ظاهر فعلى هذا يكون الغفلة على اهل المدينة ليس
على دخول موسى والله اعلم **وقوله** ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما تريد ان تكون من المصلحين لان الذى يصلح
بين اثنين لا يقتل ولا يأخذ احدهما دون الاخر ولكن يصلح بينهما على السواء الذى قال ما قال وقوله ان تريد
الا ان يكون جبارا فى الارض قال بعضهم يقول هكذا فعل الجبابرة يقتل النفس بغير نفس وقال بعضهم الجبار
هو الذى يحمل الناس على هواه وعلى ما يريد ويقهرهم على ذلك شاؤا او ابوا وقال بعضهم الجبار هو الذى يتكبر
على الناس لا يرى احدا لنفسه نظيرا او كلام نحوه ويقال كل قاتل آخر على الغضب بغير حق فهو جبار **وقوله**
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يحتمل ان يكون اقصى المدينة هو مسكن فرعون ومقامه فمنه جاء ذلك
الرجل او ان يكون اقصى المدينة موطن الملاء والاشراف الذين ذكر انهم ايتمروا على قتله **وقوله** يسعى والسعى هو
هو العدو وفى اللغة كانه يسرع المشى اليه ليخبره بذلك **وقوله** ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك يأتمرون
قال بعضهم يتشاورون فى قتلك وقال الزجاج يأتمرون بك اى يأمر بعضهم بعضا ان يقتلوك وقال القتبى يأتمرون
اى يهمون فى قتلك وذكر عنه انه قال يأتمرون يتشاورون بك وهو قول ابى عوسجة واصل الايتمار فى اللغة هو
الطاعة والاتباع لما يؤمر من الفعل كان فرعون امر الملاء ان يقتلوه فاطاعوه وايتمروا الامر والله اعلم **وقوله** فاخرج
انى لك من الناصحين قال الزجاج قوله لك صلة والصلة لا يتقدم الموصول به ولكن معناه فاخرج انى من الناصحين
الذين ينصحون لك وليس كما قال الصلة تتقدم وتتاخر وذلك ظاهر فى الكلام **وقوله** فخرج منها خايفا يترقب قد ذكرنا
هذا دل قوله خايفا يترقب ان الخوف قد يكون من دون الله وجايز ان يخاف من غيره وليس كما يقول بعض الناس
ان لا يسع الخوف من دون الله وحقيقة الخوف تكون من الله يخاف ان ينتقم منه على يدى هذا والله اعلم **وقوله**
رب نجنى من القوم الظالمين يحتمل الظالم كل مشرك لان كل مشرك ظالم ويحتمل قوله رب نجنى من القوم الظالمين
حيث هموا قتله وقتل موسى ذلك القبطى لم يوجب عليه القتل والقصاص لانه لم يتعمد قتله ولم يقتله بسلاح
يجب به القتل فذكر انهم فيما هموا قتله ظلمة **وقوله** ولما توجه تلقاء مدين قال بعضهم اخذ طريقا اذ سلك
ذلك الطريق ونفذ فيه خرج تلقاء مدين او وقع تلقاء المكان المقصود اليه **وقوله** قال عسى ربى ان يهدينى
سواء السبيل اى الطريق الذى كان يقصد ويطلبه وهو طريق مدين وذكر انه كان ضل الطريق **وقوله** ولما ورد
ماء مدين اى ورد البئر التى كان ماء مدين من تلك البئر وجد عليه امة من الناس يسقون امة اى جماعة وقيل
اناس يسقون اغنامهم ومواشيهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال بعضهم تذودان اى تحبسان اغنامهما
حتى يفرغ الناس ويصدرون ويخلو لهما البئر وقال بعضهم تذودان اى تطردان اغنامهما للسقيا حاشم قوله

ووجد من دونهم امراتين تذودان يحتمل وجهين احدهما غنمهما ولا تسقيانها حتى يصدر الرعاء لما تركات
تسقيان غنمهما مع غنم اولئك الرعاء حتى يصدروا هم والثاني لا تمنعان ذلك ولكنهما تستحيان ان تزاحما الرجال
وتختلطا بهم فتنتظران فراغهم وصدور الرعاء عنها فان قيل فما بالهما لا تتخلفان وقت اجتماع القوم وتشهدان في ذلك
الوقت ولا تنتظران خلاء البئر عنهم قيل لما ذكر انه على راس البئر حجرا يلقى عليه لا يطيقه الا على كذا كذا نفرا وكذلك الدلو
التي يستقى منها لا يطيقها الا كذا كذا نفرا من عشرة الى اربعين على ما ذكر فهما تشهدان ذلك البئر وقت شهود القوم وحضورهم
ليتولوا هم نزع الدلو واستقاها ولو تخلفتا وانتظرتا خلاء البئر عنهم ثم تأتيان لم تقدرا على نزع الماء والدلو ورفع
الحجر الذي ذكر انه كان على راس البئر لذلك كان ما ذكر والله اعلم **وقوله** ما خطبكما اي ما شانكما وما امركما قالتا لا نسقي
حتى يصدر الرعاء لما ذكرنا وقرئ يصدر بنصب الياء وبالرفع جميعا فمن قراه بالنصب فانه يقول حتى يصدر الرعاء
بانفسهم اي يرجع ومن قراه بالرفع حتى يصرفوا ويرجعوا اغنامهم والله اعلم **وقوله** وابونا شيخ كبير تذكرا ذلك لعلم
عذر ابيهما في التخلف عن سقي الغنم وارساله اياهما في ذلك دون تولي ذلك بنفسه وقالا ذلك لكبره وضعفه
ما يتخلف عن ذلك ويرسلهما والا لا معنى لذكر كبر ابيهما بلا سبب يحملهما على ذلك سوى ما ذكرنا وجايز ان يكون لمعنى اخر
لا يعلمه **وقوله** فسقى لهما ثم تولى الى الظل دل ان البئر التي كانت تسقي الماشية منها كانت في الشمس حيث اخبر انه لما سقى لهما
تولى الى الظل وفيه ان لا باس بان يجلس في الظل **وقوله** فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير قيل ان هذا منه
شكاية عما اصابه من الجوع لانه ذكر انه خرج من المصر الى مدين هاربا من فرعون وقومه عشرة ايام وهو مسيرة ثماني
ليال وفيه دلالة ان لا باس للرجل ان يخبر ويذكر عما هو من الشدة والبلاء حيث ذكر موسى حاله التي هو فيها
من الجوع الذي اصابه وكذلك ما قال في اية اخرى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك يرد قول من يقول ان مثل هذا
يخرج مخرج الشكاية عن الله ولو كانت شكاية لكان موسى لا يقول ذلك ولا يذكره **وقوله** فجاءته احديهما تمشي
على استحياء قوله تمشي مشي من لم يعتد الخروج او تمشي على استحياء اي تمشي مشي من لم يخالط الناس على الستر
والتغطية قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا هذا يدل على ان لا باس ان يؤخذ على المعروف الذي صنع
الى اخر اجر ولا فضل على من صنع اليه المعروف والتبرع ان يعطى لمعروفه وبرعه بدلا واجرا والا فضل على المتبرع
وعلى صانع المعروف ان لا يأخذ على ذلك بدلا الا ان موسى كان قد اشتدت به الحاجة لذلك كان ما ذكر واخذ لمعروفه
ما ذكر بدلا والله اعلم **وقوله** فلما جاءه وقص عليه القصص اي لما جاء موسى ابا المراتين وقص عليه قصته قال له
لا تخف نجوت من القوم الظالمين دل قوله هذا لموسى لا تخف نجوت من القوم الظالمين ان لم يكن لفرعون على ذلك المكان
سلطان ولا يد اذ لو كان له سلطان لكان له فيه الخوف الذي كان من قبل ولم يكن نجا موسى منه دل انه لم يكن له
عليهم سلطان **وقوله** الظالمين يحتمل المشركين ان كل مشرك ظالم ويحتمل نجوت من القوم الظالمين الذين يقتلون
بغير حق حيث قال رب نجني من القوم الظالمين **وقوله** قالت احديهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت
القوي الامين قال اهل التاويل قال ابوهما لما قالت له استاجره فانه قوي امين ما قوته وامانته فقالت
اما قوته فانه رفع الحجر من راس البئر وحده وكان لا يطيقه الا كذا كذا نفرا ونزع الدلو من البئر وحده وكان لا يطيقه
نزعه الا كذا فذلك قوته واما امانته فانه قال لي امشي خلفي وصفي لي الطريق فذلك امانته ولكن قد كانت تعرف
امانته قبل ذلك لما جرى بينه وبينهما من المعاملة حين قال لهما ما خطبكما وحين سقى لهما في مثل هذا تعرف
امانته في ترك النظر اليهما وترك الاعتراض لما يوجب التهمة والله اعلم وقولها يا ابت استاجره كان اباها كان في طلب
اجير قوي امين يكفيه لا يجد ولا يظفر به لذلك قالت له استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين اذ لا يحتمل
ان يكون من له ماشية ولم غنم او به حاجة الى رعي ذلك وسقيه وقد بلغ في نفسه من الكبر والضعف ما ذكر يرسل
ابنته في الرعي والسقي ولا يستاجر الاجير ليتولى ذلك له دون بناته هذا لا يحتمل ذلك وخاصة ما وصف
ابنته من الحياء حيث قال فجاءته احديهما تمشي على استحياء دل ذلك انه كان في طلب الاجير وانما ارسل ابنته

في سقي الغنم وهو مضطر الى ذلك محتاج اليه لذلك قالت له يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين
ثم قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج طلبتهما الاستيجار وهو عرض عليه النكاح لما لم ترغب
هي في النكاح او طلبت الاستيجار لما لم تر من نفسها الرغبة في النكاح وان كانت لها الرغبة حياء والله اعلم ثم قوله على ان تاجرني
ثماني حجج يحتمل وجهين احدهما انه جعل عمله ثماني حجج بدلا للنكاح ومهرا لبعضها ثم تحديده بثماني حجج لما راى عمل ثماني سنين
مهر مثلها **وقوله** فان اتممت عشرا فمن عندك اي فان اتممت عشرا وزدت على مهر المثل فمن عندك اي ذلك فضل منك
واحسان والثاني قوله على ان تاجرني ثماني حجج ليس على جعله بدلا للنكاح ولكن على الاجارة المعروفة على اجر معلوم
على حدة من غير ان كان ذلك مهرها ثم التحديد بثماني سنين على هذا الوجه يخرج على احدى خلتين احديهما
انه لما قص عليه قصته علم انه لا يقدر على العود الى المصر وراى انه لا يأمن تلك الناحية بدون ما ذكر من المدة
او لما راى اي نفسه تنزع وتتوق بالعود الى ذلك في ذلك الوقت فشرط ذلك عليه لئلا يحدث نفسه بالرجوع
اليه الى ذلك الوقت **وقوله** فان اتممت عشرا فمن عندك اي فان زدت سنتين على ذلك فمن فضلك
واحسانك وما اريد ان اشق عليك في الزيادة على ذلك كله والله اعلم ثم قال ستجدني ان شاء الله من الصالحين
في جميع ما يجري بينك وبيني من المعاملة والصحبة وفيه ان الثنيا فيما يعدون كان ظاهرا في الامم السالفة ثم اختلف
في ابي المراتين وليس لنا الى المعرفة من كان حاجة اما شعيب فانه لم يكن في زمن موسى والله اعلم **وقوله** قال ذلك
يعني الشرط والله اعلم بيني وبينك ايما الاجلين قضيت اي وفيت وعملت اما الثماني واما العشر فلا عدوان علي يقول
لا سبيل لك علي بعد ذلك ولا تبعة والعدوان هو الظلم والمجاوزة عن الحد الذي جعل له يقول لا ظلم علي ولا مجاوزة
علي اي الاختيار الي قضيت اي الاجلين اخترت وشئت انا ثم قال والله على ما نقول وكيل قال بعضهم والله كفيل
على مقالتي ومقالتك والوكيل هو الشهيد والحافظ كانه يقول والله على ما نقول شهيد ذكر ان جبريل جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان سالت اي الاجلين قضى موسى فقل ابرهما واوفاهما وان سئلت اي المراتين تزوج فقل
اصغرهما فان ثبت هذا ففيه انه قضى الاجلين جميعا الثماني والعشر وليس في الاية الا قضاء الاجل حيث قال فلما قضى
موسى الاجل وقال القتبي على ان تاجرني اي تجعل ثوابي من التزويج والاجر من الله انما هو الجزاء على العمل **وقوله** فلما قضى
موسى الاجل قال اهل التاويل ما ذكرنا انه قضى اتمهما واكثرهما لكن لا نعلم الا بالخبر الصحيح من فعل ما ذكرنا
وليس في الاية الا قضاء الاجل فلا يزاد على ذلك الا بثبت فان ثبت ما روي في الخبر فهو والله اعلم **وقوله** وسار باهله
انس من جانب الطور نارا انس قيل ابصر واحس نارا قال بعضهم ان موسى لم يكن راى نارا ولكن انما راى نورا ظن انه نار
فلا يحتمل ذلك لانه اخبر انه انس نارا وان لم يكن ذلك في الحقيقة نارا ولكن نورا كان ذلك يوجب الكذب في الخبر الا ان يقال
على الاضمار انس من جانب الطور نورا ظن انه نار او في ظنه انه نار قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر
او جذوة من النار اي امكثوا لعلي اتيكم منها بخبر يدلنا ويخبرنا عن الطريق فكانه قد ضل الطريق فيقول لعلي اتيكم
منها بخبر الطريق او جذوة من النار اي اتيكم بجذوة من النار لو بقيتم فيه ولم اتكم بخبر الطريق لعلكم تصطلون
هذا يدل انه كان في ايام الشتاء وفي وقت البرد فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة قال بعضهم
الايمن المبارك وهو من اليمن الوادي اليمن والبقعة المباركة قال بعض اهل التاويل سمي مباركا لكثرة اشجارها
وانزالها وكثرة مياهها ومنبتها ولكن سماه مباركا وايمن والله اعلم لانه مكان الانبياء والرسل وموضع الوحي **وقوله**
نودي من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين ولله ان يسمع ويخبر من شاء ثم شاء فيم شاء وكيف شاء كما اسمع
مريم من تحتها حيث قال فناداها من تحتها ان لا تحزني **وقوله** وان الق عصاك ليس هذا بموصول بقوله اني انا الله رب
العالمين وان الق عصاك ولكن ذلك ما ذكر في سورة طه اني انا ربك فاخلع نعليك الى اخر ما ذكر ثم قال في اخره
وان الق عصاك فلما راها تهتز اي تتحرك كانها جان قال بعضهم الجان الحية الصغيرة وقال بعضهم الجان ما بين العظيمة
والصغيرة والله اعلم **وقوله** ولى مدبرا فاراها رابا ولم يعقب اي لم يلتفت ولم يرجع لشدة خوفه وفرقه **وقوله**

يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين قوله لا تخف يحتمل وجوها احدها على دفع الخوف من قلبه وادخال الامن فيه والثانى على البشارة انه لا يوذيه كانه يقول لا تخف وكن من الامنين فانه لا يوذيك والثالث على النهى ولا تخفه فانى احفظك وادفع اذاه عنك كقوله قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى اى سمع ما يقول لكما وارى ما يصنع بكما وادفع ذلك عنكما وقوله او جذوة بكسر الجيم ورفعها قال بعضهم عود قد احترق بعضه وقال قتادة اصل شجرة فيها نار وقال ابو عوسجة الجذوة مثل الشهاب سواء والجذى جميع الجذوة وقال ابو عوسجة الجذوة القطعة الغليظة وقال القتبى الجذوة عود قد احترق اى قطعة منها وشاطئ اى شط الوادى آنست ابصرت وكذلك قوله فان آنستم منهم رشدا اى ابصرتم وعلمتم وقوله اسلك يدك فى جيبك على ما ذكر فى آية اخرى وادخل يدك فى جيبك هذا يدل ان لا باس بتغيير الالفاظ واختلافها بعد اصابة المعنى وما قصد بها وقوله تخرج بيضاء من غير سوء قد ذكرناه فيما تقدم وقوله واضمم اليك جناحك من الرهب بالنصب والرهب بالفتح قد قرئ بهما جميعا ثم قال بعضهم هو على التقديم والتاخير قوله من الرهب موصول بقوله اقبل ولا تخف انك من الامنين من الرهب اى الخوف والغرق وقال بعضهم امره ان يضم يديه الى نفسه لان ذلك اخوف واهيب واعظم من ارسالهما وذلك معروف ايضا فى الناس انهم اذا دخلوا على ملك من الملوك ضموا ايديهم وجناحيهم انفسهم تعظيما لهم وتبجيلا وخوفا منهم فعلى ذلك جائز ان يامر بضم يديه الى نفسه ليكون بين يدى ربه واهيب والخوف ما يكون واعظم ما يجب له وهو ما قال فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وقوله فذانك برهانان من ربك اى اليد والعصا اللتان ذكرهما برهانان من ربك اى حجتان الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين وقوله قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخى هرون هو افصح منى لسانا وقال فى سورة الشعراء قال رب انى اخاف ان يكذبون الى قوله فاخاف ان يقتلون اخبر فى هذا ما كان مقدما فى الذكر فى ذلك وذكر على اختلاف الالفاظ وتغيير الحروف ليعلم ان ليس على السامع حفظ الالفاظ والحروف بعد اصابة المعنى وفهم ما قصد بها واودع فيها لان الله ذكر هذه الانباء والقصص التى كانت من قبل فى القرآن على اختلاف الالفاظ وتغيير الحروف على التقديم والتاخير والزيادة والنقصان ليعلم ان المقصود والمراد بذكرها ما فيها لا عين اللفظ والحرف فاذا عرف ما فيها وفهم جاز الاداء باى لسان كان وباى لفظ والله اعلم وقوله هو افصح منى لسانا يحتمل وجوها احدها اما اهل التاويل فانهم قالوا كان فى لسانه رتة اى عقدة لما ادخل فى فمه من النار فذلك لا نعلمه وقد قال فى آية واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فيجوز ان يكون ذلك خلقة خلقه هكذا على ما خلق بعض الخلق افصح وابين من بعض او ان يكون لما ذكر له من الخوف والذنب ما لم يكن ذلك آخرون ولا شك ان من اشتد به الخوف منع صاحبه عن التكلم والبيان وذلك متعالم معروف فى الناس وهو ما قال انى اخاف ان يكذبون الآية او ان يكون ذلك لان نشو هرون كان فيهم وهو بلسانه اعرف وبطغيانهم ولموسى فترات كان معتزلا عنهم وقوله فارسله معى ردءا اى عونا يصدقنى ثم بين فى آية اخرى انه لم طلب منه عونا وهو ما قال واجعل لى وزيرا من اهلى الآية ويصدقنى فيما اقول اذا كذبونى هم واستانس به اذا ضاق صدرى بالتكذيب والرد فاجابه ربه فقال سنشد عضدك باخيك العضد كناية وعبارة عن القوة والعون لان القوة فيه تكون فيمن تكون وهو كقوله وثبت اقدامنا ذكر الاقدام يثبت وقوله نكص على عقبيه لانه بالعقب ينكص ومثله كثير فعلى هذا ذلك وقوله ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا قال قائلون هو على التقديم والتاخير اى نجعل لكما سلطانا باياتنا فلا يصلون اليكما وقال بعضهم ونجعل لكما سلطانا باللطف ندفع عنكما اذاهم وشرهم كقوله لا تخافا اننى معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما وادفع ذلك عنكما فلا يصلون اليكما بالآيات التى معكما وقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون يحتمل هذا وجهين الغالبون بالحجج والبراهين اى يغلب حجتكما سحرهم وتمويهاتهم او ان يكون عاقبة الامر لكما او ان يكون ذلك فى الآخرة قال ابو معاذ العرب تقول ازرات الرجل اى اعنته وقال ابو عوسجة سنشد عضدك باخيك اى نعينك به ونقويك والعضد كناية عن القوة لان فيه يكون القوة وبه يقوى من يوصف بالقوة على ما ذكرنا وقوله فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اى حجج

موسى فرعون وقومه باياتنا اى اعلامنا التى اشاها موضحات مظهرات يظهرون ويوضح رسالة موسى ونبوته وقد ظهرت لهم ذلك وعرفوا انها آيات من الله نزلت افلا ترى انه موسى قال لفرعون لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصائر لكنهم عاندوا وكابروا وقالوا ما هذا الا سحر مفترى هذا منهم تمويه وتلبيس على الاتباع والسفلة وطريق عادتهم التمويه والتلبيس على اتباعهم امر موسى وقوله وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين يقولون والله اعلم ان آباءنا قد عبدوا الاصنام على ما نعبد نحن وقد ماتوا على ذلك من غير ان نزل بهم ما توعدنا من الهلاك والعذاب فعلى ذلك نحن على دين آبائنا وعلى ما هم عليه فلا ينزل بنا شئ مما تذكر وتوعدنا به من العذاب ثم قال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن يكون له عاقبة الدار هذا والله اعلم كانه ليس بجواب لقولهم ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ويكون جواب هذا ان كان هو قوله انه لا يفلح الظالمون كنى بالظلم عن السحر يقول والله اعلم ليس بسحر لانى قد غلبتكم وقهرتكم وقد افلحت انا ولو كان سحرا ما اتيتكم به لما افلح اذ الله تعالى اخبر ان الساحر لا يفلح بقوله انما صنعوا كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتى وقال ايضا ما جئتم به السحر الآية وقد اصلح على ما ظهر انه ليس بفساد ولكنه صلاح ويكون جواب قوله ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن يكون له عاقبة الدار ما ذكر فى سورة المص حيث قالوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون فقال عند ذلك ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن يكون له عاقبة الدار انتم او نحن ويقول ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده جوابا لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد والله اعلم وقوله وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيرى كانه قال للملاء خصوصية لهم لانه كان اتخذ للاتباع اصناما يعبدونها وجعل للملاء عبادة نفسه والهيته لما لم ير الاتباع اهلا لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام ورأى الملاء اهلا لذلك فخصهم ومنه اتخذت العرب عبادة الاصنام دون الله لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله وقالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقوله فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا قال اهل التاويل اول من اتخذ الاجر هو ولا نعلم ذلك يحتمل ان يكون من قبل ذلك وقوله فاجعل لى صرحا اى قصرا لعلى اطلع الى اله موسى كان يعرف انه ليس باله السماء والارض اذ لا يملك ذلك فكانه اراد بقوله ما علمت لكم من اله غيرى قومه واهله خاصة وانى لاظنه من الكاذبين كا نجيع ما كان بين موسى وفرعون من الكلام كان على الظن كقوله انى لاظنك يا موسى مسحورا وكذلك قال له موسى وانى لاظنك يا فرعون مثبورا وقوله واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق الاستكبار هو ان لا يرى لنفسه شكلا ولا نظيرا وهو كذلك كان لا يرى لنفسه شكلا ولا نظيرا لانه يدعى لنفسه الربوبية والالوهية واستكبار قومه لما استعبدوا بنى اسرائيل واستخدموهم او استكبروا ان يخضعوا لموسى ويجيبوا الى ما يدعوهم اليه وقوله وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده اخذناه اخذ تعذيب واهلاك فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعذبون بظلمهم وقوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ذكر فى هولاء انه جعلهم ائمة فى الشر وذكر فى الرسل واهل الخير انه جعلهم ائمة فى الخير حيث قال فجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات وما قال ولتكن منكم ائمة يدعون الى الخير فكان من الله تعالى فى اهل الخير صنع ومعنى حتى صاروا بذلك ائمة الخير ما لم يكن ذلك منه باهل الشر وائمة السوء فهذا على المعتزلة لانهم يقولون لم يكن من الله الى الرسل وقادة الخير الا وقد كان ذلك منه الى كل كافر وفاسق فلو كان على ما قالوا لكان لا يحتمل ان يصير هولاء ائمة الخير واولئك ائمة الشر فدل ذلك انه منه الى هولاء معنى فصاروا بذلك ما ذكر ما لم يكن ذلك الى اولئك الا ان يقولوا ان هولاء صاروا ائمة الخير باعمالهم واولئك ائمة الشر باعمالهم ايضا وان كان ما من الله اليهم على السواء لكن يضاف ذلك الى الله باسباب يكون منه وكانت حقيقة ذلك منهم وبعلمهم نحو ما قال انما تنذر من اتبع الذكر اضاف الانذار الى من اتبع الذكر وان كان رسول الله ينذر من لم يتبع وكذلك ما قال فى الشياطين

هذا الملاء وهم اشراف قومه على طريق الخصوصية لهم

انما يدعو حزبه وهو يدعو الحزبين جميعا لكنه اضاف دعاءه الى حزبه لما منهم يكون له الاجابة واضاف انذار رسول الله
الى من اتبعه وقبله لطاعتهم له فعلى ذلك الاول اضاف ذلك الى نفسه لفعلهم لكن عندنا لا يكون من الخلق في فعل الخلق
حقيقة الفعل انما يكون منهم لاسباب ويكون من الله في افعالهم لاسباب وحقيقة الفعل فيكون اضافة ذلك الى الله
على حقيقة الفعل ولاسباب جميعا والى الخلق لاسباب تكون منهم اليهم والثاني انما خص بالانذار من اتبع الذكر لانه
انما يقصد بالانذار من اتبعه لا من لا يتبعه وكذلك الشيطان انما يقصد بدعائه اياهم ضررهم
وان كان الرسول ينذر الخلق جميعا الذي يتبعه والذي لا يتبعه وكذلك الشيطان يدعو الحزبين جميعا لان هذا
يقصد ضررهم بما يدعوهم اليه الا ترى انه قال انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير والرسول بما ينذر يقصد
نفعهم لذلك خص الانذار لمن اتبعه وخص في ذلك حزبه **وقوله** ايمة يدعون الى النار تصحيحا لانهم دعوهم الى النار
لا يجيبونه ولكن يدعونهم الى اعمال توجب لهم النار لو اجابوهم وهو كقوله فما اصبرهم على النار اي ما اصبرهم على عمل يستوجبون به
النار **وقوله** ويوم القيامة لا ينصرون كان الشيطان مناهم النصر والشفاعة بعبادة الاصنام فيخبر انهم لا ينصرون
لما مناهم **وقوله** واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وهو ما عذبوا في الدنيا واستوصلوا ويوم القيامة هم من المقبوحين
قال بعضهم مسودون وجوههم وجايز ان يكون ذلك جزاء ما افتخروا في هذه الدنيا بالحلي والزينة وطعنوا في موسى
وجوابا لهم حيث قالوا فلولا القي عليه اساورة من ذهب وجاء معه الملايكة مقترنين يخبر انهم يكونون
في الاخرة على غير الحال التي كانوا في الدنيا وافتخروا بها وقال بعضهم المقبوح هو السواد مع الزرقة **وقوله** ولقد
آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى من نحو عاد وثمود وهولاء الذين كانوا من قبل من الامم اي رسلنا
بعد هلاك من ذكر بصاير للناس يشبه ان يكون قوله بصاير للناس اي هلاك من ذكر من القرون الاولى بصيرة
وعبرة لمن يكون من بعدهم ليزجرهم ذلك عن تكذيب الرسل ويكون ذلك اية لرسالة موسى والثاني يكون قوله
بصاير للناس وهدى ورحمة اي الكتاب الذي اتاه الله موسى هو بصاير وهدى ورحمة لهم اذا قبلوه واتبعوه وعملوا
وكذلك كان جميع كتب الله هدى ورحمة وبصيرة لمن آمن بها وعمل بها وجايز ان يكون هذا جوابا وصلة لقولهم ما سمعنا بهذا
في ابائنا الاولين يقول والله اعلم انكم لو سمعتم ذلك في ابائكم الذين اتبعوا رسلهم فاجابوهم فاما من كذبوهم فانا اهلكناهم
بتكذيبهم الرسل واستاصلناهم والله اعلم **وقوله** وما كنت بجانب الغربي قال بعضهم جانب الغربي حيث تغرب الشمس والقمر
والنجوم والشرقي حيث تشرق وتطلع وقال بعضهم بجانب الغربي اي بجانب الوادي الغربي والله اعلم ما اراد به **وقوله** وما كنت
بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وما كنت ثاويا في اهل مدين اي مقيما وما كنت بجانب
الطور اذ نادينا يحتمل وجوها احدها انك لم تكن شاهدا هذه المشاهد التي شهدها موسى حيث قضينا الى موسى الامر
بجانب الغربي ولم تكن شاهدا هنالك وما كنت من اهل مدين ثاويا حتى تعلم امر موسى وحينه وما كنت بجانب الطور
حيث نادينا موسى ونحوه او لم تكن شاهدا هذه المشاهد التي كان موسى شاهدا فيها ثم اعلمناك بتلك الانباء والاخبار على ما كانت
لتتلو تلك الانباء والاخبار على اهل مكة فتكون اية لنبوتك وحجة لرسالتك اذ لم تشهدها ولا اختلفت الى احد ممن يعرفها
فعلمك ثم انبات على ما كانت ليعرفوا انك انما عرفتها بالله تعالى والثاني يحتمل ان يذكر هذا له امتنانا عليه ليستاديه شكره
لانه ذكر انه اوحى الى موسى وذكره وامته في شرفه حتى تمنى موسى ان يجعل من امته يقول والله اعلم لم تكن انت شاهدا
في هذه المشاهد فذكرتك ثم وامتك او ان يذكر هذا له على الاختصاص له ليعرفوا ان امر الرسل والوحي اليهم على الاختصاص لهم
من امته لا بامر كان منهم على هذه الوجوه الثلثة يحتمل ان يخرج تاويل ما ذكر له وقال بعض اهل التاويل في قوله وما كنت
بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يقول لم تعاين هذا ولم تشهد وانما هو شيء انزلناه عليك لتتلوه
على اهل مكة **وقوله** ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر هذا ليس بصلة بالاول ولكن على الابتداء يقول والله اعلم
لكنا انشانا قرونا بعد انقراض الرسل ودروس اعلامهم واثارهم وتطاول العهد والعمر ثم بعثنا فيهم رسولا
ليحيي اثارهم وتظهر فيهم سننهم واعلامهم رحمة منا اليهم وهو ما قال في اخره ولكن رحمة من ربك اي ارسلناك

اياك رحمة منا لهم وهو ما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ان يكون قوله ولكن رحمة من ربك اي ما انبائك
واعلمك من انباء موسى والاخبار حيث لم تشهدها من رحمة ربك حيث جعلها اية لنبوتك وحجة لرسالتك والله اعلم
وقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك هذا يحتمل وجهين احدهما لتنذر قوما ما انذر الرسل الذين من قبلك
قومهم والثاني لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اي لم ياتهم نذير من قبلك لعلهم يتذكرون اي على رجاء التذكر تنذرهم
او ان يكون ذلك خاصة لمن تذكر اذا كان على الايجاب **وقوله** ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم لولا ينتظم
الجواب وليس ما ذكر على اثره جواب له لان يقال ان قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة وذلك جايز في اللغة كقوله ولولا
ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي لم تقولوا ما يكون لنا ان نتكلم بهذا **وقوله** ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لمسكم اي لم يمسكم وجميع ما ذكر في هذه السورة من لولا كله انه لم يكن فعلى ذلك جايز ان يكون تاويل قوله ولولا ان تصيبهم
مصيبة اي لم تصبهم مصيبة ولو اصابتهم مصيبة وهو العذاب فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو كقوله ولو انا
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا على هذا يخرج تاويل هذا ثم في هذه الاية وفي قوله
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله وجهان احدهما على من يقول بان ليس لله ان يعذبهم بما كان منهم قبل بعث الرسل اليهم وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا وفي الاية بيان ان له ان يعذبهم وان لم يبعث الرسل لانه اوعدهم الهلاك فلو لم يكن له
التعذيب والاهلاك لم يكن للايعاد فدل ان له الاهلاك في الدنيا والاستيصال لكنه اخر عنهم فضلا منه ورحمة والثاني
على المعتزلة في قولهم الاصلح لانه لا يخلو اما ان يكون ما اوعدهم اصلح لهم من الترك او الترك لهم اصلح فان كان ما اوعدهم
اصلح فقد تركتم فيكون في قولهم اياهم جايرا على قولهم لانه لم يفعل ما هو اصلح لهم في الدين او ان يكون الترك لهم اصلح
فيكون بما اوعدهم جايرا اذ اوعد بما كان غير اصلح لهم مما اوعد فدل ما ذكرنا على ان ليس على الله حفظ الاصلح لهم
في الدين ثم قوله بما قدمت ايديهم ليس الكفر نفسه ولكن العناد والمكابرة مع الكفر لان عذاب الكفر في الاخرة ليس في الدنيا
لان الله قد ابقى كثيرا من الكفرة لم يهلكهم ولم يعذبهم في الدنيا ولكن انما اهلك واستاصل في الدنيا من عاند وكابر الرسل
في الايات والحجج التي اتوها بهم واقاموها عليهم على اثر سؤال كان منهم فعند ذلك اهلكهم واستاصلهم لا بنفس الكفر ثم مع ما كان
التعذيب قبل بعث الرسل لم يعذبهم ولكن اخر عنهم الى ان بعث الرسل اليهم بالايات والحجج ليقطع به عللهم ومنازعتهم
فضلا منه وان لم يكن لهم الاحتجاج عليه بقولهم لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين يحتمل قوله فنتبع اياتك
الايات التي تبعث مع الرسل لانه يبعث الرسل بالايات وجايز ان يكون قوله فنتبع اياتك يعنون بالايات الرسل انفسهم لانهم
ايات لانفسهم وحجج والله اعلم **وقوله** فلما جاءهم الحق من عندنا جايز ان يكون الحق الذي ذكر الرسول نفسه ويحتمل الحق الكتاب
الذي انزل عليه او ايات **وقوله** قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى هذا يحتمل وجوها قالوا هلا اوتي محمد من انواع النعم من المن
والسلوى وغيره من غير تكلف ولا تعب مثل ما اوتي موسى لو كان رسولا على ما يقول او ان يقولوا لولا اوتي من الايات الحسيات
الظاهرات من نحو اليد والعصا والحجر الذي كان ينفجر منه الماء والغمام وما ذكر من الضفادع والقمل والدم والطوفان وغير ذلك
مثل ما اوتي موسى او ان يقولوا لولا اوتي محمد القرآن جملة وصحائف عيانا جهارا كما اوتي موسى التورية جملة عيانا جهارا
والله اعلم بذلك ما عنوا به ثم بين الله تعالى واخبر انهم انما يسالون ما سالوه سؤال العناد ومكابرة لا سؤال استرشاد وطلب
للحق حيث قال اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل اي ولم يكفر هؤلاء الذين سالوك الايات بما اوتي موسى يعني اهل مكة لانهم كانوا
مشركين لم يؤمنوا برسول قط من قبل ويحتمل قوله اولم يكفروا اي ولم يكفر قوم موسى بما اوتي موسى بعد سؤالهم الايات
اذا اتاهم بها فعلى ذلك هؤلاء يكفرون بما اوتيت والاول اشبه ثم قالوا سحران تظاهرا وقد قرئ ساحران بالالف قال بعضهم
ساحران موسى وهرون وقال بعضهم موسى ومحمد وقال بعضهم عيسى ومحمد **وقوله** سحران بغير الف كتابان لكنهم اختلفوا
قال بعضهم التوراة والانجيل وقال بعضهم الفرقان بين الكتب تظاهرا اي الفرقان والتوراة ونحوه وقال بعض اهل الادب
ساحران اولى واقرب لانه ذكر التظاهر والتظاهر انما يكون الانفس لا يكون بين الكتب تظاهرا اي تعاونا وقال بعضهم
من اهل الادب ايضا سحران بغير الف اولى لانه اراد به الكتابين الا يرى انه طلب منهم بما قالوا اتيان الكتاب حيث قالوا

بوجهين الاصلح

ويحتمل المعجزات القايمة على اثبات رسالته

فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ردًّا على ما قالوا وطلبوا منه لكن نقول نحن لا يجب أن يختار لإحدى القرائتين
على الأخرى لأنه إنما هو خبر أخبر عنهم أنهم قالوا إذ مرة قالوا ساحران ومرة قالوا سحران فأخبر على ما قالوا وكذلك قوله
سيقولون لله وسيقولون الله بالألف وبغير الألف لا يختار أحدهما على الآخر لأنه خبر أخبر عنهم على ما كان
منهم فهو على ما أخبر والله أعلم وقال بعض أهل التأويل في قوله لولا أوتي مثل ما أوتي موسى قالت اليهود لقريش
أن سلوا لأن يؤتى محمد مثل ما أوتي يقول الله لرسوله قل لقريش يقولوا لهم أولم يكفروا بما أوتي موسى يعني يهود وقالوا
ساحران تظاهرا قال قول يهود لموسى وهرون وهو ما ذكرنا قريب والله أعلم وقوله وقالوا إنا بكل كافرون ما أوتي
موسى وما أوتي محمد على الاختلاف ما ذكرنا ثم قال قل يا محمد لقريش أهل مكة فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما من التوراة
والفرقان أو التوراة والإنجيل على الاختلاف ما قالوا أتبعه إن كنتم صادقين في زعمكم أنهما سحران تظاهرا وأنه مفترى
ايتوا أنتم من عند الله بكتاب أتبعه إلى هذا ذهب أهل التأويل ووجه آخر يشبه أن يكون أقرب عنه وهو أن قوله فأتوا
بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أي ايتوا بكتاب من عند الله أنه أمركم بعبادة الأصنام والأوثان لأنهم كانوا يعبدون الأصنام
دون الله ويقولون الله أمرهم بذلك ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وإن عبادتهم إياها تقربهم إلى الله زلفى ونحو
من الكلام فيقول والله أعلم ايتوا بكتاب من عند الله أنه أمركم بذلك هو أهدى منهما أي أبين منهما وأوضح من هذين
إنما جاءا بنهي عبادة غير الله ومنعها دونه لقوله ايتوا بكتاب هو أهدى وأبين مما جاء منه من هذين إن كنتم صادقين
أن الله أمركم بذلك يكون عبادتكم إياها على ما تزعمون هذا جائز أن يكون أقرب من الأول والله أعلم وقوله فإن لم يستجيبوا لك
في إتيان ما تطلب منهم وتسأل من الكتاب فاعلم أنما يتبعون أهواءهم بغير علم وهو كانوا يعلمون أنهم إنما يتبعون
في عبادة الأصنام وتحريم الحلال وتحليل الحرام أهواءهم ويجعلون هواءهم هو الإمام إذ لا يؤمنون برسل حتى يكون لهم
كتاب ثم قال ومن أضل أي لا أحد أضل ممن اتبع هواه على إقرار منهم وعلم أن ليس أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
أي من غير بيان من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي والله أعلم أن الله لا يهدي قومًا يتبعون أهواءهم لا يتبعون
الحجج والبراهين لا يهديهم ما داموا في اتباع هواهم أو لا يهدي القوم الذين ظلموا الحجج والبراهين والله أعلم وقوله ولقد وصلنا لهم
القول لعلهم يتذكرون اختلف فيه قال قائلون هو القرآن ثم يخرج هو على وجهين أحدهما وصل القرآن بعضه ببعض
حتى خرج كله موافقًا بعضه بعضًا مصدقًا مجتمعًا غير مختلف وإن نزل في الأزمان على تباعد الأوقات وطول المدد لعلهم
يتذكرون أن مثل هذا لا يكون إلا ممن يعلم الغيب ولا يعزب عنه شيء ولا يغيب إذ لو كان هو ممن لا يعلم ذلك من كلام المخلوق
لخرج مختلفًا متناقضًا على ما يكون من كلام المخلوق في تباعد الوقت وطول المدة مختلفًا متناقضًا والثاني وصل مواعظ
القرآن بعضها ببعض ومواعيده بعضها ببعض وعداته بعضها ببعض وكذلك أوامره ومناهيه وإن تفرق نزولها واختلف
مواضعها يدعوهم لما يدعوهم به مرة بعد مرة لعلهم يتذكرون به ومنهم من يقول في قوله وصلنا لهم القول أي الأنباء
والأخبار والأمم الخالية نبأ بعد نبأ وخبرًا على أثر خبر ما نزل بمكذبي الرسل منهم من الهلاك والعذاب وبمصدقي
الرسل من النجاة والبقاء في النعم الدائمة على إقرار منهم بذلك وعلم أنه كان بهم ذلك لعلهم يتذكرون وينزجروا عن تكذيب
رسولهم مخافة أن ينزل بهم بالتكذيب ما نزل بأولئك وجائز أن يكون قوله وصلنا لهم القول أي قول التوحيد ووجه هذا
أن وصلنا التوحيد حتى جعلنا في كل أمة وكل قوم أهل توحيد لم تخل قومًا ولا أمة عنه كقوله ولكل قوم هاد وكقوله
ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ونحو ذلك من الآيات يدل على أن كل أمة وقرن أهل توحيد لعلهم يتذكرون أن في آبائهم
من قد آمن بالرسل وصدق بهم ولا يقولون إن آباءنا على ما هم عليه يشبه أن يكون هذا وصل القول الذي ذكر ووصلنا
القول قال أبو عوسجة والقتبي أي أتبعنا بعضه بعضًا فاتصل عندهم وقال بعضهم وصلنا أي بينا شيئًا فشيئًا حتى صار عندهم
ظاهرًا وقال أبو معاذ وصلنا في كلام العرب أتممنا كصلتك الشيء بالشيء وقوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
وقال في آية أخرى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقال في آية
أخرى فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وقال يحرفون الكلم عن مواضعه وأمثاله يذكر فيهن

الآيات أن من أهل الكتاب من لم يؤمن ويذكر في الأولى على الإطلاق أن الذين أوتوا الكتاب من قبله هم به يؤمنون جائز أن يكون
قوله الذين آتيناهم الكتاب وانتفعوا به هم يؤمنون به وأن يكون الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته هم يؤمنون
على ما ذكر في آية أخرى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به وأما من لم يتله حق تلاوته فلا يؤمن به
فأما أهل التأويل فإنهم صرفوا الآية إلى قوم خاص من أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا به ويشبه أن يكون
الآية في قوم خاص منهم ألا ترى أنه قال على أثره وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين
يذكر أهل التأويل أنهم كانوا آمنوا به قبل أن بعث محمد فلما بعث ثبتوا على ذلك وآمنوا به على ما كانوا آمنوا من قبل وفيه دلالة
أن الإيمان والإسلام واحد لأنهم قالوا آمنا به وقالوا إنا كنا من قبله مسلمين دل أنهما واحد وكذلك قوله فأخرجنا من كان
فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهم واحد ذكر مرة الإيمان ومرة الإسلام دل أنهما واحد وقوله
أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا هذا يحتمل وجوهًا ثلاثة أحدها يؤتون أجرهم مرة بالإسلام ومرة بما صبروا
على زوال الرياسة منهم وذهابها لأنهم كانوا أهل رياسة ومنزلة وقدر فذهب ذلك كله عنهم بالإسلام فلهم الأجر
مرتين لذلك والثاني يؤتون أجرهم مرتين مرة بالإسلام ومرة بما صاروا أئمة وقدوة لمن بعدهم يقتدون بهم لهذا أجرين
بإسلام أنفسهم والثاني بدعائهم غيرهم إليه على ما يعاقب رؤساء منهم والقادة ويضاعف العذاب عليهم مرتين مرة
بضلال أنفسهم ومرة بإضلال غيرهم كقوله ليحملوا أوزارهم كاملة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم وجائز أن يكون
إيتاء الأجر مرتين لما يصيرون أئمة وقدوة لغيرهم في الخير ويضاعف عليهم العذاب إذا صاروا أئمة وقدوة في الشر
ألا يرى أنه قال في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين وذلك والله أعلم لما يصرن هن أئمة لغيرهن يقتدون بهن فعلى ذلك الأول وجائز أن يكون يؤتون أجرهم
مرتين بالإسلام نفسه ويكون الصبر كناية عن الإيمان كقوله إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أي آمنوا وأسلموا وأما أهل
التأويل فإنهم يقولون يؤتون أجرهم مرتين مرة بإيمانهم بمحمد قبل أن يبعث ومرة بإيمانهم بعد ما بعث والأول أشبه
وقال بعضهم يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا مرة بإسلامهم ومرة بما صبروا وحملوا على أذى أولئك الكفرة ولم يكافوهم
بل خاطبوهم بخير حيث قالوا سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وروي في بعض الأخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل آمن بنبي ثم إذا بعث نبي آخر آمن به ومملوك لرجل يخدمه ويحسن خدمته ويعبد
ربه ورجل ربى جارية ثم أعتقها فتزوجها وقوله ويدرؤون بالحسنة السيئة هذا يحتمل وجهين أحدهما يحسنون
إليهم بعد إساءتهم إليهم وأذاهم إياهم على ما كانوا يفعلون ويصنعون إليهم قبل ذلك والثاني يدرؤون بالحسنة السيئة
أي يعفون عن أذاهم ولا يكافونهم فيكون كقوله خذ العفو وأمر بالعرف الآية والأول كقوله ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي
بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله ومما رزقناهم ينفقون أي ينفقون في طاعة الله وسبيل الخير والأكل كان ينفق
كقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر الآية وقوله وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه هذا أيضًا
يحتمل وجهين إذا سمعوا منهم من الكلام ما يتأذون من كلام اللغو والأذى والفرية أعرضوا عنه أي لم يكافوهم لأذاهم
والثاني إذا سمعوا ما يلغون به من الباطل أي لم يخالطوهم فيما هم فيه فليس أنهم لا ينهون ولا يمنعونهم عن ذلك إذا لا نهي
تنجع فيهم وإذا رأوا لا ينجع فيهم فعند ذلك أعرضوا عنه وهو كقوله وإذا مروا باللغو مروا كرامًا وقوله وقالوا لنا أعمالنا
ولكم أعمالكم أي لكم جزاء أعمالكم ولنا جزاء أعمالنا وكذلك قوله لكم دينكم ولي دين لم يقل هذا لهم في ابتداء الدعاء ولكن
بعد ما أيس عن إيمانهم وإجابتهم فعلى ذلك الأول وقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين هذا يشبه أن يخرج
على وجهين أحدهما على القول منهم بالسلام عليهم أي كانوا لا يخاطبونهم بالجهال ولا يخاطبونهم إلا بالسلام خاصة بهذا
القدر يخاطبونهم حسب والثاني ليس على حقيقة قول السلام عليهم ولكن على الصلح وترك المكافأة لهم وتركهم إياهم
على ما هم عليه إذ السلام هو الصلح والله أعلم وقال بعضهم ردوا عليهم معروفًا لا نبتغي الجاهلين يقولون لا نريد
أن نكون من أهل الجهل والسفه وقوله إنك لا تهدي من أحببت ذكر أهل التأويل أن هذا نزل في أبي طالب عم النبي

في ذلك ان ابا طالب قال يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقالوا فقال له النبي عليه السلام
تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك فقال له ما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة في آخر يوم من الدنيا
ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت
ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك ولحيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى
من شدة وجدك ونصيحتك ولكن سوف اموت على ملة الاشياخ فلان وفلان فانزل الله في ذلك انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء فهو على المعتزلة لانهم يقولون ان الهدى البيان ولو كان بيانا على ما يقولون لكان رسول الله
يقدر ان يبين له الجبائي يحتج لهم فيتاول ويقول ان رسول الله كان يحرص ان يدخله الجنة فيقول انك لا تهدي
طريق الجنة له حتى تدخلها او كلام يشبه هذا وذلك بعيد وقال جعفر بن حرب هذا ليس في ابتداء الهداية ولكن
في اللطائف التي تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في البدء والانف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى
الآية فيخبر انك لا تملك الهداية اللطيفة التي تخرج مخرج الثواب ان تهديهم فيقال له اخبرنا عن تلك الزيادة التي
تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في الابتداء ينفع لهم دون الابتداء فان قالوا نعم فيقال لهم
فذلك عليه ان يفعل بهم اذ من قولهم ان عليه ان يعطي كل كافر ما ينفعه ويصلح له في دينه فكيف منع ذلك وذلك
ينفعهم والثاني يقال لهم ان تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم واللطائف على ما كان منهم في الابتداء يستوجبها
او لا يستوجبها فلا معنى للمنع على قولهم لانهم يقولون ان على الله ان يعطي ذلك وان كان لا يستوجبها فلا معنى لقوله
ولكن الله يهدي من يشاء على قولهم فيبطل الاحتجاج به على قولهم وعندنا زيادة الهداية وابتداؤها سواء وهو على الخبر
لرسوله انه لا يهديه ولكن لو كان كل الهداية بيانا على ما قالوا لكان قد بين لهم فدل ذلك منه ان ثم هداية سوى
البيان عند الله اذا اعطى العبد يصير بها مؤمنا وهو التوفيق والعصمة والسداد وذلك لا يملكه رسول الله انشاء ذلك
وابتداعه بل الله هو المالك بذلك وقوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا دل قولهم ان نتبع الهدى
معك هو على انهم عرفوا ان ما جاء به رسول الله ويدعوهم اليه هو الهدى حيث قالوا ان نتبع الهدى معك وقوله
نتخطف من ارضنا يخرج قولهم على هذا على وجهين احدهما ان نهلك ونموت جوعا اذا خالفنا اهل الآفاق في الدين لان ارزاقهم
وما به قوام ابدانهم انما يحمل ويمار من الآفاق فيقولون انا اذا اتبعنا الهدى معك وخالفناهم في الدين اي اهل الآفاق
منعونا الميرة فنهلك ونموت جوعا فذلك تخطفهم من الارض والثاني قالوا ذلك مخافة ان يغزوا او يوسروا او يقتلوا
اذا خالفوا اهل الآفاق والاطراف في الدين واتبعوا الهدى مخافة الاسر والقتل فاجابهم الله ورد عليهم اعتلالهم في الوجهين
فقال اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا يقول والله اعلم انا جعلناهم في الحرم آمنين وما يحتاج
اليهم من انواع الثمرات باللطف لا بموافقة الدين لانهم مع موافقة الدين كانوا يتخطفون الناس منهم حيث قال في آية اخرى
اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم لخبر انهم مع موافقتهم في الدين يتخطفون دل انه انما جعل لهم الحرم
آمنا والميرة اليهم باللطف لا بالموافقة في الدين حتى لا يتعرض لاهل الحرم في الحرم ولا خارجا منه ولا يتعرض ايضا من دخل الحرم
بشيء ليعلم انه انما كان كذلك باللطف من الله لا بالموافقة في الدين والثاني انهم مع ما كانوا يعبدون الاصنام دون الله
فيه لا يمنعهم الرزق ويؤمنهم فيه فلأن يفعل ذلك بهم عند عبادتهم لله وتركهم عبادة غيره احق ان يرزقوا ويامنوا فيه
يجبى اليه ثمرات كل شيء قال اهل التاويل ثمرات كل شيء اي من كل جنس ونوع من الثمرات يجبى اليه وظاهره ان يجبى اليه
من كل شيء ارفعه وانفعه وذلك ثمرته كل شيء ارفعه وانفعه يقال ثمرة الشيء كذا وثمرة هذا الكلام كذا اي ما ينتفع منه
والله اعلم وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يحمل اليهم من الآفاق ويجبى اليه من الثمرات والاطعمة
انما هو باللطف لا بموافقة الدين وكذلك لا يعلمون ان امنهم فيه باللطف لا بموافقة الدين والله اعلم وقوله وكم اهلكنا من قرية
بطرت معيشتها قال بعضهم كفرت معيشتها وقال بعضهم لم ترض معيشتها وفيه اضمار في اي بطرت معيشتها فانتصبت
لانتزاع حرف في وتاويله والله اعلم اي كم اهلكنا من قرية بطر اهلها في معيشتها حتى صرفوا شكر ما انعم عليهم وجعلوا عبادتها

لعلهم الذي

لعلهم الذي جعل لهم السعة والرخاء فانتم يا اهل مكة اذا بطرتم واشرتم في معيشتكم وخصبكم تهلكون كما اهلك من كان
قبلكم وهو كما قال فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الآية وقوله فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا
من القريات قريات اهلك اهلها اسكن غيرهم بها نحو قريات فرعون وغيره جعل مساكنهم لبني اسرائيل حيث قال
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض الآية وقوله واورثنا بني اسرائيل الكتاب ومن القريات ما جعلها
خربة معطلة لم يسكن غيرهم بها نحو قريات لوط وغيره وقوله وكنا نحن الوارثين اي الباقين والوارث هو الباقي
في اللغة على ما ذكرنا آنفا في غير موضع وقوله وكنا نحن الوارثين يخرج على وجهين في هذا احدهما اخبار عن هلاك اهل
الارض وفنائهم ويبقى هو كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها ويورثها من يشاء من عباده والثاني اخبار عن هلاك
اولئك وجعلها لغيرهم اي المتقين كقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والله اعلم قالوا ان نتبع
الهدى معك نتخطف من ارضنا اي نوخذ وقوله يجبى اليه من الجباية اي يجمع يقال جبيت اجبي جباية وجبيا والجبي جبيها جائز
يجوز بطرت معيشتها اي لم ترض بمعيشتها وقال القتبي اشرت وقال فاتها رسولا اي في اكثرها واعظمها
قدرها وهي مكة والنبي منهم والكتاب انزل عليهم وقالوا انما كلمة لا يتكلم بها احد يعنون بالكسر وقوله وما كان ربك
مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا فامها رسولا جائز ان يكون تلك القرى التي اخبر عنهم هلكها حيث يبعث في امهاتها
رسولا القريات التي هي حول مكة لا يهلك القرى حيث يبعث في امها رسولا قيل في اعظمها وهي مكة رسولا يتلو عليهم
آياتنا فان كان هذا فيكون الاهلاك لها الانتزاع من ايديهم وجعلها في ايدي اهل الاسلام على ما كان لان الله كان لا ينتزع
على رسوله قرية فقرية وتبلغ قبلك حتى جعل الكل في ايدي المسلمين فهو ما قال ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله وهو وعد فتح مكة وذلك اهلاكهم والثاني جائز ان يكون هذا
في كل القرى وجميع الرسل انه كان لا يهلكها بالكفر نفسه حتى يبعث في اعظمها واكبرها وهي المصر رسولا يتلوا عليهم
آياته وذلك يشبه كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر بعث الرسول في امها لانه اذا بعث الرسول
في اعظمها وهو المصر ينتشر وينتهي الى الآفاق والصغار منها والقرى لما انهم يدخلون المصر لحوائجهم فيتهيأ للرسول
تلاوة الآيات عليهم والدعاء لهم واذا كان في بعض القرى لا يتهيأ لهم ذلك والله اعلم وقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها
ظالمون اي معاندون مكابرون لا نهلكهم هلاك تعذيب بنفس الكفر في الدنيا حتى يكون منهم العناد والمكابرة انما يعذب
عذاب الكفر في الآخرة وهو عذاب الابد وقوله وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى
اي انهم كانوا يتفاخرون بما اوتوا من السعة ومتاع الحيوة الدنيا واهل الزهد والتقوى آثروا الباقي الموعود في الآخرة
على متاع الحيوة الدنيا وزينتها ولذلك قال افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا فجوابه هذا
ان يقال بل الموعود الحسن الملاقي بالذي له عاقبة خير من المتاع الفاني الذي ليست له عاقبة لكنه لم يذكر له جواب
لجوابه ما ذكرنا ثم كل استفهام كان من الله فهو على الايجاب في الحقيقة ليس على الاستفهام وقوله ثم هو يوم القيامة
من المحضرين اي يحضرون في النار وقيل من المحضرين اي المعذبين وكلاهما واحد وقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين
كنتم تزعمون قوله شركائي الذين كنتم تزعمون في زعمكم انهم شركائي حيث اشركتموهم في العبادة وتسمية الالوهية والا لم يكن لله
شريك فيقول اين شركائي الذين زعمتم انهم شركائي ثم قوله اين شركائي انما يقال لهم لقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله
زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول اين شفاعة من زعمتم انهم شفعاؤكم عند الله واين قربكم وزلفاكم
بعبادتكم اياها حيث زعمتم ان عبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى اين ذلك لكم منهم وقوله قال الذين حق عليهم القول
يحتمل قوله حق عليهم القول القول الذي قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وجائز ان يكون قوله حق عليهم
القول اي وجب عليهم العذاب كقوله واذا وقع القول عليهم اي وجب العذاب عليهم وكقوله ووقع القول عليهم بما ظلموا
اي وجب العذاب عليهم بما ظلموا ونحوه ثم اختلف في الذين حق عليهم القول فمنهم من يقول هم رؤساء الكفرة وائمتهم الذين
اضلوا اتباعهم ودعوهم الى الضلال ومنهم من يقول هم شياطين الجن والقرناء جميعا في الكتاب ذكر قال في ائمتهم

اي المحضرين في النار يعذب ومن عذب احضر صح

ثم القرناء جميعا اعني شياطين الجن وشياطين الانس وهم قادة الكفرة في الكتاب ذكر صح

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقال قالت اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا وامثال هذا كثير وقال
في شياطين الجن ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال احشروا الذين ظلموا وازواجهم الآية ونحو كثير
ايضا وقوله ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا يقولون اغويناهم كما غوينا يعتذرون انه لم يكن منا اليهم
الا الدعاء والاشارة الى الغواية وهو كقول ابليس اللعين وخطبته يومئذ حيث قال وقال الشيطان لما قضي الامر
ان الله وعدكم وعد الحق الآية فعلى ذلك هؤلاء يقولون لم يكن منا اليهم سوى الدعاء بلا برهان ولا حجة فاتبعونا
فلا تلومونا ولوموا انفسكم حيث تركتم اجابة الرسل ومعهم براهين وحجج واجبتمونا بلا حجة ولا برهان فاغويناكم كما غوينا
ولو كنا على الهدى لهديناكم كقولهم ولو هدانا الله لهديناكم وقوله تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون انما يتبرؤون
انا لم نأمرهم بالعبادة لنا والا كانوا عبيدوهم ثم ان للمعتزلة ان يتعلق بهذه الآية لانهم يقولون انما اضافوا الغواية
الى انفسهم قالوا حيث قالوا اغويناهم كما غوينا دل ان الله لا يغوي احدا فيقال لهم انا لا نضيف ولا نجيز اضافة الغواية
الى الله فيما يخرج مخرج الذم له وانما نضيف فيما يخرج مخرج المدح له والثناء عليه ثم قد اضاف ابليس الغواية اليه ولم ينكر
عليه حيث قال رب بما اغويتني في غير موضع وقال يضل من يشاء ونحو كثير في القرآن فما خرج مخرج المدح له والثناء
عليه يضاف اليه وما خرج مخرج الذم له فلا وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم وقوله حق عليهم القول يوم قال
ابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ثم قالت الشياطين في الآخرة ربنا هؤلاء الذين اغوينا يعنون كفار
بني آدم هؤلاء الذين اضللناهم عن الهدى كما ضللنا تبرأنا اليك منهم يا رب ما كانوا ايانا يعبدون فتبرأت الشياطين ممن كان
يعبدها فقالوا لم نأمرهم بعبادتنا وقيل للكفار بني آدم ادعوا شركاءكم يقول سلوا الآلهة التي سميتموها آلهة انهم آلهة
فدعوهم اي سألوهم فلم يجيبوهم الآلهة بانها آلهة وقوله اين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم معي شركاء على ما ذكرنا
من قبل والله اعلم وقوله وقيل ادعوا شركاءكم يحتمل شركاءكم في الخلقة او شركاءكم في العبادة ادعوهم ليشفعوا لكم ويقربوكم
الى الله على ما زعمتم في الدنيا فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يشفعوا لهم ولم يستجيبوا لهم لما لم يجعل في وسعهم الاجابة لهم
ولجيئا كاينا في الآخرة ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون وتاويله اي لو رأوا العذاب في الدنيا لكانوا يهتدون ولكن
لم يروه هذا وجه ووجه آخر انهم لم يصدقوا بالعذاب في الدنيا ولو صدقوا لاهتدوا مخافة نزول العذاب بهم والثالث
لو انهم كانوا مهتدين في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة والله اعلم وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
فعميت عليهم الانباء اختلف فيه قال قائلون انما يسألون عن اجابتهم الرسل ماذا اجبتموهم على علم منه انهم ماذا اجابوهم
فعميت عليهم الانباء اي الاجابة فلا تتهيأ لهم الاجابة لهول ذلك وفزعهم وقال بعضهم انما يسألون عن الحجة والعذر الذي به
كانوا تركوا اجابة الرسل فيقول لهم لاي حجة وعذر تركتم اجابتهم فعميت عليهم الانباء اي الحجج والعذر لما لم يكن لهم الحجة
والعذر في تركهم اجابتهم فهم لا يتساءلون قال بعضهم لا يسأل بعضهم بعضا بل يتبرأ بعضهم من بعض ويكفر بعضهم
ببعض ويلعن بعضهم بعضا على ما ذكر في الكتاب وقال بعضهم فهم لا يتساءلون الحجة والبرهان لما لا حجة لهم ولا برهان
اي لا يسأل بعضهم بعضا عن الحجج لان الله ادحض حججهم وكل السنتهم وقال بعضهم لا يتساءلون بالانساب يومئذ
كما كانوا يتساءلون في الدنيا كقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون والله اعلم بذلك ثم ان بعض
المعتزلة تكلموا فيه وقالوا لو كان الامر على ما يقوله القدريون والجبريون في المشيئة والارادة لكان يسهل لهم الاحتجاج
ويهون لهم العذر فيقولون يا ربنا اجبناهم ما نفذ من مشيئتك وارادتك وما مضى من قضائك وكتابتك علينا اذ كنت
انت قضيت وكتبت علينا وشئت واردت ما كان منا من التكذيب لهم وترك الاجابة فلم يكن لنا تخلص مما شئت
وقضيت علينا الى هذا الخيال يذهب جعفر بن حرب وهذا منه تعليم لاولئك الكفرة الحجاج بالباطل والكذب بين يدي
رب العالمين التكذيب الذي كان منهم ثم يقال لهم لو كان لهم ذلك الحجاج على زعمكم فلا يكون ذلك لهم بقولنا ولكن انما يكون
بكتاب الله وسنة رسوله وقول المسلمين اجمع حيث قالوا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وبكتاب الله ما ذكر في غير آي
من القرآن يهدي من يشاء وقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى

اي مشيئته عامة في الخير والشر جميعا لكان يسهل

وقوله ولو شاء ربك

وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم الآية وامثاله مما لا يحصى من الآيات فلئن كان لهم ذلك انما يكون
بما ذكرنا لا بقولنا واصله انه لا يكون لهم هذا النوع من الاحتجاج لانهم وقت فعلهم لا يعقلون ما يعقلون بان الله شاء
ذلك لهم او قضى وكتب ذلك عليهم وهم يؤذون ويجبرون وقت فعلهم ان شاء الله ذلك منهم ويرضى واذا كانوا وقت فعلهم
لا يعقلون لذلك فكيف يكون لهم الحجاج على ما كانوا عليه يفعلون لا لذلك لكن هذا منهم تعليم الكذب لهم ليكذبوا بين يدي
رب العالمين على ما ذكر واصل قولنا في هذا انا نقول انه شاء من كل ما علم انه يكون منه ويختار وكذلك قضى وكتب على كل
ما علم انه يكون منه اذ لا يجوز ان يشاء منه خلاف ما علم انه يكون لان فيه احد وجهين اما الجهل بالعواقب واما العجز فيه
وذلك عن الله منفيان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واصله ما روي عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال بيننا وبين القدرية
حرفان احدهما انا نقول لهم ان الله علم ما يكون انه يكون فان قالوا لا كفروا لانهم جهلوا الله وان قالوا بلى فيقال لهم وشاء
ان يكون خلاف ما علم انه يكون فان قالوا لا كفروا لانهم يقولون شاء ان يجهل وذلك كفر وان قالوا بلى شاء ذلك لزمهم قولنا في المشيئة
والارادة لله في ذلك قال ابو عوسجة والقتبي فعميت بالتخفيف اي خفيت فعميت بالتشديد اي اخفيت وقوله فاما من تاب
وآمن وعمل صالحا اي فاما من تاب اي رجع عما كان فيه من الشرك والكفر وآمن بالذي دعاهم الرسل واجابهم
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه فعسى ان يكون من المفلحين يحتمل رجوع عسى الى ذلك الرجل الذي نعته يقول على رجاء
القبول والفلاح يفعل ما يفعل من التوبة والعمل الصالح او ان يقال ما قال اهل التاويل ان عسى من الله واجب
وهو ما ذكرنا ان كل استفهام كان من الله فهو على اللزوم والوجوب فعلى ذلك حرف عسى ولعل وان كان حرف شك
في الظاهر فهو من الله على الوجوب واليقين قال ابو معاذ الفلاح في كلام العرب البقاء ويقال النجاة وقد ذكرنا في غير
موضع وقوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ويقول والله اعلم وربك يختار للرسالة من يشاء
من يشاء ويجتبيه لها فيجعلهم رسلا ما كان لهم الخيرة يقول لم يكن لهم ان يختاروا هم ولكن الله يختار ويصطفي
من يشاء ردا لقولهم لولا نزل هذا القرآن الآية الى هذا ذهب بعضهم وجائز ان يكون هذا في كل امر اي وربك يختار
ما يشاء ويأمر وما كان لهم الخيرة من امرهم اي التخلص والنجاة من امره كقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا اي امر الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم والقضاء ههنا امر لكنه يحتمل وجهين احدهما
على الوقف في قوله وربك كان ما يشاء ويختار والابتداء من قوله ما كان لهم الخيرة من امرهم فان كان على هذا به
فيكون ما ههنا ما جحدا اي لم يكن لهم الخيرة من امرهم والثاني على الصلة ليس على الجحد فيكون تاويله وربك يخلق
ما يشاء ويختار الذي لهم الخيرة ان يكون الوقف على هذا على قوله وربك يخلق ما يشاء ثم يقول ويختار الذي لهم الخيرة
قال ابو معاذ قرئ الخيرة بجزم الياء وبتحريكها الخيرة ثم قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار رد على المعتزلة من وجهين
احدهما ما اجمعوا عليه ان الله قد شاء جميع ما يفعله العباد من الخيرات والطاعات فاذا شاء ذلك دل انه خلقها اذا اخبر
انه يخلق ما يشاء وقد شاء الخيرات فدل ذلك على خلق افعال العباد لكنهم يقولون قوله يخلق ما يشاء اذا خلقه وكذلك
يقولون في قوله والله على كل شيء قدير اي على خلق كل شيء قدير ان خلقه او كلام نحو هذا فلئن جاز لهم هذا من الزيادة
جاز لكل احد مثله فذلك بعيد وعلى قولهم اكثر الاشياء ليست بمخلوقة لله وهو على اكثر الاشياء غير قدير لان افعال
الخلق لا شك انها اكثر من انفسهم فاخبر انه على كل شيء قدير وانه يخلق ما يشاء وان هذا منه خرج مخرج الامتداح له
والثناء عليه بما له من السلطان والقدرة على الخلق كلهم فلو كان على ما يقوله المعتزلة لم يكن هذا امتداحا له ولا ثناء بالسلطان
والقدرة اذ هو على قولهم على اكثر الاشياء ليس بقادر على ما ذكرنا ثم نزه نفسه وبرأها عما قالوا فيه واشركوا غيره
في الوهيته وربوبيته وفي عبادته فقال سبحان الله وتعالى عما يشركون وقال وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
هذا يخرج على الوعيد لهم والتنبيه ليكونوا على حذر فيما يسرون من القول والفعل وما يعلنون والله اعلم وقوله
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم قوله وله الحكم كقوله ويختار وما كان لهم الخيرة وقد ذكرنا
ان قوله ويختار ما كان لهم الخيرة من امرهم انه يخرج على وجهين احدهما الا اختيار في امرهم لا لهم الاختيار في امرهم ولا يملكون

ما يختار لهم دفعه والثاني هو يختار لهم الخيرة في امرهم لانه هو العالم بمصالح امورهم وما يرجع الى الاوفق والانفع لهم
لا يعرفون ذلك تعلى ذلك قوله له الحكم في الدنيا والآخرة لان انفس الخلايق لدد ونهم فله الحكم في امورهم وافعالهم
كما له الحكم في اقوالهم لانه لا يلحقه الخطاء في حكمه اذ هو عالم بذاته ولا يلحقه التهمة ايضا في دفع مضرة او جر نفع لانه غني بذاته
فله الحكم في الدارين جميعا والله الموفق وقوله له الحمد في الاولى والآخرة هذا يخرج على وجوه احدها ما قال له
اهل التاويل له اولياءه يحمدونه في الدنيا والآخرة في الجنة حيث قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الآية يقولون
اذا دخلوا الجنة والثاني قال بعضهم في الاولى والآخرة يقول في السموات والارض وتصديقه قوله ولله الحمد في السموات
والارض وقوله ايضا يسبح لله ما في السموات والارض وقوله يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن والثالث له الحمد
في الاولى والآخرة وهو ان يجعل الدنيا مشتركة بين الاعداء والاولياء في نعمها غير مفترقة ولا مختلفة واما الآخرة
فقد فرق فيها بين الاولياء والاعداء وجعل للاولياء النعمة الدائمة وللاعداء العذاب الدائم فله الحمد على ذلك والرابع له الحمد
في الاولى والآخرة لما جعل الدنيا دار محنة والآخرة دار الجزاء لم يجعلها دار المحنة او ان يكون قوله له الحمد في الاولى والآخرة
اي له الحمد من الخلق في كل حال وكل وقت كقوله تعالى وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين انهم يحمدونه في بدء كل امر وختمه
او ان يكون له الحمد وقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة او ان جعل النهار سرمدا اي دايما لا ليل فيه
الى آخر ما ذكر من قوله افلا تسمعون وافلا تبصرون يخرج ذكره لوجهين احدهما في تسفيههم في صرف العبادة والشكر الى الاصنام
التي كانوا يعبدونها على علم منهم انها لا تملك شيئا مما ذكر من جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا وتركهم عبادة من يعرفون
انه يملك ذلك كله وكذلك ما ذكر في آية اخرى حيث قال افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره الآية
يقول والله اعلم فاذ لا يملك ما تعبدون من دون الله دفع ضر اراده الله به وجعله رحمة ولا دفع رحمة اراده الله وجعله
ضرا فكيف تعبدونها وتتركون عبادة من يملك هذا وهذا هذا ودفع هذا بهذا فعلى ذلك يقول والله اعلم كيف تعبدون
من لا يملك جعل الزمان كله ليلا دايما لا نهار فيه وجعل النهار نهارا كله دايما لا ليل فيه وتتركون عبادة من يملك
ذلك كله بجعل وقتا للراحة والقرار والثاني يذكرهم عظيم نعمه ومننه حيث انشا هذا العالم محتاجا الى ما به قوام
انفسهم وابدانهم في دينهم ودنياهم ثم جعل ذلك على التعاون والتظاهر بعضهم بعضا ما لو جعل ذلك على غير ذلك
لا يقوم انفسهم وابدانهم بذلك حيث جعل الليل وقتا للراحة والسكون والنهار وقتا للتقلب والتعيش ولو كان ذلك كله
وقتا للراحة لا يقوم انفسهم ابدا للتعيش والكسب ولو كان كله وقتا للتقلب والكسب لا راحة فيه لا تقوم ايضا انفسهم بذلك
لكنه من رحمته وفضله جعل لهم وقتا للراحة انما جعله للكل لا لبعض دون بعض وكذلك ما جعله وقتا للتقلب
انما جعله لذلك للكل لا لبعض دون بعض ليقوم لهم اسباب التعيش وما به قوام انفسهم وابدانهم ولو كان ذلك كله
وقتا لاحدهم لم يقم انفسهم ولا بقي هذا العالم الى الوقت الذي جعل له البقاء الى ذلك الوقت وهو ما ذكر ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وقوله افلا تسمعون وافلا تبصرون انما هو سمع عقل وقلب
وبصر عقل وقلب كانه يقول افلا تسمعون هذا بالعقل وافلا تبصرون بالعقل والله اعلم كقوله فانها لا تعمى الابصار
الآية وقوله ويوم يناديهم اين شركائي الذين كنتم تزعمون قد ذكرناه وهذه الآيات التي يكررها ويعيد مرة بعد مرة
من قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون وقوله
وقيل ادعوا شركاءكم وامثال ذلك مما يكثر على علم منه انهم لا يصدقونها ولا يقبلونها ولا يستمعون اليها وان كررت
واعيدت مرة بعد مرة فهو والله اعلم يخرج على وجهين احدهما لزوم الحجة لما تمكنوا او الاستماع والسماع وان كانوا لا يستمعون
اليها والثاني يكون فيه عظة للمؤمنين من وجوه احدها ليشكروا على ما عصموا من عبادة غير الله ووفقوا عبادة الله المستحق لها
ليعرفوا عظيم نعمة الله عليهم والثاني يحذرون عاقبتهم في الرجوع الى ما هو عليه الكفرة على ما حذر الرسل والانبياء واولوا
العصمة عاقبتهم في الرجوع الى ذلك كقول ابراهيم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وامثاله كثير والثالث تخوف المعاملة ه
لئلا يعاملوا لهم في العمل كما عامل اولئك في الاعتقاد لان المؤمنين وان خالفوا اولئك الكفرة في الاعتقاد في اشياء غيره

ذكر الله سبحانه وتعالى المعاملة مع الكفرة في الآخرة بما خالفوا الله تعالى في طريق الاعتقاد وتركوا الايمان ليكون زجرا للمؤمنين عن المخالفة في اوامره ونواهيه لئلا يعاملوا في العمل الحق كما يعاملوا الكفرة في الاعتقاد السيئ قوله لان المؤمنين الخ منه

فالعبادة

في العبادة دقه ونهايتها فقوتهم في العمل كررت هذه الآيات والآيات عليهم واعيدت مرة بعد مرة وان كانوا لا
لا يستمعون اليها للوجوه التي ذكرنا والرابع كررت عنهم قرنا لما انهم لا يقبلون في وقت ويقبلون في وقت فيقولون
لو كررت واعيدت لقبلنا فكررت واعيدت لئلا يقولوا بانها لو اعيدت وكررت لقبلناها والله اعلم وقوله ونزعنا
من كل امة شهيدا قيل شهيدها رسولها كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا
ويحتمل ان يسمى شهيدا لانه يشهد بما عملوا واحضر ما كان منهم والله اعلم من التكذيب والقبول والرد فقلنا هاتوا
برهانكم في تسميتكم الاصنام آلهة او في استحقاقها العبادة او قولكم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك يقول
هاتوا برهانكم وحجتكم على ما زعمتم وقوله فعلموا ان الحق لله هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما على ان الالوهية
والربوبية لله وعلموا ان لا شفاعة الا لله لا للاصنام التي عبدوها وما يكونوا شفعاء عند الله كقوله قل لله الشفاعة
جميعا او ان يكون ان الحق الذي عليهم وهي العبادة لله او ان يكون ما جاء به الرسل من الحق انما جاءوا من عند الله وضل
عنهم ما كانوا يفترون اي ضل عنهم ما كانوا يأملون في عبادتهم تلك الاصنام من الشفاعة والزلفى وقوله ان قارون كان
من قوم موسى فبغى عليهم كان والله اعلم يخوف اهل مكة ويوعدهم ببغيهم على الله وعلى رسوله بعذاب ينزل بهم
كما نزل بقارون ببغيه على موسى وقومه انه لم تنفعه قرابته من موسى ولا صلته به لما ذكر انه كان ابن عمه وكان ختنه
زوج اخته مريم فعلى ذلك يقول والله اعلم انه لا ينفعكم القرابة التي بينكم وبين رسول الله ولا اتصالكم به من عذاب الله
ونقمته في الدنيا اذا بغيتم عليه وتركتم اتباعه كما لم تنفع القرابة التي بين قارون وبين موسى من عذاب الله ونقمته الذي
انزل عليه وكما لم تنفع ابوة آزر ابراهيم لما لم يتبع ابراهيم اذا بغى عليه وترك اتباعه حيث تبرأ ابراهيم منه وحيث قال لابيه
الى الغافلين بملك من عذاب الرحمن الآية وحيث لم ينفع امراة نوح ولوط الزوجية التي كانت بينهما وبين نوح ولوط
من نزول العذاب ونقمته بما تركوا اتباعهم وبغوا عليهم فعلى ذلك يا اهل مكة لا ينفعكم من عذاب الله ونقمته
قرابتكم برسوله صلوات الله عليه وصلتكم به والله اعلم وقوله فبغى عليهم اختلف اهل التاويل في بغيه عليهم
قال بعضهم هو ان موسى طلب منه زكوة ما اتاه الله من المال شحا وابى ان يعطيه وقال بعضهم بغيه عليهم هو ان اعطى
امراة جعلا لتقذفه بنفسها فارادت ان يفضحه على رؤس الاشهاد والملأ وان يرجموه فدفع الله ذلك عنه وبرأه منه وقال بعضهم
بما بغى عليه بكثرة ماله وولده [illegible]
كما انزلت الآية وقال بعضهم بغى عليه لان النبوة جعلت في موسى والحبورة في هارون ولم يجعل لقارون شيء فاعتزل
عن موسى واتبعه ناس كثير فاعتدى عليه ونحو هذا كثير مما قالوه والاشبه ان يكون بغيه الذي ذكر عليهم كبغي
فرعون وهامان عليه حيث قال ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان فقالوا ساحر كذاب
وكقوله وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الآية فكان منه ما كان منه ه
من فرعون وهامان من التكذيب والرد لرسالته وتسميته ساحرا كذابا فذلك هو البغي عليه ولا يستقيم البغي عليه لانه ذكر
البغي ولم يبين ما ذلك البغي والله اعلم بذلك وقال قايلون بغيه عليهم هو ان زاد في ثيابه شبرا فذلك البغي ايضا لا نعلمه
نحو مثل الاول وقوله وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة قال بعضهم مفاتحه خزاينه
وقال بعضهم مفاتحه جمع مفتاح وهو المعروف والاصل مفاتيح وذكر ان كنوزه كانت كذا كذا الفا وان مفاتحه كان يحمل كذا كذا
بغلا وانها من جلود كذا ولسنا نعلم ذلك ولا نشهد على ذلك ايضا ولا نذكره الا قدر ما ذكر في الكتاب
في الكتاب والكنوز والمفاتح وذكر ان العصبة تنوء بها وذلك الكثير مما ذكر ولكن لا نعلم قدرها وعدده ما هو الكنوز
وكذلك العصبة ايضا لا نعلم كم عدده الا ان اهل التاويل يقول بعضهم من عشرة الى اربعين ويقول بعضهم من عشرة
الى خمس وسبعين وبعضهم من عشرين الى خمس عشرة ونحن لا نفسر ولا نذكر عددا سوى ان اسم جماعة يتعصب بعضهم
بعضا كانه عصبة بالكل والبعض لا نفسر ولا نحفظه انا انا ذكرنا سائر ما ذكر وقوله لتنوء بالعصبة اختلف فيه قال بعضهم تثقل وبعض
بعضهم بعضا يرجعون جميعا الى واحد وكذا الشيعة هي جماعة يتشيع بعضهم بعضا ويتبع بعضهم بعضا ولذلك الكذب

بحيث قارون

بينهما

كانت اعطة لتعلم التوراة واحكامها وموسى عم للدعوة واقامة امور الرعية وان كانت النبوة والرسالة شملتهما ولم يجعل لقارون شي وهو من قرابتهما فاعتزل منه

انما تنكير لكثرتها منه

لابيهم لئن اكله الذئب ونحن عصبة اى يعقب بعضنا لا ندعه ياكله ولئن لم نفعل ولم نحفظه انا اذا لخاسرون وقوله لتنوء بالعصبة اختلف فيه قال بعضهم لتثقل بالعصبة تلك المفاتيح وقال القتبي لتنوء اى تميل بها العصبة اذا حملتها من ثقلها وقال ابو عوسجة لتنوء بالعصبة اى لتعجز العصبة وقال بعضهم تنوء تثقل والعصبة جماعة وقوله اذ قال له قومه لا تفرح قال بعضهم لا تبطر ولا تاشر ان الله لا يحب البطرين الاشرين وجايز ان يكون قوله لا تفرح اى لا تفتخر على الناس بما اتاك الله من المال ولا تتكبر عليهم ولا تفرح لا تسكن اليها ولا تركن الى ذلك ان الله لا يحب من ذكر وقوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة كانه ذكر ثم ما اتاه الله من المال لانسيته الاخرة وشغلته عنها وعن العمل لها حتى حمله ذلك على الجحود والانكار فقال وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة بما اتاك الله ولا تنس نصيبك من الدنيا اى لا تنس من مالك فى الدنيا ولكن قدم لاخرتك قال الحسن فى قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا الى الاخرة قال ان ياخذ من ماله قدر عيشه ويقدم ما سوى ذلك لاخرته وكذلك قال فى قوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اى قدم الفضل وامسك ما يبلغك واحسن كما احسن الله اليك قال يكفيك ما احل الله لك من الدنيا فان فيه غناء وكفاية واصله ما روى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال لك من الدنيا ما اكلت ولبست وافنيت وما قدمت جعل المقدم من الدنيا له واما ما خلفه فهو لغيره وهكذا ان الدنيا لم تخلق للدنيا لتبقى لاهلها او يبقى اهلها فيها ولكن انما خلقت لتفنى هى ويفنى اهلها وخلقت الاخرة للبقاء فنصيبه من الدنيا ما قدم وانفق فى طاعة الله وفى سبيله ليس ما خلفه فى هذه الدنيا وقوله واحسن كما احسن الله اليك يحتمل قوله احسن الى نفسك فى العمل للاخرة كما احسن الله اليك واحسن الى الخلق كما احسن الله اليك وقوله ولا تبغ الفساد فى الارض هذا يدل انه كان ينفق ماله الا انه كان ينفق فى الصد عن سبيل الله حيث قال ولا تبغ الفساد فى الارض ولو كان فى ترك الانفاق لم يكن فى ذلك بغى الفساد فى الارض ثم الواجب على من حضر الملوك وشهد مجالسهم من اهل العلم ان يخوفوا الملوك ويواعدوهم بما اوعد قوم موسى قارون وخوفوه ويامروهم بالصلاح فى انفسهم وفى رعيتهم كما امر اولئك قارون وينهوهم كما نهاه اولئك فان اجابوهم والا امتنعوا عنهم وكفوا انفسهم عن الاختلاف اليهم فان لم يفعلوا فهم شركاؤهم فى جميع ما يفعلون اقلهم بها وسمى قارون لذلك والله اعلم وقوله قال انما اوتيته على علم عندى اختلف فيه قال بعضهم ان قارون كان اقرأ الناس بالتورية واعلمهم بها وسمى قارون لذلك وذكر انه سمى المنور لحسن صوته بالتوراة وقال بعضهم سمى منورا لذلك والله اعلم وقال بعضهم قوله انما اوتيته على علم عندى وهو الكيميا ذكر انه كان يعالج صنعة الذهب ويخبثها وقال بعضهم انما اوتيته على علم عندى اى على خير عندى قال ذلك على اثر قول اولئك ولا تنس نصيبك من الدنيا الى قوله تعالى ولا تبغ الفساد فى الارض كانهم اوعدوه بذهاب ذلك عنه وهلاكه فقال والله اعلم انما اوتيته ذلك على علم عندى وتجرا فا بلا سبب وكانه والله اعلم نسى الاخرة بما اوتى من المال والكنوز وترك الانفاق فى الخير وكان ينفق فى صد الناس عن سبيل الله وكذلك قال ولا تبغ الفساد فى الارض الا انه كان عارفا بالله حيث قالوا له وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة وقالوا له ان الله لا يحب المفسدين دل هذا منهم انه كان عارفا بالله وقوله اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد قوة واكثر جمعا ذكر هذا والله اعلم لما انه كان يفتخر ويستكبر على الناس بما اوتى من الاموال والكنوز والاتباع ويحسبانه يدفع العذاب الموعود فى هذه الدنيا بذلك عن نفسه او يظن انه لما اوتى ذلك لا يعذب كظن اولئك الكفرة حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فجايز ان كان من قارون من الاعجاب بالكثرة والجمع ما ذكر باولئك فقال عند ذلك اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ثم لم تهيا لهم دفع ما نزل بهم من العذاب فعلى ذلك انت يا قارون والله اعلم وقوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون اختلف فيه قال بعضهم لا يسألون عن ذنوبهم كقوله يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام وقال بعضهم لا يسأل هذه الامة عن صنيع مجى الامم الخالية وجايز ان لا يسأل عن ذنوبهم لانهم لا يرون ما يعملون من الاعمال ذنوبا ولكن انما يسألون عن الدليل الذى به لا يرون تلك الاعمال ذنبا والله اعلم وقوله فخرج على قومه فى زينته قال عامة اهل التاويل انه خرج على بغال شهب ومعه كذا كذا بغال شهب عليهن من الثياب كذا وقال بعضهم انه خرج على براذين كذا بيض مع كذا كذا غلمان وجوار وغير ما ذكروا لكنا لا ندرى على اى زينة خرج ولكنا نعلم انه خرج على الزينة

وقال بعضهم على علم عندى هو علم الكيميا صح

التى تخرج

التى تخرج امثاله من الملوك ولا نفسر انه كذا على كذا وكذلك لا نفسر العلم الذى ذكر انه اوتى ما اوتى له من المال والكنز انه كان عنده كذا من العلم والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله وقال الذين اوتوا العلم اى اوتوا منافع العلم اذ قد يؤتى العلم ربما ولا يؤتى من الانتفاع له برها ارى هؤلاء حيث قالوا لاولئك ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا لم يكن من اولئك الا التمنى ان يؤتوا مثل ما اوتى قارون ثم نهاهم الذين اوتوا منافع العلم والانتفاع به عن ذلك التمنى فدل ذلك ان التمنى لا يسع فيها لا يسع الاستغال به والطلب حيث قالوا لهم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وما يلقيها الا الصابرون اختلف فى قوله ولا يلقيها كيف ذكره بالتانيث وانما تقدم له ذكر ثواب فالا قال وما يلقيه لكن اختلف فيه قال بعضهم وما يلقيها كناية عن تلك المقالة التى كانت من اولئك الذين اوتوا العلم لاولئك الذين يريدون الحيوة الدنيا اى ما يلقى تلك المقالة التى قالوها لاولئك الا الصابرون وقال بعضهم لا ولكن ذلك كناية عن الاعمال اى وما يلقى تلك الاعمال ولا يوفق الا الصابرون وقال قايلون لا ولكن يلقيها عن الدار الاخرة يقول وما يلقى تلك الدار الا الصابرون قال ابو عوسجة والقتبى ولا يلقيها اى لا يوفق ويقال لا يرزق والصابرون يحتمل المؤمنين نفسه كقوله تعالى ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور وقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اى امنوا ويحتمل الصابرون الذين صبروا انفسهم وحبسوها على اداء ما افترض الله عليهم ولم يولوا انفسهم شهواتهم وهواها والله اعلم ثم كان فى قوم موسى خصال ثلاثة لم تكن تلك ولا امثالها فى غيرهم من الامم احدها ما ذكر من صلابة اولوا العلم ويقينهم وطاعتهم فيما وعدوا فى الاخرة من الثواب وصبرهم على اداء ما افترض الله عليهم وحبسهم انفسهم عن مناهم وشهواتهم ولصلابتهم وقوتهم فى الدين ما وعظوا قارون حيث قالوا له وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة الى قوله ان الله لا يحب المفسدين وهو كان ملكا يومئذ ولما قالوا لاولئك الذين يريدون الحيوة الدنيا ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا والثانى ما ذكر سحرة فرعون حين اوعدهم بالقتل والصلب والقتل بايمانهم الذين امنوا فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون وقالوا فاقض ما انت قاض وامثال ذلك مما اتيا لو احلوا ما اوعدهم وخوفهم من انواع العذاب والثالث ما ذكر من الذى كان يكتم ايمانه حيث قال وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وانما اظهر ذلك حين قال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه كانه هم ان يقتله الا ترى ان ذلك الرجل المؤمن الذى كان يكتم ايمانه قال لهم اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله لم يبال هلاك نفسه باظهار الايمان بعد ان اعان نبى الله موسى ونفع له بما قال واستقبل فرعون وقومه بما استقبل فهذه خصال لم تذكر عن قوم وقد من سوى قوم موسى مثلها وكذلك وصفهم ونعتهم بفضل الهداية والعدالة وهو ما قال عز وجل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وهكذا الواجب على كل مؤمن اذا اريد منه اخذ الايمان او خاف على دينه ان يذهب به او ان يدخل فيه النقصان ان لا يبذل ذلك وان خاف على نفسه تلفها وهلاكها وتعذيبها باشد ما يكون من العذاب الا يرى ان الله مدح اصحاب الاخدود اشد العذاب واسوء القتل ولم يتركوا الايمان ولم يعطوا اولئك الكفرة ما ارادوا منهم فهكذا الاختيار على كل مسلم ان يختار ما اختار اولئك وهكذا الواجب على كل من ياتى الامراء والسلاطين ويحضر مجالسهم من العلماء ان يعظوهم ويامروهم بكل ما يؤتى وينهوهم عن كل محظور حرام ويدلوهم على كل خير وكل ما هو طاعة الله كما فعل قوم قارون بقارون والا لم يحضروا مجالسهم ولا اتوهم طايعين فان فعلوا فانهم يكونون شركاءهم وذكر عن بعض السلف انه قال فى عيسى وقارون عبرة لمن اعتبر ان عيسى صلوات الله عليه زهد فى الدنيا زهدا حتى لم يتخذ لنفسه مسكنا يسكن ولا مقرا يقر فيه ولا اتخذ لنفسه ما يعيش به ولا اشتغل بشىء منها فرفعه الله الى السماء فجعل عيشه ومقره فيها فى كرامة الله وجواره وقارون كان يرغب فى هذه الدنيا رغبة وجهد فى طلبها طاقته ووسعه وركن اليها ركونا حتى خسفه الله فى الارض وادخله فيها مع كنوزه واتباعه فيكونون فيها الى يوم القيامة ففى ذلك عبرة واية لكل راغب وزاهد فيرغب الزاهد فى الزهد فيها ويتزجر الراغب عن الرغبة فيها والله اعلم وقوله فخسفنا به وبداره الارض بالبغى الذى بغى عليهم اعنى على موسى واصحابه وقوله فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله كانه كان يفتخر بالمال والحواشى ويتقوى بذلك فى دفع عذاب الله ونقمته لذلك قال

فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله اى لم يغن فى دفع عذاب الله عنه اتباعه وحواشيه وهو كقولهم ولئك
نحن اكثر اموالاً واولاداً وما نحن بمعذبين وكان ظنهم ذلك وقولهم انما كان بوجهين انهم ظنوا ان اموالهم واتباعهم
تدفع عنهم عذاب الله ونقمته كما تدفع نقمة بعضهم من بعض فيما بينهم كقول ذلك الرجل سآوى الى الجبل يعصمنى من الماء وكذلك
ظنوا انهم انما اعطوا هذه الاموال والاتباع فى هذه الدنيا لكرامتهم عند الله فلا يعذبون ابداً والله اعلم **وقوله** واصبح الذين
تمنوا مكانه بالامس كانوا تمنوا ان يعطوا مثل ما اعطى قارون يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
ويكانه لا يفلح الكافرون قال بعض اهل الادب وى صلة انما هو كان وكانه وقال المقاتل ويكانه اى لكن ويكان قال بعضهم
قوله ويكان الله اى اعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء واعلموا انه لا يفلح الكافرون لكن الله يبسط الرزق لمن يشاء ولكنه
لا يفلح الكافرون وقال بعضهم الم تر ان الله يبسط الرزق والم تر انه لا يفلح كذا وقال ابو عبيدة ويكان وبك مثل قولك
ويلك وويحك طرحت منه الالف والنون وقال الزجاج وى مقطوعة من كانه وهو حرف يفتتح به التندم ثم ابتدا
بقوله كانه لا يفلح الكافرون ثم فى الاية دلالة نقض قول المعتزلة فى وجوب الاصلح على الله لانهم ذكروا منة الله فى منعه
اياهم ما تمنوا بالامس مما اوتى قارون فلو كان ما اعطى قارون اصلح له فى دينه لم يكن فى منعه عن هؤلاء منة دل ان ما اعطى
قارون لم يكن اصلح له بل المنع اصلح له وان ليس على الله حفظ الاصلح للعباد فى الدين **وقوله** تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علواً فى الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين فى ظاهرها ان كل من لا يريد العلو فى هذه الدنيا ولا الفساد
فيها يكون من اهل تلك الدار وكذلك ما ذكر من دار الاخرة وجهنم هى من دار الاخرة ايضا لكن الاية تخرج على وجهين احدهما
كانها نزلت فى رؤساء الكفرة وزعيمهم هم الذين كانوا يريدون العلو فى هذه الدنيا بالتكبر والتجبر على الرسل
والفساد فيها فى صرف الناس عن دين الله واتباع الرسل فقال والله اعلم تلك الدار الاخرة اى الجنة ليست لهؤلاء ولكن
لمن تواضع للرسل ودعا الناس الى دين الله واتباع الرسل والثانى يكون الاية فى الذين كانوا يعملون بالخيرات والطاعات
منهم فى صلة الارحام والصدقة على الفقراء والانفاق فى ذلك فاخبر انهم وان كانوا يعملون بتلك الاعمال فانما يعملون
للدنيا والعلو فيها لا للاخرة فتلك الدار الاخرة ليست لهم انما هى للذين يعملون ويريدون بها الدار الاخرة **وقوله** تلك
الدار الاخرة كانه يقول تلك الدار التى دعوا اليها ليست لمن ذكر وهى الدار التى قال الله والله يدعوا الى دار السلام فالدار
الاخرة هى الدار التى دعوا اليها وهى الجنة الدار الاخرة على الاطلاق كالجنة كالكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق
دين الله ونحوه **وقوله** والعاقبة للمتقين اى تلك الدار الاخرة للمتقين **وقوله** من جاء بالحسنة فله خير منها هذا يخرج
على وجوه احدها ما قال اهل التاويل على التقديم والتاخير اى فله منها خير ومعناه ان ما يكون له فى الاخرة من الخير
انما يكون بتلك الحسنة التى جاء بها فى الدنيا وهو التوحيد والثانى قوله فله خير منها اى ما اعطوا فى الاخرة من الخير والثواب
خير مما يعطون فى الدنيا بصبرهم وحبسهم انفسهم عن شهواتها وامانيها والثالث فله خير منها اى ثواب الله وما اكرمهم به
خير مما عملوا فى الدنيا والرابع ان توفيقه اياهم وارشاده خير مما عملوا وان يكون ذكر الله وحمده خير مما ذكروا قوله ولذكر الله
اكبر **وقوله** ومن جاء بالسيئة قالوا جميعاً السيئة هى الشرك فلا يجزى الا مثلها لكن مثلها هو التخليد فى النار ابداً وهم
لا يظلمون فيما يجزون بها بل ظلموا انفسهم **وقوله** ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اختلف فى قوله فرض
عليك القرآن قال بعضهم فرض اى نزل عليك وقال بعضهم فرض عليك العمل بالقرآن وقال بعضهم فرض تبليغ ما انزل
عليك القرآن والرسالة الى الناس واختلف ايضا فى قوله لرادك الى معاد قال بعضهم الى مكة وقال بعضهم هو البعث
والساعة وقال بعضهم المعاد الجنة وقيل الموت وكله البعث والمعاد هو البعث فى الظاهر وجائز ان يسمى مكة معاداً لعود
الناس اليها مرة كما تسمى مثابة لما يثوب الناس اليها مرة بعد مرة لكن من يقول بان المعاد هو مكة يقول ان النبى صلوات الله عليه
لما امر بالهجرة الى المدينة فهاجر اليها اشتاق الى بلده ومولده ومولد آبائه فنزل جبريل عليه بهذه الاية بشارة له
فى العود اليها ظاهراً عليهم قاهراً فاتحاً له مكة هذا تاويل من يقول بان المعاد هو مكة وجائز ان يكون على غير هذا وهو
يخرج على وجهين احدهما كانه حزن على الفراق منهم اشفاقاً على هلاكهم لاخراجهم الرسول من بين اظهرهم لان الامم السالفة

معناه لكن الله يبسط الرزق لمن يشاء
سعد
آصل ويكان وى
مخ

اذا اخرج من بينهم الرسل نزل بهم العذاب تخافتهم لما اخرجوه من بين اظهرهم وابوا اجابته ان يهلكوا ويعذبوا
كقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين **وقوله** فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فبشر بهذا ان ترد اليها وتعود
اليهم فيتبعونك ويؤمنون بك وهؤلاء لا يهلكون اهلاك استيصال وتعذيب كسائر الامم والثانى يذكر على الامتنان
عليه يقول ان الذى انزل عليك القرآن والقاه عليك بعد ما لم تكن ترجوا القاءه عليك وانزاله ولكن برحمته ومنته
القاه اليك وانزله عليك حيث قال وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فعل ذلك يردك الى مكة بعد
ما لم تكن ترجو ردك وعودك اليها وان كان المعاد هو البعث فهو يخرج ايضا على وجهين احدهما على البشارة كانه يقول
ان الذى فرض عليك القرآن يردك ويبعثك ممن كذبك وممن صدقك فينتقم من مكذبيك جزاء التكذيب ويجزى من يصدقك
جزاء التصديق والثانى يذكره ويخاطبه وانما يريد به قومه اى سيبعثون وسيعودون اليها فيكون كالايات التى
يخاطب بها رسوله والمراد بها قومه فهو يخرج على الوعيد لهم الا ترى انه قال ربى اعلم بمن جاء بالهدى ومن هو فى ضلال
مبين اى ربى اعلم بمن جاء بالهدى فيجزيه جزاء الهدى ومن هو فى ضلال مبين فيجزيه جزاء ضلاله ويخرج ذكر هذا
عند ادعاء اولئك الكفرة انهم على الحق والهدى وان اباءهم كانوا على الحق والهدى وانتم على ضلال فيقول ربى اعلم
بمن جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين نحن او انتم فهو على التحاكم الى الله يحكم بينهم فيجزى كلا بما جاء به والله اعلم **وقوله**
وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فهو يخرج على وجهين احدهما وما كنت ترجوا وان كنت مطيعاً اى خاضعاً
ان يلقى اليك الكتاب وينزل عليك وتصير رسولا اى لم تكن تطمع ذلك ولكن الله بفضله ورحمته جعلك رسولا نبيا والثانى
ما كنت ترجوا ان يكون فى قومك وقبيلتك رسالة فضلاً ان ترجوا وتطمع فى نفسك لانهم ليسوا من بنى اسرائيل ولا من اهل
الكتاب والرسالة من قبل كانت لا تكون الا فى بنى اسرائيل ولكن الله جعل الرسالة فى العرب فى نفسك برحمته وفضله
والله اعلم **وقوله** فلا تكونن ظهيراً للكافرين هذا يخرج على وجوه احدها على النهى اى لا تكن ظهيراً وان كان لا يكون
للعصمة التى عصمه الله لان العصمة لا تمنع النهى والامر بل منفعة العصمة انما تكون عند النهى والامر والثانى على الامن له
والاياس ان يكون ظهيراً لهم كانه يخاف لعله ان يكون ظهيراً لهم فى وقت من الاوقات فآمنه الله عن ذلك فقال
لا تخف فانك لا تكون ظهيراً لهم وهو ما ذكرنا فى قوله ولا تحزن عليهم وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على نفى الحزن
والحسرة بتركهم الايمان فعلى ذلك الاول والثالث ان الخطاب وان كان له فى الظاهر فالمراد منه غيره على ما ذكرنا
فى غير اى من القرآن انه خاطب به رسوله والمراد به غيره وكذلك هذا فى قوله ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت
اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين فى هذا ما فى الاول من الوجوه التى ذكرنا وكذلك هذا فى قوله ولا تدع مع
الله الهاً آخر لا اله الا هو **وقوله** كل شئ هالك الا وجهه قال بعضهم قوله كل شئ يرجى منفعته وشفاعته من دون الله
باطل الا ما ابتغى منه وعمل له وقال بعضهم كل شئ هالك وزائل الا هو فانه حى لا يموت دائم لا يزول وقال بعضهم
كل امر وجهة يتوجه اليها ويعمل به هالك الا الجهة والوجه الذى امر هو بالتوجه اليه والعمل به وهو قريب بالاول والله اعلم

سورة العنكبوت مكية وآيها ستون وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم قد ذكرنا فى غير موضع **وقوله** احسب الناس قوله احسب الناس هو وان كان فى الظاهر استفهاماً
فهو على الايجاب لانا قد ذكرنا ان كل استفهام واستخبار وسؤال كان من الله فهو يخرج على التقرير والايجاب
لانه به خبير لا يحتمل الاستفهام والاستخبار اذ حقيقة الاستفهام والاستخبار انما تكون ممن يجهل الامور
فيستخبر ويستفهم ليعرف ذلك فالله سبحانه يتعالى عن ان يخفى عليه شئ فهو على التقرير والايجاب منه ذلك
ثم يخرج قوله احسب الناس على احد وجهين اى قد حسب الناس والثانى اى لا يحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا
وقوله ان يقولوا آمنا ذكر الايمان ولم يذكر بمن بالله او بغيره وليس احد من الخلائق الا وهو يؤمن باحد ويكفر بغيره

وليس في الآية بيان الايمان به او بمن الا ان الله تعالى يمتحن الخلق من الفهم من الايمان المطلق المرسل الايمان بالله
وبرسله وبحرهم حتى فهموا من الكتاب المطلق كتاب الله والدار الآخرة الجنة وامثال ذلك بما فهموا من الكتاب المطلق
كتاب الله وفهموا مما ذكرنا من الايمان المطلق بالله وبرسله وفهموا ايضا من الدين المطلق الا دين الله فيكون قوله ان يكونوا امنا
بالله او برسله وقوله وهم لا يفتنون اى لا يبتلون والفتنة هي الابتلاء الذي فيه الشدة يمتحن الله عباده باختلاف
الاحوال مرة بالضيق والشدة ومرة بالسعة والرخاء وانواع العبادات ليكون ذلك علما للخلق في صدق الايمان
والكذب فيه فيعرفوا صدق كل مخبر عن نفسه الايمان بالله تعالى وكذبه اذ قد يجوز ان يكون فيما يخبر ويقول آمنت
كاذبا فيجعل الله تعالى العلم في صدقهم وكذبهم اعلاما يظهر بها عندهم صدقه ما لو كان الابتلاء والامتحان بجهة
لعله لا يظهر ذلك وهو ما اخبر عن المنافقين فقال ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية هذا يدل ان الفتنة
هي المحنة التي فيها الشدة والبلاء وما قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فانما يظهر صدق الرجل
في ايمانه بما يصيبه من الشدة فاما السعة والرخاء فهو ما يوافق طبعه وهوى نفسه فلا يظهر صدقه بما يوافق
طبعه وانما يظهر ذلك بما يخالف طبعه ويثقل عليه تحمل ذلك ثم قال بعضهم نزلت الآية في قوم اظهروا الايمان
باللسان واضمروا الخلاف والكذب وقال بعضهم نزلت في قوم آمنوا بالله وبرسوله حقيقة ثم عذبوا بانواع العذاب
فتركوا الايمان وكفروا به وفيهم نزل فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكيف ما كان ففيه ان من قرّ
بالايمان وقيل يمتحن بانواع المحن بموافقة الطبع ومخالفته ليظهر صدقه عند الناس فيما ملونه على ذلك والله اعلم
وقوله ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا والله اعلم فيما تقدم ان يعلم ظاهرا كاينا ما قد علمه
غير كاين انه يكون وليعلمه موجودا ما قد علمه غير موجود انه يوجد والله اعلم وقوله ام حسب الذين يعملون السيئات
هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما قد حسب الذين ما ذكروا والثاني لا يحسب على النهي وقوله ان يسبقونا لا احد
يظن ان يسبق الله في عذابه ونقمته لكنهم اذا راوا الكافر والمسلم في هذه الدنيا على السواء في نعيمها وسعتها وراوا
ايضا عند الموت انه لم ينزل على الكافر عذاب كالمسلم ظنوا ان لا بعث وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا واحملهم
ذلك على انكار البعث كقوله وما خلقنا السماء والارض حين خلقهما اذا لم يكن بعث باطلا وهم قد علموا ان خلقه اياهما
ليس بباطل ولكن صير خلقهما اذا لم يكن بعث باطلا فاذا انكروا البعث ظنوا ان لا عذاب ولا جزاء والله اعلم وقوله من كان
يرجوا لقاء الله اضاف اللقاء الى نفسه وكذلك ما ذكر من المصير اليه لقوله واليه المصير وقوله واليه يرجع الامر
كله وقوله وبرزوا لله جميعا ونحو هذا كله لان خلق الدنيا وخلق العالم فيها لها ولكن المقصود بخلقها وخلقها العالم فيها
الآخرة فانما صار خلق هذه الاشياء فيها حكمة بالآخرة اذ لو لم يكن آخرة كان خلق ما ذكر في هذه الدنيا لعبا باطلا
كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلقهم لا للرجوع اليه لعبا باطلا وقوله فان اجل الله لآت
وهو السميع العليم بما يقولون ويظهرون والعليم بما يضمرون ويسرون لان القصة قصة المنافقين او السميع المجيب
العليم بحوائجهم وامورهم والله اعلم وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه وكذلك قوله من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اي فعليها ففي هذا ان الله انما امتحن الخلائق لا لحاجة له
فيما امتحنهم في دفع مضرة او جر نفع لكن انما امتحنهم لحاجة انفسهم في دفع المضار وجر المنافع وكذلك انما انشا الدنيا
وهذا العالم فيها لا لحاجة له في انشاء ذلك ولكن لحوائج انفسهم وكذلك انما انشا من الخلائق سوى البشر انما انشا البشر وله سخر
جميع ذلك وجعل البشر بحيث يقدر على استعمال جميع ذلك لمنافع انفسهم وحاجتهم وهو ما ذكر في غير آي من القرآن
حيث قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ونحو ذلك ففي ذلك
امتحن هذا العالم لحاجة انفسهم في دفع مضار وجر نفع لذلك قال ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي لحاجة لنفسه
ومنفعة نفسه لا لمنفعة او لحاجة لله تعالى ان الله لغني عن العالمين هذا تفسير ما ذكرنا ثم المجاهدة تكون مرة
مع الشيطان والجن ومرة مع اعدائه من الانس ومرة مع هوى النفس ومرة في امر الدنيا كل ذلك مجاهدة في الله قال الله تعالى

والذين

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والله اعلم وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم كان
ما عملوا من الحسنات والصالحات يكفر بها سيئاتهم وقوله ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون هذا يحتمل وجوها
احدها ان جزاءهم الذي يجزون بتلك الاعمال احسن من اعمالهم التي عملوا لان قدر ذلك الجزاء عندهم اعظم واحسن
من قدر من اعمالهم اذ ليس لاعمالهم عندهم كثير قيمة وقدر اذ منهم من يحيي ليلة بدر او بما يسد به حاجته في يوم
او ليلة والثاني ان الاعمال التي يعملها المرء تكون على وجوه سيئات تكفر بالتوبة او بما كان يعاقبون عليها وحسنات
يجزون بها الثواب الجزيل واباحات يعملون لحوائج انفسهم مما لا يعاقبون عليه ولا يثابون فيقول والله اعلم لنجزينهم
احسن الذي عملوا وهو الحسنات والخيرات عملوها لله او ان يكون قوله ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ان نكفر
سيئاتهم بنوع من الحسنات ويثابون على احسنها وهو ما قال لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون
والله اعلم بذلك وقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرئ ايضا احسانا قال الزجاج قوله حسنا اجمع واقرب
لانه يرجع الى حسن الشيء في نفسه والحسنة عند ذلك الاحسان يقال حسن كذا اذا كان في نفسه حسنا والاحسان
هو ما يحسن عند ذلك المعمول له او كلام نحو هذا قال الشيخ رحمه الله لكن الاحسان هو اسم ما حسن ايضا في نفسه يقال
احسن فاذا احسن فقد حسن والله اعلم وقوله وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم ان كان هذا الخطاب لاهل الايمان
فيكون تاويل الآية وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بان له شريك اي تعلم بان ليس له شريك فلا تشرك بي
وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي يعلم بخلاف ما يقولون فعلى ذلك قوله يحتمل
ما ليس لك به علم بان له شريك اي لك العلم بخلافه بانه ليس له شريك وان كان الخطاب لاهل الكفر يقولون على الله
ما ليس لهم به علم وقوله فلا تطعهما امر بالبر الوالدين والاحسان اليهما والطاعة لهما ما لم يكن في طاعتهما معصية الرب
ليعلم ان ليس يجب طاعتهما في كل شيء وفي كل ما كان عندهما احسان ولكن فيما كان في ذلك طاعة الخالق وقوله الي مرجعكم
فانبئكم بما كنتم تعملون وعيد ليكونوا ابدا على حذر في اعمالهم لا يعملون بما فيه معصية الرب وقوله والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين كانه قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولهم سيئات لنكفرن عنهم تلك
السيئات باعمالهم الصالحات ثم لندخلنهم في الصالحين الذين لا سيئة لهم وهم الانبياء اذ اكثر ما ذكر في الكتاب الصالحين
انما اريد بهم الانبياء صلوات الله عليهم وهو ما ذكرنا والله اعلم على تكفير السيئات عنهم على ما ذكر فيما تقدم وهو ما قال
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون او ان يكون قوله لندخلنهم
في الصالحين اي لنجعلنهم من الصالحين فان قيل ما معنى قوله لندخلنهم في الصالحين وهم قد عملوا الصالحات قيل
معناه ما ذكرنا بدءا انهم قد عملوا الصالحات الا ان لهم سيئات يكفرها بالصالحات ثم يجعلهم في الصالحين الذين
لا سيئة لهم والله اعلم وقوله ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله
قال بعض اهل التاويل ناس مؤمنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الناس ومصيبة في انفسهم واموالهم افتتنوا
فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة ثم قال ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم وذلك علم المنافق
ومنهم من يقول نزلت الآية فيمن حقق الايمان سرا وعلانية الا انه عذب لاجل ايمانه بالله وبرسوله فترك الايمان
وكفر فعلى تاويل هذا يجعل قوله ولئن جاء نصر من ربك الى آخر ما ذكر على القطع من الاول والابتداء منه من صنيع
المنافقين وخبرهم والله اعلم ويحتمل قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل فتنة الناس وتعذيبهم اياه
في اعطاء ما سالوه وهو الكفر كعذاب الله في اعطاء ما سال من اهل الكفر وهو الايمان لان اهل الكفر اذا نزل بهم
عذاب الله او اشتد بهم خوف نزوله عليهم اعطوا الله ما سالهم من الايمان به والتوحيد له وهو ما قال فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ويحتمل وجها آخر وهو ان جعل فتنة الناس
في ترك الايمان كعذاب الله في ذلك اي جعل العذاب الذي من الناس كانه من الله حيث فترك الايمان وقوله اوليس الله
باعلم بما في صدور العالمين فان كانت الآية فيمن حقق الايمان بالله سرا وعلانية فيخرج هذا على التعيير له في تركه

الايمان بما عذبت به لانه كان يقدر ان يظهر الكفر لهم باللسان فيدفع العذاب عن نفسه ويكون في الحقيقة في السر
مؤمنا على ما ذكر الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وان كانت الآية في المنافقين فيقول كيف اسررتم الكفر والخلاف له
في القلب وانتم تعلمون ان الله عالم بما في صدور العالمين فيخبر رسوله بما اضمروا واسروا من الخلاف والله اعلم وقوله
وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين قد ذكرنا تاويل هذا ان يعلم كاينا ما قد علم انه سيكون ويعلم موجودا
ظاهرا ما قد علم انه يوجد ويظهر وقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم كانهم قالوا ذلك لهم
بعد ما عجزوا عن الطعن في الحجج والآيات بما يوجب شبهة فيها عند الناس وبعد ما انقطعوا عن الحجاج فيها والاحتجاج عليها
فلما عجزوا عن ذلك كله فعند ذلك اشتغلوا بما ذكر وقالوا للمؤمنين ما ذكر اتبعوا سبيلنا اي ديننا ولنحمل خطاياكم
يقولون والله اعلم اتبعوا سبيلنا فانه صواب فان اصابكم خطاء او اخطاتم في الاتباع له فانا نحمل خطاياكم وقال بعضهم قالوا لهم ان
منهم لا بعث نحن ولا انتم فاتبعونا وان كان عليكم شيء فهو علينا وهو قريب من الاول وان يقولوا لهم اتبعوا سبيلنا لانه
فان الله امرنا به احطاتم في ذلك فانا نحمل خطاياكم او نحو فهذا القول منهم متناقض لانهم ذكروا انهم كانوا يحلفون في الاتباع لهم
دينهم الا ان يريدوا بذلك ما ذكرنا والثاني بما كانوا يضمنون ويحملون خطاياهم لا باذن من له الطلبة للخطايا ولكن باذن
من عليه ذلك وذلك لا يصلح الضمان باذن من عليه ثم اخبر انهم لا يحملون ذلك حيث قال وما هم بحاملين من خطاياهم
من شيء انهم لكاذبون يحتمل قوله انهم لكاذبون فيما يذكرون من حمل خطاياهم اي لا يقدرون على حملها او كاذبون في الدعاء الى اتباع
سبيلهم وكاذبون ان الله امرهم بذلك والله اعلم وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم يحملون اوزارهم بضلال
انفسهم واثقالا باضلال غيرهم ودعايهم اليه كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم وذكر في خبر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى هدى فاتبع عليه الا كان له مثل اجور
من اتبعه ولا ينقص من اوزارهم شيء وقوله وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون قال بعضهم افتراؤهم اتخاذهم
الاصنام آلهة اذ يكون الافتراء في الفعل والقول جميعا وجايز ان يكون افتراؤهم ما ذكر وا من حمل خطاياهم او ما قالوا
ان الله امرهم بذلك وتسميتهم الاصنام التي عبدوها آلهة والله اعلم وقوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة
الا خمسين عاما يذكر هذا النبأ لوجهين احدهما يصبّر رسوله على اذى قومه لانه ذكر ان نوحا لبث في قومه الف عام
غير خمسين عاما كان يدعوهم الى توحيد الله فلم يجبه الا نفر من اهله فلم يمنعه من الدعاء الى دين الله ما اوعدوه من المواعيد
قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ونحو ذلك من المواعيد فذلك لم يمنعه عن الدعاء ولذلك قال فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل والثاني ينقض على المتقشفة مذهبهم لانهم يقولون ان الموعظة اذا لا تنجع في الموعوظين لتفريط او
وترك استعمال نفسه في ذلك فيقال ان نوحا قد دعا قومه الف سنة الا خمسين عاما فلم يجبه الا نفر قليل فلا يحتمل ان يكون
منه تقصير او تفريط فدل انها لا تنجع لجملة الشقاوة في الموعوظ وقوله فاخذهم الطوفان قال بعضهم هو المطر الشديد وجايز
ان يكون الطوفان كل بلاء فيه الهلاك والطوفان هو ما ارسل عليهم من الماء فاغرقهم والله اعلم وقوله فانجيناه اي نوحا واصحاب
السفينة اي من دخل السفينة وجعلناها آية للعالمين قال بعضهم جعلها آية هو ان هلكت كل سفينة كانت وهي باقية اليوم على باب
وقال بعضهم جعلناها آية لمن بعدهم فتمنعهم عن تكذيب الرسل والعناد معهم قال الزجاج الاستثناء يخرج على تاكيد ما تقدم من
من الكلام كذكر الكل على اثر ما تقدم من الكلام او كلام نحوه وقلنا نحن ان كان ما تقدم من الذكر كافيا انما يخرج الثنيا على اثر
مخرج التاكيد لما تقدم نحو قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط قوله الى قوم مجرمين كاف تام مفهوم ان لا يدخل فيه
آل لوط حيث ذكر المجرم اذ آل غير مجرمين فهو كاف مفهوم لا يحتاج الى ذكر آل لوط لكنه ذكر على التاكيد له وكذلك قوله
محصنين غير مسافحين ومحصنات غير مسافحات الا قال محصنين يفهم انهن غير مسافحات ولا متخذات اخدان
لكنه ذكر على التاكيد واذا كان ما تقدم من الكلام مجملا مرسلا فيخرج ذكر الثنيا مخرج تحصيل المراد منه على اضمار حرف من
كقوله الف سنة الا خمسين عاما كانه قال فلبث فيهم من الف سنة تسعمائة وخمسين وكذلك قول الناس لفلان
على عشرة دراهم الا كذا كانه قال لفلان على من عشرة دراهم كذا فهو على التحصيل يخرج ذكره وقال بعضهم الطوفان

انهم غير مسافحات وكذلك قوله محصنات يعرف انهن سره

كلما

كل ما طاف فاش من سيل او غيره وكذلك الموت الجارف يسمى طوفانا وماء الطوفان وهو ما ذكر في سورة الاعراف
وقال بعضهم هو الغرق والله اعلم وقوله وابراهيم اذ قال لقومه هو نسق على قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اي ارسلنا
ابراهيم ايضا الى قومه وان يكون نسقا على قوله فانجيناه واصحاب السفينة وانجينا ابراهيم ايضا حين القي في النار او يقال
اذكر ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله وقوله اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه في حق الاعتقاد اي وحدوا الله وقوله
واتقوه الشرك ويحتمل قوله اعبدوا الله في حق المعاملة اي اليه اصرفوا العبادة واتقوه اي اتقوا عبادة من تعبدون
من الاوثان يكون قوله اتقوا في موضع النهي اي اعبدوا الله ووحدوه ولا تعبدوا غيره يكون فيه نهي عن مخالفة ما تقدم من
من الامر فعلوا كذا واتقوا ما يضاده ويخالفه والله اعلم وقوله ذلكم خير لكم اي عبادة الله خير لكم وقوله ان كنتم تعلمون
يحتمل قوله اذا كنتم تعلمون ان ذلك خير لكم وجايز ذكر ان مكان اذ في اللغة او يكون قوله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون كذا
وقوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا اي تخلقون كذبا في تسميتكم الاوثان آلهة معبودين اي ليسوا بآلهة
ولا معبودين او يقال وتخلقون افكا اي كذبا في صرف عبادتكم اليها واستحقاق العبادة اي لا يستحقون العبادة انما المستحق
للعبادة الله دون من تعبدون وقال بعضهم اي جعلتم كذبا من الآلهة لا حقا وهو قريب مما ذكرنا ثم بين سفههم في صرف
العبادة الى الاصنام وعجزها عمن يعبدها حيث قال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا يقول والله اعلم
ان في الشاهد لا يخدم احد احدا الا لما يامل من النفع له بالخدمة او لسابقة احسان كان منه اليه فالاصنام التي تعبدونها
لا يملكون ان يرزقوكم ولا ينفعوكم ولو كان منها اليكم سابقة صنع فكيف تعبدونها وقوله فابتغوا عند الله الرزق اي اعبدوا الله
رزقكم وينفعكم ويملك ذلك لكم واتركوا عبادة من لا يملك ذلك واعبدوه يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما فيما تقدم
التوحيد والعبادة وقوله واشكروا له اي اشكروا الله فيما انعم عليكم واليه ترجعون وقوله وان تكذبوا فقد كذب امم
من قبلكم هذا يحتمل وجهين احدهما وان يكذبوك فيما تخبر من انباء ابراهيم فقد كذب امم من قبلكم رسلهم فيما اخبروا من امر ابراهيم
بعد انتساب كل فريق منهم اليه وادعائه نحلته ومذهبه والثاني وان يكذبوك فيما تبلغ اليهم من الرسالة فقد كذب امم
من قبلك رسلهم في تبليغ الرسالة وما على الرسول الا البلاغ المبين يبين لهم انها رسالة ربهم بالحجج والبراهين والآيات
والله اعلم وقوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده انهم قد رووا ان كيف انشا الله الخلق في الابتداء وانه جزاء الاسباب
التي خلقهم ولا احتمل وسعهم ذلك فعلى ذلك يعيدهم على ما ابتداء وان عجز وسعهم عن احتمال ذلك وادراكه لا عجوبة
في الاعادة ليست باكثر من الاعجوبة في البداية بل الاعجوبة في ابتداء الانشاء اكثر من الاعادة لما الاعادة عندكم ايسر واهون
من الابتداء فمن قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر ان ذلك على الله يسير الابتداء والاعادة جميعا لا يعجزه شيء اذ هو قادر
بذاته وقوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق كان الامر بالسير في الارض والنظر ليس هو سير بالاقدام
فيها ولكن امر بارسال الفكر فيها من الخلايق والنظر في بدء ما فيها من الخلق متقنا محكما بالتدبير والعلم والحكمة بلا اسباب
ليعلموا ان التقدير في ابتداء الانشاء والاعادة بالخارج عن احتمال وسعهم وفهمهم خطا وان الذي قدر على انشاء الخلق
وابتدائه بلا سبب ولا شيء وان لم يحتمل وسعهم وبنيتهم وفهمهم ذلك فعلى ذلك الاعادة والنشاة الاخرى
وان كانت خارجة عن احتمال وسعهم وفهمهم قادر عليها او ان يقال انظروا واعتبروا ان بدء الخلق والنشاة من الحكيم
العالم الذاتي بلا اعادة ورجوع ليس بحكمة في العقل والحكمة جميعا اذ في الحكمة والعقل التفريق بين الولي والعدو وبين
الشاكر والكافر وبين المطيع والعاصي اذ قد سوى بينهم في الدنيا واشركهم فيها حتى جعل للكافر مثل الشاكر والولي والعدو
والمطيع والعاصي فلا بد من الاعادة في دار يفرق بينهم ليخرج بدو انشائهم وخلقه الخلق على الحكمة والتدبير والعلم
لا على السفه والعبث والله اعلم وقوله ان الله على كل شيء قدير في النشاة الاولى والآخرة جميعا لا يعجزه شيء اذ هو قادر بذاته
وقوله يعذب من يشاء ويرحم من يشاء يحتمل هذا في الدنيا يعذب من يشاء في الدنيا اي يمتحنه ويبتليه بالشدة والضيق
ويرحم من يشاء اي يمتحنه بالسعة والرخاء فيكون التعذيب كناية عن الشدة والضيق والرحمة كناية عن السعة والرخاء وهو
كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فعلى ذلك قوله يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون اي ترجعون

ويحتمل التعذيب في الآخرة والرحمة فيها اي يعذب من يشاء في الآخرة من كان في الدنيا اهلا لها مستوجبا ويرحم
من يشاء من كان في الدنيا اهلا لها مطيعا لله وقوله وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء اي ما انتم بمعجزين الله في السماء
وعلى قول المعتزلة يكونون معجزين الله في الارض على ظاهر مذهبهم لانهم يقولون ان الله قد اراد ابقاء الاخيار واهل الصلاح
ثم يجيء كافر فيقتلهم قبل اجلهم الذي اراد الله ابقاءهم ان يرزقهم الحلال واراد ان يكون اولادهم من رشد ونكاح لكنهم
يطلبون الرزق من حرام ويزنون فيخلق اولادهم من زنا شاءوا ابى لا يقدر التخلص عما يريدون هم فاي اعجاز يكون
اشد من هذا فنعوذ بالله من السرف في القول وقوله وما انتم بمعجزين في الارض هم يعلمون اعني الكفرة انهم لا يعجزون الله
ولا يقدرون على اعجاز لكنه يذكر لانهم كانوا يعملون عمل من هو معجز فايت عن عذاب الله ونقمته وهو كقوله والذين يسعون
في آياتنا معاجزين هم يعلمون انهم لا يقدرون ان يسعوا في آياته معاجزين لكنهم يسعون في دفع آياته والانكار لها
سعي معاجز لها لا سعي خاضع قابل فعلى ذلك الاول وقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير اي ما لكم من دون الله
مما طمعتم من النصر لكم والشفاعة اي ليس لكم ذلك لانهم عبدوا تلك الاصنام لما طمعوا شفاعتها عند الله لهم والزلفى
حيث قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى ونحوه فيقول ما لكم مما طمعتم بعبادتكم تلك الاصنام من ولي ولا نصير وقوله والذين كفروا بآيات الله ولقائه
قوله كفروا بآيات الله يحتمل آيات الله الآيات التي جاءت بها الرسل في اثبات الرسالة لهم ويحتمل آياته الآيات التي جعلها
لوحدانيته والوهيته ولقائه اي كفروا بالبعث وقد ذكرنا فيما تقدم وجه تسمية البعث لقاءه وقال الحسن
آيات الله دين الله وكذلك يقول كل آية في القرآن الدين وقوله اولئك يئسوا من رحمتي قال بعض اهل التاويل
من رحمتي اي من جنتي وتاويل هذا لانهم قد كفروا بالبعث فاذا كفروا وزعموا ان لا ثواب ولا جزاء وجايز ان يكون
قوله من رحمتي اي من رسلي وكتبي لان الله سمى رسله وكتبه رحمة في غير آي من القرآن ايسوا منهم حيث كذبوهم وكفروا بهم
ايسوا ان يرسل الرسل وينزل الكتب ويحتمل قوله اولئك يئسوا من رحمتي اي اولئك عليهم الاياس من رحمتي لما كفروا
بآياته ورسله واولئك لهم عذاب اليم وقوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه قوله فما كان جواب قومه
الا كذا ليس في جميع الاوقات وجميع المشاهد ولكن جايز ان يكون هذا ما كان جواب قومه في مشهد الا كذا وان يكون
فما كان جواب قومه اي ما كان آخر جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه وحرقوه والا لم يحتمل ان لا يكون منهم الا ما ذكر من الجواب
قد كان جوابات واجوبة سواه لكن يحتمل ما ذكرنا ان ما كان جواب قومه في مشهد الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه او ما كان
آخر جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وهو ما ذكرنا في قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله لا يحتمل
ان لم يكن منهم الا هذا ولكن ما ذكرنا والله اعلم وقوله فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
ذكر الآيات في ذلك فجايز ان يكون ما ذكر في هذه السورة من اولها الى آخرها الآيات لمن ذكر وجايز ان يكون فيما ذكر خاصة
لكن ليس من شيء الا وفيه آيات من وجوه آية الوحدانية وآية الالوهية وآية علمه وحكمته وتدبيره وبعثه فهو آيات
وقوله لقوم يؤمنون ذكر الآيات للمؤمنين يحتمل وجهين احدهما ذكر الآيات لهم لانهم هم المنتفعون بها دون من كفر والثاني
الآيات لهم على المكذبين والكافرين اي حجة لهم عليهم كقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه والله اعلم وقوله فما كان
جواب قومه الا ان قالوا كذا هو صلة قصة ابراهيم واليه يرجع وهو ما تقدم من دعائه اياهم حيث قال وابراهيم اذ قال لقومه
اعبدوا الله الآية وقوله وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا يقول والله اعلم ما اتخذتم من دون الله معبودا وسميتموها
آلهة فهي ليست بآلهة ولا معبود انما هي اوثان مودة بينكم في الحيوة الدنيا يقول والله اعلم اتخاذكم هذه الاصنام معبودا
واجتماعكم عليها انما هي مودة حيوة الدنيا لا مودة لها عاقبة او تدوم بل تصير في العاقبة عداوة وبغضا وهو ما ذكر
ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال بعضهم
يتبرأ المتبوع من الاتباع كقوله ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون
عليهم ضدا ونحوه ثم اخبر ان ماوى الكل النار وما لهم من ناصرين ينصرهم من عذاب الله او يدفع عنهم العذاب ثم اختلف

فقوله

في قوله وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم قال بعضهم هذا قول ابراهيم لقومه كقوله اتعبدون
ما تنحتون وكقوله هل ينصرونكم او ينتصرون وقال بعضهم هذا قول رسول الله لقومه وجايز ان يكون هذا قول
كل رسول لقومه الذين عبدوا الاصنام والله اعلم وقوله فآمن له لوط قوله فآمن له لوط يحتمل وجهين احدهما قوله
فآمن له لوط اي اظهر له لوط الايمان من بين غيرهم وقد كان لوط مؤمنا من قبل لعصمته احدث له الايمان في ذلك
الوقت ولم يكن مؤمنا قبل ذلك ولكن ما ذكرنا انه اظهر له الايمان من بين غيرهم والثاني فآمن له لوط فيما دعاه اليه
وهو الهجرة اي صدقه فيما اخبر انه امر بالهجرة فاستصحبه فيها وقوله اني مهاجر الى ربي قال اهل التاويل هذا قول
ابراهيم كقوله اني ذاهب الى ربي وجايز ان يكون قوله اني مهاجر الى ربي قول لوط ثم لم يفهم من قوله اني مهاجر الى ربي
وقوله اني ذاهب الى ربي انتقاله اليه او المكان او شيء مما يوجب التشبيه مما يفهم من الخلق فكيف فهم من قوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل وقوله وجاء ربك واستوى وامثاله مما يفهم من مجيء الخلق واتيانهم واستوائهم اذ لا فرق
بين مجيء الخلق اليه وبين مجيئه الى آخر هذا في الشاهد سواء فكيف فهم في الغائب في احدهما ما لم يفهم من الآخر
وهما سيان في الشاهد فدل انه لا يجوز ان يفهم منه في شيء من ذلك ما يفهم من الخلق اذ اخبر انه ليس كمثله شيء وقوله
ووهبنا له يعني لابراهيم اسحق ويعقوب ذكر انه وهب له اسحق ويعقوب ليعلم ان الولد هبة الله وكذلك ولد الولد
لان يعقوب كان ولد ولده حيث قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكلهم هبة الله اياه قال يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب لم تزل النبوة في ذرية ابراهيم من لدنه الى هذا
الوقت كان جميع انبياء بني اسرائيل من ولد اسحق ونبينا محمد صلوات الله عليه كان من ولد اسمعيل عليه السلام وقوله
وآتيناه اجره في الدنيا اختلف في الاجر الذي اخبر انه آتاه ابراهيم في الدنيا قال بعضهم هو ما وهب له من الولد في الكبر
وقال بعضهم هو ما جعل له لسان صدق اجمعها على الثناء والحسن عليه حيث تستحسن جميع اهل الاديان على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم
انهم على دينه وسنته وسيرته ويتولى كل به وجايز ان يكون قوله وآتيناه اجره في الدنيا ما اخبر انه آتى جميع المؤمنين
واعطاهم وهو ما قال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وما ذكر من ثواب الدنيا فما من مؤمن الا وقد آتاه الله
في الدنيا اجرا وثوابا فذلك الذي في ابراهيم ولا نفسرها ذلك الاجر الذي ذكر انه آتاه الله والله اعلم وقوله وانه
في الآخرة لمن الصالحين هذا يخرج على وجهين احدهما انه لو لم يكرمه الله بالنبوة والرسالة لكان هو ايضا في الآخرة
من الصالحين والثاني ذكر الصلاح لحقيقة صلاحه اي يكون هو ممن حقق الصلاح وكذلك ما ذكر في موسى وهرون
حيث قال انهما من عبادنا المؤمنين اي من عبادنا الذين حققوا الايمان وغيرهم من المؤمنين لم يحققوا او ان يكون
ما ذكرنا اي لو لم يكن الاكرام الذي اكرمه وهو النبوة لكان من المؤمنين ايضا والا ليس في ذكر الايمان والصلاح لهم
كبير منقبة وفضيلة عند الناس اذ يسمى بهذين كل مؤمن ومصلح والله اعلم وعن ابن عباس في قوله وآتيناه اجره
في الدنيا قال عمله ما يجزى به في الآخرة وقتادة قال آتاه الله عافية وعملا صالحا وثناء حسنا وقال غيرهم لست
تلقى احدا من اهل الملل الا يرضى بابراهيم والله اعلم بذلك وقال بعضهم ما ذكرنا انه اعطى الولد الطيب في كبر سنه وقوله
ولوطا اذ قال لقومه كانه يقول والله اعلم اذكر لوطا اذ قال لقومه ثم ذكره اياه يخرج على وجهين احدهما ان اذكر
نبأ لوط وخبره ليكون آية لرسالتك ونبوتك اذ يعلمون انك لم تشاهده ولا شهدت زمنه فاخبرت على ما في كتبهم
ليعرفوا انك انما عرفت ذلك بالله والثاني اذكره انه كيف صبر على اذى قومه وكيف عامل قومه مع سوء صنيعهم من ارتكاب
الفواحش والمناكير وسوء معاملتهم اياه فاصبر انت على اذى قومك وسوء معاملتهم اياك هذا والله اعلم يشبه
ان يكون معنى ذكر لوط اياه وعلى هذا يخرج قوله وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله اي اذكر ابراهيم ونبأه انه كيف عامل
قومه وماذا قال لهم وكيف صبر على اذاهم فعامل انت قومك مثله واصبر على اذاهم كما صبر اولئك والله اعلم وقوله
انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين قال لهم ما سبقكم بها من احد من العالمين ثم لم يبين لهم
الا يعارضوه لقوله ما سبقكم بها من احد من العالمين بل قد كان سبقنا بذلك احد فكان في ذلك وجهان احدهما ان يكون

وقوله وهو العزيز الحكيم قد تقدم تاويله صح

ذلك آية لرسالته وانه انما علم بالله انه لم يسبقهم بها احد ماذكر والثانى انهم يعبدون الاصنام ويرتكبون
فواحش ويقولون انا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وان الله امرهم بذلك ليعلم انهم كذبة فى قولهم ان اباءهم على ذلك
حيث اخبر انهم لم يسبقهم بها من احد ولو كان اباؤهم على ذلك لذكروه وعارضوه فاذ لم يفعلوا ولم يشتغلوا بشئ
من ذلك ليعلم انهم كذبة فيما يقولون والله اعلم وقوله اينكم لتاتون الرجال وهو ما ذكرنا اتاتون الذكران من العالمين
وقوله وتقطعون السبيل قال بعضهم اى تعترضون الطريق لمن مر بكم لعملكم الخبيث لانه ذكر انهم انما كانوا يعملون
ذلك بالغرباء وقال بعضهم وتقطعون السبيل اى تقطعون السبيل على الناس من قطع الطريق وتاتون فى ناديكم المنكر
اى وتعملون فى مجلسكم المنكر اختلف فى هذا قال بعضهم اى تعملون فى مجلسكم اللواطة ايضا وقال بعضهم خذف
بالحصى ورميهم بالبندق وامثاله لكنه يخبر عن سوء صنيعهم فى كل حال وكل وقت يقول انكم تعملون بالفواحش والمناكير
فى كل حال فى الطريق وفى المجلس وفى المنزل لما سبقكم بذلك كله من احد من العالمين والله اعلم ثم قال فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله وقال فى موضع آخر الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وقال فى موضع آخر لتكونن من المخرجين
هذه الآيات فى الظاهر بعضها مخالف لبعض لانه يقول فى بعضها فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله
وفى بعضها وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم فهو يخرج على وجوه احدها ان يكون قوله الا ان قالوا اخرجوهم واخرجوا آل لوط انما ذلك فيما بينهم يقول بعضهم
لبعض اخرجوهم وقوله ائتنا بعذاب الله انما قالوا ذلك للوط فاذا كان كذلك فليس فى الظاهر فيه خلاف والثانى
فما كان جواب قومه فى مشهد ووقت الا كذا وقد كان منهم له اجوبة اخر سواها فى غير ذلك المشهد وفى غير ذلك
الوقت او ان يكون قوله فما كان آخر جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين بنزول العذاب
علينا انما قالوا ذلك له استهزاء وتكذيبا ثم دعا لوط ربه فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فاجيب وقوله
ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى يحتمل البشرى بشارة بالولد فى كبر سنه وسن زوجته ما لم يطمع من مثلهما
الولد اذا بلغوا ذلك الوقت وهو ما ذكر فبشرناها باسحق ويحتمل غيره قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا
ظالمين وقال فى آية اخرى انا ارسلنا الى قوم لوط ولم يذكروا فيه بم ارسلوا وبين فى هذا ثم قال ابراهيم ان فيها لوطا
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته ففى الآية الدليل من وجهين احدهما يخرج الخطاب على العموم والمراد منه
الخصوص لان الملائكة قالوا اما انا مهلكوا اهل هذه القرية ولم يكن الامر باهلاك كل اهل القرية ثم استثنوا لوطا واهله
بعدما قال ابراهيم ان فيها لوطا حيث قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله والثانى فيه جواز تاخير البيان ثم بينوا
الا بعد سؤال ابراهيم اياهم وفيه وجه آخر فى امتحان الملائكة بمختلف الاشياء لان هؤلاء امروا بالبشارة وامروا
باهلاك قوم لوط ليعلم انهم يمتحنون بمختلف الاشياء والله اعلم وقوله وتاتون فى ناديكم المنكر روى عن ام هانى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال فى قوله وتاتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يخذفون اهل الارض ويسخرون منهم فان ثبت
هذا كان تفسيرا له لا يحتاج الى غيره والنادى قال ابو عوسجة المجلس والندية جماعة وكذلك قال القتبى قال ابو معاذ
الندى والنادى لغتان لجميع النادى اندية وجميع الندى ندى وندى كقراءة بعض الناس فى سورة مريم واحسن
نديا اى مجالس وقراءة العامة نديا مجلسا والله اعلم وقوله ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم بالواقع من الفعل
لكن ساءه ظنه انهم يفعلون بهم لما يعلم من قوم الخبيث من العمل وضاق بهم ذرعا هذه كلمة يتكلم بها العرب عند انقطاع
جميع الحيل فلوط انما قال ذلك لما لم ير لنفسه يدفع بها شرهم وما قصدوا بهم الا يرى انه قال فى آية اخرى لو ان لى بكم قوة
او آوى الى ركن شديد وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك هذا يدل انهم على انهم قد قصدوهم ولوطا بالهلاك الا ترى
انه قال فى آية اخرى لن يصلوا اليك دل هذا انهم قد قصدوه بالهلاك حتى قالوا انا منجوك واهلك وانهم انما ارادوه
بالاخراج بقولهم انك لمن المخرجين اخراج قتل اذ لو كان اخراجا من القرية لا بقتل لكان لا يكون له النجاة منهم الا من
والله اعلم وقوله الا امرأتك كانت من الغابرين وفى بعض الآيات الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين والغبور فعلها

فجواز تاخير البيان

من العمل الخبيث وقد رآهم فى حسن المنظر فكره حضورهم لكيلا يلحقهم من جهتهم سوء وضاق بهم
نسخة

ثم اخبر

ثم اخبر انه قدر ذلك دل ان افعال العباد مخلوقة لله مقدرة له والله اعلم وقوله انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا من السماء اى عذابا والرجز اسم كل عذاب فيه شدة الا ترى انه قال فى آية اخرى هذا يوم عصيب اى شديد
ثم ذكر انه ينزل من السماء فان ثبت ما ذكر ان جبريل ادخل احدى جناحيه تحت الارض ورفعها قريات لوط الى السماء
حتى سمع اهل السماء صياحهم ونباحهم ثم ارسلها فهو نزول العذاب من السماء وان يكون قوله حجارة من سجيل
ان السجيل لو كان مكانا منه ينزل فهو فى السماء على ما يقول بعض الناس انه مكان وقال بعضهم هو اسم ذلك الحجر
والله اعلم وقوله ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون آية بينة لمن عقل وعرف السبب الذى اهلك قريات
لوط كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون لماذا اهلكوا اى تعقلون هذه الانباء والقصص
ذكرها الله تعالى فى القرآن الكريم وكررها واعادها مرة بعد مرة لان الانباء والقصص انما تذكر للحجاج على الكفرة
فتكرر وتعاد ليحتج بها عليهم واما الاحكام فانما هى لاهل الاسلام خاصة فهم يطلبون ما عليهم من الاحكام فلا يقع الحاجة
الى التكرار والاعادة ثم الكفرة كانوا على اصناف ثلاثة منها اهل العناد والمكابرة واهل شك وحيرة واهل استرشاد
ومن كان همته الاسترشاد يؤمن بها بالبديهة وفى اول ما دفع فى مسامعهم فلا يقع الحاجة الى التكرار والاعادة واما اهل
العناد والمكابرة فانها تكرر عليهم لعلها تنجع فيهم فيؤمنون بها وهذه الآيات كانت آيات وحججا للتوحيد والبعث
والرسالة وعلى ذلك جاءت الرسل بالدعاء الى التوحيد والى الاقرار بالبعث والايمان به والى الايمان بالرسل
وشعيب عليه السلام جمع هذه الخصال الثلاث فى قوله يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض
مفسدين دعاهم الى التوحيد بقوله اعبدوا الله وفيه نهى عن عبادة من دونه ودعاهم الى الايمان بالبعث بقوله وارجوا
اليوم الآخر اى خافوا عذاب ذلك اليوم ونهى عن جميع المعاصى بقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين قد ذكرنا هذا وقوله والى مدين اخاهم شعيبا اى ارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا
ومدين قال بعضهم اسم رجل نسبا اليه وقال بعضهم اسم موضع وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله وعادا وثمود وقد تبين لكم
من مساكنهم ان الرسل صلوات الله عليهم قد خوفوا الكفرة بعذاب ينزل بهم فى الآخرة بتكذيبهم اياهم وعنادهم
فلم ينجع ذلك فيهم ولم يرتدعوا عما هم فيه حتى اوعدوهم بعذاب ينزل بهم فى الدنيا فلم ينجع ذلك ولم يمتنعوا
عن ذلك حتى اوعدوهم بنزول ما قد شاهدوه وعاينوا من آثار من قد اهلكهم بتكذيبهم الرسل وردهم
اجابتهم وهو ما قال وعادا وثمودا اى اهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم اى قد تبين لكم من مساكنهم
ما تعرفون انهم انما اهلكوا بالذى انتم عليه وهو التكذيب والرد باخبار تصدقونها وبآثار تشاهدونها وهو كما قال
وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون والله اعلم وقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل
اى زين لهم الشيطان اعمالهم كما زين لكم وصدهم عن السبيل كما صدكم وكانوا مستبصرين اختلف فيه قال بعضهم اى كانوا
يحسبون انهم على هدى وحق وقال بعضهم كانوا مستبصرين اى كانوا عالمين بان العذاب ينزل بهم بما شاهدوا وعاينوا
من آثار من تقدمهم وعلموا بانهم انما اهلكوا بالذى هم عليه لكنهم عاندوا وقال بعضهم وكانوا مستبصرين اى هالكين
فى الضلالة وقال بعضهم وكانوا مستبصرين اى كانوا بصراء علماء فى انفسهم يعرفون الحق من الباطل ليس كغيرهم
من الامم الا يرى انهم قد طلبوا من رسلهم الحجة والآية على ما يدعون اليه حيث قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وقال قوم صالح
فات بآية ان كنت من الصادقين ونحوه وقال قتادة مستبصرين اى معجبين بضلالتهم وقوله وقارون وفرعون وهامان
اى اهلكنا قارون وفرعون وهامان بتكذيبهم موسى فتهلكون انتم يا اهل مكة بتكذيبكم محمدا وقوله ولقد جاءهم موسى
بالبينات اى كذبوه بعدما جاءهم موسى بالبينات على نبوته ورسالته كما جاءكم محمد وقوله فاستكبروا فى الارض وما كانوا
ان يكونوا استكبروا وابوا ان يخضعوا لموسى واستكبروا فى الارض اى سعوا فى الارض بالفساد تكبرا واستكبارا وما كانوا
سابقين اى فائتين عن عذاب الله وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اى الحجارة وهم قوم لوط وقوم
هود اهلكوا بالريح العاصف حيث قال وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شئ اتت عليه الا جعلته كالرميم

ويحتمل قوله حجارة من سجيل ان السجيل اسم مكان فى السماء ينزل منه الحجارة كذلك قال بعض الناس فهو نزول العذاب من السماء وان كان السجيل هو الطين المطبوخ فيكون السجيل بيانا لنوع من الحجارة فهو اسم الحجر والحجر ينزل من السماء ايضا فيكون العذاب واقعا والله اعلم بالصواب
شرح

اختلف فيه مدين

قال ابو معاذ الحاصب عند العرب الريح التي فيها الحصباء وهي صغار من الحصى ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم
صالح وقوم شعيب وهولاء ومنهم من خسفنا به الارض قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا قوم نوح وفرعون يذكر اهلاك
هذه الامم والجبابرة لاهل مكة ولغيرهم من الكفرة وقد تواترت عليهم بذلك الاخبار وظهرت لهم الاعلام والاثار دليل تدعوا
عاهم عليه وليلا هما ملون رسولهم كما عامل اولئك رسلهم فيعذبون كما عذب اولئك **وقوله** وما كان الله ليظلمهم
في تعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث كذبوا الرسل وكابروا ايات الله وحججه وبراهينه وعاندوها والله اعلم
قال ابو عوسجة قوله سيئ بهم اي اغتم من ذلك يقال سيئت بفلان اساء سوء فانا مسوء **وقوله** جاثمين اي لزقوا بالارض
وكانوا مستبصرين اي قد علموا والمستبصر العالم **وقوله** فاخذتهم الصيحة اي صيح بهم فماتوا والعنكبوت هذه التي تغزل
دويبة كثيرة القوايم وعنا كب جميع **وقوله** مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا يشبه
ان يكون ضرب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ببيت العنكبوت هم الروساء منهم والمتبوعون يقول والله اعلم
مثل اتخاذكم اولئك اولياء من دون الله وما تاملون منهم كمثل بيت العنكبوت لا ينفع ولا يغني ما يومل من البيت من دفع
الحر والبرد وغيره فعلى ذلك اتخاذكم واتباعكم هولاء اولياء من دون الله مثل ما ذكر لا ينفع ولا يغني ولا يدفع عنكم
ما ينزل بكم وهو ما قال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض الاية
ظاهر ما ذكر من الاولياء ان يكون المتبوعين منهم وجايز ان يكون الاصنام التي اتخذوها الهة ضرب مثل عبادتهم الاصنام
واتخاذهم اياها الهة ببيت العنكبوت وذلك ان العنكبوت اتخذت البيت رجاء ان تنتفع به كما ينتفع بالبيوت في دفع
الحر والبرد والستر والحجاب فلما ان وقعت الحاجة اليه لم ينتفع ما كان يامل منه في شيء مما كانت تامل فعلى ذلك
هولاء الذين اتخذوا الاصنام الهة ومعبودا رجاء ان ينفعهم ذلك يوما فلما ان وقعت لهم الحاجة لم يجدوا ما كانوا
ياملون من عبادتهم اياها واتخاذهم الهة بل في بيت العنكبوت للعنكبوت شيء من المنفعة وليس لاولئك العبدة بتلك
الاصنام شيء مما كانوا ياملون فهي دون بيت العنكبوت في المنفعة لكنه والله اعلم ضرب مثلها ببيت العنكبوت لانه لا شيء
اوهن واضعف عند الخلق من بيتها وهو ما شبه اعمال الكفرة برماد اشتدت به الريح وبسراب بقيعة لما ليس شيء
اضيع ولا ابعد في الوجود والقدرة عليه في الوهم مما ذكر فشبه اعمالهم به فعلى ذلك تشبيه اتخاذ اولئك الاصنام
الهة واولياء من دون الله ببيت العنكبوت والله اعلم **وقوله** وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اي اضعف وابعد
من المنفعة بيت العنكبوت فعلى ذلك عبادتهم الاصنام واتخاذهم اياها معبودا اوهن وابعد مما ياملون لو كانوا يعلمون
اي ان كانوا يعلمون ضعفها وعجزها والله اعلم **وقوله** ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء والله اعلم ان الله لم يزل
عالما بما يكون منهم من اتخاذهم الاصنام معبودا وانه عن علم انشاهم ذلك لا عن غفلة وسهو لكن انشاهم لمنافع انفسهم
ولحاجة لهم لا لحاجة ومنفعة له في انشائه اياهم وهو ما قال ان الله لغني عن العالمين وقال هاهنا وهو العزيز
الحكيم العزيز قيل انه المنيع وقيل انه الذي يذل كل شيء دونه لكن العزيز عندنا هو الذي لا يعلو سلطانه شيء ولا يقهر
ملكه شيء ويعلو سلطانه وارادته على جميع الاشياء ويقهرها والحكيم قيل الذي له الحكم وقيل هو المصيب وقيل هو الذي
يضع كل شيء موضعه والحكيم عندنا هو الذي لا يلحقه الخطا في التدبير والله اعلم **وقوله** وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون فان قيل ذكر انه لا يعقلها الا العالمون والعقل يسبق العلم بالشيء اذ بالعقل يعلم ما يعلم
فكيف ذكر انه لا يعقل الا العالمون ولم يقل وما يعلمها الا العاقلون فهو والله اعلم لوجوه احدها ان الامثال تضرب لتقريب
ما يبعد عن الاوهام ولكشف ما استتر من الاشياء على الافهام وتجليها اذا خفيت فلا يعقل الامثال انها لماذا ضربت الا العالم
والثاني ان العقول تعرف اسباب الاشياء ودلايلها فاما ان تعرف حقايق الاشياء وانفسها فلا من نحو المسالك والطرق
الى البلدان تعرف مسالكها وطرقها التي بها يوصل اليها فاما اعينها فلا وكذا المراقي التي بها يعلو ويرتفع فاما عين العلو فلا
واما العلم فانه به يوصل الى معرفة حقايق الاشياء وانفسها وصورها لذلك كان ما ذكر والثالث ان يكون قوله وما يعقلها
اي وما ينتفع بما ذكر الا العالمون وهو كما قال صم بكم عمي نفى عنهم هذه الحواس وان كانت لهم انفس تلك الحواس لما لم ينتفعوا بها

فيما جعلت

فيما جعلت وانشئت ولم ينتفعوا بها فنفى عنهم تلك فعلى ذلك جايز ان يكون قوله وما يعقلها الا العالمون اي ما ينتفع بما يعقل
الا العالم فاما من لم ينتفع فلا يعقل والله اعلم **وقوله** خلق السموات والارض بالحق يحتمل قوله بالحق اي العاقبة وهو البعث
لانه لم يخلقهما لانفسهما وكذا لم يخلق الدنيا للدنيا ولكن انما خلقها للاخرة اذ بالاخرة يصير خلقها حكمة وحقا لانه لو لم يكن
خلقها لعاقبة كان خلقها عبثا باطلا وهو ما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا الا كافر
يظن انه خلقهما باطلا ولكن لما تركوا الايمان بالبعث وانكروا البعث كانهم ظنوا ان الله خلقهما باطلا اذ لولا البعث لخلقهما باطلا
عبثا انما صار خلقهما حقا وحكمة بالبعث فاذا انكروا ما به صار خلقه اياهما حكمة وحقا فقد ظنوا الباطل بخلقهما فيسأل الله
التوفيق والصواب ويحتمل قوله ان خلقهما للحق لانهما تدلان الى وحدانية الله وربوبيته وتعاليه عن الاشباه والشركاء
وجميع الافات وان يكون بالحق الذي لله عليهم او بالحق الذي لبعضهم على بعض والله اعلم ان في ذلك لاية للمومنين صيّرها لمن آمن بها
وامن اذ هو المنتفع بها فاما من انكر وجحد وكذبها فهو اية عليه لا له والله اعلم **وقوله** اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم
الصلوة جايز ان يكون قوله اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة اي اتل الكتاب الذي اوحي اليك ويحتمل اتل ما اوحي
اليك من الكتاب عليهم واقم بهم الصلوة فالخطاب وان كان لرسول الله فهو لكل احد على ما ذكرنا في ساير المخاطبات والله اعلم
وقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر هذا يخرج على وجهين احدهما على الامتنان والثاني على الالزام فاما وجه الامتنان
هو ان جعل لكم الصلوة تمنعكم عن الفحشاء والمنكر ما لو لم يجعلها لكم لا شيء يمنعكم عن الفحشاء والمنكر يمن عليهم بجعل الصلوة لهم
لما يمنعهم عما ذكر واما وجه الالزام فانه يخرج على وجهين احدهما ان الصلوة لو كان لها وهو ما منها النطق والنهي لكانت
تنهى عن الفحشاء والمنكر على ما اضاف التعزير والتزيين الى الحيوة الدنيا انها لو كان هذا الذي كان من الدنيا كان منه التعزير
كان ذلك تعزيرا فعلى ذلك الصلوة لو كان منها حقيقة الامر والنهي لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر والثاني اضيف النهي
الى الصلوة لما بها يعرف ذلك فقد يضاف الاشياء الى الاسباب وان لم يكن منها حقيقة ما اضيف اليها نحو ما يضاف الامر والنهي
الى الكتاب والسنة ونحوه يقال امرنا الكتاب بكذا والسنة بكذا ونهانا عن كذا وانه لم يكن منها امر حقيقة ولا نهي لما بهما
يعرف الامر والنهي وهما سببا ذلك فعلى ذلك جايز اضافة النهي الى الصلوة ان يكون على هذا السبيل **وقوله** ولذكر الله اكبر
اختلف فيه قال بعضهم ذكر الله اكبر في العبادات من نفس تلك العبادات ووجه هذا والله اعلم ان العبادات انما يكون
بجوارح تقلب وتظهر ويستعمل فلا يعرف تلك انها لله الا بالنية وبل واما ذكر الله انما يكون باللسان والقلب وهما لا يقلبان
ولا يستعملان ولا يظهران فهو يعرف ان ذلك لله حقيقة فهو اكبر وقال بعضهم ولذكر الله اكبر من ساير الاذكار التي ليست
هذا ليس فيه كبير حكمة لان ذلك يعرفه كل احد وقال بعضهم ذكر الله اكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلوة وقال بعضهم
ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه لان ذكره اياكم رحمة ومغفرة وذلك مما لا يعدله ولا يوازيه شيء واما العبد فانه يذكره
بادنى شيء وقال بعضهم ذكر الله اكبر اي ما وفق الله العبد من ذكره اياه وطاعته له اكبر من نفس ذلك الذكر ونفس تلك العبادة
وذكر في حرف ابن مسعود رض وابي وحفصة ان الصلوة تامر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن يحدث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا ولم يزدد بها عند الله الا مقتا وعن سلمان الفارسي
قال ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال له وجهان احدهما يقول ذكر الله اكبر مما سواه من اعمال
البر والاخر يقول ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه والضحاك يقول العبد يذكر الله عندما احل له وحرم عليه فياخذ بما احل له
ويجتنب ما حرم عليه وقتادة يقول لا شيء اكبر من ذكر الله واصله ما ذكرنا من الوجوه التي تقدم ذكره وقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر قال بعضهم تنهى وتمنع ما دام فيها لا يعمل بالفحشاء والمنكر والثاني ان الصلوة تامر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر اي لو كان لها
النطق والامر والنهي لكانت تنهى عما ذكر والوجه فيه ما ذكرنا بديا والله اعلم **وقوله** والله يعلم ما تصنعون وعيد ليكونوا
ابدا على حذر ويقظة **وقوله** ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم الاية تخرج على وجوه ثلاثة
احدها ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم فلا تجادلوهم الا بالتي هي احسن ولا غيره وهم الذين
لا يقبلون الحجة ولا يومنون اذا لزمتهم الحجة وهم اهل عناد ومكابرة والاولون يقبلون الحجة ويومنون بها والثاني ولا تجادلوا اهل الكتاب

ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر

في تفسير قوله ولذكر الله اكبر

الا بالتي هي احسن فقوله الا الذين ظلموا منهم ليس على الثنيا من الاول ولكن على الابتداء كانه قال الا الذين ظلموا منهم فقولوا
امنا بالذي انزل الينا الى اخر ما ذكر اي قولوا لهم هذا ولا تجادلوهم فانكم وان جادلتم اياهم فلا يؤمنون وهو كقوله
لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني قوله الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم ليس على الثنيا من الاول
ولكن ابتداء نهي اي لا تخشوهم واخشوني فعلى ذلك يحتمل الاول مثله والثالث جايز ان يكون قوله وقولوا امنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم الى اخر ما ذكر هي المجادلة الحسنة التي امروا بها لان ذلك مما يقبلها العقل والطبع وبها جاءت الكتب
والرسل فلا سبيل الى رد ذلك وقال بعضهم ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي جادلوا الذين يصدقون منهم
ولا يكتمون نعت محمد وما في كتبهم من الحق فاما الذين تعلمون انهم يكتمون ولا يصدقون فلا تجادلوهم وهو كقوله فاسالوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون والاول كقوله تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية والمجادلة الحسنة هي التي جاء بها الكتاب ويوجبها العقل
ثم فيه دلالة جواز المناظرة والمجادلة مع الكفرة في الدين وكذلك في قوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن ليس كما يقول بعض الناس
ان لا يجوز المناظرة معهم وذلك لجهلهم بحجج الاسلام وبراهينه ما ينهون عن المجادلة والمناظرة معهم وقال بعضهم من لا عهد
معهم فجادلهم بالسيوف ومن كان معه عهد وكتاب فجادلهم بالحجج وقال بعضهم هو منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
الاية ومنهم من يقول من ادى اليكم الجزية فلا تغلظوا له القول وقولوا لهم قولا حسنا ومن لم يؤد فاغلظوا لهم وجادلهم
بالسيف والله اعلم **وقوله** وكذلك انزلنا اليك الكتاب اي كما اخبرناك في الكتاب فقل لهم وجادلهم **وقوله** فالذين
اتيناهم الكتاب يؤمنون به يخرج على وجهين احدهما الذين اتيناهم الكتاب فيتلونه حق تلاوته فهم يؤمنون به على ما ذكر في اية اخرى
الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به فيكون هذه الاية تفسيرا للاولى واما من لم يتلوا حق تلاوته
ولا يؤمنوا به والثاني فالذين اتيناهم الكتاب وانتفعوا به اي يؤمنون الذين اوتوا منافع الكتاب ومن هؤلاء من يؤمن به
يحتمل قوله ومن هؤلاء اي من اهل مكة من يؤمن به وقد امن كثير منهم وجايز ان يكون اشارة الى قوم كانوا بحضرته فقال ومن هؤلاء
من يؤمن به والله اعلم وما يجحد باياتنا الا الكافرون وقال قتادة لا يكون الجحود الا بعد معرفة ان اليهود والنصارى عرفوه
كما عرفوا ابناءهم لكنهم جحدوه وكل من انكر شيئا فقد جحد عرفه او لم يعرفه **وقوله** وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك تاويله والله اعلم اي ما كنت تتلوا من قبله اي من قبل هذا الكتاب من كتاب ولو كنت تتلوا لارتاب المبطلون
فيقولون ان ما انباتهم من الانبا المتقدمة او كلام الحكمة انما تلقفت واخذت من تلك الكتب المتقدمة او كتب الحكما ولو كنت
تخطه بيمينك يقولون ان ذلك من تاليفك ووصفك لان القران حجة عليهم من وجهين احدهما ما ذكر فيه من الانباء المتقدمة المترجمة
بغير لسان المتقدم ما علموا باجمعهم ان رسول الله صلوات الله عليه كان لا يعرفها بترجم ولا شهدها هو ثم انباهم على ما كان
فعلموا انه بالله عرفها والثاني هو اية معجزة نظما ووصفا ما يعلمون انه ليس من نظم البشر ولا وصفه فيقول لما كنت تتلوا من قبله
كتابا فيه تلك الانباء والحكمة ولا تخطه بيمينك فيقولون من تاليفك ومن نظمك فلو كنت كذلك اذا لارتاب المبطلون بما ذكرنا
على عناد منهم ومكابرة ولا يرتاب المحقون وان كان ما ذكر لما عرفوا صدقه باشياء وبايات كانت فيه وقال بعضهم في قوله
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب يقول قبل القران ولا تخطه بيمينك اي لا تكتبه بيدك ولو كنت تقرا كتابا من قبله او كنت تكتب
بيدك اذا لارتاب المبطلون يقول لاتهموك هذا قد ذكرناه ولكن نقول في قوله بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
وهم مؤمنوا اهل الكتاب من نحو عبد الله بن سلام واصحابه **وقوله** بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحتمل القران
ذو فيه ايات وحدانية الله وحججه وايات البعث وحججه او ايات ويحتمل قوله بل هو ايات بينات رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان منذ ولد ما نشا الى اخر امره اية لما ذكر من النور في وجه ابيه ما دام في صلبه ثم في وجه امه اذ وقع في رحمها ثم من ضياء الليلة
التي ولد فيها ثم من ظل السحاب الذي اظله وقت ما خرج من وطنه وامثال ذلك كثير مما لا يقدر احصاؤه والله اعلم
فذلك كله يدل على رسالته ونبوته لا يرتاب فيه الا المبطل المعاند المكابر **وقوله** في صدور الذين اوتوا العلم جايز
ان يكون قوله في صدور الذين اوتوا العلم اي اوتوا منافع العلم اي هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا منافع العلم
فاما من لم يؤت منافع العلم فلا **وقوله** وما يجحد باياتنا الا الظالمون يحتمل الظالم ظالم الايات لما لم يضعوها

فيه دلالة جواز المناظرة والمناظرة مع الكفرة في الدين وجدالهم

فوقها

في موضعها ويحتمل الظالمون الكافرون **وقوله** وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه وفي بعض القراات اية من ربه على الواحد
فكانهم سالوا مرة اية كقوله ان نشا ننزل عليهم من السماء اية وانما ينزل اذا شاء بعد السؤال ومرة سالوه ايات كقولهم
لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وكقولهم او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا الاية ونحوها من الايات التي سالوها فمرة سالوه ايات ومرة سالوه اية فقوله قال
اختار قراءة ايات على قراءة اية لما انه اذا ثبت انه قراءة فاخبر عز وجل على ما كان منهم والله اعلم **وقوله** قل انما الايات
عند الله اي من عنده يجيء الايات فكانهم انما سالوه ايات قاهرة يقهرهم ويضطرهم على القبول والاقبال اليه الا الايات يكون
في ذلك وجه الاختيار لكن سؤال العناد ومكابرة لا سؤال استرشاد واستهداء فقال لان الله قد عفا عن هذه الامة عن انزال
ما به هلاكهم على اثر سؤال العناد والمكابرة وان كان في غيرها من الامم السالفة ينزل عليهم الهلاك والعذاب على اثر سؤال
العناد والمكابرة والله اعلم **وقوله** وانما انا نذير مبين هذا يحتمل وجهين احدهما وانما انا نذير من الله مبين ان الله
امرني بذلك وارسلني اليكم والثاني انما انا نذير مبين اي ليس علي الا الانذار لكم ابين النذارة فاما غير ذلك فليس علي كقوله
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء الاية ونحوه **وقوله** اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم هذا يدل
انهم انما سالوه سؤال عناد واستهزاء لا سؤال استرشاد حيث قال اذ فيما انزل عليهم من الكتاب كفاية لمن كانت همته الاسترشاد
والانصاف فاما من كانت همته العناد والمكابرة فلا ان في ذلك لرحمة اي فيما انزل من الكتاب عليك لرحمة اي رشدا وذكرى
عظة لقوم يؤمنون **وقوله** قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا هذا يقال لوجهين احدهما عند الاياس من قبول الحجج والايات
يقول كفى بالله شهيدا اي حاكما بيني وبينكم اينا على الحق واينا على الضلال نحن او انتم والثاني كفى بالله شهيدا عالما في تبليغ
ما امرت تبليغه اليكم واتيان ما اتيتكم به من الايات والحجج يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله
اولئك هم الخاسرون **وقوله** ويستعجلونك بالعذاب كانا استعجالهم العذاب وسؤالهم الايات على علم منهم انه لا ينزل ولا ياتيهم
يخرج مخرج الاستهزاء بالرسل والتمويه والتلبيس على الاتباع والضعفاء لانهم يعلمون ان الله لا يعذب ولا يهلك هذه الامة
اهلاك استيصال وانتقام كما اهلك الامم المتقدمة بالعناد والاستهزاء بالرسل اذ قدامهم الى وقت فاذ علموا ذلك للامهال
والتاخير سالوا الرسول العذاب الذي اوعدهم والايات القاهرة ووعدوا الايمان لو جاءهم بها واقسموا على ذلك بقوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية تمويها وتلبيسا على اتباعهم وضعفائهم يرونهم انهم على حق في الايمان فيما يدعوهم الرسول وانه
لو اتى باية وحجة يؤمنون به ويتبعونه وهم فيما يسالون من الايات والعذاب عالمون انهم معاندون كذبة متمردون ملبسون
مموهون على الاتباع والسفلة لما ذكرنا والله اعلم **وقوله** ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة الاية
فان قال لنا ملحد انه حيث اخر عنهم العذاب وامهلهم علم منهم انهم يستعجلون ذلك ولم يعلم ذلك فان قلت على غير علم
منهم فقد اثبت الجهل له وان قلت على علم منه ذلك فكيف امهل ذلك وقد علم ما يكون منهم قيل امهاله العذاب عنهم وصرف
الاجل رحمة منه لهم وفضل كانه قال ولولا رحمته التي جعل لهم على نفسه لجاءهم العذاب كما جاء الامم الخالية عند سؤالهم
الرسل العذاب والايات بالعناد والاستهزاء وهو كقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين حيث لم يستاصلهم كما استاصل اولئك
وقوله ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يحتمل قوله وان جهنم اي عذاب جهنم محيط يومئذ بالكافرين
او النار محيطة بالكافرين وجايز ان يكون اي يستعجلونك بالعذاب وان اعمال اهل جهنم واسبابها التي يوجب لهم جهنم
محيطة بهم كقوله فما اصبرهم على النار اي ما اصبرهم على الاعمال والاسباب التي توجب لهم النار والا احد يصبر على النار
فعلى ذلك جايز ان يكون قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي اسباب جهنم واعمالهم التي توجب لهم جهنم والنار محيطة بهم
والله اعلم **وقوله** يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل الخ **وقوله** يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون في الاية بشارة ونذارة واما البشارة فقوله
ان ارضي واسعة وعد لهم السعة في المكان المنتقل اليه والمتحول كما كان لهم في مقامهم والنذارة والتحذير لهم قوله
ان ارضي واسعة فلا تقيموا في ارضكم ثم الامر بالخروج والهجرة من ارضهم الى اخرى يخرج على وجهين احدهما لما لا يقتدرون

على اظهار دين الله خوفا على انفسهم منها ولئك الكفرة فامروا بالخروج والهجرة عنها الى ارض يقدرون على اظهاره والقيام به
والثاني ان كانوا يقدرون على اظهار دينهم لكنهم لا يقدرون القيام على تغيير المناكير عليهم والامر بالمعروف فامروا
بالخروج منها الى ارض ليس بها مناكير او ان كانت بها فيقدرون على تغييرها والامر بالمعروف فيها فمثل هذا جايز ان يؤمر
الناس بالتحول من ارض الى اخرى اذا لم يقدروا على تغيير المنكر ودفعه وليسوا كالرسل لان ساير الناس اذا كثر سماعهم المنكر
يخف ذلك على قلوبهم حتى تميل اليه القلوب وتسكن وتطمئن فيؤمرون بالخروج عنها والتحول الى اخرى لئلا يميل ولا يسكن
اليه قلوبهم واما الرسل وان كثر سماعهم المنكر فان قلوبهم لا تميل ولا تلين ولا تسكن اليه ابدا بل يزداد لهم شدة
وصلابة في ذلك وبعدا عن قلوبهم لذلك اختلف امر الرسل وغيرهم او ان يكون لا يؤمرون بالخروج ولا يؤذن لهم
لانهم انما بعثوا الى اهل الكفر والمنكر ليدعوهم الى دين الله فلا يحتمل ان يؤذن لهم بالخروج والهجرة الى اخرى وهم اليهم
بعثوا ليدعوهم الى دين الله فقوله ان ارضي واسعة هو ما ذكرنا امروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ولا يمنعهم عن ذلك
خوف ضيق العيش في غيرها لما يعتزلون عن اموالهم وحرفهم واهل قرابتهم ومعونتهم لما وعدهم جل وعلا التوسيع
عليهم لو خرجوا وهربوا اشفاقا على دينهم وكذلك روي عن الحسن عن رسول الله عليه السلام انه قال من فر بدينه من ارض
الى ارض اخرى وان كانت شبرا وجبت له الجنة ويبعث مع ابيه ابراهيم ونبيه محمد او نحو من الكلام وعلى مثل ذلك
جاءت الآثار من السلف في تاويل الآية اذا دعيتم الى المعاصي فاهربوا في الارض فان ارض الله واسعة وقال بعضهم
اذا عمل بالمعاصي في ارض فاهربوا الى اخرى فان ارضي واسعة وهو ما ذكروا امروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ووعدلهم
السعة والحسنة في الدنيا وفي الآخرة اعظم منها وهو ما قال والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا
حسنة ولاجر الآخرة اكبر اعظم لو كانوا يعلمون وقال في هذه الآية ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي ان ارضي واسعة
فان منعتم عن عبادتي في ارض فاخرجوا منها الى اخرى فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فان ارضي واسعة فلا عذر لكم
بالمقام في ارض تمنعون عن عبادتي واظهار ديني الا المستضعفين الذين استثناهم في آية اخرى حيث قال الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا عذرهم بما فيهم من الضعف لترك الخروج والمقام
من ظهرهم وكتمان الايمان والعبادة له سرا وان لم يقدروا على اظهاره فاما من كانت له حيلة للخروج فلم يعذره **وقوله**
كل نفس ذايقة الموت ذكر هذا والله اعلم على اثر ما ذكر لئلا يمنعهم عن الخروج والهجرة خوف ضيق العيش يقول والله اعلم
ان كل نفس تذوق الموت اذا استوفت رزقها لا محالة ولا تذوق قبل استيفائها رزقها فلا يمنعكم خوف ضيق العيش فانها
تذوق ذلك لا محالة خرجتا ولم تخرج اذا استوفت رزقها وهو ما قال قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
الى مضاجعهم اي لو كان المكتوب عليه القتل يبرز لا محالة حتى يقتل فعلى ذلك المكتوب عليه الموت يذوق لا محالة خرج
او اقام والله اعلم ثم الينا ترجعون **وقوله** والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم اي لننزلنهم من الجنة غرفا
يقال بوأتها انزل وهيأ ولنثوينهم من الثواء وهو الاقامة وقال القتبي هو من ثويت بالمقام اذا اقمت له وبالياء لنبوئنهم
اي لننزلنهم وقال ابو عوسجة اي لننزلنهم منها منزلا يقيمون فيه والثواء الاقامة وقال ابو معاذ بوأها هيأها والمثوى
المنزل والثاوي الضيف خالدين فيها نعم اجر العاملين اي ثوابهم وجزاؤهم **وقوله** الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
يحتمل قوله الذين صبروا اي خرجوا وهاجروا وصبروا على الهجرة وعلى ربهم توكلوا في الخروج والرزق والذين صبروا
على الطاعات واداء الفرايض او ان يكون الصبر كناية وعبارة عن الايمان اي الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون به ويثقون
ويفوضون كقوله في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن ومحمد بن اسحق يقول نزلت الآية بمكة في ضعفاء مسلمي مكة
يقول ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان بها فان ارض المدينة واسعة فاياي فاعبدون بها علانية ثم خوفت
بالموت ليهاجروا فقال كل نفس ذايقة الموت ثم الينا ترجعون في الارض ثم نعتهم فقال الذين صبروا على الهجرة
وبالله يثقون في هجرتهم وذلك ان احدهم كان يقول بمكة كيف اهاجر الى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة فوعظهم
بما ذكر **وقوله** وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم من الناس من يجعل الآية صلة قوله يا عبادي الذين

ان ارضي واسعة انهم امروا بالهجرة من بلادهم والخروج من مقامهم ليس لهم دينهم فاشتد ذلك عليهم وضاق
بذلك ذرعهم لضيق العيش عليهم هنالك لما لا يتهيأ لهم ولا يتأتى لهم حل اموالهم والمكاسب التي بها يتعيشون في بلدهم
ويتسعون بها فاخبر ان له خلايق يرزقهم حيث ما توجهوا وحيث ما كانوا لا يحملون مع شيئا من الرزق بل يرزقهم حيث ما كانوا
فعلى ذلك هو يرزقكم حيث ما كنتم حملتم مع انفسكم شيئا من الاموال والمكاسب او لم تحملوها فلا يضيقن صدوركم بترككم
الاموال والمكاسب في بلدكم وجايز ان يكون لا على الصلة بما تقدم ولكن على ابتداء تذكير وتنبيه للبشر لئلا يعلقوا
قلوبهم باسباب الرزق لان للبشر فضل تعلق القلوب باسباب المعاش والرزق ما ليس ذلك لغيرهم فيخبر ان الرزق
ليس يتعلق بالاسباب بل يرزق بسبب وبغير سبب اذ قد يرزق ويبسط من ليس له من الاسباب شيء نحو ما ذكر من رزق
الطير والدواب وغير ذلك من البشر الذين يرزقون بلا اسباب ومكاسب وهو ما قال ويرزقه من حيث لا يحتسب
واكثر الارزاق يكون للناس بلا اسباب ومكاسب ولذلك ذكر والله اعلم على اثره ان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له يبسط لمن يشاء وان لم يكن له سبب ويقدر على من يشاء وان كان معه سبب لئلا يعلقوا قلوبهم في الرزق
بالاسباب والمكاسب وعلى قول المعتزلة ان الله لا يقدر ان يبسط الرزق لمن يشاء لانهم لا يجعلون لله في الاسباب والمكاسب
وعلى قول المعتزلة ان الله لا يقدر ان يبسط الرزق لمن يشاء لانهم لا يجعلون لله في الاسباب والمكاسب صنعا وانما يجعلون
منه خلق اصول الاشياء من الانبات والاخراج من الارض واما غير ذلك فهو كله للخلق على قولهم فذلك النبات والخارج
منها للكل ليس بعضهم بذلك اولى من بعض فيذهب فايدة ما ذكر من البسط والتوسيع والتقتير على قولهم **وقوله** وهو السميع
العليم على اثر ما ذكر يخرج على وجوه احدها المجيب بكل ما يدعون ويسألون العليم بحوايجهم حيث كانوا واين كانوا
او السميع لقولهم انا لا نجد ما ننفق ونتعيش العليم بما اضمروا ونحوه **وقوله** ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون انهم اعطوا جميعا بالسنتهم ان الذي خلق السموات والارض وما سخر فيهم
من الشمس والقمر وما نزل من السماء من الماء وما احيا به الارض هو الله لا غيره فيخرج قوله فانى يؤفكون على اثر ما اعطوا
بالسنتهم ونطقوا به على وجهين احدهما اي يصرفون عما اعطوا بالسنتهم ونطقوا به الى صرف الشكر والعبادة الى الاصنام
التي يعلمون انها لم تخلق شيئا مما اعطوا بالسنتهم والثاني فانى يؤفكون اي في تسميتهم الاصنام آلهة على علم منهم انها ليست
بآلهة والله اعلم **وقوله** قل الحمد لله على اثر ما ذكر يخرج على وجوه احدها امره ان يحمد ربه فيما لم يبتل بما ابتلي
اولئك من التكذيب والعناد والكفر بربهم والثاني امره ان يحمد ربه لما في ذلك اظهار سفههم حيث اعطوا باللسان
ان ذلك كله من الله وانه خالق ذلك كله ثم صرفوا ذلك الى غيره والثالث يقول بعضهم قل الحمد لله على اقرارهم بذلك كله
انه خلق الله وان ذلك كله منه والله اعلم **وقوله** بل اكثرهم لا يعقلون يحتمل قوله لا يعقلون اي لا ينتفعون بعقولهم
نفى عنهم العقول لما لم ينتفعوا بها كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان لما لم ينتفعوا بتلك الحواس فعلى ذلك هذا والثاني لم يعقلوا
لما تركوا النظر والتفكر في الاسباب بها يعقل الاشياء والله اعلم **وقوله** وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وقوله اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لو كان الامر على ظاهر ما نطق به الكتاب دون معاني تودع فيه وحكمة تجعل فيه على ما يحمله
بعض الناس لكان لاهل الالحاد في ذلك مطعن لانه يقول لما الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وهو خلقها فيقولون لم خلقها لهوا
ولعبا وهو خلقها ولهم دعوى التناقض فيه حيث قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقال في آية اخرى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين فلو جمع بين هذا وبين الاول فهو في الظاهر متناقض اذ يذكر في بعض
انه لم يخلقهما وما بينهما باطلا لعبا ويذكر في بعضها ان الحيوة الدنيا لهو ولعب وهو خلقها لكن تاويل قوله وما هذه الحيوة
الدنيا على ما تقدرون انتم وعلى ما عندكم الا لهو ولعب فاما ما عند اهل التوحيد وما في تقديرهم فهي حكمة وحجة ثم هو
ما ذكر من اللهو واللعب عندهم يخرج على وجهين احدهما انهم راوا انه خلق الانسان وجعل بدأه من نطفة ثم حولها
الى علقة ثم الى مضغة ثم الى الانسان الذي صور الى آخر ما حوله فلا يحتمل ان يخلقه ويحوله من حال الى الاحوال التي
ذكر ثم يفنيه بلا عاقبة يجعل لهم ولا منفعة فيكون كما ذكر ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا صير نقضها

وفيما خلق الله لهم من النبات والخارج جميع الخلق
سواء ليس للبعض اختصاص به دون بعض
وانما اختصاصهم بفعلهم من مباشرة
الاسباب فان لم يكن لله تعالى في ذلك
صنع لذهبت فايدة ما ذكر
شرح

وقوله ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء
فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله
قد ذكرنا ان هذا اخبار في اجماع مشركي
العرب على هذا وقوله قل الحمد لله
شرح

العزل من بعد احكامها اياه بلا انتفاع به لهوا ولعبا فعلى ذلك خلق الحيوة الدنيا وخلق ما فيها من العالم بعد احكامه
وتحويله حالا بعد حال وتحويلا بعد تحويل واحكاما بعد احكام للفناء خاصة على ما يقدر اولئك الكفرة بلا عاقبة
تجعل لهم او منفعة لهو ولعب وسفه وباطل على ما ظن اولئك وقدروه فاما ما في تقدير اهل التوحيد واهل الايمان
من العاقبة لهم فهو حكمة وحق والثاني معنى اللهو واللعب الذي ذكر على ما عندهم هو ان الجمع والتسوية بين العدو
والولي وبين العاصي والمطيع وبين المخالف والموافق سفه باطل وقد سوى بينهم في هذه الدنيا واشركهم جميعا
في نعيمها وسعتها وشدتها وخيرها وشرها يمتع الولي فيها كما يمتع العدو ويبتلي فيها المطيع كما يبتلي العاصي فلو لم يكن دار اخرى
فيها يفرق بين الولي والعدو وبين المطيع والعاصي لكان تخلقه اياهم في الحيوة الدنيا سفها وباطلا اذا سوى بينهم
واشركهم جميعا في هذه او ان يكون الحيوة الدنيا على ما اتخذوها هم وعملوا فيها لهوا ولعبا او ان تقابل الحيوة الدنيا بالحيوة
الاخرة لهو ولعب لانها خلقت فانية منقطعة وخلقت حيوة الاخرة باقية دائمة فهو كما قال قل متاع الدنيا قليل
والاخرة خير اي متاع الدنيا قليل عند متاع الاخرة لان متاع الدنيا فان منقطع ومتاع الاخرة دائم باق **وقوله** وان الدار
الاخرة لهي الحيوان اي هي دار الحيوة لا موت فيها ولا انقطاع ولا فناء لو كانوا يعلمون ان الدار الاخرة هي الدار التي لا موت فيها
والله اعلم **وقوله** فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية على المعتزلة في قولهم ان على الله الاصلح لهم في الدين
لانه اخبر انهم اخلصوا الدين لله اذا ركبوا في الفلك ولا شك ان ذلك لهم اصلح في الدين ثم لم يبقهم على تلك الحال ليكونوا
على ذلك الاخلاص بل اخرجهم منها فعادوا الى ما كانوا فدل ذلك انه ليس عليه حفظ الاصلح لهم في الدين **وقوله** ليكفروا
بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون قوله ليكفروا اي انجاهم ليكونوا على ما علم منهم انهم يكونون وقد علم انه يكون
منهم الكفر فانجاهم الى البر ليكون منهم ما قد علم انه يكون ويختارون وكان اخلاصهم الدعاء في الفلك لم يكن اخلاص
اختيار ولكن اخلاص دفع البلاء عن انفسهم اذ لو كان ذلك اخلاص اختيار لا دفع البلاء لكان لا يتركون ذلك في الاحوال
كلها فهذه الاية وان كانت في اهل الكفر ففي ذلك ايضا توبيخ لاهل الاسلام لانهم لا يقومون بالشكر لله واخلاص
العبادة له في حال السعة له والنعمة كما يكونون في حال الضيق والشدة فينبههم ليكونوا في الاحوال كلها مخلصين
العمل لله شاكرين له لئلا يكون عملهم على حرف وجهة كعمل اهل النفاق وكعمل اولئك الكفرة والله اعلم **وقوله**
فانى يؤفكون قيل يكذبون وقيل يعدلون وقيل يوفكون يؤفنون ويحمقون والمأفون الاحمق والافن الحمق **وقوله** فسوف
يعلمون اي سوف يعلمون صدق في قولي ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كما عادوا الى ما كانوا عليه اذا نجاهم من الاهوال
التي ابتلوا بها اي سوف يعلمون ما اوعدهم الرسل وفي قوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وجه اخر وهو ان يقال
ما هذه المحاسن والاعمال التي تعملون وتعدون محاسن وصلاح في هذه الدنيا الا لهو ولعب لما لا تبقى ولا تنتفعون بها
الا ما ابتغي بها وجه الله والدار الاخرة وهو ما قال وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي هي الباقية الدائمة لو كانوا يعلمون
وقوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا قد ذكرنا في غير موضع ان الاستفهام من الله يخرج مخرج الالزام والايجاب
او يخرج مخرج الخبر لا على حقيقة الاستفهام لانه عالم بذاته يعلم ما في باطنهم وظاهرهم وما يسرون وما يعلنون
بما كان ويكون لا يستفهم عباده شيئا ولكنه يخرج على ما ذكرنا على الخبر او على الالزام والايجاب فالخبر كانه يقول قد راوا
وعلموا ان الله جعل الحرم امنا لهم يامنون فيه وكان الناس حولهم يتخطفون ويخافون والالزام والايجاب
ان يقول لهم اعلموا ان الله جعل الحرم لكم امنا تامنون فيه والناس من حولكم على خوف يسلبون ويسبون ويقتلون
ثم يخرج تذكيره اياهم هذا على وجهين احدهما ان الله قد جعل لكم الحرم امنا تامنون فيه لتعظيمكم حرم الله وبيته
والناس حولكم على خوف وانتم تشاركون من حولكم في الدين فكيف تخافون الاختطاف والاستلاب اذا دنتم بدينه
واتبعتم رسوله فاذ امنكم بكونكم في حرم الله وتعظيمكم بيته ودفع عنكم الاستلاب والاختلاب فكيف تخافون ذلك
اذا دنتم بدينه واتبعتم امره بل الامن والسعة اذا دنتم بدينه واتبعتم امره اكثر واحق فكانهم انما تركوا اتباع
دينه خوفا من الاختطاف كقولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فقال لهم اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه

فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون

الافن في كم خرد كردانيدن، والافن بفتح الفاء ضعف الراى

ثمرات كل شيء او يذكر هذا لهم انه قد امنكم وصرف عنكم مع عبادتكم الاصنام وصرفكم الشكر اليها عند كل
مكروه وسوء يكون بكونكم مجاورين بيته وحرمه فاذ صرفتم العبادة اليه وشكرتم نعمه احق ان يؤمنكم ويوسع عليكم
نعمه ويدفع عنكم ما لم يدفع عمن حولكم وانتم شركاؤهم في عبادة الاصنام واتخاذهم اياها الهة على هذا يخرج
والله اعلم **وقوله** افبالباطل يؤمنون يحتمل قوله افبالباطل يؤمنون اي بما اوحى اليكم ابليس من الباطل يؤمنون
وهو ما اوحى اليهم ان هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى كقوله وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم الاية **وقوله** وبنعمة الله يكفرون اي بما اوحى اليكم محمد من الله تكفرون او يكون قوله افبالباطل
يؤمنون اي بالاشراك يؤمنون وبنعمة الله تكفرون او يكون النعمة هاهنا هو القران او ما ذكرنا وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قد ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج على وجهين على الخبر مرة وعلى الالزام
ثانية فالالزام اعلموا انه ليس احد من المفترين اظلم ممن افترى على الله وعلى الخبر اي قد علمتم ان ليس احد من المفترين اظلم
ممن افترى على الله اذ قد عرفتم بعقولكم قبح الافتراء والكذب فيما بينكم فلا كذب ولا افتراء اوحش واقبح من الافتراء
على الله فكيف افتريتم عليه وهو اوحش واقبح **وقوله** او كذب بالحق يحتمل كذب بالحق برسوله او بالقران الذي يجري
عن انباء نشأته او بالتوحيد او كذب بالحق الذي ظهر حقه وصدقه لما جاءه **وقوله** اليس في جهنم مثوى للكافرين
كانه يقول اعلم ان جهنم مثوى الكافرين يذكره على القصة على ما ذهم والتسلي له بما لهم ليضيق صدره لمكان تركهم الاجابة
والايمان به **وقوله** والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يشبه ان يكون هذا صلة قوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو
ولعب لما ليس من يجاهد نفسه في طلب الدنيا والعمل لها الا لهو ولعب وانما من يجاهد نفسه وطلب مرضاة الله فهو حق
وله دار الحيوة التي لا موت فيها ولا انقطاع ويشبه ان يكون على الابتداء لا على الصلة بما قبله يقول والذين جاهدوا انفسهم
في هواها وشهواتها واماتوها حقيقة ابتغاء مرضات الله وطلب الهداية والدين وسبيله لنهدينهم سبلنا ذكر السبيل
هاهنا لما سبق لحاجة يقول لما جاهدوا فينا لنهدينهم كل سبيلا فيكون سبيلا للكل واما قوله ولا تتبعوا السبل
ان السبل على الاطلاق على غير ما تقدم ذكره من الهدى وشيء منها فانها هي سبل الشيطان والله اعلم **وقوله** وان الله
لمع المحسنين يحتمل قوله انه لمع المحسنين في التوفيق لهم في الاحسان والاعمال الصالحة ومع المحسنين في النصر لهم
والمعونة لهم مع اعدائهم او مع المحسنين بحفظهم ورعايتهم ثم لم يفهم احد من الخلق من قوله لمع المحسنين ومع
المتقين ما يفهم من الخلق وذوي الاجسام والجثث كيف يفهم بعض الناس من قوله ثم استوى على العرش وجاء ربك وياتيهم الله
وكذا ما يفهم من استواء الخلق ومجيئهم واتيانهم ليعلم انه فيهم ما فهم من الخلق لبعيد هالك وبالله العصمة

في الاحتجاج مع الخصم

سورة الروم مكية واياتها خمسون وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض وفي بعض القراءات غلبت الروم بفتح الغين على المستقبل وذكر
اهل التاويل انه انما ذكر هذا لان المشركين كانوا يحبون دولة المسلمين وهم بمكة يقولون ان الروم اهل الكتاب وقد غلبتهم
المجوس وانتم تزعمون انكم ستغلبون بالكتاب الذي انزل على نبيكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم فانزل الله تعالى هذه
الاية الم غلبت الروم في ادنى الارض الاية لكن بذلك يلحق ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء فيحتمل
فرح المؤمنين بغلبة الروم على فارس ويحتمل ذلك لما غلب وهم كانوا وغلبتهم عليهم بمعصية اللهم الا ان يكون فرحهم
بما يظهر لهم الايمان بكتب الله وتصديقها والعمل بها وهم كانوا اهل كتاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعث
مصدقا بكتب الله وبرسله اجمع ففرحوا بذلك فان كان كذلك فيجيز الفرح بذلك وتسميته نصر الله واما على الوجه
الذي يقولون هم فلا وعند تأن في الاية عظيمة في اثبات رسالة نبينا محمد صلوات الله عليه ونبوته
وصدقه ما لم يجد الكفار فيه مطعنا ولا النسبة الى الكذب والافتراء عليها قالوا وطعنوا في سائر الايات الا

فلا يوصف ذلك بالنصر والظفر وانما نوع جولة ودولة فاما النصر والظفر انما يتعلق على غلبة المؤمنين اياهم والله اعلم الان يقال انما يكون فرحهم بغلبة الروم العجم لا بعينها ولكنها في ذلك من اظهار الايمان بكتب الله تعالى

وقولهم انما يعلمه بشر ونحو ذلك من المطاعن التي طعنوا في القرآن والانبياء المتقدمة حيث قالوا ان هذا الا اساطير
الاولين وما هذا الا افك مفترى فمثلها لم يجدوا فيما اخبر من غلبة الروم على فارس لانه اخبر من غلبة ستكون وستحدث
لا عن غلبة قد كانت ومثل هذا لا يدركه البشر ولا يستفاد منهم اذ لا يبلغه علم البشر ولا يدرك بالقياس بالسابق من الامور
فاذا كان على ما اخبر دل انه بالله علم ذلك وبوحي منه اليه عرف ذلك وهم جايز ان يستدلوا بما كان من قبل من غلبة
فارس على الروم انه يعود لو انقلب فارس على الروم بما شاهدوه مرة او بوجوه اخر يستدلون بذلك من حيث يقولوا انهم
اهل كتاب وعبادة يكونون مشاغيل بالنظر فيها والعمل ببعض ما فيها لا يتفرغون للقتال والحرب وان يقولوا انهم
نصارى اعني اهل الروم وليس في سنتهم ومذهبهم القتال والحرب فيستدلون بمثل هذه الوجوه على ان لا غلبة تكون لهم
ولا ظفر واما اهل الاسلام ليس لهم شيء من تلك الوجوه ولا بغيرها وجه الاستدلال بغلبة اولئك فما قالوا ذلك الا وحيا
من الله اليه واعلاما منه اياه فكان في ذلك اعظم آية صدق رسوله واكبرها فيكون فرح المؤمنين وذكر نصر الله باظهار
تلك الآية في تصديق رسوله اذ نصر رسوله حيث اظهر صدقه ورسالته وقوله غُلبت وغَلبت وغُلبت على الماضي لما كان من غلبة
فارس على الروم وغَلبت بالفتح على المستقبل اي تغلب الروم على فارس وهو كقوله فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا على الامر
في المستقبل وباعِد بين اسفارنا على الخبر فعلى ذلك الاول وقوله في ادنى الارض قيل اقرب الارض فارس وقال بعضهم
ادنى الارض اي ادنى ارض الشام وقيل الارض التي تلي فارس والله اعلم وفي قولهم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وفي قوله
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وجوه على المعتزلة احدها يقال لهم وعد ان يغلب الروم على فارس وقد اراد ان يخرج
ما وعد حقا صدقا ام لا فان قالوا لا فقد اعظموا القول والخشوم حيث زعموا انه اراد ان لا يفي بما وعد انه يكون فان قالوا نعم
قيل دل انه اراد ما فعلوا وان كان الفعل منهم فعل معصية وخلاف ذهاد به كل فريق اصحابهم معصية اذ لم يؤمروا بذلك
وانما امروا بالاسلام فدل ان الله مريد لما يعلم انه يكون منهم وان كان ما يكون منهم معصية والثاني انما اخبر بفرح المؤمنين
بغلبة هؤلاء على اولئك على اي جهة كان فرحهم لاثبات آية عظيمة على رسالة نبيهم ونبوته على ما ذكرنا او لانهم كانوا اهل
كتاب الله ودراستها احبوا غلبتهم عليهم وفرحوا بذلك ولا يحتمل ان يفرحوا بذلك ولم يامرهم بذلك ولا اراد منهم ذلك
دل انهم انما فرحوا بذلك لما اراد ذلك والثالث في قوله بنصر الله ينصر من يشاء دلالة ان لله في فعل العباد صنعا وتدبيرا
حيث ذكر فعل بعضهم على بعض ثم سمى نصر الله دل ان له في ذلك تدبيرا وقوله بضع سنين قيل البضع سبع وقيل
ما دون العشر فهو بضع وكذلك ذكر في الخبر ان ابا بكر رضي الله لما خاطر المشركين وبايعهم في ذلك بخطر في سنين ذكرها
فمضت تلك المدة ولم تغلب الروم على فارس فقال رسول الله لابي بكر اما علمت ان ما دون العشر بضع كله فزد في الاجل
وزد في الخطر ففعل ذلك فلم تمض تلك السنون حتى ظهرت الروم على فارس وفي بعض الحديث قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تكونوا احققتم ان تجعلوا اجلا دون العشر فان البضع ما بين الثلاث الى العشر فزايدوهم وماددوهم
في الاجل ففعلوا حتى ظهرت الروم على فارس فذكر الحديث ثم المسئلة في المخاطرة التي كانت بين ابي بكر وبين اولئك الكفرة
تخرج على وجوه احدها ان مكة كانت يومئذ دار حرب دليله قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وذلك كان قبل الهجرة
وما امر بالهجرة ايضا الى المدينة ونحو كثير وذلك كان كله قبل غلبة الروم على فارس فاذا كانت مكة يومئذ دار حرب جازت
المخاطرة والجهالة في العقود في دار الحرب فيما بينهم وبين اهل الحرب وان كان مثلها في دار الاسلام غير جايز وهذا يدل
لابي حنيفة رحمه الله في اجازته عقد الربوا في دار الحرب فيما بينهم وبين اهل الاسلام وان كان مثله في دار الاسلام غير جايز
والثاني جاز ذلك يومئذ وان كانت فيه جهالة اسنان الابل والجهالة في العقود انما تبطل العقود عند الجحود والخوف
وقوع التنازع بينهم في الآخرة والتنازع في امثاله لا يتوهم وقوعه اذ كانوا اهل شرف وكرم واهل جد لا ينازعون
في امثالها فاذا كان التنازع في مثلها مرتفعا من بينهم جاز ذلك لانه يكون التنازع بينهم في الدين فاما في الاموال فقل
ما يقع لما ذكرنا ومنهم من يقول كان جايزا ذلك في الجاهلية فاما اليوم فقد جاء النهي عن القمار فنسخه واما عرف النهي
عن القمار لما جاء من النهي عن الميسر والميسر هو القمار فيكون النهي عن الشيء نهيا عما هو في معناه والله اعلم وقوله

في الارادة انه يريد الخير والشر فانه وعد ان يغلب الروم على فارس بقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون ما فعلكم انه فعل لا لان يخرج

في جواز الربوا في دار الحرب

لله الامر من قبل ومن بعد قال بعضهم لله الامر من قبل اي من قبل غلبة فارس الروم ومن بعد غلبة فارس الروم
ويقال لله الامر من قبل حين ظهرت الفارس على الروم ومن بعد ما ظهرت الروم على فارس وجايز ان يكون قوله لله الامر
في خلقه اي التدبير فيه ولله الامر فيهم اي ليس لاحد في الخلق امر ولا تدبير وانما ذلك له كقوله الا له الخلق والامر له التدبير
فيهم والامر وفي قراءة من قرأ غلبت الروم بالنصب يكون قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون حين تظاهر عليهم المسلمون
في آخر الزمان حين يفتح قسطنطينية وفي حرف ابن مسعود وحفصة في بعض سنين قريبا وقوله ويومئذ يفرح المؤمنون
بنصر الله ينصر من يشاء فرح المؤمنين بنصر الله حيث نصر رسوله باظهار الآية له في اثبات الرسالة والنبوة وصدقه وذلك
النصر له وما يقول بعض اهل التأويل نصر الروم على فارس بعيد لان ما كان الفعل فعل معصية لا يقال نصر الله وانما يقال
ذلك فيما كان الفعل فعل طاعة والوجه فيه ما ذكرنا انه نصر رسوله بما ذكرنا وقوله وهو العزيز الرحيم ذكر العزيز
على اثر ما سبق لانه عزيز بذاته فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب وهنا ونقصا في ملكه وسلطانه ليس كهلاك بعض عبيد
ملوك الارض واتباعه وحشمه لان ملوك الارض اعزوا بذلك فاذا هلك ذلك ذهب عزهم فاما الله سبحانه وتعالى اذ هو
عزيز بذاته لا بتبع فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب نقصا ولا ذلا فيه وقوله وعد الله لا يخلف الله وعده انما يكون
خلف الوعد في الشاهد لاحدى خصال ثلث اما لندامة استقبلته فيما وعد فيمنعه تلك الندامة عن انجاز ما وعد وحفظ
الوفاء له واما الحاجة وقعت له فيما وعد فتمنعه تلك الحاجة عن وفاء ما وعد وللخيانة ما طمع واما العجز يكون به لا يقدر
على انجاز ما وعد فيحمله العجز عن وفاء ما وعد والخيانة فاذا كان الله سبحانه يتعالى عن الوجوه التي ذكرنا كان ما وعده
لم يحتمل الخلف منه ولا قوة الا بالله وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحتمل قوله لا يعلمون لما لم ينظروا ولم يتفكروا
في الاسباب التي هي اسباب العلم بعد ما اعطاهم اسباب العلم لكنهم اذا تركوا النظر في الاسباب والتفكر فيها
لم يعلموا فلم يعذروا بذلك لتركهم النظر والتفكر فيها ويحتمل قوله لا يعلمون اي لا ينتفعون بما علموا فنفى عنهم العلم
لما لم ينتفعوا بما علموا كما نفى عنهم السمع والبصر لما لم ينتفعوا بهذه الحواس وان كانت لهم هذه الحواس وقوله يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون يحتمل قوله يعلمون ظاهر الاشياء في المنافع ولا يعلمون باطن
المنافع بم وكيف نحو ما يعلم ان الماء به حيوة الاشياء ويعلمون ان بالطعام قوام الابدان ولكن لا يعلمون قدر منفعته
وكيفيته وما في سريته ذلك من المنافع وكذلك السمع والبصر واللسان لا يعلم حقيقة ذلك وكيفيته وان كان يعلم
انه بها يسمع ويبصر ويتكلم ويفهم وجايز ان يكون قوله يعلمون ظاهرا منافع الحيوة الدنيا وعن منافع الآخرة هم غافلون
وانما انشئت منافع الدنيا لا لتكون لها ولكن ليعلموا بها منافع الآخرة وابن عباس والكلبي وهؤلاء يقولون يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا قالوا يعلمون معايشهم وتجاراتهم وحرفهم وجميع الاسباب والمكاسب والحيل التي بها تقوم
امور دنياهم وهم عن الآخرة هم غافلون اي لا يؤمنون بها والله اعلم وقوله اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق قد ذكرنا في غير موضع ان كل استفهام من الله وسؤال يخرج على الايجاب والالزام
ثم الايجاب يخرج على وجوه احدها اي قد تفكروا واعتبروا ونظروا وعرفوا انه ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
الا بالحق لكنهم عاندوا وكابروا ولم ينقادوا للحق ولم يقروا به والثاني يخرج على الامر اي تفكروا وانظروا واعتبروا وتعلموا
انه ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق والثالث على الخبر انهم لم يتفكروا ولم ينظروا ولم يعتبروا ه
ولو تفكروا واعتبروا لعلموا انه ما خلق الله السموات والارض الا بالحق لكنهم لم يتفكروا ولم ينظروا بعد ما اعطوا اسباب
العلم به فلم يعذروا بتركهم التفكر والنظر والاعتبار وعلى هذه الوجوه الثلاثة يخرج قوله اولم يسيروا في الارض فينظروا
وعلموا ما حل بالمكذبين بالتكذيب وما صار عاقبة امرهم او سيروا في الارض على الامر لتعرفوا ما اصاب اولئك
بالتكذيب ولم يسيروا في الارض على ما ذكرنا لئلا يعلموا عاقبة امر اولئك ثم قوله الا بالحق قيل فيه بوجوه احدها
ان ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق الذي عليهم من الشكر له فيما انعم عليهم والتعظيم له والتبجيل والثاني
الا بالحق الذي لله عليهم من الشكر له فيما انعم عليهم اي ما يجهل بفعله عاقبته ما لولا تلك العاقبة لكان لا يحمد

اذ في الحكمة بين الولي والعدو وقد اشركهم جميعا في هذه الدنيا بين الولي والعدو ولو لم يجعل دار اخرى
يفرق فيها بينهما لكان لا يجد فيما اشركهم فيها والثالث الا بالحق اي بالبعث لانه لو لم يكن البعث لكان خلقه السموات
والارض وما بينهما عبثا باطلا لا حقا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
سمي البعث لقاء الرب والمصير اليه والرجوع اليه والبروز اليه والخروج وان كانوا في الاوقات كلها بارزين له خارجين
صايرين اليه راجعين لان خلقه اياهم انما صار حكمة لذلك البعث والمقصود بخلقهم ذلك البعث لذلك سمي البعث بما ذكرنا
وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هو يخرج على الوجوه التي ذكرنا في قوله اولم يتفكروا
في انفسهم وقوله كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها يذكر اهل مكة ويوبخهم في تكذيبهم رسول الله
وسوء معاملتهم اياه بما ذكر من القرون الماضية انهم مع شدتهم وقوتهم وبطشهم وكثرة اتباعهم ومواشيهم واموالهم
وطول اعمارهم وبنيانهم لم يتهيأ لهم الانتصار والامتناع عن عذاب الله اذا حل بهم بتكذيبهم الرسل فانتم يا اهل مكة
دونهم في القوة والبطش والحواشي والاتباع فكيف يتهيأ لكم الانتصار والامتناع من عذاب الله اذا كذبتم الرسول والله اعلم
وقوله فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى جايز ان يكون على التقديم والتاخير
ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى مقدما على قوله فما كان الله ليظلمهم يقول ما حل بهم من العذاب وعذبوا في هذه الدنيا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم يكون قوله ثم كان عاقبة الذين اساؤوا في الدنيا السوأى في الآخرة في النار فيكون في الدنيا
ما عذبوا في الدنيا عذاب عناد ومكابرة وما يعذبون في الآخرة تعذيب كفر وتكذيب فهو ما قال ثم كان عاقبة الذين
اساؤوا السوأى ان كذبوا بايات الله وقال بعضهم واثاروا الارض اي كربوا الارض وعمروها اكثر مما عمرها قومك يا محمد
اي بقوا فيها اكثر مما بقي فيها الذين ارسلت اليهم وقال بعضهم عاشوا يعمرون الارض اكثر مما عمرها اهل مكة وقال بعضهم
عمروها عملوا بها اكثر مما عمل هؤلاء وبعضه قريب من بعض وقال ابو عوسجة واثاروا الارض اي حرثوها وقال القتبي اثاروا
اي قلبوها للزراعة ويقال للبقرة المثيرة وقال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقوله اساؤوا السوأى اي جهنم
وكذلك قال الكسائي السوأى هي النار كقوله وعقبى الكافرين النار اي كان عاقبتهم النار بما كذبوا بايات الله واستهزؤوا بها
وقوله ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى يحتمل قوله اساؤوا الى الرسل بالتكذيب وانواع الاذى ويحتمل اساؤوا الى انفسهم
حيث اهلكوها واوقعوها في النار والسوأى اسم من اسماء النار كالعسرى والهاوية ونحوها واليسرى والبشرى والحسنى
اسم من اسماء الجنة وقوله ان كذبوا بايات الله يذكر اهل مكة ويخوفهم ان ما حل باولئك القرون الماضية من الاهلاك
والاستيصال انما كان بتكذيب الايات والاستهزاء بها في هذه الدنيا فانتم يا اهل مكة اذا كذبتم الايات والحجج واستهزأتم بها
يصيبكم ما اصاب اولئك بالتكذيب والايات يحتمل حجج التوحيد وحجج الرسل في اثبات الرسالة او ايات البعث وقوله
وكانوا بها يستهزؤون يحتمل بالايات التي ذكرنا وما وعدهم الرسل من العذاب والاهلاك فاستهزؤوا بذلك وقوله
الله يبدؤ الخلق ثم يعيده هذا في الظاهر دعوى لكنه قد بين فيما تقدم من الايات ما يلزمهم الاعادة والاحياء من بعد
الموت حيث قال اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق الاية وفي قوله اولم يسيروا
في الارض وغيرها من الايات ما الزمهم من الايات انه لو لم يكن اعادة وبعث كان خلقهم عبثا باطلا خارجا عن الحكمة
والقدرة في ابتداء الانشاء ان لم تكن اكثر لا تكون دون الاعادة فمن ملك وقدر على الابتداء كان على الاعادة اقدر اذ اعادة الشيء
عندكم اهون وايسر من ابتدائه انشاء على ما ذكرنا في قوله وهو اهون عليه وقوله ثم اليه ترجعون ذكر الاعادة والاحياء
بعد الموت الرجوع اليه لما ذكرنا ان المقصود في خلقهم في هذه الدنيا الاعادة والاحياء لذلك سمى الاعادة الرجوع اليه والمصير اليه
والبروز له وان كانوا في جميع الاحوال صايرين اليه راجعين بارزين له خارجين وقوله ويوم تقوم الساعة يبلس
المجرمون قال بعضهم الابلاس هو الاياس يبلسون اي ييأسون في الآخرة عما كانوا يطمعون بعبادتهم تلك الاصنام
والاوثان في هذه الدنيا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحوه يقول ييأسون
في الآخرة عما طمعوا بعبادتهم في الدنيا حين شهدوا عليهم وكفروا بهم وجعلوا يلعنون عليهم ويتبرؤون منهم وقال بعضهم

يايسون من كل خير وقال بعضهم الابلاس هو الفضيحة اي يفتضحون بما عملوا وقال بعضهم المبلس كل منقطع الحجة
ساكت كالمتحير في امره وقال بعضهم المبلس هو كل آيس حزين وقوله ولم يكن لهم من شركائهم هو ما ذكرنا ان الاصنام
التي عبدوها وسموها آلهة لا تشفع لهم وكانوا بشركائهم كافرين يحتمل هذا وجهين اي الاصنام بهم كافرون
او هم يكفرون الاصنام اذا لم يشفعوا لهم وصاروا شهداء عليهم او كل يكفر بصاحبه كقوله ويوم القيامة يكفر بعض
ويلعن بعضكم بعضا والله اعلم وقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون سمى الله تعالى ذلك اليوم يوم الجمع
بقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وسمى يوم الافتراق فهو يوم الجمع في اول ما يبعثون ويحشرون ثم يفرق بينهم تفريقا
لا اجتماع بينهم ابدا كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير فهو يوم الجمع في حال ووقت ويوم الافتراق في حال ووقت
آخر وبعض اهل التاويل يقولون قوله يومئذ يتفرقون العابد والمعبود والتابع والمتبوع بعدما كانوا مجتمعين
في الدنيا وهو ما ذكر في آية اخرى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الاية فهذا تفرقهم على قول بعضهم والوجه فيه ما ذكرنا
بديا والله اعلم وقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات آمنوا بكل ما امروا ان يؤمنوا به وعملوا بكل ما امروا ان يعملوا فهم
في روضة يحبرون والروضة كانها اسم من اسماء الجنان وقوله يحبرون وقال بعضهم يكرمون وقال بعضهم يحبرون
يسرون والحبرة السرور ومنه يقال كل حبرة يتبعها عبرة والزجاج يقول يحبرون يتنعمون والحبرة النعمة الحسنة
والله اعلم بذلك وقوله واما الذين كفروا اي جحدوا توحيد الله وانكروه وكذبوا باياتنا يحتمل كذبوا باياتنا آيات
التوحيد وآيات الرسالة او آيات البعث فاولئك في العذاب محضرون اي يحضر الاتباع والمتبوع جميعا في النار ويجمع
بينهم كقوله احشروا الذين ظلموا الاية وقوله فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون وقوله فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون قوله فسبحان الله فهمت الامة من قوله سبحان الله الصلوة اي صلوا لله ولو كانت افهامهم افهامنا
هذا لكانوا لا يفهمون سوى التسبيح المذكور ثم يحتمل تسميتهم التسبيح صلوة وفهمهم منه ذلك لوجهين احدهما ان في الصلوة
تسبيح فسموها بذلك لما فيها ذلك والثاني ان التسبيح تنزيه والصلوة من اولها الى آخرها تنزيه الرب لان فيها اظهار الحاجات
اليه والعجز والضعف وفيها تعظيم الرب واجلاله ووصفه بالجلال والرفعة ففهموا من التسبيح الصلوة لما ذكرنا انها من تنزيه
الرب من اولها الى آخرها ثم منهم من قال ان الصلوات الخمس ذكرت في هذه الاية بقوله فسبحان الله حين تمسون
صلوة المغرب والعشاء الآخرة وحين تصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وحين تظهرون هي صلوة الظهر ومنهم
من يقول لا بل ذكرت فيها اربع صلوات حين تمسون المغرب وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر واما
العشاء الآخرة ففي قوله ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم والله اعلم وقوله وله الحمد في السموات والارض يحتمل
قوله وله الحمد على التقديم يقول سبحان الله وله الحمد فيكون الحمد كناية عن الصلوة كالتسبيح او لما فيها من التحميد او يقول له يحمد
اهل السموات واهل الارض والله اعلم وقوله حين تمسون وحين تصبحون وحين تظهرون اي اذا دخلوا في المساء والعشاء والصبح
والظهر وقوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يخبر عن قدرته في انشاء الاشياء مبتدأ لا من اصل لانه قال يخرج
الحي من الميت والميت ليس فيه الحيوة وكذلك الميت من الحي وليس في الحي موت ولكنه يخرج هذا من هذا على ابتداء الحيوة فيه
وابتداء الموت فيه من غير ان كان فيه ما ذكر ثم اختلف فيه اهل التاويل قال بعضهم يخرج الناس والدواب والطير
من النطف ويخرج الميت يعني النطف من الحي من الناس والدواب والطير وقال بعضهم يخرج الحي من الميت اي المسلم من الكافر
والميت من الحي اي الكافر من المسلم ولكن يجيء على هذا ان يقول يخرج من المسلم ما يكون كافرا ومن الكافر ما يصير مسلما
لان ما يخرج لا يوصف بالاسلام ولا بالكفر ولا ينسب الى واحد منهما وقت الخروج حتى يبلغ فيكون منه فعل الكفر او فعل
الاسلام وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وفي الايات التي تقدم ذكرها من نحو قوله اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الاية وقوله اولم يسيروا في الارض الاية وامثال ذلك مما يذكر ويخبر اولئك الكفرة عن قدرته
وسلطانه والزمهم ذلك نقض قول المعتزلة لانهم لا يجعلون تلك القدرة على فعل بعض فلا يكون لهم الاحتجاج على اولئك الكفرة
في القدرة على الاعادة والانشاء بعدما صار رمادا او كلام نحو هذا وقوله وكذلك تخرجون اي كذلك تبعثون

بعوضه فلا خ

ويحيون كما اخرج الحي من الميت والميت من الحي من غير ان كانت الحيوة في الميت والموت في الحي والله اعلم وقوله ومن اياته
يحتمل ايات وحدانيته وربوبيته وحججه او ايات بعثه واحيائه او ايات رسالة الرسل ونحوه وقوله ان خلقكم
من تراب يخرج على وجوه احدها نسب خلقتنا الى التراب لانا انما خلقنا من اصل خلق ذلك الاصل من التراب وهو آدم
وان لم تكن انفسنا مخلوقة من تراب حقيقة كما نسب خلقنا الى النطفة وان لم يخلق انفسنا كما هي من النطفة لكنا اصنا فذلك
ونسبنا الى النطفة لما هي اصل ما خلقنا منها والثاني نسبنا الى التراب لما جعل اغذيتنا وما به قوام انفسنا وابداننا وان نخلق
من التراب من الاصل فيخبر والله اعلم انكم لا تصورون خلق الجسم اذ لم تشاهدوا تلك الطينة التي منها تكون الاجسام بعد
مشاهدة طينتها ومعاينتكم اياها ورايتم القدرة له على خلقها قبل ان تشاهدوا طينتها والثالث نسب خلقتنا الى التراب وهو آدم
على ما ذكرنا الا ان قوله خلقكم اي قدركم من ذلك الاصل والتخليق هو التقدير في اللغة وذلك جايز في اللغة فانما قدرنا على
على تقدير ذلك الاصل وذلك جايز نسبتنا واضافتنا الى التراب اذ صح ما ذكر في بعض الاخبار ذكر ان ملكا ياتي بكف
من تراب فيذره في تلك النطفة في رحم المراة فيخلق منه حينئذ الولد فان صح هذا فيكون خلق جميع الناس واصلهم من تراب
وقوله ثم اذا انتم بشر تنتشرون اعثم اذا انتم ذرية من بعد بشر تنبسطون كقوله وينشر رحمته اي يبسط او تنتشرون
اي تتفرقون في حوايجكم وفي طلب اغذيتكم وما به قوام انفسكم والله اعلم وقوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله خلق لكم من انفسكم ازواجا اي من اجناسكم واشكالكم لتسكنوا اليها يقول انما جعل ما تسكنون
اليه وتتالفون من جنسكم وشكلكم ما تعرفون لم يجعل في غير جنسكم وشكلكم ما تعرفون لم يجعل في غير جنسكم وشكلكم كقوله
لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من جنسكم وشكلكم من تعرفون صدقه وثقته وامانته ما لو كان من غير جنسكم
وشكلكم لا تعرفونه فعلى ذلك جايز قوله خلق لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم ما تسكنون اليها وتستانسون بهم ما لو كان
من غير جنسهم لا يكون ذلك اذ انما يستانس كل ذي شكل بشكله وجنسه والثاني ما ذكرنا انه اراد آدم وحواء اي خلق زوجته حواء
من نفسه فجعلها له سكنا يسكن اليها ويستانس بها والله اعلم وقوله وجعل بينكم اي بينكم وبين الازواج مودة ورحمة
يحتمل قوله مودة وجهين احدهما يودها لما جعلها له موضعا لقضاء شهوته وحاجته وكذلك هي توده لذلك ورحمة اي يرحم
بعضهم بعضا ويحتن اليه اذ ان لكل واحد منهما ما يمنع قضاء الشهوة والحاجة والثاني يود بعضهم بعضا ويرحم بالطبع والخلقة
اذ كل ذي طبع يود شكله وجنسه اذا كان في حال السعة والرخاء والسرور ويرحم اذا نزل به البلاء والشدة هذا معروف
عند الناس ان يتراحم بعضهم على بعض في حال نزول البلاء والشدة ويتوادهم في حال السعة والسرور وقال الحسن وجعل
بينكم مودة اي الجماع ورحمة اي الولد فكيف ما كان يخبر عن لطفه ومنته حيث جعل بين الزوج والزوجة المودة والرحمة
على عدم القرابة والرحم وبعد ما بينهما فصار لما ذكرنا في المودة والرحمة كالقريبين وذي الرحمين واقرب القريب وذلك على المعنى
لانه اخبر انه جعل بينهم مودة ورحمة وذلك فعل الزوجين في الظاهر ثم اضاف ذلك الى نفسه واخبر انه جعل ذلك
ان له صنعا في ذلك فيبطل قولهم انه ليس لله صنع في فعل العباد ويبطل اللطف الذي ذكر انه جعل بينهم وقوله ان في ذلك
لايات لما ذكرنا من ايات وحدانيته وربوبيته او ايات البعث والنشور او ايات الرسالة والنبوة لقوم يتفكرون لقوم ينتفعون
وهم المؤمنون او لقوم يتفكرون ويتدبرون ويعتبرون فيعرفونه فاما من لا يتفكر ولا يتدبر فلا ينتفع به فهو ليس بايات له
والله اعلم وقوله ومن اياته ايات وحدانيته وربوبيته والوهيته او ايات بعثه وقوله خلق السموات والارض
في خلق السموات ورفعها في الهواء واقرارها فيه اية لانه غير موهوم مثله من فعل الخلق وفي قدرتهم وكذلك خلق الارض
وبسطها واقرارها على الماء او على الريح خارج من فعل الخلق ومن قدرتهم غير موهوم ذلك في اوهامهم وعقولهم من غير الله
الواحد العالم القادر ذي بنائه فاذا كان ما ذكر غير موهوم في اوهامهم وعقولهم من غير الله فهم انما انكروا البعث لما لم يعاينوا
ذلك ولا شاهدوه في اوهامهم فكيف انكروا البعث وان كان غير موهوم ذلك في اوهامهم بعد ان كان ذلك موهوما
من الله مشاهدا معاينا المثل هذا والله اعلم يذكر هذا وقوله واختلاف السنتكم والوانكم كانه يقول وفي خلق اختلاف
السنتكم اية ايضا لان الالسن بحيث خلقة الالسن غير مختلفة ولكن انما تختلف بحيث النطق والتكلم بها حتى لا يقع

ثم ما انكرتم القدرة على خلق هذه الانفس من اصل وانتم تشاهدوا ذلك الاصل وان لم يدخل في اوهامكم ولم يتصور في عقولكم فكيف انكرتم
شرح

وعلى علمهم ما جعل الله ذلك بل هم في انفسهم يعقلون ذلك والله اعلم وقوله ان في ذلك لايات الخ
شرح

في التكلم بها والنطق والصوت تشابه بحال وجه عما يقدرون من الكلام وان كانت بحيث خلقتها واحدة غير مختلفة
فهذا على المعتزلة لقولهم ان اقوال العباد غير مخلوقة لا صنع لله فيها فلو لم يكن له فيما يتكلمون وينطقون على الاختلاف ذلك
صنع فلا اية تكون له في ذلك فدل انه انما صار اية له لما له صنع في ذلك وكذلك فيما يختلف الالوان بفعل يكون من الخلق
ويتغير عند الغضب والسرور والفرح ثم اخبر ان ذلك اية دل انه خالق لافعالهم واقوالهم حتى كان اية له والله اعلم
واهل التاويل يقولون اختلاف السنتكم عربي وعجمي ونبطي وتركي ونحوه والوانكم ابيض واحمر واسود ونحوه واصله
ما ذكرنا ان في ذلك لايات للعالمين ان يكون ايات لمن انتفع به من العالمين واية لمن تفكر وتدبر من العالمين لانه اذا تفكر
وتدبر عرف وجه الاية في ذلك وقوله ومن اياته منامكم بالليل والنهار لان النوم يأخذهم من غير ان يعرفوا انه من اين
ما تاه ومما اخذه ثم ياخذ منهم جميع منافع الاحيا من السمع والنطق والفهم والروية وجميع ما ينتفع به قبل ذلك ثم يرد ذلك
اليهم من غير ان عرفوا بذلك فيعود دون الى ما كانوا من المنافع والاكتساب ليعلم ان من قدر على مثل هذا على اخذ الروح
ونفسه ورده اليه فهو لخلق الموت قال الله تعالى يتوفاكم بالليل سمى النوم الوفاة وهو مثله لما ذكرنا ان جميع منافع
الاحياء ترتفع ويزول بالنوم ثم يرد اليه من غير ان يشعر بذلك فمن قدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت وقوله
وابتغاؤكم من فضله جهة الاية فيما يبتغون من فضله هو خلقه تلك المكاسب والتجارات والحرف التي يبتغون بها الرزق
اخبر انه خلق ذلك منهم ففيه دلالة خلق افعال العباد فهو على المعتزلة لانكارهم خلق افعالهم او ان يكون جهة
الاية فيه ما عرفهم تلك المكاسب والتجارات والحرف وتعليمهم اياها واحوجهم اليها ليصلوا الى منافعهم والله اعلم
وقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يحتمل قوله لقوم يسمعون اي ينتفعون بسمعهم او لقوم يجيبون او يسمع يجوز ان يعبر
عن الاجابة كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن دعاه او ان يكون قوله لقوم يسمعون اي يعقلون ويجوز العبارة عنه
كقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي يعقلون ويقال لقوم يسمعون المواعظ فيقبلونها فينتفعون بها وقوله ومن اياته
يريكم البرق خوفا وطمعا قيل فيه بوجهين احدهما يريكم البرق للخوف والطمع تخافون سلطانه وقدرته ان يصيبكم
ذلك البرق فيذهب بابصاركم وطمعا ترجون رحمته يصرفكم عنكم والثاني خوفا وطمعا اي يريكم البرق تخافون
وتطمعون يخاف المسافر قطع مسيره ومنعه عنه وتطمعون اي يطمع المقيم رحمته لما يكون به انزاله ومعاشه والثاني
تخافون الصواعق وتطمعون المطر وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها هو
ظاهر قد ذكرناه ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يحتمل ما ذكرنا لقوم يعقلون ينتفعون بعقولهم او لقوم يعقلون
لو تدبروا وتفكروا والله اعلم وقوله ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره هو ما ذكرنا انه قاما على شيء غير موهوم ذلك
في اوهام الخلق قيام شيء من افعالهم على مثله وهو الهواء والماء او الريح فكيف حملهم خروج شيء منا وهامهم على انكاره
وتكذيبه وهو البعث والاحياء بعد الموت فمن قدر على احدهما قدر على الاخر وقوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم
تخرجون اختلف فيه قال بعضهم هو على التقديم ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون من الارض والدعوة هي النفخة
الاخرة وقال بعضهم هو ما ذكر الدعوة تكون من الارض من صخرة بيت المقدس من هنالك يسمعون الدعوة ثم اختلف
في الدعوة والصيحة والنفخة والصور ونحو ما ذكر فمنهم من يقول على حقيقة الدعوة والصيحة والنفخة والصور على ما ذكر
وقال بعضهم لا ولكن ذلك اخبار عن سرعة نفاذ الامر وعبارة عن خفة ذلك وهونه كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب وقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ليس ان كان منه كاف او نون لكنه ذكر باخف حروف
يفهم منه المعنى فعلى ذلك ذكر الصيحة والنفخة والدعوة والصور والله اعلم وفي قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون دلالة واخبار انه قادر على الانشاء والاحياء بلا سبب لانه اخبر انه دعاكم دعوة ثم تخرجون والدعوة
ليست هي بسبب الاحياء والانشاء بل اخبر انه يخرجهم اخراجا ثبت انه ما ذكرنا وقد ذكرنا في اختلاف الالسن
لو لم يكن ما يسمع منهم وما ينطقون مخلوق في الحقيقة فاذا اياته عبث لان الحروف هي التي لفظها الالسن والكلام هو
ما به صفة المتكلم وينظمه فلو لم يكن ذلك خلقا من خلق الله لكان لا احد شهد خلقه ولا جسمه ولا سمعه

هو مخرج على ان اهل الدعوة من الارض ومن صخرة بيت المقدس
شرح

وبما احتج فيكون بمعنى من يقول لله آيات فى الكلام احتج بها على عباده الذين لم يطلعهم عليه ولا سبيل لهم الى التطلع عليها
وذلك بعيد من العقول فثبت ان الله قد خلق كل نطق على ما عليه يعرفه المتفكر فيه بما يرى من عجز المتفوه به على النفوه به
على التقطيع الذى يقدره فى نفسه وعلى الخطا الذى يجب ان يكون عليه دون ان يقع فى ذلك تفاوت واختلاف فيعلم ه
ان ذلك كان الآية على ما كان بل بالله جل وعلا ولا قوة الا بالله وما ذكر من اختلاف الالوان فانا قد نجد يتغير بالعباد نحو
ما يظهر عند شدة الغضب متولدا عن فعلهم ومن قول المعتزلة او عامتهم ان المتولد هو فعل الخالق فعلى ذلك القول يكون
السرور بالشئ غير الذى يظهر عند شدة الغضب متولدا عن فعلهم ومن قول المعتزلة او عامتهم ان المتولد هو فعل الخالق فعلى ذلك
القول يكون اللون فعلا لهم بتخليق الله واما النوم فموضع الاعتبار فيه ما فى اللون والا فالاعتبار انما هو بابتغايهم من فضله
ى ذلك بما ركب فيهم من الحاجة وانشاهم من الفاقة الى ما ذكر من الاغذية بان ابتغاها فعلا للخالق وقد احتج الله سبحانه وتعالى
على العباد فاخبر انه من آياته ومحال ان يكون حجته ما يخلقه غيره دون الذى يخلقه بل يدل خلق كل على منشيه من طريق
الخلقة والتدبير فثبت ان الابتغاء مخلوق بخلقة الله وان كان فعلا للخالق والله الموفق وقوله ولله من فى السموات
والارض حرف من انما يتكلم به ويعبر عمن له الملك والتدبير والتمييز وحرف ما عن ملك الاشياء نفسها فاذا كان من له
الملك فى الشئ والتدبير والامر له فالاملاك احق ان يكون له يخبر والله اعلم عن غناه وسلطانه وقدرته اى من له
ما ذكر فى السموات والارض لا يمتحن ويأمرهم بانواع العبادة والطاعة لحاجة نفسه او لمصلحة نفسه اذ هو غنى عن ذلك
ولكنه انما يمتحن ويأمرهم بانواع العبادة وانواع المحن لمنافع انفسهم وحاجاتهم ومصالحهم فاذا كان له ما ذكر من الملك لا يحتمل
ان يمتحنهم شئ ايضا وقوله كل له قانتون قال بعضهم القنوت القيام والقانت القائم فان كان هذا فتأويله كل له قانتون
اى قائم بتدبيره وامره فى الوجود والعدم والابداء والاعادة وفى كل حال ان اوجد وجد وان اعدم صار معدوما
وان اماته مات وان احياه حيى ونحو فى كل حال يقوم بتدبيره وامره قال بعضهم كل له قانتون اى مطيعون فان كان
على هذا ونحو فى كل حال يقوم بتدبيره وامره وقال بعضهم كل له قانتون اى مطيعون فان كان على هذا فهو على طاعة
الخلقة له والشهادة لله بالوحدانية والربوبية والتدبير له والعلم فى ذلك لان الله جعل فى خلقة كل احد وكل شئ
وفى صورته ما يشهد له بالوحدانية والربوبية ويدل على تدبيره وعلمه وحكمته فكل له قانت ومطيع بالخلقة والصنعة
وقال بعضهم كل له قانتون اى خاضعون فهو يرجع الى حال دون حال وهو حال الخوف والضرورة يخضع له كل كافر
ومشرك فى تلك الحال وهو ما اخبر عنهم من الخضوع له اذا ركبوا الفلك حيث قال فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين وقولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ونحو ذلك من الاحوال التى كانوا يخضعون له ويطيعون والله
وقوله وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده لا يحتمل ان يخلقهم وينشيهم لحاجة نفسه او لمصلحة لانه غنى بذاته او يمتحنهم
لمنفعة نفسه او يأمرهم لذلك ولكن انما يبدئ ويعيد لحاجة انفسهم او يخبر ان من قدر على بداءة شئ الشئ يملك اعادته
وهو اهون عليه اختلف فيه قال هو اهون عليه اى عليه هين ابتداؤه واعادته كقوله وذلك على الله يسير وقوله
هو على هين ويجوز العبارة بافعل عن فعيل نحو ما يقال الله اكبر اى كبير اعظم بمعنى عظيم ونحوه كثير فعلى ذلك قوله وهو
اهون عليه اى عليه هين اذ ليس شئ اصعب على الله من شئ او شئ اهون عليه من شئ بل الاشياء كلها بمحل واحد داخل
تحت قوله كن وانما يقال اهون وايسر لمن كان فعله بسبب فيهون عليه اذا كثرت الاسباب ويصعب عليه ذلك اذا قلت
وضعفت فاما الله سبحانه وتعالى هو الفاعل للاشياء وصانعها والقادر عليها بسبب وبلا سبب فلا يجوز ان يقال
شئ اهون عليه من شئ وانما يجوز ذلك من كان فعله لا يكون الا بسبب وقال بعضهم قوله وهو اهون عليه فى عقولكم
وتدبيركم وتقديركم اى اعادة الشئ فى عقولكم وتدبيركم اهون من بدايته لان الخلق لا يملكون تصوير ما لم يسبق له
المثال والتصوير ابتداء وقد يملكون تصوير الاشياء وتمثيلها اذا سبق لهم مثاله وشاهدوه فثبت ان اعادة الشئ
فى عقولكم وتدبيركم اهون من ابتدائه فاذا عاينتم وافردتم انه قادر على ابدائه فهو على اعادته املك واقدر ولا قوة
الا به وقال بعضهم قوله وهو اهون عليه يعنى على ذلك الشئ اى اعادة ذلك الشئ اهون على ذلك الشئ من ابدائه

ان يمتحنهم

لانه فى الابتداء

لانه فى الابتداء ينقله ويحوله من حال النطفة الى حال العلقة ثم من حال العلقة الى حال المضغة ثم من حال المضغة
الى حال التصوير والتسمية الى ما ينتهى اليه حتى يصير خلقا وصورة فيخبر ان اعادته ليس على التقدير والتحويل من حال الى حال مثله
ولكن كما ذكر وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقوله الا صيحة واحدة ونفخة
ودعوة وما ذكر فالاعادة لذلك الشئ اهون على ذلك الشئ من الابتداء وقوله وله المثل الاعلى فى السموات والارض
اى له الصفات العالية ثم هو يخرج على وجوه احدها بان كل موصوف بالعلو والرفعة من دونه فهو الموصوف به ه
فى الحقيقة على ما ذكرنا ان كل من يحمد دونه فذلك الحمد له فى الحقيقة راجع اليه ذلك كقوله ولله الحمد الآية والثانى له الصفة
العالية مما يخالف صفات الخلق وشبههم كقوله ليس كمثله شئ لا يشبه صفاته صفات المخلوقين ولا اشبهت
صفات الخلق صفاته وهو ما قاله بعض اهل التأويل الذى لا مثل له ولا شبه لا اله الا هو واحد لا شريك له والثالث
ولله الصفات العالية مما لا يضاد بعضها بعضا عالم لا جهل فيه قادر لا عجز فيه عزيز لا ذل فيه وامثال ذلك مما لا يدخل
فى ذلك نقصان او عيب بوجه من الوجوه ليس كالخلق انهم يوصفون بالعلم بجهة وبشئ وبالجهل بجهة اخرى وبالقدرة
بجهة اخرى وبشئ آخر وبالعجز بجهة اخرى وبشئ آخر وبالعز بجهة اخرى وبشئ آخر وبالذل بجهة اخرى وبشئ آخر
فالله سبحانه وتعالى موصوف بصفات لا يضاد بعضها بعضا ولا يدخل فى ذلك نقصان بجهة من الجهات وبحال من الاحوال
لانه بذاته موصوف بذلك لا بغيره ولا بسبب واما غيره فانما يوصفون بذلك باسباب وباعتبار تكون لهم لذلك كان ما ذكر
ولا قوة الا بالله وقوله وهو العزيز الحكيم الذى لا يلحقه الذل والضرر بمخالفة خلقه اياه وعصيانهم له ليس كملوك الارض
اذا خالفوا اتباعهم وحواشيهم ورعيتهم يذلون ويلحقهم الضرر باعراضهم عنهم لان عزهم كان بهم فاعراضهم عنهم
ومخالفتهم اياهم يذلون فاما الله سبحانه عزيز بذاته لا يلحقه الضرر والذل بمخالفة الخلق اياه او ان يكون
قوله العزيز المنتقم ممن يخالف امره ويعصيه او يشرك غيره فى الوهيته وربوبيته والحكيم هو الذى لا يلحقه الخطاء
فى التدبير يخبر والله اعلم انى وان خلقتهم وانشأتهم على علم منى انهم يخالفوننى ويعصوننى واعنتهم بكل انواع المعونة
وهو يعلم ان معونته اياه تزيد له قوة فى معاداته وعصيانه ومخالفته هو موصوف بالسفه غير موصوف بالحكمة
لانه يسعى فى اهلاك نفسه ويعينه على ذلك بمعونته اياه ومن سعى فى اهلاك نفسه فهو غير حكيم فاما الله سبحانه
حيث خلقهم وانشأهم واعانهم بكل انواع المعونة على علم منهم بما يكون من الخلاف له والعصيان والمعاداة غير خارج
فعله عن الحكمة لما ذكرنا انه لا يلحقه الضرر ولا النقصان بما علم انه يكون منهم من الخلاف له والعصيان والعداوة ولا قوة
الا بالله وقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم قال بعضهم ضرب لكم مثلا من خلقكم مثل خلقكم يقول والله اعلم يبين لكم من انفسكم
ما لو تفكرتم وتاملتم لظهر لكم سفههم بعبادتكم الاصنام دون الله وتسميتكم الاصنام بالله ثم يخرج ضرب المثل بما ذكر
على وجوه احدها قولكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء اى لم تسووا انتم انفسكم بالذى
ملكت ايمانكم فيما رزقتم حتى يكونوا انتم وهم سواء فى ذلك فكيف زعمتم ان الله قد سوى نفسه وما ملك من خلقه فى ملكه
والوهيته والثانى يقول هل ترضون ان يكون ما ملكت ايمانكم شركاءكم فيما تملكون من الاموال فاذ لم ترضوا به فكيف
زعمتم ان الله يرضى ان يشرك مماليكه فى ملكه وسلطانه او يقول فان لم ترضوا لانفسكم اشراك ما ملكت ايمانكم
فى ملككم ولم تسووا مماليككم بانفسكم فى ذلك فكيف رضيتم ذلك لله وسويتم نفسه ومماليكه وعدلتم به من دونه
والله اعلم وقوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم اى تخافون مماليككم كما تخافون احرارا امثالكم وقال بعضهم تخافون ان يرثوكم
كما يخاف الرجل لا يمنه ابيه واخيه واقاربه وبعضهم يقولون تخافون عبيدكم ان يرثوكم بعد الموت كما تخافون
ان يرثكم الاحرار من اولياءكم وهو قول مقاتل لكن الميراث ليس من الآية فى شئ والاول اشبه وفى قوله ضرب لكم
مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء دلالة ان العبد لا يكون له حقيقة الملك
فى الاشياء كالاحرار لانه اخبر انهم ليسوا بسواء فى الشركة فيما رزق السادات وملكوا على العلم انهم يشتركون جميعا
فى المنافع دل انهم يملكون منافع الاشياء ويشتركون الاحرار فيها ولا يملكون حقيقة الاملاك وكذلك يدل قوله ضرب الله مثلا

اى لا تخافون

فانه لا مالك للعبيد

عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء لآية لما نفى عنه القدرة على شيء والله اعلم يكون تاويل قوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامايكم ان يكونوا فقراء يغنهم من فضله او يغنيهم الله من فضله بالمنافع لا بحقيقة ملك الاشياء والله اعلم
وقوله كذلك نفصل الآيات اى نبينها لقوم يعقلون اى لقوم ينتفعون بعقولهم والثانى قوله نفصل الآيات
اى نفرق واحدة بعد واحدة على ماذكر من اول السورة الى هذا الموضع من قوله ومن آياته كذا والتفصيل يخرج
على وجهين احدهما التبيين والثانى التفريق فى الذكر فصلت آياته بينت وفصلت فرقت واحدة بعد واحدة فان قال قايل
هذه الآيات التى ذكرت مايدل على ايجاب البعث قيل فى هذه التى ذكرت دفع الشبه التى لها انكروا البعث لانهم
راوا البعث ممتنعاً بالشبهة التى اعترضت لهم فى هذه الآيات دفع تلك الشبهة التى لها راوا البعث ممتنعاً حيث ارهم
بدا خلقهم وقيام السماء والارض بالذى ذكر ثم ايجاب البعث يكون بالاخبار الصادقة وهى اخبار الرسل الذين ظهر صدقهم
او بما ذكرنا ان خلق الخلق بلا عاقبة يجعل لهم للفناء خاصة خارج عن الحكمة لوجوه احدها ما ذكرنا ان بناء البناء
فى الشاهد للنقض والافناء خاصة بلا منفعة تتامل فى العاقبة سفه خارج عن الحكمة فعلى ذلك خلق الخلق للفناء
خاصة بلا عاقبة يكون خارج عن الحكمة والثانى انه لو لم يجعل البعث ودارا اخرى ليفرق بين العدو والولى فيها اذ قد سوى
بينهما فى هذه الدار وفى الحكمة ان يفترق ولا يستوى بينهما فلو لم يكن دار اخرى فيها يفرق بينهما لكان ذلك خارجا عن الحكمة
والثالث فى الحكمة ان يجزى المحسن لاحسانه فى اساءته وقد يكونان فى هذه الدنيا ويخرجان منها لا يصيب المحسن
جزاء احسانه ولا المسئ جزاء اساءته فلا بد من دار اخرى يجزى فيها كل بعمله وفيما ذكرنا ايجاب البعث والله اعلم وقوله
بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم يحتمل قوله الذين ظلموا اى ظلموا انفسهم حيث لم يستعملوها فيما امروا بالاستعمال فيه بل صرفوها
الى غير ما امروا بالاستعمال فيه او ظلموا حجج الله وآياته وبراهينه حيث لم يتبعوها ولم يضعوها موضعها حيث وضعت
وقوله اهواءهم فى عبادتهم الاصنام وصرفها عن الله الى من لا يستحق العبادة والشكر وذلك لهواهم لانه ليس معهم
حجة ولا برهان كقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اى حجة وبرهانا وقوله فمن يهدى من اضل الله
اى لا احد سوى الله يهدى من اضله الله اى من يؤثر الضلال واختاره اضله الله لا يهدى سواه وما لهم من ناصرين ينصرهم
فى دفع عذاب الله عن انفسهم او ما لهم من ناصرين اى من مانعين يمنعهم عن عذاب الله والله اعلم وقوله فاقم وجهك للدين
حنيفاً قال بعضهم هذا الخطاب لرسول الله لانه ذكر الآيات فيما تقدم حيث قال ومن آياته كذا وكذا ثم ذكر الذين
اتبعوا اهواءهم بغير علم ثم قال لرسول الله قم وجهك للدين حنيفا قال الشيخ رحمه الله وعندنا ان الخطاب به
وبمثله لكل احد كقوله قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد كانه يخاطب كل من انتهى اليه هذا ان قل الله احد ويا ايها الكافرون
تعلى ذلك قوله فاقم وجهك للدين حنيفا هو لكل احد ثم الاقامة يحتمل وجهين احدهما اقم اى دم جهدك وقصدك
والثانى قم اتمم واقم ماذكرنا للدين حنيفاً قال بعضهم الحنيف هو من حنف القدم وميله معناه كن مايلاً لله الدين
فى كل حال وكل وقت وقال بعضهم هو من الاخلاص والاسلام له وقوله فطرة الله فطر الناس عليها ثم فسر ذلك
فطرة الله التى فطر الناس عليها هذا يحتمل وجوها فطرة الله اى معرفة الله التى جبل الناس عليها اى يكون الله يجعل
فى كل صغير وطفل من المعرفة ما يعرف وحدانية ربه وربوبيته على ما جعل لهم من المعرفة ما فيه غذاؤهم وقوامهم من اخذ
ثدى امهاتهم فى حال وطفولته ولذلك يخرج قوله كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه على ما جعل فى الجبال
من معرفة التسبيح لربها والصبى لكن ابواه يشبهان ذلك عليه ويصرفانه والثانى فطرهم وجبلهم ما لو تركوا وعقولهم
لكانوا على ما جبلوا وفطروا اذا فطر كلا منهم وجعل فى خلقة كل دلالة وحدانية الله وربوبيته ما لو تركوا وخلى بينهم
وبين عقولهم لادركوا والثالث فطرهم على ما يحتملون الامتحان وقوله لا تبديل لخلق الله قال عامة اهل التاويل
لا تبديل لدين الله سماه خلقا وعلى قول المعتزلة له تبديل لانهم يقولون بان فعل العبد ليس بمخلوق ويحتالون
فى قوله لا تبديل لخلق الله اى لا تبديل لما به يقع الدعاء اليه وكلام نحو هذا فيقال لان الدين هو ما يدين المرء وهو فعله ما خوذ
من دان يدين ثم اخبر انه خلق الله فدل انه مخلوق وجايز ان يكون قوله لا تبديل لخلق الله اى لما فيه دلالة وحدانيته وشهادة ربوبيته

كقوله ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت اى لا تفاوت فيما فيه دلالة الوحدانية والشهادة والله اعلم وقوله ذلك
الدين القيم اخبر ان ذلك الدين القيم بالحجج والبراهين ليس كدين اولئك الكفرة اتباع الهوى او ان يكون الدين القيم
اى المستقيم على ما وصفه الله انه الدين الحنيف وقوله منيبين اليه هو صلة قوله فاقم وجهك للدين حنيفا كانه يقول
فاقم وجهك للدين حنيفا منيبين اليه فهذا يدل على ان الخطاب بقوله فاقم وجهك للكل حيث قال منيبين اليه اى اقبلوا
اليه وانيبوا اليه ثم الانابة تقع فيما يقع به الامر كانه يقول والله اعلم انيبوا الى الله بما يامركم به واتقوا عما نهاكم عنه والتقوى
من الانابة كهو من البر كقوله تعالى ان تبروا وتتقوا بما يامركم به وتتقوه عما نهاكم عنه وقوله واقيموا الصلوة هو يحتمل
وجوها اقيموا اى الزموا وداوموا فعلها الى آخر ما تنتهون اليه ليس على ان تقع الامر بها مرة واحدة والثانى اقيموا اى اتموها
بركوعها وسجودها والقراءة وغير ذلك والثالث اقيموا اى وفوا اقامتها باسبابها التى جعلت لها وفى الصلوة احوال ثلث
احدها الجواز والثانى التمام والكمال والثالث التزيين والتحسين ثم الجواز بحق الاركان والتمام بحق السنن والتزيين
بحق الحواشى ويجب على كل مصلى خصال ثلث صدق النية وحق الاخلاص له وحق الخشوع وقوله ولا تكونوا من المشركين
يحتمل اى لا تكونوا من المشركين غير الله فى الصلوة والعبادة اى لا تصلوا لغير الله ولا تعبدوا من دونه او لا تكونوا من المشركين
غير الله فى الصلوة والعبادة اى لا تصلوا لغير الله اى من دونه فى تسمية الالوهية والالهية كانهم كانوا
يسمون الاصنام التى تعبدونها آلهة او ان يكون صلة قوله منيبين اليه اى كونوا منيبين اليه موحدين مقبلين
على طاعته مخلصين ولا تكونوا من المشركين وقوله ولا تكونوا من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً قال بعضهم لا يكونوا
من المشركين ولا يكونوا من الذين فارقوا دينهم ثم قوله ولا تكونوا من الذين فارقوا دينهم وقرئ فرقوا فهو يحتمل وجهين
احدهما فارقوا دينهم الذى جاءتهم الرسل او فارقوا دينهم الذى فطروا عليه وهو ما جعل فيهم من شهادة التوحيد
والربوبية وقوله وكانوا شيعاً يحتمل صاروا شيعا اى فرقا واحزابا بعد ما كانوا على ما فطروا او على ما جاءتهم
الرسل او كانوا شيعا ما يشيع ويتبع بعضهم بعضا لان الشيعة هم الذين يرجعون الى اصل واحد وامر واحد والله اعلم
وقوله فرقوا دينهم اى قطعوا دينهم وجعلوه قطعا وفرقا واديانا من نحو اليهودية والمجوسية والنصرانية وغيرها كل حزب
بما لديهم فرحون يقول والله اعلم كل اهل دين ومتبع بما عندهم من الدين راضون به فرحون وجايز ان يكون قوله ولا تكونوا
من المشركين فى الذى فطرهم عليه وهو ما جعل فى خلقة كل واحد شهادة الوحدانية له والدلالة يقول لا تكونوا من المشركين
فى ذلك والله اعلم وقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه قال قايلون منيبين اليه مخلصين كقوله دعوا الله
مخلصين له الدين وقال قايلون مطيعين وقال قايلون موحدين واصل الانابة الرجوع اى راجعين اليه عما كانوا فيه من الشرك
فالانابة هى التوحيد وان كان الانابة الاخلاص فهو رجوع عن الاشراك فى العبادة وان كان عن العصيان فهو الطاعة
واصله الرجوع عما كانوا فيه ففيه وجوه من الاحتجاج على اولئك وتنبيه وعظة للمؤمنين اما الاحتجاج عليهم انه معلوم لانهم
كانوا لا يركبون السفن والبحار مع المؤمنين ولكن كانوا يركبون بانفسهم ثم اخبر عما اخلصوا لله والدعاء له والتضرع دل
انه بالله عرف ذلك فذلك يدل على رسالته والثانى فيه دلالة انهم قد عرفوا وحدانية الله والوهيته حيث فزعوا
عند الشدايد والبلايا الى الله واخلصوا له الدين ثبت انهم قد عرفوا سفه انفسهم فى عبادتهم الاصنام وتركهم عبادة الله تعالى
والثالث تصديقا لقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لانهم كانوا يسالون الرد الى الدنيا ليؤمنوا به كقولهم يا ليتنا
نرد ولا نكذب بآيات ربنا فاخبر انهم يعودون الى ما كانوا عادوا اذا كشف عنهم الضر واما العظة والتنبيه للمؤمنين
فهو ان يكونوا فى الاحوال كلها على حد واحد فى حال الرخاء والشدة ذاكرين له شاكرين لانهم فى حال الشدة والبلاء
اكثر ذكرا له وانابة من حال السعة والرخاء فنبههم ليكونوا فى كل حال ذاكرين له منيبين اليه راجعين وفيه دلالة
شدة سفههم وقلة شكرهم حيث انابوا اليه واخلصوا له الدين عند ما يصيبهم الشدة والبلاء ويعرضون عنه ويشركون
فى الوهيته عند السعة وفى طباع الخلق فى الشاهد خلاف ذلك ان من ضيق على اخوانه وشدده فهو يعرض عنه
ويبغضه ومن انعم عليه من ملوك الارض واحسن اطاعه واحبه فهم لشدة سفههم عكسوا طباعهم وخالفوا طباع الناس

جميعاً والله اعلم وقوله ثم اذا اذاقهم منه رحمة اى السعة والرخاء اذا فريق منهم وهم يشركون فان قيل ما فائدة
ذكر هذه الايات وامثالها وهم كانوا لا يؤمنون بها ولا ينظرون فيها قيل قد يحتج عليهم بما لا يقرون ولا ينظرون فيه
او ان ينظرون في ذلك فريق منهم ويعرفونه والله اعلم وقوله ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا اختلف فيه قال بعضهم
هو على التقديم والتأخير يقول اذا اذاقهم منه رحمة لئلا يكفروا وانما اذاقهم رحمة لئلا يكفروا ولكنهم كفروا هذا ذهب مقاتل
وعندنا ما ذكرنا اذا اذاقهم منه رحمة ليكون منهم ما قد علم انهم يختارون ويكون منهم وهو الكفر ولا يجوز ان يذيقهم الرحمة
لئلا يكفروا ويعلم منهم انهم يختارون الكفر ويكون منهم ذلك فدل انه ما ذكرنا ثم في الاية دلالة نقض قول المعتزلة
في قولهم ان على الله الاصلح للعباد لهم في الدين وقولهم اذا علم من احد منهم الايمان في وقت من الاوقات ليس له ان يخترمه
ان يخترمه ولكن عليه ان يبقيه الى ذلك الوقت لانه لو اخترمه قبل ذلك الوقت كان هو المانع ايمانه فيقال لهم ان اولئك
الكفرة لما اخلصوا دينهم لله في حال الشدة وخوف الهلاك لم يبقهم الله على ذلك الاخلاص والحال التي كانوا يخلصون
الاهل والدين بل وسع عليهم ونجاهم من تلك الحال حتى عادوا الى ما كانوا دل ان ليس على الله حفظ الاصلح للخلق في الدين
وقد امر نبيه بمقاتلة الكفرة مطلقا ولعلهم يسلمون في وقت لو تركوا او بعض منهم دل انه ليس ذلك عليه وقوله فتمتعوا
هو في الظاهر امر ولكنه يخرج على الوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقد ذكر في آية اخرى وليتمتعوا فهو ما ذكرنا والله اعلم
وقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون قال بعضهم ام انزلنا بل انزلنا عليهم سلطانا حججا فهو يتكلم
بما كانوا به يشركون اى يبين ويعلم لهم ان الذى هم عليه شرك ليس بتوحيد لانهم كانوا يقولون انا على التوحيد وانما نعبد
هذه الاصنام ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحوه فيقول بل انزلنا عليهم ما يبين لهم ويعلم ان ذلك
شرك وليس بتوحيد ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله ام انزلنا عليهم سلطانا اى ما انزلنا عليهم سلطانا فيأمرهم بما كانوا به
يشركون او ياذن لهم بذلك كقوله ام للانسان ما تمنى اى ليس للانسان ما تمنى فعلى ذلك قوله ام انزلنا عليهم سلطانا اى لم
لم ينزل عليهم سلطانا يأمرهم بما كانوا به يشركون او كانوا يدعون بذلك امر الله كقولهم والله امرنا بها ففيه وجهان على
الكفرة احدهما ما ذكرنا انهم كانوا يدعون بذلك الامر من الله فيخبر انهم كذبة في قولهم بان الله امرهم بذلك بل لم يأمرهم
بذلك ولا انزل عليهم الكتاب والسلطان في اباحة ذلك والثاني يذكر سفههم في عبادتهم الاصنام لانهم كانوا يعبدون
الاصنام ويسمونها آلهة بلا سلطان ولا حجة كانوا يطلبون على ذلك ثم كانوا يطلبون من الرسل آيات تقهرهم وتضطرهم
على رسالته وما يوعدهم بعد ما اتاهم من الاية ما اعلمهم وانباهم انه رسول فالعبادة اعظم واكبر للمعبود من الرسالة لله
فاذا لم تطلبوا لانفسكم الحجة والاية القاهرة في اباحة ما تعبدون من دون الله فكيف تطلبون من الرسول الاية القاهرة في اثبات
الرسالة وقال بعضهم ام انزلنا عليهم سلطانا كتابا فيه عذرهم فهو يشهد بما كانوا يشركون وقوله واذا اذقنا الناس رحمة
فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اذا اريد ان يسوى بين هذه الاية والاية التي قبلها وهو قوله
واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الى آخره ويجمع بينهما يكون قوله اذا هم يقنطون من الاصنام التي يعبدونها لا ينفع
في هذه الاية وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون وفي الاولى يقول واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين فوجه
الجمع بينهما ما ذكرنا ان يكون القنوط من الاصنام والله اعلم كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه او ان يكون قوله
اذا هم يقنطون عند ما اشتد بهم الضر والشدة حينئذ ييأسون من رحمة الله والاول في ابتداء ما اصابهم من الضر فزعوا اليه
وانابوا اليه او ان يكون احدى الايتين في قوم والاخرى في قوم آخرين لانهم كانوا فرقا واحزابا في الكفر والشرك منهم من كان
يشرك في الاحوال كلها في حال الضيق والسعة ومنهم من كان يشرك في حال الضيق ويؤمن في حال السعة كقوله واذا اذقنا الانسان
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور
وكقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ومنهم من كان يخلص الدين
في حال الضر والشدة ويعاند ويتمرد في حال السعة والرخاء كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون ونحوه فكانوا فرقا واحزابا على ما ذكرنا فجائز ان يكون احدى الايتين في فريق وقوم والاية الاخرى

في قوم

في قوم آخرين او ما ذكرنا من اختلاف الاحوال يقنطون عند ما اشتد بهم الضر والشدة وينيبون اليه عند ما لم يشتد بهم
ذلك ولم يتطاول او ما ذكرنا من القنوط من الاصنام والانابة الى الله كقوله ضل من تدعون الا اياه والا فالايتان في الظاهر
متناقضتان لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات
لقوم يؤمنون يحتمل قوله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون على الكافرين كقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه
ثم وجه الايات لهم على كفار مكة من وجوه في اثبات الرسالة وفي البعث وفي اظهار سفههم في عبادة الاصنام واشراكهم
اياها في عبادة الله لان اهل مكة كانوا ينكرون الرسالة والبعث ويرون عبادة غير الله فالاحتجاج عليهم بهذه الاية
على الوجوه التي ذكرنا فاما الاحتجاج في اثبات الرسالة فهو من وجوه ثلثة احدها انهم كانوا ينكرون الرسالة لانه بشر
ولا يرون للبشر بعضهم على بعض فضلا كقوله ما هذا الا بشر مثلكم فيريهم الفضل لبعضهم على بعض في الرزق موسعا
على بعض في الرزق مضيقا مقترا على بعض فاذ ثبت عندهم وظهر الفضل لبعض على بعض فيما ذكرنا يجوز الفضل لبعض
على بعض في الرسالة والثاني ذكر حقا بلا هوى لهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يخبر ان الامر
ليس اليهم انما ذلك الى الله يختار من يشاء لما يشاء من الرسالة والنبوة وغيرهما كما يختار التوسيع على من يشاء
والتضييق والتقتير على من يشاء وانهم كانوا جميعا يتمنون السعة ويحبونها ويهربون من الضيق والتقتير ولكن الامر
في ذلك الى الله كله والثالث وسع على بعض وضيق على بعض فالجهة التي وسع على بعض غير الجهة التي ضيق على بعض فلا بد
من رسول يخبر عن ذلك ويعلم ما على هذا وما على هذا وما جهة التفريق بينهم والتفضيل في الرزق والله اعلم واما الاحتجاج
عليهم في البعث فمن وجوه ايضا احدها انه جمع في هذه الدنيا بين الولي والعدو وسوى بينهما في التوسيع والتضييق
اذ وسع على العدو والولي جميعا وضيق على الولي ووسع على العدو وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما لا الجمع والتسوية وكذا
بينهما في هذه الدنيا وجمع فلا بد من دار اخرى فيها يفرق بينهما فيلزمهم البعث والله الموفق والثاني انه وسع الرزق على من هو
في تقديرهم وعقولهم لا يوجب التوسيع عليه وهو السفيه الجاهل الذى في تقدير كل ذي عقل ولب ان يكون محروما
مضيقا وضيق على من هو في تقدير كل احد وعقله ان يكون موسعا عليه مرزوقا وهو العاقل في جميع اسباب السعة
والغناء في التقدير على خلاف هذا فلا بد من مكان فيه يظهر التفضيل للعقول والمعارف والرغبة فيها والرغبة عن ضدها
ومن هو اهل التوسيع ومن هو اهل الحرمان اذ قد اشتركوا في هذه والثالث ان يعتبروا وينظروا بان من قدر على توسيع
الرزق وبسطه وتضييق الرزق وحرمانه بلا اسباب خارجة عن تقديرهم وتدبيرهم وبغير اسباب لقادر على احياء الاشياء
الخارجة عن تقدير قدرتهم وتدبيرهم والله اعلم واما وجه الاحتجاج عليهم بعبادتهم غير الله وفي ذلك تناقض وذلك انهم
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانت لا تشفع لهم ولا تقربهم الزلفى فيها في التوسيع
والبسط ودفع الضيق وفي الاخرى لا يحتمل لانهم كانوا لا يؤمنون بها فهو تناقض وسفه وسرف في القول وهذه الاية وغيرها من الايات
تنقض على المعتزلة لانهم لا يجعلون لله في مكاسب الخلق وحرفهم وتجاراتهم وجميع اسبابهم التي يرتزقون ويعيشون صنعا
وانما يجعلون ذلك في الخارج من الارض وغيرها فالناس في ذلك سواء لا يقع منه بسط في ذلك وتضييق اذ لم يكن له في تلك
الاسباب والمكاسب صنع فدل ان له في ذلك صنعا حتى يقع منه البسط والتوسيع والتضييق والتقتير والله اعلم وقوله
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا يكون للمؤمنين في ذلك آيات على الكفار والثاني لقوم
ينتفعون بايمانهم والمؤمنون هم المنتفعون بها فاما من كفر فلا ينتفع وجائز ان يكون في ذلك العبرة من وجه آخر لقوم يؤمنون
وهو ان لا يعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب التي يكتسبون بها ولكن يرون الرزق من الله انه يرزق باسباب وبغير اسباب
او يذكر هذا لهم على ان من رفع الحاجة الى آخر فلم يقضها ان يرى حرمانها وقضاها من الله لا من ذلك الرجل وقوله فآت ذا القربى
حقه يحتمل قوله حقه اى حاجته لا على حق كان له كقوله ما لنا في بناتك من حق اى من حاجة اذ معلوم انه لم يكن لهم في بناته
حق ولكن اراد بالحق الحاجة فعلى ذلك الاول وكذلك قوله والمسكين وابن السبيل اى سد المسكين حاجته ومسكنته
وكذلك ابن السبيل ويحتمل قوله فآت ذا القربى حقه الحق الذى كان لهم لكن لم يبين ذلك الحق في هذه الاية وبين في آية اخرى

يوجب العقول وما هو من اهل التوسيع صح

في الدنيا صح

لا يريد به حق كان لهم عليه كقوله ما لنا صح

كقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين وما ذكر
من المواريث قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الاية ونحو ذلك من الحقوق وحق المسكين وابن السبيل ما ذكر
من الصدقات والزكوة والله اعلم وقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله يحتمل قوله ذلك خير اى الايتاء للاقربين
والمساكين والفقراء خير من الابعدين والاغنياء وغيرهم او ان يكون قوله ذلك خير اى ذلك الايتاء اذا اريد به وجه الله
خير مما لا يراد به وقوله وابن السبيل اختلف فيه قال بعضهم هو المنقطع عن ماله يعان حتى يصل الى ماله وقيل الضيف
ينزل فيحسن اليه الى ان يرجع ويرتحل وجاز ان يكون قوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله اى اتى من ليست له
عنده نعمة فيكون ذلك مكافاة لتلك النعمة ولكن على ارادة توجيه الله والله اعلم واولئك هم المفلحون قد ذكرنا ان الفلاح
هو البقاء وقيل النجاة قال ابو عوسجة القيم المستقيم منيبين اليه اى تائبين يقنطون ييأسون وقوله وما اتيتم
من ربوا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله قال عامة اهل التاويل هذا في العطايا والهدايا التي يعطى بعضهم بعضا
ويهدون ليصيبوا اكثر مما اعطوا واهدوا مجازاة ومكافاة لذلك كانه يقول وما اوتيتم من عطية وهدية ليربو
في اموال الناس لتزدادوا من اموال الناس ولتلتمسوا الفضل من اموالهم يقولون هذا ربوا حلال لا وزر فيه ولا اجر
فهو مباح للناس عامة لا بأس به واما قوله ولا تمنن تستكثر فهو للنبي خاصة يقول لا تعط لتعطى اكثر منه ابتغاء
الثواب في الدنيا ولكن اعط ابتغاء ثواب الاخرة ويستدلون بإباحة ذلك بقوله فلا يربوا عند الله يقول لا يزداد ولا يتضاعف
ذلك عند الله ولم يقل اما قال في الربوا المحرم المحظور حيث قال يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ذكر المحق هنالك وههنا ذكر
فلا يربوا عند الله انه لا يزداد ولا يتضاعف لكن لو قيل انها في الربوا المحظور كان جائزا محتملا ويكون قوله فلا يربوا عند الله
كقوله فما ربحت تجارتهم انها اذا لم تربح خسرت الا ترى انه قال واولئك هم الخاسرون دل انها اذا لم تربح خسرت فعلى ذلك
قوله فلا يربوا عند الله اذا لم يترتب عنده محقته وخسروا والله اعلم لولا صرف اهل التاويل الى الهدايا والعطايا
التي يبتغى بها الثواب في الدنيا والمكافاة فيها اكثر مما اعطوا والا جاز صرفه الى الربوا المعروف بين الناس في العقود
وكذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الهدية يبتغى بها وجه الرسول وقضاء الحاجة
والصدقة يبتغى بها وجه الله والدار الاخرة ثم بين ما الذي يربو عند الله وهو ما قال وما اتيتم من زكوة تريدون
وجه الله ثم اختلف فيه قال هو ما يزكون من زكوة المال يريدون به وجه الله فهو الذي يقبله الله ويضاعف عليه
ومنهم من قال كل صدقة اعطاها اراد وجه الله لم يرد بها الثواب في الدنيا فهي التي تتضاعف وتزداد عند الله فاولئك هم
المضعفون وكان يجيء ان يقال فاولئك هم المضعفون بنصب العين لان هو يضاعف لهم لكن الزجاج يقول هو كما يقال
الموسر هو الذي له يسار والمقوي هو الذي له القوة ونحوه فعلى ذلك المضعف هو الذي له الضعف وعند نا هم
المضعفون لانهم هم الذين جعلوا الاحاد عشرات والاضعاف المضاعفة بتصدقهم ابتغاء وجه الله فهم المضعفون
لانفسهم ذلك ثم يجوز ان يستدل بهذه الاية على اباحة هذه المعاملات التي تجري فيما بين الناس لانه اجاز الهدية
والعطية على قصد الفضل والزيادة وان كان على شرط الزيادة لا يجوز فعلى ذلك المعاملة تجوز على قصد الزيادة والفضل
وان كان على شرط الزيادة لكن ابا حنيفة رحمه الله كره هذه المعاملات ولم يكره الهدية على قصد طلب الفضل لوجهين
احدهما ان ليس العرف في الناس في الهدايا اعطاء الفضل وان كان على قصد ولذلك طلب الفضل لا محالة بل يكافون
ثانيا ويكافون بعضا ويجزون بعضا فلا يكون واما المعاملة فلا يكون الا على قصد ذلك الفضل ولا يرضون منهم الا حفظ
المقصود فيها واهل العطايا والهدايا قد يرضون بالثناء الحسن والشكر لهم واهل المعاملة روي في بعض الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسدي اليه فليجازه والا فليشكر وليثن عليه وكلام نحو هذا والثاني ان اهل المعاملة
يشترطون قبل المعاملة الزيادة وان كانوا لا يشترطون في عقد المعاملة ولا كذلك اهل العطايا والهدايا بل يعرضون
تعريضا لذلك افترقا والله اعلم وقوله الله الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك ثم رزقكم وانتم تعلمون
ذلك ان الارزاق لكم غير ثم يميتكم وانتم تعلمون ان لا يملك احد غير ذلك فعلى ذلك يملك احياكم ولا يملك احد

ممن تعبدون

ممن تعبدون دونه من الاصنام ذلك فكيف تعبدون دونه وهو قوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
هذا يحتمل وجهين احدهما هؤلاء الذين تعبدون شركائكم فيما ذكر من الخلقة والرزق فكيف تعبدون وتتخذون
الهة دونه والثاني هل من شركائكم الذين اشركتموها في عبادة الله والوهيته تملك ما ذكر يقول لا يملك شيئا مما ذكر
على علم منكم انها لا تملك ذلك فيقول فكيف تشركونها في الوهيته ثم نزه نفسه وبرأه عن جميع العيوب التي وصفه
الملحدون فقال سبحانه وتعالى عما يشركون لا نه حرف سبحان حرف تنزيه عن جميع العيوب والتعالي هو وصف
وتبرئة عن ان يغلبه شيء او يقهره هو من العلو متعال عن ان يغلبه شيء او يقهره وقوله ظهر الفساد في البر والبحر
بما كسبت ايدي الناس هذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون قوله ظهر الفساد في البر والبحر وهو الشرك والكفر بما كسبت
ايدي الناس من الامور التي كانوا يتعاطون من قطع الطريق والسرق والظلم وانواع اعمال السوء التي يتعاطونها ذلك
هو سبب شركهم وكفرهم بالله وبذلك كان شركهم وكفرهم ذلك كان يغطي قلوبهم حتى لا تنجلي قلوبهم للايمان كقوله
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وكقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الاية ونحوه فان كان هذا فهو على حقيقة
تقديم الايدي والكسب والثاني ان يكون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس هو القحط وقلة الامطار والانزال
والضيق وقوله بما كسبت ايدي الناس هو شركهم وكفرهم وتعاطيهم ما لا يحل اي ذلك القحط والضيق وقلة الانزال
والشدايد لهم لشركهم وكفرهم واعمالهم التي اختاروها ويكون ذكر كسب الايدي على المجاز لا على الحقيقة ولكونها باليد تكتسب
وباليد تقدم ذكر اليد كقوله ذلك بما قدمت يداك ولعله لم يقدم شيئا لكنه ذكر انه ظهر هو الشرك والكفر بحقيقة كسب
الايدي من اعمال السوء التي ذكرنا ذلك كان يمنعهم عن الايمان وكشف الغطاء عن قلوبهم وفي التاويل الاخر الفساد الذي ظهر
هو القحط وقلة الامطار والانزال والضيق بما كسبت ايدي الناس هو الشرك والكفر وتعاطي ما لا يحل لا على حقيقة كسب
الايدي ولكن لما ذكرنا ثم اختلف في قوله في البر والبحر قال بعضهم البر هو المفازة التي لا ماء فيها والبحر القرى والامصار
وقال بعضهم اما البر فاهل العمود والبحر هم اهل القرى والريف وقال بعضهم البر قتل ابن ادم اخاه والبحر الذي كان
ياخذ كل سفينة غصبا وجايز ان يكون لا على حقيقة ارادة البر والبحر ولكن على ارادة الاحوال نفسها على ما ذكرنا من القحط
والضيق وقلة الانزال بما كسبت ايدي الناس من الشرك والكفر ليذيقهم بعض الذي عملوا وهو الشرك هذا اشبه واقرب
قال افسدهم الله في بر الارض وبحرها باعمالهم الخبيثة لعلهم قال يرجع من كان بعدهم ويتعظون بهم وقتادة يقول لعل
راجعا يرجع لعل تائبا يتوب لعل مستعتبا يعتب واصله لكي يلزمهم الرجوع والتوبة عما عملوا وينبههم عن ذلك كله
وقال بعضهم ظهر الفساد في البر والبحر اي اجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوب الناس قال ابو عوسجة الربوا من الربو
مثل ما يصنع اصحاب الربوا ليربوا اي ليزيد ويكثر يقال ربا ماله اذا كثر والقتبي يقول اي يزيدكم من اموال الناس
من زكوة وصدقة وقوله قل سيروا في الارض ولكن كانه يقول لو سرتم في الارض نظرتم لرايتم اثار عاقبة من كان قبلكم
من المشركين وهكذا في الرسل وما حل بهم فينبهكم ويمنعكم عن تكذيب الرسل والشرك بالله وان يكون هو على الامر بالفكر
والنظر والاعتبار كانه يقول تفكروا واعتبروا فيما سرتم في الارض وانظروا الى ماذا صار عاقبة مكذبي الرسل من قبل
فينزل بكم بالتكذيب ما نزل بهم ولذلك والله اعلم وقوله فاقم وجهك للدين القيم قد ذكرنا فيما تقدم في قوله فاقم وجهك
للدين حنيفا وقوله من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله قال بعض اهل التاويل لا يقدر احد على رد ذلك اليوم منه
ثم يخرج على وجهين احدهما لا مرد له من الله اي لا يردون من ذلك اليوم الى ابتداء المحنة كقولهم يا ليتنا نرد الاية وقولهم
فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ثم اخبر عنهم فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فعلى ذلك يجاب ان يكون قوله
لا مرد له من الله اي لا يردون الى ما يسالون من الرد والثاني لا مرد له من الله اي لا اقالة لهم من الله ولا عفو ولا توبة اذا اتاهم
ذلك اليوم كقوله لا ينفع نفسا ايمانها الاية وقوله يومئذ يصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون هو يوم الافتراق ويوم الجمع ويوم الفصل على اختلاف الاحوال والاوقات والله اعلم وقوله من كفر
فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي من كفر فعليه جزاء كفره وعليه ضرر كفره ومن امن وعمل صالحا

الذين غلبه كردت

لان هذه الافعال مما يباشر بالايد

الريف الخصب والسعة

فله ثوابا بايمانه وله منفعة عمله لانه عز وجل انما امتحنهم بانواع ما امتحن لمنافع انفسهم ولحاجتهم لا للحاجة او للمنفعة له
وكذلك قوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية وهو ما ذكرنا انه انما امرهم
ونهاهم وامتحنهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم لا لحاجة او منفعة لنفسه لذلك كان ما ذكروا والله الموفق وقوله يمهدون قال بعضهم
يفترشون وقال ابو عوسجة والقتبي لانفسهم يعلون ويوطئون وهو من المهاد والمهاد في الاصل الفراش وقوله ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات من فضله هذا يدل ان الثواب والجزاء سبيل وجوبه الفضل في الحكمة لما سبق من الله اليهم نعم
ما لم يتهيا لهم القيام بشكر واحدة منها فضلا ان تقوموا للكل فاذا كان كذلك صار الثواب والجزاء وجوبه الفضل لا الاستحقاق
ولا الاستيجاب واما العقوبات فوجوبها الاستحقاق اذ في الحكمة وجوبها لذلك فترقا وجايز ان يكون قوله ليجزي الذين
امنوا اي يجزيهم في الاخرة بالخيرات التي عملوها في الدنيا وذلك من فضله بما نالوا ذلك وبفضله والله اعلم وقوله ومن اياته
ان يرسل الرياح مبشرات ان في الرياح ايات في نفسها وفيها بشارات اما الايات هي ايات سلطانه وتدبيره من وجوه
انه انشا هذه الرياح في الهواء وفي الارض وعلى وجه الارض وفي الجبال وفي السماء تصيب الخلايق وتمسهم وتوذيهم وتضرهم
وتفزعهم من غير ان يروها او يقع عليها البصر ومن غير ان يدركوها او يدركوا كيفيتها او ماهيتها ليعلم ان من الاجسام
ما هو غير مدرك ولا اخذ البصر عليها وترى منها طيبة لينة وخبيثة وشديدة كاسرة عاصفة تعذب بها قوم وينصر بها
قوم على ما ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ومن بشاراتها ما تلقح
الاشجار والنخيل وتشق الارض وتنبت النبات منها وتجمع السحاب وتاتي بالمطر وتجري بهم السفن والفلك في البحار
في الماء الراكد ومن مثله لا تجري السفن والفلك لولا الريح فذلك كله من البشارة وانواع المنافع لجعلها يعلم كله بالاملاء
والاثار انها نافعة او ضارة مهلكة ثم سماها مبشرات ليعلم ان البشارة قد يكون بدون النطق والكلام من نحو الكتاب
والاشارة او الرسالة اذ ليس للريح نطق ولا كلام ثم سماها مبشرة والله اعلم وقوله وليذيقكم من رحمته هذا يدل ان هذه
البشارة والمنافع التي جعل لهم كان منه رحمة وفضلا لا استيجابا ولا استحقاقا وسمى ذلك كله رحمة لانه برحمته يكون
والله اعلم وقوله ولتجري الفلك بامره قوله بامره يحتمل بتدبيره اي بتدبيره تجري السفن في البحار على ما ذكرنا او تريد
بامر تكوينه كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وكقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله
ولتبتغوا من فضله هذا يدل ان ما يصل اليهم من المنافع انما يصل من فضله ورحمته لا يصل اليهم بتلك الاسباب
والمكاسب ليلا يروا ذلك من تلك الاسباب ولكن يرون ذلك من فضل الله ورحمته وقوله ولعلكم تشكرون اي لكي يلزمهم
الشكر لله في ذلك كله والله اعلم وقوله ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا
في هذه الاية تصبير رسول الله على اذى الكفرة حيث قال ارسلنا رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات وفيه ايضا بشارة للمؤمنين
ونذارة لاولئك الكفرة اما النذارة لهم بقوله فانتقمنا من الذين اجرموا اخبر ان اولئك لما كذبوا الرسل وعاملوهم بما عاملو
انتم يا اهل مكة رسول الله فانتقمنا منهم جزاء معاملتهم فعلى ذلك ينتقم منكم كما انتقم من اولئك واما البشارة للمؤمنين فقوله
وكان حقا علينا نصر المؤمنين اخبر ان عاقبة الامور تكون للمؤمنين وفيه ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا من البشر فكيف
تنكرون رسالة محمد اذ كان من البشر وفيه قد اتى محمد قومه بالبينات كما اتى اولئك الرسل قومهم بالبينات وقوله وكان
حقا علينا نصر المؤمنين هذا يخرج على وجهين احدهما اي كان حقا علينا جعل العاقبة للمؤمنين لان لا يكون عليه حقا
نصر المؤمنين في الدنيا ولكن جعل العاقبة للمؤمنين حقا كقوله والعاقبة للمتقين والثاني كان حقا علينا نصر المؤمنين بالحجج
التي اعطاهم اي كان حقا اعطاء الحجج لهم والنصر والمعونة بالحجج اي اعطاء الحجج لهم وقال بعضهم اياهم انه انجاهم مع الرسل
واهلك اولئك والله اعلم وقوله الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا
كانه يخبر عن قدرته وسلطانه حيث انشا الرياح بحيث تجمع السحاب ويفرق ويبسطه ويجعله قطعا يمطر في مكان ولا يمطر
في مكان يقول والله اعلم ان من قدر ان يسلط الرياح في جمع السحاب وتفريقه تملك تسليط الرياح على تعذيبكم او يغوث
ان المعبود المستحق للعبادة هو الذي يرسل الرياح لما ذكر والامطار لا الاصنام التي تعبدون اذ تعلمون انها لا تملك شيئا

مما ذكروا ويذكرون نعمه التي عليهم ليتادى بها شكرها او يطمعهم ايمان بعض منهم بعد ما كانوا آيسين من ايمانهم
كما اطعمهم المطر والسعة بعد ما قحطوا وكانوا آيسين عنده الا ترى انه قال فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم
يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين قال ابو عوسجة فتثير سحابا اي ترفعه وقال ابو عبيد
تجمعه كما يستبشر الرجل العلم فيجمعه وقوله ويجعله كسفا قال بعضهم قطعا وقال بعضهم يضم بعضه الى بعض ويحمل بعضه
على بعض وقوله فترى الودق يخرج من خلاله اي المطر يخرج من خلال السحاب اي من بين السحاب وتراه من خلله ومعناه نقبه وقوله
لمبلسين آيسين والابلاس الاياس ولذلك سمي ابليس ابليس لانه اويس عن رحمة الله وقوله فانظر الى آثار رحمة الله يحتمل
ان يكون قوله الى آثار رحمة الله اي المطر اراد بالرحمة المطر سمى المطر رحمة لانه يكون برحمة او ان يكون الاثار هو المطر نفسه
جعله من آثار رحمته واعلامه ثم الامر بالنظر والاعتبار باثار رحمته يحتمل وجوها احدها امرهم بالنظر الى ذلك ليعلموا
انه رحيم كي يرغبوا فيما رغبهم ويرجوا فيما اطمعهم ودعاهم اليه اذ قد ظهر آثار رحمته فكل رحيم يرغب فيما رغب واطمع
او ان يكون الامر بالنظر الى اثار رحمة الله اذ ذلك راجع الى منافع ابدانهم وانفسهم وما به قوامهم ليتادى بذلك شكرها
وفي ذلك يقع الحاجة التي يعرفهم تلك النعم ويعرف شكرها فيكون في ذلك الترغيب في قبول الرسالة واثباته او ان يكون
سمى المطر رحمة لما يرجع ذلك الى منافع ابدانهم وما به قوام انفسهم ليعرفوا الرحمة التي هي راجعة الى منافع دينهم وتخبرهم
وهو رسول الله اذ سماه في غير موضع رحمة بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ان يامر بالنظر الى ذلك المطر وانه
كيف يحيي هذه الارضين الموات وينبت فيها من الوان النبات وهذه الاشجار اليابسة كيف تخضر بعد يبوستها بهذه الامطار
ليعرفوا ان ملك هذا وقدر على ذلك وهو خارج عن وسعهم وتقديرهم لقادر على احياء الموتى وبعثهم بعد الممات اذ كان
خارجا عن تقديرهم ووسعهم وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء وقوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا يعني به الزرع والنبات
الذي اخرج من الارض بالمطر قال بعضهم راوه يابسا اذا اصابته الريح الباردة لظلوا من بعده يكفرون اي لاقاموا على كفرهم
اذا اصابهم ما ذكر وهو كقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون فعلى ذلك
قوله لظلوا من بعده يكفرون اي يقنطون من رحمته والله اعلم وقوله فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين جايز ان يكون لا تسمع الموتى يريد بالموتى انفسهم ولا تسمع الصم الدعاء الصم انفسهم ايضا وقوله ولا تسمع الكفار
والضلال اذا ولوا مدبرين او ان يكون قوله لا تسمع الموتى كناية عن الكفار وكذلك الصم والعمي وقد سمى الله الكفار موتى
وصما وعميا في غير موضع من القرآن ثم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين حكمة وهو ان لا يقدر ان يسمع الصم
الدعاء اذا ولى مدبرا ولكن يقدر ان يفهم الاصم الدعاء اذا اقبل واما اذا ادبر فلا يقدر ان يسمعه وكذلك الحكمة
في قوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم اي لا تقدر ان تهدي العمي عن ضلالتهم وهو الذي يعمى عن ضلالته ويظن انه
على الهدى وغيره على الضلال فاما من كان مقرا بالضلال فانك تقدر ان تهديه يخبر عن شدة سفههم وتعنتهم
وعماهم في ضلالتهم والله اعلم وقوله ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اي ما تسمع الا من يؤمن باياتنا هذا يدل على ان قوله
فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم هي المواعظ لا نفس الهدى حيث قال
ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون ثم يحتمل قوله ان تسمع الا من يؤمن باياتنا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر اي انما تنفع
بانذارك من اتبع الهدى او ان الذي يقبل النذارة من اتبع الهدى فاما من لم يتبع الهدى فلا ينتفع فعلى ذلك يحتمل قوله
ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اي ما ينتفع او لا تسمع المواعظ الا من يؤمن بذلك والله اعلم وقوله الله الذي خلقكم من ضعف
ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة هذا يحتمل وجهين احدهما قوله خلقكم من ضعف
اي من النطفة وهو ما قال في اية اخرى الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف ثم قوله ثم جعل من بعد ضعف قوة اي انسانا
يقوى على امور وعلى اشياء ثم جعل من بعد قوة ضعفا اي شيخا فانيا كقوله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم
شيئا وجايز ان يكون قوله خلقكم من ضعف اي طفلا لا على الخلقة التي انتم عليها اليوم ضعفا لا تقوون على اشياء وامور
ولا يقوى شيء منكم على شيء ثم جعل من بعد ذلك الضعف اقويا تقوون على اشياء وامور ثم جعل من بعد تلك القوة والقدرة

ضعفا شيوخا لا يقدرون على شئ على ما يكون يحتمل هذين الوجهين ثم فيه وجهان من الدلالة احدهما على البعث والثانى
على القدرة على انشاء الخلق والاشياء لا من اصول اما الدلالة على البعث لانهم كانوا ينكرون البعث وانشاء الشئ لا من اصل
لخروج ذلك عن قواهم وتقديرهم فيخبر ان النطفة تصير علقة وليس فيها من العلقة ولا من آثارها شئ وكذلك العلقة
تصير مضغة وليس فيها من آثار المضغة شئ وكذلك المضغة تصير انسانا فيه عظم وجلد وشعر ولحم وليس شئ من ذلك
فيها من قدر على ما ذكر لقادر على خلق الشئ لا من اصل وقادر على البعث اذ كل ما ذكر اقرب وهو خارج عن قواهم وعن تقديرهم
فلزمهم الاقرار بالبعث وانشاءهم لا من اصل وان لا يقدروا قدرتهم وقواهم بقدرة الله وقوته على ما شاهدوا اشياء
خارجة عن قولهم وعن تقديرهم بقوة الله وقدرته والثانى ان ما ذكر من تحويل النطفة الى العلقة والعلقة الى المضغة
والمضغة الى الصورة والانسان لم يحولهم ولم ينقلهم ليكون كما ذكر بلا عاقبة يكون لهم ولا بعث فلو لم يكن بعث لكان
ما ذكر من تحويلها من حال الى حال عبثا باطلا على ما ذكر وكذلك فيما احدث فى الاطفال من القوة والقدرة بعد ما كانوا ضعفاء لا يقوون
ولا يقدرون على شئ انه انما احدث ذلك فيهم ليمتحنوا ويجعلهم يثابون ويعاقبون اذ لو لم يكن بعث ولا عاقبة لكان فعل
ذلك عبثا باطلا وفيه القدرة على انشاء الشئ واحداثه لا من شئ اذ كان التركيب موجودا على التمام ولا قوة بهم ثم حدث
القوة ولا اصل لها ولا اثر من آثارها دل ان تقدير قوى الخلق وقدرتهم بقوى الله وقدرته محال والله الموفق وقوله
يخلق ما يشاء وهو العليم القدير باحوالهم والقدير على انشاء الاشياء لا من اشياء وعلى البعث بعد الموت والله اعلم
وقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة قال بعض اهل التاويل اقسم المجرمون انهم لم يلبثوا
فى قبورهم غير ساعة وكذلك يقولون فى قوله كم لبثتم فى الارض عدد سنين وقالوا لبثنا يوما او بعض يوم الآية لكن لا يشبه
ان يكون قوله يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة الدنيا فى الجنة لا فى القبور استقصروا مقامهم فى الدنيا تكذيبا لما ادعى
عليهم من الزلل والمعاصى وانواع الكفر يقولون انا لبثنا فى الدنيا وقتا لا يكون منا فى مثل ذلك الوقت وقدر تلك المدة
الزلل والمعاصى الا ترى انهم قد كذبوا انه الكارم طول المقام فيها حيث قال كذلك كانوا يوفكون اى كذلك كانوا يكذبون
فى الدنيا ان لا بعث ولا رجوع بعد الموت ولا حساب ولولا هذا التكذيب لهم على اثر قولهم ما لبثوا غير ساعة والا كان
الظاهر انهم قد استقصروا المقام فى الدنيا لطول المقام فى الآخرة وشدة العذاب فى ذلك وهوله لكنه والله اعلم ما ذكرنا انهم
يقسمون انهم ما لبثوا غير ساعة فى الدنيا انكارا او جحودا لما ادعى عليهم من الزلل والمعاصى يقولون انا لم نلبث فى الدنيا
الا ساعة كيف عملنا فيها هذه الزلل وانواع الشرك والكفر فاخبر انهم كذلك كانوا يوفكون اى كذلك كانوا يكذبون فى الدنيا
ويقسمون حيث قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فذلك القسم منهم انهم ما لبثوا غير ساعة كذب وانكار
للمقام كما كذبوا وانكروا الشرك حيث قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقوله وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله
الى يوم البعث اختلف فيه قال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه يقول قال الذين اوتوا العلم فى كتاب الله اى اوتوا العلم
بكتاب الله والايمان به لقد لبثتم الى يوم البعث فهذا يوم البعث وقال بعضهم قال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى علم الله
فى الدنيا الى يوم البعث فهذا يوم البعث وبعضهم يقول وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فيما كتب الله لكم من الآجال
الى انقضاء آجالكم ووقتها وقوله فهذا يوم البعث الذى كنتم تنكرونه وتكذبونه ولكنكم كنتم لا تعلمون هذا يخرج على وجهين
احدهما على حقيقة نفى العلم عنهم لكنهم لا يعذرون لجهلهم بذلك لما اعطوا اسباب العلم لو تفكروا وتاملوا
لعلموا والثانى على نفى الانتفاع بعلمهم على ما نفى عنهم حواس كانت لهم لما لم ينتفعوا بها فعلى ذلك جائز نفى العلم عنهم بذلك
لما لم ينتفعوا بما علموا والله اعلم وقوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ليس على ان يكون لهم عذر فلا ينفعهم
ولكن لا عذر لهم البتة او ان يكون معذرتهم فلا ينفعهم ذلك لانهم كذبة فى ذلك وقوله ولاهم يستعتبون الاستعتاب
هو الاسترجاع عما كانوا فيه فهم لا يطلب منهم الرجوع عما كانوا عليه فى ذلك الوقت والعتاب فى الشاهد انه يعاتب
ليترك ما هو عليه ويرجع عما كان منه فيما مضى وذلك لا ينفع للكفرة فى ذلك اليوم والله اعلم وقوله ولئن ارسلنا
ريحا فراوه مصفرا اى راوا ذلك الزرع والنبات مصفرا اى يابسا لما اصابه من الريح والبرد لظلوا من بعده قيل لاقاموا

وقيل اصاروا

من الشرك وانواع المعاصى
نسخه

وقيل اصادوا وقيل ظلوا وكله يرجع الى معنى واحد وهو ما تقدم ذكره من القنوط اى يقنطون وييأسون من رحمته
ويكفرون رب هذه النعم وفى حرف ابن مسعود انك لا تسمع الموتى انك لا تبعث الموتى وقوله ولقد ضربنا
للناس فى هذا القرآن من كل مثل جائز ان يكون ما ذكر من ضرب المثل للكفار خاصة يقول قد بينا لهم ما يعظهم
ويزجرهم عما هم فيه ويدعوهم الى الايمان والتوحيد لكنهم اعتقدوا العناد والمكابرة وقوله ولئن جئتهم باية
اى لو جئتهم بالآيات التى سالوك ايضا فلا يصدقونك ولا يقبلوا الهدى ويقولون ما ذكر ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون
ويشبه ان يكون ما ذكر من ضرب المثل للفريقين جميعا للمومن والكافر ويكون التاويل والله اعلم ولقد ضربنا
وبينا للناس لافعالهم واحوالهم من القبيح والحسن مثلا وشبها ما يعرفون به قبح كل قبيح وحسن كل حسن
وما بين لهم الحق من الباطل والعدل من الجور لان اولئك الكفرة لم يعتبروا ولم يتاملوا ثم رجع الى وصف اولئك الكفرة
فقال ولئن جئتهم باية اى بزيادة فى البيان والوضوح ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون والله اعلم وقوله
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون قد ذكرنا فى غير موضع ان قوله لا يعلمون يخرج على وجهين احدهما لم يعلموا
لما لم يتاملوا ولم ينظروا فى اسباب العلم لكى يعلموا ولا عذر لهم فى جهلهم فذلك لما اعطوا اسباب العلم لكنهم
لم يستعملوها فلهم جاء ذلك فلم يعذروا والثانى نفى عنهم العلم على وجود العلم لهم وكونه لما لم ينتفعوا بما علموا
على ما ذكرنا من نفى الحواس عنهم مع وجودها وكونها لهم تلك الحواس لما لم ينتفعوا بها ولم يستعملوها فيما جعلت تلك
وانشئت لها فعلى ذلك العلم والله اعلم وقوله فاصبر ان وعد الله حق قال بعضهم فاصبر على تكذيبهم اياك
بالعذاب الذى وعدت لهم ان وعد الله حق فى العذاب انه نازل بهم وجائز ان يكون قوله فاصبر اى اصبر على اذاهم
الذى يوذونك ان وعد الله حق فى النصر والمعونة وقوله ولا يستخفنك الذين لا يوقنون كانه يقول لا يحملنك
اذاهم اياك حتى تدعو عليهم بالعذاب والهلاك وقال بعضهم لا يستخفنك اى لا يستفزنك ويقول لا يستجهلنك
واصله ما ذكرنا ان لا يحملنك اولئك الكفرة على الخفة والعجلة والجهل حتى تدعو عليهم بانزال
العذاب والهلاك لهم وهو والله اعلم كانه من الاستخفاف

سورة لقمان مكية وآيها ثلثون وثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم قد ذكرنا تاويله فى غير موضع فيما تقدم وما ذكروا فيه وقوله تلك آيات قال بعضهم تلك
اشارة الى ما بشر بها الرسل المتقدمة اقوامهم من بشارات يقول تلك البشارة هى آيات الكتاب اى هذا القرآن وقال بعضهم
تلك آيات التى فى السماء هذا الكتاب ومنهم من قال تلك آيات التى انزلت متفرقة فجمعت فصارت قرآنا والله اعلم
وقوله الكتاب الحكيم سمى الكتاب حكيما كريما مجيدا ونحوه فيحتمل تسميته حكيما وجوها احدها لاحكامه واتقانه اى محكم
متقن لا يبدل ولا يغير وهو كما وصف عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية والثانى سماه حكيما لما
لا يمن تمسك به وعمل بما فيه يصير حكيما مجيدا كريما والثالث سماه حكيما لانه منزل من عند حكيم كقوله تنزيل من حكيم حميد
وقوله هدى ورحمة للمحسنين قوله هدى اى بيانا للمحسنين توفيقا وعصمة ومعونة للمحسنين وكذلك هو رحمة لهم
فى دفع العذاب عنهم واما ما يقول اهل التاويل هدى اى بيانا للمحسنين فهو بيان للكل ليس لبعض دون بعض فلا يحتمل
الهدى البيان فى هذا الموضع ولكن ما ذكرنا من المعونة والتوفيق والعصمة والمحسن ههنا جائز ان يكون المومن كقوله ان فى ذلك
لآيات لكل صبار شكور الصبار هو المومن والشكور هو المومن سمى المومن صبارا مرة وشكورا مرة ومحسنا مرة لانه يعتقد
بالايمان كل ما ذكر من الصبر والشكر والاحسان وكل خير والله اعلم وقوله الذين يقيمون الصلوة الآية قد ذكرنا تاويله
فيما تقدم فى غير موضع وقوله اولئك على هدى من ربهم تاويل الهدى ما ذكرنا فى هذا الموضع من التوفيق والعصمة
والمعونة واولئك هم المفلحون قد ذكرناه ايضا وقوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم

لكن هذا الكتاب هو بيان للكل ليس
لبعض دون بعض وتخصيص المحسنين
بالذكر وهو بيان للمحسن والمسئ
والكافر والمسلم دل ان المراد
من الهدى فى هذا الموضع هو المعونة
والتوفيق والعصمة اذ المختص هو المسلم
والمحسن والله اعلم ثم قوله
للمحسنين يحتمل ان يكون المحسن
ههنا هو المومن
شرح

اختلف في قوله من يشتري لهو الحديث قال بعضهم ليس على حقيقة الاشترا نفسه ولكن على الايثار والاختيار
لان الاشترا هو مبادلة اخذ واعطا ولكن اثروا واختاروا واثروا الضلال مع قبحه منهم على الهدى مع حسنه
فعلى ذلك اثروا لهو الحديث واختاروه على الحق وحكمة الحديث واختاروا الفاني على الباقي فسماه شرا لذلك وقال بعضهم
هو على حقيقة الاشترا لكنهم اختلفوا فيه فمنهم من يقول انه على اشترا المغنية والمغني كانوا يشترون ليلهوا بهم ويلعبوا
ومنهم من قال كان يشتري ويكتب من لهو الحديث وباطله من حديث الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم
باحاديث عاد وثمود وانا احدثكم باحاديث فارس والروم فذلك اشتراؤه لهو الحديث واضلاله الناس عن سبيل الله
فاعرضوا عن القرآن والايمان بمحمد ويتخذها هزوا وكان اذا سمع شيئا من القرآن اتخذها هزوا هكذا عادة الكفرة واهل النفاق
كانوا يستهزؤن بالقرآن وبرسول الله واصحابه ثم اوعدهم الوعيد الشديد حيث قال اولئك لهم عذاب مهين وابن مسعود
وابن عباس رضي الله عنهما يقولان في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث هو شرا المغنيات والغناء وقد روي مرفوعا
روي عن ابي القاسم عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تبتغوا المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير
في التجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثله انزلت هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية فان ثبت هذا
فهو تفسير لهو الحديث الذي ذكر في الاية **وقوله** واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اي اعرض متعظما متجبرا
كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا يحتمل قوله كان لم يسمعها وكان في اذنيه وقرا على التقرير ويحتمل على نفي الحقيقة فان كان
على التقرير فهو على ترك الاستماع وان كان على حقيقة النفي فقد ذكر في كثير من الاي ذلك في قوله صم بكم عمي وذلك
يحتمل وجهين والله اعلم ثم اوعده العذاب الشديد حيث قال فبشره بعذاب اليم **وقوله** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
قوله امنوا بجميع ما امروا بالايمان به وعملوا الصالحات بما تعبد وامن العمل بالطاعات والصالحات لهم جنات النعيم كل الجنات
التي وعد للمؤمنين نعيم يتنعمون فيها خالدين فيها وعد الله حقا اي ما وعد للمؤمنين من الجنات النعيم هو حق كاين
لا محالة وهو العزيز الحكيم **وقوله** خلق السموات بغير عمد ترونها قال بعضهم خلق السموات بغير عمد لا ترونها
وقيل لها عمد لكن لا ترونها وقال بعضهم خلقها بلا عمد لكن لا اعجوبة فيما خلقها بعمد لا ترونها ليست بدون الاعجوبة
في خلقها بلا عمد لان رفع مثلها بعمد لا ترى اعظم في اللطف والقدرة من رفعها بلا عمد اذ العمد لو كانت مقدار الريشة
او الشعرة ترى رفعها مع ثقلها وغلظها وعظمها على عمد لا ترى هو الطف من ذلك واعظم في الاعجوبة فما ذكرنا فانهما
كان فيه دلالة ان لا يجوز تقدير قوى الخلق بقوى الله تعالى بقدرته ولا سلطانه بالخلق وسلطانه بل هو القادر
على الاشياء كلها بما شاء وكيف شاء لا يعجزه شيء **وقوله** والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقال في اية اخرى وجعل
فيها رواسي والرواسي هي الثوابت اي اثبت الارض بالجبال كقوله والجبال ارساها اي اثبتها **وقوله** ان تميد بكم اي لا تميد بكم
ذكر الميد وهو الميل والاضطراب وليس من طبع الارض الميل والاضطراب انما طبعها التسرب والتسفل والانحدار فلا ندري
ان كيف حالها في الابتداء وما في سرتها ما يحملها على الاضطراب والميد حتى اثبتها وارساها بالجبال والله اعلم **وقوله**
وبث فيها من كل دابة قال بعضهم بث خلق وقيل بث فرق وفيه انه جعل الارض مكانا ومعدنا لكل انواع الدواب
المتجي والمميز وغير المميز والسماء لم يجعل الا لنوع من الخلق اهل العبادة **وقوله** وانزلنا من السماء ماء فانبتنا
فيها من كل زوج كريم اي انبتنا فيها من كل لون يتلذذ به الناظر اليه كريم ينال منه كل ما اراده وتمناه اذ الكريم
هو ما يطمع منه نيل كل ما عنده واريد منه وقال بعضهم الكريم الحسن اي انبتنا فيها من كل لون حسن ما يستحسنه الناظر
ويتلذذ به على ما ذكر في اية اخرى من كل زوج بهيج ما يبهج ويسر به كل ناظر اليه والله اعلم **وقوله** هذا خلق الله يقول ما ذكر
من خلق السموات والارض وما بث من الدواب وما انبت من كل زوج كريم **قوله** فاروني ماذا خلق الذين من دونه يذكر
سفههم يقول لكم تعلمون ان ما ذكر من السموات والارض وجميع ما فيهما هو كله خلق الله وانه خالق ذلك كله وان الاصنام
التي تعبدونها من دونه لم تخلق شيئا من ذلك ولا تملك خلق شيء فكيف تعبدونها من دونه وسميتموها الهة وصرفتم
العبادة والالوهية من الذي هو خالقكم وخالق السموات والارض وما فيهما وانما استحق الالوهية والربوبية لخلقه

اضاف الجنات الى النعيم فان النعيم ضد البوس والجنات موضع التنعم يتنعمون فيها شرح

وقوله ترونها فالهاء كناية عن السموات اي ترون السموات بلا عمد ثم الاعجوبة في خلقها بعمد لا ترونها شرح

625

ما ذكر فالاصنام فاذ لم يكن منها خلق فكيف سميتموها الهة وعبدتموها دون الله هذا والله اعلم تاويل قوله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه اي لم يخلق يخبر عن سفههم وقلة معرفتهم وسرفهم في القول والفعل والله اعلم **وقوله**
بل الظالمون في ضلال مبين يحتمل الظالمون وجوها احدها ظلموا انفسهم حيث وضعوها في غير موضعها الذي
امرهم الله ان يضعوها وهو وضعهم اياها في عبادة الاصنام او ظالمي حدود الله الذي حد لهم لم يحفظوها
على تلك الحدود بل جاوزوها او تمام ظلمة لما ظلموا نعم الله ولم يشكروها والله اعلم **وقوله** في ضلال مبين اي في حيرة
بينة او هلاك بين **وقوله** ولقد اتينا لقمان الحكمة قال بعضهم الحكمة هي الاصابة في القول والفعل من غير نبوة
وقال بعضهم اعطي الفهم واللب وقيل الفهم والفقه في الدين وقيل العلم كانه يقول اعطيناه العلم والفهم
بالكتب المتقدمة والفقه هو معرفة الشيء بنظيره الدال على غيره او معرفة ما غاب بما شهد او معرفة الخفي الباطن بالظاهر
ونحوه والفلاسفة يقولون الحكمة هي المعرفة مع العمل والحكيم هو الذي له المعرفة والعلم والعمل جميعا فحينئذ يسمى حكيما **وقوله**
ان اشكر لله كانه قال ولقد اتينا لقمان الحكمة والحكمة يحتمل الوجوه التي ذكرنا وقلنا له ان اشكر لله فيما اعطاك من الحكمة
وغير ذلك من النعم وهذا يدل ان لله فيما يكتسب المرء من الحكمة والعلم صنعا اذ لو لم يكن له في ذلك لم يكن لقوله اتينا
معنى اذ هو فعل العبد وكسبه الا ترى انه امره ان يشكر له على ذلك ولو لم يكن له صنع في ذلك لكان لا يامر بالشكر له
على ما لا صنع له فيه اذ يخرج ذلك مخرج طلب الحمد والشكر على ما لم يفعل وقد ذم من احب ان يحمد بما لم يفعل فلا يحتمل
ان يامر هو بالحمد والشكر على ما لم يفعل ولا صنع له في ذلك دل ان له فيه صنعا وهو ينقض على المعتزلة في قولهم انه ليس
في فعل العبد صنع والله اعلم **وقوله** ومن يشكر فانما يشكر لنفسه هذا يدل ان ما يامر عباده وينهاهم وفيما امتحنهم
انما يمتحنهم ويامرهم وينهاهم لمنافع انفسهم وحاجتهم لا لمنفعة نفسه او لحاجته حيث قال ومن يشكر فانما يشكر
لنفسه يتم تلك النعمة ويديمها له فهو بالشكر ينفع نفسه ومن كفر فانما ضرر كفره يلحقه دون الله الا ترى انه قال
ومن كفر فان الله غني حميد اي غني عن شكره ومن حمده حميد وان لم يحمده احد من خلقه لانه غني بذاته حميد بصنايعه
والايه وان لم يحمد هو ولم يشكر على ذلك لا ينفعه شكر احد ولا حمده ولا يضره كفران احد ولا ترك الشكر له والحمد
وبالله الحول والقوة **وقوله** واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
يحتمل قوله ان الشرك لظلم عظيم وجوها احدها ظلموا انفسهم حيث وضعوها في غير موضعها او وضعوها
في المهالك بعد ما صورها احسن تصوير ومثلها احسن تمثيل واعظم الظلم من عمل وسعى في هلاك نفسه
او ظلم عظيم نعم الله حيث صرفوا شكرها الى غير منعمها او ظلموا ظلما عظيما حيث لم يقبلوا شهادة وحدانية الله والوهيته
فيما جعل في خلقتهم وبنيتهم اذ جعل في خلقة كل احد الشهادة على وحدانيته وربوبيته وذلك اعظم الظلم والخسر
وقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يذكرها هنا بماذا وصاه فجايز الوصية بما ذكر في اية اخرى حيث قال
ووصينا الانسان بوالديه حسنا واحسانا والاحسان هو اسم ما حسن من فعله وقوله حسنا هو اسم ما كان
بفعله وهما واحد في الحاصل **وقوله** حملته امه وهنا على وهن اي ضعفا على ضعف اي كلما مضى عليها وقت ازدادت
ضعفا على ضعف ووجعا على وجع امر بالاحسان اليهما جميعا ثم ذكر ما حملت الام من المشقة والشدة ولم يذكر من الاب شيئا
وقد كان للاب وقت احتمال الام المشقة اللذة والسرور والفرح فجايز ان يقال ان كان من الاب بازاء تلك المشقة التي
احتملت الام معنى ما يوجب ان يشكر له ويحسن اليه وهو ما يحمل من الانفاق عليها وعليه في حال الرضاع وهو ما ذكر وعلى
المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن او ما يجعله مطعونا
في الناس بحيث لم يعرف له نسب تنسب اليه بل يجعله معروف النسب غير مطعون في الخلق وفيهم ثم ذكر
الفصال ولم يذكر الرضاع والمشقة في الارضاع لا في الفصال لكنه ذكر تمام الرضاع وكماله اذ بالفصال يتم ذلك
ويكمل وفي ذكر التمام له والكمال ذكر الرضاع وليس في ذكر الرضاع نفسه ذكر تمام لذلك كان ما ذكر والله اعلم
وقوله ان اشكر لي ولوالديك الي المصير امر بالشكر له ولوالديه وحاصل الشكر راجع له دون من يشكر له

اذ كل من صنع الى اخر ما يستوجب به الشكر والثناء فبالله صنع ذلك اليه وبنعمه كان منه ذلك فكل من حمد دونه
او شكر فراجع اليه في الحقيقة ذلك ثم يخرج قوله ان اشكر لي ولوالديك على وجهين احدهما اشكر لي فيما تشكر والديك باحسانهما
اليك فانهما ما احسانا اليك الا بفضلي ورحمتي كقوله فاذكروا الله كذكركم آباءكم اى اذكروا الله فيما تذكرون اباءكم بصنعهم
فانهم انما فعلوا ذلك بفضل الله او ان يكون قوله اشكر لي فيما انعمت عليك ولوالديك فيما احسانا اليك وربياك والله اعلم
وقوله الى المصير قد ذكرنا انه خص ذلك المصير اليه وان كانوا في جميع الاوقات صايرين اليه راجعين لما ذكرنا ان المقصود
من انشايهم في هذا ذلك وصار انشاؤهم وخلقهم في الدنيا حكمة بذلك ما لولا ذلك لكان عبثا باطلا على ما ذكرنا والله اعلم
وقوله وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما امر في الاية الاولى بالاحسان اليهما وبالبر لهما والطاعة
ثم بين ان لا في كل امر يطاعان ولا في جميع ما يامران ويسالان يجابان انما يطاعان ويجابان فيما يؤذن لهما
ويباح لهما لا فيما لا يؤذن ولا يباح بجدال بل يؤمر بالخلاف لهما واعتقاد المعاداة فضلا ان يطاعا او يجابا الى ما يدعوهم
او يامران وكذلك ذكر في الخبر ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وانما امر بحسن المصاحبة لهما والمعروف فيما لم يكن
في ذلك معصية الخالق حيث قال وصاحبهما في الدنيا معروفا وقوله واتبع سبيل من اناب الى قال بعضهم اتبع دين
من اقبل الي ورجع الى طاعتي وهو النبي او ان يكون قوله واتبع سبيل من اناب الي اي اتبع سبيلي وديني كقوله وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه فعلى ذلك الاول جايز ان يكون تاويله اتبع سبيلي وديني ولا تتبع سبيل غيري او اتبع سبيل
من اناب ورجع الي ولا يتبع سبيل من لم ينب ولم يرجع الي ثم اخبر برجوع الكل اليه من رجع واناب اليه ومن لم يرجع
ولم ينب اليه على الوعيد حيث قال ثم الي مرجعكم الاية وهو كقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله الى قوله فسيحشرهم
اليه جميعا اي من استنكف ومن لم يستنكف يحشرهم اليه جميعا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله يا بني انها ان تك
مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله لا يحتمل ان يكون هذا الكلام والقول من لقمان
كان لابنه ابتداء من غير سوال كان في ذلك فيعلم انه كان ذلك منه عن سوال لكن لا نعلم ما كان السوال وعما كان
فاما ان كان السوال عن علمه فاخبره بما ذكر من حبة مستترة التي ذكر مكنونة في الخفي الامكنة من الخلق فيما لا يطلع احد
منهم ولا يبلغه علم الخلائق يات بها الله اي يعلمها الله فان كان على هذا ذكر فيلزمهم ان يكونوا ابدا مراقبين اعمالهم
واحوالهم في جميع حالاتهم واوقاتهم وجميع امورهم لما لا يخفى عليه شيء او ان يكون السوال عن قدرة الله وسلطانه فاخبر
ان الله تعالى قادر على استخراج تلك الحبة التي استترت واحتجبت عن الخلق بالحجب التي ماذكر ما يعجز الخلائق عن استخراج
مثلها من مثل تلك الحجب والامكنة فيخافون قدرة الله ويهابون سلطانه في الانتقام منهم في مخالفة امره ونهيه وان يكون
السوال عن الرزق فيخبر بهذا ان الشيء وان كان في مكان لا يبلغه وسع البشر وحيلهم في استخراج ذلك منه والوصول اليه
بحال فالله سبحانه بلطفه يرزق الخلق باشياء خارجة عن وسعهم وحيلهم ما لا يقع لهم الطمع في ذلك ليكونوا ابدا كلهم
مطمئنين في الرزق لا يويسهم عجزهم ولا تعذر حيلهم عن ذلك وان لا يعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب التي بها
يكتسبون ولذلك قال ويرزقه من حيث لا يحتسب او ان يكون السوال عن جزاء ما يعمل المرء من قليل وكثير ومما عظم
ولطف فيخبر انه يجزي بقليل العمل وكثيره وكذلك يقول بعض اهل التاويل ذلك يا بني انها ان تك مثقال حبة
من خردل من خير او شر فتكن في صخرة في جبل او في السماء او في الارض يات بها الله اي يجازيها الله فيكون على هذا
التاويل كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فاي شيء كان ففي ذلك دلالة وحدانية الله ودلالة علمه وتدبيره
ودلالة قدرته وسلطانه ودلالة الثقة به والتوكل عليه في الرزق والتفويض في الامر في كل ما خرج عن وسع الخلق
والله اعلم وقوله ان الله لطيف خبير قال عامة اهل التاويل ان الله لطيف في استخراج تلك الحبة خبير
بمكانها وتاويل هذا الكلام اي يستخرج تلك الحبة من الحجب التي ذكر والاستار التي بين استخراجا لا يشعر بها
احد ولا علم كيفية الاستخراج منها ولا ماهيته والطيف هو البار ثم يخرج على وجهين احدهما بار فيما ارسل
من الرسول وما انزل من الكتب ليدلهم الى ما يهتدون والى ما به نجاتهم خبير بحوايجهم والثاني تاويل اللطيف

يحتمل وجهين احدهما البار على ما ذكرنا والثاني في استخراج امور لا يبلغها وسع الخلق ولا علمهم وحيلهم والله اعلم
وقوله يا بني اقم الصلوة يحتمل الامر باقامة الصلوة وجهين احدهما الصلوة التي عرفتها العرب وهي المسئلة
والدعاء والثناء على الله والتحميد له والتمجيد كقوله ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية وهذه المذكورة في هذه الاية
هي الدعاء والاستغفار والرحمة له والمغفرة فعلى ذلك يشبه ان يكون الامر باقامة الصلوة هو الامر بمسيلة الرب
حوايجه ومغفرته ورحمته ليكون ابدا في كل حال متضرعا الى الله مظهرا حاجته اليه ومثنيا عليه واصفا عظمته وجلاله وكبرياءه
والثاني اراد به الصلوة المعروفة المعهودة على شرايطها التي جعلت وشرعت فان كان هذا ففيها ايضا ما في الاول من الدعاء
والثناء على الله تعالى والوصف له بالعظمة والجلال لانها جعلت من اولها الى اخرها ذلك وان كان اراد بالصلوة
الصلوة المعروفة ففيه ان الصلوة التي شرعت لنا كانت للامم المتقدمة وعلى ذلك يخرج قول ابراهيم حيث قال
رب اجعلني مقيم الصلوة وقول عيسى حيث قال واوصاني بالصلوة والزكوة والله اعلم وقوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر
المعروف اسم كل بر وخير وكل مستحسن في العقل والطبع والمنكر اسم كل شر وسوء مستقبح في العقل والطبع ثم يخرج قوله
وامر بالمعروف وانه عن المنكر على وجوه احدها المعروف الذي جاءت الرسل عن الله وشرعوا للخلق ودعوا الخلق اليه والمنكر
ايضا هو الذي انكرته الرسل ونهت الخلق عنه او ان يكون المعروف هو الذي يقبله كل عقل صحيح ويستحسنه كل طبع سليم
والمنكر هو الذي ينكره كل عقل صحيح ولا يقبله ويستقبحه كل طبع سليم تعرف بالبديهة قبحه وحسنه او يعرف انه معروف
او منكر عند التامل والتفكر فكله يرجع الى واحد الى ما ذكرنا بديا لكنه يختلف فيما ذكرنا من السبب وقوله واصبر على ما اصابك
من الاذى بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه انما يامر بالمعروف وينهى عن المنكر اهل السفه منهم والفسق فلا بد
من ان يصيب الاذى من تولى ذلك وهذا يدل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اللوازم لا يسع تركه وان اصابه الاذى
في ذلك وقوله ان ذلك من عزم الامور قال بعضهم ان ذلك من حزم الامور والحزم من الاحكام للشيء واتقانه
كانه يقول ان ذلك من محكم الامور ومتقنها لان الشيء اذا حزم وشد يومن عن سقوطه وذهابه فعلى ذلك ما ذكر
وقال بعضهم العزم هو القطع والثبات على شيء تقول عزمت على كذا وعلى امر كذا اذا قطع رايه وتدبيره واضطرابه
وجعله بحيث لا يرجع ولا يتحول عنه للدنيا ولامر من امورها ولكن يثبت على ما عزم وقطع فهو العزم والله اعلم
وقوله ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا قوله ولا تصاعر ولا تصعر بالالف وبغير الالف
كلاهما لغتان ثم اهل التاويل واكثرهم يقولون قوله لا تصاعر خدك للناس اي لا تعرض بوجهك عن الناس
تعظما وتجبرا وتكبرا وكذلك في قوله ولا تمش في الارض مرحا بطرا فرحا بالمعصية في الخيلاء والعظمة مستكبرا
جبارا عامتهم يفسرونه بالاعراض للتكبر والتجبر وكذلك يقول الحسن انه قال هو الاعراض عن الناس من الكبر
استحقارا لهم واستخفافا بهم والزجاج يقول الصعر هو داء ياخذ البعير فيلوي عنقه فعلى تاويله يكون
قوله لا تصعر اي لا تلو عنقك عن الناس وابو عوسجة يقول قريبا من ذلك يقول لا تصعر اي لا تتجبر وهو ان تلوي
عنقك فلا تنظر اليهم كبرا ويقول الصعر هو اعوجاج في العنق يقال رجل اصعر وبعير اصعر وبه صعر ويقال في الكلام
فلان صعر خده اي لوى راسه عن الناس فلم ينظر اليهم كبرا منه وقال كما قال الزجاج ان الصعر داء ياخذ البعير
فيلوي عنقه واصله الاعراض على ما ذكره اهل التاويل واهل الادب ثم هو يخرج على وجهين احدهما ما ذكر اهل التاويل
من حقيقة الاعراض على ما ذكره اهل التاويل تكبرا وتعظما لانفسهم استخفافا بالناس واستحقارا لهم لما يروا الناس
امثالا وامثالا لانفسهم وعلى ذلك يخرج قوله ولا تمش في الارض على حقيقة المشي على التكبر والتجبر على ما ذكرنا
والثاني ليس على حقيقة الاعراض بالوجه عنهم ولا على حقيقة المشي بالاقدام ولكنه كناية عن الامتناع عن الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والترك لذلك لا على التكبر والتجبر عليهم والاستخفاف بهم ولكن على الحذر والخوف عنهم فان كان
الامتناع والاعراض عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يعذروا في ترك ذلك لما يحذرون ويخافون منهم وكذلك
يخرج قوله واقصد في مشيك واغضض من صوتك على الوجهين الذين ذكرناهما احدهما على الامر بقصد المشي

وخفض الصوت حقيقة للمشي وحقيقة الصوت والثاني على الحكاية عن كيفية المعاملة وما بينهما فيما بين
الناس فان كان على حقيقة المشي والصوت فكانه يقول اي اقصد في المشي في الناس ولا تمش متكبرا مستخفا بهم
مستحقرا لتؤذيهم واغضض من صوتك اي لا ترفع صوتك فوق اصواتهم فتؤذيهم بالصوت ولكن لينهم بالقول وقال بعضهم
امش هينا لينا ناكس الراس ناظرا حيث تمشي غير ناظر الى ما لا يحل ولا يسع ولا دافع صوتك على الناس فتؤذيهم فيكون
صوتك عندهم كصوت الحمير الذي ذكر فينكرون كما ينكر صوت الحمير وان كان على الحكاية عن الاحوال في المعاملة بين الناس
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اي مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تطلبوا لانفسكم في ذلك العلو والرفعة ونفاذ
القول وقبوله ولكن كونوا في ذلك عادلين قاصدين غير طالبين العلو والرفعة ونفاذ القول وقبوله وقوله ان انكر الاصوات
لصوت الحمير يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا اي لا ترفع صوتك على الناس فتؤذيهم كما يؤذي الحمار فيكون صوتك
عليهم كصوت الحمار او يذكر هذا لان الحمار انما يصيح لحاجة لنفسه وشهوته وساير الاشياء اذا صاحوا انما يصيحون لحاجة
اهلها فيذكر انكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر لا تفعلوا المنفعة انفسكم او لحاجتكم ولكن قوموا لله في ذلك
او لما ذكرنا او حض صوت الحمير لانه ليس من صوت الا وفيه لذة ومعونة غير صوت الحمير فانه ليس فيه لذة ولا منفعة
او ذكر لما قيل ان اوله زفير وآخره شهيق فشبه زفير اهل النار وشهيقهم وقوله ان الله لا يحب كل مختال فخور قال المختال
المتكبر البطر وقال بعضهم المختال الخداع الغدار والفخور يحتمل الذي يفتخر بكثرة المال او لما لا يرى احدا شكلا لنفسه
وقوله الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض قوله الم تروا وقد ذكرنا انه يخرج على وجهين احدهما على الخبر
ان قد رووا وعلموا انه سخر لهم ما ذكر والثاني على الامر اي انظروا ولاوا انه سخر لكم ما في السموات وما في الارض لينتفعوا بجميع
ما يحتاجون اليه ويصلوا الى مرادهم وحاجتهم والى قضاء وطرهم كيف شاؤوا بما شاؤوا او ان يذكر قدرته وسلطانه ٥
ان من ملك تسخير ما ذكر لنا وملكنا واقدرنا على تدبير استعمال ما سخر لنا والانتفاع به لقادر على البعث والاحياء
بعد الموت وانه لا يعجزه شيء او ان يذكر حكمته وعلمه ان مثل هذا التسخير لا يكون الا بحكمة ولو لم يكن هنا للبعث وعاقبة
لكان خلق الخلائق وتسخير ما ذكر لعبا باطلا على ما ذكرنا في غير موضع وقوله ما في السموات المسخر ما في السموات يحتمل
المطر والسحاب والشمس والقمر ونحوه مما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض حتى لا يقوم منافع الارض الا بمنافع
السماء او الملايكة لانهم قد سخروا ببعض ما يقع بمنافع البشر والله اعلم وقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ذكر
عن ابن عباس انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة
قال اما ما ظهر يا ابن عباس فالاسلام وما سوى من خلقك وما اسبغ عليكم من الرزق واما ما بطن وستر مساوي عملك
فلم يفضحك بها فان ثبت الخبر فلا يقع للحاجة الى غيره فهو تاويل الاية والى هذا ذهب عامة اهل التاويل ويجايز
ان يكون النعمة الظاهرة هو ما ظهر من الحسن واللطافة واما النعمة الباطنة ما ستر من الانجاس والاقذار ما لو ظهر
ذلك لم يدن منه احد لخبثه ونجاسته وبعضهم يقولون الظاهرة باللسان والباطنة بالقلب وقال مجاهد الظاهرة
الاسلام والرزق والباطنة ما ستر من الذنوب والعيوب وهو قريب مما ذكر في الخبر المرفوع والله اعلم وقوله
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم الجدال له في الله يحتمل في توحيد الله او في الرسالة انه ارسل او لم يرسل
او في البعث ايبعث او لا يبعث او يجادل في كتابه وقوله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير اسباب العلم ثلاثة العقل
والسنة والكتاب يتفكر وينظر بالعقل فيعرف وبيان السنة والكتاب يبين فلم يكن مع الذين يجادلون في الله في الله
شيء من ذلك وخاصة اهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل والكتب فكانه يقول ومن الناس من يجادل في الله
وهم يعلمون انه ليس معه معقول ولا بيان من السنة ولا كتاب والله اعلم وقوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وقال في اية اخرى ولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وقال في اية اخرى انا وجدنا اباءنا وانا على اثارهم مقتدون ٥٥
قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم كانه يقول لرسول الله ان قل لهم تتبعون اباءكم وتقلدونهم وان ظهر لكم

رسوله

وتبين ان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وانهم من اصحاب السعير ويتبعون اثارهم مقتدون بهم وان ظهر لكم
وتبين ان الذي ادعوكم انا عليه وجيتكم اهدى مما عليه اباؤكم اذ تتبعون اباءكم وان ظهر وتبين لكم ان اباءكم
كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون حتى ان قالوا نعم تتبعهم وان كانوا كما ذكرت فانه يظهر ويبين عنادهم ومكابرتهم
عند اتباعهم حيث ظهر الحق لهم فلم يتبعوا بل اتبعوا اهواءهم ويظهر كذبهم في قولهم والله امرنا بها وفي قولهم
ان اباءهم على ما هم عليه بل في ابائهم من هو على خلاف ما هم عليه ونحوه وان قالوا لا نتبعهم اذ كانوا على ما ذكرت فقد
ذلك يتركون ويثبت عندهم بالحجج والبرهان وفيه دلالة ان اهل الفترة يعذبون ويؤاخذون بتركهم
الدين والشرايع لان هولاء الذين اخبر انهم من اصحاب السعير هم اهل الفترة ما بين عيسى وبين محمد واهل التاويل
يقولون اوكان الشيطان يدعوهم اي بل كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومحمد بن اسحق يقول لا تصعر
خدك للناس اي لا تعرض بوجهك تكبرا عن فقراء الناس اي اذا كلموك ومرحا اي فخرا بالخيلاء والعظمة ان الله
لا يحب كل مختال فخور اي بطرا مرحا فخورا في نعم الله لا يوخذ بالشكر في مشيك رويدا لا تختل في مشيك
ولا تنظر حيث لا يحل واغضض اي اخفض من صوتك اي من كلامك يا مر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي
والمنطق ثم ضرب للصوت الرفيع مثلا فقال ان انكر الاصوات لصوت الحمير لشدة صوتهم وقوله الم تروا ان الله
سخر لكم ما في السموات يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح وسخر لكم ما في الارض اي الجبال والانهار
والبحار فيها السفن والاشجار والنبت عاما بعام واسبغ عليكم نعمه ظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام
وباطنة اي ما ستر من الذنوب من ابن ادم فلم يعلم بها احد ولم يعاقب فيها فهذا كله من النعم فالحمد لله على ذلك
حمدا كثيرا كما هو اهله وقال في قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم في زعمه ان لله البنات اي الملايكة
ولا هدى اي لا بيان معه من الله بما يقول ولا كتاب له فيه حجة واصله ما ذكرنا يجادل في الله من الوجوه
التي ذكرنا بغير علم من جهة العقل ولا هدى اي لا بيان من جهة السنة ولا كتاب من الله فيه حجة له وسببا
العلوم هذه فلم يكن له شيء مما ذكر وبالله العصمة قال ابو عوسجة المرح النشاط وهذا لا يكون الا من الكبر لانه
يتبختر واقصد في مشيك اي امش مشيا رفيقا واغضض من صوتك اي دق لا تصوت صوتا شديدا وهذا ايضا
من التبختر واسبغ اي اوسع والسابغ الواسع التام الطويل العريض وقال القتبي لا تصعر معرض للوجه انكر
الاصوات اقبحها عرفت قبح رفع الصوت في المخاطبة وقوله ومن يسلم وجهه الى الله يحتمل قوله وجهه
اي نفسه كانه قال ومن يسلم نفسه لله وجعلها سالمة له لم يجعل لاحد فيها شركا وهو محسن في عمله الى نفسه
اي لا يستعملها الا في طاعة الله وفيما امر به فاذا فعل ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى اي فقد استمسك
باوثق العرى واثبتها على ما ذكر في اية اخرى لا انفصام لها اي فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها
ولا انقطاع ولا زوال لانها مثبت بالحجج والبراهين لا بالهوى فكل شيء ثبت بالحجة والبرهان فهو ثابت ابدا
لا زوال له ولا انقطاع وكل شيء ثبت بالهوى فهو يزول وينقطع عن قريب لزوال الهوى وجايز ان يكون قوله
وجهه لله اي يسلم وجه امره لله فالوجه عبارة وكناية من امره اي يسلم امره الى الله ويفوضه اليه او يكون
كناية عن نفسه فتاويله ما ذكرنا بديا واهل التاويل يقولون يسلم وجهه اي دينه لله اي يخلص له دينه لله
كقوله ولكل وجهة هو موليها اي لكل اهل دين ومذهب والله اعلم وقوله وهو محسن يحتمل وجوها احدها
ما ذكرنا وهو محسن الى نفسه في عمله لا يستعملها الا فيما امر بالاستعمال فيه لا يوقعها في المهالك او هو محسن الى الناس
بالمعروف والبر او محسن اي عالم كما يقال احسن اي علم وبعض اهل التاويل يقول ومن يسلم وجهه لله اي اخلص عمله
وهو محسن اي مؤمن كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن وهو قول ابن عباس ومقاتل يقول ومن يسلم
وجهه لله اي يخلص دينه لله وهو محسن في عمله فقد استمسك وقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى هو ما ذكرنا
انه استمسك باوثق العرى واثبتها لانه انما اثبت بالحجة والبرهان لا بالهوى والتمني والله اعلم وقوله والى الله

عاقبة الامور هذا يخرج على وجوه احدها والى الله تدبير عاقبة الامور وتقديرها لا الى الخلق والثانى الى منزله
التدبير والتقدير يرجع عاقبة الامور او ان يخص رجوع عاقبة الامور والمصير والرجوع اليه والبروز له والخروج
وان كانوا فى جميع الاوقات كذلك لما ذكرنا ان المقصود من خلق هذا العالم العالم الثانى والمقصود من خلق الدنيا الاخرة
اذ به يصير حكمة وحقا لخص ذلك له واضافه اليه لذلك او يذكر ذلك لما لا ينازع فى ذلك اليوم وقد نوزع فى هذه
ولذلك قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقوله ومن كفر فلا يحزنك كفره هذا يحتمل وجوها احدها ان قوله
فلا يحزنك كفرهم حزنا تتلف وتهلك فيه كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فيخرج قوله فلا يحزنك كفرهم على التخفيف
عليه والتسلى ليس على النهى وكذلك قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على التخفيف عليه والتيسير ليس على ترك
الاشفاق والحزن عليهم لان رسول الله كادت نفسه تهلك اشفاقا عليهم وحزنا على كفرهم فيخرج ذلك على التخفيف
عليه والتسلى والثانى قوله فلا يحزنك كفرهم لا يحزنك تكذيبه اياك فذكر كفرهم لانه بتكذيبه ما يصير كافرا وهو سبب كفرهم
كقوله لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر الاية كان رسول الله يحزن ويهتم بتكذيبهم اياه فيما يقول ويخبر عن الله فيقول
لا يحزنك تكذيبهم اياك فانهم الينا يرجعون فنجزيهم ونكافيهم جزاء التكذيب والثالث فلا يحزنك كفرهم اى فان ضرر ذلك
الكفر عليهم لا عليك كقوله ما عليك من حسابهم من شىء الاية ونحو من الايات يخبر رسوله اى لا تحزن على كفر من كفر
فان ضرر ذلك يلحقه دونك والله اعلم والرابع وقوله الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا هذا وعيد
اى الينا مرجعهم فننبئهم عما اغفلوا عنه واختاروه فى الدنيا فيحفظونه ويتذكرون ما عملوا او ان يكون قوله فننبئهم
بما عملوا اى نجزيهم ونكافيهم جزاء اعمالهم ومكافاتهم ان الله عليم بذات الصدور اى عالم بما كان منهم وما جزاؤهم
والله اعلم وقوله نمتعهم قليلا اى فى الدنيا لان متاع الدنيا قليل على ما وصفه قل متاع الدنيا قليل اى يتمتعون
بذلك القليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ذكر هذا مقابل ما ذكر لاهل الجنة حيث قال خالدين فيها لا يبغون عنها حولا
فيخبر ان اهل النار يضطرون ويدفعون الى النار لا انهم يدخلونها اختيارا كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا
وقوله غليظ جايز ان يكون كناية عن امتداده وطوله وجايز ان يكون كناية عن شدته والمه او جراحته كقوله
تلفح وجوههم النار الاية وقيل يغلظ عليهم العذاب لونا بعد لون والله اعلم وقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله اخبر رسوله انك لو سالتهم من خلق السموات والارض يقولون ذلك ويجيبونك الله خلقهم ثم يخرج
قوله قل الحمد لله على اثر اقرارهم له بالتوحيد له والتفرد بالخلق على وجهين احدهما امر رسوله بالحمد له لما لا يحتاج الى اقامة
الحجة على وحدانية الله وربوبيته سوى اقرارهم اذ قد اقروا له بالوحدانية فيما ذكر فعلى ذلك يلزمهم ذلك فى كل شىء
دق او جل فيقع الامر له بالحمد على ذلك او يامر رسوله بالحمد له لما اجتباه وخلصه وسلمه عما ابتلاهم وفتنوا من التكذيب
وعبادة الاصنام بعد اقرارهم بالوحدانية له والالوهية فحمد على افضاله عليه ورحمته وعصمته له بتنا ولئك
اولئك الكفرة على هذين الوجهين يخرج تاويل امر الحمد على اثر ما ذكر والله اعلم ويكون قوله بل اكثرهم لا يعلمون مقطوعا
مفصولا من قوله قل الحمد لله اذ لو لم يجعل مفصولا منه لخرج الامر بالحمد له فى الظاهر على ما لا يعلم اولئك وذلك
لا يصلح ثم قوله بل اكثرهم لا يعلمون يخرج على وجوه احدها ما ذكرنا انه نفى عنهم العلم على حقيقة العلم لهم
لما لم ينتفعوا بما علموا على ما نفى عنهم حواس كانت لهم لما لم ينتفعوا بها من نحو البصر والسمع واللسان ونحو فعلى ذلك
العلم والثانى لا يعلمون لما تركوا النظر والتفكر فى اسباب العلم ليعلموا فلم يعذروا فان كان هذا فهو على حقيقة نفى العلم
لكنهم لم يعذروا بتركهم النظر فى اسباب العلم او ان يكون قوله ههنا بل اكثرهم لا يعلمون ان عبادتهم الاصنام
لا تقربهم الى الله زلفى ولا تشفع لهم لانهم انما كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان تزلفهم الى الله ورجاء ان يكونوا لهم
شفعاء عند الله بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وليقربون الى الله زلفى وان يكونوا لم يعلموا الجزاء لاعمالهم عملوها فى الدنيا
والاخرة والله اعلم وقوله لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد كانه يخبرهم ويذكرهم ما يامرهم به وينهاهم
عنه وما يمتحنهم من جميع انواع المحن لا لحاجة نفسه او لدفع المضرة عن نفسه ولكن لحاجة انفس الممتحنين ولمنفعتهم ولدفع المضرة

لكن ذكر الكفر واراد به التكذيب لانه بتكذيبه ما يصير كافرا فيكون سبب كفرهم او كفرهم سبب حاملا على تكذيبه فيجوز ان يذكر الكفر ويراد به التكذيب وهو كقوله لا يحزنك
شرح

عنهم اذ من بلغ ملكه وغناه وسلطانه المبلغ الذى ذكر حتى كان له جميع ما فى السموات والارض لا يحتمل ان يامر الخلق
وينهى او يمتحن لحاجة نفسه ولكن لحاجة الخلق فى جر المنفعة ولدفع المضرة او يذكرهم نعمه عليهم ليتادى به شكرهم حيث
سخر لهم ما ذكر من السموات والارض وما فيهما وحقيقة ملك ذلك كله له وقوله ان الله هو الغنى الحميد الغنى بذاته
لا يعجزه شىء او غنى عما استغنى عنه حميد قيل اهل ان يحمد ويشكر بذاته وقيل حميد فى فعاله وصنايعه ويكون
الحميد بمعنى الحامد ويكون بمعنى المحمود والله اعلم وقوله ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة
ابحر ما نفدت كلمات الله لا يحتمل ان يكون ذكر هذا الكلام ابتداء من غير امر او سؤال او خطاب سبق من القوم حتى ذكر هذا
لكنا ما نعلم ما سبب ذلك وما قصته وما امره حتى انزل هذا لكن ابن عباس رضى الله عنه يقول ان اليهود اعداء الله
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وما هو فنزل قل الروح من امر ربى اى من علم ربى لا علم لى به وتلا قوله
وما اوتيتم من العلم الا قليلا اى يسيرا فى علم الله فلما قرا عليهم هذه الاية قالوا كيف يزعم هذا وانت تزعم انه من اوتى
الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير قال فنزل ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام
يقول تبرى الشجرة اقلاما والبحر يمده من بعده سبعة ابحر فيكون كلها مدادا يكتب بها علم الله لانكسرت الاقلام ولنفد
المداد ولم ينفد علم الله فيما اعطاكم من العلم قليل فيما عند من العلم كثير فيما عندكم الى هذا يذهب اكثرهم ولكن
غير هذا كانه اشبه بسبب نزوله وذكره وهو يخرج على وجهين احدهما ما ذكرنا فى قوله لله ما فى السموات وما فى الارض
انه بلغ ملكه وسلطانه ما لو صار ما ذكر من الاشجار كلها اقلاما والبحار كلها مدادا فكتب بها اسما خلقه وملكه وسلطانه
لنفد ذلك كله ولم ينفد خلقه ولم يبلغوا غاية ذلك او ذكر هذا لهذا القرآن لقول من كان من الكفرة فى قلته فى نفسه
وصغر ما كتب هو فيه ان يقولوا كيف يسع فى هذا المقدار علم الكتب السالفة المتقدمة وهى وقار وهى جزء يحمل
والله اعلم انه جمع فى هذا من المعانى والعلم والحكمة ما لو فسر وبين ما اودع فيه وضمنه ما لو جعل ما فى الارض
من الشجر اقلاما والبحار مدادا فكتب ما اودع فيه وضمنه لنفد ذلك كله ولم ينفد ما جمع فيه وضمنه والله اعلم
يشبه ان يكون تاويله وسبب نزوله والله اعلم بذلك ان الله عزيز حكيم وقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
قال بعضهم ذكر هذا لان نفرا من قريش قالوا للنبى ان الله خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة عظاما لحما ثم تزعم
انا نبعث خلقا جديدا جميعا فى ساعة واحدة فقال الله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم ايها الناس جميعا على الله فى القدرة
الا كبعث نفس واحدة ان الله سميع لقولهم الذى قالوه انا لا نبعث بصير بامر الخلق والبعث وجايز ان يكون قال هذا
لما قد اقروا ببعث نفس واحدة لما انتهى اليهم الاخبار بما كان فى الامم السالفة من الاحياء بعد الممات وتواترت على ذلك
من ذلك قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكقولهم حيث
قالوا ارنا الله جهرة الاية وكقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وقوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه مكانهم فاقروا ببعث
هؤلاء لما تواترت عليهم الاخبار بذلك وانكروا بعث سايرهم فقال ما خلقكم ولا بعثكم جميعا الا كبعث نفس واحدة
اذ ثبت لواحد فى الكل كذلك او ان يذكر هذا لان الاسباب بما تختلف فى الامور على الخلق وتعسر لخصال ثلاث
اما العجز او جهل او لشغل فاذا كان الله سبحانه وتعالى يتعالى عن ان يعجزه شىء او يخفى عليه شىء او يشغله شىء عن شىء
فصار خلق الكل عليه وبعث الكل لخلق نفس واحدة وكبعث نفس واحدة او ان يذكر هذا لان الواحد والكل والقليل والكثير
ما كان ويكون تحت قوله كن فيكون معبر بكن مترجم به من غير ان كان منه كاف او نون لكنه ذكر كن لانه اوجز حرف فى كلام
العرب واقصر كلام يترجم به من غير ان كان منه كاف او نون والله اعلم وقوله ان الله سميع بصير كانه قد كان من اولئك
من قول او كلام فى ذلك حتى قال سميع لذلك بصير عالم لذلك وبصير باحوال الخلق وبامورهم وقوله الم تر ان الله يولج
الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر يذكرهم قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره وفيه دلالة البعث
اما قدرته لما ادخل الليل فى النهار والنهار فى الليل ثم حفظهما على حد واحد وعلى ميزان واحد على غير تفاوت يقع
فى ذلك ولا تغير ممن قدر على ذلك لا يعجزه شىء ولا يخفى عليه شىء وكذلك ما ذكر من تسخير الشمس والقمر وما يقطعان

غير التكوين والتخليق فانما ذكر حرف كن
شرح

في يوم واحد وليلة واحدة مسيرة خمس مائة عام مالا يتصور ذلك في اوهام الخلق ولانه تقديرهم قطع ذلك
المقدار ومن المسير في مثل تلك المدة ودل انشاء احدهما واحداثه بعدما ذهب الاخر برمته وكليته حتى لا يبقى له
اثر على انه قادر على الاحياء بعد الموت وبعد ما ذهب اثره ففي ذلك دلايل من وجوه احدها دلالة قدرته حيث ادخل
احدهما في الاخر وحفظهما كذلك على حد واحد وتقدير واحد على غير تغيير وتفاوت يقع في ذلك دل ذلك
على قدرته وعلمه وتدبيره ودل انشاء كل واحد منهما بعدما ذهب الاخر على القدرة على البعث **وقوله** كل يجري الى اجل مسمى
الى الوقت الذي جعل له لا يتقدم ولا يتاخر وان الله بما تعملون خبير ظاهرا وباطنا هذا وعيد ليكونوا ابدا خايفين
حذرين متيقظين والله اعلم **وقوله** ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي ذكر من خلق الخلق وانشاء ما ذكر وتحقيق
لمن ذلك وصنعه في الليل والنهار والشمس والقمر وجميع ما ذكر هو صنع الاله الحق المستحق لتسمية الالوهية
والعبادة وان ما تدعون من دونه من الاصنام مبطلون غير مستحقين تسمية الالوهية والعبادة او هو الحق لانه هو الذي
يسوق اليكم هذه النعم والمنافع وان ما تدعون من دونه الباطل لا ينفعكم عبادتكم اياها وان الله هو العلي الكبير **وقوله**
الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله وقال في اية اخرى ولتجري الفلك بامره وقال في موضع اخر وجرين بهم بريح طيبة
وقوله بريح طيبة هي النعمة التي ذلك في هذه الاية وقوله تجري في البحر بنعمة الله يحتمل وجهين احدهما لما جعل لهم الفلك
بحيث تجري على وجه الماء مع احمال ثقيلة ومن طبعها التسرب في الماء والانحدار فيه فجعلها بحيث تستمسك على وجه الماء
وتجري ليصلوا الى حوايجهم ومنافعهم في امكنة متباعدة ممتنعة ما لولا السفن لم يصلوا الى ذلك ابدا والثاني ما ذكر
فيه من ريح طيبة التي بها تجري السفن في البحار وما فيها راكد ساكن فيجعل تلك الريح الطيبة حمل جريان الماء
وسكونه وذلك نعمة والله اعلم **وقوله** ليريكم من اياته يحتمل ايات وحدانيته وايات قدرته وسلطانه وايات نعمته
اما ايات نعمه ما ذكر وايات قدرته وسلطانه ما ذكرنا انه من قدرته وسلطانه ان جعل الفلك والسفن في البحار
بحيث يستمسك ويحتبس ولا تتسرب ولا تنحدر مع احمال ثقيلة ومن طبع ذلك كله التسرب والانحدار وما ذكر
من اجرائها بالريح الطيبة ولو كان فعل عدد لا فعل واحد لكان يمنع عن جريها دل انه تدبير واحد لا عدد **وقوله**
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور جايز ان يكون الصبار هو المومن والشكور كذلك الصبر كناية عن الايمان والشكر
كناية عن الايمان كقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ذكر الصبر مكان قوله امنوا لانه ذكر في اية اخرى الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات والشكر كناية عن الايمان كقوله ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا
يرضه لكم وقوله تشكروا اي تومنوا ويحتمل صبار على بلاياه ونهاية شكور على نعمايه وجعل الايات لمن ذكر لانه هو المنتفع
دون غيرهم وصبارا فيما اصابهم في البحر من الشدايد والاهوال وشكورا فيما دفع عنهم ونجاهم من تلك الاهوال
والله اعلم **وقوله** واذا غشيهم موج كالظلل قال بعضهم كالظلل اي كالجبال وقال بعضهم كالظلل هو سواد
من كثرة الماء ومعظمه وقيل يصير الموج كالظلمة فوق السفينة وجايز ان يكون الظلل التي ذكر على التمثيل لا على التحقيق
كناية عن حيرتهم في الدين كقوله او كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق
بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها وهو على المثال لا على التحقيق يخبر عن حيرتهم في الدين وتيههم فيه فعلى ذلك الاول
ثم يذكر اهل التاويل ان الاية في اهل الكفر كانوا يخلصون الدعاء لله والدين له عند ما اشتد بهم الخوف على الهلاك
عند معاينتهم الاهوال والشدايد في البحار لان اهل الاسلام يخلصون له الدعاء والدين له في الاحوال كلها فهو فيهم **وقوله**
فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد قال بعضهم مقتصد اي حسن القول بلسانه كافر بقلبه وقال بعضهم فمنهم
مقتصد اي عدل اي بقي على الايمان والاخلاص الذي كان منه في تلك الاهوال لم يعد الى الكفر وقال بعضهم فمنهم
مقتصد الوسط العدل وهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور قيل الختار الغدار
وقال بعضهم منهم الختار هو الذي يبلغ في الغدر غايته ونهايته **وقوله** وان الله هو العلي الكبير العلو يتوجه
وجهين احدهما العلو القهر والغلبة كقوله ان فرعون علا في الارض اي غلب وقهر وقوله تلك الدار الاخرة نجعلها

من صنع الاله دليل بانه هو الاله الحق
صح

للذين لا يريدون علوا في الارض فعلى ذلك يشبه ان يكون قوله العلي اي القاهر الغالب والثاني ان يكون العلو
الارتفاع فان كان الارتفاع فهو يرتفع ويتعالى عن ان يحتمل الخلق في التغير والزوال وغير ذلك مما يحتمل الخلق ارتفع
وتعالى عن احتمال ما يحتمل الخلق والكبير اي تكبر من ان يلحقه شيء مما يلحق الخلق والله اعلم **وقوله** يا ايها الناس اتقوا
ربكم يحتمل اتقوا ربكم في الحق الذي له عليكم واوفوا له ذلك او اتقوا مخالفة ربكم ومعصيته او اتقوا نقمة ربكم وعذابه
لكنه يختلف الامر بالاتقاء في المومن والكافر يكون للكافر اتقوا الشرك وعبادة غير الله وفي المومن اتقوا مخالفة الله
في جميع ما يامركم وينهاكم واتقوا عبادة غير الله او الشرك في حادث الوقت **وقوله** واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
ولا مولود هو جاز عن والده شيئا يذكر هذا على الاياس وقطع طمع بعضهم عن بعض بالوصلة التي كانت بينهم في الدنيا
والمنافع التي كان ينفع بعضهم بعضا في الدنيا يخبر ان ذلك كله منقطع في الاخرة لهول ذلك اليوم واشتغال
كل بنفسه حتى لا ينفع احد صاحبه وخاصة ما ذكر من الولد لوالده والوالد لولده مما لا يحتمل قلب واحد منهما ان يلحق
المكروه بالاخر ولا يصبران لا يدفع ذلك عنه بكل ما به ووسعه وطاقته للشفقة والمحبة التي جعلت فيهم ثم اخبر
ان لا ينفع احدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل نسب
وسبب فهو منقطع الا نسبي وسببي ونسبه دينه الذي دعانا اليه وعلمناه وسببه شفاعته يوم القيامة فذلك كله
منقطع الا هذين فانه من تمسك بدينه فانه يشفع يوم القيامة فيما قصر وفرط فاما من لم يقبل دينه ولم يجبه الى ما دعاه
فانه ليس له واحد من هذين من الاسباب والانساب منقطع كقوله وتقطعت بهم الاسباب وقال بعضهم قوله واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده قال هذه الاية في الكفار فاما المومنون ينتفع الوالد بولده والولد بوالده في الاخرة يدفع
الى ابنه بفضل عمله وكذلك الولد الى ابيه كقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا والله اعلم **وقوله** ان وعد الله
حق فيما ذكر من الاياس وقطع طمع بعضهم من بعض وما ذكر من قيام الساعة وكونها انها لا محالة او في الثواب والعقاب
وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا هذا يحتمل وجهين على التحقيق والتمثيل اما التحقيق ان لا تشغلنكم الحيوة الدنيا ولذاتها
ولا تلهينكم من ذكر الله وعن الاخرة ولا تغتروا بها فانها لعب ولهو على ما ذكر انها لعب ولهو على ما هي عندكم لانها عندهم
انها انما انشيت وخلقت لها لا للاخرة فالدنيا على ما هي عندهم لعب ولهو واما على ما هي عندنا هو حق ليس بباطل
لانها انشيت للاخرة وبلغة اليها واما التمثيل اضاف التغرير اليها لان ما كان منها من التزيين والتحسين في الظاهر
واظهار بهجتها وسرورها ولذاتها لو كان ممن له التمييز والعقل والفهم وحقيقة التزيين والتحسين كان تغريرا
فعلى ذلك ما كان منها على الظاهر فهو تغرير على التمثيل او ان يكون ما ذكر ان لا تغتروا بالحيوة الدنيا وما فيها من لذاتها
والله اعلم **وقوله** ولا يغرنكم بالله الغرور قيل الغرور الشيطان لا يغرنكم ويقول ان الله كريم رحيم جواد ولا يعذبكم
او يقول ان الله غني قادر لا يامركم بامر ولا ينهاكم اذا انما يامر وينهى في الشاهد من كان محتاجا فاما الغني فلا يامر ونحو
والله اعلم **وقوله** ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ذكر في بعض الاخبار عن ابن عمر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وعد هذه الخمسة التي ذكرت في هذه الاية
وكذلك روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس لا يعلمهن الا الله قوله ان الله عنده علم الساعة
الى اخر الاية فان ثبت هذا فهو ما ذكر ويرجع ذلك الى معرفة حقيقة ما ذكر ولا جايز ان يقال انه يعلم بعض هذه
الاشياء باعلام من هو المطر انه متى يمطر او ما في الارحام انه ولد وانه ذكر او انثى وان لم يعلم ماشية ما في الارحام
نحو ما يعلم المنجم ذلك بالحساب وباعلام يخرج ذلك على الصدق مما اخبر وربما الا ترى ان ابراهيم صلوات الله عليه
قال اني سقيم لما نظر في النجوم اي سأسقم وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال الى التي الى انه ذا بطن خارجة جارية
وكان كما ذكر فلا يحتمل ابو بكر يعلم ذلك لما القي اليه ورسول الله لا يعلم الا الساعة فانه لا يطلع عليها احد الا انه يقال
بان رسول الله لم يوذن له بالتكلم والقول بشيء الا من جهة الوحي من السماء فاما الاشتغال بمثله فلا لان الاشتغال
تضييع لكثير مما امتحن وترك لبعض ما امر ونهي او لما يخرج ذلك مخرج التطير والتفاول واكتساب الرزق

وقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقد ورد في الاحاديث الشفاعة للاخيار ويبعد ان يشفع للاجانب دون الاقارب والله اعلم
صح

على غير الجهة التى جعل وابيح لهم فكان المنع لذلك والله اعلم ثم قوله ان الله عنده علم الساعة يحتمل قوله علم
الساعة اى لوقت الساعة كقوله يسألونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو
وقوله يسألونك عن الساعة ايان مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهاها اخبر انه لا يجليها لوقتها وذكر رسول الله
انك انما انت منذر من يخشيها فاما ما سوى ذلك فليس اليك او ان يكون قوله ان الله عنده علم الساعة بماهية الساعة
اذ ذكر الساعة واهوالها ولم يذكر ماهيتها وحدها وقدرها فاخبر انه يعلم هو ذلك وقوله وينزل الغيث سمى المطر
غيثا فيشبه ان يكون سماه غيثا لما به يكون للناس غياث فيما به قوام انفسهم ودنياهم وسماه فى موضع رحمة وفى موضع
مباركا فتسميته رحمة لما به نجاة انفسهم وابدانهم وذلك صورة الرحمة وسماه مباركا لما به ينمو ويزداد كل شىء
اذ البركة هو اسم كل خير ينمو ويزداد بلا اكتساب وقوله ويعلم ما فى الارحام من انتقال النطفة الى العلقة وانتقال
العلقة الى المضغة وتحوله من حال الى حال اخرى وقدر زيادة ما فيه كل وقت وفى كل ساعة ونحو ذلك لا يعلمه
الا الله واما العلم بان فيه ولدا وانه ذكر او انثى فجائز ان يعلم ذلك غيره ايضا وقوله وما تدرى نفس ماذا تكسب
غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت جائز ان يكون كتم ذلك واخفاه ليكونوا فى كل حال على حذر وخوف وعلى يقظة
اذ لو كان اطلعهم على ذلك لكانوا آمنين الى ذلك الوقت فيعملون بكل ما يريدون ويشاؤن فيكون فى ذلك ارتفاع
المحنة فلبس ذلك عليهم ليكونوا ابدا فى كل وقت وكل حال على حذر وخوف ويقظة والله اعلم ان الله عليم خبير وذكر
بعض اهل التاويل ان رجلا من اهل البادية يقال له الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال ان ارضنا اجدبت فمتى الغيث وتركت امرأتى حبلى فما ذا تلد وقد علمت اين ولدت ففى اى ارض اموت وقد علمت ما عملت اليوم
فما ذا اعمل غدا ومتى الساعة فانزل الله تبارك وتعالى فى مسئلة المحاربى ان الله عنده علم الساعة لا يعلمها غيره
وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام من ذكر او انثى وما تدرى نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وما تدرى
نفس باى ارض تموت فى سهل او جبل او برا وبحر ان الله عليم خبير بهذا الذى ذكر كله فقال النبى اين السائل عن الساعة
فقال المحاربى ههنا فقرأ النبى صلوات الله عليه هذه الاية قال ابو عوسجة قوله كالظلل اى ما استظللت به والظلة السحاب
قال القتبى كالظلل جمع ظلة يريد ان بعضه فوق بعض فله سواد من كثرته والبحر ذو ظلال لامواجه وللختار الغدار
والختر اقبح الغدر واشده وقال ابو عوسجة الختار الكذاب يقال ختر يختر خترا فهو ختار وقوله واتقوا يوما
لا يجزى اى لا تغنى تقول جزى يجزى جزاء فهو جاز اى غنى واجزى يجزى مثله واجزأنى من كذا وكذا اى كفانى وكذلك
قال القتبى وقال الغرور بنصب الغين الشيطان والغرور بضم الغين الباطل والله اعلم ٭٭

سورة السجدة مكية الا افمن كان الى تكذبون وآيها عشرون وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم قد ذكرنا تاويله فى صدر الكتاب وقوله تنزيل الكتاب الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق
دين الله والسبيل المطلق والطريق المطلق سبيل الله وطريقه وقوله لا ريب فيه انه منزل من الله لانه انزل على ايدى
الامناء البررة لم يغيروه ولا بدلوه ولا حرفوه او يقول لا ريب فيه انه ليس بمختلق ولا مخترع ولا مفترى من عند الرسل
بل منزل من عند رب العالمين او لا ريب فيه لا شك على ما يقول الناس لكل محكم منا لا مرية فيه والله اعلم من رب العالمين
العالم هو اسم جنس من الخلق وجوهره والعالمين جمعه فيدخل فى ذلك الاولون والاخرون الذين يكونون الى آخر
ما يكونون ففيه انه يوصف جل وعلا انه رب لكل ما كان ويكون وما لك وما كان وما يكون كقوله مالك يوم الدين اخبر انه
مالكه وهو بعد لم يكن اعنى ذلك اليوم وقوله ام يقولون افتريه قوله ام يقولون هو استفهام وشك فى الظاهر لكنه من الله
يخرج على تحقيق الزام وايجاب وتحقيق نفى على ما لو كان ذلك من مستفهم ومسترشد كيف يجاب له ويقال فيه فانما يقال
للمستفهم لا او بلى فعلى ذلك هو من الله على تحقيق اثبات وايجاب وتحقيق نفى اذ لا يحتمل الاستفهام والسؤال كقوله ام للانسان

ماتمنى

ماتمنى كانه قال ليس للانسان ما تمنى فعلى ذلك كانه قال ههنا بل يقولون افتريه ثم رد ما قالوا انه افتريه
فقال بل هو الحق من ربك يحتمل قوله هو الحق من ربك ليس بمخترع ولا مختلق ولا مفترى من محمد بل منزل من عند الله
على ما ذكرنا فى قوله لا ريب فيه من رب العالمين او هو الحق من ربك ليس بكلام البشر ولا فى وسعهم اتيان مثله هو الحق
لا ياتيه الباطل من بين يديه وقوله لتنذر قوما اى لتنذر بالكتاب الذى انزل قوما ما اتيهم من نذير من قبلك
هذا يحتمل وجهين احدهما على الجحد اى لتنذر قوما لم ياتهم نذير وهم اهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد
عليهما الصلوة والسلام والثانى لتنذر قوما الذين قد اتاهم من نذير من قبلك وهم من اباؤهم واجدادهم الذين
كانوا من قبله الذين قد اتاهم نذير من قبله والله اعلم وقوله لعلهم يهتدون هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما
لتنذر قوما لكى تلزمهم به حجة الامتداد والثانى لتنذر قوما على رجاء وطمع ان يهتدوا والله اعلم وقوله الله الذى خلق
السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام هذا ايضا قد ذكرناه فيما تقدم وقوله ثم استوى على العرش وفى هذا ايضا
قد ذكرنا فيما تقدم لا تاويلات كثيرة لكنا نذكر فيه حرفا لم نذكر فيما تقدم من الذكر وكانه اصوب واقرب الى الحق
وهو ان ذلك حرف وكلام لم يجعل الله تعالى فى العقول والافهام سبيل الدرك له والمعرفة اعنى قوله ثم استوى
على العرش لانه ذكر ذلك الحرف فى موضع آخر وامره ان يسأل به خبيرا حيث قال ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا
ولو كان ذلك الحرف مما يعقول البشر وافهامهم سبيل الوصول الى معرفته ودركه لادركه عقل رسول الله رب العالمين
وتهمه من غير ان يسأل به الخبير من كان الله او جبريل فاذ امره بالسؤال عنه دل انه بالعقل والفهم لا يدرك
ولا يعرف ولكن بالسمع عن الله ولم يذكر عن الرسول انه سئل ذلك وقال فيه او سال احدا عنه والله اعلم وقوله
ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع يقول اهل التاويل ما لكم من دونه من ولى ينفعكم فى الاخرة ولا شفيع يدفع عنكم
عذابا او ان يكون قوله ما لكم من دونه من ولى اورب والى يلى امركم سواه ولا شفيع ولا جعل لكم الاصنام التى تعبدونها
شفعاء وانتم تعلمون ذلك فكيف تعبدونها دونه ويذكر على الوعيد لهم اى ليس لاولئك ولى ولا ناصر ولا شفيع
لا هو ولا غيره واما المؤمنين فانه وليهم كقوله ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقوله
افلا تتذكرون فيما ذكر من صنعه فتوحدونه والله اعلم وقوله يدبر الامر من السماء الى الارض قال اهل التاويل
يدبر الامر اى هو يقضى القضاء وحده من السماء والارض وعندنا انه يخرج على وجهين احدهما يدبر الامر اى هو يكون الامر
ويدبره او هو يجعل الخلق بحيث يقبلون الامر والنهى ويحتملون المحنة او هو يخرج الامر كله على الحكمة والتدبير والثانى
يدبر الامر اى يولى من يدبر الامر من السماء الى الارض نحو ما ولى ملك الموت قبض ارواح الخلق ونحو ما ولى بعض ملائكته
امر الامطار والنبات وغير ذلك فجائز ان يكون الاول يولى ملائكته امر ما بين السماء والارض فان كان الاول فليس
ذكر السماء والارض حد ولا تقدير يدبر ذلك ولا يدبر ما سوى ذلك لكن ذكر هذا لما الى ذلك ينتهى تدبير البشر
وعلمهم واما ما سوى ذلك فلا وان كان الثانى فهو على التحديد والله اعلم وقوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره
قال بعض اهل التاويل ثم يعرج اليه يقول يصعد الملك اليه فى يوم واحد من ايام الدنيا كان مقدار ذلك اليوم الف سنة
مما تعدون انتم لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام فينزل مسيرة خمسمائة عام ويصعد مسيرة
خمسمائة عام وذلك مقدار مسيرة الف سنة فى يوم واحد من ايام الدنيا وذكر فى موضع آخر خمسين الف سنة
فجائز ان يكون ذلك وصف يوم القيامة فيخرج ذلك لا على التحديد والتقدير ولكن على التعظيم كذلك اليوم والوصف
بما يعظم فى قلوب الخلق وهو ما وصفه بالعظمة كقوله ليوم عظيم وان يكون التحديد والتقدير ان كان حقيقة
لاختلاف احواله واوقاته على اختلاف الامور يكون الف سنة ذكر حال ووقت لامر وخمسين الف سنة لحال
اخرى لامر آخر على ما سمى ذلك اليوم مرة يوم الجمع ومرة يوم التفريق ويوم الفصل ويوم الحساب ويوم البعث
ونحوه ومعلوم ان ذلك اليوم من اوله الى اخره ليس بيوم الجمع ولا بيوم الافتراق ولا يوم الحساب ولا يوم البعث
ولكن يجمع ذلك كله لاختلاف الاحوال والاوقات لامور مختلفة فعلى ذلك يشبه ان يكون الاول كذلك والله اعلم

ذلك هو الله او جبريل
نسخة

ويكون قوله ثم يعرج اليه اي يصير اليه ذلك كقوله واليه المصير واليه ترجعون واليه يرجع الامر كله ونحوه
وقوله ذلك اي هذا الذي صنع ماذكر من هذه الاشياء عالم الغيب والشهادة يحتمل هذا وجوها عالم ما غاب
عن الخلق والشهادة وعالم ما يشهدون ويظهرون ويعلنون او عالم مايكون ويحدث والشهادة ما قد كان ومضى
او عالم ما يغيب بعض من بعض والشهادة ما يشهدون ويظهرون او عالم بما يغيب عن الخلق كيفية المنافع من الاشياء القائم
ومائيتها نحو ما غاب عنهم المعنى المضمر المودع في الطعام والشراب والاغذية جميعا الذي به حيوة انفسهم وقوامهم
وكذلك السمع والبصر والفهم والعقل لا يدرك المعنى الذي به يسمع ويبصر ويفهم ويدرك وما به يحيى انفسهم وتقويه
والله اعلم وقوله العزيز الرحيم العزيز في هذا الموضع المنتقم من اعدائه الرحيم على اوليائه او العزيز الذي لا يعجزه
شيء الرحيم الذي له رحمة يسع الخلائق في رحمته او العزيز الذي به يعز من عز والرحيم الذي برحمته يرحم من يرحم
ومنهم من يقول في قوله في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال
من منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى امره فوق السموات مقدار ذلك خمسون الف سنة ويوم كان مقداره الف سنة
ذلك نزول الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقداره الف سنة لكن قوله من منتهى
امره من اسفل الارضين الى منتهى امره فوق السموات كذا فاسد لانه لا يجوز ان يكون لامره او لملكه نهاية او حد والوجه فيه
ما ذكرنا والله اعلم وقوله الذي احسن كل شيء خلقه بالجزم والتحريك جميعا كلاهما لغتان ثم يحتمل قوله احسن كل شيء
خلقه وجهين احدهما كل شيء اي علم كل شيء خلقه انه كيف يخلق من غير ان يعلمه احد واعانه عليه احد وفي الشاهد
لا يقدر احد ولا يمكن له صنع شيء الا بمعلم يعلمه ذلك او بمعين يعينه على ذلك يخبر عن جهلهم وسفههم بتقديرهم
قدرة الله وقوته بقوى انفسهم وقدرتهم في انكارهم البعث وجحدهم عن تقدير الخلق وامتناعه عن وسعهم يقول
لا تقدروا وقدرة الله بقدرة انفسكم وقواكم كما لم تقدروا علمه بعلمكم اذ يعلم هو بذاته بلا معلم وانتم لا تعلمون الا بمعلم
فعلى ذلك هو قادر بذاته لا يعجزه شيء وانتم لا تقدرون الا بغيرها وبسبب ويحتمل هذا الوجه وجها آخر وهو ان قوله
احسن كل شيء خلقه اي علم كل شيء من خلقه ما به مصالحهم وفسادهم وما يؤتى وما يتقى والثاني احسن كل شيء خلقه
اي احكم كل شيء خلقه واتقنه ثم يخرج على وجهين احدهما اتقن واحكم فيما به من المصالح والمآتي وفي كل شيء من التسوية
والتفرقة وفي الجمع والتصوير والثاني احسن اي اتقن واحكم كل شيء خلقه في الشهادة على وحدانية الله والوهيته اي جعل
في كل شيء اثر وحدانيته ليشهد على وحدانيته وربوبيته قال بعضهم احسن كل شيء خلقه لم يخلق الانسان في خلق البهائم
وصورتها ولا البهائم في خلق الانسان وقتادة يقول كل شيء من خلقه حسن على نحو ما خلق وعلم كيف يخلقه وهو قريب
مما ذكرنا بدئيا ثم من قرا خلقه بالجزم يكون معناه والله اعلم اي احسن خلق كل شيء ومن قرا خلقه بالتحريك اي احسن كل شيء
منه وخلقه ثم للمعتزلة في هذه الاية ادنى تعلق يقولون اخبر انه احسن كل شيء خلقه والكفر وشتم رب العالمين ونحوه
كله قبيح وسفه دل انه لم يخلقه وانه ليس بخالق لذلك فيقال لهم ان اخوانكم الزنادقة يعارضونكم ويقولون ان الخنزير
والنجاسات وجميع السباع الضارة والموذية وجميع الخبائث كلها قبيحة فالله ليس بخالق لها فبم تدفعون قولهم وشؤم
ذلك فان زعمتم في الاول في الكفر والشتم وجميع فعل الشر وانه ليس بخالق له لانه قبيح ضار مؤذ يلزمكم مذهب الزنادقة
فيما يقولون ويذكرون في اثبات خالق سواه لانه قبيح ضار مؤذ ويقال لهم ان الله جل وعلا سمى ابليس باطلا فهو اذا لم يخلقه
لانه اخبر انه لم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ثم يقال لهم انا نقول انه خلق فعل الكفر من الكفر قبيحا وخلق فعل
الشر والشتم من الشرير والشاتم قبيحا خلق فعله على ما هو وعلى ما عنده وعلم فلا عيب يلحق في جعل ما هو قبيح قبيحا كمن يعلم
الكفر ليعلمه قبيحا على ما هو وكذلك جميع الشرور فعلى ذلك ليس في خلق ما هو قبيح في نفسه قبيحا عيب على ما لم يكن في تكلف
معرفة القبيح ليعرفه قبيحا على ما هو حقيقة عيب هذا اذا كان التأويل على ما يذهبون اليه فاما اذا كان ما ذكرنا في قوله
احسن اي علم او احكم وليس يدخل في ذلك شيء مما ذكروا والله اعلم وقوله وبدا خلق الانسان من طين قال عامتهم يعني آدم
وقوله ثم جعل نسله اي نسل آدم ثم سواه ونفخ فيه من روحه اي آدم وقال بعضهم لا ولكن ذلك نعت ولده

ورالا فما خروج لكم سوى الانفتاح للحق ثم يقول لهم لا سه سه

وذريته لان الاعجوبة في خلق ولده في الارحام في ثلاث ظلمات من النطفة ان لم تكن اكثر من خلق آدم من طين لا تكون
اقل لان صنع الاشياء الظاهرة البادية وتسويتها في الشاهد ايسر وادون من صنعها وتسويتها اذا كانت غايبة مستكنة
وظاهره ان يكون قوله وبدا خلق الانسان من طين آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ذريته لان النسل هو الولد والذرية
وقوله من سلالة قال بعضهم السلالة هو الصفو من الماء والخالص من كل شيء وقال بعضهم السلالة هي من استل اي
اي اخرجه ونزعه فعلى ذلك قوله من سلالة من ماء اي استخرج من الظهر وسل منه ونزع والمهين هو الضعيف يقال منه
مهن يمهن مهانة فهو مهين وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقوله ثم سواه اي جمعه وقومه وركب بعضه ببعض
ونفخ فيه من روحه وهو من الريح وبالنفخ تفرق في الجسد لذلك ذكر والله اعلم وقوله ثم سواه يحتمل ما ذكرنا
من تركيب الجوارح والاعضاء او سواه وجعله بحيث يحتمل المحنة والامر والنهي ونفخ فيه من روحه اي جعل فيه الروح
وذكر النفخ لما ذكرنا على تحقيق النفخ فيه والله اعلم وقوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ذكر جل وعلا جميع ما يوصل
الى العلوم الغائبة والحاضرة جميعا ويدرك وتوجد السبيل اليها وهو السمع والبصر والقلب الذي ذكر جعل في الانسان
لانه بالسمع يوصل الى ما غاب عنهم من العلم يسمعون ما عند غيرهم وكذلك بالبصر يرى ويبصر ما عند غيره وبالقلب يفهم
ويحفظ ويميز بين ما يؤتى ويتقى بين انه قد اعطاهم ما به يدركون ويصلون الى ما غاب عنهم ويفهمون ويميزون
وهو ما ذكر من الحواس ثم قال قليلا ما تشكرون قال اهل التاويل قليلا ما تشكرونه اي لا تشكرون فقط لانهم يقولون
انما خاطب به لاهل مكة وان يقال انهم يشكرون قليلا لكنهم يعتقدون وينقضون ما يشكرون بكفرانهم من بعد واما اهل
الاسلام وان كان شكرهم لما ذكر من هذه الحواس قليلا فانهم قد اعتقدوا في اصل العقد الشكر له في جميع نعمه والكافر
اعتقد الكفران له والابهج ان يكون قوله قليلا ما تشكرون للمؤمنين ولهم يقال ذلك لا للكفرة والله اعلم وقوله وقالوا
ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد هذا القول منهم في الظاهر يخرج على الاستفهام والسؤال ائنا نبعث ونخلق
خلقا جديدا او على الايجاب والتحقيق انا نبعث لا محالة فلا يلحقهم بذلك لائمة ولا تعيير لو كان على ظاهر المخرج فهم لكنهم
انما قالوا ذلك استهزاء وانكارا للبعث دليله ما قال على اثره بل هم بلقاء ربهم كافرون والا ظاهر ذلك القول
منهم على احد الوجهين اللذين ذكرناهما استفهاما او ايجابا وهو ما اخبر عن المنافقين حيث قال اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله هذا القول منهم حق وصدق لكنهم لما اضمروا خلاف ذلك لم ينفع ذلك لهم
حيث قال والله يشهد انهم لكاذبون فعلى ذلك القول منهم في الظاهر ما ذكرنا لكنهم انما قالوا ذلك استهزاء وانكارا للبعث
وجحودا وقوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم هذا الحرف في الظاهر ليس هو بصلة للاول لانه انما يقال هذا
عن سوال سابق في توفي الخلق وقبض ارواحهم انه من فيقال عند ذلك يتوفاكم ملك الموت وجائز ان يكون على الصلة
بالاول لانهم انكروا البعث واحياءه اياهم من التراب لما لا يرون لله القدرة على ذلك فيذكر انه مكن واقدر عبدا من عبيده
على قبض ارواح جميع الخلائق من المشرق الى المغرب من غير ان يعلمه احد انه كيف يقبض وكيف يمكن له ذلك فيخبر
ان من قدر على هذا لا يقدر على احياء الخلق بعد ما صاروا ترابا ورمادا بل قادر على ما يشاء كيف شاء متى شاء لا يعجزه شيء
ولا يخفى عليه شيء ثم قوله يتوفيكم يحتمل من توفي العدد يجعلهم وفاء لعددها كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا له
وجائز ان يكون التوفي من الاستيفاء ووفاء التمام اي يستوفي الروح كله لا يبقى في الجسد منه شيء ثم في الاية دلالة الخلق
انه الى العباد لانه اخبر ان ملك الموت يتوفاهم ويميتهم وقد اخبر انه خلق الموت والحيوة فدل ان جميع ما يفعل العباد
هو خلق الله وقال القتبي ضللنا في الارض اي بطلنا وصرنا ترابا وقال غيره هلكنا وقال ابو عوسجة ضللنا بالضاد
اذا صرنا في القبور وبلينا فيها ويقال ضللنا بالكسر من الضلال ويقال ضللت شيء كذا وكذا اذا لم تدر اين ذهب
ويقال صللنا بالصاد وهو من صل اللحم اي انتن وقوله يعرج اليه اي يصعد في قول القتبي وابي عوسجة
ويعرج اي احتبس نسله اي ولده وقال السلالة الخالص من كل شيء وقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم يقول والله اعلم لو ترى يا محمد ما نزل بالمجرمين يومئذ من العذاب وفيما هم فيه من الحال الشديدة

والهوان بالتكذيب الذي كان منهم واسائتهم اليك لرحمتهم ولم تتكلف مكافاة اسائتهم وتكذيبهم لعظم ما نزل
من العذاب والشدايد ناكسوا رؤسهم عند ربهم ندامة وحسرة وحزنا على ما كان منهم على مثل هذا يخرج التاويل والا ليس
في ظاهر الآية جواب قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم فجوابه ما ذكرنا او نحوه والله اعلم وقوله ربنا ابصرنا وسمعنا
هذا يخرج على وجهين احدهما قوله ابصرنا الحجج والبراهين عيانا بعد ما كنا ابصرناها في الاولى بالدلالة وسمعنا اي قبلنا
واجبنا فارجعنا الى الاولى او المحنة نعمل صالحا انا موقنون والثاني ربنا ابصرنا صدق الرسل وايقنا بما وعدونا
واوعدونا في الدنيا وسمعنا سماع ايقان وعيان فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون والله اعلم وقوله ولو شئنا لآتينا
كل نفس هديها اي لو شئنا لآتينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم الاختيار لذلك لاهتدوا ولكن لم يعطهم
ذلك اللطف لما لم يعلم منهم كون ذلك واختياره وعلى قول المعتزلة شاء ان يعطي كل نفس ما به اهتدت وقد اعطاها
لكنها لم تهتد فقولهم مخالف للآية لانهم يقولون شاء ان يهتدي كل نفس واتى كل نفس ما به تهتدي لكنها لم تهتد ولكنهم
يقولون المشية ههنا مشية الجبر والقسر فيقال لهم زعمتم انه قد شاء ان يهتدوا واتاهم ما به يهتدون فلم يهتدوا
ولم تنفذ مشيته فاني يقدر ويملك ان يشاء مشية تقهرهم وتجبرهم حتى يهتدوا وكيف يومن على ذلك فذلك
بعيد على قولكم فيقال لهم ايضا ان الايمان والتوحيد في حال القهر والقسر لا يكون ايمانا لان القهر والجبر يرفع الفعل
عن فاعله ويحوله منه فكيف يصح تاويلكم على هذا وقوله ولكن حق القول مني لاملان جهنم اي لكن وجب القول
مني بما علمت انه يكون منهم ويحدث ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم انهم يختارون الرد والتكذيب وقوله لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فهذه الآية دلالة انه قد عصمهم ملايكته عن عمل ما يستوجبون به جهنم بعد قوله
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم حيث خص الجن والانس فيما يملا بهما جهنم فان قيل انه قال في آية اخرى
وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة قيل هم اصحاب النار في تعذيب غيرهم وليسوا هم باصحابها فيما ينتهي اليهم العذاب وللّه
ان يجعل ويمتحن من شاء على تعذيب من شاء والله اعلم وقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا هذا النسيان الذي ذكر
منهم ليس هو نسيان غفلة وسهو لانه لا كلفة تلزم في حال السهو والغفلة ثم هو يخرج على وجهين احدهما تضييع
وترك تصديق الرسل بما اوعدوهم به وتكذيبهم ورد الحجج والآيات لذلك والثاني نسيتم اي جعلتم ذلك كالمنسي لم يكترثوا
اليه ولا عباوا به وكذلك يخرج قوله انا نسيناكم على وجهين احدهما اي نجعلكم المنسي عن رحمته وفضله لا يكترث له
ولا يعبا بكم كما جعلتم انتم آياته وحججه وما دعوكم اليه كالمنسي المتروك الذي لا يكترث اليه والثاني انا نسيناكم اي نجزيكم
جزاء نسيانكم وترككم وتضييعكم ويجوز تسمية الجزاء باسم اصله واوله وان لم يكن الثاني في الحقيقة ما ذكر نحو ما سمى
جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثاني في الحقيقة سيئة ولا اعتداء فعلى ذلك الاول والله اعلم
وقوله وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ويعتقدون المذهب للخلود والابد
لان كل ذي مذهب ودين انما يعتقد المذهب ويختاره للابد فعلى ذلك جعل تعذيبهم في النار للابد واما من يرتكب المآثم
والزلات من المومنين فانما يرتكب عند شدة الحاجة وغلبة الشهوة في وقت ارتكابه لا للابد لذلك افترقا وقوله انما يومن
باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا يخرج قوله انما يومن اي انما يحقق الايمان بالله وبآياته الذين اذا ذكروا بها
خروا سجدا لله حقيقة ثم يحتمل خروا سجدا حقيقة السجود عند تلاوة الآيات التي فيها ذكر السجود والثاني يكون ذكر
خرور الوجه والسجود كناية عن الخضوع لها والانقياد والاستسلام والقبول لها فاحدهما على حقيقة السجود عند تذكير
الآيات لهم والتلاوة عليهم والثاني على الكناية من القبول لها والاستسلام والا ليس من ذي مذهب من اهل الكفر من عبدة
الاوثان وغيرهم الا وهو يدعي الايمان بالله وبآياته ويزعم ان الذي هو عليه هو الايمان به والمؤتمر بامره الا ترى انه كيف
اخبر عنهم حيث قال واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها كانوا يدعون في جميع ما يعملون
ان الله تعالى امرهم بذلك وانهم مومنون به مؤتمرون بامره فاخبر انه انما يحقق الايمان بالله وبالآيات الذين
اذا ذكروا بها خروا سجدا لا اولئك الذين يدعون ذلك وليسوا هم كذلك وقوله وسبحوا بحمد ربهم التسبيح هو تنزيه

الرب وتبرئته له عن جميع ما قالت الملحدة فيه ونسبوه اليه مما لا يليق به يقول سبحوا بحمد ربهم اي ذكروه بمحاسنه
ومحامده وبرؤوه ونزهوه عن جميع ما وصفه اولئك ونسبوه اليه هذا والله اعلم هو التسبيح بحمده وقوله وهم لا يستكبرون
لا احد يخطر بباله ان يستكبر على الله او على امره ولكن كانوا يستكبرون على رسله لما لا يرونهم اهلا لذلك او ان يكونوا
يستكبرون على ما يدعونه اليه ولا يجيبون لذلك وقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع روي عن انس بن مالك رضي الله عنه
انها نزلت في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن اختلفت فيه عنه الروايات ذكر في بعضها انها نزلت في نفر
من عمال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعملون بالنهار فاذا جن عليهم الليل اضطجعوا بين المغرب والعشاء
فناموا فلما نزل هذا اجتنبوا عن ذلك وذكر عنه انهم كانوا يصلون بين المغرب والعشاء فنزلت الآية فيهم فان كان هذا
فنزول الآية لذلك يخرج مخرج المدح لهم والثناء الحسن وان كان الاول فهو على النهي والتوبيخ لذلك ثم اختلف اهل
التاويل في تاويلها قال بعضهم هو التيقظ والصلوة فيما بين المغرب والعشاء الآخرة ومنهم من يقول هو التجافي عن المضاجع
لصلوة العشاء والفجر يصليهما ومنهم من يقول تتجافى جنوبهم بذكر الله كلما استيقظوا ذكروا الله اما صلوة واما قياما
واما قعودا لا يزالون يذكرون الله من يقول تتجافى جنوبهم عن المضاجع قيام الليل والصلوة فيه وهذا اشبه
التاويلات لانه قال عن المضاجع والتجافي عن المضاجع انما يكون في الوقت التي يضطجع فيه وفيه يقع الاستلذاذ
والثناء الحسن لانه وقت الغفلة والنوم فيه واما ساير الاوقات ليس كذلك والله اعلم وقوله يدعون ربهم
خوفا وطمعا يحتمل قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا اي يعبدون ربهم ويحتمل حقيقة الدعاء ثم قوله خوفا وطمعا
قال بعضهم خوفا من عذاب الله وطمعا في رحمته او ان يكون قوله خوفا اي يخافون التقصير في العبادة وطمعا اي يطمعون
احسانه واحسانه في العفو والتجاوز وهكذا عمل المومن بين الخوف والطمع يخاف التقصير فيه ويطمع احسانه
ذكر عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع امنين
فاذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة واذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة ثم قرا قوله يدعون ربهم خوفا
وطمعا الآية وقوله ومما رزقناهم ينفقون يحتمل الزكوة المفروضة ويحتمل ينفقون صدقة التطوع وجايز ان يكون
قوله ومما رزقناهم من القوى والاسباب السليمة ينفقون اي يعملون والله اعلم وقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا عمل النفس انها لا تعلم الامثال لما احست وعاينت وشاهدت فاما العقل
فانه جايز ان يعلم ويخطر ما لم يروا ويحس ولم ير له مثالا والله اعلم وعلى قول المعتزلة يدعون هم ربهم امنا وايا سا لا على
الخوف والطمع على ما ذكر لانهم لا يخلوا اما ان يكونوا اصحاب الصغاير او اصحاب الكباير فان كانوا اصحاب الصغاير فهم امنون
على قولهم لانه لا يسع له ان يعذب على الصغيرة على قولهم واصحاب الكباير فهم آيسون من رحمته اذ لا يسع ان يغفر على قولهم
فقولهم مخالف لظاهر الآية قال ابو عوسجة تتجافى جنوبهم اي لا يضعونها بالارض يقال يتجافى جنبه اذا لم يضطجع ولم ينم وتجافيت
جنبي اي لم الزقه بالارض وقال القتبي تتجافى اي ترتفع عن الارض ونزلا من النزول والنزل ما يجعل للرجل يأكله
ويتفقه وقوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون ان اهل التاويل يقولون نزلت الآية في شان علي بن ابي طالب
والوليد بن عقبة بن ابي معيط كان بينه وبين علي رضي الله عنه كلام وتنازع حتى قال له علي انك فاسق وانا مومن
فنزلت الآية فيهم لكن الآية في جميع المومنين والفاسقين يخبران ليس بينهم استواء ثم جايز ان يكون ذكر هذا
ونزل القول كان من اولئك الكفرة الفسقة للمومنين ان منزلتنا ومنزلتكم وقدرنا في الآخرة عند الله سواء
فنزلت الآية لذلك انهما ليسا بسواء فبين منزلة المومن عند الله وقدره وما ذكر من الثواب له والكرامة ومنزلة
الفاسق ما ذكر من الخلود في النار ابدا كقوله ام حسب الناس وكقوله ام حسب الذين اجترحوا السيآت الآية او يذكر
ذلك على الابتداء انكم تعرفون في عقولكم ان ليس المومن المصدق في الشاهد في المنزلة والقدر عند كل الخارج
عن امره وكالمكذب له فكيف تطمعون الاستواء عند الله وانتم الفسقة الخارجون عن امر الله واولئك الصادقون له

نزلت هذه الآية ... اجتنبوا

وا كذا يؤكد هذا ما روي
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير
فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني
الجنة ويباعدني من النار فقال
لقد سالت عن عظيم وانه ليسير
على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله
ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلوة
وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان
وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير
الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة
وصلوة الرجل في جوف الليل ثم قرا
تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ
يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر
وعموده وذروة سنامه الجهاد
في سبيل الله تعالى ثم قال الا اخبرك
بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله
قال فاخذ بلسانه وقال اكفف
عليك هذا قلت يا رسول الله
انا المواخذون بما نتكلم به قال
ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب
الناس على وجوههم او على مناخرهم
الا حصايد السنتهم
شرح

لا ينتفعون وحبا لله تعالى للضعفاء
والمحتاجين ويعينون لهم في اعمالهم
والله اعلم
شرح

والله اعلم بذلك ثم الخوارج والمعتزلة يقولون لو كان الفاسق مؤمنا على ما تقولون لم يكن لما ذكر معنى فدل ان الفاسق
لا يكون مؤمنا حيث ذكر انهما لا يستويان وان المؤمن ماواه في الجنة والخلود له فيها والفاسق مقامه في النار خالدا فيها
على ما ذكر فلو كان على ما تقولون لكانا يستويان او كلام نحو هذا فيقال لهم انا وانتم نتفق ان هذا الفاسق المذكور في الاية
ليس بمؤمن وانه لا يستوي المؤمن لانه ذكر الفسق مقابل الايمان دليله اخر الاية حيث قال ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به
تكذبون ذكر التكذيب والتكذيب هو مقابل الايمان والتصديق وكل فسق كان مذكورا مقابل الايمان فهو كفر وتكذيب فهو
لا يكون مؤمنا ولكن ها هنا فسقا ذكر لا مقابل الايمان ولكن مقابل غيره من العصيان والمساوي ويكون له هذا الوعيد الذي
ذكر في هذا الا يرى ان السوء المذكور مقابل الايمان كفر كقوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء فعلى ذلك الفسق المذكور مقابل الايمان كفر لا يقع فيه استواء بحال واما الفسق المذكور لا مقابل الايمان
فجائز ان يقع فيهما استواء وهو ان يغفر له ذنبه ويكفر عنه سيئته ويدخله الجنة حيث قال ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال في اية اخرى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما
وقال في اية اخرى اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية هو في مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء نجا وزعم اصحاب
الحديث يقولون ان جميع الطاعات ايمان بهذه الاية لانه قال افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ثم فسر ذلك المؤمن فقال
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى وعد لهم الجنات بالايمان وعمل الصالحات فيقال ان الوعد
المطلق هو لمن امن وعمل الصالحات فاما من امن ولم يعمل من الصالحات شيئا لا نا نقول بان له ذلك الوعد المطلق ولكن له
الوعد الذي ذكرنا وفي الاية دلالة ان قد يعمل المؤمن غير الصالحات وهو مؤمن لانه لو لم يكن منه غير عمل الصالح لم يكن
لشرط العمل الصالح له معنى دل ان قد يكون من المؤمن غير العمل الصالح وذلك على المعتزلة والخوارج وقوله ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اختلف في العذاب الادنى قال بعضهم هو القتل يوم بدر ومنهم من يقول
هو الجوع في السنين التي كانت لهم فيها والضيق والشدة ومنهم من يقول هو المصائب التي تصيبهم وامثال ذلك كثيرة
لكن عندنا ذلك العذاب ليس هو عذاب الكفر يكون في الاخرة ابدا دائما لا زوال له ولا انقطاع فاما عذاب الدنيا لهم
عذاب عنادهم وما يكون منهم من الجنايات في حال كفرهم يعذبون في الدنيا ليذكرهم ذلك العذاب في الاخرة العذاب
الدائم ليمنعهم عما به يعذبون في الدنيا عن عذاب الاخرة وكذلك ما اعطاهم من اللذات والنعيم في الدنيا وان كان
منقطعا ليذكرهم ذلك النعيم وتلك اللذات لذات الاخرة ونعيمها الدائم ولذلك رغبنا الله خلقها الى طلب الاخرة
واخبران لهم فيها من اللذات كذا وغيره من القران حيث قال وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين الاية ونحوه كثير
والعذاب الاكبر هو عذاب الاخرة وهو عذاب الكفر والتكذيب وقوله لعلهم يرجعون لكي يلزمهم حجة الرجوع
عما هم فيه من التكذيب لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين والله اعلم وقوله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها
قوله ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه ووقع له المعرفة والعلم انها ايات ربه ثم اعرض عنها بعد ما عرفها
وعلم بها ليس احد اظلم من ذلك التذكير باياته ما ذكرنا انهم يذكرون ليقع لهم بانها اياته ثم يحتمل ايات وحدانيته وايات
الرسالة او ايات البعث او ايات القران والله اعلم وقوله انا من المجرمين منتقمون جرمهم ههنا جرم كفر ينتقم منهم انتقام
الكفر والتكذيب وقوله ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه اختلف فيه قال بعضهم لا تكن في مرية
من لقائه اي من ان تلقاه يوم القيامة وقال بعضهم فلا تكن في مرية من لقاء موسى التورية فان الله القى الكتاب
عليه اي التورية حقا فلقيها عيانا وقال بعضهم فلا تكن في مرية من لقائه ليلة اسري به قد روي مثل هذا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اسري وعرج الى السماء فقال له موسى كذا وكذا اشياء ذكرت في امر الصلوات وغيره فلا ندري
ايثبت ذلك ام لا وان ثبت كيف كان ذلك انه او حمله فقال ما ذكر او راى فذلك في المنام ورؤيا الانبياء حق وكيف كان
لامر الله والله اعلم وقوله وجعلناه هدى لبني اسرائيل قال بعضهم جعلنا موسى هدى لبني اسرائيل يجعل الهاء كناية
عن موسى وقال بعضهم وجعلناه اي الكتاب الذي اتى موسى هدى لبني اسرائيل ثم يحتمل قوله هدى لبني اسرائيل

واحتج اصحاب الحديث بهذه الاية على ان جميع الطاعات من الايمان
صح

وجهين احدهما البيان اي جعلناه بيانا لهم يبين ما لهم وما عليهم وما لله عليهم والثاني هدى لبني اسرائيل
اي دعا لبني اسرائيل يدعون الخلق به الى توحيد الله والوهيته الهدى المضاف الى الخلق يخرج على هذين الوجهين
على البيان والدعاء والهدى المضاف الى الله يخرج على وجوه اربعة على البيان وعلى الدعاء الذي ذكرنا ايضا
وعلى وجهين اخرين احدهما التوفيق والمعونة والثاني على خلق فعل الاهتداء منهم على هذه الوجوه الاربعة يخرج
اضافة الهدى الى الله والى الخلق على الوجهين اللذين ذكرناهما فان قيل كيف خص موسى ان جعل هدى لمن ذكر
وذلك قد يكون في غيره وهو ما جعل في خلقة كل احد شهادة وحدانيته والوهيته قيل ذلك انما يدرك بالنظر
والتفكر واما فيما ذكر يدرك بالبديهة والله اعلم وقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا اي قادة في الخير يحتمل
قوله يهدون بامرنا اي يدعون الناس بما امرهم وهو التوحيد ويهدون اي يبينون لهم بالذي امرنا ما لهم وما عليهم
وقوله لما صبروا قال بعضهم اي بما صبروا على البلاء وتعذيب فرعون اياهم واذاه اياهم اي امنوا ودعوا غيرهم
الى ذلك على الخوف كقوله فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم الاية وقال بعضهم لما صبروا على الطاعات
وقد قرئ لما صبروا بالتشديد ومعناه والله اعلم اي انما يهدون لما كان منهم الصبر على ذلك اي بالصبر الذي كان منهم
هدوا ولذلك وقوله وكانوا باياتنا يوقنون انها من الله وانها اياته وقال بعضهم لما صبروا اي لم يركنوا الى الدنيا
ولا اشتغلوا بها ولكن صبروا على ما امروا وكلفوا والله اعلم وقوله ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون ان اهل الاديان جميعا والمذاهب على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم اتفقوا ان الدين جاء من الله واحد وان الدين
الذي امر الله ان يدينوا به واحد لكن كلا منهم ادعى ان الذي هو عليه دين الله وان الامر به من الله وقع على ما يدين
هو به وغيره على باطل على غير دين الله الذي امر بالديانة به ولذلك قالوا واذا فعلوا فاحشة الاية فاخبر انه
يفصل بينهم ويبين الدين الذي امر ان يدينوا به في الدنيا بيان الاحتجاج عليهم والاقدار لهم واظهر الدين
الذي امرهم ان يدينوا به بالحجج والايات وعرفوا ذلك لكنهم كابروا وعاندوا وكتموا ذلك ولبسوا على الناس والاتباع
فيبين ما كتموا في الدنيا ولبسوا في الاخرة فيظهر عنادهم ومكابرتهم احتجاجا عليهم وان كان الحق قد بان لهم وظهر
في الدنيا هذا والله اعلم يشبه ان يكون تاويل الاية وقوله اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون
في مساكنهم يقول والله اعلم اولم يبين لاهل مكة ولم يكفهم من الهداية والبيان ما اهلكنا من قبلهم من القرون
الذين يمشون ويمرون في مساكنهم ما حل بهم ومن اهلك ومن نجا منهم فيقع الاعتبار لهم بمن ذكر من وجهين احدهما زعموا
ان اباءهم على ما هم عليه وانهم يقلدونهم في ذلك وانهم امروا بذلك فيخبر انكم اولاد من نجا منهم لا اولاد من اهلكوا
لانهم استؤصلوا فلا يحتمل ان تكونوا اولاد من استؤصلوا فدل انهم اولاد من نجا منهم وانما نجا منهم المصدق لا المكذب
فيخبر ان كيف لا اتبعتم اباءكم الذين نجوا منهم وهم المصدقون دون الذين اهلكوا بالتكذيب والعناد والثاني
يعتبرون فيعلمون ان اهلاكهم واستيصالهم كان للتكذيب والعناد مع الرسل والخلاف لهم فيمنعهم ما حل بهم بالتكذيب
والخلاف للرسل عن تكذيب رسول الله ومجادلتهم اياه وقوله ان في ذلك لايات افلا يسمعون قال بعضهم افلا يبصرون
ذلك حيث يمشون في مساكن اولئك ويمرون فيها قال بعضهم افلا يسمعون ما يحدث لهم عن اولئك وما حل بهم ونزل
ذلك بهم وقال بعضهم افلا يسمعون افلا يعقلون لماذا اهلكوا واستؤصلوا فيمتنعون عن ذلك كقوله وقال بعضهم
افلا يسمعون الوعيد الذي وعد لهم وقيل افلا يسمعون التوحيد والله اعلم وقوله اولم يروا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز فنخرج به زرعا الى اخر ما ذكر هذه الاية ذكرت في الاحتجاج عليهم لانكارهم البعث والاولى
ذكرت لانكارهم نزول العذاب بالتكذيب والخلاف للرسل فيخبر ان من قدر على سوق الماء الى الارض الميتة
اليابسة واحيائها القادر على احيائكم بعد الموت اذ الاعجوبة والقدرة في احياء الارض الميتة اليابسة ان لم يكن اكثر فلا يكون
دون ما انكروا فكيف انكرتم القدرة على احياء الموتى وقد عاينتم ما هو اكثر او مثله والارض الجرز قال ابو عوسجة
هي التي لا نبت فيها وارضون اجراز وارض اجراز وكذلك قال القتبي الارض الجرز اليابسة التي لا نبت فيها وجمعها اجراز

الذي

و يقال سنون اجراز اذا كانت سنى جدب وقال بعضهم الارض الجرز هى التى تاكل نباتها اى يحترق فيها يقال امراة جرزة
اذا كانت اكولة اركلوم نحو تاكل منها من الزرع الذى ذكر انه يخرج من الارض اليابسة بالماء انعامهم وانفسهم فلا تبصرون
قدرته فى اخراج ماذكر مما فيه غذاؤكم وغذاء ما سخر لكم من الانعام او يذكرنعمه يقول افلا تبصرون نعمه فكيف تكفرونه وتعبدون
غيره وتصرفون الشكر الى غيره وذكر عن عمر رضى الله عنه انه قال الارض الجرز التى لا تنبت شيئا **وقوله** ويقولون متى هذا
الفتح ان كنتم صادقين قال بعضهم ان اصحاب رسول الله كانوا يقولون ويتحدثون ان لنا يوما او شك ان نستريح فيه
ونتنعم فيه يعنون يوم القيامة فقال كفار مكة متى هذا الفتح وهو القضاء ان كنتم صادقين بانه كاين فان كان البعث
والقيامة حقا صدقنا يومئذ وآمنا فانزل الله تعالى قل يا محمد لهم يوم الفتح يوم القضاء لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
بالبعث لقولهم لو كان البعث الذى يقولون حقا صدقناه يومئذ ولا هم ينظرون يقول لا يناظر بهم بالعذاب حين
يعذبون وقال بعضهم ان اصحاب رسول الله كانوا يتذاكرون وهم بمكة فتح مكة لهم فكان ناس من اهل مكة اذا سمعوا
ذلك منهم هزؤا بهم وسخروا ويقولون لهم متى فتحكم الذى تزعمون فنزل ويقولون متى هذا الفتح يا اصحاب محمد
ان كنتم صادقين انها تفتح عليكم لكن هذا بعيد لانه يقول على اثره قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ولا هم ينظرون
ولو كان فتح مكة لكان ينفعهم ايمانهم ولهم نظرة وانظار دل انه يبعد صرفه الى فتح مكة والاول اشبه
ان يكون لما ذكر من ترك قبول الايمان والانظار فى الدنيا يقبل ذلك كله فظهر ان الاول اشبه كان السؤال
عن الساعة او عن المحاكمة الا ان يثبت ما ذكر فى الخبر انه لما فتح مكة اقام النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه
ذلك اليوم وانهزم المشركون فخرجوا من مكة واقام من اقام بها فآمنه النبى صلى الله عليه وسلم فادلج خالد
ابن الوليد تلك الليلة دلجة فى سبعماية رجل ومعه ابو قتادة الانصارى فاسروا فى اسفل مكة حتى
سقطوا من وراء الحرم فوجدوا الذين كانوا يهزؤن باصحاب محمد ويقولون متى فتحكم هذا وفى جبل قد تحصنوا فيه
فلما رأوا خالد بن الوليد قالوا هذا خالد بن الوليد واخوته وقد كان بينه وبينهم فى الجاهلية اخوة فقال لهم
خالد بن الوليد ما لكم قالوا قد اسلمنا قال ان كنتم قد اسلمتم فانزلوا فنظر بعضهم الى بعض فقال رجل منهم اطيعونى
ولا تنزلوا اليه فوالله لئن نزلتم اليه ليهلكنكم انه خالد بن الوليد واخوته قالوا والله ما علينا سبيل لقد اسلمنا
ثم نزلوا ووضع عليهم خالد بن الوليد السلاح واعتزل ابو قتادة فقال معاذ الله ان اعين على شىء مما ههنا فبلغ
ذلك النبى فبعث اليهم على بن ابى طالب بالدية من غنايم خيبر فوداهم اليه بالدية حتى بعث اليهم بروعة الخيل
حين داعوهم ومساقى الكلاب كانوا كسروها فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء لهم فذلك قوله قل يوم
الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم يا محمد الى مدة لهم وانتظر بهم العذاب الذى القتل وهلاكهم
انهم منتظرون هلاككم وقال بعضهم فاعرض عنهم الى ذلك اليوم وانتظر بهم فتح مكة انهم منتظرون هلاككم وان يكون قوله فاعرض
عنهم اى لا تكافهم لاذاهم اياك وانتظر مكافاتنا اياهم انهم منتظرون ذلك والله اعلم

سورة الاحزاب مدنية وآيها ثلث وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين جايز ان يكون ظاهر الخطاب وان كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فهو للناس عامة الا ترى انه قال على اثره واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا
خاطب به الجماعة وقد خاطب رسوله فى غير آى من القرآن والمراد به غيره فعلى ذلك جايز ان يكون هذا كذلك ويشبه
ان يكون المراد بالخطاب ايضا خاصة لكن ان كان ما خاطب به مما يشترك فيه غيره دخل فى ذلك الخطاب وفى ذلك النهى
وفى ذلك النهى وان كان مما يتفرد به من نحو تبليغ الرسالة اليهم وما تضمنته الرسل وان خاف على نفسه القتل والهلاك
فان عليه ذلك لا محالة كقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية واما اهل التاويل فيما اختلفوا فيه

الاتقاء عن الشرك وطاعة الكفرة
واهل النفاق فيه اى يا ايها النبى
اتق الله فى ان تشرك فيه غيره
ولا تطع الكافرين والمنافقين
فى ذلك يدخل فى ذلك الخطاب
غيره من الناس وفى ذلك النهى
لان هذا حكم يحتمل العموم
وان كان الذى وقع الخطاب به
مما يتفرد به النبى صلى الله عليه
وسلم من نحو التبليغ الرسالة
اليهم وما تضمنته الرسالة
وان خاف على نفسه القتل
والهلاك فى التبليغ وتحصيل
ما يتضمن الرسالة فان ذلك عليه
خاصة لا يدخل غيره فى الخطاب
والنهى كان خاطب اتق الله فى تبليغ
الرسالة وان خفت على نفسك
الهلاك والقتل ولا تطع الكافرين
فيما يامرونك ويطمعون منك جهلا
منهم وهو كقوله تعالى يا ايها الرسول
الخ
شرح

قال بعضهم

قال بعضهم نزلت الآية وذلك ان نفرا من اهل مكة ابو سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابو الاعور السلمى
وهؤلاء قدموا المدينة فدخلوا على عبد الله بن ابى رأس المنافقين بعد قتل احد وقد اعطاهم النبى الامان على ان يكلموه
فقالوا للنبى وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وندعك وربك
فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فيهم
نزل ودع اذاهم وتوكل على الله وفى بعض الروايات قالوا ذلك وعنده عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله
ايذن لى يا رسول الله فى قتلهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى قد اعطيتهم الامان فان كان على هذا فالنهى
عن نقض العهد والامان وان كان على الاول فالنهى عن اتباع ما طلبوا منه من رفض آلهتهم والعبادة لها وبعضهم يقولون
ان اهل مكة نحو شيبة بن ربيعة وهؤلاء قالوا له انا نعطيك يا محمد كذا كذا من المال ونزوجك كذا كذا امراة كثيرة المال
فارفضنا وآلهتنا والا قتلك المنافقون فلان وفلان عددا نفرا فانزل الله تعالى الآية فى ذلك بالنهى عن اتباع ما طلبوا
منه ودعوه اليه وامره بالتوكل على الله فى ترك الاتباع لهم واصله ما ذكرنا ان النهى وان كان له خاصة فيما ذكر
فهو وان كان معصوما فالعصمة لا تمنع الامر والنهى بل العصمة انما تنفع اذا كان ثمة نهى وامر اذ لولا النهى والامر لكان لا معنى
للعصمة ولا منفعة لها والله اعلم **وقوله** اتق الله فى ترك تبليغ الرسالة اليهم ولا تطع الكافرين والمنافقين فى اتباع
ما دعوك اليه وطلبوا منك او فى غيره ان الله كان عليما حكيما عليما بما كان ويكون منهم اى على علم بما يكون منهم من
من التكذيب والرد عليك بعثك لا على جهل حكيما فى ذلك اى بعثه اياك اليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب
والرد لا يخرجه عن الحكمة ليس كملوك الارض اذا ارسل بعضهم الى بعض رسالات وهديا على علم من الرسل ان المبعوث
اليه يرد الرسالة والهدية يكون سفها لانهم انما يبعثون ويرسلون لحاجة انفسهم اعنى انفس المرسلين فاذا ارسلوا
على علم منهم بالرد والتكذيب كان ذلك سفها خارجا عن الحكمة فاما الله سبحانه انما يرسل الرسل ويبعثهم لمنفعة انفسهم
وحاجتهم فعلمه بالرد والتكذيب لا يخرجه عن الحكمة **وقوله** واتبع ما يوحى اليك من ربك هذا يحتمل الخصوص
له به على ما ذكرنا ويحتمل العموم على ما ذكرنا فى آية اخرى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يدل على ذلك قوله ان الله كان بما تعملون
خبيرا خاطب به الكل والله اعلم وهو ما ذكرنا انه على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد **وقوله** وتوكل على الله اى اعتمد
على الله فى تبليغ الرسالة ولا تخف اذاهم وكفى بالله وكيلا اى حافظا يحفظك ويمنعهم عنك كقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل
من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس **وقوله** ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه
يقول بعض اهل التاويل انها نزلت فى رجل يقال له ابو معمر وكان من احفظ الناس وادهاهم فقالوا ان له قلبين
قلب يسمع وقلب يحفظ ويعى فنزل ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ويقول بعضهم كذلك انها نزلت فى ابى معمر
وكان يسمى ذا قلبين لحفظه الحديث حتى اذا كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر تلقاه ابو سفيان بن حرب
وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى فى رجله فقال له يا ابا معمر ما فعل الناس قال انهزموا فقال له ما بال نعلك
فى يدك والاخرى فى رجلك فقال ما شعرت الا انهما جميعا فى رجلى فعرفوا يومئذ ان لو كان له قلبان ما نسى نعله
فى يده ونحوه قد قيل ولكن لا ندرى ما سبب نزول هذا وروى عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقال كان نبى الله
صلى الله عليه وسلم يصلى يوما فخطر خطرة اى وقع فى قلبه فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين
قلبا معكم وقلبا معهم فانزلت هذه الآية وهذا يشبه ان يكون سبب نزول الآية او ان يكون نزوله فى المنافقين وذلك
انهم كانوا يصلون مع النبى والمؤمنين ويرون الموافقة لهم من انفسهم ويقولون نشهد انك لرسول الله ثم يرجعون
الى اولئك الكفرة فيقولون انا معكم انما نحن مستهزؤن ونحوه فذكر هذا ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه اى دينين
فى جوفه الايمان والنفاق او قلبين فى جوفه قلبا لهذا وقلبا للآخر او نزلت فى المشركين الذين يقرون بالوحدانية لله
وانه هو الخالق كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويعبدون الاصنام مع هذا فنقول والله اعلم
لم يجعل لرجل قلبين فى جوفه قلبا للشرك وقلبا للايمان والتوحيد ولكن جعل قلبا واحدا لاحد هذين اى قلبا لقبول

فى نفر اهل مكة ابى سفيان
ابن حرب
شرح

634

السرك وقلبا لقبول الايمان وبعضهم يقول هو على التمثيل اى كما لم يجعل لرجل واحد قلبين فكذلك لايكون المظاهر من امراته لايكون امراته امة فى الحرية ولايكون دعى الرجل ابنه يقول نزلت فى النبى وزيد بن حارثه كان النبى تبناه كانوا يسمونه زيد بن محمد فجاء النهى عن ذلك فقال وما جعل ادعياءكم ابناءكم الى هذا مذهب عامة اهل التاويل وبعضهم يقول تاويل قوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم اى لم يجعل لرجل نسبين ينسب اليهما واصله عندنا ان قوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ما ذكرنا ولم يجعل ازواجكم اللاى تستمتعون بهن بالتشبيه بالامهات كالامهات اى لم يحل لكم ذلك ولم يبح ولم يشرع وما جعل ادعياءكم ابناءكم اى لم يجعل سبب ذلك ولم يشرع وان كان قد يكون فى السبب الفاسد نحو الجارية بين اثنين اذا ولدت فادعياه جميعا ونحو النكاح الفاسد والملك الفاسد لم يجعل كذا اى لم يحل ولم يشرع كقوله وما جعل الله من بحيرة اى لم يشرع ولم يحل ذلك وان كان يكون لو فعلوا افعل ذلك قوله وما جعل ازواجكم اللاى تظاهرون منهن امهاتكم اى لم يشرع ذلك السبب ولم يحل ذلك فى الاسلام ما كان فى الجاهلية لانه لايكون ذلك فيما لم يشرع فى الفاسد من السبب على ما ذكرنا ان السبب ثبت فى النكاح الفاسد وان لم يشرع والحسن يقول فى قوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال كان الرجل يقول ان نفسا تامرنى بكذا ونفسا تامرنى بكذا فنزل ذلك والحكمة فيما لم يجعل الواحد قلبين وجعل له سمعين وبصرين لان الادراك بالسمع والبصر انما يكون بالمشاهدة فيخرج ذلك مخرج معاونة بعضهم بعضا وما يدرك بالقلب انما يدرك بالاجتهاد وقد يختلف القلبان فيما يجتهدان فى شىء فيناقض احدهما صاحبه اذ يجوز ان يرى احدهما خلاف ما يراه الاخر واما السمعان والبصران لا كذلك لذلك ان اختلفا وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه جايز ان يكون سبب ذلك ما ذكر من ادعاء مسيلمة الكذاب الرسالة لنفسه وتواطوا اصحابه على ذلك والله اعلم ما جعل الله ان يرسل رجلين رسولا الى خلقه مختلفى الدينين متضادى الشرايع تدعو كل الى دين غير الاخر والى شريعة يضاد بعضها بعضا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيلمة الكذاب وقوله وما جعل ازواجكم اللاى تظاهرون منهن امهاتكم يحتمل هذا وجهين احدهما على النهى الذى ذكرنا اى لا تشتهوا ازواجكم بظهور الامهات ولا تحرموهن على انفسكم كحرمة الامهات ولذلك قال وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا والثانى ان لم يجعل الله ازواجكم حراما ابدا كالامهات وان جعلتم انتم ولكن جعلهن لكم بحيث تصلون اليهن بالاستمتاع على ما تصلون اليهن وتستمتعون بهن بعد هذا القول يذكر هذا على المنة والنعمة لتادى به شكره لما ابقى لهم الاستمتاع بهن بعد هذا ولم يجعلهن لهم كالامهات على ما ذكر والله اعلم وقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم اى ما جعل ادعياءكم ابناءكم فى الحقوق الى الاباء وهو ما ذكر فى بعض القصة انه اذا ادعى الرجل الرجل منهم ورثه مع اولاده فهو شىء كانوا يفعلونه فى الجاهلية ادعى اليه ونسب يقول والله اعلم ما جعل ما كنتم تدعون لابناء فى الجاهلية المعون والنصرة ابناءكم فى الاسلام فيما جعلوا والثانى ما جعل ادعياءكم ابناءكم فى حق النسبة كما ذكر انهم كانوا يقولون لزيد بن حارثه زيد بن محمد ذلكم قولكم بافواهكم انما هو قول تقولونه بالسنتكم فيما بينكم والله يقول الحق انهم ليسوا بابنائكم او ان قوله والله يقول الحق تاويله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله اعدل عند الله اى انسبوهم اليهم ان علمتموهم فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم قال بعض اهل التاويل فانسبوهم الى ما بهم من اسماء مواليكم او اخوانكم او ابن عمكم مثل عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن واشباه ذلك الاسماء واسماء مواليكم او ان يقول قوله فاخوانكم فى الدين ان سموهم اخوانا وذلك اعظم فى القلوب واخذ من التسمية بالاباء والنسبة اليهم وذلك ان الحاجة الى معرفة الاباء والنسبة اليهم انما تكون عند الكتابة والشهادة وعند الغيبة فاما عند الحضرة فلا وقوله ومواليكم قال بعضهم نزل هذا فى شان زيد بن حارثه وهو كان مولى رسول الله وكان يسمونه زيد بن محمد فنهوا عن ذلك فيقول فان لم تعلموا اباءهم فانسبوهم الى مواليهم وجايز ان يكون قوله ومواليكم من الولاية كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال انما المؤمنون اخوة وقوله ليس عليكم فيما اخطاتم به يقول والله اعلم ليس عليكم بالنسبة الى غير الاباء ان كنتم مخطئين غير عارفين للاباء ه انما الجناح والحرج عليكم اذا كنتم عامدين لذلك عارفين لهم اباء كانه اباح التبنى والتواخى فيما بينهم

فعلى ذلك لان الامر الحسنى لا امرة له لكن موصوف بالفساد والقبح فعلى ذلك صح

ولم يجز

.635

ولم يجز النسبة الى غير الاباء وايجاب الحقوق فيما بينهم وكذلك روى فى بعض الاخبار ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يواخى بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الباقى منهما دون عصبته واهله فكان الزبير اخا عبد الله بن مسعود فمكثوا بذلك ما شاء الله ان يمكثوا حتى نزلت الاية وقال بعضهم ليس عليكم جناح فيما اخطاتم يقول اذا دعوت الرجل لغير ابيه وانت ترى انه كذلك ولكن ما تعمدت قلوبكم يقول لا تدعوه لغير ابيه متعمدا فاما الخطا ما قال فان الله يقول لا يواخذكم به ولكن ما اردت به العمد وهو مثل الاول وذكر ان عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اغفر لى خطاى فقال له عمر استغفر العمد فاما الخطا فقد تجوز لك عنه وكان يقول لما اخاف عليكم الخطا ولكن اخاف عليكم العمد وما اخاف عليكم العايلة ولكن اخاف عليكم التكاثر وما اخاف عليكم ان تزدروا اعمالكم ولكن اخاف عليكم ان تستكثروها وذكر ان ثلاثا لا يملك عليها ابن ادم الخطا والنسيان والاستكراه وكذلك روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال ذلك وقال بعضهم الخطا ههنا هو ما جرى على اللسان من غير قصد والعمد ما يجرى على قصد وهو ما ذكرنا والله اعلم وكان الله غفورا رحيما لما فعلوا وقوله النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم قال بعضهم النبى اولى بهم من بعضهم ببعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم اى لا تقتل بعضكم بعضا اذ لا احد يقتل نفسه وكقوله فسلموا على انفسكم اى يسلم بعضكم على بعض ليس انه يسلم الرجل على نفسه ولكن ما ذكرنا فعلى ذلك قوله النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم اى بعضهم من بعض ثم يحتمل هو اولى بهم من انفسهم من الطاعة له والاحترام له والتعظيم اى هو اولى ان يعظم ويحترم ويطاع من غيره او ان يكون اولى بهم فى الرحمة والشفقة لهم اى ارحم بهم واشفق من انفسهم وهو على وصفه من الرحمة والرافة حيث قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم وليس احد من الناس يعز عليه ما يفعله من الماثم او ان يجوز اولى بهم اى احب اليهم من انفسهم واولادهم محبة الاختيار والايثار ليست محبة الميل ميل القلب لان ميل القلب يكون بالطبع وذكر فى الخبر ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ليس يؤمن حتى اكون انا احب اليه من نفسه وولده واهله او كلام نحو هذا او ان يكون اولى بهم فى الاخرة بالشفاعة لهم يشفع لهم فينجون من النار به لا باعمالهم والله اعلم وذكر فى بعض الحروف النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وازواجه امهاتهم وهو حرف ابى وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم قوله وهو اب لهم فى الرحمة والشفقة او فيما يلزم من الطاعة والتعظيم والاحترام ونحوه وقوله وازواجه امهاتهم قال اهل التاويل وازواجه امهاتهم فى الحرمة اى لا يحل لهم ان يتزوجوهن ابدا كالامهات ولكن يجوز ان يكون ذلك بعد وفاته فاما فى حيوته اذا طلقهن فيجوز ان يحللن لغيره لانه قال يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا الاية ولو لم يحللن لغيره لم يكن لما ذكر لهن من التمتيع والتسريح معنى ثم هذه الحرمة يجوز ان يكون بعد الموت وهو ما قال ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا انما شرط هذا بعده ليكن ازواجه فى الاخرة او ان يكون قوله وازواجه امهاتكم اى حرمة ازواجه من بعده ابدا انما شرط هذا بعده ليكن ازواجه فى الاخرة ومنزلتهن كمنزلة امهاتهن يستوجبن ذلك لحرمة رسول الله ومنزلته قبلهم واما الباطنية فانهم يقولون فى قوله وازواجه دلالة ليس يريد به ازواج النبى الا ترى انه يحل للناس نكاح اولادهن ولو كن امهات لم يحل لانهم يصيرون اخوة واخوات فاذ حل ذلك دل انه ما ذكرنا هذا قولهم لكن الجواب لذلك ما ذكرنا انه جايز انه سماهن امهات اى منزلتهن وحرمتهن كمنزلة الامهات لحرمة رسول الله ومنزلته وذلك جايز انه ذكر الشهداء احياء عنده وان كانوا فى الحقيقة موتى لفضل الكرامة لهم والمنزلة عند الله فعلى ذلك ذكر الامهات لازواجه ما ذكرنا والله اعلم وقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله قال بعضهم فى كتاب الله فى حكم الله كقوله كتاب الله عليكم اى حكم الله عليكم وقال بعضهم فى كتاب الله فيما انزل من الكتاب وهو الذى ذلك وكذلك كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الى اخر ما ذكر المكتوب عليهم الذى ذكر على اثر ثم اختلف فى تاويل قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين قال بعضهم ان المواريث فى بدء الامر لم تكن تجرى الا فيما بين المؤمنين المهاجرين من القرابات والارحام فان كان مؤمنا لم يهاجر لم يرث

امهاتكم صح

ابنه ولا آباه ولا اخاه المهاجر ولا ساير قراباته اذا مات احدهما الا ان يكونا مومنين مهاجرين فعند ذلك
يتوارثون فعلى ذلك التاويل تكون تاويل قوله الا ان تفعلوا الى اوليايكم الذين لم يهاجروا من المومنين لكن
ان توصوا لهم شيئا فيقول قايل هذا التاويل ان هذا نسخ بالاية التي ذكر في سورة الانفال وهو قوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض الاية ولم يذكر فيه الهجرة اذا كانوا مسلمين واما الكافر فانه لا يرث المسلم وعلى ذلك روي في الخبر
انه قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وقال لا يتوارث اهل ملتين وقال بعضهم تاويل قوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب من المومنين والمهاجرين من الاقربين منهم اي اولوا الارحام من المومنين والمهاجرين
الاقرب فالاقرب منهم بعضهم اولى ببعض من الابعدين في المواريث اي الاقرب منهم بعضهم اولى ببعض من الابعدين
الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا على هذا التاويل يكون قوله الا ان تفعلوا الى اوليايكم الابعدين معروفا وصية
او شيء فذلك معروف فصارت المواريث للقرابات الادنى فالادنى من المومنين دون الابعدين فيكون الاية التي
في الانفال هذه سواء على هذا التاويل يكون الاقرب والادنى فالادنى اولى بالمواريث من غيرهم وبعضهم يقول ان الاية
نزلت ناسخة لما كان منهم من التوارث بالمواخاة لان النبي كان يواخي بين رجلين فاذا مات احدهما ورثه الباقي
منهما دون عصبة حتى نسخ ذلك بالاية التي ذكر فعلى ذلك يكون قوله الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا هو ان يصنعوا
الى الذي آخى بينهم النبي معروفا ثم اختلف في اولي الارحام المذكورين في الاية قال بعضهم هم الذين ذكرهم في قوله يوصيكم الله
في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى آخر ما ذكر وقال بعضهم ليسوا هم وانما الذي ذكر في ذلك هم الذين بين لهم
حد مواريثهم فاما غيرهم فانما هم في قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فانما يرث الاقرب فالاقرب منهم وكذلك
يقول ابي حنيفة رحمه الله ان اولوا الارحام انما يرث الاقرب فالاقرب منهم ليس كالعصبات لان الابنت لا شك انها اقرب
من ابن العم ثم يكون النصف للابنت والبقية وقوله كان ذلك في الكتاب مسطورا قال بعضهم في اللوح المحفوظ بان المومنين
بعضهم اولى ببعض في المواريث من الذين كانوا يتوارثون وقال بعضهم قوله في الكتاب اي في التورية مكتوبا ان يصنع
بنوا اسرائيل الى بني لوي بن يعقوب معروفا ليعود الغني على الفقير والله اعلم وقوله واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا قال بعضهم خص هولاء
لان اصل الشرع من الرسل هولاء كقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية لكنه قد ذكر في اية اخرى ما يدل
ان غير هولاء كان لهم ايضا شرع كقوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده الاية وجايز ان يكون تخصيص
هولاء باخذ الميثاق لانهم هم اولوا العزم من الرسل حيث قال فاصبروا ولوا العزم من الرسل ويكون لا على التخصيص
لمن ذكر ولكن على ارادة الكل والله اعلم ثم اختلف في اخذ الميثاق قال بعضهم اخذ ميثاقهم على ان يبشر بعضهم ببعض
يبشر نوح بابراهيم وابراهيم بموسى وموسى بعيسى وعيسى بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقال بعضهم اخذ ميثاقهم
ليصدق بعضهم بعضا وان يدعوا الى عبادة الله وان ينصحوا لقومهم وجايز ان يكون ما ذكر من اخذ الميثاق منهم لما ذكر
على اثره ليسال الصادقين عن صدقهم اخذ منهم الميثاق في تبليغ الرسالة الى قومهم ليسالهم عن صدقهم انهم قد بلغوا
واخذنا منهم ميثاقا غليظا لان تبليغ الرسالة الى الفراعنة منهم واعداء الله صعب شديد مخاطرة فيه هلاك النفس
وفوات الروح وهو ما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية وقوله ليسال الصادقين عن صدقهم
الصدق اكثر ما يقع في الانباء والاخبار كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وهو ما الخبرهم وانباهم من القرآن
وغيره وقال في اية اخرى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا في بنائه وعدلا في حكمه ثم صدقه في البناء وعدله
في الحكم سمى القرآن مرة صدقا ومرة عدلا ومرة حقا في تبليغه فالحق يجمع الامرين البناء والحكم جميعا والصدق يكون
في البناء خاصة والحكم في العدل ثم يحتمل سوال الصادقين وهم الرسل عن صدقهم وجهين احدهما يسالهم
عن تبليغ ما امرهم بالتبليغ الى قومهم وعن انباء ما ولاهم الانباء ان يبينوا ولذلك هل بلغتم وهل انباتم اولئك
والثاني يسالهم عن اجابة اوليك لهم هل اجابوكم الى ما دعوتم لان منهم من اجابهم وصدقهم ومنهم من لم يجب ولم يصدق

فيخرج

فيخرج السوال عمن اجاب على التقرير ومن لم يجب على التنبيه والتوبيخ وهو يسال الفريقين جميعا الرسل
عن التبليغ والمرسل اليهم عن الاجابة كقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين والله اعلم واعد
للكافرين منهم عذابا اليما بتركهم الاجابة والتصديق والله اعلم وقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها كانه يقول والله اعلم اشكروا ما انعم الله عليكم واحسنوا
صحبة نعمه في النصر لكم والدفع عنكم ثم الامر به تذكر ما انعم عليهم وجوه من الحكمة والدلالة احدها تذكير لنا
في مقاساة اولئك السلف واصحابه في الدين وعظيم ما امتحنوا في امر الدين حتى بلغوا الدين الينا لكي لا نضيعه
نحن بل يلزمنا ان نحفظه ونتمسك ونتحمل فيه كما تحملوا اولئك والثاني فيه اية لهم وذلك انهم كانوا جياعا واعدوهم
فجاءتهم الريح والملايكة فاهلكتهم دون المومنين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور وذلك اية عظيمة والثالث يذكرهم ما اتاهم من الغوث عند ياسهم من انفسهم وشرفهم على الهلاك
وخروج انفسهم من ايديهم لان العدو قد احاطوا بهم حيث قال اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم وبلغ امرهم
وحالهم ما ذكر حيث قال واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الاية او ان يذكر لما كان منهم من العهد والميثاق
ان لا يولوا الادبار ولا يهربوا كقوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار الاية يذكرهم عظيم نعمه التي
كانت عليهم في النصر لهم على عدوهم والدفع عنهم وما لهم ما ذكر في الاية وذلك كان يوم الخندق فحزبوا المومنين
في ثلاثة امكنة يقاتلونهم من كل وجه شهرا فبعث الله عليهم بالليل ريحا باردة وبعث الملايكة فغلبتهم والله اعلم
وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا يذكر الله لا عن غفلة وسهو تركهم هنالك حتى احاط بكم العدو ولكن اراد
ان يمتحنكم محنة عظيمة او يقول انه بصير بما عملتم فيجزيكم جزاء عملكم وصبركم على ذلك والله اعلم وقوله اذ جاؤكم
من فوقكم ومن اسفل منكم قال بعضهم من فوق الوادي ومن اسفل منه وقيل احاطوا بهم من النواحي جميعا وجايز
ان يكون ذلك كناية عن الخوف اي احاط بهم حتى خافوا على انفسهم الهلاك وعلى ذلك يخرج قوله واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال هذا وصف المنافقين زاغت الابصار اي شخصت
وبلغت القلوب الحناجر لشدة خوفهم كقوله اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم
كالذي يغشى عليه من الموت وامثال هذا قد وصفهم في غير اي من القرآن ما وصف ههنا وهذا يشبه ان يكون
وقال بعضهم هذا وصف حال المومنين شخصت الابصار وبلغت القلوب الحناجر لما اشتد بهم الخوف لما احاطوا بهم
من فوق ومن اسفل ثم جايز ان يكون ذلك على التمثيل اي كادت ان تكون هكذا وجايز ان يكون على التحقيق وهي تزول
عن امكنتها وبلغت ما ذكر والله اعلم وقوله وتظنون بالله الظنونا قال بعضهم ظن ناس من المنافقين ظنونا مختلفة
يقولون هلك محمد واصحابه ونحو من الظنون الفاسدة السوء وكقوله ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ونحو
وجايز ان يكون ذلك الظن من المومنين ظنوا بالله ظنونا لتقصير او تفريط وكان منهم نحو قوله ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وكقوله ان الذين تولوا
منكم الاية ثم قال هنالك ابتلي المومنون بالقتال وانواع الشدايد وزلزلوا زلزالا شديدا قيل جهدوا واجهدوا
شديدا وقيل حركوا تحريكا شديدا وقوله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض يحتمل ان يكون قوله
واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض هما واحد وهم المنافقون وجايز ان يكون المنافقون هم الذين اضمروا
الخلاف له واظهروا الوفاق على ابانة الحق لهم وظهور والذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا مرتابين
في ذلك لم يتبين لهم ذلك ولم يحل قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال عامة اهل التاويل
الذي وعد لهم فتوح البلدان قالوا لما احاط بهم اعني بالمومنين الكفار قال ذلك المنافقون وقوله واذ قالت
طايفة منهم يا اهل يثرب فليستغفر الله المدينة ويقال يا اهل يثرب يا اهل المدينة وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من قال المدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثا هي طايفة هي طابة ثم قال بعضهم

ان قوله واذ قالت طايفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا انما قاله اهل النفاق لبعضهم لا مقام لكم
فارجعوا ثم يحتمل قوله لا مقام لكم وجهين احدهما ما قالوا ما وعدنا الله ورسوله من الفتح والنصر الا غرورا والثانى
لا مقام لكم فارجعوا لما لا يقع عندهم انهم يصلون الى ما كانوا يطمعون ويأملون لانهم كانوا يخرجون رغبة فى الاموال
وطمعا فيها وهو ما وصفهم ومن الناس من يعبد الله على حرف فالاية وجايز ان يكون هذا القول من المومنين
لاهل النفاق فان كان من المومنين لاولئك فالوجه فيه انهم ارادوا ان يطردوهم لفشلهم وجبنهم ليلا يهزموا
جنود المومنين بانهزامهم لانهم قوم همتهم الانهزام فاذا انهزموا انهزم غيرهم فالمعنى اذا كان من المومنين لهم
غير المعنى اذا كان لاهل النفاق بعضهم لبعض والله اعلم **وقوله** ويستاذن فريق منهم النبى بالرجوع الى المدينة
كقوله انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم **وقوله** يقولون ان بيوتنا عورة قال بعض
اهل التاويل بيوتنا عورة خالية من الناس ليس فيها احد فنخاف السرق عليها والاخذ والمكابرة ويحتمل ان يكونوا
ارادوا بالعورة دخول العدو عليها اذا كانوا فى الجند العورة اى يدخل علينا مكروه ما يحزننا ويهمنا او كلام نحو
ذلك فاكذبهم الله فى قولهم وقال وما هى بعورة بل الله يحفظها على ما وعد حتى لا يدخل عليهم مكروه لما يخافون لا يصيبهم
وقوله ان يريدون اى ما يريدون الا فرارا من القتال **وقوله** ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة
لاتوها هذا يحتمل وجهين احدهما اى لو دخلوا عليهم من اطراف المدينة ونواحيها ثم دعوا الى الشرك لاجابوهم
وما تلبثوا بها الا يسيرا اى لم يمتنعوا عن اجابتهم بل لاجابوهم به كما دعوا وقال بعضهم انهم لو كانوا فى بيوتهم فدخلوا
عليهم من نواحيها ثم سئلوا الاموال وما يحويه ايديهم لاتوها اى لاعطوها وما تلبثوا بها الا يسيرا يخبر عن نفاقهم
وخلافهم لله فى السر انهم يعطون لاولئك ما يريدون من الاموال والدين ويوافقونهم ولا يوافقونكم البتة والله اعلم
وقوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار قال بعضهم كان اناس غابوا وقعة بدر وما اعطى الله
اصحاب بدر من الفضيلة والكرامة فقالوا لين شهدنا قتالا لنقاتلن فساق الله ذلك اليهم حتى كان فى ناحية المدينة
وقال بعضهم قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وذلك انهم كانوا عاهدوا الرسول على عهدهم بمكة
على العقبة ثم اشترط عليهم لربه ولنفسه اما لربه ان يعبدوه وان لا يشركوا به شيئا واشترط لنفسه ان ينصروه
ويعزروه ويعينوه وان يمنعوه ما يمنعون منه انفسهم ونساءهم واولادهم فقالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا
يا نبى الله قال لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الاخرة قالوا قد فعلنا فذلك قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
ليلة العقبة حين شرطوا للنبى المنعة ان لا يولوا الادبار منهزمين وكان عهد الله مسئولا او فاه ان يسال
من نقض العهد فى الاخرة ومن وفى وجايز ان يكون قوله وكان عهد الله مسئولا يجزيا نقضا او وفاء يجزون
على وفاء العهد ونقضه **وقوله** قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل قال اهل التاويل ان قضى عليكم
الموت او القتل فلن ينفعكم الفرار وقال بعضهم ان جعل انقضاء اجالكم الموت او القتل لن ينفعكم الفرار بل ينقضى
واصله ان كان المكتوب عليكم الموت والقتل لن ينفعكم الفرار منه بل ياتى لا محالة كقوله لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين
كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الاية اى لا محالة المكتوب عليهم القتل ان كانوا فى بيوتهم فيقتلون واذا لا تمتعون
الا قليلا قال بعضهم انما الدنيا قليل الى اجالكم وجايز ان يكون معناه ولين نفعكم الفرار عنه لا تمتعون الا قليلا كقوله
افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون الاية قال ابو عوسجة والقتبى دعياكم من تبنيتموه واتخذتموه
ولدا ما جعلهم بمنزلة الصلب وكانوا يورثون من ادعوا ذلكم قولكم بافواهكم ان قولكم على التشبيه والمجاز ليس على التحقيق
والله يقول الحق **وقوله** اقسط اعدل واذ زاغت عدلت ومالت وبلغت القلوب الحناجر اى كادت تبلغ الحلوق
من الخوف والحناجر جماعة الحنجرة وهى المذبح وقوله وزلزلوا اى شددوا عليهم وهولوا والزلزال الشدايد واصلها
من التحريك واللاى تظاهرون واللاى بالياء واحد والله اعلم **وقوله** قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا
او اراد بكم رحمة ذكر هذا على اثر قوله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل يقول والله اعلم انكم

وان فررتم

وان فررتم من الموت او القتل فان الله ان اراد بكم سوءا او هلاكا لا يملك احد دفعه عنكم او ان اراد بكم رحمة
ونجاة وخيرا لا يملك احد منعه عنكم وقد تعلمون انكم لا تجدون من دون الله وليا ينفعكم ولا نصيرا ينصركم
ويمنعكم عن حلول ذلك عليكم والله اعلم **وقوله** قد يعلم الله المعوقين منكم والقايلين لاخوانهم هلم الينا
المعوقين هم المنافقون منكم والقايلين لاخوانهم قال بعضهم هم اليهود ارسلوا الى المنافقين وقالوا من ذا الذى
يحملكم على قتل انفسكم بايدى ابى سفيان ومن معه من اصحابه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا
فانا نشفق عليكم فانما انتم اخواننا ونحن جيرانكم هلموا الينا وقال بعضهم هم المنافقون عوق بعضهم بعضا ومنع
عن الخروج مع رسول الله الى قتال العدو وفيه امران احدهما دلالة على اثبات الرسالة لانهم كانوا يسرون هذا
ويخفون فيما بينهم ثم اخبرهم بذلك ليعلموا انه انما علم ذلك بالله تعالى والثانى ان يكونوا ابدا على حذر مما يضمرون
من الخلاف له كقوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة الاية **وقوله** ولا ياتون الباس الا قليلا اى لا ياتون
القتال والحرب الا مراءاة وسمعة هذا والله اعلم يشبه ان يريد بالقليل انهم لا ياتون اتيان من يريد القتال
والقيام معهم ولكن مراءاة وسمعة واظهارا للوفاق لهم والله اعلم **وقوله** اشحة عليكم قال عامة اهل التاويل
اى بخلا على الانفاق عليكم اى لا ينفقون عليكم ولا على سبيل الخير والله اعلم وقال بعضهم الشح ايضا هو الحرص
يقول اشحة اى حراصا على قسمة الغنيمة يخبر عن حرصهم فى الدنيا وركونهم اليها وميلهم فيها ثم اخبر عن جبنهم وفشلهم
وشدة خوفهم وهو ما قال فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذى يغشى عليه من الموت
يخبر انهم لجبنهم وفشلهم يصيرون كالمغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد يخبر
عن شدة حرصهم فى قسمة الغنيمة ورغبتهم فيها انهم اشح قوم واسوأهم مقاسمة يقولون اعطونا انا قد شهدنا معكم
كقوله الم نكن معكم كقوله ونحو **وقوله** اشحة على الخير قال بعضهم هذا قولهم اى انا اشح منكم على رسول الله وعلى دينه
وامنن لمنكم على الخير اى نحن احرص عليه منكم وقال بعضهم اشحة على الخير اى حراصا على الغنيمة والنيل منها
ثم اخبر عنهم وعن خلافهم له حيث قال اولئك لم يومنوا فاحبط الله اعمالهم التى عملوها فى الظاهر وكان ذلك
على الله يسيرا اى صنيعهم الذى صنعوا على الله يسيرا اى لا يضره وقال بعضهم حبط اعمالهم وتعذيبه اياهم
مع كثرة اتباعهم واعوانهم على الله يسيرا لا يشتد عليه ولا يصعب والله اعلم **وقوله** يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
اى يحسب هولاء المنافقون ان الاحزاب لم يذهبوا من الفزع والجبن والفشل الذى فيهم يوم الخندق وان يات
الاحزاب اى يقبل الاحزاب يودوا لو انهم بادون فى الاعراب اى يا ليتهم كانوا بمنزلة البداة وانهم تركوا اوطانهم
وديارهم يسالون عن انبايكم كانت همتهم التخلف والفرار من القتال وطلب اخبار المومنين انهم ما فعل بهم نحو ما قال
ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه
وهم يجمحون هكذا كانت عادتهم ثم ابتلاهم الله بما كانوا يظهرون الموافقة للمومنين ويضمرون الخلاف لهم والعداوة
بفضل فشل وجبن ما لم يكن ذلك فى غيرهم ففى ذلك تحذير للمومنين وزجر لمثل هذا الصنيع ومثل هذه المعاملة
ليلا يبتلوا بمثل ما ابتلى اولئك وفيه انه يعامل بعضهم بعضا على الظاهر الذى ظهر دون حقيقة ما يكون
وعلى ذلك يجرى الحكم على ما عامل رسول الله والصحابة اهل النفاق وحكمه على ما اظهروا دون ما اضمروا فى الانكحة
والمهر وغير ذلك من الاحكام والله اعلم **وقوله** ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا قال بعضهم ما قاتلوا الا قليلا
اى الا فيما يدفعون عن انفسهم لو قصدوا فاما الدفع عن المومنين ودينهم فلا وجايز ان يكون المراد بالقليل اى لا يقاتلون
البتة حقيقة القتال وهو ما ذكر عنهم حيث قال لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اى فسادا فى امركم والله اعلم
وقوله لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة قال بعضهم ذلك حيث كان يباشر القتال بنفسه فباشروا معه
فمن باشر معه القتال له اسوة حسنة ومن لم يفعل فلم يواسه وابن عباس يقول اسوة حسنة اى سنة صالحة
او نحو مثل هذا انما يذكر عن ذلك الاية تكون اما من المنافقين او من المومنين فيقول لكم فى التاسى برسول الله والاقتداء

والقدوة به فهو يخرج على وجوه احدها اى لقد كان لكم فى رسول الله قبل ان يبعث رسولاً وقبل ان يوحى اليه
فيما عرفتموه من حسن خلقه وكرمه وشرفه وامانته اسوة حسنة فكيف تركتم اتباعه اذا بعث رسولاً والثانى
لقد كان لكم اى صار لكم فى رسول الله اذا بعث رسولاً اسوة حسنة فيما انزل اليه واوحى اليه وفيما شاهدتموه من حسن
خلقه وكرمه فالواجب عليكم ان تتأسوا به والثالث لقد كان لكم بالمؤمنين اسوة استواؤهم لو اتبعتم فيما شرع لكم
رسول الله وسن والاسوة هى الاستواء كقول الناس فلان اسوة غرمائه اى يكون المال بينهم على الاستواء هذا والله اعلم
يشبه ان يكون تأويل الآية وقوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال بعضهم يكون فى رسول الله اسوة لمن خاف الله
وامن اليوم الآخر وبجزاء الاعمال فاما المنافق والذى لا يؤمن بالبعث فلا يكون فيه اسوة له وجائز ان يكون قوله
لمن كان يرجو الله اى لقد كان لكم اسوة حسنة ولمن كان يرجو الله واليوم الآخر وان يكون لكم فى رسول الله اسوة حسنة
وفيمن كان يرجو الله واليوم الآخر والله اعلم وقوله وذكر الله كثيرا ذكر الله يحتمل نعمته واحسانه يذكر بالشكر له
وحسن الثناء او يذكر سلطانه وملكه او جلاله وعظمته وكبرياءه والله اعلم وقوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله حيث اخبرهم انكم ستلقون كذا فى قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء قالوا لما عاينوا ما وعدهم واخبرهم هذا ما وعدنا الله ورسوله
وصدق الله ورسوله فيما اخبرنا من الوحى قبل ان يكون وقبل ان نلقاه وما زادهم الا ايمانا اى ما زادهم ما رأوا وعاينوا
فيما وعد واخبر الا ايمانا وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى وعده وخبره وقال قائلون انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد وعدهم واخبر ان يوم الخندق يكون من الاحزاب كذا والجنود كذا وانكم ستلقون يومئذ
كذا فلما رأوا ذلك وعاينوه قالوا عند ذلك هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا
وتصديقا لرسول الله لان ذلك آية وحجة لرسالته فهو يزيدهم تصديقا له وقوله وتسليما اى تسليما لامر الله
وتفويضا له وقيل وما زادهم ما اصابهم يوم الخندق الا ايمانا وتصديقا الى تصديقهم الاول ويقينا الى يقينهم
الاول وتسليما لامر الله لان ذلك الامر كان قضاه عليهم ان تصيبهم فسلموا لله امره فصبروا عليه واصله ما ذكرنا
والله اعلم وقوله ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه قوله من المؤمنين يخرج على وجهين احدهما
من المؤمنين الذين هم عندكم مؤمنون رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ورجال لم يصدقوا وهم المنافقون لان
ظاهر هذا الكلام يدل على ان من المؤمنين الذين هم فى الظاهر عندهم مؤمنون لم يصدقوا فاما من كان فى الحقيقة
مؤمنا فقد صدق عهده والثانى ذكر من المؤمنين خص بعض المؤمنين بصدق ما عهد وهم الذين خرجوا لذلك
ولم يكن بهم عذر فوفوا ذلك العهد وتخلف بعض من المؤمنين للعذر فلم يتهيأ لهم وفاء ذلك العهد لهم وصدقه
وكذلك يخرج قوله فمنهم من قضى نحبه اى وفى بعهده ومنهم من ينتظر بالوفاء ان يرتفع عنه العذر فيفى ذلك والله اعلم
ثم قوله فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وفاءه وقال بعضهم من قضى نحبه اى هلك عليه ومنهم من ينتظر ذلك
اى على شرف الهلاك وقوله وما بدلوا تبديلا هذا يقوى التأويل الذى ذكرنا اخيرا فى قوله من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ان الذين خلفهم العذر فلم يفوا عهده والذين لا عذر بهم خرجوا فوفوا كلهم لم يبدلوا عهد الله
تبديلا لانه انما خلفهم العذر فلم يكن فى ذلك تبديل وقوله ليجزى الله الصادقين بصدقهم على ما وفوا ويعذب المنافقين
ان شاء او يتوب عليهم هذا يدل ان من المنافقين من قد يتوب حيث قال ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
ويعذب الذين مات على نفاقه ان الله كان غفورا رحيما اى لم يزل غفورا رحيما حيث رحمهم ولم يأخذهم وقت
ارتكابهم الجرم ولكن امهلهم والله اعلم وقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم اى رد كفار مكة يوم الخندق
لم ينالوا خيرا قال بعضهم اى غنيمة اى ردهم بغيظهم لم يصيبوا شيئا من الغنيمة فان كان المراد من الخير الغنيمة فجائز
ان يستدل على تملك اهل الحرب اموال المسلمين اذا احرزوها حيث قال لم ينالوا خيرا اى مالا وجائز ان يكون قوله
لم ينالوا خيرا اى سرورا بما كانوا يأملون ويطمعون هلاك المؤمنين على ايديهم لما احاطوا بهم وضيقوا عليهم الامر

والقضاء هو الموت ونحب الحال ... س

ويتوب عليهم ان رد منهم الاخلاف فى وقت معلوم ليظهر ما علم على ما علم وقوله ان الله كان غفورا رحيما نسخة

حتى احتاجوا

تكفوا القتال والحرب نسخة

حتى احتاجوا الى الخندق فتكأكأوا فى ايديهم يقول انهم لم ينالوا ذلك السرور الذى كانوا يأملونه ويرجونه
والله اعلم وقوله وكفى الله المؤمنين القتال حيث بعث عليهم الريح وسلط عليهم الملائكة حتى هزموهم حتى كفوا
القتال والحرب معهم وكان الله قويا عزيزا اى كان الله لم يزل قويا عزيزا لانه قوى بذاته عزيز بذاته لا يلحقه
ذل وان لحق اولياءه الذل والضعف ليس كملوك الارض اذا ذهب اصحابهم او دخل ذل وضعف ذل ملكهم لانهم عزيز
بجنده وحشمه فاما الله سبحانه قوى بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل ولا ضعف بذهاب اوليائه وقال بعضهم
نزل قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه كان رجال فاتهم يوم بدر فقالوا لئن حضرنا قتالا لنفعلن ما
ولنفعلن فلما كان يوم الاحزاب قاتلوا فذلك قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم
من قضى نحبه اى مات على ما شاء الله عليه ومنهم من ينتظر يوما آخر يكون فيه قتال فيقاتل على ما عاهد الله
عليه وما بدلوا تبديلا وفى حرف ابى ومنهم من بدل فيرجع ذلك الى المنافقين الذين ذكرنا بديا وقال القتبى
قوله ان بيوتنا عورة اى خالية واصل العورة ما ذهب عنه الستر والحفظ فكأن الرجال ستر وحفظ
للبيوت فاذا ذهبوا اعورت البيوت تقول العرب اعور المنزل اى ذهب ستره او سقط جداره واعور الفارس
اذا بدا فيه موضع خلل للضرب بالسيف يقول الله تعالى وما هى بعورة لان الله حافظها ولكن يريدون الفرار
وقوله ولو دخلت عليهم من اقطارها اى من جوانبها ثم سئلوا الفتنة اى الكفر لآتوها اى اعطوها من اراده
وما تلبثوا بها الا يسيرا اى بالمدينة ومن قرأها لأتوها بغير مد اراد لصاروا اليها وقال ابو عوسجة قولهم
ان بيوتنا عورة من ناحية العدو والعورة الموضع الذى يخاف منه وقوله من اقطارها اى من نواحيها الواحد
قطر ثم سئلوا الفتنة اى عرضت عليهم وهو الكفر وقال القتبى سلقوكم بالسنة حداد يقول آذوكم
بالكلام يقال خطيب مسلق وسلاق وفيه لغة اخرى صلقوكم بالصاد وهو الضرب وابو عوسجة يقول
قريبا منه سلقوكم اى كلموكم وضربوكم بالسنة حداد اى طوال والسلق الضرب والخاطب السلاق
والمسلاق من هذا وهو طول اللسان والجرأة على الكلام وقوله لا مقام لكم بنصب الميم لا يكون الا من القيام ولا مقام
برفع الميم يكون من الاقامة وهو قول ابى عوسجة وابو عبيد يقول لا مقام لكم اى ليس لكم مقام تقومون فيه
ولا مقام اى لا اقامة لكم وقال ابو عوسجة المقامة المجلس ومقامات جمع المقام موضع القدمين والمقام الموضع
الذى يقيم فيه الرجل وقال المعوقين قال المعوق المحبس والمعوق الذى يعوق غيره اى يحبس وقوله اشحة
عليكم اى حراصا على ما نالكم من الشر والواحد شحيح يقال شح يشح شحا فهو شحيح اى حريص يحرصون حرصا
فهو حريص وقال غيره اشحة عليكم اى بخلاء لا ينفقوا عليكم او فى سبيل الله وقال بعضهم يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا من شدة الفرق فهم هؤلاء المعوقون اليهود والمنافقون وان يأت الاحزاب والاحزاب هم الفرقاء على
رسول الله واصحابه يودوا لو انهم بادون فى الاعراب يقول خارجون فى الاعراب من الرهبة يسألون عن انبائكم
يقول يسألون عن خبر المؤمنين ساعة بعد ساعة جزعا ورهبة يقول الله للمؤمنين ولو كانوا فيكم اى معكم
عند القتال هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ما قاتلوا الا قليلا رميا بالحجارة من صنعهم وفرقهم او ما ذكرنا دفعا
عن انفسهم واماعيبه فلا وقوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم ذكر فى القصة ان اليهود
يهود بنى قريظة ظاهروا ابا سفيان واصحابه على رسول الله وعلى المؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه
فلما انهزم المشركون تحصن بنو قريظة فى حصونهم ورجع النبى الى المدينة فجاءه جبرئيل فقال له يا محمد والله
ما وضع اهل السماء اسلحتهم وقد وضعتم انتم اسلحتكم اخرج الى بنى قريظة فقال له النبى فكيف اصنع بهم وهم
فى حصنهم قال اخرج اليهم فوالله لادقنهم بالخيل والرجال كما يدق البيضة على الصفا ولاخرجنهم من حصنهم
فنادى رسول الله فى الناس وامرهم بالخروج الى بنى قريظة فخرجوا فحاصروهم كذا وكذا ليلة حتى صالحهم
على حكم سعد بن معاذ فنزلوا على حكمه فحكم سعد ان يقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فقتل

ان رسول الله قال يومئذ يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله فاخرجت المقاتلة فقتلوا وسبوا ذراريهم فقسم
ارضهم بين المهاجرين فقال قومه والانصار اثرت المهاجرين بالعقار دوننا فقال انكم ذو عقار وان القوم لا عقار لهم
او كلام نحو هذا فذلك قوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب يعنى الذين ظاهروا الناسفين والمشركين جميعا
على رسول الله واصحابه من صياصيهم اى من حصونهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم المقاتلة وتاسرون
فريقا وهم النساء والذرارى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها اى لم تملكوها اختلف فى قوله
وارضا لم تطؤها قال بعضهم هى ارض مكة وقال بعضهم هى ارض الشام وقراها وقال بعضهم هى ارض خيبر اى يورثكم
اياها ايضا فاما ارض مكة فقد فتحها وتركها فى ايدى اهلها وكذلك بلاد الشام وقراها وعن الحسن هى ارض الروم
وفارس وما فتح الله عليهم واما خيبر فقد فتحها وقسم بين ما ذكرنا وجعلها فيئا فهو اشبه من غيره ففيه ان من خلف
فى ملك غيره وصفا ملكه لاخر وانتقل اليه يسمى وارثا بموت وبغيره حيث قال واورثكم ارضهم الاية وكذلك
ما قال اورثنا الارض الى كذا وقوله يرثون الفردوس اى يبقون فيه ونحو وكقوله ولله ميراث السموات والارض
اى يبقى ملك السموات والارض اى لا يبقى زعم فيه وكذلك يخرج قوله انا نحن نرث الارض اى نبقى فيها والخلايق يفنون
ثم الفايدة فى ذكر هذا وامثاله لنا اذهم قد شاهدوها وعاينوها يخرج على وجوه احدها تعريف لاخر هذه
الامة ان اوايلهم ما قاسوا وما تحملوا من الشدايد والبلايا فى امر هذا الدين حتى بلغ هذا المبلغ فيجتهدون كما اجتهد
اولئك فى حفظ هذا الدين ونحو امره والثانى امرهم بالتاهب مع العدو حتى امروا بالخندق والتحصن باشياء
ثم جاءهم الغوث من الله بغير الذى امروا ليكونوا ابدا متاهبين مستعدين لذلك ولا يرجون النصر والظفر من ذلك الوجه
وذلك بفضل الله ونصره على ما اخبر منهم ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا الاية والثالث لا يوئسهم
خروج انفسهم من ايديهم واحاطة العدو بهم وكونهم فى ايديهم من روح الله ورحمته وغوثه اياهم لان الخوف
قد بلغ بهم المبلغ الذى ذكر حيث قال وبلغت القلوب الحناجر الى قوله وزلزلوا زلزالا شديدا وفيه دلالة اثبات
الرسالة لرسول الله لانه وعدلهم النصر فكان على ما وعد ليعرفوا صدقه فى كل ما يخبر ويعد وكان الله على كل شى
اراد من فتح او نصر او غيره قديرا وقال القتبى وابو عوسجة قضى نحبه اى قتل وقضى اجله واصل النحب النذر كان
قوما نذروا ان لقوا العدو ان يقاتلوا حتى يقتلوا او يفتح الله فقتلوا وقوله من صياصيهم من حصونهم واصل
الصياصى قرون البقر لانها تمتنع بها وتدفع عن نفسها فقيل للحصون صياصى لانها تمنع والواحدة صيصية
وصيصية الديك غرته والصيصية حف صغير يحوك به الحايك ويجمع هذا كله صياصى والاحزاب الفرق
واحدها حزب ويقال تحزبت القوم اى جمعتهم وحزبتهم اى فرقتهم وتحزب القوم اذا اجتمعوا وصاروا احزابا
وتقول هؤلاء حزبى اى اهلى وشيعتى وتقول حازبنى محازبة اى صاحبنى مصاحبة وقوله بادون فى الاعراب
اى انيكونوا فى البادية مع الاعراب رجل باد قد نزل البادية يودوا ان يكونوا فى البادية مع الاعراب وقال بعضهم
فى قوله وارضا لم تطؤها هو ما يظهر عليه المسلمون الى يوم القيامة وقوله يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا وزينتها قال بعض اهل التاويل انهن جلسن يجعلن يخترن الازواج فى حيوة رسول الله
فنزلت الاية توبيخا لهن وتعييرا على ذلك لكن هذا بعيد محال لا يحتمل ان تكون ازواجه يخترن الازواج وهن
تحته فى حيوته فذلك سوء الظن بهن وقال بعضهم انهن طلبن النفقة منه فنزل ما ذكر وقيل انهن قد تحدثن بشى
من الدنيا وركن اليها فنزل ما ذكر عتابا لهن وتعييرا ونحو ذلك قد قالوا وجايز ان كون الله يمتحن رسوله وازواجه
بالتخيير واختيار الفراق منه ابتداء امتحانا من غير ان يكون منهن شى مما ذكر ولا سبب وعلى ذلك روى فى الخبر عن عايشة
رضى الله عنها قالت لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير ازواجه بدا بى فقال يا عايشة انى ذاكر لك امرا
فلا عليك لا تستعجلى حتى تستامرى ابويك قالت وقد علم ان ابواى لم يكونا يامرانى بفراقه قالت ثم قال ان الله
يقول يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الى قوله اجرا عظيما فقلت انى هذا استامر ابوى

ان تستعجلى صح
وقد علم الله صح

فانى اريد الله

فانى اريد الله ورسوله والدار الاخرة وفعل ساير ازواجه مثل ما فعلت وفى بعض الاخبار انها قالت
بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة وفعل ساير ازواجه مثل ما فعلت فدل قولها لما امر رسول الله بتخيير
ازواجه ان ذلك من الله ابتداء امتحان من غير ان كان منهن ما ذكروا من الركون الى الدنيا والتحدث بما ذكروا
وفيه وجوه من الدلالة احدها اباحة طلب الدنيا وزينتها من وجه يحل ويجمل حيث قال فتعالين امتعكن
واسرحكن سراحا جميلا لانه لو لم يكن يحل ذلك لهن وكن منهيات عن ذلك لكان رسول الله لا يفارقهن حتى يخيرهن
المنهى من الامر وقد كان يملك حبسهن فى ملكه حتى لا يخترن ما ذكره من المنهى دل ذلك والله اعلم ان ذلك كان
على وجه يحل ويجمل وفيه ان رسول الله لم يكن عنده ما ذكر من الدنيا والزينة وما يستمتع بها اذ لو كان عنده
ذلك لم يحتمل ان يخيرهن بالفراق منه لما ذكر عنده ذلك ولا هن يختون الفراق منه وعنده ذلك دل انه لم يكن
عنده ما ذكر ويبطل قول من يقول انه كان عنده الدنيا ويفضل الغنا على الفقر بذلك وفيه دلالة ان ازواجه
كن يحللن لغيره فى حيوته اذا فارقن منه لانهن اذا لم يحللن لغيره لم يكن لقوله فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا
سراحا جميلا معنى لانهن اذا لم يحللن لغيره وعندهن ما ذكر من الدنيا يحملهن ذلك على الفجور فدل انهن
كن يحللن لغيره فى حيوته اذا فارقهن وانما لم يحللن لغيره اذا مات فيكون له حكم الحيوة كانه حى فى حق ازواجه
ويخرج قوله خالصة لك من دون المؤمنين فى الاخرة لا تحل لغيره فتكون زوجته فى الجنة ثم اختلف الصحابة
رضى الله عنهم فيمن خير امراته فاختارت قال بعضهم اذا اختارها فهو تطليقة رجعية واذا اختارت فهى باينة
وهو على قول على وقال بعضهم اذا اختارت نفسها فهى ثلاث واذا اختارت زوجها فلا شى وقال بعضهم اذا اختارت
زوجها فهى تطليقة رجعية وان اختارت نفسها فهى تطليقة باينة وعندنا ان التخيير نفسه لا يكون طلاقا
وان اختارت زوجها لا شى واذا اختارت نفسها فهى باين اما قوله اذا اختارت زوجها لا شى لما روى عن عايشة انها
قالت خيرنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعد ذلك طلاقا واما قوله اذا اختارت نفسها
فيكون باينا لانه خيرها بين ان تختار نفسها لنفسها وبين ان تختار نفسها لزوجها فان اختارت نفسها فهى
باين لانا لو جعلناه رجعيا لم يكن لاختيارها نفسها لنفسها ولكن لزوجها اذ لزوجها ان يراجعها شاءت او ابت وكان
التخيير بين النفسين على ما ذكرنا واما قول من يقول بان نفس التخيير طلاق فهو باطل لما ذكرنا من تخيير رسول الله
ازواجه فلم يكن ذلك طلاقا واما من قال بالثلاث اذا اختارت نفسها فهو كذلك عندنا اذا ذكر فى التخيير الثلاث
واما قول من قال بالرجعى فهو اذا صرح بالتطليق فهو كذلك والله اعلم وقوله ان كنتن تردن الحيوة الدنيا
وزينتها الارادة ههنا ارادة الاختيار والايثار لحيوة الدنيا وزينتها لا ميل القلب والرضا به وكذلك قوله
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة هو ارادة الاختيار والايثار وهو ما يراد ويختار فعلا لا ميل القلب
والرضا به لانه كل ممكن فيه الشهوة مجبول فيه هذه الحاجة يميل قلبه ويركن الى ما يتمتع بحيوة الدنيا ولذتها ويرضا
ويحب فدل انه ارادة الفعل والاختيار لا ارادة القلب ورضاه ثم فيه ما ذكرنا من حلهن لغير رسول الله اذا اخترن
الفراق منه لما ذكر انه يمتعهن معلوما انهن لا يكتسبن بانفسهن حتى يمتعن بذلك ولم يكن عندهن ما يمتعن فدل انه
انما يمتعن باموال ازواجهن فدل ذلك على حلهن لغيره فى حيوته اذا فارقن والله اعلم وقوله وان كنتن تردن الله
ورسوله والدار الاخرة معلوما انهن اذا اخترن الحيوة الدنيا وزينتها لا يحتمل ان لا يردن الله لكن اضافة ذلك
الى الله لاختيارهن المقام عند رسوله فيدل ذلك ان كل ما اضيف الى الله ورسوله كان المراد به رسوله نحو ما قال
فان لله خمسه وللرسول وقوله قل الانفال لله والرسول وامثال ذلك ثم الزهد فى الدنيا يكون بوجهين
احدهما ترك المكاسب التى بها يتوسع الدنيا ويكون بها السعة فى الدنيا ويؤثرها لغيره على نفسه واختيار
حال الضيق من غير تحريم ما احل وطيب له والثانى بذل ما عنده لغيره وايثاره له على نفسه وجعله اولى به
منه لا فى تحريم الحلالات وقوله فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يحتمل قوله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما

اى اذا اخترن المقام عند رسول الله يصرن محسنات بذلك فاعد لهن ما ذكر فيكون ذلك الاختيار منهن الاحسان فاستوجبن ما ذكر ويحتمل وان كنتن تردن الله ورسوله ودمتن على ذلك واكتسبتن الاعمال الصالحات والاحسان حتى ختمتن على ذلك فاعد لكن لا بنفس الاختيار مقامكن معه والله اعلم **وقوله** يا نساء النبى من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين قال بعضهم الفاحشة المبينة هى النشوز البين وقال بعضهم لا بل الفاحشة المبينة هى الزنا الظاهر ويقال مبينة بشهادة اربعة عدول ومبينة بالكسر اى بينة ظاهرة يضاعف لها العذاب ضعفين الجلد والرجم فى الدنيا ولكن كيف يعرف ضعف الرجم فى الدنيا من لا يعرف حد رجم واحد اذا كان ذلك فى عذاب الدنيا وان كان ذلك فى عذاب الاخرة فكيف ذكر فاحشة بينة وذلك عند الله ظاهر بين وقال بعضهم يضاعف لها العذاب ضعفين فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فمثل حدود النساء واما فى الاخرة فضعف ما يعذب به ساير النساء وجايز ان يكون هذا صلة قوله ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها اذا اخترن الدنيا فمتى اتين بفاحشة ضوعف لهن من العذاب بما ذكر واذا اخترن المقام عند رسول الله والدار الاخرة اتاهن الاجر مرتين وان يكون اذا اخترن المقام عند رسول الله والدار الاخرة ثم اتين بفاحشة ضوعف لهن ما ذكر عوقبن ضعف ما عوقب به واذا اطعن الله ورسوله ضوعف لكن الاجر مرتين والله اعلم والاشبه ان يكون ما ذكر من ضعف العذاب فى الاخرة على ما يقول بعض اهل التاويل الا ترى انه ذكر لهن الاجر كفلين ومعلوم ان ذلك فى الاخرة فعلى ذلك العذاب واما قوله مبينة عند الخلق وان كانت عند الله مبينة ظاهرة وذلك جايز فى اللغة **وقوله** وكان ذلك على الله يسيرا هذا يحتمل وجهين احدهما اى عذابهن على الله يسيرا هينا لا يثقل عليه ولا يشتد لمكان رسول الله بل على الله يسير هين والثانى ان اتيانكن الفاحشة ومعصيتكن على الله يسيرا اى لا يلحقه ضرر ولا تبعة ليس كمعصية خواص الملك له فى الدنيا يلحقه الضرر والذل اذا عصوه واعرضوا عنه فاما الله سبحانه عزيز بذاته غنى لا يضره عصيان عبيده بل ضرر ذلك عليهم **وقوله** ومن يقنت منكن لله ورسوله اى من يطع منكن الله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين فى الاية دلالة فضيلة ازواج رسول الله وعظيم قدرهن حيث خاطبهن من بين غيرهن من النساء كما خاطب مريم بقوله يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ثم يحتج الشافعى بقوله نوتها اجرها مرتين لتاويله فى قوله الطلاق مرتان بقوله يقول قوله الطلاق مرتان تطليقتان فى دفعة واحدة بمرة واحدة من غير احداث التطليق والفعل فيما بينهما يستدل على ذلك بقوله نوتها اجرها مرتين اى اجرين من غير احداث فعل فيما بينهما ولكن بفعل واحد وقوله يوتكم كفلين من رحمته اى اجرين لكن عندنا يجوز الايتاء بمعنى الايجاب اى يوجب لها الاجر مرتين نحو قوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة اى اوجب لهم ثواب الدنيا وثواب الاخرة فعلى ذلك ونحوه كثير والله اعلم **وقوله** يا نساء النبى لستن كاحد من النساء قال بعض اهل الادب احد اجمع فى الكلام من واحد لانه يرجع الى الواحد والى الجماعة وقوله واحد انما يرجع الى الفرد خاصة وانما يخاطب به الواحد **وقوله** ان اتقيتن يحتمل قوله ان اتقيتن اختيار الدنيا وزينتها واتقيتن ايضا نقض اختيار رسول الله والدار الاخرة وجايز ان يكون على الابتداء ان اتقيتن مخالفة الله ومخالفة رسوله وقوله لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فانكن معشر ازواج النبى تنظرن الى الوحى وتصحبن رسول الله بالليل والنهار وترين افعاله وصنيعه فانكن احق الناس بالتقوى وترك الميل الى الدنيا والركون اليها ممن لا ينظر اليه ولا يصحبه الا فى الاوقات مرة او ان يكون قوله لستن كاحد من النساء فى الفضيلة على غيرها من النساء لانكن ازواج رسول الله فى الاخرة وترتفعن الى درجات رسول الله ونكن معه فانكن لستن كغيركن من النساء فى الفضيلة والدرجة ان اتقيتن ما ذكرنا من مخالفة رسول الله واختيار الحيوة الدنيا وزينتها والميل اليها والركون فيها والله علم **وقوله** فلا تخضعن بالقول قيل فلا تلين فى القول فيطمع الذى فى قلبه مرض قال بعضهم اى فجور وزنا وقلن قولا معروفا اى خشنا شديدا وقال بعضهم فيطمع الذى فى قلبه مرض اى نفاق وهذا اولى لان اصحاب رسول الله لا يحتمل ان يكون احد منهم يطمع فى ازواج رسول الله نكاحا بجمال او رغبة فيهن بعد علمنا منهم انهم اذا علموا من رسول الله رغبة فى ازواجهم

طلقوهن ليتزوجهن رسول الله فلا يحتمل بعد ما عرف منهم هذا ان يطمع احد منهم ويرغب فى ازواجه نكاحا فضلا ان يرغب فجورا ولكن ان كان ذلك فهو من اهل النفاق وجايز ان يرغبوا فيهن نكاحا لانهن اعظم الناس نسبا وحسبا واكرمهم جمالا وحسنا فجايز وقوع الرغبة فيهن من اهل النفاق لما ذكرنا واما من اهل الايمان فلا يحتمل ذلك لما ذكرنا ويدل على ذلك قوله واسرحكن سراحا جميلا دل هذا انهن بحيث يرغب فيهن ويطمع وقال بعضهم فلا تخضعن بالقول يقول فلا ترمين بقول يقارب الفاحشة فيطمع الذى فى قلبه وقلن قولا معروفا يعنى قولا حسنا يعرف لا يقارب الفاحشة لكن هذا بعيد لكن اصله فلا تخضعن بالقول اى لا تقلن قولا يعرف به الرغبة فى الرجال والميل الى الدنيا والركون فيها وقلن قولا معروفا ما يكون فيه تغيير المنكر والامر بالمعروف والله اعلم **وقوله** وقرن فى بيوتكن قد قرئ بكسر القاف وفتحها فمن قراء بالكسر فهو من الوقار ومن قراء بالفتح وقرن جعله من القرار والسكون فيها **وقوله** ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال بعضهم تبرج الجاهلية الاولى قبل ان يبعث رسول الله كان يخرج نساؤهم متبرجات بزينة مظهرات فامر الله ازواج رسوله بالستر والحجاب عليهن وادنا الجلباب عليهن وهو ما قال يدنين عليهن من جلابيبهن وقال بعضهم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال الجاهلية التى ولد ابراهيم فيها اعطوا اموالا كثيرة وكن يتبرجن فى ذلك الزمان تبرجا شديدا وامر ازواجه بالعفة والترك لذلك فلسنا ندرى ما اراد بالجاهلية الاولى ومن اراد بذلك الذين كانوا بقرب خروج رسول الله وبعثه او الذين كانوا من قبل فى الامم السالفة والتبرج كانه هو الخروج بالزينة على اظهار لها اعنى اظهار الزينة قال القتبى فلا تخضعن بالقول اى لا تلين به **وقوله** وقلن قولا معروفا اى صحيحا وقوله وقرن فى بيوتكن بالكسر من الوقار ويقال وقرن من قرار يقر وقورا وقرن بفتح القاف من القرار وكانه من قر يقر اراد اقررن فى بيوتكن فحذف الراء الاولى وحول فتحها الى القاف كما قلن فى موضع كذا من ظللن قال الله تعالى فظلتم تفكهون ولم تسمع قر يقر الا فى موضع قرة العين فاما فى الاستقرار فانما هو قر يقر **وقوله** واقمن الصلوة واتين الزكوة يحتمل ان يكون الامر لهن بايتاء الزكوة من حليهن لانهن كن لا يملكن شيئا سوى ذلك ما يجب فى مثله الزكوة الا يرى انه وعد لهن التمتع والسراح الجميل اذا اردن الحيوة الدنيا وزينتها فلو كان عندهن شئ من فضول الاموال لكن ينفقن ويتمتعن وان لم يكن عند رسول الله ما يمتعهن ولا يطلبن ذلك من عنده فدل ذلك انهن لا يملكن شيئا من ذلك فيجوز ان يستدل بظاهر هذه الاية فى ايجاب الزكوة فى الحلى وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه وقوله واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله امرهن باقامة الصلوة وايتاء الزكوة والطاعة لله ورسوله لئلا ليلا يغترن بما اخترن المقام مع رسول الله وايثارهن اياه على ان ذلك كاف لهن فى الاخرة ولا شئ عليهن سوى ذلك من العبادات بل لحنا الكن واخترن المقام معه واثرتن اياه على الدنيا وزينتها لا يغنيكن ذلك عما ذكر والله علم **وقوله** انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قال بعضهم ان هذه الاية مقطوعة عن الاولى لان الاولى فى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه فى اهل بيته وهو قول الروافض ويستدلون لقطعها عن الاولى بوجوه احدها ما روى عن ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت عنى بذلك عليا وفاطمة والحسن والحسين وقالت لما نزلت هذه الاية اخذ النبى ثوبا فجعله على هولاء ثم تلا الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقالت ام سلمة من جانب البيت الست يا رسول الله من اهل البيت قال بلى ان شاء الله وعن الحسن بن على انه خطب الناس بالكوفة وهو يقول يا اهل الكوفة اتقوا الله فينا فانا امراؤكم وانا اضيافكم ونحن اهل البيت الذى قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويقولون ايضا ان الاية الاولى ذكرها بالتانيث حيث قال واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله وهذه ذكرها بالتذكير دل انها مقطوعة عن الاولى ويقولون ايضا انه وعد ان يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا وعدا مطلقا غير مقيد وذلك الرجس الذى ذكر مما يحتمل ازواجه ممكن ذلك فيهن غير ممكن فى اهل بيته ومن ذكر ويقولون ايضا ما روى عنه انه قال تركت فيكم بعدى الثقلين كتاب الله وعترتى اهل بيتى ما ان تمسكتم بهما لن يردا بكم الحوض او كلام نحو هذا فعنى العترة باهل البيت ونحو ذلك من الوجوه واما عندنا

فهي غير مقطوعة من الاولى اما ان يكون على الاشتراك بينهن وبين من ذكر وا من اولاده اذ اسم اهل البيت ما يجمع
ذلك كله في العرف او ان يكون الاية لهن على الانفراد فاما ان تخرج ازواجه عن اهل بيته والبيت يجمعهم فلا يحتمل
ذلك واما قولهم انه ذكر هذه الاية بالتذكير والاولى بالتانيث فعند الاختلاط كذلك يذكر باسم التذكير
واما قولهم انه وعد لهم منه خرج مطلقا غير معقود فكذلك كن ازواج رسول الله لم يات منهن ما يجوز ان ينسبن
الى الرجس والقذر الا فيما غولين على ذاتهن وتدبيرهن بالحيل فاخرجن فيما اخرجن واما قولهم في الثقلين
الذين تركهما غولين على ذاتهن وتدبيرهن فينا بعدي الكتاب والعترة وعترته سنته على ما قيل وقوله اهل بيته
كانه قال تركت الثقلين كتاب الله وسنتي يا اهل بيتي وذلك جايز في اللغة واما ما روي عن ام سلمة فانه في الخبر
بيان على ان ازواجه دخلن حيث قالت له ام سلمة البيت قال بلى ان شاء الله وفي هذه الاية دلالة نقض قول المعتزلة
من وجوه احدها ما يقولون ان الله قد اراد ان يطهر الخلق كلهم الكافر والمسلم واراد ان يذهب الرجس عنهم جميعا
لكن الكافر حيث لا داد لا يطهر نفسه ولا يذهب عنه الرجس لم يطهر فلو كان على ما يقولون لم يكن لتخصيص هؤلاء
عن التطهير ودفع الرجس عنهم فايدة ولا منة دل انما يطهر من علم منه اختيار الطهارة وترك الرجس واما من علم منه
اختيار الرجس فلا يحتمل ان يذهب منه الرجس ويريد منه غير ما يعلم انه يختار وان التطهير لمن يكون انما يكون
بالله لا بما تقوله المعتزلة حيث قال ويطهركم تطهيرا اذ على قولهم لا يملك هو تطهير من اراد تطهيره اذ لم يبق عنده ما يطهرهم
فذلك كله ينقض عليهم اقوالهم ومذهبهم وقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة هذا يحتمل وجهين احدهما
قوله اذكرن على حقيقة الذكر اي اذكرن ما من الله عليكن وجعلكن من اهل بيت يتلى فيه من ايات الله والحكمة وجعل
بيوتكن موضعا لنزول الوحي والثاني اذكرن على حقيقة الذكر فيها وخصكن بذلك ما لم يجعل في بيت احد ذلك يذكرهن
عظيم ما انعم ومن عليهن ليتادى به شكره ليعرفن منة الله ونعمه عليهن وقوله من ايات الله يحتمل ايات القران
ويحتمل حججه وبراهينه والحكمة قالت الفلاسفة الحكيم هو الذي يجمع العلم والعمل جميعا وقال بعضهم الحكيم المصيب
والحكمة هي الاصابة وقيل هي وضع الشيء موضعه وهي نقيض السفه واصل الحكمة في الحقيقة كانه هي الاصابة في كل شيء
والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في الحكم ولا الغلط وقال بعضهم الحكمة ههنا هي السنة وقوله ان الله كان لطيفا خبيرا
اللطيف هو البار يقال فلان لطيف اذا كان بارا وكذا ان اللطيف هو الذي يستخرج الاشياء الخفية الكامنة مما لا يتوهمها
العقول استخراجا من مثلها وقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى اخر ما ذكر ذكر ان ام سلمة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم وامراة يقال لها انيسة بنت كعب اتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالتا يا رسول الله
ما بال ربنا يذكر الرجال في القران بالخير ولا يذكر النساء في شيء فنزل ان المسلمين والمسلمات ثم قوله ان المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاسلام والايمان هما في الحقيقة واحد منى في حقيقة المعنى واحد وان كانا
مختلفين بجهة لان الاسلام هو ان يجعل كل شيء لله سالما خالصا لا يجعل لغيره فيه شركا ولا حقا والايمان هو التصديق
لله بشهادة كل شيء له بالوحدانية والربوبية والالوهية فمن جعل الاشياء كلها لله خالصة سالمة له والذي صدق
الله بشهادة كلية الاشياء له بالوحدانية والربوبية واحد لان المخلص هو الذي يرى كل شيء لله خالصا والموحد هو الذي
يرى الوحدانية له والربوبية في كل شيء فهما في حقيقة المعنى واحد والله اعلم وقوله والقانتين والقانتات القنوت
هو القيام في اللغة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن افضل الصلوة فقال طول القنوت وفي بعضه طول
طول القيام فسر القنوت بالقيام فثبت ان القنوت هو القيام فيكون تاويله والله اعلم القايمين والقايمات بجميع
اوامر الله ومناهيه وكذلك يخرج تاويل اهل التاويل القايمين المطيعين والمطيعات لله لان كل قايم بامر اخر فهو مطيع له
هذا كانه يقول يكون في الاعتقاد والله اعلم وقوله والصادقين والصادقات الى اخره يكون في المعاملة في تصديق
ما اعتقدوا وقبلوا يصدقون ويوفون بالاعمال فيما اعتقدوا وقبلوا وقوله والصابرين والصابرات الصبر هو كف
النفس وحبسها عن التعاطي في جميع المحرمات المحظورات وعلى ذلك يخرج قول اهل التاويل الصابرين على امر الله

اي اتلون ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وجعل بيوتكن موضعا لنزول الوحي والثاني

مبحث في الحكمة

والاشكال ان عطف المؤمنين والمؤمنات على المسلمين والمسلمات والمعطوف غير المعطوف عليه فيقتضي ان يكون الاسلام غيرا فلو ان الاسلام والايمان واحد وهما في الحقيقة واحدة

ويجوز عطف الشيء على نفسه عند اختلاف الالفاظ على ما هو المشهور ذلك

وطاعة

وطاعة وعلى السراء في المصايب كقوله صبر جميل لا يحمل فيه ويروى ذلك من تفسير وقوله والخاشعين
والخاشعات قال بعضهم الخاشع المصلي وقال بعضهم الخاشع المتواضع واصل الخشوع هو الخوف اللازم في القلب
وهو قول الحسن يخافون الله في كل حال لا يخافون غيره ويرجون الله ولا يرجون غيره وهكذا على المؤمن يكون
حقيقة رجايه منه واما الكلام في انه لا يخاف ذنبه ولا يرجو منه لانه لا يعرفه ولا يخضع له وعلى قول المعتزلة
انما خوفهم من اعمالهم السيئة ورجاؤهم منها اعني من اعمالهم الحسنة لا من الله حقيقة وكذلك على قولهم لا يكون لاحد
رجاء في شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رجاؤه في اعماله لقولهم ان ليس لله في افعال العباد شيء من التدبير
ولا تقدير وقوله والمتصدقين والمتصدقات اي المنفقين في طاعة الله والصايمين والصايمات قد ذكرنا
ان هذا يرجع الى حقيقة الفعل في الصيام والصدقة والصدق في القول والمعاملة والخشوع منه وجايز ان يكون
في القبول والاعتقاد على ما ذكرنا والله اعلم وقوله والحافظين فروجهم والحافظات فيما لا يحل كقوله والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات قال بعضهم اي المصلين
لله الصلوات الخمس وقال بعضهم الذاكرين الله كثيرا والذاكرات الله كثيرا اي الذاكرات باللسان على كل حال لكن غيره كان اولى
بذلك اي الذاكرين حقوق الله التي عليهم كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم قال جعفر بن حرب المعتزلي دلت هذه الاية على ان الكفر
حرام ثم يقضيه الله لانه لو كان مما قضاه الله لكان لا يكون لهم الخيرة والتخيير فاذا قال انما قضى الله ورسوله
ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة دل انه لم يقضه الله لكن قولنا ان القضاء ههنا ليس هو قضاء الخلق على ما فهم
هو ولكن القضاء ههنا الامر والحكم كقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي امر ربك واوجب ان لا تعبدوا
او ان يكون الحكم كقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
اي مما حكمت فاذا كان القضاء يحتمل الامر والحكم على ما ذكرنا فيكون كانه قال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا اي اذا امر الله ورسوله امرا او اذا حكم الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وهكذا يكون فيما امر الله
ورسوله بامر او حكم بحكم ان لا يكون لاحد التخيير في ذلك ومما يدل ايضا على ان القضاء ايضا ههنا ليس هو القضاء
الذي فهم المعتزلة حيث اضاف ذلك الى رسوله ايضا حيث قال اذا قضى الله ورسوله امرا ولا شك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان لا يملك القضاء الذي هو قضاء خلق دل ان المعتزلة اخطأت وغلطت في فهم ذلك ثم قصرت
عقولهم عن درك ذلك وان التاويل ما ذكرنا نحن ثم اجمع اهل التاويل على ان قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم انما نزل في زينب بنت جحش يذكرون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اعتق زيد بن حارثة وتبناه وكان مولى له فخطب له زينب بنت جحش فقالت زينب اني لا ارضاه لنفسي وانا من ايم
نساء قريش وكانت ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت اميمة بنت عبد المطلب فقال لها النبي صلى الله عليه
عليه وسلم قد رضيته لك تزوجي نفسك منه فابت ذلك فنزل قوله فيها وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم لكن ان كان على ما يذكرون من الخطبة لها فلا يحتمل ان يجبرها على النكاح
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس للولي مع الثيب امر وقال صلى الله عليه وسلم البكر تستامر في نفسها والثيب
تشاور ثم يجيء في جبرها على النكاح ممن لا ترضاه الا ان يكون على الامر من الله تعالى ومن رسوله فعند ذلك
لا يكون لها التخيير في ذلك لان الله ان يامر من شاء على النكاح ممن شاء على النكاح وله الحكم بالنكاح لمن شاء
على من شاء وليس لهم التخيير في ذلك فاما بالخطبة نفسها دون الامر والحكم من الله لا يجبر في ذلك الا ترى
انه ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب ام سلمة فقالت ان اوليائي غيب فقال ليس احد
من اوليائك لا يرضى بي او كلام نحو هذا خطبها ولم يجبرها على ذلك فعلى ذلك زينب الا ان يكون على الامر والحكم
على ما ذكرنا او ان يكون سبب نزول الاية فيمن ذكر اهل التاويل في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش

وان كان كذلك لم يصح الاستدلال باللفظ المشترك على احد وجوه الا بدليل زايد وراء المنقول على انا نحمل على الامر والحكم فيكون كانه قال

اميمة

لها الامر بتزويج نفسها من غير الله

ويكون الوعيد الذى ذكر فيه فى غير فيما فيه امر من الله او حكم نحو ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه صلى الفجر فرأى رجلين جالسين فقال لهما ما بالكما لم تصليا معنا فقالا انا قد صلينا فى رحالنا فقال اذا صليتما
ثم اتيتما المسجد فصليا معهم فتكون لكما سبحة وانما قال فصليا معهم لا فى صلوة الفجر ولكن فى الصلوات التى يتطوع
بعدها **وقوله** ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وان كان هذا فى المؤمنين فيكون الضلال هو الخطا
كانه قال فقد اخطا خطا بينا ويجوز هذا فى اللغة ثم قول اخوة يوسف لابيهم فى تفضيله يوسف عليهم حيث قالوا
ان ابانا لفى ضلال مبين اى فى خطا بين حيث يفضل من لا منفعة له منه على من له منه منفعة فعلى ذلك هذا
وان كان فى المنافقين فهم فى ضلال بين فالضلال من المؤمنين لا يفهم ما يفهم من الكافر والمنافق الا ترى ان الظلم
من المؤمنين لا يفهم من المنافق والكافر الا ترى ان آدم وحوا لما ارتكبا وقربا تلك الشجرة قالا ربنا ظلمنا انفسنا
لم يريدا ظلم كفر وعلى ذلك قوله فتكونا من الظالمين فعلى ذلك المفهوم من ضلال المؤمن غير المفهوم من ضلال
المنافق والكافر والله اعلم **وقوله** واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه قال اهل التاويل انعم الله عليه بالاسلام
وانعمت عليه بالاعتاق حيث اعتقه لانه ذكر ان زيدا كان عربيا من اهل الكتاب اصابه النبى صلى الله عليه وسلم
من سبى اهل الجاهلية فاعتقه وتبناه فانعم الله عليه حيث اعطاه الاسلام ووفقه للهدى وانعم عليه الرسول
حيث اعتقه ويحتمل انعام الله عليه ايضا فى الاعتاق حيث وفق رسوله للعتاق وفى خلق فعل الاعتاق من رسوله
واجرائه اليه وعلى قول المعتزلة ليس لله على زيد ولا على جميع المسلمين فى الاسلام انعام ولا افضال لوجوه
احدها انهم يقولون قد اعطى كلا سببا يلزمهم الاسلام وهو القوة فهم انما يسلمون لا يصنع من الله فى ذلك
فعلى قولهم كان من الله سبب لزوم الاسلام فاما فى الاسلام نفسه فلا صنع له فيه فاذا كان كذلك فلا منة
يكون منه عليهم ولا انعام والثانى يقولون ان ليس لله ان يفعل بالخلق الا ما هو اصلح لهم فى الدين ولا شك
ان الاسلام لهم اصلح فعليه ان يفعل ذلك لهم فهو فعل ما عليه ان يفعل ولا يجوز له ان يفعل غيره ومن ادى
حقا عليه لا يكون فى فعله منعما ولا مفضلا انما هو مؤدى حق عليه والثالث يقولون ان ليس من الله الى الانبياء
والمؤمنين جميعا شىء الا وقد كان ذلك منه الى ابليس واتباعه والى جميع الفراعنة فاذا كان قولهم ومذهبهم
ما ذكرنا لم يكن لله على احد من اهل الاسلام فى اسلامهم انعام ولا افضال والله اخبر ان له عليهم فى ذلك نعمة ومنة
وكذلك فهم منه ذلك فى قوله يمنون عليك ان اسلموا الى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان **وقوله** امسك عليك
زوجك واتق الله ذكر بعض اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابصر امراة زيد فاعجبته وودها
ففهم زيد ذلك منه فقال يا رسول الله انى اريد ان اطلق فلانة فان فيها كبرا تتعاظم على وتؤذينى
بكذا فعند ذلك قال له النبى صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله فى طلاقها ولا تطلقها لكنا لا نقول
نحن شيئا من ذلك الا بخبر ثبت من رسول الله يخبر انه كان ذلك وجايز ان يكون زيدا استاذن رسول الله فى طلاقها
على ما يطلق الرجل امراته لما يمل منها بلا سبب يكون فقال له عند ذلك امسك عليك زوجك واتق الله ولا تطلق
زوجك بلا سبب يستوجب به الطلاق لانه لا يسع للرجل ان يطلق زوجته بلا سبب يحمله على الطلاق من تضييع
حد وللله وترك اقامتها ومعنى نحوه فاما سبب يكون فى ذلك فلا يسع وان يكون امسك عليك زوجك
اى تزوجها واتق الله فى ترك تزوجها فيكون هو ما مورا بنكاحها كما كانت هى مامورة بتزويجها نفسها منه
فيقول اتق الله فى ترك الامر للنبى ذلك فى ترك ما ندبت اليه وامرت به والله اعلم **وقوله** وتخفى فى نفسك
ما الله مبديه قال عامة اهل التاويل تخفى فى نفسك حبها واعجابها ما الله مبديه اى ما الله مظهره فى القرآن
اى حبها وتزوجها وقال قايلون وتخفى فى نفسك يا محمد ليتنه طلقها ما الله مبديه اى مظهره عليك حتى
ينزل به قرانا لكن هذا بعيد محال لا يحتمل ان يكون النبى يقول لزيد امسك عليك زوجك واتق الله ثم يخفى
هو فى نفسه ليتنه يطلقها حتى يتزوجها هو وجايز ان يكون قوله وتخفى فى نفسك هذا القول نفسه

هو لا ابدا حيث جعله اية تتلى بعد ما اخفى رسول الله شيئا فى نفسه ما لولا ذكر الله اياه ذلك لم يعلم الخلق انه اخفى شيئا
ولا ندرى ما الذى اخفاه كذا وكذا الا بخبر يجىء عنه فيقول انى اخفيت فى نفسى كذا فعند ذلك يسع فاما على الوهم
فلا نقول به **وقوله** وتخشى الناس والله احق ان تخشيه قال بعضهم وتخشى الناس اى تستحيى مقالة الناس انه تزوج
امراة ابنه وتترك نكاحها والله احق ان تستحيى منه فى ترك امر الملك بالنكاح وقال بعضهم وتخشى الناس ان تتقى
مقالة الناس تستحيى منهم فى امر زينب وما اعجبت هى اليك حسنها وحبها والله احق ان تخشاه ذلك وجايز ان يكون
قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه على الابتداء على غير الخاق بالاول فى كل امر وكل شىء كقوله فلا تخشوهم
واخشونى والله اعلم **وقوله** فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها قال اهل التاويل قضى زيد منها وطرا
اى حاجة اى جماعا فان كان الجماع ففايدة ذكر الجماع فيه ليعلم انه حليلة ابن التبنى تحل للرجل وان عقد
النكاح والجماع جميعا وان كان كل واحد منهما سبب الحظر والمنع فى نكاح حليلة ابن الصلب وجايز ان يكون قوله فلما قضى
زيد منها وطرا اى قضى همة نفسه وبلغ غاية ما همته لو طرهو نفسه منها فعند ذلك زوجناكها ذكر ان زينب
بنت جحش كانت تفتخر على ساير ازواج النبى فتقول زوجكن اباؤكن رسول الله والله زوجنى نبيه فوق سبع سموات
وفيه دلالة رسالته لانه اخفى فى نفسه ما كان يخشى مقالة الناس فى ذلك واستحيى منهم وفى الوفا انه لا يخفى
شيئا تستحيى من الناس ان ظهر عندهم انه يكتم ذلك عن الناس ولا يظهره فاذ كان رسول الله اظهره ما كان يخشى
مقالة الناس فيه ولم يكتمه منهم دل انه رسول اذ لو كان غير رسول لكتمه واخفاه ولم يظهره لما ذكرنا من العرف
فى الناس من كتمان ما يستحيون منهم اذا ظهر وكذلك روى عن عمر وعايشة انهما قالا لو كان رسول الله
كاتما شيئا من القرآن كتم هذه الاية **وقوله** لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا
فى الاية دلالة لزوم الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما يخبر ويامر به وفى كل فعل يفعله فى نفسه
الا فيما ظهرت للخصوصية فاما فيما لم تظهر فعلى الناس اتباعه فيما يخبر ويفعل لانه قال تزوج امراة
دعيه ثم قال لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم ولو كان يخبرهم بذلك خبرا لحل لهم ذلك فعلى النبى
اذا فعل هو ذلك اخبر ان ذلك لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى مثل فعله والله اعلم وفيه وجه آخر
وقوله اذا قضوا منهن وطرا ذكر قضاء الوطر منهن لان من النساء من لا يحرمن على بعض هؤلاء بالعقد ولكن
انما يحرمن بقضاء الوطر ومنهن من يحرمن بالعقد نفسه دون قضاء الوطر فاخبر ان ازواج الادعياء وان قضوا
منهن الوطر فانهن لا يحرمن عليهم والله اعلم **وقوله** وكان امر الله مفعولا اى ما كان يامر الله مفعولا وكذلك ما قيل
الصلوة امر الله اى بامره تكون ولا الصلوة هى فعل العباد فلا تكون امر الله ولكن بامر الله فعلى ذلك قوله وكان امر الله
مفعولا اى ما يكون بامر الله مفعولا ثم يحتمل ذلك وجهين احدهما التكوين يكون فيكون تكوينا كقوله انما قولنا لشىء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون والثانى على الايجاب واللزوم اى ما يكون بامر الله يكون واجبا لازما اذا اراد به الايجاب والالزام
والله اعلم **وقوله** ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له هذا يحتمل وجهين احدهما فرض الله اى بين الله اى بين الله
كقوله سورة انزلناها وفرضناها اى بيناها ويحتمل فيما فرض الله له اى اوجب الله عليه ويقال فرض عليه اى حرم
وفرض له اى احل له وكذلك قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم يحتمل هذا وجهين اى بين لكم تحلة ايمانكم والثانى
اوجب عليكم تحلة ايمانكم والله اعلم **وقوله** سنة الله فى الذين خلوا من قبل قال بعضهم هكذا كان سنة الله فيمن كان
قبله من الرسل مثل داود وسليمان وهؤلاء كثرة النساء ليس ذلك ببديع فى رسول الله محمد وفى كثرة نساء
الرسل لهم اية عظيمة لانهم آثروا الفقر والضيق على السعة والغنا وكفوا انفسهم عن جميع لذاتها وحملوا على انفسهم
الشدايد فى العبادات والامور العظام الثقيلة وهذه الاشياء كلها اسباب قطع قضاء الشهوات فى النساء
والحاجة فيهن فاذ لم تقطع تلك الاسباب عنهم دل انهم بالله قووا عليها وقال بعضهم سنة الله فى الذين خلوا
من قبل اى كذلك كان سنة الله فى الذين قبل محمد يعنى داود النبى حين هوى المراة التى فتن بها فجمع الله

تبارك وتعالى بين داود وتلك المرأة فكذلك يجمع بين محمد وبين امرأة زيد اذ هويها كما فعل بداود ولكن هذا
بعيد وقيل سنة الله في الذين خلوا من قبل في حل نكاح ازواج الادعياء كان يحل لهم ذلك فعلى ذلك لرسول الله
والله اعلم وقوله وكان امر الله قدرا مقدورا هو ما ذكرنا في قوله وكان امر الله مفعولا اي ما كان بامر الله وتقديره
مقدورا قال ابو عوسجة الدعي الذي يُدعى بعد ما يكبر والادعاء ان يكون الرجل تقي ولد ولم يقبله ثم ادعاه
من بعد ذلك هذا هو المعروف عندي قال وفي موضع نحن ولهم ما يدعون اي ما يتمنون ويشتهون ويقال طلبنا
اليوم فيما ادعينا اي وجدنا كل ما اشتهينا يقال من هذا ادعيت ادعي ادعاء وقال ابو بكر الحاجة والاوطار جمع
والخيرة اي صيرت اليهم الخيرة وهو من قولك اي شيء يختار وما كان لهم الخيرة من امرهم اي لم يجعل اليكم الاختيار
ان شيتم فعلتم وان شيتم لم تفعلوا والقنوت في الاصل القيام على ما ذكرنا وقوله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه
ولا يخشون احدا الا الله يقول اهل التاويل هو محمد خاصة فمعناه والله اعلم ان كان هو المراد به انه فيما تزوج
حليلة دعيه زيد مبلغ رسالات ربه حيث قال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيايهم وتبليغ
الرسالة يكون مرة بالخبر والقول ومرة بالفعل يلزم الناس في اتباعه في فعله كما يلزم في خبره وامره الا فيما ظهرت
المخصوصية في فعله وجايز ان يكون قوله الذين يبلغون رسالات الله هم الانبياء الذين قال سنة الله في الذين
خلوا من قبل نعتهم وقال الذين يبلغون رسالات الله فسنة الله في محمد كسنة اولئك الذين كانوا من قبل فيما ذكر
ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله يقول والله اعلم يخشون الله في ترك تبليغ الرسالة ولا يخشون احدا سواه في التبليغ
ويكون قوله الا الله بمعنى سواه على المبالغة في الامر والا لو قال ولا يخشون احدا كان كافيا اي لا يخشون احدا فيما يبلغون
لكن يحتمل ما ذكرنا ان لا يخشون احدا فيما يبلغون سواه وجايز ان يكون قوله ولا يخشون احدا الا الله بما يصيبهم من الاذى
والبلاء بالتبليغ يقول لا يرون ذلك من اولئك ولكن بتقدير من الله اياه والا كانوا يخافون من اولئك الا ترى انهم قالوا
اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وحيث قال موسى فاخاف ان يقتلون واخاف ان يكذبون ونحوه وان يكون
في الابتداء خافوهم ثم آمنهم الله فلم يخافوا حيث قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى والله اعلم وقوله وكفى بالله حسيبا
قيل شهيدا على تبليغ الرسالة وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم معناه والله اعلم ما كان محمد ابا احد ابوة يحرم بها
حلايل الابناء والا كان هو ابا لجميع المؤمنين حيث قال النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اذا كانت
ازواجه امهاتنا فهو اب لنا على ما ذكرنا لكن التاويل فيه ما كان محمد ابا احد من رجالكم ابوة تحرم بها حلايل الابناء
ولكن ابوة التعظيم له والتبجيل وابوة الشفقة والرحمة وهو ما قال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض الا يتركذلك قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم يحتمل وجهين اولى ان يعظم
ويكرم ويشرف من انفسكم كقوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه والثاني اولى بالمؤمنين اي اشفق عليهم وارحم بهم
من انفسهم وهو ما وصفه جل وعلا من رحمته ورافته حيث قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يخرج على وجهين احدهما في حق الانتساب اليه اي ليس هو ابا احدكم
ينسب اليه ويُدعى به لانه ذكر انهم يدعونه ويسمونه زيد بن محمد انه يجوز التبني ولا يجوز النسبة اليه ولا التسمية به
كقوله ادعوهم لآبايهم هو اقسط عند الله والثاني في حق الحرمة كانه قال ليس هو ابا احدكم في حرمة حلايل الابناء
عليه ابناء التبني ولا في حق النسبة وان كان هو ابا لكم في الشفقة والرحمة والرافة على ما ذكرنا وكذلك ولكن رسول الله
ما ذكرنا في التعظيم له والتبجيل في المعاملة والمصاحبة او في الدعوة به والتسمية وقوله ولكن رسول الله اخبر ليس
بابي احد من رجالكم على ما ذكرنا ولكن رسول الله لئلا يعاملوا رسوله معاملة آبايهم ولا يصاحبوه صحبة غيره
ولكن يعاملوه معاملة الرسل في التعظيم له والتبجيل والاكرام لان ابوته وشفقته دينية وشفقة الآباء شفقة
دنياوية ولان الرجل قد ينبسط مع والده في اشياء لا يسع مثله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان قال
ولكن رسول الله وخاتم النبيين اي ختم به الرسالة لا نبي بعده وقوله وخاتم النبيين جايز ان يكون ذكره

ابلاغا في بيان عظمته وحرمته حتى يعظم في غاية التعظيم والله اعلم

واخبار انه خاتم النبيين لما علم جل وعلا انه سيمنى ... بعده نبيا على ما قالته الباطنية ان قايم الزمان
هو نبي فاخبر بهذا انه من ادعى ذلك لا يطالب بالحجة والدلالة لكنه يكذب وكذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا نبي بعدي اخبر انه به ختم النبوة وقوله وكان الله بكل شيء عليما لم يزل الله
بما كان ويكون وبما به صلاحهم عليما وقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اما اهل التاويل يقولون
اذكروا الله في كل حال وفي كل وقت ذكرا كثيرا باللسان وجايز ان يكون تاويل امر بالذكر له كثيرا اي اذكروا
نعمه لتشكروا له واذكروا اوامره لتأتمروا ومناهيه ونواهيه لتنتهي ومواعيده لتخاف ووعده لترغب واذكروا
عظمته وجلاله وكبرياءه ليهاب ذكرا كثيرا اي دايما يذكرون ما ذكرنا لكيلا يكون اذا ما يكون ذلك
بالذكر والله اعلم وقوله وسبحوه بكرة واصيلا البكرة هو ختم الليل والابتداء النهار والاصيل هو ختم النهار
وابتداء الليل فكانه امر بالذكر له والخير في ابتداء كل ليل وختمه وابتداء كل نهار وانقضائه ...
ويعني بها ما يكون منهم من الزلات في خلال ذلك وعلى ذلك ما روي في الخبر ان من صلى العشاء الآخرة والفجر
بالجماعة فكانما احيا ليلته وجايز ان يكون ذلك ليس على ارادة البكرة والاصيل ولكن على ارادة كل وقت وكل حال
ليس من وقت ولا من حال الا وهو على عبادة شكر وصبر الشكر لنعمائه والصبر على مصايبه وقال بعضهم الامر
بالذكر له بالبكرة والاصيل هي الصلوات الخمس من الظهر الى ... الاصيل فيدخل فيه صلاة الظهر والعصر والمغرب
والعشاء ونبه البكرة صلاة الفجر وقوله هو الذي يصلي عليكم وملايكته اما صلاة الله هي الرحمة والمغفرة وصلاة
الملايكة الاستغفار وطلب العصمة والنجاة كقوله ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما الآية وقوله
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم الآية وقوله ويستغفرون لمن في الارض جايز ان يكون للمؤمنين
خاصة وجايز ان يكون للكل الكافر والمؤمن فان كان هذا فيكون استغفارهم طلبا للاسباب التي بها يستوجبون
المغفرة وهو الهدى كقول هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا
لا يحتمل ان يستغفروهم وهم كفار ولكن يطلبون منه التوبة عن الكفر ليستوجبوا المغفرة وكذلك استغفار ابراهيم
لابيه لا يحتمل ان يستغفر له وهو كافر ولكن كان يطلب له من الله ان يجعله بحيث يستوجب المغفرة والرحمة
وهو الهدى والله اعلم وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور قال بعضهم ليخرجهم حيث اخرجهم من اصلاب آبائهم
قرنا فقرنا الى ان بلغوا ما بلغوا وجايز اخراجه اياهم من ظلمات الكفر الى نور الهدى بدعاء الملايكة واستغفارهم
لهم وكان بالمؤمنين رحيما لم يزل الله بالمؤمنين رحيما وقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام جايز ان يكون تحية
الملايكة سلام كقوله سلام عليكم بما صبرتم او تحية بعضهم على بعض سلام لا غير ليس كتحيتهم في الدنيا اطال الله
بقاك وكيف حالك ونحو ما يقولون في الدنيا ويسال بعضهم بعضا على احوالهم يقول ليس تحية اهل الجنة
ذلك ولكن سلام كقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما او ان يكون قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام اي
وسدادا لا غير كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس ان يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون قولا صوابا
سدادا لا يقابلونهم بمثل ما خوطبوهم فعلى ذلك جايز ان يكون قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام اي صواب من الكلام وسداد
واعد لهم اجرا كريما اي حسنا وقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا يحتمل قوله شاهدا
على تبليغ الرسالة يشهد لهم بالاجابة لهم اذا اجابوه ويشهد عليهم اذا ردوه وخالفوه وقال بعضهم شاهدا على تابعك
بالتصديق لهم وقيل شاهدا عليهم بالبلاغ وقوله ومبشرا ونذيرا اي تبلغ اليهم ما يكون لهم البشارة بالطاعة
وتبلغ اليهم ايضا ما يستوجبون به النذارة اذ الخوف والبشارة هي الخبر عن الخيرات التي تكون في عواقب الامور
الصالحة والنذارة الخبر عن الحزن الذي يكون في عواقب الامور السيئة ونحو من الكلام وقوله وداعيا الى الله
الى توحيد الله او الى طاعة الله او الى دار السلام كقوله والله يدعو الى دار السلام او الى ما يدعو اليه وقوله باذنه
قيل بامره وقوله وسراجا منيرا فالسراج المنير هو الرسول اختلف فيه قال بعضهم هو صلة قوله انا ارسلناك

ثم جايز ان يكون المراد خاصة بهذا الاستغفار المؤمنين وجايز ان يكون الكافر والمؤمن مرادا فان كان الكل مرادا في الاستغفار فيكون استغفارهم طلب الاسباب التي بها يستوجب المغفرة
نسخه

شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وجعلناك سراجًا منيرًا فالسراج المنير هو الرسول على هذا التأويل وقال بعضهم السراج
المنير هو القرآن يقول ارسلناك داعيا الى الله والى السراج المنير وهو هذا القرآن وقوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله
فضلا كبيرًا فيه دلالة ان البشارة انما تكون بفضل من الله لا انهم يستوجبون باعمالهم شيئا من ذلك والله اعلم وقوله
ولا تطع الكافرين والمنافقين هذا قد ذكرنا في اول السورة وقوله ودع اذاهم هذا يحتمل اعرض عنهم ولا تكافهم بما يؤذونك
او ان يقول ودع اذاهم اي اصبر على اذاهم وقوله وتوكل على الله اي اعتمد بالله وكفى بالله وكيلا اي كفى بالله معتمدًا او ايقال
كفى بالله وكيلا اي حافظًا وما نعا والله اعلم وقوله يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ذكر ان رجلا جاء
الى ابن عباس فقال كان بيني وبين عمتي كلام فقلت يوم اتزوج ابنتك فهي طالق ثلاثا فقال تزوجها فهي لك حلال
اما تقرأ هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات لا يجعل الطلاق بعد النكاح وعندنا انه اذا حلف ان يتزوجها
فهي طالق يكون طلاقا بعد النكاح وليس في الآية منع وقوع الطلاق اذا اضافه الى ما بعد النكاح وقوله ثم طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن يحتمل المماسة الجماع اي من قبل ان تجامعوهن ويحتمل من قبل ان تخلوا بهن المكان الذي تمسوهن
والا لو دخل بها المكان الذي يماسها ثم طلقها يجب كمال الصداق واذا لم يجامعها ولم يدخل المكان الذي يماسها حتى طلقها يماسها
ثم طلقها وجب نصف الصداق ويدل على ذلك قول الله حيث قال وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض والافضاء
ليس هو الجماع نفسه ولكن الدنو منها والمس باليد او شبهه والله اعلم وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها هذا يدل
على ان العدة من حق الزوج عليها حيث قال فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ولا يجوز له ان يجمع بين اختين فيما له من حق
فعلى ذلك ليس له ان يجمع بين الاختين في حق العدة التي له قبلها والله اعلم وقوله فمتعوهن قال بعضهم هذه المتعة
منسوخة بالآية التي ذكر في سورة البقرة حيث قال وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم وقال بعضهم هي التي وهبت نفسها بغير صداق فان لم يجب الصداق وجبت المتعة وعندنا ان كان سمي لها صداقا
فليس لها الا نصف الصداق ولا يجب عليه المتعة وجوب حكم لكن ان فعل ومتعها فهو افضل واحسن وان كان لم يفرض لها
صداقا حتى طلقها قبل الدخول بها فهي واجبة على قدر عسره ويسره والله اعلم وقوله وسرحوهن سراحا جميلا قال بعضهم
السراح الجميل هو ان يمتعها اذا سرحها وقال بعضهم السراح الجميل هو ان يبذل لها الصداق وقال بعضهم السراح الجميل هو ان لا
تؤذوهن بالسنتكم اذا سرحتموهن والله اعلم وقوله يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وقبلت
ويكون الايتاء عبارة عن القبول والضمان يحتمل هذا وجهين احدهما انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن اي ضمنت
اجورهن وقبلت ويكون الايتاء عبارة عن القبول والضمان ذلك جائز نحو قوله فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا
سبيلهم هو على القبول تأويله فان تابوا وقبلوا اقامة الصلوة وقبلوا ايتاء الزكوة فخلوا سبيلهم هو على القبول والضمان
ليس على فعل الايتاء نفسه اذ لا يجب الا بعد حولان الحول وكذلك قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية
ليس على نفس الاعطاء ولكن حتى يقبلوا الجزية اذ الاعطاء انما يجب اذا حال الحول فعلى ذلك جائز ان يكون قوله اللاتي آتيت اجورهن
اي قبلت اجورهن وضمنت والثاني احللنا لك ازواجك واحللنا اللاتي هن لك اذا آتيت اجورهن اي قبلت معناه انا احللنا لك
ابتغاءهن اذا آتيت اجورهن وفيه دلالة ان المهر قد يسمى اجرا فيكون قوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن اي مهورهن
فيكون الاستمتاع بهن استمتاعا في النكاح فعلى ذلك يجوز ان يكون قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد
النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين فيكون الخلوص له بلا اجر لا بلفظة الهبة لانه ذكر على اثر ذكر حل ازواجه
بالاجر كانه قال انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن واحللنا لك ايضا امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها بلا اجر
خالصة لك من دون المؤمنين بغير اجر لان خلوص الشيء انما يكون اذا خلص له بلا بدل ولا مؤنة فاما ان يكون الخلوص
بلفظة دون لفظة فلا وبعد فانه قد ذكر في آخر الآية ما يدل على ما ذكرنا وهو قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم
دل هذا ان خلوص تلك المرأة له كان بلا فرض منه وبعد فان ذكر هذا له خرج مخرج الامتنان عليه فلا منة له عليه
في لفظة الهبة ليست تلك في لفظة التزويج يقول مكان قوله وهبت زوجت وكان المنة له عليه فيما صار له بلا مهر

وبه اخذ الشافعي واحتج بها وعندنا اذا حلف فقال ان تزوجها فهي طالق فتزوجها تطلق ويكون طلاقا بعد النكاح صح

اي الحصة له بلا بدل

لا في لفظة الهبة او ان يكون قوله خالصة لك من دون المؤمنين في الآخرة اي لا تحل لاحد سواك اذا تزوجتها
وصارت من ازواجك فاما ان يفهم من قوله خالصة لك من دون المؤمنين بلفظة الهبة فلا اذ لا فرق بين ان يقول
وهبت وبين ان يقول زوجت وبعد فان كثيرا من الصحابة واهل التأويل من نحو عبد الله بن مسعود وابن عباس
وغيرهما رضي الله عنهم لم يفهموا من قوله خالصة لك بلفظة دون لفظة حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال في قوله اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن هن الموهوبات فما بال الشافعي فهم ذلك ما ذكر وبعد فانه
ليس من عقد الا وهو يحتمل الانعقاد بلفظة الهبة من البياعات والاجارات وغيرها فعلى ذلك النكاح والله اعلم
وقوله وما ملكت يمينك اي قد احللنا لك مما ملكت يمينك واحللنا لك ايضا وغيرها فعلى ذلك النكاح بنات عمك
وبنات خالك وبنات خالاتك ثم جائز ان يكون حل بنات من ذكر من الاعمام والاخوال للناس بهذه الآية لانهن
لم يذكرن في المحرمات في سورة النساء فيكون ذكر حلهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرا للناس كافة كما كان ذكر
حل نكاح حليلة زيد بن حارثة له حلا للناس في ازواج حلائل ابناء التبني حيث قال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم فعلى ذلك الاول او ان يكون معرفة حل نكاح بنات الاعمام والعمات ومن ذكر بقوله واحل لكم ما وراء ذلكم اذ ذكر
المحرمات في الآية على الابلاغ ما كان بنسب وما كان بسبب ثم قال واحل لكم ما وراء ذلكم فيكون ما وراء المذكورات محللات
بظاهر الآية الا ما كان في معنى المذكورات في الحرمة والله اعلم وقوله اللاتي هاجرن معك لم يفهم احد من قوله هاجرن
معك الهجرة معه حتى لا يتقدمن ولا يتأخرن بل دخل في قوله معه من هاجر منهن من قبل وما بعد والله اعلم وقوله
وما فرضنا عليهم في ازواجهم قال بعضهم ما فرضنا على الناس في ازواجهم وهي اربع نسوة لا تحل الزيادة على الاربع
وما ملكت ايمانهم وهي الجواري والخدم يجوز الزيادة على ذلك وان كثرن وقال بعضهم فكان مما فرض الله ان لا يتزوج
الرجل امرأة الا بولي ومهر وشهود الا النبي خاصة فانه يجوز له ان تهب المرأة نفسها بغير مهر وبغير ولي والله اعلم
وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم فرضنا اي بينا ما يجوز وما لا يجوز اي بين ذلك كله في الازواج وفرضنا
وجبنا عليهم في ازواجهم من الاحكام والحقوق ونحوها والله اعلم وقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء
اختلف فيه عن الحسن قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها النبي
او يتزوجها واذا ترك خطبتها كان لغيره ان يخطبها ثم اذا خطبها رسول الله لم يكن لاحد ان يخطبها بعد ذلك الا ان يترك
خطبتها او كلام نحوه فيصرف تأويل الآية الى ما ذكرنا وكذلك يقول قتادة ان الآية في الخطبة وقال بعضهم هذا في قسمة
الايام بينهن كان يسوي بينهن في قسمهن فوسع الله عليه في ذلك واحل له فقال ترجي من تشاء منهن اي من نسائك تترك
من تشاء منهن فلا تأتيها وتؤوي اليك من تشاء فتأتيها ومن ابتغيت ممن عزلت يقول من اخترت من نسائك ان تأتيها
فعلت فقال ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن على ترك القسم اذا علمن ان الله قد جعل لك ذلك حلالا وانزل فيهن الآية
ويرضين بما آتيتهن كلهن اذا علمن ان الرخصة جاءت من الله تعالى له كان اطيب لانفسهن واقل لحزنهن من ترك ذلك
وقال بعضهم ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتي كن تحته خشين ان يطلقهن فقلن يا رسول الله اقسم لنا
من نفسك ومالك ما شئت ولا تطلقنا فنزل ترجي من تشاء منهن اي تعتزل من تشاء منهن اي تعتزلهن بغير طلاق
وتؤوي اليك اي ترد وتضم من تشاء منهن اليك فلا جناح عليك وقال بعضهم الآية في ترك نكاح ما اباح له من القرابات
من تشاء منهن وفي الاقدام على نكاح من تشاء مما اباح له من القرابات من تشاء منهن وفي الاقدام على نكاح من تشاء منهن
لانه على اثر ذلك ذكرت يقول ترجي من تشاء منهن يعني من بنات العم والعمة والخال والخالة فلا تتزوجها وتؤوي
اليك اي تضم اليك من تشاء منهن فتتزوجها فنقول خير الله رسوله في نكاح القرابة فذلك قوله ومن ابتغيت منهن
فتزوجها ممن عزلت منهن فلا جناح عليك اي لا حرج عليك في ذلك ذلك ادنى يقول اجدر واحرى واقرب ان تقر
اعينهن اي النساء اللاتي عندك واخواتهن ولا يحزن اذا علمن لا تتزوج عليهن ويرضين بما آتيتهن كلهن
من النفقة وكان فيفقتهن قلة وجائز ان يكون قوله ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن

ومن بعد فهذا يدل على ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه والله اعلم صح

يقول اجدر ان تقر اعينهن ولا يحزنه صح

كلهن ذلك حين خيرهن رسول الله بين اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار رسول الله والدار الاخرة فاخترن
رسول الله يقول والله اعلم اذا اخترن المقام عند رسول الله والدار الاخرة فاخترن رسول الله ذلك ادنى ان تقر
اعينهن ولا يحزن على قلة النفقة والجماع ويرضين بما اتيتهن كلهن من النفقة وغيره والله يعلم ما في قلوبكم من الحب
والرضا وكان الله عليما حليما **وقوله** لا يحل لك النساء من بعد اختلف في قوله من بعد قال قايلون من بعد
اختيارهن رسول الله والدار الاخرة لان الله لما خيرهن بين اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار رسول الله والدار
الاخرة فاخترن الله ورسوله والدار الاخرة قصرهن الله عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد اي من بعد اختيارهن
المقام معك ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك فان كان على هذا فيخرج للحظر والمنع
مخرج الجزاء لهن والمكافات لما اخترنه على الدنيا وما فيها لئلا يشرك غيرهن في قسمهن منه وروي عن عايشة
رضي الله عنها انها قالت شرطنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخترناه والدار الاخرة ان لا يتزوج علينا
ولا تبدل بنا من ازواج ثم استثنى ما ملكت يمينه لانه لا حظ لهن في القسم وقال بعضهم قوله لا يحل لك النساء من بعد
اي من بعد المسلمات كتابيات لا يهوديات ولا نصرانيات اي لا تتزوج يهودية ولا نصرانية فتكون من امهات المومنين
الا ما ملكت يمينك اي لا باس ان تشتري اليهودية والنصرانية فان كان على هذا فيه حظر الكتابيات لرسول الله لما ذكر خاصة
واما المومنون فانه اباح لهم نكاح الكتابيات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فيكون حل الكتابيات
للمومنين دون النبي بازاء الزيادة والفضل الذي كان يحل لرسول الله وقال بعضهم قوله لا يحل لك النساء من بعد
اي من بعد المذكورات المحللات له في الاية التي قبل هذه الاية من بنات العم والعمات وبنات الخال والخالات يقول
لا يحل لك من النساء سوى من ذكر ان تتزوجهن عليهن ولا تبدلهن ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك والله اعلم
وقوله لا يحل لك النساء من بعد يحتمل لا يحل لك في الخلق ان تتزوج عليهن بعد اختيارهن الله والدار الاخرة على الدنيا
وما فيها من الزينة او ان يكون على التحريم نفسه في الحكم وليس لنا ان نفسر اي تحريم اراد تحريم الحظر والمنع في الخلق او تحريم
الحكم لان ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قد كان عرفنا انه ما اراد بذلك ولا الاشتغال به فضل والتبديل
بهن يحتمل في التطليق يطلقهن فيتزوج غيرهن ويحتمل بالموت اذا متن ايضا لم يحل له ان ينكح غيرهن والله اعلم قال ابو عوسجة
ترجي من تشاء منهن اي تحبس من تشاء منهن ولا تقربها وقال القتبي ترجي اي توخر يقال ارجيت الامر وارجاته اي اخرته
وكذلك قالوا في قوله ارجه واخاه وقال بعضهم لحبسه وقال بعضهم اخره وقوله تووي اليك اي تضم **وقوله** وكان الله
على كل شيء رقيبا اي حفيظا وقيل شاهدا **وقوله** يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام
غير ناظرين اناه يحتمل النهي عن دخول بيوت النبي وجهين احدهما لا تدخلوا بيوت النبي بغير اذن كما لا يدخل
الرجل على امه وان كن هن كالامهات لكم بغير اذن فيكون النهي عن الدخول في بيته نهيا عن الدخول بغير اذن كقوله
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا ويحتمل لا تدخلوا بيوت النبي ضيفا الا ان يوذن لكم الى طعام الا ان تدعوا
الى طعام لانه رسول الله كان اذا هيا واله شيا من الطعام دعا اصحابه فياكلونه وكان لا يمسك ولا يدخر فضل الطعام
لوقت اخر فاذا نزل به ضيف ولم يكن عنده ما يقدم اليه استحيى وشق عليه ذلك فنهوا عن الدخول عليه والنزول به
ضيفا لما ذكرنا وامروا بالانتظار الى ان يدعوا الى الطعام فعند ذلك يدخلون عليه ويضيفونه فان كان الاول ففيه الامر
بالحجاب والنهي عن الدخول بلا استيذان وان كان الثاني ففيه النهي عن النزول به ضيفا قبل ان يدعوا لما ذكرنا
ويكون الامر بالحجاب في قوله واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب وقال بعضهم ذكر هذا لان اناسا من المسلمين
كانوا يتحينون طعام رسول الله وغداه فاذا حضر ذلك دخلوا عليه بغير اذن فجلسوا في بيته يتحدثون ينتظرون
نضج الطعام وادراكه فنهوا عن ذلك وكانوا اذا اكلوا وفرغوا منه جلسوا في بيته ويتحدثون ويستانسون فنهوا عن ذلك
وامروا بالانتشار والخروج من عنده وعند نسائه ولم يكن يحتجبن قبل ذلك منهم فشق ذلك على النبي والله اعلم وجائز
ان يكون الامر بالانتشار والخروج من عنده لما كان لرسول الله امور وعبادات يحتاج الى القيام بها اما بينه وبين الله

بل لم يتعلق بمعرفة حقيقة ذلك في حقنا حكم ما فيكون الاشتغال به فضلا في الباب مع ان فيه احتمال الكذب والغلط والله اعلم وقوله ولا ان تبدل بهن من ازواج
شرح

اناه بلوغ وقته ويقال انى يانى وان يانى اذا انتهى
[illegible]
غريب القرآن

اوبينه

او بينه وبين غيرهم من الناس فكانوا يشغلونه عن ذلك لذلك اوليا ذكر بعض اهل التاويل من الحاجة له الى
ازواجه والخلوة بهن وقت القيلولة والله اعلم **وقوله** ان ذلكم كان يوذي النبي الدخول عليه بغير اذن والانتظار
لنضج الطعام والركود والجلوس بعد فراغهم من الطعام والحديث او ما كان **وقوله** فيستحيي منكم والله لا يستحيي
من الحق ورسوله ايضا كان لا يستحيي من الحق لكنه كان يقول لهم اخرجوا من منزلي ولا تدخلوا علي ونحو ما يقبح
ذلك في الخلق اذ يقول الرجل لاخر لا تدخل منزلي واخرج من منزلي لا يرجع ذلك الى دناءة في الاخلاق والفعل فلما
انزل الله تعالى الاية وامر ان يقول لهم ما ذكر قال لهم واخبرهم بذلك فلم يستحيي عند ذلك لما صار ذلك
من حق الدين فرضا عليه لانه انما يعلمهم الاداب ويخبرهم عما يلزمهم من حق الدين وكان قبل ذلك يستحيي لما كان ذلك
في حق نفسه وحق النفس فلما انزل الله الاية وامر بذلك صار من حق الدين لذلك كان ما ذكر والله اعلم **وقوله**
والله لا يستحيي من الحق اي لا يدع ولا يترك ان يعلمهم الحق والادب وقد ذكرنا معناه في قوله ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا الاية **وقوله** واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وجائز
ان يكون المعنى الذي يكون اطهر لقلوب الرجال غير المعنى الذي يكون اطهر لقلوبهن فذلك المعنى الذي يكون اطهر
لقلوبهم من الفجور والهم لقضاء الشهوة وما تدعوه النفس اليه واطهر لقلوبهن من العداوة والضغينة لا الفجور
وقضاء الشهوة وذلك انهن قد عرفن انهن لا يحللن لاحد نكاحا لما اخترن الله والدار الاخرة على الدنيا وزينتها
وقد اوعد الله بارتكاب الفاحشة العذاب ضعفين على ما ذكر وكذلك يمنعهن ويزجرهن عن ارتكاب ذلك
فاذا كان كذلك فاذا عرفن من الداخلين عليهن والناظرين اليهن نظر شهوة وقع في قلوبهن لهم
العداوة والضغينة فيقول السوال من وراء الحجاب اطهر لقلوبكم من الفجور والريبة واطهر لقلوبهن من العداوة
والضغينة والله اعلم بذلك وجائز ان يكون ذلك واحدا وهو الريبة والفجور لما ركب فيهن من الشهوات وركب فيهن
من فضل الدواعي الى ذلك والله اعلم **وقوله** وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قال بعض
اهل التاويل ان ازواج الرسول لما احتجبن بعد نزول اية الحجاب ونهوا عن الدخول عليهن والنظر اليهن قال رجل
انهى ان ندخل على بنات عمنا وبنات عماتنا وبنات خالنا وبنات خالاتنا اما والله لئن مات لاتزوجن
فلانة ذكر امراة من نسائه فنزل وما كان لكم اي لا يحل لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا لكن هذا
قبيح لا يحتمل ان احدا من الصحابة يقول ذلك او واحد ممن صفا ايمانه به وحسن اسلامه ان يقول ذلك او يخطر بباله
ذلك الا ان يكون منافقا ويحتمل وما كان لكم ان توذوا رسول الله فيما تقدم ذكره ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابتداء نهي وجائز ان يكون وما كان لكم ان توذوا رسول الله في نكاح ازواجه فيكون اذاهم رسول الله في نكاح ازواجه
من بعده ولو كان لا يحل ازواجه للناس لما يذكر بعض اهل التاويل لانهن امهات لم يحتج الى النهي عن نكاحهن بعده اذ لا احد
يقصد تقصد نكاح الام ولكن كان يحل لهم ذلك وكان المعنى في ذلك ما ذكرنا من التعظيم له والاحترام حتى نهاهم
عن نكاح ازواجه من بعده وجعله في حرمة ازواجه على غيره بعد وفاته كانه حي وكذلك جعل في حق ماله وملكه
في منع الميراث لورثته كانه حي لم يرث ماله وارثه بل جعل باقيا ابدا على ملكه وكذلك ازواجه وكذلك جعل في حق
الرسالة والنبوة كانه حي لم تنسخ شريعته بعد وفاته بشريعة اخرى كما نسخت شريعة الانبياء الذين كانوا قبله اذا ماتوا
بشريعة اخرى بل جعل كانه حي في ابقاء شريعته الى يوم القيامة فعلى ذلك جعل في ازواجه كانه حي في حرمة
ازواجه على الناس فيكن ازواجه في الاخرة وعلى ذلك يخرج تاويل قوله عندنا خالصة لك من دون المومنين
اي هي لك خالصة لا تحل لاحد بعدك فتكون زوجته في الجنة والله اعلم **وقوله** ان ذلكم كان عند الله عظيما يحتمل اذى
رسول الله ونكاح ازواجه عند الله عظيما او عظيما في العقوبة عند الله **وقوله** ان تبدوا شيئا او تخفوه اي تبدوا شيئا
للعباد او تخفوه عنهم فان الله كان بكل شيء عليما اي بما ابديتم وما اخفيتم عليما لا يخفى عليه شيء يذكر هذا ليكونوا ابدا على حذر
وخوف والله اعلم **وقوله** ولا جناح عليهن في ابائهن اي لا حرج ولا اثم على النساء في دخول من ذكر عليهن بلا اذن ولا حجاب

وعلى ذلك روي عن حذيفة رضي الله عنه انه قال لامراته ان سرك ان تكوني زوجتي في الجنة ان جمع الله تعالى بيننا فيها فلا تتزوجي بعدي فان المراة لاخر ازواجها ولذلك حرم الله تعالى على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزوجن بعده
شرح

من آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ذكر هؤلاء ولم يذكر الاعمام
ولا الاخوال فقال بعضهم انما لم يذكر هؤلاء ولم يبح لهم ذلك لانهن يحللن بالنكاح لاولاد الاعمام والاخوال فاذا دخلوا
عليهن فرأوهن متجردات متزينات فيصفوهن لاولادهم وقد يصف الرجل لولده حسن المرأة وقبحها فينزل وصفهم
اياهن لاولادهم منزلة رؤيتهم بانفسهم فيزيد لهم رغبة فيهن او رهبة عنهن والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن انما لم يذكر
الاعمام والاخوال لما في ذكر المذكور من بني الاخوة وبني الاخوات غنى عن ذكر الاعمام والاخوال لانهم جميعا من جنس واحد
ومن نوع واحد وقد يكتفى بذكر طرف من الجنس اذا كان في معنى المذكور نحو ما ذكر من اجناس المحرمات على الابلاغ وترك
من كل جنس شيئا لم يذكره اذ الذي لم يذكره هو معنى المذكور ففي ذكر من ذكر غنى عن الذي لم يذكر فعلى ذلك في ذكر بني الاخوة
وبني الاخوات غنى عن ذكر الاعمام والاخوال اذ هم في معناهم والله اعلم وجايز ان يكون لم يبح الدخول للاعمام والاخوال
لانهم اذا دخلوا عليهن فرأوهن متجردات فلعل بصرهم يقع على فروجهن فينظر اليها بشهوة فيحرمن على اولادهم
اذا تزوجوهن لم يعلموا انهن محرمات عليهم فمنع دخول الاعمام والاخوال عليهن لذلك والله اعلم وقوله ولا نسائهن ٥

فينظر الى الفرج بشهوة
سه

قال بعضهم اي نساء المسلمات يقول خص نساء المسلمات واباح لهن الدخول عليهن بلا اذن وان يرينهن متزينات
ولم يبح ذلك لليهوديات والنصرانيات وامثالهن مخافة ان يصفن ذلك لاهل دينهن فيكون ذلك سببا فتنتهم بهن
والرغبة فيهن والله اعلم وقال بعضهم نساؤهن قراباتهن خص هؤلاء من بين غيرهن من الاجنبيات وذلك يحتمل وجهين
احدهما ما ذكرنا من خوف وصف الاجنبيات لازواجهن والمتصلين بهن من حسنهن وزينتهن اذا راينهن متجردات متزينات
ولا يخاف ذلك من قراباتهن والثاني خص القرابات لما بهن ابتلاء وليس بالاجنبيات ذلك وقد يخف للحكم ربما فيما فيه
الابتلاء ويغلظ فيما هو اخف منه ودونه اذا لم يكن فيه ابتلاء وعلى ذلك جايز ان يقال ان الاعمام والاخوال لم تذكر
في الاية والرخصة لانه ليس بهم ابتلاء وبمن ذكر ابتلاء والله اعلم وقوله ولا ما ملكت ايمانهن يحتمل الاماء خاصة كقوله

في صلة الرحم معهن وفي المنع عن الدخول قطع الوصلة والرحم ولا كذلك الاجنبيات وقد يخف الحكم
سه

والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم لم يفهموا منه سوى الاماء فعلى ذلك جايز ان يكون
المفهوم من قوله ولا ما ملكت ايمانهن الاماء ويحتمل الاماء والعبيد جميعا فان كان على الاماء والعبيد جميعا فذلك والله اعلم
انما اباح الدخول للعبيد على مولياتهم بلا اذن لانهم انما يدخلون عليهن عند حاجاتهن اليهم في اوقات معلومة
وهن في تلك الاوقات يكن متاهبات لدخولهم عليهن محتجبات منهم وعلى ذلك يخرج ما روي ان مكاتبا لعايشة
ام المؤمنين رضي الله عنها كان يدخل عليها فلما ادى فعتق منعته عن الدخول عليها وهو لما ذكرنا انه كان يدخل عليها
لوقت حاجتها اليه وهي كانت متاهبة لدخوله عليها والا لا يحتمل ان يكون يدخل عليها ويراها متجردة او متزينة
بعدما امرن بالاحتجاب فعلى ذلك العبيد لا يحل لهم النظر الى مولياتهم ولا يكونون محرما لهن وان احتمل الاية العبيد
فهم بلا اذن يدخلون لا بغير اذن فيكون الاذن مضمرا فيه ثم قال واتقين الله فيما ذكر من اباحة دخول من لم يبح دخوله
عليهن والنظر اليهن ان الله كان على كل شيء شهيدا هذا تحذير وتوعيد لهن والله اعلم وقوله ان الله وملايكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ذكر في بعض الحديث انه لما نزلت هذه الاية قيل له يا رسول الله هذا لك
فما لنا فنزل قوله هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات الى النور الاية قد بين ما صلوته عليهم
وصلوة الملايكة وهو ما ذكر من اخراجهم من الظلمات الى النور وهو دعاؤهم الى الهدى والرشد وذكر عن كعب بن عجرة
قال لما نزلت ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قمت اليه فقلت يا رسول الله
السلام قد عرفناه فكيف الصلوة عليك يا رسول الله قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ففي الاية الامر للمؤمنين ان يصلوا على النبي
ثم لما سيل هو عن كيفية الصلوة عليه وماهيته قال لهم ان يقولوا اللهم صل على محمد وهو سؤال ان يتولى الرب الصلوة
عليه وفي ظاهر الاية هم المأمورون يتولى الصلوة بانفسهم عليه لكنه صلوات الله عليه لما امروا بالصلوة عليه
وهي الغاية من الثناء لم يرتفع وسعهم وطاقتهم القيام بغاية ما امروا به من الثناء عليه امرهم ان يكلوا ذلك الى الله ٥

ويفوضوا

646

ويفوضوا اليه وان تسألوه ليتولى ذلك هو دونهم لما لم يرتفع وسعهم القيام بغاية الثناء عليه والا ليس في ظاهر
الاية سؤال الرب ان يصلي هو عليه ولكن فيها الامر ان صلوا انتم عليه والله اعلم وقوله كما صليت وباركت على ابراهيم
وآله تخصيص ابراهيم من بين غيرهم من الرسل يحتمل ما ذكره اهل التاويل انه ليس من اهل دين ومذهب
الا وهو يدعي ويزعم انه على دينه ومذهبه وانه يتاسى به لذلك خصته بالصلوة عليه من بين غيرهم من الانبياء وجايز
ان يكون لا لهذا ولكنه لمعنى كان فيه وفي سريته لا نعرف فخص تخصيصه بذلك من بين غيرهم والله اعلم وقوله وبارك
على محمد البركة كانها اسم كل خير يكون ابدا على النماء والزيادة في كل وقت وقد ذكرنا فيما تقدم ما قيل في صلوة الله
عليهم وصلوة الملايكة وصلوة المؤمنين وقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة اختلف
فيه قال بعضهم نزلت الاية في اليهود حين قالوا يد الله مغلولة وهو فقير ونحن اغنياء وفي النصارى حين قالوا
المسيح ابن الله وانه ثالث ثلاثة وفي مشركي العرب حين قالوا الملايكة بنات الله والاصنام آلهة ونحو ذلك واذاهم
رسول الله حين شجوه وكسروا رباعيته وقالوا انه مجنون وانه ساحر وامثال ذلك فانزل الله ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله يقول عذبهم الله في الدنيا والاخرة فاما تعذيبه اياهم في الدنيا قتلهم بالسيف يوم بدر يعني
مشركي العرب واهل الكتاب بالجزية الى يوم القيامة وفي الاخرة النار وقال بعضهم قريبا من ذلك ان الذين يؤذون الله
ورسوله هم اصحاب التصاوير والتماثيل فلهم ما ذكر وقوله ان الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
اي يقعون فيهم وقال بعضهم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة هم الذين قذفوا عايشة
بصفوان آذوا رسول الله في زوجته عايشة حين قذفوها وهي بريئة مما قذفوا وقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
صفوان وعايشة وقال بعضهم نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه فعلى هذا عذابهم في الدنيا الجلد وفي الاخرة

والله اعلم فعلى هذا التاويل عذابهم في الدنيا الجلد وفي الاخرة النار
شرح

النار وجايز ان يكون هذا الوعيد في قاذف كل مؤمن ومؤمنة بغير ما اكتسب به والله وقوله ان الذين يؤذون الله
ورسوله اضافة الاذى الى الله على ارادة رسوله خاصة لان الله لا يجوز ان يقال انه يتاذى بشيء او يؤذيه شيء
لان الاذى ضرر يلحق والله يتعالى عن ان يلحقه ضرر ونفع بل هو القاهر الغالب القادر الغني بذاته ويكون المراد
باضافة الاذى اليه رسوله خاصة على ما ذكرنا في قوله يخادعون الله اي يخادعون رسوله او يخادعون اولياءه لان الله
لا يخادع وكقوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دين الله ينصركم او ان تنصروا رسوله واولياءه ينصركم
وامثال ذلك كثير في القرآن نسب ذلك الى نفسه على ارادة اوليائه فعلى ذلك هذا والله اعلم وبالله العصمة والتوفيق
الا ان يريد بالاذى عين ما ذكر من اذى الله المعصية فهو جايز وكذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اذاني فقد آذى الله اي من عصاني فقد عصى الله وفي الاية بيان وقوع المراد على اختلاف والتفاوت
من لفظ واحد لانه ذكرها هنا اذى رسول الله وعقب الوعيد الشديد من اللعن والعذاب في الدنيا والاخرة
وذكر في الاية التي قبلها حيث قال ان ذلكم كان يؤذي النبي وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وما ذكر من الاذى
ثم لا شك ان المفهوم من هذا الاذى المذكور في هذه الاية غير المفهوم من الاذى المذكور في قوله ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وان احدهما في المؤمنين والاخر في الكفار وان كان ظاهر اللفظ في المخرج
واحدا وكذلك المفهوم من الظلم الذي ذكر في قوله ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا غير المفهوم من الظلم الذي
قال آدم ربنا ظلمنا انفسنا والمفهوم من الضلال الذي قال موسى فعلتها اذا وانا من الضالين غير المفهوم من ضلال
فرعون وساير الكفرة وكذلك الفسق ومثل هذا كثير لا يجب ان نفهم من امثال هذا شيئا واحدا ومعنى واحدا
وان كان اللفظ لفظا واحدا ولكن على اختلاف الموقع وفي الاية دلالة عصمة رسول الله وان لا يكون منه ما يستحق
الاذى بحال وقد يكون من المؤمنين والمؤمنات ما يستوجبون الاذى ويستحقونه حيث ذكر الاذى لرسول الله
مطلقا مرسلا غير مقيد بشيء حيث قال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله وذكر اذى المؤمنين
مقيدا بشرط الكسب حيث قال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فدل شرط الكسب على انهم

قد يكتسبون ما يستحقون الاذى ويكون منهم ما يستوجبون ذلك واما الرسول فلا يكون منه ما يستحق ذلك ويوجبه
ولا قوة الا بالله واللعن هو الطرد في اللغة طردهم عن رحمته ويقدم عنها والبهتان قيل ان يقال ما ليس فيه وبهت قيل
يتحير وانقطع حجاجه وقال بعضهم والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا نزلت في قوم يتهم الزنا بالاماء
وكانت الجواير يومئذ يخرجن بالليل على زي الاماء فيتابعوهن ويطلبون من الاماء فكان ذلك يؤذيهم ويتاذين بذلك فجاء
فشكوا ذلك الى رسول الله في ذلك فنزل والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ثم امرن عند ذلك
بادنا الجلباب وارخائه عليهن ليعرفن انهن حواير ونهين ان يتشبهن بالاماء لئلا يؤذين وهو قوله يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وقال بعضهم نزل هذه
بالمدينة في نساء المهاجرين وذلك ان المهاجرين قدموا الى المدينة وهي ضيقة ومعهم نساؤهم فنزلوا مع الانصار
في ديارهم فضاق الدور عليهم فكانت النساء يخرجن بالليل الى البراز فيقضين حوايجهن هنالك فكان المريب يرصد
النساء بالليل فياتيها فيعرض عليها وانما كانوا يطلبون الولايد والاماء فلم تعرف الامة من الحرة بالليل لان زيهن
كان واحدا يومئذ فذكر نساء المؤمنين ذلك الى ازواجهن ما يلقين بالليل من اهل الريبة والفجور فذكروا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن
الى اخر ما ذكر امر الحراير بارخاء الجلباب واسداله عليهن ليكون علما بين الحراير والاماء وروي عن عمر رضي الله عنه
انه جارية مرت به متقنعة فضربها بالدرة وقال اكشفي قناعك ولا تتشبهي بالحراير وامر الاماء بكشف ما ذكر والحراير
يسترن ذلك وقدام الحراير في سورة النور بضرب الخمر على الجيوب بقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن لئلا يظهر
الزينة التي على الجيوب ونهين ان يظهرن ويبدين زينتهن للاجنبيين الا ما ظهر منها وامرن في هذه الاية على ارخاء
الجلباب واسداله عليهن ليعرفن انهن حراير فلا يؤذين بما ذكرنا ثم اختلف في الجلباب قال بعضهم هو الرداء والجلابيب
الاردية وهو قول القتبي امرن ان يلبسن الاردية والملاء وقال ابو عوسجة الجلابيب المقانع الواحد جلباب يقال
تجلببي اي تقنعي وهو الذي يكون فوق الخمار وفي الاية دلالة رخصة خروج الحراير للحوايج لانه لو لم يجز لهن الخروج
لم يؤمرن بارخاء الجلباب على انفسهن ولكن نهاهن عن الخروج فدل انه يجوز لهن الخروج للحاجة والله اعلم وقوله لئن لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض جايز ان يكون قوله لئن لم ينته المنافقون عما سبق ذكره من التعرض للنساء بالزنا
والفجور بهن وانهم هم الفاعلون لذلك بهن واما المسلمون فلا يحتمل ان يتعرضوا لشيء من ذلك في ذلك الوقت فقال
لئن لم ينته المنافقون ومن ذكر عن ذلك يفعل بهم ما ذكر وقال بعضهم ان اهل النفاق كانوا يرجعون اخبار العدو
ويذيعونها ويقولون قد اتاكم عدد وعدة من العدو كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
كانوا يجبنونهم ويضعفونهم لئلا يغزوا واولئك الكفرة يسرون النفاق والخلاف لهم ويظهرون الوفاق ويسرون
فيما بينهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول فنهوا عن ذلك حيث قال فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول فقال ههنا لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض من صنيعهم ذلك لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا قال بعضهم لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم وقال بعضهم لنحملنك عليهم وقال بعضهم لنولعنك بهم وكان
الاغراء هو التخلية بينه وبينهم حتى يقاتلونهم بالسيف ويقتلهم وكان قبل ذلك يقابلهم باللسان لم يامر بالمقاتلة
بالسيف الى هذا الوقت واخبر انهم ملعونون اينما ثقفوا اي مطرودون اينما وجدوا لان اللعن هو الطرد وانهم يقتلون
تقتيلا وانهم لا يجاورونك الا قليلا فيما لا نعلم بهم وقوله والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم هم الزناة والمنافقون
هم المنافقون والمرجفون ليسوا بمنافقين ولكنهم قوم كانوا يحبون ان يفشوا الاخبار ويقال للارجاف هو تشييع الخبر
وجايز ان يكون المنافق هو الذي كان مع الكفرة في السر حقيقة والذي في قلبه مرض هو الذي في قلبه ريب واضطراب
لم يكن مع الكفرة لا سرا ولا ظاهرا والذي بين الكافر والمنافق وقوله سنة الله في الذين خلوا من قبل قال بعضهم سنة الله
في الامم السالفة الاهلاك من الكفار وجايز ان يكون قوله سنة الله في اهل النفاق من الامم السالفة ما ذكر في هؤلاء

وقال مقاتل في الذين خلوا من قبل اهل بدر حين اسروا وقتلوا والله اعلم وقوله يسألك الناس عن الساعة
جايز ان يكون السؤال عنها ما ذكر في اية اخرى حيث قال يسألونك عن الساعة ايان مرساها وعن قيامها فقال قل انما علمها
عند الله ففيه دلالة اثبات رسالة رسول الله لانه حين سئل عنها فوض امرها وعلمها الى الله على ما امر به ولو كان
غير رسول الله لكان يجيبهم علم او لم يعلم على ما يفعله طلاب الرياسة في الدنيا اذا سئلوا عن شيء قالوا شيئا وان لم يعلموا
لان ذلك ابقى للرياسة لهم فاذ لم يفعل صلى الله عليه وسلم كما يفعل اصحاب الرياسة بل قال علمها عند الله دل انه
رسول الله مبلغ اليهم ما امر بالتبليغ اليهم وقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا هذا يخرج على الوعيد
والتحذير وهو يخرج على وجهين احدهما كانه يقول اعلم ان الساعة تكون قريبا على الايجاب لان لعل من الله واجب
فهو وكل ما هو ات فهو كالكاين والثاني على الترجي اي اعملوا على رجاء انه قريب والله اعلم وقوله ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا لعنهم اي طردهم عن رحمته لما علم انهم يختارون الكفر على الايمان ويموتون عليه واعد لهم سعيرا
خالدين فيها ابدا قوله خالدين فيها ابدا ينقض على الجهمية قولهم وعلى ابي الهذيل العلاف اما على الجهمية لانهم يزعمون
ان الجنة والنار تفنيان ولهما النهاية وقالوا لانا لو لم نجعل لهما النهاية والغاية لخرجتا عن علم الله لان الشيء الغير المتناهي
خارج عن علمه لكن هذا بعيد جهل منهم بربهم لان علمه بالشيء الغير المتناهي انه غير متناهي وعلمه بالمتناهي انه متناهي
ولا يجوز ان يخرج شيء عن علمه متناهيا كان او غير متناهي وعلمه بالمتناهي انه متناهي ولا يجوز ان يخرج شيء
عن علمه متناهيا كان او غير متناهي وبالله العصمة واما العلاف فلانه يقول ان اهل الجنة واهل النار يصيرون
بحال في وقت ما حتى اذا اراد الله ان يزيد لاحد منهم لذة او نعمة او عذابا لم يملك عليه او كلام نحو هذا فنعوذ بالله من الزيغ
في القول على الله وقوله لا يجدون وليا ولا نصيرا ما طمعوا في الدنيا ورجوا من كثرة الاسباب والحواشي وعبادة
الاصنام وغيرها ان ينفعهم ذلك وينصرهم في الاخرة بل ضل عنهم ذلك وحرموا على ما اخبر وضل عنهم ما كانوا
يفترون والله اعلم وقوله يوم تقلب وجوههم في النار وقال في اية اخرى الذين يحشرون على وجوههم واصله
ما ذكر في قوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم يفعل بهم في الاخرة على ما كانوا في الدنيا
وقوله يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا لا يزال الكفرة قايلين لهذا القول مترددين له في الاخرة لما راوا
من العذاب حين حل بهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا الرسول المطلق رسول الله والسبيل المطلق هو سبيل الله
والدين المطلق هو دين الله هو المعروف في القران وقوله وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا
قال بعضهم السادة الملوك والكبراء العلماء وجايز ان يكون السادة القادة والكبراء دونهم والرسولا والسبيلا اثبتوا
الالف فيه عند الوقف واما عند الوصل فلا وذلك ان من عادة العرب ان لا تقف على الحركة ولكن تزيد لها الالف
اذا كانت فتحة واذا كانت كسرة ياء وقوله ربنا اتهم ضعفين من العذاب طلبوا ان يكون لهم بعض التسلي والتفرج
واذا راوا اولئك الذين اضلوهم في زيادة من العذاب على ما يكون للرجل بعض التسلي اذا راى عدوه في بلاء وشدة
فلما لم يكن لهم من ذلك تسل بل كان من ذلك زيادة عذاب وشدة فقالوا عند ذلك يا ليت بيني وبينك بعد
المشرقين فبئس القرين الاية وقوله والعنهم لعنا كبيرا جايز ان يكون هذا اي عذبهم عذابا كبيرا طويلا وقوله
يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا يقول عامة اهل التاويل ان موسى كان
لا يغتسل فيما يراه احد فقال بنو اسرائيل ان موسى ادر ويروون على ذلك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان بني اسرائيل طعنوا نبي الله موسى بذلك فذهب ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على حجر فسعى الحجر
بثوبه فجعل موسى يعدو في اثره ويقول حجر ثوبي حتى مر به على ملاء بني اسرائيل فعلموا انه ليس به شيء فذلك
قوله فبراه الله مما قالوا وكان موسى يتاذى بما كانوا يطعنونه فعلى ذلك رسول الله كان يتاذى اذ قالوا
زيد بن محمد فامروا ان يدعوه لابيه بقوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله زيد بن حارثة لكن هذا التاويل
بعيد لان موسى كان يدعوهم الى ستر العورة لا يحتمل ان يطمعوا منه الاغتسال معهم وان يكشف عورته لهم

او ينظر الى عورة احدٍ هذا وحش من القول او يُسلّط حجرا فيذهب بثيابه حتى يراه الناس مجرّدا والله اعلم وقال بعضهم
اذوه لانه كان خرج بهرون الى بعض الجبال لامرٍ فمات هرون هنالك فرجع موسى اليهم وحده فقال بنو اسرائيل لموسى
انت قتلته حسدا فقال موسى ويلكم ايقتل الرجل اخاه فاذوه فذلك قوله لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرّاه الله مما قالوا
فجائت به الملائكة فوضعته بينهم فقال لهم لم يقتلني احد انما جاء اجلي فمتّ فذلك قوله فبرّاه الله مما قالوا ليشبه
ان يكون وغير كانه اقرب واشبه وهو ما كان قوم كل رسول نسبوا رسولهم الى الجنون مرة والى السحر ثانيا وانه
كذاب مفترى ونحوه على علم منهم انه رسول الله ولاشك انهم كانوا يتاذون بذلك جدا ولذلك قال واذ قال موسى
لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون انى رسول الله اليكم لا يحتمل ان يكون هذا فى الاول لانهم لو كانوا علموا انه ليس به
ما ذكروا لم يؤذوه فقد كان اذاهم اياه فيما ذكرنا ونحو امثال ذلك وكذلك ما نهى قوم رسول الله من الاذى له
لما نسبوه مرة الى الجنون والى السحر ثانيا والى الافتراء والكذب على الله ثالثا لا فيما ذكر اولئك وكان عند الله وجيها
اى مكينا فى القدر والمنزلة والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا جايز ان يكون قوله اتقوا الله
اى اتقوا الشرك فى حادث الوقت وقولوا سديدا اى ايتوا بالتوحيد فى حادث الوقت لانه انما خاطب به المؤمنين يصلح لكم
اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم اى بالتوحيد لانه بالتوحيد يصلح الاعمال وتذكو وبه يغفر ما كان من الذنوب وبه يكون
الفوز العظيم وبالله التوفيق ويحتمل قوله اتقوا الله فى الخيانة فيما بينكم وبين الخلق اى لا تخونوا الخلق وقولوا قولا سديدا
اى صدقا وصوابا اى لا تكذبوا ولا تقولوا فحشا ونحوه ويحتمل اتقوا الله ولا تعصوه واعملوا بالمعروف وانتهوا عن المنكر
وقولوا قولا سديدا ومروا الناس وانهوا عن المنكر يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم الى اخر ما ذكر والله اعلم وقوله
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال قد يتكلف اهل التاويل بتفسير هذه الامانة المذكورة فى الاية
قال بعضهم هى كلمة الشهادة والتوحيد ومنهم من قال هى جميع الفرايض التى افترض الله على عباده ومنهم من قال
هى الصلوة والصيام والحج وامثاله وجميع ما امروا به ونهوا عنه لكن التكلف والاشتغال بالتكلم فى ماهية هذه الامانة
المذكورة المعروضة على من ذكر فضل لا يجب ان يتكلف تفسيرها انها كذا لانها مبهمة لا يعلم الا بالخبر الوارد عن الله تعالى
انها كذا وان يجعل ذلك من المكتوم لا يشتغل بالتفسير والله اعلم بذلك ثم اختلف فيما ذكر من عرض هذه الامانة
على السموات والارض والجبال وما ذكر من ابائها عن احتمالها والاشفاق فقال بعضهم قوله انا عرضنا الامانة
على السموات والارض ومن ذكر اى خلقنا خلقة ما ذكر من السموات والارض والجبال خلقة لا تحتمل حمل ما ذكر
من الامانة فابين ان يحملنها اباء خلقة اى لم يخلق خلقتها بحيث تحتمل ذلك وحملها الانسان اى خلقنا خلقة الانسان
خلقة تحتمل ذلك الى هذا يذهب بعضهم وقال بعضهم قوله عرضنا حقيقة العرض الامانة على التخيير بين ان يقبل
ويحمل ويفى بذلك فيكون لها الثواب او لا تفى فيكون لها العقاب فى الاخرة وبين ان لا تحمل ولا تقبل فتكون كسائر
الموات تفنى بفناء الدنيا لا ثواب لها فى الاخرة ولا عقاب والا لم يحتمل ان يعرض عليهن ما ذكر عرض لزوم وايجاب
ثم يابين ما يابين ذلك ويشفقن منها وقد وصفهن الله بالطاعة له والخضوع فى غير اى من القران حيث قال فقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال لو انزلنا هذا القران على جبل الاية وقال فى اية يسبحن
والطير وكذا ونحوه ولكن ان كان على حقيقة العرض فهو على التخيير الذى ذكرنا وحملها الانسان فكان له الثواب
ان قام بها وعليه العقاب ان لم يقم وقال بعضهم قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال اى عرضنا
على اهل السموات واهل الارض واهل الجبال فلم يحملوها الا الانسان منهم فانه حملها انه كان ظلوما جهولا قال الحسن
ظلوما لنفسه جهولا لامر ربه وقال بعضهم انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها
واشفقن منها اى ابين ان يعصين الله واشفقن منه اى لم يعصوا قط وحملها الانسان اى عصى الانسان ربه
فيجعل الحمل كناية عن العصيان والوزر يقول لانه ما ذكر فى القران الحمل الا فى الوزر والخطايا كقوله ولنحمل خطاياكم
وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله ليحملوا اوزارهم كاملة

يوم القيامة وقوله ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ونحوه كثير وقوله انه كان ظلوما جهولا الى تاويل
من هذه التاويلات التى ذكرنا صرف هذا اليه استقام والله اعلم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الامانة العبادة
قال الله تعالى للسموات والارض والجبال اتاخذن العبادة بما فيها قلن يا رب وما فيها قال ان احسنتن جزيتن
وان اسأتن عوقبتن فابين ان يحملنها واشفقن منها اى خفن وعرضت على الانسان فقبلها وهو قول الله لبنى ادم
يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون اما خيانتهم الله ورسوله فمعصيتهما
واما خيانة الامانة فتركهم ما افترض الله عليهم من العبادة وقتادة يقول اما والله ما بهن معصية ولكن قيل لهن
اتحملنها وتؤدين حقها قلن لا نطيق ذلك فقيل للانسان وهو ادم اتحملها وتؤدى حقها قال نعم انه كان ظلوما بها
جهولا عن حقها وفى حرف ابى وابن مسعود وحفصة فابين اى فلم يطقنها وقال ابو معاذ الاباء فى كلام العرب على وجهين
احدهما هذا وهو العجز والاخر قوله الا ابليس ابى اى عصى وترك الامر والحسن يقول عرضت الامانة على السموات
وما ذكر فقيل لهن اتاخذن الامانة بما فيها قلن يا رب وما فيها قيل لهن ان احسنتن جزيتن وان اسأتن عوقبتن
قلن لا وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا بربه وهو مثل الاول وقال بعضهم كان ظلوما لنفسه فى ركوب المعصية
جهولا بعاقبة ما تحمل والوجه فيه ما ذكرنا بديا انه لا يفسر الامانة انها ما هى وكيف كان ذلك العرض على من ذكر
من السموات والارض والجبال وإباؤهن واشفاقهن والله اعلم ما اراد بذلك وقوله ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله من ذكر اى ليعذب من علم انه لا يقوم بوفائها ويضيعها
اعنى الامانة التى احتملها واما ضيعها من ذكر من المنافقين والمشركين ويثيب من لم يضيعها وقام بوفائها
وهم المؤمنون قال ابو عوسجة السداد الاستقامة تقول سددك الله وارشدك وقال ابو عبيد
السديد القصد وكذلك قال القتبى والقصد كانه العدل والله اعلم

سورة سبا مكية وآيها خمسون واربع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله قال اهل التاويل حمد نفسه بان صنع الى خلقه ثم هو يخرج على وجهين احدهما
على التعليم لخلقه الحمد لله والثناء عليه لا لاية ولحسانه الى خلقه ما لولا تعليمه اياهم الحمد له والثناء عليه لم يعرفوا
ذلك والثانى حمد نفسه لما لم ير نفسه لما لم يرى فى وسع الخلق والقيام بغاية الحمد له والثناء عليه على الاية واياديه
فتولى ذلك بنفسه وهو ما ذكر فى قوله صلوا عليه وسلموا تسليما فقالوا قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلوة
عليك فقال ان تقولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الى اخره فهذا تفويض الصلوة الى الله والدعاء له ان يصلى
هو عليه دونهم فهو والله اعلم كانه لم ير فيهم وسع القيام بحقيقة الصلوة عليه ولا بغاية الثناء فامرهم
ان يفوضوا ذلك اليه ليكون هو القاضى لذلك عنهم فعلى ذلك الحمد لله واصل الحمد له هو الثناء عليه بجميع محامده
واحسانه باسمائه الحسنى والشكر له على جميع نعمائه والائه وقوله الذى له ما فى السموات وما فى الارض كانه قال
والله اعلم الحمد لله الذى له ملك السموات والارض وهو المستحق لذلك لا الاصنام التى عبدتموها وسميتموها
الهة وقوله وله الحمد فى الاخرة وقال بعضهم له الحمد فى الاخرة اى يحمده اهل الجنة كقوله الحمد لله الذى هدانا
لهذا وقوله الحمد لله الذى صدقنا وعده وقوله الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ونحوه يحمده اولياؤه فى الاخرة
ويحمده اولياؤه فى الاولى كقوله له الحمد فى الاولى والاخرة وجايز ان يكون قوله له الحمد فى الاخرة اى له الحمد
فى انشاء الاخرة لان انشاء الدنيا وما فيها انما كان حكمة بانشاء الاخرة ولو لم يكن انشاء الاخرة لكان تخلق
ذلك كله عبثا باطلا فانشاء الاخرة حتى صار انشاء الدنيا وما فيها من الخلائق حكمة فاخبر ان له الحمد على انشاء
ما صار له انشاء الدنيا حكمة والله اعلم وقوله وهو الحكيم الخبير قد تقدم معنى الحكيم والخبير فى غير موضع

اتاخذن العبادة بما فيها
نسخة

اذ لا حاجة الى معرفتها ذاتها وكيفيتها فى حق
العمل اذ لم يتصل بذلك شئ من الاحكام وانما
معرفة هذه من باب الاعتقاد ولا يجوز الاعتقاد
الا بعد حصول العلم بطريق التيقن وليس معنا
دليل سمعى متواتر فكان الكف عن تفسيرها
وصرف المراد منها الى الله تعالى مع اعتقاد
ان ما اراد الله منها حق هو الواجب على
العاقل التدبر والله اعلم
شرح

وقوله وكان الله غفورا رحيما اى للمؤمنين
فى الاخرة لا محالة وعاقبتهم الجنة
وان ماتوا من غير توبة
والكفر مع التوبة
والله الموفق
شرح

وهو الذى لا يلحقه الخطاء فى التدبير وهو الواضع كل شى موضعه والفلاسفة يقولون الحكيم هو الذى
بجميع العلم والعمل جميعا وهو ما ذكرنا او الحكيم لما احكم كل شئ واتقنه حتى شهد كل شئ على وحدانيته ودل
على الهيته وقوله يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يخبر ان الارض مع
كثافتها وغلظها لا يحجب عنه ما يدخل فيها وما يخرج منها وكذلك السماء مع صلابتها وشدتها لا يحجب عنه شئ
كما يحجب عن الخلايق او يخبر ان كثرة ما يدخل فى الارض وما يخرج منها وازدحامه وكثرة ما ينزل من السماء
من الامطار وما يعرج اليه من الدعوات والملايكة لا يشغله اى علمه بشئ لا يشغل عن العلم بالاخر كما يشغل الخلايق
لانه عالم بذاته لا بسبب والخلق عالمون باسباب فعلهم بسبب يشغلهم عن الاسباب الاخر فاما الله سبحانه تعالى
عن ان يشغله شئ او يحجب عنه شئ وهو الرحيم الغفور وقوله وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربى
لتاتينكم قال بعضهم انهم اقسموا باللات والعزى ان لا بعث ولا حيوة بعد الموت فامر الله نبيه ان يقسم بالله لو احد
بلى بعث وقيامة بقوله قل بلى وربى لتاتينكم وجايز ان يكون على غير هذا وهو ما قال فى اية اخرى حيث قال
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا هم اقسموا بالله جهدهم لا يبعث من يموت فامر رسوله
فى هذه الاية ان يقسم بالله الذى اقسموا هم انه يبعث وهو قوله قل بلى وربى لتاتينكم وكان قسمه بما اقسم
عندهم اصدق من قسمهم لانهم لم ياخذوا عليه كذبا قط ولا اتهموه فى شئ يدل على ذلك ما اخبر الله عنهم حيث قال
قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اخبر انهم لا يكذبونك
فى مقالتك ولكن همتهم بجحود الايات والانكار لها فيكون قسمه مقابل قسم اولئك فى انكارهم البعث ليعلموا
كذب انفسهم فى قسمهم بقسم رسول الله بما ذكرنا والله اعلم وقوله عالم الغيب بالخفض وقد قرئ عالم الغيب
بالرفع وعلام الغيوب فمن خفضه جعله صفة ونعتا لما تقدم من قوله قل بلى وربى عالم الغيب ومن رفعه يجعله
على الابتداء ويجعل الكلام تاما بقوله وربى لتاتينكم ثم استانف فقال عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة
ثم قوله لا يعزب عنه قد قرئ برفع الزاى وبخفضها لا يعزب وكلاهما لغتان والعازب فى كلام العرب الغايب
وقال بعضهم لا يعزب اى لا يبعد وهما واحد وقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر وقال فى الاولى يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
جايز ان يكون هذه الاية فى جواهر الاشياء واجناسها المختلفة لانه اخبر عن علمه بما يلج فى الارض وما يخرج منها
وما يصعد فيها وما ينزل وذلك الجواهر الاشياء وقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة الى اخر ما ذكر فى الافعال والاعمال
يخبر انه لا يخفى عليه شئ ولا يغيب عنه شئ من افعالهم واعمالهم ليكونوا ابدا على حذر الا ترى انه ذكر على اثر
ذلك الجزاء حيث قال ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات وان يكونا واحدا الا انه ذكر فى الاية الاولى الداخل
فى الارض والخارج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ولم يذكر فى ذلك الساكن فيهما والمقيم وما يكون فيهما
فذكر ذلك فى قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض يخبر عن احاطة علمه بالاشياء كلها من الساكنة
والمقيمة والمتحركة والمتقلبة فيهما والله اعلم وقوله ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم
المغفرة هى التغطية والستر ثم يكون الستر بوجهين احدهما يستر على اعين الزلات انفسها ان لا تذكر والثانى يستر
بالجزاء المحسن اذا لم يجز الزلات هذا للمومنين يستر عليهم الزلات مرة يترك ذكرها ومرة يترك الجزاء عليها واما الكافر
فانه اذا جزى على سيئة فقد اظهر وافشى ولم يستر عليه وان يكون قوله اولئك لهم مغفرة اى ستر وهو انه اذا ادخلهم الجنة
انساهم زلاتهم حتى لا يذكرون ابدا لان ذكر زلاتهم لربهم ينغص عليهم لذاتهم ونعمهم وقوله ورزق كريم قيل الكريم
الحسن وجايز ان يكون سماه كريما لان من ناله كرم وشرف كقوله اولئك فى جنات مكرمون والله اعلم وقوله والذين سعوا
فى اياتنا معاجزين يحتمل حقيقة سعيهم فى اياته بما ذكر كقوله وكاين من اية فى السموات والارض يمرون عليها وهم
معرضون ذكر مرورهم عليها والاعراض عنها فهو سعى وجايز على التمثيل اى يعملون عمل من اعجز الايات بالجحود لها والرد

منها

والعنا

والعناد والمعجز هو المسابق وما انتم بمعجزين فى الارض اى مسابقين فايتين اى لا تعجزونى ولا تفوتون
عنى اولئك لهم عذاب من رجز اليم الرجز العذاب الاليم اى موجع وذلك جايز فى اللغة وقال ابو عوسجة المعاجز الهارب
يهرب لكى يعجز وقوله ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق قال بعضهم الذين اوتوا العلم
هم المومنون مومنوا اهل الكتاب الذين اوتوا العلم علم التورية والانجيل وغيرهما يقول والله اعلم يعلم
الذين اوتوا منافع تلك الكتب ان ما انزل اليك من ربك هو الحق باجمعهم جميعا الذين اوتوا العلم بتلك الكتب
لما يجدون نعته وصفته فيها يعلمون انه هو الحق من ربك لكن بعضهم عاندوا ولم يومنوا به وبعضهم قد امنوا به
وقال بعضهم قوله ويرى الذين اوتوا العلم هم اصحاب محمد صلوات الله عليه اى الذين اوتوا منافع ما انزل اليك
هم يعلمون انه هو الحق من ربك فاما من لم يوت منافع العلم فلا يعلم ذلك وفى حرف ابن مسعود ويعلم الذين
اوتوا الحكمة من قبل الذى انزل اليك من ربك هو الحق يعنى القران وقوله ويهدى الى صراط العزيز الحميد
قوله يهدى يحتمل يدعوا ويحتمل يهدى اى يبين لهم صراط العزيز الحميد وقوله وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل
ينبئكم كان بعضهم يقول لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد قوله اذا مزقتم يحتمل
ان قالوا للنبى يقول اذا تفرقت جوارحكم واعضاؤكم تكونون خلقا جديدا فان كان على هذا فهو والله اعلم كانه
من اهل الدهر ذلك القول لانهم يقولون بقدم العالم ولا يقولون بفنايه لان اهل مكة كانوا فرقتين فرقة
تذهب مذهب اهل الدهر وفرقة يقولون بحدث العالم ويقرون بفنايه لكنهم ينكرون احياءه بعد الفناء
فان كان ذلك من هولاء فيكون قوله ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق اى اذا ذهبت اجسادكم وفنيت اللحوم والعظام وكنتم
رمادا او رفاتا انكم لفى خلق جديد اى تكونون خلقا جديدا يخرج ذلك منهم على احد وجهين اما على استبعاد
ذلك فى اوهامهم وعقولهم اى لا يكون ذلك او على التعجب اى كيف يكون ذلك فقالوا عند ذلك افترى على الله كذبا
ام به جنة يقولون افترى محمد على الله كذبا ام به جنون اذ لم يسمع ذلك من احد من قبل ولا راينا ذلك انه كان
ما ذكر فرد الله ذلك عليهم وقال بل الذين لا يومنون بالاخرة اى بالبعث والاحياء بعد الموت هم المفترون على الله
هم فى العذاب والضلال البعيد فيكون العذاب لهم جزاء قولهم انه افترى على الله ويكون قوله والضلال البعيد
جزاء قولهم ام به جنون يقول بل هم فى ضلال بعيد الضلال البعيد كانه هو الذى لا يرجع الى الهدى ابدا فيكون الاية
فى قولهم علم الله انهم يختمون على الضلال ولا يومنون ابدا فيكون فى ذلك دلالة اثبات الرسالة وقوله افلم يروا
الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض قد ذكرنا قوله افلم يروا والم تروا ونحوه انه يخرج على وجهين
احدهما قد راوا على الخبر والثانى على الامر ان انظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ثم يقول
بعضهم لبعض حيثما قدم الانسان راى بين يديه من السماء مثل الذى يرى خلفه وكذلك الارض وقتادة يقول
لينظروا كيف احاطت بهم السماء والارض وهما واحد ان نشا نخسف بهم الارض كما خسفنا بمن كان قبلهم او نسقط
عليهم كسفا من السماء اى عذابا من السماء كما انزل على من كان قبلهم بالتكذيب والعناد يذكر هذا على اثر قولهم
افترى على الله كذبا ام به جنة اى لو نظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض لعرفوا انه رسول الله
وانه صادق وان ما يقوله انه بعث بعد الموت وان العذاب ينزل بقوله لا عن جنون ولكن عن علم وعقل ومعرفة
لان من قدر على انشاء السماء على ما انشا من سعتها وغلظها وشدتها وكذلك الارض قدر على البعث وخسف من يشاء
ان يخسف واسقاط السماء على من يشاء ان يسقط او يقول لو نظروا لعرفوا انه لم ينش ما ذكر من السماء والارض
عبثا باطلا ولكن انشاهما على الحكمة وانما انشاهما حكمة بالبعث والاحياء بعد الموت ومصيرهم اليه واما للفناء
خاصة فلا يكون حكمة والله اعلم ما اراد بذلك وقوله ان فى ذلك لاية لكل عبد منيب المنيب قيل هو
المطيع لله وقيل هو المقبل على امر الله والمنيب كانه هو المومن لانه هو المصدق بالايات فاذا كان المومن هو المصدق
بالايات فيكون هو المنتفع بها فيكون الاية واما المكذب بها فلا ينتفع بها فلا يكون الاية له فى الحقيقة وقوله

كما اخبر الله تعالى بقوله وما يهلكنا الا الدهر

حيث اخبر عنهم انهم يموتون على الكفر وكانت كما اخبر

يصيرهم

وقوله ولقد آتينا داود منا فضلا اى علما كقوله ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال بعضهم فضلا اى نبوة
وقال بعضهم الفضل هو الملك الذى آتاه الله وجايز ان يكون ما ذكر من الفضل انه آتاه هو ما ذكر على اثره من تسخير الجبال
والطير والتسبيح معه والانة الحديد له بلا نار ولا شىء حتى اتخذ منه ما شاء ان يتخذ من الدرع وآلات الحرب
وقد آتى الله داود من الفضل ما لو تكلفنا عده واحصاءه ما قدرنا عليه وقوله يا جبال اوبى معه قيل سبحى معه وقوله
والطير من نصب الطير جعلها مسخرة له كانه قال سخرنا له الطير ومن رفعها جعله على النداء يا طير اوبى معه اى سبحى معه
ثم اختلف فى تسبيح الجبال والطير قال بعضهم تسبيح خلقة لا تسبيح قول ونطق لما جعل فى خلقة كل شىء الشهادة له
بالوحدانية والالوهية لكن ذكرها هنا ان سبحى معه ولو كان تسبيح خلقة لم يكن لذكر التسبيح مع داود فايدة لان تسبيح
الخلقة يكون كان معه داود ولم يكن ولكن جايز ان يجعل الله تعالى فى سرية الجبال من التسبيح ما يفهم منها داود وقومه
ذلك عيانا على ما ذكرنا فى قيل النملة لساير النمل حيث قال قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الآية جعل الله تعالى
فى سرية النمل معنى القى ذلك فى مسامع سليمان ففهم منها ذلك ولم يلق ذلك فى مسامع غيره من الجنود فعلى ذلك تسبيح الجبال
والطير والله اعلم وقوله والنا له الحديد جعل له آية لنبوته لما الان له الحديد بلا نار ولا سبب يلينه حتى كان
يعمل منه ما شاء ولم يجعل فى وسع احد من الخلايق سواه استعمال الحديد الا بالنار واسباب اخر ليكون له فى ذلك
آية وقوله ان اعمل سابغات كانه قال والنا له الحديد وقلنا له ان اعمل سابغات قال بعضهم السابغات هى الدروع
وقال بعضهم هى الواسعات وقيل هى الطوال فكانه امر ان يتخذ من الدروع ما ياخذ من الراس الى القدم ما يصلح لحرب العدو
وقوله وقدر فى السرد قال بعضهم كانت الدروع قبل ذلك صفايح مضروبة فسرد نبى الله حلقا بعضها فى بعض
والسرد المسامير فى الحلق يقول قدر المسامير فى الحلق لا تدق المسامير وتوسع الحلق فتسلسل ولا تضيق
الحلق وتغلظ المسامير فتقصم وتكسر ولكن مستويا لتكون احكم قال ابو عوسجة والقتبى وقدر فى السرد اى النسج
اى لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق ومنه قيل لصانع الدروع سراد وزراد كما يقال سراط
وزراط والسرد الخرز ايضا وقال غيره السرد الخرز فى طبق الحلق وادخال الحلق بعضها فى بعض
وقوله واعملوا صالحا جايز ان يكون قوله اعملوا صالحا فيما ذكر من عمل الدروع ويحتمل فى غيره من الاعمال انه بما تعملون
بصير هو على الوعيد والله اعلم وقوله ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر كانه يقول سخرنا لسليمان الريح كما ذكر
فى آية اخرى فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب وقوله غدوها شهر ورواحها شهر اى تجرى به الريح فى غدوها
مسيرة شهر وفى رواحها مسيرة شهر وذلك آية له فمثلها من الآية كان لرسول الله حيث اسرى فى ليلة واحدة مسيرة
شهرين من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما كان لسليمان من الملك بالاعوان من الجن والانس كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بنفسه حيث قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين فان لم يكن ما ذكر من الرعب مسيرة شهرين اعظم مما كان
لسليمان فلا يكون دونه وما كان لابيه داود من الآية الحديد له بلا سبب وما ذكر كان لمحمد انشقاق القمر له وذلك اعظم
فى الآية مما ذكر وما كان لموسى من انفجار العيون من الحجر كان لمحمد من اصابعه حتى ذكر انهم كانوا الفا واربعمائة نفر
شربوا جميعا منه ورووا فذلك ان لم يكن اعظم فى الآية لا يكون دونه وما كان لعيسى من احياء الله الموتى واجرائه
على يديه كان لمحمد مقابل ذلك كلام الشاة المصلية المسمومة التى احيت انى مسمومة فلا تاكلنى ولو منى لما اراد التناول
منها فآيات كثيرة حتى لم تذكر لاحد من الانبياء والرسل صلوات الله عليهم آية الا ويمكن ان يذكر لمحمد جميعا مقابل ذلك
او اعظم منها ثم يحتمل ذكر ملك سليمان وابيه لئلا يجحدوا محمدا عليه الصلوة والسلام على ما اعطاه الله له من الملك
والشرف ليعرفوا انه ليس هو المخصوص بالملك والشرف ولكن له فى ذلك شركاء واخوان اعطاهم الله مثل ذلك والله اعلم
وقوله واسلنا له عين القطر قيل النحاس وقيل الصفر قيل اسيلت له يعمل به ما احب كما الين لابيه الحديد
فيعمل به ما احب من الدروع وغيرها بلا سبب والله اعلم وقوله ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه
قيل بامر ربه اى سخر الله الجن له وامرهم بطاعته فى جميع ما يامرهم فيما احب شاؤا او كرهوا ثم يخرج قوله باذن ربه

وذلك باحداث الحبق التى هى شرط الكلام فيها كما قلنا فى النملة فى قوله يا ايها
صح

على وجهين احدهما على التسخير له فيكون الاذن كناية عن التسخير والثانى باذن ربه اى بامر ربه اى امرهم ربهم ان
ان يطيعوه فى جميع ما يامر وينهى وقوله ومن يزغ منهم عن امرنا اى عصاه فيما امره به فذلك ما ذكر يحتمل اضافة
امره الى نفسه لما يامرهم ما يستعملهم فيما يستعملهم والله اعلم وقوله يعملون له ما يشاء من محاريب قال بعضهم المحاريب
هى المساجد وقال بعضهم هى القصور والمحاريب هى اشرف المواضع ذكر كناية عن غيرها والله اعلم وقوله وتماثيل قال بعضهم
هى التماثيل كهيئة تماثيل الرجال يصورون فى المساجد تماثيل الرجال العباد الزهاد والملائكة والنبيين والرجال
المتواضعين لكى اذا رآهم الناس مصورا عبدوا عبادتهم وتشبهوا بهم وان تكون تماثيل لا راس لها نحو الاوانى والكيزان
ونحوها او ان يكون التماثيل يومئذ غير منهى العمل بها فاما اليوم فقد نهوا عن العمل بها مخافة ان يدعوا ذلك الى عبادة
غير الله ولذلك اغتر ابليس قوما حتى عبدوا الاصنام والابليس من الاصنام ولانها ما يغتر به المرء على عبادته والله اعلم
وقوله وجفان كالجواب قال بعضهم اى قصاع كالجواب كهيئة حياض الابل حتى يجلس على القصعة الواحدة الف وزيادة
ياكلون منها وقال بعضهم وجفان كالجواب اى كالجوبة من الارض التى تحفر للماء يصف عظم ذلك ففيه انهم كانوا
يجتمعون فى الاكل لا ينفردون به وقوله وقدور راسيات اى كانوا يتخذون له قدورا عظاما فى الجبال
التى لا تتحرك من مكانها راسيات اى ثابتات كما ذكر والجبال الرواسى اى الثوابت وقال بعضهم وقدور راسيات
هى القدور العظام التى افرغت افراغا واكتفيت لعظمها اكفادوها ولحد والله اعلم وقوله اعملوا آل داود شكرا قال بعضهم
اى اعملوا آل داود شكرا الآية ذكر انه ليس من زمان فى ليل ونهار الا ويكون من آل داود صايما بالنهار ومصليا بالليل
او كلام نحوه فامروا بالشكر لهم وقال بعضهم كانه قال اعملوا يا آل داود شكرا لما اعطيتكم من الملك والفضل وقليل
من عبادى الشكور اى قليل من عبادى المؤمن والشكور كناية عن المؤمن على ما ذكرنا فى قوله ان فى ذلك لآيات لكل صبار
شكور اى لكل مؤمن والله اعلم قال ابو عوسجة والقتبى واسلنا له عين القطر اى اذبنا له عين النحاس والشكور
هو الفعول والفعول والفعال هما اللذان يكثر الفعل فكان الشكور هو الذى يعتقد الشكر لربه ويشكر مع الاعتقاد
فيكون منه الاعتقاد والمعاملة جميعا وقوله فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض دل هذا على ان موته كان يخفى
اهله ويستترونه حيث ذكر ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته ثم يذكر بعض اهل التاويل انه سال ربه
ان يعمى على الجن موته حتى يعلم الانس انهم لو كانوا يعلمون الغيب على الجن ما لبثوا فى العذاب المهين وبعضهم يقول
سال ربه ان يعمى على الجن موته حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس فدابوا وكد يعملون فلما فرغوا من بنائه خر سليمان
ميتا من عصاه وكان متكيا عنها وبعضهم يقول لما حضره الموت وكان على فراشه فى البيت لم يكن على عصاه فقال
للقبر والجن بموتى حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس وكان بقى عمل سنة ففعلوا فلما فرغوا من بنائه خر عتبة
الباب والباب فعند ذلك علمت الجن بموته والله اعلم وقوله فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
فى العذاب المهين وفى حرف ابن مسعود فلما قضينا عليه الموت وهم يدابون له حولا ما دلهم على موته الا دابة الارض
تاكل منسأته فلما خر تبينت للانس على ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين لانهم كانوا يدعون
علم الغيب فابتلوا بذلك ودل قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض على انهم كانوا لا يدنون منه لاحد وجهين اما لهيبته
وسلطانه على الناس فان كان ذلك لما اطاع له كل شىء وخضعوا له من الجن والطير والوحش وغير ذلك ولما كان
يكثر العبادة لله والخضوع له يتوحد ويتفرد بنفسه لم يجترؤا ان يدنوا منه والا لو دنوا منه لراوا فيه آثار الموتى
المهجر الا ان يكون ما ذكر بعضهم انه قال لاهله لا تخبروا احدا بموتى وامرهم ان يكتموا موته والله اعلم وقوله تاكل
منساته قيل المنساة العصا سمى منساة من النسا لانه كان بها يوخر ما اراد تاخيره وبها يدفع ما اراد دفعه
ثم فى امساكه العصا احد وجهين اما الضعف فى نفسه كان يتقوى بها فى اموره او يمسكها لخضوعه ربه وطاعته له
وفيه دلالة ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا لا يشغلهم الملك وفضل الدنيا ولا الحاجة ولا الفقر عن القيام
بامر الله وتبليغ الرسالة الى الناس وهما شاغلان لغيرهم وهم كانوا بين قد وسع عليهم الدنيا نحو سليمان وابرهيم

وغيرهما وفريق قد اشتدت بهم الحاجة والفقر وكلاهما مانعان شاغلان عن القيام بامور الله وتبليغ
الرسالة ليعلم انهم لم يأخذوا من الدنيا ما اخذ واالدنيا ولكن اخذوا الخلق ولله قاموا فيما قاموا لذلك لم يشغلهم
ذلك عن القيام بما ذكرنا والله اعلم ودل قوله ما لبثوا في العذاب المهين انه كان يامرهم ويستعملهم في امور شاقة
واعمال صعبة حيث ذكر لبثهم في ذلك لبثا في العذاب المهين والله اعلم وقوله لقد كان لسبأ في مساكنهم اية يحتمل
الاية التي ذكر لهم في مساكنهم الجنتين اللتين ذكرهما احديهما عن اليمين والاخرى عن الشمال ويكون لهم منبهة
فتهم على الشكر لربهم عليها والحمد لله والثناء عليه في تلك النعم او يذكرهم قدرة خالقهم وسلطانه وهيبته فيحملهم
ذلك على الخوف في العواقب والعقاب على خلافه ورجاء الثواب على طاعته فلم يتذكروا وان يكون الاية التي
ذكر لهم في تبديل الجنتين اللتين كان لهم فيهما كل سعة وخصب وكل الوان الفواكه والجواهر غير مؤنة يلحقهم لانه
قال في غير اي من القرآن قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف عاقبة المكذبين فاخبرهم هنا انهم ان لهم في تبديل جنتهم
جنتين اية لو اعتبروا واتعظوا فلا يقع لهم الحاجة الى النظر في آثار من تقدم منهم انما يعرفون ذلك عن خبر بلغهم
لان اصلهم قد هلكوا وهذا على المشاهدة والمعاينة وقوله عن يمين وشمال قيل عن يمين الوادي وشماله ويحتمل عن يمين
الطريق وشماله فتكون عن يمينهم وشمالهم وقوله كلوا من رزق ربكم واشكروا له كانه قالت لهم الرسل كلوا من رزق ربكم
واشكروا له اذ ذكر انه بعث فيهم كذا كذا رسولا ثم وصف بلدة سبأ انها طيبة حيث قال بلدة طيبة يحتمل ما ذكر
من طيبها هو سعتها وكثرة ريعها ومياهها والوان ثمارها وفواكهها وقوله ورب غفور اي ان ربكم ان شكرتم فيما
رزقكم وانعم عليكم رب غفور لذنوبكم او يقال رب غفور اي ستور يستر عليكم ذنوبكم ولا يفضحكم اذا صدقتم
واطعتموه وشكرتم نعمه ذكر ان المرأة منهم كانت تحمل المكتل على راسها والمغزل بيدها فيدخل البستان فيمتلئ
مكتلها من الوان الفواكه والثمار من غير ان تمس شيئا بيدها لكثرة ريعها ونزلها والله اعلم ثم ذكر سبب
تبديل الجنتين اللتين كانتا لهم وبما كان التبديل وهو ما قال فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم قال بعضهم
كان اهل سبأ اذا مطروا ياتيهم السيل من مسيرة شهر ايام كثيرة فهدوا وافسدوا العرم وهو الوادي ما بين الجنتين
بالصخر والقير وجعلوا عليه الابواب فلما عصوا ربهم فاعرضوا عنه وكفروا نعمه فسلط الله تعالى على ذلك السد
الذي بنوا الفارة فنقبت الروم فغشي المكان ارضهم فغرق اشجارهم وابدا انعامهم ودفن محاربهم وذهب جناتهم ومنهم
من يقول العرم هو المسنيات واحدها عرمة فذهب السيل الذي ارسل عليهم بالمسنيات فيبست جناتهم وابدلهم
مكان الثمار والاعناب ما ذكر من خمط والاثل والسدر حيث قال ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل
الاكل قيل هو الثمر والخمط الاراك وقال بعضهم شجر العضاه وهي شجرة ذات شوك والاثل قيل هو شبيه بالطرفاء
الا انه اعظم منه والسدر هو معروف عندهم وقال ابو عوسجة قريبا من ذلك قال الاكل الحمل والخمط عندي السدر
وحمله قال الخمط الريح الطيبة وتقول هذا شجر له خمطة اي ريح طيبة والخمط ان تاخذ شيئا من هنا وثمه
فتخلطه والاثل شجر ايضا لا حمل فيه والزجاج يقول الاثل هو الخشب التي فيها المرارة تذهب تلك المرارة بطعمها
او كلام نحو وقوله ذلك جزيناهم بما كفروا اخبر انه جزاهم بما كفروا انعمه ولم يشكروا ربهم عليها وقوله وهل يجازى
الا الكفور لله في نعمه وقوله وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة قيل متواصلة بعضها ببعض
من ارضهم الى الشام على كل ميل قرية وسوق وكل شيء فيها وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما آمنين
من الجوع والعطش والسباع وكل ما يخاف منه ثم جائز ان يكون ما ذكر من القرى الظاهرة كان لهم مع الجنان التي
ذكرنا بديا فيكون هذا موصولا بالاول فلما لم يشكروا ربهم في ذلك كله ابدل لهم الكل بما ذكر وجائز ان يكون لا على الصلة
بالاول ولكن على ما ذكره بعض اهل التاويل انه لما غير عليهم ذلك وابدل ضاق بهم الامر فشكوا الى رسلهم فقالوا
ادعوا ربكم فليرد علينا ما ذهب عنا ونعطيكم ميثاقا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا فدعوه فرده الله عليهم وجعل لهم
ما ذكر من قرى ظاهرة فذكرهم الرسل ما وعدوا ربهم فابوا فغير ذلك والله اعلم فسبأ ذكر ان رجلا سال رسول الله

لتجليلين بالصخر
٤

صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن سبأ اجبل هو ام ارض قال فقال له لم يكن جبلا ولا ارضا
ولكن كان رجلا من العرب ولد عشر قبايل فاما ست فتيامنوا واما اربع فتشاءموا وقال بعضهم كان سبأ رجلا
اسمه سبأ وسبأ هم الذين ذكرهم الله في سورة النمل وقال بعضهم هو اسم قرية وفي قوله وجعلنا بينهم
وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما آمنين دلالة خلق الافعال
لانه اخبر انه جعل بينهم وبين القرى المباركة قرى ظاهرة والقرى ما اتخذها اهلها ثم اخبر انه جعل ذلك
والجعل منه خلق دل انه خلق افعال العباد واخبر ايضا انه قدر السير فيها والسير هو فعل العباد والتقدير
هو الخلق ايضا دل انه خلق سيرهم وخلق اتخاذهم القرى وذلك على المعتزلة لانكارهم خلق افعال العباد
وقوله قرى ظاهرة قال عامة اهل التاويل قرى متواصلة بعضها ببعض يسيرون من قرية الى قرية وينزلون
فيها من غير ان تقع لهم الحاجة او يلحقهم مؤنة وجايز ان يكون قوله قرى ظاهرة نعمها بينة وقوله وقدرنا فيها السير
يحتمل قوله وقدرنا فيها السير اي قدرنا فيها السير لتسيروا فيها او على الامر اي قدرنا فيها السير وقلنا لهم
سيروا فيما انعم عليكم وتقلبوا فيها ليالي واياما آمنين من الجوع والعدو وكل آفة وقال بعضهم في قوله
وقدرنا فيها السير اي جعلنا ما بين القرية والقرية مقدارا واحدا وقوله فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
فيه لغات من خمسة اوجه احدها ربنا باعد وبعد كلاهما على الدعاء والسؤال والثاني وبعد وبعد قال ابو معاذ
ولو تغيير الكتابة لكان يجوز بوعد ومن قرا ربنا باعد على الخبر وكذلك بعد ومن قرا بعد بين اسفارنا يخرج
على الشكاية عما بعد من اسفارهم فاما على السؤال والدعاء فهو والله اعلم لانهم ساموا وملوا لكثرة ما انعم الله عليهم
ورفع عنهم المؤن وطال مقامهم فيها سالوا ربهم ان يحول ذلك عنهم سفها منهم وجهلا وكان كقوم موسى حين
انزل عليهم المن والسلوى ورفع عنهم المؤنة ساموا وملوا في ذلك وقالوا لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا
مما تنبت الارض من بقلها وما ذكروا فعلى ذلك هؤلاء ومن قرا بعد بين اسفارنا على الشكاية شكا الى ربه لما ذهب
عنهم السعة والخصب واصابهم الجهد والمؤنة واما قوله باعد على الخبر فكانه كانت فيهم ذلك كله فيهم من سال التحويل
وفيهم من شكا اذا زال ذلك وتحول وفيهم من اخبر بزواله وعلى ذلك يخرج قول موسى لفرعون حيث قال لقد علمت
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر بالرفع ولقد علمت بالنصب كانه كان ذلك من موسى الامران جميعا
قال في البدي لقد علمت فلما تحقق عند فرعون وعرف انه من الله فعند ذلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض بصائر لانه كان احدهما فعلى ذلك الاول وما يشبه ذلك والله اعلم وقوله فجعلناهم احاديث
اي اهلكناهم اهلاكا وكذلك قوله ومزقناهم كل ممزق اي اهلكناهم كل اهلاك حتى صار واعظة وعبرة لمن بعدهم
وقال فجعلناهم احاديث للناس على حقيقة الحديث يتحدثون بامرهم وشانهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم
كل تفريق اي في كل وجه التفريق حتى وقع بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينة وبعضهم بالشام وبعضهم بالبحرين وعمان
ونحو والله اعلم وقوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يحتمل ان يكون الصبار والشكور هو المؤمن كانه قال
ان في ذلك لعبرا وعظات لكل مؤمن او آيات لكل صبار على طاعة الله وامره شكور لنعمه او آيات لكل صبار على البلايا والمحن
شكور لنعم الله عليه ثم يخرج على وجهين احدهما في الاعتقاد له والثاني في المعاملة يعتقد الصبر لربه على جميع
اوامره ومناهيه والشكر له على جميع نعمائه والمعاملة ان يصبر على ذلك ويشكر له في نعمه وقوله ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه اختلف في ظنه قال بعضهم ظن بهم ظنا فوافق ظنه فيهم حين قال لئن اخرتني الى يوم
القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا من عصمت مني وما قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم
ولآمرنهم الى آخر ما ذكر فقد صدق ما ظن فيهم وقال بعضهم صدق عليهم ابليس ظنه وذلك ان ابليس خلق
من نار السموم وخلق آدم من طين ثم قال ابليس ان النار تغلب الطين فمن ثمة صدق ظنه فقال لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين يقول الله فاتبعوه ثم استثنى عباده المخلصين فقال الا فريقا من المؤمنين

بَعَدَ وَبُعِدَ وَبَعِدَ بَيْنَ
وَبَعَّدَ بَيْنَ كافي

القراءتين في قوله
موسى لفرعون

ويحتمل ان يكون من للتبعيض
ومعناه فاتبعوه
الا فريقا

يعنى عبادة المخلصين فانهم لم يتبعوه الذين قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقال قايلون من ههنا صلة
كانه قال فاتبعوه الا فريقا وهم المؤمنون وجايز ان يكون قوله فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الذين هم فى الحقيقة فاما كان
عند كم من المؤمنين فى الظاهر فقد اتبعوه لانه لا كل مؤمن عندنا هو فى الحقيقة مؤمن او ان يكون قوله فاتبعوه اى اصحاب
الكباير الا فريقا من المؤمنين وهم الذين عصمهم الله من الكبيرة ولانا اصحاب الكباير قد اتبعوه فيما دعاهم اليه والله اعلم
وقوله وماكان له عليهم من سلطان قال الحسن والله ما ضربهم بالسيف ولا طعنهم بالرمح ولا اكرههم على شى وماكان
منه الا غرورا وامانى ووسوسة دعاهم اليها فاجابوه وقال بعضهم قوله وماكان له عليهم من سلطان اى حجة ليس له
حجة عليهم اى لم يمكن من الحجة ولكن انما مكن لهم الوساوس والتمويهات ثم جعل الله للمؤمنين مقابل ذلك حججا يدفعون بها
شبهه وتمويهاته وقوله الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك هذا يخرج على وجوه احدها ليعلم كاينا ما قد علمه
انه يكون والثانى ليعلم شاهدا للخلق ما قد علمه غايبا عنهم والثالث يكنى بالعلم معلومه اى ليكون المعلوم وذلك
جايز فى اللغة كقوله حتى يأتيك اليقين اى الموقن به وذلك كثير فى القرآن وقوله وربك على كل شى حفيظ من الايمان
والشرك وغيره من الاعمال حفيظ عالم به وقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله انهم الهة الملايكة والاصنام ومن عبدتم
من دونه هل يملكون لكم شيئا من دفع ضر او جر نفع فيقول لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر فكيف تسمونه الهة او انه يقول قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله انها الهة فليكشفوا عنكم الضر الذى
نزل بكم من الجوع وغيره كقوله هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته فالجواب لذلك ان يقولوا
لا يملكون مثقال ذرة ولا اكبر فكيف يملكون ما ذكر يذكر والله اعلم سفههم وفرطهم فى عبادتهم من يعلمون انه لا يضر
ولا ينفع وتسميتهم اياها الهة وما لهم فيهما يعنى فى خلق السموات والارض وحفظهما من تعبدون من دونه من شرك
وما له منهم من ظهير اى من عون فى ذلك فكيف سميتموها الهة وشركاء فى العبادة وقوله ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له يقول والله اعلم لا يملك احد الشفاعة لاحد الا لمن اذن الله بالشفاعة له فهو لم ياذن بالشفاعة لاحد
من الكفرة فذكر هذا والله اعلم لقولهم هولاء شفعاونا عند الله ولقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او يذكر
ان من ترجون منهم الشفاعة بالمحل الذى ذكرهم من الخوف والفزع فكيف ترجون شفاعتهم كقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم
او لا يملكون مثقال ذرة ولا اصغر منه ولا اكبر فكيف يملكون الشفاعة لكم او نحوه من الكلام والله اعلم وقوله حتى اذا فزع
عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ليس لهذا الحرف فى هذا الموضع صلة يوصل بها ولا تقدم يعطف عليه وعلى الابتداء
لا يستقيم فبعض اهل التاويل يقول كان بين عيسى ومحمد فترة الزمان طويل لا يجرى فيها الرسل فلما بعث الله
محمدا وكلم جبرييل بالرسالة الى محمد سمع الملايكة ذلك فظنوا انها الساعة قامت فصعقوا مما سمعوا فلما انحدر
جبرييل جعل كلما يمر بكل منهم جلى عنهم وكشف فقال بعضهم لبعض ماذا قالوا الحق اى الوحى وقال بعضهم كان الوحى
اذا نزل من السماء نزل كانه سلسلة على صخر قال فيفزع الملايكة بذلك فيخرون سجدا حتى اذا فزع عن قلوبهم قال
ماذا انجلى عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير وقوله وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قيل جلى وكشف
الغطاء وقال الكسائى حتى اذا فزع مشتقة من الفزع يقول اخرج ما فيها من الفزع كما تقول هيبته عن قلبه ورقه وفزع
كل واحد ومن قرا فرغ بالراى اخرج وترك فارغا من الخوف والشغل وهى قراءة ابن مسعود قال بعضهم فى قوله قالوا
ماذا قال ربكم قالوا الحق يقول يخبرون بالامر الذى جاوا به ولا يقولون الا الحق لا يزيدون ولا ينقصون وقوله قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض اى لا يملكون انشاء ذرة فى السموات والارض
وما لهم فى انشائهما من شرك وما له منهم فى انشاء ذلك من عون فكيف تعبدونهم وتسمونهم الهة وجايز ان يكون
قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ذلك الفزع منهم وذلك لقولهم فى القيامة فزعوا القيامة
وقد قرى حتى اذا فزع بنصب الفاء اى حتى اذا فزع الله اى كشف الله عن قلوبهم الفزع وجلى ذلك عنهم والله اعلم
وقوله قل من يرزقكم من السموات والارض هذا فى الظاهر وان كان استفهاما فهو على التقرير والايجاب

ويحتمل ان يكون من للتبعيض ومعناه فاتبعوه الا فريقا

كما هيبته عن قلبه فى نسخة وفزع سنة

لانا قد ذكرنا

لانا قد ذكرنا ان كل استفهام كان من الله فهو على التقرير والايجاب ثم لو كان ذلك ممن يكون منه الاستفهام لكان
جواب قوله من السموات والارض يقولون الله يرزقنا كقوله قل من يرزقكم من السماء والارض ثم قال فى آخره فسيقولون الله
فيقول لهم فاذا علمتم ان الله هو رازقكم فكيف صرفتم عبادتكم عنه الى من تعلمون انه لا يملك شيئا من رزقكم كقوله ان الذين
تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق فانه لا يملك شيئا من رزقكم ذكر فى حرف ابن مسعود وحفصة
قل من يرزقكم من السماء والارض قالوا الله قال انا واياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وقال بعضهم فى قوله قل من يرزقكم
من السموات من المطر ومن الارض النبات فان اجابوك فقالوا الله والا فقل الله يفعل ذلك بكم فكيف تعبدون غيره
وانا او اياكم لعلى هدى يقول ذلك رسول الله لاهل مكة انا لعلى هدى وانكم لعلى هدى وانا او اياكم لفى ضلال مبين
وقال بعضهم معناه وانا لعلى هدى واياكم لفى ضلال مبين ولكن ليس هذا فى ظاهر هذا الكلام وجايز ان يكون هذا
على تعريض الشتم لهم بالضلال والكناية لذلك كما يقول الرجل لآخر فى حديثا وخبر يجرى بينهما ان احدنا لكاذب
فى ذلك اى انت كاذب فى ذلك لكنه تعريض منه ذلك ليس بتصريح وقال قتادة هذا قول محمد واصحابه لاهل الشرك
والله ما نحن وانتم على امر واحد والله ان احد الفريقين لمهتدى والفريق الآخر فى ضلال مبين فانتم تعلمون انا على هدى
لما اقمنا من الدلايل والحجج والبراهين على ذلك وانتم لا وقال بعضهم قال ذلك لان كفار مكة قالوا للنبى واصحابه تعالوا ننظر
فى معايشنا من افضل دينا انحن ام انتم فعل ذلك يكون فى الآخرة فرد الله ذلك عليهم فى قوله ام حسب الذين اجترحوا
السيئات الآية وقوله قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون قال بعضهم قال ذلك لانهم كانوا يقيمون رسول الله
واصحابه ويوبخونهم فى صنيعهم الاصنام التى عبدوها وذكرهم اياها بالسوء وما يدعون عليه من الافتراء بانه رسول الله
فيقول لهم لا تسالون انتم عما اجرمنا نحن ولا نسال عما تعملون وهو كقوله فى سورة قل ان افتريته فعلى اجرامى
وانا برىء مما تجرمون او ان يكون قوله قل لا تسالون عما اجرمنا اى عما دنا من الدين او عما عملنا من الاعمال ولا نسال
عما تعملون انتم اى عما تدينون من الدين كقوله لكم دينكم ولى دين وكقوله لى عملى ولكم عملكم وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
وانما يقال هذا بعد ظهور العناد والمكابرة فاما عند الابتداء فلا والله اعلم وقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق
وهو الفتاح العليم هذا والله اعلم صلة ما تقدم من قوله قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وصلة قوله قل لا تسالون عما اجرمنا كانهم قالوا لرسول الله واصحابه انا لعلى هدى
وانتم على ضلال مبين فقال عند ذلك جوابا لهم قل يجمع بيننا ربنا اى يجمع بيننا ثم يفتح اى يقضى بيننا بالحق من منا على الهدى
ومن منا على الضلال نحن او انتم وهو الفتاح العليم اى وهو الحاكم العليم ما ظهر وما بطن حقيقة والمفاتحة على المحاكمة
يقال هلم حتى نفاتحك الى فلان اى نحاكمك وذلك جايز فى اللغة ويحتمل قوله ثم يفتح بيننا بالحق اى يكشف كل خفى
وكل ستير وباطن فيجعله ظاهرا بينا ليظهر الذى من هو على الحق من الباطل والهدى من الضلال وهو الفتاح العليم اى الكاشف
المظهر العليم يعلم الظاهر والباطن جميعا والاعلان والاسرار جميعا والله اعلم وقوله قل ارونى الذين الحقتم به شركاء
اى ارونى الذين الحقتم بالله شركاء فى تسميتكم الاصنام الهة او ارونى الذين الحقتم به شركاء فى العبادة وجايز ان يكون قال
ذلك للذين عبدوا الملايكة واشركوهم فيها كان فيه اضمار يقول ارونى الذين الحقتم به شركاء هل خلقوا شيئا ام هل رزقوا
ام هل احيوا ام هل اماتوا فاذ زعمتم انهم لم يخلقوا ولم يرزقوا ولا يقدرون ذلك وعلمتم ان الله هو خالق ذلك كله
وهو الرازق فكيف اشركتم من لا يملك ذلك فى الوهيته كلا بل هو الله العزيز الحكيم منهم من يقول كلا ردا على قولهم
شركاء اى ليسوا بشركاء بل هو المتفرد الواحد الحكيم ومنهم من يقول هو رد على قوله هل خلقوا شيئا ام هل رزقوا
شيئا يقول كلا اى لم يخلقوا ولم يرزقوا بل هو الله المتفرد بذلك والله الموفق قال ابو عوسجة فزع ذهب وقال
القتبى فزع خفف وقوله وما ارسلناك يا محمد الا كافة للناس بشيرا بالجنة لمن اتبعه ونذيرا بالنار لمن خالفه
وعصاه وقوله كافة للناس قال بعضهم اى ما ارسلناك الا جامعا للناس الى الهدى داعيا اليه ومنهم من يقول وما ارسلناك
الا كافة للناس اى ما ارسلناك الا الى الناس جميعا الى العرب والعجم والى الانس والجن ليس كساير الانبياء انما ارسلوا الى قوم

فى تفسير قوله وما ارسلناك الا كافة للناس

دون قوم والى بلدة دون بلدة وكذلك روى عن نبى الله صلى الله عليه انه قال اعطيت ادبعا لم يعطهن نبى قبلى احدها
ما ذكرنا بعثت الى الناس جميعا عامة الى الاحمر والاسود والعرب والعجم والثانى جعلت لى الارض مسجدا وطهورا
وارعب لنا عدونا مسيرة شهرين واحلت لى الغنايم وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال بعضهم لا يصدقون
ويحتمل لا يعلمون اى لا ينتفعون بما يعلمون ولا يعلمون او لا يعلمون حقيقة لما ينظروا فى الحجج والآيات وقد يكرهم
لو نظروا وعلموا والله اعلم وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا القول منهم انما يقولون على الاستهزاء
والسخرية ليس على الاسترشاد على انه لا يكون ذلك وانه كذب قوله يستعجل بها الذين لا يومنون بها والذين آمنوا
والذين مشفقون منها احبران اولئك يستعجلون بها لتركهم الايمان بها استهزاء منهم والذين آمنوا خايفون منها
لايمانهم بها انها كاينة لا محالة لكن الله سبحانه لم يجبهم ما يجاب المستهزئ ولكن اجابهم ما يجاب المسترشد بلطفه
وكرمه وجوده حيث قال قل لكم ميعاد يوم اى لكم ميعاد الذى وعدكم محمد انه كاين لا محالة وهو يوم لا تستاخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون وهكذا الواجب على كل مسؤل اذا كان سايله يسأل له سؤال الاستهزاء ان يجيبه جواب ما يجاب
المسترشد لا ما يجاب المستهزئ ولا يدع علمه وحكمته لسفه السفيه ولا لهزى الهازئ ولكنه يحفظ حكمته
وعلمه وعقله ولا يشتغل بجواب مثله وبالله العصمة وقوله لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
فان كان على طلب التاخير وطلب التقديم ففيه تعيير وتوبيخ لهم كانه يقول ليس لكم من الخطر والقدر والمنزلة ما يوخركم
ما تستاخرون او تقدم لكم ما تستقدمون وان كان على تحقيق ترك التاخير وترك التقديم كانه يقول ميعادكم
يوم لا يملكون تاخيره اذا جاء ولا تقديمه عن وقته ولا دفعه والله اعلم وقوله وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القرآن
ولا بالذى بين يديه كان هذا القول منهم والله اعلم خرج عن مخاصمة وقعت بينهم وبين المومنين فى شان القرآن
او فى شان محمد فتحاكموا الى الكتاب على اتفاق منهم على ما فى كتبهم فلما خرج ذلك على موافقة قول المومنين ومخالفة
قول اولئك قالوا عند ذلك لن نومن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه والا على الابتداء من غير تنازع وخصومة
كان بينهم فى ذلك غير مستقيم ويذكر بعض اهل التاويل ابن عباس وغيره ان رهطا بعثهم قريش الى المدينة الى روساء
اليهود يسألونهم عن محمد وبعثه فاخبروهم انه كاين وانه مبعوث فلما رجعوا اليهم فاخبروهم انهم قد عرفوه
وهو عندهم فى التوراة والانجيل فعند ذلك قالوا ما قالوا ثم كان اشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وثقل عليه فقال له على التعزية والتصبير على ذلك ولو ترى اذا الظالمون موقوفون عند ربهم اى محبوسون عند ربهم
اى على محاسبة ما كان منهم من العناد والمكابرة والتكذيب اى لو رايتهم ما فيهم من الذل والهوان والخضوع لرحمتهم
ولاخذتك الرافة لهم والله اعلم وقوله يرجع بعضهم الى بعض القول اى يلوم بعضهم بعضا فيقولون ما ذكر يقول
الذين استضعفوا اى السفلة والاتباع للذين استكبروا اى القادة منهم والروساء لولا انتم فيما صددتمونا عن دين الله
وصددتمونا عنه لكنا مومنين تابعين له لانهم كانوا يصدرون لارائهم ويقبلون قولهم لما هم كانوا اهل شرف ومعرفة
والسفلة لا فيقولون لولا انتم لكنا نتبع رأى انفسنا فنومن به لكن قلتم لنا انه كذب وانه افترى وانه سحر فنحن
صدقناكم فى ذلك وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم قوله انحن
صددناكم هو على التقرير اى لم نصدكم وان كان ظاهره استفهاما ولكن انتم بانفسكم تركتم اتباعه لان الروساء منهم
كانوا يقولون للاتباع ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون ويشرب مما تشربون الخبر وانه بشر مثلهم ثم اخبروهم
انكم لئن اطعتم بشرا مثلكم اذا تكونوا خاسرين ونحن بشر فكيف اتبعتمونا واطعتمونا بل كنتم قوما مجرمين فى اتباعكم
ما اتبعتموه او ان يكون قوله لولا انتم لكنا مومنين اى لولا تكبيكم علينا وتمويهكم ان الرسل كذبة وانهم سحرة فيما يقولون
ويدعون وانهم يفترون على الله والا كنا مومنين والثانى لولا منعكم ايانا عن النظر والتفكر فى امورهم والتامل
فى الحجج والآيات لكنا مومنين هذا قول الاتباع للروساء ثم اجابهم الروساء فقالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد
اذ جاءكم بل كنتم مجرمين يقولون والله اعلم ان صددناكم ومنعناكم عن اتباعهم ظاهرا وعلانية فمن منعكم سرا

فهلا

فهلا اتبعتموهم سرا من غير ان نطلع ونعلم نحن بذلك وما ذكرنا من قوله ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
وقد عرفتم انا بشر مثلكم فاطعتمونا وتركتم طاعة الرسل لانهم بشر فاجابهم الاتباع فقالوا بل مكر الليل والنهار
بل مكركم ايانا وقولكم فى الليل والنهار انهم كذبة سحرة وخداعكم ايانا وانهم بشر مثلكم تركنا اتباعهم اذ تامروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا ويقولون بل مكركم فى الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله اى منعكم ايانا
وهيبتكم لنا من الاخذ على البغتة والغفلة تركنا اتباعهم فى السر اذا ظهر وبلغكم الخبر به هذه مناظرات اهل الكفر
فيما بينهم يومئذ ورد بعضهم على بعض ولعن بعضهم بعضا يذكرها فى الدنيا ليلزمهم الحجة وان لا يقولوا يومئذ
انا كنا عن هذا غافلين فان قيل انهم كانوا لا يومنون بهذا القرآن ولا بالبعث فكيف يلزمهم ذلك وهم لا يستمعون له
قيل انهم قد مكنوا من الاستماع والنظر فيه فيلزمهم الحجة وان لم يستمعوا له والله اعلم وقوله واسروا الندامة
لما راوا العذاب قال بعضهم اسر الروساء الندامة بصرف الاتباع وصرف انفسهم عن دين الله واتباع الرسل
لما راوا العذاب وقيل اسروا الندامة الاتباع والروساء جميعا وقوله واسروا الندامة قال من الاسرار
والاخفاء اخفى بعضهم من بعض وقال بعضهم اخفى الكفرة والندامة عن المومنين وقال القتبى اسروا الندامة
اى اظهروا وهو من الاضداد ويقال اسررت الشئ اخفيته واظهرته واما غيره من اهل التاويل فانهم قالوا هو
من الاخفاء وقوله وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا الاغلال جماعة الغل وهو ما يجعل فى اليد ثم يشد اليد
الى العنق هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا يجزون الا جزاء عملهم فى الدنيا وقوله وما ارسلنا فى قرية
من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون قال بعضهم المترف المتكبر وقال آخرون المترف هو الذى
يجمع صنوف المال مع العناد والتكبر وقال بعضهم المترفون هم الروساء منهم وهذا ينقض على المعتزلة
قولهم ان الله لا يفعل الا ما هو اصلح له فى الدين ولا شك ان هولاء المترفين انما قالوا ما قالوا وفعلوا ما فعلوا
لسعتهم وبسطهم فى المال فلو لم يكن ذلك لهم ما فعلوا ذلك دل ان المنع لهم عن ذلك اصلح لهم من البسط والله اعلم
وقوله وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها المترف ما ذكرنا قال بعضهم المتكبر المتجبر وقال بعضهم
المترف الذى يجمع مع الكبر والعناد الاموال وقال بعضهم مترفوها اغنياؤها وكله واحد وهم رؤساؤها وفيه
رد قول المعتزلة فى الاصلح على ما ذكرنا وقوله وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا يخرج قولهم ذلك على وجهين احدهما قالوا
قالوا ذلك انا اذا اوتينا فى الدنيا الاموال والاولاد فلا يعذبنا فى الآخرة على ما تزعمون او ان يقولون ذلك انك
لو كنت بعثت رسولا على ما تزعم فنحن اولى بالرسالة منك لانا اكثر اموالا واولادا والله اعلم وقوله قل ان ربى
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر هذا ايضا ينقض على المعتزلة ومن يقول بان الله لا يبسط على احد الرزق اذا لم يكن
فى البسط صلاح له وخير وكذلك لا يقتر على احد ذلك اذا لم يكن فى التقتير خير له وعندنا يبسط الرزق لمن يشاء
وان لم يكن خيرا له وكذلك يقتر على من يشاء وان كان شرا له على ما نطق ظاهر الآية ليس عليه حفظ الاصلح ولا الاخير
والله اعلم وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى لا ينتفعون بعلمهم او لا يعلمون حقيقة لما تركوا النظر والتفكر
فى اسباب العلم ليعلموا فلا يعذرون لما مكن لهم العلم به وقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
قالوا ذلك لما لم يروا فى الحكمة ان يحسن احد الى عدوه والسعة هى من الفضل والاحسان ثم راوا لانفسهم ذلك ظنوا
انهم اولياء الله وان الرسل حيث ضيقت عليهم الدنيا انما ضيقت لانهم ليسوا باولياء الله لذلك قالوا نحن اكثر
اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وهذا القول منهم لانكارهم البعث فانه كانوا معترفين به لكانوا لا يقولون ذلك
ويعلمون ان السعة فى الدنيا والضيق فيها يجرى الامتحان واما اذا كان بعث ودار اخرى للجزاء فى الحكمة ان يجزى
الولى جزاء الولاية والمسئ من العدو جزاء الاساءة والعداوة واما الدار التى هى دار امتحان وابتلاء
فيجوز ذلك يجرى الامتحان فى الحكمة ولذلك خرج الجواب لهم حيث قال قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
اى يبسط الرزق لا لعبده وفضل له ونعمة عنده ويقتر على من يشاء لا لعداوة وخيانة كانت منه اليه يجرى الامتحان

في حسن الجواب

على وجهين

الا يرى انه قد وسع على بعض المؤمنين وضيق على بعض ولذلك تظهر ان التوسيع لاهل السعة ليس لفضل لهم وقدر
او نعمة كانت لهم عنده وحق يكون ذلك منه مكافاة لذلك وكذلك التضييق لاهل التضييق لم يكن لجناية او اساءة
كانت منهم اليه لما ذكروا ولكن لما ذكرنا الا ترى انهم اذا راوا انه وسع على بعض وقتر على بعض هلا علموا انه يملك ان يوسع
على من قتر عليه ويقتر على من وسع عليه فيكون في ذلك لهم ترغيب في التوحيد واختيار له وتحذير عن الكفر وعما هم
فيه اذ يملك التقتير على من وسع عليه والتوسيع على من قتر عليه فيبطل هذا كله قولهم نحن اكثر اموالا واولادا
الاية ويبين ان التقتير والتوسيع ليس لفضل ولا قدر ولا نعمة ولا لجناية ولا لذنب ولكن للامتحان والله اعلم
وقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى يخبر ان اموالكم واولادكم لا تقربكم عندنا زلفى ولكن ما ذكر
حيث قال الا من آمن وعمل صالحا اي ذلك الذي يقرب عندنا زلفى من آمن بر سوا كان له مال وولد اولم يكن فاولئك لهم
جزاء الضعف بما عملوا من الناس من احتج بتفضيل الغنا على الفقر بهذه الاية يقول اخبر ان لهم جزاء الضعف
اذا آمنوا وعملوا الصالحات بالاموال التي اعطاهم واما الفقير فليس له ذلك اذ ليس عنده ما يضاعف له
او كلام يشبه هذا واما عندنا ان قوله فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا لهم جزاء الضعف بالصالحات والحسنات
التي عملوها لان الله وعد ان يجزي لكل من عمل بحسنة عشر امثالها وعد لمن عمل السيئة ان لا يجزي الا مثلها فلكل
من عمل بحسنة او صالحة عشر امثالها وذلك جزاء الضعف له وذلك للغني والفقير جميعا وقد ذكرنا في غير موضع
ان التكلم في فضل الغناء على الفقر او الفقر على الغنا كلام لا معنى له لانهما سببان لا صنع لاحد في ذلك يمتحنان في تلك
الاحوال احدهما بالشكر والآخر بالصبر فمن وفى بما امتحن هو في تلك الحال فهو افضل ممن لم يف بذلك وبه يستوجب
الفضل ان استوجب فاما بنفس تلك الحال فلا لكن من يفضل الغنا على الفقر يذهب الى ان الله تعالى سمى الضيق بلاء وشرا
وشدة في غير موضع من القرآن وسمى السعة خيرا ونعمة وحسنة في غير موضع ولا شك ان الخير والحسنة افضل واحمد
من الشر والسيئة فلو لم يكن هذا شرا وسيئة في الحقيقة لم يسمه بذلك وهذا خيرا لم يسمه ومن يقول بتفضيل الفقر
على الغنا يذهب الى ان الغني اذا اعطى وبذل انما استوجب ذلك الفضل لما يقهر نفسه ويجرح واصله ما ذكرنا
وقوله وهم في الغرفات آمنون من العذاب والموت او آمنون من الاخراج اي لا يكون لهم خوف الاخراج والزوال لان
خوف زوال النعمة مما ينغص على صاحبه النعمة ويحزنه والله اعلم وقوله والذين يسعون في آياتنا معاجزين اي يسعون في آياتنا
سعي من يكون معاجزا ولا كانوا يعلمون انهم ليسوا بمعاجزين في سعيهم وانهم لا يقدرون ذلك ما ذكرنا يسعون في آياتنا
سعي من يكون معاجزا لا سعي من لا يكون وهو ما قال ام حسب الذين يعملون السيئات اي يعملون عمل من يحسب انه يسبق
لا عمل من لا يسبق وهو كقوله يخادعون الله لا احد يقصد قصد مخادعة الله لعلمه انه لا يخادع ولكن كانه قال يعملون
عمل من يخادع الله لا عمل من يعلم انه لا يخادع فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله في آياتنا معاجزين بما كان سعيهم
في الآيات اما في آيات الوحدانية او آيات النبوة او آيات الرسالة ليسقطوا عن انفسهم مؤنة ذلك وقبولها والعمل بها
اولئك في العذاب محضرون قال القتبي فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا لم يرد فيما يرى اهل النظر والله اعلم انهم يجازون
عن الواحد بواحد مثله ولا اثنين وكيف يكون هذا والله علم يقول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وخير منها ولكنه
اراد لهم جزاء الضعف وجزاء الضعف انما هو مثل يضم الى مثل الى ما بلغ وكان الضعف الزايد اي لهم جزاء الزيادة
ويجوز ان يجعل الضعف في معنى جميع اي جزاء الاضعاف ونحو فزده عذابا ضعفا اي جعلت مثله وخيط مضاعف
اي قد ضم اليه خيط آخر قد فتلا وقال زلفى هي الدنو يقال ازلفته اليه ومنه ازلفته ادنيته وقال القتبي اي قربة
ومنزلة عندنا وهما واحد والله اعلم وقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ذكر الاموال والاولاد
ثم ذكر التي بالتانيث قال بعضهم هذا من مقاديم الكلام كانه قال وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم ولو لا ذلك
لغلب فعل الآدميين فعل الاموال قال ابو معاذ يجوز ان يجمع الاموال والاولاد ثم تقول التي لانك تقول ذهبت الاموال
وهلكت الاولاد كقوله قالت الاعراب آمنا وقالت رسلهم ونحو كثير من القرآن فعلى ذلك عند الجمع وقوله قل ان ربي

في فضل الفقر على الغناء

قد كان الفقر افضل

فان قيل ما الحكمة في قوله وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى ذكر الاموال
والاولاد ثم نعتهم بالتانيث بقوله التي
وفعل الآدميين يغلب فعل الجمادات
فيجب ان يذكر كفعل المرأة والرجل اذا ذكرا
يذكر على جهة التذكير كذا الشيء هنا فيجب
ان يذكر بصفة التذكير قيل تقدير
الكلام وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى ولا اولادكم واذا كان تقدير الكلام
هكذا فالفعل يكون للمؤنث والمذكر
معطوف على الاول لذلك يؤنث

يبسط

يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين قال ابن عباس
رضي الله عنه فهو يخلفه في الدنيا والآخرة لان ما انفق العبد لو كان الله لخلفه له في الدنيا ما احصى احدكم ماله
ولا يجد مكانا يجعله فيه او كلام هذا معناه وقال آخر كل نفقة كانت في طاعة الله فان الله يخلفها في الدنيا ويدخرها
ثوابه في الآخرة ومجاهد يقول اذا اصاب احدكم مالا فليقتصد في النفقة ولا يتاول قوله وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه فان الرزق مقسوم وقال بعضهم فهو يخلفه اذا كانت في غير اسراف ولا تقتير وهذه التاويلات كلها ضعيفة
لان الآية كانت نزلت والله اعلم في منع اولئك الانفاق مخافة الفقر وخشية الاملاق لانها نزلت على اثر قوله قل ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يقول والله اعلم يعلمون ان الله هو الباسط لكم والموسع عليكم وعلى الخلق
كله الرزق وهو المقتر ايضا على من شاء التقتير عليه فاذ كنتم تعلمون انه هو الفاعل لذلك فكيف يمتنعون
عن الانفاق خشية الفقر فهو القادر على البسط والخلف لما انفقتم وهو القادر على التقتير من غير انفاق
كان منكم او ان يذكر هذا ليقطعوا اطماعهم عن الخلائق من الناس والبذل لهم فيما ينفقون على ما ينفق الرجل من النفقة
فيطمع من الناس البر له والمعروف مكافاة لما انفق فيقول اقطعوا الطمع من الناس فيما ينفقون فان الله
هو المخلف لذلك لا الناس ويحتمل ما قال ابن عباس انه يخلف في الآخرة اذ لو اعطي لكل ما انفق في الدنيا
خلفا ما احصى احدكم ماله ولا اين يجعله هذا هكذا اذا كان الخلف من نوع ما انفق واعطي فاما اذ لجاز ان يكون
الخلف من نوع ما انفق ومن غير نوعه من نحو ما يدفع عن المرء وعن المتصلين له من انواع البلايا والشدائد ويعطيه
من انواع النعم من السلامة له في نفسه ودينه والصحة وغير ذلك مما لا يحصى فذلك كله بدل وخلف عما انفق
وذلك انه اذا علم في سابق علمه انه ينفق جعل ذلك في الاصل خلفا عما انفق وعلى ذلك يخرج ما روي
ان صلة الرحم تزيد في العمر اذ علم انه يصل رحمه زاد في عمره في الاصل ما لو يعلم انه لا يصل رحمه لكان
يجعل عمره دون ذلك فعلى ذلك الاول وروي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وما انفق المرء على نفسه واهله او وقى به عرضه فهو له صدقة وكل نفقة انفقها مؤمن
فعلى الله خلفها ضامنا الا نفقة في معصية او نفقة في بنيان اي لا يحتاج اليه وقوله ويوم يحشرهم جميعا
الملائكة ومن عبدهم ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم
بل كانوا يعبدون الجن ليس قول الملائكة فيما خاطبهم ربهم لما خوطبوا بقوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون بحيث
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم لانه قال لهم اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فجوابهم ان يقولوا بلى او لا فاما
ان يكون قولهم سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية جوابا لذلك فلا يحتمل الا ان يقال
ان اولئك الكفرة ادعوا على الملائكة الامر لهم بالعبادة اياهم دون الله فهنالك يحتمل ان يقول اهؤلاء
عن امركم عبدوكم فعند ذلك قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ويخرجوا منهم ما امرناهم بعبادتنا وانت
اعلم منا بل كانوا يعبدون الجن بل كانوا اطاعوا امر الجن والشياطين في ذلك اذ لو كنا امرناهم بذلك لم نكن
اولياءك ولا كنت انت ولينا من دونهم وهذا كما يقول لعيسى حيث قال اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله وقد كان علم جل وعلا انه لم يقل لهم ذلك ولكن كان اولئك ادعوا عليه الامر والقول لهم فذلك
فذكر ذلك لعيسى تعييرا لهم وتوبيخا على صنيعهم واظهارا لكذبهم في دعواهم فعلى ذلك الاول يحتمل ان يخرج
على ذلك والله اعلم وقوله بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون هم كانوا لا يقصدون عبادة الجن
ولكن لما امرهم كانوا يعبدون ما يعبدون نسب العبادة اليهم كقوله يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان وهو
كقول ابراهيم يا ابت لا تعبد الشيطان وهم كانوا لا يقصدون بعبادتهم الشيطان لكنهم لما عبدوا من دونه
بامر الشيطان نسب العبادة اليه كانهم عبدوه وقوله فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اي لا يملك
يوم القيامة ما املوا وطمعوا من عبادتهم لاولئك من التقريب لهم الى الله زلفى والشفاعة لهم عنده لقولهم

هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول لا يملك بعضكم لبعض ما املوا وطمعوا
من عبادتهم اولئك ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون اي كنتم تكذبون الرسل بما اوعدكم
في الدنيا وقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قد ذكرنا الآيات والبينات في غير موضع وقوله ما هذا الا رجل
يريد كل رسول ان يصدقومه عما كان يعبد آباؤهم من الاصنام والاوثان لكن هذا القول منا ولئك الرؤساء
اغراء الاتباع على الرسل يقولون الا ترون ان واحدا قد خالف الآباء في دينهم ويريد ان يصدكم عن دين آبائكم
وما هذا الا افك مفترى اي ما يدعو محمد اليه ليس الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا
الا سحر مبين وقوله للحق لما جاءهم اي ما جاءهم للحق وهو القرآن والتوحيد من البيان والايضاح لهم انه الحق وانه
من عند الله جاء وهو الآيات والبراهين التي جاءت لهم انه حق وانه من عند الله جاء لا انه مفترى وافك
وسحر على ما تزعمون ولم يزل طعن اولئك الكفرة في الآيات والحجج بانها سحر وانها افك وانها مفترى يلبسون
بذلك على اولئك الاتباع والسفلة ويموهون عليهم ويغرون لئلا يتبعونه ويستسلمون لهم والله اعلم وقوله
وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وهو والله اعلم صلة وما هذا الا رجل يريد
ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقولهم ان هذا الا سحر مبين يقول والله اعلم
جوابا لقولهم وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيخبرهم ان ما يقول محمد افك مفترى وقولهم ان هذا الا سحر مبين
ولا ارسلنا اليهم ايضا من قبله رسولا يخبرهم انه كذب مفترى وظهور الكذب في القول والخبر انما يكون باحد
هذين الامرين اما بكتاب او نبي وهم لا يؤمنون بكتاب ولا نبي فكيف يدعون عليه الكذب والافتراء ويخبرون سفههم
وقلة عقولهم وعنادهم بعد ما خصهم عز وجل وفضلهم على غيرهم من البشر حيث بعث الرسول منهم ومن انفسهم
والكتاب على لسانهم وبلغتهم بعد قسمهم انه لو بعث اليهم نذيرا ورسولا لاتبعوه حيث قالوا واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير لم يؤمنوا به ولم يعرفوا منة الله عليهم وخصوصيتهم
بما خصهم والله اعلم وقوله وكذب الذين من قبلهم يذكر رسوله ويصبره على تكذيبهم ولئك له يقول كذب الذين
كانوا من قبلهم رسلهم لست انت باول مكذب بل كذب اخوانك من قبل والله اعلم وقوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم
يقول والله اعلم لم يبلغ هؤلاء الذين يكذبونك عشر اولئك في القوة والغنا والفضل والله اعلم والاتباع والاعوان
وغير ذلك ثم مع ما كانوا كذلك لم يقوموا في دفع العذاب الذي نزل بهم بالتكذيب عن انفسهم فهؤلاء الذين هم
دون اولئك بما ذكروا احق ان لا يقوموا لدفع عذاب الله عن انفسهم اذا نزل بهم بالتكذيب وقوله فكذبوا رسلي فكيف كان
نكير يقول والله اعلم اليس وجدوا عذابي حقا قال الزجاج هو نكيري بالياء لكن طرحت الياء لانه آخر الآية وختمها
فابقيت الكسرة علامة لها او كلام يشبه هذا قال ابو عوسجة نكيري عقوبتي وقال القتبي اي انكاري وقوله قل انما
اعظكم بواحدة قال بعضهم بواحدة اي بكلمة الاخلاص والتوحيد وقال بعضهم اي بطاعة الله وقال بعضهم بواحدة
اي بكلمة واحدة كقول الرجل لصاحبه اكلمك كلمة واحدة واسمع مني كلمة لكن الواحدة التي وعظهم بها عينها ما ذكر
على اثره حيث قال ان تقوموا لله مثنى وفرادى اي تقوموا لله بهما جميعا وفرادى وتتفكروا وتنظروا فيما بينكم هل رأى
احد منكم به جنونا قط وقال بعضهم يريد بالمثنى ان يتناظر الرجلان في امر النبي وفرادى ان تفكر وانظر وقال بعضهم
يريد بالمثنى ان يتناظر الرجلان في امر النبي فان ذلك ما دلهم على ان النبي ليس بمجنون ولا كذاب على ما تزعمون ثم كان
الذي حملهم على ان نسبوه الى الجنون وجوها احدها انهم راوه قد خالف الفراعنة والجبابرة الذين كانوا يقتلون من
خالفهم على الغضب في ادنى شيء بلا اعوان ولا اتباع له فقالوا لا نخاطر بنا الا من به جنون فنسبوه الى الجنون
والثاني انهم راوه قد خالف دينهم ودين آبائهم جملة من بينهم فقالوا لا يحتمل ان يصيب دينا بعقله من بين الكل
لا يصيب احد ذلك فاتهموه في عقله والثالث انه كان في حال صغره وصباه لم يروه اشتغل بشيء من اللعب
او خالط الصبيان في شيء من امورهم بل اعتزلهم من حال صباه الى ان بلغ الوقت الذي بلغ فقالوا ان به جنونا ولا لم يعتزل

آن يتفكر كل
وحده
ح

الناس كل هذا الاعتزال ثم اخبر انكم لو تفكرتم ونظرتم لعرفتم ان ليس بصاحبكم جنون ان هو الا نذير لكم بين يدي
عذاب شديد في الآخرة انه نصيحته اي رسول الله اليكم ونذير بين يدي عذاب شديد في الآخرة ان عصيتموه
عوقبتم في الآخرة وقال بعضهم في قوله ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة يقول والله اعلم
الا يتفكر الرجل منكم وحده او مع صاحبه فينظر الى خلق السموات والارض وما بينهما الذي خلق هذه الاشياء وحده
انه واحد لا شريك له وان محمدا لصادق في قوله بان الله واحد لا شريك له وما به جنون ان هو الا نذير وقوله قل ما سألتكم
من اجر فهو لكم هذا يحتمل وجهين قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل قومه ان يودوا قرابته وان لا يؤذوهم
كقوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وما قال في آية اخرى قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا يقول ما سألتكم من اجر يعني المودة في القربى فهو لكم اي الذي سألتكم هو لكم وهو المودة في القربى
واتخاذ السبيل الى ربي والثاني قوله ما سألتكم من اجر فهو لكم اي لو سألتكم على تبليغ الرسالة اليكم اجرا انما يكون الاجر
منكم فينفعكم ثقل ذلك الاجر وعوده عليكم عن الاجابة كقوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون وقوله ان اجري
الا على الله اي ما اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد اي فيما انا نذير وما به جنون او هو على كل شيء شهيد بما يبلغكم
عليه او على كل شيء من صنيعكم شهيد عالم به والله اعلم وقوله قل ان ربي يقذف بالحق هذا يحتمل وجهين يحتمل
يقذف بالحق اي يقضي بالحق او يقذف بالحق اي يتكلم بالوحي ويلقيه وقوله علام الغيوب كأنه جواب عن الخلق
وقد ذكرنا في غير موضع وقوله قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد الآية اختلف فيه قال بعضهم ما يبدئ
الاوثان والاصنام التي عبدوها وما يعيد اي لا يخلق شيئا ولا يحييه ولا يميته كقوله ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا
وقال بعضهم ما يبدئ الشيطان الخلق فيخلقهم وما يعيد خلقهم في الآخرة فيبعثهم بعد الموت بل الله يفعل ذلك
او ان يكون قوله قل جاء الحق اي حجج الحق وما يبدئ الباطل وما ابدأ الباطل اي يقذف بحجج الحق علام الغيوب قال بعضهم
هو ما ذكر في آية اخرى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه الى آخر الآية قال يزهق الباطل ويثبت الحق اي نقذف بالحق
على الباطل فيهلك الباطل ويثبت الحق وهو ايضا ما ذكر فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض
وقوله قل ان ضللت بكسر اللام ونصبها كلاهما لغتان قال الكسائي تقول العرب ضل يضل ضلالة وضل يضل
بالخفض والنصب جميعا ثم قوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي يخرج على وجهين احدهما ان ضللت فانما يكون
ضرر ضلالي على نفسي لا يكون على الله من ذلك شيء كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وقوله من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها والثاني ان ضللت فانما يكون ذلك على نفسي ولا يكون على انفسكم من ضلالي شيء
كقوله قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون ونحوه وقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي هذا يخرج
ايضا على وجهين احدهما وان اهتديت الى طاعة الله وشرائع الدين فبما يوحي الي ربي في ذلك اي فبوحيه اهتديت
الى ذلك والثاني وان اهتديت الى دينه وهدايته فبتوفيقه اياي وعصمته اهتديت اضاف الهداية الى الله والضلال
الى نفسه فهو لما ذكرنا ان كان من الله اليه لطف في ذلك ليس في ذلك في الضلال وعلى قول المعتزلة يجب ان يكون المعنى
فيهما واحدا لانهم يقولون انه لا يكون من الله سوى الامر والنهي فلا يكون منه اليه في الهداية الا ما كان منه اليه في الضلال
والله اعلم وقوله انه سميع قريب قال بعضهم سميع اي مجيب للداعي كقوله واذا سألك عبادي عني فاني قريب الآية وقال بعضهم
سميع لمقالتكم لهم حيث قالوا له لقد ضللت حين تركت دين آبائك قريب اي مجيب له وقيل سميع الدعاء قريب الاجابة
والله اعلم وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب اختلف فيه قال بعضهم وذلك انهم بعثوا بعثين
قاصدين تخريب الكعبة فلما بلغوا البيداء خسف باحدهما والآخر ينظر ويتقلب منهم مخبر فيحول وجهه في قفاه
فيخبرهم بما لقوا وذلك قوله ولو ترى اذ فزعوا عن الخسف والعذاب فلا فوت عن عذاب الله واخذوا من مكان قريب
اي من تحت اقدامهم يخسف بهم الارض وعلى ذلك يخرج قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون من تخريب الكعبة كما فعل
باشياعهم من قبل وهم اصحاب الفيل وعلى ذلك روي عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يغزو هذا البيت

احد ها ان
سال
ح

اذ الشرايع لا يدرك بمجرد العقل
دون الوحي السمعي فاما اصل التوحيد
مما يدرك دون الوحي
السمعي
ح

نزلت في الكفرة الذين قصدوا تخريب
الكعبة فانه ذكر في القصة
ان الكفرة بعثوا
شرح

بجيش
ح

جيش حتى اذا كانوا بالبيداء خسف بهم فلا ينفلت منهم الا واحد يخبر عنهم قال يا رسول الله وان كان فيهم المكره قال
قال رسول الله يبعثون على نياتهم وقال بعضهم قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وهو عند الموت يفزعون منه ولا فوت لهم
عنه واخذوا من مكان قريب اى على المكان والحسن يقول فزعوا من القبور فلا فوت يقول اخذوا عند ذلك وهو المكان
القريب وقال بعضهم ذلك عند الهيا ما يفزعون عند معاينتهم العذاب وانزعهم ذلك ولا يقولون الله وقالوا امنا به وهو
كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية وكقول فرعون حين ادركه الغرق امنت انه لا اله الا الذى امنت به
بنو اسرائيل ونحوه **وقوله** وانى لهم التناوش من مكان بعيد يقول التناول من مكان بعيد وقال بعضهم من مكان بعيد
انهم سالوا الرجعة والرد ان ينالوه من مكان بعيد قال من الاخرة الى الدنيا وقال بعضهم اى لا سبيل لهم الى الايمان فى ذلك
الوقت وقد كفروا به من قبل فى حال الدعة والرخاء فلم يؤمنوا وقال بعضهم من مكان بعيد اى من حيث لا ينال ولا يكون
فذلك البعيد كقول الله ولئك ينادون من مكان بعيد اى من حيث لا يكون ابدا ليس على ارادة حقيقة المكان وقتادة
يقول هو عند الموت وعند نزول العذاب بهم ليس من احد يبلغ ذلك الوقت الا وهو يؤمن ويتمنى الايمان لكن لا ينفعه
كقوله يوم ياتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية على ما ذكروا الله اعلم **وقوله** وقد كفروا به من قبل ويقذفون
بالغيب من مكان بعيد قال بعضهم معناه والله اعلم وذلك انهم كانوا فى الدنيا يكذبون بالاخرة ويكفرون بالغيب يقولون
لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ذلك قذفهم من بعيد وفى حرف ابن مسعود ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن
وقال بعضهم يقذفون بالغيب اى يتكلمون بالايمان من مكان تباعد عنهم فلا يقبل منهم وقد غاب عنهم الايمان عند
نزول العذاب فلم يقدروا عليه وحيل بينهم وبين ما يشتهون من قبول التوبة والايمان عند نزول العذاب بهم او عند
معاينتهم اياه كما فعل باشياعهم من قبل يقول كما عذب اولئك اوائلهم من الامم الخالية من قبل هؤلاء انهم كانوا
فى شك من العذاب والبعث والقيامة مريب وقال بعضهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون من اهل ومال وزهرة
وقال بعضهم فى قوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد هو قولهم هو ساحر هو شاعر كاهن والتناوش عند عامة
اهل التاويل التناول وقال بعضهم الرجعة والرد لانهم طلبوا الرجعة والرد الى الدنيا قال ابو عوسجة التناوش
التناول من موضع بعيد لا يكون من قريب والقتبى يقول وانى لهم التناوش اى تناول ما ارادوا وبلوغه وارادوا
ما طلبوا من التوبة من الموضع الذى لا يقبل فيه التوبة قال ابو معاذ والزجاج التناوش فى كلام العرب الطلب تقول ناشت
اليه اى طلبت منه لكن هذا ليس من باب التناوش **وقوله** وحيل بينهم وبين ما يشتهون هو ما ذكرنا من اختلافهم
منهم من قال بين الايمان والتوبة ومنهم من قال بين شهواتهم التى كانت لهم فى الدنيا لكن ان كان على الايمان والتوبة
فانما حيل بينهم وبين القبول للايمان والتوبة والا نفس الفعل قد اتوابه وان كان على الشهوات فهو على حقيقة حيلولة
الفعل وكذلك كان على تحزيبا لبيت على ما يقوله بعض اهل التاويل والله اعلم **وقوله** كما فعل باشياعهم من قبل
قال ابو عوسجة باشياعهم بامثالهم واشباههم فهو والله اعلم باشباههم وامثالهم فى التكذيب والجحود وكل بعضهم
هو من شيعة الرجل **وقوله** انهم كانوا فى شك مريب قال بعضهم انهم كانوا فى شك من العذاب بان غير نازل بهم
وقال انهم كانوا فى شك من البعث والاحياء بعد الممات وشكهم وريبهم لما استبعدوا الاحياء بعد الهلاك وبعد ما صاروا
رمادا فى هذه الجهة انكروا ثم لما يروا خلق الشئ للفناء خاصة لا لعاقبة وحكمة فارتابوا فى ذلك والله اعلم

سورة فاطر مكية وآيها اربعون وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض ما ذكر فى القران الحمد لله الا وذكر على اثره التعظيم لله والاجلال له
وذكر ما انعم به على الخلق ليلزمهم الشكر له والثناء عليه نحو ما ذكر الحمد لله فاطر السموات والارض ونحو ما قال الحمد لله
الذى له ما فى السموات وما فى الارض الاية ونحو قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض الاية وقوله الحمد لله الذى

الى الدنيا اى يؤمنوا به ويطيعوا له فى الاوامر والنواهى اذ ذلك ركنا عليهم اى تناوشها بعيد من مكان بعيد اى فى الدنيا شرح

على هذا التاويل اى حيل بينهم وبين قبول التوبة شرح

انزل على عبده الكتاب الاية وقوله الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الاية جميع ما ذكر فى القران من الحمد له ما ذكر على اثره
ما وجب التعظيم له والتبجيل والثناء عليه والشكر له تعليما منه الخلق الثناء على ذلك والشكر له وبالله المعونة والتوفيق
على ذلك **وقوله** فاطر السموات والارض قال بعضهم الفاطر هو المبتدئ والبادئ وهو قول القتبى من اهل الادب
وكذلك ذكر عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ما ادرى ما فاطر السموات والارض حتى جاء اعرابيان فاختصما
فى بئر فقال احدهما انا فطرتها انا بدأتها فصار ذلك عرفت [illegible] ويحتمل ان يكون الفاطر هو الشاق اى شق
السموات كلها من واحدة وكذلك الارضين كقوله اذا السماء انفطرت اى انشقت كما قال الله فالق الحب والنوى
اى الشاق فكان جميع ما اضيف الى الله من الشق والفطر والجعل وغيره من نحو قوله جاعل الملائكة رسلا على اختلاف
الالفاظ عبارة عن الخلق اى خالق ذلك كله واصل الخلق فى اللغة هو التقدير بخلقت اى قدرت وكذلك قال
الكسائى ان الفطر فى كلام العرب هو الشق معناه والله اعلم انه شق من السماء سبع سموات ومن الارض سبع ارضين ومنه يقال
حتى تفطرت قدماه **وقوله** جاعل الملائكة رسلا فى ظاهر الاية انه جعل جميع الملائكة رسلا فان كان على ذلك
فكانه ولى كل واحد منهم امرا من امور الخلق والعباد وان كان على البعض فيكون تاويله جاعل من الملائكة رسلا
اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع [illegible] يطيرون بها ليس كالطيور التى
تطير بجناحين لو زيد لها جناح او جناحان يمنعها عن الطيران كالاصبع الزائدة لبنى آدم تمنعهم عن فعل العمل
ولا تزيد لهم نفعا بل تنقص واما ما ذكر من زيادة الاجنحة للملائكة فذلك لا يمنعهم عن الطيران بل يزيد لهم
قوة وتقديرا على ذلك ثم قال يزيد فى الخلق ما يشاء قال بعضهم يزيد فى الملائكة على اربعة اجنحة ما يشاء الله
على كل شئ من خلق الاجنحة فى الزيادة قدير وذكر ان لاسرافيل ستة اجنحة وان لجبرئيل ستمائة جناح وذكر
عن ابن مسعود رضى الله عنه يقول رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل له ستمائة جناح وقال بعضهم
يزيد فى الخلق ما يشاء اى الصوت الحسن وقال بعضهم الشعر الحسن فهو فيما ذكروا من الزيادة فى الاجنحة اشبه
واقرب وهو على كل شئ قدير من الزيادة ولا يتعذر عليه شئ **وقوله** ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
عن ابن عباس من عافية وقال قتادة اى من خير وقال مقاتل وغيره اى من رزق كقوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة
من ربك اى من رزق وكله واحد ذلك الخير يشتمل على العافية والرزق وكذلك كل واحد من ذلك وقال بعضهم
الرحمة العيش والمطر وهو ما ذكرنا كله يرجع الى واحد من ذلك ثم قوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده يخرج على وجهين احدهما على تسفيه احلام الكفرة فى عبادتهم الاصنام التى كانوا
يعبدون من دون الله يقول والله اعلم تعلمون انتم انه لا يسركم مما تعبدون من دون الله من رزق او خير او كشف
ضر عنكم او سوء فكيف تعبدونها كقوله قل ارأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر الاية وقوله ان الذين
لا يملكون ذلك والله هو المالك لذلك كله فكيف صرفتم العبادة اليها عنه او يقول انكم تعلمون ان ما تعبدون
من الاصنام من دون الله لا يرزقونكم ولا يمنعون من الرزق ولا كانت منه اليكم سابقة نعمة فانما يعبد لاحدى
هذه الوجوه من نعمة سابقة [illegible] او سابقة خير او كشف ضر او دفع سوء او طمع فى العاقبة فاذا لم يكن
شئ من ذلك من الاصنام ومن الله ذلك كله فكيف صرفتم عبادته اليها وكقوله ان الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون هذا اذا كان قوله ما يفتح الله
للناس من رحمة راجعا الى الكفرة واذا كان ذلك راجعا الى المؤمنين فهو يخرج على وجهين احدهما فيه قطع الطمع
من الخلق والاياس عما فى ايديهم وان لا يرجوا من دونه ولا يخافوا غيره بل فيه الامر بان يروا ذلك كله من الله
وانه هو المالك لذلك دون الخلق والثانى قطع طمع الرزق من المكاسب والاسباب التى يكتسبونها [illegible]
من المكاسب [illegible] وان يروا رزقهم من فضل الله [illegible]
[illegible]

العافية تشتمل على الخير والرزق

وو فاء الرزق الى مضى الاجل فيجيء عدو من اعدائه فيقتله قبل انقضاء اجله واستيفاء رزقه فذلك منع
على قولهم عن وفاء ما ضمن وما جعل له من الملك والاجل وفي حرف ابن مسعود ما يفتح الله على الناس من رحمة وقوله
وهو العزيز الحكيم قد ذكرنا في غير موضع وقوله يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم
من السماء والارض كانه هو صلة ما تقدم ثم هو على التقرير والايجاب وان خرج مخرج الاستفهام في الظاهر كانه يقول
انكم تعلمون انه ليس من خالق غير الله وتعلمون انه هو رازقكم دون من تعبدون لا اله الا هو فانى تؤفكون اى لا اله
الا هو فما الذى حملكم على افككم وكذبكم انها شركاؤه وانها آلهة وانها شفعاؤكم عند الله وان عبادتكم اياها يقربكم
الى الله زلفى اى كتاب او رسول وانتم لا تؤمنون بكتاب ولا رسول فمن اين تؤفكون وتكذبون والله اعلم وقوله وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك معلوم انهم كانوا لا يكذبونه في قوله هل من خالق غير الله ولا في قوله ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده لانهم كانوا يعلمون انه ليس من خالق غير الله ولا فاتح رحمة
سواه اذ كان هو ممسكها ولا ممسك لها اذ كان هو مرسلها ولكن انما يكون تكذيبهم اياه فيما يخبر انه رسول الله
اليهم كذبوه في الرسالة او فيما يخبر انه وحي اليه من الله كذا او فيما يخبر عن البعث بعد الموت انه كائن وامثال ذلك
فاما فيما ذكرنا فلا وهو تعزية منه لرسوله ليصبر على تكذيبهم اياه ليعلم انه ليس باول مكذب بل قد كان لاخوانه
من قبل قد كذبوا من قبل فيما اخبروا قومهم عن الله فصبروا على ذلك فاصبر انت ايضا كقوله فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل الآية والله اعلم وقوله والى الله ترجع الامور والى الله يرجع تدبير الامور كلها اى لا تدبير للخلق
في ذلك ويقال الى الله يرجع الحكم في الامور هو الحاكم فيها كقوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله والله اعلم
وقوله يا ايها الناس ان وعد الله حق قال عامة اهل التأويل ان وعد الله حق اى البعث انه كائن لا محالة ويحتمل
ان يكون وعد الله حق فيما وعد من الثواب على الطاعات ووعده حق فيما اوعد من العقاب على السيئات
ان يكون والله الموفق وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا معنى قوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا والله اعلم اى لا تشغلنكم
الحيوة الدنيا عن ذكر الحيوة الآخرة او لا تنسينكم الحيوة الدنيا عن الحيوة الآخرة والا الدنيا لا تغر احدا في الحقيقة
وكذلك هي ليست بلعب ولا لهو ولا هي غارة ولكن يغتر اهلها بها لما غفلوا عما جعلت هي وانشئت وهو ما ذكرنا
انها جعلت زادا للآخرة وبلغة اليها فمن لم يجعلها زادا للآخرة ولا بلغة الى الوصول الى الآخرة ولكن جعلها
في غير ما جعلت هي وانشئت وهي الحيوة فيها والمقام بها صارت لعبا ولهوا وصارت غرورا اذ صيروها
كالمنشأة لنفسها لا للآخرة وهذا كما قال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم اخبر ان السورة كانت
تزيد لاهل الايمان ايمانا ولاهل الكفر والنفاق رجسا وعمى والسورة لا تزيد رجسا لمن ولا عمى في الحقيقة
لانه وصف القرآن بانه نور وانه هدى ورحمة وبرهان ولكن صار رجسا لمن اعرض عنه وكذب به ورده ولمن تلقاه
بالقبول واقبل اليه ونظر اليه بالتعظيم والاجلال له والخضوع فهو له نور وهدى ورحمة فعلى ذلك الدنيا وما فيها
من النعم واللذات اذا جعلها على غير ما جعلت هي وانشئت صارت لعبا ولهوا وغرورا بل لو جعلت هي على ما انشئت
مكان ما ذمت لكان حقا وصدقا لانه سمى نعيمها حسنة وخيرا وصلاحا ونحوه فلا يجوز ان يذم الحسنة والخير
بل حق الذم على اهلها حيث اغتروا بها وصيروها في غير ما صيرت وجعلت لغفلتهم عما جعلت هي وصرفهم اياها
الى غير الذى صرفت وجعلهم بها وعلى ذلك لا يجوز ذم الغنى والسعة والصحة والسلامة لان ذلك كله نعم
من الله انعمها على الناس فيجب ان ينظروا الى ما عليهم لله من الشكر في ذلك فيؤدوه وكذلك العز والثناء الحسن
ونحوه لا يجب ان يذم شيء من ذلك بل يذم من لم يعرف ان العز فيم انما العز في طاعة الله والعبادة له لا في معاصيه
فهؤلاء سموا معصية الله والعبادة له لا في معاصيه فهؤلاء سموا معصية الله عزا لجهلهم بالعز وكذلك الثناء الحسن
يجب ان يحمد ربه ويشكر له فيما ستر على الخلق فضائحه ومساويه حتى اثنوا عليه ما لو تبدى ذلك منه واظهر

لهم بوامنه

لهم بوامنه فضلا ان يثنوا عليه ويحمدوه فيجب ان يشكر ربه ويثني بما ستر على معاصيه وفضائحه والله الموفق
وقوله ولا يغرنكم بالله الغرور الغرور بفتح الغين هو الشيطان يقول لا يغرنكم بالله الشيطان ثم يحتمل قوله بالله
الغرور وجوها احدها لا يغرنكم بالله اى بكرمه وجوده يقول انه كريم وجواد عفو رحيم وذو عنكم ويعفوا عنكم معاصيكم
في مساويكم والثاني لا يغرنكم بالله الغرور اى بغناه يقول انه غني ما به حاجة الى عبادتكم اياه وفيما امركم به ونهاكم
عنه والثالث ان يكون قوله لا يغرنكم بالله عن طاعة الله وعبادته فتقصروا في ذلك جائز في اللغة الباء مكان عن
كقوله عينا يشرب بها عباد الله اى منها اذ لا يشرب بالعين انما يشرب عنها والله اعلم وقوله ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا يذكر هذا والله اعلم لان ما يدعوا الشيطان الخلق اليه في الظاهر يخرج مخرج الشفقة
والنصيحة كما يدعوا الاولياء لا انه يدعوهم الى قضاء شهواتهم ولذاتهم وما تهوى به انفسهم وان كان يضمر ويقصد به
هلاكهم الا يرى انه كيف اظهر لآدم وحواء من الشفقة لهم والنصيحة حيث قال ما نهاكما ربكما عن الشجرة الا ان تكونا
ملكين الى قوله لمن الناصحين ونحوه وكان قصده بذلك ما ذكر يوسوس لهما الشيطان الآية هذا كان يضمر ويقصد
في دعايته اياهما الى التناول من تلك الشجرة التي نهاهما ربهما فعلى ذلك فيما يدعوا الناس به الى قضاء شهواتهم وحاجاتهم
في الظاهر فهو يقصد بذلك هلاكهم لخلافهم المولى لا ما يظهر ويبدي لهم لذلك قال انه عدو لكم ليس يرى ما يخدع
عدوه اى كونوا عن دعايته واحذروا على حذر كما يحذر المرء دعاء عدوه انما يدعوا حزبه قال بعضهم اهل طاعته
وقال القتبي وعوسجة حزبه انصاره والحزب الانصار وقال بعضهم جنده وقال بعضهم حزبه ولاته الذين يتولاهم
ويتولونه وكله واحد ثم قوله انما يدعوا حزبه هو يدعو حزبه لكنه خص حزبه بالدعاء لهم لما ان حزبه
هم المجيبون له والمطيعون فاما غير حزبه فلا يجيبونه وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وكان
ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع لكن خص بانذار من اتبع الذكر لما ان متبع الذكر هو المنتفع به دون من لم يتبع لذلك خص
والله اعلم فعلى ذلك ما خص بدعايته حزبه لان حزبه هم المجيبون له والمطيعون وقوله ليكونوا من اصحاب السعير
قصده بدعائه حزبه الى ما يدعوهم ليكونوا من اصحاب السعير والا لو كان اظهر لهم الدعاء الى اصحاب السعير ما اجابوه
ولا اطاعوه ولكن دعاهم الى اعمال توجب لهم السعير او ليكون لهم عذاب السعير كقوله
وقوله الذين كفروا لهم عذاب شديد هو ظاهر والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر كبير قوله لهم مغفرة لما عملوا من غير الصالحات بعد ايمانهم او مغفرة لذنوبهم في الايمان واجر كبير لايمانهم
واعمالهم الصالحات وقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ليس لهذا الحرف في ذا الموضع جواب
فجائز ان يكون جوابه في قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على التقديم له كانه يقول والله اعلم افمن زين له سوء
عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء او ان يكون
قوله افمن زين له سوء عمله فلزمه كمن فتح له فانتهى عنه ليسا بسواء كقوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ذكر ان قوله او من كان ميتا فاحييناه نزل في عمر بن الخطاب
وقوله كمن مثله في الظلمات في ابي جهل فعلى ذلك الاول او ان يكون ما ذكر بديا على التقديم والتأخير وقوله
فان الله يضل من يشاء عن الهدى ويهدي من يشاء من الضلالة الى الهدى يضل من علم منه انه يختار الضلال
ويهدي من علم منه انه يختار الهدى وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على النهي اى لا تقتل
ولا تذهب نفسك عليهم حسرات اشفاقا على ما ينزل بهم بتركهم الايمان لان رسول الله كان ان يهلك نفسه
اشفاقا عليهم فنهاه عن ذلك كقوله والثاني على تخفيف الحزن عليه ورفعه عنه وتسليته اياه لانه كان يشتد به
الحزن لمكان كفرهم وتكذيبهم اياه وتركهم الايمان به ليس على النهي كقوله ولا تحزن عليهم وقد ذكرنا معناه
فيما تقدم مقدار ما حفظنا فيه والله اعلم وقوله ان الله عليم بما يصنعون هذا يخرج على وجهين احدهما ان الله
على علم بصنيعهم انشاهم لا عن جهل بما يكون منهم والثاني عليم بما يصنعون فلا يكافئهم فلا تشتغل بشيء مما يكون

منهم ولكن فوض ذلك الى الله واسلم اليه وقوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت
فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور اى كذلك يحيى الموتى بعد الموت وقد ذكرناه فيما تقدم وقوله من كان يريد
العزة فلله العزة جميعا قال بعضهم من كان يريد القوة والمنعة بعبادة الاصنام ومن عبد دونه فلله العزة جميعا
اى فعبادة الله وطاعته ذلك فى الدنيا والاخرة اى فمن عنده اطلبوا ذلك كقوله من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب
الدنيا والاخرة اى من عنده اطلبوا ذلك فى الدنيا والاخرة وقال بعضهم من كان يريد العزة اى العز والتعزز فلله
العزة جميعا اى فبالله يكون عز الدنيا والاخرة لا بالاصنام التى عبدتموها وقد كان منهم بعبادتهم الاصنام طلب الامرين
طلب العز كقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وطلب القوة والمنعة كقوله واتخذوا من دون الله الهة
لعلهم ينصرون فاخبر ان ذلك انما يكون بالله وبطاعته فمن عنده اطلبوا لا من عند من تعبدون دونه والله اعلم
وقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اختلف فيه قال قايلون اليه يصعد الكلم الطيب هو الوعد
الحسن والعمل الصالح يرفعه هو انجاز ما وعد اى انجز ما وعد من الوعد الحسن وفى ذلك رفع ذلك الانجاز الوعد
الحسن الذى وعد قال بعضهم اليه يصعد الكلم الطيب هو كلمة التوحيد وشهادة الاخلاص والعمل الصالح يرفعه
اى اخلاص التوحيد لله يرفع الكلم الطيب الذى تكلم به فعلى هذا التاويل لا يصعد الكلم الطيب اليه ما لم يخلص
ذلك لله وقال قايلون اليه يصعد الكلم الطيب هى كلمة التوحيد على ما ذكرنا والعمل الصالح يرفعه اى يرفع الله العمل
الصالح لصاحبه يعنى لصاحب الكلام الطيب فعلى هذا التاويل يصعد الكلم الطيب اليه دون العمل الصالح وبعض اهل
التاويل يرفع الكلام التوحيد الطيب العمل الصالح الى الله وبه يتقبل الاعمال الصالحة وظاهر الاية ان يكون العمل الصالح
هو الذى يرفع الكلم الطيب لكن الوجه فيه والله اعلم ما ذكرنا من الوجوه وبعضهم يقول ان العمل الصالح يرفع الكلام الطيب
والوجه فيه ما ذكرنا وقوله والذين يمكرون السيئات قال عامة اهل التاويل والذين يعملون السيئات وجايز ان يكون
ما ذكر من مكرهم السيئات هو مكرهم برسول الله وارادتهم اياه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك الاية ويمكر الله بهم فى الدنيا بالهلاك والقتل وفى الاخرة بالعذاب الشديد الذى حيث قال لهم عذاب
شديد فى الاخرة ومكر اولئك هو يبور اى هو يهلك من البوار وهو الهلاك وهو قتلهم ببدر والله اعلم وقوله والله خلقكم
من تراب خلقكم اى قدركم مع كثرتكم من اولكم الى اخر ما تنتهون اليه من التراب الذى خلق آدم منه اذ الخلق
فى اللغة التقدير وقوله ثم من نطفة اى قدركم ايضا مع كثرتكم وعظمكم من تلك النطفة يخبر عن علمه وتدبيره
فى تقديره ايانا مع كثرتنا فى ذلك التراب وفى تلك النطفة وان لم نكن نحن على ما نحن عليه فى ذلك التراب
وفى ذلك الماء ليعلموا ان من قدر على تدبير انشائنا وتقديركل من ذلك التراب والنطفة لا يعجزه شىء اوان يكون اضافة
ايانا الى ذلك التراب والماء لانه كان ذلك اصلنا ومبادى امورنا وكان المقصود بخلق ذلك التراب والماء والاصل
هذا الخلق وهو العاقبة وقد يذكر ويضاف العواقب الى المبادى وتنسب اليها اذا كان المقصود من المبادى العواقب
وله نظاير جد كثيرة وقد ذكرناه فى غير موضع وقوله ثم جعلكم ازواجا اى خلقكم من ذلك ذكرا وانثى ليسكن
بعضه الى بعض وجعلكم ازواجا اصنافا وفى حرف ابن مسعود والله الذى خلقكم من نفس واحدة ثم جعلكم ازواجا
والله اعلم وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه يقول والله اعلم ما تحمل من انثى من اول ما تحمل الى اخر
ما تنتهون اليه الا بعلمه السابق وكذلك لا تضع كل حامل من اول ما تضع الى اخر ما ينتهون اليه الا بعلمه السابق
انها تحمل كذا فى وقت كذا من كذا وانها تضع كذا فى وقت كذا يخبر عن علمه السابق من اول انشائهم الى اخر ما يكونون
وينتهون اليه انه كان كله بذلك التقدير الذى كان منه والله اعلم وقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب
قال بعضهم قوله ما يعمر من معمر اى ما يطول من عمر وان طال وما ينقص من عمره اى ما انقص وقصر من ذلك
ولم يطول الا فى كتاب اى الا كان ذلك كله فى الكتاب مبينا هكذا مطولا ومقصرا وقال بعضهم وما يعمر من معمر
اى من كثر عمره وطال او قل عمره فهو يعمر الى اجله الذى كتب له ثم قال ولا ينقص من عمره كل يوم

بعضكم

وكل ساعة

وكل ساعة حتى ينتهى الى اخر اجله الا فى كتاب فى اللوح المحفوظ مكتوب قبل ان يخلقه ان ذلك على الله يسير
قال صاحب هذا ان كتاب الاجال حين كتبه الله فى اللوح المحفوظ على الله هين وقال الاخر قريبا من هذا فى قوله
ولا ينقص من عمره فى جرى الليل والنهار والساعات الا فى كتاب وذلك ان الله تعالى كتب بكل نسمة عمرا تنتهى
اليه فاذا اجرى عليها الليل والنهار نقص ذلك عمرها حتى يبلغ ذلك اجلها فمن قضى له ان يعمر حتى يدركه الكبر
او عمر دون ذلك فهو بالغ ذلك الاجل الذى قضى له وكان ذلك فى كتاب ينتهون اليه ان ذلك على الله يسير يقول
قايل هذا ان حفظ ذلك على الله بغير كتاب يسير هين وجايز ان يكون قوله ان ذلك على الله يسير اى ان علم
ما ذكر وتقديره من اول ما انشاهم وتغيير احوالهم الى اخر ما يكونون وينتهون اليه يسير اى لا يخفى عليه وقوله
وما يستوى البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج فيه وجوه من المعتبر احدها يذكر ان لا يستوى
فى الحكمة الخبيث من الرجال والطيب منهم كما لا يستوى المالح من الماء والاجاج العذب منه والسايغ وقد استوى
الطيب من الرجال والخبيث فى منافع الدنيا وما كلاتها وفى الحكمة التفريق بينهما والتمييز دل ان هنالك دارا يميز
بينهما ويفرق اذ قد استويا فى منافع الدنيا وحظاها وفى الحكمة التفريق والتمييز لا الجمع والاستواء وذلك يدل
على البعث والثانى فيه ان المنشا من الاشياء فى هذه الدنيا والمخلوق فيها لم ينشيها لحاجة نفسه ولكن لحوايج
الخلاق ومنافعهم وما يكون لهم العبرة فى ذلك اذ من انشاء شيئا لحاجة نفسه انشا اللذ الاشياء واحلاها
وانفعها له لا مرا مالحا اجاجا ما لا ينتفع به يخبر عن غناه عما انشا من الاشياء ليعلم انه لم ينشيهما لحوايج نفسه
ولكن لما ذكرنا وهو على المعتزلة فى قولهم انه لم يخلق شيئا لا ينتفع به لا يفعل بهم الا ما هو اصلح لهم فى الدين اذ قد انشا
ماء اجاجا مالحا لا ينتفع به ليكون لهم العبرة فى ذلك والثالث فيه ترغيب فى ايمان الخبيث الكافر ودفع الاياس
عن توحيدهم وقطع الرجاء عن عودهم اليه حيث اخبر عما ياكلون من الماء المالح والاجاج والعذاب السايغ جميعا والحم
الطرى مما حقق مثله اذا القى فيه او فى مثله اللحم الطرى ان يفسد من ساعته ويذكرهم ايضا عن قدرته ان من قدر
على حفظ ما ذكر من اللحم الطرى فى الماء الذى لا يقدر على الذ نومنه والقرب فضلا ان يكون فيه حفظ ما ذكر
من الافساد فمن قدر على هذا لا يعجزه شىء ولا يخفى عليه شىء والرابع يذكر نعمه التى انعمها عليهم حيث قال ومن كل
تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها يذكر عظيم نعمه وقدرته حيث جعل البحار مسخرة مذللة يقدرون
على استخراج ما فيها من الحلى والجواهر والوصول الى المنافع التى هى وراء البحار وقطعها بسفن وانشاءها لهم
واجراها فى الماء الراكد الساكن برياح تعمل عمل جريان الماء بل الاعجوبة فى اجراء السفن بالرياح فى المياه الراكدة
الساكنة اعظم واكثر من جريانها على جرية الماء لانها فى الماء الجارى لا تجرى الا على الوجه الذى يجرى الماء وفى البحار
تجرى بريح واحدة من الاسفل الى الاعلى ومن الاعلى الى الاسفل حيث شاؤا دل ان الاعجوبة فى هذا اكثر واعظم
ومن ملك هذا لا يعجزه شىء او ان يكون المثل الذى ذكر فى البحرين احدهما عذب ماؤه والاخر اجاج ماؤه يكون العمل
الصالح وهو التوحيد والعمل السيء وهو الكفر يقول كما لا يستوى فى الفضل الماء العذب والماء المالح
فعلى ذلك لا يستوى العمل الصالح والعمل السيء وقوله وترى الفلك فيه مواخر قال بعضهم مواخر تجريان
احديهما مقبلة والاخرى مدبرة بريح واحدة ويستقبل احديهما الاخرى وقال بعضهم المواخر هى التى تشق الماء
ويقطعه من مخر يمخر وقد ذكرناه فيما تقدم وقوله لتبتغوا من فضله هذا يدل ان ما يصاب بالاسباب
والمكاسب انما هو فضل الله اذ قد يكتسب ولا يكون منه شىء والله اعلم وقوله يولج الليل فى النهار ويولج النهار
فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يذكر هذا لاهل مكة لانكارهم الصانع وانكارهم البعث وانكارهم
الرسل لانهم كانوا فرقا ثلثة منهم من ينكر الصانع والتوحيد ومنهم من ينكر البعث ومنهم من ينكر الرسل ففى الاية
دلالة اثبات الصانع وتوحيده وفيها دلالة البعث والانشاء بعد الموت وفيها دلالة اثبات الرسالة اما دلالة
اثبات الصانع والوحدانية له اتساق الليل والنهار والشمس والقمر وما ذكر وجريانها وجريان الامور كلها

على سنن واحد وميزان واحد وقدر واحد من اول ما كان الى آخر ما يكون من غير زيادة او نقصان
يدخل فيه او تقديم او تاخير يكون فيه يدل على ان لذلك كله صانعا مدبرا انشاه ودبر كل شيء على ما كان وحفظ
كله على ميزان واحد اذ لو كان ذلك بنفسه لكان لا يجري على حد واحد ولا ميزان واحد بل يتفاوت ويتفاضل
وكذلك لو كان فعل عدد لكان يتقدم ويتاخر ويتغير ويمتنع ويذهب باسا على ما يكون فعل العدد من الملوك ان ما اراد
الآخر نفسه ومنعه وما اراد هذا نفيه وابطاله اراد الآخر اثباته وذلك معروف فيهم من مخالفة بعض بعضا فدل اتساق
ما ذكرنا وجريانه على تدبير واحد انه فعل واحد وتدبير واحد لا عدد وبالله القوة ودل ذهاب الليل وتلفه بكليته
حتى لا يبقى له اثر وكذلك ذهاب ضوء النهار ونوره وكذلك الشمس والقمر واتيان الآخر بعد تلفه انه يبعث
اذ لم يكن بعث كان تدبير ذلك كله وتقديره لعبا باطلا وان من قدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت وانه لا يعجز
شيء فاذ ثبت ما ذكرنا لا يحتمل ان يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهى ولا يمتحنهم بانواع المحن فلا بد من رسول يامر وينهى
ويخبر عما لهم وعليهم وفيه ان مدبر ذلك كله عليم حكيم ثم يخبر ان الذي فعل ذلك كله هو ربكم الذي له الملك
يقول الذي فعل هذا كله لا الاصنام التي عبدتم دونه وسميتموها آلهة فكيف صرفتم العبادة اليها والالوهية وما تعبدون
من دونه لا يملكون ما ذكر حيث قال والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يسفه احلامهم في عبادة من عبدوا دونه
على علم منهم انهم لا يملكون ما ذكر وصرفهم العبادة عن الله على علم منهم ان ذلك من الله وهو المالك لذلك ثم يخبر عن عجز
من عبدوه حيث ان يدعوهم لا يسمعوا دعاءكم يحتمل ان تدعوهم على حقيقة الدعاء لا يسمعوا دعاءكم حقيقة ولو سمعوا
ما استجابوا لكم اي لو سمعوا دعاءكم ما يملكون اجابتكم في دفع ضر وسوء ولا في جر نفع او ان يكون قوله ان تدعوهم اي تعبدوهم
لا يسمعوا دعاءكم اي لا يجيبوكم الى ما تقصدون بعبادتكم اياهم وان يقول ما قبلوا ذلك عنكم ولا نفعكم فيه والله اعلم **وقوله**
ويوم القيامة يكفرون بشرككم يتبرؤون يوم القيامة ان يكونوا شركاءهم او امروهم بذلك كقوله سيكفرون بعبادتهم
الآية وقوله ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ونحوه والله اعلم
وقوله ولا ينبئك مثل خبير اي لا ينبئك احد مثل الذي انبائك الخبير في الصدق والحق او ان يكون قوله ولا ينبئك
مثل خبير اي لا يكون نبأ احد مثل نبأ الخبير فاعمل به واقبل اليه ولا تقبل عن نبا غيره والله اعلم وفي قوله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وجهان من اللطف احدهما يتلف حتى يذهب اثره ويأتي بالآخر او يزيد في هذا
وينقص من الآخر ويدخل من ساعات هذا في ساعات الآخر وفيه نقض قول الثنوية في قولهم ان منشئ الخير غير منشئ
الشر ويقولون ان النور من منشئ الخير والظلمة من منشئ الشر فلو كان ما ذكروا لكان اذا ذهب النور وجاءت
الظلمة هي الغالبة والنور هو المغلوبة في يدها وكذلك النور اذا جاء وذهبت الظلمة صارت هي مقهورة مغلوبة
في يدي النور والنور هو الغالب عليها فاذا صار مغلوبا مقهورا في يدي صاحبه يجوز ان لا يقدر على استنقاذ نفسه
من يده ابدا على ما يكون من عادة الاعداء اذا غلب بعضهم بعضا وقهر بعضهم بعضا ان يهلك ولا يتخلص منه
فاذ لم يكن ولكن جاء كل واحد منهما في وقته بعد ذهابه باثره على التقدير الذي ذكرنا دل انه فعل واحد
وتدبير واحد لا تدبير عدد وبالله الحول والقوة والقتبي يقول القطمير هو الفوفة التي يكون فيها النواة وابو عوسجة
يقول هو القشرة الرقيقة التي يكون بين لحم التمر وبين نواتها واحده وجمعه سواء **وقوله** يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله والله هو الغني الحميد فيه وجوه من الدلالة احدها انه انما امركم ونهاكم وامتحنكم بانواع المحن لحاجتكم وفقركم
اليه لا لحاجة وفقر له في ذلك فان ائتمرتم واطعتم فالى انفسكم ترجع منفعة ذلك وان عصيتم فعلى انفسكم
يلحق ضرر ذلك كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها والثاني يقول تعلمون ان فقركم وحاجتكم
الى الله لا الى الاصنام التي تعبدونها واتخذتموها آلهة فكيف صرفتم العبادة والشكر الى من تعلمون انكم لا تحتاجون
اليه ولا تفتقرون والثالث يامرهم بقطع اطماعهم من الخلق لانه خاطب الكل واخبر انكم جميعا فقراء الى الله الطامع
والمطموع فيه فاقطعوا طمعكم ورجاءكم من الخلق واطمعوا ذلك من الله فانه الغني الحميد والخلق جميعا فقراء

اي خالق ذلك كله هو الله تعالى الذي له الملك والقدرة دون الذين عبدتم من الاصنام وسميتموها آلهة سره

القطمير هو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها كشاف

الفوفة لحمة البيضاء في باطن النواة التي تنبت فيها النخلة سره

اليه

اليه يؤيسهم عن الطمع والرجاء عن الخلق والله اعلم **وقوله** ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد يخبر عن غناه وقدرته
لو شاء اذهبكم لتعلموا انه لم ينشئكم ولا امركم ولا نهاكم لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن لحاجة انفسكم **وقوله** وما ذلك
على الله بعزيز يحتمل هذا وجهين احدهما لا يعز ولا يثقل عليه ذهابكم وفناؤكم لانه لم ينشئكم لحاجة نفسه فذهابكم
وفناؤكم وبقاؤكم عليه واحد والثاني لا يصعب عليه ولا تعز اذهابكم واحياؤكم ولا يعجزه شيء يخبر عن قدرته
والله اعلم **وقوله** ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء كان هذا صلة قوله
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الآية يؤيسهم ليقطعوا اطماعهم يومئذ عن تناصر بعضهم بعضا وتحمل بعضهم مؤن
بعض وشفاعة بعضهم بعضا على ما كانوا يفعلون في الدنيا كان ينصر بعضهم بعضا في الدنيا اذا اصابهم شيء ويفدي
بعضهم عن بعض ويشفع بعضهم بعضا كانوا يحتالون مثل هذه الحيل في الدنيا ليدفعوا عن المتصلين بهم الضرر فاخبر
ان ليس لهم ذلك في الآخرة كقوله ولا يقبل منها عدل ولا ينفعها شفاعة ولا هم ينصرون **وقوله** واخشوا يوما
لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا مثله كثير يؤيسهم عن ان يكون لهم في الآخرة ذلك
والله اعلم **وقوله** انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب هذا يخرج على وجهين احدهما انما ينتفع بالانذار الذين
يخشون ربهم بالغيب فاما من لا يخشى ربه فانه لا ينتفع به والا كان منذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع ومن خشي ربه ومن لم يخش
والثاني كانه يقول انك تنذر غير الذي اتبع الذكر وغير الذي خشي ربه فانما يتبع انذارك ويقبله الذي خشي ربه واتبع
ذكره والله اعلم **وقوله** ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه اي من عمل خيرا فانما يعمل لنفسه او من جاء بالتوحيد والاعمال
الصالحة فانما يصلح امره وعمله يثاب عليه والى الله المصير قد ذكرنا في غير موضع فائدة تخصيص ذكر المصير اليه
والمرجع اليه في ذلك اليوم وان كانوا صائرين اليه في كل وقت **وقوله** وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ضرب هذا المثل يخرج على وجوه احدها شبه الاصنام التي كانوا
يعبدونها بالاعمى والظلمة والميتة والحرور وحقيقة لانها كذلك عميان موتى لا نور فيها يقول والله اعلم انكم تعلمون
ان الذي تعبدون من دون الله عميان لا بصر لهم ولا نور ولا حيوة ولا شيء من ذلك وان الله هو البصير ومنه يكون
كل خير ونفع فكيف اخترتم عبادة من هذا سبيله على عبادة الله تعالى وبالله الهداية والعصمة والثاني شبه
اولئك الكفرة بالعميان والظلمة والموتى وما ذكر والمؤمن بالبصير والنور والظل والحيوة ليس على ارادة حقيقة
البصر والحيوة وما ذكر لان لهم بصرا يبصرون وهم احياء فيقولون نحن بصراء والاحياء وانتم العميان والاموات
وما ذكر لكن شبههم بالعميان والموتى لانه لا حجة لهم ولا برهان على عبادتهم الاصنام وهم يعلمون انه لا حجة لهم
ولا برهان على ذلك من كتاب او رسول او نحوه انما هو هدى يهوون ذلك وللمؤمنين في عبادتهم الله حجة
وبرهان فمن كان له حجة في عبادته فهو بصير حي نور ومن له ذلك فهو اعمى ميت والثالث يذكر هذا
دلالة على البعث لانهم يعلمون ان الخلق ليس كلهم على حد واحد وحالة واحدة بل فيهم العميان والبصراء
وفيهم الاحياء والاموات وفيهم ما ذكر وقد استووا جميعا في منافع هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق
بينهم والجمع فلا بد من دار اخرى سوى هذه يفرق بينهم اذ في الحكمة والعقل التفريق لا الجمع والله اعلم **وقوله**
ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ذكر قوله ان الله يسمع من يشاء على ان قوله وما انت بمسمع
من في القبور انما اراد به الكافر ثم اخبر ان رسوله لا يسمع لما لا يقدر على ذلك وليس عنده ذلك اذ لو كان
بيانا مبينا ودعاء على ما تقوله المعتزلة لكان يسمع ويبين ويقدر على ذلك فاذ لم يقدر رسول الله
على ذلك دل ان عند الله لطف وشيء لم يعطهم فاذا اعطاهم ذلك اهتدوا وآمنوا وكذلك هذا في قوله
انك لا تهدي من احببت ولو كان بيانا على ما تقوله المعتزلة لهدى من احب وقد احب فلم يهتد دل ان عند الله
شيء لو اعطى ذلك لاهتدى ولم يكن ذلك عند رسوله وهو التوفيق والعصمة وهذا ينقض على المعتزلة قولهم
ان الله قد اعطى كل كافر ما به يهتدي لكنه لم يهتد ثم لا يحتمل قوله ان الله يسمع من يشاء على القسر والقهر

حتى يثاب عليه سره

والموتى وما ذكر سره

دون الميت حقيقة في القبور ثم اخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع من في القبور ولا يقدر على ذلك سره

لانه لا ايمان ولا هدى يكون في حال العسر والقهر دل لا يحتمل وقوله انما انت الا نذير هذا يحتمل وجهين
احدهما ليس عليك الا الانذار باللسان كقوله ان عليك الا البلاغ وقوله ما على الرسول الا البلاغ وانت لا تؤاخذ
بتركهم قبول الانذار كقوله ما عليك من حسابهم من شيء الآية وقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل الآية ويحتمل الانذار
بالسيف بامره اياه بالقتال معهم حتى يؤمنوا وان كان على هذا فهو يحتمل النسخ يؤمر بالقتال في وقت ولا يؤمر
في وقت واما النذارة باللسان فهو لا يحتمل النسخ ابدا والله اعلم وقوله انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا
يحتمل قوله بالحق اي بالتوحيد اي ارسلناك لتدعو الناس الى توحيد الله او ارسلناك بالحق اي بالحق الذي
لله عليهم وما لبعض على بعض او ارسلناك بالحق اي الحق وهو البعث الذي هو كاين لا محالة وقوله بشيرا ونذيرا
اي بشيرا بالجنة لمن آمن بالله واجابك ونذيرا بالنار لمن عصاه وخالف امرك وترك اجابتك هذا
يدل على انه لم يرد في قوله انما انت الا نذير انه نذير خاصة ليس ببشير وقوله وان من امة الا خلا فيها نذير
قال بعضهم ليس من اصناف الخلق وجواهرهم على اختلاف جواهرهم واصنافهم الا وقد خلا لهم نذير يأمر
وينهى ويمنع ويبيح كقوله وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم الآية اخبر ان الخلق
على اختلاف اصنافهم وجواهرهم امم امثال البشر يتحملون ما يتحمل البشر من الامر والنهي والنذارة والبشارة
وقال بعضهم ذلك راجع الى الجن والانس خاصة ليس الى الكل لانهما هما المخصوصان بالخطاب والنطق والعقل
وغير ذلك وفيهما ظهر بعث الرسل والنذر ولم يظهر ذلك في غيرهما فكانه قال وان من امة من هذين الفريقين
الا خلا فيهما نذير والله اعلم وقوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات يعزي
رسوله ويصبره على تكذيب قومه اياه يقول لست انت باول مكذب من الرسل بل قد كذب باخوانك الذين
من قبل بعد ما جاءوا بالبينات والزبر اي بالكتب المنيرة اليهم فمع ما جاءوهم بذلك كذبوهم فصبروا على تكذيبهم
فاصبر انت ايضا على تكذيب قومك والله اعلم وقوله ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي ثم اخذت
الذين كذبوا رسلهم بالتكذيب فآخذ قومك على تكذيبهم اياك ايضا يذكر هذا ليصبر على ذلك ولينفي حزنه على تكذيبهم
اياه او يذكر زجرا لقومه عن تكذيبهم اياه فينزل بهم من العذاب ما نزل باولئك بالتكذيب وقوله فكيف
كان نكير قال بعضهم فكيف كان انكاري وقال بعضهم عذابي ودل قوله وبالكتاب المنير قوله الله نور السموات
والارض اي منير السموات والارض بما سمى الكتاب في غير آي من القرآن نورا هو نور بما ينير القلوب والصدور وقوله
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها الى آخر ما ذكر فيه فوايد من الحكمة احدها
انه جعل عز وجل طبع الماء مما يلاوم ويوافق طباع هذه الثمرات على اختلاف جواهرها والوانها حتى يكون حيوة كل شيء
منها وقوامه بهذا الماء وكذلك جعل طبع هذا الماء ملايما موافقا طباع جميع الخلايق من البشر والدواب والطير
والوحش وجميع الحيوان على اختلاف جواهرهم واصنافهم وغذايهم حتى صار هو غذاء وحيوة لهم وقياما به ليعلم
ان من ملك هذا وقدر لتوفيق هذا بهذا على اختلاف ما ذكرنا من الجواهر والاصناف والاغذية وتدبيره لا يعجزه
انشاء شيء لا من شيء ولا يخفى عليه شيء وفي ذلك دلالة البعث ان من بلغت قدرته وتدبيره وعلمه هذا المبلغ
لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء والثاني انه انشا ما ذكر من مختلف الاشياء والجواهر بهذا الماء وجعله سبب الحيوة
ما ذكر من البشر والدواب وغيره من غير ان يكون في ذلك الماء الذي انشا ذلك منه وجعله سببا لحيوتهم من اثر
ذلك فيه او من جنسه ليعلم انه لم يكن انشا هذه الاشياء بهذا الماء ولا جعله سببا لها على الاستعانة به
والتقوية بل اعلاما للخلق اسباب مطالب الغذاء والفضل لهم اذ لو كان على الاستعانة وجعله سببا له
في انشاء ذلك لكان يكون تلك الاشياء مشاكلة للماء مشابهة له دل انه جعل ذلك سببا للخلق في الوصول
الى ما ذكرنا من الاغذية لهم من غير ان يرزقهم من تلك الاسباب والمكاسب ولكن من فضل الله والثالث
انه انشا هذه الفواكه والثمرات مختلفة الوانها وطعمها لما علم من البشر من الملالة والسآمة من نوع واحد ولو واحد

وهذا قول بعض اهل البدعة

مما يلاوم صح

لكانت هذه صح

ليتم

ليتم نعمه عليهم بتأدى بذلك الشكر عليها والله اعلم وقوله ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب
سود قال بعضهم انشا الجبال ايضا مختلفة من بيض وحمر وغرابيب كما انشا الثمرات والدواب والحيوان
كلها مختلفة وقال بعضهم ذلك وصف وصفها بالسود للطرق التي انشاها في الجبال ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه كاختلاف الجبال والثمار وكذلك وغرابيب جمع غربيب وهو الشديد السواد يقال اسود
غربيب وهو قول القتبي وابو عوسجة ورجل غربيب الشعر اي اسود الشعر ومأخذه من الغراب لانه اسود والجدد الخطوط
والطرايق في الجبال وقال ابو عوسجة الجدة الخط والجدد جمع الخطوط يقال جددت اي خططت يقال ثوب جديد
وثياب جدد ومن الجبال جدد اي طرايق مختلفة الوانها بعضها ابيض وبعضها احمر وبعضها غرابيب وهي سود
يذكر قدرته وتدبيره ان الجبال مع غلظها وشدتها وارتفاعها جعلها بحيث يتطرق فيها في صعودها وهبوطها
من قدر على هذا لا يعجزه ولا يخفى عليه شيء او يذكر نعمه عليهم حيث سخرها لهم ليقضوا فيها حوايجهم فيما بعد منهم
وصعب عليهم والله اعلم وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء هذا يحتمل وجوها احدها ان الذي يحق
على العالم بالله ان يكون هو يخشاه لما يعلم من سلطانه وهيبته وقدرته وجلاله والثاني ان العالم بالبعث
والمؤمن به وهو يخشى مخالفة الله في اوامره ونواهيه لما يعلم من نقمته ومناه من خالفه وعصى امره فاما من يعلم
بالبعث ولم يؤمن به فلا يخاف كقوله والذين آمنوا مشفقون منها وقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
ويجوز او ان يكون قوله انما يخشى الله من عباده العلماء عباده عن جملة المؤمنين يقول والله اعلم انما يخشى الله من عباده
المؤمنون به المصدق قول عذابه ونقمته فاما من لم يؤمن به فلا يخافه كما ذكرنا في قوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور
ان في ذلك لآيات لكل مؤمن ويكون الصبار والشكور كناية عن المؤمن فعلى ذلك هذا محتمل وقال اهل التاويل
على التقديم والتاخير اي اشد الناس لله خشية اعلمهم بالله والخشية قال الحسن هي الخوف الدايم اللازم في القلب
غير مفارق له والله اعلم وقوله ان الله عزيز غفور قال بعضهم العزيز المنتقم من اعدايه والغفور لذنوب
المؤمنين وقال بعضهم عزيز في ملكه ومن دونه ذليل غفور اي ستور على ذنوب المؤمنين وقوله الذين يتلون
كتاب الله واقاموا الصلوة يحتمل ما ذكر من تلاوة الكتاب ههنا ما ذكر في آية اخرى حيث قال يتلونه حق تلاوته
واقاموا ما فيها من الامر بالصلوة والامر بالزكوة او ان يكون قوله يتلون كتاب الله اي يتبعون كتاب الله فيما فيه
من ما لهم وما عليهم يتبعون كله من الاقدام على الحلال والاجتناب عن الحرام والمشفقون بكتاب الله الذين
اتبعوا ما فيه من اقامة الصلوة والانفاق مما رزقوا فاما من تلا ولم يتبع ما فيه فكانه لم يتل وهو كما نفى عنهم
هذه الحواس من البصر والسمع واللسان وغيره لتركهم الانتفاع بها وان كانت لهم تلك الحواس حقيقة واثبتها
للمؤمن لما انتفع بها وان لم تكن له تلك حقيقة فعلى ذلك يحتمل الاول والله اعلم وقوله واقاموا الصلوة وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية يحتمل قوله سرا وعلانية في كل حال وكل وقت لا يتركون الانفاق على كل حال
كقوله اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء اي ينفقون على كل حال ويحتمل وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية اي يتصدقون الصدقة ظاهرا وباطنا اي ما ظهر للناس وعلموا به وما خفي عنهم واستتر
لما قصدوا بها وجه الله لا لمراءاة الخلق فمن كان تصدق بالخيرات وجه الله لا لمراءاة الخلق فعلمهم به وجهلهم
سواء ولا يمتنع عن ذلك ابدا والله اعلم وقوله يرجون تجارة لن تبور سمى ما يبذل العبد لله تجارة وان كان
ذلك له في الحقيقة لطفا منه واحسانا وكذلك ما ذكر من ايفاء الاجر لهم على اعمالهم حيث قال ليوفيهم
اجورهم وذلك ليس في الحقيقة اجرا لما لا يستوجبون الاجر قبله بتلك الاعمال لما عليهم من الشكر فيما انعم
عليهم من انواع النعم ومتى يتفرغون عن شكر ما انعم عليهم حتى يكون ذلك اجرا لهم لكنه عز وعلا بفضله وانعامه
وعد لهم الثواب والاجر على حسناتهم واعمالهم الصالحات افضالا منه وانعاما منه وسمى ذلك تجارة كانه ليس
ذلك له في الحقيقة ترغيبا منه للخلق على ذلك وتحريضا لهم في ذلك والله اعلم ويزيدهم من فضله على ذلك ايضا

اي مخطط

لعل هذا التاويل يدخل تحت الآية ثم يعمل بالكتاب وان لم يقراه بلسانه وعلى الوجه الاول لا يدخل ما لم يقرأه بلسانه صح

وقوله انه غفور شكور يحتمل قوله غفور اي ستور لمساويهم شكور اي مظهر لحسناتهم بادخاله اياهم الجنة
ليعلم لعداته كان محسنا لا مسيئا او غفور يمحو عن مساويهم شكور يقبل اليسير من العمل القليل منه
ويجزيهم على ذلك الجزيل من الثواب والله اعلم وقوله لن تبور قال ابو عوسجة والقتبي لن تبور اي لن تفنى
او لن تكسد يقال بارت التجارة تبور فهي بائرة اذا كسدت ليوفيهم اجورهم من الايفاء يقال اوفيته حقه اي اعطيته
كله وقوله والذي اوحينا اليك يا محمد من الكتاب وهو القرآن هو الحق انه من عند الله مصدقا لما بين يديه
اي موافقا للكتب التي قبله ثم يكون وفاقها اياها باحد شيئين اما في الاخبار والانباء ان يوافق الانباء والاخبار
التي في القرآن انباء الكتب المتقدمة واخبارها ويصدق بعضها بعضا فكذلك كانت الكتب كلها داعية
الى توحيد الله والعبادة له والطاعة او يوافق الاحكام فان كانت الموافقة في الاحكام ففيها الناسخ والمنسوخ
لكنه لم يجعل في حق الناسخ والمنسوخ مختلفة الا ترى ان في القرآن ناسخا ومنسوخا ثم اخبر انه لو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولو كان الناسخ والمنسوخ خلافا في الحقيقة لكان من عند غير الله على ما اخبر
دل ان بينهما وفاق ليس باختلاف وقال بعضهم ان محمدا يصدق ما قبله من الكتب والرسل وهو ما ذكرنا ان جميع الكتب
والرسل انما دعوا الخلق الى توحيد الله وعبادته وقوله ان الله بعباده لخبير بصير اي لخبير بصير بما به مصالحهم
او لخبير بصير اي على علم وبصيرة منه بتكذيب اقوام رسلهم بعث الرسل اليهم لا عن جهل منه بذلك وذلك لا يخرجه
عن الحكمة كما قال بعض الملحدة انه ليس بحكيم من بعث الرسل الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته فهكذا لو كان بعث
الرسل لحاجة المرسل ومنفعته يكون ارساله وبعثه الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته فاما الله سبحانه وتعالى
يتعالى عن ان يرسل الرسل لحاجة له او منفعة بل لحاجة المبعوث اليه والرسل لم يخرج تحمله برده وتكذيبه
عن الحكمة والتوفيق بالله او ان يكون قوله لخبير بصير يخرج على الوعيد اي عالم باحوالهم وافعالهم ليكونوا
ابدا على حذر ومراقبة والله اعلم وقوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات اختلف فيه قال بعضهم فمنهم ظالم لنفسه هو ممن اخبر انه اصطفاه للهدى
من متبعي محمد ولهم اصحاب الكباير في قول بعض وقال بعضهم هم اصحاب الصغاير وقال بعضهم هم اصحاب الكباير
والصغاير جميعا ومنهم من يقول هو في الناس جميعا المتبع له وغير المتبع ثم اختلف في قوله ظالم لنفسه
قال بعضهم هو المنافق الذي اظهر الموافقة لرسوله واضمر الخلاف له وقال بعضهم هم اليهود والنصارى
فقد امنوا به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به وقال بعضهم هم المشركون وقد اقسموا لئن جاءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الامم فهولاء كلهم في النار وما ذكر من الاصطفاء والاختيار على قول هولاء يكون
لرسول الله حيث بعث اليهم ليدعوهم الى توحيد الله والاشبه ان يكون قوله فمنهم ظالم لنفسه من امته
ومن متبعي رسوله ما روي في الخبر عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه ثبت قال تلا رسول الله هذه الاية فقال
اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم
لنفسه فيحبس حتى يظن انه لن ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة ثم قال رسول الله وهم الذين قالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن الاية وكذلك روي عن انس وعايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثبت عنه
فهو تاويل الاية وتفسير الظالم من اهل التوحيد والملة والمقتصد قال بعضهم هو الذي يخلط عملا صالحا
بعمل سيئ كقوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقال بعضهم هو الذي يقوم باداء
الفرائض والاركان واما غيره فلا والسابق يخرج على وجهين احدهما سابق بالخيرات كلها لا تقصير فيه
ولا نقصان او سابق بالخيرات فيه تقصير ونقصان وقد ذكرنا هولاء الفرق الثلاث في غير موضع والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الاية ثم قال وآخرون اعترفوا بذنوبهم وقال وآخرون مرجون لامر الله فالذين
اعترفوا بذنوبهم هم المقتصد والآخرون هم الظالم لنفسه وقال في موضع آخر والسابقون السابقون اولئك

فليس الا هو الموافقة من حيث الظاهر فان كثيرا من الاحكام صار منسوخا في كتابنا فكيف ... حلالا في كتبهم وصار حراما في كتابنا فكيف يكون بينهما موافقة من حيث الظاهر الاحكام شرعت لمصالح العباد والمصالح تختلف باختلاف الاوقات فقد يكون المصلحة في وقت في الحل وفي وقت في الحرمة فكان من حيث المصلحة ... وان كان من حيث نفس الحل والحرمة مختلفا تمه

المقربون

المقربون في جنات النعيم وقال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود الى آخر ما ذكر وقال
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال فوقه ظاهر هذا ان اصحاب الشمال هم المكذبون حيث ذكر في آخر هذه السورة
الفرق الثلاث حيث قال فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين ففي ظاهر هذا الظالم لنفسه هو المكذب والكافر في قوله
واصحاب الشمال فظاهره ما ذكر في سورة التوبة انه من اهل التوحيد حيث قال وآخرون مرجون لامر الله الاية
والله اعلم بذلك وقوله باذن الله يحتمل بعلم الله ويحتمل بمشية الله وقوله ذلك هو الفضل الكبير
يقول والله اعلم هذا الذي اورثناهم من الكتاب هو الفضل الكبير كقوله وكان فضل الله عليك عظيما
او يقول ادخالهم الجنة فضل منه كبير وروي عن عمر رضي الله عنه قال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات قال الا ان سابقنا سابق وان مقتصدنا ناج وان ظالمنا مغفور له وقال عثمان بن عفان
رضي الله عنه الا سابقنا اهل الجهاد منا وان مقتصدنا اهل حضرنا وان ظالمنا اهل بدونا وابن عباس رضي الله عنهما
يقول الظالم لنفسه كافر وعن الحسن قال الظالم لنفسه المنافق وهو هالك واما السابق والمقتصد فناجيان
وقوله جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ذكر التحلي
فيها بالذهب واللؤلؤ ولبس الحرير وليس للرجال رغبة في هذه الدنيا في التحلي بذلك ولا لبس الحرير
اللهم الا ان يكون للعرب رغبة فيما ذكر فخرج الوعد لهم بذلك والترغيب في ذلك وهو ما ذكر من الخيام
فيها والقباب والغرفات وذلك اشيا تستعمل في حال الضرورة في الاسفار وعند عدم غيرها من المنازل
والغرف عند ضيق المكان فاما في حال الاختيار ووجود غيره فلا لكنه خرج ذلك لهم لما لهم في ذلك
من فضل ورغبة الا ترى انهم قالوا لولا القي عليه اساورة من ذهب ذكروا ذلك لما ان ذلك عندهم فضل
قدر ومنزلة ورغبة في ذلك ويذكر هذا لهم في الجنة اعني الذهب والفضة والحرير وما ذكر
ليس على ان هذا مما يشابه جمالا او يماثله في الجوهر على التحقيق سوى موافقة الاسم لما روي في الخبر انه فيها
يعني في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبالك بشر على ما ذكر وما ذكر ايضا ان ما في الجنة
لا يشبه ما في الدنيا او لا يوافقه الا في الاسم او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله وقالوا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن قال بعضهم انما يقول هذا الظالم لنفسه الذي ذكر في قوله فمنهم ظالم لنفسه انهم يحبسون
على الصراط حبسا طويلا او يحاسبون حسابا شديدا فيطول حزنهم بذلك ثم يؤذن لهم بالدخول في الجنة
فعند ذلك يقولون ذلك ويحمدون ربهم على ذهاب ذلك الحزن عنهم وقال بعضهم لا ولكن يقول هذا
كل مسلم اذا دخل الجنة لما يخاف كل مسلم في الدنيا ويحزن على تبعاته ومساويه لما لا يدري الى ما ذا يكون مصيره
ومرجعه واين مقامه في الآخرة فلما ادخل الجنة امن ما كان يخافه في الدنيا ويحزن عليه وسلم من تلك
الاخطار حمد ربه عند ذلك وقال بعضهم ذلك الحمد انما يكون منهم لما ذهب عنهم غم العيش والخبز الذي كان لهم
في الدنيا اذ كل احد يهتم لعيشه في الدنيا فلما دخل الجنة ذهب ذلك عنه فعند ذلك يحمد ربه
وقال بعضهم يحمدون ربهم لما يامنون الموت عند ذلك اذ ذكر في الخبر انه يؤتى بالموت يوم القيامة
على صورة كبش فيذبح بين ايديهم فعند ذلك يامنون الموت والله اعلم وقوله ان ربنا لغفور شكور لمساوي
من غفران كان منهم ما يستوجبون المغفرة شكور لحسناتهم حيث قبلها منهم واعطاهم الثواب وقال اهل
التاويل غفور لذنوبهم شكور يعطيهم الجزاء الجزيل بالعمل القليل وقوله الذي احلنا دار المقامة من فضله
دار المقامة لما لا يتمنى التحول منها ولا الانتقال كقوله لا يبغون عنها حولا وقوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب ليس من صاحب نعمة في هذه الدنيا وان عظمت الا وهو يمل منها ويسأم ويتمنى التحول منها
والانتقال وكذلك ليس من لذة وان جلت في هذه الدنيا الا وهي تعقب آفة وتعبا فاخبر ان نعيم ولذاتها

الا ترى انه ذكر عقيبه جنات عدن الاية تفسيرا لقوله هو الفضل الكبير

ذلك في الجوهر سوى موافقة الاسم

مما لا يتمنى ولا يبتغى التحول منها ولا لذاتها يعقب اذى ولا تعبا ولا اعياء وجايز ان يكون قوله لا يمسنا
فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وذلك ان مثل حل بقرابته وبالمتصلين شي في هذه الدنيا من آفاتها
يهتم لذلك ويتكلف دفع ذلك عنهم فاخبر انهم اذا حلوا في دار المقامة لا يهيبهم شي من ذلك والله اعلم وقال
بعضهم في قوله ان ربنا لغفور شكور شكرهم ما كان منهم اليهم وغفر لهم ما كان منهم من ذنب وفي حديث رفع
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان ربنا لغفور شكور قال شكر الله للمؤمن اليسير من الحسنات وغفر لهم
الذنوب العظام والنصب الاذى ويقال العناء واللغوب التعب وقوله والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا اى لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا فيستريحوا من عذابها ولا يخفف عنهم من عذابها وفي قوله
ولا يخفف عنهم من عذابها نقض قول الجهم وابي الهذيل المعتزلي اما قول جهم لانه يقول انقطاع العذاب عن اهل
النار فاخبر انه لا يخفف عنهم العذاب فلو كان يحتمل الانقطاع يحتمل التخفيف فاذ اخبر انه لا يخفف العذاب
عنهم دل انه لا ينقطع وكذلك قول مالك لهم انكم ماكثون لما طلبوا منه التخفيف ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
واما على قول ابي الهذيل فانه يقول ان العذاب قد يفتر عن اهل النار ويصير بحال لو اراد الله ان يزيد في عذابهم
شيئا ما قدر عليه وكذلك يقول في لذات اهل الجنة انها تصير بحال وتبلغ مبلغا لو اراد الله ان يزيد لهم شيئا منها
ما قدر عليه فظاهر الاية يكذبهم ويرد قولهم حيث قال ولا يخفف عنهم من عذابها وقوله وكذلك نجزي
كل كفور لنعمه وجاحد وحدانيته وقوله وهم يصطرخون فيها قال بعضهم يصيحون فيها قال بعضهم الاصطراخ
الاستغاثة اى يستغيثون واصطراخهم قولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل يفزعون اولا
الى كبرائهم الذين تبعوهم في الدنيا يطلبون منهم دفع بعض ما هم فيه من العذاب والتخفيف عنهم حيث قالوا
انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء فاجابوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص وقال في آية اخرى انا كل فيها الاية فلما ايسوا وانقطع رجاؤهم بالفرج من عندهم فزعوا عند ذلك
الى خزنة جهنم حيث قالوا ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات فلما ايسوا
منهم وانقطع رجاؤهم فزعوا الى مالك يطلبون منه ان يسال ربه ليقضي عليهم بالموت حيث قال ونادوا
يا مالك ليقض علينا ربك فلما ايسوا سالوا ربهم الاخراج عنها ليعملوا غير الذي عملوا حيث قالوا ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فاحتج عليهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اى ولم نعمركم فيها من العمر
مثل العمر الذي يتعظ به من يتعظ فهلا اتعظتم فيه ما اتعظ من اتعظ فيه وقد عمرناكم مثل الذي عمرنا
اولئك وكلام نحو هذا وجاءكم النذير قال بعضهم جاءكم الرسول وانذركم هذا فقد كذبتموه وقال بعضهم
وجاءكم النذير اى الشيب ومعناه والله اعلم اى قد رايتم وعاينتم تغير الاحوال في انفسكم من حال الى حال من حال
الصغر الى الكبر ومن الشباب الى الشيب ثم الرد الى ارذل العمر فهلا اتعظتم به كما اتعظ اولئك فذوقوا ما انذركم به
الرسل فما للظالمين من نصير وقوله ان الله عالم غيب السموات والارض هذا يخرج على وجهين احدهما على الوعيد
والتخويف اى هو عالم بالاشياء التي لم يمتحنها بمحن ولا امرها باموره ولا نهاها بمناهيه فالذين امتحنهم بانواع المحن
وامرهم باوامره ونهى بمناهيه احق ان يكون عالما بهم والثاني انه على علم بما يكون من خلق السموات واهل الارض
خلقهم وبعث اليهم الرسل من التكذيب لهم والرد عليهم لا عن سهو وجهل بما يكون منهم ليعلم انه انما بعث اليهم
الرسل لحاجة انفس المبعوث اليهم والمنفعة لهم في ذلك لا لحاجة المرسل والباعث والمنفعة له لذلك لم يخرج
البعث اليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد للرسالة الا على الحكمة وفي الشاهد على السفه لان في الشاهد
انما يبعث الرسل الى من يبعث لحاجة نفسه والمنفعة له في ذلك فخرج البعث اليه على علم منه بالتكذيب
والرد عليه سفها وباطلا ومن الله حكمة وحقا والله اعلم وقوله انه عليم بذات الصدور وكان ذات الصدور
هم البشر خصهم بعلم ما يكون منهم لانهم اهل تمييز وبصر وامتحان فيخرج ذلك مخرج الوعيد لهم والتحذير

يؤيد هذا ما اخبر الله عنهم بقوله يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون — صح

واما غيرهم

واما غيرهم من الدواب ونحوها فلا محنة عليهم ولا تمييز لهم لذلك خص هؤلاء بذلك وان كان عالما بالكل
بذات الصدور وغير ذات الصدور والله اعلم وقوله هو الذي جعلكم خلائف في الارض فان كان المخاطبون به اصحاب
رسول الله وامته فيخبر انه جعلهم خلائف من تقدم منهم من القرون والامم الماضية بعد ما اهلكوا واستؤصلوا
وان كان المخاطبون به بني آدم كلهم فيخبر انكم خلف من تقدمكم من الجن والملائكة لانه ذكر ان الجن كانوا سكان الارض
قبل بني آدم فجعلوا خلائف الجن ثم وجه الحكمة في جعل بعض خلائف بعض وانشاء قرن بعد فناء آخر وافناء
آخر بعد انشاء آخر وجوه احدها ان يعرفوا انه انما انشاهم لعاقبة تقصد وتتامل حيث انشا قرنا
ثم افناهم ثم انشا غيرهم ولو لم يكن في انشائهم الا هذا كان انشاؤه اياهم للفناء خاصة اذ من بنى
في الشاهد بناء للنقض والفناء لا لعاقبة تقصد به كان في بنايه عابثا سفيها فعلى ذلك انشاء هؤلاء
في هذه الدنيا لو لم يكن لعاقبة كان الانشاء للفناء وذلك عبث غير حكمة والثاني ان يعرفوا ان الدنيا
ليست هي بدار قرار ومقام انما هي مجعولة دار الآخرة وبلغة اليها ومسلكا لها ومنزلا ينزل فيها
ثم يرتحل كالمنازل المجعولة للنزول فيها في الاسفار والتزود منها ثم الارتحال لا للمقام فيها فعلى ذلك
الدنيا جعل لما ذكرنا لئلا يطمئنوا اليها ولا يركنوا ويعملون عمل من يريد الارتحال منها لا عمل المقيم فيها
والثالث ان يعرفوا ان الالام التي جعلت فيها واللذات ليست بدائمة ابدا بل على شرف الزوال والتحول لان في الحيوة
لذة وفي الموت الما فلو دامت اللذة ولا الالم لانه احيا قرنا ثم افناهم ثم احيا قرنا آخر وافناهم فلا دامت
اللذة ولا الالام ولكن انقضيا ليعلموا انهما لا يدومان ابدا ولكن يزولان والرابع ان يعتبروا بمن تقدم منهم
من القرون انه على ماذا يكون الثناء الحسن ويبقى الاثر والذكر الجميل وباي عمل ينقطع ويفنى ذلك
فمن كان من متبعي الرسل ودعاة الخير والتوحيد والطاعة فيبقى له اثر الخير والثناء الحسن والذكر
الجميل ومن كان من اتباع اهل الكفر والشر لم يبق لهم شيء من ذلك ليعلموا بالذي يبقى لهم الثناء الحسن
ويعقب لهم الذكر لا الذي يقطع ذلك والله اعلم وقوله فمن كفر فعليه كفره اى عليه ضرر كفره
ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا الاية اى لا يزيد كفرهم بالله وبرسوله وعبادتهم
الاصنام الا مقتا وخسارا لانهم كانوا يعبدونها رجاء ان تشفع لهم يوم القيامة ورجاء ان تقربهم
عبادتهم الى الله زلفى يقول والله اعلم لا يزيد ذلك لهم الا مقتا من ربهم وخسارا او يكون اعمالهم التي
عملوا في هذه الدنيا من صلة الارحام والقرب التي رجوا منها الربح والنفع في الآخرة لا يزيد
ذلك لهم الا مقتا وخسارا والله اعلم وقوله قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني
ماذا خلقوا من الارض ظاهر قوله قل اروني امر لكنه يخرج على وجهين احدهما على الايجاز
اى لا يقدر ما تعبدون من دونه خلق السموات والارض ولا اشراكه في خلق السموات والارض
ولا انزال كتاب من السماء ليامرهم بذلك بل الله هو الخالق لذلك كله وهو القادر عليه فكيف صرفتم
العبادة عنه والالوهية الى من هو عاجز عن ذلك كله والثاني على التنبيه والتعيير لهم والتسفيه
لاحلامهم يقول والله اعلم انكم تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها دون الله وتسمونها آلهة لم يخلقوا
شيئا مما ذكر ولا لهم شرك في ذلك ولا لكم كتاب يبيح لكم ذلك ويأذن لكم وتعلمون ان الله
هو الفاعل لذلك كله حيث قال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولا لهم كتاب
في ذلك لان الكتاب جهة وصوله اليه الرسول وانتم لا تؤمنون بالرسل فكيف عبدتموها وتركتم
عبادة من تعلمون انه الفاعل لذلك والقادر عليه وقوله ماذا خلقوا من الارض يحتمل جواهر
الارض نفسها ويحتمل الخارج منها مما به معاشهم وقوامهم وكذلك قوله ام لهم شرك في السموات
يحتمل في جواهرها ويحتمل ما ينزل عنها مما به معاشهم وارزاقهم وقوله فهم على بينات منه

ثم ينقطع ذكرهم — نسخة

ثم يحصل لهم الثناء الحسن — نسخة

اى على حجة وبيان منه وقوله بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضاً الا غروراً يحتمل وعدهم الذى
ذكر لبعضهم بعضاً ما قالت القادة منهم والرؤساء للاتباع هولاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وما لبسوا هم على الاتباع من امر الكتاب والرسول هو ساحر وانه مفترى وامثال ذلك مما يكثر
عدده فذلك كله منهم تغرير للاتباع وقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا
ان امسكهما من احد من بعده يحتمل ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله ارونى ماذا خلقوا من الارض فان كان
على هذا فيقول تعلمون ان الله هو رافع السموات والارض والممسك لهما والمانع عن ان تزولا
عن مكانهما لا يقدر احد على ازالتهما ولئن ازالهما عن مكانهما لم يملك احد اعادتهما ولا امساكهما سواه
فكيف تعبدون دونه من لا يملك ذلك وان يكون صلة قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض الاية كادتا ان يتفطرن وتنشق حين قالوا لله ولد وله شريك فاذا قالوا اتخذ الله ولداً كادتا
ان تزولا من مكانهما وتسقطا عليهم لعظيم ما قالوا فى الله سبحانه وجايز ان يكون لا على الصلة بشئ مما ذكر
ولكن على الابتداء فان كان على الابتداء فهو يخبر عن قدرته وسلطانه حيث رفع السماء وامسكها فى الهواء
مع غلظها وشدتها بلا عمد من تحت ولا شئ من فوق يمنعها عن الانحدار والزوال عن مكانها والاقرار
على ذلك والتقرير وفى الشاهد ان ليس فى وسع احد من الخلايق امساك الشئ فى الهواء ولا اقامته
الا باحد هذين السببين اما من تحت واما من فوق وكذلك الارض حيث دحيها وبسطها على الماء ومن طبعها
التسرب والتسفل فى الماء لا القرار عليه حيث لا يخفى مكان منها الا ويخرج منه الماء فدل تقرير الارض
على الماء وامساك السماء فى الهواء بلا شئ يقرهما ويمنعهما عن التسفل والانحدار انه الواحد القادر
بذاته لا يعجزه شئ وقوله انه كان حليماً غفوراً حليماً حين لم يرسل السموات عليهم لعظيم فريتهم على الله
والقول فيه بما لا يليق به سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً وحيث لم يعجل بعقوبتهم
فى الدنيا غفوراً رحيماً حيث ستر عليهم ذلك ولم يفضحهم فى الدنيا والله اعلم وقوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم قال بعضهم جهد ايمانهم هو قسمهم بالله ومعناه والله اعلم ان العرب كانت من عادتهم
انهم كانوا يحلفون بالاباء والطواغيت لا يحلفون بالله الا فيما عظم امره وجل قدره تاكيداً لذلك لامر لذلك
كان قسمهم بالله جهد ايمانهم وقد ذكرنا معنى جهد الايمان فيما تقدم وقوله لئن جاءهم نذير
قيل رسول ليكونن اهدى من احدى الامم فيه دلالة انهم قد وقعت لهم الحاجة ومستهم الضرورة
الى رسول يبين لهم امر الدين وما به مصالحهم وما لهم وما عليهم حيث اقسموا وعهدوا انه لو جاءهم
نذير لاتبعوه واقتدوا به ثم نقضوا ذلك العهد لما لم يروا اهلاً لذلك لما كان هو دونهم فى امر الدنيا
استكباراً منهم عليه ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم او ان تركوا اتباعه
ونقضوا عهدهم لما راوا مذاهب الناس مختلفة فظنوا ان الاختلاف يرفع من بينهم به فاذ لم يرتفع
تركوا اتباعه او لمعنى آخر لا نعلمه والله اعلم وقوله ليكونن اهدى من احدى الامم قال بعضهم يعنون
اليهود والنصارى وجايز ان يكونوا ارادوا بذلك الامم جميعاً لكنهم لم يروا الحق الا لواحدة منها فقالوا
ليكونن اهدى من احدى الامم والله اعلم وقوله فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفوراً استكباراً فى الارض
لما ذكرنا وقوله ومكر السيئ يحتمل مكرهم ما مكروا برسول الله من انواع المكر حين هموا قتله واخراجه
كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ويحتمل ايضاً ما ذكر انه لما خرج ودعا الناس
الى توحيد الله قعدوا على الطرق والمراصد اناساً يقولون لمن قصد رسول الله انه ساحر وانه كذاب
وانه مجنون يصدون الناس بذلك عنه فذلك كيدهم ومكرهم به وقد كان منهم برسول الله
من انواع المكر سوى ذلك مما لا يحصى وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله يحتمل قوله ولا يحيق المكر السيئ

بما قالوا للرسول انه ساحر ومفترى انه مفترى سنه

امساكهما

ثم تركوهم ذلك العهد سنه

الا باهله هو فى الدنيا من انواع العذاب والقتل الذى نزل بهم ويحتمل ان يكون ذلك
فى الاخرة والله اعلم وقوله فهل ينظرون الا سنة الاولين وقال بعضهم ما ينظرون
الا سنة فى الاولين وسنته فى الاولين الاستيصال والاهلاك عند العناد والمكابرة وقال بعضهم
ما ينظرون بايمانهم الا سنة الاولين وسنة الاولين الايمان عند معاينتهم العذاب وان كان
لا يقبل ولا ينفعهم ذلك كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية وقوله فلن تجد
لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا هذا يحتمل وجوها احدها لن تجد لسنة الله وهى
الاستيصال عند العناد والمكابرة تحويلا وان اختلفت جهة الهلاك والاستيصال كقوله يضاهئون
قول الذين كفروا من قبل وقوله تشابهت قلوبهم لا شك ان نفس القول منهم مختلف فى الكفر
وسببه متفرق ثم اخبر ان قول هولاء ضاهى قول اولئك وتشابهت قلوب بعض بعضاً
وان كان سبب ذلك وجهة الكفر مختلفا فعلى ذلك سنته لا تحول ولا تبدل وهى الاستيصال
وان كان جهة ذلك وسببه مختلفا والثانى فلن تجد لسنة الله التى سن فيهم وحكم مدفعا
ولا مرداً اى لن تجد والى دفع ما سن فيهم وحكم من العذاب والهلاك ولا رداً كقوله ولا يجدون
عنها محيصاً والثالث فلن تجد لسنة الله وهى ايمانهم الذى يؤمنون عنده معاينتهم العذاب
وعند نزوله بهم تحويلا وتبديلا اى يؤمنون لا محالة ولكن لا ينفعهم ذلك فى ذلك الوقت
والرابع ان كل سنة سن فى كل قوم وكل امة وان اختلفت لن تجد لذلك تحويلا ولا تبديلا والله اعلم
وقوله اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذا يخرج على وجوه احدها
قد ساروا فى الارض ونظروا الى ما حل باولئك بالتكذيب فى العناد لكن لم يتعظوا بهم ولم ينفعهم ذلك
والثانى على الامر ان سيروا فى الارض وانظروا اما الذى نزل باولئك وبم نزل واتعظوا بهم واتبعوا
عن مثل صنيعهم والثالث انهم وان ساروا فى الارض ونظروا فى آثارهم لم ينفعهم ذلك والله اعلم
وقوله وكانوا اشد منهم قوة اى انهم كانوا اكثر عدداً منكم واشد قوة وبطشاً ثم لم يمكن لهم دفع ما نزل بهم
وحل فانتم يا اهل مكة مع قلة عددكم وضعفكم لا تقدرون على دفع ذلك عن انفسكم وقوله وما كان الله
ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض الاعجاز فى الشاهد يكون بوجهين احدهما الامتناع يقول لا يقدر
احد ان يمتنع عنه ومن عذابه والثانى القهر والغلبة يقول لا يسبق منه بالقهر والغلبة بل هو القاهر
والغالب على خلقه انه كان عليما قديرا وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا اى بما كسبوا من المعاصى
والمساوى ما ترك على ظهرها من دابة اى على ظهر الارض ووجهه اكتفاء بما سبق من ذكر الارض وهو قوله
ان الله يمسك السموات والارض او علم الناس وفهموا من ذكر الظهر ظهر الارض لما على ظهر الارض يكتسب
ما يكتسب ثم قوله ما ترك على ظهرها من دابة قال بعضهم المراد بالدابة الممتحنون المميزون وهم بنو آدم
خاصة لانهم اهل اكتساب واجتراح اذ قد ذكر الاهلاك بما يكتسبون وهم اهل الاكتساب دون غيرهم
من الدواب وقال بعضهم كل دابة من البشر وغيره لان غيره من الدواب انما انشئت للبشر ولحوايجهم لا لحاجة
انفسها والمنفعة لها حيث قال هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقوله وسخر لكم ما فى السموات
وما فى الارض جميعا منه فاذا كان غيره من الاشياء منشاة لهم فاذا اهلكوا هم اهلك ما كان منشاة
لحوايجهم ولمنافعهم ولا يكون اهلاك ما ذكرنا من الدواب خروجا عن الحكمة على ما يقول الثنوية اذ ليس
من فعل الحكيم الامر بذبح اسلم الدواب والانتفاع بلحمها قيل هكذا اذا كانت تلك منشاة لا لنفسها ولمنافعها
فاما اذا كان ما ذكرنا انها منشاة لنا ولمنافعنا فجايز الانتفاع بها مرة بعينها ومرة بلحمها ولا يكون فعل
ذلك ولا الامر به غير حكمة ثم الفرق بين اباحة الانتفاع بلحم اسلم الدواب وحظر لحم الصالح

لو لم يبح لنا الانتفاع بها يمتنع الاكثر عن حفظها فيهلك الكل فابيح اهلاك البعض لبقاء الجنس كالقصاص فى بنى آدم سنه

ثم الحكمة فى الفرق

منها والمضرة لانه جعل حفظ ما ليس بضار ولا مضر الينا وعلينا جعل مؤنتها والذب عنها ودفع المضرة فاما الضارة منها والمضرة فهى ممتنعة بنفسها متحملة مؤنتها كذلك كان ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اى لم يؤاخذهم بما كسبوا على ظهرها لما جعل لهم من المدة احب ان يستقصى ذلك وبقى ما جعل لهم من المدة وما ضرب لهم من الوقت فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا اى عن بصيرة وعلم بكسبهم وصنيعهم وما يكون منهم ضرب لهم المدة والوقت الذى ينتهون اليه ويبلغون اجالهم لا عن جهل بل لم يزل عالما بما يكون منهم لكن لما كان ضرر ذلك الذى علم انه يكون منهم راجعا اليهم انشاهم وجعل لهم المدة وقد ذكرنا هذا فى غير موضع والله اعلم قال القتبى ساوزيجع سواد وهو الذى يجعله المراة فى معصمها والنصب الشدة والتعب واللغوب الاعياء ويقال لعبت بنفسى الغب لغوبا فانا لاغب والعبقرى اى كلفته حتى اعياه وهو قول ابى عوسجة والاصطراخ صياح الفجر والمقت البغض

سورة يس مكية وآيها ثمانون واثنتان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يس والقرآن الحكيم عن ابن عباس رضى الله عنه قال يا انسان يعنى محمدا اقسم به يا محمد ان هذا القرآن من عند الله نزل وهو بلسان الحبشة وقال بعضهم وهو بلسان طى وقتادة يقول قسم اقسم بالقرآن انك لمن المرسلين ويقول كل هجاء فى القرآن فهو اسم من اسماء القرآن وقال بعضهم هو من فواتح السور وقال بعضهم فواتح يفتتح بها كلامه وقال بعضهم اسم من اسماء الرب وعن معاذ بن جبل وكعب رضى الله عنهم قالا يس قسم اقسم الله به يا محمد انك لمن المرسلين على صراط مستقيم دل ان الخطاب به عن اثر قوله يس على انه هو المراد بقوله يس اذ لا يستقيم الخطاب بقوله انك لمن المرسلين الا على سبق خطاب له وذكر اسم وقال عكرمة هو حرف من الهجاء الذى فتح به السور كساير حروف الهجاء وقال بعضهم هو من حروف الهجاء التى اقسم الله بها بما يتلو تلك الحروف من القرآن والايات والكتاب اذ من عادة العرب القسم بكل ما عظم خطره وجل قدره فان قيل كيف اقسم بالقرآن وهم كانوا ينكرون القرآن انه من عند الله قيل انهم وان كانوا ينكرونه فقد عظم قدره وجل خطره عندهم بما عجزوا عن اتيان مثله بعد قرع اسماعهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية ونحوه والثانى اقسم به وان كانوا ينكرونه لما ان قسمه به يحملهم على السؤال عنه اذ كانوا لا يقسمون الا بما عظم قدره وجل خطره يقولون ما هذا القرآن الذى اقسم ربنا به الا ترى انه قال تنزيل العزيز الرحيم فكانه على سؤال خرج على هذا انه تنزيل العزيز الرحيم او ان يكون القسم به وبغيره من الاشياء التى عظم خطرها عندهم على اضمار القسم برب هذه الاشياء وبالهها هذا على قول من يقول بان القسم بالله حقيقة لا بتلك الاشياء مستقيم وعلى قول من يجعل القسم بها لا على الاضمار وما ذكرنا **وقوله** الحكيم اى المحكم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على ما وصف وقال بعضهم المحكم بالحلال والحرام والوعد والوعيد من غير ان يكون فيه اختلاف وقال بعضهم الحكيم لان من تمسك به وعمل بما فيه يصير حكيما **وقوله** انك لمن المرسلين ولم يقل انك لرسول وكلاهما سواء غير ان فى قوله انك لمن المرسلين الذين امنوا بهم من قبل وصدقوا بهم زيادة ليس ذلك فى قوله انك لرسول والله اعلم **وقوله** على صراط مستقيم قال بعضهم المستقيم القايم وتاويله القايم بالحجج والبراهين ليس بالهوى كساير الاديان والسبل وقال بعضهم المستقيم المستوى اى مستو على ان من سلكه افضاه الى الله وبلغه الى دار السلام وقال بعضهم المستقيم الى مستقيما بالحق والعدل والصدق لا زيغ فيه ولا جور ولا عدول ولا اعوجاج ويحتمل ان يكون ذلك وصف النبوة والرسالة

سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية كوفى واثنتان وثمانون مكى ومدنيات وشامى وبصرى اختلافهما آية يس كوفى فى كتاب سراج المنير

يس يعنى محمدا اقسم به انه هذا القرآن من عند الله نزل وهو اسم الرجل بلسان الحبشة سرة

فيسمعون ويروا عيانا ليتركوا برسالته صلى الله عليه وسلم سرة

التى تقدم ذكرها ويحتمل وصف الدين وذلك عامة قول اهل التاويل والله اعلم **وقوله** تنزيل العزيز الرحيم اى ذلك القرآن الذى اقسم به هو تنزيل العزيز الرحيم اى من عنده نزل والحكم سمى نفسه عزيزا رحيما عظيما لطيفا باطنا اولا آخرا وفى الشاهد من وصف بالعز لا يوصف بالرحمة ومن وصف بالعظم لا يوصف باللطافة ومن وصف بالظاهر لا يوصف بانه باطن ومن وصف بالاول لا يوصف بالاخر ليعلم ان المعنى الذى وصف به الخلق غير الذى وصف به الرب تبارك وتعالى غير ما يوصف به الخلق تعالى الله علوا كبيرا **وقوله** لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اختلف فيه قال بعضهم لتنذر قوما مثل الذى انذر اباؤهم من الايات التى اقامها فلم يقبلوها فهم غافلون ابيونه وقال بعضهم لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اى لتنذر قوما اميين لم ينذر اباؤهم من قبل يقول قائل لم يكن لتنذر للاميين من قبل كانه يقول لتنذر قوما اميين لم ينذر اباؤهم الاميون من قبل ولذلك قالوا لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وهو كقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وقوله وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اى لم نرسل اليهم قبلك نذيرا واصله انه يخبر انه لا ينجع فى هؤلاء النذارة كما لم تنجع فى ابائهم بل هم غافلون ثم الانذار يحتمل ان يكون بالنار فى الاخرة والتعذيب بها ويحتمل بالايات التى اقامها فى الدنيا والقتل فيها والله اعلم **وقوله** لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون قيل هو قوله لابليس حيث قال لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ومن الجنة والناس اجمعين اى حق ذلك القول ووجب ثم يحتمل ذلك فى الذين ذكره بعض اهل التاويل ان نفرا هموا برسول الله وقتله واذاه فاهلكهم الله يوم كذا الا واحدا او اثنين ويحتمل ذلك فى جميع مكذبيه ورادى رسالته وتاركى اتباعه ولا شك ان اكثر من بعث هو اليهم كان كذلك لهم فى الاخرة او فى قوم خاص علم الله انهم لا يؤمنون ابدا الا ترى انه قال على اثر ذلك وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ثم فى قوله لاملان جهنم وقوله لقد حق القول على اكثرهم نقض قول المعتزلة ورد عليهم لانه وعد عز وجل انه يملأ جهنم بمن ذكر فيقال لهم اراد ان يفى بما وعد ام لا فان قالوا لم يرد فيقال لا اراد ان يخلف ما وعد وذلك وحش من القول سرف وان قالوا اراد ان يفى بما وعد لزمهم ان يقولوا اراد فعالهم التى فعلوا فيلزمهم قولنا وبالله العصمة **وقوله** انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون يحتمل ان يخرج على التمثيل ويحتمل على التحقيق فان كان على التمثيل فهو وصفه اياهم بالبخل والكف عن الانفاق على الفقراء والمساكين واهل الحاجة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك نهاه عن البخل والكف عن الانفاق كمغلول اليد لا يقدر على الانفاق ليس على ارادة غل اليد حقيقة ولكن على ترك الانفاق فعلى ذلك جائز ان يكون ذلك وصفا لهم بالبخل وترك الانفاق عليهم وان كان على حقيقة الغل والاعناق يحتمل ما قاله اهل التاويل ان ابا جهل لعنه الله حلف لئن راى محمدا ليدمغنه فاتاه ابو جهل وهو يصلى ومعه حجر فرفع الحجر ليدمغ به النبى صلى الله عليه وسلم فيبست يده الى عنقه والتزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه قال رجل انا اقتله فاخذ الحجر فلما دنا منه طمس الله بصره فلم ير النبى وسمع قراءته فرجع الى اصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فذلك قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا ويحتمل ان يكون ذلك لهم فى الاخرة ان كان على التحقيق وهو كقوله اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونحو ذلك مما ذكر فيكون قوله جعلنا اى سنجعل ذلك لهم وذلك جائز فى الكلام كقوله لعيسى حيث قال واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اى يقول له يوم القيامة فهو بعيد غير معقول فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من قوله انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا

وجعلنا من بين ايديهم سدًّا الى آخره ما ذكر في الآخرة اي سيجعل لهم في الآخرة ذلك ويحتمل ان يكون
فَعَلَ ذلك بهم في الدنيا من قصدهم برسول الله ما قصدوا حتى لم يجدوا السبيل اليه لا من بين يديه
ولا من خلفه ولا من جهة من الجهات او ان يكون قوله وجعلنا من بين ايديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فاغشيناهم
فهم لا يُبصرون على التمثيل اي جعلنا بينهم وبين الحق سدًّا من امامهم ومن خلفهم فاغشينا ابصارهم فلا يبصرون
الحق ابدًا وذلك في القرآن كثير والله اعلم وقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالًا فهي الى الاذقان الغُلّ يكون
طوقه في العُنُق وطوقه الآخر في اليد فيكون اليد اليمنى مغلولة الى العُنُق وعلى ذلك ذُكر في حرف ابن مسعود
انه قرا انا جعلنا في ايمانهم اغلالًا وفي بعض الحروف في ايديهم اغلالًا وقوله فهم مقمحون قال بعضهم
رافعوا رؤوسهم الى السماء لانه كذلك يكون اذا غُلّ عُنُق المرء الى الذقن لا يستطيع ان ينظر الى الارض ولذلك
قيل للابل اذا شربت الماء اقمحت اي رفعت راسها وقال بعضهم الاقماح هو غض البصر وقال ابو عوسجة
والقتبي المُقمَح الذي يرفع راسه ويَغُضّ بَصَرَهُ ويقال غاضٌ طَرْفه بعد رفع راسه جُمعت ايديهم الى اعناقهم
وقوله تنزيل العزيز الرحيم قد قرئ بالرفع والنصب والخفض جميعا فمن قراها بالرفع فهو على الابتداء
ومن قراها بالخفض فهو على النعت كقوله والقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم ومن قراها بالنصب
فعلى القطع لان الكلام قد تمّ دونه وقوله فاغشيناهم بالغين والعين جميعا فمن قراء بالعين فهو
من العشاوة ومن قراء بالغين فهو من قوله ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن وهو من الاعراض وفي قوله وجعلنا
من بين ايديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا وجهان من الاستدلال على المعتزلة لقوله فاغشيناهم
اضاف الى نفسه وان كان منهم صنع ويجوز ان يستدل بخلق افعالهم منهم وقوله انما تنذر من اتبع
الذكر وخشي الرحمن بالغيب معناه والله اعلم انما ينتفع بالانذار من اتبع واجابك فيما تدعوه اليه والا
كان ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع ومن خشي الرحمن ومن لم يخش وانما ينتفع بانذارك من اتبع الذكر وخشي
الرحمن فاما من لم يتبع الذكر ولم يخش الرحمن فلا ينتفع او ان يكون فيه اخبار بانذاره من اتبع الذكر
وليس فيه نفي عن انذار من لم يتبع الذكر ولا تخصيص منه بالانذار احد الفريقين دون الآخرين والله اعلم
والذكر يحتمل القرآن ويحتمل غيره من الذكرى كقوله وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين وخشي الرحمن
بالغيب قوله بالغيب بالآثار والاخبار التي انتهت اليهم من غير مشاهدة ونعتهم اوبالغيب بما راو من آثار
سلطانه وقدرته هابوه وخشوا عذابه ونقمته والله اعلم وقوله فبشره بمغفرة واجر كريم يحتمل
البشارة بالمغفرة عما سلف من الذنوب والاجرام اذا رجعوا عنها او من تقصير كان منهم في العمل
في خلال ذلك وانا اعتقد وانه في الجملة ان لا يخالفوا ربّهم في فعل ولا في قول اذ كل مؤمن يعتقد
في اصل ايمانه ترك مخالفة الرب في كل الاحوال وان تخلل في بعض افعاله تقصير او مخالفة الرب
لغلبة شهوة او طمع في عفوه ورحمته واجر كريم قيل حسن ويحتمل تسميته كريما لما يكرم كل من نال ذلك
والله اعلم وقوله انا نحن نحيي الموتى كانه والله اعلم يذكر هذا ليس في موضع الاحتجاج عليهم ولكن
على الاخبار انه هو محييهم اذا ماتوا وقوله ونكتب ما قدموا وآثارهم قال عامة اهل التاويل نكتب
ما قدموا من خير او شر في حيوتهم وعملوه ونكتب ايضا آثارهم وهو ما سنوا من سنة خير او شر
فاقتدى بهم بعد موتهم على ما ذكر في الخبر ان من سنّ سُنّة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها
الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اجورهم من شيء ومن سنّ سنّة سيئة فله وزرها ووزر من
عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وكقوله ايضا ينبؤ الانسان يومئذ
بما قدم واخر وقال بعضهم وآثارهم اي خطاهم التي خطوها في الخير والشر وقال قتادة
لو كان الله مُغفِلًا شيئًا من شانك يا ابن آدم اغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار وروي على هذا عن ابي سعيد

يقال قمحت الابل اذا رفعت راسها من الشرب

وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا ان الانصار كانت منازلهم بعيدة من المسجد فارادوا ان ينتقلوا
قريبا من المسجد فنزلت انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا فان ثبت هذا فهو دليل لمن يقول بآثار الخطا وقوله وكل شيء احصيناه في امام
مبين اي كل شيء من اعمالهم من خير او شر محصى محفوظ في امام مبين يحتمل قوله في امام مبين
اي في الكتاب الذي تكتب اعمالهم في الدنيا كقوله يوم ندعو كل اناس بامامهم اي بكتابهم الذي كتبت
اعمالهم فيه الآيات قال فمن اوتي كتابه بيمينه الآية ويحتمل في امام مبين في ام الكتاب
وهو اللوح المحفوظ والله اعلم وقوله واضرب لهم مثلًا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يحتمل لرسوله
يضرب مثل اصحاب القرية لقومه وجهين احدهما ان الخبر قد كان بلغ هؤلاء يعني اصحاب القرية التي
بُعِثَ اليهم الرُّسُل وما نزل بهم بتكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم الا انهم قد نسوا ذلك
وغفلوا عنه فامرهم بالتذكير لهم والتبيين ليحذروا عن مثل صنيعهم وسوء معاملتهم رسولهم
والثاني يحتمل ان لم يكن بلغهم خبر اولئك وما نزل بهم بسوء معاملتهم الرُّسُلَ فامره ان يُعلم قومه
ذلك ويبين لهم فيسالون عن ذلك اهل الكتاب فيخبرونهم بما كان في كتبهم فيعرفون صدق رسول الله
فيما يخبرهم فيكون عن ذلك اهل الكتاب فيخبرونهم بما كان في كتبهم فيعرفون صدق رسول الله فيما يخبرهم
فيكونون على حَذَرٍ عن مثل صنيعهم ومعاملتهم الرسل وعلى ذلك يخرج هذه الانباء والقصص
المذكورة في الكتاب على هذين الوجهين والله اعلم وقوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث اي قوّينا بثالث اختلف فيه قال بعضهم ان عيسى بن مريم كان بعث اليهم اولًا رسولًا فاتاهم
فدعاهم الى التوحيد واقام على ذلك حججًا وبراهين فكذبوه وقالوا ما نعرف ما تقول ثم بعث
من بعده رسولين فقال لهما ذلك الرسول انهم سيكذبونكما كما كذبوني قبلكما وسيقولون لكما
اذا دعوتماهم الى التوحيد ما ذا تحسنان فاذا قلتما يبرئ الاكمه والابرص قالوا فينا من يحسن
ذلك فاذا قلتما نشفي المريض قالوا فينا من يحسن ذلك ونحوه ولكن قولا انما نحيي الموتى وانا قولهم
لا احسن انا فهو قوله فعززنا بثالث اي قوّينا وشددنا بثالث ففعلوا ذلك فقالوا عند ذلك
قد لوا سيتم علينا بهذا الكلام او تواطاتم او كلام نحوه فاخذوا وعُذّبوا واهلكوا وهو قول ابن عباس
رضي الله عنه ومنهم من يقول بعث اولًا رسولان فكذبوهما فبعث ثالث بعد ذلك فعززنا
بثالث اي عززنا بثالث اي عززنا الرسولين بثالث اي قوّيناهما وقرا بعضهم عززنا بالتخفيف
اي غلبنا لكن ذكر انهم قتلوا جميعا واهلكوا اعني الرسل فكيف يكون الغالب مقتولًا مهلكًا ويجوز ان يكون
المقتول مُقوّى دل ان قراة من يقراه بالتخفيف ضعيف والاول اقوى واقرب والله اعلم وقوله فقالوا
انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لم يزل قول الكفرة للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل
الرحمن من شيء وكذلك قول مكة لرسول الله انه ساحر وانه مجنون وانه مفتري مختلق وقولهم وما انزل
الرحمن من شيء وقوله ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون لما ايسوا من ايمانهم وتصديقهم اياهم فزعوا الى الله
وتضرعوا اليه او ان يقولوا بان الله اعلم بما اطلعكم بانا اليكم لمرسلون بالحجج والآيات وقوله وما علينا
الا البلاغ المبين اي ليس علينا من ترك اجابتكم لنا ورد الرسالة شيء انما ذلك عليكم وقوله قالوا انا تطيرنا بكم
دل هذا القول منهم على انه قد نزل شيء من العذاب والشدة حتى تشاءموا بهم ذلك ولم يزل
عادة الكفرة التطير بالرسل عند نزول البلاء بهم كقوله قالوا اطّيّرنا بك وبمن معك وقوله
فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه الآية وقوله قالوا طائركم معكم يقول والله اعلم شومكم
معكم حيثما كنتم ما دمتم على ما انتم عليه من العناد والتكذيب ويذكر اهل التاويل ان القرية

توافقتم

كانت انطاكية وان الذى بعث هولاء الرسل اليهم عيسى صلوات الله عليهم ولكن لا نعلم ذلك وليس لنا
الى معرفة ذلك حاجة وقوله قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون قال بعضهم تشأمكم
معكم اين كنتم وحيثما كنتم ما دمتم على ما انتم عليه وقال بعضهم طائركم اذ ذكرتم فلم تقبلوا التذكير ونحوه ويحتمل
وجها اخر ان الذى اصابكم كان مكتوبا فى اعناقكم اين وعظتم بالله تطيرتم بنا بل انتم قوم مسرفون وقوله
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين قال عامة اهل التاويل ان هذا الرجل
يسمى حبيبا النجار وهو من بنى اسرائيل كان فى غار يعبد الله فلما سمع بالرسل نزل وجاء فقال ذلك لما قال
لكن لا ندرى من كان وليس لنا الى معرفة اسمه حاجة ثم يحتمل قوله من اقصى المدينة يسعى رغبة فى الرسل
وفى دينهم فدعاهم الى اتباع الرسل وان يكون كان مؤمنا مسلما مختفيا فلما بلغه خبر اهلاك الرسل جاء
يسعى اشفاقا عليهم لئلا يهلكوا اعنى الرسل فقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون
اى اتبعوا الهدى والهدى مما يجب ان يتبع ولا يسألكم على اتباع الهدى اجرا فيمنعكم الاجر عن اتباع الهدى
او ان يقول اتبعوا المرسلين واعلموا انهم مهتدون حيث لا يسألونكم الاجر ولا الشرف فى الدنيا ولا العز
اذ كل من لا يسأل هذا فهو مهتد متبع وهذا يدل ان طلب الاجر فى ذلك مما يجعل صاحبه معذورا فى ترك
الاتباع وكذلك قوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اى لا يسألكم اجرا حتى يمنعكم ثقل الاجر
عن اجابته واتباعه وهذا ينقض ويبطل قول من يبيح اخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم لانه اذا كان له
ان لا يعلم الا بالاجر كان له ان لا يعلم بكل اجر ففى ذلك ابطال الدين والشرايع وجعل الرخصة لهم
فى ترك ذلك وذلك سمج قبيح والله اعلم وقوله وما لى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون يخرج على وجهين
احدهما على الاحتجاج عليهم بعد سؤال كان منهم له فى الرجوع الى عبادة من يعبد من دون الله
وترك عبادة الله فقال انكم تعبدون هذه الاصنام رجاء ان يقربكم ذلك الى الله زلفى وما لى لا اعبد الذى
ترجون وانتم الزلفى والقربة منه والثانى على التذكير والتنبيه لهم اى انتم تعلمون ان الذى
فطرنا وخلقنا هو المستحق للعبادة لا من لم يفطر ولم يخلق ثم تعلمون ان الله هو فطرنا وخلقنا لا الاصنام
التى تعبدونها وما لى لا اعبد الذى فطرنا واترك الذى لم يفطرنا والله اعلم وقوله ءاتخذ من دونه
آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا هم ينقذون يقول ءاتخذ من دون الله
معبودا لو اراد الله بى ضرا لم يملك ذلك المعبود دفع ذلك عنى ولو نزل بى شدة او بلاء ثم منه لم يقدر
استنقاذى منه ولو طلبت منه جر نفع لم يقدر على جلبه الى واترك عبادة من اعلم ان ذلك كله
منه وهو المالك لذلك كله من جر نفع ودفع ضر وبلاء وفى الحكمة العبادة لمن يملك ذلك كله لا لمن لا يملك
وبالله التوفيق وقوله انى اذا لفى ضلال مبين اى لو فعلت ذلك فاذا كنت فى ضلال مبين فذكر انه لما قال لهم
ذلك امر بقتله فعند ذلك قال انى آمنت بربكم فاسمعون يحتمل قوله فاسمعون اى اجيبونى فى قوله اتبعوا
المرسلين الآية قال بعضهم فاسمعون اى اشهدوا لى ويحتمل قوله فاسمعون حقيقة السماع اى اسمعوا
قولى وايمانى لا يمنعنى عنه ما تخوفوننى والله اعلم وقوله قيل ادخل الجنة قال بعضهم اى وجبت له
الجنة ما ذكر للشهداء وارى الثواب فقال عند ذلك يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى الآية ويحتمل
ويحتمل دخوله الجنة ما ذكر للشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين الآية او ان يكون قوله قيل
ادخل الجنة ان يقال له فى الآخرة كقوله لعيسى ءانت قلت للناس وانما هو ان يقال له يومئذ فعلى ذلك
يحتمل الاول وقوله يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين قيل انه نصحهم حيا وميتا
ولم يترك نصيحتهم لمكان ما عاملوه وفعلوا به من السوء وانواع التعذيب ولكن تمنى اى ليت قومى
ان يكونوا يعلمون ما اعطى هو بالايمان بربه والتصديق برسله ليعطوا مثل ما اعطى هو وهكذا الواجب على كل مؤمن

ان لا يترك نصيحته لجملة المؤمنين وان لحقه منهم اذى او سوء وقال قتادة ولا يلقى المؤمن
الا ناصحا ولا يلقى غاشا لما عاين ما عاين من كرامة الله قال يا ليت قومى يعلمون تمنى والله ان يعلم
قومه ذلك ليعلموا ان اهل الايمان ليسوا باهل غيش ولا بغالة لعباده وقال كعب قيل لروحه ادخل الجنة
فتمنى روحه ان يعلموا الى ما صار هو ليؤمنوا بالرسل ولا يكذبوهم وقوله وما انزلنا على قومه
من بعده من جند من السماء اى من بعد قتل ذلك الرجل من جند من السماء من الملائكة اى لم ينزل على قومه
فى هلاكهم بعد صنيعهم بمكانه واهلاكهم اياه جندا من السماء ولكن اهلكوا بصيحة واحدة اى لم نفعل
كما يفعل ملوك الارض اذا قتل رسلهم واهلك اولياءهم يبعثون بجنود فى استيصال من فعل ذلك بهم
ولكن اهلكهم بصيحة واحدة ثم يحتمل قوله ان كانت الا صيحة واحدة اى قدر صيحة واحدة اى اهلكوا بقدر
صيحة واحدة فى سرعتها ويحتمل الاهلاك بالصيحة اى اهلكوا بالصيحة والله اعلم وقوله فاذا هم خامدون
قيل موتى مثل النار اذا خمدت وطفيت لا يسمع لها صوت وقوله يا حسرة على العباد فى تركهم الايمان
بالله وتكذيبهم الرسل واستهزائهم بهم والحسرة قال بعض اهل الادب هى الغاية من الندامة
اذا انتهت الندامة غايتها يقال حسرة وقال بعضهم الحسرة الحزن والتحزن والتندم وهو واحد ثم قال بعضهم
فى قوله يا حسرة على العباد اى يا حسرة الرسل على ذلك المؤمن المقتول على الايمان بهم وقال بعضهم
يا حسرة اولئك الكفرة على انفسهم اذا عاينوا العذاب على ما كان منهم من الاستهزاء على الرسل كقوله
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وقوله يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله والله اعلم وقوله اولم يروا كم اهلكنا
قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون فان قيل كيف احتج عليهم بالرجوع اليهم وهم كانوا ينكرون
البعث والرجوع بعد الموت فهو يخرج على وجوه احدها اولم يروا اى قد راى اهل مكة هلاكهم فى الدنيا
وانهم اليهم لا يرجعون احياء فيخبرونهم انهم بماذا اهلكوا فى هذه الدنيا وبماذا عذبوا فهلا يعتبرون
ويتظرون انهم انما اهلكوا بتكذيبهم الرسل فيرتدعوا عن ذلك وان كل يعنى الامم كلها يقول والله اعلم
وما كل الا جميع لدينا محضرون فى الآخرة او يقول اولم يروا كم اهلكنا قبلهم بالتكذيب للرسل
من القرون انهم اليهم لا يرجعون ابدا حتى يوم القيامة وهما واحد وان يكون ذلك يخرج على ابطال
قول اهل التناسخ حيث قالوا ان الارواح اذا خرجت من ابدان قوم دخلت فى اخرى فيقول والله اعلم
ردا عليهم الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون اذ لم ترد روحا اخبر انه خرج
من جسد هذا ودخل فى اخر وان يكون ذلك يخرج على نقض قول قوم وهو ما ذكر عن ابن عباس
رضى الله عنه انه سئل فقيل ان ناسا يقولون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة ثم قال بئس القوم
نحن اذا ان كنا نكحنا نساءهم وقسمنا ميراثهم ثم تلا الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم
اليهم لا يرجعون او ان يكون على ايجاب البعث ان من كذب الرسل ومن صدقهم ومن عمل ما يحمد
عليه وما يذم قد استووا جميعا فى هذه الدنيا فلا بد من دار اخرى يميز بينهما بين المصدق وبين
المكذب وبين المحمود وبين المذموم يؤيد ذلك قوله وان كل لما جميع لدينا محضرون وقوله لدينا
وعندنا ونحوه من الحروف خصها بذلك الاسم وان كانوا فى جميع الاوقات كذلك لما ذكرنا ان المقصود
من انشاء هذه تلك ومن هذا العالم الفانى ذلك العالم الباقى اذ لو لم يكن تلك ولا ذلك العالم
الباقى لم يكن انشاء هذه حكمة لانه يحصل الانشاء والخلق على الافناء خاصة واحداث الشىء للافناء
خاصة لا لعاقبة تقصد عبث باطل وقوله وآية لهم الارض الميتة احييناها جائز ان يكون قوله
فآية لهم ما راوا الارض ميتة فى وقت يابسة لا نبات فيها ولا شىء ثم راوها حية مخضرة
متزينة بانواع النبات متلونة بالوان الخارج منها فيخبر ان من قدر على هذا القادر

على احياء الموتى بعد ما بليت اجسادهم وصاروا رمادا وانه قادر على هذا لا يعجزه شيء ولا يصعب
عليه شيء فهذه اية ظاهرة على البعث مشاهدة محسوسة وفيه اية يحتاج الى ان يستخرج منها بالحكمة
وهو ما ذكر واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون انه لما اخرج من الارض حبا وجعل غذاءهم فيه من غير
ان استوجبوا ذلك منه دل انه انما جعل ذلك ليمتحنهم بانواع المحن على علم منه ان منهم من يشكر
ومنهم من يكفر وقد سوى بينهم في هذه بين الكافر منهم وبين الشاكر فلا بد من دار اخرى فيها
يقع التمييز بينهم الثواب للشاكر والعقاب للكافر اذ في الحكمة التفريق لا الجمع وعلى ذلك ما ذكر من جعل
الجنات لهم والنخيل والاعناب وتفجير العيون وغيره وذكر في اخره افلا يشكرون رب هذه النعم كلها وان يكون
وجه الدلالة فيه من وجه اخر وهو انه لما انشاهم وعلم ما يصلح لهم من الغذاء وما لا يصلح وما يكون لهم
من غذاء وما لا يكون قبل ان ينشئهم دل انه عالم بذاته قادر لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء وان يكون لما انشا
هذه الاشياء التي ذكرهم لا يحتمل ان يتركهم سدى لا يمتحنهم بشيء ولا يامرهم بشيء ولا ينهى عن شيء
فاذ ثبتت المحنة ثبت البعث وظهر الثواب والعقاب وفي قوله وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا
منها حبا الى اخر ما ذكر من انواع الفواكه والثمار وغيرها اية الوحدانية له والالوهية ودلالة الجود
والكرم له ليرغبوا فيه ويطمعوا منه ودلالة العدل له والسلطان ليهابوه ودلالة البعث لما ذكرنا
ودلالة ان هذه النعم منه ليشكروه حيث قال في اخره افلا يشكرون والله اعلم **وقوله** سبحان الذي
خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون من الناس من يقول ان الازواج هي التي لها
مقابل من الاشكال والاضداد مما للخلق فيه فعل ومما لا صنع لهم فيه حيث قال مما تنبت الارض
ومن انفسهم ومما لا يعلمون ويستدل بذلك على خلق افعال العباد وهو ما قال خلق الازواج كلها
ومن الازواج ما يكون فعلا لهم وقد اخبر انه خلق كلها دل انه خالق افعالهم والله اعلم **وقوله**
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون في ذلك ايات من وجوه احدها اية القدرة
على البعث والاحياء بعد الموت والثاني اية الوحدانية له والالوهية والثالث اية العلم الذاتي له
والتدبير الازلي له اما دلالة البعث فهو ما ذكر من جعل ما هو ليل نهارا ومن جعل ما هو نهار ليلا بعد
ذهابه اثر هذا بكليته حتى لا يبقى منه شيء ويجيء الاخر وانتزاع هذا من هذا وادخاله في الاخر
دلالة انه قادر بذاته لا يعجزه شيء وله قدرة ذاتية لا مكتسبة مستفادة فمن قدر على هذا قادر على
على الاحياء بعد الموت اذ الاحياء بعد الموت ليس بابعد مما ذكرنا من جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا
والاعجوبة في هذا ان لم تكن اكثر اعني في جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا وادخال احدهما في الاخر
ليس بدون الاحياء بعد الموت فاذا كان كذلك دل انه قادر بذاته لا باقدار من غيره فلا يعجزه شيء
ولا قوة الا بالله واما دلالة الوحدانية فهو انشاء الدهر من اول ما انشاه الى اخر ما ينتهي اليه واجراؤه
على مجرى واحد وسنن واحد من الليل والنهار وادخال هذا في هذا وهذا في هذا دلالة انه
فعل واحد اذ لو كان فعل عدد لكان اذا اتى احدهما بالليل غلب على الاخر فلا يقدر المغلوب
على اتيان النهار بعد ذلك وغلبه صاحبه وقهره وكذلك منشئ النهار اذا غلب على منشئ الليل لهم به
على اتيانه بالاخر وغلبته عليه ويمنع كل واحد منهما صاحبه عن ادخال شيء مما انشاه هو فيما انشاه
الاخر فاذ لم يكن ما ذكرنا دل انه فعل واحد وهو على الثنوية واما دلالة العلم الذاتي له والتدبير
الازلي هو اجراء الدهر من اول ما انشاه على تقدير حاجة اهله اعني حاجة اهل الدهر وعلى تقدير
منافعهم واتساقه على امر واحد على غير تغير وتفاوت يقع في ذلك وتفاضل الى اخر ما ينتهي اليه
وينتهي حاجتهم ومنافعهم دل انه كان لم يزل عالما بحوائجهم ومنافعهم حيث اجرى الدهر على تقدير حوائجهم

وتدبير

وتدبير منافعهم وان له علما ذاتيا وتدبيرا ازليا لا علما مكتسبا ومستفادا وان له القدرة والسلطان
حيث لم يقدر احد ان يدفع ظلمة الليل على نفسه اذا احتاج الى النهار ولا املك دفع النهار اذا وقعت
الحاجة في الليل ولا املك احد ان ياتي باحدهما مكان الاخر وفي وقت اخر بل اظلم الليل الخلايق كلهم
وستر عليهم كل شيء شاؤوا او ابوا واضاء لهم النهار على كل مستور عليهم وابداهم على كل مختف شاؤوا
او ابوا دل انه بالقدرة الذاتية كان ذلك والسلطان الذاتي لا مكتسب مستفاد اذ ذا علم كل ذاتي لا يعجزه
شيء ولا يخفى عليه شيء في حال من الاحوال وهذا يبطل قول الفلاسفة ان العقل دراك بنفسه كالنار
حارة بطبعها محرقة بذاتها فلو كان يدرك بنفسه لكان لا يجوز ان يكون ولا درك هنالك او يشتبه
عليه شيء بوجه من الوجوه فاذ حيل بينه وبين الدرك دل انه دراك بغيره فيدرك على قدر ما تجلى له
وانكشف والله اعلم **وقوله** نسلخ اي ننزع منه النهار **وقوله** فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلمة
يقال اظلم فلان اذا دخل في الظلمة ثم سورة يس نزلت كلها بمكة محاجة اهل مكة في انكارهم التوحيد
وانكارهم البعث والقدرة على الاحياء بعد ما صاروا رمادا وانكارهم الرسالة وهم كانوا طبقات على هذه
المذاهب المختلفة منهم من انكر التوحيد ومنهم من انكر البعث ومنهم من كان ينكر الرسالة ونحوها فبين الله
تعالى في هذه السورة وذكر فيها الحجج على منكري التوحيد وعلى منكري البعث وعلى منكري الرسالة وهو ما ذكر من الايات
من ذلك قوله وآية لهم الارض الميتة احييناها وفيه دلالة القدرة على البعث على ما بينا فيما تقدم وفي قوله
واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون دلالة الوحدانية له لانه اخرج ما ذكر من النبات والجنات والاعناب والنخيل
الى اخر ما ذكر من الارض بمنافع من السماء تتصل بالارض فدل اتصال منافع السماء بمنافع الارض على بعد
ما بينهما على ان منشئهما ومدبرهما واحد اذ لو كان فعل عدد لكان فيه تدافع وتمانع على ما ذكرنا فيما تقدم
من فعل ذوي العدد من التغالب والتدافع والتمانع في العرف والله اعلم وما ذكر ايضا من الليل
والنهار على تضادهما واختلافهما في راي العين وسلخ احدهما من الاخر وادخاله في الاخر دلالة
الوحدانية ودلالة البعث ودلالة العلم الذاتي والتدبير الازلي اما دلالة الوحدانية فهو ما جمع
في الليل والنهار على تضادهما واختلافهما في منافع الخلق وحوائجهم كانهما شكلان فدل ذلك على انهما
فعل واحد لا عدد اذ لو كان فعل عدد لكان فيه تدافع وتمانع على ما ذكرنا من منع كل واحد منهما الاخر
ودفعهم عن انفاذ امره في ذلك واتساق تدبيره فدل الدوام على ذلك واتساق الامر على سنن واحد
ومجرى واحد انه فعل واحد وفيه دلالة البعث لما ذكرنا من اذهاب احدهما واقرار الاخر بعد ذهاب
اثار كل واحد منهما بكليته ودل اجراؤهما مجرى واحدا من اول ما انشاهما الى اخر ما ينتهي ذلك وينتهي
العالم على تقدير منافعهم وحوائجهم انه عالم بذاته مدبر بنفسه وان له علما ذاتيا لا مكتسبا
مستفادا وعلى ذلك ما ذكر من جريان الشمس والقمر وتسخيرهما لمنافع هذا العالم وحوائجهم
وقطعهما في يوم واحد وليلة واحدة مسيرة خمسمائة عام فدل ذلك كله على انه واحد لا شريك له
قادر لا يعجزه شيء وعالم مدبر لا يخفى عليه شيء وعلى ذلك ما ذكر في قوله وآية لهم انا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون دلالة الوحدانية والقدرة والعلم والتدبير من حيث جعل اطراف الارض كلها
على تباعد ما بينهما متصلة بمنافع الخلق وحوائجهم باسباب انشاها لهم وعلمهم ليصلوا الى تلك
المنافع والحوائج فدل انه فعل واحد اذ لو كان فعل عدد لكان في ذلك تمانع على ما ذكرنا وانه عالم
بذاته مدبر ولذلك قال تقدير العزيز العليم اي ذلك الذي ذكر كله تقدير العزيز الذي لا يعجزه
شيء والعليم الذي لا يخفى عليه شيء وبالله القوة ثم قوله والشمس تجري لمستقر لها وفي بعض الحروف
والشمس تجري لا مستقر لها فعلى هذا القول اي تجري ابدا لا مستقر لها ولا قرار ومن قرا تجري

لمستقر لها اى لنهاية لها وغاية ثم اختلف فى تلك النهاية فمنهم من يقول نهايتها وغايتها هو ذهاب
هذا العالم وانقضاؤه وتبديل عالم آخر كقوله اذا الشمس كورت وقوله الشمس والقمر بحسبان فذلك
نهايتها ومنهم من يقول مستقرها هو نزوله فى كل يوم و منزله لما ذكر ان لها منازل تنزل كل يوم
فى منزل ثم تطلع من مكان آخر ونحو ذلك قال والقمر قدرناه منازل ومنهم من يقول نهايتها
ما ذكر فى الخبر انها اذا غربت ترفع الى السماء السابعة فتخر لله ساجدة تحت العرش ثم يؤذن لها بالطلوع
ذكر فى الخبر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما اذن لها بالطلوع والارتفاع يأتيها جبريل بحلة
من ضوء العرش على مقدار ساعات النهار فى طوله فى الصيف وقصره فى الشتاء وما بين ذلك فى الخريف
والربيع فتلبس تلك الحلة كما يلبس احدكم ثوبه و ذكر فى القمر كذلك من الحبس والسجود لله الا انه ذكر فيه
ان جبرئيل يأتيه بحلة من نور العرش وفى بعض الاخبار بكف من ضوء العرش وبكف من نوره فيلبس تلك
الحلة او ذلك الضوء والنور كما يلبس احدكم ثوبه فذلك قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا
ذكر للشمس ضياء وللقمر نورا كما ذكر فى الخبر وقال بعضهم مستقرها جريانها فى البحر الذى خلق الله
دون السماء بحر مكفوف حاز فيه تجرى الشمس والقمر والجوارى الكنس ويحتمل قوله تجرى لمستقر لها اى تجرى
فى مكان و تسير فيها والله اعلم وقوله ذلك تقدير العزيز العليم العزيز الذى لا يعجزه شئ ويعز من ان يغلبه
شئ العليم الذى يعز من ان يخفى عليه شئ وقال بعضهم العزيز الذى اظهر اثر الذل فى غيره لا ترى احدا
الا واثر الذل والحاجة فيه ظاهرة واما دلالة الرسالة فان اهل مكة لم يكونوا يعرفون التوحيد وغيرهم
واتاهم بحججه وبراهينه دل انه بالله عرف ذلك والله اعلم وقوله والقمر قدرناه منازل اى قدر له
منازل يزيد ويستوى وينقص وكذلك جعل للشمس منازل لكن تزداد وتنقص وتستوى لكن جعل منازل
القمر فى تغييره فى نفسه يتغير ويزداد ويستوى وينقص واما الشمس فانه جعل تغييرها فى الزيادة
والنقصان والاستواء فى الازمنة والاوقات فاما فى نفسها فليس فيها تغيير ولا نقصان ولا زيادة فهو
والله اعلم لما ذكر انه جعل القمر سببا للوصول الى معرفة الاوقات والحساب والحج بقوله يسألونك
عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج وعلى ذلك جعل طلوعه وغروبه مختلفا فى الليل والنهار وفى كل وقت
وكل ساعة واما الشمس فانها فى نفسها على حالة واحدة لا زيادة فيها ولا نقصان ولا تغيير الا فى الوقت
الذى تنكسف وكذلك طلوعها وغروبها فى وقت واحد لا يختلف ولا يتغير الا فى ازمنتها واوقاتها فانه
يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا ويدخل فى هذا هذا ومن هذا فى هذا واما الايام فانه لم يجعل فيها
تغييرا فهو والله اعلم لما لا يشتد على الناس حفظها ولا جعل سببا لتعريف الاوقات والحساب وقوله
حتى عاد كالعرجون القديم قيل انه عود الكباسة القديم الذى قد اتى عليه حول فاستقوس ودق شبه
القمر آخر ليلة يطلع به اول ليلة قال بعضهم شبه القمر بالعرجون القديم وهو العذق اليابس
المنحنى القديم الذى اتى عليه الحول وهما واحد وقوله لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل
سابق النهار جايز ان يكون ذكر الشمس ههنا كناية عن النهار نفسه والقمر كناية عن الليل الا ترى انه
ذكر الليل والنهار على اثر ذلك حيث قال ولا الليل سابق النهار يخبر انه لا يدرك هذا هذا ولا كان سابقا
لهذا وجايز ان لا يكون ذكرهما كناية عن الليل والنهار ولكن على بيان حقيقتهما ان لا يدرك ضوء هذا هذا
ولا ضوء هذا هذا فيغلبه ولكن يكون هذا فى وقت وهذا فى وقت آخر لا يجتمعان فى وقت واحد ويذكر
هذا انه لا يغلب هذا على هذا ما دام فى سلطانه ولا هذا على هذا ما دام سلطانه قائما يخبر عن قدرته
وعلمه وتدبيره واما قدرته هو ما ذكر من تقدير الشمس والقمر والليل والنهار وحفظهما حتى لا يغلب
احدهما صاحبه فيذهب به وحفظه اياهما وما ذكر وتقديره اياهما على ما قدر انه انما كان بقدرته

الكنس

الكباسة بالكسر العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب صحاح

ذاتية

ذاتية ودل اجراؤه اياهما على مجرى واحد وعلى سنن واحد منذ انشاهما وقدرهما الى آخر ما ينتهى اليه
هذا العالم انه كان بعلم ذاتى وتدبير ذاتى لا مستفاد مكتسب وهذا ينقض على الثنوية مذهبهم ان منشئ
الظلمة غير منشئ النور لانه لو كان اثنين على ما يقولون لكان اذا غلب هذا على هذا وجاء سلطانه منعه
من ان يأتى الآخر فاذا لم يكن دل انه فعل واحد لا عدد وقوله وكل فى فلك يسبحون يعنى الشمس والقمر قال بعضهم
كل فى فلك اى فى دورانه واستدارته يجرون على ما ذكرنا لا يمنع هذا هذا ولا هذا هذا وعلى هذا التأويل
هو الدوار الذى يدور عليه الشمس والقمر وقال بعضهم ان تحت السماء فى الهواء بحر مكفوف
فيه تطلع الشمس وفيه تغرب وكذلك القمر فان كان على هذا فيكون قوله وكل فى فلك يسبحون على حقيقة
السباحة والعومة ويروى فى ذلك خبر على ما ذكرنا وقال القتبى وابو عوسجة نسلخ اى نخرج والعرجون
عرجون النخلة مثل العنقود من العنب والعراجين جماعة يسبحون من السباحة ثم قوله وآية لهم
انا حملناهم فى الفلك المشحون اختلف فى ذلك الفلك قال بعضهم هى السفينة التى حمل فيها نوح
واتباعه وقال بعضهم اراد به السفن كلها التى يحمل عليها ويركب والفلك يقال هو واحد وجماعة
فان كان المراد بالفلك السفينة المشار وهى سفينة نوح كان قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
غيرها من السفن التى اتخذت للركوب وان كان المراد به غيرها من السفن كان قوله وخلقنا لهم
من مثله ما يركبون انما هى الانعام التى يركبون عليها فى المفاوز والبرارى كقوله وجعل لكم من الفلك
والانعام ما تركبون ونحوه ثم ان كان المراد بقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون السفن كان فى ذلك
نقض قول المعتزلة فى قولهم افعال العباد ليست بمخلوقة حيث اخبر انه خلق السفن والسفن انما تسمى
سفنا بعد ما اتخذت ونحتت فاما قبل ذلك فهى تسمى خشبا والله اعلم ثم قوله وآية لهم انا حملنا
ذريتهم يحتمل قوله حملنا ذريتهم معنيين احدهما انا حملنا من انتم من ذريتهم فى الفلك المشحون وهم
الذين حملهم مع نوح فى سفينته والثانى انا حملنا ذريتهم فى اصلاب آبائهم وارحام امهاتهم فى الفلك
نسبهم اليهم لما انهم اصل هؤلاء كقوله خلقكم من تراب وانما نسبنا الى آدم لانه اصلنا وهو المخلوق
من التراب فعلى ذلك هذا لكن الفائدة فى التأويل الاول غير الفائدة فى التأويل الثانى ان كان المراد
بقوله وآية لهم انا حملنا من انتم من ذريتهم هذا ففائدته انكم من ذرية من نجاهم من آبائكم وهم الذين
آمنوا برسولهم وصدقوه لا من كذب به فكيف لا تتبعونهم لان العرب من عادتهم انهم لا يزالون يحتجون
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وان كان المراد المعنى الثانى فيقول ان فى آبائكم من صدق
الرسل وآمن بهم ومنهم من كذب بهم فكيف اتبعتم الذين كذبوهم دون الذين صدقوهم ثم جهة الآية
فى الفلك ما ذكرنا فيما تقدم فى غير موضع اما فى تذكير ما انعم عليهم حيث سخر لهم البحار والبرارى
حتى يصلون الى قضاء حوائجهم ومنافعهم فى الامكنة النائية البعيدة بالسفن التى انشاها لهم والانعام
التى خلقها لهم او يخبر عن قدرته وسلطانه ان من قدر على تسخير هذا وايصال هذا بهذا لا يعجزه شئ
ولا يخفى عليه شئ او يخبر عن وحدانيته وربوبيته اذ لو كان ذلك فعل عدد لامتنع ولم يتصل ولم يصلوا
الى قضاء حوائجهم او يخبر عن سفههم بعبادتهم الاصنام التى عبدوها حيث قال وان نشأ نغرقهم
فلا صريخ لهم الآية يخبر انا لو شئنا اغراقهم لا يملك الاصنام التى تعبدونها الاغاثة لهم ولا الاستنقاذ
من ذلك بل هو المالك لذلك كقوله ضل من تدعون الا اياه وكقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر وقوله
الا رحمة منا ومتاعا الى حين يحتمل قوله الا رحمة من ربنا اى لو شاء لاهلكهم واستأصلهم بالعناد
والتكذيب للرسول كما فعل بأوائلهم لكن برحمته اخر عن هؤلاء ذلك وجعل لهم متاعا الى حين وذلك منه
رحمة وفضل والثانى رحمهم حيث نيل منهم الايمان عند رؤيتهم بأس الله ونزول العذاب بهم وكان يغيبون

العومة السباحة العوم لا ينسى

الايمان من اولئك الذين كانوا من قبل عند رؤيتهم بأس الله كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا
بالله وحده الاية ثم اخبر انه لم ينفعهم ذلك حيث قال فلم يك ينفعهم ايمانهم ولكن رحم هؤلاء لمكان
رسول الله فقبل ايمانهم عند رؤيتهم باسه وفي قوله وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم الاية دلالة
نقض قول المعتزلة لقولهم في الاصلح لما لا يخلوا ما ان يكون اغراقه اياهم اصلح لهم في الدين او ايا هم
او ابقاؤه اياهم فان كان اغراقه اياهم اصلح لهم في الدين ولم يغرقهم فقد فعل بهم ما ليس ذلك باصلح لهم
في الدين او ابقاؤهم اصلح لهم من اغراقهم فلا يكون رحمة لان عليه ان يفعل ذلك ولا يفعل بهم غيره
وقد اخبر ان ابقاءه اياهم رحمة منه اليهم فدل هذا ان ليس على الله حفظ الاصلح لهم في الدين والله اعلم
وقوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون اختلف في قوله ما بين ايديكم وما خلفكم
قال قايلون ما بين ايديكم ما كان من عقوبات الله ووقايعه فيمن كان قبلكم من عاد وثمود في آياته
وتكذيبهم رسله يقول اتقوا ذلك واحذروا نزوله عليكم نسمي بين ايديهم لانه مضى بين ايديهم
وما خلفكم من امر الساعة وعذابها سمي خلف لانه بعد وانهم غير ماتي يقول احذروا ذلك وقال قايلون
ما بين ايديكم هو عقوبات الآخرة هي بين ايديهم ستاتي بهم وستنزل وما خلفكم ما مضى من العقوبات
التي نزلت بمن كان قبلكم فصار ذلك وراء وخلفا يقول احذروا ذلك وجايز ان يكون على غير هذا يقول
والله اعلم احذروا ذنوبكم التي عملتم ومعاصيكم التي عصيتم في الدنيا واحذروا ايضا ما تستنون ايضا
لمن بعدكم كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ما قدمت مما عمل هو وما اخرت ما سن لغيره من بعده
وقوله لعلكم ترحمون اي اذا فعلتم ذلك استوجبتم الرحمة بفضله والله اعلم وقوله وما تاتيهم من آية
من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين هذا والله اعلم في قوم خاص اعتادوا العناد والمكابرة
في رد الآيات والاعراض عنها لما كان سؤالهم الآيات سؤال تعنت لا سؤال استرشاد ولو كان سؤالهم
سؤال استرشاد لكان قد انزل لهم من الآيات وآتاهم ما يلزمهم قبولها والتمسك بها ثم الاعراض
والعناد يكون بوجهين احدهما يعرض عنها لما لم يقع له لترك التامل والنظر فيها والثاني يعرض عنها
اعراض عناد بعد التحقق والتيقن والعلم بها انها آيات والله اعلم وقوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله
يحتمل قوله انفقوا اي صلة الارحام والقرابات على حقيقة الانفاق ويحتمل ان اقبلوا الانفاق وهو
الزكوة كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اي لا يقبلون الايتاء والله اعلم وقوله انطعم من لو يشاء الله
اطعمه بهذا قالت المعتزلة في قولهم ان الله لا يفعل الا ما هو اصلح له في يقولون لو كان الانفاق
والرزق اصلح لهم في الدين لرزقهم الله على ما رزقنا فيقال للمعتزلة امره اياهم بالانفاق على من ذكر
لا يخلو من ان يكون النفقة لهم والرزق اصلح في الدين ثم لم يرزقهم ولم يوسع عليهم واما ان يكون المنع
اصلح لهم وترك الانفاق فان كان الاول فقد ترك فعل ما هو اصلح في الدين والثاني فقد امر هؤلاء
يفعل ما هو ليس باصلح فكيف ما كان ففيه بيان ان ليس على الله حفظ الاصلح للخلق في الدين انما عليه
فعل ما يوجبه الحكمة وحفظ ما يكون حكمة وهؤلاء لم ينظروا الى توجيه الحكمة وفي الحكمة الامتحان
والابتلاء هذا بالسعة وهذا بالشدة والضيق ثم اوجب على من وسع عليه في فضول ماله حقا لهذا الفقير
والمضيق عليه وبين ذلك الحق وبين قدره وحده ليتادى بذلك شكره وضيق على هذا يطلب منه
الصبر على ذلك ان منع هذا حقه والا لم يسبق ممن وسع عليه ما يستوجب تلك النعمة والسعة ولا ممن ضيق
عليه ما يستوجب ذلك ولكن محنة يمتحنهم بها هذا بالشدة والضيق وهذا بالسعة والكثرة هذا مامور
بالشكر اداء ما اوجب عليه في ماله وهذا بالصبر على حاجته ان منع حقه وعلى ذلك روي في الخبر عن نبي الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولو شاء الله لجعلكم فقراء لا غني فيكم

اى صلوا الارحام صح

ولكنه

ولكنه ابتلى بعضهم ببعض لينظر كيف عطف الغني وكيف صبر الفقير وقوله ان انتم الا في ضلال
مبين قال بعضهم هذا قول الكفرة للمؤمنين لم يكتفوا بذلك القول الذي قالوه ولكن نسبوهم
الى الضلال والجهل وقال بعضهم هذا القول من الله جواب لهم لقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه
والله اعلم وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ليس بصلة على ما تقدم من الكلام لكن كانهم
خوفوا بترك الانفاق بالعذاب فقالوا عند ذلك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ثم قال
ما ينظرون الا صيحة واحدة اي ما ينظرون لايمانهم الا ذلك الوقت يقول والله اعلم انهم اذا بلغوا ذلك
الوقت وعاينوا ذلك يؤمنون لكن لا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت لقوله يوم ياتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وقوله تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى
اهلهم يرجعون يخبر عن سرعة قيام الساعة وغفلة اهلها عنها كقوله فتاتيهم بغتة اي فجاة
وهم لا يشعرون وعلى ذلك روي في بعض الاخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال تقوم الساعة والرجلان
يتبايعان الثوب فلا يطويانه حتى تقوم الساعة وعن ابي هريرة رضي الله عنه في قوله فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون فقال تقوم الساعة والناس في اسواقهم يحلبون اللقاح ويذرعون الثياب
ويتبايعون وهم في حاجاتهم وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه ان الرجلين ليتبايعان اذ نادى مناد
قد قامت الساعة ونحو وقوله فلا يستطيعون توصية اي وصية وكذلك ذكر في حرف حفصة وابي اي
فلا يستطيعون وصية وقوله تاخذهم وهم يخصمون يحتمل ما ذكرنا ان الساعة تقوم وهم على ما كانوا
عليه من قبل في البياعات والخصومات والمنازعة وعلى ذلك جاءت الآثار ويحتمل وهم يخصمون
اي يختصمون في الساعة والبعث انها لا تقوم ولا تكون لانهم كانوا ودل قوله فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون ان استطاعة الفعل تكون مع الفعل لا تتقدم الفعل لانها لو كانت تتقدم
لكانوا يستطيعون التوصية والرجوع الى اهلهم اذا قامت بهم دل هذا على انها لا تتقدم الفعل ولكنها
تقارنه وتجامعه والله اعلم وقوله ونفخ في الصور قد ذكرنا القول في الصور في غير موضع واختلافهم
في ذلك قال قايلون الصور هو شبه القرن ينفخ فيه وعلى ذلك روي خبر عن عبد الله بن عمرو قال
سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصور فقال قرن ينفخ فيه فان ثبت فقد كفينا مؤنة الاشتغال
بغيره وقال قايلون هو على التمثيل لا على التحقيق لكنه ذكر النفخ لسرعة امرها وقيامها اذ ليس شيء اسرع
نفاذا ولا اخف من النفخ فهو عبارة عن سرعتها ونفاذها كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب
وقوله ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قال اهل التاويل ينفخ في الصور ثلاثا بين
كل نفخة مهلة كذا كذا سنة يقولون في النفخة الاولى سمعت فيها كل شيء مما خلق الله كقوله ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ ثانيا فيحيون بها ويخرجون من قبورهم
وهو قوله ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وينفخ ثالثا فيجتمعون عند ربهم وهو قوله
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون والله اعلم بذلك والنسل هو سرعة الخروج
اي يسرعون وقال ابو عوسجة النسل هو المشي ينسلون اي يمشون لكنه مشي مع سرعة وهما واحد وقوله
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا من الناس من ينكر عذاب القبر بهذه الآية يقول المرقد هو موضع الراحة
والراقد هو الذي يكون في راحة فلو كان لهم عذاب وكانوا في عذاب لم يكونوا في رقدة ولا راحة دل انه
لا يكون ومنهم من يقول يكون في القبر عذاب لانه يرفع عنهم ما بين النفختين او قال يخفف عنهم واذا بعثوا
وراوا اهوال القيامة قالوا عند ذلك يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ومنهم من يقول لهم في القبر عذاب لا انهم
عذاب الآخرة واهوالها صار عذاب القبر لهم كالرقاد عند عذاب الآخرة ومنهم من يقول ينامون

نَوْمَةً قبل البعث ثم يُبْعَثُون ومثل هذا وجايز ان يكون النفس التى تخرج عند النوم تعذب تلك النفس
فى حال الموت فتجد تلك الم ذلك كما تجد النفس التى تخرج من النايم الم عذاب يصيبه وتجد لذة ايضا
اذا كانت لذة وترى فى النوم اهوالا وافزاعا وذلك معروف فعلى ذلك هولاء الكفرة يعذبون بما ذكرنا
فاذا بُعِثُوا قالوا عند ذلك يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا والمَرْقَدُ هو الموضع الذى يُنام فيه او ان يكونوا
فى عذاب اعنى فى القبر ولكنهم اذا عاينوا عذاب الآخرة وشاهدوا اهوالها هان ذلك العذاب الذى
كان لهم فى القبر وسهل عند عذاب الآخرة فصار ذلك كالرقاد لهم عند عذاب الآخرة فقالوا
عند ذلك يا وَيْلَنَا من بعثنا من مرقدنا والله اعلم بذلك وقوله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
قال بعضهم هذا قول الملايكة لهم عند قولهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال بعضهم هذا قول المومنين
لهم عند قولهم الذى قالوا وجايز ان يكون ذلك ايضا قولا لهم لان الكفرة يقرون بالبعث عند معاينتهم
البعث يقولون هذا الذى وعد لنا المرسلون وقد صدقوا فى ذلك ونحن كذبناهم فيه لكن لا ينفعهم
تصديقهم اياهم بذلك فى ذلك الوقت وهو كايمانهم عند معاينتهم بأس الله وهو قوله فلما راوا بأسنا
قالوا امنا بالله وحده فعلى ذلك هولاء لكن لا ينفعهم وقوله ان كانت الا صيحة واحدة يحتمل على حقيقة
الصيحة يجعل الله تعالى الصيحة علما للاحياء والبعث لا ان يكون الصيحة سببا للاحياء والبعث
ويحتمل لا على حقيقة الصيحة ولكن على قدر الصيحة كانه يقول والله اعلم ما كانت الا قدر صيحة واحدة
اى البعث لكنه ذكر الصيحة لان الصيحة اسرع شئ وايسر على الخلق من غيره على ما ذكرنا فى النفخ فى الصور
كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ذكر هذا لانه اخف شئ على الخلق واهونه عليهم فيعبر به عنه ويكنى
بما ذكر ليعلموا خفة ذلك على الله وسهولته وهونه وانه ليس يثقل عليه شئ وقوله فاذا هم جميع
لدينا محضرون ذكر ان قوله ان كانت الا صيحة واحدة فى البعث فاذا كان ذلك فى البعث فعند ذلك الحضار
عند الله واما الاول فانما هو فى الهلاك والموت وقوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا الظلم فى اللغة هو وضع
الشئ فى غير موضعه كانه يقول والله اعلم اليوم لا توضع نفس فى غير موضعها ولكن توضع على ما وضعها
فى الدنيا او يكون الظلم عبارة عن النقصان كانه يقول والله اعلم فاليوم لا تنقص نفس عما استوجبت بل يُوفر
على كل نفس حقها الذى استوجبت ويُوفى كقوله ولم تظلم منه شيئا اى لم تنقص منه او يقول فاليوم لا يحمل
على نفس ذنب غيرها ولا يوضع وزر غيرها بل يجزى كل نفس جزاء عملها والله اعلم وقوله ان اصحاب
الجنة اليوم فى شغل فاكهون يخبر والله اعلم عن شغل اهل الجنة انهم وان كانوا مشغولين فى النعيم
فان ذلك الشغل يحجبهم عن غيرهم من الاشياء وكذلك جميع الخلايق انهم اذا شُغلوا فى شئ حُجبوا
عن غيره ومُنِعُوا فاما الله سبحانه تعالى عن ان يُشغله شئ او يحجبه شئ عن شئ ثم الاشتغال فى الدنيا
مما يضر اهلها ويوذى فاخبر ان شغل اهل الجنة مما لا يضرهم ولا يُوذى حيث قال فى شغل فاكهون
قيل ناعمون بما هم فيه وقيل معجبين فى ذلك وقال القتبى فاكهون يتفكهون ويُقال للمزاح فُكاهة وفاكهون
اراد ذوى فُكاهة وقال ابو عوسجة فاكهون من الفاكهة وفكهون من السرور والمُفاكهة الممازحة ه
ثم قال بعضهم شغلهم فى اقتضاض العذارى وقيل شغلهم فى كل نعيم وفى كل كرامة على ما ذكر والله اعلم
وقوله هم وازواجهم فى ظلال يخبر ان اهل الجنة وان كانوا لا يحجبون عن شئ ولا يمنعون شيئا فانهم اذا كانوا
مع ازواجهم لا يقع عليهم بصر غيرهم فينغص ذلك وهو كما ذكر حور مقصورات فى الخيام يخبر انهم
اذا كانوا مع ازواجهم لا يطلع عليهم غيرهم والله اعلم وظلل جمع ظلة وقوله على الارايك متكئون
الاتكاء على الارايك انما هو للراحة فيخبر والله اعلم عن غاية راحتهم ونهاية كرامتهم والا ليس ه
فى الاتكاء على الارايك فضل كرامة ومنزلة ولكن يذكر عن راحتهم وتنعمهم كقوله لا يبغون عنها حولا

وقال القتبى

الحجلة بفتحتين ستر العروس
فى جوف البيت والجمع حجال
وفى الصحاح بيت يزين
بالثياب والاسرة
مغرب

وقال القتبى الارايك السرر فى الحجال واحدها اريكة وقال ابو عوسجة الارايك الوسايد وعن الحسن
قال الاريكة الحجلة وهى بلغة اهل اليمن يسمون الحجلة اريكة وقوله لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
الفاكهة هى التى توكل على الشهوة لا على الحاجة يخبر والله اعلم ان اهل الجنة انما ياكلون ما ياكلون
على الشهوة لا على الحاجة وقوله ولهم ما يدعون قيل ما يتمنون وقيل ما يسالون وجايز ان يكون
ما يدعون من الدعوى اى يُعْطَوْن جميع ما يدعون لانفسهم ليس كالدنيا وقال ابو معاذ ولهم ما يدعون
اى ما يشتهون ويتمنون فى الجنة والله اعلم وقوله سلام قولا من رب رحيم هذا يحتمل وجهين
احدهما يردونه اليهم اعنى الملايكة سلام الله بحق التبليغ اليهم سلام الله نحو ما يبلغ بعضهم
الى بعض سلام بعض اقرا فلانا منى السلام فعلى ذلك يقولون ان الله قد اقرا عليكم السلام والثانى
ان يسلم عليهم الملايكة بامر ربهم يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم والثالث ان يكون
القول من الله وعدا بالسلامة لهم فيها من كل آفة وبلاء يكون فى الدنيا كقوله ادخلوها بسلام آمنين
ونحوه وفى حرف ابى وابن مسعود سلاما قولا بالنصب فهو والله اعلم كانهما يجعلان تمام الكلام فى قوله
يدعون ثم يقطع سلاما قولا منه واما قراة هولاء برفع السلام فمعناها والله اعلم ولهم ما يدعون
سلام تم الكلام ثم قطع قولا منه وقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون كان اهل الجنة واهل النار
يكونون مختلطين فيفرق هولاء لانهم يكونون فى الابتداء مجموعين ولذلك سمى يوم الجمع ويوم
الحشر ثم يفرق بينهم كقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير وسمى يوم الفصل واصل قوله وامتازوا
اليوم ليس على الامر فى الحقيقة ان افترقوا ولكن على حقيقة التفريق على ما ذكر فى آية لحوى ليميز الله
الخبيث من الطيب واصل الامتياز الافتراق والاعتزال وبه يقول ابو عوسجة والقتبى ان الامتياز
هو التفرق والتنحى وقوله الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان يخرج قوله الم اعهد اليكم
على التحذير لهم ثم العهد الذى ذكر انه عهد اليهم ان لا تعبدوا الشيطان يخرج على وجوه ثلاثة
احدها عهد خلقة وبنية اذ قد جعل الله تعالى فى خلقة كل احد وبنيته ما يشهد على وحدانيته ويجعل
العبادة لله ويصرفها عمن دونه فنقضوا ذلك العهد وصرفوا العبادة الى غيره والالوهية والثانى
ما اخذ عليهم من العهد على السن الرسل والانبياء من الامر والنهى والثالث ما جعل فيهم من الحاجات
والشهوات التى تحملهم قضاؤها من عنده على صرف العبادة اليه والشكر له على نعمائه وجعل الالوهية له
وعينهم صرفها الى غيره وجعلها لمن دونه فنقضوا ذلك كله وتركوه فان قيل كيف ذكر عبادة الشيطان
ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان ولا يعبده بل كل يفر عن عبادته ويهرب منه لكنه يخرج
على وجهين احدهما يحتمل ان يريد الشيطان المردة من الكفرة والايمة منهم الذين صرفوهم عن عبادة الله
سموا شيطانا لما بعد واعن رحمة الله شطن اى بعد كقوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس
والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا والثانى نسب تلك العبادة الى الشيطان واضافها
اليه وان كانوا هم يقصدون بعبادتهم الشيطان لما يامر يعبدون ما يعبدون من الاصنام فنسب
اليه بالامر ولما كان منه بداية الامر والله اعلم وقوله انه لكم عدو مبين عداوته لنا ظاهرة
بينة فى كل شئ حتى فى الماكل والمشرب والملبس كقوله فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما الآية هو يريد
ان يوقعنا فى المهالك فهو عدو لنا وقوله وان اعبدونى هذا صراط مستقيم اى اعبدونى فان عبادتى
هو الصراط المستقيم وقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا يحتمل قوله اضل منكم اى اهلك وهو ما اهلك
من القرون المتقدمة نحو عاد وثمود وقرونا غير ذلك والاضلال يكون الاهلاك فى اللغة ويحتمل
على حقيقة الاضلال عن الهدى ثم هو يخرج على وجهين احدهما ان قد رايتم وعلمتم انه قد اهلك الله

خلقاً كثيراً بابليس بما ضلوا به واستاصلهم لذلك فكونوا انتم يا معشر اهل مكة على حذر منه لـ
لئلا ينزل بكم كما نزل باولئك بضلالهم به والله اعلم افلم تكونوا تعقلون انه فعل ذلك بهم
يخرج على التعيير والتوبيخ لهم لترك هؤلاء النظر في امر اولئك والثاني وقوله جبلا
كثيرا قال بعضهم جموعاً كثيرة وقال بعضهم خلقاً كثيراً وقال بعضهم امماً كثيرة وكله واحد واصله
من قولك جبلهم على كذا اى طبعهم ويقرأ جُبُلاً وجِبِلاً برفع الجيم والتشديد وخفضها والتشديد
قال ابو عوسجة الجبلة والجبلة الخلق وقوله هذه جهنم التي كنتم توعدون يشبه ان يكونوا لما راوا
جهنم قالوا ما هذا الذى نراه فعند ذلك قيل لهم هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا ويحتمل
على التوبيخ والتعيير لهم اى هذه هي جهنم التي كنتم توعدون بها اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون
اى ادخلوها اليوم بما كنتم تكذبون بها والله اعلم وقوله اليوم نختم على افواههم اى نطبع على افواههم
فلا يتكلمون وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون كانهم والله اعلم لما انكروا كفرهم وشركهم
وعملهم الذى عملوا في الدنيا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وامثاله عند ذلك ياذن الله ساير
جوارحهم واركانهم بالنطق والشهادة عليهم بما عملوا كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم الاية وقوله شهد
عليهم سمعهم الاية ثم انطق السنتهم حتى يعاتبوا الجوارح في شهادتها عليهم بقوله لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذى انطق كل شئ وفيه ان النطق والكلام الذى يكون من اللسان لا يكون لانه لسان
ولنفس اللسان ولكن للطف يجعل الله ذلك في اللسان فينطق فحيثما جعل ذلك اللطف والمعنى وفى اى
جارحة ما جعل نطقت وتكلمت ولو كان النطق والكلام لنفس اللسان لكان يجب ان ينطق لسان كل ذى لسان
لما له اللسان فاذ لم ينطق دل انه للطف جعل فيه به ينطق ويتكلم فحيثما جعل ذلك المعنى واللطف نطق وتكلم
وكذلك السمع والبصر وكل جارحة منه من اليد والرجل وغيره جعل فيها لطفاً ومعنى به يسمع السمع
وبه يبصر البصر وبه تاخذ وتقبض اليد وبه تمشي وتذهب الرجل فاينما جعل ذلك اللطف وذلك المعنى
كان منه ذلك ما كان من السمع والبصر وغيره وكذلك الاطعمة والمياه ليس الغذاء في اعينها ولكن في لطف
جعل الله فيها لطفاً ومعنى يصير ذلك غذاء لهم الا ترى ان عين الطعام فيبقى فيرمى به وينتفع بما فيه
من الغذاء والله اعلم وقوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون قال بعض
اهل التاويل لو نشاء لطمسنا اعين الضلال فابصروا فلم يبصروا الطريق فانى يبصرون وقد فقانا اعينهم
وقال بعضهم لو نشاء لحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فلو طمست اى حولت الكفر لا ستبقوا الصراط
يقول لابصروا طريق الهدى ثم قال فانى يبصرون يقول فمن اين يبصرون الهدى ان لم اتم عليهم طريق
الكفر ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اى لاقعدناهم على ارجلهم لا يتقدمون ولا يتاخرون ويشبه
ان يكون على خلاف هذا على التمثيل يقول والله اعلم لو طمسنا اعينهم واعميناهم فاستبقوا الطريق فانى
يبصرون اى لا يبصرون الطريق فعلى هذا اذا طمسنا اعين القلوب واعميناها فانى يبصرون الهدى
اى لا يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول والله اعلم على التمثيل
اى لو حولنا ظاهر خلقتهم وصيرناها خنازير وقردة حتى ذهبنا بمنافع انفسهم الظاهرة فما استطاعوا مضيا
ولا يرجعون فعلى ذلك اذا مسخنا قلوبهم وحولناها عن مكانها ما انتفعوا بها كما لم ينتفعوا بظواهر
جواهرهم هو على التمثيل لا على التحقيق وفى قوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم
دلالة ان لله في ذلك صنعاً اذ لو لم يكن فيما يختارون من الافعال والاعمال صنع لم يكن ليتوعدهم على ذهاب
ذلك وتحويله عن مكانه معنى فدل ان لله صنعاً في ذلك وفعلا قال الحسن وقتادة في قوله ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم فتركناهم عمياً يترددون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اى لاقعدناهم

يحتمل ان يكون على التنبيه والاخبار لهم لما عسى ان لا يعلمهم كالمتعاليان الاسيو من اهل الكتاب صح

على رجلهم

على ارجلهم على ما ذكرنا فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول والله اعلم ما استطاعوا ان يتقدموا ويتاخروا
وابن عباس رضى الله عنه يقول ما تقدم ذكره اى لو نشاء اعمينا اعين الضلال فلم يبصروا الطريق اى كيف
يبصرون او نحوه من الكلام ومقاتل يقول لو شاء طمس اعينهم ظاهرة فاستبقوا الصراط فانى يبصرون لـ
اى لا يبصرون وهو قريب مما ذكرنا آنفا وجايز ان يكون على التمثيل على ما ذكرنا بديا ويحتمل على التحقيق
ان من قدر على الطمس والمسخ وما ذكر من النكس لا يعجزه شئ من البعث اذ خلق الانسان للطمس والمسخ خاصة لا للعاقبة
تقصد ليس بحكمة او يذكر انه لو شاء لطمستهم ولمسختهم لكنه تركهم فلم يطمسهم ولم يمسخهم ليبقوا في النعمة
ليشكروا نعمه وقوله ومن نعمره ننكسه في الخلق اى من نعمره حتى يدركه الهرم والضعف يقول نرده
في الخلق الاول لا يعقل فيه كعقله الاول كقوله ومنهم من يرد الى ارذل العمر افلا تعقلون اى من فعل
هذا او قدر على هذا لا يعجزه شئ ويستاديه شكره قال القتبي المطموس هو الذى لا يكون بين جفنيه شق
فاستبقوا الصراط اى فتجوزوا قال ابو عوسجة طمسنا اعينهم اى اعميناهم والمسخ هو تغيير الصورة والابدان
وقوله ومن نعمره ننكسه في الخلق اى نصيره ضعيفاً بعد ان كان قوياً وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له
نزل هذا والله اعلم عند قولهم انه شاعر وانه كذاب فاخبر انه لم يعلمه الشعر وما ينبغي له الشعر
تكذيباً لهم وردا عليهم انه شاعر وان هذا القرآن شعر جعل الله عجز رسوله عن القيام بانشاد
الشعر بعض آية من آيات رسالته كما جعل عجزه عن تلاوة الكتاب من قبل وكتابته وخطه بيمينه آية
من آيات رسالته ليعلم اولئك الذين قذفوه بالشعر والافتراء من نفسه والكذب على الله وبالسحر
انه انما اخبر عن وحى من الله لا ما يقولون هم وهم على يقين وعلم انه ليس بشاعر ولا ساحر ولا كذاب
لما لم يروه اختلف الى احد منهم في تعلم ذلك ولا كان عنده من كتبهم منها اخذ ذلك ولا اخذ على كذب
قط لكنهم نسبوه الى ما نسبوه من الشعر والسحر والكذب تعنتاً منهم وعناداً ليلبسوا امره بذلك لـ
على اتباعهم وسفلتهم لئلا يذهب رياستهم ومنفعتهم وفى قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له
دلالة نقض قول المعتزلة حيث اخبر انه لم يعلمه الشعر وقد اعطى له جميع اسباب الشعر وقال في القرآن
علم القرآن وعلمه البيان انه كان من الله لطف سوى السبب فيما اخبر انه لم يعلمه لم يعطه ذلك اللطف
فلم يتعلم وفيما اخبر انه علمه اعطاه ذلك اللطف فتعلم ولو كان التعليم هو نفس السبب لكان قد اعطا
في الوجهين جميعا السبب فيما اخبر انه لم يعلمه وفيما اخبر انه قد علمه دل ان التعليم له فيما كان منه تعليم له
بلطف منه سوى السبب لا بنفس السبب اذ نفس السبب قد كان له في الامرين جميعاً والله اعلم وقوله
وما ينبغي له اى ما ينبغي له ان يشتغل بشئ مما لا يتلهى به والشعر في الاصل انما جعل للتلهي به والتلذذ
لذلك حيل بينه وبين طبعه انشاد الشعر ليكون ابداً مشتغلاً بما هو حكمة وعلم وفيما هو امر الله لا بما فيه
التلهي واللهو والله اعلم وقوله ان هو الا ذكر وقرآن مبين ان هو اى ما هذا القرآن الا ذكر لما نسيتم من امر الله
ووعد ووعيد ومما لهم ومما عليهم يذكرهم ما نسوه وتركوه ومبين يبين لهم ما لهم وما عليهم
او يبين لهم ما يؤتى وما يتقى او يبين لهم انه من الله جاء ومن عنده نزل لا من عند
المخلوقين او ذكر لاهل الكتاب يذكرهم فيما نسوه مما كان في كتبهم من نعته وصفته وما عليهم القيام به
وما ليس ومبين لمشركى العرب انه رسول وان هذا القرآن من عنده جاء به وكل كتب الله ذكر ومبين
ورحمة ونور وشفاء على ما اخبر والله اعلم وقوله لينذر من كان حيا قال بعضهم من كان عاقلا يقول لـ
لينذر بالقرآن من له عقل حتى يؤمن ويحق القول اى السخطة على الكافرين في علم الله انهم لا يؤمنون
وقال بعضهم لينذر من كان حيا اى مؤمنا لان الله تبارك وتعالى سمى المؤمن حيا في غير آية والكافر
ميتا ويحتمل قوله لينذر من كان حيا اى لينفع الانذار من كان حيا اى مؤمنا على ما ذكرنا وان كان ينذر

الفريقين جميعاً كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب هو ينذر من اتبع الذكر
ومن لم يتبع لكن النذارة انما تقع وتنفع لمن اتبع الذكر وخشي الرحمن خاصة وكقوله وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين هو يذكر لهم جميعاً لكن المنفعة للمؤمنين فعلى ذلك الاول ويحتمل قوله من كان حيا
اي من يطلب بحيوته الفانية للحيوة الدائمة ويحق القول على الكافرين القول الذي قال لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين وقوله اولم يروا انا خلقنا لهم قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان قوله
اولم يروا والم تر ونحوه انه في الظاهر حرف استفهام لكنه من الله على الايجاب والالزام ثم هو يخرج
على وجهين احدهما على الخبر ان قد رأوا ما خلق لهم من الانعام وما ذكر والثاني على الامر على الروية والنظر
فيما ذكر اي فليروا فان كان على الخبر انهم قد رأوا ما خلق لهم من الانعام فهلا تفكروا واعتبروا ان
فيما خلق لهم من الانعام وغيرها انه لم يخلق لهم ذلك عبثا باطلا ولكن لحكمة ولو لم يكن بعث
على ما يقولون هم كان خلق ذلك عبثا باطلا او ان يقولوا ان من قدر على خلق ذلك من الانعام وتسخيرها لهم
ما لو تركها كلها خلق منها لم يفنها لامتلأت الارض لا يحتمل ان يعجزه شيء او لا يقدر على البعث والاحياء
بعد الموت او ان يقولوا ان من قدر على تصوير ما ذكر من الانعام وغيره في الارحام وتركيب ما ركب
فيها من الاعضاء والجوارح في الظلمات لا يحتمل ان يخفى عليه شيء او يعجزه او يفعل ذلك على التدبير
الذي فعل بلا حكمة او يذكر انه خلق لهم من الانعام وذللها لهم وجعل لهم فيها من المنافع ما ذكر بلا شكر
يلزمهم يستادى على ذلك شكر ما انعم عليهم وعلى هذا لو كان على الامر بالروية فيما خلق والنظر والله اعلم
وقوله مما عملت ايدينا انعاما يحتمل ما عملت ايدي الخلق من الزراعة والغرس وغير ذلك مما يعمله
الخلق نسب ذلك الى نفسه ويحتمل مما عملت ايدينا اي قوتنا كقوله والسماء بنيناها بايد وقوله
خلقت بيدي اي بقوة ونحو والله اعلم وقوله فهم لها مالكون قال بعضهم قادرون على الانتفاع بها
والاستعمال لها يقول الرجل فيما له فيه حقيقة الملك انا غير مالك عليه اذا كان غير قادر على الانتفاع
ولا مالك على استعماله وقيل مالكون اي ضابطون قادرون على امساكها يقال فلان غير ضابط على ابله
ودابته وهما واحد والله اعلم وقوله وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع
ومشارب يخبر عن انواع ما جعل لهم من الانعام وانعم عليهم ليستادى بذلك شكره والله اعلم
وقوله واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم يخبر عن سفههم وقلة
بصرهم وفهمهم لاتخاذهم الاصنام الهة وعبادتهم اياها رجاء النصر لهم وتركهم عبادة الله على رجاء
المعونة والنصر منه وجعله كل شيء لهم ثم يكون رجاؤهم بذلك ما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وذلك في الاخرة ويحتمل رجاء النصر لهم بعبادتهم الاصنام
في الدنيا في دفع ما ينزل بهم من البلايا والشدائد كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه
ثم اخبر ان الاصنام التي تعبدونها وما رجوا منها لا يستطيعون نصرهم وما رجوا من شفاعتهم والنصر لهم
واخبر ان ما عبدوا دونه يصيرون اعداء لهم حيث قال وهم لهم جند محضرون في الاخرة كقوله واتخذوا
من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا هذا على تاويل بعضهم من اهل التاويل يجعل الاصنام جندا
عليهم واعداء لهم على ما ذكرنا ويحتمل قوله وهم لهم جند محضرون اي المشركون جند للالهة
التي تعبد ولها اي هم يغضبون لها ويقومون في دفع من هم بها فسادا واهلاكا اعني اصنامهم
التي كانوا يعبدونها كقوله قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ثم اختلف فيه قال بعضهم ذلك في الاخرة
وقال بعضهم ذلك في الدنيا والله اعلم وقوله فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون كان
من اولئك الكفرة لرسول الله اقوال مختلفة مرة كان منهم ما ذكر واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية

ومرة قالوا

ومنها قولهم لولا انزل
نسخة

تمني الهتهم بك والقصد
اليك فينصرك
نسخة

ومرة قالوا انه ساحر وانه كذاب وانه شاعر ومرة قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ومرة
قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ومرة طعنوا فيه وفيما اتام من الحجج او لا ندري اي قول كان
منهم له فيحزن عليه حتى قال له فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اي لا تحزن على قولهم
فانا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنحفظ عليهم ذلك ونكافيهم على ذلك او نعلم ما يسرون وما يعلنون
فننصرك عليهم ونعينك وان يكون حزنه عليهم اشفاقا عليهم لما كان يعلم نزول العذاب بهم
والهلاك لعنادهم ومكابرتهم والله اعلم وقوله اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة هذا يخرج
على الوجهين اللذين ذكرناهما احدهما على الخبر ان قد راى الانسان انا خلقناه من نطفة فهلا تفكر
واعتبر ان من قدر على خلق الانسان من نطفة ابتداء لقادر على اعادته بعد ما صار رمادا وكان
على الامر بالروية والنظر اي فلير الانسان ولينظر ان من نظر على خلق الانسان مبتدءا من نطفة لقادر
على اعادته اي اعادة الشيء في الشاهد اهون وايسر من ابتدائه اذ قد يحتذى ويصور بعد ما وقع
البصر على الشيء ويرى ولا سبيل على احتذاء ما لم ير ولا تصوير ما لم يعاينوا احتج الله عليهم بالشيء
الظاهر الذي يعلم كل انه كذلك من غير تفكر ولا تامل والا الاحتجاج عليهم بالاشياء التي لم يذكرا بلغ
واكثر نحو خلق الانسان من هذه النطفة على الصورة التي صورها والنسمة التي خلقها فيها ما لو اجتمع حكماء البشر
كلهم ان يعرفوا كيفية خلقه منها من تركيب العظم والشعر والعين والبصر والسمع والعقل وجميع
الجوارح ما قدروا على درك ذلك ولو اجتمعوا على ان يعرفوا كيفية غذايهم بالاطعمة والاشربة التي
جعلها غذاء لهم والقوة التي بها يتقوون على كل امر ان كيف قدر وقسم على السواء في الجوارح كلها
والمواد التي بها يمون ويزيدون على الاستواء ما لو زاد في بعضها من قوى ذلك الطعام والشراب دون بعض
يزداد قوة على بعض ونحو ذلك من العجايب لا سبيل الى معرفة ذلك البتة بعد طول التفكر والتامل لكنه احتج
بالشيء الظاهر ليدركوا بالبديهة ولا يدركون الاخر الا بعد التامل والتدبر والله اعلم وقوله فاذا هو
خصيم مبين اي جدل بين وقوله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ما ذكر من ضرب المثل له قال من يحيي
العظام وهي رميم وقوله ونسي خلقه يحتمل وجوها احدها ان اغفل عن القدرة وخلق نفسه ما لو نظر
وتفكر لعرف انه قادر على الاعادة والثاني اغفل عن الحكمة في الاعادة والثالث اغفل عن الحكمة في الابتداء
خلقه نفسه ثم يخرج هذا على وجوه احدها انه لو نظر وتفكر في خلق نفسه انه خلقه من نطفة ثم حول
النطفة علقة وحول العلقة مضغة وحول المضغة خلقا وانسانا تاما متقنا ثم صيره بحيث ياخذ
في النقصان بعد ما كان تاما ثم من فعل هذا في الشاهد ان يحكم الشيء ويتقنه ويتممه ثم يهدمه
بلا عاقبة يقصد به كان غير حكيم فعلى ذلك كان ما احكم الله من الخلق واتقنه وتممه ثم جعل
ينقص منه ويوهنه فلو لم يكن اعادته وخلقه ثانيا كان خارجا عن الحكمة فلو نظر في ابتداء خلق نفسه
لعرف انه يعيده وينشيه ثانيا والثاني لو نظر وتفكر في ابتداء خلق نفسه انه كيف دبره في تلك
الظلمات الثلاث وقدره على احسن تقدير في ذلك ولو نظر وتفكر ان من قدر على تدبيره وتقديره
في الظلمات الثلاث على ما دبره وقدره قادر على اعادته وهو كقوله وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده
وهو اهون عليه اي هو اهون في عقولكم وتقديركم اعني اعادة الشيء في عقولكم وتقديركم اهون
من ابتدائه فاذا قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر واملك اذ ذلك في عقولكم اهون وايسر الا ليس في وصف
الله تعالى ان شيئا اهون عليه من شيء بل الاشياء كلها تحت قوله كن فيكون من غير ان كان منه كاف
او نون او شيء من ذلك لكنه عبر به لانه اخف حروف على الالسن وايسر واقصر كلام واوجز يؤدى به
المعنى ويفهم منه المراد والثالث انه خلق هذه الاشياء والجواهر كلها سوى البشر للبشر ولنا فعهم

فلو لم يكن بعث ولا نشاة اخرى كان خلق هذه الاشياء لهم عبثاً باطلا ولذلك قال وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا كان ظنهم ان لا بعث ولا اعادة ثم اخبرانه
لو كان على ما ظن اولئك كان خلق ما ذكر عبثاً باطلا او ان يكون قوله ونسى خلقه اى اغفل عن بدء خلقه
اذ بدء خلقه اما ان كان من ماء او تراب فعلى ذلك اذا دفنا ه يصير ماء او ترابا فيعيد منه على ما انشاه
منه بدئيا ثم في قوله وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها
اول مرة دلالة تنقض قول الباطنية وفساد مذاهبهم حيث قالوا ان اعادة الخلق وانشاءه ليس على هذه
البنية والصورة التى انشاها بديا ولكن يُنشئ نفساً روحانية على خلاف ما شاهدوها وعاينوها فالآية
تكذبهم وتنقض قولهم حيث قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة اخبر انه
يحيى العظام التى انكروا احياها واستبعدوا ذلك وعلى ذلك قال ولقد علمتم النشاة الاولى
فلولا تذكرون احتج عليهم بعلمهم النشاة الاولى لانكارهم النشاة الاخرى فلو كان على خلاف ذلك
لم يكن للاحتجاج عليهم بذلك معنى فدل انه ينشئ ويعيدهم على الهياة الاولى والثانى ينقض عليهم
قولهم ايضا حيث قالوا يوصل الى معرفة ذلك من الذى يعلمه الرسول ويخبره دون النظر والتفكر
والتدبر فلو كان على ما يقولون لم يكن لقوله ونسى خلقه ولا لقوله اولم يتفكروا فى انفسهم وقوله افلا ينظرون
الى الابل كيف خلقت وقوله وفى انفسكم افلا تبصرون معنى فدل انه قد يوصل الى معرفة ذلك بالتفكر
والنظر كما يوصل بخبر الرسول الذى قد اظهر صدقه للخلق فتلزمه الحجة فى هذا كما تلزمه فى ذلك وقوله
الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اختلف فيه قال بعضهم هو نوع من الشجر
يقال له المرخ كانوا يورون منه النار وقيل هو الزيتون الذى يُسْرَجُ منه وتأويله ان الشجر الاخضر
خضرته انما يكون من الماء والماء يطفئ النار والنار تاكل الحطب والخشب فمن قدر على الجمع بين المتضادين
وحفظ كل واحد منهما عن صاحبه مما السبيل منها التنافر والتدافع لقادر على البعث وانه لا يعجزه شئ
وقال بعضهم قوله الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون هو ما انشا لهم
من الشجر يتنزهون بها ويتلذذون ما دام اخضر فاذا ادرك وبلغ ينتفعون بثمارها وفواكهها
ثم يصيرها حطبا يوقدون منها النار ويصطلون فمن قدر على ما ذكرنا لا يحتمل ان يعجزه شئ او من فعل
ما ذكر لا يحتمل ان يفعله عبثاً باطلا فلو كان على ما قاله اولئك الكفرة ان لا بعث ولا نشور كان فعل
ذلك عبثا باطلا والله اعلم وقوله اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى
يذكر والله اعلم اوليس من قدر على انشاء السموات والارض مبتدأ لا من شئ ولا اصل لا يحتمل ان يعجزه
اعادة الخلق وبعثهم او يقول ان من قدر على خلق السموات والارض وما فيهما قادر على ان يخلق مثلهم
وخلق المثل اعادة لانه اما ان يكون بعد هلاك الذين انشاهم وبعد اماتتهم او يخلق مثلهم
مع بقائهم سواهم وفى ذلك ابتداء خلق واعادة فيلزمهم الاقرار بالبعث والقدرة على الاعادة ثم اخبر
عن قدرته فقال بلى وهو الخلاق العليم ببعثهم او العليم بمصالحهم ومعاشهم وما يصلح لهم
وما لا يصلح او العليم باحوالهم وانفسهم ما ظهر منهم وما بطن وما اسروا وما اعلنوا وقوله انما امره اذا اراد
شيئا يحتمل انما جاء له اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون قد ذكرنا معنى هذه الآية فيما تقدم ان كل
ما كان ويكون ابد الآبدين انما يكون بكن الذى كان من غير ان كان منه كاف ولا نون او شئ من ذلك
انما هو اخبار عن سرعة نفاذ امره ومشيته او اخبار عن خفة ذلك عليه يقول والله اعلم كما لا يثقل
عليكم قول كن فعلى ذلك لا يثقل على الله ابتداء خلق ولا اعادته ولا شئ من ذلك ثم نزه نفسه وبرأها
وذكر تعاليه عما ظن اولئك من البعث فى خلق شئ وبطلانه فقال فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ

والیه

واليه ترجعون اى تعالى وتبرأ عن ان يكون خلقه على ما ظن اولئك حيث قال وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فكان ظنهم ان لا بعث ولا نشور ثم اخبر انه لو لم يكن
ذلك لكان خلق ما ذكر عبثا باطلا فقال تعالى عن ان يلحقه فى خلق شئ عبث او فساد وكذلك قوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا الآية صير خلق الخلق لا للرجوع اليه عبثا باطلا او ان يقول يتعالى عن ان يثقل
عليه اعادة الخلق او ابتداؤهم او يتعالى عن ان يعجزه شئ والله اعلم قال القتبى ولبو عوسجة رميم
اى بالية يقال رم العظم اذا بلى فهو رميم ورمام كما يقال رفات ورفات وقوله من الشجر الاخضر نارا
قال اراد الزنود التى توري بها الاعراب من شجر المرخ والعفار والحمد لله على كل حال والصلوة والسلام
على محمد واله وصحبه اجمعين

سورة الصافات مكية وآيها مائة وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والصافات صفا فالزاجرات زجرا اختلف فيه قال بعضهم الصافات هى الطير
اذا صفت اجنحتها بين السماء والارض وذكر عن ابن مسعود قال الصافات والزاجرات والتاليات
كلهم الملائكة قال الصافات اصطفت الملائكة صفا لعبادة الله عز وجل وتسبيحه وكذلك ذكر عن ابن عباس
وغيره الا ان غيره يفسر الزاجرات والتاليات اى ملائكة هم ولسنا نذكر عن ابن مسعود وابن عباس
التفسير وقال بعضهم الزاجرات هم الملائكة الذين يذكرون السحاب والامطار والتاليات ذكرا
هم الملائكة يتلون القرآن والوحى على الرسل والانبياء عليهم السلام وقال قتادة الصافات صفا
اقسم الله عز وجل بالخلق ثم خلق قال الصافات الملائكة صفوف فى السماء فالزاجرات زجرا ما ذكر الله
فى القرآن من زواجر عن المعاصى والمساوى فالتاليات ذكرا قال ما يتلى عليكم فى القرآن من اخبار
الرسل عليهم السلام وانباء الامم التى كانت قبلكم وجايز ان يكون الصافات هم الملائكة الذين يصلون
لله عز وجل صفوفا على ما ذكروا فالزاجرات زجرا هم الملائكة الموكلون بارزاق الخلق ويسوقها
اليهم يسوقون اليهم سوقا فالتاليات ذكرا هم الملائكة الموكلون بالتسبيح والتحميد وجميع الاذكار
ثم وجه القسم بالملائكة الذين ذكر والله اعلم انه عز وجل قد عظم شان الملائكة وامرهم فى قلوب
اولئك الكفرة حتى قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وقولهم لولا انزل عليه ملك
ولو لا انزلنا ملكا لقضى الامر وقول فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين وقولهم لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا ما وصفهم الله عز وجل انهم لا يعصون الله ما امرهم الآية ولا يستكبرون عن عبادته
الآية وقوله عز وجل يسبحون الليل والنهار فلما عظم الله عز وجل امر الملائكة عليهم وشأنهم فى قلوب
اولئك الكفرة وصدقهم عندهم لذلك اقسم بهم على وحدانيته بقوله عز وجل ان الهكم لواحد
على هذا وقع القسم ثم اخبر عن صنع ذلك الواحد الذى هو الهكم واله الخلق جميعا وذكر نعته
فقال عز وجل رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق يخبر عن وحدانيته وتفرده حيث
انشا السموات وانشا الارض وما ذكر وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ومنافع
المشارق متصلة بمنافع المغارب على بعد ما بينهما ولو كان فعل عدد لمنع بعض اتصال منافع بعض
ببعض على ما يكون من فعل ذوى عدد وغلبة بعض على بعض فاذ لم يمتنع ذلك بل اتصل بعض ببعض
دل انه فعل واحد لا شريك له ثم تخصيص ذكر السموات والارض ما ذكر دون غيره من الخلائق
لما عظم قدر السماء فى قلوبهم لنزول ما ينزل منها من الامطار والبركات وغيرها والارض

بخروج ما يخرج منها من الانزال والارزاق ولذلك يخرج ذكرهما والله اعلم فيما ذكر حيث
قال فيهما مادامت السموات والارض فعظم قدرهما في قلوبهم ودوامها عند خروج ذكرهما
وان كانتا تفنيان ولا تدومان ابداً والله اعلم ثم قال عز وجل رب السموات والارض وما بينهما
قال بعض المعتزلة وهو جعفر بن حرب فان قال لنا قايل من قوله عز وجل رب السموات والارض
وما بينهما انه رب اعمالنا وافعالنا فنقول له ان اردت انه رب اعمالنا وافعالنا قبلى ثم قال فيقال
اتقولون انه خالق الكفر وخالق الشر ونحوه وهذا افعال الخلق الكفر والشر ونحوه قيل له لا يقال
ذلك على الاطلاق انه خالق الكفر وخالق شر وان كان يقال في الجملة خالق افعال الخلق ورب كل شئ
وخالق كل شئ لان ذكره على الجملة يخرج على تعظيم ذلك الشئ نحو ما يقال رب محمد ورب البيت
انما هو تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيم ذلك البيت خاصة فعلى ذلك وصفنا اياه بالجملة
انه خالق افعال العباد وخالق كل شئ يخرج على وصف البيت بالعظمة والجلال وعلى الاشارة التى
تبنى منها والتخصيص على تعظيم ذلك الشئ خاصة لذلك جاز ان يوصف انه خالق افعال العباد جملة
لما ذكرنا انه يخرج على المدح والتعظيم وعلى الاشارة على المذمة له وتعظيم ذلك الشئ لذلك وفرقنا
والله الموفق ثم يقال لهم قولكم انه مالك لها وليس بخالق هل يقال لاحد انه مالك كذا الا لما ينشئ
ذلك او بتمليك من يملكه فاذ ثبت انه مالك الاعمال والافعال ثبت انه خالقها اذ لا يقال مالك كذا
الا للقدرة على ذلك او لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ورب المشارق قال بعض اهل التاويل ان للشمس
ثلثمائة وستين مشرقاً فتطلع كل يوم من كوة وكذلك يقولون في المغارب انها تغرب كل يوم من كوة
لكن يشبه ان يكون اراد بالمشارق والمغارب كل شئ يشرق وكل شئ غارب من الشمس والقمر والنجوم
والكواكب وغيرها يخرج قوله عز وجل رب المشرقين ورب المغربين واما اهل التاويل فانهم
يقولون مشرقا الشتاء والصيف وكذلك مغربها وقوله عز وجل انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
ليس ان هذه السماء التى تراها ونعاينها هى سماء الدنيا وغيرها سماء الاخرة ولكن سماها سماء الدنيا
لدنوها من اهل الارض وقربها منهم واهل الارض هم الجن والانس ولهما جرى الخطاب فى ذلك
وفى غيره وعلى ذلك قول اهل التاويل انها انما سميت سماء الدنيا لدنوها من اهلها ولقربها منهم
والله اعلم وقوله عز وجل انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب اخبر انه عز وجل زينها بزينة الكواكب
وزين الكواكب نفسها اضافها الى نفسها وهى الزينة لها لا غيره والله اعلم كانه قال عز وجل
انا زينا السماء الدنيا بزينة وهى الكواكب او قال انا زيناها بزينته فسئل ما هى فقال الكواكب وقوله عز وجل
وحفظاً من كل شيطان مارد قال عز وجل وحفظناها من كل شيطان مارد وحفظه اياها ما ذكر
فى قوله عز وجل لا يسمعون ولا يسمعون الى الملاء الاعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً قال ابن عباس
وغيره قوله لا يسمعون الى الملاء الاعلى كانوا يسمعون ولا يسمعون وقال بعضهم كانوا لا يسمعون اخبار
الملائكة وحديثهم فيما يتراجعون عنهم من امر الله وهم الملاء الاعلى ومن يقول انهم كانوا لا يسمعون
يذهب الى ما ذكر فى سورة الجن حيث قالوا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهاباً رصداً اخبر ان من يستمع الان يجد له
ما ذكر دل انهم كانوا يسمعون فان قيل كيف يوفق بين هذه الاية وبين قوله عز وجل ويقذفون
من كل جانب دحوراً الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب استثنى الخطفة وقال ههنا فمن يستمع
الان يجد له كذا ثم الخطفة الا ان يكون على التمثيل الى موضع يخطفا وعلى حقيقة الخطفة وهى الاستلاب
والاخذ على السرعة والله اعلم لكن يشبه ان يكون الاية التى قال عز وجل وانا لمسنا السماء فوجدناها

ملئت حرساً شديداً وشهباً فمن يستمع الان يجد له شهاباً رصداً فى المؤمنين منهم الا يرى انهم قالوا
انا لما سمعنا الهدى امنا به واما ما ذكر فى سورة الصافات فهو فى الكفار منهم والمردة الا من خطف
الخطفة من الشياطين الذين يستمعون والله اعلم ثم قوله عز وجل وانا لمسنا السماء ثم قوله وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع الاية دلالة اثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه كان يخبرهم ان الجن يصعدون
الى السماء الدنيا ويسمعون من اخبار الملائكة وحديثهم فيما يتراجعون فيما بينهم من امر الله فى الارض
ثم يخبرون الكهنة بذلك فيخبر الكهنة اهل الارض عن ذلك انه يكون غداً كذا وفى يوم كذا وكذا
وانه انقطع ذلك بالوحى ويمنعون فقالت الجن ذلك واخبرت عن انفسهم انهم كذلك كانوا يفعلون ه
فصدقوه على ما اخبر من صنيعهم فان قيل كيف صار ذلك اية له وانما اخبر عن قول الجن هم
وبه ظهر ذلك ومنه عرف قيل هكذا لكن انقطاع الكهنة من بعد وحديثهم يدل على ان ذلك
قد كان ثم انقطع ذلك بالرسالة بالوحى والله اعلم فان قيل فاذا وكلوا الملائكة حفظ السماء وحرسها
كيف اغفلوا عنها وتولوا من حفظها وحرسها وامتحنوا بها حتى امكن اولئك من الاستماع والاختطاف وما ذكر
قيل جايز ان يشغلوهم باعمال ويمتحنوه بامور اخر سوى ذلك فيمكن ذلك لهم ما ذكر والله اعلم فان قيل
كيف كانت صنعة الشياطين من الاستماع منهم والخطف وقد بدا ت وعاينت ما اصاب من فعل ذلك
من القذف والرمى والاحتراق قيل ان الشياطين عادتهم طلب الغفلة فى كل وقت فجايز ان يكونوا فعلوا
ذلك لما كانوا يظنون ويقع عندهم انهم فى غفلة وسهو من امورهم وان كانوا يعلمون ما يصيب من فعل
ذلك والله اعلم ثم جايز ان يستدل بقوله عز وجل وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية بقول علمائنا
فيمن حلف ان لا يكلم فلاناً فناداه من حيث لا يسمع لا يحنث واذا ناداه من حيث يسمع حنث وان لم يسمع لما ذكر
انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ومعلوم انهم كانوا يقعدون من الارض الى الملاء الاعلى لكن لا يسمعون
ثم لم يذكر ذلك منهم الا فى المكان الذى يسمع دل انه على ما ذكرنا من الدلالة والله اعلم وقوله عز وجل لا يستمعون
الى الملاء الاعلى يحتمل الملاء الاعلى الاشراف منهم واهل المنزلة والكرامة ويحتمل الجماعة لان الملأ
هو اسم للشيئين للجماعة منهم واسم لاهل الشرف والمنزلة والكرامة ثم لا يدرى كيف سماع الجن
من الملائكة وما سبب ذلك ان يكون تلك الاخبار وما يريد الله عز وجل احداثه فى الارض مكتوباً فى كتاب
ينظرون فيه فيعلمونه او يحدث الملائكة فيما بينهم بذلك فيستمع هؤلاء منهم ذلك او كيف جهة
سماعهم ذلك منهم وما يشبه ذلك والله اعلم وفيه ان الجن يفهم كلام الملائكة وان اختلف
جواهرهم والله اعلم وقوله عز وجل فاستفتهم اهم اشد خلقاً ام من خلقنا قيل هى السموات والارض
والجبال وقيل الملائكة واكثرهم قالوا قوله عز وجل هم اشد خلقاً ام من خلقنا اى السموات
والارض كقوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس الاية يقول والله اعلم سلهم
ان خلقهم واعادتهم اشد واكبر واعظم من خلق السموات والارض واذا قدرتم انتم قدرته على خلق
السموات والارض كيف انكرتم قدرته على اعادتكم بعد ما متم وكنتم تراباً ورفاتاً والله اعلم وقوله
فاستفتهم وسلهم ونحو ذلك مما امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ان تسألهم وتستفتهم
يخرج من الله عز وجل على وجوه احدها على التقرير عندهم والبينة لهم او على التعيير لهم والتوبيخ
او على التعليم محجة الحجاج والمناظرة فيما بينهم وبين خصومهم وهكذا كل سؤال واستفتاء
كان من خبير عليم لمن دونه يخرج على هذه الوجوه وكل سؤال واستفتاء كان من الجاهل الخبير عليم
يخرج على استرشاد وطلب الصواب وقوله فاستفتهم وسلهم وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
الاية وسل بنى اسرائيل وقل هو الله احد وقل كذا هذا كله يخرج على التقرير والتنبيه او على تعليم الكل

حجة الحجاج والمناظرة لاهل الامر لانه لو كان على الامر لكان لا يقول ذلك المامور بالتبليغ سل
ولا قل ولا شيء من ذلك ولكن يبلغ اليه رسالته وامره ان يقول لكم ان افعلوا كذا ولا تفعلوا فدل ان ذلك
الامر الكل في انفسهم ان قولوا لهم وافعلوا بهم كذا والله اعلم وقوله عز وجل فاستفتهم اهم اشد خلقا الاية
امرهم ان يستفتيهم ولم يذكر انهم ما افتوه ولا اجابوه او لا ولا قال انهم لو اجابوك وافتوك بكذا فقل لهم
كذا واجبهم بكذا الخبر ان يكون الجواب ما ذكرنا انكم لو لم تشاهدوا خلق ما ذكر من السموات والارض
وغيرها سوى خلق انفسكم ثم شاهد ثم خلقنا اعنى ما ذكرنا من السموات والارض والجبال وغيرها
هل تنكرون قدرته على خلق ما شهدتم وعاينتم انه لم يخلقها الا هو كيف انكرتم قدرته على خلق ما شاهدتم
وعاينتم انه لم يخلقها الا هو كيف انكرتم قدرته على اعادتكم وبعثكم وقوله عز وجل انا خلقناهم من طين لازب
فذكر والله اعلم ضعفهم وشدة ما خلق من سواهم انهم تعلمون ضعف انفسكم وعجزها وشدة من سواكم
وقوتها وصلابتها ثم انها مع شدتها وقوتها وصلابتها اخضع لله واطوع منكم نحو ما ذكر من طاعتها له
وخضوعها حيث قال عز وجل ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله عز وجل لو انزلنا هذا
القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ونحو ذلك مما يكثر والله اعلم او ان يذكر بقوله
عز وجل انا خلقناهم من طين لازب بدء خلقهم واصله الذى خلقوا هم منه انكم انما عرفتم ابتداء خلقكم
واصلكم الذى منه خلقتم انه تراب وطين باخبار الرسل وبقولهم وانتم يا اهل مكة ممن لا يؤمنون بالرسل
فكيف صدقتم الرسل بما اخبروا من اصلهم وبدء خلقكم ولم يصدقوهم بما يخبرونكم من اعادتكم
وبعثكم بعد موتكم فاذ صدقتموهم في ذلك لزمكم التصديق لهم في كل ما يخبرون ويقولون والله اعلم
او يقول انه انشاء من تلك النفس الواحدة التى خلقها من تراب من الخلق ما لو تركهم جميعا لم يفنهم ولم يمتهم
لامتلأت الدنيا منها فمن قدر على انشاء ما يمتلى الدنيا منه من نفس واحدة لا يحتمل ان يعجزه شيء
من البعث والاعادة وغير ذلك والله اعلم او ان يقول في قوله عز وجل انا خلقناهم من طين لازب
اى قد انشا من تلك النفس ومن ذلك الاصل قرونا قرنا بعد قرن بعد افناء كل قرن انشاؤهم اخر
فلا يحتمل ان يكون المقصود من انشائهم الانشاء ثم الافناء والنقض خاصة كان غير حكيم فاذ عرفتم
الله عز وجل انه حكيم فلا يحتمل ان يكون مراده من انشائكم وافنائكم ذلك خاصة لا غير وذلك
مزيل الحكمة ويوجب السفه تعالى الله عن ذلك وعن جميع ما يصفه الملحدة علوا كبيرا او ان يقول
انكم عرفتم انه انما انشاكم من تلك النفس التى انشاها من تراب وطين على اتفاق منكم فاذا متم وفنيتم
صرتم ترابا وطينا فكيف انكرتم اعادته اياكم من تراب وطين وقد اقررتم ان اصلكم تراب وطين
والله اعلم على الوجوه التى ذكرنا يجوز ان يخرج وقوله عز وجل بل عجبت ويسخرون بالنصب يحتمل وجوها
احدها عجبت منهم انكارهم ما انكروا بعد كثرة قيام الايات والحجج عليهم في ذلك وهم ينكرون
ويسخرون او يقول عجبت ويسخرون لما انك بزعمهم لعظيم ما ينزل بهم من العذاب والشدايد
وما يستقبلهم من الامور المهمة وهم يسخرون والله اعلم او يقول بل عجبت لما تدعوهم الى ما به
حياتهم وفلاحهم وهم يسخرون ونحو ذلك يحتمل والله اعلم بما كان يعجبه وفي بعض الحروف بل عجبت
بالرفع وكذلك ذكر عن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقرا بالرفع بل عجبت فان ثبت ذلك وصح اضافة
العجب الى الله فهو في الشاهد وان كان لظهور عظيم ما قالوا خفيا عليهم مستترا عند ذلك يقع لهم
العجب فهو في الله عز وجل وان كان لا يحتمل ان يخفى عليه شيء فذلك لعظيم ما كان منهم
من الانكار من قدرته على الانشاء والجحود في ذلك فيكون ما ذكر من حرف العجب منه كناية عن الانكار
والدفع لقولهم وذلك كما اضاف الامتحان الى نفسه وان كان في الشاهد لا يستعمل الا في استظهار

ماخفى

ماخفي عليهم واستتر منهم فهو من الله يخرج على الامر والنهي اعنى الامتحان وان كان في الشاهد بين الخلق
لا يكون الا لما ذكرنا فعلى ذلك جايز اضافة العجب الى الله على ارادة الانكار منه عليهم والرفع بقولهم
والله اعلم ومن الناس من انكر هذه القراءة وقال لا يجوز اضافة التعجب الى الله عز وجل لما هو لم يزل عالما
بما كان ويكون وهو في الشاهد انما يكون لظهور عظيم من الامر قد جهلوه لكن هذا وان كان في الخلق
ما ذكر فهو من الله على غير ذلك على ما ذكرنا من اضافة الامتحان اليه والابتلاء وان كان بين الخلق
لما ذكرنا وقد ظهرت اضافته اليه بقوله وان تعجب فعجب قولهم وهو يخرج على الانكار عليهم والرد على عظيم
انكار ما قالوا وانكروا والله اعلم ومن الناس من قال في قوله عز وجل بل عجبت فيما اضافه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اى عجبت من هذا القرآن حين اعطاك اياه ويسخر منه اولئك الكفرة ويحتمل معنى
وهو ان يقال ان قوله عز وجل بل عجبت اى جعلت ما انزلت عليك من القرآن والوحى امرا عجبا او ان يقال
كان انكارهم رسالتك وتكذيبهم الايات امرا عجبا وهم يسخرون ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل
واذا ذكروا لا يذكرون ابن عباس يقول واذا وعظوا لا يتعظون والموعظة والتذكير واحد
وقتادة يقول واذا ذكروا لا يذكرون اى لا ينتفعون بالموعظة على ما ذكرنا في قوله صم بكم عمى اى
اى لا ينتفعون بتلك الحواس وان كانت لهم تلك كمن لا حاسة له فعلى ذلك قول قتادة وجايز
ان يكون على حقيقة التذكير ما نسوا من الايات والحجج يقول انهم وان ذكروا ما نسوا وتركوا واغفلوا
عنه لا يتذكرون والله اعلم وقوله عز وجل واذا راوا اية يستسخرون هذه الايات وامثالها ذكرها
والله اعلم لقوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا
اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين الى اخر ما ذكر يخبر عن عنادهم ومكابرتهم الايات
ويذكر سفههم ثم في ذكر ما ذكر من عنادهم وسفههم وجعله ايات من القرآن تتلى ابدا وجهان
من الحكمة احدهما صيرورة ذلك اية لرسالته صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم كانوا على ما اخبر
منهم العناد والسفه وعلى ذلك ختموا وقبضوا دل انه بالله عرف ذلك وبوحيه علم والله اعلم
والثاني يخبر والله اعلم على ما راى سلفنا من سفه اولئك وعنادهم وما قاسوا منهم وما لحقهم
من الاذى والضرر والسوء لئلا يضيق صدرنا في سفه من تسفه علينا من اهل الفساد والفسق
وان لا نترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لسفه السفيه ولا لاذى المؤذى ولا سوء يقال بل يجب
علينا ان نتاسى بسلفنا ونقتدى بهم واذا اصابنا منهم ما اصاب اولئك من الاذى والسفه
وان عاندوا وكابروا وظهر منهم كل فسق وسوء على ما فعل اولئك واحتملوا منهم ما كرهوا فنحمل
عن سفهائنا مثله والله اعلم والا لو لم يكن في ذكر من سفههم وعنادهم ما ذكرنا من الحكمة كان
لا معنى لذكر سفه اولئك وعنادهم وجايز ان يكون الشيء سفها باطلا في نفسه ويكون حكمة
ودليلا لغيره والله اعلم على ما قال بعض الناس ان الكذب نفسه يجوز ان يكون دليل الصدق وكلام
السفه والباطل دليل الصدق والحكمة والله اعلم وقوله واذا راوا اية يستسخرون اى واذا انزل
عليهم اية على سؤال منهم يسخرون ويستهزؤون يخبر عن سفههم انهم وان سالوا الايات فانهم لا يسالون
سؤال الاسترشاد ولكن سؤال عناد وهزء كقوله عز وجل ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا
فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا وكقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقالوا ان هذا الا سحر مبين كان هذا تلقين اولئك
الكفرة الرؤساء من الشيطان اللعين حتى يموهون على اتباعهم عند ما ظهر وكثير من الايات لما كانوا
يعلمون ان لا كل احد يعرف السحر ويتهيا اتيانه وفعله يلبسون بذلك على اتباعهم لتقع عندهم انها السحر

لا الآية والله اعلم ولو كان ذلك سحرا حقيقة لكان من ايات الرسالة فكيف اذا كان اية لما كانوا
يعلمون انه لم يختلف الى احد ممن معرفة بالسحر قط فدل انه بالله عرف ذلك لا على ما ذكرنا انما انبا وا
اخبر عن انباء الامم الخالية واخبارهم يدل على رسالته لما علموا انه لم يختلف الى احد ممن له المعرفة
بتلك الانباء والاخبار ولا نظر في كتبهم ليعرف ذلك ثم اخبر على ما كان في كتبهم دل انه بالله عرف
ذلك ويوحى منه اليه علم فعلى ذلك لو كان سحرا فكيف اذا كان اية عظيمة معجزة وقال الزجاج حرف
العجب انما يكون عند ظهور العجيب من الامر وغير عظيمة فاما ما اضيف الى الله فهو على الانكار منه والرد
على من انكر عظيما من الامر او ما هذا او كلام نحوه والله اعلم وقوله عز وجل ولهم عذاب واصب
قيل دايم كقوله عز وجل وله الدين واصبا اى دايما وقيل عذاب واصب اى شديد وقوله عز وجل
من طين لازب وقيل ملتزق وقيل ملتصق الذى يلتصق باليد اذا لمس وقوله دحورا قيل طردا
وهو مطرود وقوله شهاب ثاقب قيل معنى مل ∴ ثم قوله واذا راوا اية يستسخرون قال بعضهم
يسخرون وقال بعضهم يستسخرون يطلبون من اتباعهم السخرية يعنى القادة على الآية والله اعلم وقوله
عز وجل وقالوا ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون اوا اباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون
قد ذكرنا انهم كانوا يقولون ذلك وما يقدم على العناد والتعنت وعلم منهم انهم لا يؤمنون ابدا
وان بين لهم جهة الاحياء والقدرة عليه لذلك اكتفى بقوله قل نعم وانتم داخرون قد ذكرنا
انهم كانوا يقولون ذلك ولم يذكر شيئا من الحجاج سوى قوله نعم وقوله وانتم داخرون اى صاغرون
ذليلون كقوله عز وجل يرهقهم ذلة والله اعلم وقوله فانما هى زجرة واحدة يحتمل قدر زجرة واحدة
يخبر عن سرعة قيامها ومرورها ويحتمل على حقيقة الزجرة لكن يخبر عن خفة ذلك وهونه عليه
كقوله كن فيكون من غير ان كان منه كاف او نون او شئ من ذلك لكنه اخف كلام على الالسن يؤدى به
المعنى ويفهم به المراد من ذلك فعلى ذلك جايز ان يكون قوله زجرة واحدة اخبار عن خفة
ذلك عليه وهونه من غير ان جعل الزجرة سببا للاحياء او سببا من ذلك والله اعلم وقوله
فاذا هم ينظرون يحتمل قوله ينظرون الى ما ذا يؤمرون وعن ما ذا ينهون لان الذى اصابهم فى الاخرة
انما كان لتركهم الامر فى الدنيا فاذا عاينوا ما كانوا يوعدون فى الدنيا بتركهم الامر عند ينظرون
الى ما ذا يؤمرون وينهون عنه والله اعلم او ينظرون كالمتحيرين لانهم كانوا ينكرون البعث ويكذبونه
فاذا عاينوا تحيروا وتاهوا وضجروا وهكذا الامر المتعارف فى الخلق ان من انكر شيئا او كذبه ثم اخبر
واعلم حتى يتيقن به ويحقق عنده ما انكر تحير وزجر فعلى ذلك هؤلاء لما انكروا ذلك فى الدنيا
وكذبوه ثم عاينوا ذلك وتيقنوا به تحيروا وضجروا به ينظرون نظر المتحير الضجر والله اعلم وقوله
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا كلام يقال عند الوقوع فى الهلاك وقوله هذا يوم الدين يحتمل وجوه
يحتمل يوم الدين يوم الحساب اى يوم الحساب ويوم الجزاء وكذلك قوله مالك يوم الدين ويحتمل
هذا يوم الذى اى هذا يوم الذى ينفع كل من معه الدين دينه والدين المطلق هو دين الله وكذلك
السبيل المطلق هو سبيل الله وقوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون قوله هذا يوم الفصل
اى يوم القضاء والحكم كقوله عز وجل ان ربك يفصل بينهم يوم القيامة اى يقضى بينهم فيما كانوا
فيه يختلفون والله اعلم ويحتمل قوله هذا يوم الفصل اى يفرق ويفرق بينهم اى بين الكفار
واهل الايمان وبين الخبيث والطيب كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث
على بعض فيركمه جميعا الآية وقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقوله فريق فى الجنة وفريق
فى السعير والله اعلم وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم فالزوج هو اسم لشكله واسم لضده

اسم لهما

676

اسم لهما جميعا يحتمل قوله وازواجهم اى اشكالهم وقرناؤهم من الجن والانس والشياطين يامر
الملايكة ان يجمع بين من كان يجتمعون فى هذه الدنيا ويستحبون الاجتماع معهم ان يجمعوا فى عذاب الاخرة
على ما كانوا يستحبون الاجتماع فى الملاهى والطرب فى هذه الدنيا ويجتمعون على ذلك فعلى ذلك يجمع
بين اولئك وبين قرنايهم جهنم ويقرنون بعضهم الى بعض فى العذاب كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين وكقوله والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ونحو وقوله فاهدوهم
الى صراط الجحيم كقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ونحوه والله اعلم وقال قتادة وغيره
هذا يوم الدين اى يدان لبعض الناس من بعض فى المظالم والحقوق وقوله عز وجل وقفوهم انهم مسؤلون
يحتمل الوقف للحساب ويحتمل مسؤلون اى محاسبون وعن ابن عباس قال ان دون الحساب يوم
يوم القيامة كذا كذا موقفا فى كل موقف يوقفون مقدار كذا عاما ثم تلا هذه الآية ويحتمل السؤال عما وقفوا
عما فعلوا ولكن يسألون لماذا فعلوا ويحتمل الوقوف فيتوالى بعضهم بعضا والمخاصمة فيما بينهم
والمراجعة كقوله وقالت اولاهم لاخريهم كذا وقالت اخريهم لاولاهم كذا على ما اخبر انه يجرى فيما بينهم
من الخصومة ومراجعة القول والملامة وقوله ما لكم لا تناصرون اى ما لكم لا تنصرون اى ما لكم لا تنصركم
الاصنام التى عبدتموها فى الدنيا ورجاء النصر والشفاعة كقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى يخبر عن اياسهم من نصر ما عبدوا على رجاء النصر لهم والشفاعة كقوله
بل هم اليوم مستسلمون اى خاضعون ذليلون لله لما علموا ان لا يكون النصر والعون الا منه فعند
ذلك مستسلمون له وقال بعضهم يستسلمون فى عذابه وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال بعضهم
اقبلت الانس على الجن وقال بعضهم اقبلت الانس على الشياطين فقالوا لهم انكم كنتم تاتوننا
عن اليمين قال بعضهم من قبل الخير والطاعة فتلبسونها وتثبطوننا عنه وقال بعضهم من قبل الدين
والتوحيد من حيث لم يحترس وهو الاول وقال بعضهم من قبل الجن ونحوه فرد عليهم اولئك بل لم يكونوا
مؤمنين يقولون اى تركتم الايمان بانفسكم وباختياركم لا انا منعناكم ستعاعنه وقالوا وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما طاغين اى ما كان لنا عليكم من حجة او برهان الزمناكم به بل اطعتمونا طوعا
واستجبتمونا بما دعوناكم فهذه المناظرة والمجادلة فيما بينهم كمناظرة ابليس فى موضع اخر حيث قال عز وجل
وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم اى دعوتكم بلا حجة ولا برهان فاستجبتم لى فعلى ذلك
يقول هؤلاء بل لم تكونوا مؤمنين باختياركم ترك الايمان بلا سلطان ولا حجة كان لى عليكم وكمناظرة القادة
مع الاتباع حيث قال قالت اخريهم لاوليهم فما لكم علينا من فضل ونحوه والله اعلم ويحتمل قوله قالوا انكم
كنتم تاتوننا عن اليمين اى من جهة القوة اى انكم على الحق وانكم مؤمنون ونحو ذلك ويحتمل لا على حقيقة
اليمين ولكن تاتوننا من كل جهة كقوله ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم الاية اى من كل
جهة لا على حقيقة ما ذكرنا والله اعلم وقد ذكرنا ان قوله عز وجل وما كان لى عليكم من سلطان ان قوله سلطان
اى لم يكن لاتباعكم اياما وطاعتكم لنا حجة او برهان اقمناه عليكم فيما دعوناكم الى ما دعوناكم اليه
اتباعا من غير ان الزمناكم فلا تلومونا ولكن لوموا انفسكم بل كنتم قوما طاغين اى بطغيانكم اتبعتمونا
لا بما ذكرتم والله اعلم ثم قالوا فحق علينا قول ربنا انا لذائقون يشبه ان يكون هذا قول الاكابر منهم
والمتبوعين للاصاغر والاتباع منهم ان حق علينا قول ربنا قال بعضهم اى وجب علينا وعليكم
عذاب ربنا ويشبه ان يكون القول الذى اخبر انه حق عليهم هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين والله اعلم وقوله فاغويناكم انا كنا غاوين يحتمل ان يكون هذه المعاينة التى ذكرت كانت

بين الاتباع والمتبوعين من الانس كقوله عز وجل وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا كذا وقال الذين
استكبروا للذين استضعفوا كذا وكقوله ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم كذا ويشبه ان يكون بين الانس والشياطين
ثم قوله فاغويناكم يحتمل اغويناكم حين اخبرتهم الغواية والضلال او عرفتم انا لسنا على الهدى ولو نقم عليكم
الحجة فاتبعتمونا على علم منكم انا على الغواية فاغويناكم حينئذ والاغواء الاضلال والغواية الضلال وقوله
فانهم يومئذ في العذاب مشتركون اخبر انهم جميعا الاتباع والمتبوعون يشتركون في العذاب ليس
ان يشتركوا في نوع من العذاب ولكن يجمعون جميعا ثم لهم العذاب على قدر عصيانهم وجرمهم وقوله
انا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابو بكر الاصم المجرم هو الثابت في المعصية القادح فيها والله اعلم وقوله
عز وجل انهم اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اى كانوا اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون
ثم يحتمل قوله يستكبرون على هذه الكلمة ولكن يستكبرون على اتباع القائلين لهم لا اله الا الله كقولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكقولهم انزل عليه الذكر من بيننا كانوا يانفون
ويستكبرون على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قالوا ما قالوا وجايز ان يكون ما ذكر من استكبارهم
استكبارا على هذه الكلمة حقيقة فيخرج استكبارهم عليها انكارا لهذه الكلمة وجحودا لها بقولهم اجعل الآلهة
الها واحدا والله اعلم ويقولون اينا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يشبه ان يكون على الانكار لما ذكر
من قولهم على اثر ذلك وهو ما قال اينا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ثم جمعوا في هذه متضادين لان الشاعر
هو الذي يبلغ في الجهل غايته ثم جمعوا بينهما في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قولهم ساحر
ومجنون الساحر هو الذي يبلغ في علم الاشياء غايته والمجنون في الجهل دل انهم انما يقولون عن عناد
وتعنت وقوله عز وجل بل جاء بالحق وصدق المرسلين الحق قال بعضهم بالحق الذي لله عليهم
وما لبعضهم على بعض واصل الحق ان كل ما يحمد على فعله هو الحق وكل ما ندم عليه فهو باطل وصدق
المرسلين اخبر انه صدق اخوانه من المرسلين والله اعلم قال ابو عوسجة والقتبي الصافات هي الطيور
التي صفت بين السماء والارض والزاجرات زجرا من الزجر يقال زجرت الابل زجرا ان صحت له
الزجر الصياح والتاليات كما تقول تلوت القرآن اى قرات وتلوت تبعت والتالي التابع والقذف
الرمي يقذفون اى يرمون ودحورا اى مباعدة دحرته اى باعدته وطردته وواصب اى دايب خطف
الخطفة اى استلب الشيء والخطفة الاستلاب بتسريع فاتبعه اى تبعه شهاب ثاقب الشهاب الكوكب
والثاقب الشديد الضوء والحر يقال ثقبت النار اى تلهب واشتد حرها واثقبتها اى اوقدتها يسخرون
واستسخرت كقولهم قر واستقر واحد ويسخر به ويسخر به بالتشديد وسخرت فلانا اى استعملته بغير اجر
مستسلمون اى قد ذلوا واعطوا بايديهم يقال استسلم الرجل اذا اعطى بيده واسلمته تركته لم اعنه ولم انفعه
وازواجهم اشكالهم يقول العرب زوجت اى اذا قرنت واحدا بآخر وهم قرناؤهم من الشياطين كنتم
تاتوننا عن اليمين اى تخدعوننا وتمنعوننا عن طاعة الله والله اعلم وزوج الشيء شكله ويقال لضده فهو
اسم لهما جميعا وقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يحتمل ما ذكرنا انه على الاضمار
انه اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون ويحتمل وجها آخر انهم اذا قيل لهم اتركوا عبادة الاصنام
واصرفوا عبادتكم الى الاله الذي هو في الحقيقة اله وهو المالك لجر النفع ولرفع الضر وهو الله جل وعلا
ويدل لهذا قولهم اينا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون اى نترك عبادة آلهتنا لقول شاعر مجنون والله اعلم
ذكر ان نفرا من رؤساء قريش اتوا ابا طالب فقالوا ما يريد منا ابن اخيك محمد فدعا به فقال ما تريد منهم
يا ابن اخي فقال لهم يا عم انما اريد منهم كلمة يملكون بها العرب ويؤدي لكم بها العجم وفي بعض القصة
انه قال لهم اريد منكم كلمة يدين لكم بها العرب ويؤدي اليكم بها العجم الجزية فقالوا وما هي فقال لا اله الا الله

وانى رسول الله

وانى رسول الله فقالوا اجعل الآلهة الها واحدا وذكر انهم قالوا اينا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ويحتمل
ما ذكرنا فيما تقدم والله اعلم فالآية فيمن يقر بالصانع ليس فيمن ينكر الصانع راسا من نحو الدهرية
وغيرها حيث نفي الالوهية لمن دونه واثبتها لله عز وجل بقوله لا اله الا الله ولو كان ذلك
مع اهل الدهر لكان لا معنى لنفي الالوهية لغيره بل يحتاج الى تثبيتها فحسب فدل ان الآية
فيمن يقر بالصانع لكنه يشرك غيره فيها وهم مشركو العرب وغيرهم والله اعلم ثم اخبر عن حال
رسوله صلى الله عليه وسلم وصدقه حيث قال عز وجل بل جاء بالحق وهو كل آياته من التوحيد والاسلام
والرسالة وكل فعل يحمد فاعله عليه ولا يذم وقوله عز وجل وصدق المرسلين الذين كانوا قبله في جميع
ما جاؤوا به من الحق انكم لذائقوا العذاب الاليم بالتكذيب والمراد لذلك كله وما تجزون الا ما كنتم
تعملون ثم استثنى المؤمنين حيث قال عز وجل الا عباد الله المخلصين فانهم لا يذوقون العذاب
الاليم ولا لو كانوا مستثنين من قوله وما تجزون الا ما كنتم تعملون او لا يكون لهذا حق الاستثناء الاول
ولكن الآية كذلك جايز في اللغة سايغ في اللسان والله اعلم ثم بين ما اعد للمخلصين فقال اولئك لهم
رزق معلوم فان قيل كيف يجمع بين قوله يرزقون فيها بغير حساب وبين قوله لهم رزق معلوم
قال بعضهم من اهل التاويل يعني المعلوم حين يشتهونه يؤتون به ويحتمل ان يكون الكثير الذي
لا يحسب ولا يعد لكثرته هو في نفسه معلوم محدود وان يريد بالمعلوم انه صار ما وعدوا
في الدنيا لهم في الآخرة معلوما معروفا عند الوصول اليه كان ذلك لهم موعودا
فاذا وصلوا اليه صار معلوما محدودا والله اعلم وقوله فواكه وهم مكرمون اى معظمون مشرفون
وقوله في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس من معين يخبر ان لهم في الجنة
ما يستحبون ويختارون في الدنيا من الجلوس على السرر على المواجهة والمقابلة والشرب على ذلك
والكاس قيل كل اناء او قدح فيه شراب فهو كاس وقوله بكاس من معين المعين قال بعضهم
هو الجاري كانه يخبر ان خمور اهل الجنة تجري في الانهار كقوله عز وجل وانهار من خمر لذة
للشاربين وقال بعضهم المعين هو الظاهر الذي يقع البصر عليه كقوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا
فمن ياتيكم بماء معين اى ظاهر وقوله عز وجل بيضاء لذة للشاربين ذكر ان خمورهم في الآخرة
بيضاء لان البياض يظهر كل ما فيه من الاذى والآفة ويرى فاما غيره من الالوان فانه قلما يظهر
وقلما يرى الا بجهد او ذكر انها بيضاء لان البيضاء من الالوان المستحسن الطباع كلها وهو المختار
عندنا قال الزجاج ان الخمر لذة للنفس الروحانية لا الجسدانية الا يرى ان الخمر يشربها الناس
ويظهر كراهته ذلك في وجوههم من العبوسة وغيرها ثم مع هذا يعودون ويشربون دل انها لذة
لا لهذه النفس الجسدانية ولكن للنفس الروحانية وكلام نحوه والله اعلم وقوله عز وجل لا فيها غول
ولا هم عنها ينزفون وينزفون بنصب الياء وكسر الزاي ورفعها ونصب الزاي يقول لا ينزف
الخمر عقولهم اى لا يذهب بها اى لا يسكرون كما يسكر بشرب خمور الدنيا ومن قراها ينزفون
اى يفنى شرابهم وتاويل هذا الكلام ان اهل الدنيا اذا اخذوا في الشراب لا يتركون شربهم الا لاحدى
الحالتين اما لذهاب عقولهم وذلك عند شدة سكرهم واما لفناء الشراب لاحدى هاتين الحالتين
يتركون شربهم فيخبر ان اهل الجنة لا يذهب عقولهم الخمر ولا هم يفنون شرابهم ولا كانت
فيها آفة ولا ضرر والله اعلم قال ابو عوسجة طاهر لا غول ويقال للجاري لا فيها غول اى سكر
ولا ضرر ولا يكون الاغتيال الا من الخديعة والقتل في الاولاد هو ان يرضع المراة ولدها وفي بطنها
آخر والمغلول التلون ولذلك سميت الغول غولا لانها تتلون والغيلان جمع ينزفون قال النزيف

السكران وقال القتبي لا فيها غول اي لا يغتال عقولهم فيذهب بها يقال الخمر غول للحلم والحرب
غول للنفوس والغول العدو ولا هم عنها ينزفون اي لا يذهب خمرهم وينقطع ويذهب عقولهم والخمر التي
جعلها الله لاهل الجنة في الآخرة هي للذي لم يشربها في الدنيا ولم يتناول منها ولا يتلذذ بها والله اعلم
وقيل لا فيها غول اي لا غائلة لها اي الصداع اي لا يفجع منها الرأس ولا هم عنها ينزفون اي لا يسكرون
ينزف عقولهم فيذهب وفي قوله الا عباد الله المخلصين بنصب اللام دلالة انه قد كان من الله جل وعلا
لطف به استوجبوا الاخلاص ازواجهن جبل الله عز وجل البشر على الغيرة ولا يستحب الرجال ان ينظر ازواجهم
الى غيرهم ولا النساء ان ينظر ازواجهن الى غيرهن فاخبر عز وجل عن ازواجهم في الجنة انهن ه
لا ينظرن الى غير ازواجهن حبا لازواجهن وطلبا لمرضاتهم والله اعلم وقوله عين قال بعضهم واسعات
العيون في الجمال لان السعة في العين اذا جاوز الحد لحسن ولا يكون فيه جمال ولكن يكون فيه قبح والله اعلم
وقال بعضهم عين اي حسان العيون والعين جماعة العيناء والله اعلم وقوله عز وجل كانهن بيض مكنون
اي مستور لا يصيبه مطر ولا ريح ولا غبار ولا شمس ولا شيء مما يصيب في الدنيا كقوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
والله اعلم وقوله كانهن بيض مكنون اي مدحي وكن من الحر والغبر والمطر فلم يتغير وهو مثل الاول
وقال بعضهم بيض مكنون هو كبيض النعام الذي يكنه الريش من الريح وغيره وهو ابيض الى الصفرة فكانه يزف
فذلك المكنون وقال بعضهم شبههن بالبياض الذي يكون بين القشر وبين اللحا وهو ابيض شيء يكون والله اعلم
بذلك فيه وصفهن بالجمال والبهاء والحب لازواجهن وقال بعضهم البيض المكنون هو المصون وصفهن
بالصون والصيانة كقوله حور مقصورات في الخيام والله اعلم وقوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون ه
قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول اءنك لمن المصدقين الى آخر ما ذكر في بعض القصة ان رجلين
شريكين كان لهما ثمانية الف دينار وذكر انهما كانا اخوين ورثا ثمانية الف دينار فاقتسما وذكر اربعون
الف درهم فعمد احدهما الى ماله فاشترى به قصورا وبستانا وفرشا وجواري ونساء فانفقه في امر
الدنيا وعمد الآخر الى ماله فانفقه في طاعة الله وطلب مرضاته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبي
هذا لعله ان ينالني منه بمعروف فاتاه فساله فابى ان يعطيه شيئا وقال له ما شانك وما فعلت بمالك
فاخبره بما فعله به فقال له اءنك لمن المصدقين اذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمدينون اي محاسبون
فرجع فقضي لهما ان يوفيا فنزلت فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم وهو المؤمن
حين ادخلهما الله الجنة اني كان لي قرين يقول اءنك لمن المصدقين بالبعث بعد الموت اذا متنا وكنا ترابا
وعظاما اءنا لمدينون اي لمحاسبون قال هل انتم مطلعون كانه قال لاصحابه هل انتم مطلعون في النار
لينظر ما حاله ثم اخبر انه اطلع فرآه في سواء الجحيم ذكر اطلاعه ولم يذكر اطلاع اصحابه فجائز ان يكون اخبر
عن اطلاع كل واحد منهم في نفسه انه اطلع فرآه في سواء الجحيم اي وسط الجحيم وان كانوا جميعا مطلعين
اليه فيها كقوله عز وجل يا ايها الانسان انك كادح ويا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وان كان خاطب
انسانا فانما خاطب به كل انسان في نفسه فعلى ذلك جائز ان يكون قوله عز وجل فاطلع فرآه في سواء الجحيم
انما الخبر من اطلاع كل منهم والله اعلم وكانوا جميعا مطلعين ثم في الآية سببان عجيبان احدهما ما ذكر
من اطلاع اهل الجنة على اهل النار انها تكون قريبة من الجنة حتى ينظر بعضهم الى بعض ويرون ان يكون بعيد
منها الا ان ابصار اهل الجنة يكون ابعد وابصر مما يكون في الدنيا فجائز ان يجعل الله عز وجل ابصار اهل
الآخرة ابصر والبعد حتى لا يمنعه ولا يمنعه بعد المسافة والمكان عن النظر والرؤية عن النظر والرؤية
والله اعلم والثاني ان كيف يعرفه في النار والنار مما يحرقه ويغير وجهه ولونه وجميع اعلامه وسيماه
لكن جائز ان يكون الله عز وجل يعرفه باعلام يجعل له فيعرفه بتلك الاعلام وذلك على الله عز وجل يسير هين

واهل التأويل يقولون يجعل الله عز وجل لاهل الجنة كوى منها اذا ارادوا ان ينظر احدهم ه ه
الى من في النار فتح الله له كوة ينظر الى من شاء من مقعده الى النار فيزداد بذلك شكرا وهو قوله فاطلع
فرآه في سواء الجحيم اي في وسط الجحيم كقوله عز وجل سواء السبيل اي وسطه فقال تالله ان كدت
لتردين اي هممت لتغوين وكذلك في حرف ابن مسعود لتردين لتغوين وقال الكسائي تالله وبالله ووالله
والله بغير واو لغات يخبر ان بالله يكون على الاسف مرجعهما الى سفاة يقول لولا ان الله انعم
على الهدى ولولا ان الله رحمني وهداني المعنى يقول له امرك دينك واتبعني وقال لتردين ه
اي لتهلكني يقال اردت فلانا اي اهلكته والردى الموت والهلاك وهو قول ابي عوسجة والقتبي
وقوله لمدينون قال بعضهم لمحاسبون وقال ابو عوسجة والقتبي لمجزيون والدين الجزاء وقال بعض
مكنون اي مستور لا يصيبه غبار ولا وسخ وقوله وان كدت لتردين اي هممت واردت ان تهلكني
وتغويني لو اوحيتك واتبعتك فيما دعوتني اليه وسالتني ثم اخبر انه لولا نعمة ربي لكنت من المحضرين
معه وهذا على المعتزلة لقولهم ان عليه هداية كل احد ما لو سفه عنه كان جائرا في منع ذلك
وهذا الرجل اخبر انه بنعمته ورحمته اهتدى ما اهتدى وانه لو لم يكن منه اليه نعمة لكان من المحضرين
فيها اعرف بربه من المعتزلة وكذلك الشيطان وجميع الكفرة اعرف بنعمة ربهم من المعتزلة لانهم
قالوا هل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ومثله
كثير في القرآن انهم جميعا راوا الهداية لهم من الله نعمة ورحمة وانه لم يعط الكفرة ذلك والمعتزلة
يقولون بل هدى كل كافر ومشرك لكنه لم يهتد واهل الجنة قالوا ايضا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ومثله كثير في القرآن والله اعلم وقوله افما نحن بميتين الا موتتنا
الاولى يحتمل ان يكون قوله افما نحن بميتين على الايجاب والالزام ليس على الاستفهام وسؤال بعضهم
بعضا الا نموت فيها ولا نعذب واذ لم نمت ولم نعذب فيها فاذا كان ذلك فوزا عظيما وكذلك ذكر
ابو معاذ عن الكسائي ان هذا استفهام تعيين وفي القرآن كثير مثله وقال قد يكون الاستفهام ه
على التعجب ويكون على التعيين عن الجهالة ويكون قوله الا موتتنا الاولى الا بمعنى بعد اذ موتة الاولى
قد مضت لا يذوقون ثانيا وقوله لمثل هذا فليعمل العاملون اي لمثل هذه العاقبة التي اعطينا
نحن وظفرنا بها يعمل العاملون لا لمثل ما فيه صاحبنا الذي في النار ثم قال اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم
يحتمل قوله عز وجل اذلك خير نزلا من المنزل والمقام الذي نزلنا فيه نحن خير ام شجرة الزقوم
ويحتمل قوله عز وجل اذلك خير نزلا ان يكون من الانزال اي ما لنا من الطعام والماكل والمشرب خير
ام شجرة الزقوم قال بعضهم اعني بعض الكفار لبعض لما خوفوا بها هل يدرون ما الزقوم هو التمر
والزبد فقالوا بهذا الذي يخوفنا به محمد وقال بعضهم ان محمدا يخوفنا بشجرة في النار والنار من طبعها
ان يحرق الشجر وتاكله فكيف يكون في النار الشجرة تكذيبا منهم وانكارا لها فبين الله عز وجل تلك الشجرة
وعن حالها فقال انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين ليخبر ان تلك الشجرة خرجت
من اصل الجحيم وانشئت منها والشجرة التي انشئت من النار لا تاكلها النار ولا تحرقها كما تاكل غيرها
من الاشجار التي لم ينشا منها ومثل هذا جائز ان يكون الشيء الذي يكون نشوؤه وبدؤه من شيء لا يهلكه
كونه في ذلك نحو السمك الذي يكون اصل نشوئه في الماء لا يهلكه الماء وكذلك جميع دواب البحر وان كان
غيرها من الدواب في البرية يهلك فيها ويتلف فعلى ذلك الشجرة المنشأة منها لا يهلكها النار
ولا يحرقها وان كان غيرها من الاشجار ياكلها ويحرقها والله اعلم والجحيم قيل هو معظم النار وعظمها
يقال اجحمت النار اي عظمتها يقال نار جحيمة اي عظيمة وقوله طلعها كانه رؤوس الشياطين اختلف فيه

قال بعضهم ان نوعا من الحيات يسمين شياطين لها رؤس سود قباح لها كعرف الفرس وطلع تلك الشجرة وثمرتها لقبحها وسوادها برؤس تلك الحيات والله اعلم وقال بعضهم هو نوع من النبات بالبادية يستقبحه الناس اشد الاستقباح شبه طلع تلك الشجرة وثمرتها بذلك النبات وقال بعضهم ان جبالا بمكة سود قباح يستقبحها اهل مكة سموها شياطين شبه بما ديها تلك الشجرة وطلعها برؤس تلك الجبال والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن حقيقة رؤس الشياطين لان الله عز وجل جعل الشياطين في قلوب ولتلك الكفرة فضل بغض وقبح والنفار منها وان لم يروها ولم يعاينوها فشبه طلع تلك الشجرة برؤس الشياطين ليفصل انكارهم وبغضهم اياها حقيقة وفي ذلك اية عظيمة لرسالته صلى الله عليه وسلم لانهم لم يروا الشياطين ببعضهم ولا عرفوهم معاينة وانما عرفوهم باخبار الرسل عليهم السلام وبما استنكروها واستقبحوها وهم قوم لا يؤمنون بالرسل عليهم السلام فاذ قبلوا اخبار رسل الله فيهم لزمهم ان يقبلوا قوله في الرسالة وفي جميع ما اخبر والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلناها فتنة للظالمين يحتمل قوله فتنة يعني به الشجرة التي انشئت من اصل الجحيم وهي شجرة الزقوم عذابا للظالمين يعني به الشجرة كقوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ذوقوا فتنتكم اي عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ويحتمل قوله جعلناها اي تلك الشجرة الزقوم فتنة للظالمين في الدنيا وجهه الفتنة بها لهم هو انكارهم اياها عن الجهة التي ذكر وان النار تحرق وتاكل الشجر فكيف يكون فيها شجر انكارا لهم وتكذيبا بها والثاني ما ذكر بعضهم ان الزقوم هو الزبد والتمر صارت تلك فتنة لهم لما ذكرنا وسببا لعذابهم والله اعلم وقوله عز وجل فانهم لاكلون منها اي من الشجرة الزقوم التي ذكرنا انها تخرج من اصل الجحيم وقوله فمالئون منها البطون جائز ان يشدد الله عليهم الجوع حتى ياكلون منها كقوله عز وجل فشاربون شرب الهيم وهي الابل التي يملا بطونها من الماء لا يغني ذلك الشرب وهو الحميم ولا يدفع عنهم العطش الذي يكون بهم فعلى ذلك ما جعل طعامهم من تلك الشجرة كقوله عز وجل ان شجرت الزقوم طعام الاثيم الاية انهم وان ملؤا بطونهم فان ذلك لا يدفع عنهم الجوع كقوله لا يسمن ولا يغني من جوع والله اعلم وقوله ثم ان لهم عليها وفي حرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم ان مصليهم لالى الجحيم وقوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان لهم على تلك الشجرة وقوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي ثم ان مردهم اي ثم انهم يردون الى الجحيم لا انهم يرجعون بانفسهم ولكن يردون فيها كقوله ادخلوا ابواب جهنم هم لا يدخلون فيها ولكن يدفعون فيها كقوله عز وجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا والجحيم هو معظم النار على ما ذكرنا يقال نار جاحمة اي عظيمة وقوله انهم الفوا اباهم ضالين اي وجدوا اباهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون فيه ان ما ذكر من العذاب للاتباع منهم لا للمتبوع ولم يذكر عذابا للمتبوعين في الاية حيث قال انهم الفوا اباهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون قال بعضهم يسرعون وهو شبه الهرولة والاهراع هو الاسراع وهو قول القتبي وابي عوسجة وقال بعضهم يهرعون اي يسعون وهما واحد وقوله عز وجل ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين يقول والله اعلم ولقد ضل قبل قومك يا محمد من الاولين اكثرهم من الامم الخالية من لدن ادم فهلم جرا الى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ادم ومن بينهما من النبيين وقوله عز وجل ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي لقد ارسلنا في الذين ضلوا قبل قومك منذرين ينذرهم ما من قوم الا بعث اليهم نذير كما ارسلنا الى قومك وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يقول والله اعلم انظر كيف صنعنا بمن نذرنا بالعاقبة فلم يؤمن ولم يقبل فلم تنفعه النذارة الا عباد الله المخلصين استثنى المخلصين منهم وهم الذين نفعتهم النذارة وقبلوها فنجوا مما ذكر من عذابهم والله اعلم ويحتمل انهم تماهم المخلصين لما اصفاهم الله واخلصهم لعبادته وقوله عز وجل ولقد نادنا

نوح قال بعضهم حين دعا ربه فقال عليه السلام رب اني مغلوب فانتصر فكانه انما دعا ربه بالهلاك على قومه فاجاب الله دعاءه وهو ما قال عز وجل ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر الى اخر ما ذكر ثم ان الرسل عليهم السلام هم مخصوصون بهما من بين غيرهم من الناس احدهما ان ليس لهم الدعاء على قومهم بالهلاك وسوال العذاب عليهم الا بعد مجيء الاذن لهم من الله عز وجل بالدعاء عليهم فنوح عليه السلام انما دعا ربه بانزال الهلاك عليهم بالاذن من ربه والثاني لم يكن لهم الخروج من بين اظهرهم عند نزول العذاب بهم الا باذن من الله عز وجل على ذلك ولذلك جاء العتاب ليونس عليه السلام والتعيير لما خرج من بينهم عند نزول العذاب بلا اذن كان من ربه حيث قال عز وجل وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه الاية هما خصلتان لهم خاصة صلوات الله عليهم واما الغير منهم من اهل الدين فلهم ان يدعوا على الفجرة والفسقة منهم باللعن والهلاك فلهم ان يفروا منهم وان يخرجوا من بين اظهرهم لفسقهم وفجورهم وكان هذا بعد من صالح الاعمال لهم وقوله عز وجل فلنعم المجيبون وهو الرب تبارك وتعالى ذكر المجيبين على الجماعة انا نفعل كذا وفعلنا كذا وهو كلام الملوك فيما بينهم ثم كل فعل يضاف الى الله تعالى مما يشترك فيه غيره او ينسب اليه يراد فيه شيئا يكون فاصلا وذلك بينه وبين فعل غيره نحو ما قال عز وجل هاهنا فلنعم المجيبون وقال عز وجل في موضع اخر وهو احكم الحاكمين ونحو قوله عالم لا كالعلماء ونحو مما يكثر ذلك لانه قادر على وفاء ما وعد والخبر والانجاد ذلك لا يعجزه شيء وغيره من الخلايق لعلهم لا يقدرون على وفاء ذلك والقيام بانجاز ما وعدوا لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ونجيناه واهله من الكرب العظيم هو دعاؤه قومه الى توحيد الله عز وجل سبعمائة وخمسين سنة وما قاساه منهم من انواع الاذى من التكذيب وغيره فانجاه الله من كرب ذلك حين اهلكهم ويحتمل الكرب العظيم هو الهول الشديد وهو الغرق اغرق قومه ونجاه منه سماه عظيما لشدة ما اصابهم وقوله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين اي جعلنا ذرية نوح عليه السلام من بين ساير ولد ادم وذريتهم واهلك غيرهم ولذلك كان بقي نسله الى يومنا هذا وهلك نسل غيره والله اعلم وقوله وتركنا عليه في الاخرين يشبه ان يكون ما ذكر انه ترك في الاخرين ما ذكر على اثره من السلام حيث قال عز وجل سلام على نوح في العالمين اي ابقينا عليه الثناء الحسن في الاخرين حتى يثنوا عليه جميعا ويصدقوه ويقولون فيه خيرا وحسنا والله اعلم ويحتمل ما قال بعضهم سلام الله على نوح في العالمين وسلم اليه جميع العالمين في جميع الاوقات كما سلم عيسى على نفسه حيث قال والسلام على يوم ولدت ويوم ابعث حيا ذكر السلام عليهما في اوقات ثلثة وفي يوم في الاوقات كلها والله اعلم وقوله عز وجل انا كذلك نجزي المحسنين اي انا هكذا نجزي كل محسن فجزاه الله باحسانه ابقينا الحسن في العالمين رغب الناس في الاحسان اما الى الخلق واما الى انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل انه من عبادنا المؤمنين وليس في ذكره انه من المؤمنين كثير منفعة له وهو من اولي العزم من الرسل لكن يحتمل ذكره اياه انه من المؤمنين وجوها احدها انه من عبادنا المؤمنين قبل الرسالة وقبل ان يبعث رسولا اعلم يصير مؤمنا وقت الرسالة ولكن كان لم يزل مؤمنا قبل الرسالة والثاني انه من عبادنا المؤمنين بك يا محمد يذكر هذا البشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفرح عليه والرسل عليهم السلام جميعا يؤمن بعضهم ببعض والثالث انه من عبادنا المؤمنين المحققين الموقنين اي وفاء ما اعتقدوا على بلسانه وهكذا كان الرسل كلهم موقنين ما اعتقدوا واعطوا بلسانهم وهكذا يعتقد كل مؤمن في اصل ايمانه واعتقاده ان لا يعصي ربه وان لا يخالفه في شيء من اوامره ونواهيه لكنه لا يفي ما اعتقد فعلا بل يقع ربما في معاصيه وفي مخالفة امره ونهيه والله اعلم وقوله عز وجل وان من شيعته لابراهيم اي ابراهيم عليه الصلوة والسلام من شيعته

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول على دينه ومنهاجه وقال بعضهم من شيعة نوح ان ابراهيم من شيعته
نوح عليه السلام على ما تقدم ذكر نوح عليه السلام قال نادانا نوح الى آخره ذلك ان ابراهيم من شيعته على دينه
ومنهاجه وقيل لذكرها اذ جاء ربه بقلب سليم عن جميع ما يمنعه من الاجابة لربه فيما دعاه والصبر على ما امتحنه
وابتلاه والله اعلم وعلى ذلك سماه الله عز وجل في كتابه الكريم وابراهيم الذي وفى جميع ما امر به وامتحن به
والله اعلم وجايز ان يكون ذلك في الآخرة يقول جاء ربه بقلب سليم كقوله عز وجل ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اخبر انه في الآخرة يكون من الصالحين وذلك سلامة قلبه
والله اعلم **وقوله** عز وجل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون قد اختلف
سؤال ابراهيم صلوات الله عليه لجوابهم اياه حيث قالوا نعبد اصناما وما قالوا وجدنا يقوله مرة
قال لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ومرة قال ماذا تعبدون ثم ذكر في غير هذا الموضع
اجابتهم اياه حيث قالوا نعبد اصناما وما قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين ولم يذكرها هنا شيئا
قالوا له ثم معلوم انه لا بهذا اللسان سالهم ولا بهذا اللسان اجابوه بما اجابوه ثم ذكر على اختلاف
الالفاظ والحروف ليعلم ان تغييرا لالفاظ وتبديل الحروف لا يغير المعنى وكذلك جميع
القصص التي ذكرت في القرآن بذكرها مكررة معادة مختلفة الالفاظ والحروف والقصة واحدة
ليدل ان الماخوذ والمقصود من الكلام معناه لا لفظه وحروفه والله اعلم ثم قوله عز وجل ائفكا
آلهة دون الله تريدون يحتمل والله اعلم افكا اي كذبا متمسكم الاصنام التي تعبدونها من دون الله
يقول كذبا ذلك ليست بآلهة دون الله عبادته او يقول افكا آلهة اي كذبا الآلهة التي اتخذتموها آلهة
دون الله يريدون ان يتخذوا آلهة وهو قريب الاول **وقوله** عز وجل فما ظنكم برب العالمين يقول والله اعلم
فما ظنكم برب العالمين اي يفعل بكم اذا اتخذتم دونه آلهة وصرفتم العبادة والشكر عنه المحسن دونه
وقد تعلمون انه هو المنعم عليكم هذه النعم وهو اسدى اليكم هذا الاحسان وهو ... اليكم او يقول
فما ظنكم برب العالمين انه يرحمكم ويفعل بكم خيرا في الآخرة بعد تسميتكم الاصنام آلهة وعبادتكم
اياها دون الله بعد علمكم انه خلقكم وهو سخر لكم جميع ما في الدنيا وهو انشاها لكم فما تظنون به ان يفعل بكم
ان يرحمكم ويسوق اليكم خيرا اي لا يظنون به ذلك ولكن ظنوا به خيرا صنعكم **وقوله** عز وجل فنظر نظرة
في النجوم فقال اني سقيم اي اني ساسقم وذلك جايز في اللغة كقوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون لا محال
فعلى ذلك قول ابراهيم عليه السلام اني سقيم اي ساسقم او يقول اني سقيم وهو صادق اذ ليس من الخلق
احد الا وبه سقم ومرض وان قل فعلى ذلك قول ابراهيم عليه السلام وقول من قال ان ابراهيم عليه
السلام كذب ثلثا احدها هذا اني سقيم وذلك وحش من القول سمج لا جايز ان ينسب الكذب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو من البيانه لا يقع قط في وجه من الوجوه ويذكر اهل التاويل ان قومه ارادوا
ان يخرجوا بابراهيم التي عندهم فنظر ابراهيم نظرة في النجوم فقال اني سقيم ليخلفوه ويتركوه في البلد
ليكسر اصنامهم التي يعبدونها على ما فعل من الكسر والنحت ويذكرون انه انما نظر في النجوم لان قومه
كانوا يلهون بالنجوم ويستعملونها وعلم النجوم فان كان ذلك فهو والله اعلم اراد ان يرى من نفسه الموافقة لهم
ليلزمهم الحجة عند ذلك وهو ما ذكر في قوله هذا ربي وهذا اكبر ونحوه قال ذلك على اظهاره
الموافقة لهم من نفسه ليكون هو الزام الحجة عليهم والصرف عما هم عليه اهون وايسر اذ هكذا
الامر بالمعروف في الخلق ان من اراد ان يصرف آخر عن مذهب ودين انه اذا اظهر من نفسه الموافقة له
عليهم ضربا باليمين اي ضربهم ضربا باليمين **وقوله** عز وجل فراغ الى آلهتهم اي فراغ الى ما اتخذتموه
وسموها آلهة ذكرها على ما عندهم وعلى ما اتخذوها هم والا لم يكونوا آلهة وكذلك قول موسى وانظر

الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي انظر الى الهك الذي هو عندك والا لم يكن هو اله **وقوله** عز وجل
فراغ الى آلهتهم فقال الا تاكلون كان طعاما موضوعا بين يديها لذلك قال الا تاكلون **وقوله** عز وجل
ما لكم لا تنطقون يحتمل يكون او شبه ان يكون قوله ما لكم لا تنطقون انه من فعل بها ما فعل كقوله من فعل
بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون عن من فعل بهم هذا سفه
قومه في عبادتهم الاصنام وهي لا تاكل ولا تنطق ولا يملك رفع من قصد بها ضررا فكيف تطمعون شفاعتها
في الآخرة وهي لا تملك ما ذكر والله اعلم وهو كقوله هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون **وقوله**
فراغ اليهم ضربا باليمين اي مال ورجع عليهم وقوله ضربا باليمين اختلف فيه قال بعضهم ضربا بالوفاء
ليمينه التي كانت منه حيث قال تالله لاكيدن اصنامكم والله اعلم وقال بعضهم ضربا باليمين بالقوة
وقد يعبر باليمين عن القوة وقال بعضهم ضربا باليمين اي بيده اليمنى نفسه على ما يعمل المرء اكثر اعماله
باليمين **وقوله** عز وجل فاقبلوا اليه يزفون ظاهر هذا انهم اقبلوا اليه وقت ما كسرها وفعل بها
ما فعل لكن في آية اخرى ما يدل ان اقبالهم اليه كان بعد ما خرج من عندها وغاب وكان بعد
ذلك بزمان الا يرى انهم قالوا من فعل هذا بآلهتنا قالوا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الآية ولو كانوا اقبلوا
اليه مزفين وهو عندها حاضر لم يحتجوا الى ان يقولوا من فعل هذا بآلهتنا بل يقولون ان ابراهيم
فعل ذلك بها ولا كان يقول ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون معنى والله اعلم
وقوله عز وجل يزفون قال بعضهم يمشون اليه وقال بعضهم يسرعون وهو قول ابي عوسجة واصل الزفيف
كانه المشي فيه سرعة على ما يسرع في المشي لمراد اصابة شيء او فعل به امر والله اعلم **وقوله** عز وجل اتعبدون
ما تنحتون يسفههم بعبادتهم ما ينحتون بايديهم ويتخذونها بانفسهم على علم منهم انها لا تملك نفعا
ولا ضرا والذي ينحتها اولى بالعبادة له او لحسن ان يعبد ان كان يجوز العبادة لمن دونه من ذلك المنحوت
اذ هو يملك شيئا من النفع والضر والمنحوت لا فاذ لم يعبدوا الناحت لها والمتخذ وهو اقرب وانفع
فكيف يعبدون ذلك المنحوت الذي لا يملك شيئا وتركتم عبادة الذي خلقكم وخلق اعمالكم ثم من اصحابنا
من احتج على المعتزلة بهذه الآية في خلق افعال العباد يقولون اخبر عليه السلام عن خلق انفسهم وعن خلق اعمالهم
حيث قال والله خلقكم وما تعملون لكنهم يقولون ليس فيه دلالة خلق افعالهم الا يرى انه قال عليه السلام
اتعبدون ما تنحتون وهم لا يعبدون النحت انما يعبدون ذلك المنحوت فعلى ذلك لم يخلق افعالهم
واعمالهم ولكن خلق ذلك المعمول نفسه والله اعلم لكن الاحتجاج عليهم من وجه آخر في ذلك كانه
اقرب واولى وهو ان صير ذلك المعمول حلقا لله تعالى بقولكم خلقكم وما تعملون لانهم انما يعبدون
ذلك المعمول ثم اخبر ان المعمول مخلوق لله دل ان عملهم الذي عملوا به مخلوق لذلك قلنا ان فيه دلالة خلق
اعمالهم والله اعلم وهو كقوله عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين انما صار التواب والمتطهر
محبوبا بالمحبة التوبة والتطهر وصار المتعدي غير محبوب لبغضه الاعتداء فعلى ذلك المحبوب صار
مخلوقا بخلقة عمله والله اعلم **وقوله** عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا كانه قال بعضهم لبعض ابنوا له
بنيانا يجمع فيه الحطب فتعظم فيه النار فيصير جحيما ثم القوا ابراهيم في الجحيم والجحيم قد ذكرنا
انه معظم النار **وقوله** عز وجل فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين اي هالكين يقولون ما ناظرهم الله
بعد ذلك حتى اهلكهم ويشبه ان يكون ما ذكرنا والله اعلم فارادوا اهلاك ابراهيم عليه السلام
فصاروا من الهالكين والله اعلم **وقوله** عز وجل وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين قال بعضهم ذاهب
الى ربي بقلبي وعملي ونيتي وذلك في الآخرة ويحتمل ذاهب الى ما امرني او الى ما اذن لي وقد امر
بالهجرة الى الشام من مكة او ذاهب الى ما فيه رضاء ربي وطاعته ونحو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل سيهدين

قال بعضهم اى سيمنجيني مما رايت من قومي وقال بعضهم سيهدين الطريق وذلك جايز نحو قول موسى
عليه السلام قال عسى ربى ان يهديني سواء السبيل لما توجه الى مدين فعلى ذلك جايز قول ابراهيم عليه السلام
انى ذاهب الى ربى اى ذهب الى امر ربى اى متوجه الى ما امرنى ربى اى توجه سيهدين ذلك الطريق والله اعلم
وقال بعضهم سيهدين لدينه وذلك اول ما هاجر من الخلق اى ليعلم دينه وقد ذكر فى حرف حفصة
اى مهاجر الى ربى سيهدين والله اعلم وقوله عز وجل رب هب لى من الصالحين كانه قال رب هب لى غلاما
واجعله من الصالحين دليل ذلك ما ذكر له من البشارة بالغلام على اثر ذلك ان سؤاله كان سؤال
الغلام ثم فيه دليل جواز سؤال الولد الذكر ربه لكنه يسئله بشرط الصلاح والطيب كما ساله الانبياء وساله
ابراهيم عليهم الصلوة والسلام رب هب لى من الصالحين وقال زكريا عليه السلام هب لى من لدنك ذرية طيبة
وما ذكر وحكى عنهم مدحا لهم وثناء عليهم حيث قال عز وجل والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما يجب على من يسال ربه الولد ان يساله على هذه الشرايط التى
سالته الانبياء عليهم السلام فيكون سؤالهم الولد على ذلك سؤالا لله عز وجل وما يصلح لقيامه لامره
وعبادته فاما ان يساله اياه لذة لنفسه وسرورا له فى الدنيا فلا ثم يحتمل قوله ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين الى آخر ما ذكر وجهين احدهما اى هب لنا من ازواجنا وذرية ما يقر به اعيننا
او هب لنا من ازواجنا من الولد والذرية وما يقر به اعيننا على ما سال زكريا عليه السلام حيث قال ذرية طيبة
ثم فيه دلالة ان الولد هبة الله لهم وعطاء لهم وكذلك قال ذرية طيبة يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
الذكور وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والله اعلم يعنى ما صار الولد هبة لابيه وقوله عز وجل
فبشرناه بغلام حليم يصير حليما اذا بلغ مبلغ الامتحان بالاعمال والامر والنهى اى بشرناه بغلام حليم يحلم فيما امتحن
اذا بلغ مبلغا يمتحن فيه قال قتادة ان الله عز وجل لم يذكر احدا ولا وصفه بالحلم سوى ابراهيم وولده
الذى بشر به والله اعلم وقوله عز وجل فلما بلغ معه السعى اى بلغ بحيث يقدر ان يسعى معه الى حيث هو
ان يسعى ويمشى معه وهى الهجرة وقال بعضهم فلما بلغ معه السعى اى بلغ بحيث يعمل ويمشى عنده قال له
يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى وترى بالنصب والرفع جميعا فيه دلالة ان رؤيا الانبياء والرسل
عليهم الصلوة والسلام على حق يخرج كالامر المصرح الا يرى انه قال لما قال له انى ارى فى المنام انى اذبحك
وقد عرف حرمة ذبح بنى آدم وقتلهم قال له ولده افعل ما تؤمر ولو لم يكن امرا لم يقل افعل ما تؤمر ولا قال له
ابراهيم انى ارى فى المنام انى اذبحك وقد عرف حرمة ذبح بنى آدم وقتلهم الذى لا يسع الاقدام عليه والعمل
والله اعلم ثم قوله لابيه افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين دلالة ان لا كل مامور بامر من الله
شاء الله ان يفعل ما امر حيث اخبر ستجدنى من الصابرين ان شاء الله وقد ذكرنا ان ابراهيم عليه السلام كان مامورا
بالذبح فاذا امر هذا ان تصبر على الذبح ولا يجزع ثم اخبر انه يصير ان شاء الله دل ان لا كل مامور لله بامر شاء منه
ان يفعل ذلك ولكن شاء ان يفعل ذلك ممن علم منه ان يختار ذلك الفعل ويفعله ومن علم منه انه لا يفعل
ذلك لا يجوز ان يشاء ذلك منه الفعل وكذلك قول موسى عليه السلام ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك
امرا وهذا على المعتزلة لقولهم ان الله تعالى اذا امر احدا بامر شاء ان يفعل ما امر به لكنه تركه لما لم يشاء هو
والله اعلم وقد بينا فساد قولهم فى غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل فلما اسلما وتله للجبين
يحتمل قوله اسلما اى استسلما لامر الله فيما امرهما هذا بالذبح وهذا بالبذل والطاعة فى ذلك واسلم هذا
ابنه وهذا نفسه لله عز وجل واصله اسلما انفسهما لامر الله واطاعاه فى ذلك وقوله وتله للجبين اى صرعه
وكبه على وجهه فيه انه لم يضجعه كما يضجع المرء ما يريد ان يذبح من الاشياء وغيرها ولكنه اضجعه على وجهه
فهو والله اعلم لما اراد ان ينفذ امر الله ويقدر على ذا ما امر به فلعله لو اضجعه على ما يضجع غيره من الذبيح نظر

كل واحد منهما الى وجه الآخر فيترحم هذا فيترك ذبحه وهذا ينظر فى وجهه فيجزع ويترك طاعته
او على ما قال اهل التاويل ان ولده قال لابراهيم عليهما السلام كذا فيفعل ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل
وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا يجوز ان يحتج بهذه الآية على المعتزلة لقولهم ان الله عز وجل
اذا امر احدا بامر يجوز ذلك الفعل منه واراد ان يفعل ما امر به ونحن نقول يجوز ان يريد غير الذى امر به
يريد ان يكون ما علم انه يكون منه ويختاره حيث قال عز وجل يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ولم يكن
منه بحقيقة ذبح الولد وقد امر بذبحه فلو كان فى الامر ارادة كون ما امر به لكان لا يصدقه فى الوفاء بالرؤيا
ولم يكن ذلك منه حقيقة لكنهم يقولون ان الامر بالذبح لم يكن الا ما كان منه من ذبح الكبش من ذلك اراده
فكان ما اراد ومذاهبهم الاحتيال لدفع ما ذكرنا لكن نقول ان الامر بالذبح انما كان بذبح الولد حقيقة لا بذبح
الكبش دليله وجوه احدها قول ابراهيم حيث قال انى ارى فى المنام انى اذبحك وقول ولده عليهما السلام
يا ابت افعل ما تؤمر لو لم يجعل الامر من الله له بالذبح امرا بالذبح على ذبح الولد حقيقة كذا بجهلهما فى قولهما
وامر الله بتسميتهما ما سميا فلا يجهلهما فى ذلك فدل ان الامر كان على حقيقة ذبح الولد لا على ذبح الكبش
على ما يقولون والله اعلم والثانى ان ابراهيم وولده عليهما السلام قد مدحا واثنى عليهما بالصنيع الذى صنعا هذا
باضجاعه اياه للذبح وهذا البذل له نفسه له والطاعة له فى ذلك فلو كان الامر منه لهما لا غير الاضجاع
والبذل لذلك لم يكن لهما فى ذلك الصنع فضل مدح ولا فضل ثناء ومنقبة اذ لكل احد اضجاع الولد لذلك
وللآخر البذل له فاذ مدحا واثنى عليهما فى صنيعهما الذى صنعا وصار لهما منقبة عظيمة الى يوم القيامة
حتى سمى هذا ذبيح الله وهذا وفى الله حيث قال الله عز وجل وفديناه بذبح عظيم فلو كان الامر بالذبح ذبح
الكبش لا ذبح الولد لم يكن الكبش فداء عنه اذ لا يسمى الفداء الا بعد ابدال غيره عنه واقامة غيره مقامه
دل على ما ذكرنا والله اعلم لكنه اذا اضجعه وتله للجبين على ما ذكر صارا ممنوعين عن ذلك الفعل غيرتاركين
امر الله عز وجل على ما ذكر فى القصة ان الشفرة قد انقلبت عن وجهها فلم يقطع فمن امر بامر ثم منع عما امر به
وحيل بينه وبين ما امر به لم يصر تاركا للامر ولا كان موصوفا بالترك له لذلك كان ما ذكر والله اعلم ثم يجوز
ان يستدل بهذه الآية لمسايل لاصحابنا احديها فى المراة اذا اسلمت ما يمنع الزوج عن الاستمتاع بها والجماع
صارت موفية مسلمة ما على نفسها الى زوجها فاستوجب بذلك كمال الصداق ولزمتها العدة اذ لا يملك سوى
ما فعلت وان لم يحيا معها زوجها وفيمن عنده امانة اذا اسلمها الى صاحبها وصيرها بحال يقدر على اخذها
وقبضها يصير مسلما اليه موديا خارجا منها يوما وان لم يقبض الآخر ولم يقع فى يده وفى البايع
اذا سلم المبيع الى المشترى وخلى بينه وبين ذلك يصير مسلما اليه خارجا من ضمان ذلك وعهدته وان لم يقبض
المشترى ونحو من المسايل مما يكثر احصاؤها اذ ليس فى وسعهم الا ذلك المقدار من الفعل وقوله عز وجل
وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا لو كان هذا القول بعد ذبح الكبش ففيه حجة لقول اصحابنا حيث قال
قال عز وجل وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا لو كان هذا القول بعد ما قال ابو حنيفة رحمه الله انه اوجب
على نفسه ذبح ولده يخرج منه بذبح الكبش لما اخبر انه قد صدقت الرؤيا بذبح الكبش فعلى ذلك يصير
هذا موجبا على نفسه ذبح كبش لا غير والله اعلم وان كان قوله قد صدقت الرؤيا قبل ذبح الكبش
باضجاعه اياه واسلامه لذلك ففيه ما ذكرنا انه بذل تسليمها نفسه منزلة اتيان غير ذلك اذ منع عن ذلك
لا انه ترك ذلك وقوله عز وجل ان هذا لهو البلاء المبين ان الامر بذبح الولد الذى امر به ابراهيم محنة عظيمة
ويقول بعض اهل التاويل ان هذا لهو البلاء المبين اى النعمة العظيمة اى الفداء الذى فدى لابراهيم عليه السلام
نعمة عظيمة وقوله عز وجل وفديناه بذبح عظيم وهو الكبش قال بعض اهل التاويل سماه عظيما لانه كان
يرعى فى الجنة اربعين خريفا ويقول بعضهم كان ذلك الكبش فى نفسه عظيما والله اعلم وقوله عز وجل وتركنا

عليه في الآخرين قال اهل التأويل اى تركنا عليه في الآخرين الثناء الحسن ويجوز ان يكون قوله
وتركنا عليه في الآخرين ذلك التسليم الذى ذكر على اثره حيث قال عز وجل سلام على ابراهيم ترك ذلك
فينا التسليم عليه وعلى جميع المرسلين كقوله سبحانه وتعالى ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
كقوله تعالى قد امرنا ان نثني ونسلم على جميع الانبياء والمرسلين وكقوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويكون
الانبياء عليهم السلام بعضهم آل بعض كما كان بعضهم من شيعة بعض وان يكون ذلك التسليم من الله لهم
امنا من كل خوف وسلامة عن كل خبث وقوله عز وجل كذلك نجزي المحسنين اى كذلك نجزي كل محسن
ان يترك له السلام والثناء الحسن في الآخرين والله اعلم وقوله عز وجل انه من عبادنا المؤمنين يحتمل
هذا وجوه احدها انه كان من عبادنا المؤمنين قبل ان يوحى اليه وقبل ان يبعث رسولا ويحتمل انه
من عبادنا المؤمنين الذين حققوا الايمان في قول وفعل وقام في وفاء ما عليه او انه كان من عبادنا المؤمنين
بمحمد صلى الله عليه وسلم والانبياء جميعا بعضهم يصدق بعضا ويؤمن به والله اعلم وقوله عز وجل وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين كان سأل ربه الولد يقول هب لي من الصالحين فاستجاب الله دعاءه وبشره
بما ذكر ثم اخبر انه نبي من الصالحين يحتمل قوله تعالى ونبيا من الصالحين اى نبيا من السلف كقوله عز وجل
والحقني بالصالحين اى بنبيا نبيهم ونجعله من الانبياء كقوله عز وجل هذا نذير من النذر الاولى ويحتمل
ان يكون البشارة في الولادة الولد الذى سأل ربه ويحتمل ان نبشره بنبوته او نبشرهما بهما بالولادة
وبالنبوة جميعا والله اعلم وقوله عز وجل وباركنا عليه وعلى اسحق البركة هي اسم لكل خير لا يزال على الزيادة
والنماء او يقول ان البركة شيء من اعطي كان لا سعد عليه والله اعلم وقوله عز وجل ومن ذريتهما محسن
وظالم لنفسه مبين اى مؤمن مصدق وظالم لنفسه اى كافر وهو ما قال عز وجل انى جاعلك للناس
اماما فقال ابراهيم عليه السلام ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين اخبر ان في ذريته من لا ينال
عهده كما ذكر هاهنا ان في ذريته محسن وهو مؤمن وظالم لنفسه مبين اى كافر ظاهر مبين
او ان يكون قوله عز وجل محسن الى نفسه او محسن الى الناس وهو اسحق وما روي ان رجلا سأله فقال يا رسول الله
اى الناس اكرمهم حسبا قال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله
فهو ذاك والا فلا حاجة لنا الى معرفة ذلك انه فلان او فلان اذ لو كان لنا الى بيان ذلك حاجة لبينه
وازال الاشكال والاختلاف فالناس عن ذلك والتكلم فيه فضل وتكلم اذ لا يحتمل ان يكون بالناس حاجة
الى معرفة ذلك وبيانه ثم لا يبين لهم ولا نعرف ذلك فدل ترك التنازع لذلك على ان لا حاجة لهم
الى ذلك والله اعلم وقال ابو عوسجة والقتبي الذبح الكبش واسم ما يذبح والذبح بنصب الذال مصدر
ذبحت هذا قول القتبي وقال ابو عوسجة الذبح بالنصب هو الفعل وهما واحد وقال القتبي البلاء
المبين الاحسان المبين العظيم وقوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهرون يحتمل ما ذكر من المنة عليهما
الرسالة والنبوة التي اعطاهما او الآيات والحجج التي اعطاهما وخصهما بهما الذى ابقى لهما الذكر
والثناء الحسن عليهم في الآخرين لقوله عز وجل وتركنا عليه في الآخرين سلام على موسى وهارون
وانما وجب عليهم ذكر المنن والنعم التي خصهم بها وفضلهم من بين غيرهم واما ان يوجب عليهم
ذكر كل ما من عليهم وانعم عليهم فذلك ليس في وسع احد القيام بذكر جميع ما من عليهم وانعم والشكر لها
وانما يجب القيام بذكر ما خصوا بها ظاهرا وان كان في الجملة احد عليهم ان يرد واجعل النعم والمنن
من الله جل وعز فضلا منه وانعاما لا استحقاقا عليه بقوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهرون ما خصوا بها
من الرسالة والنبوة والآيات والحجج التي وقعت لهم الخصوص فاما في كل ما من عليهم وانعم فلا على ما ذكرناه
ان ليس في وسع احد القيام بشكر احسن نعمه في عمره وان طال والله اعلم وقوله عز وجل ونجيناهما وقومهما

من الكرب العظيم قال عامة اهل التأويل قوله عز وجل ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم اى الغرق
ولكن جائز ان يكون الكرب العظيم الذى نجاهم منه ما ذكر من قتل الرجال واستحياء النساء حيث قال
يقتلون ابناءهم ويستحيون نساءهم الآية وما استعبدوهم وما استخدموهم لنجاهم الله من ذلك الذل
وانواع البلايا والشدائد التي كانت عليهم كقوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
اخبر انهم كانوا مستضعفين فانجاهم الله من ذلك كله وهو الكرب العظيم وقوله عز وجل ونصرناهم
فكانوا هم الغالبين يحتمل قوله نصرناهم بالحجج والآيات التي اعطاهم او نصرناهم حيث انجاهم
واهلك فرعون والقبط والله اعلم وقوله عز وجل وآتيناهما الكتاب المستبين وهو التورية ثم يحتمل
قوله عز وجل الكتاب المستبين بوجهين احدهما استبان لكل من عقل ونظر انه من عند الله نزل
لان التورية نزلت ظاهرا في الالواح ليس كالقرآن لا يعرف انه من عند الله نزل الا بعد التأمل والنظر
لانه نزل في الاوقات الخالية التي يطلع عليه احد سرا عن ظهر القلب والثاني انه استبان لكل من نظر
فيها ما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يتقى وقوله عز وجل وهديناهما الصراط المستقيم يحتمل الصراط
الذى من سلكه افضاه الى المقصود وبلغه مأمنه او سماه الصراط المستقيم لما بالحجج والبراهين قام لا بهوى
الانفس وقوله عز وجل وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون هو ما ذكرنا فيما تقدم انه
ابقى لهم الثناء الحسن في الآخرين وهو السلام الذى ذكر والله اعلم وقوله عز وجل انا كذلك
نجزي المحسنين اى انا كذلك نبقي ونترك لكل محسن الثناء الحسن في الآخرين كما تركنا لهؤلاء
وهو المعروف في الناس اذ كل محسن صالح وان مات فانه يذكر بالخير بعده ويثنون عليه بالثناء الحسن
والله اعلم وقوله عز وجل انهما من عبادنا المؤمنين يحتمل الوجوه التي ذكرنا فيما تقدم من عبادنا
المؤمنين قبل الرسالة او من عبادنا المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم او لعبادنا المؤمنين الذين حققوا
الايمان قولا وفعلا والقيام بوفاء ما وجب بعقد الايمان وعهده والله اعلم وقوله عز وجل وان الياس
لمن المرسلين هذا ينقض على الباطنية مذهبهم لانهم يقولون ان الرسل عليهم السلام ستة آدم
ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وما سواهم ائمة وفي الآية اخبار ان الياس
كان من المرسلين هذا كله ينقض قولهم ويرد مذهبهم وقوله عز وجل اذ قال لقومه الا تتقون يحتمل
قوله الا تتقون عبادة غير الله او يقول الا تتقون الا تخشون الله ولا تخافون نقمته في ترككم عبادته واشتغالكم
بعبادة غيره او الا تتقون نقمة الله في مخالفتكم امره ونهيه والله اعلم وقوله عز وجل اتدعون بعلا
وتذرون احسن الخالقين قال بعض اهل التأويل البعل هاهنا الرب بلسان قوم وذكر عن
ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن قوله عز وجل اتدعون بعلا قال فقال رجل من يعرف الآثار
فقال الاعرابي اى بعلها اى ربها فقال ابن عباس كفاني الاعرابي جوابها لكن لا يحتمل ان يكون المراد
من قوله اتدعون بعلا اى ربا الا ان يكون ذكر انه بلسان قوم فيقول اتدعون بعلا ربا يعلمون انه لا يضر
ولا ينفع وتذرون عبادة من تعلمون انه يضر وينفع او يختارون عبادة من يعلمون انه لا يملك الضر
ولا النفع على عبادة من يعلمون انه يملك ذلك وقال بعضهم البعل السيد هاهنا وكذلك يقول في قوله
هذا بعلي شيخا اى سيدي وقال بعضهم البعل هو اسم الصنم هاهنا يقول اتعبدون صنما وتذرون
احسن الخالقين واصل البعل الزوج كانه يقول لهم اتدعون من له ازواج واشكال وتذرون عبادة
من لا ازواج له ولا اشكال والله الموفق وقال ابن عباس رضي الله عنه اول هذه ثماني وآخرها مصري
وهو قوله وتذرون احسن الخالقين يسمون كل صانع خالقا والخلق هو التقدير في اللغة يضاف
الى الخلق على المجاز وان كان حقيقة التقدير لله عز وجل ذكر على ما عندهم لا على حقيقة الخلق والله اعلم

ثم يحتمل قوله عز وجل احسن الخالقين اى احكم واتقن على ما ذكر وهو احكم الحاكمين اى يجعل في كل شئ
اثر شهادة وحدانية الله وربوبيته او احسن الخالقين لما ذكر انه خلقهم وخلق اباءهم الاولين
وانه ربهم ورب الخلايق فقالوا من احسن الخالقين فعند ذلك ما ذكر وهو الله ربكم ورب اباءكم
الاولين ثم اخبر عنهم انهم كذبوه مع ما ذكر لهم وهو ما قال عز وجل فكذبوه فانهم لمحضرون
ولم يذكر فيما ذا لكن فيه بيان انهم انما لمحضرون النار والعذاب لان اهل اللذات هم لمحضرون
انفسهم والعذاب يحضرون كرها لا بانفسهم كقوله عز وجل يدعون الى نار جهنم دعا وقوله عز وجل
يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله ويصلى سعيرا ونحوه ثم استثنى العباد المخلصين منهم
انهم لا يحضرون النار وقوله عز وجل وتركنا عليه في الاخرين سلام على الياسين هو ما ذكرنا انه ابقى لهم
الثناء الحسن انما اهلك بتكذيب الرسل وعنادهم ومن نجا منهم انما نجا بتصديقهم والاجابة لهم
واياكم وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فيدل بكم كما يدل باولئك وقال عز وجل وانكم لتمرون عليهم
اى على من هلك من مكذبي الرسل بالليل والنهار فيعلمون انهم انما هلكوا بالتكذيب للرسل وقوله
عز وجل افلا تعقلون ويعيرون ويمتنعون عن تكذيبه والله اعلم وقوله عز وجل وان يونس
لمن المرسلين هذا ينقض على الباطنية قولهم حتى قالوا ان الرسل ليس الا ستة لا يعدون يونس
ولوطا عليهم السلام منهم فيخالفون ظاهر الاية وهو قوله عز وجل وان يونس لمن المرسلين وهم يقولون
ليس من المرسلين وبالله العصمة وقوله عز وجل اذ ابق الى الفلك المشحون ذكر هاهنا الاباق وفي سورة
الانبياء ذكر الذهاب وهو قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فمن الناس من يجعل هذا غير الاول
يعني اباقه الذي ذكر وذهابه لكن جايز ان يكون ذكر الاباق وذكر الذهاب وان كان في راى العين
في ظاهر اللفظ مختلفا فهما في المعنى واحد فيكون قوله عز وجل اذ ابق من قومه مدينه ليسلم له
او ابق لخوف على نفسه من قومه او ابق على ما اوعد قومه من نزول العذاب اذا لم يومنوا به وكان الرسل
صلوات الله عليهم يخرجون من بين اظهر قومهم اذا خافوا نزول العذاب بهم الا ان يونس خرج
من بينهم قبل ان يأتيه الاذن من الله عز وجل بالخروج من بينهم لذلك جاء العتاب له والتعيير
لما لا يقوله عامة اهل التاويل من الخرافات التي يذكرون وينسبون اليه ما لا يجوز نسبة ذلك الى اجهل
الناس برتبة واخسهم فضلا ان يجوز نسبة ذلك الى نبي من انبيائه ورسول من رسله وقوله عز وجل
فساهم فكان من المدحضين ذكر في القصة انه عليه السلام لما ابق الى سفينة فركبها اراد ان يعبر البحر
فجعلت مكفوا وتقف كادت ان تغرق فقال القوم بعضهم لبعض ان فيكم لرجلا مذنبا عظيما وكانوا يعرفون
ذلك من عادتها من قبل كانت اذا ركبها مذنب يعزب ويرسب في الماء فلم يعرفوا من هو ذلك فتساهموا مرارا
فساهم يونس في كل مرة فلما راى ذلك يونس عليه السلام قال لهم يا قوم القوني في البحر حتى لا تغرقوا
جميعا فابوا وقالوا لا نلقي نبيا من انبياء الله في البحر فالقى هو نفسه فيه فالتقمه الحوت على ما اخبر الله
عز وجل حيث قال فالتقمه الحوت وهو مليم ثم قوله فساهم فكان من المدحضين قال فكان من المغلوبين
في القرعة والاستهام اى خرجت القرعة عليه والمدحض هو الذي لا حجة له فيما يريد والله اعلم
وقوله عز وجل فالتقمه الحوت وهو مليم قال بعضهم هو مليم اى مذنب وقال بعضهم مليم من الملامة
اى كان يلوم نفسه فيما صنع من الخروج من بينهم بلا اذن من الله والله اعلم وقوله عز وجل فلولا انه
كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون يحتمل قوله فلولا انه كان من المسبحين لربه قبل ذلك
ومن المصلين له والا للبث في بطنه الى ما ذكر وكذلك قيل من عمل الله تعالى في حال الرخاء نفعه الله
بذلك في حال البلاء ويرفعه اذا عثر والله اعلم قيل في الحكمة ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر

واذا صرع وجد متكأ والله اعلم ويحتمل كان من المسبحين اى صار من المسبحين في بطن الحوت
وهو قوله عز وجل فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه
من الغم والله اعلم وقوله عز وجل فنبذناه بالعراء وهو سقيم العراء قيل هي الارض الصحراء الذي لا شجر
فيها ولا نبت ولا كن وقال ابو عوسجة العراء الارض التي لا ظل فيها والمدحض المغلوب ومليم اى اتى امرا يلام
عليه وقال القتبي العراء هي الارض التي لا يتوارى فيها بشجر ولا غيره كانه من عري الشيء والله اعلم
والبعل الزوج وقوله عز وجل وهو سقيم ذكر ان الحوت لما نبذه بالعراء لم يكن له شعر ولا جلد
ولا ظفر ولا سن سقيم من السقم وهو المرض اى مريض لما مسته نظر الحوت والله اعلم وقوله عز وجل
وانبتنا عليه شجرة من يقطين قال بعضهم هي شجرة القرع انبت عليه ليأكل منه ويستظل بها وقال
بعضهم كل شجرة تنبسط على وجه الارض مما يتسع اطرافه اذا امتد اصله وحد فهو يقطين من نحو
البطيخ والعجور وغيرهما والاشبه ان يكون شجرة القرع لانها اسرع الاشجار نبتا وامتدادا
وارتفاعا في السماء في مدة لطيفة ووقت قريب والوصول الى الانتفاع بها اكلا واستظلالا لها
ما لا يكون مثل ذلك في مثل تلك المدة من الاشجار والله اعلم وعلى ذلك روي انه قيل يا رسول الله
انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وهي مزيد في العقل فهذا يدل ان ثبت انها كانت شجرة
القرع والله اعلم ثم فيه لطف من الله عز وجل حيث انبت عليه شجرة في وقت لطيف لا ينبت مثلها
الا بعد مدة لطيفة ووقت مديد وابقى عليه الضعف وقتا طويلا مما يرجع ذلك ويزول في وقت يسير
في العرف ليذكره ما انعم عليه ويقوم بشكره وهو كما ذكر في قصة صاحب موسى الحمار حيث قال
عز وجل انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ابقاء طعامه وشرابه وحفظه وقتا
طويلا غير متغير مما طبعه التغير في وقت يسير وغير ما طبعه البقاء لطفا منه فعلى ذلك انبت
على يونس شجرة في وقت لطيف مما لا ينبت مثلها الا في وقت طويل وابقاء ذلك الضعف الذي كان به
والسقم مما سبيله الزوال والارتفاع في وقت يسير لطفا منه لتذكير ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون هذا يحتمل وجوها احدها ما ذكرنا ان حرف الاستفهام اذا اضيف
الى الله فهو على التقدير والايجاب ليس على حقيقة الاستفهام فعلى ذلك حرف الشك الى مائة الف
بل يزيدون لما يتعالى عن الشك والثاني قوله او يزيدون حتى يزيد واكقوله عز وجل يقاتلونهم او يسلمون
اى حتى يسلموا وكانه وقت ما بعثه اليهم كانوا مائة الف ثم ازدادوا بعد ذلك والله اعلم والثالث
يزيدون مائة الف او يزيدون عند الناس فمعناه ان من نظر اليهم لا يظن دون مائة الف ولكن
يظن مائة الف وزيادة والله اعلم فامنوا فمتعناهم الى حين قيل امنوا به فلم يهلكوا ولكن اخرهم
الى وقت موت حتفهم وقال عز وجل في اية اخرى فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس
لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي اخبر هاهنا انه لم ينفع قوما ايمانهم عند معاينتهم العذاب
الا قوم يونس وكذلك ذكر عز وجل في اية اخرى انه لم ينفع الايمان عند معاينة العذاب حيث قال
عز وجل في اية اخرى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا ثم لا يدرى انه انما قبل ايمان قوم يونس
لانهم امنوا عند خروج يونس عليه السلام من بين اظهرهم قبل ان يقبل العذاب عليهم لما كانوا يعلمون
ان الرسول متى ما خرج من بينهم بعد ما اوعدهم بالعذاب ان العذاب ينزل بهم لا محالة فامنوا
فان لم يعاينوه او ان يكون العذاب قد اقبل عليهم فعاينوه عند معاينتهم فعند ذلك امنوا
فان كان الاول فهو بانهم انما امنوا به عند خروجه منهم فهو مستقيم قبل ايمانهم لانهم لم يومنوا
عند معاينتهم العذاب ولكن انما امنوا قبل ذلك وان كان الثاني فجائز ان يكون قبل ايمانهم ونفعهم

وان عاينوا العذاب لما عرف جل وعلا ان ايمانهم كان حقا وهم صادقون في ذلك محققون لم يكونوا
رافعين العذاب عن انفسهم الا بايمان حقيقة وصدق والله اعلم وقوله فاستفتهم الربك البنات
ولهم البنون الاستفتاء والسؤال يخرج على اربعة اوجه ان كان الاستفتاء والسؤال من عليم خبير
لاهل الجهل يكون تقريرا وتنبيها اذا لم يكونوا اهل عناد واذا كانوا اهل عناد فهو تسفيه وتوبيخ لهم
واذا كان الاستفتاء من جاهل مصدق طالب رشد تعليم خبير يكون استرشادا وطلبا للثواب
واذا كان من معاند مكابر فهو يخرج على الاستهزاء به والسخرية كقولهم امطر علينا حجارة من السماء انما قالوا
ذلك استهزاء به ثم ما ذكر من الاستفتاء لهؤلاء انما يكون تسفيها منه لهم في قولهم لله عز وجل
ولد والملائكة بنات الله سبحانه وهو من الفرية العظيمة التي لا فرية اعظم منها ولا كذب اكبر منه
لان درك الاشياء ومعرفتها انما يكون في الشاهد باحد وجوه ثلثة احدها المشاهدة والثاني الخبر
والثالث الاستدلال بما شاهدوا وعاينوا على ما غاب عنهم ثم معلوم عندهم اي عند هؤلاء انهم
لم يشاهدوا الله حتى عرفوا له الولد ولا كانوا يؤمنون بالرسل حتى يكون عندهم الخبر بما قالوا ونسبوا
اليه من الولد وغيره اذ الخبر انما يوصل اليه بالرسل وهم لا يؤمنون بهم ولا كانوا شاهدوا ما يستدلون
على ما قالوا فيه ونسبوا اليه حتى دلهم ذلك على ذلك فسفههم في قولهم ما قالوا فيه وما نسبوا
اليه انهم كذبة في ذلك اذ اسباب العلم بالاشياء ما ذكرنا ولم يكن لهم شيء من ذلك ولذلك
قال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقال عز وجل اصطفى البنات على البنين
يقول اختار لنفسه ما يقولون انتم عنه وينسبون اليه ما تستنكفون انتم عنه يسفههم في قولهم له
ونسبتهم الى الله ما قالوا فيه ونسبوا اليه الى آخر ما ذكر والله اعلم وفيه يصبر رسول الله
على اذاهم وتركهم الايمان به والاتباع لانهم مع علمهم انه خالقهم ورازقهم وقديم الاحسان اليهم
قالوا فيه ما قالوا وقوله عز وجل ما لكم كيف تحكمون يحتمل قوله ما لكم كيف تحكمون اي ما لكم تحكمون بلا حجة
ولا علم وقوله افلا تذكرون ان هذا الحكم جور وظلم عظيم كقوله عز وجل تلك اذا قسمة ضيزى وقوله
عز وجل ام لكم سلطان مبين اي لكم حجة وبيان على ما تزعمون وتقولون في الله سبحانه وقوله فأتوا بكتابكم
ان كنتم صادقين اي ايتوا بكتاب من عند الله فيه ما تذكرون من الولد وغيره وقوله وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا قال عامة اهل التأويل ان الجنة هم الملائكة لقول اولئك الكفرة ان الملائكة بنات الله
وما قالوا في قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي علمت الجن الذين وصفوا الله بنين انهم لمحضرون النار
وعذاب الله او يحاسبون على قول مجاهد وغيره والذين اولئك اعني الاتباع انهم ملائكة الله والله اعلم
وقوله عز وجل سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين قوله سبحان الله نزه نفسه عما وصفه الذين
تقدم ذكرهم وبرأه عن جميع ما قالوا فيه ثم استثنى عز وجل الا عباد الله المخلصين فلسنا ندري ما موضع
الثنيا ههنا على اثر ما ذكر من التنزيه لنفسه يحتمل الاستثناء وجهين احدهما سبحان الله عما يصفون
اولئك الكفرة من الولد وغيره الا عباد الله المخلصين والثاني سبحان الله عما يصفون اي من اخلص
منهم وآمن فانه غير بريء مما يصفه لما يجوز ان يسلم منهم من يصفونه بما يليق به لان المؤمن والمخلص
لا يصف ربه الا بما يليق به والله اعلم وقال بعضهم الا عباد الله المخلصين استثنى من قوله ولقد علمت
الجن انهم لمحضرون للناس سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانهم لا يحضرون النار
والعذاب على سبق استثناء هؤلاء الذين اخلصوا ممن يحضر فيما تقدم والله اعلم وهو على التقديم
والتأخير وقوله عز وجل فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول
والله اعلم انكم وما تعبدون لا يملكون يفتنون وان يضلوهم الا من هو في علم الله انه يختار الضلالة

فما يصليه النار

فما يصليه النار على حق المعونة لهم لا حقيقة الاضلال وهو ما ذكر عز وجل في آية اخرى ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وما اخبر انه ليس له سلطان على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والله اعلم وقال بعضهم من قوله عز وجل
الا من هو صال الجحيم الا من كتب عليه في اللوح ان يصلى الجحيم وقال بعضهم الا من رضي الله عليه
انه يصلى النار واصله ما ذكرنا والله اعلم وما يعبدون الجن الذين عبدوا الجن او الملائكة ويحتمل
الاصنام التي عبدت اذ قد ينسب اليهن الاضلال لقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس والله اعلم
وقوله عز وجل وما منا الا له مقام معلوم يحتمل هذا منهم اعني الملائكة وجهين احدهما
قالوا ذلك تنزيه انفسهم عن ان يأمروا بالعبادة لهم اي لم نتفرغ نحن بعبادته هؤلاء طرفة عين
فكيف نأمر هؤلاء بعبادتنا كقولهم قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم اي الجن في طلبه لا شك
فكيف نتفرغ لذلك او ان يقولوا ان ولايتك والينا اشغلتنا عن جميع ما ذكر والله اعلم وقوله
عز وجل ما انتم بمضلين احدا من عبادي ما ظنكم هذا الذي يعبدون الا من يولاكم يعمل
اهل النار وذكر عن عمر بن عبد العزيز عن الحسن ايضا انهما قالا في قوله عز وجل ما انتم عليه
بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول ما انتم بمضلين بالهتكم احدا الا من قدر انه يصلى الجحيم
وهو قريب ما ذكرنا والله اعلم ثم قوله عز وجل الا له مقام معلوم يحتمل مكان معلوم
محدود لا يبرح منه ولا يفارق ويحتمل مقام معلوم اي عبادة معلومة نحو ما ذكر حكيم بن حزام
قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بما نحن فيه ولكن امر آخر والله اعلم ثم قوله لكنا
عباد الله المخلصين بنصب اللام على ظاهر ما قالوا نحن ان يكون من المخلصين بكسر اللام اي لو كان
كذا فنحن نخلص له التوحيد والعبادة لكن المخلص ان يخلصنا الله لو كان كذا والله اعلم ثم اخبر انهم
كفروا وأما آتاهم ابيان وان اولئك المتقدمين انما اهلكوا لما ذكر محمد عليه الصلوة والسلام
لكنهم عاندوه وكابروه وكفروا به وقوله عز وجل فكفروا به فسوف يعلمون علم عيان ومشاهدة
بعد اذ عرفوا علم خبر بالحجة والآيات والله اعلم وقوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون اختلف فيه قال بعضهم ان الرسل عليهم السلام كانوا منصورين لم يقتل
رسول قط فانما قتل الانبياء ورسل المرسلين الذين يبلغون رسالة الرسل الى قومهم ويخبرون
منهم فاما الرسل انفسهم فهم لم يقتلوا ولا قتل احد منهم عصمهم الله تعالى عن الناس وعما هموا بهم
وقال بعضهم انهم منصورون لما نصر العاقبة لهم اذ لم يكن رسول الا وقد كانت العاقبة له وان غلب
في الابتداء وقال بعضهم انهم لهم المنصورون بالحجج والآيات والبراهين انهم يغلبون بحججهم
وآياتهم من يدفعون بها الشبه والتمويهات والله اعلم ويستدل صاحب التأويل الاول بقوله عز وجل
وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير وفي بعض القراءات قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا اخبر انهم وان قتلوا فانهم لم يهنوا ولم يضعفوا ثم قال
عز وجل وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين ثم اخبر انهم آتاهم الله ذلك حيث قال فآتاهم كذا والله اعلم دل وان غلبوا
وقتلوا فهم المنصورون ثم قوله انهم لهم المنصورون ذكر انهم لهم بحرفين ومعناهما واحد
على التأكيد ويذكر مثله على التأكيد كقوله عز وجل وانا لنحن الصافون وقوله اني انا الله وان كان
الواحد كافيا وقوله عز وجل وان جندنا لهم الغالبون اي رسلنا او اتباعنا واولياؤنا هم الغالبون
على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فتول عنهم حتى حين يحتمل اي لا تكافئهم باذاهم الى الحين

اولايقا بلهم فكيف ماكان ففيه وجهان من الدليل احدهما دليل على رسالته حيث اخبرانهم يكونون
على الكفر الى الحين الذى ذكر ويهلكون على ذلك حيث قال فتول عنهم حتى حين والثانى فيه دليل حفظه
اياه وعصمته كما كانوا يهمون به من القتل والاهلاك حيث منعه من مقاتلتهم ونهاه عن التعرض لهم
الى وقت على المعلوم ماكان منهم من الهم بقتله واهلاكه لو وجدوا السبيل اليه فدل ان الله عز وجل
قد عصمه وحفظه عنهم حين قال لهم ما قال حيث قال عز وجل وابصرهم فسوف يبصرون كقوله
فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون وقوله عز وجل فابصرهم فسوف يبصرون عيانا ومشاهدة وقال بعضهم
وابصرهم العذاب اذا نزل بهم خبرا فسوف يبصرون وقوعا ويحتمل قوله وابصرهم اى عرفهم ان العذاب
ينزل بهم فسوف يعرفون اذا نزل بهم وقوله عز وجل افبعذابنا يستعجلون دل هذا انهم كانوا يستعجلون
نزول العذاب بهم والله اعلم انما يستعجلون العذاب استهزاء بالرسول عليه السلام وتكذيبا له فيما اوعدهم
ان العذاب ينزل بهم ثم قوله عز وجل افبعذابنا يستعجلون هو حرف التعجب ان كيف يستعجلون عذابى
الم يعرفوا قدرى وسلطانى فى انزال العذاب والاهلاك اذا اردت تعذيب قوم واهلاكهم اى قدرت
ذلك وملكت عليه ثم اخبرانه اذا نزل العذاب بساحتهم ساء صباحهم حيث قال عز وجل فاذا نزل بساحتهم
فساء صباح المنذرين ثم قوله عز وجل فاذا نزل بساحتهم يحتمل النزول بالساحة اى بقربهم ويحتمل
النزول بالساحة النزول بهم والوقوع عليهم كقوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتى وعد الله فى نزوله بهم والله اعلم يحتمل نزوله بساحتهم ما ذكرنا
من نزوله بقربهم او نزوله بهم ووقوعه عليهم ثم قوله عز وجل فساء صباح المنذرين ساء صباحهم
لان ذلك العذاب اذا حل بهم صيرهم معذبين فى النار ابد الابدين والله اعلم وقوله عز وجل وتول
عنهم حتى حين هذا قد ذكرنا فيما تقدم وكذلك قوله عز وجل وابصر فسوف يبصرون ويقول بعضهم
اى انظر فسوف ينظرون لكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين فى هذه الاحرف الثلاثة جميع ما بيّنه من الحق على الخلق من التوحيد
وجميع ما عليهم من التفويض اليه فى الامور كلها وجميع ما عليهم من الثناء الحسن والحمد له فيما انعم عليهم وما الزمهم
من الثناء الحسن على جميع المرسلين اما احرف التوحيد فهو قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون نزّه
نفسه وبرّأه عن جميع ما قالت الملاحدة فيه مما لا يليق به من الولد والشريك والصاحبة وغير ذلك فيرجى
ان يثاب قائل هذا ثواب كل واصف لله عز وجل بالبراءة له والتنزيه عن ذلك كله وفى قوله عز وجل
رب العزة وصفه له بالعز والقوة وتفويض الامر اليه فيرجى ان يثاب قائل هذا ثواب كل واصف لله
بالعزة والقوة واما الثناء الحسن على المرسلين فهو قوله عز وجل وسلام على المرسلين امر الله عز وجل
عباده ان يثنوا على المرسلين جملة وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمتم
على فسلموا على اخوانى المرسلين فانما انا رسول من المرسلين اما الثناء الحسن على الله بكل ما انعم عليهم
واحسن اليهم فهو قوله عز وجل والحمد لله رب العالمين فيرجى ان يثاب قائل هذا وتاليه على المعرفة به
بما فيه ثواب جميع القائلين به والتالين والله اعلم وذكر عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال من احب
ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله اعلم ورب العزة قال بعضهم هو رب المنعة والقوة
ويحتمل رب العزة اى به يتعزز كل من يتعزز واليه يرجع كل عزيز وكذلك كل من حمد او اثنى
على شىء فحقيقة ذلك الحمد والثناء راجع اليه تعالى والله اعلم بحقيقة مراده

سورة ص مكية وآيها ثمانون وخمس

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ص والقرآن ذى الذكر قال بعضهم ص لنا هو اسم تلك السورة التى ذكر وكذلك قوله
ق والقرآن وكذلك جميع حروف المقطعات ولله ان يسمى ما شاء بما شاء وباى اسم شاء وقال بعضهم
لنا هو اسم الرب تبارك وتعالى وقال بعضهم لنا هو فواتح السورة وقد ذكرنا ان يفسر ما ذكر على اثر
وقد ذكرنا فى غير موضع ما قيل فى الحروف المقطعة وقال بعضهم صاد اى عارض بالقرآن قال ابو عبيدة
صاد من المصاداة وقال الزجاج صاد بالقرآن اى مايل به وجازت بالقرآن وقال بعضهم صاد بالقرآن
اى ناد بالقرآن وقيل اقبل بالقرآن ونحوه والله اعلم وقال بعضهم هو قسم اقسم بقوله والقرآن وقوله عز وجل
ذى الذكر يحتمل ذى الشرف سماه ذكرا لان كل شريف يذكر فى كل ملأ من الخلق او سماه ذكرا لما يذكرهم
كل ما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يذر والله اعلم وقال بعضهم ذى البيان وقوله عز وجل بل الذين كفروا
فى عزة وشقاق ذكر ان ابا طالب كان مريضا فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده وعند راسه
مقعد رجل فقام ابو جهل فجلس فيه وعنده ملأ من قريش فشكوا النبى صلى الله عليه وسلم الى ابى طالب
فقالوا انه يقع فى آلهتنا قال يا ابن اخى ما تريد منهم قال يا عم انى اريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب
ويؤدى اليهم بها العجم الجزية قال وما هى قال لا اله الا الله فقال ابو جهل اجعل الآلهة الها واحدا
بذلك اخبرهم العزة الذى ذكر حيث قال بل الذين كفروا فى عزة وشقاق وقوله عز وجل فى عزة قال بعضهم
فى منعة معاندين مستغنين وقال بعضهم فى عزة فى حمية واعتزاز والحمية هى التى تحمل على الخلاف
والمعصية والله اعلم ثم اختلف فى موضع القسم ههنا قال بعضهم القسم فى قوله كم اهلكنا قبلهم
من قرن فنادوا ولات حين مناص فيكون قوله كم اهلكنا قبلهم من قرن بوجهين احدهما ان هذا
فى كل كافر ومشرك ينادى عند موته وهلاكه ويسال ربه الرجوع والعود الى الدنيا ليؤمن كقوله رب
ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا وكقوله فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب الآية
ونحوه لكن لا ينفع ذلك النداء والغوث وسؤال التاخير على ما اخبر اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون ومنهم من يقول هذا فى الجملة فى الامم التى اهلكت من قبل واستوصلت بالتكذيب
والعناد كانوا ينادون عند نزول ذلك بهم ووقوعه عليهم ويسالون الغوث ويظهرون الايمان
كقوله عز وجل فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده لكن لا ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت على ما اخبر الله عز وجل
لانه ايمان دفع العذاب واضطرار لا ايمان اختيار ونحوه فهذا اهل مكة ان نزل بهم على ما نزل باولئك
ويندمون على صنيعهم كما ندم اولئك والله اعلم ثم قوله عز وجل ولات حين مناص هو فى الاصل ولا
فاذا وصل بحين صارت وهو ولات كانه يمين اى والله وهو قول الكسائى وقال بعضهم هو ولا
وليس هنالك تاء وانما التاء فى حين اى تحين وربما زادوا التاء فى حين والات ونحوه وقال بعضهم
ولات بالتاء وقد قرى بالتاء والوقف عليهما قوله حين مناص وابن عباس رضى الله عنه يقول
ليس بحين زود ولا فرار وقال بعضهم ليس بحين مغاث وقيل ليس بحين جزع والله اعلم وقوله
عز وجل بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم يحتمل هذا وجهين احدهما عجبوا ان جاءهم منذر منهم
اى من بشر مثلهم كقوله عز وجل هل هذا الا بشر مثلكم وقوله عز وجل ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون وقولهم ابعث الله بشرا رسولا كانوا ينكرون الرسالة فى البشر ويقولون لولا انزل علينا الملائكة
والثانى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اى منذر منهم من دونهم فى امر الدنيا لما راوا بانفسهم قد فضلوا
فى امر الدنيا دونه فقالوا اانزل عليه الذكر من بيننا وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم طرا وامن دونهم فى امر الدنيا على ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وقال الكافرون هذا ساحر كذاب

ذلك هذا القول منهم انه قد كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه معجزة اتى بها حتى قالوا ساحر كذاب علموا انه رسول الله لكنهم عاندوا وارادوا بقولهم ساحر كذاب ان يمنعوا اتباعهم عليه كما اغرى فرعون قومه على موسى عم حيث قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهو عليه السلام لم يرد ان يخرجهم من ارضهم انما يريد الاسلام منهم فعلى ذلك هؤلاء الرؤساء عرفوا انه ليس بساحر ولكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ارادوا ان يغروا قومهم واتباعهم عليه وليلبسوا امره عليهم لئلا يتبعوه وكذلك قوله عز وجل اجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب هذا القول من الرؤساء والمتبوعين منهم اغراء عليه لما عرفوا من خبر عبادة الاصنام والاوثان فى قلوبهم فقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب وقوله عز وجل وانطلق الملاء منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم اختلف فى قوله ان امشوا وقال بعضهم ان الملاء منهم والاتباع اتوا اباطالب يشكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر الهتهم بسوء فلما كلموه فى ذلك لم يلتام امرهم فقطعوا عنده ولم يجبهم الى ما دعوه اليه وسالوه فقال الملاء وهم اشرافهم للاتباع امشوا من عنده واصبروا على عبادة الهتكم او ان يقال ان قال الملاء للاتباع ان امشوا الى الهتكم واصبروا على عبادتها او ان يكون قولهم لهم ان امشوا الى ابى طالب وقولوا له كذا واصبروا على كذا ويقولون انشوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ان هذا الشئ يراد لسنا ندرى ما ارادوا بقولهم ان هذا الشئ يراد فجايز ان يكونوا ارادوا بذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم وان دعاكم الى ترك عبادة الاصنام لا يتركم كذلك ولكن يدعوكم الى عبادة غيرها ويطلب منكم اشياء او اشيا ارادوا لسنا نعرف ذلك ما اراد وابذلك والله اعلم وقوله عز وجل ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة قال بعضهم الملة الاخرة هى ملة عيسى عليه السلام قالوا ذلك لان النصارى اختلفوا فى عيسى عليه السلام منهم من اتخذه ولدا لله عز وجل فيقولون عبادة الواحد الذى يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم فى الملة الاخرة وهى النصرانية اذ من صيره الها عنده ومن قال انه ولده صيره بحيث يحتمل الشريك فيقولون ظهرت عبادة العدد فى الملة الاخرة فكيف يمنعنا محمد عليه السلام عن عبادة العدد ويدعونا الى عبادة الواحد فقال بعضهم فى قوله فى الملة الاخرة هى الحال التى كانوا عليها يقولون ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة التى نحن عليها وكان اباؤنا عليها الا على عبادة الواحد يقولون ان هذا الاختلاف من عند محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل انزل عليه الذكر من بيننا يدل على انهم قد راوا ان من انزل عليه الذكر من السماء انما ينزل الفضل وخصوصه لكن اماراوا الفضل والخصوصية لانفسهم لما لهم الفضل والخصوصية فى الدنيا فلم يروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك انكروا انزال الذكر عليه دونهم ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله انزل عليه الذكر من بيننا ثم اخبر عز وجل انهم شاكون فى ذكره حيث قال بل هم فى شك من ذكرى وتاويل هذا والله اعلم ان الشك هو الذى لا يوجب القطع على شئ بل يوجب الوقف فبطل القطع على شئ فكيف قطعتم على الرد والانكار دون ان يقفوا فيه والله اعلم وقوله عز وجل بل لما يذوقوا عذاب ثم يحتمل ان يكون هذا على الاخبار عن الاياس من ايمانهم انهم لا يذوقون حتى يذوقوا العذاب كقوله ان الذين حقت عليه كلمة ربك لا يومنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم وقال مقاتل اللام زايدة كانه قال بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذابى يذكر سفههم فى ردهم الذكر وتكذيبهم اياه على الشك منهم والشك يوجب الوقف فى الشئ لا القطع فى الرد والتكذيب ثم فيه الدلالة على ان الحجج والبراهين قد يلزم من جهلها ولم يتحقق عنده اذا كانت تسبيل التحقق لها والوقوف عليها بالتامل والنظر فيها وان كانت لم يتحقق عنده بالبديهة وعند قرعها سمعه فهو حجة لقول علمائنا ان من اسلم فى دار السلام ولم يعلم ان عليه شرايع واحكام كان ماخوذا بها غير معذور فى جهله فيها لانها تسبيل ما يوصل

اليها بالسؤال والبحث عنها والفحص منها والله اعلم وقوله عز وجل ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب قد ذكرنا فيما تقدم ان حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج على الايجاب والالزام مما لو كان ذلك من مستفهم حقيقة يتضمن الجواب له فقوله عز وجل ام عندهم خزاين رحمة ربك جواب كقولهم انزل عليه الذكر من بيننا فجوابه لهم ليس عندهم رحمة ربك حتى يختاروا الرسالة والنبوة لانفسهم او لمن ساواهم كقولهم لولا نزل عليه الذكر من بيننا هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم كانوا لا يرون وضع الرسالة الا فيمن كانت له اموال وسعة فى الدنيا وفضل ومال فيذكر ان عندهم خزاين ربك حتى يجعلوا الرسالة والنبوة فيما ساواهم واختاروا لذلك قال الله عز وجل اهم يقسمون رحمة ربك اى لا يملكون قسمة رحمة ربك بل نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا الاية يخبر انهم على ما لا يملكون يوسع المعيشة على من ضيق عليه ورفع من وضع فعلى ذلك ليس اليهم اختيار النبوة والرسالة لمن شاؤا واختاروا بل اختار ذلك الى الله عز وجل يضعها حيث يشاء فيمن شاء عنده فضل المال والسعة اولم يكن بهم هذا البلاء لهم لما راوا السعة وفضل المال حقا لهم على الله عز وجل فقالوا اذ كنا احق بهذا فى الدنيا فنحن ايضا احق بالرسالة والنبوة على ما كنا لحق فى الدنيا بالسعة والفضل فيها بل لو عرفوا ان ما نالوا من السعة فى الدنيا وفضل الاموال انما نالوا بذلك برحمة الله وفضله لا بحق كان لهم على الله فلو عرفوا كانوا لا ينكرون وضع الرسالة فيمن اختار الله عز وجل وضعها فيمن شاء وعلى ذلك قول المعتزلة انهم لا يرون لله ان يفعل ياخذ شيئا الا ما هو اصلح له فى الدين وانه لو فعل ما ليس باصلح له فى الدين لكان جايرا ظالما فيرون حفظ الاصلح له حقا كما راى اولئك الكفرة السعة والاموال حقا على الله فراوا انفسهم احق ايضا بالرسالة والنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان المعتزلة يقولون فى الم الصغار ان ليس لله ان يولمهم الا بعوض يجعل لهم بازاء ذلك الالم عوضا يرضونهم بذلك العوض اذ جعلوا انفسهم له حقيقة حيث لم يجعلوا لله الايلام الا بالعوض ومن احد لا حقا لغير لا ياخذ الا ببدل وعوض برضاه ذلك الغير فهذا بناقض فى قولهم ان على الله حفظ الاصلح للخلق فى دينهم حيث لم يجعلوا له ذلك الا بعوض يجعل لهم والله اعلم ودل ايضا قال القول انه وهاب على ان ما نال من خير او سعة او فضل انما ينال برحمة وفضل لا بحق عليه لان من ادى حقا عليه لا يقال انه وهاب ولا يسمى وهابا على ما اعطى انما اعطاه تفضلا منه ورحمة لا حقا كان عليه وقوله عز وجل ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما هو مثل الاول اى لهم ملك السموات والارض اى ليملكوا ما شاؤا من الامور ويختاروا وضع الرسالة فيمن شاؤا اى ليس لهم ملك السموات والارض فيملكوا ما يذكرون ويختارون فان قالوا بل يملك ذلك والينا ذلك فعند ذلك يقال فليرتقوا فى الاسباب ثم اختلف فى الاسباب التى ذكر قال بعضهم السبب ما بين السماء والارض وكذلك ما بين كل سمائين سبب والاسباب جماعة وقال بعضهم الاسباب طرق السماء وقال بعضهم هى الابواب التى فى السماء يفتح للوحى ومعناه والله اعلم اى فليرتقوا فى الاسباب ان كانوا صادقين بان محمدا صلى الله عليه وسلم كذاب وانه ساحر وانه اختلقه من تلقاء نفسه اى يفتح له ابواب السماء فليستمعوا الى الوحى حتى يوحى الله عز وجل الى النبى صلى الله عليه وسلم لقولهم ان هذا الا اختلاق او ان يكون معناه والله اعلم ان يرتقوا ملك فينزل فيخبر ان محمدا صلى الله عليه وسلم كاذب فيما يدعى لقولهم لولا انزل علينا الملايكة لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب قال بعضهم حرفا هنالك صلة كانه قال عز وجل جند هنالك مهزوم من الاحزاب وقال بعضهم جند بل هنالك مهزوم من الاحزاب وجايز ان يكون على تحقيق ما فيه اى جند ما يهزم هنالك من الاحزاب لا كل الاجناد وهو الجند الذى خرجوا عليه بالمباهلة وهم الذين قالوا اللهم انصر اينا اوصل رحما

وانفع مالاً واخير للخلق فغلبوا هم وقهروا وقال عامة اهل التأويل هو الجند الذي قتل ببدر والله اعلم
ثم في الاية وجوه ثلثة من الدلالة احدها الامن له عن ان يصلوا الى قتله واهلاكه على الآحاد والافراد كقوله عز وجل
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وفيه لا امرله عن ان يصلوا الى قتله واهلاكه على الجمع والاجتماع عليه كقوله عز وجل
سيهزم الجمع ويولون الدبر اخبر عز وجل انهم يهزمون جميعا وفيه بشارة له انهم يهزمون في ضعفه وقلة
اعوانه وانصاره مع كثرة اولئك وعدتهم ففي الوجوه الثلاثة التي ذكرنا دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم
حيث اخبر بما ذكر فكان على ما اخبر دل انه بالله تعالى عرف ذلك صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب حين تحزبوا عليه قال بعضهم انه ساحر وقال بعضهم انه كذاب
وانه مفتر وانه مجنون على ما تحزبوا عليه وتفرقت قلوبهم فيه وتلونت والله اعلم وقوله عز وجل كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الى قوله اولئك الاحزاب اي الفرق وقوله ان كل الا كذب فحق
عقاب يذكر هؤلاء الاحزاب الذين كانوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبر عن صنيعهم ومعاملتهم
الرسل لوجهين احدهما كيفية معاملة الرسل عليهم السلام اولئك الكفرة مع تكذيبهم اياهم وسوء معاملتهم
وصنيعهم مع الرسل وانواع البلايا التي كانت منهم اليهم ان كيف عاملوهم وصبروا على اذاهم ليعامل
هو قومه مثل معاملتهم قومهم ويصبر على اذاهم كما صبروا اولئك على اذى قومهم مثل معاملتهم قومهم
وسوء صنيعهم كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثاني يذكر هذا لاهل مكة ويحذرهم
ما نزل بالامم المتقدمة بتكذيبهم الرسل وعنادهم وتمردهم معهم ليحذروا تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم
وان لا يعاملوه كما عامل اولئك رسلهم عليهم السلام فينزل بهم كما نزل باولئك مع العذاب والاهلاك والله اعلم
فحق عقاب قال بعضهم اي وجب عليهم عقاب لكن قوله عز وجل فحق عقاب اي نزل بهم العقاب ووقع عليهم
والا كان العذاب واجبا على الكفار وقوله عز وجل وفرعون ذي الاوتاد قال بعضهم ان فرعون كان اذا غضب
على احد من قومه مده باوتاد اي حبال فيعاقبه بها ويعذبه والله اعلم وقال بعضهم وفرعون ذي الاوتاد
اي ذي البناء والحكم وقال بعضهم كانت له اوتاد وارسان اي حبال وملاعب يلاعبون بها والله اعلم وقوله
عز وجل وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق يخبر عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ويؤيسه
عن ايمانهم انهم لا يؤمنون الا عند وقوع العذاب بهم حتى لا ينفعهم الايمان كقوله عز وجل ان الذين حقت
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم يخبر انهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب
الاليم ثم قوله عز وجل الا صيحة واحدة يحتمل ان يكون سمى نفس العذاب صيحة وجايز ان يكون ذكر صيحة لما
لما ان العذاب اذا نزل بهم ووقع عليهم يصيحون فسمى ذلك صيحة لصياحهم او ان يكون ذلك اذا نزل بهم كان فيه
صياح وصوت الشيء الهايل العظيم الشديد اذا هوى ووقع وما لا الى الارض كان فيه صياح وصوت حتى
يفزع الناس منه فعلى ذلك الصيحة التي ذكر يحتمل ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ما لها من فواق قال ابو عبيدة
من فتحها اراد ما لها من راحة ولا اقامة كانه ذهب الى افاقة المريض من علته ومن ضمها جعلها من فواق
الناقة وهو ما بين الحلبتين ويريد ما لها من فواق انتظار ومكث قال ابو عوسجة والقتبي ما لها من فواق
اي من انقطاع اي هي دايمة ابدا لا ينقطع به وقال الكسائي الفواق بالنصب والرفع لغتان وهو من فواق الناقة
بين الحلبتين والرضعتين وقال عامة اهل التأويل ما لها من فواق اي من مرد ومرجع وقرار وقال بعضهم
هو مدة البصر يقول هي اقرب من ذلك كقوله عز وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب والله اعلم واصل
الفواق كانه من العود والرجوع كقول اللبن الى الضرع بعد ما حلب مرة والله اعلم ذكر عن الحسن في قوله عز وجل
ص والقرآن ذي الذكر يقول حادث الوقت تقلبك وهو من قول العرب صادية الدابة اذا كانت
قاطعتها حتى ذلت ولانت وقال ابو عوسجة ص هو اشد كلام وهو شبه قسم قال والصاد في غير هذا الموضع

العطشان وقوم صادون ثم اختلف في موضع القسم على ما ذكر ما قال الكسائي من القسم في القرآن
ما هو ظاهر لا يخفى ومنه غامض فمن ظاهره قوله عز وجل فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وجوابه
قوله انه لقول رسول كريم ومن غامضه ص قال بعض الناس موضع قسمه قوله عز وجل ان ذلك لحق تخاصم
اهل النار والله اعلم لا لرسيا طال الكلام وحامس القصص ما لا يكون ذلك قسم ولكن قسمه والله اعلم
عندي ص والقرآن ذي الذكر ثم اعترض بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا كم اهلكنا القسم
ههنا بكم اهلكنا ولكن لما اعترض بل الذين كفروا صار قوله رد اعليه وجوابا له وهو غريب ظريف
غامض وقوله عز وجل ذي الذكر قال بعضهم ذي الشرف اي منا وتيته شرف وقيل ذي البيان
وقيل ذي الذكر فيه ذكر ما نوى وما سبق وذكر من كان قبله من الامم الخالية وقوله عز وجل في عزة وشقاق
قيل في تكبر وتكذيب وقيل في حمية وخلاف وقيل في غفلة ونحوه وقوله عز وجل فنادوا ولات حين مناص
قال بعضهم اي هو بتم في غير وقت الهرب ومناص مهرب وناص ينوص نوصا وهو المنجا والغوث
وقال القتبي ولات حين مناص اي لا حين هرب على ما قال ابو عوسجة وقال النوص التأخر في الكلام
والبوص التقدم واصله ما ذكرنا ان ذلك الوقت ليس هو وقت المهرب ولا وقت المنجا ولا وقت الغوث
على ما تقدم غيره وقوله عز وجل ان هذا لشيء عجاب قال بعضهم عجاب بلغة قوم عجب وقال
الكسائي العجاب والعجاب والعجيب والعجب كلها لغات واحد وقال ابو عوسجة عجاب هو كثير العجب
كما يقال كبار وكبار وقوله عز وجل وانطلق الملأ منهم اي الاشراف منهم وقالوا للاتباع على ما ذكر
ان امشوا واصبروا على آلهتكم قال بعضهم قوله ان امشوا الى ابي طالب وانيبوا على عبادة آلهتكم هذا
قال بعضهم بقبول الاسلام وذلك كان حين اسلم عمر رضي الله عنه لشيء اي لامر يراد فمشوا الى ابي طالب
وقالوا له ما ذكرنا فيما تقدم والقصة طويل وقال بعضهم ان امشوا اي امضوا وارجعوا الى عبادة
آلهتكم واصبروا عليها وقال بعضهم قوله ان امشوا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصبروا على آلهتكم
ان هذا لشيء يراد باهل مكة والله اعلم وقوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعنون عبادة الواحد
فترك عبادة الآلهة في الملة الآخرة قال عامة اهل التأويل الملة الآخرة النصرانية واليهودية
كليهما وقال بعضهم يعنون الملة الآخرة الملة التي هم عليها واباءهم يقولون ما سمعنا عبادة الاله
الواحد وترك عبادة الآلهة في الدين نحن وآباؤنا عليه ان هذا اي ما هذا الا اختلاق من نفسه وقالوا
انزل عليه الذكر من بيننا يعنون النبوة والكتاب والوحي وهو افقرنا واصغرنا سنا ونحن اكثر سنا واعظم
شرفا يقول الله عز وجل بل هم في شك من ذكري بانه لم ينزل عليه لما يذوقوا عذاب وهو قول
مقاتل ثم قال ام عندهم خزاين رحمة ربك اي يحتمل نعمة ربك اي بايديهم مفاتيح الرحمة والنبوة والرسالة
فيضعونها حيث شاؤا اي ليست تلك بايديهم ولكنها بيد الله العزيز في ملكه الوهاب يهب النبوة
والرسالة لمن شاء ويضعها فيمن يشاء ثم قال عز وجل ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي ليس لهم
ذلك ولكن عز وجل فيوحي الرسالة الى من يشاء ويختار لها من يشاء ثم قال فليرتقوا في الاسباب اي الابواب
التي في السماء وان كانوا صادقين بان محمدا صلى الله عليه وسلم اختلقه من تلقاء نفسه اي فليستمعوا
الى الوحي حين يوحى الله الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول اولئك وقال بعضهم السبب ما بين السماء
والارض اصلب من الحديد ادق من الشعر يعرج به الملائكة وهو المعراج تصرع الميت اذا اخرجت
روحه وقال بعضهم فليرتقوا اي فليصعدوا في طرفها فيعلموا اعلم ذلك انزل عليه الذكر ام لم ينزل
والله اعلم والارتقاء الصعود وان يقول ارتقوا انهم السبب الذي ارتقى محمد صلى الله عليه وسلم
وأتوا بمثل الذي اتى به محمد انه ليس برسول وان يقول ائتوا انتم بالذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم

من الدين والاسباب حتى تخصصوا بالنبوة والرسالة كما اختص محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب قال وعد الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انه سيهزم جند المشركين
فقال عامة اهل التاويل جاء تاويلها يوم بدر وقد ذكرنا تاويله فيما تقدم والله اعلم والاحزاب
هم الذين تحزبوا عليه اي تفرقوا وقوله عز وجل وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب لختلف فيه
قال بعضهم عجل لنا قطنا اي كتابنا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوعدهم انهم يوتون كتابهم
بشمالهم فيه اعمالهم التي عملوها في الدنيا في الاخرة فعند ذلك قالوا الله عجل لنا قطنا اي كتابنا
الذي يوعدنا انه يعطي بشمالنا قالوا ذلك استهزاء بهم وتكذيبا له وقال بعضهم عجل لنا قطنا
اي نصيبنا وحظنا من العذاب الذي توعدنا به ويحذرنا يوم الحساب قبل يوم الحساب قالوا ذلك
استهزاء به وتكذيبا الله وكذلك قال له على اثر ذلك اصبر على ما يقولون بصيرة وتغريرا على ما يقولون ليعيبه
على ذلك والله اعلم وجايز ان يكون قوله عز وجل عجل لنا قطنا ليس على سؤال العذاب والكتاب
الذي حمله عامة اهل التاويل عليه ولكنه سؤال السعة والنصيب في الدنيا ويكون ذلك في قوم لا يؤمنون
بالآخرة سالوا ما وعدوا من النعيم في الآخرة والسعة في الدنيا وذلك اشبه لانهم سالوا ربهم ان يعجل
ذلك لهم فلو كان على ما يحمل اهل التاويل من سؤال العذاب والكتاب على الاستهزاء بالرسول والتكذيب له
لسالوا الرسول ذلك ولم يسالوا ربهم ذلك فدل ذلك على انه اشبه واقرب والله اعلم ويكون قوله عز وجل
اصبر على ما يقولون على ما تقدم من قولهم انه ساحر انه كذاب وانه اختلق هذا القرآن من ذات نفسه ونحو
ويؤيد ذلك قول سعيد بن جبير قال ذكرت لهم الجنة فاشتهوا ما فيها فقالوا ربنا عجل لنا قطنا اي نصيبنا
من الجنة وقوله عز وجل واذكر عبدنا داود يحتمل قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم اذكر عبدنا
داود وجوه احدها ان اذكر نبأ داود ونبأ من ذكر في هذه السورة من قوله واذكر عبدنا ايوب وعبادنا
ايوب واسحق ويعقوب ومن ذكرهم عليهم السلام وعلى محمد في هذه السورة اي اذكر نبأهم الذي
لم يكن لتعرفه انت ولا قومك من قبل هذا لعلهم يصدقونك ويؤمنوا بك كقوله عز وجل تلك من انباء الغيب
نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين والثاني قوله عز وجل
واذكر عبدنا داود اي اذكر صبر هولاء على اذى قومهم وتكذيبهم اياهم لتصبر على اذى قومك وتكذيبهم
اياك كما صبروا ولذلك كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثالث اذكر داود ومن ذكر
من الانبياء اي اذكر لهم المصدقين وما يكون لهم من الكرامات والثواب كما ذكرت لهم المكذبين وما نزل بهم
من العذاب لعلهم يرجعون ويصدقونك ليعلموا من نجا منهم بم نجا ومن هلك منهم بم هلك وليعلموا
ان في اوايلهم المصدقين له والمؤمنين فكيف اتبعتم المكذبين منهم دون المصدقين والله اعلم ويحتمل
قوله عز وجل واذكر عبدنا اي اذكر جهد داود وجهد من ذكر من هولاء في العبادة والدين وامثال ذلك
يحتمل والله اعلم وقوله عز وجل ذا الايد انه اواب قال عامة اهل التاويل ذا الايد ان القوة على العبادة
وجايز ان يكون قوله عز وجل ذا الايد في امر الله في امر الدين لانه الين له الحديد حتى كان يتخذ منه الدرع
وغيرها من الاسلحة وسخر له الطير والجبال حتى كان يسبح معهم بالعشي والاشراق وحتى كان يستعمل
ما اتخذ الحديد فيمن شاء من امر الدين من المحاربة مع الاعداء والدرع عن اهل الاسلام والدفع عنهم والله اعلم
وقوله عز وجل انه اواب قال بعضهم اواب مطيع لله مقبل على طاعته وقال بعضهم اواب اي مسبح لله ذكر انه
كان كثير التسبيح ولذلك قال عز وجل يا جبال اوبي معه اي سبحي معه هذا محتمل وجايز ان يكون قوله
عز وجل اواب اي رجاع الى الله يرجع في كل امر واليه يفزع في كل نايبة وحادثة وقال بعضهم ذا الايد
انه اواب اي ذا الاحسان والعمل الصالح اواب اي تواب وقتادة يقول ذا القوة في العبادة وذا الفقه

فالاسلام

في الاسلام وذا البصر في الدين وقال ابو عوسجة قطنا اي كتابنا يقال قططت اي كتبت اقط قطا فانا قاط
والكتاب مقطوط والقط ايضا القطع يقال قططنا اظفاري والقط الدهر ويقال قطني اي حسبي
وقطك اي حسبك وقال القتبي القط الصحيفة المكتوبة وهي الصك وقوله عز وجل انا سخرنا الجبال معه
يسبحن بالعشي والاشراق هو على التقديم والتاخير كانه قال عز وجل انا سخرنا الجبال يسبحن معه اخبر
انه سخر الجبال والطير وما ذكر لداود كي يطيعنه ويسبحن معه وفيه لطف من الله عز وجل في هذه الاشيا
والخصوصية لداود في ذلك حيث صير الجبال والطير بحيث يقفن وقت يسبح داود معه على ما اخبر
عز وجل وفيه ان الله عز وجل حيث صير الجبال مع شدتها وصلابتها بحيث تعرف وقت تسبيح داود
ويعرف تسبيحه ويسمعه ويلين له فجايز ان يجعل قلب الكافر بحيث تلين ويخضع لله بلطفه اذ قلبه ليس
اشد قسوة وصلابة من الجبال فاذا جعل لطفه فيها لانت وخضعت فعلى ذلك اذا جعل ذلك اللطف
في قلب الكافر لا يحتمل ان لا يلين ولا يخضع اذ هو ليس باصلب واشد من الجبال التي ذكرنا والله اعلم
واما الخصوصية له فان الله عز وجل جعل لكل من الرسل خصوصية في شيء لم يجعل مثل ذلك الخصوصية
لاخر في ذلك الشيء بعينه بلطفه وخصوصه داود بما ذكر من تسخير ما ذكر له من الجبال والطير له
والتسبيح معه وما ذكر من الانة الحديد له وغير ذلك من الاشياء وخصوصية سليمان ما ذكر
من تسخير الرياح له وحملها اياه حيث شاء الى ما شاء مسيرة شهر بغدوة ومسيرة بعشية حيث
قال عز وجل ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وما ذكر من فهم نطق الطير له والنطق
معه وفهمه تسبيحها ونحو ذلك كثير ومثل هذا ما قد جعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر انه
اخذ احجارا فسبحن في يده حتى سمع ذلك من حضره وما ذكر ان اصابعه يسبحن ونحوه كثير فلكل منهم
خصوصية في شيء ليست تلك لغيره والله اعلم وقوله عز وجل والطير محشورة اي مجموعة مسخرة اي
اي سخرت له الطير ايضا وقوله عز وجل كل له اواب قال بعضهم كل له مطيع وقال بعضهم كل له مسبح
فان كان قوله عز وجل كل له اواب اي مطيع فهو يحتمل مطيع لله ويحتمل مطيع لداود وان كان الاواب
هو المسبح فهو لا يحتمل لداود ولكن لله تبارك وتعالى والله اعلم ثم قوله عز وجل يسبحن بالعشي
والاشراق جايز ان يكون لا على ارادة حقيقة العشي والاشراق ولكن على ارادة التسبيح معه
في كل وقت فيكون العشي كناية عن الليل والاشراق كناية عن النهار يخبر انهن يسبحن في كل وقت
من الليل والنهار والله اعلم ويحتمل ان يكون يسبحن في العشيات والغدوات خاصة كقوله
عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي والله اعلم ثم جايز ان يكون ما ذكر من تسبيح هذه الاشياء صلوة يسبحن اي يصلين لله كقوله عز وجل
الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات ثم قال عز وجل كل قد علم صلوته وتسبيحه
دل ان لها صلوة والله اعلم ومن الناس من يقول يسبح هذه الاشياء التي ذكرهن تسبيح خلقة لا تسبيح
نطق وكلام لكن لو كان على هذا لكان لا معنى لذكر تسبيحهن مع داود عليه السلام اذ ذلك مع داود
وغيره في كل وقت دل انه على تسبيح النطق وان كان على الصلوة فهو ان لا يجوز الصلوة لاحد حتى يشرق
الشمس ويرتفع حيث ذكر اشراق الشمس والله اعلم ثم من الناس من حمل قوله عز وجل والاشراق على صلوة
الضحى وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ذكر عنه انه سال ام هاني عن صلوة الضحى هل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي في بيتها فاخبرته انه فعل قال ابن عباس رضي الله عنهما وقلت اي صلوة
الاشراق وهذه صلوة الاشراق يعني صلوة الضحى والله اعلم وسميت صلوة الضحى صلوة الاوابين
وقوله عز وجل وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة قال عامة اهل التاويل في قوله وشددنا ملكه لانه كان

يحرسه كل ليلة ثلثة وثلاثون الفا من بني اسرائيل لكن ليس فيما ذكر واكثر شد الملك وتقويته اسماء
هو وصف ضعف الا ان يعفوا بما ذكر واكثرة اعوانه وانصاره وفضل اتباعه وحواشيه فعند ذلك يحتمل
ماذكروا فاما في نفس ماذكروا من الحرس له والحفظ فليس فيه كثير شد ولا فضل منقبة وجايز ان يكون غير هذا
اشبه له واولى بما ذكر ملكه وهو يخرج على وجهين احدهما شد ملكه بما ذكر من الانة الحديد حتى كان يتخذ
منه باسا من الدروع وغيرها من اسباب الحرب والتاهب لها وما يصلح للقتال مالم يعط بمثله لاحد سواه
فتنقطع بذلك طمع الميال غيره له في ذلك والراغبين في ملكه ويامن هو بذلك ذهابه فهو شد ملكه
والله اعلم والثاني في شد ملكه بما ذكر من تسخير الجبال له والطير والتسبيح معه وما ذكر من طاعة هذه
الاشياء له والخضوع لامره فمن بلغ امر ملكه هذا المبلغ الذي وصف من طاعة من ذكره والتسخير له وعبادته
لله تعالى وطاعته لربه في نفسه حيث قال عز وجل واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب لم يقصد احده
من ملوك الارض قصده ولا طمع في زوال ملكه اليه بحال وهذا اشبه ان يجعل تاويل شد ملكه الذي ذكر
والله اعلم بما قاله اهل التاويل وقوله عز وجل وآتيناه الحكمة قال بعض اهل التاويل وآتيناه الحكمة اي النبوة
وفصل الخطاب اي البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه لكن ليس فيما ذكروا من جعل البينة على المدعي وجعل
اليمين على المنكر كثير منقبة وخصوصيته اذ قد اعطينا نحن مثله وقد ذكر على الخصوصية له ثم جايز ان يكون ما ذكر
من الحكمة انه اتاه الله احكام امره فيما بينه وبين ربه العبادة له اي لله تعالى والطاعة له في كل وقت
على ما وصفه حين قال ذا الايد انه اواب اي ذا القوة والجهد في العبادة لله والطاعة له فيهم وانزال كل منهم
منزلته وتاليف قلوب بعضهم من بعض وجمعهم على دين واحد ومذهب واحد حتى لم يقع تنازع ولا اختلاف
في الدين والله اعلم وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل وفصل الخطاب اي قطع الخصومات فيما بينهم على التاليف
والتلطف وايصال كل الى حقه من غير ان يقع بينهم حشونة او ضغنة والله اعلم وقوله عز وجل وفصل
الخطاب قال بعضهم ما ذكرنا من القضاء بين الخصوم بالبينة على المدعي واليمين على المنكر وليس في ذلك
كثير منقبة ولا خصوصية وقال بعضهم هو اما بعد وهذا ايضا ليس بشيء ولا معنى فيه ما ذكرنا والله اعلم والخطاب
هو الخصومة قال ابو معاذ الخطاب كالجدال والخصام يقول خاطبته وخاطبني واحدا لا ومجادلة فكل فاعله
لها جمعان فعال ومفاعلة وقال ابو عوسجة الفصل القضاء والخطاب الخصومة يقول خاطبت الرجل اي خاصمته
والاشراق هو طلوع الشمس ووقوعها في كل ناحية بنورها كقوله عز وجل واشرقت الارض بنور ربها والله اعلم
وقوله عز وجل وهل اتاك نبؤ الخصم وقد ذكرنا في غير موضع ان حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج
على الايجاب او على التقرير والبيّنة ثم قوله عز وجل اتاك نبؤ الخصم على وجهين احدهما اي قد اتاك
نبؤ الخصم فتفكر فيه كيف ابتلاه الله عز وجل وفتنه ما ذكر والثاني قوله عز وجل هل اتاك نبؤ الخصم اي لم يأتك
نبؤ الخصم واتاك وارسل اليك نباه وخبره ان كيف ابتلاه وفتنه وعلى هذا يجوز ان يكون قوله عز وجل
واذكر عبدنا داود اي اذكر ما قربه هو واذكر منتقرّبا اياه او اذكر خصومة الخصمين اليه واذكر ما اعطى هو
من الحكمة والحكم وفصل الخطاب ثم قوله نبؤ الخصم الخصم هو حرف التوحيد والوحدان وقوله عز وجل
اذ تسوروا المحراب حرف الجماعة وكذلك قوله عز وجل اذ دخلوا على داود ذكره بالجماعة وكذلك قوله عز وجل
ففزع منهم ذكر بحرف الجماعة وقوله عز وجل قالوا لا تخف ثم ذكر بحرف التثنية حيث قال عز وجل
خصمان بغى بعضنا على بعض ذكر بعضه بحرف الوحدان والافراد وبعضه بحرف التثنية وهي قصة واحدة
وقال بعضهم اما قوله عز وجل الخصم فهو مصدر ومصدر الجمع ومصدر الجمع والفرد والتثنية واحد واما قوله
تسوروا ودخلوا وقالوا ونحوه قد يقال للاثنين ذلك لان الاثنين جماعة كقوله عز وجل ان تتوبا الى الله
فقد صغت قلوبكما والقلوب جماعة وانما هو قلبان وذلك كثير في القرآن وذلك جايز في اللغة شايع فيها

وعندنا

689

وعندنا جايز ان يكون قوله عز وجل تسوروا ودخلوا عليه وقالوا لا تخف ونحوه ان كان مع الخصمين الملكين
ملايكة سواهم شهود على دعواهما وخصومتهما تسوروا معهما ودخلوا معهما عليه فلما فزع منهم قالوا له
لا تخف وان كان الذي يخاصم بين يديه اثنان لما لا يحتمل ان يقول داود لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال
نعجتك الى نعاجه ينسبه الى الظلم ويصفه بالبغي بلا شهود يشهدون له الا ان يكون من الآخر اقرار على ما يدعى
عليه فاذا كان كذلك فيشبه ان يكون ما ذكرنا انه كان مع الملكين ملايكة آخرون شهود يشهدون على ذلك
وان حاصل الخصومة لاثنين منهم وفيما اضيف الفعل الى الجماعة كانوا جماعة في التسور والدخول عليه
والقول منهم لا تخف وفيما اضيف الى الاثنين كان اثنان في الخصومة والله اعلم ثم فيه من الكلام
والقول حيث قالا خصمان بغى بعضنا على بعض وان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة
واحدة وقوله اكفلنيها وعزني في الخطاب ونحوه من الكلام والقول الذي كان منهما كيف حققا ذلك
وقطعاه انهما خصمان ولم يكونا في الحقيقة خصمين وان لهذا كذا وكذا نعجة ولهذا واحدة ولم يكن في الحقيقة
ذلك وان هذا بغى على هذا ونحو ذلك من الخصومات التي جرت بينهما ولم يكن ذلك كذلك في الحقيقة
كيف قالا ذلك وحققاه وهم ملايكة والملايكة لا يحتمل ان يكذبوا قط وبرسلهم الله ليكذبوا لكنه والله اعلم
على التقرير والتمثيل اي لو كان لاحديهما كذا كذا نعجة وللآخر واحدة فغلب صاحب النعاج الكثيرة على صاحب
النعجة الواحدة فاخذها اليس يكون ظالما او يكون باغيا ليس على التحقيق ولكن لما ذكرنا يعتذر ان عليه
الزلة ويمثلا به الخطيئة ان كانت له على ما يقوله اهل التاويل ويقدرونه وقد ذكر الله عز وجل اشياء
كثيرة على التمثيل والتقرير على تقرير اشياء غفلوا عنها وسهوا ليتقرر ذلك عندهم وسهوا فيها فعلى ذلك
يشبه ان يكون خصومة هؤلاء الملايكة عند داود عليه السلام وما كان منهم من القول والخصومة ليتقرر
ما كان منه من الهفوة والزلة ليعرف ذلك ويرجع عنها والله اعلم ثم قول اهل التاويل ان طايرا وقع بين يديه
قريبا منه فنظر اليه وصار معجبا به فهمّ ان ياخذه وارتفع الى الكوة المحراب فصعد لياخذه فوقع بصره على امراة
فاعجبته فان هذا يحتمل ان يكون واما قولهم ادام النظر اما هذا فانه لا يحتمل ان يكون ميل داود ونبي
من الانبياء عليهم السلام انه يديم النظر الى ما لا يحل النظر النظر اليه واما الاول من الذهاب لطلب ذلك
الطاير والنظر اليه انه دنا بين واليها نا فذلك يحتمل ان يكون هو يكون معذورا في الصعود الى الكوة والارتفاع
للنظر الى الطاير لما كان الطيور قد حشرت له وسخرت في التسبيح معه والطاعة له فجايز ان يكون له البحث
والفحص عن حال ذلك الطاير على ما اخبر عن سليمان حيث قال عز وجل وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى
الهدهد فاذا كان ما ذكرنا كان هو في الصعود الى الكوة والارتفاع الى ذلك معذورا لكن وقع بصره عليها
بلا قصد منه ولا علم بحالها ومال قلبه اليها لحسنها وجمالها وذلك ما يكون بلا تكلف ولا صنع
وذلك مما لا يملك دفعه نحو ما كان مثل قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امراة زيد حتى وعد لها نكاحها
حيث قال عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وما ذكر من بعث زوجها الى القتال ليقتل فهذا ايضا
غير محتمل لكن يحتمل بعثه اياه ليجاهد اعداء الله وكان ذلك فرضا عليه فصار مقتولا فيه من غير ان توهم
منه انه قصد قتله واهلاكه والله اعلم فان قيل كيف عوتب كل هذا العتاب حتى بعث اليه الملايكة
اليه بالخصومة عنده والتمثيل لما ذكر وتقرير ذلك عنده ثم اخبر انه غفر له بعد طول المدة ان كان العتاب
في ذلك غير مؤاخذ به قيل ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يؤاخذون بادنى شيء كان منهم
ما لا يؤاخذ غيرهم بذلك يعد ذلك منهم من ارفع الخصال واجلها نحو ما عوتب يونس عليه السلام في خروجه
مرتين قومه ليسلم دينه او نفسه لكنه خرج بلا اذن كان له من الله فعوتب لذلك فعلى ذلك داود عليه السلام
وانما فعل بلا اذن من الله عز وجل والله اعلم ثم في بعث الملايكة اليه فيما ذكر وجوه من الحكمة وانواع من الفايدة

احدها جواز الحجاب والحرس له حيث دخلوا عليه من غير الباب والثانى رفع الحجاب عن الخصوم
والجلوس للقضاء فى وقت حاجة الخصوم لا على وقت حاجة نفسه حيث دخلوا من غير الباب للخصومة بلا اذن
منه والثالث قدرة الملايكة على التصور بصورة البشر مع كون نفس الكثيفة و وجودهم وذلك يرد على الفلاسفة
مذهبهم ان النفس الروحانية خلقت منتشرة متحركة فى كل حال لكن الجسد الذى جعل فيه يمنعه عن ذلك فاذا نام
ذلك الجسد او مات ذهبت تلك النفس حيث شاءت الى حاجتها الا يرى ان الملايكة قد تسوروا عليه بصورة
البشر واختصموا اليه خصومة البشر دل على انه ليس على ما وصفهم ثم قوله عز وجل اذ تسوروا المحراب قال بعضهم
صعدوا واصل التسور هو الدخول من العلو والارتفاع وهو النزول من السور وهو الحايط المشرف المرتفع
وقوله عز وجل ففزع منهم لما خاف دخول الوهن فى ملكه اذ دخلوا بلا اذن من غير الباب وخاف
لما ظن انهم لصوص مكابرون او لما عرف انهم ملايكة جاؤا بامر عظيم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تشطط اى لا تجر وقوله اكفلنيها وقال بعضهم اعطنيها قال بعضهم يقال اكفلنيه اى اعطنيه وهو قول ابى عوسجة
وقال بعضهم اى ضمها الى واجعلنى كافلها وهو قول القتبى وقوله عزنى فى الخطاب قال بعضهم غلبنى
فى الخصومة وقوله عز وجل وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ثم استثنى الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات اى الذين آمنوا واعتقدوا فى ايمانهم الاعمال الصالحات فانهم لا يبغون بعضهم على بعض
ثم اخبر ان من آمن واعتقد فى ايمانه العمل الصالح اى من اتقى من المؤمنين قليل وترك البغى قليل منهم
وهذه الآية شديدة صعبة على ما ذكرنا وفيه ان المؤمن الذى اعتقد فى ايمانه العمل الصالح وترك البغى
على غيره قليل فى كل زمان ودهر والله اعلم وقوله عز وجل وظن داود انما فتناه اى علم داود وايقن
ان خصومة الملكين عنده فيما اختصما فيه محنة له هو الممتحن بها لا انهما كانا ممتحنين بذلك فاستغفر ربه اذ يقن
بذلك انه هو الممتحن بذلك لا غيره والله اعلم ثم فسر اهل التاويل الظن ها هنا الايقان اى ايقن وكان
الايقان هو علم يستفاد بالاسباب على ما استفاد داود عليه السلام علما بخصومة الملكين عنده ولذلك
لا يضاف الايقان الى الله انه ايقن كذا لانه علم يستفاد بالاسباب وهو عالم بذاته لا بسبب واما العلم بانه
قد يستفاد بسبب وبغير سبب لذلك اضيف اليه حرف العلم ولم يضف حرف الايقان والله اعلم ثم قيل
ما الحكمة فى ذكر زلات الرسل صلوات الله عليهم والاصفياء فى الكتاب وهو وصف نفسه انه غفور وانه
ستور وقد امرنا بالستر على من ارتكب شيئا من ذلك وبالغفران والعفو فكيف ذكر زلات انبيائه واصفيائه
حتى تقرا زلاتهم فى المساجد والمكاتب باعلى صوت الى يوم التناد وما الحكمة فى ذكر ذلك قال الشيخ ابو منصور
محمد بن محمد الفقيه رضى الله عنه يخرج ذلك زلات الانبياء صلوات الله عليهم فى القرآن وترك الستر
عليهم على وجوه احدها ذكرها ليكون ذلك آية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان قلوب الخلق
وانفسهم لا يحتمل ذكر مساوى الاباء والاجداد وكذلك لا يحتمل قلوبهم ذكر مساوى انفسهم فاذ ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك دل انه على امر من الله عز وجل يذكر ذلك ليعلم الناس انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانه عن امر منه ذكر ذلك والله اعلم والثانى ذكر زلاتهم امتحانا منه عباده ان كيف يعاملون رسلهم
بعد ما عرفوا منهم الزلات واظهر عنهم العثرات وكيف ينظرون بعين الرحمة والرافة يحفظهم بذلك
على ما امتحنهم بساير انواع المحن والثالث ذكر منهم ليعلموا اعنى الخلق كيف عاملوا ربهم عند ارتكابهم
الزلات والعثرات فيعاملون ربهم عند ارتكابهم ذلك على ما عامله الرسل بالبكاء والتضرع والفزع اليه
والتوبة على ذلك والله اعلم او ان يكون ذكرها ليعلم ان ارتكاب الصغاير لا يزيل الولاية ولا يخرجه من الايمان
وذلك على الخوارج بقولهم ان من ارتكب صغيرة او كبيرة خرج من الايمان او ان يكون ذلك ليعلم ان الصغيرة
ليست بمغفورة ولكن له ان يعذب عليها وليس على ما قالت المعتزلة ان ليس لله ان يعذب احدا على الصغيرة

والله اعلم وزلات الانبياء عليهم السلام تخافوا عليهم فى قلوب الناس فلولا انهم عرفوا ان الله ان يعذبهم
عليها والا لم يخافوا منها كل ما ذكر منهم يذكر عن الحسن ان داود جزى الدهر اربعة اجزاء يوما لنسائه ويوما
لعبادة ربه ويوما للقضاء بين بنى اسرائيل ويوما لعباد بنى اسرائيل ويذكرونه ويبكيهم ويبكونه فلم كان
يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل ياتى على الانسان يوم لا يصيب به ذنبا فاضمر داود فى نفسه انه
سيطيق ذلك قال فلما كان يوم عبادته غلق ابوابه وامر ان لا يدخل عليه احد فاكب على الزبور
يقراها فابتلى بما ذكروا قال وكذلك سمى اوابا والله اعلم وابن عباس وهؤلاء قالوا انه كان له
تسع وتسعون امرأة فكان يكون عند كل امرأة يوما فاذا كان راس المائة يفرغ للعبادة ففى ذلك اليوم
اصابه ما اصابه وقال بعضهم فى قوله عز وجل وعزنى فى الخطاب اى غالبنى فى الكلام اراد اذا تكلم ان يكون
ان يكون ابين منى واذا دعا ودعوت ان يكون اكثر منى وما يلبث ان يكون اعرض ما ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل فغفرنا له ذلك اى زلته التى كانت منه وعثرته وما يقوله اهل التاويل ان ربه
اوحى اليه اى قد غفرت لك لكن لا بد ان يتعلق بك او رياء روس الخلايق ثم استوهبك منه
او عوضه كذا فذلك مما لا يقوله به ولا يعلم ذلك ولا يصح ذلك ولا يستقيم لما ذكرنا نحن انه لم يكن منه
او ربما يلحقه ما يذكرون انما امر بمجاهدة اعداء الله وكان لداود يامر الا انه عوتب لان الانبياء عليهم
السلام كانوا يعاتبون بادنى شئ كان منهم ويعيرون على ذلك لذلك كان ما ذكرنا وقد عرفنا
انه كان منه شئ عوتب عليه ثم علمنا ان ربه غفر له بقوله عز وجل فغفرنا له ذلك فاما ما سوى ذلك
الذى ذكره اهل التاويل فلا يعرفه فان صح شئ منه يقال به والا الترك اولى به واسلم وقوله عز وجل
وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يحتمل قوله عز وجل له عندنا لزلفى فى باقى عمره اى له فى باقى عمره
ما يزلفه لدينا ويقربه عندنا والله اعلم او ان يكون له زلفى عنده فى الآخرة اى له كرامة ومنزلة
والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلناك خليفة فى الارض يحتمل قوله جعلناك خليفة فى الارض
يحتمل قوله فى جملة اهل الارض من الرسل والانبياء والملوك وغيرهم على الشريف والوضيع والله اعلم
ويحتمل قوله عز وجل جعلناك خليفة فى الارض فى الرسل خاصة وكل التاويلين يرجعان
الى واحد الا ان احدهما يرجع الى الخاص من الناس والآخر يرجع الى العامة منهم والله اعلم وقوله
عز وجل فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ثم لم ينهه عن هوى النفس ولكن نهاه عن اتباع هواها
ان النفس قد تهوى فى الحكم بغير حق حيث قال فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى لان النفس
انشيت على الهوى والميل الى اللذات والشهوات وعلى ذلك طبعت وبنيت فيكون فى هواها الى ما تهوى
مد فوعا غير مالك ولا قادر على دفعه لذلك لم ينهه عن هواها ولكن نهاه عن اتباع هواها ويقدر
على منعها بالعقل وردها الى اتباع الحق لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فيضلك
عن سبيل الله ذكر انه لو اتبع هواها اضله عن سبيل ولا كل هوى اذا اتبعه المرء اضله عن سبيله
لكنه اذا اتبعه فى شئ بعد شئ يحمله على الاضلال عن سبيله اذ من ضل عن سبيله انما يضل
لاتباعه هواه كقوله عز وجل ارايت من اتخذ الهه هواه اخبر ان من اتخذ الها دونه انما اتخذ
بهواه لا بحجة والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا
يوم الحساب اى تركوا الاعمال التى يعمل ليوم الحساب او بما نسوا اى بما تركوا الايمان به والاقرار والله اعلم
وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا الباطل هو الفعل الذى يذم عليه
والحق هو الذى يحمد عليه فاعله وقوله عز وجل ذلك ظن الذين كفروا لم يظن احد من الكفرة ان الله
خلق شيئا باطلا لكن يكون خلق ما ذكر من السموات والارض وما بينهما من الاهل مخلوقا باطلا على ما عبد

ولئك الكفرة وفي حسبانهم لان عندهم ان لا بعث ولا حيوة بعد ما ماتوا فكان خلق ذلك كله لو لم يكن بعث
ولا نشور خلقاً باطلا لوجهين احدهما انه لو لم يكن بعث يحصل انشاؤه اياهم للفناء خاصة وانشاء
الشيء وبناؤه للفناء خاصة لا للعاقبة يقصد عبث باطل سفه كقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثاً
الى آخر الآية صير خلقه اياهم اذ لم يكن رجوع اليه عبثا لذلك كان ما ذكرنا والثاني انه لو لم يكن بعث لكان خلقهم
عن حكمة لانه قد جمعهم جميعا في بعثهم هذه الدنيا ولذاتها الولي والعدو وفي الحكمة التفريق والتمييز بينهما فلو لم يكن
دار اخرى لتفرق بينهما لكان في خلقهم غير حكيم وعندهم جميعا انه حكيم ثم يقول قتادة في قوله عز وجل يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض الى قوله بما نسوا يوم الحساب يقول لم يذكر الله عز وجل من شان داود عليه السلام
ما ذكر الا ان يكون داود قضى نحبه من الدنيا على طاعة الله والعمل به والعدل فيما ولاه الله عز وجل ولكن الله تعالى
وعظ نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين موعظة بليغة شافية وليعلم من ولي هذا الحكم شيئا انه
ليس بين الله وبين العباد سبب يعطيهم خيراً ولا يدفع عنهم به شراً الا بطاعة الله والعمل بما يرضي وقوله
عز وجل انا جعلناك خليفة في الارض اي جعلنا لك الخلافة فيمن ذكرنا وقوله عز وجل ام نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار هو صلة قوله عز وجل ذلك
ظن الذين كفروا وكان ظنهم ان لا بعث ولا نشور فيقول والله اعلم انه لو كان على ما ظن اولئك الكفرة
ان لا بعث لكان في ذلك جعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات في هذه الدنيا كالمفسدين في الارض
وجعل المتقين كالفجار اذ قد سوى بينهم في هذه الدنيا وجمعهم في لذات هذه الدنيا وشهواتها وفي حسناتها
وسيئاتها وفي الحكمة التفريق بينهما والتمييز وقد سوى بينهما في الدنيا على ما ذكرنا من جمعهم في المحنة
بالخير والشر فلو كان على ما ظن اولئك ان لا بعث ولا حيوة لكان ذلك جمع وتسوية بين الولي والعدو
وفي الشاهد من سوى بين من عاداه وبين من والاه وجمع بينهم في البر والجزاء كان سفيها غير حكيم
فعلى ذلك الله سبحانه لو لم يجعل دارا اخرى يفرق بينهما فيها كان غير حكيم اذ قد سوى بينهما وجمع
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم من الناس من يقول يجب ان يفرق بينهما في الدارين جميعا
في الدنيا والآخرة وقد فعل حيث سمى هؤلاء ضلالا وهؤلاء مؤمنين وخذل الكفار واذلهم ووفق
المؤمنين واعزهم وهو قول المعتزلة ومنهم من يقول لا يجب ذا في الدنيا ولكن انما ذا في الآخرة لان الدنيا
دار محنة وابتلاء يمتحن الفريقان جميعا بالخير مرة والشر ثانيا وبالحسنة تارة وبالسيئة اخرى على ما اخبر
حيث قال عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات وما ذكر ونبلوكم بالشر والخير فتنة الآية اخبر عز وجل
انه يمتحنهم ويبتليهم بالخير والشر وبالسيئة والحسنة وذلك للفريقين جميعا على ما ذكرنا من جمعه
اياهم جميعا في الحالين فانما هي مجعولة للجزاء خاصة فهنالك يقع التفريق والتمييز بينهما لا فيما فيه المحنة
والابتلاء والله اعلم واما قولهم انه قد فرق بينهما حيث سمى هؤلاء ضلالا وهؤلاء مؤمنين وخذل
هؤلاء ووفق اولئك فليس ذلك بتفريق بينهما لانه انما سماهم ضلالا كفرة بفعلهم الذي اختاروه
وصنعوا وامر اثروه على غيره فانما هي تسمية فعلهم لا جزاء يجزون والله اعلم ثم قوله عز وجل ذلك ظن
الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار دلالة لزوم الحجة والوعيد على الظن والجهل وان لم يتحقق لهم العلم
بذلك لانه مكنوا من العلم بها وجعل لهم سبيل الوصول الى معرفة ذلك وانما لزمهم ذلك الوعيد والحجة
بما لهم صنعوا معرفة ذلك والعلم بها لانهم لو تاملوا فيه ونظروا لوقع لهم علم ذلك لكنهم تركوا علم ذلك
لكنهم تركوا علم ذلك وصنعوه فلم يعذروا في ذلك وعلى ذلك يقول في القدرة او من منع عنه القدرة
وحيل بينه وبينها كان غير مكلف بها ولا مخاطبا معذورا في ذلك ومن لم يمنع عنه ومكن ذلك الا انه
ترك العمل به كان مكلفا به غير معذور لانه هو الذي صنع ذلك وتركه بالاختيار والاول غير مطيع لها

ولا تارك لذلك امر وذلك على المعتزلة والله الموفق وقوله عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا
آياته سماه مباركا لان من اتبعه وتمسك به وعمل بما فيه صار شريفا مذكورا عند الناس عظيما على اعينهم
وقلوبهم وذلك عمل المبارك ان ينال كل بر وخير يكون ابدا على الزيادة والنماء والله اعلم وقوله عز وجل
ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب اخبر انه انزله ليدبروا في آياته ليعرفوا ما لهم وما عليهم وما توى
وما يبقى انما يعرف ذلك بالتامل والتدبر والتفكر وقوله عز وجل وليتذكر اولوا الالباب اي ليتذكر
وليتعظ اولوا الالباب بما فيه من المواعظ والآداب وغير ذلك وقوله عز وجل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
انه اواب اثنى الله عز وجل على داود وابنه سليمان عليهما الصلوة والسلام بالاوبة اليه والرجوع وهو
ما قال عز وجل في داود عليه السلام واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب ثم فسر ما الاواب وقال
في سليمان عليه السلام اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد الى آخر ما ذكر ذكر قوله عز وجل
اذ عرض عليه على اثر قوله انه اواب انه انما كان اوابا بالذي ذكر منه لان حرف اذ لا يذكر الا عن شيء
سبق وكيسمى عز وجل داود عليه السلام اوابا بما ذكر من تسبيحه بالعشي والاشراق والفزع اليه بما هو به
والله اعلم وقوله عز وجل اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد وقيل الصافنات هو الخيل وقال بعضهم
الصافنات هي القايمات على ثلث قوايم رافعات احدى الرجلين او احدى اليدين على طرف الحافر وقال بعضهم
الصافنات هي القايمات لا غير وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تمنى ان يقوم له
الرجال صفونا اي قياما فليتبوأ مقعده من النار او كلام نحوه والجياد قيل السراع والله اعلم وقوله عز وجل
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب دل ما سبق من ذكر الصافنات الجياد بالعشي على انه
عز وجل حتى توارت بالحجاب انما اراد به توارى الشمس بالحجاب اذ ليس شيء يتوارى بالحجاب في ذلك لو تستوي
الشمس ثم قوله عز وجل اني احببت حب الخير حتى شغلني عن ذكر ربي اذ المحبة يجوز ان يكنى بها عن الايثار
والله اعلم والثاني اني احببت حب الخير حبا حتى شغلني خير ذكر ربي حتى توارت الشمس بالحجاب
على التقديم والتاخير والله اعلم ثم قوله عز وجل حب الخير يجوز ان يكنى عن الخيل نفسه على ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة سمى الخيل خيرا
فعلى ذلك قوله تعالى اني احببت حب الخير عن ذكر ربي والله اعلم وقال بعضهم صفونها قيامها وبسطها
قوايمها وقوله عز وجل ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق قال عامة اهل التاويل اي جعل يعقر
سوق الخيل ويضرب اعناقها والسوق هو جماعة الساق لما شغلته عن ذكر ربه وهي صلوة العصر حتى غفل عنها
فجعل يقطع ساقها ويضرب اعناقها كفارة عما شغل عن ذكر ربه ثم ان ثبت ما ذكروا من عقر السوق والاعناق
انه على الحقيقة فهو يخرج على وجهين احدهما انه كان ذلك في شريعته جايزا وان كان في شريعتنا لا يجوز
نحو ما ذكر عنه من تعذيب الهدهد وغيره حين تفقده ولم يجده حيث قال عز وجل وتفقد الطير
فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغايبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه الآية فمثله لا يجوز
تعذيب الطير في شريعتنا فعلى ذلك جايز ان يكون ما ذكروا من عقر الخيل وضرب الاعناق له جايزا وان كان
ذلك لا يجوز عندنا والله اعلم او ان يكون ذلك منه قبل النهي عن القتل ثم جاء النهي عنه بعد ذلك
فخرج عليه ذلك وعلينا جميعا وجايز ان يخرج تاويل الآية على غير حقيقة عقر الساق وضرب الاعناق
لكن ما ذكر من الاعناق يكون كناية عن الذبح وقوله عز وجل فطفق مسحا بالسوق كناية عن التسليم الى الناس
او ان يكون ما ذكر من المسح بالساق والاعناق كناية عن مسح وجهها وراسها بعد ما ردوها عليه والتسليم الى الناس
من غير ان كان هناك عقر او ذبح او كفارة عما غفل عن ذكر ربه قال الحسن قال سليمان عليه السلام والله
لا يشغلن عن عبادة ربي احد ما عليك لكن كشف عراقيبها وضرب اعناقها ثم اختلف في ذلك الخيل التي عرضت عليه

فشغلته عن ذكر الله ففعل ما ذكر قال بعضهم انها خيول اخرجها الشياطين من مروج البحر لسليمان عليه السلام لها اجنحة بعدوا وتطير وقال بعضهم لا ولكن كان خيلا ورثها من ابيه داود عليه السلام وكان داود عليه السلام اصابها من العمالقة وقال وما بقي اليوم في ايدي الناس من الخيل فمن نسل بقية تلك الخيل والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن اهل دمشق من العرب واهل نصيبين جمعوا جموعا لسليمان عليه السلام فاصاب منهم الف فرس عرات فعرض عليه الخيل حتى شغلته عن ذكر ربه ففعل ما ذكر من قطع العراقيب وضرب الاعناق وعلى ذلك روى حديثا قال كشف عراقيبها وضرب اعناقها وقال عليه السلام لا يشغلني احد بعدي عن ذكر الله فاثابه الله منها الريح فان ثبت هذا عنه وصح فهو يقوى تاويل اهل التاويل حيث قالوا جميعا انه قطع عراقيبها وضرب اعناقها والله اعلم وعن الحسن في قوله عز وجل ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق قال كشف عراقيبها وضرب اعناقها فابدله الله خيرا منها واسرع الريح تجري بامره الآية قال ابو معاذ قوله عز وجل فطفق مسحا بالسوق والاعناق يقول العرب مسح علاوته بالسيف مسحا اى ضرب بها ضربا وقال القتبي قوله عز وجل فطفق مسحا اى فاصل يومه يمسح يضرب سوقها واعناقها قال ابو عوسجة فطفق اى اخذ وجعل يمسح اى يقطع يقال مسح عنقه اى قطعها وقال القتبي الصافنات الجياد يقال هي القايمة على ثلاث قوايم وقد قامت الاخرى على طرف الحافر من يد كان او من رجل والصافن في كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها على ما ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يقوم له الرجال صفونا فليتبوأ مقعده من النار اى يديمون له القيام وقال ابو عوسجة الجياد من الخيل السراع والواحد جواد ورجل جواد اى سخي وقوم اجواد اني احببت حب الخير اى المال على ذكر ربي وفي حرف حفصة اني الهاني حب الخير عن ذكر ربي اى شغلني وقوله عز وجل ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اختلف اهل التاويل في سبب فتنة سليمان عليه السلام الذى ذكر انه عز وجل فتنه وانه القى على كرسيه جسدا اختلافا كثيرا سا ما يطول الكتاب بذكر كل ما ذكروا ولا يدرى اكان ذلك سببا فتنته ام لا مع علمنا ان ذلك كله لم يكن سبب فتنته ان كان قايما كان واحد منها ولا ندرى ما هو لذلك تركنا ذكر ما ذكروا ولئن انه كان سبب فتنته ثم يخرج قوله عز وجل ولقد فتنا سليمان على وجهين احدهما انه امتحن بامر فكان منه في ذلك زلة وغفلة فعوقب بما ذكر وعوتب بنزع ملكه والثاني انه فتنه وامتحنه بنزع ملكه منه لا بزلة منه ولا عثرة وصرفه الى غيره لا بسبب كان منه وزلة ويجعله لغيره ثم ان كان ينزع الملك منه بذنب سبب كان منه وزلة فعوقب لان الانبياء صلوات الله عليهم كانوا مخصوصين بالعتاب والتعيير باذنى شئ يكون منه ما بعد ذلك الذى كان منهم من افضل الاعمال على ما ذكرنا فيما تقدم ثم كان منهم من التوبة والتضرع الى الله عز وجل بالذى كان منهم لما عرفوا لانفسهم من الخصوصية لهم من الكرامات والفضايل التى خصوهم بها فراوا على انفسهم لما اكرموا من انواع الكرامات والفضايل التى خصوهم بها من التوبة لله وفضل التضرع والابتهال الى الله لما راوا ما ارتكبوا كفرانا له فيما انعم عليهم واحسن اليهم فضل تضرع وابتهال ما لا يلزم ذلك غيرهم في مثل ما كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل والقينا على كرسيه جسدا يحتمل ان يكون كرسيه ملكه فيكون ما ذكر كناية عن نزع ملكه وجايز ان يكون ما ذكر من القاء الجسد على كرسيه حقيقة الكرسي القى عليه جسدا يشبه جسد سليمان في الجسمية لا في العلم والمعرفة والبصر وما كان فيه من الكرامات كقوله عز وجل عجلا جسدا له خوار اى عجلا مجسدا في الجسدية لان العجل الذى اتخذ هو جسد العجل المعروف فعلى ذلك قوله عز وجل على كرسيه جسدا يشبه جسد سليمان في الظاهر في الجسدية لا في ان جسده كجسد سليمان فيما فيه من العلم والبصر وغير ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ثم اناب يحتمل وجهين احدهما ثم اناب الى الله تعالى ورجع اليه بجميع اموره ان كان فيه

ذلك

ذلة وعثرة واناب رجع واقبل او تاب والله اعلم وقوله عز وجل قال رب اغفر لي وهب لي ملكا يحتمل سؤاله المغفرة عند سؤاله الملك امرا فيما بينه وبين ربه لان الملك مما يتلذذ به وفيه هوى النفس وعلى ذلك خرج سؤال زكريا عليه السلام لما سال ربه عز وجل الولد سال امرا بينه وبين ربه في ذلك وهو ما قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وكذلك خرج سؤال الانبياء فيما سالوا مما فيه اللذة وهوى النفس من الولد وغيره قرنوا في ذلك السؤال امرا بينهم وبين ربهم فعلى ذلك سليمان عليه السلام والملك قرن به

سؤال

المغفرة في ذلك ثم يحتمل سؤاله المغفرة نفسها عما يكون منه من التقصير في ذلك ويكون سؤاله المغفرة سؤال الاسباب التى بها يكون المغفرة لا نفس المغفرة نحو قول نوح عليه السلام لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا وقول هود عليه السلام واستغفروا ربكم ثم توبوا لا يحتمل ان يامروا قومهم ان قولوا نستغفر الله ولكن امروهم ان ياتوا بالاسباب التى بها يصيرون اهلا للمغفرة وبها يستوجبون التجاوز فعلى ذلك يحتمل سؤال المغفرة ما ذكرنا والله اعلم ثم يحتمل سؤاله الملك والله اعلم انه اراد ان يستسلم له الخلق في الاجابة الى ما يدعو اليه من وحدانية الله تعالى وجعل العبادة له لما راى ان اجابة الناس واقبالهم الى ما عنده من السعة والغنى اسرع ولقوله اقبل ورغبتهم فيه اكثر واذا كان ما ذكرنا وهو متعارف فيما بينهم ان اجابتهم اعنى اجابة الناس للملوك ولمن عنده السعة والغنى اسرع لهم واطوع فكان في سؤاله الملك نجاة الخلايق كلهم لما يستسلمون له ويجيبون الى ما يدعوهم اليه فيجيء نجاة الاهلاك بعد والله اعلم ثم قوله عز وجل هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يحتمل وجوها احدها انه سال الله ملكا لا ينزع منه بعد اذ نزع مرة على ما يقول اهل التاويل والثاني سال ربه ملكا لا يكون لاحد ما بقي هو وحي فيكون لاية لنبوته على انه لنبوته على ما ذكرنا اذ لو كان مثله لاحد منهم فلم يكن له في ذلك انه لنبوته والثالث سال ملكا ان يبقى له الذكر والثناء الحسن كقول الناس اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم ونحو ذلك فعلى ذلك جايز ان يكون سليمان عليه السلام اراد ان يكون مذكورا على السن الخلايق بالثناء الحسن بالملك الذى ساله والله اعلم وقوله عز وجل فسخرنا له الريح تجري بامره بين ما اعطاه من الملك بما ذكر من تسخير الريح له والجن والشياطين وغير ذلك ما لم يكن ذلك لاحد من ملوك الارض سواه وهذا يدل على ان تسخير هذه الاشياء التى ذكر انه سخرها لسليمان عليه السلام كان بلطف من الله عز وجل لا يكون ذلك بالحيل اذ لا يملك احد من الخلايق تسخير ما ذكر من الخلق لنفسه ولو كان يملك ذلك بالحيل لكان يعني لذلك مع العلم ان كل ملك لا يترك لنفسه من الحيل ما يريد من ملكه ويبقيه الى ما بقي هو وحي فاذ لم يكن دل انه انما كان لسليمان ذلك بالله لطفا منه ليكون آية من آيات النبوة والله اعلم ثم قوله عز وجل تجري بامره رخاء حيث اصاب وصف تلك الريح باللين والرخوة في هذا الموضع وقال في آية اخرى الريح عاصفة تجري بامره وصفها بالشدة فجايز ان يكون هي في اصل الخلقة شديدة لكنها صارت لسليمان عليه السلام لينة سهلة وقال قايلون هي وقت الحمل شديدة لكنها تصير بالسير لينة سهلة والله اعلم او ان يكون لينة له بالامر الذى ذكر حيث قال عز وجل تجري بامره رخاء وقوله عز وجل حيث اصاب اى حيث اراد وقصد او ان يكون قوله عز وجل عاصفة على عدو الله رخاء لينة على اوليائه والله اعلم ثم فيها ذكر من جرية الريح بامره حيث اراد لطفا الله عز وجل لسليمان حين جعله بحيث يفهم الريح مراده ويفهم هو منها ما ارادت حتى كان يستعملها فيما شاء حيث شاء وكذلك ما فهم من نطق الطير وكلامه وكلام النمل الذى ذكر ويفهم هي منه فذلك كله بلطف منه له ورحمة وقوله عز وجل والشياطين كل بناء وغواص اى سخرنا له الشياطين حتى يستعملهم فيما شاء بعضهم في البناء وبعضهم في الغوص في البحر لاستخراج ما فيه من الاموال ليتفرغ الناس بعبادة الله وللخدمة لا يكون لهم شغل في البناء ولا في مؤنة انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وآخرين مقرنين في الاصفاد وآخرين لم يطيعوه

فيما امرهم من الاعمال في البناء والغوص وغير ذلك من الاعمال جعلهم في الاصفاد وهي الاغلال يجعل
في الاعناق ليدفع شرهم وسوءهم عن الخلق حيث لم يطيعوه فيما امرهم بالعمل للخالق ليتفرغوا للعبادة وفيه
ماذكرنا من اية عجيبة لسليمان عليه السلام واللطف له حيث مكن له من استعمال ماذكر من الجن والشياطين والريح
وسخر له ذلك ليعلم انه انما قدر على ذلك بلطف منه لا بالحيل والاسباب وقوله عز وجل هذا عطاؤنا فامنن
او امسك بغير حساب قال عامة اهل التاويل هذا في الشياطين التي ذكر انه سخرها له في العمل وتحزين فجعله
اياهم في الاصفاد حتى يبين ان يمن على من شاء منهم فيخلي سبيله وبين ان يمسك من شاء منهم فلا يخلي
سبيله وقال بعضهم ذلك التخيير في الشياطين وفي جميع ما اعطاه له من الملك يقول ان شئت من فيعطيه
من شئت وان شئت امسكت فلا تعط احدا شيئا ولا تبعة عليك في ذلك الاعطاء ولا في الامساك والله اعلم
وجايز ان يكون لا على التخيير ولكن امتحن بالاعطاء لقوم والمنع عن قوم فيقول هذا عطاؤنا فامنن اي اعط
وابذل لمن امرت وامتحنت بالاعطاء ومن كان اهلا لذلك وامسك عمن ليس هو باهل لذلك ومن لم يؤمر
بدفعه اليه وهو كقوله عز وجل اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا انه ليس على التخيير ولكن على تعذيب
من هو اهل للعذاب مستحق له واتخاذ الحسن فيمن كان اهلا على ما بين في ذلك واظهر في الاية حيث قال عز وجل
اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه الاية واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى فعلى ذلك
يحتمل الاول والله اعلم وقال الحسن قوله عز وجل عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب يقول هذا
ملكنا الذي اعطيناك يقول اعطه منه ما شئت وامنع منه ما شئت لا تبعة عليك فيه من الاخرة وهو قريب
ماذكرنا في احد التاويلين وقال قتادة احسن منهم من شئت في وثاق هذا او عذابك وسرح منهم من شئت
لا حساب عليك في ذلك وهو قريب ماذكرنا في احد التاويلين رجع احدهما الى الشياطين خاصة في الحبس
في العمل من شاء منهم والتسريح لمن شاء منهم والاخر الى كل ما اعطاه من الملك والله اعلم وقوله عز وجل
بغير حساب اي اعطاه له من الملك ما لا يحسب من الكثرة والعدد وقوله عز وجل وان له عندنا لزلفى اي القربة
وحسن ماب اي مرجع هذا يدل على ان ما اعطاه من الملك لم يحطه عن مرتبته ولا نقص من قدره عند الله لانه
لانه انما سال له الملك والله اعلم ما ذكرنا من رغبته في نجاة الخلق لسرعة اجابتهم اياه الى ما يدعوهم اليه لا رغبة منه
في الدنيا ولذاتها وطلب العز فيها ولكن لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وان له عندنا لزلفى اي الاسباب
التي تزلفه الى الله ويقرب به من التوفيق والعصمة والمعونة على الطاعة وذلك يكون في الدنيا والاول يكون في الاخرة
والله اعلم وهذا من اعظم المنن واللطف حيث امنه عن جميع انواع التبعات يغفر له بغير حساب وليس له
بالزلفى وحسن المرجع والله اعلم ثم اختلف في سبب فتنة سليمان عليه السلام وفي ذنبه قال بعضهم وذلك
ان الله تعالى امره ان لا يتزوج امراة الا من بني اسرائيل فيتزوج امراة من غير بني اسرائيل وجعل لها
صنما تعبد في بيته كذا كذا يوما فابتلاه الله بسلب ملكه عقوبة له على قدر ما عبد من الصنم في بيته وقال بعضهم
كانت فتنة سليمان عليه السلام التي ذكر في ما بين من اهل الجرادة وكانت الجرادة امراته وكانت من احب نسائه
اليه وكان اذا اراد ان يحدث او يدخل الخلاء اعطاها خاتمه وان ناسا من اهلها جاؤا يخاصمون قوما الى سليمان قال
وكان سليمان احب ان يكون الحق لاهل الجرادة فيقضي لهم فعوتب حين لم يكن هواه فيهم واحدا وهو قول ابن عباس
وقد ذكرنا نحو ان يكون نزع الملك منه وما ذكر فتنته اياه بلا زلة ولا سبب كان منه ابتداء محنة وابتلاء وذلك
جايز ولله ان يفعل ما يشاء بمن شاء وكيف شاء من نزع الملك وغيره والله اعلم وقال القتبي وابو عوسجة
رخاء اي رخوة لينة وهو من اللين ويقال رجل رخو اي ضعيف في عمله وقوم رخاء قال والرخاء الساكن
ويقال استرخى اي سكن وقوله عز وجل فامنن او امسك بغير حساب ومثله قوله ولا تمنن تستكثر
اي لا تعط لتاخذ من المكافاة اكثر مما اعطيت وقال الفراء سمي العطاء منا وقوله عز وجل حيث اصاب اي اراد

قال الاصمعي العرب يقول اصاب الثواب فاخطا الجواب اي اراد الصواب والاصفاد الاغلال التي يشد بها
الايدي الى العنق وقوله سليمان عليه السلام ودعائه ربه باستيهاب الملك قال رب اغفر لي وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب على ان الملك الذي اعطاه لم يكن حقا عليه اذ لو كان حقا له لكان
لا يستوهبه ولا يقول له انك انت الوهاب ولكن لقول له اعطني حقي اذ كل طالب حق له قبل اخر لا يوصف
اذا اعطاه اياه انه وهاب ولكن مؤدي حق عليه ويدل هذا ايضا على ان ليس على الله حفظ الاصلح في الدين اذ لو كان
عليه حفظ الاصلح في الدين واعطى الاخر لكان لا يستوهب الملك اذ كان الملك له اصلح في الدين ولكن يقول
اعطني حقي فدل استيهابه منه الملك على ان ليس عليه حفظ الاصلح في الدين ولا اعطى الخير وان له ان لا يعطيه
وان اعطاه الملك له فضل منه ورحمة والله اعلم فان قيل فيه تفضيل الغنى والسعة على الفقر والضيق
لما ان الله عز وجل جعل الغنى والسعة اية من ايات النبوة والرسالة ولم ير الفقر والضيق جعلهما اية من ايات
النبوة فهلا دل جعل الغنى اية من ايات النبوة على انه افضل من الفقر يقال لهم ان الغنى والملك انما جعله
اية لرسالة نبي واحد واكثر الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا فقراء واهل الحاجة والضيق في امر الدنيا
ثم ما كانوا ما ذكرنا من الضيق والفقر وقلة اعوانهم وانصارهم بعد قولهم وظهر ما دعوا الناس اليه ما دعوهم
وهو التوحيد والاسلام مع وجود رغبة الناس فيمن عنده السعة والغنى ونفادهم وقلة رغبتهم
بمن عنده الفقر والضيق فدل اختيار اكثر الانبياء الحال التي ينفر طباع الناس عنها على الحال التي يرغبون
فيها مع حرصهم ورغبتهم في الدين على ان الحال التي اختاروهم افضل واخير من الحال الاخرى والله اعلم
وكذلك قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم نهاه ان يمد
عينيه الى ما متعوهم على العلم منه ان لو مد عينيه الى ذلك ويختار انما يمد ويختار السعة قومه واصحابه
في ابواب الشر والخير وانه لا يختار ولا ياخذ الا ما يحل ويطيب فدل النهي عما ذكر على العلم منه ما وصفنا
على ان ذلك افضل من الاخر والله اعلم وقوله عز وجل واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب ثم لا ندري ما الذي كان من الله من تمكين الشيطان عليه حتى اضاف ذلك الى الشيطان وليس لنا
ان نقول انه مكن عليه كذا وفعل كذا في كذا وفعل به كذا الا ان يثبت عن الله ثم وجه الحكمة في تمكين الشيطان
على اوليائه فيما مكن في امر الدين ليعلم جهة الفضل من جهة العدل وجهة الحكم من جهة الرحمة وان له ان يمتحن
عباده بما شاء وكيف شاء من انواع الشدايد والبلايا على ايدي من شاء بلا اسباب كانت منهم يستوجبون بها
ذلك وله ان يحسن الى من شاء من انواع الخير والنعم ابتداء بلا اسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك فعلى ذلك
بلاء ايوب عليه السلام والشدايد التي اصابته جايز ان يكون بلا سبب كان منه يستوجب ذلك ولكن ابتداء امتحانا
منه اياه بذلك ثم قوله مسني الشيطان بنصب وعذاب انه وان اضاف اليه فهو في الحقيقة من الله لما اخبر
انه على يديه كقوله عز وجل يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم اخبر ان حقيقة العذاب منه وان كان
على ايديهم يجزي ذلك وهو كقوله تعالى وان يمسسك الله بضر اي ما يمس الانسان من ضر يكون على يدي اخر ويكون
من الله وله في ذلك صنع وفعل لا على ما يقوله المعتزلة اذ لا صنع لله في فعل العباد واخبر انه لو اراد
باحد ضرا ومسه بذلك لا كاشف له لذلك الضر ولا دافع وانه لو اراد خيرا باحد لا راد لذلك الفضل غيره
فهو على المعتزلة ايضا وقوله بنصب ونصب واحد وهو تعب وكذلك يقول القتبي النصب والنصب واحد
مثل حزن وحزن وهو العناء والتعب وقال ابو عبيدة النصب الشر والنصب الاعياء ومنهم من يقول
ان احدهما فيما يصيب ظاهر جسده والاخر فيما يصيب باطنه والله اعلم وقوله عز وجل اركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب جايز ان يكون لما قال اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين دعا عند ذلك ان يكشف
عنه البلايا التي مسته كانه قال اي مسني الضر فاكشف ذلك عني وانت ارحم الراحمين بذلك على ذلك قوله عز وجل

فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر دل هذا على ان قد كان منه دعاء وسوال في كشفه الضر عنه فاستجاب الله دعاءه فعند ذلك قال اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب جايز ان يكون لما اضرب برجله الارض وركضها نبع منها عينان لاحديهما للاغتسال فيها والاخرى للشرب منها فكانت التي للشرب منهما وقها باردا على ما يوافق الشرب ويختار ذلك والاخرى ما وقها ما يوافق للاغتسال وهو دون في التنزيل على ما قاله اهل التاويل عامة كقوله عز وجل جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وانما السكون فيما يسكن وهو الليل والابتغاء بالنهار وجايز ان يكون العين واحدا الا انه لما اغتسل منها كان ما يوافق الشرب قال بعض اهل التاويل كان به البلاء بظاهر الجسد وبباطنه فما كان بظاهره ذهب بالاغتسال وما كان بباطنه ذهب بالشرب والله اعلم ثم قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم واذكر عبدنا ايوب اي اذكر صبره كيف صبر على البلاء من الله عز وجل بانواع الشدايد والبلايا فاصبر انت اذا ابتليت بشيء من البلايا وعلى ذلك يخرج ما ذكر في هذه السورة ولم ان يذكرهم بالذي ابتلاهم من الشدايد ان كيف صبر والله على ذلك ومن امتحنهم بالسعة والملك يقول ان اذكر لهم ان كيف شكروا ربهم واطاعوه والله اعلم **وقوله** عز وجل ووهبنا له اهله ومثلهم معهم اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم وهب له اهله اي احيا من هلك من اهله وماله وزاد له على ذلك ضعفهم في الدنيا رحمة منه وفضلا والحسن يقول بهذا انه احياهم له باعيانهم وزاده مثلهم معهم وقال بعضهم قيل له يا ايوب ان اهلك في الجنة فان شئت اتيناك بهم وان شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل اتركوهم في الجنة فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا ولله ان يحيي من شاء بعد ما اماته وله ان يوجر على ذلك ما شاء الا يرى انه قال على اثره رحمة منا وذكرى لاولي الالباب دل قوله رحمة منا على ان كشف الضر عن ايوب واعطا ما اعطاه رحمة منه وفضلا ونعمة كان لله ان لا يكشف الضر عنه وان لا يرد عليه اهله ولا يزيد له وهو على المعتزلة لانهم لا يجعلوا لله ان يكون ما اعطى ورد عليه اصلح له وقد اخبر انه برحمة كان ذلك وفضل منه ولو كان عليه حفظ الاصلح له في الدين كان في تركه ومنعه جايرا عندهم ظالما او ان يكون منعه ذلك عنه اصلح له فاعطاه وترك الاصلح له فقد كان ليس على الله حفظ الاصلح لاحد في الدين والله اعلم **وقوله** عز وجل وذكرى لاولي الالباب اي ذكرى وعظة لمن ينتفع باللب ليعلم ان ليس التضييق لمقت منه وسخطه لمن ضيق عليه ولا في التوسيع رضاء منه ولكن محان يمتحن من شاء بالشدة والبلاء ومن شاء بالسعة والرخاء **وقوله** عز وجل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث اختلف في السبب الذي كان من ايوب عليه السلام الحلف بضرب امراته ولكن لسنا ندري ما السبب الذي حمله على الحلف بضربها ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك السبب غير انا نعلم انه كان من المحلوف عليه معنى يستوجب بذلك الضرب حيث حلف هو بالضرب وامره الله عز وجل بالضرب ثم معلوم ان غضبه وحلفه لا يحتمل ان يكون لمنفعة نفسه ولله عز وجل ثم الغضب لا يخرج الانبياء عليهم السلام عن ايدي نفسهم على من يخرج من كان غضبه لنفسه ثم اختلف في قوله عز وجل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به قال بعضهم قضبان واغصان ونحو ذلك لايوب خاصة وقال بعضهم هو له ولساير الناس ان من حلف ان يضرب كذا خشبة او سوطا فجمع قضبانا واغصانا فضرب بها بر في يمينه وليس في الاية انه ضرب به مرة او مرارا حتى يخرج بضربه المراة عن يمينه ثم الاصل عندنا ان من هم بضرب اخر كان بالضارب همة وابدا يعرف انه يريد الضرب فيحذر وبالمضروب همة وهو التالم فجايز ان يكون المراد به تلك الهمة والا الضرب نفسه ليس في يمينه وان الافضل فيها ترك الضرب والكفارة عن الحنث ثم اثنى الله على ايوب عليه السلام فقال عز وجل انا وجدناه صابرا بما ابتلاه الله في نفسه واهله وماله نعم العبد انه اواب اي راجع اليه عز وجل في جميع احواله في حال الشدة والبلاء وفي حال السعة والرخاء

والله اعلم

والله اعلم وقال ابو عوسجة اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذلك ركض دابته اذا ضربها برجلك حتى تسرع وكذلك قال القتبي قال والضغث مثل الكف من الحشيش وغيره ومن كل شيء واضغاث جميع وقال القتبي الضغث الحزمة من الكلاء او من العيدان وهو قريب من الاول وقال المغتسل الماء وهو الغسول ايضا وقوله عز وجل ولا تحنث من الحنث والحنث في الاصل الاثم وبرت يمينه اذا صدق فيها ووفاء **وقوله** عز وجل واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب يحتمل قوله عز وجل واذكر من الرسل عليهم السلام واهل الصفوة اي اذكر هولاء بما لقوا من اعدائهم فتستعين انت بما يلقى من اعدايك او يقول اذكر صبر هولاء على قومهم لتصبر انت على اذى قومك وهو قريب من الاول او يقول اذكر جهد هولاء في العبادة والدين ليحملك ذلك ويحرجك على الجهد فيها او يقول اذكر الاسباب التي بها صار هولاء اهل صفوة الله ويحمل لحسانه ليحملك ذلك على طلب تلك الاسباب ليصير من اهل صفوة الله ونحوه يحتمل او يقول اذكر هولاء الصالحين لتتسلى بذكرهم عن بعض امورك وهمومك والله اعلم **وقوله** عز وجل اولي الايدي والابصار قيل اولي الايدي اي اولي القوة في العبادة والبصر في الدين ثم معلوم ان هولاء لم يكونوا اهل قوة في انفسهم وانما كانوا اهل قوة في العبادة في الدين غير القوة في النفس وقيل اولي القوة في طاعة الله والبصر في الحق وقيل في البصر في الفقه وقيل اولي الفهم في كتاب الله وهو واحد ثم في قوله اولي الايدي والابصار دلالة ان قد يفهم بذكر الايدي غير الجارحة وبذكر البصر غير العين لانه معلوم انه لم يرد بذكر الايدي الجوارح ولا بذكر الابصار الاعين ولا فهم منه ذلك احد ولكن فهم باليد القوة وبذكر البصر انهم او ما فهم فعلى ذلك لا يفهم من قوله عز وجل خلقت بيدي ونحوه الجارحة على ما يفهم من الخلق ولكن القوة او غيرها لكن كنى باليد عن القوة لما باليد عن القوة لما باليد يقوى وكنى بالبصر عن درك الاشياء حقيقة لما بالبصر يدرك الاشياء **وقوله** عز وجل انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار تلك الخالصة التي اخلصهم بها هي ما ذكر من ذكرى الدار ثم اختلف فيه قال بعضهم كانوا يدعون الناس الى الله عز وجل والى الدار الاخرة وقال بعضهم انا جعلناهم اذكر الناس للدار الاخرة وقال بعضهم اي اخلصناهم بخالصة للنبوة والرسالة وذكر الدار وان لا يذكروا غير دار الاخرة واصله ان الله عز وجل اخلصهم وصفاهم لما اختارهم ناسا وخصهم بها وجعل همتهم الرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا واختيار ذكر الاخرة على ذكر الدنيا او ان يكون قوله عز وجل اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اي شرف الدار وذكرهم صاروا مذكورين مشرفين في الدار وقوله عز وجل وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اي عندهم عندنا اهل صفوة صفاهم الله عز وجل واختارهم لنفسه ولرسالته وقال بعضهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار بالنبوة الاخيار اختارهم على علم الرسالة **وقوله** عز وجل واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار يحتمل قوله عز وجل واذكر وجوها على ما ذكرنا صبر هولاء على ما لقوا من قومهم فلتستعين انت على الصبر مما يلقى من قومك او يقول اذكر حسن معاملة هولاء ربهم وحسن سيرتهم فيما بينهم وبين الخلق لتعامل انت ربك مثل معاملتهم ومثل سيرتهم او يقول اذكر هولاء ومن ذكر اي اثني عليهم بحسن الثناء واذكرهم بخير لما اثني عليهم وامر الناس ان يثنوا عليهم على ما تقدم ذكره ليكونوا ابدا احياء بحسن الثناء والذكر او ان يقول اذكر هولاء ان كيف عاملهم الله واختيارهم لرسالته وما ذكر الله والله اعلم ثم قوله عز وجل واليسع هو الياس وقال بعضهم هو غيره وكان ابن عم الياس والله اعلم وذا الكفل اختلف فيه ايضا قال بعضهم كان الياس في اربعماية نبي عليهم السلام في زمن ملك فقتل الملك ثلثمائة منهم فكفل رجل الياس في ماية نبي فكفلهم وخباهم عنده يطعمهم ويسقيهم حتى خرجوا من عنده وكان الكفل بمنزلة من الملك فلذلك سمي ذا الكفل لانه خباهم وكفلهم والله اعلم وقال بعضهم سمي ذا الكفل لانه كفل لله عز وجل وتاب الله

نسمى ذا الكفل وقال ابو موسى الاشعرى ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا تكفل بعمل رجل صالح
عند موته كان يصلى لله عز وجل كل يوم ماية صلوة فاحسن الله عليه الثنا فى كفالته وقال بعضهم ان نبيا من الانبياء
قال لقومه ايكم يكفل بتبليغ ما بعثت انا الى الناس بعدى لاضمن له الجنة والدرجة العلى فقال شاب
انا نكفل التبليغ على ذلك ووفاه ما كفل فسمى ذا الكفل لذلك والله اعلم وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انه
لما ذا وان اليسع كان فلان سوى ان يعرفهم انهم من الاخيار على ما ذكر الله عز وجل والله اعلم وبعد فان معرفة
ذلك اخبار الاحاد يوجب علم العمل ولا يوجب علم الشهادة وليس هاهنا سوى الشهادة على الله والترك
اولى وقوله عز وجل هذا ذكر يحتمل قوله هذا ذكر اى شرف وذكر للذى تقدم ذكرهم من الاخيار لانهم
يذكرون ابدا بخير وحسن الثناء عليهم بما كان منهم من حسن السيرة والعمل فذلك شرفهم حيث صاروا
مذكورين على السن الناس وهم احياء او ان يكون ذكر هولاء ذكر وعظة لمن بعدهم او ذكر لك وعظة
ليعرف حسن معاملة الرب بهم او هذا القرآن ذكر وعظة لمن اعتبر والله اعلم **وقوله** عز وجل وان للمتقين
لحسن ماب جملة الاتقاء هو ان يتقى المهالك اى اتقوا جميع ما يهلكهم لحسن ماب اى مرجع ثم بين ووصف
حسن المرجع الذى يرجعون اليه حيث قال عز وجل جنات عدن قوله عز وجل جنات عدن اى مقام
يقال عدن فى مكان كذا اى اقام كانه جنات مقام فيها لا يبغون عنها حولا ولا عدا ما اخبر الله
عز وجل لا يبغون عنها حولا وقال بعضهم عدن التى هو وسط الشئ كانه ذكر ان جنة عدن كانت
وسط الجنان والله اعلم **وقوله** عز وجل مفتحة لهم الابواب يحتمل قوله مفتحة لهم الابواب ابواب
الجنة يقال له ادخل اى باب من ابوابها شئت على ما يقوله بعض الناس وجايز ان يكون ابواب كل احد منهم
فى الجنة يكون مفتحة لان الاغلاق والابواب انما يكون فى الدنيا اما لخوف السرق ونظر الناس الى اهله
وحرمه وخوف نظر اهله الى الناس بهذا المعنى يتخذ الابواب فى الدنيا والغلق والاغلاق دونهم وليس
ذلك المعنى فى الجنة لما اخبر ان ازواجهم يكن قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن ولا يكون فيهما
خوف السرق لذلك كان ما ذكر والا شبه ان لا يكون فيها ابواب لما ذكرنا ان الابواب انما يتخذ لخوف السرق
والنظر فى حرمهم والله اعلم **وقوله** عز وجل متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب هذا والله اعلم
كانه وصف حال اجتماعهم لانه عند ذلك يدعا بالفواكه والشراب فى الدنيا واما فى حال الانفراد فقلما يدعون
بالشراب ثم فيه اخبار انهم يدعون فى الجنة بالفواكه والشراب جميعا وفى الدنيا العرف فيهم ان اهل الشراب
قلما يجمعون بين الفواكه والشراب بوجهين اما لخوف الضرر بهم اذا جمع او لما لا يوجدان وليس هذا المعنيان
فى الجنة والله اعلم وقوله عز وجل بفاكهة كثيرة كان ذكر الكثيرة كناية من انواع الفواكه والوان مختلفة
من كل نوع ليس عبارة عن الكثرة من نوع واحد والله اعلم **وقوله** عز وجل وعندهم قاصرات الطرف
اى طرفهن يقصرنه على ازواجهن لا ينظرن الى غير ازواجهن ولا يردن غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل
اتراب قالوا مستويات الاسنان اى ان يكونون جميعا الازواج والزوجات على سن واحدة وان جميع
انهم جميعا يكون على حال واحدة لا يتغيرون ولا يهرمون كما يكون فى الدنيا بعضهم اكثر سنا من بعض
واضعف حالا من الاخر ولكن لا يهرمون ولا يكبرون ولا يضعفون والله اعلم **وقوله** عز وجل هذا ما توعدون
ليوم الحساب كانه يقول لهم الملايكة هذا ما توعدون اهل الجنة فى القرآن فى الدنيا ثم اتاهم من الله
بشارة يبقى لهم ذلك ابدا وهو ما قال عز وجل ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اى انقطاع وذهاب نفد
الشئ اذا افنى وذهب والله اعلم وقوله عز وجل هذا اى هذا الذى ذكرنا ثواب المتقين وجزاء تقويم
ثم بين جزاء الطاغين وهو قوله عز وجل وان للطاغين لشر ماب اى لبئس المرجع ثم بين ذلك المرجع
ما هو فقال عز وجل جهنم يصلونها فبئس المهاد اى بئس ما مهد والانفسهم وقوله هذا اى هذا الذى ذكرنا جزاء الطاغين

والطغيان يرجع الى وجوه الا ان اصله هو الذى لا يجتنب المهالك ولا يتقى والمتقى هو الذى يتقى المهالك
ويجتنبها حقيقة التقى والطغيان ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل فليذوقوه حميم وغساق كان الملايكة
يقولون لهم اذا دخلوا جهنم والقوا فيها فليذوقوه حميم وغساق والحميم هو الشراب الذى قد انتهى
حره غايته ونهايته والغساق اختلفوا فيه قال بعضهم هو ما يسيل من الصديد والقيح واللحم جعل
ذلك شرابهم فى النار وقال بعضهم الغساق هو الزمهرير هو البرد الذى بلغ غايته ونهايته يحرق بشدة
برده كما يحرق الحميم الذى بلغ نهايته لشدة حره والله اعلم **وقوله** عز وجل وآخر من شكله ازواج اتفق
اهل التأويل او اكثرهم على ان قوله عز وجل وآخر من شكله ازواج هو العذاب كانه يقول وآخر
من شكل ما ذكر من العذاب لهم ثم اختلفوا فى ذلك العذاب الذى قالوا من شكله قال عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه هو الزمهرير وروى عن الحسن وآخر من شكله ازواج اى الوان من العذاب وقال بعضهم
زوج من العذاب ويشبه ان يكون قوله عز وجل وآخر من شكله ازواج اى قوم من شكل ولئك الذين
ذكرهم يقربون الى اولئك فيجمعون فى العذاب كقوله عز وجل احشروا الذين ظلموا وازواجهم وان يكون
فوج آخر يدخلون من شكل الاولين وهو ما ذكر عز وجل هذا فوج مقتحم معكم اى داخل معكم لا مرحبا بهم انهم
صالوا النار اى داخلوا النار يقول اهل النار ويل ان قوله عز وجل لا مرحبا بهم يقول المتبوع للاتباع
لما دخلوا النار وردوا وهم لا مرحبا بهم اى لا سعة بهم وهو من الرحب وهو السعة فاجابهم الاتباع لا بل انتم
لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار وقال بعضهم قالت الخزنة لمن فى النار هذا فوج مقتحم فيردون
على الخزنة لا مرحبا بهم انهم صالوا النار فيرد عليهم القوم الذين اقتحموا النار بعدهم بل انتم لا مرحبا بكم
واصل هذا ان هذا منهم لعن يلعن بعضهم بعضا لقوله عز وجل ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ونحو
ذلك من الآيات **وقوله** عز وجل قالوا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار هذا كقوله قالت اخراهم
لاوليهم ربنا هولاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار هذا قول الاتباع للقادة والروساء منهم ثم رد
القادة على الاتباع وهو قوله عز وجل وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل فعلى ذلك هذه
المناظرة التى ذكرت هاهنا بين القادة والاتباع ثم قوله عز وجل انتم قدمتموه لنا وقوله من قدم لنا
هذا اى انتم شرعتموه لنا فى الدنيا وسننتموه وكذلك قولهم من قدم لنا هذا اى من شرع لنا هذا وسن
الذى كنا عليه وامرنا اى انتم شرعتموه لنا فى الدنيا وسننتموه وكذلك قولهم من قدم لنا هذا اى من شرع لنا
وسن الذى كنا عليه وامرنا منه فزده عذابا ضعفا فى النار وهو كما ذكر فى سورة سبا حيث قالوا
اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والله اعلم قال القتبى الغساق ما يسيل من جلود اهل النار
ولحومهم من الصديد يقال غسقت عينه اى سالت ويقال هو البارد المنتن وكذلك قال ابو عوسجة وقوله
عز وجل وآخر من شكله ازواج من مثله الشكل المثل والشكل بنصبا الشين الغنج وشكلت المرأة اذا تغنجت
والتقحم الدخول واقتحمت كله واحد وهو الدخول وقوله عز وجل لا مرحبا بهم اى لا سعة بهم والرحيب
والرحب الواسع **وقوله** عز وجل وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار الى آخر ما ذكر ذكر هذا
يقولون فى الآخرة فى النار هذا ليلزمهم الحجة وان لا تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لان هذه السورة
مكية نزلت فى محاجة اهل مكة فى اثبات التوحيد واثبات الرسالة ومنهم من ينكر البعث ذكر الانبياء
المتقدمة لاثبات الرسالة فيما تقدم وذكر حجج البعث فى هذه الآيات وحجج التوحيد فى آخره ذكر ذلك
كله لهم ليلزمهم الحجة وان انكروا ذلك لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين ثم فى هذه الآية دلالة ان عقوبة
الله قد تلزم وان لم يحقق عنده الحق ولم يعرفه حقيقة حيث اخبر انهم يقولون فى النار ما ذكر عز وجل
ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار لانه معلوم انهم لم يعلموا حقيقة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

واصحابه كانوا وما تركوا اتباعه ولا سخروا منهم وعلى ذلك يخرج مباهلة ابي جهل يوم بدر حيث
قال اللهم اينا اوصل رحما واثركذا على ما ذكر وانصر عليه ومعلوم انه لو كان يعلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حق لكان لا يجترى على المباهلة دل انه لم يعلم حقيقته انه على حق فعوقبوا وان لم يعلموا
لما مكن لهم من العلم والمعرفة لو تاملوا واحسنوا النظر في ذلك والله اعلم ثم قوله عز وجل ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم
من الاشرار قال اهل التاويل انهم ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم في دينهم وهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يستهزؤن بهم في الدنيا ويسخرون منهم يقولون كنا نسخر
منهم في الدنيا فاين لهم وما لنا لا نريهم ام زاغت عنهم الابصار اى حارت وشغلت ابصارنا فلا نريهم
لكن لا يحتمل ان يكونوا يقولون على هذا الذي يقوله اهل التاويل ولكن يقولون على التلهف والتندم على ما كان
منهم في الدنيا من ترك اتباعهم والسخرية منهم قد ظهر عندهم ان اولئك كانوا على حق اعنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه وانهم على باطل فلا يحتمل ان يقولوا ذلك على غير التلهف والتندم وقد عرفوا
بما ذا عذبوا وجعلوا في النار عرفوا انهم يكذبون في النار يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ كانوا على خلاف ما كان اولئك الكفرة والله اعلم او ان يقولوا ذلك على الاستغاثة بهم يقولون
اين اولئك الذين كانوا اتخذناهم سخريا في الدنيا لعلهم يشفعوننا فيغيثوننا يطمعون النجاة
انا اتبعوهم في ذلك الوقت ونحو ذلك كقوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذا
وهذا الذي ذكرنا هو اشبه مما يقوله اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل ان ذلك لحق تخاصم
اهل النار قال بعضهم القسم بقوله عز وجل ص والقران وقع على هذا على ما ذكرنا وقال بعضهم
هذا على التقديم والتاخير يقول ان ذلك الذي ذكره من لعن بعض على بعض ومن دعى بعض على بعض
حيث قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا وقولهم ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
في النار وما ذكر في سورة الاعراف قالت اخريهم لاوليهم كذا واوليهم لاخريهم كذا اى ذلك التخاصم
الذي ذكر لحق اى كاين فيما بينهم والله اعلم وقوله عز وجل قل انما انا منذر ليس على ما حملتم شيء انما ذلك
عليكم انما على الانذار لكم فقط وقوله عز وجل وما من اله الا الله الواحد القهار يقول والله اعلم ما من اله
عند دونه باله انما الاله هو الله الواحد القهار الذي تفرد وتوحد بربوبيته والوهيته قهر الخلايق
كلهم بقدرته وقوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار يخبر عن غناه وسلطانه
يقول والله اعلم يعلمون انه رب السموات والارض ومنشيهما ومنشئ ما بينهما فلا يحتمل ان ما يامركم به
وينهاكم عنه انما يامركم لحاجة نفسه او لمنفعة له ولكن انما يامر وينهى لمنفعة انفسكم ولحاجتكم
او يقول يعلمون انه هو ربكم ورب ما ذكر من السموات والارض وما بينهما فكيف تعبدون من يعلمون
انه ليس بربكم ولا اله وانما الاله ما ذكر فيه تكون عبادته وطاعته وقوله عز وجل العزيز الغفار
اى لا يلحقه الذل بذل اوليائه وحده لانه عزيز بذاته لا باحد ليس كملوك الارض يذلون اذا ذل
اولياؤهم واتباعهم لان عزهم باوليائهم واتباعهم فاذا زلوا ذل من كان عزه بهم فاما الله سبحانه
وتعالى هو عزيز بذاته لا يلحقه الذل بذل اوليائه ولا هلاكهم وقوله عز وجل قل هو نبأ عظيم انتم عنه
معرضون له تاويلان احدهما ان هذا القران الذي انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم نبأ عظيم
انتم عن التفكر فيه والنظر معرضون لان فيه ذكر ما نزل بالمكذبين بالتكذيب والعناد وفيه ذكر
من نجا منهم ثم نجا وفيه ذكر ما توعد وما يتقى وفيه ذكر البعث وذكر الجنة والنار ونحو وذكر ما لهم
وما عليهم فهم عن التفكر فيه والنظر معرضون ما لو تفكروا فيه وتاملوا لادركوا كله ووصلوا الى معرفة
كل ما فيه مما ذكرنا والله اعلم والثاني قوله عز وجل قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون اى البعث والحشر

هو نبأ عظيم

696

هو نبأ عظيم انتم عن السعي والعمل لذلك معرضون تاركون فمن جعل تاويله في البعث والحشر يجعل
الاعراض عن السعي له والعمل لذلك اليوم ومن حمل تاويله على القران يجعل الاعراض عن التفكر
فيه والنظر والله اعلم وقوله عز وجل ما كان لى من علم بالملاء الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الاية اختلف
في الملاء الاعلى قال عامة اهل التاويل الملاء الاعلى الذين تكلموا في ادم عليه السلام حين قال لهم الرب
عز وجل اني جاعل في الارض خليفة فقالوا عند ذلك اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية وقوله
عز وجل اذ يختصمون ليس على حقيقة الخصومة ولكن على التكلم في ذلك كقوله عز وجل بينا زعون فيها كاسا ليس
على التنازع المعروف عند الناس والخصومة ولكن على اختلاف الايدى فعلى ذلك ما ذكر من اختصامهم
والله اعلم ومعناه اى ما كان من علم من اختصام الملاء الاعلى وما كان منهم من التكلم الا ان اوحى الى فعلمت
وانما انا نذير مبين وقال بعضهم ما كان لى من علم بالملاء الاعلى اذ يختصمون وما كان اختصامهم في الكفارات
وفي الدرجات وفي المنجيات والموبقات حتى علمني الله ذلك بالوحى الى واعلمني ذلك ويذكرون ان الكفارات
هو اسباغ الوضوء في المكروهات وبذل الطعام عند الضيق والشدايد ونحوها مما يطول ذكره
والله اعلم وجايز ان يكون قوله عز وجل ما كان لى من علم بالملاء الاعلى اذ يختصمون اى بالجمع الاعلى وهو جمع
يوم القيامة سماه الجمع الاعلى لانه جمع الاولين والاخرين من العرف جميعا اى ما كان لى من علم بذلك
الجمع حتى علمت بالوحى وقوله عز وجل اذ يختصمون في ذلك اليوم يقع الخصومات كقوله عز وجل ثم انكم
يوم القيامة عند ربكم تختصمون وهو على حقيقة الخصومة وجايز ان يكون الملاء الاعلى هم الاشراف
من اولئك الكفرة والقادة منهم الذين اهلكوا بالتكذيب ومن نجا منهم بالتصديق يقول ما كان لى من علم
بهم وما نزل بهم حتى اوحى الى فعلمت بالوحى كانهم سالوه عن ذلك فاخبر اى كنت كواحد منكم في ذلك
حتى علمت ذلك بالوحى الا انما انا نذير مبين امرني ربي واوحى الى ان انذركم بذلك حتى اعلم بالوحى
والله اعلم وقوله عز وجل اذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا من طين ظاهر هذا ان يكون لا على القول
منه لهم ولكن على الخبر انه كان ما ذكر والله اعلم ثم ذكر الذي خلق منه ادم على اوصاف مختلفة مرة ذكر انه
خلقه من طين ومرة من تراب ومرة من حما مسنون ومرة كالصلصال ومرة كالفخار ومرة لازب وغير
على اختلاف ما ذكر فجايز ان يكون كل وصف من ذلك قد كان وصف عن حال كان ترابا ثم صار طينا ثم ما ذكر
الى اختلاف ما ذكر فجايز وصف والله اعلم وقوله عز وجل ونفخت فيه من روحي واضافة الروح الى نفسه
كاضافة خلق من خلايقه اليه اذ الروح خلق من خلايقه كساير الخلق وقوله عز وجل فقعوا له ساجدين
لولا صرف اهل التاويل سجود الملايكة لادم الى حقيقة السجود والا كنا نصرف الامر به الى الخضوع له والاستسلام
كما احوج الملايكة الى معرفة هذه الاسماء الى ادم وبه عرفوها حيث قال عز وجل يا ادم انبئهم باسمائهم
فلما انباهم لكن صرفوا اهل التاويل سجود الملايكة لادم الى حقيقة السجود له جايز لانهم ممتحنون بالامر
والنهي وقد بينا ذلك فيما تقدم ثم استثنى ابليس من الملايكة والخبر انه استكبر وابى ان يسجد له حيث
قال عز وجل فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس وكان من الكافرين على قول من يقول ان ابليس كان
من الملايكة فلما ابى السجود خذله ووكله الى نفسه صار كافرا ليعلم ان كل احد وان عظم قدره وجلت
منزلته يحتمل خلاف ما هو فيه وضده وانه متى امتحنه بامر تكبر او استخفافا وخذله ووكله الى امره ونفسه
صار كافرا مخذولا حقيرا ليكونوا ابدا على حذر وفزع الى الله عز وجل على ما اخبر من عظم قدر الملايكة
عند الله وجليل منزلتهم منه اذا خذلهم ووكلهم الى انفسهم صاروا كما صار ابليس والله اعلم
ثم قوله عز وجل وكان من الكافرين اى كان في علم الله انه يكفر او كان بمعنى صار من الكافرين اذ ابى السجود
واستكبر كقوله عز وجل لادم عليه السلام فتكونا من الظالمين اى تصيرا من الظالمين والله اعلم وقوله عز وجل

قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى قد ذكرنا فيما تقدم فى غير موضع ان تخصيص اضافة الشئ
الواحد الى الله عز وجل يخرج مخرج تعظيم ذلك الواحد وذلك الفرد كقوله بيت الله ومساجد الله وان المساجد لله
ورسول الله وولى الله واشباه ذلك وخص هذه الاشياء بالاضافة اليه وان كانت البقاع كلها والخلق كله له
على التعظيم لذلك فعلى ذلك يخرج اضافة خلق آدم الى نفسه يخرج تعظيم آدم حيث قال لما خلقت بيدى وان كان
جميع الخلايق هو خلقهم ويخرج اضافة كلية الاشياء الى الله وكلية الخلايق اليه مخرج تعظيم الرب والمدح له
نحو قوله عز وجل خالق كل شئ ورازق كل شئ ورازق يخلق منشئ العالم ومبدئها وهو على كل شئ قدير
مالك الملك وغير ذلك على ما ذكرنا فيما تقدم والله اعلم ثم قوله عز وجل بيدى قد تكلفت اهل الكلام
والتاويل فى تاويل اضافة اليد الى الله عز وجل منهم من قال القوة ومنهم من قال كذا لكن التكلف فى ذلك
فضل مع ما قد يضاف اليد الى من لا يد له ولا جارحة ولا عضو نحو قال عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه لم يفهم احد بذكر اليد له ولا الخلف ما يفهم من الخلق ولا ذهابهم وكذلك ما ذكر من محى البرهان
فى الحق ولا من زهوق الباطل ما يفهم من محيى الخلق ولا ذهابهم وكذلك ما ذكر من محيى البرهان حيث قال
عز وجل قد جاءتكم موعظة من ربكم وقد جاءكم برهان من ربكم وامثال ذلك مما يكثر عده واحصاؤه لم يفهم
احد من الخلايق من محيى هذه الاشياء التى ذكرنا محيى الخلق ولا فهم من ذكر اليد لما ذكرنا من الاشياء
جارحة ولا عضوا فكيف يفهم من ذكر اليد فافهم من الخلق لولا فساد اعتقادهم لربهم والجهل بتعاليه عن معنى
الغير والا لم يخطر ببالهم بذكر ذلك الله او اضافته اليه ما يخطر بباله من الخلق ومعنى الخلق وان يكون ذكر ذلك
لنفسه واضافته اليه من اليد وما ذكر لما باليد يكون فى الشاهد لو احتمل كون ذلك من الخلق نحو ما قال ذلك
بما قدمت ايديكم وما كسبت يداك ونحو ذلك مما يعلم فى الحقيقة ان ذلك يكسب به حقيقة ولا عمله من نحو الكفر
وغير ذلك من الاشياء لكنه ذكر اليد باليد يكتسب فى الشاهد وبها يعمل اكثر الاعمال والافعال والاضاف
ذلك اليها لما ذكرنا وان لم يكن منها عمل حقيقة فعلى ذلك اضافة اليد الى الله فيما اضاف على ما لو كان ذلك
من الخلق لما كان باليد وعلى ذلك يخرج ما ذكر من استوائه على العرش بعد ان ذكرنا فيه ما يليق به ونفينا عنه
ما لا يليق واصل ذلك انا عرفنا الله عز وجل متعاليا عن جميع معانى الغير عن كل صفات يوصف بها الغير
على ما ذكر فى كتابه ليس كمثله شئ فاذا كان كذلك لا حاجة يقع لنا الى تاويل اليد وما ذكر وانه ما اراد به والله اعلم
وقوله عز وجل استكبرت ام كنت من العالين معناه والله اعلم استكبرت للحال عند ما ابيت السجود ام كنت
فى اعتقادك من العالين اى المستكبرين ويحتمل قوله عز وجل ام كنت ام صرت من العالين اى استكبرت وصرت
من العالين على ما فى قوله عز وجل وكان من الكافرين اى صار من الكافرين ثم حرف الشك والاستفهام من الله
عز وجل قد ذكرنا انه على الايجاب والقطع كانه قال بل كنت فى الله تكفرا ويقول وصرت من العالين
اى ممن يطلب العلو كقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وقوله عز وجل قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته
من طين ظن ابليس عليه لعنة الله ان النار لما كان من طبعها الارتفاع والعلو ومن طبع الطين التسفل
والانحدار ان الذى طبعه الارتفاع والعلو خير من الذى طبعه التسفل والانحدار لذلك قال والله اعلم
انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ولما راى ان اصلاح الاشياء كلها ونضجها بالنار فقال عند
ذلك لكن لو يظن الملعون وحقق النظر لعلم ان الطين خير من النار لانه من الارض والارض كالاصل والام
لغيره لان الاشياء يكون صلاحها ونضجها بالنار اول بدؤها من الارض كالابن من الام الوالد على غيره
ما ذكرنا والله الموفق ثم كفره باثبات السجود لما لم يامر الله له بسجود من هو خير واعلى من دونه حكمه وحقا
فكفر لما راى انه وضع الامر فى غير موضع الامر والله اعلم وقوله عز وجل فاخرج منها قال بعضهم اى اخرج
من الجنة وقال بعضهم من السماء الى الارض وقال بعضهم اى اخرج من الارض الى جزاير البحر والله اعلم بذلك

وليس لنا ان نتكلف القطع على القول فيه انه امر بالخروج من كذا وقد عرف اللعين انه بما دعاه امر بالخروج
منها ثم ذكر مرة فاخرج منها قال فاهبط منها ونحو ذلك من الالفاظ المختلفة وكذلك ما ذكر مرة قال ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدى وقال فى موضع آخر ما منعك ان تسجد اذ امرتك وقال فى موضع ما لك ان لا تسجد ويكون مع
الساجدين ونحو ذلك على الالفاظ المختلفة فذلك كله يدل على ان ليس على الناس حفظ الالفاظ والحروف
وكذلك ما ذكر فى القصص على اختلاف الالفاظ مكررة معادة وقوله عز وجل فانك رجيم اى لعين كانه
قال فانك لعين على السن الناس ليس يذكره احد من اعدائه واتباعه واوليائه الا وقد لعنه وقوله عز وجل
وان عليك لعنتى الى يوم الدين كانت اللعنة عليه الى يوم الدين هو خذلانه وطرده عن رحمته ودينه اعلم
لا يعود الى اختيار توحيده وطاعته ابدا والا كان عليه لعنته فى الدنيا والآخرة فاما فى الدنيا ما ذكرنا من خذلانه
وتركه فى العمه واما فى الآخرة معطرود عن جنته والله اعلم ثم سال ربه ان ينظره الى يوم يبعثون فاجاب
حيث قال عز وجل فانك من المنظرين وانما انظره والله اعلم انه يختار الكفر والخلاف له ابدا ثم قوله عز وجل
الى يوم الوقت المعلوم هو يوم اختلف فيه الوقت المعلوم هو يوم البعث الى ذلك انظره على ما سبق منه السؤال
على النظرة الى يوم البعث حيث قال الى يوم الدين يبعثون وقال بعضهم الوقت المعلوم هو النفخة الاولى
وقال بعضهم لم يبين له ذلك الوقت ولذلك ذكر منه الخوف وهو ما قال عز وجل نكص على عقبيه وقال
انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين ولو كان بين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف دون ذلك
الوقت ولكنه يامن فدل خوفه انه لم يبين له ذلك وهو معلوم عند الله والله اعلم وقوله قال فبعزتك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال عز وجل ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين كانه يقول والله اعلم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ان يغويهم الا من كان فى علمه
انه يختار الغواية ولو لم يتبعه فيكون له عليهم سلطان الاغواء فاما من كان له فى علم الله انه يختار الايمان
والتوحيد فلا سبيل لك عليهم والله اعلم ثم قال بعضهم المخلصين للتوحيد فان كان ذلك فيكون قوله عز وجل
لاغوينهم يكون كفرا وقال بعضهم المخلصين من الهلاك فان كان ذلك فيكون قولهم لاغوينهم اى لاهلكنهم
وقال بعضهم المخلصين من كل ذنب وكل معصية لكن الوجهين الاولين اشبه واقرب والله اعلم وقوله عز وجل
قال فالحق والحق اقول قد قرئ بنصبهما جميعا فالحق والحق اقول وقد قرئ ايضا برفع الاول ونصب الثانى
فالحق والحق فمن قرا بالرفع فيكون معناه والله اعلم انا الحق والحق اقول او متى يكون الحق على هذا ومن قراء
على النصب فهو على التاكيد تاكيدا على ما ذكر على اثره كانه يقول اقول الحق الحق وهو يقول لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين ثم جايز ان يحتج بهذه الآية على المعتزلة فيقال لهم اراد الله عز وجل ان ينجز
ما وعد وان يصدق خبره الذى اخبر انه كان يكون او لم يرد ان ينجز ما وعد وان لا يخرج خبره على الصدق
فان قالوا لم يرد اعطوا القول لانهم زعموا انه اراد ان يخلف ما وعد وان يكون فى خبره فذلك عظيم القول
حيث وصفوا ربهم بالسفه اذ من اراد ان يخلف وعده وان يكون فى خبره فهو سفيه على زعم من قال ذلك
وان قالوا اراد ان ينجز ما وعد وان يصدق خبره فيقال لهم اراد ان يتبعوا ابليس او اراد ان يؤمنوا ولا يتبعوه
فان قالوا اراد ان يؤمنوا ولا يتبعوا ابليس فيقال اراد ان يجور ويظلم على زعمكم لانه ان يملا جهنم ولم يرد
ما يستوجبون ذلك فدل على ان الله تعالى ما علم انه يكون منهم والله اعلم وقوله قل ما اسالكم عليه من اجر
هذا يحتمل وجوه احدها لا اسالكم على ما ادعوكم من الشرف والذكر فى الدنيا والآخرة من اجر ولا احد
فى الشاهد ممن يبذل الاجر من الشرف او الذكر ولا يعطيه ذلك الا باجر فكيف يتركون اتباعى ولا يصلون
ذلك منى ويقول لا اسالكم على ما ادعوكم اليه من اجر فيمنعكم ثقل ذلك الاجر وذلك الغرم عن اجابتى
كقوله عز وجل ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اى لست تسالهم اجرا حتى يمنعهم ثقل ذلك الغرم عن الاجابة

وقوله عز وجل وما انا من المتكلفين قال عامة اهل التأويل وما انا ممن تكلفت ذلك من تلقاء
نفسي ولا امرتكم بما امركم الا بالوحي والمتكلف عند الناس في الظاهر هو الذي يفعل ويقول بلا اذن
وقال ابو عوسجة المتكلف هو الذي يتكلف ما لا يعنيه ويفعل ما لم يؤمر به وجايز ان يكون قوله عز وجل
وما انا من المتكلفين اي ما انا من المتحملين مما حملتم اذا خالفتموني والله اعلم وقوله عز وجل ان هو الا ذكر
للعالمين اي ما هذا القرآن وهذا النبأ الاعظم ومكر لمن انتفع به وقوله عز وجل ولتعلمن نبأه بعد حين
يحتمل نبأ القرآن ويحتمل البعث والحساب اي يعلمون ان ذلك حق بعد حين ثم ذكر عز وجل في جهنم
انه يملاها ولم يذكر في الجنة انه يملاها فجايز ان يكون ما ذكر من الاهوان بضيقها عليهم وفي التضييق زيادة في الالم
او ان يكون في سعة الجنة حكمة ولا يكون ذلك في جهنم لان السعة يطلب للتنزه والانتشار في البساتين وغير ذلك وليس ذلك في جهنم

سورة الزمر مكية الا قل يا عبادي الذين اسرفوا الى اخر الثلث وآيها سبعون واثنان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم يقول والله اعلم ان الكتاب الذي يتلو رسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوكم اليه هو تنزيل من عند الله كقوله نزل به الروح الامين على قلبك الآية
وقوله العزيز الحكيم على اثر قوله تنزيل الكتاب من الله يخرج والله اعلم انه يدعوكم محمد صلى الله عليه وسلم
الى اتباع الكتاب والطاعة ليس لذل به يطلب بكم العز او الضعف في التدبير فيطلب بكم الاستعانة فيه
لانه عزيز بذاته حكيم لا يلحقه الخطاء او الضعف في التدبير ولكن انما امركم بما امر ونهاكم عما نهى ليكتسبوا
لانفسكم ولينتفعوا به فاما الله سبحانه عزيز بذاته غني حكيم بنفسه وقال بعضهم العزيز هو الذي لا يعجزه
شيء والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير وقال بعضهم هو العزيز لان كل عزيز دونه اذا يصير
ذليلا وغيره ويكون عز من دونه عنده عنده ذلا والحكيم هو المصيب في فعله وتدبيره وقيل هو الذي
وضع كل شيء موضعه وقال بعض اهل التاويل العزيز هو المنيع وتاويل المنيع الممتنع من جميع مكايد الخلق وجميع
حيلهم بالضرر له وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق يحتمل
قوله عز وجل بالحق اي بالحق الذي لله عليكم وبالحق الذي لبعضكم على بعض اولما اهل التاويل بالحق اي بالحق
اي انزلناه بالحق لم ننزله عبثا باطلا لغير شيء ولكن انزلناه للحق لحقوق والاحكام ونحو وامور والله اعلم وقوله
فاعبد الله له مخلصا له الدين جايز ان يكون ما ذكر من انزال الكتاب بالحق ذلك هو ما امر من العبادة له
امر بوفاء ذلك الحق له ثم يحتمل قوله فاعبد الله مخلصا له الدين وجهين احدهما اصل في الاعتقاد اي اعتقد
جعل كل عبادة وطاعة لله خالصا لا يعتقد لاحد شركاء والثاني في المعاملة ان كل امر وعبادة وطاعة
اجعله لله خالصا لا يجعل لغيره فيه شركاء والله اعلم واما اهل التاويل قالوا فاعبد الله وحد الله
مخلصا له الدين وتاويل هذا ان اجعل الوحدانية والالوهية لله في كل شيء وقوله عز وجل الا لله الدين الخالص
اي ولله شهادة الوحدانية والالوهية في كل شيء ويحتمل ايضا قوله عز وجل الا لله الدين الخالص اي دين الله
هو الدين الخالص لانه دين قام بالحجج والبراهين واما غيره من الاديان فهو دين هوى النفس واما بينها الا بالحجج
والآيات والله اعلم وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كان فيه
اضمار يقول والذين اتخذوا من دونه اولياء وعبدوها قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا
في موضع آخر هؤلاء شفعاؤنا عند الله عرفوا ان ما كانوا يعبدون من الاوثان وغيرها ليسوا بآلهة في الحقيقة
ولا لهم الالوهية حقيقة وان حقيقة الالوهية لله لكنهم سموها آلهة لانهم كانوا يعبدونها وكل معبود عند العرب
الله لان الاله هو المعبود وقد راوا تسمية كل معبود الها لذلك سموها آلهة وان عرفوا ان ليست لهذه الاشياء

الوهية حقيقة وان ذلك لله عز وجل ثم ان الذي حملهم على عبادة ما عبدوا من دون الله
وجهان احدهما ما لم ير والفهم يصلح لعبادة الاله العظيم او يقدر على القيام بخدمته فعبدوا
هذه الاشياء رجاء ان يقربهم عبادة هؤلاء الى الله زلفى وان هؤلاء شفعاؤهم عنده وذلك ما راوا
في ملوك الدنيا ان لا كل احد يجد السبيل الى خدمة ملوكها او يقدر على القيام بين يديه والخدمة له
فيخدم من اتصل بالملك ومن عظم قدره ومنزلته عند الملك ليقربه ذلك المخدوم له الى الملك
اذا بدت له الحاجة او الشفاعة وعلى ذلك ما ذكر في قصة فرعون انه كان اتخذ لقومه اصناما يعبدونها
من دونه لما لم ير كل احد منهم يصلح للخدمة وهو ما اغرى قومه على موسى حيث قالوا ويذرك والهتك
ونحو هذا وجه والثاني عبدوهم لما راوا اباءهم قد عبدوها وتركوا على ذلك حتى ماتوا فاستدلوا
بتركهم على ذلك على ان الله قد كان رضي بعبادتهم الاصنام وامرهم بذلك لقولهم اذا فعلوا فاحشة قالوا
وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ولذلك قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وقولهم لو شاء الرحمن
ما عبدناهم من دونه من شيء استدلوا بتركه اياهم على ما عبدوا من الاصنام على ذلك ولم يعاقبهم
في الدنيا وكانوا لا يؤمنون بالآخرة حتى يزجرهم ايمانهم ان الله قد رضي عنهم بذلك وانهم على امر منه
فعلوا ذلك فرد الله ذلك عليهم فقال ان الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون قوله فيما هم فيه
يختلفون في محمد صلى الله عليه وسلم لانهم اختلفوا فيه فمنهم من قال انه ساحر ومنهم من قال انه شاعر
وانه مجنون وانه مفتري ونحو فيخبر انه يحكم بينهم ليبين لهم ان ما ذكروا هواؤهم او يحكم بينهم
ان الاصنام التي عبدوها لا يشفع لهم وان عبادتهم لا يقربهم الى الله زلفى وتبيين لهم في الدنيا ان محمدا
صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر ولا ساحر ولا كذاب على ما قالوا لما انباهم وانباهم واخبرهم باخبار
عرفوا ان الساحر ولا الشاعر لا يعرف مثلها نحو ما اخبرهم بنصر الله اياه والظفر له عليهم اعني
على الاعداء فكان على ما انباهم وكذلك انما انباهم بانباء واخبار عرفوا انه صادق في ذلك مما لا يستقيم
مثلها بالسحر ولا بالكهانة الا بالوحي من الله عز وجل لكنهم عاندوا وكابروا وكذلك بين لهم ايضا
ما عرفوا ان الاصنام التي عبدوها في الدنيا لا يملك لهم الشفاعة يوم القيامة حيث ابتلاهم
باهوال وافزاع بركوب البحار والضيق عليهم حتى فزعوا الى الله في كشف ذلك عنهم ودفعه منهم لم يفزعوا
الى الاصنام التي عبدوها وهو ما قال عز وجل فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقوله
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ونحو ذلك ما ابتلاهم بالشدايد والبلايا
عرفوا ان معبودهم الذي عبدوه لا يملك دفع ذلك عنهم ولا كشفه وانما المالك لذلك هو الله
المعبود بالحق ثم يناقض وقولهم لانهم كانوا ينكرون رسالة النبيين بقولهم ابعث الله بشرا رسولا فيرون
للخشب والاحجار الالوهية والعبادة فذلك تناقض ظاهر وقال بعضهم في قوله والذين اتخذوا
من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي يقربه فليشفعون لنا الى الله تعالى وقوله ان الله
يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون وقوله عز وجل ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار قال ابو بكر
لا يهدي احدا ابدا للضلال والكفر ولكن انما يهدي بضد الضلال والكفر او كلام نحو وقال الجبائي
لا يهدي طريق الجنة في الآخرة اي لا يهدي من كان في الدنيا كاذبا كفارا في الآخرة طريق الجنة
وجايز ان يكون قوله عز وجل ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار من ضل قوله عز وجل ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله كفار لنعمه يصرفهم العبادة الى غير المنعم وقال جعفر بن حرب
ان الله لا يهدي الى الزيادات التي يهدي ويعطي من اختار الهدى لانه يقول ان من اختار الهدى واهتدى
كان عند الله لطف ورحمة يعطي ذلك زيادات وفضل زيادة على ما كان اختار كقوله عز وجل والذين

اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقويهم هذه التأويلات كلها للمعتزلة وأما عندنا فان قوله ان الله لا يهدي من هو في علمه انه يختار الكفر وقت اختياره الكفر والضلال اي لا يوفقه الهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذلك يقول في قوله عز وجل والله لا يهدي القوم الظالمين والكافرين ونحوه اي لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر والظلم والله الموفق والثاني لا يهديه ان لا يخلق فعل من هو فعل كفر هدى ولكن يخلق فعل كفر وكذلك فعل من هو فعل هدى فعل كفر ولكن يخلق كل فعل على ما يفعله الفاعل ويختاره يخلق فعل الكافر كفرا وفعل المهتدي فعل هدىً يخلق كل فعل على ما يختاره الفاعل ويفعله ان كان هدى يخلقه هدىً وان كان كفراً يخلقه كفراً وقال بعض اهل التأويل ان الله لا يهدي من كان في علمه انه يختم بالكفر ويخرج به من الدنيا والله اعلم ثم قوله عز وجل من هو كاذب كفار يحتمل وجهين احدهما من هو كاذب كفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني كفار لنعم الله وكاذب في القول كفار في الفعل والله اعلم وقوله عز وجل لو اراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء ظاهر هذا ان ايجاد الولد له من المحتمل والممكن ليس من الممتنع وكذلك ظاهر قوله لو اردنا ان نتخذ لهواً ظاهر هذا الذي ذكر هو من المحتمل والممكن وكان ممتنع ايضا كقوله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولداً دلت هذه الآيات على ان ايجاد الولد له من الممتنع والعظيم في العقول والقلوب جميعاً ثم قوله لو اراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي لو جاز واحتمل ايجاد الولد على ما يقولون انتم ويتوهمون لاصطفى واختار مما يشاء لو هو شاء وليس على ما يختار دون انتم له ويشاؤن ان الملائكة بنات الله على ما تزعمون اذ العرف في الخلق ان من اتخذ لنفسه شيئاً انما اتخذ من اعز الاشياء وارفعها واعظمها قدراً عندهم لا من اخس الاشياء وارذلها وهو كقوله عز وجل فراغ الى آلهتهم اي الى آلهتهم التي اتخذ اولئك آلهة لا انها آلهة في الحقيقة ولكن سماها بالذي عندهم وكذلك قول موسى عليه السلام وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفاً اي انظر الى الذي اتخذ به الهاً سماه على ما هو عنده فعلى ذلك قوله عز وجل لو اراد الله على ما في ظنونكم وتوهمكم انه اتخذ الولد لاختار مما ذكر لا مما تقولون انتم لو احتمل ذلك على ما في ظنونكم له وحسبانكم لكان مما ذكر والثاني ان مبني الايجاد راجع الى البنين اذ كانت الكفرة ينسبون الملائكة الا انهم بناته لما عرفوا من كرامتهم على الله عز وجل وقربتهم عنده ينسبونه الى انهم بناته والى ان عيسى ابنه انما يتخذ الاولاد ويتبنى ليستنصروا بهم فتبرأ الله عز وجل نفسه عن احتمال الشكل وخوف الغلبة فقال سبحانه هو الله الواحد القهار في قوله عز وجل الواحد القهار دفع ما قالوا فيه وابطال ذلك لما اخبر انه واحد في الذات ولو كان له ما ذكر هؤلاء من الولد لم يكن واحد في الذات اذ كل يحتمل الولد منه هو من شكل الولد فاذ عرفهم انه واحد في الذات لم يحتمل الولد وما ذكروا وفي قوله عز وجل القهار دلالة احالة ذلك لانه اخبر انه قهار والولد في الشاهد انما يتخذ لاحد وجوه اما الوحشة اصابته فيستأنس واما الحاجة تمسه فيدفع بالولد ذلك واما الغلبة شهوة فيقضيها فيتولد من ذلك الولد واما لو راثة ملكه بعد موته وهو دائم باق لا يزول ملكه ابداً واما للاستعانة به والنصرة على عدائه لاحد هذه الوجوه ذكرنا يحتاج المرء الى اتخاذ الولد فاذ كان الله سبحانه كان واحد في الذات قادر بذاته قاهر غني لا يحتمل ما ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق يحتمل قوله بالحق اي بالحق الذي لله عليهم وللبعض على البعض من الحق او ان يكون قوله بالحق اي للحق وهو البعث لو لم يكن البعث لكان خلقهما عبثاً باطلا على ما ذكر في آية اخرى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلاً وقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون وجائز ان يكون قوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق اي بالحكمة وهو ان جعل في خلقه كل شيء اثر وحدانيته والوهيته ما يعرف كل انه فعله وان لم يشاهد خلقه وقوله على ما يكون ذلك في فعل احد من الخلائق اثر معرفة فاعله والله اعلم

وقوله عز وجل يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل كما ذكر في آية اخرى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يذكر دلالة وحدانيته حيث جعل منافع الليل متصلة بمنافع النهار ومنافع النهار متصلة بمنافع الليل على اختلافهما وتناقضهما وتضادهما ليعلم انهما فعل واحد وكذلك ما جعل من منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ليعلم ان منشئهما واحد اذ لو كان عدد لامتنع ذلك اذ العدد المعروف من عادة الملوك انفراد كل بملكه وسلطانه والاستيلاء على ما استولى وقبض يد الآخر ونفاذ امره وسلطانه فاذ لم يمتنع ذلك دل انه فعل واحد ولذلك ما ذكر من تسخير الشمس والقمر لهم ولمنافعهم وجريتهما في يوم واحد مسيرة الف عام او ما ذكر من غير ان يعرف احد سيرهما انهما يسيران وقت سيرهما الا بعد قطعهما ذلك دل ان لهما منشئ وانه واحد ودل اتساقهما وجريانهما على سير واحد منذ كانا الى آخر ما يكونان ويدوران على ان منشئهما واحد عالم مدبر عرف حاجة اليهما ابد الآبدين ومنافعهم بذلك وقوله عز وجل كل يجري الى اجل مسمى اي كل مما ذكر يجري الى الوقت الذي جعل له لا يتقدم ولا يتأخر ولا ينقطع ما كان بالخلق حاجة والله اعلم او الى منازل معلومة لا يجاوزها وقوله عز وجل الا هو العزيز الغفار هو العزيز بذاته لا يتعزز بما ذكروا له من الاولاد ولا بطاعة من اطاعة الغفار لمن كان له اهلاً للمغفرة ما لا يخرج مغفرته اياه عن الحكمة والله اعلم وقوله عز وجل يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وقال بعضهم اي يدخل احدهما على الآخر كقوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الآية وقال بعضهم يكور الليل على النهار اي يغشي احدهما بالآخر كقوله يغشي النهار يطلبه حثيثاً وقال بعضهم يكور اي يلف هذا بهذا وهو من كور العمامة ومنه قوله اذا الشمس كورت اي جمعت ولفت واصل التكوير اللف والجمع وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقوله عز وجل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ظاهر هذا انه خلقنا من تلك النفس قبل خلق زوجه منها لان حرف ثم انما هو حرف اتباع وارداف وحرف ترتيب لا حرف جمع فاذ كان كذلك فظاهره يوجب ما ذكرنا لكن اهل التأويل اختلفوا في معنى ذلك وتفسيره ذلك ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه في بعض الروايات انه تأويل في ذلك وقال عز وجل خلقكم من نفس كانت واحدة ثم جعل منها زوجها او كلام نحو هذا وعندنا ان قوله عز وجل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يخرج على ظاهر ما ذكر لكن الخلق هو التقدير في اللغة كانه قال عز وجل خلقكم اي قدركم جميعاً على كثرتكم من اول ما انشأكم الى آخر ما ينشئكم من تلك النفس الواحدة منها قدرنا وقوله عز وجل ثم جعل منها زوجها ثم اخرجنا من تلك النفس وزوجها والا كان تقديرنا ايانا منها كان قبل زوجها منها وهو الظاهر على ظاهر ما خرج الكلام والله اعلم ثم كان منه خلق ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ظاهر الانزال هو ان ينزل من علو مرتفع الى تسفل ومنحدر لكن اللغة لا يمتنع عن استعمال لفظ الانزال لا على حقيقة الانزال من علو الى سفل يقال نزل فلان بارض وبمكان كذا او ببلد كذا وان لم يكن هناك منه نزول من علو الى منحدر وسفل فعلى ذلك هذا واصله ان كل حرف من حروف الانزال وغيره مما اضيف الى الله عز وجل مما يستقيم صرفه الى خلقه ان المراد منه خلقه نحو قوله عز وجل انزلنا عليكم لباساً يواري سواتكم وانزلنا الحديد فيه بأس شديد وغير ذلك مما يكثر ذكره فهو خلقه اياه فعلى ذلك قوله عز وجل وانزل لكم من الانعام اي خلق لكم من الانعام ما ذكر على ما ذكر وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اي خلق لكم ما ذكر فعلى ذلك حرف الانزال والله اعلم ثم ظاهر قوله من الانعام ثمانية ازواج يجيء ان يكون على احد وجوه ثلاثة اما الا يعني الانعام ولا يكون الا الثمانية الازواج التي ذكر انه خلقها لنا فان كان على هذا فيكون حرف من هاهنا صلة كانه قال عز وجل وانزل لكم انعاماً وهي ثمانية ازواج او ان يسمي كل ما خلق من الدواب انعاماً

لا انه لم يحل لنا منها الا الثمانية الازواج التي ذكر قال كان هذا فيكون حرف من حروف تبعيض
وتجزية وان يسمى كل الدواب انعاما الا انه لم يحل لنا كل شيء منها من جميع انواع الانتفاع بها من الازواج
التي ذكرناه فقد احل لنا كل شيء من هذه الاصناف الثمانية من لحومها والبانها واصوافها وكل شيء منها واما ماسوى
ذلك من الانعام فانه لا يحل لنا كل شيء منها من اللحوم وغيرها ولكن احل لنا الانتفاع بظهورها من نحو الحمير
والبغال وغير ذلك بما يشتهي والله اعلم ثم الثمانية الازواج التي ذكرنا انه خلقها لنا في هذه الآية هي التي ذكرها
في سورة الانعام وهو قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى قوله ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين الى آخر ما ذكر فيشبه ان يكون ما ذكر من ثمانية الازواج الا انه انزل لنا في سورة الزمر التي هي احل لنا كل شيء
منها واما ما سوى ذلك فانه انما احل لنا الانتفاع بها لم يحل لنا اكلها لانه ذكر في سورة الانعام الاحل ثم ذكر
على اثر هذه الثمانية الازواج الابل والبقر والضان والمعز حيث قال عز وجل كلوا مما رزقكم الله ثم قال
عز وجل ثمانية ازواج من الضان اثنين الى آخر ما ذكر وهذا يدل على ان قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما على طاعم يطعمه انما هو مما ذكر اي لا احد محرما من هذه الاصناف الثمانية الا ما ذكر من الدم والميتة ولحم
الخنزير ثم يخرج استثناء لحم الخنزير مخرج استثناء غير جنس المذكور على اضمار كون ذلك الغير فيه
وذلك جائز في الكلام كقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم كانه قال
احلت لكم بهيمة الانعام والاصطياد الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد فعلى ذلك الاول كانه اضمر فيه استثناء لحم
الخنزير منه والله اعلم **وقوله** عز وجل يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق قال اهل التاويل تحويله
من حال الى حال من نطفة الى علقة ثم الى مضغة حتى يتم خلقا مستويا في ظلمات ثلث قيل الرحم والبطن
والمشيمة وقيل الظهر يخبر عن قدرته وعلمه وتدبيره انه حيث قدر على خلق الانسان وكل خلق في تلك الظلمات
الثلث والتسوية بين كل شيء منه من اليدين والرجلين والعينين والاذنين والسمعين والبصرين وقسمة
الاعضاء على السواء حتى لا يزداد احدى اليدين على الاخرى وكذلك احدى الرجلين واحدى العينين واحدى
الشفتين وكذلك كل شيء منه في تلك النطفة من العينين واليدين والرجلين والبصر وكل الجوارح ما لو اجتمع
الحكماء جميعا حكماء البشر لم يعرفوا كون شيء من الجوارح والنفس وتقديرها من تلك النطفة وتصويرها منها ليعلم
انه قادر على خلق الاشياء من شيء ومن لا شيء وبسبب وبغير سبب وما جعل من الاسباب لبعض الاشياء جعلها
استعانة منه بها على انشاء ذلك وان من قدر على تقدير ما ذكر وتصويره في الظلمات التي ذكر على السبيل التي
ذكر فانه لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء يحتج عليهم لانكارهم البعث وانكارهم بعث الرسل والحجج يخبر انه فعل
ما ذكر من تغييرهم من حال الى حال وتحويلهم من صورة الى صورة اخرى انه لا يفعل ذلك ليتركهم سدى لا يأمرهم
ولا ينهيهم ولا يمتحنهم ثم اذا امتحنهم لا يحتمل اذ لا يبعثهم ليجزي المسيء منهم والعاصي جزاء الاساءة والعصيان
والمحسن منهم والمطيع جزاء الاحسان والطاعة اذ قد سوى بينهم في هذه الدار وفي الحكمة والعقل التفريق
بينهما فلا بد من دار اخرى يفرق بينهما والله اعلم **وقوله** عز وجل ذلكم الله ربكم له الملك يحتمل ذلكم الله ربكم
اي ذلكم الله الذي ذكر من تقديركم وتصويركم في ظلمات تلك النطفة هو ربكم الذي فعل ذلك وان يكون قوله عز وجل
ذلكم الله ربكم له الملك اي جميع ما ذكر من قوله عز وجل خلق السموات والارض يكور الليل على النهار وما ذكر من تسخير
الشمس والقمر وجريانهما على سنن واحد وعلى قدر واحد وما ذكر من خلقنا جميعا من تلك النفس الواحدة
الى آخر ما ذكر يقول ذلكم الله الذي فعل كله هو ربكم لا اله الا هو فانى تصرفون اي فانى تصرفون عبادتكم الى غيره
او فانى تصرفون الوهيته وربوبيته الى غيره وتجعلون له شركاء واعدالا وقد تعلمون ان الذي فعل ذلك
كله هو الله الواحد الذي لا شريك له ولا مثل او يذكر ان ما ذكر من النعم التي اعطاكم واسدى اليكم هو ربكم
الذي خلقكم فكيف تصرفون شكرها الى غيره والله اعلم **وقوله** عز وجل ان تكفروا فان الله غني عنكم

ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم روي عن ابن عباس انه قال ان تكفروا فان الله غني
عنكم اي تكفروا دين الله الاسلام ولم تسلموا فانه لا يقبل منكم وان تشكروا اي وان تسلموا يرضه لكم اي يقبله
منكم كقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقال غيره ان تكفروا وحدانيته فان الله غني عن عبادتكم
وان تشكروا اي توحدوه وتعبدوه يرضه لكم من الاول وجائز ان يكون قوله ان تكفروا النعم التي عدها عليكم
فيما تقدم ذكرها من قوله خلق السموات والارض يكور الليل على النهار وقوله وانزل لكم من الانعام الى آخر
ما ذكر من النعم يقول ان تكفروا هذه النعم التي عدها عليكم فانه غني عنكم وان تشكروا ما عد عليكم من النعم يقبل
ذلك منكم والله اعلم واصله ان الله عز وجل بين سبيل الهدى ورغبهم اليه وبين سبيل الضلال وحذرهم
عنه ثم بين اي من سلك سبيل الهدى فله كذا ومن سلك سبيل الضلال فله كذا افضاه الى كذا وان يقول
ان من سلك سبيل الهدى يرضى لنفسه عاقبة السبيل الذي سلك فيه كقوله عز وجل وجوه يومئذ ناعمة لسعيها
راضية ومن سلك سبيل الضلال والكفر يمقت ذلك السبيل في العاقبة كقوله عز وجل ان الذين كفروا ينادون
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اخبر انهم يمقتون انفسهم اذا نودوا وعرفوا انهم خطئوا الطريق وبالله العصمة
وذكر في حرف عبد الله بن مسعود والله يكره لعباده الكفر **وقوله** وان تشكروا يرضى عنكم وكذلك ذكر هذا
في حرف ابي وحفصة خاصة واصل قوله ان تكفروا فان الله غني عنكم اخبار انه لم يامركم فيما امركم به ولا نهاكم
عما نهاكم عنه لحاجة نفسه او لمنفعة له في ذلك ولكن انما امتحنكم بما امتحنكم لحاجة انفسكم ولمنفعتكم ولدفع الضرر
عنكم وكذلك ما انشأ من الاشياء لم ينشئها لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن انما انشأها لكم ولمنافعكم وكذلك
نقول لم ينشئها لانفسها حتى اذا اتلف شيئا منها عوضها لها على ما تقول المعتزلة ان ليس لله ان يتلفها الا ان يعوضها
عوضا بازاء ذلك ولكن انشأها للبشر ولهم ان يتلف شيئا منها والله اعلم **وقوله** ولا تزر وازرة وزر اخرى
ذكر هذا والله اعلم جوابا لقولهم حيث قال عز وجل وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
الآية اخبر ان لا احد يحمل وزر اخرى ولكن يحمل وزر نفسه والثاني يخبر ان امر الآخرة على خلاف امر
الدنيا لان في الدنيا قد يحمل بعض آثام بعض واوزار بعض فاما في الآخرة فانه لا يحمل احد وزر آخر
ولا آثامه والله اعلم **وقوله** عز وجل ثم الى ربكم مرجعكم الآية خص البعث بالرجوع اليه مرة وبالمصير ثانيا
والبروز له ونحو ذلك وان كانوا في جميع الاحوال راجعين اليه صائرين لان المقصود من انشائهم في هذه
الدنيا ذلك البعث فخص لذلك رجوعا اليه والله اعلم **وقوله** انه عليم بذات الصدور قال اهل التاويل انه عليم
بما في الصدور وعندنا عليم بكل ما يصدر من الخير والشر وذكر بذات الصدور لان اصحاب الصدور لم يصدر
ويظنون في صدورهم **وقوله** واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل
اخبر الله الخالق ما كان من عادة الكفرة في غير آي من القرآن انهم كانوا يخلصون الدين لله ويتضرعون اليه
اذا مسهم بلاء او شدة اذا ركبوا البحر وكان لهم خوف الهلاك في ذلك وفزع كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين الآية وغير ذلك من الآيات وكذلك كل بلاء وشدة اصابهم فزعوا الى الله عز وجل وتضرعوا اليه
وقوله ثم اذا كشف الضر عادوا الى ما كانوا من قبل وقوله نسي ما كان يدعو اليه من قبل يحتمل قوله نسي ان لا يملك
الاصنام التي عبدوها دفع ذلك عنهم ولا كشفه او نسي ان لا ينفع شفاعتهم اياهم ونحوه كقوله عز وجل واذا مسكم
الضر في البحر ضل من يدعون الا اياه اي نسوا ما عملوا من عجز الاصنام ونحوه **وقوله** وجعل لله اندادا
ليضل عن سبيله كان الآية في الرؤساء منهم جعلوا اندادا ليضل الناس عن سبيله يدل على ذلك قل تمتع
بكفرك قليلا في الدنيا انك من اصحاب النار لما علم انه يختم على الكفر والله اعلم ثم الحكمة في ذلك هذا وامثاله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل وجوها احدها يصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سوء معاملتهم
اياه كما اخبر عن سوء معاملتهم ولم يستاصلهم على اثر ذلك وذلك اعظم في العقل او يخبر الا واخر عن سوء

معاملتهم ربهم ليحذروا عن مثل معاملتهم ربهم ويخبر عن حلمه انه كيف منهم فاعلم انت والله اعلم
وقرئ ليضل وليضل فيلغات ثلث وقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا يحذر الاخرة ويرجوا رحمة
ربه قال بعضهم هذه الاية صلة ما تقدم من قوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه
نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله كالذى هو قانت اى مطيع لله آناء الليل
والنهار يحذر عذابه ويرجوا رحمته ليسا بسواء عندكم الذى اطاع الله فى جميع اوقاته حاذر تقصيره فى ذلك
راجع رحمته لطاعته والذى عصى ربه ولم يطعه فاذا عرفتم انهما ليسا بسواء ثم رايتم انهما قد استويا فى نعم
هذه الدار وسعتها وشدايدها وفى الحكمة التفريق بينهما فلا بد من دار اخرى يفرق بينهما فيها يثاب المحسن
المطيع جزاء احسانه وطاعته ويعاقب الكافر الظالم جزاء كفره وظلمه والله اعلم ومنهم من يجعل هذه الاية
مقابل لكنه يقول مقابلها ليس الاول ولكن لم يذكر لها مقابل ويقول على ما عرفتم انه لا يستوى الذى يعلم والذى
لا يعلم فعلى ذلك لا يستوى الذى اطاع ربه آناء الليل واجهد نفسه فى عبادة الله الذى عصى ربه وكفر نعمه
وقد ظهر الاستواء بينهما فى هذه الدنيا لا بد من التفريق بينهما فى دار اخرى ولو لم يكن دار اخرى فيها تفرق
وتميز لكان خلق هذا العالم على ما كان باطلا سفها غير حكمة والله اعلم وقوله يحذر الاخرة اى يحذر
عذاب الاخرة وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود انه قراء يحذر عذاب الاخرة وقوله ويرجوا رحمة ربه
دلت الاية على ان المومن يجب ان يكون بين الرجاء والحذر يرجوا رحمته لا بعمله ويحذر عذابه لتقصير فى عمله
ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون امنا وقد قال الله عز وجل فلا يامن من مكر الله الا القوم الخاسرون والخوف
اذا جاوز حده يكون باسا وقد قال الله عز وجل لا يياس من روح الله الا القوم الخاسرون ويجب ان يكون المومن
كما ذكر عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا لا يجاوز احدهما وجايز ان يكون قوله عز وجل
ويرجوا رحمة ربه اى جنته على ما سمى الجنة رحمة فى غير موضع لما برحمته ينال هى والله اعلم وقوله قل هل يستوى
الذين يعلمون فى معرفة نعم الله والقيام بشكره والحذر عن عصيانه وعذابه وقوله والذين لا يعلمون
فى كل ذلك جوابه ان يقال لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهو ما قال عز وجل انما يخشى الله
من عباده العلماء وقوله انما يتذكر اولوا الالباب انما يتذكر بمواعظ الله اولوا العقول والبصر والمعرفة
والله اعلم وقوله آناء الليل اى ساعات الليل وقانت اى مطيع واصل القنوت هو الطاعة وقيل القنوت
القيام وهو القيام فى الطاعة والله اعلم وفى قوله يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه دلالة جواز الارجاء
لانه لم يقطع على احدهما دون الاخر وكذلك فى قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وفى قوله رغبا ورهبا
وفى القطع على احدهما كفر على ما ذكرنا من قوله فلا يامن مكر الله ولا يياس من روح الله الا القوم الكافرون
ان المجاوزة فى الخوف اياس والمجاوزة فى حد الرجاء امن وقد ذكرنا انه كفر وقوله قل يا عباد الذين امنوا اتقوا
ربكم يحتمل قوله اتقوا ربكم وجوها اتقوا سخط ربكم او اتقوا نقمة ربكم واتقوا مخالفة ربكم ونحوه واصل التقى
ما تهلكون اى اتقوا مهالككم والله اعلم وقوله للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة قال عامة اهل التاويل للذين
احسنوا فى هذه الدنيا حسنة لهم فى الاخرة وجايز ان يكون لهم الحسنة فى الدنيا والاخرة حسنة
ولدار الاخرة خير الاية وكقوله عز وجل والذين هاجروا فى سبيل الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى هذه الدنيا
حسنة ولاجر الاخرة اكبر ثم يحتمل الحسنة وجها اخر استغفار الملايكة لهم والانبياء عليهم السلام
لان الله عز وجل امتحن ملايكته على استغفار المومنين والمومنات كقوله ويستغفرون لمن فى الارض وكذلك
امتحن رسله بالاستغفار للمومنين وكذلك المومنين يستغفر بعضهم لبعض ونحوه وقوله وارض الله واسعة
ذكر هذا والله اعلم لان من آمن منهم بمكة كانوا يظهرون الموافقة لاعدائهم ويقيمون فيما بينهم وكانت لهم
اسباب التعيش فى بلدهم ولم يكن لهم تلك فى بلد غيرهم فخافوا الضياع ان هم خرجوا من بلدهم فهاجروا

منها الى غير بلدهم فيمتنعون عن ذلك فجاءت الاية على الترجى والاطماع لهم بمثل ذلك التعيش واسبابه
فى غير ذلك البلد وهو ما ذكر فى آية اخرى وهو قوله الذين يتوفيهم الملايكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم
قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها لم يعذروا فى تركهم الهجرة
واظهارهم الموافقة للاعداء ولهم طاقة ووسع التحول من بلدهم الى بلد غيرهم الا من لم يكن به طاقة
الخروج من بينهم وهم الذين استثناهم وهو قوله الا المستضعفين من الرجال والنساء الاية والله اعلم
وقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب يحتمل قوله بغير حساب وجوها احدها بغير حساب
اى بغير تبعة ولا يتو به كقوله من نوقش الحساب او بغير حساب اى لا يحاسبون لما ليس وراء تلك الدار دار
اخرى يحاسبون فيها ما اعطوا فى الاخرة ليس كدار الدنيا يحاسب بها او ثوابها فى الاخرة واما ما اعطوا فى الاخرة
فلا يحاسبون فى غيرها ويحتمل بغير حساب اى غير مقدر بالحساب ولكن اضعافا مضاعفة ويحتمل بغير
بغير حساب اى بلا نهاية ولا غاية والله اعلم ثم الصبر هو حبس النفس اما على اداء ما امر الله به والانتهاء
عما نهى الله عنه او حبسها وكفها فى احتمال ما حملت من الشدايد والمصايب والمؤن العظام احتملوا ذلك
ولم يجزعوا وهو ما ذكر فى غير آى من القران ولنبلونكم بشئ من الخوف الاية وقوله ونبلوكم بالشر والخير
فتنة ونحوه وقوله قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين يحتمل
ان يكون قال هذا لما ان اهل مكة كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم ودين آبائهم
وكانوا يطمعون عوده اليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى امرت انا اعبد الله مخلصا له الدين وقال
فى آية اخرى قل انى نهيت ان اعبد الذين يدعون من دون الله الاية وقال فى آية اخرى قل لا اتبع اهواءكم
قد ضللت اذا الاية اخبر انه لو اتبع اهواءهم فيما هم فيه يضل اذا وما كان من المهتدين ذكر فى هذه الايات النهى
وترك اتباع اهوائهم ولم يذكر الامر فيها بعبادة الله وهنا مخلصا له الدين او ان يقول انى اذا امرتكم بعبادة الله
امرت انا ايضا فى نفسى ان اعبده مخلصا لست انا كمن يامر غيره شيئا ولا ياتمر بنفسه او هو غير مامور بذلك
وهو ما قال وامرت لان اكون من المسلمين ويقول لست انا كالملوك يامرون اتباعهم باشياء ويستعلون
فى امورهم لا يستعلون فى ذلك انفسهم والله اعلم وقوله قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم
الخوف ها هنا ليس هو حقيقة الخوف ولكن العلم كانه قال انى اعلم ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم فاَيسهم الله
بالمدينة عن عوده الى دينهم وقطع طمعهم عنه وهو ما قال عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فاما
ما داموا بمكة فانهم كانوا طامعين فى ذلك راجين فيه والله اعلم وقوله قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا
ما شيتم انه يخرج هذا الحرف منه مخرج التهدد لهم والتوعد يقول اما انا فانما اعبد الله الحق ولا اخلص
دينى فاعبدوا انتم ما شيتم فانه يجزيكم جزاء عبادتكم كقوله تعالى اعملوا ما شيتم الاية وذلك معروف
فى كلام الناس يقول الرجل اعمل ما شيت او قل ما شيت فانك الجزاء كما تعمل على الوعيد له فعلى ذلك قوله عز وجل
فاعبدوا ما شيتم من دونه والله اعلم ويحتمل وجها آخر لا على الوعيد ولكن يقول قد بينت لكم واوضحت
السبيلين جميعا بالايات والحجج سبيل النجاة الذى اذا سلكتموه نجوتم وهو سبيل الله وسبيل الهلاك الذى
اذا سلكتموه هلكتم وهو سبيل الشيطان فاذا اردتم النجاة فاسلكوا سبيل كذا وان اردتم سبيل الهلاك فاسلكوا
سبيل كذا والله اعلم ثم قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة كناية لما امرهم ان يقوا
انفسهم واهليهم النار حيث قال عز وجل قوا انفسكم واهليكم نارا ليكون لهم انفسهم واهليهم يوم القيامة
وسلم لهم ذلك وهلكوا فتركوا ذلك ولم يقوها ولا اهليهم النار قال عند ذلك خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين الا عند ذلك يتبين لهم انهم خسروا انفسهم واهليهم او انهم قد امروا
بالسعى للاخرة والعمل لها ووعدوا اذا سعوا لها وعملوا النجاة فى الاخرة والحيوة الدايمة والاهل فى الجنة

واذا لم يسعوا لها ولم يعملوا خسروا انفسهم في الاهل الذين وعدوا فيها اذا سعوا وهلكت انفسهم لاذ لك
هو الخسران الا هنالك سبين لهم انهم خسروا وخسوا نابتيناً والله اعلم وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل ان يكون ما كان تحتهم من النار ان يوصف بالمهاد لهم لا بالظلل كقوله عز وجل لهم من جهنم
مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود انه قل لهم من لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم
غواش ذلك يخوف الله به عباده والله اعلم لكن جايز ان يكون الظلل الذي تحتهم هي ظلل لمن تحتهم وهي
لاولئك الذين فوقهم مهاد والذين ليس تحتهم احدهما دائما والله اعلم لان النار دركات والمباق
ليكون كل طبقة لمن تحتها ظلل ولمن فوقها مهاد على ما ذكرنا وقوله ذلك يخوف الله به عباده او ذلك الذي
ذكر في القرآن يخوف من المواعيد يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون اتقوا سخط الله ونقمته او اتقوا
مخالفة الله او اتقوا المهالك وقوله والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها اختلف في الطاغوت ٥
ان يعبدوها اختلف في الطاغوت قال بعضهم هو الشيطان اي اجتنبوا من ان يا تمروا واطاعوا وقال بعضهم
الطاغوت هم الكهنة كانوا يا تون الكهنة فيخبرونهم بامور فيعملون بقولهم ويصدقونهم يقول اي اجتنبوا
من ان يطيعوا الكهنة في امورهم ونهيهم وقال بعضهم كل معبود دون الله فهو طاغوت وهو من الطغيان
وهو المجاوزة عن الحد والله اعلم وقوله وانابوا الى الله اي اقبلوا وارجعوا الى ما امرهم الله به او ارجعوا
الى ما به طاعتهم وتركوا ما به مخالفته وانتهوا عن مناهيه والانابة الى الله هي الرجوع الى امر الله والى ما به طاعته
والله اعلم وقوله عز وجل لهم البشرى وهو ما ذكر في قوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فعلى ما ذكر لهؤلاء من البشرى لهم في الدنيا وفي الاخرة لانهم
لانهم اولياء الله وقوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اختلف فيه قال بعضهم
الذين يستمعون كلام الناس من الخير والشر والحسن والقبيح فيتبعون احسنه اي يروون ويحكون منه
ما هو خير وحسن ويتركون ما هو شر وقبيح وقال بعضهم يستمعون القرآن وكلام الناس واحاديثهم فيأخذون
بالقرآن ويتبعونه ويتركون كلام الناس واحاديثهم فهو اتباع الاحسن منه وهو القرآن وقال بعضهم
يستمعون وفيه الناسخ والمنسوخ فيتبعون احسنه اي ناسخه ويعملون به ويتركون منسوخه لا يعملون به
وقال بعضهم يستمعون الى القرآن وفيه الامر والنهي فيتبعون امره وينتهون عما نهى عنه والله اعلم وجايز
ان يكون قوله فيتبعون احسنه اي يتبعون الحسن منه الاحسن بمعنى الحسن والله اعلم وقال قايلون
فيتبعون احسن ما في القرآن من الطاعة لله كقوله وامر قومك يأخذوا باحسنها الآية وتاويله ما ذكرنا
ان خذوا ما فيه من الامر وايتمروا به وانتهوا عما فيه من المناهي والله اعلم وقوله اولئك هم اولوا الالباب
اي اولئك هم المنتفعون بلبهم وعقولهم حيث اختاروا واثروا هداية الله ونظروا اليها بالتعظيم والاجلال
واهتدوا وقوله افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار ذكر الله تعالى في هذه السورة اشياء
لا يعرف لها اجوبة في الظاهر الا بالتامل والاستدلال على غيره من ذلك ما ذكر افمن حق عليه كلمة العذاب
افانت تنقذ من في النار كانه يقول والله اعلم افمن حق عليه العذاب لمن له البشرى في الاخرة لانه ذكر
فيما تقدم للمؤمنين حيث قال عز وجل والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى
الآية على هذا يخرج جوابه افمن وجب عليه العذاب كمن وجب له البشرى لا سواء او ان يقول افمن حق ووجب
عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام اي ليس الذي وجب عليه العذاب كالذي شرح صدره للاسلام
او ان يقول هذا لنا ذلك كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحرصه على اسلام قوم احب ان يسلموا فقال هذا
على الاياس من اسلامهم يقول افمن وجب عليه العذاب فانت تنقذه من النار من قد وجب عليه العذاب وهو
ما قال عز وجل انك لا تهدي من احببت وكقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين كانه لا يقدر ان تكرههم

على الاسلام لكنه كان يحب ويحرص على اسلامهم ويحزن لتركهم الاسلام كقوله ولا تحزن عليهم وقوله
لعلك باخع نفسك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ونحو ذلك كان يحزن وكادت نفسه يتلف اشفاقا
عليهم فيقول افمن وجب وحق عليه العذاب تقدر ان تنقذه من النار اي لا تقدر على ذلك والله اعلم ثم بين
الذين انقذوا من النار وهم الذين اتقوا ربهم حيث قال عز وجل لكن الذين اتقوا ربهم يحتمل اتقوا مخالفة
ربهم او اتقوا سخط ربهم ونقمته ثم بين ما اوعد لهم في الآخرة فقال عز وجل لهم غرف من فوقها غرف
مبنية ذكر ان لهم غرف في الجنة والغرف على الغرف في الشاهد انما يتخذ لضيق المكان لكن ذلك في الجنة
ليس لذلك ولكن لما كان عرف من رغبة الناس في الدنيا في الارتفاع والعلو والكرامة والتفضيل والانحدار
في الارض رغبهم في الاخرة على ما رغبوا واحبوا في الدنيا ولكن لاهل الجنة الدرجات ولاهل النار الدركات
ثم قوله تجري من تحتها الانهار يخبر ان امر الجنة على خلاف اهل الدنيا اذ في الدنيا كلما ارتفع وعلا من البنيان
كان الماء منها ابعد والوصول اليه اصعب فاخبر انهم وان كانوا في الغرف والدرجات فابصارهم مما يقع
على الماء والماء لا يبعد عنهم ولا يصعب والله اعلم ثم ذكر في الغرف البناء ولا ذكر في السماء انه بناها فلم يفهم
من بنائه ما ذكر ما فهم من بناء الخلق فكيف فهم من صحته وغير ذلك ما فهم من مع الخلق وابنائهم لولا ما كان
فيهم من فساد اعتقادهم والله اعلم وقوله الم تر ونحوه على وجهين احدهما على الخبر الم ترى قد رايت
والثاني على الامر ان ثم الخطاب وان كان في الظاهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لكل احد
يحتمل النظر والتامل ثم جهة الحكمة المودعة فيها ما ذكر من انزال الماء من السماء وجعله ينابيع في الارض ٥
والينابيع هي العيون التي تخرج من الارض والآبار والتي جعلت فيها ليعلم ان المياه الخارجة من الارض
والجارية فيها اصلها من السماء منزلة منها وهي طهور على ما الخبر انه انزله طهورا وان اختلف طبعه
لاختلاف جواهر الارض ما لم يخالط شيء من جواهر الارض من القذر والنجاسة وغيرها من الالوان
التي تخرج من ان يكون طهورا ويغيره عن جوهره الذي انزل من السماء ثم جعل الله عز وجل في شربه ذلك
الماء معنى ولطفا ما يوافق جميع الاشجار والنبات وكل خارج من الارض وان اختلفت جواهرها والوانها
وطعمها ليعلم ان من قدر على جعل ما جعل في الماء من اللطف والمعنى الذي يوافق كل شيء من النبات والشجر
وان اختلفت جواهرها والوانها وطعمها لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ولا قوة الا بالله او ان يقول ان من تكلف
زرع الزراعة في الارض ويحتمل المؤن العظام الى يبلغ المبلغ الذي ينتفع به وينال منه النفع فتركه
لم ينتفع به ليس يوصف بالسفه وبغير الحكمة فكذلك الله سبحانه لما انشاكم صغارا طفلا وغذاكم
بالوان الاغذية والاطعمة حتى كبرتم وبلغتم مبلغ الانتفاع بكم ثم ابلغكم بلا عاقبة تقصد في ذلك كان غير حكيم
وقد عرفتموه حكيما فذلك ان المقصود في ذلك كله حتى يكون انشاؤه اياكم صغارا وتربيته اياكم بالوان الاغذية
التي جعل لكم حكمة وهو البعث ما لولا ذلك كان سفها غير حكمة على ما ذكر من اخراج الزرع من الارض بالماء الذي
اخرج ثم تركه فيها حتى صار يابسا لا ينتفع به كان سفها غير حكيم فعلى ذلك ما كان عند اولئك الكفرة ان لا بعث
كان ما ذكر والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك اي فيما ذكر من انزال الماء من السماء وادخاله في الارض واخراج
ما ذكر منها به وما ذكر موعظة لاولي الالباب اي لمن انتفع بلبه وعقله لما ذكرنا وما ذكر لاهل الجنة من الغرف
وغير ذلك ثم قال عز وجل وعد الله لا يخلف الله الميعاد لان من وعد في الشاهد وعدا ثم اخلفه
انما يخلفه لحاجته او لما يبدو له من البدوات فيرجع عما وعد والله سبحانه وتعالى عن ذلك كله
لا يحتمل خلف الوعد منه وقوله فسلكه ينابيع في الارض اي ادخله فيها وجعله ينابيع اي عيونا وقوله
ثم يهيج اي ييبس وقوله ثم يجعله حطاما مكسرا مثل الرفات والقنات وهو قول ابي عوسجة
والقتبي ويقال هاجت الارض اذا ابتدات في اليبس حطاما اي متكسرا وقوله عز وجل افمن شرح الله صدره

للاسلام فهو على نور من ربه قيل شرح الله وسع الله وقيل رحبه الله وقيل لين الله ونحوه وكله واحد ثم يحتمل
قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فيسلم فهو على نور من ربه اي يجعل الله في صدره النور اذا اسلم حتى
يبصر الحق وحججه وبراهينه بصورة الحق انه حق والباطل انه باطل وانه تمويه يبصر كل شيء بذلك النور
على ما هو حقيقة انه حق وباطل فيأخذ الحق ويعمل به ويترك الباطل ويجتنبه والله اعلم او ان يكون قوله
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يكون نوره هو اسلامه الذي هداه شرح صدره لنوره
حتى اسلم وهو ما روي في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل انه هل ينشرح الصدر للاسلام
وكيف ينشرح فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا دخله النور انشرح لذلك الصدر وانفسح له اخبر
ان النور اذا دخل الصدر انشرح لذلك الصدر وانفسح له بذلك النور والله اعلم وجايز ايضا ان يكون قوله
عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام في الدنيا فهو على نور من ربه في الآخرة كقوله عز وجل والذين آمنوا معه
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم الاية والذين كفروا وطبع الله على قلوبهم فيظلم ويبقى لما بقي
في الظلمة ابدا والله اعلم ومنهم من قال من شرح صدره للاسلام نفسه اذا اسلم فهو على نور من ربه
كتاب الله قال هذا المؤمن به يأخذ واليه ينتهي وما سئل النبي صلى الله عليه وسلم هل لذلك اي لانشراح
الصدر للاسلام علامة فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل حلول الموت فهذا في التحقيق ليس في المعاملة في العمل ولكن في الاعتقاد اي يتجافى عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود يتزود من الدنيا للآخرة ثم قوله افمن شرح الله صدره للاسلام يحتمل ان يكون
على الاستفهام على ما ذكر ويحتمل ان لا يكون على الاستفهام ولكن على الايجاب فان كان على هذا فهو على اسقاط
الالف فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه الاية كقوله في آية اخرى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا فعلى ذلك يحتمل ان يكون هذه الاية على هذا
والله اعلم وان كان على الاستفهام فلا بد ان يكون له مقابل يعرف ذلك بدليل انه جوابه ثم قال بعضهم جوابه
في قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله كانه يقول ليس المنشرح صدره للاسلام كالقاسي قلبه بالكفر وهو
قول الكسائي وجايز ان يكون جوابه ومقابله ما تقدم ذكره وهو قوله افمن حق عليه كلمة العذاب الاية كانه يقول
افمن حق عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام اي ليس من وجب عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام
فهو على نور من ربه والله اعلم وقوله الله نزل احسن الحديث يحتمل قوله عز وجل نزل احسن الحديث اصدقه
خبرا واعدله حكما وهو ما ذكر في آية اخرى ووصفه بالصدق والعدل حيث قال عز وجل وتمت كلمة
ربك صدقا وعدلا اي صدقا في خبره وعدلا في حكمه فعلى ذلك يحتمل قوله احسن الحديث خبرا واعدله
حكما والله اعلم وجايز ان يكون قوله احسن الحديث اي اتقنه واحكمه وهو متقن ومحكم وهو على ما وصفه
بالصدق والعدل في آية اخرى قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
اخبر انه لا يأتي القرآن باطل من بين يديه ولا من خلفه وذلك لاتقانه واحكامه والله اعلم وهو احسن
الحديث لان من تامله ونظر فيه وتفكر انار قلبه واضاء صدره وهداه سبل الخير والحق ودفع
عنه الوساوس والشبهات وكل شر واقتضاه الى كل خير وبر فهو احسن الحديث اذ لا حديث يعمل بما يعمل
هو لما ذكرنا وغير ذلك والله اعلم وقوله كتابا متشابها قوله متشابها اي ليس بمختلف ولا متناقض
ليس كحديث الناس وكتبهم مما يختلف ويتناقض حديثهم وكتابهم وخاصة فيما امتد من الاوقات
وطال وبعدت مدته وهو ما ذكر افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا وكونه متفقا متشابها غير مختلف في طول نزوله وتفرق اوقاته وتباعد ايامه في الانزال آية
من عند الله نزل ومنه جاء اذ لو لم يكن من عنده لخرج مختلفا متناقضا على ما يخرج حديث الناس

وخبرهم مختلفا ومتناقضا والله اعلم وقوله مثاني قال اهل التأويل سماه مثاني لما ثنى فيه انباؤه
وقصصه مرة بعد مرة واصله انه سماه مثاني لانه ذكر فيه المواعظ والذكرى وكررها في غير موضع
لما لو لم يكررها اغفلوا عنها وسهوا منها لان الحكيم اذا وعظ احدا عظة وزجره وسهى عنه وكرر
عز وجل عليهم المواعظ والزواجر ليكونوا ابدا متعظين متذكرين لذلك والله اعلم لكيلا يغفلوا
عنها ولا يسهوا وقوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ر[illegible] وقلوبهم الى ذكر الله قال
اهل التاويل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم عند تلاوة آية الرهبة والخوف وتلين قلوبهم
عند تلاوة آية الرحمة وجايز ان يكون لهم بجميع القرآن بما فيه الرحمة والرهبة جميعا يكون فيهما الموعظة
تلين قلوبهم وتقشعر جلودهم وخوفا لانفسهم لانه آية الرحمة ليس باحق بتلين القلوب من آية الرهبة
بل آية الرهبة احق بذلك وقتادة يقول كانت جلودهم تقشعر وعيونهم تبكي وقلوبهم تطمئن اليه
ولا يذهب عقولهم ولا يغشى عليهم كما راينا اهل البدع يفعلونه وانما ذلك من الشيطان وقوله عز وجل
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء قد بين سبل الهدى والحق وحججه وبراهينه وبين سبيل الضلالة
والباطل فمن سلك سبيل الهدى فبتوفيقه سلك وبمعونته اهتدى ومن سلك طريق الكفر والباطل
فبخذلانه ضل وزاغ وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد اخبر ان من اضله الله فلا هادي له وعلى ما قال
في المعيشة والرزق قال عز وجل ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له
من بعده وقال عز وجل في الضراء والخير حيث قال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك
بخير فلا راد لفضله ذكر في الضلال والهدى ما ذكر في الرزق والضر والخير ذلك ان لله في فعلهم
وصنعهم تدبيرا ليس على ما تقوله المعتزلة ان لا تدبير لله في ذلك وان من اهتدى انما يهتدي بنفسه
ومن ضل وزاغ انما ذلك بنفسه لا تدبير لله في ذلك فالآية ينقض قولهم ومذهبهم وقتادة يقول
في قوله تقشعر جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وانما يذكر الله اهل
الايمان فكانت تقشعر بذلك جلودهم وتبكي اعينهم وتطمئن قلوبهم ولا يذهب عقولهم منه وانما التضرع
احدهم فلم يكن دايما كان هذا في اصحاب البدع وربما هو من الشيطان ولعمري ما كان في هذه الامة احد
اعلم من نبيه صلى الله عليه وسلم ومن بعده اصحابه الذين انتخبهم الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد
دينه ولقد سالنا من لقينا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب اصحابه فحدثوا ان هذا الموضع
انما كان في اهل البدع وقوله عز وجل افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كانه لم يذكر مقابل هذا
ان هذا الموضع فجايز ان يكون مقابله ما تقدم وهو قوله افمن جعل له الغرف على الغرف تجري من تحتها
الانهار كمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي هذا كهذا وان يكون مقابله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن انعم
في النعم الدايم ليس هذا كذلك والله اعلم ثم قوله عز وجل افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن انعم في النعيم
الدايم ليس هذا كذلك ولا احد يتقي بوجهه سوء العذاب لكن يخرج ذكر ذلك على وجوه احدها كناية
عن الشفعاء واهل النصر كانه يقول لا يكون لهم من يشفع او يملك دفع العذاب عنهم او ان يكون ايديهم
مغلولة الى اعناقهم بالايدي ليتقي بها سوء العذاب عن وجهه لان في الشاهد من اصاب شيئا من العذاب
يتقي ذلك العذاب عن وجهه بيده فيخبر ان لا يد له في الآخرة يتقي العذاب بها عن وجهه بل يصيب العذاب
وجهه فكانه يتقي به او ان يكون ذكر الوجه كناية عن نفسه وهو ما ذكرنا ان لا يكون له من يملك دفع العذاب
عنه او ان يكون ذكر الوجه كناية عن قلبه ان يصل وجع ذلك العذاب الى قلبه ولا يملك دفعه والله اعلم
وقوله وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون يحتمل قوله اي ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون او يقول
ذوقوا ما اخترتم من الكسب وهذا ما اخترتم لانه قد بين لهم الكسبين جميعا وما يكون لكل كسب في العاقبة

فاختاروهم الكسب الذي كان عاقبته الذي اصابهم لكانهم اختاروا ذلك الذي حل بهم باختيارهم
ذلك الكسب والله اعلم وقوله كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ليخوفهم ويحذرهم
ما نزل بالمتقدمين بتكذيب الرسل عليهم السلام والعناد بعد ما حذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبعث وما حل بهم يوم القيامة بذلك فاذ لم يصدقوه فيما حذرهم يوم القيامة حذرهم بالذي انتهى اليهم
الخبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحذروا وقوله من حيث لا يشعرون اي من حيث لا يامنون العذاب
اي ينزل بهم وقوله فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون العذاب الذي
نزل بهم في الدنيا ليس هو عذاب الكفر انما هو عذاب العناد والتعنت وافعال فعلوها في حال الكفر فهو في الاخرة
ابد الابدين فيه خالدين مخلدين فيه ولذلك قال ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقوله ولقد صرفنا
في هذا القران من كل مثل اي بينا للناس في هذا القران من كل ما يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم اخبرهم
ما لهم وما عليهم او ما لله عليهم او لبعضهم على بعض وامثاله والله اعلم وقوله لعلهم يتذكرون هذا يحتمل
وجهين احدهما لكي يلزمهم التذكر والاتعاظ والثاني لكي يبلغهم ما يتذكرون ويتعظون وقوله قرانا عربيا
اي جعلناه قرانا عربيا كقوله انا انزلناه قرانا عربيا لكي يفقهوه ويعرفوه كقوله تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه الاية وقوله غير ذي عوج يحتمل وجهين احدهما انه لا يخالف الكتب السالفة بل يوافقها لان الكتب
جاءت كلها على الدعاء الى توحيد الله وربوبيته فكذلك القران فهو لا يخالف ساير الكتب بل يوافقها والثاني
لا عوج فيه لما لا يخالف بعضها بعضا ولا يناقض بل خرج كله موافقا بعضه بعضه مستقيما على تباعد نزوله
في الاوقات وبالله التوفيق واصله غير ذي عوج اي ليس بمايل ولا زايغ عن الحق وقوله لعلهم يتقون اي يتقون
المهالك او سخط الله ونقمته وقوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
هل يستويان مثلا اي لا يستويان ويشبهان يكون ما ذكر من المثل لرجلين من البشر كل المسلمون والكافرون ثم يحتمل
الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون اي يتشاكسون في نسبه يدعي كل نسبه او يتشاكسون في الملك فيه يقول
كل هو لي او في الملك في قوم يدعي كل ان الملك له فيه او يدعي كل ان الملك فيهم ولا يثبت لواحد منهم النسب فيه
لينتسب هو الى واحد منهم فيبقى متحيرا تايها ولذلك لا يثبت لواحد منهم الملك الذي يدعي ليطلب هذا منه
النفقة وما يجب على ذي الملك من حقوق الملك فيبقى ضايعا متحيرا واذا كان الملك لرجل واحد والنسب
او الملك سالم له يصل الى كل حوايجه ويكون محفوظا في نفسه معروفا فيكون مثل الذي فيه شركاء متشاكسون
هو الذي يعبد الشيطان او الاصنام او هوى النفس يدعو كل شيطان الى غير الذي دعى الاخر وكذلك الهوى
يدعو صاحبه مرة الى كذا ومرة الى غير ذلك فهو كالذي فيه شركاء متشاكسون يدعي هذا وهذا والذي يعبد
الله الحق الذي يثبت الوهيته بالحجج والايات كالرجل السالم الواحد يكون ابدا على حالة واحدة مطيعا لله خالصا له
وقوله هل يستويان مثلا اي هل يستوي الرجل الذي يدعي فيه شركاء متشاكسون والرجل الذي يكون لرجل
واحد فيما ذكرنا اي لا يستويان وقال اهل التاويل هل يستويان من يعبد الهة بشتى مختلفة والذي يعبد
ربا واحدا وهو المؤمن وقد راوا انهم قد استووا في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما وفيه دلالة البعث
وكذلك في قوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا اي لا يستويان وقد استووا
في هذه الدنيا دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما اذ في الحكمة والعقل التفريق بينهما والله اعلم وقوله عز وجل
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ذكر الحمد على اثر ذلك يخرج على وجهين احدهما ان يحمد ربه على ما خصهم
بالتوحيد من بين الكفار بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم والثاني امر ان يحمد ربه على ما جعله سالما
خالصا بل يجعل فيه شركاء متشاكسون قال ابو عوسجة والقتبي الشركاء المتشاكسون اي يختلطون يتنازعون
ويتشاحون ورجلا سالما اي خالصا ومن قرا سلما لرجل اراد سلم اليه فهو سلم له ثم يحتمل قوله تقشعر منه جلود الذين

يخشون

يخشون ربهم يحتمل الانبياء منهم والخواص كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وجايز ان يكون اراد
جميع المؤمنين وكذلك ذكر في حرف ابي وابن مسعود تقشعر منه جلود الذين يؤمنون بربهم ثم يطمئن جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وفي حرف حفصة ثم ييبس جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال بعضهم في قوله عز وجل
يتقي بوجهه سوء العذاب يقول والله اعلم ليس الضال الذي يتقي النار بوجهه كالمهتدي الذي لا يصل النار
الى وجهه ليسا بسواء على ما ذكرنا وقوله انك ميت وانهم ميتون وجه ذكر هذا على اثر ما تقدم من قوله
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما هل يستويان مثلا وقد استووا في هذه الدنيا
من اخلص نفسه ودينه لله وللرسول صلى الله عليه وسلم ومن جعل فيه شركاء ولم يسلم نفسه له وهو الكافر
ثم يموتان ويموتون هم فلو لم يكن دار اخرى يميز فيها ويفرق بين الذي جعل نفسه سالما لله
خالصا له وبين من لم يفعل ذلك لكان في ذلك استواء بين من ذكر وفي الحكمة ان لا استواء بينهما
وقد يموت السالم نفسه لله ويموت الاخر دل ان في ذلك بعثا يثاب هذا ويعاقب الاخر والله اعلم
او ان يذكر هذا لما كانوا يتشأمون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيرون فيما يصيبهم من المصايب
والشدايد حتى قال عز وجل افان مت فهم الخالدون اي لا يخلدون فعلى ذلك يقول عز وجل انك ميت
وانهم ميتون ايضا اي لا يبقون هم بعد موتك ابدا ولكنهم يموتون ولو كان ما يصيبهم بك لانت على ما انت يموتهم
فيخبر ان لا يصيبهم بعد موتك نحو هذا يحتمل والله اعلم او ان يقول انك ميت فيصل الى ما وعد لك
من الكرامات والثواب ويموتون هم فيصلون الى ما اوعدوا من المواعيد والعقوبات والله اعلم ثم قوله عز وجل
ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وروي عن ابن عمر رض قال كنا لا نعلم ما يعني هذه الاية وكنا نقول
من يخاصم فلما وقعت الفتنة بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كبح بعضنا وجوه بعض
بالسيوف فعرفت انها نزلت فينا وذكر عن الزبير لما نزلت هذه الاية فقال يا رسول الله اتكرر علينا الخصومة
بعد الذي كان بيننا في الدنيا فقال نعم فقال ان الامر اذا لشديد وروي عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين لما نزلت هذه الاية انهم قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان رحمه الله عليه ظلما وعدوا
ما علموا انها لهم وفيهم والله اعلم ثم خصومتهم هذه يوم القيامة يحتمل وجهين احدهما في المظالم والحقوق
التي كانت لبعض على بعض اذ في الدين او في امر الدين او ان يكون قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ثم انكم
يوم القيامة عند ربكم تختصمون لما بلغت المحاجة غايتها في الدين والدنيا ولم ينجع فيهم ولا قبلوها اخبر
انهم يختصمون في ذلك يوم القيامة في الوقت الذي يعاينون العذاب ويظهر لهم الحق فينقادون له لما
في ذلك الوقت فلا ينفعهم ذلك والله اعلم وفي حرف ابن مسعود انك مايت وانهم مايتون والعرب يقولون
مات يمات فهو مايت وقوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه يقول لا اظلم
اعظم ولا افحش ما يكذب على من ينقلب في احسانه ويتصرف في نعمائه وانتم تتقلبون في نعم الله وانواع احسانه
فلا ظلم اعظم ولا افحش من الكذب عليه وكذب بالصدق اذ جاءه ولا ظلم اعظم وافحش من تكذيب خبر من
ورده اذ لا خبر اصدق من خبره ولا حديث احق من حديثه وقوله عز وجل اليس في جهنم مثوى للكافرين
كانه يقول اليس جهنم كاف للكافرين مثوى كقوله عز وجل حسبهم جهنم يصلونها اي حسبهم جهنم عقوبتهم
بكفرهم وتكذيبهم والله اعلم وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم
والذي جاء بالصدق جبرئيل عليه السلام وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم والذي جاء بالصدق
محمد صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقال بعضهم والذي جاء بالصدق محمد
صلى الله عليه وسلم وصدق به اصحابه جميعا قلنا اهل التاويل على اختلافهم اتفقوا ان الذي جاء به جبرئيل
او محمد عليهما الصلوة والسلام هو التوحيد فان كان التاويل ما ذكر اهل التاويل وعلى ذلك قوله ذلك

جزاء المحسنين اى الموحدين المؤمنين ففيه نقض قول الخوارج والمعتزلة ان صاحب الكبيرة
ليس بمؤمن وانه يخلد في النار لانه قال والذى جاء بالصدق وصدق به كل مرتكب الكبيرة مصدق
بالذى جاء به جبرئيل عليه السلام ومحمد صلوات الله عليه ثم اخبر انهم هم المتقون اى اتقوا الشرك وقال
اولئك ايضا انه يكفر عنهم ما ارتكبوا من المساوى وهو قوله ليكفر الله عنهم اسوء الذى عملوا دل ان لهم مساوى
ثم ان شاء عذب على تلك المساوى وقدر اعظامهم ما وعد وان شاء عفا عنهم ويجاوز واعطاهم ما ذكر
فكيف ما كان فعلهم ما ذكر اذهم على تصديق بما جاء محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم وجايز ان يكون قوله
عز وجل والذى جاء بالصدق وصدق به يحتمل وجهين احدهما صدق بقلبه اى جاء بالقول وتصديق
القلب والثانى صدق به فى المعاملة فى اختيار كل ما يصلح ولا يوافق الذى جاء به وعلى ذلك ذكر عن الحسن
قال يا ابن ادم قلت لا اله الا الله فصدقها فان كان التاويل هذا فهو اشد لكنه وان لم يعامل الذى يوافق
الذى جاء به وهو التوحيد لم يجتنب ما ذكرنا فان له ما ذكرنا بعد التوحيد وانما بعد العفو والله اعلم وقوله
لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين دل هذا ان ذلك الوعد للجماعة ليس لواحد ولا اثنين وهو
لجميع المؤمنين وقوله ليكفر الله عنهم اسوء الذى عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون ذكر نوعين
من العمل السيئ والحسن ثم اخبر انه يكفر عنهم اسوء الذى عملوا ويجزيهم باحسن فيحتمل الاحسن الحسنات
نفسها يجزيها ويكفر السيئات ويحتمل انها يكفر السيئات واعظمها ويجزى على احسن الحسنات واعظمها
فعلى هذا الحسن والاسوء من نوعها احسن الحسنات واسوء السيئات وعلى الاول من غير نوعها اى يكفر السيئات
ويجزى بالحسنات والله اعلم وقوله عز وجل اليس الله بكاف عبده وعباده ايضا الاية يحتج بها على اثبات
الرسالة وكذلك قوله فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو وكذلك قوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم
وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ونحو ذلك وامثاله كثيرة لانه بعثه وحده لا عون معه ولا ناصر له
من البشر رسولا الى الاعداء وكان يقرع اسماعهم هذه الايات التى ذكرنا وغير ذلك من قوله ثم كيدون
فلا تنظرون ثم لم يقدروا على اهلاكه بل عصمه من كيدهم ومكرهم على ما قال والله يعصمك من الناس فيبلغ اليهم
ما امر بتبليغه من غير ان قدروا على ما قصدوا به وفى ذلك لطف من الله عظيم ودلالة على اثبات الرسالة ثم قوله
عز وجل اليس الله بكاف عبده وان خرج مخرج الاستفهام فى الظاهر فهو فى الحقيقة على الايجاب والتقرير
لانهم كانوا يعلمون ان الله عز وجل هو الكافى لخلقه من ذلك لانهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله
واذا سئلوا من يرزقكم قالوا الله ومن انزل لكم من السماء ماء ومن اخرج من الارض النبات ونحو ذلك قالوا الله
فعلى ذلك قوله اليس الله بكاف عبده اى قد تعلمون ان الله هو الكافى لجميع خلقه فى الدفع والدرء عنهم والنصر
فاذ عرفتم ذلك فكيف يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يخوفونه والله اعلم وقوله عز وجل ويخوفونك
بالذين من دونه اختلف فيه قال بعضهم باهل الارض جميعا يقولون له ان العرب يفعل بك كذا ويعملون بك
كذا كانوا يخوفونه بهم وقال بعضهم كانوا يخوفونه بالاصنام التى كانوا يعبدونها ان يصيبه سوء واذى من ناحيتها
كقوله عز وجل ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وكان هذا اشبه بالاية لانه ذكر على اثر ذلك وعقيبه
الاصنام حيث قال عز وجل قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى
برحمة هل هن ممسكات رحمته هذا يدل ان ما ذكر من تخويفهم اياه انما كان الاصنام التى كانوا يعبدونها وقوله
عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اخبر انه اذا اراد هداية احدكم لم يملك
احد اضلاله واذا اراد اضلال احد لم يقدر احد على هدايته ذكر فى الدين ان لا احد يملك دفع من اراد من هدى
او ضلال ولا منعه على ذلك على ما ذكر فى الرزق واسباب العيش وعلى ما ذكر فى الانفس وحفظها حيث قال
ما يفتح الله من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له وقال فى الانفس ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره

او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته وقد اجمعوا فى ذلك فى الرزق والعيش وضرر الانفس وحفظها
ان لا احد يملك دفع ما اراد هو فعلى ذلك فى الدين لانه لذكر خرج فى الكل على مخرج واحد وذلك على المعتزلة
لقولهم ان الله تعالى قد اراد هداية كل احد وبصر كل ولى لكن غيره منعه عن ذلك فهو وحش من القول سمج
وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل اليس الله بعزيز ذى انتقام هو على الايجاب والتقرير اى يعلمون
انه عزيز ذو انتقام اى عزيز لا يعجزه شئ ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وقوله ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله قد علموا ان لا خالق سواه وعرفوا انه لا يملك احد سواه كشف ما اراد هو من الضر
باحد ولا امساك ما اراد من الرحمة باحد ولذلك فزعوا اليه عند نزول البلاء بهم ولم يفزعوا من عبدوهم
من دونه الاصنام ولا الى احد من الخلايق دل ذلك على انهم قد عرفوا ان ذلك به ينال من خير او غيره ولذلك
احتج عليهم بما احتج ولو لم يكونوا علموا بذلك لم يكن ليحتج عليهم بذلك وهم بذلك منكرون والله اعلم وقوله عز وجل
قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون فى قوله حسبى الله ما ذكرنا من اللطف والدلالة على اثبات الرسالة
والله اعلم وقوله عز وجل قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون هذا يحتمل وجهين احدهما
على الاياس منهم انهم لا يؤمنون ولا يجيبون الى ما دعوا اليه بعد ما اقيم عليهم الحجج والبراهين كانه يقول اثبتوا
انتم على دينكم واعملوا له ونثبت نحن على ديننا ونعمل له فسوف تعلمون انا على الحق نحن او انتم وهو كقوله
لكم دينكم ولى دين اى لا ادين انا بدينكم ولا انتم تدينون بديننا ولكن يلزم كل منا دينه الذى عليه فعلى ذلك
الاول والثانى على التوبيخ لهم والتعيير يقول اعملوا على مكانتكم انتم مما تقدرون من الكيد لى والمكر وانا عامل
ذلك بمكانتكم كقوله عز وجل ثم كيدون فلا تنظرون وغير ذلك الايات التى فيها ذكر توبيخهم وتعييرهم
والله اعلم وفى هذه الاية وفيما تقدم من قوله اليس الله بكاف عبده الى هذا المواضع تقرير وتوبيخ ومنابذة
واياس فاما الاياس فهو فى قوله يا قوم اعملوا على مكانتكم والتقرير فى قوله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله والمنابذة فى قوله قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون والتوبيخ فى قوله اليس الله بكاف
عبده ويخوفونك بالذين من دونه ثم جايز ان يكون قوله ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له
من مضل يخرج على الصلة بقوله اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه كانه يقول من اضله الله
حتى لا يعلم ان الله هو كاف عبده وان ما يخوفونه به لا يقع به خوف ولا يلحق به ضرر فلا هادى له ومن هداه
فعرف ذلك فلا مضل له عن ذلك والله اعلم بذلك وقوله عز وجل من ياتيه عذاب يخزيه جايز ان يكون
ذلك العذاب الذى ياتيه هو عذاب فى الدنيا من نحو القتل والتعذيب بالذى اهلك الاولون المعاندين
للرسول يخزيه اى يفضحه ويحل عليه عذاب مقيم فى الاخرة وهو عذاب الكفر والى ذلك ذهب بعض
اهل التاويل وجايز ان يكون ذلك كله فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل انا انزلنا عليك الكتاب
للناس بالحق هذا كانه والله اعلم انا انزلنا عليك الكتاب لتحكم بين الناس بالعدل على ما ذكر فى اية اخرى
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس فعلى ذلك هذا ويكون قوله فمن اهتدى فلنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها انشأ الله عز وجل البشر دراكا مميزا بين الخبيث والطيب وبين الحسن
والقبيح وبين ما لهم وما عليهم وبين السبيلين جميعا بالحجج والبراهين غاية البيان واوضح كل سبيل
نهاية الايضاح من سلكه انه الى ما ذا يفضيه وينهيه ثم امتحنهم فى ذلك ومكن لهم من السلوك فى كل واحد
من السبيلين بعد البيان منه انه من سلك سبيل كذا افضاه الى كذا ومن سلك سبيل كذا افضاه الى كذا
امتحانا منه ثم اخبر انه فيما امتحنهم لم يمتحنهم لمنفعة يرجع اليه او لمضرة يدفع عن نفسه ولكن انما امتحنهم لمنفعة
يرجع اليهم اذا اختاروا وترك سلوك سبيل الباطل وهو ما ذكر فى غير اى من القرآن احدهما هذا
حيث قال فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها والثانى بما قال عز وجل ان احسنتم احسنتم لانفسكم

وان اساتم فلها اى فعليها وغير ذلك من الآيات التى يبين انه انما امتحنهم لمنفعة انفسهم واكتساب الخير
الدايم لهم ولا قوة الا بالله ثم قوله وما انت عليهم بوكيل يخبر ان ليس عليك الا تبليغ ما ارسلت وامرت
بتبليغه اليهم كقوله ان عليك الا البلاغ وقوله عز وجل فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله تعالى
ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ وقوله وما ارسلناك عليهم حفيظا والوكيل هو الحفيظ
والله اعلم وقوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها الى آخر ما ذكر قال ابن عباس كل نفس لها سبب
يجرى فيها فالتى قضى عليها الموت فيجرى فى الجسد كله لكن لم يفهم مما ذكر ابن عباس تاويل الآية وعن سعيد
ابن جبير قال يجمع بين الارواح الاحياء وبين ارواح الاموات فيتعارف ما شاء الله ان يتعارف فيمسك
التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها وبهذا ايضا لم يفهم شئ من تاويل الآية وقال الكلبى النايم
متوفى حين يرد الله اليه فاما التى يتوفاها حين موتها فانه يقبض الروح والنفس جميعا ويرسل التى يتوفاها
فى منامها حتى يبلغ اجلها المسمى وهو الموت ويقول انما يقبض الله من النايم النفس والروح فى الجسد
لم يفارقه فاذا قبض الله الروح ذهبت النفس مع الروح وهذا الذى ذكر الكلبى اقرب الى تاويل الآية من الذى
ذكر اولئك واصله ان الله عز وجل جعل فى الاجساد انفسا وارواحا بها يحيى الاجساد فى حال نومها على الهيئة
التى كانت من قبل ليس بها اثر الموت لكنها لا يدرك شيئا ولا يسمع ولا يبصر ولا يعقل شيئا وبها آثار الحيوة
دلنا هذا على انها فى حال النوم قد ذهب منها وخرج ما به يدرك الاشياء وبقى منها ما به يحيى وهو الروح
فاذا خرج الروح منها وان كانت لا يدرك شيئا على الهيئة التى كانت من قبل دل ذلك على ان الذى به يدرك
الاشياء غير الذى به يحيى والله اعلم الا يرى انها فى حال النوم تلك الانفس الدراكة حيث كانت تتالم وتتلذذ
وتقضى الشهوات وهى فى اقصى الدنيا هذا كله يدل على ما ذكرنا والله اعلم ثم على هذا جايز ان يكون ما ذكر من عذاب
القبر انه انما يكون على تلك الانفس الدراكة لا على الروح على ما ذكرنا من تالمها وتلذذها بعد خروجها من الاجساد
ومفارقتها عنها والله اعلم ثم اضاف فى هذه الآية التوفى الى الله وفى آية اخرى اضافه الى الرسل حيث قال الله
عز وجل توفته رسلنا الآية واضاف مرة الى ملك الموت حين قال عز وجل قل يتوفاكم ملك الموت الآية ثم يحتمل
اضافة التوفى الى الرسل والى ملك الموت وجهين احدهما وان كان حقيقة التوفى والموت بالله لما يخلق فعل
قبضهم الروح منها ويشبه ذلك منهم وهو كما ذكر من البشرى لهم وطمانينة القلوب عند بعثه اليهم الملايكة
بالاعانة لهم والنصر حيث قال عز وجل وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ثم قال عز وجل وما النصر
الا من عند الله اخبر انه جعل لهم بعث الملايكة بشارة النصر وان حقيقة النصر ليس الا من عند الله فعلى ذلك
ما ذكر من اضافة التوفى الى الرسل لما يخلق فعل قبضهم الروح وكان حقيقة ذلك لله عز وجل والله اعلم والثانى
ان يكون من الله لطف فى ذلك ومعنى لا يكون ذلك منهم لكنه لم يبين ما ذلك اللطف وذلك المعنى الذى يكون منه
والله اعلم بذلك ثم قوله يتوفى الانفس حين موتها اى حين خلق موتها بقبض الروح منها وقوله والتى لم تمت
فى منامها لم يقبض منها الروح يرسل اليها النفس الدراكة الى الاجل الذى جعل لها والله اعلم وقوله يتوفى
الانفس جايز ان يكون من القبض اى يقبض الانفس وجايز ان يكون من العد كقوله انما نعد لهم عدا وقوله
ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون يحتمل قوله لآيات العبر والاعلام والحجج وقوله لقوم يتفكرون ويعلمون
ان من قدر على استخراج تلك الانفس الدراكة من الاجساد وابقائها على الهيئة التى كانت الى الوقت لا يدرك
شيئا ثم ردها اليها واعادتها على ما كانت قادر بذاته لا يعجزه شئ او من قدر على انشاء النفس الدراكة فى الاجساد
حتى يدرك بها لا يحتمل ان يعجز عن اعادة الاجساد بعد ما بليت وفنيت وذلك الطف من هذا وكثير من
الناس قد يتكلفون تصوير صور الانفس ظاهرة ولا احد يتكلف تصوير نفس دراكة من غيرها والله اعلم
وقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء على ما ذكرنا فيما تقدم فى غير موضع ان حرف الاستفهام والشك

اذا اضيف الى الله عز وجل فهو على الايجاب والالزام ثم قال بعض اهل التاويل ان قوله عز وجل ام اتخذوا
من دون الله شفعاء هم الملايكة الذين عبدوها لكنه بعيد لانه قال عز وجل فى ذلك قل اولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون والملايكة اهل العقل والعلم وانهم يملكون ذلك اذا جعل لهم وملكوا لكن
الآية فى الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله على رجاء ان يشفع لهم ويقرب عبادتهم اياها الى الله
زلفى لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهو اشبه بالاصنام التى
كانوا يعبدونها من الملايكة والله اعلم ثم قوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء يخرج على وجهين احدهما
بل اتخذوا بعبادة من عبدوه من دون الله شفعاء لانفسهم ولا يكونون شفعاء لهم ولا يملكون ذلك
ولا يعقل والثانى بل اتخذوا لانفسهم من دون الله شفعاء ولا يملك احد جعل الشفاعة لاحد دونه
الا من جعل الله له الشفاعة ولا يجعل الله لاحد الشفاعة الا من كان عند الله عهدا ومن ارتضى له الشفاعة
كقوله عز وجل لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى يدل
على هذا قوله حيث قال اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا هو ما ذكرنا هو لله
الشفاعة جميعا لا يملك احد سواه الا من جعل الله له الشفاعة وارتضى له فاما ان يملك احد سواه اتخاذ
الشفاعة لنفسه او جعل الشفعاء لنفسه فلا والله الموفق وقوله ثم اليه ترجعون فى البعث او ترجعون
الى ما اعد الله لهم والله اعلم وقوله واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون قال بعض اهل التاويل اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم توحيد الله
فى القرآن اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اى نفرت كقوله عز وجل فى بنى اسرائيل واذا ذكرت
ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الذين عبدوا من دونه من الآلهة
كقوله فى سورة النجم حيث قال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والقى الشيطان فى فمه تلك
الغرانيق العلى عندها ترتجى ففرح الكفار حين سمعوا ان لها شفاعة الى هذا يذهب مقاتل وغيره لكنه
ليس كذا وغير هذا كانه اولى به واقرب وهو ان قوله عز وجل واذا ذكر الله وحده اشمازت اى اذا ذكر النبى
صلى الله عليه وسلم توحيد الله والوهيته او ذكر هذا اهل التوحيد وهذا الالوهية ممن عبدوا دونه اشمازت
قلوب الذين لا يؤمنون اى نفرت وانكرت كقولهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وقوله عز وجل
واذا ذكر الذين من دونه واذا ذكر اهل الكفر الذين عبدوا من دونه عبادتهم اياها وخلوتهم بها اذا هم يفرحون
ويستبشرون والله اعلم وقوله اشمازت قال بعضهم ابغضت ونفرت وقال القتبى وابو عوسجة اشمازت انكرت
وذعرت ويقال فى الكلام ما لى اريك مشمئزا اى مذعورا ويقال اشماز المكان اى بعد وقال بعضهم اشمازت
استكبرت وكفرت والله اعلم وقوله عز وجل قل اللهم فاطر السموات والارض امر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يقول لهم وهو كلام التوحيد وقوله فاطر السموات والارض يحتمل مبدئ ويحتمل مبتدع او خالق السموات
والارض والله اعلم وقوله عالم الغيب والشهادة يحتمل قوله عالم الغيب والشهادة ما اشهد الخلق بعضهم
على بعض هو عالم ذلك كله او الغيب ما غاب عن الخلق كلهم والشهادة ما شهده الخلق او ان يكون قوله عالم
الغيب والشهادة اى عالم ما يكون انه يكون والشهادة ما قد كان يعلم ذلك كله يعلم عما يكون انه يكون
وما قد كان يعلمه كاينا والله اعلم وقوله انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون يوم القيامة
كقوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة الآية او ان يكون قوله انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
فى هذه الدنيا فهو يخرج على وجوه احدها ما جعل الله فى خلقتهم اثبات الصانع وشهادة الوحدانية لله
عز وجل والالوهية والثانى بما انزل من الكتب والرسل وبين لهم فيها ما لهم وما عليهم ثم ان كان
فى الآخرة فجايز ان لا يكون يحكم بيننا فيما وسع علينا الحكم فى الارض فى الدنيا ويرتفع المحنة به فى الآخرة فهو الاحكام

التي سبل معرفتها بالاجتهاد لا نحكم بذلك بيننا بشيء من ذلك واما ما كان غير موسع علينا في الدنيا ترك ذلك
وهو مما لا يرتفع المحنة به في الدارين جميعا من نحو التوحيد والدين فذلك يحكم بيننا في الآخرة والله اعلم
وقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة كانه والله اعلم
يذكر رسوله صلى الله عليه وسلم ليصبر على اذاهم اياه وان يشفق عليهم بما ينزل بهم في الآخرة لانه اخبره
عن عظيم ما ينزل بهم انهم مع بخلهم وضنهم بهذه الدنيا لو كان ما في الارض من الاموال وضعف ذلك
ايضا لهم لافتدوا بذلك كله من سوء ما ينزل بهم من العذاب وكذلك ما ذكر من قوله واذا ذكر الله وحده
اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون يخبر عن سوء معاملتهم
ربهم على علم منه انهم يؤذون رسوله صلى الله عليه وسلم وان ذلك يشتد عليه ويشق لينظر انهم
كيف عاملوا ربهم من سوء المعاملة ليصبر عن سوء معاملتهم اياه ولا يترك الرحمة والشفقة عليهم
بما ينزل بهم في الآخرة من سوء العذاب والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
قال بعض اهل التأويل بدا لهم من الله من شهادة الجوارح عليهم والنطق ما لم يكونوا يحتسبون ذلك ولكن
غير هذا كانه اقرب بدا لهم من الهوان والعذاب لهم في الآخرة ما لم يكونوا يحتسبون ثم هو يخرج
على وجهين احدهما انهم كانوا يقولون حيث فضلنا الله في هذه الدنيا بفضول الاموال والكرامة فعلى ذلك
يكون في الآخرة مفضلين عليهم كما كنا في الدنيا ولذلك قالوا واتبعك الارذلون وقولهم الا الذين هم
اراذلنا بادي الرأي ونحوه فبدا لهم وظهر في الآخرة ما لم يكونوا يحتسبون ما ذكرنا من الهوان لهم والعذاب
والثاني كانوا ينكرون رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم ويقولون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وقالوا انزل عليه الذكر من بيننا الآية ونحو ذلك من الكلام كقولهم ايضا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
لا يرون الرسالة لوضع الامر العظيم من امر الدنيا فاخبر انه يبدو لهم ما لم يكونوا يحتسبون لما ذكرنا والله اعلم
وقوله عز وجل وبدا لهم سيئات ما كسبوا يحتمل قوله بدا اي ظهر لهم جميع ما صنعوا في الدنيا في الآخرة حتى
حفظوها وذكروا ذلك كله والثاني بدا لهم ما حسبوا حسنات سيئات والله اعلم او ان يكون ذلك في الجزاء
اي بدا لهم وظهر جزاء ما كسبوا يدل على ذلك قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن والله اعلم وقوله فاذا مس
الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا لا يحتمل ان يكون اراد كل انسان يكون على ما وصف وذكر ولكنه انسان
دون انسان ولا يجب ان يشار الى واحد انه فلان وكذلك ما ذكر من مس الضر الضر به لا يشار الى ضر دون ضر
ولكن ما علم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم انه ما ذا لان ذلك يخرج مخرج الشهادة على الله عز وجل
والامتناع عن الاشارة اليه والتسمية له اسلم ثم كانت عادة اولئك الكفرة لعنهم الله عند نزول البلاء بهم
والشدة والفزع الى الله عز وجل واخلاص الدعاء له فبعد الكشف عنهم ذلك والرفع العود الى ما كانوا من قبل
على ما ذكرهم في غير آي من القرآن ثم قوله عز وجل ثم اذا خولناه نعمة منا اي اعطيناه نعمة او ملكناه نعمة
وقوله عز وجل قال انما اوتيته على علم اي على حيلة مني اعطيت ذلك وقال بعضهم انما اوتيته على شرف
ومنزلة علمها الله مني وقال قتادة على خير علمه الله عندي وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه انما آتانيه الله
على علم وقال بعضهم ما ذكرنا قال انما اوتيته على علم اي على علم وشرف اعطيت ذلك قال الله عز وجل
ردا بقوله بل هي فتنة والفتنة هي المحنة التي فيها شدة اي بل هي محنة فيها شدة وبلاء والمحنة من الله ما
يامر وينهى فيها امر ونهي ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لكن اكثرهم لا يعلمون انما لم يعط لفضل وشرف له او حيلة
منه ولكنه لامر ونهي والله اعلم وقوله قد قالها الذين من قبلهم غير ما قال هذا الرجل حيث قال
انما اوتيته على علم كان من قارون حين قال انما اوتيته على علم عندي ولم يزل العادة من الكفرة والرؤساء
منهم واهل الثروة قايلون بمثل هذا الكلام والقول وهو ما اخبر عن قوم فرعون حين قالوا فاذا جاءتهم

الحسنة

الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وما قال اهل مكة نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين وغير ذلك من امثال هذا مما لو قايلون بهذا ثم اخبر ان ذلك لم يغنهم حيث قال
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون هذا يحتمل وجهين احدهما ما قالوا انما اوتيناه لكرامة وفضل لنا عند الله
والثاني ما قال انما اوتيناه هذا بحيل من عندنا واكتساب اخبر ان ذلك لم يغنهم عن دفع عذاب الله عز وجل
عنهم اذا نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم
سيئات ما كسبوا الوعد لاهل مكة ويخوفهم انه ينزل بهم ويصيبهم بكسبهم الذي يكسبون كما نزل
باولئك الاوايل بمثل كسبهم وصنيعهم وقوله وما هم بمعجزين عما يريد بهم من الانتقام عنهم والتعذيب
والله اعلم وقوله عز وجل اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يذكر هذا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء لا لكرامة وفضل عند الله ولا لحق قبله ويضيق على من يشاء لا لهوان له عنده ولا لجناية
ولكن امتحانا لهم بمختلف الاحوال يمتحن هذا بالسعة ليستادي به منه الشكر ويضيق على هذا يطلب منه
الصبر على ذلك ويمتحن بعضهم بالسعة وبعضهم بالشدة والضيق ليعلموا ان ذلك كله في يد غيرهم لا في ايديهم
اذ يمتحنهم بمختلف الاحوال ليكونوا ابدا فزعين الى الله في كل وقت وكل ساعة ولو كان السعة والنعمة لكرامة
عند الله وفضل على ما ظن اولئك لكان لا يحتمل ذلك مختلف المذهب الذي يناقض بعضه بعضا ويضاد
بعضه بعضا نحو المسلم والكافر وقد وسع على المسلم ووسع على الكافر وقد ضيق عليهما يدل ان التوسيع
ليس لكرامة والمنزلة عند الله او لحق عليه ولا التضييق والتقتير لهوان اذ لو كان لذلك لكان لا يجمع
بين متضادي المذهب ومختلفهما فارجع ذلك لمعنى الامتحان لا لما ظن اولئك والله اعلم وقوله ان في ذلك
فيما ذكر من التوسع والبسط والتضييق والتقتير لآيات اي لعبرة وعظة لقوم يتفكرون يؤمنون انه
لم يوسع على من وسع لكرامة له عند الله ومنزلة وفضل ولا ضيق على من ضيق لهوان له عنده ولا لجناية
والله اعلم وقوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال بعض اهل التأويل
ان الآية نزلت في شأن الوحشي قتل حمزة ابن عبد المطلب في الجاهلية انه اراد ان يسلم الوحشي فذكر ما كان
منه بقتله رضي الله عنه فظن انه لا يقبل منه لعظم جنايته فنزلت الآية على رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتسمعه واخبر انه يقبل فاسلم بعد ذلك والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن ناسا قد اصابوا
ذنوبا عظاما ما في الجاهلية من نحو القتل والزنا وكباير فاشفقوا ان لا يتاب عليهم فانزل الله هذه الآية
يدعوهم الى التوبة والاسلام واطمع لهم القبول منهم والتجاوز عما كان منهم وهو كانه اشبه واولى لان الوحشي
من كان حتى ينزل الله الآية بشانه خاصة ثم قوله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
يحتمل وجهين احدهما يقول والله اعلم يا عبادي الذين جنوا على انفسهم واوردوها المهالك بارتكاب
ما ارتكبوا من الاسراف والكباير لا تقنطوا من رحمة الله فان قنوطكم من رحمة الله واياسكم منه لا يغفر ولا يتجاوز
وذلك اعظم واقطع اذ رجع احدهما الى انفسهم والآخر الى رحمة الله وفضله والثاني يقول انكم وان اسرفتم
فيما ارتكبتم من الكباير والفواحش واعرضتم عن امر الله فلا تقنطوا من رحمة الله بعد ان تبتم عما كنتم فيه
ورجعتم عما كان منكم في الوقت الذي كانت انفسكم في ايديكم يقبل ذلك منهم ويتجاوز فاما في الوقت الذي
خرجت انفسكم من ايديكم فلا يقبل ذلك منكم وهو وقت نزول العذاب بهم واسوافه عليهم لان التوبة
في ذلك الوقت توبة اضطرار وتوبة دفع العذاب عن انفسكم كقوله عز وجل فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله
وحده ثم اخبر انه لا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت الذي خرجت انفسهم من ايديهم حيث قال عز وجل
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا والله اعلم وقوله عز وجل ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء انه هو
الغفور الرحيم وذكر عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال ارجى آية في القرآن هذه الآية وذكر

ان سورة الزمر كلها نزلت بمكة الا هذه الآية فانها نزلت بالمدينة والله اعلم وقوله عز وجل وانيبوا الى ربكم
واسلموا له الآية كانها صلة ما تقدم من قوله يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
يقول اذا قبلتم اى قبول ما دعيتم اليه ورجعتم عما كان منكم ثم قال عز وجل وانيبوا الى ربكم واسلموا له
قال بعضهم انيبوا اقبلوا بكم الى طاعة ربكم واخلصوا له تلك الطاعة ولا تشركوا فيها غيره وقيل وانيبوا الى ربكم
اى ارجعوا الى ما امركم ربكم واسلموا له اى اخلصوا له التوحيد وان يقول اجعلوا كل شيء منكم لله واصل الانابة
هو الرجوع الى طاعة الله والنزوع عما كان عليه لا اراده يقول عز وجل منيبين اليه واتقوه الآية وقوله عز وجل
من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون يقول والله اعلم على الصلة الاول ان انيبوا له واسلموا له من قبل
ان يأتيكم العذاب فلا يقبل منكم الانابة والتوبة اذا اقبل عليكم العذاب واتاكم به ثم لا تنصرون هذا يحتمل
وجهين احدهما ثم لا تنصرون بانابتكم الى الله عز وجل فى ذلك الوقت الذى اقبل عليكم العذاب على ما ذكرنا
اى لا تعانون من ذلك الوقت والثانى لا تنصرون بعبادة من عبدتم من الاصنام والاوثان على رجاء
ان يشفع لكم ويرفع عنكم العذاب اى انيبوا الى عبادة الله الحق قبل نزول العذاب بكم فانكم ان كنتم على عبادة
من يعبدون دونه لا تنصرون والله اعلم وقوله عز وجل واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يحتمل وجوها احدها
كانه يقول اتبعوا ما امركم ربكم وانتهوا عما نهاكم ربكم عنه والثانى اتبعوا ما فى القرآن واحلوا حلاله وحرموا
حرامه واجتنبوه يقول اعملوا بها وبادروا فى العمل به من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة والثالث
ان الله عز وجل قد بين السبيلين جميعا سبيل الخير والشر على الابلاغ فيقول اتبعوا سبيل الخير منه
ولا تتبعوا سبيل الشر فيكون تأويل هذا كانه يقول اتبعوا الحسن منه ولا تتبعوا غيره ونحو ذلك وقد ذكرناه
فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون كانه موصول
بالاول يقول لا تؤخروا الانابة اليه والتوبة فان العذاب لعله سينزل بكم فى وقت لا تشعرون انتم به
ولا تقدرون ان ترجعوا اليه وتنيبوا والله اعلم وقوله عز وجل ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله
هذا وما بعده من الآيات كانه موصول بقوله عز وجل وانيبوا الى ربكم واسلموا له كانه يقول وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله الآية وقبل ان يقول ان الله هدانى لكنت
من المتقين وقبل ان يقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين كان كل ذلك صلة ما تقدم
من قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يكون ما ذكر فى وقت لا ينفعه
ذلك القول ولا يغنيه من عذاب الله ولا يدفعه ثم قوله على ما فرطت فى جنب الله قال بعضهم فى ذات الله
وقال بعضهم ما فرطت وضيعت من امر الله وامثال ذلك ولسنا نحتاج الى تفسير قول ذلك الرجل الذى كان
منه حتى قال ذلك وهو تضييع توحيد الله او تضييع حد الله او ما كان فيه من تكذيب البعث يتاسف على ما كان
منه من تضييع ما ذكرنا من توحيد الله وحدوده او كفران نعمه او انكاره ما ذكرنا من البعث والله اعلم وقوله
عز وجل وان كنت لمن الساخرين وقال بعضهم وان كنت لمن الساخرين من القرآن وقال بعضهم من اهل توحيد الله
قال قتادة لم يكتف ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر من اهل طاعته وقال هذا قول ضعيف منهم وقوله عز وجل
او تقول حين ترى العذاب الى آخره قول ضعف منهم جايز ما قال ان كل قول من ذلك قول ضعيف على ما قال
قتادة وجايز ان يكون كل ذلك من كل كافر والله اعلم لو ان الله هدانى لكنت من المتقين ذلك الكافر الذى قال
هذا القول اعرف بهداية الله من المعتزلة وكذلك ما قالوا اولئك الكفرة لاتباعهم حيث قالوا لو هدانا الله
لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية واعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن حيث علم منا اختيار الضلال
والغواية وترك الرغبة الى الهدى والاستخفاف به اضلنا وخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم الله
واعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا فان قيل هذا قول اهل الكفر فلا دلالة فيه لما يذكرون قيل وان كان

ذلك

ذلك قولنا الكفرة فذلك القول منهم عند معاينة العذاب فلو كان على خلاف ما ذكروا لكان الله
يكذبهم فى ذلك كما كذبهم فى اشياء قالوا حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا وقوله تعالى رب ارجعون
لعلى اعمل صالحا فقال الله عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ونحوه والله اعلم والاصل فى الهداية
ان عند الله لطفا من اعطى ذلك لاهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن حرم ذلك ولم يعطه ضل
وغوى ويكون استيجاب العذاب وما ذكر لترك الرغبة فى ذلك والاستخفاف به وتضييعه واشتغاله
بضده لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لكنت من المتقين الشرك والمهالك والله اعلم
وقوله عز وجل او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة اى رجعة فاكون من المحسنين قيل من الموحدين
ويحتمل كل احسان وطاعة والله اعلم وقد كذبه الله عز وجل فى قوله هذا حيث قال ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه ثم كذبهم فى قولهم لو ان الله هدانى لكنت من المتقين وفى قولهم لو ان لى كرة فاكون
من المحسنين حيث قال الله عز وجل بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين
يقول والله اعلم بلى قد جاءتك آياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل والخير من الشر
والكذب من الصدق ومكنت من اختيار الهداية على الغواية ومكن لهم اختيار الحق على الباطل والصدق
على الكذب لكن تركتم ذلك وضيعتم واستخففتم به واشتغلتم بضد ذلك فانما جاء ذلك التضييع من قبلكم
لا من قبل الله عز وجل لان الله عز وجل قد اتى بالحجج والآيات والبيان فى ذلك غاية ما يجب ان يؤتى ما لم يكن
لاحد عذر فى الجهل فى ذلك والترك له والله اعلم واكثر القراء على التذكير فى قوله عز وجل بلى قد جاءتك
آياتى الى آخره على ارادة ومخاطبته وقد يقرأ بالتأنيث على ارادة النفس التى تقدم ذكرها والخبر عنها
ويروى فى ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرأ بالتأنيث بلى قد جاءتك آياتى والله اعلم
وقوله عز وجل ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة كذبهم على الله يحتمل وجوها احدها
فى التوحيد حيث قالوا بالولد والشركاء ويحتمل ما قال عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها آباءنا والله امرنا بها وكان الله عز وجل لم يأمرهم بذلك فكذبوا على الله عز وجل امرهم بذلك وما قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او ان يكون كذبهم على الله هو انكارهم البعث
والاحياء بعد الموت ونحو ذلك والله اعلم والمعتزلة يقولون فى قوله عز وجل ويوم القيامة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة هم المجبرة يعنى ان يكونوا هم اقرب فى كونهم فى وعيد هذه الآية من المجبرة
لانهم يقولون ان الله لا يأمر احدا بشيء الا بعد ان اعطاه جميع ما يعمل ويقتضى به حتى لا يبقى عنده شيء
من ذلك ثم قال ذلك ثم يسأل ربه المعونة والعصمة فهو بالسؤال كاتم لما اعطاه وهو كفران النعمة لانه
يسأل ما قد اعطاه ربه او ان يكون هازيا به لانه يسأل وليس عنده ما يسأل على قولهم ما ذكرنا من مذهبهم
وكل من يسأل احدا شيئا يعلم انه ليس عنده ذلك ولا يملك ذلك فهو مستهزئ به والله اعلم وقوله عز وجل
اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين على توحيد الله او متكبرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتكبر
هو الذى لا يرى لنفسه نظيرا ولا شكلا ولذلك يوصف الله عز وجل بالكبرياء لانه لا نظير له ولا شكل
ولا يجوز لغيره لان غيره ذا اشكال وامثال ولا قوة الا بالله وفى حرف ابن مسعود وحفصة رضى الله عنهما
على ما فرطت من ذكر وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ايضا فى قوله بلى قد جاءته آياتنا من قبل فكذب
واستكبر وكان من الكافرين والله اعلم والمثوى المقام والثوى المقام وما كنت ثاويا من ذلك اى مقيما
وقوله عز وجل ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة كانه يقول عز وجل ولو رأيتهم يا محمد
يوم القيامة لرحمتهم واشفقت عليهم بما هؤلاء ابه وما نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل وينجى الله الذين
اتقوا بمفازتهم وبمفازاتهم يخرج على وجهين احدهما قوله بمفازتهم اى بالاعمال والاسباب التى فازوا بها

على اشكالهم وقوله عز وجل لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون قوله عز وجل لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون
قوله عز وجل لا يمسهم السوء بعد المفازة والنجاة ولا قبل ذلك قد يمسهم السوء ولاهم يحزنون وهو على الجهمية
وعلى ابي الهذيل العلاف امام المعتزلة اما على الجهمية لقولهم ان الجنة تفنى وتنقطع اهلها ولذاتهم فاذا كان
ماذكروا مسهم السوء والحزن وعلى قول ابي الهذيل ايضا كذلك لانه يقول ان اهل الجنة يصيرون بحالة
حتى اذا اراد الله ان يزيد لهم شيئا ولذة لم يملك ذلك فان كان ما ذكر هو فقد مسهم السوء والحزن ايضا
نا البلا على قول ان السوء والحزن انما مس رب العالمين فنعوذ بالله عن مقالة تعقب كفرا وقوله عز وجل
لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون على ابطال قول اولئك والله اعلم **وقوله** عز وجل الله خالق كل شيء وهو
على كل شيء وكيل هذه الآية تنقض على المعتزلة قولهم على وجوه احدها ان قولهم ان شيئية الاشياء
لم تزل كانت اذ من قولهم ان المعدوم شيء فاذا كان المعدوم شيئا على قولهم كان شيئية الاشياء لم تزل
كاينة ويقولون انه لم يكن من الله الا ان ايجادها فاذا كان ما ذكروا لم يكن هو خالق شيء به فضلا من ان يكون
خالق كل شيء على ما ذكر ووصف نفسه بخلق كل شيء فيكون قولهم في التحقيق والتحصيل قول الدهرية والثنوية
لان الدهرية يقولون بقدم الطينة والهيولى ونحوه ينكرون كون الشيء من لا شيء وكذلك الثنوية يقولون بقدم
النور والظلمة ثم كون كل جنس من جنسه وكون كل شيء من اصله فعلى ذلك قول المعتزلة ان المعدوم شيء يرجع
في التحقيق الى ما ذكرنا من اقاويلهم ثم قوله خالق كل شيء يخرج على ذكر الربوبية له والالوهية والوصف له بالمدح
لما ذكرنا ان اضافة كلية الاشياء الى الله عز وجل يخرج مخرج الوصف له بالتعظيم والاجلال له واضافة الاشيا
المخصوصة اليه يخرج مخرج التعظيم المضافة اليه واذا كان ما ذكر ما كان قوله عز وجل خالق كل شيء مخصوصا
شيئا دون شيء على ما يقوله المعتزلة لم يخرج مخرج الوصف له بالربوبية والالوهية ولا خرج مخرج المدح له
والتعظيم ثم لا شك انه لو لم يكن خالقا لافعال الخلق لم يكن خالقا من عشرة الف شيء فدل انه خالق للاشياء
كلها للافعال والاجسام والجواهر جميعا فان قيل انكم لا تقولون خالق الانجاس والاقذار والخنازير ونحو
فانما يرجع قوله عز وجل خالق كل شيء الى الخصوص قيل انه لا يقال ولا يوصف بخلق هذه الاشياء على التقييد
والتخصيص يا خالق الانجاس والاقذار وما ذكر لانه يخرج الوصف له بذلك مخرج التهجي والذم وان كان في الجملة
يوصف بذلك ويدخل الاشياء كلها في ذلك لما ذكرنا ان قوله عز وجل خالق كل شيء يخرج مخرج الامتداح
والتعظيم له والوصف بالربوبية له والالوهية الا ترى انه لا يقال على التخصيص انه وكيل وان كان في الجملة
يقال كما ذكر وهو على كل شيء وكيل لانه في الجملة يخرج مخرج وصف الربوبية له والالوهية والوصف له بالمدح
وعلى التخصيص والافراد على التهجي والذم لذلك افترقا والله اعلم **وقوله** عز وجل له مقاليد السموات والارض
كانه يقول له مقاليد خزاين السموات والارض قيل هي المفاتيح وهي فارسية عربت وجايز ان يكون قوله عز وجل
له مفاتيح جميع البركات والخيرات تفتح تلك البركات والخيرات على اهل السموات والارض يخبر ان ذلك
كله بيده ليس بيد احد سواه منه يطلب ذلك ومنه يستفاد والله اعلم ثم لم يفهم مما اضيف اليه من المقاليد
ما يفهم من مقاليد الخلق لو اضيف اليهم فكيف فهم مما اضيف اليه من مجيء واستواء وغير ذلك ما فهم
مما اضيف الى الخلق والله الموفق وقوله عز وجل والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون كان الله عز وجل
جعل هذه الدنيا وما فيها لاهلها وبين احوالهم يتجرون بها ويشترون بها الآخرة ويتزودون لها
ولذلك قال عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله عز وجل يشترون الحيوة الدنيا
بالآخرة فمن يتزود وجعلها بلغة الى الآخرة سمى خاسرا مغبونا والله اعلم **وقوله** عز وجل قل افغير الله
تامروني اعبد ايها الجاهلون دلت هذه الآية على ان سفهاء اولئك الكفرة قد بلغ غايته وجاوز حده
حتى دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة من دونه بعد ما عرفوا فضيلة الرسالة والرسول وخصوصيته

حتى انكروا

حتى انكروا الرسالة في البشر وبعث البشر رسولا فلولا ما وقع عندهم من الفضيلة للرسول والخصوصية له
والا لم يحتمل ان ينكروا وضعها في البشر وبعث البشر رسولا ثم قد اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من البيان والحجج ما قد قرر عندهم آية الرسول اليهم فمع ما تقرر عندهم ذلك دعوه الى ان يعبد غير الله دونه
فيكون لهم فهذا منهم تناقض في القول وسفه حين صيروا المفضل والمخصوص بالرسالة في العبادة من دونه
كغير المفضل والمخصوص بها والله اعلم ليعلم انهم يسفههم وتعنتهم كانوا يدعونه الى عبادة من دون الله
والله اعلم وقوله عز وجل ايها الجاهلون سماهم جهلة بما امروه ودعوه الى عبادة غير الله وكذلك قال
موسى عليه السلام لقومه حين سالوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة فقال انكم قوم تجهلون ثم يحتمل قوله
عز وجل ايها الجاهلون وجوها احدها ايها الجاهلون في التسوية بين المفضل والمخصوص وبين من لم يخص
فذلك في عبادة غير الله او جاهلون عن هداية الله وخصوصيته او جاهلون عن جميع نعمه واحسانه حيث لم يذكروه
فيها والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك يحتمل هذا وجهين
احدهما كانه يقول ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك وقيل لكل رسول لئن اشركت ليحبطن عملك ذكر هذا ليعلم
ان الشرك يحبط العمل وان اتى به من جل قدره وعظمت منزلته عنده والثاني ولقد اوحي الي والى من كان
قبلك لئن اشركت انت ليحبطن عملك **وقوله** عز وجل بل الله فاعبد وكن من الشاكرين يحتمل وجوها يحتمل
كن من الشاكرين لنعم الله جميعا او الشاكرين الخصوصية التي خصصت بها والهداية التي هديت والله اعلم في حرف
ابن مسعود وابي رضي الله عنهما له مقاليد السموات والارض اي له ملك السموات والارض قال الكسائي مقاليد
فارسية معربة وواحد المقاليد اقليد وقال بعضهم في قوله عز وجل اليس الله بكاف عبده قال بلى والله
ليكفينه الله ويعزه وينصره كاف عبده واصله ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا ذكر اهل التاويل ان اليهود اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان ربك كذا وكذا وان السموات
على كذا منه والارض على كذا ذكروه له ووصفوه كما يوصف الخلق فنزل قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره
قيل ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق عظمته ويذكر اهل الكلام ان اليهود مشبهة ولذلك قالوا بالولد حيث
قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فلو لم يكونوا عرفوه ما يعرف به الخلق لم يكونوا يقولون له
بالولد كما يقولون للخلق من الولد فدل ما وصفوا له وذكروا له انهم عرفوه بمعنى الخلق فتعالى الله عما تقول
الملاحدة علوا كبيرا ثم قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره او ما عظموه حق عظمته اي لم يعظموا الله حق عظمته
ما يحتمل وسع الخلق وكذلك لم يعرفوه حق معرفته التي يحتمله البشر بينهم فاما معرفة الله حق معرفته او عظمته
حق عظمته ما لا يحتمله وسع الخلق وهو لم يكلفهم ان يعرفوا حق معرفته او يعظموه حق عظمته لانه لا يحتمله
وسع الخلق ذلك وانما كلفهم ما احتمله وسعهم فالمشبهة حيث وصفوه كما وصف الخلق ومن يعانيه لم يعرفه
المعرفة التي يحتمل وسع الخلق وسعهم ولا عظموه العظمة التي يحتمل وسع الخلق وسعهم ثم ان الله سبحانه جعل
سبب معرفته الاستدلال باثار الافعال لا بالمحسوسات فلا يفهم معرفته ولا يقدر بمعرفة الخلق وتقديرهم
مع ما جعل الله سبحانه وتعالى الخلق على قسمين قسما منهما ما يحاط به ويدرك حقيقته وهو المحسوس منه
والمدرك وقسما مما يعرف باثار الافعال والاستدلال بها وهو غير محسوس من نحو العقل والبصر والسمع
والروح وغير ذلك فاذا لم يدرك من خلقه ولم يحط به مما سبيل الاستدلال باثار الافعال لا بالحس
فالذي انشا ذلك وابدعه احق ان لا يدرك ولا يحاط بمعرفته ما يحاط ويدرك المحسوس انما الموصل الى معرفته
الاستدلال باثار الافعال بالمحسوس والله اعلم وكذلك ما اضاف الى نفسه من الاحرف لا يفهم منه
ما لو اضيف ذلك الى الخلق من نحو الاستواء والمجيء والاتيان ونحو ذلك ولا يقدر منه ما يقدر من الخلق
على ما لم يفهم من مجيء الحق واتيانه ما فهم من مجيء الخلق ولا اتيانهم تعالى ذلك لا يفهم قبضته يوم القيامة

والسموات مطويات بيمينه ما يفهم من قبضة الخلق وطيهم وبيمينهم بل يفهم من ذلك كله من قوله
عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون كل ما ذكر من القبضة والطي واليمين في ذلك كن فكان
او يونا او شيء من ذلك لكنه ذكر كن لانه اخف كلام على الالسن واوجز حرف يفهم منه المعنى وتقديره فيما بين الخلق
والله اعلم واصله ان الله عز وجل خاطبهم بما يعتادونه فيما بينهم حقيقة وان كان ما يعتادونه فيما بينهم منفي عن الله تعالى
نحو ما ذكر لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقوله عز وجل ذلك بما قدمت ايديكم وقوله لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه لما باليد يقدم ويوخر في الشاهد وان لم يكن ما ذكر عمل اليد وذكر بين يدي ما ذكر وانه يكن
بين يديه لما في الشاهد كذلك يتقدم فعلى ذلك ما اضاف الى نفسه من احرف كانت تلك منفية عنه لما في الشاهد
بذلك يكون والله اعلم واصل ذلك ان قد بينت بالتنزيل على ما ذكر من اضافة تلك الاحرف الى الله وثبت بدليل
السمع ان ليس كمثله شيء في العقل تعاليه عن الاشباه والشركاء لزم القول بوقوع تلك الايات على ما لا تشابه
به يقع بينه وبين الخلق في الفعل ولا في جهة من جهات الخلق اذ هو متعال عن جميع جهات الخلق في حد الاحداث
والخلق فيلزم الايمان بها على ما نطق به الكتاب والسهي به عن المتشابه وتفويض المراد الى من جاء عنه
ذلك مع ما توحد الاضافة الى الله عز وجل من نحو قوله عز وجل حدود الله ونحوه لا يحتمل فهم المضاف
منه الى غيره فكذلك ما ذكرنا على امكان وجوه فيما يبقى معنى التشابه من ذلك ما يضمن فيها معاني
نحو قوله عز وجل ان تنصروا الله ينصركم الاية والى الله المصير والمرجع ويرجوا لقاء الله وردوه الى الله
والرسول في غير ذلك مما اضيف الى الله لا معنى لتحقيقه في ذلك فيضم في ذلك منه وعد ووعيد وغير ذلك
من الوجوه مما يطول ذكره ويكثر فشله امر هذه الايات والثاني ان اضافة الامور في الشاهد الى الملوك
وذكر التولي لهم يخرج مخرج تحقيق كما هو ما جرى به الذكر ولكن على الكناية والعبارة عن غيره نحو ما قال بلدة كذا
في يد فلان وفي قبضته وامر كذا في فلان انما يراد بذلك قوته وقدرته فعلى ذلك ما ذكر من قبضته ويده وبيمينه
انما هو الوصف له بالقوة والسلطان والقدرة على ذلك وقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون يحتمل تنزيه
نفسه عما وصفه المشبهة وشبهوه بالخلق او عما اشرك عبدة الاصنام الله في العبادة وتسميتهم اياها الهة
وقوله عز وجل والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات هو على التقديم والتاخير كانه يقول عز وجل
الارض والسموات جميعا في قبضته مطويات بيمينه والله اعلم وقوله عز وجل ونفخ في الصور اختلف في قوله
عز وجل ونفخ في الصور اهو حقيقة النفخ ام لا قال بعضهم ليس هنالك نفخ ولا شيء وانما ذكر النفخ عبارة عن خفة
الامر على الله عز وجل امر قيام الساعة كقوله عز وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وهو اهون
عليه وقال بعضهم ليس نفخ انما هو عبارة عن قدر النفخ انه يحيي ويميت على قدر النفخة لانها اسرع شيء في الدنيا
هي النفخة وقال بعضهم هو على حقيقة النفخة من غير ان كانت النفخة سببا للاحياء والاماتة ولكن
على جعل النفخة علما وآية للاحياء او الاماتة امتحن بذلك الملك الذي كان موكلا به على ما امتحن ملك الموت
بقبض الارواح في اوقات جعل له فعلى ذلك ما ذكر من النفخة والله اعلم ثم اختلف في الصور ايضا قال بعضهم
هو صور الخلق فيها ينفخ والى ذلك جميع اهل الكلام وقال ليس هو صور الخلق ولكن انما هو قرن لانه قال
الصور ولم يقل صور بالتثقيل وانما ذكره بالتخفيف وهو القرن وذكر صور الخلق بالتثقيل صور حيث قال
فاحسن صوركم فلسنا ندري ايهما يقال جميعا ام لا الصور والصور والله اعلم وقوله عز وجل فصعق
من في السموات ومن في الارض قال عامة اهل التفسير والتاويل الصعق هو الموت وقال بعضهم الصعق
هو الغشيان كقوله عز وجل وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه الا يرى انه قال عز وجل فلما افاق وانما يفارق
من الغشيان ولا يفارق من الموت والله اعلم بذلك وقوله عز وجل الا من شاء الله اختلف فيه قال بعضهم
انما استثنى الشهادة الذين استشهدوا في الدنيا والله اعلم وقال بعضهم الا من شاء الله هو جبرئيل وميكائيل

واسرافيل وملك الموت والله اعلم وقوله عز وجل ثم نفخ فيه اخرى قال بعضهم يكون فيه ثلث نفخات
نفخة تحملهم على الفزع ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الاية ثم الاخرى يموتون بها
والثالثة يحيون بها وعلى هذا يروى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينفخ ثلاث ذكر
كما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم نفختان على ما ذكر في هذه الاية احديهما يموتون والثانية يحيون بها
والله اعلم وقوله عز وجل واشرقت الارض بنور ربها يحتمل بنور الذي انشأه الله عز وجل لها وجعله فيها
ليس ان يكون لذاته نورا وشيء يضيء ويكون قوله عز وجل بنور ربها كقوله عز وجل بنعمة ربك ولحشار ربك
والاء ربك لا يفهم منه سوى النعمة والمنشاة والالاء المجعولة فعلى ذلك قوله عز وجل بنور ربها لا يفهم
منه نور الذات ولا شيء من ذلك ثم قوله عز وجل واشرقت الارض اي اضاءت جائز ان يكون قال الله عز وجل
ينشئ ارض الاخرة ارضا مضيئة مشرقة لما اخبر انه يبدل ارضا غير هذه حيث قال عز وجل
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الاية كانت هذه مظلمة وتلك مضيئة على ما ذكرنا والله اعلم او ان يكون
اشراقها ارتفاع سواترها وظهور الحق لهم وزوال الاشتباه والالتباس وكانت امورهم في الدنيا مشتبهة
ملتبسة ويقرون يومئذ جميعا بالتوحيد له والالوهية والربوبية وهو على ما ذكر من قوله عز وجل وبرزوا
لله جميعا وقوله عز وجل واليه ترجعون واليه المصير وقوله الملك يومئذ لله ونحو ذلك ذكر البروز له
والرجوع اليه والمصير وان كانوا في الاحوال كلها بارزون له راجعون اليه صايرون والملك له
في الدارين جميعا خص البروز له والرجوع اليه والملك له لما يومئذ يظهر الحق لهم من المبطل ويومئذ
اقروا جميعا بالتوحيد له والملك فعلى ذلك يحتمل اشراق الارض واضاءتها لما يرتفع السواتر يومئذ
ويزول الشبه ويظهر الحقايق والله اعلم او ان يكون اشراقها باظهار لكل ما عمل في الدنيا من خير او شر
وعرفه يومئذ وكان في الدنيا لم يظهر ولم يعرف مما عمل من خير او شر كقوله عز وجل يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا الاية والله اعلم او ان يكون
ارض الاخرة مضيئة مشرقة لما لا يقضى عليها الرب تعالى عز وجل وارض الدنيا مظلمة بعصيان اهلها
عليها الرب عز وجل وذلك كما روي في الخبر ان حجر الاسود من الجنة كذا لكنه صار اسود لما مسته ايدي
الخاطئين العاصين والله اعلم وقوله عز وجل بنور ربها قال بعضهم بعدل ربها اي رضي بعدل ربها
وهو ما قال عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالعدل والله اعلم وجائز
ما ذكر بنور انشاه وجعله فيها والله اعلم وقوله عز وجل ووضع الكتاب وقال عز وجل في اية اخرى
ووضع الميزان فجائز ان يكون الكتاب الذي ذكر انه وصفه هو ذلك الميزان فيكونان واحدا وجائز
ان يكون الكتاب غير الميزان وقال بعضهم الكتاب هو الحساب بما قد حفظ عليهم ولهم من خير او شر
محذور فيه وقال بعضهم هو الكتاب الذي يوضع في ايديهم يومئذ فيه ما عملوا يقرؤنه وهو مثل
الاول والله اعلم وقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء اختلف في الشهداء قال بعضهم الشهداء
هم المرسلون يؤتى بالنبيين والمرسلين يشهدون عليهم كقوله عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله عز وجل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا وقوله عز وجل انا ارسلنا
اليكم رسولا شاهدا عليكم الاية وقال بعضهم الشهداء ها هنا هم الملائكة والحفظة الذين يشهدون عليهم
باعمالهم التي عملوها وقال بعضهم الشهداء هم الذين يستشهدون في هذه الدنيا والله اعلم وجائز
ان يكون ما ذكر من الشهداء هم الجوارح التي تشهد عليهم يومئذ كقوله عز وجل يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم الاية وقوله عز وجل وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وقوله عز وجل وهم لا يظلمون
اي لا يحمل على احد ما لم يعمل ولكن يحمل عليه ما عمل والله اعلم وقوله عز وجل ووفيت كل نفس ما عملت

اى وفيت كل نفس كافرة ما عملت من سوء فاما ما عملت من خير فلا توفى وكذلك توفى كل نفس مسلمة ما عملت من خير لا ينقص منها شئ وما عملت من سوء جايز ان يتجاوز الله عنها ويبدله حسنات كقوله عز وجل فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والله اعلم وقوله عز وجل وهو اعلم بما يفعلون اى عالم بما يفعلون من خير او شر وقوله عز وجل وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا قيل امة امة وجماعة جماعة كقوله عز وجل كلما دخلت امة لعنت اختها الاية وقوله عز وجل يحشرون الى النار ونحوه وقوله عز وجل حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها جايز ان يكون لها ابواب يدخلون فيها وجايز ان يكون الابواب المذكورة لا على حقيقة الابواب ولكن على الحجاب والسبل التى كانوا فيها اى فى الدنيا وعملوا بها يدخلون النار بتلك الجهات والسبل التى كانوا فى الدنيا وعملوا بها كما يقال فتح على فلان باب كذا ليس يراد حقيقة الباب ولكن سبل بابه والله اعلم وقوله عز وجل وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم يحتمل قوله عز وجل ايات ربكم اى التوحيد وحجج ويحتمل ايات البعث التى انكروه قال بعض اهل التاويل ايات القرآن وقوله عز وجل وينذرونكم بالايات لقاء يومكم هذا وقوله عز وجل قالوا بلى فعلوا ذلك وقوله عز وجل ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قال اهل التاويل ولكن حقت كلمة العذاب اى عدة العذاب وهو ما قال عز وجل ووعد انه يملا جهنم منهم وهو قوله عز وجل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى حق وعد ذلك عليهم والله اعلم وجايز ان يكون ما ذكر من كلمة العذاب هو كلمة الشرك والكفر اى حقت كلمة الكفر والشرك الذى عملنا سموا كلمة الكفر كلمة العذاب لما عذبوا وعوقبوا والله اعلم وقوله عز وجل قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين تاويله والله اعلم ظاهر والمتكبرين يحتمل المتكبرين على اياته وحججه ويحتمل المتكبرين على رسله وانبيائه صلوات الله عليهم والله اعلم وقال القتبى وابو عوسجة اشرقت اى اضاءت وانارت وزمرا اى جماعات والواحد زمرة ويقال تزمر القوم اذا اجتمعوا زمرتهم اى جمعتهم واصله ان يساق كل فريق على ما احبوا وكانوا فى الدنيا جماعة جماعة وامة امة وعلى ما يجتمعون فى هذه الدنيا اهل الخير على اهل الخير واهل الشر على الشر وسرور بالاجتماع فى ذلك لكن اهل الخير يساقون الى الجنة على ما كانوا يجتمعون فى هذه الدنيا مسرورين واهل الكفر يساقون الى النار على ما يجتمعون فى هذه الدنيا على الشر حزنين مغتمين والله اعلم وقوله عز وجل وسيق الذين اتقوا يحتمل اتقوا الشرك ربهم او تقوا سخط ربهم ونقمته او اتقوا المهالك وقد ذكرنا فيما تقدم والله اعلم وسيق وان كان فى الظاهر خبرا عما مضى لكنه يخرج على وجهين احدهما على الاستقبال وذلك جايز فى اللغة استعمال حرف الماضى على ارادة الاستقبال كانه قال يساقون والثانى كانه خبر امر قد كان مضى فقال عز وجل وسيق ولذلك ذكره بحرف سيق والله اعلم وقوله عز وجل زمرا قد ذكرنا اى جماعة جماعة وامة امة على ما كانوا فى هذه الدنيا ويجتمعون على ذلك فعلى ذلك يساقون الى فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها فتح الابواب لهم يحتمل حقيقة الابواب ويحتمل كناية عن الوجوه والسبل التى ياتونها لا على حقيقة الابواب والله اعلم وقوله عز وجل وقال لهم خزنتها سلام عليكم بداء الخزنة بالسلام عليهم فجايز ان يكون الله عز وجل امر الخزنة بالسلام على المومنين كما امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ببداية السلام على مؤمنين وهو قوله عز وجل واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم الاية ثم يحتمل سلام الخزنة عليهم والبراءة عن جميع العيوب والافات التى فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل طبتم فادخلوها خالدين فقوله طبتم يحتمل اى صرتم طيبين لا تحسون ابدا وقد بريتم من الافات والعيوب كلها والله اعلم او يقول طاب العيش ابدا من حيث ما ياتيكم بلا عناء وقوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده لا شك ان الله عز وجل اذا وعد لصدق وعده لكن معنى قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده اى الحمد لله الذى جعلنا مستحقين لوعده وجعلنا فى الدين وعد لهم الجنة يحمدون لاختياره وجعله اياهم فى الوعد

الذى وعد لا انهم يحمدون على صدق وعده اذ وعد لا شك انه يصدق ولا قوة الا بالله وقوله واورثنا الارض قيل ارض الجنة اى الجنة وقوله عز وجل نتبوأ من الجنة حيث نشاء يحتمل قوله حيث نشاء يرغب فيها وهم لا يرغبون النزول من منازل عنهم او ان يكون قوله نتبوأ من الجنة حيث نشاء اى جميع مكان الجنة مختار وليس مما يختير هنالك مكانا على مكان كما يختير فى الدنيا مكانا دون مكان لان جميع امكنتها ليست بمختارة فيقع فيها الاختيار فاما الجنة فجميع امكنتها مختارة فلا يقع هنالك اختيار مكان على مكان والله اعلم والا ظاهر قوله تعالى نتبوأ من الجنة حيث نشاء ما لهم وما لغيرهم والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فنعم اجر العاملين ظاهر وقوله عز وجل وترى الملائكة حافين من حول العرش قيل محدقين حول العرش وقوله عز وجل يسبحون بحمد ربهم قال بعض اهل التاويل بامر ربهم لكن التسبيح بحمد ربهم هو ان يسبحوه بثناء ربهم وحمده يروته وينزهونه عن جميع معانى الخلق بحمد وثناء يحمدونه ويثنون عليه على ما ذكرنا فى غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل وقضى بينهم بالحق قيل بين الامم والرسل وقيل بين الخلايق كلهم وجايز ان يكون قوله عز وجل وقيل الحمد لله رب العالمين قال الحسن فتح الله نعمه فى الدنيا بالحمدلة وهو قوله عز وجل الحمد لله الذى خلق السموات والارض الاية وقوله عز وجل الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب الاية وغير ذلك فى الايات وختم نعمه فى الاخرة بالحمد له حيث قال الحمد لله رب العالمين وهو قوله عز وجل واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه الطاهرين ،

سورة المؤمن مكية وايها ثمانون واثنتان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم قال بعضهم هو هجاء اسماء الرب جل وعلا وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقال بعضهم فواتح السور كلها وكذلك قال فى ساير الحروف المنقطعة وقال بعضهم اصله حم اى قضى كقول الشاعر ، الست ترى ان الذى حم كاين ، اى الذى قضى كاين الا انه ذكره بالهجاء كمن ذكر زيدا بالهجاء وقد قلنا يجوز ان تفسير الحروف المقطعة ما ذكر على اثرها وقد ذكرنا اقاويل الناس واختلافهم فيها فى غير موضع ما اغنانا عن ذكرها فى هذا الموضع والله اعلم وقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم قد ذكرنا قوله تنزيل الكتاب فى سورة الزمر غير انه ذكر العزيز الحكيم وههنا ذكر العزيز العليم وهما واحد والله اعلم وقوله غافر الذنب يخرج على وجهين احدهما غافر الذنب اى متجاوز الذنب وهو فى حق المومنين خاصة والثانى غافر الذنب اى ساتر الذنب وهو يحتمل الكافر والمومن جميعا فانه يستر كثيرا على المومن والكافر جميعا الذنب فى الدنيا ولم يفضحهما ويتجاوز عن المومن خاصة فى الاخرة والله الموفق وقوله عز وجل وقابل التوب يخبر انه يقبل التوبة وان عظمت وجلت الذنوب وكثرت والله اعلم قال ابو عوسجة التوب جماعة التوبة وقوله شديد العقاب اى لمن لم يتب وقوله ذى الطول قال ابو عوسجة اى ذى القدرة وقال القتبى ذى التفضل يقال طل على برحمتك اى تفضل وقيل ذى السعة والغناء وقيل ذى النعم وكله قريب بعضه من بعض وقوله لا اله الا هو اليه المصير وحد نفسه واخبر اى مصير الخلق اليه فى الاخرة فيجزيهم باعمالهم والله اعلم وقوله ما يجادل فى ايات الله الا الذين كفروا اى ما يجادل فى دفع ايات الله والطعن فى ايات الله الا الذين كفروا بالله او كفروا بايات الله وكانت مجادلتهم ما ذكر حيث قال ليدحضوا به الحق اى ليبطلوا به الحق اهل الكفر هم الذين كانوا يجادلون فى دفع ايات الله والطعن فيها فاما اهل الايمان بها كانوا يفرحون

بنور ولها ويزداد لهم بذلك ايمان كما قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك و
من الاحزاب من ينكر بعضه وكقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ونحو ذلك من الآيات كان
يستسلمون لها ويقبلونها ويستقبلون لها بالتعظيم والتبجيل وبالله التوفيق وقوله عز وجل فلا يغررك
تقلبهم في البلاد معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتر تقلبهم في البلاد لكنه ذكر الخطاب له
واراد به غيره لما يحتمل ان يظن قوم ان اهل الكفر لما كانوا في امن في التقلب في البلاد والسعة
في عيشهم وان اهل الايمان في ضيق وشدة وخوف ان اولئك على الحق وهؤلاء على الباطل فخاف ان يظن
ظان ما ذكرنا فاخبر الله عز وعلا ان الامن والسعة ليس بدليل على كون صاحبه على الحق ولا الضيق
والشدة بدليل على كون صاحبه على الباطل ولكن محنة امتحنهم مرة بالسعة والامن ومرة بالضيق
والخوف دليل ذلك وجود الحالين جميعا في كل فريق مع اختلاف مذاهبهم وتضادها وميلهم ويحتمل
ان يكون المراد منه اهل مكة اي لا يغررهم تقلبهم في البلاد وامنهم وسعتهم بعد ما نزل باهل
الافاق والنواحي انهم على الحق وان ذلك انما يدفع عنهم لمكانهم وانما يدفع ذلك عنهم ويكونون على من
لمكان كونهم بقرب من البيت لحرمته وشرفه والله اعلم وقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم ذكر هذا القصص رسوله عليه الصلوة والسلام على تكذيب قومه اياه ومجادلتهم اياه بالباطل
يقول لست انت باول من كذبه قومه ولا باول من جادله قومه بباطل لم يزل الامم المتقدمة يكذبون رسلهم
ويجادلونهم بالباطل فصبروا على ذلك فاصبر انت على تكذيب قومك ومجادلتهم اياك بالباطل كما صبر
اولئك كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الآية وهي ما ذكر في قوله عز وجل وهمت كل امة برسولهم
ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق همت كل امة برسولهم ما ذكر لكن الله تعالى بفضله عصم رسله
عما هم اولئك الكفرة به من القتل والمجادلة بالباطل وفي ذلك آية من آيات الرسالة لهم حيث
حفظهم عما هموا به وكادوا بلا اعوان وانصار كان للرسل مع كثرة اولئك الكفرة والله اعلم
وقوله عز وجل فاخذتهم فكيف كان عقاب اي كيف وجدوا عقابي اليس وجدوه حقا على ما وعد
الرسل عليهم الصلوة والسلام انه نازل بهم او يقول اليس وجدوه اليما شديدا والله تعالى اعلم وقوله
عز وجل وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار يحتمل قوله حقت كلمة ربك على الذين
كفروا ما ذكر في قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل والله اعلم وقوله وقد مضت سنة الاولين ويحتمل
ان يكون قوله حقت كلمة ربك على الذين كفروا ما قال لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فذلك
الذي حق عليهم من كلمة ربك والله اعلم وقوله عز وجل الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
قد ذكرنا في غير موضع ان التسبيح بحمد ربهم هو الثناء عليه والحمد له بالتبرية والتنزيه عن جميع اوصاف
الخلق ومعانيهم وعن جميع ما قالت الملحدة فيه وقوله عز وجل ويستغفرون للذين آمنوا هذه الرجاية للمؤمنين
والآيات التي فيها استغفار الرسل للمؤمنين من نحو قول نوح عليه السلام حيث قال رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وقول ابراهيم صلوات الله عليه ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب وما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات
حيث قال له واستغفر لذنبك وللمؤمنين لانه لا يحتمل ان يامره بالاستغفار لهم ثم لا يجيبه اذا فعل
ثم قال بعض المعتزلة ان قوله جل وعلا واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات انما هو في الذنوب التي
ليس له ان يعذبهم عليها وهي الصغاير وليس له ان يغفر الكباير ويستدل على ذلك بقوله فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك انما امر ان يستغفر للذي تاب فاما من لم يتب ولم يأمره بالاستغفار فيجب
القول بما قلنا عملا بالآيتين لكن نقول لخصمنا انه لو كان استغفاره لمن ذكر خاصة لاصحاب الصغاير

في تقلب الكفار وتوسعهم وضيق المؤمنين

اللهم لا تقنطنا ولا تحرمنا من فضلك ابدا

على ما قالوا

على ما قالوا يصيرون كانه امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول استغفر لهم ولا يجيره عليهم اذ لم يغفر لهم
ذنبهم فيحصل قولهم على ما ذكرنا وذلك كفر وحش من القول والله اعلم ثم يحتج ان يكون المعتزلة والخوارج
في الظاهر ابعد الخلايق في المعاصي واقربهم الى الطاعات ونحن اقرب الخلايق الى المعاصي وابعدهم
عن الطاعات لانهم لا يرون النجاة الا باعمالهم ولا يرون برحمة الله ولا بشفاعة احد ولكن باعمالهم
فيجب ان يكونوا ابدا متكئين ملازمين على الطاعات في كل وقت وساعة لا يعصون الله طرفة عين ونحن
لم نر النجاة بالاعمال ولكن انما نرى ذلك برحمة الله تعالى وبشفاعة من ارتضى بشفاعته فيجب ان نكون
معتمدين على رحمة الله وفضله غير مشتغلين بشيء من الطاعات ثم في الحقيقة يجب ان يكونوا هم اقرب
الخلايق الى المعاصي وابعدهم من الطاعات ونحن الزم الخلايق بالطاعات وابعدهم عن المعاصي لانا نرى
عند الله لطايف وفضايل باقية لم يعطنا ما لو اعطانا لم يصدر منا الا الخير والطاعات وسلمنا عن المعاصي
وانواع الشرور وعصمنا فيجب ان نكون متكئين على الطاعات لنصل الى تلك اللطايف وهم لا يرون بقي عنده
شيء من اللطايف بل يقولون قد اعطانا كل شيء حتى لم يبق عنده شيء من مصالح الدين فيجب ان يكونوا ما ذكرنا
والله اعلم ثم قوله ان الله تعالى ينجينا برحمته وبشفاعة من جعل له الشفاعة لا باعمالنا وعلى ذلك روي
في الخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لن يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته والمعتزلة يقولون لا بل ندخل باعمالنا وكذلك قول الخوارج
واصل قولنا ان الله عز وجل ان يعذب عباده على جميع المعاصي على الصغاير والكباير جميعا وله ان يغفر
جميع المعاصي سوى الشرك والكفر على ما ذكرنا من دلايل الآيات وغيرها وقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما قوله وسعت كل شيء رحمة فرحمة الدنيا يدخل فيها الكافر والمؤمن جميعا فاما رحمة الآخرة فهي للمؤمنين
خاصة وهو كما ذكر في قصة موسى عليه السلام حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة
الى قوله ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون الآية وكقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة كانه يقول قل هي للذين آمنوا
والذين لم يؤمنوا ثم هي خالصة للذين آمنوا يوم القيامة فعلى ذلك قوله وسعت كل شيء رحمة هي رحمة الدنيا
جميع المؤمن والكافر جميعا في تلك فاما رحمة الآخرة ليست الا للذين آمنوا والله اعلم وقوله علما اي علم من فيها
من الخلق وقوله عز وجل فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك يحتمل وجوها احدها فاغفر للذين
تابوا من الشرك واتبعوا سبيلك الى دينك وهو الاسلام والثاني اي فاغفر للذين تابوا عن الكباير والفواحش
واتبعوا سبيلك اي طاعتك والثالث فاغفر للذين تابوا من جميع المعاصي صغايرها وكبايرها واتبعوا طاعتك
والله اعلم وقوله وقهم عذاب الجحيم ظاهر ثم قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما لا يمكن العمل بها على قول
المعتزلة لان رحمة الله عندهم لا يسع لذنب واحد فانه ليس له ان يعفو عنه فان عندهم ان من ارتكب
كبيرة ليس له ان يرحمه ولكنه يعاقبه على زعمهم خالدا مخلدا واذا كان قولهم ومذهبهم فليست
رحمته بواسعة بزعمهم ثم يقولون ايضا ان الله تعالى قد هدى كل كافر واعطاه ما يهتدي به لكنه لم يهتد به
وانه لم يبق عنده ما يهديه به فعلى هذا القول رحمته لا تسع لهداية كافر فاذا رحمة الله تعالى بزعمهم
على خلاف ما ذكر الله تعالى ووصفها بالسعة والله الموفق واما عندنا فهو ما ذكرنا من جميع الكل في ذلك
لما ذكرنا ان تلك الرحمة هي الرحمة الدنيوية او ما ذكرنا من كون اللطايف عنده من اعطاها اهتدى والله الموفق
وقوله عز وجل ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم هذا يخرج على وجوه احدها ان الوعد كان منه
لجملة المؤمنين فسألوا ان يدخل قوما على الاشارة والتعيين في جملة ذلك الوعد لاحتمال خصوص
في الجملة والله اعلم والثاني سألوه ان يجيبهم على الاسباب والاعمال التي يستوجبون ذلك والله اعلم

رد بليغ على المعتزلة

والثالث يجوز ان يكون الوعد لهم بشرط الذي سألوه والله تعالى عالم في الازل انه يوجد ذلك
الشرط وهو سؤالهم فيكون لهم ذلك الوعد ومثل ذلك جايز قال الله تعالى كان على ربك حتما مسؤلا
انما يعذبهم بسؤال هؤلاء على ذلك كان جزا تقديره انه لا يعذبهم واذا سألوا وعلم انهم سألوا وعلى ذلك الحديث
الوارد ان الصدقة تزيد في العمر جرى تقديره في الازل انه يوجد منه الصدقة فيكون عمره زايدا كـ
على ما لو علم انه لا يتصدق وانما لا يجوز التعليق بالشرط في حق الله تعالى على نحو ما يكون في حق العباد ان يوجد
عند وجود الشرط ولا يوجد عند عدمه ولا علم لهم بعاقبة ذلك والله تعالى عالم بالعواقب فمتى علق
بشرط كان ذلك منه في الازل حكما على ان يوجد مع ذلك الشرط لا محالة لما علم وجود ذلك الشرط مع علمه
انه لو لم يكن ذلك الشرط كيف كان والله الموفق اما ظاهر الاية انه اذا وعدها لهم لا دخلها لا محالة فيها
فلا معنى للسؤال في ذلك لما يخرج السؤال في مثله مخرج السؤال في تصديق الوعد والامتناع عن الخلف
ولكن الاية تخرج على الوجوه التي ذكرنا **وقوله** تعالى ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم الاية سالوا
ايضا ادخال هؤلاء في ذلك الوعد ايضا على ما ذكرنا **وقوله** وقهم السيئات هذا يحتمل انهم سألوا
ان يقيهم في الاخرة امورا يسوءهم من الاهوال والافزاع وغير ذلك من العذاب ويحتمل في الدنيا
امر الشرك وغيره يدل عليه قوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تق السيئات في الدنيا
فقد رحمته يومئذ وذلك الفوز العظيم **وقوله** تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
الاية ذكر ان اهل النار اذا دخلوا النار وعاينوا ما انكروا من البعث والعذاب فجعل كل انسان منهم
يمقت نفسه ويلومها فينادون لمقت الله اياكم فيما اوجب عليكم من اللعن والنقمة اكثر مما يمقتون به
انفسكم واشد هذا وجه ووجه اخر جايز ان يقال لهم ان الواجب عليكم ان تروا مقت الله اياكم وقت
ارتكابكم العصيان وعند تعاطيكم ما تعاطيتم اكبر واشد من مقتكم انفسكم حين معاينتكم العذاب ودخولكم
النار لانكم ان رايتم مقت الله اياكم عند ارتكابكم ما ارتكبتم انه يتولى بكم لزجركم ومنعكم عن ارتكاب ذلك
وتعاطيه وحملكم على ايثار ما دعيتم اليه من التوحيد لله تعالى والايمان به والله اعلم وعلى هذين التاويلين
يرجع تاويل قوله ولذكر الله اكبر احدهما ان ذكر الله تعالى اياكم بالرحمة والمغفرة اكبر واعظم من ذكركم
اياه وصلوتكم وعبادتكم له والثاني ان ذكر نفس نهي الله تعالى اياكم عن المعاصي وقت ارتكابها اكبر في الزجر
عنها والمنع من الصلوة نفسها ان كانت الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر لما ان الصلوة فيها
اعمال تشغل عن ذكر النهي والله اعلم ثم قوله تعالى مقتكم انفسكم يحتمل وجهين احدهما اي من مقت
بعضكم بعضا كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ويحتمل ذلك لقوله ان الصلوة
تنهى اي يمقت كل انسان نفسه لما كان من العصيان والكفر وانما احتمل هذين الوجهين لان المنع لهم من طاعة الله
تعالى واتباع امره ونهيه يكون بانفسهم ويكون من بعضهم بعضا فيكون محتملا لكل الوجهين وهو كقوله تعالى واذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله **وقوله** ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولا تهلكوا بعضكم لبعض ان الظاهر
ان المرء مع قيام عقله لا يهلك نفسه ولا يلقيها في التهلكة وكذا لا يسلم على نفسه ويحتمل الظاهر ايضا
ان يسلم على نفسه اذا دخل البيت ولم يكن معه غيره وكذلك نهى عن اهلاك نفسه عند شدة الغضب ونحو
ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين قال بعض اهل التاويل كانوا
امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيامة
فهما حياتان وموتتان وهو قول ابن عباس وابن مسعود فيما ارى ويقولون كقوله تعالى وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية وقال بعضهم قولهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين احدى الموتتين
هي التي تنقضي بها اجالهم ثم يحييهم في القبر ثم يميتهم ثم يحييهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان وحيوتان

مطلب
مما يحفظ البنية
في الصدقة
تزيد في العمر

ولهذا

والى هذا يذهب ابن الراوندي ويحتج بهذا على عذاب القبر وهو اشبه واقرب لانهم يكونون في اصلاب
ابايهم امواتا لا يقال امتنا وهم كانوا امواتا **وقوله** عز وجل فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل
يحتمل اعترافهم بذنوبهم هو ما انكروا في الدنيا قدرة الله تعالى على البعث والاحياء بعد الموت والعذاب لهم
لما عاينوا ذلك وشاهدوا واقروا به فانكارهم ذلك هو ذنبهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ذنوبهم التي
اعترفوا بها ما ذكر في سورة تبارك حين قال لهم الخزنة لما القوا في النار الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا
نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء فيكون اعترافهم بذنوبهم هذا والله اعلم **وقوله** ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم قوله ذلكم بانه اي ذلك المقت الذي ذكر والعذاب الذي نزل بكم انما كان بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم اي كفرتم بتوحيده وان تشرك به اي بتوحيد الله تؤمنوا به اي تصدقوا هذه الاية
كقوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم
يستبشرون فهما بمعنى واحد والله اعلم **وقوله** عز وجل فالحكم لله العلي الكبير قال قتادة لما خرج
اهل حروراء قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون قال قايل هم القراء قال علي
عليه السلام ليسوا بالقراء ولكنهم الخيابون الخيابون قالوا انهم يقولون لا حكم الا لله قال علي رضي الله عنه
كلمة حق اريد بها باطل وذكر وعزي بها باطل **وقوله** هو الذي يريكم اياته اختلف في قوله يريكم هو ما اراهم
بمكذبي رسله ومصدقيهم من اوايلهم حيث استاصل هؤلاء بمكذبيهم رسله وانجى مصدقيهم بتصديقهم
اياه ليحذر هؤلاء عن تكذيب رسوله وقال بعضهم اراهم ايات وحدانيته وربوبيته وقدرته وسلطانه
في السموات والارض ما لو تاملوا لعرفوا ذلك وهو كقوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض
ايات وحدانيته وربوبيته وذكر انهم يمرون عليها اي يرونها لكنهم يعرضون عنها والله اعلم
وقال بعضهم في قوله هو الذي يريكم اياته يا اهل مكة اذا سافرتم رايتم ايات المتقدمين ومنازلهم وهلاكهم
وهو الاول بعينه وقوله تعالى وينزل لكم من السماء رزقا يخبر عن ايات وحدانيته ايضا انه ينزل
رزقهم من السماء وحيل الخلق ينقطع عن استنزال الرزق من السماء ليعلموا ان منشئ الارض والسماء
واحد حيث اتصل منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما ويحتمل انه يذكر نعمه عليهم حيث يعلمون
انه هو الذي انزل رزقهم من السماء دون من يعبدون من الاصنام فكيف يصرفون عبادتكم وشكركم الى غيره
وقوله وما يتذكر الا من ينيب اي وما يتذكر بما ذكر من الايات ولا يتاملها الا من ينيب اليه بطاعته او يقول
لا يتذكر ولا يتعظ باياته ومواعيده الا من ينيب اليه بالقبول لامره وطاعته **وقوله** فادعوا الله مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون كان هذا صلة ما تقدم من قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالاخرة الاية وصلة قوله ذلك بانه اذا دعي الله وحده كفرتم يقول فلا دعوا الله يا اصحاب محمد
وايها المؤمنون مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ذلك ووحدوه ولا تشركوا به شيئا على ما تشركه به
اهل مكة والله اعلم **وقوله** عز وجل رفيع الدرجات يحتمل وجهين احدهما رفيع السموات درجة
على درجة وطبقا على طبق على ما رفعها واحدة على اخرى والثاني قوله رفيع الدرجات اي درجات اهلها
ومنازلهم التي جعلها لهم في الاخرة على تفضيل بعض على بعض في الدرجات كقوله تعالى انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اخبر انه فضل بعضا على بعض في الدرجات في الاخرة
فجايز ان يكون ما ذكر من رفع الدرجات هي رفع السموات درجة فدرجة فهو اخبار عن قدرته وسلطانه
انه من قدر على رفع السموات في الهواء واقرارها فيه بلا سبب من اسباب امساكها من التعليق بشيء مع ثقلها
وغلظها ولا شيء يقر في الهواء بحيث لا ينحط ولا يستقل ولا يرتفع من اماكنها بلا سبب من الاسفل والاعلى
لا يحتمل ان يعجزه شيء او يخفى عليه شيء او يمنعه شيء عما يريد والله اعلم وان كان المراد بالدرجات التي

يجعل لاهلها فى الآخرة انما يستوجبونها بالله تعالى باعمال يكون لهم والله اعلم وقوله عز وجل
ذو العرش يلقى الروح من امره اختلف فيه قال بعضهم هو جبريل عليه السلام يلقى اى ينزل بالوحى
والنبوة على من يشاء من عباده كقوله نزل به الروح الامين على قلبك اخبر انه امين ليعلم انه ليس فى انزاله
غلط ولا شىء مما قاله بعض الروافض انه بعث الى فلان اداه الى غيره وقال بعضهم الروح هاهنا
هو الوحى والرسالة يقول يلقى وهو الوحى على من يختار ويصطفى من عباده والله اعلم وقوله لينذر يوم
التلاق اختلف فيه قال بعضهم يوم تلقاء اهل الارض اهل السماء وقال بعضهم يوم يلقى الآخرون الاولين
وجايز ان يكون قوله يوم التلاق يوم يلقى الانسان عمله وافعاله التى عملها والله اعلم وقالت الباطنية
اى يوم يلقى الصور المتولدة من الاجساد باعمال الحسنة والشر التى كانت لهم فى الدنيا الصورة التى كانت لهم
روحانية لان من مذهبهم ان من مات منهم يحدث ويتولد بالاعمال التى كانت لهم من الخير صور
روحانية يلقى هذه الصورة الحادثة المتولدة من الاجساد الصور الروحانية التى خرجت من الاجساد
بعد الموت ويكون البعث عندهم للارواح فيتصل هذه الارواح النورانية بالنور العرف ويستدلون
بقوله يوم هم بارزون اى يبرز تلك الصور الروحانية من الاجساد اذ الخلايق كلهم فى جميع الاحوال
والاوقات بارزون ظاهرون لله تعالى لم يكونوا فى وقت مستورين عنه ولكن هذا فاسد
لانه لو كان الامر على ما يقوله الباطنية لكانت الانفس اذا نامت وخرجت منها الصور الروحانية فرأت
رؤيا كانت يراها مختلطة غير محققة وفى حالة اليقظة يراها محققة غير مختلطة دل ان الادراك
للاجساد بواسطة الصور الروحانية يجب ان يكون البعث للكل والبعث ولكن الوجه فى ذلك ما ذكرنا
واصله انه سمى ذلك اليوم على ما سمى يوم الجمع ويوم التغابن ويوم الحشر وغير ذلك سمى ذلك
اليوم على اسماء مختلفة كل اسم من ذلك لمعنى غير المعنى الآخر والله اعلم وقوله عز وجل يوم هم بارزون
قال بعضهم اى ظاهرون لا شىء هنالك يسترهم اى يرتفع يومئذ جميع السواتر وهو كقوله تعالى
فاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا اى لا شىء يستر فيها يذكر هذا لان من الناس من يقول يستر
الاشياء عن الله تعالى بالسواتر رد القولهم ويحتمل ان يكون قوله يوم هم بارزون ذلك اليوم يوم البروز
لما يتفقون جميعا ويقرون بالكلمة التى اختلفوا فى الدنيا فيها فيبرزون جميعا متفقين مقرين
على ملك الكلمة يومئذ وهى كلمة التوحيد والله اعلم ويحتمل ان يكون سماه يوم البروز والمصير
والرجوع وما ذكر لان المقصود عن انشاء الدنيا وما فيها من الخلايق ذلك اليوم وتلك الدار وكذلك
صار انشاء الدنيا وانشاء ما فيها حكمة لما عرفنا ان الانشاء للافناء خاصة ليس بحكمة فحقق ذلك اليوم
وتلك الدار لما ذكرنا وان كانوا فى جميع الاحوال بارزين اليه ظاهرين له والله اعلم وقوله عز وجل
لا يخفى على الله منهم شىء ظاهر وهو رد لقول من يقول ان شيئا يستر على الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا وقوله عز وجل لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قال عامة اهل التأويل اذا اهلك
اهل الارض واهل السماء فلم يبق احد الا الله تعالى فعند ذلك يقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد
هو فى نفسه ويجيب نفسه لله الواحد القهار لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يقول لمن الملك اليوم
ولا احد سواه ويجيب نفسه لله الواحد القهار لما لا حكمة فى ذلك ان يسأل نفسه ثم يجيبها لكن الوجه
فيه والله اعلم انه انما يقول لهم ابتداء ذلك اذا بعثهم واحياهم لمن الملك اليوم فيقول الخلايق له باجمعهم
لله الواحد القهار يقرون له جميعا يومئذ بالملك والربوبية وان كان بعض الخلايق فى الدنيا قد نازعوا
فى الملك فيها وادعوا لانفسهم فيقرون يومئذ ان الملك فى الدنيا والآخرة لله تعالى والله اعلم وقوله
عز وجل اليوم تجزى كل نفس بما كسبت اى من خير او من شر لا ظلم اليوم اى لا يجزى غير ما كسبت

فيدة الباطنية فى حشر الارواح دون الاجساد

مما يحفظ

فى انشاء الدنيا وما فيها حكمة

ويحتمل

ويحتمل لا ظلم اى لا نقصان فى الحسنات التى عملوها ولا زيادة على السيئات التى اكتسبوها وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم وقوله عز وجل ان الله سريع الحساب قد ذكرنا هذا ايضا والله اعلم وقوله وانذرهم يوم الآزفة
سمى ذلك اليوم يوم الآزفة لقربه ودنوه منه وعلى ذلك سماه غدا وقريبا كقوله اقتربت الساعة وقوله
اقترب للناس حسابهم الآية فعلى ذلك سماه آزفة لدنوه وقربه منهم يقال ازف فلان الى فلان اى قرب
ودنا منه ومعناه اى انذرهم بما اليه مرجع عاقبتهم مصيرهم لان اهل العقل والتمييز انما يعملون
ويسعون للعاقبة وما اليه يرجع امورهم وهو ذلك اليوم والله اعلم وقوله عز وجل اذ القلوب لدى
الحناجر يخبر عن شدة حالهم وفزعهم فى ذلك اليوم ليس ان يزول قلوبهم عن اماكنها ويرتفع الى الحناجر
حقيقة ولكنه وصف لشدة حالهم فى ذلك اليوم وكثرة خوفهم وفزعهم وضيق صدورهم وهو كقوله تعالى
وضاقت عليهم الارض بما رحبت اى ضاقت صدورهم وقلوبهم بما حل بهم من الشدايد والاهوال ليس ان صارت
الارض فى الحقيقة مضيقة لا يسعون فيها ولكن وصف لضيق صدورهم لعظم ما نزل بهم فكنى بضيق الارض
عن ضيق صدورهم فعلى ذلك جايز ان يكون ما ذكر من كون القلوب لدى الحناجر كناية عن ضيق صدورهم
لشدة حالهم وعظيم ما حل بهم والله اعلم والحناجر هى مواضع الذبح من الشاة وغيرها من الدواب
واحدها حنجرة وقوله كاظمين قال بعضهم الكاظم المغموم الذى يتردد حزنه فى جوفه غيظا لما كان منه
فى الدنيا وقيل الكاظم لا يتكلم قد كظم من الخوف وقيل الذى لا يفتح فمه وهو قريب بعضه من بعض
والله اعلم وقوله عز وجل وما للظالمين من حميم اى قريب وقيل الحميم هو الذى يهتم بامر صاحبه ويسعى
فى دفع ما نزل به من البلاء وقوله ولا شفيع يطاع اى يجاب يذكر انه لا يكون لهم فى الآخرة قريب يهتم لامرهم
ولا شفيع يشفع لهم فيجاب كما يكون فى الدنيا ولذلك قوله لا ينفعهم شفاعة الشافعين اى لا يكون لهم شفعاء
ينفعهم شفاعتهم وهو ما قال عز وجل فى آية اخرى لا خلة ولا شفاعة الآية وقوله عز وجل يعلم خائنة الاعين
والخيانة واحدة وهو ما قال عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة منهم اى خيانة منهم وقال بعضهم هى النظرة
بعد النظرة اما الاولى فليس فيها شىء واما الثانية فعليه اثمها وقوله وما تخفى الصدور اى ما لم يتكلم به
المرء لم يعمل كل ذلك يعلمه الله تعالى وقال بعضهم خائنة الاعين هى النظرة فيما لا يحل والغمز بعينه
وهو مثل الاول وقال بعضهم خائنة الاعين هى التى ينتظرها غفلة الناس اذا غفلوا عنه نظر الى ما يهواه وتحب
وما تخفى الصدور هو ما ذكر عز وجل يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يذكر هذا ليكونوا ابدا مراقبين
انفسهم حافظين لها عما لا يحل من السمع والبصر والفؤاد على ما ذكر فى آية اخرى ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسؤلا ليكونوا ابدا على حذر من ذلك وخوف والله اعلم وقوله عز وجل والله يقضى
بالحق قال اهل التأويل اى الحكم بالحق والقضاء المذكور فى الكتاب يخرج على وجوه احدها يقضى اى يأمر
كقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اى امر ان لا تعبدوا الا اياه وكقوله اذا قضى الله ورسوله امرا
اى اذا امرا يقول والله يقضى بالحق اى يأمر بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء اى لا يملكون الامر بالحق
فكيف تعبدون من دونه والثانى القضاء الوحى والخبر كقوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب اى اوحينا
اليهم فكانه يقول والله يوحى بالحق ويخبر به والله اعلم والثالث القضاء هو الخلق والانشاء كقوله تعالى
فقضاهن سبع سموات اى خلقهن فيكون قوله على هذا والله يقضى بالحق اى يخلق بالحق والذين يدعون
من دونه لا يخلقون شيئا وقد يعلمون ان استحقاق العبادة انما يجوز بالخلق والانشاء وهو كقوله تعالى افمن يخلق
كمن لا يخلق وكقوله تعالى خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم يقول خلق من يدعون من دونه كخلق الله حتى تشابه
ذلك عليهم فعبد وهم اذ يعلمون ان من خلق ليس كمن لم يخلق وقد يعلمون انها لم يخلق شيئا فكيف عبدتموها
والله اعلم ثم قول اهل التأويل يقضى بالحق اى يحكم بالحق يخرج على وجهين احدهما اى يحكم بالحق

مراقبة

معانى قضا

فى الدنيا بالآيات والحجج ما عرف كل احد انها حجج وآيات وبراهين والحكم بما ذكرنا حكم بالحق والله اعلم والثانى
اى يحكم بالحق فى الآخرة وهو الشفاعة اى لا يجعل الشفاعة لمن يعبدون على رجاء الشفاعة كقولهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ولكن انما يجعل لمن ارتضى كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى والله اعلم وقوله تعالى
ان الله هو السميع البصير روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال السميع لاقوالهم البصير لافعالهم
للمؤمنين اى المجيب للمؤمنين والبصير لعقابا ولئك وقيل السميع لاقوالهم البصير بافعالهم وجايز ان يكون
قوله تعالى ان الله هو السميع البصير صلة ما تقدم من قوله ما تقدم من قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى
الصدور يقول السميع بما يكون منهم ظاهراً من قول او فعل والبصير بما اخفوا فى قلوبهم وتكن صدورهم
يخبر بهذا ليكونوا ابداً مراقبين حافظين انفسهم ما ظهر منهم وما خفى والله اعلم وقوله عز وجل اولم يسيروا
فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة هذا يخرج على وجهين
احدهما ما قال الحسن انهم لو ساروا وانظروا فى آثار من كان قبلهم من مكذبى الرسل لكان لهم فى ذلك
زجر ومنع عن مثل صنيعا ولئك وقال بعضهم هو على الخبر الا اى قد ساروا فى الارض فنظروا فى آثار
من تقدمهم لكنهم لم ينظروا نظر اعتبار انه لماذا اصابهم ما اصابهم والله اعلم وقال قايلون هو
على الايجاب والالزام اى سيروا فى الارض وانظروا فى آثار اولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كقوله
قل سيروا فى الارض فانظروا ولكن نقول ليس على حقيقة السير فى الارض بالاقدام ولا نظر العين والبصر
ولكنه امر منه لهم بالتفكر والاعتبار فى آثار من كان قبلهم والى ما ذا صار عاقبة امرهم من صنيع
مكذبى الرسل ومصدقيهم لينزجروا عن مثل صنيع مكذبيهم ويرغبوا فى مثل صنيع مصدقيهم والله اعلم
وقوله عز وجل وكانوا هم اشد منهم قوة فى ابدانهم وانفسهم وآثارا فى الارض اى خبراً وذكراً فى الارض
ويحتمل وآثارا فى الارض اى عمالاً فى الارض اى اشغالاً وليس كما يقول بعض المعتزلة اى انهم كانوا
اشد منهم قوة فى الخيرات فان كان ما ذكر فذلك يكون اصلح لهم وهذا بعيد سمج من القول والوجه
فيه ما ذكرنا انهم كانوا اشد منهم قوة فى ابدانهم وانفسهم وقوله عز وجل فاخذهم الله بذنوبهم يخبر
ان اولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كانوا اشد من هؤلاء قوة واشد آثاراً فى الارض ثم لم يمنعهم شدة
قواهم فى ابدانهم وانفسهم وما ذكر من آثارهم فى الارض ولم يدفعوا عن انفسهم ما نزل بهم من عذاب الله
فانتم يا اهل مكة دونهم فى البطش والقوة فكيف تمتنعون عذاب الله اذا نزل بكم والله اعلم وقوله عز وجل
وما كان لهم من الله من واق ذكر والله اعلم ان اولئك قد عبدوا الاصنام رجاء ان تشفع لهم فى الآخرة
وتقربهم الى الله زلفى كما تعبدون انتم على رجاء الشفاعة لكم والتقريب اليه ولو كانت عبادتهم اياها
طريق الشفاعة وسبب التقريب لكان يعيقهم من عذاب الله فى الدنيا وهو كما ادعت اليهود انهم ابناء الله
واحباؤه فقال رداً عليهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى فى الدنيا لو كنتم على ما تزعمون اذ لا احد يهلك
ويعذب ولده وحبيبه فى الدنيا فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
فقوله ذلك يقول ذلك العذاب والاهلاك الذى نزل بهم لما كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا وكذبوا
الآيات والادلة التى اتتهم رسلهم انهم رسل الله اليهم فاصابهم ما اصابهم لذلك فانتم يا اهل مكة
اذا كذبتم الرسول بعد ما اتاكم بالبينات والادلة على رسالته ينزل بكم ما نزل باولئك بالتكذيب والعناد ورد
الآيات والادلة والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى بآياتنا يحتمل بآياتنا اى بحججنا وذكرنا انه يحتمل
ان الآيات والسلطان واحد ويحتمل انهما غيران وقوله الى فرعون وهامان وقارون ليعلم انه
كان مبعوثاً الى الكل لم يبعث الى بعض دون بعض وقوله فقالوا ساحر كذاب على ان موسى عليه السلام
قد اتاهم من الآيات والحجج ما عجزوا عن اتيان مثلها والمقابلة لها فخافوا ان يتبعه الناس لذلك فوّهوا

بقولهم

بقولهم ساحر كذاب على ساير الناس لئلا يتبعوه فيما يدعوا لما عرف الناس ان السحر ليس يعرفه كل احد
وان اكثر الناس يعجزون عن السحر وكانوا يعرفون ان السحر يكون كذبا فموّهوا بذلك القول امر موسى
عليه السلام على اتباعهم ونسبوه الى الكذب من غير ان ظهر من موسى كذب قط وقد كان لم يزل من عون
تمويه وتلبيس على قومه امر موسى مخافة ان يتبعوه لما اتاهم من الحجج والادلة التى ظهرت عندهم انها حجج وادلة
من ذلك وقوله عز وجل ان يخرجكم من ارضكم بسحره وقوله انه لكبيركم الذى علمكم السحر قال هذا بعد
ما اتبعه السحرة وآمنوا به لموّه بذلك امرهم على من لم يتبع موسى من الاتباع وقوله ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة
لتخرجوا منها اهلها وغير ذلك من التمويهات التى كانت منه فعلى ذلك هذا القول منهم حيث قالوا
ساحر كذاب وجايز ان يكون قوله انه كذاب لانهم اعتادوا عبادة الاصنام دون الله تعالى فلما جاء موسى
صلوات الله عليه بما يمنعهم عن عبادة ما اعتادوا من العدد ودعاهم الى عبادة الواحد قالوا انه
كذاب وكذلك قال اهل مكة لرسولنا وسيدنا صلى الله عليه وسلم انه ساحر كذاب اجعل الآلهة الهاً
واحداً سموه كذابا لما دعاهم الى عبادة الواحد ومنعهم عن عبادة ما اعتادوا من العدد والله اعلم وقوله
عز وجل فلما جاءهم بالحق من عندنا قال بعضهم اى جاءهم بالتوحيد وقال بعضهم اى جاءهم بالرسالة
وكان غير هذا اقرب اى فلما جاءهم بما يظهر عندهم من الحجج انها آيات وانها من عندنا جاء والله اعلم
وقوله عز وجل قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم امر اتباعه ان يقتلوا ابناء من آمن
منهم لينزجروا بذلك عن متابعة موسى لما راى ان ما كان من التمويهات والحيل لم يمنعهم عن اتباعه بل كانوا
يتبعونه فاوعدهم بقتل الابناء كما كان امر بقتل الابناء عندما قيل له ان ذهاب ملكك بمولود
يولد كذا والله اعلم وقوله عز وجل وما كيد الكافرين الا فى ضلال لا شك ان كيدهم فى الآخرة فى ضلال
ولكن اراد كان كيدهم فى الدنيا ظهر انه ضلال حيث لم يمنعهم كيده وحيله وتمويهاته عن اتباع موسى
عليه السلام وقوله عز وجل وقال فرعون ذرونى اقتل موسى قال هذا لما راى انه لم يمنعهم عن اتباع
موسى عليه السلام ما ذكر من قتل الابناء قال عند ذلك ذرونى اقتل موسى وجوها احدها يحتمل انه
هم فرعون ان يقتل موسى عليه السلام فمنعه قومه او الملاء من قومه عن قتله فقال عند ذلك
ذرونى اقتل موسى والثانى يحتمل انه قال هذا مبتدأ من غير ان كان منهم منع اياه عن قتله وهو
كما قال ربنا جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم ذرنى ومن خلقت وحيدا من غير ان كان من رسول الله
صلى الله عليه وسلم منع له عن ذلك وهذا فى كلام العرب موجود سايغ التكلم به على الابتداء من غير ان كان
من احد منع عما يريدوا ان يفعلوا والله اعلم والثالث يحتمل ذرونى اقتل موسى اى ذرونى لا يمنعنى
فى قتل موسى اى لا تلوموني اذا انا قتلته والله اعلم وقوله وليدع ربه يحتمل وجهين احدهما انه كان
ذلك من فرعون يقول ذرونى اقتل موسى وليدع ربه يمنعنى عن قتله ان كان صادقا فيما يدعى من الرسالة
لان من ارسل رسولاً فهمّ احد قتله او الضرر به منعه المرسل عن ذلك فعلى ذلك يقول فرعون والله اعلم
والثانى يكون ذلك امراً من الله عز وجل موسى بالدعاء على فرعون بالهلاك لما همّ قتله وعلى ذلك الرسل
عليهم الصلوة والسلام قد اذن لهم بالدعاء على فراعنتهم ومعانديهم ومكابريهم اذا بلغوا فى العناد
غايتهم والتمرد نهايتهم والله اعلم وقوله عز وجل انى اخاف ان يبدل دينكم قد كان هناك تبديل
الدين فانه قد اظهر موسى عليه السلام دين الحق وآمن من اتباعه لكن كانه اراد والله اعلم بقوله ان يبدل
دينكم اى يذهب بدينكم من الاصل وقوله عز وجل او ان يظهر فى الارض الفساد ذكر اللعين وسمى اظهار
التوحيد فى الارض ودين الاسلام فساداً ليعلم ان كل مدعى شيئا وان كان مبطلاً فى دعواه فعنده انه على حق
وان خصمه باطل فلا يقبل قول احد على احد الا ببرهان والله اعلم ويحتمل ان فرعون اللعين اراد بقوله

بتمويهات وغوت

فى دعاء الرسل على فراعنتهم

او ان يظهر في الارض الفساد قبل ابنائهم اي يقتل موسى ابناءكم مجازاة لما قتلتم انتم ابناءهم والله اعلم
وقوله عز وجل وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب يحتمل قوله
من كل متكبر اى متكبر على التوحيد ويحتمل متكبر على الرسل لا يؤمن بما يدعوه الرسول الى الايمان بيوم الحساب
والله اعلم وقوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون هذا يحتمل وجهين احدهما من آل فرعون
في الظاهر والا لم يكن في الحقيقة من آله انما هو من آل موسى واتباعه حيث آمن به وترك اتباع فرعون
والله اعلم والثاني من آله اى من نسبه لانه ذكر انه كان ابن عمه والله اعلم وقوله عز وجل يكتم ايمانه اشفاقا
على نفسه ولا يظهر الموافقة لهم على ما هم فيه اذا قدر على الكتمان دون اظهار الموافقة لهم وعلى ذلك
المكره على اظهار الكفر اذا قدر على ان لا يظهر ما اريد منه من كلمة الكفر ولا يقتل بالامتناع لا يسع له اظهار
ذلك لهم فان لم يقدر فحينئذ يسع فعل ذلك ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اتقتلون رجلا ان يقول
ربى الله فيه اخبار انه كان يكتم ايمانه اشفاقا على نفسه فلما خاف هلاك رسول الله موسى عليه السلام
فعند ذلك اظهر ما كان يكتمه وان كان في اظهار ذلك اهلاك نفسه بعد ان يرجو نجاة نبى من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام وهكذا يجب ان لا يسع كتمان ما كان يكتمه وان كان نفسه يهلك اذا اظهر اذا كان
في اظهار ذلك نجاة رسول من رسل الله تعالى عليهم الصلوة والسلام يجب يدفع الهلاك بها
عن نفس ذلك الرسول وكذلك ذكر عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان اهل مكة لما هموا قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم واهلاكه القى ابو بكر رضى الله عنه نفسه عليه وقال ما قال ذلك الرجل الذى كان
يكتم ايمانه حيث قال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله فعند ذلك نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يكن نزل قبل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقد جاءكم بالبينات من ربكم اى جاءكم
من البينات ما يبين انها آيات من عند الله لا اخترعها من موسى عليه السلام ويبين انه صادق فيما يقول
ويدعى وقوله وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا فيما يقول ويدعى يصبكم بعض الذى يعدكم فهو يعلم
انه صادق فيما يقول حقيقة ولكن لما كان عند القوم احتمل الامر ذكر على ما في زعمهم دفعا للقتل عن موسى
عليه السلام ثم الاشكال انه قال يصبكم بعض الذى يعدكم ذكر انه يصيبهم بعض الذى يعد والرسل
اذا وعدوا شيئا يصيبهم بكماله لا يجوز ان يكون خلاف ما اخبر واو دون ما ذكر والكن يخرج على وجوه
احدها انه كان وعده اياهم ان يصيبهم العذاب في الدنيا والآخرة فيقول يصبكم بعض الذى يعدكم
وهو ما وعد لهم ان يصيبهم في الدنيا واما ما وعد لهم في الآخرة فهو يصيبهم في وقت آخر وهو في الآخرة
فما اصابهم في الدنيا فهو بعض ما جرى الوعيد منهم لهم لان الوعيد كان منه في الدنيا والآخرة والله اعلم
والثاني يحتمل انه كان عليه السلام وعدهم بانواع من العذاب وقد اصابهم بعض ذلك من الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم ونحو ذلك وفي بعض ما وعدهم هو هلاكهم فكانه يقول لهم انه قد اصابكم
كثيرا من ذلك فيصيبكم بعض ما يعدكم الذى فيه هلاككم مبالغة في الزجر لما قد اصابهم ما وعد لهم
من انواع العذاب ولم يكن وعده كذبا فبعض ما يعدكم وهو الهلاك كيف يكون كذبا والله الموفق والثالث
يراد بالبعض الكل لانه اراد بهذا البعض الهلاك وهو البعض الاقصى فيدخل العالى فيه لانه اراد او وعد
بانواع من العذاب منها الهلاك يكون الهلاك هو البعض الاقصى اذ لا عذاب في الدنيا بعد الهلاك فيكون
ساير انواع العذاب في الدنيا يكون قبل الهلاك فاذا اريد بهذا البعض يدخل فيه ما قبله ويكون ذكره ذكرا
للكل اذ لا وجود له بدون سايرها لذلك قال يصبكم بعض الذى يعدكم اى يصبكم كل الذى يعدكم والله اعلم
وقوله عز وجل ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب هذا يخرج على وجهين احدهما انه لا يهدى
من هو في علمه انه يؤثر الاسراف والكذب والثاني لا يهدى من هو مختار الاسراف والكذب وقت

في بذل النفس لنجاة رسول من رسله تعالى

اختيارهم الاسراف والكذب والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا
من باس الله ان جاءنا يخرج على وجهين احدهما يحتمل ان يقول ذلك بعد ما سالوه ان يتبع دينهم وما هم فيه
اى لو اتبعتكم واجبتكم ومعكم الملك والحشم والغلبة وليس معى ذلك فاذا جاء باس الله وعذابه فمن ثم انتم
ممتنعين عنه بما معكم فمن ينصرنا بامر عذاب الله وليس معنا ذلك وان كان يعلم حقيقة انما معهم
من الغلبة لا يمنع من عذاب الله لكن قال ذلك بناء على اعتقادهم اظهارا للعذر عندهم كيلا يقدموا
على قتله لصيانة حيوته ومثل هذا لا باس به والله اعلم والثاني يقول على الرفق بهم واظهار
الموافقة لهم في الظاهر يقول انه قد جاءنا من الله البينات ما اوضح الحق وبين السبيل فاذا رددنا ذلك
وكذبناهم جاءنا باس الله جملة وعذابه فمن يمنعنا عنه وينصرنا من عذابه اذا خالفنا امره
وتركنا اتباع دينه على هذين القولين يخرج القول منه والله اعلم وقوله عز وجل قال فرعون ما اريكم
الا ما ارى قال بعضهم اى ما امركم الا بما رايته لنفسى وقال بعضهم ما اختار لكم الا ما اختار لنفسى
ذلك لكن للتعين انه يختار لهم ما اختار لنفسه لان ما اختار لنفسه باطل فاسد وكذب التعين
ايضا حيث قال ما اختار لكم الا ما اختار لنفسى لانه اختار لهم ان يعبدوه ولم يختر لنفسه عبادة
او لئلا ان يعبدهم فهو كذب في القول وقوله عز وجل وما اهديكم الا سبيل الرشاد كذب ايضا
في قوله انه لا يهديهم الا سبيل الرشاد بل كان يهديهم سبيل الغى وقوله عز وجل يا قوم انى اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كان فيه اضمار القول انى اخاف
عليكم مثل يوم الاحزاب ويوما مثل يوم قوم نوح وعاد فهو والله اعلم صلة قوله فيما تقدم يا قوم لكم اليوم
الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا وعظهم مرة واحتج عليهم بما جاءهم
موسى بالبينات حيث قال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وتتركون
اتباعه وتتبعون رجلا لم ياتكم بالبينات هذا منه احتجاج عليهم اذ كيف تقتلون رجلا وتتركون اتباعه
بعد ما جاءكم بالبينات من ربكم وتتبعون من لا بينة معه ولا برهان يسفههم في صنيعهم الذى
ارادوا ان يصنعوا به والله اعلم ووعظهم ايضا وعظا لطيفا فيه رفق حيث قال يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يقول والله اعلم انكم ان قتلتم ذلك الرجل بعد ما جاءكم
بالبينات وتركتم اتباعه فجاءكم عذاب الله وباسه فمن ينصركم عن ذلك العذاب ويمنعكم عنه اذ قتلتم
بينة بغير حق ثم وعظهم وعظا بما نزل بمكذبى من كان قبلهم من الرسل حيث قال انى اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود يقول انى اخاف عليكم ان ينزل بكم ويقع عليكم مع علمكم
بتكذيبكم الرسول موسى عليه السلام وترككم اتباعه بعد ما جاءكم بالبينات انه رسول وانه صادق فيما يقول
ويدعى كما نزل ووقع من العذاب بالاحزاب الذين كانوا من قبلكم ممن ذكر بتكذيبهم الرسل واستقبالهم
اياهم بما استقبلوا بعد ظهور صدقهم عندهم بما يستقبلون انتم رسولكم موسى بعد ما ظهر صدقه عندكم
بالبينات التى جاءكم والله اعلم ثم ما ذكر من الاحزاب يحتمل ان يكون تفسيره ما ذكر على اثر من قوم نوح وعاد
وثمود ويحتمل سوا لهم من الامم والله اعلم ثم قوله مثل داب قوم نوح وعاد وثمود قال بعضهم اى مثل
صنيع قوم نوح ومن ذكر وفعلهم وقال بعضهم اى مثل عذاب قوم نوح ومن ذكر والله اعلم وقوله
عز وجل وما الله يريد ظلما للعباد في هذه الآية للمعتزلة نوع تعلق يقولون انكم تقولون ان الله تعالى
قد اراد من العباد ما يفعلون من افعال الظلم والجور وقد اخبر الله تعالى انه لا يريد ظلما للعباد
لكن الآية في التحقيق عليهم لانه قال في آية اخرى يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اخبر انه
اراد ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولو لم يرد منهم ما يستوجبون به العذاب كان في تعذيبهم

مطلب لا اثم في الارادة

اياهم ظالما على زعمهم دل انذارا منهم مايستوجبون به العذاب وهو فعل الظلم والله اعلم ثم تاويله
يخرج على وجهين احدهما ان الارادة هي صفة كل فاعل يفعل عن اختيار فكانه قال والله اعلم لا يظلم عباده
كقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد والثاني فيه اخبار انه لا يعاقب احدا بذنب غيره ولا يؤاخذ بجريمة غيره
ولا يزيد على قدر ما يستحقون به العذاب ولا ينقصهم من ثواب حسناتهم شيئا كقوله تعالى ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وغير ذلك من الآيات ما فيها اخبار انه لا يجزيهم باكثر مما يستوجبون ليس على ظن اولئك

مما يحفظ

والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين الآية وعظهم ايضا
بعذاب الآخرة وما يكون منهم من الندامة بتركهم اتباع الرسول بعد ما وعظهم وبعذاب الدنيا وما نزل
باوايلهم بصنيعهم مثل صنيعهم وهو ما قال اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين الآية ثم قوله
يوم التناد فيه لغات ثلاث احديها يوم التنادي بالياء والثانية بالتخفيف على حذف الياء والثالثة
بالتشديد فمن قرأها بالتشديد يقول هو من ند يند ندا اذا مضى وجهه هاربا فارا من عذاب الله اذا عاينوا
العذاب وهو من ند الابل وغيره والله اعلم ومن قرأ بالياء فهو التفاعل من النداء فهو على نداء بعضهم
بعضا يوم القيامة كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا وقوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله ويوم يناديهم
فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونحوه ومن قرأه
بغير الياء فقد حذف الياء كقوله فاقض ما انت قاض واصله التنادي والله اعلم ثم قوله تعالى يوم تولون
مدبرين قال بعضهم يوم تولون هاربين من النار مدبرين عنها كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وقوله
عز وجل ما لكم من الله من عاصم اي ما لكم من عذاب الله اذا نزل بكم من مانع يمنعكم من عذابه وقوله عز وجل
ومن يضلل الله فما له من هاد قد ذكرناه وقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات اي جاءكم يوسف
من قبل موسى عليهما الصلوة والسلام بالبينات اي بالآيات والادلة على رسالته وصدقه جايز ان يكون هذا
قول ذلك الرجل لقومه يخبرهم عن سفهه او آبائهم من تكذيبهم يوسف بارض مصر قبل موسى وما كان من القول
منهم بعد ما ذهب من بينهم وردهم آياته وحججه التي اتاهم بها وما اخبر انهم واوايلهم لم يزالوا في شك
وريب مما جاءتهم الرسل من الآيات والادلة وهو ما قال عز وجل فما زلتم في شك مما جاءكم به يقول كم ترك
عادتكم وعادة اوايلكم هذا وقوله حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا جايز ان يكون وان خاطبهم
بقوله جاءكم يوسف بالبينات وقوله فما زلتم في شك مما جاءكم وقوله قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
انما اراد آباءهم واوايلهم لان يوسف عليه السلام لم يكن في زمن هؤلاء مبعوثا اليهم على ما عاتب الابناء بصنيع

مما يحفظ عتاب الابناء بصنيع الآباء في غير آي من القرآن

آبائهم في غير آي من القرآن كقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده وهؤلاء
لم يقتلوا الانبياء ولا اتخذوا العجل وانما فعل ذلك آباؤهم واوايلهم ثم جاء العتاب لهم بصنيع بنوه
صنيع آبائهم واوايلهم فعلى ذلك هذا وجايز ان يكون وان خاطبهم بما ذكر من سوء الصنيع والتكذيب فانما يخبر
عن صنيع آبائهم واياهم فيحذرهم عن مثل صنيع اولئك من التكذيب لهم والرد لادلتهم والقول بعد
ذهابه من بينهم والكذب على الله انه لم يبعث رسولا يقول اياكم ان يكذبوه وتردوا آياته وحججه ثم تقولوا
اذا مات موسى لن يبعث الله من بعده رسولا كما قال اوايلكم اذا مات يوسف لم يكن من بعده رسول بقولهم
حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا يشبه ان يخرج الآية على هذا والله اعلم وقوله عز وجل
كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب فقد ذكرنا تاويله من وجهين فيما تقدم ثم قوله حتى اذا هلك
لن يبعث الله من بعده رسولا يخرج على وجهين احدهما آمنوا به وانكروا رسالة غيره بعده بقولهم
انكروا ان يكون هو مبعوثا اليهم رسولا فيحذر هؤلاء صنيع اولئك ان لا يكونوا كاولئك آمنوا به

مما يحفظ البتة الواجب على كل مسلم ان يمقت الاعمال ما مقته الله ومن مقته

مما يحفظ البتة حروف الاعتلال

في نفي المكان

وانكروا رسالة غيره من الرسل بعده او يقول لا تكونوا كاولئك يكذبونه ما دام حيا فاذا هلك يكذبون
رسالته يحذرهم سفه اوايلهم والله اعلم وقوله عز وجل الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم
اي يجادلون في دفع آيات الله وردها بغير حجة وسلطان اتاهم من الله وبغير حجة مكن لهم بالاحتجاج
والا كان اهل الايمان قد يجادلون فيها حتى اذا ظهر انها آيات الله آمنوا بها واقروا بها لكن الوجه فيه
ما ذكرنا اي جادلوا في دفع آيات الله وردها بغير حجة اتاهم كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به
الحق والله اعلم وقوله كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا هكذا الواجب على اهل الايمان ان يمقتوا
من الاعمال ما مقتها الله تعالى او يمقتوا من مقته الله تعالى من اعدائه وعلى ذلك ذكر ان خير اعمالكم
حب ما احبه الله وبغض ما ابغضه الله او كلام نحوه وشر اعمالكم حب ما ابغضه الله وبغض ما احبه الله
وقوله عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار اي هكذا يطبع الله على كل قلب من جادل
في دفع آيات الله وردها بغير حجة اي يطبع على قلب كل من يعود التكبر والتجبر على الآيات
والرسل والله اعلم ثم قوله كذلك يطبع الله من هو كذا وكذلك يضل الله ونحوه كله حروف الاعتلال
بين الله تعالى العلل التي لها لا يهديهم ويضلهم وكذلك في قوله لا يهدي من هو مسرف كذاب ومسرف
مرتاب ونحوه اي لا يهدي من كان طبعه وعادته الاسراف والكذب وكفران النعم ودفع الآيات والحجج
بلا حجة وبرهان فاما من كان طبعه وعادته غير هذا لكن لجهل جهل ذلك او مما يتحقق عنده
عند لظنه وقلة التامل او لاشتغاله بامور الدنيا او لمعنى من المعاني يجوز ان يهديه الله تعالى
ويرشده على هذا يخرج هذه الآيات والله اعلم وعلى ذلك ما كان من فرعون اللعين من التمويهات
والتلبيسات على اتباعه في امر موسى عليه السلام بعد معرفته ان ذلك ليس بقادح في الآيات والحجج
التي اتاهم موسى عليه السلام اراد ان يموه ويلبس على قومه فكل من كانت عادته وطبيعته ما ذكرنا
من التمويه والتلبيس والمجادلة في دفع الآيات بلا حجة والتكبر عليها فلا يهديه الله تعالى ويطبع على قلبه
والله اعلم وقوله عز وجل وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى للمشبهة تعلق بظاهر هذه الآية يقولون لولا ان موسى عليه السلام كان ذكر واخبر فرعون
ان الاله في السماء والا لما امر فرعون هامان ان يبني له ما يصعد به الى السماء ويطلع الى اله موسى
على ما قال تعالى خبرا عن اللعين لكنا نقول لا حجة لهم فانه جايز ان يكون هذا من بعض التمويهات التي كانت منه
على قومه في امر موسى عليه السلام ومن بعض مكايده التي كانت منه به من نحو قوله ساحر كذاب وقوله
انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ونحو ذلك من التمويهات التي كانت
منه فعلى ذلك قوله ابن لي صرحا فاطلع الى اله موسى تمويه منه على قومه يموه يقول ان موسى انما يدعوا
الى الله في السماء فهو نحو الاله يكون في الارض يموه بذلك على الناس امر موسى من غير ان كان من موسى
ذكر او خبر ان الله تعالى في السماء على ما كان منه ساير التمويهات وان لم يكن من موسى ذكر تلك التمويهات له
والله اعلم ويحتمل ان فرعون قال ذلك لما رأى ان البركات والخيرات ينزل من السماء فظن انه
في السماء ثم اختلف في الاسباب قال بعضهم اسباب السموات ابوابها ويحتمل اسباب السموات
هي الطرق التي يصعد الى السماء وحقيقة الاسباب هي ما يوصل بها الى اشياء يقصد اليها وقد علم
اللعين انه لا يصل الى ذلك بما ذكر من بناء الصرح لكنه اراد بذلك ما ذكرنا من التمويهات والتلبيس على قومه
والله اعلم وقوله عز وجل واني لاظنه كاذبا قال ها هنا لاظنه كاذبا بعد ما قطع القول فيه
وانه كاذب وانه كذاب ليعلم انه كان على حق وانه صادق لكنه يموه بذلك على قومه وقوله وكذلك زين
لفرعون سوء عمله قال بعضهم اي زين الشيطان عليه سوء عمله ويحتمل ان يقال زين له سوء عمله

بالاتباع وكثرة الاموال والحشم الذي اعطى له زين له سوء عمله بالاسباب التي اعطيت له فيكون الله تعالى
مزينا له سوء عمله بالاعطاء الاسباب ويحتمل زين له سوء عمله اي خلق في طبعه ان يرى ذلك حسنا
مزينا وان كان قبيحا في نفسه حقيقة على ما تقدم ذكره وقوله وصد عن السبيل وقرئ وصد بالفتح فمن قرأ
بالفتح فله معنيان احدهما صد هو بنفسه صدودا والثاني صد هو الناس عن سبيله صدا ومن قرأ
صد بالضم اي لم يوفق ولم يرشد لما علم منه اختيار صده وقوله وما كيد فرعون الا في تباب اي في خسار
الثبات الحسنات يقال في قوله تبت يدا ابي لهب اي خسرت ويقال تبا له اي هلاكا له وقيل تبت يد الرجل اي خابت
ثم اخبر عما ذكر ووعظ ذلك الرجل المؤمن من آل فرعون وهو قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم
سبيل الرشاد اي ابين لكم سبيل الرشاد مرة خوفهم بما نزل بأوائلهم بتكذيب الرسل وترك اتباعهم ومرة
بين سفههم في انفسهم بسوء صنيعهم ومرة وعظهم ونصحهم ودعاهم الى اتباعه ليبين لهم سبيل الرشاد
ويهديهم اليه وان خاف على نفسه الهلاك بعد ما اظهر الايمان ولم يبال هلاك نفسه وقال الكسائي
الرشاد والرُّشد والرَّشد ثلاث لغات ولا يقرأ هاهنا غير الرشاد ثم قال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا
متاع اي متاع ومنفعة يبلغ المنتهى آجالكم يبلغ به العاصي والمطيع الى اجله يخبر انها على الانقضاء والذهاب
عن قريب ويخبر ان دار الآخرة هي دار القرار اي يقر باهلها ان كان اهلها اهل خير قرت بهم خيرا ابدا
لا يزول وان كان اهلها اهل شر يقر بهم الشر ابدا لا يزول ثم اخبر عن عدل الله تعالى في اعدائه وفضله
في اوليائه حيث قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها اي لا يجزى ولا يزيد لهم على مثل جناياتهم لان المثل
هو العدل في جميع الاشياء يخبر ان لا يزيد لهم على عقوبة عملهم ولكن يجزيهم بمثله واما جزاء الحسنة
فانه يزيد لهم على قدر ما يستوجبون فضلا منه واحسانا ثم فيه دلالة نقض قول المعتزلة ان صاحب
الكبيرة في النار ابدا لو كان على ما ذكروا كان في ذلك تسوية بين صاحب الكبيرة وبين صاحب الشرك
فاما ان يكون نقصانا لصاحب الشرك عن مثل عقوبته او زيادة لصاحب الكبيرة وقد اخبر انه لا يجزى
الا مثلها فذلك الخلاف ظاهر الآية وقوله عز وجل ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة دل هذا على ان العمل الصالح لا ينفع ولا يجزى به الا من كان منه الايمان به وقوله يرزقون
فيها بغير حساب يحتمل بلا تبعة ويحتمل بغير تقدير وعد قد ذكرناه فيما تقدم وقوله عز وجل
ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كانه قال يا قوم ما لي ولكم ادعوكم الى ما به نجاتكم
وانصح لكم وتدعونني انتم الى ما به هلاكي فمتى يكون بيننا موالاة واجتماع اي لا يكون انما يذكر هذا واشباه
في المواعظ اذا انتهت غايتها وبلغت نهايتها فلم ينجع فيهم وهو كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين وقوله تعالى
لي عملي ولكم عملكم الآية ثم فسر ما يدعونه اليه وما يدعوهم اليه من النجاة حيث قال تدعونني لاكفر بالله
واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار هذا منه تفسير ما دعاهم الى النجاة وبيان
ما يدعونه الى الهلاك ثم قوله واشرك به ما ليس لي به علم قد يستعمل قوله ما ليس لي به علم في نفي العلم اي ليس ذلك
وذلك في اثبات العلم بخلافه وضده يقول واشرك به ما ليس لي به علم ولا كان من الشريك وغيره او يقول
تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لكم به علم والله اعلم ثم بين عجز ما يعبدون من الاصنام وغيرها
وهو ما قال عز وجل لا جرم ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة لا جرم من اي حقا يقول
والله اعلم حقا ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة اي لم يدعوكم الى عبادة نفسها اي الاصنام التي عبدوها
والاول اشبه لانهم كانوا يعبدون تلك الاصنام رجاء ان يشفع لهم فاخبر انها لا تشفع بقوله ليس له دعوة
اي شفاعة والله اعلم وقوله عز وجل وان مردنا الى الله يقول والله اعلم ان مرجعنا الى ما اعد الله لنا
اعد لكم النار واعد لي الجنة وان المسرفين هم اصحاب النار والمقتصدين من اصحاب الجنة والله اعلم

في المتاع

وقوله عز وجل فستذكرون

وقوله عز وجل فستذكرون ما اقول لكم اي ستذكرون اذا عاينتم ما اعد لكم واعد لنا ان ما كنتم عليه
ودعوتموني اليه دعاء الى الهلاك وما دعوتكم اليه هو دعاء الى الجنة او يقول ستذكرون ما نصحت بدعائي
اياكم الى ما به نجاتكم وقوله عز وجل وافوض امري الى الله هذا يخرج على وجوه احدها كانهم خوفوه واوعدوه
بانواع التوعيد والتخويف فقال عند ذلك وافوض امري الى الله واتوكل عليه فيحفظني ويدفع عني
شركم وما تقصدون بي والله اعلم والثاني وافوض امري الى الله اي عليه اتوكل واكل في جميع الامور من الخيرات
والشرور وهو الكافي لذلك والثالث اظهار الحاجة اليه والمؤمن ابدا يكون مظهرا الحاجة الى الله تعالى
في كل وقت وكل ساعة والله اعلم والرابع وافوض امري الى الله اي لا اشتغل بشيء في امري اصيره الى الله تعالى
وعلى قول المعتزلة لا يصح تفويض الى الله تعالى لانهم يقولون ان عليه ان يعطيه جميع ما يحتاج اليه
المكلف حتى لا يبقى عنده مزيد واذا لم يبق عنده شيء فليس لتفويض الامر اليه معنى والله الموفق وقوله عز وجل
فوقاه الله سيئات ما مكروا دل هذا على انهم قد قصدوا وقصدوا المكر به حيث اخبر انه وقاه سيئات
ما مكروا والجائز انهم هموا به قتله ويحتمل غيره ثم يحتمل ما وقاه عن مكرهم بما وقى موسى عليه السلام
كان من بذل نفسه لله تعالى لما اهلكهم والنجاة عن شرهم ويحتمل توجيها آخر لا نعرفه لانا لا نحتاج اليه وانما حاجتنا
الى ان نعلم ان كل من بذل نفسه لله تعالى وكل امره اليه وقاه الله تعالى وحفظه وقوله عز وجل وحاق بآل
فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا استدل بعض الناس على عذاب القبر بقوله النار
يعرضون عليها وانما يعرض ارواحهم على النار فتألمت اجسادهم في القبور لذلك وكذلك يعرض ارواح
اهل الجنة على الجنة فيتلذذ اجسادهم بتلذذ الارواح بعد ان احدث فيها الحيوة التي بها يتحقق الالم
واللذة هذا في القبور ثم اذا دخلوا النار يكون لهم ما ذكر من العذاب حيث قال ويوم تقوم الساعة
ادخلوا آل فرعون اشد العذاب والله اعلم وجائز ان يكون ما ذكر من العرض على النار قبل القيامة
قبل ان يدخلوا النار كقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله
فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون يكون عرضهم على النار هو وقت وقفهم للسؤال
وحبسهم لذلك ثم يدخلون النار فيكون لهم العذاب الذي ذكر وهو قول الحسن ثم قوله غدوا
وعشيا يحتمل قدر غدو وقدر عشي فان كان التأويل في عذاب القبر يحتمل ما قال بعضهم
ان يقال لهم هذا لكم ما دامت الدنيا ويحتمل انه ذكر على ارادة الغدو والعشي حقيقة ذلك كل وقت
لكن يتجدد التألم والوجع بكل قدر عشي وغدو والله اعلم وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال جعلت ارواح آل فرعون في اجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال يا آل فرعون
هذه داركم قال عبد الله فذلك عرضها فان ثبت هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو تفسير
لما ذكر من الغدو والعشي ثم ان ثبت هذا عنه فهو سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه مما
لا يدرك بالتدبير مع ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا مات احدكم عرض على مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان
من اهل النار فمن النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعث اليه يوم القيامة فان ثبت هذا
وصح عنه فهو دليل لوجوب عذاب القبر والله اعلم وجائز ان يكون قوله النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا اي يعذبون في الاوقات كلها بعد ادخالهم فيها وذكر الغدو والعشي يخرج على سكون
النار في اوقات ثم يلتهب كقوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا والله اعلم فان قيل ما الحكمة فيما ذكر
من ادخال آل فرعون من اشد العذاب والخصوصية لهم في ذلك من بين غيرهم من الكفرة قيل
لوجهين احدهما ان غير موسى من الرسل عليهم الصلوة والسلام قد نسبوا الى السحر كما نسب اليه موسى

في عذاب القبر

في العرض على النار والجنة في القبر

لكن لم يتبين ولا تحقق لقومهم براءة رسلهم فيما قرفهم الرؤساء والقادة منهم بالسحر والكذب بما وجد منهم
التمويه على السفلة والاتباع وقد تحقق لآل فرعون براءة موسى بما قرفه فرعون بالسحر والكذب وتبين عندهم
صدق ما ادعى من الرسالة وذلك بما اقر جميع سحرة فرعون ان ما جاء به موسى حق وما يقوله صدق وايمانهم
بموسى عليه السلام بما رأوا جهارًا واختاروا القطع والصلب ولم يمتنعوا عن متابعته وما رأوا من انقلاب العصا حية
تسعى وتلقف ما صنعوا فيكون عنادهم اشد ومكابرتهم اكبر فلذلك استحقوا اشد العذاب والله اعلم والثاني
ان آيات موسى عليه السلام اكثرها كانت حسية وآيات غيره عقلية ومعرفة ما كان سبيله الحس مما لا يتمكن منه
شبهة وقد يتمكن الشبهة فيما كان سبيله العقل فيكون عنادهم اشد وبعد فانهم قد اتبعوا فرعون لما ادعى
لنفسه من الالوهية بلا حجة وبرهان طلبوا منه وتركوا اتباع موسى عليه السلام بما ادعى من الرسالة بعد
ما اقام على ذلك من البينات والحجج والبراهين فلذلك كان لهم اشد العذاب والله اعلم وقوله عز وجل
واذ يتحاجون في النار محاجتهم في النار ما ذكرها هنا وفي آي من القرآن وهو ما ذكر فيقول الضعفاء
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قد علم الضعفاء والاتباع لا يملكون
دفع ما هم فيه لانهم لو كانوا يملكون ذلك لدفعوا عن انفسهم فاذا لم يملكوا دفع ذلك عن انفسهم فلان لا يملكون
دفع ذلك عنهم احق لكنهم قالوا ذلك لهم ذلك ليزداد حسرة وندامة وهو كقوله تعالى في آية اخرى
فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء الى قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ويحتمل
انهم انما قالوا لهم ذلك لما قالوا لهم في الدنيا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيقولون لهم لذلك
في الآخرة فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء اي حاملون عنا بعض الذي علينا من العذاب
انا كنا لكم تبعا في الدنيا قالوا انا كل فيها يعذب ان الله قد حكم بين العباد وقوله عز وجل قال الذين
استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد هذا من اولئك الذين استكبروا جوابًا للضعفاء
على احد التأويلين ولا يكون جوابًا للآخر وهو جواب لقولهم الذي قالوا في الدنيا ولنحمل خطاياكم
فيقولون ان الله قد حكم بين العباد ان لا نزيد العذاب على مثل السيئة وقد حكم الله تعالى على كل منا
بالمثل فلا نزيد على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب كان فزع الكفرة ابدًا الى الخلق اذا نزل بهم البلاء في الدنيا الا ان يضطروا
فعند ذلك يفزعون الى الله تعالى فاما ما لم ييأسوا منهم فلا يفزعون اليه فعلى ذلك يكون فزعهم في الآخرة الجنة
الى الخلق وهو ما سألوا اهل الجنة من الماء اخبر الله تعالى عنهم بقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فلما يئسوا من ذلك عند ذلك
فزعوا الى مالك وهو ما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون سألوه
الموت فلما اخبرهم انهم ماكثون فعند ذلك فزعوا الى الخزنة وقالوا ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات فلما يئسوا منهم ومما سألوهم من تخفيف العذاب عنهم عند ذلك
فزعوا الى الله تعالى وهو قولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وقولهم ربنا اخرنا
الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل لم يفزعوا الى الله تعالى الا بعد ما انقطع رجاؤهم منهم
وايسوا وبالله العصمة والنجاة وقد استدل بقوله تعالى اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى
من لا يرى الحجة والحكم يلزمهم بمجرد العقل دون الرسل عليهم السلام حيث احتج عليهم الخزنة بتكذيبهم الرسل
وردهم البينات التي اتتهم الرسل واستدلوا ايضا بقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبقوله تعالى
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقوله تعالى وما كان
ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا وغيرها من الآيات التي فيها انه لا يعذبهم الا بعد ما قامت عليهم الحجة

في العقل

من جهة الرسل ولزمهم الحكم بهم فعند ذلك يعذبون لكن تأويل الآية يخرج عندنا على وجهين
احدهما ان يكون ذلك في قوم خاص الذين لا يرون لزوم الحجة والحكم الا من جهة الرسالة فيحتج عليهم
بما كانوا يرون به ليكون اقرب الى الالزام والحجة وان كانوا يجوزان يحتج عليهم بما هو حجة وهم لا يرونها
حجة والله اعلم والثاني انما ذكر ذلك على المبالغة والنهاية في الحجة وان كانت الحجة قد لزمتهم والحكم
قد ثبت بدون ذلك وهو العقل لان ارسال الرسل واقامة المعجزات اقرب الى الوصول الى الحق وقد قام كلى
الحجتين فذكروا اظهر الحجتين ليكون اقرب الى اظهار عنادهم وهذا كما في تعذيب الكفرة انهم لم يعذبوا
بنفس الكفر حتى كان منهم مع الكفر الاستهزاء بالرسل والعناد لهم وغير ذلك وانما كانوا يستوجبون
العذاب بنفس الكفر لكن ترك تعذيبهم حتى يبلغوا النهاية والابلاغ في التكذيب والعناد وهو كقوله تعالى
الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ذكر هذا على النهاية والابلاغ في الجناية منهم وان كانوا
يستوجبون العذاب بجحودهم الزكوة دون جحود البعث او جحود البعث دون جحود الزكوة فعلى ذلك الآيات
التي ذكرها هي على الابلاغ والنهاية وان كانت الحجة يلزمهم والحكم يثبت بدون الرسل والله الموفق وبعد
فان في قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا ان الحجة والحكم قد لزمهم بدون الرسل لانه
لو لم يلزم لكان في التعذيب ظالما لانه يعذب قبل ان يلزمهم الحكم فيصير تقدير الآية ولو انا ظلمناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فلا يكون ظالما فيما عذبتنا والظلم
من الله تعالى محال فيستحيل تقدير الآية على هذا الوجه دل ان التعذيب قبل الرسل عدل وحكمة
وليس بظلم والله الموفق وبعد فان في قوله اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات دلالة ان الحجة انما يلزم
بالبينات لا بنفس الرسل والبينات قد وجدت وسبب المعرفة وطريقها وهو العقل قائم وقوله عز وجل
قالوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال ليس على الامر بالدعاء ولكن معناه انكم وان دعوتم لا ينفعكم دعوتكم
كقوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اي هلاكا والله اعلم وقوله عز وجل انا لننصر
رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا يحتمل ما ذكر من النصر للرسل والمؤمنين وجوها احدها اي ينصرهم
في الدنيا بالحجج والآيات التي اعطاهم في الدين حتى يدفع بها تسويلات الشيطان وتمويهات السحرة
وتغلبها وتعلوا على الكل هذا في الدنيا وفي الآخرة ايضا ينصرهم بما يشهد لهم عليهم الملائكة والجوارح
بالتكذيب للرسل والمؤمنين وانهم دعوهم الى التوحيد والايمان لكنهم كذبوهم وكفروا بما دعوهم
اليه فذلك نصره اياهم في الدنيا والآخرة والله اعلم والثاني ينصرهم لما يجعل لهم العواقب وآخر
الامر وان كان في الابتداء قد يكون عليهم وعلى ذلك لم يذكر عن احد من الرسل الا وقد كان عاقبة الامر له
وهو كقوله تعالى والعاقبة للمتقين فهذا النصر هو النصر في الابدان والاول هو نصر في الدين ولكن كان
هو نصرا في الابدان فهو نصر يرجع الى الدين لما يقوم الدين بسلامة الابدان ويتحقق به عن المسلمين والله
الموفق والثالث ذكر نصرهم لما اعطاهم من النعمة في الدنيا والسعة فيها وهو يذكر للرسل والمؤمنين
نصرا ونعمة ومعونة اما هي للكفرة فيه ومحنة لا غير لا يذكر باسم النصر والنعمة اذ هي في حق المسلمين وسبيلها
الى النعمة الابدية وفي حق الكفرة الى العذاب لا بد فيكون نعمة في حقهم حقيقة وكذلك قال تعالى الم احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وقال بل هي فتنة وقوله نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون قد اخبر ان ما اعطاهم من الاموال والسعة انما هي فتنة ومحنة لهم والله اعلم فان قيل
ذكر انه ينصرهم وقد ترى مؤمنا قد ينقطع بحججه ويعجز عن اقامتها وتراه مغلوبا والكافر هو الغالب
قيل عن هذا جوابين احدهما من جعل العاقبة له والغلبة والنصر في آخر الامر والثاني جاز ان يكون
وعد النصر لهم والظفر بالحجة بالشريطة وهي القيام بوفاء ما لله عليهم من الحق في ذلك فالنصر والظفر

يقوم الدين بسلامة الابدان

بالحجة في المناظرة ان يكون يؤحى عمره في معرفة الحجج والدلايل وان يكون عارفاً بطرق النظر ومتى كان هذا
الشرط موجوداً يكون النصر له لا محالة وشرط الظفر في المحاربة ان يكونوا قاصدين اعزاز دين الله تعالى دون ابتغاء
ابتغاء الدنيا او كلمتهم واحدة ونحوها ومتى كان المحاربة بشرايطها يكون الظفر لا محالة للمسلمين وذلك
كقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم والله اعلم وقوله عز وجل ويوم يقوم الاشهاد قال بعضهم الاشهاد
هو الملايكة يكتبون اعمال بني ادم يشهدون عليهم بما عملوا من الاعمال وقال بعضهم الاشهاد هم الرسل يشهدون
عند رب العالمين على الكفرة بالتكذيب والرد وقال بعضهم يشهد عليهم الجوارح يومئذ بما كان منهم
والله اعلم وقوله عز وجل يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ذكر هاهنا لا ينفع الظالمين معذرتهم وذكر
في موضع اخر ولا يؤذن لهم فيعتذرون وبينهما اختلاف من حيث الظاهر لان القول بانه لا ينفع معذرتهم
بعد وجودها منهم وقد اخبر انه لا يؤذن بالاعتذار لكنهم يعتذرون بلا اذن لهم فلا يقبل اعتذارهم
ولا ينفعهم ذلك فيكون جمعاً بينهما من هذا الوجه ويحتمل لا ينفع الظالمين معذرتهم لو كان منهم
الاعتذار ولا يقبل اعتذار لكن لم يؤذنوا بالاعتذار حتى يعتذروا وهو كقوله تعالى لا يقبل منها عدل
ولا ينفعها شفاعة اي لو كان منهم فذلك لا يقبل وكذا قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لو كانت لهم
شفعاء يشفعون لهم لكان لا ينفعهم شفاعتهم لا ان كان لهم شفعاء فعلى ذلك قوله تعالى لا ينفع الظالمين
معذرتهم اي لو كان يعتذرون لا يقبل اعتذارهم ولا ينفعهم معذرتهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد
آتينا موسى الهدى يحتمل الهدى هاهنا وجوها احدها اي آتيناه التورية وفيها البيان والدعاء
الى الرشد وجميع كتب الله تعالى فيه هدى ونور ورحمة والثاني اي اتاه التوحيد والاسلام ويحتمل
اتاه النبوة والرسالة واتاه كل ما لله عليه من حق والله اعلم وقوله عز وجل واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى
وذكرى لاولي الالباب يحتمل قوله الكتاب التورية خاصة ويحتمل التورية وساير الكتب لان الكتب
في بني اسرائيل كانت كثيرة كان فيها التورية والزبور والانجيل وغير ذلك فجايز ان يريد
بالكتاب جميع الكتب التي كانت فيهم اذ ذكر الكتاب بالالف واللام وانه يحتمل الجنس والعهد فيجوز الصرف
الى التورية لمكان العهد ويجوز الصرف الى الجميع لمكان الجنس والله اعلم وفي الاية دلالة ان لا جميع كتب الله
التي انزلت فيهم غيرت وبدلت بل فيهم ما لم يغير ولم يبدل حيث قال واورثنا بني اسرائيل الكتاب
هدى وذكرى لاولي الالباب ثم قوله تعالى هدى هو ما ذكرنا ان جميع كتب الله تعالى هدى من الضلالة
الى الرشد وبيان لما لله عليهم وما لبعض على بعض وقوله وذكرى قال بعضهم موعظة وقال بعضهم
تفكراً لاهل الكتب والعقل وجايز ذكرى اي ذكر ما سبق ليذكرهم ما نسوا وقوله لاولي الالباب ذكر
اولي الالباب لان اهل اللب هم الذي يتفكرون ويتاملون فيه او ان اهل اللب هم المنتفعون بالذكرى وما ذكر
والله اعلم وقوله عز وجل فاصبر ان وعد الله حق يحتمل قوله فاصبر وجوهاً احدها على التكذيب لا يتاذى
باستهزائهم به والثاني انواع ما يكيدونه من همهم قتله وضربه وغير ذلك والثالث يحتمل قوله تعالى
فاصبر اي اصبر على تبليغ الرسالة اليهم ولا يضجرنك تكذيبهم اياك ولا يمنعك ذلك عن تبليغها والله اعلم
والرابع اصبر ولا تستعجل لهم العذاب قبل ميقاته وذلك ان الرسل عليهم الصلوة والسلام كانوا لا
لا يستعجلون العذاب ما لم يؤذن لهم بذلك والله اعلم ثم قوله فاصبر ان وعد الله حق ان كان المراد
من وعده نفس الوعد فيكون تاويله ان وعد الله صدق وعدل لا يخلف ولا يكون كذباً لان خلف الوعد
في الشاهد انما يكون لاحد معنيين اما العجز عن القيام بوفائه واما الضرر يخاف ان يلحقه لو قام
بوفاء ما وعد والله تعالى بريء عن المعنيين جميعا متعال عن ذلك وان كان المراد من قوله تعالى ان وعد الله
حق اي موعود الله فيكون تاويله ان موعود الله تعالى لكاين حقا ووعد الله تعالى على الوجهين الذي ذكرناهما

وعلى هذا

وعلى هذا يذكر امر الله تعالى قد يراد به نفس الامر كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد ويذكر ويراد به المفعول
كقوله تعالى وكان امر الله مفعولا اي ما يكون بامره مفعولاً ويكون موعود الله مفعولا والله اعلم وما ذكر الصلوة
امر الله ثم لسنا ندري ما كان من وعده لرسوله حتى اخبر انه كاين فجايز ان يكون ما قال بعض اهل التاويل
انه وعده ان يعذب كفار مكة يوم بدر بالقتل وغير ذلك فكذبوه وقالوا استهزاء به متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين قال فاصبر ان وعد الله حق ويحتمل غيره والله اعلم وقوله عز وجل واستغفر لذنبك وجايز
ان يكون ما ذكر في قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر باستغفاره اياه وجايز ان يكون قوله
ليغفر لك الله ما يغفر له من امته بشفاعته كما ذكر في الخبر يغفر للمؤذن مد صوته اي يجعل له الشفاعة
الى حيث يبلغ صوته والله اعلم وقوله عز وجل وسبح بحمد ربك قد ذكرنا التسبيح بحمد ربه ثم جايز ان يريد
بالتسبيح فان كان كذلك فيكون ذكر العشي والابكار ليس هو ذكر التوقيت له ولكن الاوقات كلها الليل
والنهار كقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ليس يريد نفس الغداة والعشي
خاصة دون غيرهما من الاوقات بل هما عبارة عن جميع الاوقات كانه يقول اصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم اناء الليل والنهار فعلى ذلك الاول يحتمل هذا والله اعلم وان كان المراد من التسبيح هاهنا الصلوة
فكانه يقول فصل بحمد ربك بالعشي والابكار كناية عن صلوة النهار وان يكون الابكار كناية عن صلوة الغداة
والعشي كناية عن صلوة العشاء على ما ذكره بعض الناس والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يجادلون في آيات الله
بغير سلطان اتاهم قال عامة اهل التاويل ان اليهود جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الدجال انه منهم وانه في الطول كذا ونحو وعلى ذلك نسقوا الايات التي يتلوا هذه الاية ولكن لسنا
ندري بما ذا صرفوا مجادلتهم في آيات الله الى المجادلة في الدجال ولا يسع ان يحمل ما ذكر من مجادلتهم في آيات الله
على المجادلة في الدجال الا ان يثبت خبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق التواتر ان المجادلة
المذكورة في الاية في الدجال فحينئذ يصرف الى ذلك والله اعلم ثم قوله ان الذين يجادلون في آيات الله
اي يجادلون في دفع آيات الله بغير حجة اتاهم من الله وكانت المجادلة في دفع آيات الله من رؤساء الكفرة
واكابرهم كانوا يموهون بمجادلتهم في دفع آيات الله تعالى والطعن فيها على اتباعهم وسفلتهم ليبقى لهم
الرياسة والماكلة التي كانت لهم وهو ما ذكر وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن الاية
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وغير ذلك من الايات لم يزل الاكابر منهم والرؤساء
يطعنون في آيات الله تعالى ويدفعونها يريدون التمويه والتلبيس على اتباعهم وسفلتهم ليبقى لهم العز
والشرف الذي كان لهم ويبطلوا به الحق ويطفئوا نوره كقوله تعالى ليدحضوا به الحق وقوله يريدون ان يطفئوا
نور الله بافواههم هذا كان مرادهم من مجادلتهم في آيات الله تعالى والطعن فيها ثم اخبر انهم انما يجادلون
ويفعلون ذلك تكبراً منهم على آيات الله تعالى والخضوع لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان في صدورهم
الا كبر اي كبرهم هو الذي حملهم على المجادلة في آيات الله ثم الذي حملهم على الكبر جهلهم بسبب العز والشرف
ظنوا ان العز والشرف انما يكون بالاتباع الذين يصدرون عن رايهم ولو عرفوا انه يكون العز والشرف كانوا
لا يفعلون ذلك انما العز والشرف في طاعة الله تعالى واتباع امره ليس في اتباع من اتبعهم ولا في ايتمار من ائتمرهم
ولكن فيما ذكرنا والله اعلم ثم اخبر انهم ليسوا ببالغيه الى ما قصدوا من اطفاء نور الله تعالى الذي
اعطى المؤمنين ولا ادحاض الحق وابطاله حيث قال وما هم ببالغيه وهو كقوله تعالى ويابى الله الا ان يتم
نوره وقوله عز وجل فاستعذ بالله انه هو السميع البصير قال عامة اهل التاويل امره ان يستعيذ بالله
من فتنة الدجال لكن عندنا امره ان يتعوذ بالله من مكايد اولئك الاكابر والفراعنة الذين قد هموا ان يمكروا به
ويكيدوه امره ان يتعوذ بالله من مكرهم وكيدهم كما امره ان يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حيث قال

وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الاية وهذا اولى من الاول والله اعلم وقوله عز وجل لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس قال اهل التاويل اى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الدجال
لكن قد ذكرنا بعد صرف الاية الى الدجال ثم يحتمل قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وجهين
احدهما الاية نزلت فى مقرين بخلق السماء والارض منكرين بالبعث يقول ان خلق السموات والارض
مبتدا، بالاحتذا بغير اكبر واعظم من اعادة الناس فاذ عرفتم انه قدر على خلق السموات والارض
مبتدا، بلا احتذا، بغير لكان قدرته على اعادة الخلق احق اذ اعادة الشئ فى عقولكم اهون من البداية
كقوله وهو اهون عليه فكيف انكرتم قدرته على البعث وقد اقررتم بقدرته على خلق ما ذكر والثانى
ان يكون الاية نزلت فى مقرين بخلق الناس منكرين بخلق السموات والارض يقول ان خلق السموات
والارض وامساكها فى الهواء بلا تعليق من الاعلى ولا عماد من الاسفل مع غلظها وكثافتها اكبر واعظم
فى الدلالة على حدثها وخلقها من خلق الناس لان خلق الناس انما يكون بالتغير والتولد من حال الى حال
الاخرى فيجوز ان يتوهم كون ذلك وافتراقه ثم اجتماعه من بعد وظهور ذلك منه واما السماء
فهى على حالة واحدة فلا يتمكن توهم ذلك لما ذكرنا والله اعلم ويحتمل ان يكون الاية فى نازلة كانت وسبب
لسنا نحن نعرف ذلك وقوله عز وجل وما يستوى الاعمى والبصير قال بعضهم لا يستوى من عمى عن توحيد
وشكر نعمه من ابصر وحدانية الله وقام بشكر نعمه كما لم يستو عندكم من جهل حق آخر وكفر نعمه واحسانه
من عرف حقه وقبل احسانه وقام بشكره فاذا عرفتم انه لا استواء بين هذين عندكم فاعرفوا انه لا يستوى
من عمى عن وحدانية الله وشكر نعمه من ابصر وحدانيته وقام بشكره وكذلك ما ذكر من قوله والذين آمنوا
وعملوا الصالحات ولا المسئ يقول اذ قد عرفتم انه لا يستوى من آمن بالله وصدقه آخر واحسن اليه
من كذبه واساءت اليه فعلى ذلك لا يستوى من آمن بالله وصدقه وقابل احسانه بالشكر من كذبه وكفر نعمه
واحسانه وقال بعضهم اراد بقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير حقيقة الاعمى عمى البصر والبصير نفسه
يقول تعرفوا انه لا تستوى الاعمى عمى البصر البصير نفسه فى الدنيا فعلى ذلك لا يستوى من عمى عن دينه
من ابصر فى الآخرة وقد عرفتم انهم قد استووا فى هذه الدنيا اعنى المسئ والمحسن والصالح والمفسد والمطيع
والعاصى وفى الحكمة التفريق بينهما دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما فيها والله اعلم وقوله عز وجل
قليلا ما يتذكرون اى قليلا ما يتذكرون ان لا استواء بين من ذكر من المحسن والمسئ والصالح والمفسد
والمطيع والعاصى والله اعلم وقوله عز وجل ان الساعة آتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
اخبر انها آتية لا محالة وقد ذكرنا انما صار خلق الدنيا وما فيها حكمة بالساعة ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون بها والله اعلم وقوله عز وجل وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الاية نزلت فى اهل التوحيد
يقول ادعونى استجب لكم ثم يخرج على الاستغفار مرة لما كان منهم من التضييع فى حقوق الله تعالى
وما امرهم به ونهاهم عنه والتفريط فى ذلك استغفروا اغفر لكم ويحتمل ادعونى استجب لكم اطلبوا منى
التوبة عن ذلك اتوب عليكم والله اعلم وان كانت الاية فى اهل الكفر فيكون قوله ادعونى استجب لكم
اى وحدونى اغفر لكم ويحتمل اعبدونى اغفر لكم وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقد جاء
فى بعض الاخبار عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدعاء هو العبادة ثم قرا ادعونى استجب لكم وفى بعض
الاخبار الدعاء مخ العبادة واصل هذا انه ينظر كل احد الى ما ارتكبه فان كان سببا تستوجب به
العقوبة كان استغفاره القيام بقضاء ما تركه وضيعه والعزم على ان لا يعود الى ذلك ابدا وان كان سببا
غير معروف تركه يستغفر الله تعالى فى ذلك ويطلب منه التجاوز والمغفرة والله اعلم واصل ذلك ما قال الله
اوفوا بعهدى اوف بعهدكم وقوله عز وجل فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى

الدعاء مخ العبادة

ذكر الاجابة

721

اجابة الدعاء بالشريطة

ذكر الاجابة بالشريطة وهو انهم اذا آمنوا به وافوا بعهده يوف لهم ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين استدل بعض بهذه الاية
على ان قوله ادعونى انما اراد به العبادة على ما ذكرنا فان قيل ان هذه السورة نزلت بمكة واهل مكة
كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفى ظاهر ذلك انهم لا يستكبرون عن عبادته
لكنهم لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله فعبدوا غيره دونه لمن يعظم ويخدم خادما من خدم
ملك من ملوك الدنيا لا يكون مستكبرا عن خدمة الملك لكن تاويل الاية يخرج على وجهين احدهما
ان الله تعالى امر عباده بطاعة رسوله والاجابة له الى ما يدعوهم اليه فاذا لم يجيبوه الى ما يدعوهم
اليه ولم يطيعوه استكبارا منهم وتكبرا عليه صار ذلك منهم كالاستكبار عن طاعة الله وعن عبادته
والله اعلم والثانى انهم وان كانوا عبدوا الاصنام رجاء ان يقربهم الى الله زلفى ولم يقصدوا
قصد الاستكبار عن عبادته فهم تركوا عبادته مع انهم امروا بها وبلغ اليهم امره على السن
الرسل فكانهم استكبروا عن عبادة الله تعالى اذ فى الشاهد يخدم المرء لبعض خواص الملك
ليقربه اليه لكن اذا امره الملك ان يخدمه ويقربه الى مجلسه فامتنع يعد ذلك منه استكبارا
ويتبين ان خدمته لذلك ما كان ليقربه الى الملك حيث قربه فلم يتقرب ففى الغايب كذلك لذلك
كان استكبارا منهم والله اعلم وقوله سيدخلون جهنم داخرين قال القتبى وابو عوسجة داخرين
صاغرين ذليلين وقوله عز وجل الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يذكرهم نعمه التى
انعم عليهم يتادى بذلك شكره حيث قال جعل لكم الليل لتسكنوا فيه راحة لانفسكم وابدانكم
والنهار مبصرا تبصرون فيه معايشكم وما تحتاجون اليه ثم قوله والنهار مبصرا اى يبصر به وفيه وقوله
عز وجل ان الله لذو فضل على الناس اخبر ان ذلك كله منه لهم فضل ومنة ورحمة لا باستحقاق
يستحقون ذلك قبله ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله
الا هو فانى تؤفكون يقول ذلك الذى صنع بكم هو ربكم لا الاصنام التى تعبدون من دونه خالق
كل شئ واحد لا شريك له فانى تؤفكون اى انى تصرفون وتعدلون عن عبادته والقيام بشكره والله علم
وقوله عز وجل كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون عن عبادته والقيام بشكره قبلكم واصل
الافك الصرف كقوله اجئتنا لتافكنا اى لتصرفنا والله اعلم وقوله عز وجل الله الذى جعل لكم الارض
قرارا والسماء بناء يذكرهم عظم نعمه عليهم حيث جعل لهم الارض بحيث يقرون عليها ويتعيشون
فيها والسماء بناء عليهم حيث لا يسقط عليهم وجعل منافع بعضها متصلة بمنافع البعض على بعد
ما بينهما ليعلم ان ذلك كله صنع واحد وقوله عز وجل وصوركم فاحسن صوركم يحتمل وجهين
احدهما قوله فاحسن اى احكم واتقن فى الدلالة على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته على ما اظهر
فى كل شئ من الدلالة على وحدانيته وربوبيته والثانى قوله فاحسن صوركم اى حسن تركيبها
منتصبا قامتها غير منكبة كساير الصور التى خلقها منكبة على وجهها وقوله عز وجل ورزقكم من الطيبات
قال بعض اهل التاويل اى رزقكم من الحلال لكن الاشبه اى رزقكم من اطيب ما اخرج من الارض
لان الله تعالى اخرج من الارض نباتا مختلفة فجعل الطيبة والنيئة رزقا للبشر وساير رزقا
للدواب والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم ذلك الذى صنع بكم هذا هو ربك لا الاصنام التى
تعبدونها فتبارك الله رب العالمين وقوله عز وجل هو الحى لا اله الا هو قال اهل التاويل
الحى هو الذى لا يموت ابدا لكن هذا مما يعرفه كل احد واصل الحى هو النهاية والغاية فى الثناء عليه
والمدح لان كل شئ يبلغ فى الانتفاع به غايته يسمى حيا نحو الارض والاشجار وكل شئ يبلغ فى الانتفاع

فى الحى

الله بمعنى معبود

والله اعلم وقوله لا اله الا هو هو المعبود فى لسان العرب ويسمى العرب كل معبود الهاً كانه يقول
لا اله ولا معبود يستحق العبادة الا هو وقوله عز وجل فادعوه مخلصين له الدين اى ادعوه باخلاص الدين له
ثم يحتمل قوله فادعوه مخلصين وجهين احدهما اى اعبدوه مخلصين له الدين اى ادعوه باخلاص الدين له
العبادة لا تشركوا فيها غيره من نحو ما كانوا يعبدون الاصنام دونه رجاء الشفاعة لهم وتقريبهم اليه
اخلصوا العبادة والدين والاخلاص هو التصفية له والثانى ادعوه على حقيقة الدعاء له والتسمية
كانه يقول والله اعلم ادعوه وسموه الهاً لا تدعوا ولا تسموا غيره الهاً لانهم كانوا يسمون ويدعون
الاصنام التى عبدوها الهة وقوله عز وجل الحمد لله رب العالمين اى الحمد لله رب العالمين على ما
بما انعم عليهم وصنع اليهم والله اعلم وقوله عز وجل قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله
لما جاءنى البينات من ربى كان الكفرة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة ما عبدوهم
من الاصنام فقال انى نهيت عن ذلك وهو كما ذكر فى غيره من القرآن حيث قال قل انى امرت ان اعبد الله
مخلصاً له الدين وقوله عز وجل ولا تكونن من المشركين وغير ذلك من الآيات وقوله لما جاءنى
البينات من ربى يحتمل وجهين ان كان المراد من البينات القرآن او الآيات التى نزلت معجزة له على ما قاله
اهل التأويل فهو على التأكيد والابلاغ فانه كان النهى عن عبادة غير الله تعالى والشرك بالله لازماً
قبل مجىء الرسل وما اتوا من البينات على ما تقدم والله اعلم والثانى يحتمل قوله لما جاءنى البينات من ربى
العقل وما يعرف به ذلك ويكون قوله جاءنى اى ظهر لى كقوله تعالى جاء الحق اى ظهر الحق والله اعلم وقوله
وامرت ان اسلم لرب العالمين اى امرت ان اجعل الخلق وكل شىء لله سالماً خالصاً لا اشرك فيها غيره
والله الموفق وقوله عز وجل هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة يذكرهم الوجوه التى بها
يوصل الى معرفة شكر ما انعم عليهم حيث قال هو الذى خلقكم من تراب اى خلق اصلكم من تراب ثم من نطفة
اى خلقكم من نطفة يذكرهم هذا ليعلم خلقه اياهم من تراب اعنى خلق اصلهم ليس باستعانة منه
بذلك التراب لانه لو كان على الاستعانة منه به لكان لا معنى لخلق انفسهم من الماء على الصورة التى
خلق من تراب وعلى جنسه اذ ليس فى الماء من آثار التراب شىء ولا فى الماء والنطفة من آثار العلقة
شىء ولا فى العلقة من آثار الطفولية شىء من اللحم والعظم والجلد والشعر وغير ذلك ليس فى التراب
معنى الماء ولا فى الماء معنى التراب ولو كان على الاستعانة بذلك لكان المخلوق من احدهما لا يكون
مثل المخلوق من الآخر فى تركيبه وتصويره وهما مما يختلفان فى انفسهما وكذلك ما ذكر من تقليبه
من حال الى حال وتبديله من نوع الى نوع وليس فى كل حال تقلب اليها من الحال التى كانت شىء ولا من شبهها
ليعلم ان كل ذلك انما كان بقدرة ذاتية وعلم ذاتى وتدبير ذاتى لذلك لا بالاستعانة بشىء مما ذكر
ولا سبب له فى ذلك ولكن لمعنى جعل فيه كان ذلك كذلك بوجود ذلك المعنى والله اعلم وقوله
عز وجل ثم لتبلغوا اشدكم اى تبلغوا حتى يشتد كل شىء منه من البنية والعقل وغير ذلك وقوله
ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل اى ومنكم من يتوفى من قبل ان يبلغ شيخاً وقوله ولتبلغوا
اجلاً مسمى اى لتبلغوا الاجل الذى جعل لكم وقوله ولعلكم تعقلون اى تعقلون ما بين لكم
وذكر لكم وقوله وهو الذى يحيى ويميت اى وهو الذى يخلق حياة كل شىء ويخلق موت كل شىء
وعلى قول المعتزلة لا يجوز ان يسمى كل عبد محيياً ومميتاً لقولهم ان القتيل ليس بميت باجله بل بميته
القاتل وقولهم ان المتولدات من الفعل هو فعل ذلك الفاعل فعلى قولهم هذا يجوز تسميته كل احد
محيياً ومميتاً والله اعلم وقوله عز وجل فاذا قضى امراً فانما يقول له كن من غير ان كان منه كاف
او نون فذلك تكوينه والله الموفق وقد ذكرنا هذا فيما تقدم على الابلاغ وقوله عز وجل الم تر الى الذين

يجادلون فى آيات الله قوله الم تر هو على حقيقة الرؤية والنظر ويحتمل الم تر الم تعلم معناه
الم تعلم سفه الذين يجادلون فى آيات الله او جهل الذين يجادلون فى آيات الله اى فى دفع آيات الله
والطعن فيها بلا حجة على ما تقدم ذكره فى قوله يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتيهم فعلى ذلك
هذا وقوله عز وجل انى تصرفون اى اى حجة تصرفهم او صرفتم عن آيات الله بعد ما تقرر عندهم انها آيات الله
والله اعلم وقوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا جايز ان يكون قوله الذين كذبوا بالكتاب
وبما ارسلنا به رسلنا تفسير مجادلتهم التى ذكر فى دفع آيات الله وجايز ان يكون قوله الذين كذبوا
بالكتاب وجايز ان يكون قوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا اى الذين كذبوا بالكتاب الذى
اتاهم الرسل وكذبوا بما ارسلنا به رسلنا اى كذبوا ايضاً بما امرهم الرسل بالوحى من غير كتاب
اذ الوحى نوعان متلو وغير متلو فلم يكن قوله وبما ارسلنا تفسيراً للكتاب وعلى التأويل الاول
قوله وبما ارسلنا به رسلنا اى الكتاب فيكون تفسيراً له والله اعلم وقوله عز وجل فسوف يعلمون
وعيد لهم اى سوف يعلمون علم عيان بعد ما علموا علم خبر والله اعلم وقوله عز وجل اذ الاغلال
فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ذكر انه فى السلاسل ثلاث لغات الرفع والنصب والخفض
فمن رفعها يقول معناه اذ جعل الاغلال والسلاسل فى اعناقهم ويسحبون بها فى الحميم ومن قال
بالخفض فتأويله اذ الاغلال فى اعناقهم وفى السلاسل اى يجعل الاغلال فى السلاسل فيسحبون بها
فى الحميم ومن قال بالنصب كانه قرأ اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم اى يسحبون
السلاسل فى الحميم وقوله يسحبون اى يجرون والحميم قد مر تأويله هو ما يشرب منه قد انتهى حره
غايته وقوله ثم فى النار يسجرون اى يوقدون ذكر ما يسقون فيها وهو الحميم وذكر ما يحرقون به
قال ابو عوسجة يسجرون اى يحرون ومصدره سحب يسحب سحباً اى جر وقوله يسجرون اى يوقدون ثم
يقال سجرت اى اوقدت فيه ومصدره سجر يسجر سجراً وقوله ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله
ظاهر هذه الآية ان هذا القول لهم بعد ما دخلوا النار لانه ذكر على اثر قوله اذ الاغلال فى اعناقهم
والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون فظاهرها ان قوله ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون
من دون الله بعد دخولهم النار وظاهر قوله بعد هذا متصلاً به ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين على ان ذلك القول انما يقال لهم قبل ان يدخلوا النار وقوله عز وجل قالوا ضلوا
عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً هذا القول منهم يخرج على وجهين احدهما على انكارهم وجحودهم
عبادة الاصنام التى عبدوها فى الدنيا واشركوها اياه فى الوهيته وهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الآية
وبقوله يجادلون لو كما يحلفون لكم انكروا ما كان منهم واقسموا على ذلك وهذا يدل على ان الآية لا يضطر
اهلها الى قبول الآيات والتصديق لها لانهم انكروا ان يكونوا مشركين بعد ما عاينوا العذاب وظهر لهم
خطؤهم وكونهم على الباطل ثم لم ينفعهم ما عاينوا من العذاب والثانى قوله بل لم نكن ندعوا من قبل
شيئاً ليس على الانكار والجحود ولكن لما راوا ان عبادتهم الاصنام لم ينفعهم يومئذ ولم يغنهم عما نزل بهم
فقالوا عند ذلك بل لم نكن ندعوا شيئاً من قبل اى الذى كنا نعبد فى الدنيا كان باطلاً لم يك شيئاً
حيث لم ينفعنا ذلك فى هذا اليوم فان كان تأويل الآية هذا فهذا يدل ان قوله اين ما كنتم تشركون
من دون الله بعد ما دخلوا النار وان كان تأويله الاول على الانكار والجحود فذلك يدل على ان ذلك
القول قبل ان يدخلوا النار حين يشهد عليهم الجوارح وذلك يفسد قوله ادخلوا ابواب جهنم
والله تعالى اعلم وقوله عز وجل كذلك يضل الله الكافرين اى هكذا يضل الله من علم منه اختيار
الكفر والضلال يضله وهو كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اى اذ علم منهم اختيار الانصراف

صرفهم وكذلك قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اى اذ علم منهم انهم يختارون الزيغ ازاغهم
والله اعلم وقوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون اى ذلك جزيتكم من النار
بما كنتم تسرون في الدنيا بالباطل اذ هم كانوا لذلك في الدنيا يفرحون ويسرون على كونهم على الباطل
وقيل يفرحون اى يبطرون لكن هو على الفرح والرضا بما اختاروا لانفسهم وقوله وبما كنتم تمرحون اى وبما كنتم
تتكبرون كذلك كانوا يسرون ويرضون بكونهم على الباطل ويتكبرون بذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين والمرح التكبر وهو كقوله ولا تمش في الارض مرحا اى تكبرا وقوله ادخلوا ابواب
جهنم الآية وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله فاصبر ان وعد الله حق قد ذكرنا هذا ايضا وقوله فاما نرينك
بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون كانه قال يتوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزول ما وعد لهم ويخطر ذلك بباله ويطمع ذلك فنهاه عن توقع نزول العذاب الذى وعد للكفرة
في الوقت الذى يطمع فيه وعن الخطر بباله النصرة واهلاك اولئك في الوقت الذى يتوقع كانه
يقول ان شئنا اريناك بعض الذى نعدهم وان شئنا توفيناك ولم نترك شيئا وهو كقوله وهو
ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم والاظاهر قوله فاما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك
حرف شك لا يحتمل ذلك من الله تعالى اذ هو يعلم انه يفعل ذا او لا يفعل او يكون ذا او لا يكون
لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطمع نزول ما وعد ويحدث
نفسه بذلك فيقول له ليس ذلك اليك انما ذلك الينا على ما ذكرنا والله اعلم وعن ابن عباس
رضى الله عنه انه قال هذه الآية من المكتوم لان ظاهره شك وفي الآية دلالة الرسالة لانها خرجت
مخرج العتاب للنبى صلى الله عليه وسلم والتوبيخ له ثم اظهر ذلك على الناس والسبيل في مثله
في عرف الناس الاخفاء والاسرار عن الناس فدل انه انما اظهر عليهم للامر بالتبليغ وكذلك في قوله تعالى
ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم اذ المرء لا يظهر مثل ذلك من غير امر وتكليف ممن وجب
عليه طاعته والله الموفق وقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يقول لست انت باول رسول
ارسلت اليهم فاستبعدوك وانكروك وكذبوك بل قد ارسل الى الامم السالفة رسل مثل ما ارسلت
انت الى هؤلاء وقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك في الآية دلالة انا لم نؤخذ
بمعرفة اعيان الرسل واساميهم على التعيين كما انا لا نؤخذ بالايمان بالله تعالى بجميع ما جاء عنده
على التفصيل والتعيين باساميهم لك على الجملة وعلى هذا قلنا ان الايمان برسول واحد من الرسل
ايمان بجميع الرسل اذ المرء يوجد منه الانكار لغيره على الجملة او التعيين وكذلك الايمان بالله تعالى ايمان
بالرسل جميعا لان الايمان بالله ايمان بامره ونهيه فيكون ايمانا بمن جاء الامر والنهى على يديه والله الموفق
وقوله وما كان لرسول ان ياتى باية الا باذن الله كانهم سالوه ان ياتى باية بعد آية على اثر آية اخرى فقال
عند سؤالهم ذلك وما كان لرسول ان ياتى باية الا باذن الله اى ليس لرسول ان ياتى بالآية على شهوة
او على تهوك السائل وهذه الآية يدل على نقض قول الباطنية فانهم يقولون ان انفس الرسل جواهر روحانية
ياتون بها الآيات حيث شاؤا وكيف شاؤا فكان للرسل عندهم بسبب الجوهر الروحانية التى فيهم قدرة
اتيان الآيات كيف شاؤا من غير اذن من الله تعالى ومن غير سؤال منهم اياه في وقت الاتيان
ولو كان الامر على ما قالوا لم يكن لقوله وما كان لرسول ان ياتى باية الا باذن الله معنى وانه مخالف
للآية فان فيها اخبارا انه لا ياتى الرسل بالآيات الا باذن من الله تعالى والله الموفق وقوله عز وجل
فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون اى اذا جاء الامر بعذاب الله او اذا جاء الامر بموعود الله
يعبر بالامر عن الموعود الذى وعدوا وقد ذكرنا معنى الخسران فيما تقدم وقوله الله الذى جعل لكم الانعام

في نقض قول الباطنية في الرسالة

لتركبوا

لتركبوا منها ومنها تاكلون ذكرهم بهذه الآية وبالآية التى تقدم ذكرها وجهين احدهما يذكرهم نعمه
التى انعمها عليهم حيث قال جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال جعل لكم الارض
قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ثم قال هاهنا جعل لكم الانعام
لتركبوا منها ومنها تاكلون ذكرهم اولا بدو انشائهم حيث قال خلقكم من تراب ثم من نطفة الى آخر ما ذكر
وفيه دلالة وحدانيته وعلمه وتدبيره وقدرته ثم ذكرهم من بعد نعمه الى آخره يستادى بذلك
شكره وحمده على ذلك هذا وجه والثانى يذكرهم انه انما انشاء هذه الاشياء التى ذكرها وعدها
عليهم للبشر لم ينشئها لانفسها كانه يقول والله اعلم قد انشئت هذه الاشياء لكم ينتفعون بها ويستعملونها
كيف شئتم فما بالكم اشد انكارا وكفرا بالنعمة من غيركم من العالم وساير العالم اشد خضوعا واستلاما
لنعمه والقيام بشكرها له ثم في الآية نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ليس لله تعالى ان يولم طفلا ولا بهيما
الا بعوض يعوضها ثم لا شك ان ما سخر من الانعام والدواب للبشر ومكن لهم استعمالها والانتفاع بها
انواع المنافع انها تتاذى وتتالم بذلك فيجب على قولهم ان لا يكون لله تعالى ان يولم الا بعوض يرضى
هذه الاشياء اذ هكذا حكم كل مجعول بعوض ان يشترط رضا اربابها في العوض واذ لم يكن هذه الاشياء
من اهل الرضا بحيث ان لا يجوز التعويض فدل ان ذلك بناء على ما قلنا من ان الاصلح ليس بواجب والله الموفق
ثم جعل منافعها مختلفة منها الركوب ومنها الاكل وغير ذلك من الانتفاع بصوفها ووبرها
وما اعطى لهم ايضا من السفن يركبون بها البحار ليصلوا الى حوائجهم في الامصار التى بعدت
منهم ونات فضلا منه ومنة فذلك قوله ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
وعليها وعلى الفلك تحملون وقوله ويريكم آياته فاى آيات الله تنكرون يحتمل انه اراهم آيات
وحدانيته والوهيته واراهم آيات نعمه واحسانه اليهم ونحوها يقول فاى آيات الله لكم تنكرونها
انها ليست من الله تعالى وقوله عز وجل اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
قد ذكرنا معناه في غير موضع وقوله كانوا اكثر منهم واشد قوة اى كانوا اكثر عددا منكم واشد
في القوة والبطش وقوله وآثارا في الارض اى اكثر آثارا منكم ثم كانت عاقبتهم الهلاك والاستيصال
وقوله فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول لم يغن عنهم كثرة العدد والحشم والاموال ولا قوة
الابدان في دفع العذاب عن انفسهم فانتم يا اهل مكة احرى ان لا يقدروا على دفع العذاب عن انفسكم
اذا نزل بكم مع ضعفكم وقلة عددكم والله اعلم وقوله عز وجل فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم يحتمل قوله فرحوا بما عندهم من العلم وجهين احدهما اى فرحوا بما عندهم
انه علم وليس هو في الحقيقة علم لكن عندهم ان ذلك علم وهو كقوله وانظر الى الهك الذى ظلت عليه
عاكفا اى انظر الى الهك الذى هو عندك اله والا لم يكن ذلك عند موسى عليه السلام الها ولكن
ذكر على ما عند ذلك الرجل للتعريف فعلى ذلك قوله فرحوا بما عندهم من العلم اى بما عندهم انه علم
وان لم يكن في الحقيقة علما والله اعلم والثانى يحتمل ان يكون على حقيقة العلم وذلك من اهل الكتاب
فكان من اهل الكتاب الايمان بما عندهم من الكتاب وهو على الحقيقة علم لا شك فيه لكنهم
لما كذبوا غيره من الكتب والعلوم وكفروا به لم ينفعهم ايمانهم بما عندهم من العلم كقوله تعالى
واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق كان ايمانهم
بما انزل اليهم حق لكنهم لما كفروا بغيره ابطل ذلك الكفر ايمانهم بالذى انزل اليهم فعلى ذلك الاول
والله اعلم وقوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون اى يحيق بهم العذاب بما كانوا يستهزؤون بالرسل
وقوله فلما رأوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يحتمل هذا وجهين

نقض قول المعتزلة

ايلام الطفل والبهيمة

يحتمل ان يكون هذا القول منهم وما ذكر من الايمان منهم اذا راوا باس الله بعد وفاتهم في قبورهم
اي عذاب الله فان كان التاويل هذا فهذا تدل على عذاب القبر لمن شاء الله تعالى في حقه العذاب والله اعلم
والثاني يحتمل ان يكون ذلك منهم في حيوتهم حين راوا باس الله في الدنيا امنوا بما ذكروا فان كان ذلك في الحيوة
فلم ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقد تقدم ذكر هذا
في سورة يونس على الاستقصاء والله اعلم وقوله سنة الله التي قد خلت في عباده ان لا يقبل الايمان عند رؤية
باس الله ومعاينة عذابه والثاني كذلك سنة الله التي قد خلت في عباده من التعذيب والانتقام من مكذب
الرسل في الدنيا واستيصالهم يخوف اهل مكة بما انزل اليك ليحذروا مثل صنيعهم وقوله
وخسر هنالك اي خسر عند ذلك الكافرون والله تعالى اعلم . . .

سورة فصلت مكية وآيها خمسون واثنتان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم ظاهر هذا ان تفسير حم هو قوله تنزيل وحم خبر
لمبتداء محذوف مقدر تنزيل مبتداء من الرحمن الرحيم وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
والاصل في حواميم وساير الحروف المقطعة انها تبعث سامعها على التفكر والتامل لانه لا يفهمها وقت قرعها
السمع حتى يتامل ويتفكر فيها لانها كلام لم يسمعوه قبل ذلك فيحملهم ذلك على الاستماع والتفكر فيها والنظر
فيقع ماهو المقصود من الخطاب في سماعهم ويعرفوا وجه الاعجاز فيتوصلوا بذلك الى الحق والله اعلم وقد ذكرنا
في الحروف المقطعة وجوها اخر فيما تقدم ثم ذكر ههنا رحمته ورأفته ليرغبهم فيما رحمهم وراف بهم
وهو قوله حم تنزيل من الرحمن الرحيم وذكر في السورة الاولى عزه وقدرته وسلطانه وحلمه ليحذروا
مخالفته وعصيانه ظاهرا وباطنا حيث قال حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم وليطلبوا العز
من عنده والله اعلم وقوله كتاب فصلت آياته قال اهل التاويل فصلت آياته اي يبين فيه من الحلال
والحرام وما لهم وما عليهم وما يوتى وما يتقى ونحوه وعندنا يحتمل قوله فصلت آياته وجهين احدهما
فصلت آياته اي فرقت كل آية من الاخرى من نحو آية التوحيد فرقت من آية الرسالة وفرقت آية
البعث من غيرها فرق كل آية من الاخرى والله اعلم والثاني يحتمل التوزيق في الانزال اي فرقت آياته
في الانزال لم يجمع بينهما في الانزال ولكن فرق في اوقات متباعدة ويحتمل قوله فصلت بينت على غير
ما قاله اهل التاويل وهو ان يثبت آياته بالحجج والبراهين حتى يعلم انها آيات من آيات الله تعالى
والله اعلم وقوله قرآنا عربيا لقوم يعلمون اي انزله بلسان يعلمون ويفهمون لا بلسان لا يعلمونه ولا يفهمونه
اي انزله بلسانهم ويحتمل لقوم يعلمون اي ينتفعون بعلمهم اي حصل انزاله لقوم ينتفعون فاما من لم ينتفع
فلم يحصل الانزال له والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه قرآنا عربيا لقوم يعقلون
وقوله بشيرا ونذيرا البشارة والنذارة هي بيان ما يكون في العاقبة من الخير والشر ويقال البشارة
هي الدعاء الى ما يوجب لهم من الحسنات والخيرات في العاقبة والنذارة هي الزجر عما يوجب لهم
من السيئات والمكروهات في العاقبة والنذارة هي الزجر فصار معنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارسل داعيا الى الحسنات وزاجرا عن السيئات والله اعلم وقوله فاعرض اكثرهم يحتمل اعراضهم عنه
وجهين احدهما اي اعرضوا عن التفكر فيه والتامل والثاني اعرضوا عن اتباعه بعد ما تاملوا فيه وتفكروا
وعرفوا انه حق وانه من الله تعالى لكنهم تركوا اتباعه عنادا منهم ومكابرة حذرا عن ذهاب الرياسة
والله اعلم وقوله فهم لا يسمعون اي لا يجيبون على ما ذكرناه وقوله عز وجل وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه

وفي آذاننا

وفي آذاننا وقر لا شك ان قلوبهم على ما ذكروا انها في اكنة وفي آذانهم وقر لانه ذكر جل وعلا
انه جعل على قلوبهم اكنة وفي آذانهم وقرا حيث قال تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا على ما اخبر وان قلوبهم في اكنة وغطاء وفي آذانهم وقر لا يفقهون ما يدعون اليه
ولا يسمعون ذلك وان كانوا يفقهون غيره ويسمعون لانهم كذلك قالوا ان قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
والله اعلم وقوله عز وجل ومن بيننا وبينك حجاب ان ثبت ما ذكر بعض اهل التاويل ان ثوبا رفعوا
فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اكن انت يا محمد في جانب ونكون نحن في جانب
او نحو من الكلام فهو ذلك والا احتمل ان يكون قوله ومن بيننا وبينك حجاب هو ما حجبتهم ظلمة الكفر وغلبتهم
عن فهم ما دعوا اليه وعلم ما دعاهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقوله واعمل اننا عاملون هذا يحتمل
وجهين احدهما اعمل انت بدينك فانا عاملون بديننا كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين والثاني فاعمل
انت في كيدنا فانا عاملون في كيدكم والمكر بكم والله اعلم ويحتمل ان يقولوا اعمل انت لالهك
فانا عاملون لالهتنا والله اعلم وقوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
هذا الحرف يخرج على وجهين احدهما كانه يقول لهم انما انا بشر مثلكم افهم واعقل ما يوحى الي
واسمع ذلك فانتم في قولكم ان قلوبنا في اكنة وفي آذاننا وقر لا عذر لكم في ذلك لانه انما حجبكم
عن ذلك وتغطي قلوبكم عن فهم ذلك الكفر الذي انتم عليه والضلال الذي انتم فيه فاتركوا
ذلك حتى تفهموا وتعقلوا ما تدعون اليه وتوقرون به كما افهم انا واعقل انا انا بشر وانتم بشر
والله اعلم والثاني يقول انما انا بشر مثلكم يوحى الي اي انما انا بشر مثلكم امرت ان ابلغ اليكم ان الهكم
اله واحد فاستقيموا اليه والا لو امرت بتبليغ الرسالة اليكم انما الهكم اله واحد لكنت اتيتكم وما انتم
عليه كقولكم ان قلوبنا في اكنة وفي آذاننا وقر فاعمل اننا عاملون على هذين الوجهين تاويل الاية
والله اعلم وقوله فاستقيموا اليه قال بعضهم اي فاستقيموا اليه بالطاعة وقيل اي استقيموا الى ما دعاكم
اليه من التوحيد وقوله واستغفروه اي انتهوا عما انتم عليه من الكفر والضلال ليغفر لكم ما كان
منكم في حال الكفر كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل اي كونوا على حال يجب يقبل
استغفاركم وطلب عفوكم والله اعلم وقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم
كافرون والاشكال انه لما ذا خص المشرك الذي لم يؤت الزكوة وينكر الآخرة بالويل وقد يلحق
الويل المشرك ادى الزكوة او لم يؤت آمن بالآخرة او كفر بها فنقول قال بعض اهل التاويل معناه
وويل للمشركين الذين لا يؤمنون بايتاء الزكوة ولا يؤمنون بالآخرة وخصهم بذكر جحود الزكوة والآخرة
لما كان سبب كفرهم ذلك وكان سبب كفرهم مختلفا منهم من كان سبب كفره بخله في المال وشحه
حمله ذلك على انكار الزكوة والامتناع عن الايتاء ومنهم من كان كفره انكار جزاء الاعمال حمله
ذلك على انكار الآخرة ومنهم من كان سبب كفره الخضوع لمن دونه او مثله في امر الدنيا حمله ذلك على انكار
الرسالة والجحود لها وغير ذلك من الاسباب التي حملتهم على الكفر والضلالة وهي مختلفة ويحتمل قوله وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة لا على زكوة الاموال ولكن على زكوة الانفس كانه يقول وويل للمشركين الذين
لا يعلمون ولا يسعون فيما به تزكوا انفسهم ويعرف زكوها ويصلح اعمالهم به ولا ما يجزون به في الآخرة
اي ويل لمن لا يعمل ذلك والله اعلم وهذان الوجهان جواب عمن تعلق بظاهر هذه الآية على ان الكفار
يخاطبون بالشرايع حيث الحق الوعيد بهم بترك ايتاء الزكوة والزكوة من الشرايع والله اعلم وقوله
عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قال بعضهم غير ممنون اي غير مقطوع
وذلك في الآخرة وقال بعضهم اي غير محسوب وقال بعضهم اي غير ممنن عليهم وذلك في الآخرة ايضا

اسباب الكفر والعياذ بالله تعالى

ومعناه والله اعلم انه يزاد لهم في الاخرة على قدر اعمالهم ولا يمن عليهم في تلك الزيادة وقال بعضهم
غير ممنون اي غير منقوص ولا ممنوع وذلك والله اعلم ان من كان يعمل في حال شبابه وقوته الصالحات
والطاعات ثم كبر وعجز عن اتيانها انه لا يمنع ولا ينقص منه الاجر الذي كان يجري عليه ويكتب له في حال
شبابه وقوته والله اعلم **وقوله** عز وجل قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له
اندادا ذلك رب العالمين تا ويل هذه الاية كما ذكرنا في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم الاية وهو يخرج على وجوه احدها كيف تكفرون وحدانيته وتكفرونه وهو الذي احياكم لا الاصنام
التي تعبدونها والثاني تنكرون قدرة الله في البعث وقد رايتم قدرته في ابتدا انشائكم وتقليبكم من حال
الى حال والثالث كيف تكفرون برسول الله وقد خلقكم الله تعالى وامتحنكم بانواع المحن وكلفكم وامركم باوامر
ونواهي ما لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكنكم القيام باكثرها وكان خلقه اياكم عبثا فعلى هذه
الوجوه يخرج قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الاية اي ائنكم لتكفرون وتنكرون وحدانية
الله تعالى وقد خلق الارض في يومين وما ذكر والثاني انكم لتكفرون وتنكرون قدرته على البعث وقد خلق
الارض في يومين على بعد اطرافها وسعتها كيف تنكرون قدرته على البعث وقد رايتم قدرته على خلق ما ذكر
والله اعلم والثالث انكم لتكفرون نعمة التي انعمها عليكم من خلق ما ذكر من الارض وغيرها وما انعم عليكم
من بعث الرسول عليه السلام فكيف تصرفون شكرها الى غير الذي لم يفعل ذلك بكم وتنكرون رسالة رسوله
ولا بد من رسول يرسل اليكم وذلك من اعظم النعم واجلها فيخرج تاويل الاية على هذه الوجوه التي ذكرنا
احدها في انكار وحدانية الله والوهيته والثاني في انكار قدرته على البعث والثالث في انكارهم رسالة
الرسول وصرفهم شكر نعمه الى غير بعبادتهم غير الله والله اعلم ثم الحكمة في خلق الارض وجعله الحد
الذي ذكر يومين وان كان قادرا على خلق كل شيء بلا تحديد ولا توقيت فقال بعضهم فيه تعريفه الخلق
والتعليم لهم الاناة في الامور وترك الاستعجال فيها والاصل في ذلك عندنا ان الله جل وعلا جعل الدنيا
وامر هذا العالم على التحديد والتقليب من حال الى حال نحو ما ذكر من تقليبه وتغييره من حال النطفة الى حال
العلقة ومن حال العلقة الى حال المضغة ومن حال المضغة الى حال تركيب الجوارح ثم الى حال الانسان ثم من تلك
الحال الى ان يكبر يقلبه من حال الى حال اخرى وكذلك امر الدنيا وما فيها من الفواكه والنبات وغير ذلك ينشئها
ويجددها في كل عام وان كان لو شاء احدثها في عام واحد وفي ساعة واحدة وابقاها الى اخر الابد لكن لم يفعل
ذلك لما بنى امر هذا العالم على الفناء والفساد فليستدل بطريان هذه الاحوال عليها على اصل الوضع ولذلك
ركب فيهم المرض والسقم والسلامة والصحة وبنى امر الاخرة على البقاء والدوام فعلى ذلك من التحديد والتوقيت
في خلق الارض والله اعلم ويحتمل ان يقال جعل ذلك على التحديد والتقدير لانها دار محنة وابتلاء والابتلاء
انما يقع على التوقيت والتقدير في اوقات متباينة واسباب مختلفة فاما الاخرة فلا محنة فيها ولا بلية
فهي على الدوام والبقاء لذلك كان ما ذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل وجعل فيها رواسي من فوقها
اي جعل في الارض جبالا ارسى بها الارض واثبتها لانه ذكر ان الارض كانت على الماء وكانت تميد باهلها
لكنه ارساها بالجبال واقرها بها وفيه نوع وهاء لانه معلوم ان الجبال التي كانت بها الارض واقرت بها
كانت تزيد في ثقل الارض فالسبيل فيه الترسب في الماء والانحدار فيه لا الاثبات بها والاقرار لكنه
جعل الجبال سببا لثبات الارض واقرارها تعليما منه الخلق تعليق الاشياء بعضها ببعض وتعليقها
بالاسباب من غير ان يكون الاسباب معونة له على ذلك ولو شاء اثبتها وارساها بلا سبب ولا شيء علقه به
لكنه علق ان يكون الاسباب معونة له على ذلك ولو شاء اثبتها وارساها بلا سبب علق الاشياء بالاشياء والاسباب
لما ذكرنا من تعليم الخلق تعليم تعليق الاشياء بالاسباب والله اعلم **وقوله** وبارك فيها يحتمل وبارك فيها

في حكمة خلق الارض في يومين

الشرب في تعليق الاشياء بالاسباب

اي في الجبال فقد جعل الله تعالى فيها البركات الكثيرة منها المياه التي اخرجت منها والعيون ومنها
الذهب والفضة وغيرهما ومنها الثمار والاشجار التي ينتفع بها وانواع النبات التي تصلح للادوية
وغير ذلك من المنافع التي يكثر عددها واحصاؤها ويحتمل قوله وبارك فيها اي في الارض فقد جعل الله
في الارض البركات الكثيرة من المياه التي تخرج منها وانواع النبات والثمار وغير ذلك مما بها قوام الخلق
جميعا وغذاؤهم من البشر والدواب والله اعلم والبركة هي اسم كل خير يكون ثابتا على الزيادة والنماء
والله اعلم **وقوله** وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين اي قدر في الارض اقوات اهلها
وارزاقهم في اربعة ايام سواء للسائلين قال الزجاج في قوله سواء للسائلين ثلاث لغات بالنصب
والرفع والخفض فمن خفضه سواء للسائلين صيره صفة ونعتا للايام كانه قال في اربعة ايام سواء اي مستوية
ليس بعضها اطول من بعض ومن قراء بالنصب سواء صيره مصدرا اي سواء وتسوية ومن قرا بالرفع صيره
على الابتداء يقول والله اعلم اي ذلك الاقوات التي قدرها سواء للمحتاجين اي كفاية لهم على قدر حاجتهم
ثم اختلف في قوله سواء للسائلين عن ابن عباس رضي الله عنه قال من سال عن ذلك وجده كما قال الله تعالى
ويقول ابن عباس رضي الله عنه وانا من السائلين فكان قول ابن عباس رضي الله عنه ما ذكرنا اي كفاية
للسائلين المحتاجين على السواء وقال بعضهم عدلا للسائلين والعدل يخرج على وجهين احدهما العدل
الذي يناقض الجور اي عدل للسائلين ليس بجور والثاني عدلا للسائلين اي سواء يقول لمن يشاء الرزق
من السائلين وقال الحسن في اربعة ايام سواء لمن يسال عن خلقه في اربعة للسائلين او كلام نحوه
وقال بعضهم هو من مقاديم الكلام يقول قدر فيها اقواتها سواء في اربعة ايام للسائلين تلك الاقوات
والارزاق سواء والله اعلم ثم في هذا مسئلتان احداهما في تكوين الخلق واحداثه وما ذكر من تقدير
الاقوات في الاوقات فعندنا ان الله تعالى لم يزل مكونا محدثا وان ما كان يكون الى اخر الابد
انما يكون بتكوين كان منه في الاول لا بتكوين يحدث منه في كل وقت يحدث المكون والخلق والاصل
في ذلك ما ذكرنا فيما تقدم انه اذا اضيف الاوقات الى المفعول فتكوين التوقيت للخلق اعني المفعول
لا الفعل لما ذكرنا انه لا حاجة تقع له في المعونة بشيء مما ذكر من التوقيت وانما ذكر ذلك لئلا يتوهم
قدم المفعول والخلق وليعلم انه محدث والله اعلم **ومسئلة اخرى** في ذكر التحديد والتوقيت
في خلق ما ذكر لحكمة جعل في ذلك من غير ان يصعب عليه خلق ذلك في ساعة او طرفة عين اذا المعنى
في خلق ما ذكر في ايام واوقات ذلك في طرفة عين موجود على السواء وهو ان الله تعالى عالم بذاته
قادر بذاته له قدرة ذاتية وعلم ذاتي لا مستفاد فالاوقات انما يحتاج اليها من كان يعمل بقدرة مستفادة
وعلم مستفاد واستعانة له بذلك فاما الله سبحانه وتعالى ما يكون منه انما يكون بقدرة ذاتية
وعلم ذاتي لا حاجة تقع الى الاستعانة بشيء من ذلك لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم ثم قوله وقدر فيها
اقواتها في اربعة ايام الاربعة الايام التي ذكر هي مع خلق الارض يومين لخلق الارض ويومين لتقدير
الاقوات لاهلها والارزاق فيكون اربعة ثم ذكر خلق السموات يومين فاذا جمع يكون ستة ايام
وهو ما ذكر في اية اخرى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فكان تمام ذلك في ستة ايام
وقد ذكرنا معنى ستة ايام في غير موضع **وقوله** عز وجل ثم استوى الى السماء يخرج على وجهين
اي ثم استوت المنافع والاقوات التي قدرها في الارض وجعلها معايش اهلها بالسماء لانه جعل
منافع الارض متصلة بمنافع السماء ما لولا السماء لم يستو منافع الارض وما قدر لهم فيها فبالسماء استوى ذلك لهم
اي تم بذلك والله اعلم والثاني قوله ثم استوى الى السماء لو كانت ملتزقة بالارض لا هواء بينهما
لكانت لا يخرج له اي ثم استوى الهواء والجو الذي بين الارض والسماء الى السماء ما لولا ذلك الهواء لم تستو

ذلك لان السماء لو كانت ملتزقة بالارض لا هواء بينهما لكانت لا تخرج ما جعل في الارض من الاقوات
والمعايش فبالهوى استوى ذلك والله اعلم ومنهم من يصرف الاستواء الى الله عز وجل ومعناه ثم
استوى امره وملكه بخلق السماء او استوى المقصود بخلق الارض واهلها وما فيها بخلق السماء واما التاويلات
اللذان ذكرناهما يتوجهان الى غير ذلك احدهما رجع الى استواء الهواء والثاني الى استواء ما جعل في الارض
والله اعلم وعلى هذا يخرج ما سئل ابن عباس رضي الله عنه عند ما روي ان رجلا سئل ابن عباس رضي الله عنه
فقال قرات آيتين احديهما يخالف الاخرى فقال له من قبل رايك اتيت ماهما فقال ذلك السايل قوله تعالى
ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله ثم استوى الى السماء وقوله تعالى والسماء بناها
رفع سمكها فسواها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها فمراد السايل ان ظاهر الآية الاولى انه خلق الارض
في يومين قبل خلق السماء وفي ظاهر الآية الثانية انه خلق السماء ثم خلق الارض فقال ابن عباس
رضي الله عنه خلق الله تعالى الارض قبل ان يخلق السماء فدحا الارض بعد ما خلق السماء والله اعلم اراد به
بسط الارض بعد خلق السماء فاما خلق اصل الارض قبل خلق السماء والله اعلم وعندنا انه ليس
في ظاهر هاتين الآيتين مخالفة ولا فيه بيان انه خلق الارض قبل السماء ولا هذا بعد هذا لانه
ذكر هاهنا انه خلق الارض في يومين ثم قال ثم استوى الى السماء ذكر الاستواء الى السماء وليس فيه
انه خلقها بعد خلق الارض بل فيه انما استوى اليها بعد خلقها وليس فيه اثبات خلقها قبل ذلك
والله اعلم وقوله وهي دخان قال بعضهم دل قوله وهي دخان على انه كان هناك نار حتى خلق
السماء بدخانها لكن لا نعلم ذلك الا بالسمع ويحتمل ان يكون قوله وهي دخان اي شبه الدخان لا حقيقة
الدخان ومنه خلق السماء والله اعلم وقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
قال بعضهم في قوله ائتيا اعطيا ما جعل فيكما من المنافع والاقوات طوعا او كرها ثم اختلف فيه
انه على التكوين والتسخير ما ذكر من الطوع والكره او على حقيقة القول والامر في ذلك قال بعضهم
ذلك على التكوين والتسخير خلقة اي انشاهما وخلقهما على اخراج ما فيهما من المنافع والاقوات والارزاق
التي جعل فيهما وكذلك ما ذكر من الطوع والكره لا قولا منه لهما وامرا لكنه طبعهما وانشاهما كذلك
وقال بعضهم ذلك على حقيقة القول والامر منه لهما نحو ما ذكر لكل شيء من الجبال وغيرها انه
يسبح لله تعالى على الوجهين لكن شرط خلق الحيوة التي لا بد منها للنطق والسماع فعلى ذلك ههنا
والله اعلم وقال بعضهم في قوله ائتيا طوعا او كرها اي ائتيا عبادتي ومعرفتي وذلك ان الله تعالى
حين خلقهما عرض عليهما الطاعة والشهوات واللذات على الثواب والعقاب فابين ان يحملنها
الآية فهذا الاباء والاعطاء هو اعطاء الخلقة والتكوين على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
فقضاهن سبع سموات في يومين اي خلقهن في يومين هو موصول بقوله قل ائنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين وكذلك قوله تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين وقد ذكرنا
الوجوه في ذلك ثم الاعجوبة في خلق السموات ورفعها اعظم واكبر من خلق الارض وقد ذكر في خلق السموات
من الوقت مثل الوقت الذي ذكر في الارض وهو يومان ليعلم ان الوقت الذي ذكر في ذلك ليس لما يتعذر
عليه ذلك ويصعب بدون ذلك الوقت ولكن لحكمة جعل في ذلك لم يطلع الخلق على ذلك وكانت الحكمة
فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله واوحى في كل سماء امرها وهم الملايكة الذي جعلهم اهلا لها وقال بعضهم
اي امر كل اهل سماء امرها وامتحنهم بمحنة وقال بعضهم هو ما امر به واراد وهما واحد والله اعلم
وقوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح اي بالكواكب وقوله وزينا السماء الدنيا اي زينا السماء التي دنت
منكم هي مقابل القصوى منها لدنو ليس ان هذه السماء التي نراها ونشاهدها مزينة بالكواكب هي سماء الدنيا

ثانية وغيرها من السماء الآخرة لا يعني بل كلها يعني يعني هذه وغيرها بقوله يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وقوله والسموات مطويات بيمينه فهو كلهن دينويات فانيات
دل ان قوله وزينا السماء الدنيا اي التي دنت منكم وهي مقابل القصوى لا مقابل الآخرة والله اعلم
وقوله وحفظا يحتمل وجهين احدهما اي حفظناها وجعلناها محفوظة بما ذكر من ان يسترق
الشياطين والجن استماعهم الى خبر السماء وما يتحدث به الملايكة فيما بينهم فيلقون ذلك على اسماع اهل
الارض على ما كانوا يفعلون من قبل اي حفظناها بالكواكب التي جعل فيها لترجمهم الكواكب وتقذفهم
ليكون سماع ذلك من جهة الوحي عن لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم دون القاء من ذكر وهو كما ذكر
في آية اخرى حيث قال انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون
الى الملأ الاعلى الآية ويحتمل وجها آخر وحفظا اي حفظناها على ما هي حتى لا يسقط على الخلق كقوله
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقوله تعالى ويمسك السماء ان تقع على الارض ونحوه والله اعلم وقوله
ذلك تقدير العزيز العليم اي يقول ذلك الذي ذكر كله وصنع هو تقدير العزيز العليم اي تقدير
من لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ويحتمل قوله ذلك تقدير العزيز العليم اي تقدير من له العز الذاتي والعلم
الازلي لا انه قدر ذلك وصنع ليستفيد بذلك العز اذ هو عزيز بذاته والله اعلم وقوله سبحانه وتعالى
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود كانت معروفة عندهم ظاهرة انها نزلت بهم
دل قوله تعالى انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ان صاعقة عاد كانت معروفة عندهم ظاهرة انها نزلت
بهم الرسل وتركهم اجابتهم الى ما دعوا اليه حيث خوف هؤلاء بذلك كانه يقول انذرتكم بتكذيبكم اياي
وترككم اجابتي الى ما دعوتكم اليه بالذي نزل بعاد وثمود بتكذيبهم الرسول الذي ارسل اليهم وتركهم
الاجابة الى ما دعوا اليه والله اعلم ثم وقوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود لم يرد به عين عذاب
اولئك ومثله في رأي العين ولكن مثله في الهلاك والاستيصال الا ترى ان عذاب عاد وثمود كان
مختلفا في راي العين عذاب عاد خلاف عذاب ثمود هما في المعنى واحد فعلى ذلك ما وعد هو لا مثل
عذاب عاد وثمود لم يرد مثله في راي العين ولكن في المعنى وهو كما ذكر من قوله تشابهت قلوبهم وقوله
يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل لم يرد به التشابه والمضاهاة على ان نفس القول منهم وعين الكلام
كان واحدا بل كان سبب كفرهم مختلفا وقول هؤلا خلاف قول اولئك وما كان من هذا الفريق
الآخر لكن لما كان التكذيب من هؤلاء كالتكذيب من اولئك والرد من هؤلاء كهو من اولئك في ان كان
كفرا واحدا سواء في هذه الجهة وصف قلوبهم بالتشابه واقوالهم بالمضاهاة والله اعلم وهذا
يدل على ان الاستواء من جهة واحدة يوجب التشابه والتماثل والله اعلم وقوله اذ جاءتهم الرسل
من بين ايديهم ومن خلفهم ان لا تعبدوا الا الله هذا يحتمل وجوها احدها اذ جاءتهم الرسل
بنباء من كان ونبأ من كان بعدهم انهم جميعا قالوا لقومهم ان لا تعبدوا الا الله والثاني اي اذ جاءتهم
الرسل بالوعيد والتخويف بعذاب ينزل بهم من بين ايديهم اي من حيث يرونه ويعلمونه ومن خلفهم
اي من حيث لا يرونه ولا يعلمونه وهو كقوله عز وجل افامن اهل القرى ان يأتيهم باسنا بياتا
وهم نائمون اوامن اهل القرى ان يأتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون ونحوه وقيل بعث الله الرسل
قبلهم وبعدهم بالذي ذكر وهو الدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له والله اعلم وقوله عز وجل
قالوا لو شاء ربنا لانزل ملايكة فانا بما ارسلتم به كافرون هذا القول منهم يناقض قولهم
وتكذيبهم الرسل وانكارهم رسالة البشر وطمعهم رسالة الملايكة لانهم ما عرفوا الملايكة ولا عاينوهم
فانما عرفوا الملايكة وعلموا بهم انهم يرسل البشر فكيف انكروا رسالتهم مع ما كان الرسل اليهم الملايكة

لم يعرفوا انهم ملايكة الا بقولهم لما لم يتقدم لهم المعرفة بالملايكة فهذا ينا قض انكارهم الرسل من البشر
والثاني ما قالوا انا بما ارسلتم به كافرون قد اقروا رسالتهم حيث قالوا انا بما ارسلتم به كافرون لانهم
يقولوا انا بما جيتم به الينا كافرون ولكن قالوا انا بما ارسلتم فذلك بما ينا قض قولهم ويرد تكذيبهم
والله اعلم وانما قالوا ذلك اعني قولهم لو شاء الله لانزل ملايكة تعنتا منهم وعنادا والا قد علموا انهم
رسل الله فينا قضون بما قالوا على التعنت منهم والعناد والله اعلم **وقوله** فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة جايز ان يكون استكبارهم في الارض بغير الحق على اهل
الارض بما ذكر وا من فضل القوة لهم وشدتها من بين غيرهم كقوله تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين
فيهم ذكر ذلك فجايز ان يكون استكبارهم على اهل الارض بغير الحق لشدة بطشهم وقوتهم على غيرهم
والله اعلم ويشبه ان يكون استكبارهم على الرسل واتباع الرسل فلم يروا انفسهم ان يجعلوها
تحت تدبير الرسل وامرهم وان يخضعوا لهم ويستسلموا لما دعوهم اليه وقالوا من اشد منا قوة
ثم قال الله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة هذا استفهام على طريق التقرير
معناه قد راوا وعلموا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة والرسل عليهم الصلوة والسلام لم يكونوا
يوعدونهم ويخوفونهم بقوى انفسهم ولا بعذاب يكون منهم حتى قالوا من اشد منا قوة ولكن انما كانوا
يوعدونهم ويخوفونهم بعذاب ينزل من عند الله وبقوته وسلطانه يوعدونهم وقد عرفوا
قوته وسلطانه لذلك قال اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم **وقوله** وكانوا باياتنا
يجحدون ذكر هذا على انهم قد كذبوا هودا عليه السلام وانكروا اياته وذلك قولهم يا هود ما جيتنا
ببينة وانه قد اتاهم بايات رسالته **وقوله** فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ذكر ما اهلكهم به من العذاب
وهو الريح الصرصر اي الباردة كذا قال ابو عوسجة **وقوله** في ايام نحسات وهو ما ذكر في سورة
الحاقة حيث قال فاما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام
حسوما وقال في موضع اخر في يوم نحس مستمر ثم اختلف في تاويلها قال بعضهم نحسات مشومات
نكدات وهذا قول القتبي وقال بعضهم نحسات اي شداد وقيل نحسات من النحس يقال نحس يومنا
والنحس الغبار في الاصل **وقوله** لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اي عذابا يذلهم
ويفضحهم عند الخلق جميعا **وقوله** ولعذاب الاخرة اخزى اخبر ان عذاب الاخرة عليهم اذل
وافضح واشد من عذاب الدنيا **وقوله** وهم لا ينصرون يحتمل لا ينصرون بقوتهم التي كانت لهم
واعتمدت عليهم بقوتهم من اشد منا قوة ويحتمل لا ينصرون بالاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم
والشفاعة **وقوله** واما ثمود فهديناهم يحتمل ما ذكرنا من الهداية لهم حقيقة الهدى وهو التوفيق
وحقيقة خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين وهو ما سالوا من الاية وهي الناقة فلما اتاهم على ما سالوا
امنوا به وصدقوه ثم كفروا به بعد ذلك وكذبوه وعقروا الناقة على ما ذكر والله اعلم ويحتمل قوله
فهديناهم اي بينا لهم غاية ما يبين الحق من الباطل بما يعرفه كل ذي لب وعقل انها اية وانها
من الله تعالى حيث جاءتهم الاية التي سالوها على الاشارة والتعيين وهي الناقة والله اعلم **وقوله** فاستحبوا
العمى على الهدى اي اختاروا الكفر على الهدى واختاروا ما به يعمون على ما يبين لهم ثم اخبر عما نزل بهم
من العذاب باختيارهم العمى على الهدى وهو ما قال فاخذتهم الصاعقة العذاب الهون اي عذاب
يهانون فيه وهو من الهوان والاذل وكل عذاب الله صاعقة **وقوله** عز وجل ونجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون اي انجينا الذين اختاروا الهدى على العمى وكانوا يتقون اختيار العمى على الهدى **وقوله** عز وجل
ويوم يحشر اعداء الله الى النار اي يجمع والحشر الجمع يجمعون ثم يجعلون في النار وهو كقوله احشروا الذين

تأويل قوله تعالى في ايام نحسات

ظلموا

ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الاية **وقوله** فهم يوزعون اختلف في تاويله
قال بعضهم يوزعون اي يساقون كقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وقال بعضهم يوزعون
اي يدفعون كقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون فيها دفعا والوزع الدفع
وقال بعضهم يوزعون اي يحبسون اي يحبس اولهم على اخرهم حتى اذا اجتمعوا جميعا فعند ذلك
يجعلون في النار كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب الاية **وقوله** حتى اذا جاءوها شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون كانهم يوقفون ويحبسون في مكان فيعاينون النار فيسالون
عما كانوا يعملون وهو كقوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون فينكرون ما كان منهم كقوله تعالى والله
ربنا ما كنا مشركين وقوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا فعند ذلك ينطق الله جوارحهم فيشهد عليهم
بما عملوا وما كان منهم وهو قوله يشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقال بعضهم
جلودهم كناية عن الفروج وهو قول الحسن **وقوله** وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي
انطق كل شيء ينطق اذ لا كل شيء ينطق ذكر واكل شيء واراد به الخاص لا العام والله اعلم وكان غرضهم
اقرب يقولون انطقنا الله انطق كل شيء به يعصون الله تعالى وهو ما ينطق الله تعالى الاشياء التي بها
عصوا ربهم وهي الاصنام التي عبدوها وغيرها مما عبد من دون الله كقوله ويوم نحشرهم وما يعبدون
من دون الله الاية وقوله وقال للذين شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وما ذكر من اخبار الارض
وحديثها بما عملوا عليها بقوله يومئذ تحدث اخبارها وغير ذلك من الايات التي فيها بيان انه ينطق الله تعالى
الاشياء التي عبدوها وعصوا بها ربهم فعلى ذلك ينطق الله الجوارح التي بها عصوا ربهم فيشهد عليهم
بجميع ما كان منهم والله اعلم **وقوله** وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم
اختلف فيه قال بعضهم اي ما كنتم تعلمون وتستيقنون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون الظن ها هنا على هذا التاويل حقيقة الظن او الجهل اي لكن
جهلتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلو كان تاويل الاية ما ذكر هولاء ففيه دلالة ان العذاب قد يلزم
ويجب وان جهل ذلك ولم يتحقق عنده العلم به اذا كان بحيث امكان الوصول الى علم ذلك ومعرفته
بالنظر والتامل والتفكر او بغير ذلك من الاسباب لكنه ترك التامل فيه فلم يعلم ذلك فلم يعذر
بجهله وهكذا الحكم ان من مكن له العلم واسباب المعرفة فلم يتكلف معرفته لم يعذر في جهله ولهذا قال
ابو حنيفة في الاطفال ان لا علم لي لهم لما لا يعلم انهم قد بلغوا المبلغ الذي يدركون الاشياء بالتامل والتفكر
ام لا والله اعلم وقال بعضهم وما كنتم تستترون اي كنتم لا تقدرون ان تستتروا من سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم فاحد لا يستطيع ان يستتر من نفسه اذا عمل شيئا فذلك ظنكم ان ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون في السر **وقوله** وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم اي وذلكم جهلكم على ما صنعتم بان الله تعالى
لا يعلم ذلك وهو لا يخفى عليه خافية فظنكم ذلك ارداكم اي اغويكم واضلكم عن الهدى والله اعلم وقال قتادة
يا ابن ادم ان عليك لشهودا غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله في سرك وعلانيتك فانه لا يخفى
عليه خافية الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية ومن استطاع ان يموت وهو بالله حسن الظن
فليفعل ولا قوة الا بالله ثم قال الظن ظنان ظن منجي وظن مردي فاما المنجي الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم الاية وما قال اني ظننت اني ملاق حسابيه واما الظن المردي فقوله فذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارديكم وقوله ان يظن الا ظنا ونحوه والله اعلم قال وذكر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
ويحدث ذلك عن ربه جل جلاله عبدي انا عند ظنك بي وانا معك اذا دعوتني وقال الحسن انما عمل
الناس على قدر ظنونهم بربهم فاما المؤمن فاحسن بربه الظن فاحسن العمل واما الكافر والمنافق فاساوا به الظن

في عذر الجاهل بالجهل

توقف الامام الاعظم في الاطفال

ظن منجي وظن مهلك

حديث عبدي انا عند ظنك بي

فاساء العمل ثم تلا قوله عز وجل وماكنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولاجلودكم الاية وقال
الجلود كناية عن الفروج وفي حرف حفصة وماكنتم تختشون وفي حرف ابي وابن مسعود رضي الله عنهم ولكن زعمتم
ان الله لايعلم كذا وكذلك في حرفهما فذلكم زعمكم الذي زعمتم والزعم في كلام العرب الكذب وفيه يستعمل وقوله
اردكم قال بعضهم اهلككم والردى الهلاك وقيل ارد الهالك ويحتمل اردكم اي اغوكم واضلكم على ماذكرنا
وقوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم هذا يخرج على وجهين احدهما اي فان تصبروا على ماهم عليه من الاعمال
الى ان حتموا به فالنار مثوى لهم في الاخرة والثاني اي فان تصبروا في الاخرة في النار فالنار مثوى لهم
اي لاينفعهم الصبر على ذلك ولايكون الصبر سبب الفرج عن ذلك وهو كقوله سبحانه وتعالى خبرا عنهم سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص فيكون احدالنار ويلين في الدنيا والثاني في الاخرة وقوله
وان يستعتبوا فماهم من المعتبين معناه والله اعلم وان يستقبلوا ماكان منهم فماهم من المقالين اي اقال
ذلك منهم ولايرض عنهم وان استرضوا وقوله وقيضنا لهم قرناء كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا الاية ثم اختلف في قوله وقيضنا قال بعضهم هيأ لهم في الدنيا قوما من الشياطين وغيرهم
وقال بعضهم اي مكنا للشياطين حتى يقذفوا في قلوبهم من الوساوس وغيرها او كلام نحو وقال بعضهم
اي خلينا بينهم وبين الشياطين حتى غلوا بهم ماذكر وقوله فزينوا لهم مابين ايديهم وماخلفهم اختلف
في قوله مابين ايديهم وماخلفهم قال بعضهم فزينوا لهم مابين ايديهم اي حسنوا لهم التكذيب
بالاخرة والحساب والثواب والعقاب اي ليس ذلك وقوله وماخلفهم اي حسنوا لهم امر الدنيا وانها دايمة باقية
وقيل مابين ايديهم اي عملوا وماخلفهم اي ومايريدون ان يعملوا من بعد والثالث مابين ايديهم ماعملوا
بانفسهم وماخلفهم ماسنوا لغيرهم من بعدهم كقوله تعالى علمت نفس ماقدمت واخرت والله اعلم
وقوله عز وجل وحق عليهم القول يحتمل وجب عليهم القول بالعذاب والسخط وقوله في امم قد خلت من قبلكم
من الجن والانس اي مع امم وذلك جايز وقوله قد خلت من قبلهم اي من قبل هؤلاء من الانس والجن
من الامم الخالية انهم كانوا خاسرين وقوله عز وجل وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
اي لاتسمعوا انتم بانفسكم والغوا فيه لئلا يسمع منه قراءته ولاصوته دل هذا القول على انهم قد عرفوا
انه حجة وانه من عند الله جاء وان من سمع ذلك اذعن له واطاع اذا لم يكابر عقله ولهذا لاتسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لئلا يذعن ولا يطاع لعلكم تغلبون وقال بعضهم قوله لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه بالمكاء
والتصدية وكانوا يفعلون ذلك ليخلطوا عليه صلوته وقراءته لعلكم بالمكاء والتصدية لقولهم وماكان
وماكان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وقوله عز وجل فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ن
ولنجزينهم اسوء الذي كانوا يعملون اي لنذيقن الذين كفروا وداموا على الكفر حتى ماتوا على ذلك فاما من كفر
في وقت ثم ترك ذلك واسلم فليس له ذلك ثم من الناس من يقول ان قوله فلنذيقن الذين كفروا عذابا
شديدا اراد به في الدنيا وقوله ولنجزينهم اسوء الذي كانوا يعملون في الاخرة يجعل احد العذابين في الدنيا
والاخرة في الاخرة وجايز ان يكون ذلك كله في الاخرة ثم دل قوله ولنجزينهم اسوء الذي كانوا يعملون
ان لهم محاسن في الدنيا لكن تلك المحاسن يبطل ولايجزون بها شيئا وانما يجزون على المساوي التي عملوها
في الدنيا لان المحاسن انما تثبت وتبقى وتستوجب بها الجزاء اذا اتوا بالايمان والتوحيد فاما اذا لم ياتوا به
لم ينتفعوا بتلك المحاسن ولم يجزوا بها وقد ذكر للمؤمنين مقابل ذلك ان يكفر عنهم سيئاتهم ويجزوا باحسن
ماكانوا يعملون وهو قوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ماعملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله ليكفر الله عنهم
اسوء الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وعد للمؤمنين تكفير المساوي التي عملوا في الدنيا
والجزاء لهم بالمحاسن التي عملوها ووعد للكافرين اسقاط محاسنهم والجزاء على مساويهم لما لم ياتوا بالايمان

الزعم في كلام العرب الكذب

في قراءة الكتاب يحبسه القرآن

والله اعلم

والله اعلم وقوله عز وجل ذلك جزاء اعداء الله النار هذا يدل على ان ذلك في الاخرة وقوله لهم فيها
دار الخلد جزاء بماكانوا يعملون قوله دار الخلد اي دار البقاء يبقون فيها ابدا فيكون اسماء الجنة
ويحتمل ان يكون في الجنة نار او موضع يسمى دار الخلد فيكون اسم موضع خاص والله اعلم وقوله عز وجل
وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين
قال بعضهم الذي اضلهم من الجن هو ابليس لانه اول من عصى الله تعالى وسن لهم ذلك ومن الانس
ولد ادم الذي قتل اخاه لانه اول من سن القتل ولكن عندنا انهم سالوا ان يريهم الذي اضلهم
كل جني يوسوس ويقذف في قلوبهم الوساوس والمساوي وكل انسي يدعوهم ظاهرا الى الضلال
وهكذا كل ضال وكافر انما كان ذلك الضلال والكفر لوساوس من جني او تلقين من انسي بلسانه
سالوا الله تعالى ان يجعلهم ظاهرين فيجعلوهم تحت اقدامهم لما يكون العذاب في كل ماكان
اسفل اشد لذلك سالوا ذلك وهو ماسالوا ربهم زيادة العذاب لهم في اية اخرى حيث قالوا قالت
اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وقوله فزده عذابا ضعفا من النار
فعلى ذلك سؤال هؤلاء والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية قال امتي
لان اليهود قالوا ربنا الله ثم قالوا عزير ابن الله وان النصارى قالوا ربنا الله ثم قالوا المسيح ابن الله
وان امتي قالوا ربنا الله ولم يشركوا به احدا وكذلك روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئا فان ثبت ذلك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه فهو تفسير الاستقامة التي ذكر والله اعلم وقال بعضهم
اي قالوا ربنا الله ثم استقاموا في اخلاص العمل له والقيام بذلك وقال بعضهم ثم استقاموا على اداء
الفرايض والشرايع والحدود وقيل ثم استقاموا في الطاعات له والاستقامة يحتمل وجوها ثلاثة
احدها في الاعتقاد اعتقدوا ان لايعصوه ويجتنبوا جميع مايخالف امره ونهيه والثاني استقاموا
في اجتناب جميع مايخالف ما اعطوا بلسانهم انه ربنا الله واقاموا بوفاء ما اعطوا بلسانهم قولا وفعلا
والثالث قاموا في جميع الاعمال مخلصين لله تعالى عز وجل لم يشركوا فيها احدا ولا اعطوا لاحد فيها
نصيبا من المراياة وغيرها بل خالصا لله تعالى سالما والله اعلم بما اراد بذلك وقوله عز وجل
تتنزل عليهم الملايكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا اختلف فيه قال بعضهم ذلك عند قبضهم الارواح
في الدنيا يبشرهم بما ذكر وقال بعضهم تقول لهم الملايكة ذلك يوم القيامة عند معاينتهم
الاهوال والافزاع ليسكن بذلك قلوبهم عند تلك الاهوال والشدايد والله اعلم ثم اختلف في قوله
لاتخافوا ولاتحزنوا اي لاتخافوا ما امامكم ولاتحزنوا على ماخلفتم من الاهل والاولاد وقيل لاتخافوا
مايقدمون عليه من الموت وامر الاخرة ولاتحزنوا على ماخلفتم من اهل او دين وقال بعضهم لاتخافوا
من العذاب ولاتحزنوا على فوت ما وعدتم من النعيم فانها دايمة لايفوت ولاينقطع ابدا وقوله عز وجل
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون اي وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون على السن الانبياء
والرسل عليهم الصلوة والسلام فمن قال ان البشارة التي ذكر هي في الدنيا عند قبض الارواح فلما ذكر
في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر لان المؤمن يرى له الجنة
ويبشر بها في ذلك الوقت فيصير الدنيا له سجنا لما عاين مما هو له ويجعل له من الثواب والكافر لما ارى له
مكانه في النار ويبشر له صارت له الدنيا جنة وعلى ذلك يخرج قوله عليه الصلوة والسلام من احب
لقاء الله احب لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه والله اعلم وقوله عز وجل نحن اولياؤكم

وساوس الشيطان وحينئذ اللهم اني اعوذ بك مما يكفيك

استقامة

مطلب عظة بليغة

من احب لقاء الله احب الله لقاءه الحديث

فی الحیوة الدنیا و فی الاخرة هذا یخرج علی وجهین احدهما یشبه ان یکون هذا القول من الذین بشروهم
بما بشروا یقولون نحن اولیاؤکم فی الحیوة الدنیا و فی الاخرة وجایز ان یکون ذلک من الله تعالی وان کان
المذکور علی اثر البشارة الملایکة وذلک کقوله تعالی وما دعاء الکافرین الا فی ضلال انا لننصر رسلنا والذین
امنوا فی الحیوة الدنیا ثم ان کان ذلک من الله سبحانه وتعالی فیکون تاویله نحن اولیاؤکم فی عصمتکم فی الدنیا
واولیکم فی الاخرة فی المعونة او نقول نحن اولی بکم فی النصر والتوفیق فی الدنیا والجزاء والثواب فی الاخرة
والله اعلم وان کان ذلک من اولئک الذین بشروهم یقولون نحن اولیاؤکم فی الحیوة الدنیا بالصحبة فکذلک
یکون فی الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل ولکم فیها ما تشتهی انفسکم هذا یحتمل وجهین احدهما
ما تشتهی انفسکم ای لکم ما یرغب به انفسکم و تتوق ولکم فیها ما یتلذذ به انفسکم وتتنعم بها وقوله ولکم فیها
ما تدعون قیل ما یتمنون و تسالون او یقول ما تدعون من الدعوی والله اعلم وقوله نزلا من غفور رحیم
قال بعضهم نزلا ای رزقا من غفور رحیم وهو من الانزال وقال بعضهم نزلا ای انزالا فی المنزل
من غفور رحیم والله اعلم وقوله ومن احسن قولا ممن دعا الی الله وعمل صالحا کانه یقول ومن احسن
مذهبا وسیرة ممن دعا الی الله ای الی توحید الله و دینه او دعا الی المعروف والنهی عن المنکر ای دعا غیره
الی غیر ذلک وعمل بنفسه وهذا الحرف یجمع جمیع الخیرات والطاعات فان کان قوله ومن احسن
قولا علی ما ذکرنا من المذاهب والسیرة فکانه یقول ومن احکم واتقن مذهبا وسیرة ممن ذکر وان کان
علی حقیقة القول فیکون قوله ومن احسن قولا ای ومن اصدق قولا ممن قال ما ذکر والله اعلم وقوله
عز وجل وقال اننی من المسلمین ای اختار الانتساب الی الاسلام من بین غیره من الادیان والمذاهب
و قد ابی سایر الفرق الانتساب الی الاسلام سوی اهل الاسلام والثانی انتسب الی ما خص الله سبحانه وتعالی
تسمیتهم به وهو الاسلام کقوله تعالی هو سماکم المسلمین وقوله امة مسلمة لک وقال فی حق ابراهیم علیه السلام
اسلم قال اسلمت لرب العالمین ویکون اسم المؤمن خاصا لاهل الحق فان الیهود والنصاری یسموا انفسهم
مؤمنین ولا یمتنعون عن اطلاق اسم المؤمن ویمتنعون عن اطلاق اسم المسلم ولهذا یقال دار الاسلام
ولا یقال دار الایمان وان کان الاسلام والایمان واحدا لاختصاص هذا الاسم بهولاء والله اعلم
او یقال انه اختار النسبة الی الاسلام وغیرهم من الناس انتسبوا الی ما لهم من العز فی الدنیا والشرف
فیها وغیر ذلک من الاسباب التی کانت لهم فی الدنیا ثم اختلف فیه قال بعضهم هو رسول الله صلی الله
علیه وسلم وقال بعضهم هم المؤذنون وعلی ذلک رویت الاخبار انها نزلت فی المؤذنین وقال بعضهم
ذلک فی کل مؤمن دعا الخلق الی طاعة الله تعالی وعمل بنفسه والله اعلم وعن الحسن انه تلا قوله تعالی
ومن احسن قولا ممن دعا الی الله وعمل صالحا قال هذا صفوة الله هذا خیرة الله هذا احب اهل الارض
الی الله تعالی اجاب فی دعوته ودعا الناس الی ما اجاب الله فیه من دعوته وعمل صالحا فی اجابته وقال انی
من المسلمین برتبة هذا خلیفة الله تعالی والله اعلم وقوله عز وجل ولا تستوی الحسنة ولا السیئة
قیل ولا الاخیرة هاهنا زایدة کانه قال ولا تستوی الحسنة والسیئة وقد یزاد حرف لا فی الکلام وقد ینقص
فعلی ذلک هذا ثم جایز ان یکون قوله ولا تستوی الحسنة ولا السیئة وقوله ادفع بالتی هی احسن کل واحد منهما
موصول بالاخر یقول لا تستوی الحسنة وجایز ان یکون کل واحد منهما مقطوعا من الاخر علی الابتداء
فان کان احدهما موصولا بالاخر یقول لا تستوی الحسنة والسیئة فی جلب حب القلوب واللین
والعطف لهما بل الحسنة جلب حب القلوب والمیل الیها لا السیئة ادفع بالتی هی احسن ای ادفع
بالحسنة دون السیئة وهو کقوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو کنت فظا غلیظ القلب لانفضوا من حولک
الایة فعلی ذلک یقول هاهنا ان لا تستوی الحسنة والسیئة فی الطاعة والمیل وجلب حب القلوب

مطلب مما یحفظ حرف یجمع جمیع الخیرات

جامع جمیع الخیرات

مطلب کون لا السنة اسم المسلم خاص لاهل الحق دون المؤمن

عظة بلیغة فی الداعی الی الله تعالی

الحسنة تجلب حب القلوب والمیل الیها

بل هما

بل هما مختلفان مفترقان فادفع سیئتهم بالحسنة والله اعلم وجایز ان یکونا جمیعا علی الابتداء
لا اتصال لاحدهما بالاخر فان کان علی الابتداء فمعناه والله اعلم انکم تعلمون بعقولکم ان لا استواء
بین الحسنة والسیئة ولا بین المحسن والمسیء وکذا لا استواء بینهما فی الحکمة و قد رایتم انهما قد استویا
فی هذه الدنیا فی جمیع منافعها ولذاتها وجمیع بینهما فی هذه و فی الحکمة والعقول والتفریق بینهما دل
ان هنالک دارا اخری یفرق بینهما فی الجزاء والثواب فیها والله اعلم وهو ما ذکر فی ایة اخری افنجعل
المسلمین کالمجرمین ما لکم کیف تحکمون وقوله ام نجعل الذین امنوا وعملوا الصالحات کالمفسدین
فی الارض ام نجعل المتقین کالفجار ای لا نجعل هذا کهذا و قد جعل هذا کهذا فی هذه الدنیا فدل ذلک
علی ان هنالک دارا اخری فیها یقع ذلک التمییز والتفریق فعلی ذلک هذا والله اعلم وقوله عز وجل ادفع بالتی
هی احسن فاذا الذی بینک وبینه عداوة کانه ولی حمیم صرف عامة اهل التاویل ذلک الی رسول الله
صلی الله علیه وسلم والی ابی جهل لعنه الله انه امر رسوله علیه الصلوة والسلام ان یدفع سیئة ابی جهل
بالحسنة لکن هذا لا یحتمل لانه لم یذکر ان ابا جهل صار لرسول الله صلی الله علیه وسلم کما ذکر حیث قال
فاذا الذی بینک وبینه عداوة کانه ولی حمیم بل دامت عداوته ایاه الی ان خرج علی رسول الله صلی الله علیه وسلم
یوم بدر واغری الناس علیه فرجع ذلک الاغراء الیه فقتل فی ذلک الیوم فدل انه لا وجه لصرف الایة
الیه هذا ثم یخرج قوله ادفع بالتی هی احسن علی وجهین احدهما ادفع سیئتهم فی حادث الوقت بحسنة
یکون منک الیهم ای اذا احسنت الیهم کفواهم عن الاساءة الیک فی حادث الوقت والله اعلم فیکون قوله ولکم
فی القصاص حیوة والثانی ای ادفع سیئتهم بالعفو والصفح ای لا تکافئهم بمساویهم ولکن تجاوز عنهم واصفح
فاذا فعلت ذلک یصیر الذی بینک وبینه عداوة کانه ولی حمیم ای لا تفاد قتلک والله اعلم وقوله عز وجل
وما یلقاها الا الذین صبروا عن امر الله تعالی والقیام بجمیع اموره او یقول لا یعطی ولا یؤتی المعاملة التی
ذکر ولا یوفق لذلک الا من عزم علی الصبر علی ما امر الله تعالی او الصبر علی ذلک وقوله ولا یلقاها الا ذو حظ
عظیم یقول ولا یعطی هذه المعاملة التی ذکر من الدفع بالحسنة والصفح عن المجرم الا من کان له حظ ونصیب
عظیم عند الله تعالی والله اعلم وقوله واما ینزغنک من الشیطان نزغ فاستعذ بالله هذا یخرج علی وجهین
احدهما جایز ان یکون الاستعاذة التی ذکر هو مباشرة الاسباب التی بها یدفع نزغ الشیطان ووساوسه
امر ان یاتی بالاسباب التی یهتیاه له ان یدفع بها نزغاته وهمزاته وهذا کالاستغفار الذی امر به
لیس هو امر بان یقولوا یستغفر الله بالسنتهم ولکن امر بمباشرة اسباب یقع ویجب المغفرة بها فعلی ذلک
الاستعاذة والثانی جایز ان یکون امر بالاستعاذة ایاه امرا له بسؤال اللطف من عند الله یدفع به نزغاته وهمزاته
والله اعلم وعلی قول المعتزلة لا یصح الاستعاذة منه لانهم یقولون انه قد اعطی کلا ما به یدفع نزغاته وهمزاته
حتی لم یبق عنده شیء یملک اعطاءه ایاهم من اللطف وغیره والله الهادی وقوله عز وجل ومن ایاته اللیل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذی خلقهن ان کنتم ایاه تعبدون
کانه یقول والله اعلم ان الشمس والقمر ایتان من ایات الوهیته تعالی و وحدانیته کاللیل والنهار انهما ایتان
من ایات الله فاذا لم تعبدوا اللیل والنهار فکیف عبدتم الشمس والقمر والله اعلم او نقول ان الشمس والقمر
ایتان من ایات الله تعالی سخرهما لمنافع الخلق کاللیل والنهار مسخرات للخلق والمنافع التی جعل فیهما للخلق ان لم یکن
اکثر لم یکن دون منافع الشمس والقمر فاذا لم تعبدوا اللیل والنهار فکیف عبدتم هاتین یذکر هذا لان منهم
من کان یعبد الشمس والقمر ونحوه یذکر سفههم بعبادتهم غیر الله وقوله عز وجل واسجدوا لله الذی خلقهن
ای اسجدوا لله الذی انشا هذه الاشیاء وسخرها لکم ان کنتم ایاه تعبدون وای ان کنتم بعبادتکم هذه الاشیاء
یقصدون القربة عند الله تعالی او ان کنتم بعبادتکم هذه الاشیاء ایاه تریدون لانهم کانوا یعبدون هذه الاشیاء

دون الله تعالى رجاء القربة عنده والزلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول ان كنتم اياه
تقصدون بعبادة هذه الاشياء دون الله تعالى رجاء القربة عنده والزلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى يقول ان كنتم اياه تقصدون بعبادة هذه الاشياء فاسجدوا لله واعبدوه لما امركم بالسجود له والعبادة
والله الموفق وقوله فان استكبروا وقد ذكرنا فيما تقدم ان لا احد يقصد قصد الاستكبار على الله تعالى ثم يخرج
هذا على وجهين احدهما انهم قد امروا بطاعة الرسل عليهم الصلوة والسلام فاذا استكبروا عن الايتمار لهم لما دعوهم
اليه فيصير استكبارهم عليه كالاستكبار على الله تعالى والثاني لما تركوا عبادة الله تعالى وقد جعل في انفسهم
دلالة العبادة لله تعالى فاذا تركوا العبادة لله تعالى فقد تركوا الايتمار بامره ولم يعتقدوا الايتمار لذلك الامر
فيكون استكبارا عليه والله اعلم وقوله عز وجل فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون
يقول والله اعلم فان استكبر هؤلاء على عبادة الله تعالى فاوحشك ذلك فاذكر عبادة من عندك
من الملائكة بالليل والنهار حتى تستانس بذلك والله اعلم وهو كقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك
كان مستوحشا باستهزائهم به فذكر له استهزاء اولئك باخوانه ليقل ذلك فيه لما علم انه ليس اول من استهزئ به
فهذا مثله والثاني فان استكبر هؤلاء على عبادة الله وقد عبدوا الملائكة والاصنام وغيرهم فالذين هم
عند ربك ممن عبدهم هؤلاء لم يستكبروا بل هم يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون وهو كقوله تعالى
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الاية وكقوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون يقول ان استنكف هؤلاء عن ان يكونوا عبيدا لله فالمسيح ومن ذكر لم يستنكفوا عن ذلك وقوله تعالى
وهم لا يسأمون يخبر انهم لا يسأمون عن عبادته كما يسأم البشر احيانا عن عبادته والله اعلم وقوله عز وجل
ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت الاية وقال فيما تقدم ومن اياته
الليل والنهار والشمس والقمر فيما ذكر من الايات ايات وحدانيته وايات قدرته وعلمه وتدبيره وايات
حكمته اما ايات وحدانيته في الليل والنهار والشمس والقمر هو انه اذا كان سلطان احدهما ليلا ونهارا
او شمسا وقمرا لم يمنع عن كون الاخر ولو كان ذلك فعل عدد لكان منع الاخر عن اتيان ما يذهب
بسلطانه فاذ لم يكن دل انه فعل واحد ودل جريان ما ذكر من الليل والنهار والشمس والقمر على سياق
واحد وسنن واحد منذ كانا الى اخر ما يكونان على ان منشئهما عليم مدبر علم ذاتي وتدبير ذاتي
ليس بمستفاد ولا مكتسب ودل سيرهما وجريانهما في يوم واحد وليلة واحدة مسيرة كذا
كذا عاما على ان منشئهما قادر له قدرة ذاتية لا يعجزه شيء اذ القدرة المستفادة والمكتسبة لا يبلغ ذلك
وكذلك في احياء الارض بعد موتها واخراج النبات منها دلالة ذلك كله من دلالة الوحدانية ودلالة العلم
الذاتي والقدرة الذاتية والحكمة والتدبير لانه لما احياها بعد موتها واماتها بعد احيائه اياها دل انه
فعل واحد لا عدد لانه لو كان فعل عدد لكان اذا احيا هذا منع الاخر عن الاماتة وكذا اذا امات هذا منع
الاخر عن الاحياء الى ما يكون من فعل ذي عدد من ملوك الارض فاذ لم يمنع ذلك دل انه فعل واحد ودل
جريان ذلك كله في كل عام على مجرى واحد وسنن واحد وعلى مقدار واحد من النبات وغيره على انه كان
بعلم ذاتي وحكمة ذاتية ودلت القدرة على احيائها بعد موتها واماتتها بعد حيوتها ان له قدرة ذاتية
لا يعجزه شيء من البعث وغيره ثم جعل جل وعلا في الماء معنى يوافق ذلك المعنى جميع النبات الخارج من الارض
على اختلاف اجناسها وجواهرها حتى يكون حيوة كل شيء من ذلك به ان ذلك كان كذلك بلطف منه لا يبلغه
فهم البشر ولا علمهم ثم ذلك النبات مع لينه وضعفه ورقته يشق تلك الارض مع شدتها وصلابتها
ويخرج منها ما لا يتوهم خروج اشد الاشياء منها بفعل واحد سواه دل ذلك على قدرته ولطفه
والله اعلم ثم قوله ترى الارض خاشعة اي ميتة خشنة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اي تحركت نباتها

عجيب

وتزينت وصارت حية وقوله وربت اي تربو وتزيد ما عليها من النبات قال القتبي اهتزت بالنبات
وربت علت وانتفخت وقال ابو عوسجة اهتزت اي فرحت وربت من الزيادة وقوله ان الذي احياها
لمحيي الموتى هو ما ذكرنا ان الذي ملك وقدر على احيائها لقادر على احياء الموتى بعد موتهم انه على كل شيء
قدير اي لا يعجزه شيء وقوله عز وجل ان الذين يلحدون في اياتنا قرأ بعضهم يلحدون برفع الياء

الالحاد

وقرأ بعضهم بنصبها فمن قرأ بالرفع تأويله ان الذين يميلون عن قبول اياتنا قال ابو عوسجة الالحاد الميل
واخذ اللحد من هذا ومن قرأ بالنصب يقول يجعلون في اياتنا اي الذين يعلون في دفع اياتنا وابطالها
لا يخفون علينا هذا وعيد منه لهم لا يخفون هم وما يفعلون علينا نجزيهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل
افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيامة يشبه ان يكون هذا صلة لايتين تقدم ذكرهما احدهما قوله
تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الاية هذه في المؤمنين وقال في الكافرين
فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الاية والاية الثانية قوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
يقول افمن يلقى في النار باعماله السوء خير ام من ياتي امنا عن ذلك باعماله الحسنة اي يجاوز ان من يلقى
في الاخرة في النار ليس كالذي ياتي امنا عن ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل اعملوا ما شئتم يحتمل هذا
وجهين احدهما على التخيير لانه جل وعلا بين السبيلين جميعا على المبالغة بيانا شافيا واضحا وبين
عاقبة كل سبيل من سلكه الى ما ذا يفضي ثم قال اعملوا ما شئتم اي اسلكوا اي سبيل شئتم فان سلكتم طريق كذا
فلكم كذا وان سلكتم طريق كذا فلكم كذا والله اعلم والثاني على الوعيد وكذا قوله انه بما تعملون بصير على الوعيد
وقوله عز وجل ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم سمى القران ذكرا وهو يحتمل وجوها احدها سماه ذكرا
لان من اتبعه وعمل بما فيه صار مذكورا شريفا او سماه ذكرا لما يذكر لهم ما نسوا من احكام الله تعالى او يذكرهم
ما لله عليهم من حق عليهم وما لبعضهم على بعض والله اعلم وانه لكتاب عزيز يحتمل قوله كتاب عزيز اي عزيز
لا يذل لجحود الجاحدين ولا تكذيب المكذبين او يقول عزيز بحمد الله تعالى اكرم به محمدا صلى الله عليه وسلم
وعز به يعز من اتبعه وعمل به كما ذكرنا انه يشرف من اتبعه وعمل بما فيه والله اعلم وقوله عز وجل لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال بعض اهل التأويل اي لا ينزل كتاب من بعده يكذبه او يبطله
ولا قبله كتاب يكذبه او يبطله بل يخرج موافقا لما قبله من الكتب والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي ابليس لا يستطيع ان يبطل منه حقا او يحق منه باطلا او ينقص منه
حقا او يزيد فيه باطلا بل هو على ما ذكرنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال بعضهم ما ذكرنا
لا يكذب الكتب التي كانت قبله وقوله ولا من خلفه اي لا يجيء من بعده كتاب يكذبه ومعنى هذا انهم كانوا
يردون ذلك ويدفعونه وليست لهم حجة من الله تعالى في ردهم اياه ولا في دفعه بل يدفعونه بلا حجة
ولا برهان تنزيل من حكيم حميد وعن الحسن قال في قوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
ان الله سبحانه وتعالى حفظه من الشيطان فلا يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا ثم قرأ انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون ودل قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على ان كل ما اضيف اليه
اليدين والخلف لا يفهم منه بذكر اليدين الجارحتين او بذكر الخلف واليدان بقوله من بين يديه
ولا من خلفه فعلى ذلك ما اضيف الى الله تعالى من اليدين ومن بين يديه لا يفهم اليدان حقيقة الجارحتين
والله الموفق وقوله عز وجل تنزيل من حكيم حميد اي هذا القران هو تنزيل من حكيم حميد الحكيم هو الذي
لا يلحقه الخطأ في تدبيره او في حكمه والحميد هو الذي لا يلحقه الذم في فعله والله الموفق ثم قوله ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم الاية لم يخرج له جواب في هذا الموضع ثم قال بعضهم جوابه ما ذكر في اية اخرى بعد هذا
وهو قوله اولئك ينادون من مكان بعيد وقال بعضهم بل جوابه ما ذكر في حم المؤمن حيث قال الله تعالى

ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك يعزي النبي ويصبره على ما كانوا يقولون له انه كذاب وانه ساحر وانه مجنون وانه انما يعلمه بشر وانه مفتري وغير ذلك من انواع الاذى كانوا يؤذونه وكان يشتد عليه ذلك ويثقل لانه كان يدعوهم الى ما به نجاتهم وهم كانوا يستقبلونه بما ذكر فقال الله تعالى له عند ذلك ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك من التكذيب والنسبة الى السحر والجنون وغير ذلك يصبره على ذلك وهو كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية ويحتمل انه انما ذكر ذلك له يسليه عن بعض ما يلحقه من الضجر والوحشة بالذي قالوا فيه بما علم انه ليس باول مكذب من الرسل ولا باول متاذى في ذات الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم يقول والله اعلم على اثر ذلك ان ربك لذو مغفرة لو تابوا ورجعوا عن ذلك وذو عقاب اليم لو ثبتوا وداموا على ذلك او يقول والله اعلم على الصلة لقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم اي انه لذو مغفرة يغفر لهم ما كان منهم من التكذيب لك والتكذيب للقرآن لو تابوا ورجعوا وصدقوا وذو عقاب اليم ان لم يتوبوا ويثبتوا على ذلك والله اعلم او يذكر هذا اي ليس اليك مكافاتهم ومجازاتهم بما كان منهم انما ذلك الينا ان شئت غفرت لهم اذا رجعوا عنه وان شئت عاقبتهم وهو كقوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم الاية وقوله عز وجل ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ااعجمي وعربي وقال في اية اخرى ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقال في موضع اخر ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين يذكر في هذه الايات كلها سفه اهل مكة وشدة تعنتهم يقول لو انزلنا عليك الكتاب جملة في قرطاس بحيث يرون نزوله من السماء ويعاينونه قالوا ما هذا الا سحر مبين ويقول ايضا والله اعلم ولو نزلنا هذا القرآن على بعض الاعجمين بلسان فقراه عليهم اي اهل مكة بلسان العرب بحيث يفهمون ما كانوا به مؤمنين لان قراءة الاعجمي اياه بلسان العرب اكبر في الاية واعظم في الاعجوبة من قراءة العربي بلسان العربية اي قراءة كل احد شيئا بغير اللسان الذي هو لسانه اكبر في الاية واعظم في الاعجوبة من القراءة بلسان هو لسانه يقول لو نزلنا على من لسانه لسان العجم والقرآن عربي فقرا الاعجمي ذلك على اهل مكة بلسان العرب فهو اكبر اعجوبة واعظم في الاية لكانوا لا يؤمنون به فعلى ذلك يقول والله اعلم ولو جعلنا قرآنا اعجميا وعاينوا نزول ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم وفهمه واداه وقراه عليهم بلسان العرب لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي يعنون القرآن وعربي اي محمد عليه الصلوة والسلام يقولون القرآن اعجمي ومحمد عربي كيف يكون هذا اي لا يكون هذا ويكذبونه ولا يؤمنون به وذلك لما ذكرنا ان اداه بلسان ليس ذلك لسانه وقراءته بغير ذلك اللسان اكثر في جعله اية واعظم في الاعجوبة اذ يمكن الاختلاق من نفسه باللسان الذي هو لسانه وموهوم ذلك وغير موهوم ذلك اذا لم يكن ذلك لسانه يخبر عن سفههم وشدة عنادهم في تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به والله اعلم وقال بعض اهل التاويل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان احيانا يدخل على رجل اعجمي يقال له ابو فكيهة فقالوا انما يعلمه بشر فانزل الله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا بلسان اعجمي يقال كفار مكة لولا فصلت اياته بالعربية اي بينت حتى يفقهها ويعلمها ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ولقالوا اعجمي انزل عليه القرآن ومحمد عربي فانزله عربيا ليفقهوه فلا يكون لهم الاعتلال والاحتجاج وقال بعضهم لولا فصلت اياته حتى يفهمها اعجمي القرآن وعربي الرجل وقال ابو معاذ يكون معنى هذا ان الله تعالى يستفهم قرآنا اعجميا على رجل عربي فلا يفهمون فيكون الحجة لهم بذلك وهو مثل الاول وقال بعضهم اعجمي وعربي استفهام من قريش يكون معناه لو انزلناه قرآنا اعجميا على رجل عربي لقالوا اعجمي وعربي كيف نفهم هذا

وكيف

وكيف يعقله لكنا قد ذكرنا ان هذا في الدلالة اكثر وفي الاعجوبة اعظم والوجه فيه ما ذكرنا بديا وقال القتبي لولا فصلت اياته اي نزلت عربية مفصلة بالاي كان التفصيل للسان العرب لكن لسنا ندري ما يريد بهذا الكلام ان التفصيل لسان العرب وقال بعضهم لولا فصلت اياته اي هلا فرقت اياته حتى جعل من كل لسان العجم ولسان العرب حتى يفهمها اهل كل لسان والله اعلم وفي هذه الاية دلالة على انه لو انزله بلسان العجم لكان قرآنا وان اختلاف اللسان لا يغيره ولا يحوله عن ان يكون قرآنا والله اعلم فيكون دليلا لقول ابي حنيفة رحمه الله انه اذا قرا بالفارسية في صلاته يجوز والله اعلم وقوله عز وجل قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى وصف الله تعالى هذا القرآن بالشفاء والرحمة والهدى وسماه مرة عزيزا كريما مجيدا حكيما ونحوه فهو هدى من الضلالة والحيرة والشك وكل شبهة وشفاء لكل داء وسقم يكون في الدين والانفس جميعا هو شفاء لذلك كله وهو هدى ثم يحتمل الهدى وجهين في هذا الموضع احدهما هو هدى لكل ضلالة اي دعا الى الذي يضاد الضلال والثاني هدى اي جعل بيانا لكل حيرة وشك وشبهة من اتبعه وقبله ونظر اليه بعين التعظيم والتبجيل دعاه الى سبيله ودينه ويخرجه من الضلال ويكون بيانا لكل من فيه الحيرة والشك والشبهة ويجلي له الطريق ويوضح له السبيل ويخرجه من الشبهات فهو للمؤمنين من الهدى والشفاء لانهم قبلوه واتبعوه وتكلفوا العمل بما فيه واما الكفرة فهو عليهم عمى وحيرة وشك لانهم لم يقبلوه ولم يتبعوه ونظروا اليه بالاستخفاف والهوان ونبذوه وراء ظهورهم فلم يبصروا ما فيه فهو صار لهم عمى وما ذكروا الله اعلم وكذلك قال تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد سماهم عميا وان كانوا بانفسهم حضورا شهودا وسماهم موتى وان كانوا في الحقيقة احياء وسماهم صما وبكما وعميا وان كانت لهم هذه الجوارح في الحقيقة لما لم ينتفعوا بهذه الجوارح بالذي جعلت هذه الجوارح له وانسيت فنفاها عنهم ليعلم ان المقصود ما يشاهد هذه الجوارح والانفس لا نفس هذه الجوارح والانفس ولكن طلب ما غاب عنها وخفي اذا نفسهم في الحقيقة كانت شهودا وحضورا سماهم عميا واحياء وبصراء وسماهم موتى وعميا وما ذكر ليعلم انها انما جعلت ليكتسبوا بها الحيوة الدايمة والبصر الدايم وما ذكر من كل شيء من السمع وغيره وكذلك هذه النعم التي جعلت في الدنيا جعلت ليكتسبوا بها النعم الدايمة فاذا لم يستعملوها فيما جعلت صاروا كما ذكر والله اعلم وقال بعضهم وهو عليهم عمى اي عموا عنه وقال بعضهم وهو عليهم عمى اي في الاخرة جزاء ما نسوه في الدنيا كقوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقيل قوله ينادون من مكان بعيد عبارة عن قلة افهامهم يقال للرجل الذي لا يفهم انت تنادى من مكان بعيد والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كانه يقول والله اعلم انا قد اتينا موسى الكتاب ما عرفوا انه انما نزل من عند الله تعالى حيث شاهدوا نزوله جملة ومع انهم عرفوا ذلك اختلفوا فيه حتى كذبه بعضهم فعلى ذلك يقول والله اعلم لو انزلنا القرآن عليك اعجميا فاديته اليهم بلسانك العربي لكذبوك ولا يصدقونك وان كان ذلك في الدلالة اكثر وفي الاعجوبة اعظم على ما فعل قوم موسى بالكتاب الذي انزل على موسى عليه السلام يذكر سفههم وتعنتهم والله اعلم وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب ظاهر هذه الاية على ان ما ذكر من المنة والرحمة في تاخير العذاب انما هو لقوم موسى وهو قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لكن اهل التاويل قد اجمعوا على صرف هذه المنة والرحمة في تاخير العذاب الى هذه الامة وكذا فهم ظهرت المنة في العفو عن الاهلاك في الدنيا دون ساير الامم والله اعلم ثم لظاهر قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم استدلال واحتجاج لاهل الالحاد لان مثل هذا في الشاهد انما يقال لاحد معنيين اما لجهل بالعواقب والعجز عن وفاء ما وعد

القراءة بالفارسية

لكن الله يتعالى عن الوصف بالجهل بعواقب الامور والوصف بالعجز عن شيء بما اقام من الايات والبراهين
على العلم والقدرة ثم قوله ولولا كلمة سبقت من ربك يحتمل الكلمة الحجة كقوله تعالى ويحق الحق بكلماته
وقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي اي لحجج ربي ويكون الكلمة منه الدين كقوله تعالى وكلمة الله
هي العليا ونحوه وقيل الكلمة هي الساعة التي اخر عذاب هذه الامة اليها فقال بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر والله اعلم وجايز ان يكون الكلمة هاهنا ما سبق من المنة لهذه المنة ان لا يعذبها
وقت استحقاقهم العذاب وسبق منه المنة والرحمة بتاخير الهلاك عن وقت اكتسابهم اسباب الهلاك
وهذا على المعتزلة والخوارج لقولهم ان ليس لله ان يعفو او يؤخر العذاب عمن وجب عليه او استحقه وكلام
نحو حيث من ورحم هذه الامة بتاخير العذاب عنهم الى وقت ولم يستحقوا العذاب لم يكن لذكر المنة والرحمة
في ذلك معنى وهو كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم وقوله عز وجل من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها يخبر عز وجل انه انما امتحنهم بما امتحنهم لا لمنافع يجر الى نفسه او لمضار يدفع
عن نفسه ولكنه انما امتحنهم وامرهم ونهاهم لمنافع يكتسبون لانفسهم ولمضار يدفعون بذلك عن انفسهم
وليس كملوك الارض انهم يمتحنون الخلق ويأمرون وينهون ويستعملونهم لمنافع انفسهم ولمضار يدفعون
بذلك عن انفسهم فاما الله سبحانه وتعالى فانه انما يمتحن الخلايق لمنافع يجرون الى انفسهم ولمضار
يدفعون بها عن انفسهم فلهم حصول منافع ذلك الامتحان والامر والنهي وعليهم حصول ضرر ذلك
فلانفسهم يعملون ما يعملون من الخير والطاعة وعليهم ما يعملون من الشر ولذلك قال وما ربك بظلام
للعبيد الاية قد بين السبيلين جميعا بيانا شافيا واقام لكل ذلك حججا وبراهين وبين ان من
سلك سبيل كذا افضاه الى كذا في العاقبة اما نعيم دايم وسرور دايم واما عذاب دايم وشرور دايم
فمن سلك السبيل الذي عاقبته النار والحزن فمن قبل نفسه اتى ذلك وهو الذي اوقع نفسه
في ذلك ومن سلك السبيل الذي جعل عاقبته الجنة والنعيم الدايمة فيه وباختيار وصل ذلك
فهو تفسير قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد والله اعلم وقوله عز وجل اليه يرد علم الساعة
اجمع من آمن بالله تعالى وصدق رسله عليهم السلام من اهل السماء واهل الارض ان ليس عندهم
علم بوقت الساعة فان ذلك خفي عليهم لا يعلمونه وان علم ذلك عند الله تعالى وهو ما قال عز وجل
يسألونك عن الساعة ايان مرساها الاية غير الباطنية والروافض فان علم ذلك عندهم على مذهبهم
وفي زعمهم اما الروافض فانهم يعدون الايمة ويقولون ان الساعة على امام كذا وفي زمان كذا
واما الباطنية يقولون ان اسم الساعة والقيامة ونحو ذلك انما هو اسم قايم الزمان وانه فلان فعلى قولهم
يظهر وقت قيامها فهو خلاف ما ذكر في الكتاب وما اجمع عليه اهل السماء والارض والله اعلم وقوله
عز وجل وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه جايز ان يكون ما ذكر من اخراج
الثمرة من الاكمام وما ذكر من حمل الانثى ووضعها وهو موصول بقوله اليه يرد علم الساعة فان كان على ذلك
فمعناه لا يعلم ذلك كله الا هو لا يعلم وقت خروجها ولا قدر خروجها ولا احدها وانها تخرج اولا
وكذلك الولد لا يعلم كيفية علوقه ولا وقته ولا مقداره وانه يعلق او لا علم ذلك الى الله تعالى
كعلم الساعة والله اعلم وجايز ان يكون قوله وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع
الا بعلمه على الابتداء ليس على الصلة بالساعة ولكن موصولا بما تقدم من قوله ومن آياته الليل والنهار
والشمس والقمر ومن آياته انك ترى الارض خاشعة الى آخر ما ذكر فعلى ذلك يقول والله اعلم ومن آيات
الوهيته ووحدانيته وآيات قدرته وعلمه وتدبيره ان يخرج الثمرات من اكمامها ومن آياته ان تحمل
الانثى وتضعه وهو ان الله تعالى انشا تلك الثمرة في الاكمام وكذا الولد في البطن في حجب وسواتر وغذاه

باطنية وروافضة يدعون علم الساعة

في تلك الحجب والسواتر وغذاه باغذية ودفع عنه جميع الاذى من البرد وجميع ما يؤذيه لضعفه
ولطافته لطفا منه ورحمه وصوره في تلك الحجب والسواتر باحسن صورة ليعلم الوهيته ووحدانيته
وان له علما ذاتية ازلية لا مكتسبا مستفادا اذ العلم المستفاد والقدرة المستفاد لا يبلغ ذلك
والله اعلم ثم قوله عز وجل من اكمامها اي المواضع التي كانت فيها مستترة وغلاف كل شيء كمه وانما قيل
كم القميص وقال ابو عوسجة اكمامها غطاؤها التي يكون فيها قبل ان ينشق عنها والتفتق التشقق
يقال تفتقت الاكمام عن الثمرة اي تشققت وقوله عز وجل ويوم يناديهم اين شركائي يذكرهم ويخبر
عما يسألون يوم القيامة وما يكون من جوابهم لذلك السؤال لعلهم يمتنعون عن ذلك ويحذرونه
يقول ويوم يناديهم اين شركائي اي اين الذين يزعمون انهم شركائي في الدنيا او اين الذين يعبدون
في الدنيا ويزعمون انها آلهة وانها شفعاؤكم عندي والا لا يحتمل ان يقول لهم الرب جل وعلا اين شركائي
ولا شريك له ولا اله غيره ولكن ما ذكرنا وقوله عز وجل قالوا آذناك ما منا من شهيد قال بعضهم آذناك
اسمعناك وقيل اعلمناك والاشبه ان يكون معنى آذناك اخبرناك اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام
العالم لا يتحقق اما الاخبار للعالم عن الشيء يتحقق بما علم به والله اعلم ثم اختلف في ذلك انه قول من قال هم
هو قول اولئك الكفرة الذين يودوا يومئذ يقولون اخبرناك انه لم يكن منا احد شهيدا بذلك ويقولون
بالشريك او بالاله سواك يخرج على الانكار والجحود والكذب انهم لم يقولوا ذلك ولم يفعلوا وهو كما ذكر عنهم
في آية اخرى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا الاية فقال والله ربنا ما كنا مشركين انكروا
ما كان منهم من الاشراك فعلى ذلك قوله آذناك ما منا من شهيد اي لم يشرك فيك احد ولم يتخذ
ما دونك الها والله اعلم وقال بعضهم قوله آذناك ما منا من شهيد هذا من قول الاصنام والذين عبدوهم
من دون الله في الدنيا يقولون ما منا من شهيد على عبادة اولئك ايانا ولا امرناهم بذلك وهو كقوله
وقال شركاؤكم ما كنتم ايانا تعبدون وقولهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اخبروا انهم كانوا غافلين
عن عبادتهم اياهم وايانا وانهم ما امروهم بها فعلى ذلك قوله تعالى آذناك ما منا من شهيد انما اخبرناك
وقوله تعالى آذناك على هذا التاويل هو ما ذكروا ان كنا عن عبادتكم لغافلين والله تعالى اعلم ثم ان الكفرة
في يوم القيامة مرة انكروا عبادتهم غير الله واحيانا اقروا بها وتبرؤا منها ومرة سألوا الرجوع الى المحنة
والرد الى الدنيا على اختلاف الاحوال والاوقات في ذلك اليوم اذ لا يكون هذه الاسولة المختلفة في وقت
واحد والله اعلم وقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل هو ما ذكر في آية اخرى حيث
قيل لهم اين شركاؤكم الذين كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام
في الدنيا رجاء ان يشفع لهم في الاخرة ويقربهم الى الله زلفى فلما ايسوا ما رجوا منها وطمعوا قالوا ضلوا عنا
فعلى ذلك قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا وقوله عز وجل ما لهم من محيص اي ايقنوا وعلموا
ان لا محيص لهم ولا نجاة وقال ابو عوسجة ما لهم من محيص اي مهرب وقوله عز وجل لا يسأم الانسان
من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط وقال في آية اخرى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هاتان الايتان في ظاهر الخروج احداهما مخالفة للاخرى لانه ذكر
في احداهما الاياس والقنوط اذا مسه الشر وفي الاخرى كثرة الدعاء اذا مسه الشدة والبلاء ومن طباع
الخلق والعرف فيهم انهم اذا ايسوا وقنطوا لا يدعون ولا يسألون بل يتركون سؤالهم واذا طمعوا ورجوا
عند ذلك سألوا ودعوا هذا هو العرف فيهم فدل ان بينهما مخالفة من حيث الظاهر لكن نقول ان الاية
يخرج على وجوه يحتمل ان كل واحد من الايتين في انسان لعينه يشار اليه سوى الاخر كان عادة احدهما
على الاياس والقنوط من الخير ترك الدعاء والسؤال وكان عادة الاخر الدعاء والتضرع اليه والسؤال

عن كشف ذلك عنه فاخبر جل وعلا رسوله عليه الصلوة والسلام ما اضمر كل واحد منهما فى تفسير احدهما الاياس والقنوط والاخر الدعاء والسؤال والطمع فى الخير ليكون له عليهم دلالة الرسالة وآية النبوة اذا انبأ عن ضمير كل واحد منهما وما فى نفسه ليعلم انه رسول وانما علم ذلك بالله جل وعلا والله اعلم والثانى ان الكفرة كانوا فرقا وكانوا على مذاهب شتى مختلفة فرقة كانت تطمئن فى حال الرخاء والسعة وتيئس وتتقلب فى حال البلاء والشدة كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به الآية وفرقة كانت تفزع الى الله تعالى وتقبل اليه عند اصابة الشدة والبلاء وتعرض عنه عند كشف ذلك عنهم وتوسيع النعم عليهم نحو قوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك الآية ونحوه كثير فى القرآن وفرقة كانت يكون فى الحالين جميعا على الاعراض عنه وترك الاقبال اليه والطاعة له لا يفزعون اليه ولا يقبلون لا فى حال الرخاء والسعة ولا فى حال البلاء والشدة كقوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وفرقة كانت ترى الحسنة والخير من انفسهم واذا اصابت سيئة وشدة تطيروا بالرسل عليهم السلام كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقوله تعالى قالوا اطيرنا بك ومن معك واذا كانت الكفرة على هذه المذاهب المختلفة وكانت اجناسا شتى فيكون كل آية منها فى جنس غير الجنس الآخر وفى اهل مذهب غير اهل مذهب آخر فاما المسلمون فيكونون فى الحالين جميعا على التوحيد والاقبال الى الله تعالى فى حال الرخاء والسعة وفى حال البلاء والشدة وهو ما استثناهم الله تعالى عند ذكر الكفرة حيث قال انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الآية وامثال ذلك من الآيات وصفهم جل وعلا بالثبات والقرار على دينهم فى الاحوال كلها والله اعلم والثالث جائز ان يكون ما ذكر من الآيتين على ما ذكر لحبا دعا طبع عليه البشر وانشئ وانما انشئ البشر وطبع على الرغبة فى الخير والسعة والنفار عن الشدة والبلاء والكراهة له فهذا اخبار عما طبعوا عليه وانشئوا ليس على حقيقة اظهار ذلك منهم قولا او فعلا على ما طبع كل انسان راغبا حراسا فى السعة والرخاء وانه ما ذكر لا يسأم من دعاء الخير كارها نافرا عن البلاء والشدة والله اعلم وقوله عز وجل ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وقال بعضهم هذا لى اى اعطانيه من خير علمه منى وجائز ان يكون ما ذكرنا انهم كانوا يتطيرون بالرسل عليهم الصلوة والسلام عند البلاء والشدة والسعة يرون من انفسهم حيث قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه الآية وقوله عز وجل وما اظن الساعة قائمة كانوا ينكرون البعث والجزاء لما عملوا فى الدنيا ثم يقولون فلئن كان ما يذكر محمد من البعث والجزاء للاعمال والجنة ان ذلك لنا دونهم وهو قولهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى ان رجعت على ما يقوله محمد ان لى عنده للحسنى وهو على ما قالوا فى الدنيا لو كان خيرا ما سبقونا اليه لما راوا السعة لانفسهم فى الدنيا دون المؤمنين فعلى ذلك فى الآخرة قالوا النار دونهم والله الهادى ثم اخبر تعالى عما ينزل بهم باعمالهم فى الآخرة وهو قوله فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ اى ننبئهم بجزاء ما عملوا لان ذلك كان منهم تمنيا وتشهيا بين يديهم العذاب الغليظ والله اعلم وقوله عز وجل واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هو ما ذكرنا من دعائهم وسؤالهم الخير وطمعهم ذلك وقوله فذو دعاء عريض قال ابو عوسجة ونأى بجانبه اى تباعد عما امر به وذو دعاء عريض اى كثير الدعاء لا يمل ولا يسأم وكذا قال القتبى وقوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله يقول ان كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به وجائز ان يكون على الابتداء ليس بجواب لقوله ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لما عرفوا ان من عانده وعادى ما كان من عند الله ويكون كان لم يذكر جواب ارايتم

ان كان

ان كان من عند الله ثم كفرتم به لما عرفوا ان من عانده وعادى ما كان من عند الله انه ما يفعل بهم وما يصنع وهو كقوله تعالى ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين لم يذكر له جوابه لما عرفوا ان من تريدون عبدوا دون الله بعد معرفتهم انه افك وانه كذب وليس باله ان الله ماذا يفعل فلم يذكر لهذا جواب لمعرفته بما يفعل بهم فعلى ذلك قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به يجوز ان لم يذكر له جواب لما عرفوا انه لا يفعل بهم وما يستوجبون منه بما عاندوه وعادوه بعد معرفتهم انه من عند الله جاء ثم كفروا به والله اعلم وان كان موصولا فجوابه ما ذكر من قوله من اضل ممن هو فى شقاق بعيد فيكون كانه يقول والله اعلم ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فاذ كفرتم ضللتم فمن اضل ممن هو فى شقاق بعيد اى فى خلاف وبعد فيكون جوابه كانه قال لا احد اضل ممن عرف انه من عند الله ثم خالفه وتباعد عنه على ما ذكرنا فى قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اختلف فيه قال بعضهم سنريهم آياتنا اى نريهم عذابنا الذى نزل بالامم المتقدمة فى بلاد عاد وثمود وقوم لوط كانوا يمرون عليها ويعرفون انه لما نزل بهم ذلك وهو لتكذيبهم الرسل وعنادهم ونريهم عذابنا ايضا فى انفسهم ببدر حيث قتل فراعنتهم يومئذ حتى يتبين لهم انه الحق يقول ان القرآن هو الحق من الله لان فيه الاخبار عن العذاب الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم سنريهم آياتنا فى الآفاق هو ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على البلاد والقرى النائية وفتحها عليه وفى انفسهم اى فتح مكة وظهوره عليهم على ما وعد له ربه جل وعلا من النصر له وفتح البلاد والقرى فيكون هذان التأويلان آية لرسالته ونبوته والله اعلم ويحتمل قولهم سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم آيات وحدانيته والوهيته اما فى الآفاق وما جعل منافع البلاد النائية والقرى المتباعدة متصلة بمنافع انفسهم ومنافع البلاد القريبة ومنافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ليعلم انه تدبير واحد وفعل فرد لا عدد ولو كان آياته فى الآفاق رفع السماء مع غلظها وكثافتها وسعتها بلا سبب ولا تعليق من اعلاها ولا عماد من اسفلها وفى انفسهم ما حولهم وقلبهم فى الارحام من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال المضغة ثم من حال المضغة الى حال الانسان فى التصوير والتركيب الى آخر ما ينتهى اليه امره ليعلم انه صنع واحد وتدبير فرد ولا تدبير لاحد سواه فى ذلك فهذان التأويلان فى آية الالوهية والوحدانية والاولان فى اثبات الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد كانه يقول اولم يكف ربك شاهدا انه من عنده على ما تقول انت او يقول اولم يكف ربك ناصرا ومعينا او يكون قوله اولم يكف اى اولم يكفهم ما جاء من عند الله من البينات والقرآن كقوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم آياتنا الآية فعلى ذلك يحتمل هذا ويحتمل اولم يكفهم آية على رسالتك او آية على وحدانية الله تعالى ما جاء من عند الله والله اعلم وقوله عز وجل الا انهم فى مرية من لقاء ربهم اى الا شكهم ومريتهم فى البعث هو الذى حملهم على تكذيب ما جاء من عند الله وانكاره والله اعلم

سورة الشورى مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم عسق قال بعضهم حم هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل هو اسم من اسماء القرآن وقال بعضهم حم اى قضى ما هو كائن وقد ضعف هذا القول ابن عباس رضى الله عنه والصحيح

من الا قوال انه حم خبر لمبتداء محذوف وتنزيل الكتاب خبره من الله صفة للكتاب والتقدير هذا حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز الرحيم وقال بعضهم في حمعسق عين عبارة عن عذابه والسين عبارة عن المسخ
والقاف كناية عن القذف يقول صاحب هذا القول يخرج عين من الارض فيها عذاب ويمسخ رجل
من هذه الامة بالبادية فيقذف الناس بالحجارة والله اعلم وقال بعضهم وهو قول ابن عباس
حمسق على اسقاط حرف العين ثم يقول السين كل فرقة يكون والكاف كل جماعة يكون وذكر انه كان يعلم
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه حساب العين وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي رضي الله تعالى عنهما
وحمسق على طرح العين وقال بعضهم العين عبارة عن العذاب والسين عبارة عن سيكون والقاف
عبارة عن الوقوع اي يقضي ما سيكون ذلك والله اعلم وذكر عن جعفر بن محمد علي رضي الله تعالى عنهم
قال العين عبارة عن العذاب والسين عبارة عن سيكون ولم يفسر القاف وقال محمد وكلام
نحوه والله اعلم وقال بعضهم العين عبارة عن علمه والسين السلام والقاف عبارة عن القدرة
وهذا محتمل وجايز ان يكون كل حرف من هذه الحروف المقطعة عبارة عن صفة من صفاته او اسم
من اسمائه على عادة العرب بالاكتفاء عن حرف عبارة عن جميع الكلمة فالحاء عبارة عن حلمه وحكمته
وحكمه والميم عبارة عن ملكه ومجده والعين عبارة عن علمه والسين عبارة عن سنائه وسؤدده والقاف
عبارة عن قدرته وقوته يكون كل حرف من هذه الحروف عبارة عن اسم من اسمائه او صفة من صفاته
وعبارة عن حكم من احكامه وهذا الذي ذكرنا كله على الامكان والاحتمال لا يسع ان يحقق فيه القول
انه كذا وانه اراد كذا لانه من المتشابه وانه من السر الذي لم يطلع الله تعالى عليه احدا الا رسله
عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك اي كما اوحى اليك
بسورة حم عسق اوحينا بها الى الذين من قبلك وقال بعضهم اي كما اوحينا اليك بهذه الحروف
يعني حم عسق بعينها فقد اوحينا بعين هذه الحروف الى الذين من قبلك وهو حم عسق وقال بعضهم
كما اوحينا اليك حم عسق اوحينا الى الذين من قبلك من الرسل بمعنى ذلك والله اعلم وعن ابن عباس
رضي الله عنه انه قال ليس نبي الا وقد اوحي اليه بحم عسق كما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو على ما ذكرنا وقوله له ما في السموات وما في الارض يخرج ذكر هذا في هذا الموضع على وجوه
احدها اي له ما في السموات وما في الارض شهود على الوهيته ووحدانيته والثاني ان ما في السموات
والارض وما فيهما له دلالات وحدانيته وربوبيته والثالث له ما في السموات وما في الارض
اي كلهم عبيده وملكه فلا يحتمل ان يتخذ من ملكه وعبيده ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة
وما قالوا اذ لا احد يتخذ من عبيده وملكه ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة فعلى ذلك
يتعالى الله من ان يكون له في ملكه ما ذكروا والله اعلم وقوله وهو العلي العظيم العلو والعظمة في الشاهد
يكون من وجوه ثلاثة احدها العلو عبارة عن القهر والغلبة يقال فلان عال اي غالب وقاهر
والعظمة عبارة عن القدر والمنزلة ونفاذ الامر والثاني يكون العلو عبارة عن الكبرياء والسؤدد
وكذلك العظمة والثالث العلو يكون عبارة عن الارتفاع في المكان والعظمة عظم في البدن والنفس
وهذا مما لا يكون فيه كثير منقبة وقدر ولا شيء من ذلك ولا يزيد ذلك في صاحبه رفعة ولا مرتبة
والله يتعالى عن الوصف بهذا فانما رجع الوصف له بالعلو والعظمة الى الوجهين الاولين السلطان
والقدرة ونفاذ الامر والمشية والكبرياء والغلبة فاما ما رجع الى الارتفاع في الامكنة والعظمة
في البدن فهو صفة المخلوق وهم الموصوفون بذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله
تكاد السموات يتفطرن من فوقهن يحتمل هذا وجهين احدهما تكاد يتفطرن لذنوب اهل الارض

في معنى العلو والعظمة

وتشادهم وعظيم ما قالت الملحدة في الله من الولد والشريك والصاحبة كادت تنشق لذلك وتتساقط
كقوله في آية اخرى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا
بين في هذه الآية انها كادت يتفطرن وتنشق لماذا وهو دعواهم للرحمن ولدا فعلى ذلك يحتمل ها هنا
هذا المعنى والله اعلم والثاني كادت تنشق لبكاء اهلها عليها واشفاقها ورحمة على اهل الارض ويحتمل
تكاد تنشق لعظمة الرب وجلاله وعظم سلطانه كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله اخبر انه لو جعل في الجبال والارض والسماء من المعنى والتمييز ما جعل في البشر
لكانت هذه الاشياء بالوصف الذي ذكر من الخضوع لربها وهو كما ذكر في آية اخرى وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يخبر عن شدة خضوع
هذه الاشياء وخشوعها لربها وتذللها وعناد الكفرة واستكبارهم وقلة خضوعهم وخشوعهم لربهم
والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن لكثرة اهلها وازدحامهم
فيها وعبادتهم لربهم على ما ذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط
ما من موضع قدم فيها الا وملك فيها ساجد او راكع او قايم يسبح الله تعالى ويصلي له والله اعلم وقوله
والملايكة يسبحون بحمد ربهم هذا يدل على ان ما ذكر من تفطر السماء لعظم ما يقوله الملحدة فيه
من الشريك والولد والصاحبة حيث قال على اثره والملايكة يسبحون بحمد ربهم اي الملايكة ينزهونه
عما يقولون فيه ويثنون عليه بالثناء الذي يليق به ويصفونه بما هو اهله والله اعلم وقوله ويستغفرون
لمن في الارض امتحنهم جل وعلا بالتسبيح له والثناء له والاستغفار لاهل الارض على ما ذكرتم قال بعضهم
ان قوله ويستغفرون لمن في الارض منسوخ بقوله تعالى فاغفر للذين تابوا لان الاول عام لجميع اهل الارض
والثاني خاص لكن هذا بعيد محال ان يستغفر الملايكة ويطلبوا النجاة والتجاوز من ربهم لمن يقول بالشريك
والولد والصاحبة واذا كان كذلك كان استغفارهم يرجع الى المومنين خاصة على ما ذكر في آية اخرى
ويستغفرون للذين آمنوا وبقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فكان المراد من العام هو الخاص
لان المراد منه العموم ثم صار منسوخا به وما الخاص متراخيا والله اعلم ثم ان كان استغفارهم
لجملة اهل الارض على ما يقولون فهو عبارة عن طلب السبب الذي به يقع لهم المغفرة وهو التوبة من الشرك
والتوحيد فيكون هذا سؤال التوحيد والهداية لهم ليقع المغفرة لهم بذلك والنجاة ويصير والذلك
اهلا وعلى ذلك يخرج استغفار ابراهيم عليه الصلوة والسلام لابيه انه سؤال وطلب السبب الذي به

في استغفار ابرهيم عليه السلام لابيه

يقع المغفرة له وان يجعله اهلا لذلك وكذلك امر الرسل عليهم الصلوة والسلام قومهم بالاستغفار
وهو ما قال هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا
لا يحتمل ان يقولوا لهم قول يستغفر الله ولكن يقولون لهم اطلبوا واسألوا ربكم السبب الذي به يقع
المغفرة لكم وهو التوبة عما هم فيه واختيار الهداية والرشد لانفسهم ليكونوا لذلك اهلا فعلى ذلك
يخرج استغفار الملايكة ان كان لجملة اهل الارض على ما يقول بعض اهل التاويل وعلى هذا
لا حاجة الى النسخ ولا يحتمله والله اعلم وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل قوله اولياء
الاصنام التي عبدوها دون الله كقوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين
وقوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
والله اعلم وقوله الله حفيظ عليهم يخبر انه لا عن غفلة وجهل منه يعملون ما يعملون ولكنه حفيظ
عليهم وعلى اعمالهم لكنه يوخر ذلك عنهم لحكمة والله اعلم وقوله وما انت عليهم بوكيل يحتمل وجهين
احدهما وما كنت عليهم بوكيل اي لا تواخذ انت بمكانهم كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم والثاني

والثانى ما انت عليهم بوكيل اى بمسلط عليهم ولا حفيظ انما انت رسول فعليك البلاغ كقوله تعالى
ان عليك الا البلاغ وقوله وما على الرسول الا البلاغ والله اعلم **وقوله** وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا
اى جعلنا قرآنا عربيا ليكون اقرب الى الفهم واولى ان يكون حجة عليهم وابلغ فى الحجاج لانه ذكر فيه الانباء
السالفة والاخبار المتقدمة باللسان العربى غير لسان تلك الانباء ومن غير ان يختلف الى احد من اهل
ذلك اللسان لتوهم التعلم منهم بلسانهم والنقل بلسان نفسه فدل انه انما عرف بالله تعالى ثم **وقوله** لتنذر
ام القرى ومن حولها اى لتنذر اهل ام القرى واهل من حولها من القرى ثم يحتمل تسميته مكة ام القرى وجوها
ثلثة احدها سماها ام القرى لما منها دحيت ساير الارضين والقرى والثانى سماها ام القرى لانها اول بيت
وضع للناس واول بناء بنى فى الارض فسماها لذلك ام القرى والله اعلم والثالث سماها ام القرى
لما على الناس ان يؤموها ويقصدوها بالزيادة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما بعث
رسولا بعث فيها فاليها يؤم ويقصد بالدعوة اولا ثم يؤم ويقصد ثم من بعد ذلك يؤم الى ساير القرى
والبلدان ويقصد والام القصد ومنه اخذ التيمم ولذلك سماها ام القرى والله اعلم **وقوله** وينذر
يوم الجمع اى وينذر بيوم الجمع ويحتمل ان يكون قوله وينذر يوم الجمع اى ينذر بالقرآن يوم الجمع لا ريب فيه
وقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير قد بين الله تعالى السبيلين جميعا على الابلاغ وبين عاقبة
كل سبيل الى ماذا يفضى من سلكها والله اعلم **وقوله** ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة يخبر ان عنده
من اللطايف والقدرة ما لو شاء لجعلهم جميعا امة واحدة وعلى دين واحد وهو ما قال ولولا ان يكون
الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية فلو جعل ذلك لاهل التوحيد
والايمان لكانوا جميعا على دين الاسلام على ما اخبر انه لو كان ذلك مع اهل الكفر لكانوا جميعا اهل كفر
ثم **قوله** ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة لا يحتمل مشية الجبر والقسر على ما يقوله المعتزلة لوجوه
احدها لما لا يكون الايمان فى حال الجبر على ما يقولون والقهر لانه لا صنع لهم فى ذلك ولا اختيار لهم والثانى
ان كل احد بشهادة الخلقة مؤمن موحد لله تعالى ثم لم يصيروا بذلك مؤمنين فعلى ذلك بالجبر والقهر
اذ فى الحالين ليس فعل المؤمن انما هو فعل غيره فدل انه اخبر انه اراد ان يشاء منهم ما يكون مختارين
فى الايمان لا مجبورين والثالث ان الايمان بالجبر والقهر مما لا يعرفه الناس ولا يطلق اسم الايمان عليه
فى العرف وقد وعدهم الايمان وجعل الدين واحدا وهذا عند التعارف ينصرف الى ما يوجد منهم
عن طوع واختيار لا بالجبر والقهر فيكون الآية منصرفة الى المعهود عند الناس على ما هو الاصل فى الكلام
والله الموفق وعندنا اراد به مشية الاختيار واخبر ان عنده من اللطايف ما لو اعطى الكل لآمنوا
جميعا عن اختيار لكنه لم يعطهم ذلك ولم يشأ لما علم منهم انهم لا يرغبون فيه ولا يختارون ذلك
ولكن انما يختارون ضد ذلك ونقيضه لذلك لم يشاء لهم وانما يشاء لمن علم انه يختار ذلك فضلا
وقوله ولكن يدخل من يشاء فى رحمته يخبر ان من اعطى ذلك انما يعطيه رحمة منه وفضلا لا انهم
يستوجبون ذلك منه ويستحقون عليه والله الموفق ثم ان الله تعالى سمى الايمان مرة رحمة بقوله ولكن يدخل
من يشاء فى رحمته ومرة سماه منة بقوله ولكن الله يمن على من يشاء وبقوله بل الله يمن عليكم ان هداكم
الآية فلو كان الايمان يقوم بالذى يكون الكفر من القدرة ولم يكن من الله تعالى الى المؤمنين الا وقد كان
مثله الى الكافر على ما يقوله المعتزلة ان الايمان انما يكون بالذى يكون الكفر لم يكن لتسميته هذا نعمة
ومنة ورحمة وتسمية الكفر ضده معنى والله الموفق وبعد فانه لو كان على ما يقوله المعتزلة لكان ما ذكر
من النعمة والمنة والرحمة انما يكون بالخلق ومنهم لا بالله تعالى ومنه دل ان عنده لطايف
من اعطى تلك اللطايف امن واهتدى ومن لم يعطه اياها لم يؤمن وقد اعطى المؤمن تلك ولم يعط الكافر

لذلك

مطلب ما يحقق

مطلب طمع اهل مكة فى شفاعته عليه السلام

لذلك كان ما ذكرنا والله الموفق ثم فى تخصيص ام القرى ومن حولها بالنذارة وجوه اذ ذكر فى آية اخرى
انه نذير للعالمين جميعا بقوله ليكون للعالمين نذيرا فاذا كان مبعوثا الى جميع العالم لا الى البعض دون البعض
كما كان بعض الانبياء عليهم السلام فلا بد ان يكون لتخصيص ام القرى ومن حولها معنى وحكمة احدها يحتمل
ان يكون لاهل مكة طمع فى شفاعته وان لم يتبعوه اما بحق القرابة والاتصال واما بحق الايادى ولمن حولهم
بحق الجوار فذكر تخصيصهم بالانذار بيوم الجمع حتى يزول طمعهم بدون الاتباع والنزوع عن الشرك اذ ذلك
لا يزول بمطلق الانذار لما عندهم وفى زعمهم ان المراد بذلك غيرهم لما لهم من زيادة سبب الوسيلة
معه والله اعلم والثانى اى ينذر هؤلاء ومن ذكر شفاها ولمن بعد منهم خبرا وخص هؤلاء بحق البداية
ثم بالاقرب فالاقرب وعلى ذلك يخرج قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين على الوجوه التى ذكرنا والله اعلم
وقوله سبحانه وتعالى والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير اى ما لهم من ولى يشفع ولا من نصير ينصر
ويمنعهم من عذاب الله تعالى **وقوله** ام اتخذوا من دونه اولياء اتخاذ اربابا والله هو الولى اى هو الرب
وهو يحيى الموتى وقد عرفوا ان الاحياء انما يكون بالله تعالى لا بالاصنام التى عبدوها وان كانوا ينكرون
البعث والاحياء بعد الموت فلو عرفوا انه لو كان انما يكون بالله تعالى لا بالاصنام التى عبدوا دونه وهو على كل شئ
قدير ظاهر قد تقدم ذكره **وقوله** وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله يحتمل قوله وما اختلفتم
فيه وجوها احدها فى القرآن والثانى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالث فى الدين فان كان
اختلافهم فى القرآن فقوله فحكمه الى الله فيما اقام من الحجج والبراهين انه من الله وانه من عنده جاء
حيث عجزوا عن اتيان مثله او مقابلة شئ يوازيه وان كان اختلافهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه رسول او ليس برسول فقد اقام من الدلايل والبراهين ما يدل على رسالته ونبوته سمعيات وعقليات
ما لا يتعرض لردها الا من كابر عقله وعاند لبه وكذلك لو كان اختلافهم فى الدين فقد اقام ما يعلم
كل ذى عقل ولب انه هو الحق وانه هو الصواب وان غيره من الاديان ليس بحق وقال بعض اهل التاويل
فى قوله وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله تعالى اى الى كتاب الله تعالى كقوله فان تنازعتم فى شئ فردوه
الى الله والرسول اى الى كتاب الله لكن هذا لا يصح فان قوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول
انما هو فى المؤمنين اذا وقع بينهم الاختلاف فى شئ من الاحكام يرد ذلك الى كتاب الله والى سنة رسوله
صلى الله عليه وسلم واما قوله تعالى فما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله انما هو فى محاجة الكفرة فهو

دليل عقلى

فى غير ذلك المعنى اذ هم لا يعتقدون كونه حجة وانما يرجع الى دليل آخر عقلى والله اعلم **وقوله**
ذلكم الله ربى اى ذلكم الذى يفعل هذا هو ربى عليه توكلت فى كل امرى واليه انيب بالطاعة ويحتمل
ان يكون اختلافهم الذى ذكر هو اختلافهم فى الله تعالى كقوله والذين يحاجون فى الله **وقوله** ذلكم الله
ربى اى ذلكم الذى اختلفتم فيه هو ربى عليه توكلت اى عليه اعتمدت واليه انيب اى اليه ارجع ثم نعته
فقال فاطر السموات والارض وقال فى موضع الآخر الحمد لله فاطر السموات والارض وفى موضع آخر خلق السموات
والارض وقال فى موضع آخر بديع السموات والارض قال بعض الباطنية المبدع هو الذى ينشئ الاشياء
لا من شئ والخالق هو الذى ينشئ الشئ من شئ ومن لا شئ والفاطر هو الذى ينشئ من شئ او نحوه من الكلام
وعندنا ان هذه الاسماء وان اختلفت الفاظها وافترق اشتقاقها ومآخذها فهو فى المعانى واحد
الابداع هو الانشاء بلا احتذاء سبق والخلق هو الانشاء والتقدير لكن غيره لا يجوز ان يسمى خالقا
لانه لا يقدر على تقدير شئ الا على مشاهدة يقدر عاينه ورآه والفاطر كانه ماخوذ من الشق يشق الشئ
ويخرج منه اشياء وكله خلق وفاعله خالق على الحقيقة وهو الله تعالى وبالله القوة والتوفيق **وقوله**
جعل لكم من انفسكم ازواجا اى جعل من نفس آدم وحواء عليهما السلام ازواجا نسبنا جميعا اليهما لانهما

الاصل وانا جميعاً انما كنا من الاصل وهو كنسبته ايانا الى التراب بقوله خلقكم من تراب وانما خلق اصلنا
من التراب لكنه نسبنا اليه لما منه كنا جميعا فعلى ذلك جايز ان يكون قوله جعل لكم من انفسكم ازواجاً
اى من نفس ادم وحوا ونسبنا اليهما لما منهما كنا جميعاً والله اعلم والثانى يقول جعل بعضكم من بعض ازواجاً
اى حلايل اى خلق الاناث من الرجال والرجال من الاناث وهو ما ذكر فى اية اخرى جعل لكم من انفسكم
ازواجاً لتسكنوا اليها الاية والثالث اى جعل لكم من مثل خلقكم ازواجاً اى اصنافا واشكالا اى جعل الخلايق
كله ذا اشكال وامثال وذا ازواج وكذلك يخرج قوله ومن الانعام ازواجاً على وجهين احدهما يقول
والله اعلم انه جعل الانعام ايضا ذات ازواج واشكال والثانى جعل منها الذكور والاناث ايضا
كما جعل من البشر والله اعلم **وقوله** يذرأكم فيه اختلف فى تاويل قوله يذرأكم وفى المراد بقوله فيه
ان الهاء كناية عن ماذا قال بعضهم يذرأكم اى يكثركم وقيل يعيشكم فيه وقيل يرزقكم فيه ويعمركم وقيل
يخلقكم واما قوله فيه قال بعضهم يجئ قوله فيه اى فيها كناية عن الانعام وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود
رضى الله عنه يذرأكم فيها اى فى الانعام لما جعل للبشر فيها من انواع المنافع واما من قرأ يذرأكم فيه بغير الف
فهو يجعله كناية عن العالم كانه يقول يذرأكم فيه اى يخلقكم فى العالم ويكثركم فيه ويعيشكم ويعمركم وقال بعضهم
يذرأكم اى يكثركم فى هذا التزويج الذى جعل بينكم اى يكثركم بسبب هذا التزويج ولولا هذا التزويج
لم يكثر الناس وجايز ان يكون قوله فيه كناية عن التدبير يقول يذرأكم فيه اى يخلقكم فيه نسلا بعد نسل
كقوله تعالى ذرأكم فى الارض وهو قول القتبى وابو عوسجة **وقوله** عز وجل ليس كمثله شئ الاية يستدل
بعض اهل التشبيه بان له مثلا بقوله تعالى ليس كمثله شئ يقولون لو لم يكن له مثل لم يذكر كاف التشبيه حيث قال
ليس كمثله شئ لكن نفى مثلية الاشياء عن مثله فيكون فيه اثبات مثل له لا يشبه ساير الاشياء سواه او كلام
نحو هذا وعندنا ان قوله تعالى ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ والكاف قد يزاد فى الكلام وقال بعضهم
اى ليس كهو شئ والعرب قد تقيم المثل مقام النفس واصله ان الخلق ذو اعداد وكل ذى عدد له
اشكال وامثال من حيث العدد والاصل فى ذلك ان الخلق وان كانوا ذا امثال واشكال واشباه
فليس يشبه بعضهم بعضاً من جميع الوجوه وكل الجهات ولكن انما يشبه بعضهم بعضاً من جميع الوجوه او بوجه
او بجهة او بصفة او بنفس ثم صار بعضهم امثالا لبعض واشباها بتلك الجهة وبذلك الوصف فدل ان الله تعالى
ليس يشبه الخلق ولا له مثال منهم بوجه من الوجوه ولا له شبيه منهم لا ما يرجع الى الصفة ولا ما يرجع
الى النفس وهو يتعالى عن جميع معانى الخلق وصفاتهم ودل قوله تعالى ليس كمثله شئ انه شئ لانه نفى عن نفسه
المثلية ولم ينف الشيئية لكن يقال شئ لا كالاشياء ينفى عنه شبه الاشياء والشئ اثبات وفى الاثبات
توحيد ولو لم يكن شيئاً لكان يقول ليس هو شئ دل انه ما ذكر وقوله سبحانه وتعالى وهو السميع البصير ذكر
فى غير موضع والله الموفق **وقوله** عز وجل له مقاليد السموات والارض وقال فى اية اخرى وعنده مفاتيح
الغيب وقوله ولله خزاين السموات والارض وقوله بيده ملكوت كل شئ ونحو ذلك من الايات فيها ذكر المفاتيح
والمقاليد والخزاين التى اضافها الى نفسه ثم لم يفهم الخلق من المفاتيح المضافة والمقاليد والخزاين ما يفهم
لو اضيفت الى الخلق بل فهموا من المفاتيح المضافة الى الخلق والمقاليد المنسوبة اليهم معنى لم يفهموا ذلك
المعنى من المفاتيح والمقاليد المضافة الى الله تعالى فما ينبغى ان يفهموه من قوله بيده ملكوت كل شئ وقوله تعالى
بل يداه مبسوطتان وقوله لما خلقت بيدى استكبرت ونحو ذلك مما يفهم من اليد المضافة الى الخلق لكنه
ذكر المفاتيح والمقاليد واضافها الى نفسه لان ذكل محجوب ومستور عن الخلق فيما بينهم انما يوصلهم الى ذلك المحجوب
والمستور عنهم بالمفاتيح والمقاليد التى ذكر فعلى ذلك ما اضاف الى نفسه من اليد وغيرها لما باليد يبسط
فى الشاهد وبها يمنع وبها يكتسب ويفعل ما يفعل فاضاف الى نفسه ما به يكون فى الشاهد من الفعل والبسط

والمنع

يذرؤكم فيه

ليس كمثله شئ

والمنع كناية عن هذه الافعال والله الموفق **وقوله** يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فيه دلالة نقض قول
المعتزلة لان الرزق المذكور يحتمل وجوهاً احدها ما ذكر فى قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون
وهو المطر والثانى الاملاك التى يكتسبون والثالث المنافع التى جعل لهم ثم لا اشكال ان الاملاك
التى يكون لهم والمنافع التى ينتفعون بها وجعلت لهم انما يكون باسباب واكتساب منهم ثم اضاف ذلك
الى نفسه فى البسط والتقتير حيث قال يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر دل ان الله تعالى فى ذلك صنعاً
وتدبيراً وهو ان خلق اكتسابهم واسبابهم بها يوصل اليهم الرزق والله اعلم **وقوله** عز وجل انه بكل شئ
عليم قد تقدم **وقوله** عز وجل شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً الدين يذكر ويراد به الجزاء وهو قوله
مالك يوم الدين اى يوم الجزاء او يذكر ويراد به الحكم كقوله تعالى خبراً عن يوسف عليه السلام ما كان ليأخذ
اخاه فى دين الملك اى فى حكم الملك ويذكر ويراد به المذهب والمعتقد كقوله لكم دينكم ولى دين وقوله تعالى
ان الدين عند الله الاسلام فكان المعنى من قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً هو المذهب وما يعتقد
وقد ذكر الدين معرفاً بالالف واللام وانه للجنس فيكون كانه قال شرع لكم من الاديان جملة الدين الذى
وصى به نوحاً ومن ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهو التوحيد لله تعالى والعبادة له والانبياء
والرسل عليهم الصلوة والسلام جميعاً انما بعثوا للدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له وان اختلفت شرايعهم
واحكامهم وذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً والله اعلم ومن الناس من يقول شرع لكم من الدين
اى شرع لكم الدين ويجعل من صلة زايدة فيه اى شرع لكم الدين الذى وصى به نوحاً ومن ذكر والوجه فيه
ما ذكرنا فان قيل ما معنى تخصيص نوح ومن ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام والكل بعثوا للدعاء
الى هذا الدين وقد وصى الكل بهذا الدين فنقول قال بعضهم انما خص نوحاً ومن ذكر بهذا لان التحليل
والتحريم لم يكن قبل زمن نوح عليه السلام وانما جاء ذلك فى زمن نوح عليه السلام لذلك خص نوحاً بما ذكر
ويحتمل ان يكون ذكر هؤلاء لا على تخصيصهم بذلك من بين غيرهم من الانبياء ولكن ذكر بعضا هنا وترك
ذكر البعض ليس انه شرع له ما وصى به نوحاً ومن ذكر من الانبياء ولم يشرع له ما وصى به غيرهم بل شرع له ما وصى
هؤلاء وغيرهم من الدين كقوله تعالى فبهداهم اقتده ذكر بعض هؤلاء وغيرهم ثم امره ان يقتدى
بما هم عليه دل ان ذكر البعض فى موضع ليس التخصيص لما ذكر البعض فى موضع اخر والكل فى موضع اخر
والله اعلم ويحتمل ان يكون تخصيص هؤلاء بالذكر لمعنى لم يطلعنا الله تعالى على ذلك المعنى كما خص ابراهيم
عليه الصلوة والسلام بالصلوة عليه على ما امرنا به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله كما صليت على ابراهيم
لمعنى لم يطلعنا على ذلك والله اعلم **وقوله** ولا تتفرقوا فيه اى فى عبادة الله تعالى اى اعبدوه جميعاً
يحتمل وجهين احدهما ولا تتفرقوا فيه اى فى عبادة الله تعالى اى اعبدوه جميعاً والثانى لا تتفرقوا فيه
اى فى الدين الذى ذكر وهو التوحيد والله اعلم **وقوله** عز وجل كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اى عظم
عليهم دعاؤكم الى التوحيد وعبادة الله وحده **وقوله** ان الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب
هذا ينقض على المعتزلة لانه تعالى اخبر انه يجتبى اليه من يشاء ولو كان على ما تقوله المعتزلة انه قد اعطى
الكافر جميع ما اعطى المؤمن فالمؤمن حيث صار مجتبى مصطفى مختاراً انما كان منه بفعله لا من الله تعالى
وقد اخبر انه هو يجتبى من يشاء وهو يهديه فيبطل قولهم **وقوله** ويهدى اليه من ينيب اى هو
يهدى من يطلب منه ما به يكون الهدى وهو التوفيق اى من لم يطلب منه ذلك ولم يسأل فانه لا يهديه
ولا يوفقه وقال بعضهم ويهدى اليه من ينيب تفسير قوله تعالى الله يجتبى اليه من يشاء
اى يجتبى للهداية من ينيب اليه فاما من لم ينب اليه فلا يجتبيه للهداية لكن المراد من الهداية هاهنا
ليس هدى البيان لان هدى البيان قد كان عاماً لمن اناب اليه ومن لم ينب ولكن الهدى ههنا

استعمالات دين

مما يحفظ كما صليت على ابراهيم لا يعرف معناه

مطلب مما يحفظ التنبه

هدى الرحمة او هدى النعمة والنعمة سمى التوحيد والايمان مرة رحمة كقوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته وسماه نعمة كقوله صراط الذين انعمت عليهم وسماه منة كقوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وسماه نورا كقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فلذلك قلنا ان الهدى المذكور هاهنا ليس هو هدى البيان ولكن سواه والله اعلم **وقوله** عز وجل وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم هذا يخرج على وجوه احدها اى انهم تفرقوا في رسول الله محمد عليه افضل الصلوات بعد ما جاءهم العلم في كتبهم انه رسول لما كانوا يجدون نعته وصفته في كتبهم لكنهم اختلفوا وتفرقوا فآمن بعضهم به على ما وجد في كتبهم وكفر بعض وحرفوا ما في كتبهم من نعته وصفته والله اعلم والثاني اى وما تفرقوا فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الا من بعد ما جاءهم العلم ان الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى وصى نوحا ومن ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويحتمل اى وما تفرقوا في الايمان بالرسل والكفر بهم الا من بعد ما جاءهم العلم انهم على الحق وانهم رسل الله مبعوثون اليهم فتفرقوا فآمنوا بالبعض وكفروا بالبعض بغيا بينهم ويحتمل اى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم ان الفرقة ضلالة وهلاك اى عن علم بالفرقة انها ضلال وهلاك تفرقوا والله اعلم **وقوله** عز وجل بغيا بينهم يحتمل حسدا بينهم لما قيل انهم كانوا مؤمنين به قبل ان يبعث لما وجدوا نعته وصفته في كتبهم ظنا منهم انه يبعث منهم فلما بعث من غيرهم حسدوه وكفروا به والله اعلم ويحتمل قوله بغيا بينهم اى عدوانا وظلما يكون فيما بينهم ذلك التفرق **وقوله** عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم اى لولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب عنهم الى وقت والا كانت الكلمة منه في تعجيل العذاب بهم والله اعلم **وقوله** عز وجل وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم اى ان الذين اعطوا الكتاب من بعد الرسل الذين ذكر لفى شك منه مريب اخبر انهم كانوا في شك مما جاء به الرسل لكنهم لم يعذروا في شكهم لما تركوا النظر والتفكر في ذلك ولو نظروا في ذلك وتفكروا فيه لوقع ذلك لهم وبان لهم الحق فلم يعذروا في ذلك لانه منهم كان ذلك الشك والريب ولو تفكروا ونظروا لتجلى لهم **وقوله** عز وجل فلذلك فادع واستقم كما امرت اختلف في قوله تعالى فلذلك فادع واستقم عن ابن عباس رضى الله عنه اى فبهذا القرآن الذى انزل اليك فادع وكذا قال قتادة فبهذا القرآن فادع وقيل فلذلك وعدان ينزل عليك فادع وقال بعضهم اى والى ذلك الكتاب فادع وقيل فالى التوحيد الذى بعث الرسل الى الدعاء اليه فادع انت وقال بعضهم فبذلك اى فلاجل ذلك الذى بعث الرسل فادع اى ادع الى التوحيد الذى لاجله بعث الرسل والله اعلم ثم في قوله فاستقم كما امرت دليل على انه كان قد سبق له الامر بالاستقامة ثم يحتمل ما ذكر من الاستقامة التى امر بها هو تبليغ الرسالة اليهم ويحتمل العبادة له والطاعة ويحتمل الاستقامة في التوحيد له ودعاء الخلق اليه والله اعلم **وقوله** ومن تاب معك على هذين الوجهين الاخرين يخرج الامر بالاستقامة لمن تاب معه والله اعلم **وقوله** ولا تتبع اهواءهم اى في ترك الدعاء الى التوحيد اذ هو هوى الكفرة ان يترك هو الدعاء الى التوحيد ويحتمل انه نهى عن اجابته اياهم فيما دعوه اليه اذ هوى الكفرة ان يجيبهم فيما دعوهم اليه من الشرك والله اعلم **وقوله** وقل آمنت بما انزل الله من كتاب امر بان يخبر بانه مؤمن بجميع الكتب التى انزل الله على رسله ليوافقوه في الايمان بجميع الكتب لان اولئك الكفرة كانوا يؤمنون ببعض الكتب ويكفرون بالبعض **وقوله** عز وجل وامرت لاعدل بينكم يحتمل وجوها احدها اى امرت لاعدل بينكم في الحكم اى احكم فيما بينكم بالعدل كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا ويحتمل قوله وامرت لاعدل بينكم في الدعاء الى توحيد الله ودينه والعدل في الدعاء دعاهم الى دينه الذى امر ان يدعوهم اليه وجايز ان يكون قوله وامرت لاعدل بينكم اى امرت

مطلب في تحقيق هدى البيان وهدى الرحمة والنعمة

اذا كون عدلا

ان اكون عدلا فيما بينكم اى سواء يستوى بينهم ثم نعت الذى كان يدعوهم الى توحيده وهو قوله الله ربنا وربكم **وقوله** لنا اعمالنا ولكم اعمالكم هذا يخرج على وجهين احدهما على المنابذة كقوله لكم دينكم ولى دين وانما يقال بعد ما انتهت الحجج غايتها والحجاج نهايته فلم ينجع ذلك فيهم وايسوا منهم والثانى يقول انا لا نؤاخذ باعمالكم ولا انتم تؤاخذون باعمالنا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه **وقوله** لا حجة بيننا وبينكم اى لا حجة بقيت فيما ادعيت ودعوتكم اليه الا وقد اقمتها عليكم اى لم يبق حجة في ذلك الا وقد اقمتها ويحتمل ان يقول لا حجة بيننا اى لا محاجة ولا خصومة بيننا بعد ما بلغ الامر ما بلغ ثم قال الله يجمع بيننا في الآخرة واليه المصير **وقوله** عز وجل والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له قال بعضهم ان اهل الكفر قالوا للمؤمنين ان دينكم الاسلام انما كان ما دام محمد بين اظهركم وما دام حيا فاذا مات فتصيرون انتم ومن تبع الاسلام الى ديننا او كلام نحو ذلك لقولهم ذا قوله والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وقال بعضهم ان اليهود قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للمؤمنين ان ديننا افضل من دينكم لان ديننا دين الانبياء عليهم السلام فنزلت الآية فيهم بقولهم هذا ان ديننا افضل لانه دين الانبياء عليهم السلام فقال حجتهم داحضة اى هكذا اذا كانوا على دين الانبياء وهو الاسلام فاما اذا تركوا دين الاسلام وتمسكوا باليهودية واختاروها فليس بافضل ولا شىء دونها وقال بعضهم ان قريشا قالوا كيف نعبد من لم نره ولم نعاينه انه من هو وكيف هو وكلام نحو هذا فنزلت والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم لان التوحيد ومعرفة الله انما يكون بالدلايل والآيات في الدنيا عن غيب ليس بالمعاينة والمشاهدة فيه وقت الامتحان ثم احتمل ان يكون نزول الآية لقول كان منه ولئك على ما ذكر اهل التاويل ويحتمل ان يكون على غير ذلك ومعناه والذين يحاجون في الله في دفع آيات الله وردها ويحتمل اى دفع توحيد الله والوهيته من بعد ما استجيب له اى من بعد ما استجيب له بحق الخلقة انه واحد وانه رب كل شىء ويحتمل قوله من بعد ما استجيب له بما في كتبهم من الايمان بها وبما فيها من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته ثم اخبر ان حجتهم داحضة عند ربهم هذا يخرج على هذين يحتمل اى حجتهم داحضة يوم القيامة اى باطلة غير مقبولة ويحتمل اى حجتهم داحضة في الدنيا بما اقام الله تعالى من حجج التوحيد فابطل حججهم **وقوله** عز وجل وعليهم غضب ولهم عذاب شديد بيان الجزاء لهم في الآخرة **وقوله** عز وجل الله الذى انزل الكتاب بالحق والميزان يحتمل قوله بالحق الذى لله عليهم او بالحق الذى لبعضهم على بعض والميزان اى بالعدل فيما بينهم اعنى الخلق وجايز ان يكون قوله بالحق اى بالصدق بما فيه من الانباء والاخبار والميزان اى بالعدل في الاحكام جعل الميزان كناية عن العدل اى هو طريق العدل وسببه وهو كقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا **وقوله** وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اى صدقا فيما فيه من النبأ والخبر وعدلا في الحكم فيما بينهم والله اعلم ثم قوله تعالى يحتمل ان يكون عطفا على الكتاب وهو الظاهر والمراد منه العدل فيصير تقدير الآية والله اعلم الله الذى انزل الكتاب بالحق وانزل العدل فيما بين الخلق او انزل العدل في الاحكام ويحتمل ان يكون عطفا على الحق فيصير تقديره انزل الكتاب بالحق وبالعدل في الاحكام وفيما بينهم والله تعالى اعلم **وقوله** عز وجل وما يدريك لعل الساعة قريب لم يطلع الله جل وعلا احدا العلم بوقت الساعة على ما ذكرنا في غير موضع **وقوله** يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها كان استعجالهم بها استهزاء منهم

وتكذيبا لهم انها كاينة لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوعدهم ويخبر انها كاينة فكانوا يستعجلون
استعجال تكذيب لها وقوله عز وجل والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق لان اهل الايمان والتوحيد
زلات ومساوى لم يتيقن لهم التجاوز عنها والعفو منها فيكون ابدا خايفين مشفقين لذلك الزلات
والمساوى ومايكون فيها من الاهوال والافزاع فاما اهل الكفر فهم لا يومنون بها ولا يصدقون انها كاينة
فلا يخافون منها وما فيها من الاهوال وقوله عز وجل الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد
قوله يمارون يحتمل يجادلون ويخاصمون فيها انها ليست بكاينة ويحتمل يمارون من المرية وهو الريب
والشك اى يشكون فيها وذلك قوله لفي ضلال بعيد انهم لا يومنون ابدا وقوله عز وجل الله لطيف
بعباده يرزق من يشاء الآية من الناس من قال ان الآية وان جاءت مجيئا عاما فهي خاصة للمومنين هو لطيف
اى بار للمومنين ومنهم من يقول ان الآية للفريقين جميعا الكافر والمومن بار بهما لطيف بهما بما يرزقهم
جميعا الكافر والمومن فاما في الآخرة فهو رحيم بار بالمومنين خاصة ويحتمل ان يكون رحيم بار بالفريقين
اما في حق المومنين لاشك انه بار رحيم بهم واما الكفرة بار في حقهم حيث اخر عنهم العذاب في الدنيا ثم في حق
المحنة يجوز ان يوصف بالرحمة في الفريقين جميعا عاما ذكرنا فان قيل انه وصف بالحلم والرحمة وقد اخبر
بتعذيبهم في الآخرة قيل انه وان عذبهم فان ذلك لا يخرجه عن الحلم والرحمة لانه لو ترك تعذيبهم
يكون سفيها لانهم قد استحقوا بالكفر التعذيب ابدا وليس في التعذيب خروج عن الرحمة والحلم بل في ترك
التعذيب سفه وخروج عن الحكمة لذلك كان ما ذكرنا والله الموفق وقوله يرزق من يشاء قد ذكرنا
في قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء تاويله ومعناه والله اعلم وقوله عز وجل وهو القوي العزيز
هذا يخرج على وجهين احدهما انه لا يقوى بشيء مما امرهم به وامتحنهم ولا يعتز بذلك لانه قوي بذاته
عزيز بنفسه والثاني القوي في الانتقام والانتصار من اعدائه لاوليائه العزيز الذي لا يعجزه شيء
ولا يلحقه الذل في ترك الطاعة له والايمان وقوله عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها جعل الله تعالى الدنيا مزارع لاهلها ما زرعوا فيها حصدوا وذلك في الآخرة
اى زرعوا خيرا وحسنا حصدوا خيرا ونعيما في الآخرة وان زرعوا فيها شرا وسوءا حصدوا في الآخرة
شرا وعذابا دايما وكذلك صيرها متجرا يتجرون فيها فان اتجروا خيرا وحسنا ربحوا في الآخرة وان اتجروا شرا
وسوءا خسروا في الآخرة وكذلك صيرها مسلكا الى الآخرة والآخرة غاية لها فان سلكوا سبيل الخير
وما امروا به افضى بهم ذلك الى الخير والنعيم الدايم والسرور وان سلكوا سبيل الشر وما نهوا عنه
افضى بهم الى العذاب الدايم والحزن الدايم وما ذكرنا في غيراى من القرآن من قوله ان الله اشترى من المومنين
الآية وقوله عز وجل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله الآية وقوله اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى الآية وقوله اشتروا الضلالة الحيوة الدنيا وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها ما يشاء لمن نريد الآية ونحو ذلك كثير على هذا بين امر الدنيا والآخرة والله اعلم ثم قوله تعالى
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ويخرج على وجهين احدهما اى من كان يريد بمحاسنه في الدنيا
وخيراته ثواب الآخرة وخيراته نزد له في الدنيا والآخرة اما في الدنيا هو التوفيق على الطاعات
والزيادة له والنماء واما في الآخرة فالنعيم الدايم والسرور الدايم والثاني اى من كان عمل للآخرة وسعى لها
نزد له ما ذكر من المحاسن ويكون الارادة هاهنا صفة لكل فاعل كقوله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مومن وهي لا يكون بدون الفعل فكان ذكرها ذكرا للفعل ضرورة فكان المراد منها الارادة مع الفعل
فكذلك يخرج قوله ومن كان يريد ثواب الدنيا نوته منها على وجهين احدهما من كان يريد محاسن
الدنيا وسعتها نوته منها ونوسع عليه والثاني من كان يريد اى من عمل الدنيا وسعى لها نوته منها وما عمل لها

مما يحفظ ويحفظ

لطيف

مطلب

مما يحفظ الارادة لا يكون بدون الفعل

وماله

وماله في الآخرة من نصيب وقوله عز وجل ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله
قال بعض اهل التاويل ام لهم آلهة دوني شرعوا لهم اى سنوا لهم من الدين عالم ياذن به الله
يعنون بالشركاء الاصنام التي عبدوها لكن علموا ان الاصنام لم يشرعوا لهم من الدين شيئا الا ان يقال
بانه اضاف ذلك الى الاصنام لما هم شرعوا لانفسهم عبادتها فاضيف اليها لذلك وهو كقوله تعالى
رب انهن اضللن كثيرا من الناس وانهن لم يضللن احدا لكنه اضاف اليهن الاضلال لما بهن ضلوا فاضاف
اليهن على التسبب فعلى ذلك الاول يحتمل ذلك ويشبه ان يكون غيره اولى بذلك وهو
ان القادة والرؤساء هم الذين سنوا للاتباع وشرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله اى ما لم يامره
الله وهم كذلك كانوا يفعلون يشرعون للاتباع دينا من ذات انفسهم بلا حجة ولا برهان فيتبعون
والرسل عليهم الصلوة والسلام قد اتوهم بالدين بالحجج والبراهين من الله تعالى فلم يتبعوهم
فيقولون انهم بشر لم تتبعون بشرا بلا حجة ولا برهان يذكر سفههم فيما ذكر فكان المراد من الشركاء
هم الرؤساء والقادة والله اعلم قال ابو عوسجة والقتبي من كان يريد حرث الآخرة اى عمل
الآخرة يقال فلان يحرث للدنيا اى يعمل لها ويجمع المال ومنه قول ابن عمر رضي الله عنه احرث
لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا ومنه سمي الرجل حارثا شرعوا لهم
اى ابتدعوا وسنوا وكذلك في قوله شرع لكم اى ابتدع وسن وقوله عز وجل ولولا كلمة الفصل
لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم يحتمل وجهين احدهما الحكم كانه يقول لولا ان الله تعالى
حكم في هذه الآية بتاخير العذاب الى يوم القيامة وهو ما ذكر انه بعث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
رحمة لهم بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والثاني الفصل البيان تاويله لولا ما وعد
في الدنيا انه يفصل بينهم ويبين في الآخرة بما ذكر هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ونحوه
وقيل ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق ان الجزاء يوم القيامة لقضي بينهم في الدنيا والله اعلم
وقوله عز وجل وترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم ذكر اشفاق الكفرة والظلمة
وخوفهم في الآخرة واشفاق المومنين وخوفهم في الدنيا فمن خاف عقوبته في الدنيا امنه الله تعالى
عن خوفها في الآخرة ومن استهزأ بعذاب الله في الدنيا اخافه الله في الآخرة وعلى ذلك يخرج
قوله عليه الصلوة والسلام لا يجمع الله على احد خوفين خوف الدنيا وخوف الآخرة من خافه
في الدنيا امن في الآخرة ومن لم يخف في الدنيا خاف في الآخرة ثم اخبر ما للمومنين في الآخرة
وهو قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذكر ما لكل
فريق بما كسبوا في الدنيا والآخرة قال القتبي وابو عوسجة الروضة البستان وقال الكسائي الروضة
العشب حول الغدير وقوله عز وجل ذلك هو الفضل الكبير اخبر ان ما يعطي لهم من الاجر
والفضل منه لانهم يستوجبون ذلك وسماه كبيرا لانه دايم لا ينقطع ابدا وقوله عز وجل ذلك الذي
يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قوله ذلك الذي يبشر الله اى الذي ذكر من الفضل
الكبير ووعد انه يعطيهم يبشر الله تعالى به من ذكر من عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات والله اعلم
وقوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال بعض اهل التاويل قالت الانصار
انا فعلنا وفعلنا كذا فكانهم افتخروا وقالوا لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا
فقراء فاغناكم الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله
قال الا تقولون الم يخرجك قومك فاويناك اولم يكذبوك فصدقناك اولم يخذلوك فنصرناك

مطلب احرث لدنياك كانك تعيش ابدا

من خاف في الدنيا امنه الله تعالى في الآخرة

قال فما زال يقول حتى جثوا للركب بين يديه وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله والفضل ولرسوله
فنزلت قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى لكن ذكر في الخبر ما لا يليق ذلك بالانصار
ان يظنوا ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ما ذكر من فخرهم وقولهم لنا الفضل عليكم هذا لا يحتمل
منهم فدل انه الحديث غير صحيح او الزيادة التي لا يحتمل والله اعلم وفي بعض الاخبار ان الانصار رضي الله عنهم
قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنوبه النوائب من القرابة وغيرهم فتعالوا حتى نجمع له شيئاً من اموالنا
فيستعين به على ما ينوبه من الحقوق ففعلوا ثم اتوا به فقالوا انك قد تنوبك نوايب وحقوق وليست
عندك لها سعة فاتيناك بشيء تستعين به على ما ينوبك من النفقة في اهلك والنازلين بك فنزل قوله
قل لا اسألكم عليه اجراً ثم يخرج قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى على وجوه احدها يقول
لا اسألكم على ما ابلغكم من الرسالة وادعوكم الى الايمان بالله تعالى اجراً الا صلة ارحامكم وقراباتكم اي لا اسألكم
على تبليغ الرسالة اليكم وما ادعوكم اليه اجراً الا ان تصلوا قراباتكم وارحامكم فيدل الاية على وجوب صلة الارحام
ويحتمل ان يكون ذكر هذا رد القول اولئك الكفرة حيث قالوا ان محمداً جاء بقطع الارحام وتفريق القرابات
حتى فرق بين من اجابه الى ما دعا اليه وبين من لم يجبه من الوالد والولد والزوج والزوجة ونحو ذلك
فقال عند ذلك لا اسألكم عليه اجراً ولا ادعوكم الى قطع الارحام والقرابات بل اطلب منكم الا صلة الارحام
بما دعوتكم اليه ويحتمل ان يقول لا اسألكم على ما ادعوكم اليه اجراً او لا اقبله منكم ان اعطيتموني الا ان تصلوني
بحق القرابة والرحم التي بيني وبينكم فاقبله منكم وقد كان بينه وبينهم قرابات ورحم ويحتمل
ما قال الحسن فقال والله ما كان نبي الله تعالى يسأل على هذا القرآن اجراً ولكنه امر ان يتقربوا الى الله تعالى
بطاعته وحب كتابه فكان معنى الاية الا المودة في القربى اي الا التقرب الى الله تعالى والتودد بالعمل
الصالح وقال بعضهم الا المودة في القربى الا ان تودوني لاجل قرابتي كما تودون لقرابتكم وتواصلون بها
ليس هذا الذي جئت به بقطع ذلك عني ولست اسأل على الذي جئت به اجراً احتره منكم على ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنه
ان الله تعالى امر محمداً صلى الله عليه وسلم ان لا يسأل على هذا القرآن والتبليغ اجراً الا المودة في القربى
الا ان يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة وكل بطون قريش بينه وبينهم قرابة قال بعضهم الا ان تودوا
قرابتي وقال بعضهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم يتبعوني الى ما ادعوكم اليه وامركم به
فاحفظوني في قرابتي واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً هو كقوله
من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه والله اعلم قال ابو عوسجة الاقتراف الاكتساب والمقارفة
المعاشرة وقرف فلان فهو مقروف اي اتهم بشيء وقوله عز وجل ان الله غفور شكور قوله غفور اي يغفر لهم
وان لم يحققوا التوبة والرجوع سراً وعلانية ولم يستوجبوا الغفران والعفو وقوله شكور اي يشكر
ويقبل منهم الشكر وان لم يحققوا له الشكر ولم يستحقوا قبوله فضلاً منه ونعمة والله اعلم وقال
اهل التأويل غفور الذنوب شكور الحسنات يضاعفها والله اعلم وقوله عز وجل ام يقولون افترى
على الله كذباً اي بل يقولون افترى محمد على الله كذباً وقوله فان يشا الله يختم على قلبك اختلف فيه
قال بعضهم فان يشا الله يختم على قلبك بالصبر حتى لا تجد مشقة استهزائهم بك ولا غصة تكذيبهم
اياك وقال بعضهم فان يشا الله ان ينسيك فلا تبلغه اليهم فلا يستهزؤا بك ولا يكذبوك او كلام نحو
وعندنا انه يخرج على وجهين احدهما ما ذكرنا بدياً يشا الله يختم على قلبك بالصبر حتى لا تجد مشقة
الاستهزاء ولا غصة التكذيب والثاني يحتمل فان يشا الله يختم على قلبك كما ختم قلوب اولئك الكفرة
حتى لا يفهم ولا يعقل الحق من الباطل كما فعل باولئك يذكره احسانه اليه وفضله لما اكرمه بانواع
الكرامات التي اكرمه بها ليشكر ربه على ذلك ويرحم على اولئك بما ختم على قلوبهم وما ينزل بهم من انواع العذاب

وجوب صلة الارحام

في غفور رب تعالى اللهم اجعل مع المسلمين ممن دخل في غفرانك

مما ينظر ويتعظ اللهم اجعلنا معاشر المسلمين ممن يتعظ بمواعظ القرآن

وعلى ذلك

وعلى ذلك بلغ امره صلى الله عليه وسلم من الرحمة والشفقة عليهم ما ذكر فلعلك باخع نفسك
على آثارهم الاية وقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كادت نفسه تهلك اشفاقاً عليهم ورحمة
والله اعلم وقوله عز وجل ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته هذا يخرج على وجهين احدهما
اي يظهر ويظفر اهل الحق على اهل الباطل يصير اهل الحق ظاهرين قاهرين على اهل الباطل
واحقاق الحق والله اعلم والثاني يحق الحق بالحجج والبراهين ويمحو الباطل بالحجج والبراهين
حتى يعرف كل احد الحق من الباطل بالحجج التي اقامها الا تامل فيها حق التامل وهو كقوله تعالى هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون والله اعلم وقوله بكلماته
اي بحججه وبراهينه وقوله عز وجل انه عليم بذات الصدور قال اهل التاويل اي عليم بما في الصدور
ولكن قوله بذات الصدور عبارة عما له الصدور وعن الرأي والتدبير وهم البشر والله اعلم وقوله
عز وجل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات قد ذكرنا انه لا احد يحقق
التوبة لان تحقيق التوبة هو ان يهرب وينفر عما استوجب به النار كهربه من النار لو كان فيها
وفراره منها لو وجد مهرباً ولا احد يهرب من الذنب وينفر منه كهربه وفراره من النار لو كان فيها
لكن الله بفضله وكرمه يقبل ذلك منه وان لم يكن التوبة منه على الجد الذي ذكرنا ثم قوله تعالى
يقبل التوبة عن عباده او يقبل حسناتهم وخيراتهم ويعفوا عن السيئات اي يكفر عن سيئاتهم كقوله تعالى
يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم والله اعلم وقوله عز وجل ويعلم ما تفعلون هذا وعيد
يخبر رسوله عليه الصلوة والسلام انه يعلم ما تفعلون سراً وعلانية وانه عن علم بما يكون منهم امتحنهم
وامرهم ونهاهم والله اعلم وقوله عز وجل ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يجيب الذين
آمنوا بما يدعون ويسألون ربهم وهو كقوله تعالى فاذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان اي يجيبهم على الذي ذكر في الاية والله اعلم وقوله عز وجل ويزيدهم من فضله اي يزيدهم
من فضله ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب امرئ مسلم وهي الجنة وذلك زيادة
من فضله والله اعلم وقال في حق الكفرة والكافرون لهم عذاب شديد وقوله عز وجل ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض قال بعض اهل التأويل ان الاية نزلت في اهل الصفة تمنوا ان
ان يكون لهم الدنيا فان كانت فيهم فكانه طيب عليهم الضيق والفقر وقال بعضهم لبغوا في الارض
اي يتقلبون من لباس الى لباس ومن مركب الى مركب ولكن ليس في ذلك كثير بغي فلا يصح صرف التأويل
اليه ثم عندنا يخرج ولو بسط الله الرزق لبغوا في الارض يخرج الامتنان والافضال ولو ان يبسط
عليهم وانه علم منهم البغي الا ترى انه لو لم يوسع على فرعون لا يدعي الالوهية لكنه من على بعض المؤمنين
فضيق عليهم حتى لا يبغوا فيلزمهم بذلك القيام بشكر ما من عليهم وانعم بالتضييق حتى لا يبغوا
وكذلك يخرج ما روي ومنع الله عطاء وفيما ذكرنا جواب عمن تعلق بظاهر الاية على ان الاصلح
واجب حيث قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض بين ان الاصلح لهم ان لا يبسط
لانا نقول قد بسط كثيراً من الفراعنة والكفرة فبغوا لكن ذكر هذا البيان المنة والانعام بالتقتير
والتضييق في حق البعض حتى لا يبغوا والله اعلم ثم البغي هو التعدي عن حد الله الذي حد لهم
والمجاوزة عنه ولكن لا نفسر ما الحد الذي سمي التعدي عنه بغياً لما لا يعلم ما هو والله اعلم ويحتمل
ان يكون والله اعلم معنى قوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض انه لو بسط عليهم ووسع لهم
الشكر والبسط وكثرة المال يشغلهم ويمنعهم عن القيام بشكره وما اوجب عليهم من الفرائض والاحكام
ولكن ينزل بقدر ما يشاء ما لا يشغلهم ولا يمنعهم عن القيام بالذي يلزمهم والله اعلم وقوله عز وجل

فذلك محو الباطل

في التوبة

يزيدهم من فضله اللهم ارزقنا من فضلك العميم

لزوم الشكر على الضيق لا منه الله تعالى لعبده لئلا يبغي كما بغي فرعون

انه بعباده خبير بصير قد تقدم تاويله ثم حاصل تاويل الاية يرجع الى وجوه ثلاثة احدها
الى اهل الكفر انه لو وسع عليهم وبسط لبغوا في الارض اى صاروا كلهم اهل كفر وضلال كقوله تعالى
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية والثاني يتوجه الى خاص من المؤمنين لما علم
منهم انه لو بسط عليهم ووسع لبغوا في الارض فضيق عليهم وقتر امتنانا منه وفضلا عليهم لئلا يبغوا
وهو كما ذكرنا في احد تاويل قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون انه ان كان على حقيقة له
خلقهم فهو في الذين منهم انه يعبدون لا محالة ليعبدوه على ما ذكرنا اما الذين يعلم انهم لا يعبدونه
لا يحتمل ان يخلقهم للعبادة ولكن يخلقهم لما علم انه يكون منهم والله اعلم فعلى ذلك قوله ولو بسط
الرزق لعباده لبغوا في الارض يرجع الى قوم خاص يعلم الله تعالى منهم انه لو بسط عليهم ووسع
لبغوا في الارض فضيق عليهم فضلا منه ومنة فيلزمهم القيام بشكر ذلك له والله اعلم او ان يرجع
ذلك الى جملة الخلق من مؤمن وكافر انه لو وسع وبسط على الكل لصاروا جميعا ملوكا ومن عادة
الملوك وطباعهم البغي والغلبة على من نازعهم في ملكهم ومملكتهم وفي ذلك التفاني والفساد فوسع
على بعضهم وبسط وضيق على بعض لئلا يبغى بعض على بعض اوفي ذلك تفان وتفاسد والله اعلم
بذلك **وقوله** عز وجل وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته يحتمل قوله
من بعد ما قنطوا اى من رحمته ومن بعد ما قنطوا من الاصنام التي عبدوها رجاء الغوث والشفاعة لهم
والزلفى عند الله قنطوا ما رجوا منها كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه
والله اعلم ثم سمى المطر رحمة وغيثا اى الغوث ليعلم ان له ان يمسك عنهم ويمسكهم على الحال الاولى
في القحط والضيق اذ لو كان عليه ارساله ولم يكن له امساكه لم يسمه رحمة ولا غوثا لان من عليه فعل شئ
لم يوصف بالفضل والرحمة فهو على المعتزلة في الاصلح والله الموفق **وقوله** وهو الولي الحميد يحتمل الولي
اى هو الرب الحميد هو المستحق للحمد او الولي هو الحافظ لهم وولي كل نعمة اعطاهم **وقوله** عز وجل
ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة قوله تعالى ومن اياته يحتمل من ايات ربوبيته
وتوحيده خلق السموات والارض وما ذكروا وايات حكمته وعلمه وتدبيره خلق مما ذكر او ايات قدرته
وسلطانه مما ذكر او من ايات احسانه ونعمه واياديه ما ذكر وقد بينا وجه كل ذلك ودلالته على قدر فهمنا
منه فيما تقدم ثم اختلفوا في قوله وما بث فيهما من دابة قال بعضهم قوله تعالى وما بث فيهما اى في الارض
خاصة الا ترى انه قال من دابة وهو اسم لما يدب واهل السماء ملائكة ولهم الطيران دون
الدبيب وهو كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانهما يخرج من احدهما وقال بعضهم فيهما
اى في السماء الملائكة وفي الارض الدواب لكنه سمى اهل السماء باسم ما في الارض من الدواب وذلك جائز
في اللغة ذكر شيئين باسم احدهما كقوله استعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة والكناية يرجع
الى الصلوة لفظا والمراد من ما سبق من الصبر والصلوة وكذا قوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها كنى عن التجارة واراد كليهما وهو ذلك فعلى ذلك هذا ثم **قوله** وما بث فيهما قالوا اى نشر
وقوله عز وجل وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يحتمل ما ذكر من جمعهم بعثهم ولحسابهم قدير
على ذلك كما هو قدير على ما ذكر من خلق السموات والارض وما ذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير يحتمل ما ذكر من المصيبة التي يصيبهم المصيبة
التي يعم الخلق جميعا ممن كان منهم الزلة وما ذكر من كسب اليد وممن لم يكن منهم كسب اليد من الزلة
والمعصية من نحو الجدب والقحط وغلبة الاعداء وغير ذلك من الاشياء التي تعم الخلائق ممن كان منه
الجناية وممن لم يكن من الصغار والدواب والابرار والاخيار ويكون ما اصاب ممن كان ذلك منه

واستوجبه

واستوجبه تنبيها لهم او كفارة لما كان منهم من كسب اليد وما اصاب ذلك ممن لم يكن منهم ذلك من الصغار
والاخيار فذلك في الحكمة وهو يخرج على وجهين احدهما يصيب ذلك لهم ابتلاء بشئ سبق منهم ليعلم
ان ما يعطيهم من السلامة والصحة والحسنات والخيرات كان فضلا منه وهم عبيده واماؤه وملكه ان شاء
اهلكهم وفعل بهم ما شاء وان شاء ابقاهم او ان يفعل بهم ما ذكر وان لم يسبق منهم ما ذكر من كسب اليد
والزلة لعوض يعوضهم في الاخرة وكيف ما كان فهو غير خارج عن الحكمة والايلام للتعويض جائز ممكن
لكن ليس بواجب لا محالة التعويض خلافا للمعتزلة فان عندهم واجب وبالله العصمة وجائز ان يكون
ما ذكر من المصيبة التي يصيبهم بكسب اليد ان يريد كل في نفسه بما سبق منه من شئ ارتكبه واكتسبه فالسبيل
فيه ان ينظر كل في نفسه ما الذي سبق منه حتى اصابه ما اصاب فيراجع نفسه من ذلك ويتوب الى الله تعالى
ثم يخرج ذلك لهم اما تنبيها وزجرا عن المعاودة الى مثله واما تكفيرا وتمحيصا لما كان منهم ولزمهم الشكر
على ذلك وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يصيب ابن ادم خدش عود ولا عثرة قدم
ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله اكثر وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى ان يؤلم احدا ولا يذيقه
شيئا من الشدة الا بعوض يعوضه له وان كان على ما يقولون لم يكن الله تعالى في اعطائهم الخيرات والحسنات
والسعة محسنا متفضلا منعما لان من اخذ من اخر شيئا بعوض لا يوصف بالافضال والانعام وقد سمى نفسه
بذلك محسنا متفضلا منعما فيكون ما قالوا خلاف ذلك والثاني ان كان يعوض على ما يقولون يجب
ان يعوضهم عوضا يرضون بذلك العوض ويكون ذلك العوض مثل ما اخذ منهم وهم لا يشترطون ذلك
دل ان له ان يفعل لهم ما ذكرنا واصله ما ذكرنا ان الخلق كلهم عبيده واماؤه ولكل ذي ملك ان يفعل
في ملكه ما شاء لا لائمة عليه اذ كان له حقيقة الملك فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى اذ له حقيقة ملك الاشيا
فله ان يفعل ما يشاء بلا عوض ولا بدل والله الموفق **وقوله** عز وجل ويعفو عن كثير ليس احد يصيبه
شئ من الشدة والبلاء الا ويكون في ذلك عفو منه جل جلاله لانه ما من الم الا ويتوهم زيادة الالم في ذلك
فيكون منع تلك الزيادة عنه عفوا عنه وفضلا وكذلك هذا في هلاك كل شئ من حقوقه ما يقل ويكثر
ويحتمل ان يكون قوله ويعفو عن كثير اى لا لكل زلة منهم يكون يواخذهم بها بل يؤاخذهم ببعض ويتجاوز
عنهم في بعض والله اعلم وقوله وما انتم بمعجزين في الارض يقول لا يقدرون الهرب مما يريد ان يصيبكم
بزلاتكم وما يريد ان يفعل بكم ولا لكم ملجا **وقوله** عز وجل وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
ينصركم ويمنعكم من عذاب الله والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام يحتمل اياته
ما ذكرنا من ايات وحدانيته وربوبيته وايات قدرته وسلطانه وايات علمه وتدبيره وحكمته وايات نعمه
واحسانه وهو ما جعل الله جل وعز في برية الخشب في السفن معنى لو اجتمع حكماء البشر ليعرفوا ذلك
المعنى واللطف الذي جعل في الخشب ما قدروا على دركه وذلك المعنى واللطف المجعول فيها وما جعل
من طبعها السكون على وجه الماء والقرار عليه مع ثقلها وغلظها وان كان يدون ذلك الثقل والعظم
بكثير من غير جوهر الخشب مما يتسرب في الارض ويتحدر وكذلك مما يحمل في السفن من الاحمال العظيمة الثقيلة
مما طبع كل من ذلك الحمل ان يتسرب ويتحدر في الماء لو لم يكن السفن وما ذكر من الخشب والله اعلم ثم **قوله** كالاعلام
قال عامة اهل التاويل اى كالجبال في البحار وقال القتبي وابو عوسجة الاعلام الجبال واحدها
علم ومعنى هذا الكلام هو ما ذكر من ميد الارض باهلها والتسرب في الماء ثم ارساها واثبتها بالجبال
وطبع الجبال التسرب والانحدار في الماء فجعل ان يزيد في التسرب والانحدار في الماء لان يثبتها ويقرها
على وجه الماء لكن بلطفه ومنه اقرها الارض واثبتها ومنع بها عن التسرب والانحدار والميد باهلها
فعلى ذلك السفن في البحار يستقر على الماء ولا يتحدر كالجبال مع الارض في القرار على الماء والله اعلم ويحتمل قوله

وجعل اصابة السوء للصغار والابرار

الايلام للتعويض جائز

اخو... بل واقع معتاد بين الناس سيما في الملوك

لكل ذي ملك ان يفعل في ملكه ما يشاء

ايات الله عز وجل ...

ايات قدرته وربوبيته

للملائكة الطيران والدبيب للانسان

ذكر الشيئين باسم احدهما جائز في اللغة

كالاعلام ويعني اخر وهو الاعلام انفسها وهو ان جعل السفن سبباً وطريقاً للوصول الى منافع
بعدت منهم وصعبت عليهم فاذا حمل فيها الاحمال من بلد الى بلد آخر ومن مكان الى مكان يسر اهل المحمول
اليهم بتلك الاحمال والسفن اذا راوها في البحار تحمل اليهم لسعة يرجون بها ومنافع يتصل بهم وكذلك
يسر اهل البلد المحمول عنهم اذا راوها راجعة اليهم سالمة لما يحصل لهم من الايمان والاعراض بها فيكون
السفن اعلاماً وادلة لهم على الوصول الى الاعراض والمنافع والله اعلم وقوله عز وجل ان يشا يسكن الريح
فيظللن رواكد على ظهره يذكر فضله ومنته بما اجرى هذه السفن في البحار التي ذكر فاخبر انه لو شاء
لامسكها ومنعها عن الجريان ثم صير الريح نوعين احدهما طيبة بها تجرى السفن والاخرى عاصفة
شديدة تهلك بها السفن وهو ما ذكر في آية اخرى وهو قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الاية ثم في ذلك خلال ثلاث يدل على ان الريح ليست تجرى
السفن ويهب بطبعها ونفسها ولكن بالله تعالى احدها انه لما اخبر انه جعل نوعاً منها طيبة تجرى السفن
والاخرى عاصفة تهلك السفن وتهيج الامواج والثاني ما ذكر في هذه الاية ان يشا يسكن الريح اخبر
انه لو شاء لاسكن الريح فيصفن رواكد على ظهر الماء فدل انه هو المجرى لها حيث كان هو المسكن والثالث
ان فعل الطبيعي على سنن واحد كالحرارة في النار والبرودة في الثلج وامثال ذلك ولو كان جريان
الريح وهبوبها بنفسها وطبعها لكانت لايسكن في حال ولايكون مرة طيبة سالمة ومرة شديدة عاصفة
مهلكة دل ان ذلك كان بالله تعالى لا بالطبع والله الموفق وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور هذا يحتمل وجهين احدهما سمي المؤمن صبوراً شكوراً والثاني سمى من صبر على ما اصابه من الشدايد
والمصايب التي ذكر صبوراً ومن شكر ما ذكر من النعم في السفن وغيرها شكوراً والله اعلم ثم قوله رواكد
على ظهره قال ابو عوسجة والعتبي وقوف وصرفه ركد يركد ركداً وركوداً وقوله عز وجل او يوبقهن
بما كسبوا ويعف عن كثير جايز ان يكون هذا صلة ما ذكر من السفن الجوارى في البحر حيث قال ان يشا
يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره يقول ان شا اسكن الريح التي بها تجرى السفن في البحار فصفن رواكد
في الماء وان شاء ارسل ريحاً عاصفة قاصفة شديدة فيهلكن يعني السفن واراد اهل السفن
بما كان منهم يخبر ان له ان يفعل ما ذكر من الاهلاك في البحر والابقاء فيه لكنه بفضله ينجى
من ينجى ويخرج سالماً والله اعلم وكذا قال ابو عوسجة يوبقهن اى يهلك اهل السفن ويحتمل ان يكون
ذلك صلة ما تقدم من قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فيكون ما يصيبهم من المصيبة
ما بلغت النفس ومما لم يبلغ النفس فيكون كل ذلك لهم من كسب ايديهم على ما ذكر ثم اخبر انه يعفوا
عن كثير مما كسبت ايديهم مما يستوجبون الاهلاك ويتجاوز عنهم والله اعلم وقوله ويعلم الذين يجادلون
في آياتنا ما لهم من محيص المجادلة في آياته يخرج على وجهين احدهما ان يجادلوه في تقدير
احكام الله تعالى وفهم ما ضمن فيها وذلك ممدوح محمود وهو كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن وقوله عز وجل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهراً فهذه المجادلة والمراء المذكور في هذا
محمود والمجادلة الثانية هي المجادلة في دفع احكام آيات الله تعالى عن فهم ما ضمن وهي مذمومة
وما ذكرها هنا من قوله ويعلم الذين يجادلون في آياتنا هي المجادلة في دفع احكام آياته ثم اخبر انه
لا محيص لهم ولا ملجأ من عذاب الله بمجادلتهم في دفع آياته والمنع عن فهم ما فيها والله اعلم وقوله
عز وجل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى هذا يخرج على وجهين احدهما
ان الله تعالى اعطى من اعطى هذه النعم واللذات في هذه الدنيا ليكتسبوا بها نعمة دايمة ولذة باقية وكذلك
ما اعطاهم من السمع والبصر وغير ذلك من الحواس ليكتسبوا بها ما يدوم ويبقى فمن استعمل ما اعطاه من الاموال

دليل ان الريح لايجرى السفن بنفسها

جزاء ما كسبت اليد والعفو عن كثير

مجادلة محمودة ومذمومة

مطلب وعظ بليغ ما اعطيناهم نعم المآل والبدن الا لتحصيل نعم الآخرة

واللذات مما ذكرنا في غير ما امر به وجعل سمى خاسراً عابثاً وكذلك من استعمل ما اعطاه من الحواس في غير ما جعلت
ما جعلت وامر باستعمالها يسمى اصم ابكم اعمى وكذلك النفس اذا لم يكتسب بها حيوة دايمة سمى ميتاً والله اعلم
او ان يقال انهم ما اعطوا في هذه الدنيا من اللذات والمتعة الا ترغيباً فيما ابقى عنده ووعدهم في الآخرة وكذلك
ما امتحنوا من الشدايد والمصايب الا تحذيراً وترهيباً عما اوعدهم وخوفهم في الآخرة ثم قوله فما اوتيتم
من شيء فمتاع الحيوة الدنيا اى يتمتعون به فيفنى ويزول عن سريع ما ابقى ولم يوتكم هو الباقي الدايم ثم بين
ان ما ابقى عنده لمن يقوله للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون آمنوا بان له الدنيا والآخرة وان له الخلق
والتدبير والامر وانه برىء عن جميع معانى الخلق وعلى ربهم يتوكلون اى يكلون امورهم الى ربهم هو مفزعهم
ومعتمدهم لا يفزعون الى احد سواه ولا يعتمدون غيره في جميع احوالهم ثم نعتهم ايضاً بما ذكر من الاجتناب
عن الكباير والفواحش فقال والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش جايز ان يكون ما ذكر من كباير الاثم هي الفواحش
والفواحش هي كباير الاثم كل واحد منهما في معنى الآخر والله اعلم وقال بعضهم كباير الاثم انواع ما بها
يصير المرء مشركاً وهي كباير الشرك والفواحش هي التي توجب الحدود في الدنيا وقيل الكبيرة ما يكبر
ويعظم من الذنب والفاحشة ما يفحش من العمل وقد ذكرنا وجوهاً في ذلك فيما تقدم في سورة النساء والله اعلم
وقوله عز وجل واذا ما غضبوا هم يغفرون اى اذا ما غضبوا هم مما يرجع الى الاموال والانفس وامر الدنيا
يغفرون ويتجاوزون عن ذلك فاما ما يرجع ذلك الغضب الى امر الدين فانه لا يسع المغفرة عن ذلك ولكن
يجب الرجوع والتوبة الى الله والله تعالى اعلم وقوله عز وجل والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة اى اجابوا
لربهم الى ما دعاهم ربهم وقد دعاهم الى دار السلام بقوله والله يدعوا الى دار السلام لكن
جعل لاجابتهم شرايط واعلاماً فمن وفى وفى بها استوجب الموعود وهو كقوله تعالى اوفوا بعهدى
اوف بعهدكم الاية وقال الله انى معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة الى آخر ما ذكر فعلى ذلك
علم اجابتهم لربهم وشرطها ما ذكر من قوله تعالى واقاموا الصلوة الى آخر ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل
وامرهم شورى بينهم ذكر بعضهم ان الانصار كانوا يتشاورون فيما بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عنهم غايب فنزل هذا مدحاً لهم على فعلهم وذكر عن الحسن انه تلا هذه الاية قوله وامرهم
شورى بينهم قال والله ما شاور قوم قط هداهم الله تعالى لافضل ما يحضرتهم واصله ان الله تعالى
جل وعلا امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشاور صحابته حيث قال وشاورهم في الامر وقول الحسن
ما شاور قوم في امر قط الا هداهم الله تعالى لافضل ما يحضرتهم لان في المشاورة اجتماع العقول
والاذهان واذا اجتمعت كانت الى اسناد ذلك الحق والصواب اسرع وابلغ مما لو تفرد كل عقل بنفسه والله اعلم
وقال القتبي وامرهم شورى بينهم اى يتشاورون فيه وقوله ومما رزقناهم ينفقون ظاهر وقوله
عز وجل والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون صير المنتصر من الباغي والغافر لظلمه من ظلمه جميعاً في الذين
استجابوا لربهم الى ما دعاهم اليه والمنتصر مستوفي حق جعل له والغافر تارك للحق لكن ان جعل له
الاستيفاء دخل فيما ذكر من المستجيبين لله تعالى لكن تارك الحق افضل من مستوفي الحق وعلى ذلك
حث الله تعالى رسوله بالعفو عن المظلمة وترك الانتصار والمكافاة واخبر انه من عزم الامور حيث قال
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ويحتمل ان يكون قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون
راجع الى الاذى باللسان من نحو الشتيمة والسب والذى لا يؤثر في النفس اثراً حثهم على المغفرة
والعفو ومدحهم على ذلك وقوله والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون راجع الى ما يؤثر في الانفس
والابدان تاثيراً من الجراحات وغيرها حثهم على العفو فيما رجع الى الاذى باللسان وان لا يكافوهم
على ذلك وفيما رجع الى الانفس والابدان جعل لهم الاستيفاء والانتصار وان كان ترك الاستيفاء

وعظ بليغ جميع الدنيا

توكل

في الكبيرة والفاحشة

غضب في امر الدين لايخلص عنه الا بالتوبة

بليغ مشاورة ماشاور قوم قط الا هداهم الله تعالى

عزم الامور

والعفو عن الكل افضل على ما قال وان تعفوا اقرب للتقوى والله اعلم وقوله عز وجل وجزاء سيئة
سيئة مثلها سمى الثانية سيئة وان لم يكن في الحقيقة سيئة لانها جزاء السيئة فسماها باسم الاولى
او سماها سيئة لانه لو لم يكن الاولى كانت السيئة ثانية ايضا فسماها على ما هو في نفسها من باب الاضرار
والضرر سيئة في نفسه وان كان يصير حسنا لغيره والله اعلم ويشبه ان يكون سماها بما ذكر لاختلاف
الاحوال هو عند الذي يقتص منه ويجازى بها مسيئه وتلك الحال عنده حال سيئة وهو كقوله تعالى
وبلوناهم بالحسنات والسيئات سمى حالة الضيق والشدة سيئة لانها عندهم سيئة وحال السعة
والرخاء حسنة لانها عندهم حسنة وان لم يكن تلك الحال في الحقيقة سيئة لكنه سماها سيئة على ما عندهم
فعلى ذلك جائز انه سمى الثانية سيئة لما هي عند المفعول به سيئة والله اعلم وقوله عز وجل فمن عفى
واصلح فاجره على الله هو ما ذكرنا انه وان جعل لهم حق الاستيفاء والانتصار والعفو عن ذلك افضل
ثم فيه دلالة ان لا يجمع بين العفو واخذ البدل اذا لم يكن من الآخر الرضا بذلك لانه قال فمن عفى واصلح
فاجره على الله اخبر انه اذا عفى عنه يكون اجره على الله اخبر انه اذا عفى عنه يكون اجره على الله فليس له
ان يأخذ من المعفو عنه شيئا والله اعلم فهو ينقض على من يقول بانه يأخذ البدل ان الجاني شاء او ابى
وان يعفو عنه ويأخذ البدل والله اعلم وقوله عز وجل انه لا يحب الظالمين لانه لا يحب الظلم والظلم
هو وضع الشيء في غير موضعه فمن اخذ ما ليس له اخذه فهو ظالم وقوله عز وجل ولمن انتصر بعد ظلمه
فاولئك ما عليهم من سبيل اى اولئك ما عليهم من حجة او ما عليهم من تبعة وقوله انما السبيل على الذين
يظلمون الناس اى انما الحجة والتبعة على الذين يظلمون الناس ابتداء وقوله عز وجل ويبغون في الارض
بغير الحق اى يأخذون من الناس ما ليس لهم ان يأخذوا فالتبعة والحجة عليهم فاما من يأخذ
حقا وجب له واستوفاه فلا تبعة عليه ولا حجة وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه انما السبيل
على الذين يظلمون الناس ويفسدون في الارض وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اى من صبر
على الاذى والمظلمة وعفى عنها وتجاوز فان ذلك من عزم الامور اى ذلك من تحقيق الامور واحكامها
والله اعلم وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده اى من اضله الله لما اثر ولاية الشيطان
لا ولى له سواه بعده يرشده او لا ولى ينفعه من بعده وهو كما قال انما سلطانه على الذين يتولونه اخبر
ان سلطان الشيطان على من يتولاه وقوله وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل
قال اهل التأويل اى هل الى رجوع الدنيا من سبيل يقولون يسالون ربهم الرجوع الى الدنيا والاشبه
ان يكون سؤالهم الرجوع الى المحنة التي امتحنوا في الدنيا قبل موتهم اى سالوا ان يكلفهم ويمتحنهم
في الآخرة ليظهر والطاعة لله تعالى في اوامره ونواهيه والله اعلم وقوله عز وجل وتريهم يعرضون عليها
قال اهل التأويل يعرضون على النار قبل ان يدخلوها كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
وزفيرا وكقوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان الآية وقوله عز وجل خاشعين من الذل
لان الله تعالى اذلهم في الآخرة بما اختاروا في الدنيا من سوء صنيعهم واعطوا انفسهم شهواتهم ومناهم
وقوله عز وجل ينظرون من طرف خفى يحتمل ما ذكر من نظرهم من طرف خفى ما ذكر في آية اخرى مهطعين
مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء لشدة هولهم وفزعهم في ذلك اليوم لا يرفعون
رؤسهم ولا ينظرون الى الموضع والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ينظرون اليه من طرف خفى اى لا ينظرون
الى الناس ولا يقبلون بوجوههم اليهم الا نظر التلصص والتغفل حياء منهم لسوء فعالهم وهكذا
المعروف في الناس لان من صنع الى آخر سوء لا يتهيأ له رفع الطرف اليه ونظره اليه مقبلا الا على التلصص
منه والتغفل فعلى ذلك اولئك والله اعلم وقال بعض اهل التأويل انهم يحشرون عميا فلا يرون

فيمن يأخذ حقه ومن يأخذ حق غيره

سؤال رجوع دنيا

يعرضون على النار قبل ان يدخلوها

في الحياء لسوء الفعال يوم القيامة نعوذ بالله تعالى من شرور انفسنا

باعينهم

باعينهم انما يرون بقلوبهم وهو الطرف الخفى وقال القتبى ينظرون من طرف خفى اى قد غضوا
ابصارهم من الذل وقال ابو عوسجة اى ينظرون نظرا مستقيما والله اعلم وقوله عز وجل
وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الآية يخرج ما ذكر
من خسران انفسهم واهليهم على وجوه احدها ما ذكر بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امروا
بان يقوا انفسهم واهليهم النار فهم حيث لم يقوا ما ذكر من الانفس والاهل خسروا والله اعلم والثانى
خسروا انفسهم واهليهم اى خسروا بسبب انفسهم وبسبب اهليهم كقوله تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة لما يتعاملون امورا بسبب الاموال والاولاد والازواج هي فتنة لهم وكقوله ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم هذا يخسر الرجل ويصير مؤاخذا بسبب هؤلاء والله اعلم والثالث يحتمل ان يكون
خسرانهم انفسهم واهليهم ما قالوا ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وقوله عز وجل
ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى خسروا ما كان رجاء وطمع ان له عند ربه في الآخرة الحسنى
على هذه الوجوه الثلاثة يخرج تاويل الآية والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ليس
من احد من كافر ومسلم الا وله اهل ومنزل في الجنة فان اطاع الله تعالى اتى منزله واهله
وان عصاه خسر نفسه واهله ومنزله في الجنة وورثه المؤمنون منه لكن لا يحتمل ان يكون الله عز وجل
مع علمه انه يموت كافرا ان يجعل له الاهل والمنزل في الجنة اللهم الا ان يفعل ذلك ليكون لهم
حسرة على ذلك وغيظا والله وقوله وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله يخرج على وجهين
احدهما اى ما كان للاصنام التي عبدوها دون الله تعالى ولاية النصر لهم وقدرة دفع العذاب
عنهم لانهم كانوا يعبدونها في الدنيا رجاء ان يشفع لهم في الآخرة وان يزلفهم عنده فاخبر الله تعالى
ان ليس لها ولاية النصر لهم على ما رجوا وطمعوا من عبادتها الشفاعة لهم والدفع عنهم والله اعلم
والثانى وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله الا ما كان للرؤساء الذين اتخذوهم
في الدنيا اربابا والاية النصر لهم لانهم لا يملكون دفع ذلك عن انفسهم فكيف يملكون دفع ما نزل
باتباعهم يخبر ان ليس لهم ولاية دفع العذاب عنهم والله اعلم وقوله عز وجل ومن يضلل الله
فما له من سبيل يحتمل قوله فما له من سبيل اى من حجة اى من اضله الله ولا حجة له ان يقول
انك اضللتنى لانه انما يضله لما يختاره هو ويؤثره فيخلى بينه وبين ما يختاره ويؤثره والاصل
في هذا ان ليس لاحد على الله حجة فيما يفعله من المعاصي ويختاره بانه قضاه ذلك واراده
وقدره لانه لا احد يفعل ما يفعل من المعاصي وقت فعله لانه الله تعالى قضى له ذلك واراده
او قدره او لانه اضله فاذا كان وقت فعله لا يفعله لان الله تعالى اراد ذلك وشاءه او قدره
وقضاه انما يفعله لغرض له وهواه لم يكن له الاحتجاج عليه بذلك وبالله العصمة والثانى انه ليس له
حجة عليه بذلك لانه يعلم انه لو خير بين ما يريد ان يختاره ويؤثره وبين ضد ذلك
لكان يختار ذلك على ضده وذلك يختار تحصيله ويؤثر على ترك ذلك فكيف يكون له حجة بذلك
والله الموفق ويحتمل قوله فما له من سبيل اى من اضله الله تعالى فما له الى الهدى من سبيل اى ليس له
سبيل ولكن عليه السبيل اى لا يملك لاحد ارشاده ويحتمل اى من اضله الله فما له من سبيل اى ليس له
سبيل ولكن عليه السبيل والله اعلم وقوله عز وجل استجيبوا اى اجيبوا الله وقد ذكرناه وقوله
عز وجل من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله الآية هذا يخرج من وجهين احدهما اى اجيبوا الله
من قبل ان يأتي يوم لا يملك احد رد ذلك اليوم اذا اتاهم لانه هو اليوم الذي يجزى فيه الخلائق
وفيه اهوال وافزاع يقول لا احد يملك رد ذلك اليوم والله اعلم والثانى اى اجيبوا من قبل

خسران الاهل والانفس نعوذ بالله

مما يتعلق بالمنة في انقطاع العذر والحجة بقضاء الله تعالى وتقديره وحقيقته

ان ياتى يوم لا مرد لما ينزل فيه بهم من العذاب والعقاب والله اعلم وقوله عز وجل ما لكم من ملجاء
يومئذ هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما انهم انما كانوا يعبدون الاصنام فى الدنيا ليكون لهم
شفعاء وملجاء يلجئون اليها يقول ما لكم اولئك الاصنام ملجأ يلجئون اليها بل يكونون كما ذكر فى اية اخرى
وضل عنهم ما كانوا يفترون وقوله تعالى بل ضلوا عنهم الاية والله اعلم والثانى ما لكم من ملجاء يومئذ
اى ما لهم من حيل يحتالون بها دفع ما نزل بهم من العذاب على ما يكون فى الدنيا من حيل يحتالون دفع
ما ينزل بهم من البلايا والشدايد وبالله النجاة وقوله عز وجل وما لكم من نكير هذا ايضا يخرج على وجهين
احدهما اى لا يملكون ان ينكروا على الله تعالى ما يفعل بهم لانه انما يفعل بهم ذلك بما كسبت ايديهم
فلا يقدرون على انكار ذلك على الله تعالى والثانى وما لكم من نكير اى ما لكم من تغيير اى ما يملكون
دفع ذلك عن انفسهم ولا منعه وتغييره وقيل لا يملكون ان يمنعوا الله تعالى عما يريد ان يفعل بهم
وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فان اعرضوا اى ان تولوا عن اجابتك الى ما تدعوهم اليه فما ارسلناك
عليهم حفيظا هذا يخرج على وجهين احدهما يحتمل اى فما ارسلناك اى يحفظ عليهم افعالهم واعمالهم
ان عليك الا البلاغ اى ما عليك الا التبليغ انما حفظ اعمالهم وافعالهم على الملايكة الذين جعلوا
حفاظا عليهم وهم الكرام الكاتبون والثانى فما ارسلناك عليهم حفيظا يحتمل فما ارسلناك لتمنعهم
عما يفعلون حسبا انما عليك البلاغ فحسب وبيان الحق وانت غير مؤاخذ بما يفعلون وهو كقوله
فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحو ذلك وقوله عز وجل واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها
ان كان هذا فى المسلم فيكون قوله فرح بها اى رضى بها وسر بها وان كان فى كافر فيكون قوله فرح بها
اى بطر بها واشر وقوله عز وجل وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور وهذا ايضا
ان كان فى المسلم فانه اذا اصابه شدة او بلاء ينسى ما كان اليه من الله تعالى من النعم فجعل يشكو عما اصابه
فهو كفور للنعم اللتى كانت له من قبل ذلك وان كان فى الكافر فهو ظاهر انه كفور لنعمه واحسانه
اجمع والله اعلم وقوله عز وجل لله ملك السموات والارض يخبر انه بما يامرهم وينهاهم
وبما يمتحنهم بانواع المحن ليس يامر ولا ينهى ولا يمتحن لحاجة نفسه فى جر منفعة او استفادة
خير او دفع مضرة او بلاء اذ له ملك السموات والارض ولكن انما يامرهم وينهاهم ويمتحنهم لحاجة انفسهم
فى اصلاحها وفكاكها ونجاتها عن المهالك وهو كقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله
غنى حميد يخبر بما ذكر انه غنى لا ينفعه ايمان مؤمن ولا يزيد فى ملكه ولا يضره كفر كافر ولا ينقص
من ملكه ويحتمل ان يكون قوله لله ملك السموات والارض اى له ملك ملوك السموات والارض كقوله
قل اللهم مالك الملك الاية ويحتمل ان يقول له ملك السموات والارض اى هو يؤتى الملك من له الملك
فى الدنيا وهو ينزع ممن يشاء على ما ذكر فى اية اخرى تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
الاية وفيه نقض قول المعتزلة فى خلق افعال العباد منهم وانكارهم ان يكون فعل الله تعالى
مخافة وقوع المشرك فى ذلك بينهم وبين الله تعالى فيكون ذلك فعل الله تعالى وفعل العبد اذ هو
تفسير الشركة فى الشاهد فيقال لهم ان الله تعالى قال له ملك السموات والارض وقال فى اية اخرى
ولم يكن له شريك فى الملك اخبر انه ليس له شريك فى الملك وقد راينا الملوك فى الدنيا ثم لم يوجب
ذلك الشركة فى ملكه لاختلاف المعنى والجهات اذ حقيقة الملك له ولغيره ليست حقيقة الملك
انما له ملك الانتفاع لا على الاطلاق فعلى ذلك افعال العباد من الخيرات خلق الله تعالى فيكون
على قولهم غير خالق لاكثر الاشياء مما شاء وهذا لان قوله يخلق ما يشاء اما ان خرج على الوصف
بالربوبية لله تعالى والالوهية او على وجه الوعد والخبر بانه يخلق ما يشاء فان كان على الوصف له

بالربوبية فلا يكون ذلك الوصف الربوبية اذ لا يكون خالق الجور ومن عشرة الاف جزء ومن الاشياء
التى وشاء ان يخلقها وان كان على الوعد والخبر فيخرج الخبر كذبا على قولهم نعوذ بالله تعالى
من السرف فى القول والله الموفق وقوله عز وجل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور يخبر تعالى
ان الاولاد جميعا من الذكور والاناث مواهب الله تعالى وهداياه فيجب ان يقبلوها منه قبول الهدايا
والهبات على الشكر له والمنة ثم بدا بذكر الاناث ثم بالذكور لان من الناس من اذا ولد له الاناث يعد
مصيبة ويثقل ذلك عليه وعلى ذلك ما اخبر من الكفرة انهم اذا بشروا بالانثى ظلت وجوههم
مسودة بقوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يخبر عن ثقل ذلك عليهم
وغيظهم على ذلك فبدا بذكر ذلك لئلا يعد اهل الاسلام اولاد الاناث مصيبة وبلاء على ما عدها
الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل او يزوجهم ذكرانا واناثا التزويج هو الجمع بين الشكلين والمتماثلين
فى الحقيقة وقد يسمى التزويج بين المتضادين مجازا والله اعلم فيكون معنى قوله او يزوجهم ذكرانا
واناثا اى يقرن ويجمع بين الاناث والذكور ويهب له من النوعين جميعا فى حالة واحدة وقال القتبى
او يزوجهم ذكرانا واناثا اى يجعل بعضهم بنين وبنات تقول العرب زوجت ابلى اذا قربت بعضها
ببعض وزوجت الكبار بالصغار اذا قربت كبيرا بصغير وقوله عز وجل ويجعل من يشاء عقيما
والعقيم من النساء التى لا تلد وهى لا توصف بالبركة ويقال انها ليست بمباركة لا ترغب فيها
والله اعلم وقوله عز وجل انه عليم قدير عليم بانشاء الاولاد والاناث فى الرحم قدير على ذلك
او عليم بمصالح الخلق قدير لا يعجزه شئ وقوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء كان هذا انما ذكر واخبر عن نازلة
او سؤال كان عن كيفية الرسالة وهل الرسل عليهم الصلوة والسلام يرون ربهم ويشاهدونه
ويشافهونه فاخبر انه ليس من البشر من يكلمه الا بالطريق الثلاثة التى ذكرها والسؤال وقع عن الرؤية
فى الدنيا فيكون الجواب بناء على السؤال والله اعلم ثم قوله الا وحيا قال بعضهم الا وحيا ما يرى
فى المنام ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام حقيقة وقوله او من وراء حجاب نحو ما كلم موسى
عليه الصلوة والسلام القى فى مسامعه صوتا مخلوقا على ما شاء وكيف شاء من غير كان ثم ثالث وقوله
او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء اى يرسل ملكا يخبره عن الله تعالى وطرق الوصول الى معرفة
ذلك فى الدنيا الوجوه التى ذكرنا اما الالهام والالقاء فى الاوهام واما الالقاء فى المسامع واما رسول
يرسل فيخبر عنه وكلامه فاما ان يحتمل وسع احد رؤيته او يشافهه او يعاينه فى الدنيا والله الموفق
ثم اختلف فى قوله من وراء حجاب قال بعضهم الحجب انفسها هى حقيقة الحجب وقال بعضهم الحجاب هو عجزهم
عن احتمال رؤيته لان الله تعالى انشاهم على بنية وخلقة لا يقوم انفسهم القيام لذلك على ما اخبر عز وجل
حيث قال لموسى عليه السلام ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى اى فان احتمل ذلك
فاحتمل ما سالت والله اعلم وفى الاية ان الله تعالى يكون مكلما للبشر بالرسول وان لم يشافهه المرسل
وكان ذلك تسمية بطريق المجاز اذ لم يكن فى الحقيقة كلام الرسول كلام المرسل وكذلك فى قوله وان احد
من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله لا يكون ما يسمع من الرسول عليه السلام
كلام الله حقيقة وكذا ما يقال سمعت من فلان قول فلان او حديث فلان كله على المجاز ليس على التحقيق
والله اعلم ويحتمل ان يكون سبب نزول قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية قول اولئك
الكفرة حيث اخبر الله تعالى بقوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية الاية وقولهم
لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا ان يروا ربهم جهارا فقد حجبوا عن رؤية الله تعالى فى الدنيا والاخرة

لا يرى الله تعالى احد فى الدنيا اللهم اجعلنا من سامليه فى الاخرة عندك

حيث قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وسألوا ان يكلمهم شفاها فاخبر انه لا يكلم احدا شفاها
ولكن يكلم بما ذكر من الاوجه الثلاثة حيث قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا ردا عليهم فاخبر الله تعالى ان طريق تكليمه للخلق في الدنيا هذه الوجوه التي ذكر
وقد كلم البشر من هذه السبيل والطريق التي ذكر حيث قال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اخبر انه انزل اليهم
ما ذكر كما انزل على الرسل وحيث قال وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله الآية
وغير ذلك من الآيات مما يكون كانه قد كلمهم بما ذكر كما كلم الرسل عليهم الصلوة والسلام من الوجوه
التي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك اوحينا روحا من امرنا كانه يقول هكذا اوحينا الى الرسل
الذين من قبلك بالوجوه والطرق التي ذكرنا كما اوحينا الى الذين من قبلك والله اعلم وقوله روحا
من امرنا قال بعضهم روحا اي جبريل بامرنا وقال بعضهم اي وحينا اليك امرا من امرنا وقال بعضهم
روحا من امرنا اي الكتاب الذي انزله عليه واوحيه اليه سماه روحا لانه يحيي به الدين
ويكون به حياة الدين ويحيي به الابدان وهو حيوة الذكر والشرف وهو كقوله ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم حياة الذكر والشرف والله اعلم وقوله عز وجل
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اما الكتاب فانه لا شك انه كان لا يدريه ولا يعلمه حتى ادراه
واعلمه واما الايمان حيث اخبر انه لا يدريه فهو يحتمل وجوها احدها ما كنت تدري ما الايمان
في حق اللسان او ما كنت تدري ما الايمان في حق الايمان او ما كنت تدري ما الايمان في حق قدره ومحله
ومنزلته عند الله فان كان المراد في حق اللسان فهو ظاهر انه كان لا يدريه في حق ابتداء الامر
ان الايمان هو التصديق او التوحيد او ما هو وهو معروف انه كان لا يدريه في حق اللسان حتى ادراه
واعلمه انه ما ذا وكذلك جميع اهل اللسان لا علم لذلك حتى علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل جبريل وسأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما الايمان وما الاسلام على صورة اعرابي
حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا كان جبريل عليه السلام نزل ليعلمكم معالم دينكم والله اعلم
وان كان في حق فعل الايمان ومباشرة ركنه فهو اذا كان غير قادر على فعله واتيانه على حقه وكان
لا يدري لكنه وان كان لا يدريه فانه لا يوصف بالجهل به الا ترى ان الصغار لا يدرون ولا يقال
انهم جهلة وانما يوصف بالجهل من ملك الفكرة والنظر واسباب العلم ثم ترك ذلك فعند ذلك
يوصف بالجهل فاما من لم يملك ذلك ولم يبلغ هذا المبلغ فانه لا يوصف بالجهل الا ترى انه يقال
للاعراض والاشياء انها لا يدري ولا يوصف بالجهل فعلى ذلك يجوز ان يوصف ويقال
انه كان لا يدري ولا يوصف ولا يقال انه كان جاهلا به والله اعلم الا ترى ان الولد في النظر
لا يوصف بان له سمعا وبصرا ونحوه لانه ليس بمحل للسماع والبصر فاذا اخرج منه عند ذلك
يجعل له لما مكن من السماع والبصر وهو ما ذكر بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
وجعل لكم السمع والابصار عند ما مكن لهم ذلك والله اعلم وان كان المراد انه لا يدري في حق المحل
والمنزلة والقدر فهو هكذا كان لا يدري ما محل الايمان وقدره عند الله تعالى حتى ادراه واعلمه
محله ومنزلته والله اعلم وقوله عز وجل ولكن جعلناه نورا فان كان المراد هو الايمان فهو نور
بالحجج والبرهان وهو كما ذكر افمن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وان كان المراد هو الكتاب
فهو نور لما يرفع جميع حجب القلوب وسواترها من اتبعه ونظر اليه بعين التعظيم والله اعلم وقوله
عز وجل نهدي من نشاء من عبادنا من علم انه يختاره شاء ان يهديه ثم قوله يهدي به يحتمل القرآن
ويحتمل الايمان نفسه اي يجعله بالايمان مهتديا والله اعلم وقوله عز وجل وانك لتهدي الى صراط مستقيم

مطلب مما يجب حفظه في تحقيق من يوصف بالجهل

في ان الايمان نور اللهم نور قلوبنا بنور الايمان والايقان ابدا يا الله

قوله لتهدي يحتمل لتدعوا ولتدين لهم الصراط المستقيم ثم فسره بقوله تعالى صراط الله الذي
له ما في السموات وما في الارض لم يفهم من صراط الله ما يفهم من صراط الخلق او صراط فلان
فكيف يفهم من مجيئه واتيانه ما يفهم من مجيء الخلق او اتيانه فهذا يدل ان لا كل اضيف الى الله تعالى يفهم
منه ما يفهم مما يكون من الخلق والله اعلم وقوله عز وجل الا الى الله تصير الامور يحتمل الا الى الله ترجع
تدبير الامور ويحتمل الى الله تصير الامور في الآخرة وهو البعث والله اعلم

مما يحفظ البتة وكلما اضيف اليه لا يفهم منه ما يفهم مما يكون من الخلق

سورة الزخرف مكية وآيها ثمانون وثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم والكتاب المبين قال قتادة هو اسم السورة وقال غيره حم قضي ما هو كائن
وقد ذكرنا وقوله والكتاب المبين قال قتادة مبين بركته وهداه ورشده وقال بعضهم مبين
بين الحلال والحرام ما يؤتى وما يتقى وقال بعضهم مبين بين الحق والباطل وهو عندنا مبين
بانه من الله تعالى ليس هو من تاليف البشر ولا من توليدهم ولكنه من الله حيث عجزوا عن اتيان مثله
والله الموفق وقوله انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون كانه يقول جعلنا ذلك الكتاب عربيا
لعلكم تعقلون وقيل جعلناه قرآنا اي سميناه قرآنا ليس نجعله قرآنا ولكن معناه جعلناه عربيا
اي نظمناه بالعربية لتعقلوا وسميناه قرآنا ثم قوله تعالى لعلكم تعقلون يخرج على وجوه احدها اي انزلناه
عربيا على رجاء ان يعقلوا والثاني انزلناه عربيا لتعقلوا وذلك يرجع الى قوم مخصوصين قد عقلوا
وفهموا اذ لم يعقلوا جميعا ولا يتصور ان ينزله لتعقلوا ولا تعقلوا فان ما اراد الله تعالى يكون
لا محالة وما فعل يفعل قال الله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والثالث
انزلناه عربيا لكي يلزمهم ان يعقلوا ويتبعوه ليزول عذرهم والاحتجاج على الله تعالى انه كان
على غير لساننا والله اعلم وعلى هذا يخرج تاويل لعل في جميع القرآن انه للتحقيق اذا كان من الله تعالى
فان قيل فعلى التاويل كيف يخرج قوله لعلكم تفلحون لا يستقيم ان يقال لكي يلزمكم ان تفلحوا
قيل معناه لكي يلزمكم السبب الذي به تفلحون وهو مباشرة الايمان والطاعات والله اعلم وقوله
عز وجل وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم قوله وانه في ام الكتاب يرجع الى وجهين احدهما
اي القرآن في اصل الكتاب ومنه اقول وهو اللوح المحفوظ وام الشيء اصله ويسمى ام القرى مكة لهذا
والثاني اي القرآن في الكتب المتقدمة فان الامهات سميت امهات لتقدمها على الولد وهو كقوله وانه
لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وقوله عز وجل
لعلي حكيم قال ابن عباس رضي الله عنهما اي هو اعلى الكتب واحكمها واعدلها وقال بعضهم وصف كتابه
بالعظمة والمنزلة والشرف عنده وقوله حكيم يحتمل وجهين احدهما حكيم بمعنى محكم كقوله تعالى
احكمت آياته اي بالحجج والبراهين والثاني سماه حكيما لما جعل فيه من الحكمة والله اعلم وقوله
عز وجل افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين اختلف في الذكر قال بعضهم القرآن
وقال بعضهم الرسول وقال بعضهم العذاب والعقوبة واختلف في قوله افنضرب عنكم الذكر
صفحا قال بعضهم افنترك وننذر الذكر سدى ان كنتم مسرفين اي لانكم كذا ولاجل انكم كذا وقال بعضهم
افنترك الجهر لا نامركم بشيء ولا ننهاكم عن شيء ولا نرسل اليكم رسولا وقال بعضهم افنضرب
اي فنذهب عنكم هذا القرآن سدى لا تسألون ولا تعاقبون على تكذيبكم اياه وقال بعضهم
افنضرب عنكم اي فنمسك عنكم فلا نذكركم صفحا اي اعراضا وهو قول القتبي صفحت عن فلان اي اعرضت عنه

تاويل لعل في جميع القرآن

افنضرب عنكم الذكر صفحا

واصل ذلك انك تو ليه صفحتك يقال ضربت واضربت عن فلان اى امكسته وقال ابو عبيدة
افنضرب اى نسكت ضربت واضربت اى سكت وقوله صفحا اى رداً يقال سألني فلان حاجة نصفحته
صفحا اى و ددته والله اعلم وبعضه قريب من بعض ثم الاصل عندنا ان الذكر يحتمل ما قالوا فيه من
من المعانى الثلاثة القرآن والرسول والعذاب لكن لا يحتمل قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان يخرج
على الابتداء على غير تقدم النوازل لانه لا يبتدأ بمثله ثم النوازل يحتمل ان كان منهم قول يقولون
يا محمد لو كان ما تقوله انت انه من عند الله وانك لرسوله فكيف انزل الكتاب او ارسل الرسول
الينا على علم منه انا نكذبه ونرده ولا نقبله من علم من الملوك فى الشاهد انه يكذب رسوله ولا يقبل
لا يبعث الرسول فكيف بعثك رسولا الينا او ان انزله عليك او بعثك رسولا فكذبنا وكذبناك
ورددناه ورددناك فلا يرفعه ويرفعك دون تركه فينا فيقول الله تبارك وتعالى جوابا وردا
لقولهم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين يقولنا لا نترككم سدى وان علمنا منكم
التكذيب للرسول والوحى ولا يمنعنا ذلك عن انزاله اليكم وتركه فيكم ولا يحملنا ذلك على رفعه
من بينكم بل نامركم وننهاكم وان كنتم تكذبونه ولا يقبلونه وهذا لما ذكرنا فى غير موضع ان حرف الاستفهام
من الله تعالى يخرج على الايجاب والتحقيق وقوله افنضرب اى لا نترك انزاله وارساله وان علمنا
منكم التكذيب والرد وهو كقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله عز وجل ايحسب الانسان
ان يترك سدى اى لا يترك سدى ولا تحسبون انا انما خلقناكم عبثا فعلى ذلك قوله عز وجل
افنضرب عنكم الذكر صفحا فان كان الذكر هو القرآن او الرسول فالتاويل انه وان علم منكم الرد
والتكذيب فلا يمنعه ذلك عن انزاله عليكم وبعثه رسولا اليكم او انكرتم وان كذبتموه وردد تموه
فلا نحمله ذلك على رفعه من بينكم بشرككم وكفركم وهو كما ذكر فى قوله وكم ارسلنا من نبى فى الاولين
وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن اى انا وان علمنا من اوايلكم التكذيب للرسل والكتاب
ولا يمنعنا ذلك عن انزاله عليهم وبعثهم اليهم فعلى ذلك انتم وان علمنا منكم تكذيب الرسول والكتابه
لا يمنعنا ذلك عن ارساله وانزاله ليلزمكم الحجة او لعل فيكم من يصدقه ويؤمن به او غيركم يؤمن به
ويصدقه وان كذبتم انتم هذا ان كان تاويل الذكر رسولا او كتابا وان كان تاويل الذكر العذاب
فيصير كانه يقول افنترك تعذيبكم او نمسك عنه ولا نعاقبكم وانتم قوم مسرفون اى مشركون على ما ذكر
على اثره العذاب حيث قال فاهلكنا اشد منهم بطشا اى قوة معناه عذبناهم بالتكذيب مع شدة
بطشهم وقوتهم وانتم دونهم لا تعذبون بل تعذبون والله اعلم وعن قتادة يقول لو ان هذا القرآن
رفع دفع حين رده اوايل هذه الامة لهلكوا لكن الله تعالى بفضله ورحمته كرره عليهم ودعاهم اليه
كذا كذا سنة وكما شاء الله تعالى وعن الحسن قال لم يبعث الله تعالى نبيا الا انزل عليه كتابا فان قبله قومه
والا رفع فذلك قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين لا تقبلونه فيلقنه قلوب بقية فقالوا
قبلناه ربنا قبلنا لو لم يفعلوا ذلك رفع ولم يترك على ظهر الارض منه شىء ثم القراءة العامة ان كنتم
منصوبة الالف بمعنى اذ كنتم ويقرأ ايضا ان كنتم مكسورة على ان الشرط ومعناه لا نترك ولا نمسك
من اتى له وان كنتم قوما مسرفين مشركين والله اعلم وقوله عز وجل وكم ارسلنا من نبى فى الاولين
وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن فيه دعاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى الصبر بما يعامله
قومه حيث ذكر له ان ما ارسل من الرسل الذين كانوا قبله عاملهم قومهم من الاستهزاء بهم والاذى لهم
مثل معاملة قومك اياك فصبروا على ذلك فاصبر انت على اذى قومك اياك وسوء معاملتهم والله اعلم
وفيه انه يرسل الرسول وان علم منهم انهم يكذبونه وكذا ينزل الكتاب وان علم منهم انهم يردونه ولا يقبلونه

لانه ليس

في الاستفهام من الله تعالى كثيرة

لانه ليس يرسل الرسل ولا ينزل الكتب لمنفعة نفسه ولا لدفع المضرة عن نفسه ولكن انما يرسل وينزل
لمنفعتهم ولدفع المضرة عن انفسهم فسواء عليه ان اقبلوه او ردوه وليس كملوك الارض اذا ارسلوا رسولا
وكتابا الى ما يعلمون انهم يكذبون رسلهم ويردون كتابهم يكونون سفهاء لانهم انما يرسلون لحاجة
انفسهم ولدفع المضرة حيث لم يحصل غرضهم بل يلحقهم بذلك ضرر وزيادة ضد له واستخفاف لم
لم يكن ذلك حكمة بل يكون سفها فاما الله سبحانه وتعالى اذا لم يرسل ولم ينزل لجر النفع ودفع الضر
بل لالزام الحجة وازالة العذر ونحو ذلك كان حكمة والله الموفق وقوله عز وجل فاهلكنا اشد منهم
بطشا ومضى مثل الاولين فيه تحذيرا ولتلك الكفرة ان ينزل بهم بتكذيبهم الرسول وسوء معاملتهم
اياه كما ينزل با ولئك الكفرة المتقدمين بتكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم والله اعلم ثم قوله
فاهلكنا اشد منهم بطشا يحتمل وجهين احدهما اى اهلكنا من كان اشد قوة وبطشا من هؤلاء ثم لم يتهيا لهم
الامتناع لشدة قوتهم وبطشهم عما نزل بهم من العذاب فعلى ذلك لو نزل لهؤلاء لم يتهيا لهم الامتناع لم
مع ضعفهم والثانى ان يكون قوله اشد منهم بطشا وصف ذلك العذاب الذى نزل بهم اى ملك العذاب
اشد منهم بطشا فلا يمتنع عمله لبطشهم وقوتهم انما اذا كان شدة العذاب وبطشه دون بطشهم ربما لا يعمل
ولا يؤثر فيهم لذلك وصف العذاب بكونه اشد منهم بطشا هو كقوله تعالى ان عذابى لشديد والله اعلم وقوله
عز وجل ومضى مثل الاولين هذا يخرج على وجهين احدهما مضى مثل الاولين اى صار عذاب الاولين
عبرة وعظة ومثلا للمتاخرين كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين
والثانى مضى مثل الاولين اى مضى عذاب الاولين وهو عذاب الاستيصال فلا يعذب هذه الامة
بمثل عذابهم لفضيلة نبينا محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وبركته وبرحمته وهو ما قال الله
عز وجل وما ارسلناك الا رحمة للعالمين بفضله ورحمته ابقى هذه الامة الى يوم القيامة والله اعلم وقوله
عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فى قولهم وجوابهم
ان الله خلق السموات والارض دلالة انهم قد عرفوا انه رسول لكن كذبوه عنادا ومكابرة لان اهل مكة
كانوا لا يؤمنون بالرسل حتى يزعموا انا عرفنا ان الله خلق السموات والارض بقولهم وينكروا رسالته
خاصة بل ينكرون الرسل اجمع ثم ما عرفوا ان الله هو خلق السموات والارض الا بالرسل اذهم ليسوا
من الذين عادتهم الاستدلال والنظر فى الدلايل ليعرفوا الله تعالى بالدلايل العقلية والظاهر فى العوام
جملة المعرفة بالدلايل السمعية فكان الظاهر هذا ان معرفتهم ان الله خلق السموات والارض
بقول الرسل عليهم السلام لكنهم كذبوه ولم يصدقوه عنادا منهم ومكابرة وما به عرفوا ساير الرسل
من المعجزات موجود معاينا لهم فى حق رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم لا بد انه عرفوه رسولا لكنهم
كذبوه عنادا فدل ان قولهم هذا دليل على معرفتهم برسالته والله اعلم ثم تمام الاحتجاج بهذا انه تعالى لهم
قد عرفتم ان الله هو خلق السموات والارض فهلا عرفتم انه لم يجعلها عبثا باطلا اذ لو كان على ما زعموا
ان لا رسل ولا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب يكون خلقه اياهما عبثا باطلا فكان اقرارهم
بخلقه اياهما اقرار الخلقة على وجه الحكمة ولن يخرج خلقه على الحكمة الا بالاقرار بالرسل والبعث
والثواب والعقاب على ما عرف غير مرة او ان يقال فاذ عرفتم ان الله تعالى هو خلق السموات والارض
وما ذكر الى آخره فكيف انكرتم قدرته على البعث والاعادة بعد الموت والاعجوبة فى خلق السموات
والارض اعظم واكثر من الاعجوبة فى بعثكم واعادتكم فكيف انكرتم ما هو اقل فى القدرة والاعجوبة
والله الموفق وقوله عز وجل الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون جائز
ان يكون ذكر هذا على سبيل النعت والوصف لله تعالى عز وجل صلة لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات

موعظة

فلا بقاء هذه الى القيامة لا يعذب هذه الامة عذابا بالاستيصال لفضل سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم

الاعجوبة فى خلق السموات والارض واكثر من الاعجوبة فى البعث والاعادة

في حكمة الطرق وتفريق الحوايج في الآفاق

والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وصفه انه جعل الارض كذا وانزل كذا ويحتمل ان يكون اراد
ولئن سالتهم عن الارض وما ذكر انه من جعلها مهدًا ومن جعل لهم فيها سبلًا فقالوا الله جعل ذلك
على ما قالوا في السموات والارض وفيه وجوه من الدلالة احدها يذكرهم نعمه عليهم حيث جعل هذه
الارض بحيث يمهدونها ويفترشونها وينتفعون بها بانواع المنافع وبحيث مكن لهم الوصول الى حوايجهم التي
فرقها في الامكنة المتباعدة بما جعل لهم فيها سبلًا وطرقًا يسلكون فيها ليصلوا الى الحوايج التي فرقت
في البلدان المتباعدة ما لو لا جعله فيها السبل والطرق التي جعل ما قدروا السلوك فيها ولا عرفوا انهم
من اي جهة يصلون الى حوايجهم التي فرقت فيلزمهم بما ذكر القيام بشكره على تلك النعم وفيه دلالة حكمته
ليدلهم انه انما جعل لهم ما ذكر لحكمة لم يجعلها عبثًا باطلًا وفيلزمهم حيث فرق حوايجهم في امكنة متباعدة
ثم مكن لهم الوصول اليها ليعلم ان الذي ملك انفسهم هو مالك اطراف الارض اذ لو كان هذا غير مالك
ذلك لمنعهم ذلك عن الوصول الى حوايجهم وفيه دلالة قدرته حيث جعل لهم في الارض ما ذكر
من التسخير لهم حتى ظهروها ويفترشونها ويسلكوا فيها السبل التي جعلها لهم الى حيث ارادوها وقصدوها
ومكن لهم ذلك ليعلم ان من قدر على ما ذكر لا يعجزه شيء **وقوله** عز وجل والذي انزل من السماء ماء بقدر
فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون فيما ذكر من انزال الماء من السماء وبثه في الارض وانبات النبات
فيها بذلك الماء دلالة من الوجوه التي ذكرنا في قوله جعل لكم الارض مهدا فانه انزل الماء من السماء
ليكون في الارض انواع النعم التي ذكر وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ليعلموا
عظم نعمه عليهم وليعلموا ان مالكهما واحد وما جعل في الماء من المعنى واللطف ما نوافق جميع النبات
والثمار على اختلاف النبات والثمار واختلاف اجناسها وجواهرها ليعلم ان من قدر على احياء الارض
بذلك المعنى الذي جعل في الماء وموافقته جميع النبات والثمار على اختلاف جواهرها واجناسها
لا يحتمل ان يعجزه شيء من بعث وغيره اذ لا اعجوبة فيما ذكر من احياء الارض بذلك الماء وموافقة المعنى المجعول
في الماء جميع ما ذكر اعظم واكثر من البعث لانه اعاده وذلك ابتداء فمن ملك وقدر على ما ذكر من الاشياء فهو
على البعث اقدر واملك ولذلك قال الله تعالى وكذلك تخرجون اي تبعثون والله الموفق **وقوله** عز وجل
والذي خلق الازواج كلها جايز ان يدخل فيما ذكر من خلق الازواج كلها جميع ما يكون لها ازواج من مقابلات
واشكال لان التزاوج قد يقع ويستعمل في الاضداد والاشكال من الافعال والجواهر من الكفر والايمان
والطاعة والمعصية فيكون في ذلك دلالة خلق افعال العباد اذ اخبر انه خلق الازواج كلها وبين هذه
الافعال ازدواج وان كانت متضادة مقابلة والله اعلم **وقوله** عز وجل وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون فيما ذكرنا من الوجوه انه فرق حوايج الخلق في امكنة بعيدة وبينهم وبين امكنة حوايجهم
مفاوز وفيافي فجعل لهم في المفاوز انعاما يركبونها ليصلوا الى حوايجهم وفي البحار سفنا ليركبونها ليصلوا
الى حوايجهم التي في البحار يذكرهم نعمه ليتأدى بذلك شكرها ويذكرهم قدرته ان من ملك هذا وقدر
لا يعجزه شيء **وقوله** عز وجل لتستووا على ظهوره جعل ظهورها بحيث يستوون عليها ويقرون وكان له ان يجعل
ظهورها بحيث لا يستوون عليها ولا يقرون وهذا من نعم الله تعالى عليهم **وقوله** عز وجل ثم تذكروا نعمة
ربكم اذا استويتم عليه ثم نعمته يخرج على وجوه ما ذلل لهم من الانعام وسخرها لهم بقوتها وشدتها او جعلهم
ان يستعملوا الدواب وهي تتالم وتتلذذ كما تتالمون وتتلذذون ثم جعلها منعة لهم لا ان جعلوا لها
او ان يكون نعمته التي امرهم ان يذكروها الاسلام والتوحيد فقولوا الحمد لله الذي هدانا للاسلام وتقولوا
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا مقرنين او يامرهم ان يذكروا ما انشا لهم من النعم العظيمة **وقوله**
وما كنا له مقرنين قال بعضهم مطيقين يقال انا لك مقرن اي مطيق ويقال انا مقرن لهذا العمل اي قوي عليه

واصل هذا

في اختلافنا انواع الكفر

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا

واصل هذا التاويل ان الدواب والانعام في انفسها اشد واكثر قوة واعظمها من البشر لكن الله تعالى
بفضله ومنته علم الانسان الحيل حتى قدر على استعمال الدواب والانعام مع قوتها وشدتها
حيث شاء وفيما شاء وسخرها لهم ويحتمل ان يكون قوله وما كنا له مقرنين اي لم يجعلنا من قرن
الدواب ومن قرنها بحيث يستعمل لما يستعمل الدواب ويركب على الظهور اي لم يجعلنا من قرين الدواب
ومن اشكالها والله اعلم **وقوله** عز وجل وانا الى ربنا لمنقلبون هذا يحتمل وجوها احدها يحتمل
البعث على ما قال اهل التاويل ويحتمل وانا الى ما جعل لنا ربنا من الوصول الى حوايجنا لمنقلبون
وراجعون والله اعلم ويحتمل وانا الى اوطاننا ومنازلنا راجعون بها ما لولا هو لم يتهيا لنا الرجوع
الى ذلك ولا الوصول الى ما جعل لنا من الحوايج التي فرقت في الامكنة المتباعدة والله اعلم **وقوله**
عز وجل وجعلوا له من عباده جزءا قال عامة اهل التاويل اي الكفرة جعلوا لله تعالى من عباده انثى
اي بنتا وقال الزجاج جزءا اي بنتا وقال ان الجزء عند بعض العرب البنت لان الكفرة قد اختلف انواع كفرهم
وهم مختلفون في كفرهم يقول الثنوية بالاثنين يقولون ان الله تعالى هو خالق الخيرات وخالق الشرور
غيره على حسب ما اختلفوا في ذلك الغير ما هو فهؤلاء الثنوية جعلوا لله تعالى من عباده جزءا وهو الخيرات ولم يجعل
الجزء الاخر ومشركو العرب جعلوا له فيما رزقهم جزءا لله تعالى وجزءا لشركائهم حيث قال وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فهؤلاء جعلوا له جزءا مما رزقهم
وهو الظاهر وفريق اخر جعلوا له جزءا من عباده وهو الاناث ولم يجعلوا لله البنين كقوله تعالى ويجعلون
لله البنات فجعل الجزء له على ما ذكرنا ما اظهر مما ذكره اهل التاويل وصرفوه اليه والله اعلم **وقوله**
عز وجل ان الانسان لكفور مبين اي كفور لنعمه مبين اي بين كفرانه **وقوله** عز وجل ام اتخذ
مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين هو على الاضمار كانه يقول ام يقولون اتخذ مما يخلق بنات لنفسه
واصفاكم بالبنين وهو ما ذكر في اية اخرى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب
ثم قوله تعالى ام اتخذ اي قالوا بل اتخذ مما يخلق بنات يذكر في هذه الايات سفه اهل مكة وشدة
تعنتهم لانهم قوم لا يؤمنون بالرسل وما ذكروا من اتخاذ الولد وما ادعوا بان الملايكة بنات الله
وما اقروا ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ان الله هو خالق ذلك كله مما لا سبيل الى معرفة ما قالوا
وادعوا الا بالرسل وهم ينكرون الرسل فكيف ادعوا ما ادعوا وهم ينكرون خبرهم لان من ادعى ولد
الغايب لا يعلم الا بخبر صادق وكذلك معرفة الملايكة انما هو بخبر ياتيهم ثم هم ينكرون الاخبار
والرسل فيتناقض دعواهم ويضمحل على ما ذكرنا ثم اخبر عنهم ما يظهر وا من الحزن عند ما يولد لهم
من الاناث وما يلحقهم من الكراهة في ذلك بقوله تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
ظل وجهه مسودا وهو كظيم ثم قوله بما ضرب للرحمن مثلا اي شبها بالخلق وانه يخرج على وجهين
احدهما بما جعلوا له ولدا والولد هو شبيه الوالد فكان في اثبات الولد اثبات المثل والشبيه
والثاني في اثبات الولد له اثبات المشابهة بينه وبين جميع الخلق لان الخلق لا يخلو اما ان يكون
مولى من اخر او يولد منه اخر اما ان يكون له شريك فيما يملكه او يكون هو شريك غيره فيكون البعض
شبيها بالبعض فمن اثبت شريكا وولدا فقد جعله شبيها بالخلق ولهذا بين الله تعالى من الولد والشريك
تبريا واحدا بقوله تعالى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك نفى الولد والشريك عن نفسه
نفيا واحدا وبراءة واحدة والله الموفق ثم **قوله** ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين يحتمل
ان يكون تفسيرا لقوله وجعلوا له من عباده جزءا وعلى ذلك قول اهل التاويل انهم جعلوا هذه
تفسيرا للاولى وجايز ان يكون لا على التفسير للاولى ولكن على الابتداء في قوم اخرين سواهم على ما ذكرنا

نحو من التأويل والله اعلم وقوله عز وجل اومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين اختلف
فيه قال بعضهم هي الاصنام التي عبدوها وحلوها وزينوها بانواع الزينة والحلى يقول والله اعلم او من حلى
بالحلى وزين بالزينة وهو لا يملك نفعا ولا ضرا ولا تكلما ولا خصومة ولا شيئا من ذلك ولا يلتفت اليه
ولا يكترث له لولا تلك الحلى والزينة التي بها في جعل العبادة له كمن منه خلق ما ذكر من السموات والارض
وما فيهما من المنافع اي اليس هذا يسوى لذلك يذكر سفههم واختيارهم الاصنام التي هذا وصفها في العبادة
على عبادة الله تعالى الذي منه كل شيء يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتكذيبهم اياه وسوء
معاملتهم معه والله اعلم وقال بعضهم قوله اومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين هي الاناث
يقول والله اعلم ان الانثى ضعيف قليل الحيلة وهي عند الخصومة والمجاوزة غير مبين يصف عجزهن
وضعفهن ونقصانهن يقول والله اعلم كيف نسبوا الى الله عز وجل ما هو اضعف واعجز وانقص فيما ذكر
وقد انفوهم منها واختاروا لانفسهم ما هو اكمل واقوى وهم الذكور وهو صلة قوله عز وجل ام اتخذ
مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين الى آخر ما ذكر وكل حرف مما تقدم ذكره من قوله وجعلوا من عباده
جزءا وبخوذ لك ثم قوله عز وجل اومن ينشأ في الحلية يحتمل ان يرجع الى معنى آخر غير المعنى فيما ذكر
من الآيات وكل حرف من هذه الحروف يرجع الى فريق غير الفريق الآخر لانهم كانوا في المذاهب مختلفين
متفرقين وجايز ان يرجع الكل الى معنى واحد والله اعلم وفي هذه الآيات ما ذكرنا من الوجوه من تصبير
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اذى القوم ومن بيان سفه اولئك ومن التحذير لما ناحرمهم والله اعلم
وقال القتبي اومن ينشأ في الحلية اي يربى في الحلى وهي البنات يريد جعلهم بنات الله تعالى وهم اذا كان لاحدهم
بنت ظل وجهه مسودا وهو كظيم اي حزين والخصام جمع خصيم غير مبين اي غير مبين الحجة وقال ابو عوسجة
اومن ينشؤا في الحلية اي ينشأ كما يقال نشأ الصبي ينشؤا اي يشب ويرتفع والخصام المخاصمة وقال
وقال ابو معاذ ينشأ في الحلية والله اعلم بنت ويقرا وينشأ بالتشديد وينشأ بالتخفيف وهما لغتان
وقرأ بعضهم ينشأ في الحلية والله اعلم وقوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا
خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون فان قيل كيف سفههم في جعلهم عباد الرحمن اناثا وقد جعل الله
من عباده اناثا لماذا عابهم على ذلك قيل عن هذا وجهين احدهما انما سفههم وعابهم لشهادتهم على الله
سبحانه وتعالى انه جعل الملائكة اناثا وهم لم يشاهدوها ولا يؤمنون بالرسل عليهم السلام حتى يقع لهم
العلم والخبر بذلك بقول الرسل والله اعلم والثاني ان الله تعالى وصف ملايكته بانهم لا يفترون
من عبادته وانهم لا يستحسرون وانهم مطيعون لله تعالى على الدوام بحيث لا يوجد منهم عصيان طرفة عين
على ما نطق بذلك الكتاب فهم اذا قالوا انهم اناث وصفوهم بالضعف والعجز فلا يتهيأ لهن القيام بما ذكر
والله اعلم ثم قوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقوله ويجعلون لله البنات
وقوله ويجعلون لله ما يكرهون ليس على حقيقة الجعل ولكن على الوصف له والقول اي قالوا ان الملايكة
بنات الله ووصفوا لهم بما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ولو شاء الرحمن ما عبدناهم تعلق المعتزلة بظاهر
هذه الآية في ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا ان الله تعالى شاء
منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء منا ترك
عبادة الاصنام لتركناها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم فقالوا ما لهم
بذلك من علم ان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون وعندنا الآية يخرج على وجوه احدها انهم في قولهم
لو شاء الرحمن ما عبدناهم صدقوا فان معناه لو شاء منهم تركهم عبادة الاصنام ما عبدوها ولكن
شاء ان يعبدوها فعبدوها فيكون هذا منهم اخبارا عن المخبر به على ما هو فيكون صدقا ثم قوله تعالى

ما لهم بذلك

ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يحتمل انما سماهم كذلك لما قالت المعتزلة انهم ادعوا
واخبروا ان الكفر بمشية الله وانه شاء منهم الكفر دون الايمان فالله تعالى شاء منهم الايمان
دون الكفر فقد اخبروا على خلاف المخبر به فيكونون كاذبين ويحتمل انهم قالوا ذلك وفي قلوبهم
بخلاف ما اخبروا وهو ان الكفر ليس مما شاء الله تعالى وانما شاء الايمان كما تقول المعتزلة ولكن يقولون
ذلك ردا على المسلمين الذين يدعونهم الى الايمان والرجوع عن الكفر انه اذا كان شاء منا الكفر دون
الايمان كيف نؤمن ونترك الكفر والاخبار عما هو به وان كان صدقا ولكن اذا كان في قلب المخبر اعتقاد
خلاف ذلك فيكون ذلك الاخبار في نفسه صدقا لكن من حيث انه اخبار عما في الضمير يكون كذبا وهذا
كقول الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون وهم في قولهم نشهد انك لرسول الله صدقة لكن في اخبارهم عما في ضميرهم
كذبة لما لا يوافق ظاهر كلامهم حقيقة ما في قلوبهم فيرجع تكذيب الله تعالى اياهم لكذب قلوبهم وان كانوا
في نفس قولهم نشهد انك لرسول الله صدقة واذا احتمل الوجهين فلا يكون الآية حجة لهم مع الاحتمال
وعلى الوجهين جميعا يكونون كاذبين لذلك قال ان هم الا يخرصون والله اعلم والثاني انهم وان كانوا
صادقين في ذلك فهم بما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية لا على الجد فيكون قصدهم تلبيس الصدق
على الناس ورده كقوله عز وجل ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا وهذا القول من هذا
الانسان حق وصدق ولكن انما قال ذلك استهزاء منه وانكارا للبعث الا ترى ان الله تعالى وعظ على ذلك
وذكره حيث قال اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فعلى ذلك قول اولئك وان كان
في الظاهر صدقا فهم انما قالوا ذلك استهزاء وسخرية على سبيل الانكار وتلبيس الحق فيكون لخبارهم
من هذا الوجه ولهذا الغرض خرصا وكذبا والله اعلم والثالث غرضهم بذلك الاحتجاج على المسلمين
في توعيدهم بالعذاب بسبب العناد والكفران كيف عذب وانا انما باشرنا الكفر بمشيته ولو شاء
ان نترك العبادة للاصنام تركنا فاذا كان شاء منا الكفر حتى كفرنا لماذا عاقبنا فابطل احتجاجهم
بقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون اي هم جاهلون في الاحتجاج بهذا كاذبون
في انهم باشروا الكفر بسبب مشية الله تعالى اياهم الكفر ولكن لسوء اختيارهم واسباب حاملة لهم
على ذلك واصله ان لا احد من العصاة والفسقة والكفرة يفعل وعنده ان الله تعالى شاء ذلك
منهم فاذا كان وقت فعله لا يفعل ما يفعل لان الله تعالى شاء ذلك منه لم يكن له هذا الاحتجاج
والقول انما قالوا والله الموفق والرابع يحتمل انهم يقولون لو شاء الرحمن ما عبدناهم لكن امرنا
ان نعبدهم كانوا يدعون انما يعبدون الامر من الله تعالى كقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها آباءنا والله امرنا بها واراد وا بالمشية الرضا يقولون لولا ان الله تعالى قد رضي بذلك منا
وعن آبائنا والا ما تركنا وهم على ذلك فاستدلوا بتركهم على ما اختاروا على ان الله تعالى قد رضي بذلك
عنهم فرد الله سبحانه وتعالى بقوله ان هم الا يخرصون وبقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء الآية
وقد ذكرنا على الاستقصاء في قوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا الآية والله اعلم
وقوله عز وجل ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون اي لم نؤتهم كتابا ليكون لهم العلم
بذلك يسفههم في قولهم لانهم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب وذلك اسباب العلم وليست لهم
تلك الاسباب لما لا يؤمنون بها ولا يصدقون وقوله عز وجل بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة
وانا على آثارهم مهتدون انهم قوم ينكرون الرسل ويكذبونهم بعلة انهم بشر ثم اقتدوا بآبائهم
واتبعوهم وهم بشر ايضا فهذا تناقض في القول يذكر سفههم وتناقضهم في القول وقوله عز وجل

في ابطال احتجاج الكفرة لكفرهم بمشية الله تعالى اقول وهكذا يحتج تركة العلوم الفريضة في زماننا اذا امرتهم بترك طلب العلم المفروض نعوذ بالله
لمحرره

استدلوا الكفرة بتركهم على ما اختاروا على انه تعالى رضي عنهم

وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم
مقتدون يصبر رسوله على ما قال هؤلاء انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون انه ليس
ببديع من هؤلاء بل قال كذلك اوايلهم لرسلهم على ما قال قومك يصبرهم صلى الله عليه وسلم ويعزيه
ويذكر سفههم فى اتباعهم اياهم واقتدائهم بهم وهم بشر فيقول فاذا كنتم لا محالة تتبعون
البشر فاتبعوا امرهم اهدى من آبائكم وهم الرسل وهو ما قال عز وجل قل اولو جئتكم باهدى
مما وجدتم عليه آباءكم فقالوا عند ذلك انا بما ارسلتم به كافرون عنادا وتعنتا منهم وقال بعضهم
ان قل يا محمد اولو جئتكم اى ان جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الذين اتبعوهم فيما جئتكم
فردوا عليه وقالوا انا بما ارسلتم به كافرون وقوله عز وجل فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين هذا وعيد ثم قال بعضهم فانتقمنا منهم يقول هو رجوع الى ذكر الامم الخالية فقال فانتقمنا
منهم بالعذاب الذى نزل ويحتمل ان يكون قوله تعالى فانتقمنا منهم اى لننتقم منهم وذلك جايز
وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المكذبين يحتمل مكذبى الرسل ويحتمل مكذبى العذاب والله اعلم
وقوله عز وجل واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى والاشكال
انه عليه السلام تبرأ من عبادة جميع ما تعبدون واستثنى عبادة الذى فطره وهو الله تعالى وهم لا يعبدون
الذى فطره فكيف يستثنى من جملة عباده من يعبدون والاستثناء من جنس المستثنى منه
فيقول قال بعضهم انه تبرأ من عبادة من عبدوا واستثنى عبادة من فطره لانه فيهم من عبد الذى
فطر الله تعالى فلو تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون على الاطلاق لصار متبرئا عن عبادة الله تعالى
لذلك استثنى عبادة الله تعالى والله اعلم لكن الاشكال انه لم يظهر ان فى قومه من يعبد الله تعالى
وهو الذى فطره وخلقه فما معنى الاستثناء فيقال ان لم يكن فى قومه من يعبد الذى فطره فكان
فى آبائهم واوايلهم من يعبد الذى فطر فيرجع استثناؤه الى ذلك والله اعلم ويحتمل انه
انما استثنى الذى فطره على طريق الاحتياط لاحتمال ان يكون فيهم من يعبد الله تعالى ولا وقوف له
على ذلك يحتمل فيصير متبرئا من ذلك لو تبرأ من يعبدون جميعا والله اعلم ويحتمل ان يكون استثنى
الذى فطره لانهم كانوا يعبدون هذه الاصنام والاوثان دون الله تعالى رجاء ان يشفع لهم فيقربهم
الى الله زلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فرجع
استثناؤه الى الحقيقة الذين قصدوا بالعبادة وهو الذى فطرهم والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا
استثناء منقطعا وهو الاستثناء بخلاف الجنس بمعنى لكن معناه اننى براء مما تعبدون ولكن اعبد الذى
فطرنى وذلك جايز فى اللغة كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اى ولكن سلاما وقوله عز وجل
الا ان تكون تجارة عن تراض اى ولكن تجارة عن تراض لانه لا يجوز ان يستثنى التجارة عن تراض
عن الباطل ولا السلام من اللغو ونحو ذلك كثير والله اعلم وقوله عز وجل اننى براء مما تعبدون
ذكر ان هذا الحرف براء على ميزان واحد فى الوحدان والتثنية والجمع وقوله عز وجل فانه سيهدين
هذا يخرج على وجهين احدهما اى سيثبتنى على الهدى والثانى اى فانه سيهدينى فى حادث الوقت والهدى
مما يتجدد فينصرف الى زيادة حقيقة الهدى فعلى هذين الوجهين يخرج ويحتمل ان يخرج على التوفيق
على الهدى والعصمة عن ضده فى المستقبل ولا يحتمل ان يريد بهذا الهدى البيان بان يقول فانه
سيبين لى قد بين له جميع ما يقع له الحاجة اليه فلا يحتمل ان يسال البيان ولا يحتمل الامر ايضا
فانه قد تقدم الامر به ويرجع الى حقيقة الهدى والى التوفيق والعصمة ويكون فى الآية دلالة على ان
عند الله تعالى لطفا وهو ما ذكرنا من اعطى ذلك يصير مهتديا وانه لم يعط الكفرة ولو اعطاهم لآمنوا

قاعدة
يجب حفظها فى استثناء
ما هو غير داخل فى جنس
المستثنى منه

مطلب مما يحفظ
استثناء منقطع
بمعنى لكن

عند الله تعالى لطف لو اعطاه
الكفار لآمنوا ولكن
لم يعطهم

والله الموفق وقوله عز وجل وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون هذا يحتمل وجهين احدهما
الكلمة الباقية هى كلمة الهداية والتوحيد فانه جعل ان يجعل ما وجد منه من التبرى عن غير الله تعالى
وتحقيق عبادة الله تعالى بقوله اننى برئ مما تعبدون الا الذى فطرنى كلمة باقية وانه كلمة التوحيد فان قوله
لا اله نفى غير الله وقوله الا الله اثبات الالوهية لله تعالى وذلك معنى قوله اننى برئ مما تعبدون الا الذى
فطرنى وهو كقوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية واجاب الله تعالى سؤاله فى دعاه فلم يزل فى ذريته
ابراهيم عليه السلام وعقبه من يقولها وذلك قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله
اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون والثانى الكلمة الباقية هى كلمة الدعوة الى الهدى والتوحيد
وهى عبارة عن ابقاء النبوة والخلافة فى ذريته الى يوم القيامة وهو ما قال انى جاعلك للناس اماما
قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين اخبر ان الظالم من ذريته لا ينال عهده فاما من لم يكن
ظالما فانه ينال عهده وقال لما استجاب الله دعاءه فلم يزل الدعوة فى ذريته والنبوة وفى خلفائهم
الى يوم القيامة قال الله تعالى ولكل قوم هاد والله اعلم وقوله عز وجل بل متعت هؤلاء وآباءهم
حتى جاءهم الحق ورسول مبين اخبر انه متعهم وآباءهم فى مكان لا نبات فيه ولا زرع ولا ماء وسخر
الناس وحملهم على ان يحملوا اليهم الطعام والاغذية وانواع الفواكه من الامكنة البعيدة ويجلبون اليهم
ما ذكرنا فذلك ما ذكر من تمتيعهم اياهم وقوله عز وجل حتى جاءهم الحق اى القرآن ورسول مبين
اى محمد صلى الله عليه وسلم بين انه من عند الله تعالى جاء وانه رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل
ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون لم يزل كانت عادة رؤساء الكفرة والاشراف منهم
التكلم بهذه الكلمة عند نزول الآيات والمعجزات يريدون بذلك التمويه على اتباعهم والتلبيس فعلى ذلك
قول هؤلاء هذا سحر وانا به كافرون وقوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم ظن هؤلاء انه لما وسع عليهم الدنيا وانعم عليهم ويعطيهم الاموال انما اعطوا ذلك ووسع
عليهم لكرامة لهم عند الله وفضل وقدر لديه ومن ضيق عليه الدنيا ولم يعط ذلك انما ضيق عليه ومنع
لهوان عنده فقالوا عند ادعاء محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة ونزول القرآن عليه من الله تعالى لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ظنوا ان من عظم قدره ومنزلته عند الخلق بما وسع عليه
واعطى من الاموال هو عند الله كذلك قال لو كان ما يقول محمد حقا ان هذا القرآن انما نزل من عند الله
هلا انزل على رجل من القريتين عظيم فاخبر عز وجل انه لم يوسع الدنيا على من وسع لفضل منزلتهم وقدر
عنده ولا على من ضيق انما ضيق لهوان له عنده لكن رب مضيق عليه هو مكرم عظيم عند الله ورب موسع
عليه يكون مهانا عنده وقوله عز وجل اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة
الدنيا وهو يخرج على وجهين احدهما اى انهم لا يملكون قسمها على تدبيرها انشوا وعلى تقديرها خلقوا
وهى ما ذكر من المعاش واسباب الرزق من التوسيع والتفضيل فالذى لم يجعل اليهم فى ذلك شئ
من تدبيره وتقديره احق واولى ان لا يملكوا قسمها ذلك بينهم والخسران وهو النبوة والرسالة
ووضعها حيث شاؤوا هذا احد التاويلين والله اعلم ثم قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
دلالة فى خلق افعال الخلق لان التفضيل ذلك دل على ذلك والتوسيع فى الرزق والمعيشة انما يكون
باكتساب يكون منهم واسباب جعلت لهم ثم اخبر انه هو يقسم ذلك دل ذلك على انه هو منشئ
اكتسابهم وخالق افعالهم وان له فى ذلك تدبيرا لانا نرى من هو اعلم واقدر على اسباب الرزق
كانت الدنيا عليه اضيق ومن هو دونه فى تلك الاسباب والاكتساب كانت عليه اوسع دل ذلك على انه
على تدبير غيره يخرج ويكون هكذا اذ لو كان على تدبيرهم خاصة لكانت يكون هو اوسع على انه هو اجمع

لم يزل فى ذرية ابراهيم
عليه السلام من يقول
التوحيد

لم يزل الدعوة فى ذرية
ابراهيم عليه
الصلوة والسلام

لاسبابها واكتسابها وا قدر على ذلك ويكون اضيق على من ليست له تلك الاسباب ثم قال جعفر بن حرب
للخروج عن هذا الالزام فقال انما وسع على من وسع لان التوسيع له اصلح واخير وضيق على من ضيق لان
التضييق له اصلح واخير في الدين فيقال لو كان التوسيع والتضييق لاجل الاصلح لهم في الدين والاخير لم يكن
ما ذكر من رفع بعض على بعض وتفضيل بعض على بعض في الرزق معنى وقد اخبر انه رفع بعضهم على بعض
درجات حيث قال ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ولو كان الكل في ذلك سواء لا يكون لبعض على بعض
في ذلك فضل ولا درجة ولانه لو كانوا على ما يقولون هم انه يعطي كلا ما هو الاصلح في الدين واخير لهم فذلك
فهؤلاء الفراعنة منهم والرؤساء لو لم يكن لهم تلك السعة وتلك الاموال لكان لا يتهيأ لهم فعل
ما فعلوا ومنع الناس عن اتباع رسل الله عليهم الصلوة والسلام وعلى ذلك فرعون انما ادعى لنفسه
الالوهية بما اعطي له من الملك والسعة ما لو لم يكن ذلك لم يدع ذلك وكان ذلك اصلح له في الدين
فدل ان الله تعالى قد يترك ما هو الاصلح لهم في الدين وانه ليس عليه حفظ الاصلح لهم في الدين وقوله
عز وجل وقوله عز وجل ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال بعضهم قوله
سخريا بكسر السين الاستهزاء وتاويله انه عليم منهم ان بعضهم يستهزئ ببعض ويهزئ بعضهم بعضا
اعطى ذلك لهم ليكون منهم ما علم منهم من الهزء والسخرية لا ان يكون يرفع بعضهم على بعض ليامر
بما علم انه يكون منهم والله اعلم وقوله عز وجل ورحمة ربك خير مما يجمعون يحتمل قوله رحمة ربك
النبوة اي ما اختار لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة والنبوة خير مما يجمع اولئك الكفرة
ويحتمل ما يدعوهم محمد صلى الله عليه وسلم اليه ويختار لهم من التوحيد والدين خير مما يجمعون هم
من الاموال ويحتمل ما وعد لاهل الايمان من الثواب والكرامة بايمانهم وهو الجنة خير مما يجمعون
والله اعلم وقوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون الاية اي لولا ان يصير الناس كلهم على ملة واحدة وهو دين الكفر
والا لجعلنا للكفار ما ذكر وفي الاية دلالة التزهيد في الدنيا لانه ذكر انه اعطى الكفار ما ذكر لولا ان
قلوب ضعفة المؤمنين حتى لا يتحولوا الى دين الكفر فاسع الكافر مانع انما منع بسبب المؤمن فيجب
ان يزهد فيها وفي الاية دلالة جوده وكرمه حيث لم يمنع من عادى اولياءه وعاداه نعيم الدنيا
وفي الشاهد ان من عادى آخر يمنعه ذلك ما عنده من الفضل والمال وفيها دلالة هوان الدنيا على الله
على ما ذكره اهل التاويل اذ لو كان لها عنده خطر وقدر لم يعط الكافر منها جناح بعوضة او جناح
ذباب فدل ذلك على هوانها على الله تعالى وفيه دلالة نقض قول المعتزلة حيث قالوا ليس على الله
ان يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم اصلح في الدين لانه اخبر تعالى انه لولا ما يختار اهل الايمان
الكفر والدخول فيه والا لجعل لاهل الكفر ما ذكر من جعل النعم فلو كان الاصلح واجبا في الدنيا لكان
يجب ان يعطي لاهل الايمان مثل ذلك الذي ذكر انه لو اعطى لاهل الكفر فيكونوا جميعا اهل كفر
وان اعطى ذلك لاهل الايمان لا يكونون جميعا اهل الايمان وهو الاصلح في الدين ومع ذلك لم يعط
دل انه ليس على الله تعالى حفظ الاصلح لهم في الدين ولا حفظ الاخير والله الموفق والاصل في قوله تعالى
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية انهم خيروا في هذه الدنيا بين ان يختاروا
النعيم الدايمة واللذة الباقية وبين ان يختاروا اللذة الفانية والنعمة الزايلة المنقطعة فمن اختار
وآثر النعيم الدايمة واللذة الباقية على النعمة الزايلة واللذة ضيق عليه النعيم الزايلة واللذة الفانية
لما اثر واختار الباقية على الفانية ومن آثر الفانية الزايلة على الباقية الدايمة وسع عليه الفانية
لما اختار وآثر وهو ما ذكر في قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له

في الاية دلالة جوده وكرمه تعالى

في الاية دلالة هوان الدنيا

نقض الاصلح

جهنم

جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن الاية بين لكل ما اختار
وآثر من النعيم الفانية والدايمة وذكر الفضة والذهب وان كانت اشياء اخر قد يكون ارفع واعظم
قدرا منها لان هذين هما احق الاشياء عندهم وبهما يوصل الى كل رفيع وعظيم والله اعلم ثم ما ذكر
من جعل السقف والمعارج من الفضة وما ذكر من الزخرف هو رد ما قال له فرعون في حق موسى عليه السلام
لولا القي عليه اساورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين اي لخساسة الدنيا وهوانها لم يعطها لاوليائه
واحبائه والاخيار من عباده ولولا ما يكون من ترك اهل الايمان الايمان والا لكان في حق كل كافر مثل
ما فعل في حق فرعون وامثاله والله اعلم وقوله عز وجل وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة
عند ربك للمتقين اي كل ما ذكر ليس الا متاع الحيوة الدنيا اعطى من اثره على نعيم الاخرة والعاقبة
للمتقين كما اختاروها على غيرها والله المستعان قال القتبي المعارج الدرج يقال عرج اي صعد
ومنه المعراج لانه سبب الى السماء او طريق عليها يظهرون اي يعلون يقال ظهرت على البيت اذا علوت
سطحه والزخرف الذهب وكذا قول ابي عوسجة المعارج المصاعد المعراج الصعود والزخرف كل شيء
حسن والزخرفة التحسين والتزيين وهذا اشبه الا ترى انه قال في آية اخرى حتى اذا اخذت
الارض زخرفها اي زينتها وحسنها والسقف جمع السقف وهو سمك البيت وقوله عز وجل ومن يعش
عن ذكر الرحمن اي يعمى عنه ولا يقبله وقال بعضهم عشا يعشو من عمى البصر وضعفه وعشا يعشا
من الاعراض وقال ابو عبيد ومن يعش عن ذكر الرحمن اي يظلم بصره وقال الفراء ومن يعش اي يعرض عنه
ومن يعش بنصب الشين اي يعمى عنه وقال ابو عوسجة يعش اي يحار وان شئت جعلته من العشى
وهو ظلمة البصر وان شئت جعلته من التعاشي وهو التعامي والله اعلم وقوله عز وجل عن ذكر الرحمن
القرآن ويحتمل التوحيد والايمان ويحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل نقيض له شيطانا
فهو له قرين قال بعضهم نقيض نقدر والتقييض التقدير يقال قيض الله للخير اي قدر
وهو قول ابي عوسجة وقال بعضهم نقيض اي نهيئ له شيطانا ونضمه اليه فهو له قرين والاصل في ذلك
ان من آثر معصية الله واختارها على طاعته كانت لذته وشهوته في ذلك فالشيطان حيث اختار
معصية الله على طاعته صارت لذته في ذلك وعلى ذلك من اتبعه فيما دعاه واجابه الى ما دعاه اليه
صارت لذته في ذلك قادة ولازمه في ذلك ليكونا جميعا في ذلك في الدنيا والاخرة على ما ذكر في آية
اخرى احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية وقوله عز وجل وانهم ليصدونهم عن السبيل السبيل المطلق
هو سبيل الله والدين المطلق هو دين الله والكتاب المطلق هو كتاب الله وقوله عز وجل ويحسبون انهم
مهتدون كانوا يحسبون انهم مهتدون لان الشيطان كانوا يزينون لهم ويقولون ان الذي
انتم عليه هو دين ابائكم واجدادكم ولو كانوا على باطل لا على حق ما تركوا على ذلك ولكن اهلكوا واستؤصلوا
فاذ لم يهلكوا وتركوا على ذلك ظهر انهم كانوا على الحق والهدى كانوا يموهون لهم ويزينون لذلك
وظنوا انهم على الهدى كما يقول لهم الشيطان والله الهادي وقوله عز وجل حتى اذا جاءنا اي الكافر
وقرينه في الآخرة قال الكافر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين يحتمل ان يقول في الآخرة
يا ليت كان بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين حتى لم اكن اراك ولم اتبعك ويحتمل ان يكون يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين في الآخرة ثم قوله عز وجل بعد المشرقين قال بعضهم ما بين مشرق الصيف
الى مشرق الشتاء ويحتمل ما قال بعضهم اي بعد المشرق والمغرب لكن ذكر باسم احدهما كما يقال عمرين
واسودين سماهما باسم احدهما لان الاسود منهما واحد وهي الحية دون العقرب والمراد من عمرين
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فعلى ذلك قوله بعد المشرقين وقوله فبئس القرين حيث الحياه والقاه

عدم عطاء الدنيا لاولياء الله تعالى

اللهم اجعلنا ممن رزق برزق اولئك يعيش بعيشهم

اصل عظيم في الوعظ اللهم اجعلنا ممن يتعظ بموعظة القرآن

في الدنيا دون الاهلاك لما ذكرنا وقوله عز وجل ولن ينفعكم اليوم اى لا ينفعكم في الآخرة الاعتذار
اذ ظلمتم انفسكم في الدنيا اى وضعتموها غير مواضعها والله اعلم وقوله عز وجل انكم في العذاب مشتركون
ظاهر وقوله عز وجل افانت تسمع الصم او تهدى العمى ولا يملك هداية من كان في ضلال مبين
ثم معلوم انه لم يرد بالهدى هداية البيان ولا الاسماع الاذان لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يملك ذلك كله وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اراد الهداية التى لا يملك
الا هو والاسماع الذى لا يملك غيره وهو التوفيق والعصمة والرشد الذى اذا اعطى من اعطى اهتدى
يذكر عجز رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهو على المعتزلة لانه اخبر ان عنده لطايف
واشيا لم يعطها كل احد انما اعطى بعضا دون بعض فمن اعطاه تلك اللطايف اهتدى وهو ما ذكرنا
من التوفيق والعصمة وعلى قولهم ليس عند الله شئ يملك به هدايتهم لانهم يقولون قد اعطى كل كافر
ما لو اراد الكافر ان يهتدى يصير مهتديا بذلك ولم يبق عنده شئ يملك بذلك هدايتهم فعلى قولهم
عجز تعالى عن ذلك كعجز رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهو انما ذكر ذلك اعلاما انه
هو المالك لذلك دون عباده ومعلوم انه انما ذكر على الربوبية والالوهية له في ذلك والله الموفق
وجايز ان يكون قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدى العمى انما ذكر لاياس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ايمان قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون والله اعلم وقوله عز وجل فاما نذهبن بك فانا منهم
منتقمون او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فيه دلالة منع رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن سؤال انزال العذاب الموعود لهم عليهم ثم المنع فيه من وجهين احدهما النهى عن سؤال
بيان الوقت ان يسأله متى ينزله عليهم والثانى النهى عن استعجاله كقوله ولا تستعجل لهم كانه يقول
ليس ذلك اليك انما ذلك الى ان شيت انزلت في حيوتك واريتك ذلك وان شيت امتك ولم اريك
شيئا من ذلك وهو كما قال ليس لك من الامر شئ الاية وقال قتادة في ذلك ان الله تعالى اذهب نبيه
صلى الله عليه وسلم وابقى النقمة بعده ولم ير في امته الا الذى يقر به عينه وليس نبى او رسول
الا وقد راى في امته العقوبة غير نبيكم عافاه الله تعالى عن ذلك ولا اراه الا ما يقر به عينه
قال وذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم ارى الذى تلقى امته من بعده فما زال الا متقبضا
ما استنشاط ضاحكا حتى لحق بالله تعالى وقال الحسن قريبا من قول قتادة فاما نذهبن بك فانا منهم
منتقمون قال اكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يريه في امته ما يكره ورفعه الله تعالى
وبقيت النقمة وقوله عز وجل فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم الوحى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من وجوه ثلاثة احدها القرآن وهو الظاهر من الوحى اليه والثانى وحى بيان
بين للناس ما لهم وما لله عليهم وما لبعضهم على بعض على لسان الملك جبرئيل او غيره على ما اراد الله تعالى
والثالث وحى الهام وافهام كقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله تعالى وما اراه الله تعالى هو ما الهمه
وافهمه امره الله عز وجل بالتمسك على انواع ما اوحى اليه ما هو قرآن وما هو بيان وما هو الهام واراد
وآمنه عن ان يزيغ او يزل او يعدل عن الصواب في ذلك كله ويبشره في ذلك كله انك لو تمسكت
بجميع ما اوحى اليك كنت على صراط مستقيم حيث فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم
وقوله عز وجل وانه لذكر لك ولقومك وجايز ان يكون المراد بالذكر جميع انواع ما اوحى اليه فانه
وانه كناية عن قوله بالذى اوحى اليك اى جميع ما اوحى اليه شرف له ولقومه لما اختصه واختاره
بذلك من بين غيرهم والله اعلم ويحتمل ان يكون المراد من الذكر حقيقة الذكر اى ما اوحى اليه
ذكر له ولقومه يذكر لهم ما لله عليهم وما لهم وما عليهم وما لبعضهم على البعض والله اعلم وقوله وسوف

انواع الوحى

يسألون

يسألون يحتمل وسوف تسألون بشكر ما اوحى اليك وانه يصير ما اوحى اليك ذكرا لك ولقومك
وعن القيام بشكر ذلك ويحتمل وسوف تسألون القيام باداء جميع القرآن وفيما اوحى اليه ويحتمل وسوف
تسألون من كذب به على ما يقول بعض اهل التاويل او سوف تسألون اشكرتم تلك النعمة ام لا ويحتمل وسوف
تسألون يوم القيامة عن القرآن هل عملتم بما فيه والله اعلم وقوله عز وجل وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون والاشكال ان ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات
صدقه من امره ان يسأل من اهل الكتاب اذ آيات صدقه معجزات عجزت الكفرة عن اتيان مثلها وليس
مع من امره بالسؤال عن ذلك آيات المعجزات فما معنى السؤال له عن اهل الكتاب عن ذلك فنقول امره عز وجل
اياه بالسؤال عنهم يخرج على وجهين احدهما يسألهم سؤال توبيخ وتعيير وسؤال تقرير وتنبيه هل اتى
رسول من الرسل عليهم الصلوة والسلام الذين ارسل من قبلك او كتاب بالامر بعبادة غير الله فيقولون
جميعا انه لم يأت رسول باباحة ذلك ولا من احد منهم بذلك والثانى ان هذا امر لغيره
ان تسألهم وان كان ظاهر الامر والخطاب له لما ذكرنا ان ادلة صدقه اظهر من دلالة صدق اولئك
وهو كقوله يبلغان عندك الكبر الى قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وكقوله تعالى فلا تكونن
من الممترين والمشركين اذ معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يشك ولا يمترى في شئ
من ذلك فرجع الخطاب به الى غير ما ذكرنا ويحتمل ان يكون قوله تعالى وسئل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا الاية اى لو سألتهم عن ذلك لقالوا جميعا لم يرسل بالامر بعبادة غير الله تعالى والله اعلم
وحكاية على هذا وليس من نسخة الاصل سمعت مفترع بخارا يقول نزلت هذه الاية ليلة المعراج
ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل بيت المقدس راى الرسل والانبياء عليهم الصلوة والسلام
مجتمعين ثم تقدم وصلى بهم ركعتين فقام جبرئيل عليه السلام من الصف وقال يا محمد وسل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا وقوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه
قد ذكرنا آيات موسى عليه السلام التى اتى بها في غير موضع وفيه الامر بتبليغ الرسالة وقوله
عز وجل فقال انى رسول رب العالمين وفيه ان التقية لا يسع للرسل عليهم السلام في ترك تبليغ الرسالة وان خافوا
على انفسهم الهلاك وقوله عز وجل فلما جاءهم موسى باياتنا اذا هم منها يضحكون هكذا عادة
الفراعنة والرؤساء من الكفرة انهم اذا اتاهم الرسل بالايات ضحكوا منهم واستهزؤا بهم كقوله تعالى
ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الاية وقوله وما نريهم من آية الا وهى اكبر من اختها
قال بعضهم ان كل آية تأخرت عن الاية الاخرى فهى اعظم واكبر من التى تقدمت نحو ما كان منهم
من الاستغاثة حيث قالوا ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ثم هو
مما اراهم من الايات قبل ذلك اعظم وقال بعضهم الا هى اكبر من اختها كانت اليد اعظم واكبر
من العصا لان العصا قد تهيأ للسحرة تمويهها وتحويلها من جنس العصى وجوهرها الى غير من الجواهر
ولم يتهيأ لهم تحويل اليد عن جوهر اليد وقد كان ذلك لموسى عليه السلام دل ان آية اليد
اكبر من آية العصا والله اعلم وقال بعضهم هذا ليس على تحقيق جعل آية اكبر واعظم من آية
العصا ولكن وصف الكل بالعظم والكبر كقوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم
نفعا ليس على اثبات القرب في احدهما دون الاخر ولكن وصف قرب كل واحد منهما من الاخر
على السواء وكما يقال في الفرق ان امتواس فلان كل واحد اعدى من الاخر وان اصحاب فلان
كل واحد افضل من الاخر وانه لا يراد بذلك الترجيح ولكن اثبات الخير على السواء فعلى ذلك
قوله تعالى وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها وصف لهما جميعا بالكبر والله اعلم ثم ذكر قوله تعالى

فلما جاءهم موسى بآياتنا إذا هم منها يضحكون وغير ذلك من أمثاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصبّره على أذى قومه وأنواع ما كانوا يستقبلونه من الاستهزاء به وبأتباعه والضحك بما أتاهم من الآيات
والحجج على رسالته وعلى ذلك ما قال وكذلك نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك أخبر أنه
إنما قص عليه أنباء الرسل المتقدمة لتسلية فؤاده والله أعلم **وقوله** عز وجل وقالوا يا أيها الساحر
ادع لنا ربك بما عهد عندك الآية والإشكال أنهم كيف يسمونه ساحرا وكانوا يطلبون منه أن يدعو
ربه ويسأل حتى يكشف عنهم العذاب فنقول روي عن ابن عباس رضي الله عنه سموه ساحرا لأن الساحر
عندهم هو العالم المعظم الذي يبلغ في العلم غايته ونهايته لذلك قالوا يا أيها الساحر ادع لنا
ربك والا لا يحتمل أن يكونوا يسألونه ويطلبون منه أن يدعو ربه ليكشف عنهم العذاب ثم يسمونه
ساحرا ويعنون به سحرا للكذب والباطل والله أعلم وقال مقاتل إنهم قالوا يا أيها الساحر
ادع لنا ربك قال لهم موسى ادع لنا ربك عليه السلام كيف أدعو ربي ليكشف عنكم ما نزل بكم
وقد تسموني ساحرا فرجعوا عن ذلك فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بما ذكر في سورة
الأعراف والله أعلم ويحتمل أن يكون قولهم يا أيها الساحر ادع لنا ربك سموه ساحرا على ما كان عندهم
أنه ساحر فيقولون إنك ساحر لأن تدعو ربك فيكشف عنا الرجز فعند ذلك نعلم أنك لست
بساحر وأنك رسول فنؤمن بك ويحتمل أن يكون عندهم أن اليد البيضاء والعصا وما أتى به موسى
مما يبلغ السحر المعتني ذلك عن جوهره ويستفاد بالسحر مثله لكن سألوا منه أن يسأل ربه
ما ذكر والما علموا أن إجابة الدعاء فيما دعا لا يكون لساحر ولا يجاب إلا للرسول والذي على الحق
فإذا أجابك إلى ما سألت آمنا بك والله أعلم ويحتمل أن يكون قالوا ذلك على حقيقة إرادة
السحر على التناقض إذ عامة أقوالهم على التناقض والتمويه على الأتباع كقوله مهما تأتنا به من آية
لتسحرنا بها فبالآية لا يسحرهم بها لأن الآية هي التي لها حقيقة ودوام والسحر هو الذي لا حقيقة له
ولا دوام فإن كان آية لا تسحرهم بها ولا يكون سحرا وإذا كان سحرا لا يكون آية فكانت عامة
أقوالهم خرجت على التناقض على ما ذكرنا في غير آي من القرآن فعلى ذلك يحتمل هذا والله أعلم
وقوله عز وجل بما عهد عندك قد كان الله عز وجل عاهد موسى عليه السلام لئن آمنوا كشف
عنهم العذاب فلما دعا وكشف عنهم العذاب لم يؤمنوا والله أعلم ويشبه أن يكون عهد إليه ما جعل
نبيا واختصه لرسالته ويحتمل قوله تعالى بما عهد عندك على الإضمار كأنهم قالوا ادع لنا
ربك بما عهد كل واحد منا عندك لئن كشفت عنا العذاب إننا لمهتدون وهو قوله تعالى
في آية أخرى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الآية ألا ترى أنه قال فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم
ينكثون أي ينقضوا ما عهد وأوعدهم ما ذكرنا والله أعلم **وقوله** عز وجل ونادى فرعون في قومه
قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون يقول اللعين هذا مقابل
ما ادعى موسى عليه السلام من الرسالة يموه بذلك على قومه وأتباعه لئن كان الله أرسل رسولا
فأنا أحق وأولى بالرسالة من موسى ولذلك قال أم أنا خير من هذا الذي هو مهين أي ضعيف
الأمال له ولا حشم ولا تبع ولا يكاد يبين حجته وكذلك قال فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب
كما ألقي علي وكما أعطاني من المال والذهب ويقول إن من كان له رسول يكرمه بأنواع الكرامات
ويبذل له أموالا فإذ لم يؤته شيئا من ذلك فليس برسول أو يقول آية لو كان رسولا كما يقول
لألقى الله عليه من الأساورة ما ألقيت أنا على أتباعي وحشمي وجنودي وكان فرعون لا يزال
يموه أمر موسى عليه السلام على قومه من ذلك قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ومنه قوله

تمويه فرعون

إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ونحو ذلك كثير فعلى ذلك هذا منه تمويه على قومه والله أعلم **وقوله**
عز وجل ولا يكاد يبين قال بعضهم أي لا يكاد حجته لما في لسانه عقدة ورتة يقول عي اللسان وقال بعضهم
إن فرعون لا يعني ذلك لأن الله تعالى قد أذهب تلك العقدة والرتة التي في لسانه حين دعا وسأل ربه
بقوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وقد أجاب الله تعالى دعاءه حيث قال قد أوتيت سؤلك
يا موسى ولكن أراد والله أعلم لا يكاد يبين حجته أي ليست تأتي بحجة يأخذ القلوب وقال القتبي
في قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين قال أما أنا خير منه وقال أهل التأويل أنا خير منه
وجائز أن يكون قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين موصولا بقول فرعون حيث قال أليس لي
ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أنا خير منه بأن لي ملك مصر وليس لموسى عليه السلام
ذلك على ما ذكرنا **وقوله** عز وجل فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين هذا
القول منه يخرج على وجهين أحدهما يقول إن كان موسى يدعي الملك في الدنيا ويطلبه فهلا ألقي
عليه أساور من ذهب كما يلقى على الملوك من الأساور والتاج وغير ذلك وإن كان يدعي الرسالة
لنفسه فهلا كان معه الملائكة مقترنين ولا يزال الكفرة يطلبون من الرسل والآيات على وجه
يمنون هم ويشتهون فأخبر أن الآيات ليست يأتي على ما يتمنون ويشتهون ولكن على ما أراد الله تعالى
والثاني في جميع الأمرين جميعا فيقول إنه يدعي الرسالة والرسول معظم عند المرسل فيقول إن كان ما يقول
حقا هلا ألقي عليه الأساور تعظيما له وهلا كان معه الملائكة مقترنين تعظيما له وإجلالا والله أعلم
وقال بعضهم في قوله فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أي هلا سور لأن الرجل منهم إذا ارتفع فيهم
سوروه أو جاء معه الملائكة مصدقين له بالرسالة قال القتبي وأبو عوسجة أساور وأسورة جمع إسوار
ورجل إسوار أي رامي وقوم أساورة وإنما سمي الرامي إسوارا لأنه إذا جاد الرمي جعل في يده سوار
من ذهب **وقوله** عز وجل فاستخف قومه فأطاعوه قال بعضهم أي فاستخف بقومه واستذلهم
فأطاعوه وقال بعضهم فاستخف قومه فأطاعوه أي استذلهم واستفزهم بالخروج على أتباع
موسى وطلبه فأطاعوه وذلك أنه أمرهم بالخروج معهم في طلب موسى لما خرج من عندهم نحو البحر
فأطاعوه في ذلك وخرجوا معه في طلبه حتى أصابهم ما أصابهم وكان هذا أشبه وأقرب والله أعلم
وقوله عز وجل فلما آسفونا انتقمنا منهم هذا يخرج على وجهين أحدهما أي فلما عملوا الأعمال
التي استوجبوا لها الغضب انتقمنا منهم على ذلك لأن ظاهر قوله تعالى آسفونا أي أغضبونا وصفة
الغضب على الحدوث لله تعالى لا يجوز فكان المراد منه ظهور أثر الغضب استجاب العذاب والله أعلم
والثاني فلما آسفونا أي أغضبوا أولياءنا انتقمنا منهم أي سلطنا عليهم بدعاء أولئك الأولياء
أو ننتقم منهم بسبب إغضابهم أولياءنا وهو كقوله تعالى يخادعون الله أي يخادعون أولياء الله فعلى ذلك
هذا **وقوله** عز وجل فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين هو يخرج على وجهين أحدهما جعلناهم
في العقوبة سلفا للمتأخرين ومثلا للمؤمنين أي عبرة لهم وهو كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها
وما خلفها وموعظة للمتقين والثاني جعلناهم سلفا ومثلا للآخرين في العظة والانزجار
ليمتنعوا عن مثلها فعلوا خوفا عن الوقوع فيما وقعوا والله أعلم وقال القتبي فجعلناهم سلفا
بالرفع والنصب وهو من التقدم أي جعلناهم قدما تقدموا مثل خشب وخشب وثمر وثمر وكذلك
يقول أبو عوسجة وقال السلف الخيرات والجميع سلوف **وقوله** عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا
إذا قومك منه يصدون اختلف فيما ذكر من ضرب المثل لعيسى ابن مريم عليهما الصلوة والسلام
قال بعضهم لما نزل قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فقال أولئك الكفرة

الذين كانوا يعبدون الاصنام ان عيسى عُبد دونه وعزير والملايكة يعبدون دونه فهولاء جميعا
في النار اذاً لانهم عبدوا دونه فان كان هولاء في النار فقد رضينا ان نكون معهم وهو معنا
وهو ماذكروا على اثره ءالهتنا خير ام هو يعنون بقولهم هو عيسى عليه السلام فذلك منهم يخرج
على وجهين احدهما لين جاز ان يعذب عيسى عليه السلام ومن عُبد من هولاء دون الله في النار
رضينا ان يعذب الهتنا في النار اذهم ليسوا بخير من عيسى عليه السلام وهولاء الذى عبدوا دونه
من الملايكة وغيرهم والثانى يقولون ان كان عيسى يعذب في النار لما عُبد دونه فالهتنا التى
نعبدها دونه خير منهم فلا يعذب لانها خير فاحد التاويلين يرجع الى انهم يقولون لو جاز
وصلح ان يعذب كل معبود دونه جاز ان يعذب الاصنام التى نعبدها نحن والثانى يقولون انه لا
يعذب عيسى وغيره الذين عُبدوا دونه فالاصنام التى نعبدها نحن لا تعذب لانها خير
من اولئك والله اعلم فنقول انما يكون لهم هذا الاحتجاج بالاية اى لو كانت الاصنام انما يحرق
في النار تعذيباً لها اعنى الاصنام فاما اذا كانت الاصنام انما يحرق في النار تعذيباً لمن عبدها
وعقوبة لمن اتخذها اربابا دون الله فلا وانما يحرق الاصنام التى اتخذوها من الحجارة والحديد
والصفر زيادة تعذيب العبدة كقوله تعالى وقودها الناس والحجارة مع انه لا جناية من الاصنام
ولا صنع لها بالاحراق فكيف يحرق عيسى ومن عُبد دونه من الملايكة وفي احراقهم تعذيبهم اذهم
يتضررون بها ولا جناية منهم فاذا كان ادخال الاصنام التى عبدوها واحراقها في النار لتعذيب
اولئك الذين عبدوها فلا معنى لذلك الخصومة والمجادلة التى كانت منهم والله اعلم ويقال
ان في الاية بياناً على ان الذى ذكر من جعل المعبود حصباً للنار راجع الى عُبّاد الاصنام والاوثان
خاصة دون غيرها لانه خاطب اهل مكة بقوله انكم وما تعبدون من دون الله الاية واهل مكة
كانوا لا يعبدون الا الاصنام والاوثان لا عيسى ولا غيره من البشر والملايكة فذلك لهم
ولكل عابد الاصنام دون غيرهم من المعبودين استدلالاً بهم والله اعلم على انه في الاية بيانا
ايضا انه لم يرجع الى ما ذكروا من عيسى وغيره فانه قال وما يعبدون من دون الله وكلمة ما
يستعمل في غير العقلاء من الجماد وغيرها لا في ذوات العقلاء وعلى ان في الاية بيانا من وجه اخر
ايضا على انهم غير مرادين بها فانه استثنى وخص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها مبعدون اخبر ان من سبقت منه الحسنى يكون مبعداً عنها ولا شك ان عيسى
والملايكة عليهم السلام قد سبقت لهم منه الحسنى فلا يحتمل صرف تلك الاية اليهم والله اعلم
ويحتمل ان يكون قوله انكم وما تعبدون من دون الله الاية الى كل من منه الامر بالعبادة لهم
والدعاء الى ذلك وهم الشياطين لان من عبد دون الله احداً انما يعبده بامر الشياطين
لان من عبد دون الله احداً انما يعبده بامر الشياطين ودعائهم اليه فاما من كان يتبراء
من الامر لهم بذلك وعبادتهم له فلا يحتمل وذلك نحو قوله تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون
من دون الله وقال ابراهيم لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة
الشيطان لكن من عبد شيئاً دون الله انما يعبد بامر الشيطان فاذا عبده بامره فكانه عبده
هذا وما ذكرنا كله يبطل مجادلة الكفار فيما خاصموا والله اعلم وقال بعضهم ضرب المثل
لعيسى عليه السلام هو ان الله تعالى لما ذكر عيسى عليه السلام في القرآن قال مشركوا العرب
من قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ما اردت بذكر عيسى قال وقالوا انما يريد محمد ان نحبه ونعبده
كما احبت النصارى عيسى وعبدته فقالوا ءالهتنا خير ام هو فلا يصنع محمد ذلك بالهتنا فوالله لهم

خير من عيسى اوما قالوا فقال الله عز وجل ما ضربوه لك الا جدلاً اى لا ليجادلوك بالباطل وهو
قول قتادة ويحتمل ان يكون ما ضرب من ضرب المثل بابن مريم عليهما السلام من قومه اعنى عيسى
لا من قوم محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان قومه قد اختلفوا فيه فمنهم من قال انه اله وانه رب
ومنهم من قال انه وامه الهان ونحو ذلك من الاختلاف فالذى كان بينهم فيه فيكون قوله ولما ضرب
ابن مريم مثلاً قال قومه على ما ذكروا فيه ثم قال اذا قومك منه يصدون اى يعرضون من عيسى او يضجون
على ما ذكروا والله اعلم اوان كيف ويمسك عن بيان ذكر المثل الذى ذكر في الاية لما لا حاجة الى ذلك
وهو شىء ذكره اولئك الكفرة والله اعلم ثم قوله تعالى اذا قومك منه يصدون قرئ برفع الصاد وكسرها
قال القتبى وابو عوسجة يصدون بالكسر يضجون والتصدية منه وهو التصفيق ومن قرا بالرفع يقول
يعدلون ويعرضون وقوله عز وجل وقالوا ءالهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون
هو يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم وقوله عز وجل ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه
مثلا لبنى اسرائيل اى عبرة واية لبنى اسرائيل لما كان هو مولوداً من غير والد ولما كان يحيى الموتى
ويبرئ الاكمه والابرص وما كان منه من تكليمه للناس وهو في المهد وغير ذلك من الايات التى كانت
خص هو بها والله اعلم وقوله عز وجل ولو نشاء لجعلنا منكم ملايكة على وجهين احدهما اى لو نشاء
لجعلنا من جوهركم وجنسكم ملايكة ليعلم ان انشاء الملايكة من النور على ما ذكر ليس ذلك منه استعانة
بتلك النور لانشاء الملايكة منه لانه قادر بذاته لا يعجزه شىء ينشئ ما يشاء ثم شاء كيف شاء
والثانى اى لو نشاء لجعلنا الملايكة بدلاً منكم نهلككم ونبدل مكانكم ملايكة لا يعصون ولا يخالفون
ولا يفترون عن العبادة ولا يستحسرون لكن لم تفعل ذلك لما ليس من عصيان من عصاه ولا خلاف من خالفه
له ضرر ولا بطاعة من اطاعه واتبع امره ونهيه ولا انشاء هذا العالم والخلق لحاجة نفسه ولا امتحنهم
بانواع المحن لمنفعة نفسه ولا لمضرة يدفع بذلك عن نفسه ولكن انشاهم وامتحنهم لحاجة انفسهم
ولمنفعة انفسهم فاذا كان ما ذكرنا كان انشاء من يعلم انه يعصيه ولا يطيعه حكمة وفعل من يعلم
في الشاهد انه يضره ولا ينفعه سفه لانه انما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه فصار فعله مع علمه ما ذكرنا
يكون سفها فافترق الامران والله الموفق ثم قوله تعالى ملايكة في الارض يخلفون يحتمل على وجهين
احدهما اى يخلف الملايكة بعضهم بعضا قرنا عن قرن بالتناسل والتوالد كالبشر يخلف بعض
بعضا قرنا عن قرن بالتناسل والتوالد اذ ليس في الملايكة توالد وتناسل والله اعلم والثانى
يخلفون اى يكونون خلفاً وبدلاً عنكم بعد هلاككم على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وانه لعلم
للساعة وعلم للساعة كلاهما قد قرنا ثم اختلف في ذلك فمنهم من يقول هو عيسى عليه السلام
يكون نزوله من السماء علما للساعة واية لها فيكون على هذا هو صلة ما تقدم من قوله وجعلناه مثلا
لبنى اسرائيل كانه قال وجعلناه مثلا اى اية وعبرة لهم على ما ذكرنا وجعلناه ايضا علما للساعة
والله اعلم وقال بعضهم قوله وانه لعلم للساعة اى محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه
من القرآن علم للساعة لانه به ختم النبوة والرسالة وقال انا والساعة كهاتين واشار الى اصبعين
من يده وانما بعثه الله تعالى عند قرب الساعة فهو علم للساعة ثم من قرا علم للساعة
بالتثقيل فمعناه العلامة لها والدليل عليها ومن قرا علم للساعة بالجزم فمعناه يعلم به قرب الساعة
والله اعلم وقوله عز وجل فلا تمترن بها اى لا تشكن بالساعة فانها كاينة لا محالة وعلى ذلك يقولون
في بعض التاويلات في قوله تعالى فقد جاء اشراطها اى علامها اى محمد عليه افضل الصلوات واكمل
التحيات وقوله عز وجل واتبعون هذا صراط مستقيم فان كان قوله وانه لعلم للساعة هو محمد

اصل في معجزات الانبياء عليهم السلام

انواع المعجزات

صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه قال عليه السلام انا علم للساعة وقريب منها فاتبعون
وان كان عيسى على نبينا وعليه السلام يقول انه علم للساعة وآية لها فاتبعوني قبل ان يخرج
وينزل والله اعلم وقوله عز وجل ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ويحتمل قوله تعالى
ولا يصدنكم الشيطان عن الايمان بالساعة وكونها فانه عدو مبين ويحتمل لا يصدنكم عن محمد
وعن الصراط المستقيم الذى ذكر فانه عدو مبين بين عداوته اياكم والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء
عيسى بالبينات الآية قال اهل التاويل بينات هو ما كان ياتى به من نحو احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص وانبا ما ياكلون وما يدخرون ونحو ذلك والاصل فى آيات الانبياء والرسل
عليهم الصلوة والسلام انها كانت من وجوه ثلاثة يلزمهم التصديق بهم احدها ما ياتون فى كل شئ
صغر واعظم دلالة ذلك ما يعلم كل ذى لب وعقل على ان ذلك حكمة وعقل عليهم اتباعهم فى ذلك
وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن ما لا يليق به والله اعلم والثانى كانت فى انفسهم واحوالهم
التى كانوا عليها بينات يلزمهم تصديقهم وهو انهم لبثوا بين اظهرهم وكانوا فيهم طول عمرهم
فلم يؤخذ عليهم كذب قط ولا ظهر منهم ما يرجع الى دناءة الاخلاق ولا شئ من ذلك لله اعلم
والثالث ما كانوا ياتون من الافعال والمعجزات الخارجة عن توهم العباد والمعتاد من تعلمهم
ما يلزم كل منصف قبولها فعلى هذه الوجوه التى ذكرنا كانت آيات الرسل عليهم الصلوة والسلام
والله اعلم وقوله عز وجل قال قد جئتكم بالحكمة قال بعضهم الحكمة ها هنا هو الانجيل
وقد ذكر فى آية اخرى الكتاب والحكمة حيث قال وان علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
ثم جايز ان يكون الكل واحدا وجايز ان يكون الكتاب ما يكتب ويتلى والحكمة ما اودع فى المتلو والمكتوب
من المعنى والله اعلم ويحتمل ان يكون الحكمة راجعة الى كل ما يوجب العقل القول به وقوله وقد ذكرنا
فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه قال بعضهم اى ابين لكم
كل الذى تختلفون فيه اذ لا يجوز ان يبين بعضا ويترك البيان لبعض وقد يذكر البعض
ويراد به الكل نحو ما يقال فى كثير من المواضع الخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام والمراد بذلك
امته ويحتمل ان يكون المراد من البعض هو البعض نفسه لا الكل ثم هو يخرج على وجوه ثلاثة احدها
اى ابين لكم بعض ما تختلفون فيه ثم ياتيكم رسول بعدى ويبين لكم باقى ذلك او كلام نحو لانه
لم يقل ابين لكم بعض ما اختلفتم فيه ولكن قال بعض الذى تختلفون فيه فهو فى الظاهر على الاستقبال
والثانى يقول ابين لكم الاصول ما تقدرون على استخراج الفروع من تلك الاصول والله اعلم
والثالث يقول ابين لكم بعض الذى تختلفون فيه وهو يرجع الى امر الدين دون الراجع الى امر
المعاش والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به وادعوكم وانهاكم
عنه ويحتمل ان يكون يقول اتقوا مهالككم والزموا ما به نجاتكم واطيعون فى ذلك وقوله عز وجل
ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه ذكر هذا لهم ليعلموا انه وان عظم قدره عند الله وجلت
صولته عنده فانه لم يخرج من العبودة وانه عبد الله ليس باله ولا ابن له على ما زعم اولئك الكفرة
والله الهادى وقوله عز وجل فاختلف الاحزاب من بينهم هذا يحتمل وجهين احدهما
ان يكون حرف من صلة زايدة ومعناه فاختلف الاحزاب بينهم والاختلاف فيما بينهم فى عيسى
امر ظاهر بين والثانى فاختلف الاحزاب من بينهم اى اختلف الاحزاب من اختراع كان منهم
فيما بينهم او كلام نحو ولذلك كان الاختلاف الواقع بينهم انما كان باختراع من ذات انفسهم
لا ان كان ذلك سماعا من الرسل عليهم الصلوة والسلام ولذلك نهى هذه الامة عن الاختلاف والتفرق

حيث قال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وقد اختلف هذه
الامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قاتلهم ابو بكر الصديق رضى الله عنه
على ذلك واتبعه ساير الصحابة على ذلك حتى قاتل الرجال وسبا النساء والذرارى وظهرت ايضا
الخوارج فى زمن على بن ابى طالب رضى الله عنه فقاتلهم على رضى الله عنه على ذلك حتى اجتمعوا
على الوفاق وغير ذلك من الاختلاف والتفرق الذى كان ظهر ووقع فيما بينهم وكان فى ذلك
دلالة الرسالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ذكر عز وجل فى كتابه انهم يختلفون بعد
وفاته وانهم يتقلبون على اعقابهم حيث قال افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية
وقال فى ارتدادهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم
ويحبونه هذا فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وقال فى على كرم الله وجهه انما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل هذا بالتاويل كما يقاتل
نحن على التنزيل يعنى عليا رضى الله عنه وقد كان كل ما ذكر من الاختلاف والتفرق والتنازع
فى الدين من الانقلاب على الاعقاب والارتداد والامتناع عن ايتاء الزكوة واتيان ما ذكر من قوم
يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وغلبة حزب الله واهل توحيده
على اولئك ففى ذلك كله دلالة اثبات الرسالة اذ خرج على ما اخبر صلى الله عليه وسلم
وذكر فى المستقبل والله اعلم ثم ان الله عز وجل بفضله ورحمته رفع ذلك الاختلاف والتفرق
والتنازع من بينهم وجمعهم على الفة وحب ولم يرفع من بين اولئك فقال فاختلف الاحزاب
من بينهم والاحزاب الفرق الذين تحزبوا اى تفرقوا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل
فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هو ظاهر وقوله عز وجل هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم
بغتة اى فجاءة وهم لا يشعرون هذا اخبار عن قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون يقول
ما ينتظرون الا الساعة وتاتيهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون باتيانها وقيامها والله اعلم
وقوله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يحتمل قوله الا المتقين الموحدين
فيكون خلة اهل الكفر فيما بينهم فى الدنيا عداوة فى الآخرة لقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا وما ذكر فى غير آى من القرآن لعن بعضهم على بعض وتبرى بعضهم
عن بعض كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية واما خلة الموحدين المؤمنين
فيما بينهم فهى خلة فى الدارين جميعا هذا يحتمل والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين استثنى خلة من اتقى النار بنفسه ووقى صاحبه ايضا
بما امره بالطاعات لله تعالى والقيام بالخيرات وزجره عن معاصيه ومخالفة امره كقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا امرهم بوقاية انفسهم واهليهم وانما يقول ذلك
النار بالقيام بالاسباب التى امروا على القيام بها والامتناع والانتهاء عما نهوا عنها وزجروا عنها
فكل خلة فيما بين المؤمنين على هذا الوجه فهى خلة ومودة فى الدارين جميعا لا يصير عداوة
لانها لله تعالى وطلب مرضاته فاما الخلة التى تكون فيما بينهم للدنيا فهى تصير عداوة ايضا
على ما ذكرنا والله اعلم وقد روى فى الخبر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال الاخلاء
اربعة مؤمنان وكافران فمات احد المؤمنين فيسال عن خليله فقال اللهم لم ار خليلا امر بمعروف
ولا انهى عن منكر منه اللهم اهده كما هدانى وامته على ما امتنى فانه كان يامرنى بالمعروف
والخيرات والطاعة لك وينهانى عن المنكر والشر والمعصية لك ومات احد الكافرين فيسال عن خليله

الاخلاء اربعة

فقال اللهم لم ار خليلا امر بمنكر ولا نهى عن معروف منه اللهم اضله كما اضلنى وامته كما امتنى
قال ثم يبعثون يوم القيامة فقال ليعن بعضكم على بعض فاما المؤمنان فيثنى كل واحد منهما على صاحبه
ثناء حسنا واما الكافر فيثنى كل واحد منهما على صاحبه ثناء قبيحا وعلى هذا السبيل
روى هذا الحديث عن على رضى الله عنه وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال احب فى الله
وابغض فى الله ووال فى الله وعاد فى الله فانما ينال ولاية الله فى ذلك لا ينال
ما عند الله الا بذلك وقال ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلوته وصيامه وصدقته
حتى يكون كذلك وقد صار عامة مؤاخاة الناس اليوم على الدنيا ولكن لا يجزى عن اهله شيئا
ثم قرا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقرا لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر الاية فقول ابن عباس يؤمى الى ان كل خلة ومواخاة فيما بين المؤمنين للدنيا فهى تصير
عداوة فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
اى لا خوف عليكم خوف العير كقوله تعالى لا يبغون عنها ولا انتم تحزنون اى لا خوف عليكم خوف
الاحوال اى لا حزن لهم فى حال كونهم فيها ولا لهم فيها خوف غير ذلك ولا زواله عليهم
لا نخوف الزوال مما ينغص على صاحبه النعمة التى هى له فيخبران ذلك دايم باق لا زوال له ولا فناء
والله اعلم وقوله عز وجل الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين والاشكال انه سماهم مؤمنين
مسلمين بالايات والايمان والاسلام يكون بالله تعالى فنقول لان الايمان هو التصديق
فى اللغة بما اثبات الايات بوحدانية الله والوهيته لان جهة معرفة الله سبيل معرفة الله تعالى
وطريق العلم به انما هو بالايات والحجج التى اقامها على ذلك ليس من جهة العيان والمشاهدة
فالايمان بالايات والتصديق بها تصديق بالله حقيقة وايمان به والله اعلم وقوله وكانوا مسلمين
ظاهر هذا يوهم ان الايمان والاسلام غيران لكن هذا من حيث ظاهر العبارة فاما فى الحقيقة
هما يرجعان الى معنى واحد لان الاسلام هو جعل كل شئ لله تعالى سالما لا يشرك فيه غيره كقوله تعالى
ورجلا سلما لرجل اى خالصا سالما لا حق لاحد فيه سواه والايمان هو الوصف له بالربوبية
فى كل شئ ومعناهما فى الحاصل والتحقيق يرجع الى معنى واحد لانك اذا وصفته بالالوهية والربوبية
فى كل شئ جعلت كل شئ لله تعالى سالما وصفته بالالوهية والربوبية فى كل شئ فدل ان حاصل الايمان
والاسلام واحد وان كانا من حيث ظاهر العبارة مختلفين والله الموفق وقوله عز وجل
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يحتمل الازواج من وجهين احدهما الازواج المعروفة
وهى الاهل لما وقوهم فى الدنيا عن الاسباب التى بها يستوجبون النار كقوله تعالى قوا انفسكم
واهليكم نارا ويحتمل الازواج التى ذكر القرناء والاشكال التى اعانوهم على الاعمال الصالحة
التى بها نالوا الجنة كقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم ازواجهم هاهنا قرناؤهم
وشركاؤهم الذين اعانوا على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل تحبرون قال ابو عوسجة والقتبى
اى يسرون والحبر السرور وقال بعضهم تحبرون اى يكرمون وتنعمون وهو ما ذكرنا انه ليس
عليهم خوف الزوال والفناء ولا حزن الحال والله اعلم وقوله عز وجل يطاف عليهم
بصحاف من ذهب واكواب يحتمل ذكر الصحاف من الذهب والاكواب وجوها احدها ذكر ذلك لهم
فى الاخرة ترغيبا لهم فيها وتحريضا لما يرغبون بمثل ذلك فى الدنيا ليرغبهم نيل ذلك الى السعى
للاخرة والله اعلم والثانى يحتمل انما ذكر ذلك لان اهل الدنيا كانوا يتفاخرون بهذه الاشياء
فى الدنيا فيخبران لا وليائه ذلك فى الاخرة وذلك دايم وهذا فانى ولا عبرة للفانى على المعنى للاتخاذ

اهم المهمات
معرفة الله انما هو بالايات
والتصديق بها تصديق بالله
حقيقة وايمان
به

754

ويحتمل انه ذكر ذلك لانه حرم عليهم الانتفاع فى الدنيا باستعمال الذهب والفضة والحرير
فاخبر انهم الانتفاع بذلك فى الاخرة التى هى دار التنعم فاما ما سوى ذلك من الفرش والاوانى
فانه لا باس بذلك وهو مباح فى الدارين جميعا واما ما ذكر الاكواب يحتمل الترغيب على ما ذكرنا
لانهم يمتنون ويرغبون فيها فى الدنيا والثانى يخبران لا مؤنة عليهم فى حمل الاوانى وردها عند
الشرب والاكل ولا يتولون ذلك بانفسهم ولكن الخدام هم الذين يتولون سقيهم الصحاف
جمع الصحفة وهى القصعة التى ليست بضخمة والاكواب الاباريق التى لا عرى لها ولا خراطيم
واحدها كوب ويقال كيزان لا عرى لها قال ابو عوسجة والقتبى وقوله عز وجل وفيها ما تشتهى
الانفس وتلذ الاعين فذلك فى الجنة ليس كنعيم الدنيا لان فى الدنيا قد يشتهى شاربها ولا تلذ
العيون والله اعلم ويحتمل انه انما ذكر ذلك فى الاخرة لما منعوا وحرموا فى الدنيا ما اشتهت
انفسهم الانتفاع به والتلذذ عوضا وبدلا عما كفوا انفسهم فى الدنيا عن الانتفاع بذلك واعطوا
الانفس وحرموا ومنعوا وحيل بينهم وبين ذلك وتلذ به الاعين لما غضوا ابصارهم فى الدنيا
عما لا يحل والله اعلم وقوله عز وجل وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون ان الله عز وجل
بفضله عود عباده لما كان منه من الاحسان والانعام كان ذلك كله منهم اليه فضلا منه
حيث نسب الجنة التى يعطيهم الى اعمالهم التى عملوها وان كانوا لا يستوجبون الجنة وما فيها
بالاعمال حقيقة ولذلك ما ذكر فى الخبر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة الا برحمته
لكنه نسب الجنة التى يعطيهم وما ذكر من الثواب الى اعمالهم فضلا منه وانعاما وكذلك ما ذكر من قوله
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ذكر انه اشترى انفسهم واموالهم
بالجنة التى يعطيهم وانفسهم واموالهم فى الحقيقة له ولا احد يشترى ملكه وماله بماله نفسه
وملكه لكنه ذكر ذلك شراء افضالا منه كان لا ملك له فى ذلك ولا حق وكذلك ما ذكر من الاقراض له
بقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ولا احد يستقرض ماله وملكه من غيره لكنه عاملهم معاملة
من لا ملك له فى اموالهم وانفسهم بما جعل لهم من الثواب والعوض فعلى ذلك ليشبه الجنة
والثواب الذى ذكر لهم الى اعمالهم افضالا منه وانعاما وان لم يستوجبوا ما ذكر
بالاعمال والله اعلم وقوله عز وجل لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون مثل هذا الوعد كانه
انما جاء لاهل مكة فكان لا فواكه لهم فيها ولا ثمار فيخبران لكم فى الجنة من الفواكه كثيرة
ما لا يفنى ولا ينقطع منها تاكلون ما تاكلون ما شئتم فلا يؤذيكم ولا يضركم وان اكثرتم والله اعلم
ويحتمل انما ذكر لما عرف من رغبة الناس الى الفواكه والثمار فى الدنيا رغبهم بها فى الاخرة
وحثهم على دفع ذلك لهم والله اعلم وقوله عز وجل ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون
الاجرام هو الكسب فى اللغة والمجرم الكاسب يرجع ذلك الى كل كاسب مما جل او دق الا ان الناس
عرفوا من المذكور للمجرم الخاص وهو الكافر المشرك فلا يجوز صرفه الى كل كاسب والله اعلم
وقوله عز وجل لا يفتر عنهم يذكر هذا ليعلم ان النار وان انضجت جلودهم واحرقتهم
لا يفتر التالم عنهم بنضج الجلود بل التوجع والتالم بعد نضج جلودهم واحتراقها على ما كان
قبل النضج والله اعلم قال وهم فيه مبلسون قال بعضهم المبلس الايس وقال بعضهم المبلس
الذليل الخاضع وقال الزجاج المبلس هو الساكت عن الكلام لكن لا يرجو الفرج من نطقه
لان من يتكلم انما يتكلم لفرج يرجو من نطقه او كلام نحوه وقوله عز وجل وما ظلمناهم فى التعذيب
الذى يعذبون ولكن كانوا هم الظالمين ولكن هم الذين ظلموا انفسهم حيث عبدوا من لا يملك

فى فضل الله تعالى
اللهم لا تحرمنا
من فضلك

ويحتمل انه ذكر

دفع العذاب عنهم وتركوا عبادة من يملك دفع ذلك عنهم والله اعلم ويحتمل وما ظلمناهم في ترك البيان
عليهم اي لم نترك بيان ما عليهم وما لهم بل بينا لهم عاقبة السبيلين جميعا انه الى ماذا يفضي عاقبة هذا
السبيل ولكن هم ظلموا انفسهم حيث اختاروا السبيل الذي افضاهم الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ونادوا
يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون كانهم يقولون يا مالك سل ربك يقضي علينا بالموت
يفزعون اولا الى المؤمنين وهو قولهم ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما
على الكافرين فلما ايسوا من ذلك يفزعون الى الله تعالى يسالون الرجوع الى المحنة ليعملوا غير الذي عملوا
بقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فلما ايسوا عن ذلك عند ذلك يفزعون الى مالك
ليسال ربه ليقضي عليهم بالموت فقال انكم ماكثون وهو ما قال عز وجل لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم الاية والله اعلم وقوله عز وجل لقد جئناكم بالحق هذا على اثر ما ذكر كقوله تعالى
انا لننصر رسلنا على اثر قوله اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات الاية يحتمل ان يكون القولان جميعا
من الله تعالى اعني قوله تعالى لقد جئناكم بالحق وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والله اعلم ويكون ان يكون
العذاب جميعا من الملائكة اذ جاز اضافة الرسل الى الملائكة انهم رسل كقول الناس رسولنا فعل كذا
وقال كذا والله اعلم ثم قوله لقد جئناكم بالحق الحق كل ما يحمد عليه ويحمد هو عاقبة ذلك الفعل والباطل
كل ما يذم عليه فاعله ويذم هو عاقبته والله اعلم ثم الحق المذكور يحتمل القران ويحتمل الرسول
ويحتمل الحق ما تركوا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما دعاهم اليه ويقولون الحق هو الذي
عليه اباؤنا وانا على اثارهم مقتدون ثم قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم وقال
ها هنا لقد جئناكم بالحق اي جئناكم بما هو اهدى واحق مما عليه اباؤكم وقوله ولكن اكثركم للحق
كارهون فان قيل كيف قال ولكن اكثركم للحق كارهون وانما خاطب به اهل العناد وكانوا جميعا
كارهين للحق يقول انه يخرج على وجهين احدهما ان اكثرهم قد عرفوا انه الحق لكنهم كرهوا اتباعه
والانقياد له عنادا منهم ومكابرة بعد ظهور الحق لهم وتبينه لديهم مخافة ذهاب الرياسة عنهم
وزوال ماكلتهم ولم يظهر لاتباعهم ولم يعرفوا والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من كراهة اكثرهم
للحق بحق الطباع كان في طباع اكثرهم كراهة ذلك الحق والله اعلم وقوله عز وجل ام ابرموا امرا فانا مبرمون
ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من ابرامهم امرا ما ذكر في اية اخرى وهو قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
ابرامهم امرا هو مكرهم الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر والله اعلم ويحتمل
ان يكون ابرامهم الذي ذكر غير ذلك وكيف ما كان ففيه وجهان من الدلالة احدهما ليعلموا ان الله تعالى
عالم سميع بما يبرمون فيما بينهم من امر سرا لانه في ظنهم ان الله لا يعلم ولا يسمع ما يبرمون
من الامر سرا ولذلك قال تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم والثاني دلالة اثبات
الرسالة لانهم ابرموا ذلك الامر فيما بينهم سرا ثم لخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ابرموا
واحكموا من الامر ليعرفوا انه انما علم ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل فانا مبرمون يحتمل
فانا جاذون نجزاء ابرامهم ويحتمل فانا مبرمون اي الينا يرجع تدبير ابرامهم ومكرهم جميعا
وعلى ذلك قوله فلله المكر جميعا على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما وقوله عز وجل
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي بل يحسبون على ما ذكرنا انه حرف الاستفهام منه
يخرج على الايجاب كانه قال بل يحسبون الا ترى انه قال بلى ورسلنا وقوله عز وجل ورسلنا
لديهم يكتبون هذا وعيد وتنبيه منه لهم يخبر ان رسله يكتبون ما يسرون ويخفون
من المنكر وغيره ليكونوا ابدا على حذر ويقظة والله اعلم وقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد

فانا اول العابدين يخرج هذا على وجهين احدهما اي ما كان للرحمن اي وليس للرحمن ولد ثم يخرج
قوله فانا اول العابدين على هذا التاويل على وجهين احدهما ما كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين بالتعالي والتنزيه عن الولد اي فانا اول من يعبد الرحمن بالايمان والتصديق انه
ليس له ولد على هذا اعبد الله تعالى والثاني ما كان للرحمن ولد فانا اول الانفين وهو من عبد يعبد
اي انف يانف فيكون هذا تنزيه تصريح عن الولد والاول تنزيه له بالكناية هذا اذا كان معنى
قوله قل ان كان للرحمن ولد ثم ما كان للرحمن ولد ثم قوله عز وجل فانا اول العابدين يخرج على التاويل
ايضا على وجهين احدهما اي لو كان للرحمن ولد على زعمكم وعلى ما عندكم فانا اول من اتبرا عن ان يكون له
ولد وادعوكم الى الرحمن الذي لا ولد له وهو كقوله تعالى اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي اين شركائي
الذين تزعمون انتم انهم شركاء وقوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي انظر الى الهك
الذي هو في زعمك اله والثاني يحتمل ان يقول له قل لو كان يجوز ويحتمل ان يكون له ولد فانا اول
من اعبده على ذلك واول من اقول انا بذلك فانه اقبل بذلك وانا رسول الله فظهر انه لا يحتمل
ولا يجوز ان يكون له ولد وهو كقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي لو كان يجوز
ان يريد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى من عنده وممن شاء لا مما هو عندكم ومما يختارون انتم لكن لا يحتمل
ولا يجوز ان يتخذ ولدا وقال بعضهم في قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين يقول
كما اني لست اول من عبد الله فكذلك ليس للرحمن ولد كقول الرجل لو كان ما تقول حقا فانا حمار معناه ليس
الذي تقوله بحق كما اني لست بحمار والله اعلم ثم نزه نفسه عن الولد ثم بانه لا يجوز ان يكون له ولد
حيث قال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي رب السموات ورب الارض
ورب من فيهن ورب العرش قال اهل التاويل اي رب السرير لكن لا يحتمل ان يكون تاويل العرش
ها هنا السرير فينتسب الى السرير فيقال رب السرير ويجوز في هذا ايضا ان يقال رب السرير
فيثبت المشاركة في النسبة بينه وبين الخلق الا ان يقال ان لذلك السرير عند الخلائق موقعا
وقدرا عظيما يليق القسم به وانه من اعظم المخلوقات واعجبها فكان نسبة هذا الى الله سبحانه وتعالى
من باب التعظيم والاجلال له بمنزلة نسبة كل العالم اليه فيكون جائزا والله اعلم ويحتمل ان يكون
تاويل العرش ها هنا هو الملك يقول سبحان رب السموات والارض ورب الملك عما يصفون ثم قد بينا
حكمة ذكر السموات والارض على اثر ذكر الولد في غير موضع وقوله عز وجل فذرهم يخوضوا ويلعبوا
هذا في الظاهر امر بتركهم على ما هم عليه من الخوض واللعب وغيره ومثل هذا مما لا يليق
بالحكمة اذ هو حرام في العقل لكن يخرج على الوعيد وان كان صيغته صيغة الامر كقوله اعملوا ما شئتم
هو في الظاهر وان كان امرا فهو في الحقيقة وعيد وعلى ذلك هذا يخرج على الوعيد
ويحتمل ان يخرج على ترك المكافاة على ما يصنعون من الاستهزاء بهم والانواع من الاذى الى اليوم
الذي يلاقون ويعاينون العذاب حتى لا ينفعهم الندامة والرجوع في ذلك اليوم واصل
ذلك ان الله تعالى قد اوعدهم بمواعيد شديدة ووعظهم بمواعظ بليغة فلم ينجع تلك المواعيد
فيهم ولا نفعهم شيء من ذلك والثاني قد بين ما يزيل عنهم الشبه وما يوجب التعلق به
ووضح لهم طريق الحق والهدى فلم يسلكوا مسلك طريق الحق فاوعدلهم بما ذكر في ذلك اليوم
ما لا ينفعهم ندامتهم في ذلك الوقت والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي في السماء اله
وفي الارض اله الاله في اللغة هو المعبود كما ذكرت والله اعلم انكم تعلمون ان الله تعالى
هو المعبود في السماء وهو المعبود في الارض والاصنام التي تعبدونها انتم لا تعبد الا انتم فكيف تدركم

عباد المعبود الذي هو معبود في السماء والارض واخترتم عبادة من ليس بمعبود الا بعبادتكم
ويحتمل ان يقول تعلمون انتم ان الله سبحانه وتعالى هو اله السماء والارض واله من فيهما وانه خالق
ذلك كله لقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والاصنام التي تعبدونها انتم
لا تعبدها الا انتم فكيف تركتم عبادة المعبود الذي هو معبود في السماء والارض واخترتم عبادة
من ليس بمعبود الا بعبادتكم ويحتمل ان يقول تعلمون انتم ان الله تعالى هو اله السماء والارض واله من فيهما
وما فيهما وانه خالق ذلك كله لقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والاصنام
التي تعبدونها لم تفعلوا ذلك ولا يملكون شيئا من ذلك فكيف تتخذونها آلهة دونه والله اعلم وقوله
عز وجل وهو الحكيم العليم ذكر الحكيم والعليم على اثر ذلك يخرج على وجوه احدها السؤال الثنوية
ان الله عز وجل لا يجوز ان يبسط الرزق ويوسع الدنيا على من يعلم انه يعاديه ويشتمه ويعادي اولياءه
ويشتمهم لانه في الشاهد من يصنع الى من يعلم انه يعاديه معروفا فليس بحكيم فعلى ذلك يقولون ان ذلك
ليس من الله تعالى ولكنه من اله غير سفيه لانه وصف نفسه بالحكمة وانه يزيل الحكمة وكقول البراهمة
في انكارهم الرسالة اصلا يقولون ليس من الحكمة بعث الرسل الى من يعلم انه يكذبه ويكذب رسله
ولا يقبل رسالته بل يقتله ويعاديه لذلك ينكرون رسالة الرسل فاخبر تعالى عز وجل بقوله
وهو الحكيم العليم ان اعطائي اياهم ما اعطيتهم وبعث الرسل اليهم على علم مني بما يكون منهم
من التكذيب والعداوة لا يخرجني عن الحكمة ويخرج فاعل ذلك في الشاهد عن الحكمة لان ملوك
الارض انما يرسلون الرسل ويبعثون الهدايا لمنافع انفسهم ولحاجتهم فاذا علموا من المبعوث اليهم
الرسل والمصنوع اليهم المعروف ما ذكرنا خرج من الحكمة فاما الله تعالى انما بعث الرسل لحاجة
المبعوث اليهم ولمنافع انفسهم فكذلك ما يعطيهم من الدنيا لمنافع انفسهم فلم يخرج ذلك من الحكمة
لانه لا يضره معاداة من عاداه ولا ينفعه موالاة من والاه بل كل ذلك راجع اليهم بل صنع ما يصنع
من المعروف الى من يعلم انه يعاديه يكون وصفا له لغاية الكرم والجود لذلك ما ذكرنا ويبطل قول الثنوية
والبراهمة والله الموفق وقوله عز وجل تبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما قوله تبارك
قال اهل التاويل اي تعالى وتعاظم معناه تعالى وتعاظم عما قالت الملحدة فيه من الشريك
والولد والصاحبة وغير ذلك مما لا يليق به ولا يجوز فيكون تنزيه عن جميع ما قالوا فيه وهو
كحرف سبحان الذي يكون تنزيه عما قالوا فيه والله اعلم قال بعض اهل الادب تبارك هو
من البركة لكن بعض العلماء قالوا ان هذا التاويل لا يصح لان قوله تبارك هو من وقوع البركة
بنفسه فهو اسم ملازم ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بوقوع البركة لكن عندنا تبارك هو تفاعل
والتفاعل هو فعل اثنين فجائز نسبة البركة اليهما على حقيقة وقوعهما باحدهما وهو للخلق
للايصال على ما هو الاصل في مثل هذا وله نظائر كثيرة واصل تاويل تبارك ما قاله اهل التاويل
تعالى وتعاظم عن جميع ما قالت الملحدة فيه مما لا يليق به من الولد والشريك وغير ذلك لكن هو على التاويل
لا على تحقيق الاسم فنظيره ما فسروا في قوله وتعالى جدك اي عظمتك والجد هو في الحقيقة ليس هو
اسم العظمة ولكن هو خروج الامر على ما يريد ويشاء وتسمية الناس فيما بينهم بالفارسية بختا
ففسروا الجد بالعظمة لنفاذ مشية العظيم وخروج الامر على ما يريد ويشاؤه فعلى ذلك تفسيرهم
تبارك بما قالوا تعالى وتعاظم على التاويل لا بتحقيق الاسم اذ هو من البركة لكن كل من بورك فيه
صار متعاليا فاطلقوا عليه تبارك بمعنى تعالى لا بمعنى حقيقة الاسم والله اعلم ثم قوله وتبارك
الذي له ملك السموات والارض وما بينهما بيان منه وتعليم للخلق ما يجوز النسبة اليه فقال

له ملك السموات والارض وقال وله ما في السموات والارض ونحو ذلك يبين لهم ان ينسبوا اليه
هذا ولا ينسبوا اليه من الولد والشريك والصاحبة ونحو ذلك لان نسبة الاشياء بكليتها
يخرج مخرج الوصف له بالعظمة والجلال نحو ما ذكرنا من قوله تعالى له ملك السموات والارض
وقوله وهو بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير وقوله خالق كل شيء ونسبة خاصية الاشياء
اليه يخرج مخرج التعظيم والتبجيل لذلك الاشياء ثم ينظر بعد هذا فان كانت تلك الاشياء
الخاصية مما يجوز تعظيمها نسبت اليه واضيفت نحو قوله بيت الله ومساجد الله ورسول الله
وغير ذلك من الاشياء التي يعظمها الله تعالى ورفع قدرها ومنزلتها عنده وان كانت الاشياء
مما يستقذر ويستقبح ويسترذل فلا يجوز النسبة اليه والاضافة لما ذكرنا ان نسبتها اليه
واضافتها يخرج مخرج التعظيم لها وهي ليست بمعظمة ولكنها مسترذلة مستقذرة فيكون وضع
الشيء غير موضعه وانه خلاف الحكمة والله الموفق وقوله عز وجل وعنده علم الساعة يخرج
على وجوه احدها اي عنده علم ساعة الصعقة كقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الآية ويحتمل وعنده علم الساعة الزلزلة كقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم
ويحتمل وعنده علم ساعة الفزع والهول كقوله ففزع من في السموات الآية ويحتمل وعنده علم ساعة
القيامة كقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحو ذلك والله اعلم اخبر انه لم يطلع الله عز وجل
علم حقيقة ما ذكر احدا من خلقه وقوله واليه ترجعون قد ذكرنا في غير موضع ان تخصيص
ذلك بالرجوع اليه يخرج على وجوه وان كانوا في جميع الاحوال راجعين الى الله تعالى صايرين
اليه تعالى احدها لان المقصود من انشائهم ذلك لا عن البعث كي لا يكون خلقهم عبثا على ما ذكرنا
غير مرة ويحتمل انه خص ذلك اليوم بالرجوع اليه والمصير والخروج لانه يومئذ يخلص حوائجهم
ورجوعهم اليه وانقيادهم له وقد ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولا يملك الذين يدعون من دونه
الشفاعة ان قوما كانوا يعبدون الملائكة رجاء ان يكونوا لهم شفعاء لما عرفوا من خصوصيتهم
وفضلهم عند الله تعالى وذلك معروف في الناس انهم يخدمون ويكرمون خواص ملوكهم رجاء
ان يشفع لهم اولئك الخواص عند الملك اذا نزل بهم بلاء او وقعت لهم حاجة يوما من الدهر فعلى ذلك
هؤلاء الكفرة كانوا يعبدون الملائكة لما عرفوا من خصوصيتهم وفضل منزلتهم عند الله ثم اخبر
عز وجل عن الملائكة انهم لا يملكون الشفاعة بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهو قوله الا من شهد
بالحق وهم يعلمون اي الا لمن شهد بوحدانية الله تعالى والوهيته لا يشفعون لاولئك انما يشفعون
لمن ذكروا ان كانت لهم خصوصية عند الله تعالى لان الله عز وجل نهى اولئك ان يعبدوا الملائكة
ويعظموهم من جهة العبادة لذلك لا يملكون الشفاعة لهم فيكون مثل هذا مثل ملك نهى
قومه ان يخدموا او يعظموا احدا سواه من خواصه فاذا فعلوا ذلك وخدموهم وتركوا نهيه
لا يملك اولئك الخواص ولا يتجاسرون على طلب الشفاعة عند الملك لاولئك الذين نهاهم الملك
ان يخدموهم ويعظموهم دونه فعلى ذلك الملائكة لم يجعل لهم شفاعة لاولئك الذين عبدوهم
دونه الا لمن ذكروهم الذين شهدوا بالحق وقاموا بعبادة الله تعالى فقد اذن الله لهم بالشفاعة
لاولئك والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة اي لو كانت لهم
شفاعة لكانت لا تنفعهم شفاعتهم ليس انه يكون لهم شفاعة او شفعاء وهو كقوله تعالى
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معهم الآية وكقوله عز وجل لا يقبل منها عدل الآية
فعلى ذلك يحتمل قوله عز وجل ولا يملك الذين من دونه الشفاعة اي لا ينفعهم والله اعلم

وقوله عز وجل الا من شهد بالحق وهم يعلمون يخرج قوله وهم يعلمون على وجهين يرجع الى الملايكة فيكون كانه يقول ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة وهم يعلمون انهم لايملكون الشفاعة والثانى يرجع الى من شهد بالحق يكون كانه يقول ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون انهم يشهدون بالحق والشهادة بالحق ما ذكرنا يعنى يشهدون على وحدانية الله تعا والوهيته وانه هو المستحق بالعبادة دون من عبد وهم والله علم وقوله عز وجل ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال فى اول السورة ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ثم نعته فقال الذى جعل لكم الارض الى آخر ما ذكر فذا قروا جميعا ان الذى خلق السموات والارض وخلقهم وما يحتاجون اليه هو الله تعا ثم علماهم وعرفانهم بذلك يحتمل وجوها يحتمل علم حقيقة على التسخير والاضطرار بان انشا الله تعالى علما فى قلوبهم فعلموا بذلك حقيقة ان الله عز وجل هو خالق ذلك كله ويحتمل علموا علم الاستدلال بالتامل والنظر اذ من عادة العرب التامل والنظر فى الاشيا فنظروا وتاملوا فعرفوا بالاستدلال العقل انه كذلك والله اعلم وقوله عز وجل فانى يؤفكون يقول فاى شئ يصرفهم ويافكهم عن القيام بوفاء ما اعطوا بالسنتهم وبتحقيق ما اقروا ونطقوا ان الله خالق ذلك كله وان ذلك كله منهم وجعل ذلك لمن يعلمون انه ليس بشئ من ذلك منهم وبعد معرفتهم بذلك اعنى الاصنام التى يعبدونها والله الهادى وقال اهل التاويل اى فانى يكذبون بعد علمهم ومعرفتهم ذلك فى تسميتهم معبودهم الها او شكرهم غير الذى صنع ذلك لهم بالعبادة له دون الله تعالى وقوله عز وجل وقيله يا رب قرى بنصب اللام وكسره فمن قرأ بالنصب جعله معطوفا على قوله ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم ونسمع قيله اى قوله الذى عقلوه اى بل نسمع ذلك كله ومن قرأ بالكسر عطفه على قوله وعنده علم الساعة اى عنده علم الساعة وعلم قيله وقوله عز وجل يا رب ان هولاء قوم لايؤمنون كانه على الاضمار اى قيل لهم قل ان هولاء قوم لايصدقون وفيه دلالة اثبات رسالته اخبر انهم لايؤمنون وقد كان على ما اخبر لم يؤمنوا دل انه بالله عرف ذلك وعلمه وقوله عز وجل فاصفح عنهم اى اعرض ودعهم وقل سلام اى قل الصواب والحق فسوف يعلمون يوما هو وعيد لهم ويحتمل ان يكون قوله وقل سلام اى سلام عليهم لكنه على المؤمنين الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم فيكون كانه عز وجل قال فسوف تعلمون ايها المؤمنون ما ينزل باولئك والله اعلم بالصواب

سورة الدخان مكية وآيها خمسون وست

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم والكتاب المبين قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله عز وجل انا انزلناه فى ليلة مباركة قال اهل التاويل انا انزلنا الكتاب اى القرآن فى ليلة القدر من لوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم انزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالتفاريق ويحتمل ان يكون الهاء راجعة الى قوله حم اى قضى ما هو كاين على ما قال بعض اهل التاويل ان ما قضى فى كل سنة من الموت والحيوة والرزق ونحو ذلك ينزل فى ليلة القدر نسخها الى الملايكة الذين وكلوا على ذلك فهذا يحتمل ويحتمل ان يكون الهاء راجعة الى ما ضمن فى قوله حم على ما اراد به والله اعلم ويحتمل انه اراد بهذا انه انزل شى وامر فى ليلة القدر عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخبر انه انزل ذلك ولم يبينوا لنا ذلك

انزل القرآن فى ليلة القدر من لوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم انزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالتفاريق

لما لاحاجة لنا الى معرفته وقالت الروافض فى قوله تعا انا انزلناه ان الله تعا انزل شيئا على رسوله يكون ذلك الشئ على رأسه وعلى روس الايمة الذين يكونون بعده بحيث يرون ذلك دون غيرهم ** اذا استقبلهم امر او بدا لهم شئ نظروا فى ذلك الشئ عرفوا ما احتاجوا وما يكون لهم من الصلاح او كلام نحو هذا والله اعلم واما عند اهل التاويل هو ما ذكرنا راجع الى ذلك الكتاب المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم او الى ما ذكرنا من تضمين ما ضمن فى قوله حم وكذلك قالوا ايضا فى قوله انا انزلناه فى ليلة القدر وقوله فى ليلة القدر مباركة وهى ليلة القدر سماها مباركة وقد سمى المطر والماء المنزل من السماء كقوله تعا وانزلنا من السماء ماء مباركا وكذلك الارزاق المنزلة من السماء والمستخرجة من الارض مباركة بقوله بركات من السماء والارض والمبارك هو الذى عنده يدرك كل الخير والبركة هى اسم كل خير يكون ابدا على الزيادة وانما تسمى تلك الليلة مباركة لما جعل فيها من الخيرات والبركات والله اعلم وقوله عز وجل انا كنا منذرين يحتمل انا كنا منذرين للخلق اذا انشوا وبلغوا المبلغ الذى يستوجبون الانذار ويحتمل انا كنا منذرين الخلق بالرسل هذا هو الظاهر ان هذا القول من الله تعا والله اعلم قال انا كنا منذرين بالقرآن بما انزل على وقوله عز وجل فيها يفرق كل امر حكيم يحتمل اى يفصل ويبين كل امر هو كاين فى ليلة القدر ويحتمل اى يبين فى ليلة القدر كل ما يكون فى تلك السنة ثم قوله كل امر حكيم يحتمل اى كل امر فيه حكمة ويحتمل كل امر محكم متقن امرا من عندنا وقوله عز وجل انا كنا مرسلين الامر الذى ذكر بقوله كل امر حكيم امرا من عندنا والله اعلم وقوله عز وجل رحمة من ربك يحتمل قوله رحمة اى ما انزل من الكتاب هو رحمة من ربك ويحتمل ليلة القدر اى جعلها رحمة منه ويحتمل ما ذكر من امر حكيم هو رحمة منه ويحتمل اى الرسول المبعوث اليهم رحمة منه لهم وهو كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم وقوله عز وجل انه هو السميع يحتمل قوله السميع باقوالهم التى اسروها العليم بافعالهم واعمالهم التى اخفوها واضمروها ويحتمل السميع المجيب لمن دعاه العليم بما يرجع الى مصالحهم فى دينهم ودنياهم والله اعلم وقوله عز وجل رب السموات وما فى الارض وما بينهما قال بعضهم رب الشئ هو مصلحه معناه مصلح السموات والارض وما فيهما وحافظ ذلك كله وقال بعضهم رب السموات والارض اى مالكهما ومالك ما فيهما ويحتمل رب السموات والارض اى خالقهما وخالق ما فيهما ومنشئ ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل ان كنتم موقنين قال بعضهم هذا على تمام الآية ومراعاة المقاطع على وجهها هذا وامثاله يخرج على هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ان كنتم موقنين على اثر قوله رب السموات والارض اى هو رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم تعلمون انه رب ما ذكر فكيف تصرفون العبادة واسم الالوهية الى من ليس برب ما ذكر ان الايقان هو العلم بالشئ حقيقة ثم نعت الرب فقال لا اله الا هو فكانه يقول لا معبود يستحق العبادة سواه لان الاله هو المعبود عند العرب يقول لا يستحق الاشياء التى يعبدون العبادة انما المستحق لها هو الذى لا اله غيره ويحتمل ان يقول لا يستحق اسم الالوهية الا هو لا الاشياء التى سميتموها الهة ثم نعته فقال يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين اى هو يحيى ويميت وهو ربكم ورب آبائكم الاولين ان من عادة العرب انهم كانوا يعبدون ويتخذون شيئا دون الله تعا رجاء ان يشفع لهم ويقربهم ذلك العبادة الى الله تعا فيقول ان الذين يعبدون دونه لا يقع لهم العلم بعبادتكم اياها فاصرفوا العبادة الى الذى يعلم بعبادتكم على كل حال واخلصوا له ذلك ولا تشركوا غيره وقوله عز وجل بل هم فى شك يلعبون يحتمل قوله عز وجل بل هم فى شك اى فى امر القرآن ويحتمل بل هم فى شك امر الرسول

فى المبارك والبركة

عادة العرب فى عبادة الاشيا يشفع لهم عند الله تعالى

صلى الله عليه وسلم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين اختلف
اهل التاويل فيه قال بعضهم ليس هو على حقيقة الدخان ولكن على التمثيل والمجاز ثم اختلف فى كيفية
ذلك مع اتفاقهم انه قد مضى ذلك وقد كان قال بعضهم بدخان اى بجدب وقحط جعل الدخان
كناية عن الجدب لوجوه احدها لما يقال ان الجايع فى القحط كان يرى بينه وبين السماء والناس دخانا
من شدة الجوع كالذى يشتد به العطش يرى السراب ماء وذلك لانه لما اشتد الجوع ضعفت ابصارهم
وغطاها الجوع فيكون الجوع سبب ترائى الدخان فاستعير له ولان فى سنة الجدب ييبس الارض
وينقطع النبات فيرتفع الغبار ويصعد الريح ليبسها فيشبه ذلك الغبار الذى يرتفع من يبس الارض
بالدخان فسمى باسمه ولذلك قيل السنة غبرا وقيل جوع اغبر لان العرب ربما وصفت الدخان
موضع الشر اذا علا يقولون لو كان بينا امر ارتفع له دخان وقالوا ان هذا القحط الذى جعل الدخان
كناية عنه قد كان فانه اشتد بهم القحط وقلة الامطار ويبست الارض وارتفع الغبار وصعد
الريح كالدخان وضعفت ابصارهم لشدة الجوع حتى كانوا يرون السماء كالدخان على ما روى
عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال كان احدهم ينظر الى السماء فيرى كهيئة الدخان من شدة الجوع
وقال بعضهم انما مثل الارض يومئذ كمثل بيت او قد ليس فيه خصاصة وعن ابن مسعود رضى الله عنه
انه قال قد مضى الدخان وهو سنون كسنى يوسف فجهد الناس والله اعلم ومنهم من يقول
هو على حقيقة الدخان وانه لم يمض بعد وكذلك روى عن على رضى الله عنه انه قال الدخان لم يمض
بعد ياخذ المؤمن كهيئة الزكام وينتفخ الكافر حتى ينفد وكذلك قول ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه
والحسن وغيرهم لكن صرف الدخان المذكور فى الاية على التمثيل اشبه لان الامر اذا اشتد وبلغ
نهايته يشبه بالنار والدخان كقوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وليس هنالك نار لكن وصف
شدة الحرب فعلى ذلك جاز تشبيه ما اشتد بهم من الجوع والجدب والقحط بالدخان الذى ذكر
وكذلك يصف الناس الامر اذا اشتد يقولون هاج الدخان وثار والله اعلم وقوله عز وجل يغشى الناس
هذا عذاب اليم يحتمل قوله يغشى الناس اى غشى الناس ما ذكر وهو عذاب اليم على تاويل من قال
انه ماض كاين ويحتمل يكون قوله تعالى ويغشى الناس هذا عذاب اليم اى يغشى فيقول الناس هذا عذاب
اليم وهو على قول من يقول انه لم يمض بعد والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون اى انا نؤمن بك فيما تدعونا اليه لو كشفت عنا العذاب فى معنى الشرط والجزاء
وهو كقول قوم موسى عليه السلام حيث قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لين كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك الاية ويحتمل ان يكون قوله انا مؤمنون على الحال كانهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون للحال ثم اخبر الله عز وجل انهم لا يؤمنون فانهم كذبة فيما قالوا حيث قال تعالى انى لهم
خرجت انفسهم من ايديهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين يقول انى يتوبون ومن اين ينفعهم
توبتهم فى ذلك بعد ما خرجت انفسهم من ايديهم وقد جاءهم رسول قبل ذلك الوقت مبين انه رسول
والله اعلم وقوله عز وجل ثم تولوا عنه يحتمل اى اعرضوا عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من القران ويحتمل تولوا عما دعاهم اليه رسول الله وامرهم به ويحتمل تولوا عن رسول الله نفسه وقوله
عز وجل وقالوا معلم مجنون قولهم معلم لانهم يقولون انما يعلمه بشر وقوله مجنون نسبوه
الى الجنون لوجهين احدهما ما ذكر انه اذا نزل به الوحى تغيرت حاله ولونه لثقل ذلك عليه فيقولون به
افة وجنون والثانى لما انه قد خاطر بروحه ونفسه لانه خالف الفراعنة منهم والاكابر الذين
كانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم ودعاهم الى غير الذى كانوا عليه اذا نسبوه الى الجنون والله اعلم

وقوله عز وجل انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون قال بعضهم انكم عايدون فى معاصيكم
وكفركم الذى كنتم فيه وقال بعضهم اى انكم عايدون الى عذاب يوم القيامة والله اعلم وقوله عز وجل
يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال بعضهم ذلك يوم بدر وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه
وقول عامة اهل التاويل وقالوا ذلك اشد من الدخان وقال بعضهم هو عذاب يوم القيامة
وهو قول ابن عباس والحسن والله اعلم وقوله عز وجل ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون يقول
والله اعلم ولقد فتنا قوم فرعون بموسى قبل قومك كما فتنا قومك بك ويحتمل ان يقول ولقد
فتنا قوم فرعون بمثل الذى فتنا قومك ثم افتتان قوم فرعون بمثل الذى فتن قومه وجوها
احدها ان موسى عليه السلام قد اتاهم بالايات المعجزات ما لم يقدر فرعون على مقابلة
تلك الايات وعجزوا عن الاتيان بمثلها فمع ما اتاهم بذلك وعرفوا انها ايات الله تعالى فعلى ذلك
كذبوها وردوها ونسبوا موسى الى السحر والكذب والافتراء على الله تعالى فعلى ذلك عمل اهل مكة
برسول الله صلى الله عليه وسلم وعاملوه بالذى عامل ولئك موسى من النسبة الى السحر والجنون والكذب
والافتراء على الله تعالى والله اعلم وقال بعضهم ان فرعون وقومه ازدروا موسى وحقروه لانه ولي فيهم
كما ازدرى اهل مكة محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا لولا انت اصغرنا وافقرنا واقلنا حيلة كما قال فرعون
لموسى الم نربك فينا وليدا الاية ويحتمل ان يكون اهل مكة سالوا اليهود من الانباء التى يجدون فى كتبهم
ليحاجوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون بذلك ظهور الكذب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما كان يخبرهم فى الانباء المتقدمة والله اعلم وقوله عز وجل وجاءهم رسول كريم كان جميع
رسل الله عليهم الصلوة والسلام كراما لان الله تعالى كان بعثهم الى قوم جهال سفهاء كان لهم الركون
الى الدنيا والميل اليها والرغبة فيها فبعث اليهم كرام الخلق ليداروا اولئك الاقوام ويتهيا لهم المعاملة معهم
والتحمل منهم لسوء ما كانوا يعاملونهم والله اعلم ولذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالخلق العظيم حيث قال وانك لعلى خلق عظيم وقوله عز وجل ان ادوا الى عباد الله يقول ارسلوا
معى بنى اسرائيل وخلوا عنهم ولا تحبسوهم ولا تستعبدوهم فانهم احرار ويحتمل ان يقول ارسلوا
معى بنى اسرائيل فانهم يرغبون فى اجابتى الى ما ادعوهم اليه ويطمعون فى اتباعى فيما امرهم به
وقوله عز وجل انى لكم رسول امين اى انى لكم رسول امين على الوحى والرسالة ويحتمل ان يقول
انى كنت امينا فيما بينكم لم يظهر لكم منى خيانة ولا اطلعتم على كذب قط فلما ذا تكذبوننى وتنسبوننى
الى السحر والله اعلم وقوله عز وجل وان لا تعلوا على الله قال بعضهم اى وان لا تتكبروا ولا تتعظموا
على الله لكن عندنا معناه وان لا تتكبروا وتتعظموا على رسل الله او لا تتعظموا على عبادة الله او على دينه
اذ لا احد يقصد قصد التكبر على الله تعالى وان نسب اليه فهو على ارادة اوليائه او دينه كقوله ان تنصروا الله
ينصركم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل انى اتيكم بسلطان مبين اى اتيكم بحجة بينة انها من الله
وانى رسول الله وهو ما اتاهم من الايات المعجزات والحجج والبراهين والله اعلم وقوله عز وجل
وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون لا يحتمل ان يكون هذا الكلام من موسى عليه السلام على ابتداء
بلا سبب كان من فرعون ولا امر سبق فكان سببه ونازلته والله اعلم هو ما ذكر فى سورة اخرى
حيث قال ذرونى اقتل موسى وليدع ربه الاية لما قال فرعون ذلك وهم ان يقتل موسى قال موسى
عند ذلك انى عذت بربى وربكم ان ترجمون وفى ذلك دلالة اية من ايات الله الرسالة لانه قال
فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه ليمنعنى عن قتله فقال انى عذت بربى وربكم الاية
دل هذا القول على انه علم قول فرعون وقصده بقتله واعتصم بالدعاء الى الله تعالى ليمنعه عن ذلك

روية الدخان في شدة الجوع

في الدخان هلكة او يموت

وعلم ان الله تعالى يعصمه من شرهم وكيدهم حتى قال ذلك والله اعلم وقوله وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
يعني فان لم تصدقوني فيما ادعوكم اليه وامركم به فاتركوني فاصدق واؤمن به ولا يضركم تصديقي
وايماني والله اعلم وقال بعضهم اي دعوني خفا فاجانبا لا علي ولا لي وقال بعضهم وان لم تؤمنوا لي
فاعتزلون ولا يقتلون والله اعلم وقوله عز وجل فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون وهو
كقوله حيث قال وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وكقول نوح عليه السلام اني دعوت
قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا ونحو ذلك يقولون والله اعلم يا ربنا انا قد عاملناهم
المعاملة التي امرتنا ان نعاملهم واحتلنا الحيل التي علمتنا ان نحتال معهم فلم ينجع ذلك فيهم
ولم يتبعونا ولا اجابونا الى ذلك فهل من حيلة سوى ذلك او معاملة غير ذلك نعاملهم
لعلهم يتبعونا ويجيبونا هذا الدعاء وهذا القول منهم يكون بعد ما اجهدوا انفسهم في دعايهم
الى الحق زمانا طويلا ليس يحتمل في ابتداء الامر والله اعلم وقوله عز وجل فاسر بعبادي ليلا
انكم متبعون كان في اخراج موسى عليه السلام بني اسرائيل من بين اظهر اعدائهم ليلا من غير
وعلم احد من اعدائهم بذلك وهم العدد الذي ذكر في القصة انهم زهاء ستمائة الف آية عظيمة
عجيبة لموسى عليه السلام على رسالته اذ خروج عدد مثل ذلك من بين اظهرهم عسير صعب فكيف
خروج العدد الذي ذكر في القصة والله اعلم ثم قوله عز وجل انكم متبعون هذا يخرج على وجهين
احدهما اي قوم فرعون يتبعونهم ليردوهم الى الامر الذي كانوا يستعملونهم من قبل من نحو الاستخدام
ولا الاستعباد والله اعلم والثاني ان يتبعونهم للعناد والحرب لانه ذكر في القصة انهم اخذوا
اموالهم من الحلي واللباس فخرجوا بها فجايز ان يكون اتباعهم اياهم ليقاتلوهم كما يقاتل
الاعداء والله اعلم وقوله عز وجل واترك البحر كان موسى عليه السلام ان يضرب البحر بعصاه
ليصل الماء بعضه ببعض لئلا يعبر فرعون وقومه فقال له اتركه كما هو فانهم جند مغرقون ثم اختلف
في قوله رهوا قال بعضهم هي فارسية عربت اي اترك البحر راه وقال بعض اهل اللسان
رهوا اي ساكنا وقال بعضهم رهوا اي متصلا وهو قول ابي عبيدة وقال اهل التاويل
رهوا اي يابسا وهو كقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقوله تعالى انهم جند مغرقون قد علم
جل وعلا ان يغرق فرعون وقومه فيفعل وقوله عز وجل كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين اي ناعمين وقيل معجبين من الناس من قال ان هذه الآية
مخالفة للآية الاخرى في ظاهر المخرج وهو قوله عز وجل ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
الآية ثم قال الله تعالى قد اجيبت دعوتكما فاذا كانت قد اجيبت دعوتهما في طمس اموالهم فطمست
لا محالة فكيف ذكر كم تركوا من جنات وعيون الآية وما معنى قوله كذلك واورثناها قوما آخرين
لكن عندنا انه لا مخالفة بين الآيتين اذ جايز ان يكون طمس اموالهم التي كانت لهم من الحلي وغير ذلك
من الصامت ونحوه خاصة فاما الاموال التي كانت لهم بالشركة من نحو البستان والزروع وامثالها
فذلك لم يطمسها ولكنه تركها على ما هي عليها لبني اسرائيل وهو قوله عز وجل كذلك واورثناها
قوما آخرين وهو كما ذكر في آية اخرى حيث قال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها فيه ان بني اسرائيل قد عادوا الى مصر ونزلوا اوطانهم ومنازلهم وبساتينهم
والله اعلم وقوله عز وجل فما بكت عليهم السماء والارض قال بعضهم اي فما بكى عليهم اهل السماء
واهل الارض بل سروا بذلك واستبشروا بهلاكهم فيكون ذكر نفي البكاء لاثبات ضده وهو السرور
والفرح لا لعينه وذلك جائز في اللغة ان يذكر نفي الشيء ويراد به اثبات ضده لا عين النفي كقوله تعالى

فما ربحت

فما ربحت تجارتهم ليس المراد اثبات نفي الربح اي لم يربح فحسب بل المراد اثبات الخسران اي خسرت
ووضعت فعلى ذلك قوله فما بكت عليهم السماء والارض اي ضحكت وسرت واستبشرت بهلاكهم
لانهم جميعا ابغضوهم وعادوهم لادعائهم ما ادعوا من الالوهية لفرعون والله اعلم وقال بعضهم
فما بكت عليهم السماء والارض يحتمل ان المراد به ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما من مؤمن الا وله باب في السماء يصعد اليه عمله الصالح وفي الارض مصلى يصلي فيه فاذا مات
بكى ذلك عليه كذا كذا يوما وليس لهم ذلك فلا يبكي عليهم وجايز ان يكون ايضا قوله تعالى فما بكت
عليهم السماء والارض اي لم يبق لهم احد يبكي عليهم من الاولاد وغيرهم لانهم استوصلوا
جميعا من الاولاد وغيرهم فلم يبك عليهم احد فاما ساير الموتى قد بقي لهم من يبكي عليهم
لذلك كان ما ذكر والله اعلم ويحتمل ان يذكر بكاء السماء اذ اعظم الامر على التمثيل من نحو
موت الملوك والقادة ومن عظم قدره عندهم فيخبر الله عز وجل ان موت فرعون واتباعه
لم يعظم على اهل السماء والارض لما لا قدر لهم عندهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد نجينا
بني اسرائيل من العذاب المهين قال بعضهم نجينا بني اسرائيل من العذاب الذي نزل
بفرعون وقومه وهو الغرق في البحر اغرق اولئك ونجى هؤلاء ويحتمل ان يكون المراد
انه نجاهم من العذاب الذي كانوا يعذبون من نحو القتل والاستخدام والاستعباد وانواع
العذاب الذي كانوا يعذبونهم ما داموا بين اظهرهم وفي ايديهم فنجاهم من ذلك حيث
اخرجهم من بين ايديهم والله اعلم وهو اشبه بما قال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين من فرعون وقوله عز وجل انه كان عاليا من المسرفين قوله عاليا اي غالبا عليهم
قاهرا لهم بانواع القهر الذي كان يقهرهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اخترناهم
على علم على العالمين اي اخترنا بني اسرائيل وقوله عز وجل على علم يخرج هذا على وجوه
احدها اي اخترناهم على علم اي بسبب علم آتيناهم ذلك لم نؤت ذلك غيرهم ليظهر فضيلة
العلم على العالمين وشرفه والله اعلم والثاني يحتمل اخترناهم على علم منا باسبابهم
واشياء لم يعلم ذلك الاسباب والمعاني في غيرهم بها استوجبوا الاختيار على العالمين
والثالث اي اخترناهم على علم اي بسبب علم احوجنا غيرهم اليهم فصاروا مختارين مفضلين
بسبب تعليمهم اياهم ما احتاجوا اليه فيكون لهم فضل الاستاذ على التلميذ وهذا كما يقول ان العرب
افضل من الموالي لان الموالي احتاجوا الى العرب في معرفة لسانهم ومعرفة اشياء احتاجوا اليها
فاستوجبوا الفضيلة لحاجتهم اليهم وكذلك فضل قريش على ساير العرب لما احتاجت ساير العرب
الى قريش في معرفة اشياء لا يصلون الى ذلك الا بهم فضلوا على غيرهم لذلك فعلى ذلك
يحتمل ان احوج الى بني اسرائيل غيرهم في معرفة اشياء فاستوجبوا بذلك الاختيار والفضيلة
على غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين يحتمل قوله
بلاء من وجهين احدهما اي محنة بينة وهي انواع ما امتحنهم من البلايا والشدايد والله اعلم
والثاني يحتمل ان يكون قوله بلاء مبين اي نعم عظيمة وهو ما اتاهم من انواع النعم من المن والسلوى
وتظليل الغمام عليهم وخروج العيون من الحجر ومجاوزتهم من البحر واهلاك عدوهم
وغيرها من النعم التي اتاهم مما لا يحصى وهو ما ذكر في سورة البقرة وهو قوله تعالى وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم اي نعمة من ربكم عظيمة والله اعلم وقوله عز وجل ان هؤلاء ليقولون ان هي
الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين يقول الله تعالى وهو اعلم ان الذي يحمل هؤلاء على الانكار

وبه فضل العرب على الموالي والقريش على غيره

والكفر بك وترك الايمان بك ابكارهم البعث والاحياء بعد الموت كقوله تعالى والذين يومنون بالاخرة يومنون به بخبران من يومن به ممن آمن بالاخرة فاما من لم يومن بالاخرة لا يومن به والله اعلم واصله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث لدعاء الخلق الى الزهد في هذه الدنيا والرغبة في الاخرة والقطع عن جميع شهواتهم ومناهم في الدنيا وتاخير ذلك الى الاخرة فمن آمن بالاخرة سهل عليه ترك ذلك كله وهان عليه قطع نفسه عن قضاء ذلك كله ومن انكر الاخرة وجحدها اشتد ذلك عليه وصعب حمله ذلك على انكارها والجحود لها والله اعلم **وقوله** عز وجل فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين هذا منهم احتجاج عليه يقولون لو كنت صادقا فيما تقول انه نبعث ونحيا فاحضر من ذكروا رايت لهم لكن هذا احتجاج باطل لان الايات والحجج ليست تنزل وتاتي على ما تشتهي انفس اولئك ولكن تنزل على ما يوجبه الحكمة وعلى ما فيه الحجة لا على ما يريد المقام عليهم الحجة كما في الشاهد ان الواجب على المدعي اقامة ما هو حجة في ذاتها لا اقامة ما يريدها المدعى عليه والنبي صلى الله عليه وسلم قد اتاهم من البيان والحجة ما يوجب البعث والاحياء بعد الموت لو تاملوا ولم يكابروا عقولهم وكون سؤالهم منه آية اخرى عرد ودا عليهم والله اعلم ويعد فان الله تعالى عز وجل قد وعد البقاء لهذه الامة الى يوم القيامة ولو اعطاهم ما سالوا من الايات ثم انكروها اهلكوا واستوصلوا اذ من سنته ان كل آية اتت ونزلت على اثر سوال كان منهم ثم انكروا كان في ذلك هلاك وعذاب لذلك لم يعطهم ما سألوا والله اعلم **وقوله** عز وجل اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم ليس في هذا جواب لقولهم فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ولم يات بجواب ذلك وانما كان لانهم لم يستحقوا الجواب لهذا السوال لانهم سالوا ذلك تعنت وعناد ويحتمل ان يكون في هذا جواب لقولهم ولسؤالهم الاية المخترعة وفي الاية دلالة على البعث ايضا بيان الاول انه اخبر عن قوم تبع ومن ذكر من الامم الخالية كانوا ينكرون رسالة رسلهم ويكذبونهم ويوعدونهم الرسل بالعذاب والهلاك فيكذبونهم ايضا فيما يوعدون من البعث فجاءهم الهلاك فيقول اهم خير ام قوم تبع ومن ذكر اي اولئك هم اشد قوة ام هؤلاء وهم علموا انهم اولئك اشد قوة وبطشا ثم لم يتهيا لهم الامتناع من عذاب الله اذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل وانكارهم البعث فانتم دون اولئك فكيف تهيا لكم الامتناع من العذاب الذي نزل بكم وهو كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم واذا لم يتهيا لهم الدفع ومن سنته الاستيصال بالتكذيب للايات المخترعة وقد وعد البقاء لهذه الامة الى يوم القيامة وكونه رحمة للخلق لذلك لم يعطهم الاية التي سالوها والله اعلم واما الثاني وهو انه لما اخبران تعذيب اولئك الكفرة لتكذيب الرسل وانكار البعث فدل ان البعث حق حتى يستحق منكره العذاب والله اعلم وذكران تبعا كان رجلا صالحا وعايشة رضي الله عنها تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وذكر انه كان رسولا وقد ذكرنا نعته والله اعلم **وقوله** عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وقال في آية اخرى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ان الكفرة كانوا لا يطلقون القول فلا يقولون ان الله تعالى خلقهما وخلق ما بينهما باطلا ولعبا لكن خلق ذلك كله على فناهم وظنهم وعلى ما عندهم يصير عبثا باطلا لانهم كانوا ينكرون البعث ويقولون ان لا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب فاذا كان فناهم وظنهم ان لا بعث ولا نشور يكون خلقهم وخلق السماء والارض وما ذكر باطلا لعبا لان المقصود بخلق ما ذكر على زعمهم لم يكن الا الافناء والاهلاك ومن لم يقصد في بنائه الا النقض في الشاهد والافناء في العاقبة

مما يحفظ عدم الجواب لعدم الاستحقاق

وجه كون الآية المخترعة

كان في بنائه وقصده سفيها غير حكيم فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى في خلقه اياهم وانشائه لهم وتحويله اياهم من حال الى حال اخرى من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال المضغة ومن حال المضغة الى حال تصوير الانسان ثم الى حال الكبر لو يكن ما ذكرنا من المقصود سوى الافناء والاهلاك على ما زعموا كان سفها باطلا غير حكمة لما ذكرنا من قصد في البناء الافناء خاصة لا غير كان في فعله وقصده لاعبا عابثا سفيها ولذلك سفه الله تعالى تلك المرأة التي لم يكن قصدها في غزلها الا النقض في العاقبة حيث قال ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا الاية فعلى ذلك خلق الخلق اذا لم يكن بعث ولا نشور على ما قال اولئك الكفرة وظنوا كان كذلك سفها غير حكمة ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل خلقه اياهم لا للرجوع اليه والله اعلم **وقوله** عز وجل ما خلقناهما الا بالحق قال بعضهم الا لاقامة الحق وقال بعضهم الا لامر كاين مراد واصل الحق هو ان يحمد عليه فاعليه في العاقبة والباطل هو ما يذم عليه فاعله وانما خلق جل وعلا ما ذكر ليحمد على فعله لا ليذم ولو لم يكن ولو لم يكن القصد في خلقهم الا الافناء والاهلاك لكان لا يحمد عليه ولكن يذم على ما ذكرنا **وقوله** عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون انهما لم يخلقا باطلا وعبثا وهو ما ظنهم والله اعلم **وقوله** عز وجل ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين سمى يوم القيامة مرة يوم الجمع ومرة يوم التفريق ومرة يوم الفصل فهو يوم الجمع لما يجمع فيه الخلايق جميعا وكذلك يوم الحشر ويوم الفصل يحتمل وجهين احدهما انه يفصل بين اوليايه واعدايه فينزل اولياءه في دار الكرامة والمنزلة وهي الجنة واعداءه في دار الهوان والعقاب وهي النار وهو ما قال فريق في الجنة وفريق في السعير ويحتمل ان يكون قوله يوم الفصل اي يوم القضاء والحكم اي يقضي والحكم بين المومنين والكافرين يومئذ فيما بينا زعوا واختلفوا في الدنيا بقوله ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ويحتمل ايضا ما ذكرنا من الفصل بين الاولياء والاعداء ثم لو لم يكن ذلك في الاخرة بينهم كان جامعا مسوما بين الاولياء والاعداء وهم استووا واجتمعوا في الدنيا في ظاهر احوالهم ومن سوى بين وليه وعدوه كان سفيها غير حكيم دل ان هنالك دارا اخرى يفصل بينهما ويميز والله اعلم **وقوله** عز وجل يوم لا يغني عنهم مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون هذا في الكفار خاصة يخبر انه لا ولي ينفعهم في الاخرة ولا يعين بعضهم بعضا على ما يعاون في الدنيا اذا نزل ببعض منهم بلاء وشدة وهو ما ذكر في آية اخرى يوم يفر المرء من اخيه الاية وقوله عز وجل واخشوا يوما الاية وقوله تعالى لا يقبل منها عدل ولا هم ينصرون والله الموفق ثم قوله تعالى لا يغني عنهم مولى عن مولى شيئا يحتمل مولى الاعلى ومولى الاسفل على ما يعين بعضهم بعضا في الدنيا ويحتمل كل ولي وقريب يخبر انه لا قريب يملك دفع ما نزل به ولا ولي ولا يملك نصرة ومعونة لان ولايتهم يومئذ يصير عداوة بقوله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين الاية استثنى المتقين وعلى ذلك استثنى في هذه الاية ايضا حيث قال الا من رحم الله ومن عليه وهداه الايمان ورزقه التوحيد فانه يكون بعضهم لبعض عونا وشفعاء واولياء ينصر بعضهم بعضا ويشفع بعضهم لبعض والله اعلم **وقوله** عز وجل وهو العزيز الرحيم العزيز في نقمته من اعدائه لا اوليائه الرحيم للمومنين الذين استثنى في الاية حيث قال الا من رحم الله **وقوله** ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ظاهر الاية انها طعام كل اثيم لكنها ليست بطعام كل اثيم بل هو طعام اثيم دون اثيم وهو الكافر لان الاثم المطلق هو الاثم من كل وجه وهو الكافر فاما المومن المسلم لا يكون اثيما مطلقا مع قيام ايمانه وكثير طاعته فلا يكون صاحب الكبيرة داخلا تحت الاية قال بعض اهل التاويل انه يزيد لقوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم

الى بعض الكفار بالعسل والزبد وقالوا لاصحابه تعالوا انزقموا فان محمدا وعدنا بذلك لما كان
الزقوم هو الزبد والتمر والعسل بلغة قوم من العرب فنزل عند ذلك قوله تعالى انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين الاية اخبر انها شجرة انشئت من النار كقوله تعالى انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم الاية ليست كساير الاشجار ثم شبهها بالمهل كقوله تعالى كالمهل يغلي في البطون
كغلي الحميم والمهل هو دُردي الزيت ثم يحتمل تشبيهها بالمهل وجهين احدهما لالتصاقه بالبدن لانه
قيل انه الصق الاشياء بالبدن ويحتمل انها شبهها بذلك لكثرة تلونها وتغيرها من حال الى حال
ثم الاشكال انه ليس في اكل دُردي الزيت فضل شدة وكثير مؤنة فما معنى التشبيه به لكن نقول
انه بين ان ذلك المهل والدردي من النار حيث قال كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ثم الاشكال
ان شجرة الزقوم كيف يكون الاثيم فيحتمل ذلك وجهين احدهما انه يخرج منها شيء ويسيل فيسقى
ذلك الكافر ويحتمل انه ياكل كما هي فيذوب في بطنه فيغلي فيكون ما ذكر وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه راى فضة قد اذيبت فقال هذا المهل فجايز ان يكون على هذا كل شيء يذاب ويحرق فهو المهل والحميم
هو الشيء الحار الذي قد انتهى حره غايته والله اعلم وقوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء
الجحيم ظاهر هذا ان يكون هذا ذلك بعد ما دخلوا في النار لكن يحتمل ايضا ان يكون ذلك
في اول ما يُراد ان يدخلوا النار كقوله خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه فعلى ذلك خذوه فاعتلوه
الى سواء الجحيم ثم قوله تعالى فاعتلوه قال بعضهم اي ادفعوه الى سواء الجحيم اي الى وسط الجحيم
وقال بعضهم فاعتلوه اي قودوه قودا الى سواء الجحيم يقال جيء بفلان يُعتل الى السلطان اي يجر ويُقاد
وقال بعضهم هو السوق الذي فيه شدة وتعنيف اي سوقوه سوقا شديدا عنيفا وبعضه قريب
من بعض والجحيم هو مُعظم النار والله اعلم وقوله عز وجل ثم صُبوا فوق راسه من عذاب الحميم
اي من شراب الحميم والصديد ونحوهما مكان ما جعل لاهل الجنة جعل الله عز وجل لاهل النار
من الوان الشراب الحميم والصديد ونحوهما مكان ما جعل لاهل الجنة من انواع الشراب حيث قال فيها
انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين الاية ثم في الاية
ان الفريقين جميعا لا يتولون شربها بانفسهم ولكنهم يُسقون على ما ذكر في اهل الجنة في غير اي من القرآن
حيث قال يسقون من رحيق وقوله تعالى ويسقون كاسا ونحو ذلك كثير وقال في اهل النار ثم صُبوا
فوق من عذاب الحميم وقوله تعالى يسقى من عين آنية وقال في اية اخرى من غسلين وغير ذلك وقوله
عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم قال اهل التاويل انما يقال هذا لابي جهل اللعين وله ذلك العذاب
الذي ذكر في الاية وهو المراد بالاثيم كان في الدنيا يفتخر ويقول انا العزيز الكريم وليس ما بين كذا الى كذا
اعز مني وانا المتعزز المتكرم فيقال له في الاخرة ذق هذا الذي ذكر انك انت العزيز الكريم في الدنيا
يُصفقون ويهيبونه ويحتمل ان يكون هذا في كل كافر يتعزز في الدنيا ويتكرم وكل رئيس منهم والله اعلم
وقال بعضهم في قوله عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم اي ذق فانك لست بعزيز ولا كريم
ثم يقال ذلك له على التهزي به اي لو كنت عزيزا كريما ما دخلت النار والله اعلم وقوله عز وجل ان المتقين
في مقام امين فيه لغتان مُقام بالرفع ومَقام بنصب الميم فمن قراه بالنصب فهو موضع المقام
وهو المنزل والمسكن معناه في مسكن امين اي آمنون فيها من الآفات والاوصاب والاسقام ومن قرأ
برفع الميم فهو المصدر يعني الاقامة اي مقيمون فيها آمنون عن الخروج عنها والزوال والله اعلم وقوله
عز وجل في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين قالوا السُندس ما رق
من الديباج والاستبرق ما غلظ منه ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من اللبس لما رق منه فاما ما غلظ منه

فالمهل

عتل

جحيم

فانه

فانه يبسط وان كان ذلك اللبس فيهما في الظاهر يتناول ما رق منه وما غلظ فالمراد من ذكر
اللبس يرجع الى ما يُلبس وهو الذي يَرِق منه ويدق وجايز في اللغة ان يذكر الشيئان باسم احدهما
اذا كان بينهما ازدواج في الجملة عادة او حقيقة والله اعلم ويحتمل انه انما ذكرهما جميعا لما يكون من رغبة
الناس اليهما جميعا في الدنيا فرغبهم في الاخرة ووعدهم ان يكون لهم ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل متقابلين يُخبر ان مجلسهم في الجنة نحو مجلسهم في الدنيا مقابل بعضهم بعضا حيث قال
كذلك على اثر ذلك يكونون في الجنة كما كانوا في الدنيا من مقابلة بعض بعضا واجتماعهم في المجلس
في الشراب وغيره والله اعلم وقوله عز وجل وزوجناهم بحور عين قال بعضهم بحور اي بيض
الوجوه وعين اي حسان الاعين وقال بعض اهل الادب الحور في العين هو شدة سواد سوادها
وبياض بياضها يقال امراة حوراء ونسوة حور ورجل احور وقوم حور والعيناء الحسنة العينين
يقال رجل اعين ورجال عين وامراة عيناء ونسوة عين فالجماعة على هيئة واحدة في هذا الباب
في المذكر والمؤنث والله اعلم وقوله عز وجل يدعون فيها بكل فاكهة آمنين تاويله والله اعلم
اي بثمار الجنة وفواكهها ليس لها فساد ولا انقطاع ولا نقصان ولا زوال يدعون يسالون ان يحضروها
لا يسالون كما يسالون في الدنيا هل بقي شيء او هل عندكم شيء من الفواكه ونحو ذلك لما ذكرنا ان لثمار الدنيا
انقطاع وفناء وليس لثمار الجنة وفواكهها كذلك لذلك ما ذكرنا والله اعلم وقوله آمنين يحتمل وجهين
احدهما آمنين عن انقطاع فواكهها وثمارها وما ذكر ويحتمل آمنين فيها في الجنة ليس لهم فوق الخروج
عنها والزوال وآمنون عن جميع الآفات التي يكون في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى والاشكال انه نفى الموت في الجنة واستثنى الموتة الاولى وليس في الجنة
موت اصلا كيف يُستثنى الموتة الاولى وان ظاهر الاستثناء ان يكون من جنس المستثنى منه فيوهم
ان يكون في الجنة موت قال بعضهم ان الا بمعنى غير وسوى وفيه اضمار كانه قال لا يذوقون فيها
اي في الجنة الموت سوى الموتة الاولى ذاقوا في الدنيا لان الموتة التي ذاقوا وهي الموتة الاولى لا يتصور
ذوقها ثانيا لو كان يكون مثلها ولان الجنة ليس محل الموت فكان المراد ما قلنا اي لا يذوقون في الجنة
الموت سوى الموت الذي ذاقوا في الدنيا وهو كقوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم الاية اي سوى ما قد سلف
انه كان فاحشة في ذلك الوقت على احد التاويلين والله اعلم وعندنا يخرج تاويله على وجهين
احدهما لا يذوقون فيها الموت الا ما ذاقوا من الموتة الاولى لانه ذلك في الخبر انه يؤتى بالموت يوم القيامة
على صورة كبش املح او كذا فيذبح بين ايديهم فعند ذلك يامنون الموت هنالك والله اعلم والثاني
لا يذوقون فيها الموت ولا يرونه الا الموتة الاولى التي رواها في الدنيا تلك يعرفونها ويذكرونها
فاما ما سواها فلا والذوق سبب المعرفة فاستعير للمعرفة مجازا والله اعلم وقوله عز وجل ووقاهم
عذاب الجحيم ليس هو تخصيص وقاية عذاب الجحيم فحسب بل المراد نفيهم العذاب كله لكن الجحيم
معظم النار فذكره كناية عن الكل فضلا منه ليس باستحقاق منهم بالاعمال على ما تقدم ذكره في غير
موضع وقوله عز وجل ذلك هو الفوز العظيم الفوز باحد شيئين اما الظفر بما تامل وترجوا فاذا ظفر
ذلك يقال فاز واما النجاة مما يحذر ويخاف فاذا حذر امرا وخاف فيخلص من ذلك يقال فاز
فايهما كان فهو فوز والله اعلم وقوله عز وجل العظيم جميع امور الاخرة واحوالها سمي عظيما من العذاب
والنعيم قال الله تعالى ليوم عظيم وعذاب عظيم وفوز عظيم وقوله عز وجل فانما يسرناه بلسانك
هذا يخرج على وجهين احدهما كانه يقول فانما انزلنا القرآن بلسانك ويسرناه للذكر ليلزمهم
التذكر لانه انزله بلسانه ويسره لقومه لانه لو كان منزلا بغير لسانه لم يكن ميسرا لهم للذكر وفهم ذكر

مطلب قاعدة جايز في اللغة
ان يذكر الشيئان باسم
احدهما اذا كان بينهما
ازدواج في الجملة
عادة او حقيقة

مطلب حور عين
اللهم ارزقنا ما قسمتنا
وترضاه منا بمنك
يا الله

موتة اولى

ذبح الموت

فى آية اخرى ولقد يسرنا القرآن للذكر والله اعلم والثانى فانما يسرناه على لسانك كى ذكوته
اخبرانه يسرنا للذكر لانه يسرنا باللسان ولكن معناه ماذكرنا انه انزله بلسانه وبيسره للذكر والله اعلم
والثانى فانما يسرناه على لسانك كى ذكرته وحفظته بلا كتابة ولا نظر فى كتاب لانه ذكر انه كان
عليه الصلوة والسلام يحفظ سورة طويلة اذا تلا عليه جبريل صلوات الله عليه وقد امنه الله
سبحانه وتعالى عن النسيان بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى **وقوله** عز وجل لعلهم يتذكرون وهو
يخرج على وجوه احدها لكى يلزمهم التذكر ويحتمل لكى يتذكروا واما قد نسوا من حق الله
الذى عليهم او ليتعظوا بمواعظ الله تعالى **وقوله** عز وجل فارتقب انهم مرتقبون على وجهين
احدهما ارتقب ما وعد الله ان ينزل بهم من العذاب فانهم مرتقبون هلاكك وانقطاعك
ونحو او يقول ارتقب ولا تكافهم ولا تدع عليهم بالهلاك فانهم مرتقبون بما القى الشيطان
فى امنيتهم بان ملكك يزول وانه يعود اليهم والله اعلم وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه
فارتقب انهم مرتقبون والارتقاب الانتظار والله اعلم بالصواب

سورة الجاثية مكية وآيها ثلثون وست

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب قد ذكرنا فى غير موضع **وقوله** العزيز الحكيم وقد ذكرنا ايضا
تأويل العزيز الحكيم فى غير موضع ايضا انما ذكر قوله العزيز الحكيم على اثر ذلك الكتاب ليعلم انه
ما انزل الكتاب وما امرهم وما نهاهم وامتحنهم بانواع المحن ليتعزز هو بذلك وليريد له
عزا وسلطانا او قوة اذا ائتمروا واطاعوه واذا خالفوه ولم يطيعوه فيما امرهم وارتكبوا ما نهاهم
يلحقه ذل او نقصان فى ملكه وسلطانه بل انما فعل ذلك من الامر والنهى وانواع المحن لمنفعة
انفس الممتحنين ليتعززوا اذا اتبعوا امره واطاعوه ويلحقهم ذل ونقصان اذا تركوا اتباعه
بخلاف ملوك الارض فانه يزيد لهم اتباع من تبعهم عزا وسلطانا وقوة فى ملكهم وترك
اتباعهم اياهم وارتكاب ما نهاهم عنهم يوجب لهم ذلا ونقصانا فى ملكهم لان المخلوق
كان عزيزا بغيره فاذا زال ذلك زال عزه وصار ذليلا فاما الله سبحانه وتعالى عزيز بذاته فلا يلحقه
النقصان بمخالفة من خالفه ولا يزداد عزا بايمان من آمن قوله والحكيم والحكيم هو الذى لا يلحقه
الخطأ فى التدبير يذكر هذا ليعلم ان ما انشأ من الخلايق على علم منه انهم يكفرون به ويعصونه لم يزل
عنه الحكمة ولا اخرجه منها لما ذكرنا انه لم ينشئهم لحاجة له فيهم او لمنفعة يرجع اليه ولكن
لمنفعة لهم يرجع الى انفسهم ومثله فى الشاهد يزيل الحكمة ويدخل فى حد السفه لما ذكرنا انهم انما يفعلون
لحوايجهم فكان الفعل مع العلم بانه لا منفعة له فيه بل مضرة لا يكون حكمة منهم لذلك افترق الشاهد
والغايب والله اعلم **وقوله** عز وجل ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وآيات لقوم
يوقنون وآيات لقوم يعقلون ونحو ذلك يخرج ذكر الآيات لهؤلاء وجوه احدها اى يكون ما ذكر
من الآيات لهؤلاء آيات على اعدائهم يحتجون بها عليهم فيكون هى آيات لهم على اعدائهم والثانى
ان منفعة هذه الآيات يحصل لهؤلاء وهم المنتفعون بها اعنى تبعها دون من ترك اتباعها والثالث
هو آيات لمن اعتقد اتباع الآيات والايقان بها وهم المؤمنون فاما من اعتقد رد الآيات وترك
الاتباع لها فليست هى آيات لهم والله اعلم وقد ذكرنا فى غير موضع جهة الآيات فيما ذكر من السموات
والارض واختلاف الليل والنهار وانزل الماء من السماء واحيا الارض به واخراج ما اخرج

منها

منها فى ذلك آيات مشيئته وآيات وحدانيته وآيات قدرته وسلطانه وآيات علمه وتدبيره وآيات
حكمته وغير ذلك مما يطول الكتاب بذكرها والله اعلم **وقوله** عز وجل تلك آيات الله نتلوها عليك
بالحق قوله عز وجل تلك اشارة الى الآيات التى تقدم ذكرها نتلوها عليك بالحق انها من الله تعالى لما عجزوا
عن ادراك ذلك من الحكمة البشرية به فيعلموا انها من الله تعالى **وقوله** عز وجل فباى حديث بعد الله
وآياته يؤمنون هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم لو كانوا بالدين يقبلون حديثا
قط فلا حديث اظهر صدقا من حديث الله تعالى ولا ابين حقا فيه من كلامه لانه آيات معجزات
عجزوا عن اتيان مثله وان كانوا بالدين لا يقبلوا حديثا فيلحقهم السفه فى ذلك فيكون مؤمنهم
والله الهادى **وقوله** عز وجل ويل لكل افاك اثيم الافاك هو المصروف عن اتباع ما يوجب الحكمة
اتباعه وقال بعضهم الافاك الكذاب والاثيم هو الذى اعتاد الاثم وهو اكثر من الاثم ثم نعت
ذلك الافاك فقال يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها يحتمل قوله آيات الله
تتلى عليه القرآن ويحتمل آيات الله تتلى عليه آيات وحدانية الله عز وجل او آيات بعثهم
ونشورهم او آيات رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخبر عن تعنته وعناده فى آيات الله
حيث قال ثم يصر مستكبرا اى يصر مستكبرا بعد تلاوة الآيات عليه وبعد معرفته وفهمه انها
آيات الله كما كان يصر قبل ذلك لانها آيات خارجات عن وسعهم اذ عجزوا عن اتيان مثلها
فاذا كانت خارجة عن احتمال وسعهم فكذلك هى خارجات عن وسع محمد صلى الله عليه وسلم
اذ هو واحد من البشر مثلهم فيعرفوا انه انما قدر على اتيان مثلها بالله تعالى بما اوحى اليه
واعلم بذلك كان لم يسمعها عنادا منه واستكبارا ثم اوعد العذاب الاليم وهو قوله فبشره بعذاب
اليم اى مؤلم موجع **وقوله** عز وجل واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب
مهين اى عذاب يهينهم باستهزائهم بالآيات ثم قال من ورائهم جهنم اصناف جهنم اليهم
يحتمل ان يكون المراد من ذكر من ورائهم وراء الدنيا كانه قال من وراء هذه الدنيا لهم جهنم
لكنه اضاف ذلك اليهم لانهم فيها وهم اهلها والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله من ورائهم جهنم
اى من وراء آجالهم التى هم عليها جهنم **وقوله** عز وجل ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء يحتمل ولا يغنى عنهم ما كسبوا اى ما عملوا من القرب التى عملوها رجاء
ان ينفعهم ذلك فى الآخرة او يقربهم ذلك الى الله زلفى يخبر ان ذلك مما لا يغنيهم ولا ينفعهم
فى الآخرة **وقوله** عز وجل ولهم عذاب عظيم وعد لهم فى كل حال وكل امر كان منهم عذابا غير العذاب
فى حال الاخرى ذكر فى الحال التى عبدوا الاصنام دونه واتخذوها اربابا العذاب العظيم وذكر لهم باستهزائهم
بآيات الله العذاب المهين عذابا يهينهم ويهانون فى ذلك وذكر لهم باصرارهم بما هم عليه واستكبارهم
على آيات الله وعلى رسوله عليه الصلوة والسلام العذاب الاليم حتى يكون مقابل كل كان منهم نوعا
من العذاب غير النوع الآخر وبصفة غير الصفة الاخرى والله اعلم **وقوله** عز وجل هذا هدى
اى بيان لهم **وقوله** عز وجل والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم اى عذاب من عذاب
اليم اذ الرجز هو العذاب كانه فسر ذلك العذاب ووصفه بالالم والله اعلم **وقوله** عز وجل الذى
سخر لكم البحر يذكرهم عظيم نعمه فى تسخير البحر لهم مع اهوالها وكثرة امواجها وامتناعها عن منافع
الخلق صيرها بلطفه ورحمته لهم كساير البقاع فى الوصول الى ما فيها من الجواهر واللآلى بالغوص فيه
والخوض والاصطياد لما فيه من انواع الصيد وغير ذلك من الاشياء بجعل علمهم واسباب جعلها لهم
حتى يصلوا الى ما فيها من انواع الجواهر والاموال النفيسة والله اعلم وسخرها لهم ايضا حتى عبروا البحر

مطلب كان نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظ سورة طويلة اذا تلا عليه جبرئيل عليه السلام

مطلب الابتلاء لعز المبتلى لا لعز المبتلي بخلاف ملوك الدنيا

مطلب آيات مشيئته ووحدانية الله وقدرته الخ

فى تسخير البحر نعم عظيمة

ومروها عليه بسفن اعطاهم وحيل علمهم حتى قدروا على عبوره والمرور عليه ليصلوا الى قضاء حوايجهم التي يكون لهم في البلدان النائية وهو ما قال لتجري الفلك فيه بامره ثم قوله تعالى بامره يحتمل ان يكون عبارة عن تكوينه اي بما كونه وانشاه كذلك كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والثاني يحتمل بامره اي بالامر الذي له على العباد وساير خلايقه ويحتمل بامره اي باذنه وقوله عز وجل ولعلكم تشكرون اي لكي يلزمكم الشكر بذلك او ما ذكر ما فيه من الوجوه والله اعلم وقوله عز وجل وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه اي سخر لهم ما في السموات من الملايكة والشمس والقمر والنجوم وغيرها وما في الارض من الاشجار والنبات والبهايم والدواب حتى استعملوها كلها في منافعهم وحوايجهم كما استعملوا املاكهم التي بحوتها ايديهم بتسخير الله تعالى اياهم ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل جميعا اي جميع ذلك منه تعالى اخبر انه سخر جميع ما في هذين في السموات والارض ثم اخبر ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وقد ذكرنا جهة الاية في ذلك في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله امر تعالى عز وجل المؤمنين بالعفو والصفح عمن اساء اليهم وظلمهم حتى امرهم بالعفو والمغفرة عمن ظلمهم واساء اليهم من الكفرة ليعلم عظيم موقع العفو والصفح عن المظلمة والاساءة عند الله وما يكون لذلك من الثواب الجزيل والله اعلم فان قيل ان هذه الايات انما نزلت بمكة ومن اسلم من اهل مكة بمكة كانوا مستخفين مقهورين في ايدي الكفرة ثم لا يتهيا لهم الانتصار منهم والانتقام عن مساويهم وانما يؤمر المرء بالعفو عن مظلمة من ظلمه واساء اليه عند مقدرة الانتقام منه والانتصار فاما من لا يكون على مقدرة من ذلك فلا معنى للامر له بذلك اذ هو عاجز عن ذلك فيقول الامر بالعفو والصفح عنهم وان كان اهل الاسلام منهم مقهورين مغلوبين في ايدي اولئك الكفرة على ما ذكرتم لوجهين احدهما انه امرهم بذلك ليتقربوا بذلك الى الله تعالى ويجعلون ذلك وسيلة وقربة فيما بينهم وبين ربهم وان لم يكن لهم مقدرة الانتقام والانتصار منهم ليكون العفو عنهم بحق القربة لا بحق التذلل والخشوع اذ يعفوا كل عن اختيار وطوع ويصبر على ذلك ابتغاء لوجه الله تعالى ويترك الجزع في نفسه والمخاصمة لو قدر على الانتقام وهو ما امر رسوله عليه الصلوة والسلام بالهجرة الى المدينة بعد ما اخبر انهم يريدون ان يقتلوه او يخرجوه حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ليكون الهجرة له الى الله تعالى بحق القربة لا بحق التذلل باخراجهم اياه والله اعلم والثاني ان يرجع الامر بالعفو الى كل واحد منهم في خاصة نفسه وقد كان من المسلمين فيهم من يقدر على الانتقام والانتصار من الافراد والاحاد منهم وان لم يكن لهم المقدرة على الانتقام من جملتهم والله اعلم ثم قوله عز وجل لا يرجون ايام الله هذا يخرج على وجوه احدها ايام الله اي نعم الله الدايمة التي لا زوال لها ولا انقطاع التي وعدها في الاخرة لاهل الايمان وهو ما قال في اية اخرى في قصة موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام حيث قال وذكرهم بايام الله اي بنعم الله تعالى الا ترى ان موسى عليه الصلوة والسلام فسر ايام الله بالنعم حيث قال عز اسمه واذ قال موسى لقومه انهم كانوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون الاية والثاني لا يرجون ايام الله على حقيقة الايام لانهم كانوا يرون هذه النعم والسعة في الدنيا بجهدهم وكدهم لا بما اجرى الله تعالى النعم اليهم في الايام والله اعلم والثالث لا يرجون ايام الله اي لا يحذرون نقمة الله وعقوبته وقوله عز وجل ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي ليجزي كل قوم بما كسبوا

مطلب اهم في العفو والصفح عن مظلمة

من خير او شر يجزي من عفى عنهم جزاء العفو ويجزي المحسن جزاء الاحسان والمسيء جزاء الاساءة والله اعلم وقوله عز وجل من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يخبر من عمل من خير فانما يعمل لنفسه ومن عمل من سوء فانما يعمل على نفسه يخبر ان من عمل من خير او صالح فلنفسه سوى في الاخرة ومن عمل من شر فعلى نفسه سوى في الاخرة كمن عمل في الدنيا من الاكل والشرب فلنفسه يعمل ومن جنى من جنايات فعلى نفسه حتى في الدنيا والاخرة حيث يهلك به نفسه ويرجع اليه وبال ذلك في الدنيا والاخرة فعلى ذلك ما قلنا والله اعلم وقوله عز وجل ثم الى ربكم ترجعون اي ثم اليها وعدكم ربكم من الثواب والعقاب يرجعون وقوله عز وجل ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب قال اهل التاويل اي التورية والاشكال انه الى بني اسرائيل جملة كتب كثيرة اما التورية والانجيل والزبور فهي كتب معروفة قد يعرفها وقد يجوز ان يكون لهم غيرها فما معنى ذكر الكتاب وما معنى حملهم على ان التورية الا انا نقول يجوز ان يريد يذكر الكتاب الكتب فانه ادخل الالف واللام فيكون لاستغراق الجنس ويحتمل انه اراد التورية كما قال اهل التاويل اذ يجوز ان يذكر اسم العام ويراد به الخاص وهو الواحد منهم ويحتمل ان يكون التورية هو الكتاب الذي فيه عامة الاحكام فانه قيل ان الزبور ليس فيه الحكم انما فيه التسبيح والتحميد وكذا الانجيل ليس فيه الا الاحكام قليل فيجوز ان يكون المراد به التورية لهذا والله اعلم وقوله عز وجل والحكم قال بعضهم والحكم اي فهم ما فيه وقال بعضهم الحكم فقه ما في الكتاب اذ الحكم الظاهر داخل تحت قوله الكتاب بين بقوله والحكم انه اعطى له الحكم الظاهر فيه والحكم المستخرج منه بالاستنباط والاجتهاد والله اعلم ويحتمل ان يراد بالكتاب هو ما يتلى فيما بينهم وبين ربهم والحكم ما امرهم فيه ان يحكموا فيما بين العباد والله اعلم وقوله والنبوة انما ذكر النبوة لان النبوة كانت ظاهرة في بني اسرائيل فانه ذكر ان في بني اسرائيل كذا كذا رسولا ونبيا والله اعلم وقوله عز وجل ورزقناهم من الطيبات قد كان رزقهم الطيبات ما ذكر من المن والسلوى وغير ذلك من الطيبات فلا يحصى وقوله عز وجل وفضلناهم على العالمين قد ذكرنا تفضيلهم على العالمين في موضعه وقوله عز وجل واتيناهم بينات من الامر قال بعضهم بينات من الامر اي ايات من الامر وقيل بينات من الامر اي ما بين لهم من الحلال والحرام والشبه ونبا ما كان قبلهم والله اعلم ويحتمل بينات من الامر اي بيان ما يقع الحاجة اليه من الامر وعندنا بينات من الامر يخرج على وجهين احدهما واتيناهم بينات من الامر اي بينات التكوين ودلالته لما جعل الله لهم في نفس كل احد من دلالات وحدانيته والوهيته او ما اقام من الايات في العالم على التكوين يدل على ما جعل الالوهية والربوبية له وقوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم على ما ذكرنا من امر التكوين اي ما اختلفوا في صرف الالوهية والوحدانية عن الله تعالى الى غيره الا بعد ما جاءهم العلم اي الا من بعد ما بين لهم ان الالوهية والربوبية بالدلالات الواضحة والحجة النيرة وان له الخلق والامر الا انه ذكر العلم واراد به اسباب العلم ودلايله والله اعلم والثاني يحتمل قوله تعالى واتيناهم بينات من الامر الحجج من الامر والنهي والتحليل والتحريم وبيان ما يؤتى وما يبقى وما لهم وما عليهم وقوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم واختلافهم فيما امتحنوا يتوجه الى وجوه احدها انما اختلفوا فيما امتحنوا من الدين او فيما امتحنوا في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجابة الى ما يدعوهم اليه والطاعة له ويحتمل اختلافهم

الذي ذكر الاختلاف في القرآن او فيما اختلفوا من التحليل والتحريم ثم يخبر تعالى جل وعلا انهم ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بالحق في ذلك والبيان انه من الله وان ما هم عليه باطل مضمحل ثم اخبر ان اختلافهم انما هو لبغي بينهم وحسد حملهم ذلك على الاختلاف فيما بينهم ثم اخبر انه يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم قوله تعالى عز وجل يقضي بينهم يوم القيامة يحتمل وجهين احدهما ان يجزيهم في الآخرة جزاء اختلافهم في الدنيا او يقضي اي يفصل ويبين لهم يوم القيامة المحق للباطل والمحق والمبطل والله اعلم وقوله عز وجل ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها يحتمل ان يكون هذا صلة قوله تعالى وآتيناهم بينات من الامر كانه يقول وآتيناهم بينات من الامر وجعلناك شريعة لك فاتبعها انت وان لم يتبعوها هم والشريعة هي الملة والمذهب وهو ما شرع فيه ويذهب اليه كذلك قاله القتبي قال يقال شرع فلان في كذا اذا اخذ فيه ومنه مشارع الماء الفرض التي يشرع فيها الناس والواردة وقال ابو عوسجة الشريعة السنة والله اعلم ثم اخبر ان الذي هم عليه انما هو هوى النفس فقال عز وجل ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يحتمل قوله تعالى لا يعلمون لما لم يتأملوا فيه ولم يتفكروا ولو تأملوا وتفكروا فيه لعلموا لانه قد ذكر في اول الآية انهم انما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم اي جاءهم من دلائل العلم ما لو تأملوا ونظروا فيها لعلموا والثاني نفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بما علموا وما جعل لهم من العلم والله اعلم وقوله عز وجل انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي لو اتبعت اهواءهم لن يغنوا عنك من الله اي لم يغنوا اولئك عن دفع ما ينزل بك من عذاب الله شيئا وهو ما قال في آية اخرى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية ثم اخبر ان الظالمين بعضهم اولياء بعض بقوله وان الظالمين بعضهم اولياء بعض يحتمل ولاية الدين والمذهب اي بعضهم يوالي بعضا في الدين ويحتمل في غيره اي يلي بعضهم امر بعض في الاعانة والنصرة والله اعلم وقوله عز وجل والله ولي المتقين يحتمل اي يلي امور المتقين ويحتمل ولي المتقين اي ناصرهم ومعينهم وقوله عز وجل هذا بصائر للناس سمى الله تعالى هذا القرآن مرة بصائر وهو ما يبصر به ومرة هدى وبيانا ورحمة ونورا ونحوه وهو هكذا هو هدى وبيان ونور وبصيرة لمن اتبعه ونظر اليه بعين التعظيم والتبجيل وقبله ويحتمل بصائر بيان يبين لهم انه من الله فيبين لهم الحق من الباطل ويبين لهم وما عليهم لمن ذكر لقوم يوقنون وقوله عز وجل ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون قال بعض اهل التأويل ان نفرا من الكفرة قالوا والله ان كان ما يقوله محمد من الثواب والنعيم في الجنة حقا فنحن اولى بذلك منهم كما كنا في نعيم الدنيا ولذاتها اولى منهم ولنعطين افضل من ما يعطون ولنفضلن عليهم كما فضلنا في الدنيا فانزل الله سبحانه وتعالى في ذلك ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية لكن هذا التأويل ضعيف لان هذا لا يصلح ان يكون جوابا للنازلة التي ذكرها اهل التأويل لان اولئك قالوا نحن اولى بما يكون في الآخرة من النعيم واللذات منهم كما كنا في الدنيا اولى وكما فضلنا في الدنيا نفضل في الآخرة فلا يكون قوله تعالى ان نجعلهم سواء جوابا لما قالوا وهم انما قالوا نحن اولى بذلك ونحن نفضل فيها كما فضلنا في الدنيا فاذا كانوا حسبوا انهم مفضلون على المؤمنين في الآخرة دون المساواة كيف يخبر عنهم انهم احسبوا التساوي

مطلب الشريعة هي الملة والمذهب

ولاخلف

764

ولا خلف في خبر الله عز وجل والله اعلم لكن الآية عندنا انما كانت في منكري البعث وجاحديه يقول والله اعلم ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء الآية اي لو كان الامر على ما ظن اولئك بان لا بعث ولا نشور كان في ذلك جعل الذين اجترحوا السيئات اي الشرك كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم لانهم جميعا قد استووا في هذه الدنيا في لذاتها ونعيمها وشدائدها وآلامها وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز وانزال كل واحد منهما منزلته وما يستحقه المسيء العقوبة وجزاء الاساءة والمحسن الاحسان والافضال وجزاء الاحسان فاذا جمع بينهما في هذه الدنيا على ما ذكرنا دل ان هنالك دارا اخرى فيها يفرق ويميز بينهما في حق الثواب والعقاب والله اعلم وهو كقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ولو كان كما ظن اولئك الكفرة ان لا بعث ولا نشور كان خلق ما ذكر من السموات والارض وما بينهما باطلا على ظنهم فكذلك قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلق السموات والارض اذا لم يكن هنالك رجوع اليه عبثا باطلا والله اعلم فهذا اولى والحق ان يصرف اليه الآية وعلى ذلك ذكر في قوله عز وجل قل هل يستوي الاعمى والبصير والسميع الآية وقوله عز وجل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا اي لا يستويان ولو كان الامر على ما ظن اولئك ان لا بعث ولا نشور ولا حيوة كان في ذلك استواء بين من ذكر وقد سوى بينهم في الدنيا وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز اذ لا يجوز التسوية بين الولي والعدو وقد سوى بينهما في الدنيا فعلم ان المراد به نفي الاستواء بينهما في دار اخرى والله الموفق ثم اختلف اهل الكلام فيما يعطي الولي والعدو في هذه الدنيا من الصحة والسلامة على قول اكثر المعتزلة ان الله تعالى لا يعطي احدا في الدنيا من كافر او مؤمن شيئا الا وهو اصلح له في الدين ثم على قولهم لا يظهر عفو الله تعالى لا يظهر عفوه تعالى في الآخرة لانهم يقولون انما يستوجبون الثواب والجنة باعمالهم لا برحمة الله تعالى فاذا عفى عن المسيء فلا يعلم انه كان مستحقا كذلك او يعفو منه فضلا وعندنا ان ما اعطاهم انما يعطيهم افضالا منه ورحمة فيعرفون فضله واحسانه وعفوه واكثر اصحابنا يقولون ان جميع ما اعطى الكافر في الدنيا فهو شر له كقوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله عز وجل ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ونحو ذلك ما يعتبر ان ما يعطي اياهم يكون ذلك شرا لهم وما اعطي يكون خيرا لهم ولكن عندنا ليس هذا على الاطلاق والارسال ولكن ما كان توفيقا منه على الخيرات في نفسها فهو خير له انما يعطي اياهم يكون ذلك شرا لهم وما اعطي يكون خيرا لهم وما كان خذلانا فهو شر له وليس على الله حفظ الاصلح لهم على ما يقوله المعتزلة ولكنه يفعل بهم ما هو حكمة عدل كما يفعل ما هو احسان وفضل والله الموفق قال القتبي اجترحوا السيئات اي اكتسبوها ومنه قيل للكلاب الصيد جوارح وقوله عز وجل خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون كانه يقول والله اعلم خلق الله السموات والارض بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت اي بما خلق ما ذكر بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت فلو لم يكن جزاء لما كسبوا في الدنيا في الآخرة على ما قال اولئك الكفرة ان لا جزاء من الثواب والعقاب لانكارهم البعث لم يكن خلقهما بالحق على ما ذكرنا فثبت انه انما صار خلقهما اذا كان هنالك جزاء وهذا يدل على ان الآية الاولى هي

هي في منكري البعث ليست فيما ذكر اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه
هواه هذا يخرج على وجهين احدهما على التحقيق على ما قاله عامة اهل التاويل انهم عبدوا
كل شئ استحسنوه كانوا اذا استحسنوا شيئا آخر احسن منه تركوا عبادة الاول وعبدوا الثاني
فذلك كانت عادتهم وذلك اتخاذ الالهة بهواهم اذ الاله هو المعبود عندهم وهو التحقيق الذي ذكرنا
والثاني على التمثيل وهو ما قال قتادة انهم ما هووا شيئا الا ركبوه لا يمنعهم مخافة الله عما هووه
ولا يردعهم خشيته عما اشتهوا فصيروا هواهم متبعا فهو كالاله لهم لا يتبعون امر الله فلا يكبرونه
او كلام نحوه والله اعلم وقوله عز وجل واضله الله على علم هذا يخرج على وجوه احدها اي اضله
الله على علم من ذلك الانسان بالطريق الهدى والحق لانه اضله على خفاء ذلك الانسان بالطريق
الحق وسبيله اي قد بين له السبيل وطريق الحق لكنه باختياره الضلال اضله لما علم انه
يختار الضلال والكفر ليكون ما علم انه يكون ويختار والله اعلم والثالث اضله الله تعالى
على علم اي انشا منه فعل الضلال على علم منه بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة هذا يخرج على وجهين احدهما اي غطى قلبه بما هواه وجعل فيه
ظلمة فتلك الظلمة وذلك الغطاء اوجب غطاء السمع والبصر وحال بينه وبين سماع الحجج والبراهين
وصار ظلمة البصر وغطاؤه مانعا لهم عن اكتساب التدبر والتفكر ويحتمل ان يكون ما هووه
مانعا لهم عن اكتساب الحيوة الدايمة لما لو اتبعوا امر الله تعالى وما دعاهم اليه كانت لهم تلك
الحيوة كقوله عز وجل استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وكقوله تعالى او من كان ميتا
فاحييناه فما هووه واتبعوه منعهم عن اكتساب الحيوة الدايمة المدعو اليها والله اعلم وقوله
عز وجل فمن يهديه من بعد الله الاية هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما حقيقة الهداية وهو التوفيق
والعصمة فكانه يقول والله اعلم فمن يقدر دون الله هدايته وتوفيقه بعد اختياره الضلال
والثاني الهدى البيان فكانه يقول والله اعلم فمن يقدر ان ياتي ببيان اكثر وابين من بعد
بيان الله تعالى الذي بين له اي لا احد يقدر ذلك افلا تذكرون اي افلا تتعظون او افلا تذكرون
بيان الله او ما بين لهم والله اعلم ثم الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا لئلا يشتغل
ولايهم لهم ولكن يشتغل بغيرهم ويقطع طمعه عن ايمانهم والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا
ما هي الا حيوتنا الدنيا اي قالوا ما الحيوة الا حيوة الدنيا ويحتمل انهم يقولون ما هي الا حياة
الا الحيوة التي دنت منا وقوله عز وجل نموت ونحيا يخرج على الوجهين احدهما اي نموت نحن
ونحيا ابناؤنا واولادنا والثاني نموت اي كنا ميتين فحيينا نموت بمعنى كنا امواتا ونحيي
اي نصرنا احياء ثم لا حيوة بعد تلك الحيوة والله اعلم وقوله عز وجل وما يهلكنا الا الدهر هذا
يخرج على وجهين احدهما اي ما يهلكنا الا مرور الازمنة والاوقات اي بسبب مرور الاوقات
ينتهي آجالنا ونبلغ الى الهلاك وكذلك قال القتبي وما يهلكنا الا الدهر اي الا مرور السنين والايام
والثاني ان يكون الدهر عندهم عبارة عن الابد فكانهم يقولون في قوله وما يهلكنا الا الدهر
وما يهلك انفسنا الا لان انفسنا لم يجعل للابد ولا للبقاء للابد بل جعلت للانقضاء والفناء
والله اعلم وقوله عز وجل وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون اي ما هم الا على ظن يظنون
اي ما هم الا على ظن يظنون والثاني وما لهم بذلك اي وما لهم بما قالوا وما يهلكنا الا الدهر من علم
ان هم الا يظنون اي ما هم الا على ظن يظنون اي على ظن يقولون ذلك لا عن علم والله اعلم وقوله
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات اي واذا تتلى عليهم آياتنا في البعث والحيوة بعد الموت بينات اي ما يوضح

اي ما يوضح ويبين لهم البعث والحيوة بعد الموت وقوله عز وجل ما كان حجتهم الا ان قالوا
ايتوا بآبائنا ان كنتم صادقين والاشكال انه ذكر ما كان حجتهم اذ لم يعذروا فيقول والحجة
هي التي اذا اقامها الانسان واتى بها عذر في ذلك وما قالوا لم يكن حجة اذ لم يعذروا فيقول معنى قوله
ما كان حجتهم اي ما كان احتجاجهم الا ان قالوا كذا او يقول ما كانوا يحتجون الا ان قالوا كذا ثم قوله
ايتوا بآبائنا ان كنتم صادقين فيه دلالة ان لا يلزم المسؤل ان ياتي بحجة وآية يختارها السايل
ويشتهيها لكن يلزمه ان ياتي بما هو حجة في نفسه ويلزمه الاتباع بها فاما ان يلزم على ما يختار السايل
او يتمناه فلا وقد اتاهم الله تعالى من الآيات والحجج ما الزمهم القول بالبعث والاقرار به ثم اخبر
ان الله تعالى هو يحييكم ثم يميتكم لا الدهر الذي قالوا وهو قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم
الى يوم القيامة يحتمل قوله قل الله يحييكم في قبوركم ثم يميتكم فيها ثم يجمعكم الى يوم القيامة
او يقول الله يحييكم في ابتداء الامر ثم يميتكم في الدنيا عند انقضاء آجالكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة
وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ولكن اكثر الناس لا ينتفعون بما يعلمون او يقول
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لما تركوا النظر والتامل في اسباب العلم وقوله ولله ملك السموات
والارض هذا يخرج على وجوه احدها اي ولله ملك كل ملك في السموات والارض او لله
ملك السموات والارض اي خزاين السموات والارض وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود
رضي الله عنه او يقول ولله حقيقة ملك السموات والارض فان كان التاويل هو الاول فان له
ملك في السموات والارض ففيه اخبار واعلام بليغ اتباع اولئك الملوك والتعظيم لهم والاجلال
والخدمة لهم بما في ايديهم من الملك والسلطان وفضل الاموال بل فيه الامر بصرف ذلك كله
الى الله تعالى والقيام له بالشكر لا لاولئك لان الذي في ايديهم لله تعالى وهو الفاعل في ايديهم
والواضع عندهم فاليه يلزم صرف الشكر والعبادة والله اعلم وان كان تاويل الملك الخزاين
ففيه مطلع الاطماع عما في ايدي الناس والامر بصرف ذلك الى الله تعالى والرجاء منه دون من سواه
والله اعلم وان كان الثالث وهو ان حقيقة الملك لله تعالى ففيه انه فيما امتحنهم في الدنيا بانواع
المحن لم يمتحنهم لمنفعة يرجع الى نفسه او لمضرة يدفع عنها وكذلك ما يثيبهم في الآخرة ويعاقبهم
ليس يفعل ذلك لمنفعة كانت له في الدنيا او دفع مضرة عنه ولكن الحكمة اوجبت ذلك لهم
وعليهم والله اعلم وقوله عز وجل ويوم تقوم الساعة سمي القيامة ساعة تخبر انه يكون
سماها ساعة لسرعة قيامها ونفاذها كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب او انه يكون
سماها بذلك لما يكون حسابهم وامرهم يوم القيامة انما يكون في ساعة والله اعلم وقوله عز وجل
يومئذ يخسر المبطلون يحتمل اي يومئذ يبين خسران المبطلين في الدنيا وعلى ذلك يبين خسران
كل مشركين في تجارة الدنيا اذ في عمل عند القسمة يتبين خسران عملهم وتجارتهم واصله
ان الله تعالى جعل الدنيا وما انشا فيها من الاموال والاملاك رؤس اموال لاهلها يتجرون
ويكتسبون بها الربح في الآخرة وانه انما انشا الدنيا للآخرة لا انه انشاها لنفسها وكذلك قال
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية وقال ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله ونحو والله اعلم وقوله عز وجل وترى كل امة جاثية كل امة يدعى الى كتابها يحتمل
ان يكون ما ذكر من الجثو للركب في الآخرة تعريف لهم وانباء انهم يختصمون يوم القيامة جاثين
للركب كما يختصم في الدنيا عند الحكام والامراء جاثين للركب والله اعلم ويحتمل ان يذكر جثوهم
لما لا يقوم لهم الاقدام ولا يحملهم لهول ذلك اليوم والخوف فيها فيكونون جاثين للركب لا يقومون بها

والله اعلم وقوله عز وجل كل امة تدعى الى كتابها يحتمل كتابها كتاب كل في نفسه وهو كقوله تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه وقوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه واوتي كتابه بشماله ونحو ويحتمل ان يكون قوله كل امة تدعى الى كتابها الذي دعيت كل امة اليه في الدنيا من نحو القرآن ونحو فيقال يا اهل الانجيل يا اهل التورية ونحو ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون كل امة يدعى الى كتابها اي الى حسابها الذي عملت في الدنيا تفسير ذلك ما ذكر اليوم تجزون ون عذاب الهون بما كنتم تعملون في الدنيا وقوله عز وجل هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق يحتمل الكتاب الذي اضاف الى نفسه هو القرآن الذي كان ينطق لهم بالحق اي بالحق الذي لله عليهم وما لبعضهم على بعض او بالحق اي بالصدق بانه من الله تعالى والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك الكتاب هو الكتاب الذي يكون لكل بالانزاد الذي كتبته له الملايكة بما عملوا من خير او شر وهو كقوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والله اعلم وقوله عز وجل انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اختلف في تاويله قال بعضهم ان الحفظة تكتب اعمال بني آدم ثم يعارضون ذلك بما في اللوح المحفوظ المكتوب فيه ان فلانا يعمل كذا وكذا فلا يزيد شيء ولا ينقص وعن ابن عباس رضي الله عنه يقول قريبا من هذا ان في السماء كتابا عليه ملايكة والملايكة الذين مع بني آدم يستنسخون من ذلك الكتاب ما يعملون ثم قال وهل يكون النسخة الا من كتاب او شيء والله اعلم وقال بعضهم ملكان موكلان بالكتابة يكتب كل واحد منهما ما يعمله فاذا اراد ان يصعد الى السماء فيعارض كل واحد منهما كتابه الذي كتبه مع كتاب الاخر فلا يخطئ حرفا مما كتب هذا ما كتب الاخر والله اعلم وقال بعضهم عرض كتاب الناس الذي عملوا كل يوما وكل خميس فينسخ منه الخير والشر وما يثاب عليه وما يعاقب ويلقى ما سوى ذلك مما لا ثواب له ولا عقاب والله اعلم ويحتمل ان يراد من الاستنساخ ابتداء الكتابة من غير اخذ من كتاب ونحوه فانه يجوز ان يستعمل الانتساخ في ابتداء الكتابة على غير اخذ من كتاب وغيره نحو ان يقول الرجل انسخته اي كتبته فيكون كانه قال انا كنا نستنسخ اي نكتب ما كنتم تعملون ونثبته عليكم من خير او شر فيخرج لهم كتبهم التي فيها اعمالهم فكانت عليهم حجة وهي التي كتبت عليهم الحفظة وقال ابو عوسجة الجاثية هي التي جثت واجتمعت ويقال تجاثينا اي بركنا على ركبنا للخصومة وقال القتبي جاثية على الركب يراد انها غير مطمئنة وقوله تعالى يدعى الى كتابها الى حسابها وقوله هذا كتابنا ينطق بالحق يريد انهم يقرؤن فيذكرهم فكانه ينطق عليهم وقوله تعالى انا كنا نستنسخ اي نكتب على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فاما الذين آمنوا اي آمنوا بجميع ما كان عليه الايمان به والتصديق وقوله عز وجل وعملوا الصالحات اي عملوا بما فيه صلاحهم وما يوجبه الحكمة من العمل فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته سمى الجنة رحمة لانها ينال برحمته ويدخل فيها او سماها رحمة لانها هي النهاية والغاية التي يطلب بالرحمة ويراد بها والله اعلم وقوله عز وجل ذلك هو الفوز المبين الاية الفوز هو الظفر بما يؤمل ويرجى من العمل ويقال الفوز هو الفلاح الذي لا خوف بعده والله اعلم قوله عز وجل واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم كان فيه اضمار لان قوله تعالى واما الذين كفروا انما هو اخبار على المعاينة وقوله تعالى افلم تكن آياتي عليكم خطاب ومشافهة فليس هو من جواب الاول ولا من نوعه فكانه قال والله اعلم واما الذين كفروا في الدنيا فيقال لهم في الاخرة اذا طلبوا الرجوع والاقالة او التخفيف ونحو ذلك افلم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا ثم يحتمل آياته آيات وحدانيته والوهيته او آيات قدرته وسلطانه على التعذيب او آيات قدرته

في الفوز

على البعث

على البعث وآيات رسالة رسله والله اعلم وقوله عز وجل فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين لا احد يقصد قصد الاستكبار على آيات الله لكنهم لما كذبوها وردوا آياته ولم يعملوا بها فكانهم استكبروا عليها وكما قال لا تعبدوا الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنهم لما عبدوا الاصنام بامر الشيطان فكانهم عبدوه ويحتمل ان يكونوا استكبروا على رسله فيكون استكبارهم على رسله كانهم استكبروا عليه واستكبروا على آياته والله اعلم وقوله عز وجل وكنتم قوما مجرمين قيل المجرم هو الوثاب في المعصية والله اعلم وقوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين كان عندهم فيها ريب لكنهم لو تأملوا ونظروا فيما اقام من آياته زال عنهم الريب الذي كان لهم فيها ويحتمل ان يقال هذا على الايقان اذا كان القايل به موقنا وان كان الذي يقال له شاكا في ذلك والاول اقرب واشبه ثم الناس رجلان في الساعة موقن بها ومتحقق ولكن في العمل بها والاستعداد لها كالظان والثاني ظان بها شاك فيها حاجة لها ومكذب كالموقن ان لا يكون ثم الايقان بالشيء هو العلم بالاسباب الظاهرة وقد يدخل في تلك الاسباب ادنى شبهة وشك لذلك ذكر فيه الظن والله اعلم واما العلم بالشيء قد يكون بالسبب وقد يكون بالتجلي له بلا سبب ولذلك وصف الله تعالى بالعلم ولم يوصف بالايقان ولا يقال انه موقن لما ذكرنا ان احدهما يكون باسباب والاخر لا والله اعلم فيتمكن في الايقان ادنى شبهة وشك وقد يعمل غالب الاسباب عمل حقيقة الاعمال نحو المكره على الشر ليعلم بما اوعد به بغالب اسبابه ليس على الحقيقة والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم سيئات ما عملوا هذا يخرج على وجهين احدهما بدا لهم ان الاعمال في الدنيا انها اسباب في الاخرة لانهم عملوها في الدنيا وعندهم انها حسنات فيظهر لهم في الاخرة انها سيئات والثاني بدا لهم سيئات ما عملوا اي ظهر لهم في الاخرة وتذكروا سيئات ما عملوها في الدنيا والاخرة والله اعلم وقوله عز وجل وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اي نزل بهم ووجب ما كانوا يستعجلون من الرسل وهو العذاب الذي كانوا يوعدون لانهم انما كانوا يستعجلون ذلك استهزاء منهم بهم بانه غير كاين ولا نازل بهم ما كانوا يوعدون والله اعلم وقوله عز وجل وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا والاشكال انهم كيف ينسون يومئذ لانهم لو كانوا ينسون لسلوا من العذاب لكن ما ذكر من النسيان يخرج على وجهين احدهما كنى بالنسيان عن الترك يقول اليوم نترككم في النار وفي العذاب كما تركتم العمل لذلك اليوم والنظر فيه والثاني على التمثيل اي اليوم نصيركم في النار كالشيء المنسي لم نكترث اليكم ولا يلتفت ولا يعبأ بكم كما صرتم انتم ذلك اليوم كالشيء المنسي لم يكترثوا اليه ولم تعملوا به والله اعلم وقوله عز وجل ومأويكم النار وما لكم من ناصرين جعل الله تعالى النار لهم مأوى بازاء كل ما افتخروا في الدنيا على رسل الله عليهم السلام واتباعهم من المنازل والمراكب والملابس وغير ذلك واخبر انه لا ناصر لهم يملك اخراجهم من تلك النار والمأوى الذي جعل لهم ولا يقدر دفع ذلك عنهم والله اعلم ثم اخبر ان بعض ذلك الذي اصابهم ونزل بهم انما كان بما ذكر من اتخاذهم آيات الله هزوا في الدنيا هزؤا بها وسخروا بالرسل عليهم السلام ثم آيات الله يحتمل ما ذكرنا من آيات وحدانيته والوهيته وآيات قدرته وسلطانه على البعث وآيات رسالة الرسول عليه الصلوة والسلام وقوله عز وجل وغرتكم الحيوة الدنيا قد ذكرنا فيما تقدم

في ان لا تعبدوا الشيطان

المجرم والوثاب في المعصية

الفرق بين العلم والايقان

تعريف ايقان

في تعزيز الدنيا

معنى نسبة التغرير الى الحيوة الدنيا واضافته اليها وان لم يكن منها على التحقيق تغرير وخداع
وهو انهم انما اغتروا بها فنسب فعل التغرير اليها كانها هى غرتهم وقد ينسب الفعل الى السبب
الذى به صار ذلك وان لم يكن منه حقيقة ذلك نحو قوله تعالى والنهار مبصرا اى يبصر به
وذلك كثير فى اللغة او يقال ان ما كان منها لو كان ذلك ممن يحتمل التغرير ويملك ذلك كان
تغريرا والله اعلم وقوله فاليوم لا يخرجون منها ولاهم يستعتبون اختلف فى قوله ولاهم
يستعتبون قال بعضهم انهم يعاتبون الى ان يدخلوا النار انكم فعلتم كذا وتركتم كذا ولم فعلتم
كذا فاذا دخلوا النار يترك العتاب ويجعل كالشئ المنسى فيها والله اعلم وقال بعضهم
ولاهم يستعتبون اى لا يسترجعون الى ما يطلبون من العود والرجوع الى العمل الصالح كقولهم
ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل الآية ثم فى قوله ان نظن
الا ظنا وقوله ورأى المجرمون النار فظنوا الآية وقوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
دلالة ان لا يجب ان يفهم على ظاهر ما خرج الخطاب انه ذكر الظن فى المؤمنين والمراد به الايقان
لا ظاهر الظن وذكر فى الكافرين الظن واريد به الحقيقة ولا يجوز ان يفهم من الظن فى الفريقين
معنى واحدا بل يفهم من هذا غير الذى فهم من الآخر والله اعلم وقوله عز وجل فلله الحمد
رب السموات والارض رب العالمين ان جميع ما ذكر فى القرآن من الحمد له فانما ذكر لاحد
شيئين احدهما بما يستحق من الثناء بتعاليه عن جميع معانى الخلق واوصافهم والثانى بما يستحق
من الثناء عليهم بالنعم والاحسان الذى منهم اليهم وهو ما قال الحمد لله رب العالمين
والحمد لله الذى خلق السموات والارض ونحو ذلك والله اعلم واصل اخر انه اذا اضيف
كلية الاشياء الى الله تعالى ففيه وصف له بالعظمة والجلال واذا اضيف جزئية الاشياء
اليه وخاصيته فانما فيه تعظيم تلك الخاصية المضافة اليه وفى قوله تعالى فلله الحمد
رب السموات والارض رب العالمين اضافة كلية الاشياء اليه والخاصية والجزئية ففيه
الامران جميعا فان قوله عز وجل فلله الحمد رب السموات ورب الارض اضافة جزئية
الاشياء اليه وخاصيته وقوله عز وجل رب العالمين اضافة كلية الاشياء اليه والله اعلم
وقد تقدم ذكر الرب فى غير موضع وقوله عز وجل وله الكبرياء فى السموات والارض هذا
يخرج على وجهين احدهما اى وله الكبرياء والعظمة على اهل السموات واهل الارض ان يصفوه
بالكبرياء والعظمة او من حقه على اهل السموات واهل الارض ان يصفوه بالكبرياء والعظمة
والجلال والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الحكيم اى هو العزيز الذى لا يلحقه الذل
بخلاف الخلق له ولا بعصيانهم او هو العزيز بما به يتعزز من اعز دونه ومن وصف بعز
دونه فذلك راجع فى الحقيقة اليه الحكيم الذى وضع كل شئ موضعه والحكيم الذى لا يلحقه الخطأ
فى التدبير والله الموفق. الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله وصحبه.

سورة الاحقاف مكية وآيها ثلثون واربع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قد ذكرنا تاويله فيما تقدم
وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق قوله عز وجل الا بالحق
اى خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق الذى صار انشاء ذلك وخلقه حكمة لانه لو كان

قد ينسب الفعل الى سبب وان لم يكن منه حقيقة ذلك

الامر

الامر على ما ظن اولئك الكفرة وتوهموا بان لا بعث ولا جزاء من ثواب وعقاب كان انشاء ما ذكره
من السموات والارض وخلق ذلك كله عبثا باطلا على ما تقدم ذكره فى غير موضع والله اعلم وقوله
عز وجل والذين كفروا عما انذروا معرضون يحتمل عما انذروا معرضون وجهين احدهما اى عما الزمهم
من النظر والتفكر فيما ذكر من خلق السموات والارض وما انشأ فيهما من المنافع وجعل ذلك لهم آية
لم يفعل ذلك كله عبثا باطلا ولكن العاقبة يقصد ولا مراد اذ عرفوا بعقولهم انه لا يجوز خلق
الخلق على ان يهملوا ويتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يمتحنهم فاعرضوا عما الزمهم من النظر
والتفكر فى ذلك فهم معرضون اعراض ترك النظر والتفكر والله اعلم والثانى ما انذروا
بما نزل بمن تقدمهم من مكذبى الرسل عليهم الصلوة والسلام والثانى بما انذروا واوعدهم
من العذاب فى الآخرة فهم معرضون عن ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل قل ارأيتم ما تدعون
من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل
هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين يحتمل ان يكون ما ذكر كله موصولا بعضه ببعض ويحتمل
ان يكون بعضه مفصولا عن بعض فان كان على الوصل فكانه يقول ارأيتم ما تعبدون
من دون الله من الاصنام وتدعونها آلهة هل خلقوا بما لكم من المنافع ومما به حيوتكم
وقوامكم ومعاشكم مما يخرج الارض او هل ينزلون لكم من المنافع الذى جعل لكم فى السماء
من الامطار وغيرها او هل اتاكم كتاب من عند الله فيه انه امركم بعبادة من تعبدونه او اثرة
من علم هو يخرج على وجهين احدهما او جاءكم من الحكماء الاولين المتقدمين كتاب او قول فيه
الامر بذلك او استخرجتم من العلوم ذلك فعلمتم به يقول والله اعلم ان الاسباب التى
يحمل الناس على العبادة والخدمة لهم هذه الوجوه اما منافع يتصل بهم منهم مما به
قوامهم ومعاشهم وحياتهم واما كتاب من الله تعالى فيه حجة لهم وامر لهم فى ذلك
او كتاب من الحكماء والرسل يأمرون لهم وهم قوم لا يؤمنون بالرسل ولا بالكتاب وليس لهم
علوم مستخرجة من العلوم يقول ليس لكم بما ذكر من الاسباب والعلوم بما عبدتموها فكيف
اخترتم عبادتها على عبادة من عرفتم ان ما به قوامكم وحيوتكم منه والله اعلم وان كان
مفصولا من بعض فيكون كانه يقول اروني ماذا خلقوا من الارض من المنافع وغيرها ام لهم
شرك فيما ذكر فقل لهم ائتونى بكتاب من قبل هذا من كتاب الحكماء او العلوم المستخرجة
من العلوم ان كنتم صادقين انهم خلقوا ما ذكرتم او لهم شرك فيما ذكر والله اعلم وقد علموا
انهم لا يقدرون ان يرونه ما ذكر لما لم يكن لهم من هذه الاسباب شئ اذ هى اسباب العلم
وقد عجزوا عن ذلك كله ثم قوله عز وجل او اثارة من علم قال بعضهم او خاصة من علم
وقال بعضهم او بقية من علم وايلهم وهو قول القتبى اى بقية من علم يؤثر عن الاولين
ويقرأ اثرة واثارة واصله ما ذكرنا من الوجهين احدهما كتاب الحكماء والرسل عليهم السلام
والثانى العلوم المستخرجة من ساير العلوم وقال بعضهم او اثارة من علم هو الخط وهو
قول ابن عباس رضى الله عنه وذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان نبى من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام يخط فمن صادف مثل خطه وقال ابو عوسجة او اثارة من علم اى قديم
من علم قال والاثارة الشحم القديم وقيل اثارة من علم اى رواية عن الانبياء عليهم الصلوة
والسلام ثم ذكر سفههم ونهاية تعنتهم وهو قوله عز وجل ومن اضل ممن يدعوا من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيامة لانه لا يملك اجابته ولا يحتمل ذلك والثانى لا يستجيب له

الكفار عرفوا بعقولهم انه لا يجوز خلق الخلق على ان يهملوا ويتركوا سدى

الى يوم القيامة ثم اذا جاء يوم القيامة اجابر باللعن والتبرى كقوله تعالى ويوم القيامة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله عز وجل اذ تبرء الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
وقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم وغير ذلك
من الآيات التى فيها ذكر تبرى بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضا والله اعلم وقوله عز وجل
وهم عن دعائهم غافلون لم يكن منهم لهم لغو بذلك ولا دعاء ولا شئ من ذلك كقوله تعالى ان كنا
من عبادتكم لغافلين وقوله عز وجل واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم
كافرين هو ما ذكرنا انه يصير بعضهم لبعض اعداء يتبرون منهم ويلعنونهم ويكفرون بعبادتهم
وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم آياتنا بينات اى بينات انها من الله تعالى او بينات واضحات
ما يبين لهم ما عليهم مما لهم وما لبعض على بعض وما لله عليهم وقوله عز وجل قال الذين كفروا
للحق لما جاءهم هذا سحر مبين يحتمل ان يكون الحق الذى قالوا انه سحر هو تلك الآيات
البينات التى ذكر انها تليت عليهم قالوا انها سحر وذلك قولهم انها سحر على انها كانت معجزات
خارجات عن وسعهم حيث نسبوها الى السحر وقوله عز وجل ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فلا تملكون لى من الله شيئا هذا حرف المنابذة يقول ان افتريته فلا تملكون انتم دفع عقوبة ذلك
الافتراء عن نفسى وهو كقوله تعالى ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلى اجرامى يقول على
اثم ذلك وجرمه وانما يقال هذا عند انتهاء الحجج والبراهين غايتها حتى لا يطمع منهم
القبول والنفع فيهم ويونس منهم فعند ذلك يقال ذلك وينابذ والله اعلم وقوله عز وجل
هو اعلم بما تفيضون فيه اى بما يخوضون فيه يقول هذا ويذكر لئلا يقولوا ولا يدعوا
غفلته عن ذلك بل يذكرهم انه كان عالما بما يسرون وما يعلنون وقيل تفيضون من قولهم
افاضوا اذا علوا ويجدوا وهو قول القتبى وقوله عز وجل وكفى به شهيدا بينى وبينكم يخرج
على وجهين احدهما اى يشهدون فى الآخرة انه قد بلغ رسالته والثانى اى كفى به شهيدا
بينى وبينكم فى الدنيا بما علم ما كان منهم من الشرك والتكذيب ومنى من التبليغ فهو شاهد
بما كان منى ومنكم فى الدنيا من سر وعلانية وقوله عز وجل وهو الغفور الرحيم ذكر هذا
فى هذا الموضع على اثر ما ذكر من غاية سفههم وتعنتهم والله اعلم كانه يقول انكم وان بلغتم
فى السفه ما بلغتم فانكم اذا رجعتم عن ذلك وتبتم يغفر لكم ما كان منكم والله اعلم ثم وقوله عز وجل
ومن اضل ممن يدعوا من دون الله ان كان على حقيقة العبادة فهو صلة قوله قل ارايتم ما تدعون
من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات الآية يقول والله اعلم ومن اضل
ممن يعبد من لا يملك ما ذكر من خلق الارض ولا له شرك فى السموات وما ذكر وترك عبادة من خلق
السموات والارض خلق الارض وشهد كل شئ له بذلك واتى بالحجج والبراهين على ذلك اى لا احد
اضل ممن ترك عبادة من هذا وصفه وصرف العبادة الى الذى لا يملك شيئا من ذلك والله اعلم
وان كان على الدعاء نفسه فهو صلة ما ذكر من قوله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم
غافلون اى ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يملك اجابته ولا يسمع دعاءه وترك دعاء
من يملك اجابته ويسمع دعاءه ويقدر قضاء ما يدعون ويسألون اى لا احد اضل من اختار دعاء
من لا يملك شيئا من ذلك على دعاء من يملك ذلك كله يسفههم فى صنيعهم واختيارهم على ما اختاروا
والله اعلم وقوله عز وجل قل ما كنت بدعا من الرسل كان هذا انما ذكر والله اعلم لانكار اهل مكة
الرسل من البشر واستعظامهم وضع الرسالة لهم فيهم فقال عند ذلك ما كنت بدعا من الرسل

اولست انا انا رسول من البشر بل لم يزل الرسل من قبل كانت من البشر فى آفاق الارض
واطرافها فما بالكم تنكرون رسالتى وان كنت من البشر وتستعظمونها وساير الرسل الذين من قبلى
كانوا من البشر والله اعلم قال ابو عوسجة ما كنت بدعا من الرسل اى ما انا باولهم قد ارسل قبلى
وقال القتبى وما كنت بدءا منهم ولاولا وقوله عز وجل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم هذا يخرج على وجوه
احدها اى ما كنت ادرى قبل ذلك ما يفعل بى ولا بكم ان ارسل واختص للرسالة واختار لها
وابعث اليكم وتلزمون انتم اتباعى والاجابة الى ما ادعوكم اليه والله اعلم والثانى وما ادرى
ما يفعل بى ولا بكم من اخراجى من بين اظهركم واهلاككم كما فعل بالرسل الذين كانوا من قبل
واقوامهم امروا بالخروج من بين اظهرهم ثم تعقب ذلك استيصال قومهم اى ما ادرى ما يفعل بى
وبكم ما ذكرنا كما فعل لمن تقدمنا من الرسل وقومهم والله اعلم والثالث وما ادرى ما يفعل بى
ولا بكم مخافة التغيير عليه وتبديل الحال ولم يزل الرسل عليهم الصلوة والسلام يخافون تغيير
الاحوال عليهم وتبديل ما انعم عليهم وذهاب ما اختصوا هم به كقوله ابراهيم عليه الصلوة والسلام
واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وقال شعيب عليه الصلوة والسلام الا ان يشاء الله ربنا وسع
ربنا كل شئ علما الآية وما ذكر فى سورة يوسف عليه السلام ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك
الا ان يشاء الله الآية وقول يوسف عليه الصلوة والسلام توفنى مسلما والحقنى بالصالحين
وقول يعقوب عليه الصلوة والسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك لم يزل كانت الرسل عليهم والسلام على خوف من تغيير الاحوال
التى كانوا عليها فعلى ذلك يجايز ان يكون قوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم التغير على وعليكم الاحوال
التى نحن عليها اليوم ام تترك على ذلك وحقيقة هذا الكلام على الاستقصاء قدمت والله اعلم
وذكر بعض اهل التأويل ان اهل مكة كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضوان الله عليهم اجمعين بانواع الاذية فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يلقون
منهم فقال انى لم اومر بشئ فيهم من القتال وغيره فاصبروا على ذلك ولكنى رايت فى المنام
ان اهاجر الى الارض اخرى ذات كذا فاستبشروا بذلك فمكثوا بعد ذلك زمانا لا يرون شيئا
مما ذكر فشكوا اليه ثانيا بما يلقون منهم وقالوا ما نرى ما قلت لنا من الخروج عنهم فقال انما رايت
ذلك فى المنام ولم يات به وحى من السماء ايكون ذلك ام لا يكون او نحو هذا من الكلام وهذا لا يحتمل
ان يكون فانه لا نظن باصحابه رضى الله عنهم ان يقولوا له ما نرى الذى قلت لنا من الخروج
عنهم وفى ذلك اتهامه بذلك وترك تعظيمه ولا تظنيا لنبى صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم
انا رايت ذلك فى المنام ولم يات به وحى من السماء جوابا لقولهم ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة
والسلام كالوحى من السماء ذكان هذا لا يحتمل ان يصح ويثبت والله اعلم اما جايز بعض ما ذكر
فى القصة من الشكاية منهم من الاذى والوعد لهم بالخروج من بينهم والله اعلم والوجه
التى ذكرنا اشبه واقرب الى العقل والله اعلم وقوله عز وجل ان اتبع الا ما يوحى الى وما انا
الا نذير مبين ظاهر وقوله عز وجل قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى
اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم الآية قال بعضهم ان عبد الله بن سلام آمن برسول الله
صلى الله عليه وسلم وصدقه وشهد انه رسول الله ثم شهد بمثل ذلك ابن يامين وقال بعضهم
شهد ابن يامين اولا انه رسوله وآمن به وصدقه ثم شهد بمثله ابن سلام والله اعلم والاشبه
فى هذا ان يكون قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل التوراة او موسى عليه السلام على ذلك

كقوله تعالى ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمةً وهذا كتاب مُصَدِّقٌ لساناً عربياً شهد كتاب موسى
وموسى على مثل ما شهد به كتاب رسول الله ورسوله عليه السلام والله اعلم ولان عبد الله بن سلام
انما اسلم بالمدينة وكذلك ابن يامين وهذه السورة مكية لكنهم يقولون هذه السورة مكية الا هذه الايات
الثلاث والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه
يحتمل ان يكون هذا القول من الاجلة والرؤساء منهم الذين كان منهم صلة الارحام وانواع الخيرات
واعمال الصالحة قالوا لو انا قد سبقناهم في الخيرات سوى ذلك فلو كان ذلك الذي تدعونا اليه
خيراً ما سبقونا كما يسبقونا الى سائر الخيرات وقوله عز وجل واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك
قديم اى واذ لم يهتدوا بهم من بيننا فيقولون هذا القرآن افك قديم اى كذب قديم فكان قولهم
لو كان خيراً ما سبقونا اليه بحق الاحتجاج وقولهم فسيقولون هذا افك قديم تكذيب منهم
ورد لذلك ثم قوله افك قديم يقولون والله اعلم لم يزل من ادعى الرسالة يدعى على الله
ما يدعى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من انزال الكتب عليهم وبعثه اياهم ابن سلام الى الناس
بطلب الرسالة لهم عليهم وقوله عز وجل ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمةً اى اماماً يقتدى به
ورحمة لمن اتبعه في دفع العذاب عنه وقوله تعالى وهذا كتاب مصدق ذكر هاهنا مصدق
ولم يذكر انه مصدق لماذا لكن قد ذكر في غيره اى من القرآن مصدقاً لما بين يديه ثم قوله مصدق
لما بين يديه يحتمل اى موافقاً لما لم يحرف ولم يغير من تلك الكتب لان تلك الكتب قد حرفوها
وغيروها ولم يغير ولم يحرف هذا الكتب وقد حفظه الله تعالى عز وجل عن التبديل والتغيير
فهو مصدق موافق لما لم يغير ولم يحرف من تلك الكتب والله اعلم وقوله لساناً عربياً اى انزله
بلسان عربي ليعلم انه لم يأخذه محمد صلى الله عليه وسلم من تلك الكتب لان تلك الكتب
كانت على غير لسان العرب ولسانه عربي ولكن جاءه من الله تعالى بلسانه وقوله عز وجل
لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين فمن قرأ لتنذر بالتاء فتاً ويله لتنذر يا محمد الذين
ظلموا ومن قرأ بالياء لينذرهم القرآن وقد ذكرنا فيما تقدم تفسير النذارة والبشارة
والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاستقامة يحتمل وجهين
احدهما اى قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ذلك القول الذي قالوا وثبتوا على ذلك ولم يتغير
ولم يتبدل حالتهم تلك والله اعلم والثاني قالوا ربنا الله ثم استقاموا بحق الوفاء بالعمل
بما اعطوا بلسانهم وقلوبهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها
وقد ذكرناه في غير موضع وقوله عز وجل جزاء بما كانوا يعملون جعل ذلك لهم جزاء اعمالهم
بفضله ورحمته لا انهم يستوجبون ذلك بنفس عملهم ولكن بالتفضل والرحمة وذكر جزاء
الاعمال فضلا منه وقوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه احساناً وحسناً كانه قال
امرنا الانسان ان يحسن الى والديه احساناً فالحسن هو اسم ما يقع بهم من البر وهو المفعول
والاحسان هو اسم فعله الذي يفعل بهم وقوله عز وجل حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً وقال
في آية اخرى حملته امه وهناً على وهن وقال في آية اخرى حملت حملاً خفيفاً اى انها في اول
ما حملت حملاً خفيفاً فلما كبر اثقلت وهو وصف الولد وقوله عز وجل وهناً على وهن وذلك
في الام لانها لا تزال تضعف وتهن من اول ما حملت الى آخر ما وضعت وقوله تعالى حملته امه
كرهاً ووضعته كرهاً في اول ما تحمل تجد كراهة في نفسها الى وقت وضعها والثاني يشبه
ان يكون على الجمع في الام دون الولد على اختلاف الاحوال وهو في الابتداء يخفف عليها الحمل

ويثقل ذلك عليها اذا دنا وقت وضعها وما ذكر من الوهن فهو ما ذكرنا انها لا تزال تزداد ضعفاً
فيها ووهناً من اول حملها الى وقت وضعها وما ذكر من الكراهة فهو اذا تم حملها شق ذلك عليها
وكذلك الوضع لا شك ان ذلك يشق عليها والتأويل الاول على التفريق في حال يرجع الوصف
الى الولد وفي حال الى الوالدة والثاني يرجع ذلك كله الى وصف الام وعلى التأويلين حصل التوفيق
بين الآيات لرجوعها الى اختلاف الاحوال فامكن الجمع بين الكل في الاحوال والاختلاف انما يكون
في حال واحد والله اعلم وقوله عز وجل وحمله وفصاله ثلثون شهراً اختلف فيه قال بعضهم
ان الآية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حملته امه كرهاً اى بمشقة ووضعته
بمشقة ثم وضعته على تمام ستة اشهر وقال بعضهم الآية نزلت في الحسن والحسين رضي الله عنهما
وضعته على ما ذكر في المدة ثم منهم من يقول الآية وان نزلت في نازل بعينها لكن ما ذكر من الحكم
فذلك في كل انسان وهو ان يكون الولد ثابت النسب من الاب بهذه المدة فانه روى
عن عمر رضي الله عنه انه اتى بامرأة وضعت في ستة اشهر فاراد ان يرجمها فقال ابن عباس
رضي الله عنه يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد جعل لها في كتابه مخرجاً قال الله تعالى والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين وقال وحمله وفصاله ثلثون شهراً ستة اشهر لحملها
ورضاعه سنتين فاخذ بقول ابن عباس رضي الله عنه ودرأ عنها الرجم وكذلك
روى عن عثمان رضي الله عنه انه اتى بامرأة وضعت لستة اشهر فهم ان يرجمها فقال له
ابن عباس رضي الله عنه اما انها لو خاصمتكم بكتاب الله خصمتكم ثم تلا هذه الآية وكذلك ذكر
عن علي رضي الله عنه ان عثمان رضي الله عنه لما امر برجم المرأة التي وضعت لستة اشهر
فسمع ذلك علي رضي الله عنه فاتى عثمان رضي الله عنه فقال له ما صنعت فقال له عثمان
رضي الله عنه وهل تلد المرأة الولد التام لستة اشهر قال نعم ثم تلا هذه الآية فهؤلاء
الصحابة رضي الله تعالى عنهم قدروا الآية في كل امرأة وضعت لتلك المدة في حق ذلك الحكم الذي ذكر
والله اعلم ثم روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا وضعت المرأة لستة اشهر ارضعته
حولين كاملين لان الله تعالى عز وجل يقول وحمله وفصاله ثلثون شهراً واذا وضعت لسبعة اشهر
ارضعته ثلاثة وعشرين شهراً واذا وضعته لتسعة اشهر ارضعته احد وعشرين شهراً فعلى قياس
هذا جايز انها اذا وضعته لسنتين ان يكون رضاع ستة اشهر يزاد وينقص على ذلك القدر
الا ترى انه روى ان المرأة التي حملت سنتين ولدت وقد نبتت له ثنيتان فمثل هذا الولد
لا يحتاج من الرضاع ما يحتاج الذي ولد لستة اشهر لذلك كان ما ذكر ثم اذا احتمل الفصال
عن الحولين لما ذكرنا جازت الزيادة على الحولين على ما قال ابو حنيفة رحمه الله لان ما ذكر
من الحولين انما هو رضاع اقل الحمل وهو ستة اشهر لان الذي ولد لستة اشهر كان
الى الاغتذاء بالطعام ابعد من الذي ولد لتسعة اشهر لضعفه في نفسه والذي ولد لتسعة
اشهر هو الى الاغتذاء بالطعام اقرب منه والذي ولد لسنتين هو اقرب الى الاغتذاء بالطعام
من المولود لتسعة اشهر لقوته وقلة حاجته الى الغذاء باللبن فاذا كان قوله تعالى حولين كاملين
هو اقل رضاع يكون لانه ذكر للمولود لاقل الحمل حيث قال وحمله وفصاله ثلثون شهراً
ثم قال وفصاله في عامين فاذا كان اقل الحمل الزيادة التي ذكر ابو حنيفة رحمه الله وهو
ستة اشهر على السنتين كما يصير رضاع اكثر الحمل ستة اشهر واعتبر في الباب
الى قوة الولد وضعفه واحتماله الغذاء بالطعام وعدم الاحتمال والله اعلم وقوله عز وجل

حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة الى اخر ما ذكر دلت هذه الاية على ان الاية التى
ذكرنا نزلت فى انا لم حيث اخبر انه اذا بلغ ذلك المبلغ قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى
انعمت على الاية ثم قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ذكر اول ما يشتد عقله ويدخل
فى القوة الى الوقت الذى يكون على الزيادة فاذا جاوز ذلك الوقت ياخذ فى الانتقاص وهو اربعون سنة
وقال اهل التاويل بلوغ الاشد هو ثمان عشرة سنة الى اربعين وهو ما ذكرنا انه اول وقت
دخوله فى الزيادة والقوة الى الوقت الذى اذا بلغ ذلك ياخذ فى النقصان والله اعلم وقوله عز وجل
قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى ذكر قوله وعلى والدى على انه
على الرجل شكر ما انعم على والديه واحسن اليهما كما يلزمه شكر ما انعم عليه لما يكون يدوا لاولاد
الاولاد اتصاد بالوالدين وما لهما من النعم يصل نفعها اليهم ايضا فيلزمهم شكر ما انعم عليهم
بالايمان والنعم فى وقته وقوله عز وجل وان اعمل صالحا ترضاه هذا على كل مسلم ان يدعوا
بمثل هذا الدعاء ويسال ربه التوفيق على عمل صالح يرضاه وقوله عز وجل واصلح لى فى ذريتى هذا
يحتمل وجهين احدهما اى اصلح لى فى ذريتى على طرح حرف فى منه كقوله هب لى من لدنك ذرية
طيبة وقوله عز وجل فهب لى من لدنك وليا يرثنى والله اعلم ثم قوله تعالى اوزعنى الهمنى وفيه دلالة
نقض قول المعتزلة لانه سال ربه ان يوزعه شكر ما انعم عليه ومن قولهم ان ليس على المرء الشكر
الا بعد اعطاء جميع ما به نشكر حتى لا يبقى عنده مزيد فيكون مثل هذا الدعاء لعبا وهزوا
على قولهم لانهم يسالون ما يعلمون ان ليس عنده ذلك وانه لا يملك وكذلك قوله وهما يستغيثان الله
ومن قولهم انه ليس عنده ما يغيثه فيخرج دعاؤهم على ما ذكرنا على مذهبهم وبالله العصمة وقوله
عز وجل اولئك الذين يتقبل عنهم ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم كان لهم عملان حسنات وسيئات
فاخبر انه يتقبل عنهم حسناتهم ويجزيهم جزاءها ويتجاوز عن سيئاتهم ويكفرها ولا يجزيهم
جزاءها فضلا منه ورحمة والمراد من الاحسن الحسن ويجوز ذلك فى اللغة وقوله عز وجل
وعد الصدق الذى كانوا يوعدون اى ذلك الذى اخبر وذكر انه يفعل لهم هو وعد الصدق
بفى ذلك لهم وهو قادر على وفاء ما وعد ومن يكون منه الخلف فى الوعد فى الشاهد انما يكون
لاحد وجوه ثلثة اما لعجز يمنعه عن وفاء ما وعد او جهل وبدو يبدو له فيرجع عن ذلك او حاجة
والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك كله للقدرة الذاتية والغنى الذاتى والعلم الازلى والله الموفق
وقوله عز وجل والذى قال لوالديه اف لكما اتعداننى ان اخرج الى ما ذكر خرج اهل التاويل
هذه الاية فى عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهما ووالدته فلانة والاية الاولى
فى ابى بكر الصديق ووالديه وهى قوله ووصينا الانسان بوالديه فيقولون ان ابا بكر الصديق
رضى الله عنه اطاع والديه وامر بالاحسان اليهما والشكر لهما وسال التوفيق فى الشكر لربه على ما انعم
عليه وانعم على والدته وعبد الرحمن ابنه قد عصى والديه وخلفهما فيما يدعوانه اليه وقال لهما
قولا رديا حيث قال اف لكما اتعداننى ان اخرج من القبر واحيى وقد خلت من قبلى من القرون
فلا اراهم بعثوا ونحو ذلك من الكلام الا ان هذا لا يصح لان عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهم
فى اجلة الصحابة رضى الله عنهم فالظاهر انه لم يكن منه مثل هذه المجادلة ولان اهل التاويل قالوا
انه كان قال لوالديه ان كان ما تقولون حقا اخرجوا فلانا وفلانا ذكر نفرا من اجداده فقال اولئك
الذين حق عليهم القول الاية ولا يحتمل ان يكون هذا جواب ما تقدم من القول لانه فى وجوب
ما ذكر وهو استحقاق العذاب عليهم منع العود والاحيا فى الدنيا ولانهم لو كانوا يعادون لا يسقط

مطلب مما يحفظ البتة على الرجل شكر ما انعم على والديه ايضا الخ

مطلب على كل مسلم وجوب دعاء التوفيق العمل يرضى الله تعالى ربنا وفقنا لعمل صالح ترضاه

رد المعتزلة

مطلب علل خلف منحصرة فى ثلاثة والله سبحانه وتعالى متعال عنها

مطلب فى ابن ابى بكر رضى الله عنهما

ذلك الذى

٧٧٠

ذلك الذى حق عليهم اذ هم لا يؤمنون الا ترى انه تعالى قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه لكن جايز ان يكون الاتيان فى رجلين من ولد بنى ادم عليه السلام مع والدته اطاع احدهما
والديه واجابهما الى ما دعواه اليه وابى الاخر اجابة والديه الى ما دعواه اليه وخالفهما فى امرهما
فاستغاث والداه من عصاهما وخالفهما فى امرهما وقالا ما ذكر فى الاية وقال من اجابهما ما ذكر
وهو كما ذكرنا فى قوله تعالى حملت حملا خفيفا صرف اهل التاويل باجمعهم هذه الاية الى ادم وزوجته
حوا عليهما السلام وقلنا نحن جايز ان يكون الاية هذه فى كل والد ووالدة يقولان ما ذكر ويدعوان
الى ما ذكر فلما اتاهما ما ذكر من الصلاح كان ما ذكر فعلى ذلك جايز ان يكون الاتيان اللتان
ذكرناهما يكونان فى كل ولد مع والديه من اجاب والديه ومن عصاهما والله اعلم فلا يعرف الا
الى من ذكر والابيان من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم انهما فى كذا وكذا وفى فلان
وفلان على طريق التواتر فعند ذلك يقال ما قالوا فاما اذا لم يثبت النصوص والاشارة الى قوم
بالتواتر فالكف عن ذلك اسلم والله اعلم وذكر قوله تعالى وهما يستغيثان الله ويلك امن
ان عند الله لطفا لو اعطى ذلك لامن لذلك يستغيثان الله تعالى ويامرانه بالايمان بقولهما
امن والله اعلم وقوله عز وجل ولكل درجات مما عملوا من خير او شر وليوفيهم اعمالهم
وهم لا يظلمون اى ليوفيهم اجر اعمالهم وجزاء اعمالهم من خير او شر وهم لا يظلمون
اى لا ينقصون من خيراتهم ولا يزاد لهم فى سيئاتهم وقوله ويوم يعرض الذين كفروا على النار
اذهبتم طيباتكم فى حيوتكم الدنيا وقال فى اية اخرى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا
بالحق وقال فى اية اخرى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ونحوها يذكرهم بهذه الايات
وامثالها ليعرفوا ما كان منهم وما استوجبوا من العقوبات انما استوجبوا بما كان منهم فى الدنيا
من التكذيب والاستهزاء باياته لينزجروا عن اذهبتم طيباتكم التى اعطيتموها فى الدنيا فى منافعكم
واتلفتموها ولم تؤدوا شكرها ولم يقوموا بوفائها والله اعلم والثانى اذهبتم طيباتكم فى حيوتكم
الدنيا اى اتلفتموها ولم يكتسبوا بها الطيبات الموعودة فى الاخرة والنعم الدائمة فكل ما اعطى
فى هذه الدنيا من الاموال انما اعطى ليستعينوا بها على عمل الاخرة وليتزودوا بها ويجعلوها
زادا للاخرة فاما اذا جعلوها فى غير ذلك فهو اتلاف وجعل فى غير ما جعل وذلك وبال
عليهم وحسرة وهو ما قال الله تعالى وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وكذا ذكر مثل ما ينفقون
فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فكل نفقة كانت فى غير ما ذكر من الاستعانة على زاد الاخرة
والستر ودلها فهو للحيوة الدنيا وهو لعب ولهو وهو ما ذكر من الريح فيها صر والله اعلم وقوله
عز وجل فاليوم تجزون عذاب الهون اى عذاب تهانون فيه ويهينكم ذلك العذاب وقوله
عز وجل بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق يحتمل استكبارهم الذى ذكر على الرسل
استكبروا على الرسل فتركوا اتباعهم فاستكبروا على اياته وقوله عز وجل وبما كنتم تفسقون
والفسق هو الخروج عن امر الله تعالى وقوله عز وجل واذكر اخا عاد هذا يحتمل وجهين
احدهما اى اذكر نبا اخا عاد وهو هود عليه السلام بما عامله قومه من سوء المعاملة وما نزل
بهم ليتسلى بذلك بعض ما عامل به قومك معك والله اعلم والثانى واذكر نبا عاد بما نزل بهم
من العذاب والاستيصال بتكذيبهم الرسل والاستكبار عليهم والاستهزاء بهم ليحذر قومك
فى تكذيبك والاستهزاء بك والله اعلم وقوله عز وجل اذ انذر قومه بالاحقاف اى خوف قومه
بالاحقاف وقد اختلف فى تاويل الاحقاف قال بعضهم الاحقاف هو اسم ارض خوفهم بنزول العذاب

تذكير

مطلب مما يحفظ البتة كلما اعطى الرجل انما هو الاستعانة لعمل الاخرة تصرفه لغيره وبال الخ

الوبال سوء العاقبة كذا يفهم من المصباح المنير

الفسق هو الخروج عن امر الله تعالى

هنالك وقال بعضهم هي جبال من رمل مستطيلة مرتفعة وقال القتبي الاحقاف واحدها حقف
وهو الرمل ما اسرف كثبانه واستطال وانحنى وقال ابو عبيدة الاحقاف رمل بشحر عمان
وهي منازل عاد فيما زعموا وشحر تلادة وقيل الحقف تل معوج وقال بعضهم الاحقاف الجبل
حين نضب لما رمان الغرق ينضب عن المكان من الجبل ويبقى اثره ويضطرب من مكان اسفل
من ذلك ويبقى دون ذلك فذلك الاحقاف وقيل ايضا الاحقاف جبل بالشام وقيل
هو المكان الذي كان منازل عاد ومقامهم والله اعلم وقوله عز وجل وقد خلت النذر
من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اي خلت الرسل من قبل هود ومن بعده عليه
الصلوة والسلام وقوله عز وجل الا تعبدوا الا الله كان الخطاب بهذا وقع للكل يعني
لم يزل الرسل عليهم السلام ينذرون قومهم بانواع العذاب عند تكذيبهم اياهم ولم يزل الرسل
عليهم السلام من قبل ومن بعد دعوا الناس الى عبادة الله تعالى ونهوهم عن عبادة
غيره وقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يحتمل قوله اني اخاف عليكم حقيقة الخوف
لما لم ييأس من ايمانهم واتباعهم اياه لذلك لم يقطع فيهم القول بنزول العذاب بهم
والله اعلم ويحتمل ان يكون الخوف هو العلم حقيقة اي اعلم ان ينزل بكم عذاب يوم عظيم
ان ختمتم على ما انتم عليه وقد يذكر الخوف في موضع العلم وقوله عز وجل قالوا اجئتنا لتافكنا
عن آلهتنا اي قالوا لهود عليه الصلوة والسلام اجئتنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا وقال بعضهم
لتردنا عن عبادة آلهتنا وقال بعضهم لتكذبنا في آلهتنا والافك الكذب وكله واحد
واصل الافك كانهم قالوا اجئتنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا والله اعلم وقوله عز وجل
فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين كانوا يقولون ذلك استهزاء منهم ولم يزل الكفرة
يسألون ويستعجلون العذاب الذي كانوا يوعدون استهزاء لهم وتكذيبا بما يوعدون
والله اعلم وقوله عز وجل قال انما العلم عند الله الاية اجابهم هود عليه الصلوة والسلام
ان العلم بنزوله ووقته عند الله وابلغكم ما ارسلت به من الدعاء الى توحيد الله تعالى
والنهي عن عبادة غيره او يقول ابلغكم ما امرت من التبليغ بنزول العذاب بكم ولست
ابلغكم انه متى ينزل بكم لما لم اومر به وقوله عز وجل ولكني اراكم قوما تجهلون اي تجهلون
دين الله او تجهلون آيات الله وقبولها او تجهلون نعم الله واحسانه او تجهلون امر الله تعالى
وقوله عز وجل فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا قال بعضهم
العارض السحاب فقالوا هذا سحاب ممطرنا وكان حقيقة العارض هو الريح التي فيها
عذاب اليم ظنوا انها سحاب ولم يكن سحابا ولكن كانت ريحا لكن من ذلك الجانب كان يأتيهم
السحاب الممطر قالوا هذا عارض ممطرنا وقوله عز وجل بل هو ما استعجلتم به كان هود عليه السلام
قال لهم ليس هو بعارض ممطر ولكن هو ما استعجلتم به من العذاب حيث قلتم فأتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين هو ريح فيها عذاب اليم ثم وصف ذلك الريح فقال كما اخبر الله تعالى
بقوله عز وجل تدمر كل شيء بامر ربها يخرج قوله تدمر كل شيء بامر ربها على وجهين احدهما
تدمر كل شيء ارسلت وامرت بتدميره لا حيا ونامرديتها على وجهين ولا تدمر ما لم ترسل ولم تؤمر
بتدميره كقوله تعالى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته
كالرميم هذه الاية تفسير قوله تدمر كل شيء اي كل شيء اتت عليه وامرت بتدميره فاما ما لم تؤمر
بالتدمير فلا على ما ذكر في تلك الاية والله اعلم والثاني تدمر كل شيء اي عند من عاينها وتأملها

يذكر الخوف في موضع العلم

عنه انها تدمر كل شيء لا يبقي شيئا على وجه الارض لشدتها وقوتها لكنها لا تحيا وزامر ربها
الا ترى انها لا تدمر هودا واتباعه وهم فيهم ويقرب منهم وهو كقوله تعالى ويأتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت اي يأتيه اسباب الموت وما به يموت لو كان فيه امر الموت فعلى ذلك
قوله تعالى تدمر كل شيء اي تدمر كل شيء عند من عاينها ونظر في احوالها واهوالها ان لو كان لها
بذلك لكنها لم تحيا وزامر ربها الا ترى انه قال في آية اخرى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم فظاهر
هذه الاية انها قد ابقيت مساكنهم ولم يدمرها وكذلك قال في آية اخرى تنزع الناس
كانهم اعجاز نخل منقعر قال بعضهم انهم لما التجأوا الى مساكنهم وهربوا منها كانت تدخل الريح
مساكنهم ويخرجهم منها فيلقيهم في صحاريهم وافنيتهم موتى وقال بعضهم تنزع مفاصلهم
ويقطعها ثم يلقيهم في افنيتهم على ما وصف وشبههم باعجاز نخل منقعر فالريح التي تعمل في اخراج
اهلها من مساكنهم والقائهم في الفيافي لان يعمل في هدم المساكن والمنازل اولى ومع ذلك
وكذلك اذا عملت في نزع المفاصل وقطعها في نقض البنيان والمساكن اولى ومع ذلك لم يعمل
في هدم مساكنهم فدل ما ذكرنا انها لم تحيا وزامر ربها في الاهلاك والله اعلم وقوله
عز وجل فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم الاية يحتمل لا ترى الا مساكنهم وجهين احدهما اي لم تبق
الريح من عاد ومما لهم الا مساكنهم التي ذكروا والثاني لا ترى الا مساكنهم الا آثار مساكنهم فعلى
احد التأويلين تركت لهم المساكن لم يهلكها وعلى التأويل الآخر تركت آثار مساكنهم فاما نفس
مساكنهم فقد اهلكتها وهذان التأويلان خرجا على ما ذكرنا من التأويلين قوله تعالى
تدمر كل شيء بامر ربها فالاول على التأويل الاول في قوله تدمر كل شيء ارسلت وامرت بتدميره
ولم يؤمر بتدمير مساكنهم فبقيت والتأويل الثاني في قوله تدمر كل شيء عند من عاينها ونظر
اليها لشدتها وقوتها فتدمر مساكنهم ايضا فلا ترى الا آثارها لكن سماها مساكن باسم
ما قد كان وانه امر مستعمل في عرف لسان اللغة والله اعلم وقوله عز وجل كذلك نجزي القوم
المجرمين كان المجرم هو الذي يديم اكتساب الجرم والاثم وقال بعضهم هو الوثاب في الجرم
والله اعلم وقوله عز وجل ولقد مكناهم فيما ان مكناكم الاية فيه قال بعضهم ان ههنا في موضع
لم كانه يقول ولقد مكناهم فيما لم نمكن لكم من القوة والشدة والعقل والبصيرة وغير ذلك
وذلك قوله تعالى وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افئدتهم من شيء اي قد مكنا عادا فيما ذكرنا ما لم نمكن لكم يا اهل مكة في ذلك ثم اذا اتاهم
عذاب الله بتكذيبهم الرسل لم يملكوا دفع عذابه فانتم حيث لم نمكن لكم ذلك احرى ان لا تملكوا
دفع عذابه اذا نزل بكم بتكذيبكم الرسول عليه الصلوة والسلام وقال بعضهم ان حرف ان
صلة زائدة فيكون تقدير الاية كانه يقول ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه مما ذكر من السمع
والبصر والفؤاد ثم لم يملكوا دفع العذاب عن انفسهم فانتم لا تملكون ايضا دفعه عن انفسكم وكان لهم
ما لكم مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد وقوله عز وجل وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء على التأويل الاول حيث ذكرنا
انهم مكنوا ما لم تمكن هؤلاء يكون ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد لا يراد به اعيانها حقيقة
لكن السمع يكون كناية عن العقل كقوله تعالى افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ذكر السمع
ثم فسره بالعقل ويكون قوله ابصارا اريد به البصائر فالبصر يذكر ويراد به البصيرة اذ قد وصفهم الله
بذلك بقوله وعادا وثمود الى قوله وكانوا مستبصرين ويكون قوله وافئدة كناية عن القوى

تسمية الشيء باسم ما قد كان مستعمل في عرف لسان اللغة

تعريف المجرم

فالفؤاد يكنى به عن القوة يخبر تعالى انهم مكنوا من العقل والبصيرة والقوة مالم تمكنوا انتم يا اهل مكة
ثم لم يقدروا على دفع عذاب الله اذا نزل بهم فانتم كيف تملكون دفعه وليس لكم تلك الاسباب
وعلى التاويل الثاني كان المراد هو حقيقة ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد فيكون معناه ما ذكرنا
ان لكم هذه الاسباب مثل ما لهم ثم هم لم يقدروا على دفع ما حل بهم من العذاب فانتم لم تقدروا
ايضا بها والله اعلم ثم بين الله سبحانه وتعالى الذي بهم نزل ما نزل من العذاب حيث قال
اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وكان استهزاؤهم مرة بما يوعد لهم الرسل
عليهم الصلوة والسلام بالعذاب ومرة كانوا يستهزؤن بالرسل كانوا عليهم السلام لما يدعوا والله اعلم
ثم عذاب عاد بالريح التي وصفها الله تعالى في سورة الحاقة وذكر فيها حيث قال واما عاد
فاهلكوا بريح صرصر عاتية اي شديدة عادية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
الاية وقال في اية اخرى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم والله الموفق **وقوله** عز وجل
ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى خلق الله تعالى البشر على طبع وبنيه وحال يحذرون ما ينزل
باشكالهم وامثالهم بذنوب ارتكبوها ويتعظون بغيرهم فكانه يقول احذروا واصنع الذين
اهلكوا ما حولكم ويقرب بكم لئلا ينزل بكم ما نزل باولئك الذين اهلكوا حولهم لم تدعوا
عن ذلك وان لا يعاملوا رسوله كما عاملوا اولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل باولئك بتكذيبهم
الرسل وعنادهم واستهزائهم بهم يحذرهم ما نزل باولئك الذين اهلكوا حولهم لم تدعوا عن ذلك
وان لا تعاملوا رسوله عليه الصلوة والسلام كما عاملوا اولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل باولئك
والله اعلم **وقوله** عز وجل وصرفنا الايات لعلهم يرجعون قوله تعالى وصرفنا الايات يخرج
على وجهين احدهما اي جعلنا للرسل عليهم الصلوة والسلام ايات اقاموها على قومهم ما تعلمهم
ذلك وتخبرهم على صدقهم فردوها وكذبوهم بها فعند ذلك اهلكناهم فعلى ذلك جعلنا
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم من الايات ما يعلمكم يا اهل مكة وتخبركم عن صدقه وتدلكم
على رسالته فلا تردوها حتى لا ينزل بكم ما نزل بهم والله اعلم والثاني وصرفنا الايات اي اجريناها
في الافاق والاطراف النائية ما حل باولئك ونزل بهم بتكذيب الرسل وما كان منهم من العناد
والوماد ما يلزم من بلغ ذلك الخبر واتصل به ما نزل باولئك الرجوع عن مثل صنيعهم ومثل
معاملتهم فاحدالنا وبلين يرجع الى انتشار ما نزل باولئك في الافاق ليرجعوا عن ذلك فيصير
ذلك اية له يحملهم على الرجوع عن صنيع اولئك ليرجعوا عن ذلك والثاني اخبار انه جعل لكل
رسول ونبي اية على صدقه ودلالة على رسالته اي لم يهلكهم الا بعد لزومهم التصديق لهم
والله اعلم **وقوله** عز وجل فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة هذا يخرج
على وجهين احدهما يرجع الى الله تعالى يقول لولا نصرهم الله والاخر يرجع الى الاصنام التي عبدوها
واتخذوا الهة فاما الذي ترجع الى الله تعالى يقول لولا نصرهم الله اي هلا نصرهم الله تعالى
عند نزول العذاب بهم ولا يهلكهم لو كان عبادتهم الاصنام مما يقربهم الى الله زلفى ويكونون
شفعاء عنده يقول والله اعلم لو كان حقكم حقا ان ذلك مما يقربكم الى الله هلا نصركم الله عند
نزول ذلك بكم فاذ لم ينصر الله تعالى اولئك بل اهلكهم فاعلموا انه ليس الامر كما توهمتم وظننتم والله اعلم
والثاني يقول والله اعلم لو كان للاصنام التي تعبد وبها شفاعة عند الله تعالى على ما زعمتم
هلا نصروا اولئك ودفع الهلاك عنهم بشفاعتهم واذ لم يفعلوا ذلك ولم ينصروهم
ولم يدفعوا عنهم فعلى ذلك لا يملكون دفع ذلك عنكم اذا نزل بكم ما نزل باولئك والله اعلم

وتفسير لولا ها هنا هلا وهلا يستعمل في الماضي فيكون معناه لم يفعل اي لم ينصرهم والله اعلم
وقوله عز وجل بل ضلوا عنهم اي ضل هؤلاء عنها او ضل الاصنام عنهم فلم يكن لهم منهم
ما طمعوا ورجوا بسبب عبادتهم اياها والله اعلم **وقوله** عز وجل وذلك افكهم وما كانوا يفترون
يحتمل ان يكون افكهم وافتراؤهم هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحوه والله اعلم
وقوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا
فلما قضي اي فرغ من قراءته ولوا الى قومهم منذرين قال بعضهم ان النذر من الجن والرسل
والنذر من الانس فان كان ما ذكر فجايز على هذا ان يكون النفر الذين ذكر انهم صرفهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليستمعوا القران منه هم النذر يدلك على ذلك قوله ولوا الى قومهم
منذرين وفي ظاهر قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون اياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا ان قد يكون من الجن الرسل كما يكون من البشر الا ان يقال
بانه قد يذكر الاثنان والمراد به احدهما وذلك جائز في اللغة كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وانما يخرج من احدهما وهو المالح فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل صرفنا اليك نفرا
من الجن اي الجاناهم وقذفنا في قلوبهم حتى صاروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا
اليه ليستمعوا القران منه ويحتمل انه امرهم في الكتب التي اعطوا معرفتها بالتوجه الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ليستمعوا منه القران لانه قال عز وجل على اثر خبر عنهم قالوا
يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه هذا يدل على انهم قد عرفوا
الكتب قبل هذا الكتاب حيث قالوا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه فجايز
ان يكونوا امروا بتلك الكتب استماع هذا الكتاب والعمل به ويحتمل ان يكونوا عرفوا بذلك لما كانوا
يسترقون السمع الى السماء فيستمعون اخبار السماء ثم ينزلون فيخبرون اهل الارض بذلك فيكون
العلم لهم بذلك من الوجوه الثلاثة التي ذكرناها والله اعلم **وقوله** عز وجل يا قومنا اجيبوا
داعي الله وامنوا به فيه دلالة لزوم العمل بخبر الواحد لان النفر الذين حضروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الجن سمعوا القران منه وصدقوه كانوا قليل العدد فلما رجعوا الى قومهم
فانما يرجع كل الى قومه وقد يحتمل الاجتماع والتواصل على ذلك ودعا كل قومه الى اجابة داعي
الله تعالى وحذرهم مخالفته وانه يحتمل ما ذكرنا من الافراد والاحاد دل ان خبر الواحد
حجة في حق العمل وهو ما قال عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين
فكان العمل بخبر الاحاد والافراد ظاهرا مشهورا في الانس والجن حيث ذكر ما ذكرنا والزمهم
الاجابة والحذر والله اعلم ثم **قوله** تعالى اجيبوا داعي الله يحتمل الاجابة له في الاعتقاد والايمان به
ويحتمل في المعاملة في كل امر وفي كل شيء فكذلك قوله ومن لا يجب داعي الله فيما دعاه
فليس بمعجز في الارض اي ليس بسابق ولا هارب من عذابه يقول والله اعلم ان ليس يقدر
احد التخلص من عذابه يهرب منه والفرار عنه كما يقدر الفرار والهرب بعض عن عذاب بعض
في الدنيا ربما ولذلك ما قال وليس لهم من دونه اولياء اي ليس لهم من دونه اولياء
يشفعونه ويدفعون العذاب عنهم كما يقوم بعض عن بعض في دفع ما يلحقهم من البلايا والشدائد
في الدنيا اذ ليس قوله وليس لهم من دونه اولياء ان لا ولاية لهم اذ قال في موضع اخر
بعضهم اولياء بعض ولكن لا ينفع ولايتهم يومئذ كما ينفع في الدنيا والله اعلم **وقوله** عز وجل
اولئك في ضلال مبين اي من لم يجب داعي الله فهم في ضلال مبين **وقوله** عز وجل اولم يروا

ان الله الذى خلق السموات والارض الاية والاشكال ما معنى قوله اولم يروا وهم
لم يشاهدوا خلقهما ولم يروا الكن قال بعضهم اى اولم يخبروا وقال بعضهم اولم يعلموا اى قد اخبروا
او علموا ذكر هذا لانهم كانوا مقرين جميعا ان الله هو الذى خلق السموات والارض ثم قوله
عز وجل ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى يقول والله اعلم اى لما علموا ان الله سبحانه
وتعالى هو خلق السموات والارض ولم يضعفه خلق ما ذكر ولم يعجز ذلك عن تدبير ما يحتاج
ذلك اليه من الامساك والقيام بما به قوام ما خلق فيهن من الخلايق واصلاحهم فاذ لم يعجز
عما ذكره لا يحتمل ان يكون عاجزا عن احياء الموتى او عن شئ البتة او يقول حيث لم يعى ولم يظهر
فيه الضعف بخلق ما ذكر دل ذلك على انه انما لم يضعفه لان قدرته ذاتية ومن كانت
قدرته ذاتية لا يعجزه شئ فاما غيره انما يعمل باسباب فيقدر على العمل على قدر الاسباب
ويعجز ربما عنه والله اعلم او يقول اذ قد عرفتم ان الله تعالى هو خلق السموات والارض
ثم لا يحتمل ان يخلقهما عبثا باطلا اذ لو لم يكن بعث كان خلقهما باطلا عبثا واصله ما ذكرنا
بديا ان من قدر على انشاء ما ذكر من السموات والارض وما فيهما بلا احتذاء تقدم ولا استعا
بغيره ثم الامساك والقوام على التدبير الذى دبر الى اخر الدهر لا يحتمل ان يعجزه شئ وقوله
عز وجل بلى انه على كل شئ قدير لانه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة قال ابو عوسجة
والقتبى قوله ولم يعى بخلقهن يقال عييت بهذا اى لم احسبه ولم اقو عليه وقوله عز وجل
ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا مرة قيل لهم الم ياتكم
رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم قالوا بلى ومرة قيل لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا
نقص هذا عليهم يومئذ ليعترفوا بالذى كانوا ينكرون فى الدنيا لانهم كانوا ينكرون
فى الدنيا الرسل والايات وكانوا ينكرون كون البعث وعذابه فيعرضون على النار فيقال لهم
هذا الذى وعدتم فى الدنيا اليس هو حق فيعترفون ويقولون بلى وربنا فيقال لهم ذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون فى الدنيا والله اعلم وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
يلزم الرسل الصبر من وجوه ستة ثلثة مما خصوا هم بها لا يشركهم غيرهم فيها وثلاثة
مما يشترك غيرهم فيها فاما الثلاثة التى خصوا بها احداها هم بعثوا التبليغ الرسالة
الى الفراعنة والاكابر والجبابرة الذى كانت عادتهم وهمتهم واهلاك من خالفهم وعصى
امرهم ومذهبهم فلم يعذر فى ترك تبليغ الرسالة اليهم مع ما ذكرنا من خوف الهلاك
والقتل فاما غيرهم من الناس فذابح لهم كتمان الذين الحق منهم حتى لا يهلكوا والثانى
الزمهم الصبر بالمقام بين اظهر قومهم واحتمال ما كان يلحقهم منهم من الاستهزاء بهم
والافتراء عليهم والتكذيب لهم وانواع الاذى الذى كان منهم الى الرسل لم يؤذن لهم
بمفارقتهم لذلك ولذلك قال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وصاحب الحوت
لم يكن منه سوى الخروج من بين قومه لسلامة دينه اولم يسلم اوليك ثم اصابه ما اصاب
بذلك الخروج لما لم يؤذن له بالخروج والله اعلم والثالث لم يجعل لهم الدعاء على قومهم
بالهلاك والعذاب وان كان منهم من التمرد والتعنت ما كان فهذه الثلاثة من المعاملة
مما خص الرسل عليهم السلام بها من بين ساير الناس واما الثلاثة التى يشترك فيها غيرهم
احداها امروا بالصبر على ما تصيبهم وينزل بهم من البلايا والشدايد والثانى امروا بالمحافظة
على العبادات التى جعلت عليهم ومحافظة حدودها والصبر على القيام بها والثالث امروا بالصبر

على ترك

على ترك قضاء الشهوة وترك اعطاء النفس هواها ومناها فهذه الثلاثة لهم فيما بينهم وبين
ربهم اعطاء النفس هواها ومناها فهذه الثلاثة لهم فيما بينهم وبين ربهم وهى مما يشترك فيها
غيرهم والثلاثة الاولى لهم فيما بينهم ومن الخلق وهم قد خصوا بتلك الثلاثة دون غيرهم
والله اعلم وقوله عز وجل اولوا العزم من الرسل قال بعضهم اولوا العزم من الرسل هو نوح
وابراهيم ويعقوب ويوسف وموسى عليهم الصلوة والسلام وهؤلاء عدوا انفرا منهم وقال بعضهم
هم الرسل جميعا وجايز ان يكون اولوا العزم من الرسل هم الذين كانوا منهم الصبر على ما ذكرنا
من المعاملة مع قومهم وقيل اولوا العزم هم الذين كانوا ابدا مستقطين القايمين بامر الله
الحافظين لحدوده وقالوا فى ادم عليه السلام ولم نجد له عزما والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تستعجل لهم اى لا تستعجل عليهم بالهلاك والنقمة وقوله عز وجل كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم كانك
لا توعدهم بالعذاب الا ساعة من النهار وعذاب ساعة من النهار مما لا تحملهم على ترك قضا
شهواتهم ومنع ما هم فيه من الاحوال والثانى كانهم اذا عاينوا عذاب الاخرة وشاهدوه
استقصروا المقام فى الدنيا كانهم لم يلبثوا الا ساعة من نهار وهو كقوله عز وجل كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم وقوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة استقصروا
المقام فى الدنيا اذا عاينوا يوم القيامة واهوالها والله اعلم وقوله عز وجل بلاغ قال بعضهم
الابلاغ وقيل البلاغ من البلغة اى زاد يبلغ به السفر حيث يريد والله اعلم وقوله عز وجل فهل يهلك
الا القوم الفاسقون كانه يقول الهلاك الدايم المؤبد الا القوم الفاسقون والا الهلاك الذى
ليس هو بالهلاك الدايم المؤبد مما يهلك الفاسق وغير الفاسق اذ الموت ختم على الكل او يقول لا يهلك هلاك
العذاب الا الفاسق فاما الهلاك الذى هو هلاك النجاة والفوز عن شدايد الدنيا فيما يهلك به الصالح والله اعلم

سورة محمد عليه السلام مكية واياتها ثلثون وثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قال عامة اهل التاويل هم اهل مكة
والاشبه ان يكون الاية فى كفار المدينة وهم اهل الكتاب لان السورة مدنية على ما قال بعض
اهل التاويل لكن جايز ان يكون كما قال اهل التاويل بانها نزلت فى كفار مكة لان هذه السورة
ذكرت على اثر خبرهم وعيب بنايهم فى سورة الاحقاف ثم ان كانت الاية فى كفار المدينة واهل
الكتاب فيكون قوله تعالى الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه اضل اعمالهم
اى ابطل ايمانهم الذى كان لهم بساير الانبياء وبمحمد عليهم الصلوة والسلام لانهم كانوا مومنين
قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به يقول والله اعلم قد ابطل ايمانهم الذى كان منهم قبل ذلك
بما كفروا به اذا بعث وان كانت الاية فى كفار مكة على ما قال اكثرهم فيكون قوله الذين كفروا
بوحدانية الله تعالى او كفروا بمحمد وبما انزل اليه عليه الصلوة والسلام او كفروا بالبعث ونحو
ذلك اضل اعمالهم اى ابطل حسناتهم التى كانت لهم فى حال كفرهم من نحو الصدقات وصلة
الارحام وفك الرقاب وغير ذلك من الاعمال التى كانوا يتقربون بها والله اعلم وقد ابطل
اعمالهم التى كانوا يتقربون بها ويرونها قربة عند الله او يقول قد ابطل عبادتهم التى كانوا
يعبدون من الاصنام وغيرها ليقربهم عبادتهم الى الله زلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا

الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول قد ابطل ذلك ولم يكن على ما رجوا
وطمعوا والله اعلم وقوله عز وجل وصدوا عن سبيل الله يحتمل اى صدوا بانفسهم اى اعرضوا
عن سبيل الله على ما ذكر عنهم ويحتمل وصدوا عن سبيل الله اى صدوا الناس عن سبيل الله
وقد كان منهم الامران جميعا اضل اعمالهم اى ابطلها يقال ضل الماء فى اللبن اذا غلب فلم يتبين
والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد يقول والذين آمنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم
وآمنوا بما نزل عليه وثبتوا على ذلك لم يضل اعمالهم ولم يبطل ايمانهم الذين كان منهم بل يكفر
سيئاتهم التى كانت منهم من الكفر وغيره من السيئات او يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات
وآمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم كفر عنهم سيئاتهم وهو الكفر والمساوى التى كانت لهم
من الكفر كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ان كانت الآية فى مؤمنى مشركى العرب واهل مكة
فيكون قوله كفر عنهم سيئاتهم الشرك والمساوى التى كانت لهم فى حال الكفر وان كان
فى مؤمنى اهل الكتاب فيكون قوله كفر عنهم سيئاتهم فى حال ايمانهم والله اعلم وقوله وهو
الحق من ربهم هذا يخرج على وجهين احدهما آمنوا بما نزل على محمد عليه الصلوة والسلام
وهو الحق اى من ربهم نزل وكل شىء من الله وهو الحق والثانى وهو الحق من ربهم اى وهو
الصدق من ربهم وقوله عز وجل واصلح بالهم اى حالهم وشانهم فيما كان من قبل وفيما بعد
ثم اخبر ان الذى ابطل اعمالهم لاولئك الكفرة وما ذكر وثبت الذين آمنوا ولم يبطل اعمالهم
وما ذكر من صلاح حالهم هو ما قال ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يحتمل الباطل الشيطان
او هوى النفس وكل باطل وهو الذى يذم عليه فاعله ومتبعه وقوله عز وجل وان الذين آمنوا
اتبعوا الحق من ربهم يقول لهؤلاء ما ذكر لاتباعهم الباطل ولهؤلاء ما ذكر لاتباعهم الحق
وقبوله وقوله عز وجل كذلك يضرب الله للناس امثالهم اى مثل الذى بين ما لهؤلاء
وما لهؤلاء يبين ما لكل متبع الباطل ومتبع الحق وضرب المثل هو ان يبين لهم ما خفى واشتبه
عليهم بالذى ظهر عندهم وتقرر ويجلى لهم ليصير الذى خفى عليهم واشتبه ظاهرا متجليا
وقوله عز وجل فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب وقال فى آية اخرى فاضربوا فوق
الاعناق واضربوا منهم كل بنان جايز ان يكون قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
فى القتال والحرب وكذلك قوله تعالى فاضربوا منهم كل بنان فى الحرب والقتال لا يصا
يضربون ويقتلون على ما يظفرون ويقدرون بهم من المفاصل وغير المفاصل وفى كل موضع
ويكون فاضربوا فوق الاعناق فى المفاصل التى ليس فيها كسر عظيم ولا شىء من ذلك ولكن ابانة
من المفصل واسهل لما روى فى الخبر اذا قتلتم فاحسنوا القتل وحسن القتل هو ان يضرب
ويبان من المفصل والله اعلم فعلى هذا جايز ان يخرج تاويل قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان وتاويل قوله فضرب الرقاب وجايز ان يكون لا على التقديم والتاخير والاضمار
ولكن كل آية على نظم ما ذكر والله اعلم ثم ان كان على ما ذكرنا من التقديم والتاخير والاضمار
فيكون كانه قال تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا الرقاب حتى اذا اثخنتموهم واسرتموهم
فاضربوا فوق الاعناق لان الامام بالخيار عندنا اذا اخذهم وظفر بهم ان شاء قتلهم
وان شاء من عليهم وتركهم بالجزية لقوله حتى يعطوا الجزية عن يد ويكون قوله فشدوا
الوثاق على هذا فى المن يستوثقهم بالمواثيق وان شاء فاداهم لكنهم اختلفوا فى المفاداة
قال بعضهم يفدون بالاموال واسارى المسلمين منهم وقال بعضهم يفادون بالاسارى منهم

ولكن لا يجوز ان يفادوا بالاموال وهو قولنا وقال بعضهم لا يفادون باسارى المسلمين
ولا بالاموال وهو قول ابى حنيفة رحمه الله واختلفوا فى قتل الاسارى منهم قال بعضهم لا يقتلون
ولكن يمن عليهم او يفادون وقال بعضهم الامام بالخيار ان شاء قتلهم وان شاء من عليهم
وان شاء فاداهم بالاسارى من المسلمين اما القتل فلما ذكرنا من الاستدلال بقوله فاضربوا
فوق الاعناق ولما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه استشار ابا بكر وعمر وساير
الصحابة رضى الله عنهم فى اسارى بدر فاشاروا الى المن عليهم والترك واشار عمر
الى القتل فيهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك لو جاءت من السماء نار
ما نجا منكم الا عمر او كلام نحو ذلك ان الحكم فيهم القتل اعنى فى هؤلاء الذين حكم فيهم
عمر رضى الله عنه بالقتل لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نجا الا عمر فدل
هذا الخبر ان للامام ان يقتل اسارى اهل الشرك وله ان يمن عليهم بالترك بالجزية
فى حق اهل الكتاب والعجم فانه لما جاز لنا فى الابتداء ان ناخذ منهم الجزية اذا ابوا الاسلام
وتركهم على ما هم عليه فعلى ذلك بعد الظفر بهم والقدرة عليهم ثم قال بعضهم الآية وهو قوله
اما منا بعد واما فداء يحتمل من حيث الظاهر لقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم
ونحو ذلك ولكن امكن التوفيق بين الآيتين هذه فى قوم والاخرى فى قوم آخرين او هذه
فى وقت والاخرى فى وقت آخر والله اعلم وقوله عز وجل حتى تضع الحرب اوزارها وقال بعضهم
حتى يخرج عيسى ابن مريم عليه السلام فعند ذلك تذهب الحروب والقتال اى اقتلوهم
وافعلوا بهم ما ذكر الى وقت خروج عيسى عليه السلام وقال بعضهم حتى تضع الحرب
اوزارها اى حتى تضعوا اسلحتهم وتركوا القتال وقال بعضهم حتى يذهب الكفر والشرك
ولا يكون الدين الا دين الاسلام وهو كقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اى شرك وكفر
والله اعلم قيل الاثخان هو الغلبة والقهر بالقتل والجراح وقال ابو عوسجة اثخنتموهم
اى اكثرتم فيهم القتل والجراحة ويقال فى الكلام ضربته حتى اثخنته حتى لا يقدر ان يتحرك
والوثاق ما اوثقت به كل يدى الرجل او رجليه يقال اوثقته واستوثقت منه وقوله اوزارها
اى اثقالها واحدها وزر وهو الثقل وقال القتبى حتى تضع الحرب اوزارها اى تضع
اهل الحرب السلاح واصل الوزر ما حملته فسمى السلاح وزرا لانه يحمل والله اعلم وقوله
عز وجل ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم قوله ذلك اى ذلك الذى امرتم به من ولما ذكر
من قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الى قوله حتى تضع الحرب اوزارها والله اعلم
وقوله عز وجل ولو يشاء الله لانتصر لاوليائه من اعدائه بلا قتال ولا نصب الحروب فيما بينهم
ثم انتصاره منهم يكون مرة بان يهلكهم اهلاكا ويقهرهم قهرا ومرة ينتصر منهم بان يسلط
عليهم اضعف خلقه واخستهم فيقهرهم باضعف خلقه وقوله عز وجل ولكن ليبلو بعضكم
ببعض اى يمتحن بعضكم بقتال بعض وبانواع المحن ان شاء الله عز وجل هذا البشر فى ظاهر
الاحوال بعضهم مشابها لبعض غير مخالف بعضهم بعضا فانما يظهر اختلاف بالامتحان
بانواع المحن على اختلاف الاحوال فعند ذلك يظهر المصدق من المكذب والمحق من المبطل والموافق
من المخالف والمحقق من المضطرب والموقن من الشاك على ما ذكر تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات ونبلوكم بالشر والخير فتنة وخلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وغير ذلك
من الآيات التى ذكر الاختلاف والامتحان فيها باختلاف الاحوال التى عند ذلك يظهر ما ذكر

من التصديق والتكذيب والتحقيق وغيره ثم لو كان جل وعلا انتصر لاوليائه من اعدائه بما ذكرنا
بان ينصرهم على اعدائهم نصرا بلا امتحان وكلفة منه لاوليائه لكان التوحيد له والتصديق له
بحق الاضطرار لا بحق الاختيار لانهم اذا راوا انهم يستاصلون ويهلكون اهلاكا بخلافهم اياهم
لكانوا لا يخالفونهم بل يوافقونهم مخافة الهلاك والاستيصال فيرتفع الابتلاء والامتحان عنهم
فلا يظهر المختار من غيره لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والذين قاتلوا في سبيل الله
فلن يضل اعمالهم سيهديهم هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والذين قاتلوا في سبيل الله
فهزموا او غلبوا وهربوا في او في قتال فلن يضل اعمالهم اي لن يبطل اعمالهم التي كانت
منهم من الجهاد مع الاعداء وغير ذلك من الاعمال التي كانت لهم سيهديهم اي يوفقهم ثانيا مرة اخرى
للقتال والنصر لهم على اعدائهم في الدنيا ويدخلهم في الآخرة الجنة والثاني اي والذين قاتلوا
في سبيل الله فلن يضل اعمالهم في الآخرة سيهديهم في الآخرة الجنة وقوله عز وجل ويدخلهم
الجنة عرفها لهم قال بعضهم اي يدخلهم الجنة التي بينها لهم في الدنيا ووصفها وقال بعضهم
عرفها لهم في الآخرة حتى يعرف كل منزله واهله من غير اعلام وادلة جعلت لهم كما يعرف
كل احد في الدنيا منزله واهله وخدمه والله اعلم وقال بعضهم عرفها لهم اي طيبها لهم
يقال فلان معرف اي مطيب وطعام معرف اي مطيب وهو قول القتبي وقوله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دين الله ينصركم اي ان تنصروا اولياء الله ينصركم
على اعدائكم ثم نصرنا دين الله واوليائه يكون مرة بالانفس والاموال ببذلها في سبيله لابتغاء وجهه
والثاني يكون نصرة بالحجج والبراهين باقامتها عليهم بما امرنا من اقامة الحجج والآيات ثم يكون نصر الله
ايانا من وجهين احدهما ينصرنا على اعدائه بما يغلبهم ويقهرهم لكن ان كان هذا فيكون في حال
دون حال وفي وقت دون وقت لا في كل الاحوال والثاني يكون نصره ايانا بما يجعل العاقبة لنا
وان كانوا غلبونا وقهرونا في بعض الحروب والقتال وكانوا هم الغالبين علينا قاهرين لنا والله اعلم
وقوله عز وجل ويثبت اقدامكم يحتمل في الحروب والقتال او يثبت اقدامهم في الآخرة
كيلا تزول والله اعلم وقوله عز وجل والذين كفروا فتعسا لهم اي هلاكا لهم وقيل اي محنة
عند الهزيمة والقتل وجائز ان يكون اريد به الهلاك واصل التعس هو العثور والسقوط وهو
الهلاك فيرجع الى ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم
اي ذلك الذي ذكر لهم من التعس والهلاك وابطال الاعمال بانهم تركوا اتباع ما انزل الله
على رسوله اذ كل من ترك اتباع شيء اعتقادا فقد كرهه والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ذلك
بانهم كرهوا ما انزل الله اي كرهوا ما انزل الله على غير بني اسرائيل فان كان هذا فالآية في اهل
الكتاب لانهم لم يروا الرسل من غير بني اسرائيل ولا انزال الكتب على احد من غير بني اسرائيل
والله اعلم وقوله فاحبط اعمالهم اي بتركهم اتباع ما انزل الله وقبوله والله اعلم وقوله
عز وجل افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم قد ذكرنا فيما تقدم
انه يخرج على وجوه ثلاثة احدها اي لو ساروا في الارض لعرفوا ما نزل باولئك بما ذا نزل
بهم وهو تكذيبهم للرسل وكفرهم بهم ولعرفوا ان من نجا منهم بما ذا نجا وهو التصديق لهم
والايمان بهم والثاني على الامر اي سيروا في الارض فانظروا ما الذي نزل بمكذبي الرسل ومستهزئيهم
ليكون ذلك منجزة لهم عن مثل معاملتهم الرسول عليه السلام والثالث اي قد ساروا في الارض
لكن لم ينظروا ولم يعتبروا فيما نزل باولئك انه بما ذا نزل بهم ولو تاملوا فيهم لكان ذلك زجرا لهم

عن المعاودة الى مثل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل دمر الله عليهم وللكافرين امثالها هذا
يخرج على وجوه احدها اي دمر الله عليهم وللكافرين سوى هؤلاء الكفار الذين دمر الله عليهم
امثال ما لهم من الهلاك بتكذيبهم الرسل والثاني اي دمر الله عليهم وللكافرين امثالها
اي للكافرين من قومك امثالها وهذا وعيد لقومه والثالث ان يقول لقومه ولكل كافر امثال ذلك
والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم تاويله
اي ذلك الذي ذكر لهم لاجل ان الله ناصر الذين اتبعوا امره وآمنوا به وصدقوه فدفع العذاب
عنهم باتباعهم امره وان الكافرين ذلك لما ليس هو بناصر لهم لتركهم اتباع امره وتصديقهم
اياه فلم يدفع العذاب عنهم او يقول ذلك اي دفع العذاب عن الذين آمنوا لما ان الله يتولى
امورهم وعصمهم وانه لم يتول امور الكفرة اي لم يعصمهم وخذلهم وتركهم على ما اختاروا لعلمه
باختيارهم ما يختارون من التكذيب وتولى المؤمنين وعصمهم لعلمه بما يختارون من التصديق
والاتباع له والله اعلم ثم ذكر عاقبة المؤمنين من الاتباع لامره والتصديق لرسله عليهم السلام
وهو قوله تعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
وبين ما لاولئك الذين اختاروا من الكفر به والتكذيب لرسله في العاقبة حيث قال والذين
كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم اي ماوى لهم بما اختاروا والله اعلم
وذلك ان اهل الايمان والتوحيد نظروا في جميع احوالهم وامورهم الى ما فيه امر الله تعالى
وما يعقب لهم نفعا في العاقبة لم ينظروا الى ما فيه قضاء شهواتهم ومناهم بل اختاروا امر الله
على جميع ما ذكرنا واولئك الكفرة لم ينظروا الى ما فيه امر الله ولا يوجب لهم في العاقبة من النفع
بل اختاروا شهواتهم ومناهم وما فيه هواهم على ما فيه امر الله ونهيه فجعل للمؤمنين في الآخرة
قضاء شهواتهم التي تركوا قضاءها في الدنيا وكفوا انفسهم عن مناها مكان ذلك في الجنة والبساتين
التي وعد لهم في الآخرة وجعل لاولئك الكفرة في الآخرة مكان ما قضوا في الدنيا من شهواتهم
واعطاء انفسهم مناها النار وما ينغصهم ما اعطوا انفسهم في الدنيا ثم وقوله والذين كفروا
يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام يحتمل تشبيه اولئك الكفرة بالانعام في الاكل وجهين
احدهما يخبر انهم ياكلون وهمتهم في الاكل ليست الا الشبع وامتلاء البطن وقضاء الشهوة
لا ينظرون الى ما امرهم الله به ونهاهم عنه كالانعام التي ذكر همتها ليست في الاكل الا الشبع
وامتلاء البطن واقتضاء الشهوة والله اعلم والثاني يخبر عنهم انهم لا ينظرون في اكلهم
وشربهم العاقبة ولا الى وقت ثان بل نظرهم الى الحال التي هم فيها كالانعام التي ذكر
انها تاكل ولا تنظر فلا تدخر شيئا لوقت ثان ولا تترك شيئا ما دامت تشتهي ففعل ذلك
اولئك الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
اهلكناهم فلا ناصر لهم كان سنة الله تعالى في الذين كانوا من قبل انه اذا اخرج الرسل
عليهم السلام من بين اظهرهم اهلكهم فيخبر ان اهل مكة قد استوجبوا العذاب اذ اخرجت
من بين اظهرهم كما استوجبوا اولئك الكفرة لكن الله بفضله ورحمته اخر ذلك عنهم لانه بعثك
اليهم رحمة كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او اخر ذلك عنهم لما وعد انه
خاتم الانبياء عليهم الصلوة والسلام يبقى شريعته ورسالته الى يوم القيامة ولو اهلكهم
واستاصلهم على ما فعل باولئك لانقطعت رسالته وشريعته وقد وعد انها تبقى وانه
رحمة لهم وانه لا يخلف الميعاد ثم اخبر ان اولئك الكفرة اكثر اهلا واشد قوة وبطشا

سنة الله تعالى اذا اخرج
الرسل من قومه
اهلكهم

في وعد الله تعالى القاء شريعة محمد صلى الله
عليه وسلم الى يوم القيامة اللهم
لا تفرقنا عن شريعته طرفة عين
ابدا بمنك يا الله

فائدة اسناد السبب الى الاشياء

من هولاء ثم لم يتهيأ لهم دفع ما نزل بهم بقوتهم في انفسهم وبطشهم ولا كان لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله ولا مانع يمنعهم عنه فانتم يا اهل مكة اولى ان تدفعوا عن انفسكم العذاب اذا نزل بكم والله اعلم ثم وقوله عز وجل اخرجتك اضاف الاخراج الى قومه وهم لم يتولوا اخراجه بانفسهم بل اضطروه حتى خرج هو بنفسه لكن اضاف الاخراج اليهم لان سبب خروجه من بينهم كان منهم فكان قد اخرجوه وهو كما ذكر من اخراج الشيطان ادم وحوا عليهما السلام من الجنة بقوله فاخرجهما مما كانا فيه والشيطان لم يتول اخراجهما حقيقة لكن لما كان منه ما اشياء حملهم ذلك على الخروج فكانه وحيدا لاخراج منه واصله ان الاشياء والافعال ربما ينسب الى اسبابها وان لم يكن لتلك الاسباب حقيقة الافعال والله اعلم وقوله عز وجل فلا ناصر لهم هو خبر من الله تعالى اى لا يكون لهم ناصر وهو يحتمل وجهين احدهما لا يكون ناصر في الاخرة والثاني على اضمار اى لم يكن لهم ناصر وقت ما عذبوا في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم لم يخرج لهذا الحرف جواب لما هم عرفوا بالبديهة انه ليس من كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ويتبع هواه يعرف ذلك بالبديهة كمن يقول ليس المحسن كالمسيء وليس من يحسن كمن يسيء ونحو ذلك مما يعرفه كل احد لا يحتاج الى بيان وجواب فعلى ذلك هذا ثم في ذلك وجهان احدهما يذكر سفههم باختيارهم اتباع هواهم وما زين لهم من سوء عملهم على اتباع من كان على بينة منه وبيان على علم بذلك ويقين والله اعلم والثاني فيه ذكر دلالة البعث يقول والله اعلم لما عرفتم ان من كان على بينة من ربه ليس كمن يتبع هوى نفسه وقد استويا في هذه الدنيا ان انتفع هذا كما انتفع الاخر وفي العقول لا سواء بينهما فذلك استواؤهما في هذه الدار دل على ان هناك دارا اخرى ثم يفرق بينهما ويميز والله الموفق وقوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون هذا يخرج على وجوه احدها ان قوله تعالى وعد المتقون على حقيقة المثل كانه يقول مثل الجنة التي وعد المتقون من جنانكم هذه لو كانت جنانكم في الدنيا على المثل الذي وصف في الاية اليس كانت نفس كل احد يرغب فيها ويحرص في طلبها ليكون تلك الجنة له فما بالكم لا ترغبون في تلك الجنة التي وعد المتقون في الاخرة لا ترغبون فيها ولا تحرصون في طلبها والله اعلم ويخرج على هذا التاويل قوله تعالى كمن هو خالد في النار اليس من كان خالدا في جنة من جنانكم التي ما ذكر وصفها كمن هو خالد في نار من نيرانكم والثاني يحتمل قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اى صفة الجنة التي وعد المتقون ما ذكر فيخرج على الصلة لما تقدم من قوله تعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ثم وصف ونعت الجنة التي اخبر انه يدخلهم فيها فقال مثل الجنة التي وعد المتقون اى صفتها فيها انهار من كذا وكذا الاية وعلى هذا ما ذكر في اخره من قوله كمن هو خالد في النار يحتمل ان يكون صلة قوله فالنار مثوى لهم ثم وصف تلك النار التي اخبر انها مثوى له وماوى لهم فقال وسقوا ماء حميما الاية والثالث يذكر على ان من وعد له ما وعد للمتقين من الجنة وما فيها من النعم ليس كمن وعد له النار لا ترى انه جعل وعلا ذكر في اخر ما ذكر من وصف له الجنة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم اى ليس هذا كهذا ولا سواء بينهما اى لا مساواة وهو كقوله فيما تقدم من حيث قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم اى ليس هذا كهذا فعلى هذا يحتمل ما ذكر من وصف الجنة ووصف النار اى ليس من وعد له الجنة التي وصفها

ونعتها

776

اللهم ارزقنا انهارجنتك بفضلك العميم مع المومنين امين

ونعتها كمن وعد له النار التي وصفها ما ذكر والله اعلم ثم قال انهار من ماء غير آسن الاية يخبر ان ما يكون في الجنة من المياه والخمور والالبان وما ذكر ليس كالتي في الدنيا لان المياه في الدنيا يتغير باحد وجهين اما لنجاسة وآفة يصيبها او لطول الزمان والمكث فيخبر انه ليس في الجنة شيء يغير مياهها وكذلك اللبن في الدنيا يتغير ويفسد عن قريب اذا ترك لما ذكر فيخبر ان البان الجنة لا يفسد للترك ولا يصيبها شيء فيفسدها ويخرجها عن طعم اللبن والله اعلم وقوله عز وجل وانهار من خمر لذة للشاربين يخبر ان الخمر في الجنة مما يتلذذ بها اهلها عند الشرب ليس كخمور الدنيا ينكره اهلها عند شربها ويعبسون وجوههم عند لذتنا ولذتها والله اعلم وقوله عز وجل وانهار من عسل مصفى اى انهار من عسل خالق والذي مصفى لا كدورة فيه لانه كان كدرا فصفي وكان خلق بعضه كدرا وبعضه مصفى ولكن خلق كله مصفى من الابتداء وهو كقوله تعالى رفع السموات اى خلقها في الابتداء مرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها والله اعلم وقوله عز وجل ولهم فيها من كل الثمرات يحتمل اى من كل الثمرات التي عرفوها في الدنيا دونها او يقول لهم فيها من كل الثمرات التي يريدون فيها والله اعلم وقوله عز وجل ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم اى ليس من وعد له ما ذكر من الجنة وهو خالد فيها متنعم بما ذكر من انواع الثمار والنعم ما ذكر من المياه والخمور والالبان كمن هو خالد في النار وما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا جعل الله عز وجل عز وجل آيات رسالة رسوله عليه الصلوة والسلام وحججه على المنافقين صنيعهم وما اسروا في انفسهم من الخلاف له والعداوة فاطلع الله رسوله على ما اسروا في انفسهم واضمروا ليكون ذلك آية لرسالته وحجة لنبوته اذ علموا ان لا احد يطلع على ما في القلوب الا الله تعالى فاذا اخبر رسول الله لهم بما اسروا واضمروا واعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى كقوله تعالى وقد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وقوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ويخرج ذلك ان الناس في الاستماع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفترق الى فرق ثلاث فالمومنون كانوا يستمعون اليه للاسترشاد والاستزادة الهدى كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى الاية والكفرة كانوا يستمعون اليه ليقولوا لاتباعهم انه افترى بنفسه وانه كذب وانه سحر كي لا يقع في قلوب اتباعهم ان ما جاء به محمد حق فيستمعوا منه ويزيفوا ذلك بين يدي اتباعهم وهو كقوله سماعون للكذب الاية والمنافقون كانوا يستمعون اليه لاظهار الموافقة له لئلا يتعرض لهم فيما اضمروا واسروا وامنهم من العداوة والخلاف والله اعلم ثم قوله عز وجل قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا هذا القول منهم في الظاهر ليس هو قول يجب ان يذم قائله لان من خفي عليه او اشكل او ذهب عنه ما سمعه فالواجب عليه ان يسال من حفظ ذلك وضبطه لكن اولئك انما قالوا لهم ليعلموا انهم على دينهم وانهم يستمعون اليه ويحفظونه وكانوا في الحقيقة يستهزؤن به لذلك ذموا بذلك القول ثم اخبر تعالى انه طبع على قلوبهم بقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم لما كان استماعهم اليه لما ذكرنا من اظهار الموافقة لرسوله واضمار الخلاف له والعداوة والاستهزاء وقوله عز وجل قال آنفا قال بعضهم اى مستانفا من الايتناف وقال بعضهم الساعة وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى لانهم كانوا يستمعون اليه للاسترشاد

واستزادة الهدى وهو كقوله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا الآية واما الذين في قلوبهم مرض
الآية وقوله تعالى وآتاهم تقواهم يحتمل قوله وآتاهم تقواهم اى اعطاهم ما اتقوا مخالفة امره
ويحتمل آتاهم تقواهم اى يوفقهم ما يتقون مخالفة امره من بعد في المستانف وقال بعضهم
اى اعطاهم الله ثواب اعمالهم في الآخرة يقول كلما جاءهم من الله امر اخذوا به فزادهم الله تعالى
هدىً وآتاهم تقواهم اى اجرهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وانطاهم تقواهم
اى اعطاهم وهي لغة معروفة انطى اى اعطى وكذلك قراء انا انطيناك الكوثر وقوله تعالى فهل ينظرون
الا الساعة ان ياتيهم بغتة كان هذه الآية نزلت في قوم علم الله انهم لا يؤمنون الا عند قيام
الساعة كانه يقول ما ينتظرون لايمانهم الا الساعة ان ياتيهم بغتة لكن لا ينفعهم الايمان
في ذلك الوقت كقوله لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل وقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا
باسنا كانه والله اعلم يوئيس رسوله صلى الله عليه وسلم عن الطمع في ايمانهم قبل ذلك الوقت وقوله
عز وجل فقد جاء اشراطها هذا يخرج على وجهين احدهما يحتمل ما ذكر من مجيء اشراطها هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وبه ختمت النبوة وروى عنه انه قال بعثت والساعة كهاتين
واشار الى اصبعين يجمع بينهما فان كان التاويل هذا فهو على تحقيق مجيء اشراط الساعة اى قد جاء اشراط
الساعة حقيقة وتحققت والثاني يحتمل ان يكون ما ذكر من مجيء اشراطها هي الاعلام والشرايط التي
جعلت علماً لقيامها من نحو نزول عيسى وخروج دابة الارض وخروج الدجال وغير ذلك فقد مضى
بعض تلك الاعلام فيكون قوله فقد جاء اشراطها اى كانه قد جاء اشراطها اذ كل ما هو آت جاء فكان تحقيقا
كقوله تعالى اتى امر الله وقوله عز وجل فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يحتمل وجهين احدهما من اين
ينتفعون بايمانهم في ذلك الوقت وكيف لهم منفعة الذكرى اذا جاءت والتوبة لا يقبل حينئذ والثاني
من اين لهم الايمان والتوبة اذا جاءتهم الذكرى اى ما يذكرهم في الدنيا قبل ذلك فلم يؤمنوا ولم يتذكروا
والله اعلم وقوله عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله هذا يخرج على وجهين احدهما اعلم في حادث
الوقت انه لا اله الا الله كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا
بالله ونحو ذلك والثاني يقول فاعلم ان لا اله المستحق للعبادة والمعبود الحق هو الاله الذي لا اله غيره
اذ الاله عند العرب هو المعبود يقول ان المعبود الذي يستحق العبادة هو الله تعالى لا الاصنام التي
يعبدونها دونه وتزعمون ان عبادتكم اياها يقربون اليه زلفى والثالث امره ان يشعر قلبه في كل وقت
وكل حال بكلمة الاخلاص والتوحيد له والقول به والله اعلم وقوله عز وجل واستغفر لذنبك جايز
ان يكون قوله واستغفر لذنبك انما هو لافتتاح الكلام وابتدائه على ما يؤمر المرء ان يبتدى بالدعاء
لنفسه عند امره بالدعاء لغيره وكان حقيقة الامر بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات دون نفسه
ولكن امره بالدعاء لنفسه استحباباً والله اعلم وجايز ان يكون له ذنب فيامره بالاستغفار له
لكن نحن لا نعلم وليس علينا ان نتكلف حفظ ذنوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام وذكرها
وكل موهوم منه الذنب يجوز ان يؤمر بالاستغفار كقول ابراهيم عليه السلام حيث قال والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين لكن ليس ذنب الانبياء وخطاياهم كذنب غيرهم فذنب غيرهم
ارتكاب القبايح من الصغاير والكباير وذنبهم ترك الافضل دون مباشرة القبيح في نفسه والله الموفق
ثم ارجى آية للمؤمنين هذه الآية لانه عز وجل امر رسوله عليه الصلوة والسلام ان يستغفر لهم فلا يحتمل
ان لا يستغفر وقد امره مولاه بالاستغفار ثم لا يحتمل ايضا انه اذا استغفر لهم على ما امر به فلا يجيبه
وكذلك دعاء ساير الانبياء عليهم السلام نحو دعاء نوح عليه الصلوة والسلام رب اغفر لي ولوالدي

ارجى الآية اللهم اجعلنا ممن
لا ينقطع رجاؤه عنك
وتب علينا مما يحفظ البتة

وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ونحو ذلك وكذلك دعاء ساير الانبياء عليهم الصلوة والسلام نحو دعاء
نوح عليه السلام رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وقول ابراهيم
عليه الصلوة والسلام رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ونحو ذلك وكذا
استغفار الملايكة لهم ايضا لقوله ويستغفرون لمن في الارض وقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك الآية هذه الآيات ارجى آيات للمؤمنين ودعوات الانبياء عليهم السلام افضل وسايل
يكون الى الله تعالى واعظم قرب عنده والله الموفق ثم قوله عز وجل واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الصغاير مغفورة لا يجوز
لله تعالى ان يعذب عباده عليها والكباير مما لا يحتمل ان يغفرها لهم الا بالاستغفار منهم
والتوبة فهذه الآية تنقض قولهم ومذهبهم لانه امر رسوله ان يستغفر لهم فلا يخلوا اما ان يكون
صغاير وهي مغفورة عندهم فكانه يقول لا تخش لانها مغفورة لا يسع له ان يعذب عليها
ولو عذب يكون جايرا او كباير ولا يحتمل المغفرة عنها فيكون قوله اللهم اغفر لهم كانه قال اللهم
جر لان مغفرته اياهم عن الكباير لا يجوز ويكون جورا ووضع الشيء في غير موضعه فكيف
ما كان فيها نقض قولهم وحجة لقولنا ان له ان يعذبهم عليها وان كانت صغاير وله
ان يعفو عنها وكانت كبايرا اذ المغفرة عن الذنب يكون والله الموفق للصواب وقوله عز وجل
والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال بعضهم والله يعلم متقلبكم في النهار ومثواكم من الليل وقيل يعلم
ما يتقلبون بالنهار ويسكنون بالليل وهما واحد وقال بعضهم والله يعلم متقلبكم في الدنيا
ومثواكم في الآخرة اى مقامكم فيها وهو يخرج عندنا على وجوه احدها يحتمل ما ذكر هذا الظن
ان الله تعالى يجهل عواقب الامور حيث انشا هذا العالم يجحدونه ويجحدون نعمه فلا يحتمل ان ينشيهم
ويجعل لهم النعم وهو يعلم انهم يجحدونه ويكفرون نعمه لان من فعل هذا في الشاهد فهو عابث
غير حكيم فنفى ذلك هذا على زعمهم فقال تعالى جوابا لهم والله اعلم يعلم متقلبكم ومثواكم
اى على علم بما يكون منهم انشاهم وخلقهم لا عن جهل على ما ظنوا هم لكن ما ينبغي لهم ان ينسبوا
الجهل الى الله تعالى لجهلهم بحق الحكمة في فعله لان الله جل وعلا لم ينشئ شيء هذا العالم لحاجة له
ولمنافع نفسه بل انما انشاه لمنافع انفسهم ولحاجتهم فاليهم يرجع منفعة الاجابة والطاعة
وعليهم يكون مضرة الجحود والرد فاما في الشاهد لمن يامر احدا امرا او ينهاه عن امر او ارسل اليه
رسولا على علم منه بالرد والجحود فهو سفيه غير حكيم لانه انما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه
ومنفعة له فاذا علم منه الرد والانكار فهو غير حكيم فافترق الشاهد والغايب
لافتراق وجه الحكمة والله الموفق والثاني قوله تعالى والله يعلم متقلبكم ومثواكم اى يعلم
جميع احوالكم من حركاتكم وسكونكم وجميع تقلبكم ليكونوا ابدا على حذر ويقظة والله اعلم والثالث
يعلم متقلبكم ومثواكم اى يعلم متقلبكم ومثواكم اى يعلم متقلبكم في الدنيا ويعلم الى ماذا يكون
مرجعكم في الآخرة اى انشا كلا على ما علم انه يكون منهم كقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم وقال في آية
اخرى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى انشا من علم انه يختار الكفر وعداوته لجهنم
وانشا من علم انه يختار التوحيد وولايته للجنة والله الموفق وقوله عز وجل ويقول الذين
آمنوا لولا نزلت سورة فاذا نزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ان الذين آمنوا كانوا يتمنون
انزال السورة ويقولون هلا نزلت سورة لوجوه احدها ليكون السورة حجة لهم وآية
على اعدائهم في الرسالة والبعث والتوحيد والثاني كانوا يستعدون بانزال السورة اشياء

مما يحفظ البتة
في دعوات الانبياء والاستغفار
الملايكة في الرجاء والوسيلة

نقض قول المعتزلة في الصغاير
والكباير

ويزداد لهم يقينا وتحققا في الدين كقوله تعالى واذا ما انزلت سورة الى قوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما المنافقون فزادتهم رجسا الى رجسهم على ما ذكر والثالث يتمنون نزول السورة ليتبين لهم المصدق من المكذب والمحقق من المريب هذه الوجوه التي ذكرنا يكون لاهل الايمان لذلك يتمنونه والله اعلم وقوله عز وجل فاذا انزلت سورة محكمة اي محدثة والمحدثة ليست بتفسير للمحكمة الا ان يعنوا بالمحدث الناسخ والناسخ هو المحدث والمتاخر نزولا وهو محكم لا تنزيل والعمل به والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه لولا نزلت سورة محدثة والوجه ما ذكرنا والمحكمة عندنا على وجهين احدهما اي محكمة بالحجج والبراهين والثاني لما انزلت على ايدي قوم وتداولت فيما بينهم فلم يغيروه ولم يبدلوه بل حفظوه ليعلم انه من عند الله حسا ومنه نزل والله اعلم وقوله عز وجل وذكر فيها القتال جعل الله عز وجل في القتال خصالا احدها كثرة اهل الاسلام وكثرة الاموال وان كان في ظاهر القتال افناء الانفس والاموال لانه قبل ان يفرض القتال كان يدخل في الاسلام واحد فلما فرض القتال دخل فيه فوج فوج على ما اخبر يدخلون في دين الله افواجا والثاني ليتبين المصدق منهم من المكذب منهم والمحقق من المريب لانه لم يكن ليظهر ويتبين لهم المنافق من غيره الى ذلك الوقت فلما فرض القتال عند ذلك ظهر وتبين لهم اهل النفاق والارتياب من اهل الايمان والتصديق والثالث فيه اية الرسالة والبعث اما اية الرسالة فلان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عددا قليلا لا عدة لهم ولا قوة امروا بالقتال مع عدد لا يحصون ولهم عدة وقوة ليعلم انهم لا بانفسهم يقاتلون ولكن بالله تعالى اذ لا يحتمل قيام امثالهم لامثال اولئك مع كثرتهم وقوتهم والله اعلم واما اية البعث فلانهم امروا بقتال اقاربهم وارحامهم والمتعلق بهم وفي ذلك قطع ارحامهم وقطع صلة قراباتهم ليعلم انهم انما يفعلون هذا بالامر لعاقبة تومل ويقصد اذ لا يحتمل فعل ذلك بلا عاقبة يقصد وبلا شي يعتقد والله اعلم وقوله عز وجل رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت كان اهل النفاق يكرهون نزول ما يبينهم عما في ضمايرهم من النفاق والارتياب كقوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم واذا انزلت السورة يزداد لهم ما ذكر حيث قال واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وقوله عز وجل فاولى لهم طاعة وقول معروف قال اهل التاويل هذا وعيد لهم كقوله اولى لك فاولى الاية لكن ظاهره ليس بوعيد ولا عديد انما ظاهره اي احرى لكم واولى ان تطيعوا وان تقولوا معروفا فاذا تركوا ذلك فعند ذلك يكون وعيدا والله اعلم وقوله فاذا عزم الامر اختلف في تاويله قال بعضهم هو صلة قوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال وعزم الامر فعند ذلك كان بما ذكر من المنافقين حيث قال رايت الذين في قلوبهم مرض وليس في نفس ذكر القتال ما ذكر من نظر المغشي عليه من الموت انما ذلك الوصف وتلك الحال عند وجوب القتال ولزومه وتاكيده عليهم وذلك في قوله فاذا عزم الامر اي وجب وفرض فعند ذلك يكون حالهم ما ذكر فاما بذكر نفس القتال فلا والله اعلم وقال بعضهم فاذا عزم الامر هو في الاخرة اي فاذا تحقق وظهر ما كان وعدهم الرسول عليه الصلوة والسلام من نزول العذاب بهم في الاخرة فلو صدقوا الله في الدنيا لكان خيرا لهم في الاخرة حيث كان لا يتنزل العذاب بهم في الاخرة اي لو صدقوا رسول الله فيما يوعدهم من العذاب انه ينزل بهم في الاخرة وتركوا مخالفته في الدنيا لكان خيرا لهم في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل فهل عسيتم

سورة محكمة

ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اختلف في تاويل هذه الاية قال بعضهم قوله تعالى فهل عسيتم اي لعلكم ان توليتم اي وليتم امر هذه الامة ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم قال ابن عباس رضي الله عنه قد كان هذا وهم بنو امية ولوا امر هذه الامة ففعلوا ما ذكر من الفساد في الارض وقطع الارحام وكان لهم اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان منهم ما ذكر والله اعلم وقال بعضهم ان الاية في المنافقين كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون منه ما قال ثم اذا تولوا عنه كانوا يسعون في الارض بالفساد وما ذكر كقوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الى قوله واذا تولوا سعى في الارض الى قوله والله لا يحب الفساد وقال بعضهم ما اراه الا نزلت الاية في الحرورية وهم الخوارج وجايز ان يكون هذا ما ذكر في اية اخرى حيث قال افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وقد انقلبوا على ما اخبر وهو في اهل الردة والله اعلم وقال قتادة فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم اي طاعة الله ورسوله وقول المعروف عند حقايق الامور خير لهم فهل عسيتم ان توليتم عن كتابي وطاعتي ان تفسدوا في الارض يقول كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدماء الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن واكلوا المال الحرام ويحتمل ان يكون الاية في الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به والله اعلم وقوله عز وجل اولئك الذين لعنهم الله اللعن هو الطرد عن الرحمة وهو كقوله لابليس وان عليك لعنتي الى يوم الدين اي انت مطرود عن رحمتي وقوله تعالى لعنهم الله اي طردهم عن رحمته وقوله عز وجل فاصمهم واعمى ابصارهم اي اصمهم حتى لم يسمعوا سماع الاعتبار والتفكر واعمى ابصارهم حتى لم ينظروا فيما عاينوا نظر اعتبار وتفكر ما لو تفكروا وتاملوا ونظروا نظر معتبر لادركوا والله اعلم وقوله عز وجل افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها الاية فيه انهم لو تدبروا وتاملوا فيه لادركوا ما فيه وفيه ايضا انهم لو تدبروا العذاب لفتح تلك الاقفال التي ذكر انها عليها وذهبها والله اعلم وقوله عز وجل ام على قلوب اقفالها اي على قلوب اقفالها يحتمل اقفالهم الظلمة التي فيها وهي ظلمة الكفر تلك الظلمة يغطي نور البصر ونور السمع وجايز ان يكون ما ذكر من الاقفال هي كناية عن الطبع والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم قوله سول لهم اي زين اضاف التزيين مرة الى الشيطان ومرة الى نفسه فايتهم من تزيين الشيطان غير الذي يفهم من تزيين الله تعالى كالاضلال المضاف الى الله تعالى والمضاف الى الشيطان فالمفهوم من اضلال الله غير المفهوم من اضلال الشيطان فعلى ذلك التزيين وقوله عز وجل واملى لهم اي اخرهم وامهلهم الى اجل ووقت كقوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الاية اي يوخرهم ليكون ما ذكر والله اعلم وقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الاية جايز ان يكون الاية في اليهود لما ذكرنا انهم كانوا امنوا به قبل ان يبعث كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الاية ارتدوا على ادبارهم من بعد ما امنوا به واتبعوه وجايز ان يكون في المنافقين ارتدوا على ادبارهم واظهروا الخلاف بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اظهروا الموافقة لهم في حيوته والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر قوله ذلك بانهم ان كان راجعا الى قوله ان الذين ارتدوا على ادبارهم فان كان المراد بذلك اليهود فالمعنى فيه غير المعنى لو كان في المنافقين وان كان قوله ذلك بانهم راجع الى قوله الشيطان سول لهم فاذا احتمل ذلك ثم

الوجهين فلا نفسره انه الى ماذا يرجع ثم قال بعضهم الذين كرهوا ما نزل الله هم المنافقون قالوا لليهود
سنطيعكم في تكذيب محمد والمظاهرة عليه وقال بعضهم هم اليهود ظاهروا اسائر الكفرة على محمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عنهم ثم كراهة نزول ما انزل الله تعالى على رسوله عليه الصلاة
والسلام كان من اليهود وجميع الكفرة لقوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل
عليكم من خير من ربكم والله اعلم وقوله عز وجل والله يعلم اسرارهم هذا يدل على انه لا يفسر قوله
ذلك بانهم قالوا ولا يشار على انه اراد كذا ورجع الى كذا لما اخبر الله تعالى انه هو العالم بما اسروا ولم يبين
ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم
اتبعوا ما اسخط وكرهوا رضوانه لا احد يقصد قصد اتباع سخط الله ولا كراهة رضوانه لكنهم
لما اتبعوا الفعل الذي كان الله يسخط ذلك الفعل فكانهم اتبعوا سخطه وكذلك اذا تركوا اتباع ما كان
يرضاه وكرهوه فكانهم كرهوا رضوانه وهو كقوله تعالى لا تعبدوا الشيطان ولا احد يقصد
قصد عبادة الشيطان لكنهم لما اتبعوه فيما يامرهم ويدعوهم اليه فكانهم عبدوه وهو تسمية
الشيء باسم سببه واللغة غير ممتنعة من تسمية الشيء باسم سببه والله اعلم وقوله عز وجل
فاحبط اعمالهم اي اعمالهم التي كانت قبل ارتدادهم في حال اتباعهم اياه والله اعلم وقوله
عز وجل ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اي حسب المنافقون ان
ان لن يظهر الله عداوتهم وان يبدي الله ما في قلوبهم من العداوة جعل الله جل وعلا في اظهار
ما اسر اهل النفاق وابداء ما اخفوه فيما بينهم اية عظيمة ودلالة ظاهرة على رسالة رسوله
صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن
القول كانه على التقديم والتاخير كانه قال ولو نشاء لاريناكهم بسيماهم بالنظر اليهم بالبداية
ولتعرفنهم ايضا في لحن القول اي لو نشاء لجعلنا لهم اعلاما في الوجه والقول لتعرفهم
ولكن لم نجعل لهم ولكن جعل معرفتهم باعمال يعملون فيظهر نفاقهم بذلك والله اعلم كقوله ومن الناس
من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا وقال في اية اخرى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع
لقولهم وقوله رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت الاية وقوله
عز وجل ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وقوله انما يستاذنك
الذين لا يؤمنون بالاخرة بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم ونحو ذلك من الايات مما كان
يظهر نفاقهم وخلافهم بالاعمال التي كانوا يعملون فدلت هذه الايات على انه كان لا يعرفهم
بالسيماء والنطق والقول والاجسام وانما يعرفهم بافعال كانوا يفعلونها والله اعلم وقال بعضهم
ولتعرفنهم في لحن القول اي نحو الكلام فكان يعرفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلموا
فيخرج على هذا التاويل قوله ولتعرفنهم على الوعد اي تعرفهم في حادث الوقت والله اعلم
قال ابو عوسجة يقال رجل لحن بحجته ويقال لحن يلحن اذا اخطا الحجة فهو لاحن كانه من العدول
والميل عن الحق وقال القتبي في لحن القول اي في نحو كلامهم وقوله عز وجل والله يعلم اعمالكم يحتمل
هذا وجهين احدهما والله يعلم ما يسرون وما يعلنون من الاعمال ويخفونها والثاني على الجملة
اي يعلم جميع اعمالهم ما اسروا واعلنوا يخرج على الوعيد كقوله انه بما تعملون بصير وقوله عز وجل
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين هذا يخرج على وجوه احدها اي حتى يعلم اولياؤه
المجاهدين منكم والصابرين من غير المجاهدين وغير الصابرين فيكون المراد من اضافة العلم الى نفسه
علم اوليائه كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم وقوله عز وجل يخادعون الله وهو خادعهم ونحو ذلك المراد منه

اوليائه

اولياءه على احد التاويلات والله اعلم والثاني يكون المراد بالعلم المعلوم وذلك جائز
في اللسان واللغة كقول الناس الصلوة امر الله اي مامور الله وكقوله عز وجل حتى ياتيك اليقين
اي الموقن به وقوله ومن يكفر بالايمان اي بالمؤمن به ونحو ذلك كثير والثالث اي نعلم كاينا
ما قد علمه انه سيكون اذ لا يجوز ان يوصف هو يعلم ما سيكون يعلمه كاينا او يعلم ما قد كان
يعلمه انه يكون كاينا ولكن يوصف بما قد علمه كاينا انه علمه كاينا او يعلم ما علم انه سيكون انه يكون
لانه يوجب الجهل ويكون التغير في ذلك المعلوم لا في علمه والله الموفق وقوله عز وجل ونبلو اخباركم
اي ونبلو في اخباركم التي اخبرتم عن انفسكم كقوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وقوله عز وجل من عاهد الله الى اخر ما ذكر ابتلوا في تلك الاخبار التي اخبروا عن انفسهم
والله اعلم ويحتمل ان يكونوا ابتلوا في قولهم الذي قالوا لو اعطوا بالسنتهم حيث قالوا امنا
كقوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فتنوا فيما قالوا واخبروا
اي ابتلوا فالفتنة والمحنة والابتلاء والبلاء واحد والله اعلم وقال بعضهم ونبلو اخباركم
اي نظهر نفاقكم للمسلمين اذ كان الله تعالى عالما قبل ان يبلوهم والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله قوله كفروا اي كفروا بنعم الله من الكفران او كفروا بتوحيده
وقوله وصدوا عن سبيل الله يحتمل قوله صدوا اي اعرضوا بانفسهم عن دين الله ويحتمل صدوا
اي صرفوا الناس عن دين الله والله اعلم وقوله عز وجل وشاقوا الرسول اي عادوه وعاندوه
من بعد ما تبين لهم الهدى وقوله عز وجل لن يضروا الله شيئا يحتمل لن يضروا الله بكفرانهم
نعمه او كفرهم بوحدانية الله تعالى ومعناه والله اعلم انه ليس يامر بما يامر او ينهى عما ينهى
لدفع مضرة عن نفسه او لجر منفعة الى نفسه ولكن يامر وينهى لحاجة انفسهم ولذلك ولمنافعهم
ثم يتركهم اتباع امره والانتهاء عن نهيه ضرر على انفسهم والله اعلم وجائز ان يكون المراد
من قوله لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بما كفروا وصدوا عن سبيله بل ضروا انفسهم
كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا اولياء الله ينصركم وقوله عز وجل وسيحبط اعمالهم
يحتمل حبط الاعمال بالارتداد بعد الايمان واحداث الكفر بعد الاسلام ويحتمل وسيحبط اعمالهم
التي كانت لهم بالايمان قبل بعثه صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم قال بعضهم اي اطيعوا الله في الجهاد ولا تبطلوا حسناتكم بالرياء والسمعة
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله واطيعوا الرسول ويحتمل ولا تبطلوا
اعمالكم بالارتداد والكفر بعد الايمان ويحتمل اي لا تبطلوا اعمالكم بالمن على الله او على الرسول
في الاسلام اي يسلمون ممتنون على الله او على رسوله كقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا
علي الاية وقال قتادة ولا تبطلوا اعمالكم بالرياء وقال فمن استطاع منكم ان لا تبطل عملا صالحا
بعمل شيء فليفعل ان الشر يكسح الخير وانما هلاك العمل بخواتيمه فمن استطاع ان يختم بخير
فليفعل ولا قوة الا بالله وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ما كنا معشر اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم نرى شيئا يبطل اعمالنا حتى نزلت هذه الاية فقلنا ما الذي يبطل اعمالنا
الكباير الموجبات والفواحش فكنا على ذلك حتى انزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء الاية فلما نزلت هذه الاية كففنا عن هذا القول وجائز ان يكون قوله تعالى
ولا تبطلوا اعمالكم قال هذا ليكونوا ابدا على اليقظة والحذر دليله يبطل اعمالهم من حيث لا يشعرون
كقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون وفي حرف ابي رضي الله عنه ولا تبطلوا ايمانكم وقوله

عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم تاويلها ظاهر وقوله عز وجل فلا تهنوا وتدعوا الى السلم اى لا تضعفوا وتدعوا الى الصلح كذلك قال القتبي وقال ابو عوسجة السلم بكسر السين الصلح ولا اعرف بفتح السين هاهنا له معنى وقوله عز وجل وانتم الاعلون اى وانتم الغالبون فيه النهى عن الدعاء الى الصلح اذا كانوا هم الاعلون اعنى اهل الاسلام ثم قوله تعالى وانتم الاعلون يحتمل وجوها يحتمل الاعلون بالحجج والبراهين في كل وقت ويحتمل وانتم الاعلون بالقهر والغلبة في العاقبة اى آخر الامر لكم ويحتمل وانتم الاعلون في الدنيا والآخرة لانهم وان غلبوا في الدنيا وقتلوا كانت لهم الآخرة وان ظفروا بهم كانت لهم الدنيا والاموال وقال بعضهم وانتم الاعلون اى وانتم اولى بالله منهم وهو ما ذكرنا في الآخرة والله اعلم وقوله عز وجل والله معكم يحتمل معكم في النصر والغلبة ويحتمل معكم في الوعد الذى وعد ان ينجز ما وعدكم في الدنيا ويفي بذلك وقوله عز وجل ولن يتركم اعمالكم اختلف فيه قال بعضهم اى لن يجعل الله للكافرين عليكم مظلمة ولا تبعة وهو يحتمل في الدنيا والآخرة كقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وقال بعضهم لن يتركم اعمالكم اى لن ينقصكم اعمالكم وكذا قال ابو عوسجة يقال وترته اى نقصته وقال بعضهم لن يظلمكم اعمالكم يقال وترت حقى اى بخسنيه كذلك قال القتبي ولكن كلاهما واحد في المعنى اى لا ينقص من اعمالهم شيئا ولا يظلمون فيها ولا يبخسون والله اعلم وقوله عز وجل انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اى حيوة الدنيا على ما وعدهم وعلى ما يعتقدون لعب ولهو لانهم كانوا يقولون ان لا بعث ولا حيوة فعلى ما عندهم يكون حيوة الدنيا على ما ذكر من اللهو ويحتمل انه سماها لهوا ولعبا لانهم على ما يزعمون انشاها للانقطاع والفناء لا ليكتسب بها الحيوة الدائمة في الآخرة وانشاء الشيء للانقطاع والفناء خاصة بلا عاقبة يقصد يكون لعبا ولهوا ثم اللعب واللهو يجوز ان يكونا شيئا واحدا ويجوز ان يكون احدهما ما يستمتع بظاهر الاشياء والآخر ما يستمتع بباطن الاشياء اللعب هو ما يستمتع بظواهر الاشياء واللهو هو ما يتلهى ببواطنها والله اعلم وقوله تعالى وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اى وان تؤمنوا بما امرتم الايمان وتتقوا عما نهيتم عن مخالفة امره يؤتكم اجوركم جعل الله عز وجل بفضله ورحمته لاعمالهم التى يعملون لانفسهم اجرا اذ لا احد يعمل لنفسه ويأخذ الاجر من غيره لانهم بالاعمال يسقطون عن انفسهم التكليف بالشكر لنعم الله تعالى حيث اسدى عليهم النعم ابتداء لكنه جعل لاعمالهم اجرا كانهم يعملون له ابتداء وان كانوا عاملين لانفسهم في الحقيقة واليه يرجع منافع اعمالهم ولان انفسهم واموالهم في الحقيقة لله تعالى فكيف يستحقون الاجر على مولاهم باعمالهم وهذا كما ذكرنا من الاقراض له والشراء منهم كان لا املاك له في ذلك وان ليس له ذلك وان كان حقيقة املاكهم وانفسهم لله تعالى تفضلا منه وكرما تعالى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ولا يسألكم اموالكم هذا يخرج على وجهين احدهما اى ليس يسألكم الانفاق من اموالكم وانما يسألكم من مال الله ليستمتعوا بما لغيره لانفسكم ويجعلون ذخرا لانفسكم غير ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اى لو كان يسألكم من اموالكم لبخلتم وتركتم الانفاق منها والثاني ولا يسألكم اموالكم اى ولا يسألكم الانفاق من جميع اموالكم ولكن انما يسألكم الانفاق من طائفة من اموالكم ان يسألكموها فيحفكم اى لو يسألكم جميع اموالكم لحملكم ذلك على البخل وترك الانفاق فاذ يسألكم الانفاق من جزء من اموالكم فلما ذا بخلتم وتركتم الانفاق وقوله فيحفكم تبخلوا يخرج من وجوه احدها اى يحملكم على البخل لو سألكم جميع الاموال ويحتمل فيحفكم اى يجعلكم حفاة لا شيء يبقى عندكم الاحفاء ان يأخذ كل شيء عندكم وهو من الاستيصال ومنه احفاء الشوارب وقال ابو عوسجة الاحفاء شدة المسألة اى ان يلح عليكم

فيما يوجبه في اموالكم تبخلوا يقال احفى في المسألة والحف وألح واحد والله اعلم وقوله عز وجل ويخرج اضغانكم اى لو امر بالانفاق من جميع اموالكم او من اموالكم حقيقة يظهر ذلك من اضغانكم التى في قلوبكم لان ذلك الامر انما يجرى على السن الرسل فيوجب ذلك ظهار ما في قلوبهم من الضغائن للرسل عليهم السلام فان كان التاويل هذا فهو في المنافقين فيكون الامر بالانفاق سبب اظهار نفاقهم وضغائنهم وعداوتهم فكان الامر بالقتال كان سببا لاظهار نفاقهم وان كان في المسلمين فيحتمل انه قال ذلك تحريضا لهم على الانفاق والتصدق اى انه سبب اخراج الضغائن والعداوة لما فيه من التحبب والتودد بايصال ما هو محبوب اليه والله اعلم وقوله عز وجل ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله اى ها انتم يا هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله اى في اظهار دين الله او في طاعة الله او في الجهاد لان الانفاق في ذلك كله في سبيل الله والله اعلم وقوله عز وجل فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه جعل الله عز وجل الانفاق لهم حقيقة اذا انفقوا فيما امرهم الله تعالى بالانفاق في طاعته عند ذلك يصير تلك الاموال لهم لانهم اذا انفقوا فيما امرهم الله تعالى انتفعوا بها في الدنيا بما استمتعت انفسهم وتلذذت وانتفعوا بها ايضا في الآخرة وقت حاجتهم وفقرهم بذلك يتحقق ويحصل لهم تلك الاموال فاما عند تركهم الانفاق فيما امروا بالانفاق والبذل فلا يتحقق لهم تلك الاموال المجعولة في ايديهم لانه اما ان يجعل لوارثهم او يأخذها منهم بلا سبب من غير ان يجعل لهم بذلك نفع والله اعلم فذلك تاويل قوله تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله اعلم لما يهلك نفسه بترك الانفاق منها ولم يتمتع ولم ينتفع به وقت حاجتهم اليه في الآخرة وقال بعضهم قوله فمنكم من يبخل عن الصدقة والانفاق في طاعة الله ومن يبخل بالصدقة في طاعة فانما يبخل عن نفسه بالجزاء في الآخرة وقوله عز وجل والله الغنى وانتم الفقراء اى والله الغنى عن انفاقكم وعما يأمركم بالانفاق وانتم الفقراء الى ما ينفقون اى انتم المنتفعون بذلك الانفاق الذى يأمركم به لا انه يرجع منفعة ذلك اليه او يأمر لحاجة نفسه ولكن انما يأمركم بذلك لحاجتكم اليه يوما والله اعلم ويحتمل ان يكون يقول والله الغنى عنكم وعما في ايديكم وانتم الفقراء اليه في كل وقت وكل ساعة في جميع احوالكم واوقاتكم كقوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ويحتمل والله الغنى عن اموالكم وانتم الفقراء الى مغفرته ورزقه وجنته ورحمته وقوله عز وجل وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قال بعضهم قد تولوا وهم اهل مكة واستبدل قوما غيرهم وهم اهل المدينة لكن هذا بعيد لان السورة مدنية فلا يحتمل الخطاب به لاهل مكة بقوله وان تتولوا ومنهم من يقول الله عز وجل اخبر ووعد اهل المدينة انهم ان تتولوا استبدل غيرهم اطوع منهم لله تعالى فلا تولى استبدل غيرهم وقال بعضهم هو على وجهين احدهما قوله وان تتولوا يستبدل قوما اى لم يتولوا ولم يستبدل قوما غيركم والوجه الآخر قد تولوا واستبدل بهم النخع واحمس وناسا من كندة والذين تولوا حنظلة واسد وغطفان وبنو فلان وقوله عز وجل ثم لا يكونوا امثالكم اى لا يكونوا امثالكم في الطاعة لله تعالى بل اطوع له واخضع والله اعلم وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فضرب بيده على فخذ سلمان الفارسي وقال والذى نفسي بيده لو كان الدين منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت غنما سودا وردفها غنم بيض فاختلطت بها فتعقب بهن جميعا قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اولت قال العجم يشركونكم في دينكم وانسابكم قالوا العجم يا رسول الله قال نعم لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من العجم واسعدهم به اهل فارس فان ثبت هذا الخبر فجائز ان يستدل به على جعل العجم اكفاء العرب لانه قال يشركونكم في انسابكم

في مدح فارس

فاذا اشركوهم في انسابهم صاروا اكفاء لهم ويحتمل ان يكون قوله يشركونكم في انسابكم لانهم ينسبونهم
فيلد منهم اولاد فيتركوا فما ذكر والله اعلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال تلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل قوما
قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه هذا وقال في حديث
آخر والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس والله اعلم .

سورة الفتح مدنية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا قال بعضهم هو فتح مكة وقال بعضهم هو صلح الحديبية الذي
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اهل مكة حين صدوهم عن دخولهم مكة وحالوا بينه
وبين زيارة البيت وكان له فيها اعني في قصة الحديبية امران وآيتان ظاهرتان عظيمتان احدهما
انه اصابه ومن معه من اصحابه عطش فاتاه باناء فنبع من ذلك الاناء من الماء مقدار ما شرب منه زهاء
الف وخمسمائة حتى رووا جميعا فذلك آية عظيمة حسية على رسالته والثاني الخبر بغلبة الروم
الفارس وذلك علم غيب وكان كما ذكر واخبر فدل انه انما علم ذلك بالله تعالى وقصة الحديبية
روي عن رجل يقال له مجمع بن حارثة قال شهدت الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما انصرفنا عنها ان الناس يوجفون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما للناس قالوا اوحي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف مع الناس حتى وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا
عند كراع الغميم اسم موضع فلما اجتمع اليه بعض ما يريد من الناس قرا عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا
قال رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي والذي نفسي بيده انه لفتح قال
ثم قسمت الحديبية على ثمانية عشر سهما وكان الجيش الف وخمسمائة وفي بعض الاخبار ان الصلح الذي
كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ولم نر قتالا ولو ترى لقاتلنا قال
فنزلت سورة فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر رضي الله عنه فاقراها اياه فقال
يا رسول الله فتح هو قال نعم وعن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بالحديبية فانزل الله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل انها فتح هو قال نعم وعن جابر انه قال ما كنا نعد الفتح الا يوم
الحديبية وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الآية انا فتحنا لك
فتحا مبينا بالحديبية وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لم يكن في الاسلام فتح اعظم من صلح الحديبية
وضعت الحرب اوزارها وامن الناس كلهم ودخل في الاسلام في السنتين اكثر مما كان دخل قبل
ذلك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من الحديبية وفي الحديث طول تركنا
ذكره والله اعلم وقوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا يخرج على وجوه احدها اي انا قضينا
ذلك قضاء دينيا بالحجج والبراهين على رسالتك ونبوتك ليعلم انك محق على ما تدعي صادق وفي قوله
ليغفر لك الله بما اكرمك وعظم امرك بالرسالة والنبوة اي اعطاك ذلك واكرمك به ليغفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر والثاني انا فتحنا لك فتحا مبينا ما لم يطمع احد من الخلائق ان يفتح عليك
امثال ذلك الفتوح ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والثالث انا فتحنا لك جميع ابواب
الحكمة والعلوم وجميع ابواب الخيرات والحسنات ليغفر لك الله بما اكرمك من ابواب الحكمة والخيرات
يخرج على هذه الوجوه الثلاثة والله اعلم ثم قوله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر

مجمع

قصة الحديبية

يخرج

يخرج على وجهين احدهما يرجع الى ذنبه اخبر انه غفر له ثم لا يجوز لنا ان نبحث عن ذنبه ونتكلف انه
ما كان ذنبه وايش كان زلته لان البحث عن زلته مما يوجب التنقيص فيه فمن تكلف البحث عن ذلك
يخاف عليه الكفر لكن ذنبه وذنب ساير الانبياء عليهم الصلوة والسلام ليس نظير ذنبنا اذ ذنبهم
بمنزلة فعل مباح منا لكنهم نهوا عن ذلك والله اعلم وجايز ان يكون قوله عز وجل ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي يعصم ذنبه ابتداء غفران اي عصمه عن ذلك وذلك جايز في اللغة
والله اعلم والوجه الثاني يرجع الى ذنوب امته اي ليغفر لك الله ذنوب امتك وهو ما يشفع
لامته فيغفرهم له اي بشفاعته وهو كما روي في الخبر يغفر للموذن مد صوته اي يجعل له الشفاعة
فعلى ذلك جايز ان يكون قوله ليغفر لك الله اي يغفر له امته بشفاعته والله اعلم وقوله عز وجل
ويتم نعمته عليك يحتمل اتمام نعمته عليه هو ما ذكرنا من الرسالة والنبوة وفتح ما ذكر من ابواب
الخيرات والحكمة في الدنيا والآخرة او الشفاعة له في الآخرة او اظهار دينه على الاديان كلها
واياس اولئك الكفرة عن عوده الى دينهم كقوله اليوم اكملت لكم دينكم الآية والله اعلم وقوله عز وجل
وينصرك الله نصرا عزيزا يحتمل اي ينصرك نصرا عزيزا بالغلبة عليهم والقهر والظفر لا صلحا
ولا موادعة وعلى ذلك يخرج قول اهل التاويل نصرا عزيزا لا يستذل ولا يسترذل وظاهر
الآية ليس على ذلك لانه قال على اثر ليغفر لك الله لان الخيرات والحسنات يكون سببا للمغفرة
فجايز ان يكون ما ذكر من الفتح له والمغفرة هذا الا ما ذكره الا ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسال من الفتح لما اقدم على اسباب الفتح وهو القتال مع الكفرة ونحو ذلك من الخيرات
التي يكون سببا للمغفرة الا ان الله اضاف الفتح الى نفسه والقتال منهم والله ويحتمل ان يكون ما ذكر
من الفتح له ليغفر له هو ان الله جعل رسوله بحيث لا يخط بيده خطا ولا يكتب كتابا ولا يفهم كتابة
وهو ما وصفه الله جل وعلا بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك لدفع ارتياب
المبطلين فيه على ما ذكر ثم مع انه جعله هكذا احوج جميع حكماء الخلق اليه واحوج ايضا جميع
اهل الكتاب لسالفة اليه في معرفة ما ضمن كتابه المنزل عليه وجعله رسولا اليهم فيكون كانه
قال انا فتحنا لك النبوة والحكمة وانواع العلوم والخيرات والحسنات ليغفر له اي انما فتح لك ما ذكرنا
ليغفر لك ويتم نعمته عليك من النبوة والحكمة واظهار دينه على الاديان كلها ويهديه صراطا مستقيما
وينصره نصرا عزيزا اعطاه ما ذكرنا وذلك كله النصر العزيز والله اعلم وجايز ان يكون قوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك اي من ذنب امتك وما تاخر من ذنبهم على ما قال بعض اهل التاويل
ويتم نعمته عليهم من انواع الخيرات والامر لهم والاياس لاولئك الكفرة عنهم ويهديهم صراطا
مستقيما وينصرهم نصرا عزيزا اي فتحنا لك ما ذكر ليكون لامتك ما ذكرنا من المغفرة لهم واتمام
النعمة والهداية لهم الصراط المستقيم والنصر لهم النصر العزيز اي نصرا يعزون به في حياتهم
وبعد وفاتهم في الدنيا والآخرة والله اعلم ومن الناس من يقول ان الله جل وعلا امتحن رسوله
عليه الصلوة والسلام في الابتداء بالخوف حين قال وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وجد النبي صلى الله
عليه وسلم لذلك وجدا شديدا ونزل بعده انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الى آخره قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك نزلت علي آية احب الي مما على الارض ثم قراها النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا نبي الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك ولم يبين ماذا يفعل بنا
فنزل قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين قال بعضهم السكينة هي هيئة الريح لها جناحان ولها راس

كراس الحق لكن هذا ليس بشئ فانه عز وجل قال انزل السكينة في قلوب المؤمنين بحقيقة الدين
وهو تفسير العلم وهذا يدل على ان خالق العلم الاستدلالي ومنزله ومنشيه هو الله تعالى
وهم يقولون ان خالقه هو المستدل فيكون حجة قال بعض المعتزلة اضافة انزال السكينة الى نفسه
على سبيل المجاز ليس على التحقيق كما يقال فلان انزل فلانا في منزله او مسكنه وان لم يكن منه
حقيقة انزاله اياه في المنزل لكن اضيف اليه ذلك لانه وجد منه امر وسبب به يصل ذلك
الى نزوله في منزله ومسكنه فعلى ذلك اضافة انزال السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا
فلا يقال في مثله لامر كان منه او بسبب جعل له ذلك كقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
وانما يقال ذلك لتحقيق انزال ذلك ليكون ما ذكر على ما اخبر انه فتح ليغفر له ما ذكر والله اعلم ثم قوله
عز وجل ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يخرج على وجوه احدها ما قال ابو حنيفة رحمه الله ليزدادوا
ايمانا بالتفسير على ايمانهم بالجملة والثاني ليزدادوا ايمانا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه
مع ايمانهم بسائر الرسل والكتب التي كانوا آمنوا بها وصدقوها وهذا في اهل الكتاب خاصة والثالث
ليزدادوا ايمانا في حادث الوقت مع ايمانهم فيما مضى من الاوقات فاذا وصل هذا بالاول
فيكون بحكم الزيادة وان شئت جعلته بحكم الابتداء اذ للايمان حق التجدد والحدوث في كل وقت
والله اعلم وقوله عز وجل ولله جنود السموات والارض فان كان نزوله على اثر قول ذلك المنافق
على ما ذكر بعض اهل التأويل حيث قال لاصحابه هو غم محمد ان الله قد غفر له وان له على عدوه ظفرا
ويهديه صراطا مستقيما وينصره نصرا عزيزا هيهات هيهات لقد بقي من العدو اكثر واكثر فاين
اهل فارس والروم هم اكثر عددا فعند ذلك نزل ولله جنود السموات والارض فمعناه اي لله تدبير
جنود السموات والارض ينصر من يشاء ويجعل الامر لمن يشاء على من يشاء ويجعل الامر لمن يشاء على من شاء
ليس لهم التدبير وانفاذ الامر على من شاؤا ولكن ذلك الى الله تعالى وهو كقوله تعالى فلله المكر
جميعا اي لله تدبير مكرهم لا ينفذ مكرهم الا بالله تعالى فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل
وكان الله عليما حكيما اي عن علم بما يكون منهم من ايثارهم عداوة الله على ولايته واختيار الخلاف له
انشاهم لا عن جهل ليعلم انه لم ينشئهم ولم يامرهم بما امرهم ويمتحنهم بما امتحن لحاجة نفسه او لمنافع
ترجع اليه ولكن لحاجة اولئك ولمنافعهم ولذلك قال حكيما لان الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير
فاذا كان انشاؤه اياهم وما امرهم به ونهاهم عنه لا لحاجة له في ذلك ولا منفعة ولكن لحاجتهم
ومنفعتهم كان حكيما في انشائه اياهم على علم منه بما يكون منهم من ايثار العداوة له على ولايته واختيار
الخلاف له والمعصية والله الموفق وقوله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها الآية كان هذا صلة قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم ليدخل المؤمنين والمؤمنات الآية انزل السكينة في قلوبهم اي انزل لما تسكن بها قلوبهم ليزدادوا
بذلك ايمانا وانزل السكينة ايضا ليدخلهم فيما ذكر كما ذكر في رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك
فتحا مبينا ليغفر لك الله فتح له ليغفر له فعلى ذلك انزل السكينة في قلوبهم ليزدادوا والهمهم الايمان وليدخلهم
جنات التي وصف ثم اخبر ان ذلك لهم عند الله فوزا عظيما لا هلاك بعده ولا تبعة والله اعلم
وقوله عز وجل ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ذكر للمنافقين والمشركين
من العذاب مقابل ما ذكر للمؤمنين من انزال السكينة عليهم وادخالهم الجنة حرم هولاء السكينة
التي ذكر ان قلوب المؤمنين بها يسكن لما علم انهم يختارون عداوته ويؤثرون عداوة اوليائه على ولايته
في ولايتهم وعلم من المؤمنين انهم يؤثرون ولايته على عداوته وولاية اوليائه على عداوتهم فانزل السكينة

في قلوبهم ولم ينزل على اولئك هذا ليعلم ان من بلغ في الايمان الحد الذي ذكر انما بلغ ذلك بالله تعالى
وبفضله وبرحمته ولا قوة الا بالله وقوله الظانين بالله ظن السوء جائز ان يكون قوله عز وجل الظانين
بالله ظن السوء هم المنافقون الذين ذكرهم في آية اخرى حيث قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء ظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يرجع الى اهله وكذلك المؤمنون لا يرجعون الى اهليهم ابدا ثم اخبر ان ذلك الظن منهم ظن السوء
فيحتمل ما ذكر ههنا الظانين بالله ظن السوء هذا ما ذكرنا والله اعلم وجائز ان يكون قوله الظانين
بالله ظن السوء هم المشركون ثم ان كانوا من المنافقين فيكون ظنهم بالله ظن السوء ان لا يرجع هو
واصحابه الى اهليهم ابدا وان كانوا من مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ظنهم بالله ظن السوء
ان لا يكرم محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولا يعظمه بالنبوة لا يختاره ولا يؤثره على غيره من الناس
الذين يختارون هم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فيكون ظنهم بالله ظن
السوء على هذا ان لا يكرم الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يختاره لرسالته ونبوته والله اعلم وان كانوا
ذلك من مكذبي البعث ومنكريه فيكون ظنهم بالله ظن السوء وهو ان لا يقدر على البعث والاحياء بعد
الموت ثم اخبر ان عليهم دائرة السوء الذي ظنوا فان كانوا من المنافقين ظنوا ان لا يرجع الرسول الله
صلى الله عليه وسلم فصار عليهم ما ظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تعرفوا من اوطانهم
وهتك استارهم ونحو ذلك وان كانوا من مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم انه لا يرسله فظنهم
كان ما ظنوا لانه بعث هو رسولا ولم يبعث من اختاروهم وان كانوا من منكري البعث فعليهم كان
اليوم وفيه هلاكهم والله اعلم وقوله عز وجل وغضب الله عليهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا
اخبر عز وجل انهم استوجبوا غضب الله ولعنه بالذي كان منهم من سوء ظنهم بالله ورسوله واعد لهم
جهنم بذلك وساءت مصيرا لهم وقوله عز وجل ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما
ذكر على اثر ما ذكر عزيزا حكيما ليعلم ان عزه ليس بما ذكر من الجنود الذي له ما في السموات والارض
ولكنه عزيز بذاته له العز الذاتي الازلي والله اعلم وقوله عز وجل انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا قوله شاهدا لله بما الله تعالى على عباده وما لبعضهم على بعض فعلى هذا التأويل يكون قوله
شاهدا اي مبينا ليبين ما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وهو قول ابي بكر الاصم وقال بعضهم
اي شاهدا للرسل عليهم السلام بالتبليغ بالاجابة لمن اجابهم وشاهدا على من ابى الاجابة بالاباء والرد
فعلى هذا التأويل يكون قوله شاهدا على حقيقة الشهادة على ما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم اي ارسلناك
شاهدا على امتك على الانبياء عليهم الصلوة والسلام بالتبليغ ومن ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
ومبشرا ونذيرا البشارة هي تذكر عواقب الخيرات والحسنات والاخبار عن احوالها انها الى ماذا
يفضي اربابها وعمالها ليرغبهم فيها والنذارة هي تذكر عواقب الشرور والسيئات والاخبار عن احوالها
انها الى ماذا يفضي اربابها ومرتكبها ليزجرهم عنها والله اعلم وقوله عز وجل لتؤمنوا بالله ورسوله
خاطب بهذا البشر كله وفي الاول خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه يقول على الجمع بينهما
في الخطاب ارسلناك رسولا شاهدا لتؤمنوا انتم بالله ورسوله ويحتمل ان يكون على الاضمار
اي انا ارسلناك مبشرا ونذيرا وقل لهم انما ارسلت لتؤمنوا بالله ورسوله وهو كقوله تعالى يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن معناه يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن
فعلى ذلك جائز ما ذكرنا والله اعلم وقرئ بالياء وهي ظاهرة ثم الايمان بالله تعالى هو ان يشهد له
بالوحدانية والالوهية وان له الخلق والامر في كل شئ وكل امر والايمان برسوله هو ان يشهد له

بالصدق في كل امر وبالعدالة له فيما يحكم ويقضي ويصدقونه في كل ما يقوله ويجيبه في كل ما يدعوا اليه
ويطيعه في كل امر يامر به وينهى عنه والله اعلم وقوله عز وجل ويعزروه اختلف فيه
قال بعضهم اي ينصروه ويعينوه وقال بعضهم اي يطيعوه وقال بعضهم اي يعظموه فمن يقول ان قوله
ويعزروه ليس على النصر والاعانة ولكن على التعظيم او على الطاعة استدل بما قال في اية اخرى
وعزروه ونصروه ذكر التعزير وعطف النصر عليه والمعطوف غير المعطوف عليه فدل انه غير النصر
ولكن جائز ان يذكر الشيء الواحد بلفظين مختلفين ومعناهما واحد على التاكيد وكذلك من يقول
بالتعظيم يقول امرهم بتعظيمه في الحرفين اعني قوله وتعزروه وتوقروه وذلك جائز في الكلام
ويحتمل ان يكون التعزير هو الطاعة له والتوقير هو التعظيم وفي الطاعة له تعظيمه والله اعلم وقد قال
بالنصر والمعونة في التبليغ تبليغ الرسالة الى الخلق والدفع عنه والذب والتعظيم له في قلبه وجميع
جوارحه والله اعلم وقوله عز وجل وتسبحوه بكرة واصيلا اجمع اهل التاويل ان قوله تعالى وتسبحوه
راجع الى الله تعالى وكذلك ذكر في بعض القراءة ويسبحون الله بكرة واصيلا والتسبيح هو التنزيه في الافعال
والاقوال وجائز تسبيحه ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان يرى العيوب في افعاله واقواله
لا يدخل في افعاله واقواله عيب وان كان هو تنزيها عن الحدثية والفناء والافات تدخل في نفسه
فذلك لا يجوز اضافته ونسبته الا الى الله عز وجل فاما غيره لا يجوز اضافة ذلك اليه واصله ما ذكر
اهل التاويل من صرفه الى الله تعالى وقوله عز وجل بكرة واصيلا صرف اهل التاويل البكرة الى صلوة
الفجر والاصيل الى صلوة المغرب والعشاء ولكن جائز ان يكون البكرة كناية عن النهار والاصيل
كناية وعبارة عن الليل فكانه يقول سبحوا بالليل والنهار جملة في كل وقت والله اعلم وقوله عز وجل
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اجمع اهل التاويل وعامتهم على ان المبايعة المذكورة في هذه
الاية هي البيعة التي كانت بالحديبية بايعوه على ان لا يفروا اذا لقوا عدوا قال معقل بن يسار لقد
رايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن راسه
ونحن اربع عشر مائة اي الف واربع مائة نفر وقال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر
وجائز ان يكون المبايعة على ان لا يفروا ذكر في اية اخرى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار
والمبايعة هي المعاهدة الا ترى انه قال في اية اخرى ومن اوفى بما عاهد عليه الله ذكر في اول الاية المبايعة
وفي اخرها المعاهدة ليعلم ان المبايعة والمعاهدة سواء والله اعلم ثم اضافة مبايعتهم رسوله الى نفسه
يحتمل وجهين احدهما لما بامره يبايعونه او ذكر ونسب الى نفسه لعظم قدره وجليل منزلته عنده والله اعلم
وقوله عز وجل يد الله فوق ايديهم قال بعضهم يد الله في جزاء المبايعة فوق ايديهم في المبايعة
او كلام نحوه وجائز ان يكون قوله تعالى يد الله فوق ايديهم اي يد الله في الجزاء اذا اوفوا بالعهد فوق
ايديهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم عنده
يد فيخبر ان جزاء الله الذي يجزيهم بوفاء ذلك المبايعة فوق ايديهم التي لهم عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من يد الله واضافتها اليه يريد بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانه يقول يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندكم فيما بايعكم فوق ايديكم
عنده لما يحتمل ان يقع عندهم ان يكون لهم يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بايعوه كقوله تعالى
يمنون عليك ان اسلموا الاية فيخبر ان يد رسول الله عليه الصلوة والسلام فوق ايديكم عنده بالمبايعة
التي بايعتم والله اعلم ويحتمل اي يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمد والبسط بالمبايعة
فوق ايديهم والله اعلم ويحتمل قوله يد الله فوق ايديهم اي توفيق الله تعالى اياكم ومعونته على مبايعتكم

رسوله فوق وخيرمن وفائكم ببيعته وعهده والله اعلم وجائز ان يكون قوله يد الله فوق ايديهم
اي يد الله في النصر لرسوله فوق ايديهم كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم حقيقة النصر
انما يكون بالله تعالى ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل فمن نكث فانما ينكث على نفسه هذا يخرج على وجهين
احدهما كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فعلى ذلك من نكث فانما له جزاء نكثه
وهي النار ومن اوفى فله ما ذكر من جزاء الوفاء والثاني فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي من نكث
فعليه ضرر نكثه واليه يرجع ذلك الضرر لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين لان الله جل وعلا وعد النصر له والظفر باولئك فمن نكث فانما يرجع ضرر نكثه
اليه اذ الله يفي لرسوله صلى الله عليه وسلم ما وعد من النصر له والله اعلم وقوله عز وجل سيقول لك
المخلفون من الاعراب قوله تعالى المخلفون سماهم مخلفين ولم يخلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا اصحابه ولكن الله تعالى جل وعلا خلفهم عن ذلك بان احدث فيهم فعل التخلف لما علم
منهم ما كان من اختيارهم التخلف كقوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم اي منعهم فعلى ذلك
ما ذكر من المخلفين ان الله سبحانه وتعالى خلفهم عن ذلك وهم اكتسبوا فعل التخلف في انفسهم
دل ان خالق افعال العباد هو الله تعالى والله الموفق وقوله عز وجل خبرا عنهم شغلتنا اموالنا واهلونا
هذا القول منهم قول اعتذار وطلبا العذر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولهم فاستغفر لنا
طلبوا منه الاستغفار مع اظهارهم العذر في التخلف بقولهم شغلتنا اموالنا واهلونا يقولون
وان حبستنا اموالنا واهلونا لم يكن لنا التخلف عنك فاستغفر لنا ولكن مع هذا لم يقبل عذرهم
لانهم كانوا لا يحققون في طلبهم الاستغفار منه لانهم اهل نفاق لا يؤمنون برسالته ولا بالبعث
كي ينفعهم المغفرة في الاخرة الا ترى انه قال في اية اخرى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رؤسهم الاية دل هذا الفعل منهم على انهم كانوا غير محققين طلب الاستغفار منه بقولهم
فاستغفر لنا حيث قال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم اي يقولون بالسنتهم قولهم فاستغفر لنا
ما ليس في قلوبهم حقيقة ذلك ولا جائز ان يصرف قولهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم الى قولهم
شغلتنا اموالنا واهلونا اي كاذبين في العذر ولكن طلبوا الاستغفار حقيقة لا يقال هذا لانهم
كانوا صادقين في ان اموالهم واهلوهم شغلتهم عن ذلك فلا يمكن صرف الاية الى ذلك والله الموفق وقوله
عز وجل قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا قد ذكرنا ان حرف الاستفهام
من الله تعالى يكون على الايجاب فينظر ان لو كان ذلك السؤال من مستفهم كيف يجاب له فيكون
من الله تعالى على الايجاب اي لا احد يملك لكم نفعا ان كان الله اراد بكم ضرا ولا احد يملك لكم ضرا
ان كان الله اراد بكم نفعا يخبر انكم وان تخلفتم لحفظ اموالكم واهليكم فان الله تعالى لو اراد بكم
ضرا لا تملكون دفعه عن انفسكم وان لم تتخلفوا ولكن خرجتم معه فلا يملك احد الضرر بكم غير انه
لا عذر لكم في التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اوعدهم فقال بل كان الله بما تعملون خبيرا
جعل الله عز وجل انفس المنافقين وصنيعهم اية ودلالة على رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم في حق
المنافقين حين كان يطلع رسوله على جميع ما اسروا في انفسهم واضمروا في قلوبهم ليعلموا انه انما عرف
ذلك بالله جل وعلا وجعل الاية له في حق غيرهم من الكفرة من غير صنيعهم وانفسهم حتى علموا
بذلك انه بالله قدر على ذلك والله اعلم وقال اهل التاويل ان اراد بكم ضرا اي الهزيمة واراد بكم
نفعا ظهورا على عدوكم وغنيمة يحتمل ان يكون الخطاب بهذا لاهل الايمان والوعظ لهم بذلك
لان اهل النفاق كانوا لا يصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقبلون ما يقول من المواعظ

وغيره وقوله عز وجل بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا فان قيل ما الذي حملهم على الظن الذي ظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لا يرجعون الى اهليهم ابدا اذا كان ذلك في خروجهم الى الحديبية على ما قال اهل التاويل ان ذلك كان في خروجهم الى الحديبية وكان خروجهم للحج وقضاء المناسك لا للقتال والحروب معهم حتى يقع عندهم انهم لا يرجعون بل يهلكون في ذلك واهل مكة لم يكونوا يمنعون احدا من اهل الايمان يدخل مكة للحج وقضاء المناسك قيل لان اهل النفاق كانوا قد كتبوا الى اهل مكة واعلموهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم خرجوا اليكم للحج وزيارة البيت فقالوا انا لا ندعهم يدخلون مكة بل نقاتلهم ونحاربهم ولا نتركهم يدخلونها فاذا كان منهم ما ذكرنا فجائز ان يكونوا ظنوا ما ذكرنا من ظنهم فاما على غير ذلك فلا يحتمل مع اجتماع اهل التاويل على ان ذلك كان في امر الحديبية والله اعلم وقوله عز وجل وظننتم ظن السوء اي ظننتم برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ظن السوء انهم لا يرجعون الى اهليهم ويحتمل ظننتم بالله ظن السوء انه لا ينصر رسوله ولا يعينه وقوله عز وجل وكنتم قوما بورا قال بعضهم بورا اي هلكى اي يصيرون قوما هلكى فيه دليل انهم يموتون على نفاقهم وقال الحسن كنتم قوما بورا اي فاسدون لا خير فيهم وكذلك يقول ابن عباس رضي الله عنه ان البور هو الفاسد وقال بعضهم البور في كلام العرب لا شيء وقال القتبي البور الهلكى وقوله عز وجل ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا فهو ظاهر وقوله عز وجل ولله ملك السموات والارض قيل فيه بوجوه احدها ولله خزاين السموات والارض وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقرأ ولله خزاين السموات والارض والثاني ولله ملك كل ملك في السموات والارض اي لله حقيقة في السموات والارض والثالث ولله ولاية اهل السموات والارض وسلطانه اي الولاية والسلطان له على اهل السموات والارض ثم يحتمل ذكره هذا وجهين احدهما يختبرا نه فيما يامرهم وينهاهم ويمتحنهم بانواع المحن بما يامر وينهى ويمتحن لا لحاجة نفسه ولا لمنفعة له اذ له ملك السموات والارض ولا يحتمل من له ملك ما ذكران يقع له الحاجة الى ما ذكر او المنفعة لانه غني بذاته ولكن يامرهم وينهاهم ويمتحنهم بما يمتحن لحاجتهم ولمنفعتهم والله اعلم والثاني يذكر هذا ليقطعوا الرجاء عما في ايدي الخلق ويصرفوا الطمع والرجاء الى الله تعالى ومنه يرون كل نفع وخير يصل اليهم ومنه يخافون في كل امر فيه خوف لا يخافون سواه ولا يطمعون غيره وهو ما اخبر يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يقول والله اعلم هو يغفر لمن يشاء وهو المالك لذلك وهو يعذب من يشاء اي ليس يملك احد مغفرة ذنوب احد سواه ولا تعذيبه انما ذلك منه وله ملك ذلك وله الفضل دون خلقه ليصرفوا طمعهم ورجاءهم في كل امر الى الله تعالى ومنه يخافون في كل امر فيه خوف والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما اي وكان الله لم يزل رحيما لا انه حدث ذلك له بخلقه والله الموفق وقوله عز وجل سيقول المخلفون اي المخلفون من الحديبية خلفهم الله عز وجل لما علم منهم من اختيار التخلف وقوله اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم الاية ذكر اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح اهل مكة عام الحديبية ورجع اشتد ذلك على اصحابه رضي الله عنهم لما كانوا طمعوا دخول مكة والزيارة لبيته بشره ربه بفتح خيبر والغنيمة لهم فعند ذلك لما انتهى الى المنافقين المخلفين عن الحديبية تلك البشارة له بفتح خيبر عليهم قالوا ذرونا نتبعكم فنصيب

معكم الغنائم

معكم الغنائم وانما رغبوا في اتباعهم معهم لما علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق فيما يخبر من البشارة له بالفتح والغنيمة بلا مؤنة قتال ولا حرب يقع هنالك وقوله عز وجل يريدون ان يبدلوا كلام الله لان البشارة بفتح خيبر وجعله غنيمة لمن شهد الحديبية فاما من تخلف عنها فليس له في ذلك من نصيب فاخبر الله تعالى انهم يريدون ان يبدلوا ما وعد الله تعالى للمؤمنين الذين شهدوا الحديبية فتح خيبر خاصة بان يشركوهم فيها وفي ذلك تبديل ما وعد الله تعالى والله اعلم وقال بعضهم تبديل كلام الله تعالى ما قال في سورة براءة فان رجعك الله الى طايفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فلما سالوا الخروج الى خيبر والاتباع لهم وقد نهاهم عن الخروج معهم ابدا يريدون ان يبدلوا ذلك النهي الذي نهوا في سورة براءة فيحتمل الامرين جميعا كذا ذكره الشيخ رحمه الله وعامة اهل التاويل على ان قوله فان رجعك الله الى طايفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا نزل في غزوة تبوك وانها بعد خيبر فلم يكن خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر تبديل النهي الذي نهوا عن الخروج معه لكن كانه لم يثبت عنده نزول الاية في غزوة تبوك او وقع الخطأ من الذين تلقنوا منه وكتبوه والله اعلم وقوله عز وجل قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل يحتمل قوله كذلكم قال الله من قبل هي البشارة التي ذكرنا لمن شهد الحديبية قال ان مغانم خيبر لمن شهد الحديبية فاما من لم يشهد فلا ويحتمل قوله من قبل ما ذكر في سورة براءة فقل لن تخرجوا معي ابدا والله اعلم وقوله عز وجل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا كانوا يقيسون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانفسهم لانهم اذا اصابوا شيئا اعني المنافقين كانوا يحسدون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا ان لا يكون لهم في ذلك نصيب ولا حظ حسدا منهم لهم فلما منعهم المؤمنون عن الخروج الى خيبر وقالوا ان الله نهاكم ان تخرجوا معنا وقد بشروا بالفتح قالوا عند ذلك بل تحسدوننا في اصابة تلك الغنايم لم ينهنا الله تعالى عن الخروج معكم فقاسوا المؤمنين بانفسهم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا الفقه هو الاستدلال بما عرفوه وشهدوه على الذي لم يعلموه وغاب عنهم يخبران هؤلاء لا يعرفون الاستدلال وقال بعضهم الفقه هو معرفة الشيء بنظيره الدال على غيره والله اعلم وقوله عز وجل قل للمخلفين من الاعراب وهم الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم اولي باس شديد على قول ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل وهو هم بنو حنيفة وفيهم مسيلمة الحنفي الكذاب استنفرت اليهم الاعراب بعد نبي الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم ابو بكر الصديق الى قتالهم وقال الحسن هم اهل فارس والروم وقال قتادة وغيره دعوا الى قتال هوازن وثقيف يوم حنين ويروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول دعوا يوم حنين الى هوازن وثقيف فمنهم من احسن الاجابة ورغب في الجهاد ومنهم من ابى لكن ما قال قتادة غير محتمل لان قتال هوازن وثقيف يوم حنين كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تولى ذلك وقال في اية اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا الاية فلا يحتمل ان يدعوا الى قتال هؤلاء وهو تولى قتالهم وقد قال الله تعالى خبرا عنه ولن تقاتلوا معي عدوا فاذا لم يحتمل هذا رجع التاويل الى ما قال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما انهم انما دعوا الى قتال اهل اليمامة وهم بنو حنيفة دعاهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لكن لو كان ما قال اهل التاويل ان قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا نزل في غزوة تبوك وهي بعد يوم حنين فيكون ما قال قتادة محتملا والله اعلم او ان يكون قوله ولن تقاتلوا معي عدوا في قوم خاص وهو ما قال استاذنك اولو الطول منهم اي اهل الغنا والثروة

انما قال ذلك لان الطول الذين استاذنوه القعود مع القاعدين والله اعلم ويحتمل قوله تعالى
ستدعون الى قوم اولى باس شديد في اهل فارس والروم على ما قال الحسن وذلك انما فتح في زمن عمر
رضي الله عنه وقوله عز وجل تقاتلونهم او يسلمون ومن قراها يقاتلونهم او يسلموا بالالف
فيكون تاويله تقاتلونهم حتى يسلموا وقوله عز وجل فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا اي تطيعوا
فيما دعيتم الى الجهاد يؤتكم الله اجرا حسنا ذكر انه يؤتيهم اجرا حسنا لان توبتهم تكون فيما كان كونهم
وكان نفاقهم انما ظهر بتخلفهم عن الجهاد فعلى ذلك يكون توبتهم في تحقيق الجهاد وقوله وان تتولوا
فيما دعيتم اليه كما توليتم عن الحديبية وغيره يعذبكم عذابا اليما ثم عذر اهل العذر منهم بقوله تعالى
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كما عذر اهل العذر من المؤمنين بقوله ليس
على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الاية وقوله عز وجل ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما لانهم اذا تولوا عادوا
الى ما كانوا وقوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة يحتمل قوله لقد رضي الله
عن المؤمنين لما عزموا من الوفاء على ما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصدق لذلك والتحقيق
لما عهدوا من الوفاء لذلك اخبر الله ان قد رضي الله عنهم لذلك فنحن نستدل به على صدق ذلك
وتحقيقه وان لم يخبرنا الله تعالى انهم قد عزموا على ذلك فيجوز لنا ان نشهد انهم قد عزموا على الوفاء
لذلك والصدق له وقد يكون من الاستدلال ما يجوز الشهادة له بالحق والصدق اذا كان في الدلالة
مثل ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فعلم ما في قلوبهم هذا يحتمل وجوها احدها ما ذكرنا علم
ما في قلوبهم من العزم على الوفاء والصدق لما اعطوا بايديهم من انفسهم والثاني من الخوف والخشية
وذلك يتوجه وجهين احدهما انهم خشوا ان لا يتهيا لهم القيام باهل مكة لانهم كانوا مستعدين
للحرب والقتال وهم كانوا اخرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت خشوا ان لا يقوموا لهم فلم يفوا
ما عاهدوا والثاني خشوا ان لا يقدروا على وفاء ما بايعوا واعطوا لان في ذلك مناصبة جميع اهل الاديان
والمذاهب والله اعلم والثالث علم ما في قلوبهم من الكراهة التي يذكرها اهل التاويل لكن تلك
الكراهة كراهة الطبع لا كراهة الاختيار لانهم طمعوا الوصول الى البيت ورجوا دخولها فلما جرى الصلح بينهم
على ان لا يدخلوا عامهم ذلك فانصرفوا اشتد ذلك عليهم فكرهوا ذلك عليهم لكن كراهة الطبع لا كراهة
الاختيار وقد يكون طبع الانسان شيئا والحيا دفعه كقوله عز وجل وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن
فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وكقول يوسف رب السجن احب الي مما يدعونني اليه محبة
الاختيار لا محبة الطبع بل الطبع لما يدعونه اميل من السجن وقوله عز وجل فانزل السكينة عليهم واثابهم
فتحا قريبا اي انزل عليهم ما يسكن به قلوبهم لما علم تحقيق الوفاء لما بايعوا رسوله صلى الله عليه وسلم
وصدق ما اعطوا من انفسهم واثابهم مكان ما كانوا يرجون ويطمعون من دخول مكة وما كرهت
انفسهم من الرجوع فتحا قريبا وهو فتح مكة او فتح خيبر والله اعلم ثم وقوله عز وجل واثابهم فتحا قريبا
ومغانم كثيرة ياخذونها اختلف فيه منهم من صرف الفتح القريب المذكور في الاية الى فتح خيبر والى غنائم
خيبر حين بشروا بالحديبية بفتح خيبر وجعل المغانم لهم مكان ما منعوا من دخول مكة
وحيل بينهم وبينها قصدوا او في الطريق بعد منصرفهم من الحديبية على ما ذكر في القصة والله اعلم
ومنهم من صرف الفتح الى مكة لانه ذكر في القصة انهم بشروا في الطريق بعد انصرافهم من الحديبية
بفتح مكة ويكون قوله اثابهم على هذا التاويل بمعنى يثيبهم وذلك جائز في اللغة فعل بمعنى يفعل
كقوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اانت قلت للناس كذا يعني يقول له وقوله تعالى ومغانم

كثيرة

كثيرة ياخذونها على هذا يصرف الى غيره من المغانم لانه لم يكن بمكة غنائم والله اعلم ومنهم من قال
واثابهم فتحا قريبا الفتوح كلها التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللامة وكذلك قوله
ومغانم وجائز ان يكون الكفرة حملة اي لو قاتلوكم لولوا الادبار والله اعلم وقوله عز وجل سنة الله
في الذين خلوا من قبل ما سن في كل امة من هلاك لم يجعل عن ذلك الهلاك في غيرها من الامم نحو ما جعل
هلاك قوم نوح الغرق وكذلك قوم فرعون وكذلك جعل هلاك عاد بريح صرصر وثمود بالطاغية ما
جعل الله تعالى هلاك كل امة بنوع لم يجعل ذلك لغيرها يقول لم يكن لذلك تبديل الى غيره وكذلك
ما جعل لكل امة من ضلالته لم يبدل ذلك ولم يجعل ذلك في غيره وجائز ان يكون قوله سنة الله
في الذين خلوا من قبل ان جعل عاقبة الامر للمؤمنين وقوله عز وجل ولن تجد لسنة تبديلا في امتك
ولكن جعل عاقبة الامر لهم كما جعل عاقبة الامر في ساير الامم للمؤمنين وقوله عز وجل وهو الذي
كف ايديهم عنكم مع كثرة اولئك وقوتهم وتاهبهم للقتال وضعف هولاء وقلة عددهم لان اولئك
كانوا خرجوا للقتال والحرب مستعدين لذلك متاهبين وهولاء كانوا اخرجوا لقضاء المناسك
وزيارة البيت فكف ايدي اولئك مع عدتهم وقوتهم وكثرتهم عن هؤلاء مع ضعفهم وقلة عددهم
حتى اظفرهم باولئك بما ذكر في القصة ان المسلمين كانوا اشتغلوا بالترامي بالنبل والحجارة
حتى هزموهم وادخلوهم بطن مكة على ما ذكر ثم اذا اظفرهم بهم كف ايدي هولاء عنهم
ويتم لهم الظفر بهم ليعلم هولاء ان التدبير في الامر الى الله تعالى دونهم وله السلطان على الخلق
جميعا لا سلطان لاحد في سلطانه ولا قوة الا بالله واما ما ذكر من الامتنان هو ما ذكر من كف
ايدي اولئك عن هولاء عند شدة خوفهم منهم وفزعهم بما ذكرنا من قوة اولئك وكثرتهم وضعف
هولاء وقلة عددهم حتى اظفرهم يذكر منته عليهم ليستادي شكره ويكف ايدي هولاء
عنهم فان قيل ما كف ايدي اولئك عن هولاء والمنة ظاهرة ولكن اية منة يكون في كف ايدي
المؤمنين عن اولئك الكفرة ليستادي منهم شكره بذلك وهو الاسلام والله تعالى على جميع خلقه
منة ليستادي منهم شكرا على الكافرين والمسلمين جميعا ويحتمل ان يكون المنة في كف ايدي المؤمنين
عن اولئك على المؤمنين ايضا هو ما ذكر على اثره ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم انه لو لم يكف ايدي المؤمنين عنهم حتى يتم لهم الظفر بهم
فدخلوا مكة وهنالك مؤمنون لاصابهم ما ذكر من المعرة وغيره فكان في كف ايدي المؤمنين
عن اولئك منة عظيمة عليهم لما بينا من قبل من فيهم من المؤمنين من غير علم والله اعلم وقوله
عز وجل ببطن مكة وهم لم يكونوا في بطن مكة انما كانوا بالحديبية وبينها وبين مكة اميال
لكن يخرج على وجهين احدهما اظفرهم بهم وقهرهم وهزمهم حتى ادخلهم بطن مكة على ما ذكر
انهم هزموهم حتى ادخلوهم في بيوتات مكة والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله بما تعملون بصيرا
لم يزل الله تعالى عالما باعمالهم بصيرا وفيه دلالة خلق افعالهم لانه ذكر انه كف ايدي هولاء
عن اولئك وايديهم عن هولاء ثم قال هو عالم بما تعملون بصير ليعلم ان له في فعلهم
صنعا والله اعلم وقوله عز وجل هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام اي صدوهم
عما قصدوا وهو الطواف بالبيت والزيارة له وذلك في المسجد الحرام ذكر صدهم عن المسجد الحرام
صدهم عما فيه والله اعلم وقوله عز وجل والهدي معكوفا ان يبلغ محله وقوله معكوفا
اي محبوسا والعكوف هو الحبس ومنه سمي العاكف والمعتكف ثم قوله والهدي معكوفا ان يبلغ محله
محل دم هدي المتعة هو مكة او منى فاما المحصر نفسه فليس هو محله فكانه قال وصدوا الهدي

عن ان يبلغ محل الذي جعل لهدي المتعة وهو منا ومكة لانه ذكر في الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم
معتمرا وذكر انه كان متمتعا وفيه ان دم المتعة ان منع عن محله سقط وخرج عن حكم المتعة ويعود الى مكة
ولو ان يصرف الى ماشاة الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر تلك البدن التي ساقها عن الاحصار في الحرم
دل ان هدي المتعة اذا منع عن المحل سقط ويخرج عن حكم المتعة وفيه ان دم الاحصار لا يجوز اراقته الا في الحرم
اذ الحديبية يجمع الحرم والحل جميعا عندنا فانما كان ينحرها في الحرم والله اعلم وقوله عز وجل ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم اي تقتلوهم وتهلكوهم فتصيبكم منهم معرة
بغير علم اي لولا ما فيها اعني في مكة من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لاتم لكم الظفر بهم ودخلتم
عليهم لكن منعكم عن دخولكم مكة لما ذكر ثم اختلف في قوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم
قال بعضهم لزمكم الدية بقتلهم وكذا روي عن محمد بن اسحق وقال بعضهم الاثم والذنب اي يصيبكم
منهم الاثم بقتلكم اياهم وهذا لا يحتمل لانهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون لا يلحقهم الاثم والذنب
لان الله تعالى وضع الاثم عنا فيما لا نعلمه ولم يضع طريق العلم به قال الله تعالى وليس عليكم
جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وعندنا يخرج على وجهين احدهما اي فيصيبكم من الكفرة
واهل النفاق ما يسوؤكم بقتلكم اياهم من اللائمة والتعيير وغير ذلك من القيل والقال يقولون
انهم قتلوا اصحابهم ومن كان على دينهم من اهل الاسلام فيجدون بذلك سبيلا الى ما ذكرنا فيسوؤكم
ذلك والله اعلم والثاني يصيبكم الاسف والحزن والندامة الدائمة بقتلهم بقتلكم اهل الايمان واهل
الاسلام اذا علمتم انكم قتلتم اصحابكم واهل دينكم والله اعلم ثم المخالف لنا تعلق بهذه الاية في مسئلتين
احديهما فيمن اسلم ولم يهاجر الينا انه يجب الدية في قتله لقوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم وهي
الدية والثانية هل يباح الرمي الى حصون المشركين اذا كان فيها اسارى المسلمين واطفال المسلمين
او احراق الحصون او الرمي الى الكفار الذين يتترسوا باطفال المسلمين قال ابو حنيفة وابو يوسف
ومحمد وزفر والثوري لا باس برمي حصون المشركين وان كان فيهم اسارى المسلمين واطفالهم ولا باس
بان يحرقوا الحصن ويقصدوا به المشركين دون المسلمين وكذلك احراق سفينة الكفار اذا كان فيها اسارى
المسلمين وقال مالك لا يحرق سفينة الكفار اذا كان فيها اسارى المسلمين وقال الاوزاعي اذا تترس الكفار
باطفال المسلمين لم يرموا ولا يحرق الحصن ولكن لا باس بان يرمي الحصن بالمنجنيق ونحو ذلك وقال الشافعي
لا باس بان يرمي الحصن وفيه اسارى واطفال المسلمين ولم يتترسوا بهم فله قولان واحتج هؤلاء
من عاداتهم انهم كانوا يعبدون ما يهوون وما لتاليهم انفسهم من الاصنام والاوثان وغيرها ويفرون
من عبيدها ويدفعون عنهم فيذبون عنها فجائز ان يكون الذي حملهم على ذلك هو نصرهم اولئك
الاصنام وعبادها والذب عنهم حمية منهم حمية الجاهلية والله اعلم وقوله عز وجل فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين جائز ان يكون ما ذكر من السكينة التي اخبر انه انزلها على رسوله
ومن ذكر هو شيء انزله من السماء لطف امنه عليهم حتى سكنت لذلك قلوبهم وجائز ان يكون لا على حقيقة
انزال الشيء من مكان الى مكان ولكن انشأ في قلوبهم ما يسكن به قلوبهم كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج اي انشأ لكم من الانعام ما ذكر وخلقها لهم ليس ان انزلها عليهم من مكان الى مكان
ولكن على الانشاء والخلق فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم السكينة يحتمل اسبابا لديها يسكن قلوبهم
وانفسهم والاسباب يختلف ويحتمل شيئا اخر سوى ذلك وهو اللطف الذي جعل لهم تسكن
قلوبهم بذلك اللطف والله اعلم وقوله عز وجل والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها يحتمل
هذا وجهين احدهما الزمهم كلمة بها يتقون النار ثم يحتمل كلمة التقوى كلمة الاخلاص وغيرها

ما يتقيهم النار والله اعلم ويحتمل قوله والزمهم اظهار كلمة التقوى حتى يصير ظاهرة في الخلق ابدا
الى يوم القيامة والله اعلم وقال بعضهم كلمة التقوى هي بسم الله الرحمن الرحيم وذلك انه لما كتب
كتاب الصلح فيما بين اهل مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال ذلك الكافر اكتب كذا لا ندري ما الرحمن الرحيم وذلك كلمة التقوى والله اعلم والوجه فيه
ما ذكرنا وقوله وكانوا احق بها واهلها اي بتلك الكلمة وكانوا اهلا لها وكان الله بكل شيء عليما
وقال بعض اهل التاويل كلمة هي كلمة الاخلاص وكانوا احق بها واهلها من الامم السالفة واهلها والله اعلم
او كانوا احق بها في الاظهار في الخلق والقيام بذلك او كانوا احق بها في التزامها في انفسهم والله اعلم
وقوله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق قال اهل التاويل قوله صدق الله رسوله
اي حقق الله رسوله الرؤيا التي اراها اياه بالحق اي بالوفاء لذلك ويحتمل اي صير النبي صلى الله
عليه وسلم صادقا فيما اخبرهم انه راى وجعله صادقا في ذلك والاول اشبه وقوله عز وجل
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين هذا يخرج على وجهين احدهما على الامر ان ادخلوا المسجد
الحرام وان كان في الظاهر خبرا كرؤيا ابراهيم عليه السلام حيث قال اني ارى في المنام اني اذبحك
ثم قال الله تعالى جل وعلا افعل ما تؤمر دل هذا على ان ما راى ابراهيم صلوات الله عليه من الذبح
هو امر امر بذلك فان كان التاويل هذا فيخرج الثنيا المذكور فيه على اثره كانه يقول
ادخلوا المسجد الحرام محلقين ومقصرين ان شاء الله ان تامنوا في دخولكم واذا لم تامنوا لم يشاء
ان تدخلوه والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله لتدخلن المسجد الحرام على الوعد فيخرج الثنيا
المذكور على وجهين احدهما على التبرك والتيمن كما يتبرك بذكر اسمه في فعل يفعل والله اعلم
والثاني على الامر لكل في نفسه اذا اخبر غيره انه يدخل ان يقول ان شاء الله كما يؤمر بالثنيا من اخبر
اخر شيئا انه يفعله كقوله تعالى عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ويحتمل
ويحتمل ان يذكر الثنيا لان الوعد في الظاهر وان كان للجملة كقوله لتدخلن فجائز ان يكون
المراد منه بعض منهم لا الجملة لاحتمال ان يموت بعض منهم ان لا يكون هو مرادا والجملة فذكر
الثنيا لئلا يكون خلفا في الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ما ذكر من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم
واخبر انه حققها يحتمل ما ذكر من دخول المسجد الحرام على اثر فان كان ذلك فيكون قوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام هو تفسير لذلك الرؤيا وجائز ان يكون الرؤيا في غير ذلك وقوله لتدخلن المسجد
الحرام ابتداء وعد وامر من الله تعالى وكذلك ما ذكر من قوله حيث قال وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس يحتمل ما ذكر في هذه الاية لتدخلن المسجد الحرام الى اخر ما ذكر ويحتمل هذا ايضا
وقد اخبر انه حققها وصدقها والله اعلم ثم قوله عز وجل محلقين رؤسكم ومقصرين يخبر انهم
يدخلون المسجد الحرام محلقين مقصرين ثم يخرج على وجهين احدهما في ابتداء الاحرام يخرج على التزيين
على ما يتزين المحرم في ابتداء احرامه من نحو التطيب واللباس والحلق والقص ونحو ذلك غير انهم
يدخلون على التزيين في المسجد الحرام امنين من الكفار فان كان على ذلك فهو على الثياب والطيب
وغير ذلك وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتمرا فسميت تلك عمرة القضاء حيث منع في عام
الحديبية وكان معتمرا فسميت تلك عمرة وان كان حاجا فيكون قوله لتدخلن المسجد الحرام بعد
رجوعهم من منى الى طواف الزيارة في ذلك الوقت يكونون محلقين مقصرين والله اعلم فان قيل
ما الحكمة في امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالخروج للحج عام الحديبية على علم منه انه لا يصل الى مكة
وانه يحال بينه وبين دخول مكة وقضاء النسك اذ لا يحتمل الى ذلك الا بامر من الله تعالى

ليس هو كثيره من الناس انهم يفعلون افعالاً بلا امر ثم يمنعون او ينهون عن ذلك فاما رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا يفعل شيئاً الا عن اذن منه له بذلك قيل يحتمل انما امر بذلك مع علم بانهم
يمنعون عن ذلك تعليماً منه رسوله وامته حكم الاحصار ان من احصر عن الحج ومنع عن دخول مكة لقضاء
النسك ماذا يلزمه ثم يخرج منه ولله تعالى ان يعلم خلقه احكام شريعته مرة بامر يامرهم بذلك ويجنبهم
يخبرهم ومرة يفعل النبي صلى الله عليه وسلم يمتحنهم بما شاء له الحكم والامر في الخلق والله اعلم
وقوله عز وجل لا تخافون اى تدخلون مكة امنين لا تخافون عدوكم ولا منهم اياكم وقوله عز وجل
فعلم ما لم تعلموا هذا يخرج على وجوه احدها اى علم ما وعدكم من فتح خيبر وغنايمه ما لم تعلموا
ويحتمل اى علم ما ارى رسوله صلى الله عليه وسلم من الرؤيا وتحقيقها ما لم تعلموا ويحتمل اى علم
في رجوعكم عن الحديبية اشياء لم تعلموها انتم من الهيا وما اظهر من النفاق اهل النفاق فيهم واهل
الاضطراب من المحققين والمصدقين وغير ذلك والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى
فعلم ما لم تعلموا يقول ان ذلك الدخول السنة ولم تعلموا انتم والله اعلم وقوله عز وجل فجعل من دون
ذلك فتحاً قريباً قال بعضهم جعل من قبل ان يدخلوا مكة فتحاً قريباً اى عاجلاً فتح خيبر والله اعلم وقول اهل
التاويل انه اشتد على الناس رجوعهم من الحديبية وصد المشركين عما قصدوا وبعد ما اخبرهم
الرسول صلى الله عليه وسلم انه راى في المنام انهم يدخلون على ما وقع عندهم ان رؤيا الانبياء عليهم الصلوة
والسلام حق كالوحي لكن هذا لا يحتمل من المسلمين انما يحتمل من المنافقين على ما ذكرناهم قالوا حين يخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ان الرؤيا او كلام نحو هذا فذلك ان هذا لا يحتمل من المنافقين فاما
فاما من المسلمين فلا يحتمل ان يقع في قلوبهم شيء من ذلك لما لم يكن في الاية بيان ولا توقيت انهم متى يدخلون
بل فيها الوعد بالدخول ليس فيها انه متى الا ترى ان يوسف راى رؤيا وخرجت تلك بعد اربعين سنة
او اقل او اكثر فعلى ذلك لا يحتمل انه يخفى عليهم اذ لم يكن في الوعد توقيتاً انه يجوز ان يتاخر وان يتقدم
والله اعلم ثم فيما ذكرنا من امر الحديبية وصد المشركين اياهم عن دخول مكة والحيلولة بينهم وبين
ما قصدوا انه لا يحتمل انه يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقصد الحج وزيارة البيت مع اصحابه بلا امر
منه بذلك لما ذكرنا ثم ان ثبت له الامر بذلك على علم من الله تعالى انه لا يصل الى تحصيل المامور به وما قصد
من دخول مكة زايرين وما يكون من المشركين من المنع لهم والصد عن ذلك وما اراد تحصيل ما امرهم بذلك
فهذا يدل على ان الله تعالى قد يامرهم ويريد غير الذي امر به وانه يريد ما علم انه يكون منهم دون الذي
امر به وهو كما امر ابراهيم عليه الصلوة والسلام بذبح ولده ثم كان حقيقة المراد بالامر بذبح الولد ذبح الشاة
والكبش دل ان الامر بالشيء لا يدل على انه اراد الذي امر به بل يريد ما علم انه يكون منهم من حلاوة وصلاح
والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى اى ارسله بالهدى من كل ضلال وحيرة
او ارسله بالبيان من كل عمى وشبهة وهو هذا القران الذي سماه مرة بياناً ومرة هدى ورحمة ونوراً
ونحو ذلك وهو ما وصفه جل وعلا ان من تمسك به يكون ما ذكر هدى من كل ضلالة وحيرة ونوراً
من كل ظلمة وبياناً من كل عمى وشبهة ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ودين الحق جايز ان يكون الحق
هو نعت الدين وهو الاسلام وهو الدين الحق وساير الاديان باطلة ويحتمل ان يكون قوله تعالى
ودين الحق اى دين الاله الذي هو الاله الحق وهو الاله المستحق الالوهية وغيره من الاديان دين الشيطان
ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ليظهره على الدين كله الاظهار هو الغلبة ثم يخرج غلبته على الدين كله على وجهين
احدهما اى غلب هذا الدين على الاديان كلها بالحجج والبراهين انه حق وانه من عند الله جاء وقد كان
بحمد الله كما ذكر حتى عرف اهل الاديان كلها بالحجج والبراهين انه حق لا من كان يعقله وعاند الحق وعفل

عن دلايله ولا قوة الا بالله والثاني يغلب على الاديان كلها اى يغلب على اهل الاديان كلهم حتى يصير
اهل الاسلام ظاهرين غالبين من بين غيرهم ويتوارى جميع اهل الاديان ويختفوا ولكن ذلك في وقت
دون وقت وهو الوقت الذي ذكره بعض اهل التاويل وهو في وقت خروج عيسى عليه السلام يصير
اهل الاديان كلهم اهل دين واحد وهو الاسلام وجايز ان يكون قوله ليظهره على الدين كله اى يظهر
ما يحتاج اهل هذا الدين كله وما يحدث لهم من الحاجة على الاديان كلها بما ضمن في القران معاني
يقع الكفاية بها في الحوادث كلها والله اعلم وقوله عز وجل وكفى بالله شهيداً هذا يحتمل وجهين احدهما
وكفى بالله شهيداً بان ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اى بما جاء به من عند الله فان كان
التاويل هذا فانما يكون هذه الشهادة في الاخرة والثاني يحتمل قوله تعالى وكفى بالله شهيداً بما انشاه
من الايات والحجج شهادة منه على رسالته ونبوته وذلك في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل محمد رسول الله

في تفضيل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم
على ساير الانبياء عليهم الصلوة
والسلام

من الناس من احتج على تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام بهذه الاية
وبغيرها من الايات يقول لم يذكر محمداً صلى الله عليه وسلم في القران الا وخاطبه باسم الرسالة او النبوة
كقوله تعالى يا ايها النبي ويا ايها الرسول وقوله محمد رسول الله ونحو ذلك وساير الانبياء عليهم السلام
انما خاطبهم باساميهم التي جعلت لهم خلقة دون ضم الرسالة والنبوة كقوله يا نوح اهبط بسلام منا
ويا لوط ويا موسى ويا هرون ويا لوط ويا هود ويا صالح جميع من ذكرهم سواه انما ذكرهم باساميهم
الموضوعة واصل الخلقة ولم يحلوا ولم يسموا باسماء الرسالة والنبوة ولذلك لفضل جعل له من بين غيرهم

تفضيل امة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم على الامم

وكذلك يحتج لتفضيل امته واصحابه على ساير الامم حيث خاطب هذه الامة باحسن الاسماء فقال
يا ايها الذين امنوا وقوله يا ايها المومنون وقال في ساير الامم يا بني اسرائيل ويا بني ادم ونحو ذلك ومما يدل
على فضيلتهم قوله تعالى كنتم خير امة الاية اى كنتم خير امة في الكتب المتقدمة بما ذكر والله اعلم وقوله
عز وجل والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية يحتمل ما وصفهم ونعتهم يرجع الى الصحابة
على الاجتماع اى الكل موصوفون بهذه الصفات التي ذكر في الاية وانها كلها فيهم وهو كقوله تعالى في صفتهم
اذلة على المومنين اعزة على الكافرين اى اشداء على الكفار ورحماء على المومنين وصفهم بذلك جملة
فعلى ذلك هاهنا ويحتمل ان يكون ذلك وصف بعضهم دون بعض ووصف عامتهم فاما الكل فلا وذلك
نحو ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال لولا قوله تعالى منكم من يريد الدنيا

هل في اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يريد
الدنيا

ما كنا نعرف ان احداً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا فانما يكون ذلك وصف امثال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم قد جعل الله تعالى الرحمة والرافة نعتاً للمومنين يتراحم بعضهم بعضاً
وكذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا قالوا كلنا نتراحم
ولكن فقال ليس ذلك برحمة انما الرحمة ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه ولولده او كلام نحو هذا وروي عن النعمان
ابن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومنون كلهم كرجل واحد ان اشتكى عضو تداعى له
ساير جسده بالسهر والحمى وليس فيما وصفهم بالشدة على الكفار على ان ليس لهم شفقة عليهم فان النبي
صلى الله عليه وسلم له شفقة عظيمة عليهم حتى كادت تهلك نفسه لذلك قال الله تعالى فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وقال لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين فعلى ذلك اصحاب رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين ثم القتال الموضوع فيما بينهم رحمة في الحقيقة وان كان الظاهر ليس برحمة لانه وضع

ان القتال رحمة
في الحقيقة

ليضطرهم ذلك الى قبول الاسلام والتوحيد وفي قبولهم ذلك نجاتهم وما وصفهم بالرحمة على المومنين
ليس فيه انهم ليسوا باشداء عليهم اذا عاينوا منهم المناكير والفواحش حتى يتركوا التقيين عليهم بل من الشفقة
لهم عليهم ما يغيرون عليهم المنكر اذ في ذلك نجاتهم وذلك لا يزيل عنهم الرحمة التي وصفهم بها بل ذلك

من الشفقة لهم والرحمة والله اعلم ثم نعتهم وقال تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود وقوله عز وجل تريهم ركعا سجدا يحتمل وجهين احدهما وصف لهم بالمداومة في اقامة الصلوات بالجماعات واراد بالركوع والسجود هو الصلوة على طريق الكناية والثاني عبارة عن الخضوع لربهم والتواضع للمؤمنين والله اعلم وقوله عز وجل يبتغون فضلا من الله و رضوانا يحتمل قوله يبتغون فضلا من الله اي الجنة اي يبتغون بكل ما وصفهم من الرحمة والشدة والركوع والسجود الجنة والفضل يذكر عبارة عن الجنة في القرآن في غير مواضع وجايز ان يكون ما ذكر من ابتغائهم الفضل من الله تعالى ما يتعيشون به وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله اي يبتغون ما يتعيشون وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله اي يبتغون معيشة يتقوون بها على طاعة الله وقوله عز وجل و رضوانا اي رضاء ربهم وهو بمعنى الفضل ايضا على التكرار للتاكيد كقوله تعالى وابتغوا من فضل الله لكنه اخبر انهم يبتغون ذلك الفضل والرضوان من الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود اختلف فيه قال بعضهم الحسن وغيره اي اثر الخشوع والصلوة في وجوههم وقال بعضهم ان الرجل اذا قام من الليل فاطال القيام والسهر يتبين سهر الليل في وجهه اذا اصبح من الصفرة وتغير اللون وذلك كله في الدنيا وكذلك وكذلك روي عن الحسن وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله قوما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة وقال قتادة اثر الصلوة في وجوههم وهو اثر التراب لكن ذلك بعيد وقال بعضهم سيماهم في وجوههم من اثر السجود يوم القيامة وهو بياض وجوههم من اثر السجود والوضوء وكذلك روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني اعرف امتي من بين غيرها من الامم قيل وكيف تعرف يا رسول الله امتك من بين الامم فقال امتي غر محجلون يوم القيامة من اثر السجود ولا يكون ذلك لاحد من الامم غيرهم والله اعلم وجايز ان يكون على غير ذلك يجعل الله تعالى في وجوههم من اثار العبادة له والجهد فيها من النور والطلاوة والحسن ما يعرفون انهم اهل عبادة الله تعالى وطاعته والله اعلم وقوله عز وجل ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل يحتمل وجوها احدها اي شبههم في التوراة والانجيل كشبه الاجلة من اهل التوراة والانجيل الاحاد والافراد منهم المختارون من بين غيرهم الذين يعظمونهم الاتباع والملوك ويبجلونهم فما بالكم لا تعظمون انتم هؤلاء ولا يتبعونهم كاولئك والله اعلم والثاني يحتمل ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل اي ذلك نعتهم ووصفهم في التوراة والانجيل اي على ذلك نعتوا ووصفوا في التوراة والانجيل وقد عرفتم ذلك فهلا اتبعتموهم اذ نعتوا ووصفوا في القرآن وقال بعضهم قوله ذلك مثلهم في التوراة مقطوع معقود وهو ما تقدم من قوله والذين معه اشداء على الكفار الى قوله من اثر السجود ثم ابتداء فقال ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه الآية وهذا يحتمل وهو وجه حسن وعلى التاويلين الاولين ما ذكرنا من وصفهم كان في التوراة والانجيل جميعا ثم نعتهم ايضا بقوله تعالى كزرع اخرج شطأه والله اعلم ثم ذكر نعت اصحابه رضي الله عنهم في هذه الآية ولم يذكر نعت رسوله صلى الله عليه وسلم وانما ذكر نعته في آية اخرى وهو قوله تعالى النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة الآية ذكر نعته وصفته في الآية صلى الله عليه وسلم ونعت اصحابه رضي الله عنهم في هذه السورة والله اعلم ثم قوله عز وجل ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية دلالة الرسالة لانه اخبر ان نعتهم في الكتب المتقدمة كما ذكر في القرآن ثم لم يقل احد من اهل الكتب المتقدمة ان ليس ذلك نعتهم او شبههم في تلك الكتب ثبت انه بالله عرف ولا قوة الا بالله ثم قوله عز وجل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه الآية شبههم بالزرع الذي ذكر والله اعلم لانهم احيوا سنن الدين وشرايعه التي كانت من قبل بعد ما درست وانقطع اثرها لانه لم يكن فيما بين عيسى ومحمد

الفضل هاهنا عبارة عن الجنة

عليهما الصلوة

عليهما الصلوة والسلام رسول فقد انقرض ذلك واندرس ثم جاء محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات بعد دروس ذلك وانقراضه كالزرع الذي يخرج وحده وهو النبت الواحد في اول ما يخرج فاعانه اصحابه وآزروه كانوا اليه التي ينبت حول الساق بازر الحقلة والنبت فاما شطأه فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم خرج وحده كما خرج اول النبت وحده واما الوالية التي ينبت حول الشطاه فاجتمعت فهم المؤمنون كانوا قلة كما كان اول الزرع دقيقا ثم زاد نبت الزرع فغلظ فآزره فاستغلظ كما آزر المؤمنون بعضهم بعضا حتى استغلظوا واستووا على امرهم كما استغلظ هذا الزرع واستوى على سوقه ثم اختلفوا في الشطاه قال ابو عوسجة هو قصب الزرع اي صار له واشط الزرع واستوى اي صار له ورق فآزره اي قواه سوق جمع ساق وقال ابو عبيدة شطأ الزرع فراخه وصغاره يقال قد اشطأ الزرع فهو مشطئ اذا فرخ وقال الفراء شطاه اي سنبله ينبت الحبة عشرا وتسعا وثمانيا فآزره اي اعانه وقواه قوله فاستغلظ اي غلظ فاستوى على سوقه جمع ساق ومنه يقال قام كذا على سوقه انما زاد به تناهى وبلغ الغاية يقول والله اعلم كان الزرع اذا قام على السوق فقد استحكم فهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اي خرج وحده فايده باصحابه فقوي واشتد كما قوي الطاقة من الزرع بما نبت منها حتى غلظ وعظمت واستحكمت والله اعلم وقوله عز وجل يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار قال بعضهم الزراع هو محمد صلى الله عليه وسلم يعجبه ما رأى من اصحابه والمؤمنين ويغيظ الكفار ذلك حتى غيظ وهو كقوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة الى قوله تعالى هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال بعضهم الزراع هو صاحب الزرع اذا كثر جوانبه والياته ونبت ليغيظ بهم الكفار اي يغيظ ذلك ساير الزراعين وقال بعضهم كما يعجب الزراع حسن زرعه حين استوى قايما على ساقه فكذلك يغيظ الكفار كثرة المؤمنين واجتماعهم وقال بعضهم هم الزراع سموا كفارا لانهم يكفرون اي يسترون البذر في الارض والله اعلم وقوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من بين غيرهم من الناس مغفرة واجرا عظيما والله اعلم وفيه نقض قول الباطنية والروافض لعنهم الله لقولهم انهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا وارتدوا عن الاسلام جميعا او كلام نحوه وفي الآية رد لقولهم لانه وعد لهم المغفرة وما ذكر من الاجر العظيم فلا يحتمل ان يكونوا على ما ذكروا اولئك ثم يكون لهم المغفرة وما ذكر من الاجر العظيم فدل ما ذكر من الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انهم ثبتوا على ما كانوا من قبل في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حيوته والله اعلم • والحمد لله رب العالمين • والصلوة والسلام على محمد وآله وصحبه الطاهرين

سورة الحجرات مدنية وآيها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله و رسوله قال بعضهم ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما اختلفا في شيء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت اصواتهما فنزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تذبحوا قبل ذبح النبي يوم النحر وذلك ان ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلوة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وقال قتادة ذكر لنا ان رجالا كانوا يقولون لو نزل كذا وكذا او صنع كذا وكذا فنزلت هذه الآية وامرهم ان لا يسبقوا نبيه صلى الله عليه وسلم بقول ولا عمل حتى يبين الله تعالى بيانه وامثال ذلك قد قالوا والله اعلم واصل ذلك عندنا من قوله يا ايها الذين آمنوا الآية اي يا ايها الذين آمنوا اعلموا ان لله الخلق والامر لا تقدموا امرا

ولا قولاً ولا فعلاً ولا حكماً ولا نهياً سوى ما امر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم وعن
ما نهى عنه بل اتبعوا امره ونهيه وداينوه على ما انتم به واقررتم بان له الخلق والامر فاحفظوا امره
ونهيه ولا تخالفوه ولا رسوله في شيء من الامر والنهي فهذا يدخل فيه كل شيء وكل امر من القول
والفعل والقضاء والحكم والذبح وغير ذلك على ما ذكرنا من ايمانهم بان له الخلق والامر في الخلائق
اذ مثل هذا الخطاب لو كان لواحد خاص لكان حكمه يلزم الكل وكذلك لو كان في امر واحد وفعل واحد
كان يدخل في ذلك جميع الامور فكيف والخطاب بذلك عام مطلق فهو للكل وفي كل الامور والله الموفق
وعلى ذلك ما روى عن مسروق انه دخل على عايشة رضي الله عنها فامرت الجارية ان تسقيه فقال اني صايم
وهو اليوم الذي يشك فيه فقالت له قد نهى عن هذا وتلت قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله في صيام ولا غيره اعتبرت عايشة رضي الله عنها عموم الآية في النهي عن التقدم
بين يدي الله ورسوله ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم في قول او فعل وكذلك روي عن ابي عبيدة
معمر بن المثنى قال في قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تعجلوا بالامر والنهي دونه **وقوله**
عز وجل واتقوا الله ان الله سميع عليم اي اتقوا مخالفة امر الله ونهيه قولاً وفعلاً واتقوا مخالفة
رسوله فيما يامركم بامر الله ونهيه وفي كل ما دعاكم اليه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم واعمالكم
ولا قوة الا بالله ثم لم يفهموا مما ذكر في قوله بين يدي ورسوله الجوارح ولا العدد في اليد كما فهموا
من ذلك في الخلق فما بالهم يفهمون ذلك من قوله خلقت بيدي اي خلقته على علم مني بما يكون منه
خلاف او معصية لم اخلقه عن جهل بما يكون منه وهو ما ذكر في قوله تعالى والله بما تعملون بصير وخبير
اي عن علم باحوالهم وما يكون منهم انشاهم لا عن جهل بذلك فعلى ذلك هذا كما فهموا من قوله
لا تقدموا بين يدي الله امر الله ونهيه دون الجوارح والعدد والله الموفق **وقوله** عز وجل يا ايها الذين
آمنوا لا ترفعوا اصواتكم الى قوله لبعض قال بعضهم ان الآية نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما
اختلفا في شيء بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت اصواتهما وقال بعضهم انها نزلت في قوم
كانوا اذا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قالوا فيه قبل قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعندنا لا يحتمل ان يكون ما ذكر من رفع الصوت فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والجهر بالقول له وما ذكر من التقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامر والنهي
ان يكون الخطاب لذلك الذين صحبوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واتبعوا امره ونهيه اذ لا يحتمل
منهم ان يرفعوا اصواتهم فوق صوته ويجهروا بالقول او تقدموا بين يديه في امر ولا نهي الا عن سهو
او غفلة او اذن منه بالمناظرة والمحاورة في العلم فعند ذلك يرتفع اصواتهم لان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كان اجل في قلوبهم واعظم قدراً من ان يتجاسروا التقدم بين يديه
بامر او قول او رفع صوت او جهر القول له فيكون الآية في اهل الشرك وفي اهل النفاق والله اعلم
ثم ان كان الخطاب بذلك للذين آمنوا فهو على وجهين احدهما ان ذلك منه ابتداء محنة امتحنهم
بذلك وامرهم به من غير ان كان منهم شيء من ذلك من التقدم بين يديه ورفع الصوت والجهر له
بالقول ولله تعالى ان يمتحن ويامر وينهى من شاء بما شاء ابتداء امتحان منه لهم وهم ما ذكرنا في نهي
الرسل عليهم الصلوة والسلام عن الشرك والمعاصي وان كانوا معصومين عن ذلك لان العصمة لا يمنع النهي
لان العصمة انما يكون عصمة اذا كان هناك امر ونهي فعلى ذلك جايز ان يكون ما ذكر من النهي عن التقدم
والرفع بالصوت والجهر بالقول وان لم يكن منهم شيء مما ذكر ابتداء محنة لهم والله اعلم ويحتمل انه
خاطب هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم بذلك ليتعظ بذلك من يشهد مجلسه من المنافقين وغيرهم من الكافرين

اذ كان يشهد مجلسه اهل النفاق وساير الكفرة ليلا يعاملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمثل معاملة بعضهم بعضاً والله اعلم **وقوله** عز وجل ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ذكر هذا
ليكونوا ابداً متيقظين بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حذرين معظمين له في كل وقت
ليلا يكون منهم في وقت من الاوقات ما يخرج مخرج الاستخفاف به والتهاون على السهو والغفلة
فتحبط ذلك اعمالهم ان هذا الصنيع برسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر صاحبه ولا يكون معذوراً في فعله
على السهو والغفلة لان له قدرة الاحتراز وامكن التحذر وان كانوا معذورين فيما بينهم على غير
التعمد والقصد ولا مواخذة لهم برفع الله تعالى المواخذة عنهم فيما بينهم ولم يرفع في حق النبي عليه
افضل الصلوات مع ان الكل في حد جواز المواخذة والله اعلم وذكر الكرابيسي فقال ومن حكمة الآية
عند قوم حبوط الاعمال بالكباير على ما روي عن الحسن قال ما يشعر هؤلاء الناس ان عملاً يحبط اعمالهم والله
يقول يا ايها الذين آمنوا الآية وقيل المراد عن الآية ان ينادي بشوم تلك المعصية الى ان يهون عليه ارتكاب
الكبيرة يستحقرها حتى يخف عليه الكفر فيكفر فيصير المعصية الاولى وان قلت سبب الحبوط لثواب اعماله
فان اساس كل خطير حقير ونحن نقول ان المعصية لا تحبط الطاعة ولكن هو استخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم
وذلك كفر **وقوله** عز وجل ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى دلت هذه الآية ان الآيتين اللتين تقدم ذكرهما من قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
وقوله عز وجل ولا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وقوله تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض في اهل الشرك او في اهل النفاق فاما اصحابه الذين صحبوه وآمنوا به عرفوا انه رسول رب العالمين
فلا يحتمل ان يكون منهم ما ذكر من رفع الصوت عنده وجهر القول به والنداء له باسمه من بعد انما ذلك به
فعل ما ذكرنا من اهل النفاق او الشرك فاما الذين آمنوا به وصدقوه وعرفوا انه رسول فلا يحتمل منهم سوى
التعظيم له والتوقير والتشريف لما عرفوا ان نجاتهم وشرفهم وعزهم في الدنيا والآخرة بتعظيمه وتوقيره
فكيف يحتمل عنهم ذلك بل كانوا لا يتجاسرون التكلم بين يديه فضلاً من ان ترفعوا اصواتهم او تقدموا بين يديه
او النداء من بعد والله الموفق **وقوله** عز وجل اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى هذا وصف
المؤمنين انه امتحن قلوبهم للتقوى هذا وصف الملوك فوجدها صافية خالصة لذلك والامتحان ههنا
هو التصفية والاخلاص يقال امتحن الذهب اذا اخلص وصفى الصافي منه والخالص من غيره وقوله
عز وجل لهم مغفرة واجر عظيم ظاهر **وقوله** عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون هذا وصف من ذكرنا من اهل الشرك والنفاق وقال بعضهم ان نفراً
من الاعراب جاؤا وقالوا انطلقوا الى هذا الرجل يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم فان يكن رسولاً فنحن
اسعد الناس به وان يكن ملكاً نعيش في جناحه فاتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه
من وراء الحجرات يا محمد فنزلت هذه الآية وقال بعضهم كان النبي صلى الله عليه وسلم سبى ذراري
بني تميم ونساءهم فاتوا يطلبون منه تخلية سبيل اولئك واعتاقهم وردهم اليهم فنادوه من وراء
الحجرات فاعتق بعضهم وفدى بعضاً فنزلت الآية **وقوله** اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى
تخرج اليهم لكان خيراً لان ذلك اعظم لقدره واجل لمنزلته واعرف لحقه واحفظ لحرمته ثم قوله
اكثرهم لا يعقلون يحتمل وجوهاً احدها اكثرهم لا يعرفون قدره ومنزلته وان كان قليل منهم
يعرفون ذلك وهم المؤمنون والثاني اكثرهم لا ينتفعون بما يعقلون والثالث اكثرهم لا يعقلون
انه رسول وهم الاتباع والسفلة من الكفرة وانما يعرف القليل منهم وهم الرؤساء المعاندون وفي هذه
الآية وفي قوله تعالى ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون دلالة ان قد يلحق المرء حكم الكفر ويحبط العمل

مواخذة السهو والغفلة لم يرفع من الامة في حق النبي صلى الله عليه وسلم لو استهانوا به العياذ بالله تعالى

اداب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اللهم ادبنا بادابهم

اذا خرج مخرج الاستخفاف وان لم يعلم به ولم يقصد والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا اجمع اهل التاويل او عامتهم على ان الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ولى قوم سواهم لجباية الصدقات وكان بينه
وبين اولئك القوم عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه فخافهم لذلك فرجع وقال ان القوم قد منعوا
الصدقات فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم بعد ذلك خالد بن الوليد لجباية الصدقات
فوجدهم يصلون ويعملون الطاعات واجتمعوا وجمعوا له الصدقات وجبوها وسلموها اليه
فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فنزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
بنبإ فتبينوا لكن ان كان ما ذكروا فلم يكن في ذلك النبإ التثبت لان الآية نزلت بعد نبإ الرجل
وفي الآية الامر بالتثبت في نبإ الفاسق فيما يحدث من الامور من بعد فدل ان الآية نزلت لبيان الحكم
في نبإ الفاسق ابتداء والله اعلم ولانه يحتمل ان يكون ذلك الرجل منافقا ولم يامر الله تعالى
بالتثبت في خبر المنافق ولم يشرع ذلك لان النفاق يكون في الضمير فلا يظهر ذلك فاما الفسق
فانه يظهر فامرنا بالتثبت فيه فدل ان الآية لم ينزل في ذلك الرجل اذ لا يحتمل غير المنافق
ان يزور على المسلمين مثل ما ذكر منه دل ان ما قاله اهل التاويل فيه وهم ثم في الآية قبول
خبر الواحد اذا كان عدلا لانه لو لم يقبل خبره اذا كان عدلا لم يكن لذكر الفسق فائدة سوى الشتم
والشتم سفه فلا يجوز ان يوصف الله تعالى فدل ذكر الفسق على ان هذا الحكم وهو رد الشهادة مختص
باسم الفسق وان العدل لا تشاركه فيه حتى ذكر الفسق سفها لما تعلق به بيان حكم شرعي يختص
بالفاسق ولا يعرف ذلك دون ذكره العدل فاما متى كان الحكم عاما في الفاسق والعدل عند الانفراد
فكان ذكر الفاسق سفه شتمه وانه لا يليق بالحكمة فدل ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ان تصيبوا قوما
بجهالة اي تصيبوا قوما بجهالة في الظاهر بسبب تهمة الفسق فاما في الحقيقة فانه يجوز ان تصيب
ذلك بخبر الواحد لكن الاحكام وقبول الاخبار فيما بين الخلق لم يوضع على الحقائق وانما وضعت
على الظواهر وكذلك قبول الشهادات والحكم بها وجميع الشرايع التي جعلت في الناس انما هو
على الظواهر من الاحوال والامور فاما على اصابة حقيقة ذلك فلا اذ قد يجوز ان الحكم الحاكم ويقضي
بقتل انسان ويقطع يده بشهادة بشهود ممن لما ظهرت عنده عدالتهم ولم يكن في الحقيقة كذلك
وعلى ذلك قول يعقوب عليه السلام لبنيه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل لم يامن
عليهم بما ظهر له منهم زلة وجناية حين طلبوا منه ارساله ولدى يوسف عليه السلام في الترعى
بل قال هنالك اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب انما اعتل عليهم واحتج باكل الذئب
ولم يتهمهم فيه بما لم يكن ظهر له زلة منهم وجناية فلما ظهر ذلك منهم اتهمهم واخبر انه لا يامن
عليهم بما ظهر له من زلتهم فدل ان التهمة سبب الرد وانه يجب التثبت بدفع الجهالة من حيث الظاهر
لا الحقيقة والله اعلم وقوله عز وجل فتصبحوا على ما فعلتم نادمين اي نادمين بما فعلوا على خلاف
ما كان في الظاهر ويندمون لما تركوا التثبت في الخبر وقوله عز وجل واعلموا ان فيكم رسول الله
لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم اي لا يتمسك من الناس من احتج بهذه الآية على ان الاجماع ليس بحجة
وقالوا لو كان لاجماعهم لكان لا يا ثمون لو اطاعهم في كثير من الامر لان الحق والصواب
مما لا يوجب الاثم لصاحبه فيمن تبعه في ذلك الصواب والحق ان كان لا يوجب الصواب ذلك الله
ليس بحجة يجب اتباعه ولكن هذا فاسد لان الحجج والبراهين لم يكن انتهت يومئذ غايتها ولا اتت على نهايتها
فالاجماع الذي هو اجماع حجة عندنا ويجب اتباعه والانقياد له هو اجماع من استوعب الحجج والبراهين

خبر الواحد

جواز الامتناع بخبر العدل

مما يجب حفظه ان بنية الاحكام لم يوضع على الحقائق بل على الظواهر

في تاويل قول يعقوب عليه السلام

تحقق التهمة سبب الرد

وانى على عامتها او على الجميع وكان الوقت وقت نزول الوحي وانما يستقر الاحكام بوفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما ينقطع الوحي فيستدل على استيعاب الحجج ونزول لجميع ما يحتاج الناس اليه من حيث
الابداع في النصوص حتى اجتمعوا على ذلك يكون حجة ولانه لا اجماع يتحقق دون رأي رسول الله صلى الله
عليه وسلم واذا وجد رايه استغنى عن رأي الغير لما كان ينطق عن الوحي فاذا لم يكن وقت رسول الله
صلى الله عليه وسلم زمان انعقاد الاجماع حجة فبطل استدلالهم بالآية ثم قوله عز وجل واعلموا
ان فيكم رسول الله ارسل اليكم ليزيل عنكم اشكالكم وشبهاتكم فلا عذر لكم في الكفر واعتراض الشبه لكم
لما يقدرون ان يسالوه ما اشكل عليكم واشتبه فيخبركم بذلك فيزيل الشبه عنكم والثاني يحتمل
واعلموا ان فيكم رسول الله تعالى اياه على ما يضمرون في انفسكم وما تولدون من الاخبار التي لا اصل لها
ولا اثر ما لو اظهر ذلك لا فتضحهم وهو صلة ما ذكر من قوله ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا والله اعلم
ويحتمل ان فيكم رسول الله يسألونه ما اشكل عليكم فيخبركم بالحق والامر على حقيقة كي لا تصيبوا
قوما بجهالة والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله واعلموا ان فيكم رسول الله اي فيكم رسول الله فاليه
الراي والتدبير في الامور ومن رايه وتدبيره يجب ان يصدر لا عن راي انفسكم وتدبيركم
وعلى ذلك يخرج قوله وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله على الوجوه التي
ذكرنا والله اعلم ثم قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم اي لو يطيعكم فيما تدعوا اليه
انفسكم من التمويهات والشبهات وهواها او يقول لو يطيعكم في الصدور عن رايكم وتدبيركم في الامور
لعنتم ثم قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
هذا في الظاهر كناية غير موصولة بقوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لانه لا يليق ذلك الا على الاضمار
كانه يقول لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم وان الله قد ارسله اليكم رسولا وحبب اليكم الايمان به
وزينه في قلوبكم حتى صار هو في قلوبكم احب من انفسكم ومن كل شيء فالواجب عليكم ان تصرفوا
الامر الى رايه وتدبيره وان تصدروا عن رايه ولا تعتمدوا على راي انفسكم وتدبيركم والله اعلم
ويحتمل اي لا تدعوه الى ان يطيعكم فيما تهوى به انفسكم فاشبهت بعد ما حبب الايمان به اليكم وزينه
في قلوبكم وكره اليكم الكفر ولا يليق ما ذكر والله اعلم بحقيقة جهة وجل هذا بالاول ثم يحتمل وجهين
ايضا احدهما لو يطيعكم الرسول في كثير من الامر لعنتم والله تعالى الزمكم طاعته في كل امر فاطيعوه
ولا تطلبوا منه طاعته اياكم في الامور ولكن اطيعوه انتم في الامور كلها وقد حبب اليكم الايمان وزينه
في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق او الخروج عن امره والعصيان والثاني يشبه ان يكون موصولا
بقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ثم قال الله عز وجل اولئك هم
الراشدون كانه يقول اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب اليهم وزينه في قلوبهم وكره
اليهم الكفر والعصيان اولئك هم الراشدون اخبر وشهد لهم بالرشاد واخبر ان ذلك فضل منه
اليهم ونعمة لا بشيء كان منهم استوجبوا بذلك فذلك قوله فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم
ثم قالت المعتزلة في قوله تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر وما ذكر يقولون
لم يحبب الايمان الى هؤلاء الا وقد حببه الى جميع الكفار وكذلك لم يكره الكفر على هؤلاء الا وقد كره
الى جميع الناس لكن المراد تخصيص بما ذكر من التحبيب اليهم الايمان وتكريه الكفر هو اختصاصهم بما وعد
من الثواب والجزاء الجزيل على الايمان والمواعيد الشديدة على الكفر تحببه وزينه في قلوبهم
بما وعد لهم من الثواب وكره الكفر والعصيان اليهم بما اوعد على ذلك من العذاب العظيم لكن هذا

فاسد لانه ليس مومن به صار حُبّ الايمان في قلبه لما ذكر وامن الثواب والجزاء وكان اسلم حين اسلم
يخطر ثواب الايمان في قلبه حتى يكون اسلامه لذلك بل كان في قلبه بعض الايمان قبل الاسلام فاذا اسلم
وَجَدَ حُبَّهُ في قلبه وكراهة الكفر ليعلم ان ذلك يكون بلطف من الله تعالى كان عنده فاذا اعطاه صار ما ذكر
والله اعلم وقوله عز وجل وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما قال بعضهم كان بين رجلين
مداراة اي منازعة في شيء فتعصب قوم كل رجل حتى كان بينهم حقوق بالنعال والايدي فنزلت الاية
وقال بعضهم كان بين الاوس والخزرج قتال بالعصي فنزلت هذه الاية بالامر بالصلح بينهم وقال بعضهم
قتالهم بالعصي والتناصي ونحوها وقال الحسن ان قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا
بالنعال والايدي فانزل الله تعالى هذه الاية في ذلك وقال قتادة كان بين رجلين حق فتدارئا فيه
فقال احدهما لاخذنه عنوة لكثرة عشيرته وقال الاخر بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والايدي وجايز ان يكون الاية فيما كان بين علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه وبين الحرورية واهل نهروان ذكر ان عليا رضي الله عنه لما قتلهم فقال الناس هم
مشركون فقال عليه السلام من الشرك قد فروا فقالوا انهم فقولون ثم قال علي رضي الله عنه
ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قالوا فما هم قال هم ناس بغوا علينا فقاتلونا فقاتلناهم ويحتمل
انه كان فيما كان بين علي رضي الله عنه ومعاويه يوم الجمل ويوم صفين ذكر عن جعفر بن محمد عن ابيه
ان عليا رضي الله عنه سمع رجلا يقول يوم الجمل هم كفروا فقال لا تقل ذلك ولكن هولاء قوم بغوا
علينا وزعموا انا بغينا عليهم فقاتلناهم على ذلك لكن في الاية الامر بالصلح اذا كان بينهم اعني المؤمنين
اقتتال باي شيء كان بقوله تعالى فاصلحوا بينهما وكذلك الامر في غير اي بالصلح والاصلاح قال يقال واصلحوا
ذات بينكم اي بين المؤمنين وهذه الاية حجة على المعتزلة والخوارج فانه ابقى اسم الايمان بعد ما كان
منهم الاقتتال والبغي مع اهل الاسلام من الكباير دل ان الكبيرة لا يخرج عن الايمان ولا يوجب الكفر
والله الموفق وقوله عز وجل فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله اي فان ظلمت
احدى الطايفتين وطلبت غير الحق فقاتلوا التي تبغي اي تظلم وتجور حتى تفيء الى امر الله حتى ترجع
الى امر الله والى الحق امر بمعونة الطايفة التي لم تبغ والانتصار لها من الباغية وهو ما ذكر في اية اخرى
ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله وعد عز وجل النصر لهم فيحتمل ان يكون ذلك
النصر الموعود في الدنيا ويحتمل في الاخرة وفي الاية الامر بقتال اهل البغي من غير قيد بين
السيف وغيره بقوله فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي لكن متى امكن دفع البغي وكسر
منعتهم بغير السلاح فهو الحق وهو الواجب لكن اذا لم ينقلعوا عن البغي الا بالقتال مع السيف فلا باس به
فان عليا رضي الله عنه قاتل الفئة الباغية بالسيف ومعه كبراء الصحابة رضي الله عنهم واهل بدر
وكان هو محقا في قتاله اياهم دل انه لا باس بقتالهم بالسيف وبعضهم قالوا ان قتال البغاة لا يجوز
بالسيف وقالوا ان سبب نزول الاية في القتال بالعصي والنعال ولكن لا حجة لهم فيها لان القتال
بين الفيتين وان كان بالنعال والعصي ولكن لم يصيروا بغاة في تلك الحال وهو القتال الذي امر الله تعالى
فيه ان تصلح بينهم وانما يصيروا بغاة بان لم يجيبوا الى الصلح ولم يقبل احد من الطايفتين الصلح
وحينئذ امر بالقتال معهم مطلقا من غير قيد والله اعلم وقوله عز وجل فان فاءت فاصلحوا
بينهما بالعدل واقسطوا ذكر انها وان فاءت ورجعتا الى امر الله تعالى به لا يتركوهما كذلك بغير صلح
ولكن اصلحوا بينهما والفوا حتى يتالفوا لان اهل الاسلام ندبوا الى التالف بينهم والجمع وشرط فيه الصلح
بالعدل فهو والله اعلم يقول انكم وان رايتم صلاحهم في الصلح فلا يحملنكم ذلك على الصلح الذي ليس فيه

في الباغي

في الصلح والاصلاح

في تاليف المسلمين واصلاحهم لامرهم

عدل ولكن اصلحوا بينهم بالعدل ولا تجاوزوا الحد الذي واكد ذلك قوله واقسطوا اي اعدلوا في الصلح
ان الله يحب المقسطين اي العادلين وقوله عز وجل انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم امر الله عز وجل
باصلاح ذات البين بين المؤمنين بقوله فاصلحوا ذات بينكم وامر بالاصلاح بين الطايفتين من المؤمنين
اذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله وان طايفتان من المؤمنين اذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله عز وجل وان طايفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وامر بالاصلاح بين الاحاد والافراد بقوله واصلحوا بين اخويكم لان الايمان
يوجب التالف وبالتالف ندبوا واليه دعوا وبه من الله تعالى علينا حيث قال ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم وقال في اية اخرى ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
واصبحتم بنعمته اخوانا امر بالتاليف والاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف وامر المؤمنين جملة ان يصلحوا
ذات بينهم اذا وقع بينهم تنازع واختلاف واقتتال على ما ذكر والله اعلم ثم من الناس من استدل بقوله تعالى
فاصلحوا بين اخويكم على ان اسم الطايفة يقع على الواحد فصاعدا فقال انه ذكر في اول الاية وان طايفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ثم قال في اخره فاصلحوا بين اخويكم فدل ان اسم الطايفة يقع على الواحد
فصاعدا فيستدل بهذا على ان في قوله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين يراد بها
الواحد فيدل على لزوم خبر الواحد العدل لكن عندنا ما ذكر انه امر باصلاح ذات البين بين جملتهم
وامر بالاصلاح بين فريقين وامر بذلك بين الاحاد والافراد وليس في قوله فاصلحوا بين اخويكم دلالة انه
اراد به الاخوين او ذكر بين اخويكم واراد به الاثنين اللذين كان الاساس نسبتهما وفيهما هاج القتال بينهم
فاما ان يكون اسم الطايفة يقع على الواحد فلا بل هو في اللغة وعرف اللسان على الجماعة والله اعلم وقوله
واتقوا الله لعلكم ترحمون اي اتقوا مخالفة امر الله لكي تقع بكم الرحمة او لكي يلزمكم الرحمة وقوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم ظاهر الاية نهي الجماعة عن سخرية جماعة لان السخرية انما يقع ويكون
في الاغلب بين قوم وقوم وقل ما يقع بين الافراد والاحاد فعلى ذلك جرى النهي ولكن يكون ذلك النهي
للجماعة والافراد والاحاد جميعا والله اعلم ثم يحتمل السخرية المذكورة في الاية على وجهين احدهما في الافعال
يقول لا يسخر قوم من قوم في الافعال عسى ان يكونوا خيرا منهم في النية في تلك الافعال او خيرا منهم
اي افعالهم اخلص عند الله من افعال اولئك واقرب الى القبول والثاني سخرية في الخلقة وتلك راجع
الى منشيها لا اليهم وهم قد رضوا بالخلقة التي انشيوا عليها وعسى ان يكون لهم على تلك الخلقة عندهم
خيرا منهم ثم قوله عز وجل عسى ان يكونوا خيرا منهم يحتمل وجهين احدهما عسى ان يصيروا من بعد
منهم خيرا في تلك الاحوال والافعال التي هم عليها اليوم والثاني عسى ان يكونوا هم عند الله خيرا منهم
في الحال كقوله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقيكم اخبر ان الاكرم منهم عند الله تعالى هو اتقاهم لا ما افتخروا
بما هو اسباب الفخار عندهم والله اعلم وقوله عز وجل ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ذكر سخرية
نساء من نساء لان النساء ليس لهن اختلاط مع الرجال حتى يجري السخرية بينهم وانما الاختلاط في الغالب
بين الجنس يكون فعلى ذلك جرى النهي بالسخرية والله اعلم ويحتمل انه خص هولاء بهولاء كما خص القصاص
في قوله كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد الاية ثم جمع بين الاحرار والعبيد
والذكور والاناث بالمعنى الذي يجمعهم فيه وهو ما ذكر ولكم في القصاص حيوة ابان عن المعنى الذي به
وجب القصاص فيما بينهم فاشتركوا جميعا في ذلك الاحرار والعبيد والذكور والاناث فعلى ذلك ذكر المعنى
الذي به نهاهم عن السخرية وهو ما ذكر عسى ان يكونوا خيرا منهم فذلك المعنى يجمع سخرية الرجال من النساء وسخرية
النساء من الرجال والله اعلم وقوله عز وجل ولا تلمزوا انفسكم واللمز هو الطعن ثم منهم من يقول هو الطعن
باللسان ومنهم من يقول بالحدق والشفة ومنهم من يقول بالعين وحاصله هو الطعن فيه وقال القتبي

بيان اطلاق اسم الطايفة

سخرية في القول والخلقة منهية ما يحفظ

منع عن الالقاب السوء

اللمز هو العيب اى لا تعيبوا وقال ابو عوسجة هو شبه العيب ثم قوله عز وجل انفسكم يحتمل وجهين
احدهما لا تلمزوا انفسكم اى يذكروا مساوى انفسكم عند الناس وفيه الامر بالستر على انفسهم وان لا يهتكوا
سترهم والله اعلم وقوله عز وجل ولا تنابزوا بالالقاب اى لا تدعوا بالالقاب والنبز اللقب
يقال نبزت فلانا اى لقبته وفي الحديث قوم نبزهم الرافضة اى لقبهم ولو قال لا تنابزوا لكان كافيا
لكنه كما قال ولا تلمزوا والقابهم فيسوءهم ما اظهرتم من اللقب والله اعلم ثم قال بعض اهل التاويل
انما نهوا عن ذلك لانهم يسمونهم بعد اسلامهم بالافعال التي كانوا يفعلون في حال جاهليتهم من الكفر
والفسوق ويلقبونهم بذلك ويقولون يا كافر يا فاسق ونحو ذلك ودل على ذلك قوله تعالى بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان وجايز ان يلقبوا بذلك ويعنون من الالقاب فنهوا من ان يسمونهم بغير اسمائهم
التي كانت لهم وان يعرفوا باسمائهم التي لهم ونهوا عن التعريف بالالقاب وتغير الاسباب والاسماء
التي لهم اذا كان التعريف بذلك يسوءهم ويغيظهم والله اعلم ثم قال الله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم
الظالمون اى واضعون الشيء في غير موضع والله اعلم ثم قوله عز وجل بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا اى بئس النسبة الى الفسوق التي كانت والتسمية بها
بعد الايمان الى الاسم والفعل الذي كان له وهو قبل الايمان كانه قال لا تسمونهم بتلك
بعد الايمان والله اعلم والثاني بئس الاسم الفسق بعد الايمان اى بئس ما اختاروا من اسم
الفسق بعد ما كان اختار اسم الايمان وفعله فهذا يرجع الى اختيار الفسق بعد الايمان والله اعلم
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ههنا اسماء ثلاثة
يجب ان يتعرف ما محلها وما قدرها وكيف اسبابها احدها الظن والثاني الشك والثالث العلم
واليقين اما الظن فكانه هو الذي له ظاهر الاسباب التي لها خوف الزوال والانتقال والشك هو الذي
تعدد ظاهر اسبابه او له استواء الاسباب ومقابلة بعضها بعضا فهو المتردد بين الحالين لا يقر قلبه
على شيء واليقين هو الذي له الاسباب الظاهرة التي ليس لها خوف الزوال والله اعلم ثم قوله عز وجل
اجتنبوا كثيرا من الظن كانه نهى ان يحقق او العمل في صاحبه بسوء على ظاهر الاسباب التي هي على خوف
الزوال وطرف الانتقال يجوز ان يكون غير محققة في الاصل او زايلة والله اعلم ثم في الاية دليل
على انه ليس كل ظن يجب ان يجتنب عنه ولا كل الظن يكون اثما لانه استثنى منه بعضه بقوله ان بعض الظن
اثم فجايز ان يكون ما استثنى من الظن ولا يامن بالاجتناب عنه هو ما يغلب عليه الاسباب وغالب
الاسباب ربما يعمل عمل العلم واليقين بحق المكره على شيء يرخص له او يباح العمل اذا راى من ظاهر
حال المكره انه فاعل به ما اوعد وان كان يجوز ان لا يفعل به او لا يقدر عليها اوعد وعلى ذلك موضوع
عامة الاحكام والشرايع بين الخلق انها على غالب الظن وضعت ليس على التحقيق والله اعلم ويحتمل ان يرجع
ما استثنى من الظن القليل الذي لا اثم فيه الى الظن الحسن اذ يجوز ان يظن بالانسان الظن الحسن
ولا اثم فيه انما الامر بالاجتناب الى الظن بالسوء على غير تحقق اسبابه او غير تحقق عين ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل ولا تجسسوا التجسس هو تكلف طلب المساوى في الناس من غير ان يظهر منهم
من اسبابها شيء فنهى عن تكلف طلب ذلك ونهى عن الاظهار وامر بالستر وبمثل ذلك روي في الاخبار
عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قيل له هل لك في فلان يقطر
لحيته خمر فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان يظهر لنا شيء ناخذه والا فان الله تعالى
قد نهانا عن التجسس والله اعلم وفرق بعضهم بين التجسس والتحسس فقال بالجيم في الشرور
والمساوى وبالحاء في الخير وفيما يباح طلبه والله اعلم وقوله عز وجل ولا يغتب بعضكم بعضا

الغيبة

الغيبة يرجع الى وجهين احدهما ان يذكر ما فيه من مساوي الافعال التي استترها عن اعين الناس مما يكره
اظهار ذلك عنه والثاني يذكر ما فيه من قبح الاحوال ولا يختلقه التي لا يكاد يذكر ذلك منه او يظهر
وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يذكر الرجل اخاه بما فيه مما يكره فقيل
انما كنا نذكره بالشيء الذي فيه لا بما ليس فيه قال ذلك البهتان وقوله عز وجل ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا فكرهتموه اى لا يحب احدكم ان ياكل لحم اخيه بعد موته فكانه يقول فاذا لم يحب هذا وكرهه
بل يستقذره كل استقذار فما لعينه هي تناول من اخيك وهو حي فهو في القبح يبلغ التناول منه
بعد موته لا في حال الاختيار ولا في حال الاضطرار فلا تغتابوا ولا تذكروا منه ما فيه فانه في القبح مثل
ذلك وقوله عز وجل واتقوا الله ان الله تواب رحيم اى اتقوا الله عما نهاكم عنه ان الله تواب لمن تاب
اى قابل توبته رحيم اى يرحم عليه ويعفو عنه اذا تاب والله الموفق وقوله عز وجل يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى يخرج تاويل الاية على وجهين احدهما انا خلقناكم جميعا من اصل واحد
وهو ادم وحوا عليهما الصلوة والسلام فيكونون جميعا اخوة واخوات وليس لبعض الاخوة والاخوات
الافتخار والفضيلة على بعض بالاباء والقبايل التي جعلت لهم انما القبايل وما ذكر للتعارف والفضيلة
والكرامة فيما ذكر ان اكرمكم عند الله اتقيكم مع ما لو كان في ذلك فضيلة وافتخار فالكل في النسبة اليهم
على السواء فلا معنى لانفراد البعض بالافتخار والثاني يحتمل انا خلقنا كل واحد منكم من الملوك
والاتباع والحر والعبد والذكر والانثى من ماء الذكر والانثى فليس لاحد على احد من تلك الجهة التي
يفتخرون بها الافتخار والفضيلة اذ كانوا جميعا من نطفة مذرة منتنة يستقذرها الطباع ذكر هذا
ليتركوا التفاخر والتطاول بالانساب والقبايل والله اعلم وقوله عز وجل وجعلناكم شعوبا وقبايل
لتعارفوا ثم اختلف في تاويل قوله شعوبا وقبايل قال بعضهم الشعوب اكبر من القبايل فالشعوب
هم الاصول والقبايل هي الافخاذ منهم فالشعوب للعرب والامم والقرون للعجم وقال بعضهم الشعوب
للعجم والقبايل للعرب وقال ابو عوسجة الشعوب الضروب وهي القبايل والواحد شعب والشعب الاجتماع
يقال شعبت الاناء اذا انكسر فجمعته واصلحته ويسمى من يصلح الاناء شعابا والشعب التفريق ايضا والشعوب المنية
ونحو ذلك ثم قوله عز وجل لتعارفوا اى جعل فيكم هذه القبايل ليعرف بعضكم بعضا بالنسبة الى القبايل
والافخاذ فيقال فلان التيمي والهاشمي اذ كل احد لا يعرف باسمه وحده ثم قال عز وجل ان اكرمكم عند الله
اتقاكم بين الله تعالى بما به يكون الفضيلة والكرامة وهو التقوى لا فيما يرون ويفتخرون بذلك وهو
النسبة الى الاباء والقبايل بل ذلك لما ذكر من التعارف وهذا لان التقوى فعله وهو اتيان الطاعات
والاجتناب عن المعاصي وذلك مما ياتيه تعظيما لامر الله تعالى ونهيه فجايز ان ينال به الفضيلة والكرامة
بفضل الله وكرمه بناء على فعله فاما ما لا فعل له في التولد من اباء كرام فاني يستحق الفضل بذلك لو كان
افتخارا بما يكون للاباء بمباشرتهم اسباب حصول الاولاد ليوحدوا الله تعالى ويتمسكوا بطاعته والله اعلم
وقوله عز وجل ان الله عليم خبير على الوعيد وقوله عز وجل قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
هذه الاية وان خرجت على مخرج العموم ولكن اراد بها الخاص وهو بعض الاعراب اذ في الاجراء على العموم
يؤدي الى الكذب في خبر الله تعالى عن ذلك لانه ليس كل الاعراب قالوا ذلك ولا كل الاعراب يجب ان يقال لهم
لم تؤمنوا ولكن يقال لهم قولوا اسلمنا فهو يرجع الى الخاص من الاعراب فكانه يرجع الى اهل النفاق منهم فانهم
اخبروا انهم امنوا ولما امنوا فلما اطلع الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم انهم لم يؤمنوا ولكنهم
استسلموا وخضعوا للمؤمنين ظاهرا خوفا عن معرة السيف وطمعا فيما عند المسلمين من الخير فنهاهم ان يقولوا
امنا اذ لم يكن في قلوبهم ذلك وامرهم ان يقولوا اسلمنا ومعناه ما ذكرنا اى خضعنا واستسلمنا لم تقع عنهم

وجه ان الاكرم عند الله هو المتقي

التسيف ولا يصح الاستدلال بالآية على ان الاسلام والايمان غيران فانه غاير بينهما حيث نهاهم ان يقولوا
امنا وامرهم ان يقولوا امنا وامرهم ان يقولوا اسلمنا ولو كان واحدا لم يصح هذا لانا نقول لم يرد بهذا
الاسلام هو الاسلام الذى هو الايمان ولكن اراد به الاستسلام الذى هو الايمان ولكن اراد به الاستسلام
والانقياد الظاهر وهو كما يسمى اسلاما يسمى ايمانا ايضا من حيث الظاهر فاما حقيقة الايمان
والاسلام يرجع الى واحد لان الايمان هو ان يصدق كل شئ فى شهادته على الربوبية والوحدانية
لله تعالى والاسلام هو ان يجعل كل شئ لله تعالى سالما لا شركة لاحد فيه حتى اعتقد ان كل شئ
فى العالم لله تعالى وهو لقا لوله وكل مصنوع شاهد و دليل على صانعه فقد صدقه فى شهادته
على صانعه والله الموفق **وقوله** عز وجل ولما يدخل الايمان فى قلوبكم الايمان ليس هو محسوس مركب
يدخل فى القلب ولا ولكن معناه نفى فعل القلب وهو التصديق كانه قال ولم تؤمن قلوبهم على ما ذكر
فى آية اخرى قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ثم هاتان الآيتان ينقضان على الكرامية
مذهبهم فى ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان والقول فان اهل النفاق قد قالوا ذلك
بلسانهم ثم اخبر انهم لم يؤمنوا وهم يقولون بل قد آمنوا فيقال لهم انتم اعلم ام الله قل الله ٥
اذن لكم ام على الله تفترون وفى هذه الآية آية عظيمة على رسالته حيث قال له قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا وقد قال لهم عليه الصلوة والسلام ذلك ولم يتهيأ لهم انكار ذلك القول فعرفوا
انه بالله عرف ذلك اولم يظهر واما فى ضميرهم خوفا من السيف ليعرفا النبى صلى الله عليه وسلم
والله الموفق **وقوله** عز وجل وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا جايز ان يكون الآية
صلة ما ذكر فى سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عام الحديبية مع المؤمنين حيث قال ستدعون
الى قوم اولى باس شديد وما ذكر من امرهم فى غيرها من القرآن يقول ان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم
من اعمالكم شيئا جايز ان يكون الآية صلة ما ذكر فى سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عام الحديبية
مع المؤمنين حيث قال ستدعون اولى باس شديد وما ذكر من امرهم فى غيرها من من القرآن يقول
ان تطيعوا الله ورسوله فيما يدعوكم الرسول عليه الصلوة والسلام الى الخروج والجهاد والقتال
بعد تخلفكم عن الحديبية لا ينقصكم من اعمالكم التى كانت لكم شيئا والله اعلم ويحتمل وان تطيعوا الله
ورسوله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتكم من اعمالكم شيئا اى لم ينقصكم من اعمالكم
التى عملتموها من قبل ولم يبطلوا اعمالكم التى عملتم من بعد وان عصيتموه وتخلفتم عنه فى حيوته لانه قال
فان رجعك الله الى طايفة فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا
قد كان نهاهم عن الخروج معه للغزو ابدا فيقول ان تطيعوا بعد وفاته وجاهدوا فى سبيل الله
لم يلتكم من اعمالكم شيئا بل يقبل ذلك منكم والله اعلم ويحتمل ان يكون فى المنافقين فيكون فيها
وعد المغفرة للمنافقين اذا تابوا واطاعوا الله ورسوله كما وعد المغفرة بجميع الكفرة اذا تابوا عن الكفر
بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فعلى ذلك هذا وهو كقوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم والله اعلم قال بعضهم هذا فى جميع المؤمنين ٥
ان من اطاع الله ورسوله لا ينقصكم من اعمالكم شيئا اى لا يضيع اعمالكم بل يثيبكم كقوله تعالى يرجون
تجارة لن تبور اى من عمل لله لا يضيع ومن عمل لغيره قد يضيع فلا يظفر على ثوابه بشئ ويحتمل
ان يكون الآية فى المؤمنين الذين اسلموا يقول اذا اسلمتم فلم ينقصكم من ثواب اعمالكم ما سبق منكم
من الكفر وهو كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الله غفور رحيم
ظاهر **وقوله** عز وجل انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم

اية رسالته

فى سبيل الله

فى سبيل الله اولئك هم الصادقون كان هذا ذكر مقابل لما تقدم من قول المنافقين حيث قال ٥
قالت الاعراب آمنا فقال لهم قل لم تؤمنوا انتم انما المؤمنون هؤلاء ثم نعتهم فقال الذين آمنوا بالله ٥
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون اخبر ان هؤلاء
هم الصادقون فى ايمانهم وانتم يا اهل مكة النفاق بحيث منهم الخلاف له ولم يجاهد وامعه فلستم
بصادقين فى ايمانكم فجعل الجهاد دليل ظهور الصدق فى الايمان لانه من شرايط الايمان الذى
لا يجوز الايمان دونه ويحتمل انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله اى صدقوا الله ورسوله سرا
وعلانية على الحقيقة لا الذين اظهروا ولم يكن قلوبهم مصدقة لذلك كالمنافقين الا ترى انه قال
ثم لم يرتابوا وجاهدوا اى لم يشكوا فى حادث الوقت بل جاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله
اظهارا لتحقيق الايمان وصدقه وليسوا كالمنافقين الذين ارتابوا وشكوا فى ايمانهم وتخلفوا عن الجهاد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ثم قال الله عز وجل قل اتعلمون الله بدينكم كانه
صلة قوله تعالى قالت الاعراب آمنا حيث قالوا ذلك بالسنتهم وليس ذلك فى قلوبهم فاخبر انه
يعلم ما فى قلوبهم من الايمان والشك والخلاف كانهم حين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم
لم يؤمنوا فلجوا فى ذلك وقالوا بل آمنا ظنوا انه انما قال ذلك عن راى نفسه فقال عند ذلك
قل اتعلمون الله بدينكم يخبر الذى انبانى واخبرنى بذلك هو الذى يعلم غيب ما فى السموات وما فى الارض
وهو بكل شئ مما فى القلوب من الصدق وغيره عليم فكيف تعلمون الله بانكم مؤمنون وهو يعلم
انكم كاذبون **وقوله** عز وجل يمنون عليك ان اسلموا الذى حملهم وبعثهم على الامتنان عليه
بالايمان الذى اتوا به لانه قوم لا يؤمنون بالآخرة فيظنون انهم اذا اظهروا الموافقة له لم يجاهدهم
لم يحقهم بسببه مونة الخروج الى القتال ومتى اظهروا الايمان يصير المسلمون اعوانا لهم ونحو
ذلك هذا الذى ذكرنا ونحوه بعثهم وحملهم على الامتنان عليه ولو كانوا يؤمنون بالآخرة ليعرفوا
ان ايمانهم لانفسهم اذ به نجاتهم واليهم يقع نفعه ليس فى الايمان لله تعالى نفع ولا فى تركه ضرر
تعالى عن الضرر والنفع فيكون الامتنان لله تعالى عليهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
ان كنتم صادقين ثم فى قوله عز وجل بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان نقض قول المعتزلة انه يجب
على الله تعالى ان يهديهم لقولهم بالاصلح فانه قال بل الله يمن عليكم ولو كان هدايتهم واجبة عليه
لا يكون له عليهم منة لانه مؤدى ما عليه لهم من الحق ومن ادى حقا عليه لآخر لا يكون له الامتنان
على صاحب الحق وكذلك فى قوله تعالى فضلا من الله ونعمة لو كان الهداية عليه لا يكون فى فعله مفضلا
ولا منعما بل يكون له عليهم الامتنان ومنهم الافضال والانعام لما عظموه وبجلوه بشئ كان عليه فعل ذلك
حقا واجبا لهم فدل على فساد مذهبهم وفيه دلالة ان الهداية ليست هى البيان فحسب لوجهين احدهما
لان هداية البيان مما قد كان فى حق الكافر والمسلم جميعا فلا معنى لتخصيص المسلمين بهذه المنة
ومثلها موجود فى حق غيرهم والثانى ان البيان قد عم الكافر والمؤمن وقد اخبر الله تعالى بان له المنة
عليهم ان كانوا صادقين فى ايمانهم فلو كانت الهداية هى البيان لا غير لكان لا يشترط فيه شرطه
صدقهم لان منة البيان يعم الصادقين وغير الصادقين دل ان المراد من الهداية الاسلام حتى يتحقق له
المنة على الخصوص فى حق المسلمين والله الموفق ثم الهداية المذكورة ههنا يحتمل وجهين احدهما خلق فعل
الاهتداء منهم والثانى التوفيق والعصمة كانه يقول بل الله يمن عليكم ان خلق منهم الاهتداء او وفقكم
للايمان وعصمكم عن ضده وكذلك يخرج قوله تعالى ولكن حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم على هذين
الوجهين وفقكم له وعصمكم عن ضده او خلق حبه فى قلوبكم وزينه والله اعلم **قوله** عز وجل والله بصير بما تعملون

هذا يخرج على الوعيد اى هو بصير بما اسرّوا واعلنوا ليكونوا ابدا على يقظة وحذر ولا قوة الا بالله

سورة ق مكية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ق والقرآن المجيد يحتمل ان يكون قوله ق اسم هذه السورة ولله سبحانه وتعالى ان يسمي السور بما شاء كما سمى كتابه قرآنا وزبورا وتورية وانجيلا اقسم بهذه السورة والقرآن جملة ويحتمل ان يذكر ق كناية عن جميع الحروف المقطعة والقرآن هو اسم لحروف المجموعة المقطعة اقسم بالحروف المقطعة والمجموعة جميعا ومن الناس من يقول ان ق اسم للجبل المحيط بالارض وهو من ياقوتة خضراء او ياقوتة حمراء مخضرة السماء من ذلك فاقسم الله تعالى به وبالقرآن والاول اشبه واقرب لان العرب لم تعرف جبل ق ولم تعرف عظمته والقسم في الاصل لتاكيد الخبر فانما يحقق بما يعرف من اريد القسم في حقه فاما اذا لم يعرف ولم يعظم ذلك في عينه يخرج القسم مخرج العبث تعالى الله عن ذلك الا ان يقال انه يكون هذا القسم في حق اهل الكتاب فانه قد كان لهم كتاب يعرفون ذلك وكانت لهم رسل قد بلغهم ذلك وكذا الظاهر ان القسم في حق العرب فدل ان الاول اشبه ثم هذه الحروف المقطعة لم يظهر في الاخبار تفسيرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر والاشتهار ولم يثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسبيله الوقف فيها لانه معلوم ان لا يقف احد على المراد بالحروف المقطعة الا من جهة السمع فلما لم يظهر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دل انهم تركوا ذلك وانما تركوا الوجوه اما لانها الحروف المقطعة كانت بيان احكام في نوازل عرفوها وتركوا سؤالها لما عرفوا تلك الاحكام والنوازل واما ان تركوا ذلك لما كان ذلك من السرائر التي لم يطلع الله تعالى الخلق على ذلك وهو المتشابه الذي يجب الايمان به ولا يطلب له تفسيرا وكان ذلك مما اختص الرسول صلى الله عليه وسلم بمعرفته لقوله تعالى الا من ارتضى من رسول فلم يسالوا منه بيان ذلك واما ان كان ذلك عندهم اسماء السور لتعريف السور واسماء الاعلام لا يطلب فيها المعاني لذلك لم يسالوا معانيها ولم يرد التعليم من النبي عليه الصلوة والسلام كما ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تركوا سؤال التفسير للآيات اما لان في وسعهم الوصول الى معرفة ما تضمنها الآيات وعرفوا المراد منها باللسان وعرفوا مواقع النوازل ففهموا المراد فلم يحتاجوا الى السؤال واما ان تركوا لما انها تضمنت احكاما عرفوها وتركوا السؤال فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم ذكر القسم ولم يبين موضع القسم واختلف فيه قال بعضهم موضع القسم في آخر السورة ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الآية وقال بعضهم قوله ولقد خلقنا السموات والارض الآية وقال بعضهم موضع القسم قوله تعالى بل هم في امر مريج اقسم بقوله ق والقرآن المجيد بان الكفرة في امر مريج ويحتمل ان يكون موضع القسم هو ما عجبوا قال بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما ذلك رجع بعيد ذكر هاهنا عجبهم من شيئين احدهما ما ذكر ان جاءهم منذر منهم اي من البشر فقال الكافرون هذا شيء عجيب وهو كقولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم ما انت الا بشر مثلنا لا يزالون ينكرون الرسالة في البشر والثاني من الاحياء بعد الموت لقولهم أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقد ذكر في غيرها من القرآن عجبهم وانكارهم البعث بعد الموت فجائز ان يكون موضع القسم ما عجبوا وانكروا من ان يكون البشر رسولا ويحيون بعد الموت اقسم بما ذكر من قوله عز وجل ق والقرآن المجيد انه يكون ذلك ردا لانكارهم وتعجبهم والله اعلم ثم انكار الكفرة وعجبهم ان كيف بعث منا البشر رسولا وكيف لا اختار

بعث الرسل من عنده وهم الملائكة وابدا انما يبعث الرسل ممن كان عند المرسل لا من كان هذا مبعوث اليهم في الشاهد لا معنى ولا ينبغي لهم ان ينكروا بعث الرسول ممن هو عند المبعوث اليهم وان تعجبوا من ذلك لان بعث الرسول من جنس المرسل اليهم والمبعوث اليهم في معرفة صدقه وحقيقة دعواه اقرب منه ان يكون من خلاف جنسهم لانهم انما يعرفون رسالته بآيات ودلالات يقيمها على رسالته بحيث يخرج عن وسعهم اقامتها ولا يعرفون صدق تلك الآيات وحقيتها اذا كانت تلك عن جنسهم بما العقل ان ما اتاهم به وزعم انها آيات ليست بآيات لما في وسعه اتيان مثلها وليس في وسعهم ذلك لما ان القوى يختلف عند اختلاف الجنس فدل ان بعث الرسول من جنس المرسل اليهم احق واقرب الى معرفة صدق الآيات والمعجزات والله الموفق ولان كل ذي نوع من نوعه وكل ذي شكل من شكله اميل وبه انس من خلاف جنسه ونوعه فكان الغرض هو التاليف والاجتماع في هذا اقرب الى الحصول والله اعلم ثم قولهم هلا بعث الينا الرسل ممن هو عنده فاسد لان الخلائق جميعا من حيث العندية لله تعالى واحد لا يوصف احد من الخلائق انه عنده الا من حيث القرب به بالطاعة له والايتمار بامره وترك الخلاف له فاما على ما يوصف المخلوق عند مخلوق فلا اذ ذلك وصف المتمكن في المكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فان كان المراد من عنده من حيث القرب به بالطاعة والقيام بامره بما يثبت اهلية الرسالة وصلاحها فذلك مما لا يوجب الفصل بين البشر والملائكة بل من جهة البشر احق لما هم يعقلون عن غيب الدلائل اجمع دون العيان والله اعلم بحجتهم انه لو اراد احياءنا كيف اماتنا ولا احد في الشاهد يبني بناء فيهدمه ويبني مثله فليس بشيء لانه لو لم يكن اماتة ثم احياء لكان الجزاء بالاعمال يكون حضرة الافعال وذلك يوجب ان يكون ايمانهم ايمان اضطرار لا ايمان اختيار وايثار لان من عاين انه يدخل النار ويعذب فيها ابدا الآبدين لا يعمل ذلك العمل الذي اوعد به بل يتركه وكذا ان من عاين ان من آمن بالله تعالى وعمل طاعة وعبادة يدخل الجنة ويكون فيها الابد لا يعمل غير ذلك العمل فيه تقع المحنة ويكون الايمان بحق الاضطرار فاخر ذلك ليكون الايمان بحق الاختيار حتى يكون له قيمة ثم قوله والقرآن المجيد وصف القرآن مرة بانه كريم ومرة بانه حكيم ومرة بانه مجيد يحتمل انما سماه بهذه الاسماء على معنى ان من تمسك به يصير مجيدا كريما حكيما اي بمنزلة مجيد كريم حكيم ويحتمل ان يكون هذه صفات القرآن راجعة الى عينه كما يقال كلام حكمة وكلام سفه وانما يراد به عينه فعلى هذا يحتمل والله اعلم قال ابو عوسجة المجيد الماجد والمجيد التعظيم والمجدت الدابة من العلف اذا كثرت ذلك وامجد القوم اذا اكثروا من الطعام والشراب وقوله عز وجل بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب قد ذكرنا تاويله وقوله عز وجل أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد اي لا يكون كونوا بالسعيد عما لا يكون عندهم كذلك قال القتبي وقال ابو عوسجة رجع بعيد اي رد يقال رجع رجعا اذا رد ورجع رجوعا اذا انصرف وقوله عز وجل قد علمنا ما تنقص الارض منهم ظاهر هذا ان يكون هذا قول اولئك الكفرة قالوا ذلك على سبيل الاحتجاج لما انكروا من البعث اي قد علمنا ما تنقص الارض من لحومنا وياكل من انفسنا فاني يحيى بعد ذلك وهو كقولهم من يحيي العظام وهي رميم ونحو ذلك لكن اهل التاويل باجمعهم صرفوا هذا القول الى الله تعالى انه قال ذلك جوابا لقولهم أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فقال قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي نحن علمنا بما ياكل منكم وينقص فكما علمنا انكم تبعثون وتحيون وعلى علم منا بذلك اخبركم الرسل بالاحياء والبعث بعد الموت والله اعلم وقوله عز وجل وعندنا كتاب حفيظ اي عندنا كتاب يحفظ احوالهم وافعالهم وجميع ما يكون منهم وقال بعضهم اي مع علمي فيهم هم عندنا في كتاب حفيظ وقال قتادة ما اكلت الارض منهم وكانوا ترابا ونحن عالمون وهم مع علمنا في كتاب حفيظ وهو مثل الاول وقوله

تفسير عنده

كلام حكمة كلام سفه

عز وجل بل كذبوا بالحق لما جاءهم اى بالقرآن ويحتمل اى محمد صلى الله عليه وسلم وقد كذبوا بهما وقوله
عز وجل فهم فى امر مريج قال القتبى وابو عوسجة فى امر مريج اى مختلط يقال مرج امر الناس ومرج الدين واصل
المرج ان يقلق الشئ فلا يستقر يقال مرج الخاتم فى يدى مرجا اذا قلق للهزال اى يتحرك وقيل مضطرب
مختلف وهكذا كان قولهم مختلفا مضطربا مختلطا فى القرآن والرسول جميعا قالوا فى الرسول صلى الله عليه وسلم
اقوالا مضطربة مختلفة مرة نسبوه الى السحر ومرة الى الشعر ومرة الى الجنون ومرة الى الافتراء على الله تعالى
وانه يتلقاه من فلان ونحو ذلك من اقوال مختلفة مضطربة فيما يدفع كل واحد منها الاخر وكذلك قالوا
فى القرآن مرة انه سحر ومرة انه شعر وانه اساطير الاولين وانه مفترى وانه اختلاق وكل ذلك مما يدفع
بعضه بعضا وهذا هو الاضطراب والاختلاف والاختلاط والله اعلم وقوله عز وجل فى امر مريج اى مختلط
وقوله عز وجل افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج الاية يحتمل ان يكون
هذه الايات صلة ما ذكر من عجبهم من بعث الرسل من البشر والبعث بعد الموت بقوله بل عجبوا ان جاءهم
منذر منهم كانه يقول افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها مرتفعة ملتصقة بعضها ببعض متصلة
بلا فروج ولا عماد مع صلابتها وكثافتها وغلظها والم ينظروا الى الارض كيف بسطناها والقينا فيها الجبال
الرواسى اوتادا لئلا تميد باهلها حتى عرفوا ان من قدر على رفع السماء بلا عمد مع ارتفاعها وغلظها
وصلابتها حتى لا ينتهى احد الى طرف من اطرافها ولا علم نهايتها وجعل منافع السماء متصلة بمنافع
الارض مع بعد ما بينهما لقادر على الاحياء بعد الموت وانه لا يعجزه شئ وان من فعل هذا لا يفعل
عبثا باطلا ويكون فعل ذلك فعل سفه لا فعل حكمة فلما كان فعل ذلك كله على التدبير الذى ذكر
وعلى الاتساق الذى جرى حكم انشاء ذلك من غير تفاوت دل انه لم ينشئ الخلق من المكلفين ليتركهم
سدى لا يامر ولا ينهى ولا يمتحن فيكون عبثا بل يمتحنهم بالامر والنهى ليكون فعله فى العقلاء على نهج الحكمة كما فى غيرهم
من الخلائق واذا كان كذلك فلا بد من رسول يخبرهم ويعلمهم ما لا يقف عليه العقل من كيفية شكر المنعم ومقداره
ووقته ونحو ذلك ومؤكد ذلك الامر والنهى والوعد والوعيد ثم كان له وضع الرسالة فيمن شاء وفى اى جنس
شاء لانه حكيم عليم لا يكون منه الخطا فى التدبير والجهل بالاصلح والاوفق بالحكمة فدل ذلك على اثبات الرسالة
والبعث بعد الموت والله اعلم ثم قوله عز وجل اولم ينظروا يخرج على وجهين احدهما اى نظروا الى ما ذكر
والثانى قد نظروا بابصارهم لكن لم ينظروا نظر معتبر منظر القلب والله اعلم وقوله عز وجل وما لها من فروج
قيل اى من صدوع وشقوق والواحد فرج وهو الموضع بين الموضعين والفرجة من الفرج ومنه يقال
فرجت عنه الغم اى كشفت وهو كقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور لتخبروا انكم لم تروا فى السماء شقوقا
وفطورا وفى الشاهد البناء وان عظم واحكم لا يخلو من نقصان وشقوق يرد عليه فاذا لم يروا ذلك
فيها دلكم ذلك على ان خالقه قادر على الكمال لا يعجزه شئ وقوله عز وجل والارض مددناها والقينا فيها رواسى
قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اسم الزوج يقع على الشكل والضد وكل
ذى شكل هو زوج وضد والبهيج ما يبهج به فمعناه انبتنا من كل زوج ما يبهج به اهله ويسرون بذلك من الوان
النبات وجواهرها وقال القتبى من كل زوج بهيج ما يبهج به اهله اى من كل جنس حسن يقال بهج يبهج
بهجا فهو بهيج اى حسن واما من السرور فقال بهج يبهج بهجا فهو بهج اى مسرور وقوله عز وجل تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب اى تبصر ذلك كل عبد منيب اى منفعة ذلك يكون لمن ذكر وهو العبد المنيب
الى الله تعالى والمقبل على طاعته فاما من اعتقد الخلاف له فلا وقوله عز وجل ونزلنا من السماء ماء مباركا
سماه مباركا لانه يستعمل فى امر الدين والدنيا ويطهر به كل شئ ويزين ويحيى به كل شئ ونماؤه والمبارك
اسم كل خير يكون على النماء والزيادة فى كل وقت والله اعلم وقوله عز وجل فانبتنا به جنات وحب الحصيد

يقول انبتنا بذلك الماء المبارك المنزل من السماء جنات اى بساتين والمكان الذى جمع فيه كل انواع
الشجر سمى بستانا وجنة وقوله وحب الحصيد اى انبت ذلك الماء كل حب حصيد فدخل تحت قوله وحب
الحصيد انواع الشجر والغرس والنبات ثم قوله تعالى وحب الحصيد الحب والحصيد وهو الحب نفسه لكن
اضاف الحب الى الحصيد ويجوز مثل هذا كما يقال صلوة الاولى ومسجد الجامع وقال بعضهم هما غيران
الحب ما يخرج منه والحصيد ما يحصد من القصب الذى يصير تبنا لان الحب لا يحصد وانما يحصد الساق
منه لذلك انما اضاف الحب الى الحصيد وهو شجرة وقوامه به لذلك اضافه اليه كما يقال ثمر الشجر ونحو ذلك
وقوله عز وجل والنخل باسقات لها طلع نضيد قوله والنخل باسقات اى طوال يقال بسق
الشئ بسوقا اذا طال وقال ابو عوسجة باسقات اى حوامل يخبر الله عز وجل عن بركة الماء انه
بلطفه جعل الماء بحيث يظهر بركته ونماؤه واثره على راس النخل وان طال لسقى الاصل لما جعل فيه
من البركة والمعنى ما يظهر ذلك ولا يعلم حقيقة ذلك المعنى وقوله لها طلع نضيد اى منضود
والطلع اول ما يخرج من النخل فيحمل والتنضيد هو التاليف والتركيب اى يؤلف بعضه الى بعض
ويركب ويسمى ذلك كفرى واذا نضج استوجب الطلع ويعرف وصار رطبا وقال ابو عوسجة نضيد
اى متراكم بعضه على بعض والمثل المتراكم يقال له منضود والتنضيد هو جعل بعضه فوق بعض ونضد
الشئ بنفسه فهو نضيد وقيل نضيد اى كثير وقوله عز وجل رزقا للعباد اخبر ان ذلك كله
انما انبته واخرجه رزقا للعباد وقوله عز وجل فاحيينا به بلدة ميتا اى بالماء بلدة ميتا اى احيى بالماء
كل بلدة ميت وكل بقعة ميتة وكل غرس فصار بحيوته كل حى وبما كل شئ ثم قال كذلك الخروج
اى كما قدر على احياء ما ذكر من الارض بعد موتها واحياء النبات والغرس وكل شئ بعد موته بذلك الماء
فعلى ذلك قادر على احيائكم بعد موتكم وبعد ما صرتم ترابا ولا يعجز فى احياء ما ذكر كله من الارض
والنبات والغرس ان لم يكن اكثر لم يكن دون ما فى احياء الناس من بعد موتهم فاذ قد عرفوا قدرته
فى احياء ما ذكر واقروا به كذلك لزمهم ان يقروا به فى احياء كل شئ والله الموفق وقوله عز وجل كذبت
قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل
كذب الرسل فحق وعيد ذكر هذه الانباء لوجهين احدهما يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم
على اذى قومه وتكذيبهم اياه كما صبر اولئك يقول انك لست باول رسول كذبه قومه بل كان
قبلك رسل كذبهم قومهم فصبروا على ذلك فاصبر انت ايضا وهو كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل والثانى يحذر قومه ان ينزل بتكذيبهم اياه وسوء معاملتهم به كما نزل بمن ذكر
من الاقوام بتكذيبهم وسوء معاملتهم وعلى هذين المعنيين جميع ما ذكر فى القرآن من الانباء والله اعلم
ثم اصحاب الرس اختلف فى الرس هو بئر دون اليمامة وكان عندها اقوام كذبوا رسلهم فاهلكهم الله
وقيل الرس هو الوادى وقال بعضهم الرس هو خد خدود وجعلوا فيه النار واحرقوا فيها نبيهم عليه السلام
وقال بعضهم سموا بذلك لانهم رسوا نبيهم عليه السلام فى البئر وقال بعضهم هم قوم الرسل الذى
ذكرهم فى سورة يس بقوله تعالى فارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم
مرسلون وعن الاصم انه قال الرس كل موضع حفر فيه ولذلك سمى الخد خدا لجرى الدمع عليه والله اعلم
وقوله واخوان لوط اى قوم لوط وقوله وقوم تبع قيل انه كان رجلا مسلما صالحا مدحه الله تعالى
وذم قومه سمى تبعا لكثرة اتباعه ولا حاجة بنا الى تفسيره انه من كان وما اسمه كما ذكر بعض اهل التاويل
لما لم يذكر فى القرآن ولم يثبت بالتواتر فلا نزيد على ذلك القدر احترازا عن الكذب والله اعلم وقوله
عز وجل كل كذب الرسل فحق وعيد يخوف اهل مكة ان اولئك الذين ذكرهم جميعا قد اهلكوا بتكذيبهم الرسل

مما يحفظ السنة يعرف جميع ما ذكر فى القرآن من الانباء

احترازا عن الكذب

عليهم السلام فحق عليهم الوعيد بذلك فعلى ذلك يحق عليكم ذلك الوعيد بتكذيب الرسول والله اعلم وقوله عز وجل افعيينا بالخلق الاول هو يخرج على وجهين احدهما افعيينا اى اعجزنا عن خلق اى عجز حيث لم نعجز عن الخلق الاول فكيف تنسبونا الى الخلق عن الخلق الثانى والثانى افعيينا اى اجهلنا وخفى علينا تدبير الخلق الثانى وابتداء تدبير الخلق الاول وانشاؤه اشد عندكم من اعادته والاعادة عندكم اهون فاذا لم يعجز عن ابتداء انشائه ولم يجهل ولم يخف علينا الابتداء فانى يعجز عن الاعادة ثم قال بعضهم الخلق الاول هو آدم عليه السلام وقال عامتهم هو ابتداء خلقهم والله اعلم وقوله عز وجل بل هم فى لبس من خلق جديد اى هم فى شك واختلاط من خلق جديد لما تركوا النظر فى سبب المعرفة ليقع لهم العلم بذلك وقوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه هو يخرج على وجهين احدهما يقول على علم منا يحدث به نفسه ويوسوس من انواع الحديث والوسوسة لا عن جهل وخفاء عن ذلك فان هو كفها وحبسها عما يدعوا به اليه نفسه ويهواه ويصرفها الى ما يدعوه عقله وذهنه نجا وفاز لقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى وقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وان تركها حتى تمادى فى هواها هلك قال الله تعالى واما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وقال فى آية اخرى ارايت من اتخذ الهه هواه ونحوه كثير فى القرآن والثانى يذكر ولقد خلقنا الانسان ونعلم بما توسوس به نفسه اى نحن مطلعون على ذلك ليس علم ذلك الى الحفظة ولا هم يتولون كتابته اعلم يجعل ذلك الى احد انما ذلك الى الله تعالى هو العالم بذلك وهو المطلع عليه دون الملائكة وانما الى الملائكة ما يلفظه ويعمل بالجوارح لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال فى آية اخرى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اخبر ان الحفظة انما يعلمون ما تفعلون ظاهرا اما ما يسرون فى قلوبهم فالله هو المطلع على ذلك العالم ليكونوا ابدا على اليقظة والحذر والله اعلم وقوله عز وجل ونحن اقرب اليه من حبل الوريد يفهم من قرب الرب تعالى الى العبد ما يفهم من قرب العبد الى الله تعالى وانما يكون قرب العبد الى الله تعالى بالطاعة له والقيام بامره والانقياد والخضوع له هذا هو المفهوم من قرب العبد الى الله تعالى لا قرب شئ لآخر فعلى ذلك يفهم من قرب الله تعالى الى العبد الاجابة له والنصر والمعونة والتوفيق على الطاعات وعلى ذلك ما يقال فلان قريب الى فلان لا يعنون قرب نفسه من نفسه فى المكان ولكن يعنون نصره له ومعونته اياه واجابته ويحتمل ان يذكر القرب منه كناية عن العلم باحواله ظاهرا وباطنا والله اعلم واصله ان يعتبر الاحوال فيما ذكر من القرب فان كان فى السؤال فالمراد انه قريب منه بالاجابة له اى يجيبه كقوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وان كان فيما يسرون ويضمرون فيفهم من القرب فى تلك الحالة العلم به كقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم الآية فعلى ذلك قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون يفهم منه النصر والمعونة او العلم فيكون قوله ونحن اقرب اليه اى اعلم به واولى ولحق من غيره فى النصر والمعونة واولى به فى الاجابة والله اعلم وعلى ذلك يخرج ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من تقرب الى شبرا تقربت منه شبرين على ما ذكرنا من قرب الطاعة له وقرب الرب اليه بالنصر والمعونة لا قرب المكان ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل حبل الوريد قال بعضهم عرق العنق والوريد العنق وقال بعضهم هو عرق بين العلبا والحلقوم وقال بعضهم هو عرق القلب معلق به فاذا قطع ذلك العرق يموت الانسان والله اعلم وقوله عز وجل اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اى اذكر يلقى المتلقيين او احفظ تلقى المتلقيين او احذر تلقى المتلقيين وهما الملكان المسلطان على اعمالك واقوالك اذ يتلقيان منك اعمالك واقوالك ويحفظان عليك ويكتبان يذكر هذا ويخبرهم

ما فى القلب يطلعه الله لا الحفظة

ما يحفظ السنة فى قرب العبد الى الله وعكسه

ان عليهم حافظا ورقيبا وان كان هو تعالى حافظا لجميع افعالهم واقوالهم عذابه بحفظ الملائكة وكتابتهم وعدم ذلك بمنزلة فى حق الله تعالى لكن يخرج الامر للملائكة بحفظ اعمالهم وكتابة ذلك على وجوه من الحكمة احدها ليكونوا على حذر ابدا مما يقولون ويفعلون على ما يكون من الشاهد من علم ان عليه حافظا ورقيبا فى امر يكون ابدا على حذر وخوف من ذلك الامر وذلك ما ذكرنا وادعى الى الانتهاء عن ذلك فعلى ذلك اذا علم العبد ان عليه حفيظا ويكتب ذلك عليه وانه يكلف تلاوة ذلك المكتوب بين يدى الله تعالى يستحيى من ذلك اشد الاستحياء يكون ذلك ازجر له وابلغ فى المنع والا فكان احصاء ذلك على الله تعالى مع الكتاب وغير الكتاب سواء اذ هو عالم بذاته لا بالاسباب وهو تأويل لا يضل ربى ولا ينسى والله اعلم والثانى من الحكمة امتحان الملائكة بحفظ اعمال بنى آدم واقوالهم وكتابة ذلك فيمتحنهم لذلك وامرهم به والله ان يمتحن الملائكة من شاء منهم بالتسبيح والتعظيم ومن شاء منهم بالركوع ومن شاء بالسجود ومن شاء بحمل العرش والكرسى ومن شاء بحفظ بنى آدم ومن شاء منهم بسوق السحاب وانزال المطر مما فى ذلك منافع بنى آدم ويكون ذلك كله بحق العبادة ليعلم ان من امتحن منهم بالركوع والسجود والتسبيح والتكبير والتهليل لم يمتحنهم بذلك لمنافع يرجع اليه فى ذلك ولكن يمتحنهم بما شاء وفيم شاء ويكون ذلك كله عبادة وان اختلف انواعه فعلى ذلك امره اياهم بحفظ اعمالهم واقوالهم وكتابتها والله اعلم والمحنة بحفظ تلك الاعمال والاصوات وكتابتها اشد من محنة غيرهم من الملائكة بالركوع والسجود او القيام او التكبير والتهليل ونحو ذلك ومن محنة بنى آدم من اقامة العبادات والامتناع من المحرمات ونحوها اذ لو اجتمع الخلائق على معرفة كيفية عمل واحد ما قدروا عليه فدل ان هذا التأويل محتمل والثالث وهو ان الله تعالى اخبرهم بكتابة الملكين اعمالهم وبقعودهم عن اليمين والشمال لم يعاين ذلك احد من البشر اياهم ولو رأى كتابهم ولا سمع صوت كتابتهم وقد اقدرهم على العلم بما فى ضمائرهم وكتابة ذلك كله واقدرهم على رؤيتنا ولم يقدرنا على رؤيتهم وهم اجسام مرئية ليعلموا بذلك قدرة الله تعالى على ما شاء من الفعل وان لا يقدر واقوة كل خلق الله تعالى بقوة انفسهم ولا رؤية غيرهم برؤية انفسهم وان قوة الرؤية يختلف باختلاف الاوقات والاشخاص فان الملائكة يروننا ولا نراهم فى الدنيا وان كانوا اجساما مرئية حيث يرى بعضهم لبعض ثم اخبر وقال ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اخبر انه يرى ذلك الكتاب فى الآخرة وان كان لا يراه فى الدنيا وكذا يرى الملائكة فى الآخرة وهذا لان هذه البنية لا يحتمل اشياء لضعف فيها وحجاب يكون فى ذلك فى الدنيا ثم يحتمل ان يكون فى الآخرة اقوى فى احتمال ذلك فيبصره فى الآخرة وفى هذا رد قول المعتزلة فى انكارهم رؤية الله تعالى انه لو كان يرى لرئى فى كل مكان على ما يرى الملائكة فى الآخرة دون الدنيا ونحو ذلك فعلى ذلك رؤية الله ثم القراءة العامة اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه اذ يتلقى الملقيان عنه عن اليمين وعن الشمال فعلى قراءته يخرج تأويل الآية على وجه واحد اى يأخذ الملكان عن ابن آدم ما فعلوا وقالوا على قراءة العامة يخرج على وجهين احدهما ان يأخذ الملكان عنه ما ادى اليهما من قول او فعل والثانى ان يتلقى احد الملكين عن الآخر ما لقى عليه ذلك الملك على ما روى عن ابى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب اليمين على صاحب الشمال واذا عمل العبد سيئة قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها سيئة واحدة ويجوز ان يكون احدهما كاتبا دون الآخر وان كانا يتلقيان ويأخذان منه ذلك لما ذكر فى آية اخرى حيث قال وقال قرينه هذا ما لدى عتيد ولم يقل سواء قال قريناه ويجوز ان يكون المتلقيان جميعا يكتبان على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كاتبان كاتب

حكمة كتابة الاعمال

رؤية الملائكة فى الآخرة بقوة غيرهما

عن يمينه وكاتب عن يساره فيكتبان الحسنات والسيئات ثم يرفعان الى من فوقهما كل اثنين وخميس
فيثبتون من ذلك من ثواب وعقاب ويلقون ما سوى ذلك وروى ايضا عنه وعن غيره من اهل التاويل
انهما يكتبان ما كان من خير وشر وما سوى ذلك فلا ولكن ظاهر الكتاب يدل على انه يكتب كل شيء وهو قوله
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان يقال المراد هو قول هو سبب الثواب والماثم كما قال في اية اخرى
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي لا يغادر صغيرة من الماثم ولا كبيرة منها الا مطلق صغاير
الاشياء وكبايرها فعلى ذلك هنا والله اعلم ثم جعل المتلقيين اثنين يحتمل على ما جعل في الشهادة
اثنين فيما بينهم في الاحكام والحقوق ليشهدا عليه في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد في ظاهر الاية ان الملايكة انما يكتبون ظاهر الاقوال والافعال الا في الضماير
لكنه غير مستنكر في العقول ان يكون الله تعالى اقدرهم على العلم بما في ضمايرهم فيعرفون ذلك ويكتبون
ولكن ظاهر الاية يشير الى ما قلنا والله اعلم ثم قوله عز وجل عن اليمين وعن الشمال قعيد قال القتبي
اراد قعيدا من كل جانب منهما الا انه اكتفى بذكر الواحد اذ كان دليلا على الاخر وقعيد بمعنى قاعد
كما يقال قدير وقادر ويكون بمنزلة الكيل وشريب اي مواكل ومشارب قعيد اي مقاعد وبه قال
ابو عوسجة قعيد من المقاعدة كما يقال قعيدي وجليسي والله اعلم وقوله عز وجل رقيب عتيد الرقيب
الحفيظ والعتيد الحاضر اي ليس بغايب حتى يغيب عنه شيء والله اعلم وقوله عز وجل وجاءت سكرة الموت
بالحق قال ابو عوسجة سكرة الموت اي شدته يخبر انه لا بد ان ينزل بالنفس عند الموت شدة ومشقة
ثم الاية يخرج على وجهين احدهما ان يجري على ظاهرها في الماضي اعني لفظة جاءت اي جاءت سكرة
الموت على الذين كانوا من قبلكم فوجدتهم غير متاهبين ولا مستعدين له والله اعلم والثاني ان يكون
قوله وجاءت بمعنى يجيء وكذلك وجاءت كل نفس معها سايق وذلك جايز في اللغة وقوله عز وجل
بالحق اي من اهل الشقاوة ومن اهل السعادة يقول عند ذلك يتبين له ويظهر انه من اهل السعادة
او من اهل الشقاوة او من اهل الجنة او من اهل النار واصله عندنا ان الحق هو ما وعد كل نفس من خير
وما اوعد كل نفس من الشر ان كان مومنا وقد وعد له الجنة فيحقق له ذلك وان كان كافرا وقد اوعد
النار فيحقق له ذلك ويحتمل ما ذكر من الحق ها هنا هو الموت نفسه اخبر انه لا بد من الموت وانه كاين
لا محالة وهو كقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يقول لم يخلق الخلق للخلود في الدنيا ولكن للاخرة
فلا بد من الموت والله اعلم وقوله ذلك ما كنت منه تحيد يحتمل وجهين احدهما ان ما كنت تكره مجيئه
وتنكره ولم تومن به وهو البعث ويوم القيامة الذي ينكرونه ويكرهونه والثاني يحتمل الموت نفسه اي ذلك
ما كنت تكره وتفر منه اذ هم كانوا يكرهون الموت ويفرون منه فانه ملاقيكم اي ياتيكم من حيث لا مفر
كقوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي ياتيكم من حيث لا مفر لكم عنه ثم الحيد هو الميل
والكراهة وقال ابو عوسجة الحيد الفرار يقال حاد يحيد حيدا فهو حايد وقوله عز وجل ونفخ في الصور
ذلك يوم الوعيد يحتمل ان يكون اراد النفخة الاولى وهي النفخة التي يفزع عنده اهل السموات والارض
فيموتون ويحتمل ان يريد النفخة الثانية التي عندها البعث وادخال الارواح في الاجساد ويحتمل ان يريد
عند ما يوضع كل واحد في القبر وهو ان يسال على ما جاءت الاخبار من سوال المنكر ونكير وذلك ايضا
هو يوم الوعيد في حق ذلك الرجل وهذا للكافر خاصة وقوله عز وجل ذلك يوم الوعيد اي ذلك
يوم وقوع الوعيد اذ يوم الوعيد الدنيا فاما القيامة فهو يوم وقوع الوعيد وتحققه والله اعلم وقوله
عز وجل وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد قال بعضهم السايق الذي يقبض روحه والشهيد الذي يحفظ
عمله وقال بعضهم السايق هو الملك الذي يكتب عليه سيئاته والشهيد هو الذي يكتب حسناته وقيل

السايق هو النار التي ياتي فيسوق الكفرة الى المحشر والشهيد هو عمله الذي عمل في الدنيا وقيل
السايق الكاتب والشهيد جوارحه بقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم الاية واصله ما ذكر في قوله
وسيق الذين كفروا وسيق الذين اتقوا ذكر السوق في الفريقين وذكر في الكفرة احشروا الذين ظلموا
وازواجهم وقال عز وجل ويوم يحشر اعداء الله الى النار فالسايق هو ملك يسوق الى ما اعد من الجنة
او النار والشهيد هم الملايكة الذين يكتبون علينا الاعمال فيشهدون في الاخرة ان كان شرا فشر
وان كان خيرا فخير والله اعلم بحقيقته ما اراد وان كان ما قالوا محتمل والله اعلم وقوله عز وجل
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد يقول لقد كنت في الدنيا
في غفلة من هذا تعاين وتشاهد او في غفلة مما اوعدت من المواعيد والشدايد التي عاينتها
فكشفنا عنك غطاءك اي كشفنا عنك الشبهة التي يمنع وقوع العلم به والحقيقة فبصرك اليوم
حديد اي ثاقب نير يبصر الحق كقوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وقيل حديد من الحدة اي نافذ
لا يخفى عليه شيء فكانه اراد والله اعلم انك كنت في الدنيا جاهلا عن هذا اليوم وعن هذه الحال والان
قد عاينت ما كنت عنه في غفلة وايقنت به وهو كقوله عز وجل لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين
وقوله عز وجل قال قرينه هذا ما لدي عتيد اي يقول الملك الذي كان عليه رقيبا اي كل ما عمل
فهو عندي حاضر من تكذيب وعمل السوء فيشبه ان يكون شهادة الحفظة عليه هذا القول ويحتمل ان يكون
ذلك على السوال للملايكة عما كتبوا وحفظوا يقول كل ملك هذا ما لدي عتيد اي هذا الذي عمل هذا
عندي حاضر محفوظ اذ الكتاب الذي كتبت فيه اعماله حاضر ثم جايز ان الذي يكتب الاعمال لكل واحد
على هذا حيث قال وقال قرينه ولم يقل قريناه وان كان قال اذ يتلقى المتلقيان على ما ذكرنا انهما ملكان
لكن يجوز ان يتولى الكتابة واحد والاخر شاهد وجايز ان يكونا يكتبان جميعا بقوله كراما كاتبين لكنه
ذكر ها هنا بجمعها للتوحيد فقال وقال قرينه لما يقول كل واحد منهما ذلك على حدة وهو كما ذكرنا في قوله
عن اليمين وعن الشمال قعيد اي كل واحد منهما قعيد والله اعلم وقوله عز وجل القيا في جهنم كل كفار عنيد
يحتمل ان يكون الخطاب بقوله تعالى القيا لاثنين على ما هو ظاهر الصيغة الذي يسوقه والذي يشهده
عليه حيث قال وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد كان الامر بذلك لهما ويحتمل ان يكون المراد بالخطاب هو
القرين الذي سبق ذكره وقال قرينه هذا ما لدي عتيد لكن قال القياه لوجهين احدهما ما قيل ان العرب
قد يذكر حرف التثنية على ارادة الواحد والجماعة والثاني ما قال بعضهم ان المراد من قوله القيا الق الق
على التاكيد كقوله تعالى هيهات هيهات على الوعيد في الذم ويقال في المدح بخ بخ ونحو ذلك على التاكيد والله اعلم
وقوله عز وجل كل كفار عنيد يحتمل كل كفار لنعم الله تعالى حيث صرف شكرها الى غيره او كل كفار لتوحيد الله
وتسميته غيره الها والعنيد قال بعضهم هو الذي بلغ في الخلاف غايته والمخالف اشد الخلاف من عند
يعند عنودا فهو عاند وعنيد بمعنى عاند وقيل هو الذي لا ينصف من نفسه وقيل هو الذي يكابر ويعاند
بعد ظهور الحق له والله اعلم وقوله عز وجل مناع للخير يحتمل وجهين احدهما مناع عن الخير وهو من منع
غيره عن التوحيد وقبول الحق والثاني مناع للخير اي منع ما عنده من الحقوق التي وجبت في امواله
ونفسه وقال بعض اهل التاويل اراد به الوليد بن المغيرة المخزومي لكن هذا عام في كل كافر كقوله
عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فلا معنى لتخصيص احد
وقوله عز وجل معتد مريب المعتدي من الاعتداء وهو المجاوز عن حدود الله تعالى والمريب الريبة
وهو الشك والفساد فكان المريب هو الذي فيه الشك والفساد جميعا ثم نعت ذلك الانسان فقال
الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد اي وصف وذكر مع الله الها اخر وهو كقوله تعالى

العرب يذكر التثنية ويريد التوحيد مما يصحح

كلمة مدح بخ بخ

ويجعلون لله البنات وقوله تعالى وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى قالوا و وصفوا انهم اناث
والا يملكون جعلوا ذلك حقيقة وقوله عز وجل والقياه فى العذاب الشديد وصف نار جهنم بالشدة
لانه لا انقطاع لها وكل عذاب يرجى انقطاعه فى بعض الازمان ففيه بعض الراحة والله اعلم وقوله عز وجل
قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد اى قال شيطانه الذى اضله ودعاه الى ما دعا فضله
قرينه فى الاخرة لقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ويحتمل قرينه احد فيقه
الذى كان معه يتبعه ويصدر عن رأيه ثم هذا القول من قرينه انما كان بعد ان كان منه انكار ربما كان منه
من الكفر والشرك عن اختيار وقال هذا الذى اضلنى واطغانى وهو الذى حملنى عليه كقولهم هولاء اضلونا
فاتهم عذابا ضعفا من النار فيقول رفيقه ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد وكانت الكفرة
لحيرتهم وقلة حيلتهم احيانا ينكرون الشرك كقوله والله ربنا ما كنا مشركين وقوله عز وجل يوم يبعثهم الله
جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم قال الا انهم هم الكاذبون واحيانا يقولون هولاء اضلونا واحيانا
يلعن بعضهم بعضا وقوله عز وجل ربنا ما اطغيته اى ما قهرته على الضلال ولا لى قوة ذلك ولكن تبعنى
على ما كنت نافذا واطاعنى من غير ان يكون منى اكراه واجبار على ذلك وهو ما ذكر ولكن فى ضلال بعيد
اى كان فى ضلال لا يرجى الرجوع ولا الانقطاع وقال بعض اهل التاويل ان ذلك الكافر يكذب الحفظة
بانهم كتبوا ما لم اعمل وهم كانوا يكذبون فى ذلك اليوم لحيرتهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين فقال
قرينه وهو الذى يكتب اعماله ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد لكن هذا فاسد وهذا القول
من الشيطان لا من الملايكة الاطغا والاغوا اذ هم لا يدعون على الملايكة الاطغاء والاغواء الا ترى
انه قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد واختصامهم مع الشيطان كما اخبر عز وجل فى غير اى
من القران قال الله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وقوله عز وجل وقال الشيطان لما قضى الامر الى قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم الاية فهذه للخصومة بينهم وبين قرنايهم وهم الشياطين ومن يكره الشيطان له قرينا فساء قرينا والله اعلم وقوله عز وجل لا تختصموا لدى خصومتهم ما ذكرنا قالت لا تباع ربنا هولاء اضلونا
وما ذكر من لعن بعضهم على بعض ومن تبرى بعض عن بعض فقال تعالى عز وجل لا تختصموا لدى وقد قدمت
اليكم بالوعيد اى قد قدمت اليكم من الوعيد فى الدنيا فانقطع خصوماتكم هذه اى بينت فى الدنيا ما يلحق
بمن ضل بنفسه ومن ضل بغيره كان هولاء الكفرة يطلبون وجه الاعتذار بما لا عذر لهم فلذلك
يقال لهم لا تختصموا وقد قدمت اليكم بالوعيد اى ارسلت اليكم الرسل ومعهم الكتب وفيها الوعيد فلم تقبلوا
ذلك كله فان قيل قال هاهنا لا تختصموا لدى وقال فى موضع اخر ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
وبين الايتين مخالفة من حيث الظاهر فما وجه التوفيق بينهما قيل من وجوه ثلاثة احدها قال بعضهم
قوله لا تختصموا لدى فى اهل الكفر خاصة وقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فى اهل القبلة
وهو فى المظالم التى كانت بينهم فى الدنيا والثانى ما قال بعضهم بان احدى الايتين فى موضع والاخرى
فى موضع فيؤذن لهم بالكلام فيه حتى يكون جمعا بين الايتين وهو كقوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه
انس ولا جان وقال فى اية اخرى ولا يتساءلون وقال فى اية اخرى يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر
فعلى ذلك هذا والثالث جاين ان يكون قوله تعالى لا تختصموا لدى فى الدين فيما بينهم وبين ربهم فى دفع
عذاب الله عن انفسهم وذلك لا يملكون ولا ينفعون به واما قوله تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
فيما بين انفسهم فى المظالم والغرامات والله اعلم وقوله عز وجل ما يبدل القول لدى هذا يحتمل وجوها
احدها ما يبدل ما استحق كل واحد منكم من العذاب والثواب ما سبق منى من الوعد والوعيد فى الدنيا

بان لجعل جزاء الكافر الجنة وجزاء المؤمن النار اذ قد سبق وعدى ووعيدى بان اجعل الجنة
مثوى المؤمنين والنار مثوى الكافرين فلا يبدل ذلك الوعد والوعيد والثانى ما يبدل القول لدى
يحتمل ان يراد به قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين والثالث اى لا يبدل اليوم ما يستوجب
الجنة والخلود فيها وهو الايمان عن غيب كما اخبر تعالى عز وجل من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب
الاية فاما الايمان بعد العيان لا ينفع كما اخبر عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا الاية وقوله
عز وجل وما انا بظلام للعبيد اى فى العقل والحكمة تعذيب من اتى بالكفر والشرك فيكون ترك
تعذيبه سفها وقوله عز وجل يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد هذا يخرج على وجهين
احدهما على تحقيق القول من الله تعالى لجهنم هل امتلات وعلى تحقيق القول من جهنم والاجابة له هل
من مزيد وذلك جايز ان ينطق الله تعالى جهنم حتى تجيب له بما ذكر هل من مزيد على ما ذكرنا من شهادة
الجوارح عليهم والنطق منها للكل حتى اجابت الجوارح لهم لما قالوا لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى
انطق كل شئ وعلى ذلك ما ذكرنا فى قوله جل وعلا يا جبال اوبى معه والطير ونحو ذلك ومثل هذا
غير مستنكر فى العقول على تقدير احداث الحيوة فيها التى هى شرط النطق عن علم والله اعلم والثانى
على التمثيل لا على التحقيق القول لها هل امتلات ولا على تحقيق الاجابة منها هل من مزيد ولكن على التمثيل
لوجهين احدهما اى ان جهنم لو كانت بحيث ينطق ويستمع وتعلم لو قلت لها هل امتلات فيقول
هل من مزيد يخبر عن انقياد المخلوقات له والطاعة والاجابة وهو ما ذكرنا فى قوله عز وجل وغرتهم
الحيوة الدنيا لا يكون من الدنيا حقيقة التغرير قولا ولا فعلا ولكن معناه انها حال من التزين
وما فيها من الشهوات لو كان لها تمييز وعقل لغرتهم والله اعلم والثانى وصف لها بالعظم والسعة
واخبار عن انها يحتمل المزيد وان جمع من الكفرة ما لا يحصى عن التمثيل وهو كقوله تعالى لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وكذلك قوله جل وعلا وغرتهم الحيوة الدنيا وصف بالتزين
والحسن الظاهر ما لم يتامل الناظر فيها العاقبة لاغتر بها من حسنها وزينتها فعلى ذلك هذا والله اعلم
ثم قوله هل من مزيد يخرج على وجهين احدهما هل بقى من احد يزاد فى فانى قد امتلات وليس فى سعة
تحتمل غيرها والثانى فهل من مزيد اى فى سعة عظيمة فهل من زيادة خلق امتلاء بها لان الله تعالى وعد
ان يملا جهنم كما قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فتسال المزيد من ربها لتمتلئ والله اعلم
بذلك وقال بعض اهل التاويل بانها تسال الزيادة حتى يضع الرحمن قدمه فيها فيضيق باهلها حتى
لا يبقى فيها مدخل رجل واحد وروى خبرا عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى ذلك وانه فاسد وقول بالتشبيه وقد قام الدلايل العقلية على ابطال التشبيه فكل خبر ورد
مخالفا للدلايل العقلية يجب رده ومخالف لنص التنزيل وهو قوله عز وجل ليس كمثله شئ ثم هذا الخبر
على قول المشبهة على ما توهموا مخالف للكتاب لان الله عز وجل قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وعندهم لا يمتلى بهم ما لم يضع الرحمن قدمه فيها ثم ذكر البلخى ان مدار ما ذكروا من الحديث على حماد
ابن سلمة وكان خرفا مفتتنا فى ذلك الوقت لم يجز ان يؤخذ منه مع ما روى فى خبر انس رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يا تى الله تعالى ببشر فيضع فى النار حتى يمتلى فهذا يحتمل
لما راوا والله الموفق وقوله عز وجل وازلفت الجنة للمتقين اى قربت وذكر فى اية اخرى وسيق الذين اتقوا
الى الجنة زمرا ذكر هاهنا بتقريب الجنة الى اهلها وذكر ثم سوق اهل الجنة اليها فبين الايتين مخالفة
من حيث الظاهر ولكن يحتمل وجهين احدهما ان اهل الجنة اذا قربوا منها بالسوق اليها قربت هى اليهم
لان احد الشيئين اذا قرب الى الاخر قرب الاخر منه ويزول البعد بزوال المسافة وذلك معروف

ما يحفظ الحكمة ترك تعذيب الكافر سفه

تغرير الدنيا

كل خبر ورد مخالفا للدلايل العقلية يجب رده

ويحتمل ان يكون اخبارا عن وصف الجنة انها بحال يقرب الى اهلها وتزلف ذكر في الجنة التقريب وفي النار البروز والظهور بقوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين والله اعلم ان اهل النار كانوا يجحدون النار ويكذبونها فبرزت الجحيم ليروها ويطلعون عليها وهو كقوله عز وجل لترون الجحيم فاما اهل التوحيد فانهم كانوا يقرون بالجنة ولكن لا يرون انفسهم من اهلها لما يدرون منهم من الخطايا والزلات ويرونها بعيدة من انفسهم فذكر الله تعالى التقريب لهم ووعدهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل غير بعيد اى غير بعيد منهم بل بحيث يرونها وقت وقوفهم في القيامة والله اعلم والثاني اى غير بعيد منهم ما في الدنيا اى يأتونها ويكونون من اهلها عن قريب لانه كل آت فكان قد اتى والله اعلم ويحتمل اى غير بعيد منهم ما في الجنة اذا دخلوها من الثمار والفواكه بل قريب منهم يتناولون كيف شاؤا والله اعلم وقوله عز وجل هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ الاواب الرجاع من الاوبة وهي الرجوع فمعناه لكل رجاع الى الله تعالى في كل وقت ورجاع الى امره وطاعته وقوله عز وجل حفيظ اى يحفظ نفسه عن المعاصي والزلات سرا وعلانية ولكل حافظ لحدوده في اوامره ونواهيه وهو كقوله تعالى للمتقين وللمحسنين اذ التقوى هو الايتمار بما امر والامتناع عما نهى وحظر والاحسان هو العمل بجميع ما يحسن في العقول وقوله عز وجل من خشي الرحمن بالغيب اى خاف وحذر بما اوعد ثم يخرج على وجهين احدهما اى من خشي الرحمن بالغيب اى قبل ان يرد على ظاهر ما ذكر والثاني اى من خشي الرحمن في الدنيا التي هي حال غيب الدلايل بالمواعيد التي اوعدها وحذر عنها قبل ان يعاينها اذ هو لم ير ذلك العذاب فيصدقه فيما اوعد وخافه وهو كقوله تعالى ويحذركم الله نفسه اى عقوبته ونقمته والله اعلم وقوله عز وجل وجاء بقلب منيب والمنيب هو المقبل على الله تعالى بجميع اوامره ونواهيه المطيع له في ذلك كله وقوله عز وجل ادخلوها بسلام كانه على الاضمار اى يقال لهم ادخلوها بسلام الملائكة اى يسلم الملائكة عليهم وقت دخولهم الجنة كقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين والثاني السلام هو اسم من اسماء الله تعالى فيقال لهم ادخلوها باسم الله على ما هو الاصل وفي كل خير انه يبتدأ باسم الله تعالى امتثالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو ابتر وقال بعضهم ادخلوها بسلام اى سالمين عن الخوف والحزن لا آفة تصيبكم فيها وهو قوله ادخلوها بسلام آمنين من الخوف والحزن ويحتمل اى ادخلوها ولا كلفة عليكم ولا امر ولا محنة سوى الثناء على الله تعالى والحمد له وتسليم بعضكم على بعض بل يسقط عنكم جميع المحن والاوامر التي عليكم في الدنيا وذلك قوله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وكانه لا شيء الذي في الدنيا على اهل الايمان من الثناء على الله تعالى وتسليم بعضهم على بعض فلذلك ابقى ذلك في الجنة واسقط ما وراء ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ذلك يوم الخلود يحتمل اى ذلك يوم الخلود لاهل الجنة بالسرور والراحة ولاهل النار بالعقوبة والعذاب ويحتمل اى يوم لا انقطاع لذلك الذي وعدوا وهي الجنة والله اعلم وقوله عز وجل لهم ما يشاؤن فيها اى لهم ما يختارون فيها لا يجبرون ولا يكرهون فيها على شيء اذ المشية هي صفة كل فاعل مختار وان كانت المشية مشية التمني والتشهي فكانه قال لهم ما يتمنون ويختارون لقوله لكم فيها ما تشتهي انفسكم وقوله عز وجل ولهم ما يشتهون والله اعلم وقوله عز وجل ولدينا مزيد قال بعض اهل التأويل بانه يأتيهم سحابة فيمطرهم كل ما يشاؤن وذلك هو المزيد لهم في الجنة وقال بعضهم بانه تنبت لهم شجرة فينفطر لهم كل ما يشاؤن فذلك هو المزيد لكن يحتمل وجهين احدهما النظر الى رؤية الرب جل وعلا وهو كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قيل الزيادة هو رؤية الله تعالى في الجنة والثاني اى لدينا مزيد من نعيمها ما لا يبلغ تمنيهم وشهواتهم كقوله عليه السلام في صفة نعيم الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان الاماني والشهوات انما يكون لما سبق لجنسه في الذي

يقع عليه

يقع عليه الرؤية والنظر والخبر فاما ما لا معرفة له فلا يتمنى ولا يشتهى والله اعلم وقوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص هذا يخرج على وجهين احدهما يقول كم اهلكنا قبلهم من قرن لم يملكوا دفع ذلك عن انفسهم ولا الانتصار عن ذلك فكيف يملك قومك دفع ما ينزل بهم لو اصروا على التكذيب والثاني يقول قد اهلك الذين كانوا قبل قومك الذين كذبوا رسلهم اهلكوا اهلاك عقوبة وتعذيب والذين صدقوا اهلكوا باجالهم لا اهلاك عقوبة وقد كانوا جميعا المصدقين والمكذبين سواء في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما والله اعلم وقوله عز وجل فنقبوا في البلاد قال ابو عوسجة فنقبوا في البلاد هل من محيص اى صاروا في البلاد هل من مفر وقال القتبي فنقبوا في البلاد اى طافوا وتباعدوا هل محيص اى هل يجدون من الموت محيصا اى مفرا ويحتمل اى تقلبوا في البلاد في تجاراتهم فلا يجدون ملجأ يرد به هلاكهم يوعد بما ذكر اهل مكة انهم لم يجدوا محيصا فكيف تجدون انتم وقوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يحتمل وجوها احدها ان في ذلك لذكرى اى عظة لمن كان له قلب والثاني فيما ذكر من اهلاك الامم الخالية وذهاب آثارهم بتكذيبهم الرسل لذكرى لمن ذكر والثالث اى فيما ذكر وان استوى المحسن والمفسد في هذه الدنيا والصالح والطالح لذكرى لمن كان له قلب ان هنالك دارا يميز فيها بينهما وقوله لمن كان له قلب اى عقل وفهم او لمن كان له قلب ينتفع به في التأمل والنظر وانما كنى بالقلب عن العقل لان الناس اختلفوا بعضهم قالوا ان القلب محل العقل وقال بعضهم محله الراس لكن نوره يصل الى القلب فيبصر القلب الاشياء الغائبة بواسطة العقل فكذلك كنى بالقلب عن العقل لمجاورة بينهما وهو سائغ في اللغة وقوله عز وجل او القى السمع وهو شهيد اى يستمع وهو شاهد سمعه وقلبه واصله ان القلب جعل للوعي والحفظ بعد الادراك والاصابة ثم اصلها يقع به العلم والفهم سيان التامل والنظر في المحسوس والثاني ان يلقي اليه الخبر وهو يستمع له فكانه يقول والله اعلم ان في ذلك لذكرى لمن كان قلبه يطلب الرشد والصواب يتامل وينظر ويعي ويحفظ او القى السمع اى يستمع بما القي اليه وهو شاهد السمع والقلب فيكون الذكرى لمن اختص بهذين او ينتفع به هذان الصنفان بالتامل فيرى بالعقل محاسن الاشياء ومساويها او يستمع حقيقة ذلك بالسمع فيتذكر والله اعلم وقوله عز وجل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ثم ذكرنا فيما تقدم تاويل خلق السموات والارض في ستة ايام وقوله وما مسنا من لغوب اى من اعياء وتعب ونصب وفيه نقض قول اليهود لعنهم الله مراحا ونفي اوهام المشبهة في قولهم ثم استوى على العرش ويتبين المراد من قوله عز وجل ثم استوى على العرش اما نقض قول اليهود لعنهم الله فانهم يقولون خلق الله السموات والارض في ستة ايام ثم استراح في يوم السبت وهم يتركون العمل يوم السبت لهذا فالله عز وجل اخبر انه لم يمسه بخلق ما ذكرنا اعياء ولا لغوب على ما زعمت اليهود لعنهم الله فيكون ردا لقولهم صريحا فاما نفي ايهام المشبهة فانهم توهموا ان قوله ثم استوى على العرش على اثر خلق السموات والارض وما بينهما في آية اخرى ان ذلك للراحة فشبهوا الله تعالى بالخلق انهم اذا فرغوا من اعمال عملوها ثم استووا على شيء انما يستوون للراحة فقالوا بالاستواء على العرش حقيقة فالله تعالى نفى التعب عن نفسه في خلق السموات والارض على ان استواءه ليس للراحة حتى يراد به الاستقرار كما في الشاهد بين الخلق وبين تعاليه وبراءته عما توهمت المشبهة وشبهوه بالخلق ويتبين بذكر الاستواء على العرش بعد ذكر خلق السموات والارض على ان المراد منه التمام اى تم ملكه بعد خلق السموات والارض وما بينهما بخلق العرش ويذكر الاستواء ويراد به التمام والله اعلم قال ابو عوسجة اللغوب الاعياء يقال لغب يلغب لغوبا فهو لاغب واصله ما ذكرنا ان خلق الله تعالى الاشياء لا لمنفعة له او حاجة يقع له ولا بالات

والاسباب التى بها يقع التعب والاعياء فى الشاهد اذ الاعياء انما يلحق من فعله الحركة والانتقال والسكون فاما الله تعالى انما يخلق الاشياء بقوله كن ولا يلحقه شئ من ذلك وهو قادر بذاته فاعل لا بالة وسبب فانى يقع له الاعياء والتعب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل فاصبر على ما يقولون اى فاصبر على ما يقولون فيك انك ساحر وشاعر ومجنون ونحوه فامر بالصبر على ذلك وان لا يدعو عليهم بالهلاك ويحتمل فاصبر على ما يقولون فى الله من معانى الخلق فلا تعاقبهم ولا تقاتلهم ولا تدعوا عليهم بالهلاك ولكن اصبر فان الله تعالى ينتقم منهم لك وانما امر بالصبر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سريع الغضب لله تعالى فيما عاين من المناكير وسمع وكذلك جميع الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام لذلك امر بالصبر فيما يقولون فى الله او فيه وقوله عز وجل وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قيل بحمد ربك اى بالثناء على ربك اى ثن عليه بما هو اهله وما يليق واهل التأويل يفسرون التسبيح فى هذا الموضع وفى غيره من المواضع بالصلوة فمعنى قوله تعالى فسبح بحمد ربك اى صل بامر ربك وانما صرفوا التسبيح الى الصلوة لان الصلوة من اولها الى آخرها وصف الرب تعالى بالتعظيم والتنزيه والبراءة عن كل عيب قولا وفعلا ولانه لما قام الى الصلوة فقد فارق جميع الخلايق بما هم فيه وكذلك اذا جئنا للركوع والسجود فارق جميع الخلق فيما هم فيه من الامور واعتزلهم واشتغل بمناجاة ربه جل وعلا فجاز ان يكون تسميتهم التسبيح صلوة لهذا ويحتمل ان تسمى صلوة لما ان فى الصلوة تسبيحا وقوله عز وجل قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قال بعضهم قبل صلوة الفجر وقبل غروبها وقال بعضهم صلوة العصر وقال بعضهم صلوة العصر والظهر لانهما جميعا قبل غروب الشمس وقوله وادبار السجود قال عامة اهل التأويل هما ركعتان بعد المغرب وذلك جائز محتمل ويحتمل ان يكون ادبار السجود ما ذكر فى آية اخرى حيث قال اولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله وتفيؤ الظلال انما يكون بالنهار وهو تسبيح الظلال فمعناه وسبحه وقت ادبار سجود ذلك الظلال والذى اخبر انه يتفيؤ اذ فيئه هو تسبيحه وهو ما ذكر فى قوله تعالى فسبحه وادبار النجوم وادبار النجوم هو ذهاب النجوم فعلى ذلك قوله تعالى وادبار السجود اى سبحه بعد ذهاب سجود الظلال فذلك انما يكون بعد ذهاب الشمس وغيبوبتها والله اعلم وقوله عز وجل واستمع يوم يناد المناد كانه صلة قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون وانتظر يوم يناد المناد ولا تكافيهم ولا تنتقم منهم ولكن اصبر وانتظر ذلك اليوم ثم وقوله يناد المناد يخرج على وجهين احدهما كقوله تعالى يوم يدع الداع الى شئ نكر يوم يناد المناد اى يوم يدعوهم الداعى الى شئ انكروا والثانى ما ذكر من نداء بعض لبعض كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار الآية وقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة يقول عز وجل انتظر يوم ينادون ويدعون الى ما انكروا ويوم ينادى بعضهم بعضا وقوله عز وجل من مكان قريب اى من مكان يسمعون ما ينادون ويدعون ويعرفون ما يراد بالدعاء ومن يراد به اى ينتهى ذلك الدعاء والنداء الى الكل فى نفسه حتى يعرفه وذكر اهل التأويل ان المنادى هو جبرئيل عليه السلام ينادى عند بيت المقدس ينادى ويسمعه كل احد وبيت المقدس ارفع مكان فى الارض وهو يقرب من السماء بكذا كذا ذراعا فهو المكان القريب ولكن هذا لا معنى له فانه يسمع صوته جميع الخلايق وان لم يقم فى ذلك المكان وليس المراد من القريب ما ذكره ولكن على الاسماع فى اى موضع كانوا ومن يسمع شيئا فذلك منه قريب والله اعلم وقوله عز وجل يوم يسمعون الصيحة بالحق الصيحة النفخة او النداء الذى ذكرتم قوله تعالى بالحق يحتمل وجهين احدهما اى يسمعون الصيحة بما اوعدهم الرسل من المواعيد فيتحقق لهم ذلك فى ذلك اليوم ويحتمل بالحق اى يحقق ذلك اليوم لان الرسل عليهم الصلوة والسلام قد اخبروهم بذلك اليوم وهم انكروه

او بالحق الذى لبعضهم على بعض اى يستوفى بعض من بعض ما لهم من الحق فى ذلك اليوم وامروا بالداء المعوق فى ذلك اليوم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك يوم الخروج قيل يوم الخروج من قبورهم وقيل يوم الخروج والبروز الى الله تعالى وقوله عز وجل انا نحن نحيى ونميت اى نحيى الموتى ونميت الاحياء اى نحن نملك ذلك لا يملك احد ذلك غيرنا وقوله عز وجل والينا المصير خص ذلك اليوم بالمصير اليه وان كانوا فى الاوقات كلها صايرين اليه لما ذكرنا من الوجوه فى غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل تشقق الارض عنهم سراعا يحتمل ان يكون ما ذكر من السراع هو صفة تشقق الارض كانه يقول يوم تشقق الارض سراعا لا يتنظر فيه عين ولكن يتشقق اسرع ولمحة البصر ويحتمل ان يكون وصف سرعة خروجهم من الارض يقول يوم يسرعون الخروج من الارض وقوله عز وجل ذلك حشر علينا يسير وغير الحشر يسير على الله تعالى ايضا ليس شئ ايسر عليه من شئ او اصعب من شئ لكن خص ذلك بالذكر لان اولئك الكفرة استبعدوا ذلك اليوم واستعظموا كونه فخص ذلك اليوم باليسير لهذا اذ وجود الاشياء كلها بالتكوين الازلى وعبر عن ذلك بحرف كن لمعرفة العباد لان التكوين الذى به وجود المكونات مما يوصف بالحرف وفى ذلك يستوى ابتداء الخلق واعادته والحشر وكل شئ ولا قوة الا بالله وهو كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر والله الموفق وقوله عز وجل نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار يقول والله اعلم اصبر على ما يقولون فنحن اعلم بما يقولون فنكافيهم او يقول عن علم بذلك نتركهم على ذلك ونمهلهم يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليتسلى به بعض ما يحزن عليه وقوله عز وجل وما انت عليهم بجبار قال بعضهم من الجبر والقهر اى ما انت بقاهر عليهم وجبار تجبرهم على التوحيد وقال بعضهم من التجبر والتكبر والجبار هو الذى يقتل بالذنب ولا حق وقيل اى وما انت بمسلط عليهم وهو كقوله عز وجل وما جعلناك عليهم حفيظا اى مسلطا وقوله عز وجل فذكر بالقرآن من يخاف وعيد اى بلغ ما انزل اليك فعليك التبليغ وانا المجازى لهم والمكافى بما يعملون ثم ليس يخص بالتذكير من يخاف الوعيد لكن امر بتذكير الكل لان منفعة الذكرى يكون لمن يخاف الوعيد لا لمن لا يخاف الوعيد فلذلك خصه بالذكر لكن التخصيص بالذكر لا يكون تخصيصا ونفيا عن غيره فيبطل بهذا مذهب من ادعى ذلك والله اعلم بحقيقة ما اراد ۰ ۰ ۰

سورة الذاريات مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والذاريات ذروا سئل على بن ابى طالب رضى الله عنه عن هذه الآية فقال والذاريات هى الرياح فالحاملات وقرا هى السحاب فالجاريات يسرا هى السفن فالمقسمات امرا هى الملايكة وعلى هذا خرج اويل عامة اهل التاويل الا ابن مسعود رضى الله عنه فانه قال والذاريات ذروا هى الملايكة ثم يحتمل ان يصرف هذه الاحرف كلها من الذاريات وغيرها الى الرياح خاصة فالذاريات هى تذرين الاشياء ذروا فالحاملات وقرا هو يحمل السحاب وغيرها فى الآفاق وجايز ان يصرف كل حرف من ذلك الى نوع وجنس على ما حمله اهل التاويل وصرفه اليه قال القتبى ذرت الريح تذروا ذروا ومنه قوله تعالى فاصبح هشيما تذروه الرياح ومنه ذريت الحب لان التذرية لا يكون الا بالريح وتذريت اى شرفته الذرة وذرى الرجل يذرا ذرى فهو ازرى اى شمط وشاة ذرا اذا كان فى ذنبها بياض فالجاريات يسرا اى سهلا اى يجرى السفن فى الماء جريا سهلا وقال ابو عوسجة اى هينا ثم المقسمات امرا هم الملايكة واختلفوا فى التقسيم قال بعضهم اربعة املاك يقسمون الامور فجبرئيل عليه السلام ينزل فى انزال العذاب والشدايد وميكائيل ينزل فى انزال النعمة والرخاء والرحمة واسرافيل فى نفخ الصور وملك الموت فى قبض الارواح

تكوين

تفسير الجبار

التخصيص بالذكر

فكل واحد من هؤلاء موكل في امر على حدة وقال بعضهم هم الملائكة الذين ينزلون بالوحي ياخذ هذا من هذا فالله تعالى ان يرسل الوحي على يدي من يشاء من ملائكته والله اعلم ثم اختلف في ذكر هذه الاشياء من الرياح والسفن والسحاب والملائكة لماذا قال عامة اهل التاويل انما ذكرها على القسم وقال بعضهم انما ذكرها على سبيل تعداد النعم والمنافع التي جعلها الله تعالى لهم واحتج هؤلاء وقالوا ان الله تعالى نهانا عن القسم بغيره فكيف يقسم بغيره فيكون ذكر هذه الاشياء على الامتنان لا على القسم والقايلون بالقسم اختلفوا فمنهم من يقول القسم باعيان هذه الاشياء لعظم منافع الاشياء عند الخلق ومنهم من يقول ان القسم بالله تعالى لا بعين هذه الاشياء على الاضمار كانه قال والذي ذرى الذاريات ذروا والذي خلق الحاملات وقرا والجاريات يسرا والمقسمات امرا وهو كقوله تعالى فورب السماء والارض فيكون القسم بخالق هذه الاشياء لا بانفسها وكل واحد من الوجهين لان القسم خرج لرفع شبهة الكفرة في البعث وارتيابهم فيه بعدما قام عليهم حجج وبراهينه على انه كاين لا محالة ونظروا فيها لتزال ذلك الارتياب والشبهة عنهم والقسم لتاكيد ما وقع عليه بما يكون عندهم له حرمة وقدر وعظمة فيدلهم ذلك على تاكيد الخبر المقرون بالقسم فالقسم من الله تعالى بانه خالق هذه الاشياء المذكورة مما يجل ويعظم عند الكفرة لما كانوا يقسمون بالله تعالى عند عظم الامور كما اخبر تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم فيصلح لتاكيد ما وقع عليه القسم وكذلك القسم بهذه الاشياء يصلح مؤكدا لعظم خطر هذه الاشياء عندهم لما يحل منافع هذه الاشياء والعرف في الناس انهم انما يقسمون بالذي عظم خطره وجل قدره عنده فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما عرف عظم خطرها وجليل قدرها عنده فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما عرف عظم خطرها وجليل قدرها عندهم فمنافع الرياح مما يكثر عدها فقد اهلك بها اقواما وبها استاصلهم وبها تلقح الاشجار المثمرة وغيرها وبها يساق السحاب في الافاق للامطار وبها يجري السفن في البحار وغيرها من المنافع وبها سبب حيوة الحيوانات بالسفن وذكي الريح فيهم ونحوها في تذرية الطعام بحيث لولاها لم يخرج الناس في التذرية وفيها آيات فان الريح جسم لطيف يرى ولا تدرك ليعلم ان الرؤية لا يوجب الاحاطة والادراك وغير ذلك من جهة الآيات على ما تقدم وكذلك اقسم بالحاملات وقرا وهي السحاب الذي فيه منافع الخلق من حمل الامطار والتظليل في الحر ونحو ذلك مع ما فيه من الآيات اذ هو يمسكها في الهواء حيث لا يقع بسوق الرياح مع ما فيه من الحمل والوقر ثم يرسل المطر حيث امر اذ قد يوجد السحاب ولا مطر دل انه لم يرسل بنفسه بل بالامر يرفع ويمسك ويرسل وهو في نفسه مسخر لا بد له من مسخر اذ لو كان عمله بالطبع لم يختلف باختلاف الاحوال وفيه آيات البعث اذ خلق مثله لا يكون الا لعاقبة وكذلك اقسم بالجاريات يسرا وهي السفن لما فيها من منافع للخلق اذ لولاها لانقطع بعض المنافع عن الخلق اذ ما يحتاج المرء من المنافع لا يوجد في مكان واحد بل خلقها متفرقة في اماكن فطريق تحصيل هذه المنافع والحوايج شيآن الحمل على ظهور الدواب في البر وفي السفن وفي البحار مع ما فيهما من الآية العظيمة بما جعلها بحيث لا يستقل في الماء مع ثقل الاحمال بل يجري بها الريح وحيث ما شاؤا بامر الله تعالى والملائكة منافعهم عظيمة ظاهرة وعظم قدرهم وجلالة خطرهم واضح واذا كان كذلك فكان القسم بهذه الاشياء لتاكيد الخطر المقسم عليه مما يعقل وهو متعارف ولا معنى لقول اولئك انه نهى عباده عن القسم بغيره فكيف يقسم بنفسه اذ يجوز ان يقسم هو ونهانا عن القسم به لان القسم بالشيء يحصل تلك الاشياء وتعظيمها وانها لا يستحق التعظيم بانفسها بل بالله تعالى فامرنا بالقسم وتعظيمها وانها لا يستحق التعظيم بانفسها بل بالله تعالى فامرنا بالقسم بالله تعالى اذ هو المستحق للتعظيم بنفسه في الحقيقة اذ هو خالق الاشياء كلها فاما القسم

من الله تعالى

من الله تعالى بشيء ليس لتعظيم ذلك الى نفسه بل بيان منه قدر منافعه التي للخلق فيه التي عظمت وجلت عندهم فيكون لذكرها خطر عندهم والله اعلم ثم ذكر افعال هذه الاشياء التي اقسم بها ولم يذكر انفسها والقسم انما يكون بالانفس لا بالافعال فاما ان عرفنا ولئك الكفرة انفس هذه الاشياء بذكر افعالها وقت قرع ذكر هذه الافعال سمعهم او اذا لم يعرفوا يسالون عنها وما اريد بها والله اعلم وقوله عز وجل انما توعدون لصادق وان الدين لواقع هذا موضع القسم والصدق انما يستعمل في الخبر فكانه قال ان ما اخبركم الرسول بالبعث او وعدكم به لصادق في خبره ووعده اذ الوعد في الجملة مما قد يكون صدقا وكذبا فاكد هذا الوعد من الرسول بالقسم انه لصادق فيما وعد من البعث وغيره وكذلك قوله تعالى وان الدين لواقع موضع القسم اي الجزاء لواقع كاين وقيل ان المراد من الدين الحساب اي ان الحساب لكاين لا محالة والله اعلم وقوله عز وجل والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف اقسم ايضا بالسماء ذات الحبك وموضع القسم انكم لفي قول مختلف ثم اختلف في تاويل قوله تعالى والسماء ذات الحبك روي عن ابن عباس رضي الله عنه ذات الحبك قال حسنها واستواءها وقال بعضهم ذات حبك اي ذات بنيان متقنة محكم وكلا التاويلين يرجعان الى واحد فان حسن خلق السماء بالاتقان والاحكام يقال للحايك اذا احسن النسج واحكمه حبك الثواب وقال الحسن حبك بالنجوم وحبكت بحسن الخلق وقال بعضهم ذات الشدة والاستواء يقال حبكت الحبل اذا شددت فتله كذلك قاله ابو عبيدة وقال القتبي ذات الحبك ذات الطرق وكذلك قاله ابو عوسجة ثم هو على ما ذكرنا من الوجهين اذا لقسم بعين السماء او برب السماء والله اعلم ثم وقوله عز وجل انكم لفي قول مختلف يخرج على وجوه احدها انكم لفي قول مختلف في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي القرآن ما لو كان ذلك القول منكم عن علم ومعرفة لم يخرج مختلفا متناقضا لانهم قالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مجنون وانه ساحر وانه مجنون وانه مفترى وهذا مختلف متناقض لان الساحر هو الذي يبلغ في معرفة الاشياء غايتها وكذا الشاعر ولا يحتمل ان يبلغ المجنون ذلك المبلغ بحال فيكون نسبتهم اياه الى هذه الجملة في حال واحدة يخرج على التناقض وكذلك قولهم في القرآن انه احاديث الاولين وانه مفترى والافتراء اختلاق الاساطير مع انهم عجزوا عن اتيان مثله فيكون هذا متناقض من القول فدل اختلافهم في القول فيهما على انهم قالوا ذلك عن جهل لا من علم اذ لو كان من علم ذلك لكان لا يختلف ولا يتناقض وهذا الخطاب على هذا التاويل يكون للكفرة والثاني انما كان ذلك في الدلالة على البعث انكم لفي قول مختلف اي في عقولكم الاختلاف والافتراق بين المصلح والمفسد والمحسن والمسيء وقد عرفتم الاستواء في هذه الدنيا دل ان هنالك دارا اخرى فيها يفرق بينهما ويميز وهذا التاويل لا يختص به الكافر بل يعم الكل والله اعلم والثالث انكم لفي قول مختلف اي قول متفرق ومذهب متناقض فانهم كانوا يعبدون اشياء على هواهم فاذا هووا شيئا آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره وكذلك يقولون قولا بلا حجة ثم يرجعون الى قول آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره لا ثبات لهم على شيء وهو كقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم والرابع انكم لفي قول مختلف في امر الآخرة لان منهم من يدعي ان الآخرة لهم لو كانت ومنهم من يدعي الشركة مع المسلمين فرد الله تعالى عليهم بقوله يؤفك عنه من افك كقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون والخامس يحتمل اي مواعيدهم ومنالهم مختلفة في الآخرة والله اعلم وذكر بعض اهل التاويل ان الناس تاتون مكة من البلدان المختلفة ليتخصموا

اختلاف قول الكفرة في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن

عن اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعوا كلامه فكان كفار مكة يصدون عنه ويقول
بعضهم انه مجنون وبعضهم انه كذاب وبعضهم شاعر وذلك قوله تعالى انكم لفي قول مختلف وقوله
عز وجل يؤفك عنه من افك يحتمل وجوها احدها اى يصرف عن الحق من صرف عن النظر والتفكر
في العاقبة والثاني صرفوا عما رجوا في الاخرة لما صرفوا عن الحق في الدنيا لانهم كانوا يعبدون الاصنام
رجاء ان يقربهم عبادتها الى الله تعالى وانها شفعاؤهم عند الله تعالى يقول لعل صرف من رجا في الاخرة
لما صرف عن الحق في الدنيا والله اعلم والثالث يصرف من طمع في الاخرة الشركة مع المسلمين او ادعى
الخلوص بما صرف في الدنيا عن الايمان الذى به ينال الاخرة والرابع يؤفك عنه اى عن الحق من افك
اى صرف عن الحق من صرف لقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم الاية وقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم وقوله تعالى قتل الخراصون قال ابو بكر الاصم الخراص الذى يكذب على العمد ولكن عندنا الخراص
الذى يكذب ويقطع على الظن ومنه يقال للذى يقدر الشيء ويفرقه بالظن خراص فعلى ذلك يحتمل
قوله الخراصون ثم قوله قتل الخراصون يحتمل حقيقة القتل وذلك يرجع الى قوم خاص قتلوا
والثاني قتل اى لعن واللعن هو الطرد اى طردوا عن رحمة الله وانما سمي اللعن قتلا لان القتل سبب
التبعيد عن منافع الحيوة وبالقتل خرج من ان يكون منتفعا به واللعن هو الطرد عن رحمة الله التي بها
يقع ويحقق المنافع في الاخرة والله اعلم وقال اهل التاويل الخراصون الكاذبون وكذا قال
اهل الادب وقوله عز وجل الذين هم في غمرة ساهون اختلف في تاويله قال بعضهم اى في غفلة
وقال بعضهم اى في غطاء وغشا كقوله وجعلنا في قلوبهم اكنة وقوله عز وجل بل قلوبهم في غمرة
من هذا اى في غطاء وغلف وقال بعضهم اى في عماية عن امر الاخرة ولكن الكل يرجع الى معنى واحد
وقوله ساهون اى شاهون عن الحق وعما دعوا اليه وقيل ساهون اى غافلون وقيل اى لاهون
عن التوحيد والايمان وقيل ساهون اى تاركون واصل السهو هو الترك وهو كقوله تعالى نسوا الله
فنسيهم اى تركوا والله اعلم وقوله عز وجل يسالون ايان يوم الدين الاية كانوا يسالون عن يوم القيامة
سؤال الاستهزاء وعناد لا سؤال استرشاد لذلك قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون ولو كان
سؤالهم سؤال استرشاد لكان لا ياتيهم ذلك الوعيد الا ترى ان جبرئيل عليه الصلوة والسلام اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عن الايمان والاسلام في حديث طويل وساله عن الساعة
فلم ياته الوعيد فلا ذم في سؤاله ذلك لان سؤاله سؤال الاسترشاد وقوم موسى عليه السلام
لما سالوا رؤية الرب تعالى بقولهم ارنا الله جهرة لانهم سالوا سؤال الاستهزاء والتعنت لا سؤال استرشاد
واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سالوا الرؤية ايضا فبشروا ووعدوا في الاخرة لما انهم سالوا
سؤال الاسترشاد لا سؤال الاستهزاء فعلى ذلك ولئك الكفرة سالوا عن القيامة سؤال الاستهزاء متى يكون
الساعة التي تعدنا بها واين وقت العذاب الذى تعدنا به لذلك قال جوابا لهم يوم هم على النار
يفتنون والله اعلم وفي الاية دلالة على ان الحكم لا يبنى على ظاهر المخرج فانه لا فرق بين سؤال الكفرة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الساعة وبين سؤال جبرئيل عليه الصلوة والسلام اياه عن الساعة
ثم اجاب جبرئيل عليهما الصلوة والسلام ما المسؤل عنها باعلم من السائل ثم الجواب للكفرة يوم هم على النار
يفتنون ثم من شهد النوازل علم المراد من النازلتين ان احد السؤالين خرج على الاستهزاء والاخر على الاسترشاد
فحملوا احدى الجوابين على احدى الحالتين والاخر على الحالة الاخرى دل ان الحكم لا يبنى على ظاهر المخرج
ولكن يجب النظر فيه ليعرف المراد اما بالسؤال عن شهد النازلة او من حيث المعنى المودع فيه والله اعلم ثم قوله
يوم هم على النار يفتنون يخبرهم عن اليوم الذى يفتنون فيه وقيل فيه بوجهين احدهما

خراص الذى يكذب على العمد

فتنه

يفتنون اى يبتلون ويمتحنون بالشدة والعذاب والفتنة هي المحنة التي فيها الشدة والبلاء وسمي
العذاب فتنة لما فيه من الشدة وقال بعضهم يفتنون اى يحرقون وقوله عز وجل ذوقوا فتنتكم
اى ذوقوا العذاب الذى فيه الشدة وقوله عز وجل هذا الذى كنتم به تستعجلون اى تستعجلون
في الدنيا وتزعمون انه لا يكون في الاخرة وقوله عز وجل ان المتقين في جنات وعيون والاشكال
كيف ذكر ان المتقين في جنات وعيون وهم يكونون في جنات ويكونون في العيون بحيث يرونها وتقع
عليها ابصارهم وينتفعون بها وهو كقوله تعالى يلبسون من سندس واستبرق وانما هم يلبسون
فاما الاستبرق فهو البسط وغير ذلك من الانتفاع به فعلى ذلك ما ذكر من كون المتقين في جنات
وعيون يكونون في الجنة وينتفعون بالعيون والله اعلم ثم قوله عز وجل ان المتقين اى الذين
اتقوا الشرك والكفر ويحتمل الذين اتقوا مخالفة الله على الاطلاق عملا وقولا واعتقادا ويحتمل
اى الذين اتقوا المهالك وقوله عز وجل اخذين ما اتاهم ربهم يحتمل وجهين احدهما اى قابلين
ما اتاهم ربهم في الدنيا من القدرة والقوة والمال بحق الله تعالى والقيام بشكره والعبادة له
في طاعته لذلك قال انهم كانوا قبل ذلك محسنين اى قبلوا ذلك بحق الاحسان فاستعملوها
في حق الله تعالى والقيام بطاعته وعلى هذا التاويل كانه على التقديم والتاخير ان المتقين في جنات
وعيون انهم كانوا قبل ذلك محسنين اخذين ما اتاهم ربهم اى بما نالوا الجنة لما انهم كانوا في الدنيا
كذلك والثاني ما قاله اهل التاويل اخذين ما اتاهم ربهم في الاخرة اى راضين بما اعطاهم
من النعيم في الجنة وهو كقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وعلى هذا يخرج تاويلهم وقوله
عز وجل انهم كانوا قبل ذلك محسنين في الدنيا ثم نعت احسانهم فقال عز وجل كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون قال اهل التاويل جميعا اى يصلون وانما حملوا عليها لان الاستغفار
طلب المغفرة وذلك مرة بالصلاة ومرة باللسان ومرة بدفع المال ويحتمل حقيقة الاستغفار ايضا
وانما مدحهم بذلك لان ارجى وقت الاستغفار وقت السحر لما روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال
لنافع اذا كان وقت السحر فاعلمني به فكان هو يصلي الى وقت السحر ثم يدعو ويستغفر في ذلك الوقت
وقوله عز وجل وفي اموالهم حق للسائل والمحروم قال بعضهم ان الاية في الزكوة لكن هذا لا يحتمل
لان السورة مكية ولم يكن بمكة الصدقة المفروضة الا ان يقال ان السورة مكية الا هذه الايات ان ثبت
وجايز ان يكون ذلك الحق ليس هو المفروض ولكن حق سوى الفرض وقيل ان الاية نزلت في قوم خاص
جعلوا على انفسهم ان لا يردوا سائلا ولا محروما ولا يمنعوا اموالهم من احد فمدحهم بذلك الا ترى انه
ذكر الحق للسائل والمحروم وقد بين مصارف الزكوة لاصناف الثمانية بقوله تعالى انما الصدقات
للفقراء الى قوله تعالى فريضة من الله ثم اختلف في تاويل المحروم والسائل قال عامة اهل التاويل المحروم
هو الذى لا سهم له في الغنيمة والوجه بان لا يحضر وقت قسمة الغنيمة فلا ينال شيئا منها ويحرم عن ذلك
وقال بعضهم المحروم الذى هلك زرعه وكرمه ببلاء اصابه يحرم عن ذلك كما وصفهم في سورة الواقعة
انا لمغرمون بل نحن محرومون فلما حرموا زرعهم وصفوا بذلك وقيل المحروم الذى لا يعلم حرفة
وهو كسبا وهو محارف ايضا وقيل المحروم المتعفف الذى به فقر لكنه لا يسال الناس شيئا والسائل
الطواف وعندنا الفقراء ثلاثة السائل الذى يطوف ويسال الناس والمعتر الذى يعتر الناس
ويظهر حاجته للناس ويتعرض للسؤال ولا يسال صريحا والمحروم هو الذى يستر فقره وحاجته
عن الناس لا يسال لهم ولا يعتر لذلك ثم جايز ان يكون سماه محروما اى حرم المكاسب واسباب العيش
من التجارة والحرفة وغيرهما وجايز ان يكون له المكاسب والاسباب لكنه محروم عن نوال المكاسب

مما يقتضي المبتدأ استغفار مرة بالصلوة ومرة باللسان ومرة بدفع المال

ارجى وقت استغفار استغفار بحرمة بليغة

الفقراء ثلاثة عندنا

والارباح في التجارة يكتسب ويعمل بتلك الاسباب لكنه محارف لا يرزق منها شيء والله اعلم وقوله
عز وجل وفي الارض آيات للموقنين هذا يخرج على وجهين احدهما اي في الارض آيات ينتفع بها
الموقنون وهم المؤمنون الذين علموا الآيات بطريق الايقان ويحتمل في الارض آيات يعلم الموقنون
حقيقة انها آيات فاما غيرهم فلا والله اعلم ثم يحتمل آيات الارض آيات التوحيد وآيات البعث
وآيات القدرة وغير ذلك على ما ذكرنا انه خلق على وجه الارض من الدواب والاشجار والنبات وانواع
من غير ان عرف الخلق كيفية وجودها ومائيتها وانه لم يخلق مثلها للفناء خاصة فيكون آيات
لما ذكرنا وقيل اي في خلق الارض آيات وهو ان خلقها وكانت تميد باهلها ثم ارساها بالجبال
حتى استقرت والله اعلم وقوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون صلة قوله وفي الارض آيات
للموقنين اي وفي انفسكم ايضا آيات افلا تبصرون اي آيات الوحدانية والربوبية وآيات البعث
وآية وجوب الشكر والعبادة والامتحان اما آيات الربوبية وهو ان الله تعالى انشأ هذا البشر
من نطفة ثم قلب تلك النطفة علقة ثم قلب العلقة مضغة ثم المضغة عظما ولحما ثم ركب فيها
الجوارح في ظلمات ثلاث ما بها المصالح له في الاستواء والصحة سليمة عن الآفات غير متفاوتة
فدل انه فعل واحد لا عدد وان له القدرة الذاتية والعلم الذاتي لا المستفاد وان ما قلبهم
من حال الى حال وما ركب فيهم الجوارح التي بها يعتصمون وبها ياخذون وبها يدفعون وبها
يبصرون ويسمعون وبها يمشون لم يفعل بهم ليتركهم سدى ويهملهم فلا يمتحنهم ولا يأمرهم
ولا ينهاهم وانه حيث سخر جميع الخلائق من السماء والارض وما بينهما ما سخر الا ليمتحنهم
وليستادي منهم شكر ذلك كله وفيه آية البعث لانه لا يحتمل ان يكون منه ما ذكرنا ثم لا يبعثهم
ليثاب المحسن منهم ويعاقب المسيء ويجازي كلا بقدر عمله اذ لو لم يكن لكان خلقه اياهم عبثا
باطلا على ما ذكرنا في غير موضع وقيل في انفسكم اي في خلق انفسكم افلا تبصرون انه كيف سوى
انفسكم على احسن الصور واحسن التقويم بعد ان كان اصلها وجوهرها من ماء وكذلك اصل
جواهر الانعام والبهائم من نطفة ايضا ثم ركبهم على صور صالحة لمنافعكم وركبكم على احسن الصور
ثم جعل فيكم من العقل والسمع والبصر ما يدرك بها حقائق الاشياء المحسوسة والمعاني الحكمية ليتاملوا
في ذلك كله فيكون آية الوحدانية وآية التزام الشكر والعبادة له والله الموفق وقوله عز وجل وفي السماء
رزقكم وما توعدون قال ابو بكر الاصم وفي السماء رزقكم وما توعدون اي في السماء رزقكم وما توعدون
اي في السحاب من الخير والشر وقال الحسن وغيره وفي السماء رزقكم اي المطر الذي ينزل منها في الارض فتنبت
فيها بذلك المطر من انواع الارزاق من الحبوب والثمار والفواكه وغيرها كل ذلك سببه من السماء
لذلك اضاف اليها والله اعلم وجائز ان يكون ما ذكر من ارزاقنا انها في السماء المطر وجميع ما سخر لنا
فيها من الشمس والقمر والملائكة حيث جعل صلاح ما في الارض جميعا من الارزاق والاغذية بذلك الاشياء
التي في السماء من الاصلاح بالشمس والقمر وحفظ الارزاق والامطار بالملائكة فانهم جعلوا موكلين
ممتحنين لذلك حيث قال تعالى فالمقسمات امرا هي الملائكة والله اعلم وقوله عز وجل وما توعدون هو
كل موعود من مرغوب ومرهوب من السماء والله اعلم وقوله عز وجل فورب السماء والارض انه لحق
يحتمل قوله انه لحق اي الساعة والقيامة ويحتمل انه لحق اي جميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله عز وجل مثل ما انكم تنطقون يحتمل ان يقول والله اعلم كما انكم لا تشكون فيما تنطقون فعلى ذلك
لا تشكون في امر الساعة وقيامها وكونها كما يقال هذا ظاهر بين كالنهار وقال الزجاج انه لحق
مثل حضوركم ونطقكم ومثل النهار وكلام نحو ويحتمل ان يقول ان من قدر على انطاق هذه الالسن

وتكليمها

وتكليمها حتى يفهم منها حاجتهم وهي قطعة وليس فيها شيء من آثار النطق والكلام اذ يكون مثله للبهائم
ثم لا يفهم منه ذلك ولا يكون منه النطق قدر على البعث والاعادة اذ هذا في الاعجوبة اكثر واعظم
من ذلك والله الموفق وقوله عز وجل هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين قد ذكرنا فيما تقدم في غير
موضع ان حرف الاستفهام من الله تعالى على الايجاب والالزام وقوله عز وجل هل اتاك يخرج على وجهين
احدهما اي قد اتاك حديث ضيف ابراهيم فحاج به اولئك وخاصم والثاني لم ياتك بعد ولكن سياتيك حديث
ضيف ابراهيم فاذا اتاك به فحاج على اولئك الكفرة به والله اعلم ثم قوله حديث ضيف ابراهيم دل ان الاسم
الضيف يقع على من يطعم ويتناول وعلى من لا يطعم ويتناول لانه سمى الملائكة ضيف ابراهيم وان لم يطعموا
ولم يكن عنداهم الطعام وفيه ان الضيف اسم يقع على العدد والجماعة وقوله عز وجل المكرمين سماهم
مكرمين لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام كان يخدمهم ويقوم بين ايديهم وذلك هو الاكرام الذي
صاروا به مكرمين ويحتمل ان سماهم مكرمين لانهم كانوا اهل كرم وشرف عند الله تعالى والله اعلم
وقوله عز وجل اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون وقال في آية اخرى اذ دخلوا
عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون وقال في آية اخرى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم
وجلون ذكر ههنا سلام الملائكة عليهم السلام ولم يذكر سلام ابراهيم صلوات الله عليه انما ذكر
وجله منهم وذكر في الاول سلام الملائكة عليهم الصلوة والسلام وسلام ابراهيم عليه السلام عليهم
وذكر انهم قوم منكرون وقال في آية اخرى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة
قال بعضهم انما اوجس منهم الخيفة لما خشي ان يكونوا سراقا لانه كان بين ابراهيم عليه السلام وبين
الذي اتاه بوا منه يعرف بعيد ما يحتاج المتاب الى طعام فاذا امتنعوا عنه خاف ان يكونوا سراقا
اذ لا يمتنع عن التناول الا السراق لكن هذا ليس بشيء لانه قد كان منهم السلام والسلام احد علامة
الامان لكن يكون خوفه بعد ما عرفانهم ملائكة لما علم ان الملائكة عليهم السلام لا ينزلون الا لامر عظيم
لاهلاك قوم او لتعذيب امة كقوله تعالى وما ننزل الملائكة الا بالحق وقوله عز وجل ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر هذا يحتمل والله اعلم وقوله قوم منكرون جائز ان يكون هذا اخبارا من الله تعالى انهم قوم
منكرون اي غير معروض عند نا لم يعرفهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل فراغ الى اهله
قيل راغ اي مال لكن قوله فراغ اي مال الى اهله على خفاء من اضيافه وستر منهم ولذلك سمي الطريق
المختفي رايغا ومن روغان الثعلب وقيل زايغا بالزاي وقيل راغ اي رجع وذكر محمد في بعض كتبه
في زايغة مستطيلة وقيل زايغة والله اعلم وقوله عز وجل فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون
وقال في موضع آخر وجاء بعجل حنيذ والحنيذ هو المشوي وقيل هو الذي يشوى في الارض بغير تنور
والله اعلم وقال بعضهم الحنيذ الذي انضج بالحجارة هو الصغير الذي كان غذاؤه اللبن لا غير
والله اعلم وما ذكر اهل التاويل في قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام انه لما قربه اليهم العجل
قالوا لا ناكله الا بثمن قال فكلوا واذوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال يسمون الله تعالى جل وعلا اذا اكلتم
ويحمدونه اذا تركتم قال فنظر بعضهم الى بعض وقالوا لهذا اتخذ الله خليلا وغير ذلك من الكلام
فنحن لا نذكر الا قدر ما ذكر في الكتاب مخافة ان تدخل الزيادة والنقصان عما في كتبهم ونجد
اهل الالحاد في ذلك مقالا وهذه الانباء انما ذكرت حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اثبات
الرسالة فاذا قيل في ذلك ما يخاف ان يكون في ذلك زيادة او نقصان عما في كتبهم كان الامساك عنه
والكف عنه اولى وقوله عز وجل فاوجس منهم خيفة لما ذكرنا وقوله عز وجل قالوا لا تخف لا لذلك
ارسلنا والله اعلم وقوله عز وجل وبشروه بغلام عليم يحتمل قوله عليم وجهين احدهما اي يبرؤ

بغلام يصير عليما اذا كبر والثاني بشروه بغلام يولد عليما يؤتيه الله تعالى علما في بطن امه
واذا ولد في صغره ولله ان يؤتي العلم من يشاء في حال الصغر والكبر الا ترى انه قال عز وجل في عيسى
عليه السلام وآتيناه الحكم صبيا فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم ثم ذلك الغلام هو اسحق عليه السلام
لانه بين في آية اخرى فيمن كانت البشارة حيث قال فبشرناها باسحق دل ان البشارة انما كانت
باسحق عليه السلام ثم ذكر في سورة هود عليه السلام البشارة لامرأته حيث قال فبشرناها باسحق
وذكر في هذه السورة البشارة لابراهيم عليه السلام بقوله وبشروه بغلام عليم لكن جائز انه
لما بشرها بالولد بشرها بالولد منه واذا بشر ابراهيم عليه السلام بالولد منها فاذا بشر احدهما بالولد
من الآخر فيكون البشارة لهما جميعا والله اعلم قال ابو بكر الاصم دل قوله تعالى فبشرناها باسحق
الى ان قال وهذا بعلي شيخا ان اسحق كان اكبر من اسماعيل لانها لما كبرت بالولد اخبرت انها عجوز
وانها عقيم وان بعلها شيخا ولو كان اسماعيل هو الاول وكان الآخر على قرب منه ليس بينهما
زمان مديد لم يكن تبلغ ابراهيم عليه السلام في ذلك المقدار من الوقت ما يهيج عن اياس الولد
منه دل ان اسحق هو المقدم وانه كان اكبر من اسماعيل عليه السلام الا ان هذا خلاف ما عليه
اهل التأويل ان اسماعيل عليه السلام كان اكبر من اسحق عليه السلام وقوله عز وجل فاقبلت امرأته
في صرة فصكت وجهها ذكر هاهنا الاقبال وقال في آية اخرى في سورة هود وامرأته قائمة فضحكت
فبشرناها باسحق فجائز ان لا يكون على حقيقة الاقبال ولكن لما ذكر فعلها وهي الصرة وصك الوجه
ذكر الاقبال عن غير ان كان منها الاقبال من المكان اي اقبلت فصك وجهها في صرة كما قال عز وجل
الم تر الى ربك كيف مد الظل امر بالرؤية والنظر الى الفعل الذي ذكر وهو مد الظل واذا ذكر النفس
دون الفعل فالمراد منه النظر الى نفسه لا غير والله اعلم فعلى ذلك هذا ثم قوله تعالى في صرة اي في صيحة
وقوله عز وجل فصكت وجهها اي ضربت وجهها بيدها تعجبا منها بتلك البشارة التي بشرت
بالولادة وقوله عز وجل وقالت عجوز عقيم وكانت كما اخبرت عجوزا عقيما وقوله عز وجل كذلك قال
ربك اي على علم بالحال التي انت بشرت بذلك لا عن جهل وقوله عز وجل انه هو الحكيم العليم الحكيم
واضع الولد في موضعه العليم بمصالح الامور وعواقبها والله اعلم وقوله قال فما خطبكم ايها المرسلون
اي ما شأنكم ولاي امر ارسلتم بالبشارة خاصة او لامر آخر او لهما جميعا فاجابوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين وقال في آية اخرى انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين كان الاستثنا
هاهنا لم يكن مذكورا في خبر الملائكة وانما ذكر في الخبر الذي قال ابراهيم عليه السلام حيث قال ان فيها
لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله فدل ذكر الثنيا منهم بعد سؤال ابراهيم عليه السلام واخبار
اياهم ان فيها لوطا ان تاخير البيان عن الكلام جائز والله اعلم وقوله عز وجل لنرسل عليهم حجارة
من طين دل قوله تعالى حجارة من طين على ان ما ذكر في آية اخرى حجارة من سجيل ان السجيل ليس هو اسم المكان
على ما ذكر بعض اهل التاويل ولكن السجيل اسم الطين على ما ذكره هاهنا وهو طين مطبوخ كالآجر الا انه
هو طين يحمل من مكان يسمى سجيلا والله اعلم وقوله عز وجل مسومة اي معلمة عند ربك للمسرفين
ثم الاعلام يحتمل وجهين احدهما معلمة مسومة باسم من يقع عليه ويهلك بها اي مكتوب عليها اسمه والثاني
معلمة في نفسها حتى يعلم كل احد انها للهلاك جاءت وانها ارسلت لذلك مخالفة لساير الاحجار والله اعلم وقوله
عز وجل فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قوله فيها كناية عن قرية
لوط وقوله غير بيت من المسلمين هو منزل لوط عليه السلام دل تسمية الملائكة عليهم السلام اياهم مؤمنين
ومسلمين على ان الاسلام والايمان واحد وقد بينا جهة الاتحاد بينهما في غير موضع وقوله عز وجل

اسماعيل عليه السلام من اسحق عليه السلام

وتركنا فيها آية اي تركنا في قريات لوط عليه السلام التي اهلكها آية وعبرة لمن بعدهم وهو ما ذكر في آية
اخرى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون اي انكم لتمرون على اولئك الذين اهلكوا
وعذبوا بالليل والنهار وتعلمون انهم لم اهلكوا ولم عذبوا بالتكذيب والعناد والذين نجوا انما نجوا
بالتصديق والاسلام وذلك آية لمن بعدهم ثم قال للذين يخافون العذاب الاليم اي يكون ذلك آية
للذين يخافون العذاب الاليم وهم المؤمنون اي هم المنتفعون بها والله اعلم وقوله عز وجل وفي موسى
اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فيما ذكر من قصة موسى ولوط وقصة ابراهيم وقصة هود وثمود
وهذه الاشياء تفسير لقوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين ثم الآيات في الارض من وجهين احدهما ايات خلق
في الارض من الخلايق والثاني فيما في الارض من انباء السلف واخبارهم من مكذبي الرسل ومصدقيهم
اي في هلاك من هلك من مكذبيهم ونجاة من نجا من مصدقيهم آيات لمن ذكر فهذه الانباء والقصص
التي ذكرت هاهنا لقوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وقوله عز وجل فتولى بركنه هذا يخرج
على وجهين احدهما اي فتولى هو وركنه وهم جنوده وقومه عن اتباع موسى عليه السلام وما يدعوهم
اليه والثاني اي فتولى هو بقوة ركنه وهم قومه اي تولى عن الحق واتباع موسى عليه السلام بقوة قومه
ومعونتهم والله اعلم وقوله عز وجل وقال ساحر او مجنون سماه ساحرا بما اتى من الآيات المعجزة
وقومه انما يعرف وصف السحر على هذا الوجه فسماه بذلك وان اتفق هو ان مثل ذلك الفعل
لا يكون سحرا تمويها على قومه وسماه مجنونا لما خاطر بنفسه بمخالفته مع علمه ان همته القتل لمن خالفه
في دينه وملكه وقوله عز وجل فاخذناه وجنوده هذا يدل على ان تأويل قوله تعالى فتولى بركنه
اي تولى هو وتولى قومه وجنوده وقوله عز وجل فنبذناهم في اليم وهو مليم الآية قال بعضهم
مليم اي يلام عليه وقال بعضهم مليم اي هو مذموم وقال القتبي هو مذنب ثم دل قوله تعالى فنبذناهم
على ان لله تعالى في افعال العباد صنعا حيث اضاف ذلك الى نفسه وهم الذين دخلوا في اليم وقوله
عز وجل وفي عاد اذ ارسلنا اي في اهلاك عاد بينة وآية وعبرة للمؤمنين كقوله تعالى وفي الارض
آيات للموقنين وقوله عز وجل اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم اي اهلكوا بالريح وقد بلغ من عتوهم ان قالوا
من اشد منا قوة فاذاقهم الله تعالى حتى خضعوا لاضعف شيء واخافهم منه وهي الاصنام التي عبدوها
حتى خوفوا وقالوا ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك غاية الذل والهوان ان خافوا
من اضعف شيء واعجزه بعد ما بلغ من عتوهم وتمردهم ان قالوا من اشد منا قوة ثم قوله عز وجل
الريح العقيم قال ابو عوسجة تفسيرها ما ذكر في الآية ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم وقال غيره
العقيم هو الذي لا خير فيه ولا بركة اي عقمت عن الخيرات ولذلك يقال للمرأة التي لا تلد والرجل الذي
لا يولد له العقيم لما انه ليس منهما منفعة الولد ولا بركة فعلى ذلك الريح العقيم اي لا منفعة فيها ولا بركة
فاما للمؤمنين فهي نافعة ايضا حيث اهلكت اعداءهم ولم تهلكهم وفي ذلك تطهير الارض من نجاسة
الكفر وفي الخبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
وقيل الريح العقيم هي الدبور وهي التي لا تلقح الاشجار والسحاب والنبات وقوله عز وجل ما تذر من شيء
اتت عليه الا جعلته كالرميم اي ما تذر من شيء اتت عليه وامرت هي باهلاكه واذن لها في ذلك الا جعلته
كالرميم الا ترى انها اتت على اشياء لم تهلكها وقد سلم هود عليه السلام وقومه من المؤمنين والا انهم
لما رأوها من بعيد قالوا هذا عارض ممطرنا فقال هود عليه السلام بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب
اليم وما ذكر فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اخبر انها قد ابقيت مساكنهم وهو ما ذكر في آية اخرى تدمر كل شيء
بامر ربها اي تدمر كل شيء امرت واذن لها بالتدمير ليعلم انها كانت تعمل بالامر والله اعلم وقوله

عرف فاخافهم دون الاصنام اضعف الاشياء

العقيم هو الذي لا خير فيه ولا بركة

عز وجل وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين اي وفي امر هود عليه السلام واهلاكهم ايضا آية وحجة للمؤمنين ثم ذكر عتوهم وتمرده اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو ثلاثة ايام التي ذكرت في آية اخرى فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب يحتمل ان كان قد بلغ عتوهم ان قد اجلوا ثلاثة ايام لنزول العذاب بهم فلم يمنعهم ذلك عن عتوهم ولم ينجع فيهم وقومك يا محمد حيث لم يذكر لعذابهم وقتا ولا اجلا احق ان لا ينجع فيهم ما توعدهم به ولا ينفعهم والله اعلم **وقوله** عز وجل فعتوا عن امر ربهم اي عتوا عن اطاعة ربهم والعتو هو البلوغ في اليبس والقساوة غايته كقوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا اي يابسا **وقوله** عز وجل فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون اي الى الصاعقة **وقوله** عز وجل فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين هذا يخرج على وجهين احدهما اي ما استطاعوا في الانتصاب لعذاب الله والقيام له والثاني اي ما استطاعوا من دفع العذاب عن انفسهم لا بانفسهم ولا بغيرهم وما كانوا منتصرين بالانصار والاعوان والله اعلم **وقوله** عز وجل وقوم نوح من قبل اي في امر نوح عليه السلام من قبل هؤلاء واهلاكهم آية وبينة وحجة للمؤمنين على ما ذكرنا **وقوله** عز وجل انهم كانوا قوما فاسقين ظاهر **وقوله** عز وجل والسماء بنيناها بايد اي خلقناها بقوة وانا لموسعون اي لقادرون وجايز ان يكون الموسع الواجد كقوله تعالى وعلى الموسع قدره اي على الواجد الموسر قدره وقال بعضهم وانا لموسعون في التدبير جميع الخلق عليهم ارزاقهم **وقوله** عز وجل والارض فرشناها فنعم الماهدون اي بسطناها ومهدناها فنعم الماهدون لكم الارض حيث مهدها لكم مبسوطة مفترشة تجدونها كذلك ما كانوا وايثما كانوا من غير تكلف ويستعملونها كيف شاؤا في اي منفعة شاؤا والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن كل شيء خلقنا زوجين قال بعضهم صنفين غير الحيوان فانه خلقهم ذكرا وانثى وقال بعضهم زوجين اي لونين نحو ابيض واسود واحمر واصفر والاول قول الزجاج والثاني قول القتبي واصله انه يخرج على وجهين احدهما زوجين اي شكلين فيعلمون بعضه بعضا او ضدين فينا قض بعضه بعضا والله اعلم والله سبحانه وتعالى ليس بذي شكل ولا ذي ضد فيدل ما انشا من الاضداد والاشكال على وحدانيته والوهيته والثاني خلق الاشيا مختلفين متضادين ليدل على ايجاب المحن عليهم من نحو عسر ويسر وغنا وحاجة وخير وشر ليمتحنهم على اختلاف الاحوال وتضادها ويرغبهم في كل مرغوب ويحذرهم عن كل مرهوب والله اعلم **وقوله** عز وجل لعلكم تذكرون اي تذكرون آيات وحدانيته والوهيته او يذكرون باختلاف الامتحان البعث والثواب والعقاب والله اعلم **وقوله** عز وجل ففروا الى الله يحتمل وجوها قال بعضهم ففروا الى توحيد الله تعالى ثم دليله قوله على اثره ولا تجعلوا مع الله الها آخر وهو لابي بكر الاصم ويحتمل ففروا الى الله اي ففروا الى ما دعاكم الله تعالى اليه عما نهاكم عنه كقوله سبحانه والله يدعوا الى دار السلام اي ففروا الى الاعمال الصالحة من الاعمال القبيحة ويحتمل ففروا الى ما وعدكم من الثواب وعدكم من العقاب اي فروا الى ثواب الله عن نقمته وعقابه ويحتمل ففروا اليه في جميع حوايجكم ولا يطلبوا شيئا من ذلك من غيره فانه هو القادر عليها حقيقة فيكون في الآية ترغيب في الرجوع اليه في الحوايج وقطع الطمع عن غيره والله اعلم **وقوله** عز وجل اني لكم منه نذير مبين يحتمل وجوها يحتمل اي نذير لمن عبد دونه او سمى دونه الها مبين آيات الوهيته ووحدانيته ويحتمل اني لكم منه نذير مبين لما يقع لكم به النذارة والبشارة وقال ابو بكر الاصم اني لكم منه نذير مبين يكذب الرسل بتكذيبهم **وقوله** عز وجل ولا تجعلوا مع الله الها آخر اي لا تسموا مع الوهية الله تعالى لاحد دون الله الوهية ولا تسموا دون الله الها او يقول لا تعبدوا دون الله الها آخر اي معبودا آخر فانه لا يستحق دون الله احد العبادة والله اعلم **وقوله** عز وجل اني لكم منه نذير مبين قد ذكرنا **وقوله** عز وجل كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون لم يذكر في هذا الموضع القول منهم انهم قالوا للرسول عليه الصلوة

والسلام

والسلام انك ساحر او مجنون ولكن ان لم يكن مذكورا في ظاهره لكن ما ذكر ان اوايلهم كانوا يقولون لرسلهم ذلك دلالة انهم قد قالوا انه ساحر وانه مجنون حيث قال كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على اذاهم بنسبتهم اياه الى السحر والجنون كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وغير ذلك من الآيات التي فيها الامر بالصبر على اذاهم والله اعلم ثم **قوله** عز وجل ساحر او مجنون قال ابو بكر الاصم انما قالوا ساحر او مجنون لان السحر والجنون عندهم واحد كقول فرعون لموسى عليه السلام لما اتى به من الآيات اني لاظنك يا موسى مسحورا فلذلك قالوا مرة ساحر ومجنون مرة ولكن هذا فاسد فانه لا يحتمل ان يكون الجنون والسحر عندهم واحدا لان الساحر هو الذي بلغ في العلم في كل شيء غايته والمجنون هو الذي بلغ في الجهل غايته فنسبوهم الى السحر لما اتى لهم من الآيات ما عجز الناس عن اتيان مثلها وقد عرفوهم انها آيات اعني رؤساؤهم وائمتهم لكن قالوا انها سحر على ارادة التلبيس على الاتباع والعامة لما عند الناس ان لا كل احد يقدر على اتيان السحر فقالوا انهم سحرة للرسل لهذا وانما نسبوهم الى الجنون لما انهم خالفوا الفراعنة والاكابر الذين كانت همتهم القتل واهلاك من خالفهم في المذهب والامر والله اعلم **وقوله** عز وجل اتواصوا به بل هم طاغون اي اوصى اوايلهم اواخرهم في تسميتهم الرسل عليهم السلام سحرة ومجانين وان يوافق بعضهم بعضا في نسبتهم الرسل عليهم السلام الى السحر والجنون اي لم يزل الكفرة يقولون لرسلهم عليهم السلام ذلك ويحتمل ان يكون ذلك على التمثيل لا على حقيقة القول منهم لما كان اجتماعهم لاجل هذا القول في كل وقت فصار ذلك الاجتماع منهم كالتواصي من بعضهم لبعض والله اعلم **وقوله** عز وجل بل هم قوم طاغون يخبر انهم لا عن جهل وشبهة قالوا انهم سحرة ولكن عن طغيان وتعدي حد الله عز وجل والمجاوزة له لان الطاغي هو المجاوز له عن الحد الذي جعل له والمتعدي عنه **وقوله** تعالى فتول عنهم فما انت بملوم قال بعض اهل التاويل لما نزل هذا خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم انه ينزل بهم العذاب حتى نزل قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين لكن عندنا يخرج قوله فتول عنهم فما انت بملوم على وجهين احدهما اي تول عنهم فاعرض ولا تكافهم باساءتهم اليك بقولهم انه ساحر وانه مجنون فان الله تعالى سيكفيهم عنك ويجازيهم مجازاة اساءتهم والثاني يامره بالاعراض والتولي عنهم عن قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون يؤيسه عن ايمانهم ويقول لا تشتغل بهم فانهم لا يؤمنون لك ولا يصدقونك ولكن اشتغل بمن ترجوا منه الايمان والله اعلم وجايز ان يكون لا على حقيقة الامر ولكن على التخيير اي لك ان تتول عنهم وتعرض فانك قد بلغت واعذرت في التبليغ والدعاء غايته والله اعلم **وقوله** عز وجل وما انت بملوم جايز ان يكون المراد من نفي الشيء اثبات مقابل ذلك الشيء وضده كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم نفى عن تجارتهم الربح والمراد اثبات الخسران كانه قال فما ربحت تجارتهم بل خسرت فعلى ذلك جايز قوله فما انت بملوم بل محمود والله اعلم وقال ابو بكر الاصم فما انت بملوم لانه قد بلغ الرسالة وما امر بتبليغه الى الخلق وقام بامره ونصح خلقه وخفض جناحه لهم فكيف تلام اي ما انت بالذي تلام على صنيعك وعلى فعلك وان كان بعض الناس يلومك وهم الكفار وفيه دلالة الحفظ والعصمة له من الزيغ والزلات اذ لو كان بالذي يحتمل الزيغ والزلة لكان يحتمل الملامة فدل انه لا يحتمل الزيغ والعدول عن الحق **وقوله** عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين جايز ان يكون الامر بالتذكير للكل ثم اخبر ان الذكرى تنفع المؤمنين لا الكل وجايز فذكر المؤمنين فان منفعة الذكرى عليهم ولمن تصف

المراد نفي الشيء اثبات مقابل ذلك الشيء وضده

في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

دون المكابرين المعاندين والله اعلم وقوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ان كان
المراد من ذكر العبادة حقيقة العبادة فيخرج تاويله على وجهين احدهما جوابا لمن لا يرى الجن والانس
يؤمرون بالعبادة ويمتحنون بها فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ما خلقتهم على معرفة
المحاسن والمساوى والتمييز بين ما يؤتى وما يتقى بما ركب فيهم من اسباب التمييز والمعرفة لاتركهم سدى
مهملين بل لامتحنهم بالعبادة والقيام بشكر ما انعمت عليهم من انواع النعم اذ الحكمة توجب ذلك
ويدفع تركهم سدى هملا والله اعلم والثاني خرج جوابا لمن يرى العبادة دونه جائزا لقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لم اخلقهم لعبادة غيرى
ولا امرهم بعبادتى لا لامرهم بعبادة غيرى كما قاله بعض الكفرة بقولهم والله امرنا بها ردا لقولهم
ونقضا لاعتقادهم والله اعلم ثم قوله الا ليعبدون على حقيقة العبادة وجهين احدهما

مما ينظر

على حقيقة فعل العبادة وعلى هذا الوجه لم يكن الآية معمولا بها على العموم بل على الخصوص وهم المؤمنون
من الجن والانس دون الكفرة منهم فانه لا يجوز ان يخلق الكفرة الذى علم منهم انهم لا يؤمنون
للعبادة اذ خلقه عن اختيار وارادة فاذا خلقهم واراد منهم العبادة لا بد ان يوجد منهم وقد علم
منهم انه لا يوجد فيصير كانه اراد تجهيل نفسه وعد محال فدل ان المراد منه الخصوص وقد خص
منه البعض بلا خلاف فان الصغار والمجانين قد خصوا فانه لا يتحقق منهم العبادة فجاز ان يخص
الكفرة الذين علم منهم انهم لا يؤمنون والله اعلم ويحتمل ان المراد منه الامر بالعبادة اى ما خلقتهم
الا لامرهم بالعبادة والتوحيد وهذا التاويل اقرب الى العمل بالعموم فانه يدخل فيه العقلاء من الجن
والانس دون الصغار والمجانين ويجوز ان يامر بشئ ولا يريد تحصيل المامور به ويصير ترك المامور
مطيعا له بل يريد ان يصير عاصيا فيدخل النار بخلاف ما اذا خلقه للعبادة واراد منه لا يجوز
ان لا يوجد وحقيقة هذا يعرف فى كتاب التوحيد انه خلق الايمان والعبادة من علم منه انه يعبد

مما يجب حفظه البتة
مقام ينقطع فيه ظهور الصابرين
ويتحير فيه عقول العاقلين
اللهم انى اسالك حسن الخاتمة
والعافية انك مقلب القلوب
ثبت قلوبنا على دينك
يا الله

ويختار العبادة له فاما من علم منه اختيار الضلال والغواية وصرف العبادة الى غيره فانه خلقه على ما علم
منه انه يختار ويفعل لقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس الآية وقال قايلون
لم يرد بقوله تعالى ليعبدون حقيقة العبادة التى هى فعل العبد على وجه الاختيار ولكن معناه
وما خلقت الجن والانس الا وقد جعلت فى كل احد منهم دلالة وحدانيتى ودلالة صرف العبادة الى
والقيام بالشكر لى فيما انعمت عليهم من انواع النعم ما لو تأملوا فيها ونظروا ايدلهم على ما ذكرنا
من العلم بالوحدانية لى والقيام بالعبادة والشكر والله اعلم وعلى هذا التاويل يكون الآية عامة
لا خصوص فيها لان خلقة كل احد منهم على اى وصف كان دلالة ما ذكرنا والله الموفق ويحتمل ايضا
وما خلقت الجن والانس الا على خلقة يصلح للمحنة بالامر والنهى والوعد والوعيد وتحقيق فعل ذلك
بما ركب فيهم العقل وجعل مفاصلهم لينة قابلة لافعال يصلح للخدمة من الركوع والسجود والقيام
والقعود ونحوها على خلاف غير هؤلاء من المخلوقات فانها خلقت على خلقة يصلح لمنافع الممتحنين
لا على وجه يصلح للمحنة والله اعلم ثم فى العبادة خصوصية معنى ليس ذلك فى الطاعة والخدمة
وغير ذلك من الافعال كقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله حيث لم يجز العبادة لغيره
واجاز الطاعة والخدمة والتعظيم وغير ذلك من الافعال كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله
دل ان فى العبادة معنى ليس ذلك المعنى فى غيره لذلك وقعت الخصوصية له ولذلك خص نفسه
بتسمية الاله لم يجز التسمية به لغيره اذ الاله عندهم معبود فكل معبود عندهم يسمونه الها وذلك
كما خص نفسه بتسمية الرحمن لم يجعل ذلك لغيره واجاز تسمية غيره رحيما لما ان فى اسم الرحمن

زيادة معنى

زيادة معنى ليس فى الرحيم وكذا خص نفسه بتسميته خالقا ولم يجز هذا الاسم لغيره بل كان
لما ان فى الخالق معنى ليس ذلك المعنى فى الفاعل وغيره فكذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون قال عامة اهل التاويل ما اريد منهم ان يرزقوا انفسهم
ولا ان يطعموا احدا من خلقى انما على رزقهم واطعامهم كقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله

في الرزق

رزقها ويحتمل ما اريد منهم ان يرزقوا من لا يقوم باسباب الرزق وان يطعموهم اذ ذلك علىّ وانما اريد
منهم العبادة او الامر بالعبادة على الوجه التى ذكرنا لانهم لم ينشؤا لا ولئك الذين لم يجعل لهم
المكاسب واسباب الرزق من الدواب بل هذا نشيت لاجلهم رزقا ومتعة والله اعلم ويحتمل
ان يكون على الاضمار على ما قال بعضهم اى قيل يا محمد ما اريد منكم فيما ادعوكم اليه من اجر وما اريد
ان يطعمونى فيثقل عليكم الايمان ويحتمل ما اريد منهم من الرزق وما اريد ان يطعمونى اخبار انه لم يخلقهم
لحاجة له فى خلقهم من الرزق والاطعام منهم لما اقام من دلالات تبريه عن الحوايج وعن الرزق
والطعام وانما خلقهم للامر والنهى والامتحان رجع منافع ذلك اليهم والله اعلم وقوله عز وجل ان الله
هو الرزاق ذو القوة المتين هذا يخرج على وجهين احدهما ان الاسباب والمكاسب التى بها يرزقون
ويصلون الى الانتفاع بها هى فعل الله تعالى وله فيها صنع صار بذلك رازقا لولا ذلك لم يصلوا الى ذلك
وان كان الخلق هم الذين يكتسبون ويعملون تلك الاسباب والمكاسب فلما اضيف اليه الرزق لما انشاء

مما يحفظ البتة
الرزق من اللطف لا بانفس
الاسباب

فعل تلك الاسباب والمكاسب منهم والله اعلم فيكون فى هذا دليلا على ان لله تعالى صنعا فى افعال العبد
وهو الخلق والانشاء حيث سمى نفسه رازقا وهم يرزقون بتلك المكاسب والاسباب واكثرها كان
او عامتها بافعالهم دل ان له فيها صنعا حتى يصح اضافة ذلك اليه وتسميته رازقا ولا يجوز هذا الاسم
لغيره والله اعلم والثانى يحتمل اضافة الرزق اليه لا يرزقهم بما جعل فى تلك الاسباب والمكاسب
من اللطف لا بانفس الاسباب لانهم يزرعون ويطرحون البذر فيها فيهلك ذلك فيها وكذلك يسقون
الارض ويهلك ذلك الماء فيها ثم ان الله تعالى جعل بلطفه ورحمته فى ذلك من اللطف ما يصير ذلك رزقا لهم
بعد ذهاب عينه والقوة التى جعل فيه وكذلك ما جعل فى ذلك من الصلاح والنضج والطبخ وما يرجع
الى الاصلاح لذلك والاكل والمضغ والابتلاع ونحو ذلك ليس فى ذلك الا امتلاء البطن فى ذلك وفى ذلك
فساد فجعل فيه من القوة ما ينتشر فى البدن والاطراف قوة فيبقوا بتلك القوة فيها الحيوة والبقاء لا بنفس
الرزق وهو ما وصف الله عز وجل ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين بتلك القوة يحيون وبها يبقون
ثم قوله عز وجل المتين قيل المتين هو وصف ونعت لتلك القوة فيجئ وصف تلك القوة بالمتانة
فاما الله سبحانه وتعالى لا يوصف بها ولا يوصف انه متين وهو كقوله عز وجل ذو العرش المجيد وصف
العرش بالمجد والعرش غيره فعلى ذلك القوة التى جعل فيها ما ذكرنا غيره يجوز ان يوصف بما ذكرنا من المتانة
وهى القوة التى لا يملكها الخلق ولا يدركون ذلك اللطف التى جعل فى ذلك والله اعلم وقال بعضهم
ذو القوة المتين اى ذو البطش الشديد فيما اهلك الامم الخالية والله اعلم وقوله عز وجل فان للذين
ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فكانهم استعجلوا نزول العذاب فنزلت هذه
الآية على اثر سؤال العذاب كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقوله تعالى فامطر علينا حجارة
من السماء فقال عند ذلك وان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اى لهم نصيبا من ذلك العذاب
مثل نصيب اوايلهم من العذاب فيكون على التمثيل كما يقال حذو النعل بالنعل وحذو القذة بالقذة
ويقال صاع بصاع وكيل بكيل اى يكال عليه مثل ما كيل لغيره ونحو ذلك ومن الامثال التى تضرب
فعلى ذلك ما ذكرنا من الذنوب والله اعلم وكذلك ذكر عن الاصم وقال ذكر الذنوب وهو الدلو العظيم الذى

كانوا يقتسمون به المياه وكان من عادة العرب انهم يجيئون فيرسلون دلاءهم في البئر فكان لكل واحد منهم ياخذ حظه ونصيبه من الماء فيقول لاهل مكة لا تستعجلون فان لم يكن نصيبا من ذلك العذاب كما كان لاولئك كالدلاء التي يكون في البئر فياخذ كل واحد منهم نصيبه وكذلك قال القتبي وابو عوسجة الذنوب الحظ والنصيب وعن ابن عباس رضي الله عنه سمى ذلك العذاب ذنوبا لما يتبع بعضهم بعضا والله اعلم فيقول يتبع العذاب لهؤلاء كما يتبع لاولئك كالدلاء يتبع بعضها بعضا والله اعلم وقوله عز وجل فلا تستعجلون اي قد يبلغون وقته فلا تستعجلون العذاب وهو الوقت الذي تسالون الرجوع كما اخبر عز وجل رب ارجعون وقوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يوم القيامة ولكن لم يبين ذلك اليوم ما هو فيحتمل ما قالوا ويحتمل غيره والويل قد ذكرنا تاويله فيما تقدم فان قيل كيف خوف الله جل وعلا هذه الامة بما انزل على الامم الخالية من الاستيصال والاهلاك وقد عفى هذه الامة عن هذا وامنهم منه قيل انما خوفهم بما ذكر لان المعنى الذي استوجب اولئك الاستيصال والهلاك به يحتمل ان يتحقق ذلك في هؤلاء وقد يحتمل ان لا يكون فالتخويف صحيح لهؤلاء بهم وانما يكون مثل هذا التخويف في اول الامر ثم ان الله بفضله ورحمته عفى عنهم بفضل النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته كقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويحتمل ان يكون العفو لهم عن ذلك بالتاخير عنهم الى وقت وهو وقت قبض ارواحهم وخروجهم من الدنيا وفي ذلك الوقت يعاقبون بانواع العذاب وينزل بهم ما نزل باولئك لا انهم عفوا عن ذلك اصلا ويحتمل ان يكون ينزل بهم ذلك في الآخرة وذلك كله فضل منه ورحمة والله اعلم

سورة الطور مكية وآيها اربعون وسبع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والطور وكتاب مسطور في رق منشور الآية ثم اختلف بالقسم بالطور وما ذكر قال قايلون القسم انما هو بمنشئ هذه الاشياء التي ذكر لا بهذه الاشياء انفسها اذ الله تعالى نهى الخلق بان يقسموا بغيره فكيف يقسم بنفسه وقال قايلون يجوز ان يقسم جل وعلا بما شاء وبمن شاء بالذي عظم قدره عندهم وقد ذكرنا ان الاقسام انما يكون بالاشياء التي عظمتا قدارها ومحلها عند الخلق يقسم بها لدفع الشبه التي تمنع وقوع العلم لهم بذلك والمعرفة بالذي اشتبه عليهم والتبس ليعرفوا ان ذلك كاين لا محالة وانه بالذي اشتبه عليهم والتبس وانه حق بما لو تفكروا في ذلك الاشياء وامعنوا النظر فيها على غير قسم لوقع لهم العلم بذلك وتحقق والله اعلم ثم ان الله سبحانه وتعالى اقسم باشياء سواه وليس للخلق ذلك لان قسم الخلق يخرج مخرج الفزع اليه والتضرع ولا يجوز الفزع الى من سواه والاستعانة به فاما القسم من الله تعالى حقيقة فهو على التذكير والتنبيه للخلق وتاكيد ما وعد لهم من الجزاء فيجوز له القسم بكل ما يكون لهم التذكير والتنبيه والتاكيد وان كان لغيره وسواه مما لذلك خطر ومحل عند الناس وعند الله تعالى والله اعلم ولان القسم المذكور في القرآن لاثبات صدق اخبار الرسل اليهم وانه رسله وانهم اذا فعلوا كذا ينزل عليهم من العذاب كذا لان اولئك الكفرة لم يكذبوا الله تعالى في خبره حتى يكون قسمه لاثبات صدق خبره وانما يحقق صدق خبرهم بما اقاموا من المعجزات والبراهين لكن يتاكد بالقسم فيحصل ذلك بذكر ما له خطر ومحل عندهم فاما قسم الخلق لاثبات اصل الصدق فيجب ان يقسموا بذكر ما هو النهاية في العظمة والقدر في القلوب وهو اسماء الله تعالى وصفاته والله اعلم ويحتمل ان يكون القسم لهذه الاشياء من الرسل عليهم الصلاة والسلام فان كان كذلك فهو على الاضمار كانهم

قالوا

قالوا بمنشئ الطور وكتاب مسطور وما ذكر الى آخره اذ القسم من البشر يكون بالله سبحانه وتعالى وصفاته والله اعلم ثم قوله عز وجل والطور جايز ان يكون القسم واقعا بالجبال كلها لما ان الله عز وجل انشأ الارض خلقا يميد باهلها وارسى فيها هذه الجبال واوتدها حتى استقرت وسكنت حتى وصل الخلايق الى الانتفاع بهذه الارض والقرار عليها وصارت مهادا لهم وفراشا لهم على ما ذكر يتقلبون فيها ويتصرفون كيف شاؤا وان ارادوا وحيث احبوا ثم اذا عرفوا ذلك لزمهم ان يعرفوا ان عليهم شكر ما انعم عليهم فاذا تركوا ذلك لزمهم عقوبة الكفران وجزاؤه واوعدهم ذلك فيؤكد ما ذكر من القسم ووقوع ما ذكر من العذاب بهم حيث قال ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع ويحتمل ان يكون المراد بالطور هو جبل خاص وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام وانزل عليه التوراة وهو طور سيناء وذلك الجبل مما عظم قدره عند بني اسرائيل حتى عرفوا قدره وفضله فاقسم بذلك الجبل ان عذاب ربك لواقع ويحتمل ان يكون المراد بالطور هو جبال خاص وهي الجبال التي اوحى عليها الى رسله عليهم الصلوة والسلام على ما روي في الخبر اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام والى عيسى عليه السلام في جبل ساعور والى محمد عليه الصلوة والسلام في جبل فاران فاقسم بها ان ما وعد من العذاب واقع بهم والله اعلم وفي الآية دلالة اثبات الرسالة فانه اخبر عليه الصلوة والسلام عن امكنة الوحي وفضل تلك الجبال ومعرفة ذلك انما هو من الكتب المتقدمة وهم قد احاطوا بانه لم يكن اختلف الى احد ممن له معرفة بتلك الكتب حتى يعلم فدل انه بالله عز وجل عرف امكنة الوحي وفضل تلك الجبال والله اعلم وقوله عز وجل وكتاب مسطور الآية يحتمل القسم بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام اذ بها يوصل الى معرفة آيات الرسل عليهم السلام والى معرفة ما يؤتى ويتقى والى اخبار السماء ومعرفة الاحكام والحدود وغير ذلك من احكام من وجوه الحكمة اقسم بها ان العذاب واقع بهم والله اعلم ويحتمل ان القسم يرجع الى عدد من الكتب التوراة والانجيل والزبور والمعروفة التي عرفها اهل الايمان بها حقها ونزولها من السماء ويحتمل انه راجع الى خاص من الكتب وهو القرآن بما عظم قدره عندهم لما يعجز البشر عن اتيان مثله على ما ذكرنا في الطور والله اعلم ويحتمل ما ذكره اهل التأويل انها الكتب التي يكتب فيها اعمال بني آدم ولم يذكر وجه القسم بها ولست اعرف له وجها وقوله عز وجل في رق منشور اي غير مطوي وقال ابو عبيدة الرق الورق وقال ابو عوسجة الرق الكتاب وقوله عز وجل والبيت المعمور يحتمل البيوت كلها جملة وهي البيوت التي جعل الله للخلق يسكنون فيها ويتقون بها من الحر والبرد ويامنون فيها وهو ما قال الله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية ما عرف كل منافعها وعظم نعمة الله تعالى عليهم في ذلك ليتادى بذلك شكرا فاقسم بما ذكر ان لم يقم بوفاء الشكر استوجب العذاب والعقوبة والله اعلم ويحتمل ان يكون القسم بالبيت المعمور هو الكعبة وهو معمور قد عظم الله تعالى شانه وامره في قلوب الناس كافة في قلوب الكفار والمؤمنين جميعا حتى كان قريش وساير العرب يحجونه ويزورونه ويعظمونه فاقسم به على ما ذكر والله اعلم وقال ابو عبيدة البيت المعمور الكثير الاهل واهل التاويل يقولون هو البيت المعمور هو في السماء يزوره اهل السماء ويطوفون به لكن القسم به يبعد لما لم يسبق لهم المعرفة والمشاهدة فكيف اقسم بشيء لم يعرفوه ولا وقع لهم العلم بالمشاهدة الا ان يقال ان القسم به لاهل الكتاب وذلك في كتبهم يعرفونه فاما من لم يسبق له الخبر والمعرفة بذلك مشاهدة فبعيد والله اعلم وقوله عز وجل والسقف المرفوع هو السماء التي رفعها بلا عمد يرونه ولا اسفل ولا تعليق من الاعلى على بعدها من الارض وسعتها وعرضها وشدتها وغلظها ليعلم ان من فعل هذا لا يفعله لغير شيء بل يمتحن ويامر وينهى وليمتحن بشكر

شكر نعمة الارض

طور موسى طور سيناء

جبال وحي طور ساعور فاران

الكفار والمؤمنين يحجون الكعبة ويزورونه ويعظمونه

بيت معمور في السماء

في قسم الله جل وعلا

لمن خالف امره ونهيه وكفر نعمه وانتهك محارمه استوجب ما ذكر والله اعلم وليعلم ان من قدر على ما ذكرنا
قادر على كل شئ لا يعجزه شئ يذكر سلطانه وقدرته وعظمته والله اعلم وقوله عز وجل والبحر المسجور قال
اهل الادب هو البحر الملان الحار لانه جل وعلا منذ انشاه جار ممتليا عن نقصان ليس كساير الانهار التى ربما
يتغير عن جهتها من قلة الماء وسكونه وغورها فى الارض وامتلائها من الطين وحاجتها الى الحفر وغير ذلك
من التغير التى يكون بها فاما البحر على حالة واحدة فى الاحوال كلها فاقسم به ان عذاب ربك لواقع والله اعلم
وقوله عز وجل يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا بين الوقت الذى ينزل بهم العذاب
الموعود حين قال ان عذاب ربك لواقع وذلك وقت تعذيب هذه الامة يوم القيامة وهو ما قال عز وجل
والساعة ادهى وامر والله اعلم وقيل وصف ذلك اليوم بالاهوال والشدة لانه تعالى ذكر ان السماء تمور مورا
اى تستدير استدارة وتحرك تحركا وذكر سير الجبال وما ذكر وهذه الاشياء من اشد الخلايق واصلبها
فهو لذلك اليوم وشدته تعمل فيها ما ذكر من التحرك والسير والتحرك والتغير وغير ذلك وقيل ان هذا العالم
كله انشاه بحيث يفنيه وينشئ عالما آخر لانه ذكر فيه التغير من حال الى حال لانه ذكر مرة سيرها وتحركها
حيث قال ويوم نسير الجبال وذكر السماء تحركها ومورها وذكر للارض انشقاقها حيث قال وتنشق
الارض وقال فى آية اخرى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال ينسفها ربى نسفا وقال هاهنا وتسير
الجبال سيرا وكذلك قال فى السماء والارض اختلاف الاحوال فقال يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب
فدل اثبات التغير فى هذه الاشياء على هلاكها كما دل انواع الامراض والتغير من حال الى حال فى اهلها
على هلاكها والله اعلم وقوله عز وجل فويل يومئذ للمكذبين الآية اى المكذبين لرسله عليهم السلام ويحتمل
للتوحيد او للحجج او للبعث وقوله عز وجل الذين هم فى خوض يلعبون نعتهم ووصفهم حيث قال
الذين هم فى خوض يلعبون والخوض هو البحث عن الشئ الا ان الخوض المطلق ذكروا واستعملوا فى الباطل خاصة
وقوله عز وجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون على وجوههم وقال ابو عبيدة يدفعون دفعا
فى القفا خاصة وقوله عز وجل هذه النار التى كنتم بها تكذبون هو على الاضمار كانه يقال لهم هذه النار التى
كنتم بها تكذبون فى الدنيا والله اعلم وقوله افسحر هذا ام انتم لا تبصرون يقال لهم فى الآخرة لما القوا
فى النار افسحر هذا مقابل ما قالوا هم للحجج والبراهين فى الدنيا انها سحر وقوله ام انتم لا تبصرون هذا يخرج
على وجهين احدهما يقال لهم لما ادخلوا النار لعل ما انتم فيه ليس بعذاب وانها ليست بنار وانتم
لا تبصرون لذلك كما اخبر عنهم فى الدنيا انهم يقولون للحجج حيث قال ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا
فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا الآية فقال لمقابل ذلك افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اى لعلكم
لا تبصرون والثانى يقول افسحر هذا ام انتم لا تبصرون فى الدنيا ان هذا ينزل بكم فى الآخرة والله اعلم
وقوله عز وجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم هذا كما قال ابليس سواء علينا ام صبرنا ما لنا
من محيص فقيل ذلك قوله عز وجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اى سواء عليكم اصبرتم
او جزعتم فلا ينفعكم ذلك وقوله عز وجل انما تجزون ما كنتم تعملون اى ذلك استوجبتم باعمالكم
لا ان اوجبت عليكم شيئا لم تستوجبوه وقوله عز وجل ان المتقين فى جنات ونعيم الآية يحتمل فى جنات
وفى نعيم ويحتمل فى جنات فيها نعيم فيكون الواو بمعنى مع اى فى جنات مع نعيم وقوله عز وجل فاكهين
بما آتاهم ربهم قال بعضهم اى ناعمين متنعمين وقال بعضهم معجبين وهما واحد المعجب به والناعم
سواء لانه اذا كان ناعما متنعما كان معجبا مسرورا وقال بعضهم فاكهين ناعمين وفكهين معجبين بذلك
وهو قول القتبى ثم ذكرها هنا فاكهين بما آتاهم ربهم وذكر فى سورة والذاريات آخذين ما آتاهم ربهم
فالفاكهة ما ذكرنا وقوله عز وجل آخذين ما آتاهم ربهم اى آخذين ما آتاهم ربهم بالشكر منه والحمد

والله اعلم

والله اعلم وقوله عز وجل ووقاهم ربهم عذاب الجحيم هذا يخرج على وجهين احدهما وقاهم اى عصمهم
فى الدنيا عن الاعمال التى توبقهم وتهلكهم لو اتوا بها وعملوها فاذا عصمهم عن ذلك وقاهم عن عذاب
الجحيم والله اعلم والثانى وقاهم اى عفا عنهم فى الآخرة وصفح عما عملوا من اعمال الموبقات فى الدنيا
ما لا عفوه اياهم لكانت توبقهم ويستوجبون ذلك والله اعلم وقوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا
بما كنتم تعملون كانه على الاضمار اى يقال لهم لما ادخلوا الجنة ونزلوا منازلهم كلوا واشربوا وقوله هنيئا
اى ليس عليهم فى ذلك خوف التبعة ولا خوف حدوث مكروه فى انفسهم ولا آفة لان ذلك ينغص
عليهم ذلك ليس كما يوكل فى الدنيا فيه خوف التبعة وخوف حدوث المكروه والآفات فى انفسهم والضرر
فاخبر ان لا يكون لهم فى الجنة ذلك لئلا ينغص عليهم نعمها والله اعلم وقوله عز وجل متكئين على سرر
مصفوفة وزوجناهم بحور عين ذكر لهم فى الجنة جميع ما يرغب اليه انفسهم فى الدنيا ويتمنون بها
كقوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون وقوله كواعب اترابا وكاسا دهاقا وقوله عز وجل
فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة واشباه ذلك مما يكثر عدده
مما تحدث به انفسهم فى الدنيا ورغبهم فيه ليرغبوا فى طلبها او ليتركوا ما فى الدنيا من ذلك ليصفو لهم
ذلك فى الآخرة وهذه الاحوال التى ذكر واخبر انه يكون لهم فى الآخرة من الاتكاء على السرر والمقابلة
فى المجلس وغير ذلك من الاشياء التى ذكرها فى الكتاب ثم قوله وزوجناهم حور العين كما يقال تزوجت
بفلانة وفلانة فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم
قيل فيه بوجوه احدها ما قال ابو بكر الكيسانى اى يلحق الاولاد بايمانهم واعمالهم درجات الآباء والامهات
وان قصرت اعمال الذرية عن اعمال الآباء والامهات لان الدرجات انما يكون بالاعمال فهم وان لم يبلغوا فى الاعمال
مبلغ آبائهم فانهم يلحقون بهم فى الدرجات والله اعلم وقال بعضهم ان الذرية الذين تلقوا الايمان من آبائهم
وامهاتهم واخذوه منهم ولم يبحثوا عن حجته وبرهانه حتى يكون اخذهم عن البحث عن الحجة والبرهان
فهم وان كانوا مقلدين آباءهم فى الايمان متقلدين منهم فانهم يلحقون بآبائهم وان كان الايمان عن الحجة
افضل عن الايمان بالتقليد والالتقان وقال بعضهم ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم
الايمان فانهم يلحقون بآبائهم وامهاتهم فى ايمانهم وان لم يكن منهم الايمان ولم يبلغوا به والله اعلم
وقوله عز وجل وما التناهم من عملهم من شئ على تاويل ابى بكر اى وما التنا من اعمال الذرية من شئ
اى ما نقصنا اعمالهم عن اعمال آبائهم فى الثواب وان قصرت اعمالهم عن اعمالهم بل يبلغون درجات
آبائهم ويوفرون كما يوفر على آبائهم وتاويله ابعد هذه التاويلات التى ذكرنا وعلى تاويل غيره
اى ما نقصنا من اعمال آبائهم شيئا اى انهم وان بلغوا مبلغ الآباء لا ينقصون من اعمالهم شيئا ذكر هذا
حتى لا يظن انه ينقص من ثواب آبائهم ويعطى ذلك لهم والله اعلم وقوله عز وجل كل امرئ بما كسب
رهين قال بعضهم هذا صلة قوله عز وجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون
بما كنتم تعملون كل نفس بما كسبت رهين وهو يرد قول من يقول بان الرهن لصاحبه له ان يحلبه وان يركبه
وان ينتفع به ثم يرد الى المرتهن ولو كان له هذا لكان لا يكون رهنا اذ اخبر انه رهين اى محبوس فالرهن
هو الذى يحبس فى كل وقت والله اعلم وقوله عز وجل وامددناهم بفاكهة اى وامددناهم فاكهة
والنساء فى الفاكهة زايدة كما ذكرنا فى قوله تعالى بحور عين ثم يحتمل ان يكون قوله وامددناهم اخبارا
عن دوامها وكثرتها اى لا ينقطع ولا يقل وليست كفواكه الدنيا انها لا توجد فى كل وقت وقوله عز وجل
ولحم طير مما يشتهون اخبر انهم ياكلون جميع ما يشتهون ويجدون ما يتمنون ليس كالدنيا ربما
يشتهى شيئا لا يجده ويجد ما لا يشتهيه وهو كقوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى انفسكم وقوله عز وجل

لحق ذريته بالآباء اللهم الحقنا ٥ بالصالحين

يتنازعون فيها كاسا اى يتعاطون فيها كاسا وياخذ بعضهم من بعض كما يكون في الدنيا لا يكون
لكل احد كاس على حدة وهو كما روى في الخبر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل مع بعض
ازواجه وربما يتنازع ايديهما وقال ابو بكر الكيسانى الكاس هو الخمر وقال غيره هو الاناء المملوء
من الخمر واما الذى لا شراب فيها فهو الاناء وقوله عز وجل لا لغو فيها ولا تأثيم قرئ لا لغو فيها ولا تاثيم
بالرفع والتنوين قال ابو عبيد انه خبر بانه ليس فيها لغو ولا تاثيم كما قال لا غول فيها ولا هم عنها ينزفون
وقرئ بالنصب فيهما على التنزيه وهو وجه غير مدفوع وتاويل الاية اى لا يكون منهم من اللغو وما يؤثم
من القول كما يكون في شراب الدنيا من اللغو والقول الاثم وقيل لا لغو فيها ولا تاثيم لانها احلت لهم في علم
وقوله عز وجل ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون يرغبهم فيما رغب لهم انفسهم في الدنيا
من الخدم والفواكه والبسط ليطلبوها والله اعلم وقوله عز وجل واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال ابو بكر الكيسانى يتساءلون عن المعاصى التى كانت منهم في الدنيا واستدل بقوله على اثر هذه الاية
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين يحتمل قوله في اهلنا مشفقين وجهين احدهما انا كنا قبل واهلنا
مشفقين كقوله قوا انفسكم واهليكم نارا والثانى اى انا كنا قبل على انفسنا واهلنا مشفقين اى خائفين
على ما كان منا من الجنايات والمعاصى وقوله عز وجل انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم
اى والله اعلم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين على انفسنا لجناياتنا وراجين برحمته بقوله تعالى انا كنا
قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وصف الله تعالى في غير آى من القرآن بالاشفاق والخشية والطمع
والرجاء كقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقوله يدعوننا رغبا ورهبا ونحو ذلك ثم قوله انه هو البر
الرحيم قرئ انه هو البر بنصب الالف وخفضه فمن كسر حمله على الابتداء اى ربنا كذلك على كل حال
ومن نصب اراد يدعوه ثانيا لانه هو البر الرحيم اى يدعوه لاجل انه كذلك والله اعلم وقوله عز وجل
فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم دل قوله فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ان لله ان يعذبهم
بعذاب السموم لكنه بمنه وفضله وقاهم ولو كان عليه ذلك كما قالت المعتزلة لم يكن لذكر المنة معنى
وقوله فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون اى بما انعم عليك من النبوة والقرآن لست بكاهن
ولا مجنون ثم هذا يخرج على وجهين احدهما اى انك لم تقابل نعمة ربك عوفيت وعصمت عما ذكر واخر الجنون
والسحر وغير ذلك والله اعلم دل هذا الا على انهم قالوا له انه كاهن ومجنون وكذا كانت عادة اولئك
انهم ينسبون الحجج عند عجزهم عن مقابلتها الى السحر والانباء المتقدمة الى الكهانة وخلاف الرسل عليهم الصلاة
والسلام لعاداتهم وفراغتهم الى الجنون والكلام المستملح والمستلذ الى الشعر تلبيسا للامر على اتباعهم
هذه كانت عاداتهم مع العلم منهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك لما لم يختلف الى احد من الكهانة
ولا السحرة ولا كان القرآن على نظم الشعر وعجزوا عن اتيان مثله وهم عن الشعر غير عاجزين ثم لما عجزوا
عن مقابلة ما اتاهم من الحجج قالوا نتربص به ريب المنون اى عن قريب يرجعون الى ديننا والى ما نحن فيه
وكانوا يقولون الضعفاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا يموت ويصير الامر لنا فترجعون
الينا فقال تعالى قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اى تربصوا ذلك فانى متربص ذلك بكم فكانوا جميعا اوعامتهم
اعنى الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حل بهم ما ظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم
قال القتبى ريب المنون حوادث الدهر واوجاعه ومصايبه والمنون الدهر وقال ابو عوسجة ريب المنون
اى المنية وريبها ما ياتى به وقوله عز وجل ام تامرهم احلامهم بهذا قد ذكرنا في غير موضع ان حرف ام
اى ليست لهم عقول يامرهم بذلك اى من يامر بهذا فليس بعاقل والثانى على تسفيه احلامهم اى اى عقل
يامر بعبادة الاصنام وينهى عن عبادة الله تعالى اى لا عقل يامر به وقوله بل هم قوم طاغون اى طاغون

في ذلك والطغيان هو المجاوزة عن الحد في العداوة وقوله ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون اى يعلمون
انك لست بمتقول ولكن ينسبونك الى التقول لتكذيبهم بايات الله تعالى وهو ما ذكر في آية اخرى فانهم
لا يكذبونك بالتخفيف والتشديد ولكن الظالمين بايات الله يجحدون يقول انهم لا يقولون انك كاذب
فيما تقول ولا ينسبونك الى الكذب ولكن انما يكذبون الايات ويعتقدون كذبها فعلى ذلك يقوله على علم
منهم انك لم تتقول ولكن اعتقدوا تكذيب الايات والجحود لها فيقولون انك تتقول من قال فلياتوا
بحديث مثله ان كانوا صادقين اى لو كانوا صادقين بان محمدا تقول على الله فلياتوا بمثل ما اتى به
محمد ثم قوله عز وجل فلياتوا بحديث مثله وان خرج مخرج الامر في الظاهر فهو في الحقيقة ليس
بامر لانه لا يحتمل ان يامرهم ان ياتوا بالكذب والافتراء ثم هذا يخرج على وجهين احدهما على الاعجاز
عن ان ياتوا بمثله والثانى على التوبيخ والتوعيد على ما قالوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من الافتراء والتقول والله اعلم وقوله عز وجل ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون قال عامة
اهل التاويل اى ام خلقوا من غير اب ولكن ليس فيما ذكر واكثير فايدة لو خلقوا من غير اب الا ان يريدوا
بذلك حتى لم يعرفوا من خلقهم وممن خلقوا بل كانت لهم اباء عودهم واعلموهم بان لهم خالقا
وانهم مخلوقون وليسوا بخالقين او كلام نحوه فكيف يتكلمون بما هو سفه وكيف يصرون عليه وعندنا
يخرج على وجهين احدهما ام خلقوا من غير شيء اى يعلمون انهم لم يخلقوا لغير شيء لانهم لو خلقوا
لغير شيء وخلقوا من تراب ولغير معنى وحكمة لكان خلقهم عبثا باطلا وهم يعلمون انهم لم يخلقوا عبثا
باطلا والثانى يقال لا يخلو اما ان يكونوا خلقوا من غير شيء او خلقوا من تراب وماء فكيف ما كان فدل
ان قدرته ذاتية لا مستفادة فلا يحتمل ان يعجزه شيء وقوله عز وجل ام هم الخالقون اى ليسوهم
بخالقين وقوله عز وجل ام خلقوا السموات والارض اى يعلمون انهم لم يخلقوهما وقوله بل لا يوقنون
يخرج على وجهين احدهما ان ما يقولون انما يقولون على الظن لا على اليقين والثانى بل لا يوقنون
اى لا يصدقون وذلك في قوة علم الله تعالى بانهم لا يؤمنون فان كان التاويل هذا ففيه دلالة اثبات الرسالة
حيث اخبر عن الغيب وان كان التاويل هو الاول ففيه ان جميع ما يقولون انما يقولون على الظن والجهل
لا على اليقين والله اعلم وقوله عز وجل ام عندهم خزائن ربك الاية اى ليس عندهم خزائن ربك على ما ذكرنا
في قوله تعالى ام خلقوا السموات والارض اى لم يخلقوا فعلى ذلك هذا ليس عندهم خزائن ربك وكلام المصيطرون
ثم الاية يحتمل وجوها ايضا يحتمل ام عندهم خزائن ربك اى الذى منعهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو المنعة التى عندهم ليست ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكونوا هم لذلك احق بالرسالة
اى ليسوا باحق ويحتمل قوله تعالى ام عندهم خزائن ربك اى علم الغيب اطلعوا على ذلك فعلموا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد تقول على الله تعالى اى ليس لهم علم الغيب ويحتمل ام عندهم خزائن ربك اى علم الغيب ليس ذلك
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو عند رسوله ما يخبره ربه جل وعلا ليس عندهم شيء من ذلك وقوله
عز وجل ام هم المصيطرون اى ليس هم المسلطون على ارزاقهم ولا ارزاق غيرهم وقال بعضهم المصيطر الرب
يقال سيطر فلان اى صار ربا وهو قول القتبى وقال الزجاج المسيطر المسلط يقال سيطر اى تسلط وقال ابو بكر
المصيطر لغة لب القاهر لكن الغلبة والقهر بالحجة عليهم وهذا يخرج على المقابلة برسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما ذكر ويحتمل على غير المقابلة والله اعلم وقوله ام لهم سلم يستمعون فيه هذا يخرج على وجهين
احدهما ام لهم سبب وقوة فيصعدون السماء فيستمعون من اخبارها فعلموا بذلك ان محمدا عليه السلام
تقول على الله تعالى والثانى ام لهم سلم اى لهم حجة وبرهان يستمعون فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما ذكروا فان قالوا نعم لنا ذلك يقال لهم عند ذلك فليات مستمعهم بسلطان مبين اى بحجة بينة

اى ليس لهم ذلك والله اعلم وقوله اعز وجل ام له البنات ولكم البنون الآية هذا ليس من نوع ما سبق
ذكره لان ما تقدم من الآيات بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم على المقابلة وهذا راجع الى الله تعالى
فى الظاهر على ما سبق منهم القول ان الملائكة بنات الله وهو ما قال واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه
مسودا وهو كظيم يذكر سفههم فى نسبتهم البنات الى الله عز وجل وهم يانفون من نسبتهن اليهم فيسكت
بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصبره على اذاهم اى انهم يقولون فى ما قالوا فاصبر على ما يقولون
فيك والله اعلم ويحتمل ان خرج على ما ذكرنا من المقابلة برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه ام لرسول الله
البنات ولكم البنون فتتركون اتباعه لذلك والله اعلم وقوله عز وجل ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم
مثقلون اى لست تسئلهم اجرا على اتباعك فيمنعهم ذلك عن اتباعك يذكر ان ليس لهم اسباب المنع
وهذه اسباب المنع وانما امتنعوا عن الاتباع تعنتا ومكابرة وقوله عز وجل ام عندهم الغيب فهم يكتبون
اى عندهم علم الغيب فيعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوله بل ليس عندهم ذلك وقوله عز وجل
ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون اى يريدون كيدا برسول الله صلى الله عليه وسلم
لكن هم المكيدون اى اليهم يرجع ذلك الكيد والذى ارادوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يحتمل
ذلك الكيد الذى اخبر عز وجل انه عليهم فى الدنيا على ما قال اهل التأويل انهم قتلوا يوم بدر ويحتمل ذلك
فى الآخرة وقوله عز وجل ام لهم اله غير الله اى ام لهم اله يامرهم بالذى يدعون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اى ام لهم اله غير الله يمنعهم من عذاب الله تعالى اى ليس لهم ويحتمل ام لهم اله غير الله
يامرهم بالذى يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من التقول على الله تعالى او يطلعهم على ذلك
اى ليس لهم اله يطلعهم على ذلك ويدفع عنهم ما ينزل من السماء من العذاب وهو ما قال ان عذاب ربك
لواقع ما له من دافع ثم نزه نفسه عما اشركوا فيه من الاوثان فى تسميتها الالوهية واستحقاق العبادة
فقال سبحان الله عما يشركون وقوله عز وجل وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم
يخبر عن عناد اولئك الرؤساء ومكابرتهم وانما قالوا ما قالوا على التعنت لا على الاسترشاد وان هذه
الآيات من قوله ام تامرهم احلامهم بهذا الى قوله عز وجل ام لهم اله غير الله كلها محاجة مع اولئك
الرؤساء المعاندين يبين ذلك قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم
يقول انهم وان يروا ما يوعدهم من عذاب ينزل بهم يقولوا لتعنتهم ومكابرتهم انه سحاب مركوم ليس
بعذاب وهو كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا
ليؤمنوا يخبر عن عنادهم وكقوله عز وجل اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء لا يؤمنون ويقولون ما ذكر انه سحاب مركوم
تعنتا ومكابرة ثم امر رسوله عليه الصلوة والسلام بان يعرض عنهم وان لا يشتغل بهم لما علم الله تعالى
انهم لا يؤمنون وهو ما قال عز وجل فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون
يؤيس رسوله صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم ويامرهم بالصبر على اذاهم وترك المكافاة لهم ويخبر انهم
لا يؤمنون الا فى اليوم الذى فيه يصعقون اى يموتون ثم قرئ قوله يصعقون بفتح الياء وضمها فمن قال
بالنصب احتج بقوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض ولم يقل فصعق ثم يحتمل الصعقة التى ذكر
ما ذكرنا اى يموتون ويحتمل اى ينزل بهم الشدائد والاوجاع ولكن لا ينفعهم الايمان فى ذلك الوقت
لانه ايمان دفع العذاب عن انفسهم وقوله عز وجل يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون
اى لا ينفعهم ولا ينفعهم كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم عما ينزل بهم يومئذ جزاء على كيدهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان لا يغنيهم من عذاب الله تعالى الاصنام التى عبدوها رجاء

ان يشفع لهم او يقربهم الى الله زلفى كما اخبر عز وجل والله الموفق وقوله عز وجل وان للذين ظلموا
عذابا دون ذلك قال اهل التأويل اى لمشركى اهل مكة عذابا دون عذاب النار وهو القتل بالسيف
يوم بدر ويحتمل ان يكون قوله وان للذين ظلموا اى للكفرة عذاب فى الدنيا دون الذى ذكر فى يوم القيامة
حيث قال حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ثم قال لهم عذاب دون ذلك وهم ما داموا
كفارا فهم فى عذاب يكونون فى خوف وذل وخزى فذلك كله عذاب الله والله اعلم وقوله ولكن اكثرهم
لا يعلمون اى لا ينتفعون بعلمهم او لا يعلمون حقيقته لما لم ينظروا فى اسباب العلم ولم يتفكروا فيها
حتى يمنعهم ويزجرهم عن صنيعهم وقوله عز وجل فاصبر لحكم ربك دل هذا الحرف ان النبى صلى الله
عليه وسلم قد كلف امرا شديدا شاقا عليه حتى قال له فاصبر اذ الامر بالصبر لا يكون الا فى امور
شاقة شديدة ولذلك قال له فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل امره بالصبر على ما كلفه كما صبر اخوانه
على ما لحقهم من الامور الشاقة وما قال واصبر وما صبرك الا بالله اخبر انه لو صبر انما يصبر بتوفيق الله
اياه او منه انه اذا صبر يكون صبره لله تعالى حتى يسهل عليه احتمال ذلك والله اعلم ثم قوله لحكم ربك
يحتمل وجهين احدهما امر من تبليغ الرسالة الى الفراعنة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم
فذلك امر شديد فامره بالصبر على ذلك والتبليغ الى اولئك والثانى امره بالصبر على ذلك والتبليغ
الى اولئك والثانى امره بالصبر على اذاهم واستهزائهم به وترك المكافاة لهم ويحتمل ان يكون الامر
بالصبر على الامور التى كانت عليه فى خاص نفسه من احتمال غصة التكذيب وحزنه على تركهم التوحيد
والايمان وانما ذلك كله حكم الله تعالى وقوله عز وجل فانك باعيننا اى بمنظر وعلم منا فان كان
الامر بالصبر على القيام بتبليغ الرسالة الى من ذكرنا فيخرج قوله فانك باعيننا مخرج وعد النصر والمعونة
كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وان كان الامر بالصبر على ترك مكافاتهم او على القيام بالامور
التى فيما بينه وبين ربه تعالى فيصير كانه قال على علم منا بما يكون منهم من التكذيب والاستهزاء
والاذى كلفناك لا من جهل منا بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وسبح بحمد ربك اى نزهه
عن معانى الخلق وعما لا يليق واذكر الثناء عليه بما هو اهله وقوله عز وجل حين تقوم من مجلسك
فيكون التسبيح يحتمل حين تقوم من مجلسك او من منامك وحين تقوم للتعيش والانتشار فان كان
المراد حين تقوم من مجلسك فيكون التسبيح ما ذكر فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل ان تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك ولم يذكر الآية وان كان المراد حين تقوم
من منامك فجائز ان يكون المراد منه الصلوة وان كان حين تقوم للانتشار والتعيش فيصير كانه امر
بالتسبيح بالنهار فى وقت الانتشار وعلى هذا قوله ومن الليل اى سبح بالليل فى وقت الراحة فيصير كانه
قال وسبح بحمد ربك فى الاوقات كلها بالليل والنهار فى وقت الراحة وفى وقت الانتشار وروى
الضحاك عن عمر رضى الله عنه انه قال فسبح بحمد ربك حين تقوم فى الصلوة المفروضة قبل ان تكبر
سبحانك اللهم وبحمدك الى آخره وروى الضحاك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل فى الصلوة
قيل ذلك وذلك قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم وروى ابو سعيد وعايشة رضى الله عنهما
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اذا افتتح الصلوة قال ذلك وعن مجاهد انه قال حين تقوم من كل مجلس
والله اعلم وقوله عز وجل فسبحه وادبار النجوم الآية قال اهل التأويل هو ركعتا الفجر روى
عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وعن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعا
انه اراد بادبار النجوم الركعتين قبل الفجر وادبار السجود الركعتين بعد المغرب فان ثبت فهو التاويل

ان كان على هذا فهذا يدل على تاخير صلوة الفجر لان ادبار النجوم انما يكون عند ذهابها وانقضائها وذلك لايكون باول وقت طلوع الفجر وانما يكون وقت الاسفار فيكون حجة لنا والله اعلم

سورة النجم مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والنجم اذا هوى قيل المراد هو النجوم انفسها فاقسم بها على ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى على ما قاله الكفرة وبه يقول الاصم وقيل اراد بقوله والنجم نزول القرآن نجما نجما على التفاريق اقسم بالقرآن انه لم يضل ولم يغو وقال مجاهد اقسم بالثريا اذا غاب والعرب يسمى الثريا وهي ستة انجم ظاهرة نجما وقال ابو عبيد اقسم بالنجم اذا سقط في الغور فكانه لم يخص الثريا دون غيرها فان كان التاويل هو الاول فهو لما جعل الله تعالى النجوم محلا في قلوب الخلق واعلاما يستخرجون بها جميع ما ينزل بالخلق وما يكون لهم من المنافع والمضار من كثرة الامطار والسعة والضيق وما ينزل بهم من المصايب والشدايد وما يكون من انقلاب الامور وما جعل فيها من المنافع من معرفة القبلة وطرقا لامكنة النائية ومعرفة الاوقات وغيرها مما يكثر عدتها فاقسم بنفسها او بالذي انشاء النجوم وما جعل فيها من المنافع ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى وان كان النجم هو النجوم التي انزل القرآن فيها نجوما على التفاريق فاقسم بالذي انزل القرآن على التفاريق وقوله عز وجل اذا هوى اي سقطت كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم اي بمساقطها والاشبه ان يكون قوله اذا هوى اي سقطت كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم والاشبه ان يكون قوله اذا هوى اي اذا صارت سيرا دايما في سيرها لانها ابدا يكون في السير وفي سيرها منافع للخلق من الاهتداء للطرق وغيرها وما ليس في مساقط النجوم وغيبوبتها كثير حكمة حتى يقسم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل ما ضل صاحبكم وما غوى يخرج على وجهين احدهما اي ضل عما نزل به القرآن وعما امر به لانهم كانوا يدعون عليه الضلال ان خالف دينهم ودين ابائهم فقال ما ضل هو عما امر به وما غوى والثاني ما ضل صاحبكم وما غوى اي ليس بساحر ولا شاعر لانهم كانوا يقولون انه شاعر وانه ساحر فقال ليس هو كذلك ما ضل بالسحر وما غوى بالشعر على ما قال والشعراء يتبعهم الغاوون بل رشد واهتدى وهو ما قال تعالى وما ينطق عن الهوى اي ما ينطق عما يهوى به نفسه بل انما ينطق عن الوحي بقوله ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى والاجاز ان يصرف قوله تعالى علمه شديد القوى الى الله تعالى اذ الله تعالى قد اضاف تعليمه الى نفسه بقوله عز وجل الرحمن علم القرآن لكن ابان بقوله ذو مرة فاستوى ان المراد غيره اذ هو لا يوصف بانه ذو مرة فاستوى وهو جبريل عليه الصلوة والسلام على ما قال اهل التاويل ثم اضاف التعليم مرة الى جبريل عليه السلام ومرة الى نفسه فالاضافة الى جبريل صلوات الله عليه لما منه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وتلقف والاضافة الى الله تعالى يخرج على وجهين احدهما اضاف الى نفسه لما انه هو الباعث جبريل اليه والامر له بالتعليم والخالق لفعل التعليم من جبريل عليه الصلوة والسلام والثاني لما يكون من الله سبحانه وتعالى من اللطف الذي يحصل به العلم عند التعليم ولهذا يختلف المتعلمون في حصول العلم مع التساوي في التعليم لاختلافهم في آثار اللطف والله الموفق وقوله عز وجل ذو مرة فاستوى الآية قال اهل التاويل ذو مرة ذو قوة وقيل ذو مرة اي ذو احكام واصله من قوى الحبل وهي طاقته والواحد قوة واصل المرة الفتل وقوله فاستوى يحتمل استوى اي محمد صلى الله عليه وسلم لنزول الوحي اليه وقيل استوى اي جبريل عليه الصلوة والسلام على صورته لما ذكر انه صلى الله

عليه وسلم سئل ربه عز وجل ان يريه جبريل عليه الصلوة والسلام على صورته فاستوى جبريل على صورته فرآه كذلك وقوله عز وجل وهو بالافق الاعلى اي جبريل بالافق الاعلى ثم يحتمل الافق الاعلى اي افق السماء ويحتمل ان يكون الافق الاعلى مكان الملايكة ومسكنهم فاخبر انه عليه الصلوة والسلام رآى على صورته في مكانه وجايز ان يكون الافق ما ذكر في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يرى جبريل عليه الصلوة والسلام في صورته فسأله ان يريه فقال ان الارض لا يسعني ولكن انظر الى الافق الاعلى فنظر فرآه وفي بعض الاخبار انك لا تقدر ان ترانى في صورتي ولكن انظر الى الافق الاعلى ثم جايز ان يكون ما ذكر من النظر الى الافق الاعلى لما انه بصره كان لا يحتمل النظر اليه من قرب ويحتمل ذلك من البعد وذلك معروف فيما بين الخلق ان الشيء اذا كان له شعاع او نور او بياض شديد ان البصر لا يحتمل النظر اليه من القرب في اول ملاقاته ويحتمل اذا كان يبعد منه وعلى هذا وقوله عز وجل ثم دنى فتدلى يحتمل دنى منه جبريل عليه الصلوة والسلام شيا بعد شيء وقرب منه كذلك ليحتمله اذ جبل الانسان على طبيعة يحتمل الاشياء اذا انتهى اليه على التفاريق ما لو اتيه بدفعة واحدة في وقت واحد لما احتملها الانفس كالحر يأتي الخلق بعد شدة البرد شيئا فشيئا وكذلك البرد بعد شدة الحر شيئا فشيئا حتى يشتد ما لو ما بدفعة واحدة اذا كان قريبا منه ويحتمل في البعد ثم يقرب ويدنو قليلا حتى يحتمل من القرب والله اعلم ثم من الناس من يقول ان قوله تعالى ثم دنى فتدلى على التقديم والتاخير اي تدلى قربا لانه يكون التدلي اولا ثم الدنو منه ومنهم من قال بل هو على ما قال وهما سواء اعني التدلي والدنو بمنزلة القرب والدنو والله اعلم وقوله عز وجل فكان قاب قوسين او ادنى اختلف فيه قال بعضهم القاب هو صدر القوس اي فكان قد صدر القوس من الوتر مرتين وقال بعضهم اي قدر قوسين حقيقة وقال القتبي قاب قدر قوسين عربيين وقال ابو عبيدة القاب قدر الطول وقيل القوس الذراع ههنا اي كان قدر ما بينهما ذراعين قال والاول اعجب الي لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقاب قوس احدكم اي موضع قد خير من الدنيا وما فيها والقد السوط فنقول اي الوجوه كان ففيه دليل انه لم يكن جبريل عليه الصلوة والسلام يبعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا يحيط به لان الشيء اذا بعد عن البصر لم يعرف بالاجتهاد ولا يدركه حقيقة وكذلك اذا قرب منه حتى ماسه والتصق به قصر البصر عن ادراكه واذا كان بين البعد والقرب احاط به وادركه فيخبر الله تعالى انه احاط به علما وادركه حقيقة لا ان كان معرفته اياه بطريق الاجتهاد والله اعلم وقوله عز وجل او ادنى قال اهل التاويل حرف او حرف شك وذلك غير محتمل من الله تعالى ولكن معناه على الايجاب اي بل ادنى وقال بعضهم او ادنى في اجتهادكم ووهمكم لو نظرتم اليهما لقلتم انهما بالقرب والدنو قدر قوسين او ادنى وقوله عز وجل فاوحى الى عبده ما اوحى هذا يخرج على وجهين احدهما على التقديم والتاخير اي فاوحى جبريل ما اوحى اليه الى محمد عبده ورسوله عليهما الصلوة والسلام والثاني اوحى جل وعلا الى عبده جبريل ما اوحى الى محمد عليهما الصلوة والسلام وقوله عز وجل ما كذب الفؤاد ما رأى قرئ كذب مخففا الذال ومشددة فمن قرأ بالتخفيف اي ما كذب عبده فيما رآى اي ما رآى حق وقال ابو عبيد ما كذب في رؤيته اي رؤيته قد صدقت ومن قرأ بالتشديد اي لم يجعل الفؤاد رؤية العين كذبا وعندنا اي ما رد الفؤاد ما رأى البصر واصله ان الفؤاد مما يوعى به يقول قد وعى ما رآى لم يتركه ولم يضيعه وقيل ما كذب الفؤاد ما رأى اي ما علم والرؤية كناية عن العلم لكن لو كان المراد منه العلم فلا يحتمل ما ذكر ولقد رآه نزلة اخرى ولا يتصور ان يعلم مرتين وكذا ذكر انه رأى ربه مرتين ولا يحتمل العلم مرتين فدل ان حمل علم لا يصح واصله عندنا ما كذب الفؤاد ما رأى من الآيات دليله ما ذكر في آخر لقد رأى من آيات ربه الكبرى

وقال رآه نزلة اخرى وعن الحسن اى راى عظمة من عظمة الله وامراً من امره وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
انه قال راى جبريل عليه السلام على صورته مرتين اى ما كذب الفؤاد ما راى البصر جبريل عليه الصلوة والسلام
ولقد رآه ايضا مرة اخرى عند سدرة المنتهى ومنهم من قال انه راى ربه على العيان بعينه فهو خلاف
ما ثبت من وعد الرؤية فى الآخرة بالكتاب والسنة المواترة ولانه لو راى ربه تعالى على ما قالوا الكان لا يحتاج
الى ان يرى آياته الكبرى لان رؤية الآيات انما يحتاج اليها عند ما يعرف الشئ بالاجتهاد فاما عند المشاهدة
وارتفاع الموانع لا حاجة مع اليها الا ان يقال برؤية القلب على ما ذكر فى الخبر انه سئل عن ذلك فقيل
هل رايت ربك فقال رأيته مرتين بقلبى وفى بعض الاخبار قال اما بعينى فلا واما بفؤادى فقد رأيته
مرتين ويفسرون رؤية القلب بالعلم لكن الاشكال عليه ما ذكرنا فان ثبت الحديث فهو على ما كان
واراد لا يفسر ذلك وكذلك قول من يقول فى قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى انه دنى
من ربه قول وحش فيه اثبات المكان والتشبيه تعالى الله عن ذلك ولكن المراد ما ذكرنا ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم دنى من جبريل عليه الصلوة والسلام على ما ذكرنا ثم قوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما راى وقوله تعالى عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى الى آخره ذكر خصوصيته رسولك
صلى الله عليه وسلم من بين غيره من الخلايق منها رؤية جبريل عليه الصلوة والسلام على صورته ورؤية
الرب تعالى بقلبه ان ثبت الحديث عنه وبلوغه الى سدرة المنتهى اذ لم يذكر لاحد من رسل الله تعالى
انه بلغ هذا المبلغ سواه **وقوله** عز وجل افتمارونه على ما يرى عن ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس
رضى الله عنهما انهما قرآ مفتوحة التاء بغير الف ومعناه افتجحدونه وعن الحسن بالالف مضمومة التاء
وقال معناه افتجادلونه وعن شريح مثله قال ابو عبيد بالاولى ان يقرا بمعنى الجحود وذلك ان المشركين
انما كان شانهم الجحود فيما ياتيهم من الخبر السماوى وهو اكبر من المماراة والمجادلة وقيل افتمرونه
اى يشككونه على ما ترى وقال ابو بكر الاصم لا يصح القراءة بغير الف ولا تاويله انما القراءة بالالف وتاويله
افتجادلونه ونحن نقول بان تاويل من ذكر من الجحود والقراءة صحيح وتاويل من قال افتجادلونه
على ما يرى لا يحتمل لان مجادلتهم لا يكون فيما يرى لكن يجادلونه على ما يخبر انه يرى اذ فى الخبر
يقع التكذيب ويجادلونه والله اعلم **وقوله** عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى فهو على ما ذكرنا
من اختلاف الناس ان ما ايش هو والله اعلم **وقوله** عز وجل عند سدرة المنتهى قيل سمى ذلك الموضع
سدرة لما انتهى اليه علم الخلق فلا يجاوزه وقيل لما انتهى اليه كرامات الخلق لا يجاوز كراماتهم
عنها وقيل السدرة الشجرة ويروون فى ذلك خبرا مرفوعا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جبريل عليه الصلوة والسلام عند سدرة المنتهى عليه كذا كذا
من جناح وقيل سميت سدرة المنتهى لما ينتهى اليها ارواح الشهداء ثم جايز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى جبريل عليه الصلوة والسلام اولا عند سدرة المنتهى من الارض لما يرفع الحجب عنه واما بزيادة
قوة وضعت فى بصره ثم رآه مرة اخرى هنالك ايضا بعد ما رفع صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى
والله اعلم **وقوله** عز وجل عندها جنة المأوى قرئت بنصب الجيم وخفضه روى انه قيل لسعد
ابن ابى وقاص رضى الله عنه ان فلانا يقرا بالخفض عندها جنة المأوى فقال سعد ما كذا جنة الله
وقراء بالفتح وعن الاعمش قال قالت من قرا جنة المأوى فاجنه الله وعن ابى العالية قال سئل عنها
ابن عباس رضى الله عنه فقال كيف يقراها ابا العالية فقلت جنة المأوى بفتح الجيم فقال صدقت
وهى مثل الاخرى لهم جنة المأوى وعن الحسن انه قرا جنة المأوى وقال انها من الجنان وتصديقها
حديث الاسراء انه اتى الجنة وادخلها قال ودلت الآية ان الجنة التى ياوى اليها المؤمنون فى السماء

وقوله

812

في السدرة

وقوله عز وجل اذ يغشى السدرة ما يغشى قال عامة اهل التاويل يغشيها فراش من ذهب وكذا ذكر فى خبر
مرفوع غشاها فراش من ذهب ولكن لا يفسر ما الذى يغشى السدرة بل نبهم كما ابهم الله تعالى الا بحديث ثبت
عن تواتر والله اعلم وقال بعضهم فى قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى اى ما يغشى من امر الله تعالى
ويروون خبرا عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهيت
الى السدرة رايت ورقها امثال آذان الفيلة ورايت ثمرها امثال القلال فلما غشيها من امر الله ما غشيها
تحولت فذكر الياقوت ان ثبت هذا الخبر ففيه دليل ان السدرة شجرة اذ ذكر ورقها وقيل ان الذى يغشاها
امر الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنه اذ يغشى السدرة ما يغشى الملائكة والله اعلم **وقوله** عز وجل
ما زاغ البصر وما طغى قال ابو بكر اى ما قصر البصر عن الحد الذى امر وجعل له وما طغى وما جاوز عنه
او كلام نحوه ويحتمل ما زاغ اى ما مال وما عدل يمينا وشمالا وما طغى وما جاوز وقال ابو عوسجة ما زاغ
البصر اى ما مال وما طغى من الارتفاع طغى الماء اذا ارتفع يطغى طغيانا **وقوله** عز وجل ولقد راى من آيات
ربه الكبرى جايز ان يكون آيات ربه التى ذكر انه راى هو جبريل عليه الصلوة والسلام حيث راه
بصورته وكذلك روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه رآه بصورته مرتين وتاويل الآية
ويحتمل غيره من الآيات ولكن لا نفسرها والله اعلم **وقوله** عز وجل افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى الآية يخرج تاويل هذه الآية على وجوه والا ليس فى هذا الموضع لظاهر قوله
عز وجل ومناة الثالثة الاخرى جواب ولا لقوله الكم الذكر وله الانثى احدها ان يقول اهؤلاء الذين
يعبدونهم من اللات والعزى ومناة اخيركم وقالوا الكم انه اصطفى لنفسه البنات ولكم البنين وان الملائكة
بنات الله ونحوه اخذتم ذلك منها او ممن اخذتم ذلك وانتم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب وقد عرفوا
انها لم يخبرهم بذلك فيذكر بذلك سفههم او يقول افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
التى سميتموها آلهة وعبدتموها دون الله ونسبتم البنات اليه والبنين الى انفسكم ثم لم يذكر جوابها
انه امرهم بذلك ومن اختار لهم ذلك او ممن اخذوا ذلك ثم قال ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان الآية كانه يقول والله اعلم انكم انما سميتموها آلهة واخترتم لانفسكم البنين
وله البنات بلا سلطان ولا حجة لكم انما هى اسماء سميتموها انتم وآباؤكم بلا حجة ولا سلطان انما هو هوى
النفس والظن ويحتمل ان يقول افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى امركم بصرف شكر ما انعم الله
عليكم وقبول ما وهب لكم من البنات على ما اخبر انها من مواهب الله بقوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
الذكور وبرد مواهبه ودفن احياتها ودسها فى التراب وبصرف العبادة الى غير المنعم وقسمة البنين لانفسكم
والبنات له ثم اخبر وقال تلك اذا قسمة ضيزى اى تلك قسمة جور وظلم اى صرف شكر النعم الى غير المنعم
وتوجيه العبادة الى من لا يستحق ورد مواهبه على هذه الوجوه يشبه ان يخرج الآية والا فلا يدرا ظاهر
ما تاويلها وما جواب هذا الحرف والله اعلم ثم **قوله** اللات قرا مجاهد وغيره مشددا التاء فقالوا
هو رجل كان يقوم على آلهتهم ويلت لها السويق بالزيت فيطعم الناس وروى ابن الجوزا عن ابن عباس
رضى الله عنه قال كان يلت السويق للحاج ومن قراء مخففة التاء جعلوه اسم الصنم مثل العزى ومناة وهى
آلهة كانوا يعبدونها ذكر قتادة فى تفسيره كان اللات بالطائف والعزى ببطن نخلة ومناة بقديد
وقوله عز وجل تلك اذا قسمة ضيزى قال القتبى هى فى الاصل ضيزى على وزن فعلى فكسرت الضاد
للياء وليس فى النعوت فعلى اى قسمة جائرة وقال ابو عوسجة ضيزى اى غير منصفة والضيز فى الاصل
الجور وقال ابو عبيدة ناقصة وقال بعض الناس ان النبى صلى الله عليه وسلم لما تلا قوله تعالى افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى وشلهن

لا تشتهي ثم قال بعضهم الغرانيق العلى الملايكة وقال بعضهم الاصنام التي يعبدونها على رجاء الشفاعة لهم بقولهم هولاء شفعاونا عند الله لكن لا يحتمل ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم ويجري على لسانه ما ذكروا والله تعالى قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ولو جاز ان يجري على لسانه لتوهم منه التقول وذلك بعيد وقال في اية اخرى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ولو جاز ذلك لجاز ان يجري الله الكذب على لسانه فلا يكون فيمن وجد من الحرج في قضايه ما ذكر وهو الكفر دل ان ما ذكروه فاسد فان ثبت ما ذكروا ان جرى على لسانه تلك الكلمات والقى الشيطان في فمه يريد بذلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى عندهم وفي زعمهم وهو كقول موسى عليه السلام انظر الى الهك ظلت عليه عاكفا اي الى الهك الذي هو عندك الله والا لا يحتمل ان يكون موسى عليه السلام يسمي العجل الها وكقوله تعالى فراغ الى الهتهم اي الى الهة عندهم وقوله عز وجل اين شركاي الذين كنتم تزعمون انها شركاي فقد ذكرنا هذا على التمام في سورة الحج وقوله عز وجل وما ارسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية والله اعلم وقوله عز وجل ما انزل الله بها من سلطان اي ما انزل الله على تسميتكم الاصنام الهة وعبادتكم اياها ونسبتكم البنين الى انفسكم والبنات الى الله تعالى من حجة وبرهان انما هو من هوى النفس والظن وذلك قوله تعالى ان يتبعون الا الظن في قولهم الملايكة بنات الله او قولهم هولاء شفعاونا عند الله او تسميتهم الاصنام الهة وظنوا ان اباءهم كانوا على الحق واستدلوا على حقيقة ما كانوا عليه من الدين حيث تركهم وما اختاروا ولم يهلكهم وقالوا لو كان على باطل ما تركهم على ذلك واستدلوا بذلك ايضا على رضا منهم بذلك وامره اياهم كما اخبر عنهم بقوله والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها هذا ظنهم بالله تعالى وقوله وما تهوى الانفس اي يتبعون هوى النفس فالنفس ما يعرف المنافع الحاضرة والمضار الحاضرة فاما ما غاب عنها فلا يعرف وانما يعرف ذلك بالتفكر والنظر وهي لا يعرف لما يكره النظر وهي لا تعرف لما يكره النظر والتفكر ولا يرغب في الشدايد ولا فيما يثقل عليها والله اعلم وقوله عز وجل ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي جاءهم من ربهم ما لو تفكروا ونظروا لاهتدوا ولو اتبعوا الحق والهدى لعرفوه وقوله عز وجل ام للانسان ما تمنى اي للانسي ما تمنى ثم يحتمل تمنيهم شفاعة ما عبدوه وما اختاروا من البنين لانفسهم والبنات لله تعالى او ما سموا واتخذوا الاصنام الهة او ما ظنوا على الله وادعوا امره ورضاه في فعلهم وغير ذلك مما كانوا يتمنون يقول للانسان ما تمنى ان يكون له انما يكون ذلك له يجعل الله الذي له الدنيا والاخرة وذلك قوله تعالى ولله الاخرة والاولى وقوله عز وجل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى يخرج هذا على وجهين احدهما اي كم من ملك شفاعته لا ينفع شفاعته وان يشفع الا لمن ذكر والثاني اي كم من ملك في السموات لا شفاعة له ولا يشفع الا لمن يشاء الله ويرضى ان يشفع وهو كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي ليستحقوا شفاعة يشفع لهم وقال ابو بكر الاصم انما يشفعون في الاخرة لمن شفعوا في الدنيا واستغفروا لهم كقوله تعالى ويستغفرون لمن في الارض وقوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا الاية وقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقد ذكرنا فيما تقدم الوجه في ذلك وقوله عز وجل ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملايكة تسمية الانثى وانما يسمي ذلك قوم وقد اضاف ذلك الى الكل في الظاهر لان الذين يسمون الملايكة تسمية

الانثى

الانثى والله اعلم ويجوز ان يذكر الكل ويراد البعض في اللغة ومثله في القران كثير والله اعلم وقوله وما لهم به من علم اي ما لهم بما يسمون الملايكة تسمية الانثى من علم لان العلم بمعرفة الانثى من الذكر بطريقين احدهما المشاهدة يشاهد ويعاين فيعرف الانثى من الذكر وهم لم يشاهدوا الملايكة فكيف يعرفون ذلك والثاني خبر الرسول المويد بالمعجزة وهولاء قوم لا يومنون بالرسل ولا يعرفون بالاستدلال وطرق العلم الثلاثة التي ذكرنا فاذا كان حصل قولهم بلا علم ولكن على الظن وذلك قوله تعالى ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون في قولهم الذي قالوا الا الظن ووجه ظنهم ما ذكرنا ثم اخبر ان ظنهم لا يغنيهم من الحق شيا فهو يخرج على وجهين احدهما ان الظن الذي ظنوا لا يدفع عنهم ما عليهم من اتباع الحق ولزومه والثاني ان ظنهم الذي ظنوا في الدنيا لا يدفع عنهم ما لزمهم من العذاب في الاخرة وقوله عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا هذا يخرج على وجهين احدهما على ترك مكافاتهم اي لا تكافهم لصنيعهم وايذاهم والثاني يخرج على الاياس لهم ايمانهم اي لا تشتغل بهم فانهم لا يومنون ابدا فهو في قوم خاص علم الله عز وجل انهم لا يومنون وقوله عز وجل ولم يرد الا الحيوة الدنيا يحتمل انهم كانوا لا يومنون بالاخرة فلم يريدوا بحسناتهم التي فعلوا الا الحيوة الدنيا لانهم كانوا يتصدقون ويصلون الارحام لكن لم يريدوا بذلك الا ما ذكر في الحيوة الدنيا وجايز ان يكون الارادة ههنا كناية عن العمل وقوله عز وجل لم يرد الا الحيوة الدنيا اي لم يعمل للاخرة راسا يخبر عنهم انهم يعملون للدنيا لا للاخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقوله عز وجل ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن الاية ونحو ذلك وقوله عز وجل ذلك مبلغهم من العلم بان لا يومنوا بالاخرة ولا يعملوا لها وقال بعضهم ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك مبلغ رايهم من العلم ان الملايكة بنات الله وانها تشفع لهم وقوله عز وجل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى مثل هذا الكلام انما يخرج على اثر خصومات كانت من اولئك الكفرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانت اولئك الكفرة قالوا نحن على الهدى وانتم على الضلال فقال عند ذلك فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ثم قال ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله فيجزيه جزاء ضلاله في الاخرة وهو اعلم بمن اهتدى فيجزيه جزاء الهدى والله اعلم وقوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى هذا يخرج على وجهين احدهما يقول لله ما في السموات وما في الارض وهو غني عن عبادتكم وانما يامركم وينهاكم ليجزيكم باعمالكم لا لمنافع يرجع اليه والثاني لله ما في السموات وما في الارض اي انما انشا اهل السموات والارض ليمتحنهم بالامر والنهي ثم ليجزي الذين اساوا جزاء الاساءة والذين احسنوا جزاء الاحسان ولو كان على ما قال اولئك الكفرة ان لا بعث ولا جزاء لكان خلقهم وخلق ما ذكر عبثا باطلا وفي الحكمة التفريق بين المسيء والمحسن وفي الدنيا تحققت التسوية بينهما فدل ذلك على دار اخرى يفرق بينهما فيها ثم يحتمل جزاء الاساءة اولئك في الدنيا والاخرة في الدنيا القهر والدبرة والهزيمة وفي الاخرة النار وجزاء المحسن في الدنيا النصر والظفر وفي الاخرة الجنة ثم نعت الذين احسنوا بالحسنى وهو التوحيد فقال الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش ثم يحتمل ان يكون الكباير ما يعرفها كل احد انها كبيرة والفاحشة ما يعرفها كل احد انها فاحشة واللمم على هذا يجيء ان يكون من تلك الكباير الفواحش لانه استثناها فيجب ان يكون من جنسها لكنه استثناها وعفى عنها لما يقعون فيها عن غفلة وسهوا وعن غلبة شهوة ونحو هذا وهو الاشبه بتاويل الاية وقال اهل التاويل الكباير والفواحش هي التي ذكر فيها الحد في الدنيا والعقوبة في الاخرة واللمم التي

في معاني اللمم

لم يذكر لها حد في الدنيا ولا عقوبة في الآخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال زنا العين النظر
وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك ويكذبه الفرج فان تقدم
فهو زنا والا فهو لمم وفي رواية ان تقدم كان زنا وان تاخر كان لمما وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال ما رايت اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن آدم حظه
من الزنا ادركه ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج
يصدق ذلك كله او يكذبه وعن ابي هريرة انه النظرة والغمزة والقبلة والمباشرة وعند ان اللمم
النكاح وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اللمم لمم الجاهلية كقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين
الا ما قد سلف وعن ابن عباس رضي الله عنه هو ان يلم المراة وقيل اللمم اللهم بالخطيئة من جهة
حديث النفس شيئا من غير عزم وقيل ان اللمم مقاربة الشيء من غير دخول فيه وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاهم ان تغفر تغفر جما واي عبد لك لا الما
وقيل اللمم الصغير من الذنوب لقوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه الآية وقال القتبي اللمم الصغاير
من الذنوب وهو من الم بالشيء اذا لم يتعمق فيه ولم يلزمه وقال بعضهم اللمم ما بين الحدين حد الدنيا
وحد الآخرة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وذلك يحتمل والاول اقرب وقال ابو بكر الاصم
اللمم التي يتوب عنها فانهم اذا تابوا عنها يتجاوز عنهم فهو يجعل اللمم من تلك الكباير والفواحش لكنه يقول
انما استثنى لما يتوب عنها لما يفعلون فيها على السهو والغفلة او لغلبة شهوة على حسن الظن بربه فيغفر له
او يتوب عليه فيعفو عنها وعلى تاويل اهل التاويل اللمم ما دون الكباير والفواحش وجايز ان يكون الكباير
والفواحش وجايز ان يكون الكباير والفواحش التي ذكر كباير الشرك وفواحشه كقوله عز وجل والذين
اذا فعلوا فاحشة الآية وقوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباونا
ولا حرمنا فيكون اللمم على هذا ما دون الشرك فهو في مشية الله تعالى ان شاء عفى عنها وان شاء عذب
عليها كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله عز وجل ان ربك واسع
المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض اي هو اعلم بكم وباحوالكم ووقوعكم فيها على السهو والغفلة عفى عنكم
اي عن اللمم وعلى قول ابي بكر ان ربك واسع المغفرة لمن تاب عنها وهو اعلم بكم انكم يتوبون عنها وعندنا
ما ذكر هو واسع المغفرة لمن شاء تاب منها او لم يتب ثم ان كانت المغفرة هي الستر فهي تعم المومن والكافر
في الدنيا وان كانت التجاوز فهي للمومنين خاصة والله الموفق وقوله عز وجل هو اعلم بكم عندنا هو اعلم
بانكم تجهلون وتفعلون فيها على السهو والغفلة او هو اعلم باحوالكم وافعالكم وما يكون منكم وهو اعلم بكم
اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم ما لو اجتمع حكماء البشر ما ادركوا معنى الانسان
في ذلك ولا ادركوا معنى تصوير اليدين والعينين وغيرهما من الجوارح وقت ما كنتم اجنة في بطون
امهاتكم ثم نسبتنا الى الارض بقوله تعالى من الارض يحتمل وجهين اما لخلق اصلنا من الارض كقوله تعالى
خلقكم من تراب ونحوه او لجعل قواتنا منها لقوله تعالى وقدر فيها اقواتها اذ لا قوام لنا الا بذلك الغذ
والقوت الذي يخرج من الارض والله اعلم وقوله عز وجل فلا تزكوا انفسكم في ظاهر الآية نهي
عن التزكية وامر في آية اخرى بالتزكية ورغب فيها حيث قال ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
لكن فيما امر بالتزكية امر باصلاح انفسهم في انفسهم وتزكيتها فعلا وفيما نهى عن التزكية نهى عن ان يصفوا
انفسهم بالتزكية والصلاح والتقى والبراءة لعل ذلك ليس بتزكية في الحقيقة ويكون فيهم من الفساد
ما لا يستحق التزكية والوصف والبراءة والله اعلم فان قيل ان الله تعالى لما نهانا عن التزكية فكيف
جاز لنا ان نقول لانفسنا انا مومنون ومسلمون اذ ذلك مدح وتزكية قيل انا امرنا بقول الايمان

مما يحفظ انيته في حرمة تزكية النفس بان يقول نحن صلحاء اتقياء وجاز نحن مومنون

والاسلام ابتداء حيث قال قولوا آمنا بالله الآية وقوله واسلموا ونحو ذلك ولم نومر بمثله ابتداء
في الصلاح ونحوه بان يقول نحن صلحاء اتقياء ونجاز ان لا يمتنع في الايمان ويمتنع في غيره من الطاعات
والثاني انه ليس في نفس الايمان تزكية لان كل اهل الاديان مومنون بشيء كافرون بشيء يقوله ومن يكفر
بالطاغوت ويومن بالله وقوله اولئك نومن ببعض ونكفر ببعض وقولهم يومنون بالجبت والطاغوت
وفي نفس التقى والصلاح تزكية وقيل ولا تزكوا انفسكم اي ولا تزكوا اهل دينكم ومذهبكم وذلك
متعارف في الناس انهم يزكون اهل مذهبهم وان كانوا لا يعرفون صلاحهم وتقواهم ويذمون اهل
خلافهم في مذهبهم وان لم يعرفوا منهم الشر وما به يجب المذمة وذلك محتمل ويحتمل ما ذكرنا انه نهى
كلا في نفسه ان يزكي والله اعلم وقوله عز وجل هو اعلم بمن اتقى اي اتقى محارم الله ومناهيه ويحتمل
اي اتقى الكفر بالله والشرك به وقوله عز وجل افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى هذا يخرج
على وجهين احدهما افرايت الذي تولى واعطى قليلا من كبراء الكفرة وعظمائهم واعطى قليلا من المال
لضعفة اهل الايمان ليرجعوا عن الايمان بمحمد والتصديق له ويكذبوا عليه وقوله واكدى اي قطع
عنهم في وقت ايضا وكذا قال القتبي اكدى اي قطع وهو من كدية الركية وهي الصلابة فيها اذا بلغها
الحافر ييئس من حفرها فقطع الحفر وقيل لكل من طلب فلم يبلغ او اعطى فلم يتمم اكدى وقال ابو عوسجة
اكدى بخل ورجل مكدي بخيل وقوله اعنده علم الغيب فهو يرى فهو والله اعلم اعنده علم الغيب
فيامر بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويأذن له بالتولي عنه واعطاء المال على التكذيب له اي ليس عنده
علم الغيب لانهم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب واسباب العلم هذا وقوله عز وجل ام لم ينبأ بما في صحف
موسى وابراهيم الذي وفى كان هذا مقطوع من الاول كان اولئك الكفرة يقولون لاتباعهم انا نتحمل
منكم الظلم والوزر فلا يؤاخذوا ولا تصدقوه كقوله تعالى حكاية عنهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
فقال عند ذلك ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى اي قد بينا
في صحفهما الا تزر وازرة وزر اخرى وقيل انما سمي وفيا لانه بلغ ما امر بتبليغه وقيل لانه كان يصلي
اربع ركعات عند الضحى وعلى ذلك يروون خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون
ما وفى قالوا الله ورسوله اعلم قال وفى اربع ركعات فان ثبت هذا اكتفي عن تاويل الخبر واصل انه
سماه وفيا لما قام بوفاء ما امر به وقوله عز وجل الا تزر وازرة وزر اخرى فيه ان هذا في الكتب
كلها في صحف ابراهيم وموسى وغيرهما من الكتب ان لا يحمل احد وزر نفسه وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال لا يؤخذ الرجل بذنب غيره وعن عمرو بن اوس قال كان الرجل يؤخذ في الجاهلية بذنب غيره
حتى نزلت الآية وقوله عز وجل وان ليس للانسان الا ما سعى الآية يشبه ان يكون قوله وان ليس
للانسان الا ما سعى اي ليس على الانسان الا ما سعى لانه جل وعلا يثيب ويعطي الزيادة على ما سعى بفضله
وكرمه كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ونحو الصغار التي لا سعي لهم قد يعطيهم الثواب
بفضله واما جزاء الشر فانه لا يكون الا بالمثل كقوله تعالى فلا يجزى الا مثلها وجايز ان يكون له بمعنى عليه
في اللغة كقوله عز وجل ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اي فعليها ويحتمل ان يكون الآية
في اولئك الكافرين الذين نزل فيهم قوله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى يقول ليس لذلك الانسان
الا ما سعى وقوله عز وجل وان سعيه سوف يرى وحرف سوف من الله سبحانه وتعالى على التحقيق
والايجاب كحرف لعل وعسى فيكون قوله تعالى سوف يرى اي يرى جزاء عمله لا محالة ثم قوله عز وجل
ثم يجزاه الجزاء الاوفى جزاء الآخرة على الوفاء لا نقصان فيه خيرا كان او شرا ويحتمل ان يكون
ذلك للكافر يجزى جزاء الشرك وجميع ما يعمل من السوء فاما المومن فانه يكفر سيئاته ويجزى

لا يؤخذ الرجل بذنب غيره كما في الجاهلية

حزاء الخيرات كقوله تعالى اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وقوله
عز وجل وان الى ربك المنتهى معنى للآخرة منتهى ومصيرا ورجوعا ويحتمل اى الى جزاء ربك ينتهى
وقوله عز وجل وانه هو اضحك وابكى بين الله جل وعلا قدرته وسلطانه في انشاء انفسهم ولحوالهم
وافعالهم اما بيانه قدرته في انفسهم حيث قال هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة
في بطون امهاتكم واما بيانه قدرته في احوالهم ماذكر من قوله تعالى وانه هو اغنى واقنى وانه هو امات
واحيى واما في افعالهم قوله وانه هو اضحك وابكى يذكر قدرته وسلطانه بما ذكر ليعلموا انه لا يعجزه شئ
ثم قوله عز وجل وانه اضحك وابكى يخرج على وجهين احدهما على الكناية والاستعارة جعل الضحك
كناية عن السرور والبكاء كناية عن الحزن وكذا العرف في الناس انه اذا اشتد بهم السرور ضحكوا
واذا اشتد بهم الحزن بكوا والثاني على حقيقة الضحك والبكاء فهو على وجهين احدهما اى انشاهم بحيث
يضحكون ويبكون والثاني يخلق منهم فعل الضحك والبكاء وهو اشبه التاويلين عندنا وقوله عز وجل
وانه هو امات واحيى قوله امات يحتمل وجهين احدهما اى جعلهم بحيث يموتون وبحيث يحيون
والثاني امات باخراج روحهم واحيا بادخال الروح فيهم وهو كقوله تعالى خلق الموت والحيوة
وقوله عز وجل خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فيحتمل اماتتهم في الدنيا واحياهم في الاخرة واصل ذلك
انه يفعل بهم كلما ذكرنا وقوله عز وجل وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اسم الزوج
يحتمل الزوج الشكل ويحتمل المقابل اى يجعل احدهما شكلا للآخر وان كانا ضدين يقول
جعلهم بحيث يتزاوجون ويتشاكلون او يتقابلون ويتضادون والله اعلم وقوله عز وجل
من نطفة اذا تمنى اى يقذف قال الاصم دل قوله من نطفة اذا تمنى انها اذا لم يقذف يصير مذيا
وانما تقذف التي يخرج على شهوة فاما التي يخرج لا على شهوة فانه يكون مذيا ولا يوجب الاغتسال
والله اعلم وقوله عز وجل وان عليه النشاة الاخرى اى في الحكمة عليه النشاة الاخرى لانه لو لم يكن
النشاة الاخرى كانت النشاة الاولى باطلا عبثا غير حكمة او نقول ان عليه النشاة الاخرى ليعلم
ان له قدرة عليها كما له القدرة على الاولى لان اولئك الكفرة كانوا معترفين بالاولى والقدرة عليها
وينكرون الاخرى فيخبر ان له القدرة عليهما وبالله التوفيق وقوله عز وجل وانه هو اغنى واقنى الا
يحتمل قوله اغنى واقنى اى وسع عليهم واقنى اى صيرهم ما يقتنون من الخدم وغيرها فيكون الاغناء
هو التوسيع بانواع الاموال والاقناء وهو اعطاء القنية من الخادم وما يحتاج اليه للمهنة فيكون
في جعل الخدم له فضل حاجة لاغناء وذلك دليل على صحة مذهبنا في استحقاقهم دفع الزكوة الى من له
الخدم وقيل اغنى اى اعطى ما يغنيه ويستغنى به واقنى اى اقنعه وارضاه وقيل على العكس اغنى
اى ارضى واقنى اى اخدم وعن ابن عباس رضي الله عنه اغنى واقنى اى كثر وقال عطا يا ابن آدم
هو اغناك واقناك اى اعطاك الخدم على ما ذكرنا وقال القتبى هو من القنية والسبب يقال اقنيته كذا
وقال ابو عوسجة هو من القنو اقنى اعطاه ما لا يقتنى قنوا وقوله عز وجل وانه هو رب الشعرى قيل ان الشعرى
اسم كوكب كان يعبده بعض العرب فكانهم ظنوا ان ما في ذلك الكوكب من الحسن والجمال لقدر له عند الله
ومنزلة الرب تعالى وان تدبيرهم يرجع اليه فعبدوه لذلك ويحتمل انهم عبدوه لما لم يروا لانفسهم
اهلية لعبادة الرب تعالى فعبدوا من دونه رجاء التقرب اليه على ما يخدم المرء المتصلين بملوك
الارض ولكن هذا فاسد لان من خدم المتصلين بملوك الارض انما يخدم لما لم يسبق لهم اليهم
من خدمة متصليه ولا الاذن بعبادة انفسهم وخدمتهم فاما الله تعالى قدامرهم بعبادة نفسه
ونهاهم عن عبادة غيره فلم يسع لهم بعد الامر بعبادته والنهى عن عبادة غيره عبادة من دونه

ذكرسفههم

815

ذكر سفههم في عبادتهم الشعرى وامثالها اى عبدوا رب الشعرى فانما فيه من الحسن والجمال
هو الذي فعل فاليه اصرفوا العبادة وقوله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى قرئ عادا الاولى
باظهار التنوين والهمزة وبغير الهمزة ولا اظهار التنوين حتى يصير كانها مثقلة ثم هذا ليس بنوع
ما ذكر من قبل انما ذكر هذا لهم ليزدجروا عن صنيعهم اى اذا اهلك عادا وهم اشد منكم قوة واكثر
عددا واموالا فلما لم يزدجروا بمواعظ الرب تعالى اهلكهم فعلى ذلك نفعل بكم يا اهل مكة ان لم تتعظوا
او انه اهلك عادا فلم يتهيأ لهم القيام بدفع عذاب الله عز وجل مع قوتهم فكيف انتم يا اهل مكة ثم اختلف
في قوله تعالى عادا الاولى منهم من قال كانوا عادين احدهما قوم هود وهم اول فاهلكوا بالريح
وكانت اخرى في زمن فارس الاول ومنهم من قال عادا الاولى الذين اهلكوا من قبل من الامم
واهل مكة وهؤلاء عاد اخرى وقوله عز وجل وثمود فما ابقى اى اهلك ثمودا ايضا وقوله فما ابقى
اى استأصلهم لم يبق منهم احدا اى ما ابقى لهم نسلا يذكرون بذلك بعد هلاكهم كما ابقى للانبياء
والرسل عليهم الصلوة والسلام من النسل او ما لهم من آثار الخير شيئا كما ابقى للرسل واتباعهم
عليهم السلام الى آخر الابد والله اعلم وقوله عز وجل وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى
اى كانوا افحش ظلما واكثر طغيانا لان نوحا عليه الصلوة والسلام دعاهم الى توحيد الله الف سنة
الا خمسين عاما فما زادهم الا نفورا واستكبارا على ما اخبر فلم يزدهم دعائي الا فرارا وقوله
عز وجل والمؤتفكة اهوى قيل قريات لوط عليه السلام اى اهلكها ايضا وقوله اهوى قيل اى اهوى
الى النار وقيل اى اهوى من السماء الى الارض على ما ذكر ان جبريل عليه الصلوة والسلام رفعها الى السماء
وارسلها الى الارض وقوله عز وجل فغشاها ما غشى قيل غشاها الحجارة بعد ذلك فسواها
بالارض وقيل غشى الحجارة مسافريهم ومن غاب منهم وقيل المؤتفكة المكذبة من الافك وهو الكذب
وقيل المنقلبة ايتفكت اى انقلبت فغشاها اى غشى قريات لوط عليه السلام من العذاب ما غشى اولئك
الذين ذكر من قبل من عاد ومن قوم نوح وهو قول القتبى فقال ابو عبيدة المؤتفكة المخسوفة وقوله
عز وجل فباى آلاء ربك تتمارى فظاهر هذا وظاهر قوله تعالى فباى آلاء ربكما تكذبان مشكل
لانه ذكر الآلاء والمعروف انه الاديم لكانه لا يكذب به لكن يخرج على وجوه على التقديم والتاخير والاضمار
كانه يقول فباى الاء من الآلاء ربكم تشاهدونه وتعاينونه تتمارون وكذلك فباى آلاء ربكما الذي قربتم
تكذبون او يقول فباى الآية واحسانه تتمارى فكيف انكرتم احسانه بمحمد صلوات الله عليه او كيف
صرفتم شكر نعمه الى غيره او يكون الآلاء ههنا الحجج يقول فباى حجة من حجج ربك ينكر رسالة محمد
عليه افضل الصلوات وتتمارى فيها اى لا حجة لك في تكذيبك اياه او انكارك رسالته وقوله عز وجل
هذا نذير من النذر الاولى قال الذى يدعوكم وينبئكم محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى
التى انباها الرسل الاولون واوعدوا قومهم فيكون صلة قوله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى
الى آخره وقيل هذا نذير من النذر الاولى اى الرسل الاولى وتمام هذا التاويل اى هذا نذير
من البشر كالذين كانوا من قبل وقيل هذا الذى ينذر محمد صلى الله عليه وسلم هو من النذر التى
في اللوح المحفوظ اى مما ينذر به والله اعلم وقوله عز وجل ازفت الآزفة اى قربت القيامة
سمى الله سبحانه وتعالى القيامة باسماء مختلفة مرة الآزفة ومرة الساعة ومرة القيامة ثم سماها
آزفة لقربها الى الخلق ووقوعها عليهم وكذلك الساعة وقوله عز وجل ليس لها من دون الله كاشفة
دلت الآية على ان الله تعالى لم يؤت علم قيام الساعة ووقوعها احدا وهو كقوله تعالى لا يجليها
لوقتها الا هو وللباطنية ادنى تعلق في هاتين الآيتين لانهم قالوا ان الآخرة للحال كاينة

لكنها مختفية مستترة يظهر ويكشف عند فناء هذه الاجسام وذهاب هذه الابدان ويستدلون بقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو وبقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة ويقولون ان لفظ التجلي والكشف انما يستعملان فيما هو كاين ثابت يظهر عند ارتفاع السواتر وما يخفيها الامة الانشاء ابتداء ولكن عندنا ان حرف الكشف والتجلي يستعمل في ابتداء الاحداث والانشاء وفي اظهار ما كان كامنا خفيا فاذا كان كذلك بطل استدلالهم بذلك وهو كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة هو عالم بما كان خفيا عن الخلق وما هو شاهد ظاهر وعالم بما يكون وبما هو كاين في الحال والله الموفق **وقوله** عز وجل افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون كانوا يتعجبون من امرين احدهما من بعث الرسل كقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم ومن البعث بعد ما يموتون ويبلون كقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم اذا كنا ترابا الاية **وقوله** عز وجل يضحكون الضحك ها هنا كناية عن الاستهزاء ليس على حقيقة الضحك ويكون الضحك كناية عن السرور اي يسرون ما انتم عليه **وقوله** عز وجل ولا تبكون ايضا ليس على حقيقة البكاء ولكن كناية عن الحزن اي ولا يحزنون على ما فرط منكم من الاعمال وسوء الصنيع والمعاملة **وقوله** عز وجل وانتم سامدون لاهون معرضون وعن الحسن وسعيد بن جبير سامدون غافلون وقيل سامدون حزنون على رسالة محمد صلوات الله عليه وغايظون على ما انزل عليه وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وانتم سامدون قال هو الغناء بلغة اليمن يقول اليماني اسمد لنا اي غن لنا قال كانوا اذا سمعوا القران تغنوا ويلعبوا **وقوله** عز وجل فاسجدوا لله واعبدوا الاية اي اخضعوا لله واستسلموا له اذ الامر بالسجود عند التلاوة في غير سجود الصلوة امر بالخشوع له والاستسلام والامر بالسجود ههنا للتلاوة للاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين روى الاسود عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا سورة النجم فسجد فيها ولم يبق معه احد لا سجد الا شيخ من قريش فانه اخذ كفا من حصى فرفعه الى جبهته وروى ابو هريرة والمطلب بن ابي وداعة ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وروى عن عمر وعثمان رضي الله عنهما انهما سجدا فيها وعن علي رضي الله عنه انه قال عزايم السجود اربع تنزيل السجدة وحم السجدة والنجم واقرا باسم ربك وما روي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها فلم يسجد يحتمل ان يكون التلاوة وافقت وقتا يكره السجود فيه والحديث حكاية فعل لا عموم له والله اعلم بحقيقة ما اراد والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد واله وصحبه

في الامر بالسجود

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر قال بعضهم اي اقتربت الساعة واقترب انشقاق القمر وقيل على التقديم والتاخير اقتربت الساعة وان يروا اية يعرضون وان كان انشقاق القمر فعلى هذين التاويلين لم يكن انشقاق القمر بعد ولكن يكون في المستقبل وعند قيام الساعة وهو قول ابي بكر الاصم ويقول معنى قوله انشق القمر اي سينشق القمر عند الساعة اذ لو كان قد انشق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما خفي على اهل الافاق ولو كان ظاهرا عندهم لتواتر النقل به اذ هو امر عجيب والطباع جبلت على نشر العجايب وعامة اهل التاويل على ان القمر قد انشق فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمنى فانشق القمر فذهبت فرقة منه وراء الجبل فقال عليه السلام اشهدوا اشهدوا وروي عن غيره

الطباع جبلت على نشر العجايب

ايضا

816

ايضا عن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وانس بن مالك وحذيفة وجبير بن مطعم في جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انهم انشقاق القمر وقول ابي بكر لو كان لم يخف وظهر فيقال له قد ظهر فانه روي عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم وتواتر الحديث عن الخاص والعام وفشى الامر بينهم حتى قل من يخفى عليه سماع هذا الحديث على انه قد يطلق به ظاهر الكتاب ولو لم يكن حفظ ما لم ينطق به الكتاب والعمل بحقيقة اللفظ واجب وقال بعضهم يجوز ان يستر الله تعالى عن اهل الافاق بغيم او يشغلهم عن رؤيته ببعض الامور لضرب تدبير ولطف منه ليلا يدعيه بعض المتنبيين في الافاق لنفسه وادعى الرسالة كاذبا بناء على دعواه انه فعل ذلك فيحتمل انه اخفى عن اهل الافاق الا في حق ظهور المعجزة عليهم من الحاضرين والكفرة بكتمونه والصحابة الذين راوا قد نقلوه والله اعلم **وقوله** عز وجل اقتربت الساعة كانه يقول اقتربت الساعة التي تجزون فيها او الساعة التي ينشرون فيها او الساعة التي تحاسبون فيها فان قيل اليس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا والساعة كهاتين واشار الى السبابة والوسطى وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تقم الساعة بعد قيل يحتمل ان مراده صلى الله عليه وسلم ان به ختم النبوة والرسالة وبقي احكامه وشريعته الى وقت قيام الساعة وبقاء شريعته كبقائه فصار كانه شريعتي والساعة كهاتين ويحتمل انه لما كان به ختم النبوة والشريعة صار بعثه ومجيئه عليه السلام علامة للساعة وآية لها وهو كقوله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها على تاويل من جعل بعث الرسول عليه السلام علما واية للساعة والله اعلم **وقوله** عز وجل وان يروا اية يعرضون ذكر تعنتهم وعنادهم انهم وان يروا اية سالوها يعرضوا فلم يرحم لذلك او من سنته ان كل اية جاءت على اثر السؤال فلم يقبلوها اهلكوا فاذا كان من سنته هذا وقد وعد تاخير عذاب هذه الامة الى الساعة رفع عنهم التعجيل لم يرهم تلك الايات المقترحة والله اعلم ويحتمل وان يروا اية حسية يعرضوا لان ايات رسول الله صلى الله عليه وسلم عامتها واكثرها كانت عقلية وسمعية فيخبر عن سفههم وتعنتهم انهم وان يروا اية حسية يعرضوا عنها وهو كقوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليومنوا وكقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا الاية **وقوله** تعالى ويقولوا سحر مستمر اختلف فيه منهم من قال سحر مستمر اي ماض لم يزل الرسل عليهم السلام كانوا ياتون بمثله من السحر ومنهم من قال مستمر اي قوي ماخوذ من المرة وهي القوة واصل المرة الفتل ومنهم من قال مستمر اي ذاهب يذهب ويتلاشى ولا يبقى **وقوله** عز وجل وكذبوا واتبعوا اهواءهم يحتمل وكذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما اتاهم من الاية على الرسالة ويحتمل وكذبوا بالتوحيد واتبعوا اهواءهم يخبر انهم انما كذبوا لما ذكر باتباع اهوائهم لا بحجة وبرهان **وقوله** عز وجل وكل امر مستقر اي كل امر مستقر باهله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر ويحتمل كل امر كاين قار يقر باهله وقال بعضهم لكل امر وفعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الاخرة فسيعرف **وقوله** عز وجل ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة يحتمل قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر وجاءتهم ايضا حكمة بالغة وهو القران ويحتمل ان يكون معناه ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر وفي تلك الانباء حكمة بالغة ثم الانباء التي فيها مزدجر حكمة بالغة وهي ما ذكر في هذه السورة من انباء عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح وموسى فقد جاءهم انباء هؤلاء وعرفوا ما نزل بهم من العذاب والاهلاك وباي شيء نزل بهم وهو تكذيب الرسل عليهم السلام ليرتدعوا عن مثل صنيعهم فلا يلحقهم مثل

ما يلحقوا ولنك ونحو ذلك حكمة بالغة والبالغة هي النهاية في الامر يقال فلان بالغ في العلم اذا انتهى في ذلك نهايته وقال القتبي مزدجر متعظ وقال ابو عوسجة مزدجر اي زاجر وقوله عز وجل فما تغني النذر يقول والله اعلم ولجاءهم ما ذكر من الانباء التي فيها زجر وانذار فلم يزجرهم ذلك ولم ينفعهم فاني تغني النذر لهم ومن اين ينفعهم النذر اي لا تغنيهم ثم النذر يحتمل وجهين احدهما النذر عليهم الصلوة والسلام جمع نذير والثاني ما يقع به النذارة وهو الانباء التي انذار الرسل بها وحذروا بذلك يقول فما تغنيهم قول الرسل ولا خوف ما بلغهم من القصص التي فيها تعذيب الكفرة بتكذيب الرسل عليهم السلام وترك اتباعهم والله اعلم وقوله عز وجل فتول عنهم يحتمل وجوها احدها قوله فتول عنهم اي اعرض عنهم ولا تكافهم باساءتهم والثاني فتول عنهم اي لا تقابلهم ولا تجاهدهم فان كان التاويل هذا فهو يحتمل النسخ على ما قاله اهل التاويل وان كان الاول فهو لا يحتمل النسخ والثالث يحتمل فتول عنهم اي لا تشتغل بهم فانهم لا يؤمنون وذلك في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون يؤيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع في ايمانهم وقوله عز وجل يوم يدع الداع الى شيء نكر اي الى شيء منكر فظيع هايل ويحتمل الى شيء انكروه في الدنيا وهو الساعة فيقرون في الاخرة وقوله عز وجل خشعا ابصارهم وقرئ خاشعا بالالف روي عن ابن عباس ونصب يعتها في قراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه خاشعة ابصارهم وصفهم بالخضوع في الاخرة مكان استكبارهم في الدنيا وبالاقرار والتصديق بالساعة مكان انكارهم في الدنيا وبالاجابة للداعي مكان ردهم له في الدنيا حيث قال مهطعين الى الداع وقوله عز وجل يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر هذا يخرج على وجهين احدهما شبههم بالجراد لحيرتهم لا يدرون من اين ياتون والى اين يصيرون كالجراد الذي لا يدري من اين والى اين وهو كقوله تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى والثاني شبههم بالجراد لكثرتهم وازدحامهم لما يحشر الكل بدفعة واحدة والله اعلم وقوله عز وجل مهطعين الى الداع قال عامة اهل التاويل مهطعين اي مسرعين وقال قتادة اي عامدين وقال مجاهد الاهطاع النسلان وهو بالفارسية بويه رفتن وقال بعضهم مهطعين ناظرين رافعي رؤسهم وهو قول الكلبي وقال ابو عوسجة اي مسرعين مادين اعناقهم وقيل الاهطاع ادامة النظر الى الداعي وقوله عز وجل يقول الكافرون هذا يوم عسر وهو ما قال في اية اخرى يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح يقول والله اعلم كذبت قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام واذوه فصبر على التكذيب وانواع الاذى ولم يدع عليهم بالهلاك ما لم يرد الاذن بالدعاء عليهم بالهلاك من الله تعالى فاصبر انت على تكذيب القوم وانواع الاذى وهو كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فان قيل ما الحكمة في تكرار هذه الانباء في القران ولم يكرر ما فيه من الاحكام قيل ان هذه الانباء والقصص انما جاءت لمحاجة اهل مكة وامثالهم من الكفرة في اثبات الرسالة والتوحيد والبعث اذ هم المنكرون لهذه الاشياء وهم كانوا اهل عناد ومكابرة وفيهم ايضا مسترشدون ومن حق المحاجة مع من ذكرنا وامثالهم ان يعاد الحجة مرة بعد مرة لعلهم يقبلونها في وقت وان ردوها في وقت فيتجع في قلوبهم في وقت وان لم يتجع في وقت ومن حق الموعظة للمسترشدين ايضا ان يكرر ليتعظ اذ يختلف ذلك باختلاف الاحوال وقد ذكرنا فوايد تكرارها واقتصار الاحكام فيما تقدم والله اعلم فان قيل ان نوحا عليه السلام قد دعا على قومه بالهلاك قيل انما دعا على قومه بالهلاك بعد ما ايس من ايمانهم قيل انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن اما رسول الله لم يؤيسه عن ايمان قومه جملة انما يؤيسه عن بعض بطريق التعيين وهو قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون لا عن الكل فلذلك لم يؤذن بالدعاء عليهم والله اعلم وقوله عز وجل

تكرار الموعظة

فكذبوا عبدنا يحتمل كذبوه فيما ادعى لنفسه الرسالة او كذبوه فيما دعاهم اليه من التوحيد وتوجيه الشكر الى الواحد القهار وقوله عز وجل وقالوا مجنون اي قالوا لاتباعهم انه مجنون وقوله عز وجل وازدجر اي نوح عليه السلام حيث قالوا لقومهم لا تتبعوه وازجر وهم عنه بقولهم انه مجنون فهذا منهم زجر لاتباعهم عن اتباعه فصار لذلك نوح عليه السلام مزدجرا عن القوم وصار القوم مزدجرين عنه وقال بعضهم زجر وانوحا عليه السلام اي منعوه من اظهار ما اتاهم من الايات على رسالته والله اعلم وقوله عز وجل فدعا ربه اني مغلوب فانتصر اي مغلوب بالسفه والمكابرة وانواع الاذى اذ لا يحتمل ان يكون مغلوبا بالحجج فانتصر عبدك عليهم وقوله عز وجل ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر يحتمل قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء اي من فوق لان ما كان فوقك فهو سماء فيحتمل ان يكون ذلك من البحر المكفوف الذي ذكر انه بين السماء والارض وفجرنا الارض عيونا اي انبعنا الماء من الارض كانه قال انزلنا الماء من فوق وانبعنا من اسفل ويحتمل ان يكون قوله ففتحنا ابواب السماء هو حقيقة فتح السماء وانزلنا الماء منها والله تعالى ان يرسل الماء من شاء وكيف شاء والله اعلم وقوله عز وجل بماء منهمر قيل منصب وقال ابو عبيدة منهمر اي كثير سريع الانصباب يقال همر الرجل اذا اكثر في الكلام فاسرع وقال ابو عوسجة انهمرت السماء وهمرت اي امطرت فاكثرت وقوله عز وجل فالتقى الماء على امر قد قدر يذكر ان الماءين جميعا ما ارسل من الفوق وما اخرج من التحت على تقدير وتدبير من الله تعالى لا جزافا وهو كقوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى اي على تقدير وتدبير من الله تعالى في ذلك لا على غير تقدير منه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فالتقى الماءان على امر قد قدر وقال بعضهم على امر قد قدر اي قد قدره ان يغرقوا بالماء اذ كفروا وقال بعضهم قد قدر اي استوى الماء نصفه من عيون الارض ونصفه من السماء واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وحملناه على ذات الواح ودسر وذكر في حرف حفصة رضي الله عنها وحملناه وذريته على ذات الواح ودسر ذكر هاهنا ذات الواح وذكر في اية اخرى السفينة بقوله تعالى انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ونحوه فيكون ذات الواح تفسيرا للسفينة ولو تقدم ذكر السفينة لم يفهم من ذات الواح السفينة اذ ذات الالواح قد يرجع الى الابواب وغيرها لكن خبر كان تفسير السفينة بما ذكرنا والله اعلم ثم اختلف في قوله تعالى ودسر قال عامة اهل التاويل الدسر المسامير التي يشتد بها السفينة وقيل الدسر اضلاع السفينة وقيل صدرها وقال الحسن هي السفينة لانه يدسر الماء بجوجوها قال ابو معاذ واحد الدسر دسار وجاع الجوجو الحاجي وهي الصدر ثم في قوله وحملناه وتسميته هذا المصنوع سفينة دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لانهم هم الذين ركبوا السفينة ثم اخبر انه هو الذي حملهم وكذا الخشب المجتمعة لا تسمى سفينة انما يسمى بهذا الاسم الخاص بعد الايجاد والصنعة الموجودة من العباد دل ان الله تعالى في فعل العباد صنعا والله الموفق وقوله عز وجل تجري باعيننا اي بتقديرنا وبحفظنا وقوله جزاء لمن كان كفر اي اي حمل نوح عليه السلام واتباعه في السفينة ونجاهم من الغرق جزاء ما كفر به قومه كذا قال عامة اهل التاويل انه جزاء لنوح عليه السلام حين كفر به قومه فلم يؤمن به قومه وقال مجاهد جزاء لمن كان كفر بالله تعالى اي الغرق جزاؤهم لما كفروا بالله تعالى وقال ابو معاذ وقرئ جزاء لمن كان كفر بنصب الكاف وتاويل هذه القراءة اي اهلاك من اهلك من قومه جزاء لما كفروا بالله تعالى او بنوح عليه السلام وقوله عز وجل ولقد تركناها اية يحتمل وجهين احدهما تركنا سفينة نوح عليه السلام بعينه مدة طويلة حتى صارت اية لاواخرهم ولمن بعدهم وبه يقول قتادة قال ابقى الله تعالى سفينة نوح عليه السلام بشط ساروى من ارض الجزيرة حتى نظرت اليها اوايل هذه الامة

يحتمل المكفوف فيما بين السماء والارض

وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رماداً والثاني تركناها آية آثار تلك السفينة وانباءها آية لمن بعدهم لان انباءها قد بقيت في المتاخرين حتى عرفوا ان من نجا لمن نجا ومن هلك لمن هلك والله اعلم
وقوله عز وجل فهل من مدكر عن الاسود قال قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه فهل من مذكر او مدكر فقال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم مدكر بالدال قال ابو عبيد واصله في العربية مذتكر فانه من باب الافتعال على وزن مفتعل فثقل لاجتماع التاء والذال فادغمت الحرف الاول وهو الذال في التاء فانقلبت دالا وهو كقوله ادخروا اصله اذتخر من الذخر لما قلنا والله اعلم ثم وقوله عز وجل مدكر اي هل متذكر متعظ يتعظ بما نزل باولئك فينزجر عن مثل صنيعهم وقال قتادة فهل من طالب خير فيعان عليه وقوله عز وجل فكيف كان عذابي ونذر يخرج على وجهين احدهما اليس ما وعدتم رسلي من العذاب بالتكذيب صدقا حقا واريد بقوله ونذر اي رسلي والثاني اليس وجدوا عذابي شديدا ونذري ما وقعت به النذارة وهو العذاب الذي انذروا به والنذر على هذا التاويل المنذر به كقوله تعالى وكان وعد الله مفعولا اي موعوده والا وعده لا يكون مفعولا اذ هو صفته ازلية وقوله عز وجل ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر هذا يحتمل وجوها احدها يسرنا القرآن للذكر اي للحفظ اي صيرناه بحيث يحفظه كل احد من صغير وكبير وكافر ومؤمن وكل احد يتكلف حفظه ولقد يسرنا القرآن للذكر اي لذكر ما نسوا من نعم الله تعالى ولذكر ما نسوا من حق الله تعالى عليهم ولذكر ما انباءهم فيه من اخبار الاوايل من مصدقيهم ومكذبيهم والثالث جايز ان يكون ذلك للرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة اي يسرناه عليه حتى حفظه كله عن ظهر قلبه حتى اذا اراد ان يذكر شيئا منه يذكره في كل وقت وكل ساعة اراد كقوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه وقوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى سنقريك فلا تنسى الا ما شاء الله امنه عن نسيانه ومن عليه بالتيسير وقوله فهل من مدكر فعلى التاويل الاول والله اعلم انه وان يسر القرآن للحفظ ولكن لم ينزله للحفظ ولكن انما نزل ليذكر ما فيه وللاتعاظ به اي فهل من متعظ يتعظ به وعلى التاويل الآخر فهل من مدكر خرج مخرج الامر اي ذكروا واتعظوا بما فيه من الانباء والله اعلم
وقوله عز وجل كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ذكر انباء الاوايل وما نزل بهم بالتكذيب والعناد وسوء معاملتهم الرسول عليه الصلوة والسلام وهو صلة قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر وتاويل الآية يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما وقوله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا قيل باردة وقيل شديدة وقوله عز وجل في يوم نحس مستمر اي استمر بهم العذاب كما قال الله عز وجل سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقيل مستمر اي ذاهب على الصغير والكبير فلم يبق منهم احد الا اهلكته وقوله عز وجل تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر من الناس من قال لما اشتد بهم الريح تنادوا فيما بينهم البيوت فدخلوها فدخلت الريح عليهم فاخرجتهم من بيوتهم والقتهم في فنائهم فذلك النزع ومنهم من قال ينزع مفاصلهم فيلقيهم كاعجاز نخل منقعر لانهم كانوا اطول الخلق فذكر ان كل رجل منهم كان طوله ستين ذراعا والنخل لا يبلغ ذلك المقدار لا بعد قطع المفاصل فجاز التشبيه باعجاز كل منقعر بعد انقلاع مفاصلهم والانقعار هو الانقلاع قال ابو عوسجة منقعر اي منقطع ساقط ومنهم من قال شبههم باعجاز النخل لعظم اعجازهم وقال بعضهم شبههم باعجاز النخل لطولهم ولكن ذلك بعد نزع المفاصل لما ذكرنا وفي حرف حفصة رضي الله عنها ينزع الناس على اعقابهم
وقوله فكيف كان عذابي ونذر فهو يخرج على ما ذكرنا من الوجهين وكذا قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقوله كذبت ثمود بالنذر يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما احدهما بالنذر اي بالرسل التي

دعتهم الى الايمان بالله تعالى والثاني كذبت بما وقعت به النذارة التي اخبر بهم الرسل انها نازلة واقعة بهم والله اعلم وقوله عز وجل فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه لم تزل الاكابر من الكفرة والرؤساء منهم يلبسون على اتباعهم بهذا الحرف ابشرا منا واحدا نتبعه وقالوا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه وقوله تعالى وان اطعتم بشرا مثلكم ونحو ذلك وذلك تناقض القول لانهم كانوا ينهون اتباعهم عن اتباع بشر مثلهم ويدعونهم الى اتباع ابائهم والاقتداء بهم وهم ايضا بشر وليس مع آبائهم حجج وبراهين ومع الرسل حجج وآيات فيكون تناقضا في القول ومعارضة فاسدة والله الموفق وقوله عز وجل انا اذا لفي ضلال وسعر قال بعضهم السعر الجنون اي لو اتبعنا بشرا منا لكنا في ضلال وجنون وهو ماخوذ من سعر النار اذا التهبت يقال ناقة مسعورة اي كانها مجنونة من النشاط وقيل الضلال والسعر واحد ويحتمل اي انا اذا لفي ضلال في الدنيا وسعر في الآخرة والسعر من السعير وهو النار والله اعلم وقوله عز وجل االقي الذكر عليه من بيننا جايز ان يكون هذا القول من اهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى خبرا عنهم اانزل عليه الذكر من بيننا والذكر هو القرآن على هذا التاويل وجايز ان يكون ذلك من ثمود لصالح عليه السلام والقصة قصة صالح فهو اشبه بالتاويل ولم تزل الكفرة ينكرون ان يفضل الرسل عليهم الصلوة والسلام على غيرهم من البشر بالرسالة وانزال الذكر عليهم من بينهم ثم يرون لا نفسهم الفضل على اولئك الرسل عليهم السلام اما بفضل مال او بفضل نسب ورياسة ونفاذ قول بلا سابقة كانت منهم ولا تقدم صنع وما ينبغي لهم ان ينكروا تفضيل الرسل بالرسالة والنبوة بلا سابقة كانت منهم ولا تقدم صنع اذ هي فضل الله يؤتيه من يشاء والله اعلم
وقوله عز وجل بل هو كذاب اشر عن مجاهد انه قرا بفتح الشين وقرا العامة الاشر بكسر الشين قال بعضهم الاشر بفتح الشين بنشط قال ابو عوسجة وقيل الاشر والاشر هو البطر كما يقال حذر وحذر وهو المرح المتكبر وقوله عز وجل سيعلمون غدا من الكذاب الاشر قرئ بالياء والتاء جميعا فمن قرا بالياء اخرج بقوله فتنة لهم ولم يقل لكم ومن قرا بالتاء جعل الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفرة اي ستعلمون غدا عند نزول العذاب بكم من الكذاب انا او انتم وهذا وعيد منه لهم وقوله عز وجل انا مرسلوا الناقة فتنة لهم يفتنهم بها ويمتحنهم لم يعطهم مجانا جزافا كقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله عز وجل فارتقبهم واصطبر اي فارتقبهم بما يكون منهم من التكذيب للناقة والعقر لها ويحتمل ان يكون قوله عز وجل فارتقبهم هو خطاب لرسوله عليه الصلوة والسلام في حق اهل مكة كقوله فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين وقوله عز وجل واصطبر اي اصطبر على اذاهم ولا تكافيهم او اصبر على تبليغ الرسالة وقوله عز وجل ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر وقال في آية اخرى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وفيه من الفوايد والدلايل احدهما ان تلك الناقة كانت عظيمة على خلاف ساير النوق حتى احتاجت هي الى الماء مثل الذي احتاج اليه ساير النوق واهلها حتى قسم الماء بينهما وبين ساير النوق وفيه انه لا باس بقسمة الشرب حيث ذكر في الآية قسمة الماء وذكر في الآية الاخرى شرب يوم وهو قسمة بالايام وقوله عز وجل كل شرب محتضر اي كل شرب يحضره من له شرب ذلك لا يحضره غيره وفيه ان تلك الناقة وان كانت آية ومعجزة له فكانت تعتلف وتشرب كساير النوق التي ليست هي بآيات وان كانت تخالف ساير النوق في عظمها وقدر علفها وشربها ثم جعل الماء بينها وبين اولئك القوم بالقسمة ولم يجعل العلف بينها وبينهم بالقسمة لاشتراكهم جميعا في الماء اعني البهايم والبشر وحاجة كل منهم الى الماء فكذا لم يجعل النبات مشتركا بينها وبين ساير البهايم لان في ذلك كثرة فلا حاجة الى القسمة

تاما في الماء في ذلك الموضع غنية لما يسقون من الابار فلذلك جعلوا الماء بالقسمة والله اعلم وفيه
ان المياه اذا ضاقت قسمتها بالاجر القسم بالايام من حيث جعل لها شرب يوم معلوم ولهم شرب
يوم معلوم وفيه ان الماء وان كان عينا هو كالمنفعة في جواز قسمتها بالايام ثم قوله عز وجل ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم جايز ان يكون الخطاب لصالح عليه الصلوة والسلام امر ان ينبئ قومه ان الماء
قسمة بينهم وبين الناقة وجايز ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يخبر
قومه ان الماء كان قسمة بينهم وبين الناقة والله اعلم وقوله عز وجل فنادوا صاحبهم فتعاطى
فعقر اضاف العقر هاهنا الى واحد وفي آية اخرى اضاف الى الجماعة وهو قوله فعقروا الناقة وعتوا
عن امر ربهم وقال في موضع آخر فعقروها فاصبحوا نادمين فيكون ظاهر هذه الآيات على التناقض
من حيث ذكر الفرد والجماعة وفيه تناقض من وجه آخر فانه ذكر في آية وعتوا عن امر ربهم وقالوا
يا صالح ائتنا بما تعدنا وقال في موضع فاصبحوا نادمين ذكر الندامة وهي خلاف العتو لكنا نقول
لا تناقض ولا اختلاف عند اختلاف الاحوال والاوقات فقوله وعتوا عن امر ربهم قبل ان ينزل
بهم العذاب وقوله فاصبحوا نادمين اذا نزل بهم العذاب والتناقض في وقت واحد في حال
واحد وكذلك العقر من واحد على الحقيقة ولكن انما اضاف الى الجماعة لانه عقر بمعاونتهم او الواحد
هو الذي طعنها ثم اجتمعوا فعقروا جميعا ونحو ذلك فثبت انه لا تناقض وقال بعضهم فتعاطى
تناول فعقر اي ضرب عرقوبها اي ساقها وقيل العقر قد يكون جرحا وقد يكون قتلا وقوله انا ارسلنا
عليهم صيحة واحدة يحتمل اي ارسلنا عليهم العذاب قدر صيحة واحدة يخبر عن سرعة نزول العذاب
ووقوعه عليهم ويحتمل ان يكون ارسل عليهم الصيحة واهلكهم وصاروا كما ذكر من هشيم المحتظر
وهو كقوله فكانوا كهشيم المحتظر قيل الهشيم العظام البالية وقيل كالشيء المتناثر من الحايط واصل
الهشم الانكسار اي صاروا كالشيء المنكسر المجتمع في موضع وقوله تعالى المحتظر فهي بكسر الظاء
ونصبه روى النصب عن الحسن قال ابو عبيدة بالكسر يقرا على تاويل الانسان المحتظر قال ابو عوسجة
الهشيم البالي من الشجر والمحتظر الذي يتخذ حظيرة وقال القتبي الهشيم اليابس النبت الذي يتهشم
اي ينكسر والمحتظر بكسر الظاء صاحب الحظيرة لغنمه وبفتح الظاء اراد الحيطان وهو الحظيرة وقوله
عز وجل ولقد يسرنا القرآن للذكر اي يسرنا القرآن لذكر ما نسوا من نعم الله تعالى واغفلوا عنها
او يسرنا القرآن لذكر ما اغفلوا من الحجج والآيات ونسوها او يسرنا القرآن لذكر ما نسوا من الانباء
وما نزل بمكذبي الرسل عليهم السلام بالتكذيب والعناد وقوله عز وجل فهل من مدكر قد تقدم
ذكره وقوله عز وجل فكيف كان عذابي ونذر قال اهل التاويل اليس الذي انذروا به وجدوه
حقا وقال بعضهم اليس وجدوا عذابي ورسلي حقا وقد ذكرناه وقوله عز وجل كذبت قوم لوط
بالنذر اي بالرسل عليهم الصلوة والسلام او بما يقع به النذارة وقوله عز وجل انا ارسلنا عليهم
حاصبا الا آل لوط على تاويل من يقول بان تلك القريات قلبت بمن فيها ظهرا لبطن على ما ذكر في آية اخرى
فجعلنا عاليها سافلها ان ارسل الحاصب على من غاب عنها في البلدان فاهلكهم بها يخرج على الاضمار
كانه يقول قلبناها بمن فيها وارسلنا على من غاب عنها حاصبا الا آل لوط حتى يستقيم الثنيا الذي
يستثنى ويكون كقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد كانه قال احلت لكم بهيمة
الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد والله اعلم على تاويل من يقول بانها قلبت
ثم ارسل عليها الحاصب فالثنيا مستقيم فيكون هلاكهم بامرين واستثنى آل لوط عليه السلام بالنجاة
من احدهما استثنى بالنجاة منهما جميعا والله اعلم وقوله عز وجل نجيناهم بسحر نعمة من عندنا اي منعنا

عنهم العذاب

عنهم العذاب عند السحر فيكون فيه دلالة انه يكون يمنع العذاب عنهم منجيا لهم والا لم يكن نجاتهم
عند السحر وقوله عز وجل كذلك نجزي من شكر هذا يخرج على وجهين احدهما يكون هلاك اولئك
لوط وآله نعمة من الله تعالى عليهم فيكون عليه شكره فهو جزاء شكرهم وهو كقوله تعالى جزاء لمن كان كفر
يحتمل ان يكون هلاك اولئك واغراقهم جزاء ما كفر بنوح وذلك نعمة منه على نوح عليه السلام والثاني
ان يكون نجاة نوح ومن كان معه نعمة منه عليهم اذ له ان يهلك الكل من كفر ومن لم يكفر الا ترى انه
يهلك الدواب والصغار وان لم يكن لهم ماثم فاذا كان كذلك كان ابقاء من ابقى منهم فضلا منه
ونعمة عليهم والا لا كل كفر استوجب النجاة والله اعلم وقوله عز وجل ولقد انذرهم بطشتنا
فتماروا بالنذر يخرج على الوجهين ذكرناهما احدهما تماروا بالواقع من النذارة والثاني بالنذر
اي بالرسل والله اعلم وقوله عز وجل ولقد راودوه عن ضيفه اي طلبوا منه التخلية بينهم وبين
ضيفه وقوله عز وجل فطمسنا اعينهم ذكر ان جبريل عليه الصلوة والسلام مسح جناحيه على اعينهم
فعموا ثم قيل لهم فذوقوا عذابي ونذر وقوله عز وجل ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر اي نزل بهم
صباحا بالبكرة عذاب مستقر العذاب المستقر هو العذاب الذي نزل بهم ودام عليهم واهلكهم
واما طمس الاعين فقد انقضى وقوله عذابي ونذر النذر هاهنا ما وقع به النذارة وقوله عز وجل
ولقد جاء آل فرعون النذر يحتمل ما قال من النذر انه جاء آل فرعون موسى وهارون عليهما الصلوة
والسلام سماهما باسم الجمع وهو النذر ويحتمل ان يكون المراد من النذر التي جاءتهم هي ما نزل من انواع
العذاب فيكون المراد بالنذر ما وقع به النذارة وقوله عز وجل كذبوا بآياتنا كلها يحتمل انهم كذبوا
جميع الآيات التي جاءهم بها موسى عليه السلام من آيات الالوهية والوحدانية وآيات الرسالة وجايز
ان يكون هي جميع ما يدل على وحدانية الرب والوهيته من الخلايق لان ذلك اللعين قد ادعى الالوهية لنفسه
وجميع ما في العالم يدل على الوهية الله تعالى فهو حيث ادعاها لنفسه وصدقه قومه كذبوا بذلك جميع الآيات
التي يشهد على الوهية الله تعالى ووحدانيته وقوله عز وجل فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر اي اخذ
عزيز ذليلا او اخذ غالب مغلوبا واخذ قادر عاجزا واخذ قاهر مقهورا والله اعلم وقوله عز وجل
اكفاركم خير من اولئكم يقول الله تعالى والله اعلم اكفاركم يا اهل مكة اقوى في دفع العذاب عن انفسهم
والانتصار منه اذا نزل بهم العذاب من اولئك الذين كانوا من قبلكم اي ليس كفاركم اقدر منهم بل اولئك
اكثر ثم لم يقدروا القيام بدفع العذاب عن انفسهم ولا الانتصار منه اذا نزل بهم فانتم يا اهل مكة
اضعف واقل عددا احق ان لا يقدروا على دفع العذاب عنكم اذا نزل بكم او يقول ليس لكم براءة في الكتب
انكم تقدرون على القيام في دفع العذاب عن انفسكم اذا نزل بكم او يقول ليس لكم براءة في الكتب ان العذاب
لن يصيبكم اذا نزل وقوله عز وجل ام يقولون نحن جميع منتصر اي بل تقولون نحن جميع منتصر لا ينصرون
بجمعهم هذه الآيات الثلاث على النفي والدفع اي ليس لهم ما يدفعون العذاب عن انفسهم وليس لهم
ما ينتصرون به ولا كفارهم خير من كفار اولئك في دفع العذاب والقدرة على الانتصار والله اعلم
ثم قال على الابتداء سيهزم الجمع ويولون الدبر فيه دليلان احدهما اخبر ان لهم جميعا يهزم ويولون
الدبر وقد كان ما ذكر وقد كان اهل التاويل سيهزم الجمع ويولون الدبر هو جمع بدر اخبر انهم
يهزمون ويولون الدبر وقد كان ما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم دل انه علم بالله تعالى
والثاني اخبر ان الساعة موعدا هلاكهم واستيصالهم لا الدنيا بقوله تعالى بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر وكان كما اخبر وفيه ايضا دلالة اثبات الرسالة والله اعلم ثم قوله ادهى
وامر اي اعظم واشد وقوله عز وجل ان المجرمين في ضلال وسعر جايز ان يكون قوله

في ضلال في الدنيا وفي السعر في الآخرة وهو السعير ويحتمل في ضلال في هلاك وسعر في حين
وجنون وتيه كقوله تعالى انا اذا لفي ضلال وسعر وقوله عز وجل يوم يسحبون في النار على وجوههم كانه يقول له
قل لهم يوم يسحبون في النار على وجوههم ان حمتوا على ما هم عليه ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا
مس سقر اي ذوقوا عذاب سقر والسقر هو اسم النار فيصير كانه على الاضمار اي يقال لهم ذوقوا عذاب
النار والله اعلم وقوله انا كل شيء خلقناه بقدر يحتمل وجهين احدهما على التقديم والتاخير
اي انا خلقنا كل شيء فان كان على هذا فيكون كقوله خالق كل شيء وفيه اثبات خلق كلية الاشياء
والثاني على ظاهر ما جرى اية الخطاب انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا كل شيء خلقناه بقدر فان كان
على هذا فليس فيه اثبات خلق كلية الاشياء ولكن فيه اثبات انما خلقه بقدر والى هذا التأويل
يذهب المعتزلة والتأويل عندنا هو الاول انا خلقنا كل شيء بقدر كقوله خالق كل شيء ويحتمل
اي انا كل شيء خلقناه بقدر وحد ينتهي اليه ذلك ويبلغ حده ليس كالمخلوق لا يعرف احد قدر فعله
ولا حده الذي ينتهي اليه ولا يخرج فعل احد من الخلق على ما يقدروه فاخبر ان فعله يخرج
على ما يقدره خلافا لفعل غيره فيدل على انه هو الخالق والله اعلم وقوله عز وجل وما امرنا الا واحدة
الامر فيما بين الخلق على وجهين احدهما امر شان وفعل والآخر امر تكليف لغيره ثم قوله وما امرنا
الا واحدة انما هو امر فعل يخبر عن سهولة ذلك عليه اي شانه وفعله يسير عليه لا يعجزه شيء ولا يشغله
فعل ذلك امره وخلقه عليه والواحد ليس هو اسم العدد وان كان الحساب به يبتدأ انما هو
اسم التوحيد والتفرد كما يقال فلان واحد زمانه لا يريدون من جهة العدد اذ له اعداد
وامثال من جهة العدد ولكن انما يراد بانه المتوحد في شانه وفعله لا نظير له فعلى ذلك تسميته
اياه واحدا لتفرده وتوحده في الوهيته وربوبيته وتسميته امره واحدا ان فعله وشانه لا يشبه
افعال غيره وانه لا نظير له في ذلك وانه يسير عليه لا حاجة له الى الوقت والآلة وغير ذلك الا ترى انه
قال كلمح البصر يخبر عن خفة ذلك عليه وسهولته من حيث لا يثقل على احد رد البصر ولمحه هذا
وجه والثاني فيه اخبار انه لا يشغله شيء لان الناس يشغلهم بعض امورهم عن بعض واهل التأويل
يصرفون الآية الى الساعة كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وهو محتمل فيخبر ان الآخرة
ليس على تقدير امر الدنيا على اتباع بعض بعضا وعلى ارداف شيء على شيء وعلى الانتقال والتغيير من حال
الى حال ولكن امر الآخرة على التكون بمرة واحدة وقوله عز وجل ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر
يحتمل قوله اشياعكم على وجهين احدهما اخوانكم واهل دينكم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام وذكروا
انتم يا اهل مكة لان لا تهلكوا بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم والثاني اي ولقد اهلكنا اشياعكم
وعرفتم ذلك فهل من مدكر يتذكر ويتعظ ويعتبر به وجائز ان يكون معناه ولقد اهلكنا جنسكم
والحكيم لا يخلق الخلق للفناء والهلاك فاعلموا انه انشاكم لعاقبة وفيه اثبات البعث لكنه
لا يدركه افهام الكفرة وعقولهم والله اعلم وقوله عز وجل وكل شيء فعلوه في الزبر يخرج
هذا ايضا على وجهين احدهما كل شيء فعلوه من التكذيب والعناد كان في الكتب المتقدمة اي عن علم
بصنيعهم وفعلهم انشاهم وبعث اليهم الرسل وهو رد على من يقول انه لا يعلم ما يكون
منهم حتى يكون منهم ذلك لانه لو كان يعلم ذلك لا يحتمل ان يبعث الرسل عليهم الصلوة والسلام
اليهم ويامرهم وهو يعلم انهم يكونون رسله ويخالفون امره فرد عليهم وبين انه لم يزل
عالما بما كان ويكون وقد بينا قبل هذا انه تعالى بعث الرسل عليهم السلام اليهم وان علم منهم التكذيب
والخلاف وذلك لان المنافع والمضار راجعة اليهم دونه والله اعلم وجائز ان يكون معناه

وكل شيء فعلوه في الزبر اي في الكتب التي يكتب عليهم الملائكة ويؤمرون بالقراءة في القيامة كقوله
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقوله عز وجل وكل صغير وكبير مستطر هذا ايضا
يخرج على هذين الوجهين احدهما مستطر في الكتب التي قبلهم او في الذين يملون على الحفظة كقوله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله عز وجل ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار
وقال في موضع آخر ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون ثم اختلف في تأويل قوله نهر قيل نهر من الانهار
اي هم في ضياء ونور وسرور وهو قول الاصم وقال الفراء النهر السعة يقال انهرت الطعنة اي وسعتها
وقال اهل التأويل اي الانهار وقوله عز وجل في مقعد صدق اي موعود صدق كانه كناية عن راحته
وسرورهم كقوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا واخبر انهم يستريحون فيها ويسكنون ويقرون
لا يريدون التحول منها وهو مقابل ما ذكر للكفار يوم يسحبون في النار على وجوههم اي يجرون
وقوله عز وجل سارهقه صعودا وقوله تعالى ربنا اخرجنا منها يطلبون الخروج منها
واخبر انهم يكونون ابدا في عناء وشدة وبلاء حتى لا يقرون في مكان وعلى هذا يخرج
قوله ان لهم قدم صدق عند ربهم اي لهم موعود صدق عند ربهم اي يقرأ قدامهم في ذلك
فيكون هو كناية عن الثبات وقوله عز وجل عند مليك مقتدر ان الرجل اذا كان في فضل
وخير يضاف فيكونه فيه الى الله تعالى نحو ما يقال في سبيل الله وهو دار الله وغير ذلك من الامكنة
التي هي امكنة الفضل والخير يضاف الى الله نحو بيت الله ومساجد الله لانها امكنة القرب والفضل
فعلى ذلك قوله في مقعد صدق عند مليك مقتدر اضاف بكونهم في امكنة الفضل والخير والمنزلة عند الله تعالى
لانه لا يوصف بمكان ومقام بل هو ممسك الامكنة كلها ومنشئ الازمنة باسرها والله الموفق

سورة الرحمن مكية وآيها سبعون وست

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الرحمن علم القرآن قد عرفت العرب وعلمت ان الرحمن على ميزان فعلان
مشتق من الرحمة لكن لاحد من الخلائق لا يبلغ في الرحمة مبلغا يستحق التسمية به رحمانا لذلك خص الله
نفسه بتسميته رحمانا وان كان مشتقا من الرحمة كالرحيم وجاز تسمية غيره رحيما والله اعلم
وقوله عز وجل علم القرآن ذكر ان الرحمن علم القرآن ولم يذكر لمن علمه فجاز ان يكون المراد
منه انه تبارك وتعالى علم القرآن رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يخرج ذلك على وجوه احدها
ان امر جبريل عليه السلام حتى علمه شديد القوى ذو مرة لكن خرجت الاضافة الى الله تعالى
لما انه علمه بامره والثاني اضاف التعليم الى نفسه لما انه هو الذي اثبته في قلبه حتى لا ينساه كقوله عز وجل
سنقرئك فلا تنسى وقوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه وقوله
كذلك لنثبت به فؤادك والثالث اضاف الى نفسه وان علمه جبريل عليه الصلوة والسلام
لانه هو الخالق لفعل التعليم من جبريل عليه السلام وقوله عز وجل خلق الانسان علمه البيان
قال بعضهم خلق الانسان اي آدم عليه السلام وعلمه البيان اي الاسماء التي ذكر في آية اخرى
وعلم آدم الاسماء كلها اذ لا سبيل الى معرفة الاسماء الا بالتلقين ليس كالاشياء التي يعرف
ويدرك بالاستدلال ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى خلق الانسان اي خلق كل انسان وعلمه
البيان اي علمه بيان ما يمتحنهم به من الامر والنهي ليعلم انه لم يخلق الانسان ليتركه سدى ويحتمل
علم كل انسان ما غاب عنهم حتى عرفوا بما شاهدوا من اللون والطعم واللذة طعم ما غاب عنهم من جنسه

ولو نه ولذته استدلالا بما شاهد ويحتمل الاستدلال بالشاهد على معرفة الله تعالى وهوانهم لما شاهدوا
الاشياء محتاجا عاجزا محاطا بالحوايج والحوادث عرفوا ان له خالقا عالما قادرا انشاه كذلك
ويحتمل ما ذكر من تعليم البيان بيان القران وذلك راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمه البيان
هو بيان القران حتى يبين للناس كل ما يحتاجون اليه وما لهم وما عليهم وجايز ان يصرف بعضه
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله الرحمن علم القران وبعضه الى ادم عليه السلام وهو قوله خلق
الانسان علمه البيان وتفسيره ما ذكرنا وقال بعضهم خلق الانسان ادم وعلمه البيان بيان الدنيا
والاخرة وجايز ان يكون خلق الانسان كل انسان علم القران وعلمه البيان اى علم شيا من بيان القران
من الاحكام والشرايع ونحو ذلك وقال القتبى علمه البيان اى الكلام والله اعلم وقوله عز وجل الشمس
والقمر بحسبان قال اهل التاويل بوجهين احدهما اى يحسب بهما عدد الاوقات والازمنة ويعرف
بهما حساب ذلك والثاني يحسب بهما حساب منازلهما التي يطلعان منها ويغيبان فيها ومجاريهما يجريان
فيها لا يجاوزانها في شتاء ولا صيف وقال ابو عوسجة قوله بحسبان جمع الحساب وقال القتبى بحسبان
بحساب ومنازل لا يعدوانها وفيه زيادة معنى ان الله تعالى جعلهما بحيث يوقف بهما حقيقة اعين
الاشياء لما جعل فيهما من النور والضياء الذي بها يتجلى للخلق الاشياء المستورة فيقال للمنكري
الرسالة وتفضيل بعض البشر على بعض لما شاهد من اشياء خصت بفضل ضياء وتجلى لم يكن ذلك
لغيرها فلم انكرتم فضل بعض البشر بفضل بيان وعلم ورسالة والله اعلم وقوله عز وجل والنجم
والشجر يسجدان النجم يحتمل وجهين احدهما الكواكب فان كان هو المراد فكانه يقول
يسجد له ما به زينة السماء وما به زينة الارض وهي الكواكب وهي الاشجار ويحتمل النجم كل نبت
ينبت في الارض لا ساق له والشجر هو الذي له ساق كانه يقول يسجد له كل ما يظهر من الارض
ويخرج ما ارتفع وعلا وما لم يرتفع ثم سجودهما يحتمل وجوها احدها سجود خلقه قد جعل الله تعالى
في خلقه كل شيء دلالة السجود له والشهادة له بالوحدانية والثاني سجود هذه الاشياء الموات
طاعتها له عن اضطرار وتسخير نحو قوله تعالى ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين والثالث
سجود حقيقة يجعل الله تعالى في سرية هذه الاشياء معنى يسجدون به لله تعالى يعلمه هو ولا يعلمه
غيره كقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال بعض الناس سجودهما
هو ميل ظلالهما كقوله تعالى يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله ثم لا يلزم السجود بتلاوة هذه
الاية وامثالها مما فيه ذكر سجود الموات وطاعتها لانها موات ليست باهل للسجود وانما سجودها
عن اضطرار وكل مخلوق في معناه في الدلالة على السجود وانما يلزم السجود بتلاوة ايات ذكر فيها
سجود من هو من اهل السجود والله اعلم وقوله عز وجل والسماء رفعها هذا يخرج على وجهين
احدهما اراد حقيقة الرفع اى رفعها بلا عمد من الاسفل ولا تعليق من الاعلى اى انشاها كذلك
مرفوعة لا ان كانت موضوعة فرفعها وامسكها كذلك ليعلم ان قدرته خلاف قدرة الخلق
وقوتهم والثاني رفعها اى رفع قدرها ومنزلتها في قلوب الخلق حتى يرفعوا ايديهم
وابصارهم اليها عند الحاجة لما جعل فيها لهم من الارزاق والبركات التي تنزل من السماء
والله اعلم وقوله عز وجل ووضع الميزان يحتمل حقيقة الميزان الذي يزن الناس به الاشيا
وبه يتحقق الايفاء والاستيفاء امتحنهم بذلك ليعرفوا بذلك قبح التقصير فيما امروا به والمجاوزة
عما نهوا عنه وذلك يحتمل في الاحكام والشرايع والتوحيد ووصف الالوهية والعبادة الحقيقة
الذي يستحقه ليعلموا التقصير في ذلك والله اعلم ويحتمل المراد بالميزان ان الاحكام التي وضعت

مما يحتمل استدلالا على معرفة الله عز وجل

بين الخلق والشرايع التي جعلت عليهم ليقوموا بوفايها وينتهوا عن التقصير فيها والتعدي
عن حدودها وقيل الميزان العدل وهو ما ذكرنا والله اعلم وذكر ان الموازين ثلثة احدها العقل
وهي التي يعرف بها محاسن الاشياء ومساويها وقبح الاشياء وحسنها والثاني الميزان الذي جعل
بين الخلق لايفاء الحقوق والاستيفاء والثالث الذي جعل في الاخرة ليوفا به ثواب الاعمال
وجزاوها والله اعلم وقوله عز وجل ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان قوله لا تطغوا في الميزان ولا تخسروا اى لا تنقصوا في الميزان وقوله واقيموا الوزن
امر باقامة الوزن والاتمام في الوزن امر بالاتمام ونهى عن النقصان والامر بالشيء نهي عن ضده
وهاهنا جمع بينهما صريحا تاكيدا للباب الوزن والميزان واية يحتمل الوجوه الثلاثة التي ذكرنا
وعن قتادة كان ابن عباس رضي الله عنه يقول يا معشر الموالي انكم قد وليتم امرين بهما هلك
الناس قبلكم هو المكيال والميزان وقال مجاهد في قوله تعالى واقيموا الوزن بالقسط اى الميزان
باللسان اى لسان الميزان وقيل لابن عمر رضي الله عنه ان اهل المدينة لا يوفون الكيل قال
وما يمنعهم وقد قال الله تعالى ويل للمطففين وقوله عز وجل والارض وضعها للانام قال بعضهم
الانام هو كل ذي روح وقال بعضهم الانام هو جميع الخلق ولكن عندنا الانام كانه البشر لان الاية
لان اخبر ان الارض انشاها للبشر وضعها لهم وهو ما ذكر في مواضع خلق لكم ما في السموات
والارض وسخر لكم ما في السموات والارض وقوله عز وجل فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام يذكرهم
نعمه التي انشاها لهم في الارض من الفواكه وانواع الثمار والحبوب التي جعلها رزقا لهم وقوتا
وقوله عز وجل ذات الاكمام اى ذات الغلف والاغطية وقوله والحب ذو العصف والريحان
قرئ الريحان برفع النون وكسرها فمن كسرها ذهب الى ان الريحان هو الورق الذي يرتزقون
من الحبوب والثمار والعصف الورق فيكون المعنى والحب ذو الورق والرزق ومن رفعها فعلى
الابتداء عطفا على الحب واختلفوا في تفسير العصف والريحان منهم من قال العصف ورق الزرع
من الحنطة والشعير وغيرهما وقيل هو التبن وقيل هو اول ما ينبت وقيل العصف هو الزرع
نفسه ولكن اضاف العصف الى الحب لما منه ينشا الحب ومنه يخرج واما الريحان قال هو خضرة
الزرع وقيل هو الذي يشم وقيل هو الورق الذي يرتزق من الحبوب والثمار كذلك روي عن ابن عباس
رضي الله عنه الريحان هو الحب وقال القتبي الريحان الرزق يقال اطلب ريحان الله اى رزقه
والله اعلم وقوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان هذا خطاب للجن والانس وفيه دلالة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الانس والجن جميعا الا ترى انه قال في اية اخرى
يا معشر الجن والانس وقيل ليس ان يخاطبهما جملة لكن يخاطب كل انسي وجني في نفسه كقوله تعالى
وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس ان قال الفريقان جميعا كونوا هودا تهتدوا ولكن
قال اليهود كونوا هودا تهتدوا وقال النصارى كونوا نصارى تهتدوا فعلى ذلك هذا ثم قوله
عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان وعن جابر بن عبد الله قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها فسكتوا فقال لقد قراتها على الجن ليلة الجن
فكانوا احسن ردا منكم كلما قرات عليهم فباي الاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من الائك ربنا
نكذب فلك الحمد ثم فيما ذكر من قوله والارض وضعها للانام فيها فاكهة الى اخره يذكر نعمه
وقدرته وتدبيره وعلمه ووحدانيته اما نعمه فانه بسط الارض لهم بما فيها من اخراج انواع
الحبوب والفواكه التي بها قوامهم والعصف وانواع النبات التي بها قوام دوابهم واما بيان قدرته

وسلطانه انشاء هذه الفواكه والحبوب في اكمامها ما يعجز الخلق عن احداث شئ وفعله في العلف والاغطية ليعلم ان صنعه وفعله خارج عن المعالجات والمماسات التي لا يتحقق مع الاغطية وان قدرته وفعله غير معتبرين بافعال الخلق وقدرتهم وكذلك الاولاد في البطون والفراخ في البيض وامثالها في الظلمات ليعلم انه لا يخفى عليه شئ ثم انشا هذه الثمار والحبوب في الوقت الذي لا يحتمل البرد والحر في الاكمام من وراء الحجب وامسكها فيها في حال ضعفها فاذا اشتد وقوى اخرجها من العلف وفي ذلك لطف منه ونعمة عظيمة على خلقه وفيه اثبات البعث من وجهين احدهما ان من قدر على انشاء هذه الاشياء لقادر على اعادة الخلق والثاني انه لما انشا لهم ما ذكر ثم منهم من شكر هذه النعم ومنهم من كفر ثم استويا في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما فلا بد من دار اخرى فيها يفرق بينهما وفيه لزوم الامتحان اذ لا يحتمل ان ينشئ لهم هذه النعم ثم يتركهم سدى لا يستادى شكر ما انعم عليهم ثم معرفة الشاكر منهم والكافر لا يعرف الا بمعرفة يعرفهم لان مقدار الشكر وكيفيته لا يعرف بمجرد العقل فيضطرهم الى رسل يخبرهم عن الله تعالى ذلك فيكون فيه اثبات الرسالة ثم في اخراج هذه الحبوب والفواكه كلها في وقت واحد في المشرق والمغرب على سنن واحد في زمان واحد من غير تفاوت دليل ان علمه وتدبيره ازلي ان ذاتي اذ لم يمنعه شئ عن شئ ثم اتساق ذلك واتصال ما ذكر من منافع الارض بمنافع السماء من غير احد دليل على وحدانيته اذ لو كان ذلك فعل عدد ما جرى ذلك على سنن واحد على ما هو التدافع والتمانع في الامر القيام بين اثنين عندنا لاختلاف والله الموفق **وقوله** عز وجل خلق الانسان من صلصال كالفخار ذكر في خلق الانسان احوالا مختلفة مرة قال خلقه من تراب والتراب هو الذي لم يصبه الماء ومرة قال خلقه من طين والطين هو الذي اصابه الماء واعجن ومرة قال من طين لازب واللازب هو الذي يلتصق باليد ويلزقه وهو الحر الخالص وقال مرة من حماء مسنون وهو الذي اسود وتغير لطول المكث ومرة قال من صلصال كالفخار والصلصال هو الذي له صوت اذا حرك وهو من صلصلة الحديد ويحتمل صلصال اي منتن يقال صل اللحم اذا انتن والفخار هو الذي تكسر اذا يبس وقال ابو عوسجة الفخار الذي طبخ فجايز ان يكون هذه الاحوال التي ذكرت على اختلافها في ذلك الانسان كان في الابتداء ترابا ثم صار طينا لازبا لانه كان من جيد الطين وحره ثم صار مسنونا منتنا اسود لطول مكثه وصلصالا لكبره ترتيبه ولجودته يكون له صوت وتشبيهه بالفخار يحتمل وجهين احدهما لتكسره ويبسه والثاني لانه كان ذا جوف كالفخار او لطول المكث وكثرة التربية اذ طين الفخار له هذه الصفات والله اعلم **وقوله** عز وجل خلق الجان من مارج من نار الآية ذكر انه اذ طين الفخار له هذه الصفات والله ذكر انه ابو الجن وانه لفظ الوحدان والجن جماعة وكذا قال ابو عوسجة الجان الجن **وقوله** مارج من نار قال بعضهم المارج هو لهب النار صافي لا دخان فيه يقال مرجت النار اذا التهبت فالمارج على هذا هي النار التي فارقت الحطب والتهبت وارتفعت منه وكذا قال ابو عوسجة المارج ها هنا اللهب من قولك مرج الشئ اذا اضطرب ولم يستقر وعلى ما قال بعضهم في قوله مرج البحرين اي خلط وجمع بينهما يجيء ان يكون خلق الجان من نار غير منقطعة من الحطب ولا خالية من الدخان وكذا قال ابو عبيدة من مارج اي من خلط من النار وعلى تاويل من قال في قوله مرج البحرين اي ارسل احدهما في الآخر فهو يكون من نار منقطعة من الحطب وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انما الحاجة الى معرفة ما اودع من الحكمة فيما ذكر من خلق آدم عليه السلام من التراب وخلق الجان من النار والفائدة في ذلك والله اعلم

اثبات البعث

دليل وحدانية تعالى

مادة الانسان

صلصال تراب طين لازب حماء

وطين الانسان

يخبر

يخبر عن قدرته ان من قدر على خلق الانسان من ذلك التراب واخراج جميع ما في الدنيا من الناس من نفس واحدة لا يحتمل ان يعجزه شئ وكذلك ما ذكر من خلق الجان من النار واخراج ما اخرج منه من النسل حتى اخذ الدنيا باسرها لا يعجزه شئ ولاما لو اجتمع حكماء البشر والجن ادركوا المعنى الذي به انشا الانسان منه واخرج هذا الخلق منه وفي ذلك وجهان من الحكمة احدهما ما ذكرنا من القدرة على البعث والثاني ان كل ما ذكر من النقل والتغيير من حال الى حال واخراج ما اخرج منه لا يحتمل ان يفعل ذلك عبثا باطلا ولو لم يكن بعث لكان انشاء هذا الخلق عبثا باطلا ولا قوة الا بالله **وقوله** عز وجل فباي آلاء ربكما تكذبان يقول والله اعلم اذا لم ينكروا شيئا من الآية انه ليس منه فما لكم تنكرون قدرته في البعث وغيره **وقوله** عز وجل رب المشرقين ورب المغربين وقال في موضع آخر رب المشارق والمغارب وقد ذكرنا فيما تقدم ثم دل قوله رب المشرقين ورب المغربين ورب المشارق ورب المغارب وذكر الحد لهما اعني الشمس والقمر في الشروق والغروب على انهما طلعا بامر وغربا حيث غربا بامر اذ لو كان ذلك لا بامر لكن بانفسهما لكانا يطلعان ويغربان في جميع الاوقات والاطراف ولا يجعلان اذا بلغا مكانا ولا يزدادان ولا ينقصان في وقت من الاوقات ثم هذا كله منشا البشر مسخر لهم له فيقول والله اعلم ما بال المجعول لكم اطوع لله تعالى منكم حيث لا يجاوز الحد الذي جعل لهم ولا يتعدون امرخالقهما وانتم تجاوزون امره ونهيه وتتعدون حدوده وفي الآية دليل على ان تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفي ما عداه الا ترى انه خص رب المشرقين ورب المغربين ولم يدل على انه ليس برب ما بينهما او ليس برب ما سوى المشارق والمغارب والله اعلم **وقوله** مرج البحرين قيل جمع بينهما وخلط وقيل احدهما العذب والآخر المالح وقيل يلتقيان اي يتقابلان **وقوله** عز وجل بينهما برزخ لا يبغيان اي بين البحرين حجاب وحاجز لا يبغيان قيل لا يختلطان ولا يمتزجان ولا يتغير طعم كل واحد منهما يخبر عن لطفه في منعهما عن الامتزاج والاختلاط فمن قدر على هذا لا يعجزه شئ وقيل لا يبغيان اي لا يجاوزان حد الله تعالى الذي حد لهما ثم اختلف في البحرين قال بعضهم احدهما بحر روم والآخر بحر هند وبينهما برزخ اي سكان لا يبغيان اي لا يختلطان وهو قول الاصم ومنهم من قال احدهما بحر روم والآخر بحر فارس بينهما برزخ اي جزيرة العرب وقيل احدهما بحر السماء والآخر بحر الارض كقوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وبينهما برزخ وهو الهواء والارض وسكان الارض وهذا ايضا لطف منه تعالى **وقوله** عز وجل يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان منهم من قال يخرج من العذب والمالح جميعا كما هو ظاهر الآية ومنهم من قال يخرجان من المالح خاصة دون العذب وان كانت الاضافة اليهما وذلك جائز في اللغة كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم ولم يات من الجن رسل وذلك كثير في القرآن ثم قرئ يخرج بنصب الياء ورفع الراء وبرفع الياء ونصب الراء فالاول على جعل الفعل لغيرهما كقوله تعالى تستخرجون منه حلية تلبسونها ولم يقل يخرج منه حلية ثم اختلف في اللؤلؤ والمرجان منهم من قال اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان ما صغر من اللؤلؤ ومنهم من قال على العكس واكثرهم على الاول كذلك روي عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وكذا قال ابو عوسجة المرجان صغار اللؤلؤ والواحد مرجانة وقيل ان المرجان المختلط من الجواهر من قولهم مرجت اي خلطت وقيل انه ضرب خاص من الجوهر يخرج من البحر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اذا جاء القطر من السماء انفتحت الاصداف فكان من ذلك اللؤلؤ وقيل انما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج اللؤلؤ من العذب دون المالح لان العذب والمالح يلتقيان فيكون العذب للمالح كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى

تخصيص بالذكر

والما تلك الاشى والله اعلم وقوله عز وجل وله الجوار المنشئات في البحر كالاعلام عن ابرهيم
رحمه الله انه قرأ المنشيات بكسر الشين وفسر بعض الناس المنشيات اى طاهرات السير وعن الحسن
انه قراها بفتح الشين قال ابو عبيد وبها يقرا لان تفسيرها انها التى قد رفع قلعها في البحر فهى الان
مفعول بها فقيل المنشئات وهى المرتفعات والتى لم يرتفع قلعها فليست بمنشاه وقيل المخلوقات والجوارى
هى السفن المنشات وقوله عز وجل كالاعلام اى هى في البحار كالجبال في البرارى وقيل هى الاعلام
انفسها ثم في هذه الآيات التى ذكر وجوه من الحكمة واثبات القدرة لله سبحانه وتعالى احدها انه من الله
على تسخير البحار وانشا ما فيها وعلم احراج ما فيها للآدمى والتخاذ السفن واجرائها في البحار للوصول
الى المنافع التى في البلدان النائية لقادر على البعث وغيره والثانى ان لا سبيل الى معرفة ما في البحار
من الاموال واتخاذ السفن واجرائها في البحار ومعرفة ما وراء البحار من البلدان النائية وما فيها
الا بخبر الرسل فيقول والله اعلم ما بالكم صدقتم الرسل والاوايل فيما يرجع الى منافعكم الدنيوية
ولم تصدقوهم فيما يرجع الى الدين والآخرة من الوعد والوعيد او يقول ما بالكم لا تشكرون شيئا
من هذه النعم التى جعلها لكم انها من الله تعالى فكيف تنكرون ما اتاكم به الرسل عليهم السلام ثم في قوله
وله الجوار المنشئات دلالة نقض قول المعتزلة في انكارهم خلق افعال العباد فانه اضاف السفن
الى نفسه بقوله وله الجوار المنشئات وقد اتخذها بنو آدم بافعالهم فلو لم يكن له في افعالهم صنعا
لكانت السفن لهم لا له والله اعلم وقوله عز وجل فباى الاء ربكما تكذبان اذا لم يكذبا بشيء من الاء
ربكما انه من الله تعالى ولم يكذبا بما اتاكم من الاخبار في منافع الدنيا فكيف تكذبان اخبار الرسل
عليهم السلام بعد ما جاءوا بالآيات والحجج وقوله عز وجل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام يحتمل وجوها احدها اى ملك كل من في الارض فان ويبقى ملك ربك ابدا دايما والثانى
يحتمل سلطان كل من عليها او قوة كل من عليها وقدرته فان ويبقى سلطان ربك وقدرته
وربوبيته ليعلم ان ملكه وسلطانه بذاته لا بالخلق حتى يكون فناؤهم وذهابهم يدخل نقصا
او وهنا في ملكه خلاف ملك ملوك الارض وسلطانهم وجايز ان يكون قال هذا على الاياس للكفرة
وقطع الرجاء عن عبادة من عبدوا دونه من الاصنام والملوك والرؤساء وما يخدمونهم كانه يقول
كل من عبد دونه وخدم او عمل لا لوجه الله فكله فان ذاهب الا ما عمل لوجه الله فانه باق والله الموفق
والباطنية يقولون كل من عليها فان اى النفس الجسدانية ويبقى النفس الروحانية ابدا لانهم يقولون
اذا فنيت هذه الاجساد ينشئ الله تعالى من اعمالهم الصالحات انفسا روحانية يبقى ابدا ويحتمل وجه
ربك اى كل ما يطلب من العمل وغيره رضاء الله تعالى فكنى بالوجه عن الرضا وقوله عز وجل يخرج
على وجهين احدهما على الخلق اجلال حق الله وامره وتعظيم ذلك والثانى ان يجل الله تعالى من شاء من خلقه
اى منه يجلال من جل في الدنيا واكرام من اكرم في الآخرة والله اعلم وقوله عز وجل يسأله
من في السموات والارض يخبر الله عز وجل عن فزع اهل السماء واهل الارض اليه عند الاياس عن الخلق
وانقطاع الرجاء عنهم وهو يذكر انه المفزع في الاحوال كلها والخلايق كلهم ومنه يسالون الرزق
والنجاة وهو ما ذكر قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الآية وقوله عز وجل قل الله ينجيكم
منها ومن كل كرب وقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وقوله تعالى واذا مسكم الضر هذا
صلة قوله كل من عليها فان ويبقى وجه ربك يقول والله اعلم شانه وامره باق دايم ابدا وذهاب
الخلق لا يدخل نقصا في شانه وامره ولا وهنا في سلطانه وملكه بل هو في شانه وامره عند فنائهم
كهو في حال فنائهم وجايز ان يكون ما قال بعض اهل التأويل ان اليهود قالت ان الله تعالى استراح يوم السبت

لايقضي

لايقضى بشيء ولا يحكم ولا يامر ولا يفعل فعلا فنزلت الآية عند ذلك كل يوم هو في شان
من احداث وافناء واحياء واماتة واصله ان الله تعالى اذا وصف بشيء يوصف بالازل فيقال عالم
لم يزل قادر لم يزل رازق بذاته لم يزل واذا ذكر بامر وتدبير مضاف الى الخلق يوصف على ذكر
الوقت فيكون الوقت للخلق لا له نحو ان يقال ان الله تعالى لم يزل عالما بجلوسك ها هنا وفي هذا
الوقت اى لم يزل عالما انه يجلس الآن او يجيء الآن او في هذا الوقت واذا وصفته بالماضى قلت لم يزل عالما
بما كان وبالمستقبل لم يزل عالما بما يكون انه يكون في وقت كذا وللحال لم يزل عالما بكونه كاينا للحال
ونحو ذلك نفيا لوهم الخلق ان المخلوق كيف يكون في الاول فعلى ذلك قوله عز وجل كل يوم هو
هو في شان ذكر اليوم والوقت لئلا يتوهم بكون الخلق قديما والله الموفق وقوله عز وجل
سنفرغ لكم ايها الثقلان الآية قرئ سنفرغ بالنون والياء برفع الراء في الحالين قال ابو عبيد
بالياء يقرؤها كقوله تعالى يسأله من في السموات والارض ذكر على المغايبة فكذلك هذا الذى يليه
قال الزجاج قوله تعالى سنفرغ لكم ليس هو الفراغ عن الشغل لكن كما يقول الرجل لآخر سافرغ لك
وعلى كذا اى ساجعل لك وكلام نحوه ومنهم من يقول هذا على الوعيد في كلام العرب يقول
الرجل سافرغ لك وانى لفارغ على الوعيد وقال ابو بكر الكيسانى ان الفراغ ليس يستعمل عن الفراغ
من الشغل خاصة لكن يستعمل له ولغيره من نحو الخبر انه ما وعد واوعد كانه قال سننجز لكم
ما اوعدتكم ايها الثقلان وعندنا ان الفراغ هو اسم لانقضاء الفعل وتمامه لا للفراغ عن الشغل
يقال فلان فرغ من شغله اذا فرغ من بناء داره اذا تمه وانقضى ذلك الا ترى انه وان فرغ
من شغل تلك الدار وذلك العمل فهو مشغول لغيره دل انه ليس باسم للفراغ من الشغل ذ لو كان
اسما للفراغ من الشغل لا يوصف به وهو مشغول بغيره دل انه اسم للتمام والانقضاء لكن فهم الخلو
بعضهم من بعض الفراغ من الشغل لما ان فعلهم للشيء لا يلتئم الا بالشغل في ذلك وفهم ذلك
من فعلهم فاما الله سبحانه حيث لا يشغله فعل عن فعل ولا شيء عن شيء لم يجز ان يفهم فراغه
من الشغل وبالله العصمة والتوفيق وقوله عز وجل يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان له تأويلان احدهما كانه يقول
لو مكن لكم النفاذ من اقطار السموات والارض ونواحيها فتنفذون فتجدوا هنالك وترون آيات
من كذب بالرسل عليهم السلام وما حل بهم بالتكذيب ثم قال لا تنفذون الا بسلطان
اى لا تنفذون لو مكن لكم من النفاذ لا وتجدون حججا من اهلك منهم ظاهرة انه بم اهلكهم وهو
كقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين امرهم بالسير في الارض
والتدبر في آثار من اهلك بماذا اهلكهم وبماذا نجا من نجا والله اعلم والثانى على الاعجاز لهم
اى لا يستطيعون ان يخرجوا او تنفذوا من اقطار السموات والارض ولو مكن لكم من النفاد والخروج
منها لوجدتم ثم سلطانى وحقى وملكى هنالك قايما اى لا تقدرون الخروج من سلطانى وملكى
حيث ما كنتم بل حيث ما سرتم وكنتم في سلطانى وملكى فلا تتخلصون من الموت والهلاك وهو كقوله تعالى
فان استطعت ان تبتغى نفقا في الارض او سلما في السماء الآية وقال الضحاك في حرف ابن مسعود
رضى الله عنه يا معشر الجن والانس قد جاء اجلكم فانفذوا من اقطارها لا تنفذون الا بسلطان
يعنى انه لا يجيركم احد من الموت وانتم ميتون اى لا تاتون قطرا من اقطار السموات والارض الا وجدتم
هنالك سلطان وملايكة يقول لا تستطيعون فرارا من الموت ولا محيصا وان تقدم من اقطار
السموات والارض فلم تخرجوا من سلطانى وانا آخذكم بالموت حيث كنتم وهو كقوله يدرككم الموت

كل يوم هو في شان

اصل مسلم في وصفه تعالى بشيء

وعندنا ان الفراغ اسم لانقضاء الفعل

في عدم الفرار من الموت

هو الممتنع في كل حال

823

ولو كنتم في بروج مشيدة وقال بعضهم يبعث الله تعالى ملائكة عند الحشر فيحيطون بالدنيا يكونون في اقطارها فلا يستطيع شيطان ولا انس ولا جان ان يخرج من الاقطار ولو خرجوا كانوا في سلطان الله
وقيل الا بسلطان اي الحجة وقال قتادة الا بملك وقال الا بقدرة الله تعالى والله اعلم ثم اوعدهم فقال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران قرئ شواظ بضم الشين وكسرها روي عن الحسن بالكسر وكذا عن مجاهد وقرئ نحاس بكسر السين وضمه فمن رفع نحاس عطفه على قوله شواظ ومن كسره عطفه على قوله من نار ثم اختلف في تاويل الشواظ والنحاس عن ابن عباس رضي الله عنه النحاس الدخان وقيل الشواظ هو لهب النار الذي لا دخان فيه والنحاس هو الدخان وعن الكلبي الشواظ لهب النار والنحاس الصفر الذي يذاب فيعذبون به وقيل الشواظ هو الذي فيه الدخان والنحاس هو النحاس المعروف يذاب فيصب على رؤسهم وقال القفال الشواظ الدخان التي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب والنحاس الصفر فمن قرأ بالخفض يقول لهب من نار ومن دخان ومن قرء بالرفع اراد به الصفر يقول يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ذائب في النار وقيل النحاس في القرائتين يحتمل الدخان ويحتمل الصفر والله اعلم **وقوله** عز وجل فلا تنتصران قيل لا يمتنعان من ذلك ويحتمل اي لا ناصر لكما كما يكون في الدنيا فان قيل انه قد ذكر في اول الايات الالآء والنعم فقرن باحدها فباي الاء ربكما تكذبان وقد نقطع ذكر الالاء ههنا وذكر المواعيد في هذه الايات فما فايدة قران قوله فباي الاء ربكما تكذبان باخرها قيل ان في الوعد ترغيبا وفي الوعيد ترهيبا فرغب في الوعد ويخاف ويرهب من الوعيد فيرتدع ويمتنع عما يوعد فيكون في ذلك نعمة عظيمة اذ بالوعد والوعيد يتم المحنة والمحنة يتم النعمة لذلك ذكر على اثر الوعيد فباي الاء ربكما تكذبان **وقوله** عز وجل فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان يذكر تغير هذا العالم يومئذ لهول ذلك اليوم وهو كما ذكر من تبديل السماء والارض حيث قال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب في غير ذلك من الايات وكذلك ما ذكر من تغيير الجبال من قوله هباء منثورا وقوله كثيبا مهيلا وقوله كالعهن المنفوش ونحو ذلك ثم قوله تعالى فكانت وردة كالدهان منهم من قال شبه السماء لكثرة تلونها بعرش الورد يكون في الربيع يلون ثم تصير الى لون احمر ثم الى اخر فعلى ذلك ما ذكر من تغيير السماء وتلونها ومنهم من قال شبهها بالدهان وهو الدهن للينها وضعفها وهو كما ذكر في اية اخرى يوم تكون السماء كالمهل والمهل دردي الزيت لكن التشبيه بالمهل انما يكون لكثرة التلون لا اللين فيكون في هذا التاويل نوع وهاء والله اعلم وقيل انما تحمر وتذوب كالدهن وروي ان سماء الدنيا من حديد فاذا كان يوم القيامة صارت من الخضرة الى الاحمر من حر جهنم كالحديد اذا احمي بالنار ثم قال بعضهم الدهان جمع الدهن ويقال الدهان الاديم الاحمر والله اعلم **وقوله** عز وجل فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان اختلف في تاويله قال بعضهم اي لا يسأل الانسي ولا الجني عن ذنب غيره انما يسأل عن ذنب نفسه يخرج لا يسأل من اضل غيره عن ضلال ذلك الغير انما يسأل الذي اضله عن اضلاله ويسأل الضال عن ضلاله كقوله تعالى ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا الاية ومنهم من قال لا يسأل بعض عن بعض اي لا يسأل الجني عن ذنب الانسي ولا الانسي عن ذنب جني ومنهم من قال لا يسألون سؤال استخبار واستفهام اي لماذا فعلتم ما فعلتم ولكن يسألون لم فعلتم يطلبون عن الحجة لا عن نفس الفعل لان كل ذي مذهب ودين انما يفعل لحجة يكون له ومنهم من قال لا يسألون عن ذنوبهم لما يكون في وجوههم من الاعلام من الاسوداد وزرقة العيون

في ان الوعيد نعمة

بالوعد والوعيد يتم المحنة وبالمحنة يتم النعمة

سماء الدنيا حديد

وغير ذلك

وغير ذلك مما ذكر في الكتاب مما يكون للكفار كقوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة وقوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم الاية وما ذكر من اعلام المؤمنين من قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله تعالى ابيضت وجوههم وقال بعضهم لا يسأل الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم **وقوله** عز وجل يعرف المجرمون بسيماهم ذكر الله تعالى في كتابه للمجرمين اعلاما يعرفون في الاخرة بها على ما ذكرنا من اسوداد الوجوه وقال يومئذ واجفة ابصارها خاشعة وقوله نطمس وجوها فنردها على ادبارها اي على اعقابها فهو والله اعلم يكون وجوههم في اول الاحوال خاشعة ثم غبرة ثم مسودة ثم يطمس من نظر ذلك فنعوذ بالله من هذه الاحوال التي ذكر **وقوله** عز وجل فيؤخذ بالنواصي والاقدام قيل يكسر اضلاعهم وظهورهم فيجمع اقدامهم ونواصيهم فيرمى بهم في النار وقال بعضهم يغل ايديهم الى اعناقهم ثم يجمع به نواصيهم واقدامهم ثم يدفعون الى النار **وقوله** عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون انها اذا دفعوا على الوصف الذي ذكر عند ذلك يقال له هذه جهنم التي كنتم تكذبون بها في الدنيا **وقوله** عز وجل يطوفون بينها وبين حميم آن اي يطوفون بين جهنم وبين حميم فيجوز ان يكون كنى بجهنم عما ياكلون وهي النار وبالحميم عما يشربون كانه يقول والله اعلم يطوفون بين ما ياكلون وبين ما يشربون لا يشبعون عما ياكلون ولا يروون عما يشربون بل كلما اكلوا زادتهم جوعا وكلما شربوا زادتهم عطشا والحميم هو الشراب الذي جعل لهم والآن هو الذي قد انتهى حره غايته ونهايته **وقوله** فباي الاء ربكما تكذبان في الاية ومن الناس من قال في قوله فباي الاء ربكما تكذبان على اثر الوعيد انما يقال لهم في الاخرة اي باي الاء ربكما تكذبان في الدنيا كقوله عز وجل وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى قوله وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الاية **وقوله** عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان ذكر الخوف عن المقام بين يدي ربه ولم يبين خوفه من ماذا ولانه اذا خافه تركها ولا يخبر ان يكون ما ذكر من الخوف عن المقام بين يدي ربه ما بين في اية اخرى وهو قوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى يحتمل وجهين احدهما نهى النفس عما يهواه والثاني منع النفس عن ان يهوى ما نهيت عنه والله اعلم وجايز ان يكون في هذه الاية بيان ما ذكر في تلك الاية من الخوف من المقام بين يدي ربه اي خاف مقام ربه وترك ما هم من المعصية او ما هوت نفسه ثم لسنا نعرف ما فايدة ذكر الجنتين له ليس ذلك في ثلاث واربع قال اهل التاويل انما ذكر جنتين لان الجنان اربعة جنة عدن وفردوس وجنة المأوى وجنة النعيم فجنة العدن وجنة النعيم للمقربين والشهداء والصديقين والجنان الاخريان لمن دونهم من المؤمنين الذين هم لاصحاب اليمين وجايز ان يخرج على وجهين احدهما ان يكون بصره اذا نظر يمينا وشمالا لا يقع الا على جنته لا يقع على جنة غيره وكذلك اذا نظر من الاعلى او من الاسفل يقع بصره على ملكه لا يقع الا على جنته ملك غيره فليس ذلك على تحقيق احياز عدد الجنتين ولكن اخبارا ان بصره حيث نظر لا يقع الا على ملكه وجنته والله اعلم والثاني يكون له جنان احدى الجنتين لترك المساوي والاخرى لاتيان المحاسن وذكر القتبي عن الفراء في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال قد يسمي العرب الشيء الواحد باسم الاثنين اذا كان رؤس الاية ومقاطعها لتحقيق الموافقة في المقاطع فعلى ذلك جايز ان يكون ذكر جنتان لموافقة مقاطع الاية والمراد منه جنة واحدة لكن القتبي انكر عليه ذلك وذلك انما يقال ذلك اذا انقطع الكلام فاما اذا كان الكلام غير منقطع فانه لا يقال ذلك والله اعلم ثم سمى البعث مقاما بين يدي ربه وسماه رجوعا اليه ومصيرا وبروزا فهو يخرج على وجهين احدهما انه سماه بما ذكر لان البعث هو نهاية هذا العالم

اعلام وجوههم

في تسمية الواحد باسم الاثنين

والثانی سماه بذلك لان كل احد يظهر في ذلك اليوم ان الامر لله تعالى وان التدبير له في الدنيا
والاخرة وان لا تدبير لاحد سواه كقوله عز وجل لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم جايز
ان يكون ما ذكر من الجنتين للسابقين والشهداء على ما ذكره بعض اهل التاويل وما ذكر من قوله
ومن دونهما جنتان لاصحاب اليمين ثم نعت ووصف ما جعل لكل فريق فاما نعت ما جعل السابقين
والصديقين والشهداء ما ذكر حيث قال ذواتا افنان قال عامة اهل التاويل ذواتا اغصان
ولكن ليس في هذا كثير حكمة لكن يحتمل ان قوله ذواتا افنان من العيون اي فيهما من كل فن وكل
نوع وقال مقاتل ذلك في الجنتين اللتين جعلهما لاصحاب اليمين مدهامتان والمدهم
هو الذي يضرب خضرته لشدته الى السواد وهو دون الاول في الوصف اذ لم يصفهما الا بصفة
واحدة ووصف تينك الجنتين بالفنون وقال في تينك فيهما عينان تجريان وقال
في اصحاب اليمين فيهما عينان نضاختان والناضخ هو الذي لا يتبين جريانه ووصف
تينك بالجريان والنضخ دون الجريان وقال القتبي نضاختان اللتان تفوران بالماء
والنضخ دون النفخ وهو الرش وقال في جنتي السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان
ولونان اي شيء كان وقال في اصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان ذكر اشياء معدودة
وعم الاشياء في تينك حيث قال من كل فاكهة زوجان لتفضيل اولئك على هؤلاء وجايز
ان يذكر في كل واحدة منهما حكمة على حدة قوله ذواتا افنان ما ذكرنا ان فيهما من كل فن وكل نوع
واحدى العينين هي العين المعروفة الموعودة والاخرى التي لا يعرفون ولا يوعدون وقوله
عز وجل فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان ولونان على غير تغير الطعم ولا فساد يدخل
في ذلك لان تغير اللون في الدنيا لا يكون للفواكه الا بعد دخول فساد فيها فيخبر ان تغير لونه
لا لفساد يدخل في ذلك والله اعلم وقال بعضهم انما ذكر الزوجين من الفواكه لما ان قلوب
البشر قد خطرت باحد الزوجين وتمنتهم انفسهم والزوج الاخر هو لطف الله تعالى على عباده
فضل ومنه اليهم من غير ان يخطر على بالهم ولا وقفت عليه ابصارهم ولا انتهت اليه امالهم اكرامهم
بها وامتنانا وقال بعضهم ليس المراد في هذه الايات بتبيين ما لاهل الجنة ولكن فيه بيان فضل
السابقين على اصحاب اليمين اي اولئك يعطون من الفضل ضعفي ما اعطي هؤلاء والله اعلم وقوله
عز وجل متكئين على فرش بطائنها من استبرق قال الفراء يجوز ان يكون البطانة والظهارة
جميعا من شيء واحد ومن جهة واحدة لكن سمي الجهة التي تلي اجسادهم بطانة والاخرى ظهارة
كالسماء ان الجهة التي تلي الملايكة هي بطانتهم وظهارتنا وما يلينا ظهارتهم وبطانتنا وكذلك
كل شيء تلي انسانا فهو بطانة والجانب الذي لا يليه ظهارة يقال هذا ظهر السماء للجانب الذي تراه
والاخر بطن السماء والله اعلم وقال القتبي لا ولكن ذكر البطانة من استبرق ولم يذكر الظهارة
والعرف في الناس ان ظهارة فرشهم انفس من البطانة والبطانة دون الظهارة فعلى ذلك في ذكر
البطانة ووصفها بانها من الاستبرق دلالة ان ظهارتها ارفع وانفس من البطانة لكن ما قاله
الفراء صحيح وما ذكره القتبي هو من صنيع الناس في الدنيا من اتخاذ الظهارة فوق البطانة لما لا يحتمل
املاكهم التسوية بين ما بطن وما ظهر من النفاسة والرفعة فاما الله سبحانه وتعالى فلا نفاد
لخزاينه يفعل ما يشاء كيف شاء وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قد اخبرتم بالبطاين
فكيف بالظهارة ثم الاستبرق اختلف فيه قيل هو ما غلظ منه بلسان قوم وقال بعضهم هو ما دق
ورق والله اعلم ولا نفسر نحن انه ما هو وكيف هو ولكن نعلم انه شيء وعدلهم ربهم وهو شيء

الصفحة في وصف الجنة اللهم لا تحرمنا فضلك العميم

يرغبون

يرغب فيه انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وجنى الجنتين دان جايز ان يكون ذكر هذا
في حق السابقين الذين سارعوا في الخيرات واستبطوا ما وعد لهم بما لم ير والطاعاتهم ثقة وبغلبة
خوفهم في التقصير في العمل لله تعالى الواجب عليه وفي اوامره ونواهيه فقال جنى الجنتين الذي
وعد لكم دان وقال اهل التاويل اي الثمر دان منهم قريب حين يتناولها الرجل كيف شاء لكن
يذكر هذا والله اعلم ان الجنتين وان بعدتا فان الثمار منهم دانية قال ابو عوسجة الجنى الحمل
واجتنيت الشيء تجنيته اذا حملت وادركت حملها وقوله عز وجل فيهن قاصرات الطرف اي قصرن
طرفهن على ازواجهن ولا ينظرن الى غيرهم ولا تشتهيهم وقال في اية اخرى حور مقصورات
في الخيام ذكر هذا لان اهل الدين يكونون اهل غيرة لا يريدون ان ينظر ازواجهم الى غيرهم
ولا غيرهم ينظرون اليهن فاخبر بالايتين انهن لا ينظرن الى غير ازواجهن ولا غيرهم اليهن
حيث وصفهن بانهن قاصرات مقصورات في الخيام وقوله عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
قرئ لم يطمثهن بضم الميم وكسره قال لم يطمثهن اي لم يقتضهن والطمث النكاح بالتدمية وقال اهل
التاويل لم يجامعهن انس قبلهم ولا جان وقال ابو عوسجة اي لم يمسسهن انس في التربية
كما يربي الاولاد ولا الجان على ما مس الجن الاولاد فيفسدهم ولكنهم كما وصف انا انشأناهن
انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين وقوله عز وجل كانهن الياقوت والمرجان
قال اهل التاويل شبههن بالياقوت لصفائهن وبالمرجان لبياضهن وهو كما قالوا والله اعلم
وقوله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان قيل هل جزاء الاحسان في الدنيا الا الاحسان
لهم في الاخرة اي هل جزاء فعل الحسن في الدنيا الا اعطاء الحسن في الاخرة وهي الجنة
ولكن غير كانه اقرب اي هل جزاء احسان الله تعالى بما انعم عليهم في الدنيا الا الاحسان له
بالشكر والقبول اي الاتيان بفعل الحسن وهو الشكر له وحسن القبول لانه ليس يستوجب احد
قبل الله تعالى باحسانه في الدنيا جزاء في الاخرة انما الجزاء لهم بحق الفضل والانعام لا بحق
الاستحقاق ويحتمل ان يكون قوله تعالى هل جزاء الاحسان في الدنيا الا الاحسان له في الاخرة
والله اعلم واستدل ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى بهذه الاية على ان للجن ثوابا كما للانس
فانه جرى الخطاب من اول السورة الى اخرها الجن والانس من قوله يا معشر الجن والانس وقوله
عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فعلى ذلك يشتركون في الوعد والوعيد لكن ابو حنيفة
رحمه الله يقول لا ثواب للجن في ذلك من نحو الفواكه والسفن الجواري فعلى ذلك ما ذكر من الثواب لهم
يجوز الثواب والجن يجوز العين والله اعلم وقد ذكرناه في غير هذا الموضع وقوله عز وجل ومن دونهما
جنتان فان كانت الجنتان اللتان سبق ذكرهما للسابقين والصديقين فهاتان اللتان
ذكرهما هاهنا لاصحاب اليمين على ما ذكره بعض اهل التاويل فجايز ان يكون قوله ومن دونهما
اي في الفضل والقدر والمنزلة لفضل اولئك على اصحاب اليمين وان كان الجنتان جميعا
لكل فريق منهم فجايز ان يكون قوله ومن دونهما جنتان في المكان والموضع لا في الفضل والقدر
فكانه قال من اي جهة وقع بصرهم يقع في جناتهم من فوق ومن تحت وعن يمين وشمال اي يكونون
وسط الجنان لا يحتاجون الى التحول من مكان الى مكان كقوله تعالى لا يبغون عنها حولا وعلى هذا
يخرج قوله تعالى مدهامتان على ما ذكرنا ان المدهم هو شديد الخضرة الذي يضرب الى السواد
فوصف هاتين دون وصف تينك الجنتين بقوله تعالى ذواتا افنان على التاويل الاول وكذلك
قوله تعالى عينان نضاختان على ما ذكرنا انهما دون الجاريتين وكذلك روي عن الفراء قال العينان

في الجن هل لهم ثواب

بجريان افضل من النضاختين وقيل نضاختان لانهما ينضخان بالخير والبركة لاهل الجنة وقيل ينضخان بالماء وانواع الفواكه وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال ينضخان بالمسك والعنبر كما ينضخ طل الماء على بيوت اهل الدنيا وقوله عز وجل فيهما فاكهة ونخل ورمان من الناس من احتج لابى حنيفة رحمه الله فيمن حلف لاياكل فاكهة فاكل رمانا لايحنث فى يمينه لانه بهذه الاية فى ان الرمان والرطب ليسا من الفاكهة لانه عطفهما على الفاكهة والشئ لا يعطف على نفسه انما يعطف على غيره هذا هو ظاهر الكلام الا ان تقوم الدلالة على ان مراده بالذكر وان كان من جنسه لضرب من التعظيم او غيره كقوله من كان عدوا لله وملايكته وجبريل وميكال والله اعلم وقوله عز وجل فيهن خيرات حسان قيل حسان الخلق وحسان الوجوه يقال امراة خيرة وخيره ونسوة خيرات يقرا بالتثقيل والتخفيف جميعا وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال لكل مؤمن خيرة ولكل خيرة خيمة وقوله عز وجل حور مقصورات فى الخيام قيل اى محبوسات فى الخيام لايخرجن من الخيام واصله ماذكرنا انهن تكن فى الخيام لايرين غير ازواجهن وقاصرات الطرف اى لايرفعن بصرهن الى غير ازواجهن ولايبغين غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان هو قراءة العامة بغير الف وعن عاصم الجحدرى رفارف وعباقرى قيل الرفرف المجلس وقيل المجالس وقيل الرياض الخضر وقيل الخيام وقيل هو فضول الفرش والبسط واما العبقرى هو الزرابى وهو بالفارسية النخ وقال ابو عبيدة العبقرى الطنافس الثخان وقيل لكل شئ من البسط عبقرى وقال القتبى وابو عوسجة العبقرى فى غير القرآن ثياب يتخذ بعبقر وهى بلدة فينسب اهلها وقوله عز وجل تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام قال ابو بكر الاصم تعظم اسم ربك من ان يستحق غيره اسمه وقوله ذو الجلال اى استحق على الخلق ان يجلوه ويعظموه من ان يسموا غيره باسمه والاكرام هو ان يلحقوا به مالايليق به من الولد والشريك وغيره ثم قيل فى فايدة تكرار قوله عز وجل فباى آلاء ربكما تكذبان فباى الاء ما فى السموات والارض تكذبان فى الدلالة على وحدانية الله تعالى والشهادة له بانه خالقه ومرسل رسله عليهم السلام وماجاءت به عنه وذلك ان جميع مافيهما من المثال والطعام والشراب على ما ذكرنا وذلك كما يقول الرجل لاخيه يلومه ويعاتبه الم تكن جايعا فاطعمتك افتنكر هذا لم تكن ظمآنا فسقيتك فتنكر هذا لم تكن عريانا فكسوتك فتنكر هذا ونحو ذلك وجايز ان يكون فايدة التكرار غير هذا وهو انه خرج مخرج العظة والتذكير ومن شان الموعظة والتذكير التكرار والاعادة ليكون انجع واخذ للقلوب واقرب الى القبول والله اعلم

سورة الواقعة مكية وآيها تسعون وست

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا وقعت الواقعة هذا مما لابتداء به الخطاب وانما هو جواب سؤال وخطاب لم يذكر فيحتمل ان يكون المؤمنون ذكروا اماناتهم التى وعدوا فى الاخرة فقال لهم اولئك الكفرة متى يكون ذلك لكم فقالوا اذا وقعت الواقعة كما يسال الرجل متى يكون امر كذا فيقول اذا كان كذا فهو حرف جواب لسوال ودعلى هذا يخرج جميع ما ذكر فى القرآن من هذا النوع من نحو قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها ونحو ذلك وقوله الواقعة جايز ان يكون تاويله اذا وقعت المثوبة والعقوبة فيكون الواقعة كناية عنها وجايز ان يكون الواقعة اسما من اسماء البعث كالقيامة والساعة وغير ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ليس لوقعتها كاذبة قال بعضهم اى ليس لوقعتها مثوبة ولا ترداد يقال حمل عليه فما كذب اى فما رجع وقال بعضهم اى هى حق ليست بكذب وقال بعضهم اى لايكذب بها احد

اذا وقعت ليست كالآيات التى عاينوها فى الدنيا مع ما عرفوا انها آيات كذبوها كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ونحو ذلك يكذبونها مع العلم بانها آيات يقول تعالى اذا عاينوا القيامة يوقنونها ويصدقونها ولايكذبون بها كقوله فارجعنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ونحوه ويحتمل ان يكون قوله ليس لوقعتها كاذبة اى ليست للانبياء والاحياء التى جاءت على وقوعها وقيامها كاذبة بل هى صادقة وقوله عز وجل خافضة رافعة قال بعضهم خافضة يسمع القريب رافعة يسمع البعيد وقال صاحب هذا التاويل ان يفسر الواقعة هو الصيحة وتلك خافضة رافعة وقال بعضهم خافضة اناسا فى النار ورافعة اناسا فى الجنة ويحتمل خافضة لمن تكبر وتعظم على الخلق ورده ورافعة لمن تواضع للحق وانقاد له وقبله وقيل خافضة لاهل النار فى النار كقوله تعالى يوم يسحبون فى النار ورافعة لاهل الجنة كقوله فى مقعد صدق وقوله لهم قدم صدق عند ربهم وقوله عز وجل اذا رجت الارض يخرج على السؤال كانهم لما سمعوا وصف القيامة والواقعة من المؤمنين فقالوا عند ذلك متى يكون الواقعة فعند ذلك قال اذا رجت الارض وهو كقوله عز وجل اذا زلزلت الارض زلزالها فزلزلت حتى يلقى ما فى بطنها وقوله عز وجل وبست الجبال بسا قيل فتت حتى يصير كالدقيق ومنه يقال للسويق المبسوس والبسيسة سويق يلت بالزيت والخلط وقال الحسن بست الجبال اى سيرت تسييرا وقوله عز وجل فكانت هباء منبثا قيل الهباء الذى يكون فوق النار اذا اخمدت لايكون غيره منبثا اى متفرقا وقيل هباء منبثا اى ترابا منتشرا وقيل الهباء المبثوث هو ما يسطع من سنابك الخيل وقيل الهباء الغبار الذى يراه فى الشمس اذا دخلت من الكوة فيه اخبار عن شدة ذلك اليوم وهوله انه يفعل بالجبال كذا مع صلابتها وطاعتها الله تعالى فكيف يفعل بكم يا بنى آدم مع ضعفكم وكفركم ومعصيتكم والله اعلم وقوله عز وجل وكنتم ازواجا ثلاثة اى اصنافا ثلاثة والاصناف الثلاثة ما فسر عقيبه حيث قال فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون الاية وقيل الاصناف الثلاثة المكذبون والمحسنون والسابقون وقوله عز وجل فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة يحتمل وجهين احدهما اصحاب الميمنة من اليمن واصحاب المشامة من الشوم والثانى سموا اصحاب الميمنة لانهم اصحاب الطيبات واليمين هى التى يستعمل فى الطيبات والكفرة اصحاب الشمال لانهم اصحاب الخبايث والشمال يستعمل فى الخبائث وعلى ذلك قوله فاما من اوتى كتابه بيمينه لان فى كتبهم طيبات وخيرات وفى كتب الكفرة خبايث فيوتى بشماله وقيل سموا اصحاب الميمنة والمشامة لما ذكر الله تعالى فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وقوله فاما من اوتى كتابه وراء ظهره فكذا فكل من اوتى كتابه بيمينه فهو من اصحاب اليمين ومن اوتى كتابه بشماله فهو من اصحاب المشامة وكذا قوله تعالى والسابقون السابقون يحتمل وجهين ايضا احدهما السابقون فى الخيرات يسبقون الناس فى كل خير والثانى السابقون فى الاجابة لله ورسوله الى ما دعاهم اليه ثم جايز ان يكون الخطاب به للناس كافة الاولين والاخرين فيكون الناس كلهم اصنافا ثلاثة السابقون واصحاب اليمين واصحاب الشمال وجايز ان يكون الخطاب بهذه الاية لهذه الامة عامة ففيهم السابقون وفيهم اصحاب اليمين وهم اصحاب النظر فى الحجج والآيات والتامل فيها واصحاب الشمال وهم الكفرة ثم قوله واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة على التعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكرمهم وعلى التعظيم

لاولئك لعظم مايعطيهم وكذلك قوله واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة يخرج على هذين وجهين
على التعجب والتعظيم مايحل بهم وكذلك قوله والسابقون يخرج على هذا ايضا يقال فلان ما امر فلان
ويقال فلان فلان على تعظيم امره وشانه فعلى ذلك هذا ثم فى قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة يقول اصحابنا
رحمهم الله فى جعلهم الكفر كله ملة واحدة لانه جعل الله تعالى اهل الكفر على اختلاف مذاهبهم واديانهم
زوجا واحدا واهل الاسلام زوجين حيث جعل الكل ازواجا ثلثة والله اعلم وقوله عز وجل اولئك
المقربون يحتمل ان يكون وصف التقريب لهم لمسابقتهم فى الخيرات فى الدنيا ويحتمل انهم مقربون
فى الآخرة بالكرامات والمنزلة لسبقهم فى الخيرات وفى الاجابة والسبق فعلهم والتقريب بلطف
من الله تعالى وفضل منه والله اعلم وقوله عز وجل فى جنات النعيم جميع الجنان نعيم لان فيها نعيما
ولله ان يسمى واحدة منها نعيما والاخرى عدنا والفردوس والماوى لما له ان يسمى ما شاء ثم ما شاء
وكيف شاء وقوله عز وجل ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اختلف فى ذلك قال بعضهم
اى ثلة من الاولين ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربوا منه وقليل من الآخرين
ممن بعد من هذه الامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه وادرك زمانه وقليل من المقربين
من الآخرين وهو ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم
وعلى ذلك قوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل على ما يذكر والله اعلم ومنهم من قال
ثلة من الاولين اى جماعة من المؤمنين الذين كانوا فى الامم الماضية وقليل من الآخرين اى من هذه الامة
وهكذا يكون لو اجتمع اهل الايمان من هذه الامة مع الامم الماضية يكون هؤلاء اقل منهم ويحتمل ايضا
ان السابقين المقربين من الامم الماضية اكثر من السابقين المقربين من هذه الامة لان الانبياء عليهم
الصلوة والسلام كلهم من الامم السالفة وقال اهل التاويل لما نزل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل
من الآخرين وجد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا وقالوا لن يدخل الجنة منا
الا قليل فنزل قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لكن هذا لا يحتمل لانه خبر ولا يرد
فى الاخبار نسخ وما قالوه فهو نسخ والوجه فيه ما ذكرنا ويحتمل قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين
هم اصحاب اليمين من الاولين والآخرين جميعا اى جماعة كثيرة من الاولين وجماعة كثيرة من الآخرين
ثم يحتمل ان يكون الاولون والآخرون من هذه الامة ويحتمل ان يكون الاولون من الامم الماضية والآخرون
من هذه الامة وهم المؤمنون وقوله ثلة من الاولين وقليل من الآخرين فى المقربين خاصة
والله اعلم وقوله عز وجل على سرر موضونة وقال فى آية اخرى على سرر مصفوفة والسرر
قد يكون فى الدنيا مصفوفة ولكن لا يكون موضونة اى منسوجة والوضن هو النسج يخبر انه لا يكون
بين السرر فى الآخرة انفصال ولا فرج كما يكون فى الدنيا لكن موصولة بعضها ببعض وقوله عز وجل
متكئين عليها اى على السرر التى ذكر انها مصفوفة موضونة وقوله متقابلين اى يقابل بعضا لا يوضون
ولا ينظر بعضهم الى بعض بالقفا كما يفعل اهل المجالس فى الدنيا يعرض عن بعض ويجفو بعضهم
بعضا يخبر انهم يكون فى الآخرة خلاف ما فى الدنيا بحيث لا يتاذى بعض من بعض بوجه ما
وقوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون فيه انهم يعطون فى الجنة على ما يستحبون
فى الدنيا من السرف وطواف الولدان وكذلك ما ذكر من السرر والفرش وغير ذلك من انواع
ما يرغب من انفسهم فى الدنيا ثم ذكر انهم ولدان وان لم يكن فى الجنة ولاد فهو يخرج على وجهين
احدهما ان يكون على هيئة الولدان وان لم يولدوا وسموا ولدانا لولادهم فى الدنيا وان لم يولدوا فى الجنة
لان التوالد فى الدنيا لحاجة البقا واهل الجنة باقون وقوله عز وجل مخلدون قال بعضهم اى المقرطون

والخلد القرط وجمعه الخلدة وقال بعضهم هو من الخلود كقوله تعالى خالدين فيها اى باقون ويقال
مسورون من السوار وقوله باكواب واباريق هى الكيزان المدورة الرؤس التى لا عرى لها والاباريق
التى لها عرى وخراطيم وجايز ان يكون الاكواب القداح التى يشربون بها لان فى الدنيا يكون لاهل
الشراب الاباريق والاقداح يصبون من الاباريق فى القدح ويشربون منه لا يشربون من الاباريق
فعلى ذلك وعدوا فى الجنة وقوله عز وجل وكاس من معين الكاس هو القدح المملوء من الشراب
واما المعين قال بعضهم هو الظاهر من الماء الذى يقع عليه البصر لان اهل الدنيا يستحبون شرب
الشراب الذى يقع عليه البصر فوعد لاهل الجنة ذلك والله اعلم وقوله عز وجل لا يصدعون
عنها ولا ينزفون قرئ بكسر الزاى ونصبه اى لا يصدع خمورهم فى الجنة رؤسهم كما يصدع
خمور الدنيا اهلها وقوله ولا ينزفون قيل بكسر الزاى لا ينفد شرابهم وبالفتح لا يسكرون
فيه انه ليس فى خمورهم الآفة التى تكون فى خمور الدنيا من ذهاب العقل والصداع والنفاد وقوله
عز وجل وفاكهة مما يتخيرون جميع فواكه الجنة مختارة لكن يخرج على وجهين احدهما ان جميع
فواكهها مما يختار والثانى ان العرف فى الفواكه ان يقدم من اجناس مختلفة والوان لا من لون
واحد ونوع واحد فيتخيرون من اى نوع اشتهوا وشاؤا وقوله عز وجل ولحم طير مما يشتهون
ان اهل الجنة انما يتناولون ما يتناولون على الشهوة لا على الحاجة وسد الجوع وهو كما ذكر وفيها
ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وقوله عز وجل وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون يحتمل
تشبيه الحور العين باللؤلؤ وجهين احدهما لما لا شئ اصفى من اللؤلؤ والياقوت فضرب مثلهن
لذلك لصفائه وبياضه والآخر ما خطر اللؤلؤ حتى شبه الموعود فى الجنة من الحوادى به والثانى ان اللؤلؤ
فضل ومنزلة عند العرب وليس الخطر لغيره من الاشياء فيشبه ضرب مثلهن به لفضل خطر ذلك
عندهم ليس ذلك لغيره وهو كقوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء ضرب مثل من يشرك
بالذى خر من السماء والشرك بالله اعظم مما ذكر لكن ليس شئ اعظم وابعد من الخير من فوق السماء
السابع فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله جزاء بما كانوا يعملون ان الله تعالى ذكر الاعمال جزاء
كانهم عملوا له فضلا منه وكرما فى حق عباده وان كانوا فى الحقيقة عاملين لانفسهم كقوله تعالى ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وكذلك ما ذكر من شراء انفسهم واموالهم منهم وما ذكر من الاقراض بقوله تعالى
واقرضوا الله قرضا وان كانت انفسهم واموالهم له وان كان عامل عباده فى انفسهم واموالهم
كانها ليست له فضلا وكرما فعلى ذلك ذكر لاعمالهم جزاء كان منهم الى الله تعالى صنع واحسان
وان كانوا عاملين لانفسهم ومنافع اعمالهم يرجع اليهم بفضله وكرمه والله الموفق وقوله عز وجل
لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما هذا يرجع الى وصف خمور اهل الجنة اى ليس فيها الآفات التى
يكون فى خمور الدنيا من ذهاب العقل وقول اللغو والهذيان مثل ما يجرى على السنتهم فى الدنيا
حين شربوا الخمور وما ياثمون به وذكر لهم هذه الخمور فى الجنة لان قوما يرغبون فيها فى الدنيا
فوعد لهم ليرغبوا فيها ويطلبوها بالامتناع عن شربها فى الدنيا من الخمور المحرمة والله اعلم
وقوله عز وجل الا قيلا سلاما سلاما يخرج هذا على وجهين احدهما اى لا كلام فيه
فيه سلامة عن جميع الآفات التى ذكر والثانى الا قيلا سلاما سلاما اى يحيى بعضهم بعضا
بالسلام كقوله تعالى تحيتهم فيها سلام وقوله عز وجل واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر
مخضود وطلح منضود الآية اصحاب اليمين هم المؤمنون على ما ذكرنا ثم اختلف فى ذكر شجر السدر لهم
وما ذكر من الطلح وغير ذلك منهم من قال انما ذكر هذا لهم لتفضيل المقربين على اصحاب اليمين

لانه قال في المقربين السابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم الى آخر ما ذكر من عظيم الكرامات
التي ذكر لهم ثم ذكر لاصحاب اليمين دون ذلك ليعلم تفضيل المقربين على اصحاب اليمين ومنهم من قال
ان قوما من العرب ينتفعون بذلك لان لها ثمرة ليست برغبة ولها شوك فاخبر تعالى ان لهم في الجنة
ذلك بلا شوك ولا اذى بل مرغب فيه وهو كما وعد لهم من الخمور ثم نفى من خمورها الآفات فعلى ذلك
جائز ان يكون شجر السدر فيها بغير آفات والله اعلم وقوله عز وجل وطلح منضود منهم من قال
هو طلح منضود متراكم كما ذكر في آية اخرى وطلع نضيد ذكر في احدى الآيتين فعيل وفي الاخرى
مفعول وذلك جائز في اللغة وقيل طلح بالحاء هو الموز وذكر ان عليا رضي الله عنه سمع قاريا يقرأ
وطلح منضود فقال علي رضي الله عنه ما شأن الطلح انما هو طلع فقيل ان في المصحف افلا تغيره فقال ان المصحف
لا يغير اليوم وهذا يؤيد التأويل وقال ابو معاذ الطلح في كلام العرب شجر عظام كثير الاغصان
واحدها طلحة وقوله مخضود اي مقطوع الشوك خلقت هنالك هكذا بلا شوك ومنه قوله عليه
الصلوة والسلام في شجر الحرم لا يخضد شوكها ولا يعضد شجرها وقوله عز وجل وظل ممدود
يصف انه ليس فيها شمس يؤذي حرها ولا برد يؤذي بل ظل لان الظل شيء لطيف لا اذى فيه ولا شيء
اثقل على الابدان بل هو شيء يوافق البدن ويخف عليه وقيل ممدود لانه لا شمس فيها فينسخه
وبالشمس يعرف الظل هاهنا وظل الآخرة ممدود ابدا وقوله عز وجل وماء مسكوب قيل
جار غير منقطع وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة اي مصبوب والاول كانه اقرب اي جار ابدا
ليس كمياه الدنيا الا ان يراد بالانصباب صبه من الاعلى الى الاسفل وذلك مما دعينا اليه في الدنيا
ثم قوله وماء مسكوب جائز ان يكون ذكر هذا لاصحاب اليمين وما ذكر من قوله تعالى عينا يشرب بها
عباد الله وقوله ومزاجه من تسنيم فيكون للمقربين قوله عينا يشرب ولاصحاب اليمين ومزاجه
من تسنيم وكذلك ما ذكر من جنات تجري من تحتها الانهار للمقربين يكونون في العليين ويكون الانهار
تحتهم وما ينسكب وينصب من الاعلى لاصحاب اليمين لانهم يكونون دونهم في الدرجة والله اعلم
وقوله عز وجل وفاكهة كثيرة لا مقطوعة كانقطاع فواكه الدنيا يخبر انها لا تنقطع في الجنة
في وقت من الاوقات وانها كلما قطعت ثمرة خرجت اخرى مكانها بهيئة الاكل من غير ان يحتاج فيه
الى وقت النضج كما في الدنيا ينقطع من وقت خروجها الى وقت نضجها وبعد النضج والادراك ينقطع
الى وقت وجود حمل آخر وقوله عز وجل ولا ممنوعة اي لا آفة بها يصير ممنوعة كفواكه الدنيا
اذ هي ربما يمتنع بآفة يصيبها وقال القتبي وابو عوسجة لا مقطوعة اي لا يحبس كما يمنع في الدنيا بعضهم
من بعض وقوله عز وجل وفرش مرفوعة اي مرفوعة القدر والمنزلة او مرفوعة بنفسها
في القيامة وهو ما ذكرنا في قوله تعالى والسماء رفعها وقيل وفرش مرفوعة النساء ويقال المرأة
فريش ونساء فرش وقوله عز وجل انا انشأناهن انشاء قال الاصم وغيره ان هذا صلة قوله
وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون كانه قال على اثره وقال القتبي انه لما ذكر على اثر قوله
وفرش مرفوعة انا انشأناهن دل ان الفرش كناية عن الازواج اذ هن اللواتي يفرش وواحد
الفرش فريش وقيل قد استفرشت الناقة اذا اشتهت الفحل والاشبه ان يكون هذا صلة قوله
وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون اذ ذكر في قوله وحور عين على ذكر اثر المجالس والزوجات
لا معنى لذكرهن في هذا الموضع ثم قوله انا انشأناهن انشاء اي انشأناهن في الابتداء
على هيئة الاستمتاع ليس كنساء الدنيا وهو كما ذكرنا في قوله في صفة الفواكه انها غير مقطوعة
ولا ممنوعة اي انها تخرج اول ما تخرج على هيئة الاكل لا كثمار الدنيا وقوله عز وجل فجعلناهن

ابكارا

ابكارا عربا اترابا قيل اي خلقناهن كذلك ويكن ابدا كذلك كلما ذهبت عذرتهن عادت فيكن
ابدا على تلك اللذة لانهن امسين هكذا والله اعلم وقال عامة اهل التأويل في قوله تعالى
انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا اي خلقنا نساء الدنيا من الثياب والابكار خلقا جديدا
سوى الخلق الذي كان في الدنيا فجعلناهن ابكارا وكن في الدنيا عجائز وثيبات وروي على ذلك
خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ثبت انه قال في قوله انا انشأناهن انشاء الثيب والبكر وفي بعض
الاخبار قال ان العجوز لا تدخل الجنة ثم تلا قوله انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا ومن قال
هو صلة قوله وحور عين هو لسن نساء الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل عربا اترابا يجوز الراء
مخففة ومضمومة قال ابو عبيد يقرأها بالضم لوجهين احدهما التفخيم والثاني انها اقيس في العربية
لان واحدها عروب وهو مثل صبور وصبر وشكور وشكر واما الوجه الآخر التخفيف وقيل في تأويله
عربا عاشقات لازواجهن وقال ابو عوسجة العروب المراحة وقال القتبي هي المتحببة الى زوجها
وقيل الغنجة لازواجهن وقيل ان اهل مكة يسمونها العربة واهل المدينة غنجة واهل العراق الشكلة
وقال سعيد بن جبير عربا اي ضبعات والضبعات هي التي تعرض للزوج من الشهوة ويقال
للناقة اذا اشتهت الضراب ضبعة وقوله عز وجل اترابا اي مستويات الاسنان وقال القتبي
الترب واللدة واحد وهي بالفارسية همزاد واصله انهن انشئن بلا ولاد يتقدم ويتأخر كما يكون
في الدنيا يتفاضلن في الاسنان فصرن في الآخرة اترابا ثم قال وثلة من الآخرين قد ذكرنا تأويله
انه يخرج على الوجهين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
هما جميعا من امتي وكذلك تأويل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين وقوله عز وجل
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال وذكر في اصحاب اليمين مثله من التعجيب واخبر عما يكرمهم به
ويعطيهم من انواع النعم وذكر اصحاب الشمال وذكر على اثر ما اوعد لهم من العذاب والهوان بقوله
في سموم وحميم الآية ثم ذكر في اول السورة اصحاب الميمنة والمشأمة ولم يذكر لهم الثواب ولا العذاب
وذلك والله اعلم لان في ذكر الميمنة والمشأمة دلالة ما لهم لان الميمنة من اليمن والمشأمة من الشؤم
ففي ذكر ذلك بيان ما لهم من الكرامات وما لاولئك من العقوبات وليس في ذكر اليمين والشمال
بيان العذاب فذكر على اثر ذلك ليعرف ما لكل فريق من الجزاء والله اعلم وقوله عز وجل في سموم
وحميم قيل السموم هو فيح جهنم والحميم هو الذي قد انتهى حره غايته وقيل السموم هو حر النار
وقيل هو ريح باردة وقيل ريح حارة واصله انه لما اصابهم السموم اشتد بهم العطش فعند ذلك
يشربون الحميم رجاء ان يسكن بهم عطشهم ويذهب ذلك عنهم فلا يزداد لهم بذلك الا شدة عطش
على ما كان والله اعلم وقوله وظل من يحموم قيل هو دخان اسود وقال بعضهم اليحموم هو
من الحميم وقال ابو بكر اي ظل من جناد يجعل اليحموم مجازا ثم الظل الذي ذكرها هنا يحتمل ان يكون
هو الظل الذي ذكر في قوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار
وقيل هو السرادق من النار وقوله عز وجل لا بارد ولا كريم لا بارد لانه من النار ولا كريم
لانه لهوانهم ليس للكرامة وقال الحسن وقتادة لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وقوله عز وجل انهم
كانوا قبل ذلك مترفين اي هذا الجزاء لهم لانهم كانوا يقولون في الدنيا نحن اكثر اموالا
واولادا وما نحن بمعذبين وانما قال ذلك مترفوهم دون السفلة والاتباع لقوله تعالى
الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقوله عز وجل وكانوا يصرون على الحنث العظيم اختلف فيه
قال بعضهم كانوا يصرون على الحنث اي على الاثم العظيم وهو الشرك وقيل الحنث العظيم الكبائر والاصرار

هو الادامة عليها وقال بعضهم يصرون على انفسهم يقسمون ويحنثون فيه كقوله تعالى واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت اقسموا انهم لا يبعثون فحنثوا في ذلك لانه تعالى اخبر انهم يبعثون
حيث قال بلى وعدا عليه حقا ويحتمل ان يكون قسمهم ما ذكر واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية
ليؤمنن بها وقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وقد جاءهم النذير فلم يكونوا
اهدى وجاءتهم الايات فلم يؤمنوا بها فحنثوا فيها فان كان قسمهم بانهم لا يبعثون حنثوا حين فراغهم
من اليمين لانهم ايسوا عن ذلك وفيه دلالة لصحة مذهب اصحابنا ان من حلف ليمسن السماء انه يحنث
عند فراغه من اليمين وقوله عز وجل وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا قالوا
هذا القول على الاستهزاء والاستبعاد للبعث الا ترى انه اجابهم فقال قل ان الاولين والاخرين لمجموعون
الى ميقات يوم معلوم ثم قوله ان الاولين والاخرين يخرج على وجهين احدهما اي يجمع الاولين
والاخرين في التخليق اي جمع بين الاولين والاخرين في التخليق حيث خلق الاخرى على اثر الاولين
وان لم يكونوا وقت ما قال لمجموعون اذ الاخرون لم يكونوا مخلوقين بعد والثاني مجموعون في الارض
اي في القبور الى ميقات يوم معلوم وقوله عز وجل ثم انكم ايها الضالون المكذبون بايات الله
الدالة على توحيده ورسله والبعث وقوله لاكلون من شجر من زقوم اخبر ان المكذبين يكونوا
اكلين من الشجر الزقوم فيكون كما اخبر ثم شجرة الزقوم هي التي ذكر انها تخرج في اصل الجحيم طلعها
كانه رؤس الشياطين وقد ذكرنا تاويلها في موضعه وقوله فمالئون منها البطون يخبر ان ليس لهم
مما ياكلون ويشربون الا امتلاء البطون لا يدفع عنهم ما ياكلون من الزقوم وغيره الجوع ولا ما يشربون
من الحميم العطش عنهم بل يزداد لهم بذلك جوعا وعطشا على ما كان والله اعلم وقوله فشاربون عليه
من الحميم فشاربون شرب الهيم قيل الهيم هو ابل ياخذه الداء فيشرب حتى يملأ البطن فلا يروى ابدا
للداء الذي فيه فعلى ذلك اهل النار يشربون وياكلون حتى يمتلى بطونهم فلا يروون ولا يشبعون
والله اعلم وقيل الهيم الابل الذي بهم في الارض ولا يرد الماء اياما ثم اذا ورد الماء فيشرب فيمتلى بطنه
حتى يهلك لامتلاء البطن وهو قول الاصم وقوله عز وجل هذا نزلهم يوم الدين اي الذي ذكر
غذاؤهم ورزقهم يوم الدين وقوله عز وجل نحن خلقناكم فلولا تصدقون هذا يخرج على وجهين
احدهما يقول والله اعلم لما صدقتموني ورسلي بانا خلقناكم في الابتداء فهلا صدقتمونا ورسلنا
بانا نعيدكم تارة اخرى اذ الاعجوبة في الابتداء الاشياء اكبر منها في الاعادة وهو ما قال وهو اهون
عليه والثاني انكم صدقتموه ورسله انه انشاكم في بطون امهاتكم في الظلمات الثلاث ونقلكم من حال
الى حال لا يحتمل ان يترككم سدى بلا عاقبة فيكون فيه اثبات البعث اذ لولا ذلك لكان خلقهم
وتحويلهم من حال الى حال عبثا كما قال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا والله اعلم وقوله عز وجل افرايتم
ما تمنون اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون قد علموا انهم لم يخلقوا ما تمنون ولا خلقوا ما تمنون ولا خلقوا
انفسهم فيقول والله اعلم قد اقررتم انكم لم تخلقوا ما امنيتم ولا انفسكم ولا تملكون ذلك فقد عرفتم
ان الله هو خالقكم وخالق ذلك كله وهو المالك لذلك فاذ عرفتم ذلك وانتم اهل تمييز واكمل عقلا
من غيركم فاذ لم يملكوا خلق انفسكم فالذين هم دونكم احق ان لا يملكوا خلق انفسكم وخلق ما ذكر
ثبت ان الله تعالى هو خالق ذلك كله فكيف عبدتم غيره وصرفتم الالوهية الى غيره وقوله عز وجل
نحن قدرنا بينكم الموت يحتمل وجوها احدها انه لما كان هو الذي خلقكم وما ذكر ثم قدر بينكم
الموت وفيكم الولي له والعدو وقد سوى في الدنيا بين الولي والعدو وفي الحكمة التفريق بينهما
دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما والثاني نحن قدرنا بينكم الموت اي المعجل والمؤجل اي لم يجعل

موت جميعكم في وقت واحد بل معجلا ومؤجلا في الاصل وقدر ان يكون مدة اجل هذا اكثر
من مدة اجل الاخر وقيل نحن قدرنا بينكم الموت اي سوينا بينكم الموت بين عزيزكم وذليلكم
ورفيعكم ووضيعكم لا يسلم احد منه ويحتمل وجها اخر هو اولى وهو انه لما قدر بين الموت
وكل واحد منكم يكره الموت ثم لم تملكون دفع الموت عن انفسكم دل ان ها هنا قاهرا قادرا يجب القول
بوجوده والانقياد لاوامره ونواهيه وقوله عز وجل وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي وما نحن
بمغلوبين في تبديل امثالكم او يقول وما نحن بعاجزين على ان نبدل امثالكم وقوله وننشئكم فيما لا تعلمون
قال ابو بكر الاصم فيما لا تعلمون من تبديلكم الى صورة ذميمة قبيحة كصورة القردة والخنازير ونحوها
وقيل ننشئكم فيما لا تعلمون في اي خلق شاء وهو قريب من الاول ويجايز ان يكون معناه وننشئكم
فيما لا تعلمون في ظلمات ثلث الذي لا يبلغه علم البشر ولا تدبير الحكماء الى ان بلغوا ما بلغوا فمن ملك
ذلك لا يحتمل ان يعجز عن بعثا وغيره والله اعلم وقوله عز وجل ولقد علمتم النشاة الاولى فهو
على ما ذكرنا انكم لما عرفتم انه هو الذي انشاكم النشاة الاولى لا من اصل سبق لا يحتمل ان يعجز عن النشاة
الاخرة لانها مثل الاولى بل في وهمكم اسهل واهون وقوله عز وجل فلولا تذكرون يخرج على ما ذكرنا
هلا تذكرون وحدانيته وربوبيته او هلا تذكرون انه قادر على البعث ولا تذكرون انه هو المستوجب
لشكر ما انعم عليكم او هلا تذكرون نعمه واحسانه ومن الناس من قال النشاة الاولى ها هنا نشاة
ادم عليه السلام وخلقه اي علمتم نشاته لا من اصل ولا احتذاء لغير فمن قدر على ذلك فهو على النشاة
الاخرى لقادر وعلى تقدير وهمكم اقدر والله الموفق وقوله عز وجل افرايتم ما تحرثون اانتم تزرعونه
ام نحن الزارعون جايز ان يكون هذه الاية صلة ما تقدم من قوله افرايتم ما تمنون كانه يقول
افرايتم ما تحرثون اانتم تخلقون الزرع ام نحن الخالقون له فيكون فيه الذي ذكرنا في ذلك والله اعلم
والثاني افرايتم ما تحرثون اانتم جعلتم الحراثة بحيث ينبت ام نحن الجاعلون بحيث ينبت ثم قال
لو نشاء لجعلناه حطاما اي يابسا وقال ابو عوسجة اي متكسرا ليذكر نعمه التي انعمها عليهم يقول هو الذي
جعله بحيث ينتفع ويبقى ولو شاء لجعله بحيث لا ينتفع به او يخبر عن قدرته انه قادر على الانبات
وعلى الاهلاك فعلى ذلك قادر على الانشاء والاعادة واهل التاويل يقولون افرايتم ما تحرثون
اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون اي انتم تنبتونه ام نحن المنبتون واصله ما ذكرنا وقوله عز وجل
فظلتم تفكهون قيل تعجبون وقيل تندمون وهي لغة عكل وقال ابو بكر الاصم اي صرتم تتنعمون
وتتلذذون كما يقول الرجل للاخر لو اخذت مالك او سلبته صرت غنيا واستغنيت ولكن لا تدري
ايقال ماذكرنام لا فان كان يقال ذلك يصير تقديره كانه يتلذذ بكثرة ما يذكره في كل وقت
لان الرجل اذا ذهب ماله لا يزال يذكره كالمتلذذ به والمتنعم وعن ابن عباس رضي الله عنه
فظلتم تفكهون اي تلاومون وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فظلتم تفكهون وقوله فظلتم
يستعمل في زمان النهار دون الليل وقوله عز وجل انا لمغرمون بل نحن محرومون اي فظلتم تقولون
انا لمغرمون ثم اختلف فيه قيل انا لمعذبون بقوله ان عذابها كان غراما وقيل انا لمذمومون الملومون الشر
ونحو ذلك لكنه من الغرم الظاهر لانه من جهة خسران في ماله او هلاك يلحقه الغرامة لما يحتاج
الى غيره واصله كانه يقول والله اعلم لو جعله حطاما يابسا لا ينتفعون به ظلتم تقولون انا لمغرمون
وقوله بل نحن محرومون قيل المحروم هو الذي منع عنه المال او ما ينتفع به وقال بعضهم
محدودون وقيل محارفون لكن المحروم ظاهر لا يحتاج الى التفسير والله اعلم وقوله عز وجل
افرايتم الماء الذي تشربون اانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون يذكر نعمه عليهم بما انزل لهم

من الماء العذب فيشربونه واخبرانه لو شاء لجعله اجاجا ملحا مرا يهلك به الانفس ولا يقوم له
وكذلك قوله لو نشاء لجعلناه حطاما حتى يحتاج من ان يكون غذاء فيه ولكن بفضله و رحمته ابقى لهم
ذلك اغذية واشربة ولذلك قال في آخره فلولا تشكرون اى هلا تشكرون ما انعم عليكم ثم في هذه
الآيات دلالة نقض قول المعتزلة في افعال العباد حيث قال افرايتم ما تمنون االنتم تخلقونه ام نحن
الخالقون والامناء هو فعل العبد اذ هو دفق المنى ثم اخبرانه هو خالق ذلك حيث قال االنتم تخلقونه

خلق الافعال

وكذلك الحراثة والزراعة فعل العباد واخبرانه خالق ذلك وفي قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما
واجاجا نقض قولهم في الاصلح فانه يقال لهم ان قوله لو شاء لجعله كذا ثم لم يفعل ذلك فقد ترك الاصلح
او يكون الاصلح لهم في ابقاء ذلك فيصير كانه قال لو شاء لجعل ما هو حق وعدل جورا ولا يجوز
ان يقال ان الله تعالى لو شاء الله ان يجور لجاز فعلى اى الوجهين حمل كان في ذلك نقض مذهبهم
وفي قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت نقض قولهم من ان المقتول لم يمت باجله لانه تعالى اخبرانه
قدر الموت بينهم وعندهم ان من قتل لم يمت بما قدر الله تعالى ولم باجله لا وقد اخبرانه هو قدر
ذلك وانه لا يسبق في ذلك بقوله وما نحن بمسبوقين ولو كان على ما تقوله المعتزلة ان المقتول
يموت قبل اجله فقد قالوا انه لم يقدر له الموت وان القاتل قد سبقه ومنعه عن وفاء ما جعل له

في المقتول يموت باجله

من الاجل والبلوغ الى ذلك الاجل الذى جعل له وكذب في خبره انه يبلغ الى ذلك الاجل والله الموفق
ثم قوله االنتم انزلتموه من المزن اختلف في تاويل المزن قال عامة اهل التاويل والادب المزن
هو السحاب وقال ابو بكر الاصم المزن هو الماء العذب فعلى قوله يكون حرف من صلة كانه قال
االنتم انزلتم المزن والظاهر ما ذهب اليه اولئك انه ينزل من السحاب والله اعلم وقوله عز وجل
افرايتم النار التى تورون قال بعضهم توقدون وقال بعضهم تقدحون يقال قدحت النار
واوريتها اى اخرجتها يقال ورت النار ترى وريا فهو وارية اى اضائت وقوله عز وجل
االنتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون قيل هى الشجرة التى يجعل حطبا و يوقد بها النار ويحرق وقيل
هى الشجرة التى فيها النار وهى التى تتخذ منها الزنود والاولى اقرب والله اعلم وقوله عز وجل
نحن جعلناها تذكرة قال بعض اهل التاويل اى جعلنا هذه النار تذكرة للنار الكبرى وهى نار
الآخرة ويحتمل ان يكون نحن جعلناها اى هذه النعم الحاضرة تذكرة للنعم الموعودة او جعلنا
هذه الشدايد والبلايا في الدنيا تذكرة لما اوعدوا في الآخرة والله اعلم وقوله عز وجل

ما في الدنيا نعمة وبلاء تذكرة الآخرة

ومتاعا للمقوين قال بعض اهل التاويل اى متاعا للمسافرين خص المسافرين لنزولهم القواء
وهو القفر وهو قول القتبى وقيل المقوين للمستمتعين وقال ابو عوسجة المقوى الذى لا زاد له وقيل
الذى يقع في ارض قواء والقواء الخالية من الناس وقال ابو عبيدة اى الذى لا زاد معه اولى بالنار
ولا احوج اليها من الذى معه الزاد بل صاحب الزاد اليها احوج ويقال رجل مقوى اذا كانت
معه مطية قوية وقوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم عن ابن مسعود
وابراهيم انهما قرءا بموقع النجوم على الوحدان وعن الحسن انه قرءها بمواقع على الجمع وبه اخذ ابو عبيد
وقال بعض اهل التاويل يتاولونها على منازل القرآن وبعضهم على مغايب الكواكب ومساقطها
واى الوجهين كان فالجمع فيه اولى من الوحدان ثم اختلف في قوله فلا اقسم منهم من قال
ان حرف لا هاهنا صلة كانه قال اقسم بمواقع النجوم وذلك جائز في اللغة لقوله ما منعك
ان لا تسجد ونحوه يكون على الصلة والزيادة على التوكيد ومنهم من قال على اثبات حرف لا لكنه
جعل ذكره لرد قول كان منا ولئلا لكفرة ولدفع منازعة كانت منهم لكن لم يذكر ذلك لما كانت

معروفة

معروفة بينهم فرد ذلك بقوله فلا ثم ابتدا القسم بقوله اقسم كانه قال اقسم قسما بمواقع
النجوم ثم اختلف في تاويل قوله بمواقع النجوم على الوجهين اللذين ذكرناهما قال بعضهم بمواقع
النجوم اى بمواقع نزول القرآن نجوما دليله ما ذكر على اثره انه لقرآن كريم في كتاب مكنون
والثانى بمواقع النجوم المعروفة على ما قال بعضهم ثم ان كان المراد منه الكواكب فالقسم بها يكون
على وجوه احدها لعظم موقع النجوم ومحلها في القلوب وجليل قدرها عند الناس حتى يجعلها
بعض الملحدة مدبرة العالم او لكثرة منافع الخلق بها من معرفة الطرق بها والسبل ومعرفة كثرة
الانداء والمياه ومعرفة الاوقات والازمنة وغيرها مما يكثر ذكرها او بمواقع النجوم اى بمساقطها
وفي ذلك اخبار وانباء عن شدة اطاعة النجوم وتسخيره اياها للخلق حيث يملك قطع مسيرة
خمس مائة يوم او ليلة واحدة مما لا يتوهم قطع ذلك من سواها من ذوى الازواج والاجنحة
التى هى اسرع لقطع المسافات والوصول الى مقاصدها والله اعلم ثم قال اهل التاويل باجمعهم
بان القسم بها من الله تعالى وجائز ان يكون القسم من الرسول صلى الله عليه وسلم لكن اضاف
الى نفسه تعليما منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسم برب هذه الاشياء وكذلك تعليم
لغيره من الرسل القسم برب هذه الاشيا اذ لم التنازع بينهم وبين الله ليقسم وانما وضع
القسم لتاكيد الخبر عند الانكار والتنازع ولكن التنازع فيما بينهم وبين الرسل عليهم السلام
وكذلك ما ذكر فلا اقسم برب المشارق والمشارق ليس من الله تعالى ولكن من الرسول اذ لا يحتمل
ان يكون الرب عز وجل هو المقسم ويقول برب المشارق بظاهره ان يكون الرسول هو المقسم بها
فعلى ذلك الاول والله اعلم ومن الناس من قال ان الاقسام التى جرى ذكرها في القرآن بالاشياء
التى ذكرها لو لم يكن القسم بها لكانت تلك الاشيا يوكد ويوجب القسم ويوكد ان لو وقع بها
القسم لان الاقسام فيه انما جرى اكثرها في ايجاب البعث والتوحيد واثبات الرسالة ونحوها
وما جرى ذكرها لو لم يكن القسم بها لكان يوجب ما يوجب القسم لان في هذه الاشياء دلالات
على البعث والتوحيد والرسالة والله الموفق وقوله عز وجل انه لقرآن كريم على قول من يجعل
القسم بالقرآن فهو ظاهر بقوله انه لقرآن ابتداء تكرمة له كريم اى الذى اقسم به وانزله نجوما
هو كريم وعلى التاويل الذى يجعل القسم بالنجوم المعروفة يجعل قوله انه لقرآن كريم ابتداء
ذكر منة له وثم تسمية القرآن كريما يخرج على وجوه احدها وصفه بالكرم لما هو محل لقضاء

وجه تسمية القرآن كريما

حوايج الدنيوية والاخروية وفي العرف الكريم من نصب نفسه واعدها لقضاء حوايج الخلق

الكريم في العرف من نصب نفسه لقضاء حوايج الخلق

والقيام لانجاحها او وصفه بالكرم لان من اتبعه كرم وشرف او كريم عند الله عظيم لذلك وصفه
بالكرم والله اعلم وقوله عز وجل في كتاب مكنون قال اهل التاويل في اللوح المحفوظ سماه مكنونا
لانه مستور عن خلقه عند الله وقال عز وجل لا يمسه الا المطهرون يقول لا يمس ذلك الا المطهرون
وقال بعضهم هم الملائكة الذين يجرى ذلك على ايديهم كقوله تعالى بايدى سفرة كرام بررة
طهروا من الذنوب والآثام وكان ذكر هذا ليامنوا عن تحريف هذا الكتاب وتبديله وهو ما قال
على اثره تنزيل من رب العالمين اى انه مكنون عمن يحرفه ويبدله وانه لا يمسه الا المطهرون
من الذنوب والتحريف اثم وذنب وانه تنزيل من رب العالمين وهو كما ذكر في آية اخرى
نزل به الروح الامين على قلبك وقال علمه شديد القوى اخبر ان الذى نزل به من السماء
امين لا يكون منه التحريف ولا التبديل وانه قوى لا يقدر احد من جنى او انسى اخذه من يده
ولا تحريفه ثم تمام الامن لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكل حفظه الى نفسه

لا الى احد من خلقه قصا محفوظا عن التبديل والتحريف والله اعلم وقوله افبهذا الحديث
انتم مدهنون قال بعضهم ابهذا القرآن انتم كافرون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون الله تعالى
جعل هذا القرآن حيوة الدين وقواما والرزق حيوة الابدان والانفس وما به قوامها فكذبوا
الامرين جميعا ما به حيوة الدين والابدان جميعا ثم يخرج ما ذكر من تكذيب الرزق على وجوه
احدها ما ذكر بعض اهل التا ويل انهم كانوا يقولون رزقنا بنوء كذا ينسبون الرزق الى ذلك
النوء فهذا يخرج على قول المنجمة ان النجوم هى مدبرة العالم وارادتهم لا يجعلون لله فى ذلك
تدبيرا فاما من ينسب الرزق الى الله تعالى ويقول رزقنا الله بنوء كذا فليس فى ذلك تكذيبه
انما يخرج ذكر النوء ذكر سبب من الاسباب التى يرزق الله تعالى بها وكذلك من راى الرزق
من الاسباب خاصة واما من يقول رزقنا الله تعالى بسبب كذا فذلك جائز القول به وقال بعضهم
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى يجعلون شكر الرزق التكذيب وبه قال ابو عبيد وجائز ان يكون
تكذيبهم الرزق صرف تسمية الالوهية الى غير الذى رزقهم والعبادة لغير المستحق بها
والله اعلم وقال الحسن وتجعلون رزقكم انكم تكذبون بئسما اخذ القوم لانفسهم حتى لم يرزقوا
من كتاب الله تعالى الا التكذيب يقول صار حظكم من القرآن التكذيب ويجعل هذه الاية
مع الاية الاولى افبهذا الحديث انتم مدهنون وقال ابو بكر الاصم فى هذه الاية وتجعلون رزقكم
وهو هذا القرآن الذى خصكم به دون ابائكم ورزقتم به ما لم يرزقا اباؤكم منه ثم جعلتم
تكذيبون ذلك الرزق الذى خصصتم به ورزقتم اوكلام من نحوه وهو كقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم وقال فى قوله تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون هو الذى يرى الموافقة ويحتال فى دفع
حجة ما يلزمه ويرد عليه اوكلام يشبه معناه هذا والله اعلم وقال ابو معاذ مدهن ومداهن
لغتان ثم اصل المداهنة من المخادعة يقال داهنته وادهنته وحد ثم الفرق بين المداهنة والمداراة
كان المداهنة لطمع له فيه يخادعه حتى يصل الى ما يطمع والمداراة الشفقة يداريه اشفاقا
عليه ليتحقق عنده الحق ليسلم له دينه والامران فى الظاهر واحد وهما الملاينة وخفض الجناح لكن الفرق
بينهما ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ليس هذا
الكلام صلة ما تقدم من الكلام ثم يشبه ان يكون صلة ما قالوا ولئك الكفرة لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا يقول والله اعلم لو كانوا عندكم لم يموتوا ولم يقتلوا على ما زعمتم فهلا اذا كانوا عندكم
فبلغت الارواح الحلقوم ان يرجعوها ويردوها الى الاجساد التى كانت لو كنتم صادقين فى قولكم
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا الاية على هذا جائز ان يخرج تاويل الاية والله اعلم وقوله تعالى
وانتم حينئذ تنظرون يخرج على وجهين احدهما ينظرون اى ينتظرون خروج الروح
انها متى تخرج لا يملكون ردها الى حيث كانت ولكن ينتظرون خروجها متى تخرج والثانى
وانتم حينئذ تنظرون على حقيقة النظر اى ينظرون الى السلطانى وقدرتى وقيل هو من الانتظار
اى تنتظرون ان يحل بكم الموت وهو ما ذكرنا وجائز ان يكون قوله وانتم حينئذ تنظرون لانهم
يعبدون هذه الاصنام رجاء ان يشفع لهم فى ضيق الحال وانما يضيق عليهم الامر عند حلول
الموت اذ لا يبعث عندهم فيقول فلولا اذا بلغت الحلقوم فينتفع لهم الاصنام التى يعبدونها
وترد الارواح الى المكان الذى كانت فاذا لم يملك ذلك فكيف عبدتموها والله اعلم وقوله عز وجل
ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون قال بعض اهل التاويل ونحن اقرب اليه منكم
اى ملايكتى ورسلى فى ذلك الوقت اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون الملايكة لكن اضاف الى نفسه

قول المنجمة

فى ذكر السبب

الفرق بين المداهنة والمداراة

لما ان الملايكة بامره وتسليطه يعملون وقيل نحن اقرب اليه منكم اى اولى به فى ذلك الوقت لما يعلم
هو خطاه ويتبين له الحق فى ذلك الوقت من الباطل ولكن لا تبصرون انتم اى لا تعلمون ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين قال بعضهم غير مدينين
اى لو كنتم غير مملوكين لله تعالى على ما زعمتم ترجعون الارواح وتردونها الى الاجساد التى كانت فيها
ان كنتم صادقين انكم غير مملوكين فاذ كنتم عندكم غير مملوكين تكونون مالكين اذ ليس الا المملوك
او المالك فاذا لم يكونوا مملوكين تكونون مالكين فيملكون ردها الى ما فيها فاذا لم يملكوا كنتم مملوكين
والله اعلم وقال بعضهم غير مدينين اى غير محاسبين ولا مجزيين فردوا النشاة الاولى واجعلوها
بانفسكم حتى يكون النشاة الاولى حكمة اذ لم يملكوا رد هذه الارواح الى الانفس واجعلوا النشاة الاولى
حكمة والله اعلم وقوله عز وجل فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الاخره
اختلف فى وقت ما ذكر لمن ذكر ذلك قال بعضهم ان ذلك يقال لهم عند الموت بشارة لهم
بما يكون لهم فى الجنة ومنهم من يقول انما يقال ذلك اذا دخل هولاء الجنة واولئك النار اعنى
الكافرين وهو ما ذكر واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم
وجايز ان يكون يقال ذلك لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة وصفا رسول الله
صلى الله عليه وسلم محلهم عنده فى الجنة ومكانهم لديه على ما كانوا عنده فى الدنيا السابقون
كانوا فى الدنيا المقربون عنده ومكانهم لديه اقرب من مكان غيرهم من المؤمنين فعلى ذلك
يخبر ان السابقين فى الاجابة يكونون فى الاخرة عنده اقرب ويكون قوله فروح وريحان
اى يستانس هو بهم ويستانسون به لا يفارقونه ولا يفارقهم على ما كانوا فى الدنيا وساير
المؤمنين يسلمون عليه فى اوقات وهو ما ذكر فسلام لك من اصحاب اليمين على ما كانوا يفعلون
فى الدنيا وهو اقرب من الوجهين اللذين ذكرناهما ويحتمل ما ذكروا من البشارة عند الموت
اعنى المؤمنين والكافرين فى حق المؤمنين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان واما ان كان
من اصحاب اليمين كذا وفى حق الكفرة واما ان كان من المكذبين الضالين ونزل من حميم الاية ويحتمل
ذكر بعضهم ان ذلك يقال لهم بعد ما دخل اهل الجنة الجنة واصحاب النار النار والله اعلم
وقوله عز وجل فروح وريحان وجنة نعيم اختلف فى تلاوته اما تلاوته روى عن عايشة
رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا هذا الحرف فروح وريحان
يعنى بضم الراء وعن الحسن انه قراها بالضم ايضا وعن الضحاك وعليه جميع القراء وقال ابو عبيد
لولا كراهة خلاف الامة والا ما قراتها الا بالضم ولكن لا اجد عليها احدا عليها فاستوحش
من مفارقة الناس ولا يجمع الله تعالى امة محمد عليه الصلوة والسلام على ضلالة واما تاويله
فعلى قراءة الرفع عن الحسن قال الروح الرحمة والريحان ريحانيا وعن ابى عبيد قال بالرفع
هو الحيوة والبقاء وعن الضحاك بالفتح الروح الاستراحة والريحان الرزق وقال بعضهم
الروح كناية عن دوام النعمة والسعة يقال فلان فى روح اذا كان فى سعة ونعمة والريحان كناية
عن الشرف والمنزلة يقال فلان ريحانى وذلك لشرفه ومنزلته عنده ومنهم من قال
الروح الراحة والريحان الرزق فى الجنة وقال بعضهم الروح بالرفع من الرحمة وبالنصب
الراحة ونحن نقول جايز ان يكونا جميعا بالنصب والرفع من الرحمة لقوله لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون اى من رحمته وقال فى موضع اخر وايدهم بروح منه اى برحمة يخبر ان الله تعالى
ان المقربين يكونون فى الجنة فى رحمة الله ونعمته والله اعلم وقوله عز وجل واما ان كان من اصحاب

اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين يحتمل ما وصفنا ان اصحاب اليمين يسلمون على النبى صلى الله عليه وسلم
ويحيى بعضهم بعضا بالسلام ويحتمل فسلام لك اى السلامة لك منهم من جميع الآفات والاذى وذكر نحوه
ابن مسعود رضى الله عنه فسلام لك من اصحاب اليمين فهذا ان ثبت فهو يخرج على البشارة له عند
الموت والله اعلم وقيل يسلم عليهم الملايكة والله اعلم وقوله عز وجل ان هذا لهو حق اليقين يقول
هذا الذى ذكرنا للمقربين ولاصحاب اليمين وللمكذبين هو الحق اليقين اى كاين لا محالة لا شك فيه
مثل هذا يقال على التاكيد وتحقيق ماسبق ذكره ووصفه وقوله عز وجل فسبح باسم ربك العظيم
يقول والله اعلم فسبح ربك باسم لا يسمى به غيره اى نزهه عن جميع ما قالت
الملحدة فيه من الولد والشريك وتسمية من دونه الها وغير ذلك والله الموفق •

سورة الحديد مدنية وايها عشرون وثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما فى السموات والارض يجوز ان يقرا سبح لله وسبح الله كما يقال
فى الكلام شكر الله وشكر لله ويجوز ان يكون معناهما فى الظاهر مختلفا ويتفق فى الحقيقة والباطن
لان التسبيح هو التخليص والتنزيه والتبرية فمتى اضيف الفعل الى الله تعالى ووقع عليه فيقال
سبح الله فمعناه انه نزهه وبراه عن جميع معانى الخلق وخلصه عن شبه المخلوقين واذا قيل
سبح لله فقد وقع الفعل على الاشياء المخلوقة اى خلص الاشياء كلها له وبراها من غيره
واذا اضيف بان كل الاشيا له وهو المالك لها وهم عبيده ومماليكه خاضعون اذلاء فقد وصف
بالغنا ونفى الحاجة عنه وانه متبرى عن الشبه بمماليكه ومخلوقاته فهما جميعا من هذا الوجه يرجعان الى
معنى واحد وان كانا مختلفان فى الباطن موتلفان وان الاسلام هو ان يجعل كل شى من الخلق
لله تعالى خالصا سالما له والايمان هو التصديق بالربوبية له فى كل شى فمتى صدق الله تعالى بالربوبية
فى الخلق والامر فقد جعل الخلق سالما له ومتى جعل سالما له فقد صدقه فى الربوبية فقد اتفقا
من حيث المعنى وان اختلفا من حيث الظاهر فعلى ذلك هذا والله الموفق ثم يحتمل ما ذكر من التسبيح
هو تسبيح الخلقة يشهد له خلقة كل شى بالوحدانية والالوهية فهذا على خلقة الكافر والمومن جميعا
وغيرهما من المخلوقات ويحتمل ان يكون اراد الممتحنين الذين فى السموات والارض ويرجع الى تسبيح
خاص وهو تسبيح النطق واللسان عن اختيار وجاينان يرجع الى كل ذى روح يجعل الله فى سرية
هذه الاشياء من التسبيح له ما يعلمه هو ولا يعلمه غيره الا باعلام الله تعالى اياه ذلك والله اعلم وقوله
وهو العزيز الحكيم يخرج على وجوه احدها العزيز هو الذى افقر الخلق واحوجهم اليه والحكيم
هو المحكم للاشياء المتقن لها او العزيز القاهر الغالب الحكيم هو العالم بالاشياء على حقيقتها
او العزيز هو المالك هو كل ملك كقوله مالك الملك الحكيم الواضع كل شى موضعه وقوله عز وجل
له ملك السموات والارض جاينا ان يكون له ملك السموات والارض تفسيرا لقوله العزيز الحكيم وقوله
عز وجل يحيى ويميت اى يملك ان يحيى هذا ويميت غيره او يحيى من شاء ويميت من شاء ويملك
احياء من شاء واماتة من شاء وهو على كل شى من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير وقوله عز وجل
هو الاول والآخر والظاهر والباطن قالت الباطنية الاول معناه المبدع الاول والآخر
هو المبدع الثانى والظاهر هو الناطق وهو الرسول صلى الله عليه وسلم والباطن هو صاحب
التاويل يقولون ان المبدع الاول ثم المبدع الثانى المعونة فيستعين بها المبدع الثانى على خلق هذا العالم

والشايهم

والشايهم لانهم يقولون ان المبدع الثانى هو الذى دبر هذا العالم وانشاهم باعانة المبدع الاول
والناطق هو الذى دبر الشرايع والباطن وهو صاحب التاويل هو الذى يبين الشرايع التى دبرها
الناطق وهو الرسول عليه السلام ولا يصفون ان الله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن
ويقولون لا يجوز ان يوصف بهذه الاشياء لان الاولية ينفى الآخرية والظاهر ينفى الباطن كل حرف
من هذه الحروف يبطل الآخر فى الشاهد وجوابنا ان ماقلتم من المبدع الاول والثانى والناطق
ليس يبنى له معنى على ما ذكرنا فى موضعه واما عندنا فان قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن
هو حرف التوحيد هو الاول بذاته والآخر بذاته والظاهر بذاته والباطن بذاته قال هذا ليلا
يعلم ولا يفهم من اوليته اولية غيره ولا يفهم من آخريته آخرية غيره فكذلك لا يفهم من ظاهريته
ظاهرية غيره ولا من باطنيته باطنية غيره لان فى الشاهد من كان له اولية لا يكون له آخرية ومن كان له
آخرية لا يكون له اولية وكذلك من كان له ظاهرية لا يكون له باطنية ومن كان له باطنية لا يكون له ظاهرية
فكل حرف من هذه الحروف مما ينقض حرف الآخر وينفيه فى الشاهد فانما ذكر هذه الاحرف
لنفسه ليعلم ان لا يفهم من اوليته اولية الاشياء ولا يفهم من آخريته ما يفهم من آخرية الاشياء
وكذلك ما ذكر من ظاهريته وباطنيته وهذا كما ذكر انه عظيم ولطيف وكل واحد منهما فى الشاهد
مما يناقض الآخر وينفيه ما عظم منه لم يلطف وما لطف لم يعظم ليلا يفهم من عظمته ما يفهم من عظمة
غيره ولا من لطافته من لطافة غيره والله الموفق وقال بعضهم هو الاول الذى لا ابتداء له والآخر
الذى لا انتهاء له والظاهر هو الغالب القاهر الذى لا يغلبه شى والباطن الذى لا يدركه الاوهام
وقال بعضهم هو الاول الذى له اولية الاشياء والآخر الذى له آخرية الاشياء والظاهر بالحجج والآيات
والباطن الذى لا يدركه الاوهام والله الموفق وقوله عز وجل هو الذى خلق السموات والارض فى ستة
ايام ثم استوى على العرش فان كان خلق ما ذكر من السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام الستة
الايام التى يدون عليها ايام الدنيا وهى ايام الجمعة فانما خلق فى هذه الايام كيان الاشياء واصولها
لا انه خلق كلية الاشياء وفيها وما يكون ابدا الآبدين فعلى هذا التاويل يكون قوله ثم استوى على العرش
اى استوى امره بخلق الممتحن وهم البشر اذ المقصود بخلق هذه الاشياء كلها هم البشر ولهم انشاء
هذه الاشياء وان كان المراد من قوله خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ايام الدنيا
الذى كل يوم مقداره الف سنة على ما ذكره فى آية اخرى فيكون ما ذكر من خلق السموات والارض
وما بينهما خلق اصول الاشياء وكيانها وما يتولد منها بل يقع ذلك على الكل فيكون على هذا تاويل قوله
ثم استوى على العرش البعث اى استوى خلق ما خلق وانشاء ما انشاء من العالم بالبعث ما لولا ذلك البعث
لم يكن انشاء هذا العالم الاول حكمة فالمقصود من انشاء هذا العالم البعث وبه يصير انشاؤه حكمة
فيكون به استواء الامر ثم تاويل العرش يحتمل الملك اى استوى ملكه بخلق الممتحن او بالبعث الذى
ذكرنا اولا نفسر انه ما اراد بقوله استوى على العرش لانه لا يعلم ما اراد به اذ قال فى ذلك فسال به
خبيرا امر ان يسال به خبيرا ولم يرد فى ذلك انه سئل به الخبير عنه فلا يسع تفسيره والله اعلم
وقوله يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها اى كثرة ذلك
وازدحامه لا يلتبس عليه ولا يستتر عنه شى والثانى يخبر ان السماء والارض مع ثقلهما وكثافتهما
لا يستران ولا يحجبان عليه الوالج فيهما والخارج منهما والنازل منهما ولا الاحاطة بذلك ليعلم
ان لا شى يحجب عنه وان لا يخفى عليه شى ولا يعجزه شى والله اعلم وقوله عز وجل وهو معكم
اينما كنتم هذا الحرف يخرج على وجهين احدهما هو معكم اى عالم بكم وبافعالكم ومحيط بكم وحافظ

عليكم والثاني وهو معكم بتوجيه المعنى فيه لاختلاف الاحوال يقول ان كنتم محبين لله خاضعين
مطيعين فهو معكم بالنصر لكم والمعونة على اعدائكم وان كنتم معرضين عنه معاندين فهو معكم له
بالسلطان عليكم والانتقام منكم والله اعلم وقوله والله بما تعملون بصير وقال بعض اهل التأويل
اى علمه وسلطانه وقدرته معكم ايما كنتم واصله ما ذكرنا فيما تقدم انه اذا ذكر جل وعلا بلا ذكر الخلق
معه ولا ضم احدا اليه سواه يوصف بالازل فيقال لم يزل عالما قادرا خالقا بلا ذكر وقت ولا احد
ولا شيء من المكان وغيره واذا ذكر معه شيء من الخلق يذكر على ما عليه احوال الخلق من الوقت
والمكان والاحوال للخلق دون الله تعالى فيقال لم يزل عالما بالخلق دون الله تعالى فيقال لم يزل
عالما بالخلق وقت كونهم لم يزل خالقا للعالم وقت كونه حتى لا توهم قدم المخلوق وعلى ذلك
قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين الاية وقوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب
وقوله وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية
وقوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ونحوه مما يكثر ذكره كذلك على ما عليه
احوال الخلق فعلى هذا قوله وهو معكم ايما كنتم ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل له ملك السموات
والارض الملك انما ينسب بحق نفاذ المشية والامر والولاية فجايز ان يكون قوله له ملك السموات
والارض اى له نفاذ المشية وله الولاية في السموات والارض وعلى اهلهما وله السلطان عليهم
والله اعلم وجايز ان يكون قوله له ملك السموات والارض اى له خزاين السموات والارض
يعطي من يشاء ويحرم من يشاء والله اعلم وقوله عز وجل والى الله ترجع الامور اى الى الله ترجع
ترجع تدبير الامور من احداث وتكوين واعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك
الى الخلق والله اعلم وجايز ان يكون قوله والى الله ترجع الامور اى الى الله ترجع تدبير الامور
من احداث وتكوين واعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك الى الخلق والله اعلم
وجايز ان يكون قوله والى الله ترجع الامور اى الى الله ترجع امور الممتحنين في الآخرة من الحساب
والسؤال والثواب والعقاب وغير ذلك والله اعلم وقوله عز وجل يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل ايلاج الشيء في الشيء انما هو ادخاله فيه على ان المدخل فيه هذا هو
المعروف لكن ما ذكرها هنا من ايلاج هذا في هذا وهذا ان جعل ما كان في حال الاستواء
في حد الليل نهارا وجعل ما كان في حال الاستواء في حد النهار ليلا على ايلاف كل واحد منهما
بالآخر لا على الابقاء وفي ذلك دلالة وجوه من الدلالة احدها يدل ذلك على انه فعل واحد
عليم له تدبير لا فعل عدد ولا تدبير له لانه لو كان فعل عدد لكان لا يجري على سنن واحد
وتدبير واحد منذ كان الى ابد الآبدين بل يقع في ذلك تمانع وتغالب يمنع كل واحد ما له مما لغيره
ويغلبه عليه ولا يوافقه في تدبيره على ما يكون من عادة الملوك على ما قال لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وقال اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض والله الموفق وفيه دلالة
البعث وهو اتيان الليل بعد ذهاب اثر النهار واتيان النهار بعد ذهاب اثر الليل ونحو ذلك
على ما تقدم ذكره وقوله وهو عليم بذات الصدور قال اهل التأويل اى عليم بما في الصدور
وجايز ان يكون تأويله وهو عليم بما في الصدور وارباب الصدور وهم البشر الذين لهم
الصدور والتدبير لان الصدور انما يقال للذين لهم تدبير وتمييز وهم البشر والله اعلم
وقوله عز وجل فآمنوا بالله ورسوله الايمان بالله هو ان يجعله رب كل شيء وان له الخلق
والامر والايمان برسوله هو ان تصدقه في كل ما يخبر عن الله تعالى وفي كل قول وفعل وانه صادق

في دليل ان صانع العالم تعالى واحد ليس بمتعدد

في حد الايمان بالله ورسوله

وانه محق

في حد الايمان بالله وبرسوله

وانه محق ويعلم انه يأمر الله تعالى ونهيه يأمر وينهى ويفعل لا من ذات نفسه هذا هو الايمان بالله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يقول والله اعلم
وانفقوا من المال الذي جعلكم فيه خلفاء من تقدمكم لان الناس يخلف بعضهم بعضا في هذه الاموال
كانه يقول انفقوا من المال الذي جعلكم خلفا من تقدمكم قبل ان يخلفكم من بعدكم كما ترك الانفاق
من تقدمكم اذ هي انما انشئت للانفاق والانتفاع بها لا للترك كما هي والله اعلم ثم اخبر تعالى بقوله
فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ان من كان امن به وانفق فله اجر كبير ما وعد لهم
من الاجر على جهة الانعام والافضال دون الاستحقاق اذ المال ماله وهم عبيده ولا يلزم للعبد
اجر على سيده والله الموفق وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم في الظاهر متناقض لانه يقول ما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم ولو كانوا لا يؤمنون
بالله كيف يقرون بالله وبالرسول ويصدقونه انه رسول اذ التصديق بالرسول تصديق بالمرسل
وهم لا يؤمنون فكيف يصدق قول الرسول لكنه يخرج على وجهين احدهما اى ما لكم لا تؤمنون بالله
اى بقدرة الله على بعثكم واحيايكم بعد موتكم قد اتاكم ودعاكم واباكم بما بين لكم من قدرته وسلطانه
على البعث فما لكم لا تؤمنون بقدرته على هذا جايز ان يخرج لان اهل مكة كانوا اصنافا منهم من يذهب
مذهب الدهر ومنهم من يذهب مذهب الشرك ومنهم من يقر بالتوحيد وينكر البعث
والله اعلم والثاني يقول اى عذر لكم في ترك الايمان بالله تعالى والرسول دعاكم وقد اتاكم
من الآيات والحجج ما يدفع عنكم العذر ويزيح عنكم الشبه فاي عذر لكم من ترككم الايمان به
فما لكم لا تؤمنون وقوله عز وجل وقد اخذ ميثاقكم قد ذكرنا فيما تقدم ان اخذ الميثاق من الله تعالى
يخرج على وجوه احدها على السن الرسل عليهم السلام كقوله تعالى وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي الى آخر ما ذكر وغير ذلك من امثاله والثاني اخذ الميثاق ما جعل
في خلقة كل احد من شهادة الوحدانية له والثالث عهد اليهم حيث ركب فيهم العقول والافهام وجعلهم
بحيث يميزون ما لهم مما عليهم فيما لا يحتمل اهمال مثلهم وتركهم سدى ويحتمل ما ذكر بعض اهل التأويل
من اخراجهم من صلب آدم عليه السلام والوجه الاول اقرب وجايز ان يكون قوله وما لكم لا تؤمنون بالله
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم من اهل الكتاب الذين كانوا مؤمنين بالله وبرسوله محمد عليه الصلوة
والسلام قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به يقول والله اعلم ما لكم لا تؤمنون بالله والرسول الذي
كنتم مؤمنين به ويحتمل ان يكون الاية في اهل النفاق الذين كانوا يظهرون الايمان به ولا يحققونه
يقول ما لكم لا تحققون الايمان بالله والرسول يدعوكم لتحققوا الايمان بربكم وهو كقوله تعالى وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله اى لا عذر لكم في الكفر بالله ورسوله وترك الايمان به
فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل ان كنتم مؤمنين بالآيات والحجج او يذكر هذا لا على الشرط
بل على التاكيد كقوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر
لانهن اذا كن اذا غير الايمان لم يحل لهن ايضا كتمان ما في ارحامهن وقوله عز وجل هو الذي ينزل
على عبده آيات بينات الآيات في الحقيقة هي الاعلام لكن فسرت الآيات بالحجج لان الآيات حجج من عند الله
تعالى جاءت لانها معجزات من الخلق وقوله بينات اى واضحات انها من عند الله جاءت لا من عند
الخلق او بينات امره ونهيه وما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يتقى وقوله عز وجل ليخرجكم من الظلمات
الى النور ما اضيف الى الله تعالى من الاخراج فهو على وجهين احدهما على حقيقة الاخراج وهو ان يوفقهم
على الايمان ويعطيهم المعونة والعصمة فيخرجون مما ذكر من الكفر الى الايمان والثاني يخرج على الامر به

شرط للتاكيد مما يحفظ

والدعاء الى الايمان ليس على حقيقة الاخراج وهو كقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور في هذه الاية ونظير حقيقة الاخراج قوله الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وعلى هذا يخرج اضافة الهداية الى الله تعالى على التوفيق وانشاء فعل الهداية منهم والثاني على الدعاء والبيان والله اعلم وقوله عز وجل وان الله بكم لرؤف رحيم جايز ان يكون معناه وان الله بمن خرج من الظلمات الى النور لرؤف رحيم وهو يرجع الى المؤمنين خاصة وجايز ايضا ان يوصف بالرحمة والرافة على الكل اى بكم لرؤف رحيم بما ارسل اليكم الرسول وانزل عليكم الكتاب وان كان فى انفسكم وعقولكم كفاية على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته بدون انزال الكتاب وارسال الرسول لكن بفضله ورحمته ارسل الرسل وانزل الكتب ليكون ذلك ادعى لهم واوصل الى ادراك ما دعوا اليه واقرب فى دفع الشبهة والعذر والله اعلم وقوله عز وجل وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض هذا يخرج على وجهين احدهما ما قال اهل التاويل ان الخلق يفنون كلهم ويبقى الله تعالى كقوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها فعلى هذا قوله وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله اى ما لكم لا تنفقوا فى سبيل الله قبل ان يزول ملككم وصار ميراثا لله تعالى وجايز ان يكون قوله ولله ميراث السموات والارض اضافة وراثة بعضهم من بعض اليه لما انهم عبيده واماؤه ومال العبد يكون لسيده فيصير كانه يقول ما لكم الا تنفقوا لانفسكم وما ينفعكم قبل ان يصير ذلك ميراثا لغيركم والله اعلم وقوله عز وجل لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة الاية قال بعضهم لا يستوى منكم من انفق اى لا يستوى منكم من امن قبل الفتح لان قبل الفتح كان على من امن خوف الهلاك وانواع العقوبات لان الغلبة فى ذلك الوقت كان لاهل الكفر لذلك لم يستو من امن منهم قبل الفتح ومن امن منهم بعد الفتح وعلى ذلك يخرج ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو وزن ايمان ابى بكر بايمانهم لرجح لان ايمانه رضى الله عنه فى وقت الخوف على سعى الاسلام او لما يكون بايمانه ايمان نفر كثير لانه كان رئيسهم وكذلك الانفاق فى ذلك الوقت افضل واعظم لما فى الانفاق فى ذلك الوقت معونة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تابعه ولما ان الانفاق من بعد الفتح يقع به طمع الوصول الى المنافع والابدال من الصدقات والمغانم وقبل الفتح لم يكن ذلك المعنى فهو كله خالص بلا بدل ولا طمع كان منه والله اعلم وقيل لا يستوى من هاجر ولم يهاجر ولا هجرة بعد فتح مكة فكذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد اليوم ولكن جهاد ونية وقوله عز وجل وكلا وعد الله الحسنى اى وعد الله لكلا الفريقين من انفق قبل الفتح وبعده الجنة والثواب الحسن قال بعض اهل التاويل هذه الاية نزلت فى فتح الحديبية فقيل يا رسول الله فتح هو قال نعم فتح عظيم وعن قتادة هو فتح مكة والله اعلم وقوله عز وجل والله بما تعملون خبير فيه ترغيب وترهيب فيما يرغب فيه ويرهب عنه وقوله عز وجل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم قد ذكرنا فيما تقدم انه جل وعلا عامل عباده بكرمه وجوده معاملة من لا حق له ولا ملك فى انفسهم واموالهم لا معاملة من حقيقة املاكهم واموالهم وانفسهم له من نحو ما ذكر من الاقراض له وما ذكر من شراء انفسهم واموالهم منهم بان لهم الجنة وما ذكر لاعمالهم من الاجر وهم عبيده واعمالهم التى يعملون لانفسهم كانهم عاملون له وما يمسكون لانفسهم ويدخرونها فى وقت الحاجة لهم سماه قرضا وما يكتسبون به الحيوة الدايمة والنعم الباقية فهم المنتفعون ولا احد فى الشاهد يستقرض من مال نفسه من اخر يبذل ثم يعطى له الاجر على ذلك هذا كله خارج عن عادة الخلق وطبعهم وصنيعهم بعضهم مع بعض لكن عاملهم بما يليق بكرمه وجوده وعلمهم

في اضافة فعل الهداية الى الله تعالى

العقل كان فى معرفة الله تعالى بلا انزال الكتب والرسل لطفا

في ايمان ابي بكر رضي الله عنه

بما امسكوا

بما امسكوا لانفسهم اضعافا مضاعفة ثم جايز تسمية ما يمسكون لوقت حاجتهم قرضا ليلا يمنوا على الفقراء واهل الحاجة بما اعطوهم منة لما عرف جل وعلا من طبعهم الامتنان عليهم او لما يدفع عنهم مؤنة حفظ ذلك الى وقت حاجتهم من السرقة والغصب وغير ذلك من انواع ما يخاف التلف منها والله اعلم وقوله عز وجل وله اجر كريم قال اهل التاويل اى اجر حسن والله اعلم وجايز تسميته كريما لما ان من نال الرجل كريما او لما يؤمل ويرجى ان يكون لهم ذلك والكريم فى الشاهد هو الذى يرجى منه كل خير ويؤمل والله اعلم وقوله عز وجل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم جايز ان يكون قوله يسعى نورهم اى كتبهم التى يعطون فى الاخرة فانه يعطى كتاب المقربين والسابقين من امامهم وقدامهم وكتاب ساير المؤمنين من ايمانهم وكتاب اهل الشرك من وراء ظهورهم يؤيده حرف حفصة رضى الله عنها نورهم يسعى بين ايديهم وفى ايمانهم كقوله واما من اوتى كتابه بيمينه الاية وجايز ان يكون نور ايمانهم ودينهم الذى كانوا عليه فى الدنيا وجايز ان يكون نورهم الذى ذكر كناية عن الطريق الذى يسلكون فيه السابقون يرون ما امامهم وساير المؤمنين عن ايمانهم على ما سلكوا فى الدنيا واهل الشرك بشمالهم واهل النفاق من ورائهم وجايز ان يكون قوله بايمانهم كناية عن اليمن والبركة فان بالايمان ينال اليمن والبركات فسماها بذلك ويحتمل ما ذكر اهل التاويل انه ان يرفع لهم نور فيمشون بذلك وقوله عز وجل بشريكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها انما يقال ذلك قبل دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار وهذا يدل ان النور المذكور لهم يكون قبل دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقوله ذلك الفوز العظيم لانه لا هلاك بعده ولا تبعة ولا انقطاع لذلك ثم قوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ليس ان يراه هو خاصة لا يرى غيره ذلك ولكن يرى ذلك جميع المؤمنين فيبطل به قول من جعل التخصيص على الشئ دالا على التخصيص ونفى غيره وعن قتادة انه قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين من يضئ نوره من المدينة الى عدن والى صنعاء فدون ذلك حتى ان المؤمن من لا يضئ نوره الا موضع قدميه وللمؤمنين منازل لاعمالهم وروى فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نورهم يسعى بين ايديهم ما افرطوا من اولادهم وقوله عز وجل يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم منهم من قرا للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم ومنهم من قرا مقطوعة من انظرت قال ابو عبيدة فلا اختار الا الوصل لان تاويلها والله اعلم انتظرونا يقال منه نظرت فلانا انظره واما القراءة الاخرى فانها من التاخير يقال منه انظرت فلانا انظره اذا اخرته ولا اعرف للتاخير ها هنا موضعا وقال ابو عوسجة انظرته ونظرته اى انتظرته منه نظر نظرا ثم الاية دلت على اهل النفاق يكونون يبعدون المؤمنين وان لا ينتفعوا بنور المؤمنين ولكن يرون ذلك اليوم من بعد حيث قالوا انظرونا نقتبس من نوركم ولو كانوا يقربون منهم او ينتفعون بنورهم لكانوا لا يطلبون منهم الانتظار لهم والاقتباس من نورهم والله اعلم وقوله عز وجل قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا من الناس من يقول ان هذا هو الاستهزاء الذى ذكر فى اية اخرى انه يستهزئ بهم حيث قال الله يستهزئ بهم بقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا هو ذلك الاستهزاء وقلنا يحتمل فى قوله الله يستهزئ بهم اى يجزيهم جزاء استهزائهم الذين استهزءوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وجايز ان يكون قوله ارجعوا وراءكم ليس على الامر بالرجوع من وراء والتماس النور ولكن على التوبيخ والتعيير اى النور انما يطلب من وراء هذا اليوم اى من قبل هذا اليوم لا يطلب فيه والله اعلم وقوله عز وجل فضرب

السورة هو الاعراف

بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب الآية جايز ان يكون السور
الذي ذكر الذي ضرب بينهم ما ذكر في سورة الاعراف حيث قال وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال
السور هو الاعراف التي ذكر انها تكون حجاب بين اهل النار واهل الجنة يرفع ذلك السور بينهم
لئلا يقتبسوا بنور المؤمنين وقوله له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب جايز
ان يكون قوله باب ليس على حقيقة الباب ولكن الباب كناية عن الطريق والسبيل يقول هو طريق
وسبيل من ياخذ ذلك افضاه الى الرحمة ومن خلف ظاهره افضاه الى العذاب وجايز ان يفتح
من النار الى الجنة باب فيرون ما حل بهم من العذاب ويرون اهل النار اهل الجنة على ما هم
عليه من النعيم ليزداد لهم حسرة وندامة او يكون اطلاعا لا من باب ولكن من السور والاعراف
الذي ذكر وهو ما قال فاطلع فرآه في سواء الجحيم والاطلاع في الظاهر انما يكون من مكان على
مرتفع الى موضع منحدر والله اعلم وقوله عز وجل ينادونهم الم نكن معكم اي ينادي اهل النفاق
المؤمنين الم نكن معكم قالوا بلى جايز ان يكون هذا القول منهم الم نكن معكم تعزيرهم للمسلمين
يومئذ كما كانوا يعزونهم في الدنيا وهو ما اخبر عنهم انهم يكذبون في الآخرة كما كانوا في الدنيا
حيث قال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم اخبر انهم هم الكاذبون فحلفهم
فعلى ذلك جايز ان يكون قوله الم نكن معكم يخرج على تعزيرهم اياهم ثم الاشكال والكلام قول
المؤمنين بلى وقد علموا انهم لم يكونوا معهم فكيف قالوا بلى فنقول جايز ان يكون جوابهم
خرج لاولئك على ما عرفوا من خطابهم ومرادهم فاجابوهم على ذلك او ان يكون قولهم
بلى اي كنتم تقولون بانا معكم ولكن لم يكونوا معنا او يخرج جوابهم على ظاهر ما يرون من انفسهم
الموافقة دون الحقيقة وقوله عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم يخرج على وجوه احدها
امتحنتم انفسكم في الرجوع الى من جعل لكم المنافع والعاقبة كقوله تعالى ومن الناس من يعبد
الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه اي شدة وقال القتبي
فتنتم انفسكم اي آثمتموها وقوله تربصتم يخرج على وجهين يحتمل تربصتم برسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سيموت عن قريب او انه يرجع عن الاسلام الى دين اولئك الكفرة وقوله وارتبتم
اي شككتم وان قام لكم ما يرفع الارتياب والشك عنكم والشبهة وقوله عز وجل وغرتكم الاماني
يحتمل الاماني وجهين احدهما ما ذكرنا من اتباعهم المنافع التي كانوا يتوقعونها فكيف ما كان
يتبعون عرضهم في ذلك والثاني ما تمنت انفسهم من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهلاكه او عوده الى دينهم وقوله حتى جاء امر الله اي الامر بالهلاك او يوم القيامة وقوله
وغركم بالله الغرور اي غركم عن دين الله الشيطان وقوله عز وجل فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
ولا من الذين كفروا بالياء والتاء واكثرهم على الياء ومعناهما واحد اي لا يكون لهم
فدية يومئذ ليس ان يكون لهم فدية ولا يؤخذ او ان يقول على التمثيل اي لو كان لهم فدية لكان
لا تقبل منهم ليخبر ان امر الآخرة على خلاف ما يكون في الدنيا اذ في الدنيا ربما يحتال لدفع البلاء
بالفداء مرة وبالشفعاء ثانيا وقوله عز وجل ماواكم النار اي ياوون اليها وقوله هي مولاكم
اي وليكم واحق وقوله وبئس المصير اي بئس ما يصيرون اليها ثم في الآية دلالة نقض قول المعتزلة
في تخليد اصحاب الكباير في النار لانه تعالى جعل الناس على ثلاث فرق وانزلهم منازل ثلاثة
المنافقين والكافرين كفرا صريحا والمؤمنين وجعل النار لاهل الكفر واهل النفاق ولم يجعلها
لغيرهما وصاحب الكبيرة ليس هو بمنافق ولا كافر عندهم وكذلك ما قسم الله تعالى الناس

اقساما ثلاثة السابقين واصحاب اليمين واصحاب الشمال واصحاب الشمال هم المكذبون
واصحاب الكباير ليسوا بمكذبين عندهم وهو ما جعل النار الا للمكذبين الا ترى انه قال
في آخره واما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم جعل الجنة للمقربين واصحاب اليمين والنار للمكذبين
خاصة لم يجعلها لغيرهم فمن جعلها لغيرهم فهو مخالف لظاهر هذه الآيات التي ذكرنا والله اعلم
وقوله عز وجل الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق وما نزل قرئ
مخففا ومثقلا فمن شدد لما سبق من ذكر الله تعالى ومن خفف جعل الفعل للحق ثم الآية
يحتمل وجوها احدها ما قال بعض اهل التاويل انها نزلت في المنافقين الذين اظهروا
الايمانة واضمروا الكفر الم يان اي قد آن للذين آمنوا ظاهرا واظهروا الموافقة للمؤمنين
ان تخشع قلوبهم لذكر الله اي اذا ذكر الله وما نزل من الحق اي القرآن اذا تلي عليهم اي يرق
قلوبهم ويؤمن به لانهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم الدواير ويطمعون
هلاكه اعز الله تعالى المؤمنين من ذلك الخوف وايس اولئك عما تربصوا فيه من نزول الدواير
فقال الم يان للذين آمنوا ظاهرا ان تخشع قلوبهم لذكر الله والقرآن يرق لذلك ويؤمن به لانه علم
ثم قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب فطال عليهم الامد فقست قلوبهم على هذا
التاويل اي لا تكونوا كاولئك الذين تمادوا في الضلال وقساوة القلوب لما طال عليهم الوقت
وتركوا النظر في الكتب ويحتمل ان يكون الآية في اهل الكتاب الذين كانوا مؤمنين برسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فيقول الم يان للذين آمنوا به من قبل ان يبعث ان تخشع قلوبهم
اي كتابهم وما نزل من الحق وهو القرآن ان يؤمنوا به كما كانوا آمنوا به لما وجدوا نعته في كتابهم
ثم قوله ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل الآية اي لا تكونوا كالذين كانوا من قبلكم من اهل
الكتاب فطال عليهم الامد ان طال عليهم ان ينظروا في كتبهم فقست قلوبهم بطول ترك النظر
فيها والله اعلم ويحتمل ان يكون الآية في المؤمنين الذين حققوا الايمان بالله وبرسوله وهو
يخرج على وجهين احدهما الم يان اي قد آن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم عند ذكر الله بالنظر
والتامل في ذلك فيحملهم ذلك على خشوع قلوبهم كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا جعل وصف المؤمنين ان توجل قلوبهم عند ذكر الله
وتزداد لهم الايمان واليقين للنظر فيه والتفكر وفهم ما فيه والله اعلم والثاني يقول الم يان
اي قد آن للذين آمنوا ان يقطع شهواتهم وامانيهم في الدنيا وتخشع قلوبهم لذكر الله ولا تكونوا
كالذين اوتوا الكتاب اي لا تغفلوا عن كتاب الله وذكره ولا تتركوا النظر فيه والتفكر فغفلوا عنها
فقست قلوبهم فلا تكونوا انتم كهم فتقسوا قلوبكم كما قست قلوبهم وقوله عز وجل وكثير منهم
فاسقون اي كثير من اولئك الذين اوتوا الكتاب فاسقون لتركهم النظر في الكتاب وجايز
وكثير منهم فاسقون اي المعاندون والقليل منهم المقلدون وهو كقوله واكثرهم كارهون
اي معاندون وهم الرؤساء والقادة الذين كابروا رسل الله وعاندوهم الا قليل منهم
اتبعوهم وقلدوهم وقوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها ذكر هذا ليس
على انهم لم يكونوا علموا ان الله هو يحيي الارض بعد موتها بل كانوا عالمين بذلك لكنه ذكر كما ذكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فاعلم انه لا اله الا الله اي اشعر قلبك في كل وقت
وساعة الربوبية لله تعالى والوحدانية له فعلى ذلك يحتمل قوله اعلموا ان الله يحيي الارض

يعد موتها اى اشعروا قلوبكم في كل وقت جعل الالوهية والربوبية لله تعالى وصرف العبادة اليه
والتنزيه والتبرية له عما لا يليق به مما يوصف به الخلق اذ علمتم انه يحيي الارض بعد موتها او يقول
اذ علمتم انه يحيي الارض بعد موتها فاعلموا انه يمتحنكم بانواع المحن اذ لا يحتمل احياء ما ذكر بغير فايدة
وتركم سدى او يقول قد علمتم ان الله تعالى هو يحيي الارض بعد موتها وانتم ترغبون فيها احياءه وتصيبون
منه وتجتهدون في نيل ذلك واصابته فاجتهدوا في اصابة البركات الدايمة في الحيوة الباقية
او يقول لما علمتم انه قادر على احياء الارض بعد موتها فاعلم انه قادر على البعث والله وقوله عز وجل
قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون قد ذكرنا فيما تقدم ان حرف لعل من الله تعالى يخرج على الايجاب
لكن يخرج هاهنا على الترجي واطماع العقل للآيات والفهم اذا نظروا فيها وتاملوا انها آيات
من الله تعالى او ان يرجع ذلك الى خاص من الناس لو خرج حرف لعل للايجاب دون الترجي وهم
الذين علم الله تعالى انهم يعقلون انها آيات ويؤمنون بها والله اعلم وقوله عز وجل ان المصدقين
والمصدقات قرئ مشدد الصاد والدال ومخفف الصاد فمن شدد جعله من المتصدق اى المتصدقين
والمتصدقات فادغم التاء في الصاد فصير المصدقين مثل المزمل والمدثر يريد ذلك ما ذكر
في حرف ابي بن كعب رضي الله عنه انه قرا بالتاء ان المتصدقين والمتصدقات ومن خففه
جعلها من التصديق والايمان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم قد ذكرنا
تاويله فيما تقدم وقوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون سمي المؤمنين
صديقين والصديق لا يقال الا لمن يكثر منه التصديق وقد يكثر من كل مؤمن التصديق وان كان
ما ياتي به انما هو شيء واحد نحو انه اذا صدق رسوله فيما اخبروا عن الله تعالى وفيما دعوهم
اليه ما دعوا وبلغوا عن الله الى الناس وصدق الخلايق جميعا فيما شهدوا على وحدانية الله تعالى والوهيته
من حيث شهادة الخلقة وشهادة الاخيار في حق المؤمنين فتصديقه يكثر وان كان الكلام في نفسه
يقل وهو كما قلنا لابي حنيفة رحمه الله في جواز الخطبة بتسبيحه او تهليله انها كلمة وجيزة لو فسرت
وبسطت صارت خطبة طويلة والله اعلم فان قيل ان ابا بكر رضي الله عنه فضل باسم الصديق
على غيره من الامة فاذا استحق غيره من المؤمنين هذا الاسم لم يختص هو بتلك الفضيلة قيل ان ابا بكر
رضي الله عنه سمي صديقا وخص به من بين ساير الصحابة والمؤمنين لمعنى اختص به من غيرهم وغيره
من المؤمنين سموا صديقين من بين ساير اهل الارض جميعا الا في مقابلته كهو اختص بهذا الاسم من بين
سايرهم الا في مقابلة النبي وساير الانبياء عليهم الصلوة والسلام هذا هو معنى تفضيله فالفضل
عند المقابلة يكون ويحتمل ان يكون ذلك الاختصاص له للاعتقاد والمعاملة جميعا وساير المؤمنين
سموا صديقين للاعتقاد خاصة ومن في الامرين جميعا كان افضل ممن في احدهما والله اعلم
وقوله والشهداء عند ربهم من الناس من جعل قوله والشهداء عند ربهم على الابتداء مقطوعا من قوله
اولئك هم الصديقون ومنهم من وصله به فمن قطع عنده فانه يقول الشهداء هم الرسل لقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ثم اخبر ان لهم اجرهم ونورهم
ومن قال انه موصول بالاول ذهب الى ان المؤمنين شهداء على الناس كقوله لتكونوا على الناس
شهيدا الآية بما هم شهداء على غيرهم من الامم والله اعلم ولاهل الاعتزال ان يتعلقوا بظاهر
هذه الآية وذلك انهم يقولون ان الله تعالى اذا ذكر المؤمنين على الاطلاق ذكر على اثر ذلك نعما وعدهم
من الكرامات والثواب الجزيل واذا ذكرهم مع جرمهم ذكر الوعيد لهم يستدلون بذكر الوعيد
على اثر ذلك على انه قد خرج من الايمان لكن ليس لهم بذلك دليل لانه ذكر مقابل ما ذكر للمؤمنين

من الكرامات للكفار الجحيم والله اعلم وقوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد ففي ظاهر ما ذكر من هذه الآية ونحوها من الآيات لاهل الالحاد طعن عظيم فانهم
يقولون ان كانت الحيوة الدنيا لعبا ولهوا فلم انشاها الله تعالى لعبا ولهوا ولا منشئ سواه فلهم
موضع الطعن على هذا الوجه ولهم دعوى التناقض ايضا فيما ذكر في بعض الآيات فقال وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين وقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقال في هذه
الآية وغيرها انما الحيوة الدنيا لعب ولهو فنقول ان الآية تخرج على وجوه احدها على التقديم
والتاخير مع الاضمار كانه قال اعلموا ان مثل الحيوة الدنيا وزينتها وتفاخرها وتكاثرها ولعبها
ولهوها اى ما يتزينون بها ويتفاخرون بالاولاد والاموال ويتلهون بها وتلعبون كمثل غيث اعجب
الكفار نباته ثم يصير ما ذكر حتى لا ينتفع به فعلى ذلك حيوة الدنيا والله اعلم والثاني انما الحيوة
على ما هي عندكم وعلى ما اتخذتموها وعلى ما ظننتم انه لا بعث ولا حيوة بعده كان انشاؤها عبثا ولهوا
اذ لو كان على ما ظنوا لم يكن انشاؤها الا للافناء والاهلاك خاصة وبناء البناء الحكيم للافناء خاصة
عبث وسفه ليس بحكمة وهو ما ذكر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا وكان ظنهم ان لا بعث ولا حيوة بعده فعلى ما كان ظنهم كان انشاؤها لعبا ولهوا فاما الحيوة
الدنيا على ما هي عند اهل التوحيد حكمة وحق وثواب فعلى ما كان عند اهل الالحاد هو سفه وباطل
وقد رد الله تعالى عليهم بقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وجايز ان يكون
معنى قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اى لو قوبلت بحيوة الآخرة لكان لعبا ولهوا لان الدنيا بنيت
على الفناء والانقطاع والزوال عن قريب والآخرة على الدوام والبقاء وهو ما ذكر قل متاع الدنيا
قليل والآخرة خير لمن اتقى لانها باقية والدنيا فانية او يقول انما الحيوة الدنيا للدنيا خاصة لعب
ولهو اى من جعل الحيوة الدنيا للدنيا خاصة يكون لعبا ولهوا ومن جعل الحيوة الدنيا زادا للآخرة
وبلغة اليها وهي ليست بلعب وهو ما قال تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم اخبر ان الانفاق للدنيا كمثل ريح فيها صر وقال في النفقة التي
تكون في الدنيا للحيوة الآخرة مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع
سنابل الآية والله اعلم وقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته والاشكال انه كيف خص الكفار بتعجبهم
ظاهر ذلك النبات وقد يعجب النبات لاهل الايمان فنقول لان الكفار يعجبهم ظاهر ذلك النبات
وما يرون من النزهة لا يرون الى ما ضمن في ذلك النبات وجعل فيه من المنفعة في العاقبة
لكن ينظرون الى ظاهره واما المؤمنون انما يعجبهم ما في ذلك النبات من المنفعة في العاقبة
والى ذلك يكون نظرهم لا الى ظاهره وهو كما شبه انفاق الكفرة بالريح التي فيها صر يصيب
حرث قوم لما لا يقصدون بانفاقهم سوى نفس الانفاق وشبه نفقة اهل الايمان بالحبة التي
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة لما كان مقصدهم في الانفاق عاقبته لا عين الانفاق
ويحتمل ان يكون المراد من الكفار الزراع وبه فسر بعض اهل الادب وهو كقوله يعجب الزراع
فعلى هذا التاويل رجع الى الكل والله اعلم وقوله وفي الآخرة عذاب شديد اى لهؤلاء الذين اتخذوا
الدنيا لعبا ولهوا وصيروها تفاخرا وتكاثرا دون ان يتخذوها زادا وبلغة الى الآخرة وقوله
عز وجل ومغفرة من الله ورضوان فهو للمؤمنين الذين اتخذوا الحيوة الدنيا للآخرة وعقلوا
الآيات التي بينها لهم للنظر فيها والتفكر والتامل فتاملوا ووضعوها مواضعها والله اعلم وقوله
عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور هو يخرج على الوجوه التي ذكرنا في قوله تعالى اعلموا انما الحيوة

الدنيا لعب ولهو قال الامام الهدى رضى الله عنه في قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ان الحيوة
الدنيا وحبها لنفسه وعلى ما انشيت وجعلت له حكمة وحق وسرور ليس بغرور واما اختيارها وحبها
لغيره واستعمالها لغير الذى انشيت وجعلت غرور ولعب ولهو لان من احب شيئا استكثر منه
وحبسه لنفسه وحفظه عن تلفه وضياعه واستبقاه لوقت حاجته ويوم فقره فعلى ذلك من جميع الدنيا
لنفسه واحبها واستعملها فيما اذن له وامر وهو ان يجعلها زادا للاخرة وبلغة اليها فاذا علم ذلك
استكثر منها عند الله ليوم فاقته فمن احبها واختارها لهذا فهى ليس بغرور ولا لعب بل سرور
وبهجة ومن طلبها لغيره واستعملها في غير ما انشيت كان غرورا ولعبا على ما ذكر ويخرج قوله
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور على ما يختار دونهم ويحبونها وذلك ان الله تعالى انشا لنا
هذه النعم حيث قال خلق لكم ما في الارض جميعا وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه يجب ان ينظر الى ذلك بالتعظيم لها والاجلال لا بعينا لا ستخفاف والهوان الا ترى
ان ملكا من ملوك الارض لو اكرم احدا بكرامة واهدى بهدية ثم علم منه الاستخفاف بهديته
يسلب منه هديته ويستحقره فعلى ذلك يجب ان يتلقى نعم الله تعالى بالتعظيم والتبجيل والقول
الحسن لا على الاستخفاف بها والاهانة ثم الناس بعد هذا رجلان رجل يرغب في نعم الدنيا
وجمعها وجعلها عند الله ذخرا وزادا ليوم فقره ورجل زهد فيها خوفا التقصير في عبادة الله تعالى
وفي حقوق قران يشتغل بها ويمنعه ذلك عن اداء ما عليه والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما امر وله اسوة حسنة بنبيه صلى الله عليه وسلم واما من ترك الدنيا وما انشاء الله تعالى
فيها من النعم استخفافا بها وهوانا فهو الجاهل المستخف بنعم الله تعالى الغافل عما انشيت له الدنيا
وما فيها فهذا والذى طلب الدنيا للدنيا مذمومان والذى طلبها لنفسه زادا للاخرة والذى زهد
فيها محمودان والله اعلم وعلى ذلك يخرج ان حب الدنيا راس كل خطيئة ان من احبها لغيره ولغير
الذى جعلت له يكون راس كل خطيئة ومن احبها لنفسه ويتخذها زادا للاخرة فهى راس كل حسنة
وطاعة والله اعلم وقوله عز وجل وسابقوا الى مغفرة من ربكم لقول اجعلوا المسابقة فيما بينكم
في مغفرة ربكم والى جنته لا الى جميع الاموال والاولاد وكان اهل الكفر جعلوا المسابقة في الدنيا
في جميع الاموال والتفاخر والتكاثر بها فيقول لاهل الايمان اجعلوا انتم المسابقة في طلب
مغفرة الله وجنته والله اعلم ويحتمل سابقوا اجالكم باعمالكم التى يوجب لكم المغفرة والله اعلم
وقوله عز وجل وجنة عرضها كعرض السماء والارض الاية ذكر سعة الجنة لان العرض انما يذكر
لسعة يكون للشىء وقد ذكر سعة فيها حيث قال وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقال ايضا
وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ونحو ذلك ذكر ما فيها من السعة وسعتها والله اعلم ثم ذكر عرضها
كعرض السماء والارض ليس يخرج على التحديد والتقدير ان عرضها مثل عرض السموات والارض
لكن بما لا شىء اوسع في اوهام الخلق مما ذكر وهو كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض
ذكر دوامها لما لا شىء ابقى وادوم منهما في الاوهام والا كانتا تفنيان ويحتمل ان يقول عرضها كعرض
السموات والارض اى يصير السماء والارض جميعا جنة لهم ثم وصف الجنة بالسعة ووصف النار
بالضيق حيث قال اذا القوا فيها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وذلك انه ليس في فضل
النار على قدر المجعول عذابا لم يصل الى المعذب بها فايدة فضيقت ولفضل الجنة على قدر الحاجة
لذة وسرور ومنفعة فوسعت لذلك والله اعلم ثم اخبر انها اعدت للذين امنوا بالله ورسوله
والايمان بالله تعالى هو ان يصدق كل شىء يشهد على وحدانيته والوهيته والايمان برسله

هو ان يصدقهم فيما اخبروا عن الله تعالى وكل صاحب كبيرة مصدق بالذى ذكرنا فهو مؤمن
وذلك ينقض على المعتزلة وقوله عز وجل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء دلت الاية ان ما يعطى من الثواب
لعبيده فضل منه وان سماه جزاء واجرا لما سبق منه اليهم من الاحسان والنعم ما يصير
تلك الافعال وان كثرت شكرا لادنى نعم وان طال عمره فانى يستوجب الجزاء والثواب
على تلك الاعمال ولكن بفضله ورحمته جعل لتلك الاعمال ثوابا وجزاء والله الموفق
وقوله عز وجل ما اصابكم من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها
اى ذكرها في كتاب كان ذلك الكتاب قبل ان نبرا تلك المصايب في الكتاب قبل خلقها فدل انه
على كون ذكر المصايب فيه وهو كقوله والشجرة الملعونة في القران ولكن ذكرها فيه وعلى ذلك
ما روى في الخبر انه نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو اى نهى ان يسافر بالذى كتب فيه
القران والا لم يكن عين القران في ذلك المصحف فعلى ذلك ما ذكر من المصايب وذلك يخرج
على المجاز دون الحقيقة والله اعلم ثم اختلف في قوله من قبل ان نبراها منهم من قال من قبل
ان نخلق تلك المصايب ومنهم من قال من قبل ان نبرا تلك الانفس والارض والاول اظهر
وقوله عز وجل ان ذلك على الله يسير يخرج على وجهين اى كثرة ما يصيب الخلق في انفسهم واموالهم
يسير على الله غير شديد عليه ليس كاولى الارض لان ما يصيب حشمهم وخدمهم من المصايب يشتد
عليهم لما ان قوامهم بحشمهم وخدمهم ولهم منافع منهم فيخبر الله تعالى بهذا ان ليس له في بقاء
الخلق منفعة ولا في ذهابهم وفنائهم ضرر فذلك يكون عليه يسير والثانى ان كتابته ما لم يكن
بعد ولم يخلق وعلمه قبل كونه على الله يسير هين يخبر انه عالم في الازل يكون الاشياء في اوقاتها
لا يصعب عليه ولا يشتد العلم بها قبل كونها وقبل ظهورها كما يشتد على الخلق ويصعب عليهم
والله اعلم وفي الاية دلالة تخليق افعال العباد لان اسم المصايب يقع على ما للخلق فيه صنع
كما يقع على ما لا صنع لهم فيها ثم اضاف الله تعالى خلقها الى نفسها مطلقا بقوله من قبل ان نبراها دل
ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى الا ترى ان الله تعالى الحق ما يصيب بايدى الخلق مصيبة فقال
هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله تعالى بعذاب من عنده او بايدينا
وقال في اية اخرى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية قالت المعتزلة يقال اصابنا كذا فيما لا صنع
في ذلك فاما فيما صنع للخلق يقال اصبنا لكن هذا فاسد فانه جائز ان يقال في كل ما اصابك
اصبته وما اصبته اصابتك لانه اذا اصابك شىء فقد اصبته وذلك جائز في اللغة والله اعلم وقوله
عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم جعل الله تعالى في طباع الخلق الحزن والاسى
على ما فاتهم من النعمة وينزل بهم البلاء والشدة والسعة والفرح والسرور بما ينالون من النعمة
هذا هو المنشا والمجعول في طباعهم ثم يخرج تاويل الاية بالنهى عن الاسى والحزن بفوت النعم وعن
السرور عند اصابتها على وجوه احدها يقول والله اعلم لكى لا يستكثروا من الاسى والحزن
على ما فاتكم فيحملكم ذلك على الشكوى من الله تعالى ولا تفرحوا بما اتاكم اى لا تستكثروا الفرح والسرور
حتى يحملكم ذلك على الطغيان والعدوان ومثله ذكر في الخبر اعوذ بالله من الفقر المنسى والغناء
المطغى والله اعلم والثانى يقول كيلا يشغلكم الاسى والحزن على ما فاتكم من النعم حتى يفوتكم اضعاف
ذلك وهو ما وعد لهم من الثواب اذا صبروا كقوله تعالى ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع وبشر
الصابرين ثم قال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون يقول
لا يشغلنكم الجزع وترك الصبر على ما فاتكم حتى تفوتكم ما وعدكم من الصلوات والرحمة والاهتداء

وقالت المعتزلة يقال اصابنا واصبنا

عقلت بلسغه امتحن بعضهم بالبلايا وبعضهم بالرخاء والشكر

ولذلك قيل الجزع في المصيبة اعظم المصيبتين ويقول ايضا ولا يشغلكم شدة الفرح والسرور بما اتاكم
عن الشكر حتى يفوتكم الزيادة على ذلك لان الله تعالى وعد الزيادة على النعمة اذا شكر بقوله ان شكرتم
لازيدنكم والله اعلم والثالث يقول لا تاسوا على ما فاتكم ولكن انظروا الى ما كان منكم من الجريمة
حتى فاتكم ذلك حيث قال ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يقول لا تاسوا على ما فاتكم ولكن
انظروا الى تفريطكم في جنب الله وارجعوا عن ذلك ولذلك يقول لا تفرحوا بما اتاكم ولكن انظروا
الى احسان الله الذي كان اليكم والله اعلم ويحتمل ان يقول لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم
ولكن انظروا الى ما امتحنكم به وابتلاكم اذ هو امتحن بعضا بالشدايد والبلايا وامرهم بالصبر على ذلك
وبعضا بالسعة والرخاء وامرهم بالشكر على ذلك فاصبروا ولا تجزعوا ان فاتكم النعم واصابتكم
المصايب واشكروا الله ولا تفرحوا عند النعم فرحا يكون بطرا واشرا او يقول لا تاسوا على ما فاتكم
فان الذي اخذ منكم لم يكن في الحقيقة لكن انما هو لغيركم ومن كان عنده مال لاخر فياخذه لا يجب
ان يحزن على ذلك ولا تفرحوا بما اتاكم فان الذي اتاكم يجوز ان يكون لغيركم لا لكم والله اعلم
وقوله ولا تفرحوا بما اتاكم قرئ ممدودا ومقصورا فمن مده رد الفعل الى الله تعالى ومن قصره
جعل الفعل لذلك الشيء لموافقة قوله على ما فاتكم ولم يقل افاتكم وقوله عز وجل والله لا يحب
كل مختال فخور ولكن يحب ضد ذلك وخلاف المختال المتكبر فيحب المتواضع الخاضع والفخور
هو الذي يفتخر بما انعم الله تعالى عليه على الناس فيحب الشكور الذي يشكر على نعمه بالتوسيع
على عباده وجايز ان يكون هذا كله وصف الكفار كانه يقول لا يحب كل كفار كقوله يحب كل صبار
شكور اي يحب المؤمن لان المؤمن يكون صبارا على المصايب شكورا للنعماء والله اعلم وقوله
عز وجل الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل جايز ان يكون هذا صلة قوله لا يحب كل مختال
فخور تفسيرا له وجايز ان يكون على الابتداء وهو كقوله كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا
انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله كان قوله تعالى الذين يحملون العرش
مفصولا من الاول كذلك هذا ثم قوله يبخلون ويامرون الناس بالبخل يحتمل ما ذكر في بخلهم
في اية اخرى فقال واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه بخلوا بالانفاق على المؤمنين اذ بخلوا بالانفاق على اتباعهم ليبقى الكرم
والرياسة عليهم وجايز ان يكون ما ذكره بعض اهل التاويل ان ذلك نزل في الرؤساء من اهل
الكتاب ببيان بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان في كتبهم وامروا امثالهم
واشكالهم بكتمان ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
اي ومن يعرض عن ذلك فالله هو الغني الحميد الغني عن عبادتكم وما دعاكم اليه اذ لم يدعكم
الى ما دعاكم لحاجة نفسه اذ هو الغني بذاته الحميد بفعاله اي بما علم منكم من الرد لرسالته
لا يخرج فعله من ان يكون محمودا ولا يصير لفعله الى عدائه بما صنع غير حميد والله اعلم ثم قوله
كيلا تاسوا على ما فاتكم وجوه ايضا احدها ان المصايب ربما يجري على ايدي الناس ويصيبهم
منهم فقال كيلا تاسوا على ما فاتكم ما جرى ذلك على ايدي الناس لانه لا يزول ذلك منهم
فيحملهم ذلك على العداوة والبغضاء ولكن يروا ذلك مكتوبا عليهم من الله تعالى وكذلك ما ذكر
فيما يوتيهم من النعم على ايدي الخلق فلا يزول ذلك منهم فيشغلهم عن القيام بشكر الرب جل وعلا
ولكن يزول من فضل الله تعالى ومنه فيشكرونه والثاني يحتمل ان يكون النهي عن الحزن امرا بالفرح
اي لا تاسوا على ما فاتكم ولكن افرحوا بما لعل الذي فاتهم فانهم لو لم يفتهم لكان يشغلهم من القيام

ما جرى على الانسان من ايدي الناس ينبغي ان لا يحمل العداوة لانه مكتوب عليه من الله تعالى

في تلقي نعم الله تعالى بالتعظيم والشكر وخوف الاستدراج

بحقوق الله تعالى باداء ما عليهم من الفرايض والله اعلم وفي قوله تعالى ولا تفرحوا امر بالحزن
وقد يذكر الشيء ويراد به اثبات ضده كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم اي خسرت تجارتهم وينبغي
ان يتلقى نعم الله تعالى على وجهين احدهما بحسن القبول لها والتعظيم والشكر للمنعم اذ اغناه بذلك
عن النظر بما في ايدي الناس ورفع الحاجة اليهم وذلك من اعظم النعم والثاني يخاف لما لعله
تعلق ذلك به استدراجا وامتحانا اذ الاموال ربما يكون فتنة وبلاء او يشغله بحق اذا ما عليه
ان كان ذلك سببا استدراجه وبلائه فاخذه منه او لما يصل بذهابه الى اداء الفرايض من العبادات
وكان ذلك يمنعه ويحزن من وجهين ايضا احدهما لما لعل قوته يوجه الى ما في ايدي الناس وكان
غنيا عنهم او لما لعل ذلك عقوبة لتفريط كان منه كقوله ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم والله اعلم
ثم اضاف ما نال من النعم الى نفسه حيث قال ولا تفرحوا بما اتاكم ولم يضف ما فاتهم الى نفسه وهو
كما قال في اية اخرى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وهو ما ذكرنا
انه جايز ان يكون ما يفوتهم من النعم بالكتساب وبسبب كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات يحتمل وجهين احدهما اي ارسلنا بما يبين ويوضح انهم رسل الله
وان تلك الايات التي اتوا بها من عند الله لا باختراع من عندهم لما هي خارجة عن وسع البشر
والثاني ما يبين صدق الرسل في خبرهم وعدلهم في حكمهم او يبين ما لهم وما عليهم وقوله
عز وجل وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقال في اية اخرى الله الذي نزل
الكتاب بالحق والميزان ثم يحتمل الميزان الموازين المعروفة التي بها يستوفى الحقوق فيما بين
الناس وبها يوفى وبها يحفظ حقوق الاموال التي بينهم وحدودها فان كان المراد هذا فكانه قال
وانزلنا معهم الكتاب الذي به يحفظ الدين وحدوده والميزان الذي به يحفظ حدود الاموال
لا يزاد على الحق ولا ينقص منه والله اعلم وجايز ان يكون المراد بالميزان الحكمة اذ ذكره على اثر
الكتاب كقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة كانه يقول والله اعلم وانزلنا معهم الكتاب والحكمة فيكون الحكمة
يحفظ حدود الافعال والاقوال ويكون الحكمة ما يقوم الناس بها بالقسط او ان يكون الحكمة
ما اودع في الكتاب من المعاني وقال الحسن في قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة انهما واحد ثم قوله
ليقوم الناس بالقسط يخرج على وجهين احدهما انزل ما ذكر من الكتاب والميزان ليلزم الناس
القيام بالعدل وقد الزمهم ذلك بما انزل عليهم من الكتاب والميزان وبين الحدود والثاني
انزل ما ذكر ليقوم الناس بالقسط على وجود القيام بالعدل فان كان المراد منه الوجود فهو
راجع الى الخاص من الناس وان كان على الالزام فهو راجع الى الكل وهو كقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون فان كان على وجود العبادة فهو يرجع الى الخاص من الناس وان كان المراد
بقوله الا ليعبدون اي لامرهم او الزمهم فهو للكل فانه قد خلقهم ليامرهم ويلزمهم وقد امرهم والزمهم
والله اعلم وقوله عز وجل وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس خص الله تعالى
ذكر الحديد بما جعل فيه من الباس من بين غيره من الاشياء وان كان يشاركه غيره في احتمال
الاذى والضرر به بما يطعن به فينفذ ويضرب به ويستعمل في الحروب والقتال لاحد هما
انه هو الكامل في الطعن والنفاذ والجرح وان كان قد يتحقق من غيره ولذلك اعتاده
الناس الة القتال والحروب فيكون الباس فيه اشد والثاني لما يختص به باتخاذه
الدروع لقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فلهذا خص الحديد به والله اعلم وقوله
ومنافع للناس جعل الله تعالى في الحديد منافع ليست تلك في غيره وهو ما يتخذ منه ما يجز به

عظة بليغة بما يحفظ جدا في الفرح بما يفوت من النعم وجهه

الكتاب ميزان الدين والميزان المعروف للمال والحقوق

ويحاط من الجفاف وغيرها مما لا يحتمل هذا النوع لغيره وكذلك حوايج الخلق لا يقوم في ساير
انواع الحرف والاعمال من التجارة والزراعة والبنا وغيرها وفيه خصوصية في حق المحق وهو ما يظهر
عند فرض القتال صدق ايمان المحقق ونفاق المرتاب بقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية ونحو ذلك فظهر الصادق من الكاذب بالحروب وانما ذلك
بالحديد فصار مخصوصا في حق المحنة وغيرها من المنافع حتى لا يلتام امر من امور المعاش الا به فلذلك
خص والله اعلم وقال اهل التاويل انزل من السماء المطرقة والعلاة والكلبتين وعندنا ليس
على حقيقة الانزال من السماء كذلك ومعنا قوله تعالى وانزلنا الحديد اي خلقنا كقوله تعالى وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج اي خلقها وقوله تعالى وانزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم ومعلوم انه
لم ينزل اللباس على ما هو ولكن معناه خلق لباسهم كذلك هذا وقوله عز وجل وليعلم الله من ينصره
ورسله يحتمل من ينصره اي دينه او اراد باضافة النصر الى نفسه نصر رسوله محمد وساير رسله
عليهم الصلوة والسلام ثم نصر الرسل مرة يكون بتبليغ ما امروا باقوامهم ينصرونهم ويجيبونهم
على ذلك ونصر دينه اظهاره في الخلق والذب عن اهله والمعونة لهم هذا يحتمل وعلى هذا يخرج
قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والله اعلم وجايز ان يكون المراد من اضافة النصر اليه نصر انفسهم
ودينهم اذ هم المنتفعون بذلك ولهم يحصل ذلك النفع وتلك المعونة لكنه بفضله وكرمه سمى ذلك
نصرا واضافه الى نفسه على ما جعل لاعمالهم التي يعملونها لانفسهم ثوابا وذكر لهم على ذلك اجرا
كانهم عاملون له وهم المنتفعون بها المحتاجون اليها فعلى ذلك جايز ان يكون ما عملوا لانفسهم
سماه نصرا له وان كان ذلك النصر لهم وانه ناصرهم وناصر الكل حيث قال ان ينصركم الله
فلا غالب لكم اخبر انه اذا نصرهم لا غالب لهم سواه واذا خذلهم لا ناصر لهم دونه والله اعلم
ثم قوله عز وجل وليعلم الله من ينصره ورسله يخرج على وجهين احدهما ليعلم من قد علم بالغيب
انه يكون كاينا شاهدا والتغير على المعلوم لا على العلم والثاني يريد بالعلم المعلوم وذلك جايز
في اللغة ذكر العلم والفعل على ارادة المعلوم والمفعول نحو ما يقال الصلوة امر الله اي بامر الله
لان الصلوة لا يكون امره وقوله عز وجل ان الله قوي عزيز ذكر هذا ليعلم انه لم يامرهم ما امرهم
من القتال والنصر لحاجة نفسه ولا استعملهم فيما استعمل من النصر والمعونة لنفسه
ولا ان يكتسب بذلك العز لنفسه حيث اخبر انه قوي بنفسه عزيز بذاته ولكن انما امرهم بما امرهم
استعملهم فيما استعمل لنصر انفسهم ولقوتهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب وانما ذكر نوحا وابراهيم والله اعلم لما اخبر انه جعل
في ذريتهما النبوة والكتاب والا قد ذكر الرسل جملتهم في قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
فدخل نوح وابراهيم عليهما الصلوة والسلام في قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ثم ان منهم
من اهتدى اي من قومهم وكثير منهم فسقوا بقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون يخبر رسوله
صلى الله عليه وسلم انه قد كان في قومهم من اتبعهم فصاروا مهتدين ومنهم من ترك اتباعهم
وخرجوا من امر الله فصاروا فاسقين يصبره ويسكن قلبه على ما كان في قوم من تقدم من الرسل
من المجيبين لرسله والتاركين للاجابة تركوها اي استانت باولك من كذب ورد قوله
تعنتا وعنادا والله الهادي وقوله عز وجل ثم قفينا على آثارهم برسلنا اخبر انه جعل
في ذريتهما النبوة والكتاب وبعث منهم رسلا ذكر في الآية الاولى انه جعل في ذريتهما النبوة
والكتاب ولم يذكر الرسالة وذكر في هذه الآية الرسالة فيهم وفي ذريتهم اي ارسلنا رسولا على اثر

رسول

في نصره دين الله ورسله

رسول بعضهم بعضا من قفا يقفوا ثم ذكر انه قفى بعيسى بن مريم لان عيسى عليه السلام من اولاد
اسحق عليهما السلام فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم من بعد وهو من ولد اسماعيل عليه السلام وقال
بعض اهل التاويل وقفينا اي اتبعنا ويقال قفيت فلانا اي عينته وسميته وقفوته اقفوه قفوا
وقفنا واقتفيت به اذا لزمته وقوله عز وجل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة
وصف الله تعالى الذين اتبعوا الرسل وآمنوا بهم بالرحمة والرحمة والرافة فيما بينهم وهو كما ذكر
في اية اخرى اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقال في اية اخرى اشداء على الكفار رحماء بينهم
وقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ونحو ذلك وذلك لان السبب الذي جمعهم
واحد وهو التوحيد والاسلام فان قيل كيف وقع بينهم من العداوة والبغضاء ما وقع
وسبب الجمع قايم حتى استحل بعضهم قتال بعض من نحو الخوارج والمعتزلة قيل انما وقع
ذلك فيما بينهم وان كان سبب الجمع قايما لما كانت تلك الالفة والرافة بلطف من الله تعالى
وقد زال ذلك اللطف وارتفع وحدث بينهم ما حدث ونقول ان الخوارج قد احدثوا
من انفسهم اشياء حتى سموا المسلمين كفرة بما ارتكبوا من الكباير حتى نصبوا القتال والحرب
معهم وكذلك المعتزلة سموا اصحاب الكباير فسقة وفجرة وانزلهم بين الكفر والايمان ومن سمى
آخر كافرا او فاسقا فلا شك انه يحدث بينهما عداوة وتباغض فاحدث بيننا وبينهم في العداوة
بتسميتهم ايانا فسقة وفجرة وكفرة بارتكابنا الكباير وان كان السبب الذي جمعهم قايما عندنا
والله الموفق وقوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الاية ذكر في القصة ان في الفترة
التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام كان على بني اسرائيل ملوك غيروا التوراة والانجيل
وبقي منهم اناس مؤمنون بعيسى عليه الصلوة والسلام ويعملون بما في الكتب فهم اولئك الملوك
ان يقتلوهم لاباءهم اتباعهم والعود الى مذهبهم فخرجوا من بينهم فترهبوا رجاء ان يتخلصوا منهم
فذلك قوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم اي ما فرضنا عليهم تلك الرهبانية ولم نامرهم بها
ولكن فرض عليهم وكتب في الجملة ابتغاء رضوان الله تعالى فابتدعوا تلك الرهبانية رجاء ان يكون فيها
رضوان الله تعالى والله اعلم قال فما رعوها حق رعايتها اخبر انهم ابتدعوا شيئا لم يكتب عليهم ثم ذكر
انهم لم يرعوا حق رعايته ذمهم لتركهم الرعاية لما ابتدعوه ففيه دلالة ان من افتتح قربة لم يفرض عليه
من صلوة او صوم او نحو ذلك ثم لم يقم بوفائه واتمام لحقه ذم كما لحق هؤلاء وقوله فاتينا الذين
آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون اخبر ان الذين امنوا وثبتوا على الايمان ان يؤتيهم اجرهم
اي يوجب لهم اجرهم وكثير منهم فاسقون اي كافرون كذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه
وكثير منهم كافرون وذكر ان بعضا منهم بعد ما ترهبوا اشتد عليهم الترهب فعادوا ورجعوا
ودخلوا في دين اولئك الملوك والله اعلم قال الفقيه رهبانية اي العبادة يعني الخوف وابتدعوها
الابتداع ان يفعل شيئا لم يفعل قبلك يقال منه ابتدعت وابتدعت وبدعت ايضا وقيل الرهبانية
اسم مبني من الرهبة لما افرط فيه وهو ما نهى الله عنه بقوله لا تغلوا في دينكم ويقال دين الله بين
المقصر والغالي وقوله ما كتبناها عليهم اي ما امرناهم بها والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وآمنوا برسوله يقول بعض اهل التاويل يا ايها الذين آمنوا بعيسى بن مريم آمنوا بمحمد
عليه الصلوة والسلام ولكن هذا ضعيف ان الايمان برسول من الرسل ايمان بجميع الرسل عليهم السلام
وتاويل الآية يا ايها الذين آمنوا بالرسل حمله على غير الاشارة والتفسير آمنوا برسول الله محمد صلى الله

مما ينتظر

قصة رهبانية قوم عيسى عليه السلام

لحق الذم لمن شرع قولا ولم يتمه

دين الله تعالى بين المقصر والغالي

عليه وسلم على الاشارة به لان الايمان بالرسل على غير الاشارة امر سهل وانما يصعب الايمان به
ويشتد بالاشارة الى واحد لانه لما امن بالمشار اليه لزمه اتباع امره ونهيه ويلزمه موالاة من والاه
واتبعه ويلزمه معاداة من عاداه وخالفه فى امره ونهيه وترك اتباعه وان كان له ابنا وابا وجد
وكان يجب ان يكون احب الناس اليه واقرب فهذه معاملة الرسول الذى امن به على الاشارة
اليه وانما يشتد ويصعب واما عند الاجمال والارسال فامر سهل انما فيه تصديق كل صادق
وتكذيب كل كاذب وكل الناس قد اعتقدوا ان الاصل تصديق الصادق وتكذيب الكاذب وليس
فى الاجمال والارسال الا ذلك واما عند التعيين يوجب الامتحان وبه يظهر نفاق المنافقين
وتحقيق المومنين المحققين وذلك قوله ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم
ولو نشاء لاريناكهم ظهر نفاقهم بما امروا بالجهاد والخروج معه على الاشارة اليه وكقوله ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به
وتولوا وهم معرضون وقد وعد وفى الجملة انه لو اعطاهم كذا من فضله لنصدقن فلما اوتوا
ذلك وامروا باخراجه ابوا اخراج ذلك عند الاشارة اليه فعلى ذلك جايز ان يكون قوله يا ايها
الذين امنوا بالرسل جملة امنوا بهذا الرسول المشار اليه لما يصعب الامر ولما يلزم فى ذلك معاداة
من خالفه وترك اتباعه وان كان اقرب الخلايق اليه وكذلك عامل اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذين اقاربهم وارحامهم لما امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصار عندهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اليهم من انفسهم واباءهم واولادهم وعاد واجميع اقاربهم الذين
خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا اتباعه وفى ذلك اية عظيمة ولذلك فضل ايمان من امن
فى اول حين وجد عن ايمان من تاخر منهم عن ذلك الوقت ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل يوتكم كفلين
من رحمته قوله يوتكم اى يوجب لكم كفلين من رحمته اى اجرين اجر الايمان بالرسل كلهم على الاجمال
واجر الايمان بالرسول على الاشارة والتفصيل ذكر هاهنا كفلين من رحمته وقال فى اية اخرى
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويحتمل قوله كفلين مرتين وقوله مرتين كفلين فيكون احدهما
تفسيرا للاخر ثم ذكر هاهنا الاجر لهم من رحمته وذكر هنالك الاجر مطلقا ليعلم ان ما ذكر الاجر لهم
من الاجر انما هو فضل منه ورحمة لا استحقاقا على ما ذكرنا والله الموفق ثم يحتمل ما ذكر من الاجر
مرتين يكون مرة فى الدنيا والاخرى فى الاخرة كقوله تعالى للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة
ولدار الاخرة خير الاية وقوله لهم فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة والله اعلم ويحتمل ان يكون
ما ذكر من الاجر مرتين يكون وعدا فى الاخرة ويكون قوله مرتين اى كفلين اى ضعفين كقوله يضاعف لهم
ولهم اجر كريم ثم قوله كفلين قال اكثر اهل التاويل اى اجرين وقال بعضهم حظين ونصيبين
وجايز ان يكون سماه كفلا لانه كفله الا ترى ان ذا الكفل ذكر انما يسمى به لانه كان يكفل الفلان له
فعلى ذلك جايز تسمية هذا الفلان لانه يكفل به والله اعلم وقوله عز وجل ويجعل لكم نورا تمشون به
هذا يخرج على وجهين احدهما النور كناية عما يبصر به ويتضح والمشى كناية عن الامور يقول والله اعلم
يجعل ما يبصرون به السبيل ويتضح لكم الامور ويزول عنكم الشبه فيكون المشى كناية عن الامور
والنور كناية عن البصر والله اعلم وهو كقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به
فى الناس كمن مثله فى الظلمات اى لا سواء وهو كناية عما ذكرنا ليس بتصريح والثانى على حقيقة ارادة
المشى وحقيقة النور وذلك يكون فى الاخرة كقوله يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا الاية وقال اهل التاويل النور هاهنا هو القرآن اى اعطاكم قرآنا يهديكم الى سبيل الخير

والله اعلم وقوله ويغفر لكم الغفران هو الستر كانه يقول يستر عليكم مساويكم ويسكم لان
ذكر المساوى يبغضهم النعم ويحملهم على الحيا من ربهم وقوله والله غفور رحيم اى يرحمهم ويدخلهم
فى جنته وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اجمع اهل التأويل واللغة انه حرف لا زيادة هاهنا
وصلة اى ليعلم اهل الكتاب وقد يزاد فى الكلام حرف ويسقط بحق الصلة يعرف ذلك
اهل الحكمة والفقه كقوله تعالى يبين الله ان تضلوا ليس يبين لنا ان نضل ولكن يبين لنا لنعلم
ونهتدى فعرف الحكماء والفقهاء ان كلمة لا اسقطت هاهنا فعلى ذلك عرفا ان حرف لا
هاهنا فى قوله لئلا يعلم زيادة ومعناه ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شئ من فضل الله
ثم لا يحتمل ان يكون ذكر قوله لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شئ من فضل الله على غير
تقدم قول كان منهم حتى خرج هذا جوابا لهم عن ذلك ولكن يذكر شيا يشبه ان يكون
الذى ذكر هو جواب ذلك الذى كان منهم وهو انهم كانوا اهل كتاب واهل علم بالكتاب
يرون لانفسهم فضلا على غيرهم وخصوصية ليست لغيرهم عندهم فلما بعث الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا اليهم والى الناس كافة وانزل عليه كتابا وهو امين عندهم
وذكر فى كتابه ما كان فى كتبهم وامرهم باتباعه والانقياد له والطاعة واحوجهم جميعا
اليه والى ما فى كتابه انكروا فضل الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك قال ليعلم اهل الكتاب
ان لا يقدرون على شئ من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء اى يفضل من يشاء
على من شاء ليس ذلك اليهم ثم فى قوله تعالى ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شئ من فضل الله
دلالة نقض قول المعتزلة فى ان الله تعالى قد اعطى كل شئ ما يقدر على الوصول الى جميع فضائله
واحسانه وقد اخبر ليعلموا انهم لا يقدرون على شئ من فضل الله والمعتزلة يقولون بل يقدرون
فهذا خلاف ظاهر الاية والله اعلم وفى قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ايضا دلالة
نقض قول المعتزلة من جهة اخرى وهو انه ذكر المشية فيما هو حقه فضل وما هو حقه عدل
حيث قال وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولم يذكر المشية فيما هو حقه عدل وما هو ظلم
وجور بل اطلق القول فى ذلك فقال وما ربك بظلام للعبيد وقال وما الله يريد ظلما للعباد
وقال لا يظلم مثقال ذرة وقال لا يظلم الناس شيئا وغير ذلك من الايات نفى ان يلحق احد
منه الظلم والجور ليعلم ان فعل الهدى منه يصل الى من هداه وارشده والاضلال منه
عدل ولذلك قال يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء اى من نال الهدى والرشد انما ناله بفضله ورحمته
ومن ضل فذلك عدل عنه ولذلك قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان والله الهادى

سورة المجادلة مدنية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله قال جماعة اهل
التفسير انها نزلت فى اوس بن الصامت اخى عبادة بن الصامت وامراته غير انهم اختلفوا فى اسم
امراته قال ابن عباس رضى الله عنه كان اسمها خولة وعن عايشة رضى الله عنها انها كانت جميلة
وقال بعضهم بانها كانت يسمى خويلة على تصغير خولة وروى فى بعض الروايات بانه كان سبب
هذا القول من اوس انه وجد لما دعاها ليلة الى فراشه وكانت امراة بحيث لا يحل له المنع بها
فابت عليه وارادت ان تخرج من البيت فقال لها ان خرجت من البيت فانت على كظهر امى فخرجت

فى زيادة لا

فلما اصبحت قال لها زوجها ما اريك الا قد حرمت علي قالت والله ما ذكرت لي طلاقا قال
فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأليه فاني استحيي ان اساله عن هذا فاتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبرته فنزلت فيهما هذه الآية وروي في بعض الاخبار ان اول من ظاهر
امرأته اوس قال وكان لمم فقال في بعض ضجراته ذلك القول وهذا يرويه محمد بن كعب القرظي
لكنه لا يحتمل ان يكون اراد باللمم الجنون لان المجنون لو طلق امرأته لا يقع الطلاق فضلا ان يكون
الظهار ظهارا وتاويل قوله كان به لمم اي فضل غضب وشدة فكانه لم يكن به حلم ثم اختلفت الروايات
في شانها وشان زوجها منهم من روى وهو محمد بن كعب انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت ان اوسا ابا ولدي وابن عمي واحب الناس الي وقال كلمة والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر
قال انت علي كظهر امي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اريك الا وقد حرمت عليه
قالت يا رسول الله لا تقل ذلك ما ذكر طلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اريك
الا وقد حرمت عليه وكررت المرأة ذلك ويرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم قالت اللهم
اني اشكو اليك شدة وجدي به وما يشق علي من فراقه اللهم انزل على نبيك فانزل الله تعالى
قد سمع الله الى قوله تعالى فاطعام ستين مسكينا وفي بعض الاخبار رواها الكلبي انها اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني يوم تزوجني وانا شابة
ذات اهل كثير ومال فاكل شبابي حتى اذا كبرت عنده سني وذهب اهلي وتفرق مالي وضعفت
جعلني عليه كظهر امه ثم تركني الى غير شيء وقد ندم وندمت فهل من شيء يجمعني واياه يا رسول الله
فقال عليه السلام لها اطلقك قالت لا قال لها امرت في شانك من شيء فان نزل علي في شانك
شيء ابينه لك فرفعت يديها الى السماء تدعو وتتضرع اليه ان ينزل اليه بيان امرهما ثم خرجت
من عنده واتت زوجها فنزلت جبريل عليه الصلوة والسلام بهذه الآية وروي في بعض الاخبار
انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني واني شابة
ذات مال واهل حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وكبرت سني ورق عظمي وباد اهلي جعلني عليه
كظهر امه ولي منه صبيان ان انا وكلتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى نفسي جاعوا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم امري فلعلك الظالمة لزوجك فقالت يا امين الله في ارضه انه ظالم لي فقال اذهبي
فانه فيكن الضعف والعجز قالت فجعلت تجادله فلما رأت انه لا يرفع بها راسا ولا يجد عنده
مخرجا خرجت فرفعت طرفها الى السماء تشكوا الى الله صنع زوجها بها وقالت اللهم اني اتيت نبيك
في ارضك فلم يرفع بي راسا فنوكل اليوم حاجتي وارحم ضعفي وقلة حيلتي فلم تصل الى منزلها
حتى هبط جبريل صلوات الله عليه بالوحي قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله
فدعا اوسا زوجها فقال ما الذي حملك على ما صنعت بعجلة وقد انزل الله فيها ما انزل وبعث اليها
ورحب بها فقال يا رسول الله عمل الشيطان فهل من امر يجمعني الله واياها قال نعم ثم تلا عليهم آية
الكفارة الى آخرها ثم بين هذه الروايات اختلاف ذكر في رواية القرظي انه قال عليه السلام ما اريك
الا وقد حرمت عليه وفي رواية قال لها ما امرت في شانك من شيء لكنه يمكن التوفيق بين الخبرين وهو
ان قوله ما اريك الا وقد حرمت عليه على ما كان اهل الجاهلية يرونه محرما وقال ما اريك الا وقد حرمت
عليه من ذا الوجه لكنه لم ينزل علي شيء في بيان هذا فان ينزل شيء في بيان هذا ابينه لك والثاني
ان ليس في قوله ما اريك اثبات حرمة بل هو قول على الظن بما قد كان الناس يعرفون بينهم لذلك حرمة
فيجوز ان يراد التقرير على ذلك ويرد هذه الحادثة الحرمة بالوحي فتوقف بالجواب مع الاشارة لها

بالامتناع من الزوج احتياط لباب الحرمة والله اعلم ثم ان بعض فقهاء ذكر الاختلاف بين السلف
في حكم الظهار قبل نزول الآية عن عكرمة انه قال كانت النساء تحرم بالظهار حتى انزل الله تعالى هذه
الآية وكان طلاقا قبل نزول الآية فجعل الله تعالى بهذه الآية ظهارا وعن ابي قلابة وغيره كان طلاقهم
في الجاهلية الايلاء والظهار وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال انما كان طلاق اهل الجاهلية
الظهار ثم جعل لهذه الامة حرمة ترتفع ويزول بالكفارة التي اوجب وعن الحسن انه قال كان
الظهار اشد الطلاق واحرم الحرام اذا ظاهر من امرأته لم يرجع اليه ابدا والاشبه انه لا يكون
طلاقا في الاسلام لو كان يكون في الجاهلية وانه يكون موجبا حرمة لا يرتفع ابدا كما قال الحسن
فانه ذكر في حديث خولة ان زوجها لما قال لها ما اريك الا وقد حرمت علي قالت والله ما ذكرت لي
طلاقا ولو كان الظهار طلاقا لعرفته وكذلك لما اخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لي انت علي كظهر امي فقال عليه السلام ما اريك الا وقد حرمت عليه قالت يا رسول الله لا تقل ذلك
ما ذكر طلاقا ولم يرد عليها اعتقادها في ان الظهار طلاق وكذلك ما روي في رواية اخرى
في حديث طويل جعلني عليه كظهر امه ثم تركني الى غير شيء فهل من شيء يجمعني واياه يا رسول الله
فقال عليه السلام اطلقك قالت لا قال ما امرت في شانك من شيء ولو كان الظهار طلاقا بعد
الاسلام قبل نزول هذه الآية لما قال لها اطلقك بعد ما قالت جعلني عليه كظهر امه ولما قال
ما امرت في شانك من شيء وحكم شريعته انه طلاق مزيل للملك دل ان الاشبه هذا يقرر ما قلنا انه ذكر
في حديث خولة واوس انه اول من ظاهر في الاسلام فكيف يكون طلاقا فان قيل اليس النبي صلى الله
عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه والحرمة التي لا ترفع النكاح بالظهار انما يثبت بعد نزول الآية
والآية نزلت بعد هذا القول في اوس بن الصامت فدل ان مراده تحريم الطلاق فهذا يدل على ان هذا
الحكم كان ثابتا في شريعته قبل نزول آية الظهار بوحي غير متلو وان كان قبل ذلك في حكم الجاهلية
فكذلك ذلك الزوج قال للمرأة ايضا ما اراك الا وقد حرمت عليه دل على انه كان طلاقا قبل نزول الآية
قيل هذا حجة عليكم فانه لو كان المراد بقوله عليه السلام ما اراك الا وقد حرمت عليه اثبات الحرمة فيها
بالظهار لكونه طلاقا فكيف يحكم عليها بالحرمة بالظهار بعد حكمه بالطلاق بذلك القول بعينه في شخص
بعينه وقد صح في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا اوسا وامرأته بالكفارة وابقى النكاح بينهما
لو كان ذلك طلاقا واثبت حكما انما ينسخ بالآية حكمه الى حكم آخر فظهر في المستقبل لا في الماضي فذلك
ان هذا حجة عليه ولكن انما قال ما اراك الا وقد حرمت عليه للوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم
فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم بالطلاق في حقها مع ان الظهار كان طلاقا بطريق القطع
بل قال ما اراك الا وقد حرمت عليه على طريق الظن لانه جاز ان يكون ان الله تعالى قد علمه انه سينسخ
حكم هذا القول وينقله من الطلاق الى التحريم المنفة فلم يقطع القول فيه حتى نزلت الآية قيل
لو كان ذلك حكما ثابتا مقررا في شريعته لم يمتنع النبي عليه السلام عن العمل به والحكم بذلك ما لم ينزل
عليه الناسخ وان علم انه سينسخ لانه يجب عليه العمل بما انزل عليه لقوله وان احكم بينهم بما انزل الله
وقوله بلغ ما انزل اليك واذا ورد الناسخ بخلافه يكون عمله في المستقبل لا فيما مضى وانما يستقيم
هذا على ما قلنا ان الظهار قبل نزول الآية لا حكم له في الاسلام وكان تحريما في الجاهلية فمتى وجد
هذا السبب ووقعت هذه الحادثة امرهما بالاجتناب عن الزوج احتياطا حتى ينزل الآية فيظهر
انه حكمه ما هو من حيث وجوده اذ يجوز ان يريد الله تعالى بهذا هذا الحكم وان كان لا علم للمباشر به
اذ كان بحيث يمكنه الوصول الى العلم به عند الحاجة الى العمل به والحكم كالنص الذي ورد مجملا في ابتداء

ما يتعلق في بحر الرائق

مما يحفظ في الاحتياط

احتياط

حكم ثم ورد البيان متاخرا والنص العام الذى يتاخر بيانه على خلاف ظاهره فعلى ذلك هذا
والله اعلم ثم قوله عزوجل لقد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها اى سمع قولها ومجادلتها فى زوجها
ومجادلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سؤالها اياه عما ابتليت بقول زوجها لها انت على
كظهر امى المجادلة هى المخاصمة وهى المحاورة وكان مجادلتها فى زوجها ان قالت والله ما ذكرت طلاقا
حين قال لها بعد ما قال لها ان خرجت من الدار فانت على كظهر امى وخرجت ما ارانا الا قد حرمت
على واما مجادلتها مع النبى عليه السلام ومحاورتها هى قولها لا تقل ذلك وقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه فهذه محاورتهما ومن الناس من يقول المحاورة هى المراجعة
فى الكلام وهما يرددان الكلام ويراجعانه ويكررانه وهو ما ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم يكرر قوله
ما اراك الا قد حرمت عليه وهى تردد وتكرر قولها لا تقل ذلك يا رسول الله فانه ما ذكر طلاقا
ولكن هذا قريب من الاول وقال بعض اهل اللغة تحاوركما اى كلامكما والتحاور الكلام بين اثنين
وقوله عزوجل وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما قيل فيه بوجهين احدهما ان تشتكى الى رسول الله
عليه السلام لكن الله تعالى اضاف الى نفسه لان مرادها ان ينزل الآية من الله تعالى على رسوله عليه السلام
بالفرج عنها والثانى ان شكواها الى الله تعالى وتضرعها قد كان حيث لم تجد الفرج والمخرج فيما قال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اريك الا قد حرمت عليه فاشتكت الى الله تعالى ودعت وتضرعت
حتى انزل الله تعالى على رسوله الآية فيها وجائت الرخصة لها بالاجتماع بعد التكفير على ما ذكر
فى الخبر والله اعلم ثم قوله عزوجل والله يسمع تحاوركما اى سمع لها بما اجاب واغاث بالفرج
والمخرج عما اشتكت اليه وسمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما بان ما ظهر له من الحكم فى الحادثة
التى اشتبهت عليه واشكل وجه الحكم فى ذلك ثم اختلفت الاخبار فى امرهما ايضا حيث دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبره بالآية التى نزلت فى امرهما ذكر فى حديث القرظى لما نزلت الاية
دعا زوجها اوسا فقال له اعتق رقبة قال ما عندى رقبة اعتقها قال فصم شهرين متتابعين
قال ما استطيع يا رسول الله انى لا اصوم يوما واحدا فيشق عليك فكيف صوم شهرين متتابعين
قال فاطعم ستين مسكينا قال اما هذا فنعم قال فاطعم ستين مسكينا فامسكها وفى رواية اخرى
ذكرها الكلبى لما نزلت رخصتهما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها اوس بن الصامت
فاتاه فقال ويحك ما حملك على ما صنعت وقلت قال الشيطان يا رسول الله فهل من رخصة
يجمعنى واياها قال نعم وقرأه عليه هذه الآيات الاربع وقال له هل تستطيع ان تعتق
رقبة قال لا والله يا رسول الله ان المال لقليل وان العيال لكثير وان الرقاب لغالية قال
فهل تستطيع ان يصوم شهرين متتابعين قال لا والله يا رسول الله لولا انى اكل فى اليوم مرة
او مرتين لكل بصرى ولظننت انى ساموت قال فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا والله
يا رسول الله الا ان تعيننى بصدقة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا
واخرج اوس من عنده خمسة عشر صاعا فتصدق به على ستين مسكينا فجمع الله بينه وبين اهله
وذكر فى خبر آخر ان رجلا كان ظاهر من امرأته وكان هو الصوم عنه فواقع امرأته فى وقت
الصوم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فعابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على فعله ثم امره بان يكفر بما وصفنا من الكفارات فقال كل واحدة منهما لا استطيع قال فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ياتى موضع كذا الى ابى زريق وياخذ منه وسقا من التمر فيعطى ستين مسكينا
كل مسكين صاعا والباقى بنفقة على عياله ذكر فى الاطعام فى خبر لا استطيع وفى خبر انه قال انا اهلها

فنعم

فنعم بعد ما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاعانة وباعطاء الكل فيخرج الاخبار على التوفيق
والله اعلم وفى هذه الاخبار دليل على ان الكفارة اذا لزم فيها طعام فمن الحنطة نصف صاع وفيه دليل
ان نصف صاع من الحنطة طعام مسكين وانه يجوز من صدقة الفطر والله اعلم وقوله عزوجل ان الله
سميع بصير اى سميع لمقالتكما بصير فى امركما وفى الحكم فيكما وقوله عزوجل الذين يظاهرون منكم
من نسائهم قرئ يظهرون مشددة الظاء بغير الف وهو فى الاصل يتظهرون فادغمت التاء فى الظاء
وشددت وقرئ يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء بالالف وهو فى الاصل يتظاهرون فادغمت
التاء فى الظاء وشددت وقرئ ايضا يُظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء بالالف من ظاهر يُظاهر
مُظاهرة والمعنى واحد فيما اختلف من قرآتهم يقال ظاهر الرجل من امرأته ويظاهر منها وتظاهر وتظهر
منها بمعنى واحد وهو ان يقول لها انت على كظهر امى وقال القتبى تظاهرون اى يحرمون بتحريم ظهور
الامهات وقال ابو عوسجة يظاهرون هذه يمين ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى والظهار مره
من التظاهر وهو التعاون يقال تظاهر القوم اى تعاونوا ولكن بخلاف ما تضمنه الآية والله اعلم
ثم الظهار كان عند ذلك القوم ظاهرا وهو ما روينا فى الاخبار ان امرأة اوس لما همت ان يخرج
من الدار قال لها ان خرجت من الدار فانت على كظهر امى وكذلك هذه الدلالة فى قوله والذين يظاهرون
والظهار اخذ اسمه من الظهر وكذلك فيما عرفه المسلمون فيما بينهم هذا اللفظ وهو قوله انت على كظهر امى
ما ظاهر الآية يوجب ان يكون الظهار فيما يقول انت على كامى وهو قوله ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى
ولدنهم ذكر الامهات ولم يذكر ظهور الامهات نصا وظاهر الآية يوجب هذا وبهذا احتج محمد بن الحسن
لمذهبه فيمن قال لامرأته انت على كامى قال يكون ظهارا من غير نية واما ابو حنيفة رحمه الله فانه قال
لا يكون مظاهرا الا ان ينوى بذلك الحرمة فان نوى به كان وذهب فى ذلك الى ما روى فى الاخبار ذلك
الحرف اعنى قوله انت على كظهر امى وانما نزلت الآية فيمن قال ذلك القول فلا يحل لنا ان نصرفه الى غيره
الا بدليل ثم قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ما هن امهاتهم اى ما هن لهم كامهاتهم لانه تعالى قال ما هن
امهاتهم على سبيل الرد لما اخبر عنهم بقوله والذين يظاهرون من نسائهم اى قالوا لنسائهم انتن
علينا كظهور امهاتنا وقوله ما هن امهاتهم فى الظاهر يكون رد القول من قال لنسائهم انتن امهاتنا لا انتن كالامهات
انتن كامهاتنا او كظهور امهاتنا فيحتمل بذلك القول ان مراد الله تعالى بقوله ما هن امهاتهم اى كامهاتهم
ولكن الاشكال انه اذا صار تقدير الآية ما هن كامهاتهن فما معنى قوله ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم لانهم كانوا
يدعون التشبيه بالامهات والله تعالى نفى بها ادعوا من التشبيه فما معنى لبيان تحقيقة الامهات وهى اللائى
ولدنهم وهم يعرفون ذلك ولا ينكرونه ولا يدعون فى نسائهم انهن امهاتهم حقيقة حتى يرد عليه دعواهم
بقوله ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم واشكال آخر انه قال وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وظاهر
هذا القول منهم ليس بقول الزور ولا المنكر اذ ليس فى قولهم ظهرك كظهر امى او انت على كظهر امى وكامى
الا التشبيه وهى لعلها فان ظهرها كظهر امها فى الهيئة والخلقة والتشبيه لا يقتضى العموم فما معنى تسميتهم
تشبيه المرأة بالام منكرا وزورا واشكال آخر انه قد سمى الله تعالى غير الامهات اللائى ولدنهم امهات لهم
فانه قال فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن وازواجه امهاتهم وقال فى النساء والتى يرضعن
الاولاد لغيرهن وامهاتكم اللاتى ارضعنكم وان لم تلدنهم فنقول وبالله التوفيق انهم كانوا يريدون ان يوجبوا
فى نسائهم حقوقا واحكاما ما كانت فى امهاتهم لم يكون لهم ايجاب ذلك فانهم كانوا يشبهون النساء بالامهات
ولم يريدوا بذلك التشبيه من حيث الصورة او الخلقة ولكن يريدون بذلك التشبيه فى الحرمة وحرمة النساء
فى الاصل غير حرمة الامهات فان الام حرام الاستمتاع بها على التابد لكن يباح للرجال ان يدخل على امه

التشبيه لا يقتضى العموم

ويخدمه ويسافر بها ويباح النظر والمس والاركاب والانزال والخلوة بها والمقام معها والمرأة
متى حرمت بالطلاق الثلاث او بالبينونة لا يثبت شيء من هذه الحقوق والمشابهة بين الشيئين ان كان
لا يقتضي التساوي بينهما من كل وجه ولكن يقتضي المساواة بينهما من وجه من الوجوه على الكمال فان الذات
في الشاهد اذا قام به العلم يسمى عالما والله تعالى يسمى عالما ولا يوجب التشبيه لانعدام التماثل بين
العلمين والتساوي من وجه فلم يعد تشبيها تعالى الله عن ذلك فدل ان هؤلاء بتشبيههم النساء
بامهاتهم ارادوا ان يجعلوا حرمة نسائهم كحرمة امهاتهم ويوجبون فيهن حقوقا واحكاما كحقوقهن
واحكامهن حتى يباح لهم المعاملة مع نسائهم ما يباح مع امهاتهم ويحرم ما يحرم معهن ويكون احترامهن
كاحترامهن والله تعالى لم يجعل ذلك ونهاهم عن ذلك فقال ما هن امهاتهم اي كامهاتهم في هذه
الحرمة التي يريدون اثباتها وانه لم يجعل لنسائهم حرمة امهاتهم ثم قال ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم
اي ان هذه الحرمة التي تريدون اثباتها فيهن انما جعلنا لامهاتهم اللائي ولدنهم فما بالهم
يخترعون من انفسهم شيئا لم اجعله ولم اشرعه فرد صنيعهم بهذا وعلى هذا يخرج تاويل قوله تعالى
وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا انما كذبهم بما قالوا من ايجاب ذلك الحقوق والاحكام
على انفسهم في نسائهم من غير ان جعل الله تعالى ذلك اي وانهم ليقولون منكرا وزورا في ايجاب
فيهن كما في الامهات وتشبيههم اياهن بالامهات في الاحكام والحقوق والحرمة وان كان كلامهم
وقولهم من حيث ظاهر التشبيه ليس بمنكر ولا بزور وهذا كقوله تعالى في وصف المنافقين اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
وهؤلاء المنافقون فيما قالوا في الظاهر كانوا صادقين ولكن لما كان قصدهم غير ذلك وكان
في قلوبهم ايجاب شيء غير ما اظهروا سماهم كذبة فكذلك هؤلاء المظاهرين لما ارادوا ايجاب
حكم لم يجعل لهم ذلك سمى قولهم منكرا وزورا والمنكر هو الذي لا يعرف في الشريعة والزور هو الكذب
فنهاهم الله تعالى عن ذلك واما قولهم ان الله تعالى قد سمى غير التي تلدهم امهات من نساء النبي
عليه الصلوة والسلام والمرضعات منهم من قال جايز ان يكون هذه الآية متقدمة على قوله وامهاتكم
اللاتي ارضعنكم ومن قوله وازواجه امهاتهم فلم يكن في ذلك الوقت امهات من رضاع ثم كانت من بعد
فيكون الاخبار بهذا مقيدا بذلك الوقت وهو كقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم
يطعمه لم يجد في ذلك الوقت ثم وجد من بعد ذلك حين محرما بعد ذلك هذا وقيل يحتمل ان يكون
قال ذلك في قوم خاص وقبيلة خاصة لم يكن لهم امهات من رضاع فيكون الاخبار بان امهاتهم ليست الا اللائي
ولدنهم صدقا ولكن هذا تكليف لان قوله ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم اي ان هذه الحقوق والاحكام
التي يوجبون ليس يثبت الا في الامهات التي تلدنهم ومن كانت في معناهن وصرن امثالهن شرعا لم يجعل
كازواج النبي صلى الله عليه وسلم والامهات بسبب الرضاع والله تعالى لم يجعل لنسائهم تلك الحقوق كازواج
النبي صلى الله عليه وسلم والامهات بسبب الرضاع والله تعالى لم يجعل لنسائهم تلك الحقوق ولا الحقهن
بالامهات فيكون تشبيههن بهن في هذه الحقوق منكرا من القول وزورا والله اعلم وقوله عز وجل
وان الله لعفو غفور وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة
من قبل ان يتماسا اختلفت في حكم الظهار ما هو وفي تاويل العود عن طاوس قولان في قوله تعالى
ثم يعودون لما قالوا الوطء فاذا حنث فعليه الكفارة وهذا تاويل بعيد مخالف للنص لان الله تعالى
يقول من قبل ان يتماسا وانما الذي ذهب اليه حكم الايلاء انه اذا وطئ يجب الكفارة فاما في الظهار
تجب الكفارة قبل الوطء وفي قول انه اذا تكلم بالظهار يجب عليه الكفارة ولم يشترط معه شيء آخر

وعن مالك

وعن مالك انه اذا ظاهر من امرأته ثم اجمع وعزم على امساكها واصابتها وجبت عليه الكفارة حتى اذا طلقها
او ماتت المرأة بعد العزم على الامساك والاصابة او بعد الاصابة بقي وجوب الكفارة عليه وان لم يجمع
على امساكها حتى ماتت يسقط الكفارة وكذلك اذا طلقها لكنه اذا تزوجها بعد ذلك لم يمسكها حتى يكفر
فيكون العود هو امساكها ليطاها وعن الحسن ان العود هو العزم على الجماع حتى اذا عزم على جماعها
يجب الكفارة وان اراد تركها بعد ذلك وقال عثمان البتي فيمن ظاهر من امرأته ثم طلقها قبل ان يطاها
قال ارى عليه الكفارة راجعها او لم يراجعها وان ماتت لم يرتفع الظهار والكفارة ولا يرث حتى يكفر
وقال الشافعي العود هو الامساك والكفارة يجب به وحكم الظهار هو تحريم المتعة حتى اذا امكنه
ان يطلقها بعد الظهار ولم يطلق وامسكها ساعة ليطاها فقد وجبت عليه الكفارة او ماتت واذا ماتت
طلقها او لم يطلقها راجعها او لا واذا طلقها عقيب الظهار بلا فصل يبطل الظهار ولا يجب الكفارة بعزم
امساك المرأة وقال بعض المتاخرين في تاويل قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا اي ثم يعودون
الى القول الاول فيكررون ذلك القول وعندهم لا يكون الرجل مظاهرا حتى يقول انت
علي كظهر امي مرتين واما عندنا فحكم الظهار هو تحريم موقت بالكفارة ولا يرفعها الا الكفارة
وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال انت علي كظهر امي لم يحل له حتى يكفر وعندنا
لا يجب الكفارة بنفس الظهار وانما الظهار يوجب الحرمة لا غير وانما يجب بالعود حتى انها اذا ماتت
لا يجب عليه الكفارة اذا ارتفع المعنى الذي يجب وهو استباحة الوطء وكذلك اذا طلقها بائنا
او ثلاثا لا يجب الكفارة لهذا حتى اذا عادت اليه بالتزوج واقدم على استباحة الوطء يجب
الكفارة وهو عند بعض اصحابنا ان يجعل المرأة على الحالة الاولى ويحلها على نفسه على ما كان عليه
ويستبيح وطأها واذا اراد ان يحلها على نفسه ويستبيحها ويقدم عليه يجب عليه ان يكفر ولا يزول
تلك الحرمة عندنا الا بالكفارة فالتكفير سبب الحل كذا ذكر القمي في تاويل ثم يعودون لما قالوا
اي يعودون بنقض ما قالوا ونقض ذلك واستدل بما ذكر عن الاصمعي ان اعرابيا تكلم بين يديه
بانه كان شيئا ثم يعود اليه قال له الاصمعي ما اردت به فقال ان انقضه وافسخه فهذا يدل
على ان المراد من قوله ثم يعودون اي يعودون الى استحلال ما حرموا او ينقضون ذلك ويردون
الحل الى الحالة الاولى الا ان ظاهره العود الى القول بقوله ثم يعودون لما قالوا ولكن اراد
به القول به والثابت به وهو الحرمة كانه قال ثم يعودون لما حرموا بالقول ثم يستبيحونه
ويجوز ان يذكر الفعل ويراد به المفعول كقوله عليه الصلوة والسلام العائد في هبته كالكلب
يعود في قيئه وانما هو عائد في الموهوب وقال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت به
والله اعلم فان قيل العود الذي تجب به الكفارة هو العزم على استباحة الوطء والقصد
على تحليلها على نفسه واعادة الحل الى الحالة الاولى ام الاقدام على الوطء او مباشرة نفس الوطء
فان كان المراد هو الاول يجب ان يقولوا بوجوب الكفارة بنفس العزم على الاستباحة والتحليل
كما قال مالك رحمه الله والحسن رحمه الله وان كان المراد ايقاع الوطء يجب ان يقولوا انه لا يجب
الكفارة الا بعد الوطء كما قاله قوم وهو خلاف الآية وخلاف قولكم قيل يعني بذلك هو الاقدام
على استباحة الوطء والاشتغال باقامته فيقدم التكفير ثم يفعله اما لا يجب بمجرد العزم ولا
بتحقق الفعل وهذا لانه اذا ظاهر حرمت المرأة عليه بسبب فعله يجب عليه توفير حقها في الجماع
ان كانت بكرا في الحكم حتى يجبر عليه وهذا وان كانت ثيبا وقد وطئها مرة يجب عليه فيما بينه وبين
الله تعالى ايصال ذلك اليها وعند بعض اصحابنا يجبر في الحكم ايضا على ذلك فاذا اقدم على ذلك

يجب عليه تحصيل الكفارة ليتوسل الى اقامة ذلك الواجب عليه من الجماع اذ لا يحل ذلك بدون
الكفارة وهذا كالوضوء في باب الصلوة ليس بفرض مقصود بنفسه لكن يجب لاقامة الصلوة اذ لا يجوز
الصلوة بدون الطهارة فاذا اقدم على الصلوة يجب عليه تحصيل الوضوء ليتمكن من اداء ما عليه ولا يجب
بنفس الارادة ولا يجب بنفس الحدث حتى لا يجب الوضوء ما لم يدخل وقت الصلوة ويقوم اليها وكذلك
المراة اذا حاضت بعد الوقت حتى سقط عنها الصلوة يسقط الوضوء فعلى ذلك هذا يجب عند الاقدام على اقامة
هذا الواجب وهو الوطء والظهار شرط وهذا اذا ماتت المراة يسقط الكفارة لانعدام ما هو المقصود
بالاقامة وهو الوطء وكذلك اذا طلقها ثلاثا او باينا لكن اذا عادت اليه يلزمه الكفارة اذا اقدم على الوطء
ولم يبطل الظهار لاحتمال حصول الغرض والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله تعالى والذين
يظاهرون من نسائهم الآية هذا خبر عن ظهار القوم الذين كانوا يظاهرون في جاهليتهم
اي ظاهروا في ذلك الوقت ثم يعودون لما قالوا اي لو قالوا ذلك القول بعد اسلامهم فعليهم
ما ذكر ان الظهار كان ظاهرا في الجاهلية من عاد الى ذلك القول ورجع اليه وقت اسلامه فعليه ما ذكر
وهو كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه فهذا يرجع الى فعل ذلك مرة والى استحلال ما حرم الله ثانيا
وان عاد الى الفعل الاول لانه وجد الاستحلال فينتقم الله منه بالغرامة عليه والى الاستحلال فينتقم الله
منه بالعذاب وكذلك مثل هذا في آية الربوا حيث قال فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
وامره الى الله ومن عاد اي عاد الى ما كان يفعله قبل الاسلام فكذلك هذا العود الى الظهار على هذا التقدير
يخرج تأويل الآية عندنا وهو كقوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
اي كانوا يتناجون في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن العود الى ما كانوا عليه فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم
لكن على هذا التأويل الاقدام على الوطء سببا لوجوب الكفارة لم يثبت بهذا النص انما فيه ان الظهار
يوجب تحريما موقتا بالكفارة وكذلك الاحاديث التي ذكرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم تعالى عليه وسلم
امر اوسا بالكفارة حين ظاهر من زوجها وانما يعرف من حيث الدلالة فانه لما كان التحريم موقتا
بالكفارة ويكون رافعة له فانما يجب لرافع فبالاقدام عليه لا بسبب سابق موجب التحريم لان رافع الحرمة
لا يجب بما يوجب الحرمة كما ذكرنا في الوضوء انه لا يجب بما يحدث الذي هو رافع للطهارة ولكن لما وجب على المكلف
الصلوة بالطهارة يجب عليه الوضوء بالاقدام على الصلوة التي لا يجوز بدونه فكذلك هذا والله اعلم
وقول من جعل العود هو العزم على امساك النكاح والبقاء عليه فاسد فان النبي عليه الصلوة والسلام
اوجب الكفارة على اوس بن الصامت حين ظاهر من زوجها ولم يساله الامساك والبقاء على النكاح
ولان تفسير العود بالامساك لا يستقيم لانه لم يعرف في الاصل امساك المراة عودا عليها ولا امساك شيء
من الاشياء يتكلم بالعود اليه فيكون هذا خلاف اللغة ولما ذكرنا ان العود الى الشيء هو الرجوع الى ما كان
عليه فيقتضي انعدامه وزواله حتى يتحقق العود اذ العود هو وجود ثاني وهذا انما يتحقق فيما قلنا
من الجزاء لانه قد بدل بالحرمة فاما العقد قائم لم يزل بالظهار فكيف يعود الى العقد فلا يكون البقاء
على العقد وامساك المراة بالنكاح عودا ولان الله تعالى قال ثم يعودون وثم يقتضي التراخي ومن جعل
العود هو الامساك والبقاء على النكاح فقد جعله عائدا عقيب القول بلا تراخ وذلك خلاف ظاهر الآية
وقول من جعل العود هو العزيمة على الوطء لا معنى له لان موجب الظهار هو تحريم الوطء لا تحريم
العزم على الوطء وان كان العزيمة على المحظور محظورة لكونه وسيلة الى المحظور فيكون العود هو الرجوع
الى ما يقوى به مقصودا لا وسيلة الى حسب الاول ولانه لا حظ للعزيمة في حق تعلق الاحكام في ساير
الاصول الا ترى ان ساير العقود والتحريم لا يتعلق بالعزيمة فلا اعتبار لها وقد قال النبي عليه الصلوة والسلام

ان الله تعالى عفى عن امتي ما حدثت به نفسها ما لم يتكلموا به او يعملوا وقول من جعل العود هو تكرار القول
الاول فاسد ايضا وان كان ظاهر اللفظ يحتمله وهو العود الى القول الاول لانه خلاف الاجماع
وخلاف اصول الشرع اما خلاف الاجماع فان السلف والخلف اجمعوا ان هذا ليس بمراد عن الايمة
فيكون قايله خارجا عن الاجماع واما مخالفة الاصول فلان الحل والحرمة انما تعلق وجوبهما بابتداء القول
لا بتكراره في جميع الاصول من البياعات والنكاح والطلاق والعتاق والاجارات فلما كان الاصل
هذا في ساير الاسباب والمظاهر موجب للحرمة بقوله دل ان الموجب هو القول الاول دون الثاني
فيكون تعليق الحرمة بتكرار السبب الموجب مخالفة لساير الاصول وبهذا يبطل قول الشافعي في انه
تعلق الحرمة بتكرار الرضعات لا برضعة واحدة والله اعلم ولان النبي صلى الله عليه وسلم امر
بالكفارة في حق اوس ولم يساله عن تكرار القول ولما لم يسال دل ان الحكم غير متعلق بالتكرار
وما قال الشافعي انه اذا طلقها بعد الظهار بلا فصل فلا كفارة عليه وان لبث ساعة ثم طلقها كفر
راجعها او لم يراجعها او ماتت قول تفرد به لان طاوسا اوجب عليه الكفارة طلقها او امسكها وساير
التابعين قالوا ان ماتت او طلقها ولم يراجعها فلا كفارة عليه ولم يفصلوا بين ان يطلقها على اثر
الطلاق بلا فصل او بعد ذلك بساعة فيكون الشافعي بهذا القول مخالفا للسلف فلا يعتبر والله اعلم
وقوله عز وجل فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ظاهره يقتضي ان يكون الوطء محظورا عليه قبل
الكفارة لانه جعل الحرمة موقتة بالكفارة واذا وطئ يسقط الظهار والكفارة لان كلما تعلق
بشرط او توقت بوقت فمتى فات الوقت او عدم الشرط لم يجب لذلك النص واحتيج الى دلالة اخرى
في ايجاب مثله في الوقت الثاني الا انه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا ظاهر
من امرأته فوطئها ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له استغفر الله ولا تعد حتى تكفر فصار
التحريم الذي بعد الوطء عرفناه بالسنة والله اعلم ثم قوله فتحرير رقبة يرجع الى وجهين
مرة الى اسم الرقبة ومرة بما يستحق حكم الرقبة فان كان المراد من ذكر الرقبة اسم الرقبة نفسها
فيجيء انه يجوز كل ما يقع عليه اسم الرقبة صغيرا كان او كبيرا كافرا او مسلما مقطوع اليدين كان او مقطوع
الرجلين او اعمى او كيف ما كان وبشر المريسي يذهب الى هذا ويجيز كيف ما كانت الرقبة وان كان المراد
من ذكر الرقبة ما يستحق حكم الرقبة فيجيء ان لا يجوز اعتاق رقبة فيها ادنى نقصان اذ الاصل في العبيد
والاماء ان النقصان فيما دون النفس يوجب نقصانا في كل النفس فيجيء ان لا يجوز اذ يصير معتقا بعض
الرقبة لا كلها ثم الدليل على ان النقصان الحال فيما دون النفس في الرقاب جعل كالنقصان الحال
في النفس ان العبد اذا قطعت يده او فقئت عينه يشترى بنصف ما كان يشترى وقت الصحة فصار
النقصان فيما دون النفس كتلف نصف القيمة على العبد وان لم يكن ذلك من نفسه النصف فيجيء على هذا
ان لا يجوز اذا كان فيه ادنى النقصان اذ الحكم فيما دون النفس في العبيد حكم الانفس وحكم الجناية عليهم
محمول على حكم كمال النفس لكن هذان التأويلان في الآية لا يصحان واما الجواب عن الفصل الثاني ان النقصان
الحال في بعض الرقبة كالحال في كلها ان ذلك النقصان يرتفع بالعتق اذ بالنقص وان كان وقت قيام
الرق بحكم النقصان لما يصير رقبته له بحكم الكمال بالعتق اذ صار هو منتفعا بالعتق اذ بالعتق جبر النقصان
الذي كان به فيسلم له الرقبة كاملة من حيث المعنى فيجوز كما اعتق الرقبة السليمة والدليل عليه انه لو جني
عليه بعد ما عتق لم ينقص من ديته شيء وان كان ذلك النقصان في نفسه وقت العبودة والرق وثبت
بهذا انه في حق نفسه كامل النفس وانما كان ذلك النقص فيه لحق المولى في قيمته وقت العبودة اذ هو لو كان
منتقصا في حق نفسه لا ارتفع عنه ذلك النقصان ابدا فلما ارتفع النقصان في حكم الرقبة دل ان اعتاقه

جايز والاصل فيما اوجب الله تعالى من هذه الكفارة انما اوجب لتكفير بها ما ارتكب من المأثم ولما ارتكب
من الشهوات التى حظر ارتكابها عليه ليتألم بهذه الكفارة ليكون زجرا عن العود اليها فينبغى ان ينظر فى هذه
الكفارة فان كفر بشئ لا يتألم بفقده ولا يفجع عندها فلا يجوز ذلك عن الكفارة وان كان بالذى يلحقه
ويوطنه يجوز ثم ما يصل اليه من الالم فى اعتاقه وجهان احدهما انه اذا تامل ذهاب منافع ذلك المملوك
عنه بما كان هو يصلح لخدمته يتألم بذلك ويفجع والثانى لما تامل منه النفع فى العاقبة وان لم يكن الحال
ينتفع به فيتألم ايضا بذهاب تلك المنفعة المؤملة فكل من كان يسال من هذين الوجهين جاز عتقه
عن الكفارة والا فلا والله اعلم ثم لا يجوز اعتاق الاعمى والمقعد ومقطوع اليدين ونحو ذلك عن الكفارة
ويخرج على الكلامين اما على الاول انه وان ارتفع النقص الحاصل فى نفسه بسبب العبودة عنه
وجود الاعتاق قايما لا يجوز لا للنقصان ولكن لانه يصير معتقا ببدل والاعتاق ببدل لا يجوز عن الكفارة
وان كانت الرقبة بصفة الكمال ومعنى قولنا انه يصير معتقا ببدل انه ما دام فى ملكه على تلك الحال
فان مؤنته يلحقه وبالاعتاق يسقط مؤنته عن نفسه وتلحق تلك المؤنة المسلمين فلم يجز عن الكفارة
لهذا واما على الثانى فلا يلزم على الوجهين جميعا اما على الاول فلانه لا يفجع ولا يتألم نفسه باعتاق مثله
لما ليس له منفعة الخدمة ليتألم بفوتها وعلى الثانى لما ليس له منفعة يؤمل فى المال فيتألم بذلك ايضا
ولا يلزم الصغير على هذا العذر انه ليس له منفعة الخدمة ونفقته عليه ايضا ومع ذلك يجوز اعتاقه
عن التكفير لانا نقول انه انما ينفق على الصغير لما تامل منفعته فى العاقبة والناس انما يربون الصغار
والصغاير وينفقون عليهم لينتفعوا بايمانها واعيانها فى العواقب فلم يصر عتقه من هذا الوجه بدلا
والتالم فى عتقه موجود حسب ما كان فى الكبير والاكثر والاعور ومقطوع احدى اليدين واحدى
الرجلين يجوز عن الكفارة فانه قد يمكنه الاكتساب فيتالم مولاه باعتاقه لما فيه ذهاب منفعته
فيصلح ان يكون كفارة لما ارتكب من الشهوة ولما وصفنا من جبر ذلك النقصان وارتفاعه بالعتق والله اعلم
وذكر عن الشافعى انه لا يجيز عتق الرقبة الكافرة عن الكفارة واحتج بما ذكر الله تعالى فى كفارة القتل الرقبة المؤمنة
فكذلك فى كفارة الظهار اذ هما كفارتان ولكن نحن نقول هذا على اصل مذهبه خطأ لان مذهبه العموم
يعم كل رقبة فى دار الدنيا والاصل فى ذلك عندنا ان الله تعالى لم يذكر فى كفارة الظهار الرقبة المؤمنة
فلا يجوز ان يوجب ما ذكره فى كفارة القتل ههنا والدليل عليه انه ذكر فى تلك الاية الاشياء وهو
قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله فذكر الدية ثم ذكر الدية فى اية القتل
لم يوجب على المظاهر اذ ترك ذكرها فى اية الظهار ومثله فى القرآن كثير وايضا ان احق ما يجوز فى الكفارة
اعتاق الرقبة الكافرة وذلك لما ان المسلم قد يتالم باعتاق الرقبة الكافرة ما لا يتالم باعتاق المسلمة لما ان فى
طبعه الاحسان الى الكافر ولا ياتى بمثله الى المسلم وقد وصفنا ان الكفارة للتالم باخراج ما امر باخراجه
عن ملكه مع ما فى القرآن دليل على جواز اصطناع المعروف اليهم وهو قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم سيئاتكم والله بما تعملون بصير عليك هديهم
ثم قال ايضا بعد ذلك وما تنفقوا من خير يوف اليكم وذكر فى القصة ان بعض اصحاب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كانوا قد امتنعوا عن الانفاق على اقربائهم لما ابوا الاسلام فنزلت فيهم هذه الاية فهذا يبين
ذلك ان فى الاصطناع اليهم واعتاقهم تكون تكفيرا ثم قوله عز وجل من قبل ان يتماسا فتاويله عند
ابى حنيفة رحمه الله اى عتقا لا مسيس فيه لان عنده الاعتاق يحتمل التجزى فيحتمل انه يعتق نصفه
ثم النصف الاخر فيشترط ان يعتق النصفين جميعا قبل المسيس حتى لو مسها فيما بين ذلك يلزمه استيناف
العتق وعلى هذا تاويل قوله فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا اى صوم شهرين لا مسيس فيه

حتى لو واقعها فى وقت لم يتم صوم شهرين بعد يلزمه الاستيناف وكان معناه لا مسيس فى خلال الكفارة
فمتى وجد المسيس فى وقت لم يتم الكفارة بعد يلزمه الاستيناف وتاويل قوله من قبل ان يتماسا عند ابى يوسف
رحمه الله اى يعتق قبل وقت المسيس ويصوم كذلك ويقول بان الاية خرجت لبيان وقت التكفير فيه
حتى اذا جامع امرأته فى صوم الظهار انه لا يستانف الصوم بل يصوم الباقى اذ قد فات عن وقته فصار
قاضيا عما عليه وليس بعد الجماع وقت لذلك الصوم بل يكون ذلك على القضاء فيجوز متفرقا ومتتابعا
كصوم شهر رمضان لما تعين له وقت الاداء ثم فات الوقت لا يجب متتابعا بل يجوز متفرقا كذا هذا ولا يتصور
المسالة فى الاعتاق عنده لانه لا يتجزى عنده ولا خلاف انه اذا جامع بعد ما اطعم ثلثين مسكينا انه
لا يلزمه استيناف الطعام ولا يلزمه شئ سوى التوبة والاستغفار فى قول عامة الفقهاء وعند بعضهم
يلزمه كفارتان لابى يوسف رحمه الله عليه ما ذكرنا ولانه قد ادى بعضها فى الوقت وبعضها فى غير الوقت
اولى من اداء الكل بعد الوقت وهذا المعنى فى الطعام كذلك ولابى حنيفة رحمه الله عليه ان الظهار ليس
يوجب الكفارة ولكن يوجب حرمة لا يرتفع الا بالكفارة ولا يؤمر هو بالكفارة مقصودا لكن اذا اراد
الاستمتاع بها يقال له ليس لك ذلك الا بالكفارة فاذا كان كذلك فاذا ادى بعضها ثم ماسها ثم ادى البقية
لم يصر ما ادى بعد المماسة قضاء عن الوقت الذى قبل المماسة فاذا لم يصر قضاء عن ذلك حمل كالنص
انما جاء فى هذه الحالة ان حرروا رقبة من قبل ان تماسوا ثانيا وصوموا شهرين متتابعين اذا اردتم
العود اليها ولذلك قال عليه السلام للمظاهر الذى جامع امرأته استغفر الله ولا تعد حتى تكفر لكن يدخل
على هذا امر الطعام انه اذا اطعم بعض الطعام ثم ماسها لم يلزمه الاستقبال والعبارة التى ذكرنا ما يوجب
الاستيناف لكن يستحسن فى الطعام لان الطعام وقع فى الاصل متفرقا اذ لو اطعم بعضه الحال وبعضه
بعد سنة فانه جايز من ذى الجهة لكن يدخل عليه الاعتاق عند ابى حنيفة رحمه الله فانه اذا اعتق
بعضه الحال وبعضه بعد سنة يجوز ايضا ومع ذلك اذا وجد المسيس فيما بين ذلك يلزمه الاستيناف
وما ذهب اليه ابو يوسف رحمه الله من حمل الاية على بيان الوقت لا يصح لانا لو حملنا تاويل الاية على الوقت
نفسها لا فايدة يقع فى الاية لان معرفة وقت ذلك ثابتة بدلالة العقل وذلك ان قد علمنا ايجاب
الحرمة بالظهار وعلمنا ان تلك الحرمة لا يرتفع الا بالكفارة فصار وقت الحل بذكر الحرمة معلوما
ولذلك هذا فى جميع الحرمات من الطلاق وغيره انه لا يرتفع الا بسبب رفعه فلو حمل تاويل الاية
على بيان الوقت لم يفد شيئا ولو حمل على بيان اخلاء الكفارة عن المسيس وعلى نفى المسيس فى خلال
الكفارة يفيد فايدة جديدة فيكون هذا التاويل احق واولى ثم فى الاية دلالة بان ليس ذلك على بيان
الوقت وهو قوله تعالى فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ثم ذكر فى العتق والصوم ترك المماسة ولم يذكر
ذلك فى الاطعام ولو كان ذلك على جعل الوقت له لكان يذكر فيه المماسة اذ الكفارة اذا كانت عن شئ واحد
لا يختلف فيه اوقاتها بل يكون وقتها واحدا ولا يقال انما لم يذكر الوقت فى الاطعام لان ذكره فى العتق والصوم
ذكره فى الاطعام لانه من انواع هذه الكفارة فذكر الوقت فى البعض يكون ذكرا فى الباقى فاذا ادى بعضه
فى الوقت وبعضه فى غير الوقت كان اولى من ان يؤدى الكل فى غير الوقت لانا نقول ذكره فى العتق
والصوم لا يصلح ان يكون بيانا فى الاطعام لان البيان على وجوه ثلاثة بيان نهاية وبيان كفاية وبيان
تفصيل فاما بيان الكفاية وهو ان يكتفى ببيان الواحد او القليل عن الكل ليعرف ذلك بالاجتهاد
والقياس على نظايره فيدل ذلك على معنى مودع فيه وانه محل الاجتهاد والتعليل واما بيان النهاية
هو ان يبين الكل على المبالغة حتى لا يبقى للاجتهاد فيه موضع واما بيان التفصيل هو الذى يبين فى كل
ولا يبلغ به نهايته فهو فيما يبين لا يتعدى الى غيره اذ لو كان فيه معنى مودعا يجمع الكلام يمكن ذكر النهاية

فى البيان على وجوه ثلاثة

عليه وترك بعضه معنىً وها هنا بيان تفصيل دون كفاية اذ لو لم يكتف بذكره في واحد ما
ولا هو بيان نهايته ان لم يبينه البيان في الكل فهو بيان التفصيل الذي ذكرنا انه لو عرف المذكور ولا يتعدى
الى آخره ولو كان ذكر ذلك لبيان الوقت لاكتفى بذكره في الواحد عن الكل اذ ذكر في الكل على المبالغة
فلما ذكر على بيان التفصيل دل انه ليس لبيان الوقت ولكن لنفي المسيس عن خلال الصوم والعتق
المذكورين دون الطعام الذي لم يذكر فيه وتبين ان اخلاء الصوم والعتق عن المسيس حكم عرفناه بالنص
غير معقول المعنى فلا يتعدى عنه الى غيره ويكون مثاله ما ذكر في قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل
مؤمنا الا خطأ الآية على ما عرف في موضعه والحاصل في المسألة طريقان احدهما بحق القياس
والاخر بحق الاحتياط اما القياس ما ذكرنا ان قوله من قبل ان يتماسا لاخلاء الصوم عن المسيس
ونفي المسيس عن خلال الكفارة لكن انما ذكر في الاعتاق والصوم دون الاطعام فدلنا ذلك على انه
بيان تفصيل فيكون دليلا على قصر الحكم على المنصوص ومنع التعدية الى غيره لما هو علم ان العقول تقصر
عن ادراك ذلك المعنى فجعلنا نفي المسيس عن خلال الصوم والعتق واجبا بالنص حتى لا يكون كفارة
بدونه ولم يجعل في باب الاطعام شرطا واما طريق الاحتياط وهو انه لما احتمل ان يكون ذلك لبيان
الوقت او لنفي المسيس عن خلال الصوم فاخذ فيه بالاحتياط وفي الاطعام اخذ بالقياس لما انه
لم يذكر فيه المسيس وذكر في الصوم والعتق لم يكن بيان كفاية حتى يكون ذكره ذكرا في الاطعام بل هو
بيان تفصيل وان حكمة القصر على المنصوص دون التعدي والله اعلم وفي الآية دلالة لصحة مذهب
ابي حنيفة رحمه الله في ان العتق يحتمل التجزية وهو ان يعتق بعضه ويبقى الباقي بحاله ثم يعتقه باوقات
بعد اذ قال فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي تحرير رقبة لا مماسة في التكفير ولو كان بعض العتق
يوجب عتق الكل لكان لا يفيد قوله من قبل ان يتماسا اذ لا يقع العتق الا قبل المماسة فلما قال
دل انه اراد والله اعلم بان لا تمسوهن عند ما اعتقتم بعضه ولم تعتقوا الكل حتى يكمل ويتم فيه
الاعتاق ولهذا قال بانه يلزمه الاستيناف في العتق كما في الصوم فدل ان الاعتاق متجزئ والله اعلم
ثم جعل الكفارة فيه ما ذكرنا ولم يجعل الكفارة فيه التوبة والاستغفار فقط لوجهين احدهما انه
لو جعل توبته به لكان لا يظهر ذلك وانه امر بينه وبين المرأة فلا يدرى انه تاب او لم يتب وربما تتهمه
التوبة بالقول وان لم يتب حقيقة بقلبه فتتهمه المرأة فجعل التوبة فيه امرا ظاهرا يعرف به توبته
دفعا للتهمة عنه وتسكينا لقلب المرأة والله اعلم والثاني ان الله جعل الاستمتاع في النكاح نعمة عظيمة
فتشبيهها بالمحرم الذي يتأبد حرمته امر فظيع فلم يجعل له الخروج منه بشيء لا يثقل عليه فيقدم
ثانيا وثالثا لخفة امره عليه بل جعل ما يتألم عليه ويشتد عليه زجرا له عن مثله في المستقبل ولهذا
كان في الزنا وغيره من الاجرام ثم لم يجعل ملك اليمين للاستمتاع خاصة وان ابيح لهم ذلك ولا جعل لهن
قبل السادات حق الاستمتاع فلم يصر تشبيههن بمن ذكر كفرانا نعمة عظيمة ولا ابطالا لحق لهن قبل مواليهن
لذلك افترقا والله اعلم وقيل ان الظهار كان طلاق قوم فابدل الى تحريم المتعة ولم يكن للاماء حظ
من الطلاق وهو الطلاق فلم يكن لهن من الذي صار وا ينقل اليه ولكن ان ثبت هذا كان طلاقا يوجب
حرمة لا يرتفع ابدا لا طلاقا يوجب حرمة يرتفع بالنكاح على ما تقدم ذكره والامة لم يكن لهن حظ
من هذا التحريم لعدم تصور ملك النكاح مع ملك اليمين فاما لهن حظ من الحرمة المؤبدة بالحرمية
فان كان تلك الحرمة هي الاصل وهن اصلها مع قيام ملك اليمين يكن اهلا لما ينتقل اليه من الحرمة
المؤقتة دل ان الطريق ما قلنا والله اعلم وفي الآية دلالة جواز تأخير البيان لان ذلك الرجل
لما ظاهر من امرأته اشتد بهم الحاجة الى المعرفة بما يجب فيه من الاحكام ثم تأخر نزول بيانه بعد

بعد ظلمهم

بعد ظلمهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان الحكم فدل ان البيان قد يجوز ان يتأخر
عن وقت قرع الخطاب السمع وهو اولى لان في الاولى قد ظهرت الحاجة واشتدت لوقوع النازلة
وفي نزول العام الذي اريد به الخصوص لا وكذلك على هذا ما نزل من احكام الايلاء والقاذف
زوجته بعد وقوع النازلة باوقات دليل على ما ذكرنا والله اعلم ثم جعل صيام شهرين بدلا عن العتق
في كفارة الظهار والقتل وكفارة الافطار في شهر رمضان وجعل في كفارة اليمين صوم ثلثة ايام
بدلا عن العتق وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك لتؤمنوا بالله
ورسوله ذكر صاحب التأويلات بان قوله ذلك اي ذلك امرتم ونهيتم لتؤمنوا ولكن عندنا تأويل قوله
ذلك لتؤمنوا بالله هو صلة قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية يقول اخبركم بما كان
ذلك منكم في السر واطلعكم على ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي لتصدقوا وتعلموا انه لا يخفى على الله من اعمالكم
شيء ومنهم من قال ذلك راجع الى قوله والله يسمع تحاوركما اي الفرج والمخرج عما امتحنتم به من الحرمة
وما اشتد عليكم لتؤمنوا بالله ورسوله لما فرج عنكم بالخروج بما ذكر والله اعلم ومنهم من قال
ذلك القول المنكر والزور الذي قلتم واعلمكم انه منكر وزور لتؤمنوا بالله ورسوله فيخرج ذلك
على الامر بالشكر له ما انعم عليهم وجعل لهم من الفرج والمخرج عما امتحنوا بها وهكذا العبادات
التي امروا بها امر والاحدى ثلاث خلال اما بحق الشكر بما انعم عليهم او للتسليم لامر الله والخضوع
او بحق الاستغفار والتكفير بما سبق من التفريط والتقصير والله اعلم وجائز ان يكون قوله تعالى
لتؤمنوا بالله ورسوله في كل وقت وكل ساعة اذ يلزم الناس احداث الايمان وتجديده لاحداث الرحمة
والعام التي تجددت والله اعلم وقوله عز وجل وتلك حدود الله قيل اي الذي افترضه الله عليكم
من الاحكام وقال الزجاج حدود الله اي موانع الله ونحوه ولذلك سمي الحاجب حدادا لانه يمنع
الناس منه وعندنا قوله تلك حدود الله اي زواجر الله ومواقفه على معنى انه يمنع هذا عن الدخول
في حد الاخر يمنع الباطل عن الدخول في حد الحق والاختلاط به وفي الآية دلالة خلق افعال العباد
لانه اضاف الحدود وهي الطاعات الى نفسه بقوله وتلك حدود الله وانها افعال العباد ولان افعال
العباد كلها مخلوقة لله تعالى وانما خص الطاعات بالاضافة الى نفسه مع ان جميع الافعال بخلقه اياها
تبجيلا وتعظيما لها كما قال تعالى وان المساجد لله اضافها الى نفسه تبجيلا وتعظيما لها وعلى هذا يخرج
تأويل من قال في قوله ان الساعة آتية اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهرها لكم انه اراد به الاضافة
تبجيلا وتعظيما لامر الساعة فكأنه يقول انا لم اظهر امر الساعة لذلك الخلق الذي هو بهذه المنزلة
فكيف اعلمها لكم اي لا افعل ذلك وقوله عز وجل وللكافرين عذاب اليم اي وللكافرين بالله وبحدوده
عذاب اليم في الآخرة لان عذاب الكفر انما يكون في الآخرة عذابا دائما لا انقضاء له ولا قوة الا بالله
وقوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله قال بعض اهل الادب المحاد هو الذي يجعل نفسه
في حد غير الحد الذي امر الله ورسوله وكذلك قوله يشاقون الله اي يكونون في شق غير الشق
الذي عليه رسول الله او كلام نحوه ومنهم من قال حاد ترعن طريقه اي عدلت عنه وبعضه
قريب من بعض واصله ما ذكرنا دون الله ورسوله اي يعادون الناس ويزجرونهم عن الطريق
لئلا يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم ويتبعوه وقوله عز وجل كبتوا كما كبت الذين من قبلهم قيل غلبوا
وردوا بغير حاجتهم كما قلب ورد الذين كانوا من قبلهم وقيل اهلكوا كما اهلك الذين من قبلهم
وقيل اخروا كما اخرى الذين كانوا من قبلهم وكله قريب بعضه من بعض ثم يخرج تأويله على وجهين
احدهما اي كبت هؤلاء الذين منعوا الناس عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كما كبت الذين

من قبلهم او كبت هولاء الذين ما نعوا الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة كما كبت الذين مانعوهم عنه بمكة لانه هذه السورة مدنية والله اعلم وقوله عز وجل وقد انزلنا ايات بينات اى بايات بينات حد وكاد الله في غير حدوده او ما يبين الحق من الباطل والرسول من غيره او المحاد من غير المحاد وقوله عز وجل وللكافرين عذاب مهين اى للكافرين كله عذاب يهينهم كما اهانوا المؤمنين وقوله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا اى الاولين والآخرين والمحادين والموافقين وقوله عز وجل فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه اى يبعثهم جميعا فينبئهم بما عملوا من خير او شر احصى الله ما عملوا وان طال ذلك او كثر ونسواهم تلك الاعمال خرج على هذا على الوعيد وفيه دلالة رسالته اذ اخبر ان الله تعالى يحصى ذلك عليهم وانهم نسوا فلم يتهيا لهم ان ينكروا عليه انهم لم ينسوا دل انه بالله علم ذلك وقوله عز وجل والله على كل شئ شهيد اى على كل شئ من الاحصاء والحفظ وغير ذلك شهيد وقوله عز وجل الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فان كان هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فيه دلالة رسالته ان اطلعه على ما اسروا فيما بينهم من المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وتناجوا بينهم من الكيد والخداع اطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليعلم انه بالله علم ذلك والثانى بشارة له بالنصر والمعونة وهو كقوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا اننى معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقول لكما وما يجيب وارى اذا قصد بكما وادفع عنكما ما قصد بكما فعلى ذلك ما ذكر له الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم فيطلعك على ما هموا بك واسروا فيك فينصرك ويدفع عنك كيدهم وجايز ان يكون الخطاب ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ولكن لكل فى نفسه فيصير كانه قال الم تر الى عجايب ما انشاء من السموات والارض قبل انشاء اهلهما فيهما فاذا رايت عجايب ما انشا من السموات والارض واهلهما وعلمت ذلك فاعلم انه بما يكون من نجويهم فيما ذكر عالم فيخرج على التنبيه والزجر عن الاسرار والنجوى ثم قوله رابعهم او سادسهم ومعهم ونحوه يجب ان ينظر الى المقدم من الكلام فيصرف قوله هو معهم الى ذلك نحو قوله ان الله مع الذين اتقوا وان الله لمع المحسنين ونحو يكون معهم فى التوفيق والمعونة لهم والنصر فعلى ذلك ما ذكر من قوله هو معهم فى النجوى وما اسروا فيما بينهم اى شاهد معهم حافظ عليهم يدفع عنكم كيدهم ومكرهم وينصركم والله اعلم وقوله عز وجل ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم اى ينبئهم بما يتناجوا واسروا من الكيد يوم القيامة وقوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ان الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه الاية وفيه دلالة اثبات الرسالة لانه اخبر انهم لما عادوا الى ما نهوا عنه وهو النجوى ومعلوم انهم لا يعودون الى ما نهوا عنه بحضرة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عند غيبة منهم دل انه بالله علم ثم اختلف فى سبب ذلك النجوى قال بعضهم انه كان بين اليهود وبين النبى صلى الله عليه وسلم موادعة فاذا رجلا من المسلمين وحده يتناجون بقتله بينهم يظن المسلم انهم يتناجون بقتله او بما يكره فيترك الطريق من المخافة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا الى النجوى فنزل لما ذكر ومنهم من قال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قام اناس من اليهود واناس من المنافقين يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون نحو واحد منهم فاذا راهم ينظرون نحوه قال ما اظن هولاء الا قد بلغهم خبر اقربائى الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السرايا من قتل او موت فيقع فى قلبه من ذلك ما يحزنه فلا يزال كذلك حتى يقدم حميمه من تلك السرية لكن الاولى عندنا السكوت من ذكر هذا وامثاله لانه خرج مخرج الاحتجاج

وجعله آية عليهم فيجوز ان يكون على خلاف ما ذكر فيوجب الكذب فى الخبر فالامساك عنه احق وقوله عز وجل واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ذكر انهم كانوا اذا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون السام عليك يا محمد فيجيبهم النبى عليه السلام ويرد عليهم ويقول عليكم ففيه دلالة رسالته لانهم حيوه سرا منه فاطلعه الله تعالى على ما اسروه وكذبهم ما قال ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله اى هلا يعذبنا الله بما نقول فى السر فيه دلالة الرسالة لانه معلوم انهم قالوا ذلك سرا فى انفسهم فاطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ما فى انفسهم ففيه انه بالله تعالى عرف ذلك ثم قوله عز وجل خبرا عنهم لولا يعذبنا الله بما نقول جايز ان يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وعيد بالتعذيب لاجل التناجى الذى منهم فلما تاخر ذلك عنهم قالوا عند ذلك انه لو كان رسولا على ما يقوله لعذبنا الله على ما قال ووعد لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان وعدهم العذاب لم يبين متى يعذبون فعذابهم ما ذكر حيث قال حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير والله اعلم ويحتمل ان يكون قولهم لولا يعذبنا الله بما نقول انما قالوا ذلك عند رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم تحيته حين قال وعليكم يقولون انه دعا علينا بقوله وعليكم فان كان رسولا لاجيب دعاؤه الذى دعا علينا لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدع عليهم انما رد قولهم عليهم ردا والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى ان اهل التاويل صرفوا الآية الى المنافقين وعندنا يحتمل صرف النهى الى المؤمنين عن التناجى بمثل ما تناجوا اولئك اى لا تتناجوا انتم يا اهل الايمان فيهم بالاثم والعدوان كما تناجوا فيكم يقول لا تجازوهم بالذى فعلوا هم بكم ولكن تناجوا فيهم بالبر والتقوى وهو كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا نهى المؤمنين ان يجازوهم جزاء الاعتداء الذى كان منهم من صدهم عن المسجد الحرام بل امرهم على البر والتقوى حيث قال وتعاونوا على البر والتقوى فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم وجايز ان يكون فى المؤمنين حقيقة على الابتداء ابتداء نهى منه لهم يقول اذا تناجيتم فلا تتناجوا فيما يؤثمكم ويحملكم على العدوان على المجاوزة عن الحد ومعصية الرسول فيما يامركم وينهاكم وتناجوا بالبر والتقوى البر يحتمل كل انواع الخير واما التقوى فهو كل ما يتقون به انفسهم من النار وقد تقدم ذكره وقوله عز وجل واتقوا الله الذى اليه تحشرون جايز ان يكون هذا الخطاب لهم اعنى المؤمنين والكافرين الذين يقرون بالحشر لان اهل الكتاب وبعض المشركين يقرون بالبعث وبعض المشركين ينكرون مع الدهرية وقوله عز وجل انما النجوى من الشيطان اى النجوى الذى كانوا يتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ليس كل نجوى على ظاهر ما يخرج الخطاب عاما ولكن يرجع الى النجوى الذى ذكرنا وهو الذى نهوا عنه ثم قوله انما النجوى من الشيطان جايز ان يكون معناه ان ابتداء النجوى فى الشر من الشيطان وهو ما ذكر فى بعض القصة ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام قال ابليس للملايكة ارايتم ان فضل هو عليكم ما تصنعون فاجابوه بما اجابوا فقال هو ان فضلت عليه لاهلكنه وان فضل هو على لاعادينه فقد ناجاهم فى امر ادم عليه السلام بالشر فكان اول النجوى فى الشر من الشيطان وقوله عز وجل ليحزن الذين آمنوا لولا ان الشيطان فى حال الحزن يكون املك على فسادهم واخراجهم من امر الله تعالى وادخالهم فى نهيه والا لم يكن لقوله انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا معنى فدل انه لعنه الله فى حال الحزن والغضب املك واقدر من حال السرور والسعة لكنه بما يدعوه الى اللذات ويمنيه اشياء كان قصده فى ذلك

ان يوقعه في الضيق والشدة لما هو عليه اقدر في تلك الحال ولذلك قال لادم وحوا عليهما السلام
هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى تلقاهم بالغرور وبالذي ذكر ومناهم ما ذكر وكان قصده
من ذلك ابدا عورتهما وايقاعهما في الضيق والبلاء حيث قال فاكلا منها فبدت لهما سواتهما الاية
مكن الله تعالى ابليس من البشر بالذي ذكرنا ولم يمكن له من افساد الطعام واللباس والاشربة ونحو ذلك
وهو ادون الاول وذلك اكثر لكن هذا في الضرر الدنياوي اكثر فلم يمكنه من افساد هذه الاشياء تفضلا
منه واحسانا عليهم والله اعلم وقوله عز وجل وليس بضارهم شيئا الا باذن الله اي ليسوا بضاريهم
فيما يتناجون من الكيد بهم والمكر والله اعلم ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي في دفع من قصدهم
من الكيد بهم والمكر والهلاك وعليه يتوكلون في النصر لهم والمعونة على اعدائهم والتوفيق لهم في كل خير
وكل هذا وصف المؤمنين واما المعتزلة فهم بمعزل عن هذه الاية ولذلك المؤمنون على قولهم
غير متوكلين على الله لانهم يقولون ان الله تعالى قد اعطى كلا من النصر والمعونة ما ينتصر على اعدائه وينتقم
منهم حتى لا يبقى عنده مزيد ما ينصرهم ويعينهم على شيء فعلى قولهم لا يقع للمؤمن في التوكل على الله تعالى
في شيء لانه ليس عنده ما ينصرهم ومالا يعينهم فعلى ماذا يتوكلون عليه على قولهم اذ لم يملك ما ذكرنا
ومن قولهم ان على الله تعالى ان يعطي من المعونة والتوفيق حتى لا يبقى عنده مزيد حتى لو منع شيئا من ذلك
لم يعطهم يكون جائرا ثم اذا اعطاهم ما ذكروا لا يهتدون ولا ينتصرون والله تعالى قال ان ينصركم الله
فلا غالب لكم وقال ومن يهد الله فهو المهتدي فدل ان ما قالوا مخالف للكتاب ثم اختلف في اشتقاق
النجوى منهم من قال هو من النجوة وهو المكان العالي المرتفع وذلك انهم كانوا يقومون في مكان مرتفع
فيتحدثون فيه لسير وامن قصدهم فيتفرقوا وكلام هذا معناه ومنهم من قال التناجي التخالي
بما ذكروا فيكون معنى قوله اذا تناجيتم اذا تخاليتم فلا تتخالوا بما ذكر وقال القتبي التناجي من التساور
والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم الاية
يخرج على وجهين احدهما واذا قيل لكم تفسحوا اي واذا قيل لكم تاخروا في المجلس فتاخروا واذا قيل لكم
انشزوا فانشزوا اي ارتفعوا وتقدموا فيكون قوله تفسحوا اذا كان الحضور دون الذين همتهم السماع
والعمل به دون الحفظ والتفقه فيه فقيل لهم تاخروا حتى يقرب من يصير اماما للناس وفقيها لهم
واذا كان الحضور هم الذين همتهم التفقه وهم الايمة ثم جاء بعد ذلك من كان همتهم السماع والعمل به
قيل للذين تقدموا اولا ارتفعوا او تقدموا حتى يسمع من حضر بعدكم قول النبي صلى الله عليه وسلم
والله اعلم والثاني انه اذا كان في المجلس ذي سعة وفسحة ما يمكن تمكين غيره بالتحرك والتفسح
دون القيام يقال لهم تفسحوا واذا لم يمكن ذلك الا بالقيام قيل لهم قوموا وارتفعوا وتقدموا وقوله
يفسح الله لكم يحتمل وجوها احدها يفسح الله لكم في القبور في الاخرة في الجنة او يفسح الله لكم في المجلس
وهو فسحة القلب وتوسعه للعلم والحكمة والله اعلم وقال الحسن اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس اي القتال
والحروب واذا قيل انشزوا فانشزوا اي اذا قيل انهضوا الى العدو فانهضوا وقال قتادة اي اذا دعيتم
الى خير او صلوة فاجيبوا وقال غيره الى كل خير من قتال عدو او امر بمعروف او نهي عن منكر او حق
كائنا ما كان والله اعلم وقوله عز وجل يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
اخبر انه يرفع الله الذين امنوا واخبر انه يرفع الله الذين اوتوا العلم من المؤمنين على الذين
لم يوتوا العلم درجات لفضل العلم على ساير العبادات من الجهاد وغيره الا ترى انه قال
في اية الجهاد فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة جعل للمجاهدين على القاعدين فضل
درجة وللذين اوتوا العلم على الذين لم يوتوا درجات ليعلم فضيلة العلم على غيره وكذلك قوله تعالى

اقوال المعتزلة

فضل العلم

فلولا نفر

فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم قال بعضهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبس قوما عند نفسه ليتفقهوا في الدين ويبعث قوما سرايا حتى اذا رجع
الذين تفقهوا في الدين وتعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان التاويل هذا ففيه دلالة فضيلة
العلم على الجهاد حتى احوج اولئك اليهم وقال بعضهم كان ينفر من كل قوم طايفة ليتفقهوا في الدين فاذا رجعوا
الى قومهم انذروا قومهم وقال قتادة ان بالعلم لاهله فضيلة وان له على اهله حقا ولعمري للحق عليك
ايها العالم افضل والله يعطي كل ذي فضل فضله وقال قتادة في قوله تعالى واذا قيل لكم تفسحوا انهم كانوا
اذا راوا احدا لهم مقبلا يضنون بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى ان يفسح
بعضهم لبعض وقيل ان هذا نزل في قبل نفر من الانصار ممن شهد بدرا فسلموا على نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن حوله فردوا السلام وضنوا بمجلسهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يوسعوا لهم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا فلان ويا فلان لنفر منهم من الذين لم يشهدوا بدرا فقيل في ذلك
المنافقون فنزلت هذه الاية والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة يشبه ان يكون ما ذكر من مناجاة الرسول عليه السلام على وجوه
والناس في مناجاته طبقات احدهم يناجيه مسترشدا في امر الدين وما تنزل به من النوازل والاخر
يناجيه افتخارا به على غيره من الناس ومباهاة منه ليعلم ان له خصوصية عند رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وفضلا له عنده وهو صنيع المنافقين والفريق الثالث يناجونه ليسمعوا الناس
الكذب ويسمعونهم غير الذي سمعوا كقوله تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين وهم اليهود
وصنيعهم ما ذكر فجايز ان يخرج المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي ذكرنا
ثم ما ذكر من تقديم الصدقة على المناجاة يخرج على وجوه احدها امر بتقديم الصدقة لعظم قدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم والخصوصية له يطهر بتلك الصدقة ويصير اهلا لمناجاته وهو كالطهارة التي
جعلها سببا للوصول الى مناجاة الرب سبحانه وتعالى والثاني لما خصهم بمناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم
وجعلهم اهلا لها امرهم بتقديم الصدقة شكرا له منه بذلك والثالث جايز ان يكون امرهم بتقديم الصدقة
امتحانا منه اياهم ليظهر حقيقة امرهم وهو ما جعل الامر بالجهاد سببا لظهور نفاقهم وارتيابهم في الامر
فكذلك الاول والله اعلم وجايز ان يكون الامر بالصدقة لاهل المناجاة على الذين كانت لهم حوايج
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمنعوه عن قضاء حاجاتهم بالاشتغال بالمناجاة وامرهم بالصدقة
لاولئك تطييبا لقلوبهم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك خير لكم واطهر اي ان تقديم الصدقة اطهر
لقلوبكم من ترك الصدقة وقوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم جايز ان يكون هذا الامر لاهل الغنا
دون الفقر حتى قال فان لم تجدوا ما تتصدقون به فان الله غفور رحيم وقوله عز وجل ااشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات قال عامة اهل التاويل اي بخلتم بها يا اهل الميسرة ان تقدموا
بين يدي نجواكم صدقات وقوله عز وجل فان لم تجدوا وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم اذ لم تفعلوا
فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي اذا لم تتصدقوا تلك الصدقة فاتوا زكوة اموالكم قال اهل التاويل نسخ
ما امروا به من الصدقة عند المناجاة بما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وقوله عز وجل واطيعوا الله
ورسوله والله خبير بما تعملون هذا وعيد ثم في قوله اذا ناجيتم الرسول دلالة قبول خبر الواحد
لانه يناجيه وحده ولا يعلم به غيره ذل انه يقبل اذا اخبر به غيره وفيه ان لا كل مناجاة يكون من الشيطان
لان النبي صلى الله عليه وسلم ناجى من ذكر فدل ان قوله انما النجوى من الشيطان مصروف الى ما سبق
ذكره وفيه ان لا يفهم من ذكر اليد الجارحة لا محالة فانه قال بين يدي نجواكم وليس للنجوى يد ولا بين

ذكر لا يفهم من اليد الجارحة

وكذلك قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولم يشكل على احد انه لم يرد الجارحة ههنا فكيف لهم
فيما اضيف الى الله تعالى في قوله بل يداه مبسوطتان وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة
تقع في يد الرحمن الجارحة لولا فساد اعتقادهم في الله تعالى وتشبيههم اياه بالخلق وقال قتادة اكثروا
النجوى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعهم الله تعالى عنه فقال اذا ناجيتم فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة الآية وعن علي رضي الله عنه انه قال انا اول من عمل بها تصدقت بكذا ثم نزلت الرخصة وقوله
عز وجل الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم يذكر سفه المنافقين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لتوليهم قوما غضب الله عليهم على ما علم منهم ان الله تعالى قد غضب عليهم لكنهم
تولوهم طمعا منهم في اموالهم وفيما كان عندهم من السعة وفضل الدنيا ثم اخبر انهم ليسوا منكم
اي ليسوا على دينكم ولا انتم منهم اي على دينهم اي اولئك اليهود لكنهم يتولون طمعا فيما عندهم من فضل
الدنيا ويحلفون على الكذب وهم يعلمون كانه قيل لهم لم توليتم قوما غضب الله عليهم فحلفوا انهم لم يتولوهم
فاخبر انهم كاذبون في حلفهم وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم تولوا اليهود سرا
من المؤمنين وحلفوا كذبا فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوليهم وكذبهم في الحلف
دل انه عليه الصلوة والسلام عرف ذلك بالوحي ثم اخبر ما اعد لهم في الآخرة بتوليهم اولئك وحلفهم
بالكذب فقال اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اي قد ساؤا الى انفسهم بعملهم
الذي عملوا في الدنيا وقوله عز وجل اتخذوا ايمانهم جنة اي حلفهم الذي حلفوا انهم لم يتولوا اولئك
اليهود جنة فصدوا عن سبيل الله يحتمل صدوا انفسهم عن سبيل الله وصدوا الناس عن سبيله بما ذكر
فلهم عذاب مهين اي يهانون في ذلك العذاب وقوله عز وجل لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا يحتمل ان اموالهم التي لاجلها تولوا اليهود وعاندوا المؤمنين لا تغنيهم تلك الاموال من عذابه
شيئا اذا نزل بهم ثم اخبر عن شدة سفههم انهم يحلفون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا بقوله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم فيه ان الآية لا يضطر احدا الى الايمان به والتوحيد لانه
لا آية اعظم من قيام الساعة ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب والكفر به ولا اضطرهم الى الايمان به وكذلك
قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين في الدنيا فاذا كان ما ذكرنا تأويل قوله
ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله انهم يؤمنون اذا شاء الله ولا يؤمنون
وان نزلنا عليهم الآيات التي ذكر ولا آية اعظم مما ذكر من انزال الملائكة واحياء الموتى وتكليمهم انهم
على الباطل وان الحق هو الذي دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه دل هذا كله ان الآية لا يضطر
اهلها على الايمان والله اعلم وقوله استحوذ عليهم الشيطان قال ابن عباس رضي الله عنه استحوذ اي غلب عليهم
الشيطان وقال مقاتل اي احاط بهم وقال الزجاج والقتبي اي استولى عليهم وذلك كله يرجع
الى معنى واحد وفيه ان الشيطان قد سلط عليهم حتى غلب عليهم باجابتهم بما دعاهم اليه في معاداة
الله ورسوله والمؤمنين ولكن سلطانه على ما ذكر وهو قوله انما سلطانه على الذين يتولونه فعليهم اذا عملوا
بما اراد واجابوه الى ما دعا وقوله فانساهم ذكر الله يحتمل اي انساهم عظمة الله او نعم الله واحسانه
او شكر نعمه وقوله عز وجل اولئك حزب الشيطان الحزب هو جمع الفرق تحزبوا اي تفرقوا تحزب به
هو جنده كما قال اهل التأويل لانهم يصيرون فرقا ثم يجتمعون فيكونون جندا له وجند الرجل هم الذين
يستعملهم فيما شاء من القتال وغيره ويصدرون لرايه فقال ذلك اولئك الكفرة هم جنده وقوله
عز وجل الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانه مناهم في الدنيا امورا واملهم تاميلا

مطلب مما يحفظ
الآية لا تضطر احدا للايمان

يفهم من هذا ان من آمن بعد ما رأى ما استثناه الاخرة يؤمن من اختيار لكن لا يقبل منه لعدم كونه ايمانا بالغيب او في دار التكليف تحرير ما بيناه [illegible]

الآية لا تضطر احدا على الايمان بل بمشيئة الله تعالى

مطلب تعريف لازم
جند الرجل

فيما اتبعوه فلم يصلوا الى شيء من ذلك وفي الآخرة بقولهم لا بعث ولا جنة ولا نار ولهم فيها
عذاب الخسر والنار جميعا وقوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين قيل
في الاسفلين وقيل في الهزيمة وقيل في الآخرين وقيل هو في الآخرة كقوله تعالى والذين
اتقوا فوقهم يوم القيامة واما في الدنيا فربما يكونون هم الغالبين ومنهم من يقول ذلك
في الدارين جميعا هم الاذلاء والله اعلم وقوله عز وجل كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضى الله
لاغلبن ثم قال بعضهم ليغلبن محمد صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين وفعل ذلك وجائز ان يكون المراد منه جملة رسله كقوله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى
انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ثم الغلبة قد تكون من وجهين احدهما بالحجج والبراهين وما من رسول
الا وقد غلب على خصمائه بالحجة والثاني بالقتال والحرب وكانت العاقبة للرسل عليهم السلام
لما لم يذكر انه قتل رسول الله والله اعلم واضافة الغلبة الى نفسه على ارادة الرسل واوليائه
على ما ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل ان الله قوي عزيز قوي بذاته لا انه يكون قوته من دونه
وكذلك كل من دونه بتكوينه او يكون فيه بشارة لاوليائه انه قوي عزيز بذاته انه ينصرهم له
على اعدائهم ويقهرهم وقوله عز وجل لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله الآية قال عامة اهل التأويل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة لانه كان كتب
الى اهل مكة ان رسول الله يقصد اليكم فخذوا حذركم وكان له بمكة اهل فاراد ان يكون له
عندهم يد فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حملك على هذا فقال ما ذكرنا
فنزلت الآية فان كان نزولها فيه على ما ذكروا ففيه براءته من وجهين احدهما انه لم يرجع
عن الايمان والتصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لا يعود الى مثله بعد ذلك ابدا
والثاني انه لم يقصد بصنيعه موادتهم ولكن قصد القاء المودة اليهم ليقع عندهم انه وادهم وهو
في الحقيقة يلقي المودة وقد يكون ذلك كقوله تعالى يلقون اليهم بالمودة والله اعلم وان كانت الآية
في غير حاطب فهي في المؤمنين الذين حققوا الايمان بالله تعالى وثبتوا عليه لان اهل الايمان
كانوا اصنافا ثلاثة صنف منهم محققون الايمان مظهرون القتال مع اعدائهم وصنف منهم
لا يقدرون على اظهار ذلك والمناصبة معهم ولكن يتبعون الاقوياء منهم والصنف الثالث
مترددون الكفرة في السر ويظهرون الموافقة للمؤمنين فجائز ان يكون قوله تعالى لا تجد قوما
يؤمنون بالله اي الذين يحققون الايمان بالله تعالى واليوم الآخر يوادون من حاد الله ولكن انما يوادهم
من لم يحقق الايمان فيكون فيه اخبار من اثبات الايمان في قلوبهم كقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم
الايمان اي اثبت في قلوبهم الايمان فلا يرجعون عنه وفيه ان الايمان موضعه القلب وفي حرف
ابن مسعود رضي الله عنه ما كان لقوم يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يوادوا من حاد الله
وقوله عز وجل وايدهم بروح منه قيل ايدهم بنور الايمان الذي اثبت في قلوبهم واخبر
عز وجل انه اثبت المؤمنين على الايمان فقال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وقال
كلمة طيبة كشجرة طيبة وقيل وايدهم بروح منه اي برحمة ثم وصف حالهم وثوابهم في الآخرة
فقال وندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك
حزب الله اي جند الله على ما ذكرنا انهم يأتمرون بامره ويقاتلون اعداءه ويوالون اولياءه
فهم جند الله وقوله عز وجل الا ان حزب الله هم المفلحون قيل هم الناجون وقيل الباقون في نعم الله تعالى والله اعلم

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم قد سبق تاويل التسبيح
وبيان وجهه وقوله وهو العزيز الحكيم العزيز هو الغالب القاهر وقيل هو العزيز حيث جعل في كل شيء
من خلقه اثر الذل والحاجة وقوله الحكيم له معنيين معنى الاحكام ومعنى الحكمة فاما معنى الاحكام فهو
انه احكم الاشياء على اختلافها وتضادها حيث يشهد له بالوحدانية وحكيم حيث وضع الاشياء مواضعها
وخلق الاشياء مواضع ثم الاصول التي يتولد منها هذه الاشياء والافعال ثلثة الكفايات والطبايع والعقول
اما الكفايات فهي النطفة انها بحيث يصلح ان يكون منها البشر اذا اتصلت بها موادها وهي الماء انه جعله
بحيث يجيء به كل شيء وبحيث يصلح به كل شيء والطبايع حيث خلق في البشر وهي ما يميلون بها الى المحاسن
والمنافع ويحذرون من المساوي والمضار والعقول ليدركوا به العواقب ثم انه علمهم الوجوه التي يتولد
من هذه الاشياء فهو حكيم حيث خلق الاصول التي وصفنا وعلم عباده الاسباب التي بها يولدون
والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر
هم بنو قريظة وقال غيره من المفسرين هم بنو النضير وهو اقرب ثم المعنى في اضافة الاخراج
اليه يخرج على وجهين احدهما انه اضطرهم الى الخروج فنسب الاخراج اليه كما قال الله عز وجل اذ اخرجه
الذين كفروا الآية والثاني انه خلق الخروج من ديارهم منهم فاضيف اليه بحكم الخلق ثم الاصل في اضافة
الفعل الى الله تعالى انه يجوز ان يضاف اليه على التحقيق وعلى التسبيب واما الخلق فيما يضاف الفعل
اليهم على جهة التسبيب لا على التمكين والله اعلم وقوله عز وجل لاول الحشر اختلفوا فيه قال بعضهم
اول الحشر الجلاء الى الشام والحشر الثاني حشر القيامة وقال بعضهم اول الحشر هو حشر اهل الكتاب
وجلاؤهم من جزيرة العرب والحشر الثاني حين اجلاهم عمر رضي الله عنه الى الشام وقوله عز وجل
ما ظننتم ان يخرجوا اي ما ظننتم ايها المؤمنون ان تنتصروا منهم فتضطروهم الى ان يخرجوا من ديارهم ولكن
ذلك من لطف الله ومنته عليكم وقوله عز وجل وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله ولا يحتمل ان يتوهم
احد هذا والمعنى في ذلك عندنا وجهان والله اعلم احدهما انهم ظنوا ان الله تعالى حيث اتاهم
القوة والحصون لا يبلغ بهم حكمه المبلغ الذي يخرجون من ديارهم لانهم كانوا اهل كتاب وكانوا يزعمون
انهم اولى بالله من غيرهم كقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ويكون قوله من الله اي بالله وبامره كقوله تعالى
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اي بامر الله فعلى ذلك الاول والثاني اي ظنوا
ان حصونهم وقوتهم يمنعهم من اولياء الله ان يظهروا عليهم او من دين الله ان يظهر فيهم والله اعلم
وقوله عز وجل واتاهم الله من حيث لم يحتسبوا يعني انه قذف في قلوبهم الرعب من حيث لم يحتسب المؤمن
ولا الكافر لان المسلمين لم يظنوا ان يقهروهم ويغلبوهم مع قلة عددهم وكثرة عددا ولئك
وكذا لم يحتسب الكفرة انهم مع قوتهم وقوة حصونهم يقهرون ويغلبون حتى من الله تعالى على المؤمنين
بان قذف الرعب في قلوب الكفرة وذلك لطف عظيم من الله تعالى الى المؤمنين والله اعلم ثم الاصل
فيما خرج هذا المخرج من نحو قوله عز وجل فاتى الله بنيانهم من القواعد ومن نحو قوله تعالى وجاء ربك
والملك صفا صفا ومن نحو قوله عز وجل الا ان ياتيهم في ظلل من الغمام وما يشاكله ان يجعله على احدى
معاني ثلاث احدها ان يقول المراد باتيان آثار فعل الله تعالى ويجوز ان يضاف اليه سبيل اضافة
حقيقة الفعل كما يقال الصلوة امر الله ونحن نعلم انها ليست بعين امره لكنها اثر امر الله تعالى وكذلك

مطلب
اصل اضافة الفعل الى الله
سبحانه وتعالى ثناه الله

يقال المطر رحمة الله تعالى يعني اثر رحمته فكذلك اذا نزل بهم اثار حكم الله تعالى وتدبيره وفعله
وهو العذاب جاز ان يضاف اليه اضافة حقيقة الفعل والله اعلم والثاني ان يقال بان ما كان
من هذه الافعال موصولا بصلة فانه يجوز ان يراد منه تلك الصلة وانما تكلم باضافة هذا الفعل
اليه مجازا على ما اعتاده الناس من افعالهم اذا ارادوها ان ياتوها بانفسهم وشرح ذلك وبيانه
انه قال فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم فكان المقصود من هذا تلك الصلة
وهو قوله عز وجل فخر عليهم السقف من فوقهم وكذلك قوله تعالى فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقذف في قلوبهم الرعب فالمقصود قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك ما اشبهه من نحو
عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا ومن نحو قوله تعالى ثم استوى الى السماء اي استوى تدبيره وحيث
وصل منافع الارض بمنافع السماء وكذلك ما اشبه هذا والله اعلم والثالث يقول بان هذه اسماء
مشتركة المعنى وما كان سبيله هذا السبيل جاز ان يضاف الى الله تعالى على معنى ليس يقع فيه
الاشتراك بالمخلوقين الا ترى انه يقال جاء الليل وذهب النهار ويحمل ذلك على معنى الظهور
ونحوه وقوله عز وجل يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين هذا يدل على ان الملك للمسلمين
في اموال اهل الحرب ليس يقع بحق الغلبة ما لم يكن ثم اسر لانه اخبر ان المؤمنين كانوا يخربون
بيوتهم اضاف الملك الى الكفرة مع ان الغلبة للمسلمين فدل ذلك على ما وصفنا والله اعلم وقوله
عز وجل فاعتبروا يا اولي الابصار يحتمل تاويلين احدهما انه صرف الى المسلمين اي اعتبروا
يا اولي الابصار من المسلمين فانكم اذا اعتبرتم علمتم ان الله تعالى من عليكم حيث اخرج الكفار من ديارهم
فانه لم يكن ذلك بقوتكم ويحتمل ان يكون المعنى فيه فاعتبروا يا اولي الابصار من اهل الكفر فان ذلك
يدلكم ويعرفكم ان اتفاقكم على النصرة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يغنيكم كما لم يغن هؤلاء الذين
خرجوا الى مكة واتفقوا مع المشركين ثم يغنهم والله اعلم وقوله عز وجل ولولا ان كتب الله عليهم
الجلاء لعذبهم في الدنيا يعني لولا ان كتب الله عليهم الجلاء في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا
بالقتل وقوله ولهم في الآخرة عذاب النار قال هذا في قوم علم انهم يموتون على الكفر وما روي
ان احدا منهم مات على الاسلام فيكون فيه دلالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبر ذلك
بالوحي والتنزيل لانه تلقاه نفسه والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله
يحتمل وجها ثلاثة احدها ان يقول ذلك يعني ذلك العذاب في الآخرة بسبب انهم شاقوا الله
ورسوله ثم المشاقة والمعاداة والمحادة والمضادة بمنزلة واحدة وذلك كله بمعنى المعاداة وقوله
ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب يحتمل ان يكون على التقديم والتاخير ووجهه انه يقول
ان الله شديد العقاب لمن يشاق الله ورسوله او يكون فيه اضمار كانه يقول ان عقوبته لمن يشاق الله
ورسوله شديدة وقوله عز وجل ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وما ذكر
ان اليهود نادوا المسلمين انكم تزعمون ان الله لا يحب الفساد وانتم تفسدون بقطع النخيل لا يحتمل
هذا قال تعالى قبل هذا يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاذا كانت انفسهم تسخو بتخريب
البيوت فما بالها لا تسخو بقطع الاشجار ومعلوم انه لا يؤمل في البيوت منفعة بعد تخريبها وقد يؤمل
في النخيل منافع بعد قطعها ولكن ان كان يصح ذلك الخبر فتاويله عندنا انه يجوز ان يكون المسلمون
خوفوهم بالقتل فقالوا على اثر ذلك انكم اذا قتلتمونا صارت هذه النخيل ملكا لكم فكيف تفسدون
املاككم ثم في اذن الله بقطع النخيل وجها من التاويل احدها ان يكون فيه بيان ان مقاتلة المسلمين
اياهم لم يكن لرغبة في اموالهم بل ليستسلموا لله ولرسوله ويخضعوا الدينة والوجه الثاني

ان حرمة هذه الاموال انما هي لحرمة اربابها فاذا سقطت حرمة اربابها وابيح قتلهم واتلافهم
فما ظنك باموالهم والوجه الثالث ان الله عز وجل كتب عليهم الجلاء ومعلوم ان نفسهم بالجلاء
اذا خربت بيوتهم وقطعت اشجارهم اسخى منه اذا بقيت ليقطع طمع من اجلى عن المقام فاذن الله تعالى في قطع
النخيل اتماما لما كتب عليهم من الجلاء والله اعلم والرابع ان هولاء كانوا ايمة اليهود والتحريف
والتبديل للتوراة انما وقع منهم رغبة في الدنيا وسعتها فاذن الله تعالى في قطع النخيل عقوبة لهم
وحق تمام الوجه الذي وقع له التبديل منهم والله اعلم وقوله فباذن الله ان كان المراد منها العلم
فوجهه ان الله تعالى علم منهم ذلك ولو كان فسادا فيه لنهاهم عن ذلك وان كان المراد منه الامر فهو
ان الله تعالى امر بالقطع والترك جميعا وان كان المراد منه المشية فهو ان الله تعالى قد شاء الامرين
جميعا والله اعلم واللينة اللون من النخيل كما يقول توت وقيته وقوله عز وجل ليخزي الفاسقين اي يكون
كبتا وغيظا للفاسقين والله اعلم وقوله عز وجل وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه
من خيل ولا ركاب . قال حق هذه الاية ان يكون موخرة وان يكون قوله عز وجل ما افاء الله على رسوله
من اهل القرى متقدمة لوجهين احدهما انه ذكر فيه الواو والواو لا يبتدا بها الا في القسم والثاني
ان قوله وما افاء الله على رسوله منهم حرف كناية والكناية لا بد لها من معرفة يعطف عليها فيرجع اليها
فلذلك قلنا ان حقها التاخير وحق الثانية التقديم وعلى ذلك قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
واذا كان كذلك فوجهه ان الذي وجب صرفه الى الاصناف التي ذكرنا انما هو الخمس واوجبها هنا من كل
الغنيمة فابان بقوله وما افاء الله على رسوله منهم انه انما يصرف هذه الاربعة الاخماس الى النبي صلى الله
عليه وسلم دونهم لهذا المعنى انهم لم يوجفوا عليه من خيل ولا ركاب اشار الى ان استحقاقهم الاربعة الاخماس
بسبب ايجاف الخيل والركاب والله اعلم وان كانت القراءة على ما يتلى الحال ليس على التقديم والتاخير
فانه يحتمل ان يكون قوله وما افاء الله على رسوله منهم صلة قوله يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين
وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب واذا كان بناء على ذلك استقام ان يذكر
بحرف الواو وحرف الكناية قال رضي الله عنه ان المنافقين واهل الضعف من المؤمنين الذين آمنوا
بالتقليد يطعنون في هذا الموضع انه كيف خص هذه الغنيمة قرابته والمهاجرين الذين هاجروا اليه
وكيف آثرها نفسه والجواب عن هذا ان هولاء الاصناف قوم عامة المسلمين يحمل مؤنتهم لولا هذه الغنيمة
ومعلوم ان انفس المؤمنين يبذل ما عليهم من ملك الامامة اسخى منه لو صرف الى كل واحد منهم على الاشارة
اليه من ملكه الخاص وعلى هذه العبادة يجري مسايل لنا احديها ما روي عن عمر رضي الله عنه انه جعل العقل
على اهل الديوان لان ذلك يخرج مخرج المعونة ومعلوم ان المعونة على عامتهم فيدل ما رجع منه الحق
الى ملك العامة اسهل عليهم لو صرف الى خاصتهم وكذلك قوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم
فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ومعلوم ان منع تلك الزوجة عن ان يذهب الى دار الحرب
بشيء من مال زوجها كان واجبا على العامة وكذلك المسلمون اذا اصابوا غنيمة وفيها مال لمسلم قد غلب
عليها المشركون انه ما دام الملك للعامة ولم يقتسم يرد عليه من غير بدل واذا اقتسموا واختص كل واحد
بملكه لم ياخذه الا ببدل فكذلك الاول والله اعلم قال الفقيه رحمه الله والذي يجب من جهة العرف
والشريعة ان يكون تحمل مؤنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على امته اما من جهة العرف فهو انه من عمل
لغيره كان مؤنته على ذلك المعمول له وكذلك من جهة الشريعة ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقوم بامور امته في امور دنياهم وآخرتهم واذا كان الامر على ما ذكرنا كان اولى ما يجعل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هو مال العامة وذلك هو الفيء هذا لو اختصه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه

في الواو

فكيف

فكيف وقد قسمه بين الفقراء واهل الحاجة ولم يوقده لنفسه ووجه آخر هذا ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال احلت لي الغنايم ولم يحل لاحد قبلي وقال نصرت بالرعب مسيرة
شهرين فلو اختص ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه لما ذله بما قال ولكن الله جعل الفيء له
بين من كان تحمل مؤنتهم على المسلمين لولا هذا الفيء كي يكون المنة له على امته ولان لا يكون لاحد من امته
عنده عليه الصلوة والسلام يد ولا صنيعة والله اعلم ووجه آخر انه لم يوذن لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في كسب شيء من الدنيا وفضولها حتى يصطنع من فضولها بالمعروف فجعل الله له الفيء
ليكتسب به الفضل والمعروف والله اعلم وفي قوله نصرت بالرعب مسيرة شهرين دلالة ان ما افاء الله
على رسوله واعطاه فهو له خاصة يصنع به ما شاء ويفرق فيمن شاء والقول عند اصحابنا في الامام
اذا اعطاه اهل الحرب شيئا ان يشترك فيه قومه لان هبة الايمة انما هي لقومهم وكانت هبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما نصر بالرعب فجاز ان يختص لنفسه والله اعلم ثم قوله وما افاء الله على رسوله
من اهل القرى يعني ما رد الله على رسوله من ملك الكفرة او ما اعطى الله رسوله من ملك الكفرة وقوله
من اهل القرى يجوز ان يكون قرى قد اعطوه او يكون هذه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في فتح القرى وقوله عز وجل ولذي القربى يجوز ان يقال ان الظاهر من هذه الاية ان يكون المراد
منها قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى فقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يدخل في هذه الاية بالتاويل وذلك
ان المفهوم من ذكر القرابة انما هو قرابة المخاطبين في الاية ومعلوم ان الخطاب في القسمة انما هو
للغنيمين وفي قوله عز وجل ما افاء الله على رسوله انما يفهم منه قرابة الرسول عليه السلام واما سهم
ذوي القربى فان اصحابنا يسلكون في ذلك مذهبين منهم من يقول ان هذا الحق في الاصل للمحتاجين
من القرابة لوجهين احدهما قوله واليتامى والمساكين وابن السبيل وكان المراد منه منصرفا
الى المحتاجين فكذلك في القرابة ومنهم من قال ان الخمس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يصل به قرابته فلما قبض عليه الصلوة والسلام انقطع ذلك الحق لوجهين احدهما قوله عليه الصلوة
والسلام انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة والثاني انهم انما كانوا يستوجبونه برسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا قبض انقطع ذلك الحق على سبيل انقطاع الحقوق عن اصحابنا عند وفاتهم
ثم الفايدة في منع ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الورثة وجهان احدهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان لا يستعمل نفسه في شيء من لذات الدنيا وشهواتها وكان قايما لله تعالى
خالصا فاذا كان كذلك جاز ان يكون حقيقة الملك فيه لمولاه وان كان في الظاهر له والله اعلم
فان قيل اليست الاملاك كلها لله تعالى قيل لهم نعم غير ان الاضافة قد يكون خصوصية حالكقوله تعالى
ناقة الله وبيت الله ووجه آخر ان ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبوس عليه الى يوم
القيامة الا ترى ان زوجاته محبوسات عليه لا يحللن لاحد بعده وبنوته عليه لم يحول بعده
الى غيره جاز ايضا ان يوقف عليه ملكه عليه الصلوة والسلام ومعلوم ان ما كان موقوفا فسبيله
التصديق والله اعلم وقوله عز وجل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم له معنيان احدهما
انه لو لم يبين هذه المواضع لكان ذلك الخمس الذي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يخلفه فيه
الخلفاء من بعده فيتداوله الاغنياء بينهم ومعنى آخر لو فرق هذا بين الفقير والغني لكان
الغني حين يقع هذا في يده كان يكتسب به فضول الدنيا واما الفقير فاول ما يقع في يده يستمتع به
في منافع نفسه فلذلك فرق في الفقراء والله اعلم وقال بعضهم الدولة هي اسم للذي يدول بين الناس

مطلب في ملك الله

والدولة واحدة وهي فعلة **وقوله** عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا يعني
ما اعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الغنيمة فخذوه ولا تغلوا بر ظننا مكروها وما نهاكم
عنه فانتهوا ليس نهي زجر وشريعة ولكن نهي منع يعني وما منع منكم من هذا النوع فانتهوا عنه وعلى قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه وما اتاكم الرسول فخذوه يحمل معنى الامر ومعنى الاعطاء اي ما اتاكم
من الدنيا فخذوه وما نهاكم عنه يعني زجركم عنه بنص فانتهوا عنه قال رحمه الله ويرى عامة الفقهاء
يحتجون بهذه الاية في موضع الامر مع لفظ الايتاء وليس يوجب ظاهره هذا اذ الايتاء هو الاعطاء
والتمليك كقوله واتوا الزكوة ولكن وجه الاحتجاج به ان الله تعالى لما امرنا باخذ معروفه عليه الصلوة
والسلام وان كان في اخذ المعروف من غيره صلى الله عليه وسلم حمار فلان يلزمنا الاخذ بامره
والاتباع له احرى واولى والله اعلم **وقوله** عز وجل واتقوا الله ان الله شديد العقاب هذا يؤكد
ما ذكرنا من اتباع امره والله اعلم **وقوله** عز وجل للفقراء المهاجرين الاية وما يشتق عليه من قوله والذين
تبوؤا الدار والايمان من قبلهم وقوله والذين جاؤا من بعدهم الايات ظاهر هذا يقتضي ايجاب
حق لهم لانه اذا قيل لفلان لم يكن بد من ان يقال كذا وكذا واذا كان كذلك لم يكن بد من حق يذكر لهم
ولا يحتمل ايضا ان يخفي الله تعالى علم ذلك الحق الذي وجب لهذه الاصناف عن خلقه فالسبيل
في ذلك من جهة التاويل عندنا والله اعلم ثم يحتمل ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن جوابه لمن قال للفقراء المهاجرين ويحتمل ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم سال ربه
جل وعلا عن جوابه لمن هي فاخبر للفقراء المهاجرين ثم انه يجوز ان يكون ذلك الحق ما وظف من الخراج
على اهل القرية اذا فتحت وهو ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لعلي وابن مسعود
رضي الله عنهما حين فتح سواد الكوفة اني كنت استشير بكم في امري فقد اغناني الله تعالى عن مشورتكم
حين تلوت هذه الاية ثم تلا قوله للفقراء المهاجرين ثم قال ليس لهؤلاء خاصة وتلا قوله والذين تبوؤا
الدار والايمان من قبلهم ثم قال ليس لهؤلاء خاصة وتلا قوله والذين جاؤا من بعدهم وروي
ان بلالا قال له اقسم بيننا كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بين اهل العسكر وقال اللهم
اكفني بلالا واهله ثم قال عمر رضي الله عنه لو قسمتها بينكم لتركت اخر عصابة في الاسلام لم يصب من هذا
واخبر الله تعالى بقوله والذين جاؤا من بعدهم انهم شركاء هؤلاء فجائز ان يكون عمر رضي الله عنه
حين تلا هذه الايات تذكر خبرا اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ان الحق الذي
اوجب الله تعالى لهؤلاء ذلك وجوز ان يكون الله تعالى بلطفه الهم وعليا وابن مسعود رضي الله عنهم
لانه روي انهما اشارا عليه بذلك ولذلك قال اصحابنا ان الامام اذا افتتح قرية من قرى اهل
الحرب فهو فيها بالخيار ان شاء قسمها بين اهلها ووظف عليهم الخراج وان شاء قسمها بين اهل
العسكر وانما كان كذلك لان المقصود من المقاتلة احد معنيين اما توسيع امكنة الاسلام ان يضيق
او تضييق المكان بهم ليستسلموا لدين الله وينقادوا الامر وينظروا في حججه وليست مقابلتهم
عقوبة كفرهم بل لما وصفنا من المعنى وهذا المعنى قد يستفاد اذا وظف عليهم الخراج فلذلك
كان للامام الخيار والله اعلم ولو فهم بلال رضي الله عنه المعنى الذي لاجله قسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيبر بينهم لم يعترض في امر سواد الكوفة عليه والمعنى من قسمته عليه الصلوة والسلام خيبر
بينهم عندنا والله اعلم هو ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية بشرهم الله تعالى
بفتح قريب عوضا عما نالهم فيما اصابهم واما سواد الكوفة فلم يكن فيها شيء من هذا المعنى
فلم يجز ان يكون امره معتبرا عليه والله اعلم ثم **قوله** للفقراء المهاجرين يحتمل ان يكون المراد منه

خيار الامام فيما فتح عنوة

المجاهدين المقاطعين لاسباب عيشهم من الاموال والديار لهم هذا الحق الذي سبق وصفه **وقوله**
عز وجل الذين اخرجوا من ديارهم لم يخرجوهم من ديارهم في الحقيقة ولكنهم ضيقوا عليهم حتى
خرجوا فاضيف الاخراج اليهم اذ كانوا اسبابا بالحزن وجهم وهذا كقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه
وابليس عليه اللعنة لم يتول اخراجهما من الجنة ولكنه حرضهما على سبب اتيانه فلم يستقر بعده في ذلك
المكان فاضيف الفعل اليه وقد وصفنا ان هذه الافعال اذا اضيفت الى العباد فانما المعنى ذلك اسباب
يكون منهم لا لحقيقة تلك الافعال وما اضيف الى الله تعالى من ذلك فهو يحتمل الامرين جميعا الحقيقة
والسبب في ذلك لاجل ان العبد لا يمكنه ان يقدر لحز على فعل وقت فعله الا على السبب فاما رب
العالمين فانه قادر على اقدار العبد على فعله وقت فعله فلذلك قلنا انه يجوز ان يراد حقيقة
الفعل فيما يضاف الى الله تعالى وهو الموفق **وقوله** عز وجل من ديارهم واموالهم يدل على انها
كانت لهم بمكة ديارات واموال ثم مع هذا لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شيء من ديارهم
عليهم بعد فتح مكة ولا تضمين اولئك شيئا من اموالهم ليعلم ان اهل الحرب اذا غلبوا على اموال المسلمين
ملكوها والله اعلم **وقوله** عز وجل يبتغون فضلا من الله يعني انهم هاجروا الديهم وانقطعوا عن اسباب
عيشهم من الاموال يبتغون الرزق من الله تعالى **وقوله** عز وجل وينصرون الله ورسوله ذكر انه
الحق للمجاهدين منهم ثم **قوله** وينصرون الله يحتمل وجهين احدهما ينصرون رسول الله صلى الله عليه
وزكى الله صلة والثاني وينصرون دين الله ويطيعون رسوله عليه السلام **وقوله** اولئك هم الصادقون
يعني الذين اظهروا صدق الايمان من قلوبهم بهجرتهم لدينهم وسعيهم المهاجر لقبهم الى الله تعالى
ويتقرب اليه **وقوله** عز وجل والذين تبوؤا الدار يعني الذين اتخذوا ديارا واسعة يسعهم والمهاجرين
وهم الانصار **وقوله** والايمان انما عنى انهم امنوا قبل هجرة هؤلاء لكن باهم هؤلاء المهاجرين في احسنهم
ولا يحتاجون شرهم **وقوله** من قبلهم يعني من قبل الهجرة **وقوله** عز وجل يحبون من هاجر اليهم
يعني ان الله تعالى القى محبته حتى انزلوا المهاجرين ديارهم وانفقوا عليهم اموالهم **وقوله** عز وجل
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم خيبر
بين المهاجرين وترك الانصار لم يقسم بينهم لم يجد الانصار في قلوبهم حاجة مما اعطي المهاجرين
يعني ان المهاجرين الله تعالى اغنى قلوبهم حتى لا تفكروا عن حاجة ولا فقر البتة ويحتمل ان يكون
المعنى من الحاجة هاهنا الغل والحسد يعني ان الله تعالى طهر قلوبهم حتى لم يجدوا في صدورهم
حاجة **وقوله** عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي ويؤثرون على انفسهم في املاكهم
انهم لا يجدون بما يبذلون هم حاجة مما يملكون ويؤثرون المهاجرين على انفسهم ولو كان بهم حاجة
وقوله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان الله تعالى خلق في طبع البشر محبة المحاسن
والمنافع والطلب لها وبغض المساوي والمضار والهرب عنها ثم انه امتحنهم بالانفاق مما يحبون وحمل
النفس على ما يكرهون طلبا لمرضاته وتوصلا الى ثوابهم ثم يكون وقاية الا نفس من الشح يكون بوجهين احدهما
ان يمن الله على عبده ليصير ما هو غائب عنه من الثواب في الاجل كالمشاهد فيخف عليه الانفاق مما يحب
ويصير ذلك كالطبع له والثاني يوفقه الله تعالى ويعصمه ويلهمه تعظيم امره ونهيه حتى يقهر نفسه
ويحملها على الايثار بامره تعالى والانتهاء عما نهى عنه وان كان طبعها على خلاف ذلك ثم اضافة الوقاية
الى نفسه يدل على انه قد بقي في خزائنه شيء لم يؤته عبده حتى يصف نفسه بانه يوقي عبده شح نفسه
ولولا ذلك لم يكن لوعده بوقاية نفسه من شحها معنى والله اعلم **وقوله** عز وجل فاولئك هم المفلحون
يعني الباقون في النعيم الدائم والفلاح في الحقيقة هو البقاء في النعيم **وقوله** والذين جاؤا من بعدهم

فاضافة الفعل الى الله تعالى والى العبد من قبيل

يقولون ربنا اغفر لنا الآية قد علم الله تعالى انه قد يكون في امة محمد صلى الله عليه وسلم من يلعن سلفه حتى امرهم بالاستغفار لهم وفيه دلالة على فساد قول الروافض والخوارج والمعتزلة لان الروافض من قولهم ان القوم لما ولوا الخلافة ابا بكر الصديق رضي الله عنه كفروا ومن قول الخوارج ان عليا رضي الله عنه كفر بقتاله معاوية واصحابه وقالت المعتزلة بان من عدل عن الحق في القتال خرج عن الايمان ولو كان ما ارتكبوا من الزلات يكفرهم او يخرجهم عن الايمان لم يكن للاستغفار معنى لان الله تعالى نهى عن الاستغفار للمشركين فاذا اذن هاهنا بالاستغفار لهم يتبين بهذا ان ما ارتكبوا من الذنوب لم يخرجهم من الايمان ولانه ابقى الاخوة فيما بينهم مع علمنا انه لم يكن بين الاخرين والاولين اخوة الا في الدين فلولا انهم كانوا مؤمنين لم يكن لابقاء الاخوة معنى والله اعلم ولانه قال تعالى ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ولو كان ذلك يخرجهم من الايمان لم يكن لهذا الدعاء معنى لان الواجب ان يكون في قلوب المؤمنين عداوة الكفار ومقتهم فلما ندب جل ثناؤه في هذه الآية الى نفي الغل والحقد عن قلوبهم بتلك الدعوة ثبت انهم كانوا مؤمنين والله اعلم ثم في الامر بالاستغفار لهم دلالة انه قد كان منهم ذنوب يستوجبون بها العقوبة لولا فضل الله ومغفرته وان كانوا فيما يتعاطونه مجتهدين ليعلم انه ليس كل مجتهد مصيبا قوله ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا يعني عداوة يحتمل ان يكون المراد منه المؤمنين سبقوهم ويحتمل ان يكون هذا في كل المؤمنين وقوله عز وجل ربنا انك رؤف رحيم الرحمة من الله تعالى فضل منه على عباده واحسان اليهم الا ترى الى قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب فاخبر ان رحمته هبة منه واحسان الى عبده والله اعلم ثم الاستغفار في حال الحيوة له معنيان احدهما طلب السبب الذي اذا جاء استوجب المغفرة والثاني حقيقة المغفرة وفي حال الوفاة ليس الا طلب عين المغفرة فلما ندب جل وعلا الى الاستغفار لهم بعد وفاتهم وحال الاستغفار بعد الوفاة على ما وصفنا لا يتوجه الا على حقيقة المغفرة ثبت ان ذنوبهم لم يخرجهم لانه لو كان من حكمه جل ثناؤه ان لا يجعل مغفرتهم اذا ارتكبوا الكبيرة لم يكن في الامر بالاستغفار لهم حكمة والله اعلم وقال جعفر بن حرب انه ليس في قوله ولا تجعل في قلوبنا غلا ما يدل على انه يجعل في قلوبهم لانه اذا قيل لا تفعل فلانا شيئا لم يفهم بد انه يفعله اذا احب ولكن يجاب عن هذا انه ذكر الله تعالى نصا في آية اخرى ما يدل على جعل العداوة الا ترى انه قال واغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فان قال تاويله انه خلى بينهم وبينها لا انه جعلها قلنا غير محتمل ان يخلق الله تعالى العداوة في قلوبهم من غير فعل يكونهم بها وان كان كذلك ثبت انه يخلق هذه الاشياء وقت فعل العبد لها والله اعلم وقوله عز وجل الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب هذه الآية يدل على ان الله تعالى جعل حجة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على المنافقين في انفسهم لانهم قالوا هذا القول سرا منهم الى اهل الكتاب لانه لا يحتمل ان يظهروا مثل هذا القول بين يدي المؤمنين ولا كان الكفار يخبرون بهذا احدا من المؤمنين فلما اخبر بما قال المنافقون ثبت انه ما علمه الا عن الوحي والتنزيل وذلك علم نبوته عليهم والله اعلم وقوله عز وجل لئن اخرجتم لنخرجن معكم يحتمل وجهين احدهما انه يجوز ان يكونوا قالوا لهم هذا على ان يتكثر اتباعهم في القتال والثاني انهم قالوا ذلك لاهل الكتاب على حسبان منهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا علم بحال هؤلاء لم يخرجهم من المدينة خوفا ان يقال اخرج اصحابه واذا لم يخرج اولئك لم يخرج اهل الكتاب ولم يقاتلوا وقوله ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعني لا نطيع احدا فيكم ابدا وقوله عز وجل وان قوتلتم لننصرنكم يجوز ان يكونوا وعدوا نصرهم هذا في قرى محصنة ثم اخبر انهم وان نصروهم

معنى الاستغفار

ثم انهزموا

853

ثم انهزموا هربوا ونفروا وتولوا ولم ينصروهم بعد ذلك ابدا وقوله عز وجل والله يشهد انهم لكاذبون ولقائل ان يقول كيف يشهد عليهم بالكذب والكذب انما يدخل في الاخبار وقولهم الذي قالوه انما هو وعد منهم فجوابه ان يقال انهم لما اخلفوا الوعد وبمثل هذه الآية يحتج الخوارج في تكفير من اذنب ذنبا وذلك انهم يقولون ان من آمن بالله تعالى فقد اعتقد ان لا يعصيه فاذا عصاه تبين بعصيانه كذب في اعتقاده فكفر لهذا المعنى ونحن جوابنا عن هذا ان قول المنافقين لاهل الكتاب اخبار منهم عن موالاتهم اياهم فاخبر الله تعالى انهم كاذبون فيما اخبروا عن الموالاة والله اعلم وقوله عز وجل لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون في هذه الآية حجة رسالته على الفريقين جميعا وذلك ان هذا خبر عن الغايب وذلك لا يوصل الى علمه الا بالتعليم ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف الى احد يخبره ولا يلقن شيئا من احد من البشر فاذا اخبر عما يحدث وعما هو غايب ثبت انه ما قاله الا عن الرسالة والوحي والله اعلم قال ويجوز ان يكون الله تعالى ذكر المؤمنين بهذه الآيات على ما لقي الرسول عليه السلام ممن كان الواجب عليهم ما عليه كانت عادتهم الاحسان اليه وذلك انه كان من عادة العرب المعونة والنصرة لمن قاربهم في النسب والقبيلة وان كان ظالما ثم ان الله سبحانه وتعالى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم من بين اظهرهم من قريش فاظهروا معه من العداوة ما اظهروا واحتجوا بقتله وجعل محمدا صلى الله عليه وسلم حين ارسله حجة يظهر لليهود والنصارى وجميع اهلها ذكر في كتابهم من نعته وصفته فقابلوه بذلك فابلوا من سوء الصنيع واظهار العداوة وكان هذا كله والله اعلم حجة وعلامة يعلم بها ان رسالته عليه السلام لم يظهر بمعاونة احد بل بنصر الله وفضله وتاييده والله المستعان وقوله عز وجل لانتم اشد رهبة في قلوبهم من الله يحتمل ان يكون رهبة هؤلاء في صدورهم على التحقيق ويجوز ان يكون على التمثيل فاما وجه التمثيل فهو ما قال يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون فاخبر انهم يعتقدون دون اليهم بالحلف فيجوز ان يكون معاملتهم هذه في التمثيل معاملة من يرهبهم فسمى ذلك رهبة في قلوبهم وهذا نحو قوله تعالى جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده يعني جمع ماله من يحسب ان ماله اخلده فكذلك الاول ويجوز ان يكون على التحقيق ولذلك وجهان من التاويل احدهما انهم كانوا يظهرون الموالاة لكل فريق وكان عندهم ان الله تعالى ولي احد الفريقين لا محالة واذا انجا احد الفريقين نجاهم ايضا فكانهم على هذا التاويل كانوا يرهبون الخلق جميعا لا ان يختص به المؤمنون وكانوا لا يرهبون الله لانهم آمنوا ناجية في الوجه الذي وصفنا ويجوز ان يكون رهبتهم من المؤمنين خاصة وذلك ان اهل النفاق انما كانوا من احد الصنفين اما ان كانوا دهرية نافقوا او كانوا اهل الكتاب فنافقوا فان كانوا دهرية فكانوا لا يرهبون الله تعالى لما كانوا غير مقرين بالصانع وان كانوا اهل كتاب فانهم قد امنوا ايضا لما كانوا يصفون من قولهم نحن ابناء الله واحباؤه واذا سقطت الرهبة من كلا الجانبين من الله تعالى حصلت الرهبة من المؤمنين خاصة والله اعلم ويجوز ان يكون تفسير قوله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله في قوله ذلك بانهم قوم لا يفقهون وذلك يحتمل وجهين احدهما انهم لا يفقهون ان البلايا التي في الدنيا ونعيمها تذكير لبلايا الآخرة ونعيمها وكانوا يرون انها جعلت لانفسها واذا كان هذا وهمهم وحسبانهم لم يرهبوا من الله تعالى والثاني انهم قوم لا يفقهون من الوعد والوعيد بل كانت رهبتهم ممن كانوا يأملون منهم المنافع ويجد دون مضارهم فلا يرهبون من الله تعالى ولقائل ان يقول انه لا احد من اهل الاسلام الا ورهبته من الناس اشد من رهبته من الله تعالى لانك ترى الرجل

يمتنع عن الزلة عند اطلاع الناس عليه ما لا يمتنع عن كثير من الزلات فيما بينه وبين الله تعالى
والجواب من هذا وجهان احدهما انه ليس بازاء الخوف من الانسان رجاء يرجوه وبازاء رهبته من الله تعالى
رجاء يرجوه من رحمته وفضله واحسانه فيجوز ان يكون الرجاء من رحمة الله ورحمته وفضله يغلب عليه
فيقترف الذنب ويرتكبه والوجه الثانى اذا كان له فيما يرتكبه من الذنب شبهة فليس بها بهم وانما خوفهم
من قوم فهم سمة الصلاح وامارة النصر لدين الله تعالى ليس من نفس المخلوقين والله اعلم وقوله عز وجل
لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة قوله جميعا اى لا يقاتلكم اهل النفاق واهل الكتاب جميعا
معا وانهم ليسوا بفاعلين ما وعدوا لاهل الكتاب من النصر والقتال واحتمل ان يكون استثناء الوعد
الذى وعدوا لاهل الكتاب فان كان من القتال فهو يحتمل وجهين احدهما انهم لا يقاتلون الا ان يكونوا
في قرى او حصون او خرو راء الجدر لا يعلم بهم اهل الاسلام والله اعلم وان كان على الوجه الثانى
فهو يحتمل وجهين ايضا احدهما انهم لا يوفون ما وعدوا من النصر في القتال لاهل الكتاب ولكنهم
يلتجئون الى قرى محصنة الا ترى الى ما اخبر تعالى منهم في ناحية المسلمين وان يات الاحزاب
يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم فاخبر انهم قد اظهروا الموالاة للمسلمين
كما اظهروا لاهل الكتاب الى ان جاء القتال فاذا جاء القتال التجئوا الى مكان يسمعون من اخبارهم
فعلى ذلك الحجر يجوز ان يكون في اهل الكتاب والوجه الثانى انهم لا يقاتلون ولكنهم يتخلفون
في قرى محصنة يتربصون لمن يكون الظفر والعاقبة كما اخبر عنهم في اية اخرى وهو قوله تعالى
الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا
الم نستحوذ عليكم فاخبر تعالى انهم يتربصون العاقبة فالتجاؤهم الى قرى محصنة يجوز ان يكون
بهذا التاويل والله اعلم وقوله عز وجل باسهم بينهم شديد يحتمل وجهين احدهما ان يقول
باسهم يعنى قوتهم بينهم شديد ما لم يروا اعداء ظاهرة او يقول باسهم بينهم شديد ما دام
القتال بينهم لانه ليس فيهم من اكرم بالرعب مسيرة شهرين فاذا اكرم بالرعب هذا المقدار
من المسير فلا يحرم ذلك في اهل قريته واذا كان كذلك ثبت ان التاويل ما وصفنا والله اعلم
وقوله عز وجل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى لان همة المنافقين سلامة الانفس وراحة
الابدان وهمة اهل الكتاب الذب عن المذهب والسعى في اقامته فاذا اختلف همتهم ومقاصدهم
تشتت قلوبهم وذلك معنى قوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يعنى في الهمم
والقلوب وقوله عز وجل ذلك بانهم قوم لا يعقلون يحتمل ثلاثة اوجه احدها انهم لا يعقلون
حق الوعد والوعيد والثانى انهم ينتفعون بما يعقلون والثالث انهم لا يعقلون لمن يكون له العاقبة
وقد وصفنا ان عادتهم التربص لمن يكون الظفر والعاقبة فاذا اشتبهت عليهم العاقبة
ولم يعقلوها يوالوا واحدا من الفريقين في الظاهر والباطن جميعا والله اعلم وقوله عز وجل
كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم الاية يجوز ان يكون في هذا اضمار مثل اخر
كانه يقول مثل هؤلاء الكفار كمثل الذين كانوا من قبلهم وكذلك في قوله مثل الذين كفروا
كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء يعنى مثل محمد صلى الله عليه وسلم ومثل هؤلاء الكفار
على اضمار مثل اخر ثم التمثيل وكيفيته يحتمل وجوها ثلاثة احدها ان يقول مثل هؤلاء الكفار الذين
اساؤا رسوله كمثل الكفار الذين اساؤا الرسل من قبله كان قريبا ان ذاقوا وبال امرهم
والوجه الثانى ان يقول مثل اهل المدينة من الكفار حين هموا باخراج الرسول من المدينة
كمثل اهل مكة حين اخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة وكان قريبا حتى ذاقوا وبال امرهم

من الاسر والقتل والدليل على ان كفار المدينة هموا باخراج الرسول صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل
وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الاية ويحتمل ان يكون تخصيصا لقرية او قبيلة
ووجه ذلك ان يقول مثل بنى قريظة كمثل الذين من قبلهم وهم بنو النضير وكانوا قريبا ان ذاقوا
وبال امرهم والله اعلم وقوله ولهم عذاب اليم هذا اخبار انهم يموتون على الكفر وفيه دلالة رسالته
صلى الله عليه وسلم حيث اخبر عن الغيب وقوله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر
قال انى برئ منك فكذلك المنافقون يظهرون الموالاة والنصر فاذا جاء القتال امتنعوا وتبرؤا عنهم
ثم قوله انى برئ منك يجوز ان يكون في الاخرة حيث يقول ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى كفرت
بما اشركتمونى من قبل ويجوز ان يكون في الدنيا وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى
ارى ما لا ترون الاية وقوله عز وجل فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين
ظاهر وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله الاصل انه
اذا ذكرت حال بين العبد وبين سيده لم يكن بد من اضمار يدخل في ذلك مثاله قوله ان الله
مع الذين اتقوا يعنى انه معهم في النصر والمعونة وقوله مع المحسنين في التوفيق وفي الولاية وكذلك
قوله عز وجل اتقوا الله لانه لا يحتمل ان يتقى الله حتى يكون معهم في التقوى اذ ظاهر اللفظ يقتضى هذا
كقوله كونوا مع الصادقين اى في الصدق واذا ثبت فيه الاضمار كان الوجه في ذلك احد معانى
اما ان يقول اتقوا حق الله تعالى ان يضيعوه او اتقوا حدوده ان يتعدوه ويبطلوه او اتقوا
سخطه او اتقوا مخالفته او اتقوا الاسباب التى بها يستوجبون بها مقت الله تعالى ويحتمل ان يراد
من التقوى في هذه الاية اوامره ونواهيه على ما وصفنا ان التقوى اذا اطلق جاز ان يراد به الاوامر
والنواهى واذا ذكر مقابلة امر كان المعنى منه محارمه ونواهيه والله اعلم وقوله عز وجل
ولتنظر نفس ما قدمت لغد قال من عمل بما امر في هذه الاية سلم من تبعات الاخرة لانه
اذا اشعر قلبه وقت فعله ان الذى يفعله تقدمه لغد امتنع عن ارتكاب ما يجب ان يستحى
عنه او يجوب عليه في ذلك الوقت واتى بما يثنى عليه والله اعلم ويحتمل ان يكون معنى الاية
على النظر لما قدمته نفسه لغد وذلك انه اذا تذكر فنظر فيما قدمت نفسه لغد وذلك
انه دعاه الى احد امرين اما الى التوبة عن السيئة التى قدمها او الى الشكر على الحسنة التى تعاطاها
وكل ذلك منه زيادة في الخير فكان الواجب ان لا يغفل المرء عن ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون
هذا على المستانف من الافعال انه ينظر فيما يريد ان يقدمه لغده فان كانت عاقبته الهلاك
انتهى عنه وان كانت عاقبته النجاة مضى عليه واتى به والله اعلم ويحتمل قوله اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد ان يكون المراد منه الاتقاء عن ترك النظر لما قدمته نفس لغد والله اعلم
وقوله واتقوا الله ذكر قوله واتقوا الله مرة اخرى والاية واحدة يحتمل وجهين احدهما
ان يكون المراد من الاول ان اتقوا مخالفة الله في اوامره ونواهيه وفي الثانى اتقوا سخطه
وعقوبته والثانى انه خرج على التكرار على ما جرت العادة في الكلام في التكرير عند الوعيد
على التاكيد كقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون وكقوله اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى
والله اعلم وقوله عز وجل والله خبير بما تعملون فيه تحريض على المراقبة والتيقظ وتنبيه
لان من علم وقت فعله ان الله تعالى مطلع على ما يرتكبه من الذنوب ويقترفه من الشرور امتنع
عنها وانزجر وقال لوانه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله

اهم المهمات

تكرار في الوعيد

ان الله خبير بما تعملون وعيد من اربعة اوجه احدها في قوله اتقوا الله والثاني في قوله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد والثالث في قوله واتقوا الله والرابع في قوله ان الله خبير بما تعملون ثم ذكر هذه
الوعيد خرج بعد ما خاطب المؤمنين كقوله تعالى يا ايها الذين فكان الوعيد في المؤمنين اكثر
من الوعيد في الكفرة لكن المؤمنين يوعدهم عن ما هي معدة للكافرين وهو كقوله واتقوا النار
التي اعدت للكافرين ثم ان الله عز وجل سمى الاخرة باسم الغد لسرعة مجيئه وسمى الدنيا
باسم الامس لسرعة فنائها وهو كقوله فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فيذكرهم ويعظهم
بهذه الاية ليتفكر كل احد في نفسه ما به خلق للبعث ام خلق لامر عظيم على ما ذكره الله تعالى وقوله
عز وجل ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم قال بعض المفسرين نسوا الله اي نسوا
العمل لله والنسيان هو الترك اي تركوا العمل الواجب لله تعالى فانساهم انفسهم اي خذلهم
الله تعالى بما نسوا ثم الوجه عندنا في الاية ان ليس احد من البشر يعمل عملا الا وهو يأمل بذلك نفعا
لنفسه اذ من لا يعمل للنفع فهو غايب في الشاهد في ذلك العمل فهؤلاء الكفرة لما لم يأتمروا بامر الله تعالى
ولم يطيعوه وتركوا العمل له صار تركهم العمل لله والعمل له عملا لانفسهم فصاروا تاركين
العمل لانفسهم فكانه قال نسوا انفسهم فصاروا ناسيين وقوله عز وجل فانساهم انفسهم
اي خلق فعل النسيان والترك فيهم اضاف اختيار النسيان اليهم ثم اضاف الانساء الى نفسه
واثبت فعله فيه وليس هذا على ان تقدم منهم فعل النسيان ثم هو انساهم بعد ذلك لكن على خلق
ذلك فيهم وقت ما اختاروا ذلك الفعل وهو كقولهم هداه الله تعالى فاهتدى واهتدى فهداه الله
فذلك كله في وقت واحد فكذلك هذا في الخذلان والنسيان لما اختار هو فعل النسيان خلق الله تعالى
ذلك النسيان فيه كما خلق الهداية والكفر عند اختياره ولا يجوز ان يحمل ذلك على تقدم بعض
على بعض وقوله وانساهم انفسهم كقوله نسوا الله اذ قوله تعالى انفسهم في قوله نسوا الله اذ العمل
هو العمل لانفسهم والعمل لانفسهم هو العمل الذي اريد به وجه الله فلذلك قلنا بان كل واحد
منهما مانع الاخرة ويحتمل وجها اخر وهو انهم لما تركوا طاعة الله خذلهم الله تعالى بتركهم
امر الله تركهم انفسهم لهم ولم يوفقهم للخيرات والطاعات وهذا من اشد العقوبات ويحتمل
ان يكون معناه اي يجازيهم في الاخرة جزاء ما عملوا بان تركهم في الاخرة في العذاب الدايم
فيكون ذلك جزاء لهم بما عملوا في الدنيا وبما تركوا من الايمان بالله تعالى وهذان التاويلان يرجعان
الى ما ذكر من الخذلان فيما فعلوا والله اعلم وقوله عز وجل اولئك هم الفاسقون فالفسق
هو الخروج عن امر الله تعالى وقوله عز وجل لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم
الفائزون اي الناجون والفوز هو الظفر بالحاجة ثم قوله عز وجل لا يستوي اصحاب النار
واصحاب الجنة يحتمل وجهين احدهما ان لا يستووا في الدنيا او لا يستووا في الاخرة فان كان
على الاول فمعناه لا يستوي عمل اهل الجنة في الدنيا في العقول عمل اهل النار او عمل
اهل النار بالذي يستقبحه العقول واما افعال اهل الجنة الداعية اليها بالتي يستحسنها العقول
لان عمل هؤلاء بالذي ظهر بالبراهين والحجج وليس لعمل اولئك براهين وما اقيم بالبراهين
والحجج فهو في العقول احسن من الذي لا برهان عليه وكذلك كل عمل يستحق صاحبه عليه الثواب
فهو في العقول مستحسن وما يستحق صاحبه عليه العقاب فهو في العقول مستقبح فلم يستويا
واما الوجه الثاني لا يستوي جزاء اهل النار وجزاء اهل الجنة اذ في الجنة النعيم الدايم وفي النار
الشقاء والنقمة الدايمة فلم يستويا يذكرهم الله تعالى هذا ليتنبهوا من غفلتهم ويعملوا لله تعالى

قوله لا ونا لنا مخلوق للكفار بالذات لكن يدخله بعض عصاة المؤمنين بالعرض والعياذ بالله تعالى من ذلك

حتى يستوجبوا بها الثواب في الاخرة وقوله عز وجل لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله الاية اختلف الناس في تاويل هذه الاية على التمثيل وهو على التنبيه
والتذكير وذهبوا في ذلك الى ان العرب اذا استقبلهم امر وارادوا ان يصفوه بالعظم والشدة
كانوا يضربون الامثال بما يعظم ذلك عندهم وصفه ولم يكن يريدون به الحقيقة في ذلك وهو كقولهم
عند شدة الامر اظلم على ما بين السماء والارض وكقولهم ضاقت على الارض برحبها وكان وصف الله تعالى
من امر لوط عليه السلام وضاق بهم ذرعا فهذا القول من العرب انما كان على التمثيل فيما يريدون
ان يصفوا الشيء بغايته لا على الحقيقة لانه معلوم ان الدنيا عليه كما كانت لم تتغير وكذلك الظلم لم يظلم
عليه ذلك لكنهم تكلموا على التمثيل من شدة ما نزل بهم من الامر وكذلك قوله تعالى لو انزلنا هذا
القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله يقول لو كانت هذه الحجج انزلت على جبل
مع صلابته وشدته لخضع لله تعالى وانصدع من خشيته على وجه التمثيل لكن قلوب هؤلاء
اقسى منه حيث لم يخضع ولم يخشع وهو كقوله كالحجارة او اشد قسوة اذ الحجارة قد يكون فيها ما ثم
يخرج الماء وغيره فاما قلوب هؤلاء الكفرة فليس فيها شيء من المنافع بل هي قاسية لا تخشع
ولا تتصدع وعلى ذلك ما حملوا تاويل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه على التمثيل
ليس على حقيقة ذلك وقال قايلون لو انزلنا هذا القرآن على جبل انه على حقيقة ذلك الفعل
منه وهو الانصداع والخشوع وكذلك تاويل قوله تكاد السموات يتفطرن منه فمعناه لو كان
نزول هذا القرآن وما فيه من الاحكام والامانات التي اوجب على البشر على الجبل وكان هو
بحيث يملك قبول ذلك باختياره لقيام شرايطه لكان هو يفزع ويخضع ويتصدع من خشية الله تعالى
وكانه لا يقبل مخافة ان لا يمكنه اداء ما لزمه بنزوله وهو كقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال الاية فيقول معناه لو انزلنا هذه الامانات التي في هذا القرآن على جبل
لرايته خاشعا متصدعا اذ الامانات التي في هذا القرآن مما قد يلزم المرء لا يمكن اداؤها
كلها لان الامانات مما يكثر عددها فضلا من ان يمكن اداؤها فعلى هذا التاويل يخرج
على حقيقة التصدع ان لو انزل عليه مع عظمه وصلابته لانصدع فعلى هذا تنبيه للخلق
وتذكيرهم وقال بعضهم ان في هذه الاية تذكير الرسول صلى الله عليه وسلم منته عليهم
وعلى جميع الرسل بانه لولا فضل الله ومنته على الرسل لكان لا يطيق احد من الرسل حمل ما في الكتاب
ولا اداء ما فرض عليهم من اداء الرسالة ولكنه من عليهم بان يسر عليهم ذلك حتى قاموا بذلك كله
وهو كقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقال في موضع اخر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
فيسر عليهم وثقل العمل بما فيه فيقولون كذلك وقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله لثقل ما فيها لكنه من عليك ويسر ذكره عليك ووفقك تبليغ
ما فيه الى اهله وقال قايلون ان الله تعالى لما اراد ان ينزل التورية على موسى عليه السلام
وكانت في لوح من زبرجد خضر امر الملايكة ان يحملوها فلم يطيقوا حملها ثم امرهم ان يحملوا الحرف
منها فلم يطيقوا ذلك فخفف الله تعالى على موسى عليه السلام حتى حمل ذلك فكذلك ذكر ذلك
في عيسى وداود عليهما السلام ثم خفف ذلك على الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكانه يقول
لرسوله عليه الصلوة والسلام ولو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته كذا لكنه خفف ذلك
عليك كما خفف على الانبياء من قبلك واليه يذهب الكلبي لكن ان صح الخبر فان ذلك الثقل
لم يكن في ذلك لكتابة التي في الالواح لكن ذلك فيما يلزمهم من العمل بذلك من اداء الامانات وغيرها

في امثال عرب

اداء امانات وغيرها

لانه تعالى اخبر انه لو كان انزال هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وقال في موضع آخر انا عرضنا الامانة الاية ثم كانت تلك الالواح قد احتملها الارض وامكن لموسى
عليه السلام حملها فكذلك هذا القرآن كله والتورية والانجيل والزبور ربما قد يحتمل حقيقة ويمكن
كتابته في قلبك الالواح ثبت ان المراد من ذكره ليس هو الحروف ان لو كان على ما فيه من الامر والنهى
واداء الامانة واتقاء الله حق تقاته لا على نفس تلك الالواح وهذا الذى ذكرنا هو تاويل القوم في
نزول هذه الاية فاما انى لا اعلم لى بحقيقة تاويل هذه الاية ولولا ان في الاية تذكيرا وتنبيها
لكنا نقول هى من المتشابه المكتوم الذى لا يفسر لكنه لما خرج مخرج التذكير واسند شكر ما سهل
علينا قرائته احتجنا الى تاويله وقوله عز وجل وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
هو ظاهر وقوله عز وجل هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم فمن الناس
من يقول ان قوله هو من ارفع اسماء الله تعالى وذكر عن بعض اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يدعوا بقوله يا هو يا من لا هو الا هو وتاويل هذا الكلام ان كل شئ بهويته كان وقوله
عز وجل عالم الغيب والشهادة قيل فيه بوجوه ثلاثة احدها انه عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه
والثانى بما قد كان وبما يكون والثالث انه عليم بما قد كان وبكنهه ان كيف يكون اذا كان وقوله
عز وجل هو الرحمن الرحيم فهما اسمان مشتقان من الرحمة وفي هذه الاية بيان وجوه اربعة احدها
فيه بيان التوحيد وهو قوله هو الله الذى لا اله الا هو اذ الاله هو اسم المعبود ان كل معبود دونه
باطل والثانى ان فيه تنبيها وتحذيرا بان يتذكر الانسان في جميع احواله اطلاع الله تعالى عليه وعلمه
فيه وذلك من قوله عالم الغيب والشهادة والثالث فيه ترغيب في رحمته واختبارهم ان كل نعمة لهم
ان كل نعمة لهم في الدنيا والاخرة من الله تعالى اذ في قوله عز وجل الرحمن الرحيم ذكر الرحمة والرابع
ما ذكرنا في قوله هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس الاية فالملك من الملك اى ملك كل شئ له ليس
لاحد سواه حقيقة الملك القدوس قيل فيه بوجهين قال بعضهم القدوس هو المبارك والبركة
اسم كل خير اى منه جميع الخيرات لكن لا يجوز ان يقال لله تعالى يا مبارك وان كان المعنى منه
يؤدى الى ان يأتى لذلك منه كل خير لانه لا يعرف في اسمائه هذا بالنقل وعلينا ان نسكت عن تسمية
بما لم يسم نفسه بذلك لذلك قلنا بانه لا يجوز التسمى بالمبارك والله الموفق والثانى القدوس
هو الظاهر يعنى هو مقدس عما قالت الملحدة والكفرة فيه من الولد والشريك وقوله عز وجل
السلام اختلف في تاويله منهم من قال سمى نفسه سلاما لما هو سالم عن الآفات وغيره في المخلوقين
لا يسلمون من حلول الآفات بهم وقال آخرون سمى نفسه سلاما لما سلم المؤمنون من عذابه والتاويل
الاول اقرب وقوله عز وجل المؤمن اختلف الناس في تاويله قال قايلون هو الامان اى يؤمن
المؤمنين من العذاب ولا يمكن لاحد ان يؤمن احدا من عذابه وقال قايلون اصله من الايمان
وهو التصديق ثم ذلك يتوجه الى وجهين احدهما اى مصدق القول بما وعد للمؤمنين الجنة والثانى
المؤمن هو المصدق لما قال المؤمنون المصدقون من تصديقهم فيصدقهم بما قالوا ومن الناس
من قال سمى نفسه بما اخبر ان هذا القرآن لما بين يديه مصدق وقوله عز وجل المهيمن اختلف فيه
ايضا قال قايلون المهيمن هو الامين وقال قايلون المهيمن هو المسلط وقال قايلون المهيمن
هو الشاهد فمن قال بالاول فانه يذهب الى ان اصل ذلك من المؤتمين وهو من الامانة والمهذا التاويل
يذهب القتبى اى امينا في كل ما يقول وفي كل ما يفعل ان لا يجوز ومن قال بانه هو المسلط اصله في هيمن
يهيمن اى سلط يسلط سئل عن تاويل المسلط فقال هو كالقاهر اذ قهر العباد كلهم وهم ملك له

ومن قرع

في اسم هو يأتي في الاخلاص

ومن قرع بالشاهد فانه يحتمل تاويلين احدهما اى شاهد على افعال العباد وعلى العباد
من حيث لا يغيب عنه شئ والثانى اى شاهد بما انزل على رسوله بالصدق وهو كقوله تعالى
وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه اى شاهدا عليه
وقوله العزيز اى ما من عزيز دونه الا وهو ذليل وقوله الجبار قيل فيه بوجهين احدهما
سمى نفسه الجبار لانه هو المجبر لكل كسير فقال قايلون سمى نفسه لجبروته وعظمته ولا يجوز
لاحد ان يسمى بذلك الاسم الا هو اى والله تعالى وتجبر عن ان يكون له امثال واشكال
وقوله عز وجل المتكبر من الكبرياء والعظمة هذا الاسم لا يليق بغيره لان الخلق بعضهم
لبعض اكفاء في الخلقة فلا فضل لاحد على آخر فلما استووا لم يجز لاحد على آخر التكبر
فصار الحق في ذلك لله تعالى والتكبر على الآخر هو الارتفاع والاصل فيه واحد وهو ان لا يرى
لنفسه شكلا والله اعلم انما سمى نفسه متكبرا ان هو المتكبر لذاته لم يكن تكبره بغيره فلذلك
قلنا لا يستحق احد من الخلايق التكبر الا الله تعالى اذ لم يكن احد شكلا وله ضدا ولا ندا واما غيره
من الخلايق فكل واحد منهم بالذى له شكل وقوله سبحان الله عما يشركون فيه تنزيه لله تعالى
عما قالت فيه الملحدة فهذا اسم سمى به نفسه وامر الملايكة والانبياء والمؤمنين ان يقولوا
ذلك ومعنى قوله سبحان الله اى معاذ الله ان يكون ذلك على ما قالت الكفرة وسمى نفسه جبارا
لما انه يجبر الاشياء فيجعلها على ما يشاء وهو كقوله يصوركم في الارحام كيف يشاء على ما يريد
الاشياء لا على ما يريد غيره قال رحمه الله ان الله تعالى يتعالى بمعانى اربعة احدها تعاليه عن الظلم
والجور وجميع ما لا يليق والثانى تعاليه على الاشياء كلها بقهره لها وتصريفه اياها على ما يشاء
اى ليس احد يقهره بل هو يقهر الخلايق والثالث تعاليه عن ان يمسه الحاجة والآفة وكل
من هو دونه لا يخلوا عن ذلك والرابع تعاليه عما قال الظالمون فيه من الولد والاضداد
والاشكال والانداد وتعاليه عن جميع السوء الذى يصيب الخلق والله المستعان وقوله عز وجل
هو الله الخالق البارئ المصور فالخالق والبارئ واحد ويقال برأ اى خلق والبرية هو الخلق
ويقال سميت البرية برية لانه خلق من التراب اذ البرى هو التراب وقوله المصور والمصور
هو الذى يعطى كل شئ صورته فيصورهم على ما هو فالتصوير هو بيان الحدود وهو قول الناس
صورت الامر عند فلان اى بينته وقوله له الاسماء الحسنى اى الامثال العلى وهو الصفات
اذ الصفة يرجع الى وجهين الى الصفة مرة والى التشبيه ثانيا فاذا رجع الى الصفة فانه يرجع
الى حقيقة ذلك وان رجع الى التشبيه فانه لا يرجع الى حقيقة ذلك ثم قوله له الاسماء الحسنى
اى الصفات العلى اى لا يسمى بذلك الا هو اذ لا يقال لغيره الرب ولا الرحمن ولا المالك الا
ان يضاف ذلك الى شئ فاما التصريح فلا يطلق ذلك الا له جل وعلا ويحتمل وجها آخر
اى لا شبيه له في اسمائه وان يشركه احد في تلك الاسماء بل هى خاصة والله المستعان

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة
هذه الاية وما اشبهها من نحو قوله يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم وفي كل ما ذكر يا ايها الذين آمنوا
دلالة واضحة ان الايمان ذو حد في نفسه تدفهم في هذه الاية انه يحتمل هذا الخطاب وانه لازم له

فان لا تكبر الا معنقا

سبحان الله اى معاذ الله

في ان الطاعة ليست من الايمان

في ان الانسان ماهو

قاعدة مما يحفظ في ان العموم والخصوص على مقتضى الحكمة لا مقتضى اللفظ

ثبت انه ذو حد في نفسه وهو التصديق بالقلب وغيره من الطاعات شرايعه والله اعلم وفيما ذكر
من قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم وما اشبهها من الاى دلالة على ان الانسان ما يشاهده وليس كما قال
النظام ان الانسان انما هو جسم آخر لطيف في هذا الانسان ولا كما قال الناشي ان الانسان انما هو جوهر
بسيط في هذا الانسان ووجه ذلك انه ليس كل احد يعلم ان في نفسه جوهرا بسيطا او جسما آخر
فيه لطيف وقد فهم الكل من هذه الآيات انه محتمل للخطاب بها فثبت بما وصفنا ان الانسان هو
ما يشاهده والله اعلم وفيه دلالة ان ما يفهم من هذه الآيات من عموم او خصوص ليس يفهم
بظاهر الخطاب ولكن بما يوجبه الحكمة فان اوجبت عمومها اجروها على عمومها وان اوجبت تخصيصها
اجروها على ذلك والذي يدل على ما وصفنا انه قال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء وهذا مخرجه في الظاهر على العموم ولكنه لما قال تلقون اليهم بالمودة ومعلوم ان الذي كان
يلقي بالمودة خاصا لا كل المؤمنين فكان يجب ان يكون مجراها على الخصوص لما بين في سياق هذه
الآية ولكن الحكمة يوجب تعميم هذه الآية لانه لو قال لواحد لا تتخذ عدوي وعدوكم اولياء كان
هذا الخطاب لازما للكل بما جاء به الحكمة من انه اذا علم من احد عداوته ان لا يتخذ وليا وكذلك قوله
وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم خرج مخرج العموم في الظاهر ولكن الذين
اخرجوه انما كان اهل مكة خاصة دون ساير الكفرة فهذا تبين ان ما اجرى مجرى العموم لم يجر
لظاهر اللفظ ولكن لما يوجبه الحكمة والدليل وكذلك قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله الآية ليس ان السعي انما فرض يوم الجمعة لتخصيصه بالذكر ولكن لما ان النداء
في يوم الجمعة الى ذكرين وفي غيره من الايام الى ذكر واحد ولاجل ان النداء المضيق في يوم الجمعة
هو النداء الاول وفي غيره من الايام هو النداء الثاني فاذا جاز ان يكون فرض السعي في يوم الجمعة
انما هو لهذين المعنيين ثبت ان التخصيص ليس لظاهر اللفظ والله اعلم وفي هذه الآية دلالة رسالته
صلى الله عليه وسلم وذلك ان قوله تسرون اليهم بالمودة يدل ان ذلك الرجل لم يطلع على سره
احدا وقد اطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بالكتاب فثبت انه علمه بالوحي
والله اعلم ثم اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقال الحسن انها نزلت في اهل النفاق وقال غيره من عامة
المفسرين انها نزلت في حاطب بن بلتعة وهذا اشبه التاويلين بالصواب واقرب الى الحق وذلك ان الله تعالى
قال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم فقد اخبر ان الكفرة عدو لهم ولو كانت الآية
في اهل النفاق لم يكن الكفرة عدوا لهم بل كانوا اولياء فثبت ان المراد منه المومنون والله اعلم
وفي هذه الآية دلالة ان ذلك الذنب الذي ارتكبه ذلك الرجل لم يخرجه من الولاية لانه قال
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ولو كان ذلك الذنب يكفره ويخرجه عن الايمان لم يكن ذلك
الكافر عدوا له بل يكون وليا له بقوله وان الظالمين اولياء بعض ولاجل انه قال يا ايها
الذين آمنوا سماه مومنا والدليل على ان ذلك الذنب كان كبيرة انه اخبرهم بان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جهزهم للقتال وفيما اخبر امره بان يستعدوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم
وحربه ولا يشكل ان من امر بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مرتكب كبيرة واذا كان كذلك
وقد ادخله الله تعالى في جملة المؤمنين بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وبما وصفناه
من الدليل ثبت ان الكبيرة لا يكفره ولا يغير اسم الايمان عنه والله الموفق ثم فيما نهانا ان نتخذ
عدونا وعدوه اولياء دلالة ان ليس في الحكمة اتخاذ الولاية مع الاعداء ثم من قول المعتزلة
ان الله تعالى اراد من جميع عباده ان يؤمنوا واذا اراد ان يؤمنوا فقد اراد ان يواليهم مع علمه

انهم يحادون

انهم يحادون عداوته فكانهم وصفوا الله تعالى بما يخرجه من الحكمة ويدخله في السفه والجهل
بالعواقب وذلك كله منفي عن الله سبحانه وتعالى والمعتزلة فيما وصفوه تحرج تسفه ويخشى
ان يكونوا كفرة والله المستعان وقوله عز وجل تلقون اليهم بالمودة اي بما كتب في الكتاب
وقوله عز وجل وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم
وقوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي يحتمل ان يكون ذلك فيمن هاجر
من مكة الى المدينة وهو اقرب التاويلين لان حاطبا انما كان هاجر من مكة الى المدينة وفيه نزلت
الآية ويحتمل ان يكون ذلك حين اراد الجهاد الى مكة والله اعلم اي ذلك كان وقوله يسرون
اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي هو اعلم بما اخفيتم من كتبه الكتاب الى اهل مكة
وما اعلنتم بما اظهرتم من العذر وقوله عز وجل ومن يفعله منكم اي من اتخاذ الولاية مع اعدايه
فقد ضل سواء السبيل في الاعتقاد ان من اعتقد ذلك وفي الفعل ان لم يعتقده والله اعلم ثم
وقوله يسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم الزام مراقبة الله تعالى في السر
والعلانية وتحذير له ليجمعوا بين السر والعلانية وتخويف لهم عن ان يطلع رسوله صلى الله عليه وسلم
على سرايرهم كما اطلعه على امر الكتاب الى اهل مكة ثم في هذه الآية اعظم شيء في زجرهم ونهيهم
عن المعاصي وذلك انه لما اطلعه على جميع ما يتعاطونه من الذنوب سرا وعلانية فاذا علموا ان الرسول
صلى الله عليه وسلم يعلم من سرهم ما يعلم من علانيتهم بما يطلعه الله عليه يحملهم ذلك
على الانتهاء عن المعاصي في السر والعلانية وعلى الاجابة الى ما يدعوهم اليه والله اعلم وقوله
عز وجل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم وجه ذلك وتاويله عندنا والله اعلم
انه لما رآهم رغبوا في اموالهم ومودتهم رغبة منهم في الكفرة ان يحفظوا اولادهم واموالهم
اخبر ان كيف يرغبون في حفظهم ذلك وهم لو قدروا عليكم وظفروا بكم قتلوكم وآذوكم بالسنتهم
فكانه يقول كيف تولوهم من حيث تسرون اليهم بالمودة وهم لو ظفروا بكم قتلوكم وكانوا لكم
اعداء وقوله عز وجل وودوا لو تكفرون يعني انهم يودون ان تكفروا ومع ما يودون
ان تكفروا لو قدروا عليكم قتلوكم فمن كانت حالهم معكم مثل هذا فكيف تطمعون ان يحفظوا
اولادكم واموالكم وقوله عز وجل لن ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم
له وجهان احدهما ان كيف تولون الكفرة لمكان اولادكم وارحامكم وهم لا ينفعونكم يوم القيامة
والثاني ان ارحامكم لا ينفعكم ولا يشفع لكم يوم القيامة وقوله يفصل بينكم اي بينكم وبين
ارحامكم لقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه والثاني اي يفصل بينكم وبين ارحامكم
لاختلاف اعمالكم فينزل كل واحد منكم منزل عمله وقوله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة
في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله الآية
الاصل في انباء المتقدمين انها عبرة لهذه الامة فما ذكر منها في المؤمنين منهم فهو تذكير
للمؤمنين من هذه الامة وتعليم لهم معاملة الكفرة ومنابذتهم على مثل ما فعل المؤمنون منهم
ليعتبروا بهم من ساير الامم وقد ذكر منها في الكفرة من الامم الماضية فهو تخويف لكفرة هذه الامة
لئلا يصنعوا مثل صنيعهم فيستوجبوا من النقمة مثل ما استوجب اولئك وما كان منها في حق الرسل
عليهم السلام فهو في حق التسلي لرسولنا وسيدنا صلى الله عليه وسلم عن بعض ما مسته
واصل آخر ان الخطاب قد يلزم المخاطب مرة بما يخاطب في نفسه ومرة بما يؤمر بالاقتداء بغيره
اذا كان ذلك الغير لم يفعل ما فعله الاعراض ثم ان الله تعالى امر المؤمنين من هذه الامة بالاقتداء

في استغفار ابراهيم

بابراهيم عليه الصلوة والسلام ومن معه من المؤمنين واخبرهم عن معاملتهم اياهم وترك
موالاتهم فكانه قال اتركوا موالاة الكفرة والاسرار اليهم بالمودة ما داموا على كفرهم كما فعله
ابراهيم عليه السلام والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم فنابذوهم ولم يوالوهم فافعلوا
كفعلهم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فكانه قال اقتدوا بهم الا بما قال ابراهيم لابيه لاستغفرن لك
يعنى لا تستغفروا للمشركين مثل ما استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه المشرك لانكم لا تعلمون المعنى
الذى له استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه ثم اختلفوا في المعنى الذى له استغفر ابراهيم لابيه فقال
ابو بكر انه كان صلوات الله عليه وعد ان يستغفر لابيه ورأى ان ايجاب الوعد لازم عليه فاستغفر
لهذا المعنى وقال الحسن انه انما استغفر له لوقت توبته لا في حال الشرك لانه لا يتوهم انه لم يعلم انه لا يحل
ان يستغفر للمشرك ومن علم انه يحل له لم يكن مسلما مؤمنا فثبت انما استغفر لوقت اسلامه وعندنا
الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة من الله تعالى على وجهين احدهما مغفرة رحمة وفضل وكرم والثانى
ان يوفقه للسبب الذى اذا جاء به غفر له الا ترى الى قوله استغفروا ربكم انه كان غفارا اى اطلبوا السبب
الذى اذا جئتم به غفر لكم واذا كان كذلك جاز ان يكون استغفار ابراهيم لابيه على هذا الوجه ان يكون
طلب من الله تعالى التوفيق له بالسبب الذى اذا جاء به غفر له وذلك مستقيم ولكنه لما تبين انه لا يوفقه
لذلك السبب تبرأ منه والله اعلم وقوله وما املك لك من الله من شئ اى لا املك ان ادفع
منك عذاب الله من شئ ولا املك ان اهديك دون ان يهديك الله فكانه قال سوى ان ادعو لك
بالتوفيق للهداية لا املك من عذاب الله من شئ وقوله عز وجل ربنا عليك توكلنا واليك انيب
يجوز ان يكون هذا عند المنابذة واظهار العداوة مع الكفرة يعنى عليك معتمدنا في النصر على اعدائنا
عند قلة عددنا وكثرة عددهم واليك مرجعنا ومفزعنا واليك المصير اذا قبضتنا وقوله عز وجل
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ذكر اهل التفسير ان تاويل هذه الآية يخرج على ثلاثة اوجه
احدها ان لا تسلط علينا اعداءنا فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل اولا تنزل علينا العذاب
دونهم فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل اولا توسع عليهم الدنيا وتضيق علينا فيظنوا انهم على حق
ونحن على باطل ولو كان التأويل هو الثانى لكان يجئ على هذا ان يكون الواجب على العدول
من هذه الامة ان يسألوا الله تعالى العافية لئلا يتوهم فساقهم انهم على الحق ولكن الجواب عن هذا
ان الفساق من هذه الامة قد علموا ان الذى هم فيه من الفسق محظور واما الكفرة فان عندهم ان ما يدينون به
من الكفر حق فاذا سلطوا على المؤمنين توهموا ان الذى حسبوه حقا واما الفسقة من هذه الامة
اذ علموا ان الفسق منهى عنه محظور ولا يقع لهم هذا الحسبان والله اعلم وقوله ويحتمل ان يكون
المعنى من قوله لا تجعلنا فتنة يعنى عذابا اى سببا يعذب به الكفرة كما قال ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك وكان تاويله ايتاء السبب الذى يستوجب به ما وعدتنا على رسلك فكذلك الاول
والله اعلم وقوله عز وجل واغفر لنا ربنا اى اغفر لنا الذنوب الذى يستوجب نصر اعدائنا
علينا وقوله عز وجل انك انت العزيز الحكيم العزيز يعنى المنتقم من اعدائه وقوله عز وجل
لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر يعنى لقد كانت لكم
في ابراهيم والذين معه قدوة حسنة يحسبون بها اذا اقتديتم بهم واطعتموهم وقوله لمن كان
يرجوا الله واليوم الآخر يحتمل معنيين احدهما اى لمن كان يرجوا ثواب الله تعالى والثانى
اى يؤمن بالبعث وذلك ان الله تعالى وصف امر البعث فى كتابه بصفات مختلفة مرة اضافه الى نفسه
بقوله من كان يرجوا لقاء ربه وكان المعنى منه البعث ومرة وصفه بصفة اخرى وان كان المراد

منه الثواب

مطلب ان الخلق عند الله تعالى في كل حال على ما هم عليه في احوالهم

لا يحل ترك العدل لمكان العداوة

منه الثواب ففيه اخبار ان الراجى في الحقيقة هو الطالب لما يرجوه بالاسباب التى يرجوا الوصول بها
الى ما ادعى وارجى والخائف فى الحقيقة هو الهارب عما حذر والمنتهى عما نهى عنه وخطر فان من اعتمد
على مجرد الرجاء والخوف دون التمسك بسببهما فهو متمنى على الله تعالى والدليل على تاييد ما نقول له
قوله عز وجل الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله افلا تراه كيف
حقق معنى الرجاء بالمجاهدة في سبيل الله والعمل بطاعته والله اعلم وان كان على البعث فكذلك
ايضا لانه اذا هرب عما نهى عنه وطلب لما امر به فقد تبين انه يوالى من يفضى موالاته الى ثواب الله ورحمته
وانه يعادى من يفضى عاقبة موالاته الى نقمة الله وعذابه ومعلوم انه لا يفعل ذلك الا من يؤمن بالبعث
لان من لم يؤمن بالبعث فانما يوالى من رجا منه منفعة الدنيا ويهرب عمن يضره في هذه الدنيا والله اعلم
وقوله عز وجل ومن يتول يعنى من تولى عن طاعة الله فيما امر من الاقتداء بهم فان الله غنى
حميد يعنى عن طاعة الخلق ليعلم ان ما امرهم به لم يامرهم لحاجة له في طاعتهم او لمنفعة يرجع
اليه بل هو غنى عن كل ذلك وانما امرهم لحاجتهم الى ذلك ولما علم ان منافع طاعتهم يرجع اليهم
خاصة وقوله عز وجل حميد له معنيان معنى الحامد ومعنى المحمود فان كان المراد منه المحمود
ففيه ان الله تعالى يستحق الحمد من خلقه بما انعم عليهم وان كان المراد منه الحامد فمعناه ان الله تعالى
يحمد الخلق ويشكرهم حتى يجزيهم بالكثير من الثواب عن القليل من الاعمال اذ يثنى عليهم باعمالهم
فهو حميد بهذين المعنيين وقوله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة
والله قدير والله غفور رحيم ان الله امر المؤمنين بمعاداة الكفرة ومنابذتهم وترك موالاتهم
ما داموا كفارا ثم وعد ان يجعل بيننا وبينهم مودة اذا آمنوا فكان من هذا من اعظم الدليل على ان الخلق
عند الله تعالى فى كل حال على ما هم عليه في احوالهم وليس كما قال بعض الجهال انه يؤمن في وقت الاوقات
فهو عند الله مؤمن في حال كفره وهذا خلاف ما وصف الله تعالى في هذه الآية والله اعلم ثم المعتزلة
قد خالفوا هذه الآيات وعاندوها على قولهم وذلك ان الله تعالى قال لا تتخذوا عدوى وعدوكم
اولياء من قولهم ان من كان على خلاف مذهبهم فهو عدو لهم ولا شك انهم يوالونه ويصافونه
وقد نهى الله تعالى من هذا فهذا احدى المخالفتين والثانى ان الله تعالى وعد ان يجعل بيننا
وبينهم مودة ومن قولهم انه لا يقدر على شئ من افعال الخلق فكان الله تعالى على قولهم وعد
ما لا يقدر عليه وهذا لا يكاد يليق بآسفه خلق الله فكيف برب العالمين فثبت انهم عاندوا
هذه الآيات والله اعلم وخلاف ثالث ان الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالقدرة والله قدير
ومن قولهم انه ليس يقدر على شئ من افعال الخلق فاى خلاف اشهر من هذا واظهر والله الموفق
وقوله عز وجل لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وتقسطوا اليهم لا يحتمل ان يكون النهى وغير النهى في الاقساط لان الاقساط هو العدل وليس ينهى
عن العدل الى من كان وليا او عدوا الا ترى الى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا
اعدلوا فقد اخبر انه لا يحل له ترك العدل لمكان العداوة واذا كان كذلك ثبت ان المراد واذا كان كذلك
ثبت ان المراد من هذا النهى وغيره وهو قوله ان تبروهم ثم الذى لم ينه عنه خلاف ما نهى كما
في الظاهر لانه قال لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وقال فيما نهى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
ان تولوهم ومعلوم انه قد يجوز ان تبر من لا يجوز ان يتولاه الا ترى الى قوله وصاحبهما في الدنيا
معروفا ثم نهى عن تولى الكفار بقوله لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء ولكنه لما جاز ان يجتمع فى نفس

جواز البر لمن لا يجوز توليه

واحدة البر وترك التولي فكذلك جاز ان يجتمع واحدة في نفس واحدة البر وترك التولي فكذلك
جاز ان يؤمر بالبر ممن ينهى عن التولي معه والله اعلم ثم قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين يحتمل ان يكون المراد منه لا ينهاكم بل يأمركم ويحتمل ان يكون معناه يرخص لكم كقوله
فما ربحت تجارتهم ومعناه بل خسرت وان كان قد يجوز ان يكون التجارة اذا لم يربح لا يخسر فكذلك
قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين بل يأمركم ان تبروهم ويحتمل ان يكون
المراد بل يرخص لكم ان تبروهم والله اعلم ثم اختلفوا فيمن امر ببرهم ونهى عن توليتهم فقال

في ان النهي عن الشيء امر بضده

بعضهم هم المستضعفون من اهل مكة الذين آمنوا في السر وخشوا اظهاره من المشركين فامر الله تعالى
المؤمنين بالمدينة ان تبروهم بالكتب اليهم ليحتالوا في انقياد انفسهم لان المشركين من اهل مكة
اذا علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لقتالهم كان يجوز ان يخشى على اولئك المؤمنين
المستضعفين فامر هؤلاء ان تبروهم بالكتاب اليهم ليتاهبوا في انفسهم ويحتالوا لما يخشى
عليهم من المشركين والله اعلم وقال بعضهم هذا في الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد وذمة فامر المؤمنين ان تبروا اولئك في ايفاء عهودهم الى مدتهم ونهاهم
عن ان يتولوا من قاتلهم ونقض عهودهم وقال بعضهم في النساء والولدان من المشركين امر المؤمنين
ان تبروهم بترك القتال وان لا يتولوا من قاتلهم من جملة الرجال من المشركين من الرجال
بل يقاتلوهم ثم قال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون اي من يتولهم في الاعتقاد فاولئك
هم الظالمون في حق الاعتقاد او ومن يتولهم في الافعال فاولئك هم الظالمون في حق الافعال
كما وصفنا في قوله فقد ضل سواء السبيل **وقوله** عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات المعنى عندنا والله اعلم اذا جاءكم المؤمنات يعني قايلات انهن مؤمنات فامتحنوهن
لانه لو كان على حقيقة الايمان لم يكن لقوله فامتحنوهن معنى فيما امر بالامتحان يثبت ان تاويل
قوله اذا جاءكم المؤمنات ما وصفنا بديا ومثال هذا ما قال من كفر بالله بعد ايمانه الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان وكان المعنى منه من تكلم بالكفر وقلبه مطمئن بالايمان فكذلك يجوز
ان يكون المعنى من الاول ما سبق ذكره والله اعلم ثم ان المفسرين ذكروا وصف امتحانهن انهن
يحلفن بالله ما اخرجهن من دارهن بغض ازواجهن او يحلفن انهن ما اردن بخروجهن ارضا
سوى ارضهن وانما اردن بذلك الاسلام وهذا تاويل فاسد وذلك انها اسلمت كان الحق
عليها في دينها ان يبغض زوجها الكافر كقوله تعالى وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا
حتى تؤمنوا بالله وحده فكيف يجوز ان يكون صفة امتحانهن ما ذكروا وحكم الشريعة والدين يوجب
ما كن يفعلنه فلذلك قلنا ان هذا التاويل الذي ذكره بعض المفسرين في وصف الامتحان غير مستقيم
ويجوز ان يكون تاويل امتحانهن على وجهين احدهما ان يستوصفن عن الايمان ما هو فاذا اخبرن

سؤال عن الايمان

عن حقيقة الايمان علم انهن مؤمنات والثاني ان يعرض عليهن ما على المؤمنات في ايمانهن
كما قال تعالى لا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن فاذا قبلن ذلك كله كان ذلك امتحانهن
والله اعلم **وقوله** عز وجل الله اعلم بايمانهن هذا يدل على ان الذي كلف به المؤمنون
من امتحانهن انما هو لا ليعلموا من ايمانهن في الظاهر وان الحقيقة انما يعلمها رب العالمين وهذا يبين

في ان العلم علمان علم العمل وعلم الشهادة

ان العلم علمان علم العمل وعلم الشهادة فعلم العمل ما يعلمه الخلق في الظاهر فيعملون به
وعلم الشهادة ما يجوز ان يشهد على الله به وذلك انما يوصل اليه بما يطلعهم الله عليه نصا اما بكتاب
او بسنة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم العمل هو الذي يسوغ فيه الاجتهاد

نحو خبر الاحاد وجهة القياس وغير ذلك **وقوله** عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار ذكر في القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عام الحديبية مشركي اهل مكة على ان من اتاه
من اهل مكة فهو عليهم رد ومن اتى مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لهم وغير ذلك وكتب
بذلك كتابا وهو بالحديبية فلما فرغ من الكتاب اذ اتت سبيعة مسلمة فجاء زوجها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا ذلك وهذه طينة لم تجف
بعد فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن
فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار يقول لا تردوهن الى ازواجهن الكفار لا هن
حل لهم ولا هم يحلون لهن يقول لا يحل نكاح مؤمنة لكافر ولا نكاح كافر لمؤمنة **وقوله** عز وجل
وآتوهم ما انفقوا يقول اعطوا زوجها الكافر ما انفق عليها على ما كان جرى من الصلح بينهم
وبين المسلمين ان ما خرج من نساء اهل مكة الى المدينة مؤمنات لم ترجعوهن الى الكفار
واعطوا ازواجهم ما انفقوا من المهور وما خرج من نساء المسلمين مرتدات لم يردوا الى المدينة
واعطوا ازواجهن ما انفقوا ثم معلوم انه كان يؤخذ باعطاء الصداق وايتاء ما انفق غير الذي
لحق الصداق ولكن كان يؤخذ به من كان من جنسه على ما ذكرنا نظائره فيما تقدم ولذلك
قال اصحابنا ان اهل الاسلام يأخذون من تجار اهل الحرب مجازاة لما يأخذ اهل الحرب
من تجار المسلمين وانما يؤخذ ذلك ممن كان من جنسه وان كان ذلك غير الذي اخذ منهم
وعلى ذلك يقول ان المحنة قد يجوز ان يستوي على البر والفاجر وان ما ينزل بالآدمي
من المحن يجوز ان لا يكون جزاء لما تعاطى من الذنوب والسيئات لان الله تعالى ان يمتحن عبده
في هذه الدنيا مبتدأ وانما في الآخرة فلا يؤخذ فيها احد بذنب اخر بل يجزى كل بعمله ان شرا
فشر وان خيرا فخير والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن
يقول لا اثم عليكم يعني المسلمين ان يتزوجوهن اذا آتيتموهن مهورهن **وقوله** عز وجل
ولا تمسكوا بعصم الكوافر عن ابن عباس رضي الله عنه ان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلمت قبل زوجها ثم اسلم بعد ذلك زوجها فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنكاح
الاول قبل ان ينزل ولا تمسكوا بعصم الكوافر فلما نزلت كان اذا اسلم الزوج وخرج الى دار
الاسلام انقطعت العصمة بينه وبين امرأته وكذلك المرأة اذا خرجت وبقي الزوج ثم **قوله** ولا تمسكوا
بعصم الكوافر قال بعضهم اي بعقد الكوافر فمن كانت له امرأة بمكة كافرة فلا يعتدن بالمرأة الكافرة
فانها كانت بامرأة له وقد انقطعت العصمة بينهما وقال بعضهم ولا تمسكوا بعصم الكوافر خطر
علينا الامتناع والكف والامساك من نكاح المهاجرة لاجل زوجها الحربي وعصمته والعصمة
المنع الكوافر يجوز ان يتناول الرجال وظاهر في هذا الموضع للرجال لانه في ذكر المهاجرات
والله اعلم **وقوله** عز وجل واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا يقول اذا لحقت امرأة المسلم
بكفار مكة فاسألوا مهرها من اهل مكة وردوا الى زوجها وليسألوا ما انفقوا يقول ان جاءت
امرأة من اهل مكة مهاجرة اليكم فردوا على زوجها المشرك ما اعطاها من المهر وذلك من اجل
العهد الذي كان بين اهل مكة وبين النبي صلى الله عليه وسلم **وقوله** ذلكم حكم الله يحكم بينكم
يقول هذا هو حكم الله يحكم بينكم يقول هذا هو حكم الله بين المسلمين والكفار من اهل
العهد من اهل مكة في ان يرد بعضهم على بعض النفقة اي المهر **وقوله** والله عليم حكيم اي فيما حكم
بين المسلمين واهل العهد واهل العهد ما ذكرنا من الحكم **وقوله** وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار

فعاقبتم يقول ان لحقت امرأة مؤمنة بكفار مكة من اهل مكة الحرب ممن ليس بينكم وبينهم عهد لها
زوج عندكم مسلم فعاقبتم اى اعقبكم مالاً من الغنيمة فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
من المهر مما اصبتم من الغنيمة قبل القسمة واتقوا الله فيما فرض عليكم عن هذا الذى انتم به مؤمنون
اى مصدّقون فلا تنقضوه والله اعلم وهكذا روى عن مسروق رحمة الله عليه وعن الزهرى انه قال
من حكم الله تعالى ان يسأل المسلمون من الكفار مهر المرأة المسلمة اذا صارت اليهم ويسال الكفار
من المسلمين مهر من صارت الينا من نسائهم مسلمة فاقرّ المؤمنون بحكم الله وابى المشركون ان يقروا بذلك
فانزل الله تعالى قوله وان فاتكم شئ من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا فامر الله تعالى المسلمين اذا ذهبت امرأة مسلمة ولها زوج الى الكفار ان يردوا الى زوجها
ما اعطاها من المهر من صداق كان فى ايديهم مما يريدون ان يردوا الى المشركين بمهاجرة امرأة منهم
مسلمة الينا وان لم يكن فى ايديهم صداق وجب رده على اهل الحرب فعوضوهم من غنيمة اصبتموها
واصل هذا والله اعلم وان فاتكم شئ مما انفقتم على ازواجكم ثم ظفرتم على اعدائكم وغنمتم فاتوا الذين
ذهبت ازواجهم ما فات منهم مما انفقوا فكانه يقول واسالوا اولئك الذين ذهبت نساؤكم
اليهم ما انفقتم فان سالتم ولم يعطوكم شيئا وفاتكم ذلك من ذلك الوجه ثم قاتلتموهم وغنمتم فاعطوا
الذين فات عنهم ازواجهم ما انفقوا قال رحمه الله اعلم بان هذه الآية ينتظم احكاما احدها
جواز الاجتهاد والعمل بالعلم الظاهر فانه قال فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن
مؤمنات اى بالاجتهاد والامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار وهذا حكم مبنى على العلم الظاهر
دل ان العمل به جائز والثانى ان احد الزوجين اذا اسلم فى دار واحد اما دار الاسلام او دار
الحرب هل تقع الفرقة بنفس الاسلام او بانضمام شئ آخر اليه قال بشر المريسى بان الفرقة
تقع للحال من غير انضمام شئ آخر اليه وقال الشافعى ان كانت المرأة مدخولا بها لم تقع الفرقة
حتى تحيض ثلاث حيض واذا كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة للحال وقال اصحابنا
اذا كانا فى دار الحرب فاسلم احدهما لم يقع الفرقة حتى تحيض ثلاث حيض واذا كانا فى دار

الفرقة بين الزوجين لا تقع بنفس الاسلام من احدهما

الاسلام ذميين فاسلم احدهما لم يقع الفرقة حتى يعرض السلطان الاسلام على الآخر فان عرض
عليه الاسلام وابى فرق بينهما فاما بشر احتج بظاهر قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
الى قوله فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فقد اخبر انه لا يحل واحد
منهما لصاحبه ولم يذكر شيئا آخر فلا يقرن به شئ آخر واما اصحابنا رحمهم الله فانهم احتجوا
وقالوا ان الفرقة لا تقع بنفس الاسلام بقوله اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فلو كانت
الفرقة واقعة بمجرد الايمان لم يكن للامتحان معنى فلما لم يذكر الحرمة الا بالامتحان ثبت ان الفرقة
لا تقع بمجرد الايمان ويجوز ان يكون مثال هذا قوله تعالى الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة وحرم ذلك
على المؤمنين ثم قال والذين يرمون المحصنات ازواجهم فلو كان الزنا يوجب الحرمة لم يكن هو
راميا للزوجة بل اذا قال لها زنيت فكانه قال لم يكن بينى وبينك نكاح فلما شبّه رمى الزوجات
بقوله والذين يرمون ثبت ان الزنا لا يوجب حرمتها عليه فكذلك الايمان بمجرده لو كان يحرمها
على الازواج لم يكن للامر بالامتحان معنى فلما امر بالامتحان على ايمانها بعد ان اظهرت فى نفسها
الايمان ثبت ان الحرمة لا تقع بنفس الايمان حتى ينضم اليه شئ آخر وتبين ان العمل بظاهر الآية
غير ممكن اذ لا يجرى على اطلاقها والله اعلم ودليل ثانى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث اسلموا ثم اسلم نساؤهم من بعدهم لم يروَ عن احدهم انه جدّد النكاح ولو كانت الفرقة

يقع بنفس الاسلام من احد الزوجين لكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بتجديد النكاح
ثبت ان الفرقة بمجرد الاسلام والله اعلم والوجه الثالث ما روى عن الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين على اختلاف الاسباب باختلاف الدارين ونحوه روى عن ابن عباس رضى الله عنه انهما
على النكاح حتى تحيض المرأة ثلاث حيض اذا كانا فى دار الحرب وعن على رضى الله عنه انهما على النكاح
ما داما فى الهجرة وعن عمر رضى الله عنه انهما اذا كانا فى دار الاسلام فاسلم احدهما انهما على النكاح
حين يعرض السلطان الاسلام على الآخر فهؤلاء قد ثبت عنهم ان الفرقة لا تقع بنفس الاسلام الى انضمام
شئ آخر ولم يثبت عن غيرهم خلاف ذلك فيكون اجماعا فلذلك اخذ اصحابنا رحمهم الله تعالى بقولهم
والله اعلم والثالث ان احد الزوجين اذا خرج الى دار الاسلام مهاجرا وبقى الآخر فى دار الحرب
تقع الفرقة بينهما عندنا وعند الشافعى لا تقع الفرقة بتباين الدارين قال لان المسلم اذا دخل بامان
لم يبطل نكاح امرأته وكذلك لو دخل حربى بامان الينا لم يقع الفرقة بينه وبين زوجته وكذلك
لو اسلم الزوجان فى دار الحرب ثم خرج احدهما الى دار الاسلام لم يقع الفرقة فعلم انه لا يعتبر
باختلاف الدارين فى ايجاب الفرقة ولكن عندنا ليس معنى اختلاف الدارين ما ذكرنا انما معناه
ان يكون احدهما من اهل دار الاسلام اما بالاسلام او بالذمة والآخر من اهل دار الحرب فيكون حربيا
كافرا فاما اذا كانا مسلمين فهما من اهل دار واحد وان كان احدهما مقيما فى دار الحرب والآخر
فى دار الاسلام وفى هذه الآية دلالة على ما قلنا من وجوه احدها انه قال فان علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن الى الكفار ولو كانت الزوجية باقية بعد التباين لكان الزوج اولى بها وبان يكون معه
فلا معنى للنهى عن الرجع الى الزوج الكافر وكذا قال عز وجل لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
اثبت الحرمة بين المهاجرات وازواجهن ولا يتصور بقاء النكاح فى غير محل الحل او كان معناه
تحريم الاستمتاع ولكن النكاح لما لم يكن المقصود به الا الاستمتاع وما هذا من آثاره فكان فى تحريم الاستمتاع
تحريم النكاح وكذا قوله تعالى وآتوهم ما انفقوا دليل عليه ايضا فانه امر برد مهرهن الى الزوج
ولو كانت الزوجية باقية لما استحق الزوج استرداد المهر لانه لا يجوز ان يستحق البضع وبدله وكذا
قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ولو كان نكاح الاول باقيا لما جاز للمسلم
فى دار الاسلام ان يتزوجها وكذا قال تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر نهانا عن الامساك والامتناع
من تزويجها لاجل عصمة الزوج الكافر وحرمته دل ان الحرمة تقع بالتباين ودليل آخر من جهة
المعقول على ما ذكرنا وهو انهم اجمعوا انها اذا سُبيت وقعت الفرقة حتى يحل للسابى وطئ المسبية بعد
الاستبراء فاما ان تقع الفرقة باسلامها وقد اتفق الجمهور من الفقهاء رحمهم الله على انه لا تقع الفرقة بنفس
الاسلام اذا كان بعد الدخول ما لم ينضم اليه شئ آخر او بحدوث الملك للسابى ومعلوم ان الملك

اذا بيعت الجارية المنكوحة لم تقع الفرقة

لا يمنع النكاح الا ترى انه يجوز ابتداء العقد على المملوكة ولهذا اذا بيعت الجارية لم تقع الفرقة وان وجدت
الملك فيها للمشترى وكذلك اذا مات رجل وخلف امة منكوحة ثبت الملك فيها للوارث ولا يبطل
النكاح واذا لم يثبت الفرقة بهذين الوجهين لم يبق الا تباين الدارين فدل ان سبب الفرقة هو تباين
الدارين فى المسبية والتباين موجود فى المهاجرة والله اعلم فان احتجوا بما روى عن عكرمة
عن ابن عباس رضى الله عنه قال رد النبى صلى الله عليه وسلم بنته زينب على ابى العاص بن الربيع
بالنكاح الاول بعد سنين وقد كانت زينب هاجرت الى المدينة وبقى زوجها مشركا بمكة ثم ردها
عليه بالنكاح الاول فدل ان اختلاف الدارين لا يوجب الفرقة فنقول له لا يصح الاحتجاج به
من وجوه احدها انه ردها بعد ست سنين بالنكاح الاول ولا خلاف بين الفقهاء انها لا ترد

الى الزوج بالعقد الاول بعد انقضاء ثلاث حيض ومعلوم انه ليس في العادة ان لا يكون ثلاث حيض في ست سنين فسقط الاحتجاج به والثاني انه روى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في اليهودية تسلم قبل زوجها انها املك بنفسها فكان من مذهبه ان الفرقة وقعت باسلامها والراوي متى عمل بخلاف ما روى دل على انتساخ ذلك اذ لا يظن به انه خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالث ان عمرو بن شعيب روى عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم رد بنته زينب رضي الله عنها على ابي العاص بنكاح ثاني فوقع التعارض بين الحديثين فبطل الاحتجاج بالحديث ثم الترجيح لما روينا لان فيما رواه اخبار عن كونها زوجة له بعد ما اسلم الزوج ولم يعلم حدوث عقد ثاني وفي حديث عمرو بن شعيب اخبار عن حدوث عقد ثاني بعد اسلامه والثاني لخبار عن معنى حادث علمه وهذا كما رجحنا حديث ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم على حديث يزيد الاصم انه تزوجها وهو حلال لان في حديث ابن عباس رضي الله عنه اخبار عن حالة حادثة والخبر الاخر عن ظاهر الامر الاول وكحديث بريرة انه كان زوجها حرا حين اعتقت ورواية من روى انه كان عبدا يكون الاول اولى لاخبار عن حال حادثة وفي اخبار عن ظاهر الحال فكان الاول اولى فكذلك هذا والرابع ان المهاجرة لا عدة عليها عند ابي حنيفة رحمه الله وعلى قولهما عليها العدة وهذه الاية دليل لابي حنيفة رحمه الله من وجه احدها انه عز وجل قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار نهى عن الرد الى الزوج الاول ولو كانت عليها العدة لكان للزوج ان يردها الى مسكنه لتعتد الا ترى الى قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم كيف امر الازواج باسكانهن في بيوتهم ما دمن في عدتهن فلما قال هاهنا فلا ترجعوهن الى الكفار دل على لا عدة عليها وكذا قال ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فاباح نكاحها مطلقا من غير ذكر العدة وكذا قال ولا تمسكوا بعصم الكوافر ولو كانت العدة عليها واجبة لكانت العصمة باقية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها الا ترى كيف جعل العدة في حقه واذا كان للزوج عليها حق كانت هي في عصمته وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر يوجب قطع العصمة فلما كان في ايجاب العدة ابقاء العصمة بينهما ونهى الله تعالى عن ذلك فقطعناها واسقطنا العدة عنها والله اعلم ولانهم اجمعوا انها اذا سبيت وقعت الفرقة وسقطت العدة والملك ليس بسبب لاسقاط العدة ولكنه سبب لنقض العدة فلما سقطت العدة عند السبي والمهاجرة والسبي لا يوجب لاسقاط ذلك سقوط العدة لاختلاف الدارين والله اعلم والخامس فيه دليل على ان الكتاب يجوز ان ينسخ حكمه بترك الناس العمل فان في قوله واتوهم ما انفقوا وقوله واسالوا ما انفقتم واسالوا ما انفقوا الحكم متروك من غير ان يكون في تركه كتاب وسنة ولكن الناس لما اجمعوا على تركه وهذا وامثاله في حكم عرف ثبوته على الخصوص لمعنى ثم بعدم المعنى فاما ما لا يعقل معناه يجب العمل بالكتاب ولا يترك بترك الناس ولا يجوز لهم الاجماع على تركه ولا يتحقق الاجماع على ذلك وبعض اصحابنا قالوا انه صار منسوخا بقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وبقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرء مسلم الا من طيبة من نفسه والله اعلم والسادس في قوله تعالى واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا دلالة على انه سوى في الحكم بين اموالنا واموالهم ثم الاجماع جرى على انا اذا غلبنا على اموال اهل الحرب ملكناها فكذلك اذا غلبوا على اموالنا يجب ان يملكوها وفيما اوجب من الحرمة اذا جاءت النسوة الينا مؤمنات مهاجرات دلالة على ان الاحكام في الانفس مختلفة وعلى هذا ما خلف كل واحد منهما من المال في الدار التي هاجر منها الى الاخرى انه يصير فيئا لما لم يرد

مما يحتج في عمل الاجماع على نسخ الكتاب

عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما فتح مكة ان يكون تخصص عن شئ من تلك الاموال التي كانت مخلفة حين هاجروا الى المدينة فلا بد ان يكون ذلك التوارث اولما ذكرنا انها تكون فيئا لهم ومعلوم ان التوارث بين اهل الاسلام واهل الكفر منقطع واذا بطل وجه التوارث ثبت الوجه الاخر والله اعلم والسابع في قوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم دلالة على وجوب العدل بين الاعداء وهو كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنأن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقال ولا يجرمنكم شنأن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وقال هاهنا واسالوا ما انفقتم واسالوا ما انفقوا سوى بين اموالنا واموالهم وهو العدل فكانه يقول ذلك امر في العدل بينكم وبين اعدائكم حكم الله يحكم بينكم لكي اذا علموا ان العداوة لا يحملكم على ترك العدل حملهم ذلك على التالف والتعطف وعلموا انكم اذا تركتم شهواتكم وانفقتم العدل والتسوية فليس ذلك من عندكم ولكن من عند الله تعالى فرغبهم ذلك في الاسلام فكانه قال ذلك الذي امر من العدل وجعله سببا رغب اعدائكم في الاسلام ويحملهم على التالف حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم يعني عليم بما امر من العدل والتسوية حكيم لا يلحقه الخطاء في التدبير فدل ان العدل واجب بينهم والله الموفق والثامن في الاية دلالة على ان النساء اذا ارتددن لم يقتلن فانه قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار فثبت انهم اذا لم تعلموهن مؤمنات رجعوهن الى الكفار لما كان جرى بينهم في الصلح ومعلوم انه اذا رجعن الى الكفار بعد ما اظهرن الايمان كن مرتدات ولو كانت المرتدة يقتل لكان اذا اظهر ذلك عندهم قتلوها ولم يرجعوها الى الكفار فلما ثبت بما وصفنا انهم كانوا يصيرون النساء اليهم مع علمهم انهن مرتدات ثبت ان المرتدة لا يقتل والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات يبايعنك الاية المبايعة والهجرة كانتا واجبتين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومعناهما اليوم واجب ايضا وذلك ان الهجرة انما كانت من مكة الى المدينة لما كان احدهم اذا اسلم يخاف على نفسه من فساد الدين بالكفرة ان لو اقام بين اظهرهم وكان ايضا يحتاج الى علم الشرايع والاحكام وانما ارتفعت الهجرة اليوم من مكة الى المدينة فاما واحد من اهل الحرب اذا اسلم وخشي على نفسه فساد الدين بالكفرة اذ لو اقام بين اظهرهم فالواجب عليه ان يهاجر منها الى دار الاسلام ليامن فساد دينه ويحصل على علم الشرايع واما المبايعة فان معناها في النساء ترغيب الكفرة في الاسلام وفي الرجال حمل الكفرة الى الاسلام وذلك ان الذي امر به النساء من المبايعة من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال والكفرة اذا علموا ان هذا دين يؤمر فيه بمحاسن الامور رغبهم ذلك في الاسلام والذي امر به الرجال انما هو من جهة النصر والمجاهدة مع النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يظهر الاسلام ويتبين وهذان المعنيان على كل في نفسه في زماننا هذا والله اعلم وقوله عز وجل يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا يتوجه الى الاعتقاد والمعاملة جميعا وقوله ولا يسرقن يتضمن النهي عن الخيانة في الاموال كافة والنقصان عن العبادة جملة لانه يقال اسرق السارق من سرق من صلوته وقوله عز وجل ولا يزنين يحتمل ان يكون على حقيقة الزنا ويحتمل ان يكون على حقيقة الزنا وعلى دواعيه على ما روي من قوله عليه الصلوة والسلام اليدان تزنيان والعينان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك ويكذبه وقوله عز وجل ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يحتمل ان يكون نهيا عن النميمة عن الحاق الولد بازواجهن وهن يعلمن انه من الزنا وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقوله عز وجل ولا يعصينك في معروف فكانه امرهن ان ينتهين عن هذه المناهي وان يتبعن امره الا ترى الى قوله يامرون بالمعروف يجوز

في وجوب العدل بين الاعداء

في المبايعة في الزمان الاول

يعني المبايعة باق في زماننا

سرق السارق من سرق صلوته

ان يكون هذا كناية عن الامر لانه بين النواهي والمناكير ثم قال تعالى ولا يعصينك في معروف فكانه امرهن ان ينتهين عن هذه المناهي وان يتبعن امره الا ترى الى قوله تعالى يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله عز وجل فبايعهن واستغفر لهن الله ولم يقل هاهنا امتحنوهن كما قال في المهاجرات ومعنى ذلك عندنا وجهان احدهما انه قد بين ههنا وجه الامتحان بقوله ولا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين فاستغنى عن ذكر الامتحان والوجه الثاني ان المهاجرات اما كن ياتين من دار الحرب ولم يكن علمن الشرايع فاحتيج الى الامتحان واما هولاء كن في دار الاسلام وقد علمن شرايعه فلم يذكر الامتحان لذلك والله اعلم وقوله عز وجل فاستغفر لهن الله هذا يدل على ان الكباير لا يخرجن عن الايمان لانه يعلم ان الاستغفار لما يجيء منهن من تضييع هذه الحدود ولو خرجن بتضييعها من الايمان لم يامر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهن لان الاستغفار طلب المغفرة ويستحيل ان يطلب منه مغفرة من ليس له غفرانه فدل على ما وصفنا ان ارتكاب الكباير لا يخرج صاحبه من الايمان والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم فكان الله عز وجل امرنا ان نغضب على من غضب هو عليه وان نعادي من عاداه ونوالي من والاه وقوله عز وجل قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور الاية له تاويلان احدهما ان اليهود عرفوا وانعت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحرفوه من التوراة فكان في التوراة ان الله تعالى ايسهم من ثوابه في الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا ويجوز ان يكون معناه ييئس هولاء من رحمة الله كما يئس الكفار الذين هم في القبور من رحمة الله تعالى والله اعلم

سورة الصف مدنية وآيها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض قال هاهنا سبح وقال في موضع آخر يسبح ليعلم ان التسبيح غير منقطع وانه قد سبح حين كان ويسبح الى ان يكون وفيه تسفيه اولئك الكفرة المتمردة وذلك ان التسبيح والثناء في الشاهد انما يرجعان الى المسبح والمثني لانه لا يثني الا على من يستحق الثناء ولا يسبح الا من يستحقه فانما تسبيح المسبح والمثني لانه لا يثني الا على من في ثنائه خضوع له وتقرب اليه وذلك يزيد شرفا ونيلا فكان الله عز وجل اخبر انه قد خضع واستسلم له واتى بما فيه شرف له وزين وتقرب الى ربه الا الكفرة فانهم تركوا التسبيح لله تعالى مع ما فيه من نيلهم وشرفهم وزينهم والله الموفق ويجوز ان يكون ذكر سعيهم ايضا من وجه آخر وهو انه لو كان لله تعالى بتسبيح شيء من الخلايق حاجة لكان في تسبيح من ذكر كفاية وغنا عن تسبيح الكفرة ولكنهم تركوا التسبيح والله تعالى غني عنهم وعن تسبيحهم فما تركوه الا لسفههم والله اعلم وقوله وهو العزيز يدل على انه عزيز في ذاته وان ترك التسبيح من الكفرة اياه لا يذله بل هو عزيز منيع وقوله الحكيم يعني حكيم حيث جعل في الاشياء المتضادة علم ربوبيته وآية وحدانيته وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال بعضهم هذه الاية في اهل النفاق في القتال لانهم تمنوا القتال فلما امرهم الله تعالى به قالوا لم كتبت علينا القتال فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون اي لم تعدون ما لا تفون به ومنهم من قال انها في بعض المومنين في القتال ايضا وانها على التقديم والتاخير ووجه ذلك انهم احبوا ان يعملوا باحب الاعمال الى الله تعالى فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم

على تجارة تنجيكم الاية وقوله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فلم يفوا بما وعدوا فانزل الله تعالى يا ايها الذين لم تقولون ما لا تفعلون ويجوز ان يكون هذه الآية في كل مومن لانه قد اعتقد كل من آمن بالله ايمانه الوفاء بما وعده من الطاعة لله تعالى والاستسلام له والخضوع فاذا لم يف بما وعد خيف عليه في كل زلة ان يدخل في هذه الآية وليس احد من المومنين قد وفا بما وعد كله والواجب عليه ان يتوب من ذلك توبة بليغة وقوله عز وجل كبر مقتا عند الله المقت البغض ومن استوجب مقت الله لزمه العقاب لا محالة ولكنه يحتمل ان يكون هذا فيمن اعتقد ترك الوفاء بما وعد واستحلال ما نهاه الله تعالى فيستوجب مقت الله تعالى ونقمته لا محالة وان كان فيمن ثبت على اعتقاده وزل في افعاله فالواجب ان يقسم الذنوب فيلزمه الخوف فيها على مراتبها ودرجاتها والله اعلم وقوله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ليس فيه ان الله تعالى لا يحب المبارز لان الجهاد والقتال على المبارز اشد وذلك انه اذا كان في الصف اعانه على القتال غيره فكان امنه على نفسه في الصف اكثر واما المبارز فانه وحده ليس معه معين فان ظفر صاحبه والاهلاك والخوف عليه في ذلك اشد فيجب ان يكون المحنة فيه اكثر ولكنه يجوز ان يكون الله تعالى علمهم بهذه الآية كيفية القتال ليستعين بعضهم ببعض وليكون كلمتهم واحدة لانهم اذا تفرقوا اختلفت آراؤهم فيخشى عليهم الهزيمة والادبار واذا كانت آراؤهم متفقة وكلمتهم واحدة وشوكتهم واحدة وذلك قوة في القتال وزيادة نصرة والله اعلم وقوله كانهم بنيان مرصوص قال بعضهم ضرب هذا المثل للثبات يعني اذا اصطفوا ثبتوا كالبنيان المرصوص التي يكون ثابتة مستقرة لا ينقض بادنى شيء ومنهم من قال ضرب هذا المثل لان يكون كلمتهم واحدة ويعين بعضهم بعضا ويشبه ان يكون للامرين جميعا لانهم اذا ثبتوا اعان بعضهم بعضا وكانت كلمتهم واحدة كان ذلك ادعى الى الثبات واقرب اليه فلذلك قلنا انه يجوز ان يكون للامرين جميعا والله اعلم ثم المحبة يحتمل وجهين احدهما الرضا عن الخلق والثاني الثنا عليهم بما يفعلون وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم توذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يحتمل وجهين احدهما تنبيه لهم واعلام عن معاملة اعتادوها فيما بينهم من غير ان يعلموا انها اذى لموسى عليه السلام نحو ان قال في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فيجوز ان يكونوا لا يعدون ذلك المعاملة اذى لموسى عليه السلام ولا يعلمونها فاخبرهم انها يوذيه لينتهوا عن ذلك والثاني انه يجوز ان يكونوا اعلموا ان ذلك يوذيه ولكنهم عاندوه وكابروه فيخبرهم ان كيف توذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم وقد علمتم ان حق رسل الملوك التعظيم والتبجيل فكيف رسول رب العالمين فاخبرهم انهم يوذونه شكاية منهم اليهم ثم اختلفوا في الاذى فقال بعضهم ان موسى عليه السلام كان لا يكشف عن نفسه فاذوه بان قالوا ان في يده آفة ومكروها وقال بعضهم ان موسى عليه السلام ذهب مع هرون عليه السلام الى الجبل فقبض هرون في ذلك الجبل فاذوه بان قالوا قتل موسى اخاه ومنهم من قال كانوا يوذونه بالسنتهم حيث قالوا ارنا الله جهرة وبقولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وبقولهم لن نصبر على طعام واحد ولكن الوجه ان لا يشار الى شيء بعينه فانه كان انا وبل هو الوجه الاول لانهم آذوه من غير ان يعلموا ان ذلك يوذيه ان لا يصرف اليه شيء من هذه الاوجه الثلاثة وان كان على الوجه الثاني فكذلك وان كان

خوف فيهم

المعصية حجاب بين الله وعبده ابا الجن الرازي رحمه الله

عظة بليغة

مضرة في التفرق واختلاف عدم الاراء

على الوجه الثالث جاز ان يصرف اليه اى الوجوه منها والله اعلم ثم حق هذا في رسول الله عليه
السلام يخرج على وجهين احدهما انه يجوز ان يكون بنوا اسرائيل اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد كره الله امر موسى عليه السلام وايذائهم اياه ليكون فيه تصبيرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتسكينًا لقلبه او يجوز ان يكون هذا تحذيرًا لاصحابه عن ان يرتكبوا ما يخاف ان يكون فيه اذا له
عليه السلام والله اعلم **وقوله** عز وجل فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم له معنيان احدهما ان يقول
ازاغ الله قلوبهم يعني خلق فعل الزيغ في قلوبهم يعني خذلهم الله ووكلهم الى انفسهم قالت المعتزلة
محتجين علينا ان الله تعالى قال وما يضل به الا الفاسقين ذكر انه انما يضله بعد ما فسق
وانتم تقولون انه يضله وهو يهدى قلنا ان هذا تمويه علينا وذلك انا نقول ان الله تعالى
يضله لوقت اختيار ويزيغه لوقت اختيار الزيغ واذا كان كذلك لم يلزم ما قالت المعتزلة
مع انهم يقولون ان الله تعالى يضله بعد ضلالته بنفسه عقوبة له ويزيد له هدى بعد اهتدائه
ثوابًا له ولا يستقيم ذلك لانا قد نراه في الشاهد يكفر بعد ايمانه ويؤمن بعد كفره واذا كفر بعد ما كان
مؤمنًا وذلك وقت يريد الله تعالى هدى ثوابًا لايمانه المتقدم فاذا كفر فكان هدايته الله تعالى
سببًا لكفره او اذا امن بعد ما كان كافرًا وذلك وقت عقوبته بالكفر فكان عقوبة الله تعالى بالكفر
على الكفر المتقدم كان سببًا للايمان وهذا كلام مستقبح **وقوله** عز وجل والله لا يهدى القوم الفاسقين
يعني الذين علم الله منهم انهم يختارون الظلم والكفر فلا يتوبون منه ولا ينقلعون فلا يهديهم اولئك
واما من علم منهم انه يتوب ويسلم فانه يهديه والله اعلم **وقوله** عز وجل واذ قال عيسى بن مريم
يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقًا لما بين يدى من التوراة قوله مصدقًا يحتمل وجوهًا
احدها ان يقول جئت اليكم بالبعث الذي وصفت في التوراة او مصدقًا بالتوراة وبكتب الله تعالى
ليعلم ان الرسل كان يلزمهم التصديق بالكتب المتقدمة والرسل جميعًا كما يلزم ذلك امتهم او يقول
مصدقًا يعني امركم بعبادة الله عز وجل وتوحيده كما امرتم به في التوراة ليعلم ان الرسل كان دينهم
واحدًا وان كلهم يدعون الى التوحيد وعبادة الرحمن واما الشرايع فقد يجوز اختلافها ولا يدل
ذلك على اختلاف في الدين لان الشرايع قد يختلف في رسول واحد ولا يختلف دينه فكذلك الرسل
جميعًا والله الموفق **وقوله** عز وجل ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد يعني مبشرًا برسول
يصدق بالتوراة على مثل تصديقى فكانه قيل له ما اسمه فقال اسمه احمد **وقوله** عز وجل فلما جاءهم
بالبينات قال بعضهم الذي جاءهم عيسى عليه السلام وقال بعضهم محمد عليه السلام وقد جاءا
جميعًا وقوله بالبينات اى بالبينات التي تبين ان الذي جاء به انما جاء من عند الله **وقوله** هذا سحر
مبين او ساحر واختلفوا فيمن قال له هذا قال بعضهم هو عيسى عليه السلام وقال بعضهم هو محمد
عليه الصلوة والسلام وقد قالوا لهما جميعًا ويحتمل ان يكون هذا قول الاكابر الكفرة للضعفاء منهم
وذلك انهم لم يجدوا سببًا للتمويه سوى ان ينسبوه الى السحر وهذا يدل انه جاءهم بالايات المعجزة
حيث نسبوه الى السحر وقالوا هذا سحر وانا لا نعلم السحر ولو كان الذي جاء به سحرًا كانت حجة
عليهم لانهم قد علموا ان الرسل لم يختلفوا الى السحرة ولم يتعلموا منهم وكان لا يتهيأ لهم اختراعه
من تلقاء انفسهم فلو كان سحرًا كانت حجة عليهم لانهم قد علموا ما ذكرنا ولكن الله تعالى برأه ونزهه
من السحر والله الموفق **وقوله** عز وجل يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره نور الله
يعني دينه وكتابه او رسل الله وقوله بافواههم اى ليست عندهم حجة ولا معنى يدفعون به
هذا النور سوى ان يقولوا بالسنتهم هذا سحر **وقوله** عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب

اى ومن اوحش ظلمًا وافحش ممن تبلغ افتراؤه المبلغ الذي يفترى على الله تعالى الكذب لانهم
قد علموا ان ما نالوا من نعمة وكرامة فانما نالوه بالله ثم كفروا به وكذبوا على الله وعلى رسوله او يقول
لا احد اظلم ممن يفترى على الله الكذب وذلك ان قوله ومن اظلم كلام استفهام ومعلوم ان الله تعالى
لا يستفهم احدًا واذا كان كذلك كان حق كل ما خرج مخرج الاستفهام ان ينظر الى جوابه لو كان
من مستفهم فيستفهم منه معنى قول رب العالمين وانما المفهوم من جواب من يستفهم عن مثل
ان يقول لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب والله يدعوه الى الاسلام وهو ان يجعل
الاشياء كلها سالمة له فهو اذ علم ان ماله من نعمة فانما ناله بالله تعالى وعلم الاشياء كلها لله
فكيف افترى على الله الكذب وهو يعلم فاذ علم هذا فلا احد اظلم منه افترى على الله
الكذب والله الموفق **وقوله** والله متم نوره له اوجه احدها بالحجج والبراهين والثاني
بنصر اهله وغلبته والثالث باظهاره في الاماكن كلها فان كان على النصر والغلبة فقد كان
حتى كان المشركون في خوف والمسلمون في امن الا ترى الى قوله ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبًا من دارهم حتى يأتى وعد الله والى ما روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهرين وان كان بالحجج فقد كان ايضًا لانهم
عجزوا عن ان يأتوا بما يشبه ان يكون مثلا له فضلا من ان يأتوا بمثله فذلك انه قد اتم نوره بالنصر
والغلبة والبراهين والحجج وان كان المراد منه اظهاره فانه يرجى ان يظهر على ما روى انه
اذا نزل عيسى صلوات الله عليه لم يبق على وجه الارض دين الا الاسلام ثم قوله تعالى والله متم نوره
ليس فيه انه كان به شيء من الكدر فصفاه ولكن على ما ذكرناه من التاويل فكذلك لا يجب انهم
من قوله اليوم اكملت لكم دينكم انه كان ناقصًا فاكمله بالشرايع ولكنه على هذه الوجوه يعني اظهر الدين
بالشرايع التي وصفناها في قوله والله متم نوره والله اعلم **وقوله** عز وجل ولو كره الكافرون
وكان حين ذكر الاظهار ولو كره المشركون لان هؤلاء كفروا بالرسول والكتاب وذلك
نعم الله تعالى فقال ولو كره الكافرون واولئك اشركوا به في التوحيد فقال ولو كره المشركون
والله اعلم **وقوله** عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى يعني بما لو اتبعوه اهتدوا به **وقوله**
ودين الحق له اوجه ثلاثة احدها ان يجعل الحق كناية عن الله تعالى فكانه قال ودين الحق والثاني
ان يجعل الحق نعتًا للدين فكانه قال والدين الذي من بين ساير الاديان والثالث ان يقول
والذي يحق كل احد بقوله والانقياد له والله اعلم **وقوله** ليظهره على الدين كله له وجهان احدهما
ان يقول ليظهره يعني يطلع رسوله عليه السلام على كل ما يحتاج في هذا الدين من النوازل
فيكون فيه بيان ان ما جاء عنه عليه الصلوة والسلام في هذه النوازل انما هو بالوحي
وانما اظهره الله تعالى عليه ويحتمل اظهاره هذا الدين في الاماكن كلها قال والدين
هو الخضوع والاستسلام لله تعالى فحقيقته ان يجعل الاشياء كلها سالمة له **وقوله** ولو كره
الكافرون قال الشيخ رحمه الله ويقتضى هذا ولو كره المعتزلة لان اتمام نوره ان كان بالحجج
او بالنصر والغلبة او باظهاره في الاماكن كلها فانما يكون ذلك بافعال العباد ثم اضافه الله تعالى
الى نفسه فثبت ان الله تعالى في افعال العباد صنعًا وتدبيرًا وان افعالهم كلها مخلوقة لله
لا يخرج عن تدبيره ومشيته والله المستعان **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله الايمان بالله ان يؤمن بانه الواحد
الاحد الصمد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ويؤمن بان له الخلق

نصرت بالرعب مسيرة شهرين

والامر وانه قادر لا يعجزه شيء وعليم لا يخفى عليه شيء وحكيم لا يخرج خلقه الاشياء المختلفة من السراء والضراء والظلمة والنور والمرض والصحة عن حكمة وانه ليس كما قالت الثنوية ان خالق الظلمة والشر والقبيح غير خالق النور بل يعلم انه خالق كل شيء سواء من ظلمة ونور وشرا وضرا وسقم وصحة ولا على ما قالت المجوس ان الله تعالى غفل غفلة فتولد منه الشيطان بل هو لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء ولا على ما قالت النصارى حيث شبهوه بالخلق حتى استجازوا ان يكون له ولد ولا على ما قالت القدرية انه لا يقدر شيئا من الشر والسقم ولا الوجع ولا على ما قالت المعتزلة انه ليس له في افعال العباد صنع وتدبير بل يعلمه عليما بكل شيء قديرا على كل شيء متعاليا عن كل شيء من معاني الخلق متنزها عن كل آفة وحاجة وعيب فهذا هو الايمان بالله تعالى عندنا والله اعلم والايمان بالرسول ان يؤمن بان ما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم فهو حق وصدق وقوله عز وجل وتجاهدون في سبيل الله هذا على وجهين احدهما ان يقاتلوا اعداء الله تعالى والثاني ان يجاهدوا في طاعة الله وفيما دعا اليه من عادته والجهاد ينصرف الى انواع اربعة جهاد في سبيل الله بمقاتلة اعدائه والاستقصاء في طاعته وجهاد فيما بينه وبين نفسه ان يجاهد في قهرها ومنعها عن لذاتها وشهواتها وعما يعلم انه يهلكها ويرديها وجهاد فيما بينه وبين الخلق وهو ان يدع الطمع فيهم وان يشفق عليهم ويرحمهم وان لا يرجوهم ولا يخافوهم وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو ان يتخذها زادا لمعاده او مرمة لمعاشه ولا ياخذ منها ما يضره في عقباه وكل هذه الانواع يستقيم ان يسميها جهادا في سبيل الله ثم ان هذه الاية ينتظم مسايل ثلاث احدها ان كيف امرهم بالايمان بعد قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا والثاني ان كيف يرجى له النجاة اذا آمن بالله ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله وقد علق بالكل والثالث ان كيف يخاف عليه العذاب اذا آمن بالله ورسوله وجاهد في سبيل الله وان اتى بالكيس مع قوله ينجيكم من عذاب اما الجواب عن المسئلة الاولى انه يحتمل ان يكون المراد من هذه الاية اهل النفاق فيكون المعنى من قوله يا ايها الذين آمنوا في الظاهر هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله اي تصدقون بقلوبكم ويجوز ان يكون في اهل الكتاب ايضا فكانه قال عز وجل يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة آمنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا الكتاب هذا اذا كان في الكفار فاما اذا كانوا في المؤمنين يجوز ان يكون امر بالايمان من بعد ما آمنوا بمعنى الثبات عليه او الزيادة او بحق التجدد ان الايمان في حادث الاوقات له اسماء ثلاثة الزيادة والثبات والتجدد وذلك ان الله تعالى ذكر هذا النوع في كتابه مرة باسم الزيادة حيث قال فزادتهم ايمانا مع ايمانهم ومرة باسم الثبات بقوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا ومرة باسم الايمان بقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله فان كان على الزيادة والثبات فذلك لطف من الله تعالى وذلك ان الزيادة والثبات هما اسمان ينطلقان على فعل دايم وفعل الايمان منقضي ولكنه يجوز ان يكون الله تعالى بلطفه جعل المنقضي كالدايم فيخرج هذا الفعل مخرج الزيادة والثبات والله اعلم وان كان على التجدد في الاوقات الحادثة مستقيم وذلك لان المرء منهي عن الكفر في كل وقت ياتي عليه فهو اذا اتى بالايمان في ذلك الوقت انتهى عن الكفر فصار لايمانه حكم التجدد والله اعلم وجايز ان يكون المراد بقوله يؤمنون بالله ورسوله ويجاهدون في سبيل الله الاعتقاد واذا كان المراد منه ذلك واتى بما امر من الاعتقاد بهذه الامور ولكنه لم يف بالفعل فهو في رجاء من النجاة والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم خير لكم يعني ذلك الذي امركم به من الايمان بالله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله خير لكم من ان يتبعوا اهواءكم ان كنتم تعلمون يعني ان كنتم

مما يحفظ السنة في الجهاد الاربعة

للايمان اسماء ثلاثة

تعلمون ميانا بعلمهم ان ذلك خير لكم وقوله تعالى يغفر لكم ذنوبكم يعني يغفر الله لكم بتلك التجارة وقوله عز وجل يدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة يجوز ان يكون رغبهم في هذه الاية بما امرهم بتركها وذلك امرهم بمفارقة مساكنهم وانفاق اموالهم بالجهاد وبانفسهم ثم اخبر انهم اذا فعلوا ذلك اتاهم مكان كلها فات عنهم خيرا منها مكان ما فرقوا من المساكن نؤتيهم مساكن طيبة ومكان ما انفقوا من اموالهم نؤتيهم النعيم الدايم ومكان ما افنوا من حيوتهم وانفسهم نؤتيهم حيوة دايمة باقية والله اعلم وقوله عز وجل ذلك الفوز العظيم يعني ذلك الثواب الدايم هو الفوز العظيم وقوله عز وجل واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب فكانه يقول يعطيكم الله بتلك التجارة التي ذلكم عليها ما ذكر من الثواب في الاجل واخرى في تلك نصرة من الله تعالى على اعدائكم في الدنيا وفتح البلاد وبشر المؤمنين بهما وقد فعل الله تعالى ذلك بهم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله هذا كلام يورث شبهة في القلب انه كيف قال كونوا انصار الله والله تعالى لا يخاف من يستنصر عليه غيره ولكن السبيل في كشف هذه الشبهة عن القلوب هو ان المعنى في هذا وفي قوله اقرضوا الله قرضا حسنا وقد وصفنا في ذلك ان الله تعالى جعل ما يصلون به ارحامهم ويتصدقون على فقرائهم كانهم اقرضوه لله كرما منه وفضلا ولطفا فكذلك يحتمل ان يكون جعل ما ينصرف به دينه او رسوله نصرا له تعالى وكذلك قوله ان تنصروا الله ينصركم والمعنى في هذا ان ينصروا دين الله ينصركم او ان ينصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنصروا الحق والله اعلم اي ذلك كان ويحتمل ان يكون المراد من ذلك كله اي اجعلوا ما تنصرون به دينكم لله تعالى ولوجهه وكذلك قوله واقرضوا الله تعالى اجعلوا ذلك لله ولوجهه الكريم ولا بد من ان يكون في هذه الاية اضمار اما في الابتداء او في الانتهاء حتى يستقيم عليه وقوله عز وجل كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله او يكون معناه واضمار في حق الاجابة اي اجيبوا الله ورسوله وكونوا انصارا له كما اجاب قوم عيسى بقولهم نحن انصار الله والحواريين المصطفون المنتقون دينهم عن الشبهة وهم قوم كانوا خيرة عيسى عليه السلام وخاصته حيث دعاهم الى دينه فاجابوه وآمنوا او نقوا دينهم عن كل شبهة وآفة وعيب وقوله عز وجل فآمنت طايفة من بني اسرائيل وكفرت طايفة هذا يحتمل ان يكون في حيوة عيسى عليه السلام حين اتبعه الحواريون ثم دعا بعد ذلك قومه الى دينه فآمنت طايفة وكفرت طايفة فايدنا الذين آمنوا بالبراهين والحجج على الطايفة الذين كفروا فاصبحوا ظاهرين على اعدايهم بالحجج والبراهين ويجوز ان يكون بعد وفاة عيسى عليه السلام حين اختلفوا في ماهيته فمنهم من قال هو الله ومنهم من قال هو ابن الله فكفرت به هذه الطايفة وآمنت به طايفة اخرى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم حين وقع لهم قتال فنصروا عليهم وظفروا والله اعلم تمت السورة بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله

سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض قال يسبح لله ولم يقل يسبح الله وقد جرت العادة في الناس التسبيح بالالف كقولهم سبحان الله وسبحان ربي العظيم فكان حق هذا القول على ما جرت به العادة في اللسان ان يقول يسبح الله ما في السموات وما في الارض

ولكنه يجوز ان يكون هذا من نوع ما يجرى فيه اللفظان جميعا كما يقال شكره وشكر له ونصحه ونصح له
والتسبيح يحتمل اوجها ثلاثة احدها تسبيح الخلقة انك اذا نظرت الى كل شئ على الاشارة اليه والتقييد
ذلك جوهره وخلقته على وحدانية الله تعالى وعلى تعاليه عن الاشباه وبراءته عن جميع العيوب
والآفات فذلك من كل شئ تسبيحه والثانى تسبيح المعرفة ووجه ذلك ان يجعل الله تعالى بلطفه
فى كل شئ حقيقة المعرفة ليعرف الله تعالى وينزهه وان كان لا يبلغه عقولنا الا ترى الى قوله
وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولكن عندنا بواسطة احداث نوع حيوة
فيه اذ المعرفة بدون الحيوة لا يتحقق والوجه الثالث هو ان يكون التسبيح تسبيح ضرورة
وتلقين ووجهه ان الله تعالى يجرى التسبيح على ذلك الجوهر من غير ان يكون له حقيقة المعرفة
كما اظهر من آياته واعلامه على عصى موسى وكما اجرى السفينة على وجه الماء وان لم يكن لها
حقيقة المعرفة وذلك لتسبيح كل شئ والله اعلم وقوله الملك يعنى الملك الذى له ملك الملوك
او الذى له الملك فى الحقيقة وقوله القدوس له تاويلان احدهما الطاهر من كل عيب وآفة
وحاجة او الطاهر بما يحتمله غيره والثانى المبارك يعنى به ينال كل بركة وخير ويجوز
ان يجمع فى المبارك معنى التنزيه من العيوب ومعنى البركة لانك اذا وصفته بالبركة فقد وصفته
بالبراءة من كل عيب واضفت اليه كل بركة ويمن كما روى فى الخبر ان قوله سبحان الله تصف الميزان
والحمد لله يملاء الميزان وكان معناهما عندنا ان قوله سبحان الله يختص بتبرئته من العيوب
والحمد لله ينتظم معنى التنزيه من العيوب ومعنى اضافة النعم كلها اليه فاذا كان فيه
هذان المعنيان جميعا جاز ان يمتلى به الميزان ولما اختص سبحان الله بتطهيره من العيوب ولم يتعد
الى غيره احد نصف الميزان والله اعلم وكذلك هذا الاختلاف فى تاويل قوله فى الارض المقدسة
وقوله العزيز الحكيم العزيز يعنى الغالب القاهر او الذى لا يعجزه شئ او يجوز ان يكون العزيز
مقابل الذليل ينتظم كل فقر وحاجة وضعف فالواجب ان ينتظم العزيز اذا كان ضدا له ومقابلا
كل شرف ومكرمة وغناء وقوة والله الموفق والحكيم قالوا هو الذى يضع الاشياء مواضعها فانه تعالى
حكيم حيث وضع الاشياء مواضعها التى جعلها الله تعالى مواضع لها او الحكيم هو الذى لا يلحقه الخطاء
فى التدبير وهو معنى المصيب ايضا والله اعلم وقوله عز وجل هو الذى بعث فى الاميين
رسولا منهم احتج اهل الكتاب علينا ان الله تعالى انما بعث محمدا رسولا الى الاميين خاصة بهذه الآية
وفهموا منها تخصيص الاميين بارسال الرسول اليهم فيقتضى نفيه عن غيرهم ولكن نقول
لا يجب ان يفهم من الآية نفى ما ذكر فى ظاهرها بل يفهم منها ظاهرها دون النفى والتخصيص بالذكر
لا يحمل على النفى لانه اذا حمل التخصيص بالذكر على نفى غيره ادى الى ما لا يستقيم ولا يحمل الا ترى
الى قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك حيث لم يفهم انه حيث لم يخطه بيمينه ان كان
خطه بشماله ولا من قوله وما كنت تتلوا انه كان يتلى عليه ولكن المعنى من ذلك كله والله اعلم ان الله
بعث رسوله اميا فى قوم اميين لا يعلمون الحكمة وما تيتها وجعل ذلك آية لرسالته وحجة لنبوته
لانه اذا كان اميا لا يكتب ولا يقرا الكتب ثم اتاهم الكتاب مؤلفا منظوما يوافق كتب اهل الكتاب
دل انه انما علم ذلك بالوحى انه لم يختلقه من عند نفسه والله اعلم ثم الدليل على انه كان رسولا
اليهم جميعا قوله كافة للناس بشيرا ونذيرا وما روى عنه عليه السلام انه قال بعثت الى الاحمر
والاسود يعنى الى الانس والجن ولا حجة انه لما بعث الى طايفة ليدعوهم الى طاعة الله تعالى وعبادته
علم انه رسول الى غيرهم اذ لم يكن لهم رسول آخر لان الطايفة الاخرى اذا لم يكن لهم رسول آخر

دليل عموم رسالة حضرة النبى صلى الله عليه وسلم

واحتاجوا

865

واحتاجوا الى معرفة الامر والنهى والى طاعة الرحمن حاجة الطايفة التى بعث اليهم دل انه رسول
اليهم جميعا والله اعلم وقوله بعث فى الاميين رسولا منهم معناه انه بعث صلى الله عليه وسلم
فى قوم اميين لا يعرفون عبادة الله ولا يقرؤن الكتاب بل كانت عادتهم عبادة الاصنام وقيل
فى تأويل الاميين هم الذين لم يؤمنوا بالكتب ولكن هذا فاسد لان الله تعالى سمى نبيه عليه السلام
اميا بقوله النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل وقيل سماهم
اميين لانهم لا يقرؤن عن الكتاب ولا يكتبون على الاعم الاغلب وان كان فيهم القليل ممن يقرا
ويكتب ومن هذا سمى النبى صلى الله عليه وسلم اميا لانه كان لا يكتب ولا يقرا من كتاب ولم يعلم
ذلك قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وعلى ذلك روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم الشهر هكذا واشار باصبعه وقال انما نحن امة امية لا نحسب ولا نكتب
وقال الزجاج الامى هو الذى لا يحسن القراءة والكتابة ولم يتعلم ويكون على ما سقط من امه
فنسب الى حاله ولادته التى سقط من امه لان ذلك انما يكون بالتعليم دون الحال التى يجرى
عليها المولود ثم وجه الحكمة فى جعل النبوة فى الامى ان يكون ذلك سبب معرفة نبوته وعلامة
رسالته بحيث يعلم انه ما اخترع من ذات نفسه اذ لم يعرف الكتابة والقراءة ولا اختلف الى احد
يتعلم منه ثم احوج جميع الحكماء وجميع اهل الكتاب المعرفة كتابه لحسن نظمه وتاليفه ليعلم انه
انما ناله بالوحى والرسالة والله اعلم وقوله تتلوا عليهم آياته الآيات الاعلام فكانه يقول
تتلوا عليهم فى كتابه اعلاما تبين اعلامها رسالته ويظهر نبوته او يجوز ان يكون الآيات
الحلال والحرام وما اشبهه او الآيات الحجج التى يستظهر بها الحق والله اعلم وقوله ويزكيهم
قال بعضهم يصلحهم يعنى يدعوهم الى اتباع ما يصيرون به ازكياء اتقياء او يجوز معنى قوله
ويزكيهم اى يطهرهم من خبث الشرك وخبث الاخلاق وخبث الاقوال والافعال والله اعلم
وقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة اختلفوا فيه قال الحسن هذا الكلام مثنى الكتاب والحكمة واحد
وقال ابو بكر الكتاب ما يتلى من الآيات والحكمة هى الفرايض وقال بعضهم الحكمة هى السنة
لانه كان يتلوا عليهم آياته ويعلمهم سنته اما بلطف من الله تعالى والهامه اياه او بالوحى ومنهم
من قال الحكمة قول صواب عمل به ومنهم من قال الكتاب ما يتلى من الآيات نصا والحكمة
ما اودع فيها من المعانى اى ذلك كان وقوله وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين اى انهم
كانوا عن الكتاب والحكمة لفى ضلال بين ظاهر لانهم كانوا مشركى عبدة الاصنام ليس عندهم
كتاب ولا يعرفون الحكمة ويحتمل ان يكون معنى قوله وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين
اى فى الشرك وعبادة الاصنام فدعاهم الرسول عليه السلام الى التوحيد وترك ما هم
فيه من عبادة الاصنام قال الفقيه رحمه الله وفى قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة ان الله تعالى
انه جعلهم اتقياء ازكياء علماء بعد ما كانوا اميين جهالا سفهاء آية ودلالة على حقيقة دينه
عليه السلام على ساير الاديان حيث لم يكن اهلها كذلك ويكون فيه ترغيبا للآخرين ليصيروا
علماء حكماء وقوله يعلمهم يجوز ان يكون هذا تعليما من الله تعالى انه جعلهم علماء بعد ما كانوا
جهلاء وحكماء بعد ما كانوا سفهاء وازكياء بعد ما كانوا انجاسا واقذارا عبدة الاوثان وذلك
من لطف الله تعالى ثم الاصل ان ما اضيف من هذه الافعال الى الله تعالى فهو على حقيقة الوجود
وما اضيف الى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو على الاسباب من هذه الافعال الى الله تعالى
فهو على حقيقة الوجود وما اضيف الى الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك انه لا يجوز ان يعلم الله تعالى

احداً فلا يجوز عالماً لان تعليمه خلق العلم في المحل الذي اراد وما اراد وخلق يكون لا محالة
فاما يجوز ان يعلمه البشر فلا يتعلم لان تعليمه بسبب لانه ليس له قدرة الخلق والايجاد
فثبت انه على جهة السبب والله الموفق وقوله عز وجل وآخرين منهم لما يلحقوا بهم فان كان معناه
الخفض فهو منسوق على قوله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وفي الآخرين لما يلحقوا بهم
فيكون فيه اخبار ان رسالته تبقى الى آخر الدهر وان كان معناه النصب فهو منسوق على قوله
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم فيكون فيه بشارة انه يكون في الآخرين علماء اتقياء حكماء
كما كان في هؤلاء وقال بعضهم يحتمل ان يكون هذا في اهل النفاق فيكون معناه هو الذي بعث
في الاميين رسولا فيصيرون علماء حكماء مؤمنين على الحقيقة في الظاهر والباطن وآخرين
من هؤلاء الاميين في الظاهر لما يلحقوا بهم في الباطن والتأويل الاول اصح واقرب وقوله
وهو العزيز حيث جعل في كل احد من البشر اثر الذل به والفقر اليه وقوله الحكيم في امره حيث
امرهم بالحكمة او الحكيم في تدبيره حيث جعل في كل مخلوق ما يشهد بوحدانيته وتدبيره فيه
او هو الحكيم في تقديره حيث خلق الاشياء المتضادة من نحو النور والظلمة والليل والنهار لانه
وضع كل شيء موضعه لم يخلط ظلمة بنور ولا نوراً بظلمة ولا ليلاً بنهار ولا نهاراً بليل وقوله
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني ذلك الفضل النبوة والرسالة يؤتيه من يشاء يعني يخلق
من البشر من يصلح للنبوة والرسالة او ذلك الفضل من تعليم الكتاب والحكمة فضل الله يؤتيه
من يشاء وفيه دلالة على كذب قول المعتزلة لان من قولهم ان الله لا يؤتي احداً شيئاً بفضله
بل حق عليه ان يفعل ذلك فاذا كان هذا على الله فعله كان ذلك حقاً يقضيه ومن قضى حقاً
فليس يوصف بالفضل وقد وصف الله تعالى نفسه بالفضل فثبت بهذا كذب قولهم والله الموفق
وقوله عز وجل والله ذو الفضل العظيم اي ذو الفضل العظيم في الدنيا حيث تفضل عليهم
بالكتاب والحكمة بعد ما كانوا جهالاً او يجوز ان يكون هذا في الآخرة ان الله يجزيهم من اعمالهم
الجنة فضلاً منه عليهم والعظيم هو الدائم الباقي والله اعلم وقوله عز وجل مثل الذين حملوا
التورية ثم لم يحملوها له اوجه من التاويل احدها يحتمل ان يكون هذا كناية عن العمل
يعني حملوا العمل بما في التورية فلم يعملوا بها والثاني ان يقول لم يحملوها يعني لم يحملوا
الى من امروا بحملها اليهم على ما امروا لانهم حرفوا وبدلوا ويجوز ان يكون تاويله والله اعلم
انهم كذبوا بالتورية وتلقوها بالعناد والتكذيب فلم ينتفعوا بها فمثلهم كمثل الحمار يحمل كتابا
لا يعلم قدرها وخطرها كما قال كمثل الحمار يحمل اسفاراً لانهم وان عرفوا التوراة لم يحسنوا
لم يعظموها حق تعظيمها وكذبوا بما فيها كانوا كانهم لا يعرفون قدرها وخطرها فصار مثلهم
كمثل الحمار يحمل كتبا لا يعلم ما قدرها وخطرها وهذا التاويل اقرب لانه قال في سياق
هذه الآية بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله فثبت ان المعنى من الاول التكذيب والله اعلم
قال ثم معلوم ان هذا التكذيب والتحريف انما كان من عمل كبرائهم ورؤسائهم فاخبر انهم
كذبوا ولم يعرفوا قدرها حين كذبوا ليزجر ضعفتهم عن اتباعهم ويبين ان رؤساءهم
ليسوا ممن يستحقون الاتباع وفيه ايضا زجر للمسلمين ان يستخفوا كتاب الله والعمل بما فيه والله اعلم
ثم قوله بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله يحتمل وجهين احدهما ان يقول بئس النعت
والصفة صفة الذين بلغ كذبهم مبلغاً كذبوا على الله لان الكاذب في الميعاد موصوف بالشر
فاذا بلغ كذبه مبلغاً يكذب على الله تعالى علم انه في النهاية في الشر فكانه يقول صفة الذين كذبوا

بقاء رسالته الى آخر الدهر

كذب المعتزلة

على الله في الغاية من الشر والقبح او يقول بئس مثل الذين كذبوا بآيات الله لان الله تعالى ضرب امثال
المشركين بكل ما يستخبث ويستقبح وضرب امثال المؤمنين بكل حسن وطيب فقال المثل يعني السنة
الذي سنة الله تعالى به الحكمة بين بآياته سنة قبيح وذلك المثل الذي شبههم مما خلقه وقد سماه بئسا
فثبت ان الله تعالى قد خلق الخبيث والطيب والقبيح والحسن وعند المعتزلة لم يخلق الا الحسن فيكون الآية
حجة عليهم وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين له تاويلان احدهما انه لا يهدي القوم الظالمين
لوقت اختيارهم الظلم والفسق ولا يهديهم بظلمهم الآيات ومكابرتهم وعنادهم اياها فهو لا يهدي
هؤلاء واما من ظلم عن جهل او فسق ثم استرشد فانه يهديه ويرشده والله اعلم وقوله عز وجل
قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
وقال في موضع آخر قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين فكان هنا في بيان ان من كان من اولياء فله الدار الآخرة عند الله خالصة
ومن كانت له الدار الآخرة فهو من اوليائه ويجوز ان يكون بالاثنين جميعا والله اعلم ثم المباهلة
في المتعارف انما هي الحاجة في بلوغ العناد والتمرد غايته فكانه لما قررت عندهم جميع الحجج فلم يقبلوها
امر بالمباهلة فلم يباهله اليهود والنصارى لانه يجوز ان قد كان في كتابهم هذا ان المباهلة
من غاية الحاجة وان من باهل نزل عليه العذاب واللعنة اذ لم يكن محقا فلذلك امتنعوا عن المباهلة
واما العرب من المشركين فلم يكن لهم كتاب يعرفون به حكم المباهلة فباهلوا وذلك انه روي
ان ابا جهل كان يقول اللهم انصر احبنا اليك واقرانا للضيف واوصلنا للرحم فنصر الله تعالى
نبيه عليه السلام فابو جهل باهله لانه لم يكن له كتاب ولم يباهله اليهود والنصارى لما كانت لهم
كتب عرفوا فيها حكم المباهلة والله اعلم وقوله ولا يتمنونه ابداً بما قدمت ايديهم هذه الآية
تدل على رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم لانه لو كان يقوله من نفسه لكانوا يبادرون فيتمنون
الموت للحال ليظهر كذبه فيه فلما اخبر انه لا يتمنوه ابداً ولم يتمنوا تبين انه قال من الوحي
وانهم علموا ذلك حتى امتنعوا عن التمني خوفا للهلاك على انفسهم لعلمهم انهم لو تمنوا
لماتوا والله اعلم وقوله بما قدمت ايديهم اي من تحريف التوراة والانجيل لان قول النصارى
نحن ابناء الله واحباؤه لم يكن في الانجيل وقول اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا لم يكن
في التوراة ولكنهم غيروا وبدلوا فلا يتمنون الموت بما قدمت ايديهم من تحريف هذه الآيات وتبديلها
وتغييرهم نعت محمد عليه الصلوات وقوله والله عليم بالظالمين يعني بظلمهم الآيات
وعنادهم لها ومكابرتهم اياها وقوله قل ان الموت الذي تفرون منه اي الموت الذي
تفرون منه بما قدمت ايديكم من تحريف التورية والانجيل يلقاكم لا محالة وان فررتم منه فيكون فيه
تذكيرهم ان ارجعوا عما يهربون يعني الموت وقوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة يعني
الى عالم ما اشهدتم للخلق من التورية والانجيل وعالم ما غيبتم عن الخلق من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك او الى عالم ما غيبتم في انفسكم واسررتم من تكذيبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وما اشهدتم
عليه ضعفتكم واتباعكم من نهيكم اياهم عن اتباعه وقوله فينبئكم بما كنتم تعملون اي ما عيانا تقرؤونه
في كتابكم يوم القيامة او ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء ان خيراً فخير وان شراً فشر والله المستعان
وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله هذا
السعي يحتمل الوجهين احدهما ان اقبلوا على العمل الذي امرتم به وامضوا فيه والثاني واسعوا
في المشي واسرعوا لان السعي في المشي هو السرعة فيه والسعي في الاعمال هو الاقبال عليها والمبادرة اليها

مباهلة

فان كان المراد من هذا السعي في المشي فخروج الآية مخرج الترهيب والتضييق الا ترى الى قوله وذروا
البيع كيف امرك بترك البيع وقد يمكن البيع في الحال في حال المشي والى قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا
في الارض كيف امر بالانتشار في الارض بعد الفراغ من الفريضة دون ان يذكر هنالك مشيا في اداها
ولو كان المراد منه الترغيب لكان يامر بالعدو اليها فدلت هذه المعاني ان يخرج الآية على الترهيب
والتضييق وان كان السعي في ساير الصلوات المفروضة غير مندوب اليه على ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا اتيتم الصلوة فاتوها وانتم تمشون ولا تاتوها وانتم تسعون عليكم بالسكينة
والوقار ما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا فاختص الجمعة بما ذكرنا من التضييق هاهنا والتوسيع
في ساير الصلوات ولكن الاشبه ان المراد من السعي هو الاقبال على ادايها والتاهب لها والمبادرة اليها
والسعي يستعمل في هذا قال الله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله وان ليس
للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وانما اراد العمل وكذلك روي عن عمر وابن مسعود وابي
وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤا فامضوا الى ذكر الله حتى قال عبد الله لو كانت القراءة فاسعوا
لسعيت ولو سقط رداي لم التفت اليه خوفا من تضييع حقها فذلك يدل على ان تاويل الاول عندهم
على الاقبال والمبادرة اليها دون السرعة والمشي ولا في هذا موافق لساير الصلوات فان العدو
غير مستحب والحديث الوارد في السكينة والوقار مطلق المشي فيه فصل بين الجمعة وغيرها وعليه
اجماع الفقهاء انه يمشي الى الجمعة على هيئته والله اعلم وقوله عز وجل وذروا البيع قال بعض الناس
بانه اذا باع في وقت الجمعة لم يجز بيعه لهذه الآية وعندنا ان البيع جايز لكنه مكروه والذي يدل
على جوازه ان النهي عن البيع في هذه الآية ليس لمكان البيع ولكن لمكان الجمعة فالفساد اذا ورد فانما يرد
في الجمعة لا في البيع لانه اذا باع في الصلوة فالبيع يفسد الصلوة لان الصلوة يفسد البيع ولان الاصل
عندنا ان كل عقد نهي لاجل غيره فالنقصان اذا ورد من النهي فانما يرد في ذلك الغير لا في العقد
وعلى هذا ما روي عنه عليه السلام انه قال المحرم لا ينكح ولا ينكح ان النهي عن النكاح انما هو لمكان الاحرام
ليس لمكان النكاح ولذلك نقول بجواز نكاح المحرم ويفسد الحج اذا جامع بذلك النكاح لان النهي
اذا لم يكن لنفس العقد لم يستقم افساد العقد ليس من اجله والله اعلم ثم لما قال فاسعوا الى ذكر الله
ولم يقل الى الجمعة ولا اليها دل انه قبل الجمعة ذكر يجب الاستماع اليه والسعي اليه فدل هذا على فرضية
الخطبة ولما ثبت ان المعنى من قوله الى ذكر الله ان المراد من الذكر الخطبة ثم امر بترك البيع للسعي
الى هذا الذكر والاستماع له ثبت ان الكلام في وقت الخطبة مكروه وفي وقت خروج الامام للخطبة
مكروه وفي وقت خروج الامام للخطبة ايضا لان البيع في ذلك الوقت مكروه والبيع كلام فيدل على كراهة
كل كلام فيدل على صحة مذهب ابي حنيفة رحمه الله في ان يلزم السكوت اذا خرج الامام حتى يفرغ
من الصلوة وعلى ذلك ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتى الجمعة
ثم صلى ما شاء ان يصلي ثم اذا خرج الامام سكت الى ان يفرغ من صلوته كان ذلك كفارة له الى الجمعة
الى الجمعة وزيادة ثلاثة ايام بعده فلما الزمه السكوت من حين يخرج الامام الى ان يفرغ
من الصلوة ثبت ان الكلام في ذلك الوقت مكروه والله اعلم قال وفي هذه الآية دلالة على كذب
من قال ان الصلوة انما يفترض في آخر الوقت وان من ادى فرضا في اول الوقت فانما يؤدي
تطوعا لانه امر بالسعي وفرض عليه اذا نودي ومعلوم انه يتهيا للامام تاخير الصلوة في ذلك
الوقت وقد فرض عليه مع ذلك فدل هذا على كذب مقالتهم والله اعلم واقبح من هذا انهم
قالوا ان الصلوات مفروضات على الكفرة في حال كفرهم وعلى المسلمين تطوع مع انه يجيء على قولهم

انه ليس احد من الامة ادى فرضا البتة لانه لم يذكر عن احد منهم انه فرط في ادائه الصلوة حتى خاف
خروج وقتها فهذا قول قبيح يجب ان يستتاب عنه صاحبه وعن امثاله والله اعلم وفي هذه الآية
دلالة على ان الجمعة لا يجب على من بعد من الامام بفرسخين لانه امر بالسعي بعد النداء فربما يخشى انه
قد يخرج وقت الجمعة ولا يدركها فثبت انه على ما دونه وهو ان يكون في حد الامصار والله اعلم
ثم الوقت الذي نهي عن البيع فيه يوم الجمعة عن مسروق وجماعة هو وقت الزوال الى ان يفرغ الامام
من الجمعة وعن مجاهد والزهري انه ينهى عن البيع بعد النداء عملا بظاهر الآية اذا نودي للصلوة
من يوم الجمعة والاول اشبه لانه انما يجب الحضور الى الجمعة عند دخول الوقت وهو زوال الشمس
وان تاخر النداء ولان النداء قبل الزوال غير معتبر فكان وجوده وعدمه سواء وقوله عز وجل
فاذا قضيت الصلوة فانتشروا وابتغوا من فضل الله قال رحمه الله خرج هذا في الظاهر مخرج الامر
ولكنه في حكم الاباحة عندنا لان هذا امر خرج على اثر الحظر والاصل المجمع عليه عندهم ان كل امر
خرج على اثر الحظر فهو في حكم الاباحة وما خرج مخرج الاباحة فان الحكم فيه يتصرف على تصرف
الاحوال فان كانت الحالة توجب فرضيته كان فرضا وان كانت توجب واجبا فواجب وان ادبا فادب
والدليل على ان كل امر خرج على اثر حظر كان فرضا فهو في حق الاباحة قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا
وقوله فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ولم يكن ذلك محمولا على الامر الحتم الذي لا يجوز تركه
ولكن على اباحة الاصطياد اي اصطادوا ان شئتم واتوهن ان اردتم فكذلك يجوز ان يكون المعنى
من قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض على ذلك الوجه واذا كان الامر على هذا السبيل صار
كانه قال فاذا قضيت الصلوة التي نودي لها فانتشروا في الارض ان اردتم او ان شئتم والله
المستعان وقوله عز وجل وابتغوا من فضل الله يعني التجارة والكسب قال البيع كانه ينتظم
ابتغاء فضل الله لكن قال فيما خرج الاذن والاطلاق وابتغوا من فضل الله وقال فيما نهى عن ذلك
وذروا البيع وان كان المراد منهما جميعا البيع لانه كان يقبح ان يقول وذروا ابتغاء فضل الله
ولان ابتغاء الفضل يتضمن البيع وغيره فلا يستقيم ان يقال وذروا ابتغاء فضل الله فقال
هاهنا وذروا البيع ليلحقه النهي خاصة واما الاطلاق والاذن فانه يستقيم في البيع وغيره فقال
وابتغوا من فضل الله والله المستعان وقوله واذكروا الله كثيرا يحتمل وجهين احدهما اذكروا الله
كثيرا بالسنتكم وقلوبكم والثاني اذكروا الله بالاقبال على الطاعات التي فيها تحقيق ذكر الله وقوله
لعلكم تفلحون له اوجه احدها على رجاء الفلاح والثاني اذا فعل اي لكي تفلحوا والثالث
على قطع وجوب الفلاح اذا فعل ذلك بما قالوا ان لعل وعسى من الله تعالى واجب وقوله واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما التجارة واللهو لا يريان في الحقيقة وانما يرى اللاهي
والتاجر ولكنه ذكر فيه الرؤية لقرب اللهو من اللاهي والتجارة من التاجر كما قال تعالى
حتى يسمع كلام الله وكما يقال سمعت كلام فلان والكلام ليس بمسموع في الحقيقة وانما المسموع في ذلك
الصوت الذي به يفهم كلامه ولكن اطلق لفظ السماع في ذلك لتقاربهما والله اعلم وبعدنا ان المعنى
من هذا والله اعلم ليس نفس الرؤية وانما المعنى منه عندنا فكانه قال فاذا علموا وذلك
انهم كانوا لا يرون التجارة ولكن ينتهي اليهم خبرها فيعلمون بها والله اعلم وقوله انفضوا
اليها ولم يقل اليهما وقد ذكر شيئين ولم يلحق ما بعدهما من الكناية بهما بل باحدهما ويجوز
مثل ذلك كقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها ولم يقل ولا ينفقونهما ليرجع
الكناية الى جميع ما سبق ذكره وكما قال واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين

وقد رجعت الكناية الى احد المذكورين لا اليهما وكذلك هذا وهذا لان المقصود من خروجهم انما كان هو التجارة دون اللهو ولكنهم انما يعلمون ما يجلب اليهم بذلك اللهو فجاز ان يكون ذكر اللهو لهذا المعنى وانما المقصود من ذلك التجارة وكذلك قوله ولا ينفقونها فذكر حق الانفاق فيما كان الانفاق منه ايسر واسهل في المتعارف وذلك الفضة وان كان الحق واجبا فيهما جميعا لما ان المقصود هو الصرف الى الفقراء فعلى ذلك هاهنا واما المعنى منه عندنا انما خص الصلوة برجوع الكناية اليها لانها ثقلت على اليهود لان القبلة كانت اولا الى بيت المقدس فلما حولت الى الكعبة ثقلت الصلوة الى الكعبة على الكفار فقال وانها لكبيرة يعني الصلوة الى الكعبة والله اعلم فان قيل كيف جاز ان يتفرق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الخطبة الى اللهو والتجارة مع جلالة قدرهم وتعظيمهم للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك السؤال عن ضحكهم حين دخل الاعمى المسجد فوقع في بئر والجواب عن هذا ان القوم كانوا حديث عهد بالاسلام وكانوا من سوقة القوم ومن سفلتها ولم يكونوا عرفوا حق الخاطب وحق الخطبة عليهم وكانت تلك تجارة يأملون منها منافع لو لم يبادروا اليها ذهبت عنهم فانما خرجوا من المسجد جهلا منهم بحق الخطبة والخاطب وبعد فانهم لم يكونوا من اجلة القوم ولا صحبوا اجلتهم ليعرفوا حق الخطبة والخاطب فانقلبت منهم الزلة ومن مثلهم لا يستدرك مثل هذه فاما الذين كانوا من اجلة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ومن علمائهم فلم يتفرق احد منهم وكذلك امر الضحك ايضا يجوز ان يكون من ضحك من اتباع القوم وسفلتهم ولم يكونوا من الاجلة والحياء ولا يستنكر من مثل اولئك هذا الصنيع والله اعلم قال والمعنى من ترك النبي صلى الله عليه وسلم نهيهم عن الخروج وجهان احدهما ان الكلام كان محرما وقت الخطبة فلم ينههم للنهي عن الكلام في ذلك الوقت والثاني يجوز ان يكونوا اسرعوا الخروج فلم يبلغهم نهيا ولم ينههم لما علم انهم لم يسمعوا والله اعلم وفي الخبر انه عد الذين ثبتوا معه بعدما فرغ من الصلوة فوجدهم اثنى عشر رجلا فقال لو لحق اخركم باولكم لاضطرم الوادي نارا اي المدينة ففي هذا دلالة على ان الجمعة يقام بدون الاربعين لانه عليه الصلوة والسلام جمع باثنى عشر رجلا والله اعلم وقوله وتركوك قايما هذا يدل على ان الخطبة انما يكون قايما وقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة الاية قال امام الهدى رحمه الله ولولا هذا قد كان يعلم ان ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ولكن المعنى من ذلك والله اعلم ان الدنيا كلها متجر وان اهلها فيها تجار واما تجارة الدنيا او تجارة الاخرة لان الطاعة والعبادة في الاعتبار كانها تجارة لانه يكتسب بها منافع الاخرة وتجارة الدنيا يكتسب بها منافع الدنيا فقال التجارة التي عند الله في طاعته واكتساب منافع الاخرة خير من اللهو ومن التجارة التي يكتسب بها منافع الدنيا والله اعلم وجايز ان يكون معناه كانه قال اتقوا الله فانكم اذا ابقيتموه اكتسبتم به المنافع في الرزق وغيره والتجارة الدنيوية لا يكتسب بها الا منافع الدنيا الا ترى الى قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال في موضع اخر يكفر عنه سيئاته فاذا كان التقوى يستفاد به الرزق والشرف في الامور وكفارة الذنوب والتجارة لا يكتسب بها الا منافع الدنيا فرغبهم فيما فيه جملة المنافع وهو التقوى ليمكثوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فيقول رغبتكم فيما يكتسبكم جملة المنافع اذا ابقيتم ومكثتم عند النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة التي يكتسبكم منفعة واحدة والله اعلم وقوله عز وجل والله خير الرازقين ليس يقتضي ذكر هذا ان هنالك رازقا آخر

ليكون هو خيرهم ولكن المعنى من هذا وفي قوله واحسن الخالقين واحكم الحاكمين لانه لو كان هو خير الرازقين واحسن الخالقين واحكم الحاكمين لانه لا يحكم الا عدلا ولا الخلق الا ما فيه حكمة فكذلك قوله والله خير الرازقين وجايز ان يضاف الرزق والخلق والحكم الى العبيد مجازا فقال والله خير الرازقين ممن يرزقكم لان غيره من الخلق انما يرزق غيره من رزقه بعد ان يحكمه ويفعل بتوفيقه وتسديده فقال والله خير الرازقين الذين يرزقون من رزقه والله اعلم ،

سورة المنافقون مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله اختلفوا في تأويل قوله تعالى نشهد قال بعضهم نشهد بمعنى نقسم ونحلف وقال بعضهم نشهد على ابتداء الشهادة فمن حمله على القسم قرأ اتخذوا ايمانهم جنة يعني حلفهم ومن حمله على الشهادة ابتدأ قرأ اتخذوا ايمانهم يعني تصديقهم ليس انهما قراءة واحدة فقرئت بلفظين ولكنهما كانا جميعا فقرئت بالمعنيين جميعا والله اعلم وقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون والاشكال ان كيف قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهم انما قالوا نشهد انك لرسول الله ومعلوم ان هذا القول منهم صدق ولكن المعنى من هذا والله اعلم انهم طعنوا فيما اظهروا من الخلاف والتكذيب عند غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على صنيعهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون نشهد انك لرسول الله وان ما بلغك منا من القول كذب وما قلناه فاخبر الله تعالى انهم كاذبون فيما اخبروا وانهم ما قالوه الا ترى الى قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ويحتمل ان يكون معناه انا نشهد ان في قلوبنا انك لرسول الله كما نظهره بالسنتنا فاخبر تعالى ان المنافقين لكاذبون فيما يشهدون بالايمان في قلوبهم ويعلم ان يكون المعنى من قوله نشهد اي نعلم برسالتك في قلوبنا والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فيما اخبروا انهم يعلمون رسالته في قلوبهم وقد كان لزمهم العلم برسالته من جهة الايات والحجج ولكن تعاموا عن ذلك العلم استخفافا منهم وتعنتا فصار ذلك العلم كالجهل الحقيقي ثم اخبر عن انفسهم وضمايرهم انهم يعلمون واخبر الله تعالى انهم كاذبون انهم يعلمون برسالته والله اعلم ثم الواجب ان يعلم ما الذي احوجهم الى ان قالوا نشهد انك لرسول الله وقد كان كثير من المؤمنين يلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقولون ذلك فكيف قال المنافقون ذلك فمعناه عندنا والله اعلم انهم حيث اعتادوا مخادعة الله ورسوله امتحنهم الله تعالى بهذه المقالة ويحتمل ان يكونوا جروا على عادتهم ان من عادتهم انهم اذا لقوا المسلمين قالوا آمنا بمثل ما آمنتم واذا لقوا المشركين قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن فاذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انا نشهد انك لرسول الله على عادتهم في كل جنس بما يليق به وبمذهبه والله اعلم او يجوز ان يكونوا يخافون ان قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم وتكذيبهم فكانوا اذا لقوه قالوا نشهد انك لرسول الله اعتذارا من ذلك الخلاف لو بلغه الا ترى الى قوله يحسبون كل صيحة عليهم كانوا يحسبون من سوء ما يضمرون في قلوبهم من النفاق ان كل من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما يكلمه بسببهم فكذلك الاول والله اعلم ثم قال هاهنا نشهد ولم يقل نشهد بالله لان المعنى من هذا الحلف والحلف من المؤمن في المتعارف انما يكون بالله تعالى فلذلك اجتزى بقوله نشهد عن قوله بالله فيكون

هذا دليل لقول اصحابنا ان قوله نشهد يكون يمينا حيث ذكرها هنا بطريق القسم والمعنى ما اشر اليه
والله اعلم وقوله فصدوا عن سبيل الله له تاويلان احدهما صدوا اى اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله
والايمان برسوله والثانى صدوا الضعفة عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به
وقوله انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس ما كانوا يعملون من صد الضعفة والاتباع من الايمان برسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا له تاويلان احدهما ذلك بانهم آمنوا بلسانهم
ثم كفروا بقلوبهم والثانى على حقيقة الايمان والكفر وذلك انهم لما راوا قلة المسلمين وضعفهم
فى انفسهم يوم بدر ثم راوهم مع هذه القلة والضعف غلبوا على الكفار مع كثرتهم آمنوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم وراوا انهم لا يغلبون ابدا ثم ان المسلمين لما غلبوا يوم احد واصابهم ما اصابهم
اضطربوا فى ايمانهم وشكوا وكفروا وذلك بمعنى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه
خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه فذلك تاويل قوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا
وقوله ذلك اشارة الى ان السبب الذى تولد منه نفاقهم وحلفهم وقولهم نشهد انك لرسول الله
بانهم آمنوا ثم كفروا ويحتمل انه لم يكن منهم حقيقة ايمان ولا كفر ولكنهم كانوا قوما همتهم الدنيا وسعتها
وكانوا يكونون مع من يكون معه الدنيا ان راوا مع المؤمنين اظهروا من انفسهم انهم مؤمنون
وان راوا مع الكفار اظهروا انهم كفار لا ان يكون منهم حقيقة ايمان او كفر والله المستعان
وقوله وطبع على قلوبهم الطبع يجوز ان يكون كناية عن ستر وظلمة على قلوبهم فلا يرون به
الحق ويحجبه قال ويجوز ان يجعل الله تعالى الكفر ظلمة فى القلب لا يبصرون به الحجج والآيات
او يجوز ان يجعل الكفر كنا فى قلبه ليضيق فلا يرى من بعد ذلك منافعه ومضاره الا من ذلك الوجه
فيكفر وانما كان فذلك معنى الطبع يعنى ان اشتغالهم بالكفر وكسبهم اياه غطى قلوبهم له
وسترها من ان يبصروا الحق ويحجبه والله اعلم قال الفقيه رحمه الله فى قوله تعالى اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ان المنافقين لم يجيئوا باجمعهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانما جاءه بعضهم وكذلك فى قوله نشهد لان المعنى من قوله نشهد فى بعض التاويلات
يقسم والقسم ليس من فعل الاتباع والسفلة وانما ذلك من فعل الاجلة والرؤساء فدل
انه انما تعاطى هذا الفعل بعض المنافقين ثم ذكر الله تعالى ذلك البعض بلفظ الكل فعلم انه ليس
كل ما خرج فى الظاهر مخرج العموم يثبت لكل من دخل تحت ذلك الاسم ولكنه ينظر فى معنى اللفظ
وحقيقته فان كان الدليل يوجب تعميمه اجرى على عمومه وان كان يوجب تخصيصه اجرى على خصوصه
والله اعلم وقوله عز وجل فهم لا يفقهون يحتمل ان يكون معناه اى لا يفقهون لانه طبع على قلوبهم
والا لم يعرضوا عن الحق والآيات وذلك انهم كانوا يظنون انهم على الحق فاخبر انهم لا يفقهون
انه طبع على قلوبهم حتى ظنوا انهم على الحق وجعلوا جميع همتهم فى المنافع والمضار الدنيوية
والا لو فقهوا ان لله تعالى دارا اخرى يجازون فيها باعمالهم لعلموا انه لا بد من دين يدينون
ولم ينظروا الى منافعهم ومضارهم والله المستعان ويحتمل اى لا يفقهون عن الله تعالى
وانه تعبدهم وامرهم بطاعة رسوله واتباعه ويحتمل اى لا يفقهون انهم يتعبدون وان لله
دارا اخرى يسألهم عما فعلوا ويجازيهم على جميع ذلك ثم قال هاهنا لا يفقهون ولم يقل
لا يعلمون لان الفقه انما هو الذى يعرف به الشئ بالشئ فاخبر انهم لا يعرفون الآخرة
بالدنيا وقال ابن سريج الفقه هو معرفة الشئ بمعناه الدال على نظيره وعندنا ان الفقه
هو معرفة الشئ بمعناه الدال على غيره كان ذلك نظيرا له او لم يكن لان من عرف الخلق بفنائهم

دله ذلك على معرفة الصانع ومن عرف الدنيا دله ذلك على معرفة الآخرة وليسا بنظيرين ثم بين
الفقه والعلم فضل من وجه وان كانا جميعا فى الحقيقة يرجعان الى معنى واحد لان العلم
انما هو تجلى الشئ له وظهوره بنفسه والفقه يعرف بغيره استدلالا ولذلك جاز ان يقال لله تعالى
عالم لتجلى الاشياء له ولم يجز ان يقال ان الله فقيه لانه لا يعرف الاشياء بالاستدلال لذلك والله الموفق
والحكمة وضع الاشياء مواضعها والايقان انما هو يتولد من ظهور الاسباب وان لك جاز ان يقال
ان الله تعالى حكيم ولم يجز ان يقال انه موقن والله المستعان وقوله عز وجل واذا رايتهم
تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم فى هذا بيان ان الله تعالى قد كان اتاهم حسن الصورة
وحسن البيان وانه قد اتاهم العلم لان حسن البيان لا يكاد يكون الا عن علم فكان الله تعالى ذكر نعمه
التى اتاهم فانهم لم يشكروا انعم واساؤا صحبتها فكانه يقول كيف يرجوا منهم حسن الصحبة لك وانهم
لم يحسنوا صحبة نعم رب العالمين فيكون بعض التسلى لما اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء
صنيعهم بتروا عراضهم عن اتباعه وطاعته وقوله عز وجل وان يقولوا تسمع لقولهم يعنى وان يقولوا
تحسب قولهم حقا فتسمع لقولهم لتقبله ويحتمل او تسمع لقولهم لما يعجبك قولهم او تسمع لقولهم
على ما كانت عادته عليه السلام فى كل من كلمه انه لا يغير عليه ولا يقطع كلامه حتى يفرغ منه ثم قبله ان كان
مما يجب قبوله وغير على صاحبه ورده ان كان مستحقا للتغيير عليه والله اعلم وقوله عز وجل كانهم
خشب مسندة يقول انهم فيما يكون من جانبهم وناحيتهم من حسن الصورة والبيان بحيث يعجبك
وفيما يلقى اليهم من الحق والدين والحكمة كانهم خشب مسندة لا ينجع فيهم الحق ولا يقبلونه كالخشب المسندة
ويحتمل هذا تمثيلا بالخشب من حيث ان الخشب المسندة فى الظاهر هى الخشب اليابسة التى لا اجواف لها
فيوضع فيها شئ فكذلك المنافقون كانهم خشب مسندة من حيث ان الخشب المسندة ليس لها اسماع ولا ابصار
ولا قلوب فكذلك المنافقون كانهم صم بكم عمى فى ناحية الحق وقبوله والله المستعان وقوله عز وجل
يحسبون كل صيحة عليهم يحتمل وجهين احدهما يحسبون كل صيحة سمعوها كلمة تهتك عليهم سترهم
وتفضحهم الا ترى الى قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم فاخبر
انهم كانوا يحسبون فضيحتهم وهتك استارهم والاطلاع على ما فى قلوبهم فكذلك يحسبون ان من كلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما تكلم بما يهتك عليهم استارهم ويفضحهم والله المستعان والثانى
يحتمل ان يكون ذلك فى الحروب انهم كلما سمعوا صيحة فى الحرب خافوا ان يكون فيه هلاكهم وذلك
انهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق على حدة واذا وافقوا هذا الفريق صاروا حربا للفريق الآخر
واذا وافقوا الآخر صاروا حربا لهؤلاء فاخبر الله تعالى انهم يحسبون من كل صيحة سمعوها ان يكون
ذلك سببا لهلاكهم ويحتمل ان يكون الله تعالى عاقبتهم بالخوف الدائم لتاميلهم الامن من وجه
لم يؤذن لهم فيه وذلك لما وصفنا انهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق رجاء امنهم وكان جميع
مقاصدهم فى ذلك تحصيل منافع الدنيا دون الديانة بدين من الاديان وذلك غير ماذون
فيه فلما اثروا ذلك واختاروه من غير ان يؤذن لهم عاقبتهم بالخوف الدائم اما عن الافتضاح
والاطلاع على ما فى قلوبهم او عن الهلاك والله اعلم وقوله هم العدو فاحذرهم له اوجه من التاويل
احدها ان يقول هم العدو يعنى انهم اعدى عدوكم فاحذرهم فى جميع احوالهم فى المطعم والمشرب
وغيره لان الحذر عمن قرب من الاعداء ودنا اوجب ممن بعد وتنأى واحذرهم ان تطلعهم
على سرك فيما تريد وتضمر من الجهاد والحروب فيحتالون به على هلاكك او يطلعون الكفرة على سرك
او احذرهم ان يقتل منهم قولا يقولونه عن اصحابك لانهم يغرون اصحابك عليك فاحذرهم ان يميل

قولهم على اصحابك وقوله عز وجل قاتلهم الله يعني لعنهم وقوله انى يؤفكون له تاويلان
احدهما ان يقول اى سبب يمنعهم عن الايمان بك وطاعتك واتباعك وقد اتيتهم بالايات
والحجج في اطلاعك على سرايرهم وذلك لا يكون الا عن الوحي ويقول انى يؤفكون يعني انى يكذبون
تقليدا باولئك الكفرة من غير ان يظهر لهم في ذلك آية وحجة ولا يعقلون البرهان والحجة
فيتبعونك والله اعلم وقوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ظاهر
هذه الاية ان هذا القول منه انما كان لجملة المنافقين وكذلك قوله تعالى ليخرجن الاعز
منها الاذل وروي في الخبر ان هذه الاية نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق لانه روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كلما قام يوم الجمعة قام عبد الله بن ابي بن سلول
في ناحية المسجد وقال هذا رسول الله فوقروه وعظموه حتى نزلت هذه السورة فقال
بمثل مقالته فقال له عمر رضي الله عنه اجلس يا كافر فان الله تعالى قد فضحك قال فخرج
من المسجد قبل ان يصلي الجمعة فاستقبله بعض القوم فسألوه عن خروجه من المسجد قبل اداء
الجمعة فاخبرهم عن القصة فقالوا ارجع الى رسول الله وسله ان يستغفر لك فلوى راسه
وقال ما لي الى استغفاره حاجة وروي انه لما قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
ثم اراد دخول المدينة من بعد هذه المقالة فحبسه ابنه عن دخول المدينة وقال لا ادعك
تدخلها ما لم تقر انك الاذل وان رسول الله هو الاعز فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر ان يخلي عن ابيه ثم قال له انك اولى ان يسمى عبد الله من ابيك فسمي من بعد ذلك عبد الله
وكان يسمى حبابا فهذان الخبران يدلان على ان هذه الاية انما نزلت في واحد منهم وظاهرها
تدل على ذلك كان في جملة المنافقين ولكن الوجه في ذلك عندنا والله اعلم انه يجوز ان يكون
اعتقاد جملتهم على ذلك فذكرهم الله تعالى جملة لاعتقادهم عليه وذلك انهم كانوا اقواما
لا يؤمنون بالاخرة والاستغفار انما هو طلب المغفرة وذلك انما يتحقق في الاخرة فاذا كان
على هذا اصل اعتقادهم جملة ذكر الله تعالى على ذلك وكذلك قوله ليخرجن الاعز منها الاذل
كان عندهم ان الله تعالى انما اتاهم العز والغناء والشرف لفضيلة لهم على محمد صلى الله عليه وسلم
فكانوا ينكرون عليه من ذلك الوجه ثم ان الله بما ذكر في هذه الاية ابان انه قد كان اتاهم جميع
ما به العز والشرف في الدنيا ليمتحنهم بحقوق هذه النعم وتعظيمها وشكرها وانهم بلغوا
في كل ذلك غاية ما عليه عمل الكفرة في سوء الصحبة بالنعم وذلك انه لما قال واذا رايتهم
تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم دل انه كان اتاهم حسن الصورة وحسن البيان
ولما قال هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا دل انه قد كان اتاهم
الغنا ولما قال ليخرجن الاعز منها الاذل دل انه قد كان اتاهم العز والشرف ومعلوم
ان هذه الاسباب التي وصفناها اسباب العز والشرف في الظاهر ثم اخبر انهم تركوا شكر ما انعم
عليهم في تعظيم الحق واداء شكره وانهم بلغوا في الباطن في كل شيء من ذلك غايته في سوء الصنيع
لانه دل بقوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على غاية البخل حيث امتنع من الانفاق بنفسه
وامر غيره ان لا ينفق ايضا وذلك في غاية البخل ولما قال كانهم خشب مسندة دل انهم كانوا في الغفلة
من ذكر الله وقبول الموعظة غايته ولما قال واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤسهم دل انهم كانوا في الاستخفاف بحيث تركوا الانصاف واخذوا سبيل الاعتساف والاستكبار
عليه غايته ولما قال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم دل انهم كانوا

في سوء السريرة غايته قال ويجوز ان يقع كل ذلك منهم لوجهين احدهما انهم انما راوا ذلك
تفضيلا لهم على غيرهم فكانوا يتكبرون ويستعظمون على غيرهم ويستخفون برسول الله
صلى الله عليه وسلم لذلك الوجه ولم يتاملوا ولم يتفكروا ليتبين لهم ان الله تعالى اتاهم
جميع ذلك النعم محنة عليهم تعبدهم باداء شكرها وتعظيم حقها وذلك معنى لا يفقهون اي لا يتاملون
النظر في هذه النعم وذلك انه لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلزمهم ان يتاملوا
فيما اوتوا من النعم وينظروا فاذا تفكروا في ذلك ولم يجدوا لهم عند الله صنعا استوجبوا
منه مكافاة لذلك ولا لهم فضل يفضلهم الله بها على غيرهم فكان يتبين لهم ان الله تعالى
انما اعطاهم هذه النعم محنة ليتعبدهم باداء شكرها ولذلك وقع الفضل فيما بين العلم
والفقه ان ما كان حقه التامل والنظر فحق اللفظ فيه ان يقال يفقهون ولا يفقهون
وما كان حق العلم به السماع والخبر اطلق فيه لفظ ولذلك قال عند العزة والغلبة والنصر
لا يعلمون لانهم لم يكونوا يعلمون النصر والغلبة لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله اعلم وقوله عز وجل ورايتهم يصدون وهم مستكبرون له وجهان احدهما
رايتهم يصدون عن طاعتك واتباعك والثاني يصدون ضعفتهم عن اتباعك وقوله
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لانهم لم يعدوا ذلك زلة وذنبا لانه كان عندهم
انهم على الحق والثاني ما قلنا انهم كانوا لا يؤمنون بالاخرة والمغفرة انما يطلب من الله ويتحقق ذلك
في الاخرة وقوله عز وجل لن يغفر الله لهم على ذلك ايضا انه لا يغفر استغفرت ام لم تستغفر
قال رحمه الله ورسول الله عليه السلام كان لا يستغفر للمنافقين بعد ما ظهر عنده نفاقهم
ولكنه يجوز ان يكون هذا قبل ظهور نفاقهم له والله اعلم ثم قوله تعالى لن يغفر الله لهم يحتمل
وجهين احدهما يقول لن يغفر الله لهم ما داموا على النفاق ولم يتوبوا والثاني ان يقول
لن يغفر لهم في قوم علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا فقال فاولئك لن يغفر الله وكذلك هذا
في قوله سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله عز وجل ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين فيه ان الله تعالى يملك هداية وراء هداية البيان لان من لم يملك شيئا
لم يستقم ان يوصف بالتعظيم انه لا يفعل لانه يعلم اذا لم يقدر ولم يملك لا يفعل وانما يوصف
بهذا من يملك ذلك ولكن لا يفعل فلو لم يملك ولم يقدر خلق فعل الاهتداء فيهم لم يوصف بانه
لا يهدي القوم الفاسقين فدل انه يملك هداية وراء هداية البيان وهو خلق الاهتداء فيمن علم
منه ذلك والله الموفق وقال ابو بكر معنى قوله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم لفسقهم
وقالت المعتزلة اي لا يسميهم مهتدين اذا فسقوا وضلوا وايهما كان فهو محال لان من هدى
ضالا للضلالة فهو سفيه فكانه يقول لا يسفه ومن سمى الضال مهتديا فهو كاذب فكانه قال
لا يكذب وهما جميعا غير مستقيم لانا لا نعلم انه لا يسفه ولا يكذب فثبت ان في ملكه هداية يهدي
من يشاء من عباده سوى هداية البيان واذا ثبت ما وصفنا ان في ملكه هداية البيان ثبت ان له
فيها مشيئة لان من ملك شيئا لم يجز ان يقطع عنه مشيئته فلذلك قلنا ان الله تعالى يضل من يشاء
من عباده لمن علم انه يؤثر الكفر ويختاره على الهدى ويهدي من يشاء لمن علم انه يؤثر الهدى
على الضلالة فيهديه لذلك ويوفقه ويسدده والله المستعان وقوله عز وجل هم الذين يقولون
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا قد وصفنا ان هذا من غاية بخلهم وقوله حتى ينفضوا
دلالة انهم ارادوا اطفاء هذا النور واخفاءه فابى الله تعالى الا اظهاره وقوله عز وجل ولله خزائن

السموات والارض يبسطها على المنافقين ليمتحنهم بالانفاق على المؤمنين او لله خزاين السموات
والارض يضيقها على المؤمنين ليمتحنهم بالصبر فى حال الضيق ويجوز ان يكون هذا بشارة للمؤمنين
بان الله تعالى يوسع عليهم الدنيا بعد ما ضاقت وقد جعل حيث فتح لهم الفتوح واتاهم النصر
والغلبة على اعدايهم والله اعلم وقوله عز وجل يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل الاعز قد يحتمل معانى احدها الاغلب والاقهر على مثال قوله وعزنى فى الخطاب اى غلبنى
فى الخصومة والثانى الاقوى والاشد على مثال قوله عز وجل اعزة على الكافرين يعنى اقويا
واشداء والثالث الاعلى والاجل وكذلك قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فان كان
على الاعلى والاجل فذلك ان المؤمنين اعلى واجل لانهم اتبعوا الحكمة بالحجج والكفار اتبعوا اهواءهم
وان كان على الاغلب والاقهر فذلك المؤمنين بالغلبة والنصرة على اعدايهم وان كان على القوة
والشدة فقد كان ذلك للمؤمنين لانه لو لم يوجد ذلك للمؤمنين لم يكن اهل النفاق يظهرون
الوفاق للمؤمنين ولكنهم لما راوا القوة والشدة للمؤمنين مرة وللكفار اخرى اظهروا الموافقة
للفريقين ولذلك قال ذلك المنافق ليخرجن الاعز منها الاذل لانه لما راى العزة والشدة
للكافرين يوم احد توهم انهم يغلبونهم ابدا فاظهر النفاق وقال عند ذلك ليخرجن الاعز منها الاذل
والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اختلف فيه
فمنهم من قال هذه الاية فى المنافقين ومنهم من قال فى المؤمنين فان كانت فى المنافقين فكانه
يقول يا ايها الذين اظهرتم بلسانكم الايمان لا تلهكم اموالكم عن ذكر الله وان كان فى المؤمنين فكانه
قال يا ايها الذين حققوا الايمان لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ثم اختلفوا فى معنى الذكر
فمنهم من قال معناه القران على مثال قوله قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعنى قرانا ورسولا ومنهم
من قال معنى الذكر التوحيد فان كان تاويله القران يتوجه الى المنافقين والمؤمنين جميعا
فان كان فى المنافقين فكانه قال لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن النظر والتامل فى القران
لان الله تعالى بين امورا يظهر سرايرهم وما يظهر عندهم ان الرسول لا يختلقه من تلقا
نفسه وانه انما يقوله بالوحى فكانه يقول اذا تاملتم النظر فى القران حملكم ذلك على التحقيق فى الايمان
فلو حملكم حب المال والولد على ترك التامل فى القران لانكم اذا نظرتم فيه وتاملتم حصلتم منه
على تحقيق الايمان والله اعلم وان كان فى المؤمنين فمعناه ان تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن النظر
فى القران فانكم اذا نظرتم فيه صرتم من اهله وجل قدركم وان كان المراد من الذكر التوحيد
فهو راجع الى الناس كافة فاما المؤمنون فكانه حذرهم عن حب المال والولدان ان يحملهم
غاية حبهما على ان ينسبوا وحدانية الله والايمان بالرسل والبعث فكانه يقول لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم كما الهى الكفرة فحذرهم عن ان يقعوا فى الهلاك من جهته كما قال اتقوا النار التى
اعدت للكافرين يعنى اتقوا الذى يفضى بكم الى النار المعدة للكافرين فكذلك الاول وان كان
فى المنافقين فكانه قال لا يحملكم حب المال والولدان ان تتركوا حقيقة الايمان به والتوحيد له والطاعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون يعنى ما ذكرنا
من التاويلين فى انكار البعث والتوحيد ظاهر وان كان فى المؤمنين فمعنى الخسار هو الخوف
من ان يقع به الوعيد وقوله وانفقوا مما رزقناكم يجوز ان يكون صلة قوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله فيمنعكم ذلك عن الانفاق فانكم اذا منعتم من الانفاق اذ داخلكم فيثبتون وحدانية الله
وطاعة رسوله عليه السلام وقوله عز وجل لولا اخرتنى الى اجل قريب قال بعضهم تمنى الرجعة لما راى

من الهلاك

من الهلاك والعذاب حيث تركوا الحقوق وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال لو كانت
ثمة خير لم يتمن الكرة ولكن المعنى فى ذلك عندنا والله اعلم انه يتمنى الرجوع ليتصدق وليس
ليس لانفاق خاصة ولكن ليتصدق ولنكون من الصالحين اى من الموحدين وذلك مستقيم
ان يقال اذا ترك التوحيد فنزل به الموت انه يتمنى الرجوع لما يرى من الهلاك والعقوبة ويجوز
ان يكون المعنى فى هذا ان كانت الاية فى المؤمنين الموحدين انهم يتمنون الرجوع حبا من ربهم
لما ارتكبوا من الزلات وتركوا ما يستوجبوا به الحسنات ووقعوا فيما افرض الله تعالى عليهم من العبادات
وحق على كل مؤمن ان يستحيى من ربه اذا لقيه بما ترك من حقوقه التى الزمها والاسباب الواجبة وقوله
ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها الاية ليس يحتمل تاخير الله تعالى اجله اذا جاءه لانه لو اخر
ذلك لانه بدا له فى اجله ومن بدا له من امر فذلك دليل الجهل بالعواقب ولا يوصف رب العالمين بذلك
وقوله والله خبير بما تعملون اى لا يخفى عليه شئ من اعمالكم سركم وعلانيتكم والله اعلم بحقيقة ما اراد

سورة التغابن مدنية وايها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يسبح لله ما فى السموات الاية والتسبيح يحتمل اوجها ثلاثة وقد سبق ذكره
وقوله له الملك وله الحمد يحتمل وجهين يحتمل الملك الولاية والسلطان والثانى يقول له
الملك يعنى ملك كل الملوك كما قال فى اية اخرى قل اللهم مالك الملك الاية فاخبر ان ملك الملوك
كلها له وان من استفاد الملك انما يستفيده بالله تعالى وبامتنانه عليه والله اعلم وقوله وله الحمد
يحتمل اوجها ثلاثة من التاويل احدهما ان يقول له الحمد يعنى له الثناء الحسن بصفاته العلى
وسماته الحسنى والوجه الثانى ان يقول له الحمد يعنى حمد كل من حمد فحقيقة ذلك الحمد له بما احسن
الى عباده وانعم عليهم وذلك معنى قوله الحمد لله اى الحمد والثناء الحسن لله تعالى على احسانه
الينا وانعامه علينا والثالث ان يجعل معنى الحمد معنى الشكر لان الحمد قد يستعمل فى موضع الشكر
وقوله عز وجل وهو على كل شئ قدير يحتمل ان يكون معناه وهو على كل شئ قدير وهو حجة
على المعتزلة لان الله تعالى لا يزال يمدح نفسه بانه بصير عليم وانه على كل شئ قدير واقرت
المعتزلة بانه بصير عليم وابت عن الاقرار بانه قدير على افعال العباد او على صلاح احدهم العباد
وهذا خلاف ما مدح الله تعالى نفسه به والله الموفق وقوله عز وجل هو الذى خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مؤمن يحتمل ان يكون تاويله فمنكم من يدين بدين الكفر ومنكم من يدين بدين الايمان
ودل هذا على ان المعصية والطاعة يجتمعان فى دين واحد وان المعصية لا يخرجه من دينه
لان المعصية لم يرتكبها متدينا بها ولكن لغلبة شهوة او غضب عليه واما الكفر والايمان فياتى بهما
المرء اختيارا ويتدين بالكفر والايمان لما عنده انه حق وفى هذه الاية دلالة ان ليس
بين الكفر والايمان منزلة ثالثة وليس كما قالت المعتزلة ان صاحب الكبيرة بمنزلتين
بين الكفر والايمان والله تعالى قسم الناس صنفين فمنهم من خلقه كافرا ومنهم من خلقه
مؤمنا ولم يجعل فيما بينهما منزلة ثالثة فلا يجب ان يجعل والله الموفق وفيه ايضا وجه
لطيف سوى ما ذكرنا وهو ان كل احد فى الدنيا مؤمن وكافر فى الحقيقة لان من كان مؤمنا
بالله فهو كافر بالطاغوت ومن كان كافرا فهو مؤمن بالطاغوت فاذا كان كذلك وجب
ان يستبحث على معنى قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن ومعناه عندنا ان الحقيقة وان كانت

فى عدم اقرار المعتزلة بان الله قدير على افعال العباد وعلى اصلاح احد

لذلك فالايمان اذا ذكر مطلقا لم يفهم منه الا الايمان بالله تعالى والكفر اذا اطلق ايضا لم يفهم
منه الا الكفر بالله تعالى واذا كان كذلك جاز ان يكون لفظ الكتاب خارجا على ما عليه المعهود
من المتعارف المعتاد والله اعلم **وقوله** والله بما تعملون بصير في الازل بما يفعله العباد وانه
ليس كما قال بعض الناس ان لا يعلم فعل العبد الا وقت فعله واحتجوا في ذلك انا لو قلنا ان الله تعالى
بصير في الازل بما يفعله لكان قولا بما لا يستقيم في المعقول الا ترى انا لا نرى في الشاهد من شيء
بنا يعلم انه يضره او يشترى عبدا يعلم انه يعاديه ثم فكذا لا يستقيم ان يقال ان الله تعالى
خلق عبدا قد كان يعلم من قبل انه اذا خلقه عاداه والجواب من هذا الذي وصفه غير مستقيم
في الشاهد لان منافع ما يفعله العباد ومضارهم يرجع الى انفسهم وليس من العقل ان يفعل
المرء فعلا يعلم انه يضره واما رب العالمين فانه لا يرجع شيء من المنافع والمضار اليه فجاز ان يخلق
خلقا يعلم انه يعتاد عداوته ليظهر عند الخلق انه لا يرجع شيء من المنافع والمضار اليه
بعدان يكون في الحكمة ذلك والله اعلم ثم في قوله والله بما تعملون بصير وعليم ووكيل وحفيظ
الزام المراقبة والتحفظ والتيقظ وبيان الترغيب والترهيب لانه اذا علم المرء ان عليه في كل ما يفعله
رقيب يتيقظ ولم يفعل الا ما يرضى به ربه والله المستعان **وقوله** عز وجل خلق السموات والارض
بالحق قد وصفنا ان الحق اذا جرى ذكره تصرف في كل شيء الى ما هو اليق به فاذا ذكر في الاخبار
اريد به الصدق واذا ذكر في الاحكام اريد به العدل واذا ذكر في الاقوال اريد به الاصابة
فلما قال بالحق هاهنا فكانه اراد به الحكمة كانه يقول خلق السموات والارض بالحكمة وقال بعضهم
بالحق يعني للحق وهو البعث فكانهم ذهبوا الى ان الله تعالى لم يخلقها عبثا بل خلق للعباد **وقوله** عز وجل
وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير يحتمل هذا وجهين احدهما احسن اي اتقن واحكم ومعنى
ذلك ان الله تعالى خص صور بني آدم في الاستدلال بوحدانيته وربوبيته في ان جعل في انفسهم
حقيقة المعرفة والاستدلال بانفسهم على وحدانيته تعالى واما غيرهم من الصور فانما يقع
الاستدلال لغيرها بها ليس لنفس تلك الصور حقيقة المعرفة والاستدلال بوحدانية الله تعالى
ولذلك كان خلق صور بني آدم اتقن واحكم والله اعلم والثاني ان يصرف الحسن الى الحسن المنظر
ومعنى ذلك ان الله تعالى خلق بني آدم على صورة لا يودوا ان يكون صورتهم مثل صورة غيرهم
من الخلائق فثبت ان صورتهم في المنظر احسن صورة فذلك معنى قوله تعالى وصوركم فاحسن
صوركم والله اعلم **وقوله** واليه المصير يعني البعث واضاف ذلك الى نفسه لانه هو الغاية
والمقصود في خلقهم ولما يفهم احد من قوله واليه المصير معنى الانتقال والتحول من مكان
الى مكان من حيث انه يضاف الى الله تعالى لان هذا فعل يكون باثنين فان من صار الى شيء صار
ذلك اليه مثل الملاقاة والاتيان ونحو ذلك فلما لم يفهم منه الانتقال لم ينبغي ان يفهم
من قوله وجاء ربك والملك صفا صفا معنى الانتقال والله اعلم **وقوله** عز وجل يعلم ما في السموات
وما في الارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون في اخباره عن علمه بذلك كله ايجاب المراقبة
والتيقظ والتبصر والمحافظة على ما امر الله تعالى ونهاه وفي هذا اخبار ان الله تعالى
مطلع على ما يضمرون يخفى عليكم جميع ما تظهرون فاحذروا ان ترتكبوا ما فيه سخطه في الحالين
جميعا والله المستعان **وقوله** بذات الصدور قال اهل التفسير اي بما في الصدور ويحتمل
ان يكون المراد منه بالانفس التي لها الصدور وكل من كان ذا فكرة وتدبير فانه يسمى ذات الصدور
ومعناه ان التدبير انما يصدر عن ذلك الموضع ويرجع اليه وكل بنو آدم خصوا بهذا المعنى فلذلك

ذكر هذا

ذكر هذا فيهم والله اعلم **وقوله** عز وجل الم ياتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم
والله اعلم اي قد اتاكم نباء الذين كفروا من قبل وماذا نزل بهم حين كفروا وعاندوا
ومعنى ذلك ان الله تعالى قد حذرهم بما يكون في الآخرة من الوان العذاب فلم يتعظوا لما لم يكونوا
يؤمنون بالبعث فلما لم ينجع فيهم ذلك حذرهم بعقوبات ينزل بهم لم ينتهوا عما هم فيه من الطغيان
وقوله عز وجل فذاقوا وبال امرهم اي شدة امرهم ويحتمل ان يكون عاقبة امرهم **وقوله** ولهم
عذاب اليم فيه اخبار ان ما نزل بهم من العذاب في الدنيا لم يكفر عنهم ذنب الكفر وان عذاب
الدنيا انما كان جزاء شرهم في الكفر لولا انه لعذبهم في الآخرة عذاب الكفر والشرك والله اعلم
وقوله ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكانه يريد بقوله
ذلك اي تلك العقوبات التي نزلت بالامم الماضية انما كان سببها ان رسلهم كانت تاتيهم
بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا بتلقين ابليس حيث لقنهم مخالفة الرسول وتكذيبه وانكم
لو احتجتم الى طاعته ففيكم من هو اعظم منه درجة واكثر منزلة فاذا لم تطيعوه فكيف تطيعون
بشرا مثلكم وهذا كله عناد وخطاء وذلك انهم قد كانوا يعبدون الاصنام تقليدا منهم البشر الا ترى
الى قولهم انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ومعلوم ان جعل الاصنام معبودا
يعبد وانه يقول البشر تقليدا له اكثر واعظم من تقليد تصديق البشر انه رسول من عند الله عند
قيام الدليل المعجز فاذا استجازوا تقليد البشر في ذلك فكيف لا استجازوا التصديق الرسول فيما يدعوهم
الى توحيد الله وطاعته فيما يرجع اليهم من المنافع والمضار ولكنهم كانوا قوما سفهاء فاتبعوا سفههم
وعنادهم والله اعلم وكذلك قولهم ان هذا الا سحر مبين وكيف يكون سحرا وقد اتاهم بآيات
اعجزتهم واعجزت السحرة ان ياتوا بمثلها ولكنهم عاندوا ولم يجدوا حيلة سوى ان قالوا ان هذا الا سحر
مبين **وقوله** فكفروا وتولوا واستغنى الله اي كفروا بالرسل وتولوا اعرضوا عن طاعته وطاعة
رسوله **وقوله** واستغنى الله لم يسمع من احد من المتكلمين يقول استغنى الله على الابتداء الا ما ذكر
في ظاهر هذه الآية والقول في الاستغناء فيما يريد به الاخبار جائز نحو قولك الله مستغني فاما ان
فيقول استغنى الله فيما فيه شك وريب انه لا يجوز البداية به وقد غلط بعض المفسرين حيث قالوا
استغنى الله بطاعة من اطاعه عن معصية من عصاه لان الله تعالى لم يمتحن عباده بالطاعة والمعصية
لمنافع تاملها او مضرة يخشاها ويخافها بل هو مستغني بذاته عن ذلك في الازل والله اعلم ويجوز
ان يكون في هذا اضمار يعني واستغنى الرسول عن طاعتهم بالله تعالى او يصرف الاستغناء الى الاخبار
عن ذاته انه مستغني بذاته في الازل لا يمسه حاجة وانه لا يضره كفر من كفر ولا ينفعه ايمان من آمن
بل انما يحصل ذلك كله للممتحن بهما والله اعلم **وقوله** عز وجل والله غني حميد قد وصفنا معنى الغني
واما الحميد يحتمل وجهين احدهما يعني المحمود اي المستحق للحمد بذاته اذ يستحق كل احد الحمد على ما يحسن اليه
او يحتمل معنى الحميد على معنى الحامد ووجه ذلك ان الله تعالى يحمد محاسن الخلق وآثار افعالهم
وان حقيقة تلك الافعال من جهة التوفيق والتسديد انما كانت به وذلك غاية الكرم **وقوله** عز وجل
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن قوله قل بلى وربي يحتمل وجهين احدهما
انه يجوز ان يكون هذا تعليما لرسول الله عليه السلام ان يعلمه القسم تاكيدا لما كان يخبر عن البعث
وكذلك جميع ما ذكر من القسم في القرآن يجوز ان يكون على هذا المعنى لان القسم انما هو لنفي تهمة تمكنت
والله تعالى لا يتهم في خبره والرسول هو الذي كانوا يتهمونه فيما يخبر لما لم يثبت عندهم رسالته
لعدم تاملهم في دلايله فعلمه القسم تاكيدا لما يخبر ونفيا للتهمة عما يقوله والله اعلم ويجوز ان يكون

في الزام الكفار بانهم قلدوا البشر في عبادة الاصنام ولم يقلدوا الرسل بكونهم بشرا

كيف يكون المعجز سحرا والسحرة عجزوا عنها

غلط بعض المفسرين في لفظ استغنى

هل يطلق لفظ استغنى على الله ابتداء لا يجد

نفع الايمان وضر الكفر للممتحن بهما

غاية الكرم

هذا قسما مقابلا لما اقسم به الكفرة في امر البعث الى قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا **وقوله** عز وجل وذلك على الله يسير يحتمل وجهين
احدهما ان امر البعث على الله يسير هين لانهم انكروا البعث بعد ما صاروا ترابا ولحيران بعثهم
واعادتهم بعد ان صاروا ترابا فاخبر جل وعلا ان ذلك على الله يسير والوجه الثاني في التأويل
ان يذكر ما عملوا من خير او شر واحصاه عليهم كل سر وعلانية وكل صغير وكبير ليعاينوا ذلك
في كتبهم ويعلموا لحقيقتها على الله يسير **وقوله** عز وجل فآمنوا بالله ورسوله يجوز ان يكون
هذا صلة ما تقدم وذلك ان الله تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية وان ذلك انما نزل بهم
لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم الرسل فآمنوا انتم بالله ورسوله لان لا ينزل بكم ما نزل بهم
من الباس والعقوبة والله اعلم **وقوله** عز وجل والنور الذي انزلناه النور هو القرآن ويجوز
ان يكون سماه نورا لانه يبصر به حقيقة المذاهب في الطاعة والمعصية والاحسان والاساءة والايمان
والكفر كما يبصر بنور النهار حقيقة الاشياء من حدها وردها كذلك يبصر بهذا منافع الطاعة
ومضار المعصية فسمي نورا من هذا الوجه والله اعلم **وقوله** والله بما تعملون خبير اي ان الله
خبير بما تسرون وما تعلنون فراقبوه وحافظوه في الحالين جميعا وفي هذا ان الله تعالى
عالم بما يعمله العباد في الازل بما يكون منهم وانه ليس كما وصفه بعض الجهال والله المستعان **وقوله**
يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ذلك في الحقيقة يوم جمع والفريق وهو ايضا في الحقيقة
يوم تغابن وترابح وان ذكر احدهما دليل ذلك ما ذكر في غيرها من الآيات الا ترى الى قوله
فريق في الجنة وفريق في السعير والى ما ذكر في عقيب قوله ذلك يوم التغابن من قوله ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار وهذا هو معنى التربح
ولكنه جل ثناؤه يجوز ان يكون اكتفى بذكر احدهما عن الآخر ثم الغبن يذكر في التجارات والاصل
في ذلك عندنا ان كل سليم طبعه لا يخلوا من عمل وعمله لا يخلوا من احدى ثلاثة اما ان يكون
في مباح او امر او نهي ومعلوم ان من استعمل المباح فهو يستعين به في اقامة الامر اذ لا بد من البقاء
لاقامة الامر وذلك باستعمال المباح والاشتغال باسبابه فكانه في اقامة ذلك الامر فحقيقته يرجع
الى ان الاعمال في الحقيقة يفترق الى نوعين الى امر ونهي ومعلوم ان من كان في امر فهو تارك لما نهى
عنه ومن كان في نهي فهو تارك لما امر به والتجارة في الحقيقة هو ان ياخذ شيا بترك شي آخر
واذا تحقق معنى التجارة في اعمال بني آدم اطلق لها لفظ التجارة قال والدنيا لها ثلاثة اسماء
المتجر والمزرع والمسلك وقد وصفنا معنى التجارة واما معنى المزرع فلاجل ان كل من يعمل
في الدنيا فانما يعمل لعاقبة ولا بد ان يكون عاقبته خيرا او شرا فكل من كانت عاقبته الخير
فهو زارع للخير ومن كانت عاقبته الشر فهو زارع للشر والله اعلم واما معنى المسلك والطريق
فلاجل ان الخلق لم يخلقوا في هذه الدنيا ليقروا فيها وانما خلقوا لاحد امرين اما للثواب او للعقاب
فكل من عمل عملا يفضي به الى الثواب والجنة فكانه يسلك طريق الجنة وكل من عمل عملا يفضي به
الى النار فكانه يسلك طريق النار فلذلك سمي مسلكا وطريقا والله اعلم ثم التغابن عندنا
يجوز ان يكون معناه ان اهل الكفر يغبنون في اهلهم واموالهم في الآخرة فاذا لم يجدوا وصاروا
بعضهم يلعن بعضا غبنوا ما كانوا يأملونه منهم وقال بعضهم ان لكل كافر في الجنة وبيتا واهلا
فاذا صاروا الى النار ورث المؤمن اهله وقصره الذي كان له في الجنة فهذا هو التغابن ولكن هذا
غير صحيح عندنا لانه لا يحتمل ان يبني الله تعالى للكافر في الجنة بيتا مع علمه انه لا يأتيه لان هذا

فعل من لا يعلم

فعل من لا يعلم العواقب ومن هو عابث في فعله جل الله تعالى عن مثل هذا الوصف الا ان يحمل الوعد
ان ثبت الخبر اي ان اسلم الكافر كان له ذلك المنزل في الجنة وان ارتد المسلم عن الاسلام كان له
ذلك المنزل في النار وهو عالم ان عاقبة امره ماذا الكفر او الاسلام وان ماواه النار او الجنة وحكمه
على ما علم واراد لكن الله تعالى عالم بما كان وما يكون وبما لا يكون ان لو كان كيف يكون فاخبر على ذلك
والا لم يصح لما ذكرنا من المعنى والله الموفق ويحتمل انه انما سماه يوم التغابن لان الدنيا جعلت اسواقا
والاحوال التي يكون لهم رؤس الاموال والاعمال التي يعملون فيها ويكتسبون تجارة قال الله تعالى
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ثم قال تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الآية
وقال في آية اخرى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الآية وقال اشتروا الضلالة بالهدى وقال
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فاذا كانت الدنيا متجرة والآخرة هي التي يقسم فيها الارباح
وفي ذلك يقع الربح والخسران ويظهر الغبن والفضل والنقصان والزيادة والله اعلم او سماه يوم
التغابن لما يظهر لهم في ذلك انهم خسروا او ربحوا ولا يظهر لهم ذلك في الدنيا ثم بين العمل
الذي يربح عليه والعمل الذي يخسر به والتجارة التي يوصل بها الى الارباح والتي يلحق بها الخسران
وهو ما قال ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها
الانهار الآية وقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا ثم **قوله** عز وجل ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
يعني ومن يؤمن بالله على ما جاءت به الرسل جملة وان له الخلق والامر ويؤمن بالرسل والبعث
فذلك هو الايمان بالله تعالى **وقوله** ويعمل صالحا يعني ومن يؤمن بالله ويعمل في ايمانه صالحا الى ان يموت
وقوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني كفروا بوحدانية الله تعالى وبعد رسله وكذبوا باياته اي بحججه
او كذبوا بالبعث اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير **وقوله** عز وجل ما اصاب من مصيبة
الا باذن الله قال بعضهم باذن الله يعني بامر الله وهو قول الحسن وقال بعضهم باذن الله يعني
بعلم الله وقال بعضهم باذن يعني بمشية الله ولكل من ذلك وجه فاما من قال بامر الله فمعناه وجهته
ان هذه المصايب كلها عقوبات الا ترى الى قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ومعلوم ان جزاء
ما كسبت يد عقوبة له والتعذيب والعقوبة انما يكون بامر الله فلذلك قال معنى قوله باذن الله اي بامر الله
لكن عندنا هذا يرجع الى ما يصيبهم من ايدي الخلق كقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقوله هل تربصون
الى قوله ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا ونحو ذلك وهذا المصايب لا يحتمل الامر من الله تعالى
ومن قال بعلم الله فوجه ذلك ان هذه المصايب فيها اهلاك العبيد وفي الشاهد انه لا يحب احد ان يعلم
بما فيه هلاك عبيده وخدمه فاخبر عز وجل ان هذه المصايب وان كان فيه هلاك عبيده فانما يكون
ذلك بعلمه وان اهلاكهم لا يضره ولا ينقص ملكه لان الله سبحانه وتعالى انشاء ما انشاء من الخلائق لحاجة لهم
والمنفعة يرجع اليهم ومضرة يلحقهم بحلول ما يحل بهم من المصايب لا يضره ولا ينفعه لذلك كان على ما ذكر
ومن قال بمشية الله وارادته فوجه ذلك ان الله تعالى وعد واوعد ولا محالة يريد من عبيده
ما يكون بوعيده عادلا وان يضع وعده موضعه واذا كان كذلك ثبت انه يريد من كل احد ما يعلم انه
يريد كل احد ما يعلم انه يكون منه لانه اذا خلق النار واوعد عليها فلو اراد من كل منهم الطاعة لكان
ان المحرق بالنار لحرق من اراد منه الطاعة فدخل في حد الجور ولو كان يريد من كل منهم المعصية لكان
ان الخير وعده وادخله الجنة كان يضع ثوابه غير موضعه ويخرج به عن حد الحكمة واذا كان كذلك
ثبت انه اراد من كل ما علم انه يختاره ويكون منه ليخرج فعله على الحكمة والله اعلم ونحن نقول
قد ذكر الله تعالى الاذن في مواضع مختلفة ولكل من ذلك وجه غير وجه صاحبه فالواجب ان يصرف

في كل موضع الى ما يليق به والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال ابو بكر اي ومن آمن
بما شاهد من التدبير يهديه الله تعالى ليعلم ان من دبر هذا التدبير هو الذي ابتلاه بهذه المصيبة
ويجوز ان يكون تاويله على وجه آخر وهو ان يعرف من يؤمن بالله ان له الخلق والامر يهد قلبه
ليسكن ويعلم ان الله اولى به فيسترجع عند ذلك وذلك تاويل من قرا يهدا قلبه اي يسكن من الهدو
وهو السكون والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون هذه الهداية وان خرجت على لفظ الاحداث فليس
على الاحداث ولكن معناه ان ايمانه بالله تعالى انما كان لهداية منه لانه لا يجوز ان يكون الايمان متقدما
والهداية متاخرة ولكن حين هداه امن بما هداه وهذا على ما قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور فهذا خرج في الظاهر على لفظ الاحداث ولكنه في الحقيقة ليس عليه
ولكن على معنى انهم لما آمنوا اخرجهم بالايمان عن الظلمات الى النور بعد الايمان فكذلك الاول والله اعلم
ويجوز ان يكون تاويله ان الله يهدي قلبه اي يتوب على قلبه عن الزلات عند الموت على ما قال تعالى
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وقيل فيه لغات اربع يهد قلبه بنصب الياء والباء جميعا ويهدُ
قلبُه برفع الياء والباء ويهد قلبُه بفتح الياء وضم الباء اي يهتدي ويهدى قلبُه من السكون
وقوله عز وجل والله بكل شيء عليم الاصل في الاسماء المشتركة اذا اضيف شيء منها الى الله تعالى
فحق التخصيص في الاضافة اليه ان يضاف بحق الكليات ليكون فرقا بينه وبين العباد فيقال والله
بكل شيء عليم ويقال في الخلق فلان عليم بكذا على الخصوص ويعلم ان العبيد انما يعلمون ما يعلمون
بعلمه وكذلك هذا في قوله والله على كل شيء قدير وهذا على المعتزلة لانهم يقولون ان الله
عز وجل ليس بقدير على كثير من الاشياء فكانهم اشركوا في اسم القدرة غيره لانه لا احدث للخلق
الاول له جزء من القدرة فلو قلنا ان الله تعالى يقدر على بعض ولا يقدر على بعض لسوينا بينه
وبين خلقه وشبهناه بهم وجل الله سبحانه وتعالى عن مثل هذا الوصف والله المستعان
وقوله عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني اطيعوا الله فيما تعبدكم واطيعوا الرسول
فيما اخبر عنه او اطيعوا الله فيما امركم واطيعوا الرسول فيما دعاكم اليه وهذا كله واحد
الا البعيد فانه لا يجوز ان يضاف الى الرسول وما سواه الالفاظ من الامر والدعاء والاخبار
فهو جايز ان يضاف اليه سبحانه وتعالى والى الرسول عليه السلام **وقوله** عز وجل فان توليتم
يعني توليتم عن اجابة الرسول الى ما دعاكم اليه وعن طاعته **وقوله** فانما على رسولنا البلاغ
المبين فيه بيان ان توليهم عن اجابته وكفرهم به لا يوجب تقصيرا في التبليغ **وقوله** عز وجل
الله لا اله الا هو يجوز ان يكون هذا صلة ما تقدم من الآيات من قوله له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير وعليم ويعلم ما يسرون وما يعلنون ثم قال الله الذي له الاوصاف التي
تقدمت هو الذي لا اله الا هو اي لا معبود الا هو وان معبودهم ليس يجوز ان يكون معبودا لتعريه
عن هذه الاوصاف التي تقدم ذكرها والله اعلم **وقوله** عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فيه بيان ان معتمد المؤمنين على الله تعالى وان قلت اعوانهم وانصارهم وانهم ليسوا كالمنافقين
والكفرة حيث تركوا اتباع المؤمنين لما راوا من قلة الاتباع والاعوان لهم واخبر ان المؤمنين
بخلاف تلك الصفة وان ثقتهم واعتمادهم على الله تعالى ليس على كثرة الانصار والله اعلم **وقوله**
عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم يحتمل ان يكون
على تحقيق العداوة فهو يحتمل وجهين احدهما عداوة ظاهرة وهي عداوة الكفر والشرك وذلك
انه كان في ذلك الزمان يسلم الرجل ويبقى ولده وزوجته على الكفر فعلمهم الله تعالى صحبة الاولاد

لا احدث للخلق الاول جزء من القدرة

والزوجات انه اذا دعوكم الى الكفر والشرك فاحذروهم ان يطيعوهم وان تعفوا عن عقوبتهم
على ما دعوكم اليه وتغفروا فان الله غفور رحيم ثم ذكر الله عز وجل في صحبة الاولاد والزوجات
اذا كانوا كفارا العفو والصفح ولم يذكر ذلك في الوالدين المشركين ولكنه امر ان يصاحبهما في الدنيا
معروفا فوجه ذلك عندنا والله اعلم انه يجري سلطانه وغلبته وقهره على زوجته وولده فامر
هاهنا بالعفو والصفح واما في الوالدين فليس يجري له عليهما السلطان والقهر والغلبة فلا معنى للامر
بالعفو والصفح عنهما لكنه امر ان يصاحبهما في الدنيا معروفا وان لا يطيعهما فيما امراه من المنكر والله اعلم
ويحتمل ان يكون هذه العداوة مستورة وهو عداوة النفاق فكانه قال ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم وانتم لا تشعرون وان تعفوا عن جناياتهم ولم تؤاخذوهم عليها وتصفحوا وتغفروا فان الله
غفور رحيم الا ترى الى ما حذر الله المؤمنين من اهل النفاق مع انهم من الضعف والفشل كما اخبر
عز وجل عنهم بقوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم فكذلك الازواج والاولاد
وان كانوا تحت قهره وغلبته امر بالحذر عنهم والله اعلم ويحتمل ان يكون على فعل العداوة ليس انهم
اعداء في الحقيقة وذلك انهم في المتعارف والمعتاد يدعون الآباء الى البخل والمنع عن الانفاق على غيرهم
ويشتد عليهم صنع ابيهم من الاحسان والبر الى الناس ويكرهون ذلك وهذا في الظاهر فعل العدو
فيجوز ان يكون الله تعالى علم بصحبة هؤلاء ان من ازواجكم واولادكم من يظهر فعل العداوة فاحذروهم
ان يمنعوا عن وجوه الاحسان والتبرع بقولهم وان تعفوا عن صنيعهم بكم وتغفروا فان الله غفور
رحيم **وقوله** انما اموالكم واولادكم فتنة المفتون هو المولع بالشيء العاشق له فكانه قال انما اموالكم
واولادكم معشوقكم فلا يحملكم حبهم على ان يتركوا ابتغاء الاجر العظيم عند الله تعالى ويحتمل ان يكون
معناه ان الله تعالى لم يخلق الازواج والاولاد لكم محابا بل انما خلقهم ليبتليكم ويمتحنكم ان كيف تعاملون
الله تعالى فيما امركم به ونهاكم عن حبهم ثم اخبر ان الله عنده اجر عظيم ليتحملوا لطوية العظيمة في اوامره
ونواهيه عند حبهم الاولاد والاموال وهذا معنى ما قال بعضهم ان الازواج والاولاد كانوا يتعلقون بهم
ويقولون ننشدك بالله ان يدعنا وتضيعنا اذا اراد الرجل ان يهاجر الى المدينة والاشبه
ان لا يكون هذا لان هذه الآية نزلت بالمدينة وانما لهم هذه انما كانت بمكة الا ان يكونوا كتبوا
اليهم بها والله اعلم **وقوله** عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم قال بعضهم نسخت هذه الآية قوله تعالى
اتقوا الله حق تقاته حيث امر هاهنا بالاتقاء على قدر الاستطاعة وثم بخلافه ولكن هذا لا يستقيم
لان قوله اتقوا الله حق تقاته لا يراد الاتقاء فيما لا يستطيعون لا فوق الطاعة والاستطاعة
لكنه ان كان توجيهه ان اتقوا الله حق تقاته وان هلكت فيه طاقتكم لانه امرهم بتقوى يهلك به
طاقتهم على ما قال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ولو كتب عليهم
ان يقتلوا انفسهم جاز ولكنه يهلك طاقتهم فيه فكذلك الاول ثم قال فاتقوا الله ما استطعتم
تخفيفا عليهم وتيسيرا والله اعلم ولكن الكلام في ان كيف قال فاتقوا الله ما استطعتم ولم يكن يبقى
لولا هذه الآية الا ما استطعنا ولكن معناه والله اعلم على جهة البشارة انكم اذا قصدتم قصد التقوى
اتاكم الله الاستطاعة في تقواه وهو كقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا **وقوله**
عز وجل فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وهذه الآية على المعتزلة
لانهم يقولون ان الاستطاعة يتقدم الفعل وهي تزول عن الفاعل وتقدم عند الفعل ولو كان
كذلك كان يجعل قوله فاتقوا الله ما استطعتم استطاعة زالت عنهم وكذلك قوله خذ بقوة وكذلك
قوله خذوا ما آتيناكم بقوة زالت عنهم هذا مستحيل والذي يؤيد قولنا قوله جل ثناؤه فمن لم يستطع

فاطعام ستين مسكينا والحاجة الى هذه الاستطاعة تقع عند اداء البدل عن الاصل فاما قبل ذلك
ان كان مستطيعا او غير مستطيع فهو سواء قوله تعالى واطيعوا اى اسمعوا الى ما امركم الله تعالى به
ويكون قوله اسمعوا بمعنى ليجيبوا لما امركم الله به والى ما دعاكم الله و رسوله كقوله سمع الله لمن حمده
اى اجابه وقوله وانفقوا خيرا لانفسكم اى وانفقوا مما رزقتم خيرا لكم من ان تدعوا الاجابة لما امركم
والانفاق مما رزقكم وقوله عز وجل ومن يوق شح نفسه قال سفيان بن عيينة اى ومن يوق ظلم
نفسه والشح الظلم اضاف الوقاية الى نفسه ليعلم ان من اتقاه فانما اتقاه بما وقاه الله تعالى
بلطفه وكرمه الا يرى الى قوله قوا انفسكم واهليكم نارا كيف علمهم ذلك التقوى بقوله وقنا عذاب
النار لان قولوا وقنا عذاب النار ليعلم ان جميع افعال العباد انما يقوم ويصح بتدبير الله تعالى
وتوفيقه وتسديده وتقديره والله اعلم ثم قوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فيه وجهين
من الدلالة احدهما ان قوله ومن يوق شح نفسه لم يبين فاعله ففيه بيان ان في سلطان الله وملكه
ما يقى به شح عبده وانه اذا وقاه شح نفسه افلح وكذلك في قوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم اخبار
ان من ينصره الله فلا يغلب وقد يرى في الشاهد من لا يوقى شح نفسه البتة ومن قد يوقى شح نفسه
ولا يفلح وقد نرى من يجاهد اعداءه فيغلب مع ما وعد واخبر انه هو الغالب وانه لا يغلب
فلا بد ذلك من احد وجهين اما ان لم يكن لله تعالى نصرة في ملكه وسلطانه كما ادعى واما اتاه
من القوة ما يقى به شح نفسه فلم يفلح فصار كاذبا في خبره واما اذا كانت المعتزلة فيما زعموا
ان الله تعالى قد اتى عبده جميع ما يقى به شح نفسه حتى لم يبق في خزائنه شيء يؤتيه ليقى به شح نفسه
كذبة واذا لم يكن بد من نسبة الكذب الى الله تعالى والى المعتزلة كانت المعتزلة اولى ان ينسبوا
الى الكذب من رب العالمين فيما اخبر صادق وان في ملكه وسلطانه ما لم يؤت عبده يقى به
شح نفسه والله المستعان وفيه دلالة على ابطال قول من قال ان على الكفرة اداء هذه العبادات
والحقوق وذلك واجبة وذلك ان الله تعالى وعد في هذه الاية ان من وقى شح نفسه وادى ما وجب
عليه من هذه الحقوق فقد افلح وقد نرى الكافر في الشاهد يوق شح نفسه ويؤدى حقوق امواله
ويسخو بماله على الناس ولا يفلح ولو كان عليه هذه الحقوق واجبة لكان يحصل له الفلاح
ثبت ان ليس عليه اداؤها وانما عليه قبولها والله اعلم وفيه ان صاحب الكبيرة قد يرجى له
الفلاح وان لم يتب عن الكبيرة حتى مات لانا قد نرى صاحب الكبيرة قد يوقى شح نفسه وقد وعد الله
عز وجل انه من وقى شح نفسه فهو من المفلحين فاذا كان صاحب الكبيرة قد يوقى شح نفسه فقد ثبت
انه يرجى له الفلاح والله اعلم وقوله عز وجل ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم
تولد من هذه الايات ظنون فاسدة احدها ظن اليهود حيث قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وذلك
انهم لما سمعوا ان الله تعالى يقول اقرضوا الله قرضا حسنا والاستقراض في الشاهد يدل على الحاجة
الى ما يستقرض وكذلك قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم والشراء يدل
على حاجة في المشترى وحيث استعمل عبيده في الاعمال ثم قال لكم اجر عظيم ورأوا ان من يستعمل
آخر فانما يستعمله في عمل يرجع منفعته عليه ويحتاج الى عمله ظنوا بذلك ان الله فقير وانه محتاج
وظنت المعتزلة ان انفس العبيد واملاكهم ملك لهم حقيقة ليس لله في شيء من ذلك ملك
ولا تدبير قالوا وذلك ان الله تعالى استقرض من عبيده والمرء في الشاهد لا يستقرض ملك
نفسه فلما استقرض واستباع دل ان هذه الاشياء كانت ملكا لهم حقيقة والذي يدل على ان قول
المعتزلة على ما وصفنا ان من قولهم ان ليس لله تعالى ان يمرض احدا ولا يؤلم دابة الا بعوض

ظن المعتزلة ان املاك الناس لهم حقيقة ليس لله تعالى في ذلك ملك ولا تدبير

قال المعتزلة لا يولم الله تعالى احدا الا بعوض وبدل

ومن لم يملك فعل شيء الا بعوض ويدل بعوض شيئا انه لا يملكه فثبت على ان عندهم انه لا يملك
حقيقة وان حقيقة الملك فيه للعبيد ويشبه ان يكون ظن اليهود والمعتزلة جميعا انما تولد
من قولهم ان ليس لله تعالى ان يفعل بعبيده الا من هو اصلح لهم في دينهم فذهبت اليهود الى ان هذا
لما كان حقا على الله تعالى ان يفعله لا محالة حتى اذا لم يفعله يكون جائرا ومن كان ما جوزا
بحق او بشيء يفعله ففيه بيان ان حقيقة ذلك الفعل لغيره حتى اخذ به لا محالة لذلك قلنا
ان ظنونهم تولدت من القول بالاصلح والله المستعان واما الحكماء واهل العقل ومن انتفع
بعقله حمل هذه الايات من الله تعالى على نهاية الكرم وغاية الغناء لان الله تعالى اعطى عبيده
ثم استقرض منه ذلك الذي اعطاه ليصير ذلك العطاء دائما ببذله الدائم وهو النعيم في الاخرة
ومعلوم ان من اراد دوام عطاء من اعطاه فهو في غاية الكرم وكذا اشترى منه حيوة فانية
ليعطي له حيوة دائمة وهذا من غاية الجود ومن استعمل عبيده في عمل يوصف بانه جواد له
سخي ويشرف به ويكرم ثم وعد له على ما فيه شرف اجرا دائما دل على غناه فثبت انه اراد بهذه
الايات ان يعلمنا غاية كرمه وغاية جوده ان نجعل ونهاية غناه وان جوده وكرمه مما لا يدركه
عقولنا والله المستعان والذي يدل على غاية كرمه وغاية جوده ان جعل ما يتصدق به على فقرائنا
وما نصل به ارحامنا قرضا على نفسه ووعد الاجر بعمل يعمله العبيد لنفسه وعلى عمل على العبد
فعله لا محالة اجرا ولا شك ان ذلك من غاية الجود والكرم والله المستعان ثم قوله ان يقرضوا الله
قرضا حسنا قال بعضهم القرض هو القطع كانه قال اقطعوا شيئا من اموالكم لله تعالى قطعا حسنا
وقال بعضهم اقرضوا اى اجعلوا ما يتصدقون به مما فضل عن حاجاتكم على فقرائكم قرضا على الله تعالى
يؤتكم اجره عند حاجاتكم اليه وقوله يضاعفه لكم يعني يضاعف ما يعطيكم في الاخرة من الثواب
الذي يكرمون به بما شرفتم به وتزينتم في الدنيا بالتصدق وقوله والله شكور حليم يعني شكور
حيث شكر لكم على ما اعطيتموه شيئا هو اعطاكم وقوله حليم وصف نفسه بالحلم وعلى قول المعتزلة لا يحق
هذا الوصف لانهم يقولون انه اذا وجبت العقوبة فليس لله تعالى ان يؤخرها تفضلا منه وانما
فيما اخر ما كان ذلك حقا عليه حيث راى الاصلح في تاخيرها ومعلوم ان من ادى حقا عليه
لم يوصف بالحلم ولكنه يقال انه يتقي الجور والحليم من يحلم عن عقوبة لزمت فيؤخرها ويتركها
ويعفو صاحبها عنها فيوصف بالحلم عند ذلك واما ان يكون عليه تاخيرها فلا يوصف
بالحلم في هذا الموضع وقوله عز وجل عالم الغيب والشهادة يعني عالم ما غاب من افعال الخلق
عن الملائكة وعالم بما شهدوا من افعالهم وعالم بما غاب عن العباد وبما شهده العباد وقوله عز وجل
العزيز الحكيم العزيز الذي لا يعجزه شيء والحكيم الذي لا يلحقه الخطاء في تدبيره ثم المعتاد
في القرآن انه يذكر العزيز الحكيم بعد ذكره خلق الكفرة ليعلم ان فسادهم لا يوجب وهنا في حكمته
وتدبيره ولا يبطل عزه وسلطانه لان من صنع الى آخر شيئا يعلم انه يفسده دل ذلك على جهله بالتدبير
واذا استعمل عبده بما يهلكه دل على ذلة فاخبر بعد خلق الكفرة انه عزيز ليعلم ان كفرهم
لا يوجب نقصانا في عزه ولا يدخل ذلا عليه وان فسادهم لا يخرجه عن الحكمة والتدبير والله المستعان

سورة الطلاق مدنية وآيها ثلث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فانه يخرج على الاضمار

والله اعلم كانه يقول يا ايها النبي قل لامتك اذا اردتم ان تطلقوا النساء كم فطلقوهن لعدتهن والدليل
على انه هكذا فانه يخرج الخطاب بعده للجماعة حيث قال اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن او خاطب به
النبي والمراد منه وذلك كثير في القرآن ثم قوله فطلقوهن لعدتهن امر بالطلاق للعدة ولم يبين
ان الطلاق للعدة كيف يكون وذكر في بعض القراءات فطلقوهن لقبل عدتهن ثم ترك بيان ذلك
لا يخلو اما ان يكون الرسول عليه السلام قد بين ذلك لهم فعرفوا ذلك فلم يبين ذلك في الآية
او جعل بيان معرفة ذلك اليهم ليعرفوا بالاجتهاد ثم قوله لقبل عدتهن يحتمل اول عدتهن ويحتمل
ما يقابل عدتهن وهو الحيض من المقابلة فمن يقول الاعتداد بالاطهار يجعل القبل كناية عن اول
الطهر ومن يقولها بالحيض يجعل القبل ما يقابل العدة وهو الحيض ثم لنا ان ننظر الى التأويلين
اقرب وقد اجمعوا ان له ان يطلقها في آخر الطهر اذ المرء يجامعها فيه ان تأويل القبل بما يقابل العدة
احق وهو الحيض والاعتداد به اولى والله اعلم وقوله عز وجل واحصوا العدة يخرج على هذين
الوجهين احدهما احفظوا الحقوق والاحكام التي تجب في العدة فادوها والثاني احفظوا نفس
ما يعتدون به وهو عدد الحيض الذي بها يعتددن لان لا يزاد ولا ينقص ثم جعل الاحصاء الى الازواج
يحتمل وجهين احدهما انهم هم الذين يلزمهم الحقوق والمؤن والثاني لهم نفع تحصين الاولاد
في العدة والله اعلم وقوله عز وجل واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين
بفاحشة مبينة دل قوله من بيوتهن على صحة مسئلة لاصحابنا رحمهم الله فيمن حلف لا يدخل
بيت فلان فدخل بيتا هو فيه بعارية او باجارة انه يحنث ووجه ذلك ان الله تعالى اضاف البيوت
اليهن وان كان حقيقة الملك للازواج الا ترى الى قوله اسكنوهن من حيث سكنتم ثم قال
لا تخرجوهن من بيوتهن فدل قوله من بيوتهن انه اراد به البيوت التي سكنهن الازواج فيها
واذا صحت هذه الاضافة دل على صحة المذهب وقال الشافعي فيمن حلف لا يدخل مسكن فلان فدخل
مسكنا فيه بعارية انه يحنث وقال فيمن حلف لا يدخل بيت فلان انه لا يحنث واحتج في المسكن انه انما حنث
لانه وجد حقيقة السكنى من المحلوف عليه فان كان هذا هو الدليل على الحنث فالواجب عليه ان يحنثه
في البيت لوجود البيتوتة على ما حنثه في المسكن لوجود السكنى وبعد فان في الحنث اقرب في البيت
لان الله تعالى اضاف البيوت اليهن في كتابه وان كن بتن فيها باعارة ولم يوجد في السكنى ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل الا ان يأتين بفاحشة مبينة ومبينة قريا جميعا فمنهم من جعل الاستثناء وهو قوله
الا على قوله لا تخرجوهن من بيوتهن وصرفه اليه ومنهم من صرفه الى قوله فلا يخرجن ولكل من ذلك
وجهان فاما من حمله على قوله فانه جعله استثناء وللاستثناء وجهان احدهما لا تخرجوهن الا ان يأتين
بفاحشة مبينة اي بزنا يزنين فيخرجوهن لاقامة الحد عليهن او لا يخرجوهن الا ان يظهر منهن
بذاذة اللسان على اهل ازواجهن فيخرجوهن لمكان البذاذة التي في لسانهن ومن حمله على قوله لا يخرجن
فانه يجعل معنى قوله الا على معنى لكن كما قيل في قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اي لا يسمعون
فيها لغوا ولكن سلاما اذ لا يحتمل استثناء السلام من اللغو لما ليس في جملة اللغو سلام فيستثنى منه
فكذلك قوله عز وجل لا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة فكانه قال لا يخرجن ولكن اذا خرجن فخروجهن
فاحشة ويدل هذا على ان النهي لنفس الخروج لا للانتقال ووجه آخر في ذلك وهو ان لا يخرجن
الا ان يأتين بفاحشة فانهن اذا خرجن يخشى عليهن ان يأتين بفاحشة كما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ايما عبد تزوج بغير اذن مولاه فهو عاهر وكان المعنى من ذلك انه اذا تزوج
فوطئ فهو عاهر ولكن نهى عن النكاح لانه يخشى عليه في النكاح ان يطأها فيصير عاهرا لا ان يكون

فيمن حلف لا يدخل بيت فلان فدخل العارية

نفس التزوج منه زنا فكذلك لا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة فيكون النهي لا عن نفس الخروج
ولكن لكونه سببا للفاحشة في الجملة وطريقا اليه ثم قوله مبينة فمن قرأ مبينة بالخفض فمعناه
ان نفس الفاحشة اذا تفكر فيها المرء ونظر تبين له انها فاحشة ومن قرأ مبينة بالفتح عنى به
انها مبينة بالبراهين والحجج وقوله عز وجل وتلك حدود الله الحدود الموانع والنواهي لا يحل
مجاوزتها ومن ذلك سمي الحداد حدادا لانه يمنع بحديده كل انواع امتعته ان يجاوز حدها
الذي جعل لها والحد في الحقيقة هو النهاية التي ينتهى اليها فلا يجاوز واذا كان كذلك كان
البيان الى صاحب التأويل فان شاء حمله على الحد بين الطاعة والمعصية او ما بين الحلال
والحرام حيث ذكر في هذه الآية انواعا من النهي فسمى ذلك كله حدودا وقوله عز وجل ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه ويجوز ان يكون المعنى منه اي ان جاوز هذا الحد الذي
جعله الله تعالى فقد وضع نفسه مكانا لم يضعه فيه ربه والظلم في الحقيقة وضع الشيء في غير موضعه
والتأويل الآخر ان من جاوز موانع الله ونواهيه فقد ظلم نفسه دل بهذا على ان منافع هذه
النواهي ومضارها لا يرجع الى الله بل يرجع نفس الممتحنين وقوله عز وجل لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا اي لا يطلق فانه اذا طلق لا يدري لعل الله يحدث بعد ذلك ندامة على ما سبق من فعله
او رغبة فيها فيكون فيه دلالة النهي عن نفس الطلاق وقد بينا كراهة نفس الطلاق في الحكمة
انه ليس من نوع ما يتقرب به فيكون فيه زيادة في القربة ولا مما يستمتع به فيكون فيه زيادة
في الاستمتاع بل المقصود منه التأديب والتخلص وفي الواحدة كفاية عما زاد عليها فكان في هذه
الآية دلالة النهي عن نفس الطلاق وعن الزيادة على الواحدة والله اعلم قال فان كان تأويل
قوله عز وجل لا يدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا هو الرغبة فيها او الندامة على ما سبق
فانه دلالة على ابطال قول المعتزلة لان الرغبة والندامة جميعا من فعل العباد والله تعالى قد اضاف
ذلك الى نفسه بقوله لا يدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا واذا كان كذلك ثبت ان لله تعالى
في احداث افعال العباد صنعا وتدبيرا والله اعلم وقال اصحاب الشافعي ان قوله فطلقوهن
يدل على تعليم الوقت في الطلاق دون العدد فله ان يطلقها في الوقت اي عدد كان ولا يستقيم ذلك
لان التأويل انما يستقيم على احد وجهين اما على ما جرى به التفاهم في العادات بين العباد
واما على ما جرى به التفاهم في حق الحكمة وليس يفهم من قوله فطلقوهن العدد الثلاث على واحد
من الوجهين اللذين وصفناهما الا ترى ان من قال لآخر طلق امرأتي لم يجز له ان يطلقها ثلاثا
الا ان يكون نوى ثلاثا فثبت ان لا يفهم به في عادة اللفظ الثلث واما وجه الحكمة فلما ذكرنا ان الطلاق
ليس مما يتقرب به ويرغب في الاستكثار زيادة في القربة ولا مما يستمتع فيستكثر منه زيادة
في الانتفاع وانما المراد منه التأديب والتخلص وما كان مخرجه هذا المخرج كان في حد الرخصة
وما خرج مخرج الرخص لم يتعد به عما وقعت به الرخصة واذا ثبت ما وصفنا ثبت ان لا يجوز الفهم
من قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن الثلاث والتعليم في العدد ما يليق به من الوقت لانه لا ضرر يلحقه
في تعديه عن الوقت المجعول له فيه الطلاق ولا شك انه يلحقه الضرر في تعديه في العدد والزيادة
منه والله اعلم ومما يدل على ان المراد من قوله فطلقوهن ليس عدد الثلاث قوله فاذا بلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف ولا شك انه اذا وقع عليها ثلثا لم يملك امساكها ومعلوم ان قوله
فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف الطلاق المتقدم من قوله فطلقوهن ولو كان المراد عدد الثلاث
لم يكن لقوله فامسكوهن بمعروف معنى والله اعلم وقوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن

حكمة الطلاق

او فارقوهن بمعروف فيه فوايد شتى وادلة متفرقة من الفقه والاحكام احدها ان الله تعالى
قال فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف والمعروف ايهما في المتعارف من نوع الفعل اظهر
من نوع القول لانه انما يحسن ايهما استمتاعا او انفاقا ونحو ذلك فذلك نوعه نوع الفعل فثبت ان حقيقة
الامساك بالمعروف في الافعال فلذلك قلنا انه اذا راجعها بالفعل يكون مراجعا فان قيل اليس
قال الله تعالى فاشهدوا ذوى عدل منكم والاشهاد على الفعل غير صحيح فجوابه ان يقال ان الله تعالى
قال واشهدوا ومعلوم ان هذا لو كان بحضرة الشهود لم يكن للاشهاد معنى بل اذا سمعوا ذلك صاروا
شهودا اشهدوا او لم يستشهدوا واذا كان كذلك ثبت ان المعنى من هذا الاشهاد على الامساك المتقدمة
وذلك في الافعال مستقيم والله اعلم ووجه اخر وهو ان كل عقد استقام بغير شهود جرى
فيه الامر بالاشهاد نحو قوله واشهدوا اذا تبايعتم وكلما جعل الشهود فيه شرطا لقوام العقد
جرى الذكر فيه الا بشهود نحو قوله لا نكاح الا بشهود فلما جرى الذكر في هذه الاية بالامر بالاشهاد
بقوله تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم ثبت انه يستقيم من غير شهود والله اعلم ثم في قوله فاذا بلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف دليل على ان المراد من الاقراء هي الحيض فانه ذكر نوع هذا في كتاب الله
في مواضع قال الله تعالى في موضع فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف
وقال في اية اخرى فاذا بلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وقال في هذا الموضع فاذا بلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف ومعلوم ان معاني بهذه الالفاظ مختلفة وان اتفقت مخارجها اختلافا
ان يكون المراد ببلوغ الاجل في احد النوعين على التمام وانقضاء الاجل والثاني على الاشراف عليه
واحق ما يكون في حق الاشراف على البلوغ هو ما يرجع الى الازواج لانه قد كان لهم حق الامساك قبل
انقضاء الاجل وهم احق بهن ما لم يتم بلوغ الاجل لا بعده واذا ثبت ان المعنى من قوله فاذا بلغن
اجلهن في هذا الموضع هو الاشراف على البلوغ والقرب من انقضاء الاجل دون التمام ثبت
ان الاقراء هي الحيض لانه لو كان المراد منه الاطهار لم يعرف اشراف الاجل على البلوغ لانه لا نهاية
لاكثر الطهر واما الحيض فانه له غاية معلومة لان ايامها لا يخلو اما ان يكون عشرا او دون العشر
فان كان عشرا فيعرف بالعد وان كان دون العشر فان دمها اذا انقطع راجعها قبل
ان يغتسل وذلك وقت اشراف اجلها على البلوغ والاطهار ليس يتحقق فيها المعنى الذى وصفنا
والله اعلم ثم قال ها هنا فامسكوهن بمعروف فدل الامر بالامساك في الظاهر انها مادامت
في العدة فهي على ملكه وقال في موضع اخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك فدل على انه قد وقع
شيء من الزوال حتى امر بردها فيكون حجة للشافعي في ان الطلاق الرجعي يحرم الوطى
ولكن المعنى عندنا في هذا والله اعلم انا قد عرفنا بقوله او فارقوهن بعد وجود الطلاق المتقدم
انه لم يرد به الفرقة للحال ولكن معناه اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيما دفارقوهن فثبت انه قد وقع
شيء من شبهة الفراق بالطلاق وهو ان صار الفراق مستحقا لازما حال انقضاء العدة فيكون لم يعرض
الوجود للحال فامسكوهن على بقائهن على اصل الملك وقال وبعولتهن احق بردهن في ذلك
لرفع تلك الشبهة الواقعة بالطلاق وهذا على سبيل ما قال تعالى للذين يؤلون من نسائهم
تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم وكان
الفيء هو الرجوع ومعلوم انه لم يقع شيء بالايلاء شيء من الفرقة ولكن لما كان الايلاء موجبا
للبينونة في العقبى وجب في الحال شبهة الفرقة وهو استحقاق الزوال فذكر الفيء لرفع تلك
الشبهة فكان تركها منه لا يفي اليها عن عزمته على الطلاق فكذلك الاول والله اعلم والمعروف

اذا اصنع اليك انسان صنيعة تعرفها واستحسنها فهو معروف وما دفعته وانكرته فليس بمعروف
وهو الذى عرفنا الله تعالى من المراجعة والمفارقة ثم المعروف في الحقيقة ما تطمئن القلوب ويشكر
عنه الانفس وقوله عز وجل واشهدوا ذوى عدل منكم دل قوله تعالى ذوى عدل منكم ان قد يكون
منا فساق وان الفسق لا يخرجه من الايمان وكذلك قوله ممن ترضون من الشهداء فثبت ان قد يكون
منا من لا يرضى وانه من وجه ممن يرضى لا يخرجه من الايمان وقوله عز وجل واقيموا الشهادة لله
حيث اضافها الى نفسه هو انه لا يبتغى في الشهادة من نفع لاحد الخصمين وضرر يرجع الى الاخر
فكانه قال لا ينظر بعضهم الى رضاء من ينفعه الشهادة والى سخط من يضره ولكن اجعلوها لله تعالى
وقوله عز وجل ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر الموعظة وان كانت لمن يؤمن
ولمن لا يؤمن فالمعنى في هذا ذلكم يتعظ بما يوعظ من كان يؤمن بالله واليوم الاخر كما كان المعنى
من قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر اى انما ينتفع بالانذار من يتبع الذكر وكما كان في قوله يتلونه
حق تلاوته اولئك يؤمنون به اى ينتفعون بتلاوته فكذلك الاول والله اعلم وقوله يوعظ به
اى بما امر فيما تقدم من الايات من الطلاق للعدة والنهى عن اخراجهن من البيوت والانفاق ونحوه
انما يوعظ به اى يأخذ بما امر به ونهى عنه في هذه الايات من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قد بينا
ان التقوى اذا ذكر مفردا انتظم الاوامر والنواهي واذا ذكر معه البر والاحسان صرف التقوى
الى معنى والبر الى معنى وذكر في هذا الموضع مفردا فجاز ان ينتظم الاوامر والنواهي ثم جاز ان يكون
المعنى من قوله ومن يتق الله فيما بين له من الحدود فلم يضيعه يجعل له مخرجا فيما لم يبين له
وفيما اشتبه من الحد ويجوز ان يكون المعنى من قوله ومن يتق الله اى الجاهد فيما امره ونهاه
يجعل له مخرجا في ان يهديه ويبين له السبيل الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
قال ويجوز ان يناله من يلزم التقوى خير الدنيا والاخرة لان الله تعالى ذكر التقوى وما يليه بالفاظ
مختلفة فقال في موضع ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقال في موضع اخر يجعل له من امره يسرا
وفي موضع اخر يكفر عنه سيئاته وفي موضع ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
اى ان الله مع الذين اتقوا في النصرة والمعونة والتوفيق والعصمة ومن نصره الله تعالى فلا يغلبه احد
ومن يعصمه الله تعالى فلا يضله احد واذا نال هاتين الخصلتين فقد نال خير الدنيا والاخرة
ويجوز ان يكون قوله ومن يتق الله يعنى يتقى عقابه يجعل له مخرجا من الشدة في الدنيا وعن سكرات
الموت وغمراته وعن شدايد الاخرة واهوالها ويجوز ان يكون قوله ومن يتق الله في مكاسبه
يجعل له مخرجا من الشبه والمحرمات فيسلم منها ويجوز ان يكون قوله ومن يتق الله فيما بين له
من الحدود في هذه الايات المتقدمة فحفظها من صحبة النساء على ما امر به يجعل له مخرجا مما اهمه
من ناحيتهن ويرزقه من حيث لا يحتسب يجوز ان يكون هذا فيما بين له من الحدود اذا حفظها
ان يرزقه ما وصفنا من النجاة والمال ويجوز ان يكون هذا في جميع الامور من المكاسب والتجارات
لان التجار يظنون انهم انما يرزقون الفضل والربح لما يدخلون فيها من الشبه والحرمات
وانها اذا نفيت من تجارتهم تلك الشبه والحرمات رزقهم من حيث لم يحتسبوا او يجوز ان يكون
هذا خطابا للكفرة وذلك انهم كانوا يخافون انهم اذا امنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم
حرموا من الرزق وابتلوا بالضيق الا يرى الى قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا الاية فكان الله تعالى امنهم عما يخافون بسبب الاسلام واخبرهم انهم اذا وحدوا الله

في نسخة من الشبه في الدنيا

وامنوا برسوله دزقهم من حيث لم يحتسبوا ووسع عليهم الرزق والله اعلم وقوله عز وجل
ومن يتوكل على الله فهو حسبه يجوز ان يكون معناه اى من يعتمد فى كل نائبة ويفوض اليه
كل نازلة والوكيل هو الموكول اليه الامور وقيل الوكيل هو الحافظ فكانه قال ومن يعتمد على الله
فيما نابه كفى به وكيلا موكولا امره وكفى به حافظا وناصرا ومعينا وقوله عز وجل ان الله بالغ امره
اى فيما اخبر من حكمه ووعده ووعيده ان ينزل بهم ويجوز ان يكون بالغ امره اى مبلغ ما امر رسوله
بتبليغه الى الخلق عصاة يكون امرا منه فى تحذيرهم ليصيروا كان الرسول بلغهم وقوله قد جعل الله
لكل شئ قدرا قال الحسن لكل شئ من اعمال العباد قدرا وثوابا فى الاخرة والوجه عندنا
قد جعل الله لكل شئ مما كان ويكون الى يوم القيامة من حسن وقبيح فى الحكمة قدرا الا ترى
الى افعال العباد انها كيف يخرج عن تدبيرهم من زمان ومكان ونحو ذلك ليعلم ان الله تعالى
هو الذى قدر ذلك المكان والزمان والفعل حتى خرج فعل هذا العبد عن تقديره الذى
قدره والله اعلم وفى قوله تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب وجه اخر وهو انه لو جعل جميع الرزق
من حيث لا يحتسب جاز لان الرزق فى الحقيقة هو الذى يتقوى به الانسان ويتغذى به وليس
ذلك فى عين الاكل والشرب ولكن فيما يتفرق من قوة الطعام والشراب فى الاعضاء وذلك
باللطف من الله تعالى فثبت ان قوة الاكل والشرب انما يصل الى الاعضاء من حيث لا يحتسبه الانسان
والله اعلم ثم ليس فى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا تخصيص انه من لا يتقيه لا يرزقه من حيث
لا يحتسب لانا قد نرى فى الشاهد من يرزق من حيث لا يحتسب اتقاه او لم يتقه فثبت ان فائدة
التخصيص ليس نفى غير المقصود ولكن فائدة تخصيص المتقى بالذكر هو انه يرزقه من حيث يطيب له
ولا يلام عليه وليس ذلك فى غير المتقى والله المستعان ثم ليس فى قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ما يدل على ترك الاسباب ولكن لما راى الناس يفزع بعضهم الى بعض ويستغيث بعضهم ببعض امرهم
ان يجعلوا المقصد والمفزع الى الله تعالى وان يصير واهذه الاسباب كلها محنة عليهم لان يرى
ارزاقهم مقصورة متعلقة بها الا ترى الى قوله تعالى وابتغوا من فضل الله كيف امر بادراك فضله
من تلك التجارة فثبت ان هذه المكاسب كلها اسباب للخلق بها يتوصلون الى فضل الله تعالى
وان المقصد والمفزع فيها الى الله تعالى والله اعلم ثم اختلفوا فى العدة فمنهم من قال هى استبراء
الرحم ومنهم من قال هى عبادة يتبع النكاح الذى استوفى فيه المقصود بالنكاح وهذا القول
عندنا اصوب لاوجه احدها ان الاستبراء واجب فى حق السنة والادب قبل الطلاق فان
من اراد ان يطلق امراته فالواجب عليه ان يستبرئها بحيضة ثم يطلقها واما العدة فانها لا تجب
الا بعد الطلاق فثبت انها على ما ذكرنا من العبادة التى يتبع النكاح الذى استوفى فيه المقصود
ان الاستبراء واجب والله اعلم ومعنى اخر ان العدة لو كانت استبراء لكانت يكتفى بالحيضة
الواحدة فلما قرنت بالعدد وفى الواحدة منه وحصة عما سواها فى حق الاستبراء ثبت انها على الوجه
الاول والله اعلم وقوله عز وجل واللائى يئسن من المحيض من نسائكم هذا يدل على ان المراد
من الاقراء الحيض وذلك لان الاصل عندنا فى الاصول ان الشئ متى ذكر باسم مشترك ثم جرى
البيان له عند ذكر البدل باسم خاص دل على ان المراد من الاسم المشترك هذا الاسم الخاص
المذكور عند البدل الا ترى الى قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وكان اسم الغسل مشتركا يتناول الماء
وكل مائع فلما قال عند ذكر البدل فلم تجدوا ماء فتيمموا تبين ان المراد من ذلك الاسم المشترك
هو هذا الاسم الخاص المذكور عند البدل فكذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل ان ارتبتم

المكاسب اسباب

فعدتهن ثلثة اشهر اختلفوا فى قوله ان ارتبتم انه اريد به ان ارتبتم فى حيضهن او فى عدتهن وعندنا
الارتياب فى عدتهن لانه لو كان المراد منه الارتياب فى حيضهن لكان فى حق الكلام ان يقول ان ارتبن او يقول
واللائى ارتبن ليكون منسوقا على قوله واللائى يئسن فلما قال ان ارتبتم ثبت ان المراد ان ارتبتم فى عدة الايسات
والصغاير فهى ثلثة اشهر والله اعلم ولان المرتابة اذا رات الحيض ان تقع ريبتهما وصار عدتها بالحيض وخرجت
من العدة بالشهور واما الايسة والصغيرة فانه لا يتوهم عليها انقطاع الاياس والصغير فانه لا يتوهم
عليها فيكون عدتهما بالاشهر فلذلك قلنا ان هذا الارتياب فى عدة الايسات والصغاير ثم
من قول اصحابنا ان الرجل اذا طلق امراته الايسة او الصغيرة او الحامل للسنة طلقها متى شاء
وليس له وقت معين فى طلاقها السنة وانما كان كذلك لانا قد وصفنا فى قوله وطلقوهن
لعدتهن ان المراد منه لقبل عدتهن ومعلوم ان عدة التى ترى الحيض احد شيئين اما العبد ولم يعتبر
ما يقابلها وهو الطهر من العدة وكذلك من جعل عدتها بالاطهار لم يعتبر ما يقابلها وهو الحيض
من العدة واذا كان كذلك لم يكن بد من ان يكون ههنا شئ يقابل عدتها فثبت فيه معنى قبل
عدتها فيجعل ذلك الطهر واما الايسة والصغيرة والحامل فجميع ايامها من عدتها وهو ثلاثة اشهر وليس
فى ايامها شئ يقابل عدتها فلذلك قلنا ان له ان يطلقها فى اى وقت شاء وكذا له ان يطلق الحامل
التى من ذوات الاقراء وذلك لانه انما نهى عندنا عن الطلاق على اثر الجماع فى التى تحيض لتوهم ان يكون
احبلها فاذا طلقها ثم اراد نفى الحبل فى العدة لم يتهيا له ذلك واما الايسة والصغيرة والحامل
فليس فيهن هذا التوهم والله اعلم ثم هذه العدة وان ذكره فى هذه السورة على اثر الطلاق
الواحد فكانها فى تطليقات الثلاث لان هذه العدة مكان العدة التى ذكر الله تعالى فى سورة
البقرة من قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء لانه ذكرها هنا واحصوا العدة
على الاجمال وذكرها ثم على التفسير واذا الحق التفسير بالجمل يصير فى المعنى والحكم كانه واحد
ومعلوم ان تلك فى الواحدة والثلاث الا ترى الى قوله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف
او تسريح باحسان وقوله او تسريح باحسان هى التطليقة الثالثة واذا كان الامر على ما وصفنا
ثبت ان للمرء ان يطلق امراته الحامل للسنة ثلاثا والله اعلم قال رحمه الله ثم فى قوله
ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن اوجه من الفقه احدها انه لما قال فى بيوتهن دل
انه لما قال فى بيوتهن دل انه الزمهن السكون فى بيوتهن التى كن فيها فى حال قيام النكاح فيكون دليلا
فى قول اصحابنا انه ليس للزوج ان يسكنها معه فى بيته الذى هو فيه بل يتركها فى ذلك
المسكن وينتقل هو بنفسه ان كان يريد الانتقال يصحح هذا قوله اسكنوهن من حيث سكنتم
فلما ادخل حرف من فى هذه الاية دل ان الواجب على الزوج ان يسكنها فى بيت من بيوته
ولا يدخل عليها فى ذلك البيت الى ان ينقضى العدة والله اعلم ثم المعنى عندنا فى قوله لا تخرجوهن
من بيوتهن ليحصن ماءكم ولا يخرجن خوفا من وطئ غير الازواج واشتباه الانساب لو حبلن
واذا كان النهى عن اخراجها وخروجها من البيت لهذا المعنى لم يكن بد من ايجاب النفقة عليه
لانها انما يكتسب نفقتها بالخروج فاذا نهيت عن الخروج لتحصن ما به لم يحتمل ان يكون النفقة
على غيره والله اعلم ثم قوله واولات الاحمال اجلهن روى عن ابن مسعود رضى الله عنه
انه قال من شاء باهلته ان قوله واولات الاحمال اجلهن نزل بعد قوله فى سورة البقرة
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وجعل
عدة الحامل بوضع الحمل ولا يعتبر ابعد الاجلين لكن ان كان ابن مسعود رضى الله عنه

بيا هـل فعلى رضى الله عنه لا يباهل ويقول بان قوله والذين يتوفون منكم لا يجوز ان يدخل في قوله واولات الاحمال اجلهن وذلك لان قوله واولات الاحمال اجلهن انما ذكر في عدة الطلاق وعدة الطلاق لا يتضمن عدة الوفاة اذا كانت بالحيض لم يدخل عدة الطلاق في عدة الوفاة الا ترى ان من طلق امراته وهي حامل ممن تحيض ثم مات عنها زوجها قبل انقضاء عدتها لم يدخل عدة الوفاة في الحيض الثلاث بل الحيض التي يدخل في عدة الوفاة وتؤمر بان يعتد ما بعد الاجلين فكذلك امر الحامل واذا اشتبه الحال امرت فيه بالاحتياط ان يعتد ما بعد الاجلين ولا عدة الوفاة لم يلزم لوطئ متقدم الا ترى انها قد يلزم من لم يكن زوجها من اهل الوطئ واما عدة الحبل والحيض انما لزمت لوطئ متقدم واذا لم يكن عدة الوفاة من جنس العدة بالحبل لم يدخل في عدة الحبل فلا يوجب فيه الاحتياط وذلك في الاعتداد با بعد الاجلين ثم التخصيص بذكر الانفاق على الحامل يحتمل ان يكون بمعنى انها في الحقيقة لا يدخل في قوله لا تخرجوهن لانا قد وصفنا انها انما نهيت لتحصن ماء الزوج واذا مضت تسعة اشهر فقد خرجت على التحصين فكان الوجدان يسقط النفقة بعد التسعة لكن الله تعالى حث على الانفاق في جميع المدة لانها لا محالة انما بقيت في هذه المدة لوطيه المتقدم فلذلك حث الله في الانفاق على الحوامل فيما يقع عندنا واما ابن مسعود رضي الله عنه فانه يجوز ان يكون قوله واولات الحمل اجلهن عنده مبتدا خطاب ليس بمعطوف على قوله يائسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم لانا نعلم انه لا يجوز ان يقع الارتياب فيمن يحتمل القروء وذلك لان الاشهر في الايسات انما اقيمت مقام الاقراء في ذوات الحيض واذا كانت الحامل فيمن يحتمل القروء لم يجز ان يقع لهم شك في عدتها ليسالوا عن عدتها واذا كان كذلك ثبت انه خطاب مبتدا واذا كان خطابا مبتدا تناول العدد كلها ومما يدل على انه مبتداء خطاب ما روي في خبر سبيعة بنت الحارث الاسلمية انها وضعت بعد وفاة زوجها بخمسة عشر ليلة فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتزوج فدل اباحته النكاح قبل مضي اربعة اشهر وعشرة على ان عدة الحامل ينقضي بوضع الحمل في جميع الاجال وقال الحسن ان الحامل اذا وضعت احد الولدين انقضت عدتها واحتج بقوله ان يضعن حملهن ولم يقل احمالهن ولكن لا يستقيم ما قاله لوجهين احدهما انه قرئ في بعض القراآت ان يضعن احمالهن والثاني انه قال اجلهن ان يضعن حملهن ولم يقل بالولد بل علق بوضع حملهن والحمل اسم لجميع ما في بطنهن ولو كان كما قاله لكان عدتهن بوضع بعض حملهن والله تعالى جعل اجلهن ان يضعن حملهن والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا فقد وصفنا ان التقوى اذا ذكر مطلقا مفردا تناول الاوامر والنواهي فكانه قال ومن يتق الله في اموره ان يضيعها او في نواهيه ان يرتكبها يجعله في امره يسرا ثم قوله يجعل له من امره يسرا له وجهان احدهما يجعل له من امره يسرا في فعل التقوى ان تيسره عليه كما قال في قوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى يعني تيسر عليه فعل التقوى والطاعة فكذلك الاول ويحتمل ان يكون في جميع الامور في المكاسب والتجارات وغيرها ان من اتقى الله من الحرام يسر الله عليه الحلال ومن اتقى الله في الشبه يسر عليه في المباح ومن يتق الله في تجارته رزقه ما يرجوا من الربح ويامله وكذلك جميع الامور على هذا السبيل والله اعلم وقوله عز وجل ذلك امر الله انزله اليكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون معنى قوله ذلك امر الله اي ذلك التقوى امر الله انزله اليكم ويحتمل ان يكون اراد بقوله ذلك ما تقدم من الايات في الرجعة والاشهاد والطلاق والعدة وغير ذلك انها وان خرجت في الظاهر مخرج الخبر فانها كلها امر الله تعالى انزله اليكم فاتبعوها وحدوا وايامر فيها والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا هذا يدل على ما وصفنا ان التقوى اذا ذكر مفردا انتظم الامر والنهي جميعا الا ترى

الى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ههنا ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته فجعل التقوى مكفرة السيئات فلولا ان في التقوى اعظم الحسنات لم يكن لقوله يكفر عنه سيئاته معنى والله اعلم وقوله عز وجل اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم ويجوز ان يكون قراءة عمر رضي الله عنه هذه ايضا الا ترى انه قال لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امراة لا ندري صدقت ام كذبت فالكتاب هذا والسنة يجوز ان يكون سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك او يجوز ان يكون عند عمر رضي الله عنه في هذا تلاوة قد رفع عينها وبقي حكمها لذلك قال لا ندع كتاب ربنا الا ترى الى ما قال عمر رضي الله عنه في امر الرجم لولا ان يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها في حاشية المصحف ... قد سيأتي على الناس زمان يقولون لا نجد الرجم في كتاب الله وانا كنا نتلوا من قبل في سورة الاحزاب ان الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها نكالا من الله والله عزيز حكيم فقد رفعت التلاوة وبقي حكمها فكذلك في امر النفقة يجوز ان يكون التلاوة مرفوعة وحكمها باقيا والله اعلم ثم قوله لا ندع كتاب ربنا الخبر دلالة ان الكتاب قد ينسخ السنة لان عمر رضي الله عنه انما احتج في امتناعه عن ترك كتاب ربه بقول امراة لم ندر اصدقت ام كذبت ولولا ان الكتاب قد ينسخ بالسنة لان عمر رضي الله عنه والا لم يكن احتجاجه بقوله لا ندع كتاب ربنا بقول امراة معنى بل كان يقول لا ندع كتاب ربنا بالسنة فلما قال لا ندع كتاب ربنا بقول امراة لا ندري اصدقت ام كذبت دل ان السنة قد ينسخ بالكتاب والله اعلم وروى ابو بكر الاصم ان فاطمة بنت قيس لما انكر عليها عمر رضي الله عنه حديثها تركت روايتها الى زمن مروان فلما استخلف مروان جعلت تروي حديثها فاخبر بذلك مروان فدعاها فردت هذا الحديث فقال لها مروان على ما كان يقول لها عمر رضي الله عنه فقالت له اين كتاب ربنا فتلا عليها قوله اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم فقالت كيف يحتمل ان يكون هذا في المطلقة ثلاثا والله يقول في هذه امسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف ومعنى الامساك في المطلقة ثلاثا معدوم فالخصم مروان ولو فهم مروان ما فهمه غيره لم يخصم وذلك ان هذه العدة المذكورة في هذه الايات انما هي مكان قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا فرق هنالك بين المطلقة الواحدة والثلاث واذا كان المذكور في هذه العدة مكان تلك فالمذكور في النفقة في هذه كالمذكورة في تلك وليس في تلك الاية فرق بين الثلاث والواحدة فلذلك قلنا في كتاب الله تعالى دلالة ايجاب النفقة في المبتوتة والمطلقة ثلاثا والله اعلم فيكون حجة على الشافعي ومما يدل عليه وهو انه لما استدل بذكر الانفاق في قوله وانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن على وجوب الاسكان والنهي عن الاخراج مع توهم الانفاق دون الاسكان فلان يستدل بذكر الاسكان على الانفاق ولا يكون لاسكان الا بالانفاق لاتصاله به احرى فصار قوله واسكنوهن دليلا على وجوب الانفاق وانما قلنا ان الانفاق متصل بالاسكان لانه نهى عن اخراجها من بيته وامر باسكانها فلا يحتمل ان لا يؤمر بالانفاق لان في ذلك تضييق عليها وتعسيره الا ترى انها يكتسب النفقة بالخروج فاذا نهى الزوج عن اخراجها ونهيت هي عن الخروج لم تصل الى نفقتها الا بالزوج ضرورة والله اعلم ولاجل انا نظن ان النفقة في الحامل للحمل او العدة فوجدنا انها لو كانت واجبة للحمل لم يجب اذا كان حملها بحيث لو وضعته لم يلزم نفقته عليه وقد وجدنا هذا الحكم مخرجه يتزوج امة رجل باذن سيدها فولدت ولدا ان نفقة الولد على السيد وكان يجب عليه ما دام في بطن امه فلما استقام وجوب النفقة على الزوج ما دامت حاملا وان كان للحبل بحيث لو وضعته لم يلزم نفقته يثبت

في الرجم

نسخ الكتاب بالسنة

الحامل ناطلقة لمرأن

ان النفقة في الحامل لمكان العدة لا للحبل والعدة في الحايل والحامل واحدة فكذلك كان حكمها واحدا
والله اعلم ثم الاصل عندنا ما وصفنا ان النفقة انما وجبت لاستمتاع المتقدم فاذا كانت محبوسة لاستمتاع
السابق اوجبت النفقة عليه واذا كانت محبوسة لا بهذا الحق لم يكن عليه النفقة والله اعلم ولان في قوله
اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم اضمار النفقة كانه يقول اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن
من وجدكم لانه لولا هذا الاضمار لم يكن لقوله من وجدكم على الظاهر معنى لانه لما قال اسكنوهن
علم انه جعل الاسكان عليهم ومن كان عليه الاسكان فانما يكون من وجده فلم في قوله من وجدكم الا اعلام
ما قد علمناه واذا كان لذلك ثبت ان في قوله من وجدكم اضمارا يستقيم عليه قوله من وجدكم وليس بين
القراءتين اختلاف ولكن احدهما خرجت على الاجمال والثانية على التفسير على ما قرا في قوله والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما فاقطعوا ايمانهما ولم يحمل ذلك على الاختلاف بل حملنا احدهما على الاجمال والثانية
على التفسير فكذلك الاول والله اعلم مع ما انه لم يثبت اللفظ في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
فاقله ان يكون من خبر الاحاد ومعلوم ان خبر ابن مسعود رضي الله عنه وان كان من خبر الاحاد
فيما يسنده الى الرسول صلى الله عليه وسلم مقبول اولما وجب قبول خبر ابي هريرة رضي الله عنه مع ما قيل
فيه من الضعف فلان يقبل خبر ابن مسعود رضي الله عنه مع فضله وورعه وكثرة صحبته مع النبي
صلى الله عليه وسلم وتبحره في الفقه اولى ومن هجر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه خيف عليه الزلة الا انه
الى ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه سال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لما تعدون اخر القراءة
قالوا قراءة زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال كلا كان يعرض القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل عام مرة وعرض عليه في العام الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وقد شهدهما جميعا
ابن مسعود رضي الله عنه فاذا كان ابن مسعود رضي الله عنه قراءته اخر القراآت وهو الذي شهد قراءة
القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر مرة لم ينبغ ان يعرض عن قراءته وتهجر والله اعلم وفي قوله
اسكنوهن من حيث سكنتم دلالة انه انما يسكنها في جزء من اجزاء مسكنه لا في الموضع الذي يسكنه هو
لان حرف من للتجزية والتبعيض وقوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن يحتمل وجهين من التاويل
احدهما اي لا تضاروهن في الانفاق عليهن فتضيقوا عليهن النفقة فيخرجن اولا تضاروهن في المسكن
فتدخلوا عليهن من غير استيذان فيضيق عليهن المسكن فيخرجن والله اعلم وقوله عز وجل وان كن
اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن دل ان الامر بالانفاق على النهي من الاخراج
كما دل النهي عن الاخراج على وجوب الانفاق ثم التخصيص بذكر الانفاق على الحوامل يحتمل ان يكون
لمعنى انها في الحقيقة لم يدخل في قوله لا تخرجوهن لانا قد وصفنا انها انما نهيت لتحصن ماء الزوج
واذا مضت تسعة اشهر فقد خرجت عن التحصن فكان الواجب ان تسقط النفقة بعد التسعة
وقد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم ويحتمل ان يكون الفايدة في تخصيص الحوامل بالانفاق عندنا
والله اعلم انه لولا هذه الاية لكانت الحوامل يخرجن عن قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن
ومن قوله ولا يخرجن لان الازواج لهم ان يحتجوا عليهن ان حرمة النكاح في ذوات الاحمال
ليس لحق الازواج ولكن لحق ما في بطنها من الولد الا ترى انه يحرم عليها النكاح وان كان الولد
من غيره وقد قلنا ان النفقة انما وجبت في غير الحوامل لانهن محبوسات عن نكاح الاجانب بحق
الازواج فاذا كان الحبس في الحوامل لا لحق الازواج جاز ان يكون حجة لهم في اسقاط النفقة عنهم
واذا كان كذلك حث الله لهم في الانفاق على الحوامل ما لم يضعن حملهن لان ذلك الحمل من اثر
استمتاعهم المتقدم ففايدة تخصيص ذكر الحوامل هذا والله اعلم وقوله عز وجل فان ارضعن لكم

اجورهن هذا يتضمن اوجها من ادلة الفقه احدها انه قال فآتوهن اجورهن ثبت ان الارضاع
كان باجارة وانه اذا استاجرها ليرضع ولده منها بعد المفارقة جازت الاجارة وحل لها اخذ الاجر
وانه اذا استاجر امراته في صلب النكاح بلفظ الرزق بقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف
فاذا سمي ما ذكره الله تعالى رزقا اجرا لم يكن لجوا وكان بحق الرزق والكسوة فلذلك لم تجز الاجارة
في صلب النكاح والله اعلم ثم قوله فآتوهن اجورهن دليل على ان اللبن وان خلق لمكان الولد
فهو ملك لها ولولا ذلك لم يكن لها ان تاخذ الاجر على لبن ليس لها فيه ملك وفيه دليل على ان حق
الارضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد وحق الامساك والحضانة والكفالة على الزوجات
ولولا ذلك لكان لها بعض الاجر دون الكل فلما امر بايتاء كل الاجر ثبت ان حق الارضاع على الازواج
وعلى الزوجات الكفالة والامساك والله اعلم ولاجل انا لو جعلنا اللبن ملكا للولد مخلوقا له
وجعلنا النفقة على الام من مالها نفسها لكانت نفقتها تفنى ولا يتهيا لها كسب النفقة لاشتغالها
بالارضاع فيجوز ويهلك ويذهب لبنها فيبطل الارضاع واذا كان ايجاب الارضاع عليها يسقط
من حيث يراد جعل النفقة فاسقطنا عنها وجعلنا ملك اللبن لتاخذ الاجر عليه والله اعلم
وفي هذه الاية دلالة على ان الاجر انما يجب بعد استيفاء المنافع فانه قال فان ارضعن لكم
فآتوهن اجورهن انما اوجب الايتاء بعد الارضاع وفي قوله اجورهن دلالة على ان الارضاع
انما هو باجارة قد سبقت لذلك قال اصحابنا ان الاجرة انما تجب عند استيفاء العمل وقوله
عز وجل واتمروا بينكم بمعروف له وجهان احدهما ان يقول واتمروا يعني تشاوروا في ارضاع
اذا تعاسرت هي والثاني واتمروا اي اعملوا بامر من جعل الله تعالى اليه الامر بالمعروف وقوله
وان تعاسرتم فسترضع له اخرى يعني اذا تنازعتم في الرضاع وابت الام ان ترضعه فاطلبوا
اخرى ترضعه عندها وقوله لينفق ذو سعة من سعته اي من وسع عليه في الرزق فلينفق
نفقة واسعة ومن قدر عليه يعني ضيق عليه وقدر هاهنا بمعنى ضيق عليه وهو كما قال فظن
ان لن نقدر عليه يعني فظن ان لن نضيق عليه وكذلك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
يعني ويضيق عليه اي من ضيق عليه فلينفق نفقة ضيقة فذلك قوله فلينفق مما اتاه الله والله اعلم
وقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها فهو يدل على ان العباد ما اكتسبوا من الاموال
فهي كلها مما اتاهم الله تعالى وان لله تعالى في افعال العباد وفيما يكتسبونه من الاموال
صنعا وتدبيرا لانه لولا ذلك لكان يجوز ان يكلفه الله تعالى وان لم يؤتها لهم اذا كان في قدرته
ان يكتسب ما لم يؤته الله تعالى وقوله عز وجل سيجعل الله بعد عسر يسرا هذا دليل على انه اذا عجز
عن نفقة امراته لم يفرق بينها وبينه لانه اذا فرق بينهما لم تصل الى زوج ينفق عليها الحال بل يحتاج
فيه الى انقضاء العدة وقد يتوهم في خلال ذلك ان يوسر الزوج لان انجاز وعد الله تعالى في اليسار
بعد العسر اقرب من قربها على زوج ينفق عليها وليس هذه كالامة لانه اذا باع الامة دخلت في ملك اخر
ينفق عليها والله اعلم ثم يجوز ان يكون قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا وعدا لجميع الامة ان من ابتلي
بالعسر يتبعه اليسر ويجوز ان يكون خطابا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانوا في عسر
وضيق عيش فوعدهم الله بعد ذلك العسر الذي كانوا فيه يسرا وقد انجز ذلك الوعد حيث
فتح لهم الفتوح ونصرهم على اعدائهم فغنموا اموالهم والله اعلم وقوله عز وجل وكاين من قرية
عتت عن امر ربها ورسله وصف الله تعالى القرية بالعتو ومعلوم انها لا تعتو ولكن المراد منه
اي عتى اهلها عن امر ربهم وقد يجوز ان يكنى بالمكان عن الاهل كما قال في اية اخرى وسل القرية

حضانة

التي كنا فيها يعني وسل اهل القرية وفي هذا دلالة ان ما خرج مخرج الكناية في الحقيقة
لم يكن كذبا وان كان في ظاهره براها انه كذب الا ترى الى قوله ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة ومعلوم انه لم يكن هناك نعجة ولكن كناية عن النساء تخرج على الصدق في الحقيقة
كناية قال هذا اخي لو كان له تسع وتسعون امراة فلذلك الاول والله اعلم والعتو النهاية
في الاستكبار الا ترى الى قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقوله عزوجل
فحاسبناها حسابا شديدا له اوجه من التاويل احدها يقول حاسبناها اي بلغوا في الكفر
والعتو والاستكبار مبلغا صاروا من اهل الحساب الشديد والعذاب المنكر او يجعل ما ذكر الله تعالى
من نزول النقمة بالامم الماضية لعتوهم واستكبارهم حسابا شديدا لهذه الامة ليتذكروا ويتعظوا
او يكون معناه فحاسبناها اي سيحاسب حسابا شديدا في الاخرة كما كان معنى قوله تعالى واذ قال الله
يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس يعني واذ يقول الله فكذلك الاول والله اعلم ووجه نزول
هذه الاية يكون له معنيان احدهما تخويفا لامة محمد صلى الله عليه وسلم والكفرة من اهل مكة
بما نزل بالامم الخالية حين تركوا اتباع رسلهم والايمان بهم واستكبروا في انفسهم وعتوا لكي ينتهي
اهل قرية عليه السلام عما هم فيه من الكفر والعتو ويحذروا الوقوع فيه في حادث الاوقات
ويحتمل ان يكون تسكينا لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا عليه مما يلقى من امر قومه
وعصيانهم وعتوهم وليعلم ما لقيت الرسل المتقدمة من اممهم حتى بلغ كفرهم واستكبارهم
المبلغ الذي وقع الياس عن ايمانهم حتى انزل الله تعالى بهم ما نزل من النقم والعقوبة ويجوز
ان يكون هذه محنة امتحن بها رسوله ليعلم شفقته على امته في ترك الدعاء عليهم بالاهلاك
والله اعلم وقوله فذاقت وبال امرها اي شدة امرها او نقمة امرها وعقوبة كفرها وقوله
وكان عاقبة امرها خسرا اي عاقبة عتوها خسارا في الاخرة وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا
فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوا الله يا من يدعون ان لهم لبا فاتقوه عن ان يكفروا به وبرسوله
وفيه دلالة ان خطاب الله انما يتناول العقلاء منهم وان من لا عقل له فلا خطاب عليه
وقوله قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا له وجهان احدهما ان يجعل الذكر والرسول كله
واحدا فيقول انزل الله اليكم ذكرا وهو الرسول وانما سماه ذكرا لوجهين احدهما ان من اتبعه
شرف وصار مذكورا او سماه ذكرا لانه يذكرهم المصالح والمضار وما يرجع الى دينهم وعقباهم
ويجوز ان يكون فيه اضمار وهو ان يكون انزل الله اليكم ذكرا وارسل اليكم رسولا وقوله عزوجل
يتلو عليكم ايات الله مبينات بالخفض معناه انها بين الحلال والحرام والامر والنهي والنصب
للايات الاعلام والحجج فمن قرا مبينات بالخفض فمعناه انها بين الحلال والحرام والامر والنهي
ومن قرا بالنصب فكانه يريد به ان الله تعالى اوضح اياته وبينها حتى ان من تفكر فيها وتدبرها
علم انها من عند الله وقوله عزوجل ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور
كل من امن فقد خرج من الظلمات الى النور واذا كان هذا هكذا تحقق هذا الكلام ان يقول
ليخرج الذين كفروا من الظلمات الى النور ولكن يحتمل ان يكون معناه ليخرج الذين يؤمنون
على ما جاز ان يراد من الماضي المستقبل وقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اي واذ يقول الله
يا عيسى ابن مريم جاز ان يراد من المستقبل الماضي وهذا سايغ في اللغة ويحتمل ان يقول
ليخرج الذين امنوا من ظلمات يحدث لهم بعد ايمانهم الى النور والله اعلم وقيل قوله الذين
امنوا يعني وحدوا الله تعالى وعظموه وجلوه من معاني التشبه ووصفوه بالتعالي عن العيوب

والآفات وعملوا في ايمانهم صالحا اذا خافوه ورجوه في ايمانهم وذلك عملهم الصالح في الايمان وذلك
معنى قوله او كسبت في ايمانها خيرا ومعنى ذلك الكسب ما وصفنا من التعظيم والتبجيل والرجاء
والخوف في نفس الايمان والله اعلم ويجوز ان يكون معنى قوله وعملوا الصالحات في اداء الفرايض
التي افترض الله عليهم وقوله عزوجل قد احسن الله له رزقا اي طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة
وذلك معنى قوله عزوجل ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ٥
وفي هذه الاية دلالة ان من نال الايمان فانما ناله بفضل الله وبرحمته لانه لولا هكذا لم يكن ليمن الله تعالى
عليه بذلك وقوله عزوجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اختلفوا في قوله
ومن الارض منهم من قال مثلهن اي طباقا مثل السموات بعضها طبقا فوق بعض ومنهم من قال
مثلهن يعني جزاير على مثل ما قال سبعة ابحر فكذلك خلق سبع جزاير ومنهم من قال خلق هذه
الارض التي نشاهدها على حد السماء ومقدارها واست من وراء هذه السماء والله اعلم وليس بنا
الى تعرف ماهيتها وكيفيتها وعددها حاجة لانه ليس في تعرفها حكم يتعلق به والله اعلم وقوله يتنزل الامر
بينهن له تاويلان احدهما يتنزل الوحي بينهن وما ينزل الله تعالى من الكتب والرسل بينهن ومعناه
ان الله تعالى ذكر امة محمد عليه السلام انهم لم يختصوا بمحنة الرسل والكتب والوحي بل كل من في السموات
والارض ممتحن بذلك والثاني يتنزل الامر بينهن يعني التكوين ووجه ذلك انه لا يخلوا مكان
في السموات والارض في كل وقت من مكون يكونه الله تعالى او محدث يحدثه وذلك قوله انما امرنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فيجوز ان يكون المراد بالامر في قوله يتنزل الامر التكوين
ومعناه ما وصفنا والله اعلم وقوله عزوجل لتعلموا ان الله على كل شيء قدير اي لكي تعلموا اذا تفكرتم
في خلق السماء والارض وما جرى من التدبير فيهما ان بلغت قدرته هذا المبلغ كانت قدرته ذاتية
لا يعجزه شيء عما اراده او يدل هذا التدبير انه خرج عن عالم لا يخفى عليه شيء والله اعلم ثم قوله
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير يحتمل وجها احدها ان الله تعالى على خلق فعل كل فاعل من خلايقه
قدير ووجه ذلك ان الله تعالى قد كان اعلم بخلق السموات والارضين بقوله الله الذي خلق سبع
سموات فلما قال لتعلموا ان الله على كل شيء قدير لم يكن بد من ان يكون هذا في غير خلق السموات
والارضين فثبت ان فيه دلالة قدرته على خلق فعل كل مخلوق ولانه لما بلغ قدرته وتدبيره ٥
في السموات والارضين مع عظم امرهما وشانهما ومع عجز البشر عن تدبير مثلهما فلان يبلغ
قدرته وتدبيره فيما يقع فيه تدبير البشر وهو افعالهم احق والله المستعان ووجه اخر
ان يقول ليعلموا ان الله على ان الله على كل شيء قدير بما وعد واوعد قدير او على كل شيء من منافع
العباد ومضارهم قدير وعلى قول المعتزلة ان الله تعالى لا يقدر على فعل بعوضة فما فوقها
ولا يقدر على اصلاح احد من خلقه وان نفد جميع خزائنه وان من صلح فانما يصلح بنفسه
ومن فسد فانما يفسد بنفسه وهذا خلاف ما وصف الله تعالى به نفسه من انه على كل شيء قدير
وقوله عزوجل وان الله قد احاط بكل شيء علما يعني ان علمه لا يشذ عن شيء ولا يخفى
عليه شيء من الفعل والامر وغيره والله اعلم تمت السورة بعون الله الملك الوهاب

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك هذا في الظاهر

فظيع بان يحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله له ومن قال بانه حرم ما احل الله
فقد قال امرا منكرا ولو اعتقد ذلك كان كفرا منه اذ من حرم ما احل الله تعالى كان كافرا ومن كان
اعتقاده في رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فهو كافر وقال ابو بكر الاصم دلت هذه الاية على انه ليس
لاحد ان يحرم ما احل الله تعالى لان الله تعالى منع رسوله عن ذلك لكن الامر عندنا ليس على ما ظنه
ابو بكر ولا على ما يسبق اليه وهم بعض الجهال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم شيئا احل الله تعالى
ومن توهم هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالكفر وتاويله عندنا والله اعلم على وجهين احدهما ان تحريم ما احل الله تعالى هو ان يعتقد
تحريم المحلل وتحليل المحرم فيما حرمه الله تعالى مطلقا فمن اعتقد تحريمه حكم عليه بالكفر ورسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يعتقد تحريم ما احل الله اذ لم ير جماعها عليه محرما بل امتنع عن الانتفاع بها
باليمين والحرمة التي يثبت بسبب اليمين لم يكن من فعل الادمي وان ثبت بمباشرة السبب منه
كالتحريم بالطلاق بغيره من الاسباب فانما يثبت من الله تعالى عقيب مباشرة الاسباب
من العباد كساير الاحكام كيف وانه باليمين لا يثبت حرمة نفس الفعل وانما المحرم من ترك
تعظيم الله تعالى الواجب بسبب اليمين وهذا لا يعد تحليلا للحرام اوان يريد بالتحريم منع النفس
عن ذلك مع اعتقاده بكونه حلالا الا ان يكون قصد به قصد تحريم عينه وقد يمتنع المرء عن تناول
الحلال لعرض له في ذلك وهو كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل ولم يرد تحريم عينه ولا التحريم
الشرعي اذ الصبي ليس من اهله وانما اريد به امتناعه من الارتضاع الا من ثدي امه فعلى ذلك ههنا
والله اعلم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب الى حسن العشرة مع ازواجه
الى الشفقة عليهن والرحمة بهن فبلغ في حسن العشرة والصحبة معهن مبلغا امتنع عن الانتفاع بما احل الله
واباح التلذذ به ينبغي به حسن عشرتهن ويطلب به مرضاتهن فقال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
اي لا يبلغن بك الشفقة عليهن وحسن العشرة معهن مبلغا يمتنع عن الانتفاع بما احل الله لك فيخرج
هذا مخرج تخفيف المؤنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حسن العشرة معهن لا مخرج النهي والعتاب
عن الزلة وهو كقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بلغ
من شفقته على اولئك الذين تخلفوا عن الايمان مبلغا كادت نفسه يهلك فيها فكان في قوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات تخفيف الامر عليه وكذلك قال ولا تبسطها كل البسط ليس في الحقيقة نهي عن السخا
على النهاية لكن تخفيف الامر عليه ان ليس عليك الاسراف في السخا والنهاية في ذلك بحيث لم يبق لنفسك
وعيالك شيئا وتؤثر غيرك فعلى ذلك قوله لم تحرم ما احل الله لك خارج مخرج تخفيف المؤنة
عليه في حسن العشرة لا مخرج النهي والله اعلم ثم اختلف في سبب التحريم فمنهم من ذكر ان حفصة رضي الله عنها
زارت اهلها والنبي عليه السلام في بيت حفصة فجاءت ام ابراهيم مارية القبطية حتى دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فواقعها فجاءت حفصة وهما نايمان فرجعت الى بيت اهلها فمكث عامة الليل القصة
وقالت حفصة في اخر هذا الخبر ما رايت لي حرمة وما عرفت لي حقا فقال لها عليه السلام اكتمي علي
وهي علي حرام فنزلت هذه الاية ومنهم من يذكر ان ذلك اليوم كان يوم عايشة رضي الله عنها
فاطلعت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاريته مارية فامرها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يكتم عليه فاخبرت حفصة بما رات عايشة رضي الله عنها فغضبت عايشة ثم لم تزل بنبي الله
حتى حرمها فنزلت هذه الاية وقال عكرمة نزلت الاية في امراة يقال لها ام شريك وهبت نفسها للنبي
صلى الله عليه وسلم فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا مرضاة ازواجه فنزلت الاية

والله اعلم ومنهم من قال ان الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم كان عسلا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم شربه عند بعض نسايه فقالت امراة من نسايه لصاحبتها اذا جاءك النبي صلى الله عليه وسلم
فقولي له ما ريح المغافير منك فقالت للنبي فحرمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وليس لنا الى تعرف
السبب الذي له وقع التحريم ولا الى تعيين الشيء الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم حاجة ولكنا نعلم
ان الامر الذي كان فيما جرى بينه وبين زوجته وقوله عز وجل والله غفور رحيم اي غفور لما تقدم
من ذنبك وما تاخر لو كان اويكون رحيم حيث لم يعاقبك بما اجترأت من الاقدام على اليمين لا يلائق بك
من الله تعالى لك فيه او غفور رحيم عليك وعلى زوجتك ان تابتا ولم تعودا الى صنيعهما او غفور رحيم
بما خفف عليك من مؤنة العشرة ولم يحمل عليك ما حملت على نفسك وقوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
فمنهم من يحمل هذا على ابتداء الخطاب ويصرف المراد الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله
قد كان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلم يكن يحتاج الى التكفير لازالة الماثم ولكن نحن نقول ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان كان هذا محله فهو وامته في احكام الشرايع مؤاخذون ويكون على هذا
مغفرة ذلاته ما تقدم وما تاخر بمباشرة اسبابها من التوبة والكفارة ونحو ذلك فيكون قوله تعالى
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم منصرفا الى النبي عليه السلام وامته ثم يجوز ان يكون رسول الله قصد
الى التحريم اعني منع نفسه عن الانتفاع بها مع اعتقاد الحل لا الى اليمين فجعل الله تعالى ذلك منه
يمينا فيكون فيه دلالة على ان التحريم يمين ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان من قال لامراته انت علي
حرام ولا نية له فهو يمين ويجوز ان يكون افصح بالحلف فكنى عنه باليمين ثم قوله قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم على القراءة العامة وفي بعض القراءات قد فرض الله كفارة ايمانكم ووجه الفرض فيه ان الامم
من قبل لم يكن يؤذن لهم بالحنث في اليمين ولا ان يحلوا منها بالكفارة الا ترى الى قوله تعالى وخذ بيدك
ضغثا فاضرب به ولا تحنث فلم ياذن له بالحنث واباح له الضرب ثم اباح لهذه الامة حل اليمين بالحنث
والكفارة فنسب الحل الى الكفارة ورم الى الحلال لها بنفسها من جهة الحنث ثم قوله قد فرض الله لكم
اي وسع عليكم واحل لكم تحلة اليمين فهو هذا ان كل ما ذكر فيه كتب لكم او فرض لكم فهو في موضع الاباحة
والتوسيع وما ذكر فيه عليكم فهو على الايجاب والالزام قال الله تعالى كتب عليكم الصيام وقال كتب عليكم
اذا حضر احدكم الموت وذلك كله في موضع الوجوب وقال تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
معناه اباح لكم الدخول فيها وقوله تعالى والله مولاكم اي وليكم فيما امتحنكم من الكفارة وغيرها او وليكم
في نصركم والدفع عنكم وقوله عز وجل وهو العليم الحليم اي العليم بمصالحكم او بمقاصدكم او بما تسرون
وما تعلنون او بما كان ويكون الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير او حكيم بما حكم عليكم من تحلة
الايمان والله اعلم ثم في قوله العليم الزام المراقبة والمحافظة ودعا الى التبصر والتيقظ في كل ما يتعاطاه
المرء من الافعال ويأتي به من الاقوال وفي قوله الحكيم دعا الى التسليم بحكم الله تعالى اذ الحكيم لا يحكم
على احد الا بما فيه حكمة وفايدة فلزمه تسليم النفس بحكمه على وجه الحكمة فيه او جهله ثم الاصل بعد هذا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيح له نكاح التسع وامر بان يحسن صحبتهن ويبتغي مرضاتهن والمرء
يعسر عليه صحبة الاربع بحسن العشرة ويتعذر عليه القيام بمرضاتهن جميعا فكيف اذا امتحن بصحبة التسع
فكانت المحنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر النساء اعسر منه على غيره وامر مع هذا ايضا معاملة
الخلق مع اختلاف هممهم واطوارهم باحسن المعاملة ولكن الله تعالى لما امتحنه بما ذكرنا اتاه من الاخلاق
والشمايل الرضية ما خفف بها عليه هذه المحنة وسهل عليه المعاملة مع الجملة واتاه من القوة ما ملك بها
حفظ حقوقهن وارضاء جملتهن حتى بلغ في حسن العشرة وابتغاء المرضاة ما عوتب عليه وبلغ من جهده

في الاسلام الى ان قيل عبس وتولى وبلغ في الشفقة والرحمة على الامة الى ان قيل له فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وقال وانك لعلى خلق عظيم خلعته بماجا ونزحلعته قوة نفسه فكادت نفسه
تهلك فيه ثم في قيامه عليه السلام بوفا وحقوقا للتسع وارضاهن دلالة نبوته ورسالته لان الناس
انما يقولون على الجماع بما يصيبوا من فضل الاطعمة والاغذية ثم هم مع اصابتهم فضول الاطعمة والاشياء
اللذيذة يفترون على بعض حقوقهن وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى التزهد في الدنيا
وقلت رغبته في مطاعمها ومشاربها وكان مع ذلك يوفي بحقوقهن فعلم بهذا انه انما وصل الى ما ذكرنا
بما قواه الله تعالى عليه واقدره لا بالحيل والاسباب ثم ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امتحن
بالقيام بوفاء حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ينظرن اليه بعين التبجيل والتعظيم فكانت
المحنة عليهن اشد من المحنة على غيرهن من النساء مع ازواجهن لان المراة قلما تسلم عن دفع اصواتها
على صوت زوجها اذا لم يكن للمراة سواها فكيف اذا كانت معها اخرى ثم هن لو رفعن اصواتهن على صوت
رسول الله اوجب ذلك احباط عملهن على ما قال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط
اعمالكم وانتم لا تشعرون فلا يجوز ان يمتحن بهذه الكلفة الشديدة والمحنة العظيمة الا بما شرح الله تعالى صدورهن
ويفتح قلوبهن لاحتمال ذلك ثم المحنة علينا بعد هذا اشد من المحنتين اللتين ذكرناهما لانا امتحنا
بمعرفة ما ضمنته هذه الاية والاعتقاد لذلك وهي قوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك فالذي علينا
من المحنة ان نصرف الامر الى وجه لا يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم تنقص فيسلم من المواخذة فجائز
ان يصرف الى ما ذكرنا من تخفيف الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الاية في موضع تخفيف الامر عليه
ليس في موضع النهي في الظاهر وجائز ان يكون العتاب لمكان مارية ان كانت قصة التحريم من اجلها
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اذن له بالامساك مارية ولم يندب الى تزويجها لتصل الى قضاء
شهوتها من قبل الازواج فانما يتوصل الى تسكين شهوتها برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هو بتحريمها
الى قضاء شهوتها من قبل الازواج فانما يتوصل الى تسكين شهوتها على نفسه لم يسع عنها الحق اذ الامة
لا حظ لها في القسم فيلحقه العتاب من هذه الجهة ولكن لما كان لها فيه مطمع وهو بالتحريم قطع طمعها
فقيل لها لم تحرم ما احل الله لك اي لم يمنع نفسك عن قضاء شهوة اباح الله لها قضاء تلك الشهوة فيكون
في العتاب دعاء له الى ان يعمل بالخير الوجهين واخيرهما ان يوصلها الى ما طمعت منه لان لا يقطع طمعها
منه وان لم يكن لها فيما طمعت حق والله اعلم والمحنة الثانية علينا ان لا ينسب الى ازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تكره انفسنا نسبته مثله الى الامهات لان ازواجه علينا حق الامهات فان امكننا
ان نخرج مخارجهن وجها نسلم عن تنقصهن فعلنا والا امسكنا عن ذكره خشية التنقص وترك التبجيل
والتعظيم الا ترى الى قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وهكذا الواجب
على كل مؤمن ان لا يظن بازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضى عنهن الا خيرا وان لا ينظر اليهن
الا بعين التعظيم وقال ايضا سبحانك هذا بهتان عظيم واذا كان هذا حقهن علينا فلا يجب ان يذكر
زلتهن كانت كسب وكبت لما يتوهم انه يكون زلتهن دون الذي خطر على بالنا فيكون قد اعظمنا القول فيهن
فيصيبنا من ذلك عذاب عظيم كما قال لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما افضتم عذاب عظيم ولقائل
ان يقول في قوله هذا بهتان عظيم من اي وجه صار بهتانا عظيما ونساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكن معصومات بل كان يتوهم منهن الصنع الذي رمين به فجوابه ان ازواجه كن بالمحل الذي اذا ابتلين
بزلة سرا وجهرا اطلع الله تعالى ذلك لنبيه عليه السلام الا ترى ان احداهن لما افشت سر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الاخرى اطلع الله تعالى نبيه على ذلك واذا كان لا يستر عليهن هذا القدر من الزلة فكيف يستر

عليهن فعل الزنا لو وجد منهن فلو وجد من التي رميت فعل الزنا لكان يسبق الاطلاع من الله تعالى
لرسوله عليه السلام قبل ان يجزى به الحارث على السن الخلق فاذا لم يسبق اوجب ذلك المعنى براءة ساحتها
عما رميت به وصار الرامي لها به قائلا بالبهتان والزور وفي هذه الاية دلالة جواز العمل بالاجتهاد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لا باذن سبق من الله تعالى اذ لو كان الاذن سابقا لما عوتب عليه ثم قد ذكرنا لم يعاتب
لزلة ارتكبها حتى يكون فيه منع عن العمل بالاجتهاد وانما عوتب لمكان ما حمل على نفسه من فصل المؤنة في الحرم
ثم الاصل ان الاماء لا حظ لهن في القسم وليس لهن من الايام ما يكون مثله للحرائر فكان يقسم لها فيودي فيه
حقها وقد اذن له في امساكها وان لا يزوجها فلا يجوز ان لا يؤمر بتزويجها ثم هو لا يسكن شهوتها
ثم هو انما يصل الى قضاء وطرها وتسكين شهوتها في يوم ذلك اليوم من زوجة من زوجاته فجائز
ان يكون الله تعالى اكرمها ان يسكن شهوتها وتاتيها من حيث لا يعلمها ان واحدة بذلك ثم اطلع بعض نسائه
على فعله ليعلمن ان المحنة عليهن بعد العلم وقبل العلم واحدة وان عليهن ان يعظمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان لا يحملهن العنوة على الاستقبال له بالمكروه والنظر اليه بالتنقص اذ لم يكن عليهن
فيما اتى تلك الامة في ايامهن تقصير في حقهن اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى من القوة
في الجماع ما يطوف على جملة نسائه في ليلة واحدة واما ما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كف
نفسه عن شرب العسل فذلك يحتمل ايضا ولكن ما ذكر من تحريم مارية امكن لان لا يحتمل ان يكون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في شرب العسل من الرغبة ما يدخل على نسائه المكروه لاجله وجائز ان يلحقهن في استمتاعه
بامته مكروه فيحملهن ذلك على ما ذكر فقد صغت قلوبكما وقوله عز وجل واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
حديثا فلما نبات به دل قوله نبات به انه قد طلب منها اسرار ذلك الحديث الذي اسر اليها وليس
بنا حاجة الى تعرف الحديث الذي اسر اليها وفيه دلالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما علم بافشائها سره الى صاحبتها بالله تعالى وهو قوله واظهره الله عليه وقوله عز وجل عرف بعضه
واعرض عن بعض فقوله عرف قرئ بالتخفيف والتشديد فمن قراه بالتشديد فهو على ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عرفها بعض انبات من القصة التي اسر اليها ولم يعرفها البعض لانه لم يكن القصد
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبرها بذلك النبا الذي اسرت اليها وانما كان المقصود
منه تنبيهها بما اظهرت من السر وافشت الى صاحبتها لينزجر الى المعاودة الى مثله والبعض من ذلك
يعلمها ما يعلم الكل فلم يكن الى اظهار الكل حاجة وذكر في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لها الم اقل لك وسكت عليه وفي هذا اية رسالته وسنعهن عن اسرار ما يحتسبن عن ابداء مثله لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فانهن ان فعلن ذلك اظهره الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ذلك فيعلم ما تسررن
ومن قرا عرف بالتخفيف فهو يحمله على الجزاء فيقول عرف بعضه ان يجزى عن بعض ما استوجبته بافشاء
السر واعرض عن بعض للجزاء يقول الرجل لاخر عرف حقي فعرفت له حقه او عرفت حقي فسا عرف
حقك اي لاقومن بجزاء ذلك وذكر في الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة
تطليقة ثم نزل جبريل عليه السلام فقال له راجعها فانها صوامة قوامة وانها لزوجتك في الجنة
فجائز ان يكون طلاقه اياها جزاء لبعض صنيعها ثم من الناس من يحتج باحدى القراءتين على الاخرى
فيقرا احديهما ويرغب عن الاخرى وذلك مما لا يجعل لان الامرين جميعا قد وجدا وهو الجزاء والتعريف
فجمع الله تعالى الامرين جميعا في اية واحدة وفصل بين الامرين بالاعراب فليس لاحد ان يؤثر
احدى القراءتين على الاخرى وهذا كقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام لقد علمت وعلمت ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض وقد علم موسى عليه السلام وعلم فرعون فقد كان الامران جميعا فجمع الله تعالى

بين الامرين في اية واحدة فلا يحتمل لاحد ان يقرأ باحدى الوجهين ويمنع عن الوجه الاخر
وكذلك هذا في قوله تعالى ربنا باعد بين اسفارنا وربنا باعد بين اسفارنا فمن قرأ باعد بين اسفارنا
حمله على الدعاء ومن قرأ باعد حمله على الاخبار وقد كان الامران جميعا الدعاء والاخبار فليس
لاحد ان يؤثر احدهما على الاخر فعلى ذلك الحكم في قوله عرف بعضه وعرّف بعضه والله اعلم وقد صغتا
تا وبل قوله العليم الخبير ثم فيهما ما يدعوا الانسان الى المراقبة والتيقظ وقوله عز وجل ان تتوبا
الى الله فقد صغت قلوبكما في هذه الاية دلالة ان الحديث الذي افشي كان بين زوجتين لقوله
تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما كان اسر النبي صلى الله عليه وسلم عند احديهما ومنها ان يفشي
الى الاخرى فافشت لكنا لا نعلم ان ذلك الحديث كان ما ذا لكنه كان منهما ما يجوز ان يعاتبا ث
وتدعيان الى التوبة لقوله ان تتوبا الى الله وان خفي ذلك علينا ثم اذ عرفنا ان الله جعل عقوبتهن
وتأديبهن اشد من العقوبة على غيرهن بقوله من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين فيجوز ان يندبن الى التوبة بادنى زلة حتها التجاوز عن غيرهن ثم قوله ان تتوبا الى الله
فقد صغت قلوبكما فجايز ان يكون قوله ان زيادة في الكلام وحقه الحذف فيكون معناه توبا
الى الله فقد صغت قلوبكما ويوقف عليه ثم يبدا بقوله وان تظاهرا عليه وجايز ان يكون حقه
الاثبات فلا يكون حرف ان زيادة ويكون معناه ان تتوبا الى الله والا فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المؤمنين فيكون الجزاء فيه مضمرا وجايز ان يكون جزاء صنيعهن ان يطلقهن فكانه قال
ان تتوبا الى الله والا طلقكن فيكون في هذا انه حُبّب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهن حتى اشتد
عليهن الطلاق وخرج الطلاق مخرج العقوبة لهن على صنيعهن والله اعلم وقوله فقد صغت قلوبكما
اي مالت عن الحق الذي لرسول الله عليكما وحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم حق عظيم يرد فيه العتاب
بادنى تقصير وقوله عز وجل وان تظاهرا عليه هذا في الظاهر مغايبة فينبغي ان يذكر على المخاطبة
فيقال وان تظاهرتما عليه كما قال تعالى ان تتوبا الى الله قيل جايز ان يكون معنى قوله ان تتوبا الى الله
تائبتا ورجعنا على عادة المغايبة وان كان اللفظ لفظ المخاطبة ولكن الصحيح ان قوله وان تظاهرا
على المخاطبة معناه وان تتظاهرا والله اعلم وقوله عز وجل فان الله هو مولاه حق هذا ان يقف
عليه ثم يقول جبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير حتى لا يتوهم ان غير الله
مولاه ثم ذكر هذا بلاغ في التهويل والا فالواحد منه هؤلاء المذكورين يكفي لازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك في ذكر عقوبتهن اذا وجد منهن الخلاف بقوله يضاعف لها العذاب
ضعفين والاصل ان المبالغة في التاديب مما يعين المؤدب على حفظ الحدود وكذلك المجاوزة
في حد العقوبة معونة له في تاديب النفس حتى يملك حفظ نفسه عما يدعوا اليه نفسه
عما يدعوا اليه وقوله عز وجل وصالح المؤمنين قيل صالح المؤمنين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طلق حفصة دخل عليها عمر رضي الله عنه فقال لو علم الله
تعالى في آل عمر خيرا ما طلقك رسول الله فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يامره بمراجعتها وذكر انها صوامة قوامة فجايز ان يكون حفصة رضي الله عنها
تصوم النهار وتقوم الليل في غير نوبتها فلا يعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاطلعه جبريل عليه السلام على ذلك وروي عن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال صالح المؤمنين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل هم الانبياء والرسل عليهم السلام وذكر الحسن
انه قال صالح المؤمنين من لم يسرق نفاقا ولا اظهر فسقا ثم خص من المؤمنين الصالحين منهم ولم يعم

جملة المؤمنين فهذا والله اعلم لانه لو ذكر المؤمنين على الاجمال لدخلت فيه الكن وهاتان المتان
تظاهرتا لان اصغاء القلب لا يخرجهما عن ان يكونا من جملة المؤمنين ولان ذكر هذا في موضع
المعونة في امر الدين وصالح المؤمنين هم الذين يقولون بالمعونات في امر الدين وقوله عز وجل
عسى الله ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وعلى المعتزلة لا يملك ان يبدل
خيرا منهن اذ لا يقدر على ان يجعل في احد خيرا على قولهم ولا يملك ان يبدله ازواجا لانه
لا يقدر على زعمهم على ان يجعل احدا من النسوان زوجة لاحد من الرجال وانما المشية والاختيار
الى المتزوج والمتزوجة والفعل منهما وعلى قولنا يملك ان يجعل الخير لمن شاء فيمن شاء وله
ان يجعل من النسوان زوجة لمن شاء من الرجال فهذه الاية يشهد بالصدق لمقالتنا ويحد
على المعتزلة قولهم لانه جعل الابدال الى نفسه بقوله يبدله وعلى قولهم لا يملك ان يوفي بما عد
ثم في هذه الاية اباحة الابدال واباحة الطلاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قوله
لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج حظر الابدال فجايز ان يكون قوله لا يحل لك
النساء من بعد مقدما وقوله عسى ربه ان طلقكن متاخرا فيصير ما تقدم منسوخا بهذه الاية
الذي يدل على صحة هذا ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما خرج رسول الله عليه السلام
من الدنيا حتى احلت له النساء فثبت ان الحظر كان متقدما ثم وردت الاباحة من بعد فيحمل الايتاد
على التناسخ ليرتفع التناقض من بينهما وجايز ان يكون حظر عليه الابدال اذا قصد بالطلاق حصته
الابدال بما اعجبه من الحسن كما قال ولو اعجبك حسنهن الاية فاذا كان قصده من الطلاق الابدال
كان ذلك محظورا عليه واما لم يقصد بالطلاق قصد الابدال ولكن يقصد به قصد المجازاة
للخلاف الذي ظهر ابيح له ذلك ثم الله تعالى يبدله خيرا من المطلقة وليس هو يقصد بالطلاق
في قوله عسى ربه ان طلقكن قصد الابدال واذا كان كذلك سلمت الايتان عن التناقض وذكر عن ابي
ابن كعب رضي الله عنه انه سئل فقيل اكان يحل لرسول الله ابدال امراة بامراة فقال بلى يسئل عن قوله تعالى
لا يحل لك النساء من بعد ولا ان يبدل بهن من ازواج فقال هذا منصرف الى من هن من ولدك المسميات
وهو كقوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك الى قوله وامراة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي فذكر بنات العم وبنات الخال والاجنبيات وحظر عليه من سواهن من المحارم فيكون
فيه ابانة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان حظر عليه تزويج محارمه من ذوي الرحم كما حظر
على غيره اذ هو موضع الاشكال انه لما احل له زيادة على الاربع يحل له ذوات الارحام من المحارم
فازال الاشكال به وقوله عز وجل خيرا منكن فجايز ان يكون خيرا منهن للرسول عليه السلام
لا ان يكن خيرا في انفسهن لان قال مسلمات مؤمنات قانتات الا ترى الى ما ذكر ان جبريل عليه السلام
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم راجع حفصة فانها صوامة قوامة والذي يدل على هذا ايضا
قوله تعالى في اخر هذه الاية ثيبات وابكارا وقد وجدت هاتان الصفتان في ازواجه فثبت ان معنا
ما ذكرنا وجايز ان يكن خيرا منهن ايضا في انفسهن من حيث الجمال والنسب وغير ذلك او يصرن خيرا
منهن لما يتركن الخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتظاهرن عليه ويكن هؤلاء دونهن
اذا لم يتوبن من الخلاف وذمن على التظاهر فاما اذا امسكن عن الخلاف وتبن عما سبق من الخلاف
فهن وغيرهن بمحل واحد وقوله مسلمات مؤمنات قد بينا ان كل مسلم مؤمن في المحصل
لان معنى الاسلام والايمان واحد اذ الاسلام هو ان يجعل الله الاشياء كلها لله تعالى خالصة سالمة
لا يشرك فيها غيره والايمان التصديق وهو ان يصدق ان الله تعالى رب كل شيء واذا صدقه

ان رب كل شئ فقد جعلت الاشياء كلها له سالمة او يصدق كلاما يشهد لله تعالى بالربوبية بجوهره فثبت ان كل واحد منهما يقتضى ما يقتضيه الآخر من المعنى فاذا ذكر احدهما بالانفراد ففى ذكره ذكر الآخر واذا جمعا فى الذكر صرف هذا الى وجه وهذا كما ذكرنا فى التقوى انه يقتضى معنى الاحسان اذا ذكر مفردا لان التقوى هو ان يتقى من المهالك والاتقاء عن المهالك يقع باكتساب المحاسن واذا ذكر معا صرف التقوى الى اتقاء الكفر والاحسان الى فعل الخيرات وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لم يؤمن من لم يامن جاره بوايقه وقال المسلم من سلم الناس من لسانه ويده فصرف هذا الى وجه وهذا الى وجه وهما فى التحصيل واحد لانهم اذا آمنوا بوايقه فقد سلموا من لسانه ويده وقوله عز وجل قانتات قيل مطيعات وقيل القايمات بالليالى للصلوة وهذا اشبه لانه ذكر السايحات بعد هذا والسايحات الصايمات وذكر الصيام بالنهار فيكون تاويل القانتات راجعا الى قيام الليل ليكون فيه احياء الليل والنهار بالعبادة ولذلك قال جبرئيل صلوات الله عليه فى وصف حفصة رضى الله عنها انها صوامة قوامة اى صوامة بالنهار وقوامة بالليل وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن افضل الاعمال فقال طول القنوت وهو القيام بالليل وقوله عز وجل تايبات هذا اللاتى لا يصرون على الذنب بل يفزعن الى الله تعالى بالتوبة والتضرع اذا ابتلين بالخطية وقوله عابدات ذكر ابو بكر ان العابد لا يسمى عابدا حتى يتطوع فان كان على هذا ففيه انهن ويقمن باداء الفرايض ويتطوعن مع ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه انه كل عبادة فى القرآن فهو توحيد والعابدات الموحدات فالموحد هو الذى يصدق ان خالق كله واحد لا شريك له فجايز ان يكون العابد موحدا لانه يعمل لله تعالى خالصا لا يشرك فى عبادته احدا فيكون فيها معنى التوحيد لكن من حيث الفعل فيكون احد التوحيدين بالقبول والثانى بالمعاملة والفعل وقيل العابد هو الذى يؤدى الفرايض وقوله سايحات هو الذى يسيح فى الارض بغير زاد فسمى الصايم سايحا لما كف نفسه عن التناول من الزاد فقوله سايحات اى صايمات وقوله ثيبات وابكارا لم يرد بهذا انه يسوى ابكارا وثيبات ولكن معناه انه يبدل له من كن بهذا الوصف ثم جمع بين الثيبات والابكار لان الثيبات مما يقل رغبة الخلق فيهن وينفر عنه الطبع فجمع بينهما فى موضع الامتنان على الرسول صلى الله عليه وسلم لان لا تنصرف كل الرغبة الى الابكار بل يتزوجوا الثيبات كما يتزوجون الابكار والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا يحتمل ان يكون معناه قوا انفسكم فيما يدعوا اليه انفسكم لان الانفس يامرهم بالسوء ويدعوهم اليه كما قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وجايز ان يكون قوله تعالى قوا انفسكم اى صونوها عن الطريق الذى اذا سلكتموه افضى بكم الى النار وقوا اهليكم ايضا من ذلك الطريق وذلك يكون بالعمل لان العمل على ضربين عمل يفضى بصاحبه الى الجنة وعمل يفضى به الى النار فيكون التقوى فى هذا الوجه راجعا الى الاعمال وفى الوجه الاول الى الانفس ويحتمل قوا انفسكم باكتساب الاسباب التى هى اسباب النجاة عن العطب والهلاك واهليكم فى ان يعلموهم الاسباب التى هى اسباب الخلاص عن النار وقال مجاهد تاويله قوا انفسكم وليتق اهلوكم النار ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال منا التضرع اليه والفزع لديه ليكون هو بفضله يقى عنا النار لما علم انا لا نصل اليه بقوى انفسنا وحيلنا وقوله عز وجل وقودها الناس والحجارة فهذا على المبالغة فى وصف شدة النار واخبر ان شدتها ينتهى الى هذا فى ان صيرت الناس وقودا وكذلك الحجارة والناس والحجارة لا ينفدان فى النار لان النار اذا عملت فى الانسان حرقته ولم يتقد ولا يصير وقودا وكذلك اذا اصابت الحجارة رضتها ولا شتها فيكون فى

تبيين

افضل الاعمال القيام بالليل

تبيين شدتها بلوغا فى الزجر وجايز ان يكون اريد بالحجارة التى اتخذوها اصناما يعبدونها من دون الله يعبدونها لينصرهم ويدفع عنهم العذاب كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون وقال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا اى يصير عذابا عليهم وهم رجوا ان يكون سببا لخلاصهم فصارت عليهم ضدا وقوله عز وجل عليها ملايكة غلاظ شداد فجايز ان يكون هذا وصفهم انهم خلقوا غلاظا شدادا وجايز ان يكونوا شدادا على الكفار واعداء الله رحماء على اولياء الله الا ترى الى قوله تعالى ويفعلون ما يؤمرون فبين ان اشتدادهم بمكان الامر وهو كقوله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة على الكفرة وبالرحمة على المؤمنين فجايز ان يكون الملايكة كذلك فى الآخرة وفى هذا دلالة ان الملايكة امتحنوا بالامر والنهى فى الآخرة لان ملايكة الرحمة امتحنوا باتيان التحف والكرامات الى اهل الجنة وملايكة العذاب امتحنوا بتعذيب اهل النار وبالغلظة عليهم والشدة واذا امر كل واحد من الفريقين بما ذكرنا فقد نهى عن تركه قال ابو بكر الاصم فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وفى قوله يا ايها الذين آمنوا توبوا توبة نصوحا الآية الزام الوعيد باهل الصلوة لانه الزمهم الاتقاء من النار والزمهم التوبة ليكفر عنهم سياتهم ولو لم يكن الوعيد لازما عليهم لم يكونوا يحتاجون الى الاتقاء وهذا منه ومن جملة اهل الاعتزال تحريف الكلام عن مواضعه لان الله تعالى ذكر هذا الوعيد فى اهل الايمان بقوله يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقال يا ايها الذين آمنوا توبوا توبة نصوحا ولم يذكر الله تعالى اهل الصلوة ولا الحق بهم الوعيد فهم يقطعون الوعيد عمن الحق الله تعالى بهم الوعيد وهم المؤمنون ويلزمونه على من لم يجر ذكره فى القرآن ولا الحق به الوعيد وهذا تحريف الكتاب وقلب القصة ولانه صار من اهل الصلوة بايمانه ان لولا ايمانه لما كان هو من اهل الصلوة فان الحقوا الوعيد باهل الصلوة فقد الحقوه باهل الايمان فلم يبق بيننا وبينهم الا سوء الخلق والا فلا معنى لقلبه عن اهل الايمان والحاقه باهل الصلوة واهل الصلوة هم اهل الايمان ثم الوعيد على قولهم انما يلزم اهل الايمان فى وقت خروجهم من الايمان ونحن نقول فى الوعيد المذكور فى اهل الايمان انه يجوز ان يلحقهم وقت ايمانهم ويعذبهم الله تعالى باجرامهم ويحتمل ان يقع لهم الوعيد اذا خرجوا من الايمان وهم يقطعون الوعيد عن احد الوجهين ويجعلونه على الوجه الآخر ونحن نلزمهم الوعيد اذا خرجوا من الايمان ولا ينفى الوعيد عمن لم يخرج بعد من ايمانه فصرنا نحن اشد استعمالا لما يقتضيه ظاهر الآيات منهم فصار العموم حجة عليهم لا علينا والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ليس فى هذا نفى قبول العذر لو كان لهم عذر ولكن اعتذارهم هو الندم عما كانوا فيه والانابة الى الله تعالى والتوبة اليه وليس ذلك وقت قبول التوبة لان ذلك الوقت هو وقت خروج ملك انفسهم عن انفسهم فلا يقبل فى ذلك الوقت ايمان ولا عمل وقوله عز وجل انما تجزون ما كنتم تعملون يعنى ان عملكم السوء هو الذى الزمكم العذاب فى الحكمة فتجزون بعملكم ولستم تجزون لمنفعة ترجع الينا او بما جنيتم منا وزال عنه ولكن باعمالكم الخبيثة التى فى الحكمة التعذيب عليها وفى هذا دلالة نفى العذاب عن اطفال المشركين لانه لم يوجد منهم عمل فيجزون بعملهم ولا يجوز ان يعذبوا بذنوب آبايهم لانه اخبر ان كلا يجزى بعمله لا بعمل غيره والله اعلم وقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا توبة نصوحا ففى هذه الآية الزام التوبة على بقاء اسم الايمان لانه الزمهم التوبة بعد ان سماهم مؤمنين واخبر انه يكفر عنهم سياتهم بالتوبة ومن مذهب الاعتزال ان الصغاير مغفورة لاربابها اذا اجتنبوا الكباير فلا يحتاجون الى التوبة عنها واذا كان كذلك فالآية فى الكباير عندهم والكباير يخرج اهلها على قولهم من الايمان والله تعالى

امتحان الملايكة فى الاخرة

تدابق لهم اسم الايمان فمن زال عنهم الاسم فقد خالف نص القرآن وان زعموا ان الآية في الصغاير ففيه
دلالة على ان الله تعالى ان يعذب على الصغاير وانها غير مغفورة حتى وقعت لهم الحاجة الى التوبة وطلب
المغفرة وقال ايضا في آية اخرى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون فاما ان يكونوا امروا
بالتوبة عن الصغاير فيكون فيه دلالة بقايهم على الايمان وكذلك قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات وان كان استغفار هذا عن الصغاير ففيه دلالة انها غير مغفورة لحاجته الى طلب
المغفرة ولو كان الامر على ما ظنت المعتزلة لكان سؤاله المغفرة يخرج مخرج الاستهزاء برب العالمين
لانه يطلب منه ما لا يملك وذلك في الشاهد هزء واستخفاف بالمسؤل وان كان في الكباير ففيه دلالة
بقايهم وثباتهم على الايمان لانه قال وللمؤمنين والمؤمنات ثم **قوله** تعالى توبة نصوحا قرئ بنصب
النون وضمها نصوحا والضم يخرج مخرج المصدر والنصوح بالفتح يخرج مخرج البعث للتوبة والفعول
من الافعال هو اسم للمبالغة في الامر فكانه يقول توبوا توبة تناهت في نصحها والمبالغة في النصح
ان يكون صادقا في توبته وعلامة الصدق ان يكون نادما بقلبه عما فعل عازما على ان لا يرجع اليه
وان يقلع يديه عما كان فيه من المعاصي وان يستغفر الله بلسانه فيستعمل كل جسده في الندم والاقلاع
كما استعمل سايره في التلذذ بالمآثم فذلك هو المبالغة في النصح **وقوله** عز وجل يكفر عنكم سيئاتكم
بالتوبة ففي هذا ابانة ان من السيئات سيئات لا يكفر الا بالتوبة ومنها ما يكفر باجتناب الكباير
بقوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه يكفر عنكم سيئاتكم لا ان يكفر كلها بالاجتناب عن الكباير كما زعمت
المعتزلة **وقوله** عز وجل ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وقد مر بيان هذا **وقوله**
يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه وللمعتزلة بهذه الآية تعلق وهو ان قالوا بان الله تعالى
اخبر انه لا يخزي النبي والمؤمنين والاخزاء يقع بالعذاب فقد وعد ان لا يعذب الذين آمنوا
ولو كان اصحاب الكباير مؤمنين لم يخف عليهم العذاب اذ قد وعد ان لا يخزي المؤمنين ومن قولكم
انه يخاف عليهم العقاب فثبت انهم ليسوا بمؤمنين ولكن نقول ان بهذا السؤال يلزمهم من الوجه
الذي ارادوا الزام خصومهم لان في الآية وعدا بان لا يخزي الذين آمنوا وهم مقرون ان اهل
الكباير ممن قد آمنوا ولكنهم يعدا رتكابهم الكباير ليسوا بمؤمنين والآية لم ينطق بنفي الاخزاء عن المؤمنين
لانه لم يقل يوم لا يخزي الله النبي والمؤمنين وانما قال والذين آمنوا وهم يقطعون القول بالخزي
من قد آمن فصار واهم المحجوجين بهذه الآية ثم حق هذه الآية عندنا ان نقف على قوله النبي اي لا يخزي
الله تعالى في ان يرد شفاعته او يعذب به **وقوله** والذين آمنوا معه ابتداء كلام وخبره يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم وهو كقوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به او لا يخزي الذين
آمنوا بعد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان الاخزاء هو الفضيحة اي لا يفضحهم
يوم القيامة بين يدي الكفار ويجوز ان يعذبهم على وجه لا يقف عليهم الكفرة والخزي
هو الفضيحة وهتك الستر ولا يفعل ذلك بالمؤمنين بفضله والله اعلم **وقوله** يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم اي بين ايديهم اذا مشوا وبايمانهم عند الحساب لانهم يؤتون الكتاب بايمانهم
وفيه نور وخير او يسعى النور بين ايديهم في موضع وضع الاقدام وبايمانهم لان ذلك
طريقهم وسبيلهم طريق الكفرة **وقوله** عز وجل يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فجايز ان يقولوا
هذا عند انطفاء نور المنافقين فيخافون انقطاع ذلك النور عنهم ايضا او يقولون هذا
عند ضعف النور فيسألون تمام الايمان والله اعلم **وقوله** يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
قيل جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باقامة الحدود عليهم وذلك ان المنافقين هم الذين كانوا

يرتكبون

يرتكبون المآثم التي وجب فيها الحدود ففيهم يراد الحدود واما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد عصموا عن المآثم التي لها الحدود وقال بعضهم نحو ابي حنيفة في قوله جاهد الكفار والمنافقين اي جاهد
الكفار والمنافقين بالقتال فكان مأمورا بالقتال مع الفريقين جميعا ولكنه اشتغل بقتال اهل الكفر
ولم يتفرغ لقتال اهل النفاق فتولى قتالهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وما ذكر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه حين راى عليا رضي الله عنه يخصف نعله ان خاصف نعل يقاتل
على التأويل كما نقاتل نحن على التنزيل وقتاله على التأويل قتال اهل النفاق لا على رضي الله لانه ذكر
ان العرب ارتدت بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم ابو بكر رضي الله عنه وارتدادهم
يدل على انهم لم يكونوا محققين في ايمانهم اذ لو كانوا كذلك لم يرجعوا بل كانوا منافقين واما الذين قاتلهم
علي رضي الله عنه فلم يكونوا منافقين بل كانوا يدعون عليا رضي الله عنه الى ان يحكم بكتاب الله تعالى
والمنافق هو الذي يظهر من نفسه انه يعمل بحكم الله تعالى ثم يسر بخلاف حكمه لا ان يدعو الى العمل
بحكم الله تعالى وهذه السمة ظهرت في الذين قاتلهم ابو بكر رضي الله عنه دون الذين قاتلهم علي رضي الله عنه
ثم مجاهدته صلى الله عليه وسلم في تقدير الحجة في قلوب الكفرة والمنافقين والزامها عليهم وذلك يكون
مرة بالسيف ومرة بالزامها باللسان ووجه الزام الحجة بالسيف ما ذكرنا ان غلبته على الاعداء مع كثرة شوكتهم
وقلة انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر لهم نصر الله اياه وكونه على الحق فيحملهم ذلك على الايمان
بالله تعالى واذا كان كذلك فقوله جاهد الكفار والمنافقين في الزام الحجة فان كانوا في موضع امن فجاهدهم
في الزام الحجة عليهم من جهة القول وان كان في موضع المحاربة والقتال فجاهدهم في قتالهم وقد كان
من المنافقين من لحق بالكفرة وذب عنهم الا ترى الى قوله فما لكم في المنافقين فئتين فمن لحق بهم قاتلهم
مع الكفرة ومن لم يلحق بهم الزمهم الحجة والله اعلم **وقوله** واغلظ عليهم اي اشدد عليهم والتشديد
عليهم ان يسفه احلامهم ويهتك استارهم وهو ان يبين لهم ما هم عليه من النفاق **وقوله** ومأواهم
جهنم وبئس المصير قد تقدم ذكر هذا ثم في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار دلالة فضيلة نبينا صلى الله
عليه وسلم على من تقدمه من الانبياء والرسل عليهم السلام لانه ذكر موسى عليه السلام في التورية يا موسى
وفي الانجيل يا عيسى وفي مخاطبات آدم يا آدم فسمى كل نبي باسمه سوى نبينا صلى الله عليه وسلم
فانه ذكره وخاطبه بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول وبالنبوة والرسالة استحق الفضيلة فذكره باسم
فضله وخاطبه به وذكر غيره من الانبياء عليهم السلام باسم شخصه **وقوله** عز وجل ضرب الله مثلا
للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فجايز ان هذا المثل لمكان الكفرة
الذين لهم برسول الله صلى الله عليه وسلم اتصال من حرمة القرابة فكانوا يطمعون منه الشفاعة في الآخرة
ان كان الامر على ما ذكره محمد لانهم عرفوه بالشفقة والرحمة على الخلق جملة فكيف يدع شفقته ورحمته
على قرابته وهو يراهم يترددون في الهلاك فبين لهم شان امراة نوح وامراة لوط وما كان
بينهما وبين نوح ولوط عليهما السلام من الاتصال لانه لا ينتفعوا باتصالهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
وجايز ان يكون هذا في بدء الاسلام في الوقت الذي يتفرد الآباء بالاسلام دون الابناء والابناء
دون الآباء فيكون المثل لمكان اولئك الذين التزموا وداموا عليه ولم يتبعوا اباهم وابناءهم
فيقول لا ينفع من دام على الكفر اسلام من اسلم منهم وان كان بينهما قرب من جهة الابوة والبنوة
لان رحمة الانسان وشفقته على زوجته اكثر من شفقته على ما ذكرنا وكذلك الاتصال فاذا لم ينفعهما
اسلام زوجتهما فكذلك لا ينفع اولئك الذين داموا على الكفر اسلام من اسلم من آبائهم وابنائهم
وجايز ان يكون هذا المثل لمكان اهل النفاق فيما اظهروا موافقة المؤمنين واسروا الخلاف له

فيخبرانه لا ينفعهم اظهار موافقتهم في الدين اذا كانوا على خلافه في التحقيق كما لم ينفع زوجتي نوح ولوط عليهما السلام اظهار الموافقة منهما لنا وجدتا اذا كانتا على خلافهما في السر والله اعلم قال ابو بكر الاصم في هذه الآية دلالة ان صلاح الصالح لا ينفع للصالح نوح ولوط عليهما السلام للزوجتين اذا كانتا في انفسهما فاسدتين واراد بهذا نفي الشفاعة لاهل الكبائر وليس كما ذكر لان هذا المثل ضرب للكافرين لا للعصاة اذ لم يقل ضرب الله مثلا للذين عصوا فليس له متعلق في هذه الآية ثم قد يجب صلاح الصالح في الشاهد ينفع الطالح وان لم ينفع الكافر لان المرأة قد يكون له زوجة صالحة يمتنع عن كثير من السوء لمكان زوجها من اهل الصلاح والستر وكذلك الولد ينفعه صلاح والديه في الدنيا اذ يخشيهما ينتهي عن كثير من المناهي لصلاحهما فقد نفعه صلاح والديه ونفعهما صلاح زوجها فجاز ان ينفع الطالح ايضا في الآخرة صلاح الصالحين واما الكافر فهو لم ينتفع عن الخلاف بمكان ابويه ولا لمكان احد من الخلق فلم ينفعه اسلام ابويه ولا صلاحهما في الدنيا فكذلك لا ينفعه في الآخرة والله اعلم وقوله فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين اي فخانتاهما في الدين ومنهم من يذكر ان خيانة امراة نوح هو ان خبرت قومه بجنون زوجها وكانت خيانة امراة لوط هي ان اخبرت قوم لوط بشان اضيافه ولكن ان كان هذا صحيحا فهو يرجع الى الاول لان الذي حمل كل واحدة منهما على الاخبار بما اخبرت موافقتها لتلك القوم وخلافها لزوجها في الدين فلا يجب ان يشهد بهذا الا لتواتر حجة وذكر بعضهم انهما زنيا فخيانتهما زناهما وهذا غير ثابت لان الانبياء عليهم السلام عصموا عما يرجع العار والشين اليهم والزوج يعير بزنا زوجته وفراشه وفيه توهم التهمة له في اولادهم فدل ان صلاح التاويل غير صحيح وحاجتنا الى وجوب الخيانة منهما دون التفسير ولا يجب ان يشهد بهذا الا بتواتر من يدعي الحجة وقوله عز وجل ضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون وجه صرف المثل فيها هو ان يعلم المقهور تحت ايدي الكفرة ان لا عذر له في التخلف عن الايمان بالله تعالى اذ كانت امراة فرعون مقهورة تحت يديه وكانت بين ظهراني الظلمة ولم يمنعها ذلك عن الايمان بالله تعالى وعن التصديق برسوله موسى عليه السلام والثاني انها لم يشاهد من زوجها ومن القوم بين ظهرانيهم سوى الكفر بالله تعالى ثم الله تعالى بلطفه الهمها الايمان به فآمنت وكانت امراة نوح تحت نوح ولم يشاهد منه سوى الطاعة والعبادة لربه جل وعلا ثم لم ينفعها ايمانه وعبادته ليعلم انه لا ينفع احدا اسلام احد ولا يضر احدا كفر غيره انما يصير مؤمنا بفعل نفسه كافرا بفعل نفسه وقوله اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وهم لم ترد بقولها ابن عندك بيتا بقيام الوجه الذي عرفت بناء زوجها وغيره من الخلائق وانما ارادت بقولها ابن لي اي اخلق لي بيتا في الجنة ولذلك لم يفهم احد بقوله فنفخنا فيه من روحنا ما فهم الخلق من النفخ في الاشياء وانما فهموا به الخلق والانشاء فما بال المشبهة فهموا من قوله تعالى ثم استوى الى السماء ومن قوله استوى على العرش ما توهموا من الاستواء المضاف الى الخلق لولا ضعف اعتقادهم وجهلهم بصانعهم في التحقيق ثم الاصل ان ينظر الى الاسماء التي هي اسماء الافعال المشتركة فيما بين الخلق اذا اضيف شيء منها الى الله تعالى فيعرضها على الاسماء التي هي اسماء الافعال المخصوصة لله تعالى فما اريد بالاسم المخصوص من ذلك فذلك المعنى هو المراد بالاسم المشترك فالاسم المخصوص لفعل الله تعالى هو الخالق اذ لا احد يسمى احدا من الخلائق خالقا فيفهم بقوله ابن لي عندك بيتا اي اخلق لي ويفهم من قوله فنفخنا فيه من روحنا الخلق والانشاء والذي بينا ان الاسماء المخصوصة ويفهم بها ما يفهم بالاخرى قوله تعالى يسيركم في البر والبحر ومعناه هو الذي خلق سيركم في البر والبحر وقال هو الذي يحيي ويميت اي يخلق الموت والحيوة قال يضل من يشاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا كذا في الاحياء لحجه

صلاح الصالح لا ينفع للطالح عند المعتزلة وينفع عندنا

لا ينفع للرجل اسلام احد ولا كفره

اى يخلق

اى يخلق الضلال ويهدي من يشاء اى يخلق هدايته ومن حمل الامر على ما ذكرنا سلم من الشبه كلها وسلم من الشيطان وسلم من التشبيه والله الموفق وفي هذا دلالة ايمانها بالبعث والحساب ثم من الجائز ان يكون الى علم البعث والحساب بالتلقين او بنظرها الى علم البعث وتفكرها في الحجج والبراهين وذكر اهل التفسير انها قالت ذلك عند ما عذبها فرعون واختلفوا في صفة العذاب منا وجه وحق مثله الامساك عنه ولا تشتغل بتفسيرها لما يتوهم من وقوع زيادة فيها او نقصان على القدر الذي بين في الكتب المتقدمة وهذه الانباء جعلت حججا لرسالة نبينا عليه السلام على اهل الكتاب لما وجدوها موافقة للانباء التي ذكرت في كتبهم واذا وقع فيها زيادة او نقصان وجدوا فيه موضع الطعن في رسالته فلهذا المعنى ما يجب ترك الخوض فيها والاعراض عن ذكرها وذكر عن الحسن وغيره انه ما من مؤمن ولا كافر الا ويبنى له بيت في الجنة فان مات على الاسلام سكن البيت وان قبض كافرا ورثه غيره وهذا لا يحتمل لان الله تعالى اذا علم انه يموت على الكفر فهو يبني له ذلك كيلا يسكنه ومن بنى لنفسه في الشاهد وهو انه لا يسكنه صار عابثا في فعله وجل الله تعالى عن ان يوصف بالعبث وقوله عز وجل ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين اى نجني من شر فرعون وجوره ومن عمله او من كفره فيكون قولها نجني من فرعون راجعا الى نفسه والآخر راجعا الى عمله ونجني من القوم راجعا الى قومه فسالت النجاة منهم جملة لما كانوا يمنعونها عن عبادة الله تعالى فكانت تخاف ناحيتهم ولا تامن وتخاف منهم فسالت النجاة منهم لتصل الى عبادة ربها وقوله عز وجل ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فاخبر عنها باحصانها فرجها وذلك بالاسباب وهي انها اتخذت بين نفسها وبين الناس حجابا لئلا يقع بصر الناس عليها ولا يقع بصرها عليهم فيصل به الى تحصين فرجها قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وهم اذا غضوا الابصار وصلوا الى حفظ الفروج ففي الحجاب غض البصر وفي غض البصر وصول الى حفظ الفرج واحصانه وقال في آية اخرى يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك وتطهيره اياها في ان طهرها من الفواحش والزنا فاضاف الاحصان اليها في الآية الاولى واضاف التطهير هاهنا الى نفسه وجه اضافة الاحصان اليها انها تكلفت الاسباب التي هي اسباب الموانع من الزنا الدواعي الى الاحصان واضاف الى نفسه التطهير لان وقوع ذلك وحصوله كان به ففيه دلالة ان كل فعل من افعال العباد لا يخلو من ان يكون لله تعالى فيه صنع وتدبير وقوله فنفخنا فيه من روحنا اى خلقنا فيه ما به يحيى الصور والابدان وقوله فيه اي في عيسى وقال في آية اخرى فنفخنا فيها اى في نفس عيسى عليه السلام والنفس مؤنث ثم تشبيهه بالنفخ ان الروح اذا خلق فيه انتشر في الجسد كالريح اذا نفخت في شيء انتشرت فيها او التشبيه بالنفخ لسرعة دخوله فيما نفخ فيه كالريح والله اعلم وقوله وصدقت بكلمات ربها فجائز ان يكون الكلمات هي التي بشرت بها مريم من قوله ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح وقوله تعالى يا مريم اقنتي لربك وقوله يا مريم ان الله اصطفاك وقوله وهزي اليك بجذع النخلة فصدقت بجملتها من عند الله لا شيء القى اليها الشيطان وصدقت بكلمات ربها اي بحجج ربها وبراهينه كقوله ويحق الله الحق بكلماته اي بحججه وادلته ثم يكون الحجج حجج البعث وحجج الرسالة او الوحدانية اي ويكون قوله وصدقت بكلمات ربها اى بالكلمات التي يستعاذ بها من الشرور فصدقت انها تعيذ من تعوذ بها والله اعلم وقوله وكتابه وقرئ وكتبه وفي تصديقها بالكتاب تصديق منها بالكتب لان من آمن بكتاب من كتب الله تعالى فقد آمن بسائر كتبه لانها يوافق بعضها بعضا ومن آمن بكتبه فقد آمن بكل كتاب له على الاشارة اليه فثبت ان في الايمان بكتاب ايمان بسائر الكتب فكل واحدة من القرائتين يقتضي معنى القراءة الاخرى فان قوله بكتبه اى بالانجيل

بكتاب

وقوله وكتبه اى بالانجيل وساير الكتب المتقدمة المنزلة من عند الله تعالى وقوله وكانت من القانتين قيل من المصلين لانه قال فى اية اخرى يا مريم اقنتى واسجدى واركعى مع الراكعين واذا وصف الصلوة فالتزمت هذا الامر فصارت من القانتين وقيل اى من المطيعين لربها والله اعلم

سورة الملك مكية وآيها ثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل تبارك الذى بيده الملك قيل تعالى وتعاظم وتبارك تفاعل من البركة والبركة كناية عن نفى كل عيب قال الله عز وجل وانزلنا من السماء ماء مباركا اى ماء لا كدورة فيه ولا قذر بل هو ماء مطهر من كل آفة وعيب فمعنى قوله تبارك اى تعالى من ان يكون له شبيه وعديل وتعاظم عما قالت فيه الملحدة ومن ان يلحقه المعايب والآفات وقوله بيده الملك اى الذى له ملك الملك لانه قال فى موضع آخر قل اللهم مالك الملك اى الذى له الملك فذكر اليد ههنا مكان الملك هنالك فامتدح جل وعلا بملك الملك وكونه مالكا له والمعتزلة يقولون بان ملك ملوك الكفرة ليس له وانه لا يؤتى الملك للكافر ويقولون فى قوله الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان اتاه الله الملك ان الذى اتاه الله الملك هو ابراهيم عليه السلام والهاء ينصرف اليه لا الى الذى حاجه واذا لم يجعلوا ملك ملك الكافر فى يده لم يصر ممتدحا بما ذكرنا لانه يكون فى يده بعض الملك لا كله وقال فى آية اخرى تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وعلى قولهم يصير الملك فى يد من لا يشاء لانه لا يشاء الملك للكافر ومع ذلك يوجد فيهم الملك ثم ما ينبغى لهم ان يقطعوا القول بان الله تعالى يؤتى الملك للكافر بل عليهم ان كان ايتاء الملك اصلح لهم اتاهم وان كان شرا لهم لم يؤتهم اذ من مذهبهم ان الملك اصلح لهم لا يفعل بعبده الا ما هو اصلح له فى الدين والدنيا فى حقه فهذا جملة اعتقادهم ثم هم لا يعرفون الوجه الذى له صار اصلح فى كل شئ على الاشارة اليه لانهم يقولون فى ابقاء ابليس اللعين الى يوم المعلوم صلاح وان كنا لا نعرف الوجه الذى له صار اصلح وافناء الانبياء والرسل عليهم السلام كان اصلح وان لم نعرف من اى وجه صار اصلح فليقولوا ههنا بان ايتاءه ان كان اصلح لهم لم يكن له ان لا يؤتيهم وان كان شرا فعليه ان لا يؤتيهم لا ان يجعلوا الامر على النفى ثم الملك اسم عام وهو عبارة عن نفاذ التدبير والسلطان والولاية والملك هو ان يكون لما لك خاصة فى الشئ لا يتناول من ذلك الشئ الا باذنه وقد يكون المرء مالكا وليس بملك وقد يكون ملكا ليس بمالك فكل واحد من الوجهين يقتضى معنى غير ما يقتضيه الآخر وجائز ان يكون تأويل قوله بيده الملك اى ملك كل ملك من اهل الارض بيده لانه ان شاء ابقى له الملك وان شاء نزعه فما من ملك فى دار الدنيا الا وملكه فى الحقيقة لله تعالى وقوله وهو على كل شئ قدير فامتدح نفسه تعالى بانه على ما يشاء قدير وذلك من اوصاف ربوبيته ايضا ومن قول المعتزلة انه على اكثر الاشياء غير قدير لانهم يجعلون المعدوم شيئا فشيئية الاشياء لا بانشاء الله تعالى ويجعلون ظهورها بالله تعالى فقط واذا كان كذلك فهو لم يصر قادرا على شيئية الاشياء وكذلك الخلق والقدرة عن افعال العباد ومن قولهم ايضا ان اقدار العبد بيد الله واذا اقدر عبدا من عبيده على الهدى تخرجت القدرة من يده فيصير هذه القدرة مستفادة لا ذاتية واذا كان كذلك فقد عنه القدرة عن اكثر الاشياء فلا يصير هو قادرا على كل شئ وانما هو قادر على البعض تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ابو بكر الاصم الذى خلق الموت اى خلقكم امواتا نطفة وعلقة ومضغة ثم احياكم ليبلوكم وقال غيره الذى خلق الموت ليجزيكم والحيوة ليبتليكم بها واستدل

الموت غاية ما يكرهه الانفس والحيوة غاية ما يتلذذ به

بقوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فصرف المحنة الى الحالة التى انشاهم على وجه الارض وهى حالة الحيوة ثم اخبر بعد ذلك انه يجعلهم صعيدا جرزا بعد الابتلاء بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وعندنا انه خلقهما جميعا للابتلاء لان الله تعالى خلق الموت على غاية ما تكرهه الانفس وينفر عنه وخلق الحيوة على غاية ما يتلذذ به الانفس ويرغب فيها والمحنة فى الترغيب والترهيب فثبت ان خلق الموت محنة فيكون قوله تعالى خلق الموت والحيوة كانه يقول خلق الموت مرهبا وخلق الحيوة مرغبة ليبلوكم ايكم احسن عملا اى ليبلوكم ايكم ارهب من الشر وارغب فى الخير ثم الموت مما لا مهرب منه لاحد ولا مخلص لمخلوق وكذلك الحيوة وان كانت من ارغب الاشياء الى الانفس فليست هى بحيث يتهيأ للمرء ان يديمها بالطلب ولا مما يوجد بالكد والسعى فصارت هى مرغبة فى الحيوة الدايم وهو نعيم الآخرة وصار الموت مرهبا عن الموت الدايم والموت الدايم هو العذاب الدايم الذى لا ينقطع كما قال تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اى لا ينقضى عنه الآلام والاوجاع بل يبقى فيها ابدا واذا ثبت ان الموت صار مرهبا عن العذاب الدايم والحيوة صارت مرغبة فى مثلها فيقوم بطلبه وجب القول بالبعث اذ الراغب انما يصل ما يرغب فيه بالبعث والآخر انما يصير الى العذاب الدايم بالبعث وفيه ايجاب القول بالرسالة لانه اذا ثبتا الرغبة فى الموعود من الثواب والرهبة عن العذاب وهما جميعا غايبان فاحتيج الى من يظهرهما ويحضرهما عنهما فلم يكن بد من رسول يخبرهم ويحضر علمه لهم ثم الاصل فى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا انه انما يحسن عمله بحسن رغبته ويسوء عمله بسوء رغبته ورهبته فخلق الحيوة والموت ليبلوكم فيهما المرء ويعتبر بهما فمن حسنت رغبته ورهبته حسن عمله ومن لم يتفكر فيهما ولم يعتبر بهما ساء عمله فالموت والحيوة انشيا مرغبين ومرهبين وكذلك الدنيا وما فيها انشيت دالة على طريق الآخرة فالسمع يدل على السمع والبصر على البصر والآمها تدل على آلام الآخرة ونعيمها دليل على نعيم الآخرة والله اعلم ثم قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا فيه دليل على اضمار قوله ولنكم اسوء عملا على مقابلة الاول الا انه اكتفى بذكر احد المتقابلين على الآخر والله اعلم فان قال قايل كيف اضاف الابتلاء الى نفسه بقوله ليبلوكم والابتلاء فى الشاهد لاستظهار ما خفى ولاستحضار ما غاب والله تعالى لا يغيب عنه شئ ولا يخفى عليه امر فكيف اضيف اليه الابتلاء فالجواب ان يقول ان الابتلاء فى الحقيقة كناية عما به ظهور الشئ وبروزه فاستعمل الابتلاء فى كل ما فيه ظهور الامر وان كان الذى ظهر من الامر عند المبتلى ظاهرا وهذا كما اضيف الاستدراج والمكر الى الله تعالى لوجود معنى المكر والاستدراج فيه وانه لم المقصود من ذلك المكر والاستدراج وفى الشاهد المكر ان يحسن الى عدوه ليقع عنده انك تركت عداوته فيغتر باحسانك اليه ثم يأخذه من وجه امنه ومن حيث لا يشعر به هذا هو معنى المكر فى الشاهد وقد وجد الاحسان من الله تعالى الى اعدايه ووجد منهم الاغترار بالنعم ووقع عندهم انهم من جملة اوليائه ثم اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فوجد معنى المكر وان لم يقصد باحسانه اليهم المكر بهم والثانى ان من امر فى الشاهد فانما يأمر لمنفعة يصل اليه واذا نهاه عن شئ فانما ينهى لنفى مضرة تتصل اليه والله تعالى لم يأمر الخلق ولم ينههم لمنفعة يجلب بها الى نفسه ولمضرة يدفعها عن نفسه وانما امرهم ونهاهم لمنافع يرجع اليهم ومضار يلحقهم ثم اضيف اليه والنهى وان كان لا منفعة له ولا مضرة عليه فكذلك ابتلى خلقه ليظهر للمبتلى عداوته وولايته واضاف الابتلاء الى نفسه وان كان هو مستغنيا عن الابتلاء والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الغفور فيه ابانة انه لم يبتليها المنفعة او امر يرجع اليه او لذل يدفع عنه ولكن لعزة يجزى الممتحن ذا الحسن العمل ويثيب

يغفر له ويستر عليه وهو عزيز بذاته وجايز ان يكون معنى قوله وهو العزيز اى القوى على الانتقام ممن ضيع
عمله واختيار عداوته الغفور الستور على من حسن عمله يستر عليه ذنبه ويجزيه بحسن عمله والله اعلم وقوله
عز وجل الذى خلق سبع سموات طباقا ففى ذكر السموات السبع ايجاب القول بتصديق ما ياتى به الرسل من الخبر
وقد ثبت وجود هذا القول على السن الرسل فلزمنا القول فى السموات انها سبع وان لم يشاهد ثم يحتمل
قوله الذى خلق سبع سموات طباقا ليبلوا اهلها ايهم احسن عملا لانه بين لم يخلق السموات والارضين
باطلا ثم السموات بانفسها لا يمتحن وانما يمتحن اهلها لكنه اقتضى ذكر السموات ذكر اهلها واقتضى ذكرها الارضون
ذكر اهلها فاخبر بذكر الارض عن ذكر اهلها وبذكر السموات عن ذكر اهلها والله اعلم وقوله ما ترى
فى خلق الرحمن من تفاوت اى انظر فى خلق الرحمن هل ترى فيه من تفاوت وفطور فانك ان رايت
فيه فطورا ظننت فى مدبره عددا وان رايت فيه تفاوتا ظننت فى منشيه سفها فانك اذا رايت
فيه فطورا وشقوقا رايت فيه تمانعا وتدافعا وفى حصول التمانع والتدافع حصول العدد لان
التدافع والتناقص انما يقع عند اثبات العدد لان ما يبنى هذا يهدمه الاخر وما يهدمه الاخر وينقضه
يبنى الاخر فعند ذلك يقع الدافع واذا لم تر فيه فطورا وشقوقا بل رايته متسقا مجتمعا دل على وحدانيته
وقدرته وسلطانه ولذلك التفاوت يدل على السفه وفى نفى الحكمة وارتفاع التفاوت يدل على حكمته
وعجيب تدبيره فيكون فى ارتفاع الفطور والتفاوت اثبات القول بالوحدانية وايجاب القول بالبعث
من حيث يثبت حكمته وفى نفى القول بالبعث زوال الحكمة وفيه ايجاب المحنة والابتلاء لان العدد
اذا ثبت كان للممتحن ان لا يعمل حتى يتبين له الغالب من المغلوب فلا يصنع عملا او يشتغل كل باقامة
سلطانه ونفاذ تدبيره فلا يتفرغ للامر بالمحنة الا ترى الى قوله وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق قيل يذهب كل واحد منهم بالجزء الذى خلقه فيظهر عند ذلك فطور وشقوق لان ما خلق
هذا يمتاز من الذى خلقه الاخر فارتفاع الفطور يدل على وحدانية الصانع جل جلاله وقيل فى قوله
فى خلق الرحمن من تفاوت اى من حيث الدلالة على وحدانية الرب تعالى او من حيث الحكمة والمصلحة
فالخلايق كلها فى المعانى التى ذكرنا غير متفاوتة لا ان يكون الاشياء المحدثة غير متفاوتة
فى انفسها لان بين السموات والارضين تفاوت وكذلك بين الحيوة والموت تفاوت ولكن
منافع السماء متصلة بمنافع الارض ومنافع اهل الارض متصلة بالارض وقوامهم ومعاشهم بما يخرج
منها وكل ذلك يدل على وحدانيته وعلى حكمته ولطايف تدبيره وقوله فارجع البصر هل ترى
من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب فجايز ان يكون هذا على رجوع البصر الوجه وجايز ان يكون
على رجوع بصر القلب ويكون احدهما على بصر الوجه والثانى على بصر القلب والاشبه ان يكون على بصر القلب
لانه قد سبق منه النظر الى السموات والارضين ببصر الوجه وسبق منه العلم من حيث النظر
انه لا تفاوت فيها ولا فطور فدعاه الى ان ينظر ببصر القلب ليدله ذلك على المعانى التى ذكرناها
وهو كقوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين قالوا ولم يسيروا
فى الارض ولم يرد به السير بالاقدام اذ قد سبق منهم السير فيها ولكن معناه اولم يتفكروا فى عواقب
من تقدمهم من مكذبى الرسل انهم باى سبب اهلكوا ولاى معنى عوقبوا واستوصلوا ثم قوله
فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع كرتين الاية منهم من قال ان الكرتين ها هنا كناية عن مرة
ليس على تثبيت العدد فكانه ان يكون ابدا معتبرا ناظرا فى خلق الرحمن والى هذا يذهب الحسن والاصم
وجايز ان يكون قوله كرتين مرتين ولكن على اختلاف الوقتين فيكون احدى النظرتين بالليل والثانية
بالنهار لانه لا يرى بالليل ايات وبالنهار ايات سواها وثبوت كل شئ يدل على وحدانيته وعجيب حكمته

ونفاذ قدرته

ونفاذ قدرته وسلطانه او ان يكون النظرة الاولى ببصر الوجه والنظرة الثانية ببصر القلب لانه اذا نظر
النظرة الاولى ببصر وجهه فراى ما فيه من العجايب اشعر قلبه ما راى فينظر فيه مرة اخرى ببصر القلب لتاكد
ذلك ويتقرر ويجوز ان يكون النظريان جميعا ببصر الوجه لانه لا يستوعب النظر بالجملة فى المرة الاولى
فينظر مرة اخرى ليدرك ما غاب عنه فى المرة الاولى وقوله خاسيا اى صاغرا مستسلما معترفا له
بالقصور عن درك كنه سلطانه والاحاطة بعظمته وجلاله وهو حسير اى منقطع عن درك بلوغ حكمته
وبعد امره ثم الاشبه ان يكون المراد بهذا الخطاب المكذبين بالبعث لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان كان الخطاب متوجها اليه فى الظاهر لانه انما اراد بالنظر فى خلق الله تعالى ليتقرر عنده عظمة الله تعالى
وسلطانه وعجيب حكمته ونفاذ تدبيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان تقرر عنده علم ذلك
كله فلم يكن يحتاج الى النظر فيما ذكر ليتقرر فصرف الى المكذبين بالبعث فامروا بالنظر فيما ذكر
عندهم سلطانه ونفاذ تدبيره وانه ليس بالذى يعجزه امر وان قدرته ليست بمقدرة بقوى
البشر وهم كانوا ينكرون البعث والاحياء على تقدير الامور بقوى انفسهم فاذا نظروا فى هذه الاشياء
وعرفوا فيها لطايف وحكما لا يدركها عقولهم وقوة لا يبلغها حيلهم ادى ذلك الى دفع الاشكال عنهم
وازاحة الريب الذى اعتراهم فى امر البعث فيحملهم على الايمان وقوله عز وجل ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح سماها سماء الدنيا لدنوها الى المخاطبين الممتحنين لا ان يكون السماء الثانية سماء الاخرة
والذى يدل على صحة ما ذكرنا ان مقابل الدنيا ليست هى الاخرة بل مقابلها الاولى ومقابل الدنيا
القصوى فيثبتان ليس فيها تثبيت ان السماء الثانية هى سماء الاخرة والمصابيح هى النجوم فذكر عباده
عظيم ما اودع من النعيم فى النجوم عليهم فجعل فيها ثلاثة اوجه من النعيم احدها انه جعلها زينة للناظرين
كما قال تعالى وزيناها للناظرين ثم هذه الزينة انما يظهر عندما يخفى على الناظرين زينة الارض وذلك
فى ظلم الليالى فابدى الله لهم زينة فى السماء مكان الزينة التى انشاها فى الارض وفضل هذه الزينة
على سايرها لان سايرها لا يظهر الا بالدنو اليها والقرب منها ثم جعل هذه الزينة بحيث يظهر
فيرى من البعد فثبت ان لها فضلا وشرفا على زينة الارض والنعمة الثانية ما ذكر فى قوله وهو الذى
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فجعلها هدى من ظلمات احوال تقع فتسلم بها المرء
من الوقوع فى المهالك والنعمة الثالثة ما ذكر من قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين ومن جعلها
رجوما للشياطين رفع الاشتباه عن الخلق واخراجهم من ظلمات الافعال الى النور وذلك ان الشياطين
كانوا يصعدون الى السماء فيستمعون الى الاخبار التى يتحادث بها اهل السماء فيما بينهم مما يراد
باهل الارض فيسترقون السمع منهم فياتون بها اهل الارض ويلقونها الى اهل الارض بعدما
ما يخلطونها باكاذيب من عند انفسهم فيشبهون على الخلايق ويضلونهم بذلك عن سبيل الله تعالى
فملا السماء بالحرس والشهب ليدفعوا الشياطين عن استراق السمع ليكون تبليغ الاخبار الى اهل
الارض بمن يؤمن عليه الكذب وهو الرسول عليه السلام فيسلم تلك الاخبار عن التخاليط والشبه
فيسلم الناس عن الوقوع فى الظلمات ثم يكون فى جعل النجوم زينة السماء ان اهل السماء وابتلوا ايتهم
لحسن عملهم كما ابتلى به اهل الارض الا ترى الى ما ذكر فى اهل الارض فى قوله انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فاخبر ان الزينة للامتحان وقوله عز وجل واعتدنا لهم عذاب
السعير ففيه انهم وان عذبوا بالشهب ان التى جعلت فى النجوم الرجوم لا يدفع عنهم ما استوجبوا
من العذاب الاليم بل قد اعد لهم عذاب السعير كما اعد لغيرهم من الشياطين واهل الكفر وقوله
وبئس المصير فالمصير هو الطريق اى فبئس الطريق طريق من سلكها افضى به الى عذاب السعير وقوله

وقوله اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا والشهيق الصوت المنكر. ثم من الناس من يقول سمعوا لها اى لجهنم ومنهم من جعل الشهيق من اهلها وقد يجوز ان يذكر المكان والمراد منه الاهل كما قال وكاين من قرية عتت عن امر ربها وكلا الامرين يحتمل عندنا ولا نحتاج الى معرفة ذلك لان الصوت المنكر امر ظاهر ممن لا يعقل الصوت كهو من الذى يعقل فليس الذى يعقل الصوت اولى ان يجعل الفعل له من الذى لا يعقل وقوله عز وجل وهى تفور تكاد تميز من الغيظ اى تغلى ثم النار بنفسها لا تغلى وانما تغلى بالذى يجعل فيها ففيه ان طعامهم وشرابهم فى النار فيغلى النار بطعامهم وشرابهم وقوله تكاد تميز من الغيظ فجايز ان يكون هذا كناية عن الخزنة وجايز ان يكون هذا وصف النار والله تعالى ان يجعل فى جهنم وفيما شاء من الاموات ما يعرفها به عظمته وجلاله فيغضب له على اعدائه غضبا يكاد ان ينقطع فى نفسه ويسلم من اوليائه ثم فى ذكر غضبها تذكير ان من حق الله تعالى على اوليائه ان يغضبوا له على اعدائه غضب جهنم عليهم بل جهنم ابعد عن ان يحق بذلك منا ثم هى بلغت من الغضب على اعداء الله تعالى مبلغا كادت تنقطع بنفسها فالاولياء احق ان يوجد منهم هذا الوصف وقد مدح الله تعالى الذين مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجد فيهم من الشدة على الاعداء وذلك قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار وقال اذلة على المؤمنين وهكذا الحق على كل مؤمن ان يكون على هذا الوصف وفيه حكمة له اخرى وهو انه ذكر شدة النار على اهلها لان لا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقوله عز وجل كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير ينذركم لقاء يومكم هذا قالوا بلى قد جاءنا نذير وهذا هو اخبار عن نهاية امرهم واخر شانهم وذلك انهم فزعوا فى الاخرة الى اليمين بالكذب فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان ينفعهم ذلك فى الاخرة كما كانت تنفعهم فى الدنيا فلما القوا فيها ايقنوا انهم لا يدفع عنهم العذاب فزعوا الى الاعتراف والصدق رجاء ان يتخلصوا من العذاب فقالوا بلى قد جاءنا نذير ينذرنا عن لقاء هذا اليوم فكذبنا بالذى كان ينذرنا النذر وقلنا ما نزل الله من شىء مما تنذرونا به وقوله ان انتم الا فى ضلال مبين فجايز ان يكون القايل لهم بهذا هم الخزنة او هذا خطاب لهم فى الدنيا ان انتم الا فى ضلال كبير وقوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل فى قوله بلى قد جاءنا نذير اعتراف منهم بانهم قد سمعوا وعقلوا فقوله لو كنا نسمع او نعقل ليس هو على نفى السمع والعقل اذ قد اقروا انهم سمعوا وعقلوا وانما هو على نفى الانتفاع بما سمعوا وعقلوا لان الانتفاع بالسمع هو الاجابة لما سمع والانتفاع بالعقل ان يقوم بوفاء ما عقل وهم لم يجيبوا لما سمعوا ولم يقوموا بوفاء ما عقلوا وقال بعضهم لو كنا نسمع فى الدنيا كما نسمع الان او كنا نعقل كما نعقل الان ما كنا فى اصحاب السعير وهذا غير مستقيم لان تلك الدار ليست بدار السماع والافهام وانما المعنى ما ذكرنا والله اعلم وقوله فسحقا لاصحاب السعير اى بعدا على معنى الدعاء عليهم وقيل السحق واد فى جهنم وقوله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يحتمل ان الذين يخشون عذاب ربهم والعذاب عنهم غايب فاهل الاسلام يخشون عذاب الله وهو غايب عنهم والكفرة لا يخشونه الا ان يعاينوه ويجوز ان يكون قوله يخشون ربهم بالغيب اى يخشون الله تعالى ان يعذبهم او ان يخشونه فيما اوعدهم ثم الاصل ان ما من مؤمن بالبعث سوى المعتزلة الا وهو يخشى الله تعالى لكنهم يتفاوتون فى الخشية ثم الخشية يقتضى الرجاء والخوف ليس كالامر والاياس الذى لا يقتضى كل واحد منهما الا وجها واحدا واذا كانت الخشية يقتضى ما ذكرنا فكل مؤمن يخاف عذاب الله تعالى لما راى من كثرة نعم الله وغفلته عن حقوق تلك النعم لان من حقها ان يشكر الله تعالى عليها وقد عرف كل مؤمن تقصيره فى اداء الشكر وتفريطه فى قضاء الحقوق فيرجوا رحمته لما عرف من سعة رحمته وعرفه متفضلا عفوا غفورا

لكن

لكن بينهم تفاوت فى الخشية والرهبة فمن كان اذكر لغفلته فهو لعقوبته اكثر خشية ومن كان اقل ذكرا لغفلته فهو اقل خشية فيتفاوتون على تفاوتهم فى الذكر وهو كالموت الذى يرهبه الناس جميعا ويتيقنون بحلوله لكنهم يتفاوتون فى ذلك فمن كان له اكثر ذكرا كان ابلغ فى التيقظ واكثر رهبة ومن كان اغفل عن ذكره فهو له اقل رهبة ولقايل ان يقول كيف جعلتم كل مؤمن خايفا راجيا والراجى هو الذى يطلب والخايف هو الذى يهرب فكل من رجى شيئا يعلم انه لا وصول اليه الا باعمال واسباب فهو يقوم بتلك الاعمال بغاية ما تحمله وسعه ليصل الى مأموله واذا لم يقم بها لم يكن راجيا فى الحقيقة بل كان متمنيا وكذلك من خاف حقيقة الخوف وعلم ان المخوف نازل به ان لم يهرب مما يخافه اشتد الهرب ثم كثير من المؤمنين تراهم مقصرين فى الاعمال التى يتوصل بها الى بلوغ الامال ولا يهربون مما يخاف عنه اشد الهرب وغاية الخوف فكيف وصفتم كل مؤمن بالخوف والرجاء وكثير منهم لا يتحقق فيهم هذا الوصف واستدل على صحة ما ذكر بقوله ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فالراجى لرحمة الله من داب فى طاعته وقال تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فقيل يا رسول الله اهم الذين يزنون ويسرقون فقال بل هم الذين يصومون ويصلون وقلوبهم وجلة وقال تعالى الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون فجوابه ان المؤمن ليس يرى كل خلاصه من العذاب وامنه من العقاب بعمله حتى اذا وجد التقصير فى العمل اظهر ذلك المعنى فساد الرجاء والخوف وانما يتوقع خلاصه بعفو الله تعالى ويرجو رحمته بكرمه وجوده لذلك لم يوجب التقصير فى العمل ابطال الرجاء والخوف وهذا اذا كان غير معتزلى المذهب ولم يكن من الخوارج فاما اذا كان الراجى والخايف احد هذين ينقصر فى العمل يدل على فساد الرجاء والخوف لان كل واحد منهما ليس يرى لنفسه شفيعا الا عمله به ينجوا وبه يهلك فاذا لم يبالغ فى الطلب من جهة العمل ولم يبالغ فى الهرب من الخوف بالعمل فظهر انه ليس براجى ولكنه متمنى وتبين انه غير خايف فى الحقيقة ثم المعتزلة لا يخافون الله تعالى ولا يرجون رحمته فى الحقيقة لانهم يزعمون ان العبد اذا ارتكب الكبيرة فليس لله تعالى ان لا يعذبه عليها وان يغفرها له واذا اجتنب الكبيرة استوجب المغفرة وان ارتكب الصغاير وليس لله تعالى ان يعذبه عليها والقايل بهذا غير راجى رحمة الله تعالى ولا خايف من عذابه وانما يقع الخوف والرجاء من عنده نفسه لان الزلة التى استوجب بها العذاب فهو الذى اكتسبها ولو لم يفعلها لم يعذب وفاز بالنجاة فصار رجاؤه وخلاصه بعمله لا برحمة الله تعالى وفضله ولا بد لك ان وصف الله تعالى المؤمنين فى كتابه ولان الله تعالى اثنى على الذين يدعونه خوفا وطمعا ورغبا ورهبا وعلى قول اهل الاعتزال لا يدعوا احد ربه على الرغبة والرهبة والخوف والطمع لان الداعى ان كان صاحب كبيرة فهو فيما يدعوا الله تعالى ليغفرها انما يدعوا بالتجوز عليه انه لا يسعه ان يغفر له ولا يعذب عليه فدعاؤه بالمغفرة معناه يقتضى ان جر على وذلك عظيم وان كان صاحب صغيرة فهو فيما يطلب المغفرة منه تعالى الى سائله ان لا يجوز عليه لانه ليس له ان يعذب على الصغاير على مذهبه ولو عذب صار به جايرا فاذا خاف عذابه حتى اذا فزع الى الدعاء خاف جوره ومن لم يامن من ربه الجور بل خاف ذلك منه فهو لم يعرف ربه حقيقة المعرفة وكذلك من دعا الله تعالى يجوز عليه فقد دعا الى ان يسفهه والسفيه لا يصلح ان يكون الها فثبت ان الداعى على الرغبة والرهبة غير ممدوح عندهم ولا هو ممن يستحق الثناء عليه وقوله عز وجل لهم مغفرة واجر كبير اى من يرجوا الله تعالى ويخافه فله مغفرة لذنوبه واجر كبير وهو الجنة وقوله عز وجل واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور

المعتزلى لا يرى لنفسه شفيعا الا عمله وكذا الخوارج

المعتزلة لا يخافون من الله تعالى ولا يرجون رحمته

المعتزلة لا يدعى

بهذه الآية كانها في التزام الوعيد يقول انه عالم بالانفس التي فيها الصدور بما يضمرون فيها
ويودعون ويكتمون وبما يخبرون عما اودعوا فيها ويظهرون والصدر هو ساحة القلب سمي صدرا
لان الآراء يصدر عنها فهو عالم بالانفس التي لها الصدور بما يصدر عن آرائهم وعالم بما يضمر فيها
من الاسرار **وقوله** الا يعلم من خلق تاويله عند اهل الاسلام الا يعلم من خلق مما اسروا وجهروا
ومن راجع الى الله تعالى دون الخلق كانه يقول الا يعلم الخالق وهو اللطيف الخبير وفيه اثبات
خلق الافعال والاقوال وخلق الشر فيكون حجة لنا على المعتزلة في خلق افعال العباد وقال الجعفر
ابن حرب وابو بكر الاصم ان حرف من لا يرجع الى الله تعالى وانما يرجع الى الخلق فكانه يقول الا يعلم الله
من خلق على الاضمار باسم الله تعالى فاحتالا بهذه الحيلة لنفي الخلق عن الافعال لان حرف من يرجع
الى الانفس دون الافعال والاقوال وذلك فاسد لان الآية في موضع الوعيد ولو كان قوله من خلق
راجعا الى الانفس لم يكن الموضع الوعيد اذ ليس في خلق الانفس وعلم الله بها اثبات العلم بافعال
وجدت منهم ولان في خلق الانفس ايجاب الوعيد بالافعال ولانه لو لم يكن الله تعالى خالقا لما يجهر به
العبد ولما يخفيه لم يكن ليحتج به على علمه اذ قد يجوز ان الجهل من عين الذي يفعله فلا يجوز ان يحتج
عليهم بفعل غيره ولانه ليس في اثبات العلم بخلق الانفس اثبات العلم بما اسروا وجهروا كما لم يكن
عند المعتزلة في ايجاب الخلق لنفس الانسان ايجاب الخالق لافعالهم ومعلوم بان الآية في تحقيق
العلم بما اسروا وجهروا لان قوله الا يعلم من خلق مذكور على اثر قوله واسروا قولكم او اجهروا به
وقوله انه عليم بذات الصدور اي عليم بما تسرون وما تجهرون فثبت ان الخلق راجع الى ما اسروا
وجهروا ثم ان الناس على اختلافهم اتفقوا ان كل واقع بالطبع والضرورة مخلوق لله تعالى وانما اختلفوا
في الفعل الواقع بكسب العبد فمنهم من اثبت فيه الخلق وهو قول اهل الهدى ومنهم من ابى القول
بخلقه ثم المرء لا يتهيأ له استعمال اليد الا في العمل الذي جعل في طبع اليد احتمال ذلك العمل
ولا يتهيأ له ان يستعمله في الوجه الذي لم يجعل في طبعها احتمال ذلك لانه لو اراد ان يرى بيديه
او يسمع بهما لم يملك ذلك فثبت انه ملك استعمالهما في القبض والاخذ والتسليم بما جعل في طبعهما احتمال
ذلك واذا كان كذلك فقد ثبت الخلق فيما يعمل بيديه وفيما يرى بعينيه ويسمع باذنيه والله الموفق
وقوله وهو اللطيف الخبير في تدبيره اذ دبر الانسان على ما اذا استعمله يخرج منه الكلام
ولو اراد احد ان يتعرف المعنى الذي به صلح للنطق ولم يقف عليه ودبر قلبه على ان يصور ما وقع فيه
من الخيال فيؤديه بلسانه ودبر على وجه يصلح ان يوعى الاسرار والودايع ثم وجه لو اراد الخلايق ان يتعرفوا
الوجه الذي صلح القلب ان يكون مصورا وحافظا ومعدنا للاسرار لم يقفوا عليه وقيل اللطيف هو الذي
لا يعزب عنه علم ما جل ودق وقيل اللطيف بعباده في الاحسان اليهم والانعام عليهم الخبير
بما فيه مصالحهم **وقوله** عز وجل هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وانه ذلل لكم
الارض لتمشوا في مناكبها وتاكلوا من رزقه فلا يجوز ان يكون خلقا عبثا باطلا فلا بد من الرجوع الى الله
ليسالكم عما له خلق او فيتم بالذي خلق او لم تفوا وذلك ان المرء في الشاهد اذا اعطى انسانا مالا استعمله
في جهة من الجهات فلا بد من ان يرجع اليه فيساله هل استعمله في الذي ذلك له فيه ام لا واذا ثبت
انه لم يخلقها عبثا باطلا وانما خلقت للمحنة فلا بد من ان يبعثوا اليه ليخبروه عما بلاهم به وامتحنهم
ثم احتمل ان يكون هذا صلة قوله هو الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم وقوله تعالى الذي خلق سبع سموات
طباقا فخلق ذلك كلها ليمتحن اهلها بها فعلى ذلك خلق الارض ذلولا ليبلوكم بها ويحتمل ان يكون هذا
صلة قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فامرهنا لك بالنظر ثم بعد هل ترى فيه تفاوتا

الصدر ساحة القلب ووجه التسمية

خلق الاعمال والاحوال

الفعل الواقع بالطبع والضرورة مخلوق الله تعالى بالاتفاق ؟ لازم

اوفطورا ليتبين عنده اذا لم ير فيه تفاوتا ولا فطورا وحدانية الرب وقدرته وسلطانه وحكمته
فامرهم ايضا بالمسير في الارض والمشي في مناكبها وهي اطرافها هل يرون فيها فطورا او تفاوتا فاذا لم يروا
فيها شيا من ذلك تقرر عندهم بجميع ما ذكرنا من الحكمة هناك فهو في قوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
موجود ولانه ذكرهم لطيف تدبيره في خلق الارض وماله على الخلق من عظيم النعمة في حقهم وهو انه
قدر لهم فيها اقواتهم الحيث يمشون فيها وهيأ لهم الرزق هنالك وكذلك ويحتمل ان يذلل لهم الارض
فيضربون فيها حيث شاؤا ويستخرجون منها اقواتها ليعلموا انه لم يتركهم عبثا باطلا بل لا بد ان يستاديكم شكر
ما انعم عليكم **وقوله** عز وجل أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور هذه الآية في موضع
المحاجة عن منكري البعث فكانه يقول والله اعلم اذا انكرتم البعث وقد عرفتم الفرق بين العدو والولي
وبين المطيع والعاصي فكيف امنتم عذابه في الدنيا ان ينزل بكم من فوق رؤسكم او من تحت ارجلكم
او قد عصيتموه وعاديتموه بتكذيبكم رسوله واختياركم عبادة غيره فكيف امنتم نزول عذابه عليكم
في حالتكم هذه وانتم لا تقرون بالآخرة ليتاخر عنكم العذاب ثم قوله أأمنتم اي قد امنتم والثاني
انكم كيف امنتم عذاب الله تعالى وانتم تنكرون البعث ليكون المحنة في الدنيا للجزاء في الآخرة وهم يرون
المحنة في الدنيا لانهم كانوا يزعمون ان من وسع عليه النعيم في الدنيا فانما وسع جزاء لعمله ومن ضيق
عليه العيش فانما ضيق عقوبة له بما اساء من عمله كما قال الله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن فكانوا يعدون
التضييق والتوسيع في الدنيا جزاء لصنيعهم وكانوا يقرون بالمحنة في الدنيا والمحنة يكون بالرجاء
والخوف وقد رجوتم انزال الرزق عليكم من السماء ورجوتم ان يخرج لكم من الارض ما يعيشون به
ويرزقون منه فكيف لا يحذرون نزول العذاب عليكم من السماء او اتيانه من الارض كما رجوتم النفع
منهما جميعا والثالث انكم اذا انكرتم الرسول وجحدتموه وقد انتهى اليكم حال من سبقكم من مكذبي الرسل
كيف عذبوا واستوصلوا فمنهم من اهلك بامطار الحجارة عليه من السماء ومنهم من اهلك بالخسف بالارض
فكيف امنتم انتم ان ينزل عليكم ما نزل بهم وقد وجدتم انتم وتعاطيتم ما يعاطاه الذين اهلكوا
من التكذيب ثم قوله من في السماء اراد بعلى نفسه اخبر انه اله السماء لا على تثبيت انه في الارض سواه وعلى النفي
ان يكون اله الارض بل هو في السماء اله وفي الارض وهذا كقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
ليس فيه ان النجوى اذا كان بين اثنين فهو لا يكون ثالثهم وجائز ان يكون قوله أأمنتم من في السماء
اي امنتم من في السماء ملكه وسلطانه ولم يروا احدا انتهى ملكه الى السماء فكيف يامنون ممن بلغ ملكه السماء
في معاداتكم اياه وانتم لا تحرون على معاداة ملك من ملوك الارض الذي لا يجاوز ملكه الارض تخيفه
منه وخوفا من سلطانه فكيف يامنون عذاب من بلغ ملكه ما ذكرنا **وقوله** فاذا هي تمور قيل تهوي
في الارض ابدا الى اسفل السافلين وقيل تمور باهلها في قعرها على ما كانت من قبل تمور على ظهرها
قبل ان يوتد بالجبال والحصاب الحجارة **وقوله** فستعلمون كيف نذير اي ستعلمون حال بذي
الذين انذروكم بالعذاب انهم كانوا محقين فيه ولم يكونوا كاذبين كما زعمتم او ستعلمون ما ايدكم به
اذا وقع العذاب **وقوله** ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير يذكرهم حال من تقدمهم من المكذبين
وما حل بهم ليرتدعوا عن التكذيب فلا يحل بهم ما حل باولئك ثم قوله فكيف كان نكير اي كيف كان انكاري
عليهم اليس وجدوه شديدا او حقا **وقوله** عز وجل اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن
ما يمسكهن الا الرحمن قيل صافات باجنحتها لا يحرك منها شيء ويقبضون فما يمسكهن الا الله تعالى
في الحالين جميعا اعني القبض والبسط وقال في آية اخرى اولم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء

ذم الكفار في الغنا والفقر

ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يومنون اى لايات للمؤمنين على الكفرة وهكذا شان الايات
انها جعلت ايات للمؤمنين والاولياء على الكفرة والاعداء لان الكفرة انهم تصل اليهم الايات على السن
الرسل والانبياء والاولياء فجعلت الايات ايات للمؤمنين يحتجون بها على اهل الكفر ثم الهوى ليس بمكان
يمسك ما عليه من الاشياء مثل السماء والارض فيما انشيتا على حد يمسكان الاشياء ويقر عليهما الخلايق
واذا كان كذلك فان الله تعالى بلطفه امسك الطير وقت طيرانها ووقت قبضها في الهوى ومن قدر
على امساك الطير مع وقفه وتقديره في مكان لا يقر فيه الاشياء لقادر على ما يشاء ثم في هذه الاية
ان الله تعالى في افعال الطير صنعا وتدبيرا على ما يشاء لان الفعل الذي يوجد من الطاير الطيران
اذا طار والوقوف اذا قبض ثم اضاف فعل الامساك وكل ذلك الى نفسه وذكر عن جعفر بن حرب في قوله
ما يمسكهن الا الله ان الامساك كناية عن التعليم وعبارة عنه لانه قد يعبر بالامساك عن التعليم يقول
الرجل لاخر فيما يعلم الرماية امسكت على يده حتى رمى فيريد به اى توليت تعليمه الرماية فقوله ما يمسكهن
الا الله اى ما يعلم امساكهن وقت الطيران الا الله تعالى وكذلك وقت القبض والجواب عن هذا
ان القايل يقول امسكت على يده حتى رمى انما يستجيز اطلاق هذا اللفظ من نفسه اذا وجد منه فعل
الامساك في وقت فالهم الرامي بالرمي واما اذا لم يوجد منه في ذلك الوقت فعل الامساك لم يستقم
ان يقول امسكت على يده وان كان هو الذي علمه الرمي الا ترى ان من علم اخر الخياطة حتى اهتدى للخياطة
اذا خاط ثوبا لم يستجز استاذه ان يقول انا الذي خطته ويريد به خطته وان كان هو الذي علمه الخياطة
وكذلك من بنى بناء لم يستقم من استاذه ان يضيف فعل البناء الى نفسه فيقول انا الذي بنيته ويريد
انا الذي علمته واذا لم يستقم هذا باطل ان يضاف فعل الامساك الى الله تعالى ولا فعل له في ذلك سوى
التعليم فلو كانت الاضافة اليه من حيث التعليم لجاز ان ينسب اليه فعل الخياطة وفعل البناء والحياكة
فيقال خايط وبان وحايك لانه هو الذي علم فاذا بطل ان ينسب اليه ما ذكرنا من الافعال وان كان هو الذي
علم الخلق بطل ان ينسب اليه فعل الامساك من حيث التعليم والله الموفق واحتج جعفر بن حرب ايضا في نفي
الفعل عن الله تعالى فقال ان الله تعالى لم يقل ما خلق طيرانهن الا الله ولا خلق القبض الا الله وانما قال
ما يمسكهن الا الله فثبت انه لا صنع له في الامساك وبان ان الذي اضيف اليه من الامساك هو على الوجه
الذي ذكرنا فالجواب عن هذا ان الامة فهمت من قوله ما يمسكهن الا الله ما يفهم من قوله ما خلق
طيرانهن وقبضهن الا الله اذ هو يقتضي ما يقتضيه ذكر الخلق واذا كان كذلك فلا فرق بين ان يضيف
الخلق نفسه وبين ان يضيف فعل الامساك ثم لو ذكر الخلق مكان الامساك امكن جعفرا ان يتناول
في الخلق ما تاول في الامساك فيقول معنى قوله خلق طيرانهن اى علم طيرانهن وقواهن على الاسباب
التي بها يطير فلان يتهيا لله تعالى على قوله ان يثبت الخلقة ويقرر عندهم خلق شيء من الاشياء ثم الاصل
ان الايات المذكورة في القران انما ذكرت لاثبات خمسة اوجه احدها في تثبيت القدرة على البعث وهي
لا يثبت القدرة ولا توجب القول بالبعث على قول المعتزلة وذلك ان الله تعالى احتج في تثبيت القدرة
على البعث وهي لا يثبت القدرة ولا توجب القول بالبعث على قول المعتزلة وذلك ان الله تعالى احتج
في تثبيت القدرة على البعث بقدرته على ابتداء الخلق فقال او لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة وقال
وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه فاحتج بامر الابتداء على الاعادة عندهم لانهم نفوا
خلق الافعال عن الله تعالى مع اقرارهم ان الله تعالى هو الذي ابتدا الخلايق وهو الذي انشاهم ولم يكن
في اثبات القدرة على خلق الاعيان اثبات قدرة منه على خلق الافعال وان كان خلق الافعال دون
خلق الانفس فكيف ذكر قدرته على ابتداء الخلق على تثبيت القدرة على الاعادة وان كان امر الاعادة ايسر

من الابتدا مع ان الخلق في افعال العباد واثبات التدبير فيها اوجد منه في امر البعث وذلك
انك تجد من الافعال افعالا هي موذية لاهلها متعبة مولمة ومعلوم بان قصد اربابها ان يتلذذوا بها
ويتمتعوا بها فثبت ان غيرهم فيها تدبيرا وصنعا حتى صارت كذلك ولانه يوجد في افعالهم احوال
لا يبلغها اوهامهم ولا يقدرها عقولهم لان الفعل ياخذ من الجو والمكان والوقت ما لا يقدره الاوهام
ولا يبلغها العقول فثبت ان لغيره فيه صنعا وتدبيرا ولان فعله يخرج على قبح وحسن لا يبلغ علم فاعله
انه يبلغ في الحسن والقبح ذلك المبلغ وينتهي في الحسن مبلغا لو اراد ان يخرج على ذلك الحد في المرة الثانية
لم يخرج كذلك فكلما ذكرنا يتبين ان جميع افعالهم على ما هي عليها ليست لهم ثم مع ذلك انكروا ان يكون
الافعال من جهة الخلق لله تعالى ولم يظهر شيء من امارات البعث ولا وجد فيه التدبير فصارت
الكفرة في انكارهم خلق الافعال البعث اعذر من المعتزلة في انكارهم خلق الافعال ولم يوجب القول
بالقدرة على ابتداء الخلق قولا بالقدرة على انشاء البعث والاعادة بعد الافناء فثبت ان ليس في الايات
التي جعلها الله تعالى دلالة اثبات البعث على قولهم والوجه الثاني تثبيت الوحدانية وجعله دليل وحدانية
توحده بخلق الاشياء وتفرده بانشائها الا ترى الى قوله تعالى ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه وقال وما كان
معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق وعلى قول المعتزلة هو غير متوحد بخلق الاشياء بل اكثر خلق
الاشياء كان بالعباد لا بالله تعالى واذا لم يوجد منه التوحد والتفرد بخلق الاشياء ارتفع وجه
الاستدلال من هذا الوجه على معرفة الصانع ووحدانية الرب واذا كان كذلك لم يثبت وحدانية الله تعالى
على قولهم من الوجه الذي جعله دليل الاثبات والوجه الثالث وهو ان الايات ذكرت في اثبات حكمة الله
وجعل دليل حكمة خلق السموات والارضين بما شاهدنا وغير جماع الاشياء ونحن انما عرفنا خلق السموات
والارضين بما شاهدناهما مجتمعين والاجتماع حادث فيهما وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث والحادث
لا بد له من محدث ولولا ذلك لم نعرفه ولا يثبت لنا خلقهما وعلى قول المعتزلة الجمع والتفريق لا يدل على الخلق
لان كل من له القوة يقدر على جمع الاشياء وتفريقها والاجتماع والتفريق فعل الجامع والمفرق لقولهم بالمتولدات
فمن استحكمت قوته امكنه جمع الاشياء القوية ومن ضعفت قوته جمع على قدر ما ينتهي اليه قوته واذا كان
كذلك لم يتبين عند الخلايق على قولهم ان الله تعالى هو الذي خلق السموات والارضين اذ خلقهما لا يعرف
الا من الوجه الذي ذكرنا وذلك مما يجوز لا بالله تعالى وجاز ان يكون الله تعالى اقدر ملكا من ملايكته
وقواه على خلق السموات والارض واذا كان كذلك لم يظهر بما ذكرنا ان الله تعالى هو الخالق لهما فبطل
ان يكون في خلق السموات والارضين وفي خلق ساير الاشياء دلالة حكمته وقدرته ووحدانيته وقد جعل الله
خلقهما دلالة لهذه الاوجه التي ذكرناها والثاني انه جعل اتقان الاشياء واحكامها علما لحكمته
وقد يقع الاتقان والاحكام للاشياء لا به ثم لم يجعل الله لشيء مما اتقن واحكم علما يمتاز من بين
ما اتقنه غيره واحكمه فصار الاتقان والاحكام غير دال على حكمته بل صار دليلا على عجزه وضعفه
حيث لم يتهيا له تمييز ما صار به متقنا وما بغيره صار كذلك ولان الحكمة هي وضع الشيء في موضعه
وتبيين ما له مما ليس له ومن قولهم ان الله تعالى اعطى الكافر قوة الايمان ولم يبق في خزاينه
ما جعل سببا يتوصل به الى الايمان الا وقد اعطاه مع علمه انه لا يومن به وهذا من اعظم الجهل وابين
السفه في الشاهد لان المرء اذا قام بسقي ارض وعمارتها بالكراب والثنيا والقى البذر فيها مع علمه
انها لا ينبت شيئا عد ذلك منه سفها وجهلا والسفيه لا يصلح ان يكون الها حكيما وقال تعالى
هو الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن وعلى قول المعتزلة فقد خلق غيره الحيوة والموت جميعا
لان القتيل ميت بالاتفاق ثم لا يجعل اهل الاعتزال لله تعالى في موته صنعا ويزعمون انه مات

في حدوث السموات والارض

سفاهة المعتزلة

قبل اجله فاذا قدر غيره على الاماتة ويقدر غيره ايضا على الاحياء بالاسباب لانه يسقى
الارض والزرع ويكون فى سقيه احياؤها فلم يتفرد هو بخلق الموت ولا بالحيوة على قولهم بل شركه
غيره فى خلق الاشياء فيبطل امتداحه على قولهم نفسه بانه خالق الاشياء والوجه الرابع انه
احتج بعلمه بافعال الخلق بخلقه تلك الافعال وذلك قوله الا يعلم من خلق وهم قد نفوا الخلق
من الافعال واذا انتفى لم يقع لعبها علم فصارت الايات التى فيها اثبات العلم لايثبت علما
على قولهم ويكون فيه كذبا فى الخبر تعالى الله عن ذلك والوجه الخامس انه سمى نفسه محسنا
منعما واثبت احسانه وانعامه بايات احتج بها على خلقه وما من نعمة انعم بها العباد الا وقد كانوا لها
مستوجبين على الله تعالى فيصير الله تعالى باعطايهم ذلك قاضيا ما عليه من الحق بالنعمة ومن قضى حقا
كان عليه لم يصر به منعما مفضلا وانما صار قاضى حق فصارت الايات التى فيها اثبات النعم
غير مبينة على قولهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا **وقوله** عز وجل انه بكل شئ بصير
اى بكل شئ لطف وجل او استتر او ظهر او اختلط بغيره او تميز فهو بصير يبلغه الى اجله الذى
ضرب له ويأتيه بالرزق الذى قدر له او يصير بافعال الخلق ما كان وما يكون لانه ذكر على اثر ذكر
الافعال وهو قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق ثم فى قوله
انه بكل شئ بصير ترهيب وترغيب والزام المراقبة والتيقظ والتبصر وكذلك فى قوله انه بكل شئ حفيظ
وبكل شئ عليم لانه من علم ان عليه حافظا ورقيبا يعلم بكل شئ يتعاطاه فهو لا يتعاطى الا المحمود
من الفعال والمرضى منها **وقوله** عز وجل امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فهذا
صلة قوله اامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض وقوله ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم
حاصبا ثم قال ام من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن اذا خسف بكم الارض وارسل
عليكم حاصبا من السماء وجايز ان يكون على التقديم والتاخير فيكون معناه امن هذا الذى
هو جند لكم من دون الرحمن ينصركم من عذاب الله ان حل بكم او ان يكون قوله امن هذا الذى هو جند لكم
يدفع عنكم العذاب من دون الله اذا حل بكم وجايز ان يكون اريد بالجند الهتهم التى كانوا يعبدونها
من دون الله تعالى لينصروهم ويعزوا بها قال الله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
وقال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون ثم هم قد علموا انها لا تقوم بنصرهم ولا يدفع
الذل عنهم فيعتزوا بها لانهم كانوا يفزعون الى الله تعالى عند ما يحل بهم الشدايد والذل كما قال الله تعالى
واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ويتركون الفزع الى الهتهم لعلمهم انها لا يعزهم
ولا ينصرهم فذكرهم فى حالة الامن ما قد عرفوا وقوعه فى حال الخوف لينقلعوا عن عبادة الاصنام
ويقبلوا على عبادة رب الانام ليدفع عنهم الشدايد والاهوال والالام اذا حلت بهم من خاص وعام
ويقوم بعزهم اذا لحقهم الذل **وقوله** ان الكافرون الا فى غرور اى اغتروا فى عبادتهم
الهتهم ليقوم بنصرهم وعزهم مع ما علموا انها لا يدفع عنهم شدة ولا تحصل عزا **وقوله** عز وجل
ان امسك رزقه هم كانوا يرجون رزقهم من السماء والارض فيقول من الذى يرزقكم ان لم يرسل
عليكم من السماء مطرا ولا ذلل لكم الارض للنبات وقد علموا ايضا ان لا رازق لهم غير الله تعالى
لانهم يفزعون اليه بالسؤال للرزق عند ما يبلون بالقحط والجدوبة فذكرهم فى حال السعة ما لله عليهم
من عظيم النعمة فى توسيع الرزق عليهم ليشكروه ولا يكفروه ثم **قوله** عز وجل بل لجوا فى عتو ونفور
فالعاتى هو المارد الشديد السفه فكانه لجوا وعتوا فى قبول الحق وتمادوا فى طغيانهم ولم يتذكروا
ولم يراقبوا الله تعالى ولم يشكروا لله بل بعدوا عن قبول ذلك كله فقوله امن هذا الذى هو جند لكم وقوله

امن هذا الذى يرزقكم يخرج على وجه ثلاثة احدها على التخويف والتهويل والثانى على التنبيه
والتذكير وتسفيه احلامهم والثالث على البشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له
وباجابة دعوته على اهل الكفر فوجه التنبيه والتذكير وتسفيه الاحلام ما ذكرنا انهم قوم كانوا
يعبدون الاصنام لينصرهم ويعزهم فى الدنيا ويبتغوا به الرزق من عندها اذ هم كانوا
لا يؤمنون بالبعث ليطلبوا بعبادتها عز الاخرة والنصر فيها وانما كانوا يطمعون ذلك منها فى الدنيا
ثم هم فى الدنيا واذا مسكم الضر فى البحر ضل من يدعون الا اياه ولم يكونوا يفزعون الى اصنامهم
فكيف اتخذوها جندا ينصرهم عند النوايب وقد احاط علمهم انها لا ينصرهم ولا يغنى عنهم
من عذاب الله شيئا فيكون فيه تسفيه احلامهم وتنبيه من عذاب الله ليمنعهم ذلك عن عبادة غير الله تعالى
ويدعوهم الى عبادة من يملك دفع الشدايد عنهم اذا حلت بهم واما وجه التخويف فهو انه يجوز ان يكون
قيل لهم هذا عند ما ابتلوا بالشدايد وضيق العيش فيقول لهم استنصروا من الهتكم واسئلوا
الرزق من عندها هل يملكون لكم رزقا او يدفعون عنكم ذلا وهل يقدرون على نصركم وجايز ان يكون
فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وباجابة دعوته وقد وجد النصر لانه
غلب عليهم يوم فتح مكة ولم يتهيأ لاهلها ان ينتصروا بل غلبوا وقهروا وفاز رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالغلبة والقهر حتى استكانوا ولانوا وتضرعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى ذلك حتى دعا لهم وابتلوا ايضا بالقحط والسنين بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسنة حتى رفع الله عنهم القحط **وقوله** عز وجل افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى امن يمشى سويا
على صراط مستقيم ففى هذه الاية تذكير وتنبيه وتخويف وتهويل وتعريف حال هى على خلاف
ما هم عليها فى الحال ثم ذكر الصراط فى الذى يمشى مكبا فهو على الاضمار كانه يقول افمن يمشى مكبا
على غير الصراط اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم فيكون هذا تذكير وتنبيه وتسفيه
لاحلامهم لان الذين اثروا الايمان وسلكوا طريقه فانما سلكوا بالحجج والبراهين والذين اثروا
الكفر اثروه من غير حجة بل حيرتهم وسفههم ها هنا اللذان دعواهم الى التزام الكفر والتدين
وبما اثروا الحيوة والعمى على الهدى والرشاد فهو سفيه وجايز ان يكون قوله افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى
اى اهدى طريقا ام الذى يمشى سويا على صراط مستقيم وحق هذا الكلام ان يقال بل الذى يمشى على صراط
مستقيم هو الاهدى من الذى يختار الطريق المعوج الزايغ عن الرشاد فيكون فى الوجه الاول
معنى التخويف والتنبيه جميعا وفى الوجه الثانى تذكير وتنبيه وقولنا بان فيه تعريف حال
خلاف الحال التى هم عليها ان كل واحد من الفريقين اعنى به اهل الاسلام واهل الكفر يزعم انهم
على الهدى والفريق الاخر على الضلال واذا اتفقت الدعاوى على تضليل احد الفريقين ثم لا بد ان يكون
جزاء الضال غير جزاء المهتدى وجزاء الولى غير جزاء العدو ثم الدنيا تم على الفريقين على جهة واحدة
فلا بد من تثبيت دار اخرى والقول بها للجزاء فيكون فيما ذكروا ايجاب القول بالبعث والاقرار به فهذا الذى
ذكرنا هو تعريفهما خلاف الحالة التى هم عليها ولان الذى يمشى مكبا على غير الطريق هو الاعمى الذى لا يبصر
المقعد الذى لا يقوى على المشى والذى يمشى سويا على صراط مستقيم هو الذى ليست به زمانة ولا به عمى
يمنعه عن الصراط فيكون قوله يمشى مكبا على وجهه هو الاعمى والذى يمشى على صراط مستقيم هو السميع
البصير فيكون معناه ما قال فى سورة هود مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان
مثلا **وقوله** عز وجل قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
فهذه الاية صلة قوله هو الذى خلق الموت والحيوة وصلة قوله الذى خلق سبع سموات وقوله هو الذى

وجعل لكم الأرض ذلولا ثم في ذكر الإنشاء وجعل السمع والأبصار والأفئدة تذكير قوته وسلطانه وعلمه وحكمته والآية وتعاليه عن الأشباه والأمثال فوجه تذكير القوة والسلطان والعلم والحكمة ما يوصف بعد هذا ويذكر في سورة المرسلات وفي سورة والسماء والطارق وسنذكر طرفا من ذلك ها هنا بعون الله تعالى وتوفيقه فنقول بأن الله تعالى أنشأنا في أظلم مكان وأضيق موضع بحيث لا ينتهي إليه تدبير البشر وعلومهم وحكمتهم وقواهم لأن علم الخلق لا يجاوز إلى الظلمات وكذلك حكمتهم ثم إن الله تعالى أنشأه في تلك الظلمات كيف شاء وأجرى سلطانه وتدبيره على ذلك الشيء ليعلم به أن علمه بالخفيات من الأمور كعلمه بما ظهر منها ويعرف الخلائق أنه لا يخفى عليه شيء فيدعوهم ذلك إلى المراقبة في كل ما يسرون وما يعلنون ويوجب ما ذكرنا في تقدير قوته وعلمه وسلطانه بفوق البشر وعلومهم وسلطانهم فيكون فيه انفتاح عن الشبه التي اعترت منكري البعث في أمر البعث ويحملهم على الإيمان به إذا أمعنوا النظر فيه وليعلموا أن من بلغت حكمته ما ذكرنا لا يجوز أن يخلقهم سدى لا يخاطبهم ولا ينهاهم بل يتركهم هملا وأما وجه تعاليه عن الأشباه والأشكال هو أنه أنشأ الخلق في أظلم مكان وأضيقه كان فيه إبانة أنه لا يوصف بما يكون في ذلك المكان الذي ظهر فيه آثار فعله لأنه في وقت ما خلق عمرو في بطن أمه فقد خلق زيدا في ذلك الوقت في بطن أمه وخلق خلائق في بطون الأنعام والسباع وبطون بنات آدم وأنشأ النبات في الأرضين في ذلك الوقت ولو كان يوصف بالكون في مكان الفعل لكان إذا أخذ في خلق هذا لا يخلق في ذلك الوقت في أقطار الأرض أمثاله من الخلائق فدل أن الفعل ليس يتصل منه يشهوده المكان الذي ظهر فيه فعله وإنما يكون بما ذكر من قوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وأما سائر الفعلة فهم لا يتمكنون من الفعل إلا بشهودهم مكان الفعل فهذا الذي ذكرناه ينفي عنه شبه الخلق ويوجب تعاليه عن الأشكال وفيه تذكير نعمه ومنته على خلقه ألا ترى أنه قال على أثر هذا قليلا ما تشكرون ولو لم يكن منعما مفضلا لم يكن يستأدي منهم الشكر ووجه النعمة وهو أنه قدرهم في تلك الظلمات وصانه عن الآفات وعن كل أنواع الأذى وغذاه في ذلك الموضع بما شاء من الأغذية وستره على أبصار الناظرين وغيبه عن أعينهم لأنه في تلك الحال بالمحل الذي يستعاف ويستقذر منه لا يمكن أن يدفع عنه المعنى الذي وقعت به الاستعافة والاستقذار بالتطهير وأنشأ له السمع والبصر والفؤاد ليتصل بها إلى أنواع العلوم والمصالح فلزمهم أن يقوموا بشكر ذلك وفيما ذكرنا نقض قول المعتزلة لأنهم يزعمون أن الله تعالى لو خلقهم على غير الوجه الذي ظهر لكان جائرا لأن من مذهبهم أنه لا يفعل إلا ما هو أصلح لهم وإذا كان خلقهم هو الأصلح ومن شرطه فعل الأصلح فإذا هو صار قاضي حق وليس لقاضي الحق على المقتضي موضع منة ولا منة بمكانه ولا نعمة يلزمها شكرها الله ثم **قوله** جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة أي جعل لكم السمع ليسمعوا ما غاب عنكم وتقفوا فتعرفوه بالسمع وأنشأ لكم الأبصار لتبصروا به ما حضر من الأشياء وتعرفوا بها ما ينفعكم وما يضركم وما خبث منها وما طاب وأنشأ لكم الأفئدة تدركوا بها حقائق الأشياء ومبادي الأمور ومآلها وما حل منها وما حرم ثم خص هذه الأشياء الثلاثة بالذكر لما بها يتوصل إلى العلوم ومعرفة الأشياء قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ومعناه أنه أنشأ لكم هذه الأشياء لتهتدوا بها وتصلوا بها إلى أنواع العلوم فثبت أن هذه الأشياء هي التي يتوصل بها إلى العلم والحكمة وإلى ما به المصلحة والمنفعة ولذلك قال إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا فلو لم يقع بها الوصول إلى علم الأشياء لكن لا يحتج بالسؤال عنها **وقوله** عز وجل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون جمع في هذه الآية بين خبرين

أحدهما ما قد تنوزع فيه وهو قوله وإليه تحشرون فإن بعض الكفرة ينكرون الحشر والبعث والثاني مما لم يقع فيه التنازع وهو قوله هو الذي ذرأكم في الأرض ثم إن الله تعالى جعل ابتداء الخلق دلالة القدرة على الإعادة بقوله قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وقال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإذا جعل الابتداء دليل الإعادة لزمهم أن يستدلوا به فهو وإن ذكره على وجه الخبر لا على وجه الاحتجاج ففيه موضع الاحتجاج عليهم **وقوله** في الأرض فيه إخبار أنه خلقهم في الأرض ليشاهد بعضهم خلق بعض في الابتداء فيعلموا أنهم لم يكونوا على الحالة التي هم عليها في الحال بل كانوا نطفا وعلقا وأطفالا إلى أن انتهوا على الحالة التي هم عليها فإذا تقرر عندهم أمر الابتداء أوجب لهم ذلك علما بالقدرة على الإعادة أو يكون قوله في الأرض أي أنشأكم وجعل لكم مساكن في الأرض وبسطها لكم لتنتفعوا بها وجعلها لكم كفاتا فيكون فيه تذكير النعمة والقدرة والسلطان **وقوله** ذرأكم أي كثركم من أصل واحد كما قال تعالى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ومعلوم بأن الخلق على كثرتهم لم يكونوا في نفس واحدة ومن قدر على خلق الأنفس من نفس واحدة لقادر على إعادة ما قد سبق كونه **وقوله** عز وجل ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فقولهم هذا خارج مخرج الاستهزاء والاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجيبهم بالجواب الذي يليق من الحكماء ولم يأذن له أن يجازيهم باستخفافهم إياه استخفاف مثله فقال قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين يبين لهم أنه لا ينذرهم إلا بالذي أمر به ولا يبلغ إليهم إلا ما قد أنزل إليه وأمر بتبليغه وفي هذه الآية دلالة نبوته وآية رسالته لأنه لو لم يكن رسولا كما زعموا وكان مختلقا من تلقاء نفسه لكان يمكنه أن يحيل ذلك إلى وقت لا يظهر غلطه فيه ولا كذبه لديهم وهو أن يحيله إلى وقت لا يعيش إلى مثل ذلك الوقت فإذ لم يفعل بل قال إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين دلهم ذلك على رسالته وأنه إذا كان رسولا لم يكن له أن يزيد في الرسالة ولا أن يتكلف من عنده فيها زيادة كما ذكر في قوله تعالى عبس وتولى أن فيه ما يقدر رسالته عندهم من الوجه الذي يذكر في تلك السورة إن شاء الله تعالى **وقوله** وإنما أنا نذير مبين أي لا أزيد في الإنذار على القدر الذي أمرت به **وقوله** عز وجل فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا جائز أن يكون قوله تعالى رأوه زلفة أي رأوا الذي وعدوا **وقوله** زلفة أي قريبة ثم إن الزلفة لما أريد بها الأحوال التي تكون في ذلك اليوم من الأهوال والشدائد ويكون قوله رأوه كناية عن ذلك اليوم فذكر لأن اليوم مذكر وجعل الزلفة بلفظ التأنيث لأنها كناية عن الأهوال التي يكون في ذلك اليوم وجائز أن يكون قوله زلفة أي رأوا تلك الأهوال والشدائد قريبة عن الأوقات التي وعدوا فيها فعلموا أنها كانت قريبة منهم وإن كانوا يستبعدونها في هذا اليوم وهو كقوله كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وقال ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وكذلك إذا رأوا شدائد ذلك اليوم وأهواله علموا أن الوقت الذي كان يوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قريبا منهم **وقوله** سيئت وجوه الذين كفروا فسيئت من ساءت أي ساءت وجوههم أو قبحت وجوههم بتغيير ألوانها **وقوله** عز وجل وقيل هذا الذي كنتم به تدعون قال أبو بكر الأصم معناه يدعون ويدعون كقوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم وقوله يوم يدعون إلى نار جهنم دعا أي دفعا وليس الأمر كما ذكره لأنه لو كان من الدفع والمنع لكان حقه أن يشدد العين لا الدال كما شددت في قوله يدع اليتيم فإذا شددت الدال دون العين ثبت أن اشتقاقه ليس من الدع ولكنه

الابتداء دليل الإعادة

وجه خلق الخلق في الأرض

دليل البعث

وجه الإنشاء للخلق ووجه تسميته

نقض الأصلح

من الادعاء اذا الدال هي المشددة فتأويله والله اعلم هذا الذي كنتم به تدعون اي هذا
الوقت الذي كنتم تكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعون عليه انه كاذب في الاخبار
وجايز ان يكون قوله تدعون اي تدعون وقد يستعمل الادعا مكان الدعوة كما يقال ذكروا ذكر وخبر
واختبر وقوله عز وجل قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب
اليم ففي هذه الاية دلالة ان في حكمة الله مشية المغفرة والعقاب لمن ارتكب غير الكفر من الزلات
وايجاب العقاب على من اعتقد الكفر والتزمه وان ليس في الحكمة عفو مثله من العقوبة لانه قال
ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فاثبت فيه خيار الاهلاك ومشية الرحمة والمغفرة ومعلوم
بانه يهلك ومن معه او يرحم عند ما يبتلى بالزلات وكذلك قال ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فجعل لنفسه مشية المغفرة لمن يوتي الكفر وحكم بايجاب العقاب
على من اشرك به والذي يدل على ان الحكمة يوجب ما ذكرنا ان الكفر لنفسه قبيح لا يحتمل الاطلاق
ولا رفع الحرمة لما فيه من السفه لان من رضي بشتم نفسه فهو سفيه فعلى ذلك عقوبته لا يحتمل في الحكمة
رفعها والعفو عنها ولما كان الكفر لا يحتمل الاباحة ورفع العقوبة والافضال بالمغفرة يخرج مخرج
الاباحة كذلك لم يجز القول فيه بالمغفرة والعفو وساير المآثم جايز رفع الحرمة عنها ولان الكافر
اختار عداوة الله تعالى وكفران نعمه والذي اعتقد الاسلام اختار ولايته والحكمة توجب التفرقة
بين العدو والولي وفي العفو عنه واكرامه بالاحسان تسوية بين الولي والعدو وفي ذلك تضييع
الحكمة ولان الكافر في نفسه انه يظن على الحق والصواب وغيره على الباطل والضلال وانه غير مستوجب
للعذاب يدل على ذلك حكاية عن اهل الكفر وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
فالله تعالى اذا انعم عليه بالعفو وتطول عليه بالاحسان لم يقع ذلك عنده موقع الحبا والغفران
بل يقع عنده انه انما احسن اليه لاستحقاقه الاحسان وعفى عنه لما يسبق منه ما يستوجب به
العقاب واذا كان كذلك ادى ذلك الى تضييع الاحسان وتضييع العفو وابطال النعمة فثبت ان الحكمة
لا يوجب العفو عن الكافر اذ يحصل العفو في غير موضعه واما اهل الاسلام الذين سبقت منهم
الاجرام فقد علموا ان الذي سبق منهم زلات ومآثم وان العذاب قد لزمهم وانهم مستوجبون
للعقاب فاذا عفى عنهم علموا انهم انما نالوا العفو بفضل الله تعالى فيقع الاحسان موقعه ولان من احسن
الى عدوه في الشاهد ولم يقصد باحسانه اليه قصدا استدراجه والمكر به فهو انما يحسن اليه لملحاجته
ويخرج فعله ذلك مخرج التذلل له فلو لم يواخذ الله الكافر بما تعاطاه من الكفر بل احسن اليه
من غير تبعة عليه خرج عفوه واحسانه اليه مخرج الخوف واظهار التذلل والله تعالى يجل
عن هذين الوصفين فثبت ان الحكمة يوجب القول بالتخليد ويمنع القول بالعفو والله اعلم
وفي قوله قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا دلالة ان الله تعالى ان يعذب على الصغاير لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من سبقه من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد عصموا عن ارتكاب
الكباير فلا يجوز ان يرتكبوا الكباير فيهلكوا لاجلها فثبت انهم لو اهلكوا لاهلكوا بالصغاير فلو لم يكن لله
ان يعذب باهل الصغاير لصار هو باهلاكه اياه بمن معه جايرا ظالما وجل الله تعالى عن الوصف
بالجور وقال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ولو لم يكن لله تعالى ان يعذب على الصغاير
احدا لم يكن له على رسوله عليه السلام موضع الامتنان بما غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ثم الحق
ان يقال ان جميع الجوارح والمعتزلة لا يجوزان يغفر الله تعالى لهم بارتكابهم الكباير ذكرنا لغيرهم
من منتحلي الاسلام لانهم يقولون لا يجوز ان يغفر الله تعالى لاهل الكباير ولا ان يتطول عليهم بالعفو

في حكمة الله تعالى مشية المغفرة والعقاب لغير الكافر

في حكمة ايجاب العقاب على الكافر لا عفو

حكمة عدم العفو عن الكفر وايجاب العقاب عليه

جواز التعذيب على الصغاير

مذهب لا يجوزان يغفر المعتزلة والجوارح في الكباير

بل حق امثالهم ان يخلدوا في النار ابدا لابدين واذا كان هذا هو الحكم فيهم والله تعالى ان عفا عنهم
ومن عليهم بالعفو وقع عندهم انه انما عفى عنهم لان الذين ارتكبوا من المآثم لم يكن كبايرا ولكانت
صغاير وانه لا يجب المغفرة عن الكباير فيحصل العفو في غير موضعه والاحسان في غير موقعه ولا يلزمهم
من منتحلي الاسلام لانهم يرجون عفوه وسعة رحمته في كل ايامهم فاذا تفضل عليهم بالمغفرة وقع
العفو عندهم موقعه فلا يكون فيه تضييع الاحسان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم قوله
قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي اي قل ان اهلكني الله ومن معي بما سبق من الاجرام والزلات
او رحمنا بما سبق منا من الايمان به والانقياد لامره والخضوع لطاعته فمن يجير الكافرين اي من
يجير الكافرين من عذابه ولم يسبق منهم اليه حسنة يرجون لاجلها ولا طاعة يستوجبون
الغفران بها فمن يجيرهم من عذاب الله تعالى ان حل بهم فكانه قيل لهم هذا لانهم كانوا يعبدون
الاصنام رجاء ان ينصرهم من العذاب الاليم فيقول لا يجيرهم تلك الاصنام من العذاب الاليم
والله اعلم وقوله عز وجل قل هو الرحمن آمنا به فجايز ان يكون ان الذي خلق الموت والحيوة
وخلق سبع سموات طباقا وجعل الارض ذلولا ويعلم السر والجهر هو الرحمن فيكون فيه سؤاله
اي خالق السموات والارض وخالق الموت والحيوة وخالق افعال العباد وافعاله الطاهرة هو الرحمن
جل جلاله وقوله عز وجل آمنا به اي آمنا بانه خالق ما ذكرنا وانه المتعالي عن الاشباه والاشكال
والبري من كل عيب وجايز ان يكون هو اسم من اسماء الله تعالى على ما يذكر في سورة الاخلاص
فيكون هو والرحمن اسمين من اسمائه وقوله عز وجل وعليه توكلنا فجايز ان يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم خوفه المشركون بانواع من المخاوف فقيل له قل عليه توكلنا اي اعتمدنا
هو الذي يدفع عنا شركم وينصرنا عليكم وقوله فستعلمون من هو في ضلال مبين فجايز
ان يكونوا نسبوه ايضا الى الضلال وادعوا انهم على الهدى ولم ينظروا في آيات الله تعالى
ليتيقنوا بها من المهتدي منهم ومن الضال فقال فستعلمون من هو في ضلال مبين اذا جاءكم
باس الله تعالى وذلك عند الموت او في الآخرة وقوله عز وجل قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا
فهذا صلة قوله امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه فيقول ايضا من الذي ياتيكم بماء
معين اذا اصبح ماؤكم غورا والمعين هو الماء الذي يقع عليه العين ويناله البصر والله اعلم

سورة ن مكية وآيها اثنان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ن اختلف في تاويل نون فمنهم من يقول هو الحوت كقوله وذا النون
اذ ذهب مغاضبا فنسبه الى النون وهو الحوت الا ترى الى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم ومنهم
من يقول النون هو الدواة فتاويله هذا على جهة الموافقة لانه ذكر القلم وما يسطر به فلم يبق
هاهنا سوى الدواة فحمله على الدواة على الموافقة لا ان يكون فيه معنى يدل على ارادة الدواة
منه والله اعلم ومنهم من يقول هي فارسية معربة انون كن اي اصنع ما شئت يقال هذا
عند الاياس ان المرء اذا ايس عن اخر قال له اصنع ما شئت اذا ومنهم من يقول هو من الحروف
المقطعة ويشبه ان يكون هو المراد لانه ذكر القلم وما يسطرون وانما يكتب بالقلم ويسطر
الحروف المعجمة فاخبر تعالى عظيم صنعه ولطفه بانشائه هذه الحروف وخلقه القلم وما يسطر
عليه حيث يوصل بها الى تعرف الحكمة وكل ما يكون به المصلحة من الدين والدنيا بل جعل قوام الدين

والاتيان بها ومنهم من يجعل كل حرف من الحروف المعجمة اسماً من اسماء الله تعالى او افتتاح اسم من اسمائه وكذلك يروى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال ذلك فان كان النون اسما من اسماء الله تعالى والقسم به قسم بالله تعالى وان كان على غيره من الوجوه التى ذكرناها والقسم جارى بما به قوام ساير الخلق ومصالحهم وقد ذكرنا ان القسم لتاكيد ما يقصد من الامر والله اعلم وقوله عز وجل ما انت بنعمة ربك بمجنون ثم موضع القسم هذا اقسم بما ذكر ما انت بنعمة ربك بمجنون يحتمل وجهاً احدها اى نعمة ربك حفيظك عن الجنون فنفى عنه الجنون بقوله ما انت بما انعم الله عليك بمجنون وهذا كما يقال ما انت بحمد الله بمجنون يراد به نفى الجنون والثانى انك لست ممن خدعته النعمة واغتر بها حتى شغلته عن العمل بما لله وعليه والمجنون فى اللغة هو الذى غرته النعم والهته عن التزود للمعاد او ما انت بغافل عن نعمة ربك بل تذكرها وتشكر الله تعالى عليها والمجنون من غفل عن النعمة واعرض عن شكرها ثم الكفرة كانوا ينسبونه الى الجنون اما لما كان يغشى لثقل الوحى فكانوا ينسبونه لهذا واما لما رأوا انه خاطر بنفسه وروحه حيث خالف اهل الارض وفيها الجبابرة والفراعنة وانتصب لمعاداتهم ومن قام بخلاف من لا طاقة له معه وانتصب لمعاداته فذلك منه فى الشاهد جنون فاجاب الله تعالى الفريقين جميعاً اما الاول بقوله قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة اى كيف ينسبونه الى الجنون وعند الافاقة من تلك الغشية يأتيهم بحكمة وموعظة يعجز حكماء الجن والانس عن اتيان مثله وليس ذلك من علم المجانين ولا مما يمكن تحصيله فى حال الجنون لان المجنون اذا افاق من غشيته تكلم بكلام لا يعبأ بمثله ولا يكترث واجاب لمن كان نسبه الى الجنون لما خاطر بروحه ونفسه بقوله ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد فاخبر ان الذى حمله على المخاطرة بروحه وجسده هو انه مأمور بالتبليغ والنذارة فهو يقوم بما امر وان ادى ذلك الى تلاف النفس ثم بحمد الله تعالى لم يهيئا للفراعنة ان يقتلوه ولا تمكنوا من المكر به بل اظفره الله تعالى عليهم حتى قتلهم ورد كيدهم فى نحورهم فصار الوجه الذى استدلوا به على جنونه آية رسالته ودلالة نبوته والله الهادى وقوله عز وجل وان لك لاجراً غير ممنون قال الحسن اى لا يمن عليك المنة التى تؤذيك ولكن يمن عليك منة رحمة وكرامة والمن المؤذى كما ذكر عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ولكن يمن عليك فليس لاحد عليك منة تؤذيك وقال بعضهم غير ممنون اى غير مقطوع اى ان اجرك غير مقدر بالاعمال حتى يجرى بقدر الاعمال فاذا انقطعت الاعمال انقطع الاجر وانقرض بل يتتابع عليك ويدر يقال فى الكلام مننت الحبل اى قطعته وقال بعضهم غير ممنون اى غير محسوب اى لا يحسب عليك النعم فيفنى نفيا للحساب وقوله عز وجل وانك لعلى خلق عظيم خلقه العظيم القرآن ومعناه ما ادبه القرآن وذلك كقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وكقوله ادفع بالتى هى احسن وكقوله واخفض جناحك للمؤمنين فاخذه بالعفو وامره بالعرف واعراضه عن الجاهلين ودفعه السيئة بالتى هى احسن وخفضه الجناح للمؤمنين من اعظم الخلق وتخلقه بهذا كله بما ادبه القرآن والله اعلم وقال بعضهم الخلق العظيم هو الاسلام والاسلام هو الاستسلام والانقياد لامر الله تعالى وقد استسلم لذلك وسلم الناس من لسانه ويده ومن كل انواع الاذى وذلك من اعظم الخلق ولاجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلف معاملة اعداء الله تعالى ومعاملة اعدائه ومعاملة اولياء الله والانصار وكلف ان يرفض الدنيا ويتزهد فيها وكلف معاملة الصغير والكبير والعالم والجاهل والجن والانس وكلف معاملة نسائه ومن كلف المعاملة مع هؤلاء لم يقم لها

المجنون فى اللغة من غطى النعم المعاد

فى تحقيق نفى الجنون عنه عليه السلام

اثبات رسالته

الا بخلق عظيم

الا بخلق عظيم رزقه الله تعالى خلقا عظيما حتى احتمل المعاملة وقام معهم بحسن العشرة وحتى عوتب على عظيم خلقه بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وبقوله يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك وقال فلعلك باخع نفسك على آثارهم وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فالذى حمله على هذه المشقة والكلفة العظيمة حسن خلقه وفضل شفقته ورحمته فعظم خلقه ان خلقه جاوز قوى نفسه حتى ضعفت نفسه عن احتماله وكادت تهلك فيه وغيره من الخلائق يقصر اخلاقهم عن قوى انفسهم وانفسهم يحتمل اضعاف ما هم عليه من الخلق ويضيق اخلاقهم عن ذلك فهذا الذى ذكرنا هو النهاية فى العظم وبالله التوفيق وقوله عز وجل فستبصر ويبصرون بايكم المفتون قال جعفر بن حرب المفتون فى هذا الموضع هو المفتون بضلالة المعجب بخطاياه المسعوف بجهله وقال الحسن المفتون هو الذى مسه الشيطان وقيل المفتون من به الفتنة كما يقال فلان لا معقول له اى ليس له عقل وقيل المفتون المعذب كقوله عز وجل يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون فكانه يقول ستعلم ايكم المعذب وايكم الضال ان حمل على ما ذكر الحسن وايكم المفتون كان معناه على ما ذكر وان المفتون من الفتنة وجائز ان يكون نسبوه الى الاغترار فيما كان يدعى من الرسالة ويزعمون انه مغتر بها ويعذبها غيره كما قال المنافقون ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً وحق هذا عندنا ان لا يتكلف تفسيره لانه قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فذكر هذا جوابا عما وقعت فيه الخصومة فكانوا يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر انهم هم المفتون لولم تخرج هذا جوابا عن تلك الخصومة انهم وانت ستبصرون وقد وقعت الخصومات من اوجه فمرة كانوا يدعون انه ساحر ومرة كانوا يدعون انه مجنون ومرة بانه ضال ومرة انه مفتن وغيرها من الوجوه فاذا ثبت ان الآية نزلت فى حق الجواب فلم يعلم بان الخصومة فيم كانت لم يعلم الى ما ذا يصرف الجواب والله اعلم ويشبه ان يكون الخصومة الواقعة فى الضلال والهدى فكانوا يدعون انهم على الهدى وانهم بالله احق واليه اقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى انهم على الضلال وانه على دين الحق والهدى يدل على ذلك ذكر الضلال والهدى بعد ذكر المفتون وهو قوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ثم هذه الآيات كانها نزلت جوابا من الله تعالى عما كان يحق لمثله الجواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى لما امتحن رسوله صلى الله عليه وسلم بالعفو والاعراض عن المكافاة بالجواب تولى الله تعالى الجواب عنه بقوله تعالى ان ربك هو اعلم اى قد تعلمون ان ربكم اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وسيتبين لكم ذلك وقوله عز وجل فلا تطع المكذبين وقال فى موضع آخر ولا تطع منهم آثما او كفوراً ليس فى قوله فلا تطع المكذبين امر من الله تعالى له بان يطيع المصدقين من صدقه وآمن به لا يجوز ان يتقدم بين يديه فيأمره او ينهاه عن امر ويدعوه الى الطاعة بل ينتظر الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه فيأتمر بامره ويطيعه فيما يدعوه اليه واما من كذبه فقد يدعوه الى الطاعة فخص ذكر المكذب عند ما نهاه عن طاعته لان الدعاء الى الطاعة يوجد لا من المصدق دون ان يتضمن قوله فلا تطع المكذبين امراً بطاعة المصدق وهو كقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق فليس فيه انه اذا لم يخش الاملاق يسعه قتله ولكنه خص تلك الحالة لان تلك الحالة هى التى كانت تحملهم على القتل ولم يكونوا يقدمون على القتل عند الامن من الاملاق وفى هذا دلالة ابطال قول من قال بان تخصيص الشئ بالذكر يدل على ان الحكم فيما عداه بخلافه والله اعلم وقوله المكذبين هم المكذبون

كلمات نسب الكفار ساحر مجنون ضال مفتن وغيرها

تولى الله الجواب للكفار عن رسول الله عليه السلام

بآيات الله تعالى وبوحدانيته او برسله او بالبعث ثم يجوز ان يكون هذا الامر منهم في اول الاحوال فكانوا يطمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجابة لهم فيما يدعونه اليه اذ كانوا يرجون منه الموافقة لهم بما يبذلون له من المال فيكون النهي راجعا الى ذلك الوقت فاما بعد ما ظهرت منه الصلابة في الدين والتشمير لامر الله تعالى فلا يحتمل ان يطيعهم او يخاف منه ذلك فينهى عنه وجايز ان يكون دعاؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر من قوله ودوا لو تدهن فيدهنون والمداهنة هي الملاطفة والملاينة في القول ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يذكر آلهتهم بسوء ويسفههم بعبادتهم اياها ويسفه احلامهم وبجهلهم وهم لم يكونوا يجدون في رسول الله صلى الله عليه وسلم مطعنا فكانوا ينسبونه الى الكذب مرة والى الجنون ثانيا والى السحر ثالثا وكانوا يتخذونه هزوا

اذا راوه فكانوا يطعنون فيه من هذه الاوجه بازاء ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسفههم ويذكر آلهتهم بسوء مع علمهم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاذب ولا كاهن الا ترى الى قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك فاخبر تعالى انهم ليسوا يكذبونه لما وقفوا منه على الكذب بل قد كانوا عرفوه بالامانة والصدق ولم يكونوا وقفوا منه على كذب قط وانما الذي حملهم على التكذيب واتخاذهم اياه هزوا ذكره آلهتهم بسوء وكذلك قال واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتهم فكانت معاملتهم هذه مجازاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** ودوا لو تدهن فيدهنون يخرج على هذا ان شاء الله تعالى هو انك لو تركت ذكر آلهتهم بسوء ولم يسفه احلامهم لامتنعوا ايضا عما هم عليه من نسبتهم اياك الى الجنون والسحر والكذب وغير ذلك ولكنه كان يذكرهم وهو في ذلك محق وهم كانوا يذكرونه بما قالوا بالباطل والزور فيكون قوله لا تطع المكذبين فيما يدعونك الى المداهنة ثم هم لو داهنوا كانوا في مداهنتهم محقين فاذا تركوا ذلك فقد تركوا الحق الذي كان عليهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم لو داهنهم لم يكن في مداهنتهم محقا فلذلك نهى عن المداهنة وقال بعض المفسرين ودوا لو تدهن فيدهنون اي لو ترفض ما انت عليه من الدين وهذا لا يستقيم لانه اذا رفض ما هو عليه من الدين كفر وهم لو تركوا ما هم عليه صاروا مسلمين فيبقى بينهم الاختلاف الذي لاجله ما دعوا الى المداهنة وودوها **وقوله** عز وجل ولا تطع كل حلاف مهين قيل بان هذه الآيات نزلت في واحد يشار اليه وهو الوليد بن المغيرة المخزومي وفيما يشار الى واحد لا يطلق فيه لفظة كل فيقال ولا تطع كل حلاف مهين والحلاف المهين ليس الا الواحد ولكن معناه لا تطع هذا وكل من يوجد فيه هذه الصفة ثم ذكر المرء بقوله حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم يخرج مخرج الهجاء والشتم في الشاهد لان ذكر المرء بما هو عليه من ارتكاب الفواحش والمساوي تهجين له وشتم وجل الله ورسوله ان يقصدوا الى شتم انسان فالآية ليست في تثبيت فواحشه وانما هي في موضع التوبيخ والزجر له عن اتباع مثله وذلك انه كان من رؤساء الكفرة وممن بسطت عليه الدنيا فكان القوم يتبعونه وينقادون فيما يدعوهم الى الصد عن سبيل الله فذكر الله تعالى فيه هذه الاشياء واظهرها للخلق ليزهدهم عن اتباعه اذ كل من كانت فيه هذه الاحوال لم تسخ نفس عاقل لاتباعه ولا احتمل طبعه طاعة مثله فلا يتمكن من صد الناس عن سبيل الله تعالى فكان في ذكره بالعيوب التي ذكرها زجر الناس عن طاعته فذكرها لاثبات هذا الوجه لا ان يكون فايدتها على تحصيل الشتم والهجاء وكذلك ذكر ابا لهب بالتبت والخسار وما هو عليه من الفواحش ليزجر الناس عن اتباعه وفي هذه دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الوجه الذي يذكر في سورة تبت ان شاء الله تعالى ثم قيل المهين من المهانة ومن المهنة ومن الوهن وهو الضعف ثم قوله هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم جايز ان يكون استوجب المهانة لكونه همازا مشاء بالنميم ويمنعه للخير واعتدائه فيكون

وحيث طعنوا في الكفار رسول الله صلى الله ... ذكر آلهتهم بسوء

هذا كله تفسير المهين فان كان هكذا فقوله المهين من المهانة ها هنا ثم لا يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى عليه طاعة من هذا وصفه وان يميل قلبه اليه ولكن النهي لمكان غيره وان كان هو المشار اليه بالذكر وجايز ان يكون قوله كل حلاف مهين تمام الكلام ويكون هماز بنميم على الابتداء فكانه يقول لا تطع كل حلاف مهين وكل هماز مشاء بنميم وكل معتد اثيم وكل عتل زنيم وتفسير الهمز يذكر في تفسير سورة الهمزة ان شاء الله تعالى والمشاء بالنميم هو الذي يسعى في الفرقة بين الاخوان ويقوم فيما بينهم بالقطيعة والمناع للخير قال بعضهم انه كان يمنع اهل الآفاق من كان بحضرته عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انه ضال مضل فقيل مناع للخير لهذا ومنهم من ذكر انه كان يمنع ولده من الاختلاف الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجايز ان يكون منعه للخير هو امتناعه عن اداء حقوق الله تعالى الواجبة **وقوله** معتد حدود الله تعالى او ظالم لنفسه **وقوله** اثيم الاثيم هو المرتكب لما ياثم به **وقوله** عتل بعد ذلك زنيم العتل الفظ الغليظ والشديد الظلوم وقيل هو الفاحش اللئيم الضريبة وقال مجاهد العتل الشديد الاشر الى الخلق قد روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم فقال رجل من المسلمين يا رسول الله وما الجواظ والجعظري والعتل الزنيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الجواظ والذي جمع ومنع تدعوه لظى نزاعة للشوى واما الجعظري والفظ الغليظ قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك واما العتل الزنيم هو الشديد الخلق الرحب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس واما الزنيم هو الدعي الملصق بالقوم الملحق في النسب واستدلوا على ذلك بقول الشاعر ، زنيم ليس يعرف من ابوه ، بغي الام ذو حسب لئيم ، ويقول آخر ، زنيم تداعاه الرجال زيادة ، كما زيد في عرض الاديم الاكارع ، ومنهم من قال انه كانت به زنمة في اصل اذنه يعرف بها ومنهم من يقول الزنيم هو المعلم في الشر ولقايل ان يقول اذا كان تاويل العتل ما ذكر في الخبر ومعنى الزنيم الدعي او ما ذكر من العلامة فكيف عير بهذه الاشياء ولم يكن له في ذلك صنع والمرء انما يعير بما له فيه صنع لا بما لا صنع له فيه فيجاب عن هذا من وجهين احدهما ما ذكرنا ان ذكره بما فيه من العيوب ليس لمكان المذكور نفسه ولكن ان زجر الناس عن اتباعه لانه من اشتمل على العيوب التي ذكرها وكان مع ذلك عتلا زنيما فانفس الخلق تابى عن اتباعه ففايدة تعييره بما انشى عليها ما ذكرنا من الحكمة لا تعييره والثاني ان ذكر اصله كناية عن سوء فعله ليعلم ان خبث الاصل يدعو صاحبه الى محاسن الاخلاق والى الافعال المرضية **وقوله** عز وجل ان كان ذا مال وبنين يخبر ان من يتبعه لكثرة امواله وبنيه وذلك ان كثرة المال للانسان من احد ما يستدعي قلوب الخلق الى تعظيمه فذكر ما فيه من العيوب والمساوي لئلا يشتمل قلوب الضعفة الى نفسه بماله فيقول كيف يتبعونه وهو بهذا الوصف الذي وصفه الله تعالى ثم اخبر عن معاملته رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ليس في كل الآيات وانما هو في الآيات وان كان عاما بظاهره لكنه يريد به العموم لان ان هذا الا اساطير الاولين ليس في كل الآيات وانما هو في الآيات التي هي في حق الاخبار عن الامم السالفة واما اذا تليت عليه الآيات التي فيها دلالة اثبات الرسالة ودلالة التوحيد ودلالة التوحيد البعث فقوله فيها ما قال في سورة المدثر ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر وهذا دليل على ان لا يجب اعتقاد ظاهر العموم ما لم يعلم بيقين والله اعلم **وقوله** عز وجل سنسمه على الخرطوم قيل شيئا لا يفارقه فجايز ان يكون جعل هذا في الدنيا لكي يعلمه ويذكره من رآه

المرء لا يفتخر بما ليس فيه صنع

يدعوا الانسان الى التعاطي الافعال الذميمة ومعنى الاصل وحسبه وتفاوته ...

فيجتنب محبته فهو شينا من هذا الوجه فيخرج هذا مخرج العقوبة لشدة تعنته على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعظيم اذاه له وجايز ان يكون هذا فى الاخرة فيجعل الله تعالى علماً فى انفه علماً
يتبين به ويمتاز من غيره يوم القيامة زيادة له فى العقوبة كما جعل لاكلى الربوا لا يقومون الا كما يقوم
الذى يتخبطه الشيطان من المس وجايز ان يكون نسم خرطومه خصوصا من بين الكفرة فيحشر
ولا انف له لانه ذكر ان ساير الكفرة يحشرون يوم القيامة بكما وعميا وصما ولم يذكر فيه انه فهم
شينا فجايز ان يكون يحشر ولا انف له وذلك هو النهاية فى القبح والله اعلم وقوله عز وجل انا بلوناهم
كما بلونا اصحاب الجنة فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون اهل مكة ابتلوا بالاحسان الى اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما ابتلى اصحاب الجنة بالاحسان الى المساكين فحل بهم من البلاء ما ذكر لامتناعهم
عن الايثار فذكر اهل مكة ان امتنعوا عن الاحسان الى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم حل بهم ما حل
باولئك وقد وجد منهم الامتناع فابتلوا بسنين كسنى يوسف حتى اضطروا الى اكل الجيف والاقذار
ثم ان اصحاب الجنة لما مسهم العذاب وايقنوا به انابوا الى الله وانقلعوا عن مساويهم فتاب الله عليهم
ورفع البلاء عنهم واهل مكة تمادوا فى غيهم ولم يتوبوا فانتقم الله منهم بالقتل يوم بدر فى الدنيا
وسيردهم الى العذاب فى الاخرة وجايز ان يكون الله تعالى لما اعزهم وشرفهم وصرف وجوه
الخلق اليهم امتحنهم بتبجيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فلما اساوا صحبته عاقبهم بما ذكرنا
ووسع على اصحاب الجنة فامتحنهم بما وسع عليهم بان يوسعوا على غيرهم فلما امتنعوا عن ذلك
عوقبوا بزوال النعمة عنهم وعوقب هؤلاء بزوال العز عنهم واذاقهم الله تعالى لباس الجوع والخوف
والله اعلم وقوله عز وجل اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين فقوله مصبحين اى لاول وقت ينسب
الى الصباح وذلك يكون فى اخر الليل كما يقال ممسين لاول وقت ينسب الى المسا واذا كان كذلك
فالانصرام يقع بالليل الا ترى انه قوله الا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وهم لا يملكون بعد مضى الليل
منع المساكين عن الدخول وقوله عز وجل ولا يستثنون قيل اى لا يقولون ان شا الله وقيل لا يقولون
سبحان الله فان كان على هذا ففيه ان التسبيح كان مستعملا فى موضع الاشياء وقد يجوز ان يؤدى
معنى الاستثناء لان فى التسبيح تنزيه الرب تعالى وفى الاستثناء معنى التنزيه لان فيه اقرارا ان الله تعالى
هو المغير للاشياء والمعدل لها ثم اصحاب الجنة يعتبهم فقصدوا وقصدوا بلحقهم العصيان فيه وكان قصدهم
الذى عاهدوا عليه معصية وعوتبوا بتركهم الاستثناء ففيه دلالة ان الله تعالى يوصف بالمشية لفعل
المعاصى ممن يعلم انه يختارها لانه لو لم يوصف به لم يكن لمعاتبته اياهم بتركهم الاستثناء معنى اذ لا يجوز
استعمال الاستثناء فيما لا يجوز ان يوصف به الرب جل وعز الا ترى لا يستقيم ان يقال ان شا الله
جاز وان لم يشا لم يجز وان شاء ضل وان شاء لم يضل وان شاء اكل وان شاء لم ياكل فلو لم يوصف ايضا
باضلال من يعلم منه انه يؤثر الضلال لم يجز ان يلاموا على ترك الاستثناء ولا مدخل للاستثناء فيه والذى
فيه يدل على صحة ما ذكرنا قوله من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم فتبين انه يشاء اضلال
من ذكرنا ومنه ان خلق الشى غير ذلك الشى لانه يستقيم ان يوصف الله تعالى بالاضلال ولا يجوز ان يوصف
بالضلال وان كان الاضلال خلقا له ويوصف انه المحيى والمميت فلا يستقيم ان يقال ان شاء حى
وان شاء مات وان كان هو الذى خلقهما ثم ليس فى قوله اذ اقسموا ابانة ان قسمهم كان بما ذا فان كان
بغير الله تعالى ففيه ابانة ان القسم قد يكون بغير الله تعالى وان كان قسمهم بالله تعالى ففيه حجة لابى يوسف
على ابى حنيفة رحمهما الله ان اليمين اذا كانت موقتة فان هلاك الشى المحلوف بها قبل مضى وقتها لا يسقط
اليمين بل يبقى بحالها ويلزم على صاحبها حكم الحنث اذا مضى وقتها لان الثمر الذى حلفوا على صرمه قد هلك

قبل الوقت

قبل الوقت الذى اوجب فيه الصرم فلو كانت اليمين يسقط عنهم بهلاك الثمر لم يكونوا يحتاجون
الى الاستثناء لان الحاجة الى الاستثناء لاسقاط المؤنة التى يلزمهم بالحنث فى اليمين فلو كان هلاك
الثمر مسقطا لليمين ومؤنة الحنث لاستغنوا عن الاستثناء فلما لحقتهم اللايمة بتركهم الاستثناء
دل ان المؤنة تبقى عليهم اذا عريت عن الاستثناء وان كان موقتة ولكن ابو حنيفة رحمه الله يسقط عنه
اليمين بهلاك الشى المحلوف عليه اذا كانت يمينه بالله تعالى ولا يسقطها اذا كانت بشى من القرب
والطاعات تاعنى الندب وليس فى الاية ابانة ان يمينهم كانت بالله تعالى فجايز ان يكون يمينهم
بشى من القرب فبقيت عليهم ولانه عاتبهم على ترك الاستثناء لعزمهم على المعصية والاستثناء تسقط
العزيمة لان من عزم على المعصية وقال فيه ان شا الله لم يصر اثما بمقالته ولا صار عازما على المعصية
وابو حنيفة ليس يخرجه عن المعصية فى اليمين الموقتة اذا عقدت على امر من امور المعصية والذى يدل
على ان العتاب فى ترك الاستثناء للوجه الذى ذكرنا انه لم يذكر فيه شى من الاخبار ولا ذكر فى الكتاب
ان احدا منهم امر بالتكفير ولو كان الحنث لازما فكانوا على ترك التكفير ايضا كما لحقتهم اللايمة بترك
الاستثناء والله اعلم وقوله عز وجل فطاف عليها طايف من ربك وهم نايمون طايفة تلك
قيل عذاب ربك وسمى طايفا لانه اتاهم بالليل وكل ات بالليل فهو طايف وقوله فاصبحت كالصريم
قيل اى الحبة كانها صرمت وهم اصبحوا ليصرموها وقوله فانطلقوا وهم يتخافتون قيل يتسارون
فيما بينهم فيجوز ان يكون مسارتهم كانت فى الامر بالاسراع فى المشى لان لا يشعر بهم المساكين
او يتحاورون فى الخروج والمشى قبل الوقت الذى يصبح فيه المساكين وقوله وغدوا على حرد قادرين
فمنهم من ذكر ان اسم جنتهم كان حردا وقيل غدوا على امر قد اسسوه فيما بينهم وقال الزجاج الحرد له
اوجه ثلاثة احدها القصد واستدل عليه بقول الشاعر ، اقبل سيل كان من امر الله ،
يحرد حرد الجنة المغلة ، اى يقصد قصدها والثانى هو المنع يقال احردت السنة اذا قحطت
وذهبت ركبتها والثالث الغضب فغدوا على حرد قادرين اى على غضب على الفقراء وقوله قادرين
اى قادرين عليها فى انفسهم ولقائل ان يقول بان فى هذه الاية دلالة تقدم القدرة على الفعل
لانه اثبت لهم القدرة قبل الفعل ولكن هذه القدرة ليست هى قدرة الافعال وانما هى قدرة
الاسباب والاحوال وقوله عز وجل فلما راوها قالوا انا لضالون اى قد ضللنا الطريق
فكان عندهم انهم قد ضلوا الطريق لذلك لم يتوصلوا الى ثمارها فظهر لهم انهم لم يضلوا الطريق
بل حرموا بركة الثمار بجناياتهم التى جنوها فتذكروا صنيعهم وندموا على ذلك فاقبلوا بالاستكانة
والتضرع الى الله تعالى فتاب عليهم فلعل الذى قال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة يخرج
على هذا وهو انا بلونا اصحاب الجنة فتذكروا فرفع عنهم العذاب ولم يتذكر اهل مكة فحل بهم العذاب
يوم بدر كما قال فما استكانوا لربهم وما يتضرعون وقوله قال اوسطهم اى اعدلهم وقوله
الم اقل لكم لولا تسبحون جايز ان يكون معناه لولا يصلون الفجر ثم يخرجون وجايز ان يكون
معناه لولا يستثنون وقد ذكرنا ان فى الاستثناء معنى التسبيح لان فيه اقرارا بان الامور
كلها ينفذ بمشية الله تعالى وانه هو المغير والمبدل دون احد سواه وقوله عز وجل قالوا سبحان
ربنا فهذا منهم توحيد وتبرئة وفى قوله انا كنا ظالمين اعتراف بما ارتكبوا من الذنوب والانابة
الى الله وتمام التوبة منهم فى قوله فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
وذكر المفسرون فى قوله فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى اقبل بعضهم على بعض باللوم تقول انت
اخبرتنا ان نصرمها ليلا وقال هذا هذا بل هو ملك انت وهذا ما لا معنى له لان هذا يوجب تبرئة

كل واحد منهم من ارتكاب الذنوب وقد سبق منهم الاقرار بالذنب بقوله قالوا سبحان ربنا
انا كنا ظالمين وبقولهم قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين فكيف يبرئون انفسهم عن الذنوب وقد عرفوا بها
فهذا تاويل لا معنى له بل معناه والله اعلم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون على ادخال كل منهم
نفسه في ذلك القوم او اقبل كل واحد منهم باللائمة على نفسه حتى يكون هذا موافقا ففيه انهم اظهروا
الندامة على ما يسبق منهم لقولهم انا كنا ظالمين وقوله يا ويلنا انا كنا طاغين ففي هذا تمام التوبة ففيه
انهم اظهروا الندامة على ما سبق منهم من وجه ثلاث مرة بما وصفوا انفسهم بالظلم ومرة بما لاموا
انفسهم ومرة بما وصفوا انفسهم بالطغيان وقوله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها اى يبدلنا
خيرا منها اذا تبنا وانبنا الى ربنا لانه لا يجوز ان يتوقعوا خيرا منها وهم مصرون على ذنوبهم
اذ قد عرفوا انهم انما حرموا بركة الثمار بما ارتكبوا من الذنوب فثبت ان معناه ما ذكرنا ويحتمل
ان يكون هذا في الآخرة يقولون عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها في الآخرة اذا تبنا وانبنا اليه
والله اعلم وقوله عز وجل انا الى ربنا راغبون اى الى ما عند ربنا من العطايا والمنن لراغبون
او الى ما وعد ربنا للتائبين من الذنوب لراغبون وقوله كذلك العذاب كانه يخاطب اهل مكة
ان كذلك العذاب في الدنيا ان ياخذ اهله امن ما كانوا او اغفل ما كانوا كما اخذ اصحاب الجنة
عند الامن اذ كان عندهم انهم يقدرون على صرم تلك الثمار ولا يفوتهم وقوله ولعذاب الآخرة
اكبر لو كانوا يعلمون ففي هذا ايجاب العذاب على من لم يعلم بالعذاب ومن لم يؤمن به لانهم
لم يؤمنوا بعذاب الآخرة ولا علموا به ثم اوجب لهم العذاب وان لم يعلموا ولم يعذروا بالجهل
لانهم قد وقفوا على السبب الذي لو تفكروا لعلموا بالعذاب ولايقنوا به وفي هذا حجة ان لا عذر
لمن تخلف عن التوحيد والايمان بالله تعالى بان جهل الا ان يكون جهله جهل خلقة لان الذي به
الجهل هو التقصير في الطلب والا لو لم يقصر في الطلب لوجد من يدله على معرفة الصانع ووحدانية
الرب تعالى وقوله عز وجل ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم وفيه ترغيب لمن لزم التقوى وهو
الاسلام وقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين اى افنجعل من جعل كل شيء سوى الله تعالى لله سالما
لا يشرك فيها احدا كالذي اجرم فجعل في كل شيء سالم له شركا في العبادة والتسمية او بين الله تعالى
انه ولي المؤمنين وعدو المجرمين فيقول افمن عدلي ان اسوي بينهم وبين الاحباء والجمع
بينهم لا يفعل ذلك لان فيه تضييع الحكمة لان الحكمة توجب التفرقة بين العدو والولي وفي الجمع
بينهما تضييعهما وقوله ما لكم كيف تحكمون في ان اجعل عدوي بمنزلة وليي او وليي بمنزلة عدوي
او اي شيء حملكم على حكمكم هذا ولم ياتكم بهذا الحكم كتاب ولا معقول يوجب ذلك فكيف تطمعون
ذلك او كيف تحكمون بالجور على ربكم لان من الجور ان يجمع بين الولي والعدو في دار الكرامة ثم قوله
افنجعل المسلمين كالمجرمين يستقيم ان يجعل هذا حجاجا للفريقين لمن ينكر البعث ولمن يزعم انه شريك
اهل الاسلام في الآخرة فيما يكرمون من النعيم فمن انكر البعث فالاحتجاج عليه بهذه الآية هو ان العقل يوجب
التفرقة بين الولي وبين العدو والشكور فانتم اذا انكرتم البعث فقد زعمتم على الله تعالى انه يجعل
المسلمين كالمجرمين والكفور كالشكور والعدو كالولي ومن فعل هذا فهو سفيه لا يصلح ان يكون حكيما
ففي انكار البعث تحقيق السفه واثبات الجور لان من الجور ان يجمع بين الولي وبين العدو في الجزاء
ومن ادعى الوجه الآخر وهو التسوية بين الفريقين لما تساويا في منافع الدنيا ومضارها ولذاتها
وشدائدها وبلياتها فعلى ذلك يكون امرهم في الآخرة فجوابهم في ذلك ان الدنيا هي دار يظهر فيها العداوة
من الولي والشكور من الكفور والآخرة دار جزاء العداوة والولاية فجائز ان يقع فيما فيه ظهور الولاية

والعداوة الاتفاق ولا يجوز وقوع الاتفاق فيما فيه الجزاء لان الجزاء للعداوة سبقت وللولاية سبقت
والحكمة توجب التفرقة بين الجزائين فلا يجوز ان يجعل المسلم فيه كالمجرم لما فيه من تضييع الحكمة وليس
في المحنة معنى يوجب التفرقة بينهما في المحنة فجاز ان يقع بينهما الاتفاق في ذلك ولانه لو كان تفرقة بينهما
في الدنيا لكانت المحنة تخرج عن حدها والدنيا هي دار المحنة وانما قلنا ان فيه اخراج المحنة عن حدها لان المحنة
يكون على الرجاء والخوف والرغبة والرهبة فلو فرق بين العدو والولي في الدنيا فوسع على الاولياء وضيق
على الاعداء لوقع اختيار وجه الولاية على الضرورة لان من علم انه يضيق عليه اذا اختار وجه العداوة
ويعجل عليه العذاب ترك ذلك الوجه ومال الى الولاية فيرتفع وجه المحنة فلذلك جاز ان يجمع بين
الولي والعدو في دار المحنة ليبقى وجه الحكمة على حاله ولم يجز ان يجمع بينهما في الآخرة لانها دار جزاء
والعقل يوجب تفرقة جزائهما والله الموفق وقوله ما لكم كيف تحكمون في احكم الحكماء بالسفه حيث
تزعمون انه يجمع بين الولي والعدو في الجزاء وذلك من اعلام السفه او كيف تحكمون في احكم الحاكمين
واعدل العادلين بالجور اذ تزعمون انه يجمع بين الفريقين في دار الكرامة ومن الجور ان يجمع بينهما
وهم كانوا يقرون ان الله تعالى احكم الحاكمين وقوله ام لكم كتاب فيه تدرسون فحاجهم اولا بما يوجبه
الحكمة وهو انكم تعلمون ان الحكم توجب التفرقة بينهما فان كنتم تدعون الجمع فيما بينهما بالحكمة فانتم تعلمون
ان الحكم توجب التفرقة بينهما فان كنتم تدعون الجمع فيما بينهما بالحكمة فانتم تعلمون ان الحكمة توجب التفرقة
وان كنتم تدعون ذلك من كتاب فاي كتاب من عند الله جاءكم فيوجب التسوية بينكم وبين الاولياء
واي رسول اخبركم انكم تساوون الاولياء في نعيم الآخرة ثم وجه المحاجة بالكتاب هو ان مشركي العرب
لم يكونوا يؤمنون بالكتاب ولا بالرسل ولو كانوا يؤمنون بهما لكانوا يقدرون ان يقولوا ان لنا كتابا
درسناه فوجدنا فيه ما نذكر وندعي ورسول قد اخبرنا بذلك ولكنهم اذا كانوا لا يؤمنون بهما
صار هذا الوجه الذي ذكره الله تعالى حجة لازمة عليهم والله اعلم وقوله ان لكم فيه لما تخيرون
اى وفي ذلك الكتاب تجدون ان لكم فيه لما تخيرون وقوله ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة
ان لكم لما تحكمون وهذا ايضا صلة الاولى اى هل شهدتم الله تعالى اقسم لكم انه هكذا كما تحكمون
وهذا كقوله تعالى ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فاخذهم بالمقايسة اولا وهو قوله تعالى قل آلذكرين
حرم ام الانثيين فلما لم يمكنهم تثبيت ذلك بالقياس والمعقول احتج عليهم بقوله ام كنتم
شهداء اذ وصاكم الله بهذا وقد عرفوا انهم لم يشهدوا وما ادعوه لاثبات الامر بالوجه التي ذكرها
واذا لم يثبتوا بشيء من ذلك تبين عندهم فساد دعواهم فهذا ايضا مثله وهو انه سالهم عن ايراد
الحجة اما من جهة الحكمة او من جهة الكتاب او من جهة الشهادة فاذا لم يثبت لهم واحد من هذه
الاوجه فباي وجه يشهدون على الله تعالى انه يفعل وقوله بالغة اى وكيدة او بلغت اليكم
عن الله تعالى وقوله سلهم ايهم بذلك زعيم يقول فانهم تعنتوا مع هذا كله في ان يدعوا
على دعواهم من غير حجة تشهد لهم فسلهم اى اطلبهم بالزعيم اى من يكفل لهم ان الامر كما يزعمون
وقوله ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اى شركاء يشفعون لهم يوم القيامة
وقال بعضهم ام لهم شهداء ممن عندهم كتاب يشهدون لهم بما يذكرون وقوله عز وجل
يوم يكشف عن ساق اى يكشف عن موضع الوعيد بالشدائد والاهوال والساق الشدة وسمي الساق
ساقا لهذا لان الناس شدتهم في سوقهم اذ بها يحملون الاحمال فكني بالساق عن الشدة وقيل
ايضا بانهم كانوا اذا ابتلوا بشدة وبلاء كشفوا عن اسوقهم فكني بذكره عن الشدة لا ان يراد بذكر الساق
تحقيق الساق والله اعلم وقوله عز وجل ويدعون الى السجود فلا يستطيعون يحتمل ان يكون هذا

على دعاء الحال ويحتمل ان يكون على دعاء الامر فاما دعاء الحال فهو ان من عادات الخلق انه اذا اشتد بهم
الامر وضاق فزعوا الى السجود فجائز ان يكون ما حل بهم من الاحوال والشدائد يدعوهم الى السجود فيهمون
بذلك فلا يستطيعون فيكون قوله ويدعون الى السجود اى يدعوهم الحالة الى السجود فهذا دعاء الحال
وجائز ان يؤمروا بالسجود ويحضوا به ثم ان كان التاويل على الامر فيحتمل ان يكون ذلك يوم القيامة
وجائز ان يكون وقت الموت وان كان على دعاء الحال فذلك يكون عند الموت ثم الامر بالسجود يحتمل وجهين
احدهما ان يكون على حقيقة الفعل ويحتمل ان يكون على الاستسلام والخضوع لان السجود في الحقيقة
هو الخضوع والاستسلام وكل سجود ذكر في القرآن واريد به عين السجود فليس يجب بتلاوته السجود
وكل ما اريد منه الاستسلام والخضوع فهو الذي يجب بتلاوته السجود ثم اذ ذكر في اهل الكفر فانما يراد
منهم الاستسلام بالاعتقاد ليس بعين الفعل واهل الاسلام قد وجد منهم الاستسلام بالاعتقاد
فيلزمهم ان يستسلموا من جهة الفعل فجائز ان يكون هذا لما عاين بالشدائد والافزاع استسلم
لله تعالى وخضع له فلم يقبل ذلك منه لان تلك الدار دار جزاء وليست بدار محنة والثاني ان السجود
هو بذل النفس لما طلب منه طائعا واذا اشرف المرء على الموت طلب منه في ذلك الوقت بذل روحه
لما يعلم ان مصيره اذا قبض الى العذاب وكره اشد الكراهة كما قال عليه الصلوة والسلام من كره لقاء الله
كره الله لقاءه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك
فقال ذلك عند الموت فهو لما يرى من المكروه يحل به بعد الموت يكره قبض روحه فيكون قوله فلا تستطيعون
ان كان المراد من قوله ويدعون الى السجود عند الموت على ذلك والمؤمن اذا راى ما اعد له من الكرامات
ود ان يقبض روحه سريعا ليصل الى الكرامات وان كان هذا بعد الموت واريد من السجود حقيقته ففيه
تذكير لهم انهم لم يكونوا يمتحنون في الدنيا بالسجود لمنفعة تصل الى الله تعالى اولحاجة له الى ذلك وانما امتحنوا
بالسجود لمكان انفسهم اذ لو كان الامتحان لمنفعة بينا لله تعالى لما كانوا يمنعون عنه في القيامة والله اعلم
وقال كثير من اهل الكلام لا يجوز ان يمتحنهم الله تعالى بعد البعث بالسجود اذ تلك الدار ليست بدار محنة
وانما الامر بالسجود خرج مخرج التوبيخ وكذلك جعفر بن حرب ان هذا على التوبيخ يقال للرجل اذا كان
مكثرا فذهب ماله ولم يؤد الزكوة حج في حال يسر حج الآن وزك الآن ليس يراد به ان اوجد الفعل
ولكن يريد به تذكيره وتوبيخه فهذا الذي قالوه محتمل ويحتمل ان يمتحنوا بالسجود للوجوه التي ذكرنا
وهو ان يظهر عند الممتحنين ان منافع سجودهم راجعة اليهم لا الى الله تعالى وقوله فلا يستطيعون
فجائز ان يكون هذا على نفي استطاعة الاحوال والاسباب ولا يستطيعون للاشغال التي حلت بهم
والافزاع التي ابتلي بها وقوله عز وجل وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون ففيه ان الفرائض
انما يجب عند سلامة الاسباب والله اعلم وقوله فذرني ومن يكذب بهذا الحديث فجائز ان يكون
الحديث هو القرآن وجائز ان يكون اريد به البعث وهو الغالب ان يكون هو المراد وقوله عز وجل
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال القتبي الاستدراج هو الادنى من المهلكة درجة فدرجة
حتى يهلك وقيل سنستدرجهم اي ننعم عليهم وننسيهم شكرها بالاملاء وينزل بهم العذاب
والهلاك امرما كانوا وقوله عز وجل واملي لهم ان كيدي متين والاصل ان الكيد والمكر والاستدراج
يقتضي معنى واحدا وهو ان ياخذ من وجه امنه ويراقب وجه هلاكه وهو يستعمل في الخلق على وجه
يذم اهله فهو يضاف الى الله تعالى ليس على جعل ذلك اسما له اذ لا يجوز له ان يسمى ماكرا كائدا مستدرجا
وانما يضاف اليه في حق الجزاء باسم ما له الجزاء كما يسمى جزاء السيئة سيئة وان لم يكن الجزاء سيئة
وكما يسمى الاعتداء اعتداء فكذلك سمي جزاء الكيد كيدا على هذا المعنى لا ان يكون ذلك منه كيدا

في الحقيقة او يقول بان الذم انما يلحق الماكر والكائد اذا استعمله في وليه وصفيه فاما اذا مكر بعدوه
وكاد به فذلك مما لا باس به ولا يذم عليه فاعله وما اضيف من الكيد الى الله تعالى فذلك حال اعدائه
ليس باوليائه فلم يكن فيه لحاق معنى مكروه بالله تعالى ثم الاصل ان ينظر في الفعل اذا اضيف الى الله
بحقيقة ام بمجاز فان كانت الاضافة بحق الحقيقة فلا يجعل ذلك اسما له لانه لا يجوز ان يقال هو كاتب
نافخ روح ولا كائد ولا ماكر اذ لا يتحقق ذلك منه وما كانت اضافته لا على التحقيق فانه يستقيم ويسمى
لانه يستقيم ان يسميه منعما مفضلا خالقا رحمانا اذ الانعام والافضال والخلق موجود منه
وقوله متين اي قوي ثابت فقوله تعالى ان كيدي متين اي كيدي لاوليائي على اعدائي ثابت
ليس ككيد الاعداء لان كيد الاعداء بكيد الشيطان وكيد الشيطان كان ضعيفا والاصل ان الكيد
الذي اضيف الى الله تعالى حق والحق قوي ثابت لا مدفع له وكيد الشيطان باطل وليس للباطل قرار
بل هو كما قال الله تعالى اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
الاصل ان الرسل عليهم السلام لم يكونوا يدعون الخلق الى ما يستثقله عقل او طبع بل كانوا يدعونهم
الى ما يخف ويسهل على الطبع والعقل الاجابة له لانهم كانوا يدعونهم الى التوحيد وهم كانوا يعبدون
غير واحد من الآلهة وعبادة الواحد ايسر من عبادة عدد وكانوا يدعونهم الى الصدق والى مكارم
الاخلاق والاجابة بمثله امر يسير فيقول احملت عليهم اجرا فثقل عليهم ذلك حتى تركوا الاجابة لك
مع تيسيره عليهم فيخرج ذكر هذا مخرج تسفيه احلامهم وقوله ام عندهم الغيب فهم يكتبون فهذا يحتمل
اوجها احدها ان عندهم علم الغيب بالذي ادعوا انا نجعل المسلمين كالمجرمين وذلك مكتوب
عندهم او عند سلفهم علم الغيب فوجدوه في كتبهم ويعلم به خلفهم فيخاصمونك به ثم هم لم يكونوا
يؤمنون بالكتب ولا بالرسل فكيف يخاصمونك ويكذبونك فيما تخبرهم وانما يوصل الى التكذيب
بما يثبت من العلم بخلافه ويتايد باحد الوجهين اللذين ذكرناهما ويكون هذا في موضع الاحتجاج
عليهم حين زعموا انا نعبد الاصنام ليقربونا الى الله زلفى ويكونوا لنا شفعاء فما الذي حملهم على هذه
الدعوى اما عندهم علم الغيب فهم يكتبون او ان يكون القوم قد الزموا انفسهم الدينونة بدين الله وقوله
بالالوهية وذلك يلزمهم العمل بما فيه تبجيل الله تعالى وما به يشكر الخلائق وذلك لا يعرف الا بالرسل
عليهم السلام فقد عرفوا حاجة انفسهم الى من يعلمهم علم الغيب فما لهم امتنعوا عن الاجابة لرسول الله
عليه الصلوة والسلام مع حاجتهم اليه ان ما عندهم علم الغيب فيستغنون به عن الرسول عليه السلام
وقوله فاصبر لحكم ربك ان حكم الله تعالى في الرسل ثلاث احدها ان لا يدعوا على قومهم بالهلاك
وان اشتد اذاهم من ناحيتهم حتى يؤذن لهم والثاني ان لا تفارقوا قومهم وان اشتد بهم البلاء
الا باذن الله تعالى والثالث ان لا يقصروا في التبليغ وان خافوا على انفسهم ثم من وراء هذا عليهم
امران احدهما امروا ان لا يغضبوا الا لله تعالى والثاني ان لا يحزنوا لمكان انفسهم اذا اذاهم قومهم
بل يحزنوا لمكان اولئك القوم اشفاقا عليهم منه ورحمة بما يحل عليهم من العذاب بتكذيبهم الرسل
فهذا هو حكم ربه ويحتمل ان يكون قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اي لا تجازهم لصنيعهم واستعجل عليهم
بل اصبر لحكم ربك بما حكم عليهم من العذاب وقوله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم
قيل نادى على قومه بالدعاء عليهم بالهلاك لكنه لم يظهر دعاؤه على قومه عندنا وانما ظهرت
منه المفارقة والمغاضبة على قومه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا ولم يكن له ان يفارقهم
فيقول اصبر بما حكم عليك ربك من ترك المفارقة عن قومك ولا تكن كصاحب الحوت الذي فارق
قومه قبل مجيء الاذن له من الله تعالى والثاني ان يونس عليه السلام لم يصبر على قومه بل فارقهم

حتى ابتلى ببطن الحوت ثم فزع بالدعاء الى الله تعالى ليخلصه من بطنه فيقول عليك الصبر مع قومك
ولا تكن كصاحب الحوت حيث لم يصبر مع قومه فابتلى بما ذكر حتى احتاج الى ان ينادى فى الظلمات ان لا اله
الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فتبتلى انت ايضا بمثل ما ابتلى به ثم لا يجوز ان يلحقه اللائمة وتعاتب
على ما دعا فى بطن الحوت لان ذلك عذاب ابتلى به ولا ينبغى للمرء ان يصبر على العذاب بل عليه ان يبتهل الى الله تعالى
ليكشف عنه وانما الحقه اللائمة بمفارقة قومه ولتركه الصبر معهم وقوله لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء وهو مذموم نعمة ربك هو ما فتح له التوبة والانابة وما قبل منه توبته وكان له ان لا يقبلها اذ هو
انما اتى به بالتوبة بعد ان صار الى تلك المضايق وابتلى بالشدايد وجاء باس الله ومن حكمه ان لا يقبل
التوبة بعد نزول العذاب والشدة الا ترى الى قوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الى قوله
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فاذ قبل توبته كان فيه عظيم نعمة من الله تعالى وقوله لنبذ بالعراء
هو المكان الخالى فلو لم يتب الله تعالى عليه لكان يلبث فى بطنه الى يوم يبعثون ثم ينبذ بعد ذلك بالعراء
وهو مذموم لكن الله تعالى تفضل عليه بقبول توبته فنبذ بالعراء وهو سقيم محموم فقوله لنبذ بالعراء
وهو مذموم لو عاقبه بالنبذ ولكن انما نبذ بالعراء بعد قبول التوبة فلم يصر مذموما وقوله لولا ان تداركه
نعمة من ربه فنعمته عليه كانت من ثلاثة اوجه احدها فى تذكير الزلة وذلك كان بالتقام الحوت
اياه وكان عنده ان مفارقته قومه لم يكن زلة لانه انما فارقهم لان قومه كانوا له اعداء فى الدين
ففارقهم ليحتمى منهم وليسلم له دينه ولا يسمع المكروه فى الله تعالى والثانى ان فى مفارقته اياهم
تخويف منه لهم وتهويل لان القوم كانوا لا يفارقهم نبيهم من بين اظهرهم الا عندما يريد ان ينزل بهم
العذاب وذلك مما يدعوهم الى الانقلاع عما هم فيه ويدعوهم الى الفزع الى الله تعالى ومن خوف آخر
بامر فيكون فيه دعاؤه الى الهدى كان محمودا مصيبا ولان مفارقته اياهم هى التى دعتهم الى الاسلام
فاسلموا لقوله فآمنوا فمتعناهم الى حين ومن كانت مفارقته لهذه الاوجه التى ذكرناها لم يعد فعله
زلة بل عده من افضل شمايله ولكن الحقته اللائمة مع هذا كله لما ذكرنا ان الرسل لا يسعهم ان يفارقوا
قومهم وان اشتد عليهم الاذى من جهتهم الا بعد وجود الاذن من الله تعالى وكانت مفارقته تلك بغير اذن
والله اعلم ثم كانت فى ظنه ان ليست تلك المفارقة زلة الا ترى الى قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه
قيل فى التاويل اى لن نضيق عليه وقيل اى لن نعاقبه فلولا ان عنده ان تلك المفارقة ليست بزلة والا كان
لا يظن فتبين عنده بالتقام الحوت اياه وبما افضى اليه من الشدايد ان تلك زلة منه وتذكير الزلة
من احدى النعم والنعمة الثانية والثالثة ما ذكرناهما من توفيق الله تعالى اياه بالتوبة واكرامه عليه بقبولها
ومن حكمه ان لا يقبل التوبة ممن جاءه باس الله واحاط به العذاب وهو انما فزع الى التوبة بعدما عاين العذاب
وجاءه باس الله تعالى وجايز ان يكون حكمه هذا فى الكفرة ليس فى المؤمنين لانه قال فى آية اخرى يوم ياتى
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا ففيه اشارة الى ان من سبق
منه الايمان قبل ان ياتيه آيات ربه او سبق منه كسب الخير من بعد الايمان فان ايمانه فى ذلك الوقت
ينفعه وقال فى اهل الكفر فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم
ايمانهم فهذا حكمه فى اهل الشرك وقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار وقال فى المؤمنين انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب فتبين ان ما ذكرنا من الحكم هو حكمه فى اهل الكفر ليس فى اهل الايمان والعقل
يدل على هذا وذلك ان المؤمن قد علم ان الذى سبق منه زلة وارتكاب معصية فهو ليس يحتاج الى اثبات
آيات فينبهه على ان الذى فعله زلة فجايز ان يقبل منه التوبة فى ذلك الوقت كما تقبل منه قبل تلك الحالة

فى حكمه تعالى ان لا يقبل التوبة بعد نزول العذاب

فى ان توبة الباس لا تقبل وقدرها فى التوبة

توبة الباس

واما الكافر فعنده ان ما سبق منه لم يكن زلة ومعصية فيحتاج الى آيات تنبهه عن غفلته ويذكره ان الذى
فعله معصية فاذا نزل به الباساء والشدة فذلك لمنعه عن النظر والتدبر فلا يكون ايمانه عن تحقيق ويقين
فلا ينفعه والثانى انه يفزع الى التوبة والايمان ليدفع عن نفسه الباساء لا ليدوم عليه لو كشف عنه العذاب
كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فلهذا لا ينفعه ايمانه فان قيل ان قوم يونس عليه السلام
قد نفعهم ايمانهم وهم آمنوا بعد ما ايقنوا بالعذاب فجوابه من وجهين احدهما انه يجوز ان يكون عذابهم
موعودا ولم يكن مشاهدا مرئيا وجايز ان يكون الله علم صدقهم فى ايمانهم لو مكنوا فكشف عنهم العذاب
لما كانوا متحققين وغيرهم كان يفزع الى الايمان ليكشف عنه العذاب ثم يعود الى كفره فلم يقبل منه وجايز
ان يكون من حكم الله تعالى ان لا يقبل من احد التوبة اذا حل به العذاب ولكنه يقبلها من المؤمنين افضالا وانعاما
ولا يتفضل على الكافرين الذين آثروا الدنيا على الدين وعلى قول المعتزلة ليست لله تعالى عليه نعمة ولا على احد
من اهل الاسلام لان من قولهم ان الله تعالى اذا علم من كافر انه يسلم يوما من الدهر وان كان بعد الف سنة
فليس له ان يميته قبل ان يسلم وعليه ان يوفقه للتوبة وعليه ان يقبل منه التوبة فاذا كان هذا كله حقا عليه
للعبد لم يكن له موضع نعمة عليه فى قبول التوبة لان من قضى حقا عليه واوصله الى محقه لم يعد ذلك
منه انعاما فلا يكون منه انعاما فلا يكون لقوله لولا ان تداركه نعمة من ربه معنى وقد قال الله تعالى
يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ولو كانت الهداية واجبة
عليه لم يكن له عليهم موضع امتنان وقوله عز وجل فاجتباه ربه اى اختاره واصطفاه للرسالة الا ترى
الى قوله وارسلناه الى ماية الف او يزيدون وقوله تعالى فجعله من الصالحين فهذا وصف كل نبى مرسل
فى الآخرة وقوله عز وجل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم فمنهم من يقول هذا على التحقيق
وصرف ذلك الى قوم باعيانهم قد عرفوا بحب الاعين وحلول الآفات بمن يعينونه من اهل الشرف
والتبجيل ثم الله تعالى بفضله عصم رسوله عليه السلام فلم يتهيا لهم ان يعينوه فكان فيه تقرير رسالته
وآية نبوته عند اولئك الكفرة فان قال قايل انهم كانوا يعدون رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المجانين ويقولون انه مجنون والمجنون لا يعان وانما يعان اهل الشرف والحجى وذوو الاحلام
والنهى فما انكرتم انه سلم من الآفة حتى يقصد اليه بالعين فجوابه انهم وان كانوا يعدونه من جملة المجانين
فانهم سمعوا منه ذكرا عجيبا وهو القرآن ومن اعطى مثل ذلك الذكر والشرف فهو مما يقصد اليه بالحسد
فكانوا يعينونه لذلك المعنى ثم لم يضر كيدهم ولا نفذ فيه حيلهم فاوجب ذلك تثبيتهم انه رسول
من الله تعالى ومنهم من حمله على التمثيل ليس على التحقيق فيقول وان يكاد الذين كفروا بغضهم
وعداوتهم اياك ليزلقونك بابصارهم كما يقال نظر الى فلان نظرا كاد ان يقتلنى فيقوله على التمثيل
ثم قوله ليزلقونك اى يستقطونك ويصرعونك وقوله لما سمعوا الذكر وهو القرآن وقوله
ويقولون انه لمجنون قد وصفنا انهم لاى معنى كانوا ينسبونه الى الجنون وذكرنا ما يرد عليهم
مقالتهم وينفى عنهم الريب والاشكال وقوله وما هو الا ذكر للعالمين فجايز ان يكون الذكر هو القرآن
وجايز ان يكون اريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قد تقدم ذكرهما جميعا اذ كل واحد منهما ذكر
يذكر ما للخلق وما على الخلق وما ينتهى اليه عواقبهم ويذكر ما يؤتى وما يتقى والله اعلم

فى قول المعتزلة

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحاقة ما الحاقة قد ذكرنا ان يوم القيامة سمى باسماء النوازل التى يكون فيها البلايا

والشدايد ليقع بها التخويف والتهويل وليس في تبيين وقته ولا في ذكر عينه ترهيب ولا ترغيب
فذكر ذلك اليوم بالاسباب التي هي اسباب الزجر والردع فقوله الحاقة اي حقت لكل عامل عمله
وحق لكل ذي حق حقه فان كان من اهل النار اعتوجبها وان كان من اهل الجنة دخلها وقال بعضهم
الحاقة هي النازلة التي لا ترتفع ابدا وهو ما ينزل بالخلق من الجزاء والانواع ما وعدوا به يوم القيامة
وقيل هي الواجبة مثل قوله وحاق بهم اي وجب ونزل بهم والاصل ان القيامة سميت بالاحوال
التي يبتلي الخلق بها فيها من نحو القارعة والواقعة والتناد والصاخة ونحو ذلك مما جاء في القرآن
احد باسماوها من احوال ما يبتلي الخلق والله اعلم **وقوله** ما الحاقة فهو على تعظيم امر ذلك اليوم كما يقال
فلان ما فلان اذا وصف بالغاية في القوة او السخاوة او نحوه **وقوله** وما ادريك ما الحاقة فهو على تعظيم
امر ذلك اليوم ايضا او وما ادريك ما الحاقة اي لم يكن تدري فادراك الله تعالى لانه لم يكن خبر القيامة
علمك ولا علم قومك لكن الله تعالى اطلعك عليه لان قومك كانوا منكري البعث ولم يكن عندهم من خبره
شيء وذلك ان الله عز وجل لما ذكرهم من دلايل البعث التي جهة دركها العقول والحكمة من احالة
التسوية بين البر والفاجر والمطيع والعاصي وانه لا يجوز خروج كون هذا العالم عبثا باطلا
والدلايل الاخر التي لا ياتي عليها الاحصا فلما لم ينفعهم ذلك ولم يتفكروا في خلق السموات والارض
ولا اعتبروا بالآيات احتج عليهم بما لوحق سلفهم من مكذبي البعث ومنكري الرسل حيث استاصلهم
فلم يبق لهم سلف ولا خلف عنهم خلف ليكون ذلك ابلغ في الانذار وذلك قوله كذبت ثمود وعاد
بالقارعة ذكرهم بما حل بثمود وعاد وما اصابهم بتكذيبهم الرسل يقول سيصيبكم بتكذيبكم محمدا
عليه الصلوة والسلام فيما يخبركم من الانباء عن الله تعالى كما يصيبهم ما اصاب ثمودا وعادا بتكذيبهم
رسلهم لينتهوا عن تكذيبه او يخبرهم ان ثمودا وعادا كذبوا رسلهم حتى صاروا الى الهلاك تدموا
على ما سبق من تكذيبهم فستندمون ايضا ان دمتم على تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم فيما ياتيكم
من الانباء بعد موتكم ثم ذكرهم نبا عاد وثمود وان كانوا مكذبين بتلك الانباء لان لا يبقى لهم يوم القيامة
حجة فيقولوا انا كنا عن هذا غافلين ولانهم لو بحثوا عن علم ذلك لكانت هذه الآيات والانباء
يتحقق لهم علم ذلك فقد وقعت هذه الآيات موقع الحجاج لولا اغفالهم واعراضهم عنها فانقطع
عذرهم ولزمتهم الحجة وان تركوا الايمان ثم قوله عز وجل الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة
وقوله القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يحتمل ان يكون هذا مخاطبة كل مكذب بالبعث
لا مخاطبة الرسول كقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم انه خطاب لمن يغتر بالدنيا
لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجايز ان يخاطب به رسول الله عليه السلام فان صرف الخطاب
الى الرسول عليه الصلوة والسلام اقتضى معنى غير ما يقتضيه لو اريد بالخطاب المكذبون
والاصل ان قول القايل فلان وما فلان يوجب اجتذاب الاسماع ويستدعي السامع الى البحث
في الشاهد لانه انما يذكر فلان بهذا لاعجوبة فيه او يعظم امره فليستبحث عن ذلك ليقف على تلك
الاعجوبة التي فيه فان كان الخطاب للمكذبين دعاهم ذلك الى تعرف ما فيه من الاعجوبة والتعظيم
وفي قوله وما ادريك ما الحاقة مبالغة في التعجب واذا نظروا فيه وفهموه دعاهم ذلك الى الايمان
فصارت الآية في موضع الاغرا واجتذاب الاسماع وان كان الخطاب في رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتاويله ان المكذبين يوذونه ويمكرون به فيتاذى بهم ويشتد ذلك عليه فذكر ما ينزل بهم
من العذاب ويحق عليهم فيكون فيه بعض التسلي عما اصابه الاذى من ناحيتهم او ذكر ان العذاب
يحق عليهم فلا يحزن بصنيعهم بل يحمله ذلك على الشفقة عليهم والرحمة لهم وقيل ان كان الخطاب في المكذبين

ففيه تخويف

ففيه تخويف لاهل مكة وتهويل انهم ان كذبوا رسولهم فيما يخبرهم من امر البعث نزل بهم
من العذاب ما نزل بعاد وثمود بتكذيبهم الرسل وقد عرف اهل مكة ما نزل باولئك وان كان
الخطاب في رسول الله ففي ذكر نبا عاد وثمود ما يدعوه الى الصبر على اذاهم ويكون له بعض التسلي
لانه يخبر انك لست باول رسول كذب بل شركتك الرسل من قبل وابتلوا بالتكذيب ثم بين ما نزل بعاد
وثمود بالتكذيب بالقارعة وهو قوله فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فالطاغية والعاتية والرابية
يمكن ان يجعل هذا كله صفة للعذاب الذي نزل بهم وجايز ان يكون صفة الاحوال التي سبقت
منهم وكانوا عليها فان كان هذا صفة العذاب فالطغيان عبارة عن الشدة والطاغي هو العاتي
الشديد لا يراقب ولا يبقي فوصف العذاب الذي ارسله عليهم انه لم يبق منهم احدا بل استاصلهم
واهلكهم بجملتهم وقيل ذلك العذاب هو الصاعقة وقيل الصيحة وسمي طاغية ولم يقل طاغي
لهذا وقيل اشتق هذا الاسم للعذاب من افعال من عذب به ليسا بها طاغية لكن احد اسم عن فعل
القوم كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وانما ذكر كله جزاء سيئاتهم واعتدايهم وقيل بالطاغية اي بطغيانهم وذنوبهم الذي سلف
منهم كقوله تعالى كذبت ثمود بطغواها ويحتمل ان يكون هذا صفة لاحوالهم التي كانوا عليها من شدة
التمرد والعتو ومن طغيانهم التكذيب بالحاقة والقارعة ففيه تخويف لاهل مكة انه سيهلكهم
ان لم ينتهوا عن التكذيب كما اهلك اولئك **وقوله** عز وجل فاما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية
قال الحسن الريح الصرصر هي الصيتية وهي التي لها صوت وقال بعضهم هي الريح الباردة الشديدة
البرد كقوله ريح فيها صر اصابت الآية والصر البارد والصرصر المكرر منه فوصفها لدوامها وتكررها
وقوله عاتية فتاويلها على ما ذكرنا في الطاغية وذكر الكلبي وغيره انها سميت عاتية لانها
عتت عن الخزان فلم يطيقوها وهذا لا يستقيم لانه لا يجوز ان يوكل الخزان على حفظها ثم لا يمكنون
من الحفظ حتى تعتوا عليهم الا ان يقال انهم لم يوكلوا بحفظها في ذلك الوقت فاما اذا وكلوا بحفظها
ثم لا يجعل لهم الى حفظها سبيل فهذا مستحيل والله الموفق **وقوله** عز وجل سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية ايام حسوما وقوله سخرها قيل ارسلها وقيل ادامها عليهم وقيل التسخير التذليل اي ذللها
قضيتها بحيث لا يمتنع عن المرور عليهم في الوجه الذي ارسلها وانما ارسل الريح على ابدانهم خاصة
لم يهلك شيئا من مساكنهم كقوله تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم والريح اذا عملت
على الابدان فهو على البنيان اكثر لكن الله تعالى لم يامرها بذلك والله اعلم ثم **قوله** سبع ليال وثمانية
ايام حسوما فيه تبيين ان الايام لم يكن على عدد الليالي ولو كانا على عدد واحد لكان في ذكر
احد العددين ذكر العدد الآخر لان تسمية الليالي تسمية للايام وتسمية الايام تسمية للثاني
الا يرى انه قال في قصة زكريا آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا وقال في موضع آخر
ثلاث ليال سويا والله اعلم **وقوله** حسوما قيل متتابعة دايمة وقيل مشؤمات قطعا من الحسم
يقال حسمت الريح كل شيء مرت به حسما اي قطعته وقيل مشؤمات حيث انقطعت بركتها منهم **وقوله**
فترى القوم فيها صرعى اي انك لو ادركتهم وشهدتهم وعاينتهم لرايتهم صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية
وقال بعضهم اي ترى الاعضا المتفرقة كل قطعة منها كانها عجز نخلة اذ كانوا هم اعظم في انفسهم
من اعجاز النخل فينصرف تاويله الى الاعضاء المتباينة ثم ذكر النخل ها هنا بالتانيث فقال
اعجاز نخل خاوية ووصف في سورة اقترب بصفة التذكير فقال كانهم اعجاز نخل منقعر
لان النخل يذكر ويونث كذا قاله الزجاج وقيل النخل يذكر على كل حال لكن قوله خاوية صفة للاعجاز

لا صفة النخل والاعجاز جماعة وللجماعة مؤنثة والنخل واحد فيذكر وليس كذلك لان الخاوية
صفة النخل الاترى ان عند الوصل يذكر بالخفض لا بالرفع ولا النخل اسم جمع يقال نخلة ونخل كما يقال
شجرة وشجر وتمرة وتمر ونحو ذلك وقوله خاوية قال بعضهم اى بالية وقيل الخاوية اى ساقطة كقوله تعالى
وهى خاوية على عروشها اى ساقطة على قوايمها وقيل اى خالية فوصفها بالخلا لانها اقتلعت من اصلها
حتى خلى ذلك المكان عنها والعجاز النخل اصوله وقوله عز وجل فهل ترى لهم من باقية فيه انه لم يبق لهم نسل
يذكرون بهم بل اهلكوا باجمعهم وانقطع عنهم الذكر الا بالسوء والا كان يرى لهم باقية فنفيه انهم
استوصلوا وعم العذاب الكبير والصغير يخوف اهل مكة بما يخبرهم ما فعل باولئك وفيه اخبار انهم
عذبوا بعذاب لا رحمة فيه وهكذا سنة الله تعالى فى مكذبى الرسل من قبل وجعل تعذيب هذه الامة
ان يجاهدوا ويقاتلوا فتعذيب هذه الامة تعذيب فيها رحمة لان الصغار منهم لا يقاتلون والنساء
لا يقاتلون بل يسبين رجاء ان يسلمن فعلى هذا يخرج قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم
ويشبه ان يكون هذا جواب قولهم ان محمدا صبور اى ليس له ولد يبقى نسله او ذكره ولخبر تعالى
ان كثرة الاولاد لا يغنى من الله شيئا اذ قد كان لهم اهالى واولاد فاهلكوا عن آخرهم وانقطع
التناسل منهم ليعلموا انه يبقى ذكر من اطاع الله ورسوله كان ثم اولاد او لم يكن والله اعلم وقوله عز وجل
وجاء فرعون ومن قِبَلَهُ قرئ بكسر القاف وفتح اليا وقرئ بنصب القاف وجزم البا فتاويل
القراءة الاولى اى جاء فرعون ومن معه من جنده واتباعه او من قبله من كان من اهل القرى
التى يقرب المصر وقد روى فى الشاذ فى بعض الحروف وجاء فرعون ومن دونه وجايز ان يكون
من اتباع فرعون وجايز ان لا يكونوا وتاويل القراءة الثانية اى جاء فرعون ومن كان متقدما
عليه من الامم الماضية وقوله عز وجل والمؤتفكات قيل قريات لوط ائتفكت على اهلها اى نقلبت
عليهم بما عصت رسلها وقيل المؤتفكات الذى ياتفك من الصدق الى الكذب ومن الحق الى الباطل ومن العدل
الى الجحود فمن قراء ومن قبله بخفض القاف كان قوله جاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة
فعصوا رسول ربهم واقعا كله على العصيان لموسى عليه السلام والمراد من المؤتفكات كل من ائتفك
من الحق الى الباطل دون اهل قريات لوط لانهم كانوا قبل زمان موسى بكثير ومن قراء ومن قبله
بنصب القاف كان قوله فعصوا رسول ربهم واقعا على رسول كل فريق كانه قال اى عصى كل امة رسولها
وعلى هذا يجوز ان يكون المراد من المؤتفكات قوم لوط ثم قوله بالخاطئة اى بالخطايا بالشرك
وذكر ابو معاذ عن مجاهد فى تفسير الخاطية الشرك والكفر وانكر ذلك واحتج بان الله تعالى لم يذكر
من قوم لوط كفرا وشركا فى كتابه انما ذكر ركوبهم للفاحشة وبها اهلكوا اذ لم يبرعوا ولم يتوبوا قال
ولو كانوا مشركين لم يقل لهم لوط ان هؤلاء بناتى هن اطهر لكم اراد بذلك النكاح والكافر لا يصح منه
نكاح المسلمة وليس كما زعم بل كانوا اهل شرك وكفر بالله تعالى الا يرى الى قوله فيما حكى عن قوم لوط ثم قوله
لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين فاخراج الرسل انما كان من صنيع اهل الكفر وقال فى موضع آخر اخرجوا
آل لوط من قريتكم فطابت انفسهم باخراج لوط عليه السلام من قريتهم ومن فعل هذا لم يشك فى كفره
وقال فى قصة لوط ايضا فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فثبت انهم
كانوا كفارا ثم لقايل ان يقول فى قوله وجاء فرعون ومن قبله فعصوا رسول ربهم اخبر انه جاء فرعون
الى موسى وعصاه كيف ذكر مجىء فرعون الى موسى ولم يوجد منه المجىء الى الرسول بل الرسول هو الذى جاءه
فعصاه فرعون لان فرعون اتاه فاستقبله بالعصيان قيل ان كل من اتى الآخر وجاءه فقد اتاه الآخر
ومن قرب الى آخر فقد قرب الآخر اليه لان المجىء فعل مشترك لانه اسم للالتقاء وانما يقع الالتقاء بهما جميعا

ليس باحدهما فلذلك استقام من اضافة المجىء الى فرعون وعلى هذا تاويل قوله تعالى وازلفت الجنة
للمتقين اى قربت واهلها هم الذين يقربون اليها فى الحقيقة ولكنهم اذا قربوا اليها فقد قربت هى اليهم فاضيف
اليها التقريب لهذا فعلى هذه العبارة يمكن ان يتاول قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله عز وجل
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام اى اتاه الخلق لا ان يكون هو الذى ياتيهم لانه قال
ويوم يرجعون اليه وقال والى الله المصير والى الله ترجع الامور فاخبر ان الخلق هم الذين ياتونه
ويرجعون اليه ولكن بسبب المجىء والاتيان الى الله تعالى لانهم اذا اتوه فكانه قد اتاهم من الوجه الذى
ذكرنا دون ان يكون فيه اثبات الانتقال فى الله تعالى والثانى ان اسم المجىء وان اطلق واستعمل
فى المجىء الى المكان من مكان فقد يستعمل ايضا فى الموضع الذى ليس فيه حركة ولا انتقال قال الله تعالى
وقل جاء الحق ومعناه ظهر الحق ليس ان الحق كان فى موضع فانتقل عنه الى غيره فامكن ان يكون قوله
وجاء فرعون اى كذب بما انزل على موسى عليه السلام وجايز ان يكون قوله وجاء فرعون اى جاءه
بالخاطئة فيكون المجىء مصروفا الى الخطايا وهذا التاويل املك بظاهر الاية لانه قال وجاء فرعون
ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة اى جاؤا بالخطايا وقوله فاخذهم اخذة رابية اى عالية
حيث علت ابدانهم وجايز ان يكون المراد منه ان عقوبتهم ربت على الاخذ اى زادت على الاخذ لانها
اخذت ابدانهم واهلكتها ثم ردت ارواحهم الى جهنم يعرض عليها غدوا وعشيا فذلك هو الزيادة
على الاخذ والله اعلم وقوله عز وجل لما طغى الماء قال بعضهم اى طغى على الخزان لان الخزان يرسلونه
القطر بالكيل والوزن والقدر المعلوم ثم ذكر فى موضع آخر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر اى منصب
فيكون تاويله ان الله تعالى لم يمكنهم حفظ القطر فى ذلك الوقت فطغى عليهم لهذا المعنى والا لو لزموا
حفظه فى ذلك الوقت لكان الماء لا يطغى عليهم على ما ذكرنا انه لا يجوز ان تؤمروا بحفظه ولا يملكون
حفظه وجايز ان يكون طغى اى طغى على الذين اهلكوا من مكذبى نوح عليه السلام وقد وصفنا تاويل
الطاغى والله اعلم وقوله حملناكم فى الجارية فذكر انه حملنا ولم تكن نحن يومئذ نحمل والخطاب
للذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وانما كان لا يحياه اولئك المحمولين نجاة ذريتهم وبهلاك
اولئك فنا ذريتهم فكانه قد حملهم بحمل اولئك لما حصل لهم النجاة بحملهم او اضاف اليهم لانه قد
كونهم من ابايهم فكانهم حملوا تقديرا وهو كقوله يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم ومعناه
انزلنا عليكم ماء قد دنا كون اللباس منه وهو المطر فاذا انزل المطر الذى قد دنا كون اللباس منه
وهو المطر فانما انزل فكانه انزل اللباس وقال عز وجل انا خلقناكم من تراب ونحن لم نخلق من التراب
ولكن لما قد خلقنا من التراب الذى اصلنا منه فكانا خلقنا منه فعلى ذلك وان لم يكن محمولين فى السفينة
فقد حمل اصلنا ليكون نحن من ذلك الاصل فكانا قد حملنا منها اذ كان فى ارادة الله تعالى منا الكاينين
والله اعلم او ذكر ذلك منة منه على الابنا بصنيعة بالاباء ليعلم ان الابنا شكر ما احسن الى ابايهم
واجدادهم والله اعلم وقوله عز وجل لنجعلها لكم تذكرة فوجه التذكرة فيه ان اهل مكة ابوا
اجابة الرسول وقالوا انا وجدنا ابانا على امة وانا على آثارهم مقتدون فذكرهم انهم اولاد من حملوا
مع نوح عليه السلام فى السفينة وهم انما استوجبوا النجاة وشرفوا فى الدارين جميعا باتباعهم الرسل
فما لكم لا يتبعونهم فى تصديق الرسل دون ان يتبعوا المكذبين للرسل او يذكرهم كذبهم فى قولهم
انا وجدنا ابانا على امة بل قد وجدتم اباءكم على خلاف ما انتم عليه وقد تعلمون ان اباءكم هم الذين اتبعوا
نوحا فنجوا وهم المؤمنون دون الكفرة ووجه آخر انه ذكرهم احوال المكذبين والى ماذا آل امرهم
من الغرق والهلاك فيكون فيه تخويف من كذب من اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصارت تلك الجارية وهي السفينة موعظة وتذكرة يذكرهم عواقب المصدقين بالرسل والمكذبين بهم او ذكرهم عظيم نعمه على ابايهم الذين حملوا في السفينة ليستاديهم شكر ذلك وقال بعضهم كم من سفينة قد هلكت منذ ذلك الوقت وهي قايمة في موضع كذا عبرة وتذكرة ثم التذكرة يخرج على وجهين احدهما ان يراد بها الاية والعبرة اي جعلنا لكم ذلك ليعتبروا ويكون آية لكم على وحدانية الله تعالى وقدرته كقوله فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين والثاني اي جعلنا تلك الانباء تذكرة لكم اي جعلنا قرانا يقرونها ويذكرونها الى آخر الابد فيشكرون الله تعالى على ما صنع اليكم والله اعلم وقوله وتعيها اذن واعية يقال وعى الشي اذا حفظه واوعاه اذا حفظه بانا او غيره اي يحفظها اذن حافظة فاضاف الوعي والحفظ الى الاذن والاذن لا يعي بل يسمع ثم تعيه القلب ولكن نسبا الوعي الى الاذن لانه يوصل الى الوعي من جهة الاذن اذ نا لسمع يوعي والسمع من عمل الاذن ثم يقع المسموع فيما فيه يوعي وهو القلب فنسبا الوعي الى السمع لما يتطرق به الى الوعي كما ذكرنا من اضافة اللباس اليها منه قدر الناس وهو المطر واضيف خلقنا الى التراب اصلنا منه قد خلقنا هو التراب وجايز ان يكون الله تعالى يجعل للقلوب اذانا بها يعي وابصارا بها يبصر فتضيف الوعي الى اذن القلوب ليس الى اذن الروس والله اعلم وقيل اذن واعية اي غفلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتابه وهي اذن المؤمن فاما اذن الكافر فانها تسمع ويقذف ولا يعي لما لم يحصل لهم الانتفاع به الا ترى انه وصفنا انهم بالصم لما لم ينتفعوا بالمسموع وكذلك قال فنبذوه وراء ظهورهم جعل تركهم الانتفاع به نبذا فعلى ذلك جعل الانتفاع به وعيا وكذلك المتعارف في الخلق انهم اذا ارادوا الانتفاع بعلم او شي اجتهدوا في وعيها وحفظها وقوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة فكانهم سالوا متى يكون الواقعة والحاقة والقارعة فاخبر عن ذلك بقوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة فاجابهم في قوله فيومئذ وقعت الواقعة ثم قد بينا ان الاسولة كلها خرجت عن الاحوال التي يكون في ذلك الوقت لما لا فايدة لهم في تبيين وقته ولا حاجة الى معرفته وانما الفايدة في تبيين احواله لما يقع بها الترغيب والترهيب والله اعلم وقوله نفخة واحدة فجايز ان يكون على حقيقة النفخ واحتمل ان يكون على نفخة واحدة فيكون فايدة ذكر سهولة امر البعث على الله تعالى لان قدر النفخة مما يسهل على المرء في الشاهد ولا يتعذر وجايز ان يكون ذكر النفخ لما ان الروح يدخل في اجسادهم ويستتر فيها وذلك عمل النفخ لان الريح اذا نفخ في وعاء سرت فيه وانتشرت فكنى عن دخول الروح في الجسد بالنفخ اذ ذلك عمله وكنى بالنفخ عن خروج الروح من الاجساد لهذا وعلى هذا تاويل قوله فنفخنا فيه من روحنا ليس على حقيقة النفخ ولكن عمل الروح فيها عمل النفخ فقيل ذلك والله اعلم وقوله في الصور قيل الصور هو القرن ينفخ فيه النفخة الاولى فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ومنهم من يقول انه ينفخ الروح في صور الخلق لكن جميع الصورة الصور بنصب الواو فلا يحتمل ان يكون المراد منه جمع الصورة لكن يجوز ان يكون الله تعالى جعل نفخ الصور سببا لافنايهم واحيايهم لانه يعجز شي عن الافناء والاحياء ما لم ينفخ في الصور لكنه جعله سببا لنوع الحكمة والمصلحة او المحنة ذلك الملك والابتلاء على ما عرفنا من انواع المحن في الملايكة من انزال الامطار وتسيير السحاب وجعلهم الموكلين على اعمال بني آدم وغير ذلك وقوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة كسرتا كسرة واحدة وقيل هدمتا هدمة واحدة وقال بعضهم زلزلتا زلزلة واحدة فكانه يقول والله اعلم يتزلزل الارض فيقذف ما في بطنها من الفضول ويخرج ما فيها من الجواهر التي ليست منها بتلك الدكة ويخرج اصول الجبال منها ثم يجعله الله تعالى كثيبا مثل الرمل ثم يرسل عليه

في اول الحال القيامة

الريح فيجعله

الريح فيجعله هباء منثورا ويرسله من لينه كالعهن المنفوش ثم يسير مثل السحاب فيقع في شعاب الارض والاودية والاماكن المختلفة فيصير الارض كما قال تعالى فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهكذا الريح اذا حملت على شي ويقع عليه تفرقه في النواحي ويسوى به الشقوق ويبسطه على وجه الارض وقوله عز وجل وحملت الارض ليس انها يحمل من مكان الى مكان ولكن يدخل هذه في هذه ويضرب هذه على هذه بالدكة فيصير كانها حملت لذلك واذا كان كذلك فقد وقعت الواقعة يومئذ وهذا على اختلاف الاوقات ليكون معنى الايات التي جاءت في الجبال على السواء والله اعلم وقيل في آيات اخر بيان اخر بيان تقديم فناء الجبال قبل الارض بقوله ينسفها ربي نسفا فيذرها اي يذر الارض قاعا صفصفا وغيرها من الآيات مما يدل على تقديم فناء الجبال قبلها فاما ان يكون معنى تبديل الارض تغييرها عن الحالة التي هي عليها اليوم من انهدام البنيان واستواء الاودية وازالة الجبال على ما جاء في الاخبار فسمى لذلك تبديلا كما يقال لمن تغير عن الحالة الحسنة الى غيرها تبدلت يا دار بعد ما عن حالتك فعلى ذلك معنى الاية اي كسرت الجبال وتغير حالة الارض في دفعة واحدة او يكون في الاية اخبار عن شدة الفزع في ذلك اليوم ان يدكه واحدة يعني الجبال وان كان افناء الجبال قبل افناء الارض ليس انهما جميعا بدفعة واحدة لكن بالدكة الواحدة يهلك الجبال والارض فيكون المراد بيان شدة اليوم وهول الاشياء ترتيب فناء الارض على البعض والله اعلم وقوله فيومئذ وقعت الواقعة وهو على الحساب والجزاء كقوله وان الدين لواقع وادخلت الهاء في اسماء القيامة تعظيما لشانها وقوله عز وجل وانشقت السماء فهي يومئذ واهية قال بعضهم تفرقت وهكذا الشي اذا انشق تفرق وتناثر وبه يظهر الشق ويحتمل ان يكون الشق كناية عن اللين اي يلين بعد صعوبتها وشدتها وقوله فهي يومئذ واهية اي ضعيفة بعد ما كانت تنسب الى الصلابة ويدل على ذلك قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وانما يطوى الشي في الشاهد بعد ما كان يلين في نفسه وجايز ان ينشق السماء ليتنزل اهلها فلم يبق فيها الا الملايكة الذين على اطرافها ثم ينضم فتبين للطي والله اعلم وجايز ان يكون ذكر انشقاقها وانفطارها وانفتاحها تهويل الخلق من الوجه الذي ذكرنا فيما قبل وجايز ان يكون للسموات ابواب فيفتح ابوابها فيكون انشقاقها وانفطارها فتح ابوابها وجايز ان يكون الشق ليس فتح الابواب لانه ذكر في موضع التهويل وليس في فتح ابوابها كثير تهويل وقوله فهي يومئذ واهية اي ضعيفة مسترخية وقيل الوهي الخرق وهو يحتمل انها اذا انشقت تخرقت وقوله والملك على ارجائها الارجاء النواحي والاطراف وهي اطراف السموات ونواحيها واحد الارجاء رجا مقصور والملك اريد بها الملايكة اخبر انهم على اطراف السموات ونواحيها فيحتمل انهم وكلوا وامتحنوا بحفظها بعد الشق لئلا يسقط على اهل الارض وجايز ان يجعل اطرافها وجوانبها لبعض الملايكة فيفتح ابواب السماء فينزل الملايكة كما مسكنهم عندها الى الارض كما قال تعالى وينزل الملايكة تنزيلا ويبقى الملايكة الذين كان مسكنهم في ارجائها ينتظرون امر ربهم ثم الملك ليس يحتاج الى مكان يقر فيه وان جعلت السماء مسكنا لهم لان الملايكة ينزلون في السماء الى الارض ويقرون على الهواء ثم غير ان يكون في الهواء مقر والثالث يحتمل انها لا تتفرق كل التفرق ولكن وسطها ينشق لما ذكرنا والباقي بحاله ويحتمل والملك على ارجائها على ما عرف به في السماء والله اعلم وقوله عز وجل ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فيحتمل ان يكون الملايكة بالنفخة الاولى يصعقون الا الثمانية التي يحملون العرش كما قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فيكون هولاء الثمانية من الذين استثنوا فلا يصعقون ثم يحملون العرش فيكون اماكنهم على ارجاء السموات وهو قوله والملك على ارجائها وقوله عز وجل ثمانية جايز ان يكون اراد به ثمانية املاك وجايز ان يكونوا

العرش هو سرير الملك

ثمانية اصناف من الملايكة كما ذكر في التفسير وجايز ان يكون هولاء الثمانية يهلكون ثم يحيون قبل ان يحيا
ساير الخلق فيحملون عرش ربنا على اكتافهم واذا بعث الله تعالى الخلايق راوا العرش على اكتافهم والعرش هو سرير الملك
وجايز ان يكون ذلك من نور كما ذكر في الخبر ان عين الشمس اذا ارادت ان تطلع قال جبرئيل عليه السلام يا فتى
العرش فياخذ كفا من ضيائه ثم يلبس الشمس كما يلبس احدكم قميصه واذا اراد القمر ان يطلع اخذ جبرئيل عليه السلام
كفا من نور العرش فيلبس القمر كما يلبس احدكم قميصه فجايز ان يكون العرش من الضياء والنور ثم اجل الاشياء واعظمها
في اعين الخلق الضياء والنور واليهما ينتهي الرغب فيكون في ذكر العرش ذكر عظيم ملك الرب جل جلاله
ثم ان كل ملك في الشاهد يتخذ لنفسه عرشا يتفاوت ذلك على مقدار ملكهم وسلطانهم لا يجعل ذلك
مسكنا لنفسه فاذا لم يتوهم من الخلق انهم يتخذون ذلك لمقاعدهم ومجالسهم فلان لا يتوهم ذلك
من الله اولى وقوله عز وجل يومئذ تعرضون لا يخفى منكم خافية اي يعرضون على اعمالكم فلا يخفى عليكم خافية
اي يظهر لكم في ذلك اليوم ويصير بارزا في ذلك اليوم كما قال تعالى يوم تبلى السراير اي يظهر لهم سرايرهم
حتى يعرفوها ولا يخفى عليهم شيء منها وجايز ان يكون قوله لا يخفى منكم خافية اي على الله تعالى ولكن كل من ادعى
اخفاء شيء من امر على الله تعالى وظن ان الله تعالى لا يطلع عليه فيستعلم في ذلك اليوم انه لا يخفى عليه
خافية وهو كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليس فيه ان الملك كان لغيره ولكن بعض الناس
كانوا يدعون الاشراك في الملك في الدنيا فيتركون في ذلك اليوم دعواهم فيتيقنون انه هو المنفرد
بالملك وعلى ذلك قوله تعالى وبرزوا لله جميعا ولم يكونوا مختفين عنه قبل ذلك بل كانوا له في كل وقت
بارزين ولكن من انكروا دعاه الاخفاء في الدنيا يدع في ذلك اليوم ويقر بالبروز والله المستعان
ثم روي في الخبر ان العرضات ثلاث عرضتان فيهما خصومات ومعاذير اي يختصمون ويتنازعون
فاذا ظهر ذلك جعلوا يعتذرون ويسالون ربهم العفو والصفح عن خصومهم والعرضة الثالثة
عند تطاير الصحف ومعنى قوله تعرضون اي يعرض الخلق بعضهم على بعض حتى لا يخفى على احد
خصمه ويعرض اعمالهم حتى يذكر احد صنيعه وكل خصم خصومته فكانهم قد نسوا ذلك من كثرة
الفزع وشدة الاهوال لكن الله تعالى يطلعهم على ذلك حتى يذكروا ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
فاما من اوتي كتابه بيمينه ظاهر ما جرى به الخطاب في القرآن يوجب ان يرحم المومنون جميعا فلا يعذبون
في الآخرة ويعذب الكافرون ولا يرحمون لانه قسم الخلق يوم القيامة صنفين فجعل صنفا منهم
اهل اليمين وصنفا اهل الشمال ثم وصف كل واحد من الصنفين باعلام ثلاثة فذكر مرة انه يخف
ميزانهم بقوله ومن خفت موازينه وذكر مرة ان وجوههم يسود وذكر مرة انهم يعطون كتابهم
كتابهم بشمالهم فهذه الاعلام ذكرها في احد الصنفين وذكر في الصنف الثاني ووصفهم باعلام ثلثة
ببياض الوجه ويثقل الميزان وباعطاء الكتاب بايمانهم ثم فيما فيه سواد الوجه ذكر فيه فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وكذلك حين ذكر خفة
الميزان ذكر في آخر ما يبين ان الذين خفت موازينهم هم الكفرة لانه قال الم تكن آياتي تتلى عليكم
فكنتم بها تكذبون وذكر في اعطاء الكتاب بشماله فذكر فيه ما يبين انه من اهل الكفر لانه قال انه كان
لا يومن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فثبت ان الوعيد المطلق ذكر في اهل الكفر وكذلك قال
فاتقوا النار التي اعدت للكافرين ولم يقل اعدت للخلق وقال وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين فثبت ان اهل النار هم الكفار ثم المومنون قد يعترض منهم زلات وماثم في هذه الدنيا
والكفار يوخذ منهم المحاسن فيها ولكن اهل الكفر يجزون جزاء حسناتهم في دنياهم لانهم لا يومنون
بالآخرة واذا لم يومنوا بها لم يقع سعيهم لها وامكن ان يكون المومن يجعل له العقاب بسيئاته في الدنيا فيخلص له

الحسنات في الآخرة فيجزى بها وجايز ان يكون سيئاته بالحسنات التي يوجد منه لان المحاسن جعل سببا
لتكفير المساوي قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات واذا كفرت سيئاته في الدنيا لم يعذب بها
في الآخرة وجايز ان يكون الله تعالى يعذبهم بقدر ذنوبهم ثم يعفو عنهم بحسناتهم التي سبقت منهم من الايمان
وغير ذلك فكل مومن في الحقيقة آخره الجنة ويثقل ميزانه ويبيض وجهه ويعطى كتابه بيمينه وقيل ان يبيض
وجهه ويعطى كتابه بيمينه ثم يجوز ان يكون الذي يعاقب بذنوبه من اهل الايمان يعاقب به قبل ان يعطى
كتابه بيمينه ويثقل ميزانه وقبل ان تبيض وجهه لم يكن مسود الوجه ولكن على ما عليه في الدنيا ثم متى
عفي عنه في الخبر ان الناس يعرضون يوم القيامة ثلث عرضات فاما عرضتان ففيهما الخصومات والمعاذير
واما العرضة الثالثة فتطاير الصحف في الايدي فيجوز ان يكون تعذيبه قبل العرضة الثالثة ثم يعطى كتابه في العرضة
الثالثة بيمينه فيظهر له اعلام السعادة اذ ذاك فاذا ثبت ان الوعيد المطلق انما جاء في اهل الكفر لم يلحق
اهل الكباير من اهل الايمان بهم في الحكم بل وجب الوقف في حالهم كما قال اصحابنا والله الموفق وقوله عز وجل
هاؤم اقرؤا كتابيه قال بعضهم هاؤم اي تعالوا وقال بعضهم هو بمعنى هاكم اي خذوا ابدلت الهمزة
مكان الكاف فظاهر الآية ان المعطى له الكتاب يقول هذا يدعو الخلق ويناولهم الكتاب استبشارا وحبورا
لبشرتهم بعفو الله تعالى عنه ورحمته عليه ولكن اهل التاويل صرفوا التاويل الى المعطي فقالوا بان المعطى
هو الذي يقول هذا فكان الذي كتب الكتاب في الدنيا من الملك هو الذي يعطي الكتاب الى المكتوب عليه
ويقول هاؤم اقرؤا كتابيه اي خذوا واقرؤا ما كتبت لكم وعليكم والله اعلم وقوله اني ظننت اني ملاق
حسابيه فان جملته على حقيقة الظن فهو يخرج على ثلثة اوجه احدها اني ظننت في الدنيا اني لاق
الحساب الشديد فيما سبق من سيئاتي واوخذ بها واجازى عليها وظننت الساعة ان لا نجاة من ذنوبي لفزع
هذا اليوم فوجدت سيئاتي قد غفرت وحطايا اي كفرت عني فيكون قوله منه هذا شكرا لله تعالى واظهار المنة
والثاني اي اني تركت في دار الدنيا اذا عرضت لي الحوادث من الزلات والهفوات ظننت اني لاق الله تعالى بها
فامسكت عنها وانزجرت من اتيانها فيكون اخبارا عن بيان سبب نيل ذلك والثالث اني تفكرت في امري
فظننت ان مثلي لا يترك سدى هملا فادى ظني الى اليقين فآمنت وصدقت الرسل فانما نجوت
باول ظني وفكري ثم منهم من صرف الظن الى اليقين والعلم فقال معنى قوله ظننت اني ملاق ايقنت وعلمت
والاصل ان كل يقين حدث في الامور المستترة والعلوم الخفية فانما يتولد ذلك عن ظن يسبق
فيحمله ذلك الظن على النظر فيه والبحث عن حاله حتى يفضي به الى الوقوف على ما استتر منه ويصير الخفي له
جليا فيكون سبب بلوغه الى اليقين والاحاطة الذي سبق منه فجايز ان يسمى ذلك يقينا مرة على الحقيقة
وظنا ثانيا على المجاز على ما ذكرنا في قوله وتعيها اذن واعية ان الاذن لا يعي شيئا بل تسمع ولكنه انما توصل
الى الوعي بالاذن فصارت الاذن سببا للايصال الى الوعي فاضاف الوعي اليها فعلى ذلك ظنونهم
في الابتداء اذا بلغتهم الى اليقين والعلم سموا يقينهم وعلمهم ظنا مرة ويقينا ثانيا الا ترى ان الله تعالى
قال الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقال في موضع آخر وبالآخرة هم يوقنون فجعلهم مرة ظانين
ومرة موقنين فيما كان طريقة البحث واعمال الفكر وهذا ما لا يجوز ان يوصف الله تعالى بالايقان في امر
من الامور لان الاشياء له بارزة ظاهرة اذ هو منشيها وخالقها فلا يخفى عليه شيء منها فيحتاج الى البحث
عنها والنظر فيها والله الموفق او يقول بان الامور التي سبيل دركها الاجتهاد لا يخلوا شيء منها من اعتراض
وساوس وخواطر فيها فتلك الوساوس والخواطر يفضي بصاحبها الى الظنون فاستجادوا اطلاق الظن
فيها لما لا يخلو عنه واستجادوا اطلاق اليقين لما غلب عليها دلالات النفس والاحاطة الا ترى ان من تهدد
بالوعد الشديد او بالقتل على ان يكفر بالله تعالى ابيح له ان يجري كلمة الكفر على لسانه وجعل كالموقن

باحلال العذاب من المكره ولو امتنع عن الاجابة الى ما دعاه وانه لم يتيقن بانه يفعل به لا محالة ما اوعد به او انه يجوز ان لا يمكن من ذلك ويجوز ان لا يبقى الى ذلك الوقت ثم وسع له فعل ذلك باكبر الراى وغلبة الظن وجعل ذلك محل الاحاطة واليقين فعلى ذلك ها هنا لما غلب دلالات اليقين والصدق جاز املاء لفظة اليقين عليه فاما الاشياء التى يدرك بالحواس والمشاهدات فلا سبيل الى تسمية مثله ظنا لما لا يحتمل اعتراض الشبه فيها والله الموفق **وقوله** عز وجل فهو فى عيشة راضية اى فى حيوة راضية يقال عاش وحيى بمعنى واحد **وقوله** راضية بمعنى مرضية معناه ان نفسه فى حيوة ترضى بها كقوله من ماء دافق اى مدفوق ومثله فى الكلام كثير ويجوز ان يكون المراد نفس الجنة قد رضيت باهلها واظهرت رضاها بهم كما وصف الجحيم بالسخط والتغيظ على اهلها فجاز مثله فى الجنة رضاه واستبشارا ذ على معنى ان الجنة يظهر لهم من انواع الكرامات والخيرات ما لو كان ذلك من ذى العقل يكون ذلك دليل الرضا كما يضاف العزود الى الدنيا وهى انها تظهر من نفسها ما لو كان ذلك ممن يملك الغرور يكون ذلك غرورا من نفسها **وقوله** عز وجل فى جنة عالية قال بعضهم مرتفعة على ما يستحب فى الدنيا من الجنان فى ربوة من الارض مرتفعة وقال بعضهم الجنة اسم لروضة ذات اشجار فكانه يصف اشجارها بالارتفاع والطول والمنظر وذلك اشهى الى ربابها وهذا ما قال قطوفها دانية من غير ذكر الاشجار لان ذكر الجنة اقتضى ذكر الاشجار والثمار ويكون معنى العالية اى عظيم القدر والخطر مرتفعة وقد يوصف الشئ الرفيع بالعلو والله اعلم ثم **قوله** قطوفها دانية اى فى القطوف متدانية من اهلها لمن يريد قطعها وبعيدة لمن لا يريد قطعها وقيل دانية ينالها القاعد كما ينالها القائم وقيل ثمارها دانية اى لا ترد ايديهم بعد ولا شوك **وقوله** عز وجل كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية تاويله ان يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية انما جعلتم ايامكم الخالية سلفا فى ايام الآخرة وسلف الرجل لآخر هو ان يعطيه قرضا ليأخذ مثله وقت الحاجة اليه ويسلم الرجل راس ماله فى الاشياء التى تأمل منها الربح فكانه بما يرى بنفسه يجعلها سلفا وراس مال ليأخذ ربح ما باع فى الآخرة فذلك هو الاسلاف او يجعل عمله للآخرة راس ماله وما رزق من الاموال ينفقها فى سبيل الله ويجعل ذلك راس ماله وذكر عن وكيع انه قال بلغنا ان الذين اسلفوا الصوم اى انهم صاموا فى الدنيا وتركوا الطعام والشراب فاثابهم الله فى الآخرة فقال كلوا واشربوا هنيئا **وقوله** عز وجل واما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه وكان ايتاء بالشمال لحد اعلام الشقاء فتمنى ان لا يؤتى بما فيه علم شقاوته **وقوله** عز وجل ولم ادر ما حسابيه يقول هذا فى الوقت الذى تراه ورأى فيها خلاف ما كان يظن فى الدنيا ويحسب لانه كان يحسب انه فى الدنيا احسن صنعا من الذين آمنوا واقرب منزلة الى الله تعالى كما قال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فظهر له بقراءته الكتاب انه لم يكن على ما حسب بل قد ساء صنعه فود عند ذلك ان لا يعرف ما حسابه لئلا يظهر مساويه ويحتمل انه يتمنى انه ترك ميتا ولم يحيى كان لا يرى الحساب ولا يعرفه **وقوله** يا ليتها كانت القاضية اى يا ليت الميتة الاولى كانت دائمة على وقال بعضهم يا ليت النفخة الاخيرة كانت تقضى بالموت والهلاك لم تكن محييه باعثة والله اعلم وقال قتادة تمنوا الموت ولم يكن شئ فى الدنيا اكره اليهم منه ثم الموت عليهم مقضى وليس بقاضى فحقه ان يقول يا ليتها كانت مقضية ولكن هذه اللفظة يذكرها الناس فى كل كريه من الامور الا ترى ان الناس يدعون الله تعالى بان يصرف عنهم قضاء السوء وليس بقضاء الله بل هو مقضية فخرج القول عليها تعارفوا وهذا كما يقال للصلوة امر الله وليست هى بامر ولكن تاويله انها يأمر ما يقام فسمى ايضا قضاء الله وهى فى الحقيقة مقضية والله اعلم **وقوله** عز وجل ما اغنى عنى ماليه فالاصل ان الكفرة كانوا يفتخرون بكثرة اموالهم فيقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فيزعمون ان الله تعالى

حجج الكفار

بما اتاهم من الاموال يدفعون عن انفسهم العذاب باموالهم ان حل بهم فيتبين لهم فى ذلك الوقت انها لا يغنى عنهم شيئا فيقول كل واحد منهم ما اغنى عنى ماليه **وقوله** هلك عنى سلطانيه ذكر عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كل سلطان فى القرآن فهو حجة والاصل ان الكافر كان يحتج فى الدنيا لنفسه بحجج باطلة فمرة يقول ما انت الا بشر مثلنا ويقول مرة ما هذا الا اساطير الاولين ومرة يقول هذا سحر ومرة يقول هو مجنون وغير ذلك فيعبر بقوله هلك عنى سلطانيه اى هلك تلك الحجج التى كنا نتشبث بها واضمحلت وظننا انها حجج ومنهم من يقول السلطان هو القدرة والشرف اى ذهب ذلك كله وقيل اى هلك عنى تكبرى وسلطانى على الانبياء فى الدنيا وترك الاكترات اليهم وجائز ان يكون اراد به ان السلطان الذى كان لى على نفسى فى الدنيا قد انقطع لانه كان يملك استعمالها فى مرضات الله تعالى فيقول قد انقطع ذلك السلطان لانى لا املك استعمالها فيما استوجب به مرضاة الرب لانه يسلم فلا يقبل منها سلامه ثم يجوز ان يكون الهاءات فى هذه المخاطبات على معنى الاشارات الى الانفس وعلى تاكيد الامر والمبالغة كالتشابه وكانهم ينادون انفسهم بذلك وقد يدخل الهاء فى النداء كقوله يا رباه ويا سيداه وجائز ان يكون الوقف واحكام الكلام واهل النحو يسمونها هاء الاستراحة **وقوله** عز وجل خذوه فغلوه وقال فى موضع آخر خذوه فاعتلوه وهو السوق على العنف وقال فى موضع آخر ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكانهم والله اعلم يغلون ويبدأ بالامر بالاغلال لان الناس فى الدنيا يجتهدون كل الجهد فى منع العذاب بايديهم فاخبر ان ايديهم تغل فى الآخرة فلا يتهيأ لهم دفع ما يحل لهم من العذاب فيكون ذلك اشد عليهم ويكون حالهم كما قال الله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة فيغل يداه كى لا يتقى النار بوجهه ثم يدخل فى السلاسل فيجرون ويسحبون ويساقون على وجوههم على اختلاف احوال القيامة **وقوله** عز وجل ثم الجحيم صلوه اى ادخلوه يقال حمل مصلى اى مشوى فجائز ان يؤمر بان يشوى فى الجحيم **وقوله** فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فذكر اولا انهم يغلون ثم يصلون الجحيم ثم يسلسلون اذ ذاك وحق مثله ان يسلسل ثم يمد الى جهنم ولكنه يشبه ان يكونوا اولا يحشرون ثم يساقون الى نار جهنم بقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا واذا وردوها هوالهم يفروا منها فيسلسلون اذ ذاك ويسحبون فى النار حينئذ فلا يتهيأ لهم الهرب **وقوله** عز وجل انه كان لا يؤمن بالله العظيم ففيه بيان السبب الذى لاجله استوجبوا هذا العقاب وهو انهم كانوا لا يؤمنون بالله العظيم ثم قوله لا يؤمن بالله جائز ان يكون لا يؤمن بوحدانيته او لا يؤمن بارسال الرسل وكان لا يؤمن بالبعث ولانهم يؤمنون بالله ولكن من لم يكن بالرسل والبعث فهو غير مؤمن فى الحقيقة لان الاله الحق هو الذى ارسل الرسل ويقدر على البعث والكافر لا يثبت له قدرة البعث ولا يراه ارسل الرسل فصار لا يؤمن بالله العظيم فى الحقيقة **وقوله** ولا يحض على طعام المسكين اخبار انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس ليسوا يطلبون من المساكين الجزاء لما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة والكافر غير مؤمن بالجزاء ليحمله ذلك على الاطعام وليس هو يكسب يرغب فيه من مكاسب الدنيا فكانه يقول ان الذى افضى به الى النار ترك الايمان بالله تعالى او بالبعث ويجوز ان يكون قوله ولا يحض على طعام المسكين اثبات الحجة فى الذى ترك الحض على اهله بالاطعام كقوله انطعم من لو يشاء الله اطعمه يقول كيف اطعمه ومن بيده خزاين السموات والارض لا يطعمه فلو كان اهلا للاطعام لكان الاولى ان يطعمه هو الله تعالى **وقوله** عز وجل فليس له اليوم ها هنا حميم اى قريب يرجو منه وهو كقوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فليس له قريب يرجو ان ينفعه ذلك الحميم وقد كان له فى الدنيا حميم ينتفع به ويرجو منه **وقوله** ولا طعام الا من غسلين وقال فى موضع آخر ليس لهم طعام الا من ضريع وقال فى موضع آخر ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم والآن قوم

غير الضريع فهذا والله اعلم ان في جهنم دركات فاهل دركة منها لا يجدون غير الغسلين واهل دركة
منها يجدون غير ذلك ولاهل دركة منها طعامهم الزقوم ليس لهم غيره والا لو لم يحمل الامر على هذا
اوجب ما ذكرنا اختلافا فيخرج ان يكون من عند الله بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا ثم يجوز ان يكون قدر لكل اهل دركة ما يوجب الحكمة ان يكون ذلك طعامهم فعلى ما كانوا يفتخرون
في هذه الدنيا بالاطعمة على من دونهم ويهينون من لم يكن عنده ذلك الطعام جعل الله تعالى لهم من ذلك
الوجه طعاما في الجحيم يهانون به وقال الحسن ان القرآن كله كسورة واحدة والسورة كاية واحدة
فكانه جمع بين هذه الاشياء كلها في آية واحدة فقال ليس لهم طعام الا من غسلين وليس لهم طعام
الا من ضريع ومن زقوم واذا حمل على ما ذكر ارتفع توهم التناقض والله اعلم وقوله الا من غسلين
فجايز ان يكون هذه اسماء لشيء من الاشياء التي يعذب بها اهل النار لم يطلع الله تعالى الخلق على علم ذلك
ومعرفته وقد ذكر اسامي في الآخرة ليس للخلق بمعرفتها عهد الا ترى ان الزقوم ليس باسم لشيء يستقبح
ويستفظع في الدنيا ثم جعله الله تعالى اسما للشيء المستبشع الكريه في الآخرة وقال عينا فيها تسمى سلسبيلا
والسلسبيل غير معروف فيما بين اهل اللسان وقال بعضهم الغسلين ما يسيل من جلود اهل النار اذا عذبوا
وذلك هو الصديد والقيح وجايز ان يكون اذا اشتد حرهم استغاثوا الى الله تعالى وطلبوا منه ما يرجوا
ان يرفع عنهم الحر فيصب عليهم ما يزيد في عذابهم فيسمى ما يزول عنهم مسلينا والله اعلم وقوله عز وجل
لا ياكله الا الخاطئون وهم الذين قال انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين
ثم وقوله عز وجل في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا لا يجوز ان يكون السلسلة تفضل عن ابدانهم
فياخذ فضل مكان من جهنم لانه تعالى وعد ان يملأ جهنم من الجنة والناس اجمعين ولو كانت تلك
السلسلة اخذت فضل مكان لكان لا يقع الامتلاء بالجنة والناس اجمعين فقط يؤدي الى خلف الوعد
والله عز وجل لا يخلف الميعاد ولكن ان كانت تلك السلسلة اطول من ابدانهم فهي تدكس على اهلها ليقع بهم
فضل تضييق وغم فاما ان تفضل عن ابدانهم فلا يحتمل وذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا فانه اهون او قال ايسر عليكم وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا وتجهزوا للعرض الاكبر
يوم القيامة يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وعن الحسن انه قال ان المؤمن قوام لنفسه يحاسب
نفسه لله تعالى وانما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب
يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ان المؤمن يفجاه الشيء فيقول والله اني لاشتهيك
وانك لمن حاجتي ولكن والله ما لي من صلة اليك هيهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع
الى نفسه فيقول ما اردت هذا ما لي ولهذا والله ما اعذر والله لا اعود لهذا ان شاء الله تعالى ان المؤمنين
قوم اوثقهم العذاب وحال بينهم وبين هلكتهم ان المؤمن اسير في الدنيا يسعى في فكاك نفسه لا يامن شيئا
حتى يلقى الله يعلم انه ماخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها فمحاسبة النفس ان ينظر في كل فعل
يريد ان يقدم عليه الى عاقبته فان كان رشدا امضاه وانفذه وان كان غيا انتهى عنه كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال في خبر آخر
ان المؤمن وقاف وزان ووزنه ما ذكر في الخبر الاول من النظر في العواقب فاذا نظر في العاقبة
ورأى الرشد في انفاذه فقد وزنه واذا رأى خلاف الرشد انتهى عنه ولم يقدم عليه فذلك وقفه
فهذا الذي ذكرنا محاسبة المرء نفسه فيما يروم من الامور ومحاسبته نفسه في الافعال التي ارتكبها
وامضاها ان ينظر فان كان ارتكب محرما تاب عنه واستغفر الله تعالى لعله بفضله يمن عليه بالمغفرة
وان كان ذلك فعلا مرضيا حمد الله تعالى وسال التوفيق بمثله فهذه هي محاسبة العبد لنفسه فيما ارتكب

من الافعال وقوله عز وجل فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون قد وصفنا ان تاويله قوله فلا اقسم
اي فلا اقسم بما تبصرون من خلق السموات والارض وانفسكم وما لا تبصرون في انفسكم من الاسماع والابصار
والقلوب والعقول او ما تبصرون من الخلايق ممن حضركم وما لا تبصرون من الخلايق ممن غاب عنكم فيكون
القسم بما تبصرون وما لا تبصرون قسم بالخلايق اجمع لان جملة الخلايق على هذين الوجهين فصنف منهم
يرى وصنف لا يرى وقد ذكرنا ان القسم من الله عز وجل لتاكيد ما يقصد اليه مما يعرف بالتدبر والتامل
وقوله عز وجل انه لقول رسول اي الذي تسمعونه منه يسمعون من رسول كريم ثم ذكر هاهنا انه قول
رسول كريم وقال في موضع آخر وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فذكر هاهنا
كلام الله وذكر في الآية الاولى انه قول رسول كريم فاما ما اضيف الى الرسول فهو من حيث من بلوغنا اليه
من جهة الرسول لا يامر غيره وصلنا اليه واضيف الى الله تعالى لان مجيئه وبروزه واضيف الى الرسول لانه ظهور
في حقنا كان به وهذا كما اضيف ما وعاه القلب الى الاذن بقوله وتعيها اذن واعية لانه انما يوصل الى القلب
بالاذن فعلى ذلك اضيف القول الى الرسول من حيث كان سماع الخلق من جهة الرسول عليه الصلوة
والسلام ثم الاصل ان الكلام والقول لا يسمعان وانما المسموع منهما الصوت الذي يعرف الكلام والقول
ويدل عليه لا ان يكون كلامه في الحقيقة صوته فينسب ايضا هذا القرآن الى كلام الله تعالى لما يدل على كلامه
لا ان يكون المسموع في الحقيقة هو كلامه عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم بل لقوله تلقاه من عند الله الرسول
الكريم فيذكرهم هذا ليؤمنهم من تخليط يقع فيه من الشياطين وغيرهم من الاعداء ثم جايز ان يكون الرسول
الكريم هو جبريل عليه السلام كما قال تعالى في سورة اذا الشمس كورت انه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين ويحتمل ان يكون الرسول الكريم هو محمد صلى الله عليه وسلم والاشبه ان يكون
هو المراد لانهم كانوا ينكرون رسالته ولم يكونوا يقولون في جبريل عليه الصلوة والسلام شيئا وقوله
عز وجل وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون اي ان هذا القرآن
لقول رسول كريم ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن ثم قوله قليلا ما تذكرون وقليلا ما تؤمنون يحتمل
ان يكون تاويله فبقليل ما تؤمنون وبقليل ما تذكرون مما جاءكم به الرسول والقليل الذي آمنوا به
وتذكروا فيه هو الذي كان راجعا الى منافعهم فاما الذي كان عليهم فهم لم يؤمنوا به ولا تذكروا فيه
واذا كان تاويله ما ذكرنا فانتصاب القليل لانتزاع حرف الخافض وفي الحقيقة انتصابه لكونه مصدرا
وهو المفعول المطلق وجايز ان يكون اضاف القليل الى قول الكاهن والساحر وتاويله ان الامور لو كان
على ما يزعمون بانه قول كاهن وقول ساحر فما بالكم لا تصدقون بالقليل منه وقد تعلمون ان الساحر
وان كان الغالب عليه الكذب فيما ياتي فقد يصدق في القليل منه وكذلك الكاهن فما لكم لا تصدقونه
بالقليل منه وانتم تعلمون انه صادق فان كان على هذا فهو في موضع ايجاب الحق عليهم ان يصدقوه
وان كان على التاويل الاول ففيه اضمار انهم لا يؤمنون الا بالقليل منه والله اعلم وقوله عز وجل
تنزيل من رب العالمين فالتنزيل في الحقيقة لا يحتمل ان يسمع لانه اخبار عن فعله وانما الذي
يسمع منه هو المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اضاف الى نفسه التنزيل ليعلم ان هذه الاخبار
وهو قوله انه لقول رسول كريم وقوله عز وجل تنزيل خرجت على المجاز ليس على التحقيق لان التنزيل
هو انزاله فسمي تنزيلا لانه هو الذي كلفه الانزال لا ان يكون هو الذي تولى الانزال وان كان هو خالقه
وقوله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل فهذا عطف على ما تقدم من قوله انه لقول رسول
كريم وما هو بقول تلقاه من كاهن او ساحر ولا بقول تقوله علينا ولو تقول لاخذنا منه باليمين
ويحتمل وجها آخر وهو ان الذي يسمعون منه رسول كريم وليس بشاعر ولا كاهن ولا متقول لانهم

كانوا مرة ينسبونه الى الكهانة ومرة الى السحر ومرة انه تقوله على الله ولو تقول لاخذنا منه باليمين يبين ان عذاب الله باخص عباده اسرع ووقوعا اذا هم خالفوا وزلوا منه باعدائه الا يرى الى قوله عز وجل لاخذنا منه باليمين فبين انه لو وجد منه شئ مما قالوا لاخذ على المكان الا ترى الى آدم عليه السلام وما حل به عند ما ابتلى بالزلة والخلاف وكذلك يونس عليه السلام وما عوتب على اثر الزلة وهذا لان عذاب الاولياء يخرج مخرج التنبيه والتذكير والاستدعاء الى ما كانوا عليه من الطاعة والانقياد قبل ان تكابهم الزلة ولا كذلك عذاب الاعداء فاخر عذابهم الى اليوم الذى يدوم عليهم فيه العذاب وفيه وجه آخر وهو ان الذى سمعتم منه لو كان سحرا او شعرا او كهانة او تقوله لكان لا يمهله الله تعالى بل يؤاخذه على المكان من غير ان تعجزوا كما قال فما منكم من احد عنه حاجزين فامهاله دل على ان الامر ليس كما قالوا بل هو تنزيل من رب العالمين **وقوله** عز وجل لاخذنا منه باليمين فاخذ الله تعالى عذابه وعقوبته كقوله تعالى فاخذناهم بالباساء والضراء وقوله عز وجل فاخذناهم بغتة وقوله باليمين اى بالقوة اى لا يعجز ما عنه شئ ولا يفوتنا عذابه كقوله عز وجل وما هم بمعجزين وكقوله عز وجل وما نحن بمسبوقين اى لا يعجزنا ما عنده من الشرف والقوة منه ان نؤاخذه وينزل عليه النقمة وجايز ان يكون اليمين صلة القول لا على تحقيق اليد فذكر اليمين لان التاديب فى الشاهد والاخذ يقع بها وهو كقوله عز وجل ذلك بما قدمت يداك فاضاف التقديم الى اليد لا على تحقيق اليد اذ يجوز ان لا يكون ليديه بما قدم صنع لكن لما كان التقديم فى الشاهد يقع بالايدى فكرت اليدان على ذلك لا على تحقيق الفعل بهما فكذلك يجوز ان يكون اليمين ذكرت لما بها يقع الاخذ والتاديب فى الشاهد وان لم يكن هناك يمين والله اعلم واليمين القوة وسميت اليمين يمينا لان قدرة الرجل تكون فيها وسمى ملك الرقاب ملك يمين لان ملك اليمين يكتسب بالقهر والغلبة وانما يصل المرء الى القهر والغلبة بالقوة فسمى ملك يمين لهذا لا ان يراد بذكر اليمين تحقيق اليمين اذ اليد لا يملك شيئا حتى يضاف اليها فكذلك فيما اضيف من اليمين الى الله تعالى فالمراد منه القوة **وقوله** عز وجل ثم لقطعنا منه الوتين قيل الوتين عرق فى القلب وقيل حبل فى القلب وقيل هو العرق الذى اذا قطع مات صاحبه وهو عرق متصل بالظهر فكانه قال نعذبه عذابا لا ابقاء له مع ذلك العذاب وهذا من اعظم آيات الرسالة فى انهم متى زلوا اخذوا على المكان ويكون فيه امان للخلق عن احداث التغيير والتبديل من الرسل لانهم لو غيروا لعذبوا ثم قوله عز وجل منه باليمين فجايز ان يكون قوله منه زيادة فى الكلام وحقه الاسقاط ويكون معناه لاخذناه باليمين وجايز ان يكون معناه لاخذنا من تقوله وسحره وكهانته باليمين فان كان على هذا فحقه الاثبات وليس بصلة زايدة **وقوله** عز وجل فما منكم من احد عنه حاجزين فى هذا ايس منه لاولئك الكفرة لانهم كانوا يطمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباعهم وموافقتهم على ملتهم فاخبر انه لو اجابهم لقطع منه وتينه واخذ اخذا لا يملكون منع ذلك عنه ودفعه ولم يكن احد يتضرع عند ذلك او يحجزه عنا وهو كقوله عز وجل وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا **وقوله** عز وجل وانه لتذكرة للمتقين فالمتقون هم الموحدون فتسماهم مرة متقين ومرة صابرين شاكرين كقوله عز وجل ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور وهو تذكرة لانه يذكرهم الوعد والوعيد وما يتقى وما يؤتى وغير ذلك فهو تذكرة للقرآن **وقوله** عز وجل وانا لنعلم ان منكم مكذبين اى بآياتى ورسلى ثم يمهلكم فهو صلة قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل فبين انه مع كذبهم باياته ورسله يمهلهم ولا يعجل عليهم بالعقوبة ولو وجد التقول من الرسول لكان يستاصله ويقطع وتينه فهو على ما ذكرنا

ان عذابه على خواص عباده اسرع وقوعا اذا خالفوا منه باعادته وجايز ان يكون قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين هم المنافقون لانهم كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنتهم ويخالفونه ويكذبونه بقلوبهم فيكون هذا التاويل راجعا الى اهل النفاق والتاويل الاول الى اهل الكفر الذين اظهروا التكذيب **وقوله** عز وجل وانه لحسرة على الكافرين اى العذاب حسرة عليهم يوم القيامة لانه شافع مشفع لمن اتبعه وعمل بما فيه وماحل مصدق لمن نبذه وراء ظهره ولم يعمل به فهو حسرة عليهم لانه يخاصمهم فيخصمهم ويشهد عليهم فيصدق فى شهادته او يكون يوم القيامة معاملتهم بالقرآن فيندمون عليه ويزيدهم حسرة لانهم كانوا اذا تلى عليهم القرآن فى الدنيا ازدادوا عند تلاوته ضلالة وكفرا وازدادوا رجسا الى رجسهم كما قال واما الذين فى قلوبهم مرض فزادهم الله رجسا الى رجسهم وهو ليس بسبب لازدياد الرجس ولكنهم كانوا يحدثون زيادة تكذيب وضلال عند التلاوة فاضيفت الزيادة الى القرآن اذ كان القرآن هو الذى يحملهم على زيادة التكذيب فهذه المعاملة تزيدهم حسرة يوم القيامة فاضيفت الى القرآن اذ كان القرآن هو الذى عنده وقعوا فيه كما اضيف الرجس اليه والله اعلم **وقوله** عز وجل وانه لحق اليقين والاصل ان الحق اسم لما يحمد عليه فحقه ان ينظر فيما يستعمل هذه اللفظة فيصرفها الى احمد الوجوه فاذا استعملت فى الاخبار اريد بها الصدق نحو ان يقال هذا خبر حق اى صدق واذا استعمل فى الحكم اريد بها العدل واذا استعملت فى الاقوال والافعال اريد بها الاصابة فقوله انه لحق اى صدق ويقين انه من رب العالمين فهو صلة قوله عز وجل تنزيل من رب العالمين **وقوله** عز وجل فسبح باسم ربك العظيم قيل صل وقيل اذكره بالاسم الذى اذا سميت كان تسبيحا اى تنزيها عن كل ما قالت فيه الملاحدة وما نسبت اليه مما لا يليق به والله الهادى

سورة المعارج مكية وآيها اربعون وثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سال سائل بعذاب للكافرين قرئ بتسكين الالف ومعناه سال واد بعذاب واجب والقراءة العامة بالهمز من السؤال وتاويله على سؤال القوم العذاب بقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقولهم وعجل لنا قطنا وقيل هو النضر بن الحارث سال ذلك فقتل يوم بدر وبعد ما اسر هكذا قال بعض اهل التاويل ولكن عندنا ان هذا وان كان فى الظاهر خارجا مخرج السؤال لكن لم يكن سؤالهم هنا لينزل به العذاب فى التحقيق وانما هذا منه على جهة الاستبعاد بالعذاب والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والذى حملهم على الاستبعاد والانكار هو انه كان عند اهل مكة انه لو كان فيهم نبى لكانوا هم احق بالنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم هم الذين بسطت لهم الدنيا وهم الذين لهم نفاذ الكلام فى البلاد ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبسط له الدنيا ولا كان لكلامه فيما بينهم نفاذ فيظنون بهذا انهم اقرب منزلة عند الله تعالى من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا يستقيم فى العقل ان يصل الولى الى عدوه ويحسن اليه ويدع وليه ويجفوه فهذا الظن الذى ذكرنا هو الذى حملهم على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبرهم من حلول العذاب بالتكذيب وعلى الاستهزاء به فكان سؤال السائل على جهة الاستبعاد والانكار للعذاب لا ان كانوا متيقنين به ثم استعجلوه وذكر ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم انصر ابرنا قسما واوصلنا رحما واقرانا للضيف فكان يدعو بهذا لما عنده انه اشرف حالا واعلى منزلة عند الله عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه ومن كان هذا شانه فهو اولى ان ينصر من عنده قال الله عز وجل واذ قالوا اللهم

ظن الكفرة

ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولو لم يكن عندهم انهم اقرب منزلة واحق
ان يكونوا اولياء والا لم يكونوا يجتهدون ان يسالوا بهذا فهذه الشبهة التي ذكرناها هي التي اورثت لهم ما ذكرنا
من الظن حتى زعموا انهم احق بالرسالة وظنهم هذا يتولد من ابليس قال انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين فظن ان امر الفاضل للمفضول بالسجود والخضوع له خارج عن حد الحكمة فصار الى ما صار
اليه من الخزي واللعن فكذلك هؤلاء لما راوا من نفاذ كلمتهم وسعتهم في الدنيا ظنوا انهم اقرب الى الله تعالى
اذ التوسع عندهم دلالة الولاية والقرب ثم سفههم هو الذي حملهم على التكبر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وترك الخضوع والا لو اعطوا النصفة من انفسهم لكان يجب ان يكونوا هم اطوع خلق الله تعالى
لان الواجب على من كثرت عليه النعم من آخر ان يكون هو اشكر للنعم واطوع له فيما يدعوه اليه من الذي قلت
نعمه عليه فاذا كانوا مقرين ان نعم الله عليكم اكثر واحسانه اليهم اوفر اوجب ما ذكرنا وان يكونوا هم الزم
اطاعته واحد لما يامرهم به وكذلك ابليس اللعين اذا راى لنفسه فضلا وانما استوجب ذلك بما انعم الله
عز وجل عليه كان الحق عليه ان يتسارع الى طاعته وينقاد لما امر به لا ان يظهر الخلاف من نفسه وترك الائتمار
بامره **وقوله** عز وجل بعذاب واقع اى هو واقع بهم لا محالة في علم الله تعالى او واقع بمعنى سيقع
كما يقال قائل اى سيفعل **وقوله** عز وجل للكافرين ليس له دافع فان كان قوله للكافرين صلة قوله بعذاب
واقع فحقه ان يقول على الكافرين ولكن اللام من حروف الاضافة والخفض وحروف الاضافة مما يستدل
بعضها ببعض فجعل اللام بدلا عن على وان كان قوله للكافرين صلة قوله ليس له دافع فمعناه ان ليس على الكافرين
دافع لعذاب الله عز وجل بل واقع بهم لا محالة فابدلت اللام مكان عن لانهما جميعا من حروف الخفض
وقد يدفع العذاب عن المسلمين من وجوه اما برحمة الله تعالى او بشفاعة الرسل والاخيار واما الحسنات
سبقت منهم فوجب تكفير سيئاتهم فاما الكفار فلا تنالهم رحمة ولا شفاعة احد من الخلايق وليست لهم
حسنات يكفر سيئاتهم فليس لهم ما يدفع عنهم العذاب وجايز ان يكون معناه ان الذين ظنوا انه ينصرهم عند
النوايب وحلول الشدايد لا يقوم بنصرهم ولا يشفع لهم لانهم كانوا يعبدون الاصنام ويعبدون الملايكة
على رجاء ان يشفعوا لهم ويقربوا الى الله تعالى **وقوله** عز وجل من الله ذي المعارج اى ذلك العذاب لهم
من الله ذي المعارج اى من له المعارج كقوله عز وجل ذو العرش المجيد اى الذي له العرش ولخلقوا في المعارج
قال بعضهم هي المصاعد وهي السموات وسماهن مصاعد لان بعضها اصعد من بعض وادفع ولو قال
ذي المنازل كان مستقيما واقتضى ما يقتضي قوله ذي المعارج لان بعضها اذا كان اصعد والذي تحتها
اهبط واسفل ولكن ذكر المصاعد لان هذا اعلى الوصف ثم في ذكر هذا عظم نعمه واحسانه الى الخلق حيث
خلق السموات مسكنا لاهلها وبسط الارض مسكنا لاهلها حتى اذا عرفوا هذا عرفوا ان له ان يفضل بعضا
على بعض وله ان يصطفي من يشاء من الناس للرسالة ويختص بها وذكرهم ايضا حكمته وعلمه وقدرته وسلطانه
حيث وضع سماء على سماء وخلقهن طباقا من غير عمد تحتها يمسكها او علايق من فوقها يربطها فتبين انه يمسكها
بحكمته وقدرته وسلطانه فيكون في ذكر كل وجه مما ذكرنا ازالة الشبه التي اعترضتهم في امر البعث
والرسالة وايضاح بان من قدر على ما ذكرنا القادر على الاعادة بعد الافناء وقيل المعارج المعالي
اى الذي له العلو والرفعة كما قلنا في قوله الحمد لله اى لا احد يستحق الحمد في الحقيقة وما حمد احد
الا وذلك في الحقيقة لله تعالى لانه به استفاده فعلى ذلك قولنا له العلو والرفعة اى ليس احد
يستفيد العلو والكرامة الا وحقيقة ذلك لله تعالى لانه استفاده به والثاني اى هو الموصوف بالعلو
والجلال مما يقع عليه اوهام الخلق **وقوله** عز وجل تعرج الملايكة والروح اليه يحتمل ان يكون معنى قوله
يعرج ليس عن هبوط يصعد ويعرج لكن انشاهم كذلك معروجين كقوله وانزل لكم من الانعام اى انشاهم

لان الواجب على من كثرت عليه النعم

كذلك وقوله عز وجل والسماء رفعها ليس انه كان في موضع منحط فرفعها لكنه كذلك خلقها مرفوعة
فعلى ذلك قوله عز وجل تعرج الملايكة اى انشاهم كذلك استعملهم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
ووجه آخر وهو الاشبه بالآية وهو ما قالوا ان الملايكة تعرج اليه الى الموضع الذي عنده ارسلهم الى انواع
الامور في يوم لو قدر ذلك المعروج بعروج البشر وسيرهم لكان مقدار خمسين الف سنة
وقوله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقال في موضع آخر الف سنة مما تعدون
فيحتمل ان يكون هذا الوقت وقت تقدير عروج الملايكة وصعودهم وهو ان البعض منهم ثم يعرج
في يوم واحد مقدار ذلك المسير الف عام والبعض منهم ينزل ويعرج في يوم واحد مسيرة
خمسين الف سنة فيكون في هذا ابانة ان ليس اهل سماء احق ان يدور عليهم تدبير اهل الارض
من اهل سماء بل ينزل اهل سماء الى الارض مرة لما يريد من التدبير وينزل اهل سماء اخرى
بتدبير آخر ثم سماء يرسل فهو يصعد الى تلك السماء بيوم واحد ان ارسل من السماء السابعة
او السادسة او الاولى فهو يصعد اليها في ذلك اليوم ويكون في هذا تبيين قوة بعض الملايكة
على بعض ان فيهم من يسير مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد وفيهم من يسير مسيرة الف سنة
ومن قدر على ان يخلق في خلقه من خلا يقدر من القوة ما يقطع هذه المسافة في يوم واحد لا يحتمل ان يعجزه
شيء فيكون في ذكر هذا تحقيق كون ما به هولوا من القيامة والبعث وجايز ان يكون قوله في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة راجعا الى يوم القيامة فذكر في موضع ان مقداره الف سنة وذكر هاهنا
ان مقداره خمسين الف سنة فالاصل ان ذلك اليوم ليس بذي حد ولا له غاية ينتهي اليه فيما يخبر
من الحد فيه فهو يخرج مخرج تعظيم ذلك اليوم ليقع به التهويل والتفزيع فباى شيء يعظم ذكره في القلوب
يذكر مرة ذكره بالخلود وهو قوله عز وجل ذلك يوم الخلود ومرة قال لابثين فيها احقابا ومرة
قال خمسين الف سنة ومرة قال الف سنة اذ هذه الاشياء مما يعظم في القلوب وكذلك الالف
هي عظيمة في القلوب فاذا كانت هذه الاشياء يعظم ذكرها في القلوب فذكر الشيء الواحد من الجملة
او ذكر الاشياء يقتضي معنى واحدا ومنهم من يصرف الالف الى تقدير عروج الخلايق الى السماء في ذلك
اليوم ويصرف قوله خمسين الف سنة الى تقدير المقام للحساب قبل ان يدخلوا النار وجايز ان يكون
تاويله على ما ذكره بعض اهل التفسير وهو ان الله تعالى لو جعل حساب الخلق يومئذ الى الخلق
فتكلفوا ان يفرغوا من حسابهم لم يفرغوا منه الى في مقدار خمسين الف سنة لكن الله عز وجل
بلطفه يحاسبهم حسابا يفرغون عنه في ادنى وقت حتى يصير اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
على ما جاء في الاخبار دون ذلك قوله والله سريع الحساب فان قيل في قوله عز وجل الف سنة مما تعدون
ان كيف قدر ذلك بصعودنا ونحن لم يمكن لنا من الصعود ولم ينشا على ما في طبعنا انشاء الصعود
حتى ينظر انه الف سنة او اقل او اكثر وجوابه ان يقال ان تاويله والله اعلم انه لو بسط ما بين
السماء والارض وصار بحيث يمكن السير عليه لم يقطع ذلك المسير اذا احتجنا الى قطعه الا بالف سنة
مما تعدون وجايز ان يكون تاويله لو جعل الى السماء بابا وفتح وظللنا نعرج اليها لم يتوصل اليها
الا في الف عام **وقوله** عز وجل فاصبر صبرا جميلا قيل الصبر الجميل هو صبر لا جزع فيه والصبر الذي
لا جزع فيه هو ان يصير صبرا لا يرى عليه اثر الصبر بان لا يظهر في وجهه كراهة وعبوسة وهو
ان ينظر الى من اذاه بعين الرضا والشفقة ليس بعين السخط والكراهة او الصبر الجميل ان لا يكافيهم
ولا يدع شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك مشفقا
رحيما حتى بلغت شفقته ورحمته وحزنه على كفر قومه مبلغا كادت نفسه تهلك فيها كما قال الله عز وجل

في تحقيق الصبر الجميل لا جزع فيه

فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لعلك باخع نفسك على آثارهم فالرسل عليهم السلام كانوا اذا اوذوا لم يكونوا يحزنون لمكان انفسهم بما اوذوا بل كانوا يحزنون بمكان من ذنوبهم خوفا من حلول الهلاك والبوار بايذائهم رسل الله تعالى واشفاقهم على قومهم هو الذي كان يحزنهم ليس سوء صنيعهم ومعاملتهم معهم **وقوله** عز وجل انهم يرونه بعيدا ان يكون فيكون على النفي والانكار وقد يستعمل هذا الحرف في موضع النفي يقول الرجل في المناظرة لصاحبه ابعدت في القول اذا اجاب بشيء لا ثبات له ولا صحة فيريد بقوله ابعدت النفي اي ليس كما تقول وقال الله عز وجل ولئك ينادون من مكان بعيد ومعناه على نفي النداء اي لا ينادون او ان يكون قوله بعيدا اي مستبعدا كونه فيغد من اوهامهم حتى انكروه ونراه قريبا اي قريبا كونه ان كان معنى قوله بعيدا اي بعيدا كونه او نراه قريبا اي كاينا وقد قرب وقت وقوع ذلك بهم وكلما هو كاين فهو قريب **وقوله** عز وجل يوم تكون السماء كالمهل فكانهم سالوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الوقت الذي وعدوا ان يقع بهم العذاب متى وقته فنزلت هذه الآية يوم تكون السماء كالمهل وقيل المهل عكر الزيت وهو درديه فجايز ان يكون هذا على التحقيق وهو انها يتغير في ذلك اليوم من لون الى لون فيحمر مرة ويصفر اخرى لشدة هول ذلك اليوم فيكون كدردي الزيت لينا ولونا متغيرا من حال الى حال وجايز ان لا يحمل بها التغيير ولكن شدة ما ينزل بالمرء من الهول والفزع يضعف بصره حتى يرى السماء على خلاف اللون الذي هي عليه وهو كما يرى المرء اذا حل به الضعف والمرض في الشاهد وجد طعم الاشياء على خلاف ما هي عليها فيكون في ذكر هذا تهويل وتفزيع ان هول ذلك اليوم شديد لا يقوم لهولها السموات والارضون مع صلابتها وغلظها في انفسها فكيف يقوم لهولها الادمي الموصوف بالضعف واللين وجايز على ما ذكرنا ان يصير شبيها بالمهل لينها ورخاوتها وهوانها تلين وترخو من هول ذلك اليوم حتى يصير السماء كالمهل والجبال كالعهن فيكون في هذا ايضا تهويل ليرجعوا عما هم فيه ويقبلوا على عبادة الله تعالى ويتسارعوا الى طاعته وتاويل العهن ووجه تشبيه الجبال بها يذكر بعد هذا في قوله عز وجل وتكون الجبال كالعهن المنفوش **وقوله** عز وجل ولا يسال حميم حميما قرئ برفع الياء ونصبها فمن يرفع الياء فتاويله اي لا يطلب حميم من حميم ولا يؤخذ بمكانه كما يفعل مثله في الدنيا لان ذلك اليوم هو يوم العدل وليس من العدل ان يؤخذ الغير بذنب الغير ومن قراه بالنصب فتاويله ان لا يسال حميم حميما من شدة ذلك اليوم وهوله النصرة والشفاعة او لا يسال عن حاله بما حل به من الشغل في نفسه **وقوله** عز وجل يبصرونهم يحتمل ان يعرف بعضهم عن بعض ان هذا ابوك وابنك وحميمك اذ لا يعرفه الا بالتعريف لما حل به من شدة الهول والفزع ثم اذا عرفوا لا يسالونهم بل يفر بعضهم عن بعض كما قال يوم يفر المرء من اخيه الآية او يكون معناه ان يبصروا ما سبق منهم من الذنوب والاجرام فيعرفونها فيصير لهم حاضرة **وقوله** عز وجل يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ففي هذه الآية يستقبلهم في ذلك هول وفزع لم يكن لهم بمثله عهد في الدنيا ولا كان خطر ببالهم ذلك لان المرء لا يبلغ به الهول في الدنيا مبلغا يود ان يفتدي به بنيه وصاحبته واخيه واقربائه وجميع من في الارض فيكون فيه اخبار عن شدة هول ذلك اليوم ليحمل الناس على الانابة الى الله تعالى والانتهاء عما هم عليه ثم بدا بذكر البنين والاقربين وانهاه بالابعدين وحق هذا ان يبدأ بالابعدين ثم يختم بذكر الابعدين لان المرء قد يسخو نفسه بفداء الابعدين ويظن ببذل الاقربين فاذا سخت انفسهم في ذلك اليوم بفداء البنين والاقربين فلان يسخو بفداء الابعدين احق واذا كان كذلك فغاية التهويل والتفزيع ان يبدأ بذكر الاباعد ويختم بذكر

في هول القيامة نعوذ بالله تعالى منه

الاقارب فكيف ابتدأ بذكر الاقربين قيل يجوز من وجهين احدهما انه انما يتوصل الى فداء اهل الارض اذا كان له عليهم ملك وكانوا باجمعهم له واذا كانوا جميعا له ملكا كانت شفقته على ملكه واولاده واحق واكثر فكما يظن ببذل الاولاد وان يكونوا عنده فداءه فكذلك يظن بالاباعد اذا كانوا جميعا ملكا له فلذلك استقام ان يبدأ بذكر الاقربين قبل الابعدين اذ كل ذلك يستوي في التهويل والتفزيع والله اعلم وجايز ان يكون ذكر الاقربين وذكر اهل الارض ليس على جهة الاولى ولكنه ذكر الاحاد اولا ثم ذكر الجماعة الجماعة ليعلموا ان لا ينفعهم الفداء في ذلك اليوم وان الذين ودوا الفداء ليتخلصوا من عذاب الله تعالى لا يشتد عليهم ما فدوا وان كان ذلك ملء الارض والله اعلم **وقوله** عز وجل ثم ينجيه كلا رد وتنبيه ان لا ينجيه ذلك اليوم **وقوله** عز وجل انها لظى نزاعة للشوى فلظى اسم من اسماء النار والشوى قيل مكارم خلقته وقيل هي القوايم والاطراف وقيل هي الجلود والاصل ان نار جهنم تعمل على اصحابها تقبيح كل قبيح وكل مستشنع مستفظع فان شئت صرفت ذلك الى الارجل وان شئت الى الجلود وان شئت الى مكارم خلقة الاخلاق لان التقبيح في كل ذلك موجود وهو كقوله عز وجل لهم فيها ازواج مطهرة فقيل في تاويل المطهرة وجود احديها انهن مطهرات من العيوب والآفات وجملته انه ما من شيء يستخبث ويستقبح من خلق او نفس ومعاملة الا وهن مطهرات من ذلك وما من شيء يستشنع ويستفظع الا وذلك في اهل النار موجود **وقوله** عز وجل يدعو من ادبر وتولى فجايز ان يكون الدعاء منها على التحقيق وهو ان يجعل الله تعالى باللطف لسانا يدعو به او يخلق فيها الكلام من غير لسان فيقول الي وجايز ان يكون هذا على التمثيل وهو انها لا تدع احدا يفر عنها ويتخلص من عذابها فكانها دعته الى نفسها ثم **قوله** عز وجل من ادبر وتولى جايز ان يكون قوله من ادبر اي من كان ادبر في الدنيا من طاعة الله تعالى وتولى عن الاجابة لرسله كقوله تعالى تولى عن ذكرنا اي اعرض او ادبر عن توحيده وتولى عن النظر في حجته وفيما جاء من عنده ويحتمل قوله ادبر اي ادبر عن طاعة الله عز وجل وتولى اي تولى الشيطان من الولاية وجايز ان يكون ادبر في جهنم فتدبر رجاء ان يفر عنها ويتولى كذلك فلا يدعه النار ليفر بل يغشاه عن الاعراض كقوله عز وجل انما سلطانه على الذين يتولونه ولكن هذا قريب من الاول لان من تولى عن ذكر الله فقد تولى الشيطان **وقوله** عز وجل وجمع فاوعى يخبر بقوله وجمع على ما جبل عليه من شدة الحرص على الدنيا فيكون يجمع كناية عن الحرص فبلغ به هذا الحرص مبلغا انساه ذكر الآخرة **وقوله** عز وجل فاوعى فيه بيان صفة فيما عليه من النهاية في البخل فيكون الايعاء كناية عن البخل حتى لم يؤد حق الله تعالى في ماله ولم يقم بشكر الله تعالى من النعم او بلغ به البخل مبلغا منعه ذلك عن قبول حق الله تعالى في ماله **وقوله** عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اختلف في تاويل الهلوع من وجوه كل يرجع الى معنى واحد فقال بعضهم الصامع في اللذات الطالب لها والكاره للاثقال الهارب منها وقيل خلق هلوعا اي على حب ما يستلذ به والقيام يطلبه وبغض ما يتالم به والهرب عنه ومنهم من يقول الهلوع الضجور وهذا موافق للتاويل الاول لان الذي يحمله على الضجر هو ما يصيبه من الالم فيضجر لذلك ويضجر عن حق الله تعالى ومنهم من يقول تفسيره ما ذكر ذلك على اثره من قوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وهذا ايضا مثل الاول لان الذي حمله على المنع شدة حبه اياه والذي حمله على الجزع ما استقر من الضر والشر فجزعت نفسه لذلك لانها الشيئة نافرة عن الضر ومبغضة له وقال الله عز وجل وخلق الانسان عجولا وقال في موضع آخر وكان الانسان قتورا اي لا يسخو عن اخراج ما في يديه ففي هذه الآيات انباء ان الانسان خلق على هذه الاحوال قتورا عجولا هلوعا فجملته انه انشئ على حب ما ينفعه وبغض ما يكرهه ويتالم به علم انها خلق على هذه للمحنة فمن تذكر فيما وعد الله تعالى من النعم لمن قام بوفاء ما امره به جملة ذلك على التسارع في الخيرات وترك ما يحبه في الدنيا لينال الموعود في الآخرة اذ هو في الاصل انشئ محبا لما يتلذذ ومن تذكر

ما اوعد من العذاب بما يعطي نفسه من الشهوات من معاصي الله تعالى وبما يمنع من حقوق الله تعالى
الواجبة فيما له سهل عليه ترك الشهوات وخف عليه بذل ما طلب منه لئلا يحل به ما يبغض بعيشه
من الآلام والمكاره والاصل ان الانسان وان كان مطبوعا على هذه الاخلاق الذميمة من البخل والاقتار
والعجلة وجبل عليها فقد ملك المرضية فلزمه القيام بذلك الا ترى انه يتهيا له ان يقوم برياضة الدواب
والسباع فيخرجها بالرياضة عن طباعها التي انشئت عليها من النفار عن الخلق والامتناع عن الانقياد
حتى تصير منقادة للخلق ذليلة لهم فيتهيا لهم الاستمتاع والتوصل الى منافعها فكذلك الانسان
اذا قام برياضة نفسه امكنه ان يستخرجها عن خلقتها فتصير مطيعة له فيخف عليها بذل ما يطلب منها ويسهل
عليها تحمل ما كان يشتد عليها ثم الاصل ان المرء وان جبل على حب ما يتلذذ به وبغض ما يتألم ويتوجع
فقد جبل ايضا على ترك ما هو فيه من اللذة للذة هي اعظم منها وعلى التصبر لاحتمال الاذى والمكروه لتخلص
مما هو اعظم من ذلك المكروه والالم وان كان كذلك فهو اذا قابل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة وقربا للذتين
بابعدهما فراى ان الآخرة اعظم وابقى خف عليه ترك اقربهما لابعدهما واقلهما لاكثرهما واذا قابل
مكروه الدنيا بمكروه الآخرة وعذابها بعذاب الآخرة فراى عذاب الآخرة اشد وابقى خف عليه تحمل المكاره
في الدنيا فهذا السبب الذي ذكرنا انما يتوصل به الى رياضة النفس والذي يدل على ان المرء قد يخف عليه
حمل الشدائد وترك اللذات الحاضرة لما يامل من اللذات الآجلة انك ترى المرء قد يهون عليه الضرب
في الارض وقطع الاسفار وتحمل المؤن وركوب الاهوال والمتالف والانقطاع عن اللذات كالذي يخرج
للتجارة من بلد الى بلاد نائية لما يرجو من النفع والربح في ذلك فيتحمل ما يمسه من المكاره والمؤن لما يطمع من نيل
اللذات التي هي اعظم من اللذات التي تركها فعلى ذلك اذا تفكر في نعيم الآخرة وتفكر في عقابها يسهل عليه
ترك اللذات الحاضرة وخف عليه تحمل المكاره في الدنيا ووجه آخر انه لما جبل على حب اللذات وبغض
المكاره امر ان يجعل ما يحبه من العاجل لآجله فيكون شغله ابدا فيما يوصله الى النعيم الآجل وامر ان يجعل
هربه عن الآلام الآجلة فيجتهد فيما فيه التخلص والنجاة عن تلك الآلام والله اعلم وقوله عز وجل
الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون . معناه والله اعلم لان المصلين يقومون برياضة انفسهم
حتى يصرفوها من خلقتها التي انشئت عليها ثم بين ان الذين يقومون برياضة انفسهم هم الذين يقومون
على صلوتهم دون الذين يقومون الى الصلوة كسالى ولا يداومون عليها ولا ينفقون من اموالهم الا عن كراهة
ثم قوله عز وجل على صلوتهم دائمون دوامهم عليها في لزوم ما عرفوها وهو ان يقيموها في اوقاتها ويحافظون
عليها دون ان يكون دوامهم ان يكونوا فيها ابدا الا ترى الى ما روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل واراد بقوله ادومها لزومها في الوقت الذي وجب فعلها ذلك
على انفسهم لا ان يكونوا ابدا فيها لانهم اذا بقوا فيها ابدا كثر ذلك منهم فلا يكون لقوله وان قل معنى فثبت
ان معنى الدوام ما وصفنا والله اعلم وجائز ان يكون المراد من المداومة هو ان يديموا على الاحوال التي تليق
بالصلوة عند كونه فيها من الاقبال على المناجاة وترك الالتفات وتفريغ القلب عن الاشغال والوساوس
وقال بعضهم على صلاتهم دائمون هو التطوع وعلى صلوتهم يحافظون الفريضة قال وتصديقه ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا اذا صلوا صلوة داموا عليها وكان يقال خير الاعمال ادومه وان قل واصله ان الله تعالى
قال واقاموا والاقامة على الشيء هو الدوام عليه لانه اذا فعل الشيء مرة ثم تركه لم يوصف بالاقامة عليه
فقوله دائمون ومقيمون يقتضي معنى واحدا فيكون فيه ابانة ان الصلوة يلزم فعلها مرة بعد مرة
وليست كالفرائض التي اذا اديت مرة سقطت من فعلها دون الحج وقوله عز وجل والذين في اموالهم
حق معلوم . قيل هو الزكوة ذكر ذلك عن قتادة وغيره وقال ابو بكر هذا غير محتمل لان هذه الآية مكية

احب الاعمال الى الله تعالى ادومها

تفريغ القلب

وانما فرضت

وانما فرضت الزكوة عليهم بعد هجرتهم الى المدينة ولكن ليس فيما ذكره دفع هذا التاويل لانه يجوز ان تكون
لم يفرض عليهم لما لم يكونوا اصحاب الاموال لان الزكوة لم يكن مفروضة في الجملة وبين الوجوب اذا استفادوا
الاموال الا ترى ان الفقير قد يعلم ايتاء الزكوة من المال وان لم يكن له مال ليقوم باداءها اذا صار من اهلها فقوله
حق معلوم اي علمه الله تعالى في اموالهم فلزمهم اخراجه ثم بين ان خروجهم مما لزمهم من حق الله تعالى في اموالهم
بالدفع الى السائل والمحروم وجائز ان يكون ذلك الحق المعلوم هو حق القرابة وغيره ومن ذكر ان هذا الحق
غير الزكوة قالوا انهم كانوا علموا في اموالهم حقا فجعلوه لطائفة منها للسائل وطائفة للمحروم لذلك سماه
حقا معلوما ويحتمل ان يكون في ذلك الوقت شيئا معلوما مفروضا عليهم في اموالهم نسختها آية الزكوة
ولم يذكر لنا ذلك لعدم حاجتنا الى معرفته ثم السائل معروف وهو الذي يسال واما المحروم فقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن المحروم فقال المحروم هو الذي لا يثمر نخله ويثمر نخل
الناس ولا يزكوا زرعه ويزكوا زرع الناس ولا تلبن شاته وتلبن شاة الناس فعنى بالمحروم
هذا انه حرم بركة ماله وفي هذا الخبر دليل على ان المرء لا يصير غنيا بملك النخيل والارض وجائز ان يكون
المحروم هو الذي حيل بينه وبين وجوه المكاسب فمن كان حاله هكذا كان علينا ان نتعاهده ونقوم بكفايته
وقال الحسن المحروم هو الذي يتعفف عن السؤال وان هلك والله اعلم وقوله عز وجل والذين يصدقون
بيوم الدين . فيوم الدين هو يوم الجزاء ويوم الحساب فكل من عرف الجزاء وآمن به لم يجزع بما يصيبه ولا منع
الحق الذي طلب منه ولم يوصف بانه هلوع وانما الهلوع هو الذي يكذب به بيوم الدين كما قال ارايت
الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم فاخبر ان الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين
هو الذي لا يؤمن بالآخرة وقوله والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون وجلون وهم الذين
قال عز وجل في آية اخرى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل له اهم الذين يسرقون ويزنون ويعملون بالمعاصي فقال لا بل هم الذين
يصومون ويصلون ويؤتون الزكوة او كما قال بلفظه صلى الله عليه وسلم ووجلهم هو انهم يخافون ان لا يقبل
منهم حسناتهم او يخافون ان يكونوا قصروا عن الوفاء بشكر النعم او غفلوا عن شكر كثير منها وقوله عز وجل
ان عذاب ربهم غير مامون فهذا هو الحق ان لا يامن احد من عذابه وان دأب في عبادته واجتهد
في طاعته لما لا يدري على ما ذا يختم امره ويخاف ان لا يقبل منه ويرد عليه ويخاف ان يكون قد قصر عن شكر كثير
من النعم وغفل عنها والاصل انه ما من احد ينظر في امره وحاله الا وهو يرى على نفسه من الله تعالى انعاما لو اجهد
نفسه ليقوم بشكر واحد منها لقصر عن ذلك ولم يتهيا له القيام بوفائها فمن كان هذا وصفه فاني يقع له
الامن من عذابه ويوجد منه الوفاء بالاسباب التي يؤمن بها الا ان يكون من الخاسرين وقوله عز وجل
والذين هم لفروجهم حافظون ذكر حفظ الفرج ولم يذكر بم يحفظ وحفظه يكون بخصال احدها
ان يسكن في قلبه جلال الله وهيبته ويخشى عقابه في المعاد والثاني بما جعله الله عز وجل سببا
للتعفف من النكاح وملك اليمين فيمنعه ذلك عن الزنا وحفظ الفرج والثالث بجيع بطنه بالقيام
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يقدر على الباه فليصم فان الصوم له وجاء والرابع بما يترك النظر
الى النساء ولا يخلو بهن ويدع مجالسة الخنا واهل الريبة وقوله عز وجل الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين ولو لم يقل غير ملومين لكنا نعلم بقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
انهم لا يلامون لانهم قد ابيح لهم الاستمتاع بمن ملكت ايمانهم ومن كان تحتهم بملك النكاح ولا يجوز
ان يلحق اللائمة باستعمال المباح المطلق ولكن فيه فائدة وهي ان من الناس من يحرم الاستمتاع
بملك النكاح وملك اليمين فيخبر انهم عند من اعتقد الايمان بالرسل غير ملومين وانما يلزم منهم

الم لا يكون غنيا بملك النخيل والارض

في عدم الامن من عذاب الله تعالى والخضوع في الشكر

من انكر الرسالة وهم الثنوية والبراهمة وجايز ان يكون معناه انهم وان منعوا النساء عن الجماع بما هو حيلهم من الصيام وانواع القرب لم يلحقهم اللائمة كالايلاء من يمنع احد عن طاعة الله تعالى واذا استمتعوا بملك النكاح وملك اليمين لم يبلوا بالزنا فيلحقهم اللائمة بذلك وقوله عز وجل فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون العادي هو الظلم في الحقيقة يقال عدا فلان على فلان اذا ظلمه فهم عادون حيث ظلموا انفسهم بوضعها في موضع لم يؤذن لهم بالوضع فيها وقال الحسن هم العادون حيث عدوا من الحلال الى الحرام وفي هذه الاية دلالة تحريم المتعة لانه اخبر انه من ابتغى وراء ملك اليمين وملك النكاح فهو اذا من العادين وقوله عز وجل والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فالامانات لها وجهان احدهما ما يمن الله عباده على ما له من الحقوق عليهم والثاني ما يمن بعضهم بعضا على الحقوق والعهود التي يجري بين الخلق من الذمم والنذور ونحو ذلك فيدخل فيه كل امانة بين العبد وبين ربه وبينهم وبين الخلق وكل عهد اخذ عليهم من نحو قوله اوفوا بالعقود قيل في التاويل العهود ثم بين ذلك فقال لئن اقمتم الصلوة الاية والعهد الذي اعطينا المعاهدين فكل ذلك داخل تحت الاية وقد يدخل معنى الامانة في العهد والعهد في الامانة وقد يجوز ان يقع بينهما فرق والله اعلم وقوله عز وجل والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقيمونها لله تعالى كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله او قائمون بالوفاء بما عليهم من الشهادة فيقيمونها احبوا او كرهوا ضرهم ذلك او نفعهم وقوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون محافظة الصلوة اقامتها في اوقاتها بشرايطها والذي يحملهم على المحافظة ما يخشون الله تعالى ولما جعلت تكفيرا لسيئاتهم فيرغبون في اقامتها تكفيرا منهم سيئاتهم وقوله عز وجل اولئك في جنات مكرمون في الاية ابانة ان من يكرم بالجنان هؤلاء وذكر عن ابي بكر الاصم انه قال في هذه دلالة ان من وفى بهذه الاشياء التي ذكرها في هذه السورة من الادامة على الصلوة وايتاء الحق المعلوم والتصديق بيوم الدين الى اخر ما ذكر فهو الذي يكرم بالجنة او الخاطئ الذي يرجع عن خطيئته ويتوب منها فاما غير هذين فهؤلاء يستوجب الاكرام بالجنة فاذ كرم الاكرام بالجنة للصنفين اللذين ذكرهما فهو كما ذكر واما الصنف الثالث فهم الذين بلوا بالخطيئات من اهل الايمان ولم يتوبوا عنها فقد يرجى لهم هذه الكرامة بفضل الله سبحانه وتعالى وكرمه وجوده ومن كان هذا وصفه لم يؤيس من احسانه بل كان العفو منه مأمولا والاحسان منه مرجوا وقوله عز وجل فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين اختلف في تاويل الاهطاع فمنهم من يقول هو الاسراع في الشيء ومنهم من يقول هو ادامة النظر فمن حمله على الاسراع فمعناه ان ائمة الكفرة كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون القرآن منه ثم يسرعون الى اتباعهم ويجالسون حلقا ويحرفون ما يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتبسون على ضعفائهم واتباعهم ليصدوهم ذلك عن الايمان بالله عز وجل ورسوله عليه الصلوة والسلام فان كان الامر على هذا فتاويله ما لهم يسرعون اليك ليسمعوا كلامك ثم يتفرقوا عن اليمين وعن الشمال ويكذبونك حتى ان يقول بعضهم ما هذا الا سحر مبين وما هذا الا اساطير الاولين ان هو الا رجل افترى على الله ونحو ذلك وما المنفعة لهم في طعنهم عليك استحقاقهم المقت والهلاك بذلك من الله تعالى وما يرجون باعراضهم عن تصديقك بعد ما راوا الآيات ومن حمله على النظر فمعناه انهم كانوا يجلسون من بعيد وينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويطعنون عليه بالسحر والافتراء وانه من اساطير الاولين فيمكرون من يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يهتدي به من الكفرة فان كان على هذا فتاويله كانه يقول لهم ما لهم يجلسون من البعد ناظرين اليك ولا يدنون منك ليستمعوا ما انزل اليك فينتفعوا به لكنهم متفرقون متفرقون عن اليمين وعن الشمال يصدون الناس عن مجلسك وقد علموا ان لهم الى من يعلمهم الكتاب والحكمة حاجة اذ ليس عندهم كتاب ولا علم

في الامانات والنذور

في حال فساق اهل الايمان

بالانباء المتقدمة ليعلموا انك جئت بالعلم والحكمة دون السحر والكهانة فان كان على هذا الوجه فالعتاب لمكان التحريف والتبديل والله اعلم وقوله عز وجل ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم قوله ايطمع حرف استفهام وقد ذكرنا ان حرف الاستفهام ممن لا يفهم ايجاب ثم اختلف في وجه الايجاب فمنهم من يقول معنى قوله ايطمع اي لا يطمع كل امرئ منهم بعبادتهم الاصنام والاوثان ان يدخلوا جنة نعيم اذ هم منكرون للبعث والجنة والنار ثم مع هذا يعبدون الاصنام ويعبدونها ويخضعون لها وان كان لا طمع لهم في نصرها التي في العاقبة ولا يرجون منها العواقب فيكون في هذا ترغيب للمؤمنين على القيام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يطمعون نيل الجنة والكرامة من الله تعالى والنجاة من النار بنصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعبادتهم لله تعالى كانه يقول انهم لا يطمعون بنيل شيء ولا يخافون عن شيء في العاقبة ثم يقومون بنصر الاصنام فانتم احق بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ تطمعون نيل الجنة والدخول فيها بنصركم اياه والله اعلم ومنهم من حمله على ايجاب الطمع وهو انهم كانوا يطمعون دخول الجنة ونيل نعيمها اذا رجعوا الى ربهم ظنا منهم انهم اذا ساووا المسلمين في نعيم الدنيا وسعتها فكذلك يساوونهم في نعيم الآخرة كما قال الله عز وجل خبرا عنهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الاية هكذا ظن الكفرة انهم ان رجعوا الى ربهم فيجدون عنده خير منقلب فقال تعالى كلا انا خلقناهم مما يعلمون فقوله كلا على هذا التاويل رد لاعتقادهم وقطع لاطماعهم فقال كلا اي لا يدخلونها قط ثم استانف الكلام فقال عز وجل انا خلقناهم مما يعلمون وعلى التاويل الاول كلا بمعنى حقا انهم لا يطمعون ثم استانف بقوله انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة فتذكرهم بهذا عظيم نعمه واحسانه اليهم بما اخرجهم منها ونقلهم من حال الى حال حتى صاروا بشرا سويا ليعلموا انهم لا يتركهم سدى بل يمتحنهم ويستاديهم شكر ما انعم عليهم فيوجب ذلك تصديق الرسل وفيه تذكير قدرته وسلطانه وبيان ضعف ابتدائهم ليعلموا ان من قدر على انشائهم لقادر على احيائهم بعد ما افناهم والله الموفق وقوله عز وجل فلا اقسم برب المشارق والمغارب ذكر المشارق والمغارب وذكر السموات والارض وفي ذكرهما ذكر اهل السموات والارضين فيكون معناه فلا اقسم برب الخلائق اجمع ويكون حرف لا زائدة في الكلام تاكيدا للقسم على ما يذكر فيكون معناه فلا اقسم ثم حق هذا القسم ان يقول مكان قوله رب المشارق والمغارب فلا اقسم بي اذ كان القسم من الله تعالى هذا هو ظاهر الكلام في متعارف اللسان ولكن يحتمل هذا وجهين احدهما ان يكون هذا القسم من النبي صلى الله عليه وسلم كانه علمه ان يقسم به ويقول له قل يا محمد فلا اقسم برب المشارق والمغارب وان كان هذا قسما من الله تعالى فهو مستقيم ايضا من وجهين احدهما على الاضمار كانه قال فلا اقسم بي ويا رب المشارق والمغارب والثاني وان كان هذا القسم من الله تعالى يستقيم بلفظ المغايبة كما يستقيم بلفظ الخاص لان الخلق كله لله شهود وليس هو شاهد الخلق فيخرج الكلام بينهم على ما يخاطب الغايب ومرة على الوجه الذي يخاطب به الشاهد ومثل هذا مستعمل في متعارف اللسان والله اعلم وفي الاية دلالة على ان مالك السموات والارضين ومدبرهما واحد اذ لو لم يكن كذلك لكان لمالك السماء ان يمنع الشمس والقمر والكواكب من ايصال النفع الى اهل الارض ويكون لمالك الارض ان يمنع مالك السماء عن الاغراب في الارض ثم الذي يشرق ويغرب منذ خلق يجري على ما جرى عليه التدبير جريا واحدا لم يقع فيه تغيير ولا تبديل ولو كان لله تعالى فيه شريك لكان لا بد من وقوع التغيير فيها فثبت ان تدبير السموات والارضين وتدبير سلطانهما راجع الى الواحد وقوله عز وجل انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم هذا موضع القسم فجايز ان يكون يريد به ان يبدل الخير منهم فيجعل مكانهم ما كانوا من الشر خيرا كقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا وقد فعل ذلك لانهم اسلموا ويحتمل ان يكون يراد به ان يبدل قوما خيرا منهم

في ظن الكفرة في تساوي المسلمين

ثم هذا يخرج على وجهين احدهما على تحقيق القدرة والثاني ان يكون معنى القدرة ارادة الفعل اما الاول فعلى وجهين احدهما على معنى تخويف اهل مكة انهم ان لم ينتهوا عن ذلك نزل الله تعالى مكانهم من هو خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبدل لا يكون الا بعد المبدل عنه وقد فعل الله تعالى ذلك بهم اهلك المعاندين منهم وابدل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولادهم والمهاجرين منهم والانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه والثاني اي كنا قادرين على ان نجعل المرسل اليهم خيرا اذ قد علمي من قدرة الله عز وجل وانه هو الذي خلقهم وانشاهم لكن انما ارسل اليهم وامرهم لحاجات انفسهم لا لنفع يرجع اليه ليس على ما عليه ملوك الدنيا لكنه انما امتحنهم بالامر ليسعوا في نجاة انفسهم ونهاهم ليفكوا رقابهم من النار فيكون فيه تسكين قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند وجده عليهم حيث لم يؤمنوا واما الوجه الثاني ان يكون معنى القدرة ارادة الفعل خاصة اذ قد يكنى بالقدرة اذ هو سبب الفعل كالامر المعتاد بين الخلق يامر رجل لآخر بفعل فيقول لا استطيع ولا اقدر اي لا افعل وعلى هذا تاويل قوله عز وجل انا لقادرون اي لفاعلون من هو خير لرسول الله بدلا عن هؤلاء فان كان على هذا فيكون فيه بيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجعل له اصحابا يرضاهم ويكون فيه اخبار الله عز وجل له بالنصر والغلبة على المكذبين منهم ويكون فيه انباء لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا ينفذ فيه مكرهم وان اجتهدوا ويكون فيه اعلام له انه ينتقم منهم له ويعذبهم وقد فعل ذلك كله بحمد الله عز وجل والله المستعان حيث بدل عن اهل مكة اهل المدينة وكانوا خيرا منهم لان اهل مكة كانوا عليه واهل المدينة كانوا له فكانوا هم خيرا وقوله عز وجل وما نحن بمسبوقين والمسبوق المغلوب فكانه قال لا يسبقنا احد ولا يعجزنا احد عن ذلك ولا يفوتنا ما نريد وقوله عز وجل فذرهم يخوضوا ويلعبوا قال ابو بكر الخايض المحير واللاعب الخاطئ فقوله فذرهم اي دعهم فيما هم من خطاياهم وتحيرهم في دينهم فكل من اشتغل بما لا يحتج له فهو خايض لاعب واصله ان كل امر لا عاقبة له محمد فهو فيه لاعب لاهي كقوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اي من يعمل في الحيوة الدنيا للدنيا لا للآخرة فهو لاعب لاهي وكان هذه الاية صلة قوله فما للذين كفروا قبلك مهطعين الاية امره بان لا يشتغل باولئك ويقبل على من يرجو منهم الايمان اوامره بان لا يشتغل بمكافاتهم بسوء صنيعهم وان الله سينصره عليهم ويكافيه عنهم وقوله عز وجل حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون قد لاقوا ذلك اليوم وهو يوم بدر وسيلاقون اليوم الثاني وهو يوم الآخرة وقوله عز وجل يوم يخرجون من الاجداث سراعا يخبر انهم يخرجون من الاجداث وهي القبور سراعا الى الداعي والذي حملهم على الاسراع هو ان انفسهم ابت اجابة الداعي في الدنيا فينزل بهم الهلاك بتركهم الاجابة فتسارعوا في ذلك اليوم الى اجابة الداعي رجاء ان يتخلصوا من العذاب الذي حق عليهم بترك الاجابة وذلك لا ينفعهم وان وجدت منهم التوبة والرجوع عن تلك الاجابة لان ذلك اليوم ليس بيوم ينفع فيه الندامة والتوبة وانما هو يوم يجزى فيه كل نفس بما كسبت وهذا كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فاخبر انهم يفزعون الى الايمان بالله تعالى لما ايقنوا انهم انما حل بهم الباس باعراضهم عن الايمان ففزعوا عند ايقانهم العذاب الى الايمان رجاء ان يتخلصوا عن العذاب فلم ينفعهم ذلك ولم يغنهم عن عذاب الله شيء اذ ذلك الوقت ليس بوقت قبول التوبة فيكون هذا تحريضا بالاسراع الى اجابة الداعي والايمان بما يدعوا اليه قبل ان يؤمنوا ايمانا لا ينفعهم والله اعلم وقوله عز وجل كانهم الى نصب يوفضون قرئ بنصب النون وجزم الصاد وهو اسم العلامة كالغرض واشباهه وقرئ بضم النون وهو اسم الصنم فان كان على العلامة فمعناه انهم يسارعون في ذلك الوقت الى اجابة الداعي مسارعة من يسرع في هذه الدنيا الى الغرض والعلامة المنصوبة كذا قال بعض اهل التاويل

قد يكنى بالقدرة عن الفعل

ذكر عن الكلبي الى نصب يوفضون الى علم يسعون وقال قتادة الى علم يستبقون وعن مجاهد الى علم ينطلقون فان كان على الثاني فمعناه انهم يسرعون الى اجابة الداعي في ذلك كسرعتهم الى عبادة النصب عند خوفهم فوت عبادتها وعند اجتماع عبادها عندها لو يبتدرون نصبهم حتى يستلموها ومنهم من ذكر ان النصب برفع النون والصاد هي الاعراض التي يستبقون اليها ومن تاول هذا فهو يجعل النصب ها هنا جمع النصب وقوله يوفضون اي يسرعون وقال الحسن اي يؤملون وهما واحد لان الاسراع في الامل موجود وقوله عز وجل خاشعة ابصارهم فيحتمل ان يكون هذا على نفس الوجه وصفة خشوعها ما قال في آية اخرى لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فيخشع خشوعا لا يملك صرف طرفه عن الداعي فيه ان الذلة قد احاطت بهم حتى اثرت في الاعين والوجوه وفي كل عضو وجايز ان يكون هذا على تحير القلوب وهوان قلوبهم يشتغل باجابة الداعي عن ان يبصر لنفسها حيلة يتخلص من اهوال ذلك اليوم وشدايدها وقوله عز وجل ترهقهم ذلة اي تعلوهم والذلة الحالة في النفس بيد واظهورها من الابصار وقوله عز وجل ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون وحقه ان يقول هذا اليوم الذي كانوا يوعدون لانه اضاف الى اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا ولكن معناه كانوا يوعدون لذلك اليوم في الدنيا وذلك اليوم في الوقت الذي كان يوعدون غير موجود فيعبر به عما يعبر الغايب والله اعلم

سورة نوح عليه السلام مكية وآيها عشرون وثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم ٥ في ذكر نبا نوح عليه السلام دلالة رسالته وآية نبوته بما ذكرنا ان هذا لم يكن من علمه ولا علم قومه ولم يختلف النبي صلى الله عليه وسلم الى من عنده علم به فتعلم منه انه بالله تعالى علمه لا باحد من خلقه فيكون فيه الزام الحجة عليهم وفيه اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقي نوح عليه السلام من قومه لتصبر بذلك على اذى قومه اذ السورة مكية ثم امره بالانذار ولم يذكر معه البشارة فكذلك قال نوح عليه السلام اني لكم نذير مبين ولم يقل بشير وقد كان هو بشيرا ونذيرا فجايز ان يكون اقتصر على ذكر النذارة لان في ذكرها ذكر البشارة وذلك انهم اذا استوجبوا العذاب اذا داموا على ما هم فيه من الضلالة وعبادة غير الله تعالى بهم اذا انتهوا عن ذلك استوجبوا العفو واستيجاب العفو وقوع البشارة فاذا كان ذكر احد الوجهين يقتضي ذكر الآخر اكتفى بذكر احدهما عن ذكر الآخر وجايز ان يكون خص النذارة بالذكر لان الحال كانت حال الانذار لانهم كانوا معرضين من طاعة الله تعالى ومقبلين عن عبادة غيره فكانوا مستوجبين للنذارة ولم يكونوا من اهل البشارة وانما يصيرون من اهلها اذا انتهوا عما هم عليه فيكون قوله انذر قومك ان داموا على ما هم عليه وفي هذا دلالة على ان المرء اذا اخذ غير طريق فالسبيل فيه ان يفسد عليه مذهبه ثم اذا ظهر فساده عنده امره باتباع سبيل الهدى وبين له الحجج والدلايل لينجع فيه ذلك ليس ان يحتج عليه ذلك بالحجج التي هي حجج مذهب الحق قبل ان يبين له فساد ما هو فيه فان ذلك لا ينجع فيه ولا يدعو الى قبول الحق والتزامه بل يبين له قبح ما هو فيه وفساد ما اعتقده فاذا بان له ذلك يحتاج الى ان يسال عن سبيل الهدى فيه ليعرفه بالتعليم ثم الاصل ان الدنيا هي سبيل الآخرة والضلال سبيل يفضي من سلكه الى العذاب الاليم والهدى سبيل يفضي الى الثواب الدائم فالنذارة هي تبيين ما ينتهي اليه العاقبة من يلزم الضلال والبشارة هي تبيين ما ينتهي اليه عاقبة من يلزم الهدى وان شيت قلت ان النذارة هي ان يبين عسر ما يحل به في العاقبة والبشارة هي ان يبين بما يصير اليه في العاقبة

من اليسر ثم في قوله عز وجل ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم دلالة ان حجة الايمان
يلزم للخلق قبل ان ياتيهم النذير فلا يخوفون بسنزول العذاب بهم قبل ان ينذروا فلما خوفوا بنزول
العذاب بهم قبل ان ياتيهم النذير دل ان الحجة لازمة عليهم وان الله تعالى ان يعذبهم لتركهم التوحيد
وان لم يرسل اليهم الرسل فيكون تاويل قوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا على عذاب الاستيصال
في الدنيا ليس على عذاب الاخرة والله اعلم **وقوله** عز وجل قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي مبين ما يقع به
الانذار والتخويف فيكون الابانة مضرفة الى النذارة ويحتمل ان يكون هذا الوصف راجعا الى نفسه
خاصة كانه قال نذير لكم مبين اي اني لم اقم في دعائي اياكم الى عبادة الله تعالى وانذاركم من عند نفسي
ولكن بما اختصني الله تعالى واولاني ذلك ثم الاصل في الانذار نهيا وفي النهي امرا لكن الانذار يقتضي
نهيا وكيدا والنهي الوكيد يقتضي الامر بالخلاف امرا وكيدا واما البشارة فهي يقتضي الامر الوكيد وغير
الوكيد لانه يستوجب البشارة بكل خير يفعله وان كان للمرء ترك ذلك الخير بخير اخر ياتي به فلا يفهم
بنفس البشارة الامر الوكيد ويفهم بتصريح النذارة تاكد الوجهين اللذين ذكرناهما واذا كان كذلك
فطلق البشارة لا يدل على تحقيق النذارة واما النذارة فهي يدل على البشارة لان النذارة على ما هو
فيه في الفعل يلزم النهي واذا انتهى عنه فقد حصل العفو وفي حصول العفو ارتفاع ما خوف وذهابه
وقوله عز وجل ان اعبدوا الله واتقوه فكانه قال انذرهم على عبادة غير الله ومرهم بعبادة من يستحق
العبادة وهو الله تعالى اذ الامر بالانذار يقتضي النهي عما هم عليه ويدعو الى خلافه ويبين لهم الخلاف
الذي دعا اليه لقوله عز وجل اعبدوا الله واتقوه وقيل اعبدوا الله وحده وقال كل عبادة
جرى بها الامر في القران على الارسال فهي مضرفة الى التوحيد فكان الذي حملهم على هذا التاويل هو
ان الايات التي امر بالعبادة نزلت في اهل الكفر لانه خاطب بقوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا
ربكم ولم يخاطب بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اعبدوا ربكم واذا ثبت انها في اهل الكفر والكافر
اول ما يومر بالتوحيد ليس يخاطب بعبادة اخرى سواه لانه ما لم يات بالتوحيد لم يقبل منه شيء
من العبادات فجعلوا تاويل العبادة التوحيد لهذا لا ان يكون العبادة عبارة عن التوحيد خاصة
بل العبادة يراد بها التوحيد مرة اذا ذكرت عقيب الكفر واذا ذكرت في اهل الايمان فالعبادة منهم
ان يفوا بمعاملة ما اعتقدوه وان ينجزوا ما وعدوا من انفسهم وهذا كما ذكرنا في اقامة الصلوة وايتاء
الزكوة انهما اذا ذكرنا في اهل الكفر انصرف المراد من ذلك الى الاعتقاد لا الى الفعل لانهم ليسوا من اهل
الفعل واذا ذكرنا في اهل الاسلام اريد بالاقامة والايتاء ايجاد الفعل فكذلك الحكم في العبادة بقوله
اعبدوا الله اي وحدوه واتقوه اي اتقوا الاشراك في عبادته واطيعوني فيما امركم به من توحيد الله تعالى
وان لا يشركوا به شيئا وجايز ان يكون قوله واتقوه اي اتقوا المهالك كلها واتقوا النار كما قال الله عز وجل
واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا والتقوى اذا ذكر على الانفراد مرسلا
اقتضى الانتهاء عما فيه الهلاك واقتضى الامر بالعبادة والطاعة واذا جمع بين العبادة والتقوى كانت
العبادة انصرفت الى اتيان الافعال وانصرف التقوى الى اتقاء المهالك وهو كما قلنا في البر والتقوى ان كل
واحد منهما اذا ذكر مفردا اقتضى ما يقتضيه الاخر واذا جمعا في الذكر صرف احدهما الى جهة والاخر الى جهة
اخرى وكذلك الاسلام والايمان افرد بذكر احدهما يكون معنى كل واحد منهما هو معنى الاخر واذا جمعا
في الذكر صرف واحد منهما الى جهة على حدة وقال الحسن في قوله عز وجل واتقوه اي اتقوا الله في حقه
ان تضيعوه فهو يجمع ما يوتى وما يتقى ثم الاصل ان الطاعة قد يكون لمن سوى الله والعبادة لا يكون الا لله تعالى
فلذلك قال عند الامر بالعبادة اعبدوا الله فاضافها الى الله تعالى واضاف الطاعة الى نفسه بقوله

واطيعوني

الطاعة قد يكون لغير الله بخلاف العبادة

واطيعوني ففيه دلالة ان ليس في الطاعة لا اشراك بالله تعالى في الطاعة بل الله تعالى جعل
الاشراك في الطاعة بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وذم من يعدل بالله تعالى في العبادة
بقوله تعالى وهم بربهم يعدلون فالعبادة كانها يقتضي الخضوع والتضرع على الرجاء والخوف والله تعالى
هو الذي يرجى منه ويخاف منه ويخاف من نقمته فاما بطاعة وقوله فهي يقتضي فعلا على الامر لا غير
وعلى ذلك لما صرفت الكفرة الرجاء والخوف الى الاصنام بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم
هولاء شفعاونا عند الله سموا عبادا الاصنام فكل من يفعل الفعل على الخوف والرجا فكذلك منه
عبادة له **وقوله** عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم ان صرفت قوله اتقوه الى اتقاء الشرك يرجع قوله يغفر لكم
من ذنوبكم الى ما سلف من الذنوب في حالة الشرك كقوله عز وجل ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان صرفته
الى سائر وجوه المهالك رجع الى السالف والى الانف جميعا وهو كقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
فيكون قوله من صلة على ما ذكره اهل التفسير ومعناه يغفر لكم ذنوبكم وجايز ان يكون قوله من على التحقيق
ليس على حق الصلة لانه قد يكون من الذنوب ذنوب يواخذ بها بعد الاسلام وهي التي يكون بينه وبين الخلق
من القصاص وغيره في الماثم بالقتل وان زال عنه بالتوبة فان القصاص لا يرتفع عنه **وقوله** عز وجل
ويؤخركم الى اجل مسمى فجايز ان يكون هذا ولك ان القوم كانوا يخافون على انفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم
واجابتهم لنوح عليه السلام فيخرج قوله ويؤخركم الى اجل مسمى مخرج الامان لهم انهم بايمانهم يبقون
الى الاجل الذي ضرب لهم لو لم يومنوا ان يكون معناه انكم ان اسلمتم يبقيكم الى انقضاء اجالكم المسمى سالمين
امنين لا يبتهيا لعدوكم ان يمكروا بكم **وقوله** عز وجل ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون وقال
في موضع اخر فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وجايز ان يكون قوله لا يستاخرون
اي لا يتاخرون عن اجالهم او لا يؤخرون بما يطلبون من التاخير فيكون في هذا اياسهم انهم لا يؤخرون
اذا طلبوا التاخير قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين فاخبر جل جلاله ان الموت اذا اتاه طلب التاخير ليبدل
ما طلب منه العبد قبل ذلك من التصدق والايمان به فقطع منهم طمعهم بقوله ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء
اجلها وبقوله لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وبقوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وهذه الاية تنقض
على المعتزلة قولهم لانهم يقولون بان رجلا لو جاء وقتل اخر فانما قتله قبل انقضاء اجله والله تعالى يقول
ولا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون والاصل ان الله تعالى اذا علم انه يقتل فانما يجعل انقضاء اجله
بالقتل ليس بغيره لانه لا يجوز ان يجعل انقضاء اجله بموته حتف نفسه ثم ينقص اجله بغير ذلك لانه
لو جاز هذا لادى ذلك الى الجهل **وقوله** عز وجل لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة
عند انقضاء اجالكم لكنتم تبدلون الحال التي انتم عليها لئلا يحل بكم العذاب ويكون معنى قوله ان اجل الله
اذا جاء اي اجل العذاب اذا حل وقع لا محالة فلو علموا بوقوعه لا محالة لارتدعوا منه **وقوله** عز وجل
قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا يحتمل ان يكون هذا من نوح عليه السلام بعد ان اخبر انه لن يؤمن
من قومك الا من قد امن فيكون القول منه قول معتذر انه لم يقصر في دعوة قومه الى الاسلام وانه قد دعاهم
الى الاسلام في كل وقت وحال وانه قد بالغ عذره في ذلك وانما جاء التفريط والتعدي من جهة قومه
ويحتمل ان يكون هذا منه على الاشفاق والرحمة والتعرض لاستنزال اللين والرحمة لعل الله تعالى يلطفه
بلين قلوبهم فينقادوا للحق ويرغبوا في الاجابة ليتخلصوا من العذاب ويستوجبوا المغفرة من ربهم
فهو يخرج على احد هذين الوجهين ان كان قبل الاخبار فهو على التعرض منه لاستنزال اللين والرحمة
وان كان بعده فهو على ابلاء العذر لا على الدعاء والرجاء بان يلين قلوبهم بلطفه فينقادوا للحق اذ لا يجوز

ان يخبر الله تعالى انهم لا يؤمنون وهو يطمع منهم ان يؤمنوا ثم قوله انى دعوت قومى ليلاً ونهاراً
اى دعوت فى كل وقت وكل ساعة من الليل والنهار امكننى فيه الدعاء وقوله عز وجل فلم يزدهم
دعائى الا فراراً واصل اى هذا ان هذا وتهم كانت قد استبدت لنوح عليه السلام وكان قد استثقلوه
وابغضوا كلامه فحدث لهم ببغضهم كلامه واستثقالهم اياه معنى حملهم على الفرار فنسب ذلك الى الدعاء
لان حدوث ذلك المعنى كان عند وجود الدعاء فنسب الى الدعاء على معنى المجاورة والقرب لا ان يكون
الدعاء فى الحقيقة سببا لزيادة الفرار كقوله تعالى واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم
والقرآن لم يجعل سببا لزيادة الرجس ولكنهم لما احدثوا بغضا عند ما تلى عليهم القرآن حدث لهم
بذلك معنى حملهم على ذلك الوجه فاضيفت تلك الزيادة الى القرآن اذ عند ذلك حدث ذلك
السبب الزايد فى الرجس فنسب اليه على معنى المجاورة وقال الله تعالى واتخذتموهم سخرياً حتى انسوكم
ذكرى وهم لم يكونوا منسيين بل كانوا مذكرين يذكرونهم مرة بعد مرة لكن بعضهم اتاهم واتخاذهم
سخرياً اوقع لهم النسيان فنسب اليهم الانسيا فعلى ذلك لما ابغضوه واستثقلوا كلامه ودعاه احدث لهم
ذلك البغض زيادة نفار وجحود ثم سبب النفار الى الدعاء الوجه الذى ذكرنا لا ان يكون الدعاء
فى الحقيقة منفراً وقوله عز وجل وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا
ثيابهم وقال فى موضع آخر الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود الى قوله فردوا ايديهم
فى افواههم فيجوز ان يكون هذه الآية فيما يدعون رؤساهم واشرافهم والاجلة منهم فاذا دعاهم
ردوا ايديهم فى افواه الانبياء عليهم السلام وضربوهم على ما ذكر فى الاخبار واما الاتباع منهم
والمقلدون لهم كانوا يجعلون اصابعهم فى آذانهم ويغطون وجوههم ورؤسهم كى لا يسمعوا كلامه
فيقع شئ منها فى قلوبهم لما احذرهم رؤساهم من ذلك ويكون هذا فى طايفة منهم وهذا
فى طايفة اذ كان ايس من قوم واقبل على آخرين فاختلفت معاملتهم معه على ما كان من امر نبينا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم هذا يحتمل وجهين احدهما على التحقيق على ما ذكرنا ليؤيسهم من الاجابة
والثانى جايز ان يكون على التمثيل فضرب مثلهم فى تركهم الاجابة مثل من جعل اصبعه فى اذنيه واستغشى
ثيابه لئلا يسمع ولا يجيب وهو كقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم ولم يوجد منهم نبذ ولكنهم
اعرضوا عنه اعراض من نبذه وراء ظهره وكذلك فى قوله عز وجل فردوا ايديهم فى افواههم
على التمثيل وهو انهم تركوا الاجابة الى ما دعوا اليه ترك الاجابة من الذى يرد يده فى فيه لئلا يتكلم
والله اعلم وقوله عز وجل واصروا اى داموا على ما هم عليه وثبتوا على كفرهم وقال قتادة
واصروا اى صاحوا فى وجوه الانبياء عليهم السلام رداً عليهم او مغالبة فى الدعاء كقوله والغوا فيه
لعلكم تغلبون وقوله عز وجل واستكبروا استكباراً اى استكبروا عن طاعة الله تعالى وامتنعوا
عن الاجابة لرسوله عليهم السلام رداً عليهم او مغالبة فى الدعاء كقوله وقوله عز وجل ثم انى دعوتهم
جهاراً ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسراراً ففى هذا اخبار انه دعاهم الى عبادة الله تعالى
فى كل وقت يتهيأ له من ليل ونهار ولم يقتصر فيها ودعاهم فى كل وقت رجاء الاجابة منهم ويحتمل
انى دعوتهم جهاراً اى اذا بعدوا منى وازدحموا وكثروا فدعاهم جهاراً ليسمعهم الدعوة وقوله عز وجل
واسررت لهم اسراراً اذا قربوا منه وقلوا فلما ادخلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم
اعلن فى الدعاء ثم جايز ان يكون الجهر والاسرار مصرفا الى الدعوة ويكون الاعلان اعلاناً بالحجج
واظهاراً للبينات والى هذا يذهب ابو بكر الاصم وقوله عز وجل فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً
فالاستغفار طلب المغفرة بما ذكر من قوله عز وجل اعبدوا الله واتقوه واطيعون فيكون هذا منه امراً لهم

باتيان الايمان الذى هو سبب المغفرة لا ان يسئلوا لنفسه من الله تعالى اذا استغفار كل قوم يرجع الى المعنى
فاذا كانوا كفرة فهو ايمان بالله تعالى وان كانوا اصحاب ذنوب فالتوبة الى الله عز وجل وان كانوا
مخلصين فيما سلف من ذنوبهم مما يعملوها ونحو ذلك وقوله عز وجل يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم
باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً فيحتمل انما قال هذا لانهم كانوا فى شدة عيش وضيق
حال فوعدهم ان انتهوا عن الكفر واجابوا الى ما يدعوهم اليه غفر الله لهم ذنوبهم وارسل السماء عليهم
مدراراً فيتوسعوا به على ما قال به بعض اهل التاويل ان الله تعالى قد حبس عنهم المطر وعقمت ارحام
نسائهم وهلكت مواشيهم وجناتهم لتمام اربعين سنة ثم اهلكوا بعد ذلك وكانوا كلهم كفاراً ليس فيهم
صغير فلذلك كان نوح عليه السلام يعدهم بما ذكرنا والله اعلم ويحتمل ان يكونوا خافوا انقطاع النعمة
عنهم بالاجابة وزوال السعة عنهم ومن الناس من يترك الايمان خشية هذا فاخبر عز وجل ان الذى
هم فيه من رغد العيش لا ينقطع عنهم بالاسلام بل يرسل عليهم المطر من السماء مدراراً متتابعاً ويمددهم
باموال وبنين مع ما يجعل لهم من الجنان والانهار لكن ذوا الالباب والعقلاء ينظر الى حسن العاقبة
وما اليه مودة دون الحال فذلك الذى يرغبه فيه ولذلك اختلفت دعوة النبى صلى الله عليه وسلم
لامته فمنهم من يسترع بكثرة امواله وبنيه ومنهم من رغبه فى الآخرة فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
وقال هل انبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم الآية ونظير الاول كقوله عز وجل ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض والاصل ان الرسل عليهم السلام بعثوا مبشرين
منذرين داعين زاجرين محتجين مدحضين فيما يتلوا عليهم من انباء الاولين دخل فيهم جميع الاوجه
الثلاثة اذ النذارة والبشارة مرة تقع بالابتداء ومرة تذكر ما ينزل بالمتقدمين المصدقين منهم والمكذبين
ان كيف كان عواقب هؤلاء وهؤلاء وكذلك الدعاء والرحمة يكون مرة بابتداء الدعاء والزجر ويذكروا الامم
السالفة وان الرسل كيف كانوا يدعونهم ثانياً والله اعلم وقوله عز وجل ما لكم لا ترجون لله وقاراً
وقال ابو بكر الاصم تاويله كيف لا يرجون لله ثواباً فيعبدونه فيثيبكم بها وقد علمتم ان الخير كله فى يد
وان الذى تعبدون من دون الله لا يملكون لكم نفعا ولا يدفعون عنكم ضرا فجعل قوله وقاراً مكان عبادة
والله اعلم وقال غيره ما لكم لا تخافون عظمة الله وقدرته عليكم فينتهون عما نهاكم وتاتون ما امركم به
وحمل الرجاء على الخوف لما قد ذكرنا ان الرجاء المطلق يقتضى الخوف والرجاء جميعا وكذلك الخوف المطلق
يقتضى رجاء والله اعلم والاشبه بالتاويل عندنا ان الرجاء لله تعالى حمل على الغضب لله والحب لله
والبغض لله اى ما لكم لا تسعون سعى من يرجوا ما عند الله على الوقار والهيبة بعد ان شاهدتم من نعم الله تعالى
واحسانه اليكم من خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر وما ذكر منه فى الآيات التى
يتلوها وذلك ان المرء اذا سعى لآخر على غير رجاء او لم يرجوا احداً استحق به فالزمهم نوح عليه السلام
سعى من يرجو على التوقير والهيبة على ما عليه فى الشاهد ان الساعى للملوك والكبراء على الرجاء كيف يكون
منهم توقيرهم اياهم وهيبتهم عنهم والله اعلم وقوله عز وجل وقد خلقكم اطواراً فمن حمل قوله
لا يرجون لله وقاراً على حقيقة الرجاء فتاويله كيف لا ترجون ان يعظم قدركم عند الله عز وجل
اذا اجبتم الى ما دعاكم اليه وفيما ذكر من خلقه اياهم اطواراً تذكر لهم حسن صنيعه لهم فيما تقلبهم من حال
الى حال من اول ما انشاهم الى حالهم التى هم فيها وكيف لا ترجون احسانه فى حادث الاوقات اذا اقبلوا
على طاعته واشتغلوا بعبادته وان كان قوله عز وجل لا ترجون لله وقاراً على الخوف ففيما ذكر من قوله
عز وجل وقد خلقكم اطواراً تذكير العظمة والسلطان والقدرة وهو انه دبركم فى تلك الظلمات الثلاث
ولم يخف عليه احوالكم فيها بل قلبكم من حال الى حال كيف شاء فكيف يخفى عليه افعالكم فى حال بروزكم

ظلمات ثلاث

وظهورکم فیکون فی ذکر هذا تنبیه ان الله تعالی لا یخفی علیه شیء من اعمال الخلق فیدعوا ذلک الی المراقبة
ویلزم التیقظ والتبصر فی کل حال لئلا یتعدی حدود الله ولا یضیع حقوقه فیحل به البوار والهلاک
فاذا حملت التاویل علی الرجاء کان فیه تذکیر عظیم نعمه علیهم من اول ما انشاهم الی الوقت الذی انتهوا الیه
فیحملهم ذلک علی طلب ما یشرف قدرهم عند الله تعالی ویحمد عاقبتهم وان حملته علی الخوف کان فیه تذکیر
القدرة والسلطان فیحملهم علی المراقبة والاتقاء فی حادثات الاوقات ومن جمل قوله عز وجل وقارا علی العبادة
فهو یخرج علی غیر الوجهین اللذین ذکرناهما فی الخوف والرجاء اذا صرف الیهما التاویل کانه یقول
ان الذی خلقکم اطوارا قد تعلمون انه حکیم ومن هو حکیم لا یسفه وترکم سدی لا یامرکم ولا ینهاکم
ولا یستادی منکم شکر النعم سفه فیکون فی ذکر هذا ترغیب فی العبادة واخلاص الطاعة ویکون
فی ذکر هذا ایضا تثبیت الربوبیة والزام القول بالوحدانیة لانه انشاهم من اول ما انشاهم نطفة
ثم علقة ثم مضغة الی ان خلقهم بشرا سویا فلو لم یکن المدبر والمنشی واحدا لکان یعجز عن تقلیبه من حال الی حال
لانه اذا اراد ان ینشی من النطف علقة ومن العلقة مضغة کان للآخر ان یمنعه عن تدبیره فلا یتهیا له
انشاء علقة ولا مضغة فارتفاع المانع دلیل علی ان لا مدبر ولا خالق غیره فاذا ثبت انفراده بما ذکرنا ثبت
انه هو المستحق للعبادة من الخلایق وقال بعضهم معنی قوله وقد خلقکم اطوارا ای مختلفی الاخلاق والصور
والالوان والالفاظ والاصوات والنعم حتی لا یری احدا یشبه آخر بجمیع خلقته وهذا من عظیم ما یستدل به
علی قدرته وحکمته والله الموفق وقوله عز وجل الم تروا کیف خلق الله سبع سموات طباقا قد ذکرنا
ان قوله الم تروا یقتضی تذکیر امر عرفوه فاغفلوا عنه فقد یقتضی تذکیرا عجوبة لم یسبق من الخلایق العلم بها
بقوله قد راوا انه خلق سبع سموات طباقا بغیر علایق فوقها ولا عمد تحتها ومن قدر علی خلق مثله لقادر
علی خلق کل ما یرید فیکون فیه ایجاب القول بالبعث اذ اعادتهم لیس باعود من خلق السموات فی تقدیر
عقولکم ومن قدر علی خلقهن لقادر علی البعث والله الموفق وقوله عز وجل وجعل القمر فیهن نورا منهم
من یذکر انه جعله نورا فی السماء الدنیا واضافه الی جملة السموات وقد یجوز ایضا ان یضاف الشیء
الی العدد وان لم یوجد ذلک الا فی البعض یقال فی سبع قبایل مسجد واحد والمسجد اذا کان واحدا فهو
لا یکون فی سبع قبایل وانما یکون فی قبیلة واحدة ویقال فلان یتواری فی دور قومه وهو لا یکون
متواریا فی دور جملتهم وانما یکون متواریا فی واحد منهم ثم اضیف التواری الی الجملة فکذلک اضاف نور القمر
الی السموات السبع وان کان القمر فی سماء واحدة ومنهم من ذکر ان نور القمر قد اختلط بجمیع السموات
وزعم ان وجهه الی السموات وظهره الی اهل الارض ولهذا ما یحل علیه السواتر من السحاب وغیره
فاما نور وجهه فانه لا یستره شیء من السواتر لکن هذا انما یعرف بالخبر فان صح عن رسول الله صلی الله علیه وسلم
خبر فذلک هو والا فانا لا نسال عن مثله وقوله عز وجل وجعل الشمس سراجا فذکر السراج هاهنا
مکان الضوء فی موضع آخر وهو قوله عز وجل وجعل الشمس ضیاء فذکر فی القمر النور وفی الشمس الضیاء
لان القمر یکون فی وقت الحاجة الی النور وذلک فی ظلمة اللیل ثم الله تعالی انشا اللیل لیسکن فیه لکن قد یبدو
للخلایق باللیل حوایج یحتاجون الی قضائها فمن الله تعالی علیهم بنور القمر لیتوصلوا بنوره الی قضاء
حوایجهم وجعل الشمس ضیاء لتختطف ضوءها نور اللیل ویغلب علیه ولا یختطف نور النهار نور الشمس
والله اعلم وقوله عز وجل والله انبتکم من الارض نباتا فجایز ان یکون اضاف الانبات الی الارض ویرد
ذلک الی الاصل الذی خلق من التراب وحده ثم منه لا ان یکون خلق الجملة من التراب وهو کقوله عز وجل
وفی السماء رزقکم والذی لنا فی السماء هو المطر لا الذی یرزق به اصله المطر فنسب الی المطر لانه هو الاصل
الذی یتوصل به الی الارزاق فکذلک الخلایق لما کانوا من نسل آدم علیه السلام وکان هو اصلا لهم اضیف

النسل الی الذی حدث منه الاصل ویحتمل ان یکون یرجع هذا الی کل فی نفسه وذلک لان حیوة
الابدان وقوامها بالذی یخرج من الارض وینبت منها من انواع الاغذیة فاذ کان قوامها بما ینبت منها
فکانما ابتنا منها فاستقام ان یضاف الانبات الیها کما یستقیم ان یضاف خروج الثمار الی الارضین
وان کان تحدث من الاشجار اذ قوام الاشجار وبقاؤها بها فنسب ما یخرج منها الی الارض علی التقدیر
الذی ذکرنا ففی قوله والله انبتکم من الارض نباتا علی التاویل الاول اثبات القدرة علی البعث والزام
الحجة علی من یجحد کونه لانه یذکرهم قدرته انه انشاهم من الارض ولم یکونوا شیئا فمن قدر علی انشائهم
من الارض بعد ان کانوا ترابا لقادر علی ان یعیدهم الی الحالة التی کانوا علیها من کونهم بشرا سویا وان صاروا
عظاما ورفاتا لانهم کانوا یزعمون ان کیف یعادوا خلقا جدیدا بعد ان صاروا ترابا فاحتج علیهم بامر
الابتداء من الوجه الذی ذکرنا وان کان علی التاویل الثانی ففیه تذکیر نعمه ان قد اخرج لهم من الارض
ما یتعیشون به ویقیمون به اودهم اولیستادی منهم الشکر وفیه تذکیر قوته وسلطانه لیحذروا عقابه
فیتقوا سخطه ویطلبوا مرضاته وقوله عز وجل ثم یعیدکم فیها ویخرجکم اخراجا فجمع بین الاعادة والاخراج
بحرف الجمع وجعل قوله عز وجل ویخرجکم فی موضع ثم لان هذا الاخراج یکون بعد الاعادة الی الارض
فیکون فی هذا دلیل ان احدی الحرفین وهو الواو قد یستعمل مکان ثم وقوله عز وجل والله جعل لکم
الارض بساطا ای جعلها کالشیء المبسوط الذی ینتفع ببسطه ولو لم یجعلها کذلک لم یتوصلوا الی حوایجهم
ولا الانتفاع بها ففی ذکر هذا تذکیر ما الله علیهم من عظم المنة وقوله عز وجل لتسلکوا منها سبلا فجاجا
قیل الفجاج هی الطرق الواسعة وقیل السبل فی السهل والفجاج الطرق فی الجبال وهذا ایضا من عظیم نعم الله تعالی
علی عباده لان الله تعالی قدر ارزاق الخلق فی البلاد فلو لم یجعل لهم فی الارض سبلا لم یجدوا طریقا یسلکونه
فیتوصلون به الی ما به قوام ابدانهم فصارت الطرق المتخذة لما یسلک فیها فضلا لحوایجنا والی معایشنا کالدواب
التی سخرت لنا فنتوصل بها الی حوایجنا وهذا یبین لک ان ملک اقطار الارض وتدبیرها یرجع
الی الواحد القهار لانه احوج الخلق فی الانتساب الی البلاد لاقامة اودهم وجعل لهم سببا یتوصلون
الی ذلک فثبت ان مالک الاقطار واحد وقوله عز وجل قال نوح رب انهم عصونی ای عصونی
فیما امرتهم به او فیما دعوتهم الیه وقوله عز وجل واتبعوا من لم یزده ماله وولده الا خسارا یشبه
ان یکون المتبوعون هم الذین کثرت اموالهم وحواشیهم استتبعوا من دونهم فیتبعوهم ولم یتبعوا
نوحا علیه السلام وقد کان نوح یدعوهم الی اتباعه فاخبر انهم لم یتبعوه وانما تبعوا من کثرت امواله واولاده
وحواشیه فیکون هذه الآیة فی الاتباع انهم اتبعوا اجلتهم ورؤساهم لیس فی رؤسایهم وما تقدم من الآیات
فی اجلتهم من دعاء نوح علیه السلام ایاهم الی التوحید وغیره ویحتمل ان یکون هذه الآیة فی الاجلة والضعفة
جمیعا فیکون قوله تعالی واتبعوا ای تبعوا من تقدمهم من اهل الثروة والغنا والذین وسعت علیهم الدنیا
وبسطت لهم ظنا منهم انهم احق بالله تعالی واقرب الیه فی المنزلة والذی حملهم علی هذا وهو انهم لا یرون
احدا فی الشاهد یترک صلة ولیه ویصل عدوه فیرون انه اذا بسطت علی رؤسائهم الدنیا ووسع علیهم
علیهم وضیق علی هولاء ان اولئک اقرب منزلة واعلی حالا وانهم هم الاولیاء وهم لا یؤمنون بالآخرة
وثوابها فکانوا یزعمون انه یوفر الجزاء علی الاولیاء والمحسنین فی الدنیا وزعموا ان وسع علیه الدنیا
فهو احق ان یکون ولیا لله تعالی حیث وصل الیه الجزاء فیها فهذا الظن هو الذی حملهم علی الاتباع وقوله عز وجل
الا خسارا ای تبارا وهلاکا لان ذلک المتبوع فکانت تلک النعم التی ظنوا انهم اکرموا بها بصنیعهم سببا
لخسارهم ثم وقوله عز وجل واتبعوا من لم یزده ماله وولده الا خسارا کقوله فلا تعجبک اموالهم

شكاية نوح عم الى الله تعالى

ولا اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا ثم قد بينا تاويل شكاية الى الله تعالى من قومه في هذه الاية وتلك الايات في معنى تاويل الشكاية الى الله تعالى واحد وقوله عز وجل ومكروا مكرا كبارا قال بعضهم انهم يمكرون مما يمكرون بالسنتهم حيث كانوا يدعونهم الى الكفر والصد عن سبيل الله فكنى بالمكر عما قالوه بالسنتهم فكان ذلك مكرا كبارا اي قولا عظيما وجايز ان يكون على حقيقة المكر وهو ان رؤساهم مكروا باتباعهم حيث قالوا ان هؤلاء لو كانوا احق بالله تعالى منا لكانوا هم الذين يوسع عليهم ويضيق علينا فاذ وسع علينا وضيق عليهم ثبت انا نحن الاولياء والاصفياء دون غيرنا وهذا منهم مكر عظيم لانه ياخذ قلوب اولئك فيصدهم عن سبيل الله تعالى وجايز ان يكون مكرهم ما ذكر انهم كانوا ياتون باولادهم الصغار الى نوح عليه السلام ويقولون لهم اياك واتباع هذا فانه ضال مضل فكان هذا مكرهم بصغارهم وقوله عز وجل وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية هذه المقالة منهم كانت بعد ان انقادت لهم الاتباع واتبعتهم الى ما دعوهم اليه من الاصنام فقالوا بعد ذلك لا تذرن الهتكم اي لا تذرن عبادتها وقوله عز وجل ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هي اسماء الاصنام التي كانوا يعبدونها ثم يحتمل ان يكون الذي بعثهم على عبادة الاصنام ما ذكره اهل التفسير ان قوم نوح اتخذوا هذه الاصنام اول ما اتخذوها على صورة رجال عباد كانت هذه الاسماء اسماءهم فسموا الاصنام باسماء العباد ليعتبروا بها ويجتهدوا في العبادة اذا نظروا اليها فلما مضى ذلك القرن الذي اتخذوها عبدها وخلفهم قرن بعدهم قال لهم الشيطان ان الذين من قبلكم كانوا يعبدون هذه الاصنام فعبدوها ومنهم من ذكر ان جسد ادم عليه السلام كان عند نوح عليه السلام يتبرك كل مؤمن في زمانه ان يدخل فينظر الى جسد ادم عليه السلام ومن لم يكن مؤمنا لم يدعوا ان ينظر اليه فجاء ابليس الى الكفار فقال ايفخر نوح ومن معه عليكم بجسد ادم وانتم كلكم ولده فصنع لكل قوم صنما على صورة ادم فكانوا يعبدون تلك الصورة ويحتمل ان يكون الذي بعثهم على ذلك هو انهم لم يروا انفسهم يصلح لعبادة رب العالمين كما يرى هؤلاء الذين يخدمون الاجلة في الشاهد لا يطمع كل واحد منهم في خدمة الملوك ولا يرى نفسه اهلا لخدمتهم بل يشتغل بخدمة من دونه اولا على رجاء ان يقربه الى الملك فلذلك هؤلاء حسبوا انهم لا يصلحون لخدمة رب العالمين فكانوا اذا راوا شيئا حسنا كانوا يظنون ان لحسنه منزلة له عند الله تعالى لاجله فكانوا يقبلون على عبادته رجاء ان يقربهم الى الله تعالى فجعلوا الاصنام على احسن ما قدروا عليه ثم اشتغلوا بخدمتها وعبادتها رجاء ان يقربهم الى الله تعالى كما قال عز وجل حكاية عنهم والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فجايز ان يكون هذا الحسبان هو الذي حملهم على عبادتها وتعظيم شانها والله اعلم اي ذلك كان وقوله عز وجل وقد اضلوا كثيرا فجايز ان يكون يريد به الكبرا انهم اضلوا كثيرا اي دعوا الى الضلال وزينوه في قلوبهم ما اضلوا سفهاءهم بذلك وجايز ان يكون اريد به الاصنام ولكن حقه ان كان على الاصنام ان يقول وقد اضللن كثيرا كما قال ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولكن الاضلال ليس فعل الممتحنين والاصنام ليست لها افعال فلما نسب اليها لنسبة من يوجد منه الفعل اخرج الخطاب الى الوزن الذي يخاطب به من يوجد منه هذا الفعل وهو كقوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها فاضاف الى القرية فعل اهلها والفعل اذا اضيف الى الاهل اضيف بلفظ التذكير ثم انث هاهنا الاضافة فعل الاهل الى القرية ولو كانت القرية بحيث يكون منها الفعل لكان الخطاب يرتفع عنها بلفظ التانيث لا بلفظ التذكير فحيث اضيف اليها فعل اهلها انث كما لو لو كان الفعل متحققا منها ثم الاصنام لا يتحقق منها الاضلال ولكن بمعنى الاضافة هاهنا هو انها

سبب عبادة الكفار للاصنام اولا

ثم اهم المهمات في ترك اتخاذ الكفار الاصنام الالهة

انشيت على هيئة لو كانت تلك الهيئة ممن يضل لاضل وهو كما قلنا في تاويل قوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا وقوله عز وجل ولا تزد الظالمين الا ضلالا فهذا يشبه ان يكون بعد ما بين له انه لن يومن من قومك الا من قد امن فاذ علم انهم لا يومنون لم يدع لهم بالهدى ولكن دعا الله تعالى ليزيد في ضلالهم ويكون الاضلال عبارة عن الهلاك والضلال الهلاك قال الله تعالى وقالوا ااذا ضللنا في الارض اي هلكنا وقوله عز وجل مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فحذف ما هاهنا صلة في الكلام ومعناه في بخطيئاتهم او من خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا في الاخرة اذا احرقت اجسادهم وردت ازواجهم الى النار فلم يجدوا لهم شفعاء ولا عزا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجدوا لانفسهم بعبادتهم من عبدوا من دون الله ليقربهم الى الله ويكونوا لهم شفعاء او عزا فلم يجدوا الامر على ما قدروا عند انفسهم وقوله عز وجل وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قيل تاويله لا تذر على الارض من الكافرين ساكن دار واذا لم يبق منهم ساكن دار فقد ماتوا جميعا فهلكوا فكانه يقول لا تذر منهم احدا وقوله عز وجل انك ان تذرهم يضلوا عبادك هذا كلام شنيع في الظاهر من نوح عليه السلام لانه خارج مخرج الانكار على الله تعالى لو تركهم لم يهلكهم وهذا يشبه بقول من قال اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وهذا ايضا خارج مخرج التكبر لله تعالى انه لو ابقاهم ادى ذلك الى اضلال العباد وفيه تقدم بين يدي الله تعالى وذلك عظيم ولانه ليس في شرط الالوهية اهلاك من عمله الاضلال الا ترى ان ابليس اللعين واتباعه جل سعيه في اضلال بني ادم ثم لم يستاصلوا ولم يهلكوا بل ابقوا الى الوقت المعلوم ولكنه يجوز ان يكون دعا عليهم بعد ان اذن له بالدعاء عليهم بالهلاك والبوار فيكون الدعاء بالهلاك على تقدم الادب والاصل ان الرسل عليهم بعثوا الدعاء للخلق الى الاسلام وكانوا في دعائهم راجين للاسلام منهم خائفين عليهم بدوامهم على الكفر فيما قيل لنوح عليه السلام انه لن يومن من قومك الا من قد امن وقع له الاياس عن اسلام من تخلف عن الايمان فارتفع معنى الدعاء الى الاسلام فجايز ان يؤذن له الاذن بعد ذلك بالدعاء عليهم بالهلاك فيدعوا اذ ذاك ثم يكون قوله انك ان تذرهم يضلوا عبادك خارجا مخرج الاشفاق والرحمة على من معه من المومنين وهو ان الذين داموا على الكفر لو بقوا خيف على الكفر ان يضلوا المومنين ويغيروهم الى ملتهم فيكون شفقته على المومنين داعية له الى الدعاء على الهلاك على الكفرة لئلا يتوصلوا الى الاضلال وقوله عز وجل ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقت بلوغهم المحنة والابتلاء فحينئذ يوجد منهم الفجور لان يلدوا فجارا كفارا او لا صنع لهم في ذلك الوقت وهو كقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه اي نبتليه لوقت بلوغه المحنة والابتلاء لا ان يبتلى وقت ما نشا وفي هذه الاية دلالة ان الكفر قد يقع عليه اسم الفجور لانه لو خرج قوله كفارا مخرج التفسير لقوله فاجرا استقام ان يجعل تاويل قوله تعالى وان الفجار لفي جحيم على الكفرة وقوله عز وجل رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا هكذا الواجب على المرء في الدعاء والاستغفار ان يبدا بنفسه ثم بوالديه ثم بالمومنين ثم قوله في بيتي قال بعضهم اي في سفينتي وقال بعضهم انما هو بيته الذي يسكن فيه لما اطلعه الله تعالى ان من دخل بيته مومنا لا يعود الى الكفر قال الشيخ رحمه الله ثم ان ارجى الامور للمومنين في الاخرة دعاء الانبياء والملائكة عليهم السلام في الدنيا لانهم انما يدعون بعدما ياذن لهم بالدعاء ولا يحتمل ان ياذن الله لهم بالدعاء ثم لا يجيب دعوتهم وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان نوحا عليه السلام دعا بدعوتين احديهما للمومنين بالاستغفار والتوبة والثانية على الكفار بالبوار والتبار

ارجى الامور للمومنين في الاخرة دعاء الانبياء والملائكة عليهم السلام

الانبياء لا يدعون لشيء الا بالاذن

مقام رجاء المومنين اللهم اختم لنا بالايمان بمنك

وقد اجيبت دعوته فيما دعا على الكفرة فلا يجوز ان يجاب في شر الدعوتين ثم لا يجيب في خير الدعوتين

وقوله عز وجل ولا تزد الظالمين الا تبارا قيل كسرا وذلا وصغارا فانه مشتق من التتبير وكل مكسور يقال له متبر فكانه يقول اكسر منعة الظالمين وشوكتهم فان كان التاويل هذا فهو يقع على جميع الظلمة من كان في وقته ومن بعده وقيل التبار الهلاك فان كان هذا معناه فهو على ظالمي زمانه اذ لا يجوز للانبياء عليهم السلام ان يدعوا على قوم الا ان يؤذن لهم بالدعاء عليهم وانما جاء الاذن في حق قومه فاما في حق غيرهم لم يثبت فلا يجوز القول فيه الا بما تواتر الخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

سورة الجن مكية وآيها ثمانية وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن اختلف في السبب الذي كان به مجيء الجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من ذكر ان ابليس صعد الى السماء فوجدها قد ملئت حرسا شديدا وشهبا فتيقن انه قد حدث في الارض حادث ففرق جنوده ليعلم علم ذلك ومنهم من يقول بان الاصنام خرت لوجوهها حين بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعلم ابليس انه حدث في الارض حدث حادث حتى خرت له الاصنام ففرق جنوده ليصل الى علم ذلك ثم من الناس من يزعم ان قصة هذه السورة وقصة قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن واحدة وقال بعضهم بان هؤلاء النفر الذين ذكروا في هذه السورة كانوا من مشركي الجن والذين ذكروا في سورة الاحقاف كانوا يهود الجن دليله انه قال في هذه السورة فيما حكى عن الجن وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا واليهود يقرون بالبعث ولا ينكرونه فثبت انهم كانوا من جنس المشركين وقال في سورة الاحقاف قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه فثبت انه قد كان عندهم علم بالكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا به مقرين واليهود هم الذين يؤمنون بكتاب موسى لا غير ثم فيما حكى الله تعالى عن الجن من تصديقهم هذا الكتاب واستماعهم ما جرى من المخاطبات فيما بينهم فوائد احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس حتى صرف الجن الى الاستماع اليه وفيه انهم لما اخذوا القرآن من لسانه قالوا فيما بين القوم بانذارهم واعانوه في التبليغ على ما اخبر عز وجل فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين وفيه ان اولئك النفر تسارعوا الى الاجابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون فيه تسفيه قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين نشأ بين اظهرهم لانهم عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم في الصيانة والعدالة ولم يقفوا منه على كذب قط وحق من يعرف بالصدق ان لم يصدق ان لا يسارع الى التكذيب فيما اتى من الانباء بل يوقف في حاله الى ان يتبين منه ما يظهر كذبه وقومه استقبلوه بالتكذيب ولم يعاملوا معه معاملة من كان معروفا بالصدق والصيانة والجن الذين صدقوه لم يكونوا عارفين باحواله فيما قبل انه صدق او ممن يرتاب في خبره ثم تسارعوا الى تصديقه بما لاحت لهم الجنة ويثبت عندهم آية الرسالة وعاملوا معه معاملة من قد عرف بالصدق فدل انهم كانوا في غاية من السفه وفيه ايضا دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم لان قوله تعالى فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد الى آخر القصة فيما بينهم اخبار عن علم الغيب وهذا لا يعرف الا بمن عنده علم الغيب فثبت انه بالله تعالى علم ثم يجوز ان يكون الذي حملهم على الايمان ما عرفوا انه اتى بالمعجز الذي يعجز الخلق عن اتيان مثله وما وقفوا على احكام معانيه وحسن تاليفه ونظمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بمجيئهم حتى اوحى اليه انه قد اتاه نفر من الجن واستمعوا اليها اوحي اليه فيكون فيه دلالة على فساد قول الباطنية حيث يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم

قبل الوحي بالجسد الروحاني لانه لو كان كما وصفوا الرأي الجن عند ما حضروا اليه ان الجسد الروحاني مما يبصر بالحق ولم يكن يوحى اليه فيعرف ان قد حضره نفر من الجن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه الصلوة والسلام ان يريه على صورته فقال له جبريل انك لا تطيقه لان الارض لا يسعني ولكن انظر الى فوق السماء ولو كان ياخذ الوحي بالجسد الروحاني لكان قد رأى جبريل عليه السلام على صورته فيبطل فائدة هذا السؤال فثبت ان الامر ليس كما زعموا بل كان يقبله بالصورة الجسدانية وانه كما وصفه الله تعالى بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الآية وقال القتبي النفر ما بين الثلاثة الى التسع وقوله عز وجل انا سمعنا قرآنا عجبا قال بعضهم العجب الغريب وانما استغربوا ذلك منه لانهم سمعوا ممن لا يعرف الكتابة ولا يقرأ الكتب ومنهم من قال بان حسن تاليفه ونظمه ووصفه هو الذي حملهم على التعجب ومنهم من قال انما تعجبوا من آياته وحججه لانه جاء في تثبيت التوحيد واثبات الرسالة واثبات البعث ولم يكن لهم معرفة بالوحدانية بل كانوا اهل شرك ولم يكونوا اهل معرفة بالبعث ولا الرسالة فكانت الآيات عجيبة حيث قررت عندهم هذه الاوجه والله اعلم ثم في هذه وفي قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن اخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يشعر بمجيئهم وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما تلا على اصحابه سورة الرحمن قال لاصحابه ان الجن كانوا احسن اجابة منكم اني تلوت عليكم هذه السورة فكانوا يقولون ما شيء من آلائك نكذب ربنا فلك الحمد ففي هذا الخبر دلالة انه قد رآهم وشعر بمجيئهم فيكون فيه اثبات الوجهين جميعا ان قد شعر مرة ولم يشعر اخرى ثم يجوز ان يكون رآهم بما قوى الله عز وجل بصره حتى احتمل ادراك الجن وضعفت ابصار غيره عن رؤيتهم الا ترى ان اهل الجنة يرون الملائكة عند ما ياتيهم بالتحف من ربهم فيقوي الله عز وجل بصرهم حتى يعاينوا الملائكة بجوهرهم وان ضعفت ابصارهم عن الرؤية في الدنيا ففي ذلك يجوز ان يكون الله تعالى قوى بصر نبيه صلى الله عليه وسلم حتى رأى الجن على صورتهم وجائز ان يكون الله تعالى صور الجن على صورة الانس حتى رآهم وشعر بمجيئهم والله اعلم ثم ما ذكرنا من السند في امر مجيء الجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول السورة من قول اهل التاويل لا يقطع القول بذلك وان كان في حد الامكان والجواز لانهم تكلفوا استخراج ذلك بالتدبر والاجتهاد وما كان سبيل معرفته الاجتهاد لم يجز ان يقطع القول فيه بالشهادة وقد يجوز ان يكون الذي حملهم على المجيء غير ذينك الوجهين وهو ان يكون النفر من منذري الجن لانه ذكر ان من الجن نذيرا وان الرسل من الانس دون الجن فتفرقوا على رجاء ان يظفروا برسول فيتلقف منه ما يفوهوا به بالنذارة فيما بين قومهم اذ كانوا يصعدون الى السماء فيسمعون الاخبار وتنذروا قومهم بها ثم انقطع علم ذلك عنهم حيث لم يجدوا مسلكا الى الصعود لانها قد ملئت حرسا وعلموا ان الله عز وجل لا يبقيهم حيارى ويقطع عنهم وجه المعرفة فتفرقوا في الارض رجاء ان يظفروا بمن يزيل عنهم الشبه ويوضح لهم الحجج والبراهين فوصلوا الى مقصودهم من جهة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم او يجوز ان يكون عندهم ان لا احد في الارض من جني او انسي يكذب على الله تعالى كما حكى الله تعالى عنهم بقوله عز وجل وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلما تحقق عندهم الكذب خافوا على انفسهم ان يبتلوا بها وان يشتبه عليهم الصراط السوي فتفرقوا في الارض على رجاء ان يظفروا بمن يدلهم على الطريقة المثلى حتى وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكونوا لما صعدوا الى السماء فرأوها مملوءة من الحرس والشهب ايقنوا ان ذلك لحادث تحير وخافوا حلول نقمة باهل الارض فتفرقوا في البلاد لعلهم يصلون الى علم ذلك ثم الذي يحقق كون هذا الخبر وهو ان السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا في حق الكفرة انقطاع الكهنة بعد ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا لكانوا

لا ينقطعون لان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فيأتون الكهنة بما يسمعون من الاخبار
ويلقونها اليهم فيضلوا بها الخلق فلولم يمنعوا عن السماء لكانوا لا ينقطعون ومن ادعى الكهانة اليوم فلا يجد
عنده خبرا حادثا سوى ما تلقفوه من السن الرسل عليهم السلام وكان امر الشهاب امرا ظاهرا عرفته
الكفرة فيما بينهم فكانت هذه حجة سماوية برسول الله صلى الله عليه وسلم مقررة عند الكفرة رسالته
اذ لم يدع احد منهم يكون الشهاب قبل ان يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فصار انقطاع الكهنة دليلا
على صدقه فى مقالته والله المستعان **وقوله** عز وجل يهدى الى الرشد فآمنا به اى الى الحق على ما ذكرنا
بيانه فى سورة الاحقاف فى قوله عز وجل يهدى الى الحق والى طريق مستقيم **وقوله** عز وجل ولن نشرك
بربنا احدا قال ابو بكر الاصم انهم كانوا من مشركى العرب فتبرؤا من الشرك بما استمعوا وسمعوا القرآن
بقولهم لن نشرك بربنا احدا وقد يحتمل هذا الذى قالوا ويحتمل انه لم يسبق منهم الاشراك بل كانوا من جملة
الموحدين ولكنهم احدثوا ايمانا بما سمعوا من القرآن واحدثوا تبرءا من الشرك وقد يتبرء المرء من الشرك
عند ما يحدث له زيادة ايقان وان لم يسبق منه الاشراك كما قال موسى عليه السلام قال سبحانك
تبت اليك وانا اول المؤمنين **وقوله** عز وجل وانه تعالى جد ربنا اختلف فى تاويل الجد فمنهم من يقول
بان هذه الكلمة يتكلم بها فيمن يظفر بكل ما يريد فيوصف بانه ذو جد فجايز ان يكونوا ارادوا بهذا ان ربنا
هو الظافر بكل ما يريد لا يستقبله خلاف ولا يمسه حاجة وعلى هذا التاويل قوله ولا ينفع ذا الجد
منك الجد اى من كان له الجد فى الدنيا فاذا كان فى تقدير الله تعالى خلاف ذلك لم يغنه ذلك
من عذاب الله شيئا وان كان هذا هو المراد فمعناه ان من هذا وصفه يتعالى عن ان يكون له شريك
او يحتاج الى صاحبة او الى اتخاذ ولد لان هذه الاشياء كلها امارات الحاجة ومن ظفر بكل ما يريده
لم يقع له حاجة وجايز ان يكون الجد صلة ومعناه تعالى ربنا وجايز ان يكون الجد عبارة عن العظمة
والرفعة يقال فلان جد فى قومه اذا عظم وشرف فيهم وقال الحسن تعالى جد ربنا اى غنا ربنا الا ترى
كيف ذكر الله تعالى عند ما نزه نفسه عن اتخاذ الاولاد بقوله قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى وقد ذكر
اتخاذ الولد ههنا على اثر قوله عز وجل جد ربنا ومنهم من يقول تاويله ملك ربنا وجايز ان يكون
اريد به قوة ربنا فتعالى ربنا عن كل ما نسب اليه كان فيه الى نعت المذلة والتسفل ثم الحق ان لا نتكلف
تفسير قوله جد ربنا ههنا لانه حكاية عن مقالة الجن فمراد هذه الكلمة انما يعرف باصحاب الجن ثم الشرك
فيما جرى به الكتاب على اوجه اربعة مرة على العبادة بقوله عز وجل ولا يشرك بعبادة ربه احدا
وشرك فى الخلق بقوله عز وجل ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه وشرك فى الحكم بقوله تعالى ولا يشرك
فى حكمه احدا وشرك فى الملك بقوله ولم يكن له شريك فى الملك فثبت ان الشرك يقع مرة فى العبادة ومرة
فى الخلق ومرة فى الملك ومرة فى الحكم فهم بقولهم لن نشرك بربنا احدا تبرؤا عن الشرك من هذه الاوجه
الاربعة ثم اذا كان الجد عبارة عن الذى يظفر بكل ما يريد ففيه ما ينقض على المعتزلة قولهم لانهم
يزعمون ان الله تعالى اراد من كل كافر الايمان فاذا لم يؤمنوا فهو غير ظافر بما يريد على قولهم ويدخل عليهم
النقض من وجه آخر وهو انا قد بينا ان الشرك قد يقع مرة فى الخلق وهم ينفون خلق الافعال عن الله تعالى
واذا نفوا ذلك فقد جعلوا لله فى الخلق شركاء وقد اخبر عز وجل انه هو المتفرد بخلق الخلايق فثبت
ان الافعال من حيث الخلق والانشاء من الله تعالى ومن جهة الكسب والفعل للخلق فمن الوجه الذى يضاف
الى الله تعالى لا يجوز ان يضاف من ذلك الوجه الى الخلق عندنا فلا يقع فى الخلق تشابه لانه لا يتحقق من العباد
الفعل من الوجه الذى يتحقق من الله تعالى الا ترى انه يضاف الملك الى الله تعالى والى الخلق ثم لا يقع فى ذلك
اشراك لانه من الوجه الذى كان يضاف الى الله تعالى لا يتحقق ذلك الوجه فى الخلق لان الاضافة الى الخلق

فيمن ادعى الكهانة اليوم

شهاب دليل مقالته

معنى الجد

على جهة المجاز والاضافة الى الله تعالى على جهة التحقيق فكذلك اضافة الافعال الى الله تعالى والى الخلق
لا يوجب الشرك لاختلاف الجهتين والله الموفق **وقوله** عز وجل لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ٥
لان اتخاذ الصاحبة من الخلق لغلبة الشهوة وهو منشئ الشهوات فلا يجوز ان يغلبه ما هو خلقه فيبعثه
ذلك على اتخاذ الصاحبة وبهذا نرد على من زعم ان الملائكة بنات الله والبنات تحدث من الصاحبة وهو
متعال لم يتخذ صاحبة فانى يكون له بنات **وقوله** ولا ولدا فالاصل ان الاولاد يرغب فيهم المرء لاحدى
خصال اما لما ينال من الوحشة فيطلب الولد ليستأنس بهم او يرغب فيهم لما حل بهم من الضعف
فيريد ان يستنصرهم او لما يخاف زوال ملكه فيطلب الولد ليامن من زواله وجل الله سبحانه وتعالى
عن ان يلحقه وحشة او يصيبه ضعف او يخاف زوال الملك فان كانت الطرق التى بها يرغب فى اكتساب
الاولاد منقطعة فى حقه لزم تنزيهه عن اتخاذ الاولاد ولهذا ما ذكر عند ما يشتبه الملحدة الى اتخاذ
الاولاد غناه بقوله سبحانه هو الغنى اى غنى عن كل الوجوه التى يتوجه الى اتخاذ الاولاد وبالله
التوفيق **وقوله** عز وجل وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا فمنهم من ذكر ان سفيههم ابليس
وليس هذا براجع الى الواحد على الاشارة اليه بل هو راجع الى كل من يوجد منه فعل السفه الا ترى انه
اذا قيل كان يقول مسيئنا كذا او كان يقول فاسقنا كذا لم يعن به فاسق ولا مسيء واحد على الاشارة بل يراد
كل معروف بالاساءة والفسق فعلى ذلك قوله وانه كان يقول سفيهنا ليس بمقصر على الواحد بل هو راجع
الى كل من يوجد منه ذلك ثم فى هذه الآية دلالة ان النفر الذين استمعوا كانوا مؤمنين ولم يكونوا من اهل
الكفر لانهم لو كانوا اهل شرك لكانوا لا يضيفون فعل السفه الى غيرهم ويخرجون انفسهم منه وقد وجد
منهم فعل السفه ولو كانوا مشركين ايضا لكانوا يقولون مكان هذه الكلمة وانا كنا نقول على الله شططا
ليكون ذلك منهم توبة ورجوعا عما كانوا فيه من الشرك والكفر وشكرا بما انعم الله عليهم من عظيم النعمة
بان هداهم للايمان لا ان يضيفوا ذلك الى سفهائهم فثبت انهم كانوا مؤمنين والشطط لا يجوز وقال بعضهم
الكذب وقال بعضهم الظلم والشطط ههنا الجور والجن ربما انوا به من القول الفاحش وهو الشرك
بالله تعالى وهذا بين ان الجور قبيح فى كل الالسن وفيما بين اهل الاديان الا ترى كيف سفهوا من يقول
على الله تعالى بالجور **وقوله** عز وجل انا ظننا ان لن يقول الانس والجن على الله كذبا ذكر ابو بكر الاصم
انهم كانوا اعتقدوا ان لله تعالى صاحبة وولدا بما سمعوا الجن والانس يقولون ذلك وكان عندهم انهم
فى ذلك صادقون فذلك المعنى هو الذى حملهم على القول بان لله تعالى ولدا وصاحبة فلما ظهر عندهم
كذب من يدعى اتخاذ الولد والصاحبة تبرؤا عما يقولون ذلك فثبت بهذا انهم كانوا اهل شرك
الى ذلك الوقت فلما استمعوا الى قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ولاحت لهم الحجج وارتفعت
عنهم الشبه وآمنوا به وتبرؤا من مقالتهم المتقدمة وقد يحتمل غير ما ذكره ابو بكر من التاويل وهو ان القوم
كانوا نشؤا على الهدى والايمان فكانوا يظنون ان الجن والانس على الهدى وانهم لا يكذبون على الله تعالى
حتى ظهر عندهم كذب الانس والجن بقولهم ان لله ولدا وصاحبة وجايز ان يكون معناه انا كنا نظن
ان لا يحمل نفس احد من الممتحنين بالكذب على الله تعالى بما اراهم الله تعالى قبح الكذب وقرر عندهم
بالحجج والادلة تنزيهه عن اتخاذ الاولاد والصاحبة حتى ظهر عندهم ذلك بما اظهروه بالسنتهم
ثم الذى يدل على ان التاويل الذى ذكره ابو بكر ليس بمحكم انه قد كان فى الجن والانس مصدق فى وصف الله
بالتنزيه وقد كان فيهم من يقول بالولد والصاحبة الا ترى الى قوله حكاية عنهم وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون والى قوله وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ولا يحتمل ان يقع عندهم ان الفريقين
جميعا على الصواب ولكن كان فى ظنونهم ان القوم جميعا على الهدى على ما هم عليه فلا تبين عندهم

الكذب من اولئك قالوا هذا القول والله اعلم **وقوله** عز وجل وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم رهقا وذكر ان الانس وهم قوم من العرب كانت اذا نزلت بواد استجارت بسيد
الوادي وقالت نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ثم اختلف بعد هذا فمنهم من ذكر انهم كانوا
يخيفونهم ومنهم من زعم انهم كانوا لا يخيفونهم وكان ذلك يزيدهم رهقا الجن من الانس وقالوا الرهق
الخوف والفزع كذلك روي عن ابن روق ومنهم من يقول هو الذلة والضعف فكانوا يزدادون
الضعف والذلة والخوف والفزع بامتناعهم عن الاعاذة ومنهم من يقول بانهم كانوا يجيرون
من استجارهم ولكن مع هذا كانوا يفرقون منهم ومن كيدهم في الاماكن التي لم يستجيروا فيها ايهم وفي غير
الاوقات التي وقعت فيها الاجارة وعلى اختلافهم اتفقوا ان الجن هي التي كانت تزيد الانس رهقا وقيل
بان هذا الفعل من الانس وهو الاستجارة بهم شرك لان الله تعالى هو المجير فكان الحق عليهم ان يستجيروا
بالله تعالى ليدفع عنهم مكايد الجن وان لا يروا لانفسهم ناصرا غير الله جل جلاله فاذ فزعوا في الاستجارة
الى الجن فقد راوا غير الله تعالى لقومهم عنهم بالذب والنصر فكان ذلك منهم اشراكا ولان الجن اضعف
من الانس لا ترى انها تختفي من الانس وتتصور بغير صورتها فلولا انها يشعر بها الانس ويبلغ في ضعفها
انها لا يقدر على اتلاف احد من البشر ولا يقدر على سلب اموالهم ولا افساد طعامهم وشرابهم واستعانة
القوي بالضعيف اداة الذلة فيخرج تاويل من قال بان الرهق هو الذلة والضعف على هذا ومنهم
من يقول بان الانس هي التي كانت تزيد الجن رهقا وقالوا الرهق التجبر والتكبر وقيل هو السفه والجهل
وقيل هو الاثم وقال القتبي هو العبث والظلم يقال فلان مرهق في دينه اذا كان مفسدا ووجه
زيادة الرهق هو ان الرؤساء من الجن كانوا يرون لانفسهم الفضل على اتباعهم من الجن وعلى الانس جميعا
بما راوا من افتقار الانس اليهم حتى احتاجوا الى الاستعاذة بهم فكان يتداخلهم الكبر من ذلك ويزدادون
تجبرا وتعظما فكان ذلك يمنعهم عن النظر في حجج الرسل وكذلك الاكابر الكفرة من الانس كانوا يمتنعون
عن الاجابة للرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون لانفسهم من الفضل على من سواهم الا ترى الى قوله تعالى
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها الاية فمن زعم ان الرهق هو الاثم او السفه او الجهل
او الظلم او العبث يرجع كله الى هذا المعنى الذي ذكرنا لان سفههم هو الذي كان يحملهم على التجبر والتكبر
لانه كان لا يستعيذ بهم الا اهل السفه وليس في اعاذة اهل السفه منقبة مما يتكبر لاجلها
وهم بتكبرهم ازدادوا اثما وبعدا من رحمة الله تعالى والله اعلم **وقوله** عز وجل وانهم ظنوا
كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا فجائز ان يكونوا نفوا القدرة عن الله تعالى بالبعث لما لم يشاهدوا البعث
وراوه امرا خارجا عن طوقهم وقواهم فظنوا ان القدرة لا تنتهي الى هذا لا ان يكونوا نفوا خروج البعث
عن حد الحكمة لانهم لو ارادوا به نفي البعث لكانوا يقتصرون على قولهم لن يبعث الله تعالى فلما وصلوا
الكلام الذي يتكلم به للتاكيد وهو قوله احدا دل انهم نفوا القدرة وجائز ان يكونوا ظنوا ان لا بعث
لانه امر خارج من الحكمة اذ ليس من الحكمة ان يهلك ثم يعاد بل اذا اريد الابقاء لمن يفنى حتى لا يحوج
الى الاعادة ثم هذا الكلام ليس بحكاية عن الجن بل الله تعالى اخبر ان الجن ظنت ان لا بعث كما ظننتم انتم
وقوله عز وجل ظننتم في الظاهر اشارة الى الانس جملة مسلمهم وكافرهم ومعلوم بان المسلمين لم يكونوا
يظنون ذلك بل قد ايقنوا بالبعث ولكن معناه ان الكفرة من الجن ظنت ان لا بعث كما ظنت الكفرة منكم
ايها الانس ثم في هذه الاية ابانة انهم كانوا يقولون لا بعث بالظن ليس بالعلم والذي حملهم على الظن
اعراضهم عن السبب الذي يوجب القول بالبعث وكل يانف بالطبع ان يلزم الظنون ففيه دعاء
وترغيب الى النظر في حجج البعث وترك الاعتماد على الظنون ثم ذكر الحجج في ان ما كان ابتداؤه بالكسب

في هذه السورة احسن حرف ان هو حكاية عن الجن نحو قوله فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا وما كان غيره
من الحكاية لا عن الجن فحقه ان يقرا بالنصب فاختاروا النصب في قوله عز وجل وانهم ظنوا كما ظننتم
لما ليس هو بحكاية عن قول الجن والله اعلم **وقوله** عز وجل وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا
شديدا وشهبا فجائز ان يكون لمستهم السماء ليجدوا ابوابها فيدخلوا فيها للاستماع اذ ليست
في جملة افاق السماء ولا ابوابها محيطة بجملة السماء فكانوا يلمسونها ليظفروا بابوابها فيدخلوا فيها
وجائز ان يكون اريد من لمس السماء لمس ابوابها فكانوا يلمسون ابوابها ليفتحوها فيدخلوا فيها فيستمعون الى الاخبار
وقوله فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا فجائز ان يكون بعض الابواب ملئت من الحرس وبعضها
من الشهب فان اتوا الى الابواب التي ملئت من الحرس دفعتهم الحرس وطردتهم وان اتوا الى الابواب التي فيها
الشهب تبعتهم الشهب كما قال عز وجل ويقذفون من كل جانب دحورا وجائز ان يكون الابواب كلها مملوءة من الحرس
والشهب جميعا لان الحرس لم يمتحنوا بالحرس خاصة بل امتحنوا به وبغيره من الاعمال فجائز ان يكون اشتغالهم
بذلك لا غير يمنعهم من الحرس فاذا ارادوا استراق السمع في وقت شغلهم تبعتهم الشهاب الثاقب وقذفهم
عن مرادهم وجائز ان يصعد الجن الى المكان الذي لا يراهم الملائكة ويسمع الجن كلامهم لان المرء قد يتكلم
بكلام فينتهي صوته الى حيث لا يراه البصر فيكون الشهب تحت الحرس فيقذفون منها بالشهب والله اعلم
وقوله عز وجل وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا قيل الشهاب من الكوكب
والرصد من الملائكة الاصل في ذلك ان الجن قد حبسوا وقت مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خبر
السماء وكانوا يسترقون السمع قبل ذلك حتى اتسع امر الكهنة اذ لا يجوز ان يأتوا بخبر السماء وقت مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم حتى كان يختلط امر الكهنة بامره صلى الله عليه وسلم فحبسوا عن الصعود الى السماء واتيان
الخبر عنها حتى انقطع امر الكهنة فجاءهم الرسول بعد ذلك ليعلموا ان ليس ذلك بكهانة وانما هو وحي ثابتة
من السماء اذ لو كانت كهانة كان غيرا لا يمنع عن مثله كان في سالف الزمان فهذه كانت كناية من قول الجن
لما رجعوا الى قومهم منذرين قالوا هذا كله لقومهم **وقوله** عز وجل وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم رشدا فهو يحتمل وجهين احدهما لا ندري بما قطعت بالحرس والشهب اخبار السماء
عن اهل الارض وحبس الذين يصعدون او لم يريدهم السماء عن اخبار السماء ويقذفون من كل جانب
دحورا باهل الارض الشر وهو انزال العذاب عليهم او اريد بهم ان يرسل اليهم رسولا يرشدهم
وجائز ان يكونوا ايقنوا ان اخبار السماء انما انقطعت من اهل الارض بما يرسل اليهم من الرسول فيكون
الرسول هو الذي يخبرهم بما لهم اليه من حاجة ولكنهم لم يدروا انه اريد بهم الرشد بارسال الرسول
او الشر لانهم كانوا علموا ان من امن بالرسول المبعوث ونظر اليه بعين الاسترشاد والارشاد فقد رشد
ومن نظر بعين الاستخفاف والاستهزاء استوصلوا فلم يدروا ايكذبون الرسول فيحل بهم الهلاك
في العاقبة او يصدقونه فيرشدوا فيه وهذا يبين ان العواقب في الاشياء هي المقصودة وان الحكيم ما يفعل
من الامر يفعله للعواقب وفي هذا ابانة ان الجن من المسلمين لم يكونوا معتزلة اذ من قول المعتزلة ان الله تعالى
لا يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم في الدين والدنيا في حقهم والجن قد ايقنوا ان الله تعالى قد يريد الشر
بمن يعلم انه يؤثر فعل الشر على فعل الخير ويريد الخير بمن يعلم بانه يؤثر على فعل الشر **وقوله**
عز وجل وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك قال بعضهم الصالحون هم المؤمنون ودون ذلك
هم الكافرون ويشبه ان يكون الصالحون ودون ذلك ليس على الايمان والكفر لان هذا قد ذكر فيما تقدم
من الايات بقوله وانا منا المسلمون ومنا القاسطون ولو كان التاويل على ما ذكروا لكان يقع موقع
التكرار ولكن تاويله عندنا وانا منا الصالحون اي منا عرف بالصلاح والستر ومنا دون ذلك

في الحكيم والعواقب
دليل الحكمة ... [illegible]

وهم الفسقة فيكون فيه ابانة ان كل اهل دين فيهم الصالح المرضي وفيهم الفاسق المفسد
في دينه قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم ولو لم يكن منا غير صالح لم يكن
لاشتراط الصالحين معنىً وكقوله عز وجل واشهدوا ذوى عدل منكم فلو لم يكن منا اهل فسق لم يقل هذا
وقوله عز وجل كنا طرائق قدداً اى اهواء متفرقة ولم يذكروا في الاهواء المتفرقة الاصلح والادون
ذكروا ذلك عند ذكر الفاسق والصالح لان اهل الاهواء كل في نفسه انه هو المحق وغيره على الباطل
واما الفاسق فهو يعرف انه يتعاطا بفسقه وما لا يحل له ويرتكب ما نهى عنه وكذلك كل من شاهد
فسقه يعرف انه على الباطل واذا كان كذلك ظهر الدون فيه وظهر الصالح ولم يظهر ذلك في اعتقاد
المذاهب فلم يتكلم فيه بالدون والصالح ثم الطريق هي المذاهب والاهواء والقدد القطع يقال قدد اى قطعه
معناه انا كنا على مذاهب متفرقة واهواء متشتتة ففي الآية ان في الجن اهواء متفرقة كما ذلك في الانس
والاصل فيه ان طريق معرفة المذهب والدين الفكر والاجتهاد لتوصل به الى الحق والمجتهد قد يصيب الطريق
مرة ويزيغ عنه اخرى فلهذا ما اصاب البعض من الخلائق الطريق المستقيم ومنهم من زاغ عنه ويعلم
بهذا ان سبيل الجن في التوحيد وسبيل الانس واحد وهو الفكر والاجتهاد وان فيهم آيات متشابهة
كما في الانس اذ من المتشابه يتولد الزيغ لذلك تفرقوا على اهواء متفرقة مختلفة واما اسباب الفسق مجتمعة
فيعرف بالمعاينة فيظهر الادون والادفع في الدين وقوله عز وجل وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض
ولن نعجزه هرباً ذكر ابو بكر الاصم انهم على كفرهم ظنوا ان لا يعجزون الله تعالى ولكن اكثر اهل
التأويل ذكروا ان الظن هاهنا في موضع العلم ويؤيد تأويلهم قراءة حفصة رضي الله عنها
فانها كانت تقرأ وانا علمنا ان لن نعجز الله في الارض قوله ولن نسبقه هرباً وفي قوله لن نعجز الله في الارض
اى لن نفوته ولا يتهيأ لنا ان نعجز الله باهل الارض عن ايصال نقمته وعذابه الينا ونعجز قوله فرع
على ذلك اى لو وردنا من عذابه لن نعجزه ان لا يعذبنا والفرار قد يكون بدون الطلب قال الله عز وجل
ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولم يرد به الفرار من الطلب واما الهرب فانه لا يكون الا عن طلب
فكانهم قالوا لا يتهيأ لنا الفرار عن عذابه تعالى لكثرة الاعوان والانصار ولا يعجز هرباً عن طلب
او ان يكون قوله عز وجل لن نعجز الله في الارض وان دخلنا تحت تخوم الارضين ولن نعجزه بالهرب
على وجه الارض فيكون فيه اقرار بانا لا نقدر بالحيل والاسباب ان نحترز من عذاب الله تعالى كما يتهيأ
الاحتراز عن ملوك الارض بالحيل والاسباب ثم مثل هذا الكلام يصدر من اهل الاسلام لان مثل
هذا الكلام انما يتكلم به من يخاف حلول نقمة الله تعالى عليه والذى يتقن بالبعث ويذكر مقامه بين يدى
ربه واما اهل الكفر فلم يؤمنوا بالبعث حتى يحملهم خوف العاقبة على النظر في مثل هذا فثبت ان هذه
المقالة صدرت من اهل الاسلام ليس عن اهل الكفر كما ذكره ابو بكر الاصم ان هذه المقالة صدرت
والله اعلم وقوله عز وجل وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فالهدى هو الدعاء الى الحق يحتمل ان يكون
لما دعينا الى الحق وهو القرآن آمنا به الا ترى الى قوله عز وجل يهدى الى الحق اى يدعوا اليه وقال الله في اول
السورة يهدى الى الرشد ويجوز ان يكون الهدى هو الاهتداء اى لما سمعنا ما به اهتدينا وظن ابو بكر انهم
انهم كانوا كفرة الى ان سمعوا الهدى فآمنوا به لانه لو كانوا على الهدى من قبل لكان الايمان منهم سابقا
فلا يكون لقوله فآمنا به وقد آمنوا من قبل معنى وليس يثبت كفرهم بما ذكر لانه قد يجوز ان يكونوا على الايمان
فلما سمعوا الهدى احدثوا ايمانا بهذا الهدى على ما سبق منهم من الايمان بالجملة الا ترى الى قوله عز وجل
فزادتهم ايمانا وقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى زادوا ايمانا بالتفسير على ما سبق منهم من الايمان
بالجملة لا انهم لم يكونوا من قبل مؤمنين فاحدثوه للحال وكذلك قال اهدنا الصراط المستقيم

وقد هدوا الصراط المستقيم ولكنهم يريدون بهذا الدعاء اى اهدنا بالاثابة اليه والتعيين
الصراط المستقيم على ما هديتنا في الجملة فكذلك احداثهم الايمان بما سمعوا من الهدى لا ينفي عنهم
الايمان فيما سبق من الاوقات بل يجوز ان يكونوا مؤمنين من قبل ثم يحدثون الايمان بكل امر يجيئهم
من عند الله عز وجل ولا يدل ايمانهم به على انهم لم يكونوا من قبل مسلمين والله اعلم وقوله عز وجل
فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً قال رحمه الله انه لا احد من اهل الايمان من جنى ولا انسى
يخاف البخس والرهق من الله تعالى الا المعتزلة فانهم يخافون ذلك لانهم ليسوا يخرجون مرتكبي الكباير
من الايمان ثم يطلقون القول فيهم انهم يخلدون في النار وفي التخليد خوف البخس والرهق بل فيه ما يزيد
على البخس لان البخس هو النقصان وفي التخليد ذهاب منفعة الايمان ومنفعة الخيرات التى سبقت
منهم وقال تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا والمعتزلة يزعم انه لو اخذهم بالخطأ والنسيان
كان جايراً وقال ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهم يزعمون انه لو ازاغ قلوبهم بعد الهدى كان ذلك
منه جوراً وظلماً فهم ابداً على خوف من جور ربهم ونحن نقول بانه لو اخذهم به كان يكون ذلك منه
عدلاً واذ عفى عنهم كان ذلك منه انعاماً وافضالاً فنحن ندعوا الله تعالى ونتضرع اليه اذ لا يعاملنا بعدله
فنهلك بل يعاملنا بالافضال والانعام وعلى قول المعتزلة ارتكب كبيرة ذهبت عليه حسناته وصار
عدو الله تعالى وخلد في النار ابدا الآبدين والله يقول ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها واولى الحسنات التى يستوجب عليها المضاعفة هو الايمان بالله تعالى فلا يجوز ان يخلد
في النار ويذهب عنه منفعة الايمان تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ثم قوله بخسا ولا رهقا
يحتمل وجهين احدهما البخس النقصان اى لا ينقص من حسناته والرهق الظلم كقوله تعالى فلا يخاف ظلماً
ولا هضماً وان يحمل عليه من سيئات ارتكبها غيره والثانى لا يخاف بخسا اى لا يبطل حسناته اذا تاب
ولا رهقا اى ظلم فلا يحسب له من حسناته شيئاً وقوله عز وجل وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
فالقاسط الجاير والمقسط العادل ثم في العدل ثلاث لغات يقال عدل عنه اذا مال وجار وعدل به
اذا جعل شريكا وعديلا وعدل فيه اذا حكم بالعدل وقوله عز وجل فمن اسلم فاولئك تحروا رشداً
التحرى والتوخى هو القصد فكانه يقول فقصد الرشد في الاسلام وقوله عز وجل واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطباً قال ابو بكر الاصم دلت الآية على ان للجن لحماً ودماً كما للانس لانه قال في الانس وقودها
الناس والحجارة فلم يكونوا لحماً ودماً لم يصيروا لجهنم حطباً ولكن هذا لا يدل لان اللحم من شانه
ان يحترق وينتضج ولا يصلح ان يكونوا وقوداً ولكن الله تعالى باللطف صير الانس وقوداً ليس لانه صار
حطبا بما كان لحما فليس في الآية دلالة ما ذكر بل فيه ان الجن قد امتحنوا بالعبادة كما امتحن بها الانس وانهم
اذا عصوا ربهم استوجبوا العقاب مثل ما يستوجبه الانس ثم ذكر عن ابى حنيفة رحمه الله انه قال ليس للجن
ثواب وعليهم العقاب اذا عصوا ومعنى قوله ليس لهم ثواب عندنا ليس يريد به ان الله تعالى لا يرضى عنهم
اذا عبدوه ولا يعظم منزلتهم عنده ولكنه يريد به ان الذى وعد للانس من المأكل والمشارب والازواج
الحسان والخلود في الجنة على الخلود ليس لهم لان الوعد من الله تعالى بها جرى للانس ولم يجر الوعد للجن
ولا ذكر ذلك في شيء من القرآن والذى وعد به الانس طريقه الافضال والانعام لا ان يكون ذلك حقا
للانس قبله فاذا لم يجر لهم الوعد بذلك لم يجب القول لهم بالموعود واما العقاب فان الحكمة توجب
التعذيب لمن كفر به فلا يجوز ان يكون الحكمة توجب تعذيب الكفرة ثم لا يعذب الجن اذا كفروا ولذلك
وجب القول بعقابهم ولم يجب القول بالثواب والله الموفق وقوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماءً غدقاً اختلف فيه فمنهم من قال طريقة الهدى ومنهم من قال طريقة الكفر فمن قال المراد

كل اهل دين منهم الصالح والفاسق حتى الجن

اصل معرفة الدين الفكر والاجتهاد

سبيل الجن والانس واحد في التوحيد والفكر والاجتهاد

الهدى هو الدعاء الى الحق

رد المعتزلة والقطع لهم

المعتزلة على الخوف في تجويزهم ابدا الخوف بالله

نحن نتضرع الى الله تعالى ان لا يعاملنا بعدله بل بفضله

الطريق والدين والسبيل عند الاطلاق ينصرف الى الحق

هو طريقة الهدى قالوا ان الطريقة المعروفة المعهودة على طريق الله تعا فعند الاطلاق ينصرف
اليه كالدين متى ذكر مطلقا ينصرف الى دين الحق وكذلك السبيل المطلق قال الله تعا اهدنا الصراط
المستقيم وهو الاسلام ثم يخرج هذا على وجوه احدها ينصرف الى الكفرة انهم لو استقاموا على الطريقة
اى لو اجابوا الى ما يدعون اليه من الهدى لاسقيناهم ماء غدقا اى وسعنا عليهم العيش وكثرنا
اموالهم ويكون ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة لان سعة الدنيا كلها يتصل بالماء والماء اصلها
قال الله عز وجل وفى السماء رزقكم وما توعدون فاخبر ان رزق الخلق من السماء والذى ينزل
من السماء الماء وهو المطر وجعل ذلك رزقا اذ هو اصل رزق الخلق فكذلك ذكر الماء هاهنا كناية
عن السعة فى الوجه الذى ذكرنا فان كان على هذا فيكون الخطاب راجعا الى الوقت الذى يوسع
عليهم فى الذى كانوا ابتلوا فيه بالقحط والسنين فوعدلهم انهم لو اجابوا الى ما دعوا اليه يرفع عنهم
القحط والسنين ويتوسع عليهم فى الرزق وهو كقول نوح وهود وغيرهما ووعدهم قومهم
بارسال الامطار وتكثير الامطار والاموال والاولاد ونحوه ويجوز ان يكون هذا فى اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا فى اول الاسلام فى ضيق الحال وشدة من العيش وكانوا يتفرقون
فى الشعاب والاودية لشدة ما حل بهم من الجوع ليصيبوا من عيشها وعند اشتداد الحال يخاف النفس
من اهلها والتبديل فوعد والسعة فى العيش ان لو استقاموا على الطريقة التى كانوا هم عليها اى داموا
عليها ولم يبدلوا الدين الحق والهدى بالباطل كما وعدلهم النصر والظفر على الاعداء مع قلة ابصارهم
ان داموا على الاسلام ويحتمل ما قال بعضهم ان تاويل قوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة
اى لو اسلم اهل الارض كلهم جميعا لوسعنا عليهم الدنيا وكثرنا اموالهم واولادهم حتى يفتتنوا بها
ويمتحنوا بمحن شديدة فيحتمل البعض منهم فيبقوا مؤمنين ولا يحتمل البعض فيبغوا ويعودوا الى ما كانوا
عليه من الكفر حتى لا يقع التخلف فى وعدنا فان الله وعدان يملاء جهنم من الجنة والناس اجمعين ولا يجوز
ان يقع فى وعيده خلف وهم لو استقاموا على الطريقة ولم يبغوا ادى ذلك الى خلف الوعيد لانه
لا يملاء اذا داموا على الطريقة ولم يبغوا ويكون الحكمة فى بغيهم ان يعرف الخلق ان الله لم يخلقهم لمنافع
يحصل له ولكن خلقهم لانفسهم ان احسنوا احسنوا لانفسهم وان اساؤا فعليهم ولو اقام على الطريقة
المستقيمة وظهرت الموالاة فى الجملة لكان يسبق الى الاوهام انه انما خلقهم لمنافع نفسه وهذا من الله تعا
بيان علمه بما لا يكون ان لو كان كيف يكون اذ الله تعا علم الايمان من البعض والكفر من البعض للحكمة التى
ذكرنا وغيرها مما يقف على بعضها الخلق دون البعض وحكم كذلك ثم اخبر انه لو حكم بان يستقيم الكل
على طريقة الحق ويؤمنوا لم يحكم على طريق لا بد فى حق الحكمة ان يستقيم عليها البعض الى مدة ثم يترك
ويبدل الحق بالباطل ويدوم البعض عليها تحقيقا لما ذكرنا من الحكمة وهو كقوله تعا لبرز الذين كتب
عليهم القتل الى مضاجعهم اى لو لم نفرض عليهم الجهاد والخروج الى القتال لبرز الذين كتب عليهم القتل
منتهى اجالهم القتل الى حوايجهم لانفسهم فيقتلوا بيانا منه حكمه الذى يحكم انه لو حكم كيف كان فكذا هذا
واما من قال معناه طريقة الكفر فهو انه يكون المراد من الاستقامة هاهنا الاقامة ولفظ الاقامة يعبر بها
من الاقامة على الكفر والاسلام جميعا ويكون الطريقة هاهنا اشارة الى الطريقة التى كانوا عرفوها قبل
الاسلام وهى الكفر وان كانت الطريقة اذا اطلق ذكرها اريد بها طريقة الهدى لان طريقة الكفر هى التى
كانت معروفة فيما بينهم وكذلك ذكر اهل التاويل ان الطريقة هاهنا طريقة الكفر فقوله لاسقيناهم
ماء غدقا اى وسعنا عليهم وكثرنا اموالهم ليعلموا جود ربهم حيث بسط عليهم الرزق مع تخطيهم عداوته
كما بسط الرزق على اوليائه وليعلموا حلمه حيث لم يؤاخذهم بذنوبهم ولم يعجل بانزال النقمة والله اعلم

وقوله عز وجل

وقوله عز وجل لنفتنهم فيه فالفتنة المحنة التى فيها الشدة فان كان هذا فى اهل الكفر ففى بسط الرزق
عليهم محنة شديدة لان ذلك يمنعهم عن الخضوع والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرون انهم افضل
على من دونهم فى المال والسعة الا ترى الى قوله وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم
كافرون وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وان كان التاويل منصرفا الى اهل الاسلام
ففى التوسيع عليهم محنة شديدة وكذلك جميع ما امتحنا به فيه قال الله تعا ونبلوكم بالشر والخير فتنة
لما فى حال يعترض الانسان الاوله فيها شدة وقوله عز وجل ومن يعرض عن ذكر ربه فجايز ان يكون
ومن يعرض عن طاعة ربه وعبادته او يعرض عن توحيده او يعرض عن القرآن اذ هو ذكر والاعراض
هاهنا عبارة عن الايثار والاختيار اى من يختار ذكر غير الله تعا على ذكره او طاعة غيره على طاعته
وقوله عز وجل يسلكه عذابا صعدا على التحقيق كما ذكره اهل التفسير انهم يكلفون الصعود على جبل
من نار لا يقصدون الا بعد شدة عظيمة ثم اذا بلغوا اعلاها يهوون فيها فذلك دابهم وجايز ان يكون
على التمثيل وذلك لان الصعود اشد من الهبوط فيكون الصعود عبارة عن المشقة هاهنا انه يستقبله
ما يشق عليه وقيل المشقة التى عليه ما هو ما يحل به من العذاب متتابعا عذابا بعد عذاب
وقال القتبى الصعود المشقة يقال يصعد على هذا الامر اى يشق على وروى عن عمر رضى الله عنه
انه قال ما يصعد فى امر ما يصعد فى خطبة النكاح اى ما يشق على والله اعلم وقوله عز وجل كان
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اى ما يسجد فيه وما يسجد به هو فما يسجد فيه هو البقاع وما يسجد
هو الجوارح فكانه يقول بان البقاع التى يسجد فيها والاعضاء التى يسجد بها لله تعا لانه هو الذى
خلقها وانشاها والمساجد التى بنيت فانما بنى لعبادة الله تعا ويدعا فيها فلا تشركوا غيره فى العبادة
الدعاء وقال بعضهم اراد بالمساجد مسجد الحرام روى ذلك عن الضحاك وغيره فكانه انما صرف
التاويل الى المسجد الحرام لان هذه السورة مكية ولم يكن فى غيرها من البقاع مساجد وقال بعضهم
المساجد هاهنا البيع والكنايس لان البيع والكنايس بنيت ليعبد الله تعا فيها فانهم ان يعبدوا فيها
غير الله فيخرج هذا مخرج الاحتجاج انكم قد علمتم ان المساجد بنية ليعبد الله فيها فلا يعبدوا فيها
غيره اذ كان الله منشيها وخالقها دون غيره فكيف مشركون معه غيره فى العبادة والدعاء وليس
هو بمشيئ لهذا وقوله عز وجل فلا تدعوا مع الله احدا فجايز ان يكون على الدعاء نفسه فيكون معناه
ان لا يدعوا مع الله احدا لان الاله اسم المعبود كان القوم اذا عبدوا شيئا سموه الها فيقول لا يدعو
معه احدا الها فانه هو الاله وهو المستحق العبادة من كل احد وجايز ان يكون اريد بالدعاء العبادة قال
قال عليه السلام الدعاء مخ العبادة وقال تعا ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون
جهنم داخرين فجعل دعاهم اياه عبادة منهم له فيكون قوله فلا تدعوا مع الله احدا اى لا تشركوا غيره معه
فى العبادة والله اعلم وقوله عز وجل وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا فمنهم
من يقول انهم كادوا يكونون عليه لبدا على جهة الرغبة فيه لبدا ومو الاتهم له فقوله كادوا يكونون
عليه لبدا اى كادوا يلتصق بعضهم الى بعض ليتصلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم او كادوا يكونون عليه
اى على رسول الله صلى الله عليه وسلم كادوا يلتصقوا به حبا لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرصا على حفظ ما سمعوا او تعجبا مما سمعوا فكان يحرصون على حفظ ما سمعوا لانهم كانوا من منذرى الجن
فحرصوا على حفظه ووعيه لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وتعجبوا مما سمعوا لانهم سمعوه من مكان
لم يكن مكان قراءة الكتب وسمعوا من الامى الذى لم يقرأ كتابا قط ولا عرف المكتوب فتعجبوا منه اشد
التعجب واللبد التصاق الشئ بالشئ التصاقا لا ينفصل بعضه من بعض وسمى اللبد لبدا من هذا لان الصوف

يلتصق بعضه من بعض حتى لا يسير ومنهم من زعم انهم فعلوا هذا لشدة معاداتهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيكون على هذا منصرفا الى الكفرة فقوله لما قام عبد الله يدعوه معناه اى لما قام محمد صلى الله
عليه وسلم يوحد الله تعالى ويدعو الخلق على عبادته وطاعته فهم المشركون من الانس والجن وتلبدوا على هذا
الامر ان يطفئوه فابى الله تعالى الا ان ينصره ويمضيه وان كان هذا من اهل الاسلام من الجن والدعاء
راجع الى العبادة فكانه يقول لما قام بعبادة الله تعالى وهى الصلوة كادوا يكونون عليه لبدا لشدة
حرصهم فى تحفظ ما سمعوا وشدة محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا وقوله عز وجل انما ادعوا
ربى ولا اشرك به احدا ففيه اخبار عن دينه ان دينه التوحيد لا الاشراك بالله تعالى واخبار عما يدعوا
الخلق اليه وذلك توحيد الله تعالى والقيام بطاعته وجايز ان يكون هذا على اثر سؤال منهم ودعوتهم
الى عبادة الاصنام على ما ذكر فى الاخبار انهم قالوا لو تعبد الهك يوما ونعبد الهتنا يوما وهو كقوله
عز وجل يا قوم ما لى ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله الاية وجايز ان يكون كلاما مبتدا يؤيسهم
ويقنطهم ويقطع طمعهم عن عوده الى ما هم عليه وقوله عز وجل قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا اى ضرا
فى الدين ورشدا فى الدين والاصل فى الاسماء المشتركة ان ينظر الى مقابلها فيظهر مرادها بما يقابلها
قال الله تعالى وانا منا المسلمون ومنا القاسطون والقاسط الجاير وقد يكون غير الكافر جايرا ثم صرف
الجور الى الكفر فظهر مراده بمقابله وهو قوله وانا منا المسلمون والضر قد يكون فى الدين وفى المال والنفس
ولكنه لما ذكر قوله رشدا والرشد يتكلم به فى الدين علم ان قوله ضرا راجع اليه ايضا فكانه يقول لا املك
اضلالكم ولا ارشادكم انما ذلك الى الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء الاية والمعتزلة يزعم
ان الله تعالى لا يملك رشد احد ولا غيه بل رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر ملكا لانه يملك ان يدعو
الخلق الى الهدى بنفسه والله تعالى لا يملك ذلك الا برسوله وقال عز وجل ليس عليك هداهم
ولكن الله يهدى من يشاء وقال انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء ولو كان المراد
من الهداية المضافة الى الله تعالى الدعوة والبيان لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهديهم
لانه داعى ومبين فثبت ان فى الهداية من الله تعالى لطفا لا يبلغه تدبير البشر وقوله عز وجل قل انى
لن يجيرنى من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا فكانهم طلبوا منه ترك تبليغ الرسالة الى قوم
او كتمان شئ مما امر باظهاره او محاباة احد من الاجلة فامر ان يخبرهم انه لا يجيره احد من الله تعالى
ولا يجد لنفسه ملجا ان فعل ذلك ونحو ان يبلغ رسالات ربه يجيره من عذابه فيكون له عنده ملجا
وقوله عز وجل الا بلاغا من الله ورسالاته فمنهم من جعل قوله الا بلاغا من الله ورسالاته استثناء
من قوله قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا من الله اى انى لا املك هدايتكم ولا اضلالكم الا ما كلفت
لاجلكم من تبليغ الرسالة ومنهم من جعل هذا استثناء من قوله قل انى لن يجيرنى من الله احد
ان عدلت عن امره ولم ابلغ الرسالة فلا يجيرنى من عذابه الا ان ابلغ الرسالة قال الله تعالى يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقال فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم
ما حملتم لانه لا يجوز ان يقع له الحاجة الى الاجارة من عذاب الله ولم يجئ منه تقصير ولا تضييع
يستوجب به العقاب فلا بد من ان يمكن فيه ما ذكرنا من التقصير فى التبليغ والعدول عما كلف
حتى يستقيم ذكر الاجارة فيه وذكر ابو معاذ صاحب النقشبى ان الاستثناء راجع الى قوله قل انى
لا املك لكم ضرا ولا رشدا ليس الى قوله قل انى لن يجيرنى من الله احد واستدل على ذلك بقراءة عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقرأ قل انى لا املك لكم غيا ولا رشدا الا بلاغا من الله وليس فيما ذكرنا
قطع الاستثناء على قوله قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا للوجه الذى ذكرنا ولان اكثر اهل التاويل

الاصل فى اشتراك الاسماء فى مقابله

زعم المعتزلة فى الهداية

اجمعوا

اجمعوا على صرف الاستثناء الى قوله قل انى لن يجيرنى من الله احد فلا يجوز ان يحمل قولهم على الخطا
بما ذكره ابو معاذ ولما ذهبوا اليه وجه الصحة والسداد وجايز ان يكون البلاغ والرسالة واحدا
فيكون الذى يبلغ بلاغ من الله ورسالاته ويكون ذلك على التكرار وهو كقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة
قيل انهما واحد وجايز ان يكون الرسالة نفس ما انزل وهو الكتاب والبلاغ ما اودع فيه من الحكمة
والمعانى وكذلك قيل فى قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة ان الكتاب هو المنزل نفسه والحكمة ما تضمن
فيه من المعانى وجايز ان يكون البلاغ من الله تعالى منصرفا الى حكمه ورسالاته الى غيره او يكون رسالاته
حكمه والبلاغ خبره وهو كقوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا اخبارا وعدلا احكاما او بلاغا من الله
حق الله عليهم ورسالاته بما به مصالحهم والله اعلم وقوله عز وجل ولن اجد من دونه ملتحدا مالولا
ملجا وموئلا اى موضعا يمال اليه والالتحاد الامالة سمى اللحد لحدا من هذا لانه يمال عن سننه وقوله عز وجل
ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقال فى موضع اخر ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وقال ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وكل من ارتكب
المأثم فقد دخل فى حد العصيان وايذاء الرسول ولكن المراد ههنا من يعتقد عصيان الرسول ولكن المراد
ههنا من يعتقد عصيان الرسول واذاه لان الله تعالى اضاف الاذى والعصيان الى نفسه ولا احد
يقصد قصد اذى لله تعالى والله عز وجل لا يؤذى ولكن اضاف اذى الرسول وعصيانه الى نفسه وقد كانوا
يعتقدون عصيانه واذاه فجعل عصيانهم واذاهم لرسوله اذى منهم لله تعالى وعصيانا له فثبت ان هذا
فى الاعتقاد وقال عز وجل ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم فجعل طاعة الرسول طاعة له وعصيان رسوله عصيانا له ولانه ذكر العصيان على اثر
تبليغ الرسالة فثبت ان العصيان ههنا فى ترك القبول بما انزل على الرسول وفى اعتقاد العصيان له
وروى عن ابى حنيفة رحمه الله انه قال من امن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله فهو ليس بمؤمن لان جهله
بالله تعالى هو الذى حمله على تكذيب الرسول لان الرسول ليس يدعوه الا الى ما يقربه الى الله تعالى والى ما ينجيه
من عذابه فلو كان يحب الله تعالى ويؤمن به لكان يدعوه ذلك الى حب الرسول والى طاعته فثبت ان المكذب
للرسول جاهل بربه والمطيع له مطيع لله عز وجل وقوله عز وجل حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون
من اضعف ناصرا واقل عددا وقال فى موضع اخر فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا ويحتمل
ان يكون هذا فى الدنيا والاخرة جميعا وذلك راجع الى يوم بدر كما ذكر اهل التاويل اذ قد ظهر فى ذلك
اليوم انهم شر مكانا واضعف جندا او اضعف ناصرا ويشبه ان يكون هذا فى الاخرة لانهم يعلمون انهم
اقل عددا فى الاخرة لان كل واحد منهم يتبرأ عن صاحبه وناصره ومعينه فى الدنيا ويصير عدوا له
فيقل عددهم واما فى يوم بدر فقد كانوا اكثر عددا من المسلمين فلم يتبين لهم انهم اقل فى العدد وجاز
ان يكون يوم بدر يكون المسلمون اكثر عددا لان الله تعالى امد المسلمين بملائكته فصار عددهم اكثر
فى التحقيق وان كانت الكفرة فى راى العين اكثر منهم عددا ثم يشبه ان يكون هذه الاية نزلت على اثر
تخويف الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وقوتهم فى انفسهم وقلة عدد المسلمين
فوعد الله تعالى نبيه عليه السلام بالنصر وكثرة العدد عند وقوع الحاجة اليها وبالله التوفيق وقوله
عز وجل قل ان ادرى اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى امدا فهذا ذكره عند ذكر الوعيد
وهو قوله فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا فكانهم سالوه متى وقت هذا الوعيد فامر
ان يقول قل ان ادرى اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى امدا قد ذكرنا فيما تقدم من الايات ان ليس
فى بيان وقت الوعيد فضل يقع فى الوعيد بل لازم بيان وقت الوعيد كان فيه فضل تخويف وتحذير

كتاب وحكمة

مقام خوف تام فى العصيان

من امن بالله دون رسوله فليس بمؤمن

ولا يوجد فيما بين لانه اذا بين فان كان فيه امد سوف الناس ولحزوا التوبة لما امنوا حلول النقمة بهم الى مجيء ذلك اليوم واذا لم يمهلوا صاروا الى الاياس فيرتفع الخوف والرجاء وفيه ارتفاع المحنة لان المحنة في الاصل بالعمل على الرجاء والخوف ولانه اذا لم يبين كانوا على الحذر والخوف فيحملهم ذلك على التسارع في الخيرات والانقلاع عن المساوى فاراد ان يقول هذا والا والذى بان يقول هذا عالم بالوقت الذى يقع فيه الوعيد وقوله عز وجل عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الاصل فيما غيب الله تعالى عن الخلق انه على منازل ثلاثة احدها ما قد عجز الخلق عن احتمال الوقوف عليه بالخلقة نحو الكيفيات التى هى اصول الاشياء لو اراد احد ان يعرف المعنى الذى به صلح ان يكون كيانا لم يقف عليه ونحو الماء جعل حيوة لكل شىء ولو اراد احد ان يعرف المعنى الذى به صلح ان يجعل حيوة لم يقف عليه وكذلك هذا في كل ما جعل كيانا موجودا والثانى ما امكن الخلق معرفته وبلوغه اليه بالتامل والنظر بدون معرفة السمع والاثر نحو معرفة الصانع ومعرفة وحدانيته والثالث هو الذى لم يعجزهم عن ادراكه ولا مكنهم من الوقوف عليه دون خبر يرد فقوله فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول في هذا وهو الذى مكنوا فيه لكنهم لا يبلغونه الا بمعونة الخبر وذلك نحو الاشياء التى يرجع الى مصالح الخلق والذى يتوصل الى مصالح الاغذية مما ظهر بين الخلق ولكنها لا يعرف الا بالسماع ممن له علم من الخلق وانتشاره فيهم وهو بحيث لا يحتمل ادراكه بالنظر فيتبين ان ذلك بالرسول ومتى وجد ذلك من يخص مشارا اليه دل ذلك على الاختصاص له بالرسالة ثم ذكر بعضهم ان هذه الاية دلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك لان فيهم من يصدق خبره ويعرف المطالع والمغارب والمشارق والكواكب التى بها يتوالد الخلق والتى يقع عندها التغير والتبدل وذلك مما لا يوقف على علمه بالتامل والتدبر وكذلك المتطببة منهم من يعرف طبايع النبات انها يصلح لكذا وهذا يصلح لكذا فيقع به المصالح للخلق ومعلوم ان هذا من نوع ما لا يدرك بالتامل والنظر فعلم انهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع اثره وبقى علمه في الخلق والله اعلم وقوله عز وجل الا من ارتضى من رسول اى اختاره واصطفاه والاصل ان الرسالة يلزم الخلق الشهادة له بالصدق في كل خبر وبالعدل في كل حكم بقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وبالاصابة في كل امر فيما لم يبلغ مبلغا يوجب الامر فهو لا يختصه للرسالة وفى الاختصاص نعمة عظيمة على الخلق اذ به وصل الخلق الى تعرف ما يبلغهم اليه الحاجة في امر معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم وقوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قيل رصدا من بين يدى الرسول ومن خلفه من الملايكة ليمنع الانس عن الرسل في منعهم الرسل عن التبليغ حتى يبلغوا ذكر هذا عن الحسن البصرى رحمه الله وكذلك قال في قوله ان ربك احاط بالناس ان احاطته هى ان يعصمه من الناس من ان يصل اليه منع الناس اياه عن تبليغ الرسالة ويحتمل ان يكون الملايكة جعلوا رصدا عن الجن عن استراق ما يوحى ما يوحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعن تلقفه حتى يكون الرسول هو الذى يبلغ الخلق ويشتهر ذلك فيما بين الخلق ان الرسول هو الذى قام بتبليغه الى الخلق لانهم اذا لم يجعلوا رصدا امكن للجن ان يسترقوا ويبلغوا فيا توا بلاقى لم يتيسر عندهم علم ذلك من جهة الرسول فيعرفوا ذلك من عند الجن قبل ان يبلغهم الرسول فاذا بلغ الرسول من بعد التبس الامر على الذين ظهر فيهم العلم من جهة الجن فجعل عليهم رصدا حتى ينتشر علم ذلك من جهة الرسول فيرتفع التشبيه ويكون الرصد تمنع الجن الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغوا قومهم من الجن حتى ينتهى الخبر اليهم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم من بين يديه ومن خلفه رصدا ان الملايكة كانوا يرصدون النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاءه الملك قالوا هذا وحى من الله تعالى واذا جاءه الشيطان اخبروه به ولكن هذا بعيد لا يحتمل

ان يخفى عليه وحى الشيطان من وحى جبريل عليه الصلوة والسلام وقال بعضهم من بين يديه ومن خلفه رصدا اى بين يدى من يبلغ الرسالة الى الرسول وهو الملك الذى ينزل بالوحى جعل بين يديه ومن خلفه ملايكة يرصدونه كى يستلب الشيطان عنه ويحدث فيه حدثا من التغيير والتبديل فيعلم رسول الله انه انما يبلغ اليه رسالة ربه وهذا بعيد ايضا لان المبلغ بالقوة ما يدفع ذى الخير عن نفسه وهو امين لا يخاف منه التغيير والتبديل حتى يجعل عليه الرصد فيؤمن من تبديله الا ترى الى قوله عز وجل ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين فوصفه الله تعالى بالقوة والامانة جميعا لكنه جايز ان يكون المبلغ ممتحنا بالتبليغ والذين معه من الرصد امتحنوا بامور لا ان جعلوا رصدا من الجن وجايز ان يكونوا ارسلوا لمكان تعظيم الوحى وتشريف الرسالة والله اعلم وقوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم قال قايلون ليعلم محمد بالرصد ان قد بلغ سائر الرسل رسالات ربه على الوجه الذى امروا كما بلغ هو والثانى ان يعلم كل في نفسه ان قد بلغ رسالات ربه او ليعلم الاعداء ان قد بلغ محمد عليه السلام رسالات ربه على الوجه الذى امر لم يقع فيه تغيير من شيطان ولا جنى ولا عدو وقوله عز وجل واحاط بما لديهم اى بما عند الرسل او بما عند الملايكة او بما عند الخلق وقوله عز وجل واحصى كل شىء عددا اى احاط العلم بالذى هو معدود لا بالعد وهو كقوله عز وجل وانبتنا فيها من كل زوج موزون اى بما يوزن عند الخلق او احاط العلم بما لدى الكثرة لا بالرصد وان فى نصب الرصد محنة وتكليفا على الرصد لا ان يقع بهم الحفظ وهو كقوله عز وجل يمددكم ربكم بثلاثة الاف من الملايكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فبين ان النصر من عنده وان الملايكة انما ارسلت لتطمئن بها قلوب المومنين وتركن اليها طباعهم واحصى كل شىء عددا اى كل شىء عنده معدود ومحصى لا يغفل جل جلاله عن معرفة عدده ولا يعزب احوال عنه ليعلم ذلك تحلا لما عليه امر الخلق والله الموفق

سورة المزمل مكية وايها عشرة وثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها المزمل فالمزمل والمدثر يقتضيان معنى واحدا على ما يذكر فى سورة المدثر وقوله عز وجل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فجايز ان يكون هذا الامر كله منصرفا الى وقت واحد فاذا صرفت الى وقت واحد فاما ان يكون قوله عز وجل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه منصرفا الى قوله قم الليل او الى قوله الا قليلا فان صرفت النقصان الى قوله الا قليلا زدت فى الامر بالقيام وان صرفت النقصان الى قوله الا قليلا فقد زدت فى قوله نصفه او انقص منه قليلا فالى ايهما صرفنا اقتضى الزيادة فى احدهما والنقصان فى الاخر فيتفق معناهما وهذا نظير قوله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فمنهم من جعل الكلالة اسما للميت الموروث عنه ومنهم من اوقع هذا الاسم على الحى الذى يرث الميت وايهما كان فهو يقتضى معنى واحدا لان منزلة الحى من موروثه ومنزلة الموروث من الحى واحدة لا يختلف وجايز ان يكون هذا على اختلاف الاوقات على ما ذكره اهل التفسير فيكون قوله قم الليل الا قليلا امرا باحياء اكثر الليالى ثم يكون فى قوله او انقص منه قليلا تخفيفا لامر عليه فيكون فيه ان له ان ينقص عن الاكثر وقوله او زد عليه اى على المقدار الذى ابيح له الانتقاص واذا ارتفع النقص عاد الامر الى ما كان مامورا به فى الابتداء ثم القليل ليس باسم لاعيان الاشياء ولكنه من الاسماء المضافة فاذا قيل قليل اقتضى ذكره تثبيت ما هو اكثر منه

حتى هذا قليلاً اذا قوبل بما هو اكثر منه فلذلك قالوا بان قوله قم الليل الا قليلا يقتضي امر القيام
اكثر الليل ولهذا قال اصحابنا فيمن اقر ان لفلان عليه الف درهم الا قليلا انه يلزمه اكثر من نصف الالف
لانه استثنى القليل فلا بد من ان يكون المستثنى منه اكثر من المستثنى منه حتى يكون المستثنى قليلاً
كما استثنى والله اعلم **وقوله** عز وجل ورتل القرآن ترتيلا قال الترتيل هو التبيين في اللغة اي بينه
تبيينا وقيل اقراه حرفا حرفا على التقطيع لما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع القراءة
ولكن جايز ان يكون قراءة على التقطيع لان التبيين كان في تقطيعه وانما امر بالتبيين لان القرآن لم ينزل
ليجرد قراءته فقط لكنه لمعاني ثلثة احدها ان يقرا للحفظ والبقاء الى يوم القيامة لئلا يذهب ولا ينسى
والثاني ان يقرا للتذكر ما فيه وفهم ما اودع من الاحكام وما لله عليهم من الحقوق وما لبعضهم على بعض
والثالث يقرا ليعمل بما فيه ويتعظ هو بمواعظه ويجعلونه اماما يتبعون اموره وينتهون عما نهى عنه
فعند قراءته في الصلوة يلزمنا هذا كله ولا يدرك ذلك الا بالتامل وذلك عند قراءته على الترتيل
وهذا الذي ذكرناه يوجب اختيار من يرى الوقوف في القرآن لان ذلك اداء على المعنى واقرب الى الافهام
وفيه دلالة ان المستحب فيه ترك الادغام وترك الهمز الفاحش لان ذلك ابلغ في التبيين والاصل
ان السامع في القرآن مامور بالاستماع اليه واذا لزمه الاستماع وفي الاستماع الوقوف على حسن نظمه وعجيب
حكمته والوقوف على معانيه فلزم القاري تبيينه ليصل السامع الى المعرفة معانيه ويقف على حسن نظمه وعجيب
تاليفه وذلك يكون اقرب في افهام السامع والقاري لما فيه من لطايف المعاني ثم الترتيل منصرف الى القراءة
وسمى القراءة قرآنا على جهة المصدر وان ما هو كلام الله تعالى لا يوصف بالترتيل والله الموفق **وقوله** عز وجل
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ولم يقل ثقيلا على من فجايز ان يكون الثقل راجعا الى الكفرة والمنافقين
ويكون الثقيل الامر بالجهاد لانه اشتد على الفريقين جميعا وايس الكفار عن المسلمين ان يعودوا الى ملتهم
قال الله تعالى اليوم يئس الذين كفروا وتخلف المنافقون عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجايز ان يكون قوله ثقيلا اي على الكفرة والمنافقين وكذا على اهل الكباير ثقيل ايضا لانهم لم يمتنعوا عن ما نزل
عليه الكتاب واما على المسلمين فليس بثقيل بل هو كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وجايز ان يصرف
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه امر بتبليغ الرسالة الى الفراعنة والخلق كافة وفي القيام
بالتبليغ الى الفراعنة مخاطرة بالروح والجسد ام ثقيل صعب جدا او يكون ذلك منصرفا الى قيام الليل
فيكون معناه قولا ثقيلا اي الوفاء بما يوجبه ذلك القول وجايز ان يكون هذا منصرفا الى اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانصاره فيكون قوله من الوجه الذي كلفوا القيام بعزايمه وحفظ حدوده
وتحليل حلاله واجتناب حرامه وزعمت الباطنية ان القول الثقيل هو ان كلف الناطق وهو الرسول
عليه السلام تفويض الامر الى الاساس وهو الباب وكذلك الاساس والباب هو علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه عندهم وهم يسمون الرسل عليهم الصلوة والسلام نطقا ويقولون بان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ التنزيل الى الخلق فلما بلغ التنزيل اليهم واستغنوا عنه
احتاجوا الى من يعلمهم التاويل فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يسند امر التاويل الى علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه ليكون هو الذي يتولى تعليم الخلق تاويله فلذلك هو القول الثقيل لانه امر ان يسند
الى غيره فاشتد عليه اذ صار غيره ولي الامر وبقي هو ساكتا لا ينطق فيقال لهم ان في الامر باسناد الامر
الى من ذكرتم تخفيفا للامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعمكم لان من مذهبكم انه اذا فوض الامر
الى علي رضي الله عنه قبض هو عليه السلام وصورة القبض عندكم ان يميز الصورة الروحانية من الصورة
الجسدانية التي كانت محتبسة في الصورة الجسدانية ثم يتلف الصورة الجسدانية ويبعث الصورة الروحانية

النورانية الى دار الكرامة والنجو والاخلاص من الحبس لم يشتد ذلك عليه ولم يثقل بل كان فيه ما يرغبه
الى التفويض ويدعوه اليه ومن مذهب الباطنية انهم لا يعلمون احدا مذهبهم الا بعد ان يحلفوه
بالايمان الغليظة بان لا يخبر احدا اشفاقا على انفسهم ولو كان الامر على ما قدروا ان التلف يرد على الصورة
الجسدانية التي هي سبب لحبس الصورة الروحانية واذا تلفت ردت الروحانية الى دار فيها كل انواع السرور
فما الذي يحوجهم الى الاستحلاف وما بالهم يشفقون على انفسهم وليس في اتلاف انفسهم الا الخلاص
من الحبس والوصول الى الكرامات ومن هذا وصفه حق عليه الموت ليعلم انهم يعاملون الخلق على خلاف
ما يوجبه اعتقادهم ولو كان ما اعتقدوه حقا لما استجازوا مخالفته ولكن الذي دعاهم الى ما ذكرنا
تسويل الشيطان وتزيينه في قلوبهم وما مثلهم الا مثل اليهود الذين ادعوا ان الدار الاخرة لهم خالصة
من دون الناس فقيل لهم تمنوا الموت ان كنتم صادقين لانكم لا تصلون الى الاخرة الا بالموت فان كنتم
محقين في دعواكم فتمنوا الموت لتصلوا اليها فكان في امتناعهم عن التمني ما يظهر كذبهم ويبطل مقالتهم
وتبيين تمويهم فكذلك في اشفاق هؤلاء على انفسهم من الهلاك اظهار وانباء انهم قصدوا به
قصد التمويه على الضعفة ليصلوا الى المأكلة وهو سعوا به في امر دنياهم من غير حجة لهم في ذلك وبهذا
الفصل الذي ذكرنا يحتج على الثنوية فان من مذهبهم تحريم القتل والذبح واحق من يرى القتل الذبح مباحا
لان من مذهبهم ان العالم انما هو باصوات النور والظلمة فما من جزء من اجزاء النور الا هو مشوب بجزء واحد
من اجزاء الظلمة وكانا متباينين فغلبت الظلمة على النور فامتزجت به فصارت الظلمة حابسة للنور ومعلوم
ان في القتل تخليص اجزاء النور الى من جنس الظلمات لان في القتل ازالة السمع والبصر والعقل ومعلوم
بان النور والبصر في هذه الاشياء اذ بها رؤية الانوار فاذا امتازت هذه الاشياء من الجسد وبقي الجسد
الظلماني لا يبصر شيئا فقد وصل جوهر النور الى حوصه ومقصوده بالقتل وصار الى مقره واذا كان القتل
يوصله الى عرضه ويخلصه عن وثاق الظلمة وحبسه فقد احسن اليه بالقتل والذبح فلا ينبغي ان يحرم
القتل على مذهبهم بل يجب ان يمدح المرء على ذلك الفعل ويستصوب ذلك منه وقال القتبي القول الثقيل
كلام الله تعالى وثقله هو تبجيله وتعظيم حرمته ليس كلام السفهاء الذي لا يكترث به ولا يوبه به وقال الزجاج
الثقيل الوزين اي الذي له وزن وقدر في القلوب الذي يجب ان يعظم ويوقر ليس بالقول الذي يستصغر
وجايز ان يكون القول الثقيل اي الحق على ما روى في بعض الاخبار ان الحق ثقيل مري والباطل خفيف وبي
وروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه حق لميزان لا يوضع فيه الا الخير ان يثقل وحق لميزان
لا يوزن فيه الا الباطل ان يخف فيكون ثقله العمل بما فيه وجايز ان يكون القول الثقيل هو تكليف
القيام عامة الليل **وقوله** عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا قرئ وطأ ووطاء
فمن قرأ وطاء بالمد فتاويله من المواطاة وهي الموافقة اي هو اوفق للسمع والبصر والفؤاد لان القلب يكون
افرغ بالليل عن الاشغال التي يحول المرء عن الوصول الى حقيقة درك معاني الاشياء وكذلك
السمع والبصر يكون لحفظ القرآن واشد استدراكا لمعانيه ومن قرأ وطأ فهو من الوطء بالاقدام فتاويله
انه اشد على البدن واصعب لان المرء قد اعتاد التقلب والانتشار في الارض بالنهار ولم يعتد ذلك
بالليل بل اعتاد الراحة فيه فاذا كلف القيام والانتصاب برجليه في الوقت الذي لم يعتد فيه
بالقيام كان ذلك اشد عليه واصعب على بدنه ولان المرء بالنهار ليس ينتصب قايما في مكان واحد
فيمكث فيه كذلك بل ينتقل من موضع الى موضع ولو كلف الانتصاب في مكان اشتد عليه ولحقه الكلال
والعنا من ذلك ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتصب قايما يصلي الى نصف الليل او اكثر
فكان في ذلك محنة شديدة وكلفة شاقة والله اعلم ثم الاصل ان المرء يتيسر بالنهار وطلب ما يعيش

ويصل الى ما يتمتع في امر دنياه وبنيام الليل طلبا للراحة وايثارا للتخفيف وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ممنوعا عن اكتساب الاشياء التي يتوصل بها الى السعة في الدنيا الا القدر الذي يقيم به مهجته وكذلك
منع عن الراحة بالليالي وامر باحياء الليل الا القدر الذي لا بد منه والله اعلم وجايز ان يكون في الامر بقيام
الليل نوع من الراحة والتخفيف وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الزم بتبليغ الرسالة الى الناس كافة
فجعل تبليغها اليهم بالنهار ورفعت عنه الكلفة بالليل وامر بان يتفرغ لعبادة ربه وكان الامر بالتفرغ
للعبادة ايسر من الامر بتبليغ الرسالة لان في الامر بالتبليغ امرا بما فيه المخاطرة بالروح والجسد وليس
في الامر بالانتصاب قايما اكثر الليل ذلك وانما فيه ايصال الوجع الى بعض اعضائه فيكون فيه
بعض التخفيف فان قيل على التاويل الاول كيف خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب النكاح
حيث ابيح له فضل العدد ولم يبح لامته وفي ذلك زيادة تمتع بشهوات الدنيا وجوابه ان يقال
بان المعنى الذي به حظر على غيره الزيادة على الاربع وقصر الامر على الاربع هو خوف الجور الا ترى الى قوله
عز وجل فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة واذا كان
التحريم للوجه الذي ذكرنا ارتفع الحظر عن رسول الله لان الله عز وجل عصمه عن الجور ومكنه من العدل
بين نسائه ثم ليس في اباحة زيادة العدد سوى فضل محنة وكلفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كانه امر ان يقوم فيما بينهن بالعدل وان يبتغي مرضاتهن بحسن العشرة معهن وانما يصل المرء
الى الارضاء بالاموال ولم يتمتع هو من الدنيا مقدار ما يصل الى ارضائهن بالاموال لم يبق له ان يرضيهن
الا بسعة الاخلاق وان يلين لهن ليقر اعينهن ولا يحزن فثبت انه ليس في اباحة العدد فضل تمتع
بل فيه زيادة محنة وابتلاء وفيه ايضا ما يحقق رسالته ويثبت نبوته لان المرء انما يصل الى توفير
الحقوق الواجبة عليه بالنكاح اذا تناول من فضول الدنيا وطعم لذاتها واعطى النفس شهواتها
ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا من اعطائه النفس شهواتها ومع ذلك قام بايفاء
حقوق الازواج فثبت انه باللطف من الله تعالى وصل الى ايفاء حقوقهن ليس باسباب البشرية وفي هذه الاية
دلالة ان الصلوة يشتمل على الذكر والفعل جميعا لانه قال اشد وطأ اي اشد على البدن وشدته
يكون بالفعل وقال واقوم قيلا وذلك يرجع الى الذكر ثم يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكلف تبليغ الرسالة بالليالي لان اعداءه من الفراعنة وغيرهم كانت همتهم ان يقتلوه ويمكروا به
ولم يكن يتهيأ لهم ايصال الاذى به لمكان اتباعه والليالي هي اوقات غفلة الاتباع فلو كلف التبليغ فيها
لتمكنوا من ايصال المكروه فوضع عنه التبليغ وامتحن بالقيام لعبادة ربه **وقوله** عز وجل ان ناشية الليل
اي ساعة الليل وقيل هو من نشا ينشو اي نما فسميت لان الاوقات تحدث وتترادف وجايز ان يكون
المراد من ناشية الليل اي ما يوجد من الاحوال من الليل من القيام للصلوة والاشتغال بعبادة الرب
جل جلاله **وقوله** واقوم قيلا اي اصوب كلاما والاقوم هو المبالغة في الوصف مما اريد بالقيام فان اريد به
الكلام فحقه ان يصرف الى الصدق فاذا الاقوم من الاخبار اصدقها وان اريد به القيام بوفاء ما تقتضيه
ذلك الكلام فمعنى قوله اقوم اي ابلغ في وفاء ما يوجبه القول وان اريد به القراءة بنفسها فهو بالليالي
اقوم قراءة **وقوله** عز وجل ان لك في النهار سبحا طويلا قال ابو بكر والزجاج السبح السعة كانه قال
ان لك في النهار سعة طويلة في تبليغ الرسالة والقيام به فتفرغ بالليالي لعبادة ربك وقيل ان لك
في النهار سبحا طويلا اي فراغا ونعسا ومتقلبا فالسبح يذكر ويراد به الفراغ ويذكر ويراد به التنحي
والتقلب وهذا الذي قالوه محتمل ولكن لا ينبغي ان يصرف تاويل الاية الى الفراغ والتقلب لحوايج
نفسه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتناول من الدنيا الا قدر ما يقيم به مهجته فلا يحتاج

الى فضل تقلب ولا الى كثير فراغ ليتوسع في امر دنياه ولكن حقه ان يصرف بتقلبه الى تبليغ الرسالة ودعاء
الخلق الى توحيد الله تعالى والى ما يحق عليهم فيكون معنى قوله ان لك في النهار سبحا طويلا ترخيص لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في ان ينتصب بالليالي للقيام بين يديه واجتزاءه منه بتبليغ الرسالة بالنهار **وقوله**
عز وجل واذكر اسم ربك اي اذكر ربك دليله قوله على اثره وتبتل اليه تبتيلا والتبتل يقع اليه لا الى اسمه
ثم ذكر الرب جل جلاله هو ان ينظر الى احوال نفسه ما الذي يلزمه من العبادة في تلك الحال فيكون ذكره به
باقامة تلك العبادة لا بان يذكر الله تعالى بلسانه فقط وهو كقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا
واستغفارهم ان يأتمروا بما امروا وينتهوا عما نهوا لا ان يقولوا بالسنتهم نستغفر الله لانهم وان قالوا
نستغفر الله لم يقبل ذلك منهم اذا كانوا كفرة فثبت ان استغفارهم ان يجيبوا الى ما دعاهم اليه نوح
فكذلك ذكر الله تعالى يقع بوفاء ما يلزمهم حالة القيام به وذلك يكون بالافعال مرة وبالاقوال ثانيا
ومنهم من صرف الامر الى الاسم على ما يؤديه ظاهر اللفظ فذكر باسماء الرب لما يحصل له من الفوايد
بذكرها لان من اسمائه ما يرغبه في اكتساب الخيرات والاقبال على عبادته ومنها ما يدعو الذاكر الى الخوف
والرهبة ومنها ما يوقف على عجايب حكمته ولطيف تدبيره وتقرير سلطانه وعظمته في قلبه ومنها
ما يحدث له زيادة علم وبصيرة وهي الاسماء المشتقة من الافعال واذا تامل فيها عرف الوجه الذي منه
استحق تلك الاسماء فذكر اسمائه ليحدث له ما ذكرنا من الفوايد والعلوم **وقوله** عز وجل وتبتل اليه
تبتيلا فالتبتل هو الانقطاع الى الله تعالى وان يقطع نفسه من شهواتها وتصرفها عن لذاتها فكانه
قال وتبتل اليه وتبتل نفسك تبتيلا من الشهوات واللذات ولذلك سميت مريم رضي الله عنها البتول
لانها قطعت نفسها من منافع الدنيا واقبلت الى الاخرة وانقطعت اليه **وقوله** عز وجل رب المشرق والمغرب
قال ابو بكر الاصم تاويله مالك المشرق والمغرب فحقه ان يقال مالك المشرق والمغرب لانه هو المالك
على التحقيق وقال بعضهم هو الرب هو المصلح ثم خص المشرق والمغرب بالذكر وان كان هو مالكهما ومالك
الخلايق اجمع لان ذكر المشرق يقتضي ذكر السموات والارضين وفي ذكر السموات والارضين ذكر اعلى العليين
واسفل السافلين لانه اذا نظر الى المشرق وراى ما يطلع في المشرق من عين الشمس ثم تجري في اقطار
السماء ويقطع كل يوم مسيرة الف عام ثم تغرب حينئذ فتصير الى اسفل السافلين وتجري كذلك حتى تصل
الى مطلعها ثم تطلع هنالك يدل ذلك على ان مدبر السموات والارضين ومنشيهما واحد وان سلطانه
في الارض كسلطانه في السماء ويعلم ان من بلغت قدرته هذا المبلغ في ان تسير عين الشمس في يوم واحد
مسيرة الف عام ما يشتد على الخلق قطع هذه المسافة في مدد كثيرة لا يجوز ان يعجزه شيء ودل على ان ملكه دايم
لا ينقطع لان عين الشمس تجري في كل يوم على ما سخرت لا يتبدل ولا يتغير باختلاف الازمنة والاوقات
وجعل منافع اهل الارض متصلة بمنافع السماء ولو لم يكن مدبرهما واحدا لارتفع الاتصال وانقطعت
منافع السماء عن اهل الارض فكان في ذكر المشرق والمغرب دلالة وحدانيته واظهار قوته وسلطانه
والوقوف على عجايب حكمته ولطايف تدبيره ثم تخصيص ذكر المشرق والمغرب دون السماء والارض
هو والله اعلم لان هذا اوصل الى معرفة التوحيد واسرع الى الادراك من ذكر السموات والارض
وان كان في التدبر في امر السماء والارض تحقيق ذلك وفي قوله عز وجل رب المشرق والمغرب اي الذي
امرت بذكره هو رب المشرق والمغرب وفيه تعريف الوجه الذي يصل الى معرفة ربوبيته **وقوله** عز وجل
لا اله الا هو اي لا معبود يستحق العبادة الا هو لان الذي يحمل الانسان على عبادة المعبود الخوف والرجاء
واذا عرفهم بذكر المشرق والمغرب ان تدبير الخلايق كلها راجعة اليه وانه هو القاهر عليهم والقادر
وبيده ما يخافون والمنافع اعلمهم انه هو الاله الحق والرب القاهر وان من سواه مربوب مقهور لا يملك

نفعا ولا ضرا فكيف يستوجب العبادة والالهية وقوله عز وجل واتخذه وكيلا فجايز ان يكون
اراد ان كل امورك كلها الى الله تعالى حتى يكون هو الذى يدبرها ويحكم ولا تشتغل فيها بتدبير والوكيل
فى الشاهد هو الذى يدخل فى امر آخر على جهة التبرع ليتصرف فيه ويعينه فيكون قوله فاتخذه وكيلا اى اطلب
من عنده النصر والمعونة والمرء فى الشاهد انما يفزع الى الوكيل ليريح عنه علله ويقضى عنه حوايجه
ويقوم عنه فى النوايب فكانه يقول افزع الى الله تعالى فى نوايبك فيكون هو الذى يريح عنك العلل
ويقضى عنك الحوايج ويكون معتمدك فى النوايب والله اعلم وقوله عز وجل واصبر على ما يقولون
قال اهل التفسير تاويله اصبر على تكذيبهم اياك الا ترى الى قوله فى سياق الاية وذرنى والمكذبين اولى
النعمة فثبت انه دعى الى الصبر على التكذيب وجايز ان يكون مصرفا الى هذا والى غيره لانهم كانوا لا يقتصرون
على تكذيبه بل كانوا ينسبونه الى الكذب مرة والى السحر ثانيا والى الجنون ثالثا والى انه يتيم ربما فكانوا يوذونه
بانواع الاذى فجايز ان يكون قوله واصبر على ما يقولون منصرفا الى كل ذلك ثم الامر بالصبر يقع بخصال
ثلاث احدها ان لا تجازيهم على تكذيبهم اياك تكذيبك اياهم او لا تجزع عليه وفى الجزع بعض التسلى
والتشفى ولا يدع عليهم بالهلاك والتبار بل اصبر لذلك ولقايل ان يقول كيف كان يشتد عليهم
تكذيبهم اياه حتى كاد يتحزن لذلك والذين نسبوه الى الكذب كانوا من اعدائه وليس يستثقل التكذيب
من العدو ولا يستكثر منه لانه بما يعاديه يعتقد ان نشى اليه بجميع ما يمكنه وسعه وانما يستثقل الكذب
من اهل الصفوة والمودة فكيف استثقله وكيف بلغ به التكذيب مبلغا يحزن به حتى يدعى الى الصبر بقوله
قد يعلم انه ليحزنك الذى يقولون الاية وبقوله واصبر على ما يقولون والجواب عن هذا ان الكذب والجهل
مما يستثقلهما العقل والطبع جميعا وكذلك التكذيب والتجهيل امر ثقيل على الطبع والعقل جميعا حتى ان الكذاب
اذا نسبت الى الكذب اشتد عليه ذلك ولم يحتمل وكذلك الجهول اذا عرف بالجهل ثقل ذلك عليه فاذا كان
التكذيب مستقبحا فى عقول الخلق وطبايعهم وان كانت طبايعهم مشوبة بالآفات وفى عقولهم بعض قصور فرسول الله
صلى الله عليه وسلم مع صفاء عقله وسلامة طبعه عن الآفات احق ان يثقل عليه ويحزن لذلك ثم ما من انسان
ينسب الى الكذب فيما يحدث عن نفسه او عمن سواه من الخلايق ممن علت رتبتهم او انحطت الا وهو يجد لذلك
ثقلا فكيف اذا اخبر عن الله تعالى وكذب فيه اليس هذا احق ان يثقل على القلب ويتحزن له ويجوز ان يكون
حمله على الحزن شدة اشفاقه على المكذبين لان تكذيبهم يفضى بهم الى العطب والهلاك فاشفق عليهم
باشتغالهم بما به هلاكهم وحزن لذلك او يكون حزنه غضبا لله تعالى اذ الرسل كانوا يغضبون لله تعالى
ويشتدون على اعدائه والجواب عن قوله ان المكذبين كانوا من اعدائه فكيف اشتد عليه تكذيبهم
وذلك امر غير مستبدع من الاعداء فنقول ان رسول الله كان يعاملهم معاملة الولى مع وليه
الصفى ولم يكن يعاملهم بما يعامل به الاعداء لانه كان يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وشرفهم فى امر دنياهم
وآخرتهم ومن عامل مع آخر معاملة الاصفياء معه كان الحق عليهم ان يجازوه بالاحسان فاذا تركوا ذلك
وقابلوه بالتكذيب اشتد عليه وحزن لذلك ثم فى قوله واصبر على ما يقولون وفى قوله ولا يستعجل لهم ابطال
قول من قال ان الله تعالى لا يفعل بعبده الا هو اصلح له لانا نعلم انه اذا اذن لنبى من الانبياء بالدعاء
على استعجال الهلاك واستجيب فيما دعا كان فيه ما يحمل القوم على الايمان ويردعهم عن التكذيب لانهم
يخافون نحلول النقمة عليهم فيتركون التكذيب ويقبلون على الاجابة فيكون فيه نجاتهم عن الهلاك وشرفهم
فى امر دنياهم وآخرتهم فاذ لم يوذنوا دل انه ليس من شرط الله تعالى ان يفعل بعباده ما هو اصلح لهم
فان قيل كيف لم يوذن بالدعاء عليهم ليحملهم ذلك على الاسلام ويمنعهم عن التكذيب قيل له لان فيما ذكرت
رفع المحنة والابتلاء لان المحنة اذا ذاك يقع من جهة الضرورة لانهم اذا علموا انهم يستاصلون بالتكذيب

اشتغوا

اشتغوا عنه واجابوا الى الاسلام كرها فيصير الحجج اضطرارية لانهم اذا علموا لا بتمييزية واختيارية وحجج الرسل
عليهم السلام اختيارية لا ضرورية لما ذكرنا انها لو جعلت اضطرارية لارتفعت المحنة فجعلت حججهم من وجه
يقع بها الشبه ليوصل الى معرفتها بالفكر لئلا يرتفع المحنة فان قال قايل ان ابا حنيفة رحمه الله ذكر فى كتاب العالم
والمتعلم ان ايماننا الملايكة وايمان الرسل وايماننا واحد ثم قال فاذا استوينا نحن والرسل فى الايمان فكيف
صار الثواب لهم اكمل وخوفهم من الله اشد فاجاب عن هذا السؤال باجوبة وقال فى جملة ما اجاب انهم
لو ارتكبوا الزلات يحل بهم العقاب عقيب الزلل فصار خوفهم بالله تعالى الزم من هذه الجهة ولسايل
ان يسال على هذا فنقول فاذا ايمانهم بالله تعالى وتركهم المعاصى ضرورى لا اختيارى فيجاب عنه
بان يقال بان الانبياء عليهم السلام لم يتبين لهم العصمة بل كانوا على خوف من وقوعهم فى المهالك الا ترى
الى قول ابراهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ولو كانت العصمة ظاهرة لكان يستغنى
عن السؤال وقال فى قصة شعيب عليه السلام وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شىء
علما فثبت انه لم يتبين لهم العصمة ونحن انما شهدنا لهم بالعصمة بالوجود لا ان الحكمة توجب العصمة
والرسل عليهم السلام امروا بتبليغ الرسالة ولم يؤذن لهم بالنظر فى امر من تقدمهم من الرسل ليظهر لهم
العصمة بالتدبر والتفكر فثبت انهم كانوا على الخوف والرجاء فى فكاك انفسهم وفى وقوعها فى المهالك
وان ايمانهم بالله تعالى لم يكن ضروريا بل وصلوا الى المعرفة بالتمييز لذلك عظمت درجاتهم والثانى ان الانبياء
عليهم السلام قد كان تقرر فى قلوبهم هيبة الله تعالى وعظمته فكانت المعرفة هى التى دعتهم الى الايمان به
لا خوف حلول العقوبة بهم لو ارتكبوا الزلات واما الكفرة فلم يعرفوا عظمة الله تعالى ولا قدرته
ولا سلطانه حتى يحملهم ذلك على الايمان به فلو حلت العقوبة بهم بالتكذيب لكان الخوف هو الذى
يحملهم على الايمان لا غير فيصير ايمانهم ضروريا فلهذا لم يعاقبوا بالتكذيب لان لا يرتفع المحنة ويحول
بينهم وبين غيرهم وهذا كما يقول بان انباء ما تقدم من الرسل حجة لرسولنا صلى الله عليه وسلم
فى اثبات نبوته وان كانت تلك الانباء قد عرفها اهل الكتاب واخبروا بها لان اهل الكتاب عرفوا تلك
الانباء بالتعلم والتلقين ولم يختلف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من عنده علم تلك الانباء
فعلم انه بالله تعالى علم لا بتعليم احد فصارت الانباء حجة لذلك ولم يصر حجة والله اعلم وقوله عز وجل
واهجرهم هجرا جميلا فجايز ان يكون تاويله اهجرهم وقت سبهم ونسبتهم اياك الى ما لا يليق بك ولا يغيظهم
ولا يكترث اليهم والى ما يقولون عليك لان ذلك بعض ما يزجر المتقول والشاب عما هو فيه وهو كقوله
عز وجل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ويحتمل ان يكون تاويله ان انقطع عنهم انقطاعا جميلا
والانقطاع الجميل ان لا يترك شفقته عليهم ولا يدعو عليهم بالهلاك ولا يمتنع عن دعايهم الى ما فيه رشدهم
وصلاحهم وكذلك قال فى وقت اذاهم اياه اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون ويحتمل ان يكون هجرا اياهم
هجرا جميلا هو ان لا يكافيهم بالسيئة بل يدفع السيئة بالحسنة كقوله تعالى ادفع بالتى هى احسن السيئة
اذ ذلك ادعى للخلق الى اجابة من يفعل ذلك بهم من المعاملة والله اعلم ثم من الناس من يقول بان هذه
الاية نسختها آية السيف ومنهم من قال بانها لم ينسخ وصرفوا تاويل الاية الى جهة لا يعمل عليها النسخ
وذلك ان فى قوله واهجرهم هجرا جميلا منع المكافاة لاجل ما اذوه ولم يفرض عليه القتال ليكافيهم
باذاهم وينتقم منه بذلك بل رجع قتاله الى نصرة الدين وليكون كلمة الله تعالى هى العليا لذلك لم يكن
فى آية السيف ما يوجب نسخ هذا ولا نسخ العمل بقوله فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره الثانى
انه ليس فى قتالهم انتقام منهم بل فيه ما يدعوهم الى الايمان بالله تعالى ورسوله واذا آمنوا بالله
نجوا من العقاب وفازوا بعظيم الثواب فيصير القتال رحمة لهم لا عقوبة ووجه جعله رحمة

هوانهم اذا راوا عليه المسلمين عليهم مع قلة عددهم والضعف الذى حل بابدانهم لاشتغالهم
بعبادة ربهم وكثرة عدد المشركين مع قوة ابدانهم ايقنوا انهم لم ينالوا الغلبة بالحيل والاسباب
بل الله تعالى هو الذى قواهم عليهم وقام بنصرهم فيتقرر عندهم كون اهل الاسلام على الحق واذا ايقنوا
بالحق التزموه فيجزوا به جزيل الثواب وكريم المآب فصار القتال رحمة لهم لان يكون عليهم عقوبة
عليهم لسوء صنيعهم واذا كان كذلك بقى العمل بقوله عز وجل واهجرهم هجرا جميلا ثابتا باقيا وبهذا
يجاب من سال فقال ان الله تعالى يقول لنبيه عليه السلام وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفى القتال
ترك الرحمة فكيف فرض عليه فيقال ان ليس فى القتال ترك الرحمة بل هو من ابلغ الرحمة وتمامها اذ يحملهم
على الايمان وترك التكذيب فيعلو منزلتهم ويشرف قدرهم فى الدنيا والاخرة والله اعلم وجواب اخر
ان يقال بان المحنة فى القتال ليس فى القتل لانهم اذا خافوا القتال تركوا التكذيب واقبلوا على الداعى الا ترى
انه ذكر ان القوم قبل ان يفرض عليهم القتال كان يدخل الواحد منهم بعد الواحد فى هذا الدين فلما شرع
القتال جعلوا يدخلون فيه فوجا فوجا وقبيلة قبيلة ثم اباحة القتل يكون بالعدو لانهم اذا علموا
انهم لا يقتلون لم يقع لهم الخوف بالقتال واذا لم يخافوا تركوا الاجابة فشرع القتل فيه لتحقيق الخوف
فلم يكن فيه ترك الرحمة وهو كقوله ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب وفى اقامة القصاص تلف النفس
وليس فيه احياء ولكن وجه الاحياء فيه هو ان القاتل اذا فكر قتل نفسه بقتل صاحبه ردعه ذلك
عن القتل فيكون فيه احياء النفس جميعا فيصير ايجاب القصاص سببا للاحياء فى الحقيقة وان كان فى الظاهر
سببا للاتلاف فكذلك هؤلاء اذا ايقنوا بالقتل بامتناعهم من الاجابة تركوا الامتناع واقبلوا على الاجابة
فيكون موضوع القتل للرحمة فى التحقيق وان كان فى الظاهر خارجا مخرج ترك الرحمة والله اعلم وقوله
عز وجل وذرنى والمكذبين اولى النعمة وفيه ان اهل الخصب والدعة هم الذين اشتغلوا بالتكذيب
وهم الذين كانوا يصدون الناس عن سبيل الله كما قال وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها
وقال وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها فخص اولى النعمة بالذكر لهذا ثم فى قوله ذرنى
والمكذبين ايهام بان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق منه المنع ولم يوجد من رسول الله حيلولة
ومنع ولكن مثل هذا الخطاب موجود فى كتاب الله تعالى فى غير اى من كتابه وهو انه يخرج مخرجا يوهم
ان هنالك مقدمة وان لم يكن فيها مقدمة فى التحقيق قال الله تعالى والسماء رفعها ولم يكن فيه تحقيق الوضع
وان كان الرفع يستعمل فى الشئ الموضوع وكان تاويل الدفع ها هنا بانها خلقت مرفوعة وقال
والارض وضعها للانام ولم يكن مرفوعة فوضعها وكان معناه انها خلقت موضوعة وقال يوسف عليه السلام
انى تركت ملة قوم لا يومنون بالله ولم يسبق منه دخول فى دينهم ولذلك فيكون تاركا له بعدما دخل فيه
وقال الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور
الى الظلمات ولم يقتض قوله عز وجل يخرجهم من الظلمات الى النور كونهم فى الظلمة ولا اقتضى قوله يخرجونهم
من النور الى الظلمات كونهم فى النور فيخرجهم منه وان كان فى الظاهر يودى ذلك فعلى ذلك قوله
وذرنى والمكذبين وان كان فى الظاهر يقتضى حيلولة ومنعا فليس فى الحقيقة اثبات منع ويذكر
غير هذا فى سورة المدثر ثم قوله وذرنى والمكذبين معناه لا تجازهم بصنيعهم لا يستعجل عليهم
بالدعاء بل امهلهم قليلا فسيكفيكهم الله وقيل فى الفرق بين النعمة والنعمة ان النعمة ما يعطى العبد
ارادة استدراجه فيها وهلاكه كقوله عز وجل ونعمة كانوا فيها فاكهين والنعمة هو منة الله تعالى
على عباده تفضلا عليهم كقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة والله اعلم وقوله عز وجل ان لدينا
انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما قال ابن عباس رضى الله عنه الانكال هى السلاسل والقيود

وقال ابو بكر

وقال ابو بكر الاصم الانكال ما ينكل به ويعتبر به غيره قال الله تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها
وما خلفها وموعظة تاويله ما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى ايضا فان كان على ما ذكره
ابو بكر الاصم فقد يكون فى الدنيا ويكون نصرها الى يوم بدر والله اعلم وكان الاول اشبه والجحيم هو معظم
النار ثم فى هذه الاية دلالة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واية رسالته لان قوله ان لدينا انكالا
وجحيما راجع الى قوله وذرنى والمكذبين اولى النعمة فان لهم لدينا انكالا وجحيما واما ينكلون ويعذبون
بالجحيم اذا ماتوا على الكفر ففيه ابانة انهم يموتون وهم كفار وعلى ذلك ماتوا وختم امرهم ولم يسلم
منهم احد فيخرج ما اخبر عن غيب كما اخبر وذلك لا يعلم الا بالله تعالى فثبت انه لم يخترعه من تلقاء
نفسه بل علم بالله تعالى وعلم الغيب من اعظم ايات رسالته وقوله عز وجل وطعاما ذا غصة
وعذابا اليما فالذى يغص ولا يقدر على ابتلاعه ليس بطعام فى الحقيقة وقال لهم شراب من حميم
فالحميم ليس بشراب فى التحقيق ولكن سمى الاول طعاما لانه يمضغ مضغ الطعام والصديد والحميم
يسيلان سيل الشراب فذكر فى الاول طعاما وفى الثانى شرابا لهذا ولان الطعام اسم لما يطعم
فهو مطعوم وان كان كريها والحميم مشروب وان كان فى نفسه كريها ثم الاصل ان الكفرة بكفرهم تركوا
شكر نعم الله تعالى ذكره وقابلوها بالكفران فابدل الله تعالى لهم فى الاخرة مكان كل نعمة نقمة الا ترى الى قوله
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فابدلهم مكان البصر عمى ومكان السمع صمما
لتركهم شكر ما انعم من البصر والسمع واللسان وابدلهم مكان اللباس قطرانا ومكان المراكب السحب
الى النار على اقدامهم ووجوههم فكذلك ابدلهم مكان الطعام والشراب زقوما وحميما لتركهم شكر نعم الله
وقوله عز وجل يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقد ذكرنا الرجفة فى غير موضع
وقوله كثيبا مهيلا اى رملا سايلا ففيه اخبار عن شدة هول ذلك اليوم لان الجبال من اصلب الاشياء
واشدها فى انفسها ثم يبلغ هول ذلك اليوم مبلغا لا يحتمله الجبال مع شدتها وصلابتها فالانسان الضعيف
المهين انى يقوم لشدته وهوله فذكرهم حال ذلك اليوم ليرتدعوا وينتهوا عما هم عليه فى التكذيب والضلال
وقوله عز وجل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا قوله شاهدا عليكم
قال ابو بكر الاصم تاويله مبينا عليكم ما لله تعالى عليكم من الحق وجايز ان يكون شاهدا عليكم اى لكم
وعليكم جميعا فيكون على الكفرة شاهدا بقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ويكون للمؤمنين شاهدا وقد يذكر
عليكم ويراد به لكم كقوله وما ذبح على النصب اى للنصب لانهم كانوا يذبحون لها لا عليها وخص ذكر موسى
عليه السلام وفرعون من بين الجملة ففايدة ذكر التخصيص هو والله اعلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان نشوءه بين ظهرانى الذين كذبوه ولم يكن وقفوا منه على كذب قط بل كانوا عرفوه
بالصيانة والعدالة وكان يجلونه ويرونه اهلا للشهادة فكيف ينسبونه الى الكذب ولم يعهدوا ذلك منه
وكذلك موسى عليه السلام كان نشا بين ظهرانى اولئك الذين ارسل اليهم وكانوا عرفوه بالصيانة والعدالة
وعرفوا انه يصلح للشهادة ومنهم من يعرف بانهم انذروا برسول الله صلى الله عليه وسلم واستصغروه
اعتبارا بما شاهدوا من حاله فى الصغر اذ كان نشوءه فيهم وكذلك انذروا موسى عليه السلام حين بعث
اليهم واستخفوا به استخفافهم به فى حالة الصغر حتى قالوا الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين فنزل بهم ما نزل باولئك من الاستيصال بتكذيبهم اياه وانذرهم به فذكرهم حال مكذبى
موسى عليه السلام وما نزل بهم من مقت الله تعالى بتكذيبهم وانذرهم به ليعتبروا به فينقلعوا عما انذرهم
لئلا يحل بهم ما حل باولئك ولان لا يغتروا بقواهم وكثرة عددهم واموالهم فان مكذبى موسى
عليه السلام كانوا اكثر اموالا واولادا واعدادا واشد بطشا فلم يغنهم ذلك من الله تعالى شيئا وجابر

وجايز ان يكون خص ذكر موسى عليه السلام وفرعون ونبأهما لان خبرهم كان منتشرا فيما بين اهل مكة
لانهم كانوا اخبروه اليهود الذين عندهم نبأ موسى وفرعون فكانوا يخبرونهم بما حل بفرعون وقومه بتكذيبهم
الرسول فذكرهم نبأ موسى عليه السلام لينتهوا عما هم عليه من التكذيب ولان الله تعالى ان يحتج عليهم
بجهلها اذ في ذلك قطع الشبه وازاحة العذر او ذكرهم نبأ موسى وقومه لان العهد به كان اقرب اذ قومه
كانوا آخر قوم استوصلوا في الدنيا وقوله عز وجل فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا اي شديدا
ومنه المطر الشديد يسمى الوابل وقال ابو بكر اسم لكل معضلة وقوله عز وجل فكيف تتقون ان كفرتم يوما
يجعل الولدان شيبا فهو يحتمل وجها احدها اي كيف تتقون النار في الآخرة اذا سلكتم في الدنيا سبيلها
وهو الكفر وانتم تعلمون ان من سلك طريقا لشيء ولا منفذ لذلك الطريق الا الى ذلك الشيء فانه يؤديه
عليه لا محالة او كيف تتقون النار في الآخرة وقد تركتم القيام بما عليكم من شكر النعم او كيف تتقون العذاب
في الآخرة وانتم تدفعون اليها وتضطرون بقوله عز وجل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وبقوله يسحبون
في النار على وجوههم وبقوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم وقد مكنتم في الدنيا من الايمان بالله تعالى
ومكنتم الانتهاء عن الكفر ثم لم تنقلعوا عنه فاني يتهيا لكم التخلص من عذابه وانتم تدفعون اليه وكيف
تنتفعون بايمانكم في الآخرة ولم تؤمنوا في الدنيا وقد مكنتم منه والاصل ان دار الآخرة ليست بدار
لاستحداث الاسباب وانما هي دار وقوع المسببات فهم اذا لم يستحدثوا الاسباب التي جعلت لدفع
العذاب في الدنيا لم يمكنوا من استحداثها في الآخرة فينتفعوا بها ولم يكونوا اهلا لوقوع المسببات التي لم يستحدثوا
الاسباب في الدنيا وانما قلنا انها ليست بدار محنة وابتلاء لان المحنة لاستظهار الخفيات والثواب
والعقاب قد شوهد وعوين فاذا قيل اذا فعلت كذا دخلت النار وهو يعاين النار ويراها فهو يمتنع
عن الاقدام على ذلك الفعل واذا قيل له اذا امنت بالله تعالى اكرمت بالجنة وهو يشاهد الجنة ويراها
فهو يؤمن لا محالة فلا وجه للابتلاء في الآخرة بل هي دار وقوع مستتاب يعني الثواب والعقاب والذي
يدل على هذا قوله يوما يجعل الولدان شيبا فاخبر انهم يشيبون لا بسبب المشيب والمشيب في الدنيا
لا يوجد الا بعد وجود سببه وهو الكبر ليعلم ان الدار الآخرة ليست بدار استحداث الاسباب
فيما يستحدثون من الايمان بالله تعالى لا ينفعهم في ذلك اليوم ولا يقيهم من عذاب الله تعالى وقوله
عز وجل يجعل الولدان شيبا فجايز ان يكون هذا على التحقيق فيشيب الولدان لهول ذلك اليوم
ويصير الشيب سكارى لشدة هوله كما قال وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وجايز ان يكون
على التمثيل لا على تحقيق الشيب مثله به لعظم ذلك اليوم وشدة هوله وقد يجوز ان يمثل الشيء
بما يبعد عن الاوهام تحقيقه على تعظيم ذلك الشيء كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فذكر هذا على التمثيل لعظم ما قيل فيه لا على تحقيق الانفطار
والانشقاق وجايز ان يكون معناه انه لولا ان الله تعالى بعثهم للابقاء وان لا يتغيروا ولا يتفانوا
والا كان هول ذلك اليوم يبلغ مبلغا يشيب به الولدان وقوله عز وجل منفطر به اي بما يجعل
الولدان شيبا وهو هول ذلك اليوم وشدة فزعه او منفطر بالغمام وقيل منفطر بالله اي بقضايه
وحكمه والله اعلم ثم قال منفطر به ولم يقل منفطرة والسماء مؤنث فذكر الزجاج ان معنى قوله منفطر
اي ذات انفطار فتحتمل بها كما يعبر عن المذكر كما يقال امراة مرضع اي ذات رضاع وقوله عز وجل
كان وعده مفعولا اي الذي وقع به الوعد مفعول لا ان يكون الوعد هو المفعول فكذا قوله انه كان
وعده ماتيا والوعد لا يؤتى بل الموعود هو الذي يؤتى ولكن نسب الموعود الى الوعد لانه
من آثاره وهذا كما يقال المطر رحمة الله اي برحمة الله مطروا لا ان يكون المطر رحمة ويقال

الصلاة امر الله اي بامر الله ما يقام لا ان يكون امره الذي يوصف به فكذلك الموعود نسب الى الوعد
اذ بالوعد استوجبوا الا ان يكون الوعد هو المفعول وهو الماتي وقوله عز وجل ان هذه تذكرة فجايز
ان يكون قوله هذه منصرفا الى الاهوال التي ذكرها فيكون ذكرها تذكرة ويحتمل ان ينصرف الى الرسالة
اي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تذكرة ويحتمل اي هذه السورة او الآيات كلها تذكرة وقوله عز وجل
فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وقال بعضهم من شاء اتخذ عند ربه جاها ومنزلة بنفسه او من شاء
اتخذ الى ربه سبيلا الى ما دعاه اليه ربه وذلك يكون بالاجابة فيما دعاه اليه او من شاء اتخذ الى ما وعده
ربه في الآخرة سبيلا في ان يقبل على طاعته ويشغل نفسه بعبادته وقوله عز وجل ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه قال ابو عبيد الصواب ان يقرا ونصفه وثلثه بالخفض
على معنى اضافة ادنى اليهما فكانه يقول ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل وادنى من نصفه
وادنى من ثلثه وادنى فيكون على الزيادة والنقصان جميعا لان فضل ما بين الثلث الى النصف هو السدس
فاذا زاد على الثلث اقل من نصف السدس فهو الى الثلث ادنى وكذلك اذا نقص من الثلث شيئا قليلا فهو
الى الثلث قريب فيكون اليه ادنى وكذلك الفضل فيما بين النصف الى الثلثين هو السدس فاذا زاد
على النصف اكثر من نصف السدس فهو الى الثلثين ادنى واذا نقص من نصف السدس فهو الى النصف
ادنى واقرب ومنهم من اختار النصب فيهما والوجهان جميعا محتملان لان قوله ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه ليس فيه ايجاب حكم مبتدا وانما فيه اخبار عن القيام الذي وجد
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجايز ان يكون وجد منه ذلك كله وهو ان يكون قريبا من الثلثين
وقريبا من النصف وادنى من الثلث على ما ذكره اهل المقالة الاولى ويكون قد قام ادنى من ثلثي الليل
وقام نصفه وثلثه وادنى من نصفه وادنى من ثلثه فذكر في الثلثين الادنى لما وجد منه الادنى من جهة الزيادة
والنقصان ولم يوجد موافقة الثلثين واخبر بالنصف والثلث بالامرين جميعا لوجود الموافقة وهي
ان يكون قام نصف الليل وقام ثلثه وقام ادنى من النصف وادنى من الثلث واذا كان هذا كله محتملا لم يجز
ان يدفع احد الوجهين ويتمسك بالوجه الآخر وهذا كقوله تعالى قال لقد علمت ما انزل هؤلاء فقرئ
برفع التاء ونصبه جميعا لما وجد الامران جميعا وهو ان يكون موسى عليه السلام وفرعون علما بها اي بالآيات
جميعا وكذلك قال في سورة سبا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا لوجود الامرين
جميعا وهو الدعاء والاجابة فقوله عز وجل ربنا باعد دعاء وقوله ربنا باعد على الاجابة ففرق بينهما
بالاعراب فكذلك ههنا لما استقام وجود الوجهين من رسول الله صلى الله عليه وسلم استقام ان يقرا
بالنصب والخفض جميعا ويفرق بينهما بالاعراب والله اعلم ثم يجوز ان يكون المفروض من القيام
قدر ثلث الليل ويكون الزيادة بحكم النافلة ويجوز ان يكون كله مفروضا وان طال وزاد على الثلث
والنصف والثلثين فانه كان يجوز له الاقتصار على ثلث الليل الا ترى ان فرض الركوع والسجود يقضى
بادنى الجزء منه وكذلك فرض القيام بالجزء منه ثم ان الركوع وان طال فهو من اوله الى آخره فرض حتى
لو ان داخلا شاركه في اول الركوع ثم رفع راسه وشاركه ثالث في آخر ركوعه ثم رفع راسه مع الامام صار
كل واحد منهم مدركا لفرض الركوع وان كان الامام لو اقتصر على جزء منه كفاه ذلك عن فرضه فكذلك الفرض
لما انصرف الى قيام الليل فصار جميع ما يؤتى من القيام في الليل وان طال فرضا وان كان قد يجوز الاجتزاء
ببعضه وقوله عز وجل وطايفة من الذين معك في هذه الآية وفي قوله عز وجل فتاب عليكم دليل
على ان فرض القيام كان على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى من تبعه من المؤمنين وان كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو المخصوص بالخطاب بقوله يا ايها المزمل لانه لو لم يكن الفرض شاملا عليهم لم يكن لقوله فتاب عليكم

معنى الا ترى انه اذا لم يفرض علينا قيام الليل في يومنا هذا لم يحتج في ترك القيام الى ان يتوب الله علينا ثم ان الله تعالى ذكر في التوبة وفيما فيه السعي حظا يجمع الجميع بقوله فتاب الله عليكم وبقوله فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فيما فيه الامر حظا يقتضي الاحاد وهو قوله قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ففي هذا انه قد يجوز ان يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم على ارادة غيره فيه معه ولا يجوز ان يخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم ويراد به اشتراك النبي صلى الله عليه وسلم هو المتبوع فجاز ان يلحق غيره به وغيره لا يكون متبوعا حتى يلحق به رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقوله عز وجل والله يقدر الليل والنهار ففيه ان الليل والنهار ليسا يمضيان على الجزاف ولكن بتقدير سبق من الله عز وجل وآية ذلك ظاهر لانهما يجريان منذ خلقا على تقدير واحد لم يتقدما ولم يتأخرا ولم ينتقصا ولم يزدادا فيكون فيه ابانة ان مدبرهما واحد وان الذي قدرهما هكذا ممن لا يبيد ملكه ولا ينفد سلطانه

وقوله عز وجل علم ان لن تحصوه قال بعضهم علم ان لن تطيقوه قال ابو بكر الاصم هذا لا يستقيم لانه لا يجوز ان يكلفهم الله تعالى ما لا يطيقونه الا ترى الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وليس فيما ذكره ابو بكر ما يدفع هذا التأويل لانه يقال للامر اذا اشتد وثقل لا يطاق هذا الامر وان لم يكن ذلك خارجا من الوسع الا ترى الى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وتأويله لا تحملنا امرا يشتد علينا عمله ليس انهم خافوا ان يحملهم امرا لا يحتمله وسعهم فيكون قوله علم ان لن تحصوه ان كان تأويله ان لن تطيقوه على ذلك والله اعلم وجائز ان يكون قوله ما لا طاقة لنا به اي لا تحملنا امرا تهلك فيه طاقتنا لا ان يحملوا امرا لا يطيقونه الا ترى ان الانسان يحتمل القتل ويكون قتله يهلك طاقته وجائز ان يكون قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي اعصمنا من الشهوات واللذات لان لا نؤثرها فيكون مضيعين بارتكابها قوة الفعل الذي نتعبد به فلا نصل الا فعله وهذه هي القوة التي لا يزايل الفعل بل يضاد بفقده واما الفعل الذي هو خارج عن احتمال الوسع والطاقة فذلك هو الذي لا يقع بمثله التكليف وجائز ان يكون تأويل قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تحصروا حد ما امركم به لو اخذ عليكم في امر بتقدير الثلث والنصف لم يمكنكم ذلك الا بعد جهد ففرض عليكم قيام الثلث من الليل وجعل لكم الامكان في ان تزيدوا عليه فيحيط علمكم بقيام الثلث ولو كان على حد واحد لم يمكنكم حفظه الا بعد تحقق وجهد وفي ذلك كلفة عسيرة ويؤيد هذا تأويل من قال علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوه ويكون الطاقة عبارة عن التعسير واشتداد الامر ثم في هذه الآية دلالة على اباحة تعليق الحكم بالاستحسان لانه قد فرض عليهم قيام ثلث الليل ولا يمكنهم تدارك الثلث بتقدير الاحاطة وانما يمكنهم بالتقدير الذي يغلب على القلب فثبت انه قد يجوز ان يكون الحكم معتبرا بما يقع في القلوب ويغلب على الظنون والاستحسان ليس الا تعليق الحكم بما يغلب على القلوب والذي يدل على ان الحكم يلازم بما ذكرنا ان الله تعالى الزم الحد على القاذف وعلى الزاني ولم يبين مبلغ وقوع الضرب فيه ولا ما يضرب به فقدر ذلك بما يقع في القلوب ان مثل هذا الضرب فيه ولا ما يضرب به فقدر ذلك بما يقع في القلوب ان مثل هذا الضرب يصلح لمثل هذه الجناية وكذلك قيم الاشياء والاروش والنفقات وتسوية المكاييل والموازين يعتبر ذلك كله بغلبة الظنون من غير ان كان يستمد من ذلك اصل يقدر النوازل به ويستوضح منه فثبت انه يجوز ان يحكم بالذي يغلب على القلوب وان المجتهد يرجع الى وجهين مرة ينظر في عين فيتمثل بهذا فيسمى بذلك قياسا ومرة يحكم فيها بما يغلب على الظنون فيسمى ذلك استحسانا وفي هذه الآية دلالة ان سؤال من يسأل ابا حنيفة رحمه الله ان الوتر لو كان له مشابه في الفرض لكان لا يختلف في عدده سؤال غير مستقيم لانه قد فرض على القوم ان يقوموا ثلث الليل وقد اخبر عز وجل انهم لا يحصون

حدّ ما امرهم به واذا لم يحصوا فلا بد ان يقع هنالك زيادة او نقصان فكذلك الوتر وان كان حد عدده غير معروف وهو لا يخرجه عن حكم الفرايض والله اعلم ثم في قوله عز وجل علم ان لن تحصوه فتاب عليكم هو ان الله وقت ما فرض عليهم علم انهم لا يحصونه ولكن بين هذا ليعلموا ان الله تعالى ان يكلفهم اقامة العبادة الى وقت لا يتهيأ لهم احاطة مبلغ ذلك الوقت الا بعد جهد ليعرفوا منة الله تعالى عليهم اذا اسقط منهم ذلك التكليف وهو كقوله عز وجل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ولكن ذكر هذا ليعلموا انهم يكلفون القيام للعسر وان كان بهم ضعف لكن خفف عنهم عرفوا ما لله عليهم من عظيم المنة

وقوله عز وجل فتاب عليكم فيحتمل ان يكون طائفة منهم امتنعوا عن القيام فيكون التوبة راجعة اليهم الا ترى الى قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك فهذا يبين انهم جميعا لم يقوموا معه وانما قامت معه طائفة فيكون التوبة راجعة الى الطائفة التي امتنعت عن القيام وجائز ان يكون راجعة اليهم والى الذين قاموا فيكون الذين قاموا معه قصروا القيام عن الحد الذي شرط عليهم فافتقروا الى التوبة ايضا كما افتقر اليهم من تخلف عن القيام فتاب الله عليهم جميعا والله اعلم

وقوله عز وجل فاقرؤا ما تيسر من القرآن فمنهم من ذكر ان قيام الليل صار منسوخا بهذه الآية ومنهم من يقول بان النسخ وقع بقوله تعالى واقيموا الصلوة وهي الصلوة المفروضة وليس بينهما فرق عندنا وانما نسخ بهما جميعا ووجه النسخ هو ان فرض القيام فلو كان باقيا لكان لا يجوز لهم ان يكتفوا من القراءة بما تيسر عليهم لانهم اذا قاموا الى ثلث الليل لزمهم تبليغ القراءة الى حد يتعسر عليهم ويشتد فاذا اذن بالاقتصار على القدر الذي تيسر علم انه قد سقط عنهم ان يقوموا ثلث الليل ثم هو اذا اقام صلوة المغرب والعشاء قد قرأ من القرآن ما تيسر من القرآن ما تيسر عليه فصار قاضيا لما اقتضاه قوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن فمن هذا الوجه استدلوا بهذه الآية على نسخ حكم القيام بالليل ثم هذه القراءة يقيمها في الصلوة فيكون النسخ واقعا بهما ثم من الناس من يزعم ان فرض القيام سقط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن امته واستدل بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وان كان الفرض عليه قائما لم يكن التهجد به نافلة ومنهم من زعم انه لم يسقط عنه فرض القيام بل دام عليه الى ان قبض عليه السلام واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كتب علي قيام الليل ولم يكتب عليكم ومعناه بقي علي مكتوبا ورفع عنكم اذ قد دللنا ان القيام في الابتداء كان عليه وعليهم جميعا وقد قال بعض الناس ان صلوة الليل لم يكن فرضا على امته بهذا الحديث وما ذكرنا حجة عليهم ثم الجواب عن التعلق فتهجد به نافلة لك معناه غنيمة لك لا ان يكون القيام منه تطوعا ووجه صرفه الى الغنيمة وهو ان العبادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج مخرج الشكر لله تعالى فيصير بها مكتسبا للفضيلة وليس يقع ذلك موقع التكفير للسيئات لانه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يكن يحتاج الى اتيان الحسنات ليكفر عنه السيئات فثبت ان الفعل منه يقع موقع اكتساب الفضيلة فيدوم له ذلك الفضيلة ويستوجب بها جزيل الثواب وذلك من اعظم الغنايم والذي يدل على ان فعله يخرج مخرج الشكر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله الم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا واما غيره فان الحسنات منهم مكفرة لسيئاتهم ومطهرة لزلاتهم قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فهم بحسناتهم لم يصيروا مكتسبين الفضيلة في مستأنف الاوقات فيصيروا بها مغتنمين بل رفعوا بها زلاتهم وطهروا انفسهم من المآثم فلم يصل القربة منهم نافلة والله اعلم فلهذا ما سمي تهجده نافلة لان يكون قيامه نفلا

وقوله عز وجل علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون

من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فمنهم من زعم ان هذه السورة كلها مكية ومنهم من زعم
ان اولها مكية وآخرها مدينية ويحتج هولاء بقوله تعالى وآخرون يضربون في الارض ويقوله
يجاهدون في سبيل الله وذلك ان الجهاد فرض على المسلمين بعد الهجرة الى المدينة ولم يوجد منهم
الضرب في الارض في حال كونهم بمكة وفي هذا اخبار عن جهاد طايفة وعن ضرب بعض في الارض
فثبت ان نزول هذه الآيات كانت بالمدينة واحتجوا ايضا بقوله فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة قالوا
ان الزكوة انما فرضت عليهم بعد ما هاجروا الى المدينة وفي هذا امر بايتاء الزكوة فثبت ان نزولها
كانت بالمدينة واما اول السورة فهي في موضع المحاجة على اهل الشرك ولم يكن بالمدينة مشرك بل كانوا
اهل كتاب ومن ذكر انها كلها مكية فهو يحمل قوله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله
وآخرون يقاتلون في سبيل الله على الوعد والبشارة ليس على الايجاب والوجوب الا ترى الى قوله عز وجل
علم ان سيكون منكم مرضى فاخبر انه سيكون منكم مرضى لا ان كانوا مرضى في ذلك الوقت فلم يكن فيما ذكر
دلالة كونها مدينية ثم الآية ان كانت على الوعد ففيه انهم كانوا في ضيق من العيش وكانوا في العموم
في خوف فيكون فيه بشارة انه يرفع عنهم الضيق بما يضربون في الارض ويوسع عليهم العيش وانه يفتح لهم
الفتوح ويكثر انصارهم حتى يقهروا العدو ويقع لهم من ناحيتهم الامن وقد آل الامر الى ما بشروا به
ففيه آية رسالته عليه الصلوة والسلام اذ اخبرهم عن علم الغيب وكان الامر على ما اخبر ثم **قوله**
عز وجل علم ان سيكون منكم مرضى في موضع الاعتلال انه انما خفف عليهم الامر بما ذكر من الاعذار من المرض
والضرب في الارض والمجاهدة في سبيل الله والتخفيف اذا وجب لعذر فما لم يلاق العذر حالة الفعل
لم يخفف فكيف خفف منهم قبل وقوع الاعذار ولكن هذه الاعذار وان تحققت فهي لا يلاقي الفعل بل يتقدم
لان المجاهدة تكون بالنهار لا بالليل وكذلك الضرب في الارض وقته النهار لا الليل والقيام كان
بالليل ليس بالنهار ثم قد وضع عنهم قيام الليل وان لم يكن العذر ملاقيا للقيام فعلى ذلك جائز ان يرفع
منهم القيام بالليل وان لم يات بعد وقت المجاهدة ولا كان الضرب موجودا اذ ليس في ذلك كله
الا عدم ملاقاة العذر حالة القيام ثم وجه رفع قيام الليل عنهم بالمجاهدة والضرب في الارض وان كان
يحصلان النهار لانه الليل هو ان المجاهدة بالنهار يضعفهم ويوهن قواهم فيتعذر عليهم قيام الليل
وكذلك الضرب في الارض فمن الله تعالى عليهم بان رفع عنهم قيام الليل وان لم يوجد منهم الاشتغال
بالجهاد بالليالي والله اعلم ثم الضرب في الارض يكون للتجارة ولغيرها من الوجوه لطلب العلم
وغير من الاسباب فلا يحصل امر الضرب على التجارة خاصة **وقوله** عز وجل فاقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة قال ابو بكر في قوله وآتوا الزكوة دلالة ان هذه الآية مدينية لان الزكوة انما فرضت
عليهم بالمدينة فان كان الامر على ما ذكر ان فرضيتها نزلت بالمدينة فذلك عندنا مصروف الى زكوة
المواشي خاصة لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم بمكة سوايم لانهم كانوا يخافون العدو
فلم يتهيأ لهم اسامة المواشي واما ما يرجع من الزكوات الى غيرها من الاموال فيشبه ان يكون واجبة
عليهم في حال كونهم بمكة وبعد مفارقتهم منها ولا يكون في الامر بايتاء الزكوة دلالة نزولها بالمدينة
والله اعلم **وقوله** عز وجل واقرضوا الله قرضا حسنا فالقرض في لغة العرب القطع يقال قرض الفار
الجراب اي قطعه فسمي القرض قرضا لهذا لانه يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذلك هو
بالتصدق يقطع ذلك القدر فيجعله لله تعالى خالصا فسمي قراضا لهذا ويجوز ان يكون اضافه الى نفسه
ليلاين على الفقير فيما يتصدق عليه اذ الاقراض حصل فيما بينه وبين ربه فيصير الفقير معاونا له
في تلك القربة ولان المرء في الشاهد انما يقرض في الشاهد ما يفضل من حاجته فيدفعه الى من يثق به

ليستره منه عند حاجته اليه فكذلك الصدقة اوجبت في المال الذي يفضل عن حاجات ينقرضها
لله تعالى فيجدها مهياة عند ما يمسه الحاجة ثم المال الذي يدفعه الى الفقير على جهة التصدق هو مال الله
عز وجل ثم جعل الله تعالى ذلك منه اقراضا له واضافه الى نفسه فيكون الفايدة في الاضافة
الى نفسه هو تفضيل عمله ليرغبه في مثل ذلك الفعل على جهة التكرم منه وهو كما سمى الثواب
الذي يتفضل على عباده اجرا بقوله فمن عمل صالحا فلنفسه ومن عمل لنفسه لم يستوجب الاجر
على غيره وسمى الذي يقتل شهيدا بايعا نفسه لله تعالى على التفضيل وترغيب للعباد في مثله لقوله
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم **وقوله** وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله
معناه تجدونه حاصلا لكم والا فكل شيء تقدمونه من خير او شر تجدونه حاضرا في ذلك اليوم
ولكن الشر يكون عليهم قال الله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود
لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقال عز وجل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **وقوله**
عز وجل هو خيرا واعظم اجرا وفي حق الكلام ان يقول هو خير لان هو يرفع ما بعده ولكن هو
كالفصل هاهنا وحقه الحذف واذا حذف انتصب الكلام لان معناه ان الذي تجدونه عند الله خيرا لكم
مما خلفتم فيكون خيرا مفعولا ثم قوله عز وجل هو خيرا واعظم اجرا يحتمل وجها احدهما
انه خير لكم واعظم اجرا مما خلفتم لورثتكم فيكون فيه ان الذي يخلفه لورثته له فيه خير ولكن
ما يقدم لاخرته خير له والذي يدل على ان له فيما يخلفه لورثته خيرا قوله عليه السلام انك ان تدع
ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم فقراء يتكففون الناس والثاني ان المرء في الشاهد قد يسخي نفسه
ببذل الاجلة لما يامل منهم من المال الثواب العاجل فيكون في قوله هو خيرا واعظم اجرا ترغيب
للعباد في تقديم الاموال لوجه الله تعالى لانه زاد رغبتهم في بذل الاموال للاجلة طمعا
للمنافع التي يحصل لهم فكان بذل المال لوجه الله تعالى اعظم في الاجر فهو ان يقع فيه الرغبة ولان النفس
قد يحمل المكروه في الشاهد لمنافع يامل لها في ثاني الحال فاذا طمعت لما يبذل لوجه الله تعالى الثواب
الجزيل والاجر العظيم خف عليها تحمل المكروه بناله بالبذل ويجوز ان يكون قوله عز وجل واعظم
بمعنى عظيم اذ قد يستعمل حرف افعل في موضع فعل كما يقال اكبر بمعنى كبير والله اعلم **قوله** عز وجل
واستغفروا الله فالاستغفار هو طلب المغفرة وذلك يكون باللسان مرة والافعال ثانيا فطلب المغفرة
من جهة الفعل ان يتوب عن الفعل الذي يستحق عليه العقاب ويجيب الى ما دعي اليه قال الله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فجعل انتهاءهم عن الكفر ودخولهم في الاسلام سبب
مغفرتهم وقال الله عز وجل استغفروا ربكم انه كان غفارا وليس استغفارهم ان يقولوا باللسان اللهم
اغفر لنا ولكن معناه ان انتهوا عما انتم عليه من الكفر واجيبوا ربكم فيما دعاكم اليه فهذا هو الاستغفار
من جهة الافعال واما الاستغفار باللسان وهو طلب المغفرة يكون على وجهين احدهما ان تسال ربك
التجاوز عن سيئاتك والثاني ان تسال حتى يوفقه السبب الذي اذا جاء به استوجب المغفرة
وعلى هذا التاويل يخرج استغفار ابراهيم عليه السلام لابيه وهو انه طلب من ربه
ان يوفقه لما فيه نجاته وهو الاسلام لا ان يسال ربه ان يغفر له مع دوامه على الكفر الا ترى
انه امتنع عن الاستغفار له حيث تقرر عنده عداوته لله تعالى وعلم انه لم يوفق السبب
الذي يستوجب به المغفرة قال الله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فثبت
انه لم يطلب منه المغفرة مع دوامه على الكفر ولكن الوجه الذي ذكرنا والله اعلم

في ترك قيام الليل

في الاقراض

جل جلاله

افعل في موضع فعل

استغفار باللسان والفعل

لا تترك في الاستغفار

سورة المدثر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها المدثر قيل ان الذي حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على التدثر انه كان في بعض طرق مكة اذ سمع صوتا من السماء والارض فنظر عن يمينه وعن يساره وامامه وخلفه فلم ير شيئا فرفع راسه فرأى شيئا ففزع منه فاتى بيته وقال زملوني فدثروه فان صح ما قالوا والا لم يسعهم ان يشهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي حمله على التدثر ما ذكروا من الفزع ولان التدثر ليس مما يسكن به الروع الذي يحل بصاحبه من الصياح وذكروا ان اول ما نزل من الوحي قوله يا ايها المدثر قم فانذر وقيل ان كفار مكة تذاكروه بالسحر واجمعوا رايهم على ان ينسبوه اليه وفشا هذا القول فيهم له احزنه ذلك فدخل بيته وتدثر بثيابه فامره الله عز وجل ان يقوم فينذرهم بقوله يا ايها المدثر قم فانذر وعلى هذا التاويل يكون الوحي نازلا قبل نزول هذه السورة حتى سموه ساحرا لما تر وامنه من الآيات والله اعلم وذكر ان موسى صلوات الله على نبينا وعليه قال اتاني ربي من طور سيناء وسياتي من طور ساعير وسيطلع من جبل فاران فان صح هذا الخبر فمعنى قوله اتاني ربي اي اوحى الي وقوله وسياتي من طور ساعير هو الوحي الى عيسى عليه السلام وقوله وسيطلع من جبل فاران وهو القرآن الذي نزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وفي هذا الخبر دلالة ان الاخبار التي فيها ذكر نزول الرب في كل ليلة الى السماء الدنيا وهو على تنزيل امر الملائكة ان قولوا هل من داع فيجاب هل من مستغفر فيغفر له فجايز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول ما اوحي اليه كان بجبل فاران هو جبل من جبال مكة او كان ذلك الجبل منسوبا الى ذلك المكان

معنى نزول الرب في كل ليلة

ثم في قوله عز وجل يا ايها المدثر تثبيت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآية رسالته وذلك ان تعريفه بما عليه من الثياب ونسبته اليه لا يخرج مخرج التعظيم والتبجيل وانما التبجيل فيما يدعى باسمه وبكنيته فلو كانت الامر على ما زعمت الكفرة ان هذا القرآن ليس من عند الله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي اخترعه من ذات نفسه لكان لا يعرف نفسه بثيابه بل يعرفها بما فيه تبجيلها وتعظيمها فاذ لم يفعل ثبت انه كان رسولا حقا بلغ الرسالة على ما اوحي اليه وادى كما امر على ما ذكرنا في الآيات التي خرجت مخرج المعاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيها تثبيت رسالته نحو قوله عبس وتولى وغير ذلك من الآيات وجايز ان يكون نسبته الى ثيابه ليعلم الخلق ان لا باس للمرء ان يعرف اخاه بثيابه وجايز ان يكون نسبته الى الثوب الذي يدثر به يخرج مخرج التعظيم لذلك الثوب لموافقته حال نزول الوحي وهذا كما ذكرنا ان اضافة الاشياء الى الله تعالى في الجزئيات يخرج مخرج تعظيم ذلك الاشياء كقوله ناقة الله ومسجد الله ورب العرش على تعظيم العرش وتعظيم امر الناقة وتشريف المسجد واضافة الاشياء اليه في الكليات يخرج مخرج تعظيم الله تعالى كقوله رب العالمين رب السموات والارض وما بينهما ثم اذن للمرء ان يسبح في ركوعه فيقول سبحان ربي العظيم فيخص نفسه بقوله ربي والحق في مثله ان يقول سبحان ربنا لئلا يخرج ذلك مخرج تعظيم النفس كقوله رب العالمين ورب السموات والارض وما بينهما اذ الاضافة من الجانبين على السواء فيما ذكرنا لكن اذا وافق الحالة التي فيها تعظيم الرب ووصفه بالعلو وهي الركوع والسجود اذن له بان يأتي بهذا الذكر وان خرج ذلك مخرج تعظيم النفس فكذلك ذلك الثوب الذي تدثر به النبي صلى الله عليه وسلم اذا وافق حال نزول الوحي عظم شانه من ذلك الوجه فنسب الى ذلك الثوب ثم المرء انما يتدثر عندما يريد ان ينام او عند طلب الراحة وليست تلك الحالة حالة يستحب المرء مصاحبة الكبراء العظماء في مثل تلك الحالة فضلا من ان يصحب الملك في مثل تلك الحال فيكون في هذا دلالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلع على الاوقات

آية رسالة

اضافة في الكليات

التي كان ياتي فيها الوحي واذ لم يعلم كان الامر عليه اصعب واشد منه اذا بين له لانه اذا لم يبين له لزمه ان يصون نفسه في الحالات كلها عن اشياء يستحي مع مثلها المخلوق بالملائكة ولهذا ما لم يبين لاحد منتهى عمره ليكون ابدا مستعدا للموت فرقا ان يحل به ساعة بعد ساعة ويكون ابدا على خوف ووجل من ذلك والله اعلم وقوله عز وجل قم فانذر خص النذارة دون البشارة وقد كان هو نذيرا وبشيرا ففي ذكر النذارة ذكر البشارة وان امسك عنها لان النذارة ليست ترجع الى نفس الخلايق وانما النذارة هي تبيين عواقب ما ينتهي اليه حال من التزم الفعل المذموم فاذا استوجب النذارة بالتزامه ذلك الفعل فقد استوجب البشارة عند تركه فثبت ان في النذارة بشارة وفي البشارة نذارة ايضا فاقتصر بذكر احدهما عن ذكر الاخرى وليس في قوله قم الزام قيام ولكن معناه قم في انذار الخلق وبشارتهم على ما ينتهي اليه سعيك وقوله عز وجل وربك فكبر اي عظم وتعظيمه ان يجيبه فيما دعاه اليه ويطيعه فيما امره وان يحقق ما التزمه عمله فذلك تعظيمه لا ان يقول بلسانه يا عظيم فقط وجايز ان يكون تاويله اي عظمه عن المعاني التي قالت فيه الملحدة من ان لله تعالى ولدا وان له شريكا ونزهه عنها او عظم حقه واشكر نعمه وهذا كما يقول ان محبة الله تعالى طاعته وايتمار اوامره لا ان يكون هو شيء يعتري في القلب فيصعق منه المرء ويغشى عليه فكذلك تعظيم الله تعالى يكون بالمعاني التي ذكرنا الا ان يكون بالقول خاصة

اي تعظيم الله تعالى في التزام ما امره في دون القول فقط يا عظيم

محبة الله تعالى طاعته وايتمار اوامره دون الصعق والغشي في القلب

وقوله عز وجل وثيابك فطهر جايز ان يكون اريد بالثياب نفسه ويجعل الثياب كناية عنها كما ذكر ان العرب كانت تقول اذا كان الرجل ينكث العهد وليس بذي وفاء انه لدنس الثياب واذا كان له وفاء قالوا انه لطاهر الثياب فان كان الخطاب متوجها الى النفس فتاويله والله اعلم ان طهر خلقك وانقها لك وا قرانك عما يذم عليه وجايز ان يكون اريد بها الثياب فيكون قوله وثيابك فطهر متوجها الى التطهير من النجاسات والى التطهير من الادناس فاما التطهير من الانجاس فقد امتحنا جميعا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم واما التطهير من الادناس فجايز ان يؤمر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه كان ماموراً بتبليغ الرسالة الى الخلق فندب الى تطهير ثيابه من الدنس لان لا يستقذر بل ينظر اليه بعين التبجيل والعظمة وليس هذا على تطهير الثياب خاصة بل امر ان يطهر جميع ما يقع له به التمتع من الماكل والمشرب والملبس وغيرها والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لا يلبس الثوب على فجر ولا غدر قيل وكان الرجل اذا كان غادرا في الجاهلية يقال انه دنس الثياب وقال الحسن خلقك فحسنه وقال بعضهم اي قصر ثيابك ولا تطولها فيقع اطرافها على الارض فيصيبه النجاسة والله اعلم

يجعل الثياب كناية عن النفس

وقوله عز وجل والرجز فاهجر فالرجز اسم للماثم واسم لما يعذب عليه فيكون منصرفا الى ما يتاذى به النفس ويتالم به النفس كما سبق انها اسم لما يتاذى به ولما يتالم عليه النفس قال الله تعالى لهم عذاب من رجز اليم فالماثم اسم لما يتاذى به النفس فهو اسم للامرين والعذاب مما لم يتالم به جميعا وصرفا اهل التاويل الرجز الى الماثم هاهنا وذكر قتادة انه كان بمكة صنمان اساف ونايلة فكان من اتى عليهما من المشركين مسح وجوههما فامر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجتنبهما بقوله والرجز فاهجر وقيل ايضا بان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو مسحت وجوههما لكان ان نؤمن لك ونتبعك فانزل الله تعالى والرجز فاهجر اي فاهجر عبادة الاوثان وقيل الرجز العذاب فجملته يرجع الى ما ذكرنا انه اسم للعذاب ولما يعذب عليه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تمنن تستكثر قال مجاهد والحسن تاويله ان لا تستكثر عملك فتمن به على ربك على التقديم والتاخير فان كان التاويل هذا فالمراد من الخطاب غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان هو المذكور في الخطاب ان لا يتوهم ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يمن على ربه وان لا يستكثر عمله لله تعالى لان هذا النوع من الصنيع لا يفعله واحد من العوام الذي خص بادنى خير فكيف يتوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولان الامتنان على الله تعالى من فعل المنافقين قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي
اسلامكم ويجوز ان يكون الخطاب له وان كان هو معصومًا من ذلك لقوله ولا تدع مع الله الهًا آخر ونحو
وهذا كما ذكرنا ان العصمة لا يمنع وقوع النهي اذ العصمة ينتفع بها مع اثبات النهي فاذا لم يكن فلا فايدة ونحا بعضهم
ولا تمنن تستكثر اي لا تعطيه عطية يلتمس بها افضل منها في الدنيا من الثواب نهي عن اكتساب الاسباب
التي يتوصل بها الى استكثار المال في الدنيا من التجارة وغيرها الا القدر الذي لا بد له ويقع اليه الحاجة
الا ترى الى قوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجًا منهم فاذا نهى عن مد عينيه الى ما متعوا
ففي اكتساب اسباب المال احق ثبت ان الله تعالى نهاه عن اكتساب ذلك وجعله وذلك وجعل
رزقه عليه السلام من الوجه الذي لا يبلغه حيل البشر وهو الفيء والغنيمة ثم نهى عن امساكه وادخاره
لنفسه بل امر ان يصرفه في امته بقوله عليه السلام ما لي من هذا المال الا الخمس والخمس مردود فيكم
وقال الله عز وجل ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
الآية وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر لغد وقال الله تعالى لا يغرنك تقلب
الذين كفروا في البلاد متاع قليل فثبت انه كان منهيًا عن اكتساب الاسباب التي يتوصل بها الى اكتساب
الاموال والى الجمع فنهى عن العطايا التي تلتمس بها افضل منها في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل
ولربك فاصبر وجايز ان يكون في هذا دعاء الى الاخلاص الصبر لله تعالى والى الصدق فيه وفي قوله عز وجل
فاصبر لحكم ربك دعا الى نفس الصبر وجايز ان يكون هذا ايضا على الامر بالصبر فيكون على التقديم والتاخير
كانه يقول فاصبر لربك اي اصبر على ما يؤذي ولا تجازهم بصنيعهم فان الله تعالى يكفيهم فيكون في هذا
ابانة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتحن بامور التي يكرهها نفسه ويشتد عليها ثم دعاه الله تعالى
الى الصبر على تحمل المكاره والله اعلم وقوله عز وجل فاذا نقر في الناقور نقر اي نفخ والناقور الصور
وهي كلمة كتبا الاولين ذكرها هنا فاذا نقر في الناقور وقال في موضع آخر فاذا نفخ في الصور نفخة
واحدة وقال في موضع ان كانت الا صيحة واحدة فجايز ان يحمل هذا كله على التحقيق فتحقيق الصيحة هو
الرجفة والنقر ثم يعقبها الساعة وجايز ان يكون هذا على التمثيل فيكون فيه اخبار عن سهولة ذلك
الامر وهونه على الله تعالى لان الصيحة والنفخة والنقر امر سهل لا يشتد على احد او يكون على تقصير
على الذين ينفخ فيهم الروح اي الارواح يرد عليهم في قدر النفخة والرجفة ولا لا الامر في النشاة الاولى انما نفخ
فيه الروح بعد كونه نطفة في بطن امه اربعين يومًا ثم علقة ثم مضغة لذلك القدر من المدة
ثم نفخ فيه الروح بعد مدة واوقات وفي النشاة الاخرى ينفخ الروح بالقصر من المدة وذلك قدر النفخة
والرجفة والصيحة والله اعلم وانما قلنا بان التاويل قد يتوجه الى التمثيل دون التحقيق وان ذكر
في بعض الاحاديث تثبيتًا الصور والناقور لانها من اخبار الاحاد وخبر الواحد يوجب علم العمل ولا يوجب
علم الشهادة وفي تحقيق الصور والناقور ليس الا الشهادة لذلك لم يحمل الامر على التحقيق والقطع لئلا يقطع
الحكم على الشهادة ثم قد ذكرنا ان قوله اذا جواب سؤال واقع عن تبيين وقت كانه قيل له فاصبر الى ان ينقر
في الناقور او يكون جوابًا لقوله قم فانذر اي انذرهم عما يحل باهل الشر من العذاب ينفخ الناقور او يكون
جوابًا سار معهم صعودًا اذا نقر في الناقور او كان بالسؤال واقعًا عن عذاب لم يشر الى ذلك الامر والله اعلم
وقوله عز وجل فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذلك اليوم يوم رحمة للمؤمنين
ان في ذلك اليوم يكرمون وينالون عظيم الدرجات من ربهم ولكن الله عز وجل ذكر ذلك اليوم في غير
من كتابه والاحوال التي يكون فيها وان كانت تلك الاحوال ينزل على غير المؤمنين فزعة سماه واقعة
ومرة قارعة ومرة حاقة وانما يقع العذاب على الكفرة ويحق عليهم فلذلك سماه عسيرًا وان كان عسيرًا

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر لغد

امتحن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكرهه نفسه

يوم القيمة عسير على الكافرين يسير على المؤمنين

على فريق يسيرًا على غيرهم وجايز ان يكون عسيرًا على الخلايق لجمع بعض هول ذلك اليوم يشمل الفرق
كلها كما قال وترى الناس سكارى ثم ان المؤمنين يفرج عنهم الاهوال بما ياتيهم من البشارات والكرامات
عن الله تعالى ويبقى عسره على اصحاب النار وقوله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدًا ذكر ان هذه الآية
نزلت في شان الوليد بن المغيرة والاصل ان الانباء التي ذكرت عن الانبياء المتقدمة في المخاطبات التي
جرت بينهم وبين الفراعنة فيها ابانة انها جرت بينهم وبين الاحاد منهم وذلك ان فرعون كل نبي
كان واحدًا من سواه يصدر عن رايه وينتهي الى تدبيره فكان يستغني عن مخاطبة من سواه وقد كثرت
فراعنة نبينا صلى الله عليه وسلم فكان كل واحد منهم يدعي الرياسة لنفسه ويمتنع عن متابعة غيره
والصدور عن رايه والانقياد له منهم ابوجهل ومنهم الوليد بن المغيرة ومنهم ابولهب وغيرهم
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج ان يخاطب كلا في نفسه ومن احتاج مخاطبة اقوام واجابة
كل واحد بما له كان الامر عليه اصعب من الذي احتاج الى مخاطبة واحد وهذا ان المحنة على رسولنا عليه السلام
كانت اكثر مما امتحن بها من تقدم من الرسل عليهم السلام ثم قوله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدًا
ليس فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمنعه عن شيء حتى يقول له ذرني ولكن هذا الكلام مما يتكلم به
على الابتداء على جهة اظهار القوة يقول الرجل لآخر خل بيني وبين فلان ودعني واياه من غير ان يكون
سبق منه المنع فيريد به اظهار القوة من نفسه انه كافيه وقادر على دفع شره عن نفسه فيكون في قوله
ذرني ومن خلقت وحيدًا دعاء من الله تعالى اياه الى ان لا يتعرض له ولا يجازيه بصنيعه فان الله تعالى
يكفيكه ويدفع عنك شره انه يكون فيه نهي عن ان يدعو عليه بالهلاك والثبور ويفضيه الى ان ياتيه امر الله
فيكون في هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان المتنازعين اذا تنازعا في شيء وحدث
بينهما شر فانتصب ثالث في نصر احدهما خف الامر على المنصور ويفرح لذلك ويتسلى به فاذا كان الله تعالى
هو الذي يقوم بنصر المصطفى عليه الصلوة والسلام ويكفيه عن عدوه كان ذلك اكثر في التسلي
والتفريج فيكون في هذا تمكين من الصبر الذي دعي اليه بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وبقوله
فاصبر لحكم ربك الآية ثم في قوله عز وجل خلقت وحيدًا يحتمل وجهين احدهما اي خلقته وحدي
ولم يكن لي في الخلق ناصر ومعين ولا مشير وجايز ان يكون معناه اي خلقته وحيدًا لا مال له ولا ولد فيكون
في هذا وعيد وتخويف لذلك اللعين اي كيف لا يخاف ان يعاد الى الحالة التي كانت عليها يوم خلق
بلا مال ولا ناصر كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقوله عز وجل وجعلت له مالًا ممدودًا
قيل مالًا ممدودًا اي مالا لا ينقطع بل يكون له مدد وذكر عن مجاهد انه قال ذلك الف دينار وقال السدي
مالا ممدود لثلاثة عشر الفا وقيل اراد به ما جعل له من الضياع بالطايف ثم في السنة مرتين ولكن عندنا
المال الممد وهو المتتابع لا ينقطع مدده والذي لا ينقطع مدده لا يقع تحت الاحصا وقوله عز وجل وبنين
شهودًا اي حضورًا لا يغيبون ويكون فيه وجهان من الحكمة ان ماله قد كثر حتى لم يحتج الى تفريق اولاده
في الجمع والاكتساب بل كان ياتيه سمحًا لا يحتاج الى تكلف اسباب الجمع والثاني ان غاية ما يراد ويتمنى ويقتنى
من البنين هو ان يستانس بالنظر اليهم ويستعين بهم ويستنصر اذا احتاجوا الى ذلك ففيه انه قد نال
مناه ووصل الى ما يرغب اليه النفوس من كثرة الاموال والاولاد وقوله عز وجل ومهدت له تمهيدًا اي بسطت له
من الدنيا بسطًا وقيل التمهيد هو التمكين وقوله عز وجل ثم يطمع ان ازيد كلا فجايز ان يكون طمعه منصرفًا
الى الزيادة في الآخرة كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
فحسبوا انهم اذا ساووا اهل الايمان في الدنيا ان يساووهم في الآخرة لو كان الآخرة حقًا فكذلك
هذا اللعين حسب انه يبسط عليه نعيم الآخرة كما بسط عليه نعيم الدنيا فكان قوله كلا ردًا عليه فان كان

مخاطبات انبيائنا عليهم السلام مع الفراعنة

شدة ابتلاء نبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة الفراعنة

وكان م

على هذا ففيه اعظم الدلالة على اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر ان ليس له نصيب
في الآخرة وانما يحرم النصيب اذا ختم على الكفر واختم على الكفر كما قال فكان وهذا احيانا منه لاعلام الغيب
فصدق خبره وخروج الامر حقا كما قال فثبت انه بالله تعالى علمه وجايز ان يكون طمعه الزيادة في الدنيا فقطع
عليه طمعه بقوله وذكر ان ماله بعد نزول هذه الآية اخذ في الانتقاص الى ان اهلكه الله تعالى ولم يزد شيئا
فيكون في هذا ما في الاول من اثبات الرسالة **وقوله** عز وجل انه كان لآياتنا عنيدا في هذا تصبير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اكثر نعمه عليه ثم ذلك الملعون مع كثرة نعم الله عليه
واحسانه اليه عاند ولم يطعه في اوامره فكيف ترجو انت منه في معاملته اياك مع معاملته
اياه بما يخالف مراده وهواه فيكون فيه ما يدعوه الى الصبر والعناد هو مخالفة الحق عن علم
بظهور الحق فيكون قوله انه كان لآياتنا عنيدا اسا انه بعد علم واحاطة ويقين عاند آيات الله تعالى
وخالف امر رسول الله واستكبر والمكابر هو الذي يكابر عقله فيخالف ما يثبته عقله بالاقوال
او بالافعال ثم في قوله عز وجل ثم يطمع ان ازيد كلا ابطال قول من قال ان الله تعالى لا يفعل بعباده
الا ما هو اصلح لهم لان قوله ان ازيد لا يخلو اما ان يكون الزيادة التي كان يطمعها خيرا له وفي شرط الله تعالى
عندهم ان يزيده وفي قوله كلا فقطع طمعه الزيادة فيصير حرمان الزيادة عنده جايزا فكيف جعل
آية رسالته الموجبة الذي هو حجة عندكم وان كان حرمان الزيادة خيرا له واصلح فكيف جعل الحرمان
ايضا علما لنبوته وكان عليه ان يحمد على زعمكم وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم يطمع
ان يزيد **وقوله** عز وجل سارهقه صعودا فجايز ان يكون على تحقيق الصعود وهو العقبة التي يشتد
الصعود عليها كما ذكره بعض اهل التاويل فيكلف الصعود عليها وجايز ان يكون على التمثيل وذلك
ان الصعود في الشاهد مما يشق على المرء الصعود والهبوط مما يسهل على المرء للوهدة رعنده فان كان
على هذا ففيه ان يصيبه في الآخرة مما يشتد ويشق على نفسه تحمل ذلك ثم يقال للمعتزلة في هذه الآية
وفي قوله ساصليه سقر ان في هذا وعيدا من الله تعالى بان يصليه سقر وسيرهقه صعودا
فاراد الله تعالى ان يصدق خبره وينجز وعده او اراد ان يكذب خبره ويخالف وعده فان قلتم بالثاني
فقد نسبتموه الى الكذب والى خلف الوعد ومن هذا وصفه فهو سفيه جاهل لا يصلح ان يكون الها
وان قلتم بلى اراد ان يصدق خبره وينجز وعده قلنا لكم اراد ان ينجز وعده مع دوامهم على الكفر
او عند انقلاعهم عنه فان زعمتم انه انما اراد ان يصليهم سقر على الخروج من الكفر فهذا
منه جور لانه يصليه سقر بشيء لا ارادة له فيه وان سلمتم انه اراد ان يصليهم سقر اذا داموا على الكفر
واستقروا عليه فقد لزمكم ان تقولوا ان الله تعالى اراد من كل احد ما علم انه يختاره ويكون منه
ويقال لهم ان الله تعالى يقول ولم يكن له ولي من الذل ولو كان الامر على ما زعمتم انه يريد من كل كافر
ان يسلم ويؤمن به ويريد الكافر ان يكفر به ويعاديه فاذا قد اراد ان يكون له ولي من الذل لانه
يريد ان يواليه مع اختيار الكافر معاداته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا **وقوله** عز وجل
انه فكر وقدر قال الفقيه رحمه الله ان فرعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقدوا معاندة
الحق واعتقدوا صد الناس عن سبيل الله وان يطفئوا نوره فارادوا ان يجمعوا على امر ان ينسبوه الى النبي
صلى الله عليه وسلم على وجه ينفون عن انفسهم سمة الجهل وتهمة الكذب في ذلك على ما ذكروا
ان الوليد جمع اصحابه فقال ان هذا ايام الموسم وان الناس سايلوكم عن هذا الرجل فما ذا تقولون
فقال بعضهم نقول هو شاعر قال انهم قد سمعوا الشعر وما قوله بقول شعر وقال بعضهم نقول
هو كاهن فقال ان الكهانة معروفة عند العرب واذا سمعوا قوله عرفوا انه ليس بكاهن فيكذبونكم

العناد وهو مخالفة الحق عن علم

في ذلك الاصلح

وقال بعضهم

934

وقال بعضهم نقول هو كذاب فقال انا قد اختبرناه فما اخذنا عليه كذبا قط فقال بعضهم نقول
هو مجنون فقال اذا نظروا اليه علموا انه ليس بمجنون فاعيا عليهم ففكر في نفسه وقدر فقال ان هذا
الا سحر يؤثر ما هذا الذي اتى به الا سحر يأثره عن غيره اي يرويه فاتفقت كلمتهم على تسميته ساحرا
وقالوا الساحر يفرق بين اثنين وقد وجد منه التفريق بين الآباء والاولاد وبين ذوي الارحام
رجاء ان يصلوا الى مرادهم من صد الناس عن سبيل الله تعالى واطفاء نوره مكرا منهم وهو كقوله تعالى
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم ووجه رجوع المكر
الى انفسهم ذكروا فيه اوجها احدها رجوع المكر الى انفسهم ان الله تعالى اظهر سوء صنيعهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعله آية تتلى الى يوم القيامة فيكون فيه ظهور كذبهم ولحاق العار بهم
الى يوم التناد وتوارث اللعن والثاني ان الكبراء اذا اجتمعوا في مكان للتدبير اتصل بهم اوساطهم
واختلط بهم صغارهم فيقع لجملتهم العلم الذي عليه التدبير واتفقت عليه الكلمة واذا وقفوا
على تدبيرهم جملة انتشر علم ذلك في الآفاق فيقف الناس على كذبهم وافتعالهم فيتحقق عند ذلك
جهلهم بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصير كذبهم شايعا في الخلق ظاهرا من الوجه الذي
ارادوا نفي سمة الجهل عن انفسهم ويتحقق عند الناس كذبهم فلا يركنوا الى قولهم ولا يلتفتون الى اخبارهم
عن حاله اذ قد تبين جهلهم بحاله فيكون ذلك سببا لترغيب الناس الى الاسلام ودعايهم اليه
لا ان يكون سببا للصد عن سبيل الله فصار المكر راجعا اليهم ثم قوله انه فكر اي فكر في الامر الذي
ارادوا احكامه او فكر في الكلمات التي القوها فيما بينهم ايها اليق برسول الله صلى الله عليه وسلم فينسب
اليه **وقوله** عز وجل وقدر يخرج على هذا ايضا وقوله فقتل كيف قدر قيل لعن واللعن هو
الابعاد عن رحمة الله تعالى وقد ظهر الابعاد لان مادة ماله قد انقطعت في الدنيا ولحق ما كان
اجتمع عنده في الانتقاص الى ان اهلكه الله تعالى ثم ساقه الى النار خالدا فيها **وقوله** عز وجل
كيف قدر اي كيف لم يستحي عن تقديره الذي قدر في تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحرا
وقد علم انه في انشاء ذلك الاسم كاذب وكيف اجترى على الله تعالى وتجاسر وهو يعلم انه رسول
حق فعاندنا بانه واجترى على ذلك لم يخف نقمة الله عز وجل **وقوله** عز وجل ثم قتل كيف قدر
فلعنه مرتين وقد ظهر اثر اللعن منه في الدنيا والآخرة جميعا لان الله تعالى فضحه بما اظهر كذبه
للخلايق فبقي ذلك له عارا الى آخر الابد وابعد من رحمته حيث اخذ ماله في الانتقاص وانقطعت
مادة ماله فهذا اثر اللعنة في الدنيا وعد ان يصليه سقر وان سيرهقه صعودا وذلك خزيه
ولعنه في الآخرة فظهرت احدى اللعنتين في الدنيا ويلحقه الثانية في الآخرة **وقوله** عز وجل
ثم نظر فجايز ان يكون نظر في كلمات القوم التي القوها فيما بينهم **وقوله** عز وجل ثم عبس وبسر
فجايز ان يكون حمله على العبوس والبسور هو ما القوا اليه المختلف من الكلمات فعبس وجهه عليهم
لما في اختلافهم ظهور كذبهم او يكون الذي دخل عليه من شدة الغيظ في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهمه واحزنه حتى اثر ذلك في وجهه فعبس لذلك وجهه **وقوله** عز وجل ثم ادبر واستكبر يحتمل
ان يكون ادبر عن اولئك القوم الذين اجتمعوا للتدبير واستكبر عليهم او ادبر عن طاعة الله
واستكبر على رسوله حيث اعرض عنه ولم يجبه الى ما دعاه اليه **وقوله** عز وجل فقال ان هذا
الا سحر يؤثر اي هذا الذي اتى به محمد مما يؤثر من قبل السحر او هذا الذي يخبرنا انه اتى به
من عند الله هو سحر يؤثر عمن تقدمه ولكن قال هذا على علم منه انه ليس بسحر قال الفقيه
رحمه الله ولو كان الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم سحرا كما قرفوه به فهو لا يخرج من ان يكون حجة له

في صدق مقالته واثبات رسالته لانه لا وجه لمعرفة السحر من طريق الراي والتدبير وانما سبيل الوصول
اليه الاتقان والتلقف عن الغير وقد علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتقنه احداً ولا وجد
منه الاختلاف الى من عنده علم ذلك فوقع لهم الايقان انه بالله تعالى علم لا باحد من الخلايق فيصير الذي
قرفوه به من اعظم الحجة ولكن الله تعالى طهره عن السحر ونزهه عن ذلك وامر بمعاداة السحرة حتى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوا كل ساحر وساحرة وقال توبة الساحر ضربة بالسيف ثم الاصل
ان الساحر يفرق بين الاثنين ويعمل بسحره في التفريق على وجه لا يوقف على سبب لتفريق وكان سبب تفريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً لانه كان يأتيهم بالحجج فيعلم من امعن النظر فيها صدقه فيما يدعي
من الرسالة فيؤمن به ومن ترك النظر فيها ولم يعط من نفسه النصفة تسول له الايمان به فبطل ان يكون
تفريقه كتفريق السحر ولان كلا منهم لو تفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وامعن النظر فيه حمله
ذلك على الايمان به والتصديق لرسالته فيصير الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم سبباً لاجتماع والالفة
لا ان يكون سبباً لتفريق بين الاحبة ثم الاصل ان الساحر بعينه وقصده من سحره نيل الجاه عند العظماء
والرؤساء واستفادة السعة في الدنيا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يطلب بما اتى به الجاه
عند الرؤساء بل عاداهم واظهر الخلاف فدعا الخلق الى الزهادة في الدنيا الى الاستكثار منها فكيف
يجوز ان ينسب الى السحر وقد اتى بما يضاد فعل السحرة **وقوله** عز وجل ان هذا الا قول البشر قد علم انه
ليس بقول البشر عن اتيان مثله وقال الله كان لا يأتي تناً عنيداً فثبت انه منه بانها آيات عناد **وقوله**
عز وجل ساصليه سقر فالسقر لون من العذاب وقيل السقر هي الدركة الخامسة وقيل السقر
من ابواب جهنم ومعناه ساد خله جهنم من باب السقر والله اعلم **وقوله** عز وجل لا تبقي ولا تذر يحتمل
اي لا تبقي حياة يتلذذ بها ولا يذره يهلك فيستريح بل يبقى ابداً في الهلاك كما قال تعالى فان له جهنم
لا يموت فيها ولا يحيى ويحتمل لا تبقي له جلداً ولا لحماً ولا عظماً بل ينضج جلده ويأكل لحمه ويكسر عظمه
ولا يذره على تلك الحال كسير العظم ماكول اللحم نضيج الجلد بل يعاد جلده ولحمه وعظمه فيحرقها
كذلك ابداً ولا تبقي له روحاً ولا يذره فيهرب منها فيتخلص من عذابها **وقوله** عز وجل لواحة للبشر
قيل فيه بوجوه قيل لواحة للبشر اي محرقة للجلد فالبشر الجلده فخبر انه حض الجلد بالتلويح لان
الجلد من الانسان هو الظاهر فيكون ظاهر الاحراق مؤثر فيه فخصه بالذكر لهذا كما سمي الانسان
انساناً لظهوره لكل من هو من اهل الرؤية وسمي الجن جناً لاستتاره عن ابصار بجنسه وهو كقوله عز وجل
كلما نضجت جلودهم وقيل لواحة اي ظاهرة للبشر كقوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين **وقوله**
وبرزت الجحيم لمن يرى اي يظهر لهم ويلوح فينظرون اليها ويتيقنون بالعذاب ويحتمل ان يكون
قوله لواحة لان النار يأكل جلودهم ولحومهم فيظهر عظامهم ويلوح عن ذلك ثم يبدل جلوداً ولحوماً
ابداً على هذا مدا امرهم **وقوله** عز وجل عليها تسعة عشر روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انهم خزنة جهنم مع كل واحد من الاعوان ما لا يحصى وذكر ان ستة منهم يعودون الكفرة الى النار
وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والنيران والآخر هو الخازن الاكبر وهو مالك
يامرهم بما امر هو به ويحتمل ان يكون في السقر تسعة عشر دركاً وقد سلط على كل درك ملك
وذلك ان جهنم ذات حد في نفسها لان الله تعالى وعدان يملأ من الجنة والناس ولو لم يرجع الى حد
لكان لا يتحقق امتلاؤها بالقدر الذي ذكروا ويحتمل ان يعذب فيها بتسعة عشر لوناً من العذاب
قد وكل كل واحد منهم ان يعذب بنوع من ذلك والاصل ان الله تعالى حكيم يعلم ان في كل فعل
من افعاله حكمة عجيبة ولكن لا كل حكمة يوصل اليها بالعقل وينتهي الى معرفتها بالتدبير الا ترى ان الله تعالى

جعل لنا

جعل في الماء معنى يحيى به كل شيء ولو اراد احد ان يتكلف استخراج المعنى الذي به صلح ان يكون طبعه
من افناء الاحياء كل شيء لا يمكنه ذلك وجعل في الطعام ما يغتذي ويمني ولو اراد احد ان يتعرف
المعنى الذي يقع به الاغتذاء والانماء لم يتدار لك وكذلك جعل في العدد الذين سماهم حكمة ولكنا لا نصل
الى معرفتها بعقولنا وتدبيرنا وزعمت الباطنية ان في ذكر الاعداد التي عليها تركيب العالم تعريف الاعداد
المجعولة في الروحانيات فيقال لهم من جعل الاعداد التي عليها تركيب العالم اولى بان يتعرف بها الاعداد
المجعولة في الروحانيات من ان يجعل الاعداد المجعولة التي في الروحانيات علماً لاستدراك المجعولة
في الجسمانيات ثم يسألون عن الاعداد المجعولة في الروحانيات لاي معنا جعلت وانه حكمة فيها فليست
جوابهم بعد هذا الا العجز والاعتراف بالجهل فليقروا بالجهل من الابتداء من غير ان يتكلفوا استخراج
ما يوجب عن حقيقة كان فيه ظهور عجزهم والله اعلم والاصل عندنا ما ذكرنا ان اهل التوحيد اعتقدوا
ان الله تعالى حكيم وانه لا يجوز ان يخرج فعله عن حد الحكمة لان الذي يحمل الانسان على الخروج عن حد
الحكمة في الشاهد احد معاني ثلاثة اما الجهل واما العجز واما الحاجة والله تعالى عالم لا يجهل وقوي
لا يلحقه عجز عن وفاء ما وعد وغني لا يمسه حاجة فانتفت عنه الاسباب التي لديها يقع الخروج
عن حد الحكمة فثبت انه لا يجوز ان يخرج فعله عن حد الحكمة وكذلك اهل الكفر واهل الاهواء
اقروا انه حكيم وانه لا يجوز خروج فعله عن حد الحكمة لكنهم اذا لم يعرفوا الحكمة بعقولهم ولم يتداركوها
بتدبيرهم ظنوا انه لا حكمة فيه وانكروا ان يضاف ذلك الى الله تعالى فاهل الدهر انكروا البعث
وانكروا الصانع لما راوا اشياء في الشاهد هي في الظاهر خارجة مخرج العبث وفعل الحكمة
لا يخرج مخرج العبث فنفوا بهذا ان يكون للاشياء صانع ومن بنا بناء ثم نقضه ثم اعاده الى الحالة
التي كان عليه قبل النقض لم يكن حكيماً بل كان جاهلاً سفيهاً فقال سوى امر البعث على ذلك وظنوا انه
خارج مخرج العبث اذ ليس فيه الا الاعادة الى الحالة التي كان عليها قبل الموت وما ذكرنا من الاعتبار
هو الذي حمل الثنوية على القول بالهين اثنين لانهم راوا في الشاهد خيراً وشراً وصلاحاً وفساداً
وظلمة ونوراً ولا يجوز ان يكون جوهر الظلمة والنور واحداً ولا يجوز ايضاً ان يكون فعل الحكيم
يخرج على الاختلاف والتناقض فقد بنوا بهذا ان خالق الشر والخير مختلف فبهذا انكرت المعتزلة
خلق افعال العباد لان الفعل يكون مرة خيراً ومرة شراً ومرة صلاحاً ومرة فساداً ولا يجوز ان يكون الشر
مضافاً الى الله تعالى ولا ان يكون الفساد منسوباً اليه فانكروا ان يكون لله تعالى في افعال العباد
صنعاً واهل التوحيد سلموا الامر الى الله تعالى وفوضوا العلم اليه في كل ما جاء عنه جل وعز وانه يتدارك
ما فيه من الحكمة بعقولهم لوجودهم اشياء هي خارجة ان يتداركوها بعقولهم ويقفوا عليها
بعلومهم كما ذكرنا من امر الماء انه قد جعل فيه معنى ذلك المعنى يحيى الاشياء ولو ارادوا ان يعرفوا ذلك
المعنى بالعقول والاراء لم يمكنهم ذلك ولذلك هذا في الطعام وفي الاشياء المشروبة موجود ثم لم يجب
بهذا انكار المياه وساير الاطعمة والاشربة ولذلك لا يجب انكار العدد الذين سماهم الله تعالى من الملايكة
ولا انكار البعث ولا انكار كل شيء لا يقفوا على حكمته بعقولهم والله اعلم **وقوله** عز وجل وما جعلنا اصحاب
النار الا ملايكة فلقايل ان يقول في هذا اذا لم يجعل اصحاب النار الا ملايكة لم يوجد فيها انسي
ولا جني فكيف قال لاملأن جهنم من الجنة والناس وهو لم يجعل اصحاب النار الا الملايكة اي ما جعلنا
على اصحاب النار الا ملايكة يعذبون اهلها بها الا ان يكون الملايكة تمسهم النار ويتاذون بها وفي هذا
دلالة على ان من قرأ مكان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة اصحاب النار في صلوته لا يفسد صلوته
لانه ليس في نسبته اصحاب الجنة اصحاب النار ايجاب عذاب عليهم كما لم يكن في قوله وما جعلنا اصحاب

اصل عظيم ويبان عدم خروج فعله تعالى عن الحكمة ووجهه

وجه انكار خلق الافعال للمعتزلة

مذهب اهل التوحيد نصرهم الله

الا الملائكة ايجاب عذاب على الملائكة واستحقاقهم والله اعلم وانما خصهم لذلك والله اعلم لانهم
خلقوا يسبحون ويغضبون لله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لم يميلوا الى احد
ولم يرحموا بما رأوا عليه من العذاب في معصية الله وخلافه ليسوا على طباع الجن والانس ان قلوبهم
ربما يميل ويرحم من لا يستحق الرحمة وذكر اهل التأويل ان قوله وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة نزل على اولئك الكفرة الذين قالوا انا لنكفي هؤلاء العدة حين سمعوا عليها تسعة عشر
فنغلب عليهم ونخرج من النار فاخبر انهم ليسوا برجال امثالكم انما هم ملائكة ووصف الملائكة
وقد روي في الاخبار من هول خلقتهم وعظمهم وشدة بأسهم وبطشهم وان لهب النيران
يخرج من افواههم وان بنيتهم لا يحتمل الحرق والآلام ليس على ما عليه بنية البشر والله اعلم
وقوله عز وجل وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الفتنة قد يتكلم بها على وجهين فيذكر
الفتنة ويراد بها المحنة التي فيها الشدة ويذكر ويراد بها العذاب فان كان يراد بها العذاب
فمعناه انه جعل العدد الذين ذكرهم الكفرة وهو كفرهم يومهم على النار يفتنون اي يعذبون
وان كان يراد بها العذاب فمعناه انه جعل العدد الذين ذكرهم الكفرة وهو كفرهم يومهم على النار يفتنون
اي يعذبون وان كان يراد بها المحنة فيخرج على وجوه احدها اي ما جعلنا ذكر عددهم الا لافتتان
الذين كفروا اي من علم الله تعالى منهم انه يكفر بآيات الله تعالى جعل ذلك سببا لفتنته اذ كان
في علم الله تعالى انه ممن يبتغي الفتنة فاما من علم انه ينظر في آيات الله مسترشدا فلم يرده ذلك الا ايمانا
وتصديقا اذ علموا ان الله تعالى ان يمتحنهم بانواع المحن فآمنوا به وسلموا ذلك لله تعالى فيكون في جعل
عدتهم تسعة عشر شدة على الكفرة اذ كان سبب كفرهم فلذلك سمى المحنة على هذا الوجه فتنة
وقوله عز وجل فتنة للذين كفروا بمعنى على الذين كفروا ثم جاز ان يكون ذلك على حدوث الكفر
وهو في قوم قد آمنوا به فلما سمعوا هذا زعموا ان لا حكمة في هذا العدد وليس هذا العدد باولى
ان يجعلوا اصحاب النار في العشرين او من الثمانية عشر فكفروا به وهو كقول موسى عليه السلام ان هي
الا فتنتك تضل بها من تشاء وذلك على حدوث ضلال لم يكن من السامري موجودا لا انه الا ضلال
منعقد ما بعيرها وجائز ان يكون فتنتهم هو انهم ازدادوا بذكر هذا العدد كفرا الى كفرهم لانهم
نظروا اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء ولم ينظروا اليه بعين التبجيل والتعظيم فازدادوا بذلك كفرا
والله اعلم وقوله عز وجل ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا والاستيقان
والزيادة واحد لان في الاستيقان زيادة ايمان وفي الزيادة استيقان فمعناه ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب الذين آمنوا ووجه استيقانهم انهم يجدون هذا العدد موافقا للعدد الذي
في كتابهم فيحملهم ذلك على الاستيقان انه من عند الله تعالى ويحتمل ان يراد به اهل الكتاب الذين يؤمنوا
اذا وجدوا ذلك موافقا لما في كتبهم فيستيقنوا انه انما يخبر عن الله عز وجل ويرتفع عنهم الارتياب
ليكون ادعى لهم الى الايمان به ان اراد منهم الايمان واقرب الى الزام الحجة عليهم ان لم يرد منهم الايمان
والله اعلم وقوله عز وجل ويزداد الذين آمنوا ايمانا وتصديقا على ما سبق منهم من التصديق بالجملة
وكذلك روي عن ابي حنيفة رحمه الله في قوله فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وفي كل موضع ذكر فيه الزيادة
في الايمان ان معنى الزيادة فيه انهم زادوا بالتفسير تصديقا على تصديقهم بالجملة لانهم اذا وحدوا
الله تعالى وآمنوا به وقد اقروا بان له الخلق والامر كله وفي الاقرار بان له الخلق ايمان بالرسل وتصديق
منه اياهم بجميع ما انزل عليهم من الكتب عن الله تعالى فصار بايمانه معتقدا للتصديق بكل رسول
على الاشارة اليه فاذا آمن بالرسول والكتاب المنزل اليه فقد اتى بزيادة تصديق على ما وجد منه

من التصديق بالجملة وجائز ان يكون الزيادة منصرفة الى الثبات والاستقامة لان الايمان
له حكم التجدد في كل وقت اذ المؤمن في كل وقت مأمور باجتناب الكفر واذا اجتنب الكفر فقد اتى
بضده وهو الايمان فثبت ان الايمان له حكم التجدد في كل وقت واذا كان كذلك فالاستقامة صرفا للزيادة
الى الثبات والقرار عليه فان شئت سميت الدوام على الايمان زيادة وان شئت سميته ايمانا وان شئت
سميته ثباتا وفي الكتاب ما يطلق جواز هذا كله قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله
فندبهم الى الايمان بعد ما آمنوا وما ذلك الا الثبات على ما هم عليه وقال يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وهو الايمان وقال في آية اخرى ليثبت الذين آمنوا فجعل دوامهم
على الايمان واستقامتهم عليه ايمانا فاسم الزيادة واسم الثبات واسم الايمان وان كانت الزيادة
منصرفة الى الاعمال فهو عندنا على الزيادة من جهة الفضيلة والكمال لا الى الزيادة في عينه لان الشيء
اذا استحق الزيادة بعينه فاستحقاقه يقع من جهة الفضيلة والكمال الا ترى الى قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا يعدل الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام
ومعلوم انه لم يرد به التفاضل من جهة العدد اذ هو يأتي باعيان الافعال التي يلزمه اتيانها
في غير ذلك فكانت الزيادة منصرفة الى الكمال والفضل لا الى الزيادة من جهة العدد وكذلك قال
صلوة في جماعة تفضل على صلوة المرء وحده بخمس وعشرين درجة ولم يرد به الزيادة من جهة العدد
انما اريد به الزيادة من جهة الفضل والكمال وكذلك الزيادة التي تقع للايمان من الاعمال الصالحة
انما هي من جهة الفضيلة والشرف اذ الاعمال ليست من جنس الايمان اذ الايمان هو التصديق وذلك
غير موجود في الافعال فثبت ان الزيادة من الوجه الذي ذكرنا دون غيره وقوله تعالى ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا في هذا
الفصل كلام بيننا وبين المعتزلة فهم يزعمون ان تلك العدة وهي عدة الملائكة جعلت محنة لاهل الاسلام
واهل الكتاب واهل الكفر والذين في قلوبهم مرض ليؤمنوا بها ويستسلموا لها لا ليكفروا بها ومن كفر فيقول
ماذا اراد الله بهذا مثلا ولكن لما وجد منهم ذلك القول نسب الجعل اليه لا ان جعله لذلك الوجه وهو كقوله تعالى
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا نسب اليهما الالتقاط وان كان الالتقاط لغير ذلك الوجه
وكذلك قال ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ومعلوم
ان الاملاء لم يكن لازدياد الاثم ولكن هم لما ازدادوا اثما نسب الاملاء اليه وان لم يكن الاملاء لذلك الوجه
وكذلك يقال في الكلام السائر لدوا للموت وابنوا للخراب ولا يبني البناء للخراب ولكن مصيره لما كان الى الخراب
نسب البناء اليه وان لم يكن البناء لذلك الوجه ويقال يسرق السارق ليقطع يده ومعلوم بانه
ليس يسرق للقطع ولكن بسرقته اذا لزمه القطع ولاجلها ما قطع نسب الفعل اليه وان كانت السرقة
لغير ذلك الوجه فكذلك العدة التي ذكرت في الآية جعلت فيه بجهة واحدة وهي التي ذكرناها لكنه
لما وجد من الكفرة ما ذكرنا نسب الخلق الى ذلك الوجه لا ان كان الجعل لذلك ولكنا نقول لو كان
الامر على ما زعموا ادى ذلك الى اسقاط الربوبية اذ في الحكمة من عمل عملا يريد غير الذي يكون اوجب
ذلك جهلا بالعواقب وجعل عابثا في فعله ومن هذا وصفه لم يصلح ان يكون الها بل يكون جاهلا
سفيها الا ترى ان من بنى شيئا يعلم انه لا يكون كان ذلك منه عبثا واذا كان غير الذي يريد كان جاهلا
فاذا ثبت هذا فنقول لو اراد الله من الكافر غير الذي كان منه لكان فعله خارجا مخرج الخطأ
والعبث فثبت ان الله عز وجل شاء لكل فريق ما علم ان يكون منهم فاذا علم من عبد انه يؤثر
الضلال على الهدى فقد شاء له الضلال واذا علم انه يؤثر فعل الخير شاء له ذلك ووفقه وهداه اليه

فضل جماعة

والجواب عن قوله عز وجل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً معناه ليكون لهم في علم الله
عدواً وحزناً لا ان كان الالتقاط منه لذلك الوجه بل لو علموا انه يصير لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه ولكنهم
جهلوا ما ينتهي اليه العاقبة فالتقطوه رجاء ان ينتفعوا به ولا يجوز ان يخفى على الله تعالى عواقب الاشياء
فيكون فعله في الابتداء لغير ذلك الوجه وقولهم لدوا للموت وابنوا للخراب فهذا يتكلم به في موضع
التذكير والدعاء لان لا يحرص المرء في بناء الابنية بل يزهد عنه ولا يجوز ان يخفى على الله تعالى امر فيخرج
الامر فيه مخرج التذكير فثبت انه على التحقيق والله اعلم ثم قوله عز وجل وليقول الذين في قلوبهم مرض
والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا والمثل يذكر بمعنى البيان كقول القايل امثل لك صورة كذا يريد به
ابين لك وقوله عز وجل كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء فهذا كله تفسير قوله تعالى وما جعلنا
عدتهم الا فتنة الآية اي يضل به من كان في علمه انه يختار الضلال واختيار الضلال هو ان ينظر
في آيات الله تعالى بعين الاستهزاء والاستخفاف ومن كان نظره في آيات الله ما ذكرنا اضله الله تعالى
وزاده غواية ومن نظر في آيات الله بعين الاستهداء والاسترشاد واستقبلها بالتبجيل والتعظيم لها
وفقه الله تعالى ومن عليه بالهداية وهو كقوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم
وقر وهو عليهم عمى وغير ذلك والله الموفق وقالت المعتزلة قوله كذلك يضل الله من يشاء اي يسميه
ضالا او يحكم عليه بالضلال اذا ضل لا ان يكون الله تعالى يضله ويشاء ضلالته فيقال لهم اذا كان الله يريد
ان يؤمن به وذلك مراد تبين في كل احد عندكم فتسميته اياه ضالا وحكمه بالضلال وهو يريد ان يهتدي جور
منه وفيه تحقيق كذب جل الله تعالى عن ان يلحقه وصف الجور في فعله او ينسب الى الكذب وقال ابو بكر الاصم
تاويله ان الله ينصب طريقا من سلكها افضى به الى الهداية ومن زاغ عنه صار الى الضلال ولا يتهيأ لاحد
من الخلايق ان ينصب مثله فنقول لو كان التاويل على ما زعم لكان حقه ان يقال كذلك يضل الله ما يشاء
فلما قال من يشاء ومن يعبر به عن الاشخاص العقلاء لا عن الطريق التي لا يعقل ثبت ان الذي قاله ليس بشيء
يعتمد عليه ثم الاصل ان قوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء من صفات الربوبية وفيه امتداح الرب تعالى
بالفعل لما يريد فلو لم يكن مريدا منهم ما قد كان ولم يرد كون ما علم انه يكون سقط الامتداح وخرج
عن ان يكون من صفات الربوبية فثبت ان الله تعالى شاء لكل فريق ما علم ان يكون منهم وقوله عز وجل وما يعلم
جنود ربك الا هو فالجند هو اسم للجماعة التي ينتقم بها وينتصر بها وجايز ان يكون قوله تعالى وما يعلم جنود ربك
منصرفا الى الملايكة التي هم اصحاب النار ليس ما جعله من خزنة النار عددا قليلا لعلة جنوده وما يعلم
جنود ربك الا هو اي مقادير قواهم واحوالهم الا الله معناه لا يعلم جنود ربك اي لا يعلم قوة هؤلاء
الجنود وبطشهم وهيبتهم الا هو ثم يجوز ان يكونوا سلطوا على تعذيب اهل النار على جهة الامتحان للملايكة
كما امتحن بعضهم بايصال التحف والكرامات الى اهل الجنة وكما امتحن بعضهم في الدنيا بقبض الارواح وبعضهم
باستنزال الامطار وغير ذلك وجايز ان يكون تسليطهم على اهل النار على جهة الثواب والجزاء لهم لانهم
يتلذذون بما يعذبون اهل النار وينتقمون من اعداء الله لان المرء في الشاهد اذا وصل الى الانتقام من عدوه
تلذذ به وتنعم ويحتمل ان يكون قوله عز وجل وما يعلم جنود ربك اي وما يعلم كثرة جنود ربك الا هو
ويحتمل وما يعلم السبب الذي يجعل به الجنود ويصلح للانتقام الا هو اذ هو القادر على ان يجعل اضعف شي
من خلقه جندا ينتقم به من اعدايه كما في قصة البعوض في نمرود وغير ذلك من ارسال الطير
الى اصحاب الفيل وامطار الحجارة على قوم لوط ونحو ذلك ويحتمل ان يكون قوله عز وجل وما يعلم جنود
ربك اي لا يعلم ما الذي يتخذه الله تعالى جندا للانتقام من الاعداء الا هو الا ترى ان الله عز وجل انتقم
من بعض الاعداء بالغرق وهم قوم فرعون وقوم نوح عليه السلام واهلك بعضا منهم بالرياح واتخذها

مثل يذكر بمعنى البيان

في اختيار الضلالة والهدى

جنوداً

جنودا عليهم واهلك بعضهم منهم بالخسف فيكون في هذا ايجاب المراقبة من حلول النقمة والسخطة
وقوله عز وجل وما هي الا ذكرى للبشر وجايز ان يكون منصرفا الى سقر انها ذكرى للبشر اي موعظة
وتذكير لهم ما اليه مرجع امورهم وجايز ان يكون منصرفا الى عدة الملايكة وقوله عز وجل كلا قيل
حقا وقيل هو على الردع والتنبيه وقوله عز وجل والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر فهذا في موضع
القسم وقد ذكرنا ان القسم لتاكيد ما قصدنا اليه بالذكر واد بار الليل بمجي النهار فجايز ان يكون ذكر آخر
الليل يقتضي ذكر اوله وذكر اول النهار يقتضي ذكر النهار كله فيكون القسم بهما قسما بالليل كله والنهار
كله ثم الليل اذا اقبل علت ظلمته في ستر الاشياء كلها بساعة لطيفة وكذلك النهار اذا اقبل عمل في دفع
الظلمة عن الخلايق جملة بساعة لطيفة ما لو اجتهد المرء في جميع عمره وان طال على عد تلك الاشياء
ليحيط علما بجملتها لم يتمكن منه واذا كان لليل من السلطان ما ذكرنا وللاقبال النهار من الامر ما ذكرنا وكان الذي
ذكرنا امرا مشاهدا معاينا ولو اريد معرفة ما فيهما من الحكمة انه لاي معنى ما صلح ان يكون الليل سايرا
عن درك اعين الاشياء واستقام ان يكون النهار منيرا للستر لم يقدر عليه فيكون فيه ابانة انه لا يجب
انكار كل ما لا يوصل الى درك الحكمة فيه بالعقول والاراء فيكون فيه ايجاب التصديق بالانباء التي
ياتي بها الرسل وان كان فيها ما لا يوقف على الحكمة المجعولة فيها بالاراء وفيه ان منشئ الليل والنهار
واحد وان الخلايق بجملتهم تحت سلطانه وتدبيره يحكم فيهم ما يشاء ويفعل ما يريد وجايز ان يكون
القسم منصرفا الى الوقتين اللذين وقع عليهما الذكر وهما ادبار الليل واسفار الصبح فيكون فيهما
ما في الاول وقوله عز وجل اسفر اي اضاء وانتشر وقوله اذ ادبر اي ذهب وحكي عن الكسائي انه قال
ان دبر لغة قريشية يقولون ذهب كالامس الدابر اي الذاهب فيقولون دبر في الايام والشهور والسنين
ولا يقولون في غير ذلك لا يقولون دبر الرجل ودبر الامر ولكن يقال ادبر وفي حرف ابن مسعود
اذا ادبر وفي الحروف اذا ادبر والمعروف اذ دبر كما قلنا وقوله عز وجل انها لاحدى الكبر قيل يعني سقر
ثم عذاب اهل النار الوان وفي جهنم دركات والسقر احدى دركاتها او هي لون من الوان العذاب فصارت
هي من احدى الكبر وقوله عز وجل نذيرا للبشر فمنهم من صرف النذارة الى سقر ومنهم من صرفها
الى الرسول عليه السلام وهو كقوله تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا فمنهم
من قراء بالياء وصرفها الى القرآن ثم الاصل ان ما خرج مخرج الافعال مضافا الى الاشياء اللاتي ليست لهن
افعال فهو يقتضي امرين احدهما ذكر الاحوال التي يقع لديها ما لو لم يكن ذلك الاشياء لم يحدث تلك
الاحوال من غير ان يكون علة لها فنسبت اليها اذا صارت شيئا لحدوث تلك الاحوال وهو كقوله عز وجل
وغرتهم الحيوة الدنيا وحيوة الدنيا لا تغر احدا ولكنهم اغتروا بزينتها فنسب اليها الغرور لما كانت سببا
لتغريرهم والثاني انها لنشيت على هيئة لو كانت من اهل التغرير لكان تغر فنسب اليه الغرور ولذلك
وقال في قصة ابراهيم صلوات الله عليه وعلى نبينا رب انهن اضللن كثيرا من الناس والاصنام ليست
ممن ينسب اليها الاضلال لانه لا فعل لها ولكن عبادها لما ضلوا بها نسب الاضلال اليها وهي ايضا على صورة
لو كانت لها افعال لكان يقع منها الاضلال فنسبا الاضلال اليها للوجهين اللذين ذكرناهما فكذلك
النذارة اضيفت الى النذر ههنا لانه عند ذكرها يقع النذارة فاضيفت اليها لذلك وخلقت على هيئة
لو كانت من اهل النذارة لكانت نذيرة والله اعلم وقوله عز وجل لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر قيل هو
على التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وذلك انما يكون على اثر المبالغة في العظات وتذكير
عواقب الامور وقد بالغ ذلك في هذه السورة وبين عواقب امور العباد ثم قوله عز وجل ان يتقدم
او يتاخر قيل ان يتقدم الى طاعة الله او يتاخر عنه الى معصية الله تعالى والاصل ان المرء جبل على حب

لا يذكر بما لا يدرك العقل

فمن شاء فليؤمن او يهدد انما يكون على اثر المبالغة

اصل المرء مجبول على حب المنافع

المنافع لنفسه والخيرات وعلى بعض الشر والمضار ومن احب شيئا طلبه ومن ابغض شيئا اجتنبه وهرب
منه واذا طلب تقدم اليه واذا هرب من شيء تاخر عنه فكنى عن الطلب بالتقدم وعن الهرب بالتاخر
فقيل في تاويل قوله عز وجل يتقدم اي الى طاعة الله يجدي اليه المنافع في الآخرة ويجلب اليه المحاسن
او يتاخر عن طاعته اذ في الاعراض عن طاعته ايقاع النفس في المهالك وانواع الشرور وجايز ان يكون
قوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر معناه يتقدم ويتاخر بتخليق الله تعالى فعل التقدم والتاخر منه
فيكون فعلا له وكسبا لوجوده في حين قدرته وخلقا لله تعالى فيكون مثل قولنا لا حجة علينا في اضافة
التقدم والتاخر الينا والله الموفق وقوله عز وجل الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون اصحاب اليمين
هم الذين وصفهم الله تعالى في موضع آخر كتابه وهو قوله عز وجل فاما من اوتي بيمينه فاستثنى اصحاب
اليمين من جملة المرتهنين لانه ذكر الرهون بلفظ يعبر بها عن الجمع وهو قوله كل نفس فاستقام استثناء
الجماعة من تلك الجملة اي اصحاب اليمين قد سبقت منهم الاعمال التي يستوجبون بها الاطلاق عن الحبس
لان المجرمين صاروا مرهونين باجرامهم واصحاب اليمين قد اكتسبوا الخيرات وعملوا الصالحات
والاعمال الصالحة فعلها الله تعالى مكفرة للمساوي والاجرام كقوله تعالى ليكفر عنهم سيئاتهم ويجزيهم
احسن الذي كانوا يعملون وقوله عز وجل في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر
فظاهر هذا يؤدي الى ان التساؤل كان من اهل الجنة بعضهم بعضا واذا صدر السؤال عن بعضهم
بعضا فحقه ان يقال ما سلكهم في سقر لان اهل سقر لم يسالوا بل سئل عنهم غيرهم الا ترى انه قال
عن المجرمين ولم يقل يتساءلون المجرمون فثبت ان الظاهر يقتضي ان يكون المخاطبون غير المجرمين
لذلك قلنا ان حق مثله ان يقال ما سلكهم في سقر لكنه يحتمل ان يكون قوله عن زيادة في الكلام
وحقه الحذف والاسقاط واذا ارتفع حذفا ارتفع الريب والاشكال كانه قال في جنات يتساءلون
المجرمين فيكون فيه تثبيت ان اهل سقر هم الذين خوطبوا بالسؤال وجايز ان يكون اهل الجنة يسال
بعضهم بعضا عن مكان المجرمين اين مكانهم واين هم فيطلعون عليهم فيسالونهم ما سلككم في سقر
فيقولون اذ ذاك لم نك من المصلين الى آخر الآية الا ترى الى قوله عز وجل فاطلع فرآه في سواء الجحيم
فثبت انهم يطلعون على اماكنهم فاذا راوا ساءلوهم عن ذلك بقوله ما سلككم في سقر فاجابوا بما اخبر الله
عنهم بقوله لم نك من المصلين الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين الاصل ان الافعال التي يتعلق جوازها
بالايمان اذا اضيف الى من ليس من اهل الايمان اريد بها القبول واذا اضيفت الى اهل الايمان اريد بها اعيان
تلك الافعال والذي يدل على هذا هو ان الكافر يسلك به الى سقر اذا كان مكذبا بيوم الدين وان اقام
الصلوة واطعم المسكين لم ينفعه ذلك حتى يوجد منه الايمان فثبت انه لم يرد بذكر هذه الافعال
اتيان اعيانها وانما اريد بها القبول والاقرار بها والذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله عز وجل واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه فثبت انهم جحدوا ان يكون
عليهم اطعام فدل انه اريد بذكر الاقامة قبولها لا وجود عينها وعليهم ان يقبلوا اقامة الصلوة ويقروا
بايتاء الزكوة وقد يجوز ان يذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة ويراد به القبول قال الله تعالى فان تابوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ولم يكن ايجاد الاقامة وايجاد الايتاء من شرايط التخلية بل كان
معناه على القبول فاذا اقروا بالصلوة وقبلوا اقامتها واقروا بالزكوة لزم تخلية سبيلهم وان لم يوجد منهم
الفعل بعد فلذلك صلح حمل التاويل على القبول ولم يحمل على وجود حقيقة الفعل لما ذكرنا هذا الذي ثبت
ان تاويل قوله لم نك من المصلين ينصرف الى الصلوة المعروفة فكيف وقد يجوز ان يكون اريد بالمصلين
الموحدين هاهنا لان اهل الصلوة هم المسلمون يقال اجمع اهل الصلوة على هذا ويعني به المسلمون

اهل الصلوة هم المسلمون

ثم انه عز وجل

938

ثم انه عز وجل جمع في الذكر بين التكذيب بيوم الدين وبين ترك الصلوة وترك الاطعام
وهذا والله اعلم يحتمل وجهين احدهما ان الذي يقر بالصلوة والاطعام وايتاء الزكوة هو
الذي يقر بيوم الدين لان المرء انما يرغب في فعل هذه الاشياء لما يطمع من المنافع في العواقب ويتقي
بتركها مخافة التبعة في العواقب فاذا لم يقر بيوم الدين لم يرج المنافع ولا خاف المضار فيحمله
ذلك على ترك الاطعام وتضييع الصلوة وعلى ترك ايتاء الزكوات وعلى جحدها كلها وعدم
قبولها وهو كقوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام
المسكين لعدم رجاء العواقب فاذا لم يرج لفعله عاقبته لم يقم بالانتصار لليتيم ولا قام باحسان المسكين
بل تكذيبه بيوم الدين يحمله على الجور على اليتيم وترك الاحسان الى المسكين فلذلك جمع في الذكر بين
تكذيب يوم الدين وبين ترك الصلوة وايتاء الزكوة وترك الاطعام وجايز ان يكون الذي حملهم
على التكذيب بيوم الدين هذه الوظايف التي وظفت عليهم بالاسلام لانهم اذا امنوا بيوم الدين لزمهم
تحمل هذه الاحمال من اقامة الافعال والصلوة وايتاء الزكوة واطعام المساكين وصيام شهر
رمضان وغير ذلك من العبادات فاشتد عليهم فتركوا الايمان بها لان لا يلزمهم تحمل هذه الافعال التي
حملها اهل الايمان وقوله عز وجل وكنا نخوض مع الخائضين فالخائض هو الذي يخوض في الباطل
وقوله عز وجل حتى اتانا اليقين اي حتى تيقنا انا كنا على باطل فيما كنا نخوض فيه وقوله عز وجل
فما تنفعهم شفاعة الشافعين معناه ان لا شفيع لهم والاصل ان الشفاعة اذا اضيفت الى اهل الكفر
فقيل ليس لهم شفعاء او لا ينفعهم شفاعة الشافعين فتقتضي نفي الانتفاع بشفاعة الشفعاء ولم يقتض
نفي الشفاعة كما ذكرنا ان الافعال التي يكون قوامها بالايمان اذا اضيفت الى الكفار فهي يقتضي نفي القبول
واذا اضيف الى اهل الايمان فهي يقتضي نفي الفعل وقولنا بانه اذا قيل لا شفيع له واريد به اهل الاسلام
فهو يقتضي نفي الانتفاع ولا يقتضي نفي الشفاعة فذلك ينصرف عندنا الى اهل الاعتزال والخوارج
لانا نرى اصحاب الكباير من اهل الاسلام لان الله تعالى اوعد النار مستوجبين للشفاعة وهم يقولون
لا يجوز في حكم الله تعالى ان يعفو عن اصحاب الكباير بل يخلدهم في النار لان الله تعالى اوعد النار
لمن ارتكب الكباير واخبر انهم يخلدون فيها فلا يجوز ان يقع في وعده خلف فيتحقق في خبره كذب
ولو استوجبوا الشفاعة ونالوا بها المغفرة من رب العزة لصار فيما وعد مخلفا وفيما اخبر كذوبا
فمثل هؤلاء اذا ارتكبوا الكباير لا يرجى لهم الخلاص بالشفاعة ابدا بل يحكم عليهم بالخلود في النار
فيرتفع ما يثبت الكذب وينتفي ما يوجب خلف الوعد ولانهم لما اعتقدوا التخليد في النار لمرتكب
الكباير وجب ان يكون نفيهم الشفاعة بزعمهم على ذلك لان الله تعالى يقول كما بداكم تعودون
فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فلا يجوز ان يحق عليهم العذاب ثم لا ينجيهم اذا بعثوا ثم احتج
فريق منهم بنفي الشفاعة في الآخرة بقوله فما لنا من شافعين وبقوله انفقوا مما رزقناكم من قبل
ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وبقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة وزعموا ان شفيع كل امرئ منهم عمله يومئذ فمن حسن عمله
نجا به ومن ساء عمله حق عليه العذاب ولم يكن له شافع ولو وجب نفي الشفاعة بما ذكر من هذه الآيات
الظاهرة لوجب تحقيقها بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وبقوله يومئذ
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ففي هاتين الآيتين ان الله تعالى قد يأذن
الشفاعة يومئذ للبعض فثبت ان ما ذكرتم من نفي الشفاعة لم يقتض نفيا على الاطلاق بل النفي ينصرف
الى البعض للخلايق ووجب القول بثبوتها لبعضهم ثم جاءت الاخبار مفسرة على ايجاب القول بالشفاعة

ترك الخيرات بناء على عدم طمع المنافع في العواقب

اصل في الشفاعة

نفي الشفاعة قول اهل الاعتزال

لاهل الكباير فثبت ان ما ذكر من قوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ولا شفاعة مصروفة الى اهل
الكفر وبه يقول ومن المعتزلة من يحقق الشفاعة ولكن يراها للذين يستوجبون استغفار الملائكة
في الدنيا وهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فاما اصحاب الكباير فانهم لا يرون لهم شفاعة احد بل يخلدون
في النار فيقال لهم فاية منفعة تحصل للذين تابوا واتبعوا سبيله في الشفاعة وهم قد استوجبوا
الخلاص بتوبتهم واتباعهم سبيل الرشاد فان قالوا منفعتهم بها انه لعظم قدرهم عند الله تعالى
ويستوجبون بها فضل الدرجات كما يرى المرء في الشاهد يذكر اخاه عند الملوك بحسن السيرة
ويذكره بما فيه من المناقب الجميلة والمحاسن ويبتغي بذلك اعلاء منزلته واعظام قدره عندهم
ليعظموه ويجاوه فكذلك الشفعاء في الآخرة يشفعون عند الله تعالى من اوليائه خيرا ليزيد في درجاتهم
ويعظم منزلتهم عند الله تعالى والجواب ان هذه الزيادة في الدرجات ليست الا الى الوصول الى فضول
الشهوات وفضول الشهوات والزيادة في اللذات لا يذكر في المنافع اذ لا حاجة لهم اليها هو في حق
الفضول من الشهوات فيكون في مثالها دفع الحاجة والوصول الى المنفعة ومعلوم بانهم انما الطمعوا
في الشفاعة لما يحصل لهم بها من المنفعة وانما يحصل لهم بها المنفعة اذا وقعت اليها الحاجة واهل
الكباير هم الذين يمسهم الحاجة اليها فاما الذين تابوا واتابوا فقد استغنوا عن الشفاعة لذلك يجب
القول بتحقيق الشفاعة في اهل الكباير واما استدلالهم بما ذكروا من امر الشهود فليس يحكم من القول
لان المرء انما يذكر اخاه بالجميل ويظهر ما اشتمل عليه من خلال الخير لجهل الملوك بحاله في ما هو
عليه من جميل ويظهر ما اشتمل عليه من خلال الخير لجهل الملوك بحاله فيما هو عليه من جميل الخصال
ومحمود الفعال الا ترى ان الملك اذا كان عالما بحاله لم يقدم الانسان على نشر الجميل الذي يخرجه
الى الثناء عليه عند الملوك لجهل الملوك بحاله ولا يجوز ان يكون الله تعالى يخفى عليه حال احد
وما هو عليه من ظواهر اموره وبواطنها حتى يحتاج الى معرف يعرفه فبطل ان يكون الشفاعة للوجه الذي
ذكروها وثبت انها للوجه الذي ذكرناها ثم العفو والصفح عن احلال العقوبة بمن همّوا بمن جنى جناياته
بجريمة سبقت منهم ثم الشفاعة فيما بين الخلق امر معهود انها يكون عند زلات يستوجب بها
العقوبة والمقت فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الاخيار واهل الرضا فلا ينكر ان يكون الله تعالى يعفو عمن استوجب
العقاب بشفاعة الاخيار واهل الرضا والابرار والله الموفق وقوله عز وجل فما لهم عن التذكرة
معرضين فجايز ان يكون تاويله ما لهم معرضين عن ذكر ما لهم وما عليهم وما اليه مآبهم ومنقلبهم
وذلك يكون في الرسول وفي القرآن لان كل واحد منهما يذكر لهم ما له وعليه والله اعلم وجايز
ان يكون تاويله فما لهم عما به يشرف قدرهم ويصيروا به مذكورين في الملاء الاعلى معرضين وذلك
يكون في طاعته والاقبال على عبادته وهو كقوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم معناه
انكم تصيرون به مذكورين ويعظم قدركم لو اتبعتموه ولم تضيعوا حرمته وقوله عز وجل كانهم حمر مستنفرة
بنصب الفاء وخفضه فمن قرأ بخفض الفاء صرف الفعل اليها كانه يقول حمر نافرة ونفروا واستنفر
واحد كما يقال استرقد القوم اي رقدوا ومن قرأ بنصب الفاء فتاويله انه فعل بها ما حملها على النفار
وذلك يكون بالرمي وبالقانص من الاسد كما ذكره اهل التفسير في تاويل القسورة هي الاسد والرماة
او الصائدون ويقال هي النفرة وكان هذا تشبيها بالحمر الوحشية التي في طبعها النفار ووجه التقريب
هو ان هؤلاء اعرضوا عما في الاقبال عليه نجاتهم وتخلصهم من العطب ونفروا كنفار الحمر المستنفرة
من العطب والهلاك وفي هذه الآية تبيين شدة سفههم وغاية جهلهم لان الحمير ينفر عن القانص

رد المعتزلة في انكارهم الشفاعة

والرامي

والرامي والاسد ليسلم من الهلاك والعطب وهؤلاء الكفرة نفروا عما فيه نجاتهم الى ما فيه
هلاكهم وعطبهم فهم اشر من الحمير واضل وقوله عز وجل بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى
صحفا منشرة قال بعض اهل التاويل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل في بني اسرائيل
كان اذا اذنب ذنبا فيصبح فوجد صحيفة معلقة على باب داره او مكتوبا عند راسه انك اذنبت
كذا وزاد بعضهم انك اذنبت كذا وتوبتك كذا وسالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعلهم كذلك
فاخبر الله تعالى كذلك عنهم ثم ايسهم عن ذلك فقال كلا اي لا تنالون ما تاملون وقال قتادة
قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فات كل واحد منا بصحيفة خاصة الى فلان بن فلان يامرنا فيها
باتباعك وقيل سالوا ان يؤتوا ببراءة بغير عمل ولكن لا يجب قطع الامر على واحد من هذه التاويلات
بل يقال بها على جهة الامكان والاحتمال لان هؤلاء المفسرين لم يشاهدوا اولئك القوم الذين صدرت
منهم هذه الارادة ليخبروهم ماذا ارادوا به حتى يثبت ما ذكروا من القصة والاخبار ولا تواترت
الاخبار من عند ذي الحجة النبي صلى الله عليه وسلم انهم سالوه ذلك لذلك لم يستقم قطع الامر
على ما ذكروا وجايز ان يكون هذه الارادة تحققت في بعض الكفرة وهم الرؤساء منهم والاكابر لان اراد
كل في ذات نفسه ان يؤتى صحفا منشرة والارادة ها هنا عبارة عن الطلب ثم طلب ما ذكر يتوجه الى وجهين
احدهما ان يكون كل واحد من عظمائهم ود ان يكون هو المخصوص بانزال الكتاب عليه كما قال في آية اخرى
واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله فيكون في هذه اظهار استكبارهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة التعنت والعناد ليصير ذلك آية لهم في تحقيق رسالة النبي
صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل حكاية عنهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الى قوله او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى ينزل علينا كتابا نقرؤه ففي هذه الآية
ابانة انهم كانوا يطلبون انزال الكتاب عليهم ليقرر لديهم رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وكان ذلك على جهة التعنت والعناد والا لو تفكروا في حاله لادّاهم ذلك الى العلم برسالته
من غير ان يحتاجوا الى تثبيت رسالته بكتاب ينزل عليهم والله اعلم وجايز ان يكونوا راوا انهم
احق بالرسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى بانزال الكتاب عليهم لما راوا انهم افضل
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترى الى قوله وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وقال في آية اخرى اانزل عليه الذكر من بيننا فارادوا ان يؤتوا صحفا منشرة لهذا المعنى انهم
اولى ان يختصوا بهذه الفضيلة وانما ذكرنا هذه التاويلات في هذه الآية لان هذه المعاني التي
ذكرناها قد ظهرت منهم بمتلو القرآن والتاويلات التي ذكرها اهل التفسير لا يتهيا تثبيتها
من جهة الكتاب ولا من جهة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت هذه التاويلات
امكن واملك بالآية من غيرها والله اعلم وقوله عز وجل كلا بل لا يخافون الآخرة ان الذي حملهم
على الطلب بان يؤتى كل منهم صحفا منشرة اعراضهم عن الايمان بالآخرة والا لو امنوا بها لكان
ايمانهم بها يحملهم على ترك العناد والتعنت وعلى ترك التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويدعوهم الى الاذعان للحق عبس وتولى وسنذكر معنى قوله وما يذكرون الا ان يشاء الله في سورة
اذا الشمس كورت وقوله هو اهل التقوى واهل المغفرة فاهل التاويل صرفوا قوله هو اهل
التقوى الى الله تعالى وجايز ان يصرف الى البشر فان كان المراد من قوله عز وجل هو اهل التقوى
البشر فيكون معنى قوله هو اهل التقوى اي الذي يقوم بالذكر الا ترى الى قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها فجعل الذين الزمهم كلمة التقوى من اهل التقوى وان كان المراد من قوله

سؤال

هو اهل التقوى اى الله سبحانه وتعالى فتأويله انه اهل ان يتقى الزلة والعثرة في حقوقه تعالى
والوجه فيه لانا للموء في الشاهد انما يتقى الزلة والعثرة الى آخر لاحدى خصال ثلوث احداها لما يرى
من افتقاره وحاجته اليه فيتقى العثرة اليه تجبيلا وتعظيماً او يتقى زلته ذلك لما يرى من قدرته وسلطانه
على الانتقام منه او يتقى زلته لكثرة نعم واياديه استحياء منه واذا كانت هذه الاشياء هي الداعية
الى الاتقاء ثم الخلايق باجمعهم مفتقرون ومحتاجون الى الله تعالى وله القدرة والسلطان عليهم
وهو المنعم المفضل على كل احد فهو اهل ان يعظم ويوقر وان يخاف نقمته ويستحيى منه ومن اتقى
صار اهلا لان يغفر وجايز ان يكون معنى قوله عز وجل هو اهل التقوى اى هو اهل بان يسأل
عنه ما يتقى من النار بقوله تعالى واتقوا النار التى اعدت للكافرين وبقوله قوا انفسكم واهليكم
ناراً ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار فيتقى ان الاتقاء ان يفزع الى الله تعالى ويتضرع اليه ليتقى بفضله ورحمته قال ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدواً فامرنا جل جلاله بالمناصبة مع الشيطان للمحاربة واخبر ان محاربته
ان يفزع الى الله بالاستعاذة بقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال
وقال فى آية اخرى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الآية فهو اهل ان يطلب منه
ما يتقى به واهل ان يستعاذ به لدفع كيد العدو واهل المغفرة اى اهل ان يطلب منه المغفرة
جعلنا الله تعالى من اهل التقوى والذين من عليهم بالمغفرة وقال بعضهم هو اهل التقوى واهل المغفرة اى هو اهل ان يتقى
عنه واهل ان يغفر لمن اتقاه والله المستعان والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله وصحبه

سورة القيمة مكية وآيها تسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة اختلف فى تأويله
فمنهم من ذكر انه اقسم الله تعالى بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة ذكر ذلك عن الحسن
ويكون معناه لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة لكن ذكر عنه انه يقول فى قوله تعالى لا اقسم
بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد ان القسم يقع على البلد ووالد وما ولد لان القسم
يقع على الولد والوالد وهو آدم عليه السلام وما ولد جملة اولاده فاذا كان القسم جايزا بالوالد والمولود
جميعا كانت النفس اللوامة داخلة فى جملة المولود فقد اقسم بالنفس اللوامة عنده فلا معنى لا ليس د
ههنا ثم موقع لانه قوله لا اقسم وتأويله يذكر فى قوله لا اقسم بهذا البلد فى سورة يذكر فيها
الكبد ومنهم من ذكر ان القسم وقع بهما جميعا ولله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه ثم صرف بعض
اهل التأويل معنى القسم قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وجعله موضع القسم
فان كان على هذا فالاشكال عليه ان يقول قايل كيف اكد امر البعث وجمع العظام بالقسم بيوم القيامة
وقد جرى من القوم الذين احتج عليهم بهذه الآية الانكار بيوم القيامة فكانه اكد القسم بشئ جرى
الانكار والجواب عن هذا من وجهين احدهما ان يكون القسم منصرفا الى الحكمة التى توجب
القول بالبعث اذ قد بينا فى غير موضع انه بالبعث ما خرج خلق هذا العالم مخرج الحكمة ولولا البعث
لكان خلقه عبثا باطلا كقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كانه قال لا اقسم
بحكمة الداعية الى كون القيامة كذا ان يكون كذا وجايز ان يكون القسم فى الحقيقة بالدلايل والبراهين
التى من تفكر وامعن النظر فيها حمله ذلك على القول بالبعث واذا كان محتملا صح القسم بيوم القيامة

وبالنفس اللوامة لانا لتفكر فى النفس اللوامة والاعتبار بها يدعو الى القول بالبعث ثم العادة جرت
على القسم بالاشياء التى عظم خطرها وجل قدرها فى القلوب وجلالة خطرها تكون باحد وجهين
اما بما كثرت منافعها فيكون خطرها مشاهدا محسوسا او يعظم خطرها بالدلايل والاخبار فالسموات
والارضون قد عرف الخلق جلالة اقدارهما بالعيان بما كثرت منافع الخلق بهما وعظم يوم القيامة
بما جل خطره فى القلوب وثبت القول بكونه بالدلالات والبراهين ثم قد وصفنا ان الله تعالى اقسم
باشياء لتأكيد ما يعرف بيانه ويجب القول به لولا القسم لو امعن النظر فيه فاعملت فيه الروية لذلك
استحقاق القسم بها والله اعلم واختلف فى النفس اللوامة قال بعضهم النفس اللوامة هى النفس الكافرة
يلوم ربها فى الدنيا ابدا فى تضييق العيش عليها وتشكو ربها من الفقر والاقتار عليها مع كثرة نعم الله عليها
واحسانه اليها ومنهم من صرف التأويل الى كل نفس مؤمنة كانت او كافرة فهى تلوم غيرها اذا تعاطى
اشياء قد تعاطى نفسه مثلها وامتحنت بها والحق على كل احد ان لا يلوم على اخاه بما تعاطى فعلا
قد اتى هو ذلك الفعل بعينه او مثله ولكنها انشئت كذلك لوامة كما قال ان الانسان خلق هلوعا
اذا مسه الشر جزوعا ومنهم من ذكر ان هذا يكون فى الآخرة والكافر اذا ايقن بالعذاب وما حل به
من نقمة الله تعالى يندم على ما فرط فى جنب الله وادركته الحسرة فعند ذلك يلوم نفسه والمؤمن اذا عاين
الثواب يلوم نفسه لما امسك عن المعصية وتاب واطال المقام فى المحراب وابصر للعاملين بالطاعة
حسن المآب والعاصين نفسه بما شذ منه وغاب عنده كمال القوة وعنفوان الشباب وقال
كيف لم ازدد فى العمل لازداد فى الثواب ومنهم من خص الكافر فى الآخرة باللوم على نفسه وهذا اظهر
لان المسلم اذا اكرم بالثواب فشكره لذلك يشغله عن اللوم على نفسه فلا يتفرغ له ولان الله تعالى يضاعف له
من الحسنات ويعطيه من الدرجات زيادة على ما استوجبه بعمله فضلا وانعاما فكيف يلوم نفسه
بتقصير هاله فى العمل وهو يعلم ان ما وصل اليه من الكرامات لم ينل جملتها بعمله بل بفضل الله تعالى
وبكرمه والله اعلم وقوله عز وجل ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه فقوله ايحسب الانسان وان خرج
مخرج الاستفهام فى الظاهر فليس هو باستفهام ولكنه تحقيق حسبان من الانسان فجايز ان يكون حمله على الحسبان
هو ان القدرة لا ينتهى الى هذا فى ان يجمع العظام ويؤلف بعد تفرقتها وتلاشيها فيدفع حسبانه هذا بقوله
قل يحييها الذى انشاها اول مرة فمن تفكر فى النشاة الاولى علم ان القدرة تنتهى الى جمع العظام بعد ان صارت
رميما وان الذى قدر على انشائها لقادر على جمعها بعد تفريقها وجايز ان يكون حسبان العظام لا تجمع
بعد تفريقها لانها لو جمعت بعد التفريق لم يكن يعرف بعدان وجدت مجموعة الا ترى ان المرء
فى الشاهد لا يقصد الى نقض ما بنى ليعيده مرة اخرى الى الجهة المتقدمة ومن فعل ذلك كان عابثا
فى فعله ولم يكن حكيما فان كان هذا المعنى هو الذى حمله على الحسبان فجوابه ان يقال بان الجمع
الاول وقع لمكان المحنة والابتلاء والجمع بعد التفريق لمكان الجزاء فاذا كان الجمع الثانى لغير الوجه
الذى وقع الجمع فى الابتداء كان صحيحا مستقيما وانما يخرج عن حد الحكمة اذا لم يكن الاعادة الا للوجه الذى
وقع الابتداء الا ترى ان الذى نقض بناءه اذا اعاده لا للوجه الذى كان بنى اول مرة لم ينكر عليه وفيما
ذكرنا رد قول الباطنية لانهم زعموا ان هذه الانفس يتلاشى ويتلف فلا بعث وان البعث يقع
على الانفس الروحانية ولو كان كما زعموا لم يكن لقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه معنى لان العظام
لا يجمع على قولهم بعد ما صارت رميمة فيكون الامر اذاً على ما وقع فى حسبان هذا الانسان
فلا معنى للرد عليه بقوله بلى قادرين على ان نسوى بنانه الا ترى ان الذى حمله على الانكار بجمع
العظام بعد تفريقها هو انه لم ير هذا موجودا فى الشاهد ولو كان الامر على ما زعمت الباطنية

نفس اللوامة

لكان الانكار منه قوعاً اذ وجد النفس الروحانية مبعوثة في الشاهد بعد توفيها وقال الله عز وجل قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاخبر ان الانفس التي انشئت اول مرة هي التي يحيي لا غير وقوله
بلى قادرين على ان نسوي بنانه فمنهم من حمل هذه الآية على الابتداء وزعم انه ليس فيه جواب
لما يقتضيه قوله عز وجل ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ومنهم من ذكر ان قوله بلى جواب
لقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه فاكتفى بقوله بلى بما سبق منه من الدلالات والحجج على القول
بالبعث فاقتصر على قوله بلى على الوصل بما تقدم من الدلالات ومنهم من جعل جوابه في قوله قادرين
على ان نسوي بنانه معنى تسوية البنان هو الجعل من عظم واحد مجموعاً غير متفرق مثل خف البعير
وحافر الدواب ووجه الاستدلال انهم اقروا بان الله تعالى قادر على ان نسوي البنان لما راوا
التسوية موجودة في الدواب ثم الجمع بعد التفريق اظهر وجوداً وايسر فعلاً من تسوية البنان
الا ترى ان المرء في الشاهد قد يقدر على التاليف والجمع بين اشياء متفرقة ويعجز عن تسوية البنان
فاذا كانت التسوية اعسر وجوداً من الجمع بعد التفريق ثم وصفوا الله تعالى بالقدرة على تسوية
البنان فكيف انكروا قدرته على جمع العظام بعد تفريقها تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً
ومنهم من يقول بان الله تعالى لما لم يسو بين بنان الانسان وسوى بين بنان الدواب
ليصل الى الاخذ والاعطاء والى التقديم والتاخير والقبض والبسط وانواع المنافع التي تختص بها
من نحو ما يملكون بالبنان تسخيرا للدواب والانعام نعلم بالتفريق بين الدواب وبينهم على ان البشر
هم المقصودون بالمحنة وان لا يتركهم سدى لا يامرهم على ان البشر هم المقصودون بالمحنة
وان لا يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يستاديهم شكر ما انعم عليهم وقد ايتمر البعض
وعصى البعض لا بد من دار اخرى للمجازاة فالنظر في هذا يحمله على القول بالبعث والجزاء ولان الاستواء
يقع في الابتداء والجمع بعد التفريق يكون عند الاعادة والعقول تشهد على ان امر الاعادة
ايسر من امر الابتداء فاذا لم يتعذر عليه الاستواء في الابتداء فاني يعسر عليه اعادة الجمع مع قدرته
على الجمع في الابتداء ولانهم لما لم يخلقوا مستوية البنان فليعلموا ان في تركنا الاستواء حكمة
ولو كان الامر على ما قدروا ان لا بعث لكان ذلك يخرج على حد الحكمة فيكون فيما ذكر تثبيت البعث
والقول بالقدرة على جمع العظام بعد تفرقها وتفتتها والله اعلم وقوله عز وجل بل يريد الانسان
ليفجر امامه قال اهل التفسير يؤخر التوبة ويقدم المعصية ويقول سوف اتوب فياتيه الموت
على شر حاله وعندنا يخرج على وجهين احدهما جائز ان يكون ذكر الارادة لا على تحقيقها ولكن من فعل شيئاً
فعله على الارادة والاختيار فكنى بالارادة عن الفعل لانها يقترن بالفعل فيكون في ذكرها ذكر
الفعل وهو كقوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ولكن خلقهما خرج على الحكمة
بالبعث والجزاء فمن ترك القول بالبعث وصف بان خلقهما للعب والباطل ويؤدي الى هذا فيصير
كانهم قالوا ذلك وظنوا كذلك فعلى هذا يحمل الامر على الظن لان وجد منهم الظن في الحقيقة
فكذلك اذا فعلوا فعل الفجور وكان فعلهم على الارادة والاختيار فكانهم ارادوا ان يفجروا امامهم
لان كانت الارادة منهم متحققة لذلك مقصودا وجائز ان يكون ذلك على تحقيق الارادة وذلك
ان للشر والفجور سبلاً من سلكها افضت الى ان يستحق اسم الفجور وللخير والهدى سبلاً من سلكها
افضى به الامر الى ان يستحق اسم البر والتقوى فاذا صار الى الفجور والى انواع الشرور بسلوكه ذلك
السبيل وصار مريداً من هذه الجهة ثم قوله امامه يحتمل وجهين احدهما فيما بقي من عمره لانه بترك
الاستهداء والاسترشاد ويمضي على العادة التي عود نفسه على ذلك من الشرور والضلال

الفجور ... (marginal note)

ويحتمل ان يكون الامام هو يوم القيامة ثم قال في موضع ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا بعد ذكر
ذلك اليوم بالامام والوراء جميعاً فيكون قوله وراءه اي وراء الاوقات التي خلت ومضت فعلى اعتبار
الاضافة الى الاوقات الماضية يكون يوم القيامة وراءها وعلى اعتبار الاضافة الى ذلك الفاجر
يكون اماما لانه يكون امام هذه الفاجر فلذلك استقام الوصف بالامام والوراء جميعا ثم ذكر
الفجور ولم يذكر الكفر وان كان الانسان الذي يريد ان يفجر امامه كافراً لان في ذكر الفجور
تعيير وتشنيع اذ هو اسم للتعيير وخاصة وليس في نفس الكفر تعيير اذ كل احد مؤمناً كان
او كافراً مؤمن بشيء كافر بشيء فالكافر من حيث اسمه لم يصر قبيحاً بل بمعناه ما قبح مكان الفجور
ابلغ في التعيير من الكفر فسمي به والله اعلم وقال ابو بكر معنى قوله يريد ان يفجر امامه اي يريد
ان يعاين يوم القيامة ويعلم بان الله متى هو تفسيره على اثره وقوله عز وجل يسال ايان يوم القيامة
اي يريد ان يعلمه بسؤاله متى هو فاخبر انها تقوم اذا برق البصر وخسف القمر والله اعلم
وقوله عز وجل يسال ايان يوم القيامة سؤاله هذا سؤال تعنت واستهزاء لما ذكرنا انه ليس في تعرف
وقت كونه زجراً ولا ترغيباً وانما يقع الزجر والرغبة بتذكير الاحوال التي تكون في ذلك اليوم فلذلك
ذكر الاحوال التي تكون في ذلك اليوم ولم يوقفهم على ذلك الوقت يكون اذ ليس في معرفة وقته كثير حكمة
فيجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواب الحكماء لا ان يجيبهم بجواب مثلهم وقوله عز وجل
فاذا برق البصر قيل دهش وتحير ثم اختلف بعد هذا فمنهم من صرف هذا الى حالة الموت ومنهم
من ذكر ان هذه الاحوال تكون يوم القيامة والى اي الحالين صرف التاويل فهو مستقيم لان المنكر بالبعث
اذا جاءه باس الله تعالى وراى ما حل به من الاهوال التي بالبعث وعلم به ثم ان كان المراد به حالة الموت
فقوله عز وجل فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يخرج على التمثيل ليس على التحقيق لانه
اذا دهش وتحير صار بحيث لا ينتفع ببصر وجهه ولا ببصر قلبه لا يرى ضوء القمر فيصير القمر كالمخسف
ويصير الشمس والقمر كالمجموعين ولا يرى ضوء الشمس ولا نور القمر فيصير نهاره عليه ليلاً والليل
نهاراً شغلوا بما حل بهم من البلايا والاهوال وهو كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم سجن المؤمن وجنة
الكافر والاخرة جنة المؤمن وسجن الكافر وقال النبي عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه
ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فصرفوا تاويل هذين الخبرين الى حالة الموت وذلك ان الكافر
يعاين في ذلك الوقت ما اوعد من الاهوال والشدائد فكره مفارقة روحه من جسده لانه لا يقع
في تلك الاهوال والشدائد ويصير الدنيا له في ذلك الوقت كالجنة لا يحب مفارقتها والمؤمن
اذا عاين ما وعد له من البشارات وانواع الكرامات وللخروج من الدنيا يصل الى ما اعد له
فيصير الدنيا عليه كالسجن في ذلك الوقت فيكون هذا كله على التمثيل من الوجه الذي ذكرنا وان كان
ذلك على يوم القيامة فهو على تحقيق الخسف وجمع الشمس والقمر وقوله عز وجل يقول الانسان يومئذ
اين المفر يحتمل ان يكون قوله عز وجل اين المفر ليس الى موضع فرار عما حل بها ويقول الى اين فرار
والمعنى انه لا يخلص من العذاب والله اعلم ثم قوله عز وجل فاذا برق البصر قال بعضهم اذا شخص
البصر نحو الداعي يوم القيامة وهو كقوله عز وجل ليوم تشخص فيه الابصار فتشخص ببصره الى الداعي
لانه قد علم ان الذي حل به من باس الله تعالى هو لامتناعه عن الاجابة للداعي في هذه الدنيا فيتسارع
يوم القيامة في اشخاص بصره الى الداعي ابتداراً منه الى اجابة الداعي وقوله عز وجل وخسف القمر
اي ذهب ضوؤه ونوره ففيه ان العالم في ذلك اليوم يغير ويبدل كقوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وقال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقال ينسفها ربي

نسفا فيذرها قاعا صفصفا **وقوله** وجمع الشمس والقمر ففيه ان سلطانهما يذهب فلا يعملان عملهما بعد ذلك ثم من الناس من زعم انهما يجمعان يوم القيامة كالبعيرين العقيرين او كالثورين العقيرين فيلقيان في النار ويعذب بهما وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه انكر هذا وقال انهما خلقتان لله تعالى طايعتان له عز وجل الا ترى الى قوله تعالى وسخر الشمس والقمر دائبين يدأبان في طاعة الله تعالى ومن كان هذا وصفه فلا يجوز ان يعذب وعند قائل هذا انهما ان ثبت انهما يلقيان في الدنيا ليعذب بهما غيرهما وهم الذين عبدوهما من دون الله تعالى وذلك كقوله عز وجل وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية ومعلوم بان الاصنام التي عبدت من دون الله لا يعذب بالنار ولكنها يجعل حصبا ونارا يعذب بها من عبدها وقال الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة ولا يجوز ان يكون الملايكة يمسهم في النار بل هم الذين يعذبون فعلى ذلك الشمس والقمران ثبت انهما يلقيان في النار فانهما يلقيان ليعذب بهما من عبدهما لا ان يعذبا بانفسهما والله اعلم **وقوله** عز وجل يقول الانسان يومئذ اين المفر فجايز ان يكون قوله اين المفر على طلب الحيلة اي كيف احتال الى ان افر والى من التجئ لاتخلص من باس الله وعذابه ويحتمل ان يكون قوله اين المفر اي ليس في موضع فرار عما حل به لا يقال ان ليس له مفر وجايز ان يكون هذا كله عند الموت على ما ذكرنا **وقوله** عز وجل كلا لا وزر ذكر اهل التاويل ان الوزر هو الجبل بلغة حمير وذكر عن الحسن قال كانت العرب يخيف بعضها بعضا ويغير بعضها بعضا فكان يكون الرجلان في ماشيتهما فلا يشعران حتى يريا نواصي الخيل فيقول احدهما لصاحبه الوزر الوزر يعني الجبل فكانه يقول ليس لهما اذ ذاك يفتح ولا تسلي من الاحزان كما يتسلى من يأوي الى الجبل في الدنيا عن بعض ما يحل به من الافزاع وقيل الوزر الملجا **وقوله** عز وجل ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر فتاويله انه ينبؤا من اول ما عمل الى آخر ما انتهى اليه عمله كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال بعض اهل التاويل بما قدم من انواع الطاعة وما اخر من حق الله تعالى من اللوازم التي كانت عليه وقال بعضهم بما اعلن واسر وقال بعضهم بما قدم في حيوته من اعماله وما اخر اي ما سن من سنة فاستن بعد موته وقد ذكرنا انه باللطف من الله تعالى ما يعلم بالذي قدم من الاعمال واخرها فيتذكر بذلك حتى يصير ما كتب في الكتاب حجة عليه والا فالمرء في هذه الدنيا اذا كتب كتابا ثم اتت عليه مدة لم يتذكر جميع ما كتب فيه ولا وقف على علم ذلك **وقوله** عز وجل بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره هذا يخرج على وجهين احدهما جايز ان يكون اراد بهذا في الدنيا ان الانسان بصير بعمل نفسه وان جادل عنها انه لم يفعل ذلك واستر ذلك عن الناس وان القى معاذيره اي ارخى الستور بما كسبت نفسه والمعاذير هو الستر والوجه الثاني ان يكون في الآخرة وهو يحتمل وجهين احدهما ان الانسان وان كان يعتذر يوم القيامة بقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين وقال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم فيقدمون على الحلف اعتذارا منهم على العلم منهم انهم مبطلون في جدالهم والثاني ان يكون معنى البصيرة الشاهد اي ان الانسان على نفسه شهدت عليه جوارحه وذلك نحو قوله عز وجل اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون **وقوله** عز وجل شهد عليهم سمعهم وابصارهم الاية فان قيل ان الانسان مذكر كيف وصف بالبصيرة بلفظة التانيث بقوله بل الانسان على نفسه بصيرة فجوابه من اوجه احدها ما قيل ان الانسان تسمية جنس فيه الجماعة لا ان يكون تسمية للشخص الواحد فقط الا ترى الى قوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا استثنى الذين آمنوا من قوله ان الانسان لفي خسر

ولا يستثنى الجماعة من الواحد وكذلك قوله عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا فاستثنى الذين آمنوا من الانسان فثبت ان الانسان يسميه جنس والجنس جماعة ويكون الجماعة مضمرة فيه كانه قال ان جماعة الناس على انفسهم بصيرة فيكون قوله بصيرة راجعا الى الجماعة والله اعلم وجواب ثاني قوله بصيرة وصف الانسان بالغاية من البصر بكلها عمله حتى لا يعزب عنه شيء والهاء قد يدخل في خطاب المذكر عند الوصف بالمبالغة كقولك فلان علامة ونسابة وراوية للشعر وباقعة في النحو والثالث ان الانسان يسميه ما يراه بجوارحه كلها من الايدي والارجل والسمع والبصر والراس وغير ذلك وفيه نفس امارة بالسوء فيصير جوارحه كلها بصيرة اي شاهدة عليه بما قدم واخر وجايز ان يكون هذا على الاضمار فيكون قوله بل الانسان على نفسه بصيرة اي نفس الانسان بصيرة بما عملت ثم من الناس من يثبت للجوارح العلم بما كسبت نفسه حتى تصير شاهدة عليه يوم القيامة بقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو لم يكن لها العلم بما قدمت نفسه لكانت لا تشهد بما لا تعلم وليس الامر عندنا على ما زعموا لانها لو علمت بذلك لكان صاحبها يصل الى العلم من جهتها الا ترى ان القلب لما ثبت له المعرفة وقع لصاحبه العلم من جهته وكذلك السمع لما جعل فيه السمع وقع لصاحبه علم المسموع به ولما كان بعينه يبصر الاشياء كان علم البصر واقعا من جهتها فلما لم يقع له العلم بيديه ولا برجليه ولا بشيء من جوارحه سوى القلب علم انه لا حظ لها في المعرفة ولكن جعلت هي شاهدة وحجة يوم القيامة تشهد على صاحبها بما يحدث الله تعالى فيها علما ضروريا لا ان كان لها علم بالذي شهدت قبل ذلك كما جعلت نطوقة في ذلك الوقت لا ان كان النطق فيها موجودا من قبل والله اعلم **وقوله** عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به هذا كلام مبتدا منفصل عن الاول وذكر اهل التاويل ان جبريل عليه الصلوة والسلام كان اذا اتى نبي الله عليه الصلوة والسلام بالوحي فكان لا يفرغ من آخر الاية حتى يقول نبي الله عليه السلام في اولها مخافة النسيان على ما عليه عرف الخلق انهم اذا ارادوا وعي الكلام وحفظه كرروها بالسنتهم كي يضبطوها ولا ينسوها فكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل كذلك خشية النسيان فنهي عن ذلك بقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وهو كقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا عندنا مما لا يجوز ان يشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يحرك لسانه قبل مجيء هذه الاية ويتذكر مخافة النسيان الا باخبار متواترة لان هذا في حق الشهادة على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه انه كان يفعل كذلك الا بتواتر الاخبار فاما ان يثبت بخبر واحد فلا ولا يقال بانه لو لم يتقدم منه التحريك لا معنى للنهي فانه ليس فيه ما يثبت مقالتهم ويصح تاويلهم ويسوغ لهم الشهادة لانه يستقيم في الابتداء ان ينهى فيقال لا تحرك به لسانك ولا تفعل كذا وان لم يسبق منه ارتكاب ذلك الفعل ولا يقدم منه تحريك لسان فيثبت انه ليس في ضمن هذه الاية بيان ما ادعوا هذا اذا ثبت ان قوله لا تحرك به لسانك وقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه على النهي فكيف وهو يحتمل معنى آخر غير النهي وهو ان يكون هذا على البشارة له بالكفاية ان قد كفيت مؤنة الاستذكار للتحفظ وهذا من عظيم آيات الرسالة لان السور يلقى عليه فيحفظها كما هي مما يشتد على الناس حفظه وقراءته الا ان يتكلفوا ويجتهدوا في ذلك فيعلم بهذا ان الله عز وجل هو الذي اقدره على ذلك وجعله آية من آياته والله اعلم ثم الاصل ان من القى الى آخر كلاما متتابعا نظر في ذلك الكلام فان كان القصد منه تحفظ عين الكلام فان المخاطب به لا ينتظر فراغ المتكلم عن ذلك الكلام بل يستعجل باتقانه وتحفظه ساعة ما يلقى اليه كما ينشد بين يدي آخر شعر واراد الآخر ان يحفظ ذلك الشعر وتعلمه فهو لا ينتظر فراغ المنشد عن شعره بل هو يأخذ باتقانه

في اول ما يسمع منه اذ الغرض من الاشعار حفظ عينها دون معانيها الا ترى ان الالفاظ اذا حذفت
منها خرجت عن ان يكون شعرا واما اذا لم يكن القصد من الكلام ضبط عينه وانما اريد به تفهم ما اودع فيه
من المعنى فالعادة في مثله الاصغاء الى آخر الكلام ليفهم معناه وما يراد به الا ترى ان من كتب الى آخر
كتابا وان المكتوب اليه يقرا الكتاب من اوله الى آخره ليعرف مراد الكاتب لا ان يشتغل بضبط ما اودع فيه
من الالفاظ اذ ليس يقصد بالكتابة الى حفظ الالفاظ فاذا كان المراد يتوجه من الكلام الى ما ذكرنا ثم القرآن
قصد به الوجهان جميعا ضبط حروفه ونظمه ويعرف ما اودع فيه من المعاني اذ صار حجة بنفسه ولفظه
وبالمعاني المودعة فيه فقيل لا تعجل بتحريك اللسان كما يفعل من يريد اتقان الكلام الذي يلقى اليه
فانك وان احوجت الى حفظ نظمه وحروفه فقد كفيت حفظه بدون تحريك اللسان وجائز ان يكون
نهي عن تحريك اللسان والمبادرة الى حفظه قبل ان يقضى اليه بالوحي لما فيه من ترك التعظيم من ياتيه
بالوحي فامر ان يصغي اليه سمعه ويستمع الى آخره تعظيما للذي اتاها لوحي وتوقيرا له ثم هذه الآية
تنقض على الباطنية على قولهم لان من قولهم ان القرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مؤلفا منظوما بل انزل على قلبه كالخيال فصوره والفه بلسانه فاتى بتاليف عجز الآخرون
عن ان ياتوا بمثله ونحن نقول بل انزل هذا القرآن مؤلفا منظوما على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يكن التاليف من فعله والذي يدل على صحة مقالتنا قوله تعالى لا تحرك به لسانك
لان التاليف لو كان من فعله عليه السلام لكان لا يوجد منه تحريك اللسان وقت ما انزل عليه
لانه اذا كان كالخيال فهو يحتاج الى ان يصوره في قلبه ثم يصل الى التاليف بعد التصوير وبتاليفه
العبارة باللسان وانما يقع التحريك من مؤلف منظوم ثبت انه انزل هذا مؤلفا منظوما والثاني
انه قال ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي
مبين فهذه الآية نعت طعن اولئك الكفرة الذين زعموا ان هذا بقرآن بل انما علمه فلان وكان لسان
ذلك البشر اعجميا وهذا القرآن عربي فكيف يستقيم ان يعلمه ذلك البشر ولسانه غير هذا اللسان
ولو كان هذا القرآن وقت ما انزل كالخيال لكان ذلك الطعن قائما لانه كان يؤلفه ويجمعه باللسان
العربي وان علم بالاعجمية لما قدر ان يؤلفه وينظمه بعد ان كان خيالا باللسان العربي وقوله عز وجل
ان علينا جمعه وقرآنه لانه قد سبق منا الوعد في الكتب المتقدمة بانزال هذا القرآن ولرسالة
هذا الرسول فعلينا انجاز ذلك الوعد ووفاؤه وعلينا في حق الحكمة لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بتبليغ الرسالة ولا يتهيأ له ذلك الا بعد ان يجمع له فيؤديه الى الخلائق ولان الله تعالى
حكيم في فعله ففعله موصوف بالحكمة وان لم يعرف نحن وجه الحكمة في فعله وجائز ان يكون قوله
ان علينا جمعه في حق الرحمة والرافة على الخلق لا ان يكون ذلك حقا لهم قبله تعالى وهو كقوله تعالى
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الى قوله الا رحمة من ربك فاخبر انه ابقى القرآن ولم يذهب به
رحمة منه على عباده وفضلا وقوله عز وجل وقرآنه اي قراءته وتسميته قرآنا كما قيل في تاويل قوله
وقرآنا فرقناه اي جعلناه فرقانا وقوله عز وجل فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اي جمعناه في قلبك
او جمعنا حدوده وما اودع فيه من المعاني او جمعناه بعد ان فرقناه في التنزيل وقوله فاتبع قرآنه
اتباعه يكون باوجه منها ان يبلغه الى الخلق ويعلم امته ويتبع حلاله ويجتنب حرامه وغير ذلك
وقوله ثم ان علينا بيانه جائز ان يكون قوله علينا بيانه اي بيان ما انزلناه اليك مجملا فيكون بيانه
في تعريف ما هو بحق الاتمام وما هو بحق الجواز وما هو في حق التحسين والتزيين لان الفرائض لها
شعب واركان وحواشي ونقول فيها فرائض ولوازم وآداب واركان على هذا ففيه منع تعليق الحكم

بظاهر الخبر لانه لو كان متعلقا به لكان البيان منقضيا بنفس المنزل فلا يحتاج الى ان يبين
وفيه دلالة تاخير البيان عن وقت وقوع الخطاب السمع ويحتمل ان يكون قوله عز وجل علينا بيانه
اي بيان ما هو بحق الكفايات والنتائج منها وما هو بحق الاصول والفروع وما هو بحق المقصود
فنبين لرسوله عليه السلام معنى الاصول والكفايات ليتعرف به فروعها ونتائجها ويبين لمن بعده
ممن جاهد في الله حق جهاده ويهديه لذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
ويكون قوله ثم ان علينا بيانه في ان يحفظك ويعصمك من الناس ليمكنك من تبليغ ما انزل اليك
الى الخلق وتبين لهم والله اعلم ووجه آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى كل من كان
شاهدا من الخلائق الى يوم التناد ثم لم يمكن من تبليغ الرسالة الى كل احد مما ذكرنا بنفسه فكانه ضمن
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التبليغ الى الخلائق كافة بما شاء جل جلاله اما بتسخير الرواة
والحفاظ والعلماء ليبلغوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادى اليهم او يكون قوله ثم ان علينا
بيانه اي بيان المحق من المبطل والولي من العدو وذلك يكون يوم القيامة فيعرف الاولياء بما يحيون
من الكرامات ويتبين الاعداء والمبطلون بما يحل بهم من الحساب وانواع العذاب وقوله عز وجل
كلا بل تحبون العاجلة فقوله كلا ردع ومنع عما سبق منهم وفي قوله بل تحبون العاجلة ابانة ان الذي
حملهم على ما هم فيه من الحسبان ان العظام لا يجمع وان البعث ليس بشيء حبهم العاجلة وذلك انهم اولعوا
بالعاجلة واحبوها حبا انساهم عن الايمان بالآخرة او عن النظر في الحجج والبراهين التي لو امعنوا
النظر فيها ادتهم الى القول بالبعث وحتى صاروا الى ان لا يرجوا الآخرة كقوله ان الذين لا يرجون
لقاءنا الآية وقوله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة ففيه
بيان ما ينتهي اليه عواقب من التزم طاعة الله تعالى وآمن بالبعث والحساب وبيان ما ينتهي اليه
عواقب من تولى عن طاعته فقوله وجوه يومئذ ناضرة جائز ان يكون اريد بها نفس الوجوه وجائز
ان يكون اريد بها الانفس ويكون الوجوه كناية عنها والذي يدل على انه اريد بها الانفس لا اعينها
قوله ووجوه يومئذ باسرة يظن ان يفعل بها فاقرة والوجوه لا يظن ذلك ولا يعلم به فثبت
ان ذكر الوجوه على الكناية لا ان اريد بها اعينها فهذا التاويل اوفق بما يقتضيه ظاهر اللفظ
وانما صلح ان يكون الوجوه كناية عن الانفس وذلك ان النفس اذا تلذذت بامر ونالت شهوتها ظهر
سرور ذلك في وجهه واذا تالمت بامر واعتراها الحزن ظهر اثر الحزن في وجهه فيكون في قوله
وجوه يومئذ ناضرة وصف لهم بما هم عليه من غاية السرور بالكرامات التي اكرموا بها حتى نضرت
وجوههم بذلك واذا ثبت انهم نالوا الكرامات ووصلوا الى انواع اللذات لم يبق لقوله الى ربها ناظرة
موضع الا ان يصرف الى حقيقة النظر فيكون في هذا اثبات القول بالرؤية والثاني ان الملوك الذين
من عادتهم الاحتجاب عن الخلق اذا قربوا اناسا لم يحتجبوا عنه ويكون بركة الاحتجاب آيلا الى ذلك
الذي اكرم بالتقريب من ساير ما يكرم به فجائز ان يكون الله تعالى يكرم اولياءه بالنظر اليه ويتفضل
عليهم بذلك وجائز ان يكون قوله الى ربها ناظرة منصرفا الى انتظار الثواب كما قاله بعض اهل التاويل
فينتظر ما ياتيها من التحف والكرامات حتى وصفوا بنضارة الوجوه فجائز ان يكون بعد ذلك الكرامات
كرامات وتحف اخر لم ياتهم بعد الا ترى الى قوله ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة والبسور
من ادنى احوال التغير وغاية التغير ان يسود الوجوه ويكلح فاذا لم يحل بهؤلاء بعد غاية ما اعدوا
من العذاب فجائز ان يكون الذين وعد لهم الكرامات بعد لم ينتهوا الى اقصاها ولم ينالوا بعد ارفعها
وانما اكرموا ببعضها وهم منتظرون لما ياتيهم من بعد وجائز ان يكون قوله الى ربها ناظرة اي يجعل نظرها

دليل تاخير البيان عن وقت الخطاب

لحب العاجلة نقول بانه

رد الباطنية في نظم القرآن

سبق وعدا بنزوله في الكتب المتقدمة

فيما اكرمت الى الله تعالى ولا يرى ذلك الفضل مستوجبا من جهتها كما قد يرى المرء في الشاهد
بعض ما حل من المال بحيله وسعيه والله اعلم وجايز ان يكون قوله الى ربها ناظرة اسا انه ليس
كل الكرامات في نفسه خاصة والى ما ينتهي اليه نظره بل يكون قد اذلك كرامات آخر فينصرف
قوله الى ربها ناظرة الى ذلك ويحتمل اى الى ربها ناظرة واذا كان قوله الى ربها ناظرة محتملا ان يصرف
الى حقيقة النظر ويصرف الى الكرامات من الوجوه التي بيناها لم يكن لاحد ان يجعل الامر على الكرامات
فينفي عنه حقيقة الرؤية للا بد لا بل ظاهر يحيل القول بالرؤية فيدفع هذا التاويل بتلك
الدلايل فاما انا لم يمكننا اقامة الدلايل على احالة الرؤية فليس له قطع هذا التاويل وصرف التاويل
الى انتظار الكرامات فيكون الآية حجة في جواز الرؤية ان لم تجب في الوجوب والخلاف فيهما واحد
واحتج من نفى التاويل الى حقيقة الرؤية ان قوله وجوه يومئذ باسرة هو مقابل قوله وجوه يومئذ
ناضرة وقوله يظن ان يفعل بها فاقرة على فقد الرؤية ولكن على العقاب نفسه فكذلك قوله الى ربها
ناظرة ليس هو على حقيقة الرؤية ووجودها ولكن واقع على الثواب نفسه وجواب هذا الفصل
من وجهين احدهما ان اهل العقاب بعد لم يتزل بهم جميع ما اوعد وانه في هذه الدنيا من العقاب
لما ذكرنا ان نهاية العذاب في تسود الوجوه ويكلحها ليس في تسودها فلذلك استقام ان يكون قوله
يظن ان يفعل بها فاقرة على نفس العذاب واهل الجنة قد وصلوا الى رفيع الدرجات وعظيم
الكرامات بما وصفوا بنضارة الوجوه فاستقام ان يكون قوله الى ربها ناظرة منصرفا الى حقيقة النظر
لا الى غيره من الكرامات ولان الرؤية من اعلى الكرامات وارفعها واهل العقاب لم ينالوا ادنى
الكرامات فكيف يتوقعون ارفعها اما اهل الجنة فهم قد نالوا من النعم والكرامات ما لا يحصى فجاز
ان يكرموا بالرؤية ايضا والاصل ان القول بالرؤية عندنا واجب والنظر اليه ثابت كما قال
عز وجل ولما جاء في غير خبر النظر الى الله تعالى وقد قال عليه السلام انكم سترون ربكم يوم القيامة
كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته واهل التوحيد لم يختلفوا في صحة الاخبار التي
جاءت في اثبات الرؤية ولكن من نفى الرؤية بالبصر صرف الاخبار الى العلم وذلك غير مستقيم
لوجهين احدهما ان البشارة بالرؤية خص بها اهل الجنة ولو كان المراد من الرؤية العلم لارتفع
الاختصاص لان العلم مما يقع به الاشتراك بين الفريقين ولان كلا يجمع على العلم بالله تعالى
في الآخرة العلم الذي لا يعتريه الوسواس ولا الريب والعلم الذي لا يعتريه الوسواس والريب
هو علم العيان والمشاهدة لا علم الاستدلال لان الآيات لا يضطر اهلها الى العلم الحقيقي
الا ترى الى قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وقال ثم لم يكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين وقال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم
على شيء فاذا ثبت ما ذكرنا فقد صاروا مثبتين للرؤية من الوجه الذي ارادوا نفيها فيثبت الرؤية
على نفي جميع معاني التشبيه عن الله تعالى ولا نصف الرؤية بالكيفية اذ الكيفية يكون الذي صورة
وهو يرى بلا كيف والله الموفق وقوله عز وجل تظن ان يفعل بها فاقرة فجايز ان يكون الظن
في موضع العلم هاهنا وجايز ان يكون على حقيقة الظن وذلك ان الظن يتولد من ظواهر الاشيا
فالاسباب اذا كثرت وان دحمت وقع بها العلم واذا قلت وخفيت لم يقع بها علم فجايز ان يكون
اسبابا لشر احاطت به من كل جانب حتى وقع الياس من النجاة وايقن انه يفعل به الشر وجايز ان يكون
الامن بعد لم يبلغ مبلغ الاياس فيتوقع النجاة ولا يتيقن ان يفعل بها فاقرة بل يكون منه على ظن
والله اعلم والفاقرة قيل الشر والمنكر والداهية وقيل الفقرة هي كسير الظهر والفقر الكسر والفقار

الاصل ان القول بالرؤية واجب

رؤية بلا كيف

944

وعظم في الظهر يكسره فكان عظيم الظهر يكسر في الآخرة ونعت في النار على وجهه قال رحمه الله
كان هذه السورة من اولها الى آخرها الا آيات منها وهو قوله بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة نزلت في تبيين معاملة احد من الكفرة على الاشارة اليه مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترك في من يشاركه في معاملته فامر الله تعالى نبيه عليه السلام
ان يعامله ويستقبله بالذي يحق على الحكماء معاملة السفهاء ولم يامر ان يعامله مثله من السفها
وبين معاملته في هذه السورة ليعلم امته ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهد والبلاء
في اظهار دين الله تعالى فيعلموا قدره ومنزلته ويعظموا دين الله تعالى بما نالوه سمحا سهلا وامر
ان يعامل بعد معاملة من يرجع الى المنعة والشوكة بقوله اولى لك فاولى والله اعلم وقوله عز وجل
كلا اذا بلغت التراقي فقوله كلا يحتمل وجهين احدهما ان يكون اريد به حقا ويحتمل ان يكون
على الردع والزجر اى لا تفعل مثل هذا فانك ستندم في الوقت الذي قال اذا بلغت التراقي كانهم
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت ندمهم فبين لهم ذلك بقوله تعالى اذا بلغت التراقي
والتراقي هي عروق العنق كانه يقول حين نزول النفس اى الروح عن مكانها وينتهي الى التراقي
وقوله عز وجل وقيل من راق فجايز ان يكون الملايكة هم الذين يقولون هذا فيقول بعضهم
من يرقى بروحه املايكة الرحمة ام ملايكة العذاب من رقى يرقى اى صعدا ومن يقبض روحه
ويحتمل ان يكون يقول اهله من الذي يرقيه رقية فيشفى فيكون فيما اخبار عما حل به من الضعف
والشدة انه يمتنع عن ان يقول ادعوا لي داعيا لعلي اشفى فيكون اهله هم الذين يقولون هذا فيما بينهم
وقوله عز وجل وظن انه الفراق فجايز ان يكون الظن على الايقان هاهنا لما وقع له الياس من الحيوة
وكذا روي في قراءة ابن عباس رضي الله عنه وايقن انه الفراق وجايز ان يكون على حقيقة الظن
لما لم يقع له الاياس من حيوته بعد فهو يامل بعد وقوله عز وجل والتفت الساق بالساق
اختلفوا في تاويله قيل لفت ساقاه احدهما على الاخرى فلا يفترقان كالالتفاف الاشجار حتى لا يجد
نفعا نافعها ولا هربا وقيل ان ساقيه في القيامة ليضعف عن حمل من شدة الفزع وقيل اريد بالساق
الشدة يقال قامت الحرب على ساق اى على شدة اى وصلت شدة الموت بشدة الآخرة واجتمعت شدة
الدنيا مع شدة الآخرة عليه لانه دخل به سكرات الموت ونزلت به شدايد الآخرة وذلك آخر يوم
من الدنيا واول يوم من الآخرة وقيل ما من ميت يموت الا التفت ساقاه من شدة ما يقاسي من الموت
وقال بعضهم والتفت الساق بالساق معناه ان الملايكة يجهزون روحه وبني آدم يجهزون بدنه
فذلك التفاف الساق بالساق وقوله عز وجل الى ربك يومئذ المساق اى الى ما وعد ربك
يومئذ يساق اما الى الخير واما الى الشر وقوله عز وجل فلا صدق اى فلا صدق بما جاء من عند الله تعالى
من الاخبار ولا صدق رسوله صلى الله عليه وسلم ولا صلى يحتمل ان يكون اريد به نفس الصلوة وذلك
ان الصلوة حببت الى الانفس كلها حتى لا ترى اهل دين الا وقد حببت الصلوة اليهم فيكون في قوله
ولا صدق ولا صلى ابانة سفهه وجهله او يكون قوله ولا صلى اى ولا الى بالمعنى الذي له الصلوة وهو
الاستسلام والانقياد لله تعالى وقوله عز وجل ولكن كذب وتولى اى ولكن كذب بالاخبار
التي جاء بها وتولى اى اعرض عن طاعة الله تعالى وقوله ثم ذهب الى اهله يتمطى اى يتبختر ويتكبر
وذلك ان الاختيال والتكبر انما يليق بمن اتى بفعل عظيم يعجز غيره عن اتيان مثله نحو ان يهزم جندا
عظيما او يفتح كورة حصينة وهذا الذي تمطى لم يفعل سوى ان كذب بآيات الله تعالى عن طاعته
وما هذا الا فعل السفهاء الحمقى فاني يليق بمثله التمطي وقوله عز وجل اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى

معاملة الحكماء مع السفهاء

في تعظيم دينه ... آياته ... سهلا وسمحا

فجايز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له قل اولى لك فاولى اذ كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له اولى لك فاولى وبين تعالى ذلك في كتابه وقال اهل التاويل هذا وعيد
على وعيد كانه قال ويلك فويل ثم ويل لك فويل وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ بجميع ثيابه وقال له هذا فلم يتهيا لك المسكين ان يدفع رسول الله عن نفسه وكان يفتخر
بكثرة انصاره وانه اعز من يمشي من الجبلين فالله تعالى بلطفه اذله واهانه حتى لم يتهيا له الخلاص
عما نزل به ولا نفعه قواه وكثرة اتباعه وجايز ان يكون قوله اولى لك فاولى اي لا احد اولى لك
ان ينظر فيما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من الذي كان عليه اباؤك ليظهر لك الصواب
من الخطا والحق من الباطل فيتبع الصواب من ذلك فتجهز به شرف الدنيا والآخرة اذ كان يفتخر بشرفه
وعزه فان اردت ان يدوم لك الشرف فالاولى لك ان ينظر الى ما ذكرنا فيتبع الصواب من ذلك والثاني
ان العرب كانت عادتها ان تقوم بنصر قبيلتها والذب عنها كانت ظالمة في ذلك او لم تكن ظالمة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان من قبيلة ابي جهل فلو كان على غير حق عندك كان الاولى بك
ان ينصره ويعينه على ما عليه عادة العرب وان كان محقا فهو اولى فتركت ما هو اولى به من النصر
والحماية **وقوله** عز وجل ايحسب الانسان ان يترك سدى فجايز ان يكون هذا الانسان دهري المذهب
فيكون قوله ايحسب الانسان على حقيقة الحسبان لانه يحسب ان لا بعث ولا حساب وقد كان في اهل مكة
من هو دهري المذهب وان كان الخطاب في قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى ليس على تحقيق
الحسبان ولكن معناه ايفعل فعل من يؤذن عن امره كان فعله موافقا لفعل من يحسب انه يترك
سدى كما ذكرنا في قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه وهو لا يريد ان يكون فاجرا في الحقيقة
ولكن يفعل فعل من يعقب فعله الفجور وهو كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك
ظن الذين كفروا وليس على حقيقة الظن ولكن اذا لم يقل بالبعث ولم يؤمن به فقد وصفا نخلقهما
انه على باطل وذلك الفعل الذي ذكرنا يكون في ترك الايمان بالبعث وشد جحد الرسالة لان المحاسن
لابد من ان يكون لها عواقب وكذلك المساوي ثم تمر هذه الدار على المسيء والمحسن مرا واحدا فلابد
من ان يكون بعده دار اخرى فيها تبين مرتبة المحسن ومرد المسيء فمن لم يؤمن بالبعث فهو لا يجعل
للمحاسن والمساوي عواقب وسوى بين مرتبة المسيء ومرتبة المحسن وذلك عبث والثاني ان من عرف
انه لم يخلق عبثا ولا يترك سدى فلا بد لمثله من ان يرغب ويرهب ويومر وينهى ولا يعرف ذلك
الا بالرسول والعقول لحاجتنا الى رسول يبين لهم ما ياتون وما يتقون وما يرغبون في مثله
وما يحذرون فمن انكر الرسالة فقد اهمل نفسه عن المرغوب والمرهوب وعن الامر والنهي وذلك
حال من خلق سدى **وقوله** الم يك نطفة من مني يمنى والوجه فيه ان كل احد يعلم ان نشوه
كان من نطفة وتلك النطفة لو رويت موضوعة على طبق ثم اجتمع حكماء الارض على ان يقدروا منها
بشرا سويا كما قدره الله تعالى في تلك الظلمات لم يصلوا اليه ابدا وان استفرغوا مجهودهم وانفدوا
حيلهم وقواهم ولو ارادوا ان يتعرفوا المعنى الذي لذلك المعنى صلحت النطفة على ان ينشى منها
العلقة والمضغة الى ان انشى بشرا سويا عليه فيعلموا ان من بلغت قدرته هذا هو احكم الحاكمين
ولو كان الامر على ما زعموا ان لا بعث لم يكن هو احكم الحاكمين بل كان واحدا من اللاعبين وتبين بما ذكرنا
ان الذي بلغت قدرته لا يوصف بالعجز ومن زعم ان قدرته لا ينتهي الى البعث فقد وصف الرب
بالعجز تعالى الله عما يشركون **وقوله** عز وجل اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فقوله اليس
في موضع التحقيق والتقرير وان كان خارجا مخرج الاستفهام على ما ذكرنا ان ما خرج مخرج الاستفهام

دليل البعث

من الله تعالى فحقه ان يصرف الى الوجه الذي يقتضيه ذلك الخطاب ان لو كان من مستفهم ثم قال
لاخر في الشاهد اليس الله تعالى بقادر على احياء الموتى فحقه ان يقول بلى هو قادر على ذلك وكذلك ذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال حين تلا هذه الاية سبحانك فبلى فقوله اليس ذلك بقادر اي هو قادر على احياء الموتى والله الموفق

سورة الانسان مدنية وايها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فهل ومن ولعل من استفهام
والجب وحقه ان ينظر ان لو كان مثل هذا الكلام من مستفهم ما الذي كان يقتضي من الجواب فاذا قال
الانسان لاخر من اظلم ممن افترى على الله كذبا فجوابه ان يقول لا احد اظلم منه واذا قال لاخر
هل اتاك حديث فلان فحق المجيب ان يقول ان كان قد اتاه حديث فلان قد اتاني وان كان لم ياته
فحقه ان يسأله كيف كان حديثه ليعرفه فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتاه خبر الانسان
بمعنى قوله هل اتى على الانسان اي قد اتى على الانسان وان لم يكن اتاه فحقه ان يسال حتى
يتبين له وقيل الانسان ادم عليه السلام ثم لقايل ان كيف قال قد اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا فهو ان لم يكن شيئا في ذلك الوقت لم يكن انسانا واذا لم يكن انسانا لم يات عليه حين
من الدهر وهو انسان وان كان في ذلك الوقت مخلوقا فقد صار مذكورا واذا صار مذكورا فقد اتى
عليه حين من الدهر وهو مذكور فما معناه قيل فيه من وجوه احدها ان يكون قوله عز وجل هل اتى
على الانسان اي على مادة الانسان وهو الاصل الذي خلق منه ادم عليه السلام وهو التراب فقال
لم يكن شيئا مذكورا على الاستصغار لذلك الاصل اذ التراب لا يذكر في الاشياء المذكورة والى هذا
يذهب ابو بكر الاصم والوجه الثاني قيل قد اتى على الخلق حين من الدهر لم يكن الانسان فيه شيئا مذكورا
في تلك الخلايق والوجه الثالث قد اتى عليه حين من الدهر لم يكن مذكورا في الممتحنين فالله تعالى
وهذا في كل انسان لانه ما لم يبلغ لم يجر عليه الخطاب ولم يكن مذكورا في الممتحنين فالله تعالى خلق الخلايق
ليعبدوه بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فقوله ليعبدون اذا صاروا من اهل المحنة
فالى ان يبلغ قد اتى عليه حين من الدهر لم يكن مذكورا في جملة من خلقوا للعبادة والله اعلم **وقوله**
عز وجل انا خلقنا الانسان من نطفة والانسان لم يكن انسانا في النطفة ولا في العلقة ولا في المضغة
ولكن المقصود من انشاء النطفة والعلقة هذا الانسان والعواقب في الافعال هي الاوايل في القصد
والمراد فاستقام اضافته الى ما ذكرنا كما رجع اليه القصد من انشائها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته فالزم النظر في العواقب
فثبت ان المقصود من فعل اهل التمييز العاقبة واذا كانت العاقبة مقصودا اليها في الابتداء صارت
العاقبة كالموجودة في الابتداء لذلك استقام اضافة الانسان الى النطفة والعلقة والمضغة ثم قوله
عز وجل انا خلقنا الانسان من نطفة منصرف الى ولد ادم فيكون المعنى من الانسان اولاده ثم ذكرهم
ابتداء احوالهم وما ينتهي اليهم عاقبتهم وهو الموت ليتعظوا به ويتذكروا ووجه الاتعاظ هو انهم
اذا علموا ابتداء احوالهم وعلموا ما ينتهي اليه عاقبتهم علموا في الحال التي هم فيها ان انفسهم في ابدانهم
ليست لهم بل عارية في ابدانهم اذ لم يكن منهم صنع في الابتداء او امانة والحق على الامين ان يقوم
بحفظ الامانة ورعايتها وان لا يخون صاحبها فيها فان خانها ولم يتول حفظها لحقته المسبة والمذمة
وان حفظها ورعاها حق رعايتها استوجب الحمد والثناء من صاحبها والحق على المستعير ان يتمتع بالعارية

وعظ

وينتفع بها الى الوقت الذى اذن له وان لا يضيعها فان ضيعها لحقته الغرامة والضمان بتضييعه اياها
وكذلك اذا علموا انها فى ابدانهم عادية وامانة علموا ان عليهم رعايتها واستعمالها فى الوجه الذى اذن لهم
فيها الا ان يلحقهم التبعة فى العاقبة ولا يلزمهم المسبة والمذمة فى ذلك فى الدنيا والاخرة والله اعلم
والثانى ان النظر فى ابتداء الخلقة والى ما يصير عند انقضاء الامر يدعو الى ايجاب العقول بالبعث والى التصديق
بكل ما ياتى به الرسل من الاخبار وذلك ان التامل فى ابتداء الخلقة يظهر عجيب قدرة الله تعالى
ولطيف حكمته ويعلم ان الذى بلغت حكمته هذا المبلغ لا يجوز ان يقع قصده من انشاء الخلق للافناء
خاصة لخروجه عن حد الحكمة فيحملهم ذلك عن القول بالبعث ولا النظر فى ابتداء الخلقة والنظر
الى ما يرجع اليه بعد الوفاة مما يمنع الافتخار والتكبر لان النشاه كان من نطفة يستقذرها الخلايق ومن علقة
ومضغة يستخبثها كل احد وبعد الممات يصير جيفة قذرة ومن كان هذا شانه لم يحسن التكبر فى مثله
فكان فى تذكيرا وايل الاحوال واواخرها موعظة لهم ليتعظوا ويتبصروا وتعريفهم ان التكبر
لا يحسن من امثالهم فيحملهم ذلك على التواضع وترك الافتخار والتجبر والله اعلم **وقوله** عز وجل
امشاج نبتليه والامشاج الاخلاط ثم الاخلاط يقع بوجهين احدهما فى اختلاط ماء الرجل بماء
المرأة والثانى يقع فى الاحوال وهو ان النطفة اذا تحولت علقة لم يحول بدفعة واحدة بل هى تغلظ
شيا فشيئا حتى اذا تم غلظها صارت علقة وكذلك العلقة يدخل فيها التغير شيا فشيئا حتى اذا تم
التغير فيها حالت مضغة فهذا هو الاختلاط فى الاحوال ومنهم من قال الاخلاط الطبايع الاربع
التى عليها جبل الانسان ومنهم من صرف الخلط الى الالوان فذكر ان ماء الرجل ابيض يخالطه حمرة
وماء المرأة احمر يخالطه صفرة **وقوله** نبتليه اى بالخير والشر والامر والنهى ثم الابتلاء هو
الاستظهار لما خفى من الامور والله تعالى لا يخفى عليه امر فيحتاج الى استظهاره ولكنه نبتليه
ليظهر للمبتلا ما كان خفيا عليه بفعله وتركه واما الخلق فهم يمتحنون ويبتلون ليظهر لهم ما كان
خفيا عليهم فيكون الابتلاء منصرفا اليهم لا الى المبتلا والممتحن والثانى ان الابتلاء لما كان
لاستظهار ما خفى من الامور وذلك يكون بالامر والنهى سمى الامر من الله تعالى والنهى لعباده ابتلاء
لمكان الامر والنهى لا على تحقيق معنى الابتلاء منه وقال الحسن لما صلح ان يضاف الاستخبار الى الله تعالى
وان كان هو خبيرا عالما استخبره فجاز ان يضاف اليه الابتلاء ايضا وان كان هو بالذى ابتلاه
عالما بصيرا من العبد بعد الابتلاء من الفعل كان غايبا فالله تعالى يعرفه شاهدا بفعله وقيل
ذلك كان يعرفه غايبا لان معرفته ما يكون ان يعرف مثل كونه غايبا وبعد كونه شاهدا والله اعلم
وقوله عز وجل فجعلناه سميعا بصيرا اى جعلنا له سمعا يميز بين ما يودى اليه سمعه
وجعلنا له بصرا يبصر به ما ادى بصره الوجه ليضع كل شئ موضعه وذلك هو بصر القلب وسمع القلب
لانه قد خص البشر بالابتلاء لمكان بصر الباطن والسمع الباطن الا ترى ان البهايم لها بصر الظاهر
وكذلك السمع ويحتمل اى جعلناه سميعا بصيرا يبصر ما له وما عليه وما ينفعه وما يضره ثم انشا فيه
السمع والبصر ولا يعرف كيفية السمع والبصر الذى جعل فيه ولا ماهيته ولا ما هو لطفا منه ليعلم
انه منشئ الكيفيات والماهيات وانه يتعالى عن الوصف له بالكيفية والماهية ثم قال تعالى انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا يحتمل قوله عز وجل انا هديناه السبيل اوجها ثلاثة احدها هديناه
السبيل لاصلاح بدنه ومعاشه او هديناه السبيل الذى يصلون به الى استبقاء النسل والتوالد
الى يوم التناد او هديناه السبيل الذى يرجع الى صلاح دينهم وامر آخرتهم باكتساب المحامد
والمحاسن ثم قوله اما شاكرا واما كفورا اخبر انه قد بين لهم السبيل وهداهم اليه ثم منهم

من يختار الشكر ومنهم من يختار الكفران له ثم بين ما اعد للكفور منهم وما اعد للشكور
وهو ما قال انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ثم قوله انا هديناه السبيل اذا كان
المراد منه الطريق فكانه قال انا بينا كل الطريق فان سلك طريق كذا واختار يكون شاكرا فان سلك
طريق كذا واختار يكون كفورا ثم بين لكل طريق الذى سلكه جزاء وثوابا ثم قوله عز وجل انا اعتدنا
للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ففيه انباء ان ايديهم يغل ويشدون بالسلاسل فلا يتهيا لهم
ان يتقوا العذاب عن وجوههم ثم قرئ سلاسل لانها غير منصرفة وقرئ سلاسل وصرفه بناء
على ان الاسماء كلها منصرفة الانواع واحد وقال الزجاج السلاسل لا ينصرف لانه لا فعل لها لكن صرفها
ها هنا لانها من رؤس الايات وقيل لانه جعل راس الاية **وقوله** عز وجل ان الابرار يشربون من كاس
كان مزاجها كافورا فمنهم من ذكر ان الكافور شئ اعده الله تعالى لاهل كرامته لم يطلع عباده
على ذلك فى الدنيا ومنهم من ذكر ان الكافور شئ جرى ذكر منه الكتب المتقدمة فذكر ذلك فى القرآن
ومنهم من قال انه عين من عيون الجنة ومنهم من صرفه الى الكافور المعروف لكن قيل انه كناية
عن طيب الشراب وقيل انه كناية عن برودة الشراب لانه ذكر ان ذلك الشراب فى طبعه كالكافور
لان الذ الشراب عند الناس البارد منه لان يكون فى نفسه باردا وذكروا ان الكاس لا يسمى كاسا حتى يكون
فيها خمر **وقوله** عز وجل عينا يشرب بها عباد الله ومعناه منها لا ان يقع شربهم بها وسميت العين عينا
لوقوع العين عليها **وقوله** عز وجل يفجرونها تفجيرا ففيه اخبار ان ماء العيون جارية يفجرونها حيث
شاؤا ثم المراد من ذكر العباد ها هنا هم الذين اطاعوا الله تعالى وقاموا بوفاء ما عليهم وهم الذين
قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين **وقوله** عز وجل يوفون
بالنذر والنذر هو العهد فجايز ان يكون اراد به الوفاء ان اراد بالنذر بكل ما اوجب الله تعالى من الفرايض
والحقوق فيكون فرايضه عهده كقوله عز وجل اوفوا بعهدى وجايز ان يكون اراد بالنذر ما اوجبوا
على انفسهم من القرب سوى ما اوجبها الله تعالى عليهم فيكون فيه اخبار انهم قاموا باداء الفرايض وتقربوا
الى الله تعالى مع ذلك بقرب اخر فاستوجبوا المدح بوفائهم بما اوجبوا على انفسهم وقال ابتدعوها
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فلحقهم الذم لما لم يقوموا برعايته حقه
ليس بايجابهم على انفسهم ما لم يوجبه الله تعالى عليهم **وقوله** عز وجل ويخافون يوما كان شره
مستطيرا قيل استطار شر ذلك اليوم خلاء السموات والارضين كل شئ حتى انشقت السموات
وتناثرت النجوم ونسفت الجبال ومعناه ان هول ذلك اليوم قد عم وفشى فى اهل السموات
والارض حتى خافوا على انفسهم وقيل سمى مستطيرا اى طويلا ويقال استطار الرجل اذا اشتد غضبه
واستطار الامر اى اشتد فسمى مستطيرا اى شديدا **وقوله** عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما واسيرا فالحب يتوجه الى معانى يتوجه الى ايثار مرة والى ميل النفس وركون القلب اخرى ومرة
يعبر به عن الشهوة فالمراد من الحب ها هنا الشهوة فيكون قوله عز وجل على حبه اى على شهوتهم
وحاجتهم اليه وقيل ويطعمون فى حال عزة الطعام وقيل ايطعمون الطعام على حبهم لها وحرصهم
عليها ليس ان يطعموا عند الاياس من الحيوة الى ما روى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
افضل الصدقة ان يتصدق وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر **وقوله** عز وجل انما نطعمكم
لوجه الله قيل انهم لم يتكلموا بهذا اللفظ اعنى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا الاية
ولكن علم الله تعالى ذلك من قلوبهم فاثنى عليهم بذلك ليرغب فى ذلك الراغبون الا ترى انهم
كانوا يطعمون الاسارى ولا يطمع من الاسارى المجازاة والشكر ليعلم انهم لم يقصدوا به الا وجه الله تعالى

يحققهم ن

ابتلاء وامتحان
للخلق

سمى الامر والنهى
ابتلاء مجازا

خوفا اهل السموات
من شدة ذلك
اليوم

فى الاصعاب
لوجه الله

والتقرب اليه والمجازاة هي المكافاة لما اسدى اليه والشكر هو الثناء عليه والبسته عنه وقوله
عز وجل انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فمنهم من جعل هذا نعتا لذلك اليوم فيكون
معناه ان هذا اليوم وهو يوم القيامة من بين ساير الايام كالانسان العبوس من بين غيره ومنهم
من صرفه الى الخلايق فيكون معنى قوله تعالى يوما عبوسا اى يوما يعبس فيه وجوه الخلايق لا ان يكون
اليوم بنفسه عبوسا وهو كقوله تعالى والنهار مبصرا اى يبصر فيه وتقول العرب ما زال الطريق بين
منذ اليوم على معنى بمر الناس فيه فيرجع هذا الى وصف ما يكون عليه ذلك اليوم على ما ذكرنا ان الله تعالى
ذكر اليوم بالاحوال التى يكون عليها حال ذلك اليوم فى قوله تعالى وترى الناس سكارى وقوله تعالى
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وغير ذلك من الايات وقوله عز وجل قمطريرا قيل شديدا
وقيل القمطرير الذى يقبض الوجه بالبسور والعبوسة ويروى ما بين العينين وقيل القمطرير
المشوق على اهل النار وقيل القمطرير هى كلمة من كتب الاولين وقوله عز وجل فوقاهم الله شر ذلك
اليوم فجايز ان يكون الوقاية منصرفة الى الموعود فى ذلك اليوم من العقوبة والنكال لان يكونوا وقوا
من هول ذلك اليوم فلا يرون الجحيم ولا اهوالها وجايز ان يكون وقاهم عما كانوا يخافون من التبعة
لدى الحساب كقوله انى ظننت انى ملاق حسابيه فكانهم يخافون على انفسهم المناقشة فى الحساب
فاذا راوا سياتهم مغفورة وحسناتهم متقبلة سروا بذلك ووقوا شره وجايز ان يكونوا امنوا
من اهوال القيامة وافزاعها حين نشروا من القبور وتلقتهم الملايكة بالبشارة كما قال ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقوله عز وجل ولقيهم نضرة وسرورا
فالسرور عبارة عن انتفاء الحزن عنهم والنضرة اثر كل نعيم وقيل نضرة فى وجوههم وسرورا
فى قلوبهم وقوله عز وجل وجزاهم بما صبروا اى على الطاعات وصبروا عن معاصى الله
جنة وحريرا اى جزاهم جنة وجزاهم حريرا فذكر الحرير لان الجنان انما يذكر فى موضع التلذذ
والتنعم بالماكل والمشارب دون التنعم باللباس فوعدلهم اللباس من الحرير مع ما جزاهم الجنة
وقوله عز وجل متكئين على الارائك يذكر تفسيرها بعد هذا ان شاء الله وقوله عز وجل
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا لانه لا شمس فيه ولا زمهرير بل يكون ظلها دايما ممدودا
فجايز ان يكون المراد منه ان ضياء الجنة ليس بالشمس ولكن بما خلقت مضيئة لان الشمس
فى الدنيا يقع بها الضياء فيكون ضياء النهار بالشمس وذكر انهم لا يرون فيها الزمهرير ليعلم
ان لذاذة شراب الجنة وبرودته فى الخلقة لا ان يكون برودتها بتغير يقع فى الاحوال على ما يكون عليه
شراب اهل الدنيا او يكون ذكر هذا ليعلموا انهم لا يوذون بحر ولا برد وقوله عز وجل ودانية
عليهم ظلالها فجايز ان يراد به انها دانية من هولاء الذين سبق نعتهم وهم الابرار كقوله عز وجل
ان رحمة الله قريب من المحسنين او ذكر ان ظلالها دانية لانها لو لم يكن دانية لكان لا يقع لهم بها
انتفاع وقيل هى ظلال غصون الاشجار قريب منهم لان الجنة نور يتلالا فيقع بالاشجار ظلال
على ما جاء فى الخبر انه لو القى سوار من الجنة فى الدنيا لاضاءت الدنيا ويغلب ضوءها ضوء الشمس
ويجوز ذلك فيقع للاشجار فيها ظلال كما يستهونه فى الدنيا ليس على ذلك شمس ولا قمر وقوله
عز وجل وذللت قطوفها تذليلا فجايز ان يكون اريد بالتذليل التليين اى لينت فلا يرد
ايديهم عنها شوك وقيل ان اشجارها ليست بطوال لا ينال ثمارها الا بعد عناء وكد بل قريبة
من اربابها يقال حايط ذليل اذا لم يكن عاليا فى السماء وقيل ذللت اى سويت الاشجار لا يتفاوت
بعضها بعضا يقول اهل المدينة اذا استوت عذوق النخلة قد ذللت النخلة وقيل ذللت اى سخرت

والذلل

والتذليل التسخير فيتناولوا منها كيف شاؤا ان شاؤا تناولوها وهم قيام وان شاؤا
تناولوها وهم جلوس او نيام على الفرش وجايز ان يكون تسخيرها على ما ذكر عن بعض المتقدمين
ان شجر الجنة عروقها من فوق وفروعها من اسفل والثمار بين ذلك وقوله تعالى ويطاف عليهم
بآنية من فضة واكواب قيل الاكواب يذكر فى سورة هل اتاك حديث الغاشية ثم اخبر
ان تلك الاكواب قوارير من فضة قيل هى من فضة ولها صفاء القوارير يرى ما فيها من الشراب
من خارجها لصفايها ثم الانية من الفضة فى اعين اهلها ارفع واشرف من الانا المتخذة من الزجاج
فكذلك الصفاء الذى يكون بالفضة ابلغ وارفع فى اعين اهلها من الصفاء الذى يقع
بالقوارير قوارير قوارير من فضة على الاصل المعهود انه لا ينصرف وقرئ قوله قواريرا على الوقف عليه
موافقا لاخر ساير الايات وقرئ قواريرا بالتنوين عند الوصل ايضا لانه راس الاية وقوله عز وجل
قدروها تقديرا اى جعلت على قدر ريهم وقيل يسقون على القدر الذى قدروه فى انفسهم
وحدثت به انفسهم فلا تقدرون فى قلوبهم مقدارا الا اتوا بها على ذلك وقوله عز وجل
ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا فمنهم من زعم انه انما العرب كانوا اذا اعجبهم شراب
نعتوه وقالوا كالزنجبيل فخرجت البشارة من الوجه الذى يرغب فى مثله الانفس ومنهم من ذكر
ان الزنجبيل والسلسبيل واحد وهما اسم العين ومنهم من ذكر فى السلسبيل اى سل سبيلا
الى ذلك العين وقال قتادة اى سلسلة السبيل مستعذب ماوها وقيل سلسبيلا شديد الجرية
وقوله عز وجل ويطوف عليهم ولدان مخلدون ذكر الولدان لا ان يكون فيها ولاد ولكنهم انشؤا
ولدانا فيخلدون كذلك يكبرون ولا يهرمون وجايز ان يكون الولدان ولدان الكفرة الذين ماتوا
فى الدنيا صغارا فلا يكون لهم فى الجنة اباء ليس فعوا الى درجة الاباء فيجعلهم الله تعالى خدما
لاهل الجنة وقوله اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا فمنهم من يقول ان الله تعالى شبه حسنهم
بحسن اللولو المنثور اذ احسن ما يكون اللولو اذا كان منثورا فجايز ان يكون هولاء الولدان فضلوا
فى الحسن على ساير الجواهر التى يكون فى الجنة كما فضل الدر فى الدنيا على ساير الجواهر ومنهم من يقول
انهم ما لم يطوفوا فمن راهم حسبهم لولوا منثورا واذا طافوا وتحركوا فحينئذ يعلمون انهم ولدان
وقوله عز وجل واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا قيل هما اللذان لا نعت لهما ولا وصف وقيل
الملك استيذان الملايكة عليهم وملوك الدنيا وان علت زينتهم لم يملكوا الاحتجاب من دخول الملايكة
عليهم بغير استيذان والملك هو الذى له نفاذ الامور وجايز ان يكون ذكر النعيم والملك الكبير
على معنى انه لا ينقطع عنهم بل اذا رايتهم فى نعيم وملك كبير وقوله عاليهم ثياب
سندس خضر واستبرق فجايز ان يكون اراد بالعالى ما علا من المكان الذى هم فيه فيخبر
ان فى اعلى اماكنهم ثياب خضر من سندس كما هو فى المكان الذى سفل موضع جلوسهم لانهم يكونون
على الارايك والحجال فيكون ما تحت الحجال والارايك من الاماكن زرابى مبثوثة ونمارق مصفوفة
ويكون عاليها كذلك فان كان على هذا فلا فرق بين ان يكون فرش ذلك المكان من حرير او ديباج
غليظ الا ان يريد بالاستبرق الديباج الغليظ وبين ان يكون من ديباج رقيق اذ كل ذلك مما يرغب
فى مثله والله اعلم وقيل عاليهم اى على ثيابهم سندس خضر واستبرق وقال بعضهم على
انفسهم ثياب سندس ومنهم من صرف السندس الى اللباس والاستبرق الى ما يبسط لان الديباج
الغليظ مما لا يرغب الانفس الى لبس مثله فجمع ما بين ما يلبس وبين ما يفترش وبين الفضل
فى احدهما ولم يذكر فى الاخر ومنهم من قال عاليهم هم الولدان يطوفون من عاليهم والله اعلم

وقوله عز وجل وحلوا اساور من فضة فبشرهم بالاساور من الفضة لان الفضة مستحسنة بنفسها لبياضها والذهب استحسانه لقدره وعزته ليس لنفسه لانه اصفر والاعين لا يستحسن هذا اللون فجرت البشارة بالفضة لا بالذهب وقال بعضهم يحلى الرجال باسورة من فضة على ما ابيح لهم التحلي بخاتم الفضة في الدنيا ويحلى النساء باساور الذهب على ما ابيح لهن التحلي بها في الدنيا وقوله عز وجل وسقاهم ربهم شرابا طهورا قيل هو الخمر يطهر من الآفات ومن كل مكروه ويطهر قلوبهم من الغل فيعمل ذلك الشراب في تطهير الظاهر والباطن وشراب الدنيا يطهر ظاهر البدن وباطن البدن بجنس الشراب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشراب والجماع فقال يهودي ان الذي ياكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة احدهم عرق يفيض من جسده فيضمر لذلك بطنه والاصل انك قد ترى الطعام الذي يطعمه الانسان في الدنيا يبقى قوته في البدن حتى يظهر ذلك في كل جارحة من جوارحه وكذلك الشهوة يبقى فيها ثم يخرج الثقل منها والفضل فجايز ان يرفع الله تعالى من ذلك الطعام الفضل الذي يزايل البدن فيكون طعامهم ذلك اللطيف الذي يبقى في النفس وقوله عز وجل ان هذا كان لكم جزاء فجايز ان يكون هذه البشارة خرجت لاهلها في الدنيا وجايز ان يكون لهم في الآخرة ان هذا الذي اكرمتم به من الكرامات جزاء لعملكم وسعيكم في الدنيا وقوله عز وجل انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا قيل فرقنا عليك القرآن تفريقا والحكمة في التفريق ما ذكر في آية اخرى وهو قوله وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك فاخبر ان في التفريق تثبيت فيكون الناس لما وعى واعرف بمواقع النوازل منه من ان ينزل جملة واحدة ثم اضاف التنزيل الى نفسه هاهنا واضاف الى جبريل عليه الصلوة والسلام في قوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك وقوله عز وجل انه لقول رسول كريم وقال في آية اخرى حتى يسمع كلام الله فاضافه الى نفسه وقال في لوح محفوظ فهذا كله على مجاز الكلام ليس على الحقيقة فحق كل من ذلك ان يصرف الى ما اليه اوجه والى ما يستجيز الناس من التعامل فيما بينهم بذلك الكلام فاذا قيل هذا في اللوح فهم به واريد منه انه مكتوب فيه وقوله عز وجل حتى يسمع كلام الله معناه انه حتى يسمع كلاما يدله على كلام الله تعالى لا انه يكون ذلك كلامه واضافه الى جبريل عليه السلام لانه من قبله يلقاه لا ان يكون ذلك كلام جبريل عليه السلام ثم قد ذكر الحكمة في انزال القرآن مفرقا قبل هذا الفصل الكافي منه ثم جايز ان يكون التفريق لمكان اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لمكانه لان الله تعالى يسر على نبيه حفظه حتى كان يبقى جميع ما ينزل اليه جبريل عليه السلام بما يقرا عليه مرة واحدة وقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به الآية فضمن له الحفظ فامن النسيان فاما غيره فانه يشتد عليه ان لو كلفه حفظه بدفعة واحدة فانزل مفرقا ليكونوا اقدر على حفظه ولهذا اكثر حفاظ القرآن في هذه الامة وكثر قراؤها وكثر فقهاء هذه الامة لان القرآن انزل مفرقا على اثر النوازل فعرفوا مواقع النوازل فوقفوا على معرفة ما اودع في الآيات لمعرفتهم مواقع النوازل والمنسوخ ولو نزل جملة واحدة اشتبه عليهم الناسخ والمنسوخ فانزل الله تعالى مفرقا ليكونوا يعلم الناسخ والمنسوخ والله اعلم ولانه اذا نزل مفرقا كانوا اليه اشوق وارغب منه اذا انزل جملة واحدة الا ترى الى قوله تعالى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة الآية فاخبر انهم يرغبون الى ان ينزل عليهم سورة وان كانوا قد انزلت سورة من قبل وفيه ايضا تخويف للمنافقين كما قال الله عز وجل يحذر المنافقون ان ينزل عليهم سورة ينبئهم بما في قلوبهم فكان في انزاله مفرقا ما ذكرنا من الفوايد والمنافع للمؤمنين والله اعلم وقوله عز وجل فاصبر لحكم ربك ففيه انه ابتلاه

لرجل قوة مائة في الطعام والشراب في الجنة

في سمع كلام الله تعالى عز وجل

في انزال القرآن مفرقا

بما يكرهه نفسه ويشتد عليها حتى دعاه الى الصبر لان المرء لا يدعى الى الصبر على النعم واللذات بما يدعى اليه اذا ابتلي بالمكاره والبليات وقد صبر عليه السلام على المكاره لانه امر بمضادة الجن والانس فانتصب لهم حتى اوذي كل الاذى وهموا بقتله وقوله عز وجل ولا تطع منهم آثما او كفورا كانه قال ولا تطع من دعاك الى ما دعاك اليه ما تأثم فيه او تكون كفورا او لا تجب الآثم الى الكفور الى ما يدعونك اليه وقوله عز وجل واذكر اسم ربك يحتمل باسم ربك وصل باسم ربك كقوله واذكر اسم ربه فصلى او يقول اذكر اسم ربك بان يكن ذكرا له في كل وقت وقوله عز وجل بكرة واصيلا البكرة يحتمل صلوة الصبح والاصيل يحتمل صلوة الظهر والعصر وقوله عز وجل ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا يحتمل صلوة الليل النوافل ان كان قوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا في صلوة الفرايض وان لم يكن في ذلك فيكون كانه قال واذكر ربك في كل وقت بالليل والنهار او يقول فليكن اسم ربك مذكورا حتى لا يخلو ساعة من هذه الساعات الا وهو مذكور فيها والله اعلم وقوله عز وجل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا حب العاجلة مما طبع الخلايق لان كلا طبع على حب الانتفاع والتمتع بالشيء فلا يلحقهم الذم بحب ما طبعوا عليه وانشئوا ولكن انما يلحق الذم من احب الدنيا واختارها وآثرها على غير الذي جعلت وانشئت فالدنيا انما انشئت وجعلت ليكتسب بها نعيم الآخرة والحيوة الدايمة اللذيذة فمن احب لهذا فهو لا يلحقه بذلك ذم ولا تعيير ومن احبها وآثرها واكتسبها لها فهو المذموم واولئك كانوا مختلفين في ذلك لم يكونوا على نوع واحد منهم من حمل حب الدنيا على انكار وحدانية الله تعالى والوهيته ومنهم من حمل حبه اياها على تكذيب الرسل والتعادي لهم ومكابرة الحق ومنهم من حمل حبه اياها على انكار البعث والجزاء لما عملوا ومنهم من حمل حبه الدنيا على التفريق بين الرسل انكروا بعضا وصدقوا بعضا وصدقوا لو لم يحبهم اياها ما ذكرنا فلحقهم الذم لذلك ولذلك ما ذكر من الانفاق في الدنيا حيث قال مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت الآية فمن انفق في هذه الدنيا لها فيكون نفقته ما ذكر لانه انفق لغيرها جعلت له النفقة فكان ما ذكر بعلى ذلك من احب الدنيا واختارها للدنيا لا لاكتساب ما ذكرنا من النعيم اللذيذة الدايمة والحيوة الباقية التي لا انقطاع لها كان على ما ذكر ثم اذا ذكر الدنيا ذكرت الآخرة وراءها واذا ذكرت الآخرة على اثر ذكر الانسان قيل امامه لان الانسان يقبل اليها فيكون في ذلك امامه وقدامه واما عند ذكر الدنيا قيل وراءها لانها يخلفها وكل من خلف آخر يكون بعده ووراءه لانه يكون عند فوت الآخر لذلك كان ما ذكر وقوله عز وجل نحن خلقناهم وشددنا اسرهم رجع الى الاحتجاج عليهم لما انكروا يقول يعلمون انا خلقناهم بديا ونحن شددنا اسرهم اي قوتهم اي نحن شددنا خلقتهم ونحن وصلنا جوارحهم المتفرقة ومفاصلهم المتشتتة بعضها الى بعض ونحن نبدل امثالهم ان شينا فما بالهم ينكرون قدرتنا على البعث والاعادة بعد الموت يقول من قدر على ما ذكر لا يعجزه شيء وهو على البعث اقدر وقوله عز وجل واذا شينا بدلنا امثالهم تبديلا يذكر بعد هذا ان شا الله تعالى وقوله عز وجل ان هذه تذكرة يحتمل هذه اي هذه السورة لانه ذكر في اولها ابتداء انشائهم وخلقهم وآخرها اعادتهم وفي خلال جزاء صنيعهم الذي صنعوا فيكون في ذلك تذكرة لهم ويحتمل قوله ان هذه تذكرة اي الانباء التي ذكرت في القرآن او هذه المواعظ تذكرة لما لهم وما عليهم او تذكرة لما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وقوله عز وجل فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا هذا يخرج على وجهين احدهما يقول قد مكن كلا ان يتخذ سبيلا الى ربه اي لا شيء يمنعه عن اتخاذ السبيل الى ربه اذا شاء لكن من لم يتخذ انما لم يتخذ لانه لم يشا

لانه ذكره وكل ونفت

ان يتخذ سبيلا لانه قد مكن له ذلك والثاني يقول من شاء اتخاذ السبيل فليتخذ السبيل الى ربه
على ما يذكر على الاستقصاء بعد هذا ان شاء الله تعالى ثم قوله تعالى الا ان يشاء الله يقول والله اعلم
من شاء اتخاذ السبيل الى ربه لا يتخذ الا ان يشاء الله ان يتخذ السبيل الى ربه وعند ذلك يتخذ
وهذا على المعتزلة لانهم يقولون ان الله تعالى قد شاء لجميع الخلايق ان يتخذوا الى ربهم سبيلا
لكنهم شاؤا ان لا يتخذوا فلم يتخذوا وقد اخبر انهم لا يشاؤن اتخاذ السبيل اليه ولا يتخذون الا
ان يشاء الله لهم اتخاذ السبيل فعند ذلك يتخذون ما ذكر ويشاؤن وقوله عز وجل ان الله كان
عليما حكيما ان الله تعالى لم يزل عليما بصنع خلقه من التكذيب له والتصديق من الطاعة له والمعصية
اى على علم منه بصنيعهم انشاهم وخلقهم حكيما في فعله ذلك وخلقه اياهم على ما علم منهم انه يكون لانه
انما خلقهم وانشاهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم لا لمنافع يرجع اليه او لمضار يدفع عن نفسه
بخلقه اياهم وبعثه الرسل اليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد لا يخرج فعله عن الحكمة
والحق بل يكون حكيما في ذلك واما من يبعث الرسول في الشاهد الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته
وهديته ويستخف به سفه ليس بحكمة لانه انما يرسل الرسول ويبعث هديته لمنافع يكون للمرسل فعله
بما يكون منه سفه ليس بحكمة لذلك افترقا وقوله عز وجل يدخل من يشاء في رحمته هذا على المعتزلة
ايضا لانه ذكر انه يدخل من يشاء في رحمته وهم يقولون قد شاء ان يدخل كلا في رحمته لانه شاء
ايمان كل منهم والله تعالى اخبر انه يدخل من يشاء في رحمته دل ذلك على انه لم يشأ ان يدخل في رحمته
من علم منه انه يختار الضلال ولكن انما شاء ان يدخل في رحمته من علم منه انه يختار الهدى فاما من علم
منه اختيار غيره فلا يحتمل ان يشاء ذلك له والله الموفق وقوله عز وجل والظالمين اعد لهم عذابا اليما
اى وشاء ايضا من علم منه الضلال ان يعد له عذابا اليما وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة
رضي الله عنهم يختص برحمته من يشاء وهذا الحروف تفسير تاويل الاية وان يكون رحمته هاهنا هو الهدى
وسبيل الله ويحتمل ان يكون رحمته هو جنة سميت رحمة لانه برحمته ما يدخلها اهل الايمان والله اعلم بحقيقة ما اراد

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا
فالملقيات ذكرا اختلفوا في تاويلها فمنهم من حمل تاويل هذا كله على الملائكة ومنهم من صرفها
الى الرياح ومنهم من صرف البعض الى الرياح والبعض الى الملائكة وجائز ان يحمل البعض في الملائكة
هذا كله في الرياح ويستقيم ان يصرف كله الى الملائكة ويستقيم ان يحمل البعض في الملائكة والبعض
في الرياح فان كان في الرياح استقام القسم بها لان من الرياح رياحا هي مبشرات برحمته سايقات
للنعم الى عباده كقوله تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ومن الرياح رياح
هي منجيات قال الله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة
وفرحوا بها فجعل الله تعالى سببا لتسيير السفن في البحار كما جعل الماء سببا لذلك وجعل منها مهلكات

لاظهار القوة والسلطان

مذكرات لقوته وسلطانه كما قال عز وجل ويرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم الاية فهي تميتهم وتهلكهم
من غير ان يدركوه بابصارهم وان كانت لا بصار هي اقل ما يقع بها درك الاشياء ولو اراد احد ان يعرف
الوجه الذي له صارت المنجيات منجيات او يعرف الوجه الذي له صارت الرياح مهلكات او مبشرات

في تذكر النعم ايجاب القول بالبعث

لم يقف عليه فصارت الرياح مذكرات للنعم وفي تذكر النعم ايجاب القول بالبعث وبكل ما يخبرهم به الرسل

لانهم كانوا ينكرون البعث وراوا فيها من لطايف الحكمة وعجايب التدبير ما لا يبلغها تدبيرهم وحكمتهم
علموا ان الامر غير مقدر بعقولهم ولا بحكمتهم فيكون في ذكر ما ذكرنا ازاحة ما اعترض له من الشك والشبه
في امر البعث فاقسم بها جل جلاله على ما ذكر ثم ان القسم جعل لتاكيد ما يقصد اليه باليمين رجعنا الى قوله
والمرسلات عرفا قيل هي الرياح المبشرات سميت عرفا لانه ما ياتي به من النعم معروفة وقيل العرف المتتابع
وسمي عرف الفرس عرفا لتتابع بعض الشعر على بعض فجائز ان يكون منصرفا الى الرياح المبشرة وكذلك قوله تعالى
والناشرات نشرا جائز ان يكون يحمل على الرياح لكن على الرياح المبشرات وهي الرياح السهلة لحقيقة
لان النشر مذكور في رياح الرحمة بقوله وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته في بعض القراءات
وقوله عز وجل فالعاصفات عصفا هي الرياح الشديدة التي تكسر الاشيا وتعصمها وهي التي يرسل
للاهلاك كقوله تعالى ويرسل عليكم قاصفا من الريح وجائز ان يكون قوله والمرسلات عرفا هي اسم الرياح
التي لم يظهر انها ارسلت للهلاك او للتبشير لان الرياح التي يرسل للرحمة يظهر اثر رحمتها من ساعتها
من ارسال السحاب وغير ذلك قيل ان يتتابع وكذلك الرياح التي هي رياح اهلاك يظهر علم الاهلاك
من ساعتها وهو ان يكون قاصفة شديدة قيل ان يتتابع وقوله عز وجل فالفارقات فرقا فيحتمل
الرياح ايضا وانما سميت فارقات لانها تفرق السحاب فيصير البعض في افق والبعض في افق اخرى
وقوله عز وجل فالملقيات ذكرا فجائز ان يصرف الى الرياح والقاء ذكرها والله اعلم وان صرف
الكل الى الملائكة يحتمل ايضا فقوله عز وجل والمرسلات عرفا اى الملائكة الذين ارسلوا بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقوله فالعاصفات عصفا اى الملائكة الذين يعصفون ارواح الكفار اى ياخذونها
على شدة وغضب وقوله والناشرات نشرا جائز ان يكون اريد بها السفرة من الملائكة سموا ناشرات
لانهم ينشرون الصحف ويقرؤنها وجائز ان يراد بها الملائكة الذين ياخذون ارواح المؤمنين
على لين ورفق وقوله فالفارقات فرقا جائز ان يراد بها الملائكة وسميت فارقات لانهم يفرقون
بين الحق والباطل وقوله فالملقيات ذكرا هم الملائكة الذين يلقون الذكر على السن الرسل عليهم
وان صرف البعض الى الملائكة والبعض الى الرياح مستقيم ايضا فيكون المرسلات الذين ارسلوا
بالمعروف والخير والعاصفات الريح الشديدة والناشرات الرياح الخفيفة السهلة والفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا هم الملائكة ويحتمل وجها آخر ان يراد بقوله والمرسلات هم الرسل من البشر
الذين بعثوا الى الخلق فاما من رسول بعث الا وهو مرسل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك جائز
ان يراد بقوله تعالى فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا هم الرسل لانهم يفرقون بين الحق والباطل
ويلقون الذكر في مسامع الخلق وجائز ان يكون قوله والمرسلات عرفا هي الكتب المنزلة من السماء
لانها ارسلت بالمعروف وكل انواع الخير وكذا قوله والناشرات نشرا اى انها نشرت الحق والهدى
وكذا قوله عز وجل فالفارقات فرقا لانها يفرق بين الحق والباطل ايضا وكذلك فالملقيات ذكرا
فانها سبب لذلك والله اعلم وقوله عز وجل عذرا او نذرا اى عذرا من الله تعالى وهو ان الله تعالى
ارسل الرسل وانزل الكتب وبين الحجج حتى لم يبق لاحد على الله حجة بعد ذلك فهذا هو الاعذار
وقوله او نذرا اى انذرهم ولم يعجل في اهلاكهم بل بين لهم ما يتقي ويجتنب وما يندب
اليه ويؤتى فهذا هو الانذار على تاويل الرياح ما ذكرنا انها مذكرات نعم الله تعالى ونقمته فيكون
في ذلك ايجاب ذكر المنعم والمنتقم فيكون ذلك اعذارا وانذارا والله اعلم وقوله عز وجل انما توعدون
لواقع فهذا موضع القسم بما ذكر من المرسلات الى آخرها ثم ان كان الموعود هو يوم البعث فمعناه
ان الذي توعدون به من البعث لكائن وان كان على الجزاء والعقاب فتاويله ان ما توعدون فيه

من العذاب لنازل بكم فيكون الآية في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون وقوله عز وجل فاذا النجوم
طمست فكانه والله اعلم لما نزل قوله تعالى انما توعدون لواقع سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وقت وقوعه متى يكون فنزل فاذا النجوم طمست فاشار الى الاحوال التي يومئذ لا الى نفس الوقت
فقوله طمست اى ذهب ضوءها ونورها ثم تناثرت وقوله عز وجل فاذا السماء فرجت اى انشقت
واذا الجبال نسفت اى قلعت من اصلها فسويت بالارض وقال الزجاج نسفت الشيء اذا اخذته على سرعة
وقوله عز وجل واذا الرسل اقتت وقرئ وقتت وكذلك اصله لكن الهمزة ابدلت مكان الواو طلبا
للتخفيف وهو من التوقيت اى جمعت لوقت وقيل احضرت الرسل ليشهد كل واحد منهم على قومه الذين
بعث اليهم كما قال الله تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا
على هؤلاء وقيل اقتت اى وعد لهم بيان حقيقة ما اليه دعوا من وقوع ما اوعدوا قومهم الذين تركوا
اجابتهم من العذاب ووعد لهم الوصول الى من آمن بالله تعالى واجاب الرسل فيما دعوهم اليه
من الثواب وقوله عز وجل لاى يوم اجلت فاجلت واقتت واحد لان في التاجيل توقيتا وفي
التوقيت تاجيلا ثم بين وقت حلول الاجل اجل العذاب بقوله عز وجل ليوم الفصل اى ليوم
الحكم والقضاء قال الله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى وقال ولولا كلمة سبقت
من ربك لقضى بينهم فجائز ان يكون الكلمة التي سبقت منه هو تاخير الجزاء الى يوم البعث فجعل ذلك
يوم الجزاء وذلك يكون بالمعاينة وجعل هذه الدار دار محنة وابتلاء وذلك يكون بالحجج والبينات
فكانه قال لولا ما سبق من كلمة الله تعالى من تاخير الجزاء والعذاب والا كان العذاب واقعا بهم في هذه
الدنيا بالتكذيب ويحتمل وجها آخر وهو ان الله تعالى اخر الجزاء والعقاب الى اليوم الذي يجمع فيه
الاولين والآخرين وقدر في هذه الدنيا خلق هذا البشر على التتابع الى ذلك اليوم اذ ذلك اليوم
هو الذي يوجد فيه الجمع والله اعلم وسمى يوم الفصل لهذا انه يوم القضاء والحكم ولانه اليوم الذي
يظهر فيه مثوى اهل الشقا واهل السعادة ويفصل بين الاولياء والاعداء او يفصل بين الخصماء
والله اعلم وقوله عز وجل وما ادريك ما يوم الفصل اى لم تكن تدرى فدراك الله تعالى ذكر هذا
اما على التعظيم والتهويل لذلك اليوم او على الامتنان على رسوله صلى الله عليه وسلم باطلاعه عليه
والله اعلم وقوله عز وجل ويل يومئذ للمكذبين وفي هذا دليل على ان الوعيد المذكور على الاطلاق
منصرف الى اهل التكذيب ثم لم يذكر ما للمصدقين وحقه ان يقال طوبى للمصدقين لان حرف الويل يتكلم به
عند الوقوع في المهلكة وحرف طوبى يتكلم به في موضع السرور والغبطة فاذا ذكر في اهل التكذيب
حرف الهلاك كان من كان بخلاف حالهم مستوجبا للسرور ولكنه ان لم يذكر ها هنا فقد ذكرها
في موضع آخر بقوله فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وقال عز وجل فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون تقديم وتاخير وقوله عز وجل الم نخلقكم من ماء مهين فجائز
ان يكون ذكر هذا ليدفع عنهم الاشكال والريب الذي اعترض لهم في امر البعث لان الاعجوبة في الاعادة
ليست باكثر من الاعجوبة في الانشاء والابتداء فذكر ابتداء خلقهم لينتفي عنهم الريب في الاعادة وجائز
ان يكون ذكر خلقهم من الماء المهين وهو الماء المستخاف المستقذر ليدعوا تكبرهم وتجبرهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينقادوا له ويجيبوا الى ما دعاهم اليه وليخبروا انه خلقهم في الظلمات التي لا ينتهي اليها
تدبير البشر ليعلموا انه قادر على ما يشاء ويعرفوا انه لا يخفى عليه شيء فيحملهم ذلك على المراقبة وعلى التيقظ
والتبصر وقوله عز وجل فجعلناه في قرار مكين فالقرار المكين هو الرحم جعله الله تعالى قرارا مكينا يتمكن
فيه الماء المهين فيخلق منه علقة ومضغة ويقر فيه الى الوقت الذي قدر الله تعالى الخروج منه وقوله

كلمة سبقت تاخير الجزاء

في الويل وطوبى

وجعل

عز وجل فقدرنا وقرئ قدرنا وقدرنا فقدرنا اى خلقنا كل شيء منه بقدر وقدرنا اى سويناه
على ما يوجب الحكمة على الوجوه التي في قوله عز وجل والذي قدر فهدى وقوله عز وجل فنعم القادرون
اى انعم به من قادر فيخرج مخرج ذكر الآلاء والنعم اى انا الذي فعل بكم هذا هو الله تعالى لم يقدر احد
ان يفعل بكم هذا الفعل وقوله عز وجل الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فجائز ان يكون هذا صلة
قوله عز وجل الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين والم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
فيكون في ذكر هذا كله تذكير الآلاء والنعم وتذكير القدرة والسلطان والحكمة فوجه تذكير النعم
ان الله تعالى في اول ما انشاه انشاه نطفة قذرة وجعل لها مكانا يغيب عن ابصار الخلق ولم يفوض
تدبيره الى احد من خلائقه لانه في ذلك بحيث يستخاف ويستقذر ولا يدفع عنه المعنى الذي
وقعت الاستخافة والاستقذار بالتطهير فجعل له قرارا مكينا يستتر به عن ابصار الخلائق ثم لما انشا
نسمه وسوى خلقته اخرجه من بطن امه والقى في قلب ابويه الرقة والعطف ليقوموا بتربيته وامساكه
الى ان يبلغ مبلغا يقوم بتدبير نفسه ومصالحه ثم جعل له بعد مماته ارضا يكفته ويضمه اليها فيسترها
فيستر بها عن ابصار الناظرين اذ رجع بعد موته الى حالة يستخاف ويستقذر ولا يحتمل التطهير
فكان في ذكره اوائل احواله والى ما ينتهي اليه تذكير النعم ليصل على اداء شكرها وجعل الرحم قرارا له
في وقت كونه نطفة وعلقة ومضغة لما لا يعرف الخلائق بما يغذى حتى ينمو ويريد ان يرفع عنهم
مؤنة التربية في ذلك الوقت ثم اذا صار بحيث يعرف وجه غذائه وعرف الخلق المعنى الذي يعمل
في دفع حاجته اخرجه من بطن الام وفوض تدبيره الى ابويه فهذا وجه تذكير النعم وفي ذكر
ذكر القوة والسلطان والحكمة وهو ان الله تعالى جعل النطفة التي انشا منها النسمة بحيث يصلح
ان ينشا منها علقة ومضغة ولو اراد الخلق ان يعرفوا المعنى الذي له صلحت النطفة بان ينشا منها
العلقة والمضغة والعظام واللحم ثم يكون منها نسمة سوية لم يصلوا الى معرفته وان تفكروا فدل
في هذا على ان حكمته ليست على ما ينتهي اليه علم البشر ولا قوته تقصر على الحد الذي ينتهي اليه قوى البشر
والذي كان يحملهم على انكار البعث بعد الاماتة تقديرهم الامور على قوى انفسهم وتسويتها بعقولهم
فاذا تدبروا في ابتداء احوالهم وراوا من لطائف التدبير وعجائب الحكمة علموا ان الامر ليس كما قالوا وقدروا
فيدعوهم ذلك الى التصديق بكل ما ياتي به الرسل ويخبرهم من امر البعث وغيره وجائز ان يكون في ذكرهم
ابتداء احوالهم ونشوئهم والى ما يصيرون اليه ليدعوا التكبر على دين الله تعالى وينقادوا بالاجابة
ولا يستكبروا على احد من خلائقه لانهم في ابتداء احوالهم كانوا نطفة يستقذرها الخلائق ثم علقة
ومضغة ويصيرون في منتهى الامر جيفة قذرة ومن كان هذا وصفه فانى يليق به التكبر على احد
ثم قوله عز وجل الم نجعل الارض كفاتا يكفتهم اى يضمهم ويجمعهم في حياتهم وبعد مماتهم فالانضمام اليها
في حال حياتهم ما جعل لهم من المساكن فيها والبيوت وجعل لهم بعد مماتهم مقابر يدفنون فيها
او جعل متقلبهم ومثواهم في ظهورها في حياتهم وجعل بطنها ما اوى لهم بعد وفاتهم وجعل بها سبلا
لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقدر لهم فيها اقواتهم فذكرهم وجوه النعم في خلقه الارض ليستادى
منهم الشكر والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا فيها رواسي شامخات فالرواسي هي الجبال الثابتات
في الارض اثبتها في الارض ليقربها ولا تميد باهلها اذ لو مادت لم يصل اهلها الى ما قدر لهم بها
من المنافع فذكرهم بذكره الجبال الرواسي عظيم نعمه عليهم ليستادى منهم الشكر والشامخات
هي الطوال وقوله عز وجل واسقيناكم ماء فراتا ولولا انه الله عليهم لم يكونوا يصلون اليه بقواهم وجبلهم
ثم انزله من السماء الى الارض ولم يخرج من حد العذوبة ولا حل به التغير بمماسة الارض

تحقيق عطف الابوين

علم البشر لا يبلغ حكمة الله تعالى

واختلطت به وهذا منصرف الى الشرب خاصة ثم لغير المعذب من المنافع ما العذب الا الشرب خاصة
وقوله عز وجل الم نهلك الاولين وهم قوم نوح وقوم عاد وثمود ثم نتبعهم الاخرين قوم فرعون
وقوم لوط وغيرهم كذلك نفعل بالمجرمين قيل مجرمي هذه الامة ثم اختلف في وقت فعله
فمنهم من يقول بان هذا الاهلاك في الاخرة لقوله عز وجل بل الساعة موعدهم والساعة ادهى
وامر ومنهم من ذكر انه فعل بهم يوم بدر ومنهم من ذكر ان فعله بمجرمي امة محمد عليه السلام ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين القى الله تعالى في قلوبهم الرعب
حتى تركوا الاسباب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المحاربة مع كثرة شوكتهم وقلة اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا فعله بالمجرمين وفي القائه الرعب الطف آيات رسالته وابين حجة
عليها اذ كان فيه ما يسهم ان الذي قعدهم عن القتال وقذف في قلوبهم الرعب امر سماوي لا غير والله اعلم
وقوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون معناه والله اعلم الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى
وهم كانوا يكذبون بالبعث وبالعذاب لكن يقال لهم هذا بعد البعث فهو منصرف الى ما ذكر من العذاب
وقوله عز وجل انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب ذكر ان ذلك الظل دخان يخرج من جهنم فيظنون
انه ظل فينطلقون اليه رجاء ان ينتفعوا به وقوله عز وجل ثلاث شعب يحتمل وجهين احدهما
ان يكون اصله واحدا ثم ينشعب منه شعب ثلاث وجائز ان يكون في الاصل اذا شعب ثلاث باسمه
كل شعبة من ناحية ثم يجتمع فيصير شيئا واحدا وقوله عز وجل لا ظليل ولا يغني من اللهب اي لا ينتفعون
ما ينتفع بالظل في الدنيا لان ظل الدنيا يهرب اليه لدفع الحر وليسكن فيه لان ظل البيت مما يسكن فيه
وظل الشجر والحيطان ليؤوا اليه ليتروح وذلك الظل لا يغني عنهم في الاخرة في دفع الحرارات ولا في غيرها
وقوله عز وجل ولا يغني من اللهب فجائز ان يكونوا هربوا الى ذلك الظل من اللهب فيخبر ان ذلك
الظل لا يدفع عنهم اذى اللهب وجائز ان يكون اللهب في ذلك الظل ويكون كثافة الظل سائرة عما فيها
من اللهب فيخبر ان سترها لا يمنع اللهب عن ان يمسهم اذا انضموا الى الظل وقوله عز وجل انها ترمي بشرر
كالقصر مفتوحة الصاد فالقراءة المعروفة قيل يراد بالقصر المعروف المبني باللبن والخشب وقيل
يراد بها قصور اهل البادية وهي الخيام ومن قرأ بالنصب اختلفوا في تأويله عن ابن عباس رضي الله عنهما
كالقصر قصر النخل الواحدة قصرة وذلك ان النخلة يقطع قدر ثلثة اذرع واقصر واطول ليستوقدوا به
في الشتاء وقال بعضهم هو اصل النخل المقطوع المنقعر من الارض وقيل هو اعناق النخيل وقيل
القصرة اسم الخشبة التي يقطع عليها اللحوم ويكسر العظام يكون للقصابين وعن الحسن انه قرأ بتخفيفه
كالقصر غير انه فسرها اي الحزم من الخشب الواحد قصرة كقولك تمرة وتمر والله اعلم وفيه اخبار
عن عظم شررها وقدرها خلافا لما عليه الشرر في الدنيا لان شرر الدنيا لا يأخذ مكانا بل يتبين
ثم ينطفي ثم جائز ان يكون بعض شررها في العظم كالخيام وبعضها كالقصور وبعضها كاصول الاشجار
وقوله عز وجل كانه جمالات صفر قرئ جمالة صفر جماعة الجمل وقرئ جمالات جمع جمالة والصفر
قيل السود وانما سميت السود صفرا لان السود يعلوها الصفرة في الابل فيسمى بها يدل ذلك قول القائل
تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب شبه الشرر بالقصر والقصر بالجمالة وهي
الابل السود وقرئ جمالات برفع الجيم وهي حبال السفن يعني به ثم اذا ضمت يكون كاوساط الرجال فشبه
الشرر بالحبال الممدودة الصفر عند الامتداد وعند الانضمام كاوساط الرجال فيكون كالقصر وقوله
عز وجل هذا يوم لا ينطقون فجائز ان يكون معناه انهم لا ينطقون نطقا ينتفعون به كما لم يكونوا
ينطقون في الدنيا كلاما يقربهم الى الله تعالى فعاملهم في الاخرة حسب معاملتهم الله تعالى في الدنيا

وهو كقوله تعالى نسوا الله فانساهم انفسهم وقوله تعالى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا الاية
ومنهم من يقول لا ينطقون في بعض المواضع وينطقون في بعضها ويحتمل اي لا ينطقون بحجة بل يكذبون
كقوله والله ربنا ما كنا مشركين وقوله عز وجل ولا يؤذن لهم فيعتذرون وان ليس انه لا يقبل العذر
منهم اذا اتوا به ولكن معناه انه لا عذر لهم ليقبل منهم وهو كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
معناه انه لا شفيع لهم لا انهم اذا اتوا بشفعاء لم يشفع لهم واذا لم يكن عذر فهم لا يعتذرون ولن يعتذر
وقوله عز وجل هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ففيه اخبار انه لا يخص بالبعث فريقا دون فريق
بل يجمع الخلائق كلهم ثم يفصل بينهم فينزل كلا منزلته التي استوجبها فريق في الجنة وفريق في السعير
وقيل هو يوم الحكم فجائز ان يكون سمي به لما يختصم فيه اهل المذاهب فيحكم فيه بين المحق وبين الذي
كان على الباطل والله اعلم وقوله عز وجل وان كان لكم كيد فكيدون فجائز ان يكون يقال لهم هذا
في الاخرة ان كيدوا حتى تنجوا انفسكم مما نزل بكم اي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها ما فعلوا وهو حرف
التقريع والتوبيخ على نفي نفاذ المكر والحيلة ليس بها عليه امر الدنيا انهم يحتالون ويمكرون بانواع الخداع
والتمويهات ويحتمل ان قيل لكم هذا في الدنيا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعارضهم بهذا
فيقول لهم فان كان لكم كيد فكيدون في قتلي واخراجي من بين اظهركم كما قال هود عليه السلام لقومه
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فعجزهم عن ذلك يظهر لهم آية رسالته وحجة نبوته اذ خرج فالاعزة
من غير اعوان كانوا له ولا جنود مجندة بل كان وحيدا فريدا بين ظهراني قوم مشركين ليست همتهم الا اطفاء
هذا النور وقوله عز وجل ان المتقين في جنات وعيون فالمتقون هم الذين اتقوا عذاب الله قال الله
اتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال في آية اخرى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقال ربنا
آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فهذا هو التقوى ثم ان اهل التوحيد قرنوا بالعذاب
فاجتهدوا في اتقائه فقيل لهم انطلقوا الى ظلال وعيون واهل النار كانوا مكذبين بالعذاب فقيل لهم
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب ثم اخبرنا بالوجه الذي يقع به الاتقاء فقال ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا وامرنا بالانتصاب لمحاربته ثم علمنا وجه المحاربة بقوله واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله وقال الله عز وجل وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وقال ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فالزمنا الفزع اليه وبين انا لا نقوى على محاربته الا باللجأ
اليه والفزع ثم يحتمل ان يكون الاتقاء ها هنا منصرفا الى التصديق خاصة لانه ذكر الاتقاء ها هنا
مقابل التكذيب في الاولين وجائز ان يكون منصرفا الى المصدقين بالاقوال والموفين بالاعمال فالمتقي
هو الذي اتقى اساءة صحبته نعم الله تعالى فوقاه الله تعالى شر يوم القيامة مجازاة له والمحسن هو الذي احسن
صحبة نعمه فاحسن الله منقلبه واحله بدار كرامته في ظلال وعيون وفواكه او المتقي هو الذي وقى نفسه
عن المهالك فوقاه الله تعالى يوم القيامة والمحسن هو الذي احسن الى نفسه وهو الذي استعملها في طاعة
الله تعالى اليه بما انعم عليه من الظلال والعيون ثم اخبر انهم في ظلال لان الظلال مما يرغب اليه الانفس
في الدنيا لانها يدفع عنهم اذى الحر والبرد واذى المطر والرياح وغير ذلك وظلال الاشجار والحيطان
يدفع اذى الحر وظلال البنيان يدفع اذى الحر والبرد والمطر وهي لا تحول ايضا بين المرء والاشياء
عن ان يدرك حقايقها فعظمت النعمة في الظلال ووقعت اليها الرغبة في الدنيا فقال ان المتقين في ظلال
وعيون وقال تعالى في ظل ممدود وماء مسكوب ثم الانفس اذا ادت اوت الى الظلال اشتهت ما يتمتع به
الابصار واعظم ما يتلذذ به الابصار ان يكون نظرها الى المياه الجارية فاخبر انهم في ظلال وعيون
وقوله عز وجل وفواكه مما يشتهون اي فواكه ايضا فاخبر ان لهم فيها ما يتلذذ به الابصار ويتمتع

كذب الكفرة

وفيها ما يشتهي انفسهم وفيها ما يدفع عن بعضهم الاذى وقوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا لا تبعة لكم من جهة السوال ولا يتنغص اى لا يوذيهم ما ياكلون ويشربون فالمعنى الذى لا تبعة على صاحبه ولا تنغيص فيه وقوله عز وجل انا كذلك نجزى المحسنين فسمى المتقى محسنا لانه بدا بذكر المتقين وذكر ما اعد لهم ثم اخبر انهم جزوا ذلك باحسانهم فيكون فيه دلالة على ان الاتقاء متى ذكر على الانفراد يقتضى اتيان المحاسن والاتقاء عن المهالك ثم رجع الى المكذبين فقال كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون فهذا فى الظاهر امر بالاكل والشرب وهو فى الحقيقة وعيد وهو ان تمتعكم بالاكل وغيره الذى يمنعكم عن النظر فى الايات قليل عن سريع يفادقونه وتصيرون الى عذاب الله تعالى وقوله انكم مجرمون قد ذكرنا ان المجرم هو الوثاب فى المعاصى وقوله عز وجل واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اى اذا قال لهم الرسول عليه الصلوة والسلام اركعوا اى اخضعوا واستسلموا لله تعالى امتنعوا عن ذلك استكبارا منهم على الرسل واعراضا عن النظر فى حجج الله تعالى وقوله عز وجل فباى حديث بعده يومنون اى فباى حديث تصدقون بعد حديث الله تعالى الذى لا حديث اصدق منه واقوى فى الدلالة وجايز ان يكون هذا على تسفيه عقولهم واحلامهم وهو انهم يمتنعون عن التصديق لحديث الله تعالى ولا حديث اصدق منه ثم يصدقون الاحاديث الكاذبة والاباطيل المزخرفة والله اعلم بالصواب

سورة النبأ مكية وايها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل عم يتساءلون عن النباء العظيم اختلف فى التساءل فمنهم من ذكر ان التساءل كان عن امر النبى صلى الله عليه وسلم سالوا من جاء له اهو نبى او ليس بنبى وليس من ذكر ان التساءل كان عن القرآن انه من الله تعالى او ليس من الله تعالى او يتساءلون فيما بينهم هل تقدرون على اتيان مثله ام لا وجايز ان يكون التساءل عن امر البعث وعن التوحيد كما قال الله تعالى خبرا عنهم اجعل الالهة الها واحدا ثم جايز ان يكون هذا السوال من اهل الكفر سال بعضهم فاختلفوا فيه ولم يحصلوا من اختلافهم على اصابة الحق الا ترى الى قوله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وكان فيهم مصدق فلكان قد وقع له العلم فى ذلك الوقت فلا يحتاج الى ان يعلم ويثبته عليه فان كان السوال عن حال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فوجه اختلافهم ان بعضهم زعم انه شاعر وقال بعضهم هو ساحر وقال بعضهم مفترى كذاب وادعى بعضهم انه مجنون وحال ان يكون السوال من الكفرة للمؤمنين وان كان على هذا فما ذكره اهل التفسير انهم بين مصدق ومكذب يراد بالمكذب الذين صدر عنهم السوال ويراد بالمصدق اهل الاسلام الذين سئلوا ثم لا يجوز لاحد تحصيل السوال على جهة واحدة والقطع عليه بالتوقف الموجب للعلم ثم فى قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا جواب عما سبق من السايل فان كان السايل عن امر الرسالة فتحقيق التحصيل على جهة غير الجهة التى يحمل عليها اذا صرفنا التساءل الى امر البعث او الى امر التوحيد او القرآن والاصل ان الله تعالى بما ذكر من مهاد الارض وخلق الازواج ذكر عباده عظيم نعمه وكثرة احسانه اليهم ليستادى منهم الشكر اذ لا يعرف فى كل نعمة واذا وقت لهم الحاجة الى الشكر احتاجوا من يعرفهم بما به يشكر الله تعالى وكيف يودى شكره اذ لا يعرف فى كل نعمة وجه شكرها الا بالتوقف فيضطرهم ذلك الى من يبين لهم واحتاجوا الى من يعرفهم الوعد والوعيد محل الشكر ومحل الكفور ومحل الموالى ومحل المعادى اذ وجدوا هذه الدنيا من على الاولياء وعلى الاعداء على حالة واحدة فاحتاجوا الى من يعرفهم الوعد والوعيد واوجب ما ذكرنا القول بالبعث لينظر به منزلة الشكور والكفور وفى ذكر هذه النعم

ايضا دلالة الوحدانية لان الله تعالى مهد الارض فجعلها متمتعا للخلق ومتقلبا لهم واخرج منها ما يتعيشون به وجعل سببا لاخراج ما ينزل من السماء من القطر فجعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء فلو لم يكن مدبرهما واحدا لانقطع الاتصال ثم لو اراد احد ان يعرف المعنى الذى يحقق احياء الاشياء بالماء لم يصل اليه ولو اراد ان يتداركوا الوجه الذى صلح هذا الطعام ان يكون سببا لدفع الحاجات وقطع الشهوات لم يقفوا عليه فيكون فيما ذكرنا ازالة الشبه والشكوك التى يعترض لهم فى الامور الخارجة عن تدبيرهم وقواهم وقوله عز وجل كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون فمنهم من ذكر ان هذا وعيد على وعيد وقد ذكرنا ان حرف الوعيد مما يكرر العرب فيما بينهم للتاكيد كما يقال هيهات هيهات واولى لك فاولى وجايز ان يكون قوله كلا سيعلمون على علم دلالة وقوله تعالى كلا سيعلمون على علم المشاهدة والعيان وقوله عز وجل الم نجعل الارض مهادا اى بساطا والجبال اوتادا ذكر ان الارض لما خلقت مادت لاهلها فارساها الله تعالى بالجبال لطفا منه لان جعلها سببا للارساء الا ترى الى قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فقد جعلها فى ذلك الوقت مستمسكة ثابتة مستقرة بدون الجبال فثبت انها ليست بسبب للارساء فى التحقيق ويكون فيه تعريف الخلق وجوه الحيل فى الامور اذا تعذر عليهم الوصول اليها وقوله عز وجل وخلقناكم ازواجا قيل الوانا فيكون فى هذا ابطال الحكم بقول القايف لانهم يستدلون بالتشابه فى الالوان ويحكمون بها فلو كان الامر على ما قدروا لارتفع الاختلاف فى الالوان فيكون الخلق كلهم على لون واحد وقيل ازواجا فرقا شتى يعرف كل منهم عنصره ومنتهى اصله وقيل فى الالوان فيكون الازواجا اى جعل لكل احد شكلا من جنسه فجعل للذكر انثى زوجا من جنسه وقوله عز وجل وجعلنا نومكم سباتا قيل السبات التمدد وقيل السبات النوم الذى لا حركة فيه ولهذا قيل للذى شبيه بالميت مسبوت وقيل السبات الراحة ولذلك سمى السبت لانه يوم راحة وترك العمل فى بنى اسرائيل ثم فى انشاء النوم دليل سلطانه ودخول الخلق باجمعهم تحت تدبيره اذ لا يتهيا لاحد الاحتراز من النوم حتى لا يعتريه بل يقهر الجبابرة فيذلهم ولا يمكنهم الخلاص عنه بالحيل والاسباب ثم النوم كانه من اثقل الاحمال واشدها ثم اذا زال الانسان وعاد المرء الى حال اليقظة وجد فى نفسه خفة وراحة ومن شان هذا الانسان انه اذا حمل الحمل الثقيل مسه من ذلك فتور وكلال لا يزول عنه ساعة ما يضع الحمل عن نفسه بل يبقى ذلك الكلال فيه الى مدة فمن تدبر فى امر النوم دله على عظم شانه وعجايب تدبيره وقوله عز وجل وجعلنا الليل لباسا فهذا اللباس لباس الاعين لا غير الا ترى انه لا يستغنى بلباس الليل عما اخذ عليهم من اللباس للصلوة ولو يعمل لباس الليل عمل اللباس المعروف فى دفع اذى البرد والحر وقال بعضهم اللباس السكن كما قال فى اية اخرى جعل لكم الليل سكنا فكان الذى حملهم على هذا التاويل هو ان تمام السكون والراحة يقع بالنوم فصرفوه اليه وقوله عز وجل وجعلنا النهار معاشا اى يتعيش فيه لا ان يكون نفسه معاشا كما سماه مبصرا لما يبصر به لا انه فى نفسه مبصر وقوله عز وجل وبنينا فوقكم سبعا شدادا اى السموات فذكرهم هذا لينبههم على قدرته وسلطانه فيعرفوا انه فعال لما يريد قادر على ما يشاء وقوله عز وجل وجعلنا سراجا وهاجا فكان السراج هو الشمس ههنا جعلها يتوهج ويتلالا ما بين السماء والارض وقوله عز وجل وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا فمنهم من ذكر ان المعصرات هى السحاب التى انشى فيها القطر يقال للجارية التى قد دنت حيضها معصرة فشبه السحاب بمعاصر الجوارى وقيل سمى السحاب معصرا لانه يعصر المطر وقيل هى ذوات الاعاصير يعنى الرياح كقوله فاصابها اعصار اى ريح ومن الحسن هى السموات وقال الزجاج المعصر هو الذى قد اتى وقت ارسال القطر منه كما يقال مجز

في ان الاتقاء يقتضي الاحسان

ابطال قول القايف

لما اتى وقت جواره ثم فى انزال الماء من المعصرات تذكير النعم والقدرة والحكمة وكل وجه من هذه الاوجه
الثلاثة يوجب العلم بالبعث فاما وجه تذكير النعم وهو ان القطر ينزل من السماء متتابعا ثم الله تعالى
بلطفه يمنع ايصال بعض ببعض والتصاقه ويرسل كل قطرة الى الارض حبا لها وينزل بعضها على اثر بعض
لينتفع بها ولو التصق بعضها ببعض واتصل لم يبق لها شئ وكانت يصير سببا للتعذيب والاهلاك فبفضله
ورحمته انزلها متتابعة لينتفع بها الخلق ويمتنعوا بها وفيه تذكير القوة والحكمة ايضا لانه انشأ السحاب
الثقال وساقه الى الموضع الذى قدر ان يرسل القطر هنالك ومعلوم ان تلك الارسال ليس من فعل السحاب
لان السحاب يمتنع عن ارسال القطر حتى ينتهى الى الموضع الذى امر بارسال القطر فيه ولو كان السحاب نفسه
لكان اين ما مر يعمل فى الارسال ولو كان ذا ثقب لكانت الريح متى دخلت فى الثقب ارسل السحاب ما انشئ فيه
من القطر فاذا لم يوجد ذلك بان الله تعالى بحكمته وقدرته ولطفه هو الذى انشأ فيه ذلك ودبر
ارساله لا ان يكون ذلك عمل السحاب ولو اراد احد من حكماء الارض ان يعرفنا المعنى الذى له صلح
ذلك السحاب ان يستمسك فيه القطر ولا يستمسك فى مكان اخر لم يقف عليه فذكرهم هذا ليعلموا ان الحكمة
ليست على الوجه الذى ينتهى اليه حكم البشر ولا قدرته مقدرة فقوى البشر بل هو قادر على ما يشاء فعال
لما يريد وفيه ان تدبير السماء والارض والهواء يرجع الى الواحد القهار اذ لا يتهيأ لاحد ان يمنع القطر
المرسل من السماء عن الوصول الى الموضع الذى امر ان ينتهى اليه والثجاج القطر المتتابع بعضه على اثر بعض
والثج الصب والاراقة **وقوله** عز وجل لنخرج به حبا ونباتا فجايز ان يكون ذكر الحب لان المقصود من زراعة
ما يكون له الحب فذكره لما اليه ينتهى القصد ويكون ذكر النبات منصرفا الى ما لا حب له لان القصد من زراعة
النبات لا غير وجايز ان يكون منصرفا الى شئ واحد لان الذى فيه الحب فيه النبات ايضا **وقوله**
عز وجل وجنات الفافا قد ذكرنا ان الجنة هى اسم المكان الملتف بالاشجار وهى التى اجتمعت فيه الاشجار
وقوله عز وجل ان يوم الفصل كان ميقاتا فالميقات الميعاد اى وعد فيها جمع الاولين والاخرين صالحهم
وطالحهم صغيرهم وكبيرهم وسمى يوم الفصل لما يفصل فيه بين الاولياء وبين الاعداء ويتبين فيها
مثوى الفريقين جميعا واليوم ليس بيوم فصل فى الظاهر لان الدنيا يمر على الفريقين على حالة واحدة
وان كان قد فصل بينهما بالتوفيق والخذلان وقيل يوم الفصل يوم الحكم **وقوله** عز وجل يوم ينفخ فى الصور
قد ذكرناه فيما تقدم **وقوله** فتاتون افواجا قيل امة فامة يأتى امة كل رسول بحيالها وقيل يقدمون
كل احد بشيعته على ما يذكره فى قوله تعالى واذا النفوس زوجت **وقوله** وفتحت السماء فكانت ابوابا فمنهم من ذكر
انها تفتح لانزال من شاء الله تعالى من ملايكته وتنشق وتنفطر لشدة هول القيامة ومنهم من قال ان الشق
والفتح والانفطار كله واحد فذكر الفتح لشدة هول ذلك اليوم وجايز ان يكون الكل يقتضى معنى واحدا
لانه فيما ذكر فيه الانشقاق قد ذكر فيه نزول الملايكة بقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملايكة
تنزيلا **وقوله** عز وجل وسيرت الجبال فكانت سرابا فجايز ان يكون شبهها بالسراب لما انها
اذا سيرت لم يوجد فى المكان الذى رآها فيه الناظر كالسراب الذى يرى من بعيد فاذا رآه الناظر
فاتاه لم يجده شيئا الا ان يكون الجبال فى الحقيقة سرابا لان السراب هو الذى يرى ماء من البعد ثم لا شئ
ولا شئ فى الحقيقة واما الجبال وان سيرت فهى فى نفسها شئ **وقوله** ان جهنم كانت مرصادا منهم
من ذكر انها كانت فى علم الله تعالى انها ترصد على من حقت عليه كلمة العذاب فيعذبه ولا يمكنه
الفرار عنها وقيل ترصد بشهيقها وزفيرها من استوجب العذاب فيعذبه ومقرب بها الى ربها لطلوع فيه
ويحفظها على من سخط الله عليه وقيل معنى المرصاد ان يكون ممر كل كافر ومؤمن عليها لكن الكافر يقع فيها
والمؤمن ينجو عنها **وقوله** للطاغين مآبا اى مرجعا والطاغى هو الذى تعدى حد الله تعالى وضيع حقوقه

وكفروا بنعمه **وقوله** لابثين فيها احقابا ذكر الاحقاب ولم يبين منتهى العدد ولو كان اللبث فيها يرجع
الى امد فى حق الكفرة لكان ياتى عليه البيان كما اتى البيان على منتهى يوم القيامة بقوله فى يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون وقال تعرج الملايكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة
فلما لم يبين ثبت انه لا يرجع الى حد والى هذا يذهب الحسن ومنهم من ذكر ان معناه انهم يلبثون
ثلاثة احقاب والحقب ثمانون سنة يعذبون بلون من العذاب ثم يعذبون بلون اخر من العذاب
بعد ذلك لا ان ينقطع عنهم العذاب بعد مضى الاحقاب والاحقاب هى النهاية فى الاوقات فذكر النهاية
فى الاوقات وما يكبر فيها ليعلم انهم ابدا فيها كما قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض لانهما هما
اللذان عرفا بالدوام فاقتضى ذلك معنى الدوام فكذلك ذكر ما هو النهاية من الاوقات يعرفنا انهم ابدا فيها
مقيمون **وقوله** عز وجل لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا فذكر بعضهم ان البرد هو النوم ومنهم من ذكر
ان معناه الروح والراحة وقال بعضهم لا يذوقون فيها بردا يقطع عنهم الحر ولا شرابا يقطع عطشهم
الا حميما وغساقا فالحميم هو الماء الذى قد انتهى فى الحر نهايته والغساق الزمهرير وقال بعضهم هو
ما ينفصل عن ابدانهم من الصديد والزهومة وهو الدك فمعناه والله اعلم ان الذى يطعم به اهل النار
لا يغنيهم ولا يجدون به مستمتعا بل يصير ذلك سبب اهلاكهم لا ان يقع لهم بذلك البرد راحة
وشفاؤهم كما وصفهم الله تعالى فان له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى فيموتون ابدا فى الهلاك لا يقضى عليهم
فيستريحوا ولا ينقطع عنهم العذاب فيتلذذوا بالحيوة وقيل الغساق لون من العذاب لم يطلع الله تعالى
عباده **وقوله** جزاء وفاقا اى وافق جزاؤهم اعمالهم لا ينقصون ولا يزدادون على قدر ما استوجبوا
بل يجزون مثل اعمالهم وجايز ان يكون معناه ان جزاءهم وافق اعمالهم بالخبث **وقوله** عز وجل انهم كانوا
لا يرجون حسابا فمنهم من ذكر انهم لا يخافونه ومنهم من حمله على حقيقة الرجاء انهم لم يكونوا يرجون
الثواب والوجه انهم كانوا قوما لا يؤمنون بالبعث ولا بالجزاء والعذاب حتى يخافوا العقاب ويرجوا
الثواب فان حملته على الخوف فهم لم يخافوه لما لم يؤمنوا به وكذلك ان حملته على حقيقة الرجاء انهم لم يكونوا
يرجون لما كذبوا به **وقوله** عز وجل وكذبوا باياتنا كذابا فالكذاب والتكذيب فى لغة العرب واحد
والايات جايز ان يراد بالايات ايات البعث ويراد بها ايات الوحدانية وايات الرسالة ونحوها **وقوله**
عز وجل وكل شئ احصيناه كتابا فجايز ان يكون الاحصاء والكتاب واحد وجايز ان يكون اريد بالاحصاء
ما اثبت فى الكتاب كقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **وقوله** فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا فالزيادة فى العذاب هو دوامه وبقاؤه لا ان يزداد على القدر الذى كان اعتلهم من العذاب
لانه اخبر انهم لا يجزون الا مثلها فاذا كان الذى عذبوا فيه جزاء لهم لم يجز ان يزادوا عليه
فثبت ان الزيادة انصرفت الى الدوام والبقاء وبهذا قال اصحابنا فى تاويل قوله فزادتهم ايمانا وفى كل
ما ذكرت من الزيادة انه على الثبات والدوام عليه لا انه يزيد وينقص **وقوله** عز وجل ان للمتقين
مفازا اى مفازا عن انواع العذاب التى ذكرت فى الطاغين **وقوله** حدائق واعنابا فالحدائق
هى الاماكن التى احاطت الاشجار باطرافها **وقوله** واعنابا ظاهر وقد ذكرنا انهم وعدوا فى الاخرة كل ما يقع لهم
الرغبة فى الدنيا ثم الاصل ان هذه السورة نزلت على اثر التساؤل بقوله تعالى عم يتساءلون عن النبأ العظيم
فجايز ان يكون الذى حملهم على السؤال ما اعترض لهم من الشبه او خطر ببالهم فسالوا ليبين لهم ويزول
عنهم الشبهة فذكرهم عظيم نعمه وعجايب تدبيره وقوته وسلطانه ووعدهم من امعن النظر فيها وهم
ذلك على بعثهم وازاحة الاشكال عنهم بقوله كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وبين ماب من استقام
على الصراط المستقيم وسلك سبيله واخبر ان من لم ينعم النظر فيها ولم يعط النصفة من نفسه وضيعها

لا ورثم فى الزيادة فى الايمان معنى الدوام

وعدوا فى الاخرة ما يقع لهم الرغبة فى الدنيا

تصييره الى ما ذكر من قوله ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا وستعلم ذلك بقوله كلا سيعلمون
ان حمل هذا على الوعيد **وقوله** وكواعب اترابا قيل الكاعب هي التي تكعبت ثدياها وذلك حين تبلغ
ان تحنض وهي ناهد وهي اشهى مايكون الى الرجال والاتراب المستويات في السن فهذا انباء انهن
يكن ابدا على سن واحد لا يتغيرن عن تلك الحال ولا يهرمن **وقوله** وكأسا دهاقا قيل ملأنا وقيل
صافيا وقيل متتابعا فوصفه بالملأن ليعلم ان ذلك الشراب لا ينتقص ما داموا يشربون خلافا لما عليه
شراب اهل الدنيا ومن حمله على الصفا فمعناه انه صاف عن الآفات والمكروه التي يكون في شراب اهل
الدنيا من التصديع واذهاب العقل وغير ذلك ومن حمله على التتابع فمعناه ان ذلك الشراب لا ينقطع ولا ينفد
ما داموا في شربه بل يتتابع عليهم ولا يحدث فيهم حالة يمنعهم من الشرب من السكر وغيره فيمتنعوا
عن شربه خلافا لشراب اهل الدنيا وروي عن العباس بن عبد المطلب انه قال كنا اذا استحثثنا الساقي
في الجاهلية قلنا دهاقا لنا اي تابع لنا **وقوله** لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا اي لا يسمعون فيها ما يحق
ان يلغى بل يسمعون فيها كل خير والذي يحق ان يلغى ما ذكروا من الخلف والباطل والكذب فلا يسمعون
شيئا من ذلك كما يسمع من اهلها في الدنيا اذا شربوها **وقوله** كذابا ان قرئ بالتخفيف فهو من الكذب اي لا يكذبون
وان قرئ بالتشديد فهو من التكذيب اي لا يكذب بعضهم بعضا كما يوجد في شراب اهل الدنيا **وقوله** فيها
في الجنة ثم قوله كذابا قرأ بعضهم بالتخفيف في الموضعين ههنا وفي وكذبوا باياتنا كذابا وقرأ بعضهم
بالتشديد في الموضعين وقرأ بعض القراء بالتشديد في الاول وبالتخفيف في الثاني وعن الكسائي
انه قال بالتخفيف لغة مصر وبالتشديد لغة يمانية يقولون كذبته تكذيبا وكذابا وخرقته تخريقا
وخراقا ونحو ذلك والله اعلم **وقوله** جزاء من ربك عطاء حسابا قوله جزاء اي جزاهم جزاء هم
وعطاء اعطاهم وحسابا حاسبهم وقال الحسن جزاء باعمالهم اي زادهم على القدر الذي استوجبوا
وقال بعضهم اعطاهم عطاء كثيرا حتى قال كل واحد منهم حسبي حسبي والذي يؤيد هذا التاويل
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقرأ جزاء من ربك عطاء حسابا وقال بعضهم جزاء
باعمالهم التي كتبت الحفظة واحصيها عليهم واعطى عطاء حسابا اي كثيرا جزاء لما اخفوا من اعمالهم التي
لم يطلع عليها ملائكته فاعطاهم عطاء بينا ظاهرا يعرفه الناس وجايز ان يكون الجزاء عطاء من ربه
لانه لا يستوجب الجزاء لما ذكرنا انه لا احد من هذا البشر وقد سبقت له من الله تعالى نعم لو انفد جميع عمره
في اداء شكره منها لم يصل الى كنه ما عليه من الشكر ومن قام بالشكر ووفق عليه زيد له ايضا في النعم
لمكان الشكر فاذا وصل الجزاء عمله في الدنيا لم يستوجب به المزيد فثبت ان الجزاء في الآخرة يحق
الافضال من الله تعالى والانعام لا بحق الاستيجاب الا ترى الى قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية فسمى الكرامة انعاما وقال في آية اخرى
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
فجعل ما آتاهم من النعيم فضلا منه فثبت ان الذي جزاهم به عطاء من ربهم حسابا اي كثيرا
وقوله رب السموات والارض وما بينهما فالرب المالك فذكر انه مالك السموات والارض وما بينهما
ليعلموا انه لم يمتحن احدا بعبادته لحاجة يقع له او لمنفعة يصل اليه بل هو الغني وله ما في السموات
وما في الارض وان منفعة ما امتحنوا به من العبادات راجعة الى انفسهم اذا وفوا بها واذا لم يقوموا بوفائها
كان الضرر راجعا اليهم **وقوله** الرحمن يبين انه رحمن ليرغبوا في رحمته ويسارعوا الى مغفرته
وقوله لا يملكون منه خطابا هيبة من الله تعالى وتعظيما لحقه فلا يملكون من هيبته الخطاب
بالشفاعة او بالخصومة او باي شيء كان **وقوله** عز وجل يوم يقوم الروح والملائكة صفا اختلف

الجزاء في الآخرة بالافضال

في الروح فمنهم من قال هو جبريل عليه السلام ومنهم من صرفه الى ارواح المسلمين ومنهم
من ذكر انهم الحفظة على الملائكة يرون الملائكة ولا يراهم الملائكة وجايز ان يكون الروح الكتب المنزلة
من السماء كما قال تنزل الملائكة بالروح من امره فيكون الكتب مخاصمة مع من ضيع حقها او نبذها وراء
ظهره وشافعا لمن ادى حقها وعمل بما فيها ومنهم من ذكر ان هذا من المكتوم الذي لا يفسر قال الله تعالى
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي **وقوله** عز وجل لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
جايز ان يكون هذا منصرفا الى الشافع اي الشافع لا يقول فيما يشفع غير الصواب وما حل به من الرهبة
والخوف من هيبة الله تعالى لا يزيله عن التكلم بالحق بل الله تعالى يثبته على الحق ويجري على لسانه
الصواب وقال بعضهم معناه لا يشفع الا من قال في الدنيا صوابا وهو الحق وقيل معناه انه لا ينال
من الشفاعة خطأ الا من قال في الدنيا الصواب والصواب ان يكون معتما فيما دان به من التوحيد
وذكر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه مر بعجوز وهي تدعو فتقول اللهم اجعلني من اهل شفاعة محمد
صلى الله عليه وسلم فقال لها قولي اللهم اجعلني من رفقاء محمد عليه السلام في الجنة فان شفاعته
لاهل الكباير من امته قال رضي الله عنه وبهذا الفصل يعارضنا المعتزلة فتقول اذا قلتم اللهم اجعلنا
من شفاعة محمد نصيبا فقد قلتم اللهم اجعلنا ممن يرتكب الكباير اذ شفاعته في زعمكم لاهل الكباير
فالجواب عن هذا ان الذي يبتلي بارتكاب الكباير دون الشرك انما ينال الشفاعة بما سبق منه من الخيرات
من التوحيد وتعظيم ربه عز وجل فمحاسنه التي سبقت منه هي التي يجعل محلا للشفاعة ولولاها ما نالها
فاذا قال اللهم اجعل لي من شفاعة نبيك نصيبا فهو يقول اللهم وفقني على فعل الخيرات
واجعلني ممن يعظمك ويتقرب اليك بالطاعة حتى انال بها الشفاعة لا ان يقصد بدعائه جعله
من اهل الكباير والذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون فاخبر الله تعالى ان تسبيحه ما انقذه من بطن الحوت ولم يكن مسبحا لم يستوجب الخلاص
وكذلك صاحب الكبيرة يستوجب الشفاعة ويرجى له الخلاص بما سبق منه من الحسنات دون ان يستوجبها
لارتكاب الكبيرة ثم من قول المعتزلة انهم يرون الصغاير مغفورة لاربابها اذا اجتنبوا الكباير فيقال له
بان من دعى الله تعالى وسأله المغفرة فكانه يدعو فيقول اللهم ابتلني بالصغاير حتى تغفرها لي فان قلتم
بان دعاءه بالمغفرة لا يقتضي ما عارضناكم به فقولوا كذلك فيمن يقول اللهم اجعل لي من شفاعة محمد نصيبا
انه لا يقتضي ان يجعله من اهل الكباير **وقوله** ذلك اليوم الحق قيل معناه ان لا يقال في ذلك اليوم
غير الحق وجايز ان يكون منصرفا الى اليوم نفسه فيكون معناه ان كونه حق يكون لا محالة **وقوله**
فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اي مرجعا وسبيله ان الله تعالى بين للخلق سبيل الضلال والهدى
ولم يصد احدا عن سبيل الهدى وبين ان من سلك سبيل الضلال فمآبه الى النار ومن سلك سبيل
الرشد والهدى فمآبه الى الجنة وذلك مآبه الى الله تعالى واتخاذ السبيل اليه تعالى **وقوله** انا انذرناكم
عذابا قريبا اي العذاب الذي اوعدتم به قريب ما اتاه وان استبعدتموه في اوهامكم قال الله تعالى
اتى امر الله فلا تستعجلوه **وقوله** عز وجل يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فجايز ان يكون هذا
منصرفا الى الخلايق اجمع مؤمنهم وكافرهم ثم تخصيص الايدي بالذكر هو ان التقديم والتاخير
في الشاهد يقع بما لايدي فاضيف اليها وان احتمل ان لا يكون للايدي صنع فيما ارتكب من الآثام
او فيما فعل من الخيرات وهو كالمطر يسمى رحمة الله وان لم يكن ذلك من اوصافه لانه برحمة الله
ما ينزل من السماء وسمي الكلام لسانا وان لم يكن هو لسانا لانه باللسان ما يتكلم فكذلك التقديم
اضيف الى الايدي لما بها يقع التقديم في الشاهد وان لم يكن للايدي صنع **وقوله** عز وجل ويقول الكافر

مما انتظر لازم اهل الشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الكباير

فلا يحوز ان يقول اللهم اجعلني من اهل شفاعة محمد عليه السلام

يا ليتني كنت ترابا ذكر هذا التمني في الكافر دون المؤمن لان المؤمن يرى حسناته متقبلة وسيئاته مغفورة فيأمن من عقاب الله تعالى والكافر يرى نفسه مؤاخذة بالسيئات ولا يرى لها حسنات متقبلة فيتمنى ان يكون ترابا ليتخلص عن عذاب الله تعالى وقال بعضهم ان الوحوش يحشر والطيور كلها ثم يقول الله تعالى كوني ترابا فيتمنى الكافر في ذلك الوقت ان ترابا والله اعلم ٠

سورة النازعات مكية وآيها اربعون وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات نشطا اختلف في تاويله فمنهم من حمل ذلك كله على الملايكة فقال والنازعات غرقا هم الملايكة ينزعون ارواح الكفرة ويغرقون اغراقا اي يشددون في النزع كما يغرق النازع في القوس او يشتد عليه شدة الامر على الغايق او ينزع ارواح الكفرة فيغرق في النار وقوله عز وجل والناشطات نشطا قيل اي ينشط ارواح الكفرة نشطا عنيفا اي ينزع ملايكة العذاب ارواح الكفرة من اجوافهم نزعا شديدا وقيل هذا في حق المؤمنين ان الملايكة ينشط ارواح المؤمنين اي يحلها حلا رفيقا كما ينشط من العقال فيخبر بهذا خفة ذلك على المؤمن ويخبر بالاول شدته على الكافر وقوله والسابحات سبحا قيل ان الملايكة يسلون ارواح المسلمين سلا رفيقا وقيل الملايكة يسبح بين السماء والارض وقوله فالسابقات سبقا اي يسبق الملايكة الى ارواح المؤمنين وقيل فالسابقات سبقا الملايكة الذين يسبقون بالوحي الى الانبياء عليهم السلام وقيل هم الكروبيون الذين لا يفترون عن تسبيح رب العالمين وقوله فالمدبرات امرا هم الملايكة الموكلون بامور الخلايق وارزاقهم ومنهم من صرف تاويل الآيات الى النجوم انهن النجوم اللاتي يطلعن من مطالعهن لحوايج الخلق ولامور جعلت لها ويغربن في مغاربهن ثم ينشطن الى مطالعهن فيطلعن منها اي لا يطلعن كرها بل ناشطات لامر الله تعالى الها تخرجن له والسابحات سبحا النجوم ايضا وسبحهن دورانهن في الافق لامور تخفى ذلك على الخلق لقوله كل في فلك يسبحون وقوله فالسابقات سبقا اي يسبق بعضها بعضا ويسبقن الشياطين بالرجم والطرد لا يدعهن يقربون الى السماء وبه قال الحسن والله اعلم ومنهم من صرف تاويل الآيات الى مختلف الاشياء فقال والنازعات غرقا هي القسي ينزعها الانسان فيغرق في نزعها والناشطات نشطا هي الاوهاق ينشط بها الدابة يكون منه في جهة والسابحات سبحا هي السفن والسابقات سبقا هي الخيل فالمدبرات امرا هي الملايكة وبه قال عطا ومنهم من صرفها الى انفس المؤمنين وارواحهم فقال والنازعات هي الانفس التي يغرق في الصدور والناشطات نشطا حين ينشط من القدمين وقيل ان انفس المؤمنين ينشطن الى الخروج عن الابدان اذا عاينوا ما اعد لهم من في الجنة والسابحات سبحا هي ارواح المؤمنين سميت سابحات لسهولة الامر عليها كما يسهل الخروج من الماء على السباح وقوله فالسابقات ايضا هي ارواح المؤمنين ايضا سميت سابقات لما يكاد يسبق فيخرج قبل وقتها لما يعاين من كرامات الله تعالى وما يبشر من الخير يؤيده هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقيل ذلك عند موت المؤمن اذا حضره الموت صار في ذلك الوقت كالمسجون الذي يتمنى الراحة والخلاص منه لانه ما اعد له من الثواب فيتهوع نفسه يود لو خرجت حتى يصل الى ما اعد لها من الكرامة والكافر اذا راى عند ما حضر جعل سليغ نفسه كراهة ان يخرج فيصير الدنيا في ذلك الوقت كالجنة له فيما لا يحب مفارقتها من شدة ما يرى من عذاب الله تعالى وعلى هذا قيل في تاويل قوله عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ان ذلك عند الموت

ان المؤمن اذا حضره الموت وارى ثوابه من الجنة ود ان يخرج نفسه فيحب لقاء الله تعالى ويحب الله لقاءه والكافر يكره في ذلك الوقت ان يخرج نفسه فذلك حين كره لقاء الله وكره الله لقاءه والله اعلم وقوله فالمدبرات امرا قالوا جميعا المراد منها الملايكة الموكلون بامور الخلق وارزاقهم ونحو ذلك والله اعلم ثم اختلف في الذي قصد اليه باليمين والقسم فمنهم من ذكر ان الذي وقع عليه القسم قوله عز وجل ائنا لمردودون في الحافرة على معنى انكم مبعوثون وان القسم حق فكانه اقسم بهذه الاشياء انهم لمبعوثون واضمر الجواب هاهنا لما دل عليه المعنى فاكتفى به ومنهم من ذكر ان القصد من اليمين قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فاقسم بما ذكر ان النفختين كاينتان فالنفخة الاولى يموت بها الخلق والنفخة الثانية لاحياء الاموات والراجفة هي النفخة فجايز ان يكون على حقيقة النفخة فيكون النفخة علامة الموت والحيوة لا ان يكون علة الاماتة ثم اختلفوا بعد هذا فمنهم من يحمله على التحقيق فزعم ان النفخة الاولى يهلك بها الخلق والنفخة الثانية يحيى بها الخلق ومنهم من ذكر ان النفخات ثلاث فالنفخة الاولى للتفزيع والتهويل قال الله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت الآية والنفخة الثانية يهلك بها الخلق بقوله ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الآية والنفخة الثالثة يحيى بها الخلق بقوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ومنهم من ذكر ان هذا ليس على تحقيق النفخ بل على التمثيل فمثل به اما لخفة البعث والاحياء على الله تعالى وسهولته بخفة النفخ على النافخ او مثل به لسرعته كما قال الله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقالوا الرجفة هي الزلزلة والحركات يتبعها الرادفة وهي الزلزلة الاخرى ثم ان كان القسم على اثبات البعث ففيها ذكر اشارة الى احوال البعث وافعالها وان كان موجبه على قوله ثم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب قلوب يومئذ واجفة فكانهم سالوا كيف يكون القلوب في ذلك اليوم فقال يكون واجفة والواجفة الخايفة الوجلة وقوله ابصارها خاشعة اي ذليلة ووجه تخصيص الابصار والقلوب والله اعلم هو انه لا يتهيأ لاحد استعمال قلبه وبصره بل يحدث للقلوب فكر وبدوات لا يمكنه ان يدفع عنها الفكر وكذلك هذا في البصر فيخبر ان ما نزل بهم من الخوف والهيبة يمنع القلوب والابصار عن عملها فلا ينظر الا الى الداعي ولا يحدث للقلوب فكر بل يكون الافئدة هوا لا يقر لشدة ما حل بهم من الخوف ان المرء اذا جهده امره فهو يعمل انواعا من الحيل وتوقع بصره على شيء فشيء رجاء ان يستدرك ما فيه خلاصه وسلامته من ذلك الامر ثم ينقطع عنهم التدبير في ذلك اليوم فيكون القلوب هوا لا يقر في موضع ولا يقف على تدبير لشدة ما حل بهم ويكون الابصار خاشعة ذليلة الى ما يدعوا الى الداعي وقوله عز وجل يقولون ائنا لمردودون في الحافرة اي يقولون ائنا لنرد الى ما كنا عليه في الدنيا في ابتداء الامر خلقا جديدا يقال اتى فلان فلانا فرجع على حافرته يقول على محنة الاول ويقال النقد عند الحافرة اي متناول التبيع والكلام فقالوا هذا على جهة الانكار بالبعث والاستهزاء به قال ابو بكر هذا ماخوذ من حافر الدابة وهو ان الفارس يمكنه ان يصرفها بحافرها الى الموضع الذي ابتداء السير منه ورداوه وقوله عز وجل ائذا كنا عظاما نخرة وناخرة فالناخرة البالية التي لم تفت بعد والنخرة هي التي صارت رفاتا ودرست حتى ينسفها الريح وقوله قالوا تلك اذا كرة خاسرة قال الحسن وابو بكر هذا تكذيب للبعث اي لا يكون ابدا وقال غيرهما معناه ان لو كانت كرة كما يزعمها المسلمون فهي كرة خاسرة على المسلمين لانهم ظنوا انهم اذا كانوا في الدنيا انعم حالا وارغد عيشا وكان المسلمون في ضيق من العيش وشدة من الحال ان يكونوا كذلك في الآخرة الا ترى الى قوله تعالى ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فكانوا يظنون انهم بما انعم الله تعالى عليهم انما انعم لانهم اقرب منزلة واعظم درجة من المؤمنين

اذ لا يجوز ان تضيق على اوليائه ويوسع على اعدائه فاذا وسع عليهم ظنوا انهم هم المفضلون فى الدنيا والآخرة
وان من خالفهم هم الاخسرون ومنهم من قطع هذا الكلام عن مقالة الكفرة وزعم ان هذا الوصف راجع
الى الكفرة فقيل خاسرة لما خسر وا انفسهم واموالهم واهليهم وخاسرة اى مخسرة وقوله عز وجل فانما هى زجرة
واحدة ففيه اخبار عن سرعة كون ذلك الوقت وسهولته على الله تعالى وقوله عز وجل فاذا هم بالساهرة
قيل الساهرة هى وجه الارض وجايز ان يكون اريد بهذا ان العيون تسهر فى ذلك اليوم ولا يعتريها النوم
بل يكون مضطعة الى الداعى ليلة وقوله عز وجل هل اتاك حديث موسى فمنهم من يقول قد اتاك فحوفهم
وقال الحسن لم يكن اتاه فاتاه بهذا فيعلمه مع علمه انه لم يكن علمه من قبل وقد ذكرنا ما فى ذكر الانباء من الفوائد
من تثبيت الرسالة والتخويف لمن اساء صحبة الرسل عليهم السلام لان لا ينزل بهم ما نزل بفرعون واتباعه
حين اساؤا صحبة الرسول موسى عليه السلام وقوله اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قيل طوى
اسم ذلك الوادى وقيل سمى طوى لانه بورك مرتين مرة حين اتاه ابراهيم عليه السلام ومرة باتيان
موسى عليه السلام وذكر عن الزجاج ان طوى بكسر الطاء الذى بورك مرتين ثم اضاف ذلك الحديث
مرة الى موسى ومرة الى نفسه اذ ناداه فظاهره ان الله تعالى هو الذى كلمه فاضيف الى الله تعالى لانه اصله
من الله تعالى كما ذكرنا فى قوله تعالى حتى يسمع كلام الله وفى قوله انه لقول رسول كريم وقوله عز وجل
اذهب الى فرعون انه طغى اى عتا وطغى فى نعمه فاستعملها فى كفران نعمه فلم يشكر الله تعالى بها وقوله
عز وجل فقل هل لك الى ان تزكى اى هل لك فى اجابة منى اذا اجبت تزكيت او هل لك رغبة الى ما تزكو به
نفسك وتنمو ثم فى هذه الاية دلالة ان من اراد ان يدعو احدا الى ما فيه رشده وصلاحه فالواجب عليه
ان يدعوه اولا بالرفق واللين كما امر به موسى وهرون عليهما السلام بقوله فقولا له قولا لينا وبقوله
هل لك الى ان تزكى ثم اذا ترك الاجابة ختم كلامه بالتعنيف كما فعل موسى عليه السلام بقوله وانى لاظنك
يا فرعون مثبورا بعد قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقوله واهديك الى ربك
فتخشى اى اهديك الى ربك فتهتدى ثم تخشاه اذا اهتديت اى عرفت عظمته وجلاله تخشى
عقوبته فيكون العلم مثمر الخشية الا ترى الى قوله انما يخشى الله من عباده العلماء او اهديك الى طاعة
ربك وانذرك عقابه اذا عصيته فتخشى فلا تعصه وقوله عز وجل فاراه الآية الكبرى فمنهم
من ذكر ان الآية الكبرى هى اليد سميت كبرى لان سحرهم عمل فى الحبال والعصى ولم يعمل فى اليد
فكانت هذه الآية خارجة من نوع سحرهم فسميت كبرى لهذا المعنى ومنهم من ذكر ان الآية الكبرى هى العصا
لان غلبة موسى عليه السلام على السحرة كانت بالعصا حيث تلقفت ما اتوا به من السحر ولكن كل اية كانت كبرى
كما قال فى اية اخرى وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها فكانت احداهما اكبر من الاخرى عند ذوى الاحلام
والنهى لمن تامل فيها وتدبر والله الموفق وقوله فكذب وعصى اى كذب بايات الله وعصى نبيه موسى
فلم يطعه وقوله ثم ادبر يسعى قال الحسن كان خفيفا طياشا والا فالملوك اذا دعوا الى امر تدبروا فيه
وتفكروا اما ان يجيبوا الداعى الى ما دعاهم او لم يردوا عليه فاما الادبار والسعى فليس الا من الخفة والطيش
وقال غيره ادبر عن طاعة الله تعالى وتولى عنه وسعى فى جمع السحرة او سعى فى جمع من قاتل موسى
عليه السلام فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه وقوله فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى وذلك
اللعين قد علم انه ليس برب السماء والارض ولكن قد اتخذ لقومه اصناما فامر العوام منهم ان يعبدوها
ليقربهم ذلك اليه لكن انا صادوا من خاصيته اذن لهم بان يعبدوه وامر الخواص منهم بعبادته تسمى
نفسه اعلى الارباب لهذا وقوله فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فمنهم من يقول اخذه بعقوبة
الكلمتين جميعا الكلمة الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيرى والكلمة الثانية قوله انا ربكم الاعلى ومنهم من يقول

ونهوض اللعيان
ووجه دعاه

اخذه بعقوبة ما تقدم من الاجرام وما تاخر الى ان غرق ومنهم من يقول اخذه بالعقوبة فى الدنيا
والآخرة فغرقه فى الدنيا وعذب روحه بعد مماته بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
ويدخله النار مع اتباعه بقوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب فاتصلت
عقوبة الدنيا بعقوبة الآخرة وقوله ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى وفى ذلك كله عبرة لكن الذى
يعتبر بها من يخشى العواقب ويخاف عقوبة الله تعالى وقوله اانتم اشد خلقا ام السماء فجايز
ان يكون صلة قوله يوم ترجف الراجفة فيكون قوله يوم ترجف الراجفة وفى قوله اانتم اشد خلقا
تقرير له ايضا ثم قوله عز وجل اانتم اشد خلقا ام السماء يحتمل وجها احدها انه اعادتهم خلقا
جديدا وبعثهم ايسر فى عقول منكرى البعث من خلق السموات وقد اقروا انه خالق السماء فاذا لم يتعذر
عليه خلق السماء وان كان خلقه اشد فى عقولهم من خلق امثالهم فما بالهم ينكرون بعثهم واعادتهم
اليها كما كانوا عليه وذلك اهون فى عقولهم ويحتمل وجها آخر وهو ان السماء مع شدة خلقها اشفقت
على نفسها فابت قبول ما عرض عليها من الامانة وخافت نقمة الله تعالى فما بال هذا الانسان مع ضعفه يمتنع
عن الاجابة الى ما دعى اليه افلا يشفق على نفسه ولا يخاف نقمة الله تعالى وما خلقت النار والجنة الا لاجل
الانس فيذكرهم بهذا ليخوفهم ويرتدعوا عما هم فيه من الطغيان ويجيبوا الى ما دعاهم اليه الرسول
وجايز ان يكون صلة قوله اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت يخبر ان السماء مع شدتها وطواعيتها
لا تقوم لذلك اليوم فكيف يقوم لهول ذلك اليوم مع ضعفه فيرجع هذا ايضا الى التخويف وقوله عز وجل
بناها رفع سمكها فسويها بناها اى خلقها رفع سمكها سقفها فسواها بالارض او سواها على ما توجبه
الحكمة ويدل على الوحدانية قال امام الهدى ابو منصور رحمه الله ثم لم يفهم احد من قوله بناها
ما يفهم من البناء المضاف الى الخلق ولا فهم منه الرفع المضاف اليهم ولا فهم من قوله والارض
بعد ذلك دحاها ما يفهم من البسط المعروف المنسوب الى الخلق فما بال بعض الناس فهموا من المجئ
الذى يضاف الى الخالق فلولا انه حلت بهم جهلتهم على ان يفهموا منه المعنى المكروه والا لم ينصرف
اوهامهم الى المثل ذلك وقوله عز وجل واغطش ليلها قيل اظلم واخرج ضحاها فى اظلام الليل
واخراج الضحى ما ينفى عن منكرى البعث الشبه التى تعترض لهم وذلك انه يغطش فى ساعة لطيفة
ويغشى ظلمتها كل شئ ثم يتلوها فى ادنى وهلة ويفنيها كانها لم يكن ثم يعيدها بعد ما ابلغها حتى
لو اراد احد ان يميز بين الاولى والثانية لم يقدر عليه بل وقع عنده ان الاولى هى الثانية
والثانية هى الاولى وهذا بعد ما تلفت الظلمة الاولى وذهبت كلها حتى لم يبق منها اثر فلان يكون قادرا
على اعادتهم خلقا جديدا بعد ما افناهم وقد بقى من آثار الخلق الاول بعضه اولى ثم اضاف ذلك
الى السماء لان بدوها يظهر من عندها وقوله والارض بعد ذلك دحاها قالوا بسطها
فمنهم من يقول خلقها مجتمعة ثم بسطها بعد ما خلق السموات الا ترى انه قال دحاها ولم يقل
خلقها ومنهم من ذكر انه خلق سماء الدنيا اولا ثم خلق الارضين بعد ذلك ثم خلق السموات
الست من بعد ومنهم من ذكر انها كانت قبل ان يبسط تحت البيت المقدس ثم بسطه بعد ذلك
قال ابو بكر هذا لا يحتمل لانه لا يجوز ان يكون بجملتها وسعتها تحت بيت المقدس والله اعلم
ولكن معناه عندنا ان كان على ما قالوا منصرف الى الجوهر الذى خلق منه الارض كان هنالك
لا ان كانت بجملتها تحته كما خلق هذا الانسان من النطفة وان لم يكن بكليته فى النطفة وخلق من التراب
وان لم يكن بكليته على ما هو عليه فى التراب وكان معناه انه خلق من ذلك الجوهر فعلى ذلك
الحكم فيما ذكره ومنهم من زعم ان خلقهما كانا معا وذكر عن الحسن ان الارضين خلقت قبل السماء

بقوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن وقال فى موضع آخر ثم استوى الى السماء وهى دخان وقال اسم السماء سماء لارتفاع الشئ كما يقال للسقف سماء لارتفاعه عن الانسان **وقوله** اخرج منها ماءها ومرعاها فذكر ما انشاه لنا للخير وما اخرج منها للانعام كتذكير النعم ايضا ليشكر ويحمد عليه اذ الدواب خلقت لنا فخارج الى منافعها فهى راجعة الينا اذ بها ما يصل الى الانتفاع بالدواب **وقوله** عزوجل والجبال ارساها اثبتها لئلا تميد باهلها **وقوله** متاعا لكم ولانعامكم فيكون ما جعله متاعا لنا قد جعل شيئا من ذلك للدواب ايضا والذى جعله للانعام لم يجعل لنا فيه شركا وذلك لان الذى انشاه لمتاع البشرية ما يستخبث ويستقذر ومنه ما يستطاب ويدخر فجعل ما طاب منه للبشر وما خبث منه لمنافع الدواب والذى انشاه لمنافع الدواب مما يستخبثه الطباع ويستقذره ففضلا غذيه من فضل منا ولهم ففيما ذكرنا دلالة اباحة التنا ول من الطيبات ان الله تعالى من على عباده ان جعل اغذيتهم بما طاب من الاشيا وفضلهم على الانعام فمن كره ذلك فقد كره الانتفاع بما انشئ للانتفاع والله اعلم **وقوله** عزوجل فاذا جاءت الطامة الكبرى قال الطامة هى الصيحة سميت طامة لانها تطم الاشيا و تعمها وسميت كبرى لانها ان طمت بالعذاب فهو يدوم ولا ينقطع وان احاطت بالثواب والكرامة فهو يدوم ولا ينقطع فسميت كبرى لدوامها **وقوله** يوم يتذكر الانسان ما سعى ما عمل وتذكره يكون بوجهين احدهما بقراءة كتابه كقوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والتذكر الثانى يكون بالجزاء فالتذكر الاول يكون باللطف من الله تعالى والا فالمرء قد يكتب اشياء ثم ينساه اذا طالت المدة ولا يتذكر بالقراءة ففيما لم يتول كتابته احق ان لا يتذكر لكن الله تعالى بلطفه يذكره بالقراءة فيعرف به صدق ما كتبته الملايكة ويعرف انه اذا عوقب عوقب جزاء ما كسبت يداه ويكون الجزاء ابلغ فى التذكير فيتذكر فى ذلك الوقت ايضا **وقوله** عزوجل وبرزت الجحيم لمن يرى وقرئ لمن ترى فتضيف الرؤية الى الجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا **وقوله** لمن يرى جايز ان يكون الرؤية كناية عن الحضور والدخول فيكون قوله لمن يرى اى لمن يدخلها ويحضرها وهو كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ومعناه ان الرحمة الله للمحسنين وقال تعالى ولا تقربا هذه الشجرة واريد بالقرب التناول فكنى عنه بالقرب فجايز ان يكون الرؤية هاهنا كناية عن الدخول والحضور فيكون فيه اخبار عن احاطة العذاب بجميع ابدانهم وجايز ان يكون اهل الرؤية هم اهل الجنة يرونها مشاهدة فيتلذذون بذلك لما نجوا وفازوا بالنعيم كما تاملوا بذكرها عندها كانت غايبة لا يرونها قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة بانهم الى ربهم يرجعون وقالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين فمن الله علينا الآية **وقوله** عزوجل فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا اى عصى وتمرد او طغى بانعم الله تعالى فاستعملها فى معاصيه او جاوز حده وحد الله **وقوله** عزوجل وآثر الحيوة الدنيا فجايز ان يكون ايثاره ان يبتغى بمحاسنه الحيوة الدنيا حتى انساه ذلك عن الآخرة واذا ابتغى بها الحيوة الدنيا لم يبق له فى الآخرة نصيب لانه قد وفى له عمله الا ترى الى قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها **وقوله** فان الجحيم هى المأوى اى مأواه **وقوله** واما من خاف مقام ربه فجايز ان يكون اريد بالمقام حساب ربه او مقامه عند ربه فاضيف الى الله تعالى لان البعث مضاف اليه فكل احواله اضيف اليه ايضا وجايز ان يكون الخوف راجعا الى الحالة التى هو فيها فيخاف ان يكون مقامه فى موضع نهى الله تعالى عن المقام فيه **وقوله** ونهى النفس عن الهوى فليس هذا نهى قول وانما نهيه اياها ان يكفها عن شهواتها ولذاتها وكفها ان يشعرها عذاب الآخرة ويخوفها آلامها وعقابها فاذا فعل ذلك سهل عليها ترك الشهوات الحاضرة وسهل عليها العمل للآخرة والناس فى نهى النفس عن هواها على ضربين فمنهم من يقهرها فلا يعطيها شهواتها فهو ابدا فى جهد وعنا ومنهم من يذكرها العواقب ويريها ما اعد لاهل الطاعة ويعدها ما يحل بالظلمة فيصير ذلك لها كالعيان

فيختار اللذات الآخرة على لذات الدنيا اذ ذلك ادوم والذ ويسهل عليه العمل للآخرة والهوى هو ميل النفس الى شهوتها ولذتها ففيه ان الانفس جبلت على حب الشهوات والميل اليها ولا ينتهى عن ذلك الا بما ذكرنا **وقوله** عزوجل يسألونك عن الساعة وهى القيامة سميت ساعة اما لخفة امرها على من اليه مدبيرها او سميت ساعة لسرعة كونها اذا اتى وقتها او سميت لقربها الى الحالة التى كانوا عليها كقوله تعالى الى امر الله ثم ان كان هذا السؤال من المؤمنين فهو سؤال استهداء كانه لما قيل لهم اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت قالوا متى يكون الساعة فنزلت هذه الآية وجايز ان يكون السؤال من الكفرة لما ذكرنا انه ليس فى تبيين وقتها كثير منفعة حتى يقع الحاجة للمسلمين الى تبيينه بالسؤال فيسألونه سؤال استهزاء واستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم ويسألونه استعجالها بقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فكانوا يسألونه عن شئ يعلمون انهم متعنتون فى السؤال قصدا منهم والتلبيس على الضعفة والاتباع لانهم كانوا يعلمون ان ذلك الوقت ليس هو وقت مجئ الساعة فاذا طلبوا الاستعجال علموا انه لا يأتيها لدان يريهم فى ذلك الوقت اذ ذلك يخرج مخرج خلاف الوعد فيحتجون على الضعفة انه لو كان صادقا فى مقالته ان الساعة تكون لكانوا متى طلبوا مجيئها يأتيهم بها **وقوله** فيم انت من ذكراها اى لست انت من علمها فى شئ هذا ان ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلع عليها **وقوله** الى ربك منتهاها اى ينتهى اليه علمها فيكون هذا نهى للسائلين عن العود الى السؤال **وقوله** انما انت منذر من يخشاها فهو صلى الله عليه وسلم كان منذرا للعالمين جملة بقوله ليكون للعالمين نذيرا لكنه ينتفع بانذاره من يخشى الانذار **وقوله** كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال اهل التاويل فى هذه الآية انهم اذا راوا الساعة استقصروا هذه الايام وقلت الدنيا فى قلوبهم حتى عاينوا الآخرة وجايز ان يكون تاويله انهم لو راوا الساعة للحالة التى هم فيها لم يلبثوا فيها الا عشية او ضحاها فلا يقع ذلك موقع التهويل والتخويف والله اعلم

سورة عبس مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل عبس وتولى ان جاءه الاعمى ذكر الحسن ان تعبس الوجه والتولى كانا بنفس النبى على ظاهر الآية فانه ذكر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان عنده من عظماء المشركين يعظهم ويدعوهم الى الاسلام فلما جاءه ابن ام مكتوم يسأله اعرض عنه لمكان اولئك القوم وعبس وجهه رجاء اسلامهم وذكر غيره من اهل التفسير انه عبس وتولى لما سأله ابن ام مكتوم عما فيه رشده وهذا ان تعبس وجهه تقطعه الحديث عليه ثم هذا التعبس منه عليه الصلوة والسلام كان فى امر لو تام ثم وزن ذلك بجنايات اهل الارض لرجح على خيراتهم ومحاسنهم لانه ذكر انه كان مقبلا على رؤساء الكفرة يعظهم ويحرضهم على الاسلام رجاء ان يسلموا فيكون فى اسلامهم رجاء اسلام كثير من القوم لانهم كانوا من علماء القوم وعظمايهم فكان فى اسلامهم رجاء اسلام من يتبعهم من قومهم فيستوجب باسلامهم من جزيل الثواب وعظم المنزلة ما لا يبلغه آخر بجميع محاسنه فكان فى سؤاله اياه منع ما قصد اليه من احراز جزيل الثواب وكريم الخصال واذا كان هكذا فتعبس الوجه فى مثل هذا الحال امر سهل لا يستبعد ولا يستنكر والثانى ان تعبس الوجه على الاعمى والاعراض عنه لا يظهر للاعمى لانه لا يراه فلا يعده جفاء وكان فى اقباله على اولئك القوم وحسن صحبته اياهم رجاء الاسلام منهم اذا قبله وحسن صحبته يظهر لهم وفى الاعراض عنهم ذهاب ذلك الرجاء وابداء الجفاء منه اياهم ومن آثر الوجه الذى فيه اتقاء الجفاء والدعاء من الرؤى الى الهدى وصلاح الدين والدنيا فهو محمود

هذه الصحيفة تجب مطالعتها

عند ذوي الاحلام والنهى ولان اقباله على القوم اذا كان لمكان دعايهم الى الاسلام وقد امرنا بدعاء الكفرة
الى الاسلام وان كان في دعايهم اتلاف انفسنا واموالنا فلان يسوغ الدعاء من وجه ليس فيه الا تعبيس
الوجه على واحد من المسلمين اولى ولكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجد منه هذا النوع من الايثار
اجتهادا ورايا والانبياء عليهم الصلوة والسلام قد جاءهم العتاب من الله تعالى بتعاطيهم امورا لم يسبق
من الله تعالى لهم الاذن وان كان الذي تعاطوه من الامور امورا محمودة في تدبير الخلق نحو ما عوتب
يونس عليه السلام وعوقب بمفارقة قومه بغير اذن وان كان مثل ذلك المفارقة لو وجد من واحد
من اهل الارض استوجب بها الحمد وحسن الثناء لان تلك المفارقة لا يخلو من احدى امور ثلاثة احدها
ان قومه كانوا اهل كفر وكانوا له اعداء في الدين ففارقهم ليتبرا منهم ويسلم له دينه ومثل هذا لو وجد
من غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام عد ذلك من افضل شمايله والثاني ان مفارقته من بين اظهرهم
تخويف لهم وتهويل لان القوم من قبل كان لا يفارقهم نبيهم من بين اظهرهم الا وقت ما يريد
ان ينزل بهم العذاب فكان في مفارقته اياهم تخويفهم وتهويلهم فيدعوهم ذلك الى الانقلاع
عما هم عليه من الضلال والفزع الى الله تعالى ومن خوف اخر بامر يكون فيه دعاؤه الى الهدى وردعهم عن الضلال
فقد ابلغ في النصيحة واستقام على الطريقة والثالث انه يفارقهم ليستنصر بغيره فينصرونه عليهم
ويتقوى بهم ليكون على دعايهم الى الاسلام امكن واقدر ومن كانت مفارقته من قومه على هذه النية فليم
المفارق هو ثم عوتب مع هذا كله وذكر الله تعالى في الكتاب قضيته الوجه الذي ذكرنا فكذلك الوجه
في معاتبة نبينا محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات ومنهم من ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقصد الى تعبيس الوجه على ابن ام مكتوم ولا تولى عنه عمدا لذلك لكن لما قطع عليه حديثه وكان فيه قطع
رجاء اسلام اولئك القوم شق ذلك عليه واعتراه من ذلك هم شديد فاثر ذلك في وجهه لا ان كان
منه ذلك على القصد ووجه اخر ان يقال ان الله تعالى جعل في قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشفقة
والرحمة على العالمين حتى بلغ من شفقته ان كادت نفسه تذهب على من اعرض عن دين الله تعالى
والايمان به حسرات عليه وحتى قيل له لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقال ولا تحزن عليهم
ولا تك في ضيق مما يمكرون وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وتاويله لا يحزن بمكانهم
كل هذا الحزن فيكون فيه تخفيف الامر عليه لا ان يكون فيه نهي عن الحزن وعن الحسرة ولذلك قال يا ايها النبي
لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك ومعناه والله اعلم ان لا تحمل نفسك كل هذا التحميل
حتى يمتنع عن الانتفاع بما احل الله لك للامتناع به طلبا لمرضاتهن لا ان نهاه عن ابتغاء مرضاتهن الا ترى انه ندب
الى ابتغاء مرضاتهن بقوله ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن الاية فجايز ان يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد عليه اعراض اولئك القوم عن الايمان وكبر ذلك عليه
حتى تغير لونه ووجهه فظهرت عبوسة وجهه فنزل قوله تعالى عبس وتولى تبيين شدة ما اعتراه
من الهم حتى اثر ذلك في وجهه لا ان يكون فيه مذمة ومنقصة له ثم في هذه الاية فوايد احدها
جواز العمل بالاجتهاد لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعل هذا النوع من العمل اجتهادا لا نصا
اذ لو كان الاذن بالتولي والتعبيس سابقا لم يكن يعاتب بفعل ما قد امر به فان قيل كيف لا يدل المعاتبة
على النهي على اقدامه مثله فيحرم عليه الاجتهاد قيل له لو كان نهيا لم يكن يعود الى العمل بالاجتهاد بعد ذلك
وقد وجد منه عليه السلام العود لقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وبقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله
فثبت انه ليس فيه نهي وفيه ان الكافر وان كان مبجلا معظما في قومه فليس على المؤمنين ان يعظموه ويبجلوه
بل يستذل ويستخف به وان المسلم ينبغي ان يعظم ويكرم وان كان حقيرا في اعين الخلق وفيه دلالة

محمد صلى الله عليه وسلم ودلالة نبوته وانه لم يختلق هذا الكتاب من عند نفسه لان من يتعاطى فعلا
حقه الستر فهو يستره على نفسه ولا يهتك عليها الستر لئلا يذم عليه فلو لم يكن مامورا بتبليغ
الرسالة لكان يجتهد في الستر على نفسه ولا يبديه للخلايق ولكنه كان رسولا لم يجد من تبليغه الى الخلق
بدا فبلغه كما امر وقوله وما يدريك لعله يزكى ولعل من الله تعالى واجب وقوله يزكى اي يتزكى بعمله
ونيته وفي هذه الاية قضاء بابطال قول من زعم ان جميع ما في القرآن وما يدريك فهو مما لم يدر روي
ذلك عن سفيان بن عيينة رضي الله عنه وغيره لانه قد دراه ها هنا بقوله لعله يزكى ولعل من الله واجب
وانا جعلته واجبا فقد زكاه واذا زكاه فقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل او يذكر فتنفعه
الذكرى يحتمل وجهين احدهما ان يكون يتذكر بتذكيرك اياه فينتفع بتذكيرك والثاني ان يتذكر
فيما ذكرته من العواقب وما هو عليه من حاله فينتفع به فيكون المنفعة في التاويل الاول بالتذكر بنفس
تذكير الرسول صلى الله عليه وسلم وفي التاويل الثاني بتذكره فيما ذكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقوله عز وجل اما من استغنى اي بما اختار وعجبت به من الدين او استغنى بالذي زين له الشيطان
عجبت به او يكون على الغنى المعروف لان الذين قبل عليهم بوجهه كانوا اهل ثروة وغناء فاقبل عليهم رجاء
ان يسلموا فيتبعهم اتباعهم في الاسلام اذ كانوا من رؤسايهم وجلتهم وقوله فانت له تصدى اي تقبل
عليه بوجهه وقوله وما عليك الا يزكى اي لا باس عليك عن التذكير اذا اعرض عنك وعاداك
لم يمكن من الحاق ضرر بك بل الله يعصمك ويدفع عنك شره وقوله عز وجل واما من جاءك يسعى وهو يخشى
اي يخشى الله تعالى ويخشاه فجايز ان يكون الخشية علة للسعي فيكون معناه ان خشيته هي التي حملته
الى السعي وقد يجوز ان يخرج الكلام مخرج العطف على جعل احدهما علة للاخر ودليلا له قال الله تعالى
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكان الاحياء الاول دليلا للاحياء الثاني
في موضع العطف والترتيب على الكلام الاول او ان يكون ابتداء فتقول جاءك يسعى وهو يخشى الله تعالى
ويخاف التبعة وحلول النقمة وقوله كلا قال الحسن معناه ان الذي فعلته من التولي عن المومنين والاقبال
على الكفرة ليس من حكمي وذكر ابو بكر الاصم لما نزلت قوله عبس وتولى الى قوله فانت عنه تلهى تغير وجه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وخاف زوال الرسالة وان يخلي سمعه عنها فلما نزل قوله كلا علم انه لم يودعه
ربه حيث نهاه عن العود لمثله وقال الحسنون كلا اي لا تعد الى مثل هذا وقوله عز وجل انها تذكرة
فجايز ان يكون هذا منصرفا الى السور كلها وجايز ان يكون منصرفا الى هذه السورة لان فيها اثبات التوحيد
واثبات الرسالة من الوجه الذي ذكرنا ودلالة البعث واياته ان خلق البشر ليس على البعث فهي تذكرة
لمن تذكر بها وجايز ان يكون منصرفا الى الايات التي قبل هذا في هذه السورة وهو ان فيما تقدم في هذه السورة
من الايات تثبيت رسالته بما تقدم ذكرناه وجايز ان يقال ان هذه تذكرة اي هذه المعاتبة تذكرة للنبي
صلى الله عليه وسلم ولجميع المومنين ليعرفوا من يستوجب التعظيم والتبجيل ومن يستوجب اهانته
والاستخفاف وقوله فمن شاء ذكره جايز ان يكون معناه من شاء الله ان يذكره ذكره او ما شاء ذكره
اي قد مكن كل من التذكرة وانه ليس احد بممنوع ولا مجبور على الفعل فمن ترك التذكر فهو الذي ضيع
ذلك حيث اثر واختار ضده واشتغل بغيره واعرض عن ذكره وجايز ان يكون على تحقيق الفعل
اي من تذكر به فهو ذكره فكنى بالمشية عن الفعل لما ذكرنا انها يقترن بالفعل ولا يزايله فيكون قد ذكرها
ذكر الفعل او يكون على ارادة الفعل قبل وجوده وقوله في صحف مكرمة قيل هو الصحف المتقدمة كقوله
ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وقوله في صحف اي في ايدي الملايكة وقوله مكرمة اي مكرمة
بما يكرمها اهل الكرامة وهم السفرة البررة او مكرمة على الله تعالى وقوله مرفوعة اي مرفوعة القدر

مطهرة من التناقض والاختلاف ومطهرة من ان ينالها ايدى العصاة او مطهرة من الاقذار والانجاس
وقوله بايدى سفرة فالسفرة الكتبة وقوله كرام بررة اى كرام على الله تعالى بررة فى اعمالهم كما وصفهم الله تعالى
بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله عز وجل قتل الانسان قالوا تاويله
لعن الانسان وذكر الحسن والمعتزلة ان هذا من الله تعالى على الشتم والتسمية له بذلك واستجازوا
الشتم منه والاصل ان ليس فى الشتم الا ظهور سفه الشاتم وعبثه اذ لا ضرر يلحق بالمشتوم من جهة
الشتم وانما ضرر ذلك الشتم على الشاتم خاصة واما المشتوم فانما يصير مشتوما بفعله لا بشتم
الشاتم وجل الله تعالى من ان ينسب اليه فعل السفه فلذلك قلنا انه لا يحقق معنى الشتم فى الكلمة التى
عرفت شتما فيما بين الخلق اذ جاءت من الله تعالى كما لا يحقق من الكلمة التى عرفت عتبا بما بين الخلق
اذ جاءت من الله تعالى معنى الاعتاب بل يحمل ذلك على الردع والتنبيه فيكون فى ذكرها تخويف من خوطب بها
وتذكير الخلق سفهه وجهله الا ترى ان المرء فى الشاهد قد يتكلم بما فيه هتك الستر على المخاطب ثم لا يعد
ذلك منه اعتيابا اذا قصد به وعظه ونجره عما هو ورشده الى ما فيه صلاح آخرته واولاه فكذلك الله تعالى
اذا جاء منه ما يعد شتما من غيره واعتيابا لم يلحقه وصف الشتم والغيبة اذ ذلك منه على التذكير
والتنبيه للخلق وعلى التخويف والتهويل لمن نسب اليه ذلك وقوله ما اكفره اى ما اقبح كفره واوحشه واشنعه
لانه علم ان جميع ما انعم به من النعيم لمن الله تعالى ثم هو لم يشكر نعمه ولا اطاعه فيما دعاه اليه بل وجه
شكر نعمه الى من لا ينفعه ولا يضره وعبد من لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنه شيئا ما هذا الا غاية الفحش
ونهاية القبح او ما اوحش كفره واقبحه بما سوى بين الشكور والكفور وبين المفسد والمصلح وبين
الولى والعدو والعقل يوجب التفرقة بينهما فهو بانكاره البعث كابر عقله وعاند فما اشد كفره
من هذا وصفه ثم قوله تعالى ما اكفره اى اى شىء اكفره فيكون فى ذكره تعجيب لمن اتى من الخلائق وتنكيرهم
عن سوء من هذا فعله وسوء معاملته مع ربه وقوله من اى شىء خلقه من نطفة خلقه فكانه قال
ان الذى كفر قد علم انه خلق من نطفة وتلك النطفة موات لا سمع فيها ولا عقل ولا شىء من الجوارح
ثم الله تعالى بلطفه وعجيب حكمته دبر فيها بصرا يرى بفتحة واحدة وفى ادنى وهلة مسيرة خمس مائة عام
وقدر فيها عقلا يرى به ملكوت السموات والارض وقدر فيها السمع والبصر وغيرهما من الجوارح افترى
ان من بلغت قدرته هذا يعجز من احيا من اماته وعن بعثه باقل من لحظة او يكون قوله من نطفة خلقه
تعريف منه انه خلقه من نطفة ويكون فى ذكره ما ذكرنا من الفوائد وقوله فقدره اى سواه على وجه يكون
فيه دلالة ربوبيته وشهادة وحدانيته او قدره على ما فيه صلاحه ومنفعته او قدره على ما نشاهد من القصر
والطول والدمامة والملاحة وغير ذلك وقوله ثم السبيل يسره يحتمل ان يكون المراد من السبيل
الدين فكانه يقول يسر له سبيل ذلك السبيل الى الله تعالى على ما ذكرنا ان الدين اذا اطلق
اريد به دين الله تعالى وكذلك الكتاب المطلق يراد به كتاب الله تعالى فعلى ذلك السبيل اذا ذكر مطلقا
كان منصرفا الى سبيل الله تعالى او يسر له السبيل سبيل الهدى وسبيل الضلال والسبيل الذى
لو سلكه نفعه والسبيل الذى يضره او يسر له السبيل الذى علم الله انه يختار كقوله تعالى فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى او ان يسر عليه سبيل الخروج من بطن امه على ضيق ذلك الموضع وكبر جثته ليعلموا ان من بلغت
قوته هذا فهو قادر على ما اراد لا يعجزه شىء ولا يخفى عليه امر وقوله ثم اماته فاقبره ففى ذكر هذا ذكر النعم
وهو ان الله تعالى لما يخبث ويتغير كما تكن فيه فيستره عن الخلق لئلا يعافوه ويستقذروه ولم يجعل
ذلك لغيرهم وجعل لا نعتهم انما هم تغيرت بالموت وصارت بحيث يستخبث ويستقذر كما يستر فيها

نصب الانسان فى مسيرة خمس مائة عام نحو وهلة وعقله يرى ملكوت السموات والارض

يغنيه عن الخلق فلا يتاذوا بها فذكرهم هذا ليشكروه وقوله ثم اذا شاء انشره معناه والله اعلم كذلك
اذا شاء انشره لان هذا كله اخبار فى موضع الاحتجاج فكانه قال ان الذى خلقه من نطفة وقدره ثم اماته
فاقبره فهو كذلك ينشره اذا شاء وكذلك هذا فى قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم اى ان الذى احياكم ثم اماتكم فكذلك هو الذى يحييكم وقوله كلا لما يقض ما امره فمنهم من ذكر ان هذا
الخطاب فى كل احد لا ترى انسانا قضى جميع ما عليه من الامر على حد ما امر حتى لا يغفل عنه ولا يقصر فيه بل لله تعالى
على كل احد فى كل طرفة عين نعمة لا يتهيأ لاحد ان يقوم بكنه شكرها حتى لا يقع منه فى ذلك حيف ولا تقصير
ومنهم من يقول هذا فى الكفار خاصة لا يقضون ما امروا به من التوحيد فان كان على هذا فهو منصرف
الى ابتداء الامر وان كان على الوجه الذى فهو منصرف الى كلية الامر ويستقيم توجيهه الى الكافر على ما ذكروا
لان ايمان المومن له حكم التجدد فى كل وقت اذ هو فى وقت مامور باجتناب الكفر فهو يجتنبه فذلك يكون
واذا كان كذلك ثبت انه فى كل وقت مومن لما امر به هو مجتنب عما نهى عنه فهو بايمانه راجع عن الزلات
فى كل حال معتقد للوفاء بما امر به لذلك كان صرفه الى الكافر اوجه وقوله فلينظر الانسان
الى طعامه كيف قدر له حيث استعمل فيه السموات والارضين والهواء والشمس والقمر والليل والنهار ثم
فاستعمال السماء فى انزال المطر منها واستعمال الهواء فى جعلها مسلكا للمطر واستعمال الارض فى جعلها
قرارا للمطر واخرج منها ما فيه قوامهم ومنافعهم فيكون فى ذكر هذا فوائد احدها فى موضع التوحيد للخلائق
ان منشئ السموات والارضين ومنشئ الخلق والشمس والقمر واحد لاتصال منافع بعض ببعض
اذ لو لم يكن كذلك لكان لمنشئ السماء ان يمنع منافع السماء عن خلق منشئ الارض وفيه تذكير قوته
وعجيب حكمته ليعلموا انه قادر على كل ما يريد فعله لا يضعف عن ذلك ولا يعجزه شىء لانه جمع بين منافع
ما ذكرنا مع تناقضها واختلافها فى نفسها فجعلها من حيث المنافع متسقة متفقة وجعل كل واحدة منهن
كالمتصلة بالاخرى المتقنة بها مع بعد ما بينهما فمن قدر على الاتساق بين الاشياء المختلفة وقدر
على الوصل بين الاشياء المتباعدة بعضها عن بعض لقادر على احياء الاموات والبعث وذكرهم هذا
ليتبين لهم حكمته وعلمه ليعلم انه لا يخلق الخلق عبثا ولا يتركهم سدى لا يستادى منهم الشكر
ولا يبعثهم بل ينشئهم ويميتهم فقط فيخرج خلقه على ما فيه خروج عن الحكمة ولانه خلق البشر
على وجه يمسهم الحاجات ويمسه الشهوات وقدر الطعام على وجه اذا تناول منه دفع حاجته
وسكن شهوته ولو اراد احدان يتدارك المعنى الذى يعمل فى دفع الحاجة وتسكين الشهوة ما هو لم يصل
الى تعرفه فيوذى تفكره الى دفع الشبه والاعتراضات التى يعتريه فى امر البعث وغيره اذ كانوا يقدرون
الامور على قواهم ويسوونها على ما ينتهى اليه تدبيرهم فاذا وجدوا فى الطعام معانى هى خارجة
من تدبيرهم وقواهم علموا ان ليس الامر على ما قدروا فيرتفع عنهم الريب والاشكال وكذلك لو ارادوا
ان يستخرجوا من الماء المعنى الذى به صلح ان يكون به حياة الاشياء كلها مع اختلاف الاشياء وتفاوتها
واختلاف طعومها والوانها لم يمكنهم ذلك فيعلموا ان الذى بلغت حكمته هذا المبلغ قادر على ما يشاء
فعال لما يريد ويكون فى النظر فيما ذكر حاجته وافتقاره الى غيره وتبين ان الله تعالى لم ينشئ الخلق
لحاجة نفسه وانما خلق لحاجة البشر اليه وقوله انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
ليقر الماء فى شقوقها فيصل الخلق الى الانتفاع به او شققناها للنبات فانبتنا فيها حبا وعنبا فذكر الحب
والعنب واخبر انه انبتهما فى الارض وهما فى الحقيقة غير نابتين فى الارض ولكن اخرجهما من اصل
هو نابت فى الارض فاضافهما اليهما ليرجع لما يرجع الابتداء اليها وهو كقوله تعالى وفى السماء رزقكم
ورزقنا من السماء المطر لكن الذى هو رزقنا من الطعام وغيره انما ينبت فى الارض وخروج منها بالقطر من السماء

فى العجز عن شكر الله تعالى والاتيان به كما ينبغى

لان ايمان المومن حكم التجدد فى كل وقت

فاضيف اليه فعلى ذلك اضيف الحب والعنب اليها ذكرنا للمعنى الذى وصفنا **وقوله** وقضبا والقضب
هى الرطبة سميت قضبا لانها يقضب ويقطع مرة بعد مرة وذيتونا فى ذكر الزيتون ما ذكرنا من الفايدة
وهو ان الزيتون الين الاشياء انبت اصله فى الجبال التى هى اصلب الارض فمن قدر على اخراج الين
الاشياء عن اصلب الاشياء لقادر على الانشاء والبعث اذ من قدر على ان يخرج الين الاشياء من اصلب
الاشياء لقادر على ان يلين القلوب القاسية حتى يلين بذكر الله تعالى **وقوله** وحدايق غلبا فالحدايق
هى البساتين التى احدقت بالاشجار واحاطت بها والغلب الغلاظ يقال رجل اغلب اذا كان غليظ الرقبة
وقوم غلب الرقاب اى غلاظ وقالوا ايضا الغلب الاشجار الكثيفة الطويلة **وقوله** وفاكهة وابا والاب الكلا
فيخبر انه انشا هذه الاشياء ليكون متاعا للخلق والانعام لالمنافع نفسه **وقوله** فاذا جاءت الصاخة
قال الحسن هى اسم القيامة يصخ لها كل شئ وبه يقول ابو بكر انه يصخ لمجيها كل شئ اى يخشع لها ويطاطى
رأسه للداعى كما قال الله تعالى مهطعين الى الداع وقال القتبى الصاخة هى الداهية فذكر القيامة باحوال
التى يكون فيها وبالافعال التى يوجد فيها على ما ذكرنا وقال الزجاج الصاخة المصمّة يصم لها الاسماع عن كل شئ
الا الى ما يدعى اليها **وقوله** يوم يفر المرء من اخيه فجايز ان يكون هذا على تحقيق الفرار وجايز ان لا يكون على تحقيق
ولكن وصف بالفرار لما يوجد منه المعنى الذى يوجد من الفار قال الله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون والوجه فيه ان الاقرباء شانهم اذا اجتمعوا استبشر بعضهم ببعض واستوا
بالاجتماع واذا غابوا سالوا عن احوالهم واهتموا لذلك ثم هم فى ذلك اليوم يدعون السؤال عند الغيبة
والاستبشار عند الحضرة حتى كانه لا انساب بينهم لا ان يكون بينهم فى الحقيقة نسب ولكن ما يحل بكل واحد
من الاهتمام يشغله عن السؤال عما له والاستبشار برؤيته حتى يصير كالفار لوقوع المعنى الذى يوجد
من نفسه وعن قرابته او يكون على حقيقة الفرار لانه قال لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فما يحل
من الشان يمنعه عن الفرار عن نفسه وعن قرابته او يكون على حقيقة الفرار وذلك ان الاقرباء لا يوجد
منهم القيام بوفاء جملة ما عليهم من الحقوق حتى لا يوجد منهم التقصير فيخافون فى ذلك اليوم ان يواخذوا
بذلك فيحملهم على الفرار او يفر كل منهم عن تحمل ثقل الاقرباء كما قال وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه
شئ ولو كان ذا قربى وقد كانوا يتعاونون فى الدنيا فى تحمل الاثقال فيخبر انهم لا يتعاونون فى ذلك اليوم
بل يفرون ثم جايز ان يكون هذا فى الكفرة واما اهل الاسلام فانه يجوز ان يبقى بينهم حقوق القرابة
كما بقيت المودة فيما بين الاخلاء بقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وان كان
فى المسلمين والكفرة جميعا فجايز ان يكون الفرار فى بعض الاحوال وذلك فى الوقت الذى لم يتفرغ عن شغل
نفسه فاما اذا امن وجاءته البشارة فهو يقوم بشفاعته ويسال عن احواله ولا يفر منه **وقوله**
لكل امرئ منهم شان يغنيه قالوا افضى الى كل انسان ما يشغله عن غيره **وقوله** وجوه
يومئذ مسفرة اى مضيئة او ناضرة ناعمة مشرقة فيكون فيه اخبار عما هم فيه من النعيم
حتى يظهر ذلك فى وجوههم **وقوله** ضاحكة مستبشرة اى مسرورة بنعيم الله تعالى
الذى انعم عليهم مستبشرة برضاء الله عنها **وقوله** ووجوه يومئذ عليها غبرة قالوا هذا
اول تغير يظهر وجوههم كانما علاها الغبار ثم يسود ثم يطمس ويرد على ادبارها
كما قال من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها **وقوله** ترهقها قترة قال ابو بكر ترهقها
قترة اى يغشاها الذلة ويعلوها ثم يتلون بعد ذلك فيكون كانما علاها الغبار ثم يسود
على ما ذكرنا **وقوله** اولئك هم الكفرة الفجرة اى الكفرة بانعم الله تعالى الفجرة المايلة
عن الحقوق والله الموفق

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا الشمس كورت هذا ليس بابتداء خطاب ولكنه جواب عن سؤال تقدم فيسئلونه
ان يكون السؤال عن وقت لقاء الانفس الاعمال فنزل قوله اذا الشمس كورت اشارة الى احوال ذلك
الوقت وآثاره حاصل ما يذكر المعنى الذى له وقع لتبيين الاحوال دون تبيين الوقت فى سورة اذا السماء
انفطرت واختلف فى قوله تعالى كورت قال بعضهم هى فارسية معربة وهى بالعربية غورت
وقال بعضهم كورت اى ذهب ضوءها يقال كور الليل على النهار اى اذهب نوره وضياءه فالتكوير يغطى
لون الشئ عن الابصار فقيل كورت الشمس اى حبس ضوءها على الابصار بالطمس فيكون فيه ابتداء انه
يطمس ظاهرها ثم يرد التغير فى نفسها فيتلف ويتلاشى ومنه يقال كور العمامة اذا لفها على راسه
فيغطيه **وقوله** واذا النجوم انكدرت تناثرت وتساقطت وهو كقوله واذا الكواكب انتثرت وقيل
ذهب ضوءها فكان يذهب ضوءها اولا ثم تتناثر بعد ذلك **وقوله** واذا الجبال سيرت اى قلعت
عن اماكنها وسيرت كما قال فى آية اخرى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وهى اذا قلعت
تكسرت حتى لا يستبين للناظر سيرها لكسرتها فيحسبها جامدة وهى تسير فهذا اول تغير يظهر فيها
ثم يصير كثيبا مهيلا ثم كالعهن المنفوش ثم هباء منثورا الى ان يتلاشى ويتلف **وقوله** واذا العشار عطلت
فالعشار هى النوق الحوامل التى اتى على حملها عشرة اشهر وهى من انفس الاموال عند اهلها فيخبر ان اربابها
يعطلونها فى ذلك اليوم ولا يلتفتون اليها لشغلهم بانفسهم فى ذلك وهو كما قال يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما ارضعت الى قوله وترى الناس سكارى الاية **وقوله** واذا الوحوش حشرت قيل جمعت وهو يحتمل
وجهين احدهما ان يجمع كلها فيتلف ويهلك والثانى ان يحشر فى ان يحييها بعد موتها فيصنع الله تعالى
فيها ما شاء فيكون فى هذا اخبار عن عظم ذلك اليوم حتى يؤثر الهول فى الوحوش والشمس والقمر
والسموات **وقوله** واذا البحار سجرت قيل فجرت وسنذكر تاويل التفجير فيما بعد ان شاء الله تعالى
وقوله واذا النفوس زوجت قيل قرنت ثم اختلف فى معنى القران فقال بعضهم قرن زوجها اليها وقال بعضهم
يقرن كل باهل شيعته فيقرن الكفرة بالشياطين واهل الشراب باهل الشراب واهل الزنا باهل الزنا
وقال الله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الى قوله يا ليت بينى
وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ففى هذا اخبار ان المعذب منهم اذا راى عدوه يعذب عذابه
ويكون فى العذاب الذى هو فيه لم يتسل بذلك شيئا ولم ينل به راحة وان كان المرء فى الدنيا
اذا راى عدوه يعذب عذابه يتسلى بذلك **وقوله** واذا الموؤدة سئلت وقرا بعضهم واذا الموؤدة
سالت وهذا هو الظاهر ان يكون هى السايلة اى يسالهم باى ذنب قتلت وتقول باى ذنب قتلتمونى
وكانت العرب يدفن بناتها يقال واد تراى دفنته ثم القراءة المعروفة سئلت وهى يحتمل اوجها ثلاثة
احدها ذكر ابو عبيد وقال ان قتلتها تسال باى ذنب قتلت الموؤدة ويحتمل ان يسال الموؤدة عند
حضرة الذين وادوها باى ذنب قتلت يراد بالسوال تخويف وتهويل الذين وادوها لا سؤال استخبار
واستفهام وهو كقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله
وليس يسال من هذا سؤال استخبار واستفهام ولكن نسال سؤال تخويف وتهويل لمن ادعى ان عيسى عليه السلام
هو الذى امرهم ان يتخذوه وامه الهين من دون الله وجايز ان يسال الموؤدة الذى عى ولا تدعى وما الذى
تدعى عليهم فيبداها بالسوال كما يرى المدعى فى الشاهد هو الذى يبدا بالسوال فيقال له ما تدعى على هذا

كورتها

تغيرت تغير الجبال

تغير الوجه ...

فقوله باي ذنب قتلت كانها اذا سئلت عن الذي ادتمت وقالت باى ذنب قتلت والله اعلم وقوله
واذا الصحف نشرت اى الكتب نشرت للحساب وهى التى فيها اعمال ابن ادم وقت ما يدفع اليها باىمانهم
وشمايلهم وقوله واذا السماء كشطت قيل نشرت وذلك ان تتناثر النجوم وتطمس الشمس فينطوى
كطى السجل للكتب وقيل كشفت بكسف السماء كما يكسف الغطا عن الشئ ويقال كشطت اى قلعت
كما يقلع السقف وقوله واذا الجحيم سعرت يحتمل وجهين احدهما ان يحدث تسعيرها فيكون فيه
علم الحدثية وكذلك فى قوله تعالى واذا البحار سجرت يحتمل ان يبتدا تسجيرها ولما سجرت من قبل وجايز
ان يراد من التسجير والتسعير على ما كان من قبل لقوله وقودها الناس والحجارة وقد كان وقودها
بغير هذين ثم يراد فى وقودها بالناس والحجارة وقوله واذا الجنة ازلفت قيل قربت فاضيف اليها
التقريب لان اهلها اذا قربوا اليها فقد قربت هى اليهم وقوله علمت نفس ما احضرت اى ما احضرت
من خير او شر كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية او يعلم ما احضر بها الملائكة
الذين كتبوا عليها وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الاشياء التى وقع بها القسم يقتضى احكاما
ثلوثة احدها ما من شئ خلقه الله تعالى الا وفيه دليل وحدانيته واية ربوبيته اذا انعم النظر فيه
ويثبت علمه وحكمته ويدل على قدرته وسلطانه وفى تثبيت القدرة والسلطان ايجاب القول بالبعث
وايجاب القول بالرسل ونهى عن عبادة غير الله فلو انعموا النظر فيها وتفكروا فى امرها لاداهم ذلك الى القول
بالبعث ودعاهم الى وحدانية الرب والاقرار بالرسل فلا يدعون ان معه الهة اخرى ولا كانوا ينكرون
البعث ولا يكذبون الرسول فاقسم بهذه الاشياء على التاكيد بحججه ليعلموا انه رسول من عنده وان القران
من عنده وان الاوامر من عنده والرسول من عنده او يكون القسم تلقينا من الله تعالى لرسوله بان يقسم لهم
بهذه الاشياء ليزيل عنهم الشبهة والشكوك التى اعترضت للكفرة فى امره صلى الله عليه وسلم ويدعوهم
الى النظر فى حججه واياته ثم القسم بما لطف من الاشياء ودق وبما كثف وغلظ وبما كبر وصغر وبما ظهر
وخفى يتفق كلها فى ازالة الشبهة واثبات التوحيد والرسالة والبعث بل الا حجة فيما لطف من الاشياء
اعظم منها بما كثف وغلظ فاقسم مرة بالكواكب ومرة بظلمة الليل وما يمضى وبما شاء من خلقه ان الخلايق
كلها فى الشهادة على وحدانيته واثبات ربوبيته واثبات علمه وقدرته وسلطانه متفقة ولان ما لطف
من الاشياء وخفى منها يتصل بما ظهر منها فيتضمن ذكر ما خفى منها واستتر ذكر ما ظهر منها وفى ذكر
ما ظهر منها ذكر منشيها فيكون القسم فى الحقيقة بالله تعالى ثم اختلف فى الخنس والكنس قال ابو بكر
ان الخنس هى النجوم التى يطلعن فى مطالعها وتغيبن فى مغاربها والكنس هى النجوم التى تطلعن مطالعهان
ثم ينكس ويختفين الى ان يعدن الى مطالعهن فيطلعن وقيل الخنس الجوار الكنس هى خمس كواكب لهن مجار
فى السماء يظهرن بالليل ويسترن بالنهار وساير الكواكب ثوابت ثم قيل الخنوس
والكنوس واحد وهو الاختفاء والغروب فى مغاربها والدخول فيها وقيل الكنوس الاختفاء والخنوس
التاخر وكذا قال الفراء هى النجوم الخمسة تخنس فى مجراها ويرجع وفى حديث كعب يخنس بهم النار
كما يخنس النجوم الخنس اى يحدبهم ويتاخر والله اعلم وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال هى الوحوش
اللاتى يخنس من الانس ويكنس فى مكانسهن وايما كان فهى كلها دالة على الوجوه التى ذكرنا وقوله والليل
اذا عسعس قيل اذا اقبل وقيل اذا اقبل واذا ادبر وفى قوله والصبح اذا تنفس اذا انجلى واذا ارتفع
وفى اقبال الليل واقبال النهار تثبيت القدرة والسلطان وذلك ان ظلمة الليل اذا غشيت سترت عن وجوه
الاشياء وكشف عنها الستر ولو اراد احد ان تغطى الاشياء كلها بالحيل والاسباب لم يتمكن منها ولو اراد
نزع الغطاء عنهم لم يملك فذكرهم هذا ليعلموا ان من بلغت قدرته هذا لا يعجزه امر ولا يتعذر عليه البعث

بل هو قادر

بل هو قادر على احيايهم وبعثهم وقوله انه لقول رسول كريم فموضع القسم على هذا وعلى قوله تعالى
وما صاحبكم بمجنون ثم تاويل قوله انه لقول رسول كريم اى هذا الذى اتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم
تلقاه من رسول كريم على ربه وهو جبريل عليه الصلوة والسلام ثم نسب ههنا الى الرسول لما سمع منه
ولم يكن من قبله وقال فى اية اخرى حتى يسمع كلام الله فسماه كلام الله على الموافقة ولما ان ابتداءه يرجع اليه
لان يكون المسموع كلامه كما يقال هذا قول ابى حنيفة رحمه الله وهذا قول فلان الشاعر وليس الذى سمعته
قول من نسب اليه ولكن نسب اليه لان ابتداءه يرجع اليه فكذلك سمى كلام الله لانه يدل على كلامه ولما يرجع اليه
ابتداؤه لا انه يكون هو نفس كلامه وقوله عز وجل ذى قوة عند ذى العرش مكين وفى وصفه بالقوة
فايدتان احديهما ما ذكرنا ان فيه بيان الامن عن تغيير يقع فيه من الاعداء من الجن والشياطين والانس
يحتجز عنهم بقوته فلا يتمكنون منه حتى يغيروه ويبدلوه ووصفه بالامانة فى نفسه ليؤمن الخلق
ناحيته او وصفه بالقوة على التخويف والتحذير للذين عادوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيخبرهم ان معه من يدفع
عنه شرهم وكيدهم ان هموا ذلك به وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
ان الله تعالى وصفك بالقوة فما اثر قوتك فقال لما امرنى الله تعالى باهلاك قوم لوط فقلعت قرياتهم
ورفعتها بجناح واحد الى السماء ثم قلبتها وليس بنا الى تعرف قوته حاجة وانما بنا الحاجة الى ان يعرف
ما المعنى والحكمة فى ذكر قوته وقوله عند ذى العرش مكين فان كان المراد من العرش الملك فمعناه
عند ذى الملك مكين اى ذو قدر ومنزلة وقيل العرش السرير فان كان كذلك فتاويله انه مكين عند خزنة
سرير الملك وقوله مطاع ثم امين قيل ان جبريل عليه الصلوة والسلام رسول الى الملائكة كما هو
رسول الى الانس فان كان كذلك ففيه اخبار ان الملائكة الذين يعبدها بعض الكفرة يطيعون جبريل
عليه السلام فيما يامرهم وينهاهم فما بالهم يتركون طاعته والايتمار بامره وقوله ثم امين اى هم يامنونه
ولا يتهمونه فى شئ مما يجيء به اليهم فكيف يتهمه هؤلاء فيما اتى الى الرسول من الوحى وقوله وما صاحبكم
بمجنون فمنهم من يقول بان الكفرة نسبوه الى الجنون حين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل
على صورته فغشى عليه وكان يتغير فى كل مرة ياتى به جبريل عليه السلام الوحى لونه ووجهه فينسبونه
الى الجنون لهذا ومنهم من يقول انما نسبوه الى الجنون لانه اظهر المخالفة لاهل الارض وكان فى اهل الارض
الجبابرة والفراعنة الذين من عادتهم القتل والتعذيب لمن اظهر الخلاف لهم فكان ذلك منه مخاطرة
بنفسه وروحه حيث انتصب لمعاداة من لا طاقة له بهم ومن قام بخلاف من لا طاقة له به وانتصب
لمعاداته فذلك منه حمق وجنون فى الشاهد فنسبوه الى الجنون لهذا ومنهم من ذكر انهم لم ينسبوه
الى الجنون لما ذكرنا ولكن شدة سفههم هو الذى حملهم على هذا فنسبوه الى الجنون مرة والى انه ساحر اخرى
ومرة قالوا علمه بشر ومرة قالوا ان هذا الا اختلاق فكانوا ينسبونه الى كل ما ذكرنا لا عن بحث منهم
فى حاله ولكن على السفه والعناد الا ترى انهم ينسبونه الى الجنون مرة والى السحر ثانيا وهما امران متناقضان
لان الساحر هو الذى يبلغ فى العلم غايته والمجنون هو النهاية فى الجهل ولو كانوا يقولونه عن بحث
وتدبر لكانوا لا ياتون بالمختلف من القول فيظهر جهلهم لمن يريدون صده عن اتباع النبى صلى الله
عليه وسلم بل كانوا يتفقون على كلمة واحدة فيصدرون عنها حتى يقع التلبيس منهم موقعه فيصلون
الى مرادهم من صد الناس عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك فيما زعموا انه علمه بشر وانه افك
افتراه اتوا بالمختلف من القول لان اختلاقه وافتراءه تثبيت انه عالم بنفسه مستغن عن تعليم غيره
وحاجته الى ان يتعلم من غيره تثبيت عجزه وجهله عن الاختلاق بنفسه فهذا كله يدل على انهم لم ينسبوه
الى الجنون لاعلام ظهرت لهم ولكنهم قذفوه بكل ما حضرهم سفها منهم وعنادا ثم ان الكفرة نسبوه الى الجنون

فى قوة جبريل عليه السلام

تناقض الكفرة

حكى الانس والجن عجزوا من اتيان مثل القرآن

لما غشي عليه عند ما رأى جبريل عليه السلام على صورته فقد اتاهم بما لو تفكروا فيه لعلموا انه ليس بصاحبهم جنة كما قال الله تعالى قل انما اعظكم ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة وذلك انه اتاهم بحكمة اعجز حكماء الانس والجن اتيان مثله واتاهم بحكايات عجز اهل الكتاب عن اتيان مثله فلو تفكروا فيه لعلموا انه ليس من فعل المجانين ولا من علومهم ولكنه من عند الله اكرم به وان كانوا ينسبون الى الجنون لما خطر بوجه منهم يجهد الله تعالى لم يتهيأ لهم ان يمكروا به ولا ان يقتلوه بل اظهره الله عليهم واظهر على الدين كله فصار ذلك الوجه الذي به نسبوه الى الجنون آية رسالته وعلم نبوته وقوله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين قال الحسن انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه اي عظمته وسلطانه من وجه لا يقع به تشابه وخص بالافق ينزل البركات وتنزل الملائكة وانواع الخير كلها والمراد من ذلك الاماكن كلها وغيره من اهل التفسير صرف الرؤية الى جبريل عليه السلام وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال جبريل عليه السلام ان يريه على صورته فقال له جبريل عليه السلام ان الارض لا يسعني ولكن اذا صليت الفجر فانظر الى افق السماء فهنالك تراني ففعل فرآه على صورته ثم دنا منه فكان قاب قوسين او ادنى فذكر الافق لان الشيء من البعد لا يتهيأ ان يرى من اقطار الارض لذلك خصه الافق لان المشيء اذا كذلك يقع رؤية ما بعد والله اعلم وقوله عز وجل وما هو على الغيب بضنين وقرئ بظنين قال ابو عبيد والظنين اولى لان الظنين هو المتهم والضنين البخيل ولم ينسب احد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البخل بهذه الآية وقد كانوا يتهمونه على الغيب وهو القرآن فكانوا يقولون علمه بشر وليس من عند الله ويقولون ايضا ان هذا الا افك افتراه فبرأه الله تعالى مما قالوا بقوله وما هو على الغيب بظنين ومن قرأه بالضاد فهو يحتمل وجهين احدهما ما ذكره ابو بكر الاصم وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يضن بشيء علمه الله تعالى عن احد من اصحابه كما يفعله غيره من العلماء لان العلماء لا يريدون ان يعلموا من اختلف اليهم كل ما عندهم من العلوم حتى يستغنى عنهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يود ان يعلمهم جميع ما علم من العلوم اصحابه فكان يقوم على تعليم كل منهم بقدر طاقته ولم يكن يمتنع من التعليم بخلا منه وضنا وجائز ان يكون برأه الله تعالى من هذا لما علم انه يكون في امة محمد صلى الله عليه وسلم من يزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خص بعض اصحابه بتعليم اشياء لم يطلع عليهم غيرهم وتخصيص بعض دون بعض بتعليم ما عنده في احد الاشياء فكان في قوله وما هو على الغيب بضنين تكذيب لاولئك الذين يدعون هذا وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صوموا للرؤية وافطروا للرؤية فكانه قال هذا لما علم انه يكون في امته من يتقدم الشهر بالصيام فقال هذا ليعرف خطاء من يتقدم من الشهر بالصيام على الخطا وليبين انه ليس على صاحبه الحق تعالى الله لكم فيما ذكرنا ثم صرفوا تاويل الغيب الى القرآن وهو عندنا في القرآن وفي غيره من الاشياء التي اطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عليها وجائز ان يكون الضن مصروفا الى الشفاعة التي اكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فهو لا يخص بعض امته دون بعض بالشفاعة بل يعمهم جميعا فيكون في هذا تحريضا لهم على الاتباع والانقياد لطاعته ويحتمل وجها آخر وهو انه ليس بضنين بما اتاه شكرا ما انعم الله تعالى عليه حيث غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر بل اجتهد في اداء شكره حتى ذكر انه تورمت قدماه من طول القيام فقيل له اليس غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وقوله وما هو بقول شيطان رجيم يحتمل وجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس من شياطين الانس ولا بمجنون كما ذكرتم بل هو رسول كريم او الذي اتاكم به من القرآن لم يتلقه من الشياطين ولا هو من قبل كما تلقفه الكهنة والسحرة من اقوالهم بل هو ذكر من الله تعالى للعالمين نزل اليه الروح الامين القوي الذي لا يصل اليه الشيطان فيغيث ويبدله وقوله فاين تذهبون اي فاين تذهبون عن طاعته واتباعه

شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم تعم جميع امته اللهم ارزقنا بفضلك العميم

الكهنة والسحرة يتلقون من اقوال الشياطين

والانقياد له وقد اتاكم ما يلزمكم طاعته واتباعه وقوله ان هو الا ذكر للعالمين اي عظة للعالمين يذكرهم بما يحق عليهم في حالهم ويتبين لهم ما يؤتى وما يتقى وما تصير اليه عواقبهم او ان يكون قوله ذكر للعالمين اي شرف لهم يشرف قدرهم به ويصيرون ائمة يقتدى بهم ويختلف اليهم ليتعلم منهم والله اعلم ثم قوله عز وجل فاين تذهبون يحتمل وجها غيرما ذكرنا احدها ان هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تلقاه من رسول كريم على الله فاذا لم تؤمنوا به ولم تقبلوه فاذ هبتم الا الى قول شيطان رجيم ويحتمل فاين تذهبون والى من تذهبون والى من تفزعون اذا اتاكم باس الله عز وجل ونقمته اذا لم تؤمنوا بالله تعالى وانكرتم البعث ولم تصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبركم به فاذا حل بكم ما انذركم به فالى من تلجئون وهو كقوله تعالى قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم او اذا لم تؤمنوا بالله تعالى ولم تتبعوا ما اتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقرر عندكم صدقه بما اتاكم من الآيات المعجزة فباي حديث تصدقون بعد ذلك وتذهبون اليه وهو كقوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم معناه والله اعلم ان هذا القرآن ذكر لمن شاء ان يستقيم من العالمين فهو في نفسه ذكر وآيات وهدى ولكن ينتفع بهذا الذكر من شاء الاستقامة ويهتدي به من طلب الهداية قال تعالى هدى للمتقين وهو في نفسه هدى ولكن يهتدي بهداه المتقون ومن ليس بمتق فهو عمى عليه ورجس وقال انما تنذر من اتبع الذكر وهو كان تنذر من اتبع ومن لم يتبع ولكن معناه انه ينتفع بالذي ينذر به من اتبع الذكر وقال آيات لاولي الابصار وهي في انفسهم آيات ولكن ينتفع بآياته اولوا الابصار وقوله لمن شاء منكم ان يستقيم فهو يحتمل وجهين احدهما ان يحمل على تحقيق المشيئة ويكون تاويله ان من اراد الاستقامة على امر الله تعالى او على الحق فهذا الذكر وهو القرآن يعصمه على الحق وعلى الامر ويهديه الى ذلك وان يكون هذا على تحقيق الفعل فيكون معناه من استقام منكم على الحق والامر فهو ذكر له والاصل ان المشيئة وصف فعل كل مختار واذا كان هكذا صارت المشيئة مقترنة فاذا فعل فقد شاء فكان في اثبات الفعل اثبات المشيئة لذلك الاستقامة حمله على ما ذكرنا وهو ان يجعل احدهما كناية عن الآخر وقوله عز وجل وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فان كان قوله لمن شاء منكم على تحقيق المشيئة فمعناه انكم لا تشاؤن الاستقامة على ما ذكرنا الا ان يشاء الله وان كان على تحقيق الفعل فتاويله انكم ما استقمتم على الطريقة الا بمشيئة الله تعالى وقال بعضهم تاويل قوله وما تشاؤن اي لم تكونوا تشاؤن انزال هذا الكتاب فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بغير مشيئتكم وهذا غير محتمل عندنا لانه قد سبق من القوم الارادة والسؤال بارسال الرسول اليهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فثبت انه قد سبق منهم السؤال بارسال الرسول وانزال الكتاب عليه ولكنه تاويله ما ذكرنا ثم في هذه الآية دلالة ان كل من شاء الله تعالى منه الاستقامة يوجد منه الاستقامة ولا يجوز ان يشاء من احد استقامته ولا يستقيم كما قالت المعتزلة لان الله تعالى من على من استقام بمشيئته استقامته فلو لم يوجد منه الاستقامة من كل من شاء منه الاستقامة لم يكن للامتنان معنى لان الاستقامة وغير الاستقامة يكون به لا بالله تعالى والله المستعان

القرآن هدى لمن شاء الهداية وعمى ورجس لمن لم يشاء

من شاء الله من الاستقامة يوجد منه خلافا للمعتزلة

سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا السماء انفطرت قد ذكرنا ان هذا جواب سؤال تقدم لم يبين السؤال عند ذكر الجواب لان اذا جواب عن سؤال متى فجائز ان يكون سؤالهم ما ذكر في اتمام الجواب وهو قوله علمت نفس ما قدمت واخرت فنزل قوله اذا السماء انفطرت الآية الى آخرها ثم ذكر الانفطار هاهنا وهو الشق وذكر الفتح

اذا جواب عن سؤال متى

في موضع آخر وهو قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا وقال في موضع آخر واذا السماء فرجت واذا السماء
انشقت فمنهم من ذكر ان شقها وانفطارها انفتاح ابوابها ومنهم من حمل على الشق الذي يعرف من شق الاشياء وهذا
اقرب لان الآية في موضع التخويف والتهويل وليس في فتح ابوابها تخويف وانما التخويف في انشقاقها بنفسها ثم السؤال
عن ملاقاة الاعمال وعن علم الانفس بها فسؤال عن الساعة وفي ذكر انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار
وتسيير الجبال وجعل الارض قاعا صفصفا وصف احوال الساعة وآثارها وليس فيه اشارة الى وقت كونها
لانه ليس في التوقف على حقيقة وقتها تخويف وتهويل وفي ذكر آثارها تخويف وهو انه عظم هول ذلك اليوم
واشتد حتى لا يقوم له الاشياء القوية العلية في انفسها وهي الجبال والسموات والارضون بل يؤثر فيها هذا التاثير
حتى تصير الجبال كالعهن المنفوش وتصير كثيبا مهيلا وينشق السماء وتصير الارض قاعا صفصفا فكيف يقوم لها
الانسان الضعيف المهين واذا كانت السموات والارضون والجبال مع طواعيتها لربها لا تقوم لها وافزاعها
بل ينقطع فكيف يقوم لها الآدمي الضعيف مع خبث عمله وكثرة مساويه مع ربه فيذكرهم هذه الاحوال
ليخافوه ويهابوه فيستعد له فلهذا والله اعلم ذكرنا الاحوال التي عليها حال ذلك اليوم ولم يبين متى وقته
ولهذا لم يبين منتهى عمر الانسان ليكون ابدا على خوف ووجل من حلول الموت به فيأخذ اهبته ويتشمر له
ولو بين له كان يقع له الامن بذلك فيترك التزود الى دنو ذلك الوقت ثم يتاهب له اذا دنا انقضاء عمره
ثم ان الله تعالى ذكر احوال القيامة في غير موضع وجعل ذلك مترادفا متتابعا في القرآن فيكون في ذلك معنيان
احدهما ان للقلوب تغيرا وتقلبا في اوقات فرب قلب لا يلين لحادثة اول مرة حتى يعاد عليه ذكرها مرة
بعد مرة وحالا بعد حال ثم تلين فيكون في تتابع ذكر البعث والقيامة مرة بعد مرة ابلاغ في النذارة وقطع
عذر المعتذرين يوم القيامة والثاني ان القوم كانوا حديث العهد بالاسلام وقد وقع الاسلام في قلوبهم
موقعا فيكون في تكرار المواعظ تلقيح لعقولهم وتليين لقلوبهم على ما اكرمهم الله تعالى من الايمان ونصرة رسول
رب العالمين كقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا **وقوله** واذا الكواكب انتثرت فاما ان تكون انتثارها
لانها مجعولة لمنافع للخلق فاذا استغنى عنها اهلها فلا معنى لبقائها او لما جعلت زينة للسماء فاذا انفطرت
السماء لم يحتج الى زينة بعدها **وقوله** واذا البحار فجرت قال قايلون اي فجر ماؤها في بحر واحد ثم يعود
ماء ذلك البحر الذي اجتمع فيه المياه اما بان تنشفها الارض او يجعل في بطن الحوت التي ذكر ان الارضين قرارها
على ظهره او في بطن الثور ثم يسوي الله تعالى الارض كلها حتى لا يبقى فيها عوج ولا قعر فيلبس البحار باساسا
اما بالجبال او بغيرها وقال بعضهم بل يعود ماء كل بحر في مكانه لان يجمع المياه كلها في مكان واحد
وبحر واحد وقال بعضهم بل يمتزج بعضها ببعض فيصير نارا يعذب بها اهلها وكذلك قوله عز وجل
واذا البحار سجرت وقال والبحر المسجور والله اعلم اي ذلك يكون **وقوله** واذا القبور بعثرت اي بعث
من فيها وتقذف القبور من فيها **وقوله** علمت نفس ما قدمت واخرت اي تعلم الانفس ما عملت الى آخر
ما انتهى اليه عملها فلا يخفى عليها شيء من امرها ومنهم من يقول ما قدمت من خير واخرت من شر
فستعرف في ذلك اليوم ومنهم من يقول علمت ما قدمت من العمل اي بما عملت بنفسها وما اخرت
اي ما سنت من السنة فعمل بها بعدها وهذا الذي ذكروه داخل في تفسير الجملة التي ذكرنا انها
تعلم من اول ما عملت الى آخر ما انتهى اليها عملها **وقوله** عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
يحتمل عن ربك فيكون تاويله اي شيء غرك عن ربك الكريم حتى اغتررت به واغترارك عن ربك
الاعراض عن طاعته وعبادته وقد يستعمل الباء في موضع عن قال الله تعالى عينا يشرب بها عباد الله
ومعناها يشرب عنها لا ان يشربوا فيها كرعا او يجعل العين آنية لهم ثم وجه الجواب للمغتر بالله تعالى
في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم وهو ان كرمه دعا الانسان الى ركوب المعاصي لانه لم ياخذه بالعقوبة

في شدة هول يوم القيامة نعوذ بالله ونتقي البين منها

وجه ذكر احوال القيامة مرارا

احوال البحار يوم القيامة

وقت جريمته فتجاوز عنه او تاخيره العقوبة حمله على الاغترار اذ ظن انه يعفو عنه ابدا كذلك فاقدم
عليها ولو لا انه لو حلت به العقوبة وقت ارتكابه المعصية لكان لا يتعاطى المعاصي ولا يرتكبها فعذره ان يقول
الذي حملني على الاغفال والاغترار كرمك وحمقي كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تلا هذه الآية
الحمق يا رب ويكون قوله ما غرك بربك الكريم اي اي شيء غرك حتى ادعيت على الله تعالى انه امرك باتباع
آبائك وتشهد عليه اذا ارتكبت الفحشاء ان الله تعالى امرك به على ما قال واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها آباءنا والله امرنا بها الم يبعث اليك الرسول الم ينزل اليك الكتاب فتبين لك ما امرت به عما نهيت
عنه وقيل نزلت الآية في شان كلدة حيث ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فاستمر
حمية لقومه فهم كلدة ان يضربه ثانيا فنزلت الآية يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث
لم يهلكك عند تناول رسول الله لكن لو كانت الآية فيه فكل الناس في معنى الخطاب على السواء
والله اعلم **وقوله** الذي خلقك فسويك فعدلك ففي ذكر هذا تعريف المنة ليستادى منه الشكر
وفيه ذكر قوته وسلطانه حيث قدر على تسويته في تلك الظلمات الثلاث التي لا ينتهي اليها تدبير البشر
ولا يجري عليها سلطانهم ليهابوه ويحذروا مخالفته وفيه ذكر حكمته وعلمه ليعلموا انهم لم يخلقوا عبثا
ولا سدى لان الذي بلغت حكمته ما ذكر من انشائه في تلك الظلمات الثلاث من وجه لا يعرفها الخلق
لا يجوز ان يخرج خلقه عبثا باطلا بل خلقهم ليامرهم وينهاهم ويرسل اليهم الرسل وينزل عليهم
الكتب فيلزمهم اتباعها ويعاقبهم اذا اعرضوا عنها وتركوا اتباعها وسنذكر وجه التسوية به في قوله تعالى
الذي خلق فسوى انه سواه على ما يوجبه الحكمة او سواه بما به مصالحه او سواه من وجه الدلالة
على معرفة الصانع او سواه فيما حوله من اليدين والرجلين والسمع والبصر **وقوله** فعدلك اي سواك
ووجه التسوية ان جعله يدين مستويين لم يجعل احداهما اطول من الاخرى وكذلك سوى بين رجليه
وقرئ بالتخفيف والتشديد قال ابو عبيد معنى قوله فعدلك بالتخفيف اي مالك وليس في ذكره
كثير حكمة واختار التشديد فيه وليس كما ذكر بل في ذكر هذا من الاعجوبة ما في ذكر الآخر فقوله عدلك
اي صرفك من حال الى حال ووجه صرفه والله اعلم انه كان في الاصل ماء مهينا في صلب الاب فصرف
ذلك الماء الى رحم الام ثم انشاه نطفة ثم صرفها الى العلقة والى المضغة والى ان انشاه خلقا سويا
او صرفه على ما عليه من الحال من الصحة الى السقم ومن السقم الى الصحة فيكون في ذكر هذا تعريف المنة
والقدرة والحكمة كما في الاول ففيه اعظم الفوائد **وقوله** في اي صورة ما شاء ركبك منهم من جعل ما
هاهنا بمعنى الذي ثم قوله شاء ركبك يحتمل ان يكون هذا عبارة عما تقدم من الاوقات وهو انه
قد شاء تركيبك على الصورة التي انت عليها لا على صورة البهايم وغيرها فيكون في ذكره تذكير
المنن والنعم ليستادى منه الشكر ووجه التذكير انه انشاه على صورة ترضاها ولا تتمنى بغير
هذه الصورة من الجواهر وانشاه على صورة يعرف المحاسن والمساوي ويعرف الحكمة والسفه ويميز
بينهما ويميز بين المضار والمنافع وانشاه على صورة سخر له السموات والارضين والانعام كما قال الله تعالى
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض الآية وقال عز وجل ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر
ولم يسخره لغيره فثبت ان فيه تذكير النعم ليشكروه ويقوموا بحمده وجايز ان يكون هذا على الاستيناف
في ان يركبه على ما هو عليه على اي صورة شاء من الصور التي يستقذرها ويمسخه قردا او خنزيرا لمكان
ما يتعاطى من المعاصي فيكون في ذكره تذكير القدرة والقوة ليراقب الله تعالى ويهابه فيترك معاصيه
ويسارع الى طاعته **وقوله** كلا بل تكذبون بالدين فان حملت قوله كلا على التنبيه والردع فيمكن
ان يعطف على ما قبله وعلى ما بعده وكذلك اذا حملته على القسم بمعنى حقا فانه يستقيم عطفه على الامرين

ظلمات ثلاث في سورة زمر

جميعا وقوله بالدين يحتمل ان يكون اريد به دين الاسلام والاصل ان الدين اذا اطلق اريد به دين الحق وهو
الاسلام وكذلك الكتاب المطلق كتاب الله تعالى ويجوز ان يكون اريد به البعث والجزاء وسمي يوم الدين
لما ذكرنا ان الناس يدانون باعمالهم والحكمة فيه والله اعلم انهم قد اقروا بان الله تعالى احكم الحاكمين
وتكذيبهم بيوم الدين يوجب ان يكون اسفه السفهاء لا ان يكون احكم الحاكمين لان الدنيا عواقبها الفنا
والهلاك ثم اذا كذبوا بالبعث فقد زعموا انهم ما انشئوا الا للهلاك والفنا ومن بنى بناء ولم يقصد
بنائه سوى ان ينقضه ويهدمه فهو سفيه عابث في العقل فلم يحصلوا من تكذيبهم الا على نفي الحكمة
من الصانع وتثبيت السفه لله تعالى تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهو قوله وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وهم لم يكونوا يدعون انهما خلقتا باطلا ولا كانوا
يظنون ذلك ولكن الانكار الذي وجد منهم بالبعث والجزاء يقتضي خلقهما باطلا فعلى ذلك انكارهم
بالبعث يزيل عنه القول بانه احكم الحاكمين ويثبت ما ذكرنا من السفه سبحانه وتعالى عما يصفون وقوله
وان عليكم لحافظين وهم لم يكونوا يقبلون الاخبار ولا كانوا يؤمنون بها ثم اخبرهم ان عليهم حفاظا
لان الذي حملهم على الجهل تركهم الانصاف من انفسهم ولو انصفوا من انفسهم لكان اعطاؤهم
النصفة يوصلهم الى تدارك الحق ومعرفة ما عليهم من الواجب ثم قد ذكرنا ان المرء اذا كان عليه حافظ
اداه ذلك الى المراقبة فيرتدع عن تعاطي ما يوجد عليه فنبهنا ان علينا حفاظا يحتشم منهم ولا ياتي
من الامور ما يسوءهم ووصفنا بهم كرام ليصحبهم صحبة الكرام ومن صحبة الكرام ان يحترمهم ويتقي
مخالفتهم ولا يتعاطى ما يسوءهم وذلك قوله كراما كاتبين وفي ذكر الكرام فائدة اخرى وذلك ان قوله
كراما كاتبين اي كرام على الله تعالى هو المتقي قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فيكون فيه اعلامهم
انهم لا يزيدون ولا ينقصون في الكتابة وانما يكتبون قد عملتهم من الغاية كما ذكرنا في وصف جبريل عليه
الصلوة والسلام بالقوة والامانة وقوله يعلمون ما تفعلون فهو يحتمل وجهين احدهما انهم يعلمون
ما تفعل قبل ان تفعل بما عرفهم الله تعالى فيكون في تعريفه اياهم الزام الحجة عليهم ويكون الذي يكتبون
امتحان امتحنوا به اذ قد فوض الى بعضهم امر كتابة الاعمال والى البعض ارسال الامطار ونحو ذلك او يعلمون
ما تفعلون وقت فعلكم جهة الفعل من خير او شر فيكون لفعل الخير اثارا بها يعرفون ان الفاعل قصد به
جهة الخير ويكون لفعل الشر اثارا بها يعرفون ذلك ايضا ثم عند المسلمين في ترك المراقبة اقبح منه عند
المكذبين بالدين لان المسلمين علموا ان عليهم حفاظا يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها عليهم ثم هم
مع ذلك يغفلون ولا يصحبونهم صحبة الكرام ويتركون التيقظ والتبصر والكفرة ينكرون ان يكون
عليهم حفاظ ومن كان هذا حاله فالاغفال عن مثله غير مستبعد وقوله ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم فقد ذكرنا ان البر اعطى ما طلب منه والذي طلب منه ما ذكر في قوله ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله الى قوله واولئك هم المتقون ففي هذه
الاية دلالة على ما ذكرنا ان البر اذا ذكر دون التقوى اقتضى المعنى الذي يراد بالتقوى لانه اخبر ان البر
هو الايمان بالله تعالى واليوم الاخر ثم ذكر ان الذي جمع بين هذه الاشياء فهو المتقي ثم احتجت المعتزلة
بقولهم بالتخليد في النار لمرتكب الكبيرة بقوله وان الفجار لفي جحيم الى قوله وما هم عنها بغائبين
لان مرتكب الكبيرة فاجر وقد وصف الله تعالى ان الفجار لفي جحيم ولا يغيب عنها وزعموا انه ما لم يات
بالشرايط التي ذكر في قوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر فهو غير داخل في قوله ان الابرار
لفي نعيم والاصل عندنا ما ذكرنا ان كل وعيد مذكور مقابل الوعد فهو في اهل التكذيب لما ذكر
من التكذيب عند التفسير بقوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين الى قوله ويل يومئذ للمكذبين وقال تلفح وجوههم

احتجاج المعتزلة

964

في عدم تخليد اهل الكباير

النار وهم فيها كالحون الى قوله فكنتم بها تكذبون واذا كان كذلك لم يجب قطع القول بالتخليد
لمرتكب الكبيرة بل وجب القول بالوقف فيهم ثم ان الله تعالى جعل لاهل النار يوم البعث
اعلاما ثلاثة بها يعرفون ويتبين انهم من اهل النار ولم يجعل شيئا من تلك الاعلام في اهل السعادة احدها
اسوداد الوجوه بقوله وتسود وجوه والثاني بما يدفع اليهم كتابهم بشمالهم ومن وراء ظهورهم ويدفع
الى اهل الجنة كتبهم بايمانهم والثالث في ان يخف موازينهم ويثقل من موازين اهل الحق فهذه اعلام
اهل الشقا وفيما ذكر اسوداد الوجوه قرن به التكذيب بقوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وفيما ذكر دفع الكتاب بالشمال ومن وراء الظهور قال خذوه
فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم وقال فاما من اوتي كتابه وراء ظهره الى قوله عز وجل انه ظن
ان لن يحور بلى الاية وقال تعالى عند ما ذكر خفة الميزان الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
ولم يذكر عند ذكر شيء من هذه الاعلام غير المكذبين فثبت ان الوعيد في المكذبين لا في غيرهم
لذلك لم يسع لنا ان نشرك اهل الكباير مع اهل التكذيب في استيجاب العقاب وقطع القول بالتخليد
بل وجب الوقف في حالهم والارجاء في امرهم والثاني ذكر في مواضع الايمان بالله تعالى ادنى مراتب
اهل الايمان ووعد عليه الجنة فقال والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقال في موضع اخر
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله وقال والذين آمنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم الاية فذكر في هذه الايات التي تلوناها ادنى منازل اهل الايمان وذكر
في موضع اخر اعلى مراتب اهل الايمان ووعد عليها الجنة بقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق الاية وقال ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر الاية فجايز ان يكون ذكر الجميع
على المبالغة لا على جعله شرطا فيجب القول باستيجاب الوعد بادنى مراتبه على ما ذكر في الايات
الاخر وجايز ان يكون الجميع فيما ذكر فيه الايمان بالله ورسله مضمرا ويكون ذكر طرف منه على الايجاز
الا ترى انه ذكر الكفر في بعض المواضع واوعد عليه النار وذكر في بعض المواضع الكفر مع اسباب
اخر واوعد عليه النار بعد ذلك بقوله ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق
وقال في موضع اخر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الاية ثم لم يصر جميع ما ذكر من السيئات
مع الكفر شرطا بل وجب القول بالتخليد لمن اقتصر على الكفر خاصة فثبت ان ليس في ذكر المبالغة
دلالة تجعل المبالغة شرطا بل جايز ان يستوجب الوعيد بدونه فلذلك لم يقطع القول في اصحاب
الكباير بالتخليد في النار ولا بانهم مستوجبون للوعد بل قيل فيهم بالارجاء وقوله عز وجل
يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين قال بعضهم تاويله منصرف الى اهل النار واهل
الجنة فاهل الجنة لا يغيبون عن الجنة ولا اهل النار عن النار وقال بعضهم اريد بها اهل النار
خاصة انهم لا يغيبون عنها وانكر بعض الناس الخلود لاهل النار في النار ولاهل الجنة في الجنة
وقالوا لو لم يكن لنعيم الجنة انقضاء ولا للعذاب انتهاء لكان يرتفع عن الله تعالى الوصف
بانه اول واخر لانهما يبقيان ابدا فلا يكون هو اخرا وقد قال هو الاول والاخر فلا بد من ان يكون لهما
انتهاء حتى يستقيم الوصف بانه اخر ولانهما لو لم يوصفا بالانتهاء لكان علم الله تعالى غير محيط
بنهايتهما فيكون النهاية مجاوزة لعلمه والله سبحانه وتعالى محيط بالاشياء وعالم بمباديها ومتناهيها
فلا بد من القول بغناهما حتى يكون علمه محيطا بهما ولانهم انما استوجبوا الجزاء باعمالهم
واهل النار استوجبوا العقاب بسيئاتهم فاذا كانت لسيئاتهم نهاية وللخيرات اولئك نهاية
فكذلك يجب ان يكون للجزاء نهاية ايضا والاصل عندنا ان كل من اعتقد مذهبا فهو يعتقد التدين

تفسير حكمة الخلود في الجنة والنار

ابدًا ما بقي لا يتركه ثم العقاب جعل جزاء للكفر والثواب جعل جزاء للاتقاء من المهالك بقوله اتقوا
النار التي اعدت للكافرين وقال وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين واذا ثبت ان كل واحد
منهما جزاء للمذهب وكان الاعتقاد للابد فكذلك جزاؤه يقع للابد والدوام لا للزوال والانقطاع والثاني
ان العلم بزوال النعيم مما ينغص النعيم على اربابها ويورد عليهم لذاتها ويكدر عليهم ما صفا منها
فاذا كان كذلك لم يتم لهم النعيم واهل النار اذا تذكروا الخلاص من العذاب تلذذوا بها وهان عليهم
العذاب فوجب القول بالخلود ليتم النعيم على اهله والعذاب على اهله والجواب عن قوله انه يرتفع عند
الوصف انه آخر ان الله تعالى استوجب الوصف بانه اول وآخر بذاته لا بغيره وغيره يصير اولا وآخرا
بغيره ثم ما من شيء الا وله اول وآخر ثم لا يوجب ذلك اسقاط الاولية والآخرية عنه وقوله بان الله عز وجل
لا يوصف بالاحاطة بالاشيا لو وجب القول بالخلود فنقول بان العلم بما لا نهاية له هو ان يعلم غير متناهي والعلم
بالمتناهي بما لا نهاية له يوجب الجهل لا العلم والجواب عن الفصل الثالث ما ذكرنا انه يعتقد المذهب للابد
فكذلك الجزاء يتابد ولا ينقطع وقوله وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين قال بعضهم
انك لم تكن تدري قدر ذلك الله تعالى وقال بعضهم هذا على التعظيم لذلك اليوم والتهويل عنه وقوله يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا وذلك اليوم يوم يجري فيه الشفاعة فيشفع الانبيا وكثير من الخلق فيشفع لهم واذا كان
كذلك فقد ملكت نفس لنفس شيئا ولكن تاويله يخرج على اوجه ثلاثة احدها ان الكفرة كانوا يتوادون
فيما بينهم ليتناصر بعضهم بعضا في النوايب فقال لا تملك نفس لنفس شيئا قال الله تعالى انما يعبدون
من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
وماويكم النار وما لكم من ناصرين او لا تملك نفس لنفس شيئا الا بعد ان يوذن لها كما قال عز وجل لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقد يجري التشفع في الدنيا لا في الاستيذان من احد ويكون معناه
ان كل نفس يستبين لها في ذلك اليوم انها لم تكن تملك شيئا الا بالتمليك وقوله عز وجل والامر يومئذ لله
اي لا ينازع فيه وهو في كل وقت لله تعالى لكن الظلمة ينازعونه في هذه الدنيا او الامر يومئذ لله اي يتبين
لكل احد في ذلك اليوم بان الامر لله عز وجل في ذلك اليوم وقيل ذلك اليوم والله المستعان

سورة التطفيف مكية وآيها ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ويل للمطففين وجه تعييرهم بالتطفيف والحاق الوعيد بهم لمكانه وان كانوا
مستوجبين الوعيد وان اوفوا المكيال ولم يطففوا فيه اذا كانوا جاحدين بالله تعالى ومكذبين
بالبعث هو ان الكفرة لم يكونوا اعتقدوا الكفر بالله تعالى ليتلذذ يقع لهم بنفس الكفر ولا التزموه
على التحسين لهم اياه وانما اعرضوا عن الايمان لحبهم الرياسة ولما كله كانت لهم خافوا زوالها
عنهم بالاسلام وزهدوا عنه لما يلزمهم بالايمان مؤن واختاروا الكفر لئلا يلزمهم بالايمان تحملها
فكانهم فكان الذي يحملهم على الصد عن الايمان وترك النظر في آيات الله تعالى وحججه ما ذكرنا فعيّروا
بالافعال الدنية التي كانوا يتعاطونها فيما بينهم من التطفيف والهمز واللمز وتركهم ايتاء الزكوة
بقوله عز وجل الذين لا يوتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ليتلقفوا عنها فيحملهم ذلك على النظر
في القرآن والتدبر فيه وهو كما ذكرنا في القتال ان فيه ما يحملهم على الايمان لانهم كانوا يتزهدون
عنه لحبهم الدنيا فاذا قوتلوا ضاقت عليهم الدنيا فيبعثهم ذلك على الايمان بالله تعالى وعلى النظر في آياته
وذكر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما تلا هذه الآية على اهل مكة تركوا التطفيف فلم يطففوا

بعد ذلك

بعد ذلك قال اهل اللغة التطفيف النقصان يقال اناء طفان اذا كان غير مملو وقال الزجاج يقال
شيء طفيف اي يسير فسمي مطففا لما يسرق منه شيئا فشيئا في كل مكيال وفي هذه دلالة ان حرمة الربوا
عامة على اهل الاديان وفيه دلالة ان حرمة الربوا ليست لمكان العاقدين وانما هي حق على العاقدين لله تعالى
وذلك ان الذي يكال له كان ياخذ ما يكال له على علم منه بتطفيف التابع ثم كان يرضى به ويتجاوز عن ذلك
ومع ذلك لحقهم التعيير بالتطفيف فدل ان حرمته ليست لمكان العاقدين ولكنها من حق الله تعالى وقوله
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فمنهم من ذكر ان هذا على التقديم والتاخير ومعناه ويل للمطففين
على الناس اذا اكتالوا او وزنوا واذا اكتالوا استوفوا ومنهم من قال بان على هاهنا بمعنى عن فكانه يقول
ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون وقوله واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون
فمنهم من حمل قوله هم بعد ذكر الكيل والوزن على التاكيد والمبالغة فان كان هذا على هذه الحقيقة
الوقف على قوله كالوا وعلى قوله وزنوا ومنهم من قال معناه واذا كالوا لهم او وزنوا لهم لان الالف
بينهما ليست بمثبتة في المصاحف وهو مستعمل كلته وكلت له كقوله وعدته ووعدت له فان كان هذا
معناه لم يستقم الوقف على قوله كالوا او وزنوا لان قوله هم تفسير لقوله كالوا ووزنوا ولا يجوز قطع التفسير
عما له التفسير وقوله الا يظن اولئك انهم مبعوثون الآية قال اكثر اهل التفسير الا يظن الا يعلم
والا يتيقن وقال ابو بكر الاصم الا يظن معنى الا يشك اولئك في البعث وهو محتمل لما ذكرنا لان الشك
يوجب الرهبة وارتفاعه يوجب الامن الا ترى ان المرء اذا اراد ان يسافر الى مكان فاخبره انسان ان في الطريق
الذي تريد ان تسلك سراقا وقطاع الطريق فانه يترهب لذلك فيستعد له ما يدفع عن نفسه ضرر
قطاع الطريق وضرر السراق وان لم يتيقن ان المخبر صادق في مقالته ولا يتيقن ان السراق يتمكنون من الاضرار
فكيف لا يشك هولاء يكون البعث بما يخبرهم النبي عليه السلام ويقيم عليه الحجج وهذا اقل منازل الاخبار
ان يورث شكا ثم الاصل ان حرف الشك يستعمل عند الاستواء طرفي الداعيين والظن يستعمل عند
اختلاف طرفي الداعيين وهو ان يغلب احدى الدلالتين على الاخرى لذلك يستقيم الحكم والقول باكبر الظن
ولا يستقيم باكثر الشك ثم الظن يتولد من البحث عن الامر والنظر فيه واذا تدبر فيه فهو لا يزال يرتقي
في الظن درجة فدرجة حتى ينتهي نهايته ببلوغ اليقين ودرك الصواب فلذلك حمل اهل التفسير
تاويل الظن هاهنا على اليقين والعلم اذ ذلك نهاية الظن وحمل ابو بكر على الشك لما لا يرتفع الشبهة
كلها فيما كان طريق معرفته الاجتهاد ومثال الظن مثال الخوف الذي ذكرنا انه قد يستعمل في موضع العلم
لان الخوف اذا بلغ غايته صار علما كالذي يهدد بالقتل او يقطع عضو ليشرب الخمر انه يباح له الشرب
ويجعل كالمتيقن انه يفعل به لا محالة لو امتنع عن الشرب لبلوغ الخوف نهايته وان لم يكن في الحقيقة
متيقنا لما يجوز ان يحصل به ما يمنعه عن القتل فعلى ذلك الحكم في الظن وقوله اولئك انهم مبعوثون
للحساب الذي يحصل عليهم فلا يجدون منه مخرجا فيتخلصون من العذاب ليس على ما يحصل عليه الحساب
في الدنيا يجد لنفسه الخلاص ووجه المخرج عنه وقوله ليوم عظيم سماه عظيما لما ذكرنا من دوام
عذابه ودوام عقابه وقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين او الحكمة او الحساب او الوعد والوعيد
او يقومون له مستسلمين خاضعين بجملتهم وان كان البعض منهم وجد منه الامتناع عن الاستسلام
في الدنيا فان الظلمة ينازعونه ويدعون لانفسهم اشياء وينكرون له فاما يوم القيامة فانهم
جميعا يقرون له وينقادون لحكمه وقضائه لذلك خصه بقيام الناس له وقوله كلا قال الحسن
وابو بكر حقا اي بعثهم حق فيبعثون وقال الزجاج كلا حرف ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما ظنوا
انهم لا يبعثون بل يبعثون ويجازون باعمالهم فيكون في هذا ايجاب القول بالبعث من طريق الاستدلال

علم يقين [?]

وجه اعراض الكفرة عن الاسلام

تطفيف

يحمل الظن على الشك [?]

الفرق بين الظن والشك

ايجاب البعث بالعقل

وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين اختلف في السجين فمنهم من جعله اسم موضع واشار اليه فقال هو صخرة
تحت الارض السابعة يوضع كتاب الكافر تحته الى يوم القيامة ولكن ليس بنا الى معرفة ذلك الموضع حاجة
لان الذين يحتوون بجعله في ذلك الموضع قد عرفوه وهم الملائكة ومنهم من زعم انه حرف مذكور في كتب
الاولين فذكر ذلك في القرآن فجايز ان يكون المقصود بتحقيق بدون الاشارة اليه وجايز ان يكون السجين الموضع
الذي اعد للكافر في الآخرة للعذاب لكن اول ما يرد اليه عمله الذي اثبت في كتابه ثم يلحق به الروح ثم يتبعها
جسده في الآخرة على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والآخرة سجن الكافر
وجنة المؤمن فيرد كتابه الى ذلك السجن ويرد كتاب الابرار الى الجنة التي اعدت له ثم يتبعه روحه
ثم جسده فذلك قوله ان كتاب الابرار لفي عليين ومنهم من قال على التمثيل ليس على تحقيق المكان
في العليين وذلك ان السجن هو مكان اهل الخبث في الدنيا فمثلت اعمالهم بذلك لخبثها وقبحها ومثلت
اعمال الابرار بما ذكر من العليين وذلك مكان اهل الشرف واولي القدر فيكون ذلك كناية عن طيبات اعمالهم
وقال الكسائي السجين مشتق من السجن كقولك رجل فسيق وشريب وسكيت ثم ذكر كتاب الفجار والفجور يكون
بالكفر وبغيره فهذا اسم يقع به الاشتراك بين اهل الكفر واهل الاسلام لكنه الحق عند التفسير
بما يجوز صرف الوعيد الى الكفار بقوله ويل يومئذ للمكذبين وكذلك تجد هذا الشرط ملحقا بالتفسير
في جميع ما جرى به الوعيد بالاسم الذي يقع به الاشتراك من نحو الفسق وترك الصلوة بقوله تعالى
قالوا لم نك من المصلين وفيما جرى من الوعيد في الذي لا يؤتي الزكوة فكان في ذكر التفسير على تقييده
بالتكذيب قطع الشهادة وايجاب العذاب على المكذبين وفي ذكر الاسم الذي يقع به الاشتراك ايجاب
الخوف على المسلمين الذين شركوا في ذلك الاسم فترك قطع الشهادة عليهم بالوعيد بما لم يذكروا عند التفسير
وقوله وما ادريك ما سجين فهو تعظيم ذلك اليوم ووصفه بنهاية الشدة او على الامتنان على نبيه
صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يعلم ذلك حين اطلعه الله عليه وهكذا تاويل قوله وما ادريك ما عليون وقوله
كتاب مرقوم اي الكتاب الذي في السجن مرقوم والمرقوم قالوا المكتوب والمثبت والرقم عندنا هو الاعلام
يقال رقم الثوب اذا علمه فجايز ان يكون علمه هو ان يختم فيكون فيه اخبار انه لا يزاد على قدر ما عمل ولا ينقص منها
وهو كما ذكرنا من الفايدة فيما وصف جبريل عليه الصلوة والسلام بالقوة والامانة بقوله ذي قوة عند
ذي العرش مكين مطاع ثم امين وصف بالامانة ليومن الخلق عن خيانته في الكتاب وتغييره ووصفه بالقوة
ليعلم ان غيره لا يتهيا له ان ينتزع منه ما ارسل على يديه فتغييره فكذلك وصفه بالختم والاعلام ليومن
من الزيادة فيه والنقصان وقوله ويل يومئذ للمكذبين اي للمكذبين بجميع ما يحق عليهم تصديقه
وذلك يكون بالايمان بالله تعالى وباياته ورسله وبالبعث وقوله الذين يكذبون بيوم الدين قال الدين
اسم لشيئين اسم للجزاء واسم الاستسلام والخضوع فسمي يوم الدين لما يدانون باعمالهم او لما يستسلمون
لله تعالى في ذلك اليوم ويخضعون له وفي تكذيبهم بيوم الدين تكذيب لقدرة الله تعالى وتكذيب رسله
لان الرسل كانوا يدعونهم الى الايمان بيوم الدين فكانوا يكذبونهم بتكذيبهم بذلك اليوم فيكون تاويله منصرفا
الى ما ذكرنا من تكذيبهم بجميع ما يحق التصديق به وقوله وما يكذب به الا كل معتد اثيم فالمعتدي هو الذي
يتعدى حدود الله تعالى والاثيم الذي يتأثم بربه فيكون مجاوزا عن الحدود والتاثم بربه
هو الذي يحمله على التكذيب والا لو قام يحفظ حدوده ولم يأثم بربه لكان لا يكذب بيوم الدين
او يكون فيه اخبار ان المكذب به معتد اثيم وقوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
اباطيل الاولين وقال ابو عبيدة الاساطير هي التي لا اصل لها ومعناه عندنا ما سطره الاولون اي كتبه فالسطر
الكتابة فيخبرون انها ليست من عند الله تعالى بل مما كتبها الاولون الذين لا نظام لها ولم يكن يقولون هذا

في كل ما يتلو عليهم من انباء الاولين وكانوا ينسبونه الى السحر اذا اتاهم بالايات المعجزات وقوله بل ران
على قلوبهم قيل الرين الستر الغطا وقيل الرين الصدأ فالله تعالى سمى الايمان الذي هو في النهاية
من الخيرات نورا وسمى الكفر الذي هو في النهاية من السوء ظلمة فاذا كان الايمان منورا للقلب والكفر
مظلما فان اشتغل بالاسباب الداعية الى الكفر شيئا بعد شيء من الآثام فكل سبب من ذلك يعمل في اظلام القلب
حتى يتم الظلمة على ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه
الاية فقال هو العبد يذنب الذنب فينكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب منها صقل قلبه وان لم يتب وعاد
فاذنب نكت في قلبه نكتة سوداء وان عاد نكت في قلبه حتى يسود القلب اجمع فذلك الرين ومن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره شيئا فشيئا باسباب يتقدم الايمان حتى يحمله ذلك على الايمان فذلك
تمام الانشراح وعلى هذا يخرج تاويل ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الايمان يبدو لمظة بيضاء
في القلب كلما ازداد ذلك البياض فاذا استكمل الايمان ابيض القلب كله ومعنى قوله يبدو لمظة في القلب
بيضا الى قوله حتى يستكمل الايمان عندنا بالاسباب الداعية الى الايمان فلا يزال ينشرح منه شيء فشيء حتى
يومن لا ان يكون الايمان ذا اجزاء ولكن للايمان مقدمات فينشرح شيء فشيء بكل مقدمة منه حتى يفضي
الى الايمان ثم ان الله تعالى سمى السواتر عن الايمان باسامي مرة قال طبع الله على قلوبهم ومرة قال فجعلنا
على قلوبهم اكنة الاية ومرة ام على قلوب اقفالها فكان الذين وصفوا بالقفل على قلوبهم هم الذين انتهوا
في الكفر غايته حتى لا يطمع منهم الايمان وهم المتمردون المعتقدون للتكذيب وهم الموئسا منهم
والايمان ومنهم من هو مطبوع على قلبه وهم الذين اعتقدوا الكفر لا عن تمرد وعناد ولكن لما لم يبلغهم
الاسباب الداعية الى الايمان وذكر الزجاج ان اول منازل الستر الغين وهو الستر الرقيق كالسحاب
الرقيق في السماء يحل في صفاء القلب غشاء السحاب الرقيق بلون السماء ثم ازداد سمي رينا ثم ينتهي الى الطبع
الى ان يصير كالقفل على القلب وفي هذا دليل على ان لله تعالى تدبيرا وصنعا في افعال العباد لانه
انشا الكفر ظلمة في القلب حتى يمنعه تلك الظلمة عن درك الخيرات ونور الايمان اذ كل من اعتقد الكفر
فهو ليس يعتقده ليمنعه عن درك الانوار واذا لم يوجد منه هذا ثبت انه صار كذلك بتدبير الله تعالى
وصنعه اذ لا يجوز ان يحدث الظلمة في القلب لا يحدثها واذا انتفى الصنع من الكلام ثبت انه بتدبير الله تعالى
ما صار كذلك وانه انشاه مظلما والله الموفق وقوله عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اختلف
في قوله يومئذ فذكر ابو بكر الاصم ان هذا في الدنيا يقول انهم حجبوا عن عبادة ربهم بما عبدوا غيره تعالى
فصارت عبادتهم غير الله حجابا من عبادته وذكر اهل التفسير ان هذا في الآخرة ثم منهم من يقول
انهم حجبوا عن لقاء ربهم واوجبوا بهذا القول بالرؤية للمؤمنين ومنهم من يقول هم محجوبون
اي عن كرامته التي اعدها لاوليائه وعن رحمته فعوقبوا بالحجب عن ذلك جزاء لصنيعهم لانهم في الدنيا
ضيعوا نعم الله تعالى فلم يقبلوها بالشكر ولم يؤمنوا برسوله الذي بعثه رحمة للعالمين فايسوا من رحمته
وكرامته في الآخرة عقوبة لهم ومجازاة كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي جعلهم كالشيء المنسي الذي
لا يعبا به فعل ما وجدت من المعاملة لاياته وحججه بتركهم الالتفات اليها عوملوا بمثله في الآخرة
وقال في اية اخرى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقوله عز وجل ثم انهم لصالوا الجحيم
فمن صرف الحجب الى الدنيا فهو يقول ثم انهم يصلون الجحيم بعد ما عبدوا غير الله تعالى وحجبوا عن عبادته
ومن صرف التاويل الى امر الآخرة فهو يقول انهم يصلون الجحيم بعد ما يظهر فيهم من اثر الحجاب من سواد الوجوه
واعطاء الكتاب بشمالهم ومن وراء ظهورهم وقوله ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تاويله
انهم يعرفون انهم صلوها بتكذيبهم بها وحجبوا عن الله تعالى بتكذيبهم بذلك اليوم والا لو امنوا واقروا

ان النار حق والبعث حق لم يكونوا يصلونها فيعرفون حتى يقروا بذلك بقوله فاعتق فرايدتهم فينحقا لاصحاب السعير وقوله عز وجل كلا ان كتاب الابرار لفي عليين فذكر الابرار هاهنا مقابل الفجار في الاول ثم بين الفجار انهم المكذبون بيوم الدين وذلك اول منازل الكفر فاذا اريد بالفجار الكفار اريد بالابرار الذين آمنوا فلذلك قيل بان الابرار هم المومنون والبر هو الذي يكثر منه تعاطي فعل البر ويسمى بالاكثر منه البر والفاجر هو الذي يكثر منه فعل الفجور فجايز ان يكون الوعيد في الذين بلغوا في الفجور غايته ويكون حكم من دونهم متروكا ذكره فيوصل الى معرفة حكمه بالاستدلال ويكون الوعد في الذين اكثروا افعال البر ويكون حكم من دونهم معروفا بغيره من الادلة وقوله يشهده المقربون فذكر شهود المقربين في ذكر كتاب الابرار ولم يذكر شهودهم عند ذكر كتاب الفجار فجايز ان يكون شهودهم على التعظيم لهم والدعاء له وغيره وقيل المقربون هم مقربوا اهل كل السماء وقوله ان الابرار لفي نعيم فالبر هو الذي يبعد ما سئل عنه ويجيب الى ما دعي اليه فاذا اجاب لله تعالى فيما دعاه اليه من التوحيد ووفى بالاوامر وانتهى عن مناهيه فهو من الابرار ثم ما ذكرنا يكون بوجهين احدهما بالاعتقاد وبتحقيقه بالفعل والمعاملة فهذا قد وفى بما طلب منه من الابرار قولا وفعلا فيكون هذا ممن يقطع فيه القول باستيجاب الوعد المذكور للابرار والثاني ان يقوم بوفاء ما طلب منه اعتقادا ولم يف ما اعتقده بفعله فالحكم في مثله الوقف ولا يقطع فيه القول باستيجاب الموعود بل لله تعالى ان يجازيه بما ضيع من حفظ حدوده بقدر ما وجد من التضييع ثم يلحق باهل كرامته وله ان يعفو منه بفضله وسعة رحمته والفجور هو الميل والميل يكون بوجهين احدهما بترك الاعتقاد والفعل جميعا وميل في المعاملة وهو ان يخالف فعله مقاله فالذي وجد منه الميل عن الوجهين جميعا يحل به ما اوعد لا محالة واما الذي خالف فعله مقاله فانه توقف فيه ولا يشهد انه من جملة من يحقهم الوعيد لا محالة ثم قد ذكرنا ان البر اذا ذكر على الانفراد اريد به ما يراد بالتقوى والبر جميعا وكذلك التقوى اذا افرد اقتضى معنى البر فاذا قرنا جميعا اريد بالتقوى جهة وبالبر جهة وذلك ان التقوى ان يتقي المهالك وذلك يكون بالاجابة الى ما دعي اليه قولا وفعلا والانتهاء عما نهي عنه قولا وفعلا وهذا هو معنى البر ايضا فاذا ذكرا معا اريد بالتقوى الاجتناب عن المحارم واريد بالبر اتيان المحاسن وكذلك الايمان اذا بالانفراد اريد به ما يقتضي الاسلام من المعنى والايمان جميعا وكذلك الاسلام يقتضي معنى الايمان اذا ذكر بالانفراد لان الاسلام هو ان يرى الاشياء كلها سالمة لله تعالى لا يجعل لاحد فيها شركا والايمان ان يصدق الله تعالى بانه رب كل شيء واذا صدقت انه رب كل شيء فقد جعلت الاشياء كلها سالمة له فهذا معنى قولنا انه يراد بالايمان اذا ذكر بالانفراد ما يراد بالاسلام فاذا ذكرا معا اريد بالاسلام ما يقتضيه ظاهره من جعل الاشياء كلها سالمة له واريد بالايمان ما يقتضيه ظاهره كقوله ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات الاية وكذلك هذا الحكم في الخوف والرجاء اذا ذكر كل واحد من الحرفين مفردا اقتضى كل واحد منهما معنى الآخر واذا ذكرا معا اريد كل واحد منهما ما يقتضيه ظاهره ولم يصرفا الى ما يراد بالآخر وقوله لفي نعيم فجايز ان يكون هذا في الآخرة يصفهم انهم ابدا في نعيم وجايز ان يكونوا في نعيم في الدنيا والآخرة معا فيكونون في الدنيا في نعيم العقول دون نعيم الابدان وذلك انهم يطيعون العقل فيما يدعوهم اليه فيتنعمون بعقولهم ولكن الذي يدعوهم اليه عقولهم ما تاباه انفسهم الاجابة له ويشتد عليها ذلك فهم في نعيم العقول لا في نعيم الابدان وفي نعيم الآخرة نعيم البدن والعقل جميعا فيتنعم انفسهم وعقولهم ولا يحملون ما تاباه انفسهم احتمالها قال الله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة وقال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة الاية فثبت انهم في الدنيا وفي الآخرة لفي نعيم وقوله على الارائك ينظرون قد ذكرنا

الابرار هم المؤمنون والفجار الكفار

في المؤمن الفاسق

في تحقيق معنى الاسلام

ان كلما تشتاق الانفس وتشتهي في الدنيا نعطي مثله جرت البشارة لاهل الجنة في الدنيا وذكر ان اهل اليمن كان اذا شرف قد واحدهم وعلت رتبته في الدنيا اتخذ لنفسه اريكة تسبت اليه فيقال هذه اريكة فلان فجرت البشارة لاهلها بالارائك لما يرغب الى مثلها في الدنيا الا ان ارايكها شبيهة بالارائك التي تتخذ في الدنيا لان ارائك الجنة مطهرة من الآفات اللاتي هي آثار الفنا لكنها ذكرت بهذا الاسم لما لا وجه بالوصول الى معرفتها بغير اسم المعتاد فيما بين الخلق والاريكة هي السرير في الحجال وقوله ينظرون يحتمل وجهين احدهما ان يقع النظر في الحجال وذلك عن تلاقي الاخوان واجتماعهم على الشراب والنظر الثاني يكون الى مملكته فيكون ذلك خارجا من الحجال على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل من اهل الجنة ليرى جميع ماله ينظر واحدة واقل ما نعطي الرجل مثل سعة الدنيا وعرضها فذلك لنظرها ورعاها في الحجال فيقع خارجا منها وقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي تعرف لو نظرت في وجوههم نضرة النعيم فجايز ان يكون النضرة منصرفة الى نفس الخلقة وهو انهم انشئوا على خلقة لا يتغير ولا تتغير بل بهجة نضرة او يكون نضارتهم بما انعموا من النعيم ثم خصت الوجوه لان النظر من بعض الى بعض يكون الى الوجوه لا الى غيرها من الاعضاء فخصت الوجوه بالذكر لهذا لا ان يكون النضرة لها خاصة بل النضرة يشتمل ساير البدن والثاني ان السرور اذا اشتد في القلب اثر في الوجه وكذلك الحزن يتاثر في الوجه اذا استقر في القلب فيكون في ذكر نضرة الوجه اخبار عن غاية ما هم عليه من السرور وقوله يسقون من رحيق قال بعضهم الرحيق هو الخمر الذي لا غش فيه وهو ان يكون مطهرا من الآفات وقال بعضهم هو شيء اعده الله لاوليائه لم يطلعهم على ما يهيأ في الدنيا على ما قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فهو شراب تقر به اعينهم مما اخفي لهم الى الوقت الذي يشربونه وقوله عز وجل مختوم ختامه مسك فجايز ان يكون راجعا الى حال الاناء الذي فيه الرحيق وهو انه مختوم لم يتناوله الايدي وكذلك ترى المرء في الدنيا يختم نفيس شرابه الذي في الاناء بالخدام في الدنيا فيخبر ان ذلك الشراب في الاناء على الوجه الذي كانوا يؤثرونه في الدنيا واخبر ان ختامه بالنفس شيء عرفوه في الدنيا وهو المسك ليس كالختام في الدنيا لانهم يختمون اوانيهم في الدنيا بالشمع الذي ذل وبما لا قدر له عندهم وجايز ان يكون منصرفا الى الشاربين انهم لا يشربون ابدا بل يكون له ختم ولكن لا ينقطع لذة الشراب عنهم بل ابدا يجدون من ذلك ريح المسك وقوله وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فجايز ان يكون اراد به الشراب الذي وصفه في قوله رحيق مختوم الاية والتنافس هو حرف يستعمل في الخيرات كانه يقول فليرغبوا في الشراب هذا وصفه الذي لا غول فيه ولا هم ينزفون لا في الشراب الذي يذهب بالعقول ويضعف الابدان ويتلف الاموال او فليتنافسوا في النعيم الذي وصف هاهنا لا في النعيم الذي لا ينقطع ولا يدوم فكانه فليرغبوا فيما تعقبهم النعيم الدايم والشراب الذي لا ينقطع لذته وقيل ختامه مسك ما بقي في الكاس من البقية يكون ذلك مسكا والتنافس انما يكون في المسارعة في الخيرات وترك الاتباع الشهوات والانتهاء عن المعاصي وهو كقوله بمثل هذا فليعمل العاملون اي فليكون عملهم بما يثيرهم ما ذكر من النعيم لا في الذي ينقطع ويكون عقباه النار وقوله ومزاجه من تسنيم قيل التسنيم شيء اعده الله تعالى لاوليائه لم يطلعهم عليه في الدنيا وهو من قرة الاعين التي لا يعلمها الا النفس فوصف مرة بالمزاج بالمسك ومرة بالكافور بقوله كان مزاجها كافورا ومرة اخبر انه ممزوج بالتسنيم ولم يبينها التسنيم والسنام ما ارتفع من الشيء فيجوز ان يكون سمي تسنيما لانه ينحدر اليهم من الاعلى واخبر انه ممزوج لما الى مثله ترغب الانفس في الدنيا ويشتاق اليه الا ترى ان الشراب في الدنيا اذا كان ممزوجا

التنافس حرف يستعمل في الخيرات

تهون في القلوب لدفع منه ويكون لا نفس اليها ارغب منه اذا كان غير ممزوج فرغبوا بمثله في الاخرة و ذكر بعض
اهل التفسير ان المقربين يسقون من ذلك الشراب صرفا و يمزج لغيرهم و قال الحسن المزاج يكون للمقربين
وغيرهم وجعل الممزوج منه اشرف على ما ذكرنا وقوله عينا يشرب بها المقربون فالمقربون هم الذين يسارعون
في الدنيا فتركوا منى لانفس واتقوا المهالك والزلات فهم المقربون واضاف التقريب الى الغير لانهم بغيرهم
ما وفقوا لاكتساب الخيرات وعصموا عن ارتكاب المهالك والزلات لا بانفسهم فنالوا فضل التقريب بما اجهدوا
انفسهم في الامور التي ذكرنا وقوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وجه ذكر صنيع الكفرة
بالمؤمنين في القرآن وجعله آية يتلى وان كان المؤمنون بذلك عارفين يخرج على ثلاثة اوجه احدها
في تبيين موقع الحجج في قلوب المؤمنين وعلمائهم و ذلك ان المؤمنين لما محنت انفسهم باحتمال الاذى والمكروه
من الكافرين انتصبوا لمعاداة آبائهم واجدادهم واهاليهم ورفضوا شهواتهم وتركوا اموالهم واختاروا اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم و دينه ومعلوم انهم لم يحملوا انفسهم كل هذه المؤن طمعا و رغبة في الدنيا لما لم يكن
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرغب فيه مثله من نعيم الدنيا فثبت ان الحجج هي التي حملتهم ودعتهم
الى متابعته لا غير فيكون فيما ذكرنا تثبيت رسالته وان لم يكن في الاية اشارة الى الحجج التي اضطرتهم الى تصديقه
والانقياد له فيكون في ذكره تقرير لمن تاخر عنهم من المؤمنين لرسالته عليه السلام والثاني ان اوليك المؤمنين
صبروا على ما نالهم من المكاره واستقبلهم من انواع الاذى في قيامهم بامر الله تعالى فيكون في ذكره تذكير
لمن تاخر عنهم من المؤمنين ان عليهم بالمعروف والنهي عن المنكر وانه لا عذر لهم في الامتناع عن القيام بما ذكرنا
وان نالهم من ذلك اذى ومكروه بل الواجب عليهم الصبر على ما يصيبهم والقيام بما يحق عليهم او ذكر ما لقي
الاوايل من السلف من المعاداة والشدايد من الكفرة باظهارهم دين الاسلام ثم نلنا نحن هذه الرتبة واكرمنا
بالهدى بلا مشقة وعنا اشكروا الله تعالى بذلك ونحمده عليه ونعظم ثنا في الدنيا وجزيل منته علينا وقوله
من الذين آمنوا يضحكون فضحكهم يكون لاحد وجهين اما على التعجب منهم انه كيف اختاروا متابعة محمد صلى الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وحملوا انفسهم في الشدايد ورضوا بزوال النعيم عنهم من غير منفعة لهم
في ذلك وهم قوم كانوا لا يؤمنون بالبعث فكانوا يكذبون بما وعد المؤمنون من النعيم في الاخرة فكان
يحملهم ذلك على التعجب فيضحكون متعجبين منهم او كانوا يضحكون على استهزائهم بالمؤمنين يقولون ان هؤلاء
آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما يخبرهم من نعيم الاخرة ولا يعرفون الله كذلك لكانوا يجهلون
المؤمنين على ما جهلوا بانفسهم وظنوا ان لا بعث ولا جنة ولا نار قال ابو بكر المجرم هو الواثب في المعاصي
و ذكر ابو بكر ان في ذكر صنيع الكفار بالمؤمنين دلالة رسالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و ذلك انهم
كانوا يضحكون عن المؤمنين ويتغامزونهم وينسبونهم الى الضلال سرا من المسلمين فاطلع الله تعالى نبيه
عليه الصلوة والسلام على ما اسروا من الافعال ليجعل لهم من افعالهم حجة عليهم لنبوته و رسالته
عليه السلام وقوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين قال بعضهم لاهين ومعجبين بحال
المؤمنين او مسرورين كما قال تعالى انه كان في اهله مسرورا وقوله واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون
فيجوز ان يكونوا نسبوهم الى الضلال لتركهم دين آبائهم وراوا انما اختاروه من تحمل الشدايد ورضوا بضيق
العيش ضلالا منهم وقوله وما ارسلوا عليهم حافظين اي لم يرسلوا لحفظ اعمال المسلمين
فيكون في ذكر هذا تسفيه احلامهم وهواهم تركوا النظر في احوال انفسهم وجعلوا يعدون على المسلمين
عيوبهم كانهم ارسلوا عليهم حفاظا وما ارسلوا او يكون هذا اخبارا عن الكفار انهم يقولون ما ارسل
على احد حافظ يحفظ عليه اعماله فيكون هذا على الانكار منهم بكرام الكاتبين وقوله فاليوم الذين آمنوا
من الكفار يضحكون ويكون ضحكهم على المجازاة للكفرة بما كانوا يضحكون منهم في الدنيا وقوله على الارائك

لابد رسالة

في الامر بالمعروف

ينظرون فمنهم من وقف على قوله على الارائك ومنهم من راى موضع الوقف على قوله ينظرون فاذا وقف على قوله
على الارائك كان معناه انهم ينظرون هل جوزي الكفار ما اوعدهم الرسل في الدنيا او لا يعد واذا وقفت
على قوله ينظرون كان قوله تعالى هل ثوب الكفار اي قد جوزي الكفار ما كانوا يفعلون فهم ينظرون كيف
يعاقبون ثم العقول كيف احتملت انفسهم النظر الى الكفار بما هم فيه من التعذيب والمرء اذا راى احدا
في شدة العذاب لم يحتمل طبعه ذلك ويغص عليه العيش فجايز ان يكون الله تعالى انشاهم على خلقة لا يقبل
المكاره ولا يجدها بل بنا لها اللذات كلها والمسار وارتفع عنهم المكروه لبلوغ العداوة بينهم وبين اهل النار
غايتها وكذلك يرى المرء في الشاهد اذا عادى انسانا واشتدت العداوة فيما بينهما ثم راه يعذب بالوان
العذاب لم يشتغل عليه ذلك بل احب ان يزاد منه ثم جايز ان يرفع اليهم اهل النار اذا اشتاقوا النظر
اليهم فيرونهم ويجعل في بصرهم من القوة ما ينتهي الى ذلك المكان ثم ذكر بعضهم ان هذه السورة مكية ومنهم
من ذكر انها نزلت بين مكة والمدينة وهي مكية ومنهم من ذكر ان اولها مدينية وآخرها مكية والله اعلم بالصواب

سورة الانشقاق مكية وآيها عشرون وثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا السماء انشقت هو جواب سؤال تقدم لما ذكرنا ان حرف اذا حرف جواب
وليس بحرف ابتداء فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ملاقاة الاعمال متى وقتها فقال تعالى
اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت فذلك وقت ملاقاة الاعمال وقيل ذكر في الخبر ان اخوين احدهما
مسلم والاخر كافر فقال للمسلم اترانا بعد الموت مبعوثين فقال له بلى والذي خلقك وللجبلة الاولين فنزلت
هذه السورة تبين لهم وقت بعثهم انه عند انشقاق السماء ومد الارض ونحوه ثم ذكر الجواب في ابتداء
السورة ليكون المراد ذكرها لانه يكون اوعى لها واذا ذكر في وسط السورة لم يحفظ الا بالتلاوة
ولهذا المعنى والله اعلم جعلت الم والر وكهيعص وطه رؤوس السور لان الكفرة كانت
من عادتهم الاعراض عن القرآن وترك الاستماع اليه ليفهموه فانتدبت السورة بما ذكرت من الرموز
والاشارات ليحملهم ذلك على الفكر والنظر فيه اذ لم يكن سبق منهم العلم بمعرفة ما يراد من قوله الم والر
ثم ذكر انشقاق السماء ومد الارض والقاءها ما جعل فيها ليعرفوا شدة ذلك اليوم فيخافوه ويستعدوا له
وقوله واذنت لربها وحقت قيل سمعت لربها واطاعت واجابت الى ما دعيت اليه ثم المراد من الاذن
مختلف تحقيقه ان يصرف كل شيء الى ما هو اولى به الا ترى انك اذا قلت اذن الرجل لعبده في التجارة فلست
تريد بقولك اذن ما يريد به اذا اذنت لغيرك ان يتناول من طعام ملك بل تريد بالاذن للعبد
الامر بان يتجر حتى لو لم يفعل تلومه على ذلك و تريد بالاخر اباحة التناول وقال الله تعالى
وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وقال في موضع اخر وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله فكان المراد
من الاذنين مختلفا فثبت ان حقه ان يحمله الى ما دعا اليه اوجه وهو الى الطاعة والاجابة هاهنا اوجه
لذلك حمل عليه وقوله عز وجل وحقت اي حق لها ان تسمع وتطيع وجايز ان تكون الاجابة منصرفة
الى اهلها ثم نسب اليها ذلك وان كان المراد منه الاهل كقوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها
ولا يوجد من القرية عتو وانما يوجد من اهلها فان كان كذلك فمعنيه انه لا يتخلف احد من الاجابة
الى ما دعاه اليه الرب تعالى خلافا على ما كانوا عليه من الدنيا فان كثيرا من اهل الدنيا اعرضوا عن طاعته
واشتغلوا بمعصيته ثم الاجابة والطاعة والطوع والكره ومثل هذه الاوصاف اذا اضيفت الى من هو
من اهل الاختيار فهو على الطوع المعروف والاجابة المعروفة واذا اضيف الى من ليس هو من اهل الاختيار

فهو على تعيين الهيئة على ما عليه الخلقة نحو الارض يوصف بالحيوة اذا انبتت وبوصف بالموت اذا يبس
عليها وصارت تهشمة فيراد بهما انهما صارت بهيئة لو وجدت تلك الهيئة في الروحانيين لصار احدهما
على الحيوة والاخر علماً لوفاته وقال تعالى ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وقوله تعالى وقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا آتينا طايعين وهما لا يوصفان بطوع ولا كره ولكن خلقتا على هيئة
لو وجدت تلك الهيئة يمن وصف بالطوع والاكراه كان ذلك منه طوعا وقال ابراهيم عليه الصلوة والسلام
رب انهن اضللن كثيرا من الناس وهي في الحقيقة لا تضل ولكنها انشئت على هيئة لو كانت تملك الاضلال
يعتد ذلك منها اضلالا وقوله عز وجل واذا الارض مدت قيل بسطت وسويت بكبس الشعاب
والاودية بالجبال او بما ساقصار قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقوله والقت ما فيها وتخلت
اي القت ما وضع فيها من الموتى والكنوز فتخلت عنها فنسب التخلي اليها وان كان من فيها هو الذي يخلو عنها
وكانت هي الحابسة لانه اذا خلا عنها خلت هي عنه وقوله عز وجل يا ايها الانسان انك كادح الكادح
هو الساعي وهو الذي اعتاد ذلك وهذا في كل الانسان تراه ابدا ساعيا اما في عمل الخير او عمل الشر
او فيما ينفعه او فيما يضره حتى لو هم بتركه السعي نوع من السعي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال حين تلا هذه الاية انا ذلك الانسان فهذا ليس انه هو المخصوص بالخطاب لانه بين الانسان
فقال فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله ولا يجوز ان يكون هو المراد بهذا كله فكل احد
على الاشارة اليه مراد بقوله تعالى يا ايها الانسان فلذلك قال النبي عليه السلام انا ذلك الانسان وقوله
الى ربك كدحا فجايز ان يكون معناه انك جاعل كدحك الى ربك في ان يسعى في طاعته وطلب مرضاته فانك
ملاقيه لا محالة اي تلاقي جزاء عملك ان خيرا فخير وان شرا فشر وجايز ان يكون الملاقاة كناية عن البعث
او البعث قد يكنى عنه بلقاء الرب قال الله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه وسمي ذلك اليوم يوم المصير
الى الله تعالى ويوم البروز بقوله تعالى وبرزوا لله جميعا ووجه التسمية بهذه الاسامي ما ذكرنا ان المقصود
من خلق العالم العاقبة فسمي بروزا لما للبروز انشئ وسمي مصيرا الى الله تعالى لمصيرهم الى ما له خلقوا وان كان
الخلق كلهم بادين له قبل ذلك ولم يكونوا عنه غايبين فيصيروا اليه خصوصا لذلك اليوم وقوله
فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا تسماه حسابا يسيرا لوجوه احدها ان المؤمن
اعتقد تصديق الرب في كل ما دعاه اليه واذا كان على التصديق سهل عليه تذكير ما قد عمله بتكثير الجملة
ووجه آخر انه اذا نظر في كتابه رأى حسناته مقبولة وسياته مغفورة فسمي ذلك اليوم يسيرا له لما اثبت
فيه من الخيرات ومحي عنه من السيات كما سميت الخيرات يسرى وسمي ما يجري عليها يسرى ايضا فكذلك الذي
اوتي كتابه بيمينه يجزى عليه الخير يسمى حسابا يسيرا وجايز ان يكون المسلم يحاسب في ان يذكر
ما انعم عليه في الدنيا ولا يحاسب حساب توبيخ وتهويل بان يقال له لم فعلت كذا على الانكار بما فعل
وفي ذلك تيسير عليه وروي عن عايشة رضي الله عنها انه قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول نوقش في الحساب فهو معذب وفي بعضها من حوسب عذب قالت قلت يا رسول الله الم يقل
الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا قال يا عايش ذلك العرض ولكن
من نوقش الحساب هلك قال الفقيه رحمه الله ظاهر قوله عليه الصلوة والسلام من نوقش الحساب
عذب دفع لما قالته عايشة رضي الله عنها لان الفهم من قوله عليه السلام من نوقش الحساب غير الفهم
من قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فليس في ظاهر قوله جواب لها وكان الظاهر من الكلام الا ترك
على ما فهمته عايشة رضي الله عنها ولكن وجه الجواب فيه قوله عليه السلام من حوسب عذب وقوله عز وجل
فسوف يحاسب ليس على كل حساب وانما هو على الحساب الذي لا يناقش فيه فاما الذي هو عرض فليس مما يعذب عليه

البعث قد يكنى عنه بلقاء الرب

فيكون

969

فيكون فيه ابانة انه لا يفهم بالخطاب العام عموم المراد كما فهمته عايشة رضي الله عنها بل يجوز
ان يكون الخطاب عاما والمراد منه خاصا وقوله وينقلب الى اهله مسرورا وقال في شان الذي
اوتي كتابه وراء ظهره ويصلى سعيرا انه كان في اهله مسرورا فهذا لان المسلم انما تاهل على قصد
تحصيل النفع لنفسه في العاقبة ويكون معينة له على امور الاخرة فحصل له ذلك النفع باحرازه السرور
الدايم بذلك والكافر تاهل للمنافع الحاضرة وسرتهم سرورا انشاه السرور دار العاقبة فحق عليه
العذاب لتركه السعي للاخرة لا لسروره باهله وهو كقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد الاية والكل منا يريد العاجلة ولا بد له منها لكن الذي يصلى جهنم هو الذي ابتغى
العاجلة ابتغاء انشاه ذلك عن الاخرة فكذلك المسرور باهله انما حلت به النقمة لما منعه السرور
عن النظر للعاقبة لا لنفس السرور اذ كل متاهل لا يخلو عن السرور باهله والله اعلم وقوله واما من اوتي
كتابه وراء ظهره فالايتاء من وراء الظهر يحتمل وجهين احدهما ان استقذره منه لخبث منظره فاوتي
من وراء ظهره مجازاة له بما سبق من صنعه وصنعه انه نبذ كتاب الله تعالى وراء ظهره وترك اوامره
ونواهيه كذلك وراء ظهره فجوزي ايضا بدفع كتابه وراء ظهره ودفع الى المؤمن كتابه بيمينه لما في كتابه
من المحاسن والبركات واليمين انشئت ليستعمل في البركات وانواع الخير وسميت ايضا باسم مشتق
من اليمن والبركة والشمال جعلت ليستعمل الاقذار والانجاس فدفع كتابه حيث عمله اليه بشماله
ايضا او من وراء ظهره لان اهل الايمان قبلوا امر الله تعالى ونواهيه واستقبلوها بالتعظيم والتبجيل
ومن اراد تعظيم الاخر في الشاهد وتبجيله اخذه بيمينه فجوزوا في الاخرة بالتعظيم لهم بان اوتي كتبهم
بايمانهم واما الكافر فانه استخف بامر الله تعالى وطاعته فجوزي في الاخرة بان اوتي كتابه بشماله التي
يستعمل في الاقذار اهانة له وتحقيرا وقوله فسوف يدعوا ثبورا الثبور والويل حرفان يتكلم بهما
عند الوقوع في المهالك فيكون في ذكر الثبور ذكر وقوعه في المهلكة التي يحق له دعاء الثبور والويل
على نفسه دعا به او لم يدعوا على سبيل الكناية عن الوقوع في الهلاك وهو كقوله تعالى فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا فالضحك كناية عن السرور والبكاء كناية عن الحزن فمعناه ان يستقبله ما يحق ان له
طويلا كان هنالك بكاء او لم يكن وقوله انه ظن ان لن يحور بلى فيه دلالة انه انما حل به ما ذكر
من العذاب لانه كان للبعث ظانا ولم يكن به متيقنا وكذلك الله سبحانه حيث قسم الوعد والوعيد
الفريقين ذكر في اخره ما يبين ان الذي اوعد بالعذاب هو المكذب وذكر الوعيد هاهنا وبين
ان الذي يحل به هذا الوعيد هو الذي كان ظانا بالميعاد ولم يكن متحققا وقال الله عز وجل
فاما الذين فسقوا فماواهم النار الى قوله ذوقوا عذاب النار التي كنتم به تكذبون فتبين ان الوعيد
في المكذبين خاصة فيكون فيه دفع العذاب وقال تعالى تلفح وجوههم الى قوله فكنتم بها تكذبون
ليعلم ان الوعيد الدايم في المكذبين خاصة فيكون فيه دفع قول المعتزلة ان اهل الكباير يخلدون
في النار وقوله عز وجل ان ربه كان به بصيرا اي كان بصيرا بما سبق من اعماله الخبيثة فيحاسبه
على علم منه بما كسبت يداه ويعذبه على علم منه باكتساب ما استوجب من العذاب خلافا لامر ملوك
الدنيا انهم يحاسبون على تذكير الغير لهم ما عليه من الحساب ويعذبون على تعريف الغير لهم ما استوجب
التعذيب لا على علم منهم بذلك ويكون معناه انه كان به بصيرا في الازل انه ماذا انشاه والى ماذا ينقلب
امره الى النار او الى الجنة فخلقه على علم منه انه يعادي اولياءه ويعمل بمعاصيه وللقايل ان يقول بان المرء
في الشاهد لا يشرع في الامر الذي يعلم انه في العاقبة يضره ولا ينفعه ولو شرع فيه واتم كان مذموما
عند الناس ولم يكن محمودا فاي حكمة في انشاء عدوه وهو عالم انه يسعى في معاداته فجوابه والله اعلم ان الذي

اليمين يستعمل في البركة

دفع قول المعتزلة

يشرع في الامر الذي علم ان اتمامه يضره ولا ينفعه انما لحقته المذمة لما سوى ذلك اضرار نفسه ٥
فاما الذي اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر به وانما اكتسب الضرر على نفسه خاصة بان اوقعها في المهالك
ولم يضر غيره لذلك لم يلحقه المذمة في خلقه وانشائه وفي هذا دلالة ان الله تعالى حيث خلق الخلق لم يخلقهم
لمنفعة ولا لمضرة يلحقه من جهتهم بل لمنافعهم ومصالحهم راجعة الى انفسهم والله اعلم وقوله فلا اقسم بالشفق
فمنهم من جعل قوله فلا على دفع منازعة وقعت فيما بين القوم على ما ذكر في سورة لا اقسم ان شاء الله
واما القسم قوله عز وجل اقسم ومنهم من جعل لا بحق الصلة فان كان على الوجه الاول لم يجز حذف لا
من الكلام بل حقه ان يقرا فلا اقسم وان كان بحق الصلة استقام من حذفه كما قرا بعض القرا فلاقسم
بالشفق ثم الشفق هو اثر النهار فجائز ان يكون القسم واقعا على النهار كله وان كان ذكر طرفا منه والثاني
ان الشفق يجتمع فيه اثر النهار وهو النور الذي فيه واثر الشمس وهي الحمرة التي يكون فيه فيكون القسم
واقعا على النهار بما فيه كما كان واقعا على الليل بما فيه لقوله والليل وما وسق فيكون فيه حجة لقول ابي حنيفة
رحمه الله ان وقت العشاء لا يدخل حتى يغيب البياض لان وقتها يدخل بغيبوبة الشفق والشفق وجدناه
مشتملا على البياض والحمرة فلما لم يتم الغيبوبة لم يهجم وقتها الا ترى ان الصلوة التي تلي الغروب لا يدخل
وقتها حتى يتم غروب الشمس فعلى ذلك الصلوة التي تلي الغروب بالشفق لا يدخل وقتها حتى يتم الغيبوبة
وقوله والليل وما وسق قال بعضهم وسق اي وما ساق وجمع معه من الظلمة والنجوم والدواب وغير ذلك
والوسق الحمل يقال وسق بعير اي حمل بعير وقال بعضهم وسق اي جمع وساق كل شيء الى ماواه من الطير
والسباع فذكر النهار والليل لما فيهما من المنافع وقوله والقمر اذا اتسق قال الاتساق الاجتماع
ومعناه استوى وكمل اذ ذلك اجتماعه وذلك في ليالي البيض وقال ابو بكر الاصم معناه انه جمع وسوى
بعد ان كان كالعرجون القديم فتذكرهم قوته ليعلموا انه قادر على بعثهم وقوله لتركبن طبقا عن طبق
قرئ بنصب الباء ورفعها وكلا القرائتين في المعنى واحد ان كان في الظاهر احدهما الجمع والاخرى
الموحدان واحدى القرائتين بحرف الجميع ليذكر بالرفع فان قوله لتركبن منصرف الى كل انسان في نفسه
خاصة لا على الاقتصار على شخص واحد لما ليس في قوله عز وجل يا ايها الانسان انك كادح اشارة الى شخص
بعينه ولكن المراد منه الجملة فثبت ان الخطاب منصرف الى الجملة ثم قوله لتركبن طبقا عن طبق قيل حالا بعد حال
ثم جائز ان يصرف الى دار الاخرة فكانه قال لتركبن حال الاخرة بعد حال الدنيا فيكون فيه تصريح القول
على ايجاب البعث ويحتمل ان يكون ذلك في الدنيا فينتقل الى حال المضغة بعد كونه مضغة والى حال العلقة
والى حال الطفولة الى ان يبلغ اشده فلا يزال من حال الى بعد حالة فيكون في نقله من حال الى حال ابانة
انه لم يرد من انشائه ان يتغير عليه الاحوال فقط بل اريد به العاقبة التي بها صار انشاء الخلق حكمة لا عبثا
فيكون قوله لتركبن منصرفا الى كل انسان في نفسه خاصة لا على الاقتصار على شخص واحد لما ذكرنا ومنهم من قال
انما اراد بهذا الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه
لكن قال ابن مسعود رضي الله عنه لتركبن يا محمد وقال ابن عباس رضي الله عنه لتركبن السماء حالا بعد حال
فان كان التاويل على ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه ففيه بشارة له بالاسلام قومه واجابتهم له فيقول انهم
سيطيعونك ويصيرون لك انصارا بعد صدهم الناس عن الايمان وجفوتهم اياك ومن قال لتركبن
سماء بعد سماء فيقول ذلك ليلة اسري به والتاويل الاول اقرب لان موقع القسم في قوله لتركبن والاسرا
لم يكن يعرفه قومه حتى يكون في ذكره دفع الاشتباه عن اولئك القوم فاما ظهور الاسلام وعلو النبي على اعدائه
فمما يشاهده الناس فيتحقق في الاخرة ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيب فيكون تاكيدا لرسالته
فلذلك قلنا ان الحمل على المعنى الاول احق والله اعلم وقوله فما لهم لا يؤمنون الاصل ان كل من اعتقد

مذهبا فانما يعتقده بحجة تقررت عنده او شبهة اعترضت لم ظنها حجة فاما ان يعتقده جزافا فليس يفعله
فقال الله تعالى في هؤلاء فما لهم لا يؤمنون اي اي حجة لهم يمنعهم عن الايمان بالله تعالى وبرسوله ويدعوهم
الى الشرك والتدين به ثم قد ذكرنا ان ما خرج مخرج الاستفهام من الله تعالى فحقه ان ينظر ما يقتضي ذلك الكلام
من الجواب انه لو كان من مستفهم فيحمل الامر عليه وحق جواب هذا الكلام ان يقول لا شيء يمنعه عن ذلك فقوله
فما لهم لا يؤمنون اي لا حجة لهم فيما اختاروا من الشرك وانما يتدينون به تشهيا وتمنيا فيكون هذا على النفي
في ان لا حجة لهم او كانه يخاطب رسوله عليه الصلوة والسلام فيقول سلهم لماذا لا يؤمنون وإذا ما لهم
لم يجدوا لانفسهم حجة في الاعراض عن الايمان فيرجع الامر الى ابتغاء الحجة ايضا ثم المعتزلة احتجت علينا
بهذه الاية في تثبيتهم القدرة قبل الفعل وزعمت انه لو لم يكن اعطي قوة الايمان لم يكن يعاتب على تركه لانه
لا عذر للعبد اعظم من ان يقول اذا قيل له لم لا يؤمن فيقول لاني لم اقدر عليه ولان قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون
حرف تعجيب ولو كانت القوة ممنوعة قبل الفعل لكان له ان يقول انما لم او من لاني منعت عنه فيرتفع عنه التعجيب
فدل انه اعطي القوة فلم يبق له في التخلف عن الايمان عذر والجواب عن الفصل الاول ان الكافر اذا لحقته
كلفة الايمان لانه هو الذي ضيع القوة باختياره فعل الكفر وانما يرتفع الكلفة اذا منعت عنه الطاقة بما ذكان
هو الذي ضيعه فالكلفة عليه قايمة والاصل ان القدرة في الصحيح السليم يحدث ساعة على قدر حرصه
على العبادة وميله اليها فالعبد متى اشتغل بفعل صار مضيعا لما ضده من الافعال لا ان كان ممنوعا
عن الفعل الذي هو ضد هذا فلذلك اذا اثر الكفر واتى به فقد صار باختياره الكفر مضيعا لقوة الايمان
لا ان صار ممنوعا عنها لذلك لحقته كلفة الايمان واما ما ذكروا من التعجيب فقد وصفنا وجه التعجيب في ذلك
فهو انهم لم يلتزموا الكفر بحجة دعتهم الى القول به والمرء اذا قلد مذهبا قلده لا عن حجة وبرهان
فيعجب الخلق باختيارهم الكفر لا عن حجة ثم لو كان الامر على ما ظنت المعتزلة ان الله تعالى قد اعطاهم جميع
اسباب الهداية ولم يبق في خزائنه شيئا يمنعه عنهم لكان التعجيب راجعا اليه لا الى الذين لم يؤمنوا فيقول
ما لي لا اصل الى هدايتهم ولم يبق عندي شيء به هدايتهم الا وقد اعطيتهم لان ان تعجب الخالق عن صنعهم فليس الذي
اختاروه في القول سوى وصفهم رب العالمين بالعجز والعاجز لا يصلح ان يكون ربا والله الموفق وقوله
عز وجل واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون فمنهم من صرف التاويل الى سجود الصلوة والمراد منه عندنا
سجود التلاوة وهو سجود الاستسلام والخضوع على الشكر لما اكرم المرء من الايمان وهداه الله لان سجود الصلوة
يكون عند فعل الصلوة لا عند ذكر التلاوة ثم في الاية دلالة وجوب السجدة على السامع لانهم عوتبوا بتركهم
السجود عند ما يتلى عليهم وقرعوا به والتقريع يجري في ترك اللازم لا في ترك ما ليس عليه ولان المعنى
الذي له وجب السجود على التالي قايم في السامع ان التالي انما لزمه السجود لما ذكر من ايات الله تعالى وقامت عليه
من الحجج فيلزمه ان يخضع لها وقوله بل الذين كفروا يكذبون فهو يحتمل وجهين احدهما انهم يكذبون
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحملهم ذلك على التكذيب بالقرآن لانهم اذا كذبوا رسالته لم يصدقوه
فيما ياتي من الاخبار لا ان يكون في الاخبار معنى يحملهم على التكذيب بل القرآن يحملهم على التصديق والايمان
لو انعموا النظر فيه وبذلوا من انفسهم الانصاف او يكون معناه ان الذين كفروا هم المكذبون فيكون الكفر
منهم تكذيبا والتكذيب منهم كفرا وقوله والله اعلم بما يوعون يحتمل وجها احدها ما يضمرون
من الكيد والمكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فالله اعلم بكيدهم لا يتهيأ لهم ان ينفذوا كيدهم فيه
الا ما كتب الله عليه فيكون فيه بشارة له بالنصر والتاييد والثاني الله اعلم بما يوعون في قلوبهم من التصديق
ويظهرون من التكذيب بالسنتهم او بما يجمعون من التكذيب بالسنتهم وقلوبهم معا وذلك ان البعض
منهم كان قد ايقن برسالته فكان يصدقه بقلبه ويكذبه بلسانه على العناد منه والتمرد ومنهم من لم يكن

عرف صدقه بقلبه لما ترك الانصاف من نفسه باعراضه عن النظر فى حجج الله تعالى فكان يكذب بقلبه ولسانه جميعا وقوله فبشرهم بعذاب اليم فالبشارة اذا فسرت استقام حملها على الحزن والسرور جميعا واما البشارة المطلقة انما تستعمل فى موضع ادخال الفرح والسرور فى القلب وقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فجايز ان يكون منصرفا الى كل من امن وجايز ان ينصرف الى من امن من الذين كانوا يوعدون ماذكرنا وقوله لهم اجر غير ممنون يذكر فى سورة والتين والزيتون ان شاء الله تعالى .

سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والسماء ذات البروج فقوله والسماء ذات البروج على القسم وكذلك ما ذكر عقيبه ثم اختلف فى موضع القسم فى هذه السورة فمنهم من ذكر ان القسم لمكان قوله قتل اصحاب الاخدود ومنهم من يقول القسم موضعه على قوله ان بطش ربك لشديد وهو اشبه لان فى موضع الاحتجاج على الكفرة ولو حمل القسم على قوله قتل اصحاب الاخدود كان ذلك منصرفا الى المؤمنين والمسلمون قد تيقنوا بصدق ما ياتى به الرسول من الانباء والقسم يذكر على تاكيد ما يقصد اليه ليزول عنه الريب واذا كان المسلمون غير مرتابين فى نبايه استغنوا عن تاكيده بالقسم فلذلك قلنا ان صرفه الى قوله تعالى ان بطش ربك لشديد اليق فيكون فيه تحذير لمن كذب رسوله صلى الله عليه وسلم ان بطشه لمن كذب رسوله لشديد قد علموا ذلك بما وصل اليهم من نبا عاد وثمود وفرعون وغيرهم وجايز ان يكون موضع القسم على قوله قتل اصحاب الاخدود وذلك ان اهل مكة كانوا اهل تعذيب لمن امن بالنبى صلى الله عليه وسلم فكان فى ذكر ما ذكر ما نزل بالمتقدمين من الفراعنة من العذاب وصبر اولئك المعذبين على دينهم ورضاهم به وحسن ثناء الله تعالى عليهم تصبير لهم وتهوين على ما يلقون من العذاب لينالوا من حسن ثناء الله تعالى لهم ما ناله من صبر من تقدمهم من السلف وكذلك ذكر سحرة فرعون واحسن الثناء عليهم بصبرهم على تعذيب فرعون فقالوا اقض ما انت قاض انما تقضى هذه الحيوة الدنيا ليكون ذلك موتا لهم على الصبر بما يلقون من الكفرة من التعذيب ثم اكد الامر بالقسم لانه لا كل مسلم يبتلى بتعذيبهم يبلغ يقينه مبلغا لا يعتريه الشك ولا يتخالجه شبهة فى ذلك فاكد الامر بالقسم لرفع الريب والاشكال وقال تعالى وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير وفى بعض القراءات قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا فذكر المؤمنين ما لقى السلف الكفرة وابتلوا بقتل الرسل وثباتهم على الدين ليستعينوا به على ما يصيبهم فى سبيل الله ولا ينقلبون على اعقابهم اذا اخبروا بقتل الرسول وفى ذكر هذه الانباء دلالة ان قول الرسول عليه الصلوة والسلام لعمار رضى الله عنه ان عادوا فعد حين اكره على اجراء كلمة الكفر على لسانه فاجرى وقلبه مطمئن بالايمان ليس على الامر به والايجاب عليه والتحصيل بطريق العزم بل معناه ان عادوا فلك العود على سبيل الرخصة لانه لو كان على الامر لم يكن فى ذكر نبا اصحاب الاخدود وسحرة فرعون فايدة سوى ان يترك العمل بها ومعلوم بان تلك الانباء انما ذكرت ليعمل بها لا ليترك بها العمل لذلك حمل قوله فعد على الرخصة لا على الامر به ويكون المراد من قوله عليه الصلوة والسلام ايضا من لم يقبل رخصتنا كما يقبل عزايمنا فليس منا اى لم ير العمل به موسعا بل استكره وابى قبوله لان يكون امر بترك العزيمة وايجاب العمل بالرخصة والله اعلم ثم يرجع الى قوله تعالى والسماء ذات البروج فقال بعضهم هى البروج المعروفة وهى اطراف البناء واذا بنا بناء اتخذ على طرفه برجا ليشدد بناءه به ومنهم من قال البروج القصور

ان الكفار كانوا اهل تعذيب لمن امن

ومنهم من قال البروج النجوم لقوله وجعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وزينة السماء هى الكواكب لقوله بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد ومنهم من قال هى مجارى الشمس والقمر والكواكب فمنازلها هى البروج ثم ذكر السماء بالبروج ليعرف حدثها ودخولها تحت تدبير الغير اذ ذكرها بالمنافع المجعولة فيها ليعلم الخلق انها سخرت للمنافع فيعرفوا بها حدثها اذ المسخر لمنافع الغير داخل تحت قدرة من سخره والمقدور محدث وهم لم يشهدوا بدوها ليعرفوا به حدثها ولا كل احد يعرف حدثه الشىء لكونه محدودا فى نفسه اذا لم يشاهدوا بدوه فذكرها حيث ذكرها بما فيها من المنافع المجعولة للخلق اذ ذلك اظهر وجوه الدلالة على الحدثية ليعلموا بها حدثها الا ترى ان ابراهيم صلوات الله عليه احتج على قومه بتنحى الالهية عن الكواكب بافولها اذ ذلك اظهر وجوه الحدثية ولم يحتج عليهم بانتقالها من موضع الى موضع ولا بكونها محدودة فى نفسها بل احتج عليهم بما ذكرنا ليتحقق عندهم حدوثها ودخولها تحت سلطان الغير وقوله واليوم الموعود قيل هو يوم القيامة يسمى موعودا لما وعد من جميع الاولين والاخرين فى ذلك اليوم ثم اقسم بذلك اليوم وان كانوا منكرين له لما قرع عليهم بالحجج والزمهم القول به وقيل اليوم الموعود هو كل يوم ياتى فياتى بما وعد فيه من الرزق وغيره والله اعلم وقوله وشاهد ومشهود اختلف فى تاويله فمنهم من قال الشاهد هو الله تعالى والمشهود هو الخلق واستدل على ذلك بقوله كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيد وقيل الشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم والمشهود امته قال الله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هولاء ومنهم من يقول الشاهد هو الكاتبان اللذان يكتبان على بنى ادم اعمالهم والمشهود هو الانسان الذى يكتب عليه ومنهم من يقول الشاهد والمشهود هو الانسان نفسه اى جعل عليه من نفسه شهودا بقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ومنهم من يقول الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة سمى يوم الجمعة شاهدا لانه هو الذى يشهدهم وياتيهم وسمى يوم عرفة مشهودا لان عرفة اسم مكان والناس ياتونها ويشهدونها ولا ياتيهم فتعظم شان عرفة لما يعظمها اهل الاديان كلها وعظم يوم الجمعة لانه يوم عند المسلمين ولكل اهل دين يوم يعظمونه فاكرم الله تعالى المؤمنين بهذا اليوم ليعظموه فكان اليوم الذى يعظم غيرهم من اهل الاديان فاقسم بهما وقوله قتل اصحاب الاخدود قيل اصحاب الاخدود ثم اختلف فى تاويله فمنهم من صرفه الى المعذبين فمن صرف الى المعذبين حمل قوله قتل على اللعن اى لعنوا كقوله تعالى قتل الخراصون اى لعنوا ومن صرفه الى الذين عذبوا حمله على القتل المعروف ثم اختلف فى قصته اولئك الذين عذبوا فان كان القسم فى الكفرة فما ينبغى ان يفسر على وجه من ذلك ما لم يتواتر فيه الخبر عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وجدوها موافقة للانباء المذكورة فى كتبهم وقد علموا انه لم يصل الى تعرفها الا بالله تعالى اذ لم يروه يختلف الى من عنده علم الانباء ليصل الى معرفتها بهم فاذا فسرت على وجه امكن ان يقع فيها زيادة او نقصان على ما ذكر فى الكتاب فيجدوا به موضع الطعن والقدح لذلك لم يسع ان يزاد على القدر الذى جرى ذكره فى الكتاب الامر الوجه الذى ذكرنا وان كان القسم فى المؤمنين وسع القول بجمل التاويلات التى ذكرها اصحاب التفسير لارتفاع المعنى الذى ذكرنا فى الكفرة والله اعلم ثم فى ذكر هذا النبا ليعلم به فاذا انبا هم على وجهها تيقنوا انه بالله تعالى علم وفيه تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق الامر عليه لانه يخبره ان قومك ليسوا باول من اذولك وعاندوك بل لم يزل سلفهم تلك عادتهم باهل الاسلام وفايدة اخرى مما ذكرنا ان فى ذكره بعض ما يستعين به من ابتلى باذى الكفرة وفيه ان اولئك الكفرة بلغ من صنعتهم بذويهم ما يقاتلون عليه من اظهر مخالفتهم فى الدين ليعلموا ان القتال لمكان الدين ليس بامر شاق خارج من الطباع بل الطباع جبلت على القتال مع من عاداهم فى الدين فيكون فيه

ترغيب للمسلمين على القتال مع الكفرة اذا امتحنوا والله اعلم وقوله النار ذات الوقود فمنهم من جعل
الوقود من التي فيها من المؤمنين ومنهم من جعل الوقود صفة تلك النار التي عذبوا بها وقوله اذ هم
عليها قعود اى عظماؤهم وكبراؤهم جلوس عندنا الاخدود ففيه ان اتباعهم هم الذين كانوا يتولون القاء
المؤمنين في النار وكبراؤهم جلوس هنالك وقوله وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يحتمل وجهين
احدهما ان يكون الشهود هم العظماء والفراعنة او يكون منصرفا الى الاتباع وهو ان الاتباع كانوا يلقون
المؤمنين في النار ويشهدون انهم على الضلال وانهم ورؤساؤهم على الهدى والحق وهو كما قال
في موضع آخر ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وقوله وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا
بالله العزيز الحميد فذكر العزيز الحميد ليعلم انه لا يلحقه ذل بما يحل من الذل باوليائه واهل طاعته
ولا في حمله قصور بقهر اوليائه خلافا لما عليه ملوك الدنيا وذلك ان ملوك الدنيا اذا حل باولياء
واحد منهم ذل كان الذل حالا فيه ايضا واذا قهر بعض اتباعه فترك نصرهم وهو قادر على نصرهم
واسعادهم لم يحمد ذلك منه ولحقته المذمة وذلك لان الملك انما استفاد العز باتباعه وانصاره
فاذا استبدل اتباعه زال ما يدنا [؟] للعز فلحقه الذل ونال الحمد ايضا بالاحسان الى مملكته فاذا ترك نصرهم
وهو ممكن من ذلك فقد ترك احسانه اليهم فصار بغير ممدوح ولا محمود والله تعالى استحق العز
والحمد بذاته لا باحد من خلائقه فلم يكن في اذلال اوليائه ما يوجب النقص في وصف الحمد ولا ما يوجب
قصورا في العز والثاني ان الدنيا وما فيها انشئت للاهلاك وتعلق الاهلاك انما ذكر ليس
عليهم من هلاكهم حتف انفسهم وكان في ذلك النوع من الهلاك نيل درجة الشهداء وهي التي ذكرها
الله تعالى في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم الآية ولا ينال
تلك الدرجة بفوتهم حتف انفسهم فهذا ابلغ نصرا منه اياهم ثم الجزاء والعقاب دار اخرى فيها يظهر
يعز بين الاولياء وقمع الاولياء فلم يكن في ترك النصر في الدنيا ما يوجب وهنا ولا ذلا واما ملوك
الدنيا اذا تركوا نصرهم وتمت ملكهم لاوليائهم لم يتوقع منهم النصر بعد ذلك اذ ليست في ايديهم
الا المنافع الحاضرة لذلك لحقتهم المذمة بترك النصر والله اعلم ثم ليس في اهلاك اولئك القوم
الذين آمنوا واقتدارهم عليهم ايهام انهم كانوا على الحق والصواب وان المؤمنين كانوا على الخطا لان الاهلاك
انما يصير آية اذا كان على خلاف المعتاد واهلاكهم لم يكن كذلك لان عددهم كان كثيرا وكانت
في المؤمنين قلة واهلاك الكثير للقليل غير مستبعد بل هو امر معتاد وغلبة الفئة القليلة
الفئة الكثيرة هي التي تخرج من حد الاعتياد فيكون فيها آية ان الفئة القليلة على الحق والاخرى
على الباطل وذلك نحو غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمن معه من المسلمين مع قلة عددهم
وضعفهم في انفسهم وكثرة اتباع الكفرة وقوتهم وجلادتهم في انفسهم والله اعلم ثم قوله وما نقموا
منهم اى لم يكن من المؤمنين بمكانهم جرم من ينتقم منهم بالاحراق سوى ان آمنوا بالله تعالى
وقيل ما عابوا عليهم وما انكروا منهم سوى ان آمنوا بالله تعالى وفي هذا تبيين سفههم وعتوهم
لانهم علموا ان ما لهم من النعم كلها من الله تعالى فكان الذي يحق عليهم ان يؤمنوا بالله تعالى ويشكرون
بما خولهم من النعم ويدعوا غيرهم الى الايمان به لا ان يقتلوا ويعذبوا من آمن به ثم قوله عز وجل العزيز
الحميد فالعزيز هو الذي لا وجد له او هو عزيز لا يلحقه ذل فيكون العز مقابل الذل وقال اهل التفسير
العزيز المنيع والعزيز هو الذي لا يعجزه شيء وهو الحميد المستوجب من كل احد بذاته وقوله عز وجل
الذي له ملك السموات والارض الآية فذكر هذا ليعلم انه لا يدخل في ملكه قصور بقتل اوليائه
وانضاد دينه لان الخلق كلهم عبيد الله تعالى واماؤه والسيد اذا قتل بعض مما ليكه بعضا لم يلحق

تحقيق الفتنة والامتحان

السيد بذلك ذل ولا نقص وانما يدخل عليه الذل اذا قتلهم غير مماليكه فاذا كان الخلق باجمعهم عبيد الله
لم يكن في قتل بعضهم بعضا نقص يدخل في ملكه وقوله والله على كل شيء شهيد اى يحفظ عليهم اعمالهم
فيجازيهم بها لا يعزب عنه شيء وقوله عز وجل ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات فالفتنة المحنة
وهي مأخوذة من فتن الذهب اذا اذيب لان في اذابته يتميز بها ما خبث منه وبين ما صفا وبين
الذهب وهو ما ليس بذهب فاستعملت في موضع الفتنة لان المحنة هي الابتلاء ليتبين بها الصادق
من الكاذب والمحق من المبطل وذلك يكون بالامر والنهي فسمي الامر والنهي من الله تعالى امتحانا لهذا
وان كان الله تعالى لا يخفى عليه شيء ثم وجه فتنتهم انهم اتخذوا الاخاديد واوقدوا فيها النيران
ليلقوا فيها من ثبت على الايمان ودام عليه ويتركوا ايقاع من رجع عن دينه فتعل فتنوا لهذا وقوله عز وجل
ثم لم يتوبوا ففيه انهم لو تابوا لكان يعفى عنهم ولا يعاقبون مع عظم جرمهم بربهم في ذات الله تعالى فيكون فيه
اظهار كرمه وعطفه على خلقه وقوله فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق فمنهم من صرف قوله
ولهم عذاب الحريق الى الدنيا فقال بان تلك النار التي عذبوا بها المؤمنين سلطت عليهم حتى احرقتهم
وجائز ان يكون ذلك في جهنم ايضا فيكون فيه اخبار بان نار جهنم يدوم عليهم بالاحراق ولا يفتر عنهم
وقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فمنهم من صرف هذا الخطاب الى الذين عذبوا من المؤمنين ومنهم
من صرفه الى المعذبين وهو انهم لو آمنوا مع عظم جرمهم واساءتهم باولياء الله تعالى لكان يعفو عنهم
ويسعهم رحمته وقوله عز وجل لهم جنات تجري من تحتها الانهار فقوله من تحتها الانهار يحتمل وجهين
احدهما من تحت اهلها والثاني من تحت اشجارها والجنة اسم لمكان التي فيها الاشجار الملتفة فيخبر ان الماء
يجري من تحت ما به صارت جنة وهي الاشجار وليس يراد بقوله تحت الجنة اى تحت بريتها لان تحتها يكون قناة او بئرا
وليس بها كثير نزهة وقوله ذلك الفوز الكبير والفائز هو الذي يظفر بما نال وينجو عما يخاف
ويحذر ووصفه انه كبير لانه ليس لها انعم زوال ولا انقطاع وقوله عز وجل ان بطش ربك لشديد
اى اخذه للانتقام شديد يشتد على الذي يعذب كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
اى اخذه اليم شديد وقوله انه هو يبدئ ويعيد قال بعضهم يبدئ العذاب ثم يعيده وقال بعضهم يبدئ
الخلق ثم يعيده بعد ما اماته وقوله وهو الغفور الودود والغفور هو الستور يستر على المذنب
ذنبه اذا تاب حتى لا يذكره ولولا ذلك لم يكن يصفو له نعيم الآخرة عن التنغيص وقوله الودود
الذي يتودد الى خلقه فيما انعم عليهم ويحسن اليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله جبلت
القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها فجعل الاحسان سبب التودد والثاني ان كل من والى اخر
فالحق عليه ان يوده في الله تعالى لانه نال ما به يتودد قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا فكانه يقول هو المستوجب للمودة من الخلق وقوله عز وجل ذو العرش المجيد
فمنهم من جعل المجيد نعتا للعرش ومنهم من جعله نعتا لله سبحانه وتعالى فمن جعله نعتا للعرش فهو مستقيم
لانه وصفه من مكان آخر بالكريم بقوله لا اله الا هو رب العرش الكريم والمجيد يقرب معناه معنى الكريم
لان الكريم هو الذي عظم قدره وشرفه والمجيد كذلك هو الشريف المعظم وعظم قدر العرش
في قلوب الخلق وعلوه حتى من زعم بعض الناس انه مكان الرب تعالى والكريم في الشاهد هو الذي يطمع عنده
وجود ما يرتجى ويؤمل منه ما يتقى ويحذر وسمى الله تعالى النبات كريما بقوله فانبتنا فيها من كل زوج كريم
لما فيه من عظم المنافع والكريم هو المنافع للخلق وقوله عز وجل فعال لما يريد اى ما يريد تكوينه
يكونه فيكون فيه ايجاب القول بافعال العباد وانه شاء لكل احد ما علم انه يكون منه لانه امتدح جل وعلا
بالفعل لما يريد ولو لم يثبت له صنع في افعال العباد لكان لا يختص بهذا الامتداح بل يكون كل واحد مستحقا

الاحسان سبب التودد طبعا

لهذا المدح فثبت ان كون حقايق الاشياء بالله تعالى فيه صنع والثاني ان احداث شيء في سلطان آخر
وفي مملكته من حيث لا يشاء ولا يريد آية الضعف والقهر ومن ذلك وصفه لم يجز ان يكون ربا لذلك
لزم وصف الله تعالى بذلك وجايز ان يكون قوله تعالى فعال لما يريد اي البعث وهو انه انشا هذا الخلق
للعاقبة وهكذا فعل كل محق انه يقصد بفعله العاقبة الا ان يكون جاهلا بها وقوله عز وجل هل اتاك
حديث الجنود فرعون وثمود الآية فقد وصفنا ما في ذكر الانباء من الفوايد وقد ذكرنا ان فيها اثبات
رسالته على ما تقدم ذكره مرة وقوله عز وجل بل الذين كفروا في تكذيب اي كفروا انعم الله تعالى فهم في تكذيب
بانعم الله تعالى او لما جحدوا انعم الله تعالى لم يوفقهم للايمان به فحصلوا على التكذيب وقوله والله من ورائهم
محيط اي من وراء تكذيبهم محيط بما ينزل بهم من العذاب ليس بوعدهم عن غفلة وحيال كما يفعله
ملوك الدنيا قد يوعدون بالعذاب ولا يدرون انهم يتمكنون من ذلك ام لا والله تعالى ينزل عليهم عذابه
كما اوعد او يكون قوله من ورائهم محيط اي عالم بما يسرون ويخفون عن الخلق لا يعزب عنه شيء وقوله
بل هو قرآن مجيد فسماه مجيدا وكريما وحكيما وهذه اوصاف من وصف بها في الشاهد فانما استحق
الوصف بفعل وجد منه ولا يوجد من القرآن فعل يستحق به الوصف فالوصف به يحتمل وجوها احدها
مجيدا اي يصير من تبعه وعمل بما فيه مجيدا حكيما كريما كقوله تعالى والنهار مبصرا اي تبصر به او يكون قوله
مجيد كريم اي على الله تعالى او سماه كريما مجيدا حكيما لعظم قدره او سماه كريما حكيما مجيدا لما يوجد منه
ما يوجد من الكرماء والحكماء والامجاد وقوله في لوح محفوظ فمنهم من حقق اللوح والقلم وقد وصفه اهل
التفسير ومنهم من جعل اللوح عبارة عما يلوح اي يظهر للملك من الامر لا على تحقيق اللوح وسمت الباطنية
القلم المبدع الاول واللوح المبدع الثاني وجعلوا المبدع الاول علة كون المبدع الثاني وزعموا
ان المبدع الاول بدل له انشاء المبدع الثاني فهو المنشئ له وسمت المبدع الاول باريا والمبدع الثاني
خالقا ورحمانا وسمت الفلاسفة المبدع الاول عقلا والثاني نفسا ثم حدث التوالد من الانفس فالجملة
الاول اصلا وعلة ليسوا ما ذكروا فذلك يحتمل ان يجعل الاول اصلا للثاني وعلة كما استقام ان يجعل
النطفة اصلا لخلق البشر ولكنه لا يجوز ان يسمى بواحد من الاسمين اللذين ذكرهما الباطنية والفلاسفة
لانه لا يجوز انشاء الاسماء بهذه الاشياء اختراعا بل تسميتهما ما جاءت بهما التسمية من عند الحجة
وانما جاءت التسمية من عند الحجة باللوح والقلم فلا نسميهما بغيرهما وقوله محفوظ اي عما علاه فلا يتمكن
من تغييره وتبديله ولكنه انزل اليه على يدي رسول قوي فلا يقدر احد ان يغلبه فيحرف ما فيه ووصفه بالامانة
في نفسه بقوله ذي قوة الى قوله عز وجل امين ليؤمن تغييره بنفسه والله الهادي للعباد والموفق للرشاد

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والسماء والطارق ان الله جل وعلا عظم قدر السماء في اعين الخلق لما جعلها
معدن رزقهم ومسكن اولي القدر من خلقه وهم الملايكة وبها خلق الجنة وخلقها بغير عمد يرى
فاقسم بها لما عظم من شانها وجعل مصالح الاغذية بزينتها وهي الشمس والقمر واقسم بالنجم الثاقب
وهو المتلالي من النجوم المضيء والذي يثقب الشيطان او يحرقه ولما فيها ايضا من عظم البركات وبركتها
انها جعلت بحيث يهتدى بها في البر والبحر ويوصل بها الى لطايف التدبير الى ان ظن بعض الناس ان الانجم
السبعة هي المدبرات وبها ما منع الشياطين عن الصعود الى السماء لسق بها التلبيس عن الوحي لانهم لو لم يحفظ
عنها لكانوا اذا وقفوا على اخبارها اسرعوا بها الى الكهنة فيؤدي ذلك الى التلبيس ومن عظم قدرها

انها يقطع في الليلة الواحدة مسيرة الف شهر فاقسم بها ويجوز ان يكون هذا من الله تعالى تعليما لرسوله
عليه الصلوة والسلام بان يقسم به دون ان يكون ذلك قسما منه تعالى لم يكونوا يرتابون في الوهيته
وربوبيته وصدق اخباره فيزال عنهم الريب بالقسم وانما كانوا يرتابون في رسالة محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم فعلمه القسم بما ذكر ليوكد امره فيحملهم ذلك على النظر في امره ويجوز ان يكون القسم
بعين هذه الاشياء لكونها معظمة عند الكفرة وليس للمسلمين ان يقسموا بها فيما بينهم او يكون القسم
بهذه الاشياء هو القسم بخالقها فكانه امر بالقسم بخالق هذه الاشياء على الاضمار والله اعلم واختلف
في تاويل الطارق فقال بعضهم ما يجيء به الليل يقال طرقته بالليل اذا اتيته وقال الزجاج الطارق
هو الساكن يقال طرق في الكلام مليا اذا وقف وسكن وقال بعضهم هو النجم يطرق بالليل ويخفى بالنهار
وهو النجم الثاقب ذكره تفسيرا للطارق وقوله ان كل نفس لما عليها حافظ اختلف في قوله لما فقال بعضهم
اريد بها هنا ما وقوله لا صلة في الكلام فمعناه ما من نفس لما عليها حافظ وانما الحافظ على بعض
دون بعض وذلك البعض هو الذي يظهره فاما الذي يخفيه فانه لا يشهد كاتباه ومنهم من حمل قوله تعالى
لما على الاستثناء فقال معناه ما من نفس الا عليها حافظ قال الزجاج حرف لما استعمل في موضع الا
الاستثناء يقال في اللغة اقسمت عليك لما فعلت كذا الا فعلت كذا فان كان معناه ما ذكروا ففيه
الزام التيقظ والتبصر والنفس من طبعها انها اذا سقط عنها من يراقبها ويحفظها احتشمت مراقبها
وحافته ويكون متيقظة ولا يرتكب من الامور الا ما يعلم انه لا يلحقه التبعة من الحفاظ فسلط عليهم
الملكان ايضا ليكون متيقظا في كل قول وفعل فلا يفعل الا على ما فيه نفع العاجل والاجل وسمى الله تعالى
الملكين كراما كاتبين ومن صحبا المكرم من الخلايق احتشم منه وتوقى عن اتيان ما يستحيا من مثله ومن اراد
ان يكتب الى احد كتابا لم يثبت في كتابه شيئا يوجد عليه ويلتم به بل يحكم الامر ويصلحه غاية ما يحتمله الوسع
فكان في ذكر الحافظ على الانفس الزام التيقظ والتبصر من الوجوه التي ذكرنا وقوله حافظ قال بعضهم
يحفظ عليها رزقها حتى يستوفي به فان كان على هذا على الحفظ يكون لها لا عليها وقال بعضهم يحفظ
عليها عملها خيرها وشرها وقوله فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق فالاصل ان امعان
النظر فيما خلق منه الانسان مما يوصل المنكرين للبعث والمنكرين للرسالة الى القول بهما وذلك ان النطفة
التي خلق منها الانسان لو رؤيت موضوعة على طبق ثم رام احد ان يعرف وان ينتزع منها المعنى الذي
صلح ان ينشا منها العلقة والمضغة وخلق منها الانسان لم يدر ذلك ولو اجتمع الانس والجن على ان يركبوا
عليها جارحة من جوارح الانسان لم يتهيا لهم تركيبها او يعرفوا المعنى الذي صلح ان ينشا منه السمع والبصر
لم يقفوا عليه فيتبين ان الذي بلغت قدرته هذا لا يخفى عليه امر ولا يعجزه شيء ويتبين لهم حكمته
واذا عرفوا حكمته اداهم ذلك الى القول بالبعث لانه لولا البعث والا كان يخرج انشا الخلق عبثا باطلا
فيخرج عن ان يكون حكيما ولزمهم ان يصدقوا الرسل بجميع ما اخبرتهم به وفيه دلالة خلق الشيء لا من شيء
اذ لا يجوز ان يكون الانسان بكليته من النطفة مستحيا فيها لانه لا يسع في الشيء الواحد ما لا يحصى ذلك
من الاضعاف ولا يجوز ان يكون ذلك عمل النطفة ايضا وفيها اموات لا يحتمل ان يصير كذلك الا بتدبير
مدبر عليم فيكون فيما ذكرنا ايجاب القول بحدوث العالم ولانها لو صارت مضغة وعلقة وخلقا
سويا بطبعها لكانت لا تخلو نطفة الا وهي تنتقل الى ما ذكرنا الا ترى ان النار لما كان من طبعها الاحراق
والثلج اذ كان من طبعه التبريد لم يجز ان ينتقل واحد منهما عن طبعه الذي انشئ عليه ثم قد وجدنا
نطفا يخلو عن هذه المعاني التي ذكرنا فثبت انها نقلت الى ما ذكرنا بتدبير حكيم مدبر لا بطبعها
ثم الاعجوبة فيما فيه خلق الانسان ليست باقل من الاعجوبة مما منه خلق وذلك ان الانسان

خلق في الظلمات على ما اراد الله تعالى وصوره كيف شاء ولو اراد احد ان يعلم علم ذلك ويصور
مثله في حالة العيان لم يملك وجعل ذلك المكان بما ينموا فيه الولد ويغتذوا فيه خصوصا من بين ساير
الاماكن ولو اراد حكما الانس والجن ان يعرفوا الوجه الذي به صلح ذلك المكان للنما والغذاء واعملوا فيه
فنون العلم لم يعرفوا فمن تفكر فيما ذكرنا علم ان قدرته ذاتية لا يلحقها فناء ولا عجز وعلم ان علمه ذاتي
ليس بمكتسب فيتوهم خفاء الامور عليه **وقوله** من ماء دافق يعني النطفة التي يدفقها الرجل في الرحم
والدافق معناه مدفوق اي يدفق بركقولك لسل نايم اي ينام فيه وهم ناصب اي ينصب به وقال الزجاج
ماء دافق اي ذي اندفاق **وقوله** يخرج من بين الصلب والترايب اختلف في تاويله فمنهم من يقول
بين صلب الرجال وترايب المرأة وهي الاضلاع الثمانية اربع عن يمينها واربع عن يسارها وقال بعضهم
الترايب هي الاطراف وقال بعضهم الترايب موضع القلادة منها وقال بعضهم الترايب ما دون الترقي
وفوق الصدر ثم من الناس من صرف تاويلها الى الرجل خاصة فقال قوله من بين الصلب والترايب
اريد به صلب الرجل وترايبه وزعم ان الماء الذي يكون منه الولد ليس معدنه الصلب خاصة بل يجتمع
من اطرافه كله ومن حمله على المعاني لا تخص صرف الى ايهما جميعا وهو ان الماء الذي يخلق منه الولد
يكون منهما جميعا وذلك ذكر ابو بكر الاصم ان الصلب كناية عن الرجل والترايب كناية عن المرأة فيكون هذا
اسما لهما ماخوذا عن اصل ماء تكون منهما الا ترى الى قوله تعالى وحلايل ابنايكم الذين من اصلابكم الاية
فاضاف الابناء الى الاصلاب وفي اخراج الماء من بين الصلب والترايب لطف من الله تعالى لانه
لو اجتهد الخلايق باستخراجه من بين ما ذكر بجيلهم وقواهم وصنعه في الرحم لم يقدروا عليه ثم الله
بلطفه وضع هذه الشهوة فيما بين الخلق واستخرج بها الماء من بين الصلب والترايب الا ان يكون
احد يملك اخراجها بالاسباب والحيل كما وضع فيهم شهوة الاكل والشرب في كل جارحة من جوارح
الاكل باللطف لا ان يكون ذلك العمل بالاكل والشرب خاصة وكذلك يرى الانسان اذا سقي اصل شجر
ظهرت منفعة السقي في اعضايها واوراقها وثمارها ولو اراد احد ان يعرف انه لاي معنى صلح
ان يكون الماء بالمحل الذي ذكرنا واراد ان يستخرج المعنى المجعول في الطعام من القوة التي ذكرنا
لم يتدارك ذلك فيكون فيما ذكرنا ابلغ حجة على الثنوية لانهم ينكرون خلق الاشياء لا عن اشياء
وزعموا انا لم نشاهد كون الشيء لا من شيء والشاهد دليل الغايب فلزم ذلك في الذي غاب عنا
فمن قدر على تصوير الولد في تلك الظلمات وفي الاماكن الضيقة وقدر ان يجعل في الماء والطعام
المعاني التي يعجز الخلق عن استدراكها لقادر على انشاء الخلق لا من شيء اذ الاعجوبة فيما ذكرنا
ليست بدون الاعجوبة عن انشاء شيء لا من شيء **وقوله** انه على رجعه لقادر قال بعضهم انه على رده
الى صلب ابيه لقادر وقال بعضهم انه على بعثه لقادر وهذا اشبه التاويلين لان الاية في موضع
الاحتجاج على الكفرة ولم يذكر عن احد التنازع في نفي الرد الى الصلب وانكاره حتى يدفع المنازعة
بهذا وكانوا اهل انكار بالبعث فاحتج عليهم بالابتداء وان كان التاويل على رده الى صلب ابيه فوجه
الرد هو ان يرد من حالة الشيب الى حالة الشباب ثم من حالة الكبر الى حالة الصغر ثم الى حالة
الطفولة ثم يرد مضغة ثم يرد علقة ثم نطفة ثم يرد النطفة الى صلب ابيه لا ان يوصف الله تعالى
بالقدرة على رده وهو على حالة نسمة عظيمة الى صلب ابيه مع ضيق ذلك المكان ولان هذا محال
والله تعالى لا يوصف بالقدرة على المحال وليس فيما لا يوصف بالقدرة على المحال نفي القدرة عنه
في الازل وبهذا يجاب من سال فقال ايقدر الله تعالى على ادخال الدنيا في بيضة فيقال له ان اردت
ادخالها في البيضة في ان تصغر الدنيا ويضيقها حتى تجعلها اضيق من البيضة او توسع البيضة

تحقيق العقدة والعلم الذاتيان لله تعالى

حتى تسع فيه الدنيا فهو على ذلك قادر وان اردت انه قادر على ادخالها فيها على ابقاء البيضة بحالها وبقاء
الدنيا بحالها فهذا محال لما فيه من انقلاب البعض كلا والكل بعضا فكذلك يوصف الله تعالى على رد النسمة الى الصلب
بالوجه الذي ذكرنا لا ان يردها على ما هي عليها الى الصلب لما في ذلك من الاحالة وكذلك اذا سئلنا
عن حركات اهل الجنة والسكون هل لهما غاية فنقول لا فان قالوا هل يعلم الله تعالى غايتها وعددها فنقول انه
يعلمها غير منقطعة لان يعلمها منقطعة ولم يكن في قولنا انه لم يعلمه منقطعا اثبات جهل ولا نفي العلم عنه
بل الجهل انما يتحقق اذا وصف بالعلم بالانقطاع فيما لا ينقطع فكذلك ليس في نفي الوصف بالقدرة على المحال
اثبات عجز والله اعلم **وقوله** يوم تبلى السراير اي يظهر ما كان اخفى منها اخبارا ان يكون الاظهار منصرفا
الى التي لم يطلع عليها الملايكة فيكتبها عليه فيذكره الله تعالى تلك السراير كيف شاء فيقررها عليه او ينطق
جوارحه بها كقوله تعالى يوم يشهد عليهم السنتهم وايديهم الاية او يكون اظهارا لما هو عليه فيظهر ذلك
للخلق وان كان قد اسرها منهم في الدنيا ثم سمى ذلك ابتلاء لان الابتلاء هو الاختيار وانما يكون
الابتلاء بالسؤال وبالامر والنهي فسمى ما يسال عنه في الاخرة ابتلاء **وقوله** عز وجل فما له من قوة ولا ناصر
يحتمل وجهين احدهما ان ليست له قوة في كتمان ذلك على نفسه ولا له قوة في نفي العذاب عن نفسه
او لو كنتم او ما له من قوة يمتنع بها ولا ناصر يمنعه عن نزول العذاب به ووجهه ان الكفار كانوا يفتخرون
بقواهم وكثرة انصارهم في الدنيا لا ينفعهم في الاخرة فكانوا يظنون انهم لو اريدوا التعذيب دفعوا
ذلك بانصارهم وبما لهم من القوى فيخبر الله ان قواهم وكثرة انصارهم لا تنفعهم في الاخرة ولا يدفع
عنهم باس الله تعالى وكانوا يعبدون الاصنام ليقربهم الى الله تعالى وينصرهم من العذاب كما قال واتخذوا
من دون الله آلهة لعلهم ينصرون فتبين انها لا يغني عنهم من الله تعالى شيئا **وقوله** والسماء ذات الرجع
قال ابو عبيدة الرجع هو الماء اي السماء ذات المطر وقال غيره ذات الرجع اي يعود في كل عام الى ما كان
عليه في العام الذي قبله بالمطر والرجع هو العود ويحتمل ذات الرجع اي يتكرر الى داد بركتها على الخلق
استوفوا منها **وقوله** والارض ذات الصدع قيل قوله ذات الصدع بالنبات او ذات الصدع اي ذات الاودية
وانها يجتمع فيها الماء فينتفع بها الخلق لسقي اراضيهم ودوابهم فعظم امر السماء والارض فاقسم بهما
وقوله انه لقول فصل يعني القران وليس بالهزل وفي اخراج النبات من الارض حكمة عجيبة
ولطف تدبير وذلك ان النبات شيء لين بادني مس ثم ان الله تعالى بلطفه صدع له الارض اليابسة
الصلبة واخرج غير منثني ولا منكسر ليعلموا ان مدبره حكيم فيلزمهم به التوحيد وجعل منافع الارض
بمنافع السماء متصلة اذ الارض انما يتصدع للنبات اذا اصابها المطر من السماء فيكون في ذلك انباء ايضا
ان مدبرهما واحد ولولا ذلك والا لم يتصل منفعة احدهما بالاخرى **وقوله** انه لقول فصل اي يتبين
بين فيه الحلال والحرام وما يتقى عنه وما يؤتى وبين فيه الصواب من الخطا وبين فيه الوعد والوعيد
او يكون معنى الفصل التفريق وهو ان فرق الوعد من الوعيد والحلال من الحرام والحق من الباطل فوضع كل شيء
موضعه ولم يخلط احدهما بالاخر **وقوله** وما هو بالهزل اي باللعب والباطل **وقوله** انهم
يكيدون كيدا واكيد كيدا فقوله اكيد كيدا يحتمل وجهين احدهما اجزيهم جزاء كيدهم فسمى الجزاء
باسم ما له الجزاء وان لم يكن ذلك كيدا كما سمى الجزاء للسيئة سيئة مثلها وان لم يكن الجزاء سيئة
وكما سمى جزاء الاعتداء اعتداء بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال
نسوا الله فنسيهم اي جزاءهم جزاء النسيان او جعلهم كالشيء المنسي الذي يعبا به لا ان يكون منه
في الحقيقة نسيان فكذا سمي جزاء الكيد كيدا لا ان يكون الجزاء كيدا ووجه اخر ان الكيد في الحقيقة
والمكر هو الاخذ من وجه امنه فيلحق الكايد اسم الذم لانه اخذ من وجه لم يشعر به وهذا المعنى

انتفاء الكفار بقواهم وكثرتهم

في الكيد الذي اضيف الى الله تعالى غير موجود لان الله تعالى قد يبقى له الطريق الذي اذا سلكه وقع اريد الامن من الطريق الذي اذا سلكه حل به البوار والهلاك فاذا سلك هذا الطريق كان سلوكه عن عناد منه او عن ترك الانصاف من نفسه وجد ما يكره من الكيد لا من الكايد فلم يلحقه بذلك الوصف المعنى المكروه ثم كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ما ذكر في آية اخرى وهو قوله تعالى وان يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله **وقوله** عز وجل فمهل الكافرين امهلهم رويدا فمهل وامهل لغتان فكانه يقول امهلهم رويدا ولا تجازهم بصنيعهم فان الله تعالى يجازيهم بصنيعهم عن قريب وقد فعل ذلك بما سلط رسوله صلى الله عليه وسلم بقتلهم وسبيهم فيكون في هذا بشارة منه لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصر عليهم وبغلبته اياهم وفي ذلك اية رسالته لانه قال لهم هذا عند قلة اعوانه وضعفه ثم ان الله تعالى كثر انصاره واظهره عليهم كما قال لهم ليعلموا انه علم ذلك بالوحي والله الموفق

سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح اسم ربك قيل فيه من اوجه احدها ان سبح ربك وقيل سبح اسم وقيل سبح ربك باسمائه فمن قال سبح ربك فمعناه ان نزهه عن جميع المعاني التي يحتملها غيره من الآفات والحاجات والاضداد والانداد فيكون القول به توحيدا وروي عن مقاتل بن سليمان انه قال تاويله وحد ربك وتوحيده ما ذكرنا وقال بعض المفسرين تاويله ان صل لربك وهذا محتمل لان الصلوة بنفسها تسبيح بالافتتاح بقطع وجوه المعاملات بينه وبين الخلق ويمنع نفسه عن حوايجها فيجعلها لله تعالى وهذا هو التوحيد والايمان لانه بالايمان الاشياء كلها لله تعالى سالمة فصارت الصلوة تسبيحا لعينها لا للتسبيح المجعول فيها ومن حمل التسبيح على الاسم فقال نزه اسمه فذلك يرجع الى الاسماء الذاتية هو ان لا يشرك فيسميه بها والاسماء الذاتية قوله الله الذي لا اله غيره الرحمن وما اشبهه من الاسماء وتنزيه الاسماء الصفاتية ان ينزهها عن المعاني التي استوجب الخلق الوصف به كقولك عالم حكيم رحيم مجيد فمن وصف بالعلم من الخلايق فانما استوجب الوصف به باغيار دخلن فيه واستوجب الوصف بالحكمة والوصف بالمدح بالاغيار والله تعالى استحق الوصف به لا بالاغيار فينصرف التنزيه الى الاغيار اذ صفاته ليست باغيار للذات وهي لا يفارق الذات فالامتداح الواقع بالصفات امتداح بالذات الموصوف بها والله الموفق وقال بعضهم معناه سبح بالحمد والثناء وهو يرجع الى ما ذكرنا من التاويل الاول وهو ان يحمده بالثناء الذي يتضمن التوحيد والتنزيه من معاني الخلق ومن قال سبح ربك باسمائه فهذا ظاهر وهو ان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له واسماؤه معروفة لا يحتاج الى اظهارها **وقوله** الاعلى فظاهره يقتضي ان يكون هنالك ادون واسفل وكذلك قوله الله اكبر فظاهره يقتضي الاصغر ولكن معنى قوله الاعلى اي هو اعلى من ان يمسه حاجة او يلحقه آفة وكذلك هذا في الاكبر ويكون الاكبر والاعلى في النهاية عن تنزيه المعاني التي ذكرنا وهو كقولك هو احسن واجمل فاذا قلت احسن واجمل اردت به النهاية في الحسن والجمال او يكون الاعلى بمعنى العلي والاكبر بمعنى الكبير وذلك جايز في اللغة **وقوله** الذي خلق فسوى يحتمل وجها احدها ان يكون سواه على ما قدره خلافا لافعال الخلق لان الفعل من الخلق يخرج مرة سويا على ما قدره ومرة خلافه او يكون سوى الخلق كله في دلالة وحدانيته وشهادة ربوبيته فما من خلق خلقه الا اذا تفكر فيه العاقل دلت خلقته على معرفة الصانع ووحدانية الرب وسواه على ما فيه مصلحته ومنفعته او سواه على ما له الخلق

اسماء ذاتية وصفاتية

الامتداح بالصفات امتداح بالذات الموصوف بها

معنى الاعلى الاكبر

معرفة الصانع بالخلق والويته على وحدانيته

975

الا ترى ان الانسان اذا امر بالركوع والسجود خلقه من وجه يتمكن من الركوع والسجود فهذا معنى قولنا انه سواه على ما له خلق والله اعلم **وقوله** والذي قدر فهدى يحتمل وجها احدها هداه الى ما احوجه اليه فهدى العبد معيشته من اين ياخذها وهدى كل دابة الى رزقها وعيشها فعرفت كل دابة رزقها او يكون قوله فهدى اي هدى بها ويكون الهداية منصرفة الى امر الدين وذلك يرجع الى الخصوص من الخلق الذين لهم عقول مميزة فيكون معناه هدى فمن هدى وطعنت المعتزلة علينا بهذه الآية فقالت ان الله تعالى يقول قدر فهدى وانتم تقولون قدر واضل ولكن هذا التحقيق راجع اليهم لانهم يجعلون تاويل الهداية على البيان وان كان كذلك وقد بين الله تعالى سبيل الهدى وسبيل الضلال على قولهم ثم ليس في قوله قدر فهدى نفي الاضلال اذ التخصيص بالذكر لا يدل على ما عداه فلم يجب قطع الحكم على ما ذكره وقد ذكر في موضع آخر المكرمين بالهدى فقال الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الآية فثبت ان الهدى راجع الى الخصوص فقوله قدر لخلقه معايشهم وهداهم وجه اخذ المعيشة **وقوله** عز وجل والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى ففي هذه الآية تعريفنا ان الرب الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى ثم ذكر هذه الاشياء التي يعرف انقضاؤها وبدوها وانشاؤها واهلاكها من المرعى وغيره لان وجه الدلالة بمعرفة الصانع بالاشياء التي يعرف بدوها وانقضاؤها وحدثها وفناؤها اقرب منه بالاشياء التي لم يشهد الخلق بدوها ولا انقضاءها وهي السموات والارضون اذ المرء يصل الى وحدانية الرب ومعرفة الصانع بالاشياء التي يحدث ويتغير بادنى نظر وتامل ولا يصل الى ذلك فيما يدوم الا بلطايف الفكر وفضل بصر وزيادة تامل وجايز ان يكون خص المرعى بالذكر لما بالمراعي قوام هذا الخلق لانه لا بد للبشر من الدواب والانعام للتعيش والدواب حيوتها بالمرعى فكان قوام الخلق في التحصيل باخراج المراعي فذكرهم هذا ليستادى منهم الشكر واذا كانت الدواب لم ينشا لانفسها وانما انشئت للخلق ليتمتعوا بها ثم ان الله تعالى بفضله انشا للدواب مراعي وقدر لها اقواتها ولم يضيعها فكيف يضيع هذا الخلق وهم الذين قصد اليهم من خلق هذا العالم فلا يرزقهم ويخرجهم من تدبيره **وقوله** فجعله غثاء احوى قيل الغثاء اليابس الذي يحمله السيول والامطار والاحوى اي اسود من قدمه وقيل الاحوى هو الاخضر الذي يضرب الى السواد وهو على التقديم والتاخير اي جعله غثاء بعد ما كان احوى **وقوله** عز وجل سنقرئك فلا تنسى اي سنحفظ عليك ما اوحينا اليك من القرآن فلا تنسى وفي حفظه عليه السلام ما يوحى اليه دلالة رسالته لانه لم يكن يعرف الكتابة ولا كان يتلو الكتب ثم كان يقرا جميع ما يلقى اليه بمرة واحدة مع ما كان مامورا ان لا يحرك لسانه بشيء مما يوحى اليه الى ان يقضى اليه الوحي ومن كانت حالته تعذر عليه حفظ ما يلقى اليه بمرات وان كان ذلك كيف يضبطه بمرة واحدة فكان حفظه بالمرة الواحدة نوعا من آيات نبوته **وقوله** الا ما شاء الله قال بعضهم تاويله الا ما شاء الله من ذلك فانه ينسيك ما اراد ان ينسيكه ولكن ما ارى هذا التاويل صحيحا وذلك ان الذي اوحي اليه آية نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم اذا قرا ثم انسي فلمن طعن في رسالته ان يستدل له تلك الآية ولا يتهيا له ان يقراها اذا كان قد انسي فيجد موضع الطعن عليه وقد روي في بعض الاخبار انه انسي ولكنها من اخبار الآحاد ولا يجوز قطع الحكم بها لان خبر الآحاد يوجب علم العمل ولا يوجب علم الشهادة وهي في موضع الشهادة هاهنا ولكن تاويله عندنا والله اعلم يخرج على وجوه ثلاثة احدها ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام لم يكونوا آمنين على انفسهم بالعصمة عن الزلات التي لديها يخاف زوال ما انعم به وان ظهرت عصمتهم اليوم عندنا الا ترى الى قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام عند محاجة قومه قال اتحاجوني في الله وقد هداني ولا اخاف ما تشركون به

الا ان يشاء الله وقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام نخاف زوال ما اكرم به وخشي ان يبتلي
بما ابتلي به اهل المعاصي حتى فزع الى الدعاء وقال في قصة شعيب عليه السلام وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله
ربنا وقال في قصة يوسف عليه السلام ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله ربنا فثبت انه لم يتيقنوا
حقيقة العصمة عن الوقوع في الزلات التي تزيل النعم فكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمن عن العقب الا ان
قيل له سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله الا ترى الى قوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت
ليحبطن عملك فثبت انهم كانوا على خوف ووجل عن ارتكاب ما يسلب به الوحي وينسي او يكون الاستثناء راجعا
الى انسا حكمته وهو ان ينسخ حكمه حتى يترك وينسى فيصير كالمنسي كقوله نسوا الله فنسيهم اي جعلهم كالشيء
المنسي بما انسيهم من رحمته لا ان يكون هناك حقيقة نسيان فكذلك اذا نسخ حكمه وترك صار كالمنسي
وان لم يكن فيه حقيقة نسيان فيكون نسيان منصرفا الى حكم التلاوة لا الى عينها او يكون عليه السلام يذهب
خاطره عن وهمه كانه نسيه وان كان يعود ذلك اليه عند احضار ذهنه كما ترى المرء في التشاهد يذهب
عن وهمه جميع ما في فاتحة الكتاب عن الحمد وفي اذا عمل رؤيته في اشياء آخر حتى بصير كالناسي لها وان كان
يعود الى تذكرها اذا رام ان يقرأها فعلى هذه التأويلات يستقيم ان يوجه اليه الاستثناء والله اعلم انه يعلم
الجهر وما يخفى اي ما يجهر بعض لبعض من الخلائق وما يسر بعض عن بعض او يعلم ما يطلع عليه الملائكة
من اعمالهم ويعلم ما يعزب عنهم فيعلمه فيما استر العبد كعلمه فيما اظهر وجهر به فذكرهم هذا ليكونوا
متيقظين فلا يخفون ولا يجهرون الا الذي يحق عليهم اذا الله تعالى حفيظ عليهم **وقوله** ونيسرك لليسرى
قالوا ونيسرك للخير بعمل اهل الجنة فسميت اعمال الخير يسرى لانها تعقب ذلك والله اعلم **وقوله** فذكر
ان نفعت الذكرى فظاهر هذا يقتضي ان لا يذكروا الا من نفعته الذكرى ولكن تخصيص الحكم في حال
بوصف لا يوجب قطع ذلك الحكم فيما كان الحال بخلاف ذلك الوصف بل يلزمه ان يذكر من نفعه ومن لا ينفع
قال الله تعالى فذكر انما انت لاية امر بالتذكير على الاطلاق ثم قوله تعالى ان نفعت الذكرى تحتمل وجهين
احدهما ان ذكر فقد نفعت الذكرى وهو كقوله تعالى ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا
ومعناه قد كان وعد ربنا مفعولا وقد تعقب الذكرى لانه بتذكيره اسلم من اسلم منهم وبه فازوا بنيل
الدرجات العلى وقال تعالى فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين او يكون قوله عز وجل فذكر ما نفعت الذكرى
فسيأتي على اقوام لا ينفعهم الذكرى لديها وذلك حالة المعاينة لباس وعذابه **وقوله** سيذكر من يخشى
اي يتعظ بها من يخشى الله تعالى او المعاد قال الله تعالى والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به اي بالقرآن
وذلك ان الذي يحملهم على الايمان بالآخرة ايمانهم بهذا الكتاب لان في القرآن تذكيرا الآخرة وامرها
بالاستعداد لها فذلك خشيته يحمله على الاتعاظ بالذكرى والانتفاع بها والخشية هي الخوف اللازم
في القلب **وقوله** ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى فاضاف التجنب ههنا الى الاشقى
وهو الشقي وفيما ذكر الاتقى اضاف التجنب الى نفسه بقوله وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى فيكون
في هذا دلالة الاذن باضافة الخيرات الى الله تعالى بخرج مخرج الشكر له وهو حقيق بان يشكر نعمه وليس
في اضافة الشر والى آخر شكر له فلم يصلح ان يضاف اليه والله اعلم **وقوله** ثم لا يموت فيها ولا يحيى
اي لا ينقضي عنه افعال الموت وهي آلامها واوجاعها بل يبقى في آلامها ابدا قال الله تعالى ويأتيه الموت من كل
مكان وما هو بميت اي لا ينقضي عليه حتى يتخلص من اوجاعها ولا يحيى فقوله لا يحيى اي لا يرتفع عنه الم الموت
او يكون قوله لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة يتلذذ بها **وقوله** قد افلح من تزكى اي من اتى بما تزكوا به
نفسه او اتى بما يظهر نفسه به وسنذكر في سورة والشمس وضحاها معنى تأويل الفلاح ان شاء الله تعالى
وقوله وذكر اسم ربه فصلى يحتمل ان يكون اريد به انواع العبادات لا الصلوة المعروفة وحدها

الخشية هي الخوف اللازم في القلب

976

لان الصلوة اسم للدعاء والثناء ولانواع من الكرامات فانه يقول بذكر الرب ما يصل الى العبادات
ومن اعرض عن ذكره حرم العبادات او يكون منصرفا الى الصلوة المعروفة فيكون قوله وذكر اسم ربه
فصلى اي يصلي تقديما لاسم الرب فيكون منصرفا الى الافتتاح فيكون حجة لابي حنيفة رحمه الله ان المصلي له
ان يفتتح صلوته باي اسماء الله تعالى احب ذكر اسم الرب يقتضي المعاني التي ذكرنا في قوله تعالى سبح اسم ربك
الاعلى **وقوله** بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى اي يؤثرون حيوتها على حيوة الآخرة
ويكون الخطاب منصرفا الى المنافقين والكفرة لا الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم كانوا في الايثار
مختلفين فمنهم من آثرها في ان نظر في الدنيا واعرض عن النظر في الآخرة وجحدها ومنهم من كان اغلب
سعيه لامر الدنيا ومنهم من كان يؤثر بعض احوالها على الآخرة **وقوله** والآخرة خير وابقى اي ايثار
الحيوة الآخرة خير وابقى من ايثار الحيوة الدنيا **وقوله** ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى
قال بعضهم الآيات الاربع في صحف موسى وابراهيم اولهن قد افلح من تزكى الى قوله خير وابقى وقال بعضهم
السور كلها انزلت على ابراهيم وموسى عليهما السلام فان كانت السورة كلها في الصحف الاولى فجميع ما في هذه
السورة ذكر فيها بحق الحاجة لهم الى تعرفها ويكون قوله سنقرئك فلا تنسى مذكورا بحق الثناء على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووجه الثناء ما ذكر في قوله يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى آخر الآية وهو يستحق الثناء بهذا الحرف لما في حفظه عليه السلام
جميع ما يوحى اليه مرة واحدة اكرام له وتفضيل فصلح ان يثنى عليه بهذا وفي قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى
صحف ابراهيم وموسى دلالة ان اختلاف الالسن لا يغير الاشياء عن حقايقها لان الله تعالى شهد بكون هذا في الصحف
الاولى بهذا اللسان فيكون فيه حجة لابي حنيفة رحمه الله في تجويز القراءة بالفارسية

سورة الغاشية مكية وآيها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل هل اتاك حديث الغاشية قيل معناه قد اتاك حديث الغاشية فاما ان يكون
الاتيان سابقا واتاه حديث الغاشية بنفس هذه الآيات ثم في هذه الآيات ترغيب فيما يحمد عاقبته
وتحذير عما يذم في العاقبة وتبيين ان العاقبة المحمودة متصلة باكتساب وكده وكذلك العاقبة
المذمومة يبتلى بها بعمله ونصبه ثم اختلف في تأويل الغاشية فقيل الغاشية النار يغشاهم كما قال الله تعالى
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال في آية اخرى وتغشى وجوههم النار ومنهم من يقول
الغاشية هي الساعة سميت غاشية لانها تغشى الصغير والكبير والمحمود والمذموم والشقي والسعيد
فيعمهم جميعا وهذا التأويل اقرب لانه ذكر الغاشية اولا ثم ذكر الجزاء بعد ذلك بقوله وجوه يومئذ
خاشعة عاملة ناصبة **وقوله** وجوه يومئذ ناعمة ثم قوله وجوه يومئذ خاشعة اي ذليلة وانما خص
الوجه بالذكر لان الحزن والسرور اذا استحكما في القلب اثرا في الوجه فيكون في ذكر الوجه وصف
للغاية التي هم عليها من الذل **وقوله** عاملة ناصبة قال بعضهم المتعبد الكفرة وهو انهم يتعبوا ابدا
في النصب والعمل في الدنيا والآخرة وجايز ان يكون نصبها وعملها في النار وهو انها لم تعمل في الدنيا
بل تكبرت عن طاعة الله تعالى فاعملها وانصبها في الآخرة بمعالجة الاغلال والسلاسل في النار الحامية
او عملت في الدنيا بالمعاصي ونصبت في الآخرة فيكون فيه تبيين العمل والجزاء **وقوله** تصلى نارا حامية
اي حارة قد احماها الله تعالى من يوم خلقت الى الوقت الذي يسقى منها **وقوله** يسقى من عين آنية قيل
الآني الذي قد انتهى في الحر غايته حتى لا احر اخر منه **وقوله** ليس لهم طعام الا من ضريع اختلف

في الضريع فمنهم من يقول سمي ضريعا لانهم يتضرعون عنه ويجزعون اذا طعموا ومنهم من جعل
التضريع لونا من الوان العذاب لم يبينه الله تعالى للخلق ومنهم من قال الضريع اسم لنبت تعرفته
العرب فيما بينهم ياكلها الابل والدواب ما دام رطبا فاذا هاج ويبس تركت الدواب اكله وعاقبته
لخبثه وكثرة ما عليه من الشوك ويسمونه شبرقا في الربيع واذا هاج وخف سموه ضريعا فذلك النبت
في الدنيا يعمل في اسمان الدابة ويغنيها من الجوع فنفى الله تعالى وجه الاسمان والاغناء وحصل امر على الخبث
بقوله لا يسمن ولا يغني من جوع وهو كقوله في سدر مخضود وطلح منضود فالسدر اسم شجرة ذات شوك
في الدنيا فاثبت في الاخرة بلا شوك ووصف خمر الجنة فقال لا يصدعون عنها ولا ينزفون والخمر
في الدنيا يعمل في التصديع وهي تنزف فنفى هذه الآفات وجعلها شرابا سايغا لذة للشاربين فكذلك
الضريع نفى عنه ما يقع به الاسمان والاغناء وحصل امر على الخبث والله اعلم وقوله وجوه يومئذ ناعمة
لسعيها راضية اي ناعمة بما عاينت من عاقبة عملها الصالح في الدنيا ورضيت بما اوتيت جزاء عن سعيها
في الدنيا جعل الله تعالى في وجوه الخلق يوم القيامة آثار صنايعهم في الدنيا فمن اطاعه جعل علم طاعته
في وجهه يوم القيامة ومن عصاه جعل اثره في وجهه يعرف به وقوله في جنة عالية يحتمل وجهين
احدهما ان يكون قد علا قدرها وعظم شانها فيكون عالية نعتا للجنة فوصفها بالعلو من هذا الوجه والثاني
يحتمل العلو من حيث الدرجات والمكان والله اعلم وقوله لا تسمع فيها لاغية ما يحق ان يلغى من الشتم
ومن كل ما يؤثم صاحبه بل هم كما وصفهم الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
ثم الذي يحمل المرء على شتم المرء اما ضغن اضمر في صدوره او خصومة حديث بينهما او آفة يدخل في عقله
بسكر او ما اشبهه والله تعالى نفى عن الشراب الآفات بقوله لا يصدعون عنها ولا ينزفون ونزع الغل عن صدورهم
فارتفعت دواعي السفه كلها فلا يسمع فيها ما يحق ان يلغى به وقوله فيها عين جارية اي عيونها جارية
يا خذها العين وتجري على وجهها ليست كمياه الدنيا فان بعضها يجري على وجه الارض وبعضها تحتها
يجري كماء القناة وماء البئر وقوله فيها سرر مرفوعة قال بعضهم مرفوعة بعضها فوق بعض يرتفع
ما شاء الله فاذا جاء ولي الله تعالى يجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت حيث شاء الله تعالى
وقال بعضهم معنى المرفوعة هاهنا انها نشئت مرفوعة القدر عند اهلها فوعدوا في الاخرة على ما هي
عليه رغبتهم في الدنيا وايثارهم لها والمرء يرغب في الوجهين اللذين ذكرناهما في الدنيا فعلى مثله جرى
الوعد في الاخرة وكذلك يرغب في الاكواب والنمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة فوعدلهم مثلها في الاخرة
وقال في موضع وفرش مرفوعة ورفعها يكون من الوجهين اللذين ذكرناهما في السرر فوعد لهما ايضا في الاخرة
لترغيبهم بها في الدنيا وقوله واكواب موضوعة والاكواب الكيزان التي لا عرى لها فاما ان يكون وصفا
لكبر تلك الاكواب في انفسها حيث لا عرى لها كالحباب في الدنيا او يكون فيه لهم خدما وولدانا يتولون
نقلها الى من احتاجوا وليست لها عرى يمدون ايديهم اليها فيرفعونها وقوله ونمارق مصفوفة قيل هي الوسايد
وضعت على البسط وكذلك بسط الوسايد في الدنيا فرغبوا كذلك في الاخرة وقوله افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت الى قوله والى الارض كيف سطحت خص الابل بالذكر من بين جملة الدواب وخص السماء والجبال
والارض بالذكر وتخصيصها يكون لاحد وجهين احدهما ان الابل كانت من اخص دواب اهل مكة عليها
كانوا يسافرون وعليها كانوا ينقلون ما احتاجوا اليها وهي ايضا اعني مكة منشاؤها بين الجبال فكانت
لا يفارقهم الجبال وكانت السماء من فوقهم والارض من تحتهم فخصت هذه الاشياء بالذكر ليعتبروا بها
ويتدبروا ويحتمل وجها آخر وهو ان المنافع المجعولة في الدواب كلها تجتمع في الابل لان منافع
الدواب ان ينتفع بظهرها وبضرعها وبصوفها وبلحمها وبنسلها فكل ذلك في الابل صارت في الابل كالانعام

المنافع المتخذة في الدواب والبركات المعقودة فيها وكذلك عظم المنافع والبركات المعقودة فيها متصلة
بالسماء ففيها جعلت ارزاقهم وفيها عين الشمس التي بها مصالح الاغذية ومنها زينت بزينة الكواكب
التي بها يهتدى وكالام في المنافع وكذلك الارض كالام في المنافع اذ فيها ماوى الخلق وقدر فيها اقوات
الخلق وارزاقهم ومنها يخرج ما يتخذون منه اللباس ثم بالجبال قوام الارض ولولاها لكانت
الارض تميد باهلها فخصت هذه الاشياء بالذكر لما ذكرنا ثم قوله افلا ينظرون يحتمل وجهين احدهما
على الامر اي فلينظروا والثاني ان يكون على سؤال تقدم منهم لامر اشتبه عليهم فنزلت هذه الآية
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الى آخر الآية اي لو نظروا في هذه الاشياء لكان نظرهم فيها وتفكرهم بها
نزع عنهم الاشكال ويوضح لهم ما اشتبه عليهم وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لما ذكر الله تعالى
ما ذكر من نعيم الجنة عجبت قريش وقالت يا محمد ايتنا باية ان ما تقوله حق فانزل الله تعالى افلا ينظرون
الى الابل كيف خلقت ثم النظر في رفع السموات والتفكر في خلقها بغير عمد ترونها والنظر والاعتبار
في خلق الابل ونصب الجبال وسطح الارض وهو البسط مما يوجب القول بالبعث ويدعو الى وحدانية الرب تعالى
والى القول باثبات الرسالة وذلك ان الذي كان يحملهم على انكار البعث هو انهم كانوا يقدرون الاشياء
بقوى انفسهم فكانوا يظنون ان القوة لا يبلغ هذا في احياء الموتى خارج عن وسعهم فلو نظروا وتفكروا
في خلق السموات والارض لعلموا ان قوة الله غير مقدرة بقوى الخلق وذلك ان السموات خلقت ورفعت
في الهواء بغير عمد واقرت كذلك لا ينحدر عن موضعها ولا يتصعد ولو اراد احد ان يقر في الهواء ريشة
حتى لا يسقط ولا يتصعد لم يقدر عليه فيكون في ذلك تنبيه ان قدرته قدرة ذاتية ليست بمستفادة
وكذلك الجبال ترونها مع شموخها وارتفاعها وصلابتها زينت بالمياه والاشجار المتلفة من وجد وتفكر
فيه الخلايق فاستفرغوا مجهودهم ليعلموا من اي موضع يجتمع الماء وكيف ينبع وكيف ينبت الاشجار من بين
الاحجار لم يصلوا الى معرفته فيعلموا ان علمه ليس بالذي يحاط به فيكون في ذكر هذا انباء انه لا يخفى عليه امر
ولا يعجز شيء بل العالم كله تحت تدبيره يفعل بهم ما يشاء ويحكم ما يريد وان الذي قدر على خلق هذا
لقادر على احيائهم وبعثهم للجزاء وفي خلق هذه الاشياء ما يدعوهم الى الوحدانية لان الله تعالى جعل
منافع الارض متصلة بمنافع السماء فالقطر ينزل من السماء الى الارض لغير المهتشمة فينبت لهم من الوان
النبات ورزقهم ولانعامهم فلو كان مدبر السماء غير مدبر الارض لكان منع منافع السماء عن خلق
مدبر الارض فلو تفكروا فيها لكان يزول عنهم الاشكال فلا يدعون مع الله الها آخر ولا يقولون
اجعل الالهة الها واحدا وقولنا ان فيه اثبات الرسالة وذلك انهم بما انعم من النعم التي ذكرناها
لا بد ان يستادى منهم الشكر ولا يعرف شكر كل شيء على الاشارة اليه ثم يكون فلا بد من رسول يطلعهم على ذلك
فان قيل كيف امروا بالنظر في كيفية خلق هذه الاشياء وهم لو نظروا آخر الابد لم يعرفوا كيف خلقت هذه
هذه الاشياء لم يهتدوا الى ذلك الوجه قيل جوابه انهم لو تداركوا ذلك الوجه وفهموه لكان النظر فيها لا يرفع
عنهم الاشكال اذ يقدرونه بافعال الخلق التي يهتدون اليها فاد تفاع التدارك وخروجه عن اوهامهم
هو الذي يوضح لهم المشكل ويزيل عنهم الشبه اذ به عرفوا انه حاصل بقدرة من لا يقدر قوته بقوتهم
ولا بخلاف خلقهم من جميع الوجوه والله الموفق وقوله فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر في هذه الآية
والله اعلم امر من الله تعالى لرسوله عليه السلام ان لا يجازيهم بصنيعهم اذا استقبلوه بما يكون فيه اذى
يوجد منهم واستخفاف ويجيء منهم فيقول ذكر بالله تعالى وذكرهم عظم نعمه وذكرهم كيف هلك
مكذبوا الرسل وكيف نجا من صدقهم وعظم امرهم ولا تقهرهم ولا تجازهم بصنيعهم وكل ذلك الى الله تعالى
وقوله عز وجل لست عليهم بمسيطر قال بعضهم بمسلط وقال بعضهم لست بجبار فان اريد به الوجه الاول

بهم مما يحتمل ويجوز ان يسلط عليهم في ان يؤذن بقتالهم واسرهم وقهرهم ببذل الجزية ولهذا قيل انه نزل
قبل نزول سورة براءة وان كان تاويله لست جبارا عليهم ما روى عن مجاهد فهذا الوجه مما لا يرد
عليه النسخ ولا يجوز ان يصير جبارا عليهم ولا يكون قوله الا من تولى وكفر استثناء ويكون معناه لكن
من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر اى من اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر بوحدانية الله تعالى
وبكتبه ورسله فيعذب العذاب الاكبر وعلى التاويل الذى قيل ان المسيطر هو المسلط بالسيف والاسر
والقهر بالجزية التى هى صغار عليهم يكون قوله تولى وكفر على الاستثناء اى من اعرض عن طاعة الله تعالى
وكفر بوحدانيته فتسلط عليهم بالسيف والامر باخذ الجزية وقيل الا من تولى وكفر اى اعرض ولزم الاعراض
فتكون مسيطرا عليهم او تولى وقتا لتذكير فستبصر عليه وبالله النجاة وفى هذه الآية بشارة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بالظفر على الذين تولوا عن طاعة الله تعالى وكفروا به وفيه آية رسالته لانه قال هذا
فى وقت ضعفه وقلة انصاره وكان الامر كما قال اذ نصره الله تعالى بالرعب مسيرة شهرين وفتحت له
الفتوح ليعلم انه بالله تعالى علم **وقوله** ان الينا ايابهم اى مرجعهم **وقوله** ثم ان علينا حسابهم
اى من الحكمة اى نحاسبهم واذا كانت الحكمة توجب حسابهم وتعذيبهم كان عليه ان يحاسبهم
لما فى تركه ترك الحكمة وفى تركه سفه تعالى الله عن ذلك وبالله النجاة ومنه التوفيق .

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والفجر وليال عشر كانت العرب من عادتهم انهم اذا استحسنوا شيئا عظموه واذا عظموه
اقسموا به ثم ان الله تعالى جعل فى الحج واوقاته لطايف من الحكمة وعجايب من التدبير فمن لطيف حكمته وعجايب
تدبيره انه جعل المكان الذى يحج فيه ما منا للخلق من وجه لا يعرف الخلايق المعنى الذى به وقع الامن والف
بين الخلق حتى رغبوا جميعا فى الاجتماع هنالك مع تباغضهم وتعاديهم فيما بينهم من وجه لا يدرك
معناه وجعل اهلها ينقلبون فى البلاد آمنين من اهل الآفاق فى حمل ما يقع لاهل مكة اليه حاجة من الميرة
وغيرها وجعلهم بحيث يرغبون فى الاتيان اليها مع عظم ما يلزمهم من المؤن الى اسبابها الى مكة للحج فثبت
ان فيها معانى ولطايف هى خارجة عن قواهم وتدبيرهم فكان فى ذكرها ما يوجب العقول بالقدرة
على البعث ويزيل عنهم الشبهة فى امرهم فاقسم لما عظم من شانها لمكان انها اوقات الحج فغاية اركان الحج
يؤدى فيها وعادة العرب انهم يقسمون بآبائهم واجدادهم واصنامهم لما هى معظمة عندهم وهذه الاشياء
معظمة عندهم فجرى القسم بها جاريا على عادتهم ويدخل فى اوقاتها الشفع والوتر والفجر فقالوا الشفع
يوم النحر لانه اليوم العاشر من الشهر والوتر يوم عرفة لانه اليوم التاسع وجايز ان يكون اريد بالشفع
والوتر والليل اذا يسر العبادات جملة اذ ما من عبادة الا وفيها شفع ووتر **وقوله** والليل اذا يسر
اى يسرى بها وفى ذلك كناية عن الجهاد والاغارة بالليل كما يذكر فى قوله والعاديات ضبحا فالموريات قدحا
فالمغيرات صبحا فيكون هذا كله اشارة الى جملة العبادات ووجه القسم بالعبادات ان الله تعالى عظم
امر العبادة فى قلوب الخلايق حتى تراهم جميعا يستحسنونها ويعظمون امرها وانما يقع الاختلاف
بينهم فى ماهيتها ولو ان يقع التمانع بينهم فى انفسها فاقسم بها وجايز ان يكون اريد بالوتر هو الله تعالى
واريد بالشفع الخلايق اذ خلقهم ازواجا والله تعالى هو الواحد بذاته فيكون القسم بذاته وبجميع الخلق
ويحتمل انه اريد بالشفع والوتر **وقوله** هل فى ذلك قسم لذى حجر يحتمل ان يكون تاويله انه وجه
القسم بهذه الاشياء يعرفه ذو الحجر وهم ذووا الالباب والحجى لا ان يعرفه الجهلة قالوا وموضع القسم

على قوله ان ربك لبالمرصاد وجايز ان يكون وقع التنازع فيما بينهم وكانوا يزعمون ان اوقات الحج
وهى الليالى العشر والشفع والوتر ليس يقسم بها فقال هل فى ذلك قسم لذى حجر اى لعاقل اذا تدبر
فيها عرف ان هذه الاوقات بالذى تدلهم على القول بالبعث وقيل انما اقسم بهذه الايام لعظم قدر هذه
الايام وخطرها عندهم لما فيها من صلاح معايشهم ويكون لهم فيها سعة العيش اما الفقراء فبالهدايا
والبدن واما غيرهم فبانواع المكاسب والتجارات فانهم كانوا يستعدون الاشياء ويهيئون من السنة
الى السنة للتجارة فى هذه الايام فاقسم الله تعالى بهذه الايام لكونها معظمة عندهم وقيل ان موضع
القسم غير مذكور فى هذه السورة لانه كان على اثرها دنه عندهم معروفة استغنى عن ذكرها
لشهرتها عندهم فاقسم انها الحق والله اعلم **وقوله** الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى
لم يخلق مثلها فى البلاد فى ذكر نبأ عاد وثمود وفرعون فوايد ثلاث احدها فى موضع التخويف
لاهل مكة الذين كذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم وهو ان اولئك القوم كانوا اكثر اموالا واولادا
واعدادا واكثر فى القوة من هؤلاء الذين كذبوا محمدا عليه افضل الصلوات فلم يغنهم ذلك كله
من الله تعالى شيئا بل الله تعالى انتقم منهم لرسله عليهم الصلوة والسلام بما كذبوهم فما بال هؤلاء الذين
كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخافون هم مقته وحلول النقمة بتكذيبهم رسوله وليسوا باكثر
من اولئك فى العدد والمال والقوة وفايدة اخرى ان اولئك كانوا يزعمون انهم بالله تعالى اولى من محمد
عليه الصلوة والسلام واتباعه لما بسط لهم من النعيم وضيق على الرسول واتباعه فتبين ان الذين
تقدمهم من مكذبى الرسل كانوا ارفع منهم فى القوى والاموال والاولاد والاعداد وكانت رسلهم
فى ضيق من العيش ثم كانوا هم اولى بالله تعالى من المكذبين المفتخرين بكثرة الاعداد والقوى
فتبين لهم هذا ليعلموا ان ليس الامر على ما ظنوا وحسبوا والثالث انهم كانوا يمتنعون عن الايمان
بالله تعالى وبرسوله وكانوا يقولون انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فيكون فى ذكر هذه
نفى التقليد لاولئك لانه كان فى آبائهم من اهلك بتكذيبهم الرسل وهم الفراعنة واتباعهم
وفيهم من نجا وهم الرسل واتباعهم المصدقون لها فما بالهم قلدوا المهلكين منهم دون الذين
نجوا ثم الآية لم يسق ليعرف نسب عاد وثمود وفرعون حتى نشتغل بمعرفته وانما سيقت للاوجه
التى ذكرنا فالاشتغال بمعرفة نسبهم واحوالهم نوع من التكلف **وقوله** الم تر كيف فعل ربك فقوله
الم تر يحتمل وجهين احدهما اى قد رايت اى علمت كما يقال فى الشاهد الم تر الى ما فعل فلان اى قد رايت
وعلمت فيخرج بصنيعه على جهة الشكى منه ويحتمل ان يكون هذا ابتداء اعلام منه فيقول له اعلم
ان ربك فعل بعاد كذا واختلفوا فى قوله ارم فقال بعضهم الارم هو ابو عاد وقال بعضهم ابو القبيلة
فنسب اليه عاد كما يقال هو من بكر بن وايل وان لم يكن ابنه وقال بعضهم ارم مساكن عاد وقيل
هو اسم الذى بنا وتلك الاماكن **وقوله** ذات العماد قال بعضهم ذات الاجساد الطوال اى عاد
ذات الاجساد الطوال كما ذكر فى القصة وقال بعضهم ذات البناء المشيد المرفوع فى السماء
كالعمد الطوال فيرجع الى الارم على تاويل من جعله عبارة عن المساكن وقال بعضهم ذات العماد
هى الخيام لها اطناب وعمد وكانوا اصحاب خيام وقباب وكانت مساكنهم مرفوعة بالعماد **وقوله** لم يخلق
مثلها فى البلاد قال بعضهم هذا وصف القوم بالشدة والقوة وعظم القوة والخلقة وفضل البصر
فى الامور كقوله تعالى وزادكم فى الخلق بسطة وقال حكاية عنهم وقالوا من اشد منا قوة وقال تعالى
وكانوا مستبصرين فوصفهم بفضل البصر وجايز ان يكون اريد بها المساكن الذين بنوها ان ليس مثلها
فى البلاد **وقوله** وثمود الذين جابوا الصخر بالواد قال بعضهم اتخذوا من الصخر جوابى اى قصاعا

كما قال تعالى وجفان كالجواب وقال بعضهم في الصخر كقوله وينحتون من الجبال بيوتا آمنين فيكون في هذا
اخبار عن قواهم وشدتهم **وقوله** وفرعون ذي الاوتاد قال بعضهم سماه ذا الاوتاد والوتد الجبل وقال بعضهم
سمي ذا الاوتاد لانه كانت له اوتاد نصبها للتعذيب من غضب عليه وقال بعضهم انه كان ضرب على الطرق اناسا
على كل طريق اناسا راصدا وحافظا وقيل اي ذو قصور وبنيان مشيدة مرفوعة يشبه الجبال التي هي اوتاد الارض
وقوله عز وجل الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد وطغيانهم في البلاد وتمردهم وعتوهم فيها
وقوله عز وجل فصب عليهم ربك سوط عذاب قال بعضهم عذبهم بسوطهم الذين كانوا يعذبون
الخلق ويضربونهم وقال ابو بكر الاصم ان السوط لون من العذاب فعذب عادا بلون منه وعذب ثمود
بلون منه وفرعون واتباعه بلون منه **وقوله** عز وجل ان ربك لبالمرصاد قال ابو بكر الاصم يرصد
عذابه باعدائه ينتظر به اجالهم ثم يوقع بهم العذاب اذا اتى الاجل وعندنا انه يرصد عليهم اعمالهم
فلا يشتد عليه ولا يعزب عنه شيء من عملهم بل يحفظ عليهم ما ستروا منها وما ظهر وقيل اي لا يجاوزه
ظلم ظالم ولا يفوته هارب ثم لم ينصرف وهم احد في قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد الى اثبات مكان كما انصرف بعض
الناس انصرف وهمهم في قوله الرحمن على العرش استوى على جعل العرش مكانا لله **وقوله** عز وجل فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا
والاشكال ان يقول قايل قول تلك الانسان ربي اكرمن وربي اهانن خرج موافقا لما قال الرب تعالى
لانه قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فخرج قوله ربي اكرمن على الموافقة لما قال وكذا قوله هذا
الانسان حيث ابتلي بتغيينه ربه اهانن خرج موافقا لما قال فاما اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فان كان
الاول اكراما كان الله يضاده اهانة الا ترى ان الله تعالى سمى المال خيرا والفقر شرا وسمى المطيع محسنا
والعاصي مسيئا فكذا اذا استقام القول بالاكرام عندما ينعم ويكرم استقام القول بالاهانة اذا ضيق
عليه الرزق ولم يكرم واذا كان هكذا فكيف رد عليه مقالته بقوله كلا وهو في ذلك صادق ولكن نقول
ان الرد بقوله كلا لم يقع على نفس القول ولا انصرف اليه وانما انصرف الى ما اراده بقوله لان القايل
بهذا كافر بالله تعالى وباليوم الاخر فكان يقول لا بعث ولا جزاء وانما يجازون باعمالهم في هذه الدنيا
فمن احسن احسن اليه ومن اساء اهين به فيكون قوله كلا اي ليس الامر كما صوره في نفسه بل الدنيا دار عمل
والجزاء بالكفر والايمان دار اخرى وهذا كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهم لم يكونوا كاذبين في شهادتهم ومقالتهم
كاذبين بل كانوا صادقين انه رسول الله وان الله تعالى يعلم انه رسوله ولكنهم كانوا اعتقدوا التكذيبه
في قلوبهم فكانوا يظهرون خلاف ما اضمروا في انفسهم قال ما اضمروا انصرف التكذيب لا الى نفس
القول كذا هذا ولان اهل الكفر كانوا اصنافا فمنهم من كان يرى اذا بسط عليه النعيم في الدنيا واكرم
فانما بسط عليه لما استوجبه بفعله واذا ضيق عليه وابتلي بالشدة فانما ضيق عليه باساءته وبما كسبت
يداه ومنهم من كان يظن انه من الله تعالى بمنزلة وانه مستوجب للانعام وانه اذا ابتلي بضيق العيش واصابته
شدة اصابه ذلك من عند محمد عليه الصلوة والسلام فيتشاءمون به الا يرى الى قوله وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وعلى هذا كان ظن فرعون قال الله تعالى
فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فقوله ربه فاكرمه ونعمه
اي اكرمه في نفسه بان اصح جسمه وجعله رئيس قومه ونعمه اي بسط الدنيا عليه فيقول ربي اكرمن فكان
يتطاول بذلك **وقوله** واما اذا ما ابتلاه اي اذا اختبره فضيق عليه رزقه فيقول ربي اهانن فكان
يظهر بذلك الجزع والله تعالى اختبره بالنعم ليستادي بها النعم وابتلاه بضيق العيش ليصبر لا ليجزع

ابتلاه

فلا يشكر هذا النعم وبل يبطر ولا يصبر هذا على الشدايد بل يجزع فجايز ان يكون المراد بقوله كلا منصرفا الى هذا
ردا لاعتقادهم وصنيعهم وهو انه لم يكرم ولم ينعم لينظر به ولا ضيق عليه رزقه ليجزع بل انما انعم ليشكر وقدر
عليه رزقه ليصبر والله اعلم **وقوله** بل لا تكرمون اليتيم فجايز انهم كانوا لا يكرمون ويهينونه مع ذلك
لان اكرام اليتيم ليس بواجب اما اهانته حرام وجايز ان لا يثبت الاهانة منهم مع نفي الاكرام لان الايجاب
اذا ذكر في مضادة الايجاب اقتضى ذلك اثبات المقابلة واذا ذكر الايجاب في مضادة النفي امكن ان يثبت
فيه المقابلة وامكن ان لا يثبت الا ترى انه اذا قيل فلان جاير كان فيه اثبات المقابلة وهو نفي العدل لان قوله
جاير اثبات الجور فكان في ذكره نفي العدالة وفيه اثبات المقابلة واذا قلت ليس بعدل لم يكن فيه تحقيق
لاثبات المقابلة ايضا قال الله تعالى فما ربحت تجارتهم فكان في نفي الربح اثبات المقابلة فانها خسرت
ثم اكرام اليتيم هاهنا يحتمل اوجها ثلاثة احدها ان يكرمه في ان يحفظ عليه ماله حتى لا يصيبه ويكرمه
في نفسه وهو ان يتعاهد احواله عن ان يدخل فيها خلل والوجه الثاني ان يكرمه فيعلمه آداب الشريعة
ويرشده اليها والوجه الثالث ان يكرمه فيبذل له من ماله قدر حاجته اليه ويصطنع اليه المعروف
فيكون التغيير هاهنا في اهانة اليتيم ان يترك الاكرام الذي هو من باب حفظ ماله فيكون تضييعا
والله اعلم **وقوله** ولا تحاضون على طعام المسكين اي لا يحثون غيرهم على طعام المسكين وجايز
ان يحضوا ولا يسوا بانفسهم الاطعام ويحتمل ان لا يلو ذلك بانفسهم ويحضون غيرهم ففي هذه الاية
ترغيب للمسلمين باكرام اليتيم وتعاهد ماله وسنن ان عليهم ان يطعموا بانفسهم وان يحثوا الاغنياء
باطعام المساكين والله اعلم **وقوله** وتاكلون التراث اكلا لما فاللم الجمع يقال لم المال اذا جمع
فكانه يقول يجمعون ما لم يرثوه بانفسهم وذلك نصيب الايتام الى ما يرثوا من انصبايهم فياكلون جميعا وقال بعضهم
ياكلون التراث اكلا لما اي شديدا **وقوله** ويحبون المال حبا جما قال ابو بكر اي يحبونه حبا وفيا
وافرا ليس فيه قصور فيكون فيه اخبار عن غاية حبهم الدنيا وشدة حرصهم عليها وجايز ان يكون
على التقديم والتاخير وهو انهم يحبون المال الجم حبا اي المال الكثير **وقوله** كلا ردع وتنبيه فمنهم
من رد هذا الردع الى قوله ربي اكرمن وربي اهانن فكانه يقول كلا ليست هذه الدار دار جزاء فيكون الاهانة
والاكرام بحق الجزاء وانما هي دار محنة وابتلاء ومنهم من حمله على الابتداء فقال كلا اذا دكت الارض دكا
بمعنى حقا يخبر عن مذمته في ترك الاكرام لليتيم وترك اطعام المسكين والحض عليه اذا دكت الارض اي دقت
وكسرت وذلك يوم الحساب والبعث **وقوله** وجاء ربك والملك صفا صفا يحتمل وجها احدها ان يكون
معناه وجاء ربك بالملك اذ يجوز ان يستعمل الواو مكان الباء الا ترى الى قوله تعالى قالوا يا موسى انا لن ندخلها
ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك ومعناه بربك واذا حمل هذا ارتفعت الشبهة واتضح الامر لانه لو كان
قال وجاء ربك بالملك لكان لا ينصرف وهم احد الى الانتقال من مكان الى مكان وقال تعالى هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام ومعناه والله اعلم بظلل من الغمام لانه قال في موضع آخر
ويوم تشقق السماء بالغمام فثبت ان معناه ما ذكرنا واذا ثبت هذا ارتفع الريب والاشكال ومنهم
من ذكر ان معنى قوله وجاء ربك الا ان ياتيهم الله اي امر الله دليله ما ذكر في سورة النحل قوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الملايكة او ياتي امر ربك فذكر مكان قوله وجاء ربك امر ربك ويحتمل ان يكون قوله وجاء ربك
اي جاء وعده ووعيده فنسب المجيء الى الله تعالى وان لم يكن ذلك وصفا لله لانه لا يجوز ان ينسب آثار الافعال
الى الله تعالى نسبة حقيقة الفعل وان لم يوصف به كما قال الله تعالى فنفخنا فيه من روحنا فاضيف النفخ اليه
وان لم يوصف بانه نافخ وقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فاضيفت الكتابة اليه وان لم يوصف بانه
كاتب لما ان ما ظهر من آثار فعله ويقال للمطر رحمة الله اي من آثار رحمته لا ان يكون المطر صفة له ويقال

الصلوة امر الله والزكوة اى بامر الله يصلى ويامره يزكى لا انه يكونا وصفين له ووجه آخر ان يكون
معنى قوله تعالى وجاء ربك اى جاء الوقت الذى به صار انشاء هذا العالم حكمة اذ لولا البعث للجزاء لكان
انشاء هذا العالم ثم الاهلاك خارجا مخرج العبث لما وصفناه من قبل لقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا
وانكم الينا لا ترجعون فثبت انه خلقه انما صار حكمة بالبعث وقال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار وقد كان الملك له قبل ذلك اليوم ولكن ملكه لكل احد يستبين فى ذلك الوقت وقال وبرزوا لله جميعا
وقد كان كل شئ له بارزا ولكن معناه انه اتى الوقت الذى له برز الخلايق ثم الاصل فى كل ما اضيف الى الله تعالى
ان ينظر الى ما يليق ان يوصل بالمضاف اليه فتصله به وتجعله مضمرا فيه قال الله تعالى ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم ولم يفهم اثبات الحضور وكان معناه ان علمه محيط بهم وهو مطلع عليهم وقال فاتاهم الله
من حيث لم يحتسبوا لم يفهم به الانتقال بل كان معناه انه جاءهم بأسه وجاء لاوليائه نصره وقال
قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم ولم يفهم بهذا الاتيان
ما فهم من الاتيان الذى يضاف الى الخلق وقال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم وكان معناه ان تنصروا
دين الله لا ان الله تعالى يلحقه ضعف يحتاج الى من يقويه وقال الله تعالى ويحذركم الله نفسه وكان معناه انه
يحذركم عذابه لا ان اريد به تحقيق النفس ومثل هذا فى القرآن كثير من ان يحصى فثبت ان محل الاضافات
ما ذكرنا فلذلك حمل على الوعد والوعيد او على الوقت الذى صار خلق العالم حكمة او على ما اصلح فيه
من الاضمار وبما يدل على انه لا يفهم بالمجئ معنى واحدا بل يتحقق ان المجئ اذا اضيف الى الاعراض فهم به غير الذى
يفهم به اذا اضيف الى الاجسام فانه اذا اضيف الى الاعراض اريد به الظهور قال الله تعالى اذا جاء نصر الله
ومعناه اذا ظهر نصره ولم يرد به الانتقال ولو كان مضافا الى الجسم فهم منه الانتقال من موضع الى موضع
وقال الله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ومعناه ظهر الحق واضمحل الباطل لا ان يكون الحق فى مكان
فنقل عنه الى غيره فثبت ان المجئ اذا اضيف الى شئ وجب ان يوصل به ما يليق به لا ان يفهم بكله معنى
واحدا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال حكاية عن الله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه
ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى ساعيا اتيته هرولة لم يفهم من هذا التقريب
ما يفهم به اذا اضيف الى الخلق وكان معناه من تقرب الى بالطاعة والعبادة تقربت اليه بالتوفيق
والنصر او بالاحسان والانعام وقال موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا رب اقريب انت فاناجيك
او بعيد فاناديك ولم يرد به المكان وانما اراد بقوله اراض انت منى فاناجيك او ساخط على فاناديك
فى ان اعلو بالبكاء والتضرع ثم الاصل فى المجئ المضاف الى الله تعالى ان يتوقف فيه ولا يقطع الحكم
على شئ لما ذكرنا ان المجئ ليس يراد به وجها واحدا لانه اذا اضيف الى الاعراض اريد به غير الذى يراد به
اذا اضيف الى الاجسام والاشخاص والله اعلم والله لا يوصف بالجسمية حتى يفهم من مجيئه ما يفهم به
من مجئ الاجسام ولا يوصف بالعرض ليراد به ما يراد من مجئ الاعراض فحقه الوقف فى تفسيره مع اعتقاد
ما ثبت من التنزيل من غير تشبيه والله اعلم وقوله وجئ يومئذ بجهنم قيل فيه من اوجه احدها
انها ظهرت وبرزت لاهلها على ما قال فى آية اخرى وبرزت الجحيم للغاوين لا انها كانت فى مكان فنقلت عنه
وقد يراد بالمجئ الظهور قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ومعناه ظهر لكم لا ان كان فى مكان
آخر فجئ به اليهم وقال بعضهم جئ باهلها اليها اى الى جهنم فيكون حقيقة المجئ فى الاهل ثم نسب اليها
لانهم اذا اتوها فقد اتيتهم هى وهو كقوله انه كان وعده مأتيا فنسب الاتيان الى الذى ياتيه الوعد فيكون
الوعد هو الذى ياتى اهله وقال بعضهم وجئ يومئذ بجهنم اى بجئ زفرتها وشهيقها وتغيظها على اهلها
لا ان يعبر عن مكانها ومنهم من حمله على حقيقة المجئ فذكر انه يؤتى بها ولها سبعون الف زمام على كل زمام

اصل فيما يضاف الى الله تعالى الوقت

سبعون الف ملك والله اعلم بذلك وقوله يومئذ يتذكر الانسان يحتمل ان يتذكر اشفاق الانبياء عليهم
الصلوة والسلام ونصحهم لهم فيعلم انه كان فيما توهم لهم من الظنون الفاسدة مبطلا فيكون بتذكره ذلك
تصديقا منه للرسل عليهم الصلوة والسلام وانى له الذكرى اى لا ينفعه تصديقه اياهم اذ لم يصدقهم
فى الدنيا او يتذكر فى ان يتلهف على ما فرط فى جنب الله من التقصير فى حقوقه والتضييع الذى سبق منه
حيث لم يشكر نعمه ولم يوجه اليه للعبادة فيكون تلهفه ذلك ايمانا ولكن لا ينفعه تلهفه فى ذلك الوقت
لان تلك الدار ليست بدار امتحان بل هى دار جزاء والذى يحمله على التصديق مشاهدته الجزاء والحساب
وعند المشاهدة ترتفع المحنة ويكون ايمانه ذلك ضروريا لا حقيقة فلذلك لا ينفعه وانما ينفعه الطاعة
وقت ملكه نفسه فاما اذا خرج ملك نفسه من يده لم يقع له بالايمان جدوى وقال بعضهم يتذكر الانسان
اى يتعظ وانى له الذكرى اى انى له الانتفاع بالموعظة ثم فى هذا التذكر بيان لطف من الله تعالى يعطيه
حتى يتذكر والا فالانسان يذهب عليه ما قد كتبه فى وقت اذا اتى عليه حين حتى لو اراد ان يتذكر وقت
كتابته لم يقدر عليه ثم الله تعالى يذكره فى الآخرة جميع ما سبق منه فى الدنيا فيتذكر ذلك فيقول يا ليتنى
قدمت لحيوتى اى يا ليتنى لنفسى حيوة يسلم لى او حياة يبقى لى لذتها فهذا هو تلهفه ويذكره فى ذلك اليوم
يتلهف على ما فاته من الخيرات ويندم على ارتكابه المعاصى وكفرانه نعم الله تعالى ومعنى قولنا حيوة يسلم
فالتلذذ بها هو ان الكافر وان كانت له حيوة فى الظاهر فانما حيوته للتعذيب فتلك له فى الحقيقة
ليست بحيوة بل هى اهلاك الا ترى ان الانسان اذا اخذ فى النزع فهو فى ذلك الوقت حى بعد لكن حيوته
للاهلاك فليست هى فى الحقيقة حيوة لكنها فعلى ذلك حيوة المخلد فى النار وقوله فيومئذ لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد قرئت هذه الآية على نصب الذال والثاء وعلى الخفض منهما فمن قراهما
على الخفض فهو يحتمل وجهين احدهما ان العذاب فى الدنيا وان اشتد من الملوك على الانسان فهو لا يبلغ
عذاب الله تعالى لاعدائه فى الآخرة وان خف ولا يعذب عذابه احد اى لا ينبغى لاحد فى الدنيا ان يعذب
احدا بعذاب الله وهو النار كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يعذب احد بعذاب الله تعالى
فان كان على النصب فهو يحتمل وجهين ايضا احدهما ان يكون التأويل منصرفا الى صنف من الكفرة وهم
الذين بلغوا فى الكفر على مراتبه فلا يعذب من دونهم بعذابهم والثانى لا يعذب احد مكان احد كما يفعله
ملوك الدنيا فى انهم يعذبون الوالد مكان الولد ويعذبون متصلى الذين استوجبوا العذاب وقوله
يا ايتها النفس المطمئنة فالمطمئنة هى الساكنة التى لا ترتاب ولا يضطرب طمأنينتها بوعد الله ووعيده
وامره ونهيه وتوحيده ثم يجوز ان يكون هذا فى امر الدنيا فيكون قوله عز وجل ارجعى الى ربك اى ارجعى
الى ما امرك ربك راضية بوعد الله ووعيده فيكون راضية بالذى وعدها فى الآخرة جزاء لكدحها
وسعيها فى الدنيا مرضية عند الله تعالى فادخلى فى عبادى اى مع عبادى الصالحين وادخلى جنتى اى ادخلى
فيما يستوجب به الجنة وجائز ان يكون هذا فى الآخرة وهو ان يقال للنفس التى اطمأنت فى الدنيا بوعد الله تعالى
ووعيده وعملت بطاعته ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وقيل يا ايتها النفس
المطمئنة بالدنيا ارجعى الى طلب الآخرة وما اعد الله لاوليائه فيها وقيل المطمئنة على عباده ارجعى الى طاعة الله
فانك اذا فعلت ذلك رضى الله عنك ورضيت بعطاء الله وثوابه اياك فى الآخرة والله اعلم

سورة البلد مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل لا اقسم بهذا البلد اختلف فى قوله قال بعضهم لا ها هنا فى موضع الدفع والرد

ايمان عند معاينة البأس غير منتفع به

عذاب بعض الكفرة اعلى من بعضهم

لمنازعة كانت بين قوم فدفع الله تعالى المنازعة من بينهم بقوله لا ولولا كانت تلك المنازعة معروفة
فيما بينهم فترك ذكرها لذلك كما ذكر الجواب في بعض السور ولم يذكر السؤال لما كان السؤال عندهم
معروفا فترك ذكره وهو كقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وغير ذلك ومنهم من يقول بانه حرف لا
مرة يستعمل في حق الصلة والتاكيد ومرة في موضع النفي يظهر مراده بما يعقبه من الكلام فان كان
الذي يعقبه اثباتا فهو بحق التاكيد وان كان الذي يعقبه من الكلام نفيا فهو في موضع النفي ثم الذي
عقبه من الكلام اثبات وليس بنفي فدل انه في موضع التاكيد فكانه قال لا اقسم بهذا البلد ثم كان
حقه ان يقول لاقسمن بهذا البلد باثبات النون كما يقال لافعلن في اليمين لكن ترك التاكيد قد يذكر
في موضع القسم وقد لا يذكر قال تعالى ان ربك يحكم بينهم والله اعلم **وقوله** بهذا البلد قالوا اريد
بهذا البلد مكة فاقسم بها بما عظم شانها بما سبق ذكرناه وخاصة هي معظمة في اعين اهلها ثم كان
من عادة الكفرة القسم فيزيل عنهم الشبه التي اعترضت لهم **وقوله** وانت حل بهذا البلد قال بعضهم
وانت نازلها من الحلول وقال بعضهم وانت حلال بهذا البلد والحل والحلال لغتان فان كان
على هذا فالحل غير منصرف الى نفسه وانما انصرف الى ما احل له لانه لا يجوز ان يكون هو بنفسه حلالا
او حراما فالحل والحرمة اذا اضيفا الى من له الحل والحرمة فانما يراد بالحل والحرمة الشيء الذي
احل له والشيء الذي حرم عليه لان يكون الوصف راجعا الى المضاف اليه فاذا قيل هذا محرم
اريد به ان الاشياء محرمة عليه واذا قيل هذا حلال ليس بمحرم اريد به ان الاشياء له حلال واذا اضفنا
الى من لا يخاطب بالحل والحرمة اريد بهما عين ذلك الشيء كقوله هذا لحم حلال او صيد حلال
وهذا لحم حرام فيريد ان ذلك اللحم حلال وذلك الصيد حرام او حلال ثم اختلفوا في الذي احل له
فمنهم من صرفه الى القتال فقال بانه احل له القتال فيها وذلك يوم فتح مكة ومنهم من قال بانه احل له
الدخول فيها اذا جاء من الافاق بغير احرام ولا يحل ذلك لغيره وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان مكة حرام حرمها الله تعالى يوم خلق السموات
والارض والشمس والقمر ووضع هذين الجبلين لم يحل لاحد قبلي ولا يحل لاحد بعدي ولا يحل لي الا ساعة
من نهار وهي ساعتي هذه هي حرام بحرام الله تعالى الى يوم القيامة لا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها
ولا ينفر صيدها ولا يرفع لقطتها الا من نشدها فقال العباس رضي الله عنه الا الاذخر يا رسول الله
فانه لا غنا لاهل مكة عنه للقبر والبيوت فقال عليه السلام الا الاذخر فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها قد احلت له ساعة من نهار والحل يحتمل الوجهين الذين ذكرناهما وذكر ابو بكر الاصم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يؤذيه اهل مكة فيتاذى بهم فيخرج من بين اظهرهم فيحل له الصيد
في ذلك الوقت ولكن لا يسع صرف التاويل الى هذا اذ لا يعرف مثل هذا الا بالخبر والنقل ثم في قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم على لسان العباس رضي الله عنه الا الاذخر دلالة ان التحريم لم يكن منصرفا اليه
ولا يحتمل ان يكون التحريم شاملا له ثم استثناه بما ذكر العباس رضي الله عنه من حاجة اهل مكة اليه
لما لم يكن بين ما ذكر من التحريم والتحليل كثير مدة يجري في مثلها النسخ ولكن ترك بيان الحل
الى ان ساله العباس رضي الله عنه ثم بين وهو دليل قول اصحابنا رحمهم الله ان تاخير البيان جائز
ثم **قوله** وانت حل بهذا البلد يحتمل وجهين احدهما ان يكون القسم منصرفا الى نفسه فاقسم به
لما عظم من امره وشانه كانه قال عز وجل لا اقسم بهذا البلد وبالذي هو حل بهذا البلد او يكون منصرفا
الى مكة ويكون قوله وانت حل بهذا البلد خرج مخرج التعريف لمكة لكونه فيها اي البلد الذي انت
نازل به وحال به او حلال فيه **وقوله** عز وجل ووالد وما ولد قال بعضهم الوالد هو آدم عليه السلام

وما ولد هم اولاده وذريته ولكن ادم واولاده عليهم السلام ليسوا مخصوصين بالدخول تحت اسم
الولد والوالد بل ذلك فيهم وفي جملة الروحانيين فيكون القسم بالخلايق اجمع ويكون ما على هذا
التاويل بمعنى والذي ومنهم من جعل ما ما جحد فقال وما ولد اي الذي لا يلد وهو العاقر
فاقسم بالبشر جملة من يلد منهم ومن لا يلد واقسم بهم ايضا لما جعلهم مفضلين على كثير من الخلايق
وقوله لقد خلقنا الانسان في كبد فقال بعضهم الكبد الانتصاب اخبر خلق الانسان منتصبا
وخلق كل دابة منكبا وقال بعضهم الكبد الشدة والمعاناة وقال بعضهم خلقه منتصبا في بطن امه
ثم يقلب وقت الانفصال وللقائل ان يقول اي حكمة في ذكر هذا وفي تاكيده بالقسم وكل يعلم انه
خلق كذلك فجوابه ان في ذكر هذا ابانة انهم لم يخلقوا عبثا باطلا بل خلقهم الله تعالى ليمتحنهم
ويامرهم بالعبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان كان التاويل منصرفا
الى الشدة والمعاناة ففي تاويله انه خلقهم ليكابدوا المعاش والمعاد جميعا وخلقهم للشدة ليعتبروا
ويتذكروا وان كان منصرفا الى الانتصاب ففيه تعريف لعظم نعم الله تعالى عليهم من غير ان كانوا
مستوجبين لذلك ليستادي منهم الشكر بذلك وان كان التاويل على ما ذكر انه خلقه منتصبا
في بطن امه ثم يقلب وقت الانفصال ففيه ان الله تعالى قادر على ما يشاء وانه لا يعجزه شيء لانه لا يتهيا
لاحد ان يقلب احدا فيجعل اعلاه اسفله الا ان يجد مثله في المكان سعة ثم ان الله تعالى قلبه
فجعله اعلاه اسفله في ذلك المكان الضيق فتبين لهم انه لا يعجزه شيء فيحملهم ذلك على الايمان
بالبعث والنشور والله اعلم ومعنى قوله لقد خلقنا الانسان في كبد عندنا لقد خلقنا الانسان لما له
يكابد فان كانت مكابدته في طاعة الله تعالى وكان موثرا لها فقد خلق للجنة وان كانت مكابدته
في امر الشيطان فهو للنار خلق وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس
اي ذرا من يعلم انه يوثر طاعة الشيطان وعصيان الرحمن لجهنم وذرا من يعلم انه يعبد الله وخلق
للعبادة بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والاصل ان الحكيم ابدا يقصد بفعله العاقبة
الا الذي ليست له معرفة بالعاقبة فاما من عرف العاقبة فابتداء فعله يقع لتلك العاقبة فان كانت
عاقبته النار فابتداء الخلق من الله تعالى يقع لذلك الوجه وان كانت عاقبته الجنة فهو لذلك الوجه
ما خلق فعلى ذلك يخرج تاويل قوله عليه الصلوة والسلام السعيد سعيد في بطن امه والشقي شقي
في بطن امه وهؤلاء لا يوصف بالسعادة والشقاوة في ذلك الوقت لكن معناه انه اذا آثر الشقاوة
في حالة الامتحان خلق لذلك واذا آثر السعادة فلذلك ايضا وقال نوح عليه السلام ولا يلدوا الا فاجرا
كفارا وهم في وقت ما ولدوا غير موصوفين بواحد من الوصفين بل يصيروا كذلك فتبين انهم خلقوا
لذلك فوقع القسم على ما له يكابد ليس على المكابدة نفسها لان المكابدة من الانسان ظاهرة لا يحتاج
الى تاكيدها بالقسم وقولنا ان المقصود من ابتداء الفعل قول النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كانت غيا فانته وزعمت المعتزلة ان الله تعالى
لم يخلق احدا من البشر الا ليعبده ولو كان الامر على ما زعموا وظنوا لادى ذلك الى الجهل بالعواقب
او وجب ان يكون الفعل خارجا مخرج الخطاء لان كل من صنع امرا يريد غير الذي يكون جاهلا بالعواقب
او عابثا بالفعل لان من نشا الشيء يعلم انه لا يكون بعد ذلك منه عيثا ولو كان غير الذي يريده
وهو ان يبني ليسكن ثم ينقض قبل ان يسكن كالذي حمله على البناء جهله بالعواقب وجل الله تعالى
من ان يلحقه خطاء في التدبير او جهل بالعواقب فثبت بما ذكرنا ان الله تعالى شاء لكل فريق ما علم الذي
يكون منهم وخلقهم لذلك الوجه دون ان يكون خلق الجملة للعبادة والله اعلم **وقوله** ايحسب

ان لن يقدر عليه احدٌ يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد فالاية يحتمل وجهين احدهما
ان يكون حسبان ان الله تعالى لا يقدر على بعثه فيكون قوله احدهو الله تعالى يقول اهلكت مالا لبدا اى جما ايحسب
ان لم يره احد اى نفقة منه مقدار ما يخرج عن حد الاحصاء وقوله ان لم يره احد اعم يعلم احد مبلغ ما انفق
من ذلك ويكون قوله ايحسب ان لم يره احد اى لم يعلم اتباعه الذين انفق عليهم مقدار ما انفق عليهم فيكون
في قوله تعالى اهلكت مالا لبدا اظهار منه لسخاوته وجوده على الافتخار منه بذلك وامتنانا منه على اتباعه فان كان
على هذا فهو في امر الدنيا وقد علم الله القدر الذى انفق عليهم وعلم الخلق سخاوته لا يقوله فليس اشتغاله
في اظهار الجود والامتنان الا نوع من السفه وكان الذى يحق عليه الاشتغال بالشكر لله تعالى او توجبه الحمد
اليه لما علم ان الذى انعم به من المال الكثير من الله تعالى وان تلك المنقبة وهى السخاوة نالها بالله تعالى
وهذا كقوله تعالى فاذكروا الله كذكركم اباءكم اى اباءكم لم ينالوا ما يذكرون من الشرف والمناقب الحميدة
الا بالله تعالى فاذكروه كذكركم اباءكم وهذا النوع من الافتخار راجع الى الخصايص من القوم لا الى الجملة اذ كل
احد يقول مثل ذلك انه اهلك مالا لبدا وفعل كذا وقوله الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين
فان كان قوله ايحسب ان لن يقدر عليه احد على نفى القدرة على البعث ففى ذكر العينين نفى تلك الشبهة
وهو ان الله تعالى انشا له بصرا يرى بلمحة واحدة ما بين السماء والارض فمن بلغت قدرته هذا
لا يعجز شئ ولا يخفى عليه امر فقوله الم نجعل له عينين اى الم نخلق له عينين يدرك بهما المحسوسات
بالنظر وجعلنا لهما جفونا واشفارا يشفع بهن القذى عن عينه ويغضهما بهن عن النظر الى ما لا يعنيه
وقوله ولسانا اى خلقنا له لسانا يفصح به ما غاب واستتر وقوله وشفتين فى خلق الشفتين
وجهان من الحكمة احدهما انه جعلهما طبقا يستر ان قبح ما فى فمه ولولاهما لكان النظر اليه وقت مضغه
الطعام او شيئا من الاشياء استقذره ذلك منه وجعلهما طبقا للسانه لئلا يمتد ويستعمله فيما لا يعنيه
فذكرهم عظم نعمه فى خلق العينين واللسان والشفتين ليتادى منهم الشكر وليعلموا ان الرب بلغت
قدرته هذا ليس مما الذى يعجز شئ وقوله وهديناه النجدين اى ساله ما عليه وماله وما يحمل
عليه وما يذم وما يقبح والجهل والنجد الطريق فبين للخلق الطريقين جميعا طريق الخير والشر
ومكنهم من الفعلين جميعا وقال بعضهم النجدان الثديان اى هديناه الثديين فى حالة الارضاع
ولكن السبيل والهداية لم يضرف الى هذا خصوصا بل هذا من بعض ما هداه وبينه فقد بين له عين
من الامور ولا قيد فى اللفظ فيحمل على الاطلاق والعموم وقوله فلا اقتحم العقبة قيل فيه من وجهين
احدهما فهلا اقتحم العقبة والثانى انه لم يقتحم فان كان على الاول فمعناه ان الذى قال انفقت مالا لبدا
كيف لا كان انفاقه فى فك الرقبة وفى الانفاق على اليتيم والمسكين الذى بلغ به الجهد الى ان لصق بالتراب
ويكون من جملة من امن بالله تعالى وتواصوا بالصبر والمرحمة ليكون من اصحاب الميمنة ويكسب بذلك
الحيوة الطيبة فى الاخرة دون ان يكون العاقبة فى الملاهى وشهوات النفس فلم يحصل لنفسه حمدا
ولا اجرا فى العقبى بل صار من اصحاب المشامة فيكون ما بعد قوله اهلكت مالا لبدا صلة له وتفسيرا
وان كان التاويل على النفى ففيه تكذيب فيما زعم انه انفق مالا لبدا فيقول لو كان على ما يظن ليظهر
على ذلك فك الرقاب والمواساة على اليتيم وعلى المسكين الذى هو ذو متربة فيكون هذا كله صلة قوله عز وجل
اهلكت مالا لبدا ايضا ثم قيل فى العقبة من وجهين احدهما على تحقيق العقبة وهو ان يكون فى النار
عقبة لا يتجاوز ولا يقطع الا بما ذكر من فك الرقبة والاطعام فى يوم ذى مسغبة كقوله تعالى سارهقه صعودا
وقوله وما ادريك ما العقبة على تحقيق العقبة معناه وما يدريك بما يقطع تلك العقبة ثم بين
انها يقطع بما ذكر من فك الرقبة ونحوه وجايز ان يكون على التمثيل لا على التحقيق ووجهه ان يشتد

بحمل المؤن التى ذكر من فك الرقبة والطعام المساكين ومواساة اليتيم فيكون العقبة كناية عن تحمل المؤن
لا على العقبة نفسها وهو كقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء انه يصير
الايمان عليه فى الشدة والثقل كانه كلف الصعود الى السماء ويشتد على الاول تحمل المؤن كما يشتد عليه قطع
العقبة والصعود عليها والاقتحام هو رمى النفس فى المهالك وقيل الاقتحام هو تحمل المؤن فان كان على تحمل
المؤن فوجهه ما ذكرنا انه كيف لم يحمل هذه المؤن ليصير من اهل الميمنة وان كان على الرمى فى المهالك
لم يحمل هذه المؤن ليصير من اهل الميمنة فكانه يقول قد اهلك نفسه بتركه الانفاق فى الوجوه التى ذكر
والاعراض عن الايمان بالله تعالى فترك فكان الرقبة وروى ابو بكر الاصم فى تفسيره خبرا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان رجلا سأله فقال يا رسول الله دلنى على عمل ادخل به الجنة فامره بعتق النسمة
وفك الرقبة فقال السايل اليسا هما واحد فقال النبى عليه السلام لا عتق النسمة ان تعتقها وفك الرقبة
ان تعين على فكاكها ففكاك الرقبة ان يخلصها من وجوه المهالك وذلك يكون بالتخليص عن ذل الرق وان تنجى
انسانا هابه قتل اخر بغير حق فيدفع عن المظلوم شر الظالم فتراه بعرق فخلصه عن ذلك فيكون فى ذلك
كله فكاك الرقبة عن المهالك ليكتسب بها الحيوة الطيبة فى الاخرة واختلف القراء فى هذه الحروف فمنهم
من قرا فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة على النصب ومنهم من قرا فك رقبة او اطعام على الرفع فاذا قراته
بالنصب فمعناه هلا فك رقبة او اطعم فيكون راجعا الى تفسير الاقتحام واذا قراته بالرفع انصرف التاويل
الى تفسير العقبة فكانه قال قطع العقبة يكون بالفك وبما ذكر وذكر عن سفين بن عيينة رضى الله عنه
انه قال كلما فى القران وما ادريك فقد اعلمه ودراه وكل ما قيل وما يدريك فهو لم يعلمه والله اعلم
والمسغبة المجاعة وقوله ذا مقربة اى ذا قرابة منه وقوله ذا متربة اى الصق بطنه بالتراب
وقيل ليس له شئ يحجبه عن التراب ثم فى قوله يتيما ذا مقربة دلالة وجوب حق اليتيم على القريب
اذا كان محتاجا فيكون فيه حجة لقول اصحابنا ان اليتيم اذا كان محتاجا فرضت نفقته على اقربائه
وفى قوله او مسكينا ذا متربة دلالة ان المسكين وصفه وهو ان لا يكون بينه وبين التراب حايل
مكفاية تلزم الخلق حجة وقوله ثم كان من الذين امنوا فتاويله انه لا ينفعه فك الرقبة ولا الاطعام
حتى يكون مؤمنا مع ذلك متواصيا بالصبر والمرحمة فاذا كان كذلك فحينئذ يحصل قاطعا للعقبة وجايز
ان يكون الصبر اريد به الايمان كقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اى امنوا والتواصى بالصبر
وبالمرحمة هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذ التواصى ماخوذ من الوصية وهذا يوجب ان يكون الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر فى الاعتقاد الايمان وقوله اولئك اصحاب الميمنة اى اصحاب الميامن
وهم اهل اليمن وقوله والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة اى اصحاب الشؤم على انفسهم حيث
عملوا بالمعاصى واستوجبوا به نارا موصدة وهى الموصدة المطبقة المبهمة وصفه الاطباق ما ذكر فى اية اخرى وذلك
قوله عز وجل لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال الله تعالى احاط بهم سرادقها الاية والله اعلم

سورة الشمس مكية واياتها خمس عشرة او ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والشمس وضحاها قالوا تاويله والشمس وضوءها وقيل وحرها وقيل ونهارها
وهذا فى موضع القسم وذلك لان الله تعالى جعل فى الشمس معانى يدل على لطايف حكمته وعجايب
تدبيره وجعل فى النهاية من البركات وفى النهاية من الايات فمن عجيب تدبيره انه جعل نورها
بحيث يهلك نور الظل حتى اذا بدت فى مكان اذهبت نور الظل ونور السراج ونور القمر وستر نورها

الكواكب عن ان يرى وجعلها بحيث يظهر بها هبا الهوا ويتبين ان الهوا ذا هبا الا ترى انك اذا نظرت
في المشكات حتى سقوط الشمس فيها يتبين لك بها هبا الهوى ولو اراد احد من الخلايق ان يتدارك
المعنى الذى به استنارة هذا الشمس كل هذا لم يقف عليه ثم من تركها ان بحرارتها مصالح الاغذية
وبه مصالح النبات وبها يكبس الحث وبها ينضج الفواكه ومن عجيب تدبيره انه جعلها بالتنائى عن كل شى
له بها صلاح اذ لو دنت منها لكانت تحرق الاشيا كلها ومن اياتها ان جعلت بحيث تسير وتقطع
كل يوم مسيرة الف عام ما يتعذر على الذى خلق للسير والمشى قطع تلك المسافة بمدة كثيرة وهى
ايضا تظهر جود الرب جل جلاله لان منافعها تعم الخلق كلهم برهم وفاجرهم والولى منهم والعدو
فاقسم الله بها ليزيل عن الكفرة الشبهة التى تعترض لهم من امر الدين اما فى التوحيد او فى الرسالة
او فى البعث والله اعلم **وقوله** والقمر اذا تلاها فجايز ان يتلوها فى كل ما ذكرنا فى الشمس من المنافع
والمعانى فيكون ثانيها فى العمل فانه يقع به صلاح الاغذية ايضا وهو يدبر ايضا الا انه لا ينتهى
منتهاها ولا يبلغ مبلغها والله اعلم وقال بعضهم اذا تلاها اى يتلوها فى اول ما يهل فانه اذا وجبت
الشمس فى اخر يوم من الشهر بلا غروبها طلوع الهلال قال بعضهم معناه انه يتلوها اذا صار بدرا
وفى هذا دلالة ان منشيهما واحد لان منافعهما يعم الخلق جميعا ولو لم يكن مدبرهما واحدا لكان
لا يتم بل يمنع كل واحد منهما منشية عن ايصال النفع الى قوم عدوه **وقوله** والنهار اذا جلاها يحتمل
اوجها يحتمل ان يكون النهار جلى الدنيا ويحتمل ان يكون جلى بالارض ويحتمل ان يكون جلى الشمس ويحتمل
ان يجلى الابصار بنورها عن ظلمة الليل التى يغشاها **وقوله** والليل اذا يغشاها يصرف الى الاوجه
التى ذكرنا ايضا اى يغشى الدنيا او الارض او الشمس ويغشى الابصار بظلمتها عن الخلايق والله اعلم
ثم لليل والنهار زيادة سلطان ليست للشمس ولا للقمر لان من سلطان الليل والنهار انهما يفنيان
الاجال ويقطعان الاعمال ولا يتهيا لاحد الامتناع والتحرز من سلطانهما ويتهيا للخلق دفع اذى الشمس
والقمر عن انفسهم بالحيل والاسباب فكان فى ذكر الليل والنهار زيادة معنى ليس ذلك فى ذكر
الشمس والقمر **وقوله** والسماء وما بناها قال الزجاج ما بمعنى الذى وقد يستعمل فى مثله
كقول العرب سبحن ما سبحت له السموات والارض اى سبحن الذى سبحت له وقال بعضهم ما ههنا بمعنى من
كانه يقول والسماء ومن بناها وقال بعضهم ما ههنا يجعل الفعل الماضى بمعنى المصدر يقول العجبنى
ما صنعت اى عجبنى صنعك فيكون معناه والسماء وبنايها فان كان التاويل على الوجهين الاولين
رجع القسم الى الله تعالى والسماء والى ما تقدم من الشمس والقمر والنهار والليل وان كان على التاويل
الاخر رجع القسم الى ما خلق وهو السماء فان بناء السماء عينها وقال ابو بكر الاصم ان هذه الايات فى قوله
والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها يخرج على التعجب على شرط التقديم وان كانت
موخرة فى اللفظ كانه يقول الله تعالى وما السماء ثم اجاب بناها بان رفع سمكها وسواها ورفعها
بغير عمد ترونها والله اعلم **وقوله** والارض وما طحاها اى بسطها **وقوله** ونفس وما سواها
قال تسويتها فى ان خلقها باليدين والرجلين والعينين ونحوها فان كان على هذا فالتسوية يرجع
الى الاغلب لا الى الجملة اذ ليس لكل نفس هذه الجوارح جملة فيكون معناه انه سوى اكثر النفوس بما ذكر
من اليدين والرجلين وذلك جايز فى الكلام وهو كقوله تعالى وجعل الليل سكنا وجعلنا النهار معاشا
ومعناه انه جعلها سكنا ومقرا لاكثر الخلايق لا الجملة وجعل النهار لاكثر الخلايق معاشا لا الجملة
والله اعلم وقيل سوى جوارحها واطرافها ما لو لم يكن له جارحة من ذلك الجوارح يوصف بالنقصان
وهذا اعم من الاول ويحتمل سواها على غير ما عليه مصلحتها ويملك التقلب والتعيش ليس على ما عليه

ساير الحيوان ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون قوله سواها اى جعلها بحيث احتمال الكلفة والمحنة
كقوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى ويميز بين القبيح والحسن ويعرف عواقب الامور من الخير والشر
وقوله فالهمها فجورها وتقواها هذا يحتمل اوجها احدها اى بين لها فجورها وتقواها وعلمها فتحتج
ان المعتزلة خلقه يحتج بهذه الاية فيقول لخبر تعالى انه علمها فجورها وتقواها وانه وضع
فى نفسه ما يعرف به قبح كل قبيح وحسن كل حسن والاصل فيه عندنا انه يعرف حسن الاشياء وقبحها جملة
ببداية العقول ولكن العقول لا تعرف حسن كل شى على الاشارة اليه ولا قبح كل قبيح على الاشارة اليه وانما يعرف
ذلك اما بخبر يرد على السن الرسل عليهم السلام او باستعمال الفكر الا ترى انك تجد النفس من طبعها انها
تالف الملاذ والمنافع وتنفى عن المكاره والالام ولكنها لا يعرف معرفة كل منتفع على الاشارة اليه ولا ضارة
اعين الاشياء وانما يعرف ذلك بالذوق وكذلك العين يدرك الالوان لكنها لا تعرف حسنه وقبحه
بل العقل هو الذى يفصل بينهما فعلى ذلك قد جعل فى طبع العقل قبح القبايح جمله وحسن الحسن
ولكن لا يفصل بينهما على الاشارة الى كل فى نفسه الا بما ذكرنا فيكون قوله فالهمها فجورها وتقواها اى جعل
فى نفسها ما يبين القبيح من الحسن والخبيث من الطيب ويبين قبح الفجور وحسن التقوى ويلزمه المحنة
والكلفة بذلك ثم يصل الى معرفة ذلك اما بالرسل واما باستعمال الفكر ويحتمل وجها اخر وهو ان يلهمها
تقواها اذا وفى بما الله تعالى عليه من الاستقامة على الطريقة والمجاهدة الا ترى الى قوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فوعد الهداية بالجهاد وقال تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان ثم كانت الاجابة مضمنة شريطة وهى ان يستجيب له الداع فيما دعاه اليه الا ترى
الى قوله تعالى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى وقال تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم وقال انى معكم لئن اقمتم
الصلوة واتيتم الزكوة الاية فثبت ان الذى يلهم التقوى هو الذى يقوم بوفاء ما عليه فاذا قام الهمه
التقوى ويتيسر له سبيل الفجور وقال ابو بكر الاصم فى قوله فالهمها فجورها وتقواها اى الزمها
فجورها وتقواها فيكون تقواها لها وفجورها عليها لا يؤخذ احد بفجور احد وفى هذا دليل
على ان التقوى اذا ذكر مفردا انصرف الى الخيرات اجمع واذا قرن به البر والاعطا انصرف الى الاتقاء
من المحارم كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى واذا قيل بر واتقى اريد به انه بر بكل ما يجب عليه واتقى عن كل
ما يذم عليه فاعله **وقوله** قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فموقع ما تقدم من القسم
بالشمس والقمر والليل والنهار على هذا فقوله قد افلح من زكاها فى الاخرة على ما يذكر فى قوله
ان سعيكم لشتى فيكون فى هذا ايجاب القول بالبعث من الوجه الذى يذكر ان شا الله تعالى ثم اختلفوا
فى تاويل الفلاح قال بعضهم افلح اى سعد ومنهم من يقول اى بقى فى الخيرات والفلاح البقاء
ومنهم من يقول افلح اى فاز والمفلح فى الجملة هو الذى يظفر بما يامل وينجو عما يحذر فيدخل فى ذلك
السعادة والبقاء والفوز **وقوله** من زكاها فجايز ان يكون منصرفا الى الله تعالى وجايز ان يصرف
الى العبد قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء
وقال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبين الله تعالى انه هو الذى يفضل بتزكية من زكا وجايز
ان يصرف الى العبد فيكون قوله زكاها اى صاحبها وكذلك قوله وقد خاب من دساها يحتمل
هذين الوجهين فيكون الله تعالى هو الذى انشاء فعل الضلال فيكون الفعل من حيث الانشاء
عن الله تعالى ومن حيث الفعل من العبد ثم قوله من دساها اى اخفاها واخفاؤها انه صيرها بحيث
لا يذكر فى المحافل الا بالذم وزكى الاخر اى اظهرها حتى ينظر اليها الناس بعين التبجيل والتعظيم
وهكذا شان المتقى ان يكون مبجلا معظما فيما بين الخلق والفاجر يعيش مذموما مهانا فيما بين الخلق

او يرجع الاظهار والاخفاء الى الآخرة فيجل قدر المتقى المزكى ويخمل ذكر الفاجر وقوله دساها ٥
من دسست فاسقط السين وابدل مكانها الياء ثم الاضافة فى قوله دساها الى الله تعالى على خلق
ذلك الفعل منه ومنه قوله من زكاها على التوفيق وقوله كذبت ثمود بطغواها ولم يبين لمن كذبوا
وقد بينه فى آية اخرى فقال كذبت ثمود المرسلين وقوله بطغواها يحتمل وجهين اى لاجل معصيتها
وطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم وتركهم التفكر فى امره والا لو تفكروا فيما جاءهم به
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجد واموضع التكذيب والثانى باهل طغواها اى كذبت ثمود بسبب
اهل الطغيان فيكون فى هذه الآية انباء انهم لم يكذبوا رسولهم بشبهة اعترضتهم او بحجة كانت لهم
بل كذبوه عن عناد منهم برسالته وذلك ان نبيهم صالح عليه السلام جاء ونعت الحجج لانهم ادلوا الناقة
على سؤال سبق منهم وعلى تعنت منهم فى السؤال اذ كان لهم ان يطالبوه بالحجة على دعوى الرسالة ولم يكن لهم
ان يقترحوا السؤال على شئ يشيرون اليه فهم باشارتهم الى سؤال الناقة كانوا متعندين فيه ثم من حكمة الله
ان الحجة اذا كانت على اثر السؤال ثم ظهر التكذيب من السائلين هو الاستيصال فى الدنيا وقد وجد اولئك
القوم السؤال والتكذيب فعوقبوا بالاستيصال قال الله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها
الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فبين الله تعالى المعنى الذى لم يرسل الآيات التى سألت الكفرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو انهم لو اوتوا ثم عندوا استوصلوا فقد اراد الله تعالى ابقاء امته الى ان تقوم
الساعة وارسله رحمة للعالمين وجعل حجته من وجه فيها رحمة للعالمين وهى القتال ووجه الرحمة فيهم
انهم كانوا يستغنون عن الدنيا بحب الدنيا وشهواتها فكان يمنعهم ذلك عن النظر فى حججه وآيات رسالته
وكان فى الجهاد ما يضيق عليهم المعاش ويضطرهم الى النظر فى الحجج فيحملهم ذلك على تصديقه والايمان به
فثبت ان فى القتال رحمة عليهم وقوله اذ انبعث اشقاها اى قام اشقاها وصار اشقاها بما احدث
من الكفر بعقر الناقة وروى عن عمار بن ياسر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلى رضى الله عنه الا اخبرك باشقى الناس رجلين قال بلى يا رسول الله فقال الاحمر ثمود عاقر الناقة
والذى يضرب على هذه واشار الى هامته حتى يبتل منها هذه واشار الى لحيته فصار عاقر الناقة اشقى الناس
بما ذكرنا وجاز ان يكون قاتل على صار اشقى الناس لانه استحل قتله وقوله فقال لهم رسول الله ناقة الله
وسقياها فهو يحتمل وجهين احدهما اى احذروا ناقة الله وهو كقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب اليم والثانى اى قال لهم ذروا ناقة الله تاكل فى ارض الله وذروا بين الناقة وسقياها
اى شربها ثم اضيفت الناقة الى الله تعالى لوجهين احدهما ان الله تعالى لم ياذن لاحد بان يملك عليها حتى
ينسب اليه الملك بل بقيت غير مملوكة لاحد فاضيف الى الله تعالى كما اضيفت اليه المساجد لا ملك لاحد
عليها واضيفت الى الله تعالى على معنى التفضيل والاصل ان اضافة الاشياء الى الله تعالى يحق لحرمات
على تفضيل تلك الاجزاء من بين غيرها فاضافة الاشياء الى الله تعالى بحق الكليات تخرج تعظيم الله تعالى
فاذا قيل رب المساجد اريد به تفضيل المساجد من بين سائر البقاع واذا قيل رب العرش اريد به تعظيم
العرش وكذلك اذا قيل رب الناقة اريد به تعظيم امرها واذا قيل رب العالمين ورب كل شئ اريد به تعظيم
الرب جل جلاله وقوله فكذبوه فعقروها يحتمل ان يكونوا كذبوا صالحا عليه السلام فى رسالته او كذبوه
فيما اخبرهم من حلول العذاب بهم اذا عقروا الناقة فعقروها مع ذلك وقوله فدمدم عليهم ربهم
قال بعضهم اى اطبق عليهم العذاب على الصغير والكبير ومنه يقال بعير مدموم اذا كان شحما
اطبق شحمه على الجسد وقال بعضهم دمدم عليهم اى دمر عليهم بذنبهم وذنبهم ما تقدم من تكذيبهم
الرسول وعقرهم الناقة وقوله عز وجل فسواها يحتمل وجهين احدهما ان سواهم بالارض

كقوله عز وجل يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض وسوى بين الصغير والكبير
فى الاهلاك فالصغار منهم يومئذ ماتوا بآجالهم والكبار منهم استوصلوا بذنوبهم وقوله ولا يخاف عقباها
يجوز ان يكون الاضافة منصرفة الى الله تعالى وهو ان يكون الله لما اهلكهم لم يخف تبعة الاهلاك ووجه
الخوف هو انه فيما اهلكهم بما اوجبت الحكمة اهلاكهم ولم يلحقه تقصير فى الحكمة ولا وجد العائب فى ذلك مقالا
وهكذا قال الحسن ذاك ربنا لم يخف مما انزل عليهم العذاب ويكون منصرفا الى العاقر فيكون معناه انه
عقرها ولم يخف العاقبة التى حذرهم بها صالح عليه السلام فى قوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم
وقال بعضهم ولا يخاف عقباها اى لم يعلم ما يحل به من عقر تلك الناقة ولو علم لم يفعل ويجوز استعمال
الخوف فى موضع العلم لان الخوف اذا بلغ غايته صار علما ثم الحكمة فى ذكر قصة ثمود وجهان احدهما
ان فى ذكرها يثبت رسالة محمد صلوات الله عليه وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يوجد منه الاختلاف
الى من عنده علم الانباء والاخبار ولا كان يعرف الكتابة ليقع له المعرفة بها فثبت انه بالوحى علم والثانى ان فى ذكره تحذير
المكذبين الرسل تحذروا به ويمتنعوا عن تكذيبه فلا يحل بهم كما حل بمكذبى صالح عليه السلام من باسه وعذابه والله الهادى وعليه اعتمادى

سورة الليل مكية وآيها احدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى جعل الله تعالى الليل والنهار آيتين عظيمتين ظاهرتين
مكررتين على الخلائق ما يعرف كل كافر ومؤمن وجميع اهل التنازع الذين تنازعوا اهل الايمان والتوحيد
من الجبابرة والفراعنة والقسم بالليل والنهار والقسم بقوله والضحى والليل اذا سجى واحد وقد ذكرنا
ان القسم انما يكون فى تاكيد ما يقع به القسم ما لولا القسم كان يوجب دون القسم وذلك لعظم ما فيهما
حتى تهيأ جميع الفراعنة والجبابرة وغلبا عليهم فى اتيانهما وذهابهما حتى ان من اراد منهم دفع هذا ومجئ
هذا ما قدروا عليه وفيهما دلالة وحدانية الله تعالى والوهيته وقدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره وحكمته
اما دلالة وحدانيته والوهيته اتساقهما وجريانهما على حد واحد وسنن واحد مذ كانا وانشئا الظلمة
والنور والزيادة والنقصان فجريانهما على ما ذكرنا ان منشئهما واحد اذ لو كان فعل عدد لكان اذا جاء احد
وغلب الآخر دامت غلبته عليه وكذلك الآخر يكون مغلوبا ابدا والآخر غالبا فاذا لم يكن ذلك دل انه فعل
واحد ويدل ايضا على ان ليس ذلك عمل النور والظلمة على ما تقوله الثنوية ودل ايضا المنافع احدهما بمنافع
الآخر على ان ذلك عمل واحد لا عدد ودل اتساق ما ذكرنا ودوامها على حد واحد على الاستواء ان منشئهما
مدبر عليم عن تدبير وعلم خرج ذلك لا على الجزاف بلا تدبير ودل مجئ كل واحد منهما بطرفة عين
على ان منشئهما قادر لا يعجزه شئ من بعث ولا غيره ودل ما ذكرنا ان فاعل ذلك حكيم على حكمة خرج فعله
لا يحتمل ان يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بامور وكذلك جعل فيما ذكر من الذكر والانثى
من الدلالات والآيات من الازدواج والتوالد والتناسل وغير ذلك وقوله وما خلق الذكر والانثى
وقال بعضهم ان حرف ما متى قرن بالفعل الماضى صار بمعنى المصدر كانه قال وخلق الذكر والانثى فيكون قسما
بجميع الخلائق اذ لا يخلو شئ من ان يكون ذكرا او انثى وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه والذكر
وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرا كذلك وقال بعضهم ما هاهنا بمعنى الذى كانه قال
والذى خلق الذكر والانثى فيكون على هذا الوجه القسم بالله تعالى وعلى التاويل الاول بالذكر والانثى
وقوله ان سعيكم لشتى قالوا على هذا وقع القسم فان قيل ان كلا يعلم من كافر ومؤمن ان سعيهم
مختلف فما الحكمة والفائدة من ذكر القسم على ما يعلم كل ذلك فالوجه فيه والله اعلم ان ما يقع لهم بالسعى

وما يستوجبون به لمختلف في الآخرة وهو جزاء السعي كانه قال ان جزاء سعيكم وثوابه لمختلف وذلك انهم كانوا
يقولون ان كانت دار اخرى على ما يقوله محمد عليه الصلوة والسلام فنحن احق بها من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
بقوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا او يكون قوله ان سعيكم لشتى لان المعطي في الشاهد
ينفع غيره ويضر بنفسه في الظاهر والممسك ينفع نفسه ثم المعطي محمود عند الناس فلو لم يكن عاقبة ينفع المعطي
بما اعطى ويضر البخيل المنع لكان الناس بما حمد واهذا وذموا الآخر سفها فدل ان العاقبة هي التي يصير هذا محمودا
ولان الخلق جميعا من مسلم وكافر ومحسن ومسيء قد استووا في نعم هذه الدنيا ولذاتها بما ذكرنا من مر الليل
والنهار مما يخلق فيهما من النبات والثمار والعيون والاشجار فاذا وقع الاستوا في هذه الدار وبه وردت الاخبار
عن النبي المختار ان الناس شركاء في الماء والكلاء والنار لابد من دار اخرى للاشقيا والابرار ليقع بها التفاوت
والاشرار والنافع منهم نفسه والضار واذا ثبت انهما استويا في منافع الليل والنهار وجميع ما في الدنيا
من الانزال وغيره فاذا وقع الاستوا بينهم في الدنيا لابد من دار اخرى فيها يقع التفاوت والتفاضل بينهم
وفيها يتميز ما ذكرنا ثم بين ان السعي الذي يقع الجزاء لمختلف ما ذكر بقوله فاما من اعطى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى وهو يخرج على وجوه يحتمل فاما من اعطى واتقى اى اعطى ما امر به واتقى عصيانه وكفرانه
او اتقى المنع او من اعطى التوحيد لله تعالى من نفسه واتقى الشرك والكفران لنعمه وصدق بموعود الله تعالى
فسنيسره لليسرى للاعمال والشرايع او يشرح صدره للتوحيد والاسلام وتيسر عليه واما من بخل ولم يات
بالتوحيد واستغنى عن الله تعالى بما عنده وكذب بموعود الله فسنيسره للعسرى كما بعد من الاعمال والله اعلم
والثاني في حق القبول والعزم على وفاء ذلك بقوله فاما من اعطى اى قبل الاعطاء وعزم على وفاء ذلك واتقى
اى عزم اتقاء معاصي الله تعالى ومحارمه وصدق بالحسنى اى بموعوده فسنيسره لليسرى اى سنيسره لوفاء ما عزم
فاما من بخل اى على البخل والمنع بذلك واستغنى بالذي لم وعنده وكذب بموعود الله تعالى فسنيسره لوفاء
من الخلاف لله تعالى والمعصية له وعلى ذلك يخرج ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك
فقال كل ميسر لما خلق له او قال كل ميسر لما عمل والثالث يخرج على حقيقة اعطاء ما وجب من الحق
في المال وحقيقة المنع بقوله فاما من اعطى ما وجب من حق الله تعالى في ماله واتقى نقمة الله ومقته وعذابه وصدق
بالحسنى اى بموعود الله تعالى فسنيسره لليسرى في الخيرات والطاعات واما من بخل اى منع حق الله تعالى
الذي في ماله وكذب بالذي وعد على ذلك فسنيسره لليسرى في الافضاء الى ما وعد **وقوله** وما يغني عنه
ماله اذا تردى قيل اذا هلك ومات او تردى في النار وفي ظاهر قوله تعالى وما يغني عنه ماله دلالة
على ان الاية في حقيقة الاعطاء من المال والمنع **وقوله** وصدق بالحسنى قال بعضهم بالجنة وقيل شهادة ان لا اله
الا الله وقيل بالخلف على ما انفق وجايز ان يكون البشرى اسم للجنة وكذلك الحسنى والعسرى والسوى
النار ويحتمل ان يكون اليسرى اسما لكل ما طاب وحسن من العمل والعسرى ما خبث وقبح من العمل ومنهم من قال
ان الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه اشترى بلالا من امية بن خلف وابي بن خلف ببردة وعشرة
فاعتقه لله تعالى فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي ابي بكر وامية وابي وذكر الى آخر
السورة فاما من اعطى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ابو بكر رضي الله عنه فاما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى امية بن خلف وابي بن خلف يروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذا
وقوله ان علينا للهدى هذا يخرج على وجوه احدها جايز ان يكون علينا اى لنا وذلك جايز في اللغة
جارى كقوله تعالى وما ذبح على النصب اى النصب وكقوله تعالى وعلينا الحساب وعلينا حسابهم اى لنا محاسبتهم
وقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل اى لله قصد السبيل وكقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اى لربهم كما قال
يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحو ذلك كثير ان يكون علينا بمعنى لنا فيصير كانه قال ان لنا الهدى

دليل البعث

نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه

كقوله تعالى الا لله الدين الخالص وكقوله وله الدين واصبا يكون فيه اخبار ان الهدى له والدين الخالص له
واما ساير الاديان فانما هو سبل الشيطان ليست لله تعالى على هذا جايز ان يخرج تاويل الاية والوجهان الآخران
يخرجان على حقيقة لكن احدهما يخرج ذكر الهدى على ارادة البيان في تبيين الطريق والآخر على ارادة حقيقة
الهدى هو ضد الكفر ومقابله فاما على ارادة البيان فكانه قال ان علينا غاية البيان في حق الحكمة والعدل
فيما يحتاجون حتى ان كان التقصير والتفريط فانما يكون من قبل انفسهم لا من قبل الله تعالى اى يبين لهم كل شيء
غاية البيان ونهايته ليزول الشبهة عنهم والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو ان يقول ان علينا هداية
من استهدى واجتهد في طلبها كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ووجه آخر ان علينا لنجاز وعدنا
على الهدى لمن اهتدى واخبار ان يخرج تاويل الاية على ارادة البيان من الوجوه التي ذكرنا واما على ارادة
حقيقة الهدى هو مقابل الكفر فكانه قال ان علينا التوفيق والمعونة والعصمة في حق الاحسان والافضال
لا على ان ذلك عليه لهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ان علينا بيان ما للآخرة والاولى لكيلا يزول
عن قصد الطريق فيهلك نفسه في كل مضيق **وقوله** وان لنا للآخرة والاولى فهو يخرج على وجهين
احدهما يقول والله اعلم انكم تعلمون ان لنا الآخرة والاولى وليس لما تعبدون من الاصنام والاوثان
الآخرة والاولى فكيف صرفتم عبادتكم عمن له الآخرة والاولى الى من ليس له الآخرة والاولى على علم منكم
بذلك يسفههم في اختيارهم عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى والثاني يقول والله اعلم ان لنا الآخرة
والاولى فما بالكم تبخلون بالانفاق على انفسكم وما يرجع منفعته اليكم عما ليس لكم في الحقيقة وانما هو لنا
وهذا التاويل صلة قوله تعالى واما من بخل واستغنى الاية والاول يكون صلة قوله ان علينا للهدى
وقوله فانذرتكم نارا تلظى اى نارا يتوقد ويتلهب او يلعب على ما ذكر من صفتها ثم ذلك الانذار
يكون للفريقين لاهل التوحيد ولاهل الشرك جميعا والله اعلم **وقوله** لا يصليها الا الاشقى الذي كذب
وتولى قالت المعتزلة هذا ليس على حقيقة التكذيب ولكن على التقصير والتفريط في امر الله تعالى
والوقوع في مناهيه فيصرفون الاية الى اصحاب الكباير بارتكابهم الكباير يصيرون مكذبين ومتولين
لانهم في ابتداء اعتقادهم التوحيد والايمان اعتقدوا وفاء كل ما وقع به الامر ووفاء كل ما يليق به
والانتهاء عن جميع ما لا يليق به فاذا ترك ذلك صار مكذبا لما اعتقدوا في الاصل وفاء ذلك لكن عندنا
لا يصير بترك الوفاء مكذبا لكن يصير مخالفا لما وعد واعتقد واستدلت المرجئة الذين لا يرون
العذاب الا لاهل الشرك والكفر بهذه الاية يقولون انه لا يصليها الا الذي كذب وتولى والمسلم وان ارتكب
الصغيرة فهو ليس بمكذب ولا متولي ولكن تاويل الاية عندنا في الكفرة ليست في اهل التوحيد والايمان
ثم يحتمل قوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى في باب ودرك دون درك وباب فان لكل باب
دركا قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذا كما قال ليس لهم طعام الا من ضريع
وقال في آية اخرى الا من غسلين فيكون الضريع الذي ذكر في باب ودرك منها والغسلين في باب آخر
فجايز على هذا ان لا يصلى ذلك الدرك الا الاشقى فاما يجوز ان يكون لصاحب الكبيرة درك خاص ولنا ما ذكرنا
ان اصحاب الكباير قد اوعد واوخوفوا بمواعيد شديدة فلسنا ننكر المواعيد لهم وانهم يعذبون ولكن نقول
لا يكونون في الدركات التي فيها الكفار ان دخلوا في النار وجايز ايضا ان يعذبوا بعذاب سوى العذاب
الذي ذكر بالنار والتلظي وعندنا هم في مشية الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء تجاوز عنهم وخلا عنها
سبيلهم واما النار التي ذكر بصفة التلظي فهي للكفار والله الموفق **وقوله** وسيجنبها الاتقى الذي
يؤتي ماله يتزكى اخبر انه يجنب النار عن الاتقى ويقيه عنها ثم فيه دلالة انهما يجنبها ويقيها بالاعمال التي
يعملها فدل ان الله تعالى في افعالهم صنعا حيث اضاف الوقاية اليه والتجنب عنها وهو كقوله ربنا آتنا في الدنيا

حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وقوله عز وجل وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اى ما لاحد عند الله تعالى من نعمة تجزى بها ولا بد يستحق الثواب بها لكن ذا ذى نعمة من نعم الله تعالى التى اعطاها اياه لغيره ابتغاء وجهه وطلب رضاه يجزيه بفضله كانه كانت له عنده نعمة تجزى بها والثانى يحتمل ان هذا صلة قوله يؤتى ماله يتزكى اى يتصدق ويتزكى لا ابتغاء وجه الله تعالى على من ليس عنده نعمة ويديه يجازيه بها وينفق عليه جزاء لصنيع قد سبق منه فحقه كانه يقول لا يعطى الزكوة احدا عن مجازاة سبق منه اليه من نعمة انما اعطاه له لا مجازاة ولكن لله تعالى خالصا وفيه دليل ان لا يعطى لرجل ذكوة ما له من عنده لم نعمة او منة لانه يخرج ذلك مخرج الاعطاء ببدل وقوله ولسوف يرضى اى يرضى بالذى يجزى له ويساق اليه من الثواب وحرف السوف والعسى من الله تعالى واجب كانه يقول ليعطيه حتى يرضى وقال بعضهم نزلت هذه الآية وهو قوله عز وجل وما لاحد عنده من نعمة تجزى في ابى بكر الصديق رضى الله عنه وقال بعضهم هذه الآية نزلت في ابى الدحداح رضى الله عنه طلب النبى صلى الله عليه وسلم منه نخلة الى آخر القصة وقال بعض اهل الادب يتردى في النار ويقال تردى لفعل من الردى وهو الهلاك اذ تجلى اذ ابدى والبشرى من التبشير والعسرى من التعسير والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين

سورة الضحى مكية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والضحى والليل اذا سجى قال بعضهم الضحى هو ضوء النهار كقوله وضحاها اى ضوءها وقال بعضهم هو ساعة من النهار وهى من اول النهار ويقال صلوة الضحى وهى عند ضحوة النهار ومنهم من يقول هو كناية عن الحر كقوله لا تجوع فيها ولا تعرى الى قوله ولا تضحى اى لا يصيبك الحر والله اعلم ومنهم من يقول هو كناية عن النهار كله اقسم به وبالليل الذى ذكر فان كان المراد من الضحى هو ضوء النهار ومن الليل اذا سجى ظلمته فيخرج القسم به على ان ظلمة الليل تستر الخلايق كلهم في طرفة عين وكذلك ضوء النهار يكشف الستر ويجلى بطرفة عين جميع الخلايق من غير ان يعلم احد ثقل ذلك الستر او خفة ذلك الضوء فاقسم بذلك لعظيم ما فيهما من الآية وان كان المراد منه نفس الليل والنهار فالقسم بهما لما جعل فيهما من المنافع الكثيرة وقوله اذا سجى اختلف فيه قال بعضهم اذا استوى وقال بعضهم اذا سكن وركد وقال بعضهم اذا سجى اذا غشى واظلم وغطى كل شئ وستر وهو من التسجى والستر يقال تسجى قر المراة اذا استتر وتغطى وقوله ما ودعك ربك وما قلى على هذا وقع القسم ثم اختلف في السبب الذى نزل هذا قال بعضهم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان سئل عن شئ اذ اطلب منه شيئا فقال لا فعل ذلك غدا واخبركم عنه غدا ولم يستثن فاحتبس عنه الوحى اياما لذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه اى تركه وابغضه ومنهم من قال انه ابطأ عليه الوحى فجزع جزعا شديدا فقالت له خديجة رضى الله عنها انى لارى قد قلاك ربك وودعك مما ترى من جزعه فنزل قوله ما ودعك ربك وما قلى ولسنا ندرى كيف كان الامر فان كان نزل ذلك لقول قريش فالقسم يحتمل كذلك ردا لقولهم والقول الثانى انه نزل لقول خديجة رضى الله عنها فهو غير محتمل لان خديجة تعلم ان الله تعالى لم يودعه ولا قلاه وكذا كل مؤمن معتقد ان الله تعالى لا يودع احدا من رسله ولانها تصدق الرسول عليه الصلوة والسلام انه لم يودعه ولا قلاه اذا اخبرها بغير قسم فلا معنى للقسم فلان هذا الوجه غير محتمل ثم صرف تأويل الآية الى غير ما قالوا اشبه عندنا واقرب مما قالوا وهو انه

عليه الصلوة والسلام بعث الى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم قتل من خالفهم واهلاك من استقبلهم بالخلاف ولم يكن معه فضل مال وسعة يستميل به قلوب الناس فيقول اولئك الكفرة ان ربه قد خذله وتركه وقلاه حيث بعثه الى من ذكرنا من الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل وعادتهم اهلاك من خالفهم بلا انصار ولا اعوان من الملائكة ولا مال وسعة تستميل به القلوب والانفس لان من سلم انسانا الى اعدائه الذين يعلم انهم اعداؤه ويخلى بينه وبين بلا انصار ولا اعوان ولا مال وسعة من الدنيا فيقال انه قد خذله وتركه وقلاه اذ لا يفعل ذلك في الاصل الا لذلك فعند ذلك قالوا انه ودعه وقلاه وهو ما قالوا لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحو ذلك مما قالوا فلولا صرف اهل التاويل تاويل الآية الى ما ذكروا والا صرفه الى ما ذكرنا اشبه وفي قولهم قد ودعه ربه دلالة انهم قد عرفوا انه رسول الله واقروا بذلك حتى قالوا انزل قوله ما ودعك ربك والثانى انه لو كان يخترع على ما كانوا يقولون اولئك لكان لا يحتبس عن الاختراع ويكون يخترع ابدا حتى لا يقولوا انه ودعه فدل ظهور احتباس الوحى انه عن امر يخبر وانه مأمور بذلك ثم اخبروا انه لم يبعث الى هؤلاء الفراعنة والجبابرة لما ذكروا اولئك الكفرة انه خذله وتركه وقلاه ولكن بعثه وهو ينصره ويعينه على تبليغ ما امر بتبليغه الى من امر بتبليغه ولم يقله ولكنه اصطفاه واختاره حتى يعلو امره ويكثر ذكره وفي ذلك لآية عظيمة على اثبات الرسالة وهو ما ذكرنا انه بعث الى من همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فقهرهم جميعا وغلبه على الكل حتى اظهر الاسلام فيمن قرب منه ومن بعد وقوله وللآخرة خير لك من الاولى يقول لعم ما اعطيت في الدنيا من الشرف والذكر والغلبة على الفراعنة فالآخرة خير لك من الاولى وهو كقوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى اى ليعطى في الآخرة ما يرضى من الكرامة والشرف وقال بعض الناس اى ولسوف يعطيك ربك فترضى في الدنيا من الذكر والشرف والمنزلة والغلبة على الاعداء ويحتمل يعطيك في امتك ما ترجوا وتامل من الشفاعة لهم وترضى ويقول بعض الناس ان ارجى الآية هذه حيث وعد له ان يعطيه ما يرضى ولا يرضى ان يكون امته في النار ومنهم من قال ارجى الآية قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه وعندنا ارجى الآيات هى التى امر الله تعالى رسله بالاستغفار للمؤمنين وكذلك ما امر الملائكة بالاستغفار لهم فاستغفر والهم وقوله الم يجدك يتيما فآوى الآية ما ذكر من الاحوال التى ذكر فيه من قوله الم يجدك يتيما فآوى ووجدك عائلا فاغنى الآية وقوله عز وجل الم يجدك يتيما فآوى ووجد عائلا فاغنى الآية وقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ونحو ذلك من الاحوال التى ذكر فيه في الظاهر احوال يذكر للتشيين فيمن يقال فيه لكن في ذكر ما ذكر فيه من الاحوال ذكر بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له والعون وآية له على رسالته ونبوته لان نفاذ القول وغلبة الامر مع الاحوال التى ذكر اعظم في الاعجوبة من نفاذه في حال السعة وحال قوة الاسباب وتاكيد ما اوان يكون قوله الم يجدك يتيما فآوى ووجدك عائلا فاغنى ونحوه لان اولئك الكفرة كانوا ينسبونه الى الافتراء والاختراع من ذات نفسه فاخبر ان اليتيم والفقير ليس يبلغ في العلم والمعرفة المبلغ الذى يقدر على الاختراع والانشاء الشئ من نفسه على وجه يعجز مبلغ الاختراع عن مثله جميع الخلق لما لا يجد ما ينفق في ذلك ويتحمل من المؤن حتى يبلغ مبلغ الاختراع وكذلك ما ذكر حيث قال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك لانهم قالوا انما يعلمه بشر والبشر انما يتعلمون بالكتابة والخط فاذ لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شئ من ذلك دل انه بالله عرف وحده وقوله الم يجدك يتيما فآوى اى وجدك يتيما فآواك

ايه عظيمة للرسالة

ثم يحتمل قوله تعالى فآوى وجوها احدها وجدك يتيما فآواك الى ملك حتى رباك ودفع عنك كل اذى وآفة وساق اليك كل خير وتولى ان بلغت المبلغ الذى بلغته والثانى يقول قد وجدك يتيما فآواك الى عدو من اعدايك حتى تولى تربيتك وبرك وعطف عليك وتولى عنك دفع المكروه والاذى بذكو منته وعظيم نعمه عليه ان كان ما ذكو ثم صير عدوا ادفع المكروه من اعدايه اشفق الناس عليه واعطف والله اعلم والثالث قد وجدك فآواك الى نفسه وعطف عليك حتى اختصك واصطفاك للرسالة والنبوة حتى صرت مذكورا فى الدنيا والآخرة وحتى احوج جميع الناس اليك وليس ذلك من امر اليتيم ان يبلغ شانه وامره الى ما بلغ من امرك وشانك حتى صرت مخصوصا من بين الناس جميعا فيما ذكرنا من اختصاصه اياك بالرسالة واحوج جميع الناس اليك بذكر عظيم منته ونعمه عليه وقوله ووجدك ضالا فهدى هذا يخرج على وجوه احدها يقول والله اعلم لولا ان الله تعالى هداك لدينه ووفقك له والا وجدك ضالا اذ كان نشوه بين قوم ضلال لم يكن احد يهديه ويدعوه الى الله تعالى ولكنه هداك وارشدك فلم يجدك ضالا وهو كقوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار لولم ينقذكم منها وكقوله لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لان البشر انشئ وطبع على الركون والميل الى النعم العاجلة والختيار الايسر والالذ ولكنه بفضله ولطفه ثبتك وعصمك ولم يكلك على ما طبعت وانشيت فى اصل الخلقة فعلى ذلك يقول فى قوله فوجدك ضالا فهدى اى لولا انه هداك والا وجدك ضالا او لولم يهدك فنفيه انه هداه ولم يجده ضالا والثانى يقول ووجدك ضالا لا ضلال كسب واختيار ولكن ضلال الخلقة التى نشئ عليها الخلق والضلال بمعنى الجهل لان الخلق فى ابتداء احوالهم يكونون جهالا لا جهل كسب يذمون عليه او يكون لهم علم يحمدون عليه ولكن جهل خلقة وضلال خلقة لما ليس معهم آلة درك العلم فلا صنع له فى كسب الجهل فاما بعد البلوغ بالة العلم يكون الجهل مكتسبا فيذم عليه وكذى العلم فيترتب عليه الحمد والذم فعلى هذا يكون قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى او وجدك جاهلا على ما يكون فى اصل الخلقة وحالة الصغر فهداك اى علمك وهو كقوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا وقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب يذكر انه لم يكن تدرى شيئا حتى دراه وعلمه والثالث يقول ووجدك ضالا اى غافلا عن الانباء المتقدمة واخبارهم حتى اطلعك الله تعالى على ذلك كقوله نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان من قبله لمن الغافلين او يقول ووجدك فى امر القرآن او ما فيه جاهلا غافلا عن علم فاعلمك وقال بعضهم ووجدك ضالا اى وجدك بين قوم ضلال فهداك اى اخرجك من بينهم ما لولم يخرجك من بين اظهرهم لدعوك الى ما هم عليه ويجبروك على ذلك ولم يرضوا منك الا ذلك والله اعلم وقال بعضهم ووجدك ضالا من طريق مكة فهداك الطريق وقال بعضهم ووجدك ضالا حقيقة الضلال فهداك للتوحيد لكن هذا وحشى القول اذ لا يليق به ان ينسب الى ذلك وقال بعضهم ووجدك ضالا عن النبوة اى جاهلا فهداك للنبوة وهو قريب بما ذكرناه وقوله عز وجل ووجدك عايلا فاغنى اى فقيرا فاغناك اى اغناك بما اراك من امر الآخرة وما يسوق اليك من نعيمها اى بما اعد لك فى الآخرة وما وعد له من النعيم والكرامات فهانت عليه الدنيا حتى ذكر ان الدنيا لم يكن يعدل عنده صلى الله تعالى عليه وسلم جناح بعوضة ولذلك روى ان الغنى غنى القلب ويحتمل انه جعل فيه حالا بلطفه اغناه كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال فقيل انت تواصل يا رسول الله فقال عليه السلام انا لست كاحدكم ان ربى يطعمنى ويسقينى فجايز ان يكون لله عز وجل فيه لطفا اغناه به وان لم يطلعنا عليه والله اعلم وقال بعضهم اغناك بمال خديجة رضى الله عنها وقال بعضهم فاغناك اى فارضاك بما اعطاك من الرزق

واقفك

واقفك وقوله عز وجل فاما اليتيم فلا تقهر وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه فاما اليتيم فلا تكهر فالكهر الزجر كانه قال فلا تزجر جايز ان يكون قوله فلا تقهر اى لا تمنع حقه وادفع اليه حقه وماله او يكون ذكر هذا يقول كنت يتيما ورايت حال اليتيم فلا تقهر اليتيم فيكون على الصلة لقوله الم يجدك يتيما فآوى فلا تقهر اليتيم بعد ذلك واما السايل فلا تنهر اى كنت محتاجا فقيرا فعرفت محل الفقر والحاجة وشدة حاله ولا تنهر السايل اى لا تزجره ولكن اعطه وجايز ان يكون الامر لا على النهى ولكن على الامر بالبر لهولاء والاعطاء لهم وجايز ان يراد فى نفى شىء اثبات ضده كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم اى خسرت وهذا الحديث وهو ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اتاكم السايل فلا تقطعوا عليه مسالته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه برفق ولين اما ببذل يسير او برد جميل فانه قد ياتيكم من ليس بانس ولا جن يرى كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى وقال قوم تزويج اليتيم قهره لما فيه من الاستذلال والاضرار فلم يجوزوا من غير الاب والجد واجازوا بيع ماله من وصيه ان كان وصى الاب او الجد ووصى امه فى تركتها فدل ان تزويج اليتيم ليس من قهره بشىء وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه زوج بنت حمزة سلمة بن ابى سلمة وهو صغير يتيم وزوج ابن عمر بنت اخيه وهى صغيرة وزوج عروة ابنته من مصعب وهى صغيرة واما بنعمة ربك فحدث وقهر اليتيم فى ظلمه ولا اعتداء عليه وليس فى التزويج ذلك وقوله واما بنعمة ربك فحدث يحتمل وجهين احدهما يقول حدثهم بنعم الله تعالى التى انعم عليهم ليعرفوا او يقوا بما فيه شكرها او تقول حدثهم بما انعم الله عليك وهو هذا القرآن اذ القرآن من اعظم ما انعم الله عليه فامر بتحدث ما عليه من النعم ليعرفوا عظيم ما انعم الله عليه من الاختصاص لهم حيث جعلهم من امته ومن قومه او امر بان يقراه ويحدث بما فيه وقد روى عن ابى رجاء العطاردى قال خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف خز لم نره عليه قبل ولا بعد فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا انعم على عبد نعمة يحب ان ترى اثر نعمته عليه وعن عطية عن ابى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر نعمته على عبيده ويبغض البوس والتبوس وعن ابى الاحوص عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطاه الله تعالى خيرا فليرعليه وابدا بمن يعول وارضخ من الفضل ولا يلام على كفاف ولا يعجز عن نفسك وعن يحيى ابن عبد الله عن ابيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا بسط الله تعالى على عبد نعمة فلير عليه يعنى به الصدقة والمعروف وقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وابدا بمن يعول دليل عليه قال اهل الادب عال افتقر واعال اى كثر عياله ويقال الجمع اسكنته وقال الانتهار الكلام الخشن. الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه.

سورة الشرح مكية وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم نشرح صدرك المخاطب فى هذه السورة من الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم خاطبه اياه حيث قال الم نشرح لك صدرك الى ما ذكر والمخاطبة فى سورة والضحى انما كانت من غير الله تعالى اياه كان جبريل عليه السلام خاطبه فى ذكر منن الله تعالى اياه وذكر نعمه

ان الله جميل يحب الجمال

اذا انعم على عبد نعمة يحب ان ترى اثر نعمته عليه

اوسميت ليلة القدر لانها ليلة لها ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف الشئ العظيم بالقدر والمنزلة
وسميت ليلة مباركة لانه ينزل فيها البركات والرحمة من الله تعالى على خلقه اوسميت مباركة لكثرة مايعمل
فيها من العبادات **وقوله** تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام قال بعضهم الروح
هاهنا جبرئيل عليه الصلوة والسلام كقوله تعالى نزل به الروح الامين وقال الروح خلق موكلون بالملائكة
كما ان الملائكة موكلون ببني آدم وجايز ان يكون الروح هنا هو الرحمة اي ينزل الملائكة بالرحمة فيها على ما سميت
مباركة بما ينزل فيها من البركات ثم اختلفوا في قوله فيها قال بعضهم اي في تلك الليلة تنزل الملائكة
والروح وقيل الروح فيها اي في الملائكة **وقوله** عزوجل باذن ربهم اي ينزلون بامر ربهم **وقوله** عزوجل
من كل امر قال بعضهم اي بكل امر يقدر في تلك السنة على الارض وكذا قال القتبي من كل امر سلام اي بكل امر
سلام وقيل من كل امر يدبره الله تعالى اي الملائكة لا علم لهم فيما يقدر الله تعالى الا ان يطلعهم عليه فكانهم
يطلعون على مايقدر في تلك السنة من الامور فينزلون بها بامر الله تعالى **وقوله** عزوجل سلام قيل تنزل
الملائكة تحقق باجنحتها بالسلام من الله تعالى والرحمة والمغفرة وقال اي هي ليلة سالمة لا يحدث فيها شر
ولا يرسل فيها شيطان الى مطلع الفجر وقال بعضهم هو سلام الملائكة اي تسلم الملائكة عن كل مؤمن ومؤمنة
وقال بعضهم من كل امر سلام اي من كل آفة وبلاء سلام وكذلك ذكر في قوله له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من امر الله قال بعضهم يحفظونه من عذاب الله وقال بعضهم يحفظونه بامر الله تعالى
فلذلك يحتمل قوله من كل امر سلام هذين الوجهين **وقوله** عزوجل هي حتى مطلع الفجر يحتمل اي تلك
البركات التي ذكرت الى مطلع الفجر ويحتمل ذلك السلام الذي ذكر الى مطلع الفجر ويحتمل الملائكة يكونون
في الارض الى مطلع الفجر وروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قرئ من كل امرئ سلام وقال يعني الملائكة
ثم قال بعضهم اختلفت الروايات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة القدر متى يكون واختلفت
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فيها يروى عن عبد الله بن انيس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال التمسوها في العشر الاواخر واطلبوها في كل وتر وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة تسعة عشر من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة
ثلاثة وعشرين وروى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال تحروا ليلة القدر
في السبع الاواخر وروى انها في سبع وعشرين وعن عبد الله بن عمر انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن ليلة القدر وانا اسمع قال هي في كل رمضان وعن زر قال قلت لابي بن كعب اخبرني عن ليلة القدر
يا ابا المنذر فان صاحبنا عبد الله بن مسعود سئل عنها فقال من يقم الحول يصبها فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن
والله لقد علم انها في رمضان كره ان يتكلوا والله انها في رمضان ليلة سبع وعشرين ثم ليس لنا
ولا لاحد ان يشير الى تلك الليلة فيقول هي ليلة كذا ليلة سبع وعشرين او تسع وعشرين الا ان يثبت
بالتواتر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك خبر بالاشارة اليها فعند ذلك يسع والا كانت
مطلوبة في الليالي وعلى هذا الوجه يخرج الاخبار المروية على التوافق دون المناقضة ويكون كلها صحيحة
فيكون في سنة بعض الليالي وفي سنة اخرى في غيرها وفي سبع في العشر الاواخر من رمضان
وفي سنة في العشر الاوسط من رمضان وفي سنة في العشر الاول وفي سنة في غير رمضان
والله اعلم بذلك • الحمد لله رب العالمين • والصلوة والسلام على محمد وآله وصحبه •

سورة لم يكن مدنية وآيها ثمان او تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة ذكر في حق اهل الكتاب لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بحرف من وهو للتبعيض ولم يقل اهل الكتاب وذكر في حق اهل الشرك والمشركين لان اهل الكتاب كانوا فرقا منهم من كان آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما بعث آمن به فلزم الايمان به ومنهم من كان كافرا به فلما بعث وارسل لزم الكفر به ولم يؤمن فلما كانوا اصنافا وفرقا لذلك قال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بحرف من واما المشركون فانهم كانوا صنفا واحدا ثم لم يبين بانهم اذا اتاهم البينة ينفكون او لا وجايز ان يكون قوله عز وجل لم يكن الى قوله حتى تاتيهم البينة اي لم يكن بعض اهل الكتاب وبعض المشركين منفكين من الكفر لانه عطف المشركين على اهل الكتاب كانه قال من اهل الكتاب ومن المشركين ولذلك خفض المشركين ولم يقل والمشركون بل كانوا اهل كفر وشرك الى آخر عمرهم وان اتيهم البينة والبينة هو ما في خلقة كل احد مما يدل على الوهيته ووحدانيته ويحتمل ان بعضا من الفريقين على الشرك حتى تاتيهم البينة وهي معاينة العذاب عند الموت كقوله تعالى فلما راوا باسنا ونحو ذلك وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه لمن لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وفي حرف ابي ما كان الذين اشركوا من اهل الكتاب والمشركين ثم اختلف في قوله عز وجل منفكين قال بعضهم لم يكن الذين من اهل الكتاب والمشركين منتهين زايلين عن الكفر والشرك حتى ياتيهم الملايكة وقال بعضهم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين خارجين من الدنيا حتى تاتيهم البينة ثم اختلفوا في البينة التي ذكر انها تاتيهم قال بعضهم البينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال على اثره رسول من الله يتلو صحفا وقالوا بعضهم ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فمن جعل قوله منفكين منتهين زايلين يجعل البينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم سمي بينة لانه به يعرف كل خير وكل احسان وبه يتبين الحق من الباطل وكل شيء من امر المعاد والمعاش وكذلك القرآن جاء به ومن قال منفكين خارجين من الدنيا يجعل البينة التي ذكر انها ياتيهم العذاب معاينة جهارا كقوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي خارجين من الدنيا حتى يعلموا العذاب فعند ذلك يؤمنون وقوله رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة على التاويل الاول في البينة يكون ما ذكر في قوله رسول من الله تفسيرا للبينة وعلى الثاني يخرج على الابتداء بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو صحفا مطهرة ثم جايز ان يكون سمى القرآن وحده صحفا على المبالغة اذ قد يسمى الواحد باسم الجميع على المبالغة وجايز ان يكون قوله يتلو صحفا القرآن وساير الصحف لان ساير الصحف فيه وكذلك فيها كتب قيمة جايز ان يكون سمى كتابه المنزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتبا على الابلاغ والتاكيد على ما ذكرنا وجايز ان يكون صحفا وكتبا عليهم وهي التورية والانجيل والزبور كان هذا القرآن في تلك الكتب وتلك الكتب فهذا وهو كقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله عز وجل ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى انه اخبر في تلك الكتب وان الكتب الاولى فيه فيصير بتلاوة هذا عليهم كانه تلا الكتب عليهم وعلى هذا قوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه وقوله عز وجل مصدقا لما معهم في هذا ما في تلك الكتب وقال بعضهم صحفا مطهرة التي كانت في ايدي السفرة البررة وقوله مطهرة يحتمل من ان يكون للباطل فيه حجة او مدخل او مطهرة من الافتعال والافتراء او مطهرة من ان يحتمل ما ذكره اولئك وقال قتادة سمى كتابه باحسن الاسماء واثنى عليه باحسن الثناء سماه نورا وهدى ورحمة وبركة واية شفاء ونحوه وقوله قيمة اختلف فيه قال بعضهم فيها كتب صادقة وقال بعضهم عادلة وقال غيرهم مستقيمة

على ما يوجبه الحكمة وجايز ان يكون قوله تعالى فيها كتب قيمة اي احكام كثيرة مستقيمة على ما يوجبه الشريعة والحكمة وقوله عز وجل وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقول اهل التاويل انما تفرقوا من بعد ما جاءتهم البينة وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر هذا التاويل خطأ لانهم كانوا متفرقين قبل ذلك فلا معنى لذلك وعندنا ليس كما توهم هو وهو يخرج على وجهين احدهما وما تفرقوا في محمد عليه الصلوة والسلام الا من بعد ما جاءهم العلم به عند ذلك تفرقوا فيه فاما قبل ذلك كانوا مجتمعين به فيه كلهم او ما تفرقوا فيه في الدين والمذهب الا من بعد ما جاءهم البينة اي عن بيان وعلم تفرقوا في الدين وفيما تفرقوا فيه وهو ما جعل في خلقة كل احد دلالة التوحيد والربوبية له ما لو تفكروا لعرفوا بان الله تعالى واحد والبينة يحتمل من هذا الموضع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ونفس الخلقة على ما ذكرنا وقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين اي ما امر اوايلهم واخرهم في تلك الكتب الا ليعبدوا الله تعالى ولا يعبدوا من دونه وما امروا الا ليجعلوا الالوهية لله والوحدانية له ودل قوله وما امروا الا ليعبدوا الله على ان تاويل قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على اضمار الامر اي الا ليامرهم بالعبادة على كل حال لانه لو خلقهم للعبادة ما قدروا على غيره او ان يكون قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على الخصوص خلق من علم انه يعبده للعبادة وقوله عز وجل مخلصين له الدين اخلاص الدين له يخرج على وجهين احدهما ان يخلص له الدين ويصفي لا يشرك فيه غيره ويكون من خلوص وصفاء والثاني الدين الخالص هو الدايم كقوله وله الدين واصبا اي دايما وكذلك يحتمل قوله تعالى الا لله الدين الخالص وقوله عز وجل حنفاء قال اهل التاويل المسلمون وقال بعضهم حنفاء متبعين والحنف الميل كانه قال مايلين الى الاسلام وقيل حنفاء الحجاج وقيل الحنيف المستقيم وقوله عز وجل ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة يحتمل القبول اي قبلوا اقامة الصلوة وايتاء الزكوة اي تابوا وقبلوا ذلك ليس على حقيقة الاقامة ويحتمل ان يكون حقيقة الاقامة والايتاء وانما كان فيه ان اوايلهم كانوا مامورين بالصلوة والزكوة ثم المعنى الذي في الصلوة والزكوة لا يحتمل النسخ في وقت من الاوقات لان الصلوة معناها هو الاستسلام والخضوع له والزكوة هي تزكية النفس وطهارتها وذلك لا يحتمل النسخ ثم قال وذلك دين القيمة والدين مذكر والقيمة مؤنث فجايز ان يكون الذي ذكر هو الملة القيمة ويحتمل دين الامة القيمة وهو قول الزجاج او يقول ذلك الدين الذي قومته الحجج والبراهين احنيفا الحجج وجايز ان يكون ذكر القيمة على التسوية بين ما سبق وما تقدم من اوله الى من قوله عز وجل حتى تاتيهم البينة ومطهرة وكتب قيمة ثم قال على ذلك وذلك دين القيمة لتسوية بين ما تقدم وما تاخر من قوله خير البرية وشر البرية وفي حرف ابي ذلك الدين القيم بغيرها وفي قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم البينة وجهان احدهما التحذير لهذه الامة لان لا يتفرقوا كما تفرق اولئك في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به والثاني يكونون ابدا فزعين الى الله تعالى في كل وقت خايفين منه وان لا يكلوا الى البيان الذي جاءهم فيتفرقوا كما تفرق اولئك وقوله عز وجل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم ظاهر هذا ان يكون تاويل قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين اي بعض المشركين في النار لا كل المشركين ولكن من كفر من المشركين كان كمن كفر من اهل الكتاب في نار جهنم لكن الكفر هو الشرك والشرك هو الكفر كقوله ان الله تعالى لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدل ان الكفر والشرك واحد وكل كافر مشرك فكانه قال عز وجل ان الذين اشركوا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ثم جاء كل هذا التشديد

لهؤلاء لان اهل الكتاب ادعوا انهم من نسل الانبياء ثم تركوا اتباعهم والمشركون قد اقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن من احدى الامم ثم نقضوا ذلك العهد واهل الكتاب قالوا انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مقتدون فتركوا اتباع الصالحين من آبائهم والعرب ايضا كانوا اقرب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من غيرهم فحقه عليهم الزم واوجب فشدد على هولاء لهذا المعنى ثم ان كان البرية ماخوذا
مقدرا من البرا وهو التراب ويرجع تاويل الآية الى البشر كانه قال اولئك هم شر ما انشئوا من الارض
وان كان ماخوذا مقدرا من البر او هو الخلق فيصير كانه قال اولئك هم شر ما خلقوا فيدخل في ذلك
الملائكة والجن والبشر وفي الاول لا يدخل الا البشر خاصة وكذلك ما ذكر من اهل الايمان حيث قال
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية فان كان البرية ماخوذا من البراء فهو يرجع الى الاصناف
جميعا وان كان من البرى وهو التراب فهو يرجع الى البشر خاصة فيصير كانه قال شر اهل البشر من جنسهم
وخير اهل الخير من جنسهم لانهم صاروا قادة في الهدى والخير وقوله جزاؤهم عند ربهم جنات عدن
فان كان العدن هو المقام لجميع الجنان عدن وجميع الجنان نعيم ثم قد قسم الخلق صنفين جعله شر البرية
وصنفا جعله خير البرية ثم يكون من كل صنف شر من شر وخير من خير وسوى بين من نشا على الكفر
ودام عليه في التابيد والتخليد وبين من احدث الكفر في آخر عمره وكذلك من دام على الايمان ومن احدث
سوى بينهما ولم يجعل لما مضى من الكفر جزاء ولا عقابا وذلك والله اعلم هو ان من اعتقد ايمانا انما يعتقد
للابد وكذلك من يعتقد الكفر انما يعتقد للابد فاذا احدث الايمان بعد الكفر اعتقد قبح ما عمل
في حال كفره وشره وحسن ما احدث من الايمان والتوحيد وكذلك من احدث الكفر بعد الايمان
اعتقد فساد ما عمل في حال ايمانه لذلك سوى بين من احدث وبين ما دام عليه وليس كمن يذنب
في وقت ويتوب في وقت لانه يعتقد حسن ذلك ولا قبحه في الابد والله الموفق وقوله عز وجل رضي الله عنهم
ورضوا عنه احدهما يقول رضي الله عنهم بعملهم الذي عملوا لانفسهم وسعيهم الذي سعوا في الدنيا
لهم رضي بسعيهم لهم ورضوا عنه اي رضواهم عنه بما اكرمهم ووفقهم الاعمال التي عملوا لانفسهم
في الدنيا وهو كقوله تعالى وان تشكروا يرضه لكم اي ان قبلوا ما احسن اليهم واحسنوا صحبة احسانه
اليهم يرضى ذلك لهم وقال وهذا يدل ان ما يعملون من خير او شر انما يعملون لانفسهم والمنفعة
يرجع اليهم او مضرة يندفع عنهم والثاني رضي الله عنهم بما اكرمهم من الثواب لاعمالهم التي عملوا
لانفسهم ورضوا عنه بكرامته التي اكرمهم وقوله عز وجل رضي الله عنهم هذا منه افضال
وانعام حيث ذكر رضاه عنهم وان ذكر العفو والتجاوز كان حقا ولكن هذا كما ذكر من لطيف
معاملته عباده حيث سمى ما تخروا في وقت حاجتهم اليه قرضا حيث قال واقرضوا الله قرضا حسنا
وسمى بذلهم انفسهم واموالهم شرا وما يعملون لانفسهم جزاء وشكرا واموالهم وانفسهم في الحقيقة لله
ولكن سمى بالذي ذكرنا لطفا منه وفضلا فعلى ذلك ما ذكر من رضاه عنهم به وكذلك قوله ورضوا عنه
ذكر رضاهم عنه بفضله ولطفه والا امتنهم حتى يذكر منهم الرضا عن الله تعالى ثم هو يخرج
على وجهين سوى ما ذكرنا احدهما ورضوا عنه بما امتحنهم في الدنيا بالمحن الشديدة العظيمة
وان اشتدت ذلك وثقلت على انفسهم اذا راوا احسان الله تعالى وفضله في الآخرة والثاني
رضوا عنه بالنعم التي اكرمهم في الجنة لا يبغون عنها حولا ولا يريدون غيرها ولا يملون
على ما يملون في الدنيا قال ابو عوسجة منفكين اي لا يزالون على هذه الحال يقول الرجل ما انفككت
افعل كذا وكذا اي ما افعل كذا وكذا وقال القتبي وابو عبيد وغيرهما المنفكين زايلين وقوله
عز وجل ذلك لمن خشي ربه اي الذي ذكر من الجزاء لمن خشي نقمته او خشي سوء صحبة نعمه

واصله من اجتنب المعاصي وعمل بالطاعات فانما يفعل ذلك لخشية ربه سبحانه وتعالى
فكل من اعلم بربه فهو اخشى لربه تعالى ومن اجهل به فهو اجرا قال الله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده
وقال الحسن الخشية هي الخوف اللازم في القلب الدائم فيه او خشي خلافه وكفران نعمه
والله اعلم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله وصحبه

سورة الزلزال مدنية وآيها ثمان او تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا زلزلت الارض زلزالها قد ذكرنا ان حرف اذا انما يذكر عن سؤال سبق منهم كانهم
سالوا عن الوقت الذي كانوا يوعدون فيه وان لم يذكر السؤال لانه قد يكون في الجواب بيان السؤال
وفي السؤال بيان الجواب وان لم يذكر نعمد ذلك قال اذا زلزلت الارض زلزالها اخبرهم عن احوال
يوم القيامة والحساب ولم يخبرهم عن وقتها وقد ذكرنا في غير موضع ثم قوله عز وجل اذا زلزلت الارض
زلزالها اي حركت الارض تحركا شديدا لهول ذلك اليوم وهو يخرج على وجهين احدهما جائز ان يكون
يتزلزل ويتحرك حتى يلقي ما ارتفع منها من الجبال الرواسي في الاودية حتى يستوي الارض لا يبقى فيها
هبوط ولا صعود كقوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وجائز ان يكون قوله زلزلت الارض اي يتزلزل
ويتحرك الجبال الرواسي حتى يصير كما ذكر يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال
كالعهن المنفوش وقوله فجعلناه هباء منثورا فاذا فنيت وتلاشت بقيت الارض مستوية على ما ذكر
ويحتمل ان يكون يتزلزل ويتحرك حتى تصير غير تلك كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الآية ويحتمل
ان يكون تبديلها وتحريكها ومدها هو تغير صفاتها على ما ذكرنا في الوجهين الاولين قال الزجاج لا يصح
هذه القراءة لان الزلزال من المضاعف والمضاعف انما يكون بالخفض مصادرها اما من الاسماء
قد يكون نصبا كقوله تعالى من صلصال ونحوه والزلزال مصدر فيكون الاصل المطرد فيه هو الكسر
والنصب يكون نادرا والله اعلم وقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اي احمالها هول
ذلك اليوم وقال في آية اخرى والقت ما فيها وتخلت ثم يحتمل اخرجت والقت ما فيها من الموتى
من اول ما دفن فيها من كل شيء من الحيوان وغيرها الى آخر ما يجعل فيها من الكنوز وغيرهما مما يحتمل
الحساب ومما لا يحتمل من البشر وجميع الممتحنين وغيرهم ويحتمل اخرجت اثقالها الممتحنين خاصة
ممن يحاسبون ويثابون ويجزون وقوله وقال الانسان ما لها اي قال الكافر ما لها يحرك فقال
بعضهم احمق في الدنيا واحمق في الآخرة حيث يسال الارض ما لها يتزلزل ويتحرك يظن انها بنفسها
يفعل ذلك لا لفزعه ما ترى من اهوال ذلك اليوم وتغيير احوالها على ما لم ينظر في الدنيا في الآيات ويلج
حتى يقبلها ويخضع لها وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه يقول يومئذ تحدث اخبارها
وقال الانسان ما لها تشهد وتخبر بما عمل على ظهرها ثم اخبارها يخرج على وجوه احدها
ما قاله اهل التاويل انها تخبر وتحدث بما عمل على ظهرها من خير او شر وطاعة ومعصية
ولكن يحتمل اخبارها الخير لانها انما تشهد عليهم لانكار اهل الكفر ما كان منهم من فعل الكفر والمعصية
واما اهل الجنة فانهم يكونون مقرين بالخيرات والله تعالى يصدقهم على ذلك والله اعلم وكذلك
ما ذكر من شهادة الجوارح انما تشهد عليهم على ما ينكرون من الشرك والكفر وغير ذلك من المعاصي
فعلى ذلك التاويل يكون اخبارها على حقيقة النطق والكلام وقال بعضهم اخبارها ما ذكر من تزلزلها
وتحركها والاحوال التي يكون فيها هو تحديثها واخبارها التي يكون منها وقال بعضهم يومئذ تبين وتقع

اخبارها التي اخبر ولي الدنيا فكذبوها يومئذ يتبين لهم ذلك ويقع لهم مشاهدة عيانا من الحسنات
والثواب والعقاب وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما اخبارها
قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها وقوله عز وجل
بان ربك اوحى لها من قال بان اخبارها من شهادتها بما عملوا على ظهرها يكون تاويل قوله تعالى
اوحى لها من شهادتها بما عملوا على ظهرها قوله تعالى اوحى لها اي اذن لها ربها بالشهادة فتشهد ومن قال
اخبارها هو تزلزلها وتحركها والاحوال التي يكون منها يقول على اسقاطها بقوله بان ربك
اوحى اي فعل ذلك بها والوحي قد يكون الوحي والالهام والامر ويستعمل فيما يليق وقوله عز وجل
يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يحتمل صدور الناس من وجهين احدهما يصدرون
من قبورهم الى الحساب ليروا اكتابا اعمالهم اي ليروا ما كتب من اعمالهم التي عملوا في الدنيا ويحتمل
صدورهم على ما اعد لهم في الآخرة من الثواب والعقاب فعلى هذا التاويل ليروا جزاء اعمالهم
التي عملوا في الدنيا كقوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
هذا تفسير قوله اشتاتا وقوله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
قال بعضهم يرى الكافر ما عمل من خير في الدنيا واما في الآخرة فلا يرى لانه لا يومن بها ولا يعمل لها كقوله تعالى
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والمومن يرى ما عمل من شر في الدنيا وما عمل من خير
في الآخرة وعلى ذلك روي في الخبر ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان جالسا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كل من عمل منا من شر يراه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرون في الدنيا مما يكرهون
فهو من ذلك ويوخر الخير لاهله في الآخرة وجايز ان يكون قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
وشرا يره على الاحصا والحفظ كقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي لا يذهب عنه
شيء قليل ولا كثير حتى الذرة ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
اي من يعمل من المومنين مثقال ذرة خيرا يره في الآخرة ومن يعمل من الكفار مثقال ذرة شرا يره
في الآخرة لان الله تعالى قد اخبر في غير اي من القرآن انه يتقبل حسنات المومنين ويتجاوز
عن سيئاتهم كقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات ليكفرن عنهم سيئاتهم وليجزينهم احسن الذي
كانوا يعملون ونحو ذلك من الآيات وقوله عز وجل مثقال ذرة ليس على ارادة الذرة ولكن على التمثيل
ثم قيل من اخبار الارض وما ذكر من شهادة الخوارج ان كيف احتمل ذلك وهي موات والموات لا علم لها
فجايز ان يكون الله تعالى يجعل لها علما وينطقها بذلك وان لها بذلك علما على جعلها آية ثم في قوله تعالى
ليروا اعمالهم دلالة ان قوله عز وجل حتى يسمع كلام الله وقوله لاسمعنا قرآنا عجبا وقوله والقرآن العظيم
وقول الناس يقرا كلام رب العالمين وفي المصاحف قرآن ان لا يراد به حقيقة كون كلام الله تعالى
في المصاحف ولا حقيقة كون القرآن فيها والسمع به ولا حقيقة سماع كلامه ويكون على ما اراد
من سماع ما به يفهم كلامه او يسمع ما يعبر به عن كلامه وكذلك يكون في المصاحف ما يفهم به
كلامه او ما يعبر به عن كلامه على ما ذكر من رؤية الاعمال واعين الاعمال لا يرى ولكن يرى ما يدل عليها
وهو المكتوب من اعمالهم في الكتاب ليريهم اعمالهم فعلى ذلك هذا والله اعلم بالصواب •

سورة العاديات مكية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والعاديات ضبحا الى آخره قال علي وعبد الله رضي الله عنهما هي الابل وقال ابن عباس
رضي الله عنه وغيره من اهل التاويل هي الخيل غير ان عليا رضي الله عنه قال ذلك يوم بدر
وقال ابن مسعود رضي الله عنه ذلك في الحج ومن قال هي الخيل قال ذلك في سرية بعثها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فابطا عليه خبرها فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل صلوات الله عليه
يخبره بها على ما ذكر ووصف سيرها الموسون فان كان في امر السرية والخيل على ما قاله ابن عباس
رضي الله عنه فجهة القسم بذلك يحتمل وجوها احدها انه من علم الغيب اذ لا يعلم بحالهم وما وصف
من امر الخيل لا يكون الا بالوحي من السماء او بمن شهد ذلك فاذا لم يحضرهم احد ممن شهدها ثم اخبر بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ظهر عندهم على ما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا بذلك
انه رسول الله وانه انما عرف بالوحي من الله تعالى اليه وذلك من اعظم آيات الرسالة او ان يكون بما ذكر
من شدة الخيل وقوتها وحدة بصرها حيث عدت في ليل مظلم لا قمر فيه ولا نور عدوا يخرج النار
من شدة عدوها من الحجارة التي تضرب بحوافرها ما لا يقدر الانسان العدو في مكان مستو فضلا ان يعدو
على ذلك من الصعود والهبوط وما ذكر من آثارة النقع من شدة عدوها وتوسطها في العدو وان يذكر موافقة
مرادهم وحصول غرضهم في الاغارة على عدوهم في اغفل ما يكون العدو وهو وقت الصبح ثم القسم
بقوله والعاديات وما ذكر من الموريات وغيره هو صفة العاديات ونعوتها وفيه بشارة ثلاثة
احدها انه لم يحدث لهم حادثة والثاني الاغارة على العدو والثالث انهم قد توسطوا العدو
ومن قال هي الابل وذلك في امر الحج يذكر سرعة سيرها وشدة عدوها في الليلة المظلمة التي فيها الاودية
والهبوط والصعود ثم قوله فالموريات قدحا على هذا التاويل اي يضرب الحجر بالحجر فيخرج منه النار
من شدة سيرها وعدوها وفي الخيل شدة ضرب الحوافر على ما ذكرنا وقوله عز وجل فالمغيرات صبحا
على هذا التاويل يقول بعضهم نزولهم في تلك الغارات والاودية في وقت الصبح والاشبه ان يكون
خروجهم من تلك الغارات والاودية في ذلك الوقت وقت الخروج منها والدفع لا وقت المقام ويكون
قد استقبلهم العدو هنالك ومن ارادهم بالسوء فيكون المغيرات على الاغارة عليهم ان كان ثم عدو
توسطن به جمعا على هذا التاويل الجمع في الحج وهو الجمع المعروف ومن قال ذلك في الخيل يكون
توسطهن في جمع العدو ثم الذي وقع به القسم قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي الانسان لنعم ربه
لكفور لا يشكرها وهو ان الانسان يذكر مصائبه وما يصيبه من الشدة في عمره ابدا وينسى جميع ما انعم الله
عليه وان لا يغادر قدر طرفة عين ولذلك قال الحسن الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل الكنود
القتور البخيل الشحيح في الانفاق ويجب ان يكون وصف كل انسان ما ذكر لكن المومن يتكلف شكر نعم الله تعالى
ويجتهد في ذلك ويصبر على المصائب وهو كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا وخلق عجولا وهو كل انسان
ثم استثنى المصلين منهم وهم المومنون اي كذلك خلق وطبع كل انسان لكن المومن يتكلف اخراج نفسه
من ذلك الطبع الذي عليه وطبع الى غيرها من الطبايع كالبهايم والسباع التي طبعها النفور من الناس
بالاستيحاش عنهم ثم يصير بالرياضة ما يستقر عندهم ويجيبهم عند دعوتهم وقوله وانه على ذلك
لشهيد قال بعضهم ان ذلك الانسان على ما فعله في الدنيا لشهيد في الآخرة على ما جميعه اي يشهد
ذلك ويعلمه كقوله بل الانسان على نفسه بصيرة وقال بعضهم وانه اي ذلك الانسان لبخله وامتناعه
من الانفاق لشهيد اي يبين لحفظ ماله واحصائه بنفسه لا يثق بغيره وقال بعضهم وانه يعني الله تعالى
على ذلك لشهيد اي عالم يحصيه ويحفظه كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله عز وجل

آيات الرسالة

قوة الخيل وحدة بصرها

وانه لحب الخير لشديد اى ان الانسان لشديد الحب للمال فذكر بخله وشحه فى المال فى ترك الانفاق
والبذل وعلى ذلك طبع كل انسان على ما ذكرنا لكن المومن يتكلف اخراج نفسه مما طبع بالرياضة ويجتهد
بالانفاق والحب ههنا حب ايثار اى يوثر لنفسه وقوله عزوجل افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور يقول
والله اعلم فهلا يعلم قدرة ربه وسلطانه وحكمته فى انشائه اياه يستخرج ما فى القبور ويحييهم اويكون
افلا يعلم اى فيعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور وقوله عزوجل ان ربهم بهم يومئذ لخبير
اى ان ربهم يومئذ لخبير بما كان منهم فى الدنيا وحصل ما فى الصدور يقول فهلا يعلم ايضا انه
يميز ما فى الصدور ويبين ويظهر ما فيها لا يترك كذلك غير مميز ولا مبين بل يظهر ويميز
كقوله يوم تبلى السرائر ان ربهم بهم يومئذ لخبير اى عن علم له بذلك باحد ويجزيهم مما يجزيهم
وفى قوله تعالى وحصل ما فى الصدور دلالة ان حصول الاعمال وخلوصها وما يثاب عليها ويعاقب
بالقلوب قال اهل اللغة وابو عوسجة ضبحا الضبح صوت فى الصدر ضبح يضبح ضبحا فهو ضابح فاثرن به
نقعا اى هيجن الغبار رهجا فرهن والنقع الغبار والنقوع جماعة فوسطن به من التوسط اى صرن
فى الوسط وكنود كفور وحصل اى اختبر يقال حصلت اى اختبرت وقال بعضهم والقبتى والعاديات
الخيل والضبح صوت حلوقها اذا علت وقيل الضبح والضبع واحد فى السير يقال ضبحت الناقة وضبعت فالموريات
اى اورت النار رهجا فرهن والارض الكنود التى لا تنبت شيئا وقال بعثرت اى قلبت فجعل سفلها
اعلاها وحصل ما فى الصدور اى ميز ما فيها من الخير والشر والشك واليقين والله اعلم

سورة القارعة مكية وآيها ثمان او عشر او احدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل القارعة قال القارعة عندهم هى الداهية الشديدة من الامور وهى فى هذا الموضع
وصف لشدة هول يوم القيامة وهو من الله عزوجل تذكير لعباده وتعجيب لهم عما يكون فى ذلك اليوم
من الاهوال فى احوال وافعال وسمى الله سبحانه وتعالى فى كتابه ذلك اليوم بما يكون فيه من اختلاف الاحوال
نحو قوله الحاقة والواقعة وما اشبه ذلك فكذلك قوله عزوجل القارعة تذكير لهم بما وصف من حال
ذلك اليوم وشدته ليتفكروا فى العواقب ويتدبروا ما يستقبلهم فى الاخرة من العذاب فيمتنعوا بذلك
عما نهاهم الله تعالى عنه ثم ان الله تعالى خلق فى بنى آدم نفسا يدرك بها الشهوات واللذات فى الدنيا
وعقلا يتذكر به عواقب الامور واواخرها ويزيد ذلك سقطا وتبصرا ثم العقل مرة يدعوها الى نفسه
حتى يميل الى ما يدعوه فى حرمة الطمع فى العاقبة والنفس مرة يدعوا اليه فيصير هواه وميله فيما يتلذذ
من الشهوات فى دنياه وعلى ذلك تاويل قوله ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اى رحم ويعصمه
عن اختيار السوء او رحمه حتى جعل هواه فيما يوجبه العواقب من الجزاء والثواب فكذلك ذكر الله تعالى
عباده بما يستقبلهم من الاهوال فى ذلك اليوم ليعملوا عقولهم فى افكارهم والتذكر عنه فينزجروا عما نهاهم
عنه او يتذكروا عما وعد لهم من الجزاء فى ذلك اليوم فيزدادوا بذلك حرصا فى الخيرات وقوله
عزوجل يوم يكون الناس كالفراش المبثوث اختلفوا فى تاويله من وجوه ولكنه فى الحاصل يرجع الى معنى
واحد فمنهم من قال اى كالجراد المنتشر حين ارادت الطيران ومنهم من قال كالجراد الذى يموج بعضهم
فى بعض ومنهم من قال كالفراش الذى يتهافت فى النار فيحترق وكل ذلك يؤدى معنى الحيرة والاضطراب
من هول ذلك اليوم واصل ذلك قوله تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله
شديد وكان الله تعالى قال انهم يصيرون فى الحيرة من هول ذلك اليوم وشدته كالطاير الذى لا يدرى

ابن بطين وابن سب وابن يبزل وقوله عزوجل وتكون الجبال كالعهن المنفوش قال بعضهم كالصوف
المصبوغ وقال بعضهم كالمندوف من الصوف فان كان على التاويل الاول فمعناه والله اعلم ان الجبال
فى ذلك اليوم يتلون الوانا من شدة ذلك اليوم بلون العهن الا تراه يقول وترى الجبال تحسبها جامدة
وقال يسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فكذلك هذا على ذلك المعنى وان كان على التاويل الآخر
فمعناه ان الجبال مع شدتها وصلابتها تصير فى الرخاوة والضعف من هول ذلك اليوم كالصوف المندوف
اذ ذلك اضعف احواله وقال قتادة شبههم بغنم لا راعى لها ذكر العهن كناية عن الغنم وقوله فاما من ثقلت
موازينه فهو فى عيشة راضية اختلفوا فى تاويل الميزان من وجوه ولكن اقربها عندنا وجهان
احدهما ان يكون المراد من قوله ثقلت موازينه جملة المؤمنين وقوله عزوجل واما من خفت موازينه
جملة الكفار ويكون الوجه فى ذلك ان المؤمن لما عظم حق الله تعالى واقام حدوده كان له ميزان
وقيمة وخطر عند الله تعالى فى ذلك اليوم والكافر لما ترك ذلك خف وزنه وقيمته وخطره وقد يطلق
والله اعلم هذا الكلام على معنى الجاه والمنزلة يقال لفلان عند فلان وزن وقيمة وليس عنده
ذلك الوزن فكذلك هذا والوجه الثانى من وزن السرائر التى لم يطلع الله تعالى الملائكة الذين يكتبون
اعمال بنى آدم ذلك ومعلوم ان ذلك انما يحصل من المؤمنين دون الكفرة وقد وصفنا مسئلة الميزان
وبيناها فلذلك اختصرنا الكلام فى ذا الموضع والله اعلم وقوله عزوجل فهو فى عيشة راضية
منهم من قال مرضية يرضا اهل الجنة بذلك العيشة فهو مرضية ومنهم من قال ذات رضا كقوله
ماء دافق اى ذات اندفاق ومنهم من قال انه اضاف الرضا الى العيش لانه به يرضى وقوله عزوجل
فامه هاوية منهم من قال سمى النار اما للكافر لانه اليها ياوى ومنهم من قال من الام ام راسه
اى يلقى فى جهنم على ام راسه منكوسا وقوله هاوية اى يهوى به بحيث لا يكون له اثبات ولا قرار
وقوله نار حامية اى محمية ويحميه ومنهم من قال نار حامية اى شديدة الحر والله اعلم

سورة التكاثر مكية وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر اى شغلكم التفاخر بالتكاثر ثم لم يقل عما ذا شغلتم
فيجوز ان يكون الهاكم اى شغلكم التكاثر عن توحيد الله تعالى او عن التفكر فى حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم
او عن ذكر البعث ثم قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر يحتمل تاويلين احدهما ان يكون الغرض
بالخطاب بهذه الآية اباءهم وسلفهم الذين تقدموا بالاخبار عن قبح صنيعهم واشتغالهم بالسفه فيكون
هذا صلة آيات اخر من نحو قوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وحين لم يتركوا التقليد
يخبرهم باباءهم ونهاهم عن الاقتداء باباءهم لانهم تعاطوا افعالا تخرج عن الحكمة حتى ما تواوذلك
يقع من وجهين احدهما ان من انعم عليه نعمة فجحدها ولم يؤد شكرها استوجب العقو والعقوبة يقول
كيف يقتدون باباءكم وانهم كفروا بنعمة الله وجحدوا بها بل الواجب عليكم ان يتبعوا النبى الذى جاءنا
هدى مما وجدتم عليه اباءكم والثانى ان يكون فيه علامة ودلالة للبعث ان اباءهم لما فعلوا ما يستوجب
المقت والعقوبة وما تواتر فيه ان يصيبهم ذلك فى دنياهم ان لهم دارا اخرى يعاقبون فيها بما فعلوا
الخطاب بما انصرف فيه احيا دهم عن سفههم انه شغلهم التفاخر بالتكاثر حتى جحدوا آيات رسوله
عليه السلام او ان يكون فيه احيا دعن سفههم من وجه آخر وهو ان الافتخار كيف وقع بالاموات
والتفاخر بالاموات غير مستقيم او يكون فيه وجه ثالث انما تفاخروا بما لا صنع لهم فيه انما افتخروا

بالاموال والاولاد وذلك من لطف الله تعالى وجميل صنعه فيكون في هذا كله ذكرهم بما فيه
من السعة والخرق ثم التعبير بذكر هذه الاسباب انما وقع والله اعلم دون ماهم فيه من الكفر
لان هذه الاسباب مما يبتلى به المؤمن في بعض الاحوال فعيرهم الله تعالى بذلك ليكون فيه تذكر
وموعظة للمؤمنين ولو خرج ذكر الكفار في هذا لكان لا يجتنب المؤمن عسى من هذه الاشياء وتذكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الهيكم التكاثر فكان يقول ابن آدم مالي مالي وما لك من مالك
الا ما اكلت فافنيت الخبر فهذا يدل على ان الوعيد على الاطلاق من غير التصريح باهل الكفر موعظة
المسلمين والله اعلم **وقوله** عز وجل حتى زرتم المقابر يحتمل حقيقة زيارة الموتى وذلك مما ذكرهم
ان التكاثر مما لا ينفعهم اذا كان عاقبتهم هذا ويحتمل اي صرتم الى المقابر بعد الموت فحينئذ يذكرون
حق الله تعالى ثم لا ينفعكم والله اعلم **وقوله** عز وجل كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون قال بعضهم
كلا بمعنى النفي والتعطيل وقال بعضهم معنى قوله كلا اي حقا فان كان على الاول فكانه قال ليس
كما حسبتم وتوهمتم وقدرتم عند انفسكم وتعلمون ذلك اذا نزل بكم العذاب وهو على الابتداء وان كان
على معنى حقا فكانه قال حقا ستعلمون انه ليس كما قدرتم عند انفسكم وكل ذلك يرجع الى الوجوه التي
وصفنا انكم ستعلمون غدا حقا يقينا ان الذي الهاكم وشغلكم عن توحيد الله تعالى او التفكر في حجج الرسل
صلى الله عليه وسلم او الايمان بالبعث كان عبثا باطلا وانه كان من الواجب عليكم ان يؤمنوا بالله ورسوله
وينظر في حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا بالبعث وفايدة التكرار بما جرى من العادة في تكرار
الكلام عند الوعيد او عند الاياس او الرجاء نحو قولهم الويل الويل وقولهم بخ بخ ونحو ذلك فكذلك هذا
ومنهم من حمل كل لفظة من ذلك على تاويل على حدة ان قوله عز وجل كلا سوف تعلمون عند الموت عند
ما يرون العذاب ان الامر كما ليس كما حسبتم ويعلمون في يوم البعث انه حق يقين **وقوله** عز وجل كلا لو تعلمون
علم اليقين يعني بهذا والله اعلم ابطال ما كانوا عليه من الظنون والحسبان في هذه الدنيا الا ترى
الى قوله تعالى ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا فاذا نزل بهم العذاب تحقق عندهم وعلموا علما يقينا فقال
بعضهم كلا سوف تعلمون حين نزل بكم الموت ثم كلا سوف تعلمون في القبر وكذلك روي عن علي
رضي الله عنه انه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة وفيه وجه ثاني
وهو انهم كانوا عند انفسهم علما وانهم على حق ولكن الله تعالى بين لهم ان علمهم كان حسبانا الا ترى
الى قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فيظهر لهم عند ذلك ان اليقين ما نزل بهم
وان الذي علموا لم يكن علم يقين بل كان شكا وحسبانا **وقوله** عز وجل لترون الجحيم يحتمل وجهين
احدهما ترونها عند الموت والثاني اي ترونها بالتفكر والنظر في آيات الله وحججه في الدنيا **وقوله** ثم لترونها
عين اليقين له معنيان احدهما عيانا ومشاهدة والثاني ان يكون رؤيتهم بعين اليقين ليس
على ما كان عندهم انهم لو فتح لهم باب من السماء وعرجوا اليها لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم
مسحورون يقول الله تعالى يرتفع عنهم السحر عن ابصارهم فيرونها عين اليقين **وقوله** عز وجل ثم لتسئلن
يومئذ عن النعيم ظاهر هذا يقتضي ان يكون سؤالهم بعد ما دخلوا النار لانه قال ثم لتسئلن
بعد ما وصف انهم يدخلون النار فبان انه في ذلك الوقت قال كان على ذلك فهو في موضع التقريب
عندهم انهم استوجبوا المقت والعقوبة لانه كان عندهم ان من انعم عليه بنعمة فلم يشكرها استوجب
المقت والعقوبة فان الله تعالى يسألهم في ذلك الوقت عن شكر ما انعم عليهم ليقرر عندهم استيجاب
العقوبة ويجوز هذا عند الحساب لانه قال يومئذ ولم يقل قبل ذلك او بعده بل قال على الاطلاق
فيعمل به واذا احتمل ذلك الوجه الى المؤمنين والكافرين وكان الوجه في سؤال المؤمنين تذكيرهم

ان اعمالهم لم يبلغ ما يستوفي بها شكر النعمة التي انعمها عليهم وليعلموا ان الله تعالى تفضل عليهم وتجاوز عنهم
لان بلغت اليه حسناتهم فاستوجبوا رحمته بها بل بكرمه وفضله وان كان في الكافرين فهو تقرير ما استوجبوا
من نقمته حيث تركوا شكر نعمه ثم قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وان كان السؤال لاهل الكفر فانهم
يسألون عما تركوا من الايمان بالله تعالى وبما اتى اليهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويعني ذلك
من النعيم وان كان في المؤمنين فهو ساير النعم من الماكول والمشروب والملبوس ونحوها
والله اعلم • الحمد لله رب العالمين • والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين •

سورة العصر مكية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والعصر ان الانسان لفي خسر خرج قوله والعصر مخرج القسم والقسم موضوع
في الشاهد لتاكيد ما ظهر من الحق للخفي او لنفي شبهة اعترضت او دعوى ادعيت فكذلك في الغايب
ثم الاصل بعد هذا انه ليس في جميع القرآن شيء مما وقع عليه القسم الا اذا تامل المرء واستقصى فيه
وجد فيه المعنى الذي اوجبه القسم لولا القسم ثم اختلفوا في تاويل قوله والعصر فمنهم من قال
هو الدهر والزمان ومنهم من قال هو آخر النهار فذلك وقت يشتمل على طرفي النهار وهو آخر النهار
واول الليل فكانه اراد به الليل والنهار وقال ابو معاذ العرب لا تكاد العصران يريدون الليل
والنهار وفي مرور الليل والنهار مرور الدهور والازمنة لانهما باتيان على الدهور والازمنة وما فيهما
فكان في ذكر الليل والنهار ذكر كل شيء والقسم بكل شيء قسم بمنشيه لان كل شيء في ذلك نظرت فيه
دلك على صانعه ومنشيه **وقوله** ان الانسان لفي خسر ان الدنيا وما فيها كانها خلقت وانشيت
متجرا للخلق والناس فيها تجار كما ذكره في غير آي من القرآن قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقال هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم اي ان الانسان
لفي خسار من تجارته ومبايعته الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ولقايل ان يقول كيف استثنى
اهل الربح من اهل الخسران ولم يستثن اهل الخسر من اهل الربح فنقول ان الانسان لفي ربح الا الذين
كفروا واستثناء هذه الفرقة من تلك اولى في العقول من تلك والجواب عن هذا ان هذه الاية انما نزلت
بقرب من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوم باجمعهم كانوا اهل كفر وخسار فكذلك وقع
الاستثناء على ما ذكر اذ استثناء القليل من الكثير هو المستحسن عند اهل اللغة وان كان القسم الثاني
في حد المجاز والقرآن في اعلى طبقات الكلام في الفصاحة ثم قوله عز وجل ان الانسان اسم جنس فكانه
اراد جميع الورى لانه قال الا الذين آمنوا ولا يستثنى الجماعة من الفرد فكانه يقول على هذا ان الناس
في احوالهم واختيارهم في حسب الامن كانت تجارته في تلك الحالة ما ذكر **وقوله** عز وجل وعملوا الصالحات
يحتمل ان يكون تاويله الصالحات التي كانت معروفة في الكفر والاسلام من حسن الاخلاق وغيره الا ترى
انه قال كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر نقول المعروف هو المعروف
الذي هو معروف في الطبع والعقل والمنكر الذي ينكره العقل وينفر عنه الطبع وان كان المراد منه لكون
فكانه قال ان الكافرين في هلاك وخسار الا من آمن بالله تعالى ورسوله وعمل صالحا ثم في هذه السورة
ذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات وكذلك ذكر الصالحات في سورة والتين وترك ذكر الصالحات
في سورة البلد فكان الله تعالى ذكر الصالحات في تلك السورة لما قد كان ذكرها قبل ذلك الا ترى
الى قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة وغير ذلك **وقوله** وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

الحق في الاصل كلما يحمد عليه فاعله والصبر هو الكف عن كل ما يذم عليه فاعله فكان التواصي بالحق تواصي بكل ما يحمد عليه والتواصي بالصبر تواصي عن كل ما يذم عليه ظاهر قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الآية ما يوجب ان من لم يجمع بين هذه الاشياء التي ذكرها لفي خسر فيكون ظاهره حجة للخوارج والمعتزلة الا ان الانفصال عن هذا والله اعلم ان الله تعالى وعد الجنة لمن جمع هذه الاشياء التي ذكر في هذه الآية وذكر الايمان مفردا في آية اخرى ووعد عليه الجنة فلا يخلو اوعد الجنة عن الايمان المفرد في تلك الآية من احد وجهين اما ان يكون ذكر الايمان مفردا واراد به الاكتفاء عن ذكر الجملة فيكون في ذكر طرف منه ذكر الجملة او يكون في ايجاب الجنة له على مفرد الايمان فالحال فيه موقوفة ولان الله تعالى اوجب الجنة ولم يبق ايمانه عمن ينقص عن ذلك فالحال فيه موقوفة على دليله واذا كان كذلك لم يقطع القول على ايجاب الجنة لمن اتى بالايمان مفردا وعلى ايجاب النار فيكون السبيل فيه على الرجاء لانه لو لم يذكر كان يقع به الياس واصل كل عبادة في الدنيا انما بنيت على الرجاء والخوف فان كان الامر على ما وصفنا او تقول بان الله تعالى اوجب النار على من اتى بجميع السيئات ولم يكن فيه دليل على من اتى بالكفر وحده لا يستوجب به نارا فكذلك الله سبحانه وتعالى وان اوجب الجنة لمن جمع بين هذه الاعمال فلا يدل على ان من اتى بالايمان وحده لا يستوجب به الجنة وعلى انه يجوز ان يكون استثناء كل من اتى بشيء من هذه الافعال بالانفراد فيكون فيه استثناء كل طايفة من ذلك على حدة كانه قال الا الذين آمنوا والا الذين عملوا الصالحات والا الذين تواصوا بالحق واذا كان كذلك لا يكون حجة لهم واذا اريد به الجمع يكون حجة فجاء التعارض والاحتمال فوجب التوقف ويحتمل ان يراد به الاعتقاد اي ان الانسان لفي خسر الا من آمن واعتقد هذه الاعمال الصالحة كقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم الآية والله اعلم •

سورة الهمزة مكية وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ويل لكل همزة لمزة اختلفوا في معنى الهمزة واللمزة فقال بعضهم معناهما واحد وهو الدفع والطعن وقال بعضهم الهمزة هو الذي يوذي جليسه بلسانه واللمزة الذي يوذيه بعينيه وغرك وقال بعضهم الهمزة الذي يطعنه عند حضرة واللمزة الذي يطعنه عند غيبته وهذا انما يسمى به من يعتاد ذلك الفعل واهل اللغة وصفوا هذا المثال وهو فعلة لمن يعتاد ذلك الفعل ويحترفه قال اهل التأويل ان الآية في الكفار لكن بعضهم قالوا انه نزلت في اخنس بن شريق وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقائل ان يقول ان الآية نزلت في الكفار وكذلك كثير من الآي من قوله تعالى ويل للمطففين ونحوها ومعلوم انه وجد منهم هذا الفعل او عدمها ستوجبوا ما ذكر من العقوبات واشد مع ان الذي فيه من الكفر اقبح من هذين الفعلين فكيف وقع تعييرهم بذلك والجواب عن هذا وامثاله من نحو قوله تعالى ويل للمطففين وقوله لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نكذب بيوم الدين فهم وان اقاموا الصلوة واعطوا الزكوة لم يزل عنهم عقوبة النار والجواب منه ان الايمان لم يحسن لاسم ولا قبح الكفر لانه ليس احد ممن يذهب مذهبا ويدين دينا الا وهو يكفر بشيء ويومن بشيء لان المسلم مومن بالله تعالى كافر بالطاغوت والكافر يكفر بالرحمن ويومن بالطاغوت ويعبده فثبت ان الايمان ليس يحسن لنفس اسم الايمان ولا قبح الكفر لعين اسم الكفر ولكن الايمان بالله تعالى انما حسن لحسن من حيث اوجبت الحكمة الايمان به وقبح الكفر لان الحكمة اوجبت ترك الكفر بالله تعالى فالايمان حسن لما فيه من المعنى والكفر قبيح لما فيه من معنى الكفر وهذان الفعلان قبيحان في انفسهما لا بغيرهما فكان التعيير الذي يقع بهذين الفعلين اكثر وابلغ منه في تعييرهم بالكفر لذلك عيرهم الله تعالى بهذين الفعلين ووجه آخر ان هذا يخرج مخرج الموعظة لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يهمز به ويسخر عنه لما يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولا بجملة ما كانوا يتعاطون على ترك امرهم بالمعروف والنهي عن المنكر لما يخشى ان يسخر به او يستهزئ والثالث ان يكون على هذا وجه المكافاة والانتقام لما كانوا يفعلون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الزجر والردع عن ذلك لان العقلاء يستعفون عن الافعال القبيحة فعلى هذا الوجوه يحتمل معنى تعييرهم وقوله عز وجل الذي جمع مالا وعدده قرئ على التخفيف جمع من الجمع اي جمع ماله عنده ولم يفرقه وعدده اي حفظ عدده وذكره على الدوام لئلا ينقصه وصفه بالبخل والشح ومن قرأه بالتشديد فمعناه انه جمعه وادخره بمر الزمان لم يجمع ذلك في ايام قصيرة والاصل جمعه بالتخفيف لكن شدد لما فيه من زيادة الجمع وقوله عز وجل يحسب ان ماله اخلده يتوجه وجهين احدهما ان يكون على الحقيقة انه قدر عنده نفسه انه يبقى ببقاء الاموال له لما يرى بقاءه من حيث الظاهر بها فيقرر عنده ان ما آتاه الله تعالى من الاموال هو رزقه فيعيش الى ان يستوفي جميع رزقه فيجمعه ويدخره لكي يزيد في عمره والوجه الثاني ان يكون على الظن والحسبان كانه يفعل جمع مالا وعدده جمع من يظن ان ماله يزيد في عمره فان كان على التاويل الاول فقوله كلا رد عليه اي ليس كما قدره عند نفسه وان كان على التاويل الثاني فعلى ايجاب عقوبة مبتداه وقيل عدده اي اكثر عدده وقال الحسن عدده اي صنعه فجعل ماله اصنافا وجعل انواعا من الابل والغنم والبقر والدور والعقار والمنقول وغيرها وقيل عدده اي استعده واعده وهيأه وقوله عز وجل لينبذن في الحطمة قيل باب من ابواب النار وقيل هو صفة النار والحطم هو الكسر فكانه قال النار التي يعذب بها الكفرة يكسر عظامهم ويحطمهم وقوله عز وجل نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة قيل ان النار ياتي على جلودهم ولحومهم وعروقهم وعظامهم حتى ياكلها وتكسر العظام فتطلع على افئدتهم فحينئذ يتبدل لون جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وقيل انما تحرق النار منهم كل شيء سوى الفؤاد لان الفؤاد اذا احترق لم يتالم بعد ذلك ولم يشعر بالعذاب والمراد من الاحراق الحاق الالم والضرر بهم وقوله عز وجل انها عليهم موصدة في عمد ممددة قرئ عُمُد برفع العين والميم وقرئ بالنصب فيهما وذكر عن الفراء انه قال العمد والعمد جماعات للعمود والعماد وقال بعضهم العمد جمع العمدة نحو بقرة وبقر وقال الكلبي انها عليهم موصدة في عمد اي النار عليهم مطبقة تقول طبقها ممددة في عمد من نار ممددة عليهم من فوقهم والعمد كعمد اهل الدنيا غير انها من نار يمد عليهم والله اعلم • الحمد لله رب العالمين • والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

سورة الفيل مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل اختلفوا في السبب الذي به وقع القصد من اصحاب الفيل الى تهديم البيت وتخريبه فمنهم من قال انهم اتخذوا بيتا في بلادهم وسموه كعبة لكي ينتاب الناس اليه كما ينتابون الى الكعبة فابى الناس الى اتيان ذلك البيت فغاظهم ذلك حتى ارادوا تهديم هذا البيت جزاء بما فعلت العرب بهم ومنهم من قال انهم كانوا ملوكا وفراعنة وزعماؤهم انهم يعادون من ضادهم في ملكهم وسلطانهم واي ذلك كان فلا حاجة الى معرفته وانما حاجتنا

الى تعريف المعنى الذى به انزلت السورة ويثبت وتاويل ذلك يخرج على وجه ثلاثة احدها ان الله تعالى ذكرهم تلك النعم التى انعمها عليهم فى صرف من اراد اهلاكهم فانهم قصدوا قتل اهل مكة وسبى نسائهم وذراريهم واخذ اموالهم فذكرهم الله تعالى جميل صنعه بهم ليشكروا له ويعبدوه حق عبادته وينزجروا عن عبادة غيره والوجه الثانى ان الله تعالى خوف اهل مكة ووجه ذلك ان الله تعالى لما اهلك اصحاب الفيل بما ضيعوا حرمة بيته فلا يامن اهل مكة من اهلاكه اياهم وتعذيبهم بما ضيعوا حرمة رسوله صلى الله عليه وسلم مع ان حرمة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم من حرمة البيت فلما نزل باولئك ما نزل لما جاء منهم من تضييع حرمة بيته فلان يخشى عذابه ونقمته من تضييع حرمة رسوله اولى

والوجه الثالث ان الله تعالى لما اهلك اولئك لما راهم من اياته فلم ينصرفوا الا بعد ذكراهم كانوا اذا وجهوا الفيل نحو البيت امتنع ووقف واذا وجهوه نحو ارضهم هرول وتسارع فلما راوا ذلك ولم ينصرفوا اهلكهم الله تعالى فلا يؤمن على اهل مكة ايضا انهم لما راوا الايات المعجزة من الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا ان يهلكهم الله سبحانه وتعالى وينتقم منهم بعقوبته فعلى ما ذكرنا يخرج معنى نزول السورة وقيل انه على البشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاشارة انه لم يكن للبيت ناصر فى ذلك الوقت ولا معين بل كان وحده فنصره الله تعالى لم يتمكن اعداؤه من هدمه فعلى ذلك ينصرك ويعينك ويهلك عدوك وان كنت انت وحدك اذ كان وقت نزول هذه السورة لم يكن له كثير اعوان وقد فعل ذلك يوم بدر ثم قوله الم تر حرف استعمل فى تذاكر اعجوبة قد كانت وعرفوها ثم غفلوا عنها او فيما لم يكن فتعجبهم بما فعل باعدائه ليحملهم على الزجر والانتهاء عما حرم الله تعالى فكانه قال رايت ربك كيف فعل ربك باصحاب الفيل ويجوز ان يكون الخطاب منه للنبى عليه الصلوة والسلام والمراد غيره ويجوز ان يكون هذا خطابا بالكل واحد منهم ثم تسميتهم اصحاب الفيل ونسبة الفيل اليهم يحتمل وجهين احدهما اى الذين صحبوا الفيل والثانى اصحاب الفيل اى ارباب كما يقال رب الدار وصاحب الدار وقوله الم يجعل كيدهم فى تضليل اى ابطل ما قدروا عند انفسهم من تخريب البيت وتهديمه والكيد ما ذكرنا بديا وقوله عز وجل وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات متفرقة جماعة جماعة وهكذا السنة فى الخروج لمحاربة اعداء الله تعالى ان يخرجوا جماعة جماعة وقيل هى طير لم ير قبلها ولا بعدها مثلها لها رؤس كالسباع وقيل شبيهة برجال الهند وقوله ترميهم بحجارة من سجيل اختلفوا فى السجيل قال بعضهم هو اسم موضع خلقت حجارته لتعذيب الفراعنة واهلاكهم وقال بعضهم فارسية معربة وهى سنك وكل وهو الاجر فى التقدير وقال بعضهم هذه عبارة عن شدة الحجارة وقوتها وقوله عز وجل فجعلهم كعصف ماكول قالوا العصف هو ورق الزرع او ورق كل نابت وقوله ماكول يخرج على وجهين احدهما الى ما قد اكل والى ما لم يؤكل اذ ما لم يؤكل اذا كان معدا للاكل سمى ماكولا فكان غير الماكول فكانه قال جعلهم فى الضعف والرخاوة مع قوتهم وسلطانهم كعلف الدواب حتى لا يخاف منهم بعد ذلك ابدا وان كان على الماكول فهو انه تعالى جعلهم كالماكول التى اكلتها الدود فيكون فيها ثقب والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله وصحبه

سورة قريش مكية وآيها اربع او خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف هذا يخرج على وجوه احدها ما قال اهل التاويل ان اللام لام الاعتلال لان السورة صلة الم تر قال فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش كانه يقول

اهلكت

اهلكت اصحاب الفيل وفعلت بهم ما فعلت لتالف قريش بذلك المكان كما الفوا به الرحلتين اللتين الفوا ذلك المبيت جعلنا لهم فى الشتاء والصيف والثانى يحتمل ان يقول الزمت الخلق عبادة رب هذا البيت حتى الفوا ذلك البيت وحملوا ما يحتاج اليه قريش واهل ذلك المكان من الطعام وما يعيشون به لتالف قريش بعبادة رب ذلك البيت ما ولولا ذلك لم يتهيا لهم المقام بذلك المكان لانه لا زرع فيه ولا نبات ولا ما يتعيش به وهو كما قال ابراهيم عليه الصلوة والسلام بواد غير ذى زرع وانما تعيشهم فى ذلك المكان بما يحمل اليهم من الافاق والامكنة النائية كقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا الاية وقال بعضهم اقرت قريش ان يالفوا عبادة رب هذا البيت كما يالفون رحلة الشتاء والصيف يقول كما الفتم هاتين الرحلتين فالفوا عبادة رب هذا البيت وقال بعضهم ان اهل مكة كانوا يرحلون تجارة آمنين فى البلدان لا يخافون شيئا لحرمتهم لان الناس يحترمون لهم لمكان الحرم حتى لا يتعرض لهم بشئ ولا يؤذيهم احد حتى ان كان الرجل منهم ليصاب فى حى من الاحياء يقال هذا حرمى فيخلى عنه وعن ماله تعظيما لذلك المكان وهو ما قال وآمنهم من خوف وقيل ان العرب كانت تغير بعضهم على بعض وتسبى بعضهم بعضا واهل مكة كانوا آمنين فى حرم الله تعالى كقوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم فذكر عظيم نعمه عليهم ومننه ليعلموا ذلك انه نعمه واصله ان الله تعالى لما كان من حكمته واراد ته جعل الرسالة فى قريش وابقاها الى الوقت الذى اراد ان يبقى جعل لهم من الامن فى ذلك المكان والارزاق التى تجبى اليهم وما يتعيشون فى ذلك ليبقوا الى الوقت الذى اراد بقاءهم اليه فيكون ما اراد على ما اراد فكما انشا هذا العالم للبقاء الى الوقت الذى اراد ان يبقوا فيها جعل لهم من الارزاق ما يبقون الى الوقت الذى اراد ليكون ما اراد فعلى ذلك الاول قال القتبى الايلاف مصدر الفت فلانا كذا ايلافا كما تقول الزمته الزاما وقال الكسائى الفت المكان والفته لغتان وعن ابن عباس رضى الله عنه لايلاف قريش اى كصنيع قريش ايلافهم اى صنيعهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع السنين الذى اصابهم وآمنهم من خوف العدو والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

سورة الدين مكية وآيها ست او سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ارايت الذى يكذب بالدين اختلف فى نزوله قال ابن عباس رضى الله عنه هى مدنية وقال مقاتل ومجاهد وجماعة هى مكية وجايز ان يكون اولها نزل بمكة لان الذى ذكرها نزلت فى شانه كان مكيا وهو العاص بن وايل السهمى مع ما انهم هم الذين يكذبون بيوم الدين وآخرها نزلت بمدينة لان فى آخرها وصف المنافقين وهو ما ذكر من المرايات فى الصلوة ومنع ما ذكره ثم ان كان نزوله فى الكفرة فالجهة فيه والمعنى غير الجهة والسبب لو كانت نزلت فى المنافقين ثم قوله ارايت حرف مستعمل فى موضع السؤال والاستفهام ويجوز ان يكون استعماله على وجه التقرير عند السائل لما يراد به اعلامه على سبيل ما روى فى الخبر ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته اما قبل منك وكان ذلك فى موضع التقرير فكذلك قوله ارايت معناه والله اعلم اعلم ان الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذى يكذب بالدين قال اهل التاويل جميعا يكذب بالدين اى بالحساب والبعث وجايز ان يكون يكذب بالدين يظهر اى يكذب بالدين الذى اظهرك ولا يحقق ان كان فى المنافقين لان اهل النفاق كانوا يكذبون ما يظهرون من الموافقة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وان كان

في اهل الكفر فهو على الرؤساء منهم فتكذيبهم بالدين هو ما كانوا يظهرون لاتباعهم من الجهد والشدة
يموهون بذلك على اتباعهم ليقع عندهم ان الذي هم عليه حق وان الذي عليه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم باطل فيكذبون بالدين الذي يرون من انفسهم ويظهرون بالتمويهات التي يموهون بها عليهم
فكيف ما كان ان كانت نزلت في المنافقين او في اهل الكفر او في الذي كذب بالحساب والبعث وبالذي
ذكرنا انه يظهر خلاف ما يضمر ففيه عظة وتنبيه للمؤمنين وزجر لهم عن مثل صنيعهم لانه نعت الذي كذب
بالدين ان كان المراد به الحساب او الدين نفسه حيث قال فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام
المسكين كانه قال يكذب بالدين هو الذي يدع اليتيم اي يظلم اليتيم وحقه يمنع ولا يحض على طعام المسكين
يقول والله اعلم للمؤمنين لا تظلموا اليتيم ولا تمنعوا حقه ولا تسيئوا صحبة اليتيم كما فعل من كذب بالدين
وحضوا على طعام المسكين بصف بخلهم واستهانتهم اليتيم والمساكين وسوء معاملتهم التي عاملوهم يعظ
المؤمنين ويزجرهم من ذلك وجايز ان يكون قوله ولا يحض على طعام المسكين لما عندهم بان من اعطى
المال ووسع عليه الدنيا انما اعطى ذلك لكرامته له عند الله تعالى ومن ضيق عليه ومنع ذلك عنه لهوانه
عنده وحقارته كقوله عز وجل فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه
فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن وقوله عز وجل انطعم من لو يشاء الله اطعمه الاية يظنون ان الله تعالى
منع من منع ذلك لهوانه له عنده ومن وسع عليه وسع لكرامته له عنده فيقول كيف اكرم من اهانه الله تعالى
فيحتمل ان يكون ما ذكر انه لا يحض على طعام المسكين ويحتمل ان يكون الذي حمله على ظلم اليتيم وترك اطعام
تكذيبه بالبعث لانه ليس لليتيم من ينصره ويقوم بدفع من يقصد ظلمه ويمنع حقه وكان لا يخاف عقوبة البعث
اذ لا يؤمن به ثم يحتمل قوله ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين الى
ان يكون في الاعتقاد والروية ويحتمل ان يكون في حق الفعل نفسه فان كان في الاعتقاد والروية
فاهل الاسلام لا يعتقدون وان كان في حق الفعل فانهم ربما يفعلون ذلك وحمله عندنا على الاعتقاد
اوجب واقرب لما وصفنا ان اليتيم لا ناصر له وليس للكافر خوف لعاقبته لما لا يؤمن بذلك وانما يمتنع
المرء في الغالب من سوء الصحبة لهذين اما رغبته في جزاء الاخرة او خوف المكافاة في الدنيا والمساكين ليس لهم
في الدنيا ما يكافيهم ويجازيهم وليس لليتيم ناصر يخاف منه ولم يكن الكافر رغبة في ثواب الاخرة
ولا خوف عن العقاب لعدم تصديقه بذلك ثم **قوله** عز وجل ولا يحض على طعام المسكين هو النهاية
في وصفه بالبخل لان الحث على الصدقة ان يرجيه ويطعمه في ثوابه فاذا لم يرج هو بنفسه فكيف يرجي
غيره مع ما ان الحكمة عند هؤلاء الكفرة ان من جر الى نفسه نفعا فهو الحكيم ومن ضر نفسه فهو جاير
غير حكيم وهو اذا منع الصدقة نفع نفسه واذا وفى اليتيم حقه ضرها فلذلك لا يرغب فيها فهذا المعنى
الذي وصفناه دعانا الى توجيه التاويل الى الاعتقاد **وقوله** فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم
ساهون ان كان هذا في اهل النفاق فاهل النفاق كذلك كانوا لا يفعلون شيئا من الطاعات
الا وكانوا عنها لاهين ساهين واذا فعلوا شيئا منها فعلوا مراياة كقوله تعالى يراؤن الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
قد ذكر كسلهم وبخلهم فعلى ذلك جايز ان يكون قوله فويل للمصلين الى آخر ما ذكر في المنافقين على ما ذكرنا
من نعتهم وجايز ان يكون في اهل الكفر واهل الكفر كانوا يصلون كقوله وما كان صلوتهم عند البيت
الا مكاء وتصدية اخبر ان صلوتهم في الحقيقة ليست بصلوة فجايز ان يكون على صورة الحقيقة وقد ذكر
انهم كانوا يصلون مستقبلين نحو اصنامهم يريدون الناس كثرة اجتهادهم في طاعة الاصنام حتى
اذا داهم من ناى عنهم ظن انه حق فيكون في ذلك صد عن اجابة الرسول ودفع وجوه القوم عنه

فذلك قوله تعالى الا مكاء وتصدية ويحتمل ان يكون كناية عن الخضوع والتذلل فيكون معناه ويل للذين
لا يخضعون ولا يخشعون **وقوله** الذين هم عن صلاتهم ساهون يحتمل وجهين احدهما اي سهوا عن صلاتهم
لانفسهم وصلوتهم التي هي لانفسهم هي ان يكون الصلوة لله تعالى ويجعلوها لله ولا يصلون لغير الله
من الاصنام وغيرها لان من صلى لله تعالى يرجع منفعته في الحقيقة اليه لما تعلق بها من الجزاء الجميل
ثم بالسهو عن تلك الصلوة حين اضاعوها وهو ما ذكر في حرف ابن مسعود في قوله عز وجل ان الصلوة كانت
تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقول سهيتم الصلوة فلم ينهكم عما ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا الذين
يوخرون عن وقتها وقال مجاهد الساهي الذي لا يبالي صلى ام لا الا ترى انه قال الذين هم يراؤن
وقال الحسن هم المنافقون يوخرون عن وقتها ويراؤن اذا صلوا وقال سعد التارك عن الوقت
وقال ابو العالية الساهي هو الذي لا يدري على شفع انصرف او على وتر وروي عن سليمان انه قال الحمد لله
حيث لم يقل في صلوتهم ساهون ولكنه عن صلاتهم ساهون **وقوله** ويمنعون الماعون قال ابن عباس
رضي الله عنه هو الزكوة رواه ابن الزبير وعكرمة ومجاهد عنه وروي عن علي رضي الله عنه هو الزكوة
وعن ابن عباس رضي الله عنه في رواية اخرى هو العارية وعن ابن عمر قال هو الذي لا يعطي حقه
وهو الزكوة وروي عن علي رضي الله عنه في رواية الماعون منع القدر والدلو والفاس وعن ابن مسعود
رضي الله عنه مثله وكذا عن ابن عباس في رواية وقال ابو عبيدة كل ما فيه نفعه فهو الماعون وعن ابن عباس
رضي الله عنه ما جاء اهلها بعد فان كان ذلك على العوارى فالمعنى منها ذم البخل واشتد منع القرض
وجايز ان يكون الماعون كل معروف وكل ما يعان به في ذلك الزكوة وغيرها ففيه ذكر بخلهم وشحهم ومنع
الحق من المستحق قال ابو عوسجة يدع اليتيم اي يضرب ويدفع في قفاه يقال دع يدع دعا فهو داع ومدعوع
وقال القتبي يدع اليتيم اي يدفعه وكذلك في قوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون وقال ابو عوسجة
لا يحض لا يحرض ولا يحث ساهون غافلون وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه لاهون
واريتك بالكاف وكذلك في حرف ابي رضي الله عنه والله اعلم بحقيقة ما اراد

سورة الكوثر مكية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر هذا خرج مخرج الامتنان على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والانعام عليه والافضال ليستادي بذلك شكره والخضوع له ثم اختلفوا في الكوثر هو الخير الكثير والخير
الكثير ما اعطي من النبوة والرسالة ولا يخفى احد من خلق الله تعالى الا به وهو الايمان به والتصديق له
وما صير معروفا مذكورا في الملايكة وما قرن ذكره بذكره ورفع قدره ومنزلته في جميع الخلايق
وغير ذلك مما لا يحصى وهو ما قال ورفعنا لك ذكرك وقال بعضهم الكوثر نهر في الجنة وعلى ذلك
جاءت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الكوثر فقال نهر في الجنة او قال ذلك
من غير سؤال فان ثبت الاخبار فهو ذاك كفينا عن ذكره وان لم يثبت الاخبار فالوجه الاول اوجه عندنا
لانه ليس في اعطاء النهر تخصيص في التشريف والعطية لان الله تعالى وعد لامته ما هو اكثر
من هذا لما روي في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لاهل الجنة في الجنة ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونحن نعلم ان هذا في الانعام اكثر من النهر الذي وصف وقال بعضهم
الكوثر شيء اعطاه الله تعالى رسوله لا يعرف واصله انه شيء خاطب به رسوله وهو قد عرفه فلا يجب
ان يتكلف معرفته وتفسيره لانه ان اخطا فحقه الضرر وان اصاب لم ينتفع كثير نفع وقيل الكوثر هو حوض نبينا

من الكتب المتقدمة وقوله فصل لربك وانحر اختلف فيه قال بعضهم حقيقة الصلوة هي الخضوع
والخشوع والدعاء امره بجميع ما يعبد في نفسه وامره ان ياتي بما تعبد من القرابين والذبايح والضحايا
التي فيها نفاذ الطباع حتى ان من الكفرة من يحرم الذبايح والنحر للالام التي فيها والطباع ينفر عن ذلك
فتعبد بالذي فيه مناقضة طبعه ونفاده عنه وجايز ان يكون لا على راي الامر بالصلوة والنحر
ولكن معناه اذا فعلت ذلك فافعل لله لان اولئك الكفرة كانوا يصلون للاصنام وينحرون لها كقوله
وما ذبح على النصب اي للنصب فامره ان يجعل ذلك لله تعالى وقال الحسن صل لربك صلوة العيد
وانحر البدن بعدها وقال مجاهد وعطا صل الصبح بجمع وانحر بمنى وقال بعضهم صل لربك
حقيقة الصلوة وهي الصلوة المعروفة المفروضة وهو مخ العبادة على ما ذكر في الخبر وكذلك ما ذكر
ان المصلي مناجي الرب تعالى وهو والله اعلم لانه ما من عبادة الا وفيها شيء من اللذة وقضاء شهوة
النفس واماني‌ها من السير والركوب والاكل والشرب والكلام والانتقال من موضع الى موضع
وغير ذلك من الطاعات مما فيه شيء من اللذة للنفس وقضاء شهوتها وان قل من الحج والزكوة والجهاد
وغير ذلك الا الصلوة نفسها فان فيها قطع النفس عن جميع شهواتها وامانيها وعن جميع ما يستلذ به
من انواع اللذات وعلى ذلك ما سمي موسى عليه السلام كليم الله ونجيه لانه فارق قومه وجميع ما للنفس فيه
لذة وراحة واتى جبلا ليس فيه احد وكلمه ربه في ذلك فسمي نجي الله وعلى ذلك سمي المصلي مناجيا ربه وخص
بذلك الاسم لما ذكرنا وقوله وانحر هو ما ذكرنا من نحر البدن الذي يعبده الكل لما فيه من نفاد النفس
بالتالم الذي يحصل لغيره بفعل غيره فالتالم به بفعل نفسه اكثر من التالم بفعل غيره وهو مجاهدة
النفس وبغير ما امتحنه عليه الصلوة والسلام بتحمل المشقة لوجهه تعالى مرة بالتبليغ الى الكفرة مع الخطر
على نفسه ومرة بمجاهدة نفسه بالقيام بالليل ومرة باتيان خلاف الطبع وهو ذبح البدن اذ الطبايع
تنفر عن اراقة الدماء مع انه من اشفق الناس وارحمهم على خلقه فبلغ من حسن اجابته له وطاعته انه ساق
مائة بدنة فنحر ستين منها بيده وولي عليا رضي الله عنه نحر اربعين على ما ذكر في الخبر وروي ابو الجوزا
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فصل لربك وانحر وضع اليمين على الشمال في الصلوة وكذا روي عن علي
رضي الله عنه وعن عاصم الجحدري قال هو وضع اليمين على الشمال في الصلوة ومن قول الثنوية انهم لا يرون
ذبح شيء من الاشياء لما فيه من الالم والاذى وقولهم هذا ليس بصحيح لانا نعلم ان افاتة الروح بالذبح
اهون على المذبوح من موته حتف انفه فاذا جاز في الحكمة ان يزهق روحه بغير الذبح فلان يجوز في الذبح
احق واصله ما ذكرنا ان هذه السورة نزلت في مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المقصود به
من بين الناس وهو يعلم بالذي خاطبه به من الصلوة والنحر والكوثر وغير ذلك فلا نتكلف نحن تفسيره
مخافة الكذب على الله تعالى سوى ان نذكر اقاويل اهل التاويل وكذلك وقوله عز وجل ان شانئك
هو الابتر يذكر اهل التاويل ان فلانا سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتر فنزل ان الذي سماك
ابتر هو الابتر لا يعرف له حقيقة لانه لم يذكر ان احدا من اولادهم افتخر واعدى الرسل عليه السلام
افتخر بابيه او احد من اوليائهم والمتمين بهم افتخروا بهم وافتخروا لاد اولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الناس حتى يتعيشوا بذلك فيما بينهم يقول ان شانئك هو الابتر اي معاديك ومبغضك
هو الابتر دونك ويقول اعداؤك هم الذين يبتر ذكرهم واولياؤك مذكورون ابدا
على ما قلنا واصله ما ذكرنا انه خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عرف ذلك ونحن لا نعلم
في اي شيء كانت القصة وفيم نزلت الاية والله ورسوله اعلم قال ابو عوسجة الشاني المبغض
يقال شنيته ابغضته والابتر هو الذي لا ولد له ذكر ولا عقب له وفي قوله عز وجل

ان شانئك

ان شانئك هو الابتر بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة عليهم والقهر لهم والنصر
عليهم واظهار دين الله تعالى في البلاد والآفاق اذ اخبر ان الذي عاداه وباغضه هو
المنقطع والابتر لا هو والله المستعان تمت السورة بعون الله الملك المنان

سورة الكافرون مكية وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قل يا ايها الكافرون الى آخرها ذكر انها نزلت في منابذة المتمردين المعاندين
الذين علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون ابدا ولا يرجعون عما هم عليه من عبادة الاوثان الى التوحيد
والاسلام لانه لا كل كافر يكون على وصف انه لا يعبد الله تعالى في وقت من الاوقات اذ قد يجيء ان يكون
كافرا في وقت ثم يسلم في وقت آخر فذلك ما ذكرنا انها نزلت في المتمردين المعاندين الذين علم الله تعالى
انهم يثبتون على الكفر ولا يؤمنون ابدا وكان كما اخبر ففيه دلالة اثبات الرسالة اذ اخبر انهم
لا يؤمنون فلم يؤمنوا وماتوا على الكفر وقوله لا اعبد ما تعبدون انتم الآن ولا انتم عابدون
اليوم ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم فيما بعد اليوم وقال بعضهم الاول فيما مضى من الوقت والثاني
اخبار عن الحال والآخر فيما بقي من الوقت ولكن لا يجيء ان يكون هكذا بل يجيء ان يكون قوله لا اعبد
ما تعبدون في حادث الوقت لان حرف لا انما يستعمل في حادث الاوقات يقول الرجل لا افعل كذا يريد به
حادث الوقت وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد كذلك ايضا في حادث الاوقات واخبار عن الحال وقوله
ولا انا عابد ما عبدتم انما هو اخبار عن الماضي من الاوقات كانه يقول لم اكن انا عابدا قط في وقت
من الاوقات وهذا يدل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن عبد غير الله قط وفي هذه السورة
وجهان من الدلالة احدهما ما ذكرنا من اثبات الرسالة والثاني اخبار عن الاياس لهم من رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ان يرجع الى دينهم ابدا وقطع رجائهم وطمعهم في ذلك وفيه ايضا ان من اشرك غيره
في عبادة الله سبحانه وتعالى او عبد غيره دونه على رجاء القربة الى الله تعالى فهو ليس بعابد لله تعالى
ولا موحد له لان اولئك انما عبدوا الاصنام رجاء ان يشفع لهم ورجاء ان يقربهم الى الله تعالى زلفى
اخبر انها لا تقرب لهم زلفى وانهم ليسوا بموحدين ولا عابدين لله تعالى وقوله عز وجل لكم دينكم ولي دين
يحتمل وجهين احدهما لكم جزاء دينكم الذي دنتم ولي جزاء ديني الذي دنت والثاني على المنابذة
والاياس لكم ما اخترتم من الدين ولي ما اخترت لا يعود واحد منا الى دين الآخر وكان قبل ذلك
يطمع كل فريق عود الفريق الآخر الى دينهم الذي هم عليه وقوله تعالى قل يا ايها الكافرون ليس على الامر
على ما يذكر في سورة الاخلاص والمعوذتين اذ لو كان على الامر فهو يلزم ان يقول كل واحد منا لكل كافر
ذلك فاذا لم يلزم دل انه ليس على الامر وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه قل للذين كفروا لا اعبد
ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين وعنه انه قال من قرا هذه فقد اكثر واطنب
وفي حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل اذا قربت الى فراشك فاقرا قل يا ايها الكافرون
فانه براءة من الشرك واهل التاويل يقولون ان سبب نزول هذه الاية ومنابذته اياهم ان رهطا من قريش
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فلنعبد ما تعبد واعبد انت ما نعبد نحن فيكون امرنا امرا واحدا
فنزلت هذه السورة قال ابو عوسجة الدين العادة تقول هذا ديني اي عادتي ثم المعنى الذي وقع عليه
التكرار لهذه الاحرف عندنا ان التكرار حرف جرى الاستعمال به في موضع المبالغة والتاكيد لما قصد به
من الكلام في اي كلام كان رجاء كان او وعيدا او غيره كقولهم بخ بخ والويل وهيهات هيهات وغير ذلك

فكذلك فى هذا الموضع لما وقع الاياس عن ايمانهم بالله تعالى بما علم النبى صلى الله عليه
وسلم بطريق الوحى انهم لا يومنون كرر هذا الكلام تاكيداً للاياس وابلاغا فيه
والله اعلم . الحمد لله رب العالمين . والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين .

سورة النصر مدنية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح قال عامة اهل التاويل ان قوله تعالى اذا جاء نصر الله
والفتح هو مكة والنصر الذى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل مكة قال ابو بكر الاصم
هذا لا يحتمل لان فتح مكة كان بعد الهجرة بثمان سنين ونزول هذه السورة كان بعد الهجرة بعشر سنين
ولا يقال للذى مضى اذا جاء نصر الله والفتح ولكن اراد ساير الفتوح التى يفتحها له او كلام نحو هذا ولكن يحتمل
ان يكون قوله اذا جاء نصر الله بمعنى اذ جاء وجايز ذلك فى اللغة وفى القرآن كثير اذا امكان ان قال كان على هذا
فيستقيم حمله على فتح مكة على ما قاله اولئك ويكون قوله تعالى اذا جاء نصر الله اى قد جاء نصر الله
او يكون اراد بما ذكر من النصر والفتح الفتوح التى كانت له من بعد حين دخل الناس فى دين الله افواجا
على ما ذكر وقوله نصر الله اى عون الله وخذلانه لاعدائه او ان يكون قوله تعالى اذا جاء نصر الله
والفتوح هى فتوح الامور التى فتحها الله عز وجل عليه من تبليغ الرسالة التى امر بتبليغها اليهم والقيام
بالامور التى امر ان يقوم بها فتح تلك الامور عليه وايها فان كان على هذا يصير فتوح تلك الامور
نعيا له بالدلالة على ما قاله اهل التاويل انه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وجهة
الاستدلال الوجوه التى ذكرنا وقوله ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا ذكر اهل التاويل
انه كان قبل ذلك يدخل واحد واحد فلما كان فتح مكة جعلوا يدخلون دينه افواجا افواجا وقبيلة قبيلة
ويحتمل ما ذكرنا من ساير الفتوح اى فتوح الامور التى ذكرنا على ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين شهراً امامى وشهراً ورائى ثم فى قوله اذا جاء نصر الله والفتح
ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا الآية نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه وقد ذكر
فى الاخبار انه نعى اليه نفسه بهذه السورة احدها ما ذكرنا من جهة الاستدلال عرفانه قد دنا اجله
حيث اتم ما امر به وفرغ منه من التبليغ والدعا والثانى عرف ذلك اصلاحاً من الله تعالى اطلعه عليه بعلامات
جعلها له ففهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يدرك انها منا ذلك والثالث لما كفى
مونة القيام بالتبليغ بنفسه عرف بذلك حضور اجله وهو نوع من الدلالة ووجه الدلالة ان القوم
لما دخلوا فى دين الله فوجا فوجا دل ذلك على ظهور الاسلام وكثرة اهله فكانت الغلبة والنصر دليل الامن والزوال
عما هم عليه من الدين اذا زال الرسول وقوله فسبح بحمد ربك قال بعض اهل التاويل اى صل بامر
ربك واصله ما ذكرنا فيما تقدم ان التسبيح هو التنزيه والتنزيه عن جميع معانى الخلق والوصف بما يليق به
قال نزهه ونزهه بالثناء عليه وصفه بالصفات العلى وسمه بالاسماء الحسنى التى علمك ربك ويحتمل
ان يكون معنى قوله فسبح بحمد ربك اى قل سبحان الله وبحمده على ما جاء فى الاخبار ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان يكثر فى دعائه سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه وهذا لان سبحان الله حرف جامع
يجمع جميع ما يستحق من الثناء عليه والوصف له بالعلو والعظمة والجلال والتنزيه عن جميع العيوب
والآفات وعن جميع معانى الخلق جعل لهم هذا الحرف الجامع لما عرف عجزهم عن القيام بالوصف
بجميع ما يستحق من الثناء عليه وكذلك حرف الحمد لله هو حرف جامع بجميع شكر جميع ما انعم عليهم

جعل لهم ذلك لما عرف من عجزهم وقلة شكر ما انعم عليهم واحدا بعد واحد وعلى ذلك يخرج قوله
اللهم صل على محمد امرهم ان يجعلوا الصلوة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله عز وجل يا ايها
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولما لم يجعل فى وسعهم القيام بما يستحقه امروا ان يقولوا اللهم صل على محمد
ليكون هو المتولى ذلك بنفسه والله اعلم وقوله عز وجل واستغفره قال ابو بكر الاصم دل قوله عز وجل
واستغفره على ان كان منه تقصير وتفريط فى امره حتى امر بالاستغفار عن ذلك لكن هذا كلام
وحش لا يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقصير فى شىء ولا بالتفريط فى امر قط ولكن
قد جعل الله تعالى على كل احد من نعمه وفضله واحسانه فى طرفة عين ولحظة بصر ما ليس فى وسعه
وطاقته القيام بشكر واحد منها وان لطف وان طال عمره فامره بالاستغفار لما يتوهم منه التقصير
فى اداء شكر نعمه عن القيام بذلك او ان يكون لامته لا لنفسه فان قال قايل لما معنى امره بالاستغفار
وقد ذكر انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فالجواب عنه من وجهين احدهما انه يجوز
ان يكون امره بالاستغفار لامته نحو قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وان يكون
الله تعالى وعد له المغفرة اذا لزم الاستغفار ودام عليه وقوله عز وجل انه كان توابا اى كان
لم يزل توابا ليس ان صار توابا بامر اكتسبه واحد ثم على ما تقوله المعتزلة انه صار توابا ثم قوله
توابا على التكثير اى يقبل توبة بعد توبة اى اذا تاب مرة ثم ارتكب الجرم وعصاه ثم تاب ثانيا
وثالثا وان كثر فانه يقبل توبته والثانى توابا اى رجاعا مرجعهم وردهم عن المعاصى الى التوبة
اى هو الذى يوفقهم على التوبة ثم قال توابا ولم يقل غفارا وحق مثله من الكلام ان يقال
انه كان غفارا كما قال فى اية اخرى استغفروا ربكم انه كان غفارا ولكن المعنى فيه عندنا ان المراد
من الاستغفار ليس قوله استغفر الله ولكن ان يتوب اليه ويطلب منه المغفرة بالتوبة انه كان توابا
ويجوز ان يكون فيه اضمار كانه قال واستغفره وتب اليه انه كان توابا ويجوز ذكر الاستغفار فى السوال
عن ذكره فى الجواب واحرى بذكر التوبة فى الجواب عن ذكرها فى السوال ويوجد مثل هذا فى الكلام ثم الدين
اسم يقع على ما يدين به الانسان حقا كان او باطلا وعلى ذلك اضاف النبى صلى الله عليه وسلم ما كان يدين به
الى نفسه وما دان به الكفرة اليهم حيث قال لكم دينكم ولى دين واما اضافته الى الله تعالى حيث قال
يدخلون فى دين الله افواجا لانه الدين الذى امرهم به ودعاهم اليه لذلك خرجت الاضافة والنسبة
اليه والله اعلم . الحمد لله رب العالمين . والصلوة والسلام على محمد واله وصحبه .

سورة تبت مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل تبت يدى ابى لهب وتب اى خسرت وخابت كذلك قال ابو عوسجة يقال تب يتب
تبا وتبابا ثم ما ذكر من قوله يدى ابى لهب يحتمل حقيقة اليد ويحتمل ان يكون ذكر اليد على الصلة
فان كان على ارادة حقيقة اليد فهو يخرج على وجوه احدها ما ذكر انه كثير الاحسان الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والاتفاق عليه والصنايع اليه وكان يقول ان كان الامر لمحمد يومئذ فيكون لى
عنده يد وان كان لقريش فلى عندها يد فاخبر والله اعلم انه خسر فيما طمع ورجا من اليد الذى له
عنده والاحسان الذى احسن اليه اذ لم يصدقه ولم يؤمن به وخسر ايضا ما ادعى من اليد له عند قريش
والثانى يحتمل ان يكون من ابى لهب تخويف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطش والاخذ باليد فامن الله تعالى
رسوله عما خوفه به حيث قال تبت يدى ابى لهب اى خسرت يداه ولا يقدر على البطش والثالث يحتمل ان يكون الله

كناية عن القوة فى نفسه وماله فى دفع العذاب عن نفسه وكذلك كانوا يعتمدون دفع العذاب عن انفسهم لقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وذكر بعض اهل التاويل انه لما نزل قوله عز وجل وانذر عشيرتك الاقربين جمع عشائر الاقرب فالاقرب منهم وقال انى لا املك لكم من الله نفعا فى الدنيا والاخرة الا بعد ان يقولوا شهادة ان لا اله الا الله وانى رسول الله فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك يا محمد الهذا دعوتنا فنزل عند ذلك تبت يدا ابى لهب وتب مجازاة له فهذا فان لم يكن فى فعله فى القصة استعمال اليدين فيجوز انه كان يصرف الناس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيديه او حين دعى الى الايمان بالله تعالى مد يديه على التعجب من ذلك وقال الهذا دعوتنا فرد الله تعالى ذلك وعيره به وقد يجوز ان يظهر فى الجواب مقدمة السؤال وان لم يذكر ذلك فى السؤال الا ترى الى قوله تعالى يسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض فعلم بذلك ان السؤال انما كان عن قربانهن فى المحيض فكذلك الاول وان كان ذلك ذكر اليد على الصلة فهو يخرج على وجهين احدهما ذكر اليد كناية عن العمل والفعل لانه ذكر اليد لما باليد يقوم ويعمل كقوله تعالى بما قدمت ايديكم وما كسبت ايديكم وذلك على الكناية عما كان يعمله من الصنيع اى خسرت اعماله وبطلت والثانى يذكر اليد على ارادة قدام وامام كقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى امامه وخلفه فيكون معناه ما قدم الاعمال والله اعلم ثم تخصيص ابى لهب بالذكر من بين ساير الكفرة يحتمل وجوها احدها خصه بالاسم لانه كان من الفراعنة والاكابر وهو المقصود به والفراعنة قد يذكرون باسمائهم لما هم المقصودون به وان كان من دونهم يشاركونهم فى ذلك كذكر فرعون وعاد وثمود وغيرهم والثانى كان شديد الهيبة والخوف فذكره باسمه وخصه به ليعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يهابه ولا يخافه والله اعلم والثالث انه كثير الاذى والصنايع بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان الخطاب بهذا يعم الكفرة لكان يظن بما سبق منه من الاذى انه غير داخل تحت الخطاب فخصه بالذكر ليعلم انه لا يغنيه من الله شىء ثم ذكره بالكنية يخرج على وجوه احدها يحتمل ان يكون بالكنية عرف عند الناس وبها كان معروفا دون اسمه فذكره بالذى كان معروفا والثانى ما ذكر ان اسمه كان عبد العزى فلم يرد ان ينسبه الى غيره وهو العزى فذكره بالكنية لهذا والثالث انه عيره باشياء وخوفه بمواعيد فلو ذكره باسمه فلعله يصرف ذلك الخطاب والوعيد الذى كان له الى غيره لما شرك غيره فى الاسم اذ كانوا يسمون اولادهم وينسبونهم الى اصنامهم ولم يكن احد شركه فى كنيته فلا يمكنه التحويل الى غيره وقيل ذكره بالكنية يخرج مخرج الوعيد له اى يصير النار كالابن وهو كالاب لها وذلك لان هذه الكنى انما يذكر فى المتعارف على وجه التفاؤل كما يقال ابو منصور على رجاء ان يولد له ابن يسمى منصور ثم ان الله تعالى سمى النار فى بعض الايات اما للكافر كقوله فامه هاوية وفى بعضها مولى حيث قال مولىكم وبئس المصير فجاز ايضا ان يكون النار اذا قربت منه وانضمت الى جرمه ان يصير فى التمثيل كالولد ويصير هو ابا لها فقال ابى لهب على هذا الوجه من التاويل ووجه آخر وهو ان ذكر الكنية وان كان يراد بها التعظيم فعند ذكر المواعيد والعقوبات يراد بها الاستخفاف والاهانة وهو على ما ذكرنا فى البشارة انها وان كانت يذكر عند ما يسر ويبهج فى الاغلب فعند ذكر العقوبة نذارة كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى ذلك الكنية والله اعلم وقوله ما اغنى عنه ماله وما كسب هذا يخرج على وجهين احدهما اى لم يغن ماله وقوته وما كسب من عذاب الله شيئا على ما يقول نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين والثانى اى شىء اغنى عنه ماله وما كسب ثم قوله عز وجل وما كسب يحتمل الولد اى ما اغنى عنه ما جمع من ماله وما كسب من الولد على ما ذكر فى الخبر روى ابو الاسود عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وولده من كسبه

وسئل عن ابن عباس رضى الله عنه ايا خذ الرجل من مال ولده فقال يهب لمن يشاء اناثا الاية هو مما وهبه الله لنا نهم واموالهم لنا والله اعلم ما اغنى عنه ما جمع من المال وما كسب من العمل والانفاق الذى ينفق على الطمع الذى فعل اى لم يغنه شيئا او ما كسب عن صد الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدخول فى دينه والاتباع له وسوء المقال الذى قال فيه وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه تبت يدا ابى لهب وقد تب ما اغنى عنه ماله وما اكتسب وقوله عز وجل سيصلى نارا ذات لهب اى ذات التهاب وفيه دلالة اثبات رسالته حيث اخبر انه سيصلى نارا ولا يصلى النار الا بعد ما يختم بالكفر ثم كان كما اخبر دل انه علم ذلك بالله تعالى وفى هذه السورة دلالتان اخراوان يدلان على نبوته احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قرا هذه السورة عليهم بمكة حين لم يكن له ناصر فى الدين وكانت المنعة والقوة للكفرة وكانوا اولياء ابى لهب وانصارا له عن آخرهم ولا يحتمل ان يكون محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يقرا هذه السورة عليه وفيه سب له وتعيير الى يوم القيامة مع قلة اوليائه وكثرة اعدائه اذ فيه خوف هلاكه الا برب العالمين ومعنى آخر انه عليه الصلوة والسلام كان موصوفا بحسن العشرة واجمال الصحبة مع الاجانب فما ظنك بالعشيرة والاقارب مع ما انه كان متنزها عن الفحش فى جميع اوقاته فما جاز له هذا الا بالامر من الله تعالى فدل ذلك على نبوته ورسالته وقوله عز وجل وامراته حمالة الحطب قال بعضهم اى كانت النميمة والحديث بين الناس فاوعدها الله تعالى لذلك فى الاخرة ما ذكر فى جيدها حبل من مسد وهى السلسلة ومنه يقال فلان يحطب ذاعري وقال بعضهم كانت حمالة الحطب حقيقة كانت تحمل الحطب الذى فيه الشوك وتطرح فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فاوعدها الله تعالى بما ذكر من حبل من مسد فى الاخرة ومنهم من قال انها كانت كذلك فى الدنيا كانت تحمل الحطب الى منزلها وكان فى جيدها حبل من ليف فعيرها بذلك لانها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر والحاجة وذكر انها كانت تمسك فى عنقها حبلا من ليف سترا من زوجها وذلك مما لا يتحلى بها النساء وليس ولبس هو من اسباب الزينة فاخبر الله عز وجل عن سفهها وجهلها ليكون ذلك سببا وتعييرا مجازاة لما كانت تعير فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قالت لابى بكر الصديق رضى الله عنه اما رضى محمد ان يهجو عمته حتى هجانى او قالت حتى هجانى رب محمد والله اعلم بالصواب

سورة الاخلاص مكية وآيها اربع او خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قل هو الله احد ذكر ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسبة الله تعالى وقيل عن صفته وقيل عن الله تعالى ما هو فنزلت هذه السورة معلمة بجميع من يسال عنه جوابه ولذلك اثبت قل ليكون مخاطبة كل مسئول عن ذلك ان قل لا على تخصيص الرسول عليه السلام بهذا الامر اذ ليس فى حق الايمان بالامر اعادة حرف الامر بالايمان فتبين بذلك انه ليس على تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعليم بل هو حق من سبق له الامتنان عن تعليم الاجابة لهذا عند حضرة هذا السؤال كما سبقت منه الدعوة الى الله تعالى بحقيقة ما يقتضى ما جرى به السؤال وكما اثبت كذلك ليقرا ابدا وحق المخصوص بالامر ان ياتمر ولا يجعل ذلك متلوا كذلك فى الوقت الذى يحتمل المامور الامر به والوقت الذى لا يحتمل ثبات ذلك على ما شاء ودل قوله قل انه على امر سبق عنه السؤال فيكون فى ذلك اجابة لما سبق عنه السؤال وكذلك جميع ما فى القرآن قل ففيه احد امرين اما اجابة عن امر سبق عنه السؤال فينزل ليحق تعريف كل مسئول عن مثله او يكون الله تعالى اذ علم انه عليه السلام او من يتبعه يسال عما يقتضى ذلك الجواب فانزل ما يرسخ فى اهل التوحيد منا منه وفضلا ثم لم يجب بتحقيق الحرف الذى وقع عنه السؤال الا لمن شهد وسمع وقد يتوجه ذلك الحرف الذى وقع عنه

الى ما ذكروا من الاسباب وغيرها وفيما نزل يصلح جواب ذلك كله ويليق به وان كنا لا نشهد على حقيقة
ما كان انه زاد ودون ذا ونجيب بذلك لو سُئلنا عما ذكرنا وعن كل حرف يصح فى العقل والحكمة الجواب
بمثل ما اقتضته هذه السورة وقوله عز وجل هو اختلف فى تاويله من الناس من قال هو اضافة الى الذى
عنه كان او يكون السؤال المقتضى ما جرى به البيان من الجواب الذى يسألون عنه الله احد الله الصمد
الى آخر السورة ومنهم من قال هو اسم الله الاكبر يُروى ذلك عن بعض اولاد على بن ابى طالب رضى الله عنهم
انه كان يقول فى دعائه يا هو يا من لا هو الا هو يا من به كانت هوية كل هو وذلك يخرج على وجهين احدهما
انه هو لذاته وهوية كل من سواه لما هو يكون محتملا للتلاشى والوجود الا هو سبحانه لم يزل ولا يزال هو ليس
كمثله شئ على ما اقتضى بيان وحدانيته فى هذه السورة وعلى ذلك قيل هو الاحد بذاته المنشئ
احدية كل الآحاد المتعالى عن كل معانى احدية من سواه والثانى ان يكون اضافة الى اسمه الذى لا يحتمل
اللسان وهو الذى لم يطلع عليه الخلايق وهو الذى يُراد فى الدعاء باسمك الذى من سالك به اعطيته
ومن دعاك به اجبته فيكون السؤال به مما يكنى عنه من الوجه الذى ذكرت لان لا يسعه اللسان او يحتمل
النطق التفوه به تعالى والتاويل الاول هو اقرب الى الافهام واحق ان يكون على ذكر من يقتضى عند السؤال
ثم التفسير على ما جرى وقوله عز وجل الله اختلف فى المعنى الذى جرى هذا فى حق اهل هذا اللسان
انه مما اشتق من امر عرفوه او لا عن امر عرفوه اذ فى كل لسان لما اريد به عند الذكر بيان العرب
اسم يُدعى به ويسمى وان اختلف وزن كل من ذلك على اختلاف الالسن ليعلم ان الاحرف والتقطيع
فى التكلم انما هو ليفهم المقصود لا على توهم حقيقة الاسم بتلك الحروف والتقطيع وذلك كما يعبر
عن تكوينه الخلايق بكن لا على تحقيق كاف ونون فى التكوين فعلى ذلك جميع ما يسمى الله تعالى لا على تحقيق
الحروف الذى يجرى بها التسمية ثم لا يحتمل طوق الافهام لكن على ما يقرب الى الافهام المراد فى التفوه به
وقال قوم الله هو المعبود فى لسان العرب لا على الاستحقاق فيكون على وضع ذلك كذلك دليله
تسميتهم كل من عبدوه وكل شئ عبدوه الها وان كان جميع ما سوى الله الحق ممن عُبد لا يحتمل شيئا من تلك
المعانى التى زعم من ادعى الاشتقاق عنها من الاحتجاب او الالتجاء اليه ونحو ذلك فثبت انه اسم
موضوع للمعبود وعلى ذلك قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه اى معبوده ما يهويه لان الهوى شيئا
من ذلك فيكون المعبود الحق هو الله تعالى لما له فى كل شئ اثر عبودة ذلك الشئ ودلالة الربوبية له
عليه سبحانه فهو المعبود بذاته بمعنى المستحق بذاته العبادة من جميع خلقه والاستسلام له والخضوع
بما ذكرت من الموضوع فى كل آية ذلك ولا قوة الا بالله وهذا تحقيق ما ذهبنا اليه انه خالق بذاته رحمن
رحيم بذاته موصوف به فى الازل وان كان الذى وصل اليه اثر رحمته وفيه ظهور دلالة تدبيره
حدث بعد ان لم يكن على ما كانت العبادة والاستحقاق كان ممن حدث وفيمن كان بعد ان لم يكن وهو لم
يزل ولا يزال وعلى ذلك قوله عز وجل مالك يوم الدين ورب كل شئ وان كان من الاشياء ما سيكون
لا انها كانت كاينة وكذلك يوم الدين فعلى ذلك امر خالق ونحو ذلك ومن هذا الوجه انكر قوم ان يكون
الاله اسم معبود فى الحقيقة او اسم مشتق عن لسان اذ هو لم يزل الها ومن به العبادة او عنه
الاشتقاق حادث والاصل عندنا ما ذكرنا انه بجميع ما وصف به وصف بذاته اذ لا يحتمل التغير
والاستحالة ولا نيل مدح بغير ممدح وانما يمدح به لذاته لانه مستحق من كل ذلك لوقت كون ذلك
وعلى ذلك القول بالعالم والقادر انه قادر وان كان الذى علمه ممن سواه وكل مقدور عليه حادث
بعد ان لم يكن ولا قوة الا بالله وقال الضحاك الله اسمه الاكبر لانه يبتدأ به فى كل موضع ثم اختلف فى معنى
الاشتقاق فمنهم من يقول اصله الله من الرجل الى اخر اى التجأ اليه واستجار فالمه بمعنى اجار وامنه

يسمى الها على وزن الفعال كما يسمى اماما لما يؤتم به ونحنهم بادخال الالف واللام ثم لينن وحذف
الهمزة كما هو لغة قريش ثم ادغم احد اللامين فى الاخرى فشدد فصار الله وعلى ذلك تاويل الصمد
اليه والحوايج ويستغاث به ويلتجى اليه وقيل ان اشتقاقه من وله يله ولها اذا فزع اليه فسمى به
لانه المفزع اليه وهو قريب من الاول ولكن حق ذلك فى الاسم ان يكون ولاه فابدل الواو الفا كما يقال
فى وكاف اكاف وكذلك اهل الحجاز يجعلون الواو الفا قال الشاعر فاقبلت الها يكلى على عجل
وقيل سمى به لانه اله كل شئ اى ذلله وعند فيا له له اى عند قال قايلهم
والله الهك واحدا متفردا ساد الملوك بعزه وتجددا وقال الاخرون سمى به لاستتاره ومنه
يقال لهت فلا يرى وقال الشاعر لاه ربى عن الخلايق طرا خالق الخلق لا يرى ويرانا
وقيل سمى به لتحير القلوب عن التفكر فى عظمته كقوله الاهى الشى حتى الهت ومنه مفازة ملهه
يتحير العقل بها وعند النظر الى عظمته ومنه اله يا له فهو اله وقال الشاعر وبهماتيه تاله العين وسطها
مخففة الاعلام بيد ضى ما سملق قال رضى الله عنه والاصل عندنا الاغضاء عن هذا المال الحاجة
الى تعرف الاشتقاق والوضع لتعرف محل الامر وموقع الحكم ومن جميع ما اشتقوا به الاسم يحتمل تسميته
الغير بكل ذلك وتحقيق لا اضافة الى ذلك وتسميته الها او اضافة ما به عرف الحقيقة لا يحتمل غيره
سبحانه وتعالى ولا يجوز التسمية به بثبت الغنا فى معرفته من جميع الوجوه التى اريد الاستخراج اذ هى طرق
يوصل بهم الى العلم بالمقصود والوقوف على المراد وقد عرف دون الذى ذكروا والله اعلم
والاصل عندنا ان الله سبحانه وتعالى بلطفه يمنع الخلق عن تسمية احد الها الا من جهة احوال يعترض
فسموا به على معنى جعل الاسم الذى جرت التسمية به حقيقة له فسموا ظنا منهم ان بذلك التوسل
والتقرب لا ان به والشئ من ذلك حقيقة ذلك بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا والله امرنا بها ليعلم انهم عرفوا الله بما دعوا لانفسهم فى ذلك معانى
يرد هم الى الله سبحانه وتعالى فذكروا مجازا من احد لسانين والله اعلم اما لسان الرسل فى ذكر الله
فى امور نفسهم الى الله تعالى لقوله فردوه الى الله والرسول وقال ان تنصروا الله ينصركم وقال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله وصف مبايعة العبيد ونصروا ونصر دينه نصر الله ومبايعته بما يقرب
ذلك اليه فعلى ذلك تسميتهم من عبدوها لا انهم ربا والهة فى الحقيقة او على السن الفلاسفة
ان ليس لله اسم ذاتى وانما سمى هو بذكر كل ذى شرف او من له عنده فعلى ذلك انتحل من يعبدون
عندهم ما ذكرنا من القول عنهم فسموا به لا ان حققوا كما ذكروا حقيقة ذلك الاسم المحض عرفوه
انه الله ردوا امرهم فى ذلك وذلك من لطف الله تعالى فيما سخرهم عليه كتسمية الخالق والرحمن
انهم لا يسمون احدا بهما وان كثرت افعاله وعظمت رحمته فى الخلق ليعلم انهما اسماء الله تعالى
منع الخلق من التسمى بهما بالطف من حيث لا يعرف سببه ثم قوله عز وجل قل هو الله احد اى الامر
هو الله احد كما تقول انه زيد قايم اى الامر زيد قايم جواب من يسألك ما الامر والشان فى ان قمت
ها هنا فتقول الامر زيد قايم اى قمت لاجله الى هذا يذهب الزجاج كانه يذهب الى انه لما قال قل هو الله احد
فقيل له ما الامر والشان فقال الامر الله احد اى ليعرفوا انه كذلك وقوله عز وجل احد يتوجه
الى واحد ثم واحد اسم ينفى المثل فى الاضافة كما يقال هو واحد الزمان وواحد الخلق على نفى التشبيه له
عما اضيف اليه ويكون واحد من حيث العدد بما عن مثله يبتدأ الحساب ولا يبتدأ من احد فيصير احد
من ذا الوجه وان كان الله تعالى باى حرفين ذكر ففيه وهو الواحد الذى يستحيل ان يكون وحدانيته
من وجه يحتمل ثانيا او من وجه تعدد بل هو الواحد الاله الخالق المتعالى عن معنى الاعداد والانداد

وهو جملها انكى الحكيم فى الاحا دانه اربع واحد هو كل لا يحتمل التضعيف لاحالة كون ورائه الكل
وواحد هو الاقل وهو الذى لا يحتمل التنصيف والتجزى لانه اقل الاشياء واذا يتنصف يكون ذلك
النصف اقل منه وواحد هو واسط وهو الذى يحتمل التنصيف والتضعيف جميعا والرابع هو الذى
قام به الاحاد هو ولا هو اخفى من هو الذى يخرس عنه اللسان وانقطع دونه البيان وانحسرت
عنه الاوهام وحارت عنه الافهام فذلك الله رب العالمين والاصل فى ذلك انه لا سبيل الى العبارة
عنه بغير هذا اللسان ولا وجه للتقريب الى الافهام بهذا اللسان الا بما جرى به الاعتياد وظهرت به
المعارف فلما ذكرنا من الضرورة جعل التوحيد فى الحقيقة بالادلة والبراهين فى ضمن التسمية
فى عبادة اللسان وحققهما اخبرت من ضرورات لا حول فى ارادة التقريب الى الافهام الى عبارات
اللسان الموسس على الاعتياد فى الفاظها والمعارف فعلى ذلك القول بواحد وباحد لا على احدية
غيره من جهة التوسط او من جهة القلة او من جهة الكثرة مع ما كل من هو فى معنى واحد فهو تحل
الاحاد المجتمعة الا الواحد الذى يقال لجزء لا يتجزى وهو من غيره فى الجملة متجزى عن توهم ذلك
الجزء غير متجزى فى الوهم او هو الاقل منه وهو جزء فى الحقيقة والله تعالى عن الوصف بالكل
والبعض والقليل والكثير والواحد بما له حق الابعاض او الكل او رتبة القليل والكثير جل ثناؤه بل هو الذى
جميع ما وصفت بل هو الذى خلق جميع ما وصفت وجعل لكل من ذلك مقابلا او بما ذكر ليصير كل من ذلك زوجا
فيكون الوحدانية الحق له ولا قوة الا بالله وقوله الله الصمد فذكر انه احد وذكر انه الصمد تحقيق
ما وصف من الاحدية وهو والله اعلم ان احوج جميع من سواه حتى تحقق تقصد جميع من سواه بالحاجات
اليه بالكون فى الخلقة وفى الصلاح بعد الكون وفى الذى به الدوام بعد الوجود والوجود بعد العلم
ما احتمل الوجود دونه ولا البقاء الا به احاطت الحاجات بكل ليكون له الغنا عن الكل فى الوجود والبقاء
ليتحقق انه الموجود بذاته والباقى بذاته والمتعالى عن معنى وجود غيره سبحانه وهو على ما ذكرنا من عجز الالسن
عنه بالعبارة الا على التقريب الى الافهام بالمعقول من آثار هويته فى جميع الانام ثم قيل فى الصمد بوجوه
يرجع جميع ذلك الى ما بيّنا احدها السيد الذى قد انتهى سؤدده ومعنى ذلك فى المفهوم من السؤدد
فى صرف الحوايج اليه ورجاء كل المخارج به والثانى فى انه لا جوف له وذلك فى وصف الوحدانية والتعالى
عن معنى احدية غيره من اجتماع اجزاء ممكن فيها الفرج والثقب التى هى كالاجواف او على ما فسر قوم
بالذى هو فى ظاهر العبارة مخرج الكتاب وهو الذى ذكر على اثره وهو قوله تعالى لم يلد لان كل ذى
الكون ذو جوف عنه يتولد الاولاد ويكون فى ذلك احالة قول من نسب اليه الولد فيقول كيف يكون له
ولد وقد تعلمون انه ليس بذى جوف كما قال بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة
فى توهم تنزهه عن الصاحبة وهم لم يشهدوا الولادة الا بها كما لم يشهدوا الولادة الا عن ذى جوف فيكون
فى هذا نقض قوله هذا الفريق فيه بالولد كما نزهوه عن الجوف كما فى الاول بما برؤه عن الصاحبة وقيل
بما للذى الاجواف من الحاجات فيرجع الى التأويل الاول انه المصمود اليه بالحوايج وظن قوم انه اذا نفى عنه
الجوف يثبت انه مصمت وذلك معنى اجتماع اجزاء تداخل فتكاثر كذى الجوف هو اجتماع اجزاء فيحقق
فاذا تحقق التنزيه عن احد الوجهين تحقق التنزيه عن الوجه الاخر فى الوجهين نفى الوحدانية وتحقق
ازدواج الاجساد مع ما قد ينفى عن اشياء امورا لا تحقق لها المقابلة كما ينفى عن الاعراض السمع والبصر
لا على اثبات مقابلتها بما علموا ان الاعراض لا يحتمل الاعراضات فعلى ذلك العلم بوحدانية الله تعالى
والتنزيه عن احتمال الازدواج تحقق القول الذى ذكرت وقد قيل فى الصمد انه الدائم وذلك ايضا
يرجع الى ما ذكرت انه لا يحتمل التغير والاستحالة واصابة اثر الحاجة وهو المصمود اليه بالحوايج

وقد قالوا

وقد قالوا فى تأويل الاول لقد بكر الناعى بخير بنى اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد ويقال
صمدت الى فلان اى قصدت اليه وهذا موضع معنى الصمد انه يصمد اليه فى الحوايج وقيل فى ذلك ان الصمد
تأويله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد قال الشيخ ابو منصور رحمه الله الاصل انه تعالى
عظم القول بالولد ما عظم بجعل الشركاء وذلك ان معنى الولد ان يكون بجوهر من له ولد فيكون بذلك
شريكا وذلك ينفى التوحيد فعلى ذلك القول بالولد لذلك عظم القول به والزم على من عرفه بالادلة القول
ببراءته عن الولد كما يثبت الاشتراك من الوجه الذى بيّنا وقد شهد العالم بكليته بحق الخلقة على تعاليه
منشيه عن الشركاء والاشباه جميعا فيبطل القول بالذى ذكرنا مع ما كان جميع الخلايق على الاشارة
الى كل منه يحتمل الازدواج ومنه يكون التوالد والله متعال عن ذلك وبعد فان كلام العالم على الاشارة
الى احاد متولد من غيره او يتولد منه غيره وهما امران راجعان الى ما عليه حق هذا العالم وعليه موضوعهم
وقد ثبت تعاليه عن جميع معانى غيره اذ كل غير له بجميع معانيه حدث بعد ان لم يكن اتى عليه تدبير غيره
وجرى عليه تقدير سلطان غيره والله تعالى لو كان يتوهم شئ من ذلك فيه يسقط له الالوهية
ويحقق له الحاجة الى غيره ويوجب جرى بعد سلطان غيره عليه وذلك يوجب غيرا خارجا عن هذه
المعانى حتى تسلم الادلة له على حد الموضوع ويصفوا له الشهادة على ما قامت وانطقت بالخلقة وبما فيه
من الحكمة ولا قوة الا بالله وعلى ذلك ختم السورة ان ليس له احد كفوا لان فى ذلك يوجب المماثلة
وفى المماثلة اشتراك وقد ثبت فساد العالم بتوهم الاشتراك فى تدبيره وقد لزم التعالى عن المعانى
التى للازدواج بها يقوم التدبير ويجرى سلطان التقدير وجائز ان يكون مخرج السورة فى تحقيق نعت
من قد عرفوه باحدى خصال ثلاث اما بالتلقين لكل عن كل الى ان ينتهى ذلك الى علام الغيوب فيخبرهم
بذلك وانشاهم على ذلك حتى يتيقن من جحد ذلك انه بعد تلقين متوارث ظاهر لا يحتمل مثله الخطأ فى حق
توارث الامور بما يبطل المعارف كلها باسرها انشئوا وبها يعاملوا وذلك كاول علوم الخلق وكالشئ المطبوع
الذى لا يستطاع جحده الا عناد لعل الطباع المخلوقة على جهة الرياضة وانواع الحيل واما بالتأمل فيها
فى كل جزء من اجزاء العالم من الادلة عليه والشهادة له فيتيقن بالآية ان الذين عرفوه باحد الوجوه التى
ذكرنا نعته كذا ليقطع به توهم المثل له والعدل نداه وليعرف ان القول بغيره خارج عن الوجوه التى
ذكرنا وانه يرجع الى الضرب من التلقين ليس له حق الطباع ولا حق التلقين الذى له صفة الكافة والكلية
فى التلقين ولا فى حق شهادة الكل بالخلقة يدرك بالتأمل والتفكر فيمتنع عن ذلك ويرجع الى الحقيقة ما جرى به
النعت دون غيره مما القوا فيه يرجع الى تلقين من ذكر وتلبيس بلا حجة لذلك لا يضاهى شيئا مما ذكرت
مع ما فى كل ذلك جميع ما فى غيره ذلك من شهادة الخلقة والحاجة منها الى غيره فى الايجاد والابقاء وهو الاحد
بما لا دليل لغيره بل فى ذلك احالة الالوهية من كل الوجوه الثلاثة وهو الصمد بمعنى المصمود اليه فى الحوايج
المالك لقضائها وهو الذى لم يلد ولم يولد وهو المتعالى عن احتمال ولادة فيه ومنه لما ذكرت من فساد
الالوهية الثابتة له بما ذكر من الوجوه وقوله ولم يكن له كفوا احد لما فى كل احد سواه الوجوه التى منها
يعرف سلطان غيره عليه وانه دليل لمن ذلّ له كل شئ على السواء ولا قوة الا بالله ومنه الاستهداء
ولما ذكرت سميت هذه السورة سورة الاخلاص لما فيها من اخلاص التوحيد لله ونفى الاشباه والشركاء
فى الالهية والربوبية وان كل شئ سواه مربوبة ومملوك له ولا قوة الا بالله

سورة الفلق مدنية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق قال الفقيه رحمه الله الامر بالتعوذ به يحتمل وجوها ثلاثة احدها على التعليم لا لنازلة كانت فى ذلك الوقت لكن لما علم الله تعالى من عظيم شر من ذكر بما يظن بالاغلب انه اذا ذكر يتصل بالذى ذكر فى علم الله تعالى فامرهم بالتعوذ به كما اخبر فى امر الشيطان انه عدو لهم وانه يراهم من حيث لا يرونه ليكونوا ابدا معدين متيقظين او فزعين الى الله تعالى معتصمين وهذا احق فى التعليم من الذى ذكر فى سورة الناس لانه اضر من ذلك العدو لان ضرره انما يتصل به باتيانه ما دعاه الشيطان وما يوسوس فى صدوره الوسواس وذلك فعله تمكنه الامتناع عنه وهذا الضرر يقع بفعل غيره من وجه لا يعلم ما تاه اعنى شر النفاثات ونحو ذلك فهو احق فى تعليم العباد فيه والامر بالفزع الى من بلطفه جعل ذلك الفعل ممن ذكرنا معمولا مؤثرا والثانى ما قيل نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن يكيدك فتعوذ باعوذ برب الفلق وبرب الناس من شره اذا اويت الى الفراش والثالث قيل ان واحدا من اليهود سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل هذا قال ابو بكر الاصم ذكر وافى هذا حديثا ما لا يجوز فتركته قال الفقيه رحمه الله ولكن عندنا فيما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وجهان فى اثبات رسالته ونبوته احدهما بما علمه بالوحى انه سحر وذلك فعل فعل سرا منه ولا وقوف لاحد على الغيب الا بالوحى والثانى بما ابطل عمل السحر بتلاوة القرآن فيصير لسلا وتر فى ابطال عمل السحر بالعصا موسى عليه السلام ثم ان هذا فى كونه آية اعظم مما فعل موسى عليه السلام لان ذلك يتنوع بنوع ما له الفعل والعمل من حيث الجوهر والطبع من حيث مرأى العين فانه نقبانا تلقف ما صنعوا فاما ابطال السحر وعمله بتلاوة القرآن لا يكون الا باللطف من الله تعالى والله اعلم ثم الاصل فى هذا عندنا انه قد ثبت الامر بالتعوذ بقوله قل اعوذ برب الفلق وقد بينا حق الاشتراك فيما يتضمن هذا الامران كان على نازلة فى واحد او على ابتداء التعليم فهو امر فيه رجاء الفرج والمخرج من الامور الضارة بما يعتصم فيها بالله تعالى بما عنده من اللطائف فجائز تمكينه من امور ضارة باللطف من حيث لا يعلم البشر ما تاه ولعل الذى يعمل به لا يعلم حقيقة ذلك العمل الذى جعل الله لذلك العمل الا بما يسبق من وقوع ذلك وقد يجوز الامر والنهى باشياء وفيها من الافعال المكان ما يتولد عنها من المنافع والمضار باللطف من حيث لا فعل فى حقيقة ذلك للخلق وانما ذلك لطف من الله تعالى نحو ما نهى عن اكل اشياء وامر بها مما بها الاعتداد والقتل من غير ان نعلم حقيقة وصول ذلك الى ما نقدوا وبقتل واى حكمة فى ذلك ومعنى له وكذلك الموضوع من المناكح لطلب الولد وسقى الاشجار والزروع بما يحدث الله فيها وان كان وجه العمل بالمامور به والمنهى عنه وحقيقته لعنى الذى له ذلك وعلى ذلك الامر بالاستماع والنظر لما يلقى اليه ويراه وان لم يكن حقيقة الادراك فعله وعلى ذلك التقدير جائز ان يكون الله تعالى يجعل النفث بالعزايم او بانواع السحر او بانواع الرقى اعمالا فى المقصود بها من النفع والضر لا يعلم حقيقة الوقوع والمعنى الموضوع فيه له من منه ذلك الفعل وهو به مأمور وعنه منهى بما له من حقيقة الفعل وان لم يكن النافع به فى حقيقة فعله ثم قوله عز وجل الفلق اختلفوا فيه قال بعضهم الصبح وقيل كل شىء ينفلق من جميع ما خلق نحو الارحام ليعرف ما فيها والحب والنوى والهوام وكل شىء لمن ذهب الى تخصيص الصبح فهو لانه آخر الليل واول النهار وقد جرى تدبير الله تعالى فى انشاء هذين الوقتين على جميع العالم بحيث لا يملك احد الامتناع عن حكمها فيما جعل لهما وهما النهاية فى العلم يعلم الله تعالى الغيب اذ جرى من تدبيره فى آخر الاوقات فى الليل والنهار على حد واحد كل عام بما فيهما من الرحمة للخلق وانواع المحنة ومن عليهما باتيان للخلق ويذهبان فكانما ذكر جميع الخلق على ما ذكر فى تاويل قوله تعالى برب الناس فيكون فيه لو قصد بالذكر ما فى الكل ذلك ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل من شر ما خلق له وجهان احدهما من شر خلقه لما اضاف الى فعله كما يقال من شر فعله

اى من شر يفعله ويحتمل من شر يكون من خلقه لكن الاضافة اليه بما هو خالق كل شىء من فعل خلقه ومن خلق ما له الفعل ولا فعل والاول كانه اقرب لما ذكر فى بقية السورة الواقع بخلقه المكتسب من جهتهم واضيف اليه لما بينا ولان كل شر اكتسبه الخلق فذلك منسوب الى الله خلقا وهو فعل المكتسب وكسبه فمتى كان المراد من قوله تعالى من شر ما خلق هذا النوع فكان ذكر ما بعده يكون تكريرا واذا حمل الاول على محض التخليق فيما لا صنع للخلق فيه من الشرور كان ذكر ما لهم صنع فيه وان كان بخلق الله تعالى عز وجل لا يكون تكريرا فيكون هذا التاويل احق مع ما قد بينا انه يمنع فى فعل غيره بلطفا واعجاز وفى الاعجاز لا يحتمل التعوذ من شر من لا يقدر على فعل يتصل به الشر وفى ذلك اثبات التمكين لما يقع به الشر يجوز التعوذ من الذى منه اذيه يكون من غيره على ما بينا من جواز الامر والنهى عن افعال لمكان ما يقع بها وان لم يكن الواقع فى الحقيقة لهم فعلى ذلك التعوذ من شر خلقه وهو التمكين والله الموفق والمستعان وفى هذا تعلق بعض من يقول بالقوة يسبق الفعل انه لو لم يكن له قوة على الشر كيف كان يتعوذ من شر من لا يقوى عليه والجواب من وجهين احدهما ان التعوذ يكون بما سيفعل بما يملك هو مما يقع لديه الفعل وهو الالات السليمة والقدر يحدث تباعا على حدوث الافعال ويحدث لما يختار هو مضادات القدرة فى كونها لما يختار لكونه ما يختار من الفعل بالاختيار بحدوث القدرة حالة الفعل فيتعوذ منه لعلمه ان الذى به كان فيه والثانى ان قد جرت العادة بالعلم بما يقع فى المتعارف كالعلم بما هو واقع فى الرغبة والرهبة الا ترى انه يتعوذ من ظلم الجبابرة والظلمة على ما بينهم من بعد الامكنة وطول المدد لامكان الوصول بما اعتيد منهم بلوغ امثال ذلك وان كانت القدرة على الظلم فى حقه للحال معدومة لا يبقى فى مثل هذه المدة فعلى ذلك الامر الاول وقوله عز وجل ومن شر غاسق اذا وقب اختلف فيه قيل الغاسق هو الليل المظلم والغسق الظلمة وقيل سمى الليل غاسقا لان الغاسق البارد قال الله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا والليل ابرد من النهار لذلك سمى غاسقا والاصل فى هذا ان الذى ذكر لا يكون منه ضرر يتعوذ منه لكنه يرجع الى من كان فى ظلم الليل او فى نور القمر من الذى ياتى منه المضار ومعلوم ان من السرور ما لا يمكن منها الا فى ظلم الليل وسهاء فى الليالى لا يمكن الا بنور القمر فامر بالتعوذ مما يكون فيها الا ان يكون منها كقوله تعالى والنهار مبصرا بما يقع به الابصار لا انه يقع منه ذلك وهذا والله اعلم ليس على تخصيص الليل بذلك لانه ليس له فعل الضر لكن قد يعرض به الامكان من الشر لما المعلوم ان من السرور ما لا يمكن منها الا فى ظلم الليل ومنها فى الليل لا يمكن الا بنور القمر فامر بالتعوذ منه عما يتحقق فيه فعلى ذلك يجوز التعوذ من شر النهار على تاويل ما يقع به من التمكين من الشر ويوجد فيه والله اعلم وقوله عز وجل اذا وقب اختلفوا فى معنى وقب قيل اذا جاء وقيل ذهب وقيل معناه القمر اذا خسف امر بالاستعاذة من ذلك اذ هو علم من اعلام الساعة لهذا قال اذا وقب اذ القمر لا يخسف الا فى الليل وقوله عز وجل ومن شر النفاثات فى العقد فهذا التعوذ من شرهم بحسب سببه لكنه فى الحقيقة فعل لهم وفى الاول يقع سببه بلا صنع لهم فكانه فى الجملة امر بالتعوذ من كل اسباب خيف تولد الشر منه فعلا كان ذلك او لم يكن الا ترى الى قوله تعالى عز وجل فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقد يكون للشيطان فعل فى الحقيقة ولا يكون للحيوة الدنيا فعل فوقع النهى عن الاغترار بهما فعلى ذلك التعوذ من شر الامرين وان لم يكن لاحدهما فعل بما يقع فيه وجائز ان يكون من هذا الوجه فى الملائكة فى الدفع والحفظ لقوله تعالى عز وجل له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قيل فيه اى بامر الله يقع حفظه فجائز ان يكون فى هذه الامور الخفية وانواع المضار من حيث لا يعلم الا بعد جهد يقع الحفظ بالله تعالى على استعمال الملائكة وعلى ذلك يجوز ان يكون امر سلامة المطاعم والمشارب والمنافع التى للبشر

عن افساد الجن يحفظ من ذكر يكون فيها محنة للملايكة على ما كان من وسواس الشيطان
ايقاظ الملايكة ومعونتهم ويحتمل ان يكون الله تعالى لم يمكنهم افساد ما ذكرنا وان مكنهم الوسواس
اذ باللطف يمنع من حيث لا يعلم وقيل ايضا من امن الله عذابه وانواع البلايا الى وقت ارادة الله تعالى
الوقوع وقوله عز وجل ومن شر حاسد اذا حسد يخرج على وجهين احدهما اذا كان الحاسد
دون المحسود لا يقوى على الشر ليفعل به والشر المتوهم منه يكون من شر عينه وعمل الحسد ارادة
زوال نعم المحسود وذهاب دولته وجايز ان يكون الله عز وجل بلطفه يجعل في بعض الاعيان
عملا يتادى بالنظر الى ما يستحسنه من النعم الى الزوال ويؤثرون ذهاب الدولة عنه فامر
بالتعوذ لهذا وقد بينا لك المتولدات من الافعال بما جعل الله تعالى فيها من المضار والمنافع ما لا يبلغها
علوم الخلق بل لو اراد الخلق ان يعرفوا ما في البصر من الحكمة التي تدرك بفتح البصر ما بين
السماء والارض من غير كثير مهلة لم يقدروا عليه وروى عن عمران بن الحصين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا رقية الا من عين او حمة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
العين حق فان كان شيء يسبق القدر يسبقه العين وعنه حبنحى لا شيء في الهام والعين حق
ويدل عليه في قصة اخوة يوسف عليه السلام قال لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
وقد تشتبه وجه عمل العين وكيفيته لكنه امر كعمل الشمس في العين نفسها فيما ابصار الشمس مع
ونظر اليها فانها تضره وتغلبه عن النظر على بعدها من العين بما جعل الله تعالى وذلك من اللطف
والحكمة وكذلك عمل العين في المعيون والثاني ان يكون بما حسد ان يبعث حسده على الحيل
وانواع ما به العين من السعي في الامور التي بها الفساد على ضعفه في نفسه قال الله تعالى
في وصف المنافقين يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم فمع ما بين من فشلهم وضعفهم امرهم بالحذر عنهم
وقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا ثم امر بالتعوذ من شره فكذلك الحاسد والله اعلم .

سورة الناس مدنية وآيها ست او سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قل اعوذ برب الناس فظاهره امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مشار اليه
وهو التعوذ وحق الاجابة في مثله ان يقول قد اعوذ لكنه والله اعلم يخرج على وجهين احدهما ان يكون
ذلك من التحقيق ان يصير ذلك امرا لكل من بلغه وتعليما بالذي عليه من الاعتصام بالله تعالى والالتجاء
اليه من شر الذي ذكره ليعيذه ويكون الاعادة بوجهين احدهما في تذكير ما عرفه من الحجج في دفع
ما يخطر بباله من المكروه والثاني باللطف الذي لا يبلغه علم الخلق ولا يدرك عقولهم مما لديه يقع الامن
من الزيغ مما حققه الافعال والذي ذلك حقه لله تعالى ان يكرم به العبد مبتدئا وله ان يقدم فيه
محنة السؤال والاعتصام به على الاكرام ايضا ويلزم على من عصم به من الزلة او هدى للحسنة الشكر
لله تعالى فيما ابتداه او اكرمه به عند السؤال والوجه الثاني من وجهي الخطاب ان يكون الخطاب
لغيره وان كان راجعا الى مشار اليه فهو مما يشترك في معناه غيره فابقى واثبت ما به يصير مخاطبا
من بلغ ذلك وهو قوله تعالى قل حتى يدوم هذا الى آخر الدهر وعلى هذا جميع ما فيه حرف الكلفة
والمحنة اعني صيغة الامر والله الموفق ثم في قوله تعالى قل اعوذ برب الناس الى آخر السورة وجهان من الحكمة
فيهما نقض قول اهل الاعتزال احدهما ان المحنة قد تثبت بالامتناع من طاعة الشيطان والمخالفة له
فاما ان كان الله تعالى اعطاه جميع ما يقع به الامتناع حتى لا يبقى عنده مزيدا ولا يعطيه جميع ذلك بل بقي عنده

شيء منه فان كان قد اعطاه فهو يطلب ذلك بالتعوذ والاعتصام بالله تعالى كاتم لما اعطاه طالب
ما ليس عند الله تعالى فيكون الامر بالتعوذ محنة وامرا بما به كتمان ذلك وذلك حين استوفاه يكون
انكار ستر نعم الله تعالى وقد نهانا عن الامر بالفحشاء والمنكر وبيّن ان ذلك عمل الشيطان ثم في المحنة
بهذا محنة بالاستهزاء بالله تعالى لانه يطلب منه ما يعلم انه لا يملكه ولا يجده عند نفسه وذلك من علم
الهزء وعند ذوي العقول فمن ظن ان الله تعالى يمتحن عباده ويامرهم بشيء مما ذكرنا فهو جاهل
بالله تعالى وبحكمته وان لم يكن الله تعالى اعطاه وعنده بعد ذلك ثم كان من مذهبهم انه ليس لله تعالى
ان يمتحنهم بفعل الا بعد ايتاء جميع ما عنده مما به قوامه ووجوده ففي ذلك اعتراف بلزوم المحنة
وتوجه التكليف قبل ايتاء جميع ما عنده مما به الوصول الى ما امر به وذلك ترك مذهبهم مع ما كان عندهم
انه لو كان عند الله تعالى امر ومعنى لا يقع فعل المختار الا به لا يعطيه ذلك لم يكن له ان يمتحنه وهو
بالامتحان جاير فاما ان سالوه يفعل قد امر به وان لم يكن اعطاه ذلك وهم ما وصفوا الله تعالى بمثل ذلك
او يفعل يتلو وقت الامر ذلك ويكون اعطاء ذلك وقت الامر فكانه ظن ان يامر ولا يعطي حتى يسال وذلك
حرف الجود ثم الاصل الذي اطمان به قلوب الذين يعرفون الله تعالى انه متى هدى الهداية التي يسال وعصم
العصمة التي يطلب ووفق لما يرجو من الفعل واعانه عند ما يخاف فانه كان ذلك لا محالة وتحقق بلا شبهة
ويامن لديه من الزيغ والضلال وعلى ذلك جبلوا بما لا يجد غير معتزلي الا وقد اطمان قلبه به حتى يعلم
ان هذا منه وقع المجبول عليه بالتقليد ولا قوة الا بالله تعالى وقوله برب الناس ملك الناس اله الناس
ولم يقل اعوذ برب الخلق وهذا اعم من الاول واضافة كلية الاشياء اليه او اضافة الى الكل بالربوبية
من باب التعظيم لله تعالى فما كان اعم فهو ارتب في التعظيم فهذا والله اعلم يخرج على اوجه احدها
اراد التعريف وبهذا يقع الكفاية في معرفة من يفزع اليه ممن يملك ذلك ليعوذ منه لكنه ذكر برب الفلق
في موضع وبالله في موضع وبك في موضع كقوله تعالى وقل اعوذ بك من همزات الشياطين وقال
فاستعذ بالله ليعلم به من سعته الامر وتحقيق الفزع والرجوع الى الله تعالى عند نزول ما ينزل
بالمرء مما يخاف على نفسه ويشغل قلبه ان له ذكر ما يحضر من اسماء الله تعالى اي اسم كان اذ ما من اسم
الا وفيه دلالة على نعمه وسلطانه وقدرته وعظمته ليكون في ذلك توجيه الملك اليه واخلاص الحمد له
باضافة النعم فيكون ذلك من بعض ما به التشفع الى الله تعالى من ذكر قدرته واحسانه وان فيع ذلك
في ذكر الناس بالاضافة اليه والثاني ان الذين عرف فيهم الارباب والملوك والعبادات لمن دون الله تعالى هم الانس دون غيرهم فامر اهل الكرامة بمعرفة الله تعالى وعصمة عن عبادة غيره
والاعتراف بالملك والربوبية له ان يفزعوا اليه مما ذكر ذاكرين لذلك واصفين بانه الرب لهم
والملك عليهم والمستحق للعبادة لا غيره او لما كان للوجه التي ذكرنا ضل القوم من اتخاذهم اربابا
دون الله تعالى او نزولهم على رأي ملوكهم في الحل والحرمة وفي البسط والقبض وعبادتهم
غير الله تعالى وفزعهم اليه فامر الله تعالى اهل الكرامة بما ذكرنا الفزع الى الذي يذكر بهذه الاوصاف
على الحقيقة على نحو فزع الضالين لكبرائهم وملوكهم والذين عبدوه دونهم اذ اليه مفزع الكفرة
ايضا عند الاياس عمن اتخذوهم دون الله لنصرتهم ومعونتهم والله اعلم والثالث ان المقصود
من خلق هذا العالم هم الذين نزلت فيهم هذه السورة وغيرهم كالمجعول المسخر لهم قال الله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا وقال هو الذي سخر لكم الآية وقال الله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا
فاذا قيل برب الناس ملك الناس فكانه قيل برب كل شيء لان ما سواهم جعل لهم وذكر الخلق والتوجيه
اليه في الاستعاذة والاستعانة هو اعتراف بان لا يملك غيره ذلك فاستوى الامران والله اعلم

مما يحفظ البتة

وقيل في رب الناس مصلح الناس وذلك يرجع الى ان به صلاحهم في الدين في النفس وقيل ملك الناس
على الاخبار بان الملك له فيهم جميعا وفي الخلق مما لم يذكر فيه جهة الملك فتبين ان ذلك كله في التحقيق
لله تعالى وملكه ولغيره يكون من جهته على ما اعطاهم بقدر ما احتاجوا اليه وقيل سيدهم لكن لفظة السيد
لا يذكر مالك غير الناس ويوصف بالرب والملك والمالك على الاضافة لا مطلقا يقال رب الدار ومالك
الجارية وملك مصر ونحو ذلك فكانه اقرب وقوله عز وجل من شر الوسواس الخناس فسمى الذى يوسوس
بانه وسواس وخناس وقيل في تاويله من وجهين احدهما انه يوسوس لذى الغفلة ويخنس عند ذكره
تعالى اى يخرج ويذهب وقيل يخنس لا يرى ولا يظهر كقوله تعالى انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
ولهذا قيل في الجوار الخنس انهن يطلعن من مطالعهن وتخنس بالنهار اى يختفين وحاين تكون قوله عز وجل
الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس الاية صير الموسوس في صدور الناس من الجنة والناس
وقيل ايضا على التقديم والتاخير معناه قل اعوذ برب الناس من الجنة والناس من الذى يوسوس في صدور
الناس اما الوسوسة فهى امر معروف وذلك مما يلقى من الكلمات التى يشتغل القلب ويتحير لها في امر الدين
بما لا يعرف الذى يلقى اليه المخرج من ذلك وعلى ذلك امر اهل الاهواء واصناف الكفرة كقوله تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وقوله عز وجل وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم واما شياطين الجن
فهو امر ظاهر عند جميع اهل الاديان ومن آمن بالرسل عليهم الصلوة والسلام لكن الدهرية ومنكرى الرسل
يقولون ليس في الجن شياطين وانما هو امر يخوف به مدعوا الرسالة ليلزموا الخلق الاستماع اليهم في تعرف
الجهل وما عند هم في دعواهم من العلوم والمعارف وهذا السفههم قالوا ولو انهم تاملوا في ذلك
لعرفوا انهم على غير بحث عما الزمهم ضرورة العقل الطلب ودعتهم الى البحث عنه ما مستهم من الحاجة وهى الخواطر
التى تقع في القلوب والخيالات التى تعرض في الصدور منها اذا صورت وجدت قباحا ومنهم ما اذا صورت
وجدت حسانا ولا يجوز وقوع امر او كون شئ بعد ان لم يكن من قبل نفسه للاحالة في ان يصير لا شئ بنفسه
شيئا قبيحا او حسنا بلا مدبر وقد علم جميع الانسان بالذى ذكرت من الابتلاء به مما يعلم انه لم يكن من نفسه
معنى يحدث له ذلك فثبت ان قد كانت الضرورة يلزم البحث عن ذلك ثم لا يعلم من حيث طلب الابدان
الموجبة لها ولان في العقول دركها فيجب بها امران متعاهم عن العلم بهما الصوع بالجهل وحبا لراحة احدهما
القول بالصانع ودخول العالم تحت تدبير حكيم عليم قدير والآخر القول بالرسالة ياتيهم من عند
علام الغيوب واذا كان ذلك بحيث لا يبلغه علم البشر فيعرف حقيقة ذلك فيعلم عند النظر والبحث امرين
عظيمين احدهما الرسل بما معهم من المعجزات فيقولون بهم وبالتوحيد بما بدا ومن الآيات الصدق اذ قد علموا
ان في الاخبار صدق قالوا لولا ذلك لكانوا لا يدعون شيئا اذ هو خبر والثانى يلزمهم بما يعاينوا من خروج الامر
عن غير الحكماء انها تقع متفاوتة مضطربة والعالم بما خرج متسقا على الحكمة والمصلحة فعلموا انه كان
بمدبر حكيم بعد ما بر المصالح فيلزمهم به امران ايضا التوحيد والرسالة ولا قوة الا بالله تعالى والاصل
عندنا بتمكين الشيطان ما ذكر من الوسوسة ان الشيطان والملك خلقان لله تعالى عرفنا هما بالرسل عليهم
الصلوة والسلام وبما علمنا من ضرورة الحاجة الى العلم بمن بالقائه يصير عند التصوير قبيحا او حسنا
فياتيان جميعا بما مكنهما الله تعالى من الامرين جميعا امر الملائكة للخير والحكمة فيسهل عليه سبيله بتيسير الله
وفضله وامر الشيطان الضلال والشر فيلبس عليه حتى صار الخير للاول كالطبع والشر للثانى كذلك فاذا كان
كل واحد ممكنا من الامرين قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق الى قوله عز وجل العسرى وقال الله عز وجل
ومن يرد الله ان يهديه الى قوله تعالى كانما يصعد في السماء ثم الاصل في الانس انهم امتحنوا بحقوق بينهم
وبين الله تعالى وبحقوق فيما بينهم وكلفوا تثبيت الملائكة اياهم بقوله عز وجل اذ يوحى ربك الى الملائكة

وسوسه

هم خالق شياطين

انى معكم فثبتوا الذين امنوا وامروا بردما يوسوس اليهم الشيطان بقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا وغير ذلك وعلى ذلك خلقت الملائكة ممتحنين بالكتابة على البشر بقوله كراما كاتبين
فيكون الحكمة في تكليف التمكين ما وصف من محنة الله تعالى اياهم طاعتهم في انفسهم وفيما مكنوا من غيرهم
على ما ذكرت من امر الانس وحكمة ذلك للانس لزام التيقظ والنظر فيما يقع في قلبه من الخواطر ليعلم الذى
من الذى عليه وكذلك في تكليف الملائكة كتابة قوله وفعله ليكون متيقظا ومتنبها في كل افعاله واحواله
كتيقظه فيما كان الاولياء والاعداء من الكاتبين الظاهرين عليه انه يحذر كل الحذر دعما يوذى وليتم
ويعتمد على كل امر فيه يقع بما امل ويحذر عدوه اشد الحذر ليلا يوذيه من حيث لا يعلم فيتهمه كل تهمة
ثم معلوم ان لا عمل الكتبة الا بعد احكامه واصلاحه غاية ما يحتمل الوسع فعلى ذلك فيما حق ادهم
في العقول في ذلك ما منهم وما عليهم كالذين ظهر لهم ممن ظهر والابصار هم والله الموفق ولذلك
صلحت المحنة والامر في صحبة الاولياء والاعداء بحق الولاية والعداوة فيما لا يرون صلاحها وفيما يرى
ان من الوجه الذى فيه الولاية والعداوة مرئية لابصار القلوب والعقول فيمكن الحذر والمعاملة
جميعا وعلى هذا التقدير لم يمكن الله تعالى اعداءه الذين لا يرون من معاداتهم بافعال من ابدانهم
واموالهم بالسلب والتخابيس والافساد وقد مكن اعداءهم من الانس ذلك لتمكينهم الدفع عن ذلك
والحذر عنه بما وقع الوقوف لبعض على حيل بعض والصرف عن ذلك وما هذا الا كدرك الحواس
بافعالها واسبابها بالحس وكذلك امر الملائكة لكن من لا يحتمل عقله معرفة الصانع والتوحيد
مع شهادة العقل وكل شئ فجهله بالشيطان غير مستبعد ولا مستنكر والله اعلم قلت رضى الله عنه
ثم اختلف في وجه تمكين الشيطان من الانس فيما يوسوس اليه قد روى في بعض الاخبار انه يجرى
فيه مجرى الدم فانكر ذلك قوم وليس ذلك مما ينكر بعد العلم باحتمال الجرى لدم فيه وجرى قوة
الطعام والشراب وما به حيوة الابدان والحواس مما لطف مجراه في جميع العروق والاعصاب وكل شئ
بلطافة ذلك الشيطان وعلى ما روى في امر الملك مما يكتب ما لا يعلم موضع قعوده ولا سمع صرير قلمه
ولا ما يكتب علينا من ذلك فعلى ذلك امر الذى ذكرت ثم قد ثبت القول بامر الله تعالى نبيه ان يتعوذ به
من همزه ونزغه وحضوره بقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية وقوله تعالى وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين وقال ان الذين اتقوا طائف من الشيطان تذكروا وقال الذى يتخبطه
الشيطان من المس الاية فثبت ان امره على ما يشاء ثم القول في اى موضع لوقت ما له من الوحى والمس
والنزغ امر لا يحتاج اليه بحق لان الله تعالى اخبرنا انا لا نراه بقوله انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم ولكن الذى رجعت المحنة الى افعاله التى يقع لها آثار في الصدور وقد مكننا بجهة الله تعالى
ومنه ليدرك منه وانما علينا التيقظ لما يقع في الصدور من افعاله ووساوسه ليدفع بما مكننا الله
من الاسباب وعرفنا من الحجج نقض الباطل والتمسك بالحق كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا ويرجعوا الى الله تعالى بالتعوذ في طلب اللطف الذى جعله الله تعالى للدفاع
كقول يوسف عليه الصلوة والسلام والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن الاية على العلم فيه بطوايف
الاشياء المجعول لدفع كيدهن وكذلك قول الراسخين في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة الاية لكن من الناس من يقول هو يعلم النفس فيما تهوى فيزين لها ذلك
والعقل فيما يدعو عن ذلك فيمنعه عن ذلك ومنهم من يقول لا لكن في ذلك آثار من الظلمة والنور
والطيب والخبيث فيعرف بالآثار وفيها موقع وسواسه حتى يصل الى العقل وقد يكون محل الهوى
والعقل جميعا في الجسد وخارج منه وبخاصته آثار الاعمال ومنهم من يقول ليس له بشئ من ذلك

علم لكن بكل ما يرجوا العمل من التحرير ونفي التمويه والتلبيس كالاعمى فيما يمس ويطلب المضاد
من المنافع ونحو ذلك لكن ذلك كله طريق عمل الشيطان وطريق امكائد وحيله وذلك امر لم تؤمن
معرفته وانما علينا مجاهدته في منع ذلك بالتيقظ او يدفعه بما يتذكر هكذا ذكرت في الايات
او بالفزع الى الله سبحانه وتعالى في دفعه ومنعه ان حضرهما عندنا من اللطايف التي لديها يقع
الامن عن الزيغ والظفر بالرشد ويا ولكثير منهم انه يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور
الناس وذلك يمكن لما قد يكون من كل جنس ضلال دعواه واخيار وابرار فاما حق تاويل السورة
على ما وصفنا في ذكر وسواس الجن والانس ثم القول في المعوذتين انهما من القرآن او ليستا
من القرآن قال الفقيه رحمه الله لنا من امرهما انهما انبهنا بما انبهت الى اهل هذا العصر معرفة
القرآن في الجمع بين اللوحين يتوارث الامة ولسنا نحن ممن يعرف بالمحنة والسبر بما به نعلم انهما
معجزتان اولا وانما حق ذلك الاخذ عن اهل ذلك والشهادة له بعد الثبات انه من القرآن
وانه معجز حق امثال النافيه الايقاع وقد اتضح بما يجري التعارف في جميع الشرايع التي بها يشهد
انها عن الله تعالى وانها حق فعلى ذلك هذا لكن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لم يكتبها في مصحفه
وذلك عندنا يخرج على وجهين احدهما انه لم يكن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انهما اثبتنا
انهما من القرآن ام لا ولم يكن ايضا راى على نفسه السؤال عن ذلك حقا واجبا لان القرآن وما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يلزم علم الشهادة والعمل به واحد ان المقصود من كل ذلك
القيام بالمقصود من حق الكلفة لا التسمية ولم يكن النجباء يمتحنون انفسهم باستنباط الوجوه التي بها
يعرفون المعجز من غيره ذلك انه قرآن او غيره وانما ذلك من عمل المرتابين الشاكين في خبر
الرسول صلى الله عليه وسلم ليعرفوا انه مبعوث مرسل فاما من تقرر عنده واطمان به قلبه
وزال عنه الحرج فيما اتاهم فقد كفوا ذلك وكذلك يجوز ترك البحث عن ذلك لما ذكرت لا انه عنده
انهما ليستا من القرآن وفي خبر عقبة الجهني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه
نزل اليوم آيات لم ير مثلهن قط قيل ما هن يا رسول الله فقال المعوذتان دل انهما من القرآن
وايد ايضا ما ذكرت في ترك الكتابة ما روي عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لنا فقولوا فنحن نقول لم نشهد في تلك بانهما منه ولا لسنا منه بما لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لخبره بهما فعلى ذلك امر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ويؤيد ذلك ايضا
امر استعاذة القرآن انها متقدمة على القراءة وحق هاتين السورتين لو كانتا منه بيقين ان يكونا
في افتتاح المصحف كالاستعاذة للقرآن فهذا ايضا بعض الذي يمنع بحقيقة ذلك عنه وقد بينا
جواز وجه الاشكال مع ما كان لا تنزل الحاجة العباد وعلى ذلك نجري العمل بهما من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وغيره فهو امر لا يضر الجهل الذي ذكرت وعن ابن مسعود رضي الله عنه
انه قال لو علمت ان احدا اعلم بالقرآن مني وحملتني مطيتي لاتيته وقد روي عمن ذكر
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض على جبرئيل عليه الصلاة
والسلام كل عام مرة الا في العام الذي قبض عرض عليه مرتين وقد شهدهما جميعا عبد الله فعله
لم يعرض ما شاء الله واذا كان كذلك لم يكن هو ممن يسال في هذا الباب غيره ليثبت عنده السماع
بانهما اثبتتا في المصحف فبقي قوله بحيث لا نعرف حقيقته ووجه آخر ان يكون رآهما منه لكن
لم يكتب لوجهين احدهما لما لم يكن موضع الكتاب والتدبير على ما ذكرنا ان يكون في اول المصاحف فكره ان يكتب
بتدبيره ويتخير له موضعا للكتابة فلم يكتب لذلك والثاني انه يكتب ليحفظ ولا ينسى وقد امن عليهما النسيان

لانهما بحيث يجب تلاوتهما في اوايل النهار ومبادي الليل وعند النوازل ينفع التعوذ بهما عن كل شر
وكيد على نحو الاستعاذة وانواع الدعوات المدعوة فلما امن خفاهما لم يكتب وعلى ذلك
ترك كتابة فاتحة الكتاب والله اعلم كمل تفسير كلام الله المنان المسمى بتاويلات القرآن
الذي لا يوازيه في هذا الفن كتاب بل لا يدانيه شي في ذلك بلا ارتياب كيف لا وهو مصنف
امام اهل السنة والجماعة الحنيفية ومقتدى معاشر الماتريدية الحنفية
الشيخ الذي بعلمه يقتدى وبنور فضله يهتدى ولذا كان يلقب
بامام الهدى الامام ابي منصور محمد بن محمد الماتريدي عليه
رحمة المعيد المبدي والحمد على ذلك لله الموفق
الهادي والصلوة على رسوله المصطفى المهدي
وعلى اله وصحبه نجوم الدجى آدى
ما ناح الحمام الشادي
وصاح بالانعام
الحادي
ت